موسوعة الدفاع عن الرسول

صلى الله عليه وسلم

علي بن نايف الشحود

مقدمة موسوعة الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمًا عدادًا، وبعث فينا سراجًا وهَّاجَا، فاللهم إنا نشهدك على حبّك، وحبّ نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ونشهدك أنه أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ووالدينا وأموالنا، ونبرأ إليك مما فعل الكافرون بجناب نبيك وصفيك صلى الله عليه وسلم، وبعد:

إن المتأمل بعين ثاقبة وقلب يَقظ لما يدور حولنا من كوارث ونكبات.. ومحن وعظـات.. ليحاول أن يسترجع هذه الآيات والحوادث والنوازل التي تحل بالأمة، أمراض مستأصـلة، وأوبئة منتشرة، تحملها طيور، وتنقلها حيوانات، لا يملك أحد ردها أو صدها أو السيطرة عليها مهما أوتي من علم في مكتشفاته ومختبراته ومخترعاته وأرصدته، لأنها جند من جنود اللَّه عز وجل في البر والبحر: وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكـرى للبشـر [المدثر: ٣١].

وإن من حق كل مسلم غيور على دينه، محب لرسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، أن يعبر عن فرحته الغامرة، بهذه الهَبَّة الإسلامية من الأمة المحمدية، دفاعًا رائعًا عن خير البرية، ومع توالي النكبات، وكثرة الطعنات التي تُوجه إلى صدر الأمة من أعداء الإسلام، وممـن أعلنوا الحرب الصليبية على الإسلام جلية واضحة، دون مهادنة، إلاَّ أننا نجد روحًا جديدة تسري في جسد الأمة؛ تذكرنا بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: «مثل المـؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الجسد بالحمى والسهر».

في هبّة الغيرة على حبّ النبي صلى الله عليه وسلم، تكاتفت الأمة، وتـداعت إلى الحـقِّ، فرب ضارّة نافعة، فالمسلمون لم يصلوا مرحلة الغثاء بعد، ولم يعد بوسع أعداء الإسلام أن يتجاهلوا هذه الأمة، وأن يتجرءوا على مشاعرها !!

الحرية الزائفة.. ومذبحة الهولوكست !!

وإذا كان الغرب – أدعياء الحرية الزائفة – قد كشفوا عن وجههم القبيح... وصالوا وجالوا في دول العالم يوزعون الاتهامات... ويحاسبون المقصرين ممن ينتسبون إليهم ويتلقون تعليماتهم.. وبالأمس القريب يصدر الحكم على الكاتب والمؤرخ البريطاني «إيرلي» بالحبس ثلاث سنوات لمجرد إدانته بإنكار المحرقة اليهودية والتشكيك في تعداد من قُتلوا في محرقة النازي ضد اليهود إنها الحرية الأمريكية؛ تمامًا كما فعلت وما تزال في العراق تحت وهم تصدير الحرية وإحلال الديمقراطية الأمريكية ديمقراطية رعاة البقر والعنصريين الغربيين !!

فالآن تضع الإساءة الأوربية والحدث الشنيع الذي سخر من نبينا صلى الله عليه وسلم واستهزأ به قيمة الحرية الزائفة في محاكمة تكشف عن الخزي والعار، فأين حرية الرأي وأياديكم ملطخة بالدماء.. في أبشع صور كشفت عن تصرف تتري هجمي، وإن شئت دقة في التعبير فإنه تصرف حيوانات مسعورة فقدت كل المشاعر، ومن قبلها ماتت الضمائر في سجن أبو غريب، بل في كل بقعة من أرض العراق وفلسطين وأفغانستان، وإن أردت الحقيقة ففي كل بقعة من أرض المسلمين دنسها المحتلون العنصريون ممن عميت بصائرهم، وخُتم على قلوبهم، وأسماعهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هذا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم !!

لقد بعث اللَّه تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا، بعثه اللَّه في الأميين على حين فترة من الرسل: يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [الجمعة: ٢].

ولقد علم اللَّه سبحانه، وهو اللطيف الخبير، أن الرسول المبعوث من قِبَله لابدّ أن يكون موصوفًا بكريم الأخلاق وجميل الصفات حتى يُقبل الناسُ عليه، ويتعلموا منه، لذلك وضع في شخص محمد صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للشخصية المسلمة التي يريدها اللَّه تعالى، لتظل دائمًا صورة حية خالدة مرئية لكل من أراد أن ينهج نهج الإسلام، ويتبع النبي عليه الصلاة والسلام، وجعله اللَّه القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة، والمثل الأعلى، والإمام الأعظم، فقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا [الأحزاب: ٢١].

النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة

فهو الأسوة الحسنة صلى الله عليه وسلم في عبادة اللَّه عز وجل، فلقد كان أعلم الناس بالله، وأتقاهم له وأخشاهم ومع ذلك كان يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويأتي النساء، و لم يؤثر ذلك في كونه أعبد الناس؛ ولذلك لما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر لا أفطر. وقال الثاني: وأنا أقوم الليل لا أرقد. وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

[متفق عليه]

وقد أرسلت إليه إحدى بناته تقول له: «إن ابني قد احتُضر فاشهدنا، فأرسل إليها يقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمُرها فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت تحلف عليه ليأتينَّها، فقام ومعه نفر من أصحابه، فرُفع إليه الصبيُّ ونَفْسُه تُقَعْقِعُ، ففاضت عيناه، فقال بعض أصحابه: ما هذا يا رسول اللَّه ؟ قال: «هذه رحمة جعلها اللَّه في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء». [متفق عليه]

وهو صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في الصبر على موت الأولاد؛ فقد رُزِق سبعة من الولد؛ ثلاثة ذكور، وأربع إناث، مات الصبيان الثلاثة صغارًا، وماتت ثلاث بناتٍ في حياته صلى الله عليه وسلم، و لم تعمَّر بعدَهُ إلا فاطمة، رضي اللَّه عنها، فإنها عاشت بعده ستة أشهر، فصبر على موت أولاده واحتسبهم عند اللَّه رب العالمين.

وكان صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في معاملة الجيران، وكان يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه». [متفق عليه]

وهو صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في معاملة الناس؛ فلقد باع واشترى، وكان سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، وكان إذا استسلف من رجل سلفًا قضاه إياه ودعا له، فقال:

«بارك اللَّه لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء». حديث حسن أخرجه النسائي وابن ماجه.

وكان صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في التواضع؛ فلقد كانت الأَمَةُ من إماء المدينـــة تأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت فما يتركها حتى يقضي لها حاجتها. [رواه البخاري]

وكان إذا دخل عليهم لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك. [حديث صحيح]

وهو صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في الشجاعة؛ فلقد دوى صوت في المدينـــة ذات ليلة، فهرع الناس إليه، فلقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «لم تراعـــوا». [متفق عليه]

وهو صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في السلم والحرب، واحترام العهود، والوفاء بها؛ دخل صلى الله عليه وسلم المدينة رافعًا رأيه السلام، ودخل يقول: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

[حديث صحيح]

الأخلاق المحمدية

لم يُكتب لأحد من البشر من الأثر والخلود والعظمة ما كتب لصاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم، وإن لذوي الأخلاق الفاضلة مترلة عالية، ففي الحديث الصحيح: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا». [رواه أحمد والترمذي]

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا». [البخاري ومسلم]

وسُئل صلى الله عليه وسلم عن البر؛ فقال: «حسن الخلق». [أخرجه مسلم]

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا وأدبًا وأكرمهم وأتقاهم معاملة، قال عنـــه ربه عز وجل مادحًا خلقَه الكريم صلى الله عليه وسلم: وإنك لعلى خلق عظيم [القلم: ٤].

وعن عائشة رضي اللَّه عنها لما سُئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «كـــان خُلُقه القرآن». [صحيح مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: «اللـــهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق». [رواه أبو داود والنسائي]

كرمه صلى الله عليه وسلم

كان كرمه مضرب الأمثال، وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يردّ سائلاً وهو واجد ما يعطيه، فقد سأله رجل حُلَّةً كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها، ثم خرج بها في يديه وأعطاه إياها. وفي صحيح البخاري ومسلم عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: «ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا على الإسلام إلا أعطاه»، وحسبنا في الاستدلال على كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث البخاري عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وقد سئل عن جود الرسول صلى الله عليه وسلم وكرمه فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن، ولِمَ لا وهو القائل: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يترلان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا». [البخاري ومسلم]

حلمه وصبره صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم في ذلك مضرب المثل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال اللَّه الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر له بعطاء». [رواه البخاري ومسلم]

عفوه صلى الله عليه وسلم

وقد أمر اللَّه تعالى به رسوله الكريم في قوله من سورة الأعراف: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين [الأعراف: ١٩٩].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح

لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر اللَّه، والصلاة، وقراءة القرآن، قال: فـــأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه». [رواه مسلم]

عدله صلى الله عليه وسلم

أمر اللَّه بالعدل في القول والحكم، فقال تعالى: وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، وعلى العدل قام أمر السماء والأرض، فكيـــف لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم عادلاً وهو القائل: «إن من إجلال اللَّه إكـــرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط».

[رواه أبو داود، وحسنه الألباني]

وذكر أن سبعة يظلهم اللَّه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وعد منهم الإمام العـــادل، وقال: «إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة». [رواه مسلم]

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم. [رواه البخاري]، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيهـــا فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه». [البخاري]

حسن معاملته وعشرته صلى الله عليه وسلم

إن من كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله وكمال أدبه في مخالطته لغيره، وقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم مضرب المثل في حسن الصحبة وجميل المعاشـــرة وأدب المخالطة، وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخـــالطهم ويحـــادثهم ويـــداعب صبيانهم، ويجلسُهم في حِجره، ويجيب دعوة الحرِّ والعبد والمسكين ويعود المرضى أقصـــى المدينة ويقبل عذر المعتذر.

وحسبنا في جميل مخالطته وبيان أدبه وحسن عشرته صلى الله عليه وسلم قول ربه عز وجل فيه: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فـــاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، وقد فعل صلى الله عليه وسلم، فجزاه اللَّه عـــن أمته خير الجزاء.

تواضعه صلى الله عليه وسلم

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، وأخبر أن اللَّه تعالى كافأه على اختياره العبودية بأن يكون سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، فاختياره العبودية على الملك أكبر مظهر من مظاهر التواضع المحمدي.

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم: وإنما أنا عبد، فقولوا عبد اللَّه ورسوله».

وكان صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين [القصص: ٨٣].

وهذا فيض من غيض، فداك أبي وأمي وأهلي ونفسي يا رسول اللَّه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

http://www.altawhed.com/Detail.asp?InNewsItemID=
١٨٣١٦٥

=================

وهذه مجموعة طيبة وكبيرة حول فضائل ومناقب حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ، التقطتها من هنا وهناك ، وخاصة من المواقع التالية :

١.اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم

٢.دفاعاً عن المصطفى صلى الله عليه وسلم

٣.إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

٤.الدفاع عن جناب النبي صلى الله عليه وسلم

٥.اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية

٦.لا للدنمارك

٧.المصنوعات الدنماركية

٨.عذراً رسول الله

٩.الحملة العالمية لمقاومة العدوان

١٠.حملة مليار مع محمد صلى الله عليه وسلم

١١.حملة الدفاع عن الجناب النبوي

١٢.موقع الحملة العالمية لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم

١٣- موقع صيد الفوائد

وما سواها كثير

، وقد قسمتها حسب موضوعاتها لعدة أبحاث ، بلغت ((عشرة مجلدات كبيرة))

وذلك على الشكل التالي :

أولا- مقدمة عن الموسوعة

ثانيا- قد قسمتها إلى أحد عشر باباً على الشكل التالي :

الباب الأول- الشمائل المحمدية

الباب الثاني - هدي خير العباد

الباب الثالث-حقوقه صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع-قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم

الباب الخامس -المنصفون .

الباب السادس- دلائل ومعجزات النبوة

الباب السابع -الاحتفال بالمولد النبوي

الباب الثامن - شبهات وردود

الباب التاسع- المتطاولون وعاقبتهم

الباب العاشر — ما قيل فيه من شعر صلى الله عليه وسلم

الباب الحادي عشر — مقالات وخطب حول ردود فعل المسلمين

****

ومناسبة ذلك ما فعله بعض فناني الدانمرك من إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم

وهذا الذي حدث سببه بالدرجة الأولى حقد وحسد أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأتباعه .

قال تعالى :{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) [المائدة/٥٩] }
وقال تعالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) [النساء/٥٤، ٥٥] }
وقال تعالى : { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) [البقرة/١٠٥] }
وقال تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) [البقرة/١٠٩] }

إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم ؛ وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهي مصدقة لما بين أيديهم لا ما ابتدعوه وحرفوه ولا يؤمنون بالرسول الأخير وهو مصدق لما بين يديه ؛ معظم لرسل الله أجمعين إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء ؛ التي لم تضع أوزارها قط ولم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام ؛ منذ أن قام للمسلمين كيان في المدينة ؛ وتميزت لهم شخصية ؛ وأصبح لهم وجود مستقل ؛ ناشىء من دينهم المستقل وتصورهم المستقل ونظامهم المستقل في ظل منهج الله الفريد إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة لأنهم قبل كل شيء مسلمون ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم ؛ فيصبحوا غير مسلمين ذلك أن أهل الكتاب أكثرهم فاسقون ؛ ومن ثم لا يحبون المستقيمين الملتزمين من المسلمين والله سبحانه يقرر هذه الحقيقة في صورة قاطعة وهو يقول لرسوله ص في السورة الأخرى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ويقول له في هذه السورة أن يواجه أهل الكتاب بحقيقة بواعثهم وركيزة موقفهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا

بالله ؛ وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون وهذه الحقيقة التي يقررها الله سبحانه في مواضع كثيرة من كلامه الصادق المبين هي التي يريد تمييعها وتلبيسها وتغطيتها وإنكارها اليوم كثيرون من أهل الكتاب وكثيرون ممن يسمون أنفسهم مسلمين باسم تعاون المتدينين في وجه المادية والإلحاد كما يقولون أهل الكتاب يريدون اليوم تمييع هذه الحقيقة بل طمسها وتغطيتها لأنهم يريدون خداع سكان الوطن الإسلامي أو الذي كان إسلاميا بتعبير أصح وتخدير الوعي الذي كان قد بثه فيهم الإسلام بمنهجه الرباني القويم ذلك أنه حين كان هذا الوعي سليما لم يستطع الاستعمار الصليبي أن يقف للمد الإسلامي فضلا على أن يستعمر الوطن الإسلامي و لم يكن بد لهؤلاء بعد فشلهم في الحروب الصليبية السافرة وفي حرب التبشير السافرة كذلك أن يسلكوا طريق الخداع والتخدير فيتظاهروا ويشيعوا بين ورثة المسلمين أن قضية الدين والحرب الدينية قد انتهت وأنها كانت مجرد فترة تاريخية مظلمة عاشتها الأمم جميعا ثم تنور العالم و تقدم فلم يعد من الجائز ولا اللائق ولا المستساغ أن يقوم الصراع على أساس العقيدة وأنما الصراع اليوم على المادة على الموارد والأسواق والاستغلالات فحسب وإذن فما يجوز للمسلمين أو ورثة المسلمين أن يفكروا في الدين ولا في صراع الدين وحين يطمئن أهل الكتاب وهم الذين يستعمرون أوطان المسلمين إلى استنامة هؤلاء لهذا التخدير ؛ وحين تتميع القضية في ضمائرهم ؛ فإن المستعمرين يأمنون غضبة المسلمين لله ؛ وللعقيدة الغضبة التي لم يقفوا لها يوما ويصبح الأمر سهلا بعد التنويم والتخدير ولا يكسبون معركة العقيدة وحدها بل يكسبون معها ما وراءها من الأسلاب والمغانم والاستثمارات والخامات ؛ ويغلبون في معركة المادة بعدما يغلبون في معركة العقيدة فهما قريب من قريب وعملاء أهل الكتاب في الوطن الإسلامي ممن يقيمهم الاستعمار هنا وهناك علانية أو في خفية يقولون القول نفسه لأنهم عملاء يؤدون الدور من داخل الحدود وهؤلاء يقولون عن الحروب الصليبية ذاتها إنها لم تكن صليبية ويقولون عن المسلمين الذين خاضوها تحت راية العقيدة إنهم لم يكونوا مسلمين وإنما هم كانوا قوميين وفريق ثالث مستغفل مخدوع ؛ يناديه أحفاد الصليبيين في الغرب المستعمر أن تعالوا إلينا تعالوا نجتمع في ولاء ؛ لندفع عن الدين غائلة الملحدين فيستجيب هذا الفريق المستغفل المخدوع ؛ ناسيا أن أحفاد الصليبيين هؤلاء

وقفوا في كل مرة مع الملحدين ؛ صفا واحدا حينما كانت المواجهة للمسلمين على مدار القرون وما يزالون وأنهم لا يعنيهم حرب المادية الالحادية قدر ما تعنيهم حرب الإســـلام ذلك أنهم يعرفون جيدا أن الإلحادية المادية عرض طارى ء وعدو موقوت ؛ وأن الإســـلام أصل ثابت وعدو مقيم وإنما هذه الدعوة المموهة لتمييع اليقظة البادئة عند طلائع البعـــث الإسلامي ؛ وللانتفاع بجهد المستغفلين المخدوعين في الوقت ذاته ليكونوا وقود المعركة مع الملحدين لأنهم أعداء الاستعمار السياسيون وهؤلاء كهؤلاء حرب على الإسلام والمسلمين حرب لا عدة فيها للمسلم إلا ذلك الوعي الذي يربيه عليه المنهج الرباني القويم إن هؤلاء الذين تخدعهم اللعبة أو يتظاهرون بالتصديق فيحسبون أهل الكتاب جادين إذ يـــدعونهم للتضامن والولاء في دفع الإلحاد عن الدين إنما ينسون واقع التاريخ في أربعة عشر قرنـــا لا استثناء فيها كما ينسون تعليم ربهم لهم في هذا الأمر بالذات وهو تعليم لا مواربة فيه ولا مجال للحيدة عنه وفي النفس ثقة بالله ويقين بجدية ما يقول إن هؤلاء يجتزئون فيما يقولون ويكتبون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر المسلمين أن

يحسنوا معاملة أهل الكتاب ؛ وأن يتسامحوا معهم في المعيشة والسلوك ويغفلون التحذيرات الحاسمة عن موالاتهم ؛ والتقريرات الواعية عن بواعثهم والتعليمات الصريحة عـــن خطـــة الحركة الإسلامية وخطة التنظيم التي تحرم التناصر والموالاة لأن التناصر والموالاة لا يكونان عند المسلم إلا في شأن الدين وإقامة منهجه ونظامه في الحياة الواقعية وليست هناك قاعدة مشتركة يلتقي عليها المسلم مع أهل الكتاب في شأن دينه مهما يكن هناك من تـــلاق في أصول هذه الأديان مع دينه قبل تحريفها إذ هم لا ينقمون منه إلا هذا الدين ولا يرضـــون عنه إلا بترك هذا الدين كما يقول رب العالمين إن هؤلاء ممن يجعلون القـــرآن عضـــين ؛ يجزئونه ويمزقونه فيأخذون منه ما يشاءون مما يوافق دعوتهم الغافلة الساذجة على فـــرض براءتها ويدعون منه ما لا يتفق مع اتجاههم الغافل أو المريب ونحن نؤثر أن نسمع كلام الله في هذه القضية على أن نسمع كلام المخدوعين أو الخادعين وكلام الله سبحانه في هـــذه القضية حاسم واضح صريح مبين ونقف وقفة قصيرة في هذا الموضع عند قوله تعالى بعـــد تقرير أن سبب النقمة هو الإيمان بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل أن بقية السبب وأن أكثركم فاسقون فهذا الفسق هو شطر الباعث فالفسق يحمل صاحبه على النقمـــة مـــن

المستقيم وهي قاعدة نفسية واقعية ؛ تثبتها هذه اللفتة القرآنية العجيبة إن الذي يفسق عن الطريق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم إن وجوده يشـعره دائمـا بفسقه وانحرافه إنه يتمثل له شاهدا قائما على فسقه هو وانحرافه ومن ثم يكرهه وينقم عليه يكره استقامته وينقم منه التزامه ؛ ويسعى جاهدا لجره إلى طريقه ؛ أو للقضاء عليـه إذا استعصى قياده إنها قاعدة مطردة تتجاوز موقف أهل الكتاب من الجماعة المسلمة في المدينة إلى موقف أهل الكتاب عامة من المسلمين عامة إلى موقف كل فاسق منحرف من كـل عصبة ملتزمة مستقيمة والحرب المشبوبة دائما على الخيرين في مجتمـع الأشـرار وعلـى المستقيمين في مجتمع الفاسقين وعلى الملتزمين في مجتمع المنحرفين هذه الحرب أمر طبيعـي يستند إلى هذه القاعدة التي يصورها النص القرآني العجيب ولقد علم الله سبحانه أن الخير لا بد أن يلقى النقمة من الشر وأن الحق لا بد أن يواجه العداء من الباطل وأن الاسـتقامة لا بد أن تثير غيظ الفساق وأن الالتزام لا بد أن يجر حقد المنحرفين وعلم الله سبحانه أن لا بد للخير والحق والاستقامة والالتزام أن تدفع عن نفسها وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف وأنها معركة لا خيار فيها ولا يملك الحق ألا يخوضها في وجه الباطل لأن الباطل سيهاجمه ولا يملك الخير أن يتجنبها لأن الشر لا بـد سـيحاول سحقه وغفلة أي غفلة أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام أنهم متروكـون من الباطل والشر والفسق والانحراف ؛ وأنهم يملكون تجنب المعركة ؛ وأنه يمكن أن تقـوم هناك مصالحة أو مهادنة وخير لهم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعدة ؛ مـن أن يستسلموا للوهم والخديعة وهم يومئذ مأكولون مأكولون ثم نمضي مع السياق القرآني في توجيه الله سبحانه لرسوله ص لمواجهة أهل الكتاب بعد تقرير بواعثهم واسـتنكار هـذه البواعث في النقمة على المسلمين فإذا هو يجبههم بتاريخ لهم قديم وشأن لهم مـع ربهـم وعقاب أليم قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السـبيل وهنـا تطالعنا سحنة يهود وتاريخ يهود إنهم هم الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منـهم القردة والخنازير إنهم هم الذين عبدوا الطاغوت وقصة لعنة الله لهم وغضبه عليهم واردة في مواضع شتى من القرآن الكريم ؛ وكذلك قصة جعله منهم القردة والخنازير فأمـا قضـية

عبادهم للطاغوت فتحتاج إلى بيان هنا لأنها لفتة ذات دلالة خاصة في سياق هذه السورة إن الطاغوت هو كل سلطان لا يستمد من سلطان الله وكل حكم لا يقوم على شريعة الله وكل عدوان يتجاوز الحق والعدوان على سلطان الله وألوهيته وحاكميته هو أشنع العدوان وأشده طغيانا وأدخله في معنى الطاغوت لفظا ومعنى وأهل الكتاب لم يعبدوا الأحبار والرهبان ؛ ولكن اتبعوا شرعهم وتركوا شريعة الله فسماهم الله عبادا لهم ؛ وسماهم مشركين وهذه اللفتة هنا ملحوظ فيها ذلك المعنى الدقيق فهم عبدوا الطاغوت أي السلطات الطاغية المتجاوزة لحقها وهم لم يعبدوها بمعنى السجود لها والركوع ولكنهم عبدوها بمعنى الاتباع والطاعة وهي عبادة تخرج صاحبها من عبادة الله ومن دين الله والله سبحانه يوجه رسوله ص لمجابهة أهل الكتاب بهذا التاريخ وبذلك الجزاء الذي استحقوه من الله على هذا التاريخ كأنما هم جيل واحد بما أنهم جبلة واحدة يوجهه ليقول لهم إن هذا شر عاقبة قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله أي شر من نقمة أهل الكتاب على المسلمين وما يكيدون لهم وما يؤذونهم بسبب إيمانهم وأين نقمة البشر الضعاف من

نقمة الله وعذابه وحكمه على أهل الكتاب بالشر والضلال عن سواء السبيل أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل الدرس الخامس نماذج من كفريات وتلاعب اليهود ويمضي السياق في التنفير من موالاتهم بعرض صفاتهم وسماتهم بعد عرض تاريخهم وجزائهم ويجيء التحذير والتوعي ة منهم بكشف ما يبيتون ويبرز اليهود كذلك في الصورة لأن الحديث عن وقائع جارية ومعظم الشر كان يجيء من قبل يهود وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ؛ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين إنها عبارات تنشى ء صورا متحركة مشاهد حية على طريقة التعبير القرآنية الفريدة ومن وراء القرون يملك قارى ء هذه الآيات أن يشهد بعين التصور هؤلاء القوم الذين يتحدث عنهم القرآن

من يهود على الأرجح فالسياق يتحدث عنهم وإن كان من الجائز أنه يعني كذلك بعض المنافقين في المدينة يشهدهم يجيئون للمسلمين فيقولون آمنا ويشهد في جعبتهم الكفر وهم يدخلون به ويخرجون ؛ بينما ألسنتهم تقول غير ما في الجعبة من كفر يحملونه داخلين خارجين ولعلهم من يهود أولئك الذين كانوا يبيتون البلبلة وهم يقولون بعضهم لبعض آمنوا بهذا القرآن وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون أي لعل المسلمين يرجعون عن دينهم بسبب هذه البلبلة والتشكيك الخبيث اللئيم والله أعلم بما كانوا يكتمون
يقولها الله سبحانه لأنها الحقيقة ؛ ثم لكي يطمئن المؤمنون إلى كلاءة ربهم لهم وحفظهم من كيد عدوهم ؛ وإحاطته علما بهذا الكيد المكتوم ثم ليهدد أصحاب هذا الكيد لعلهم ينتهون ويمضي السياق يرسم حركاتهم كأنها منظورة تشهد وتلحظ من خلال التعبير وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون والمسارعة مفاعلة تصور القوم كأنما يتسابقون تسابقا في الإثم والعدوان وأكل الحرام وهي صورة ترسم للتبشيع والتشنيع ولكنها تصور حالة من حالات النفوس والجماعات حين يستشري فيها الفساد ؛ وتسقط القيم ؛ ويسيطر الشر وإن الإنسان لينظر إلى المجتمعات التي انتهت إلى مثل هذه الحال فيرى كأنما كل من فيها يتسابقون إلى الشر إلى الإثم والعدوان قويهم وضعيفهم سواء فالإثم والعدوان في المجتمعات الهابطة الفاسدة لا يقتصران على الأقوياء ؛ بل يرتكبهما كذلك الضعفاء فحتى هؤلاء ينساقون في تيار الإثم وحتى هؤلاء يملكون الاعتداء ؛ إنهم لا يملكون الاعتداء على الأقوياء طبعا ولكن يعتدي بعضهم على بعض ويعتدون على حرمات الله لأنها هي التي تكون في المجتمعات الفاسدة الحمى المستباح الذي لا حارس له من حاكم ولا محكوم ؛ فالإثم والعدوان طابع المجتمع حين يفسد ؛ والمسارعة فيهما عمل هذه المجتمعات وكذلك كان مجتمع يهود في تلك الأيام وكذلك أكلهم للحرام فأكل الحرام كذلك سمة يهود في كل آن لبئس ما كانوا يعملون ويشير السياق إلى سمة أخرى من سمات المجتمعات الفاسدة ؛ وهو يستنكر سكوت الربانيين القائمين على الشريعة والأحبار القائمين على أمر العلم الديني سكوتهم على مسارعة القوم في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ وعدم نهيهم عن هذا الشر الذي يتسابقون فيه لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما

كانوا يصنعون فهذه السمة سمة سكوت القائمين على أمر الشريعة والعلم الديني عما يقع في المجتمع من إثم وعدوان هي سمة المجتمعات التي فسدت وآذنت بالانهيار وبنو إسـرائيل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه كما حكى عنهم القرآن الكريم إن سمة المجتمـع الخـير الفاضل الحي القوي المتماسك أن يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يوجد فيه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ وأن يوجد فيه من يستمع إلى الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وأن يكون عرف المجتمع من القوة بحيث لا يجرؤ المنحرفون فيه علـى التنكر لهذا الأمر والنهي ولا على إيذاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وهكذا وصف الله الأمة المسلمة فقال كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ووصف بني إسرائيل فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فكـان ذلـك فيصلا بين المجتمعين وبين الجماعتين أما هنا فينحي باللائمة علـى الربـانيين والأحبـار الساكتين على المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ الذين لا يقومون بحـق مـا استحفظوا عليه من كتاب الله وإنه لصوت النذير لكل أهل دين فصلاح المجتمع أو فساده رهن بقيام الحفظة على الشريعة والعلم فيه بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ والأمر كما قلنا من قبل في الظلال يقتضي سلطة تأمر وتنهى والأمر والنهي أمـر غـير الدعوة فالدعوة بيان والأمر والنهي سلطان وكذلك ينبغي أن يحصل الآمرون بـالمعروف الناهون عن المنكر على السلطان الذي يجعل لأمرهم ونهيهم قيمته في المجتمع ؛ فلا يكـون مطلق كلام وكنموذج من قولهم الإثم في أبشع صوره يحكي القرآن الكريم قول اليهـود الغبي اللئيم وقالت اليهود يد الله مغلوله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسـوطتان ينفق كيف يشاء وذلك من سوء تصور يهود لله سبحانه فقد حكى القرآن الكريم الكـثير من سوء تصورهم ذاك وقد قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء عندما سئلوا النفقة وقالوا يد الله مغلولة يعللون بذلك بخلهم ؛ فالله بزعمهم لا يعطي الناس ولا يعطيهم إلا القليل فكيـف ينفقون وقد بلغ من غلظ حسهم وجلافة قلوبهم ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر ؛ فاختاروا لفظا أشد وقاحة وتهجما وكفرا فقالوا يد الله مغلولة ويجيء الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم ولعنهم وطردهم من رحمة الله جـزاء على قولهم غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وكذلك كانوا فهم أبخل خلق الله بمال ثم يصحح

هذا التصور الفاسد السقيم ؛ ويصف الله سبحانه بوصفه الكريم وهو يفيض على عبـــاده من فضله بلا حساب بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وعطاياه التي لا تكف ولا تنفد لكل مخلوق ظاهرة للعيان شاهدة باليد المبسوطة والفضل الغامر والعطاء الجزيل ناطقة بكل لسان ولكن يهود لا تراها ؛ لأنها مشغولة عنها باللم والضم وبالكنود وبالجحود وبالبذاءة حتى في حق الله ويحدث الله رسوله ص عما سيبدو من القوم وعما سيحل بهـــم بســـبب حقدهم وغيظهم من اصطفاء الله له بالرسالة ؛ وبسبب ما تكشفه هذه الرسالة من أمرهم في القديم والحديث وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرًا فبسبب من الحقد والحسد وبسبب من افتضاح أمرهم فيما أنزل الله إلى رسوله سيزيد الكثيرون منهم طغيانا وكفرا لأنهم وقد أبوا الإيمان لا بد أن يشتطوا في الجانب المقابل ؛ ولا بد أن يزيدوا تبجحا ونكرا وطغيانا وكفرا فيكون الرسول ص رحمة للمؤمنين ووبالا عن المنكـــرين ثم يحدثه عما قدر الله لهم من التعادي والتباغض فيما بينهم ؛ ومن إبطال كيدهم وهـــو في أشد سعيره تلهبا ؛ ومن عودتهم بالخيبة فيما يشنونه من حرب على الجماعة المسلمة وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله ومـــا تـــزال طوائف اليهود متعادية وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند ؛ وتوقـــد نـــار الحرب على البلاد الإسلامية وتفلح ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمـــان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة ففي خلال ألف وثلاثمائة عام بل من قبل الإسلام واليهود في شحناء وفي ذل كذلك وتشرد ومصيرهم إلى مثل ما كانوا فيه مهمـــا تقـــم حولهم الأسناد ولكن مفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة التي يتحقق لها وعـــد الله فأين هي العصبة المؤمنة اليوم التي تتلقى وعد الله وتقف ستارا لقدر الله ويحقق الله بهـــا في الأرض ما يشاء ويوم تفيء الأمة المسلمة إلى الإسلام تؤمن به على حقيقته ؛ وتقيم حياتها كلها على منهجه وشريعته يومئذ يحق وعد الله على شر خلق الله واليهود يعرفـــون هـــذا ومن ثم يسلطون كل ما في جعبتهم من شر وكيد ؛ ويصبون كل ما في أيديهم من بطش وفتك على طلائع البعث الإسلامي في كل شبر من الأرض ويضربون لا بأيديهم ولكـــن بأيدي عملائهم ضربات وحشية منكرة ؛ لا ترعى في العصبة المؤمنة إلا ولا ذمة ولكن الله غالب على أمره ووعد الله لا بد أن يتحقق وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله إن هذا الشر والفساد الذي تمثله يهود لا بد أن يبعث الله عليه من يوقفه ويحطمه ؛ فالله لا يحب الفساد في الأرض ؛ وما لا يحبه الله لا بـــد أن يبعث عليه من عباده من يزيله ويعفي عليه ويســعون في الأرض فســادا والله لا يحــب المفسدين الدرس

****

وسببه الثاني ضعف المسلمين وتشرذمهم في الأرض ، والضعيف لا يلتفت إليه أحد :

فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ». قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ « أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ». قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهَنُ قَالَ « حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » رواه أحمد وابو داود وسنده صحيح

الوهن وباء خطير ومرض قاتل

بسم الله الرحمن الرحيم

يتعرض الفرد والمجتمع والأمة دائما وباستمرار إلى عوارض متعددة، وظـــروف طارئـــة، وتطورات كثيرة، وأمراض مختلفة، ويتفاوت أثر ذلك بحسب طبيعة المؤثر الجديد، وبنيـــان الفرد والمجتمع، والعوامل المساعدة، وقد ينتاب الفرد أو المجتمع مرض عـــارض، ويـــزول بسرعة دون أن يترك أثرا ما، وقد يصاب الفرد بمرض معين، فيقتصر عليه ولا يمتـــد إلى المجتمع، ولا تحس به الأمة، وقد يتحول المرض من الفرد إلى المجتمع، فيصبح مرضا قـــاتلا، ووباء فتاكا، ويكون أثره إزهاق الفرد، وإبادة الأمة وسحق المجتمع.

وإن أمراض الإنسان كثيرة، منها عضوية، ومنها نفسية ومنها اجتماعية، وهي في معظمها أمراض عامة لا تخص فردا أو مجتمعا أو أمة، فإذا حلت في فرد أو مجتمع أو أمة فلا بد أن تظهر أعراضها، وينتشر خطرها، ويحس بآلامها المصاب وغيره، وقد تفتـــك بـــالمريض، وتؤدي إلى العدوى، لتفتك بالمجموع.

ومن هنا تقوم الديانات السماوية، والمفكرون في كل أمة، والمصلحون في كـــل مجتمـــع، بمجابهة هذه الأمراض، ووصف الأدوية لها، بل يسارعون إلى التحذير منها لأخذ الوقايـــة والمناعة قبل أن تحل وتستشري بين الناس، لأن الوقاية خير من العلاج، وبذلك ينقـــذون أمتهم ومجتمعهم من الأخطار المحدقة، ويجنبون الأفراد ويلات تحيق بهم، وتهدد وجودهم.

ومن هذه الأمراض الفتاكة التي يشترك فيها الفرد والمجتمع، وتنذر الأمة بالويل والـــدمار مرض الوهن الذي بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعراضه وأسبابه، وحذر منه.

والوهن في اللغة العربية الضعف، سواء أكان ماديا أم معنويا، وسواء أكان في الفرد أم في المجتمع، من وهن يهن وهنا أي ضعف، ويقال وهن عظمه، واسم التفضيل أوهن، ويقال: وهن الرجل أي جبن عن لقاء عدوه، وهذا داخل في الضعف، وقد استعمل القرآن الكريم هذا المعنى في عدة آيات، فقال تعالى: {قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا} مريم/ ٤، وقال تعالى: {فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله} آل عمـــران / ١٤٦، وقـــال تعالى: {ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون} النساء/ ١٠٤ أي لا تجبنوا، وقال تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنـــتم مـــؤمنين} آل عمران / ١٣٩، وقال تعالى: {ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن} لقمان / ١٤، وقال عز وجل: {وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت} العنكبوت /٤١.

ولكن الوهن المقصود في هذا المقال هو مرض عضال، ووباء عام بينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وثوبان قالا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، قيل: يا رسول الله: فمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير،ولكنكم غثاء كغثاء السيل،وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلـــوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت".

وهكذا يكشف الرسول صلى الله عليه وسلم أعراض الوهن الذي يبدأ من الفرد، وينتهي بالمجتمع، هذا المرض الذي يصيب الأمم والشعوب فيقضي عل كيانها، ويهدم وجودهـــا، ويسقط هيبتها، ويمحو أثرها، ويزلزل أركانها، ويحطم دعائمها، فتـــهوى مـــن عليائهـــا وكرامتها واستعلائها إلى أن تركع أمام الأمم الأخرى، وتستخذل أمام الشعوب المجاورة،

وتصبح لقمة سائغة للطامعين فيها، بل يكثر الأكلة حولها، ويجتمعون على اقتسامها والقضاء عليها، كما يجتمع الجياع حول الطعام ليتناولوه، ويأخذوه، ويقتسموه، فلا يرفعون أيديهم عنه، وفي القصعة أثر لوجوده.

هذا المرض بأعراضه وأسبابه يصيب الدول في القديم والحديث، ويؤدي إلى سقوطها وانهيارها، وهو اليوم مقيم بين المسلمين، وقد حط بكلكله عليهم، ونزل بهم الوهن منذ أمد، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر بعين الغيب (الذي يطلعه عليه الوحي) ويصور حال المسلمين، وقد تداعت عليهم الأمم الاستعمارية، والشعوب المعادية وتكالبت على أرضهم وبلادهم، وجزأت أوطانهم وديارهم، وسلبت نصيبا كبيرا وعزيزا من مقدساتهم، وتآمرت، ولا تزال تتآمر، عليهم في كل قطر وجانب، وتحيك لهم المؤامرة تلو المؤامرة للإطاحة بهم، وفرض الاستسلام عليهم، وضمان الاستذلال والاستسلام لهم، وتنوع عليهم أساليب الاستغلال والابتزاز لثرواتهم واقتصادهم، وتفرض عليهم الأفكار الخبيثة، والمبادئ البراقة، والقيم الدخيلة، والقوانين الوضعية، وتغزوهم فكريا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في عقر دارهم، وتتقاسمهم النفوذ ومناطق السيطرة، وتتقاذفهم ذات اليمين وذات اليسار، وتحفر لهم الحفر ليسقطوا فيها، وترى القطر الواحد يوما مع الشرق ويوما مع الغرب، وتارة يستورد أفكاره وقيمه ومواده وأسلحته من هنا، وتارة من هناك، والمسلمون اليوم في ضياع وتمزق، وتردد واضطراب، لا يعرفون ذاتا لأنفسهم، ولا يعلمون هوية لشخصيتهم، ويجهلون السفينة التي تحملهم، وهم نائمون عن الرياح التي تتقاذفهم، وقد تكسرت السواري، وسقطت الراية، وهم في بحر لجي، في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجوا أصابعهم لا يكادون يرونها من الحجب الكثيفة، والنظارات السوداء التي أحكم العدو ربطها على أعينهم، وشدد الخناق فيها على رقابهم، لكن أعدادهم كثيرة، وثرواتهم ضخمة، ومركزهم استراتيجي، وهم ملايين وملايين، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، لا قيمة له، ولا يثبت على حال، ويقذفه السيل إلى الحضيض، ولذلك فقدوا هيبتهم، وطمع بهم القريب والبعيد، والقوى والضعيف، وسامهم الذل والهوان على أيدي عصابات صهيون، وجنود المرتزقة، وتسلط العملاء.

حب الدنيا وكراهية الموت:

وقد شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم المرض، فبين أنه الوهن، ثم شـــرح أعراضـــه الظاهرة وأسبابه القريبة والبعيدة، وهي حب الدنيا، والتعلق بها، والافتتان بزينتها، والسعي وراءها، والطمع فيها، وقصور الآمال عليها، واعتبارها المبدأ والمنتهى، والظن بالخلود فيها، وحب الاستزادة من البقاء فيها، وبالتالي كراهية الموت، لأنه يقطع هذه ا لآمال والأمـــاني وكأن لسان حال القوم يردد سخافات الجاهلية من الدهريين وغيرهم، حين يقولون: {إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين} المؤمنون/٣٧، {وقـــالوا إن هـــي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين} الأنعام/ ٢٩، {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون} الجاثية / ٢٤ .

إن المرض واحد، ولكن له وجهان متقابلان، وصفتان متلازمتان، وعرضان متحدان، وهما حب الدنيا وكراهية الموت، وهذان العرضان نشيطان ومؤثران، ويتركان الآثار العظيمة، والنتائج الخطيرة، ويدفعان إلى أعمال جمة.

فمن آثار حب الدنيا أن تبدأ من الفرد لتصل إلى المجتمع، فتصبغه بها، وينتشر الحرص على جمع المال، والانكباب على كسبه بالطرق المشروعة وغير المشـــروعة، ويظهـــر التقاتـــل والتخاصم، والشح والبخل، والجشع والطمع، واللف والدوران في التعامـــل، والتحايـــل والتهرب، والسرقة والغصب، ثم يعقب ذلك التخاذل والجبن والخـــوف والاضـــطراب، والقلق الشديد من المستقبل.

ومن آثار كراهية الموت أن يعب الإنسان من طيبات الحياة ما استطاع إلى ذ لك ســـبيلا، وألا يعد للموت عدته، ولا يقدم شيئا أمامه، ويسرف في الملـــذات، ويســـعى لإشـــباع الشهوات، وينقاد وراء الغرائز، ولو قتل نفسه بنفسه، ثم يهلك ذاته بيده.

ويشرح القرآن الكريم هذا المرض بشقيه، مبينا أثره وخطره وعاقبتـــه، فيقـــول تعـــالى: {ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمـــون كـــلا لـــو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عـــن النعـــيم} التكاثر.

حقيقة الدنيا:

وإن حب الدنيا وكراهية الموت يعني أن الإنسان يجهل حقيقة الدنيا، ويغتر بمظاهرها، ويفتتن بمغرياتها، وأن صاحبها قصير النظر، كليل البصر، ينظر بين رجليه، ولا يستعد لأبعد من ذلك، ولا يهيء نفسه لمستقبل أيامه، ولا يدخر سلاحه وقوته لوقت حاجته، لذلك حرص القرآن الكريم على أن يكشف للمسلم حقيقة الدنيا، ويميط له اللثام عن مفاتنها، ويحذره من الاغترار فيها، وذلك في آيات كثيرة، قال تعالى: {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} الحديد/ ٢٠. وقال تعالى: {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب} آل عمران/ ١٤، ويبين القرآن حقيقة الحياة، ويحذر من فتنتها، فيقول تعالى: {يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور} فاطر/ ٥، كما يقرر القرآن الكريم أشياء كثيرة من زينة الحياة الدنيا، ثم يدعو الناس إلى عدم الوقوف عندها، ويطلب منهم تجاوزها إلى ما هو خير وأشمل، وأحسن وأدوم وأثمن وأبقى، فيقول تعالى: {المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا} الكهف/٤٦.

فالدنيا جميلة، وفيها من المسليات والملاهي الشيء الكثير، ولكن ذلك إلى زوال، وأن الحياة الحقيقية، والسعادة الحقة هي في الدار الآخرة، فيقول تعالى: {وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون} العنكبوت/ ٦٤، ثم يحذر الرسول الكريم من مفاتن الدنيا، والانشغال بمالها وخيراتها، والتنافس فيها، والغفلة عن الله والآخرة، فيقول عليه الصلاة والسلام في حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف الأنصاري: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم"، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الدنيا، وهوانها عند الله تعالى، وأنه لا قدر لها إذ ا قصدت لذاتها، وإنما تظهر قيمتها إذا جعلت طريقا إلى الآخرة، ومزرعة للأعمال، فقال عليه الصلاة و السلام – فيما رواه الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد

الساعدي: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء "، وحذر الرسول الكريم المؤمنين من استعباد الدنيا وزينتها لهم، فالعاقل لا يكون عبدا للدرهم والدينار، وإلا استحق السخط والغضب، يروي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تعس عبد الدينار والدرهم، والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض"، وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء" وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، وهذه الآيات والأحاديث، وغيرها كثير، تحذير للمسلمين من الفتنة بالدنيا، والتعلق بها، والاغترار بزينتها، وليكون ذ لك وقاية لهم من الانغماس فيها، ولكن ذ لك لا يعني التخلي عن الدنيا وترك ما فيها، واعتبارها نجسا كما يحلو لأتباع بعض الديانات المحرفة، بل الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الدنيا ميراث وتركة للمؤمن، ينفقها في سبيل الآخرة، ويشترى بها الدرجات العليا في الجنة، روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك".

الاستعداد للموت:

وهذه النظرة الحقيقية للدنيا، وعدم التعلق بها، وسيلة تربوية حتى يكون المال وغيره في يد المؤمن والعاقل، وليس في قلبه، فلا يستأسره ويسيطر عليه، وإنما يستخدمه لنفع العباد والبلاد، ويسخر ما في يده من خير ليكون أمامه يوم الدين والحساب، وليبقى ذكرا له، وعملا نافعا، وأجرا دائما بعد وفاته، وأن الادخار والبخل، والاكتناز والشح لا يعود عليه بشيء، ولن يخلد في الدنيا، وسوف ينقل إلى القبر، ويدفن تحت التراب، ويبقى المال لغيره، ويكشف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه الحقيقة، مبينا حظ الإنسان من ماله، فيما يرويه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشخير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت

فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت" ولذلك يستعد العاقل للموت، - ويهيئ له الأسباب المحمودة، فإن جاءه الموت كان عل خير حال، دون أن يغفل عن هذه الحقيقة التي تلازم البشرية، وأن الدنيا ليست مقرا ولا مستقرا، و لم يخلد فيها إنسان، والموت حق يقيني، ومهما جمع الإنسان في هذه الحياة، فإن متطلباته منها محدودة، وحصيلته مقـــررة، وانتفاعه محصور، والزائد عنه سيبقى لغيره من الأحياء، ويروح المرء إلى مصيره المحتوم شاء أم أبى، وإن أنفق ماله في الشر والإيذاء فسوف يحاسب عليه، وإن كان رشيدا أنفقـــه في الخير، واستعد لما بعد الموت، لما روي الإمام أحمد والترمذي وابـــن ماجـــه والحـــاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الكيس (وفي رواية العاقل) من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"، وقد خلـــق الله الحيـــاة ابتلاء للإنسان واختبارا له، ليستعد إلى لقاء ربه، ويغتنم الفرصة في حياته، لما رواه الإمـــام أحمد والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اغتنم خمسا قبل خمس: حياتـــك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغنـــاك قبل فقرك". وكان اليهود يدعون أنهم أبناء الله وأحبـــاؤه، فوضـــعهم الله علـــى المحـــك الحقيقي،وطلب منهم تمني الموت إن كانوا صادقين في لقاء الله، فقال تعالى: {قل يا أيهـــا الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنـــتم صـــادقين} الجمعة/ ٦.

وفي هذا التوجيه، والتربية الإسلامية يكون الإنسان سويا وقويا، ويضمن لنفســـه العـــزة والكرامة، ويحقق لأمته النصر والحياة العزيزة، ويغرس في نفسه المناعة والوقاية من الوهن، ويطلب الموت لتوهب له الحياة، وينزع من قلبه حب الدنيا، ويضع الموت نصب عينيـــه ليحاسب نفسه قبل أن تحاسب، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه، وردنا إلى دينـــه ردا جمـــيلا، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور/ محمد الزحيلي

****

والله تعالى قد بين أن أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أن محمدا ((صلى الله عليه وسلم)) هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) [آل عمران/٧٠] }

وقال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) [آل عمران/٧١، ٧٢] }

وقال تعالى : { الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) [البقرة/١٤٦-١٤٨] }

وقال تعالى : { الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) [الأنعام/٢٠] }

إن الإحنة التي يكنها أهل الكتاب للجماعة المسلمة هي الإحنة المتعلقة بالعقيدة . إنهم يكرهون لهذه الأمة أن تهتدي . يكرهون لها أن تفيء إلى عقيدتها الخاصة في قوة وثقة ويقين . ومن ثم يرصدون جهودهم كلها لإضلالها عن هذا المنهج ، والإلواء بها عن هذا الطريق :

{ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم } . .

فهو ود النفس ورغبة القلب والشهوة التي تهفو إليها الأهواء من وراء كل كيد ، وكل دس ، وكل مراء ، وكل جدال ، وكل تلبيس .

وهذه الرغبة القائمة على الهوى والحقد والشر ، ضلال لا شك فيه . فما تنبعث مثل هذه الرغبة الشريرة الآثمة عن خير ولا عن هدى . فهم يوقعون أنفسهم في الضلالة في اللحظة التي يودون فيها إضلال المسلمين . فما يحب إضلال المهتدين إلا ضال يهيم في الضلال البهيم :

{ وما يضلون إلا أنفسهم . وما يشعرون } . .

والمسلمون مكفيون أمر أعدائهم هؤلاء ما استقاموا على إسلامهم وما لهم عليهم من سبيل . والله سبحانه يتعهد لهم ألا يصيبهم كيد الكائدين ، وأن يرتد عليهم كيدهم ما بقي المسلمون مسلمين .

هنا يقرع أهل الكتاب بحقيقة موقفهم المريب المعيب :

{ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون؟ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟ } .

ولقد كان أهل الكتاب وقتها - وما يزالون حتى اليوم - يشهدون الحق واضحاً في هذا الدين . سواء منهم المطلعون على حقيقة ما جاء في كتبهم عنه من بشارات وإشارات - وكان بعضهم يصرح بما يجد من هذا كله وبعضهم يسلم بناء على هذا الذي يجده في كتبه ويشهده متحققاً أمامه - وسواء كذلك غير المطلعين ، ولكنهم يجدون في الإسلام من الحق الواضح ما يدعو إلى الإيمان . . غير أنهم يكفرون . . لا لنقص في الدليل . ولكن للهوى والمصلحة والتضليل . . والقرآن يناديهم : { يا أهل الكتاب } . . لأنها الصفة التي كان من شأنها أن تقودهم إلى آيات الله وكتابه الجديد .

كذلك يناديهم مرة أخرى ليفضح ما يقومون به من لبس الحق بالباطل لإخفائه وكتمانه وتضييعه في غمار الباطل ، على علم وعن عمد وفي قصد . . وهو أمر مستنكر قبيح!

وهذا الذي ندد الله به - سبحانه - من أعمال أهل الكتاب حينذاك ، هو الأمر الذي درجوا عليه من وقتها حتى اللحظة الحاضرة . . فهذا طريقهم على مدار التاريخ . . اليهود بدأوا منذ اللحظة الأولى . ثم تابعهم الصليبيون!

وفي خلال القرون المتطاولة دسوا - مع الأسف - في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد القرون! ولبسوا الحق بالباطل في هذا التراث كله - اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه أبد الآبدين - والحمد لله على فضله العظيم .

دسوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله . ودسوا ولبسوا في الحديث النبوي حتى قيض الله له رجاله الذين حققوه وحرروه إلا ما ند عن الجهد الإنساني المحدود . ودسوا ولبسوا في التفسير القرآني حتى تركوه تيهاً لا يكاد الباحث يفيء فيه إلى معالم الطريق . ودسوا ولبسوا في الرجال أيضاً . فالمئات والألوف كانوا دسيسة على التراث الإسلامي - وما يزالون في صورة المستشرقين وتلاميذ المستشرقين الذين يشغلون مناصب القيادة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول أهلها : إنهم مسلمون . والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة في صورة أبطال مصنوعين على عين الصهيونية

والصليبية ، ليؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعـــداء أن يـــؤدوه ظاهرين!

وما يزال هذا الكيد قائماً ومطرداً . وما تزال مثابة الأمان والنجاة منه هي اللیـــاذ بهـــذا الكتاب المحفوظ؛ والعودة إليه لاستشارته في المعركة الناشبة طوال هذه القرون .

كذلك يعرض بعض المحاولات التي يبذلها فريق من أهل الكتاب لبلبلة الجماعة المسلمة في دينها ، وردها عن الهدى ، من ذلك الطريق الماكر اللئيم :

{ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم . . . } . .

وهي طريقة ماكرة لئيمة كما قلنا . فإن إظهارهم الإسلام ثم الرجوع عنه ، يوقع بعـــض ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته .

يوقعهم في بلبلة واضطراب . وبخاصة العرب الأميين ، الذين كـــانوا يظنـــون أن أهـــل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب . فإذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون ، حســـبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيئة ونقص في هذا الدين . وتأرجحوا بين اتجاهين فلم يكن لهم ثبات على حال .

وما تزال هذه الخدعة تتخذ حتى اليوم . في شتى الصور التي تناسب تطـــور الملابســـات والناس في كل جيل . . ولقد يئس أعداء المسلمين أن تنطلي اليوم هذه الخدعة ، فلجأت القوى المناهضة للإسلام في العالم إلى طرق شتى ، كلها تقوم على تلك الخدعة القديمة .

إن لهذه القوى اليوم في أنحاء العالم الإسلامي جيشاً جراراً من العملاء في صورة أســـاتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين – وأحياناً كتاب وشعراء وفنانين وصحفيين – يحملون أسمـــاء المسلمين ، لأنهم انحدروا من سلالة مسلمة! وبعضهم من « علماء » المسلمين!

هذا الجيش من العملاء موجه لخلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب ، في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة . وتوهين قواعدها من الأساس . والتهوين من شأن العقيـــدة والشريعة سواء . وتأويلها وتحميلها ما لا تطيق . والدق المتصل علـــى « رجعيتـــها »! والدعوة للتلفت منها . وإبعادها عن مجال الحياة إشفاقا عليها من الحياة أو إشفاقا علـــى الحياة منها! وابتداع تصورات ومثل وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصـــورات

العقيدة ومثلها . وتزيين تلك التصورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات والمثل الإيمانية . وإطلاق الشهوات من عقالها وسحق القاعدة الخلقية التي تستوي عليها العقيدة النظيفة لتخر في الوحل الذي ينثرونه في الأرض نثراً! ويشوهون التاريخ كله ويحرفونه كما يحرفون النصوص!

وهم بعد مسلمون! أليسوا يحملون أسماء المسلمين؟ وهم بهذه الأسماء المسلمة يعلنون الإسلام وجه النهار . وبهذه المحاولات المجرمة يكفرون آخره . . ويؤدون بهذه وتلك دور أهل الكتاب القديم . . لا يتغير إلا الشكل والإطار في ذلك الدور القديم!

وكان أهل الكتاب يقول بعضهم لبعض : تظاهروا بالإسلام أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم . وليكن هذا سراً بينكم لا تبدونه ولا تأتمنون عليه إلا أهل دينكم :

{ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم } . .

وفعل الإيمان حين يعدّى باللام يعني الاطمئنان والثقة . أي ولا تطمئنوا إلا لمن تبع دينكم ، ولا تفضوا بأسراركم إلا لهؤلاء دون المسلمين!

وعملاء الصهيونية والصليبية اليوم كذلك . . إنهم متفاهمون فيما بينهم على أمر . . هو الإجهاز على هذه العقيدة في الفرصة السانحة التي قد لا تعود . . وقد لا يكون هذا التفاهم في معاهدة أو مؤامرة . ولكنه تفاهم العميل مع العميل على المهمة المطلوبة للأصيل! ويأمن بعضهم لبعض فيفضي بعضهم إلى بعض . . ثم يتظاهرون – بعضهم على الأقل بغير – ما يريدون وما يبيتون . . والجو من حولهم مهيأ ، والأجهزة من حولهم معبأة . . والذين يدركون حقيقة هذا الدين في الأرض كلها مغيبون أو مشردون!

{ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون } . .

ومعرفة الناس بأبنائهم هي قمة المعرفة ، وهي مثل يضرب في لغة العرب على اليقين الذي لا شبهة فيه . . فإذا كان أهل الكتاب على يقين من الحق الذي جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – ومنه هذا الذي جاء به في شأن القبلة ، وكان فريق منهم يكتمون الحق

الذي يعلمونه علم اليقين . . فليس سبيل المؤمنين إذن أن يتأثروا بما يلقيه أهـــل الكتـــاب هؤلاء من أباطيل وأكاذيب .

وليس سبيل المؤمنين أن يأخذوا من هؤلاء الذين يستيقنون الحق ثم يكتمونه شيئاً في أمـــر دينهم ، الذي يأتيهم به رسولهم الصادق الأمين .

وهنا يوجه الخطاب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد هذا البيان بشأن أهل الكتاب :

{ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين } . .

ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما امترى يوماً ولا شك . وحينما قال له ربه في آية أخرى : { فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذي يقرأون الكتاب من قبلك } . قال : « لا أشك ولا أسأل » .

ولكن توجيه الخطاب هكذا إلى شخصه – صلى الله عليه وسلم – يحمل إيحاء قوياً إلى من وراءه من المسلمين . سواء منهم من كان في ذلك الحين يتأثر بأباطيل اليهود وأحابيلهم ، ومن يأتي بعدهم ممن تؤثر فيهم أباطيل اليهود وغير اليهود في أمر دينهم .

وما أجدرنا نحن اليوم أن نستمع إلى هذا التحذير؛ ونحن – في بلاهة منقطعـــة الـــنظير – نروح نستفتي المستشرقين – من اليهود والنصارى والشيوعيين الكفار – في أمر ديننـــا ، ونتلقى عنهم تاريخنا ، ونأمنهم على القول في تراثنا ، ونسمع لما يدسونه من شـــكوك في دراساتهم لقرآننا وحديث نبينا ، وسيرة أوائلنا؛ ونرسل إليهم بعثات من طلابنا يتلقـــون عنهم علوم الإسلام ، ويتخرجون في جامعاتهم ، ثم يعودون الينا مدخولي العقل والضمير .

إن هذا القرآن قرآننا . قرآن الأمة المسلمة . وهو كتابها الخالد الذي يخاطبها فيه ربها بمـــا تعمله وما تحذره . وأهل الكتاب هم أهل الكتاب ، والكفار هم الكفار ، والـــدين هـــو الدين!

. . . .

{ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهـــم لا يؤمنون } . .

لقد تكرر في القرآن الكريم ذكر معرفة أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى - لهذا القرآن؛ أو لصحة رساله محمد - صلى الله عليه وسلم - وتنزيل هذا القرآن عليه من عند الله . . تكرر ذكر هذه الحقيقة سواء في مواجهة أهل الكتاب أنفسهم ، عندما كانوا يقفون من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن هذا الدين وقفة المعارضة والإنكار والحرب والعداء (وكان هذا غالباً في المدينة) أو في مواجهة المشركين من العرب؛ لتعريفهم أن أهل الكتاب ، الذين يعرفون طبيعة الوحي والكتب السماوية ، يعرفون هذا القرآن ، ويعرفون صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أنه وحي أوحى به ربه إليه كما أوحى إلى الرسل من قبله .

وهذا الآية - كما رجحنا - مكية . وذكر أهل الكتاب فيها على هذا النحو - إذن - يفيد أنها كانت مواجهة للمشركين بأن هذا القرآن الذي ينكرونه ، يعرفه أهل الكتاب كما يعرفون أبناءهم؛ وإذا كانت كثرتهم لم تؤمن به فذلك لأنهم خسروا أنفسهم ، فهم لا يؤمنون .

شأنهم في هذا شأن المشركين ، الذين خسروا أنفسهم ، فلم يدخلوا في هذا الدين! والسياق قبل هذه الآية وبعدها كله عن المشركين . مما يرجح مكيتها كما قلنا من قبل في التعريف بالسورة . .

وقد جرى المفسرون على تفسير مثل هذا التقرير : { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } . .

على أنهم يعرفون أنه منزل من عند الله حقاً؛ أو على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رسول من عندالله حقاً ، يوحى إليه بهذا القرآن . .

وهذا جانب من مدلول النص فعلاً ، ولكنا نلمح - باستصحاب الواقع التاريخي وموقف أهل الكتاب من هذا الدين فيه - أن هناك جانباً آخر من مدلول النص؛ لعل الله - سبحانه - أراد أن يعلمه للجماعة المسلمة ، ليستقر في وعيها على مدار التاريخ ، وهي تواجه أهل الكتاب بهذا الدين . .

إن أهل الكتاب يعرفون أن هذا الكتاب حق من عند الله؛ ويعرفون - من ثم - ما فيه من سلطان وقوة؛ ومن خير وصلاح؛ ومن طاقة دافعة للأمة التي تدين بالعقيدة التي جاء بها؛

وبالأخلاق التي تنبثق منها؛ وبالنظام الذي يقوم عليها . ويحسبون كـــل حســـاب لهـــذا الكتاب وأهله؛ ويعلمون جيداً أن الأرض لا تسعهم وتسع أهل الدين! . . إنهم يعرفون ما فيه من حق ، ويعرفون ما هم فيه من باطل . . ويعرفون أن الجاهلية التي صاروا إليهـــا ، وصارت إليها أوضاع قومهم وأخلاقهم وأنظمتهم ، لا يمكن أن يهادنها هذا الـــدين ، أو يبقي عليها . . وأنها – من ثم – معركة لا تهدأ حتى تجلو الجاهلية عـــن هـــذه الأرض ، ويستعلي هذا الدين ، ويكون الدين كله لله . . أي أن يكون السلطان في الأرض كله لله؛ وأن يطارد المعتدون على سلطان الله في الأرض كلها . وبذلك وحده يكون الدين كله لله . .

إن أهل الكتاب يعلمون جيداً هذه الحقيقة في هذا الدين . . ويعرفونه بها كمـــا يعرفـــون أبناءهم . . وهم جيلاً بعد جيل يدرسون هذا الدين دراسة دقيقة عميقة؛ وينقبون عـــن أسرار قوته؛ وعن مداخله إلى النفوس ومساربه فيها؛ ويبحثون بجد : كيف يستطيعون أن يفسدوا القوة الموجهة في هذا الدين؟ كيف يلقون بالريب والشكوك في قلوب أهله؟ كيف يحرفون الكلم فيه عن مواضعه؟ كيف يصدون أهله عن العلم الحقيقي به؟ كيف يحولونـــه من حركة دافعة تحطم الباطل والجاهلية وتسترد سلطان الله في الأرض وتطارد المعتـــدين على هذا السلطان ، وتجعل الدين كله لله . . إلى حركة ثقافية باردة ، وإلى بحوث نظرية ميتة ، وإلى جدل لاهوتي أو فقهي أو طائفي فارغ؟ كيف يفرغون مفهوماته في أوضـــاع وأنظمة وتصورات غريبة عنه مدمرة له ، مع إيهام أهله أن عقيدتهم محترمة مصونة؟! كيف في النهاية يملأون فراغ العقيدة بتصورات أخرى ومفهومات أخرى واهتمامات أخـــرى ، ليجهزوا على الجذور العاطفية الباقية من العقيدة الباهتة؟!

إن أهل الكتاب يدرسون هذا الدين دراسة جادة عميقة فاحصة؛ لا لأنهم يبحثـــون عـــن الحقيقية – كما يتوهم السذج من أهل هذا الدين! – ولا لينصفوا هذا الدين وأصـــله – كما يتصور بعض المخدوعين حينما يرون اعترافاً من باحث أو مستشرق بجانب طيب في هذا الدين! – كلا! إنما هم يقومون بهذه الدراسة الجادة العميقة الفاحصة ، لأنهم يبحثون عن مقتل لهذا الدين! لأنهم يبحثون عن منافذه ومساربه إلى الفطرة ليسدوها أو يميعوهـــا!

لأهم يبحثون عن أسرار قوته ليقاوموه منها! لأهم يريدون أن يعرفوا كيف يبني نفسه في النفوس ليبنوا على غراره التصورات المضادة التي يريدون ملء فراغ الناس بها!

وهم من أجل هذه الأهداف والملابسات كلها يعرفونه كما يعرفون أبناءهم!

ومن واجبنا نحن أن نعرف ذلك .

وأن نعرف معه أننا نحن الأَوْلى بأن نعرف ديننا كما نعرف أبناءنا!

إن الواقع التاريخي من خلال أربعة عشر قرناً ينطق بحقيقة واحدة . . هي هذه الحقيقة التي يقررها القرآن الكريم في هذه الآية : { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } . . ولكن هذه الحقيقة تتضح في هذه الفترة وتتجلى بصورة خاصة . . إن البحوث التي تكتب عن الإسلام في هذه الفترة تصدر بمعدل كتاب كل أسبوع؛ بلغة من اللغات الأجنبية . . وتنطق هذه البحوث بمدى معرفة أهل الكتاب بكل صغيرة وكبيرة عن طبيعة هذا الدين وتاريخه ، ومصادر قوته ، ووسائل مقاومته ، وطرق إفساد توجيهه! ومعظمهم – بطبيعة الحال – لا يفصح عن نيته هذه؛ فهم يعلمون أن الهجوم الصريح على هذا الدين كان يثير حماسة الدفاع والمقاومة؛ وأن الحركات التي قامت لطرد الهجوم المسلح على هذا الدين – الممثل في الاستعمار – إنما كانت ترتكز على قاعدة من الوعي الديني أو على الأقل العاطفة الدينية؛ وأن استمرار الهجوم على الإسلام – ولو في الصورة الفكرية – سيظل يثير حماسة الدفاع والمقاومة! لذلك يلجأ معظمهم إلى طريقة أخبث . . يلجأ إلى إزجاء الثناء لهذا الدين ، حتى ينوم المشاعر المتوفزة ، ويخدر الحماسة المتحفزة ، وينال ثقة القارىء واطمئنانه . . ثم يضع السم في الكأس ويقدمها مترعة . . هذا الدين نعم عظيم . . ولكنه ينبغي أن يتطور بمفهوماته ويتطور كذلك بتنظيماته ليجاري الحضارة « الإنسانية » الحديثة! وينبغي ألا يقف موقف المعارضة للتطورات التي وقعت في أوضاع المجتمع ، وفي أشكال الحكم ، وفي قيم الأخلاق! وينبغي – في النهاية – أن يتمثل في صورة عقيدة في القلوب ، ويدع الحياة الواقعية تنظمها نظريات وتجارب وأساليب الحضارة « الإنسانية » الحديثة! ويقف فقط ليبارك ما تقرره الأرباب الأرضية من هذه التجارب والأساليب . . وبذلك يظل ديناً عظيماً . . !!!

وفي أثناء عرض مواضع القوة والعمق في هذا الدين – وهي ظاهريـــاً تبـــدو في صـــورة الإنصاف الخادع والثناء المخدر – يقصد المؤلف قومه من أهل الكتـــاب؛ لينبـــههم إلى خطورة هذا الدين ، وإلى أسرار قوته؛ ويسير أمام الأجهزة المدمرة بهذا الضوء الكشاف ، ليسددوا ضرباتهم على الهدف

وليعرفوا هذا الدين كما يعرفون أبناءهم!

إن أسرار هذا القرآن ستظل تتكشف لأصحابه؛ جديدة دائماً؛ كلما عاشوا في ظلالـــه؛ وهم يخوضون معركة العقيدة؛ ويتدبرون بوعي أحداث التاريخ؛ ويطالعون بوعي أحداث الحاضر . ويرون بنور الله . الذي يكشف الحق ، وينير الطريق . .(الظلال)

****

ودعاهم إلى كلمة سواء فأبوا :

قال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْـــهَدُوا بِأَنَّـــا مُسْلِمُونَ (٦٤) [آل عمران/٦٤، ٦٥] }

وإنها لدعوة منصفة من غير شك . دعوة لا يريد بها النبي – صلى الله عليه وســـلم – أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين . . كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد . لا يعلو بعضهم على بعض ، ولا يتعبد بعضهم بعضاً . دعوة لا يأباها إلا متعنت مفسد ، لا يريد أن يفيء إلى الحق القويم .

إنها دعوة إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً . لا بشراً ولا حجراً . ودعـــوة إلى ألا يتخذ بعضهم بعضاً من دون الله أرباباً . لا نبياً ولا رسولاً . فكلـــهم لله عبيـــد . إنمـــا اصطفاهم الله للتبليغ عنه ، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية .

{ فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون } .

فإن أبوا عبادة الله وحده دون شريك . والعبودية لله وحده دون شريك . وهما المظهـــران اللذان يقرران موقف العبيد من الألوهية . . إن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . .

وهذه المقابلة بين المسلمين ومن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، تقرر بوضـــوح حاسم من هم المسلمون .

هذا الشوط من السورة ما يزال يجري مع الخط الأول الأساسي العريض فيها . . خط المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة . . معركة العقيدة ، وما يبذل أعداء هذا الدين من جهد ومن حيلة ومن مكيدة ومن خداع ، ومن كذب ، ومن تدبير ، للبس الحق بالباطل ، وبث الريب والشكوك ، وتبييت الشر والضر لهذه الأمة بلا وناة ولا انقطاع . . ثم مواجهة القرآن لهذا كله ، بتبصير المؤمنين بحقيقة ما هم عليه من الحق؛ وحقيقة ما عليه أعداؤهم من الباطل؛ وحقيقة ما يبيته لهم هؤلاء الأعداء . . وأخيراً بتشريح هؤلاء الأعداء . . طباعهم وأخلاقهم وأعمالهم ونياتهم . . على مشهد من الجماعة المسلمة . لتعريفها حقيقة أعدائها ، وفضح ما يضفونه على أنفسهم من مظاهر العلم والمعرفة ، وتبديد ثقة المخدوعين من المسلمين فيهم ، وتنفيرهم من حالهم وإسقاط دسائسهم بتركها مكشوفة عوراء ، لا تخدع أحداً ولا تنطلي على أحد!

ويبدأ هذا الشوط بمواجهة أهل الكتاب - اليهود والنصارى - بسخف موقفهم وهم يحاجون في إبراهيم - عليه السلام - فيزعم اليهود أنه كان يهودياً ، ويزعم النصارى أنه كان نصرانياً . على حين أن إبراهيم سابق لليهودية والنصرانية ، سابق للتوراة والإنجيل . والحجاج فيه على هذا النحو مراء لا يستند إلى دليل . . ويقرر حقيقة ما كان عليه إبراهيم . . لقد كان على الإسلام . . دين الله القويم . وأولياؤه هم الذين يسيرون على نهجه . والله ولي المؤمنين أجمعين . . ومن ثم تسقط ادعاءات هؤلاء وهؤلاء؛ ويتبين خط الإسلام الواصل بين رسل الله والمؤمنين بهم على توالي القرون : { إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي ، والذين آمنوا . والله ولي المؤمنين } . .

يلي ذلك في السياق كشف الهدف الأصيل الكامن وراء مماراة أهل الكتاب في إبراهيم وغير إبراهيم - مما سبق في السورة ومما سيجيء - فهو الرغبة الملحة في إضلال المسلمين عن دينهم - وتشكيكهم في عقيدتهم . . ومن ثم يتجه بالتقريع إلى المضللين : { يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون؟ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟ } . .

ثم يطلع الجماعة المسلمة على لون من تبييت أعدائهم وتدبيرهم ، لزعزعة ثقتهم في عقيدتهم ودينهم بطريقة خبيثة ماكرة لئيمة . ذلك أن يعلنوا إيمانهم بالإسلام أول النهار ،

ثم يكفروا بالإسلام آخره . . كي يلقوا في روع غير المتثبتين في الصف المسلم – ومثلهم موجود دائماً في كل صف – أنه لأمر ارتد أهل الكتاب ، الخبيرون بالكتب والرسل والديانات : { وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون } . . وهو كيد خبيث لئيم!
****

استفتاحهم على الكفار قبل الإسلام ثم كفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد مجيئه

قال تعالى : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) [البقرة/٨٩، ٩٠] }

وهو تصرف يستحق الطرد والغضب لقبحه وشناعته . . ومن ثم يصب عليهم اللعنة ويصمهم بالكفر : { فلعنة الله على الكافرين } . .

ويفضح السبب الخفي لهذا الموقف الشائن الذي وقفوه؛ بعد أن يقرر خسارة الصفقة التي اختاروها : { بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله ، بغياً أن يترل الله من فضله على من يشاء من عباده . فباؤوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين } .

.

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا . . . لكأن هذا الكفر هو الثمن المقابل لأنفسهم! والإنسان يعادل نفسه بثمن ما ، يكثر أو يقل . أما أن يعادلها بالكفر فتلك أبأس الصفقات وأخسرها ولكن هذا هو الواقع . وإن بدا تمثيلاً وتصويراً . لقد خسروا أنفسهم في الدنيا فلم ينضموا إلى الموكب الكريم العزيز ولقد خسروا أنفسهم في الآخرة بما ينتظرهم من العذاب المهين . وبماذا خرجوا في النهاية؟ خرجوا بالكفر ، هو وحده الذي كسبوه وأخذوه!

وكان الذي حملهم على هذا كله هو حسدهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يختاره الله للرسالة التي انتظروها فيهم ، وحقدهم لأن يترل الله من فضله على من يشاء من

عباده . وكان هذا بغياً منهم وظلماً فعادوا من هذا الظلم بغضب على غضب؛ وهنـــاك ينتظرهم عذاب مهين ، جزاء الاستكبار والحسد والبغي الذميم .

وهذه الطبيعة التي تبدو هنا في يهود هي الطبيعة الكنود ، طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا في نطاق من التعصب شديد؛ وتحس أن كل خير يصيب سواها كأنما هو مقتطع منـــها؛ ولا تشعر بالوشيجة

وهكذا عاش اليهود في عزلة ، يحسون أنهم فرع مقطوع من شجرة الحيـــاة؛ ويتربصـــون بالبشرية الدوائر؛ ويكنون للناس البغضاء ، ويعانون عذاب الأحقاد والضغائن ، ويذيقون البشرية رجع هذه الأحقاد فتناً يوقدونها بين بعض الشعوب وبعض ، وحروبـــاً يثيرونهـــا ليجروا من ورائها المغانم ، ويروون بها أحقادهم التي لا تنطفىء ، وهلاكاً يسلطونه علـــى الناس ، ويسلطه عليهم الناس . . وهذا الشر كله إنما نشأ من تلك الأثرة البغيضة : { بغياً . . أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده } . .

{ وإذا قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله قالوا : نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاَ لما معهم } . .

وكان هذا هو الذي يقولونه إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن وبالإسلام . كانوا يقولـــون { نؤمن بما أنزل علينا } . . ففيه الكفاية ، وهو وحده الحق ، ثم يكفرون بما وراءه . سواء ما جاءهم به عيسى عليه السلام ، وما جاءهم به محمد خاتم النبيين .

____

لقد استقبل اليهود رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودينه في المدينة شر ما يســـتقبل أهل دين سماوي رسولاً يعرفون صدقه ، وديناً يعرفون أنه الحق . .

استقبلوه بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن يلقونها في الصف المسلم في المدينة بكافة الطرق الملتوية الماكرة التي يتقنها اليهود . . شككوا في رسالة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يعرفونه؛ واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات التي ينشـــرونها في الجـــو وبالتهم والأكاذيب . وما فعلوه في حادث تحويل القبلة ، وما فعلوه في حادث الإفـــك ، وما فعلوه في كل مناسبة ، ليس إلا نماذج من هذا الكيد اللئيم . . وفي مثل هذه الأفاعيل

كان يتزل القرآن الكريم . وسور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والحشر والأحـــزاب والتوبة وغيرها تضمنت من هذا الكثير :

{ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم - وكانوا من قبل يســـتفتحون علـــى الذين كفروا - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله - بغياً أن يتزل الله من فضله على من يشاء من عباده - فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين } [البقرة : ٨٩ - ٩٠] .

{ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتـــوا الكتـــاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون } [البقرة : ١٠١] .

{ سيقول السفهاء من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل : لله المشـــرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } [البقرة : ١٤٢] .

{ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟ } [آل عمران : ٧٠ - ٧١] .

{ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون } [آل عمران : ٧٢] .

{ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتـــاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون } [آل عمران : ٧٨] .

{ قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون؟ قل يـــا أهـــل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عمـــا تعملون } [آل عمران : ٩٨ - ٩٩] .

{ يسألك أهل الكتاب أن تتزل عليهم كتاباً من السماء! فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم؛ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات . . . }

[النساء : ١٥٣] .

{ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } . . . [التوبة : ٣٢] .

كذلك شهد التاريخ نقض اليهود لعهودهم مرة بعد مرة وتحرشهم بالمسلمين ، مما أدى إلى وقائع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر . كما شهد تأليب اليهود للمشركين في الأحزاب ، مما هو معروف مشهور .

ثم تابع اليهود كيدهم للإسلام وأهله منذ ذلك التاريخ . . كانوا عناصر أساسية في إثارة الفتنة الكبرى التي قتل فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وانتثر بعدها شمل التجمع الإسلامي إلى حد كبير . .

وكانوا رأس الفتنة فيما وقع بعد ذلك بين علي – رضي الله عنه – ومعاوية . . وقادوا حملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير . . وكانوا من الممهدين لحملة التتار على بغداد وتقويض الخلافة الإسلامية . . .

فأما في التاريخ الحديث فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض؛ وهم وراء كل محاولة لسحق طلائع البعث الإسلامي؛ وهم حماة كل وضع من الأوضاع التي تتولى هذه المحاولة في كل أرجاء العالم الإسلامي!

ذلك شأن اليهود ، فأما شأن الفريق الآخر من أهل الكتاب ، فهو لا يقل إصراراً على العداوة والحرب من شأن اليهود!

لقد كانت بين الرومان والفرس عداوات عمرها قرون . . ولكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة؛ وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها وسمته « المسيحية » وهو ركام من الوثنيات القديمة ، والأضاليل الكنسية ، متلبساً ببقايا من كلمات المسيح – عليه السلام – وتاريخه . . حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخيه قديمة وعداوات وثارات عميقة ، ليواجهوا هذا الدين الجديد .

ولقد أخذ الروم يتجمعون في الشمال هم وعمالهم من الغساسنة لينقضوا على هذا الدين . وذلك بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى عامل بصرى من قبل الروم – وكان المسلمون يؤمنون الرسل ولكن النصارى غدروا برسول النبي صلى الله عليه وسلم وقتلوه – مما جعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

يبعث بجيش الأمراء الشهداء الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة في غزوة « مؤتة » فوجدوا تجمعاً للروم تقول الروايات عنه : إنه مائة ألف من الروم ومعه من عملائهم في الشام من القبائل العربية النصرانية مائة ألف أخرى؛ وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل . وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .

ثم كانت غزوة تبوك التي يدور عليها معظم هذه السورة (وسيجيء تفصيل القول فيها في موضعه إن شاء الله تعالى) .

ثم كان جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبيل وفاته؛ ثم أنفذه الخليفة الراشد أبو بكر – رضي الله عنه – إلى أطراف الشام؛ لمواجهة تلك التجمعات الرومانية التي تستهدف القضاء على هذا الدين!

ثم اشتعل مرجل الحقد الصليبي منذ موقعة اليرموك الظافرة ، التي أعقبها انطلاق الإسلام لتحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر وشمال إفريقية وجزر البحر الأبيض . ثم بناء القاعدة الإسلامية الوطيدة في الأندلس في النهاية .

إن « الحروب الصليبية » المعروفة بهذا الاسم في التاريخ ، لم تكن هي وحدها التي شنتها الكنيسة على الإسلام ، لقد كانت هذه الحروب مبكرة قبل هذا الموعد بكثير . . لقد بدأت في الحقيقة منذ ذلك التاريخ البعيد . . منذ أن نسي الرومان عداواتهم مع الفرس؛ وأخذ النصارى يعينون الفرس ضد الإسلام في جنوب الجزيرة . ثم بعد ذلك في « مؤتة » . ثم فيما تلا موقعة اليرموك الظافرة . . ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها في الأندلس عندما زحفت الصليبية على القاعدة الإسلامية في أوربة ، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يعرف التاريخ له نظيراً من قبل . . وكذلك تجلت في الحروب الصليبية في الشرق بمثل هذه البشاعة التي لا تتحرج ولا تتذمم؛ ولا تراعي في المسلمين إلاًّ ولا ذمة .

ومما جاء في كتاب « حضارة العرب » لجوستاف لوبون – وهو فرنسي مسيحي – :

« كان أول ما بدأ به ريكاردوس الإنجليزي أنه قتل أمام معسكر المسلمين ، ثلاث آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه ، بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم . ثم أطلق لنفسه

العنان باقتراف القتل والسلب ، مما أثار صلاح الدين الأيوبي النبيل ، الذي رحم نصارى القدس ، فلم يمسهم بأذى ، والذي أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والأزواد ، أثناء مرضهما » .

كذلك كتب كاتب مسيحي آخر (اسمه يورجا) يقول :

« ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع ، فكان فريـــق مـــن الحجـــاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها . وقد أسرفوا في القسوة فكانوا يبقـــرون البطون . ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء! أما صلاح الدين ، فلما استرد بيـــت المقـــدس بذل الأمان للصليبيين ، ووفى لهم بجميع عهوده ، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم ، حتى أن الملك العادل ، شقيق السلطان ، أطلق ألف رقيق من الأســـرى ، ومنّ على جميع الأرمن ، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة ، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن » .

ولا يتسع المجال في الظلال لاستعراض ذلك الخط الطويل للحروب الصليبية – على مدار التاريخ – ولكن يكفي أن نقول : إن هذه الحرب لم تضع أوزارها قط من جانب الصليبية . ويكفي أن نذكر ماذا حدث في زنجبار حديثاً . حيث أبيد المسلمون فيها عـــن بكـــرة أبيهم ، فقتل منهم اثنا عشر ألفاً وألقي الأربعة الآلاف الباقون في البحـــر منفـــيين مـــن الجزيرة! ويكفي أن نذكر ماذا وقع في قبرص ، حيث منع الطعام والماء عن الجهات الـــتي يقطنها بقايا المسلمين هناك ليموتوا جوعاً وعطشاً ، فوق ما سلط عليهم مـــن التقتيـــل والتذبيح والتشريد! ويكفي أن نذكر ما تزاوله الحبشة في اريترية وفي قلب الحبشة ، ومـــا تزاوله كينيا مع المائة ألف مسلم الذين ينتمون إلى أصل صومالي ، ويريدون أن ينضـــموا إلى قومهم المسلمين في الصومال! ويكفي أن نعلم ماذا تحاوله الصليبية في السودان الجنوبي! ويكفي لتصوير نظرة الصليبيين إلى الإسلام أن ننقل فقرة من كتاب لمؤلف أوربي صـــدر سنة ١٩٤٤ يقول فيه؟

لقد كنا نخوّف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي . إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه . إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد! ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفراء فهنالـــك

دول ديمقراطية كبرى تقاومها . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قوتــه على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته . . إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي «
.

ولا نستطيع أن نمضي أبعد من ذلك في استعراض تاريخ تلك الحرب العاتية التي أعلنتــها الصليبية على الإسلام وما تزال . . وقد تحدثنا من قبل مراراً في أجزاء الظلال الســابقة – بمناسبة النصوص القرآنية الكثيرة – عن طبيعة هذه المعركة ، الطويلة ، ومسائلها وأشكالها. فحسبنا هذه الإشارات السريعة هنا بالإحالة على بعض المراجع الأخرى القريبة .

وهكذا نرى من هذا الاستعراض السريع – بالإضافة إلى ما قلناه من قبــل عــن طبيعــة الإعلان الإسلامي العام بتحرير الإنسان . وتحفز الجاهلية في الأرض كلها لسحق الحركة التي تحمل هذا الإعلان العام وتنطلق به في الأرض كلها – أن هذه الأحكــام الأخــيرة الواردة في هذه السورة ، هي المتقضى الطبيعي لهذه الحقائق كلها مجتمعة؛ وأنهــا ليســت أحكاماً محددة بزمان ، ولا مقيدة بحالة . وإن كان هذا في الوقت ذاته لا ينسخ الأحكــام المرحلية السابقة النسخ الشرعي الذي يمنع العمل بها في الظروف والملابسات التي تشــابه الظروف والملابسات التي تنزلت فيها . فهناك دائماً طبيعة المنهج الإسلامي الحركية ، التي تواجه الواقع البشري مواجهة واقعية ، بوسائل متجددة ، في المراحل المتعددة . (الظلال)

****

وقد أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول الذي سمعوا بالإسلام ، ونبي الإسلام ((محمد صلى الله عليه وسلم))

وقد فضحهم القرآن الكريم ، وبين تاريخهم الأسود

قال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) [آل عمران/٦٥-٦٧] }

وقال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) [آل عمران/٩٨، ٩٩] }

وقال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) [النساء/١٧١] }

وقال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) [المائدة/١٥] }

وقال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) [المائدة/٧٧-٨٢] }

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي – مولى زيد بن ثابت – حدثني سعيد بن جبير – أو عكرمة – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتنازعوا عنده . فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً . وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً . فأنزل الله تعالى : { يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم . . . } الآية .

وسواء كانت هذه هي مناسبة نزول الآية أو لم تكن ، فظاهر من نصها أنها نزلت رداً على ادعاءات لأهل الكتاب ، وحجاج مع النبي – صلى الله عليه وسلم – أو مع بعضهم

البعض في حضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والهدف من هذه الادعــاءات هــو احتكار عهد الله مع إبراهيم - عليه السلام - أن يجعل في بيته النبوة؛ واحتكــار الهدايــة والفضل كذلك . ثم - وهذا هو الأهم - تكذيب دعوى النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه على دين إبراهيم ، وأن المسلمين هم ورثة الحنيفية الأولى؛ وتشكيك المسلمين في هذه الحقيقة ، أو بث الريبة في نفوس بعضهم على الأقل . .

ومن ثم يندد الله بهم هذا التنديد؛ ويكشف مراءهم الذي لا يستند إلى دليل .

فإبراهيم سابق على التوراة وسابق على الإنجيل . فكيف إذن يكون يهودياً؟ أو كيف إذن يكون نصرانياً؟ إنها دعوى مخالفة للعقل ، تبدو مخالفتها بمجرد النظرة الأولى إلى التاريخ :

{ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعــده؟ أفــلا تعقلون؟ } .

ثم يمضي في التنديد بهم؛ وإسقاط قيمة ما يدلون به من حجج وكشــف تعنتــهم وقلــة اعتمادهم على منهج منطقي سليم في الجدل والحوار :

{ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علــم؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون؟ } .

وقد جادلوا في أمر عيسى عليه السلام؛ كما يبدو أنهم جادلوا في بعض الأحكام التشريعية حين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم تولوا وهم معرضون . . وكان هــذا وذاك في دائرة ما يعلمون من الأمر ، أما أن يجادلوا فيما هو سابق على وجودهم ، ووجود كتبهم ودياناتهم . . فهو الأمر الذي لا سند له ولو كان سنداً شكلياً . . فهو الجدل إذن لذات الجدل . وهو المراء الذي لا يسير على منهج ، وهو الغرض إذن والهوى . . ومن كان هذا حاله فهو غير جدير بالثقة فيما يقول . بل غير جدير بالاستماع أصلا لما يقول!

حتى إذا انتهى السياق من إسقاط قيمة جدلهم من أساسه ، ونزع الثقة منهم ومما يقولون ، عاد يقرر الحقيقة التي يعلمها الله . فهو - سبحانه - الذي يعلم حقيقة هذا التاريخ البعيد؛ وهو الذي يعلم كذلك حقيقة الدين الذي نزله على عبده إبراهيم . وقوله الفصل الذي لا يبقى معه لقائل قول؛ إلا أن يجادل ويماري بلا سلطان ولا دليل :

{ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً . ولكن كان حنيفاً مسلماً . وما كان من المشركين . . }

فيؤكد ما قرره من قبل ضمناً من أن إبراهيم – عليه السلام – ما كان يهودياً ولا نصرانياً . وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده . ويقرر أنه كان مائلاً عن كل ملة إلا الإسلام . فقد كان مسلماً . . مسلماً بالمعنى الشامل للإسلام الذي مر تفصيله وبيانه . .

{ وما كان من المشركين } . .

وهذه الحقيقة متضمنة في قوله قبلها { ولكن كان حنيفاً مسلماً } . . ولكن إبرازها هنا يشير إلى عدة من لطائف الإشارة والتعبير :

يشير أولاً إلى أن اليهود والنصارى – الذين انتهى أمرهم إلى تلك المعتقدات المنحرفة – مشركون . . ومن ثم لا يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً . ولكن حنيفاً مسلماً!

ويشير إلى أن الإسلام شيء والشرك شيء آخر . فلا يلتقيان . الإسلام هو التوحيد المطلق بكل خصائصه . وكل مقتضياته . ومن ثم لا يلتقي مع لون من ألوان الشرك أصلاً .

ويشير ثالثاً إلى إبطال دعوى المشركين من قريش كذلك أنهم على دين إبراهيم ، وسدنة بيته في مكة . . فهو حنيف مسلم ، وهم مشركون . { وما كان من المشركين } !

وما دام أن إبراهيم – عليه السلام – كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، فليس لأي من اليهود أو النصارى – أو المشركين أيضاً – أن يدعي وراثته ، ولا الولاية على دينه ، وهم بعيدون عن عقيدته .

والعقيدة هي الوشيجة الأولى التي يتلاقى عليها الناس في الإسلام . حين لا يلتقون على نسب ولا أرومة ولا جنس ولا أرض ، إذا أنبتت تلك الوشيجة التي يتجمع عليها أهل الإيمان . فالإنسان في نظر الإسلام إنسان بروحه . بالنفخة التي جعلت منه إنساناً . ومن ثم فهو يتلاقى على العقيدة أخص خصائص الروح فيه . ولا يلتقي على مثل ما تلتقي عليه البهائم من الأرض والجنس والكلأ والمرعى والحد والسياج! والولاية بين فرد وفرد ، وبين مجموعة ومجموعة ، وبين جيل من الناس وجيل ، لا ترتكن إلى وشيجة أخرى سوى وشيجة العقيدة . يتلاقى فيها المؤمن والمؤمن . والجماعة المسلمة والجماعة المسلمة . والجيل المسلم والأجيال المسلمة من وراء حدود الزمان والمكان ، ومن وراء فواصل الدم

والنسب ، والقوم والجنس؛ ويتجمعون أولياء - بالعقيدة وحدها - والله من ورائهم ولي الجميع :

{ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي ، والذين آمنوا . والله ولي المؤمنين } . .

فالذين اتبعوا إبراهيم - في حياته - وساروا على منهجه ، واحتكموا إلى سنته هم أولياؤه . ثم هذا النبي الذي يلتقي معه في الإسلام بشهادة الله أصدق الشاهدين . ثم الذين آمنوا بهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - فالتقوا مع إبراهيم - عليه السلام - في المنهج والطريق .

{ والله ولي المؤمنين } . .

فهم حزبه الذين ينتمون إليه ، ويستظلون برايته ، ويتولونه ولا يتولون أحداً غيره . وهم أسرة واحدة . وأمة واحدة . من وراء الأجيال والقرون ، ومن وراء المكان والأوطان؛ ومن وراء القوميات والأجناس ، ومن وراء الأرومات والبيوت!

وهذه الصورة هي أرقى صورة للتجمع الإنساني تليق بالكائن الإنساني . وتميزه من القطيع! كما أنها هي الصورة الوحيدة التي تسمح بالتجمع بلا قيود . لأن القيد الواحد فيها اختياري يمكن لكل من يشاء أن يفكه عن نفسه بإرادته الذاتية . فهو عقيدة يختارها بنفسه فينتهي الأمر . . على حين لا يملك الفرد أن يغير جنسه - إن كانت رابطة التجمع هي الجنس - ولا يملك أن يغير قومه - إن كانت رابطة التجمع هي القوم - ولا يملك أن يغير لونه - إن كانت رابطة التجمع هي اللون - ولا يملك بيسر أن يغير لغته إن كانت رابطة التجمع هي اللغة - ولا يملك بيسر أن يغير طبقته - إن كانت رابطة التجمع هي الطبقة - بل قد لا يستطيع أن يغيرها أصلا إن كانت الطبقات وراثة كما في الهند مثلاً . ومن ثم تبقى الحواجز قائمة أبداً دون التجمع الإنساني ، ما لم ترد إلى رابطة الفكرة والعقيدة والتصور .

الأمر المتروك للاقتناع الفردي ، والذي يملك الفرد بذاته ، بدون تغيير أصله أو لونه أو لغته أو طبقته أن يختاره ، وأن ينضم إلى الصف على أساسه .

وذلك فوق ما فيه من تكريم للإنسان ، بجعل رابطة تجمعه مسألة تتعلق بأكرم عناصـــره ، المميزة له من القطيع!

والبشرية إما أن تعيش - كما يريدها الإسلام - أناسيّ تتجمع على زاد الـــروح وسمـــة القلب وعلامة الشعور . . وإما أن تعيش قطعاناً خلف سياج الحدود الأرضية ، أو حدود الجنس واللون . . وكلها حدود مما يقام للماشية في المرعى كي لا يختلط قطيع بقطيع!!!

ثم يكشف للجماعة المسلمة عما يريده بها أهل الكتاب من وراء كل جدال وكل مـــراء . ويواجه أهل الكتاب بألاعيبهم وكيدهم وتدبيرهم على مرأى ومسمع من الجماعة المسلمة أيضاً . وهو يمزق عنهم الأردية التي يتخفون تحتها ، فيقفهم أمام الجماعة المسلمة عـــراة مفضوحين :

{ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم . وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون . يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون؟ يا أهل الكتـــاب لم تلبســـون الحـــق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم - قل : إن الهدى هدى الله - أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم - قل : إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم } .

إن الإحنة التي يكنها أهل الكتاب للجماعة المسلمة هي الإحنة المتعلقة بالعقيـــدة . إنهـــم يكرهون لهذه الأمة أن تهتدي . يكرهون لها أن تفيء إلى عقيدتها الخاصة في قـــوة وثقـــة ويقين . ومن ثم يرصدون جهودهم كلها لإضلالها عن هذا المنهج ، والإلواء بها عن هـــذا الطريق :

{ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم } . .

فهو ود النفس ورغبة القلب والشهوة التي تهفو إليها الأهواء من وراء كل كيد ، وكـــل دس ، وكل مراء ، وكل جدال ، وكل تلبيس .

وهذه الرغبة القائمة على الهوى والحقد والشر ، ضلال لا شك فيه . فما تنبعث مثل هذه الرغبة الشريرة الآثمة عن خير ولا عن هدى . فهم يوقعون أنفسهم في الضلالة في اللحظة

التي يودون فيها إضلال المسلمين . فما يحب إضلال المهتدين إلا ضال يهيم في الضـــلال البهيم :

{ وما يضلون إلا أنفسهم . وما يشعرون } . .

والمسلمون مكفيون أمر أعدائهم هؤلاء ما استقاموا على إسلامهم وما لهم عليهم من سبيل . والله سبحانه يتعهد لهم ألا يصيبهم كيد الكائدين ، وأن يرتد عليهم كيدهم مـــا بقـــي المسلمون مسلمين .

هنا يقرع أهل الكتاب بحقيقة موقفهم المريب المعيب :

{ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون؟ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟ } .

ولقد كان أهل الكتاب وقتها - وما يزالون حتى اليوم - يشهدون الحق واضحاً في هـــذا الدين . سواء منهم المطلعون على حقيقة ما جاء في كتبهم عنه من بشارات وإشـــارات - وكان بعضهم يصرح بما يجد من هذا كله وبعضهم يسلم بناء على هذا الذي يجده في كتبه ويشهده متحققاً أمامه - وسواء كذلك غير المطلعين ، ولكنهم يجدون في الإســـلام مـــن الحق الواضح ما يدعو إلى الإيمان . . غير أنهم يكفرون . . لا لنقص في الدليل . ولكـــن للهوى والمصلحة والتضليل . . والقرآن يناديهم : { يا أهل الكتاب } . . لأنها الصـــفة التي كان من شأنها أن تقودهم إلى آيات الله وكتابه الجديد .

كذلك يناديهم مرة أخرى ليفضح ما يقومون به من لبس الحق بالباطل لإخفائه وكتمانـــه وتضييعه في غمار الباطل ، على علم وعن عمد وفي قصد . . وهو أمر مستنكر قبيح!

وهذا الذي ندد الله به - سبحانه - من أعمال أهل الكتاب حينذاك ، هو الأمـــر الـــذي درجوا عليه من وقتها حتى اللحظة الحاضرة . . فهذا طريقهم على مـــدار التـــاريخ . . اليهود بدأوا منذ اللحظة الأولى . ثم تابعهم الصليبيون!

وفي خلال القرون المتطاولة دسوا - مع الأسف - في التراث الإسلامي ما لا ســـبيل إلى كشفه إلا بجهد القرون! ولبسوا الحق بالباطل في هذا التراث كله - اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه أبد الآبدين - والحمد لله على فضله العظيم .

دسوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله . ودسوا ولبسوا في الحديث النبـــوي حتى قيض الله له رجاله الذين حققوه وحرروه إلا ما ند عن الجهد الإنســـاني المحـــدود . ودسوا ولبسوا في التفسير القرآني حتى تركوه تيهاً لا يكاد الباحث يفيء فيـــه إلى معـــالم الطريق . ودسوا ولبسوا في الرجال أيضاً . فالمئات والألوف كانوا دسيسة على التـــراث الإسلامي - وما يزالون في صورة المستشرقين وتلاميذ المستشرقين الذين يشغلون مناصب القيادة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول أهلها : إنهـــم مســـلمون . والعشـــرات مـــن الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة في صورة أبطال مصنوعين على عين الصهيونية والصليبية ، ليؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعـــداء أن يـــؤدوه ظاهرين!

وما يزال هذا الكيد قائماً ومطرداً . وما تزال مثابة الأمان والنجاة منه هي اللـيـــاذ بهـــذا الكتاب المحفوظ؛ والعودة إليه لاستشارته في المعركة الناشبة طوال هذه القرون .

{ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ، يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير } . .

فهو رسول الله إليكم . ودوره معكم أن يبين لكم ويوضح ويكشف ، ما تواطأتم علـــى إخفائه من حقائق كتاب الله الذي معكم . . سواء في ذلك اليهود والنصارى . . وقـــد أخفى النصارى الأساس الأول للدين . . التوحيد . . وأخفى اليهود كثيراً مـــن أحكـــام الشريعة؛ كرجم الزاني ، وتحريم الربا كافة . كما أخفوا جميعاً خبر بعثة الـــنبي الأمـــي { الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل } كما أنه - صلى الله عليه وسلم - يعفو عن كثير مما أخفوه أو حرفوه؛ مما لم يرد به شرعه . فقد نسخ الله من أحكـــام الكتـــب والشرائع السابقة ما لم يعد له عمل في المجتمع الإنساني ، مما كانت له وظيفـــة وقتيـــة في المجتمعات الصغيرة الخاصة ، التي بعث إليها الرسل من قبل ولفترة محدودة - في علم الله - من الزمان ، قبل أن تجيء الرسالة الشاملة الدائمة ، وتستقر - وقد أكملها الله وأتم بهـــا نعمته ورضيها للناس ديناً - فلم يعد فيها نسخ ولا تبديل ولا تعديل .

ويبين لهم طبيعة ما جاء به هذا الرسول ، ووظيفته في الحياة البشرية ، وما قدر الله من أثره في حياة الناس .

{ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم } . .

وليس أدق ولا أصدق ولا أدل على طبيعة هذا الكتاب . . القرآن . . وعلى طبيعة هذا المنهج .

. الإسلام . . من أنه { نور } . .

إنها حقيقة يجدها المؤمن في قلبه وفي كيانه وفي حياته وفي رؤيته وتقديره للأشياء والأحداث والأشخاص . . يجدها بمجرد أن يجد حقيقة الإيمان في قلبه . . { نور } نور تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف . ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشف ويستقيم .

ثقلة الطين في كيانه ، وظلمة التراب ، وكثافة اللحم والدم ، وعرامة الشهوة والنزوة . . كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى . . تخف الثقلة ، وتشرق الظلمة ، وترق الكثافة ، وترف العرامة . .

واللبس والغبش في الرؤية ، والتأرجح والتردد في الخطوة ، والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه . . كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى . . يتضح الهدف ويستقيم الطريق إليه وتستقيم النفس على الطريق . .

{ نور . وكتاب مبين } . . وصفان للشيء الواحد . . لهذا الذي جاء به الرسول الكريم . .

{ يهدي به الله - من اتبع رضوانه - سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم } .

لقد رضي الله الإسلام ديناً . . وهو يهدي من يتبع رضوانه هذا ويرتضيه لنفسه كما رضيه الله له . . يهديه . . { سبل السلام } . .

وما أدق هذا التعبير وأصدقه؛ إنه { السلام } هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلها . . سلام الفرد . وسلام الجماعة . وسلام العالم . . سلام الضمير ، وسلام العقل ، وسلام

الجوارح . . سلام البيت والأسرة ، وسلام المجتمع والأمة ، وسلام البشر والإنسانية . . السلام مع الحياة . والسلام مع الكون . والسلام مع الله رب الكون والحياة . . السلام الذي لا تجده البشرية – ولم تجده يوماً – إلا في هذا الدين؛ وإلا في منهجه ونظامه وشريعته ، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته .

حقاً إن الله يهدي بهذا الدين الذي رضيه ، من يتبع رضوان الله ، { سبل السلام } . . سبل السلام كلها في هذه الجوانب جميعها . . ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق سبل الحرب في الجاهليات القديمة أو الحديثة . . ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشئ من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير . وحرب القلق الناشئ من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتخبطها في أوضاع الحياة .

وقد كان المخاطبون بهذه الكلمات أول مرة يعرفون من تجربتهم في الجاهلية معنى هذا السلام . إذ كانوا يذوقونه مذاقاً شخصياً؛ ويلتذون هذا المذاق المريح . .

وما أحوجنا نحن الآن أن ندرك هذه الحقيقة؛ والجاهلية من حولنا ومن بيننا تذيق البشرية الويلات . . من كل ألوان الحرب في الضمائر والمجتمعات قروناً بعد قرون!

ما أحوجنا نحن الذين عشنا في هذا السلام فترة من تاريخنا؛ ثم خرجنا من السلام إلى الحرب التي تحطم أرواحنا وقلوبنا ، وتحطم أخلاقنا وسلوكنا ، وتحطم مجتمعاتنا وشعوبنا . . بينما نملك الدخول في السلم التي منحها الله لنا؛ حين نتبع رضوانه؛ ونرضى لأنفسنا ما رضيه الله لنا!

إننا نعاني من ويلات الجاهلية؛ والإسلام منا قريب . ونعاني من حرب الجاهلية وسلام الإسلام في متناول أيدينا لو نشاء .

فأية صفقة خاسرة هذه التي نستبدل فيها الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ونشتري فيها الضلالة بالهدى؟ ونؤثر فيها الحرب على السلام؟

إننا نملك إنقاذ البشرية من ويلات الجاهلية وحربها المشبوبة في شتى الصور والألوان . ولكننا لا نملك إنقاذ البشرية ، قبل أن ننقذ نحن أنفسنا ، وقبل أن نفيء إلى ظلال السلام ، حين نفيء إلى رضوان الله ونتبع ما ارتضاه . فنكون من هؤلاء الذين يقول الله عنهم إنه يهديهم سبل السلام .

{ ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه } . .
والجاهلية كلها ظلمات . . ظلمة الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات . وظلمة الشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه . وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى والوحشة من الجناب الآمن المأنوس . وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والقيم والموازين . والنور هو النور . . هو ذلك النور الذي تحدثنا عنه آنفاً في الضمير وفي العقل وفي الكيان وفي الحياة وفي الأمور . .
{ ويهديهم إلى صراط مستقيم } . .
مستقيم مع فطرة النفس ونواميسها التي تحكمها . مستقيم مع فطرة الكون ونواميسه التي تصرفه . مستقيم إلى الله لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات . .
إن الله الذي خلق الإنسان وفطرته؛ وخلق الكون ونواميسه؛ هو الذي وضع للإنسان هذا المنهج؛ وهو الذي رضي للمؤمنين هذا الدين . فطبيعي وبديهي أن يهديهم هذا المنهج إلى الصراط المستقيم . حيث لا يهديهم منهج غيره من صنع البشر العاجزين الجهال الفانين!
وصدق الله العظيم . الغني عن العالمين . الذي لا يناله من هداهم أو ضلالهم شيء ولكنه بهم رحيم!
ذلك هو الصراط المستقيم . فأما القول بأن الله هو المسيح بن مريم فهو الكفر؛ وأما القول بأن اليهود والنصارى هم أبناء الله وأحباؤه ، فهو الافتراء الذي لا يستند إلى دليل . .
وهذا وذلك من مقولات أهل الكتاب ، التي تخفي نصاعة التوحيد؛ والتي جاءهم الرسول الأخير ليكشف عن الحقيقة فيها ، ويرد الشاردين المنحرفين عن هذه الحقيقة إليها :
{ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم . قل : فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً؟ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير } . .
إن الذي جاء به عيسى – عليه السلام – من عند ربه هو التوحيد الذي جاء به كل رسول .
والإقرار بالعبودية الخالصة لله شأن كل رسول . . ولكن هذه العقيدة الناصعة أدخلت عليها التحريفات؛ بسبب دخول الوثنيين في النصرانية؛ وحرصهم على رواسب الوثنية التي

جاءوا بها ومزجها بعقيدة التوحيد ، حتى لم يعد هناك إمكان لفصلها وفرزهـــا وتنقيـــة جوهر العقيدة منها .

ولم تجئ هذه الانحرافات كلها دفعة واحدة؛ ولكنها دخلت على فترات؛ وأضافتها المجامع واحدة بعد الأخرى؛ حتى انتهت إلى هذا الخليط العجيب من التصـــورات والأســـاطير ، الذي تحار فيه العقول .

حتى عقول الشارحين للعقيدة المحرفة من أهلها المؤمنين بها!

وقد عاشت عقيدة التوحيد بعد المسيح – عليه السلام – في تلامذته وفي أتباعهم . وأحد الأناجيل الكثيرة التي كتبت – وهو إنجيل برنابا – يتحدث عن عيسى – عليه الســـلام – بوصفه رسولاً من عند الله . ثم وقعت بينهم الاختلافات . فمن قائل : إن المسيح رسول من عند الله كسائر الرسل . ومن قائل : إنه رسول نعم ولكن له بالله صلة خاصة . ومن قائل : إنه ابن الله لأنه خلق من غير أب ، ولكنه على هذا مخلوق لله . ومن قائل : إنه ابن الله وليس مخلوقاً بل له صفة القدم كالأب . .

ولتصفية هذه الخلافات اجتمع في عام ٣٢٥ ميلادية « مجمع نيقية » الذي اجتمـــع فيـــه ثمانية وأربعون ألفاً من البطارقة والأساقفة . قال عنهم ابن البطريق أحد مؤرخي النصرانية :

« وكانوا مختلفين في الآراء والأديان . فمنهم من كان يقول : إن المسيح وأمه إلهان مـــن دون الله . وهم » البربرانية « . . ويسمون : » الريمتيين « . ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها . وهي مقالة » سابليوس « وشيعته . ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميـــزاب ، لأن الكلمـــة دخلـــت في أذنهـــا ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها . وهي مقالة » إليان « وأشياعه . ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإن ابتداء الابن من مريم ، وإنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي ، صحبته النعمة الإلهية ، وحلـــت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمي » ابن الله « ويقولون : إن الله جوهر قـــديم واحـــد ، وأقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس . وهـــي

مقالة » بولس الشمشاطي « بطريرك أنطاكية وأشياعه وهم » البوليقانيون « . ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينـــهما . وهـــي مقالـــة » مرقيون « اللعين وأصحابه! وزعموا أن » مرقيون « هو رئيس الحـــواريين وأنكـــروا » بطرس « . ومنهم من كانوا يقولون بألوهية المسيح . وهي مقالة » بـــولس الرســـول « ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً . .

وقد اختار الإمبراطور الروماني » قسطنطين « الذي كان قد دخل في النصرانية من الوثنية ولم يكن يدري شيئاً من النصرانية! هذا الرأي الأخير وسلط أصحابه علـــى مخـــالفيهم ، وشرد أصحاب سائر المذاهب؛ وبخاصة القائلين بألوهية الأب وحده ، وناسوتية المسيح .

وقد ذكر صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية عن هذا القرار ما نصه :

» إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمـــن لم يكـــن ابـــن الله موجوداً فيه .

وأنه لم يوجد قبل أن يولد . وأنه وجد من لا شيء . أو من يقول : إن الابن وجد مـــن مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب . وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول : إنه قابـــل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران « .

ولكن هذا المجمع بقراراته لم يقض على نحلة الموحدين أتباع » آريوس « وقد غلبت على القسطنطينية ، وأنطاكية ، وبابل ، والإسكندرية ، ومصر .

ثم سار خلاف جديد حول » روح القدس « فقال بعضهم : هو إله ، وقال آخـــرون : ليس بإله! فاجتمع » مجمع القسطنطينية الأول « سنة ٣٨١ ليحسم الخلاف في هذا الأمر .

وقد نقل ابن البطريق ما تقرر في هذا المجمع ، بناء على مقالة أسقف الإسكندرية :

» قال ثيموثاوس بطريك الإسكندرية : ليس روح القدس عندنا بمعـــنى غـــير روح الله . وليس روح الله شيئاً غير حياته . فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق ، فقد قلنا : إن روح الله مخلوق . وإذا قلنا : إن روح الله مخلوق ، فقد قلنا : إن حياته مخلوقـــة . وإذا قلنـــا : إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حي . وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به . ومن كفر به وجب عليه اللعن «!!!

وكذلك تقررت ألوهية روح القدس في هذا المجمع ، كما تقررت ألوهية المسيح في مجمع نيقية . وتم » الثالوث « من الآب . والابن . وروح القدس . .
ثم ثار خلاف آخر حول اجتماع طبيعة المسيح الإلهية وطبيعته الإنسانية . . أو اللاهـــوت والناسوت كما يقولون . . فقد رأى » نسطور « بطريرك القسطنطينية أن هناك أقنومـــاً وطبيعة . فأقنوم الألوهية من الآب وتنسب إليه؛ وطبيعة الإنسان وقد ولدت من مـــريم ، فمريم أم الإنسان – في المسيح – وليست أم الإله! ويقول في المسيح الذي ظهر بين الناس وخاطبهم – كما نقله عنه ابن البطريق :
» إن هذا الإنسان الذي يقول : إنه المسيح . . بالمحبة متحد مع الابن . . ويقال : إنه الله وابن الله ، ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة « . .
ثم يقول : » إن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته بل هـــو إنسان مملوء من البركة والنعمة ، أو هو ملهم من الله ، فلم يرتكب خطيئة ، وما أتى أمراً إداً « .
وخالفه في هذا الرأي أسقف رومه ، وبطريرك الإسكندرية ، وأساقفة أنطاكية ، فـــاتفقوا على عقد مجمع رابع . وانعقد » مجمع أفسس « سنة ٤٣١ ميلادية . وقرر هذا المجمع – كما يقول ابن البطريق – :
» أن مريم العذراء والدة الله . وأن المسيح إله حق وإنسان ، معروف بطبيعتين ، متوحد في الأقنوم « . . ولعنوا نسطور!
ثم خرجت كنيسة الإسكندرية برأي جديد ، انعقد له » مجمع أفسس الثاني « وقرر :
» أن المسيح طبيعة واحدة ، اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت « .
ولكن هذا الرأي لم يسلم؛ واستمرت الخلافات الحادة؛ فاجتمع مجمع « خلقيدونية » سنة ٤٥١ وقرر :
« أن المسيح له طبيعتان لا طبيعة واحدة . وأن اللاهوت طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعه وحدها ، التقتا في المسيح » . . ولعنوا مجمع أفسس الثاني!
ولم يعترف المصريون بقرار هذا المجمع . ووقعت بين المذهب المصـــري « المنوفيســـية » والمذهب « الملوكاني » الذي تبنته الدولة الإمبراطورية ما وقع من الخلافات الدامية ، التي

سبق أن أثبتنا فيها مقالة : « سير . ت . و . أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » في مطالع تفسير سورة آل عمران . .

ونكتفي بهذا القدر في تصوير مجمل التصورات المنحرفة حول ألوهية المسيح؛ والخلافات الدامية والعداوة والبغضاء التي ثارت بسببها بين الطوائف ، وما تزال إلى اليوم ثائرة . .

وتجيء الرسالة الأخيرة لتقرر وجه الحق في هذا القضية؛ ولتقول كلمة الفصل؛ ويجيء الرسول الأخير ليبين لأهل الكتاب حقيقة العقيدة الصحيحة :

{ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم } . . { لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة } (كما سيجيء في السورة) .

ويثير فيهم منطق العقل والفطرة والواقع :

{ قل : فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم ، وأمه ، ومن في الأرض جميعاً؟ } .

فيفرق تفرقة مطلقة بين ذات الله سبحانه وطبيعته ومشيئته وسلطانه ، وبين ذات عيسى - عليه السلام - وذات أمه ، وكل ذات أخرى ، في نصاعة قاطعة حاسمة . فذات الله - سبحانه - واحدة . ومشيئته طليقة ، وسلطانه متفرد ، ولا يملك أحد شيئاً في رد مشيئته أو دفع سلطانه إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً . .

وهو - سبحانه - مالك كل شيء ، وخالق كل شيء ، والخالق غير المخلوق . وكل شيء مخلوق :

{ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير } . .

وكذلك تتجلى نصاعة العقيدة الإسلامية ، ووضوحها وبساطتها . . وتزيد جلاء أمام ذلك الركام من الانحرافات والتصورات والأساطير والوثنيات المتلبسة بعقائد فريق من أهل الكتاب وتبرز الخاصية الأولى للعقيدة الإسلامية . في تقرير حقيقة الألوهية ، وحقيقة العبودية ، والفصل التام الحاسم بين الحقيقتين . بلا غبش ولا شبهة ولا غموض . .

واليهود والنصارى يقولون : إنهم أبناء الله وأحباؤه :

{ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه } . .

فزعموا لله - سبحانه - أبوة ، على تصور من التصورات ، إلا تكن أبوة الجسد فهي أبوة الروح . وهي أياً كانت تلقي ظلاً على عقيدة التوحيد؛ وعلى الفصل الحاسم بين الألوهية والعبودية . هذا الفصل الذي لا يستقيم التصور ، ولا تستقيم الحياة ، إلا بتقريره . كـــي تتوحد الجهة التي يتوجه إليها العباد كلهم بالعبودية؛ وتتوحد الجهة التي تشـــرع للنـــاس؛ وتضع لهم القيم والموازين والشرائع والقوانين ، والنظم والأوضـــاع ، دون أن تتـــداخل الاختصاصات ، بتداخل الصفات والخصائص ، وتداخل الألوهية والعبودية .

فالمسألة ليست مسألة انحراف عقيدي فحسب ، إنما هي كذلك فساد الحياة كلها بنـــاء على هذا الانحراف!

واليهود والنصارى بادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، كانوا يقولون - تبعاً لهـــذا - إن الله لن يعذبهم بذنوبهم! وإنهم لن يدخلوا النار - إذا دخلوا - إلا أياماً معدودات . ومعنى هذا أن عدل الله لا يجري مجراه! وأنه سبحانه - يحابي فريقاً من عباده ، فيدعهم يفســـدون في الأرض ثم لا يعذبهم عذاب المفسدين الاخرين! فأي فساد في الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور؟ وأي اضطراب في الحياة يمكن أن ينشئه مثل هذا الانحراف؟

وهنا يضرب الإسلام ضربته الحاسمة على هذا الفساد في التصور ، وكل ما يمكن أن ينشئه من الفساد في الحياة ، ويقرر عدل الله الذي لا يحابي؛ كما يقرر بطلان ذلك الادعاء :

{ قل : فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشـــاء . . }

بذلك يقرر الحقيقة الحاسمة في عقيدة الإيمان . يقرر بطلان ادعاء البنوة؛ فهم بشر ممن خلق . ويقرر عدل الله وقيام المغفرة والعذاب عنده على أصلها الواحد . على مشيئته التي تقرر الغفران بأسبابه وتقرر العذاب بأسبابه . لا بسبب بنوة أو صلة شخصية!

ثم يكرر أن الله هو المالك لكل شيء ، وأن مصير كل شيء إليه :

{ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير } . .

والمالك غير المملوك . تتفرد ذاته - سبحانه - وتتفرد مشيئته ، ويصير إليه الجميع . .

وينهي هذا البيان ، بتكرار النداء الموجه إلى أهل الكتاب ، يقطع به حجتهم ومعـــذرتهم ويقفهم أمام « المصير » وجهاً لوجه ، بلا غبش ولا عذر ، ولا غموض :

{ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل . . أن تقولــوا مــا جاءنا من بشير ولا نذير . . فقد جاءكم بشير ونذير . والله على كل شيء قدير } . .

وبهذه المواجهة الحاسمة ، لا تعود لأهل الكتاب جميعاً حجة من الحجج . . لا تعود لهــم حجة في أن هذا الرسول الأمي لم يرسل إليهم . فالله – سبحانه – يقول :

{ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا } . .

ولا تعود لهم حجة في أنهم لم ينبهوا و لم يبشروا و لم ينذروا في مدى طويــل؛ يقــع فيــه النسيان ويقع فيه الانحراف . . فقد جاءهم – الآن – بشير ونذير . .

ثم يذكرهم أن الله لا يعجزه شيء . . لا يعجزه أن يرسل رسولاً من الأميين . ولا يعجزه كذلك أن يأخذ أهل الكتاب بما يكسبون :

{ والله على كل شيء قدير } . .

وتنتهي هذه الجولة مع أهل الكتاب؛ فتكشف انحرافاتهم عن ديــن الله الصــحيح الــذي جاءتهم به رسلهم من قبل . وتقرر حقيقة الاعتقاد الذي يرضاه الله من المؤمنين . وتبطــل حجتهم في موقفهم من النبي الأمي؛ وتأخذ عليهم الطريق في الاعتذار يوم الدين .

{ قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا مــن قبل ، وأضلوا كثيراً . وضلوا عن سواء السبيل } .

فمن الغلو في تعظيم عيسى – عليه السلام – جاءت كل الانحرافات . ومن أهواء الحكام الرومان الذين دخلوا النصرانية بوثنيتهم ، ومن أهواء المجامع المتناحرة كذلك دخلت كــل تلك المقولات على دين الله الذي أرسل به المسيح ، فبلغه بأمانة الرسول ، وهو يقول لهم : { يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار } .

وهذا النداء الجديد هو دعوة الإنقاذ الأخيرة لأهل الكتاب؛ ليخرجوا بهــا مــن خضــم الانحرافات والاختلافات والأهواء والشهوات الذي خاض فيه أولئك الذين ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . .

ونقف من هذا المقطع الذي انتهى بهذا النداء أمام ثلاث حقائق كبيرة ، يحسن الإلمام بها في إجمال :

الحقيقة الأولى : هي حقيقة هذا الجهد الكبير ، الذي يبذله المنهج الإسلامي ، لتصحيح التصور الاعتقادي ، وإقامته على قاعدة التوحيد المطلقة؛ وتنقيته من شوائب الوثنية والشرك التي أفسدت عقائد أهل الكتاب ، وتعريف الناس بحقيقة الألوهية؛ وإفراد الله – سبحانه – بخصائصها ، وتجريد البشر وسائر الخلائق من هذه الخصائص . .

وهذا الاهتمام البالغ بتصحيح التصور الاعتقادي ، وإقامته على قاعدة التوحيد الكامل الحاسم ، يدل على أهمية هذا التصحيح . وأهمية التصور الاعتقادي في بناء الحياة الإنسانية وفي صلاحها ، كما يدل على اعتبار الإسلام للعقيدة بوصفها القاعدة والمحور لكل نشاط إنساني ، ولكل ارتباط إنساني كذلك .

والحقيقة الثانية : هي تصريح القرآن الكريم بكفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم؛ أو قالوا : إن الله ثالث ثلاثة : فلم يعد لمسلم – بعد قول الله سبحانه – قول . و لم يعد يحق لمسلم أن يعتبر أن هؤلاء على دين الله . والله سبحانه يقول : إنهم كفروا بسبب هذه المقولات .

وإذا كان الإسلام – كما قلنا – لايكره أحداً على ترك ما هو عليه مما يعتقده لاعتناق الإسلام ، فهو في الوقت ذاته لا يسمي ما عليه غير المسلمين ديناً يرضاه الله . بل يصرح هنا بأنه كفر ولن يكون الكفر ديناً يرضاه الله .

والحقيقية الثالثة : المترتبة على هاتين الحقيقتين ، أنه لا يمكن قيام ولاء وتناصر بين أحد من أهل الكتاب هؤلاء وبين المسلم الذي يدين بوحدانية الله كما جاء بها الإسلام ، ويعتقد بأن الإسلام في صورته التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده « الدين » عند الله . .

ومن ثم يصبح الكلام عن التناصر بين أهل « الأديان » أمام الإلحاد كلاماً لا مفهوم له في اعتبار الإسلام! فمتى اختلفت المعتقدات على هذا النحو الفاصل ، لم يعد هناك مجال للالتقاء على ما سواها . فكل شيء في الحياة يقوم أولاً على أساس العقيدة . . في اعتبار الإسلام . .

وفي النهاية يجيء ذلك التقرير الشامل عن موقف أنبياء بني إسرائيل من كفار بني إسرائيل ، على مدى التاريخ؛ ممثلاً في موقف داود وموقف عيسى - عليهما السلام - وكلاهما لعن كفار بني إسرائيل ، واستجاب الله له . بسبب عصيانهم وعدوانهم ، وبسبب انحلالهم الاجتماعي ، وسكوتهم على المنكر يفشو فيهم فلا يتناهون عنه؛ وبسبب توليهم الكافرين؛ فباءوا بالسخط واللعنة ، وكتب عليهم الخلود في العذاب .

{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم .

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون! ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء . ولكن كثيراً منهم فاسقون } . .

وهكذا يبدو أن تاريخ بني إسرائيل في الكفر والمعصية واللعنة عريق . وأن أنبياءهم الذين أرسلوا لهدايتهم وإنقاذهم ، هم في النهاية الذين تولوا لعنتهم وطردهم من هداية الله؛ فسمع الله دعاءهم وكتب السخط واللعنة على بني إسرائيل .

والذين كفروا من بني إسرائيل هم الذين حرفوا كتبهم المنزلة؛ وهم الذين لم يتحاكموا إلى شريعة الله - كما مر في المواضع القرآنية المتعددة في هذه السورة وفي السور غيرها - وهم الذين نقضوا عهد الله معهم لينصرنّ كل رسول ويعزرونه ويتبعونه :

{ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون } . .

فهي المعصية والاعتداء؛ يتمثلان في كل صورهما الاعتقادية والسلوكية على السواء . وقد حفل تاريخ بني إسرائيل بالمعصية والاعتداء . . كما فصل الله في كتابه الكريم .

و لم تكن المعصية والاعتداء أعمالاً فردية في مجتمع بني إسرائيل . ولكنها انتهت إلى أن تصبح طابع الجماعة كلها؛ وأن يسكت عنها المجتمع . ولا يقابلها بالتناهي والنكير :

{ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون! } . .

إن العصيان والعدوان قد يقعان في كل مجتمع من الشريرين المفسدين المنحرفين . فالأرض لا تخلو من الشر؛ والمجتمع لا يخلو من الشذوذ ، ولكن طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفاً مصطلحاً عليه؛ وأن يصبحا سهلاً يجترئ عليه كل من يهم

به . . وعندما يصبح فعل الشر أصعب من فعل الخير في مجتمع من المجتمعات؛ ويصبح الجزاء على الشرك رادعاً وجماعياً تقف الجماعة كلها دونه؛ وتوقع العقوبة الرادعة عليه . . عندئذ يتروي الشر ، وتنحسر دوافعه . وعندئذ يتماسك المجتمع فلا تنحل عراه . وعندئذ ينحصر الفساد في أفراد أو مجموعات يطاردها المجتمع ، ولا يسمح لها بالسيطرة؛ وعندئذ لا تشيع الفاحشة . ولا تصبح هي الطابع العام!

والمنهج الإسلامي - بعرضه لهذه الظاهرة في المجتمع الإسرائيلي - في صورة الكراهية والتنديد ، يريد للجماعة المسلمة أن يكون لها كيان حي متجمع صلب؛ يدفع كل بادرة من بوادر العدوان والمعصية ، قبل أن تصبح ظاهرة عامة؛ ويريد للمجتمع الإسلامي أن يكون صلباً في الحق ، وحساساً تجاه الاعتداء عليه؛ ويريد للقائمين على الدين أن يؤدوا أمانتهم التي استحفظوا عليها ، فيقفوا في وجه الشر والفساد والطغيان والاعتداء . . ولا يخافوا لومة لائم . سواء جاء هذا الشر من الحكام المتسلطين بالحكم؛ أو الأغنياء المتسلطين بالمال؛ أو الأشرار المتسلطين بالأذى؛ أو الجماهير المتسلطة بالهوى . فمنهج الله هو منهج الله ، والخارجون عليه علو أم سفلوا سواء .

والإسلام يشدد في الوفاء بهذه الأمانة؛ فيجعل عقوبة الجماعة عامة بما يقع فيها من شر إذا هي سكتت عليه؛ ويجعل الأمانة في عنق كل فرد ، بعد أن يضعها في عنق الجماعة عامة .

روى الإمام أحمد - بإسناده - عن عبدالله بن مسعود ، قال : قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم . فضرب الله بعضهم ببعض . ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم . . { ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون } وكان الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - متكئاً فجلس ، فقال : ولا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً » .

وروى أبو داود - بإسناده - عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال :

» لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بـــن مـــريم « إلى قولـــه { فاسقون } ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يـــد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً – أو تقصرنه على الحق قصراً – »

فليس هو مجرد الإمر والنهي ، ثم تنتهي المسأله ، إنما هو الإصرار ، والمقاطعه ، والكـــف بالقوة عن الشر والفساد والمعصية والاعتداء .

وروى مسلم – بإسناده – عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم – « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه ، فـــإن لم يســـتطع فبقلبه . . وذلك أضعف الإيمان » .

وروى الإمام أحمد – بإسناده – عن عدي بن عميرة قال – سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يـــروا المنكـــر بـــين ظهرانيهم – وهم قادرون على أن ينكروه – فلا ينكرونه . فإذا فعلوا عذب الله العامـــة والخاصة » .

وروى أبو داود والترمذي – بإسناده – عن أبي سعيد قال : قال رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم – : « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر » .

وتتوارد النصوص القرآنية والنبوية تترى في هذا المعنى؛ لأن هذا التماسك في كيان الجماعة بحيث لا يقول أحد – فيها وهو يرى المنكر يقع من غيره – : وأنا مالي؟! وهذه الحميـــة ضد الفساد في المجتمع ، بحيث لا يقول أحد – وهو يرى الفساد يسري ويشيع – ومـــاذا أصنع والتعرض للفساد يلحق بي الأذى؟! وهذه الغيرة علـــى حرمـــات الله ، والشـــعور بالتكليف المباشر بصيانتها والدفع عنها للنجاة من الله .

هذا كله هو قوام الجماعة المسلمة الذي لا قيام لها إلا به . .

وهذا كله في حاجة إلى الإيمان الصحيح بالله؛ ومعرفة تكاليف هذا الإيمان . وإلى الإدراك الصحيح لمنهج الله؛ ومعرفة أنه يشمل كل جوانب الحياة . وإلى الجد في أخذ العقيدة بقوة ، والجهد لإقامة المنهج الذي ينبثق منها في حياة المجتمع كله . . فالمجتمع المســـلم الـــذي يستمد قانونه من شريعة الله؛ ويقيم حياته كلها على منهجه؛ هو المجتمع الـــذي يســـمح للمسلم أن يزاول حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بحيث لا يصبح هـــذا عمـــلاً

فردياً ضائعاً في الخضم؛ أو يجعله غير ممكن أصلاً في كثير من الأحيان! كما هو الحال في المجتمعات الجاهلية القائمة اليوم في أرجاء الأرض؛ والتي تقيم حياتها على تقاليد ومصطلحات اجتماعية تسترذل تدخل أحد في شأن أحد؛ وتعتبر الفسق والفجور والمعصية « مسائل شخصية »! ليس لأحد أن يتدخل في شأنها . . كما تجعل من الظلم والبطش والاعتداء والجور سيفاً مصلتاً من الإرهاب يلجم الأفواه ، ويعقد الألسنة ، وينكل بمن يقول كلمة حق أو معروف في وجه الطغيان . .

إن الجهد الأصيل ، والتضحيات النبيلة يجب أن تتجه أولاً إلى إقامة المجتمع الخير . . والمجتمع الخير هو الذي يقوم على منهج الله . . قبل أن ينصرف الجهد والبذل والتضحية إلى إصلاحات جزئية ، شخصية وفردية؛ عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إنه لا جدوى من المحاولات الجزئية حين يفسد المجتمع كله؛ وحين تطغى الجاهلية ، وحين يقوم المجتمع على غير منهج الله؛ وحيت يتخذ له شريعة غير شريعة الله . فينبغي عندئذ أن تبدأ المحاولة من الأساس ، وأن تنبت من الجذور؛ وأن يكون الجهد والجهاد لتقرير سلطان الله في الأرض . . وحين يستقر هذا السلطان يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيئاً يرتكن إلى أساس .

وهذا يحتاج إلى إيمان . وإلى إدراك لحقيقة هذا الإيمان ومجاله في نظام الحياة . فالإيمان على هذا المستوى هو الذي يجعل الاعتماد كله على الله؛ والثقة كلها بنصرته للخير - مهما طال الطريق - واحتساب الأجر عنده ، فلا ينتظر من ينهض لهذه المهمة جزاء في هذه الأرض ، ولا تقديراً من المجتمع الضال ، ولا نصرة من أهل الجاهلية في أي مكان!

إن كل النصوص القرآنية والنبوية التي ورد فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت تتحدث عن واجب المسلم في مجتمع مسلم . مجتمع يعترف ابتداء بسلطان الله ، ويتحاكم إلى شريعته ، مهما وجد فيه من طغيان الحكم ، في بعض الأحيان ، ومن شيوع الإثم في بعض الأحيان . . وهكذا نجد في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر »

فهو « إمام » ولا يكون إماماً حتى يعترف ابتداء بسلطان الله؛ وبتحكيم شريعته . فالذي لا يحكم شريعة الله لا يقال له : « إمام » إنما يقول عنه الله - سبحانه - { ومن لم يحكم

بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } فأما المجتمعات الجاهلية التي لا تتحاكم إلى شريعة الله ، فالمنكر الأكبر فيها والأهم ، هو المنكر الذي تنبع منه كل المنكرات . . هو رفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة . . وهذا المنكر الكبير الأساسي الجذري هو الذي يجب أن يتجه إليه الإنكار ، قبل الدخول في المنكرات الجزئية ، التي هي تبع لهذا المنكر الأكبر ، وفـــرع عنه ، وعرض له . .

إنه لا جدوى من ضياع الجهد . . جهد الخيرين الصالحين مـــن النـــاس . . في مقاومـــة المنكرات الجزئية ، الناشئة بطبيعتها من المنكر الأول . . منكر الجرأة علـــى الله وادعـــاء خصائص الألوهية ، ورفض ألوهية الله ، برفض شريعته للحياة . . لا جدوى من ضـــياع الجهد في مقاومة منكرات هي مقتضيات ذلك المنكر الأول وثمراته النكدة بلا جدال .

على أنه إلام نحاكم الناس في أمر ما يرتكبونه من منكرات؟ بأي ميزان نزن أعمالهم لنقول لهم : إن هذا منكر فاجتنبوه؟ أنت تقول : إن هذا منكر؛ فيطلع عليك عشرة من هنا ومن هناك يقولون لك : كلا! ليس هذا منكراً . لقد كان منكراً في الزمان الخالي! والـــدنيا « تتطور » ، والمجتمع « يتقدم » وتختلف الاعتبارات!

فلا بد إذن من ميزان ثابت نرجع إليه بالأعمال ، ولا بد من قيم معترف بها نقيس إليهـــا المعروف والمنكر . فمن أين نستمد هذه القيم؟ ومن أين نأتي بهذا الميزان؟

من تقديرات الناس وعرفهم وأهوائهم وشهواتهم – وهي متقلبة لا تثبت على حال؟ إننـــا ننتهي إذن إلى متاهة لا دليل فيها ، وإلى خضم لا معالم فيه!

فلا بد ابتداء من إقامة الميزان . . ولا بد أن يكون هذا الميزان ثابتاً لا يتأرجح مع الأهواء . .

هذا الميزان الثابت هو ميزان الله . .

فماذا إذا كان المجتمع لا يعترف – ابتداء – بسلطان الله؟ ماذا إذا كـــان لا يتحـــاكم إلى شريعة الله؟ بل ماذا إذا كان يسخر ويهزأ ويستنكر وينكل بمن يدعوه إلى منهج الله؟

ألا يكون جهداً ضائعاً ، وعبثاً هازلاً ، أن تقوم في مثل هذا المجتمع لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، في جزئيات وجانبيات من شئون الحياة ، تختلف عليها المـــوازين والقـــيم ، وتتعارض فيها الآراء والأهواء؟!

إنه لا بد من الاتفاق مبدئياً على حكم ، وعلى ميزان ، وعلى سلطان ، وعلى جهة يرجع إليها المختلفون في الآراء والأهواء . .

لا بد من الأمر بالمعروف الأكبر وهو الاعتراف بسلطان الله ومنهجه للحياة . والنهي عن المنكر الأكبر وهو رفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة . . وبعد إقامة الأساس يمكن أن يقام البنيان! فلتوفر الجهود المبعثرة إذن ، ولتحشد كلها في جبهة واحدة ، لإقامة الأساس الذي عليه وحده يقام البنيان!

وإن الإنسان ليرثي أحياناً ويعجب لأناس طيبين ، ينفقون جهدهم في « الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر » في الفروع؛ بينما الأصل الذي تقوم عليه حياة المجتمع المسلم؛ ويقوم عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مقطوع!

فما غناء أن تنهى الناس عن أكل الحرام مثلاً في مجتمع يقوم اقتصاده كله علـــى الربـــا؛ فيستحيل ماله كله حراماً؛ ولا يملك فرد فيه أن يأكل من حلال .

لأن نظامه الاجتماعي والاقتصادي كله لا يقوم على شريعة الله . لأنه ابتـــداء يـــرفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة؟!

وما غناء أن تنهى الناس عن الفسق مثلاً في مجتمع قانونه لا يعتبر الزنا جريمة – إلا في حالة الإكراه – ولا يعاقب حتى في حالة الإكراه بشريعة الله . . لأنه ابتداء يرفض ألوهيـــة الله برفض شريعته للحياة؟!

وما غناء أن تنهى الناس عن السكر في مجتمع قانونه يبيح تداول وشـــرب الخمـــر ، ولا يعاقب إلا على حالة السكر البين في الطريق العام . وحتى هذه لا يعاقب فيها بحـــد الله . لأنه لا يعترف ابتداء بحاكمية الله؟!

وما غناء أن تنهى الناس عن سب الدين؛ في مجتمع لا يعترف بسلطان الله؛ ولا يعبد فيـــه الله . إنما هو يتخذ أرباباً من دونه؛ ينزلون له شريعته وقانونه؛ ونظامه وأوضاعه ، وقيمـــه وموازينه . والساب والمسبوب كلاهما ليس في دين الله . إنما هما وأهل مجتمعهما طـــراً في دين من ينزلون لهم الشرائع والقوانين؛ ويضعون لهم القيم والموازين؟!

ما غناء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مثل هذه الأحوال؟ ما غناء النهي عن هـــذه الكبائر – فضلاً عن أن يكون النهي عن الصغائر – والكبيرة الكبرى لا نهـــي عنـــها . . كبيرة الكفر بالله؛ برفض منهجه للحياة؟!

إن الأمر أكبر وأوسع وأعمق ، مما ينفق فيه هؤلاء « الطيبـــون » جهـــدهم وطاقتـــهم واهتمامهم . . إنه – في هذه المرحلة – ليس أمر تتبع الفرعيات – مهما تكن ضخمة حتى ولو كانت هي حدود الله . فحدود الله تقوم ابتداء على الاعتراف بحاكمية الله دون سواه . فإذا لم يصبح هذا الاعتراف حقيقة واقعة؛ تتمثل في اعتبار شريعة الله هي المصدر الوحيد للتشريع؛ واعتبار ربوبية الله وقوامته هي المصدر الوحيد للسلطة . . فكل جهد في الفروع ضائع؛ وكل محاولة في الفروع عبث . . والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة مـــن ســـائر المنكرات . .

والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان » .

وقد يجيء على المسلمين زمان لا يستطيعون فيه تغيير المنكر بأيديهم؛ ولا يستطيعون فيـــه تغيير المنكر بألسنتهم؛ فيبقى أضعف الإيمان؛ وهو تغييره بقلوبهم؛ وهذا ما لا يملك أحد أن يحول بينهم وبينه ، إن هم كانوا حقاً على الإسلام!

وليس هذا موقفاً سلبياً من المنكر – كما يلوح في بادئ الأمر – وتعبير الرسول – صـــلى الله عليه وسلم – بأنه تغيير دليل على أنه عمل إيجابي في طبيعته .

فإنكار المنكر بالقلب ، معناه احتفاظ هذا القلب بإيجابيته تجاه المنكر . . إنه ينكره ويكرهه ولا يستسلم له ، ولا يعتبره الوضع الشرعي الذي يخضع له ويعتـــرف بـــه . . وإنكـــار القلوب لوضع من الأوضاع قوة إيجابية لهدم هذا الوضع المنكـــر ، ولإقامـــة الوضـــع « المعروف » في أول فرصة تسنح ، وللتربص بالمنكر حتى تواتي هذه الفرصة . . وهذا كله عمل إيجابي في التغيير . . وهو على كل حال أضعف الإيمان . فلا أقل مـــن أن يحـــتفظ المسلم بأضعف الإيمان! أما الاستسلام للمنكر لأنه واقع ولأن له ضغطاً – قـــد يكـــون ساحقاً – فهو الخروج من آخر حلقة ، والتخلي حتى عن أضعف الإيمان!

هذا وإلا حقت على المجتمع اللعنة التي حقت على بني إسرائيل :

{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون! } . .

ثم يمضي السياق إلى نهاية هذا المقطع في الحديث عن بني إسرائيل ، وهو نهاية هذا الجزء . فيصف حالهم على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي حالهم في كل زمان وفي كل مكان ، فهم يتولون الذين كفروا ، ويتناصرون معهم ضد الجماعة المسلمة . وعلة ذلك - مع أنهم أهل كتاب - أنهم لم يؤمنوا بالله والنبي وأنهم لم يدخلوا في دين الله الأخير . . فهم غير مؤمنين . ولو كانوا مؤمنين ما تولوا الكافرين :

{ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء . ولكن كثيراً منهم فاسقون } . .

وهذا التقرير كما ينطبق على حال اليهود - على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينطبق على حالهم اليوم وغداً ، وفي كل حين . كذلك ينطبق على الفريق الآخر من أهل الكتاب في معظم أرجاء الأرض اليوم . . مما يدعو إلى التدبر العميق في أسرار هذا القرآن ، وفي عجائبه المدخرة للجماعة المسلمة في كل آن . .

لقد كان اليهود هم الذين يتولون المشركين؛ ويؤلبونهم على المسلمين ، { ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً } كما حكى عنهم القرآن الكريم . وقد تجلى هذا كله على أتمه في غزوة الأحزاب ، ومن قبلها ومن بعدها كذلك؛ إلى اللحظة الحاضرة . . وما قامت إسرائيل في أرض فلسطين أخيراً إلا بالولاء والتعاون مع الكافرين الجدد من الماديين الملحدين!

فأما الفريق الآخر من أهل الكتاب ، فهو يتعاون مع المادية الإلحادية كلما كان الأمر أمر المسلمين! وهم يتعاونون مع الوثنية المشركة كذلك ، كلما كانت المعركة مع المسلمين! حتى و « المسلمون » لا يمثلون الإسلام في شيء .

إلا في أنهم من ذراري قوم كانوا مسلمين! ولكنها الإحنة التي لا تهدأ على هذا الدين؛ ومن ينتمون إليه ، ولو كانوا في انتمائهم مدعين!

وصدق الله العظيم : { ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا } . .

{ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون } . .

فهذه هي الحصيلة التي قدمتها لهم أنفسهم . . إنها سخط الله عليهم . وخلودهم في العذاب . فما أبأسها من حصيلة! وما أبأسها من تقدمة تقدمها لهم أنفسهم؛ ويا لها من ثمرة مرة . ثمرة توليهم للكافرين!

فمن منا يسمع قول الله سبحانه عن القوم؟ فلا يتخذ من عند نفسه مقررات لم يأذن بها الله : في الولاء والتناصر بين أهل هذا الدين؛ وأعدائه الذين يتولون الكافرين!

وما الدافع؟ ما دافع القوم لتولي الذين كفروا؟ إنه عدم الإيمان بالله والنبي :

{ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء . ولكن كثيراً منهم فاسقون } . .

هذه هي العلة . . إنهم لم يؤمنوا بالله والنبي . . إن كثرتهم فاسقة . . إنهم يتجانسون – إذن – مع الذين كفروا في الشعور والوجهة؛ فلا جرم يتولون الذين كفروا ولا يتولون المؤمنين . .

وتبرز لنا من هذا التعقيب القرآني ثلاث حقائق بارزة :

الحقيقة الأولى : أن أهل الكتاب جميعاً – إلا القلة التي آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم – غير مؤمنين بالله . لأنهم لم يؤمنوا برسوله الأخير . ولم ينف القرآن الكريم عنهم الإيمان بالنبي وحده . بل نفى عنهم الإيمان بالله كذلك . { ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء } وهو تقرير من الله – سبحانه – لا يقبل التأويل . مهما تكن دعواهم في الإيمان بالله . . وبخاصة إذا اعتبرنا ما هم عليه من انحراف التصور للحقيقة الإلهية كما سلف في آيات هذا الدرس وفي غيرها من آيات القرآن الكريم .

والحقيقة الثانية : أن أهل الكتاب جميعاً مدعوون إلى الدخول في دين الله ، على لسان محمد – صلى الله عليه وسلم – فإن استجابوا فقد أمنوا ، وأصبحوا على دين الله . وإن تولوا فهم كما وصفهم الله .

والحقيقة الثالثة : أنه لا ولاء ولا تناصر بينهم وبين المسلمين ، في شأن من الشئون . لأن كل شأن من شئون الحياة عند المسلم خاضع لأمر الدين .

ويبقى أن الإسلام يأمر أهله بالإحسان إلى أهل الكتاب في العشرة والسلوك؛ وبحماية أرواحهم وأموالهم وأعراضهم في دار الإسلام؛ وبتركهم إلى ما هم فيه من عقائدهم كائنة ما تكون؛ وإلى دعوتهم بالحسنى إلى الإسلام ومجادلتهم بالحسنى كذلك . والوفاء لهم – ما وفوا – بعهدهم ومسالمتهم للمسلمين . . وهم – في أية حال – لا يكرهون على شيء في أمر الدين . .

هذا هو الإسلام . . في وضوحه ونصاعته . وفي بره وسماحته . .

والله يقول الحق . وهو يهدي السبيل .

في ظلال القرآن – (ج ٢ / ص ٤١٢)

{ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . . . }

إن صيغة العبارة تحتمل أن تكون خطاباً للرسول – صلى الله عليه وسلم – وأن تكون كذلك خطاباً عاما خرج مخرج العموم ، لأنه يتضمن أمراً ظاهراً مكشوفاً يجده كل إنسان . وهي صيغة لها نظائرها في الأسلوب العربي الذي نزل به القرآن الكريم . . وهي في كلتا الحالتين تفيد معناها الظاهر الذي تؤديه . .

فإذا تقرر هذا فإن الأمر الذي يلفت النظر في صياغة العبارة هو تقديم اليهود على الذين أشركوا في صدد أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؛ وأن شدة عداوتهم ظاهرة مكشوفة وأمر مقرر يراه كل من يرى ، ويجده كل من يتأمل!

نعم إن العطف بالواو في التعبير العربي يفيد الجمع بين الأمرين ولا يفيد تعقيبا ولا ترتيباً .

ولكن تقديم اليهود هنا ، حيث يقوم الظن بأنهم أقل عداوة للذين آمنوا من المشركين – بما أنهم أصلا أهل كتاب – يجعل لهذا التقديم شأناً خاصاً غير المألوف من العطف بالواو في التعبير العربي! إنه – على الأقل – يوجه النظر إلى أن كونهم أهل كتاب لم يغير من الحقيقة الواقعة ، وهي أنهم كالذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا! ونقول : إن هذا « على الأقل » . ولا ينفي هذا احتمال أن يكون المقصود هو تقديمهم في شدة العداء على الذين أشركوا . .

وحين يستأنس الإنسان في تفسير هذا التقرير الرباني بالواقع التاريخي المشهود منذ مولد الإسلام حتى اللحظة الحاضرة ، فإنه لا يتردد في تقرير أن عداء اليهود للذين آمنوا كان دائماً أشد وأقسى وأعمق إصرارا وأطول أمداً من عداء الذين أشركوا!

لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة . وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة . وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل؛ والتي لم تخبُ لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنا ، وما تزال حتى اللحظة يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعاً

لقد عقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أول مقدمه إلى المدينة ، معاهدة تعايش مع اليهود؛ ودعاهم إلى الإسلام الذي يصدق ما بين أيديهم من التوراة . . ولكنهم لم يفوا بهذا العهد - شأنهم في هذا كشأنهم مع كل عهد قطعوه مع ربهم أو مع أنبيائهم من قبل ، حتى قال الله فيهم : { ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم؟ بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون } ولقد أضمروا العداء للإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول الذي جمع الله فيه الأوس والخزرج على الإسلام ، فلم يعد لليهود في صفوفهم مدخل ولا مخرج ، ومنذ اليوم الذي تحددت فيه قيادة الأمة المسلمة وأمسك بزمامها محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تعد لليهود فرصة للتسلط!

ولقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية ، وأفادتها من قرون السبي في بابل ، والعبودية في مصر ، والذل في الدولة الرومانية .

ومع أن الإسلام قد وسعهم بعد ما ضاقت بهم الملل والنحل على مدار التاريخ ، فإنهم ردوا للإسلام جميله عليهم أقبح الكيد وألأم المكر منذ اليوم الأول .

ولقد ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية المشركة؛ وراحوا يجمعون القبائل المتفرقة لحرب الجماعة المسلمة : { ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من

الذين آمنوا سبيلا } ولما غلبهم الإسلام بقوة الحق - يوم أن كان النـــاس مســـلمين - استداروا يكيدون له بدس المفتريات في كتبه - لم يسلم من هذا الدس إلا كتاب الله الذي تكفل بحفظه سبحانه - ويكيدون له بالدس بين صفوف المسلمين ، وإثارة الفـــتن عـــن طريق استخدام حديثي العهد بالإسلام ومن ليس لهم فيه فقه مـــن مســـلمة الأقطـــار . ويكيدون له بتأليب خصومه عليه في أنحاء الأرض . . حتى انتهى بهم المطاف أن يكونـــوا في العصر الأخير هم الذين يقودون المعركة مع الإسلام في كل شبر على وجـــه الأرض؛ وهم الذين يستخدمون الصليبية والوثنية في هذه الحرب الشاملة ، وهم الـــذين يقيمـــون الأوضاع ويصنعون الأبطال الذين يتسمون بأسماء المسلمين ، ويشـــنونها حربـــاً صـــليبية صهيونية على كل جذر من جذور هذا الدين!

وصدق الله العظيم : { لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا } .

.

إن الذي ألب الأحزاب على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة؛ وجمع بين اليهود من بـــني قريظة وغيرهم؛ وبين قريش في مكة ، وبين القبائل الأخرى في الجزيرة . . يهودي . .

والذي ألب العوام ، وجمع الشراذم ، وأطلق الشائعات ، في فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه - وما تلاها من النكبات . . يهودي . .

والذي قاد حملة الوضع والكذب في أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وســـلم - وفي الروايات والسير . . يهودي . .

ثم إن الذي كان وراء إثارة النعرات القومية في دولة الخلافة الأخيرة؛ ووراء الانقلابـــات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال « الدستور » بهـــا في عهـــد الســـلطان عبدالحميد ، ثم انتهت بإلغاء الخلافة جملة على يدي « البطل » أتاتورك . . يهودي . .

وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامي في كل مكان على وجه الأرض وراءه يهود!

ثم لقد كان وراء النزعة المادية الإلحادية . . يهودي . . ووراء النزعة الحيوانيـــة الجنســـية يهودي . . ووراء معظم النظريات الهدامة لكل المقدسات والضوابط يهود!

ولقد كانت الحرب التي شنها اليهود على الإسلام أطول أمدا ، وأعرض مجالا ، من تلك التي شنها عليه المشركون والوثنيون – على ضراوتها – قديما وحديثا . . إن المعركة مع مشركي العرب لم تمتد إلى أكثر من عشرين عاما في جملتها . وكذلك كانت المعركة مع فارس في العهد الأول . وأما في العصر الحديث فإن ضراوة المعركة بين الوثنية الهندية والإسلام ضراوة ظاهرة؛ ولكنها لا تبلغ ضراوة الصهيونية العالمية .

(التي تعد الماركسية مجرد فرع لها) وليس هناك ما يماثل معركة اليهود مع الإسلام في طول الأمد وعرض المجال إلا معركة الصليبية ، التي سنتعرض لها في الفقرة التالية .

فإذا سمعنا الله – سبحانه – يقول :

{ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا } . .

ويقدم اليهود في النص على الذين أشركوا . . ثم راجعنا هذا الواقع التاريخي ، فإننا ندرك طرفاً من حكمة الله في تقديم اليهود على الذين أشركوا!

إنهم هذه الجبلة النكدة الشريرة ، التي ينغل الحقد في صدورها على الإسلام ، وعلى نبي الإسلام ، فيحذر الله نبيه وأهل دينه منها . . ولم يغلب هذه الجبلة النكدة الشريرة إلا الإسلام وأهله يوم أن كانوا أهله! . . ولن يخلص العالم من هذه الجبلة النكدة إلا الإسلام يوم يفيء أهله إليه . .

{ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم } . .

إن هذه الآيات تصور حالة ، وتقرر حكما في هذه الحالة . . تصور حالة فريق من أتباع عيسى – عليه السلام – : { الذين قالوا : إنا نصارى } . . وتقرر أنهم أقرب مودة للذين آمنوا . .

ومع أن متابعة مجموع الآيات لا تدع مجالا للشك في أنها تصور حالة معينة ، هـي التي ينطبق عليها هذا التقرير المعين ، فإن الكثيرين يخطئون فهم مدلولها ، ويجعلون منها مادة للتميع المؤذي في تقدير المسلمين لموقفهم من المعسكرات المختلفة ، وموقف هذه المعسكرات منهم . . لذلك نجد من الضروري – في ظلال القرآن – أن نتابع بالدقة تصوير هذه الآيات لهذه الحالة الخاصة التي ينطبق عليها ذلك الحكم الخاص :

إن الحالة التي تصورها هذه الآيات هي حالة فئة من الناس ، قالوا : إنا نصارى . هم أقرب مودة للذين آمنوا : { ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون } . . فمنهم من يعرفون حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم . .

ولكن السياق القرآني لا يقف عند هذا الحد ، ولا يدع الأمر مجهلا ومعمماً على كل من قالوا : إنا نصارى . . إنما هو يمضي فيصور موقف هذه الفئة التي يعنيها :

{ واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين } . .

فهذا مشهد حي يرتسم من التصوير القرآني لهذه الفئة من الناس ، الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا .

إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم ، ولانت قلوبهم ، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه . والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير – وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول ، فيفيض الدمع ، ليؤدي ما لا يؤديه القول؛ وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق العنيف .

ثم هم لا يكتفون بهذا الفيض من الدمع؛ ولا يقفون موقفا سلبيا من الحق الذي تأثروا به هذا التأثر عند سماع القرآن؛ والشعور بالحق الذي يحمله والإحساس بما له من سلطان . . إنهم لا يقفون موقف المتأثر الذي تفيض عيناه بالدمع ثم ينتهي أمره مع هذا الحق! إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفا إيجابيا صريحا . . موقف القبول لهذا الحق ، والإيمان به ، والإذعان لسلطانه ، وإعلان هذا الإيمان وهذا الإذعان في لهجة قوية عميقة صريحة :

{ يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحـــق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين؟ } . .

إنهم أولاً يعلنون لربهم إيمانهم بهذا الحق الذي عرفوه . ثم يدعونه - سبحانه - أن يضمهم إلى قائمة الشاهدين لهذا الحق؛ وأن يسلكهم في سلك الأمة القائمة عليـــه في الأرض . . الأمة المسلمة ، التي تشهد لهذا الدين بأنه الحق ، وتؤدي هذه الشهادة بلســـانها وبعملـــها وبحركتها لإقرار هذا الحق في حياة البشر . . فهؤلاء الشاهدون الجدد ينضمون إلى هـــذه الأمة المسلمة؛ ويشهدون ربهم على إيمانهم بالحق الذي تتبعه هـــذه الأمـــة؛ ويدعونـــه - سبحانه - أن يكتبهم في سجلها . .

ثم هم بعد ذلك يستنكرون على أنفسهم أن يعوقهم معوق عن الإيمان بالله؛ أو أن يسمعوا هذا الحق ثم لايؤمنوا به ، ولا يأملوا - بهذا الإيمان - أن يقبلهم ربهم ، ويرفـــع مقـــامهم عنده ، فيدخلهم مع القوم الصالحين :

{ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصـــالحين؟ } . .

فهو موقف صريح قاطع تجاه ما أنزل الله إلى رسوله من الحق . . موقف الاستماع والمعرفة ، ثم التأثر الغامر والإيمان الجاهر ، ثم الإسلام والانضمام إلى الأمة المسلمة ، مع دعـــاء الله - سبحانه - أن يجعلهم من الشاهدين لهذا الحق؛ الذين يؤدون شهادتهم سلوكاً وعمـــلاً وجهاداً لإقراره في الأرض ، والتمكين له في حياة الناس . ثم وضوح الطريق في تقديرهم وتوحده؛ بحيث لا يعودون يرون أنه يجوز لهم أن يمضوا إلا في طريق واحد : هو طريـــق الإيمان بالله ، وبالحق الذي أنزله على رسوله ، والأمل - بعد ذلك - في القبـــول عنـــده والرضوان .

ولا يقف السياق القرآني هنا عند بيان من هم الذين يعنيهم بأنهم أقرب مودة للذين آمنوا من الذين قالوا : إنا نصارى؛ وعند بيان سلوكهم في مواجهة ما أنزل الله الى الرســـول - صلى الله عليه وسلم - من الحق؛ وفي اتخاذ موقف إيجابي صـــريح ، بالإيمـــان المعلـــن ، والانضمام إلى الصف المسلم؛ والاستعداد لأداء الشهادة بالنفس والجهد والمال؛ والـــدعاء

إلى الله أن يقبلهم في الصف الشاهد لهذا الحق على هذا النحو؛ مع الطمع في أن يختم لهـــم بالانضمام إلى موكب الصالحين .

لا يقف السياق القرآني عند هذا الحد في بيان أمر هؤلاء الذين يقرر أنهم أقرب مودة للذين آمنوا . بل يتابع خطاه لتكملة الصورة ، ورسم المصير الذي انتهوا إليه فعلاً :

{ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك جزاء المحسنين } . .

لقد علم الله صدق قلوبهم وألسنتهم؛ وصدق عزيمتهم على المضي في الطريـــق؛ وصـــدق تصميمهم على أداء الشهادة لهذا الدين الجديد الذي دخلوا فيه؛ ولهذا الصف المسلم الذي اختاروه ، واعتبارهم أن أداء هذه الشهادة - بكل تكاليفها في النفس والمال - منة يمن الله بها على من يشاء من عباده؛ واعتبارهم كذلك أنه لم يعد لهم طريق يســـلكونه إلا هـــذا الطريق الذي أعلنوا المضي فيه؛ ورجاءهم في ربهم أن يدخلهم مع القوم الصالحين . .

لقد علم الله منهم هذا كله؛ فقبل منهم قولهم ، وكتب لهم الجنة جزاء لهم؛ وشهد لهم - سبحانه - بأنهم محسنون ، وأنه يجزيهم جزاء المحسنين :

{ فأثابهم الله - بما قالوا - جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . . وذلك جـــزاء المحسنين . . } .

والإحسان أعلى درجات الإيمان والإسلام . . والله - جل جلاله - قد شهد لهذا الفريق من الناس أنه من المحسنين .

هو فريق خاص محدد الملامح هذا الذي يقول عنه القرآن الكريم :

{ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى } . .

هو فريق لا يستكبر عن الحق حين يسمعه ، بل يستجيب له تلك الاســـتجابة العميقـــة الجاهرة الصريحة . وهو فريق لا يتردد في إعلان استجابته للإسلام ، والانضمام للصـــف المسلم؛ والانضمام إليه بصفة خاصة في تكاليف هذه العقيدة؛ وهـــي أداء الشـــهادة لهـــا بالاستقامة عليها والجهاد لإقرارها وتمكينها . وهو فريق علم الله منه صدق قوله فقبلـــه في صفوف المحسنين . .

ولكن السياق القرآني لا يقف عند هذا الحد في تحديد ملامح هذا الفريق المقصـود مـن الناس الذين تجدهم أقرب مودة للذين آمنوا . بل إنه ليمضي فيميزه من الفريق الآخر من الذين قالوا : إنا نصارى . ممن يسمعون هذا الحق فيكفرون به ويكذبون ، ولايستجيبون له ، ولا ينضمون إلى صفوف الشاهدين :

{ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم } . .

والمقصود قطعاً بالذين كفروا وكذبوا في هذا الموضع هم الذين يسمعون - من الذين قالوا إنا نصارى - ثم لا يستجيبون .

والقرآن يسميهم الكافرين كلما كانوا في مثل هذا الموقف . سـواء في ذلـك اليهـود والنصارى؛ ويضمهم إلى موكب الكفار مع المشركين سواء؛ ما داموا في موقف التكذيب لما أنزل الله على رسوله من الحق؛ وفي موقف الامتناع عن الدخول في الإسلام الـذي لا يقبل الله من الناس ديناً سواه . . نجد هذا في مثل قول الله سبحانه :

{ لم يكن الذين كفروا - من أهل الكتاب والمشركين - منفكين حتى تأتيهم البينة } { إن الذين كفروا من - أهل الكتاب والمشركين - في نار جهنم خالدين فيها أولئك هـم شر البرية } { لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة } { لقد كفر الذين قـالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم } { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسـى ابن مريم } فهو تعبير مألوف في القرآن ، وحكم معهود . . وهو يأتي هنا للتفرقـة بـين فريقين من الذين قالوا : إنا نصارى؛ وللتفرقة بين موقف كل فريق منهما تجـاه الـذين آمنوا؛ وللتفرقة كذلك بين مصير هؤلاء وأولئك عند الله . . هؤلاء لهم جنات تجري مـن تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين . وأولئك أصحاب الجحيم . .

وليس كل من قالوا : إنهم نصارى إذن داخلين في ذلك الحكم : { ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا } . . كما يحاول أن يقول من يقتطعون آيات القرآن دون تمامها . . إنما هذا الحكم مقصور على حالة معينة لم يدع السياق القرآني أمرها غامضاً ، ولا ملامحها مجهلة ، ولا موقفها متلبساً بموقف سواها في كثير ولا قليل . .

ولقد وردت روايات لها قيمتها في تحديد من هم النصارى المعنيون بهذا النص :

أورد القرطبي في تفسيره : « وهذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه ، لما قـدم علـيهم المسلمون في الهجرة الأولى – حسب ما هو مشهور في سيرة ابن اسحاق وغيره – خوفـاً من المشركين وفتنتهم؛ وكانوا ذوي عدد . ثم هاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول إليه ، حالت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب . فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار ، قـال كفـار قريش : إن ثأركم بأرض الحبشة . فأهدوا إلى النجاشي وابعثوا له بـرجلين مـن ذوي رأيكم يعطيكم من عنده ، فتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر . فبعث كفار قريش عمرو بـن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة بهدايا . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشـي؛ فقدم على النجاشي ، فقرأ كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم دعا جعفر بـن أبي طالب والمهاجرين ، وأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم . ثم أمر جعفر أن يقـرأ عليهم القرآن ، فقرأ سورة » مريم « فقاموا تفيض أعينهم من الدمع .

فهم الذين أنزل الله فيهم : { ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصـارى } وقرأ إلى { الشاهدين } (رواه أبو داود . قال : حدثنا محمد بن مسلمة المرادي ، قال : حدثنا ابن وهب . قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب ، عن أبي بكر عبدالرحمن بـن الحرث بن هشام . وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير : أن الهجرة الأولى هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة . وساق الحديث بطوله .

« وذكر البيهقي عن ابن إسحاق قال : قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – عشرون رجلاً وهو بمكة ، أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره ، مـن الحبشـة ، فوجدوه في المسجد ، فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة . فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عما أرادوا ، دعاهم رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعـوه فاضـت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قـريش فقـالوا : خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل

، فلم تطل مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلـــم ركبـــاً أحمق منكم - أو كما قال لهم - فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكـــم أعمالكم ، لا نألو أنفسنا خيراً . . فيقال : إن النفر النصارى من أهل نجران . ويقال : إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات : { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون } إلى قوله : { لا نبتغي الجاهلين } » وقيل : إن جعفراً وأصحابه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف ، فيهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية مـــن أهـــل الشام وهم بحيراء الراهب وإدريس وأشرف وأبرهة وثمامة وقثم ودريد وأيمن . فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « يس » إلى آخرها ، فبكوا حين سمعـــوا القـــرآن وآمنوا به ، وقالوا : ما أشبه هذا بما كان يترل على عيسى . فترلت فيهم { لتجدن أشـــد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى } . . يعني وفد النجاشي . وكانوا أصحاب الصوامع . وقال سعيد بن جبير : وأنزل الله فيهم أيضاً { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون } إلى قوله { أولئك يؤتون أجرهم مرتين } إلى آخر الآية . وقال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلاً من أهل نجران من بني الحرث بن كعب ، واثنين وثلاثين من الحبشة ، وثمانية وستين من أهل الشام . وقال قتادة : نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم آمنوا به فأثنى الله عليهم « .

وهذا الذي نقرره في معنى هذا النص؛ والذي يدل عليه السياق بذاتـــه ، وتؤيـــده هـــذه الروايات التي أسلفنا ، هو الذي يتفق مع بقية التقريرات في هذه السورة وفي غيرها عـــن موقف أهل الكتاب عامة - اليهود والنصارى - من هذا الدين وأهله . كما أنه هو الذي يتفق مع الواقع التاريخي الذي عرفته الأمة المسلمة خلال أربعة عشر قرناً .

إن السورة وحدة في اتجاهها وظلالها وجوها وأهدافها؛ وكلام الله سبحانه لا يناقض بعضه بعضاً . { ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً } وقـــد وردت في هـــذه السورة نفسها نصوص وتقريرات ، تحدد معنى هذا النص الذي نواجهه هنا وتجلـــوه . . نذكر منها :

{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين } { قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوارة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم . وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، فلا تأس على القوم الكافرين } كذلك جاء في سورة البقرة : { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل : إن هدى الله هو الهدى؛ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير } كذلك صدّق الواقع التاريخي ما حذر الله الأمة المسلمة إياه؛ من اليهود ومن النصارى سواء . وإذا كان الواقع التاريخي قد حفظ لليهود وقفتهم النكدة للإسلام منذ اليوم الأول الذي دخل فيه الإسلام عليهم المدينة؛ في صورة كيد لم ينته ولم يكف حتى اللحظة الحاضرة؛ وإذا كان اليهود لا يزالون يقودون الحملة ضد الإسلام في كل أرجاء الأرض اليوم في حقد خبيث وكيد لئيم . . فإن هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الإسلام موقف العداء منذ واقعة اليرموك بين جيش المسلمين وجيوش الروم – فيما عدا الحالات التي وقع فيها ما تصفه الآيات التي نحن بصددها فاستجابت قلوب للإسلام ودخلت فيه . وفيما عدا حالات أخرى آثرت فيها طوائف من النصارى أن تحتمي بعدل الإسلام من ظلم طوائف أخرى من النصارى كذلك؛ يلاقون من ظلمها الوبال! – أما التيار العام الذي يمثل موقف النصارى جملة فهو تلك الحروب الصليبية التي لم يخب أوارها قط – إلا في الظاهر – منذ التقى الإسلام والرومان على ضفاف اليرموك!

لقد تجلت أحقاد الصليبية على الإسلام وأهله في الحروب الصليبية المشهورة طوال قرنين من الزمان ، كما تجلت في حروب الإبادة التي شنتها الصليبية على الإسلام والمسلمين في الأندلس ، ثم في حملات الاستعمار والتبشير على المماليك الإسلامية في إفريقية أولاً ، ثم في العالم كله أخيراً .

ولقد ظلت الصهيونية العالمية والصليبة العالمية حليفتين في حرب الإسلام – على كل ما بينهما من أحقاد – ولكنهم كانوا في حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخبير : { بعضهم أولياء بعض } حتى مزقوا دولة الخلافة الأخيرة . ثم مضوا في طريقهم ينقضون

هذا الدين عروة عروة . وبعد أن أجهزوا على عروة « الحكم » ها هم أولاء يحاولون الإجهاز على عروة « الصلاة »!

ثم ها هم أولاء يعيدون موقف اليهود القديم مع المسلمين والوثنيين . فيؤيدون الوثنية حيثما وجدت ضد الإسلام . عن طريق المساعدات المباشرة تارة ، وعن طريق المؤسسات الدولية التي يشرفون عليها تارة أخرى! وليس الصراع بين الهند وباكستان على كشمير وموقف الصليبية منها ببعيد .

وذلك فوق إقامة واحتضان وكفالة الأوضاع التي تتولى سحق حركات الإحياء والبعث الإسلامية في كل مكان على وجه الأرض . وإلباس القائمين بهذه الأوضاع أثواب البطولة الزائفة ودق الطبول من حولهم ، ليستطيعوا الإجهاز على الإسلام ، في زحمة الضجيج العالمي حول الأقزام الذين يلبسون أردية الأبطال!

هذا موجز سريع لما سجله الواقع التاريخي طوال أربعة عشر قرناً؛ من مواقف اليهودية والصليبية تجاه الإسلام؛ لا فرق بين هذه وتلك؛ ولا افتراق بين هذا المعسكر وذاك في الكيد للإسلام ، والحقد عليه ، والحرب الدائبة التي لا تفتر على امتداد الزمان .

وهذا ما ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغداً؛ فلا ينساقوا وراء حركات التمييع الخادعة أو المخدوعة؛ التي تنظر إلى أوائل مثل هذا النص القرآني - دون متابعة لبقيته؛ ودون متابعة لسياق السورة كله ، ودون متابعة لتقريرات القرآن عامة ، ودون متابعة للواقع التاريخي الذي يصدق هذا كله - ثم تتخذ من ذلك وسيلة لتخدير مشاعر المسلمين تجاه المعسكرات التي تضمر لهم الحقد وتبيت لهم الكيد؛ الأمر الذي تبذل فيه هذه المعسكرات جهدها ، وهي بصدد الضربة الأخيرة الموجهة إلى جذور العقيدة .

إن هذه المعسكرات لا تخشى شيئاً أكثر مما تخشى الوعي في قلوب العصبة المؤمنة - مهما قل عددها وعدتها - فالذين ينيمون هذا الوعي هم أعدى أعداء هذه العقيدة . وقد يكون بعضهم من الفرائس المخدوعة؛ ولكن ضررهم لا يقل - حينئذ - عن ضرر أعدى الأعداء ، بل إنه ليكون أشد أذى وضراً . (الظلال)

****

وحرم علينا ربنا سبحانه وتعالى طاعتهم والاستماع لأراجيفهم :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) [آل عمران/١٠٠] }

لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشيء في الأرض طريقها على منهج الله وحده ، متميزة متفردة ظاهرة . لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله؛ لتؤدي في حياة البشر دوراً خاصاً لا ينهض به سواها . لقد وجدت لإقرار منهج الله في الأرض ، وتحقيقه في صورة عملية ، ذات معالم منظورة ، تترجم فيها النصوص إلى حركات وأعمال ، ومشاعر وأخلاق ، وأوضاع وارتباطات .

وهي لا تحقق غاية وجودها ، ولا تستقيم على طريقها ، ولا تنشيء في الأرض هذه الصورة الوضيئة الفريدة من الحياة الواقعية الخاصة المتميزة ، إلا إذا تلقت من الله وحده ، وإلا إذا تولت قيادة البشرية بما تتلقاه من الله وحده . قيادة البشرية . . لا التلقي من أحد من البشر ، ولا اتباع أحد من البشر ، ولا طاعة أحد من البشر . . إما هذا وإما الكفر والضلال والانحراف . .

هذا ما يؤكده القرآن ويكرره في شتى المناسبات . وهذا ما يقيم عليه مشاعر الجماعة المسلمة وأفكارها وأخلاقها كلما سنحت الفرصة . . وهنا موضع من هذه المواضع ، مناسبته هي المناظرة مع أهل الكتاب ، ومواجهة كيدهم وتآمرهم على الجماعة المسلمة في المدينة . . ولكنه ليس محدوداً بحدود هذه المناسبة ، فهو التوجيه الدائم لهذه الأمة ، في كل جيل من أجيالها ، لأنه هو قاعدة حياتها ، بل قاعدة وجودها .

لقد وجدت هذه الأمة لقيادة البشرية . فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدلها ولتصلها بالله ، ولتقودها بمنهج الله؟ وحين تتخلى عن مهمة القيادة فما وجودها إذن ، وليس لوجودها – في هذه الحال – من غاية؟!

لقد وجدت للقيادة : قيادة التصور الصحيح . والاعتقاد الصحيح . والشعور الصحيح . والخلق الصحيح . والنظام الصحيح . والتنظيم الصحيح . . وفي ظل هذه الأوضاع

الصحيحة يمكن أن تنمو العقول ، وأن تتفتح ، وأن تتعرف إلى هذا الكون ، وأن تعـــرف أسراره ، وأن تسخر قواه وطاقاته ومدخراته .

ولكن القيادة الأساسية التي تسمح بهذا كله ، وتسيطر على هذا كله وتوجهه لخير البشـــر لا لتهديدهم بالخراب والدمار ، ولا لتسخيره في المآرب والشهوات . . ينبغي أن تكـــون للإيمان ، وأن تقوم عليها الجماعة المسلمة ، مهتدية فيها بتوجيه الله . لا بتوجيه أحد مـــن عبيد الله .

وهنا في هذا الدرس يحذر الأمة المسلمة من اتباع غيرها ، ويبين لها كذلك طريقها لإنشاء الأوضاع الصحيحة وصيانتها . ويبدأ بتحذيرها من اتباع أهل الكتاب ، وإلا فسيقودونها إلى الكفر لا مناص .

{ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم } . .

إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم ، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم ، تحمل ابتداء معـــنى الهزيمة الداخلية ، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المســـلمة . كمـــا تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صـــعداً في طريـــق النماء والارتقاء . وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس ، وهي لا تشعر به ولا ترى خطـــره القريب .

هذا من جانب المسلمين . فأما من الجانب الآخر ، فأهل الكتاب لا يحرصون على شـــيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها . فهذه العقيدة هي صخرة النجـــاة؛ وخـــط الدفاع ، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة . وأعداؤه يعرفون هذا جيداً . يعرفونه قديماً ويعرفونه حديثاً ، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم مـــن مكر وحيلة ، ومن قوة كذلك وعُدة . وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظـــاهرين يدسون لها ماكرين . وحين يعييهم أن يحاربوها بأنفسهم وحده ، يجندون مـــن المنـــافقين المتظاهرين بالإسلام ، أو ممن ينتسبون – زوراً – للإسلام ، جنوداً مجندة ، لتنخر لهـــم في

جسم هذه العقيدة من داخل الدار ، ولتصد الناس عنها ، ولتزين لهم مناهج غير منهجها ، وأوضاعاً غير أوضاعها ، وقيادة غير قيادتها . .

فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طواعية واستماعاً واتباعاً ، فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم ، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال .

ومن ثم هذا التحذير الحاسم المخيف :

{ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين } . .

وما كان يفزع المسلم - حينذاك - ما يفزعه أن يرى نفسه منتكساً إلى الكفر بعد الإيمان . وراجعاً إلى النار بعد نجاته منها إلى الجنة . وهذا شأن المسلم الحق في كل زمان ومن ثم يكون هذا التحذير بهذه الصورة سوطاً يلهب الضمير ، ويوقظه بشدة لصوت النذير . .

ومع هذا فإن السياق يتابع التحذير والتذكير . . فيا له من منكر أن يكفر الذين آمنوا بعد إيمانهم ، وآيات الله تتلى عليهم ، ورسوله فيهم .

ودواعي الإيمان حاضرة ، والدعوة إلى الإيمان قائمة ، ومفرق الطريق بين الكفر والإيمان مسلط عليه هذا النور :

{ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟ }

أجل . إنها لكبيرة أن يكفر المؤمن في ظل هذه الظروف المعينة على الإيمان . . وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استوفى أجله ، واختار الرفيق الأعلى ، فإن آيات الله باقية ، وهدى رسوله - صلى الله عليه وسلم - باق . . ونحن اليوم مخاطبون بهذا القرآن كما خوطب به الأولون ، وطريق العصمة بين ، ولواء العصمة مرفوع :

{ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم } . .

أجل . إنه الاعتصام بالله يعصم . والله سبحانه باق . وهو - سبحانه - الحي القيوم .

ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتشدد مع أصحابه - رضوان الله عليهم - في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج ، بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شؤون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة ، كشؤون الزرع ، وخطط القتال ، وأمثالها

من المسائل العملية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي ، ولا بالنظام الاجتماعي ، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان . . وفرق بين هذا وذلك بـــين . فمنـــهج الحياة شيء ، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر . والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله ، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مـــادي في نطاق منهجه للحياة . .

قال الإمام أحمد : « حدثنا عبد الرازق ، أنبأنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت . قال : » جاء عمر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله . إني أمرت بأخ يهودي من بني قريظة ، فكتب لي جوامع من التـــوراة . ألا أعرضـــها عليك؟ قال : فتغير وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال عبد الله بـــن ثابـــت : قلت له : ألا ترى ما وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ فقال عمر : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولاً . قال : فسري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال : والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى – عليه السلام – ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم . إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين « .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا حماد عن الشعبي عن جابر . قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – » لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء . فإنهم لن يهدوكم وقـــد ضـــلوا . وإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، وإما أن تكذبوا بحق . وإنه والله لو كان موسى حياً بـــين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني . . « وفي بعض الأحاديث : » لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي « .

هؤلاء هم أهل الكتاب . وهذا هو هدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في التلقـــي عنهم في أي أمر يختص بالعقيدة والتصور ، أو بالشريعة والمنهج . . ولا ضير – وفق روح الإسلام وتوجيهه – من الانتفاع بجهود البشر كلهم في غير هذا من العلوم البحتة ، علماً وتطبيقاً . . مع ربطها بالمنهج الإيماني : من ناحية الشعور بها ، وكونها مـــن تســـخير الله للإنسان . ومن ناحية توجيهها والانتفاع بها في خير البشرية ، وتوفير الأمن لها والرخاء . وشكر الله على نعمة المعرفة ونعمة تسخير القوى والطاقات الكونية . شكره بالعبـــادة . وشكره بتوجيه هذه المعرفة وهذا التسخير لخير البشرية . .

فأما التلقي عنهم في التصور الإيماني ، وفي تفسير الوجود ، وغاية الوجود الإنساني . وفي منهج الحياة وأنظمتها وشرائعها ، وفي منهج الأخلاق والسلوك أيضاً . . أما التلقي في شيء من هذا كله ، فهو الذي تغير وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأيسر شيء منه . وهو الذي حذر الله الأمة المسلمة عاقبته . وهي الكفر الصراح . .

هذا هو توجيه الله – سبحانه – وهذا هو هدى رسوله – صلى الله عليه وسلم – فأما نحن الذين نزعم أننا مسلمون ، فأرانا نتلقى في صميم فهمنا لقرآننا وحديث نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن المستشرقين وتلامذة المستشرقين! وأرانا نتلقى فلسفتنا وتصوراتنا للوجود والحياة من هؤلاء وهؤلاء ، ومن الفلاسفة والمفكرين : الإغريق والرومان والأوروبيين والأمريكان! وأرانا نتلقى نظام حياتنا وشرائعنا وقوانيننا من تلك المصادر المدخولة! وأرانا نتلقى قواعد سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الآسن ، الذي انتهت إليه الحضارة المادية المجردة من روح الدين . . أي دين . . ثم نزعم – والله – أننا مسلمون! وهو زعم إثمه أثقل من إثم الكفر الصريح . فنحن بهذا نشهد على الإسلام بالفشل والمسخ . حيث لا يشهد عليه هذه الشهادة الآثمة من لا يزعمون – مثلنا – أنهم مسلمون!

إن الإسلام منهج . وهو منهج ذو خصائص متميزة : من ناحية التصور الاعتقادي ، ومن ناحية الشريعة المنظمة لارتباطات الحياة كلها . ومن ناحية القواعد الأخلاقية ، التي تقوم عليها هذه الارتباطات ، ولا تفارقها ، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . وهو منهج جاء لقيادة البشرية كلها . فلا بد أن تكون هناك جماعة من الناس تحمل هذا المنهج لتقود به البشرية . ومما يتناقض مع طبيعة القيادة – كما أسلفنا – أن تتلقى هذه الجماعة التوجيهات من غير منهجها الذاتي . .

ولخير البشرية جاء هذا المنهج يوم جاء . ولخير البشرية يدعو الدعاة لتحكيم هذا المنهج اليوم وغداً . بل الأمر اليوم ألزم ، والبشرية بمجموعها تعاني من النظم والمناهج التي انتهت إليها ما تعاني . وليس هناك منقذ إلا هذا المنهج الإلهي ، الذي يجب أن يحتفظ بكل خصائصه كي يؤدي دوره للبشرية وينقذها مرة أخرى .

لقد أحرزت البشرية انتصارات شتى في جهادها لتسخير القوى الكونية . وحققت في عالم الصناعة والطب ما يشبه الخوارق – بالنسبة للماضي – وما تزال في طريقها إلى انتصارات جديدة . . ولكن ما أثر هذا كله في حياتها؟ ما أثره في حياتها النفسية؟ هل وجدت السعادة؟ هل وجدت الطمأنينة؟ هل وجدت السلام؟ كلا! لقد وجدت الشقاء والقلق والخوف . . والأمراض العصبية والنفسية ، والشذوذ والجريمة على أوسع نطاق! . . إنها لم تتقدم كذلك في تصور غاية الوجود الإنساني وأهداف الحياة الإنسانية . . وحين تقاس غاية الوجود الإنساني وأهداف الحياة الإنسانية في ذهن الرجل المتحضر المعاصر ، إلى التصور الإسلامي في هذا الجانب ، تبدو هذه الحضارة في غاية القزامة! بل تبدو لعنة تحط من تصور الإنسان لنفسه ومقامه في هذا الوجود وتسفل به ، وتصغر من اهتماماته ومن أشواقه! . . والخواء يأكل قلب البشرية المكدود ، والحيرة تهد روحها المتعبة . . إنها لا تجد الله . . لقد أبعدتها عنه ملابسات نكدة . والعلم الذي كان من شأنه ، لو سار تحت منهج الله ، أن يجعل من كل انتصار للبشرية في ميدانه خطوة تقربها من الله ، هو ذاته الذي تبعد به البشرية أشواطا بسبب انطماس روحها ونكستها . . إنها لا تجد النور الذي يكشف لها غاية وجودها الحقيقية فتنطلق إليها مستعينة بهذا العلم الذي منحه الله لها ووهبها الاستعداد له . ولا تجد المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون ، وفطرتها وفطرة الكون ، وقانونها وناموس الكون . ولا تجد النظام الذي ينسق بين طاقاتها وقواها ، وآخرتها ودنياها ، وأفرادها وجماعاتها ، وواجباتها وحقوقها . . تنسيقاً طبيعياً شاملاً مريحاً . .

وهذه البشرية هي التي يعمل ناس منها على حرمانها من منهج الله الهادي . وهم الذين يسمون التطلع إلى هذا المنهج « رجعية! » ويحسبونه مجرد حنين إلى فترة ذاهبة من فترات التاريخ . . وهم بجهالتهم هذه أو بسوء نيتهم يحرمون البشرية التطلع إلى المنهج الوحيد الذي يمكن أن يقود خطاها إلى السلام والطمأنينة ، كما يقود خطاها إلى النمو والرقي . . ونحن الذين نؤمن بهذا المنهج نعرف إلى ماذا ندعو . إننا نرى واقع البشرية النكد ، ونشم رائحة المستنقع الآسن الذي تتمرغ فيه . ونرى . نرى هنالك على الأفق الصاعد راية النجاة تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق والمرتقى الوضيء النظيف يلوح

للغارقين في المستنقع؛ ونرى أن قيادة البشرية إن لم ترد إلى هذا المنهج فهي في طريقها إلى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان ، ولكل معنى من معاني الإنسان!

وأولى الخطوات في الطريق أن يتميز هذا المنهج ويتفرد ، ولا يتلقى أصحابه التوجيه من الجاهلية الطامة من حولهم . . كيما يظل المنهج نظيفاً سليماً . إلى أن يأذن الله بقيادته للبشرية مرة أخرى . والله أرحم بعباده أن يدعهم لأعداء البشر ، الداعين إلى الجاهلية من هنا ومن هناك! .

وهذا ما أراد الله سبحانه أن يلقنه للجماعة المسلمة الأولى في كتابه الكريم؛ وما حرص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يعلمها إياه في تعليمه القويم . . (الظلال)

****

وحرم سبحانه وتعالى توليهم :

قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) المتحنة}

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) المتحنة}

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) [المائدة/٥١] }

إن العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني إنساني . رباني بمعنى أنه يستمد كل مقوماته من توجيه الله وحكمه ، ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله . وإنساني بمعنى أنه يشمل الجنس الإنساني كله في رحاب العقيدة وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب . وسائر ما يميز إنساناً عن إنسان ، عدا عقيدة الإيمان . وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان الكريم على الله ، المتضمن كيانه نفحة من روح الله .

ودون إقامة هذا العالم تقف عقبات كثيرة كانت في البيئة العربية وما تزال في العالم كله إلى اليوم عقبات من التعصب للبيت ، والتعصب للعشيرة ، والتعصب للقوم ، والتعصب للجنس ، والتعصب للأرض . كما تقف عقبات من رغائب النفوس وأهواء القلوب ، من الحرص والشح وحب الخير للذات ، ومن الكبرياء الذاتية والالتواءات النفسية . . وألوان غيرها كثيرمن ذوات الصدور!

وكان على الإسلام أن يعالج هذا كله في الجماعة التي يعدها لتحقيق منهج الله في الأرض في صورة عملية واقعة . وكانت هذه الصورة حلقة في سلسلة هذا العلاج الطويل .

وكان بعض المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم في سبيل عقيدهم ، ما تزال نفوسهم مشدودة إلى بعض من خلفوا هنالك من ذرية وأزواج وذوي قربى . وعلى الرغم من كل ما ذاقوا من العنت والأذى في قريش فقد ظلت بعض النفوس تود لو وقعت بينهم وبين أهل مكة المحاسنة والمودة؛ وأن لو انتهت هذه الخصومة القاسية التي تكلفهم قتال أهليهم وذوي قرابتهم ، وتقطع ما بينهم وبينهم من صلات!

وكان الله يريد استصفاء هذه النفوس واستخلاصها من كل هذه الوشائج ، وتجريدها لدينه وعقيدته ومنهجه . وهو سبحانه يعلم ثقل الضغط الواقع عليها من الميول الطبيعية ورواسب الجاهلية جميعاً وكان العرب بطبيعتهم أشد الناس احتفالاً بعصبية القبيلة والعشيرة والبيت فكان يأخذهم يوماً بعد يوم بعلاجه الناجع البالغ ، بالأحداث وبالتعقيب على الأحداث ، ليكون العلاج على مسرح الحوادث وليكون الطرق والحديد ساخن!

وتذكر الروايات حادثاً معيناً نزل فيه صدر هذه السورة . وقد تكون هـذه الروايـات صحيحة في سبب النزول المباشر . ولكن مدى النصوص القرآنية دائماً أبعد من الحوادث المباشرة .

وقد قيل في هذا الحادث : إن حاطب بن أبي بلتعة كان رجلاً من المهاجرين . وكان مـن أهل بدر أيضاً . وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفـاً لعثمان .

فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها عهد الحديبية أمـر المسلمين بالتجهيز لغزوهم ، وقال : « اللهم عَمِّ عليهم خبرنا » . وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه بوجهته ، كان منهم حاطب . فعمد حاطب فكتـب كتاباً وبعثه مع امرأة مشركة قيل من مزينة جاءت المدينة تسترفد إلى أهل مكة يعلمهـم بعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوهم ، ليتخذ بذلك عندهم يداً . فأطلع الله تعالى رسوله على ذلك استجابة لدعائه . وإمضاء لقدره في فتح مكة . فبعث في أثر المرأة ، فأخذ الكتاب منها .

وقد روى البخاري في المغازي ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث حصين بـن عبـد الرحمن ، عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي رضي الله عنه قال : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقـال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بـن أبي بلعتة إلى المشركين » . فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقلنا : الكتاب؟ فقالت ما معي كتاب . فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً . فقلنا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلمـا رأت الجد أهوت إلى حجزتها ، وهي متحجزة بكساء ، فأخرجته . فانطلقنا به إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : يا رسول الله . قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فـدعني فلأضربن عنقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما حملك على ما صنعت؟ » قـال حاطب : والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليـه وسـلم أردت أن تكون لي عند القوم يد . يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا لـه

هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال : « صدق لا تقولوا إلا خـــيراً » فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه . فقال : « أليس من أهل بدر؟ فقال : لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم » فدمعت عينا عمر ، وقـــال : الله ورســـوله أعلـــم « . وزاد البخاري في كتاب المغازي : فأنزل الله السورة : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } وفي رواية أخرى أن الذين أرسلوا كانوا هم علـــي والزبير والمقداد .

والوقوف قليلاً أمام هذا الحادث وما دار بشأنه لا يخرج بنا عن « ظلال القرآن » والتربية به وبالأحداث والتوجيهات والتعقيبات عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائـــد المربي العظيم . .

واول ما يقف الإنسان أمامه هو فعلة حاطب ، وهو المسلم المهاجر ، وهو أحـــد الـــذين أطلعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على سر الحملة . . وفيها مـــا يكشـــف عـــن منحنيات النفس البشرية العجيبة ، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهمـــا بلغ من كمالها وقوتها؛ وأن لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات فهو الذي يعين عليها .

ثم يقف الإنسان مرة أخرى أمام عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يعجل حـــتى يسأل : « ما حملك على ما صنعت » في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئـــة في نفس صاحبه ، وإدراك ملهم بأن الرجل قد صدق ، ومن ثم يكف الصحابة عنـــه : « صدق لا تقولوا إلا خيراً » . ليعينه وينهضه من عثرته ، فلا يطارده بها ولا يـــدع أحـــداً يطارده . بينما نجد الإيمان الجاد الحاسم الجازم في شدة عمر : « إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فدعني فلأضرب عنقه » . . فعمر رضي الله عنه إنما ينظر إلى العثرة ذاتها فيثور لها حسه الحاسم وإيمانه الجازم . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها ، ومن كل جوانبها ، مـــع العطـــف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية . في موقف المربي الكريم العطوف المتأني الناظر إلى جميع الملابسات والظروف . .

ثم يقف الإنسان أمام كلمات حاطب ، وهو في لحظة ضعفه ، ولكن تصوره لقدر الله وللأسباب الأرضية هو التصور الإيماني الصحيح . . ذلك حين يقول : « أردت أن تكون لي عند القوم يد . . يدفع الله بها عن أهلي ومالي » . . فالله هو الذي يدفع ، وهذه اليد لا تدفع بنفسها ، إنما يدفع الله بها . ويؤكد هذا التصور في بقية حديثه وهو يقول : « وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع . . الله . . به عن أهله وماله » فهو الله حاضر في تصوره ، وهو الذي يدفع لا العشيرة . إنما العشيرة أداة يدفع الله بها . . ولعل حس رسول الله الملهم قد راعى هذا التصور الصحيح الحي في قول الرجل ، فكان هذا من أسباب قوله صلى الله عليه وسلم – : « صدق . لا تقولوا إلا خيراً » .

وأخيراً يقف الإنسان أمام تقدير الله في الحادث؛ وهو أن يكون حاطب من القلة التي يعهد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسر الحملة .

وأن تدركه لحظة الضعف البشري وهو من القلة المختارة . ثم يجري قدر الله بكف ضرر هذه اللحظة عن المسلمين . كأنما القصد هو كشفها فقط وعلاجها! ثم لا يكون من الآخرين الذين لم يعهد إليهم بالسر اعتراض على ما وقع ، ولا تنفج بالقول : ها هو ذا أحد من استودعوا السر خانوه ، ولو أودعناه نحن ما بحنا به! فلم يرد من هذا شيء . مما يدل على أدب المسلمين مع قيادتهم ، وتواضعهم في الظن بأنفسهم ، واعتبارهم بما حدث لأخيهم . .

والحادث متواتر الرواية . أما نزول هذه الآيات فيه فهو أحد روايات البخاري . ولا نستبعد صحة هذه الرواية؛ ولكن مضمون النص القرآني كما قلنا أبعد مدى ، وأدل على أنه كان يعالج حالة نفسية أوسع من حادث حاطب الذي تواترت به الروايات ، بمناسبة وقوع هذا الحادث ، على طريقة القرآن .

كان يعالج مشكلة الأواصر القريبة ، والعصبيات الصغيرة ، وحرص النفوس على مألوفاتها الموروثة ليخرج بها من هذا الضيق المحلي إلى الأفق العالمي الإنساني .

وكان ينشئ في هذه النفوس صورة جديدة ، وقيماً جديدة ، وموازين جديدة ، وفكرة جديدة عن الكون والحياة والإنسان ، ووظيفة المؤمنين في الأرض ، وغاية الوجود الإنساني .

وكان كأنما يجمع هذه النبتات الصغيرة الجديدة في كنف الله؛ ليعلمهم الله ويبصرهم بحقيقة وجودهم وغايته ، وليفتح أعينهم على ما يحيط بهم من عداوات ومكر وكيد ، وليشعرهم أنهم رجاله وحزبه ، وأنه يريد بهم أمراً ، ويحقق بهم قدَراً . ومن ثم فهم يوسمون بسمته ويحملون شارته ، ويعرفون بهذه الشارة وتلك السمة بين الأقوام جميعاً . في الدنيا والآخرة . وإذن فليكونوا خالصين له ، منقطعين لولايته ، متجردين من كل وشيجة غير وشيجته . في عالم الشعور وعالم السلوك .

والسورة كلها في هذا الاتجاه . حتى الآيات التشريعية التنظيمية الواردة في آخرها عن معاملة المهاجرات المؤمنات ، ومبايعة من يدخلن في الإسلام ، والفصل بين المؤمنات وأزواجهن من الكفار . وبين المؤمنين وزوجاتهم من الكوافر . . فكلها تنظيمات منبثقة من ذلك التوجيه العام .

ثم ختام السورة كما بدأت بالنهي عن موالاة أعداء الله ، ممن غضب عليهم الله ، سواء من المشركين أو من اليهود . ليتم التميز والانفراد والمفاصلة من جميع الوشائج والروابط غير رابطة العقيدة وغير وشيجة الإيمان . .

{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم . إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم؛ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون } . .

تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحي : { يا أيها الذين آمنوا } . . نداء من ربهم الذي آمنوا به ، يدعوهم باسم الإيمان الذي ينسبهم إليه .

يدعوهم ليبصرهم بحقائق موقفهم ، ويحذرهم حبائل أعدائهم ، ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم .

وفي مودة يجعل عدوهم عدوه ، وعدوه عدوهم :

{ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } . .

فيشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه . يعاديهم من يعاديه . فهم رجاله المنتسبون إليـــه الـــذين يحملون شارته في هذه الأرض ، وهم أوداؤه وأحباؤه . فلا يجوز أن يلقـــوا بـــالمودة إلى أعدائهم وأعدائه .

ويذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم ، وعدوانهم على هـــذا كله في تجن وظلم :

{ وقد كفروا بما جاءكم من الحق . يخرجون الرسول وإياكم . أن تؤمنوا بالله ربكم } .

.

فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق . وأخرجـــوا الرســـول والمؤمنين ، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم؟ إنه يهيج في قلوب المؤمنين هذه الذكريات المرتبطة بعقيدتهم . وهي التي حاربهم المشركون من أجلها ، لا من أجل أي سبب آخر . ويبرز القضية التي عليها الخلاف والخصومة والحرب . فهي قضية العقيدة دون ســـواها . قضية الحق الذي كفروا به والرسول الذي أخرجوه ، والإيمان الذي من أجله أخرجوهم . وإذا تمحضت القضية هكذا وبرزت ، ذكّرهم بأنه لا محل إذن للمـــودة بينـــهم وبـــين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهاداً في سبيله :

{ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وإبتغاء مرضاتي } . .

فما يجتمع في قلب واحد أن يهاجر جهاداً في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، مع مودة لمـــن أخرجه من أجل إيمانه بالله ، وهو عدو الله وعدو رسول الله!

ثم يحذرهم تحذيراً خفياً مما تكن قلوبهم ، وما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة ، وهو مطلع على خفية القلوب وعلانيتها :

{ تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم } .

ثم يهددهم تهديداً مخيفاً ، يثير في القلب المؤمن الوجل والمخافة :

{ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل } . .

وهل يخيف المؤمن شيء ما يخيفه أن يضل سواء السبيل بعد الهداية والوصول؟!

وهذا التهديد وذلك التحذير يتوسطان تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهـــم من الشر والكيد . ثم تجيء البقية :

{ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطون إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء } . .
فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل . ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل .
والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى :
{ وودوا لو تكفرون } . .
وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان . فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز . كنز الإيمان . ويرتد إلى الكفر ، هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد وباللسان!
والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر ، ويهتدي بنوره بعد الضلال ، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار .
أو أشد . فعدو الله هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان ، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور .
لهذا يتدرج القرآن في تهييج قلوب المؤمنين ضد أعدائه وأعدائهم حتى يصل إلى قمته بقوله لهم عنهم : { وودوا لو تكفرون } . .
هذه هي الجولة الأولى بلمساتها المتعددة . ثم تليها جولة ثانية بلمسة واحدة تعالج مشاعر القرابة ووشائجها المتأصلة؛ والتي تشتجر في القلوب فتجرها جراً إلى المودة؛ وتنسيها تكاليف التميز بالعقيدة :
{ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم . يوم القيامة يفصل بينكم . والله بما تعملون بصير } .
إن المؤمن يعمل ويرجو الآخرة . ويزرع هنا وينتظر الحصاد هناك . فلمسة قلبه بما يكون في الآخرة من تقطيع وشائج القربى كلها إذا تقطعت وشيجة العقيدة ، من شأنها أن تهون عنده شأن هذه الوشائج في فترة الحياة الدنيا القصيرة؛ وتوجهه إلى طلب الوشيجة الدائمة التي لا تنقطع في دنيا ولا في آخرة :

ومن ثم يقول لهم : { لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم } . . التي تهفون إليها وتتعلق قلوبكم بها؛ وتضطركم إلى موادة أعداء الله وأعدائكم وقاية لها كما حدث لحاطب في حرصه على أولاده وأمواله وكما تجيش خواطر آخرين غيره حول أرحامهم وأولادهم الذين خلفوهم في دار الهجرة . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم . ذلك أنه { يوم القيامة يفصل بينكم } . . لأن العروة التي تربطكم مقطوعة . وهي العروة التي لا رباط بغيرها عند الله .

{ والله بما تعملون بصير } . . مطلع على العمل الظاهر والنية وراءه في الضمير .

ثم تأتي الجولة الثالثة فتصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة : أمة التوحيد . وهذه القافلة الواحدة : قافلة الإيمان . فإذا هي ممتدة في الزمان ، متميزة بالإيمان ، متبرئة من كل وشيجة تنافي وشيجة العقيدة . . إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم . أبيهم الأول وصاحب الحنيفية الأولى . وفيه أسوة لا في العقيدة وحدها ، بل كذلك في السيرة ، وفي التجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ووشائجها؛ ثم خلص منها هو ومن آمن معه ، وتجرد لعقيدته وحدها :

{ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه؛ إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم ، ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده . إلا قول إبراهيم لأبيه ، لأستغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شيء . ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا ، إنك أنت العزيز الحكيم . . لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

وينظر المسلم فإذا له نسب عريق ، وماض طويل ، وأسوة ممتدة على آماد الزمان ، وإذا هو راجع إلى إبراهيم ، لا في عقيدته فحسب ، بل في تجاربه التي عاناها كذلك . فيشعر أن له رصيداً من التجارب أكبر من رصيده الشخصي وأكبر من رصيد جيله الذي يعيش فيه . إن هذه القافلة الممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله ، الواقفين تحت راية الله ، قد مرت بمثل ما يمر به ، وقد انتهت في تجربتها إلى قرار اتخذته . فليس الأمر جديداً ولا مبتدعاً ولا تكليفاً يشق على المؤمنين . . ثم إن له لأمة طويلة عريضة يلتقي معها في

العقيدة ويرجع إليها ، إذا انبتت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته . فهو فرع من شجرة ضخمة باسقة عميقة الجذور كثيرة الفروع وارفة الظلال . . الشجرة التي غرسها أول المسلمين . . إبراهيم . .

مر إبراهيم والذين معه بالتجربة التي يعانيها المسلمون المهاجرون . وفيهم أسوة حسنة : { إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } . .

فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم . وهو الكفر بهم والإيمان بالله . وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده . وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان . وفي هذا الفصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل . وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين .

ولقد كان بعض المسلمين يجد في استغفار إبراهيم لأبيه وهو مشرك ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوي قرباهم من المشركين . فجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقف إبراهيم في قوله لأبيه : { لأستغفرن لك } . .

فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك . قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقعه : { فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه } . . كما جاء في سورة أخرى .

ويثبت هنا أن إبراهيم فوض الأمر كله لله ، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على كل حال :

{ وما أملك لك من الله من شيء . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير } . .

وهذا التسليم المطلق لله ، هو السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين . كحلقة من حلقات التربية والتوجيه بالقصص والتعقيب عليه ، وإبراز ما في ثناياه من ملامح وسمات وتوجيهات على طريقة القرآن الكريم .

ويستطرد لهذا في إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه لمولاه :

{ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا } . .

فلا تسلطهم علينا . فيكون في ذلك فتنة لهم ، إذ يقولون : لو كان الإيمان يحمي أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم! وهي الشبهة التي كثيراً ما تحيك في الصدور ، حين يتمكن الباطل من الحق ، ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان لحكمة يعلمها الله في فترة من الفترات .

والمؤمن يصبر للابتلاء ، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذي يجعله فتنة وشبهة تحيك في الصدور .

وبقية الدعاء :

{ واغفر لنا } . .

يقولها إبراهيم خليل الرحمن . إدراكاً منه لمستوى العبادة التي يستحقها منه ربه ، وعجزه ببشريته عن بلوغ المستوى الذي يكافئ به نعم الله وآلاءه ، ويمجد جلاله وكبرياءه فيطلب المغفرة من ربه ، ليكون في شعوره وفي طلبه أسوة لمن معه ولمن يأتي بعده .

ويختم دعاءه وإنابته واستغفاره يصف ربه بصفته المناسبة لهذا الدعاء :

{ ربنا إنك أنت العزيز الحكيم } . .

العزيز : القادر على الفعل ، الحكيم : فيما يمضي من تدبير .

وفي نهاية هذا العرض لموقف إبراهيم والذين معه ، وفي استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها؛ مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين :

{ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد } . .

فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . هؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التي عاناها هذا الرهط الكريم ، ويجدون فيها أسوة تتبع ، وسابقة تهدي . فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ منها أسوة . . وهو تلميح موح للحاضرين من المؤمنين .

فأما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج . من يريد أن يحيد عن طريق القافلة . من يريد أن ينسلخ من هذا النسب العريق . فما بالله من حاجة إليه سبحانه { فإن الله هو الغني الحميد } . .

وتنتهي الجولة وقد عاد المؤمنون أدراجهم إلى أوائل تاريخهم المديد ، ورجعوا بـــذكرياهم إلى نشأهم في الأرض؛ وعرفوا تجارهم المذخورة لهم في الأجيال المتطاولة ، ورأوا القـــرار الذي انتهى إليه من مروا هذه التجربة؛ ووجدوها طريقاً معبدة من قبل ليســـوا هـــم أول السالكين فيها .

والقرآن الكريم يؤكد هذا التصور ويكرره ليتصل ركب المؤمنين ، فلا يشعر بالغربـــة أو الوحشة سالك ولو كان وحده في جيل! ولا يجد مشقة في تكليف نهض به السالكون معه في الطريق!

بعدئذ يعود فينسم على هذه القلوب التي يعلم الله ما ها من حنين ورغبة في زوال حالـــة العداء والجفوة التي تكلفهم هذه المشقة . ينسم عليها بنسمة الأمل النديـــة في أن ينضـــم هؤلاء الأعداء إلى راية الإسلام ، وإلى صفوف المسلمين؛ فيكون هذا هو الطريق لـــزوال الجفوة وقيام الود على أساسه الركين . . ثم يخفف عنهم مرة أخرى وهو يضع القاعـــدة الإسلامية الكبرى في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم ، فيجعل المقاطعة والخصومة خاصة بحالة العداء والعدوان .

الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٤١٨١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

المراد بالقوم الذين غضب الله عليهم : المشركون ، بصفة عامة ، ويدخل فيهم دخولا أوليا اليهود ، لأن هذا الوصف كثيرا ما يطلق عليهم .

فقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية ، أن قوما من فقراء المؤمنين ، كانوا يواصلون اليهود . ليصيبوا من ثمارهم ، وربما أخبروهم عن شىء من أخبار المسلمين ، فنزلت الآية لتنهاهم عن ذلك .

أى : يا من آمنتم بالله - تعالى - حق الإيمان ، ينهاكم الله - تعالى - عـــن أن تتخـــذوا الأقوام الذين غضب الله عليهم أولياء ، وأصفيا ، بأن تفشوا إليهم أسرار المســـلمين ، أو بأن تطلعوهم على مالا يصح الاطلاع عليه .

وقوله – تعالى – : { قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الآخرة كَمَا يَئِسَ الكفار مِنْ أَصْحَابِ القبور } تعليل للنهى عن موالاتهم ، وتنفير من الركون إليهم .

واليأس : فقدان الأمل فى الحصول على الشىء ، أو فى توقع حدوثه .

والكلام على حذف مضاف ، أى قد يئس هؤلاء اليهود من العمل للآخرة وما فيها من ثواب ، وآثروا عليها الحياة الفانية . . . كما يئس الكفار من عودة موتاهم إلى الحياة مرة أخرى للحساب والجزاء ، لاعتقادهم بأنه لا بعث بعد الموت ، ولا ثواب ولا عقـــاب – كما حكى القرآن عنهم ذلك فى آيات كثيرة منها قوله – تعالى – { قالوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } فالمقصود من الآية الكريمة ، تشبيه حال هؤلاء اليهـــود فى شدة إعراضهم عن العمل للأخرة . . . بحال أولئك الكفار الذين أنكروا إنكارا تاما ، أن هناك بعثا للأموات الذين فارقوا الحياة ، ودفنوا فى قبورهم .

وعلى هذا الوجه يكون قوله – تعالى – : { مِنْ أَصْحَابِ القبور } متعلق بقوله { يَئِسُواْ } و { مِنْ } لابتداء الغاية .

ويصح أن يكون قوله – تعالى – : { مِنْ أَصْحَابِ القبور } بيانا للكفار ، فيكون المعنى : قد يئسوا من الآخرة ، وما فيها من جزاء . . كما يئس الكفار الذين ماتوا وسكنوا القبور ، من أن ينالوا شيئا – ولو قليلا – من الرحمة ، أو تخفيف العذاب عنهم ، أو العـــودة إلى الدنيا ليعملوا عملا صالحا غير الذى أرداهم وأهلكهم .

وعلى كلا القولين ، فالآية الكريمة تنهى المؤمنين عن موالاة قوم غضب الله عليهم ، بأبلغ أسلوب ، وأحكم بيان .

حيث وصفت هؤلاء القوم ، بأنهم قد أحاط بهم غضب الله – تعالى – بسبب فســـوقهم عن أمره ، وإعراضهم عن طاعته ، وإنكارهم للدار الآخرة وما فيها من جزاء .

{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعـــض . ومــــن يتولهم منكم فإنه منهم . إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلـــوبهم مــــرض يسارعون فيهم ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر مــــن

عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين : ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ حبطت أعمالهم ، فأصبحوا خاسرين } . .

ويحسن أن نبين أولاً معنى الولاية التي ينهى الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى . .

إنها تعني التناصر والتحالف معهم . ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم . فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين . إنما هو ولاء التحالف والتناصر ، الذي كان يلتبس على المسلمين أمره ، فيحسبون أنه جائز لهم ، بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر ، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام ، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة ، حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله . عد ما تبين عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة . .

وهذا المعنى معروف محدد في التعبيرات القرآنية . وقد جاء في صدد الكلام عن العلاقة بين المسلمين في المدينة والمسلمين الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام . فقال الله سبحانه : { ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا } . وطبيعي أن المقصود هنا ليس الولاية في الدين . فالمسلم ولي المسلم في الدين على كل حال . إنما المقصود هو ولاية التناصر والتعاون . فهي التي لا تقوم بين المسلمين في دار الإسلام والمسلمين الذين لم يهاجروا إليهم . . وهذا اللون من الولاية هو الذي تمنع هذه الآيات أن يقوم بين الذين آمنوا وبين اليهود والنصارى بحال ، بعد ما كان قائماً بينهم أول العهد في المدينة .

إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء ، واتخاذهم أولياء شيء آخر ، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين ، الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته ، بوصفه حركة منهجية واقعية ، تتجه إلى إنشاء واقع في الأرض ، وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها البشرية؛ وتصطدم – من ثم – بالتصورات والأوضاع المخالفة ، كما تصطدم بشهوات الناس وانحرافهم وفسوقهم عن منهج الله ، وتدخل في معركة لا حيلة فيها ، ولا بد منها ، لإنشاء ذلك الواقع الجديد الذي تريده ، وتتحرك إليه حركة إيجابية فاعلة منشئة . .

وهؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة ، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها؛ ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها ، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق ، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة . ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب . . بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة . . وأن هذا شأن ثابت لهم ، وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه ، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم . وأنهم مصرون على الحرب للإسلام وللجماعة المسلمة . وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . . إلى آخر هذه التقريرات الحاسمة .

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ، ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم . وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب ، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه ، ولن يكفهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له . .

وسذاجة أية سذاجة وغفلة أية غفلة ، أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفار والملحدين! فهم مع الكفار والملحدين ، إذا كانت المعركة مع المسلمين!!!

وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وفي كل زمان؛ حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد - بوصفنا جميعاً أهل دين! - ناسين تعليم القرآن كله؛ وناسين تعليم التاريخ كله .

فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين : { هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً } . وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة ، وكانوا لهم درعاً وردءاً . وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام ، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس ، وهم الذي شردوا العرب

المسلمين في فلسطين ، وأحلوا اليهود محلهم ، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية! وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكـــان . . في الحبشـــة والصـــومال واريتريا والجزائر ، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية ، في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند ، وفي كل مكان!

ثم يظهر بيننا من يظن – في بعد كامل عن تقريرات القرآن الجازمة – أنه يمكن أن يقـــوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر . ندفع به المادية الإلحادية عن الدين!

إن هؤلاء لا يقرأون القرآن . وإذا قرأوه اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طـــابع الإسلام؛ فظنوها دعوة الولاء الذي يحذر منه القرآن .

إن هؤلاء لا يعيش الإسلام في حسهم ، لا بوصفه عقيدة لا يقبل الله من الناس غيرهـــا ، ولا بوصفه حركة إيجابية تستهدف إنشاء واقع جديد في الأرض؛ تقف في وجه عداوات أهل الكتاب اليوم ، كما وقفت له بالأمس . الموقف الذي لا يمكن تبديله . لأنه الموقـــف الطبيعي الوحيد!

وندع هؤلاء في إغفالهم أو غفلتهم عن التوجيه القرآني ، لنعي نحن هذا التوجيه القـــرآني الصريح :

{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . بعضهم أولياء بعض . . ومن يتولهم منكم فإنه منهم . إن الله لا يهدي القوم الظالمين } . .

هذا النداء موجه إلى الجماعة المسلمة في المدينة – ولكنه في الوقت ذاته موجه لكل جماعة مسلمة تقوم في أي ركن من أركان الأرض إلى يوم القيامة . . موجه لكل من ينطبق عليه ذات يوم صفة : { الذين آمنوا } . .

ولقد كانت المناسبة الحاضرة إذ ذاك لتوجيه هذا النداء للذين آمنوا ، أن المفاصلة لم تكـــن كاملة ولا حاسمة بين بعض المسلمين في المدينه وبعض أهل الكتاب – وبخاصه اليهـــود – فقد كانت هناك علاقات ولاء وحلف ، وعلاقات اقتصاد وتعامل ، وعلاقـــات جـــيره وصحبه . . وكان هذا كله طبيعياً مع الوضع التاريخي والاقتصادي والاجتماعي في المدينة قبل الإسلام ، بين أهل المدينة من العرب وبين اليهود بصفة خاصة . . وكان هذا الوضع يتيح لليهود أن يقوموا بدورهم في الكيد لهذا الدين وأهله؛ بكل صنوف الكيد التي عددتها

وكشفتها النصوص القرآنية الكثيرة؛ والتي سبق استعراض بعضها في الأجــزاء الخمســة الماضية من هذه الظلال؛ والتي يتولى هذا الدرس وصف بعضها كذلك في هذه النصوص .
ونزل القرآن ليبث الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته ، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة . ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة ولا يقف تحت رايتها الخاصة . المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية . فهذه صفة المسلم دائماً . ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا لله ورسوله والذين آمنوا . . الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كــل أرض وفي كل جيل .
{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . بعضهم أولياء بعض . ومــن يتولهم منكم فإنه منهم . إن الله لا يهدي القوم الظالمين } .
بعضهم أولياء بعض . . إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن . . لأنها حقيقة نابعة من طبيعــة الأشياء . . إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أي أرض ولا في أي تاريخ . . وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة . . لقد ولي بعضهم بعضاً في حرب محمد – صلى الله عليه وسلم – والجماعة المسلمة في المدينة . وولي بعضهم بعضــاً في كل فجاج الأرض ، على مدار التاريخ . . ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة؛ ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم ، في صيغة الوصف الدائم ، لا الحادث المفرد . . واختيار الجملة الأسمية على هذا النحو . . بعضهم أولياء بعض . . ليست مجرد تعــبير! إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل!
ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها . . فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضــهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم . والفرد الذي يتولاهم من الصف المســلم ، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف « الإسلام » وينضم إلى الصــف الآخر . لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية :
{ ومن يتولهم منكم فإنه منهم } . .

وكان ظالماً لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة . . وبسبب من ظلمه هذا يدخلـــه الله في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه . ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى الصـــف المسلم :

{ إن الله لا يهدي القوم الظالمين } . .

لقد كان هذا تحذيراً عنيفاً للجماعة المسلمة في المدينة . ولكنه تحذير ليس مبالغاً فيه . فهو عنيف . نعم؛ ولكنه يمثل الحقيقة الواقعة . فما يمكـــن أن يمـــنح المســـلم ولاءه لليهـــود والنصارى – وبعضهم أولياء بعض – ثم يبقى له إسلامه وإيمانه ، وتبقى له عضـــويته في الصف المسلم ، الذين يتولى الله ورسوله والذين آمنوا . . فهذا مفرق الطريق . .

وما يمكن أن يتميع حسم المسلم في المفاصلة الكاملة بينة وبين كل من ينهج غـــير منـــهج الإسلام؛ وبينه وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام؛ ثم يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملاً ذا قيمة في الحركة الإسلامية الضخمة التي تستهدف – أول ما تســـتهدف – إقامة نظام واقعي في الأرض فريد؛ يختلف عن كل الأنظمة الأخرى؛ ويعتمد على تصـــور متفرد كذلك من كل التصورات الأخرى .

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم الذي لا أرجحة فيه ولا تردد بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس بعد رسالة محمد ص وبأن منهجه الذي كلفه الله أن يقيم الحياة عليه منهج متفرد ؛ لا نظير له بين سائر المناهج ؛ ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر ؛ ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر ؛ ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه ؛ ولا يعفيه الله ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بـــذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه الاعتقادية والاجتماعية ؛ لم يـــأل في ذلـــك جهدا ولم يقبل من منهجه بديلا ولا في جزء منه صغير ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي ولا في نظام اجتماعي ولا في أحكام تشريعية إلا ما استبقاه الله في هذا المنهج من شرائع من قبلنا من أهل الكتاب إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهـــذا كله هو وحده الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج الله الذي رضيه للناس ؛ في وجه العقبات الشاقة والتكاليف المضنية والمقاومة العنيدة والكيد الناصب والألم الذي يكاد يجاوز الطاقة في كثير من الأحيان وإلا فما العناء في أمر يغني عنه غيره مما هو قائم في

الأرض من جاهلية سواء كانت هذه الجاهلية ممثلة في وثنية الشرك أو في انحـــراف أهـــل الكتاب أو في الإلحاد السافر بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلامي إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة ؛ يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديـــان الســـماوية يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظـــام الاجتماعي إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلا ؛ ولا يقبل فيه تعديلا ولو طفيفا هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك يـــا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم وفي القرآن كلمة الفصل ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا الـــيقين ويصور السياق القرآني تلك الحالة التي كانت واقعة ؛ والتي يترل القرآن من أجلها بهـــذا التحذير فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة روى ابن جرير قال حدثنا أبو كريب حدثنا إدريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد قال جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم ؛ وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايـــة يهـــود وأتـــولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي رأس النفاق إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فقال رسول الله ص لعبد الله بن أبي « يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة ابن الصامت فهو لك دونه » قال قد قبلت فأنزل الله عز وجل يا أيها الـــذين آمنـــوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حـــدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليـــائهم مـــن اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف أغـــركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أصررنا العزيمة أن نستجمع علـــيكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا فقال عبادة بن الصامت يا رسول الله إن أوليائي مـــن اليهـــود

كانت شديدة أنفسهم كثيرا سلاحهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية يهـــود إني رجل لا بد لي منهم فقال رسول الله ص « يا أبا الحباب أرأيت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة ابن الصامت فهو لك دونه » فقال إذن أقبل قال محمد بن إسحق فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله ص بنو قينقاع فحدثني عاصم بـــن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله ص حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبدالله بن أبي بن سلول حين أمكنة الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قـــال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي قـــال فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع رسول الله ص فقال لـــه رســـول الله ص « أرسلني » وغضب رسول الله ص حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال « ويحك أرسلني » قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائه دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني امرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله ص « هم لك » قال محمد بن إسحق فحدثني أبي إسحق بن يسار عن عبادة عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ص تشبث بأمرهم عبدالله بـــن أبى وقـــام دونهم ؛ ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ص وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فجعلهم إلى رسول الله ص وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمـــؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفي عبدالله بن أبي نزلت الآية في المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض إلى قولـــه ومـــن يتـــول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن ســـعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زيادة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عودة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله ص على عبدالله بن أبى نعوده فقال له النبي ص « قـــد كنت أنهاك عن حب يهود » فقال عبدالله فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات وأخرجـــه أبو داود من حديث محمد بن إسحق فهذه الأخبار في مجموعها تشير إلى تلك الحالة الـــتي كانت واقعة في المجتمع المسلم ؛ والمتخلفة عن الأوضاع التي كانت قائمة في المدينة قبـــل

الإسلام ؛ وكذلك عن التصورات التي لم تكن قد حسمت في قضية العلاقات التي يمكـــن أن تقوم بين الجماعة المسلمة واليهود والتي لا يمكن أن تقوم غير أن الذي يلفت النظر أنها كلها تتحدث عن اليهود و لم يجى ء ذكر في الوقائع للنصارى ولكن النص يجمل اليهـــود والنصارى ذلك أنه بصدد إقامة تصور دائم وعلاقة دائمة وأوضاع دائمة بـــين الجماعـــة المسلمة وسائر الجماعات الأخرى سواء من أهل الكتاب أو من المشركين كما سيجيء في سياق هذا الدرس ومع اختلاف مواقف اليهود من المسلمين عن مواقـــف النصـــارى في جملتها في العهد النبوي ومع إشارة القرآن الكريم في موضع آخر من الســـورة إلى هـــذا الاختلاف في قوله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والـــذين أشـــركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى الخ مع هذا الاختلاف الذي كان يومذاك فإن النص هنا يسوي بين اليهود والنصارى كما يسوي النص القادم بينهم جميعا وبين الكفار فيما يختص بقضية المحالفة والولاء ذلك أن هذه القضية ترتكز علـــى قاعـــدة أخرى ثابتة هي أن ليس للمسلم ولاء ولا حلف إلا مع المسلم ؛ وليس للمســـلم ولاء إلا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة ويستوي بعد ذلك كل الفرق في هذا الأمر مهما اختلفت مواقفهم من المسلمين في بعض الظروف على أن الله سبحانه وهو يضع للجماعة المســـلمة هذه القاعدة العامة الحازمة الصارمة كان علمه يتناول الزمان كله لا تلك الفترة الخاصـــة من حياة رسول الله ص وملابساتها الموقوتة وقد أظهر التاريخ الواقع فيما بعـــد أن عـــداء النصارى لهذا الدين وللجماعة المسلمة في معظم بقاع الأرض لم يكن أقل من عداء اليهود وإذا نحن استثنينا موقف نصارى العرب ونصارى مصر في حسن استقبال الإسلام فإننا نجد الرقعة النصرانية في الغرب قد حملت للإسلام في تاريخها كله منذ أن احتكت بـــه مـــن العداوة والضغن وشنت عليه من الحرب والكيد ما لا يفترق عن حرب اليهود وكيدهم في أي زمان حتى الحبشة التي أحسن عاهلها استقبال المهاجرين المسلمين واستقبال الإســـلام عادت فإذا هي أشد حربا على الإسلام والمسلمين من كل أحد ؛ لا يجاريها في هـــذا إلا اليهود وكان الله سبحانه يعلم الأمر كله فوضع للمسلم هذه القاعدة العامة بغض النظـــر عن واقع الفترة التي كان هذا القرآن يتنزل فيها وملابساتها الموقوتة وبغض النظر عما يقع مثلها في بعض الأحيان هنا وهناك إلى آخر الزمان وما يزال الإسلام والذين يتصفون بـــه

ولو أنهم ليسوا من الإسلام في شيء يلقون من عنت الحرب المشبوبة عليهم وعلى عقيدتهم من اليهود والنصارى في كل مكان على سطح الأرض ما يصدق قول الله تعالى بعضهم أولياء بعض وما يحتم أن يتدرع المسلمون الواعون بنصيحة ربهم لهم بل بأمره الجازم ونهيه القاطع ؛ وقضائه الحاسم في المفاصلة الكاملة بين أولياء الله ورسوله وكل معسكر آخر لا يرفع راية الله ورسوله إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعا على أساس العقيدة فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة ومن ثم لا يمكن أن يقوم الولاء وهو التناصر بين المسلم وغير المسلم ؛ إذ أنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة ولا حتى أمام الإلحاد مثلا كما يتصور بعض السذج منا وبعض من لا يقرأون القرآن وكيف يتناصران وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه إن بعض من لا يقرأون القرآن ولا يعرفون حقيقة الإسلام ؛ وبعض المخدوعين أيضا يتصورون أن الدين كله دين كما أن الإلحاد كله إلحاد وأنه يمكن إذن أن يقف التدين بجملته في وجه الإلحاد لأن الإلحاد ينكر الدين كله ويحارب التدين على الإطلاق ولكن الأمر ليس كذلك في التصور الإسلامي ؛ ولا في حس المسلم الذي يتذوق الإسلام ولا يتذوق الإسلام إلا من يأخذه عقيدة وحركة بهذه العقيدة لإقامة النظام الإسلامي إن الأمر في التصور الإسلامي وفي حس المسلم واضح محدد الدين هو الإسلام وليس هناك دين غيره يعترف به الإسلام لأن الله سبحانه يقول هذا يقول إن الدين عند الله الإسلام ويقول ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وبعد رسالة محمد ص لم يعد هناك دين يرضاه الله ويقبله من أحد إلا هذا الإسلام في صورته التي جاء بها محمد ص وما كان يقبل قبل بعثة محمد من النصارى لم يعد الآن يقبل كما أن ما كان يقبل من اليهود قبل بعثة عيسى عليه السلام لم يعد يقبل منهم بعد بعثته ووجود يهود ونصارى من أهل الكتاب بعد بعثه محمد ص ليس معناه أن الله يقبل منهم ما هم عليه ؛ أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي لقد كان ذلك قبل بعثة الرسول الأخير أما بعد بعثته فلا دين في التصور الإسلامي وفي حس المسلم إلا الإسلام وهذا ما ينص عليه القرآن نصا غير قابل للتأويل إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام لأنه لا إكراه في الدين ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه ديناً ويراهم على دين ومن ثم فليس هناك جبهه تدين يقف معها الإسلام في وجه

الإلحاد هناك دين هو الإسلام وهناك لا دين هو غير الإسلام ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفه أو عقيده أصلها وثني باقيه على وثنيتها أو إلحاداً ينكر الأديان تختلف فيما بينها كلها ولكنها تختلف كلها مع الإسلام ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء ؛ وهو مطالب بإحسان معاملتهم كما سبق ما لم يؤذوه في الدين ؛ ويباح له أن يتزوج المحصنات منهن على خلاف فقهي فيمن تعتقد بألوهية المسيح أو بنوته وفيمن تعتقد التثليث أهي كتابيه تحل أم مشركة تحرم وحتى مع الأخذ بمبدأ تحليل النكاح عامه فإن حسن المعامله وجواز النكاح ليس معناها الولاء والتناصر في الدين ؛ وليس معناها اعتراف المسلم بأن دين أهل الكتاب بعد بعثة محمد ص هو دين يقبله الله ؛ ويستطيع الإسلام أن يقف معه في جبهه واحدة لمقاومة الإلحاد إن الإسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب ؛ كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء ودعاهم إلى الإسلام جميعاً لأن هذا هو الدين الذي لا يقبل الله غيره من الناس جميعاً ولما فهم اليهود أنهم غير مدعوين إلى الإسلام وكبر عليهم أن يدعوا إليه جابههم القرآن الكريم بأن الله يدعوهم إلى الإسلام فإن تولوا عنه فهم كافرون والمسلم مكلف أن يدعوا أهل الكتاب إلى الإسلام كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء وهو غير مأذون في أن يكره أحداً من هؤلاء ولا هؤلاء على الإسلام لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالإكراه فالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه هو كذلك لا ثمره له ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأن ما عليه أهل الكتاب بعد بعثة محمد ص هو دين يقبله الله ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام إنه لا يكون مكلفاً بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد ؛ هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين وأنه يدعوهم إلى الدين وإذا تقررت هذه البديهيه فإنه لا يكون منطقياً مع عقيدته إذا دخل في ولاء أو تناصر للتمكين للدين في الأرض مع من لا يدين بالإسلام إن هذه القضيه في الإسلام قضيه اعتقاديه إيمانيه كما أنها قضيه تنظيميه حركيه من ناحيه أنها قضيه إيمانيه اعتقاديه نحسب أن الأمر قد صار واضحاً بهذا البيان اذي أسلفناه وبالرجوع إلى النصوص القرآنيه القاطعه بعدم قيام ولاء بين المسلمين وأهل الكتاب ومن ناحية أنها قضية تنظيمية حركية الأمر واضح كذلك فإذا كان سعي المؤمن كله ينبغي أن يتجه إلى إقامة منهج الله في الحياة وهو المنهج الذي ينص عليه الإسلام كما

جاء به محمد ص بكل تفصيلات وجوانب هذا المنهج وهي تشمل كل نشاط الإنسان في الحياة فكيف يمكن إذن أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإســلام دينــا ومنهجا ونظاما وشريعة ؛ ومن يتجه في سعيه إلى أهداف أخــرى إن لم تكــن معاديــة للإسلام وأهدافه فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام إذ الإسلام لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحا والذين كفروا أعمالهم كرمــاد اشتدت به الريح في يوم عاصف والإسلام يكلف المسلم أن يخلص سعيه كله للإسلام ولا يتصور إمكان انفصال أية جزئية في السعي اليومي في حياة المسلم عن الإسلام لا يتصــور إمكان هذا إلا من لا يعرف طبيعة الإسلام وطبيعة المنهج الإسلامي ولا يتصور أن هنــاك جوانب في الحياة خارجة عن هذا المنهج يمكن التعاون فيها مع من يعادي الإســلام أو لا يرضى من المسلم إلا أن يترك إسلامه كما نص الله في كتابه علــى مــا يطلبــه اليهــود والنصارى من المسلم ليرضوا عنه إن هناك استحالة اعتقادية كما أن هناك استحالة عملية على السواء ولقد كان اعتذار عبدالله بن أبي بن سلول وهو من الذين في قلوبهم مرض عن مسارعته واجتهاده في الولاء ليهود والاستمساك بحلفه معها هي قوله إنني رجل أخشــى الدوائر إني أخشى أن تدور علينا الدوائر وأن تصيبنا الشدة وأن تنزل بنا الضائقة وهــذه الحجة هي علامة مرض القلب وضعف الإيمان فــالولي هــو الله ؛ والناصــر هــو الله ؛ والاستنصار بغيره ضلالة كما أنه عبث لا ثمرة له ولكن حجة ابن سلول هي حجة كــل بن سلول على مدار الزمان ؛ وتصوره هو تصور كل منافق مريض القلب لا يدرك حقيقة الإيمان وكذلك نفر قلب عبادة بن الصامت من ولاء يهود بعد ما بدا منهم ما بدا لأنــه قلب مؤمن فخلع ولاء اليهود وقذف به حيث تلقاه وضم عليه صــدره وعــض عليــه بالنواجذ عبدالله بن أبى بن سلول إنهما نهجان مختلفان ناشئان عن تصورين مختلفين وعــن شعورين متباينين ومثل هذا الاختلاف قائم على مدار الزمان بين قلب مــؤمن وقلــب لا يعرف الإيمان ويهدد القرآن المستنصرين بأعداء دينهم المتألبين عليهم المنــافقين الــذين لا يخلصون لله اعتقادهم ولا ولاءهم ولا اعتمادهم يهددهم برجاء الفتح أو أمر الله الــذي يفصل في الموقف ؛ أو يكشف المستور من النفاق فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمــر مــن عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين وعندئذ عند الفتح سواء كان هو فــتح

مكة أو كان الفتح بمعنى الفصل أو عند مجيء أمر الله يندم أولئك الذين في قلوبهم مـــرض على المسارعة والاجتهاد في ولاء اليهود والنصارى وعلى النفاق الذي انكشـــف أمـــره وعندئذ يعجب الذين آمنوا من حال المنافقين ويستنكرون ما كانوا فيه من النفـــاق ومـــا صاروا إليه من الخسران

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطـــت أعمـــالهم فأصبحوا خاسرين ولقد جاء الله بالفتح يوما وتكشفت نوايا وحبطت أعمال وخســـرت فئات ونحن على وعد من الله قائم بأن يجيء الفتح كلما استمسكنا بعـــروة الله وحـــده ؛ وكلما أخلصنا الولاء لله وحده وكلما وعينا منهج الله وأقمنا عليه تصـــوراتنا وأوضـــاعنا وكلما تحركنا في المعركة على هدى الله وتوجيهه فلم نتخذ لنا وليا إلا الله ورسوله والذين آمنوا الدرس الثاني صفات الذين ينصرون دين الله الجديرين بالولاية وإذ ينتهي السياق من النداء الأول للذين آمنوا أن ينتهوا عن موالاة اليهود والنصارى وأن يحذروا أن يصـــيروا منهم بالولاء لهم وأن يرتدوا بذلك عن الإسلام وهم لا يشعرون أو لا يقصدون يرســـل بالنداء الثاني يهدد من يرتد منهم عن دينه بهذا الولاء أو بسواه من الأسباب بأنه ليس عند الله بشيء وليس بمعجز الله ولا ضار بدينه وأن لدين الله أولياء وناصرين مدخرين في علم الله إن ينصرف هؤلاء يجيء بهؤلاء ويصور ملامح هذه العصبة المختارة المدخرة في علم الله لدينه وهي ملامح محببة جميلة وضيئة ويبين جهة الولاء الوحيدة التي يتجه إليهـــا المســـلم بولائه ويختم هذا النداء بتقرير النهاية المحتومة للمعركة التي يخوضها حزب الله مع الأحزاب والتي يتمتع بها من يخلصون ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين يا أيها الذين آمنوا من يرتـــد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعـــون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون إن تهديد من يرتد عن دينه من الذين آمنوا على هذه الصورة وفي هذا المقام ينصرف ابتداء إلى الربط بـــين مـــوالاة اليهود والنصارى وبين الارتداد عن الإسلام وبخاصة بعد ما سبق من اعتبار من يتـــولاهم واحدًا منهم منسلخا من الجماعة المسلمة منضما إليهم ومن يتولهم منكم فإنه منهم وعلى

هذا الاعتبار يكون هذا النداء الثاني في السياق توكيدا وتقريرا للنداء الأول يدل على هذا كذلك النداء الثالث الذي يلي هذا النداء والسياق وهو منصب على النهي عن موالاة أهل الكتاب والكفار يجمع بينهم على هذا النحو الذي يفيد أن موالاتهم كموالاة الكفار سواء وأن تفرقة الإسلام في المعاملة بين أهل الكتاب والكفار لا تتعلق بقضية الولاء إنما هي في شئون أخرى لا يدخل فيها الولاء يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إن اختيار الله للعصبة المؤمنة لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض وتمكين سلطانه في حياة البشر وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنته فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة فهو وذاك والله غني عنه وعن العالمين والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم والصورة التي يرسمها للعصبة المختارة هنا صورة واضحة السمات قوية الملامح وضيئة جذابة حبيبة للقلوب فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم الحب هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش هو الذي يربط القوم بربهم الودود وحب الله لعبد من عبيده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي الذي يعرف من هو الله من هو صانع هذا الكون الهائل وصانع الإنسان الذي يلخص الكون وهو جرم صغير من هو في عظمته ومن هو في قدرته ومن هو في تفرده ومن هو في ملكوته من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب والعبد من صنع يديه سبحانه وهو الجليل العظيم الحي الدائم الأزلي الأبدي الأول والآخر والظاهر والباطن وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما وفضلا غامرا جزيلا فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد الذي لا نظير له في

مذاقات الحب كلها ولا شبيه هو إنعام هائل عظيم وفضل غامر جزيل وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا فوق التعبير أن يصفه فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبـــارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصـــلون من رجال التصوف الصادقين وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد وهي تقول فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب إذا صح منك الود فالكل هـــين وكـــل الذي فوق التراب تراب وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد والحب من العبد للمـــنعم المتفضل يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض وينطبع في كل حي وفي كل شيء فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلا في ذلك العبد المحب المحبوب والتصور الإسلامي يربط بين المؤمن وربه بهذا الرباط العجيب الحبيب وليست مرة واحدة ولا فلتة عابرة إنما هو أصل وحقيقة وعنصر في هذا التصور أصيل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا إن ربي رحيم ودود وهو الغفـــور الودود وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان والذين آمنوا أشد حبا لله قل إن كنم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وغيرها كثير وعجبا لقوم يمرون علـــى هذا كله ليقولوا إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر وعذاب وعقاب وجفوة وانقطاع لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن الله وأقنوم الإله فيربط بين الله والناس في هذا الازدواج إن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لا تجفف ذلك الندى الحبيب بين الله والعبيد فهـــي علاقة الرحمة كما أنها علاقة العدل وهي علاقة الود كما أنها علاقة التجريد وهي علاقـــة الحب كما أنها علاقة التترية إنه التصور الكامل الشامل لكل حاجات الكينونة البشرية في علاقتها برب العالمين وهنا في صفة العصبة المؤمنة المختارة لهذا الدين يرد ذلـــك الـــنص العجيب يحبهم ويحبونه ويطلق شحنته كلها في هذا الجو الذي يحتاج إليه القلـــب المـــؤمن وهو يضطلع بهذا العبء الشاق شاعرا أنه الاختيار والتفضل والقربى من المنعم الجليـــل ثم يمضي السياق يعرض بقية السمات أذلة على المؤمنين وهي صفة مأخوذة مـــن الطواعيـــة

واليسر واللين فالمؤمن ذلول للمؤمن غير عصي عليه ولا صعب هين لين ميسر مستجيب سمح ودود وهذه هي الذلة للمؤمنين وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة إنما هي الأخوة ترفع الحواجز وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هي التي تجعله شموسا عصيا شحيحا على أخيه فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به وماذا يبقى له في نفسه دونهم وقد اجتمعوا في الله إخوانا ؛ يحبهم ويحبونه ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه أعزة على الكافرين فيهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء ولهذه الخصائص هنا موضع إنها ليست العزة للذات ولا الاستعلاء للنفس إنما هي العزة للعقيدة والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى ؛ وبغلبة قوة الله على تلك القوى ؛ وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية فهم الأعلون حتى وهم ينهزمون في بعض المعارك في أثناء الطريق الطويل يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فالجهاد في سبيل الله لإقرار منهج الله في الأرض وإعلان سلطانه على البشر وتحكيم شريعته في الحياة لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس هي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يريد وهم يجاهدون في سبيل الله ؛ لا في سبيل أنفسهم ؛ ولا في سبيل قومهم ؛ ولا في سبيل وطنهم ؛ ولا في سبيل جنسهم في سبيل الله لتحقيق منهج الله وتقرير سلطانه وتنفيذ شريعته وتحقيق الخير للبشر عامة عن هذا الطريق وليس لهم في هذا الأمر شيء وليس لأنفسهم من هذا حظ إنما هو لله وفي سبيل الله بلا شريك وهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وفيم الخوف من لوم الناس وهم قد ضمنوا حب رب الناس وفيم الوقوف عند مألوف الناس وعرف الجيل ومتعارف الجاهلية وهم يتبعون سنة الله ويعرضون منهج الله للحياة إنما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس ؛ ومن يستمد عونه ومدده من عندالناس ؛ أما من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناس وشهواتهم وقيمهم ؛ وأما من يستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته فما يبالي ما يقول

الناس وما يفعلون كائنا هؤلاء الناس ما كانوا ؛ وكائنا واقع هؤلاء الناس ما كان وكائنة حضارة هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون إننا نحسب حسابا لما يقول الناس ؛ ولمـــا يفعل الناس ؛ ولما يملك الناس ؛ ولما يصطلح عليه الناس ؛ ولما يتخذه الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليـــه في الوزن والقياس والتقويم إنه منهج الله وشريعته وحكمه فهو وحده الحق وكل ما خالفـــة فهو باطل ؛ ولو كان عرف ملايين الملايين ولو أقرته الأجيال في عشرات القـــرون إنـــه ليست قيمة أي وضع أو أي عرف أو أي تقليد أو أية قيمة أنه موجود ؛ وأنه واقع ؛ وأن ملايين البشر يعتنقونه ويعيشون به ويتخذونه قاعدة حياتهم فهذا ميزان لا يعتـــرف بـــه التصور الإسلامي إنما قيمة أي وضع وأي عرف وأي تقليد وأية قيمة أن يكون لها أصـــل في منهج الله الذي منه وحده تستمد القيم والموازين ومن هنا تجاهد العصـــبة المؤمنـــة في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم فهذه سمة المؤمنين المختارين ثم إن ذلك الاختيـــار مـــن الله وذلك الحب المتبادل بينه وبين المختارين وتلك السمات التي يجعلها طابعهم وعنوانهم وهذا الاطمئنان إلى الله في نفوسهم والسير على هداه في جهادهم ذلك كله من فضل الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يعطي عن سعة ويعطي عن علم وما أوسع هـــذا العطاء ؛ الذي يختار الله له من يشاء عن علم وعن تقدير ويحدد الله للذين آمنـــوا جهـــة الولاء الوحيدة التي تتفق مع صفة الإيمان ؛ ويبين لهم من يتولون إنما وليكم الله ورســـوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون هكذا على وجه القصـــر الذي لا يدع مجالا للتمحل أو التأول ؛ ولا يترك فرصة لتمييع الحركة الإسلامية أو تمييـــع التصور ولم يكن بد أن يكون الأمر كذلك لأن المسألة في صميمها كما قلنا هي مســـألة العقيدة ومسألة الحركة بهذه العقيدة وليكون الولاء لله خالصا والثقة به مطلقة وليكـــون الإسلام هو الدين وليكون الأمر أمر مفاصلة بين الصف المسلم وسائر الصفوف الـــتي لا تتخذ الإسلام دينا ولا تجعل الإسلام منهجا للحياة ولتكون للحركة الإسلامية جديتـــها ونظامها ؛ فلا يكون الولاء فيها لغير قيادة واحدة وراية واحدة ولا يكون التناصر إلا بين العصبة المؤمنة ؛ لأنه تناصر في المنهج المستمد من العقيدة ولكن حتى لا يكون الإســـلام مجرد عنوان أو مجرد راية وشعار أو مجرد كلمة تقال باللسان أو مجرد نسب ينتقل بالوراثة

أو مجرد وصف يلحق القاطنين في مكان فإن السياق يذكر بعض السمات الرئيسية للذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون فمن صفتهم إقامة الصلاة لا مجرد أداء الصلاة وإقامة الصلاة تعني أداءها أداء كاملا تنشأ عنه آثارها التي يقررها قوله تعالى إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والذي لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يقم الصلاة ؛ فلو أقامها لنهته كما يقول الله ومن صفتهم إيتاء الزكاة أي أداء حق المال طاعة لله وقربى عن رضى نفس ورغبة فليست الزكاة مجرد ضريبة مالية إنما هي كذلك عبادة أو هي عبادة مالية وهذه هي ميزة المنهج الإسلامي الذي يحقق أهدافا شتى بالفريضة الواحدة وليس كذلك الأنظمة الأرضية التي تحقق هدفا وتفرط في أهداف إنه لا يغني في إصلاح حال المجتمع أن يأخذ المجتمع المال ضريبة مدنية أو أن يأخذ المال من الأغنياء للفقراء باسم الدولة أو باسم الشعب أو باسم جهة أرضية ما فهي في صورها هذه قد تحقق هدفا واحدا ؛ وهو إيصال المال للمحتاجين فأما الزكاة فتعني اسمها ومدلولها إنها قبل كل شيء طهارة ونماء إنها زكاة للضمير بكونها عبادة لله وبالشعور الطيب المصاحب لها تجاه الإخوان الفقراء بما أنها عبادة لله يرجو عليها فاعلها حسن الجزاء في الآخرة كما يرجو منها نماء المال في الحياة الدنيا بالبركة وبالنظام الاقتصادي المبارك ثم بالشعور الطيب في نفوس الفقراء الآخذين أنفسهم ؛ إذ يشعرون أنها فضل الله عليهم إذ قررها لهم في أموال الأغنياء ؛ ولا يشعرون معها بالحقد والتشفي من إخوانهم الأغنياء مع تذكر أن الأغنياء في النظام الإسلامي لا يكسبون إلا من حلال ولا يجورون على حق أحد وهم يجمعون نصيبهم من المال وفي النهاية تحقق هدف الضريبة المالية في هذا الجو الراضي الخير الطيب جو الزكاة والطهارة والنماء وأداء الزكاة سمة من سمات الذين آمنوا تقرر أنهم يتبعون شريعة الله في شئون الحياة ؛ فهي إقرار منهم بسلطان الله في أمرهم كله وهذا هو الإسلام وهم راكعون ذلك شأنهم كأنه الحالة الأصلية لهم ومن ثم لم يقف عند قوله يقيمون الصلاة فهذه السمة الجديدة أعم وأشمل إذ أنها ترسمهم للخاطر كأن هذا هو شأنهم الدائم فأبرز سمة لهم هي هذه السمة وبها يعرفون وما أعمق إيحاءات التعبيرات القرآنية في مثل هذه المناسبات والله يعد الذين آمنوا في مقابل الثقة به والالتجاء إليه والولاء له وحده ولرسوله وللمؤمنين بالتبعية ومقابل المفاصلة الكاملة بينهم وبين جميع الصفوف إلا الصف الذي يتمحض لله

يعدهم النصر والغلبة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون وقد جاء هذا الوعد بالغلب بعد بيان قاعدة الإيمان في ذاتها وأنها هـي الـولاء لله ورسـوله وللمؤمنين ؛ وبعد التحذير من الولاء لليهود والنصارى واعتباره خروجا من الصف المسلم إلى صف اليهود والنصارى وارتدادا عن الدين وهنا لفتة قرآنية مطردة فالله سبحانه يريـد من المسلم أن يسلم لمجرد أن الإسلام خير لا لأنه سيغلب أو سيمكن له في الأرض ؛ فهذه ثمرات تأتي في حينها ؛ وتأتي لتحقيق قدر الله في التمكين لهذا الدين ؛ لا لتكون هي بذاتها الإغراء على الدخول في هذا الدين والغلب للمسلمين لا شيء منه لهم لا شيء لـذواتهم وأشخاصهم وإنما هو قدر الله يجريه على أيديهم ويرزقهم إياه لحساب عقيدتهم لا لحسابهم فيكون لهم ثواب الجهد فيه ؛ وثواب النتائج التي تترتب عليه من الـتمكين لـدين الله في الأرض وصلاح الأرض بهذا التمكين كذلك قد يعد الله المسلمين الغلب لتثبيت قلوبهم ؛ وإطلاقها من عوائق الواقع الحاضر أمامهم وهي عوائق ساحقة في أحيـان كـثيرة فـإذا استيقنوا العاقبة قويت قلوبهم على اجتياز المحنة ؛ وتخطي العقبة والطمع في أن يتحقق على أيديهم وعد الله للأمة المسلمة فيكون لهم ثواب الجهاد وثواب التمكين لدين الله وثـواب النتائج المترتبة على هذا التمكين كذلك يشي ورود هذا النص في هذا المجال بحالة الجماعة المسلمة يومذاك وحاجتها إلى هذه البشريات بذكر هذه القاعدة من غلبة حزب الله ممـا يرجح ما ذهبنا إليه من تاريخ نزول هذا القطاع من السورة ثم تخلص لنا هذه القاعـدة ؛ التي لا تتعلق بزمان ولا مكان فنطمئن إليها بوصفها سنة من سنن الله التي لا تتخلف وإن خسرت العصبة المؤمنة بعض المعارك والمواقف فالسنة التي لا تنقض هي أن حزب الله هم الغالبون ووعد الله القاطع أصدق من ظواهر الأمور في بعض مراحل الطريق وأن الولاء لله ورسوله والذين آمنوا هو الطريق المؤدي لتحقق وعد الله في نهاية الطريق الدرس الثالـث دعوة المسلمين لعدم موالاة الكافرين وبعد فلقد سلك المنهج القرآني في هذا السياق طرقا منوعة لنهي الذين آمنوا عن تولي المخالفين لهم في عقيدتهم من أهل الكتاب والمشـركين ولتقرير هذه القاعدة الإيمانية في ضمائرهم وإحساسهم وعقولهم مما يدل على أهمية هـذه القاعدة في التصور الإسلامي ؛ وفي الحركة الإسلامية على السواء وقد رأينا من قبل أنـه سلك في النداء الأول طريق النهي المباشر وطريق التخويف من أن يأتي الله بالفتح أو أمـر

من عنده فينكشف ستر المنافقين وسلك في النداء الثاني طريق التحذير من الردة بمـــوالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين ؛ وطريق التحبيب في أن يكونوا من العصبة المختارة ممن يحبهم الله ويحبونه ؛ وطريق الوعد بالنصر لحزب الله الغالب فالآن نجده في النداء الثالث في هـــذا الدرس للذين آمنوا يثير في نفوسهم الحمية لدينهم ولعبادتهم ولصـــلاتهم الـــتي يتخـــذها أعداؤهم هزوا ولعبا ونجده يسوي في النهي عن الموالاة بين أهل الكتاب والكفار وينـــوط هذا النهي بتقوى الله ؛ ويعلق على الاستماع إليه صفة الإيمان ؛ ويقبح فعلة الكفار وأهل الكتاب ويصفهم بأنهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هـــزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مـــؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون وهي ملابسة مثيرة لكـــل من له حمية المؤمن ؛ الذي لا يرى لنفسه كرامة إذا أهين دينه وأهينت عبادتـــه وأهينـــت صلاته واتخذ موقفه بين يدي ربه مادة للهزء واللعب فكيف يقوم ولاء بين الذين آمنـــوا وبين أحد من هؤلاء الذين يرتكبون هذه الفعلة ؛ ويرتكبونها لـــنقص في عقـــولهم فمـــا يستهزى ء بدين الله وعبادة المؤمنين به إنسان سوي العقل ؛ فالعقل حين يصح ويســـتقيم يرى في كل شيء من حوله موحيات الإيمان بالله وحين يختل وينحرف لا يـــرى هـــذه الموحيات لأنه حينئذ تفسد العلاقات بينه وبين هذا الوجود كله فالوجود كله يوحي بأن له إلها يستحق العبادة والتعظيم والعقل حين يصح ويستقيم يستشعر جمال العبـــادة لإلـــه الكون وجلالها كذلك فلا يتخذها هزوا ولعبا وهو صحيح مستقيم ولقـــد كـــان هـــذا الاستهزاء واللعب يقع من الكفار كما كان يقع من اليهود خاصة من أهـــل الكتـــاب في الفترة التي كان هذا القرآن يتنزل فيها على قلب رسول الله ص للجماعة المسلمة في ذلك الحين و لم نعرف من السيرة أن هذا كان يقع من النصارى ولكن الله سبحانه كان يضـــع للجماعة المسلمة قاعدة تصورها ومنهجها وحياتها الدائمة وكان الله سبحانه يعلـــم مـــا سيكون على مدار الزمان مع أجيال المسلمين وها نحن أولاء رأينا ونرى أن أعداء هـــذا الدين وأعداء الجماعة المسلمة على مدار التاريخ أمس واليوم من الذين قالوا إنهم نصارى كانوا أكثر عددا من اليهود ومن الكفار مجتمعين فهؤلاء كهؤلاء قد ناصبوا الإسلام العداء وترصدوه القرون تلو القرون وحاربوه حربا لا هوادة فيها منذ أن اصطدم الإسلام بالدولة

الرومانية على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى كانت الحروب الصليبية ؛ ثم كانت المسألة الشرقية التي تكتلت فيها الدول الصليبية في أرجاء الأرض للإجهاز على الخلافة ؛ ثم كان الاستعمار الذي يخفي الصليبية بين أضلاعه فتبدو في فلتات لسانه ؛ ثم كان التبشير الذي مهد للاستعمار وسانده ؛ ثم كانت وما تزال تلك الحرب المشبوبة على كل طلائع البعث الإسلامي في أي مكان في الأرض وكلها حملات يشترك فيها اليهود والنصارى والكفار والوثنيون وهذا القرآن جاء ليكون كتاب الأمة المسلمة في حياتها إلى يوم القيامة الكتاب الذي يبني تصورها الاعتقادي كما يبني نظامها الاجتماعي كما يبني خطتها الحركية سواء وها هو ذا يعلمها ألا يكون ولاؤها إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ؛ وينهاها أن يكون ولاؤها لليهود والنصارى والكافرين ويجزم ذلك الجزم الحاسم في هذه القضية ويعرضها هذا العرض المنوع الأساليب إن هذا الدين يأمر أهله بالسماحة وبحسن معاملة أهل الكتاب ؛ والذين قالوا إنهم نصارى منهم خاصة ولكنه ينهاهم عن الولاء لهؤلاء جميعا لأن السماحة وحسن المعاملة مسألة خلق وسلوك أما الولاء فمسألة عقيدة ومسألة تنظيم إن الولاء هو النصرة هو التناصر بين فريق وفريق ؛ ولا تناصر بين المسلمين وأهل الكتاب كما هو الشأن في الكفار لأن التناصر في حياة المسلم هو كما أسلفنا تناصر في الدين ؛ وفي الجهاد لإقامة منهجه ونظامه في حياة الناس ؛ ففيم يكون التناصر في هذا بين المسلم وغير المسلم وكيف يكون إنها قضية جازمة حاسمة لا تقبل التميع ولا يقبل الله فيها إلا الجد الصارم ؛ الجد الذي يليق بالمسلم في شأن الدين الدرس الرابع بيان حقيقة كفر أهل الكتاب ونقمتهم على المسلمين وحين تتم النداءات الثلاثة للذين آمنوا يتوجه الخطاب إلى الرسول ص ليواجه أهل الكتاب فيسألهم ماذا ينقمون من الجماعة المسلمة وهل ينقمون منها إلا الإيمان بالله وما أنزل إلى أهل الكتاب ؛ وما أنزله الله للمسلمين بعد أهل الكتاب هل ينقمون إلا أن المسلمين يؤمنون وأنهم هم أهل الكتاب أكثرهم فاسقون وهي مواجهة مخجلة ولكنها كذلك كاشفة وحاسمة ومحددة لأصل العداوة ومفرق الطريق قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل إن

هذا السؤال الذي وجه الله رسوله إلى توجيهه لأهل الكتاب هو من ناحية سؤال تقريري لإثبات ما هو واقع بالفعل منهم ؛ وكشف حقيقة البواعث التي تدفع بهم إلى موقفهم من الجماعة المسلمة ودينها وصلاتها وهو من ناحية سؤال استنكاري لاستنكار هذا الواقع منهم واستنكار البواعث الدافعة عليه وهو في الوقت ذاته توعية للمسلمين وتنفير لهم من موالاة القوم وتقرير لما سبق في النداءات الثلاثة من نهي عن هذه الموالاة وتحذير إن أهل الكتاب لم يكونوا ينقمون على المسلمين في عهد الرسول ص وهم لا ينقمون اليوم على طلائع البعث الإسلامي إلا أن هؤلاء المسلمين يؤمنون بالله ؛ وما أنزله الله إليهم من قرآن ؛ وما صدق عليه قرآنهم مما أنزله الله من قبل من كتب أهل الكتاب إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم ؛ وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهي مصدقة لما بين أيديهم لا ما ابتدعوه وحرفوه ولا يؤمنون بالرسول الأخير وهو مصدق لما بين يديه ؛ معظم لرسل الله أجمعين إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء ؛ التي لم تضع أوزارها قط ولم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام ؛ منذ أن قام للمسلمين كيان في المدينة ؛ وتميزت لهم شخصية ؛ وأصبح لهم وجود مستقل ؛ ناشىء من دينهم المستقل وتصورهم المستقل ونظامهم المستقل في ظل منهج الله الفريد إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة لأنهم قبل كل شيء مسلمون ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم ؛ فيصبحوا غير مسلمين ذلك أن أهل الكتاب أكثرهم فاسقون ؛ ومن ثم لا يحبون المستقيمين الملتزمين من المسلمين والله سبحانه يقرر هذه الحقيقة في صورة قاطعة وهو يقول لرسوله ص في السورة الأخرى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ويقول له في هذه السورة أن يواجه أهل الكتاب بحقيقة بواعثهم وركيزة موقفهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ؛ وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون وهذه الحقيقة التي يقررها الله سبحانه في مواضع كثيرة من كلامه الصادق المبين هي التي يريد تمييعها وتلبيسها وتغطيتها وإنكارها اليوم كثيرون من أهل الكتاب وكثيرون ممن يسمون أنفسهم مسلمين باسم تعاون المتدينين في وجه المادية والإلحاد كما يقولون أهل الكتاب يريدون اليوم تمييع هذه الحقيقة بل طمسها

وتغطيتها لأنهم يريدون خداع سكان الوطن الإسلامي أو الذي كان إسلاميا بتعبير أصح وتخدير الوعي الذي كان قد بثه فيهم الإسلام بمنهجه الرباني القويم ذلك أنه حين كان هذا الوعي سليما لم يستطع الاستعمار الصليبي أن يقف للمد الإسلامي فضلا على أن يستعمر الوطن الإسلامي و لم يكن بد لهؤلاء بعد فشلهم في الحروب الصليبية السافرة وفي حرب التبشير السافرة كذلك أن يسلكوا طريق الخداع والتخدير فيتظاهروا ويشيعوا بين ورثة المسلمين أن قضية الدين والحرب الدينية قد انتهت وأنها كانت مجرد فترة تاريخية مظلمة عاشتها الأمم جميعا ثم تنور العالم و تقدم فلم يعد من الجائز ولا اللائق ولا المستساغ أن يقوم الصراع على أساس العقيدة وأنما الصراع اليوم على المادة على الموارد والأسواق والاستغلالات فحسب وإذن فما يجوز للمسلمين أو ورثة المسلمين أن يفكروا في الدين ولا في صراع الدين وحين يطمئن أهل الكتاب وهم الذين يستعمرون أوطان المسلمين إلى استنامة هؤلاء لهذا التخدير ؛ وحين تتميع القضية في ضمائرهم ؛ فإن المستعمرين يأمنون غضبة المسلمين لله ؛ وللعقيدة الغضبة التي لم يقفوا لها يوما ويصبح الأمر سهلا بعد التنويم والتخدير ولا يكسبون معركة العقيدة وحدها بل يكسبون معها ما وراءها من الأسلاب والمغانم والاستثمارات والخامات ؛ ويغلبون في معركة المادة بعدما يغلبون في معركة العقيدة فهما قريب من قريب وعملاء أهل الكتاب في الوطن الإسلامي ممن يقيمهم الاستعمار هنا وهناك علانية أو في خفية يقولون القول نفسه لأنهم عملاء يؤدون الدور من داخل الحدود وهؤلاء يقولون عن الحروب الصليبية ذاتها إنها لم تكن صليبية ويقولون عن المسلمين الذين خاضوها تحت راية العقيدة إنهم لم يكونوا مسلمين وإنما هم كانوا قوميين وفريق ثالث مستغفل مخدوع ؛ يناديه أحفاد الصليبين في الغرب المستعمر أن تعالوا إلينا تعالوا نجتمع في ولاء ؛ لندفع عن الدين غائلة الملحدين فيستجيب هذا الفريق المستغفل المخدوع ؛ ناسيا أن أحفاد الصليبيين هؤلاء وقفوا في كل مرة مع الملحدين ؛ صفا واحدا حينما كانت المواجهة للمسلمين على مدار القرون وما يزالون وأنهم لا يعنيهم حرب المادية الالحادية قدر ما تعنيهم حرب الإسلام ذلك أنهم يعرفون جيدا أن الإلحادية المادية عرض طارى ء وعدو موقوت ؛ وأن الإسلام أصل ثابت وعدو مقيم وإنما هذه الدعوة المموهة لتمييع اليقظة البادئة عند طلائع البعث الإسلامي ؛ وللانتفاع بجهد المستغفلين

المخدوعين في الوقت ذاته ليكونوا وقود المعركة مع الملحدين لأنهم أعداء الاستعمار السياسيون وهؤلاء كهؤلاء حرب على الإسلام والمسلمين حرب لا عدة فيها للمسلم إلا ذلك الوعي الذي يربيه عليه المنهج الرباني القويم إن هؤلاء الذين تخدعهم اللعبة أو يتظاهرون بالتصديق فيحسبون أهل الكتاب جادين إذ يدعونهم للتضامن والولاء في دفع الإلحاد عن الدين إنما ينسون واقع التاريخ في أربعة عشر قرنا لا استثناء فيها كما ينسون تعليم ربهم لهم في هذا الأمر بالذات وهو تعليم لا مواربة فيه ولا مجال للحيدة عنه وفي النفس ثقة بالله ويقين بجدية ما يقول إن هؤلاء يجتزئون فيما يقولون ويكتبون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر المسلمين أن يحسنوا معاملة أهل الكتاب ؛ وأن يتسامحوا معهم في المعيشة والسلوك ويغفلون التحذيرات الحاسمة عن موالاتهم ؛ والتقريرات الواعية عن بواعثهم والتعليمات الصريحة عن خطة الحركة الإسلامية وخطة التنظيم التي تحرم التناصر والموالاة لأن التناصر والموالاة لا يكونان عند المسلم إلا في شأن الدين وإقامة منهجه ونظامه في الحياة الواقعية وليست هناك قاعدة مشتركة يلتقي عليها المسلم مع أهل الكتاب في شأن دينه مهما يكن هناك من تلاق في أصول هذه الأديان مع دينه قبل تحريفها إذ هم لا ينقمون منه إلا هذا الدين ولا يرضون عنه إلا بترك هذا الدين كما يقول رب العالمين إن هؤلاء ممن يجعلون القرآن عضين ؛ يجزئونه ويمزقونه فيأخذون منه ما يشاءون مما يوافق دعوتهم الغافلة الساذجة على فرض براءتها ويدعون منه ما لا يتفق مع اتجاههم الغافل أو المريب ونحن نؤثر أن نسمع كلام الله في هذه القضية على أن نسمع كلام المخدوعين أو الخادعين وكلام الله سبحانه في هذه القضية حاسم واضح صريح مبين ونقف وقفة قصيرة في هذا الموضع عند قوله تعالى بعد تقرير أن سبب النقمة هو الإيمان بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل أن بقية السبب وأن أكثركم فاسقون فهذا الفسق هو شطر الباعث فالفسق يحمل صاحبه على النقمة من المستقيم وهي قاعدة نفسية واقعية ؛ تثبتها هذه اللفتة القرآنية العجيبة إن الذي يفسق عن الطريق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم إن وجوده يشعره دائما بفسقه وانحرافه إنه يتمثل له شاهدا قائما على فسقه هو وانحرافه ومن ثم يكرهه وينقم عليه يكره استقامته وينقم منه التزامه ؛ ويسعى جاهدا لجره إلى طريقه ؛ أو للقضاء عليه إذا استعصى قياده إنها قاعدة مطردة

تتجاوز موقف أهل الكتاب من الجماعة المسلمة في المدينة إلى موقف أهل الكتاب عامة من المسلمين عامة إلى موقف كل فاسق منحرف من كل عصبة ملتزمة مستقيمة والحرب المشبوبة دائما على الخيرين في مجتمع الأشرار وعلى المستقيمين في مجتمع الفاسقين وعلى الملتزمين في مجتمع المنحرفين هذه الحرب أمر طبيعي يستند إلى هذه القاعدة التي يصورها النص القرآني العجيب ولقد علم الله سبحانه أن الخير لا بد أن يلقى النقمة من الشر وأن الحق لا بد أن يواجه العداء من الباطل وأن الاستقامة لا بد أن تثير غيظ الفساق وأن الالتزام لا بد أن يجر حقد المنحرفين وعلم الله سبحانه أن لا بد للخير والحق والاستقامة والالتزام أن تدفع عن نفسها وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف وأنها معركة لا خيار فيها ولا يملك الحق ألا يخوضها في وجه الباطل لأن الباطل سيهاجمه ولا يملك الخير أن يتجنبها لأن الشر لا بد سيحاول سحقه وغفلة أي غفلة أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام أنهم متروكون من الباطل والشر والفسق والانحراف ؛ وأنهم يملكون تجنب المعركة ؛ وأنه يمكن أن تقوم هناك مصالحة أو مهادنة وخير لهم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعدة ؛ من أن يستسلموا للوهم والخديعة وهم يومئذ مأكولون مأكولون ثم نمضي مع السياق القرآني في توجيه الله سبحانه لرسوله ص لمواجهة أهل الكتاب بعد تقرير بواعثهم واستنكار هذه البواعث في النقمة على المسلمين فإذا هو يجبههم بتاريخ لهم قديم وشأن لهم مع ربهم وعقاب أليم قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل وهنا تطالعنا سحنة يهود وتاريخ يهود إنهم هم الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير إنهم هم الذين عبدوا الطاغوت وقصة لعنة الله لهم وغضبه عليهم واردة في مواضع شتى من القرآن الكريم ؛ وكذلك قصة جعله منهم القردة والخنازير فأما قضية عبادتهم للطاغوت فتحتاج إلى بيان هنا لأنها لفتة ذات دلالة خاصة في سياق هذه السورة إن الطاغوت هو كل سلطان لا يستمد من سلطان الله وكل حكم لا يقوم على شريعة الله وكل عدوان يتجاوز الحق والعدوان على سلطان الله وألوهيته وحاكميته هو أشنع العدوان وأشده طغيانا وأدخله في معنى الطاغوت لفظا ومعنى وأهل الكتاب لم يعبدوا الأحبار والرهبان ؛ ولكن اتبعوا

شرعهم وتركوا شريعة الله فسماهم الله عبادا لهم ؛ وسماهم مشركين وهذه اللفتـــة هنـــا ملحوظ فيها ذلك المعنى الدقيق فهم عبدوا الطاغوت أي السلطات الطاغيـــة المتجـــاوزة لحقها وهم لم يعبدوها بمعنى السجود لها والركوع ولكنهم عبدوها بمعنى الاتباع والطاعـــة وهي عبادة تخرج صاحبها من عبادة الله ومن دين الله والله سبحانه يوجه رسوله ص لمجابهة أهل الكتاب بهذا التاريخ وبذلك الجزاء الذي استحقوه من الله على هذا التاريخ كأنما هم جيل واحد بما أنهم جبلة واحدة يوجهه ليقول لهم إن هذا شر عاقبة قل هل أنبئكم بشـــر من ذلك مثوبة عند الله أي شر من نقمة أهل الكتاب على المسلمين وما يكيدون لهم وما يؤذونهم بسبب إيمانهم وأين نقمة البشر الضعاف من نقمة الله وعذابه وحكمه على أهـــل الكتاب بالشر والضلال عن سواء السبيل أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل الدرس الخامس نماذج من كفريات وتلاعب اليهود ويمضي السياق في التنفير من موالاتهم بعرض صفاتهم وسماتهم بعد عرض تاريخهم وجزائهم ويجيء التحذير والتوعي ة منهم بكشف ما يبيتون ويبرز اليهود كذلك في الصورة لأن الحديث عن وقائع جارية ومعظم الشر كـــان يجيء من قبل يهود وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا بـــه والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم الســـحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم الســـحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ؛ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانـــا وكفـــرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نـــارا للحـــرب أطفأهـــا الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين إنها عبارات تنشى ء صـــورا متحركـــة مشاهد حية على طريقة التعبير القرآنية الفريدة ومن وراء القرون يملـــك قـــارى ء هـــذه الآيات أن يشهد بعين التصور هؤلاء القوم الذين يتحدث عنهم القرآن من يهـــود علـــى الأرجح فالسياق يتحدث عنهم وإن كان من الجائز أنه يعني كذلك بعـــض المنـــافقين في المدينة يشهدهم يجيئون للمسلمين فيقولون آمنا ويشهد في جعبتهم الكفر وهم يدخلون به ويخرجون ؛ بينما ألسنتهم تقول غير ما في الجعبة من كفر يحملونـــه داخلـــين خـــارجين ولعلهم من يهود أولئك الذين كانوا يبيتون البلبلة وهم يقولون بعضهم لبعض آمنوا بهـــذا

القرآن وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون أي لعل المسلمين يرجعون عن دينـــهم بسبب هذه البلبلة والتشكيك الخبيث اللئيم والله أعلم بما كانوا يكتمون

يقولها الله سبحانه لأنها الحقيقة ؛ ثم لكي يطمئن المؤمنون إلى كلاءة ربهم لهم وحفظهم من كيد عدوهم ؛ وإحاطته علما بهذا الكيد المكتوم ثم ليهدد أصحاب هذا الكيــد لعلــهم ينتهون ويمضي السياق يرسم حركاتهم كأنها منظورة تشهد وتلحظ من خــلال التعــبير وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملــون والمسارعة مفاعلة تصور القوم كأنما يتسابقون تسابقا في الإثم والعدوان وأكل الحرام وهي صورة ترسم للتبشيع والتشنيع ولكنها تصور حالة من حالات النفوس والجماعات حــين يستشري فيها الفساد ؛ وتسقط القيم ؛ ويسيطر الشر وإن الإنسان لينظر إلى المجتمعــات التي انتهت إلى مثل هذه الحال فيرى كأنما كل من فيهــا يتســابقون إلى الشــر إلى الإثم والعدوان قويهم وضعيفهم سواء فالإثم والعدوان في المجتمعات الهابطة الفاسدة لا يقتصران على الأقوياء ؛ بل يرتكبهما كذلك الضعفاء فحتى هؤلاء ينساقون في تيــار الإثم وحــتى هؤلاء يملكون الاعتداء ؛ إنهم لا يملكون الاعتداء على الأقوياء طبعا ولكن يعتدي بعضهم على بعض ويعتدون على حرمات الله لأنها هي التي تكون في المجتمعات الفاسدة الحمــى المستباح الذي لا حارس له من حاكم ولا محكوم ؛ فالإثم والعدوان طابع المجتمــع حــين يفسد ؛ والمسارعة فيهما عمل هذه المجتمعات وكذلك كان مجتمع يهود في تلك الأيــام وكذلك أكلهم للحرام فأكل الحرام كذلك سمة يهود في كل آن لبئس ما كانوا يعملــون ويشير السياق إلى سمة أخرى من سمات المجتمعات الفاسدة ؛ وهــو يســتنكر ســكوت الربانيين القائمين على الشريعة والأحبار القائمين على أمر العلم الديني ســكوتهم علــى مسارعة القوم في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ وعدم نهيهم عن هــذا الشــر الــذي يتسابقون فيه لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس مــا كانوا يصنعون فهذه السمة سمة سكوت القائمين على أمر الشريعة والعلم الديني عما يقع في المجتمع من إثم وعدوان هي سمة المجتمعات التي فسدت وآذنت بالانهيار وبنو إســرائيل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه كما حكى عنهم القرآن الكريم إن سمة المجتمــع الخــير الفاضل الحي القوي المتماسك أن يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يوجد فيه

من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ وأن يوجد فيه من يستمع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وأن يكون عرف المجتمع من القوة بحيث لا يجرؤ المنحرفون فيه على التنكر لهذا الأمر والنهي ولا على إيذاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وهكذا وصف الله الأمة المسلمة فقال كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ووصف بني إسرائيل فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فكان ذلك فيصلا بين المجتمعين وبين الجماعتين أما هنا فينحي باللائمة على الربانيين والأحبار الساكتين على المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ الذين لا يقومون بحق ما استحفظوا عليه من كتاب الله وإنه لصوت النذير لكل أهل دين فصلاح المجتمع أو فساده رهن بقيام الحفظة على الشريعة والعلم فيه بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ والأمر كما قلنا من قبل في الظلال يقتضي سلطة تأمر وتنهى والأمر والنهي أمر غير الدعوة فالدعوة بيان والأمر والنهي سلطان وكذلك ينبغي أن يحصل الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر على السلطان الذي يجعل لأمرهم ونهيهم قيمته في المجتمع ؛ فلا يكون مطلق كلام وكنموذج من قولهم الإثم في أبشع صوره يحكي القرآن الكريم قول اليهود الغبي اللئيم وقالت اليهود يد الله مغلوله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وذلك من سوء تصور يهود لله سبحانه فقد حكى القرآن الكريم الكثير من سوء تصورهم ذاك وقد قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء عندما سئلوا النفقة وقالوا يد الله مغلولة يعللون بذلك بخلهم ؛ فالله بزعمهم لا يعطي الناس ولا يعطيهم إلا القليل فكيف ينفقون وقد بلغ من غلظ حسهم وجلافة قلوبهم ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر ؛ فاختاروا لفظا أشد وقاحة وتهجما وكفرا فقالوا يد الله مغلولة ويجيء الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم ولعنهم وطردهم من رحمة الله جزاء على قولهم غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وكذلك كانوا فهم أبخل خلق الله بمال ثم يصحح هذا التصور الفاسد السقيم ؛ ويصف الله سبحانه بوصفه الكريم وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وعطاياه التي لا تكف ولا تنفد لكل مخلوق ظاهرة للعيان شاهدة باليد المبسوطة والفضل الغامر والعطاء الجزيل ناطقة بكل لسان ولكن يهود لا تراها ؛ لأنها مشغولة عنها باللم والضم وبالكنود وبالجحود وبالبذاءة

حتى في حق الله ويحدث الله رسوله ص عما سيبدو من القوم وعما سيحل بهم بسبب حقدهم وغيظهم من اصطفاء الله له بالرسالة ؛ وبسبب ما تكشفه هذه الرسالة من أمرهم في القديم والحديث وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرًا فبسبب من الحقد والحسد وبسبب من افتضاح أمرهم فيما أنزل الله إلى رسوله سيزيد الكثيرون منهم طغيانا وكفرا لأنهم وقد أبوا الإيمان لا بد أن يشتطوا في الجانب المقابل ؛ ولا بد أن يزيدوا تبجحا ونكرا وطغيانا وكفرا فيكون الرسول ص رحمة للمؤمنين ووبالا عن المنكرين ثم يحدثه عما قدر الله لهم من التعادي والتباغض فيما بينهم ؛ ومن إبطال كيدهم وهو في أشد سعيره تلهبا ؛ ومن عودتهم بالخيبة فيما يشنونه من حرب على الجماعة المسلمة وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله وما تزال طوائف اليهود متعادية وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند ؛ وتوقد نار الحرب على البلاد الإسلامية وتفلح ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة ففي خلال ألف وثلاثمائة عام بل من قبل الإسلام واليهود في شحناء وفي ذل كذلك وتشرد ومصيرهم إلى مثل ما كانوا فيه مهما تقم حولهم الأسناد ولكن مفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة التي يتحقق لها وعد الله فأين هي العصبة المؤمنة اليوم التي تتلقى وعد الله وتقف ستارا لقدر الله ويحقق الله بها في الأرض ما يشاء ويوم تفيء الأمة المسلمة إلى الإسلام تؤمن به على حقيقته ؛ وتقيم حياتها كلها على منهجه وشريعته يومئذ يحق وعد الله على شر خلق الله واليهود يعرفون هذا ومن ثم يسلطون كل ما في جعبتهم من شر وكيد ؛ ويصبون كل ما في أيديهم من بطش وفتك على طلائع البعث الإسلامي في كل شبر من الأرض ويضربون لا بأيديهم ولكن بأيدي عملائهم ضربات وحشية منكرة ؛ لا ترعى في العصبة المؤمنة إلا ولا ذمة ولكن الله غالب على أمره ووعد الله لا بد أن يتحقق وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله إن هذا الشر والفساد الذي تمثله يهود لا بد أن يبعث الله عليه من يوقفه ويحطمه ؛ فالله لا يحب الفساد في الأرض ؛ وما لا يحبه الله لا بد أن يبعث عليه من عباده من يزيله ويعفي عليه ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين الدرس السادس أثر الإيمان وتطبيق شرع الله في الرخاء المعيشي وفي نهاية الدرس

تجيء القاعدة الإيمانية الكبرى قاعدة أن إقامة دين الله في الأرض معناها الصلاح والكسب والفلاح في حياة المؤمنين في هذه الدنيا وفي الآخرة على السواء لا افتراق بين دين ودنيا ولا افتراق بين دنيا وآخرة فهو منهج واحد للدنيا وللآخرة ؛ للدنيا وللدين تجيء هذه القاعدة الإيمانية الكبيرة بمناسبة الحديث عن انحراف أهل الكتاب عن دين الله ؛ وأكلهم السحت ؛ وتحريفهم الكلم من بعد مواضعه لينالوا عرضا من أعراض هذه الأرض واتباع دين الله كان أجدى عليهم في الأرض والسماء وفي الدنيا والآخرة لو أنهم اختاروا الطريق ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ؛ ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون إن هاتين الآيتين تقرران أصلا كبيرا من أصول التصور الإسلامي ومن ثم فهما تمثلان حقيقة ضخمة في الحياة الإنسانية ولعل الحاجة إلى جلاء ذلك الأصل وإلى بيان هذه الحقيقة لم تكن ماسة كما هي اليوم ؛ والعقل البشري والموازين البشرية والأوضاع البشرية تتأرجح وتضطرب وتتوه بين ضباب التصورات وضلال المناهج بإزاء هذا الأمر الخطير إن الله سبحانه يقول لأهل الكتاب ويصدق القول وينطبق على كل أهل كتاب إنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم وهذا جزاء الآخرة وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة والإنجيل وما أنزله الله إليهم من التعاليم كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل لصلحت حياتهم الدنيا ونمت وفاضت عليهم الأرزاق ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق ووفرة النتاج وحسن التوزيع وصلاح أمر الحياة ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج الله إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدة غير مسرفة على نفسها وكثير منهم ساء ما يعملون وهكذا يبدو من خلال الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده وإن كان هو المقدم وهو الأدوم ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة وفرة ونماء وحسن توزيع وكفاية يرسمها في صورة حسية تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وهكذا يتبين أن ليس هنالك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة ؛ وطريق آخر مستقل لصلاح الحياة في

الدنيا إنما هو طريق واحد تصلح به الدنيا والآخرة فإذا تنكب هذا الطريق فسدت الـــدنيا وخسرت الآخرة هذا الطريق الواحد هو الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الإلهي في الحيـــاة الدنيا وهذا المنهج ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور قلبي وتقوى فحسب ولكنه كـــذلك وتبعا لذلك منهج حياة أنسانية واقعية يقام وتقام عليه الحياة وإقامته مع الإيمان والتقـــوى هي التي تكفل صلاح الحياة الأرضية وفيض الرزق ووفرة النتاج وحسن التوزيـــع حـــتى يأكل الناس جمعيا في ظل هذا المنهج من فوقهم ومن تحت أرجلهم إن المنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلا من الدنيا ؛ ولا يجعل سعادة الآخرة بديلا من سعادة الدنيا ولا يجعل طريق الآخرة غير طريق الدنيا وهذه هي الحقيقة الغائمة اليوم في أفكار النـــاس وعقـــولهم وضمائرهم وأوضاعهم الواقعية لقد افترق طريق الدنيا وطريق الآخرة في تفكـــير النـــاس وضميرهم وواقعهم بحيث أصبح الفرد العادي وكذلك الفكر العام للبشرية الضالة لا يرى أن هنالك سبيلا للالتقاء بين الطريقين ويرى على العكس أنه إما أن يختار طريـــق الـــدنيا فيهمل الآخرة من حسابه ؛ وإما أن يختار طريق الآخرة فيهمل الدنيا مـــن حســـابه ؛ ولا سبيل إلى الجمع بينهما في تصور ولا واقع لأن واقع الأرض والناس وأوضاعهم في هـــذه الفترة من الزمان توحي بهذا حقيقة إن أوضا ع الحياة الجاهلية الضالة البعيدة عن الله وعن منهجه للحياة اليوم تباعد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة وتحتم على الذين يريدون البروز في المجتمع والكسب في مضمار المنافع الدنيوية أن يتخلوا عن طريق الآخرة ؛ وأن يضحوا بالتوجيهات الدينية والمثل الخلقية ؛ والتصورات الرفيعة والسلوك النظيف الذي يحض عليه الدين كما تحتم على الذين يريدون النجاة في الآخرة أن يتجنبوا تيار هذه الحياة وأوضاعها القذرة والوسائل التي يصل بها الناس في مثل هذه الأوضا ع إلى البروز في المجتمع والكسب في مضمار المنافع لأنها وسائل لا يمكن أن تكون نظيفة ولا مطابقة للـــدين والخلـــق ولا مرضية لله سبحانه ولكن تراها ضربة لازب ترى أنه لا مفر من هذا الحـــال التعـــيس ولا سبيل إلى اللقاء بين طريق الدنيا وطريق الآخرة كلا إنها ليست ضربة لازب فالعداء بـــين الدنيا والآخرة ؛ والافتراق بين طريق الدنيا وطريق الآخرة ليس هو الحقيقة النهائية التي لا تقبل التبديل بل إنها ليست من طبيعة هذه الحياة أصلا إنما هي عارض ناشى ء من انحراف طارى ء إن الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخـــرة ؛

وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا وأن يكون الإنتاج والنماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة كما أنه هـو المؤهـل لرخاء هذه الحياة الدنيا ؛ وأن يكون الإيمان والتقوى والعمل الصالح هي أسباب عمـران هذه الأرض كما أنها هي وسائل الحصول على رضوان الله وثوابه الأخروي هـذا هـو الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية ولكن هذا الأصل لا يتحقق إلا حين تقوم الحيـاة علـى منهج الله الذي رضيه للناس فهذا المنهج هو الذي يجعل العمل عبادة وهو الـذي يجعـل الخلافة في الأرض وفق شريعة الله فريضة والخلافة عمل وإنتاج ووفرة ونمـاء وعـدل في التوزيع يفيض به الرزق على الجميع من فوقهم ومن تحت أرجلهم كما يقول الله في كتابه الكريم إن التصور الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله بإذن الله وفق شرط الله ومن ثم يجعل العمل المنتج المثمر وتوفير الرخاء باستخدام كـل مقـدرات الأرض وخاماتها ومواردها بل الخامات والموارد الكونية كذلك هو الوفاء بوظيفة الخلافة ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف طاعة لله ينال عليها العبد ثواب الآخرة ؛ بينما هو بقيامه بهذه الوظيفة على هذا النحـو يظفـر بخيرات الأرض التي سخرها الله له ؛ ويفيض عليه الرزق من فوقه ومن تحت رجليه كمـا يصور التعبير القرآني الجميل ووفق التصور الإسلامي يعتبر الإنسان الذي لا يفجر ينـابيع الأرض ولا يستغل طاقات الكون المسخرة له عاصيا لله ناكلا عن القيام بالوظيفـة الـتي خلقه الله لها وهو يقول للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة وهو يقول كذلك للنـاس وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ومعطلا لرزق الله الموهوب للعبـاد وهكذا يخسر الآخرة لأنه خسر الدنيا والمنهج الإسلامي بهذا يجمع بـين العمـل للـدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق فلا يفوت على الإنسان دنياه لينال آخرته ولا يفـوت عليه آخرته لينال دنياه فهما ليسا نقيضين ولا بديلين في التصور الإسلامي هذا بالقياس إلى جنس الإنسان عامة وبالقياس إلى الجماعات الإنسانية التي تقوم في الأرض على منهج الله فأما بالقياس إلى الأفراد فإن الأمر لا يختلف إذ أن طريق الفرد وطريق الجماعة في المنـهج الإسلامي لا يختلفان ولا يتصادمان ولا يتعارضان فالمنهج يحتم على الفرد أن يبذل أقصى طاقته الجسمية والعقلية في العمل والإنتاج ؛ وأن يبتغي في العمل والإنتاج وجه الله فـلا

يظلم ولا يغدر ولا يغش ولا يخون ولا يأكل من سحت ولا يحتجز دون أخيه المحتـــاج في الجماعة شيئا يملكه مع الاعتراف الكامل له بملكيته الفردية لثمـــرة عملــه والاعتـــراف للجماعة بحقها في ماله في حدود ما فرض الله وما شرع والمنهج يسجل للفرد عملــه في هذه الحدود ووفق هذه الاعتبارات عبادة لله يجزيه عليها بالبركة في الـــدنيا وبالجنـــة في الآخرة ويربط المنهج بين الفرد وربه رباطا أقوى بالشعائر التعبدية التي يفرضـــها عليـــه ؛ ليستوثق بهذا الرباط من تجدد صلته بالله في اليوم الواحد خمس مرات بالصلاة وفي العـــام الواحد ثلاثين يوما بصوم رمضان وفي العمر كله بحج بيت الله وفي كل موسم أو في كل عام بإخراج الزكاة ومن هنا قيمة هذه الفرائض التعبدية في المنهج الإسلامي إنها تجديـــد للعهد مع الله على الارتباط بمنهجه الكلي للحياة وهي قربى لله يتجدد معها العـــزم علـــى النهوض بتكاليف هذا المنهج الذي ينظم أمر الحياة كلها ويتولى شئون العمـــل والإنتـــاج والتوزيع والحكم بين الناس في علاقاتهم وفي خلافاتهم ويتجدد معها الشـــعور بعـــون الله ومدده على حمل التكاليف التي يتطلبها النهوض بهذا المنهج الكلي المتكامل والتغلب علـــى شهوات الناس وعنادهم وانحرافهم وأهوائهم حين تقف في الطريق وليست هذه الشـــعائر التعبدية أمورا منفصلة عن شئون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم والقضاء والجهاد لإقرار منهج الله في الأرض وتقرير سلطانه في حياة الناس إنما الإيمان والتقوى والشعائر التعبديـــة شطر المنهج المعين على أداء شطره الآخر وهكذا يكون الإيمان والتقوى وإقامة منـــهج الله في الحياة العملية سبيلا للوفرة والفيض كما بعد الله الناس في هاتين الآيتين الكـــريمتين إن التصور الإسلامي وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه لا يقدم الحياة الآخرة بـــديلا مـــن الحياة الدنيا ولا العكس إنما يقدمهما معا في طريق واحد وبجهد واحد ولكنهما لا يجتمعان كذلك في حياة الإنسان إلا إذا اتبع منهج الله وحده في الحيـــاة دون أن يـــدخل عليـــه تعديلات مأخوذة من أوضاع أخرى لم تنبثق من منهج الله أو مأخوذة من تصوراته الذاتية التي لم تضبط بهذا المنهج ففي هذا المنهج وحده يتم ذلك التناســـق الكامـــل والتصـــور الإسلامي وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه لا يقدم الإيمان والعبادة والصلاح والتقوى بديلا من العمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة المادية وليس هو المنهج الـــذي يعد الناس فردوس الآخرة ويرسم لهم طريقه ؛ بينما يدع الناس أن يرسموا لأنفسهم الطريق

المؤدي إلى فردوس الدنيا كما يتصور بعض السطحيين في هذا الزمان فالعمـــل والإنتـــاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة الدنيا تمثل في التصور الإسلامي والمنهج الإسلامي فريضة الخلافة في الأرض والإيمان والعبادة والصلاح والتقوى تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع والحوافز لتحقيق المنهج في حياة الناس وهذه وتلك معا هي مؤهلات الفردوس الأرضـــي والفردوس الأخروي معا ؛ والطريق هو الطريق ولا فصام بين الدين والحياة الواقعية المادية كما هو واقع في الأوضاع الجاهلية القائمة في الأرض كلها اليوم والتي منها يقوم في أوهام الواهمين أنه لا مفر من أن يختار الناس الدنيا أو يختاروا الآخرة ولا يجمعوا بينهما في تصور أو في واقع لأنهما لا تجتمعان إن هذا الفصام النكد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة في حياة الناس وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة وبين العبادة الروحية والإبداع المادي وبين النجاح في الحياة الدنيا والنجاح في الحياة الأخرى إن هذا الفصام النكد ليس ضريبة مفروضة على البشرية بحكم من أحكام القدر الحتمية إنما هو ضريبة بائسه فرضتها البشرية على نفســـها وهي تشرد عن منهج الله وتتخذ لنفسها مناهج أخرى من عند أنفسها معادية لمنـــهج الله في الأساس والاتجاه وهي ضريبة يؤديها الناس من دمائهم وأعصابهم في الحياة الدنيا فـــوق ما يؤدونه منها في الآخرة وهو أشد وأنكى إنهم يؤدونها قلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبلـــة خاطر من جراء خواء قلوبهم من طمأنينة الإيمان وبشاشته وزاده وريه إذا هم آثروا اطراح الدين كله على زعم أن هذا هو الطريق الوحيد للعمل والإنتاج والعلم والتجربة والنجاح الفردي والجماعي في المعترك العالمي ذلك أنهم في هذه الحالة يصارعون فطرتهم يصارعون الجوعة الفطرية إلى عقيدة تملأ القلب ولا تطيق الفراغ والخواء وهي جوعـــة لا تملؤهـــا مذاهب اجتماعية أو فلسفية أو فنية على الإطلاق لأنها جوعة النزعة إلى إله وهم يؤدونها كذلك قلقا وحيدة وشقاء قلب وبلبلة خاطر إذا هم حاولوا الاحتفـــاظ بعقيـــدة في الله وحاولوا معها مزاولة الحياة في هذا المجتمع العالمي الذي يقوم نظامه كله وتقوم أوضـــاعة وتقوم تصوراته وتقوم وسائل الكسب فيه ووسائل النجاح على غير منهج الله وتتصادم فيه العقيدة الدينية والخلق الديني والسلوك الديني مع الأوضاع والقوانين والقـــيم والمـــوازين السائدة في هذا المجتمع المنكود وتعاني البشرية كلها ذلك الشقاء سواء اتبعـــت المـــذاهب المادية الإلحادية أو المذاهب المادية التي تحاول استبقاء الدين عقيدة بعيدة عن نظام الحيـــاة

العملية وتتصور أو يصور لها أعداء البشرية أن الدين لله وأن الحياة للناس وأن الدين عقيدة وشعور وعبادة وخلق والحياة نظام وقانون وإنتاج وعمل وتؤدي البشرية هـذه الضـريبة الفادحة ضريبة الشقاء والقلق والحيرة والخواء لأنها لا تهتدي إلى منهج الله الذي لا يفصل بين الدنيا والآخرة بل يجمع ؛ ولا يقيم التناقض والتعارض بين الرخاء في الدنيا والرخاء في الآخرة بل ينسق ولا يجوز أن تخدعنا ظواهر كاذبة في فترة موقوتة إذ نرى أمما لا تؤمن ولا تتقي ولا تقيم منهج الله في حياتها وهي موفورة الخيرات كثيرة الإنتاج عظيمة الرخاء إنـه رخاء موقوت حتى تفعل السنن الثابتة فعلها الثابت وحتى تظهر كل آثار الفصام النكد بين الإبداع المادي والمنهج الرباني والآن تظهر بعض هذه الآثار في صور شتى تظهر في سـوء التوزيع في هذه الأمم مما يجعل المجتمع حافلا بالشقاء وحافلا بالأحقاد وحافلا بالمخـاوف من الانقلابات المتوقعة نتيجة هذه الأحقاد الكظيمة وهو بلاء على رغم الرخاء وتظهر في الكبت والقمع والخوف في الأمم التي أرادت أن تضمن نوعا من عدالة التوزيع واتخـذت طريق التحطيم والقمع والإرهاب ونشر الخوف والذعر لإقرار الإجراءات التي تأخذ بهـا لإعادة التوزيع وهو بلاء لا يأمن الإنسان فيه على نفسه ولا يطمئن ولا يبيت ليلة في سلام وتظهر في الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي بدوره إن عاجلا أو آجلا إلى تدمير الحياة المادية ذاتها فالعمل والإنتاج والتوزيع كلها في حاجة إلى ضـمانة الأخـلاق والقـانون الأرضي وحده عاجز كل العجز عن تقديم الضمانات لسير العمل كما نرى في كل مكان وتظهر في القلق العصبي والأمراض المنوعة التي تجتاح أمم العالم وبخاصة أشدها رخاء ماديا مما يهبط بمستوى الذكاء والاحتمال ويهبط بعد ذلك بمستوى العمل والإنتاج وينتهي إلى تدمير الاقتصاد المادي والرخاء وهذه الدلائل اليوم واضحة وضوحا كافيا يلفت الأنظـار وتظهر في الخوف الذي تعيش فيه البشرية كلها من الدمار العالمي المتوقع في كل لحظـة ؛ في هذا العالم المضطرب ؛ الذي تحوم حوله نذر الحرب المدمرة وهو خوف يضغط علـى أعصاب الناس من حيث يشعرون أو لا يشعرون ؛ فيصيبهم بشتى الأمراض العصـبية و لم ينتشر الموت بالسكتة وانفجار المخ والانتحار كما انتشر في أمم الرخاء وتظهر هذه الآثار كلها بصورة متقدمة واضحة في ميل بعض الشعوب إلى الاندثار والدمار وأظهر الأمثلـة الحاضرة تتجلى في الشعب الفرنسي وليس هذا إلا مثلا للآخرين في فعل الافتـراق بـين

النشاط المادي والمنهج الرباني ؛ وافتراق الدنيا والآخرة وافتراق الدين والحياة ؛ أو اتخـــاذ منهج للآخرة من عند الله واتخاذ منهج للدنيا من عند الناس ؛ وإيقاع هذا الفصام النكـــد بين منهج الله وحياة الناس وقبل أن ننهي هذا التعليق على التقرير القرآني لتلك الحقيقـــة الكبيرة نحب أن نؤكد أهمية التناسق في منهج الله بين الإيمان والتقوى وإقامـــة المنـــهج في الحياة الواقعية للناس وبين العمل والإنتاج والنهوض بالخلافة في الأرض فهذا التناسق هـــو الذي يحقق شرط الله لأهل الكتاب ولكل جماعة من الناس أن يأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم في الدنيا وأن تكفر عنهم سيئاتهم ويدخلوا جنات النعيم في الآخرة ؛ وأن يجتمـــع لهم الفردوس الأرضي بالوفرة والكفاية مع السلام والطمأنينة وفردوس الآخرة بما فيه مـــن نعيم ورضوان ولكننا مع هذا التوكيد لا نحب أن ننســـى أن القاعـــدة الأولى والركيـــزة الأساسية هي الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الرباني في الحياة الواقعية فهذا يتضمن في ثناياه العمل والإنتاج والترقية والتطوير للحياة فضلا على أن للصلة بالله مذاقها الذي يغير كـــل طعوم الحياة ؛ ويرفع كل قيم الحياة ؛ ويقوم كل موازين الحياة فهذا هو الأصل في التصور الإسلامي وفي المنهج الإسلامي وكل شيء فيه يجيء تبعا له ومنبثقا منه ومعتمدا عليـــه ثم يتم تمام الأمر كله في الدنيا والآخرة في تناسق واتساق وينبغي أن نذكر أن الإيمان والتقوى والعبادة والصلة بالله وإقامة شريعة الله في الحياة كل أولئك ثمرته للإنسان وللحياة الإنسانية فالله سبحانه غني عن العالمين وإذا شدد المنهج الإسلامي في هذه الأسس وجعلها منـــاط العمل والنشاط ؛ ورد كل عمل وكل نشاط لا يقوم عليها وعده باطلا لا يقبل وحابطـــا لا يعيش وذاهبا مع الريح فليس هذا لأن الله سبحانه يناله شيء من إيمان العباد وتقـــواهم وعبادتهم له وتحقيق منهجه للحياة ولكن لأنه سبحانه يعلم أن لا صلاح لهم ولا فلاح إلا بهذا المنهاج في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ص فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فـــلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا مـــن كســـوته فاستكســـوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لـــو أن

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ؛ ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » رواه مسلم وعلى هذا الأساس ينبغي أن ندرك وظيفة الإيمان والتقوى والعبادة وإقامة منهج الله في الحياة والحكم بشريعة الله فهي كلها لحسابنا نحن لحساب هذه البشرية في الدنيا والآخرة جميعا وهي كلها ضروريات لصلاح هذه البشرية في الدنيا والآخرة جميعا ونحسب أننا لسنا في حاجة لأن نقول إن هذا الشرط الإلهي لأهل الكتاب غير خاص بأهل الكتاب فالشرط لأهل الكتاب يتضمن الإيمان والتقوى وإقامة منهج الله المتمثل في ما أنزل إليهم في التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من رهم وذلك بطبيعة الحال قبل البعثة الأخيرة فأولى بالشرط الذين أنزل إليهم القرآن أولى بالشرط الذين يقولون إنهم مسلمون فهؤلاء هم الذين يتضمن دينهم بالنص الإيمان بما أنزل إليهم وما أنزل من قبل والعمل بكل ما أنزل إليهم وما استبقاه الله في شرعهم من شرع من قبلهم وهم أصحاب الدين الذي لا يقبل الله غيره من أحد وقد انتهى إليه كل دين قبله ؛ ولم يعد هناك دين يقبله الله غيره أو يقبل من أحد غيره فهؤلاء أولى أن يكون شرط الله وعهده لهم وهؤلاء أولى أن يرتضوا ما ارتضاه الله منهم وأن يستمتعوا بما يشرطه الله لهم من تكفير السيئات ودخول الجنة في الآخرة ؛ ومن الأكل من فوقهم ومن تحت أرجلهم في الدنيا إنهم أولى أن يستمتعوا بما يشرطه الله لهم بدلا من الجوع والمرض والخوف والشظف الذي يعيشون فيه في كل أرجاء الوطن الإسلامي أو الذي كان إسلاميا بتعبير أصح وشرط الله قائم ؛ والطريق إليه معروف لو كانوا يعقلون الوحدة السادسة الموضوع بيان كفر وانحراف وإفساد أهل الكتاب مقدمة الوحدة تقرير نوع العلاقة بين الجماعة المسلمة وأهل الكتاب يمضي هذا الدرس في بيان حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكشف الانحراف فيما يعتقدون وكشف السوء فيما يصنعون ؛ في تاريخهم كله وبخاصة اليهود كما يمضي في تقرير نوع

العلاقة بنيهم وبين الرسول ص والجماعة المسلمة ؛ وواجب الرسول ص في تعامله معهم وواجب المسلمين ذلك إلى تقرير حقائق أساسية ضخمة في أصول التصور الاعتقادي ؛ وفي أصول النشاط الحركي للجماعة المسلمة تجاه المعتقدات المنحرفة وتجاه المنحرفين لقد نادى الله سبحانه الرسول ص وكلفه تبليغ ما أنزل إليه من ربه كل ما أنزل إليه لا يستبقي منه شيئا ولا يؤخر منه شيئا مراعاة للظروف والملابسات أو تجنبا للاصطدام بأهواء الناس وواقع المجتمع وإن لم يفعل فما يكون قد بلغ ومن هذا الذي كلف الرسول ص تبليغه أن يجابه أهل الكتاب بأنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم هكذا قاطعة جازمة صريحة جاهرة وأن يعلن كذلك كفر اليهود بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وكفر النصارى بقولهم إن الله هو المسيح عيسى بن مريم وقولهم إن الله ثالث ثلاثة كما يعلن أن المسيح عليه السلام أنذر بني إسرائيل عاقبة الشرك وتحريم الله الجنة على المشركين وأن بني إسرائيل لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم بعصياهم وعدوانهم وينتهي الدرس بكشف موقف أهل الكتاب من مظاهرة المشركين على المسلمين وإعلان أن هذا ناشيء من عدم إيمانهم بالله والنبي وأنهم مدعوون إلى الإيمان بما جاء به محمد ص وإلا فما هم بالمؤمنين ونأخذ بعد هذا الإجمال في مواجهة النصوص بالتفصيل الدرس الأول وجوب التبليغ وبيان المؤمن من الكافر يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (الظلال)

****

وأمر سبحانه وتعالى بقتالهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون :

قال تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) [التوبة/٢٩، ٣٠] }

وقد حدد السياق من هذه الصفات القائمة :

أولاً : أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

ثانياً : أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله .

ثالثاً : أنهم لا يدينون دين الحق .

ثم بين في الآيات التالية كيف أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق .

وذلك بأنهم :

أولاً : قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله؛ وأن هذا القول يضاهئ قول الذين كفروا من قبلهم من الوثنيين . فهم مثلهم في هذا الاعتقاد الذي لا يعد صاحبه مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر . (وسنبين بالضبط كيف أنه لا يؤمن باليوم الآخر) .

ثانياً : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم . وأن هذا مخالف لدين الحق . . وهو الدينونة لله وحده بلا شركاء . . فهم بهذا مشركون لا يدينون دين الحق . .

ثالثاً : يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . فهم محاربون لدين الله . ولا يحارب دين الله مؤمن بالله واليوم الآخر يدين دين الحق أبداً .

رابعاً : يأكل كثير من أحبارهم ورهبانهم أموال الناس بالباطل . فهم إذن لا يحرمون ما حرم الله ورسوله (سواء كان المقصود برسوله رسولهم أو محمد صلى الله عليه وسلم) :

وهذه الصفات كلها كانت واقعة بالقياس إلى نصارى الشام والروم . كما أنها واقعة بالقياس إلى غيرهم منذ أن حرفت المجامع المقدسة دين المسيح عليه السلام؛ وقالت ببنوة عيسى عليه السلام ، وبتثليث الأقانيم – على كل ما بين المذاهب والفرق من خلاف يلتقي كله على التثليث! – على مدار التاريخ حتى الآن!

وإذن فهو أمر عام ، يقرر قاعدة مطلقة في التعامل مع أهل الكتاب ، الذين تنطبق عليهم هذه الصفات التي كانت قائمة في نصارى العرب ونصارى الروم . . ولا يمنع من هذا العموم أن الأوامر النبوية استثنت أفراداً وطوائف بأعيانها لتترك بلا قتال كالأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والرهبان الذين حبسوا انفسهم في الأديرة . . . بوصفهم غير محاربين

– فقد منع الإسلام أن يقاتل غير المحاربين من أية ملة – وهؤلاء لم تستثنهم الأوامر النبوية لأنهم لم يقع منهم اعتداء بالفعل على المسلمين . ولكن لأنه ليس من شأنهم أصلاً أن يقع منهم الاعتداء . فلا محل لتقييد هذا الأمر العام بأن المقصود به هم الذين وقع منهم اعتداء فعلاً – كما يقول المهزومون الذين يحاولون أن يدفعوا عن الإسلام الاتهام! – فالاعتداء قائم ابتداء . الاعتداء على ألوهية الله! والاعتداء على العباد بتعبيدهم لغير الله! والإسلام حين ينطلق للدفاع عن ألوهية الله – سبحانه – والدفاع عن كرامة الإنسان في الأرض ، لا بد أن تواجهه الجاهلية بالمقاومة والحرب والعداء . . ولا مفر من مواجهة طبائع الأشياء!

إن هذه الآية تأمر المسلمين بقتال أهل الكتاب { الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر } . . والذي يقول ببنوة عزير لله أو بنوة المسيح لله لا يمكن أن يقال عنه : إنه يؤمن بالله . وكذلك الذي يقول : إن الله هو المسيح ابن مريم . أو إن الله ثالث ثلاثة . أن إن الله تجسد في المسيح . . . إلى آخر التصورات الكنسية التي صاغتها المجامع المقدسة على كل ما بينها من خلاف! .

والذين يقولون : إنهم لن يدخلوا النار إلا أياماً معدودات مهما ارتكبوا من آثام بسبب أنهم أبناء الله وأحباؤه وشعب الله المختار ، والذين يقولون : إن كل معصية تغفر بالاتحاد بالمسيح وتناول العشاء المقدس؛ وأنه لا مغفرة إلا عن هذا الطريق! هؤلاء وهؤلاء لا يقال : إنهم يؤمنون باليوم الآخر . .

وهذه الآية تصف أهل الكتاب هؤلاء بأنهم { لا يحرمون ما حرم الله ورسوله } . وسواء كان المقصود بكلمة { رسوله } هو رسولهم الذي أرسل إليهم ، أو هو النبي – صلى الله عليه وسلم – فالفحوى واحدة . ذلك أن الآيات التالية فسرت هذا بأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل . وأكل أموال الناس بالباطل محرم في كل رسالة وعلى يد كل رسول . . وأقرب النماذج لأكل أموال الناس بالباطل هو المعاملات الربوية . وهو ما يأخذه رجال الكنيسة مقابل « صك الغفران »! وهو الصد عن دين الله والوقوف في وجهه بالقوة وفتنة المؤمنين عن دينهم . وهو تعبيد العباد لغير الله وإخضاعهم لأحكام وشرائع لم يترلها الله .

. فهذا كله ينطبق عليه : { ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله } . . وهذا كله قائم في أهل الكتاب ، كما كان قائماً يومذاك!

كذلك تصفهم الآية بأنهم { لا يدينون دين الحق } . . وهذا واضح مما سبق بيانه . فليس بدين الحق أي اعتقاد بربوبية أحد مع الله . كما أنه ليس بدين الحق التعامل بشريعة غير شريعة الله ، وتلقي الأحكام من غير الله ، والدينونة لسلطان غير سلطان الله . وهذا كله قائم في أهل الكتاب ، كما كان قائماً فيهم يومذاك . .

والشرط الذي يشترطه النص للكف عن قتالهم ليس أن يسلموا . . فلا إكراه في الدين . ولكن أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . . فما حكمة هذا الشرط ، ولماذا كانت هذه هي الغاية التي ينتهي عندها القتال؟

إن أهل الكتاب بصفاتهم تلك حرب على دين الله اعتقاداً وسلوكاً؛ كما أنهم حرب على المجتمع المسلم بحكم طبيعة التعارض والتصادم الذاتيين بين منهج الله ومنهج الجاهلية الممثلة في عقيدة أهل الكتاب وواقعهم - وفق ما تصوره هذه الآيات - كما أن الواقع التاريخي قد أثبت حقيقة التعارض وطبيعة التصادم؛ وعدم إمكان التعايش بين المنهجين؛ وذلك بوقوف أهل الكتاب في وجه دين الله فعلاً ، وإعلان الحرب عليه وعلى أهله بلا هوادة خلال الفترة السابقة لنزول هذه الآية (وخلال الفترة اللاحقة لها إلى اليوم أيضاً!) .

والإسلام - بوصفه دين الحق الوحيد القائم في الأرض - لا بد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من وجهه؛ ولتحرير الإنسان من الدينونة بغير دين الحق؛ على أن يدع لكل فرد حرية الاختيار ، بلا إكراه منه ولا من تلك العوائق المادية كذلك .

وإذن فإن الوسيلة العملية لضمان إزالة العوائق المادية ، وعدم الإكراه على اعتناق الإسلام في الوقت نفسه ، هي كسر شوكة السلطات القائمة على غير دين الحق؛ حتى تستسلم؛ وتعلن استسلامها بقبول إعطاء الجزية فعلاً .

وعندئذ تتم عملية التحرير فعلاً ، بضمان الحرية لكل فرد أن يختار دين الحق عن اقتناع . فإن لم يقتنع بقي على عقيدته ، وأعطى الجزية . لتحقيق عدة أهداف :

أولها : أن يعلن بإعطائها استسلامه وعدم مقاومته بالقوة المادية للدعوة إلى دين الله الحق .

وثانيها : أن يساهم في نفقات الدفاع عن نفسه وماله وعرضه وحرماته التي يكفلها الإسلام لأهل الذمة (الذين يؤدون الجزية فيصبحون في ذمة المسلمين وضمانتهم) ويدفع عنها من يريد الاعتداء عليها من الداخل أو من الخارج بالمجاهدين من المسلمين .
وثالثها : المساهمة في بيت مال المسلمين الذي يضمن الكفالة والإعاشة لكل عاجز عن العمل ، بما في ذلك أهل الذمة ، بلا تفرقة بينهم وبين المسلمين دافعي الزكاة .
ولا نحب أن نستطرد هنا إلى الخلافات الفقهية حول من تؤخذ منهم الجزية ومن لا تؤخذ منهم . ولا عن مقادير هذه الجزية . ولا عن طرق ربطها ومواضع هذا الربط . . ذلك أن هذه القضية برمتها ليست معروضة علينا اليوم ، كما كانت معروضة علىعهود الفقهاء الذين أفتوا فيها واجتهدوا رأيهم في وقتها .
إنها قضية تعتبر اليوم « تاريخية » وليست « واقعية » . . إن المسلمين اليوم لا يجاهدون! . . ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون! . . إن قضية « وجود » الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج!
والمنهج الإسلامي - كما قلنا من قبل مراراً - منهج واقعي جاد؛ يأبى أن يناقش القضايا المعلقة في الفضاء؛ ويرفض أن يتحول إلى مباحث فقهية لا تطبق في عالم الواقع - لأن الواقع لا يضم مجتمعاً مسلماً تحكمه شريعة الله ، ويصرّف حياته الفقه الإسلامي - ويحتقر الذين يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بمثل هذه المباحث في أقضية لا وجود لها بالفعل؛ ويسميهم « الأرأيتيين » الذين يقولون : « أرأيت لو أن كذا وقع فما هو الحكم؟ » .
إن نقطة البدء الآن هي نقطة البدء في أول عهد الناس برسالة الإسلام . . أن يوجد في بقعة من الأرض ناس يدينون دين الحق؛ فيشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . ومن ثم يدينون لله وحده بالحاكمية والسلطان والتشريع؛ ويطبقون هذا في واقع الحياة . . ثم يحاولون أن ينطلقوا في الأرض بهذا الإعلان العام لتحرير الإنسان . . ويومئذ - ويومئذ فقط - سيكون هناك مجال لتطبيق النصوص القرآنية والأحكام الإسلامية في مجال العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات . . ويومئذ - ويومئذ فقط - يجوز الدخول في تلك المباحث الفقهية ، والاشتغال بصياغة الأحكام ، والتقنين للحالات الواقعة التي يواجهها الإسلام بالفعل ، لا في عالم النظريات!

وإذا كنا قد تعرضنا لتفسير هذه الآية – من ناحية الأصل والمبدأ – فإنما فعلنا هذا لأنها تتعلق بمسألة اعتقادية وترتبط بطبيعة المنهج الإسلامي .

****

وحرم علينا الدعوة إلى السلم ونحن الأعلون :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) [محمد/٣٤، ٣٥] }

فالفرصة متاحة فقط للمغفرة في هذه الدنيا؛ وباب التوبة يظل مفتوحاً للكافر والعاصي حتى يغرغر . فإذا بلغت الروح الحلقوم فلا توبة ولا مغفرة ، فقد ذهبت الفرصة التي لا تعود .

ومثل هذه الآية يخاطب المؤمنين كما يخاطب الكفار . فأما هؤلاء فهي نذارة لهم ليتداركوا أمرهم ويتوبوا قبل أن تغلق الأبواب . وأما أولئك فهي تحذير لهم وتنبيه لاتقاء كافة الأسباب التي تقرب بهم من هذا الطريق الخطر المشؤوم!

ندرك هذا من ترتيب النهي عن الوهن والدعوة إلى السلم في الآية التالية على ما ورد في الآية السابقة من بيان لمصير الكافرين المشاقين :

{ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم } . .

فهذا هو الذي يحذر المؤمنين إياه ، ويضع أمامهم مصير الكفار المشاقين للرسول ، ليحذروا شبحه من بعيد!

وهذا التحذير يشي بوجود أفراد من المسلمين كانوا يستثقلون تكاليف الجهاد الطويل ومشقته الدائمة؛ وتهن عزائمهم دونه؛ ويرغبون في السلم والمهادنة ليستريحوا من مشقة الحروب . وربما كان بعضهم ذوي قرابة في المشركين ورحم ، أو ذوي مصالح وأموال؛ وكان هذا يجنح بهم إلى السلم والمهادنة . فالنفس البشرية هي هي؛ والتربية الإسلامية تعالج هذا الوهن وهذه الخواطر الفطرية بوسائلها . وقد نجحت نجاحاً خارقاً . ولكن هذا لا ينفي أن تكون هنالك رواسب في بعض النفوس ، وبخاصة في ذلك الوقت المبكر من

العهد المدني . وهذه الآية بعض العلاج لهذه الرواسب . فلننظر كيف كان القرآن يأخذ النفوس . فنحن في حاجة إلى تحري خطوات القرآن في التربية . والنفوس هي النفوس :

{ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم . وأنتم الأعلون . والله معكم . ولن يتركم أعمالكم } . .

أنتم الأعلون . فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم . أنتم الأعلون اعتقاداً وتصوراً للحياة . وأنتم الأعلون ارتباطاً وصلة بالعلي الأعلى . وأنتم الأعلون منهجاً وهدفاً وغاية . وأنتم الأعلون شعوراً وخلقاً وسلوكاً . . ثم . . أنتم الأعلون قوة ومكاناً ونصرة . فمعكم القوة الكبرى : { والله معكم } . . فلستم وحدكم . إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار . وهو لكم نصير حاضر معكم . يدافع عنكم . فما يكون أعدائكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبذلون ، وكل ما تفعلون ، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم ، لا يضيع منه شيء عليكم : { ولن يتركم أعمالكم } . . ولن يقطع منها شيئاً لا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه .

فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم ، من يقرر الله - سبحانه - له أنه الأعلى . وأنه معه . وأنه لن يفقد شيئاً من عمله . فهو مكرم منصور مأجور؟

أضواء البيان - (ج ٧ / ص ٤٤٩)

وقوله تعالى { فَلاَ تَهِنُوا } أي لا تضعفوا وتذلوا ، ومنه قوله تعالى : { فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله } [آل عمران : ١٤٦] .

وقوله تعالى : { ذلكم وَأَنَّ الله مُوهِنُ كَيْدِ الكافرين } [الأنفال : ١٨] أي مضعف كيدهم ، وقول زهير بن أبي سلمى :

وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت ... فأصبح الحبل منها واهناً خلقا

وقوله تعالى : { وَأَنتُمُ الأعلون } جملة حالية فلا تضعفوا عن قتال الكفار وتدعوا إلى السلم ، اي تبدؤوا بطلب السلم أي الصلح والمهادنة وأنتم الأعلون . أي والحال أنكم انتم الأعلون أي الأقهرون والأغلبون لأعدائكم ، ولأنكم ترجون من الله من النصر والثواب ما لا يرجون .

وهذا التفسير في قوله { وَأَنتُمُ الأعلون } هو الصواب .

وتدل عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى بعده { وَاللَّهُ مَعَكُمْ } لأن من كان الله معه هو الأعلى وهو الغالب وهو القاهر المنصور الموعود بالثواب .

فهو جدير بأن لا يضعف عن مقاومة الكفار ولا يبدأهم بطلب الصلح والمهادنة .

وكقوله تعالى : { وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغالبون } [الصافات : ١٧٣] ، وقله تعالى : { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والذين آمَنُواْ فِي الحياة الدنيا } [غافر : ٥١] الآية ، وقوله { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المؤمنين } [الروم : ٤٧] وقوله تعالى { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ } [التوبة : ١٤] الآية .

ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى : { وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابتغآء القوم إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ الله مَا لاَ يَرْجُونَ } [النساء : ١٠٤] الآية ، لأن قوله تعالى { وَتَرْجُونَ مِنَ الله مَا لاَ يَرْجُونَ } من النصر الذي وعدكم الله به والغلبة وجزيل الثواب .

وذلك كقوله هنا { وَأَنتُمُ الأعلون } وقوله : { والله مَعَكُم } أي بالنصر والإعانة والثواب .

واعلم أن آية القتال هذه لا تعارض بينها وبين آية الأنفال حتى يقال إن إحداهما ناسخة للأخرى ، بل هما محمتان وكل واحدة منهما متزلة على حال غير الحال التي نزلت عليه الأخرى .

فالنهي في آية القتال هذه في قوله تعالى : { فَلاَ تَهِنُواْ وتدعوا إِلَى السلم } إنما هو عن الابتداء بطلب السلم .

والأمر بالجنوح إلى السلم في آية الأنفال محله فيما إذا ابتدأ الكفار بطلب السلم والجنح لها ، كما هو صريح قوله تعالى : { وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فاجنح لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله } [الأنفال : ٦١] الآية .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { والله مَعَكُمْ } قد قدمنا الآيات الموشحة له في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى { إِنَّ الله مَعَ الذين اتقوا والذين هُم مُّحْسِنُونَ } [النحل : ١٢٨] وهذا الذي ذكرنا في معنى هذه الآية أولى وأصوب مام فسرها به ابن كثير رحمه الله .

وهو أن المعنى : لا تدعوا إلى الصلح والمهادنية وأنتم الأعلون أي في حال قوتكم وقدرتكم على الجهاد .

أي ، وأما إن كنتم في ضعف وعدم قوة فلا مانع من أن تدعوا إلى السلم أي الصلح والمهادنة ، ومنه قول العباس بن مرداس السلمي :

السلم تأخذ منها ما رضيت به ... والحرب تكفيك من أنفساها جرع

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ } أي لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم .

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم نقصه تعالى شيئاً من ثواب الأعمال جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى { وَإِن تُطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً } [الحجرات : ١٤] أي لا ينقصكم من ثوابها شيئاً .

وقوله تعالى : { وَنَضَعُ الموازين القسط لِيَوْمِ القيامة فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكفى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء : ٤٧] .

والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة ، وقد قدمناها مراراً .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { وَلَن يَتِرَكُم } أصله من التواتر ، وهو الفرد .

فأصل قوله : لن يتركم لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم بل يوفيكم إياها .

****

وحرم أسرهم حتى نثخن فيهم ونقضي على قوهم :

ال تعالى : { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) [محمد/٤] }

واللقاء المقصود في الآية هنا هو اللقاء للحرب والقتال لا مجرد اللقاء . فحتى نزول هذه السورة كان المشركون في الجزيرة منهم المحارب ومنهم المعاهد؛ و لم تكن بعد قد نزلت سورة « براءة » التي تنهي عهود المشركين المحددة الأجل إلى أجلها ، والمطلقة الأجل إلى أربعة أشهر؛ وتأمر بقتل المشركين بعد ذلك أنى وجدوا في أنحاء الجزيرة – قاعدة الإسلام – أو يسلموا . كي تخلص القاعدة للإسلام .

وضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء يجيء بعد عرض الإسلام عليهم وإبائهم له طبعاً . وهو تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة ، وبالحركة التي تمثلها ، تمشياً مع جو السورة وظلالها .

{ حتى إذآ أثخنتموهم فشدوا الوثاق } . .

والإثخان شدة التقتيل ، حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى ، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع . وعندئذ - لا قبله - يؤسر من استأسر ويشد وثاقه . فأما والعدو ما يزال قوياً فالإثخان والتقتيل يكون الهدف لتحطيم ذلك الخطر .

وعلى هذا لا يكون هناك اختلاف - كما رأى معظم المفسرين - بين مدلول هذه الآية ، ومدلول آية الأنفال التي عاتب الله فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين لاستكثارهم من الأسرى في غزوة بدر . والتقتيل كان أولى . وذلك حيث يقول تعالى : { ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم } فالإثخان أولاً لتحطيم قوة العدو وكسر شوكته؛ وبعد ذلك يكون الأسر .

والحكمة ظاهرة ، لأن إزالة القوة المعتدية المعادية للإسلام هي الهدف الأول من القتال . وبخاصة حين كانت القوة العددية للأمة المسلمة قليلة محدودة . وكانت الكثرة للمشركين . وكان قتل محارب يساوي شيئاً كبيراً في ميزان القوى حينذاك . والحكم ما يزال سارياً في عمومه في كل زمان بالصورة التي تكفل تحطيم قوة العدو ، وتعجيزه عن الهجوم والدفاع .

فأما الحكم في الأسرى بعد ذلك ، فتحدده هذه الآية . وهي النص القرآني الوحيد المتضمن حكم الأسرى :

{ فإما منّاً بعد وإما فداء } . .

أي إما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل من مال أو من فداء لأسرى المسلمين . وإما أن يطلق مقابل فدية من مال أو عمل في نظير إطلاق سراح المسلمين المأسورين .

وليس في الآية حالة ثالثة . كالاسترقاق أو القتل . بالنسبة لأسرى المشركين .

ولكن الذي حدث فعلاً أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والخلفـــاء مـــن بعـــده استرقوا بعض الأسرى– وهو الغالب – وقتلوا بعضهم في حالات معينة .
ونحن ننقل هنا ما ورد حول هذه الآية في كتاب (أحكام القرآن للإمام الجصاص الحنفي) ونعلق على ما نرى التعليق عليه في ثناياه . قبل أن نقرر الحكم الذي نراه :
* قال الله تعالى : { فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب } قال أبو بكر قد اقتضـــى ظاهره وجوب القتل لا غير إلا بعد الإثخان . وهو نظير قوله تعالى : { ما كان لـــنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض } (وهذا صحيح فليس بين النصين خلاف) .
* حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحكم قال : حدثنا جعفر بن محمد بن اليمان . قال : حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة . عن ابن عباس في قوله تعالى : { ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يـــثخن في الأرض } قال : ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى بعد هذا في الأسارى : { فإما منّاً بعد وإما فداء } . . فجعل الله النبي والمؤمنين في الأسارى بالخيار . إن شاءوا قتلوهم ، وإن شاءوا استعبدوهم ، وإن شاءوا فـــادوهم . شك أبو عبيد في . . وإن شاءوا استعبدوهم . . (والاستعباد مشكوك في صدور القـــول به عن ابن عباس فنتركه . وأما جواز القتل فلا نرى له سنداً في الآية وإنما نصها المـــن أو الفداء) .

* وحدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا أبو مهـــدي وحجـــاج ، كلاهما عن سفيان . قال : سمعت السدي يقول في قوله : { فإما منّاً بعد وإما فداء } . . قال : هي منسوخة ، نسخها قوله : { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } قال أبو بكر : أما قوله : { فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب } . . وقوله : { ما كان لـــنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض } . وقوله : { فإما تثقفنّهم في الحرب فشرد بهـــم من خلفهم }
فإنه جائز أن يكون حكماً ثابتاً غير منسوخ . وذلك لأن الله تعالى أمر نبيه – صـــلى الله عليه وسلم – بالإثخان في القتل وحظر عليه الأسر – إلا بعد إذلال المشركين وقمعهم – وكان ذلك وقت قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم من المشركين ، فمـــتى أثخـــن

المشركون وأذلوا بالقتل والتشريد جاز الاستبقاء . فالواجب أن يكون هذا حكماً ثابتاً إذا وجد مثل الحال التي كان عليها المسلمون في أول الإسلام . (ونقول : إن الأمـــر بقتـــل المشركين حيث وجدوا خاص بمشركي الجزيرة . بينما النص في سورة محمد عام . فمـــتى تحقق الإثخان في الأرض جاز أخذ الأسارى . وهذا ما جرى عليه الخلفاء بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعد نزول سورة براءة بطبيعة الحـــال ، ولم يقتلـــوهم إلا في حالات معينة سيأتي بيانها) . .

* وأما قوله : { فإما منّاً بعد وإما فداء } . . ظاهره يقتضي أحد شيئين : من أو فـــداء . وذلك ينفي جواز القتل . وقد اختلف السلف في ذلك . حدثنا حجاج عن مبـــارك بـــن فضالة عن الحسن أنه كره قتل الأسير ، وقال : منّ عليه أو فاده . وحدثنا جعفر قـــال : حدثنا أبو عبيد قال : أخبرنا هشيم . قال : أخبرنا أشعث قال : سألت عطاء عـــن قتـــل الأسير فقال : منّ عليه أو فاده قال : وسألت الحسن . قال : يصنع به ما صنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأسارى بدر ، يمن عليه أو يفادي به . وروي عن ابن عمر أنه دفع إليه عظيم من عظماء اصطخر ليقتله ، فأبى أن يقتله ، وتلا قوله : { فإما منّـــاً بعـــد وإما فداء } . . وروي أيضاً عن مجاهد ومحمد بن سيرين كراهة قتل الأسير . وقد روينا عن السدي أن قوله : { فإما منّاً بعد وإما فداء } منسوخ بقوله : { فاقتلوا المشـــركين حيث وجدتموهم } وروي مثله عن ابن جريج . حدثنا جعفر قال : حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : هي منسوخة . وقال : قتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عقبة ابن أبي معيط يوم بدر صبراً ، قال أبو بكر : اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير لا نعلم بينهم خلافاً فيه ، وقد تواترت الأخبار عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في قتله الأسير ، منها قتله عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث بعد الأسر يوم بدر . وقتل يوم أحد أبا عزة الشاعر بعدما أسر . وقتل بني قريظة بعد نزولهم على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بالقتل وسبي الذرية . ومنَّ على الزبير بن باطا من بينـــهم ، وفتح خيبر بعضها صلحاً وبعضها عنوة ، وشرط على ابن أبي الحقيق ألا يكتم شيئاً ، فلما ظهر على خيانته وكتمانه قتله . وفتح مكة وأمر بقتل هلال بن خطل ، ومقيس بن حبابة ، وعبد الله بن أبي سرح ، وآخرين ، وقال :

« اقتلوهم وإن جدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » ومنَّ على أهل مكة و لم يغنم أموالهم . وروي عن صالح ابن كيسان عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف ، أنه سمع أبا بكر الصديق يقول : « وددت أني يوم أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته ، وكنت قتلته سريحاً ، أو أطلقته نجيحاً » . وعن أبي موسى أنه قتل دهقان السوس بعدما أعطاه الأمان على قوم سماهم ونسي نفسه فلم يدخلها في الأمان فقتله . فهذه آثار متواترة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعن الصحابة في جواز قتل الأسير وفي استبقائه . واتفق فقهاء الأمصار على ذلك . (وجواز القتل لا يؤخذ من الآية ، ولكن يؤخذ من عمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعض الصحابة . وتتبع الحالات التي وقع فيها القتل يعطي أنها حالات خاصة ، وراءها أسباب معينة غير مجرد التعرض للقتال والأسر . فالنضر بن حارث وعقبة بن أبي معيط كلاهما كان له موقف خاص في إيذاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإيذاء دعوته . وكذلك أبو عزة الشاعر ، ولبني قريظة كذلك موقف خاص بارتضائهم حكم سعد بن معاذ سلفاً . وهكذا نجد في جميع الحالات أسباباً معينة تفرد هذه الحالات من الحكم العام للأسرى الذي تقرره الآية : { فإما منّاً بعد وإما فداء . .) }

* وإنما اختلفوا في فدائه ، فقال أصحابنا جميعاً (يعني الحنفية) : لا يفادى الأسير بالمال ، ولا يباع السبي من أهل الحرب فيردوا حرباً . وقال أبو حنيفة : لا يفادون بأسرى المسلمين أيضاً ، ولا يردون حرباً أبداً . وقال أبو يوسف ومحمد : لا بأس أن يفادى أسرى المسلمين بأسرى المشركين . وهو قول الثوري والأوزاعي ، وقال الأوزاعي : لا بأس ببيع السبي من أهل الحرب ، ولا يباع الرجال إلا أن يفادى بهم المسلمون . وقال المزني عن الشافعي : للإمام أن يمن على الرجال الذين ظهر عليهم أو يفادي بهم ، فأما المجيزون للفداء بأسرى المسلمين وبالمال فإنهم احتجوا بقوله : { فإما منّاً بعد وإما فداء } وظاهره يقتضي جوازه بالمال وبالمسلمين؛ وبأن النبي – صلى الله عليه وسلم – فدى أسارى بدر بالمال . ويحتجون للفداء بالمسلمين بما روى ابن المبارك ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي المهلب ، عن عمران ابن حصين . قال : « أسرت ثقيف رجلين من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسر أصحاب النبي – صلى الله عليه

وسلم – رجلاً من بني عامر ابن صعصعة؛ فمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – وهـــو موثق ، فناداه ، فأقبل إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : علام أحبس؟ قال : » بجريرة حلفائك « . فقال الأسير : إني مسلم ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : » لو قلتها وأنت تملك أمرك لأفلحت كل الفلاح « . ثم مضى رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم – فناداه أيضاً ، فأقبل ، فقال : إني جائع فأطعمني . فقال النبي – صـــلى الله عليه وسلم – : » هذه حاجتك « . ثم إن النبي – صلى الله عليه وسلم – فداه بالرجلين اللذين كانت ثقيف أسرهما »

(وحجة القائلين بالفداء أرجح في تقديرنا من حجة أصحاب الإمـــام الجصـــاص علـــى الاختلاف في الفداء بالمال أو بأسرى المسلمين) .

* وقد ختم الإمام الجصاص القول في المسألة بترجيح رأي أصحابه الحنفية قال : وأما مـــا في الآية من ذكر المن والفداء ، وما روي في أسارى بدر فإن ذلك منســـوخ بقولـــه : { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم } وقد روينا ذلك عن السدي وابن جـــريج . وقوله تعالى : { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر } إلى قوله : { حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون } فتضمنت الآيتان وجوب القتال للكفار حتى يســـلموا أو يؤدوا الجزية . والفداء بالمال أو بغيره ينافي ذلك . ولم يختلف أهل التفسير ونقلة الآثار أن سورة « براءة » بعد سورة « محمد » – صلى الله عليه وسلم – فوجب أن يكون الحكم المذكور فيها ناسخاً للفداء المذكور في غيرها . . (وقد سبق القول بـــأن هـــذا القتـــل للمشركين – أو الإسلام – مقصود به مشركو الجزيرة فهو حكم خاص بهم . أما غيرهم خارجها فتقبل منهم الجزية كما تقبل من أهل الكتاب . وقبول الجزية عنـــد التســـليم لا ينفي أن يقع الأسرى في أيدي المسلمين من قبل التسليم . فهؤلاء الأسرى ما الحكم فيهم؟ نقول : إنه يجوز المن عليهم إذا رأى الإمام المصلحة ، أو الفداء بهم بالمال أو بالمســـلمين ، إذا ظل قومهم قوة لم تستسلم بعد ولم تقبل الجزية . فأما عند الاستسلام للجزية فـــالأمر منته بطبيعته وهذه حالة أخرى ، فحكم الأسرى يظل سارياً في الحالة التي لم تنته بالجزية)

والخلاصة التي ننتهي إليها أن هذا النص هو الوحيد المتضمن حكم الأسرى . وسائر النصوص تتضمن حالات أخرى غير حالة الأسر . وأنه هو الأصل الدائم للمسألة . وما وقع بالفعل خارجاً عنه كان لمواجهة حالات خاصة وأوضاع وقتية . فقتل بعض الأسرى كان في حالات فردية يمكن أن يكون لها دائماً نظائر؛ وقد أخذوا بأعمال سابقة على الأسر ، لا بمجرد خروجهم للقتال . ومثال ذلك أن يقع جاسوس أسيراً فيحاكم على الجاسوسية لا على أنه أسير . وإنما كان الأسر وسيلة للقبض عليه . (الظلال)

. . . .

إن أهل الكتاب لم يكونوا ينقمون على المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهم لا ينقمون اليوم على طلائع البعث الإسلامي – إلا أن هؤلاء المسلمين يؤمنون بالله ؛ وما أنزله الله إليهم من قرآن ؛ وما صدق عليه قرآنهم مما أنزله الله من قبل من كتب أهل الكتاب . .

إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون !

لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى . ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم ؛ وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهي مصدقة لما بين أيديهم – لا ما ابتدعوه وحرفوه – ولا يؤمنون بالرسول الأخير ، وهو مصدق لما بين يديه ؛ معظم لرسل الله أجمعين .

إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء ؛ التي لم تضع أوزارها قط ، ولم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام ؛ منذ أن قام للمسلمين كيان في المدينة ؛ وتميزت لهم شخصية ؛ وأصبح لهم وجود مستقل ؛ ناشىء من دينهم المستقل ، وتصورهم المستقل ، ونظامهم المستقل ، في ظل منهج الله الفريد .

إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة لأنهم – قبل كل شيء – مسلمون ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم ؛ فيصبحوا غير مسلمين . .

ذلك أن أهل الكتاب أكثرهم فاسقون ؛ ومن ثم لا يحبون المستقيمين الملتزمين من المسلمين !

والله – سبحانه – يقرر هذه الحقيقة في صورة قاطعة ، وهو يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم في السورة الأخرى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) . .

ويقول له في هذه السورة أن يواجه أهل الكتاب بحقيقة بواعثهم وركيزة موقفهم:

(قل:يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ؛ وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ؟) . .

وهذه الحقيقة التي يقررها الله سبحانه في مواضع كثيرة من كلامه الصادق المبين ، هي التي يريد تمييعها وتلبيسها وتغطيتها وإنكارها اليوم كثيرون من أهل الكتاب ، وكثيرون ممن يسمون أنفسهم "مسلمين" . . باسم تعاون "المتدينين" في وجه المادية والإلحاد كما يقولون !

أهل الكتاب يريدون اليوم تمييع هذه الحقيقة بل طمسها وتغطيتها ، لأنهم يريدون خداع سكان الوطن الإسلامي – أو الذي كان إسلاميا بتعبير أصح – وتخدير الوعي الذي كان قد بثه فيهم الإسلام بمنهجه الرباني القويم . ذلك أنه حين كان هذا الوعي سليما لم يستطع الاستعمار الصليبي أن يقف للمد الإسلامي ، فضلا على أن يستعمر الوطن الإسلامي . .

و لم يكن بد لهؤلاء – بعد فشلهم في الحروب الصليبية السافرة ، وفي حرب التبشير السافرة كذلك – أن يسلكوا طريق الخداع والتخدير ، فيتظاهروا ويشيعوا بين ورثة المسلمين ، أن قضية الدين والحرب الدينية قد انتهت ! وأنها كانت مجرد فترة تاريخية مظلمة عاشتها الأمم جميعا ! ثم تنور العالم و"تقدم" فلم يعد من الجائز ولا اللائق ولا المستساغ أن يقوم الصراع على أساس العقيدة . .

وأنما الصراع اليوم على المادة !

على الموارد والأسواق والاستغلالات فحسب ! وإذن فما يجوز للمسلمين – أو ورثة المسلمين – أن يفكروا في الدين ولا في صراع الدين !

وحين يطمئن أهل الكتاب – وهم الذين يستعمرون أوطان المسلمين – إلى استنامة هؤلاء لهذا التخدير ؛وحين تتميع القضية في ضمائرهم ؛ فإن المستعمرين يأمنون غضبة المسلمين لله ؛ وللعقيدة . . الغضبة التي لم يقفوا لها يوما . . ويصبح الأمر سهلا بعد التنويم

والتخدير . . ولا يكسبون معركة العقيدة وحدها . بل يكسبون معها ما وراءهـا مـن الأسلاب والمغانم والاستثمارات والخامات ؛ ويغلبون في معركة "المادة " بعدما يغلبون في معركة "العقيدة " . . فهما قريب من قريب . .

وعملاء أهل الكتاب في الوطن الإسلامي ، ممن يقيمهم الاستعمار هنا وهناك علانية أو في خفية ، يقولون القول نفسه . .

لأنهم عملاء يؤدون الدور من داخل الحدود . . وهؤلاء يقولون عن "الحروب الصليبية " ذاتها:إنها لم تكن "صليبية " !!! ويقولون عن "المسلمين" الذين خاضـوها تحـت رايـة العقيدة:إنهم لم يكونوا "مسلمين" وإنما هم كانوا "قوميين" !

وفريق ثالث مستغفل مخدوع ؛ يناديه أحفاد "الصليبين" في الغرب المستعمر:أن تعالوا إلينا . تعالوا نجتمع في ولاء ؛ لندفع عن "الدين" غائلة "الملحدين" ! فيستجيب هـذا الفريـق المستغفل المخدوع ؛ ناسيا أن أحفاد الصليبيين هؤلاء وقفوا في كل مرة مع الملحـدين ؛ صفا واحدا ، حينما كانت المواجهة للمسلمين ! على مدار القرون ! وما يزالون !

وأنهم لا يعنيهم حرب المادية الالحادية قدر ما تعنيهم حرب الإسلام ، ذلك أنهم يعرفـون جيدا أن الإلحادية المادية عرض طارى ء وعدو موقوت ؛ وأن الإسلام أصل ثابت وعـدو مقيم ! وإنما هذه الدعوة المموهة لتمييع اليقظة البادئة عند طلائع البعـث الإسـلامي ؛ وللانتفاع بجهد المستغفلين المخدوعين - في الوقت ذاته - ليكونوا وقود المعركـة مـع الملحدين لأنهم أعداء الاستعمار السياسيون !

وهؤلاء كهؤلاء حرب على الإسلام والمسلمين . .

حرب لا عدة فيها للمسلم إلا ذلك الوعي الذي يربيه عليه المنهج الرباني القويم . .

إن هؤلاء الذين تخدعهم اللعبة أو يتظاهرون بالتصديق ، فيحسبون أهل الكتاب جادين إذ يدعونهم للتضامن والولاء في دفع الإلحاد عن "الدين" إنما ينسون واقع التاريخ في أربعـة عشر قرنا - لا استثناء فيها - كما ينسون تعليم ربهم لهم في هذا الأمر بالذات ، وهـو تعليم لا مواربة فيه ، ولا مجال للحيدة عنه ، وفي النفس ثقة بالله ويقين بجدية ما يقول !

إن هؤلاء يجتزئون فيما يقولون ويكتبون بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، التي تأمر المسلمين أن يحسنوا معاملة أهل الكتاب ؛ وأن يتسامحوا معهم في المعيشـة والسـلوك .

ويغفلون التحذيرات الحاسمة عن موالاتهم ؛ والتقريرات الواعية عن بواعثهم ، والتعليمات الصريحة عن خطة الحركة الإسلامية ، وخطة التنظيم ، التي تحرم التناصر والموالاة ، لأن التناصر والموالاة لا يكونان عند المسلم إلا في شأن الدين وإقامة منهجه ونظامه في الحياة الواقعية ، وليست هناك قاعدة مشتركة يلتقي عليها المسلم مع أهل الكتاب في شأن دينه - مهما يكن هناك من تلاق في أصول هذه الأديان مع دينه قبل تحريفها - إذ هم لا ينقمون منه إلا هذا الدين ، ولا يرضون عنه إلا بترك هذا الدين . . كما يقول رب العالمين . .

إن هؤلاء ممن يجعلون القرآن عضين ؛ يجزئونه ويمزقونه ، فيأخذون منه ما يشاءون - مما يوافق دعوتهم الغافلة الساذجة على فرض براءتها - ويدعون منه ما لا يتفق مع اتجاههم الغافل أو المريب !

ونحن نؤثر أن نسمع كلام الله ، في هذه القضية ، على أن نسمع كلام المخدوعين أو الخادعين ! وكلام الله - سبحانه - في هذه القضية حاسم واضح صريح مبين . .

ونقف وقفة قصيرة في هذا الموضع عند قوله تعالى - بعد تقرير أن سبب النقمة هو الإيمان بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل - أن بقية السبب:

(وأن أكثركم فاسقون)

فهذا الفسق هو شطر الباعث ! فالفسق يحمل صاحبه على النقمة من المستقيم . . وهي قاعدة نفسية واقعية ؛ تثبتها هذه اللفتة القرآنية العجيبة . .

إن الذي يفسق عن الطريق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم . . إن وجوده يشعره دائما بفسقه وانحرافه . إنه يتمثل له شاهدا قائما على فسقه هو وانحرافه . . ومن ثم يكرهه وينقم عليه . يكره استقامته وينقم منه التزامه ؛ ويسعى جاهدا لجره إلى طريقه ؛ أو للقضاء عليه إذا استعصى قياده !

إنها قاعدة مطردة ، تتجاوز موقف أهل الكتاب من الجماعة المسلمة في المدينة ، إلى موقف أهل الكتاب عامة من المسلمين عامة . إلى موقف كل فاسق منحرف من كل عصبة ملتزمة مستقيمة . . والحرب المشبوبة دائما على الخيرين في مجتمع الأشرار ، وعلى المستقيمين في مجتمع الفاسقين ، وعلى الملتزمين في مجتمع المنحرفين . .

هذه الحرب أمر طبيعي يستند إلى هذه القاعدة التي يصورها النص القرآني العجيب . .

ولقد علم الله – سبحانه – أن الخير لا بد أن يلقى النقمة من الشر ، وأن الحق لا بـد أن يواجه العداء من الباطل ، وأن الاستقامة لا بد أن تثير غيظ الفساق ، وأن الالتزام لا بـد أن يجر حقد المنحرفين .

وعلم الله – سبحانه – أن لا بد للخير والحق والاستقامة والالتزام أن تدفع عن نفسها وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف . وأنها معركة لا خيار فيها ، ولا يملك الحق ألا يخوضها في وجه الباطل . لأن الباطل سيهاجمه ، ولا يملـك الخـير أن يتجنبها لأن الشر لا بد سيحاول سحقه . .

وغفلة – أي غفلة – أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام أنهم متروكون من الباطل والشر والفسق والانحراف ؛ وأنهم يملكون تجنب المعركة ؛ وأنه يمكن أن تقوم هناك مصالحة أو مهادنة ! وخير لهم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعـدة ؛ مـن أن يستسلموا للوهم والخديعة . . وهم يومئذ مأكولون مأكولون !

****

لقد بين سبحانه وتعالى أنهم لن يرضوا عنه ولا عنا حتى نتبع ملتهم :

قال تعالى : { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِـيرٍ (١٢٠) [البقرة/١٢٠، ١٢١] }

لقد حذر الله الأمة المسلمة إياه؛ من اليهود ومن النصارى سواء . وإذا كان الواقع التاريخي قد حفظ لليهود وقفتهم النكدة للإسلام منذ اليوم الأول الذي دخل فيه الإسلام علـيهم المدينة؛ في صورة كيد لم ينته و لم يكف حتى اللحظة الحاضرة؛ وإذا كان اليهود لا يزالون يقودون الحملة ضد الإسلام في كل أرجاء الأرض اليوم في حقد خبيث وكيد لئيم . . فإن هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الإسلام موقف العداء منذ واقعة اليرموك بين جيش المسلمين وجيوش الروم – فيما عدا الحالات التي وقع فيها مـا تصفه الآيات التي نحن بصددها فاستجابت قلوب للإسلام ودخلت فيه . وفيمـا عـدا حالات أخرى آثرت فيها طوائف من النصارى أن تحتمي بعدل الإسلام من ظلم طوائف

أخرى من النصارى كذلك؛ يلاقون من ظلمها الوبال! – أما التيار العام الذي يمثل موقف النصارى جملة فهو تلك الحروب الصليبية التي لم يخب أوارها قط – إلا في الظاهر – منذ التقى الإسلام والرومان على ضفاف اليرموك!

لقد تجلت أحقاد الصليبية على الإسلام وأهله في الحروب الصليبية المشهورة طوال قـــرنين من الزمان ، كما تجلت في حروب الإبادة التي شنتها الصليبية على الإسلام والمسلمين في الأندلس ، ثم في حملات الاستعمار والتبشير على المماليك الإسلامية في إفريقيـــة أولاً ، ثم في العالم كله أخيراً .

ولقد ظلت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليفتين في حرب الإسلام – على كل مـــا بينهما من أحقاد – ولكنهم كانوا في حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخـــبير : { بعضهم أولياء بعض } حتى مزقوا دولة الخلافة الأخيرة . ثم مضوا في طريقهم ينقضـــون هذا الدين عروة عروة . وبعد أن أجهزوا على عروة « الحكم » ها هم أولاء يحـــاولون الإجهاز على عروة « الصلاة »!

ثم ها هم أولاء يعيدون موقف اليهود القديم مع المسلمين والوثنيين . فيؤيـــدون الوثنيـــة حيثما وجدت ضد الإسلام . عن طريق المساعدات المباشرة تارة ، وعن طريق المؤسسات الدولية التي يشرفون عليها تارة أخرى! وليس الصراع بين الهند وباكستان على كشـــمير وموقف الصليبية منها ببعيد .

وذلك فوق إقامة واحتضان وكفالة الأوضاع التي تتولى سحق حركات الإحياء والبعـــث الإسلامية في كل مكان على وجه الأرض . وإلباس القائمين بهذه الأوضاع أثواب البطولة الزائفة ودق الطبول من حولهم ، ليستطيعوا الإجهاز على الإسلام ، في زحمـــة الضـــجيج العالمي حول الأقزام الذين يلبسون أردية الأبطال!

تاريخ أهل الكتاب مع الأمة الإسلامية

لقد استقبل اليهود رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودينه في المدينة شر ما يســـتقبل أهل دين سماوي رسولاً يعرفون صدقه ، وديناً يعرفون أنه الحق . .

استقبلوه بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن يلقونها في الصف المسلم في المدينة بكافة الطرق الملتوية الماكرة التي يتقنها اليهود . . شككوا في رسالة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يعرفونه؛ واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات التي ينشرونها في الجو وبالتهم والأكاذيب . وما فعلوه في حادث تحويل القبلة ، وما فعلوه في حادث الإفك ، وما فعلوه في كل مناسبة ، ليس إلا نماذج من هذا الكيد اللئيم . . وفي مثل هذه الأفاعيل كان يتنزل القرآن الكريم . وسور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والحشر والأحزاب والتوبة وغيرها تضمنت من هذا الكثير :

{ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم – وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا – فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله – بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده – فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين } [البقرة : ٨٩ – ٩٠] .

{ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون } [البقرة : ١٠١] .

{ سيقول السفهاء من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل : لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } [البقرة : ١٤٢] .

{ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟ } [آل عمران : ٧٠ – ٧١] .

{ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون } [آل عمران : ٧٢] .

{ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون } [آل عمران : ٧٨] .

{ قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون؟ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون } [آل عمران : ٩٨ – ٩٩] .

{ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء! فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم؛ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات . . . }

[النساء : ١٥٣] .

{ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } . . . [التوبة : ٣٢] .

كذلك شهد التاريخ نقض اليهود لعهودهم مرة بعد مرة وتحرشهم بالمسلمين ، مما أدى إلى وقائع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر . كما شهد تأليب اليهود للمشركين في الأحزاب ، مما هو معروف مشهور .

ثم تابع اليهود كيدهم للإسلام وأهله منذ ذلك التاريخ . . كانوا عناصر أساسية في إثارة الفتنة الكبرى التي قتل فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وانتثر بعدها شمل التجمع الإسلامي إلى حد كبير . .

وكانوا رأس الفتنة فيما وقع بعد ذلك بين علي – رضي الله عنه – ومعاوية . . وقادوا حملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير . . وكانوا من الممهدين لحملة التتار على بغداد وتقويض الخلافة الإسلامية . . .

فأما في التاريخ الحديث فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض؛ وهم وراء كل محاولة لسحق طلائع البعث الإسلامي؛ وهم حماة كل وضع من الأوضاع التي تتولى هذه المحاولة في كل أرجاء العالم الإسلامي!

ذلك شأن اليهود ، فأما شأن الفريق الآخر من أهل الكتاب ، فهو لا يقل إصراراً على العداوة والحرب من شأن اليهود!

لقد كانت بين الرومان والفرس عداوات عمرها قرون . . ولكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة؛ وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها وسمته « المسيحية » وهو ركام من الوثنيات القديمة ، والأضاليل الكنسية ، متلبساً ببقايا من كلمات المسيح – عليه السلام – وتاريخه . . حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخيه قديمة وعداوات وثارات عميقة ، ليواجهوا هذا الدين الجديد .

ولقد أخذ الروم يتجمعون في الشمال هم وعمالهم من الغساسنة لينقضوا على هذا الدين . وذلك بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى عامل بصرى من قبل الروم – وكان المسلمون يؤمنون الرسل ولكن النصارى غدروا برسول النبي صلى الله عليه وسلم وقتلوه – مما جعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبعث بجيش الأمراء الشهداء الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة في غزوة « مؤتة » فوجدوا تجمعاً للروم تقول الروايات عنه : إنه مائة ألف من الروم ومعه من عملائهم في الشام من القبائل العربية النصرانية مائة ألف أخرى؛ وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل . وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .

ثم كانت غزوة تبوك

ثم كان جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبيل وفاته؛ ثم أنفذه الخليفة الراشد أبو بكر – رضي الله عنه – إلى أطراف الشام؛ لمواجهة تلك التجمعات الرومانية التي تستهدف القضاء على هذا الدين!

ثم اشتعل مرجل الحقد الصليبي منذ موقعة اليرموك الظافرة ، التي أعقبها انطلاق الإسلام لتحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر وشمال إفريقية وجزر البحر الأبيض . ثم بناء القاعدة الإسلامية الوطيدة في الأندلس في النهاية .

إن « الحروب الصليبية » المعروفة بهذا الاسم في التاريخ ، لم تكن هي وحدها التي شنتها الكنيسة على الإسلام ، لقد كانت هذه الحروب مبكرة قبل هذا الموعد بكثير . . لقد بدأت في الحقيقة منذ ذلك التاريخ البعيد . . منذ أن نسي الرومان عداواتهم مع الفرس؛ وأخذ النصارى يعينون الفرس ضد الإسلام في جنوب الجزيرة . ثم بعد ذلك في « مؤتة » . ثم فيما تلا موقعة اليرموك الظافرة . . ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها في الأندلس عندما زحفت الصليبية على القاعدة الإسلامية في أوربة ، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يعرف التاريخ له نظيراً من قبل . . وكذلك تجلت في الحروب الصليبية في الشرق بمثل هذه البشاعة التي لا تتحرج ولا تتذمم؛ ولا تراعي في المسلمين إِلاًّ ولا ذمة .

ومما جاء في كتاب « حضارة العرب » لجوستاف لوبون - وهو فرنسي مسيحي - :
« كان أول ما بدأ به ريكاردوس الإنجليزي أنه قتل أمام معسكر المسلمين ، ثلاث آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه ، بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم . ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب ، مما أثار صلاح الدين الأيوبي النبيل ، الذي رحم نصارى القدس ، فلم يمسهم بأذى ، والذي أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والأزواد ، أثناء مرضهما » .

كذلك كتب كاتب مسيحي آخر (اسمه يورجا) يقول :
« ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع ، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها . وقد أسرفوا في القسوة فكانوا يبقرون البطون . ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء! أما صلاح الدين ، فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ، ووفى لهم بجميع عهوده ، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم ، حتى أن الملك العادل ، شقيق السلطان ، أطلق ألف رقيق من الأسرى ، ومنّ على جميع الأرمن ، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة ، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن » .

ولا يتسع المجال في الظلال لاستعراض ذلك الخط الطويل للحروب الصليبية - على مدار التاريخ - ولكن يكفي أن نقول : إن هذه الحرب لم تضع أوزارها قط من جانب الصليبية . ويكفي أن نذكر ماذا حدث في زنجبار حديثاً . حيث أبيد المسلمون فيها عن بكرة أبيهم ، فقتل منهم اثنا عشر ألفاً وألقي الأربعة الآلاف الباقون في البحر منفيين من الجزيرة! ويكفي أن نذكر ماذا وقع في قبرص ، حيث منع الطعام والماء عن الجهات التي يقطنها بقايا المسلمين هناك ليموتوا جوعاً وعطشاً ، فوق ما سلط عليهم من التقتيل والتذبيح والتشريد! ويكفي أن نذكر ما تزاوله الحبشة في اريترية وفي قلب الحبشة ، وما تزاوله كينيا مع المائة ألف مسلم الذين ينتمون إلى أصل صومالي ، ويريدون أن ينضموا إلى قومهم المسلمين في الصومال! ويكفي أن نعلم ماذا تحاوله الصليبية في السودان الجنوبي! ويكفي لتصوير نظرة الصليبيين إلى الإسلام أن ننقل فقرة من كتاب لمؤلف أوربي صدر سنة ١٩٤٤ يقول فيه؟

« لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد اختبار ، لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف . لقد كنا نخوّف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي . إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه . إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد! ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قوته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته . . إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي « ولا نستطيع أن نمضي أبعد من ذلك في استعراض تاريخ تلك الحرب العاتية التي أعلنتها الصليبية على الإسلام وما تزال . .

****

قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله (٢)

للأستاذ جلال العالم

الطبعة التاسعة وفيها زيادات هامة

بسم الله الرحمن الرحيم

صرخة

إلى كل مخلص في هذه الأمة:

إلى القادة والزعماء في كل مكانٍ من العالم الإسلامي، والعرب منهم خاصة:

أعداؤنا يقولون: يجب أن ندمّر الإسلام لأنه مصدر القوة الوحيد للمسلمين، لنسيطر عليهم ، الإسلام يخيفنا، ومن أجل إبادته نحشد كل قوانا، حتى لا يبتلعنا ..

فماذا تفعلون أنتم أيها القادة والزعماء ؟!!..

بالإسلام تكتسحون العالم – كما يقول علماء العالم وسياسيوه – فلماذا تترددون ..؟!

خذوه لعزتكم، لا تقاوموه فيهلككم الله بعذابه، ولا بد أن ينتصر المؤمنون به ... اقرأوا إن شئتم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"تكون نبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضى ثم يكون ملكاً عضوضاً (وراثياً) ما شاء الله له أن يكون

ثم ينقضى ، ثم تكون جبرية (ديكتاتوريات) ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضى ، ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعم الأرض".

أيها السادة والقادة في دول العالم الإسلامي، والعرب منهم خاصة:

كونوا أعوان الإسلام لا أعداءه .. يرضى الله عنكم، ويرضي الناس عنكم، وتسعدوا .. وتلتف حولكم شعوبكم لتقودوها نحو أعظم ثورة عالمية عرفها التاريخ.

أيها السادة والقادة:

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو قريشاً لتكون معه، كان يَعِد رجالاتها أن يرثوا بالإسلام الأرض، فأبى من أبى، وماتوا تحت أقدام جيوش العدل المنصورة التي انساحت في الأرض ... وخلدهم التاريخ، لكن أين ... في أقذر مكان منه، يلعنهم الناس إلى يوم الدين، وعذاب جهنم أشد وأنكى ...

ووعدنا رسول الله أن يعم ديننا الأرض، وسيعم بدون شك.

فلا تكونوا مع من سيكتبهم التاريخ من الملعونين أبد الدهر، بل كونوا مع المنصورين الخالدين.

والله غالب على أمره ... ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

طرابلس في ١٩٧٤/٨/١٥

أنظروا كيف يحقدون !!..

إن المتتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب وشعوب الإسلام، يلاحظ حقداً مريراً يملأ صدر الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في النفسية الأوروبية.

هذا الحقد، وذلك الخوف، لا شأن لنا بهما إن كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية، سياسياً، واقتصادياً، وحتى هذه الساعة، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم.

سوف تشهد لنا أقوال قادتهم أن للغرب، والحضارة الغربية بكل فروعها القومية، وألوانها السياسية موقفاً تجاه الإسلام لا يتغير، إنها تحاول تدمير الإسلام، وإنهاء وجود شعوبه دون رحمة.

حاولوا تدمير الإسلام في الحروب الصليبية الرهيبة ففشلت جيوشهم التي هاجمت بلاد الإسلام بالملايين، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا .. ثم ليعودوا إلينا، بجيوش حديثة، وفكر جديد .. وهدفهم تدمير الإسلام من جديد ..

كان جنديهم ينادى بأعلى صوته، حين كان يلبس بذة الحرب قادماً لاستعمار بلاد الإسلام:

أماه ...

أتمى صلاتك .. لا تكبى ..

بل اضحكي وتأملي ..

أنا ذاهب إلى طرابلس ...

فرحاً مسروراً ..

سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ...

سأحارب الديانة الإسلامية ...

سأقاتل بكل قوتي لحمو القرآن ....(القومية والغزو الفكري – ص ٢٠٨.)

* * *

وانتصرت جيوش الحقد هذه على أمة الإسلام التي قادها أسوأ قادةٍ عرفهم التاريخ ... اضطهدوا أممهم حتى سحقوها ..

انتصرت جيوش الغرب بعد أن ذلل لها هؤلاء الحكام السبيل ...

فماذا فعلت هذه الجيوش؟..

استباحت الأمة كلها، هدمت المساجد، أو حولتها إلى كنائس، ثم أحرقت مكتبات المسلمين .. ثم أحرقت الشعوب نفسها.

لنقرأ ما كتبه كتّابهم أنفسهم حول ما فعلوه أو يفعلونه بالمسلمين، ولن نستعرض هنا إلا بعض النماذج فقط .. من أنحاء مختلفة من عالمنا الإسلامي المستباح:

١-في الأندلس :

تقول الدكتورة سيجريد هونكه:

في ٢ يناير ١٤٩٢ م رفع الكاردينال (دبيدر) الصليب على الحمراء، القلعة الملكية للأسرة الناصرية، فكان إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسبانيا.

وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوربا طـــوال العصور الوسطى، وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيـــزة، ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم.

لقد حُرِّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّم عليهم استخدام اللغـــة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حيًّا بعد أن يعذّب أشد العذاب. (القومية– ص ١٧٤.)

وهكذا انتهى وجود الملايين من المسلمين في الأندلس فلم يبق في أسبانيا مسلم واحد يُظهر دينه.

لكن كيف كانوا يعذبون؟!!.. هل سمعت بدواوين التفتيش .. إن لم تكن قد سمعت فتعال أعرفك عليها.

بعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس، أرسل نابليون حملته إلى أســـبانيا وأصـــدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ م بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الأسبانية.

تحدث أحد الضباط الفرنسيين فقال:

"أخذنا حملة لتفتيش أحد الأديرة التي سمعنا أن فيها ديوان تفتيش، وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نحاول العثور على قاعات التعذيب، إننا فحصنا الدير وممراته وأقبيته كلـــها. فلم نجد شيئاً يدل على وجود ديوان للتفتيش. فعزمنا على الخروج من الدير يائسين، كان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا تهمـــاً باطلـــة، وأنشأ زعيمهم يؤكد لنا براءته وبراءة أتباعه بصوت خافت وهو خاشع الرأس، توشـــك عيناه أن تطفر بالدموع، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير، لكن اللفتنانت "دي ليل" استمهلني قائلاً: أيسمح لي الكولونيل أن أخبره أن مهمتنا لم تنته حتى الآن؟!!. قلت له: فتشنا الدير كله، ولم نكتشف شيئاً مريباً. فماذا تريد يا لفتنانت؟!.. قال: إنـــني أرغب أن أفحص أرضية هذه الغرف فإن قلبي يحدثني بأن السر تحتها.

عند ذلك نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة، فأذنت للضابط بالبحث، فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض، ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة في أرض كل غرفة على حدة – وكنا نرقب الماء – فإذا بالأرض قد ابتلعته في إحدى الغرف. فصفق الضابط "دي ليل" من شدة فرحه، وقال ها هو الباب، انظروا، فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف، كان قطعة من أرض الغرفة، يُفتح بطريقة ماكرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير.

أخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق، فاصفرت وجوه الرهبان، وعلتها الغبرة.

وفُتح الباب، فظهر لنا سلم يؤدي إلى باطن الأرض، فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر، كانت تضئ أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين، ولما هممت بالنزول، وضع راهب يسوعي يده على كتفي متلطفاً، وقال لي: يابني: لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال، إنها شمعة مقدسة.

قلت له، يا هذا إنه لا يليق بيدي أن تتنجس بلمس شمعتكم الملطخة بدم الأبرياء، وسنرى من النجس فينا، ومن القاتل السفاك!؟!.

وهبطت على درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود، شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج، فإذا نحن في غرفة كبيرة مرعبة، وهي عندهم قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، وربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها.

وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش والقضاة لمحاكمة الأبرياء. ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض.

رأيت فيها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتقزز طوال حياتي.

رأينا غرفاً صغيرةً في حجم جسم الإنسان، بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين الغرف العمودية واقفاً على رجليه مدة سجنه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية ممداً بها حتى الموت، وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى، ويتساقط اللحم عن العظم، وتأكله الديدان، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجي.

وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية ما زالت في أغلالها.

كان السجناء رجالاً ونساءً، تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والسبعين، وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء الأحياء، وتحطيم أغلالهم ، وهم في الرمق الأخير من الحياة.

كان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبوا عليه من عذاب، وكان السجناء جميعاً عرايا، حتى اضطر جنودنا إلى أن يخلعوا أرديتهم ويستروا بها بعض السجناء.

أخرجنا السجناء إلى النور تدريجياً حتى لا تذهب أبصارهم، كانوا يبكون فرحاً، وهم يقبّلون أيدي الجنود وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب، وأعادوهم إلى الحياة، كان مشهداً يبكي الصخور.

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى، فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب، منها آلات لتكسير العظام، وسحق الجسم البشري، كانوا يبدؤون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيا، حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم، هكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين،

ثم عثرنا على صندوقٍ في حجم جسم رأس الإنسان تماماً، يوضع فيه رأس الذي يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة، وفي أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام، في كل دقيقة نقطة، وقد جُنّ الكثيرون من هذا اللون من العذاب، ويبقى المعذب على حاله تلك حتى يموت.

وآلة أخرى للتعذيب على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة.

كانوا يلقون الشاب المعذب في هذا التابوت، ثم يطبقون بابه بسكاكينه وخناجره. فإذا أغلق مزق جسم المعذب المسكين، وقطعه إرباً إرباً.

كما عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز في لسان المعذب ثم تشد ليخرج اللسان معها، ليقص قطعة قطعة، وكلاليب تغرس في أثداء النساء وتسحب بعنفٍ حتى تتقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين.

وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يُضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم، وتتناثر لحومهم((محاكم التفتيش للدكتور علي مظهر. نقلا عن كتاب التعصب والتسامح للأستاذ محمد الغزالي. صفحات ٣١١-٣١٨ باختصار.).

هذا العذاب كان موجهاً ضد الطوائف المخالفة من المسيحيين فماذا كانوا يفعلون بالمسلمين؟؟ ... أشد وأنكى لا شك.

* * *

٢- دواوين التفتيش في البلاد الإسلامية :

ويبدو أن دواوين التفتيش هذه قد انتقلت إلى بقاع العالم الإسلامي، ليسلطها حكام مجرمون فجرة على شعوبهم. فقد ذكر لي شاهد عيان بعض أنواع التعذيب التي كانت تنفذ في أحد البلدان الإسلامية ضد مجموعة من العلماء المجاهدين فقال:

بعد يوم من التعذيب الشديد ساقنا الزبانية بالبسياط إلى زنزاناتنا، وأمرنا الجلادون أن نستعد ليوم آخر شديد.. صباح اليوم التالي أمرنا الجلادون أن نخرج فوراً، كنا نستجمع كل قوتنا في أقدامنا الواهنة هرباً من السياط التي كانت تترل علينا من حرس كان عددهم أكبر منا.

وأخيراً أوقفونا في سهل صحراوي، تحت أشعة الشمس اللاهبة، حول كومةٍ من الفحم الجيري، كان يعمل الحرس جاهدين لإشعاله، وقرب النار مصلبة خشبية تستند إلى ثلاثة أرجل.

اشتعلت كومة الفحم الحجري حتى احمرت، فجأة سمعنا شتائم تأتي من بعيد، التفتنا فوجدنا خمسة من الحرس يقودون شاباً عرفه بعضنا، كان اسمه "جاويد خان إمامي" أحد علماء ذلك البلد.

امتلأ الأفق بنباح كلاب مجنونة، رأينا عشرة من الحرس يقودون كلبين، يبلغ ارتفاع كل واحد منهما متراً، علمنا بعد ذلك أنهما قد حرما من الطعام منذ يومين.

اقترب الحرس بالشاب جاويد من كومة النار الحمراء .. وعيونه مغمضة بحزام سميك.

كنا نتفرج .. أكثر من مائة سجين، ومعنا أكثر من مائة وخمسين من الحرس، معهم البنادق والرشاشات. فجأة اقترب من الشاب جاويد عشرة من الحراس، أجلسوه على

الأرض، ووضعوا في حضنه مثلثاً خشبياً، ربطوه إليه ربطاً محكماً، بحيث يبقى قاعـــداً، لا يستطيع أن يتمدد، ثم حملوه جميعاً، وأجلسوه على الجمر الأحمر، فصرخ صرخة هائلة، ثم أغمى عليه.

سقط منا أكثر من نصفنا مغمى عليهم .. كانوا يصرخون متألمين .. وعمت رائحة شواء لحم جاويد المنطقة كلها، ومن حسن حظي أنني بكيت بكاء مراً. لكنني لم أصب بالإغماء .. لأرى بقية القصة التي هي أفظع من أولها.

حُمل الشاب، وفكت قيوده وهو غائب عن وعيه، وصلب على المصلبة الخشبية، وربط بها بإحكام، واقترب الجلادون بالكلبين الجائعين، وفكوا القيود عن أفواههمـــا، وتركوهمـــا يأكلان لحم ظهر جاويد المشوى. بدأت أشعر بالانهيار، وجننت عندما سمعـــت صـــرخة خافتة تصدر عن جاويد .. إنه لازال حياً والكلاب تأكل لحمه فقدت وعيي بعدها ..

لم أفق إلا وأنا أصرخ في زنزانتي كالمجنون .. دون أن أشعر .. جاويد .. جاويد.. أكلتك الكلاب يا جاويد .. جاويد ... كان إخواني في الزنزانة قد ربطوني وأحـــاطوا رأســـي وفمي بالأربطة حتى لا يسمع الجلادون صوتي فيكون مصيري كمصير جاويد، أو كمصير شاهان خاني الذي أصيب بالهستيريا مثلي، فأصبح يصرخ جاويد .. جاويـــد .. فأخـــذه الجلادون ووضعوا فوقه نصف برميل مملوء بالرمل، ثم سحبوه على الأسلاك الشائكة التي ربطوها صفاً أفقياً، فمات بعد أن تقطع لحمه ألف قطعة، وهو يصرخ: الله أكـــبر .. الله أكبر .. لابد أن ندوسكم أيها الظالمون.

وأخيراً أغمى عليّ.

فتحت عيوني .. فوجئت أنني في أحد المشافى ، وفوجئت أكثر من ذلك بسفير بلدي يقف فوق رأسي، قال لي: كيف حالك .. يبدو أنك ستشفى إن شاء الله. لو لم تكن غريباً عن هذه البلاد لما استطعت إخراجك .. فاجأني سائلاً: لكن بالله عليك، قل لي، من هو هذا جاويد الذي كنت تصرخ باسمه. أخبرته بكل شيء، فامتقع لونه حتى خشيت أن يغمـــى عليه.

لم نكمل حديثنا إلا والشرطة تسأل عني .. اقترب من سريري ضابط بوليس، وســـلمني أمراً بمغادرة البلاد فوراً. ولم تنجح تدخلات السفير في ضرورة إبقائي حتى أشفى، حملوني

ووضعوني في باخرة أوصلتني إلى ميناء بلدي، كنت بثياب المستشفى، ليس معي أي وثيقة تثبت شخصيتي، اتصلت بأهلي تليفونيا، فلما حضرا لم يعرفوني لأول وهلة، حملوني إلى أول مستشفى، بقيت فيه ثلاثة أشهر في بكاء مستمر، ثم شفاني الله ...

وأنهى المسكين حديث قائلاً:

بقى أن تعرف أن مدير السجون يهودي، والمسؤول عن التعذيب خبير ألماني نازي، أطلقت تلك الحكومة في ذلك البلد الإسلامي يده يفعل في علماء المسلمين كيف يشاء.

* * *

٣- ومن الحبشة أمثلة أخرى:

استولت الحبشة على أرتيريا المسلمة بتأييد من فرنسا وانكلترا .. فماذا فعلت فيها؟!!..

صادرت معظم أراضيها، وأسلمتها لإقطاعيين من الحبشة، كان الإقطاعي والكاهن مخولين بقتل أي مسلم دون الرجوع إلى السلطة، فكان الإقطاعي أو الكاهن يشنق فلاحيه أو يعذبهم في الوقت الذي يريد ...

فُتحت للفلاحين المسلمين سجون جماعية رهيبة، يجلد فيها الفلاحون بسياطٍ تزن أكثر من عشر كيلوا غرامات، وبعد إنزال أفظع أنواع العذاب بهم كانوا يلقون في زنزانات بعد أن تربط أيديهم بأرجلهم، ويتركون هكذا لعشر سنين أو أكثر، عندما كانوا يخرجون من السجون كانوا لا يستطيعون الوقوف، لأن ظهورهم قد أخذت شكل القوس.

كل ذلك كان قبل استلام هيلاسيلاسي السلطة في الحبشة، فلما أصبح إمبراطور الحبشة وضع خطة لإنهاء المسلمين خلال خمسة عشر عاماً، وتباهى بخطته هذه أمام الكونغرس الأمريكي.

سن تشريعات لإذلال المسلمين منها أن عليهم أن يركعوا لموظفى الدولة وإلا يقتلوا.

أمر أن تستباح دماؤهم لأقل سبب، فقد وجد شرطى قتيلاً قرب قرية مسلمة، فأرسلت الحكومة كتيبة كاملة قتلت أهل القرية كلهم وأحرقتهم مع قريتهم، ثم تبين أن القاتل هو صديق المقتول، الذي اعتدى على زوجته حاول أحد العلماء واسمه الشيخ عبد القادر أن يثور على هذه الإبادة فجمع الرجال، واختفى في الغابات، فجمعت الحكومة أطفالهم

ونساءهم وشيوخهم في أكواخٍ من الحشيش والقصب، وسكبت عليهم البترين وأحرقتهم جميعاً.

ومن قبضت عليه من الثوار كانت تعذبه عذاباً رهيباً قبل قتله، من ذلك إطفاء السجائر في عينيه وأذنيه، وهتك عرض بناته وزوجته وأخواته أمام عينيه، ودق خصيتيه بأعقاب البنادق .. وجره على الأسلاك الشائكة حتى يتفتت، وإلقاؤه جريحاً قبل أن يموت لتأكله الحيوانات الجارحة، بعد أن تربطه بالسلاسل حتى لا يقاوم.

أصدر هيلاسيلاسى أمراً بإغلاق مدارس المسلمين وأمر بفتح مدارس مسيحية وأجبر المسلمين على إدخال أبنائهم فيها ليصبحوا مسيحيين.

عين حُكاماً فجرة على مقاطعات أرتيريا منهم واحد عينه على مقاطعة جَمَة، ابتدأ عمله بأن أصدر أمراً أن لا يقطف الفلاحون ثمار أراضيهم إلا بعد موافقته، وكان لا يسمح بقطافها إلا بعد أن تتلف، وأخيراً صادر ٩٠% من الأراضي، أخذ هو نصفها وأعطى الإمبراطور نصفها. ونهب جميع ممتلكات الفلاحين المسلمين..

أمرهم أن يبنوا كنيسة كبرى في الإقليم فبنوها .. ثم أمرهم أن يعمروا كنسية عند مدخل كل قرية أو بلدة ولم يكتف بذلك بل بنى دوراً للعاهرات حول المساجد ومعها الحانات التي كان يسكر فيها الجنود، ثم يدخلون إلى المساجد ليبولوا بها ويتغوطوا ، وليراقصوا العاهرات فيها وهم سكارى .

كما فرض على الفلاحين أن يبيعوا أبقارهم لشركة أنكودا اليهودية .

كافأه الإمبراطور على أعماله هذه بأن عينه وزيراً للداخلية .

كانت حكومة الإمبراطور تلاحق كل مثقف مسلم. لتزجه في السجن حتى الموت، أو تجبره على مغادرة البلاد حتى يبقى شعب أرتيريا المسلم مستعبداً جاهلاً. وغير ذلك كثير(كفاح دين للأستاذ محمد الغزالي، صفحات ٦٠ - ٨٠ .

٤- ومن بنغلاديش :

قتل الجيش الهندي الذي كان يقوده يهود عشرة آلاف عالمٍ مسلم بعد انتصاره على جيش باكستان عام ١٩٧١ وقتل مائة ألف من طلبة المعاهد الإسلامية ، وموظفي الدولة ، وسجن خمسين ألف من العلماء وأساتذة الجامعات وقتل ربع مليون مسلم هندي هاجروا

من الهند إلى باكستان قبل الحرب وسلب الجيش الهندي ما قيمته (٣٠) مليار روبية من باكستان الشرقية التي سقطت من أموال الناس والدولة (مأسات بنكلاديش (محمد خليل الله) صفحات : ٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣) .

ولن نتعرض هنا لأشكال التعذيب التي صبها الجيش الهندي على المسلمين العــزل في مــا دعي بعد ذلك ببنغلاديش .

***

والأمثلة من كل مكان من العالم الإسلامي، يكاد الصدر يتفجر ضيقاً من تذكرها ..

لكنها بداية الخلاص إن شاء الله .. إنها سياط اليقظة التي ستُذهب نوم القرون، وتُخــرج من تحت الأرض سكان القبور.

وما ذلك على الله بعزيز.

نتساءل أخيراً:

هل مواقف الغرب وأتباعه التي رأيناها هي مواقف عاطفية استثنائية ؟!..

لا .. إنها مواقف مقررة مسبقاً في فكر الغرب وعقول قادته .. يمارسها الغربيون وأتباعهم عن تصميم واقتناع كامل، وبإرادة واعية تماماً ... وعن عمدٍ ..

ولماذا ذلك كله ... ؟!!...

هذا ما سنبينه بوضوح في هذه الدراسة التي سنبنيها على أقوال قادة الغرب فقــط .. دون أن نُدخل فيها أي اجتهاد أو استنتاج لتسهل الحجة، ويظهر الحق، ويستنير طريق المضللين الذين يمارسون بأيديهم إبادة مقومات القوة في أممهم ليسهلوا على العدو الكبير المتــربص التهامها.

وما أفظعها من مهمة يمارسها العملاء .. حين يدمرون أممهم، ثم يدفعونها في فــم الغــول الاستعماري البشع ... ليلتهمها ... فيارب متى ينتبهون ... ؟!!..

* * *

موقف الغرب من الإسلام

الحروب الصليبية مستمرة:

يبنى الغرب علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه:

١-فسياسة أمريكا معنا تخطط على هذا الأسس :

يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م يقول:

"يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية". لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي .

ويتابع :

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها. إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحروب الصليبية. (معركة المصير – صفحات ٨٧-٩٤.)

٢- والحرب الصليبية الثامنة قادها اللنبى :

يقول باترسون سمث في كتابه "حياة المسيح الشعبية" باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة، إن حملة اللنبى على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة، والأخيرة. (مجلة الطليعة القاهرية، مقال وليم سليمان، عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ – صفحة ٨٤.)

لذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبى وكتبت تحتها عبارته المشهورة الــتي قالهــا عندما فتح القدس:

اليوم انتهت الحروب الصليبية.

ونشرت هذه الصحف خبراً آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبى وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها، قالت الصحف :

هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبى في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها لويد جورج الحرب الصليبية الثامنة.

٣- والفرنسيون أيضاً صليبيون:

فالجنرال غورو عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر صــلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه وقال له:

"ها قد عدنا يا صلاح الدين".(القومية والغزو الفكري – ص ٨٤.)

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو وزير خارجية فرنسـا عنـدما زاره بعـض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم:

"إنها معركة بين الهلال والصليب".(مأساة مراكش – روم رولاند – ص ٣١٠.)

٤- وحزب الكتائب وشمعون يعتبرون أن حرب لبنان هي حرب صليبية :

صفحة من جريدة العمل في خدمة لبنان يشرف على سياستها بيير الجميــل كمـا هــو مكتوب في الصفحة .

٥- وقالوا عام ١٩٦٧م بعد سقوط القدس:

قال راندولف تشرشل:

لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود علــى الســواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود. (راندولف تشرشل، حرب الأيام الستة – ص ١٢٩ من الترجمة العربية.)

٦- والصهاينة أيضاً:

عندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام ١٩٦٧ تجمهر الجنود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع موشى دايان:

هذا يوم بيوم خيبر ... يالثارات خيبر.

وتابعوا هتافهم:

حطوا المشمش عالتفاح، دين محمد ولى وراح ..

وهتفوا أيضاً:

محمد مات .. خلف بنات ..

كل ذلك دعا الشاعر محمد الفيتورى إلى تنظيم قصيدته الرائعة مخاطباً نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم:

يا سيدي ..

عليك أفضل الصلاة والسلام ..

من أمة مُضاعة ..

تقذفها حضارة الخراب والظلام ..

يا سيدي ... منذ ردمنا البحر بالسدود ..

وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود ..

متنا ..

وداست فوقنا ماشية اليهود.. (الشعب والأرض – ج١- ص ٣٤ – ودرس من النكبة الثانية – ص ٧٦).

٦- واستغلت إسرائيل صليبية الغرب :

خرج أعوانها بمظاهرات قبل حرب الـ ١٩٦٧ تحمل لافتات في باريس، سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر، كتبت على هذه اللافتات، وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما:

"قاتلوا المسلمين"

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط ... كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدات كتبت عليها "هزيمة الهلال". بيعت

بالملايين ... لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة، وهـــي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين (طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية – ص ٢٠ -٢١).

***

الجدَار الصلب

نتساءل هنا:

هل يشن الغرب حرباً صليبيةً على العالم الإسلامي استجابةً لظروف تاريخية التحم فيهـــا الإسلام مع المسيحية، وانتزع من المسيحية أممها وعواصمها ؟؟

أم أن هناك عوامل أخرى تدفع الغرب إلى شن حروبه الصليبية ضد عالم الإسلام ؟ ...

يبدو من تصريحات قادة الغرب أنهم يشنون الحرب على الإسلام لعوامل أخرى ...

إنهم يرونه الجدار الصلب الذي يقف في وجه سيطرتهم على العالم واستغلالهم له :

١-فهم يرونه الجدار الوحيد أمام الاستعمار :

يقول لورنس براون:

"إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي"(التبشير والاســـتعمار – ص ١٠٤).

ويقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقاً :

ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق . (الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد – ص ٣٩.)

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي مـــن ألســـنتهم((المنـــار – عـــدد ٩/١١/١٩٦٢).

٢-ويرون أن الإسلام هو الجدار الذي يقف في وجه انتشار النفوذ الشيوعي :

في افتتاحية عدد ٢٢ أيار عام ١٩٥٢من جريدة "كيزيل أوزباخستان" الجريـــدة اليوميـــة للحزب الشيوعي الأورباخستاني ذكر المحرر ما يلي:

من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائياً. (الإسلام والتنمية الاقتصـــادية — جاك أوسترى - ٥٦.)

٣–ويرون أنه الجدار الذي يحول دون انتشار المسيحية وتمكن الاســتعمار مـــن العـــالم الإسلامي :

يقول أحد المبشرين :

إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سداً منيعاً في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية(جذور البلاء — ص ٢٠١.).

ويقول أشعياء بومان في مقالة نشرها في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

لم يتفق قط أن شعباً مسيحياً دخل في الإسلام ثم عاد نصـــرانياً. (التبشـــير والاســـتعمار للخالدين وفورخ — ص ١٣١ — الطبعة الرابعة.)

٤–ويرون أن الإسلام هو الخطر الوحيد أمام استقرار الصهيونية وإسرائيل :

يقول بن غوريون، رئيس وزراء إسرائيل سابقاً :

إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد. ((جريدة الكفاح الإســـلامي لعام ١٩٥٥ — عدد الأسبوع الثاني من نيسان.)

وحدّث ضابط عربي كبير وقع أسيراً في أيدي اليهود عام ١٩٤٨ أن قائد الجيش اليهودي دعاه إلى مكتبه قبيل إطلاق سراحه، وتلطف معه في الحديث.

سأله الضابط المصري : هل أستطيع أن أسأل لماذا لم تهاجموا قرية صور باهر ؟.

وصور باهر قرية قريبة من القدس.

أطرق القائد الإسرائيلي إطراقة طويلة ثم قال: أجيبك بصراحة، إننا لم نهاجم صور بـــاهر لأن فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين المتعصبين.

دهش الضابط المصرى، وسأل فوراً: وماذا في ذلك، لقد هجمتم على مواقع أخرى فيهـــا قوات أكثر .. وفي ظروف أصعب ؟!.

أجابه القائد الإسرائيلي: إن ما تقوله صحيح، لكننا وجدنا أن هـــؤلاء المتطـــوعين مـــن المسلمين المتعصبين يختلفون عن غيرهم من المقاتلين النظاميين، يختلفون تمامـــاً، فالقتـــال عندهم ليس وظيفة يمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم، بل هو هواية ينـــدفعون إليهـــا

بحماس وشغف جنوني، وهم في ذلك يشبهون جنودنا الذين يقاتلون عن عقيدة راسخة لحماية إسرائيل.

ولكن هناك فارقاً عظيماً بين جنودنا وهؤلاء المتطوعين المسلمين. إن جنودنا يقاتلون لتأسيس وطن يعيشون فيه، أما الجنود المتطوعون من المسلمين فهم يقاتلون ليموتوا، إنهم يطلبون الموت بشغف أقرب إلى الجنون، ويندفعون إليه كأنهم الشياطين، إن الهجوم على أمثال هؤلاء مخاطرة كبيرة، يشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش، ونحن لا نحب مثل هذه المغامرة المخيفة، ثم إن الهجوم عليهم قد يثير علينا المناطق الأخرى فيعملون مثل عملهم، فيفسدوا علينا كل شيء، ويتحقق لهم ما يريدون.

دهش الضابط المصرى لإجابة القائد الإسرائيلي، لكنه تابع سؤاله ليعرف منه السبب الحقيقي الذي يخيف اليهود من هؤلاء المتطوعين المسلمين.

قال له: قل لي برأيك الصريح، ما الذي أصاب هؤلاء حتى أحبوا الموت، وتحولوا إلى قوة ماردة تتحدى كل شيءٍ معقول؟!!.

أجابه الإسرائيلي بعفوية: إنه الدين الإسلامي يا سيادة الضابط. ثم تلعثم، وحاول أن يخفى إجابته، فقال:

إن هؤلاء لم تتح لهم الفرصة كما أتيحت لك، كي يدرسوا الأمور دراسة واعية تفتح عيونهم على حقائق الحياة، وتحررهم من الخرافة وشعوذات المتاجرين بالدين، إنهم لا يزالون ضحايا تعساء لوعد الإسلام لهم بالجنة التي تنتظرهم بعد الموت.

وتابع مسترسلاً: إن هؤلاء المتعصبين من المسلمين هم عقدة العقد في طريق السلام الذي يجب أن نتعاون عليه وهم الخطر الكبير على كل جهد يبذل لإقامة علاقات سليمة واعية بيننا وبينكم.

وتابع مستدركاً، وكأنه يستفز الضابط المصرى ضد هؤلاء المسلمين، تصور يا سيدي أن خطر هؤلاء ليس مقتصراً علينا وحدنا، بل هو خطر عليكم أنتم أيضاً. إذ أن أوضاع بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء، وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله، هذا المنطق الذي يخالف رقى القرن العشرين، قرن العلم وهيئة الأمم والرأي العام العالمي، وحقوق الإنسان.

واختتم القائد الإسرائيلي حديثه بقوله:

يا سيادة الضابط، أنا سعيد بلقائك، وسعيد بهذا الحديث الصريح معك، وأتمنى أن نلتقـــى لقاءً قادماً، لنتعاون في جو أخوى لا يعكره علينا المتعصبون مـــن المســـلمين المهووســـين بالجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله. (مجلة المسلمين – العدد الأول من المجلد الثامن – شهر تموز عام ١٩٦٣، مع بعض الاختصار بما يناسب المقام، مع رجائنا عفـــو الكاتـــب وإخوانه.)

٥-ويرون أن بقاء اسرائيل مرهون بازالة المتمسكين بالإسلام :

يقول الكاتب الصهيوني ((إيرل بوغر)) في كتابه العهد والسيف الذي صدر عام ١٩٦٥ ما نصه بالحرف :

((ان المبدأ الذي قام عليه وجود اسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها ، ولكي يصبح هذا التعاون ممكناً فيجب القضاء على جميع العناصـــر التي تغذي شعور العداء ضد اسرائيل في العالم العربي ، وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشائخ (الاسلام في معترك الحاضري ص ٢٨ (عمر بهاء الدين الأميري – طبعة دار الفتح ، بيروت عام ١٩٦٨ .) .

٦- ويقول اسحاق رابين غداة فوز جيمي كارتر برئاسة الولايات المتحدة ، ونقلت قوله جميع وكالات الأنباء :

ان مشكلة الشعب اليهودي هي أن الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوســـع ، وليس مستعدا لمواجهة الحول وان وقتا طويلا سيمضي قبل أن يترك الإسلام سيفه (العدد (٣٢٤) من مجلة المجتمع الكويتية / ٩ نوفمبر ١٩٧٦ .) .

***

العدو الوحيد

إنهم لا يرون الإسلام جداراً في وجه مطامعهم فقط، بل يعتقدون جازمين أنـــه الخطـــر الوحيد عليهم في بلادهم.

١-يقول لورانس براون :

كان قادتنا يخوفننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف.

كانوا يخوفنا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي.
لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فـإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم.
لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسـلام، وفي قدرتـه علـى التوسـع والاخضاع، وفي حيويته المدهشة. (المجلد الثامن صحفة ١٠، لورانس بروان نقـلاً عـن التبشير والاستعمار، صفحة ١٨٤.)
٢-ونكرر هنا قول غلادستون :
ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطع أوربة السيطرة على الشـرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان. (الإسلام على مفترق الطرق – ص ٣٩.)
٣-ويقول المستشرق غاردنر:
إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربة. (التبشير والاستعمار – ص ٣٦ – طبعة رابعة.)
٤-ويقول هانوتر وزير خارجية فرنسا سابقاً:
لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهـو الـدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخـر. (الفكـر الإسـلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٨.)
٥- ويقول البر مشادر:
من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليهـا من السماء، لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب.
ويتابع: لست متنبئاً، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة .. ولـن تقـوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها.
إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ، ها أنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراها. (لم هذا الرعب كله من الإسـلام – للأسـتاذ جودت سعيد.)
٦- ويقول أشعيا بومان في مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، من أسباب الخوف أن هذا الدين من أركانه الجهاد. (التبشير والاستعمار - ١٣١.)

٧- ويقول أنطوني ناتنج في كتابه "العرب"

منذ أن جمع محمد صلى الله عليه وسلم أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة، تواجهنا عبر المتوسط. (وليم بولك. الولايات المتحدة والعالم الغربي — والفقومية والغزو الفكر ص ٤٢.)

٨- وصرح سالازار في مؤتمر صحفي قائلاً:

إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يُحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم.

فلما سأله أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم ، أجابه: أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافهم إلينا. (جند الله ص ٢٢.)

٩- ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢:

ليست الشيوعية خطراً على أوربة فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم. ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتنا إلى متاحف التاريخ.

وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة.

إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر ...

فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقو في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني ، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي،وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب،وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم . (مجلة روز اليوسف في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٩).

١٠- ويقول مورو بيرجر في كتابه "العالم العربي المعاصر":

إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام .

يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية. (الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي – ص ١٩.)

١١- ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا :

رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجوداً من انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم لأن همتهم لم تخمد بعد... (الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي – ص ١٩.) .

١٢- بعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر.

أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه :

إننا لم نكن نسخر النصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها .. أو زيتونها ..

إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة بواتيه جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوربا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه

أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة.

من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر. (جريدة الأيام – سنة ١٩٦٣.)

١٣- في أول الشهر الحادي عشر من عام ١٩٧٤ ذكرت إذاعة لندن مساء زيارة وزير خارجية فرنسا سوفانيارك لاسرائيل . واجتماعه بقياداتها ، بعد أن اجتمع في بيروت برئيس منظمة التحرير الفلسطينية. ما جرى في آخر اجتماع عقد بين القادة الاسرائيليين وسوفانيارك ، وانتقاداتهم للسياسة الفرنسية لأنها تقف إلى جانب العرب ضد اسرائيل ، وتؤيد الفلسطينيين ، وهاجموا سوفانيارك شخصيا لأنه اجتمع بياسر عرفات . عندها غضب وزير الخارجية الفرنسية وصرخ في وجوههم : إما أن تعترفوا بمنظمة التحرير ، أو أن يعلن العرب كلهم عليكم الجهاد ..

والعجب أن اذاعة لندن لم تعد إلى اذاعة هذا الخبر مرة أخرى ، كما أن جميع اذاعات العرب لم تذكره .

ففرنسا حين تتحرك إلى جانب العرب لا تتحرك إلا خوفاً من أن يثير عداء العالم الغربي للعرب روح الجهاد في المسلمين ، فيعلنوه ويشنوا حربا على الحضارة الغربية تؤدي إلى دمار الغرب ويقظة المسلمين وهذا وحده كاف أن يدفع فرنسا إلى مهادنتهم ودعوة الآخرين لمهادنتهم !!! .

١٤- قالت اذاعة لندن صباح ١٩٧٦/٤/١٠ بمناسبة افتتاح مهرجان العالم الإسلامي في لندن :

ان الشعور العام السائد في الغرب أن المسيحية اذا لم تغير موقفها من الإسلام بحيث تتعاون معه للقضاء على الشر في العالم ، لا أن تعتبر الإسلام مصدرا من مصادر الشر ، إن لم تفعل ذلك فان المستقبل لا يؤذن بخير بالنسبة للمسيحية والعالم .

* * *

دمروا الإسلام

كيف يعملون إذن :

ليس أمامهم إلا حل واحد هو تدمير الإسلام:

١-"ها قد هبت النصرانية والموسوية لمقاتلة المحمدية. وهما تأملان أن تتمكنا من تدمير عدوهما".(استعباد الإسلام – ص ٤٤.)

٢-يقول غاردنر:

إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس، إنها كانت لتدمير الإسلام. (التبشير والاستعمار ص ١١٥ – جذور البلاء ص ٢٠١.)

٣-ونشيد جيوش الاستعمار كان يقول:

أنا ذاهب لسحق الأمة الملعونة،

لأحارب الديانة الإسلامية،

ولأمحو القرآن بكل قوتى.

٤-وشعار "قاتلوا المسلمين" الذي وزعته إسرائيل في أوربا عند حرب الـ ٦٧، لقى تجاوباً لا نظير له في دول الغرب كلها ...

٥-يقول فيليب فونداسي:

إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره. (الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء، تأليف فيليب فونداسى – ص ٢.)

٦- يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه "باثولوجيا الإسلام":

"إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء، والإدمان على معاقرة الخمور، وارتكاب جميع القبائح. وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي إلى ما لا نهاية، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة، ككراهة لحم الخنزير، والخمر والموسيقي.

إن الإسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات.

ويتابع هذا المستشرق المجنون:

اعتقد أن من الواجب إبادة خُمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر. (الاتجاهات الوطنية ج١ — ص ٣٢١ ، وتاريخ الإمام ج٢– ص ٤٠٩، والفكر الإسلامي الحديث ص ٥١، والقومية والغزو الفكري — ص ١٩٢.)

ويبدو أن قائد الجيوش الإنكليزية في حملة السودان قد طبق هذه الوصية، فهجم على قبر المهدى الذي سبق له أن حرر السودان وقتل القائد الإنكليزي غوردون، هجم القائد الإنكليزي على قبر المهدي، ونبشه، ثم قطع رأسه وأرسله إلى عاهر إنكليزي وطلب إليه أن يجعله مطفأة لسجائره. (القومية والغزو الفكري، ص ٢٢٢.)

٦–صرَّح الكاردينال بور ، كاردينال برلين لمجلة تابلت الانكليزية الكاثوليكية يوم سقوط القدس عام ١٩٦٧ بعد أن رعى صلاة المسيحيين مع اليهود في كنيس يهودي لأول مرة في تاريخ المسيحية قال : إن المسيحيين لا بد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الإسلام وتخليص الأرض المقدسة . (نشرة التعايش المشبوه — ص ٤)

٨– قال لويس التاسع ملك فرنسا الذي أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة ، في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس :

إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب وانما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي :

– إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، واذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في اضعاف المسلمين .

–عدم يمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح .

–إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء ، حتى تنفصل القاعدة عن القمة .

–الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه ، يضحي في سبيل مبادئه .

–العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة .

–العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوباً ، انطاكية شمالاً ، ثم تتجه شرقاً ، وتمتد حتى تصل إلى الغرب (العدد ٢١٠٦ آخر ساعة ، ٥ آذار ١٩٧٥ من خطبة أمير الحاج المصري لعام ١٩٧٥ الوزير أحمد كمال وزير الري المصري) .

* * *

خططهم لتدمير الإسلام

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التي استمرت قرنين كاملين في القضاء على الإســـلام، قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على الإسلام وأمته، وبدؤوا منذ قرنين يسعون بكل قوة للقضاء على الإسلام.

كانت خطواهم كما يلي:

أولاً: القضاء على حكم الإسلامي :

بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بعد حكمها عـــن روح الإسلام، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر.

كانت فرصتهم الذهبية التي مهدوا لها طوال قرن ونصف هي سقوط تركيا مع حليفتـــها ألمانيا خاسرة في الحرب العالمية الأولى.

دخلت الجيوش الإنكليزية واليونانية، والإيطالية، والفرنسية أراضـــي الدولـــة العثمانيـــة، وسيطرت على جميع أراضيها، ومنها العاصمة استانبول.

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنكلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية:

أ – إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.

ب – أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ج– أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

د – أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإســـلام. (الأرض والشعب – ص ٤٦ – مجلد أول.)

فنفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا.

ولما وقف كرزون وزير خارجية إنكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض النواب الإنكليز بعنف على كرزون، واستغربوا كيف اعترفت إنكلترا باستقلال تركيا، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخــرى وتهجــم علــى الغرب.

فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضــينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة.

فصفق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة . (كيف هدمت الخلافة ص١٩٠)

ثانياً: القضاء على القرآن ومحوه:

لأنهم كما سبق أن قلنا يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وبقاؤه بــين أيديهم حياً يؤدي إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم.

١- يقول غلادستون: ما دام هذا القرآن موجوداً، فلن تستطيع أوربة الســيطرة علــى الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان. (الإسلام على مفترق الطرق — ص ٣٩.)

٢-ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف:

متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتــدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه. (جذور البلاء — ص ٢٠١.)

٣-ويقول المبشر تاكلي:

يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيــه ليس صحيحاً. (التبشير والاستعمار — ص ٤٠ (طبعة رابعة).)

٤-ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر علــيهم. (المنار عدد ١٩٦٢/١١/٩.)

وقد أثار هذا المعنى حادثةً طريفةً جرت في فرنسا، وهي إنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشــر فتيــات مســلمات

جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً.

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون ... ولما ابتدأت الحفلة، فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ...

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً !!! ؟؟

أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!!.(جريدة الأيام – عدد ٧٧٨٠، الصادر بتاريخ ٦ كانون أول ١٩٦٢..)

ثالثاً: تدمير أخلاق المسلمين، وعقولهم، وصلتهم بالله، وإطلاق شهواتهم:

١-يقول مرماديوك باكتول:

إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً.

بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم. (جند الله - ص ٢٢.)

٢-يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥ م:

إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب،

حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات .. إنه يجـود بكـل شـيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجـوه. (جـذور البلاء – ص ٢٧٥.)

٣–ويقول صموئيل زويمر نفسه في كتاب الغارة على العالم الإسلامي :

إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتان، مزية هدم ، ومزية بناء

أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد ..

وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه. (الغـارة على العالم الإسلامي – ص١١.)

٤–ويقولون إن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يـتم بنشر التعليم العلماني.

أ– يقول المبشر تكلى:

يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسـلمين قـد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغـات الأجنبية. (التبشير والاستعمار – ص ٨٨.)

ب– ويقول زويمر: مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشيء لهـم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضـاء علـى الروح الإسلامية عند الطلاب. (الغارة على العالم الإسلامي – ص ٨٢.)

ج– يقول جب: لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد مـن الممكـن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدٍ بعيدٍ على القادة والزعماء في العـالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقـافي العلماني. (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – ج٢ – ص ٢٠٤ – ٢٠٦، تـأليف محمد حسين.)

رابعاً: القضاء على وحدة المسلمين:

١- يقول القس سيمون:

إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية. (كيف هدمت الخلافة – ص ١٩٠.)

٢-ويقول المبشر لورنس براون:

إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير. (جذور البلاء – ص ٢٠٢.)

ويكمل حديثه:

يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير.

٣- ويقول أرنولد توينبى في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل: (الإسلام والغرب والمستقبل – ص ٧٣.)

إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ.

٤- وقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحل رباط تونس الشديد بالبلاد الإسلامية، وتفلتت روابطه مع مكة، ومع ماضيه الإسلامي، حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية. (هانوتو – ص ٢١.)

٥- من أخطر ما نذكره من أخبار حول هذه النقطة هو ما يلي:

في سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر أوربى كبير ، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح:

إن الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضى علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا.

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربة.

فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربة.

وأخيراً قرروا إنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس، ليبقى العرب متفرقين.

وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين. (المؤامرة ومعركة المصير – ص ٢٥.)

خامساً: تشكيك المسلمين بدينهم:

في كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين يقول:

إن المسلمين يدّعون أن في الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية. (التبشير والاستعمار – ص ١٩١.)

تنفيذاً لذلك وضعت كتب المستشرقين المتربصين بالإسلام، التي لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام، والتشكيك بمبادئه، والغمز بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

سادساً: إبقاء العرب ضعفاء:

يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية يقول مورو بيرجر في كتابه "العالم العربي":

لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام فليدمر العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام.

سابعاً: إنشاء ديكتاتوريات سياسية في العالم الإسلامي:

يقول المستشرق و. ك. سميث الأمريكي، والخبير بشؤون الباكستان:

إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها.

وينصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه "سفر آسيا" الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره. (جند الله – ص ٢٩.)

لكنهم لا ينسوا أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تتفجر.

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا:

إن الخطر لا يزال موجوداً في أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لكنها لم تثبط من عزائهم. (الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي - ١٩.)

ثامناً: إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب:

يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي ... (ويتابع):

فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً ينتهي به الغرب ، وينتهي معه دوره القيادي في العالم. (جند الله – ص٢٢.)

تاسعاً: سعيهم المستمر لإبعاد القادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في دول العالم الإسلامي حتى لا ينهضوا بالإسلام:

١- يقول المستشرق البريطاني مونتجومري وات في جريدة التايمز اللندنية، في آذار من عام ١٩٦٨:

إذا وجد القائد المناسب، الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى.(الحلول المستوردة – ص ١١.)

٢- ويقول جب:

إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد. (

الاتجاهات الحديثة في الإسلام – ص٣٦٥، (عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصـــر) ج٢ – ص ٢٠٦.)

٣–وقد سبق أن ذكرنا قول بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق:

" إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد".

٤–كما ذكرنا قول سالازار، ديكتاتور البرتغال السابق:

أخشى أن يظهر من بينهم رجل يوجه خلافاهم إلينا.

عاشراً: إفساد المرأة، وإشاعة الانحراف الجنسي:

١–تقول المبشرة آن ميليغان:

لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى، وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإســـلام مـــن هـــذه المدرسة. (التبشير والاستعمار – ٨٧.)

ماذا يعنون بذلك ؟ إهم يعنون أهم بإخراج المرأة المسلمة من دينها يخرج الجيل الذي تربيه ويخرج معها زوجها وأخوها أيضاً وتصبح أداة تدمير قوية لجميع قيم المجتمع الإســـلامي الذي يحاولون تدميره وإلغاء دوره الحضاري من العالم .

٢– حكى قادم من الضفة الغربية أن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربي بحمـــلات منظمة وهادئة إلى الاختلاط باليهوديات وخصوصاً على شاطئ البحر وتتعمد اليهوديات دعوة هؤلاء الشباب إلى الزنا هن، وأن السلطات اليهودية تلاحق جميع الشـــباب الـــذين يرفضون هذه العروض، بحجة أهم من المنتمين للحركات الفدائية ، كما أها لا تُدخل إلى الضفة الغربية إلا الأفلام الجنسية الخليعة جداً، وكذلك تفتح على مقربة من المعامل الكبيرة التي يعمل فيها العمال العرب الفلسطينيون دوراً للدعارة مجانية تقريباً، كل ذلك من أجل تدمير أخلاق أولئك الشباب، لضمان عدم انضمامهم إلى حركـــات المقاومـــة في الأرض المحتلة.

* * *

هل هناك تغيير في موقف الغرب تجاه الإسلام وأهله ؟! ..

ظهرت في السنوات الأربع ألأخيرة بعض المواقف في الغرب تتميز بروح الأعتدال ، وتدعو إلى التأمل . سنستعرض هذه المواقف ، ثم نحلل ما تعنيه ..

١-أذاعت إذاعة صوت العرب الخبر التالي :

قررت الحكومة الفرنسية ما يلي :

أ -منح الديانة الإسلامية فترة إذاعية في إذاعتها .

ب -فتح مساجد في المشافي والسجون الفرنسية .

ت -منح العمال المسلمين إجازات بمناسبة الأعياد الإسلامية .

٢-أقيم في لندن في نيسان ١٩٧٦ مهرجان اسمه مهرجان العالم الإسلامي .

حدد المدير العام للمهرجان بول كيلر أهداف المهرجان كما يلي :

إن الإنسان في الغرب يعاني فراغاً ثقافياً وروحياً ، ومن هنا كان رحيله المستمر إلى الشرق على صورة موجات ((هيبية)) باحثاً عن ثقافة جديدة يواجه بها أزمته الروحية التي يعاني منها .

يقول مدير المهرجان :

أنا أعتقد أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الاتجاه إلى حضارة الشـرق ، والإسـلام بصورة خاصة لم يتجه إليه الغرب ، وهو أغنى حضارة بالقيم الروحية . فقلت لماذا لا نقيم هذا الاتصال الثقافي والحضاري مع الإسلام ، وخاصة وأن الدول الإسلامية بدأت تفرض نفسها على العالم بشتى الصور .. لذلك فكرنا بإقامة مهرجان العالم الإسلامي .

ويقول : يجب اقتلاع التعصب ضد الحضارة الإسلامية ، ونحن نتوقع أن يساهم المهرجان بهذه العملية .

ويقول : إن الغاية من المهرجان هي إيصال القيم الإسلامية إلى جماهير الشعب البريطاني ، واننا نتوقع أن يجري نقاش واسع حول القيم الإسلامية أثناء فترة المهرجان ، وهي فتـرة طويلة – ثلاثة أشهر – وهكذا تتهيأ الفرصة لشرح القيم الإسلامية بصورة وافيـة ، وان الفرصة التي ستتاح لعلماء المسلمين والمختصين لشرح الحضارة الإسـلامية وإبرازهـا ، ومحاولة مد الجسور بين الشرق والغرب ستكون كبيرة

وهذه هي المناسبة الحقيقية لا زالة الشبهات التي فرضت على الحضارة الإسـلامية مـن مجموعة من المتعصبين المسيحيين واليهود ، وقصة تعدد الزوجات في الإسلام واحدة مـن تلك القصص التي تشرح للرأي العام البريطاني من قبل (مجلة الأسبوع العـربي ، العـدد ٨٦٨ الاثنين ٩ آذار ١٩٧٦ .) .

٣- في دراسة نشرها في عام ١٩٧٦ المستشرق الصهيوني الانكليزي المشهور برنارد لويس تحت عنوان ((عودة الإسلام)) وبعد مقدمات تحليلية واسعة للحركـات الإسـلامية في العالم الإسلامي يقول :

مما تقدم تبرز نتائج عامة محددة : فالإسلام لا يزال الشكل الأكثر فعالية في الرأي العام في دول العالم الإسلامي ، وهو يشكل اللون الأساسي لجماهير ، وتزداد فعاليته كلما كانت أنظمة الحكم أكثر شعبية . أي قائمة على أساس اعطاء الحرية للشعوب ، ويمكن للمرء أن يدرك الفرق الواضح بين أنظمة الحكم الحالية ، وبين القيادات السياسـية ذات الثقافـة الغربية التي أبعدت عن الحكم . والتي حكمت حتى عشرات قليلة مضت من السنين .

وكلمات التصقت الحكومات أكثر بعامة الناس ، حتى ولو كانت يسارية ، فانها تصـبح أكثر إسلامية . ولقد بنيت مساجد في ظل أحد أنظمة الحكم في منطقة المواجهـة مـع اسرائيل خلال ثلاث سنوات أكثر مما بني في السنوات الثلاثين التي سبقتها .

إن الإسلام قوي جدا ، إلا أنه لا يزال قوة غير موجهَّة في ميدان السياسة الداخلية .

وهو يبرز كعامل أساسي محتمل في السياسة الدولية ، وقد جرت محاولات كثيرة في سبيل سياسة تضامن إسلامي أو جامعة إسلامية للدول الإسلامية الا أنها أخفقت كلها في تحقيق تقدم نحو إقامة هذا التضامن . وان أحد الأسباب المهمة هو عجز الـذين قـاموا بهـذه المحاولات في اقناع الشعوب الإسلامية بجدية ما يريدون .

ولا يزال المجال مفتوحا لبروز قيادات أكثر اقناعا وان هناك أدلة كافية في كـل الـدول الإسلامية قائمة فعلا تدل على الشوق العميق الذي تكنه الشعوب الإسلامية لمثل هـذه القيادة ، والاستعداد العظيم للتجاوب معها

إن غياب القيادة العصرية المثقفة ، القيادة التي تخدم الإسلام بما يقتضيه العصر من تنظـيم وعلم . ان غياب هذه القيادة قد قيَّد حركة الإسلام كقوة منتصرة ، ومنع غيابُ القيـادة

العصرية المثقفة الحركات الإسلامية من أن تكون منافساً خطيرا على السلطة في العالم الإسلامي . لكن هذه الحركات يمكن أن تتحول إلى قوى سياسية محلية هائلة اذا تهيأ لها النوع الصحيح من القيادة (صفحة ٤٨ من مجلة commentary عام ١٩٧٦ .) .

نقول ماذا تعني هذه المواقف ، وهذه الأقوال ؟! هل هي بداية تحوُّل غربي تجاه الإسلام .. أم أنها مكر من نوع جديد !!!

إنما – فيما نعتقد – طلاء لون به الغرب وجهه بعد أن برزت قوى العالم الإسلامي الاقتصادية والسياسية بشكل ضخم .

إن القوة الاقتصادية التي برزت لدول النفط قد أقضت مضاجع العالم الغربي ، فان كان تقرير البنك الدولي صادقاً ، وبأن السعودية وحدها سوف تملك عام ١٩٨٠ نصف النقد المتداول في العالم ، فان هذا خطر واضح .

واذا أضفنا إلى ذلك الموقع الاستراتيجي العجيب للعالم الإسلامي ، اذ أن جميع مضائق العالم الاساسية فيه ومعظم السهول الخصبة الرخيصة فيه ، وجميع البحار الدافئة والتي تخترقها طرق العالم فيه ، وإن عدد سكانه يشكل ثلث سكان العالم .. وهم معظم المستهلكين لبضائع الغرب ، فرواج الصناعة الغربية كله قائم عليهم ، والمواد الأولية متوفرة فيه بشكل هائل ، كما أن لسكانه أثرا هائلا في جميع شعوب العالم فإننا بذلك ندرك مدى الشعور بالخطر الذي دفع الغرب إلى ما سبق أن فعله .

إذا كان برنارد لويس ذلك الصهيوني المستشرق قد اقتنع أن الإسلام في طريقه إلى العودة إلى العالم كقوة مهيمنة ،فكأنه يقول للغربيين انتبهوا..المسلمون قادمون ..دمروهم قبل أن يكسروا قمقمهم ..

وما الدليل على ما نقول !؟! إن الدليل الواضح هو حرب الصومال التي تشبه إلى حد كبير حرب بنغلادش فالشيوعيون يقدمون الأسلحة والجنود للحبشة والغربيون – أمريكا – وانكلترا – وفرنسا – وألمانيا تمتنع عن تقديم الدعم للصومال ببيعها السلاح ... فهو تآمر مكشوف من كلا الطرفين الشيوعي والرأسمالي لانقاذ الحبشة المسيحية الصليبية . ولو كان ذلك على حساب الشعبين المسلمين الارتيري والصومالي .

هذا يدل بوضوح على أن الغرب لا زال كما كان .. وإن ما يقوم به من أعمال تنبئ عن مهادنة الإسلام ما هي الا محاولات للتغرير بالمسلمين ... فلننتبه بشدة .

فان الغرب لا زال حريصا على شرب دمائهم وابتلاع امكاناتهم . ان آخر ما قـام بـه ضدهم هو قتل ألف مسلم في مسجد مدينة ريرداد باقليم أوجادين الصومالي ، حين فتح الأحباش نيران رشاشاتهم الروسية (مجلة الاعتصام المصرية تشرين أول ١٩٧٧ .) علـى المصلين فأبادوا منهم ألفاً دفعة واحدة . و لم تتحرك لهذه الفعله الوحشية دولة مـن دول الغرب كله ... فهل في هذا ما يدل ... ؟!! إنه أكبر دليل ...

يجب أن نكسر ما يقيدنا .. ونعود إلى العالم سادة له ، نحرر من ظلـم الجبـارين .. والله غالب أمره .

أخيراً

يا ويح أعدائنا ما أقذرهم، إنهم يفرضون علينا أن نحقد عليهم حين يرقصون على أشلائنا بعد أن يمزقوها ويطحنوها ويطعموها للكلاب.

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة أعدائه حين فتح مكـة: "اذهبـوا فـأنتم الطلقاء"، وهم الذين ذبحوا أهله وأصحابه ...

وترك صلاح الدين الصليبيين في القدس بعد أن فتحها دون أن يذبحهم كما ذبحوا أهلـه وإخوانه.

لكننا نتساءل:

إن أحقاد هؤلاء وما فعلوه بأمة الإسلام من ذبح، هل ستمكننا من العطف علـيهم مـرة أخرى حين ننتصر ؟؟! ولابد أن ننتصر، لأن الله قدر هذا وانتهى، هل سنبادلهم حقـداً بحقد، وذبحاً بذبح، ودماً بدم ؟؟!!

إن الله سمح لنا بذلك، لكنه قال { فمن عفى وأصلح فأجره على الله } ، إننا لا نستطيع إلا أن نقول لهم يومنا ذلك : اذهبوا أحراراً حيث شئتم في ظل عدل أمة الإسلام — الذي لا حد له — والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله ومن سار علـى درب الجهاد الذي خطّه إلى يوم الدين .

١٩٧٨/٣

****

إن جميع الأنبياء والمرسلين قد أوذوا من قبل أقوامهم ومن قبل غيرهم:

قال تعالى : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) [الأحقاف/٣٥] }

وعَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَعُودُهُ فِى نِسَاءٍ فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » رواه أحمد في مسنده وهو صحيح

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً قَالَ « الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِى دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِىَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ». قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الصبر في القرآن الكريم

الإيمان نصفان: صبر وشكر،ولما كان كذلك كان حريا بالمؤمن أن يعرفهما ويتمسك بهما، و أن لا يعدل عنهما، وأن يجعل سيره إلى ربه بينهما ومن هنا كان حديثنا عن الصبر في القرآن الكريم فقد جعله الله جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو وجندا لا يهزم،وحصنا لا يهدم. فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد، والحديث عن مكانته وفضيلته آتية بإذن الله الإشارة إليه. فلا تستعجلها قبل أوانها وقبل الشروع في المقصود نبين المسائل التي سيدور عليها حديثنا وهي:

- مقدمات في تعريفه وضرورته وحكمه ودرجاته.

- فضله.
- مجالاته.
- الوسائل المعينة عليه.
- نماذج من الصابرين.

١- المقدمات :

أ – تعريفه:

الصبر لغة: الحبس والكف، قال تعالى: ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي...)) الآية، أي احبس نفسك معهم.

واصطلاحاً: حبس النفس على فعل شيء أو تركه ابتغاء وجه الله قال تعالى: ((والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم)).

وقد أشرنا في التعريف إلى أنواع الصبر الثلاثة والباعث عليه.

أما أنواعه فهي: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. ففي قولنا (على فعل شيء) دخل فيه الأول، وفي قولنا (أو تركه) دخل فيه النوعان الثاني والثالث: أما دخول الثاني فظاهر لأنه حبس للنفس على ترك معصية الله، وأما دخول الثالث فلأنه حبس للنفس عن الجزع والتسخط عند ورود الأقدار المؤلمة.

أما الباعث عليه: فهو في قولنا ((ابتغاء وجه الله)) قال تعالى ((ولربك فاصبر)) فالصبر الذي لا يكون باعثه وجه الله لا أجر فيه وليس بمحمود، وقد أثنى الله في كتابه على أولي الألباب الذين من أوصافهم ماذكره بقوله: ((والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية)).

وهذا النص يشير إلى حقيقة هامة جداً وهي أن صبغة الأخلاق ربانية فيه ليست أخلاقاً وضعية أو مادية وإنما ربانية سواء من جهة مصدر الإلزام بها أو من جهة الباعث على فعلها، فالعبد لا يفعلها تحت رقابة بشرية حين تغيب ينفلت منها، بل يفعلها كل حين وعلى كل حال لأن الرقابة ربانية، والباعث إرادة وجه الله تعالى.

ب — أهميته:

الصبر: أبرز الأخلاق الوارد ذكرها في القرآن حتى لقد زادت مواضع ذكره فيه عن مائة موضع، وما ذلك إلا لدوران كل الأخلاق عليه، وصدورها منه، فكلما قلبت خلقاً أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر، فالعفة: صبر عن شهوة الفرج والعين المحرمة، وشرف النفس: صبر عن شهوة البطن، وكتمان السر: صبر عن إظهار مالا يحسن إظهاره من الكلام، والزهد: صبر عن فضول العيش، والقناعة: صبر على القدر الكافي من الدنيا، والحلم: صبر عن إجابة داعي الغضب، والوقار: صبر عن إجابة داعي العجلة والطيش، والشجاعة: صبر عن داعي الفرار والهرب، والعفو: صبر عن إجابة داعي الانتقام، والجود: صبر عن إجابة داعي البخل، والكيس: صبر عن إجابة داعي العجز والكسل وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر، لكن اختلفت الأسماء واتحد المعنى، والذكي من ينظر إلى المعاني والحقائق أولاً ثم يجيل بصره إلى الأسامي فإن المعاني هي الأصول والألفاظ توابع، ومن طلب الأصول من التوابع زل. ومن هنا ندرك كيف علق القرآن الفلاح على الصبر وحده ((وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)) ((أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، ويلقون فيها تحية وسلاماً)) ((سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)).

وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ماله من قيمة كبيرة في الحياتين الدنيا والأخرى، فليس هو من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر، فلولا صبر الزارع والدارس والمقاتل وغيرهم ماظفروا بمقاصدهم:

وقلّ من جدّ في أمر يحاوله *** واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقال آخر:

لا تيأسن وإن طالت مطالبة *** إذا استعنت بصبر أو ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته *** ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ولئن كان الأمر كذلك في الدنيا، فهو في الآخرة أشد وأوكد، يقول أبو طالب المكـــي: "اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة، وسبب النجاة من النار لأنه جاء في الخبر "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"، فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليـــدخل الجنـــة، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار". وقال: "اعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، وقلة الصبر على مايكرهون".

وإذا كان هذا شأن الصبر مع كل الناس، فأهل الإيمان أشد الناس حاجـــة إليـــه لأنهـــم يتعرضون للبلاء والأذى والفتن ((ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنـــا وهـــم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))، وقـــال: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قـــبلكم مســـتهم البأســـاء والضراء، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصـــر الله، ألا إن نصـــر الله قريب))، وكان التأكيد أشد في قوله: ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور))، لقد بينت الآية أن قوى الكفر على ما بينها من اختلاف متحـــدة ضـــد الإسلام، وقرنت لبيان موقف المؤمنين بين الصبر والتقوى فلا يكتفوا بالصبر وحده حـــتى يضيفوا إليه تقواهم لله بتعففهم عن مقابلة الخصم بمثل أسلحته الدنيئة فلا يواجـــه الـــدس بالدس لأن المؤمنين تحكمهم قيمهم الأخلاقية في السلم والحرب والرخـــاء والشـــدة. ثم وصفت الآية الأذى المسموع بأنه كثير، فلا بد أن يوطن المسلمون أنفسهم على سمـــاع الافتراء والزور والتلفيق والبهتان من عدوهم حتى يأتي نصر الله.

ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أشد أهل الإيمان حاجة إلى الصـــبر لأنهـــم الـــذين يقومون أساساً بالدعوة ويجابهون الأمم بالتغيير وهم حين يقومون بذلك يكـــون الواحـــد منهم فرداً في مواجهة أمة تعانده وتكذبه وتعاديه، قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"، وكلما كان القوم أشد عناداً وأكثر إغراقاً في الضلال كانت حاجة نبيهم إلى الصبر أكثر كأولي العزم مثلاً، نوح وإبـــراهيم وموســـى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

لقد كانت أوامر الرب سبحانه لمحمد عليه الصلاة والسلام بالصبر كثيرة في القرآن وما ذاك إلا لأنها دعوة شاملة تواجه أمم الأرض كلها فخصومها كثيرون وحاجة إمام الدعوة إلى الصبر أعظم لقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم صنوف الأذى البدني والنفسي والمالي والاجتماعي والدعائي وغيره، وقاوم ذلك كله بالصبر الذي أمره به الله في عشرين موضعاً في القرآن كلها إبان العهد المكي لأنه عهد البلاء والفتنة والضعف وتسلط الكافر، وكان مما قاله الله له: ((تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك. ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين))، ((واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون... الآية)). ((واصبر لحكم ربك، فإنك بأعيننا، وسبح بحمد ربك حين تقوم)). فأمر بالصبر لحكمه وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق والعدل، وقال له ((فإنك بأعيننا)) فصيغة الجمع لزيادة التثبيت والتأنيس، وقال الله لموسى: ((ولتصنع على عيني)) ومن كان بعين الله ومرأى منه فلن يضيع ولن يغلب، ثم أمر بالتسبيح كما أمره به في جملة آيات على أعقاب أمره بالصبر، ولعل السر فيه أن التسبيح يعطى الإنسان شحنة روحية تحلو بها مرارة الصبر، ويحمل التسبيح بحمد الله معنيين جليلين لابد أن يرعاهما من ابتلي:

١- تنزيه الله تعالى أن يفعل عبثاً، بل كل فعله موافق للحكمة التامة، فبلاؤه لحكمة.

٢- أن له تعالى في كل محنة منحة وفي كل بلية نعماء ينبغي أن تذكر فتشكر وتحمد وهذا هو سر اقتران التسبيح بالحمد هنا. وفي قوله (ربك) إيذان بكمال التربية ومزيد العناية.

ج – حكمه:

الصبر من حيث الجملة واجب، ويدل لذلك:

أ – أمر الله به في غير ما آية قال تعالى: ((استعينوا بالصبر والصلاة)) ((اصبروا وصابروا)).

ب – نهيه عن ضده كما في قوله ((فلا تولوهم الأدبار)) وقوله ((ولا تبطلوا أعمالكم)) ((ولا تهنوا ولا تحزنوا)) ((فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)).

ج – أن الله رتب عليه خيري الدنيا والآخرة وما كان كذلك كان تحصيله واجباً، أما من حيث التفصيل فحكمه بحسب المصبور عنه أو عليه، فهو واجب على الواجبات وواجب

عن المحرمات، وهو مستحب عن المكروهات، ومكروه عن المستحبات، ومستحب على المستحبات، ومكروه على المكروهات، ومما يدل على أن الصبر قد لا يكون لازماً قوله تعالى ((وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين))، فالصبر عن مقابلة السيئة بمثلها ليس واجباً بل مندوباً إليه.

وقد أمر الله المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة فقال: ((يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))، وصيغة المصابرة تفيد المفاعلة من الجانبين، والمعنى هنا: مغالبة الأعداء في الصبر، فإذا كنا نصبر على حقنا، فإن المشركين يصبرون على باطلهم؛ فلا بد أن نغلبهم بمصابرتنا، ثم أمرنا بالمرابطة على تلك المصابرة والثبات عليها لنحقق موعود الله ونظفر بالفلاح، فانتقلت الآية بالأمر من الأدنى إلى الأعلى فالصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوك والمرابطة: الثبات وإعداد العدة، وكما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو فكذلك الرباط أيضاً لزوم ثغر القلب لئلا يهجم منه الشيطان فيملكه أو يخربه أو يناله بأذى. وعليه فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله بالتقوى.

د — درجاته:

الصبر نوعان، بدني ونفسي وكل منهما قسمان: اختياري واضطراري، فصارت أربعة:

أ – بدني اختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة.

ب – بدني اضطراري كالصبر على ألم الضرب.

ج – نفسي اختياري كصبر النفس عن فعل مالا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً.

د – نفسي اضطراري كصبر النفس عن فقدان محبوبها الذي حيل بينها وبينه.

والبهائم تشارك الإنسان في النوعين الاضطراريين لكنه يتميز عليها بالنوعين الاختياريين، والصبر الاختياري أكمل من الاضطراري، فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري، ولذلك كان صبر يوسف على مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله من السجن أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبويه، وباعوه بيع العبد، ومن الصبر الاختياري صبره على العز والتمكين الذي

أورثه الله إياه فجعله مسخراً لطاعة الله و لم ينقله ذلك إلى الكبر والبطر، وكـــذلك كـــان صبر نوح والخليل وموسى الكليم والمسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم فإن صبرهم كـــان على الدعوة إلى الله ومجاهدة أعداء الله ولهذا سموا أولي العزم، وأمر الله رسوله أن يصـــبر كصبرهم ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)) ونهاه عن أن يتشبه بصاحب الحوت حيث لم يصبر فخرج مغاضباً قبل أن يؤذن له ((فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصـــاحب الحوت)) ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على أولي العزم حتى ردوها إلى خيرهـــم وأفضلهم وأصبرهم.

واعلم أن الصبر المتعلق بالتكليف وهو صبر إما على الطاعة أو عن المعصية أفضل من الصبر على مر القدر فإن هذا الأخير يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلابد لكل أحد مـــن الصبر على القدر اختياراً أو اضطراراً، أما الصبر على الأوامر وعن النواهي فهو صبر أتباع الرسل، والصبر على الأوامر أفضل من الصبر عن النواهي لأن فعل المأمور أحـــب إلى الله من ترك المحظور والصبر على أحب الأمرين أفضل وأعلى

٢- فضائل الصبر في القرآن الكريم:

حديث القرآن عن فضائل الصبر كثير جداً، وهذه العجالة لا تستوعب كل مـــا ورد في ذلك لكن نجتزىء منه بما يلي:

١- علق الله الفلاح به في قوله: ((يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقـــوا الله لعلكم تفلحون)).

٢- الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره: ((أولئك يؤتون أجرهم مـــرتين بمـــا صبروا)) وقال: ((إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)).

٣- تعليق الإمامة في الدين به وباليقين: ((وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمـــا صـــبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون)).

٤- ظفرهم بمعية الله لهم : ((إن الله مع الصابرين)).

٥- أنه جمع لهم ثلاثة أمور لم تجمع لغيرهم: ((أولئك عليهم صلوات من ربهـــم ورحمـــة وأولئك هم المهتدون)).

٦- أنه جعل الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به : ((واستعينوا بالصبر والصلاة)).
٧- أنه علق النصر بالصبر والتقوى فقال: ((بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فـــورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)).
٨- أنه تعالى جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبـــد بأعظم منهما: ((وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً)).
٩- أن الملائكة تسلم في الجنة على المؤمنين بصبرهم ((والملائكة يدخلون عليهم من كـــل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)).
١٠- أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: ((إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)).
١١- أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور: أي مما يعزم من الأمور الـــتي إنما يعزم على أجلها وأشرفها: ((ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور)).
١٢- أنه سبحانه جعل محبته للصابرين: ((والله يحب الصابرين)).
١٣- أنه تعالى قال عن خصال الخير: إنه لا يلقاها إلا الصابرون: ((وما يلقاها إلا الـــذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)).
١٤- أنه سبحانه أخبر أنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور: ((إن في ذلك لآيـــات لكل صبار شكور)).
١٥- أنه سبحانه أثنى على عبده أيوب أجل الثناء وأجمله لصبره فقال: ((إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب))، فمن لم يصبر فبئس العبد هو.
١٦- أنه حكم بالخسران التام على كل من لم يؤمن ويعمل الصالحات و لم يكن من أهل الحق والصبر: ((والعصر، إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا... السورة)).
قال الإمام الشافعي:"لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لوسعتهم، وذلك أن العبد كمالـــه في تكميل قوتيه: قوة العلم، وقوة العمل، وهما: الإيمان والعمل الصالح وكما هو محتـــاج لتكميل نفسه فهو محتاج لتكميل غيره، وهو التواصي بالحق، وقاعدة ذلك وساقه إنما يقوم بالصبر".

١٧- أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم فقال تعالى: ((ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة)).

١٨- أنه تبارك وتعالى قرن الصبر بمقامات الإيمان وأركان الإسلام وقيم الإسلام ومثله العليا، فقرنه بالصلاة ((واستعينوا بالصبر والصلاة)) وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً ((إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات))، وجعله قرين التقوى ((إنه من يتق ويصبر))، وقرين الشكر ((إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور))، وقرين الحق ((وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))، وقرين المرحمة ((وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة))، وقرين اليقين ((لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون))، وقرين التوكل ((نعم أجر العاملين))، ((الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون))، وقرين التسبيح والاستغفار ((فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار))، وقرنه بالجهاد ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)).

١٩- إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ((ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون)).

وبعد، فهذا غيض من فيض في باب فضائل الصبر ولولا الإطالة لاسترسلنا في ذكر تلك الفضائل والمنازل، ولعل فيما ذكر عبرة ودافع على الصبر فالله المستعان.

٣- مجالات الصبر في القرآن الكريم:

أ - الصبر على بلاء الدنيا:

لقد أخبرنا الله تعالى بطبيعة الحياة الدنيا، وأنها خلقت ممزوجة بالبلاء والفتن فقال: ((لقد خلقنا الإنسان في كبد)) أي مشقة وعناء، وأقسم على ذلك بقوله: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون،)) وإذا أطلق الصبر فلا يكاد ينصرف إلى غيره عند كثير من الناس.

ب - الصبر على مشتهيات النفس:

وهو ما يسمى بالسراء فإن الصبر عليها أشد من الصبر على الضراء، قال بعضهم: البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها إلا صِدِّيق، وقال عبد الرحمن بن عوف: "ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر". إن المؤمن مطالب بأن لا يطلق لنفسه العنان في الجري وراء شهواتها لئلا يخرجه ذلك إلى البطر والطغيان وإهمال حق الله تعالى فيما آتاه وبسط له، قال تعالى: ((يأأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون))، ويمكن أن نجمل حاجة الإنسان إلى الصبر في هذا النوع بأربعة أمور :

١- أن لا يركن إليها، ولا يغتر بها، ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

٢- أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها، فإنها تنقلب إلى أضدادها، فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده، وحرم الأكل والشرب والجماع.

٣- أن يصبر على أداء حق الله تعالى فيها، ولا يضيعه فيسلبها.

٤- أن يصبر عن صرفها في الحرام، فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها، فإنها توقعه في الحرام، فإن احترز كل الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون وإنما كان الصبر على السراء شديداً لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره.

ومما يدخل في هذا النوع من الصبر، الصبر عن التطلع إلى مابيد الآخرين من الدنيا، والصبر عن الاغترار بما ينعمون به من مال وبنين قال تعالى: ((أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين، نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)) وقد نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: ((ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى))، فالمؤمن من يعتز بنعمة الهداية ويعلم أنما هم فيه من الدنيا ظل زائل وعارية مستردة ولا يبالي بمظاهر الفخامة التي يتبجح بها الطغاة، لقد قال الذين يريدون الحياة الدنيا لما رأوا قارون في زينته ((يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، إنه لذو حظ عظيم))، أما أهل العلم والإيمان فقالوا: ((ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون)).

ج – الصبر على طاعة الله تعالى:

إن الصبر على طاعة الله أعظم مجالات الصبر وهو لذلك أشدها على النفوس وقد جاءت صيغة الأمر بالصبر على الطاعة مغايرة لغيرها فقال تعالى: ((رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سمياً))، وقال: ((وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى))، فاستخدم صيغة الافتعال وهو يدل على المبالغة في الفعل إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وما ذاك إلا لمشقة مجاهدة النفوس على القيام بحق العبودية في كل الأحوال. واعلم أن الصبر على الطاعة له ثلاث أحوال:

١- قبل الطاعة، بتصحيح النية والصبر على شوائب الرياء، وعقد العزم على الوفاء ولعل هذا يظهر سر تقديم الصبر على العمل الصالح في قوله: ((إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)).

٢- حال الطاعة بأن لا يغفل عن الله فيها، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابها وسننها، ولعله المراد بقوله: ((نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)) صبروا إلى تمام العمل.

٣- بعد الفراغ منها فيصبر على عدم افشائها والمراءاة والإعجاب بها، وترك ما يبطلها قال تعالى: ((ولا تبطلوا أعمالكم))، وقال: ((لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)).

د – الصبر على مشاق الدعوة إلى الله:

غير خاف عليك ضرورة صبر الداعية على ما يلاقيه في دعوته، فإنه يأتي الناس بما لا يشتهونه ولا يألفونه، وبما يخالف ما وجدوا عليه آباءهم، فلذلك يقاومون الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، ويوصلون الأذى بالداعية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

– إن اعراضهم عن الدعوة يحتاج إلى صبر كصبر نوح الذي بقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وحكى الله عنه قوله: ((رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً... الآية)).

- وما يحيكه المغرضون من مؤامرات الكيد التي تؤذي الداعية في أهله ونفسه وماله تحتاج إلى صبر، وهذا ما أكده الله تعالى بقوله: ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا، فإن ذلك من عزم الأمور))، وقد أمر الله رسوله بقوله: ((واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً))، وقد أجمع الأنبياء على رد أذى أقوامهم بالصبر ((ولنصبرن على ما آذيتمونا، وعلى الله فليتوكل المتوكلون))، ((ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل لكلمات الله))، وسحرة فرعون لما وقر الإيمان في قلوبهم قابلوا تهديده بالقتل والصلب بقولهم ((إنا إلى ربنا منقلبون، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا، ربنا أفرغ علينا صبراً، وتوفنا مسلمين)).

- إن طول الطريق، واستبطاء النصر يحتاج إلى صبر، وصبر حار شديد ولذا خوطب المؤمنون في القرآن بقوله تعالى: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب))، وقوله: ((حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)).

هـ الصبر حين البأس :

أي الصبر في الحرب وعند لقاء العدو والتحام الصفوف، فالصبر ثَمّ شرط للنصر، والفرار كبيرة، وقد أثنى الله تعالى على الصابرين في ساعة القتال فقال في آية البر: ((والصابرين في البأساء)) أي الفقر ((والضراء)) أي المرض، وحين البأس، ((أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)) ويوجبه على عباده بقوله: ((ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا، إن الله مع الصابرين)).

وعندما تضطرب أمور المعركة، وينفرط عقدها تكون الحاجة إلى الصبر أعظم وأشد كما حدث في أحد حين انكشف المسلمون وشاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل، انجفل فريق من المسلمين منهزمين، وصبر آخرون فنزل من القرآن إشادة بمن صبروا، وإنكار على أولئك: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم

الصابرين)) ثم لا يعذرهم في فرارهم وانهزامهم ((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين)) إلى أن قال: ((وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)).

وقد حدثنا عن الثلة المؤمنة مع طالوت عندما انتصرت لما اعتصمت بالصبر، وقد اختبر طالوت من معه بقوله: ((إن الله مبتليكم بنهر..)) ((فصبر ثلة مؤمنة على ترك الشرب من النهر إلا غرفة باليد)) ((فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه، قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا: ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين))، لقد سألوا الله حين اللقاء صبراً وأوعبوا، فقالوا ((أفرغ))، إذ هم بحاجة إلى صبر كثير، وكانت النتيجة ((فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت.. .))

و - الصبر في مجال العلاقات الإنسانية:

لا تستقيم الحياة مع الناس إلا بالصبر بدءاً بأقرب من يعاشرك وهي الزوجة وانتهاءً بأبعد الناس عنك، وقد قال الله تعالى مبيناً ما ينبغي أن يتحلى به الزوج من صبر في مواجهة مشاكل الزوجية: ((وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً))، أي فاصبروا فعاقبة الصبر حميدة، ويوصي الله عباده بالصبر على ما يلاقونه من الناس من ضر، وأن لا يقابلوا السيئة بمثلها فيقول: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)).

ومما يُنظم في هذا العقد صبر التلميذ على التعلم والمعلم، وهذا ما حدثنا عنه في القرآن عندما ذهب موسى إلى الخضر ليعلمه مما علمه الله، قال له الخضر إما لأن الله أخبره بالحقيقة أو تهييجاً على الصبر –قال: ((إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً))، فتعهد موسى بالصبر – قال: ((ستجدني إن شاء الله صابراً))...

٤- الأسباب المعينة على الصبر:

أ - المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا:

إن من عرف طبيعة الدنيا وما جبلت عليه من الكدر والمشقة والعناء هان عليه ما يبتلى به فيها لأنه وقع في أمر يتوقعه، والشيء من معدنه لا يستغرب، وقد عرفنا الله بهذه الحقيقة فقال: ((لقد خلقنا الإنسان في كبد))، أي في مشقة وعناء، وقال: ((ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه))، وبين جل جلاله أنها لا تدوم على حال بل يوم لك ويوم عليك ((إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس)).

إن من لا يعرف هذه الحقيقة سيفاجأ بوقائع الأحداث تصب على رأسه صباً فيظن أنه الوحيد من بين بني الإنسان الذي يصاب بذلك لشؤمه وسوء حظه، ولذلك يبادر بعضهم بالإجهاز على نفسه بالانتحار، لأنه ما علم أن لكل فرحة ترحة وما كان ضحك إلا كان بعده بكاء، وما ملئ بيت حبرة إلا ملىء عبرة، وما عبت دار من السرور إلا عبت من الحزن، "وأنه لو فتش العالم لم ير فيه إلا مبتلى: إما بفوات محبوب أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً أساءت دهراً، وإن متعت قليلاً، منعت طويلاً...".

ب - معرفتك بأنك وما بيدك ملك لله تعالى ومرجعك إليه:

قال تعالى: ((ومابكم من نعمة فمن الله))، وقد علمنا في كتاب ربنا أن نقول عند حلول المصائب: ((إنا لله وإنا إليه راجعون))، يقول ابن القيم: "وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل، وقد جعل عند العبد عارية. وأيضاً، فإنه محفوف بعدمين، عدم قبله، وعدم بعده حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقى عليه وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره. ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات

والسيئات، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته، فكيف يفرح بموجود ويأسى على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم علاج هذا الداء« ولذلك يقال عند تعزية المصاب (إن لله ماأخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى). وقد أدركت أم سليم هذا المعنى عندما توفي ابنها، فلما جاء أبوه (أبو طلحة) يسأل عنه قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح (تعني الموت، وقد ظن أنها تريد النوم لمجيء العافية) وكانت قد هيأت نفسها لزوجها فتعرضت له فأصاب منها فلما أراد الخروج لصلاة الفجر، قالت له: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، إن العارية مؤداة إلى أهلها، فقالت: إن الله أعارنا فلاناً ثم أخذه منه فاسترجع... إلى آخر القصة.

ج - اليقين بحسن الجزاء عند الله تعالى:

أن مما يرغب الإنسان في العمل، ويزيده ثباتاً فيه علمه بحسن جزائه في الآخرة ولا نجد في القرآن شيئاً ضخم جزاؤه وعظم أجره مثل الصبر فيقول نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ويقول مبيناً أن الصابرين يجزون بأحسن ماعملوا: ((ما عندكم ينفد وما عند الله باق، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون))، ويصرح بأن أجرهم غير معدود ولا محدود فيقول: ((إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب))، وقد ذُكِّر المؤمنون بهذه الحقيقة في الكلمة التي أمروا أن يقولوها عند حلول المصائب: ((إنا لله وإنا إليه راجعون))، فيتذكرون أنهم سيرجعون إلى الله فيجزيهم على عملهم وصبرهم أحسن الجزاء وأوفاه.

يقول أبو طالب المكي: "وأصل قلة الصبر: ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له، لأنه لو قوي يقينه، كان الآجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً، فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء...".

د - الثقة بحصول الفرج:

إن يقين العبد بأن النصر مقرون بالصبر وأن الفرج آت بعد الكرب وأن مع العسر يسراً يقويه على الصبر على ما يلاقيه، وقد كثرت الآيات الدالة على هذا المعنى لما له من أثر في مزيد التحمل والثبات، قال تعالى: ((فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا))، قال

بعضهم: "لن يغلب عسر يسرين" يقصد بذلك أن العسر ورد معرفة في الموضعين والمعرفة إذا كررت في الجملة لا تفيد التعدد بخلاف النكرة وهي التي ورد به اليسر في الموضـــعين، فإذا قلت: جاء الرجل وأكرمت الرجل، كان الرجل في المواطنين واحداً، وإذا قلت: جاء رجلٌ وأكرمت رجلاً، كان المقصود رجلين. وقد جعل العسر في الآيتين مع العسر لا بعده أو عقبه لينبه إلى قرب تحققه بعده حتى كأنه معه ولينبه أيضاً إلى أن كل عسر مقرون بيسر وأكثر فما من مصيبة يبتلى بها عبد إلا ولله فيه إلطاف بأن لم يجعلها على نحو أعظـــم أو أكبر أو أطول مما هي عليه.

وقد تكرر في القرآن الأمر بالصبر مقروناً بالتذكير بأن وعد الله حق لا يتخلف أبداً قـــال تعالى: ((وعد الله لا يخلف الله الميعاد))، وقال: ((فاصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)).

إن اشتداد الأزمة في سنن الله تعني قرب انبلاج الفجر وظهور طلائع النصر كما قيل:

اشتدي أزمةُ تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

ولهذا نجد يعقوب يكون أمله في العثور على يوسف أشد عندما أخذ ابنه الثـــاني فيقـــول: ((فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً))، وقال لأبنائه ((يا بني اذهبوا فتحسسوا مـــن يوسف وأخيه، ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)).

هـــ - الاستعانة بالله:

مما يعين المبتلى على الصبر أن يستعين بالله تعالى ويلجأ إلى حماه فيشعر بمعيته سبحانه وأنه في حمايته ورعايته، ومن كان في حمى ربه فلن يضام ولذا قال موسى لقومه بعد أن هددهم فرعون بما هددهم به ((استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عبـــاده والعاقبة للمتقين)).

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله في آيات كثيرة كقوله ((نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلـــى ربهـــم يتوكلون))، وقوله عن رسله: ((ولنصبرن على مـــا آذيتمونـــا، وعلـــى الله فليتوكـــل المتوكلون)).

و – الاقتداء بأهل الصبر:

إن التأمل في سير الصابرين يعطي الإنسان شحنة دافعة على الصبر، ومن هنا ندرك سر حرص القرآن المكي على ذكر صبر الأنبياء على ما لاقوه من أممهم وهذا ما صرح الله به في قوله: ((وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين))، وقال الله: ((ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبإي المرسلين)) [الأنعام/٣٤]، وجاء الأمر صريحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالصابرين قبله: ((فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم))، وحين نزل البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم التذكير ببلاء من كان قبلهم: ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))، وقال لهم: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب)).

ز – الإيمان بقدر الله:

إن إيمان العبد بقدر الله النافذ واستسلامه له أكبر عون على تجشم مصاعب المصائب، وعلم العبد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه برد من اليقين يصب على فؤاده، قال تعالى: ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم))، وركون المؤمن إلى قدر الله في مثل هذا المقام واحتجاجه به أمر لا غبار عليه لأنه إحالة على القدر فيما لا اختيار للعبد فيه.

واعلم أن الجزع والهلع والتبرم والضيق لايرد من قدر الله شيئاً فلابد من الصبر أول الأمر لئلا يحرم العبد من المثوبة ولئن لم يصبر أول الصدمة فسيصبر بعد ذاك رغم أنفه ولا أجر له، قال حكيم: "العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد السبعة أيام". إن المبالغة في التشكي والتبرم لا يغير من الواقع شيئاً بل يزيد النفس هماً وكمداً ولهذا قال الله لرسوله: ((قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون، فإنهم لا يكذبوك، ولكن الظالمين بآيات الله

يجحدون. ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصـــرنا ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين. وإن كان كبر عليك إعراضهم فـــإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)) [الأنعام/٣٣-٣٥]، فأزال الوحشـــة عـــن قلـــب الرسول صلى الله عليه وسلم في أول آية بأن تكذيبهم ليس للرسول وإنما هو لله تعالى، ثم عزاه في الثانية وسلاه بما حدث لرسل الله فصبروا، ثم قال له: إن شق عليـــك إعراضـــهم وذهبت نفسك عليهم حسرات وضاق صدرك فليس لك إلا الصبر، وإلا فافعل ما بدا لك فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض تهرب منه أو سلماً في السماء، تصعد عليه فدونك فافعل. [١]

الآفات المعيقة عن الصبر:

١- الاستعجال: النفس موكولة بحب العاجل ((خلق الإنسان من عجل))، فإذا أبطأ على الإنسان ما يريد نفد صبره وضاق صدره واستعجل قطف الثمرة قبل أوانها فلا هو ظفـــر بثمرة طيبة ولا هو أتم المسير، ولهذا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:((فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم))، أي العذاب فإن له يوماً موعوداً.

لقد باءت بعض الدعوات بالفشل و لم تؤت ثمرتها المرجوة بعلة الاستعجال، ولـــو أنهـــم صبروا لكان خيراً لهم، ثار بعضهم على الطغيان ولما يقم على ساقه ويشتد عوده وتكتمل آلته وتنضج دعوته وتمتد قاعدته فقضي على الدعوة ووئد الداعية وذهب الاثنان في خـــبر كان. والحديث عن الاستعجال أطول من هذا ولكن في الإشارة للبيب مـــا يغـــني عـــن العبارة.

٢- الغضب: قد يرى الداعية من المدعوين مالا يليق فيستفزه الغضب فيدفعـــه إلى مـــالا يحسن به مما يسيء إلى الدعوة ويلصق بجبين حاملها وصمة عار تبقى الدهر كله، ولهـــذا حذر الله رسوله من مغبة الغضب بأن لا يقع فيما وقع فيه يونس فقال: فاصـــبر لحكـــم ربك، ولا تكن كصاحب الحوت لقد فرغ صبره فضاق صدره فغادرهم غاضباً قبـــل أن يأذن الله له ظناً منه أن الله لن يضيق عليه فضيق الله عليه بأن جعله في بطن الحوت: ((وذا

النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمـــات أن لا إلـــه إلا أنـــت سبحانك إني كنت من الظالمين))، فتاب الله عليه: ((فاستجبنا له ونجيناه من الغم)).

٣- اليأس : أعظم عوائق الصبر وهو الذي حذر يعقوب أبناءه من الوقوع فيه مع تكـــرار البحث عن يوسف وأخيه: ((يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا مـــن روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون))، وهو الذي حرص القرآن علـــى دفعه عن أنفس المؤمنين فبذر الأمل في صدورهم: ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيـــام نـــداولها بـــين الناس))، وقال لهم: ((ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يتـــركم أعمالكم))، إن إضاءة شعلة الأمل دواء اليأس وهذا ما ذكرت به الآيات المؤمنين وهو ما ذكر به موسى قومه فقال: ((استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء مـــن عباده والعاقبة للمتقين))، ولما شكا خباب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلاقيـــه من أذى قريش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكره مصاب الصالحين في الأمم قبله: "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صـــنعاء إلى حضـــرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

٥- نماذج للصابرين:

لقد ضُرب لنا في القرآن نماذج رائعة تجسدت فيهم حقيقة الصبر، واستحقوا أن يـــذكروا بصبرهم فيقتدى بهم الصابرون، وسنختار في هذه العجالة ثلاثة منها يتمثل في كل واحد منها لون من الصبر.

أ – الصبر على طاعة الله:

في قصة إبراهيم وإسماعيل التي حكاها الله لنا بقوله عن إبراهيم: ((وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين، رب هب لي من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي، قال يـــا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ســـتجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيـــا

إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين...)).
من أيهما تعجب من الأب الذي رأى في المنام أنه يذبح ابنه أم من الابن الذي يستسلم لأمر الله طواعية واختياراً، لقد كان الابن وحيد إبراهيم و لم يأته إلا على كبر فما ظنك بتعلق الأب بابنه، إنه تعلق لا يوصف، ولكن تعلقه بالله أعظم وطاعته لله فوق كل ذلك، لقد حطم إبراهيم كل نداءات الأرض لما جاء الأمر من السماء، وضرب للناس أروع الأمثال في الطاعة، ولقد كان الوحي في هذه المرة رؤيا فلم يتأولها إبراهيم لصالحه بدافع من غريزة الأبوة، ولكنه امتثل وعرض على ابنه ما رأى عرضاً في غاية الإيجاز والسهولة ولكنه يتضمن أمراً في غاية الخطورة، و لم يكن الابن صغيراً بحيث لم ير الأب من جدواه ما يجعله شديد التعلق به والاعتماد عليه، ولكنه بلغ مع أبيه السعي فاصبح فتى مفتول العضلات، قوي الساعد، وكانت إجابة الابن محيرة حقاً، لقد حسم الموقف بجملتين قالهما لأبيه خلدهما التاريخ له، وكانتا سبباً في تدوين اسمه في الصابرين: ((وإسماعيل وإدريس وذا الكفل،كل من الصابرين))، قال إسماعيل: ((يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين))، أي لا تأخذ رأيي ولا تنتظر مشورتي بل نفذ ما أمرت به، ثم لا ينسى أن يستمد العون من الله على حاله بالصبر فهو لا يعتمد على قوته وشدة جلده بل يسأله من ربه، وصدقا وأسلم الوالد ولده، وتله أبوه للجبين، وتهيأ للذبح وجاءت البشرى عند ذاك بعد أن حقق الابتلاء ثمرته ((وناديناه أن ياإبراهيم... الآيات)).
ب – الصبر عن معصية الله:
وأبرز الأمثلة وأشدها وضوحاً صبر يوسف عليه السلام على مراودة امرأة العزيز، لقد كان الصبر ظهير يوسف في محنته التي ابتلي بها اضطراراً واختياراً وكشف عن هذا حين عثر إخوته عليه فقال: ((أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين))، لقد رفض كل العروض والإغراءات وخرج من الفتنة بإيمانه وصبره، وكان صبره هذا أرقى من صبر أبيه يعقوب على الفراق وأرقى من صبر أيوب على ما بلي به لأن صبرهما كان اضطرارياً لا حيلة لهما في رفعه ولا دفعه بينما كان صبر يوسف اختياراً وحين تملك فلم يتكبر و لم يطغ صبراً اختيارياً، يقول ابن القيم نقلاً عن

شيخه ابن تيميه رحمهما الله: "كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هـــذه أمـــور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صـــبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا، ومحاربة للنفس، ولاسيما مع الأسباب التي تقوى معهـــا دواعي الموافقة:

١- فإنه كان شاباً، وداعية الشباب إليها قوية.

٢- وعزباً ليس معه ما يعوضه ويرد شهوته.

٣- وغريباً، والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي فيه بين أصحابه ومعارفه وأهله.

٤- ومملوكاً، والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر.

٥- والمرأة جميلة وذات منصب، وهي سيدته.

٦- وقد غاب الرقيب.

٧- وهي الداعية إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص.

٨- وتوعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار.

ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارياً وإيثاراً لما عند الله، وأين هذا من صـــبره في الجـــب على ما ليس من كسبه" ا هـــ .

لقد ضحى بدنياه من أجل دينه، وبحريته من أجل عقيدته، وقال قولته المشـــهورة: ((رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكـــن مـــن الجاهلين)).

ولما أفرج عنه من السجن الطويل واستدعي لمقابلة الملك، لم يستفزه هذا الخبر بل طلـــب التحقيق في القضية حتى تظهر براءته على الملأ وحدث ذلك فعلاً وعند ذلك ازداد إعجاب الملك به فقال: ((ائتوني به استخلصه لنفسي))، وكان في المرة الأولى قال ((ائتوني بـــه))، فقط ((فلما كلمه قال: إنك اليوم لدينا مكين أمين)).

ج – الصبر على أقدار الله المؤلمة:

إن أشهر من يقرن اسمه بهذا اللون من الصبر نبي الله أيوب عليه السلام، لقد أصابه ضـــر عظيم في بدنه وأهله وماله فصبر، فخلد ذكره في القرآن فقال الله تعالى: ((واذكر عبـــدنا

أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بـــارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب، وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث، إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب))، لقد ذكر له مـــن ألـــوان التكريم وأوسمة الشرف ما هو جدير بمثله لعظيم صبره، فأولهما تكريمـــه بتخليـــد ذكـــره ومباهاة الله به عند رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وثانيه: تكريمه بقوله ((عبـــدنا))، حيث أضافه إليه، والعبودية من أشرف أوصاف الإنسان التي يتحلى بها، وثالثها: عنـــدما استجاب نداءه وكشف ضره ووهب له أهله ومثلهم معهم، ورابعها: حينما جعـــل لـــه مخرجاً من يمين حلفه على امرأته فكرمت وكرم بما يخلصه من مأزق الحنث، وكانت خاتمة ذلك هذا الوسام من الشرف العريض ((إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب))، فوصفه بالصبر حتى قرن الصبر بأيوب فلا يذكر إلا وهو معه، ثم قال: نعم العبد فكانت شـــهادة من الله بتمام عبوديته، ثم ختم ذلك بقوله إنه أواب، والأواب: المبالغ في شدة رجوعه إلى الله تعالى.

وقد ذكر الله تعالى صبره في موطن آخر فقال: ((وأيوب إذ نادى ربه أني مســـني الضـــر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين، وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين))، لقد كان نداء أيوب في ضرائه غاية في اللطف والأدب ولذا كانت الإجابة آية في التمام والكمال، لقد نادى ربه و لم يسأله شيئاً بعينه من الأهل والعافية وذكر ربه بما هو أهله وبما اتصف به ((إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين))، فاستجاب له دعاءه فكشف عنه الضر ورد عليه الأهل ومثلهم معهم وجعله ذكرى للعابدين وإماماً من الصابرين.

جعلني الله وإياك منهم وحشرنا معهم وآجرنا بأجرهم إنه ولي ذلك والقادر عليه...

الصبر.. عنوان الإيمان ودليل الثقة بالله

د. الحسيني أبو فرحة

من أبرز الأخلاق التي عني بها القرآن الكريم وحث عليها ''الصبر''، وقد ورد ذكــره في القرآن الكريم أكثر من غيره من الأخلاق الإسلامية.

وقد ذكر الصبر في القرآن على ستة عشر نوعا، منها الأمر به مثل قوله تعالى ''يــا أيهــا الذين آمنوا اصبروا وصابروا''، ومنها النهي عن ضده كقوله تعالى: ''فاصبر كما صــبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم''، ومنها الثناء على أهله مثل ''الصابرين والصادقين والقانتين''.

درجات الصبر

والصبر في القرآن ثلاث درجات: الأولى: الصبر عن المعصية بتركها، الثانية: الصبر علــى أداء الطاعات بالمحافظة على أدائها كاملة غير منقوصة، الثالثة: الصبر على الــبلاء بعــدم السخط والجزع، مع الرضا بقدر الله عز وجل.

وثمرات الصبر كما يقول الدكتور الحسيني أبو فرحة لا تحصى عددا، وقد ذكــر القــرآن الكريم طرفا منها، وذكرت السنة طرفا آخر، والسنة هي شارحة القرآن، وهى جزء مــن وحي السماء الذي أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أنه أوحي إليه معناهــا فقط، وعبر عن المعني الموحى به إليه بألفاظ من عنده.

فما نص عليه القرآن من ثمرات الصبر أنه يعين على أداء الطاعات، قال تعالى: ''فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون''.

والذكر والشكر وعدم الكفر طاعات، ثم قال سبحانه: ''يا أيها الذين آمنــوا اســتعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين''، فعقب الأمر بالذكر والشكر والنهي عن الكفــر، أمر بالاستعانة بالصبر والصلاة.

تحمل البلاء

والصبر كذلك يثمر تحمل البلاء الذي يترل بالإنسان، فيزلزل بنيان غير الصــابر، وقــد يقضي عليه بالأمراض المختلفة من شلل وجنون، وقد يؤدي البلاء الذي يترل بغير الصابر إلى الانتحار وكل ذلك شائع بين غير الصابرين.

أما المسلم الذي يصبر على البلاء، فهو في أمان من هذه البلايا، ثقة منه بالله وواسع رحمته، وعظيم مثوبته على ما نزل به من بلاء، وعظيم ما عند الله من خير للصابرين في دنيــاهم

وأخراهم، يقول الله تعالى مشيرا إلى ذلك كله: "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجــوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون".

فقد جمعت هذه الآيات بين الخوف وهو متعدد الأشكال والألوان، فهو يتسع للخوف من الأعداء، والخوف من الأمراض، والخوف من المجهول، وغير ذلك وبين الجــوع وخطــره معروف، والكثير من الناس في زمننا هذا وفي غيره من الأزمان يموتون من الجوع، ويتعذب الكثيرون من الجوع إن لم ينته بهم إلى الموت، ونقص المال بالخسارة في التجارة والصناعة والآفات في الزراعة معروف، ونقص الأنفس بفقد الأحبة بالموت، وفقد بعــض أعضــاء الجسم وقواه بالمرض، كل ذلك واقع وشائع بين الناس.

ثم تذكر هذه الآيات أن علاج جميع الحالات السابقة التي تنزل بالإنسان فتزلزل بنيانه وقد تقضي عليه، هو الصبر، فمن صبر ظفر، والله سبحانه وتعالى يقول بعد ذكره ما يمتحن به عباده من ألوان البلاء: "وبشر الصابرين" بشارة يثمرها الصبر، والبشارة تقاس بالمبشــر بها، وبشارة من الله الملك الحق المبين الذي لا تنفد خزائنه، دونها كل بشارة من مخلــوق، ولو كان ملكا متوجا، هذا مع قوله سبحانه: "إن الله مع الصابرين".

فمعية الله تذهب بالحزن من القلوب وتذهب بالخوف منها كذلك، وتملأ القلــوب أمنــا وأمانا واطمئنانا.

والصابر إذا نزلت به مصيبة عبر عن صبره الذي وقر في قلبه بقوله: "إنا لله وإنــا إليــه راجعون".

ومع تلك العقيدة التي يمتلئ بها قلب المسلم الصابر بأن الكل خلق الله وأن كل مخلوق لابد راجع إلى مولاه، مع تلك العقيدة يمتلئ قلب المؤمن رضا عن قضاء الله وقدره، فللــه مــا أعطى وله ما أخذ، وكل شيء عنده بمقدار.

ويذكر الله سبحانه في تلك الآيات أن الصابرين يفوزون بثلاث ثمرات: أولاها: أنهم عليهم صلوات من ربهم، أي غفران من الله لهم وثناء عليهم.

ثانيها: أنهم عليهم رحمة من ربهم، وهي ما يكون مع المصيبة من لطف الله بهم.

ثالثها: أهم مهتدون إلى الحق والصواب فيما ينبغي عمله في أوقات الشدائد فلا يستحوذ الجزع على نفوسهم ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم.
ومن ثمرات الصبر محبة الله للصابرين، قال تعالى "وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين".

صبر المجاهدين

لئن كانت شرعتنا الحنيفة أوصت عموم المؤمنين ، بامتثال قيمة الصبر ، والتحلي به فيما حزبهم من أمور ؛ كالصبر على المأمور والمحذور والمقدور ، فإنها اختصت جحافل المجاهدين بأحوال من الصبر المستبين ، فكان أن أوصتهم بالصبر : قبل نشوب المعركة واحتدام الصراع ، وبالصبر في خضم النزال والقراع، وبالصبر عقب جولة جهادية صار غبارها الى انقشاع .
فهذه أحوال ومقامات من الصبر ينعقد بنواصيها حكم بالغة نيرة ، وثمرات طيبة خيرة .
أما الصبر قبل نشوب المعركة فأثبته قوله تعالى لسيد المجاهدين صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين ، بنص قرآني مبين . (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم). [سورة الأحقاف آية٣٥]
فالوصية بالصبر في هذه الآية الكريمة حملت للمجاهدين بين طيّاتها لمسة تربوية بارعة ، مؤداها أنها تضبط مشاعرهم ، وتهذب عواطفهم ، وتمحص مواقفهم ، وتصفي نواياهم وطواياهم وسرائرهم ؛ فصولاتهم وجولاتهم الجهادية لاتتأتى من باب ردود الأفعال ، إنما من جهة إرضاء الكبير المتعال ، فهي ليست رهينة حظوظ النفس ، إنما من الظلام تقتص ، تلقنهم ومن شايعهم ومشى ممشاهم أعظم درس ، فدماؤها وأرواحها في سبيل الله ترخص ، إعلاء لراية التوحيد ، وتخضيدا لشوكة الشرك العنيد .
واذكر للدعاة في فلسطين حقبة زمنية ، انحازوا فيها إلى تربية النشئ على التوحيد وصبغتهم بصبغة الكتاب والسنة ، فكان أن تطاولت عليهم الألسنة ، فانبرى فريق يزاود

عليهم ، وراح يتمطى أن شهر في وجه يهود الأسنة ، مروجين أن الدعاة بصنيعهم هـذا إنما تثاقلوا عن دروب الجهاد والاستشهاد ، ونأوا بأنفسهم عن نصرة العباد ، وتخاذلوا عن تحرير البلاد ....!!

فما لبثت هذه الأصوات أن خمدت ، حينما أتى على الناس زمان تناحر فيه حملة السلاح ، وأثخنوا فيما بينهم الجراح ، فتبين حينها أن العقيدة هي التي توحد السواعد وليست البندقية ، وثبت أنه ليست القضية الهرولة إلى حمل البندقية ، إنما هي النفوس الأبية التقية ، التي ينبغي صناعتها وإشباعها بالمبادئ النقية ، وإفعامها بالقيم القوية ، لتغدو لدماء شهدائها وفية ، ويظل شعارها المنية لا الدنية ، فمهما ادلهمت

الخطوب ، ونزلت في ساحتها الكروب ، فنجم مبادئها وقيمها وثوابتها لن يسير إلى أفول وغروب .. وهذا ما كان للجيل المجاهد في فلسطين .

وأما الصبر في خضم المعركة فبينه قوله تعالى

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) [سورة آل عمران آية ٢٠٠]

وقوله (ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) [سورة الأنفال الآيتان٤٥، ٤٦] .

فما حملته هذه الآيات الكريمة بين ثناياها من دعوة المجاهدين إلى التجلد وتجشم المشاق ، واستعذاب المنايا في سبيل الملك الخلاق ، وطلبها من مظانها بلا وجل ولا إشفاق ، من شأنه أن يفرج كربتهم ، وينهي -باذن الله -غربتهم ، في حين يخضد لأهل الزيغ والفساد شوكتهم ، وقد قدمت غزوة حنين للبشرية في هذا الصدد أسمى عظة ، صاغتها ثلة مجاهدة بصبر لحظة.

من هنا : فعلى المجاهدين في فلسطين في أتون معركتهم المقدسة التي يذودون فيها عن حياض الأمة ومقدساتها وحرماتها .. عليهم ألا يقيلوا ولا يستقيلوا عن درب قدموا فيه من الدماء والأشلاء ما يعد ضريبة لا يستخف بها ولا يستهان على طريق نيل الحرية وتحقيق الاستقلال .

وعليهم أن يتفطنوا دوما أن كوكبة الشهداء الذين قضوا نحبهم وجادوا من قبل ومن بعد بأرواحهم إنما شيدوا منار هدى يهتدي به الحيارى ، فلا يليق بالجموع التي أتت بعـــدهم إلا أن تحذو حذوهم ، وتواصل زحفهم ، دونما أن تحيد أو تتمارى .. نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

وأشد أحوال الصبر ومقاماته لدى المجاهدين : الصبر عقب المعركة ؛ إثر انقشاع جولـــة ، والفراغ من صولة، كشف ذلك قوله تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلــم المجاهــدين مــنكم والصابرين ونبلوا أخباركم)[سورة محمد آية ٣١]، فأخر الصبر عن الجهاد لأن المقصود بالمجاهدين هنا : المقيمون عليه ، وبالصابرين : الثابتون عليه – على الجهاد – ، ولأوائـــه دونما انخزال أو انخذال .

ذلك أن غبار المعركة سوف ينجلي عن دماء تنزف ، وأشلاء تتناثر ، وأرواح تزهق ، من فلذات الأكباد ، وقادة الجهاد ، وصناع الاستشهاد ، فضلا عما تخلفه وراءها من نســـاء ثكالى ، وأطفال يتامى ، وأبنية تتهاوى ، ومقدرات وثروات وخيرات ومزروعات تـــرى العدو بإتلافها يتغاوى ..!!

فهذا كله يتطلب من المجاهدين ومن آزرهم ، ومن أهل فلسطين ومن ساندهم ، اســـتنفار جهود كثيفة ، واستفراغ طاقات حثيثة ، بغية تضميد الجرح ، وبلسمة القـــرح، لكـــيلا يتوانى أحد عن الزحف نحو التحرير ، وانتزاع حق الحرية وتقرير المصير .

ومتطلبات هذه المرحلة تنوء بالعصبة أولي القوة ، إلا من رحم ربك ، فبث فيـــه العزيمـــة والهمة .

لذا تجد القرآن الكريم قد أعلى من شأن رواد هذه المرحلة ، وأولاهم عناية فائقة ، وتوجيهات سامقة ، ففي مثل هذه المرحلة وما شاكلها نزل قوله تعـــالى " مـــن المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا [سورة الأحزاب آية ٢٣] .

ذلك أن التبديل والتغيير إنما يزينة المرجفون شياطين الإنس والجن أجمعون حينما يـــثخن الجسد بالجراح ، وتتناثر الأشلاء في الساح ، وتسيل بالدم البطاح .. عنـــدها تتكشـــف

جهودهم المذمومة ، وتنشط مساعيهم المحمومة ، وتتعالى صـيحاهم المسـمومة ، لغـزو النفوس بسوء الظنون ، واحرّقلباه !! فلهم في ذلك دروب وفنون .

صبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عائض بن عبد الله القرنـــــي

الحمد لله رب العالمين.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

الحمد لله حمدا حمدا، والشكرُ لله شكرا شكرا، الحمد لله عبوديةً واعترافـا، الحمـد لله استخزاءً وذلة.

والصلاةُ والسلام على معلمِ البشرية، وهادي الإنسانية، ومزعزعِ كيان الوثنية، صلى الله وسلم على محمدٍ ما اتصل مرءأ بنظر، وما اتصلت أذنٌ بخبر، وما هتفَ ورقُ على شجر، وما نزل مطر، وما تلعلعَ الظلُ على الشجر، وعلى آله وصحبه وسلمَ تسليما كثيرا.

أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسولُه، أشهدُ أن لا غله غلا اللهث على رغمِ أنفِ من تكبر وكفر، وعلى رغمِ من جحد واستكبر، وعلى رغمِ من بعدَ وتنكر.

أيها المسلمون:

بشرى لنا معشرُ الإسلامِ إن لنا .... من العنايةِ ركنا غير منهدمِ

لما دعا اللهُ داعينا لطاعتِه .... بأكرمِ الرسلِ كنا أكرم الأممِ

أخوك عيسى دعا ميتا فقامَ له ....وأنت أحييت أجيالاً من الرممِ

مولاي صلي وسلم ما أردتَ على ... نزيلِ عرشكَ خير الرسل كلهمِ

لا يزالُ الحديثُ عن جانبٍ من جوانبِ عظمتِه (صلى اللهُ عليه وسلم)، وعظمتُـه تبـهرُ العقول، وتخلبُ الألباب، وتحيرُ الأفكار، إنهُ عظيمُ لأنَه عظيم، وإنه صادقُ لأنَه صـادق، بنى رسالةً أرسى من الجبال، وأسسَ مبادئ أعمقُ من التاريخ، وبنى جـدارا لا يخترقَـه

الصوت، إنه (صلى اللهُ عليه وسلم) حيثما توجهتَ في عظمتِه وجدتَ عظمتَه، فهيا بنا إلى جانبِ الصبرِ في حياتِه (صلى اللهُ عليه وسلم).

ذكرَ الصبرُ في القرآنِ في أكثرِ من تسعينَ موضعا، مرةً يمدحُ اللهُ الصابرين، ومرةً يخبرُ اللهُ بثوابِ الصابرين، ومرةً يذكرُ اللهُ عز وجل نتائجَ الصابرين، يقولُ لرسولِه (صلى اللهُ عليه وسلم): فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

إذا رأيتَ الباطلَ يتحدى، وإذا رأيت الطغيانَ يتعدى: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

إذا قل مالُكَ وكثرَ فقرُكَ وعوزُك وتجمعتَ همومُك وغمومُك: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

إذا قتلَ أصحابُك وقل أصحابُك وتفرقَ أنصارُك: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

إذا كثُرَ عليك الأعداء، وتكالبَ عليك البُغضاء وتجمعت عليكَ الجاهليةُ الشنعاء: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

إذا وضعوا في طريقِك العقبات، وصنفوا لك المشكلات، وهددوكَ بالسيئاتِ وأقبحَ الفعلات: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

إذا مات أبناؤكَ وبناتُك وتفرق أقرباءُك وأحباؤكَ: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

فكانَ مثالا للصبرِ عليه السلام، سكنَ في مكةَ فعاداهُ الأقرباءُ والأحباء، ونبذَه الأعمامُ والعمومةَ، وقاتلَه القريبُ قبل البعيد فكانَ من أصبرِ الناس، أفتقرَ وأشتكى، ووضع الحجرَ على بطنِه من الجوع وظمأَ فكان من أصبرِ الناس.

مات أبنَه بين يديه وعمرُه سنتان، فكان ينظرُ إلى أبنه الحبيبِ القريبِ من القلبِ، ودموعُ المصطفى (صلى الله عليه وسلام) الحارةُ تتساقطُ كالجُمانِ أو كالدرِ على خدِ أبنِه وهو من أصبرُ الناسِ يقول: تدمع العين، ويحزنُ القلب، ولا نقولُ إلا ما يرضي ربَنا، وإنا بفراقِك يا إبراهيمُ لمحزونون.

مات خديجةُ زوجتُه وامرأتُه العاقلةُ الرشيدة، العاقلةُ الحازمةُ المرباةُ في بيتِ النبوة، التي كانت تؤيدُه وتنصُره، ماتت وقت الأزمات، ماتت في العصرِ المكي يوم تألبت عليه الجاهليةُ، وقد كانت رضي اللهُ عنها ساعدَه الأيمن.

يشتكي إليه من كثرةِ الأعداء، ومن الخوفِ على نفسه فتقول: كلا واللهِ لا يخزيكَ اللهُ أبدا، إنك لتصلُ الرحم، وتحملُ الكلَ، وتعينُ الملهوفَ، وتطعمُ الضيفَ، كلا واللهِ لا

يخزيكَ اللهُ أبدا. فتموتُ في عام الحزنِ فيكونُ من أصبرِ الناسِ لأن اللهَ يقولُ لـــه: فَاصْـــبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

تجمع عليه كفارُ مكةَ، أقاربُه وأعمامُه، نصبوا له كمينا ليقتلوه ويغتـــالوه، فـــدخلَ دارَه، وأتى خمسونَ من شبابِ قريش، كلُ شابٍ معَه سيفُ يقطرُ دما وحقدا وحسدا وموتـــا، فلما طوقوا دارَه كان من أصبرِ الناس، خرج من الدارِ وهم في نعاسٍ وسباتٍ فحثا علـــى رؤوسِهم الترابَ لأن اللهَ يقولُ له: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

ولما حثا الترابَ على رؤوسِهم كانوا نياما قد تساقطت سيوفُهم من أياديهم، والرســـول عليه الصلاة والسلامُ يتلو عليهم: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ.

خرج إلى غارِ ثورٍ ليختفي من الأعداء، فتولبَ عليه الأعداءُ وتجمعوا على سطحِ الغـــار، ونزلوا في ميمنةِ الغار، وأحاطوا بميسرةِ الغار، وطوقوا الغار وأرادوا أن يدخلُوه فسخرَ اللهُ عنكبوتا وحماما فعشعشت تلكَ، وباضت تلك:

ظنوا الحمامَ وظنوا العنكبوتَ على .... خيرِ البريةِ لم تنسج ولم تحمِ

عنايةُ الله أغنت عن مضاعفةٍ .... من الدروع وعن عالي من الأُطمِ

فما دخلوا الغار، يقولُ أبو بكر رضي الله عنه وهو في الغارِ مع المصطفى (صلى اللهُ عليـــه وسلم): يا رسولَ الله واللهِ لو نظرَ أحدُهم إلى موطني قدمِه لرآنا.

فيتبسمُ عليه الصلاةُ والسلام، يتبسمُ الزعيمُ العالميُ، والقائدُ الرباني، الواثـــقُ بنصـــرِ اللهِ ويقول: يا أبا بكر، ما ظنُك باثنين اللهُ ثالثُهما؟ ويقول: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

وهي دستورُ للحياة، إذا جعت وظمئت فقل: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

إذا مات أبناؤكَ وبناتُكَ فقل: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

وإذا أرصدت في طريقِك الكوارثَ والمشكلاتِ فقال: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

فكان عليه الصلاةُ والسلامُ من أصبرِ الناس، ويخرجُ من الغار، والكفارُ لا يدرونَ أنه كانَ في الغار، فينسلُ إلى المدينةِ وليتَهم تركوه، بل يعلنونَ عن جائزةٍ عالميةٍ لمن وجدَه، جـــائزةَ العارِ والدمارِ وقلةِ الحياءِ والمروءة، مئةُ ناقةٍ حمراء لمن جاء به حيا أو ميتا، فيلاحقُوه سراقةُ أبن مالكٍ بالرمحِ والسيف، فيراهُ (صلى اللهُ عليه وسلم) وهو يمشي على الصحراءِ جائعـــا

ظمئنا قد فارقَ زوجتَه فارق بناتِه، فارق بيتَه، فارق جيرانَه وأعمامَه وعمومتَه، ليس لـــه حرسٌ ولا جنود، لا رعايةُ ولا موكب، وسراقةُ يلحقوه بالسيف.

فيقولُ أبو بكرٍ:يا رسولَ الله والله لقد اقتربَ منا.

فيتبسمُ عليه الصلاة والسلام مرةً ثانيةً لأنَه يعلم عليه الصلاةُ والسلامُ أن رسالتَه ســوف تبقى ويموتُ الكفار، وسوف تبقى دعوتُه حيةً ويموتُ المجرمون، وسوف تنتصــرُ مبادئُـــه وتنهزمُ الجاهليةُ. فيقول: يا أبا بكرٍ ما ظنكَ باثنين اللهُ ثالثَهما.

ويقتربُ سراقةُ ويدعُ عليه المصطفى (صلى اللهُ عليه وسلم) فتسيخُ أقدامُ فرسِه ويســقط، فيقومُ ويركب ويقترب فيدعُ عليه المصطفى (صلى اللهُ عليه وسلم) فيسقط، ثم يقولُ:

يا رسولَ الله أعطني الأمان، الآن هو يطلبُ الأمان وأن يحقنَ المصطفى دمَه، وهو بســيفٍ والمصطفى بلا سيف، فرَ من الموتِ وفي الموتِ وقع. فيعطيهِ المصطفى (صـــلى اللهُ عليـــه وسلم) أمانَه.

يا حافظَ الآمالِ أنت ...... حفظتني ونصرتني

وعدى الظلومُ علي .... كي يجتاحني فنصرتَني

فأنقادَ لي متخشعا ....لما رآك منعتني

يصلُ (صلى اللهُ عليه وسلم) إلى المدينة، ويشاركُ في معركةِ بدر، فيجوعُ حتى يجعلَ الحجرَ على بطنِه:

يا أهل الموائدَ الشهية، يا أهل التخمِ والمرطبات، والمشهياتِ والملابس، رسولُ الإنســانيةَ، وأستاذُ البشرية يجوع حتى ما يجدُ دقل التمرِ وحشف التمر: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

تموتُ بناتُه الثلاث هذه تلو الأخرى، تمتُ الأولى فيغسلُها ويكفنُها ويدفنُها ويعــودُ مـــن المقبرَةِ وهو يتبسم: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

وبعد أيامٍ تموتُ الثانية فيغسلُها ويكفنُها ويدفنُها ويعودُ من المقبرَةِ وهو يتبسم: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

تموتُ الثالثةَ فيغسلُها ويكفنُها ويدفنُها ويعودُ من المقبرَةِ وهو يتبسم: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

يموتُ أبنُه إبراهيم، فيغسلُه ويكفنُه ويدفنُه ويعودُ من المقبرةِ وهو يتبسم: فَاصْـــبِرْ صَـــبْراً جَمِيلاً.

عجبا من قلبك الفذ الكبير. لأن اللهَ يقول لَه: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

يشاركُ في معركةِ أحد، فيهزَمُ أصحابُه، ويقتلُ من قرابتِه ومن سادةِ أصحابه، ومن خيارِ مقربيه سبعونَ رجلا أولُهم حمزة رضي اللهُ عنه، عمُه سيفُه الذي بيمينِه، أسدُ اللهِ في أرضِه، سيدُ الشهداءِ في الجنة، ثم يقفُ (صلى اللهُ عليه وسلم) على القتلى، وينظرُ إلى حمزةَ وهو مقتولُ مقطعُ، وينظرُ إلى سعدَ أبنُ الربيعِ وهو ممزق، وأنسُ ابنُ النظر وغيرهم من أولئك النفر فتدمعُ عيناه، وتسيلُ دموعُه الحارة على لحيتِه الشريفة، ولكن يتبسم لأن الله قال له: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

ويعودُ عليه الصلاةُ والسلام فيرسلُ قادتَه إلى مؤتةَ في أرض الأردنَ ليقاتلواُ الروم، فيقتلُ الثلاثةُ القوادُ في ساعةٍ واحدة، زيدُ أبنُ حارثة، وجعفرُ الطيار أبين عمه، وعبدُ الله أبن رواحه، ويراهم وينظرُ إليهم من مسافةِ مئاتِ الأميال، ويرى أسرتَهم من ذهب تدخلُ الجنةَ، فيتبسمَ وهو يبكي لأن اللهَ قال له: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

يتجمعُ عليه المنافقونَ، والكفارَ، والمشركون، واليهودَ، والنصارى، وإسرائيل ومن وراءَ إسرائيلَ فيحيطون بالمدينة، فيحفرُ (صلى الله عليه وسلم) الخندق، يترلُ على الخندقِ ويرفعُ الثوب، وعلى بطنِه حجرانِ من الجوع، فيضربُ الصخرةَ بالمعولِ فيبرقُ شذا النارِ في الهواء فيقولُ:

هذه كنوزُ كسرى وقيصر، واللهِ لقد رأيتُ قصورَهما، وإن اللهَ سوف يفتحُها علي.

فيضحكُ المنافقونَ ويقولون: ما يجدُ أحدُنا حفنةً من التمر، ويبشرُنا بقصور كسرى وقيصر.

فيتبسم لأن اللهَ يقولُ له: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

وبعد خمسٍ وعشرين سنةً تذهبُ جيوشُه وكتائبُه من المدينةِ فتفتح أرض كسرى وقيصر، وما وراء نهر سيحونَ وجيحون، وطاشكند وكابل وسمرقن والسند والهند وأسبانيا، ويقفُ جيشُه على نهر اللوار في شمالِ فرنسا.

لماذا لأن اللهَ يقولُ له: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

فظلمُ ذوي القربى أشدُ مضمضةً ... على النفسِ من وقعِ الحسامِ المهندِ

يأتيه أبنُ العمَ، فيتفل على الرسولِ عليه الصلاةُ والسلام، يتفل على الرسول، على معلـــمِ الخير، على هادي البشريةَ، فيتبسم عليه الصلاةُ والسلام ولا يقولُ كلمة، ولا يغضب، ولا يتغيرُ وجهَهُ لأن اللهَ يقولُ له: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

يأتي أبو جهلٍ فيأخذَ ابنةَ المصطفى، طفلةُ وادعةُ أزكى من حمام الحرم، وأطهر مـــن مـــاء الغمام فيضربُها على وجهِها ضربَه الله، فيتبسم عليه الصلاةُ والسلام ولا يقـــولُ كلمـــةً واحدة: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

يأتي الأعرابيُ من الصحراء فيجرجرُه ببردتِه، ويسحبَه أمامَ الناس، وهو يتبسمُ (صـــلى اللهُ عليه وسلم): فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

أي صبرٍ هذا!

إنها واللهِ دروسُ لو وعتَها الأمم لكانت شعوبا من الخيرِ والعدلِ والسلام، لكن أين مـــن يقرأُ سيرتَه، أين من يتعلم معاليه.

يمرُ عليه في بيتِه ثلاثةُ أيامٍ وأربعة فلا يجدُ ما يُشبعُ بطنَه، لا يجدُ التمرَ، لا يجدُ اللبن، لا يجد خبزَ الشعير، وهو راضٍ برزقِ اللهِ وبنعيم الله: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

ينامُ على الحصيرِ، ويؤثرُ الحصيرُ في جنبِه، وينامُ على الترابِ في شدةِ البرد، ولا يجدُ غطاءً: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

بيتَه من طين، إذا مدَ يدَه بلغتِ السقف، وإذا اضطجعَ فرأسُه في جدارٍ وقدميه في جـــدار لأنَها دنيا حقيرة: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

فرعونُ على منبرِ الذهب، وفي إيوانِ الفضة، ويلبسُ الحرير. وكسرى في عمالةِ الـــديباج، وفي متاعِ الدررِ والجواهرِ، ومحمدُ (صلى اللهُ عليه وسلم) على التـــراب: فَاصْـــبِرْ صَـــبْراً جَمِيلاً.

أتى جبريلُ بمفاتيحِ خزائنِ الدنيا وسلمها إلى المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وقال له:

أتريدُ أن يحولَ اللهُ لك جبالَ الدنيا ذهبا وفضة؟

فقال لا، بل أشبعُ يوما وأجوعُ يوما حتى ألقى الله.

حضرتَه الوفاة، فقالوا له: أتريدُ الحياة، أتريدُ أن تبقى ونعطيكَ ملكا يقاربُ ملك سليمان عليه السلام؟

قال لا بل الرفيقِ الأعلى، بل الرفيقِ الأعلى.
أي عظمةٍ هذه العظمةُ، أي إشراقٍ هذا الإشراق، أي إبداعٍ هذا الإبداع، أي روعةٍ هذه الروعة.

بشرى لنا معشرُ الإسلامِ إن لنا ... من العنايةِ ركنا غير منهدمِ
لما دعا اللهُ داعينا لطاعتِه .... بأكرمِ الرسلِ كنا أكرم الأممِ

أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إن هو الغفور الرحيم.

....

الحمد لله الذي كان بعبادِه خبيرا بصيرا، وتبار الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا، وهو الذي جعل الليل والنهارَ خلفة لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورا.
والصلاةُ والسلام على من بعثَه ربُه هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة.
يقولُ اللهُ سبحانَه وتعالى له: وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً.
فأصبر صبرا جميلا........ وَاهجرهم هجرا جميلا.
ما هو الصبرُ الجميل الذي أمر اللهُ رسولَه (صلى الله عليه وسلم) أن يصبرَه؟
الصبرُ الجميل هو الذي لا شكوى فيه، أن تصبرَ ولا تشتكي على أحد، فالشكوى على الله، ولا يرفعُ الضرَ إلا الله، ولا يجيبُ دعاءَ المضطرِ إلا الله، ولا يغنيكَ من الفقرِ إلا الله، ولا يشافيكَ من المرضِ إلا الله، ولا يجبرُ مصيبتَك إلا الله.
فلذلك كان عليه الصلاةُ والسلام لا يشكو همومَه وغمومَه إلا على الله.
دخل عليه أبنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه فوجدَ الرسولُ (صلى اللهث عليه وسلم) مريضا على الفراش، سيدُ البشر، خيرُ من خلقَ الله أصابتهُ الحمى فصرعتُه على الفراش، الحمى مع مشاكلِ الدعوة، مع همومِ الدعوة، مع محاربةِ الأعداء، مع الفقرِ، مع الجوع، مع موتِ الأولادِ والبنات تصيبُه الحمى في جسمِه.

يقول أبن مسعودٍ دخلتُ على الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) وهو يوعَكُ وعكا شديدا، أي يرتعدُ على الفراشِ من شدةِ الحمى، فوضعتُ يدِ على جسمِه الشريف، قلت يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي، يعني أفديك بأبي وأمي، وصدق رضي اللهُ عنه فقـــد فـــدوه بالآبـــاءِ والأمهات:

فدىً لك من يقصرُ عن مداكَ ..... فما شهمُ إذا إلا فِداك

أروحُ وقد ختمتُ على فؤادي .... بحبِك أن يحلَ به سواكَ

إذا اشتبكت دموعُ في خدودٍ ...... تبينَ من بكى ممن تباكى

قلت يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي، يعني أفديك بأبي وأمي إنك لتوعَكُ وعكا شديدا.

قال نعم إني لأوعَكُ كما يوعَكُ رجلانِ منكم، أي جمع اللهُ عليه مرضين.

لتُ يا رسول الله ذلك لأن لك الأجرُ مرتين؟

قال أجل.

ما من إنسانٍ يصيبُه مرضُ أو همُ أو غمُ أو حزنُ إلا كفرَ اللهُ به من خطاياه، في صـــحيحِ البخاري باب: هل يقولُ الرجلُ وا رأساه، هل يتوجع، يعني هل يقولُ آه من المرض؟

دخلت عائشةُ على الحبيبِ (صلى اللهُ عليه وسلم) وبها صداعُ فقالت: وا رأساه!

فقال المصطفى (صلى اللهُ عليه وسلم) وهو في مرضِ الموت: بل أنا وا رأساه، واللهِ لقـــد هممتُ أن أدعو أباكِ وأخاكِ لأكتبَ لهم كتاب.

لأنَه علم عليه الصلاةُ والسلام أنه سوف يموتُ بعدَ أيام.

تأتيه الحمى فتهُزُه هزا عنيفا، وفي مرضِ موتِه مُرضَ مرضا عجيبا، سمعَ الآذان، سمع بـــلالاُ يطلقُ التكبيرَ من على المنارة، لكن لا يسمعُ بلالاً إلا أهلُ القلوبُ الحية.

قال أجعلوا لي ماءً لأغتسل وأصلي بالناس.

قالوا يا رسولَ الله إنك مريض.

قال أسمعُ الأذان واصلي في البيت.

فوضعوا له قربةً فأغتسل، فلما قام ليذهب إلى المسجدِ أغمي عليه، فجعلوا له ماءً فأغتسل أخرى فأغمي عليه، فجعلوا له الماء ثالثةً فأغمي عليه، ورابعةً وخامسة، وفي الأخيرِ لفـــظ أنفاسَه وقال ودمعُه هارقُ على خدِه لأنَه يريدُ الصلاة: وجعلت قرةُ عيني في الصلاة.

كان يقول: أرحنا بها يا بلال، أرحنا بها من همومِ الدنيا، وتعبِ الدنيا، ومشاكلِ الـــدنيا، ومخالفةِ الدنيا.

وقل لبلالِ العزمِ من قلبِ صادقٍ ... أرحنا بها إن كنت حقا مصليا

توضأ بماء التوبةِ اليومَ مخلصا ..... به ترقى أبوابَ الجنانِ الثمانيا

قال أمروا أبا بكرٍ فليصلي بالناس، فذهب بلالُ إلى أبا بكرٍ وأخبرَه أن يصلي بالناسِ فبكى أبو بكرٍ وقال اللهُ المستعان، إن للهِ وإنا إليه راجعون.

فصبر (صلى اللهُ عليه وسلم) على هذه الأحداث: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

فيا أيها المسلمونَ، يا أصحابَ وأتباع وتلاميذ الرسولِ (صلى الله عليه وسلم)، من أصيبَ منكم بمصيبة فليتعزى بالرسول عليه الصلاةُ والسلام.

إن هذا دينُ العظماء، إنه دينُ العقلاء، إنه دينُ الشرفاء، أهلُ المبادئِ الأصيلة، والأهدافِ الجليلة، والأخلاقِ الجميلة.

يموتُ أبنُكَ: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

تمرض زوجتُك: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

تذهب عيناك، أو يصمُ سمعُك: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

تصابُ بمرضٍ أو حادثٍ: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

يزلزلُ بيتُك أو يدمرُ عقارُك: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً.

كلُ مصيبةٍ تهون إلا مصيبةُ الدين، كلُ مصيبةٍ سهلةٍ إلا يوم يتخلى اللهُ عنكَ فتصبحُ بعيدا عن الله، كلُ شيءٍ سهلُ إلا يومَ يصبحُ الإنسانُ فاجرا متنكـــرا للمســـجد وللمصـــحفِ ولذكرِ الله، كلُ شيءٍ سهلُ إلا هذا الدين أن لا يفوتُك من قلبك.

عباد الله، وصلوا وسلموا على من أمرَكم اللهُ بالصلاةِ والسلامِ عليـــه فقـــال: إِنَّ اللَّـــهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

وقد قال عليه الصلاةُ والسلام: من صلى علي صلاةً واحده، صلى اللهُ عليه بها عشرا.

اللهم صلي على عبدك وحبيبِك محمد، وأعرض عليه صلاتَنا وسلامَنا في هـــذه الســـاعةِ المباركة، يا رب العالمين.

وأرضى اللهم عن أصحابِ الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمِك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أجمع كلمةَ المسلمين، اللهم وحد صفوفَهم، اللهم خذ بأيدِهم إلى ما تحبُه وترضاه يا رب العالمين.

اللهم أصلح أئمتَنا وولاةَ أمورِنا، اللهم وفقِهم لما تحبُه وترضاه، اللـــهم أخـــرجهُم مـــن الظلماتِ إلى النور، اللهم أهدِهم سبلَ السلام.

اللهم بعلمِك الغيب، وبقدرتِك على الخلق، أحيينا ما كانت الحياةُ خـــيرا لنا،وتوفَنـــا إذا كانت الوفاةُ خيرا لنا.

اللهم إنا نسألكَ خشيتَك في الغيبِ والشهادة، ونسأُلكَ كلمةَ الحقِ في الغضبِ والرضاء، ونسأُلك القصدَ في الغنى والفقر، ونسأُلكَ لذةَ النظرِ إلى وجهكَ والشوقَ إلى لقاءِك في غيرِ ضراءَ مضرة، ولا فتنةً مظلة، برحمتِك يا أرحم الراحمين.

اللهم أنصر كل من جاهدَ لإعلاءِ كلمتِك، ولرفعِ رايتكِ، في برِكَ وبحرِك يا رب العالمين.

ربنا إننا ظلمنا أنفسَنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المر سلين

==========

صبر الرسول صلى الله عليه وسلم

الصبر شعار المرسلين كما دل عليه قول الله تعالى : (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كـــُذِّبوا ...)(الأنعام/٣٤) ، وقد رغـــّـــب الشرع الحنيف في الصبر وحـــث عليه ، وأثنى على أهله .

ولقد كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أكثر رسل الله دعوة وبلاغـــًا وجهادًا ، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً ، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا .

فقد لقى الأذى بمكة من قريش وغيرهم ، وبعد أن هاجر إلى المدينة لقي من المشـــركين والمنافقين واليهود أذىً شديدًا ، وما كانت تزيده هـــذه الشـــدائد والمحـــن إلا إصـــرارًا

وثباتـــــًا ، بما منَّ الله تعالى عليه من تثبيت قلبه ، وما آتاه الله عز وجل مـــن الصـــبر ، وفيما يلي نستعرض نماذج من صبره صلى الله عليه وسلم .

صبره في طريق الدعوة إلى الله :

منذ بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته إلى الله ، واجهه المشركون بشـــتى أنـــواع الأذى ، من رميه بالسحر والكهانة والشعر والجنون ، إلى إيذائه جسديـــًا فرموه بالحجارة وشقوا وجهه ، ودبروا قتله ومن ذلك :

١- ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى من حديث عروة بن الزبير رحمه الله قال : سألت ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بـــالنبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبـــة ، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ـــ لعنه الله ـــ فوضع ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقـــًا شديدًا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وســـلم قـــال : (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)(غافر/٢٨) .

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : " بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفـــه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [اللهم عليك المـــلأ من قريش أبا جهل بن هشام ، وعتبة من ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف] أو [أبي بن خلف] ـــ شك الراوي ـــ قال الراوي : فرأيتهم قتلوا يوم بدر ، فألقوا في بئر غير أمية أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر " .

هكذا عانى صلى الله عليه وسلم من قومه الشدة والأذى وهو صابر محتسب ، فلما أيـــس من نجاح دعوته في قومه مع ما هم عليه من العداء والإيذاء ،طمـــع في أن ينصـــره قـــوم آخرون من غير قومه ، فعمد إلى الطائف رجاء أن يُؤْوهُ وينصروه على قومه ويمنعوه منهم ، لأنهم : " كانوا أخواله ولم يكن بينه وبينهم عداوة " إلا أنهم ردوا عليه أقبح رد وأشده .

١- فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : [لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال : فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئًا "(البخاري ومسلم) .

وهكذا واجه النبي هذا الإيذاء والجهل بالصبر الجميل ، حتى أنه أبى أن يدعو عليهم .

وقد انتهت هذه المرحلة بمحاولة المشركين قتله صلى الله عليه وسلم كما أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)(الأنفال/٣٠) .

ولما هاجر صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة لم يقل صبره عما كان عليه أمره في مكة ، فلئن كان في مكة صابرًا على المشركين فحسب ، فإنه في المدينة قد صبر على مَنْ هم أكثر أذية وعددًا وطوائف ، إنهم المنافقون ، واليهود والمشركون ، فقد كانت كل واحدة من هذه الطوائف تكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته كيدًا وتصطنع له أذية لا تألو جهدًا في ذلك ،وهو يتلقى ذلك كله بقلب راسخ بالإيمان واثق بنصر الله ، ورباطة جأش، لا يتزعزع من حوادث الأعداء وكيد الألداء .

صبره صلى الله عليه وسلم على المنافقين في المدينة :

أما المنافقون فقد كان الصبر عليهم مُرًّا ، إذ لا حيلة له غير الصبر ؛ لأنهم يزعمون الإسلام ، ويظهرون الولاء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم في الحقيقة يبطنون الكفر ويتربصون بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الدوائر ، وهم عيون للأعداء الخـــارجيين يتتبعون عورات المسلمين ، ويخططون للقضاء عليهم ، ولكن ذلك في السر ، إذ لا يعلـــم ذلك أحد إلا الله تعالى ثم رسوله صلى الله عليه وسلم بإعلام الله تعالى له .

ولطالما كان المسلمون يكتشفون رائحة النفاق من أحدهم ، فيستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم في قتله فيقول عليه الصلاة والسلام : [لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصـــحابه](رواه البخاري ومسلم) .. إن ذلك الصبر لا متنفس فيه ، وهو أشد ما يكون على المرء ، وسأذكر هنا قصة واحدة تبين مدى صبره صلى الله عليه وسلم على أذى المنافقين :

فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنـــه أن الـــنبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارًا عليه إكَاف ، تحته قطيفة فدَكِيَّة ،وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ، وذلك قبل وقعة بدر ، حـــتى مـــر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين وعبدة الأوثان واليهود ، فيهم عبد الله بن أبي ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال : فلما غشيت المجلس عجاجة الدَّابة ، خمَّر عبد الله بن أبي أنفه ثم قال : لا تغبِّروا علينا ،فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وســـلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيها المـــرء ـــ يريد النبي صلى الله عليه وسلم ـــ لا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقـــًا فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة : اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، قال : فاستب المسلمون والمشركون واليهـــود حـــتى همـــّوا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم ، ثم ركب دابتـــه حـــتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال : أي سعد ، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب ـــ يريـــد عبد الله بن أبي ـــ قال كذا وكذا ؟ فقال سعد ـــ رضي الله عنه ـــ : اعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ، ولقد اصطلح أهل هذه البـــُحيرة أن يتوجوه فيعصِّبوه بالعصابة ـــ أي يجعلوه ملكـــًا عليهم ـــ فلما رد الله ذلك بالحق الـــذي

أعطاكه شرق بذلك ،فلذلك فعل به ما رأيت ، قال : فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم)(رواه البخاري وسلم) .

فانظر أي صبر يقدر على مثله أحد بيده القدرة على عقاب مثل هذا القائل غير النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ يتجرأ هذا الجلف على الانتقاص من النبي صلى الله عليه وسلم وهـــو ذو الجناب العظيم ، ويصده عن دعوته ، وهو المأمور بالبلاغ المبين .

صبره صلى الله عليه وسلم على اليهود :

وأما اليهود فقد كان صبر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شديدًا ، إذ أنهم أهل خديعـــة ومكر وحقد دفين ، فإنهم لم يكتفوا بكتم صفاته التي يجدونها في التوراة ، والتي يعرفونه بها كما يعرفون أبناءهم ، والتي لو بينوها للناس لدخلوا في دين الله أفواجـــًا من أول دعوته صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الكل كان يسلم لليهود بأنهم أهل كتاب ، وأن لهم علمــــًا برسل الله ، فلو أنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه من بيان صفاته صلى الله عليه وسلم للناس ، وأشهروا ذلك في المجتمعات ، لما تردد أحد في الاستجابة له صلى الله عليه وسلم .

بيد أنهم غيروا صفاته عليه الصلاة والسلام ، وجحدوا نبوته ، وأغروا به المشركين وقالوا لهم : " إنكم أهدى سبيلاً من محمد وأصحابه " مما كان له أثر عائق في صد الناس عـــن دين الله تعالى ، ومشجع لهم على عداوة المؤمنين ، كل ذلك والنبي صلى الله عليه وســـلم صابر على معاملتهم وعلى خيانتهم وما يتوقعه من غدرهم حتى حكم الله بينه وبينـــهم ، وذلك في يوم قريظة حين حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه بحكم الله تعالى بـــأن تقتـــل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ، لما نقضوا العهد الذي بينهم وبينه ، وظاهروا المشركين يـــوم الأحزاب على قتاله صلى الله عليه وسلم ، وأجلى من أجلّى منهم من بني قينقـــاع وبـــني قريظة ، ثم فتح خيبر فأبقى أهلها إلى حين .

صبره صلى الله عليه وسلم على المشركين في العهد المدني :

وأما صبره عليه الصلاة والسلام على المشركين في العهد المدني فلم يكن كصبره عليهم في العهد المكي ، فإن صبره عليهم في هذا العهد كان صبرًا في ميادين القتال والمنازلة ، صبرًا على كلوم الأسنة والرماح والسيوف التي ينفد معها صبر أولي العزم والقوة .

لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينفد صبره ، و لم ينثن عزمه ، وهو يخوض معركة بعـــد أخرى ، ويجهز جيشـــًا تلو آخر ، حتى آتاه الله الفتح المبين والعز والتمكين .
ولقد نال من ذلك أذىً كبيرًا ، حيث كسرت رباعيته ، وشج وجهه الشريف في غـــزوة أحد وأثخنته الجراح ــ بنفسي هو وأبي وأمي صلى الله عليه وسلم ــ وهو مـــع ذلـــك صابر محتسب ، لا يلوي ، ولا يولِّي الأدبار ، كما يفعل كبار الأبطال ، فلم يزد على أن قال : [كيف يفلح قوم شجُوا نبيهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله] فلم يلبث أن أنزل الله عليه : (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فـــإنهم ظـــالمون)(آل عمران/١٢٨)(رواه البخاري ومسلم) .

يعاتبه الله على ذلك ، ومنه تعلم أن صبره عليه الصلاة والسلام كان مُرادًا لله تعالى لعظم قدره عنده ، لأن الامتحان والبلاء على قدر المترلة كما جاء في الحديث : [أشد النـــاس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل](الترمذي وقال : حسن صحيح) .
ولعل هذا هو سر تكرار أوامر الله عز وجل له صلى الله عليه وسلم بلزوم الصبر كمـــا في قوله تعالى : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)(الأحقاف/٣٥) ، وقوله تعالى : (واصبر وما صبرك إلا بالله)(النحل/١٢٧) ، وقوله سبحانه : (فاصبر على مـــا يقولـــون)(طه/١٣٠) وقوله عز شأنه : (فاصبر إن وعد الله حقٌ)(الروم/٦٠) ، وقوله تقدســـت أسماؤه : (واصبر لحُكم ربك فإنك بأعيننا)(الطور /٤٨) ، إلى غير ذلك .
ولقد لبَّى صلى الله عليه وسلم تكليف ربه له بذلك وطبقه أيما تطبيق ، كما علمته مـــن خلال هذه المواقف العظيمة ، المقتطفة من مواقفه الكثيرة في الصبر في كل مجالات الحياة ، إذ لم يكن صبره صلى الله عليه وسلم قاصرًا على عناء الدعوة والجهاد ، بل وعلـــى لأواء الحياة كذلك .
صبره صلى الله عليه وسلم على لأواء الحياة وشدتها :
فقد جاء عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسللم قال : " لقد أخِفـــتُ في الله ، وما يخاف أحد ، وقد أوذيت في الله ، وما يُؤذى أحد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون ما بـــين

يوم وليلة وما لي طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال " (رواه الترمذي وغـــيره وهو حسن) .

وقد روى البخاري –رحمه الله– عن عروة عن عائشة –رضي الله عنها–أنها قالت لعـــروة :ابن أختي ،إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. فقلت ما كان يعيشكم ؟ قالت :الأسودان ،التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منـــائح ، وكـــانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبياتهم فيسقيناه .

صبره صلى الله عليه وسلم على فقد الأولاد :

فقد أخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال : [رأيت إبراهيم وهو يجود بنفسه بـــين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ، فقال : [تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنـــا بك لمحزونون] .

بعد .. فهذه نماذج من صبره صلى الله عليه وسلم ، وهو من جملة شيمه النبيلة وأخلاقه الكريمة التي أدبه بها ربه تبارك وتعالى .

المراجــــع

١- حياة الصحابة : " الكاندهلوي " .
٢- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم : " د . أحمد عبد العزيز الحدَّاد " .
٣- الرحيق المختوم : " المباركفوري " .

============

صبر النبي عليه الصلاة والسلام على الدعوة

الكاتب: د.عبدالوهاب بن ناصر الطريري

أيها الإخوة والأخوات والأبناء والبنات حياكم الله مع لقاء يتجدد نرحل به مـــع قلوبنـــا أرواحنا وجداننا، نرحل به إلى هناك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع رســـول الله في دعوته، هذه الدعوة التي كان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهـــا ملحمـــة في

الصبر، دأب وطول الأمل واليقين والثبات، هذه المعاني ليست معاني مجردة نذكرها سرداً وعداً لكنها حقائق تشرق من حال النبي صلى الله عليه وسلم.

عندما نتقفى هذه السيرة نفوسنا ظمئة يرويها أن ترد معين السيرة ومعين حال النبي صلى الله عليه وسلم فتتروى من هديه وهداه، نحن أحوج ما نكون إلى أن نورد قلوبنا المكدودة معين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجد هناك مستراحها وأنسها، ولذلك استنهض نفوسكم أيها الإخوة والأخوات والأبناء والبنات أن نذهب إلى هناك، نرحل مع خبر تقصه علينا أمنا عائشة.

أمنا تستنطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستروي خبره فيخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تستقرئه وتسترويه مسيرته مع دعوته، تستروي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تحضره من أحواله وقصته مع الدعوة، تفتح وعي أمنا عائشة رضي الله عنها مع الرسول والرسالة على حوادث وافتها لحداثة سنها وصغر عمرها، أحداث أخر ولذلك كان أشد ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم مما أدركه وعي عائشة يوم أحد وإذا بها تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما قبل يوم احد، فتقول له : يا رسول الله هل مر عليك يوم هو أشد عليك من يوم أحد؟ سؤال من أمنا عائشة وكانت صغيرة السن لكنها عبقرية ذكية ولماحة، هي تعلم ماذا لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد، في يوم أحد شج جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، كسرت رباعيته، غاصت حلقتان من حلقات المغفر في وجنتيه صلى الله عليه وسلم.

صرع أصحابه حوله، وقف على جثمان عمه حمزة أحب الناس إليه وخيرة أهل بيته، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جثمانه وقد بقر بطنه، واستخرجت أحشائه، ومثل به، فوقف صلى الله عليه وسلم كاسفاً حزيناً على هذا الجثمان الطاهر وهو يقول: لن أصاب بعد اليوم بمثل مصيبتي فيك.

كل هذا أصاب النبي صلى الله عليه وسلم في أحد، فهل أصاب النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أشد من ذلك؟ يا رسول الله هل أصابك ما هو أشد عليك مما أصابك يوم أحد، سؤال أمنا عائشة فما كان الجواب، ماذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

كانت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنما تنكأ جراحاً غائرة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد لقيت من قومك أذاً شديداً كأنما كان سؤال عائشة يسترجع ذكريات مضى عليها زمن طمرها السنين، فإذا بعائشة تستثيرها وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يجيب وكأنما عادت هذه المشاهد حية أمام ناظريه صلى الله عليه وسلم، لقد لقيت من قومك أذاً كثيراً يعني نعم، مر عليّ ما هو أشد من يوم أحد فما الذي كان أشد من يوم أحد، ما الذي كان أشد من جرح في الجبين وكسر السن وأن تغار حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن يرى أصحابه يصرعون حوله وأن يقف على جثمان عمه حمزة مشوهاً ممثلاً به، ما هو أشد من ذلك أشد من ذلك ما سيرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد من ذلك يوم عرضت دعوتي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، ما هو خبر هذه الدعوة وخبر هذا العرض، نحتاج أن نذكر ما لم يذكر ونظهر المضمر، فنقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قضى أزيد من عشر سنين قبل الهجرة وهو يدعو قريشاً ويصبر لها ويصابرها عشر سنين في دعوة وثبات وصبر على الأذى، حتى جرأ سفهاء قريش وملؤها على أنواع من أذى النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً بعد موت عمه أبي طالب، جرؤوا عليه جراءة شديدة فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طول الصدود وكثرة الجحود، إذا به يبحث عن تربة يلقي فيها بذرة دعوته لعله يستنبت هذه الدعوة في أرض أخرى فتنمو فيها وتورق.

خرج من مكة إلى الطائف عله أن يجد في الطائف أذاناً صاغية تستجيب لدعوته وتتبع رسالته وتحمل هديه وهداه ودينه، خرج من مكة ماشياً إلى الطائف يقطع طريقاً يزيد الآن على مائة كيلو من الطريق المعروف الآن بطريق السيل، وكان يسمى أولا وادي نخلة، طريق وادي نخلة الذي هو طريق السيل الآن ووادي نخلة هو الذي يسمى الآن الزيمة، قطعه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مولاه زيد ابن حارثة مشياً على الأقدام في وقت الصيف القائظ، حتى وصل إلى الطائف وبقي هناك عشرة أيام يعرض فيها دينه ويبلغ رسالته، يغشاهم في نواديهم ويغشاهم في مجتمعاتهم يقرأ عليهم القرآن حتى قال بعض أهل

الطائف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف يقـــرأ والســـماء والطـــارق فحفظتها وأنا مشرك وقرأها وأنا مسلم.

عشرة أيام قضاها النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه إلا بالصدود والإعراض فلما خشي ملأ أهل الطائف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستميل الناس إليـــه أغـــروا بـــه سفهائهم فردوا عليه أقبح الرد، حتى قال له بعضهم أما وجد الله غيرك رســـولاً فيرســـله إلينا، فلما أغروا به سفهائهم فواجهوه بأقبح الرد إذا به صلى الله عليه وسلم وهو يواجـــه بهذا الصدود وهذا الإعراض يرجع حزيناً مكلوم الفؤاد مغموم النفس، وهو الذي خـــرج من مكة بعد أن جحده قوم أهل الملأ فيها وجرؤوا عليه بالأذى أملاً أن يجد في الطـــائف مستنبتاً لدعوته فيصد بهذا الصدود ويقابل بهذا الجحود، فإذا به صلى الله عليه وسلم وهو الحامل لهم رسالته يغتم لذلك أشد الغم، ويحزن لذلك أشد الحزن، وتتراكب الهموم على القلب الكريم الطيب فلا يتنفس ولا ينفس عن ذلك إلا بدعوات يصدع بها السماء "اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنـــت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يترل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبة حتى ترضـــى ولا حول ولا قوة إلا بك".

دعاء مكروب مغموم يصدع السماء، ثم ينقلب النبي صلى الله عليه وسلم بعد عشر ليال طوال قضاها في الدعوة والمصابرة يرجع إلى مكة لكن كيف كان الرجـــوع، ويســـير في الطريق ولكن كيف كان المسير، كيف قطع الطريق من الطائف عائداً إلى مكة، مكة التي خرج منها وبمرأى وبمسمع من أهلها يرونه ويعلمون إلى أين سيذهب وما هي قضيته وما هو هدفه في ذهابه إلى الطائف، وسيرجع إليهم وقد سبقته إليهم أخبار أهل الطائف معه، فكيف سيدخل إلى بلد وكيف سيلقى قومه وهم الذين كانوا جرؤوا عليه فكيف سيكون حاله بعد أن يرجع إليهم، ولذلك عاد مكروباً مغموماً فإلى أي درجة بلغ غمه وعلى أي حال كان حزنه.

يصف ذلك فيقول "فلم استفق إلا وأنا في قرن الثعالب"، قرن الثعالب هو السيل الكبير يبعد عن الطائف ستة وأربعين كيلو قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشياً، ولكنه كان في حال من الاستغراق مع غمه وهمه وحزنه لأجل دعوته بحيث أنه لم يستفق ولم يشعر بما حوله إلا وهو في قرن.

=================

(صبر الرسول على الأذى)

عناصر الموضوع :

١. أهمية دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

٢. صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى الكفار

٣. صور أخرى من صبر النبي على الأذى يقتدى به فيها

صبر الرسول على الأذى:

لم تقم دعوة الإسلام، ولم تبلغ ما بلغت إلا بعد تضحيات جسيمة، وتحمل صنوف من الأذى، وأول من واجه ذلك وصبر عليه هو إمام هذه الدعوة صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك للمسلم أسوة في مواجهة المشاكل والأذى الذي يعترضه خلال الدعوة إلى دينه.

أهمية دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب:٧٠-٧١]. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله: إن دراسة شخصية رسول الله صلى الله عليه

وسلم من الأمور المهمة للمسلم الذي يريد أن يطبق قول الله عز وجل: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف:١٠٨] ويريد أن يسير على تأثرٍ من نور هذه الآية: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:٢١]. وشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جوانب كثيرة من العظمة؛ تلك الجوانب التي لا بد للداعية إلى الله، ومن يريد أن يتربى على طريق الإسلام أن يدرسها دراسة متأنية.

عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبره على الاستهزاء:

ونحن نستعرض في هذا المقام جانباً من جوانب عظمة شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على نورٍ من ربه، ويصبر على الأذى في سبيل هذه الدعوة، وصبره صلى الله عليه وسلم على الأذى يتمثل في أحداث كثيرة تمَّت في حياته صلى الله عليه وسلم؛ من مواجهته للكفار والمشركين والمنافقين، وفي عامٍ واحد وهو العام العاشر من البعثة يتوفى الله تعالى خديجة رضي الله عنها ويموت أبو طالب ، فيطمع كفار قريش في أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يكونوا يطمعون قبل ذلك، وأذية الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتمثل في جوانب كثيرة: أولاً: الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله عز وجل: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ [الأنبياء:٣٦] أن يهزأ المبطل بالمحق، وأن يسخر السفيه بالعاقل، تلك والله أذية كبيرة تقع كالصخر على صدر الذي يتعرض لهذا النوع من الأذى، رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه على الحق وهم يستهزئون به: وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً [الفرقان:٤١] يستهزئون بشخصيته صلى الله عليه وسلم، ولكنه يصبر على هذا الأذى وهو يتفكر في قول الله تعالى يسري عن شخصه صلى الله عليه وسلم: وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الأنعام:١٠]. لقد دارت دائرة السوء عليهم، وهذا الاستهزاء الذي استهزءوا به قد أصبح وبالاً عليهم.

للدعاة في النبي صلى الله عليه وسلم أسوة في الصبر على الاستهزاء:

واليوم يقف الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر موقفاً حرجاً أمام السهام التي توجه إليه من المستهزئين وهم يستهزئون بشخصيته، أو يستهزئون

بمظهره، أو يستهزئون بالأفكار التي يحملها، إنه يتأسى بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصبر على هذا الاستهزاء. ولقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على شتى الاتهامات؛ فقد اتهموه بأنه يقول الشعر، وأن هذا القرآن إنما هو شعر، وأنهم أيضاً شعراء ولو شاءوا أن يأتوا بمثل شعره لأتوا، يريدون أن يحولوا هذا القرآن عن المجرى العظيم والقالب الذي نزل به؛ لكي يقولوا للناس: نحن نستطيع أن نصنع مثله قال تعالى: بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ [الأنبياء:٥] وقالوا: أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ [الصافات:٣٦] وقال الله عنهم: أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ [الطور:٣٠] إنهم ينتظرون نهايته، وينتظرون موته حتى تدفن دعوته في مهدها، ولا تقوم لها قائمة، ولكن الله سبحانه وتعالى تولى الرد عليهم، وتثبيت نبيه صلى الله عليه وسلم: فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ [الحاقة:٣٨-٤١]، وقال عز وجل: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يس:٦٩]. وكل عارف باللغة العربية؛ بنثرها وشعرها يعرف أن هذا القرآن ليس على وزن الشعر، وليس شعراً كالذي يقوله الشعراء. واليوم يقف الدعاة إلى الله عزوجل أمام المستهزئين وهم يرمونهم بتهم مثل هذه، فليس لهم والله إلا الصبر عليها، والرد على هذه الشبهات التي تطلق على الشريعة وأفكار الدين، منتهجين نهج القرآن في الرد عليها. وأوذي عليه السلام باتهامه بالسحر، قال تعالى: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ [يونس:٢].. وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [ص:٤].. وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً [الفرقان:٨] ولكن الله رد عليهم فقال: كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ [الذاريات:٥٢] لماذا يريد الجاهليون أن يصموا شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسحر؟ لأنهم رأوا أن لهذا القرآن الذي يتلوه صلى الله عليه وسلم أثراً عظيماً على نفوس الناس؛ إنه يجذب الأنظار، ويأخذ بمجاميع القلوب (إن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة) فهم يريدون أن يصرفوا أذهان الناس عن سبب هذا التأثير؛ وسبب هذا التأثير أن القرآن كلام الله، سبب هذا التأثير أنه نزل من عند الله الذي خلق النفس، ويعلم ما يؤثر بهذه النفس، وما تتأثر به هذه النفس، إنهم يريدون أن يصرفوا سبب

التأثير إلى السحر الذي يؤثر -كذلك- في الناس؛ إنها والله دعاية إعلامية يريدون أن يلبسوا بها على الناس الذين يتأثرون بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقف الدعاة إلى الله عزوجل اليوم أمام أولئك الشاتمين الذين يريدون أن يلبسوا الحق بالباطل، ويريدون أن يصرفوا الناس عن تأثير القرآن والسنة، إنهم يستخدمون وسائل شتى من التهويس والتهويل، وصرف أنظار الناس عن هذا القرآن، وعن الوحي، وعن التأثر بالشريعة، فيستخدمون لذلك وسائل شتى. إن على دعاة الإسلام أن يجابهوا هذه المواقف، وأن يُجَلُّوا للناس أثر القرآن والسنة، وأن يُروا الناس بأبصار قلوبهم قبل أبصار عيونهم أن هذا القرآن وهذه السنة ذات أثر على الناس، مخاطبة الناس بالقرآن والسنة، وربطهم بها مباشرة من الواجبات اليوم، حتى يحصل ذلك التأثير. وصبر صلى الله عليه وسلم على اتهامه بالجنون: وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر:٦] وقالوا: أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ [الصافات:٣٦].. ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ [الدخان:١٤]. ليس أصعب على صاحب الإيمان، والعقل الراجح، والرأي السديد، والفكر الصائب، من أن يتهم في عقله، وأن يوصف بالجنون. وتولى الله الرد على هذه الفرية مثبتاً رسوله صلى الله عليه وسلم: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ [سبأ:٤٦] وقال عز وجل: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ [التكوير:٢٢]، وقال سبحانه وتعالى: نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ [القلم:١-٢]. واليوم عندما يحاول الداعية إلى الله أن يبين للناس الحق، ويرجعهم إليه، وأن يبين لهم الميزان الصحيح، ويزيل عنهم الغشاوة التي رانت على قلوبهم، والحجاب الذي غطى أبصارهم، ويريد أن يرجعهم إلى الشريعة وإلى الدين، يقولون له: أأنت مجنون؟!! كيف تريدنا أن نرجع إلى ذلك الواقع وأنت ترى الغرب والشرق، وترى القوى العظمى، والواقع المستحكم، ثم تريد أن تنقلنا إلى عصر يطبق فيه الإسلام (١٠٠%)؟ هذا مستحيل! كن واقعياً، دع هذه الخيالات جانباً، إنك تحلم! وعند ذلك يجب أن يجابه الداعية إلى الله هذه السهام بواقعية الإسلام، وأن يثبت للناس أنه يمكن أن يطبق الإسلام، وأن أفكار الإسلام ليست جنوناً ولا هوساً، رغم تلك الاتهامات الباطلة التي يتهم بها أعداء الإسلام المتمسكين بشرع الله، إنهم يرمونهم كما رمى الكفار

رسول الله صلى الله عليه وسلم -قدوة هذا الداعية- رموه أول مرة بالجنون والهوس واختلال العقل، إنهم كذلك اليوم يرمون من تمسك بالدين بالسفه، والجنون، والهوس، والوسوسة... إلى آخر تلك التهم، إنهم يتصورون أن تحكيم الله في الشرع والواقع يؤدي إلى جنوح الإنسان عن طريقة التفكير الصحيحة، وعن الواقعية، إن واقعهم فاسد، ولذلك يتصورون أنه واقع صحيح من شدة ضغطه عليهم، ومن تشبعهم بأفكار هذا الواقع، ويتصورون أن تحكيم الإسلام في القوانين والمظاهر، والعبادات والعقائد؛ أنه جنون وهوس؛ لأنهم لا يعقلون، فعقولهم لا تتحمل عظمة تلك التكاليف، ولا يتصورون كيف يمكن أن تطبق هذه التكاليف في ظل الظلمات الجاهلية التي يرزحون اليوم تحت نيرها؛ ولأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا الواقع كيف يكون إسلامياً؛ يتهمون من ينادي بالعودة إلى الواقع الإسلامي الصحيح بالجنون، ولا يمكن أن تتصور عقولهم كيف يمكن أن يطبق الإسلام (١٠٠%)؟ وهذه نقطة خطيرة أيها الأخوة.

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى الكفار:

صبره على أنواع التهم في عقله وعرضه:

وقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتهام كفار قريش له بالتكذيب: وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [ص:٤].. إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ [الفرقان:٤].. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً [الشورى:٢٤] يقولون هذا من جهة في مناسبات كثيرة، ومواقف متعددة، وهم في مناسبة أخرى وفي موقف آخر يعلمون ويعترفون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب. وفي صحيح البخاري لما سأل هرقل أبا سفيان في بداية مقابلته له، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فهذا هرقل جاءته لحظات من التجرد والإنصاف، ولقد هم أن يدخل هذا الدين لولا جشع الملك وحب الرئاسة، وخوفه من زوال سلطانه، فرجع إلى الكفر، ولكنه قد رأى الحق بأم عينيه. قال أبو سفيان : لا. ثم قال له في آخر مقابلته: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، وأعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله؛ أي: أنت تقول أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما عهدت منه الكذب على الناس قبل البعثة، فعلمتُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على

الله، والكذب على الله أصعب وأشد من الكذب على الناس، فعلم أنه صادق. ولقد تولى القرآن الرد على هذه المزاعم فقال: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ [هود:١٣] أي: إذا زعمتم أنه كذاب فهاتوا عشر سور مثل سور القرآن: وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ [هود:١٣] لكي تألفوا هذه السور؛ من سائر عظماء الشعراء وأهل النثر والبلاغة: وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ [هود:١٣]. ثم تنزل القرآن في الرد عليهم إلى ما هو أدنى من ذلك، فقال الله عزوجل: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ [يونس:٣٨] عظم التحدي ونقص المقدار، فظهر التحدي أعظم: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ [يونس:٣٨] فعجزوا، ولما حاول الكذابون أن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن؛ أتوا بأشياء مضحكة ليس هذا مجال سردها: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ [هود:٣٥]، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ [السجدة:٣]. ويسري القرآن عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويثبت الله به قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ [الأنعام:٣٤]. واليوم عندما يقف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أمام الناس، ويدعوهم إلى الله، ويبين لهم أحكام الدين؛ ويبين لهم الحلال والحرام، يقولون له: أنت كذاب، لا يمكن أن يكون في القرآن كذا، لا يمكن أن يكون في السنة كذا، لا يمكن أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكذا، هذا الذي تدعون إليه ليس بدين، أنت تكذب على الدين، أنت جئت بدين جديد، ليس هذا الدين الذي نعرفه، لقد رأينا الدين من آبائنا وأجدادنا، ولقد رأينا الدين سنين عديدة ما رأينا فيه مثل هذا الذي تدعو إليه، فيتهمونه بالكذب على الشريعة، وهم قد أتوا من قبل جهلهم؛ فلجهلهم رموه بالكذب، وأتوا من قبل تقليدهم لآبائهم وأجدادهم، وعدم اتباع الحق، وأتوا من اتباع أهوائهم؛ لأنك عندما تخبرهم بالحق الذي يخالف أهوائهم؛ إذا كان الحق واضحاً يقولون: أنت كذاب .. فعليك أن تصبر كما صبر رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على تلقي الأذى في جسده:

ولقد صبر عليه الصلاة والسلام على أذى المشركين في جسده صبراً عظيماً، روى البخاري رحمه الله عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيءٍ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط وهو من الكفار، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً). عقبة بن أبي معيط يلوي الثوب حول رقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يصلي: (ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبه ودفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ [غافر:٢٨]). آذوه في بدنه صلى الله عليه وسلم، ولهذا أمثلة سنذكرها إن شاء الله. في معركة أحد ماذا حصل للنبي صلى الله عليه وسلم؟ الذي حصل له أيها الأخوة: أنه أُدمي حتى سال الدم من وجهه، وقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب في أحد فسال الدم على وجهه، رجع إلى المدينة ولا زال النزف في وجهه عليه الصلاة والسلام، فقام علي رضي الله عنه على رأسه، و فاطمة تأخذ من الإناء في يد علي فتغسل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء، ولكن الجرح لم يرق، فأخذت حصيراً فأحرقته ووضعت رماده على جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتماسك الجرح قليلاً حتى وقف الدم).

للدعاة في رسول الله أسوة في الصبر على الأذى:

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذى في جسده، واليوم يعاني المتمسكون بشرع الله عز وجل أصناف العذاب، وألوان الأذى في سبيل الله، فيضربون بالسياط، ويسحلون بالشوارع، ويجرون على جلودهم فوق الحجارة والشوك، كما وقع بالنفر الأول من الصابرين الصادقين، وأدنى من ذلك تقع صور من العذاب في داخل البيوت، هل رأيتم أباً تصل به الدناءة والخسة أن يضرب ولده؛ لأنه امتنع عن المنكرات؟! هل رأيتم أباً تصل به الخسة والدناءة أن يقفل الباب على ابنه حتى لا يذهب لصلاة الفجر؟! يقفل باب البيت بالمفتاح ويأخذ معه المفاتيح حتى لا يخرج الولد إلى صلاة الفجر. هل رأيتم خسة ودناءةً مثل أن يأتي أحد الآباء بمزيل للشعر فيضعه على لحية ولده وهو نائم حتى تسقط لحيته

عداءً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! إن ألوان الإيذاء أيها الأخوة تتعاقب، ويتفنن أعداء الله في إذاقة عباد الله العذاب أصنافاً وألواناً، فليس الحل في ذلك إلا الصبر على هذا الأذى في سبيل الله، ولقد سعى أعداء الله لإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلده، فقال الله عزوجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً [الإسراء:٧٦] تآمروا على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلده، وخططوا لذلك حتى اضطر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخروج، فتهددهم الله بهذه الآية: وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً وفعلاً ما لبثوا في مكة بعد إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم منها إلا قليلاً، فأذاقهم الله العذاب في معركة بدر وغيرها من المواقع حتى فتح الله مكة ، ودخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوراً. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم واجعلنا من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

صور أخرى من صبر النبي على الأذى يقتدى به فيها:

الحمد لله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، خاتم الرسل، وأحب خلق الله إلى الله، وخليل الله الذي اصطفاه الله على العالمين، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وصبر على الأذى في سبيل الله حتى كان مثالاً حياً بسيرته بين أظهرنا اليوم؛ كأنا نرى تلك السيرة، وتلك الأحداث التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد، قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت) الرسول صلى الله عليه وسلم ما وجد ولياً ولا نصيراً، يريد من كفار قريش أن يجيبوه وينصروه فلا يجد. (فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي). هذه الألفاظ أيها الأخوة تصور محنة الداعية التي يعيشها حينما يعرض الناس عنه، محنة الداعية التي يعيشها حينما يرفضه كل الناس، حين يطرده جميع الناس، عندما يوصدون الأبواب في وجهه، ولا

يرضون بالحق الذي يقول به، ويعرضون عنه. (فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب) وهو موضع قريب من مكة. الرسول صلى الله عليه وسلم هام على وجهه من الغم، وما أفاق إلى نفسه ليعرف إلى أين يسير إلا في قرن الثعالب ، وليس ذلك لأجل إفلاس، ولا لذهاب تجارة، ولا لخسارة في صفقة، ولا لفقد وظيفة، كلا. (فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد! إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين -أي: الجبلين العظيمين اللذين تقع بينهما مكة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً). وعندما يكون الظلم من الأقرباء يكون وقعه شديداً على النفس.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء:٢١٤] صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي بطون قريش: (يا بني عدي ... حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر في الأمر، فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا -ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا- فقال عليه السلام: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً ببطن الوادي تريد أن تغير عليكم -جيش قريب من مكة يريد أن يغير عليكم- أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم. ما جربنا عليك كذباً، قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم.. ألهذا جمعتنا). و أبو لهب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، داعية إلى الله يقوم يجمع الناس يأتون إليه، يهددهم بعذاب الله عز وجل ويدعوهم إلى الله، فيقوم له واحد من الحاضرين فيقول له: تباً لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟ واليوم تعقد مجتمعات للدعوة إلى الله، وقد يجمع داعية إلى الله الناس في بيته، أو يذهب إليهم في بيوتهم فينصحهم وينذرهم عذاب الله ، فتنطلق ألسنة المستهزئين به، إنه يتذكر والموقف هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد وصل الأمر إلى أن ادعوا أنهم أحق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق وصلة

الرحم، فهذا أبو جهل لعنه الله وقف يوم بدر يبتهل إلى الله ويقول: اللهم أقطعنا للرحم -يعني الرسول صلى الله عليه وسلم- وأتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة. يوم بدر يقف أبو جهل لعنه الله يدعو الله أن يهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قطع الرحم، وأتاهم بما لم يعرفوا، فأنزل الله عز وجل: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ [الأنفال:١٩] كما في الصحيح المسند من أسباب النزول . ولقد اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في إنجابه، فعن ابن عباس قال: (لما قدم كعب بن الأشرف مكة -وكان كعب بن الأشرف يهودياً- قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم -وكان هذا قبل الهجرة- قال: نعم. قالوا ألا ترى إلى هذا الصنبور ..). يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستخدام الألفاظ المشينة؛ ألفاظ السب، وانتقائها من قاموس السباب والشتائم لإلصاقها بالدعاة إلى الله قضية قديمة؛ ليست حديثةً ولا وليدة هذا العصر. والصنبور في لغة العرب: هو الرجل الفرد الضعيف الذليل الذي لا أهل له ولا عقب، ولا ناصر ينصره، قالوا: (ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية، قال: أنتم خير منه. فأنزل الله عز وجل: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الكوثر:٣]) أي: إن شانئك وسابك يا محمد هو الأبتر الذي لا عقب له. وأخيراً هذا الموقف الذي تحكيه لنا آية الأنفال: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ [الأنفال:٣٠] إن عقد المؤتمرات لإجهاض الدعوة، والمؤامرات على دعاة الإسلام، وإلحاق الأذى بهم قضية قديمة. وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا [الأنفال:٣٠] لقد اجتمعوا في حجر إسماعيل بجانب الكعبة في مكة ؛ يدبرون ويخططون لثلاثة أشياء: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ومعنى: يثبتوك: يقيدوك ويحبسوك حتى لا تقوم بالدعوة. أَوْ يَقْتُلُوكَ ويضيع دمك بين القبائل. أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكة ويطردوك حتى لا تكون بينهم. روى ابن حبان في صحيحه و الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال: ما يبكيك يا بنيه؟ قالت: يا أبت! ما لي لا أبكي وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك ليقتلوك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنيه! ائتيني

بوضوئي، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد، فلما رأوه قـــالوا: إنما هو ذا، فطأطئوا رءوسهم، وسقطت أذقانهم من بين أيديهم فلم يرفعوا أبصـــارهم – أعماهم الله– فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقـــال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً). قـــال ابن كثير رحمه الله: قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة.

ولو استطردنا أيها الأخوة في ذكر ألوان الأذى التي صبر عليها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لطالت بنا المجالس والأوقات، ولكن إنما هي تذكرة نذكر بها أنفسنا ونسليها ونحن نواجه اليوم أعداء الله، ونواجه مخططاتهم، واتهاماتهم، وســـبابهم، وفســـوقهم، وأذاهـــم، وحملاتهم علينا. إن الإنسان ليزداد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإكباراً له عليـــه الصلاة والسلام وإجلالاً؛ حين يرى في سيرته صلى الله عليه وسلم من صبره على الأذى، ومن تحمله ذلك في سبيل الله لأجل شيء واحد: أن يبلغ رسالة الله إلى الناس، أن يبلـــغ الناس دين الإسلام؛ هذا هو الهدف، هذا هو الغرض من الحياة، وإلا فإن الحياة بغير هـــذا الغرض حياة بهيمية. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينـــك وطاعتـــك، اللـــهم واجعلنا من دعاتك وجندك، اللهم وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم وآتنا الحجة علـــى من عادانا، اللهم وانصرنا على من بغى علينا، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنـــا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم وصلِّ على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم صلاةً تامَّة ما بدا الليل والنهار، اللهم صلَّ عليه صلاة تامة ما غربت شمس وما شرقت. اللهم اجعلنا من أهل شفاعته، اللهم أوردنا حوضه، اللهم وارزقنا مرافقته في الجنة.

****

وبين سبحانه وتعالى أن العاقبة للمتقين :

قال تعالى : { تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) [هود/٤٩] }

وقال تعالى : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُـــمُ الْمَنْصُـــورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْـــذَرِينَ

(١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) [الصافات/١٧١-١٨٢] }

المنصورون في ميزان الله..

محمد بولوز-الوسط التونسية:

النصر من الله كما الرزق الذي هو منة وعطاء منه عز وجل ومع ذلك يتحرك عباده لنيله والظفر به،من خلال ركوب أسبابه وإتيان مقدماته.فالله يريد من عباده الإتيان بأسباب النصر اختبارا وابتلاء،قال تعالى:" ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم"والمتتبع لأسباب النصر في كتاب الله،يجدها مجملة في نصر دين الله،وما ذكر من غير هذا لا يعدو أن يكون تفصيلا لهذا الأصل العظيم.

فنصرة دين الله من أعظم أسباب النصر:قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"وقال أيضا:" يأأيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين" وقال سبحانه:" الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز"

ونصر الله ونصر دينه يكمن في الإيمان به والعمل له سبحانه من غير شريك والتزام بدينه وشرعه ودعوة إليه واجتهاد في إقامته في النفس والأسرة والمجتمع والعالم ، حتى يظهره الله على الدين كله،ومن الدين عندنا في الإسلام،الدفاع عن النفس والعشيرة والأهل والعرض والمال والوطن.. ومن مات دون شيء من ذلك فهو في سبيل الله، ويحسب عند المسلمين في عداد الشهداء،وهو عند الله بحسب ما معه من المقاصد والنيات.

والمنصورون هم من تحققوا بالإيمان الصادق والتوحيد الخالص والعمل الصالح والتوكل على الله وحده، والاعتماد عليه سبحانه وتحلوا بالصبر والثبات وذكروا الله كثيراً، ووحدوا

كلمتهم وجمعوا صفهم وأعدوا ما يقدرون عليه من العدة وما يستطيعونه من أسباب، وأفرزوا من بين صفوفهم القيادة المؤمنة القوية وآمنوا بالجهاد عقيدة وممارسة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر،وتسلحوا باليقين في نصر الله والثقة بوعده،والتزموا الدعاء والاستغاثة بالله والاستنصار به سبحانه..

قال تعالى في شأن الإيمان والتوحيد والعمل الصالح:" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"وفي شأن تعظيم مقام الله والخوف من وعيده:" ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد" وفي شأن العبادة والصلاح:"ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"وبين سبحانه أن النصر من ثمار التجارة الرابحة مع الله:قال تعالى:" ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم،تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون،يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين"

وأنه بالجهاد وتحريض المومنين يكف بأس الكافرين:

قال تعالى:" فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا"وقال تعالى:" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير"

وقال عز وجل في الصبر والتقوى:" بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين"وقال أيضا:" فاصبر إن العاقبة للمتقين"

فالصابرون في ميزان الله يغلبون ضعفهم:

قال تعالى:" الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين"والنصر يأتي الصابرين عقب اشتداد المحن:قال تعالى:" أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من

قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب"

قال ابن مسعود وغيره "البأساء" الفقر "والضراء" السقم "وزلزلوا" خوفوا من الأعداء زلزالا شديدا وامتحنوا امتحانا عظيما.

وفي الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال "إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه" ثم قال "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون"

وقال الله تعالى "ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" وقد حصل شيء من هذا مع الصحابة رضي الله عنهم يوم الأحزاب كما قال الله تعالى "إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا" الآيات.

وجاء في الحديث الصحيح لما سأل هرقل أبا سفيان هل قاتلتموه قال: نعم. قال: فكيف كانت الحرب بينكم؟ قال: سجالا يدال علينا وندال عليه. قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة.

وفي الحديث أيضا عن أبي رزين "عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قانطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب" .

وعلمنا الإسلام أن مبادءة المعتدين مع الاستعداد والتوكل من أسباب النصر:قال تعالى:"قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"

وعلمنا أن الولاء لله ولرسوله وللمومنين من أسباب النصر:قال تعالى:" ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون"وعلمنا في قصة طالوت كيف ينبغي

اختيار القيادة المؤمنة القوية،وأمرنا بحسن الإعداد بقوله"وأعدوا لهم مـــا اســـتطعتم مـــن قوة..."الآية،وبتوحيد الصفوف بقوله "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.."

والمؤمن بعد إتيان ما يستطيع من أسباب النصر وشروطه يلجأ إلى الله ويســـتغيث بمـــدده وعونه:

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم كـــان يقول:" لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فـــلا شـــيء بعده"وفي غزوة بدر ما جاء في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:" لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصـــحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مـــد يديـــه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هـــذه إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فيالأرض فما زال يهتف بربـــه مـــادا يديـــه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأمـــده الله بالملائكة..."

ونهانا عز وجل عن إتيان ما ينافي النصر ويجلب الهزيمة من عوامل الفشل والجبن والتنـــازع والصراع والعصيان وابتغاء الدنيا دون الآخرة يفهم ذلك من قوله تعالى:" ولقد صـــدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكـــم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين"

وحذرنا من الركون إلى الأسباب الدنيوية وحدها أو التعويل على مجرد الكثرة العددية قال تعالى:" لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين "

ونبهنا إلى أنه لا ناصر لمن خذله الله،بما قد يأتيه من استبعاد لدين الله في معركته مع

أعدائه وتخلفه عن نصره وإقامته،فيستحق بذلك الخسارة والخـــذلان ؛قـــال تعـــالى:"إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم مـــن بعـــده وعلـــى الله فليتوكل المؤمنون"

٣ سبتمبر ٢٠٠٦-١٠ شعبان ١٤٢٧ ه

===============

مقامات الابتلاء.. ومفارز التمحيص

اللواء الدكتور - فيصل بن جعفر بالي

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى خلق البشر، وابتلاهم بالحسنة والسيئة، وبالخير والشـــر؛ كما قال سبحانه : وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨) {الأعراف: ١٦٨}، وقال عز وجل: ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ٣٥ {الأنبيـــاء: ٣٥}، وقال تعالى: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٢ ولقـــد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ٣ {العنكبـــوت: ٢، ٣}.

وها هنا أمران مهمان لايفطن لهما كثير من الناس وهما:

الأول: أنه كلما قوي إيمان المؤمنين، ويقينهم بربهم، وصدقهم معه، وإخلاصهم له؛ عظم بلاؤهم، واشتدت محنتهم؛ ليبلوا الله تعالى إيماهم، ويختبر صدقهم؛ كما قال النبي {: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينـــه اشـــتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه" (صحيح الجامع ٩٩٣).

الثاني: أنه كلما اشتد البلاء، وعظمت المحنة بالمؤمنين الصادقين الثابتين فإن فرجهم يكون قريباً، وتلك سنة كونية قدرها الله سبحانه كما قال عز وجل: فإن مع العسر يســـرا ٥ إن مع العسر يسرا ٦ {الشرح: ٥، ٦}.

وتأمل معي أخي القارئ هذه الآية العظيمة التي تجمع بين هذين الأمرين وهـــي قـــول الله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأســـاء

والضراء وزلزلوا حتى" يقول الرسول والذين آمنوا معه متى" نصر الله ألا إن نصر الله قريب ٢١٤ {البقرة: ٢١٤}.

فانظر ماذا حصل لهذا النبي عليه السلام، ومن معه من المؤمنين من عظيم المحن والابـــتلاء، فأصيبوا بالبأساء والضراء، وزلزلوا حتى إنهم تساءلوا: متى نصر الله ؟! قال الطبري رحمـــه الله تعالى: "أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسوله تدخلون الجنة، ولم يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من البأساء وهي: شدة الحاجة والفاقة، والضراء وهي: العلل والأوصاب، ولم تزلزلوا زلزالهم، يعني: ولم يصيبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهـــد حـــتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟! ثم أخبرهم الله أن نصره منـــهم قريب، وأنه معليهم على عدوهم، ومظهرهم عليه؛ فنجزلهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا" أه (جامع البيان ٢/٣٤١).

لقد أفادت هذه الآية العظيمة أن الأنبياء وأتباعهم سيجري عليهم مـــن الـــبلاء والمحنـــة، وتسلط الكافرين والمنافقين عليهم وعلى دينهم ما يزلزلهم ويؤذيهم؛ ولكنهم في الوقـــت نفسه واثقون بنصر الله تعالى ووعده؛ ولذلك تساءلوا: متى نصر الله؟!

كما أفادت الآية أنه إذا عظم البلاء، واشتدت المحن اقترب النصر؛ فعند سؤالهم متى نصر الله؟! كان الجواب: ألا إن نصر الله قريب!!

إن المسلم وهو ينظر إلى الأوضاع الدولية المعاصرة، وما أصاب المسلمين من ضعف وهوان واستئساد أعدائهم عليهم، وطمعهم في بلدانهم وثرواتهم، وقتلهم لإخوانهم، وتشـــريدهم، وأذيتهم، والسعي الحثيث لتغيير دينهم وعقيدتهم، والاعتداء على نبيهم محمد {، ووصفه بالإرهاب، وسفك الدماء، وغيرها من الأوصاف المنفرة، وادعـــاء أن القـــرآن مصـــدر الإرهاب، وغير ذلك من التهم الجاهزة التي صار يلقيها كل من يريد الطعن في الإســـلام، أو يريد أن ينال الشهرة الإعلامية على حساب الإسلام وشريعته من كفار ومنافقين؛ مع ضعف المسلمين وعجزهم عن الدفاع عن دينهم وعقيدتهم. إن من يرى ذلك كله ليـــوقن بأن دائرة المحن والابتلاءات باتت تضيق بالمسلمين كل يوم؛ لتستخرج الصادق في إسلامه من الكاذب، والمؤمن من المنافق؛ مصداقاً لقول الله سبحانه: ومن الناس من يقول آمنـــا

بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ١٠ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ١١ {العنكبوت: ١٠، ١١}. وقوله سبحانه: وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ١٤١ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ١٤٢ {آل عمران: ١٤١، ١٤٢}.

فهنيئاً والله لمن ثبت على دينه مع شدة الابتلاءات والمحن، ويا خسارة من أخرجته الفتن والمحن والابتلاءات من دينه فبدل وغير أمر الله تعالى؛ إرضاء للبشر، وويل لمن حاول الحفاظ على دنياه بخسارة دينه؛ فذلك الذي لن تسلم له دنياه ولا آخرته نسأل الله تعالى السلامة والعافية، كما نسأله الثبات على الحق.

إنه يجب على المسلمين في هذه الظروف العصيبة، وتجاه هذه الأحداث العظيمة أن يعوا أصولاً مهمة قررها ديننا هي من أسباب الثبات على الحق في حال الفتن والمحن ومن هذه الأصول:

أولاً: أنه لا يحصل شيء في الكون إلا بتقدير الله تعالى وتدبيره، وأنه تبارك وتعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء؛ كما قال سبحانه: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على" كل شيء قدير ٢٦ {آل عمران: ٢٦}.

فهو سبحانه قادر على أن ينتشل المسلمين من حضيض الذلة والمهانة، ويرفعهم إلى مراقي العزة والكرامة، وقد جعل سبحانه وتعالى سبيل ذلك الموصل إليه: التمسك بشريعته، كما أنه سبحانه قادر على أن يدحر المنافقين والكافرين، وينكس راياهم، ويحبط مخططاهم، ويبطل كيدهم، ويردهم على أعقاهم خاسرين؛ إذ إنه عز جاره على كل شيء قدير، والأمر كله بيده، ولا يخرج شيء عن تدبيره سبحانه وتعالى، ولما تناطحت القوتان الرومانية والفارسية في أول الإسلام، وأخبر الله تعالى عن غلبة الروم على فارس عقب على ذلك بقوله سبحانه: لله الأمر من قبل ومن بعد ٤ {الروم: ٤}، فالأمر لله تعالى قبل هزيمة فارس وبعدها، وقبل غلبة الروم وبعدها، ومن أراد النصر فعليه أن يطلبه ممن يملكه وهو الله سبحانه؛ وذلك بطاعته واجتناب معصيته.

ثانياً: أن ما يملكه الأعداء من أسلحة الدمار الشامل التي يخوفوننا بها لا تخيفنا، ولا تـــذلنا وتخضعنا لإرادتهم إذا كانت على حساب ديننا وسيادتنا؛ لأن هذه الأسلحة المدمرة هـــي أسلحة ردع، وإذا ما استخدمت عادت بالضرر على الضارب والمضـــروب في الغالـــب، ومن المعلوم أن الكافر والمنافق يخاف الموت، ويريد الحياة كما قال الله تعالى: ولتجـــدنهم أحرص الناس على" حياة ٩٦ {البقرة: ٩٦} وأخبر أنهم يفرون مـــن المـــوت وهـــو ملاقيهم.

وسبب خوفهم من الموت أنهم لايرجون إلا الدنيا فحسب، ولايرجون الآخرة التي يرجوها المسلم، ويأمل فيها، فليس لهم إلا فرصة واحدة لا يمكن أن يغامروا بها بخلاف المؤمن الذي يرى أن فرصته الكبرى هي في الآخرة وليست في الدنيا. ومن مقررات مذهب أهل السنة والجماعة: أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، موقناً بها قلبـــه فمآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ولو كان من أهل الكبائر؛ فمم يخاف المؤمن؟!

إن ذلك لا يعني بطبيعة الحال أن نتمنى لقاء عدونا مع عدم تكافؤ القوى، ولا أن ننشـــد ضربهم للمسلمين بأسلحة الدمار الشامل؛ فذلك مخالف لقول النبي {: "لا تتمنـــوا لقـــاء العدو وأسألوا الله العافية" (رواه البخاري ٦/١٠٩ ومسلم ١٧٤٢) ولكننـــا في الوقـــت نفسه لن نتخلى عن ديننا لأنهم يخوفوننا بما يملكونه من سلاح وعتاد.

ثالثاً: أنه لن يقضي على الإسلام بعامة، وستكون الغلبة في النهاية لأهل الحق على أهـــل الباطل؛ كما قال الله تعالى: فاصبر إن العاقبة للمتقين ٤٩ {هود: ٤٩} وهم الـــذين سيرثون الأرض في نهاية المطاف؛ كما قال سبحانه: ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ١٠٥ {الأنبياء: ١٠٥} ومهما عظمت المؤامرات، وكثرت الدسائس والمكائد على الإسلام والمسلمين، ومهما كانت قوة الكافرين والمنافقين فإن الله تعالى حافظ دينه بحفظ طائفة مؤمنة يقومون بالحق ويبلغونه للناس؛ كما قال النبي {: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك" (رواه البخاري ١٣/٢٤٩ ومسلم ١٩٢١).

فإذا كانت الجنة مآل من قضى من المسلمين في حروب شاملة، أو كـــوارث مفزعـــة، أو غيرها، وكان دين الإسلام محفوظاً إلى قيام الساعة فمم يخاف المسلمون؟!

إن فهم هذه الأصول العظيمة التي قررها ديننا هو مكمن القوة لنا، وصمام الأمان الـذي يجعلنا لا نبدل ديننا مهما كان حجم التحديات والتهديدات، ولو كان ثمن ذلك خسـارة دنيانا، فلأن نخسر دنيانا ويبقى لنا ديننا الذي هو ثمن فوزنا في الآخرة خير لنا من التخلي عن ديننا الذي ستكون نتيجته خسارة الدنيا والآخرة.

أسأل الله تعالى أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كيد الكائدين، ومكر المـاكرين، وأن يردهم على أعقابهم خاسرين. كما أسأله تبارك وتعالى أن يوفق ولاة أمرنا إلى مـا فيـه صلاح ديننا ودنيانا، وأن يعينهم على ما يضطلعون به من مهمات، وما يواجهونـه مـن تحديات، وأن يثبتهم على الحق، ويقويهم عليه، ويجعلهم قرة عين للمسلمين، إنـه سميـع مجيب، وبالإجابة جدير. والحمدلله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبـارك علـى عبـده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

===================

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين

{ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون }

. .

والوعد واقع وكلمة الله قائمة . ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض؛ وقام بناء الإيمان ، على الرغم من جميع العوائق ، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين ، وعلى الـرغم مـن التنكيل بالدعاة والمتبعين . ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار . وذهبـت سـطوتهم ودولتهم؛ وبقيت العقائد التي جاء بها الرسل . تسيطر على قلـوب النـاس وعقـولهم ، وتكيف تصوراتهم وأفهامهم . وما تزال على الرغم من كل شيء هي أظهر وأبقـى مـا يسيطر على البشر في أنحاء الأرض . وكل المحاولات التي بذلت لمحو العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل ، وتغليب أية فكرة أو فلسفة أخرى قد باءت بالفشل . باءت بالفشل حتى في الأرض التي نبعت منها .

وحقت كلمة الله لعباده المرسلين . إنهم لهم المنصورون وإن جنده لهم الغالبون .

هذه بصفة عامة . وهي ظاهرة ملحوظة . في جميع بقاع الأرض . في جميع العصور .

وهي كذلك متحققة في كل دعوة لله ، يخلص فيها الجند ، ويتجرد لها الدعاة . إنها غالبة منصورة مهما وضعت في سبيلها العوائق ، وقامت في طريقها العراقيل . ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار ، وقوى الدعاية والافتراء ، وقوى الحرب والمقاومة ، وهي إن هي إلا معارك تختلف نتائجها . ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده الله لرسله . والذي لا يخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه . الوعد بالنصر والغلبة والتمكين .

هذا الوعد سنة من سنن الله الكونية . سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة؛ وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان؛ وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء . . ولكنها مرهونة بتقدير الله ، يحققها حين يشاء . ولقد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة . ولكنها لا تخلف أبداً ولا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة ، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين!

ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله . ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى . فيكون ما يريده الله . ولو تكلف الجند من المشقة وطول الأمد أكثر مما كانوا ينتظرون . . ولقد أراد المسلمون قبيل غزوة بدر أن تكون لهم عير قريش وأراد الله أن تفوتهم القافلة الرابحة الهينة؛ وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة . وكان ما أراده الله هو الخير لهم وللإسلام . وكان هو النصر الذي أراده الله لرسوله وجنده ودعوته على مدى الأيام .

ولقد يهزم جنود الله في معركة من المعارك ، وتدور عليهم الدائرة ، ويقسو عليهم الابتلاء؛ لأن الله يعدهم للنصر في معركة أكبر . ولأن الله يهيء الظروف من حولهم ليؤتي النصر يومئذ ثماره في مجال أوسع ، وفي خط أطول ، وفي أثر أدوم .

لقد سبقت كلمة الله ، ومضت إرادته بوعده ، وثبتت سنته لا تتخلف ولا تحيد :

{ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون } .

وعند إعلان هذا الوعد القاطع ، وهذه الكلمة السابقة ، يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم ، ويدعهم لوعد الله وكلمته ، ويترقب ليبصرهم وقد حقت عليهم الكلمة ، ويدعهم ليبصروا ويروا رأى العين كيف تكون :

{ فتول عنهم حتى حين . وأبصرهم فسوف يبصرون . أفبعذابنا يستعجلون؟ فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين . وتول عنهم حتى حين . وأبصر فسوف يبصرون } . . فتول عنهم ، وأعرض ولا تحفلهم؛ ودعهم لليوم الذي تراهم فيه ويرون هم ما ينتهي إليه وعد الله فيك وفيهم .

============

المحنة في حياة الدعوة والداعية

تكاد تكون المحنة من الظواهر الملازمة للحركة الإسلامية قديمًا وحديثًا؛ فالإسلام دعوة على مظاهر الحياة الجاهلية في كل صورها وأشكالها .. وهذه الخاصة التي يمتاز بها الإسلام، جعلت الحركة الإسلامية أكثر تعرضًا للمحن، وبالتالي جعلت المحنة لديها ذات مفهوم خاص لا يشاركها فيه سواها من الحركات الحزبية والسياسية .

المحنة تربية وتمحيص: فالمحنة من أهم عوامل التكوين والاختيار في الإسلام .. وقد لا يكون للتكوين النظري قيمة ما لم تشترك فيه عوامل الشدة والبلاء. والإيمان نفسه بحاجة إلى المحنة؛ لسبر غوره وإدراك مداه، فالإيمان القوي الراسخ هو الذي يصمد في ساعة العسرة .

أما الإيمان السقيم العليل فسرعان ما تكشفه المحن وتصدعه، وصدق الله تعالى حيث يقول:} وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا باللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ(١٠)وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ(١١) { [سورة العنكبوت] .

صور من محن الأولين :

قضت سنة الله .. أن يكون الحق في صراع أبدي مع الباطل:} وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا(١٩) { [سورة الجن] ... } يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(٨) {[سورة الصف] . ومنذ ولد الخير ووجد الشر، والصراع عنيف ومخيف بينهما، والحقيقة التي تتكرر باستمرار هي أن الحق دائمًا في انتصار، وأن الباطل دائمًا في انتحار :} وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١)إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ(١٧٢)وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣) {[سورة الصافات].

المحنة في حياة إبراهيم عليه السلام : لم تكن المحنة التي تعرض لها خليل الرحمن إلا إحـــدى حلقات الصراع، الممتدة عبر القرون .. والتي تؤكد على الزمن غلبة أهل الحق وهزيمة أهل الباطل.

نشأ إبراهيم عليه السلام في مجتمع جاهلي، وأبت الفطرة السليمة مجاراة التيار، والانسياق مع الرأي العام، وصمم إبراهيم صلى الله عليه وسلم على التصدي للجاهلية.

وتبدأ المحنة في حياة هذا الفرد.. فرد يمتطي صهوة الحق وحيدًا .. ويعلن على الملأ إيمانـــه بالله وكفره بما يعبدون من دونه .. } قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(٧٥)أَنْتُمْ وَءَابَـــاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ(٧٦)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ(٧٧) {[سورة الشعراء].

ويجدر بالداعية أن يقف هنا مليًا، يستشعر عظمة الإيمان الذي اعتمر به قلب إبـــراهيم .. إنه وحيد ليس وراءه جماعة ولا أنصار، ومنبوذ حتى من ذوي القرابة والوالدين .

وتشتد المحنة على إبراهيم، ويلقى في النار .. والرسول الممتحن يصغي إلى نداء الله، وهـــو في حمأة اللهب المستعر:} يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(٦٩)وَأَرَادُوا بِـــهِ كَيْـــدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ(٧٠)وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَـــا لِلْعَـــالَمِينَ(٧١) {[سورة الأنبياء].

وتمضي قصة المحنة التي تعرض لها أبو الأنبياء ترسم لأهل الحق صورًا شتى من صور الرجولة والبطولة.

المحنة في حياة موسى عليه السلام : وحياة موسى عليه السلام لم تكن غير سلســـلة مـــن المآسي والآلام، بل إن المحنة رافقت موسى رضيعًا تتقاذفه الأمواج، وشبت معه فتى يانعًـــا هاربًا من بطش فرعون .. وزاد حياته محنة على محنة تعرضه لنقمة فرعون مـــن جهـــة، ولإيذاء قومه وسفههم من جهة أخرى.. ويمضي موسى في طريقه حاملاً كل التبعات .. وفي فترة من فترات الضعف البشري يُحس موسى بالوجل والخوف يختلجان في صـــدره وهو في قلب المعركة .. ولكن السماء سرعان ما تتداركه بالمدد:} فَأَوْجَسَ فِـــي نَفْســـهِ خِيفَةً مُوسَى(٦٧)قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(٦٨)وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩) {[سورة طه] ويخرج موسى من هذه التجارب أصلب عودًا وأشد صمودًا.

المحنة في حياة عيسى عليه السلام :مما لا ريب فيه أن عيسى عليه السلام كان يتمتع بطاقة ضخمة من الصبر والاحتمال .. ومما زاد في قسوة الظروف التي أحاطت به وبنشأته، أنـــه واجه في ماضي مولده ألوان الشكوك .. كما واجه في حاضر دعوته ضـــروب العنـــت والتمرد .. ويكفي لكي نقدر مدى ما وصل إليه العنف والتمرد أن نعرف أن المعجـــزات التي بلغت على يدي عيسى حدًا كبيرًا لم يكن لها ذلك الأثر المنتظر في استمالة النفـــوس وتأليف القلوب.. ولكن عيسى عليه السلام .. كان يؤمن بأنه رسول .. وأن عليه البلاغ المبين. وكان طيب النفس حليمًا .

حاول اليهود أن يخفقوا من أثر دعوته وأن يخفوا عن الناس أمره .. ولما أعيت الحيلة أهـــل الباطل .. ائتمروا به ليقتلوه .. أما عيسى روح الله .. فقد كانت عين الله تحرسه وترعـــاه .. فلما همّ القوم بما دفعهم إليه حقدهم الأسود..

وقع تحت أيديهم رجل شديد الشبه به، فقتلوه وهم يحسبون أنهم قتلوا عيسى:} وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْـــمٍ إِلَّـــا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧)بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّـــهُ عَزِيـــزًا حَكِيمًـــا(١٥٨) {[سورة النساء].

محنة الإسلام في عهد النبوة :

كان الإسلام ثورة على الجاهلية من أول يوم .. ثورة استهدفت نسف القواعد التي قـــام عليها المجتمع الجاهلي، فليس من طبيعة الإسلام أن يهادن الأوضاع الخربة، أو يعمـــد إلى ترميمها وإصلاحها، وإنما يعتمد سياسة الهدم والبناء .. هدم الجاهلية بكل مرافقها، وبناء الحياة الإسلامية بجميع مقتضياتها. وإذا كانت هذه طبيعة الدعوة التي نهض بها النبي صـــلى الله عليه وسلم، فبديهي أن تستأسد قوى الجاهلية وتستميت في الدفاع عن كيانها المهـــدد بالنسف والدمار.

حرب الأعصاب : تفنن أهل الجاهلية في حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وابتكروا كـــل جديد لضرب الإسلام، وحشدوا كل قواهم لعرقلة المسيرة القرآنيـــة، فعمـــدوا أولاً: إلى أسلوب نفسي خسيس يستهدف تدمير أعصاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والقضـــاء على روحه المعنوية العالية، وشنوا لذلك حملات عنيفة من السخرية والاستهزاء عرض لها

القرآن الكريم في أكثر من موضع:} وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا(٩٠)أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا(٩١)أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا(٩٢)أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ...(٩٣) {[سورة الإسراء].

وعندما فشلت هذه الأساليب الرخيصة عمد المشركون إلى اختلاق الشائعات والتهم على رسول الله، وبثوها في كل الأوساط؛ ليضعفوا الثقة به وليصدوا عن سبيل الله:} وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(٤٦) {[سورة إبراهيم]. وكانت المحنة على ضراوتها وقسوتها لا تزيده صلى الله عليه وسلم إلا صلابة وتصميمًا ..

تعرض وإيذاء ومحاولات اغتيال : ولما يئسوا من الحرب النفسية، وحرب الأعصاب، وحرب الشائعات .. لجأوا إلى الحرب الحسية ينالون بها من دعاة الإسلام..

ويجتمع سادة قريش يومًا في (الحجر) ويذكرون محمدًا وتحديه السافر لمقدساتهم .. فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ سَفَّهَ أَحْلَامَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وَعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَبَّ آلِهَتَنَا لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ – فيجيبهم نبي الهدى بكل ثقة واعتزاز– فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ]رواه أحمد. يقولها بكل صراحة ويعلنها بملء فيه .. لقد أصابه منهم في ذلك اليوم ما أصابه .. وأدركهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد كادوا يجهزون عليه .. فانبرى يدافع عنه ويقول:"أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ".. ولما أوقع في أيدي المشركين، وأعجزهم الحيلة تداعوا إلى مؤتمر عقدوه في دار الندوة. ولما وضعوا خطتهم، وحزبوا أمرهم؛ كشف الله مكرهم ورد كيدهم:} وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٣٠) {[سورة الأنفال].

المحنة في حياة الصحابة : وفي عهد النبوة تعرض دعاة الإسلام لأبشع صنوف الإيذاء والتعذيب، و لم تقتصر المحنة على نفر دون نفر أو طبقة دون أخرى، بل لقد بلغت الجميع: النساء والرجال، الصغار والكبار، العبيد والأحرار.

محنة بلال: كان أمية بن خلف يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يتهدده قائلاً: إنك ستظل هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، أو تعبد اللات والعزى، وكان بلال رضي الله عنه يردد:"أَحَدٌ أَحَدٌ".

محنة آل ياسر : وكان بنو مخزوم يخرجون "آل ياسر" جميعًا يعذبوهم برمضاء مكة.

أما ياسر- الأب- فلم يقو على تحمل العذاب لكبر سنه؛ فمات لتوه، وأما سمية – الأم- فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعنها عدو الله بحربة في أحشائها، فكانت أول شهيدة في الإسلام .. } وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩)فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠)يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(١٧١) {[سورة آل عمران].

نموذج من شهداء الإسلام في عصر النبوة : لكم شهدت أيام الإسلام في عصر النبوة من أبطال صناديد، شرفوا التاريخ، ويكفي أن نختار منهم:خبيب بن عدي؛ لندرك أي أثر كان للعقيدة في نفوس هؤلاء: اعتقل خبيب وكان في طريقه من المدينة إلى عضل والقارة؛ ليقوم بمهام الدعوة التي كلفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساقه المجرمون إلى مكة وباعوه لحجر بن أبي إهاب التميمي ليقتله بأبيه الذي قتل في غزوة بدر الكبرى.

وفي اليوم المحدد لقتله أخرجه المشركون إلى التنعيم ليصلبوه، فقال لهم:" إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا " قالوا: دونك فاركع .. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم، فقال:" أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعًا من الموت لاستكثرت من الصلاة". وعندما رُفع خبيب على الخشبة قال له المشركون: ارجع عن الإسلام نخلي سبيلك. فقال:" لا والله ما أحب أن أرجع عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعًا.. إن قتلي في الله لقليل .. اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم إنه ليس

هاهنا أحد يبلغ رسولك عني السلام، فبلغه أنت السلام".. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت بين صحبه في المدينة، فأخذته غيبة ثم قال:[هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُنِي مِنْ خُبَيْبٍ اَلسَلَامَ] رواه الطبراني في معجمه الكبير-بنحوه-.

واقترب من خبيب أربعون رجلاً من المشركين، بأيديهم الرماح، وقالوا: هذا الذي قتل آباءكم في بدر. فقال خبيب:" اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك .. فأبلغه الغداة ما يُصنع بنا".

وعندما أخذت الرماح تمزق جسده، استدار إلى الكعبة وقال:" الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي ارتضى لنفسه ونبيه وللمؤمنين".. واستمر أعداء الله يمزقون جسد خبيب برماحهم وهو لايفتر يردد:"لا إله إلا الله محمد رسول الله" حتى لفظ نفسه الأخير، وفاضت روحه الزكية الطاهرة إلى الملأ الأعلى .

المحنة في عصر التابعين : ويأتي عصر التابعين .. ويطالعنا التاريخ بألوان شتى من محن الإسلام .. ففي هذه المرحلة تتكاتف لهدم الإسلام معاول الأبناء والأعداء، ففي عام ٧٥ هـ يتولى الحجاج بن يوسف الحكم في العراق. ويشهد هذا البلد الإسلامي في عهده أيامًا سوداء . ومن سنة الله في خلقه أنه يهيء للطغاة رجالاً لا يهابون الطغيان .. يصنعهم على عينه . ويهبهم الجرأة فيه، وكان سعيد بن جبير أحد هؤلاء الذين خلصوا من حظ أنفسهم..

وعندما صمم الحجاج على قتله والخلاص منه أرسل جنودًا بطلبه فجاءوا به، وأدخلوه عليه، ثم ذبحوه على النطع ـــ رحمه الله ـــ، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ثم مات .

المحنة بين الأمس واليوم :

هكذا تبدت معالم الصراع بين الحق والباطل على مدار التاريخ، إنها صورة واحدة ذات أشكال متعددة .. تتغير فيها الأزمان، والأشخاص وتبقى الحقيقة هي هي .. إنه استعلاء الإيمان في كل زمان .. واعتزاز الحق في كل عصر.

أصحاب العقيدة يدفعون الثمن : وتشتد المحنة في حياة الدعوة .. وتئول قيادة الأمـــة إلى حكام طغاة، يسومون المؤمنين سوء العذاب .. وحق على دعوة الإسلام أن تدفع الثمن . وتدفعه بسخاء: دماء وضحايا وشهداء .

كيف نواجه المحن ؟

إن الحركة الإسلامية إذ تواجه اليوم ما تواجه من تحديات وضغوط ينبغي أن:

تنطلق على هدي: فلا تتحكم في سيرها الانفعالات، أو تميد بها العواطف والطفرات.

مدعوة لمواجهة هذه الحرب السافرة على الإسلام وأهله: بالصياغة الحسنة لشبابها ورجالها، وبالإعداد الكامل، ثم بالتخطيط الواعي لكل خطوة من خطاها .

أن تغرس في نفوس عناصرها ودعاتها روح البذل والتضحية، وتستأصل مـــن نفوســـهم عوامل الضعف والخوف والانهزام .

إن الحركة الإسلامية مدعوة: لتضع في تقديرها وحسابها في مجالات التربية والتكوين ثقل المسئولية، وضخامة التبعة التي تنتظرها وتنتظر أفرادها؛ فتسلك بهم كل ما من شـــأنه أن يعدهم لحياة المجاهدة والمرابطة والكفاح .. وتنأى عما يخلد بهم إلى الأرض ويعودهم حياة الدعة والخنوع .

=============

بوابة النصر

الحمد لله القوي الجبار، المتين القهار، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء الأخيار، وعلى آله وصحبه الأطهار، ومن تبعهم من الصالحين الأبرار، أما بعد،،،

في ظلام الليل الذي يعقبه نور الصباح.. وفي نزول القطر بعد إقفار الأرض.. وفي أحوال كثيرات..وبما في تضاعيف التأريخ المُشْرِق لهذه الأمة من بواعث النصر، ومُحْيِيات التمكين؛ نزداد يقيناً، واقتناعاً بما في أفق الدنيا من لوائح المبشرات، وحينها ؛ نعم في ذلك الحين ينبثق نور بوابة النصر..فَيَلِجُ منها من ذاق مرارة السطوة الظالمة، ويدخل منها من تفطرت كبده قهراً على تكالب سُرَّاق المشاعر، فإلى أولئك أقول: عليكم بما في ثنايا الموضوع فإنها أعمدة تلك البوابة، وعليكم باغتنام سويعات النصر فإن الفجر لاح، وحذار من مُغْلِقَاتِ البوابة فهي كثيرة محبوبة .

أولاً: أعمدة النصر:

١- الإيمان بالله والنصر: قال تعالى:{...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[٤٧]} [سورة الروم]. وقال تعالى:{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...[٥١]} [سورة غافر].

في هاتين الآيتين قضى الله أن نصره وتأييده إنما هولعباده المؤمنين.. نعم؛ إن النصر، والتمكين حقٌ لكل مؤمن بالله، لكل من عَمَرَ قلبه بالإيمان الصادق، والإسلام الخالص، والانقياد التام لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
إن تحلي العباد بالإيمان بالله برهان كبير على أنهم هم المنصورون، وأنهم هم الجند الغالبون: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ[١٧١]إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ[١٧٢]وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ[١٧٣]} [سورة الصافات].
وكما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ[٥٦]} [سورة المائدة].
فمتى أتى المؤمنون بإيمان تام كامل؛ كان لهم نصر تام كامل، وإن أتوا بإيمان دون الكمال، وقاصر عن التمام؛ فإن النصر لهم بحسب ذلك .
وحين نلحظ تأريخنا الحافل بالانتصارات الخالدة التي أقضت مضاجع أهل الكفر، وأذناب الضلال، والتي أقرَّت عيون أهل الإيمان والتوحيد؛ نجد أن أغلبها راجع إلى الإيمان قوة وضعفاً:
فهذا يوم الفرقان، يوم بدر: نصر الله عباده المؤمنين نصرًا أصبح شجى في حلوق المشركين زماناً، وكان من أعمدة النصر في تلك الغزاة أن قَوِيَتْ قلوب المؤمنين إيماناً بالله تعالى.
وفي التأريخ المشرق لهذه الأمة المنصورة، والمُخَلَّدَة إلى قيام الساعة صورٌ كثيرة جداً لوقائع نصر مبين للمؤمنين .
فهذا عمود من أعمدة النصر على الأمة أن تأتي به إن كانت تطمح بالنصر، وترمق بعين الشوق إلى التمكين في الأرض، أما إن كانت تريد نصراً بلا إيمان فما هي وطالب السمك في الصحراء إلا سواء .
إن الله أخبرنا بأنه حافظ دينه فقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[٩]} [سورة الحجر]. وأخبر أن البقاء لدينه فقال: { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْكَرِهَ الْكَافِرُونَ[٨]} [سورة الصف]. وهل نور الله تعالى إلا الإيمان والدين، ونصرته له نصرة لعباده القائمين بهذا الدين، والمُتَحَلِّيْنَ بهذا الإيمان . فلا مجال حينئذٍ لمداهمة اليأس قلوبَ الصالحين، بل الدربُ مستنير، وواضح لا يعمى إلا على عُمْيِ القلوب والأبصار .
فالله تعالى وَعَدَ ووعْدُهُ حق وصدق ولابد لذلك الوعد من يوم يتحقق فيه الوفاء، وليس الوفاء فحسب بل تمام الوفاء وكماله، وهوقريب إذ وَعْدُ الكريم لا يقبل المماطلات، والله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد .
فما هوإلا الصبر القليل، والاستعانة بالله، والتوكل عليه، وأساس ذاك كله اليقين بموعود الله، والحذر من تسرُّب الشك في موعوده .
٢- العبودية لله والنصر:
قال تعالى : {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ[١٧١]إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ[١٧٢]} [سورة الصافات]. وقال سبحانه: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ[١٠٥]} [سورة الأنبياء]. ففي هذا النص القرآني عمود من أعمدة النصر، الذي يَمُنُّ به الرب على من تعبَّد له حق التعبُّد.

واَلحَظْ بتمعُّنٍ وتدبر: { لِعِبَادِنَا} و { عِبَادِيَ} تجد في ثناياها خالص التجرد بالعبودية لله، فلما جردوا التعبد لله وأخلصوه له؛ فلم يجعلوا في قلوبهم ميلاً-و لو قليلاً- لغيره أثابهم منه فتحاً ونصراً وتمكيناً .

ولذا نرى أن الأمة قد يَتَخَلَّفُ عنها النصر بسبب تعلُّقها بغير الله، وهذا من صُوَر صرف التعبُّد لغير الله، فلا عجبَ أن تخلَّف النصر عنّا، وحلَّت الهزيمة بنا، فما استنكف أحد عن التذلل لله، واتبع نفسَه ذليلة غير الله إلا زاده الله وهناً وخسارة .

وللعبودية في ساعات الشدة أثر بالغ في قرب الفرج، وبُدُو أمارات النصر:

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حَزَبَه أمرٌ فزَعَ إلى الصلاة، وجعل خير العبادة ما كان في زمن الهَرْجِ.

وحاله يوم بدر أكبر شاهد على ذلك؛ فقد جأر بالدعاء، واشتدَّ تضرُّعُه لربه وتذلله بين يديه، سائله أن يُعَجِّلَ بنصره الذي وَعَدَه إياه .

وهذه هي التي يُسْتَجْلَبُ بها نصر الله، وبدونها؛ وحين تخلُّفها وعدم الإتيان بما أراده الله؛ فهيهات أن ينصر من أعرض عن دينه، ولم يتبع هداه الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، واتبع ما أجلب به الكفار من حياة قِوَامُها على الرذيلة، والمعصية، بل ترك الشريعة كلها .

فعمود النصر التجرد لله بالعبودية؛ التي هي: تمام الذل له، وكمال المحبة له، ومنتهى الانقياد والاستسلام لدينه وشرعه. فمتى قامت الأمة بالتعبُّد لله والتذلل بين يديه؛ أضاء لها نور النصر واضحًا جليًا، تبصره قلوب الصالحين من أولياء الله العابدين، وتعمى عنه بل تُحرَمُه قلوب وأبصار من تعبَّد لغير الله . وكلما كان تعبُّد الأمة لله أتم كان نصر الله لها أكمل وأقرب ٣- نُصْرَةُ الله والنصر: قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ...[٧]}[سورة محمد]. نصر الله حليفُ قومٍ ينصرون الله ودينه، ويرفعون راية شريعته شامخة في أُفق العلياء .

أما من يخذل شريعته حين ضعفها؛ فليس له من نصر الله شيء. وما انتصر من انتصر من الصالحين إلا بسبب ما قاموا به من نصرةٍ لدين الله وشريعته . فمن قام ناصراً بلده، أو قومه، أو مبدأه ومذهبه المخالف لدين الله؛ فهو مخذول .

ومن قام ناصراً- ولو وَحْدَهُ- دين الله؛ فهو المنصور لا غيره، وهو المؤيد لا سواه، وهو الموعود بالتمكين .

فلتقم الأمةُ الطالبةُ نَصْرَ الله بنصرة دين الله، وإعلائه على الأديان كما أعلاه الله، حتى تنال موعود الله لها بالنصر، والتمكين في الأرض .

ومن نُصْرَة الله تعالى:

١- تحقيق الولاء والبراء.. فلا مداهنة في دين الله، ومحاباة لمخلوق أيًا كان، فدين الله فَرَّقَ بين المسلم والكافر، ولو كانا في القرابة بالمكان الذي لا يفرِّق بينهما فيه .

٢- تطهير الأرض من المنكرات والموبقات ؛ التي ما فتيء أصحابها يجاهرون بها مطلع النهار ومغربه، ويحاربون الله ليل نهار.

٣- القيام حمايةً لدين الله من أن يَمَسَّه دَنِيٌّ بسوء، أو أن يَقْصِدَه سافل بنقيصة .

٤- حراسة محارم الله وحفظها من أن يتعرَّض لها من سلبه الله العفاف والحشمة .

فمن قام بنُصْرَة الله ودينه؛ حَظِيَ بالنصر من الله، وظَفِرَ بالغلبة على عدوِّه .

٤- النصر من الله تعالى: قال تعالى: {...وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ...[١٣]}[سورة آل عمران]. وقال: {...وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...[١٢٦]}[سورة آل عمران]. وقال: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ[١٥٠] }[سورة آل عمران]. وقال: { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ...[١٦٠]}[سورة آل عمران].

فالنصر مِنْ الله ، وهو المانُّ به على عباده المؤمنين، فلا قُدُرَاتِهم، ولا عُدَدِهم جالبة لهم نصراً على عدوهم، ولا اعتداد بكل أسلحة المؤمنين إذا لم يُرِد الله لهم نصراً على عدوهم .

فلو كان النصر آتياً بقوى العباد؛ لما غلب المسلمون الضعفاء ظاهرًا أُمَمَ الكفر التي ملكت من آلات القتال ما الله به عليم . فمتى رجيَ المؤمنون النصر من غير الله فيا خيبتهم، ويا شؤم حالهم .

وحين ترى أحوال المسلمين في المعارك التي انهزموا بها ترى أن من أهم الأسباب: تعلُّقُ النفوس في طلب النصر بغير الله، ولنعتبر بغزوة حنين، فإن الهزيمة التي حصلت لهم إنما هي بسبب اغترارهم بقوة أنفسهم حيث قالوا:'لن نغلب اليوم من قِلَّة'.

قال ابن القيِّم رحمه الله في سرَدِهِ الفوائدَ المأخوذةَ من تلك الغزوة:'واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعُددهم، وقوة شوكتهم، ...، وليبيِّن سبحانه لمن قال:'لن نغلب اليوم من قلَّة' أن النصر إنما هو من عنده، وأنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه، لا كثرتكم التي أعجبتكم فلم تغن عنكم شيئاً، فوليتم مدبرين'[زاد المعاد [٣/٤٧٧]].

وهذا الذي حصل إنما هو من طائفة عُمِرَتْ قلوبهم بالتوكل على الله، والتعلُّق به، لكن لما انصرف القلب انصرافاً قليلاً عن الله؛ عُوقبوا بما ذكر الله بقوله: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا...[٢٥]}[سورة التوبة]. فكيف الحال بمن بعدهم ممن انصرفت قلوبهم لغير الله انصرافًا كُلِّيًا، والله المستعان؟!

ثانيًا:مبشرات النصر:

١- البشارة بظهور الدين: قال تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[٣٣]}[سورة التوبة]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ[١٠٥]}[سورة الأنبياء]. وقال تعالى:{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ[٢١]}[سورة المجادلة].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ]رواه أحمد.

فهذه نصوص قاطعة بأن الغالب هو دين الله، والواعد بذلك هو الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ والله لا يخلف الميعاد؛ فكيف إذا كان الميعاد نَصْر دينه، فمهما طال مُقامُ الكافر، ومهما استطال شرُّه وضرُّه، ومهما كِيْدَ بالمسلمين، ومهما نُكِّلَ بهم؛

فإن الغلبة لدين الله، وَعْداً من الله حقاً وصدقاً.. وهذا سيحدث لا محالة، فلا نستعجلَنَّ الأمور، ولا نسابق الأحداث .
٢- الطائفة الظاهرة: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ]رواه البخاري ومسلم. فهذه الطائفة قائمة إلى قيام الساعة، والنصرة لهم، والتأييد الإلهي معهم، وهذه الفرقة المنصورة من بواعث الأمل في نصرة الدين، ومن بشائر الرفعة لدين الله، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى أنها دائمة وموجودة إلى قيام الساعة .
ولكنه ضعف اليقين بموعود الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتعلُّق القلوب بالماديَّات والظواهر، وأساس ذلك كله ضعف الإيمان بالغيبيات التي هي أصل الإيمان.
فهل يجوز بعد هذا أن ييأس المسلمون من اكتناف نصر الله تعالى لعباده المؤمنين؟! وهل يجوز أن نُعَظِّمَ قوة الكفر وجبروته؟! وهل يجوز لنا أن نتخاذل عن البذل لدين الله.. ولو بأقلِّ القليل؟! وهل يجوز أن نعتقد خطأً أن هذه الطائفة لن تقوم، أو أنها قامت ولن تعود؟! أسئلة تفتقر إلى أجوبة فعلية لا قولية .
٣- الوعد الإلهي الحق: قال تعالى:{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...[٥٥]} [سورة النور]. وهذا الوعد قد تحقق في زمانه صلى الله عليه وسلم، وسيتحقق بعده حتى قيام الساعة،
فمتى توافرت الأوصاف التي ذكرها الله في هذه الآية في قوم؛ كانوا أحق بالتمكين من غيرهم مهما كانوا .
فحتى نظفر بالتمكين من الله لنعقد العزم على تطبيق شريعته في أحوال الناس اليومية، والسياسية، والاجتماعية .
عندها سننال النصر من الله بكل تأكيد ويقين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
٤- المدينتان المُنْتَظرَتان: قَالَ أَبُو قَبِيلٍ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي وَسُئِلَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا- يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ-] رواه أحمد والدارمي.
ومما يزيد في البشارة أن هذه المدينة قد فتحت على يد السلطان محمد الفاتح العثماني التركماني ؛ ولكن ليس هو الفتح المذكور في الأحاديث؛ لأن الفتح الذي في الأحاديث يكون بعد الملحمة الكبرى، وقبل خروج الدجال بيسير. [انظر: اتحاف الجماعة للتويجري [١/٤٠٤]].
ولفتح القسطنطينية الفتح الحق علامة واردة في أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، معروفة مشهورة، وهي :

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ- ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ ثُمَّ قَالَ- إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ- يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ-]رواه أبوداود وأحمد.
فإذا كان أن الفتح الذي حصل على يد محمد الفاتح ليس هوالفتح الوارد في الحديث فإنا لعلى يقين بقرب فتحين عظيمين لمدينتين كبيرتين، وهذا قريب، ووَعْدُ الله نافذ، ومُتحقق بإذنه تعالى .
٥- المعركة الفاصلة: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ]رواه البخاري ومسلم. وهذه المعركة هي الفاصلة بين المسلمين واليهود، وهي التي يُظْهِر فيها الله عباده المؤمنين، وينصرهم على اليهود بعدما ذاقوا منهم الأذى والنكال . ولم تأتِ بعد هذه المعركة وإنا على انتظارها، وهي آتيةٌ لا محالة إن شاء الله .
٦-محمد المنتظر: مما ثبت في السنة، واعتقده السلف الصالح، ودانوا لله به: ثبوت المهدي، وأنه سيخرج في آخر الزمان .
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي] رواه أبوداود والترمذي وأحمد. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا]رواه مسلم.
وأخباره متواترة تواتراً لا يعتريه شك .
وفي خروجه يكثر الخير، قال ابن كثير رحمه الله:'في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم' [النهاية في الفتن والملاحم [٣١/١]].
فهذا المهدي [محمد بن عبد الله] المنتظر لم يخرج بعدُ، وبخروجه يقوم الدين، ويرتفع الحق، ويخمد الباطل، وتتبدد كل قوة علت من قوى الباطل، وكل ما هو آت قريب، فصبر جميل.
ثالثًا:ساعات النصر:
١- اليأس والنصر: قال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ[٢١٤]} [سورة البقرة].
وقال تعالى:{ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ[١١٠]} [سورة يوسف]. فهذه صورة يَحِلُّ فيها اليأس على قلب العبد، ويُخَيِّم القنوط على نفوس الصالحين،
وإنها لصورة من أشد الصور، وأخطرها على نفوس المسلمين، فالنصر ينزل على العباد 'عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه'[تفسير ابن كثير [٤٩٧/٢]]. و'إنها لساعة رهيبة، ترسم مبلغ الشدة والكرب والضيق في حياة الرسل،وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود، وتمرُّ الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا القليل، وتكرُّ الأعوام والباطل في قوته، وكثرة أهله، والمؤمنون في عُدَّتِهم القليلة، وقوتهم الضئيلة'[في ظلال القرآن [٢٠٣٥/٤].

وإنا والله لنفرح بمثل هذه الساعة-لا لذاتها معاذ الله- ولكن لما فيها من بشائر النصر القريب، وأمارات ظهور الفجر الواعد ..نعم.. إنها ساعة فيها يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلَّق بها الناس، وسنة الله أن في مثل هذه الظروف التي يفقد المؤمنون فيها صبرهم، وتتكالب عليهم الشدائد من كل حَدْبٍ وصوب، وينالهم من أهل الشر والباطل كل أذى وسُخرية من ضعف قوتهم، وهوانهم على الناس؛ يلمح المؤمنون نور النصر يلوح، وشمسه تشرق في تمام الوضوح، فيزول عن القلب ما خَيَّمَ عليه من حُجُب وشوائب، وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم فيها تبيان لهذا.. فاعتبرها .

٢- المظلوم والنصر: الظلم شيمة من ابتلاه الله بالكبر والغطرسة، ومن هذا شأنه كان حريًّاً بأن يناله من الله عقاب لتقرَّ عين المظلوم بنكاية الله بالظالم، ونكاله به، فجعل الله دعوة المظلوم تسلك طريقها في السماء، وتكفل الله بنصرها ولو بعد حين، ووَعْدُ الله حق، وهذه بشارة عُظمى، إن نصر الله قريب، هذا كله في عموم الناس المسلم والكافر، فكيف إذا كان المظلوم أمة مسلمة لله، والظالم لها كافر لا يؤمن بالله رباً، ولا بمحمد نبياً، ولا بالإسلام ديناً، فأقول إن الأمر غاية في اليقين أن نصر الله قريب جداً .

وهذه ساعة من أهم ساعات الانتصار والغلبة أن يتمكن العدو من المسلمين، ويتحزبون عليهم من كل جانب من فوقهم، ومن تحتهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم..{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ[٣٩]}[سورة الحج]. فما على المؤمنين حال تلك الساعة إلا الجأر بالدعاء، والابتهال والتضرع بين يدي الله أن يُعجِّل بنصرهم، وأن يَخْذِل عدوَّهم[ويُحِلَّ عليهم غضبه وسخطه..وموعود الله قريب للمظلوم، والويل للظالم من عقاب الله .

رابعًا:حُجُبُ النَّصْر:

١-حجاب الكفر:قال الله:{ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ[٥٦]}[سورة آل عمران]. وقال تعالى:{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ...[١٢]}[سورة آل عمران]. وقال تعالى:{ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ[٤٤]سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ[٤٥]}[سورة القمر]. هذه آيات أنزلها الله في كتابه قضى فيها أن الكفر لن يغلب الإسلام مهما كانت له من القوى، ومهما ملك من العُدَد والعَدَد، ولقد صدق الله وَعْدَه، فنصر عبده، وأعز جُنْدَه، وهزم الأحزاب وَحْدَه.. فمهما قامت حروب ومعارك بين المسلمين والكفار؛ فإن الغالب هم المسلمون، والهزيمة لاحقة بالكفار ؛ وعد صادق من الله.. الكافرون سينفقون ما لديهم من أموال ورجال في حروب طاحنة مع المسلمين، ثم تكون عليهم حسرة، ثم يُغْلَبُوْن على أيدي المسلمين .

وإن انتصر الكفار على المسلمين فهو نصر مؤقَّتٌ لا يدوم؛ وهيهات له أن يدوم، والله قد كتب الغلبة لدينه ورسله وأوليائه الصالحين، والله لا يؤيد بنصره أمة قامت على كفر به، وصد عن سبيله .

٢- حجاب الظلم:قال تعالى:{...وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ[٢٧٠]}[سورة البقرة]. وقال تعالى:{...وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ[٨]}[سورة الشورى]. نعم ؛ إن الله

لا ينصر الظالم على المظلوم بل اقتضت حكمته أنه ينصر المظلوم على الظالم مهما كان المظلوم والظالم .
وما أكثر الظلم في المسلمين؛ والذي بسببه حُرِمْنا النصر على أعدائنا، فالظلم يمنع النصر كما في هذه الآيات وكما في حديث دعوة المظلوم وأنه ليس بينها وبين الله حجاب، والله تعالى قد وعد بأنه سينصرها ولوبعد حين .
فمتى طُهِّرَت الأمة من الظلم بجميع أنواعه وصوره؛ فإن نصر الله آتٍ، ووعده متحقق سواء في ذلك قرب الزمن أو بعده .
٣- حجاب النفاق: قال الله تعالى: {...إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا[١٤٥]} [سورة النساء]. بيَّن الله في هذه الآية أن نصرَه محرومٌ منه كل منافق دخيل في صفوف المسلمين، بل محروم منه كل من قرَّب المنافقين وأنالهم منه مكاناً مرموقاً، وجاهاً رفيعاً..إن النفاق ما وُجِدَ في قوم إلا أحلَّهم دار البوار، ومنعهم الخير والنصر، وما وُجِدَ المنافقون في أرض إلا مَكَّنُوا منها العدو على المسلمين، وأذلُّوا الصالحين من عباد الله.
فإذا ما طهُرَت الأرض، وسَلِمَت الأمة من هؤلاء 'المتلونين' استحقت النصر من الله على عدوها، وكان لها الظفر بالعدو.
وما مُنِعَ المسلمون النصر يوماً قط إلا بسبب ما كان منهم من تقريب لهؤلاء المنافقين، وحبٍّ لهم، ومجالسة معهم، وتمام وُدٍّ لهم.. إن النفاق في هذه الأزمان قد طال ريشه بين المسلمين، ودام مُقامُه بينهم، ونال أهلُه من المسلمين كل ما يريدونه، بل نال الصالحين المُبيِّنين حالهم وضلالهم الأذى منهم ومن أسيادهم. وحين تلتفت الأمة إلى هؤلاء المجرمين، وتبدأ بهم، وتنكِّل بهم؛ تنعم بعد ذلك بنصر من الله مؤزَّرٌ، وبإيفاء الله وعده لهم .
خاتمة البوابة:
في ختام الولوج من هذه البوابة العريقة..وفي نهاية المرور بها..آمل أن أكون قد وُفِّقتُ بوضع النقاط على حروفها، وأن أكون قد بعثت ما مات من آمالٍ كبار في نفوس قومي، وأسأل الله تعالى أن يُحيي ما مات من آمالنا، وأن ينصر دينه، وكتابه، وسنة نبيِّه صلى الله عليه وسلم، وعباده الله الصالحين
من رسالة:'بوابة النصر' للشيخ/ عبد الله بن سليمان العبد الله
===================

حقيقة الانتصار

تقديم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(١) [سورة آل عمران: الآية: ١٠٢]. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)(٢) [سورة النساء، الآية: ١].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)(٣) [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة، في النار.

وبعد:

فقد تأملت في واقع الدعوة اليوم، وما مرت به في خلال هذا العصر من محن وابتلاءات، ورأيت أن الأمة تعيش يقظة مباركة، وصحوة ناهضة، والدعاة يجوبون الآفاق، والجماعات الإسلامية انتشرت في البلدان، حتى وصلت إلى أوربا وأمريكا، وقامت حركات جهادية في بعض بلاد المسلمين كأفغانستان وفلسطين وأرتيريا والفلبين وغيرها.

ولكن لحظت أن هناك مفاهيم غائبة عن فهم كثير من المسلمين، مع أن القرآن الكريم قد بينها، بل وفصلها، ورأيت أن كثيرا من أسباب الخلل في واقع الدعوة والدعاة، يعود لغياب هذه الحقائق.

ومن هذه المفاهيم مفهوم "حقيقة الانتصار"، حيث إن خفاءه أوقع في خلل كبير، ومن ذلك: الاستعجال، والتنازل، واليأس والقنوط ثم العزلة، وهذه أمور لها آثارها السلبية على المنهج وعلى الأمة.

من أجل ذلك كله عزمت على بيان هذه الحقيقة الغائبة، ودراستها في ضوء القرآن الكريم.

وأسأل الله التوفيق والسداد والإعانة.

أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع وسببه من خلال الفهم الخاطئ لمعنى حقيقة انتصار الداعية، والخلط فيه بين معنى انتصار الداعية وبين انتصار الدعوة، وظهور الدين، حيث نتج عن هذا الفهم وهذا الخلط عدة أمور –سلبية– أهمها:

١– تصور كثير من الناس أن هذا الداعية لم ينتصر و لم ينجح في دعوته؛ لأنه لم يتمكن من تحقيق الأهداف التي يدعو إليها، ويسعى لتحقيقها، مما يؤدي إلى التشكيك في منهجه، وانصراف بعض المدعوين عنه.

٢– استعجال النتائج وتحقيق الأهداف.

مِن قِبَل كثير من الدعاة، فإن بعض الدعاة إذا بدأ في دعوته فإنه يرسم منهجًا جيدًا يسير من خلاله لتحقيق أهدافه، ولكن إذا مضى زمن و لم يتحقق شيء من ذلك، أو تحقق شيء يرى أنه لا يساوي الجهود المبذولة، فيقوم بتعديل منهجه السليم إلى منهج خاطئ يستعجل فيه الثمار، وذلك ناتج عن تصوره الخاطئ في فهم حقيقة ما يجب عليه، وإنه إذا لم تتحقق أهدافه فإنه لم يقم بما أوجبه الله عليه، غافلا عن الفرق بين الأمرين، أو جاهلا لذلك.

٣– الانحراف عن المنهج.

وذلك أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فالداعية ملزم بأن يلتزم بمنهج أهل السنة والجماعة، وهو ما كان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم وصحابته.

بل هو ما ورد في الحديث الصحيح: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ " (٤).

وهو ما نفهمه من قوله –تعالى–: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)(٥) [سورة الأنعام الآية: ١٥٣].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تبين وجوب الالتزام بمنهج الكتاب والسنَّة.

فبعض الجماعات والدعاة، حرصًا منهم على نصر الإسلام، وتصوروا منهم أن ظهور الدين وزوال الكفر والفساد مقياسا لنجاح دعوتهم، وأمام ضغط الظالمين ومساوماتهم، واستعجال الأتباع وعدم صبرهم، يسعى هؤلاء للحصول على بعض المكاسب نصرة لهذا الدين ودفاعا عنه، ولكن هذا الأمر قد يقتضي التنازل عن بعض أصول الإسلام، وهنا

يأتي الداعية إلى محاولة تطبيق قاعدة المصالح والمفاسد، فينحرف عن المنهج وهو لا يدري، ويستسلم لمساومات الأعداء وألاعيبهم.

٤- اليأس والقنوط ثم الاعتزال.

---

(١) - سورة آل عمران آية: ١٠٢.

(٢) - سورة النساء آية: ١.

(٣) - سورة الأحزاب آية: ٧٠-٧١.

(٤) - أخرجه أحمد: ١٢٦/٤، ١٢٧ وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجة (٤٣) والترمذي (٢٦٧٦) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٥) - سورة الأنعام آية: ١٥٣.

طريق الدعوة طريق طويل وشاق، مليء بالعقبات والمحن والابتلاءات، وقليل من الدعاة من يجتاز هذا الطريق وهو ثابت على دعوته، ملتزم بمنهجه.

وكثير من الدعاة عندما يسير في الطريق ثم يجد أن الأعوام تمضي وهو لم يحقق شيئا مما يدعو إليه، ويحاول إعادة الكرة مرة بعد أخرى، ولا يرى أثرا مباشرا لدعوته، تبدأ عنده الشكوك والأوهام، فمرة: يتهم نفسه، وأخرى قومه، وثالثة: أتباعه ومؤيديه، ثم يصل في النهاية إلى أن هؤلاء القوم لا تنفع معهم دعوة، ولا يستجيبوا لداع أو نذير، ويقول لنفسه: كفاني ما كفانيا، وعليك بخاصة نفسك والسلام، و(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ)(١) - [سورة البقرة، الآية: ٢٧٢] يفهمها فهما خاطئا- و(لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)(٢) [سورة المائدة، الآية: ١٠٥] يضعها في غير موضعها.

وهنا ييئس من قومه، ويقنط من هداية الله لهم، ثم يعتزل الدعوة ويترك القوم وشأنهم.

ومنشأ هذه النتيجة التي وصل إليها عدم إدراكه واستيعابه لحقيقة الانتصار، وأنه قد يكون صبره على قومه مع عدم استجابتهم أعظم له أجرا، وذخرا ونصرا، مما لو آمنوا بما يدعو إليه واتبعوه.

هذه الآثار -وغيرها- التي نتجت في أغلب أحوالها عن الخلط في مفهوم الانتصار، وعدم قدرة كثير من الدعاة التفريق بين انتصار الدين وبين انتصار الداعية.

ومما سبق تتضح أهمية هذا الموضوع، وحاجة الدعاة وطلاب العلــم إلى تجليتــه وبيانــه، وبخاصة أن القرآن الكريم، قد وردت فيه آيات كثيرة، تقرر مفهوم الانتصــار، ومهمــة الداعية، والفرق بين المهمة وبين النتيجة والأثر.

وفي الصفحات التالية تقرير لهذه الحقيقة وتجلية لها، ومن الله نستمد العون والتأييد.

مفهوم النصر وحقيقته

قال الله -سبحانه وتعالى-: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَــوْمَ يَقُــومُ الْأَشْهَادُ)(٣) [سورة غافر، الآية: ٥١].

وقال -سبحانه-: (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)(٤) [سورة الروم، الآية: ٤٧]. وقال: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)(٥) [سورة محمد، الآية: ٧]. وقال -جل ذكره-: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)(٦) [سورة الحج، الآية: ٤٠]. وقال: (وَلَقَدْ سَــبَقَتْ كَلِمَتُنَــا لِعِبَادِنَــا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)(٧) [سورة الصافات، الآيــات: ١٧١ - ١٧٣].

هذه الآيات وأمثالها تدل على انتصار الداعية، سواء أكان رسولا أو أحد المؤمنين، وهــذا الانتصار يكون في الحياة الدنيا قبل الآخرة.

والذي علمناه من القرآن والسنة، أن من الأنبياء من قتله أعداؤه ومثّلوا به، كيحيى وشعياء وأمثالهما، ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حــتى فــارقهم ناجيا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقا لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء، إذ أراد قومه قتله، ونجد من المؤمنين من يسام سوء العذاب، وفيهم من يلقــى في الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد، فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟ (٨) وقد طُردوا أو قتلوا أو عذبوا؟

نحن نعلم يقينا، أن وعد الله لا يتخلف أبدا، ومنشأ السؤال والإشكال أننا قصرنا النظــر على نوع واحد من أنواعه، وهو النصر الظاهر وانتصار الدين، ولا يلزم أن يكون هذا هو النصر الذي وعد الله به أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين.

والله قد وعدهم بالنصر، وهو متحقق لا شك في ذلك، ولا مرية، وذلك في الحياة الدنيا قبل الآخرة، لأن الله –سبحانه– قال: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)(٩) [غافر الآية: ٥١]. ومن أصدق من الله قيلا.

وتجلية لهذه القضية، وبيانا لهذا الجانب لا بد من إيضاح معنى النصر، وأنه أشمل مما يتبادر إلى أذهاننا، ويسبق إلى أفهامنا إن النصر له وجوه عدة، وصور متنوعة أهمها ما يلي:

---

(١) – سورة البقرة آية: ٢٧٢.

(٢) – سورة المائدة آية: ١٠٥.

(٣) – سورة غافر آية: ٥١.

(٤) – سورة الروم آية: ٤٧.

(٥) – سورة محمد آية: ٧.

(٦) – سورة الحج آية: ٤٠.

(٧) – سورة الصافات آية: ١٧١-١٧٣.

(٨) – انظر تفسير الطبري ٧٤/٢٤ وفي ظلال القرآن ٣٠٨٥/٥.

(٩) – سورة غافر آية: .٥١

١- أن النصر قد يكون بالغلبة المباشرة والقهر للأعداء على أيدي هؤلاء الأنبياء والرسل، كما حصل لداود وسليمان، عليهما السلام (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ)(١) [سورة البقرة، الآية: ٢٥١]. (وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (٢) [سورة الأنبياء، الآية: ٧٩]. (عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ)(٣) [سورة البقرة، الآية: ١٠٢]. (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)(٤) [سورة ص، الآية: ٣٥].

وكذلك موسى، عليه السلام، نصره الله على فرعون وقومه، وأظهر الدين في حياته، (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)(٥) [سورة الأعراف، ١٣٧]. (فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)(٦) [البقرة، الآية: ٥٠].

ونبينا محمد، صلى الله عليه وسلم نصره الله نصرا مؤزرا، وأهلك أعداءه في بدر، وما بعدها حتى ظهر دين الله، وقامت دوله الإسلام. (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً)(٧) [سورة

الفتح، الآية: ١]. (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً)(٨) [سورة النصر، الآيتان: ١- ٢].

وهذا النوع من الانتصار هو النصر الظاهر، وهو أول ما يتبادر إلى الأذهان عند إطلاق كلمة النصر، للأسباب التالية:

أ- لأنه نصر ظاهر يراه الناس ويحسون به.

ب- أنه هو الانتصار الذي يجمع بين انتصار الدين وظهوره وانتصار الداعية.

ج - أنه محبب إلى النفوس، وهو النصر العاجل، "والنفس مولعة بحب العاجل" ولذلك قال -سبحانه-: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)(٩) [سورة، الصف: ١٣].

٢- أن النصر قد يكون بإهلاك هؤلاء المكذبين، ونجاة الأنبياء والمرسلين، ومن آمن معهم، كما حدث لنوح، عليه السلام، حيث نجاه الله وأهلك قومه،)فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ)(١٠) [سورة القمر، الآيات: ١٠-١٤].

وكذلك قوم هود، (فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ)(١١) [سورة الأعراف، الآية: ٧٢].

وقوم صالح، (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)(١٢) [سورة الأعراف، الآية: ٧٨].

وقوم لوط، (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)(١٣) [سورة الأعراف، الآية: ٨٤].

وقوم شعيب، (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(١٤) [سورة الشعراء، الآية: ١٨٩]. إن أخذ المجرمين بالعذاب الأليم نصر عظيم للداعية، وكبت للمكذبين والمرجفين، والله يمهل ولا يهمل أبدا:

(فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(١٥) [سورة العنكبوت، الآية: ٤٠].

٣- قد يكون الانتصار بانتقام الله من أعدائهم، ومكذبيهم، بعد وفـــاة هـــؤلاء الأنبيـــاء والرسل، كما حدث مع من قتل يحيى، -عليه السلام- وشعياء، ومن حاول قتل عيســـى، عليه السلام، قال الإمام الطبري في تفسير الآية:

---

(١) - سورة البقرة آية: ٢٥١.

(٢) - سورة الأنبياء آية: ٧٩.

(٣) - سورة البقرة آية: ١٠٢.

(٤) - سورة ص آية: ٣٥.

(٥) - سورة الأعراف آية: ١٣٧.

(٦) - سورة البقرة آية: ٥٠.

(٧) - سورة الفتح آية: ١.

(٨) - سورة النصر آية: ١-٢.

(٩) - سورة الصف آية: ١٣.

(١٠) - سورة القمر آية: ١٠-١١-١٢-١٣-١٤.

(١١) - سورة الأعراف آية: ٧٢.

(١٢) - سورة الأعراف آية: ٧٨.

(١٣) - سورة الأعراف آية: ٨٤.

(١٤) - سورة الشعراء آية: ١٨٩.

(١٥) - سورة العنكبوت آية: ٤٠.

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)(١) [سورة غافر، الآية: ٥١] "إما بإعلائنا لهم على من كذبنا.. أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعـــد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به مـــن قتله له، وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم (٢) " وهذا يدخل

تحت قوله -تعالى-: (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ)(٣) [سورة محمد، الآية: ٤]. أي: لانتقم.

٤- أن ما يتصوره الناس هزيمة قد يكون هو النصر الحقيقي، كالقتل، والسجن والطرد والأذى.

أليس قتل الداعية شهادة في سبيل الله. (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(٤) [سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]. (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)(٥) [سورة يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧].

(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ)(٦) [سورة التوبة، الآية: ٥٢]. فقتل الداعية انتصار للداعية من عدة جوانب، أهمها:

(أ) الشهادة، وهي من أعظم أنواع الانتصار، (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)(٧) [سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠].

(ب) انتصار المنهج وظهوره، كما حدث لعبد الله الغلام عندما قتله الملك، فقال قوم: "آمنا بالله رب الغلام" (٨).

ونجد في العصر الحاضر سيد قطب -رحمه الله- كان قتله انتصارا لمنهجه الذي عاش من أجله، ومات في سبيله، حتى قال أحد الشيوعيين وهو في سجنه: إنني أتمنى أن أقتل كما قتل سيد وينتشر مبدئي وكتبي كما انتشرت كتب سيد قطب.

بل إننا وجدنا مطابع النصارى في لبنان تسارع إلى طباعة ونشر كتب سيد -يرحمه الله- كالظلال، والمعالم، وخصائص التصور الإسلامي، لما تدره من أرباح هائلة، نظرا لكثرة القراء والمستفيدين.

وهذا ما قصده سيد عندما قال: إن كلماتنا وأقوالنا تظل جثثا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء عاشت وانتفضت بين الأحياء.

(ج) الذكر الطيب بعد وفاته، قال إبراهيم، عليه السلام، (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِـــدْقٍ فِـــي الْآخِرِينَ)(٩) [سورة الشعراء، الآية: ٨٤]. والمقتول في سبيل الله له ذكر طيـــب عنـــد المؤمنين، وهذا أمر مشاهد ومحسوس.

وكذلك الطرد والإخراج، قد يكون انتصارا للداعية، حين يتصور كثير من الناس أن هذا هزيمة له، ولذا فإن الله -جل وعلا- قال عن رسوله، صلى الله عليه وسلم حين أخرجتـــه قريش من مكة. (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)(١٠) [سورة التوبة، الآية: ٤٠].

ولا شك أن خروجه من مكة كان انتصارا من عدة أوجه، أهمها:

(١) أن الله نجاه من المشركين، وحماه منهم، وأعماهم عنه، حيث أرادوا قتله.

(ب) أن الدعوة انتقلت إلى بيئة أخرى تحميها وتؤازرها بدل أن كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم محاربا مطاردا، وأصحابه يعذبون ويقتلون، ولا يتمكنون من إظهار عبادتهم لله كما حدث لهم في المدينة.

(ج) قيام دولة الإسلام في المدينة، وانطلاقة الجهاد بعد ذلك، ثم بدء دخول الناس في دين الله أفواجا.

وكذلك نجد أن هجرة الصحابة للحبشة كانت انتصارا لهم، وكبتا لأعـــدائهم، ولـــذلك لاحقتهم قريش إلى هنالك، ولكنهم عادوا خائبين حيث حماهم النجاشي، بل أسلم ودخل في دين الله !!

وقل مثل ذلك عن السجن والتعذيب والأذى، فإن انطلاقة الداعية قد تكون بدايـــة مـــن سجنه أو إيذائه.

فهذا داعية اتهم في عرضه من قبل أعدائه، وتصور كثير من الناس أن هذا الداعيـــة قـــد انتهى، ولن يكون له شأن بعد اليوم، ولكن كانت هذه التهمة انطلاقة كبرى لهذا الداعية، من عدة أوجه:

(١) انتصر على نفسه حيث عرف أن رهبة السجن أكبر من حقيقته، حيث أدخل السجن مرتين، فأصبحت لديه مناعة من الخوف أو الرهبة من غير الله.

(ب) تكشف له الباطل، وعرف زيف بعض من كان يتلبس بالحق تمويها وخداعا.

(جـ) عرف صديقه من عدوه، وكما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد عني كل خير ... عرفت بها صديقي من عدوي

---

(١) - سورة غافر آية: ٥١.

(٢) - تفسير الطبري ٧٤/٢٤.

(٣) - سورة محمد آية: ٤.

(٤) - سورة آل عمران آية: ١٦٩.

(٥) - سورة يس آية: ٢٦-٢٧.

(٦) - سورة التوبة آية: ٥٢.

(٧) - سورة آل عمران آية: ١٦٩-١٧٠.

(٨) - قطعة من قصة أصحاب الأخدود أخرجها مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب.

(٩) - سورة الشعراء آية: ٨٤.

(١٠) - سورة التوبة آية: ٤٠.

(د) زاد عدد طلابه ومحبيه، وكثر المستمعون للحق الذي يدعو إليه، فأصبحوا عشرات الآلاف بل ويزيدون.

(هـ) كبت الله أعداءه وخصومه، وتجرعوا كأس الهزيمة وهم ينظرون.

أليس هذا هو الانتصار في الحياة الدنيا قبل الآخرة؟! (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)(١) [سورة المنافقون، الآية: ٨]. وقبل أن نغادر هذا النوع من أنواع الانتصار، لا بد من الوقوف أمام حقيقة تخفى على الكثيرين، وهي نوع من أنواع انتصار الداعية، ذلك أن الداعية عندما يقتل أو يسجن أو يؤذى أو يطرد فإن خصمه قد ذاق ألوان الأذى المعنوي والعذاب النفسي قبل أن يقدم على ما أقدم عليه، بل وأحيانا بعد أن يفعل فعلته، فإنه لا يجد للراحة مكانا، ولا للسعادة طعما، ولذا فإن الحجاج بن يوسف عند ما قتل سعيد بن جبير، ذاق ألوان العذاب النفسي حتى كان لا يهنأ بنوم، ويقوم من فراشه فزعا ويقول: ما لي ولسعيد، حتى مات وهو في همه وغمه.

ولهذا جاء القرآن معبرا عن هذه الحقيقة، كما في سورة آل عمران، فقال -سبحانه-: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)(٢) [سورة آل عمران، الآيتان: ١١٩، ١٢٠].

وقال -سبحانه-: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً)(٣) [سورة الأحزاب، الآية: ٢٥].

بينما نجد الداعية يعيش في سعادة وهناء، قال الإمام الطبري في قوله -تعالى-: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)(٤) [سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣] قال: كان بعض أهل العربية يتأول ذلك، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة (٥) وهذا -أيضا- معنى حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم " عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله خير -وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن- إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (٦).

ولذلك قال شيخ الإسلام معبرا عن هذه الحقيقة: ماذا ينقم مني أعدائي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، قتلي شهادة، ونفيي سياحة، وسجني خلوة.

وهو ما عناه أحد الزهاد عندما قال: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من اللذة والنعيم لجالدونا عليه بالسيوف.

وهنا ندرك من المنتصر ومن المنهزم، وأن الانتصار والهزيمة أبعد معنى مما يراه الناس في الظاهر، بل هناك حقائق قد لا تدرك بالعيون، وصدق من قال:

اصبر على مضض الحسو

فالنار تأكل نفسها ... د فإن صبرك قاتله

إن لم تجد ما تأكله

٥- أن ثبات الداعية على مبدئه، هو انتصار باهر، وفوز ساحق، حيث يعلو على الشهوات والشبهات، ويجتاز العقبات بشجاعة وثبات، بل إنه لا يمكن أن يتحقق الانتصار الظاهر إلا بعد تحقق هذا الانتصار، فإبراهيم، عليه السلام، وهو يلقى في النار كان في قمة

انتصار، (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْــفَلِينَ)(٧) [سورة الصافات، الآيتان: ٩٧، ٩٨].

والإمام أحمد -رحمه الله- عندما ثبت على مبدئه في محنة القول بخلق القــرآن، ورفــض الاستجابة لجميع الضغوط ومحاولات التراجع كان في قمة انتصاره.

وأصحاب الأخدود وهم يلقون في النار، ولا يقبلون المساومة على دينــهم، ويفضــلون الموت في سبيل الله كانوا هم المنتصرين، (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُــوا بِاللَّــهِ الْعَزِيــزِ الْحَمِيدِ)(٨) [سورة البروج، الآية:٨].

ونجد هذا المعنى من معاني الانتصار في الحديث الذي رواه خباب عندما جاء إلى رســول الله، صلى الله عليه وسلم وقال له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ قال: " كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق بأثنتين ومــا يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه " (٩) الحديث.

فبين، صلى الله عليه وسلم أن الانتصار هو الثبات على الدين، وعدم التراجع مهما كانت العقبات والمعوقات.

---

(١) - سورة المنافقون آية: ٨.

(٢) - سورة آل عمران آية: ١١٩-١٢٠.

(٣) - سورة الأحزاب آية: ٢٥.

(٤) - سورة الصافات آية: ١٧١-١٧٢-١٧٣.

(٥) - تفسير الطبري ٢٣/١١٤.

(٦) - أخرجه مسلم (٣٩٩٩).

(٧) - سورة الصافات آية: ٩٧-٩٨.

(٨) - سورة البروج آية: ٨.

(٩) - أخرجه البخاري (٣٦١٢).

٦ -أن النصر قد يكون بقوة الحجة، وصحة البرهان، قال الإمام الطبري في قوله تعالى:)وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ)(١) [سورة الصافات، الآيتان: ١٧١، ١٧٢]. يقول -تعالى ذكره- ولقد سبق منا القول لرسلنا أنهم لهم المنصورون، أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج.

قال السدي: (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ)(٢) بالحجج. (٣)

وقال الطبري في قوله -تعالى-: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ)(٤) أي فجعلنا قوم إبراهيم الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة. (٥).

وكذلك نجد هذا المعنى في قوله – تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ)(٦) [سورة الأنعام، الآية: ٨٣]. والرفع هو الانتصار.

وكذلك في سورة البقرة بعد أن ذكر الله محاجة الذي كفر لإبراهيم في ربه، قال الله – تعالى- (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)(٧) [سورة البقرة، الآية: ٢٥٨]. والبهت هو الهزيمة، أي انهزم الكافر وانتصر إبراهيم بالحجة والبرهان.

إذن فانتصار الداعية بقوة حجته هو انتصار حقيقي، بل هو وسيلة من أهم وسائل انتصار الدين وظهوره.

٧- أن انتصار الداعية، غير محصور في زمان أو مكان، فزمانه الحياة الدنيا ثم الآخرة، ومكانه أرض الله الواسعة.

ولذا فقد يضطهد الداعية في مكان وينتصر في مكان آخر، كما حدث لنبينا محمد، صلى الله عليه وسلم فقد اضطهد في مكة، ثم انتصر في المدينة أولا ثم في مكة ثانيا.

وموسى، عليه السلام، اضطهد في أرض فرعون وانتصر بعد ذلك في مكان آخر، وقد يضطهد الداعية في زمان، ثم ينتصر في زمان آخر. كما حدث لشيخ الإسلام ابن تيمية، فمات في سجنه -رحمه الله- ولكن انتصرت دعوته أعظم الانتصار بعد عدة قرون من وفاته ولا تزال.

وهذا أمر معلوم ومشاهد، فكم من داعية هزم في مكان وانتصر في مكان آخر، وأوذي في زمان وانتصر في زمان آخر، سواء في حياته أو بعد وفاته.

٨- أخيرا، فإن النصر قد يكون بالمنع، أي بحماية الداعية ومنع أعدائه من الوصول إليـــه، قال -سبحانه-: (وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ)(٨) [سورة البقرة، الآية: ٤٨]. أي يمنعون (٩) وقال- جل وعلا-: (فَاصْدَعْ بِمَا تُــؤْمَرُ وَأَعْــرِضْ عَــنِ الْمُشْــرِكِينَ إِنَّــا كَفَيْنَــاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)(١٠) [سورة الحجر، الآية: ٩٤، ٩٥].

قال الإمام الطبري في معنى هذه الآية: فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئا سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك، كما كفاك المستهزئين. (١١).

وقال -سبحانه-: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)(١٢) [سورة المائدة، الآية: ٦٧].

هذه بعض أوجه النصر، بل أهم أنواع النصر، ولو تأملنا في هذه الأوجه ثم نظرنا إلى سيرة الأنبياء والرسل، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، لوجدنا أن كل واحد منهم قد تحقق له نوع من هذه الأنواع أو أكثر من نوع، كما حدث لنبينا محمد، صلى الله عليـــه وسلم فقد انتصر بظهور الدين وتمامه، وانتصر بإهلاك من كذبه في بدر ومـــا بعـــدها، وانتصر، وهو يخرج من مكة، وانتصر بالحجة والبرهان، وانتصر بالمنع من الأعداء، وانتصر في مكان غير بلده، وانتصر بالثبات على دين الله والصدع بكلمة الحق، (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)(١٣) [سورة الإسراء، الآية: ٧٤].

ويتفاوت الأنبياء والرسل، عليهم السلام، في الانتصارات التي حققوها، ولكن وعد الله قد تحقق لهم (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْــدَنَا لَهُــمُ الْغَالِبُونَ)(١٤) [سورة الصافات، الآيات: ١٧١، ١٧٢، ١٧٣].

وكذلك كل مؤمن صادق فسيتحقق له الانتصار، سواء في حياته أم بعد مماته تحقيقا لوعد الله: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْــهَادُ)(١٥) [ســورة غافر، الآية: ٥١].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا المفهوم الشامل للانتصار، وأنه لا يجوز لنا أن نحــدد نــوع الانتصار الذي نريده.

---

(١) - سورة الصافات آية: ١٧١-١٧٢.

(٢) - سورة الصافات آية: ١٧٢.

(٣) – تفسير الطبري ٢٣/١١٤.

(٤) – سورة الصافات آية: ٩٨.

(٥) – تفسير الطبري ٢٣/٧٥.

(٦) – سورة الأنعام آية: ٨٣.

(٧) – سورة البقرة آية: ٢٥٨.

(٨) – سورة البقرة آية: ٤٨.

(٩) – انظر تفسير الطبري ١/٢٦٩ وهو قول لابن عباس.

(١٠) – سورة الحجر آية: ٩٤-٩٥.

(١١) – تفسير الطبري ١٤/٦٩.

(١٢) – سورة المائدة آية: ٦٧.

(١٣) – سورة الإسراء آية: ٧٤.

(١٤) – سورة الصافات آية: ١٧١-١٧٢-١٧٣.

(١٥) – سورة غافر آية: ٥١.

فالأمر لله من قبل ومن بعد، ولسنا سوى عبيد له، سبحانه، نسعى لتحقيق عبوديته، ومن كمال العبودية أن نعلم ونوقن يقينا جازما لا شك فيه أن وعد الله متحقق لا محالة، ولكننا قد لا ندرك حقيقة هذا الأمر لحكمة يعلمها الله، وقد يتأخر النصر ابتلاء وامتحانا، وصدق الله العظيم: (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)(١) [سورة الروم، الآية: ٤٧].

ما مهمتنا ؟

من أجل أن نفقه حقيقة الانتصار لا بد من أن نعرف المهمة التي كلفنا الله بها فبمقدار القيام بهذه المهمة يتحقق الانتصار.

هل مهمتنا أن نقوم بهداية الناس؟ أو مهمتنا أن نسعى ونجد في دعوة الناس للهداية والإيمان؟.

هل مهمتنا أن نجبر الناس على الإيمان؟ أو مهمتنا أن نبين لهم الطريق إلى الإيمان؟ إن مهمة الأنبياء والرسل والدعاة تتلخص في كلمة واحدة، إنها: البلاغ.

بل إن مسئوليتهم محصورة في هذا الجانب وحده.

والآيات في هذا كثيرة، جاءت مقررة لهذه الحقيقة، التي تغيب عن أذهان كثير من الدعاة والمصلحين.

ونقف قليلا مع بعض هذه الآيات: قال -سبحانه-: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(٢) [سورة النحل، الآية: ٣٥]. وقال: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(٣) [سورة النور، الآية: ٥٤]. وقال في سورة الشورى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ)(٤) [سورة الشورى الآية: ٤٨]. وفي سورة أخرى: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(٥) [سورة التغابن، الآية: ١٢] وفي المائدة: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(٦) [سورة المائدة، الآية: ٩٢].

قال الإمام الطبري في قوله -تعالى-: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ)(٧) [سورة آل عمران، الآية: ٢٠]. إن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام، وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي، وأداء ما كلفتك من طاعتي (٨).

وقال ابن عاشور في الآية نفسها: وإن تولوا وأعرضوا عن قولك لهم: آسلمتم، فليس عليك من إعراضهم تبعة، فإنما عليك البلاغ، فقوله: (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ)(٩) وقع موقع جواب الشرط، وهو في المعنى علة الجواب، فوقوعه موقع الجواب إيجاز بديع، أي لا تحزن، ولا تظنن أن عدم اهتدائهم، وخيبتك في تحصيل إسلامهم، كان لتقصير منك، إذ لم تبعث إلا للتبليغ، لا لتحصيل اهتداء المبلغ إليهم (١٠).

ومن أجل تأكيد هذه الحقيقة، وهي أن مهمة الأنبياء والرسل هي البلاغ، جاءت آيات أخرى تبين أن هداية الناس ليست لا للأنبياء ولا للرسل ولا لغيرهم، قال -سبحانه-: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)(١١) [سورة يونس، الآية: ٩٩]. وقال -جل وعلا -: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)(١٢) [سورة القصص، الآية: ٥٦]. وقال: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً)(١٣) [سورة الكهف، الآية: ٦]. ومثلها:)(لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)(١٤) [سورة الشعراء، الآية: ٣].

وفي سورة أخرى: (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)(١٥) [سورة فاطر، الآية: ٨].

وتتحدد مهمتنا بقول الحق -وهو البلاغ- كما في هذه الآية: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)(١٦) [سورة الكهف، الآية: ٢٩].

ونختم هذه الآيات بهاتين الآيتين: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)(١٧) [سورة الأنعام، الآية: ٣٥].

أما آية الذاريات فجاءت مؤكدة المعنى بأسلوب آخر: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)(١٨) [سورة الذاريات، الآيتان: ٥٤، ٥٥].

---

(١) – سورة الروم آية: ٤٧.

(٢) – سورة النحل آية: ٣٥.

(٣) – سورة النور آية: ٥٤.

(٤) – سورة الشورى آية: ٤٨.

(٥) – سورة التغابن آية: ١٢.

(٦) – سورة المائدة آية: ٩٢.

(٧) – سورة آل عمران آية: ٢٠.

(٨) – انظر تفسير الطبري ٢١٥/٣.

(٩) – سورة آل عمران آية: ٢٠.

(١٠) – التحرير والتنوير ٢٠٥/٣.

(١١) – سورة يونس آية: ٩٩.

(١٢) – سورة القصص آية: ٥٦.

(١٣) – سورة الكهف آية: ٦.

(١٤) – سورة الشعراء آية: ٣.

(١٥) – سورة فاطر آية: ٨.

(١٦) – سورة الكهف آية: ٢٩.

(١٧) – سورة الأنعام آية: ٣٥.

(١٨) – سورة الذاريات آية: ٥٤-٥٥.

هذه بعض الآيات التي وردت في كتاب الله محددة مهمة الأنبياء والرسل والدعاة، ونافية أي مهمة أخرى قد يتصور الدعاة أنها من مسئوليتهم، وهي ليست كذلك.

إن مهمتنا هي البلاغ، وليس الإكراه، والسعي لهداية الناس، وليس تحقيق هدايتهم، واتخاذ الخطوات والسبل المشروعة لتغيير الواقع السيئ، لا تغيير الواقع.

إننا عندما ندرك هذه الحقائق، ونتعامل معها، نفهم حقيقة النصر الذي نسعى للفوز به، ونعلم من المنتصر ومن المهزوم، وعندما تغيب هذه الأسس والأصول والمنطلقات قد يحيد الداعية عن الطريق، ويخشى أن يكون ممن قال الله فيه:)قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) (١) [سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤] وإن كانت هاتان الآيتان في الكفار، فإن معناهما قد يشمل في بعض مدلوله أولئك.

أمثلة من القرآن

تأصيلا لهذا المفهوم، ومزيد بيان لهذه القضية، سأختار أمثلة من كتاب الله، تقصّ سير الأنبياء والمرسلين وبعض الدعاة من الأمم السابقة، حيث يتضح من خلال هذه القصص، المنهج الذي سلكه أولئك، والنتائج التي حققوها، ليكون عبرة ونبراسًا لنا ومن يأتي بعدنا.

وسأعرض كل قصة بالقدر الذي أرى أنه يحقق الغرض من إيرادها، مقتصرًا على أبرز هذه القصص، وأقربها صلة بموضوعنا.

١- قصة نوح

ذكر الله -سبحانه وتعالى- نوحا، عليه السلام، في تسع وعشرين سورة من سور القرآن، وقد جاء في بعضها في أكثر من موضع، ومنها سورة نزلت بكاملها في نوح وقومه، وهي سورة نوح.

إن قصة نوح مع قومه قصة عظيمة مليئة، بالدروس والعبر، ومما يكسبها أهمية خاصة ما تميزت به، ومن ذلك:

(أ) أن نوح، عليه السلام، أول رسول إلى البشر، وكل أول له خصوصيته وميزته.

(ب) طول المدة التي قضاها في قومه، حيث مكث (٩٥٠) سنة.

(جـــ) أن نوحا، عليه السلام، من أولي العزم من الرسل.
(د) كثرة وروده في القرآن، حيث ورد (٤٣) مرة. في (٢٩) سورة من سور القرآن، أي في ربع سور القرآن - تقريبا (٢).

وسأذكر بعض الآيات التي وردت تقص علينا سيرة نوح مع قومه، ثم أقف بعض الوقفات حولها:

قال -سبحانه وتعالى- في سورة الأعراف: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(٣) [سورة الأعراف، الآية: ٥٩].

هذا جوهر دعوة نوح، حيث دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده، وحذرهم من مغبة مخالفته.

وتأتي مرحلة أخرى يواجه فيها قومه بعد استكبارهم وعدم استجابتهم، قال -سبحانه- في سورة يونس: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ)(٤) [سورة يونس، الآية: ٧١].

وتأتي أطول قصة لنوح مع قومه في سورة هود، حيث حاجهم وجادلهم وبين لهم طريق الهداية، حتى قالوا: (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(٥) [سورة هود، الآية: ٣٢].

ثم يبين الله له النهاية في هؤلاء (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)(٦) [سورة هود، الآيتان: ٣٦، ٣٧].

ونقف بعض الوقفات المهمة حول قصة نوح، مما له ارتباط بموضوعنا:

١- كم لبث نوح في قومه؟ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً)(٧) [سورة العنكبوت، الآية: ١٤].

٢- ما هي الأساليب التي اتخذها نوح لتبليغ رسالة ربه؟ لقد اتخذ كل وسيلة مشروعة في محاولة لهدايتهم وتعبيدهم لله؛ (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائي إِلَّا فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا

وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً)(٨) [سورة نوح، الآيات: ٥-٩].

٣- ماذا كانت النتيجة من هؤلاء؟:

---

(١) - سورة الكهف آية: ١٠٣-١٠٤.

(٢) - لأن سور القرآن (١١٤)، و (٢٩) ربع (١١٦).

(٣) - سورة الأعراف آية: ٥٩.

(٤) - سورة يونس آية: ٧١.

(٥) - سورة هود آية: ٣٢.

(٦) - سورة هود آية: ٣٦-٣٧.

(٧) - سورة العنكبوت آية: ١٤.

(٨) - سورة نوح آية: ٥-٦-٧-٨-٩.

(قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ)(١) [سورة الشعراء، الآية: ١١١] ثم قالوا: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)(٢) سورة [الشعراء، الآية: ١١٦].

٤- من آمن مع نوح؟ لم يؤمن معه إلا قليل، حتى إن زوجته لم تؤمن به، وكذلك أحد أبنائه، ولنقرأ هذه الآيات:

(قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)(٣) [سورة هود، الآية: ٤٠].

(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)(٤) [سورة هود، الآية: ٤٥.] (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)(٥) [سورة هود، الآية: ٤٦].

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)(٦) [سورة التحريم، الآية: ١٠].

٥- وأخيرا ماذا قال نوح، عليه السلام؟ (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(٧) [سورة الشعراء، الآيتان: ١١٧، ١١٨]. (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ)(٨) [سورة القمر، الآية: ١٠]. (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)(٩) [سورة نوح، الآيتان: ٢٦، ٢٧].

٦- وتحقق الانتصار لنوح بعد هذه الرحلة الشاقة العسيرة: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)(١٠) [سورة القمر، الآيات: ١٠-١٥].

هذه قصة نوح، ومع هذه السنوات التي قضاها، بل القرون، حيث لبث قرابة عشرة قرون، ماذا كانت النتيجة؟

(أ) لم يؤمن من قومه إلا قليل، قيل: إنهم ثلاثة عشر بنوح، عليه السلام، قال ابن إسحاق: نوح وبنوه الثلاثة، سام، وحام، ويافث، وأزواجهم، وستة أناس ممن كان آمن به (١١).

(ب) لم تؤمن زوجته ولا أحد أبنائه كما سبق، وهم أقرب الناس إليه.

(جـ) ومع ذلك، فإنه يعد منتصرا، بل إنه حقق أعظم الانتصارات، ويتمثل ذلك فيما يلي:

١- صبره وثباته طوال هذه القرون، وعدم ميله إلى محاولات قومه -وحاشاه من ذلك- أو تأثره باستهزائهم وسخريتهم (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)(١٢) [سورة هود، الآية: ٣٨].

٢- حماية الله له من كيدهم ومؤامراتهم: (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)(١٣) [سورة الشعراء، الآية: ١١٦].

٣- إهلاك قومه الذين كذبوه بالغرق، (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ)(١٤) [سورة الأعراف، الآية: ٦٤].

٤- نجاة نوح ومن آمن معه، (فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ)(١٥) [سورة الأعـــراف، الآية: ٦٤]. (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)(١٦) [سورة القمر، الآيتان: ١٣، ١٤].

٥- إن قصة انتصار نوح وإهلاك قومه أصبح آية يعتبر بها، وجعل الله لنوح لسان صـــدق في الآخرين (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)(١٧) [سورة القمر، الآية: ١٥].

---

(١) – سورة الشعراء آية: ١١١.

(٢) – سورة الشعراء آية: ١١٦.

(٣) – سورة هود آية: ٤٠.

(٤) – سورة هود آية: ٤٥.

(٥) – سورة هود آية: ٤٦.

(٦) – سورة التحريم آية: ١٠.

(٧) – سورة الشعراء آية: ١١٧-١١٨.

(٨) – سورة القمر آية: ١٠.

(٩) – سورة نوح آية: ٢٦-٢٧.

(١٠) – سورة القمر آية: ١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥.

(١١) – انظر تفسير الطبري ٢١٥/٨.

(١٢) – سورة هود آية: ٣٨.

(١٣) – سورة الشعراء آية: ١١٦.

(١٤) – سورة الأعراف آية: ٦٤.

(١٥) – سورة الأعراف آية: ٦٤.

(١٦) – سورة القمر آية: ١٣-١٤.

(١٧) – سورة القمر آية: ١٥.

(ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً)(١) [سورة الإسراء، الآية: ٣]. (سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)(٢) [سورة الصافات، الآية: ٧٩]. (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(٣) [سورة آل عمران، الآية: ٣٣].

وهكذا تتضح حقيقة النصر، من خلال قصة نوح وقومه.

وقبل أن أتجاوز قصة نوح، عليه السلام، وقفت عند آية وردت في سورة نوح، حيث، قال: (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)(٤) [سورة نوح، الآية: ٢٧].

وبما أنه لم يكن في الأرض يومئذ إلا قوم نوح، وقد كفروا بالله، وتمردوا على رسوله، سوى فئة قليلة هي التي آمنت به، فإن الله -سبحانه- أهلك جميع من في الأرض، يومئذ سوى نوح ومن آمن معه، حماية للمنهج الذي ذكر نوح أنه معرض للزوال إن بقي هؤلاء، فأهلك هؤلاء على كثرتهم من أجل عدد من البشر يحملون الحق ويذودون عنه. والدليل على أنه لم يبق سوى من يحمل رسالة التوحيد أن الله -تعالى- قال: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)(٥) [سورة الإسراء، الآية ٣]. قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: وذلك أن كل من على الأرض من بني آدم فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة.

قال قتادة: والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة.

قال مجاهد: بنوه ونساؤهم ونوح (٦).

وقيل هم ثلاثة عشر، رجالا ونساء (٧).

قال -سبحانه-: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)(٨) [سورة نوح، الآية: ٥٨]. إن الانتصار وهو انتصار المنهج لا الأفراد، والعبرة ليست بكثرة المؤمنين والمستجيبين للحق، وإنما في المنهج الذي يحمله أولئك سواء أقلوا أم كثروا، ولذا فإن بضعة نفر أو يزيدون، ولا يتجاوزون ثلاثة عشر فردا يحملون الإسلام ويحققون معنى العبودية، يهلك أهل الأرض جميعا حماية لهؤلاء وللمنهج الذي يمثلونه ويحملونه، ما دام أن هناك خطرا يهدد بزوالهم، ومن ثم زوال المنهج الذي يحملونه: (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)(٩) [سورة نوح، الآية: ٢٧].

ولهذا قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم في بدر وهو يناجي ربه: " اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض... " (١٠) الحديث. واستجاب الله لمحمد، صلى الله عليه وسلم ونصره في بدر وما بعدها، كما استجاب لنوح، عليه السلام، من قبله.

ومن علامات انتصار دين الإسلام، أنه لن تستطيع قوة في الأرض أن تهلك جميع المؤمنين كما كان يخشى في عهد نوح أو في أول الرسالة -كما سبق-، لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم بين هذا كما ورد في الحديث الصحيح: " لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " (١١).

٢- أصحاب القرية

وهي القصة التي ذكرها الله في سورة (يس)، ولنقرأ هذه الآيات: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)(١٢) [سورة يس، الآيات: ١٣-١٨]. قرية واحدة، وهي قرية أنطاكية كما ذكر المفسرون، يرسل إليها رسولان، وعندما لم يؤمن بهما أهل هذه القرية، يرسل الله ثالثا، ومع ذلك فيبقى هؤلاء على إصرارهم وكفرهم، وما زادهم إرسال الرسول الثالث إلا عتوا ونفورا، بل هددوا برجم هؤلاء الرسل وقتلهم: (لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)(١٣) [سورة يس، الآية: ١٨].

---

(١) - سورة الإسراء آية: ٣.

(٢) - سورة الصافات آية: ٧٩.

(٣) - سورة آل عمران آية: ٣٣.

(٤) - سورة نوح آية: ٢٧.

(٥) - سورة الإسراء آية: ٣.

(٦) - انظر تفسير الطبري ١٥/١٩.

(٧) – انظر تفسير الطبري ٢١٥/٨.

(٨) – سورة مريم آية: ٥٨.

(٩) – سورة نوح آية: ٢٧.

(١٠) – أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(١١) – أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(١٢) – سورة يس آية: ١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨.

(١٣) – سورة يس آية: ١٨.

وهل انتهت القصة عند هذا الحد، بل جاءهم رجل رابع، وهو من بني جلدهم وناصح لهم، (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)(١) [سورة يس، الآية: ٢٠]. ويستمر في حواره معهم ودعوهم، وهذه المرة لم يهددوه، كما هددوا من قبله بل قتلوه عندما خالفهم، وهذا شأن الطغاة فإهم لا يتحملون أن يخالفهم أحد من بني قومهم أو حاشيتهم.

وهكذا ثلاثة رسل وداعية من أهل هذه القرية لقرية واحدة، ومع ذلك لم يستجيبوا للدعاة، و لم يكتفوا بعدم الاستجابة، بل هددوا الرسل -وقيل قتلوهم- وقتلوا الداعية الرابع.

إن مقاييس الأرض تظهر أن هؤلاء الرسل لم ينتصروا و لم يحققوا أهدافهم، وأن هذا الداعية استعجل في الكشف عن هويته وإيمانه، ولذلك لقي جزاءه؟ هكذا يقوم الحدث في نظر من لم يفهم حقيقة الانتصار، ولا معنى الهزيمة.

أما منطق الحق، ومنهج النبوة، فيعلن أن هؤلاء قد نصروا نصرا مؤزرا، وأن أصحاب القرية هم الخاسرون، ويتمثل النصر في الحقائق التالية:

١- أن هؤلاء الرسل قد بلغوا رسالة الله، و لم يستسلموا لشبه أهل القرية أولا، وتهديدهم ثانيا، وهذه هي مهمتهم: (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(٢) [سورة يس، الآية: ١٧]. ومن أدى ما عليه فقد انتصر وفاز ونجح.

٢- إيمان رجل من أهل القرية بهم، وتأييده لهم علانية، يعد نصرا وانتصارا لـه ولهم، ولذلك كان رد أهل القرية عنيفا تجاهه، لأنهم شعروا بخذلانه لهم، وخذلانهم نصر لأولئك الرسل.

٣- أن قتل هذا الداعية نصر له ولمنهجه (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ)(٣) [سورة التوبة: ٥٢]. ولذلك، (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ)(٤) [سورة يس، الآية: ٢٦]. فتمنى أن يعلن عن فوزه وانتصاره، (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)(٥) [سورة يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧].

٤- وتتويجا لانتصارات هؤلاء الرسل وهذا الداعية، جاءت النهاية المحققة: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)(٦) [سورة يس، الآيتان: ٢٨، ٢٩].

إن الدعاة في أمس الحاجة إلى أن يقفوا مع قصة أصحاب القرية، ويتدبروا أبعادها ونهاياتها.

ثلاثة رسل، وداعية مخلص صادق لقرية واحدة، ومع ذلك فلم يؤمنوا، وعدم إيمانهم لم يفت في عضد هؤلاء الرسل، و لم يمنع هذا الداعية من قول كلمة الحق، دون استعجال أو تنازل أو يأس.

بل إن هذا الداعية، كما ورد عند الطبري، كان يقول أثناء قتل قومه له: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"، بل إننا نلمس من قوله (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ)(٧) أنه لا يقول هذا تشفيا ولا من أجل إغاظتهم، ولكن من أجل هدايتهم، لأنهم إذا علموا أنه كان على الحق وقد قالوا للرسل: (وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)(٨) [سورة يس، الآية: ١٥]. كان أرجى لهدايتهم.

وهذا من حرصه على هداية قومه، وهكذا يكون الداعية، محبا لهداية الناس، لا يحمل الحقد ولا الضغينة، وهذا هو الانتصار على النفس الذي يسبق الانتصار الظاهر، ومن حرم الانتصار على نفسه، فلن ينتصرعلى غيره.

٣- أصحاب الأخدود

قال الله – تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(٩) [سورة البروج، الآية: ٤-٨].

قصة أصحاب الأخدود قصة عجيبة، تصور لنا معنى من معاني الانتصار الذي نتحدث عنه، وتبين أن استجابة الناس، أو ظهور الدين ليس هو المقياس الوحيد للانتصار، بل إن ثبات الداعية وانتصار المنهج هو قمة الانتصار.

ولأهمية هذه القصة، فسأذكرها بتمامها، كما أوردها العلامة ابن كثير -رحمه الله- حيث قال في تفسير هذه الآيات:

---

(١) - سورة يس آية: ٢٠.

(٢) - سورة يس آية: ١٧.

(٣) - سورة التوبة آية: ٥٢.

(٤) - سورة يس آية: ٢٦.

(٥) - سورة يس آية: ٢٦-٢٧.

(٦) - سورة يس آية: ٢٨-٢٩.

(٧) - سورة يس آية: ٢٦.

(٨) - سورة يس آية: ١٥.

(٩) - سورة البروج آية: ٤-٥-٦-٧-٨.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني، وحضر أجلي، فادفع إلي غلاما لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاما كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن

يضربوك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر، قال: فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي.

فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم (١) وكان للملك جليس فعمي، فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني، فقال ما أنا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي. فقال: أنا؟ قال: لا، ربي وربك الله، قال: أولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني: بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص، وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل قال: أنا؟ قال: لا، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه -أيضا- بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، فقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك، فقال: كفانيهم الله -تعالى- فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله -تعالى- ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي، ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل

ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه، وقال: بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام.
فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخدد فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنما تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق " (٢).
هذه قصة أصحاب الأخدود بطولها، وقد أوردتها لأهميتها، وقد أعجبت بما قاله سيد قطب -رحمه الله- حول هذه القصة مبينا حقيقة الانتصار فيها، ولذا سأذكر بعض ما قاله، ثم أضيف ما أراه حولها مما له صلة بموضوعنا:
وكان مما قال -رحمه الله-: (٣)
"في حساب الأرض يبدو أن الطغيان قد انتصر على الإيمان، وأن هذا الإيمان الذي بلغ تلك الذروة العالية، في نفوس الفئة الخيرة الكريمة الثابتة المستعلية، لم يكن له وزن ولا حساب في المعركة التي دارت بين الإيمان والطغيان".
في حساب الأرض تبدو هذه الخاتمة أسيفة أليمة.
حساب الأرض يجيك في الصدر شيء أمام هذه الخاتمة الأسيفة.
ولكن القرآن يعلم المؤمنين شيئا آخر، ويكشف لهم عن حقيقة أخرى.
إن الحياة وسائر ما يلابسها من لذائذ وآلام، ومن متاع وحرمان، ليست هي القيمة الكبرى في الميزان، وليست هي السلعة التي تقرر حساب الربح والخسارة، والنصر ليس مقصورا على الغلبة الظاهرة، فهذه صورة واحدة من صور النصر الكثيرة.

---

(١) - بإذن الله.
(٢) - رواه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه [٧٣ - (٣٠٠٥) كتاب الزهد].
(٣) - سأختار من كلامه ما له صلة بهذا الموضوع.

إن الناس جميعا يموتون، وتختلف الأسباب، ولكن الناس لا ينتصرون -جميعا- هذا الانتصار، ولا يرتفعون هذا الارتفاع، ولا يتحررون هذا التحرر، ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفاق، إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده، تشارك الناس في الموت، وتنفرد دون -كثير من- الناس في المجد، المجد في الملأ الأعلى، وفي دنيا الناس -أيضا- إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال.

لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون أنفسهم، وكم كانت البشرية كلها تخسر، كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح، بعد سيطرتهم على الأجساد.

(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(١) [سورة البروج، الآية: ٨]. حقيقة ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله، في كل أرض، وفي كل جيل.

إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة، وليست شيئا آخر على الإطلاق وإن خصوهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة (٢)

وبعد هذه الدروس التي استخلصها سيد قطب من هذه القصة، أقف عدة وقفات حولها:

١- ثبات الراهب والأعمى، وتخلي الأعمى عن جميع متع الحياة الدنيا في مقابل أن يظفر بعقيدته، إن الراهب قد انتصر في معركة بقائه أو بقاء عقيدته، فاختار أن تبقى العقيدة ولو خسر حياته.

أما الأعمى فقد انتصر مرتين، انتصر عندما تخلى عن مكانته عند الملك مع ما في ذلك من جاه ومكانة، وانتصر عندما تخلى عن حياته في مقابل عقيدته.

إن الراهب والأعمى قد خلدا لنا معاني عظيمة من معاني الانتصار الحقيقي، بعيدا عن التأويل والتبرير الذي يغطي فيه كثير من الناس ضعفهم وخورهم بستار يوهمون فيه الآخرين أنهم إنما فعلوا ذلك من أجل الدين، ولو صدقوا لعلموا أن انتصار الدين بأن يفعلوا ما فعله الراهب والأعمى.

٢- عجيب أمر هذا الغلام! لماذا دل الملك على مقتله، ولماذا -مادام أن الله قد منعه من الملك- لم يؤثر البقاء ليبلغ رسالة ربه، ويدل الناس على الدين الحق، ويبقي على حياته سالما.

هذا سؤال قد يتبادر إلى الأذهان:

والمفهوم التي لم تعرف حقيقة الانتصار. إن الغلام قد أدرك -بتوفيق من الله- أن كلمة في لحظة حاسمة صادقة، تفعل ما لا تفعله آلاف الكلمات في عشرات السنين.

إن الحياة مواقف، يتميز فيها الصادق من غيره، وقد سنحت فرصة عظيمة لا يجوز تفويتها، ولا يليق تبرير ضياعها، وكما قيل: "إذا هبت رياحك فاغتنمها" وقد هبت رياح هذا الغلام، وهل رياحه إلا تبليغ رسالة ربه، ولو دفع حياته ثمنا رخيصا في سبيل الله؟

إنه انتصار الفهم، وانتصار الإرادة، وانتصار العقيدة عندما تتحول في صدر صاحبها إلى قوة مؤثرة، وحياة صادقة، وليست على هامش حياته وسلوكه وتفكيره، إن هذا الغلام قد انتصر عدة مرات في معركة واحدة، وموقف واحد:

انتصر بقوة فهمه وإدراكه لأقصر وأسلم الطرق لنصرة دينه وعقيدته، وإخراج أمته ومجتمعه من الظلمات إلى النور.

وانتصر بقدرته على اتخاذ القرار الحاسم في الوقت المناسب، متخطيا جميع العقبات، ومستعليا على الشهوات وحظوظ النفس ومتاع الحياة الدنيا.

وانتصر على هذا الملك الغبي، الذي أعمى الله بصيرته، فأخرب ملكه بيده، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إن الناس قد يتعجبون لأن الغلام قد دل الملك على مقتله، ولكنهم لا يدركون أن الملك قد قتل نفسه بيده لا بيد غيره، فأيهما أولى بالعجب والتعجب؟

إن الغلام أقدم وهو يعي حقيقة ما يفعل: أما الملك فأعمته سكرة الملك وشهوة السلطان عن أن يدرك ما خطط له هذا الغلام، في هذه المعركة الفاصلة التي مات فيها فرد وحيت أمة.

وانتصر الغلام عندما تحقق ما كان يتصوره ويتوقعه وقدم نفسه من أجله، فآمن الناس وقالوا: آمنا بالله رب الغلام.

إن دقة التخطيط وبراعة التنفيذ، وسلامة التقدير، نجاح باهر، وفوز ظاهر.

وانتصر الغلام عندما فاز بالشهادة في سبيل الله، فكل الناس يموتون، ولكن القليل منهم من يستشهدون.

وانتصر أخيرا عندما خلد الله ذكره قدوة لمن بعده، وذكرا حسنا على لسان المؤمنين، حيث جعل الله له لسان صدق في الآخرين.

٣- وتتويجا لهذه الانتصارات المتلاحقة:

تأتي نهاية القصة، عندما آمن الناس برب الغلام، آمنوا بالله وحده وكفروا بالطاغوت، وهنا جن جنون الملك، وفقد صوابه، فاستخدم كل ما يملك من وسائل الإرهاب والتخويف، في محاولة يائسة، للإبقاء على هيبته وسلطانه وتعبيد الناس له.

---

(١) - سورة البروج آية: ٨.

(٢) - انظر معالم في الطريق فصل: هذا هو الطريق ص ١٧٣.

ثم يحفر أخاديده، ويوقد نيرانه، ويأمر زبانيته وجنوده بإلقاء المؤمنين في النار، وتأتي المفاجأة المذهلة، بدل أن يضعف من يضعف، ويهرب من يهرب، لا تسجل الرواية أن أحدا منهم تراجع أو جبن أو هرب، بل نجد الإقدام والشجاعة، وذلك بالتدافع إلى النار، وكأن الغلام قد بث فيهم الشجاعة، والثبات وها هم يجدون في اللحاق به، وكأنهم يتلذذون في تقديم أرواحهم فداء لدينهم، تموت الأجسام وتحيا الأرواح عند خالقها: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(١) [سورة آل عمران، الآية: ١٦٩].

من لم يمت بالسيف مات بغيره ... تنوعت الأسباب والموت واحد

والحالة الفريدة التي وردت في الرواية، هي تلك المرأة التي خافت على رضيعها، ولكنها نسيت أنها قد أرضعته الإيمان والشجاعة والإقدام مع اللبن الذي كان يشربه، فطلب منها التقدم، فأقدمت.

أي أمة تلك، وأي قوم أولئك، مع الزمن الطويل الذي عاشوه في الظلام، والسنوات التي استعبدهم فيها هذا الملك، ومع قصر المدة التي عرفوا فيها الإيمان، فقد عرفوا المنهج حق

المعرفة، وكأنهم عاشوا فيه كما عاش الراهب طول عمره، أو تربوا عليه كما تربى الغـلام في صباه.

إنه الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، ولامس الأرواح يفعل العجب.

لقد رأينا في قصة الراهب والأعمى ثم الغلام انتصارا فرديا.

ولكننا في قصة أولئك المؤمنين نرى انتصارا جماعيا، قل أن يحدث له في التاريخ مثيلا.

إنه صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وسلامة الطريق، وفهم حقيقة الانتصار.

٤- وقبل أن نغادر هذه القصة، يرد سؤال في الأذهان:

ماذا حل بهذا الملك وحاشيته وجنده؟

وهل ذهبت دماء هؤلاء المؤمنين وأرواحهم دون انتقام من الله لمن قتلهم؟

إننا لا نجد في القرآن ولا في السنة أي ذكر لهؤلاء الظلمة، وماذا كان مصيرهم في الدنيا، ولله في ذلك حكمة قد تخفى علينا.

نعم وردت آية في آخر قصتهم فيها دعوة لهم وتحذير (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)(٢) [سورة البروج الآية: ١٠].

قال الحسن البصري: "انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهـو يـدعوهم إلى التوبة والمغفرة" (٣).

إن هذه النهاية تحقق معنى من معاني الانتصار، من المنتصر؟ الذي نصر عقيدته ودين ربه، وحرق بضع دقائق، ثم انتقل إلى جنات النعيم، أو ذلك الذي تمتع بأيام في الحياة الدنيا ثم مآله -إن لم يتب- إلى عذاب جهنم وعذاب الحريق؟.

هل هناك مقارنة بين الحريق الأول، والحريق الثاني، حريق الدنيا، وحريق الآخرة؟ إنها نقلة بعيدة، وبون شاسع، أما المؤمنون الذين حرقوا في الدنيا، فـ (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)(٤) [سورة البروج الآية: ١١] وتعلن النتيجة التي لا مراء فيها، ولا جدال: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)(٥) أليس هذا هو الانتصار؟.

أحاديث في الانتصار

وردت بعض الأحاديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم نجد فيهـا دلالـة لحقيقـة الانتصار، وإزالة لما يتوهم من معنى الهزيمة.

وسأذكر أربعة أحاديث، وأقف مع كل حديث مبينا وجه الاستدلال فيه.

١-الحديث الأول

أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم " عرضت علي الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل: هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب " (٦) الحديث.

وفي رواية عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خرج علينا النبي، صلى الله عليه وسلم يوما فقال: " عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد... " (٧) الحديث.

وفي رواية لمسلم، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم " عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم... " (٨) (٩) الحديث.

وقد ورد الحديث بروايات أخرى في معنى هذه الروايات.

وتبرز صلة هذا الحديث في موضوعنا من خلال ما يلي:

١- ورد في الحديث، أن الرسول، صلى الله عليه وسلم نظر إلى سواد كثير، وفي رواية: سواد عظيم، ثم رأى سوادا كثيرا -آخر- سد الأفق.

---

(١) - سورة آل عمران آية: ١٦٩.

(٢) - سورة البروج آية: ١٠.

(٣) - تفسير ابن كثير٤/٤٩٦.

(٤) - سورة البروج آية: ١١.

(٥) - سورة البروج آية: ١١.

(٦) - أخرجه البخاري (٦٥٤١).

(٧) - أخرجه البخاري (٥٧٥٢).

(٨) – الرهيط: قال النووي هم بضم الراء تصغير الرهط. وهي الجماعة دون العشـــرة. مسلم بشرح النووي ٣/٥٣.
(٩) – أخرجه مسلم (٢٢٠).

والسواد الأول هم ممن آمن بموسى، عليه السلام، والسواد الآخر هم أمة محمد، صلى الله عليه وسلم وهذا يمثل نوعا من أنواع الانتصار الظاهر، حيث انتشر الدين وآمن النـــاس، حتى بلغوا هذا المبلغ، وهو النوع الأول من أنواع الانتصار التي أشرت إليها سابقا، ومثل ذلك النبي الذين يمر ومعه الأمة.

٢- ورد في الحديث، أن النبي يمر معه العشرة، والنبي ومعه الخمسة، والنبي يمر وحده، وفي رواية: فجعل النبي يمر معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد.

ونحن لا نشك في انتصار الأنبياء والرسل كما أخبرنا الله -جل وعلا- بذلك فقال: (إِنَّـــا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)(١) [سورة غافر، الآيـــة: ٥١]. وغيرها من الآيات التي سبق ذكرها.

وها نحن نجد النبي يأتي يوم القيامة، ومعه العشرة، والآخر معه الخمسة، وثالـــث ومعـــه الرجلان، ورابع ومعه رجل واحد، والخامس وليس معه أحد.

والأمر الذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن النبي الذي معه العشرة والخمسة والرهيط قد لا يكونون قد آمنوا به واتبعوه في حياته، بل قد يكون بعضهم بعد وفاته، لأن الذين رآهـــم رسول الله، صلى الله عليه وسلم من أمته ليسوا الذين آمنوا به في حياته صـــلى الله عليـــه وسلم فقط، بل منهم من آمن به في حياته، ومنهم من آمن به بعد وفاته إلى قيام الساعة، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف عن غيره من الأنبيـــاء بأنـــه خـــاتمهم وآخرهم.

وبهذا نفهم أن الانتصار ليس بكثرة الأتباع فحسب، وقبول الناس واستجابتهم، هذا نوع من أنواع الانتصار كما سبق، وبخاصة إذا كان الأتباع على المنهج الحق، وإلا فلا عـــبرة بالكثرة والقلة.

والمعادلة التي نخرج منها، والحقيقة التي نظفر بها، أن النبي -كل نبي- لا شك في انتصاره في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وها نحن نجد عددا من الأنبياء ليس معهم إلا أفرادا، بل بعضهم ليس معه أحد.

فالنتيجة أن هناك أنواعًا أخرى من الانتصار، أشمل مما قد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس، وبعض الدعاة. إن إدراكنا لهذه الحقيقة وتعاملنا معها هو نوع من الانتصار الذي نبحث عنه بل هو أول الخطوات لتحقيق الانتصار.

٢- الحديث الثاني

عن خباب بن الأَرَتْ (قال: " شكونا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: إلا تستنصر لنا، أو تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يبعده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله -تعالى- هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون " (٢).

ولنقف هذه الوقفات:

١- خبّاب (جاء إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بالنصر - هكذا أطلق خباب، وهو يريد النصر الظاهر، برفع العذاب والأذى الذي كانت قريش تصبه على رسول الله، صلى الله عليه وسلم وصحابته.

فنقله رسول الله، صلى الله عليه وسلم نقلة أخرى مبينا له معنى آخر من معاني الانتصار، وهو الثبات على دين الله، وتحمل المشاق والعقبات، حتى لو ذهبت روح المسلم فداء لدينه وعقيدته.

٢- ثم يذكر له رسول الله، صلى الله عليه وسلم النصر الظاهر وأنه متحقق، ويقسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولكنه لا يتحقق إلا بعد الثبات والصبر.

٣- ونجد أن ما ذكره رسول الله، صلى الله عليه وسلم وأقسم على حصوله وهو إتمام هذا الدين -وهو نوع من الانتصار- قد لا يتحقق في حياة الداعية، فمسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت حدث بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

فعلى الداعية أن يعي هذا الأمر، وأن انتصار الدين لا يتعلق بشخصه.

٤- " ولكنكم تستعجلون " صدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم إن حرص كثير من الدعاة على انتصار هذا الدين قد يؤدي بهم إلى ارتكاب ما يعوقه، وهو الاستعجال، إنهم يريدون أن يروا النتائج في حياتهم، بل في أول حياتهم -أحيانا- وهذا لم يتحقق لكثير من الأنبياء والرسل.

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النصر يحتاج إلى الصبر والثبات والتفاؤل مع عدم العجلة.

ويعلمنا أن النصر أشمل مما قد يتبادر إلى أذهاننا.

فليس النصر مقصورا على النصر الظاهر، والنصر الظاهر لا يلزم أن يتحقق في حياة الداعية.

٣- الحديث الثالث

عن أبي هريرة (قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم

أن الله عز وجل قال: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب " (٣). الحديث.

---

(١) - سورة غافر آية: ٥١.

(٢) - أخرجه البخاري (٣٦١٢).

(٣) - أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

والشاهد من هذا الحديث القدسي، أن المؤمن إذا أيقن أن الله معه، ويجب أن يوقن بذلك، ومن كان وليا لله فإن الله معه، وإذا الله كان معه، يعلن الحرب على من آذاه أو عاداه، فيستلزم ذلك أن يؤمن إيمانا لا شك فيه أن الله سينصره، لأن المعركة لم تعد بين الداعية وعدوه، وإنما هي حرب من الله على هذا المعادي، وبدهي أن نعلم من المنتصر ومن الخاسر؟ !!.

ومادام الأمر كذلك، فإن الله -جل وعلا- هو الذي يقدر نوع الانتصار وزمانه ومكانه، ولا يخضع هذا لرؤيتنا القاصرة، أو رغباتنا المحدودة، أو اجتهاداتنا البشرية.

وما علينا إلا أن نعلم يقينًا أن المعركة محسومة من أولها، معروفة نتائجها قبل بدايتها، وأن نتعامل بإيجاب مع هذا اليقين، فلا نستعجل ولا نيأس، ولا نتصرف تصرفا قد يكون سببا لحرماننا من النصر الذي لا شك فيه: (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)(١) [سورة الروم، الآية: ٤٧].

٤- الحديث الرابع

عن عثمان بن عفان (قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم إذا مر بهم وهم يعذبون يقول: " صبرا، آل ياسر فإن موعدكم الجنة " (٢).

إن الصبر نوع من أعظم أنواع الانتصار، فبالصبر يسمو الإنسان على رغباته ويعلو على متع الحياة الدنيا.

والصبر سمة الرجال الأخيار (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(٣).

إنه بالصبر ينتصر على نفسه أولا، وينتصر على عدوه، ثانيا، وينصر مبدأه ثالثا. إننا عندما نذكر انتصار الإسلام في مراحله الأولى نتذكر آل ياسر: ياسر وسمية وعمار.

إن هذا البيت بصبره وجهاده، وتقديم حياته فداء لهذا الدين، ممن وضع اللبنات الأولى لعزة هذا الدين وظهوره.

لقد انتصروا على ذواتهم أولا، وعلى المشركين ثانيا، ونصروا الإسلام ثالثا.

ثم لهم الجنة بعد ذلك، (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)(٤) [سورة آل عمران، الآية: ١٨٥]. (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)(٥) [سورة البروج الآية: ١١].

وأجد أنّ قصة الصحابي الجليل عمير بن الحمام في بدر قصة تسجل انتصارًا باهرًا للداعية، فالوقوف عندها واستخلاص ما فيها من دورس وعبر يعطي دلالة على ما نحن بصدده.

سورة العصر و حقيقة النصر:

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم". (٦).

فما علاقة هذه السورة بحقيقة الانتصار؟

إن هذه السورة ترسم منهج النصر بصورة واضحة جلية، وتصحح الفهم الخاطئ بحصر قضية الانتصار بصورة واحدة أو نوع منفرد.

كيف ذلك؟

يقسم الله – سبحانه وتعالى– أن كل إنسان في خسر، أي خسارة وهلاك وبوار، إلا من استثنى بعد ذلك.

والمستثنى من الخاسرين، هو الفائز والرابح والمنتصر.

فلننظر في شروط الانتصار

١– الإيمان، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)(٧).

٢– عمل الصالحات، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)(٨).

٣– التواصي بالحق، (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)(٩).

٤– التواصي بالصبر، (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)(١٠).

هذه شروط النصر، فمن استكملها فقد خرج من الخسران ونجا، وبالتالي فقد انتصر وفاز وأفلح.

وهنا –بعد تقرير هذه القضية– نأتي للدلالة على فهم حقيقة الانتصار في هذه السورة.

فالله –سبحانه وتعالى– لم يذكر من شروط الانتصار تحقق النتائج، واهتداء الناس واستجابتهم.

إذن النصر ليس محصورا في تلك السورة فقط، والله –سبحانه– حكم بانتصار المسلم ونجاته من الخسران إذا استكمل الشروط الأربعة، وليس منها أن يستجيب الناس له، أو أن تتحقق الأهداف التي يسعى إليها، فهذا الأمر ليس له، وليس من لوازم النصر، وهذا رحمة من الله وفضل (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(١١) [سورة البقرة، الآية: ١٠٥].

بل قد استوقفني في هذه السورة أمران مهمان، لهما علاقة في رسم منهج الانتصار، وهما:

١– التواصي بالحق، لأن الإنسان قد يضعف أو يزل أو ينحرف، فيحتاج إلى من يوصيه بالمنهج، محافظة عليه وصيانة له، فكم من إنسان يتصور أنه على الحق، وهو قد حاد عنه، واتبع السبل من حيث لا يدري، ومع ذلك يقول:

لماذا لم أنتصر، وما سر تأخر النصر؟ (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)(١٢) [سورة آل عمران، الآية: ١٦٥].

فالتواصي بالحق سبيل لتحقق النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين، وعاصم من الانحراف عن صراط الله المستقيم.

٢- التواصي بالصبر:

ولا يمكن أن يتحقق النصر لمستعجل الشيء قبل أوانه، ولا لليائس والقانط من رحمة الله. والتواصي بالصبر يمنع من الاستعجال، ويبعد اليأس والقنوط.

---

(١) - سورة الروم آية: ٤٧.

(٢) - رواه الحاكم ٣/٣٨٨ - ٣٨٩ وصححه الألباني في فقه السيرة (١٠٧).

(٣) - سورة ص آية: ٣٠.

(٤) - سورة آل عمران آية: ١٨٥.

(٥) - سورة البروج آية: ١١.

(٦) - تفسير ابن كثير ٤/٥٤٧.

(٧) - سورة العصر آية: ٣.

(٨) - سورة آية: ٣.

(٩) - سورة العصر آية: ٣.

(١٠) - سورة العصر آية: ٣.

(١١) - سورة البقرة آية: ١٠٥.

(١٢) - سورة آل عمران آية: ١٦٥.

ومن هنا فإن المؤمن إذا التزم بالحق وتمسك به وسار عليه و لم يحد عنه، ثم صبر وصابر غير مستعجل ولا يائس، فإن النصر متحقق له لا محالة (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً)(١) [سورة النساء، الآية: ١٢٢]. بل إن التزام الحق والصبر، هو النصر الذي لا يتحقق نصر دونه.

أسباب تأخر النصر الظاهر

النفس مجبولة على حبّ العاجل، وتحقق النصر الظاهر لدين الله أمر محبب إلى النفس كيف لا، وهو ظهور دين الله وقمع الباطل وأهله، ولذلك قال -سبحانه-: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(٢) [سورة الصف، الآية: ١٣].

ونحن مأمورون بالسعي لإقامة دين الله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)(٣) [سورة البقرة، الآية: ١٩٣].

وكثير من الناس –وأخص الدعاة منهم– يستبطئون تحقق النصر، وقد يسبب لهم هذا الأمر شيئا من اليأس أو الانحراف عن المنهج، ويغفلون عن الأسباب التي تؤخر النصر الظاهر، مع أن معرفة هذه الأسباب أمر مهم، وله آثاره الإيجابية على حياة الدعاة والمدعوين والأتباع، وذلك أن هذه الأسباب على نوعين:

١- أسباب سلبية، والمعرفة بها سبيل إلى تلافيها وإزالتها.

٢- أسباب إيجابية، وفقهها وإدراكها عامل مؤثر في ثبات الداعية على المنهج الرباني، سواء تحقق النصر عاجلا أو آجلا.

وسأقف مع أبرز الأسباب التي تكون عاملا مؤثرا في تأخير النصر أو عدم وقوعه في حياة الداعية أو على يديه، وسأختصر فيها حسب مقتضى المقام:

١- تخلف بعض أسباب النصر المشروعة:

وذلك أن للنصر أسبابًا، فإذا تخلّفتْ هذه الأسباب أو بعضها تخلف النصر؛ لأن السبب عند الأصوليين، هو ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته، وإن كان لا يلزم من وجود السبب هنا وجود النصر لمانع آخر، ولكن يلزم من عدمه العدم.

فمثلا: نجد من أسباب النصر المشروعة الإعداد للمعركة لأن الله –تعالى– يقول:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ)(٤) [سورة الأنفال، الآية: ٦٠]. فعدم الأخذ بالأسباب سبب من أسباب الهزيمة أو تأخر النصر.

١٠- قد يكون انتصار الداعية بعد وفاته أعظم من انتصاره في حياته، لأن المراد هو انتصار المنهج، أما الأشخاص فإن الله قد تكفل بإثابتهم وإكرامهم، جزاء دعوتهم وصدقهم، ولذلك جاءت الآيات تبين هذا الأمر:

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(٥) [سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]. (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)(٦) [سورة يس، الآية: ٢٦، ٢٧]. (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(٧)

[سورة النحل، الآية: ٣٢]. (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)(٨) [سورة فصلت، الآية: ٣٠، ٣١]. إلى غير ذلك من الآيات.

وكم من داعية لم ينتصر الدين في حياته، ولكنه انتصر أعظم الانتصار بعد مماته، فهذا عبد الله الغلام، وسبق بيان قصته، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية مات في سجنه، ولكن منهجه انتصر انتصارا باهرا بعد عدة قرون من وفاته.

وسيد قطب سجن ثم قتل، ولكن مؤلفاته انتشرت أكبر الانتشار بعد قتله!!.. وهكذا.

---

(١) - سورة النساء آية: ١٢٢.

(٢) - سورة الصف آية: ١٣.

(٣) - سورة البقرة آية: ١٩٣.

(٤) - سورة الأنفال آية: ٦٠.

(٥) - سورة آل عمران آية: ١٦٩.

(٦) - سورة يس آية: ٢٦-٢٧.

(٧) - سورة النحل آية: ٣٢.

(٨) - سورة فصلت آية: ٣٠-٣١.

١١- أن تأخر النصر فيه ابتلاء وتمحيص للدعاة، وفيه من العبر والدروس ما يفيد اللاحقون منه فوائد جمة. قال -تعالى-: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)(١) [سورة البقرة، الآية: ٢١٤]. وقال: (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)(٢) [سورة العنكبوت، الآية ١ - ٣]. والآيات كثيرة معلومة.

وبعد:

فهذه أبرز أسباب تأخر النصر الظاهر حسب ما تبين لي، وقد تتكشف لنا أسباب تـأخر النصر، وقد لا تتكشف.

والذي يجب أن نعتقده أن علينا فعل الأسباب الشرعية، سعيا لنصرة دين الله، أما تحقـق النصر فليس لنا بل هو لله (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)(٣) [سورة آل عمـران، الآيـة: ١٢٦].

والنصر لن يتحقق إلا إذا حان موعده في علم الله لا في تقديرنا القاصر.

ولن يتحقق النصر إلا بعد الإيمان الجازم بوعد الله، (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُـؤْمِنِينَ)(٤) [سورة الروم، الآية: ٤٧].

أما من عنده شك وريبة فلا يستحق النصر (٥).

٢- قد يكون سبب تأخر النصر حدوث مانع من الموانع، والمانع هو: ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته. والموانع كثيرة جدا، كالظلم والركـون للكفار والمعاصي وغيرها. وموانع النصر هي أسباب الهزيمة، ولذلك نجد في غزوة أحد لما بدت علامات النصر ثم وقعت المخالفة من الرماة لأمر الرسول، صلى الله عليـه وسـلم حلت الهزيمة، كما قال - تعالى-: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)(٦) [سورة آل عمران، الآية: ١٦٥]. قال محمد بن إسـحاق وابن جرير والربيع بن أنس والسدي. (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)(٧) أي بسبب عصيانكم لرسول الله، صلى الله عليه وسلم حين أمركم ألا تبرحوا مكانكم فعصيتم، يعني بـذلك الرماة. (٨).

وفي حنين لماذا تأخر النصر، يقول - سبحانه-: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُـمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)(٩).

حيث ذكر الله - سبحانه- أن قول أحد المسلمين لن نغلب اليوم من قلة، وكان عددهم (١٢) ألفا (١٠) مانعا من موانع النصر، لأن الله - سبحانه- وكلهم إلى كثـرتهم فلـم تنفعهم شيئا، ثم تحقق النصر بعد ذلك عندما زال هذا المانع حيث ثبت أن الكثرة وحدها لا تجلب النصر، وإنما الاعتماد على الله -سبحانه- بعد الأخذ بالأسباب.

ومن خلال ما سبق يتضح أهمية مراعاة الأسباب، والحرص على تحصيلها، مع تلافي الموانع واجتنابها.

٣- الانحراف عن المنهج

الانحراف عن المنهج مانع من الموانع، ولكن أفردته لأهمية التنبيه عليه، فقد تتبعت بالاستقراء واقع كثير من الجماعات الإسلامية والحركات الجهادية المعاصرة، وبحثت عن سر عدم انتصارها وتحقق ما تعلنه من أهداف خيرة نبيلة، حيث إن تلك الجماعات تسعى لنصرة دين الله، وتحكيم شرعه، فوجدت إن من أبرز الأسباب -حسب ما ظهر لي- انحرافها عن المنهج الصحيح -منهج أهل السنة والجماعة- في ثوابتها أو وسائلها.

وقد يكون الانحراف يسيرا -في نظر البعض- ولكنه خطير جدا ومؤثر في تحقيق النصر.

فمن ذلك التساهل في قضية العقيدة وعدم اعتبارها من الأولويات التي تتميز بها تلك الجماعة.

وكذلك تمييع مفهوم الولاء والبراء، والركون إلى الظالمين ومداهنتهم.

ومن ذلك تأصيل الحزبية، مما يؤدي إلى تفريق كلمة المسلمين، وتنافر القلوب. وكذلك اعتبار أن الغاية تبرر الوسيلة، وهلم جرا.

إن تحرير الأصول والثوابت، وتنقيتها مما قد يشوبها، أمر جوهري وأساس في سلامة منهج الدعوة وصدق التوجه.

وكذلك عرض كل وسيلة من الوسائل على القواعد والأصول الشرعية، حماية لها من الانحراف تحت ضغط الواقع وحجية المصلحة المتوهمة.

٤- عدم نضوج الأمة، وضعف استعدادها إن دين الله عظيم، ويحتاج إلى أمة قد تربّت على هذا الدين زمنا حتى تتمكن من حمله وتبليغه للناس.

---

(١) - سورة البقرة آية: ٢١٤.

(٢) - سورة العنكبوت آية: ١-٣.

(٣) - سورة آل عمران آية: ١٢٦.

(٤) - سورة الروم آية: ٤٧.

(٥) – انظر في ظلال القرآن تفسير سورة الحج ٢٤٢٧/٤ ففيه كلام قيم حول بعض ما ذكر.

(٦) – سورة آل عمران آية: ١٦٥.

(٧) – سورة آل عمران آية: ١٦٥.

(٨) – انظر تفسير ابن كثير ٤٢٥/١.

(٩) – سورة التوبة آية: ٢٥.

(١٠) – انظر تفسير الطبري ١٠٠/١٠ وتفسير ابن كثير ٣٤٣/٢.

أمة قد اجتازت المشقة والعقبات قبل أن تحصل على النصر، بل من أجل الحصول عليه.

ثم إن قيام هذا الدين يحتاج إلى طاقات ضخمة، كثيرة العدد، متعددة المواهب والتخصصات، وهذا الأمر يحتاج إلى زمن ليس باليسير، فإعداد الرجال وتربيتهم من أشق المهمات وأصعبها.

ولذلك نجد أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم بقي ثلاثة عشر عاما يربي الرجال واحدا واحدا، ويهيئ الأمة جماعة جماعة، استعدادا لحمل الرسالة والذود عنها.

فقوم في دار الأرقم، وآخرون يهاجرون إلى الحبشة، ومرة يحصر الجمع في شعب أبي طالب، ثم تأتي الهجرة إلى المدينة.

كل هذا وغيره هيأ هذه الأمة لحمل الرسالة حتى كمل الدين وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما.

ومما سبق يتضح أن هذا الأمر يحتاج إلى زمن لتمامه، واكتمال بنائه، وهو سبب من أسباب تأخر النصر وظهور دين الله مهيمنا على البشر.

٥- عدم إدراك قيمة النصر:

إن مجيء النصر سريعا دون كبير مشقة ولا عناء، يجعل الأمة المنتصرة لا تعرف قيمة هذا الانتصار، ومن ثم لا تبذل من الجهود للمحافظة عليه ما يستحقه وما يحتاج إليه.

وسأضرب مثلين يوضحان هذه الحقيقة:

(١) الرجل الذي عاش في الفقر ثم جد واجتهد في تحصيل المال حتى أصبح غنيا، نجد أنه يحافظ على هذا المال محافظة عجيبة، ويبذل كل الوسائل الممكنة للذود عنه وحمايته.

وذلك لأنه ذاق طعم الفقر ومذلته، ثم إنه تعب في جمع هذا المال وتنميتـــه، فلـــيس مـــن السهولة أن يفرط فيه، ويكره أن يعود للفقر بعد أن أخرجه الله منه، كما يكره أن يعـــود للكفر بعد إذ أنقذه الله منه.

أما أولاده وورثته، فتجد أن الكثير منهم لا يولي هذا المال ما يستحقه من عناية واهتمام، بل قد يعبث فيه حتى يصبح فقيرا.

وذلك أنه لم يعرف قيمة هذا المال، و لم يتعب في جمعه وكسبه، و لم يذق طعم الفقر كما ذاقه مورثه.

(ب) قيام الدول وسقوطها:

مما يلحظ بالاستقراء والتتبع أن الدول تكون إبان قيامها قوية مهابة، وتجـــد أن الأمـــراء والخلفاء يبذلون جهودا مضاعفة للمحافظة على الدولة، وتلافي جميع أسباب ضعفها.

ثم تأتي أجيال لم تساهم في قيام الدولة، وورثت الملك كما يرث الوارث المـــال، وهنـــا ينشغلون عن الدولة بمكاسبها، ويغفلون عن تبعاتها، وتبدأ الدولة في الضعف والتفكـــك حتى قد يئول الأمر إلى سقوطها.

ولذا فإن مجيء النصر دون تعب أو عناء قد يكون سبباً في عدم استمراره، وصعوبة المحافظة عليه، ومن هنا فقد تقتضي حكمة الله أن يتأخر النصر حتى يستوي الأمر ويوجد الرجال الذين يعرفون قيمة النصر، والثمن الذي يستحقه.

٦- قد يكون في علم الله -جل وعلا- أن هؤلاء لو انتصـــروا لـــن يقومـــوا بتكـــاليف الانتصار، (١) من إقامة حكم الله في الأرض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقـــام الصلاة، وإيتاء الزكاة. وذلك أن الانتصار ليس مرادا لذاته، وإنما لما يتحقق منـــه، وهـــو إخماد الفتنة، وأن يكون الدين كله لله.

وهذا مما يفهم من قوله -تعالى-: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّـــذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّـــهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(٢) [سورة الحج، الآية: ٤٠، ٤١]. وقد لا نعلم نحن سبب ذلك ولكن الله يعلمه.

وذلك أن هناك فئة من الناس تثبت في حالة الشدة والعناء، وتصمد في حالة المواجهة والبلاء ولكنها تضعف وتتقهقر في حالة النعم والرخاء والأمن.

وقوم هذه حالهم لا يستحقون النصر، والله أعلم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

٧- من أسباب تأخر النصر أن الباطل الذي يحاربه الدعاة لم ينكشف زيفه للناس تماما، فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه، ممن هم ليسوا على هذا الباطل، ولا يقرونه لو اكتشفوا حقيقته.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك قصة المنافقين، فكثير من الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكونوا يعرفون عددا من أقطاب النفاق، بل إنهم يحسنون الظن بهم، ولذلك وجدنا من يدافع عنهم، حتى إن بعض كبار الصحابة من الأنصار كانوا يدافعون عن عبد الله بن أُبَيٍّ، لعدم معرفتهم بما كان عليه من الباطل وبخاصة في أول العهد المدني.

ولما جاء زيد بن أرقم وأخبر عن مقولة عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، قال عمر بن الخطاب لرسول الله، صلى الله عليه وسلم مر عباد بن بشر فليقتله، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم " فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟ لا!! ولكن أذن بالرحيل "

إذن المنافقون في نظر كثير من الناس أصحاب لرسول الله، صلى الله عليه وسلم لأن حقيقتهم لم تنكشف للناس، وحقيقتهم، (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(٣) [سورة المنافقون، الآية: ٤].

---

(١) - هذا السبب يختلف عن الذي قبله فتأمل.

(٢) - سورة الحج آية: ٤٠-٤١.

(٣) - سورة المنافقون آية: ٤.

ولذلك قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم لعمر في نهاية المطاف لما تكشفت حقيقة هؤلاء عند كثير من المسلمين: " كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي: اقتله،

لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري "

فهذا الحديث يصور معنى هذا السبب الذي ذكرته أدقّ تصوير وبيان.

والدخول في معركة مع قوم لم تنكشف حقيقة أمرهم تماما، له آثاره السلبية على الأمة المسلمة، إذ أن بعض المسلمين سيقف في صف أولئك، كما وقف بعض الصحابة مع المنافقين.

كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة في قصة الإفك وجاء فيه:

" فقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري (فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج- وكان رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك، ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الحيان، الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله، صلى الله عليه وسلم على المنبر، فلم يزل رسول الله، صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، وسكت رسول الله، صلى الله عليه وسلم... " " الحديث (١).

وقد لا يقف بعض المسلمين مع هؤلاء، ولكن سيكون وقوفهم مع الدعاة ضعيفا ومترددا، لأنهم لم يتيقنوا أن هؤلاء على الباطل، مما يؤثر على المعركة التي يخوضها المسلمون ضد أعدائهم، وقد يؤدي إلى فرقة المسلمين وتأخر النصر.

٨- ومن أسباب تأخر النصر، أن البيئة المحَارَبَة قد تكون غير صالحة بعد لاستقبال الحق والخير والعدل، مما يقتضي أمورًا تهيئها لذلك قبل الدخول معها في معركة، ومن ذلك بذل

جميع الوسائل الشرعية لبيان أن هؤلاء القوم -المحاربين- على الباطل، ومحاولة إقناعهم ودعوتهم وبيان حقيقة الإسلام، وفساد ما هم عليه من باطل.

فإن هذا الأمر إن لم يكن سببًا في هدايتهم قبل المعركة فإنه وسيلة لمعرفة الحق، ومن ثم القبول به بعد المعركة، ولذا فإن الدعوة إلى الإسلام تسبق الدخول في المعركة.

٩- ومن أسباب عدم الاستجابة لدين الله(٢) أن عوامل النصر قد تتوافر بالنسبة للداعية، لكن هناك موانع تتعلق بالمدعوين - كالأمر السابق- ومن ذلك عدم تقدير الله هداية هؤلاء القوم، حيث كتب عليهم الضلالة، قال -سبحانه-: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً)(٣) [سورة الرعد، الآية: ٣١]. وقال: (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ)(٤) [سورة النحل، الآية: ٣٦]. وقال -جل وعلا-: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ)(٥) [سورة المائدة، الآية: ٤١]. إلى غير ذلك من الآيات (٦).

التنازل من أجل الانتصار

مما لفت نظري في واقع كثير من الدعاة والجماعات الإسلامية المعاصرة أنها قد تستبطئ النصر، وحرصا منها على دين الله، وتأثرا بكثرة الانتقادات التي توجه لها، لماذا لم تحقق أهدافها بالرغم مما تبذله من جهود، وما مضى من زمن، فإنها من أجل ذلك كله ولغيره من الأسباب قد تقدم بعض التنازلات للحصول على بعض المكاسب للدعوة.

وقد تنوعت صور هذه التنازلات وتعددت، وهم بين مقل ومكثر.

ولأن من أبرز أسباب هذا الأمر -كما ذكرت- هو الحرص لتحقيق الانتصار لدين الله، أو للدعاة وللجماعات (٧) ولارتباطه الوثيق في موضوعنا، حيث أشرت إلى ذلك في أول هذا البحث.

فإنني سأقف وقفة مناسبة مع هذه القضية وسأحاول بيانها بإيجاز، نظرا لأن هذا الأمر يستحق بحثا مستقلا مفصلا، ولا أستطيع أن أقوم بذلك من خلال هذا البحث، ولعل الله أن يقيض له من يجليه.

---

(١) - أخرجه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) – واستجابة الناس انتصار لدين الله، حتى لو لم يكن هناك معركة وقتال "إذا جاء نصر الله والفتح".

(٣) – سورة الرعد آية: ٣١.

(٤) – سورة النحل آية: ٣٦.

(٥) – سورة المائدة آية: ٤١.

(٦) – وانظر تفسير الطبري ٣٣١/٣٠ تفسير سورة الكافرون لتجد كلاما جيدا.

(٧) – وانتصار الداعية انتصار لدين الله، كما أن انتصار الدين نصر للداعية.

وقد ذهبت أتأمل ما ورد في ذلك في كتاب الله -في ضوء منهجي في هذه الرسالة- فوقفت أمام ثلاث قضايا وردت في القرآن الكريم، عالجها القرآن، ورسم لنا من خلالها منهجا نسير عليه دون زلل أو خلل.

وسأذكر كل قضية، وأسلوب معالجتها، ثم أذكر في النهاية خلاصة ما توصلت إليه حول هذا الأمر، وأسأل الله التوفيق والسداد.

القضية الأولى: سبب نزول سورة الكافرون:

قال الإمام الطبري: حدثني محمد بن موسى الخرشي قال: ثنا أبو خلف، قال: ثنا داود، عن عكرمة عن ابن عباس، " أن قريشا وعدوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح، قال: ما هي، قالوا: تعبد آلهتنا سنة، اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة، قال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " السورة، وأنزل الله: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) إلى قوله: (فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) " (١) [سورة الزمر، الآية: ٦٤، ٦٥، ٦٦].

وقال الطبري: أيضا -حدثني يعقوب، قال حدثنا ابن علية، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني سعيد بن ميناء مولى البختري، قال: " لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد

ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خير مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك، فأنزل الله: (قُلْ يَا أَيُّهَـــا الْكَـــافِرُونَ) " [ســـورة الكافرون، الآية: ١]. حتى انقضت السورة (٢).

إننا نجد في هذه الأسباب أن قريشا طلبت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم أن يتنازل لها، وتتنازل له حتى يلتقيا حول نقطة واحدة.

وقد يقول قائل: لو أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم وافقهم على ذلك، وطلب منـــهم أن يبدأوا بعبادة الله أولا، فإنهم إذا عرفوا الإسلام لن يرجعوا عنه، وفي هذا تحقيق مكسب كبير للإسلام، وتحقيق انتصار، ورفع للبلاء الذي يلاقيه المسلمون.

والجواب أن الله قد حسم هذه القضية، (لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)(٣) وفي آخرها (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)(٤) [سورة الكافرون، الآية:٦].

فالقضية قضية مبدأ، غير قابلة للمساومة ولا لتنازل قيد أنملة، فهذه مسألة مـــن مســـائل العقيدة، بل هي العقيدة نفسها.

ودفعا لأي احتمال أو طمع في هؤلاء قال -سبحانه-: (وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُـــدُ)(٥) مرتين، فهو تأكيد حاسم، وخبر جازم من عند علام الغيوب، أنهم لن يعبدوا الله أبدا، لا في الحاضر، ولا في المستقبل، وكأن بعد إيمانهم كبعد استجابة الرسول، صـــلى الله عليـــه وسلم لمطلبهم، وهكذا كان، قال الإمام الطبري:

(وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)(٦) فيما تستقبلون أبدا "ما أعبد" أنا الآن، وفيما أستقبل، وإنما قيل ذلك كذلك، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه، صلى الله عليه وسلم أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدثوا به أنفسهم، وإن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله، صلى الله عليه وســـلم من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا، ولم ينجحوا إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعض قبل ذلك كافرا، وبنحو الذي قلنا في ذلـــك قال أهل التأويل، وجاءت به الآثار.(٧)

إن التأمل في هذه القضية، وكيف حسمها القرآن، يعطي من الدروس ما نحن بأمس الحاجة إليه، بل يرسم منهجا واضحا جليا في كيفية مواجهة أساليب كثير من أعداء الإسلام حاضرا ومستقبلا.

القضية الثانية: سبب نزول قوله -تعالى-: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(٨) [سورة الأنعام، الآية: ٥٢].

---

(١) - تفسير الطبري ٣/٣٣١.

(٢) - تفسير الطبري ٣٠/٣٣١.

(٣) - سورة الكافرون آية: ٢.

(٤) - سورة الكافرون آية: ٦.

(٥) - سورة الكافرون آية: ٣.

(٦) - سورة الكافرون آية: ٣.

(٧) - تفسير الطبري ٣/٣٣١.

(٨) - سورة الأنعام آية: ٥٢.

قال الطبري -مسندا إلى ابن مسعود، قال: " مر الملأ من قريش بالنبي، صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد: أرضيت بهؤلاء من قومك، هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعا لهؤلاء، اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية: " وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ " " (١).

وفي رواية أخرى قال الطبري -مسند إلى مجاهد- قال: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(٢) بلال وابن أم عبد كانا يجالسان محمدا، صلى الله عليه وسلم فقالت قريش محقرتهما: لولاهما وأمثالهما لجالسناه، فنهي عن طردهم (٣).

وفي رواية قال الطبري: حدثني القاسم، قال: ثنا حسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ)(٤) الآية.

قال: " جاء عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحرث بن نوفل، وقرضة بن عيد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وخلفاءنا، فإنما هم عبيدنا، وعسفاؤنا، كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له، قال: فأتى أبو طالب النبي، صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، وإلام يصيرون من قولهم، فأنزل الله تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) [سورة الأنعام، الآية: ٥١، ٥٢].

فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر عن مقالته، فأنزل الله - تعالى-: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) " (٥) [سورة الأنعام، الآية: ٥٤].

وفي رواية أخرى للطبري عن خباب قال فيها:

فقال كفار قريش: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، ثم نزل قوله -تعالى: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ)(٦)(٧) [سورة الأنعام، الآية:٥٢].

وقد وردت أحاديث أخرى، ولا يخلو بعضها من ضعف ولكن، يقوي بعضها بعضا فترتقي بمجموعها إلى درجة الحسن لغيره، ومعناها متقارب، وكلها تذكر سببا واحدا للنزول، ولكن في بعض هذه الروايات زيادات على بعض، ويؤكد هذه الروايات الحديث التالي:

من أصح ما ورد في هذا ما رواه مسلم في صحيحه، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، عن إسرائيل، عن المقدام بن شريح، عن أبيه عن سعد هو ابن أبي وقاص، قال: " كنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي، صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله، صلى الله عليه

وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل " وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ " " الآية (٨)

وذكر ابن كثير في قوله -تعالى-: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(٩) الآية، إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من الرسول، صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك فقال: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ)(١٠) الآية، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ)(١١) الآية (١٢) [سورة الكهف، الآية: ٢٨].

إن الوقوف مع سبب نزول هاتين الآيتين يضع حدا لكثير من الاجتهادات التي يقدم عليها كثير من الدعاة والجماعات، وهم -ولا شك- يقدمون عليها حرصا على دينهم، ورغبة في انتصار الدين وظهوره، وتحقيقا لبعض الأهداف التي يسعون إليها.

ولكن الغاية -مهما كانت شريفة- فإنها لا تبرر الوسيلة.

تصوروا القضية هكذا:

---

(١) - تفسير الطبري ٧/ ٢٠٠.

(٢) - سورة الأنعام آية: ٥٢.

(٣) - انظر تفسير الطبري ٢٠٢/٧.

(٤) - سورة الأنعام آية: ٥١.

(٥) - انظر تفسير الطبري٢٠٢/٧ وهذا الحديث مرسل.

(٦) - سورة الأنعام آية: ٥٢.

(٧) - انظر تفسير الطبري ٢٠١/٧ وفي سنده السدي وهو ضعيف.

(٨) - أخرجه مسلم (٢٤١٣)، وانظر تفسير ابن كثير ٨٠/٣.

(٩) - سورة الكهف آية: ٢٨.

(١٠) - سورة الأنعام آية: ٥٢.

(١١) - سورة الكهف آية: ٢٨.

(١٢) – انظر تفسير ابن كثير ٣/٨٠.

لو أن جماعة من الجماعات الإسلامية، التي توجد في دول كافرة، وتسعى جاهدة للدعوة إلى دين الله، ونشر رسالة الإسلام، قالت لها تلك الدولة: نحن مستعدون للتفاوض معكم من أجل النظر في الاعتراف بكم، للدخول في الانتخابات مثلا، أو للحصول على بعض الامتيازات للدعوة، ولكن نشترط عليكم أن تبعدوا فلانا وفلانا من قيادتكم، وآخرين من جماعتكم، فإننا لا نعترف بجماعة فيها هؤلاء، والجماعة لا تنقم على هؤلاء الدعاة شيئا في أمر دينهم وعقيدتهم، و لم تكن تفكر في ذلك قبل هذا الطلب، ولكن الدولة لا تريدهم احتقارا لهم.

فيا ترى هل تصمد تلك الجماعة، وترفض الموضوع جملة وتفصيلا وتقول: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(١) [سورة البروج، الآية: ٨]. أو تبدأ مناقشة ما يسمى بالمصلحة؟ وماذا يضير لو أبعد هؤلاء من أجل مصلحة الدعوة، وتحقيقا للمكتسبات المتوقعة، إلى غير ذلك من التبريرات؟ أظن. – بحكم معرفتي بواقع بعض الجماعات –أنها ستستجيب لهذه المساومات، وقد استجابت لأقل من ذلك.

بينما حسم القرآن هذه القضية منذ العهد المكي، ورسم لنا منهجا لا لبس فيه ولا غموض (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)(٢) [سورة الأنعام، الآية: ٥٢].

إنه أمر مخيف جدا، رسول الله، صلى الله عليه وسلم أفضل البشر، وإمام المرسلين، لو فعل هذا، وهو لن يفعله إلا من أجل مصلحة الدعوة، ورسالة الإسلام، لو فعله –وحاشاه من ذلك– سيكون من الظالمين.

ويبين لنا المنهج الذي نسلكه في مثل هذه الطلبات والمساومات، عندما تبدو لنا قضية المصلحة: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)(٣) [سورة الكهف، الآية: ٢٩]. الآية.

هذا واجبنا، وتلك مسئوليتنا، أن نقول الحق، أما هل يؤمن الناس أو يكفروا فليس لنا (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً)(٤) إن القضية عندما تتعلق

بالمبادئ فلا مجال للمفاوضة ولا للتنازل، والمسألة محسومة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِـيَ دِيـنِ)(٥) [سورة الكافرون، الآية: ٦].

القضية الثالثة: ما ورد في سورة الفتح: قال ابن كثير: نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله، صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، فيقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا، ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك: على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب (

وقد وردت قصة الصلح في روايات عديدة، منها في الصحيحين وغيرهما. وهي قصة طويلة سأقتصرعلى جزء يسير منها مما له صلة بموضوعنا، وهو مما ثبت في الصحيح.

١- جاء في صحيح البخاري: " فدعا النبي، صلى الله عليه وسلم الكاتب (٦) فقال النبي، صلى الله عليه وسلم اكتب: (فقال سهيل (٧) أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا (فقال النبي، صلى الله عليه وسلم اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله " (٨).

٢- ومما جاء في الصلح: " وإنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك " (٩).

٣- وجاء -أيضا-: " على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه، ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه " (١٠).

هذا بعض ما ورد في الصلح، ولذلك فإن عمر لما بلغه عزم الرسول، صلى الله عليه وسلم على عقد الصلح و لم يبق إلا الكتاب غضب غضبا شديدا وذهب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله، أولسنا بالمسلمين، أوليسوا بالمشركين؟ " قال صلى الله

عليه وسلم بلى، قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا؟ فقال، صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني " (١١)

---

(١) – سورة البروج آية: ٨.

(٢) – سورة الأنعام آية: ٥٢.

(٣) – سورة الكهف آية: ٢٩.

(٤) – سورة الرعد آية: ٣١.

(٥) – سورة الكافرون آية: ٦.

(٦) – وهو علي بن أبي طالب.

(٧) – سهيل بن عمرو رئيس المفاوضين من قريش.

(٨) – أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٩) – مسند الإمام أحمد ٤/٣٣٠ وانظر تفسير ابن كثير ٤/١٩٦.

(١٠) – مسند الإمام أحمد ٤/٣٣٠ وانظر تفسير ابن كثير ٤/١٩٦.

(١١) – انظر المصدر السابق وتفسير ابن كثير ٤/١٩٦.

إن هذا الصلح الذي اعتبره عمر (دنية في دينه، ومع ما قد يبدو لأول وهلة من صعوبة القبول في بعض الشروط التي كتبت، وبخاصة في نظر المتحمس، هذا الصلح بشروطه سماه الله فتحا مبينا، قال ابن مسعود: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية.

وقال جابر: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية. وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء (قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، وفي مسند أحمد: فقال النبي، صلى الله عليه وسلم " نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) " [سورة الفتح، الآية: ١].

وفي رواية أخرى لأحمد عن أنس (قال: نزلت على النبي، صلى الله عليه وسلم (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)(١) [سورة الفتح، الآية: ٢]. مرجعه من الحديبية، قال

النبي، صلى الله عليه وسلم " لقد نزلت على الليلة آية أحب إلي مما على الأرض، ثم قرأها، صلى الله عليه وسلم " (٢).

إننا نجد في هذه القضية أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم وافقهم على عدة أمور أهمها:

١- أن يكتب باسمك اللهم، بدلا من بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- أن يكتب: محمد بن عبد الله، بدلا من: محمد رسول الله.

٣- أن يؤخر دخول مكة إلى العام القادم.

٤- أن يرد من جاء من المشركين مسلما دون إذن وليه، مع أنهم لن يردوا من جاء إليهم مشركا. بل إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال للصحابة عندما احتج بعضهم على هذه الشروط: " لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " رواه البخاري (٣).

ولو دققنا النظر في هذه الأمور التي أجابهم إليها رسول الله، لوجدنا أنها لا تتعلق بالعقيدة ولا بالمبدأ، وفرق كبير بينها وبين ما سبق في سورة (الكافرون). وسورة (الأنعام)، وليس فيها اعتراف بالباطل أو إقرار له.

كيف وقد سمى الله هذا الصلح: (فَتْحاً مُبِيناً)(٤) ولنقف مع هذه المطالب الأربعة، وقفة يسيرة موجزة، تبين ذلك.

فكتابة "باسمك اللهم" ليس فيها محذور شرعي، فلو أن مسلما قال: باسمك اللهم، وهو لا يعتقد تأويل أو نفي اسم الرحمن الرحيم ولا صفته، فإنه لا يأثم.

وأما: كتابة محمد بن عبد الله، فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله، وقد نفى، صلى الله عليه وسلم أي احتمال قد يتطرق إلى الأذهان، فقال لهم: " والله إني لرسول الله وإن كذبتموني " فإذا انتفى اللبس جاز الأمر.

وأما رجوعهم هذا العام إلى العام المقبل، فهذه قضية مصلحية تقدر بقدرها، بل إن فيها عدم استجابة للعواطف الجياشة إذا كان سيترتب على هذه الاستجابة مفسدة.

وكم من التصرفات يقوم بها بعض الناس استجابة لعاطفة غير منضبطة تسبب مفاسد عظيمة، قد لا تقدر المفسدة أثناء العاطفة.

وقضية إعادة من جاء مسلما إلى المشركين. قد تبدو مجحفة، وهذه هي النظرة العجلى، أما النظرة المتأنية والبعيدة، والتي تتجاوز مصلحة الأفراد إلى مصلحة الأمة، بل هي في مصلحة الأفراد أنفسهم، فلا يلزم أن يقبلهم المسلمون فأرض الله واسعة، يدل على ذلــك قولــه، صلى الله عليه وسلم لأبي جندل: " يا أبا جندل: اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا " الحديث. (٥).

وقوله لأبي بصير لما جاءه في المدينة: " ويل أمة مسعر حرب لو كان معه أحد " (٦).

وهكذا كان فقد كان ردهما بداية فتح عظيم للمسلمين.

وبعد:

هذه هي القضايا التي ذكرت أنني سأبين منهج القرآن فيها، وقد فعلت، وهنا آتي لخلاصة الموضوع ونتيجته، فأقول:

إن مفهوم التنازل قد اختلط على كثير من الدعاة والجماعات، وكل منهم يتمسك بدليل يناسبه، دون نظرة شمولية، فنحن بين إفراط وتفريط، والموضوع يحتاج -كمــا ذكــرت سابقا- إلى دراسة شاملة مؤصلة، تجمع فيها الأدلة، وتعرض الوقائع والأحوال، مما يساعد على حسم الموضوع وبيانه.

ومن خلال ما سبق فقد اتضح لي ما يلي:

أولا: لا يجوز التنازل عن أمر يتعلق بأصل من أصول الإسلام، أو مبدأ مــن مبادئــه، أو حكم من أحكامه التي حسمها الكتاب والسنة، أو أجمع عليها المسلمون.

ثانيا: أما مسائل الاجتهاد، ووسائل الدعوة ومراحلها، والسياسات الشرعية، فتراعى فيها القواعد، الشرعية الكلية العامة، كقاعدة، درء المفاسد وجلب المصــالح، وقاعــدة ســد الذرائع، وقواعد وأصول: المصالح المرسلة والاستحسان، وغيرها من القواعد المعروفة.

وذلك لا يكون إلا من العلماء المتبحرين، الذين يسوغ لهم الاجتهاد.

---

(١) - سورة الفتح آية: ٢.

(٢) - انظر مسند الإمام أحمد. وتفسير ابن كثير ١٨٢/٤.

(٣) – أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(٤) – سورة الفتح آية: ١.
(٥) – رواه أحمد ٣٢٥/٤ انظر تفسير ابن كثير ١٩٧/٤.
(٦) – رواه أبو داود (٢٧٦٥)، وانظر تفسير ابن كثير ١٩٩/٤.

وأخيرا أقول: إن حرصنا على نصر دين الله، وشدة محبتنا لظهوره على الدين كله يجب ألا تكون مخرجة لنا عن الالتزام بالمنهج الشرعي، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة.

صور النصر العاجل والآجل في القرآن

جاء النصر في القرآن على عدة صور، أشرت إليها سابقا، ولكن أحببت أن أذكرها مجتمعة باختصار؛ لتكون واضحة أمام الدعاة، ولئلا يتعجلوا وعد الله، فكل شيء عنده بمقدار، فلا يعجله حرص حريص، ولا يردّه كره كاره، وهو العليم الحكيم.

١ –من الأنبياء من أذاه قومه، فنصره الله عليهم، فأهلكهم وأقام الدين في حياته، كموسى ومحمد، عليهما أفضل الصلاة والسلام.

٢– ومنهم من ولاه الله الملك – وهذا نصر عظيم– كداود وسليمان، عليهما السلام.

٣– ومنهم من أذاه قومه و لم يؤمنوا به، سوى قليل منهم فنجاه الله ومن معه، وأهلك عدوه، ثم لم يبين لنا القرآن ماذا حدث للنبي بعد ذلك، أي: هل آمن به قوم آخرون، أو بقي على من آمن معه ومن آمن من ذرياتهم، كنوح وهود وصالح ولوط.

٤–ومنهم من قتله قومه، أو حاولوا قتله، فانتقم الله له بعد حين، كيحيى وعيسى، ومن أرسل لأصحاب القرية (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)(١) [سورة يس، الآية: ٢٩].

٥– ومنهم من يئس من قومه فتركهم، فعاقبه الله، ثم عفا عنه، ولما عاد إليهم، نصره الله نصرا مؤزرا، وظهر الدين وهو يونس (٢).

٦– ومن الدعاة من قتله قومه فآمن به بعض قومه فقتلوا وحرّقوا، ولكن لا نعلم ماذا حل بهؤلاء القتلة، سوى أن الله دعاهم للتوبة، وتوعدهم إن لم يتوبوا بعذاب جهنم وعذاب الحريق في الآخرة.

وهؤلاء هم أصحاب الأخدود (٣)

ولا يعني هذا أنهم لم ينصروا في الدنيا، فقد بينت أوجه النصر عند ذكر قصتهم.

إن استحضار هذه الصور في ذهن الداعية عامل مساعد في تخطي الصعاب، وتجاوز العقبات الحسية والمعنوية، وتزيد من إيمان الداعية بربه في تحقق موعوده، (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(٤) [سورة يوسف، الآية: ٢١].

وقفة مع قصة يونس عليه السلام.

قال الله -سبحانه وتعالى-: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)(٥) [سورة القلم، الآية: ٤٨]. لقد وردت قصة يونس، عليه السلام، في القرآن في عدة مواضع، منها في سورة الأنبياء:

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)(٦) [سورة الأنبياء، الآية: ٨٧].

وأطول قصة له وردت في الصافات (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)(٧) [سورة الصافات، الآيات: ١٣٩-١٤٨]. ووردت في سورة القلم: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)(٨) [سورة القلم، الآيات: ٤٨ - ٥٠]. قد وردت قصة يونس بروايات متعددة، واختلف المفسرون حول سبب تركه لقومه، ومعنى قوله -تعالى-: (إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً)(٩) على قولين:

١- قيل ذهب مغاضبا لربه.

٢- قيل ذهب مغاضبا لقومه.

وقد روى الطبري عن ابن عباس والضحاك أنه ذهب مغاضبا لقومه.

وروى عن الشعبي، وسعيد بن أبي الحسن، وسعيد بن جبير أنه ذهب مغاضبا لربه.

وقد رجّح الإمام الطبري بعد ذكر عدة روايات، أنه ذهب مغاضبا لربه، فقال:

وهذا القول -أعني قول من قال إنه ذهب مغاضبا لربه- أشبه بتأويل الآية، وذلك لدلالة قوله: (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)(١٠) على ذلك، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه، واستعظاما له، وهم بقيلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا. (١١)

---

(١) - سورة يس آية: ٢٩.

(٢) - هناك خلاف حول سبب تركه لقومه سيأتي بيانه بعد صفحات.

(٣) - انظر كتاب معالم في الطريق ص١٨٠، وفي ظلال القرآن تفسير سورة البروج ٣٨٧٣/٦.

(٤) - سورة يوسف آية: ٢١.

(٥) - سورة القلم آية: ٤٨.

(٦) - سورة الأنبياء آية: ٨٧.

(٧) - سورة الصافات آية: ١٣٩.

(٨) - سورة القلم آية: ٤٨-٥٠.

(٩) - سورة الأنبياء آية: ٨٧.

(١٠) - سورة الأنبياء آية: ٨٧.

(١١) - انظر تفصيل ذلك في تفسير الطبري ٧٦/١٧.

والذي يعنينا -هنا- أن يونس، عليه السلام، سواء كان قد ذهب مغاضبا لربه أو لقومه، فإنه قد استعجل الأمر، ولم يصبر كما قال -تعالى- لمحمد، صلى الله عليه وسلم (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ)(١) فإنه لم يصبر، وسواء كان، عليه السلام، استعجل إيمانهم أو استعجل العذاب لهم (٢) لأنهم قد كذبوه، والإيمان انتصار، وتعذيب المكذبين انتصار للداعية، فإنه قد استعجل الانتصار، عليه السلام، ولذلك عاقبه الله، بأن ابتلعه الحوت، وهو مليم، أي: مذنب.

ولكن الله عفا عنه وكفر له بعد أن نادى في الظلمات واعترف بذنبه، عليه السلام، بـــل اجتباه ربه فجعله من الصالحين.

فلما رجع إلى قومه بأمر من الله، آمنوا كلهم، (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)(٣) [سورة الصافات، الآيتان: ١٤٧، ١٤٨]. وهــذا مــن أعظــم الانتصار.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله -تعالى-: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُــنْ كَصَــاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)(٤) [سورة القلم، الآية: ٤٨]. يقول -تعالى- ذكره لنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمــه فيــك، وفي هــؤلاء المشركين، بما أتيتهم به من القرآن وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يثنينك عــن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك.

(وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ)(٥) قال قتادة: لا تعجل كما عجل، ولا تغضــب كمــا غضب، "وهو مذموم" أي: مذنب أو مليم.

قال الطبري: أي لا تكن كصاحب الحوت فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كمــا حبس يونس في بطن الحوت (٦).

إنه أمر عظيم حري بالدعاة أن يفقهوه.

وقفات مهمة

أولا: إذا فهم الداعية حقيقة الانتصار، فإن هذا لا يعني أن يتساهل الداعية في أمر الدعوة، وفي السعي الحثيث لإزالة المنكرات، والجد في محاولة هداية الناس، وذلك أن الشيطان قد يوسوس له فيقول:

أنت مهمتك البلاغ، أما النتائج فليست لك -وهذا حق- فإذن لمــاذا تحــزن أو تتعــب نفسك فيما ليس لك. ثم يوسوس له أن هؤلاء الناس لا خير فيهم، ويكفي أنك بيّنت مرة أو مرتين، أو ثلاثا، فإذا لم يستجيبوا فإنك معذور، ولا داعي للاستمرار والإصــرار، لأن جهودك ضائعة، ولو استفدت من وقتك في غير هذا الأمر لكان أحسن.

ثم يبدأ الداعية يتراخى شيئا فشيئا، حتى يترك الدعوة وينعزل عن الناس وشأنهم وليس هذا هو المراد، ولكن إدراك حقيقة الانتصار يزيد من حماس الداعية -مع الانضباط- سعيا وراء

تحقيق هذا المطلب الذي عز مناله، سواء أكان انتصارا ظاهرا لدين الله، أو كان انتصـــارا للداعية نفسه -كما سبق تفصيله-.

وعلى الداعية أن يحزن ويفرح، ولكن لا بد أن يكون حزنه وفرحه إيجابيا فعالا.

فحزنه يزيد من حرصه وإصراره على إنقاذ أمته، وهداية قومه، وتعبيد الناس لله جل وعلا.

وفرحه يقوي عزيمته ويشد من أزره للمضي قدما في تحقيق أهدافه متلذذا بنشوة الانتصار وحب الخير للناس.

ثانيا: كل داعية يجب أن يرسم لنفسه منهجا يسير عليه ويحدد أهدافا يسعى لتحقيقهـــا، يستمد ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مراعيا حاجة المجتمع الـــذي يعيش فيه، والواقع الذي يعاصره ولكن بعض الدعاة عندما يسير زمنا في دعوته، ثم يـــرى ما تحقق على يديه، فيلحظ أنه لم تتحقق الأهداف التي رسمها، ولكن تحقق جـــزء منـــها، يشعر أنه فشل في مهمته، وخسر في دعوته، فييئس ثم يتوقف.

وهذا أمر خطير، فإذا كان بعض الأنبياء لم يتحقق على أيديهم هداية رجل واحد، ومـــع ذلك لم يشكوا في دعوتهم أو يتوقفوا في طريقهم، فكيف برجل ليس نبيا، ومع ذلك حقق بعض ما يدعو إليه؟! ولذلك فقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي: " فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " (٧). يدل على أن هداية رجـــل واحـــد انتصار عظيم للداعية، فكيف يكون الداعية مثاليا، إما كل شيء، أو لا شيء؟!

ولذلك فإن كلمة سيد -رحمه الله- "خذوا الإسلام جملة أو دعوه". تحتاج إلى تفصـــيل، ولا تؤخذ على إطلاقها، فبعض وجوه معانيها حق، وهناك وجوه أخرى فسرت بها هـــذه الكلمة، يستشهد بها بعض الدعاة، مما يخالف المنهج الصحيح.

---

(١) - سورة القلم آية: ٤٨.

(٢) - انظر تفسير الطبري ٧٦/١٧ وما بعدها.

(٣) - سورة الصافات آية: ١٤٧-١٤٨.

(٤) - سورة القلم آية: ٤٨.

(٥) - سورة القلم آية: ٤٨.

(٦) – انظر تفسير الطبري ٢٩/٤٤.

(٧) – أخرجه البخاري (٢٩٤٢) مسلم، (٢٤٠٦).

ثالثا: من أهم أنواع الانتصار هو الانتصار على النفس بل لا يمكن أن يتحقق له أي نوع من أنواع النصر إلا إذا انتصر على نفسه وشهواتها (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)(١) [سورة آل عمران، الآية: ١٦٥]. (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)(٢) [سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١]. (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)(٣) [سورة النساء، الآية:٧٩]. (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(٤) [سورة المائدة، الآية: ٣٠]. (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)(٥) [سورة الرعد، الآية: ١١]. إلى غير ذلك من الآيات.

ومن هنا فإذا تأخر النصر فلنبدأ في بحثنا عن سبب ذلك من أنفسنا، فمِن مأمنه يؤتى الحذر.

الخاتمة

وبعد أن عشنا (٦) مع هذا الموضوع وعايشناه، نصل إلى خاتمة المطاف فأقول:

مما سبق اتضح لنا أن حقيقة انتصار الداعية تتمثل فيما يلي:

١- التجرد لله والإخلاص له (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)(٧) [سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣]. وقال سبحانه: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(٨) [سورة البينة، الآية: ٥]. والعمل الذي لا يصاحبه الإخلاص حري بالرد وعدم القبول.

٢- سلامة المنهج، وهو أن يكون وفق ما كان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وهو منهج الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله، قال -سبحانه-: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)(٩) وقال

صلى الله عليه وسلم " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " وقال: " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي " (١٠).

٣- الالتزام التام بما يدعو إليه والثبات على الطريق حتى يلقى الله، قال -سبحانه-: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(١١) [سورة الزخرف، الآية: ٤٣]. وقال: (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(١٢) [سورة لقمان، الآية: ٢٢]. وقال: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)(١٣) [سورة البقرة، الآيتان: ٤٤، ٤٥]. فالثبات على الطريق، من أقوى عوامل النصر وعلاماته.

بل إن صاحب الباطل إذا ثبت على باطله فغالبا ما ينتصر (١٤) فكيف بمن هو على الحق المبين؟.

---

(١) - سورة آل عمران آية: ١٦٥.

(٢) - سورة النازعات آية: ٤٠-٤١.

(٣) - سورة النساء آية: ٧٩.

(٤) - سورة المائدة آية: ٣٠.

(٥) - سورة الرعد آية: ١١.

(٦) - أنا والقراء.

(٧) - سورة الأنعام آية: ١٦٢-١٦٣.

(٨) - سورة البينة آية: ٥.

(٩) - سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(١٠) - رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع رقمه ٢٩٣٧.

(١١) - سورة الزخرف آية: ٤٣.

(١٢) - سورة لقمان آية: ٢٢.

(١٣) - سورة البقرة آية: ٤٤-٤٥.

(١٤) - أي يحقق أهدافه في الدنيا.

٤- الصدع بالحق، وعدم المداهنة أو الخوف من غير الله قال-تعالى-: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)(١) [سورة الحجر، الآيتان: ٩٤، ٩٥]. وقال: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)(٢) [سورة الكهف، الآية: ٢٩]. وقال -سبحانه- (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)(٣) [سورة المائدة، الآية: ٦٧]. وقال: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ)(٤) [سورة آل عمران، الآية:١٨٧]. وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ)(٥) [سورة المائدة، الآية: ٨]. إلى غير ذلك من الآيات التي توجب الصدع بالحق والدعوة إليه.

٥- الصبر وعدم اليأس والإيقان الجازم بوعد الله ونصره لعباده (٦) قال -سبحانه-: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)(٧) [سورة الصافات، الآيات: ١٧١، ١٧٢، ١٧٣]. وقال: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)(٨) [سورة غافر، الآية: ٥١]. وقال: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا)(٩) [سورة يونس، الآية: ١١٠]. وقال: (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)(١٠) [سورة يوسف، الآية: ٨٧]. وقال: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)(١١) [سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]. وقال: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ)(١٢) [سورة القلم، الآية: ٤٨]. وقال: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)(١٣).
(وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ)(١٤) [سورة الروم، الآية: ٦٠]. وقال: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)(١٥) [سورة السجدة، الآية: ٢٤]. وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١٦) [سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠].

فإذا تحققت هذه المقومات، جاء النصر، فوعد الله لا يتخلف أبدا، بل إن تحقق هذه الأركان في فرد أو جماعة نصر عظيم، وما يأتي بعد ذلك من نصر هو أثر من آثار هذا الانتصار.

(١) – سورة الحجر آية: ٩٤-٩٥.

(٢) – سورة الكهف آية: ٢٩.

(٣) – سورة المائدة آية: ٦٧.

(٤) – سورة آل عمران آية: ١٨٧.

(٥) – سورة المائدة آية: ٨.

(٦) – ذكر الطبري وابن كثير أن ابن جريج قال إن موسى عليه السلام –لما دعا على فرعون بقوله: (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم). قال الله تعالى: (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون). [سورة يونس، الآية: ٨٩.] قال ابن جريج: إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة، قبل أن يهلكه الله بالغرق. انظر تفسير الطبري ١٦١/١١ وتفسير ابن كثير ٤٢٩/٢.

(٧) – سورة الصافات آية: ١٧١-١٧٢-١٧٣.

(٨) – سورة غافر آية: ٥١.

(٩) – سورة يوسف آية: ١١٠.

(١٠) – سورة يوسف آية: ٨٧.

(١١) – سورة الأحقاف آية: ٣٥.

(١٢) – سورة القلم آية: ٤٨.

(١٣) – سورة الروم آية: ٦٠.

(١٤) – سورة الروم آية: ٦٠.

(١٥) – سورة السجدة آية: ٢٤.

(١٦) – سورة آل عمران آية: ٢٠٠.

وختاما: نقول: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(١) [سورة البقرة، الآية: ٢٥٠]. (رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)(٢) [سورة آل عمران، الآية: ٨]. (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(٣) [سورة آل عمران، الآيــة: ١٤٧].
(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُــرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(٤) [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦].
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظــالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) – سورة البقرة آية: ٢٥٠.

(٢) – سورة آل عمران آية: ٨.

(٣) – سورة آل عمران آية: ١٤٧.

(٤) – سورة البقرة آية: ٢٨٦.

====================

مواصفات جيل التمكين

د. أحمد بلوافي

١ – بين يدي الموضوع:

عند العودة إلى كتاب الله نجد أن كلمة مكَّن ومشتقاتــها وردت في مــا يقــرب مــن العشرين آية (١٦ آية)، اثنتا عشرة آية منــها دار مدلول الكلمة فيها حول المعنى الــذي نريده؛ وهو أن يجعل الله سبحانــه الممكن لهم خلفاء الأرض أي أئمة النــاس والــولاة عليهم ولهم تخضع البلاد والعباد، وتصلح في حال تولي المؤمنين[١][١] .

ومن شأن هذا الأمر أن يسمح للممكن لهم أن تكون لهم اليد الطولي وبسط نفوذهم على من يقع تحت إمرتــهم أو إشرافهم، فيستطيعوا من خلال ذلك الموقع فرض أنظمتـــــهم وسن قوانينــهم فيسايرهم في ذلك أمماً طوعاً أو كرهاً من يقع تحت دائرة تأثيرهم.

ومن خلال استعراض الآيات في كتاب الله يتضح هذا الأمر بكل جلاء، ويمكن تقســيم هذا الاستعراض إلى أربعة أقسام:

١ - التمكن لنبي الله يوسف عليه السلام، قال تعالى:]وكذلك مكنا ليوسف في الأرض[[يوسف: ٢١]، وقال عز من قائل:]وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منـــها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين[[يوسف: ٥٦].

٢ - التمكين لذي القرنين، قال تعالى:]ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا علـــيكم منـــه ذكراً، إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً[[الكهـــف: ٨٤]، وقـــال سبحانـــه:]قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعـــل بيـــنكم وبينـــــه ردمـــاً[[الكهف: ٩٥].

٣ – التمكين للذين كفروا، نذكر منـــه على سبيل المثال بعض الآيات، قال سبحانـــــه وتعالى في سورة الأعراف، الآية العاشرة بعد أن أقسم جل وعلا أنـــه سيسأل المرســـلين والأقوام الذين أرسلوا فيهم:]ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً مـــا تشكرون[، وقال في سورة الأنعام [٦]:]ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنـــاهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنـــهار تجـــري مـــن تحتـــهم فأهلكناهم بذنوبـــهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين[، وقال سبحانـــه في سورة القصص [٥٧]:]وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء[، وغير ذلك من الآيات.

٤ - التمكين للمؤمنين أو الوعد لهم بذلك، قال سبحانـــه عن أصحاب موســـى عليـــه السلام:]وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربـــها[[الأعراف: ١٣٧]، وقال في سورة القصص [٥ – ٦]:]ونريد أن نمن على الـــذين استضـــعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونُمكن لهم في الأرض[، وقال لأصحاب محمـــد صلى الله عليه وسلم والذين يأتوا من بعدهم:]وعد الله الذين آمنـــوا مـــنكم وعملـــوا الصالحات ليستخلفنـــهم في الأمر كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينـــــهم الذي ارتضى لهم وليبدلنـــهم من بعد خوفهم أمناً[[النور: ٥٥]، وقال في سورة الحـــج [٤١]:]الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونـــهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور[.

هذه معظم المواطن التي وردت فيها كلمة مكَّن ومشتقاتــها وتلك هي معانيها وكلــها تدور، كما ذكرنا سابقاً، حول إمامة الناس والتولي عليهم وإخضاعهم لســلطة ونفــوذ الأقوام الممكن لهم. ولنا كلمة أو وقفة حول الوعد بالتمكين للمؤمنين حيث أنــه عنــد استعراض الآيات التي يتعلق أمر التمكين فيها للمؤمنين نجد أن الله يتحدث على ما بعــد التمكين وما يجب أن يكون عليه أمر الفئة المُمَكَّن لها، وهو الأمر الخطــير، وذلــك لأن النفوس في حال النصر والتمكين والظفر برقاب الناس قد يخالط سويداء قلوبــها ما يجعلها تتكبر على الخلق وتنتقم منــهم، فاقتضى المقام التنبيه على ذلك، كما قال موسى عليــه السلام لقومه المستضعفين:]عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون[، وتذكير المؤمنين أن تمكينــهم يختلف عن تمكين غيرهم، فهم يمثلون مبدأ ورسالة سماوية وليس منــهجاً أرضياً، وهم فوق ذلك مؤتمنون عليهــا، فهــذا الــذي ائتمنــهم – وهو الله جل جلاله – يقول لهم: هذا هو الحال الــذي أطلــب مــنكم أن تكونوا عليه عند حصول التمكين لكم.

ونحن نتطلع إلى ذلك اليوم الذي يعز الله فيه الإسلام وجنده، ويخذل الشرك وأهله، يجب علينا أن نضع هذه المعاني نصب أعيننا حتى نــزيل العوائق التي تحول بين هــذا الواقــع المشرق المضيء وبين واقع الذل والهوان الذي نتجرع كؤوسه كل يوم.

٢ – بين الوعد والتــهديد:

وعد الله الذين آمنوا بالنصر والتمكين ثم الظفر بأعدائهم في آيات كثيرة مــن كتابــه العزيز، والله لا يخلف وعده، فإذا ما تخلف هذا الوعد وتأخر فعلى المؤمنين أن يراجعــوا مسيرتــهم وأن يتــهموا أنفسهم ليكتشفوا المثالب والأخطاء التي وقعــوا فيهــا حــتى يتجنبوها، ويجب عليهم أن يقتلعوها من جذورها حتى لا تألفها النفوس وتعتاد على العيش في مستنقعها الآسن [كما هو واقعنا اليوم فإلى الله المشتكى].

فالحق جل في علاه يقول:]إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الــدنيا ويــوم يقــوم الأشهاد[،]وكان حقاً علينا نصر المؤمنين[،]والعاقبة للمتقين[،]واذكروا إذ أنتم قليــل مستضعفين في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصــره[،]وأخــرى

تحبونـــها نصر من الله وفتح قريب[، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتاب الله، أو مبين في سنة رسوله عليه السلام.

هذا الرب الرحيم الودود الذي قطع على نفسه هذا الوعد، هو الذي هدد من يتقاعس أو يتوانى أو يرتد عن نصرة هذا الدين بالاستبدال في حال الإقدام على هذه الأمور الذميمة.

فقال في سورة المائدة [٥٤]:]يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينــــه فسوف يأتي الله بقوم — إلى قوله — والله واسع عليم[.

وقال في سورة التوبة:]قل إن كان آباؤكم — إلى قوله — والله لا يهدي القوم الفاسقين[، وقال:]يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله — إلى قوله — والله على كل شيء قدير[.

وقال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم:]ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقـــوا في ســـبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني - إلى قوله - ثم لا يكونـــوا أمثالكم[، قال القرطبي: "أي في الجهاد وطرق الخير".

وبالعودة إلى أسباب النـــزول وبعض ما تضمنتـــه هذه الآيات من أحكام نجد ما يلي:

١ - ذكر المفسرون عند آيات سورة المائدة بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وســـلم تبين ما سيقع في هذه الأمة من ارتداد بعض الطوائف عن الإسلام، وذلك لأن هذه الآيـــة كانت من أواخر ما نـــزل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول هذه الآية وما قبلها في ســـورة المائـــدة: "فالمخـــاطبون بالنـــهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة، ومعلوم أن هذا يتنـــاول جميع قرون الأمة، وهو سبحانـــه لما نـــهى عن موالاة الكفار، وبين أن من تولاهم مـــن المخاطبين فإنـــه منـــهم؛ بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضـــر الإســـلام شيئاً، بل سيأتي الله بقوم يحبـــهم ويحبونـــه، فيتولون المؤمنين دون الكفار، ويجاهدون في سبيل الله؛ لا يخافون لومة لائم - إلى أن قال - فهؤلاء الذين لم يـــدخلوا في الإســـلام، وأولئك الذين خرجوا منـــه بعد الدخول فيه؛ لا يضرون الإسلام شيئاً، بل يقيم الله مـــن يؤمن بما جاء بـــه رسوله وينصر دينـــه إلى قيام الساعة" [من وسائل دفع الغربة، ص ٦٣ - ٦٤].

٢ – آيات سورة التوبة، جاءت عقب النـــهي عن موالاة الآباء والإخوة الكفار وخـــتم ذلك بقوله:]والله لا يهدي القوم الفاسقين[، يقول الألوسي رحمه الله: "أي الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين وتقديم محبة من ذكر على محبة الله عز وجل ورسوله..." اهـــ.
٣ –]يستبدل قوماً غيركم[، "وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التـــهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال، أي قوماً مطـــيعين، مـــؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم وهم أبناء فارس كما قال سعيد بـــن جبير، أو أهل اليمن، كما روي عن أبي روق، أو ما يعم الفريقين كما اختـــاره بعـــض المحققين" [نفس المرجع: ص ١٣٣].
٤ – آية التوبة:]يا أيها الذين آمنوا مالكم...[، قال ابن عطية: "ولا اختلاف بين العلماء في أن هذه الآية نـــزلت عتاباً على تخلف من تخلف عن غزوة تبوك..." اهـــ.
يتبين من خلال الجمع بين هذه النصوص؛ نصوص الوعد ونصوص التـــــهديد أن أمـــر التمكين والظفر بالأعداء لا يستحقه كل من انضوى تحت مسمى الإيمان وهو مع ذلـــك راكد لا تـــهز كيانـــه ولا تحرك مشاعره ووجدانـــه نداءات الوحي ومتطلبات الإيمان. كلا، إن هذا الأمر لا يستحقه إلا من تخلى عن الصفات الذميمة التي ذكرها الله في معرض التـــهديد، واتصف بالصفات الإيجابية التي ذكرت في تلك الآيات أو في غيرها، وإليـــك أخي الكريم بيان موجز لبعض تلك الصفات التي نسأل الله أن يوفقنا لامتثالها في حياتنـــا وفي أنفسنا حتى يغير الله ما بنا من واقع الذل والهوان.
٣ – بعض المواصفات: يصعب حصر تلك الصفات وتناولها بشيء من التفصيل في مثـــل هذا الحيز المتاح، وما سيرد ذكره هو على سبيل المثال ومما استدعى المقام الإشـــارة إليـــه لأهميتـــه وتذكير أنفسنا بـــه.
أ – أولى هذه المواصفات: أنـــه جيل يحب الله ويحبـــه الله.
قال تعالى:]فسوف يأتي الله بقوم يحبـــهم الله ويحبونـــهم[، وهذه أول صفة ذكرهـــا الله في معرض تـــهديد من ارتد عن الإسلام، وبالعودة إلى الآيات التي ذكرناها سابقاً نجد أن هذه الصفة من أهم الخصال التي يجب أن يتحلى بـــها يريد أن يحقق الله على يديه أمـــر إعزاز الإسلام والمسلمين.

فتقديم محاب الله ورسوله على الأمور التي جبل الإنسان على محبتـــها مثل المـــال والولـــد والزوج والعشيرة أو النفس أو غيرهما دلالة كذلك على صدق هذه المحبة ومحك لاختبـــار دعوى من يتشدق بـــها.]ويطعمون الطعام على حبـــه مسكيناً ويتيماً وأسيراً[لمـــاذا؟]إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً[.

ولهذا نقل عن السلف قولهم أن قوماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا محبة الله فاختبرهم الله جل وعلا بقوله في سورة آل عمران:]قل إن كنتم تحبون الله فـــاتبعون يحببكم الله[[آل عمران: ٣١]، وتسمى هذه الآية آية المحنة لامتحانـــــها القلـــوب في ادعائها هذا.

ومحبة الله عبده رضاه عنـــه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربـــه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينـــه [ابن عاشور: ٢٣٦].

وإننا في هذه الأيام وفي هذه الديار لفي أشد الحاجة إلى تذكير هـــذه المعـــاني والعمـــل بمقتضاها وترك ما ينافيها وذلك بعرض أعمالنا وأقوالنا على المحجة البيضاء الـــتي تركنـــا عليها خير الورى.

وسنعيش لحظات مع بعض المعاني والآثار التي أوردها ابن القيم رحمه الله في كتابـــه الرائع (مدارج السالكين) وذلك بتناول الأمور التالية:

١ - أهمية المحبة: وهي المنـــزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قـــوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبـــه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بـــها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي سمة هذه الطائفة المسافرين إلى ربـــهم، الذين ركبوا جناح السفر إليه، ثم لم يفارقوه إلى حين اللقاء، وهم الذين قعدوا على الحقائق، وقعد من سواهم على الرسوم.

وهي عنوان طريقتـــهم ودليلها، فإن العنوان يدل على الكتاب، والمحبة تدل على صـــدق الطالب، وأنـــه من أهل الطريق.

كما إنـــها "معقد النسبة" أي النسبة التي بين الرب وبين العبد، فإنـــه لا نسبة بـــين الله وبين العبد إلا محض العبودية من العبد والربوبية من الرب، وليس في العبـــد شـــيء مـــن الربوبية، ولا في الرب شيء من العبودية، فالعبد عبد من كل وجه، والرب تعالى هو الإله الحق من كل وجه.

ومعقد نسبة العبودية هو المحبة، فالعبودية معقودة بـــها، بحيث متى انحلت المحبـــة انحلـــت العبودية، والله أعلم.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منـــها فهي كالجســـد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفـــس بالغيهـــا، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونـــها أبداً واصليها، وتبوؤهم مـــن مقاعـــد الصـــدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبـــهم أوفر نصيب، وقد قضى الله – يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئتـــه وحكمتـــه البالغة – : أن المرء مع من أحب، فيالها مـــن نعمـــة على المحبين سابغة.

ومضى يقول رحمه الله:

فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنـــها روح كل مقام ومنـــزلة وعمل، فإذا خلا منـــها فهو ميـــت لا روح فيـــه، ونسبتـــها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفـــس الإسلام، فإنـــه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فإن "الإله" هو الذي يألهه العباد حباً وذلاً، وخوفـــاً ورجاء، وتعظيماً وطاعة له. بمعنى "مألوه" وهو الذي تأله القلوب، أي تحبـــه وتذل له.

٢ – حقيقتـــها: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الـــدعوى، فلـــو يعطى الناس بدعواهم لادّعى الخلي حرقة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيـــل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة]قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبـــبكم الله[[آل عمـــران: ٣١].

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينـــة بتزكية:]يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمة[[المائدة: ٥٤].

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم. فهلموا إلى بيعة]إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة[[التوبة: ١١١].

فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع، عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأناً، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار، وقالوا: "والله لا نقيلك ولا نستقيلك".

فلما تم العقد، وسلموا المبيع، قيل لهم: مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معاً:]ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عنـــد ربــــهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله[[آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنـــواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربـــها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصـــل بسدرة المنتــــهى.

ومن أجمع ما قيل فيها: ما ذكره أبو بكر الكتاني، قال: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى – أيام الموسم – فتلكم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: هـــات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصـــل بذكر ربـــه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبـــه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعـــن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله.

فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جزاك الله ياتاج العارفين.

٣ – الأسباب الجالبة لها: في الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها. عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد بـــه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنـــها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبـــه من المحبـــة على قدر نصيبـــه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنه والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها - انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق.

٤ - بعض الآثار في تبيين حقيقتها وأهميتها: ففي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يلقى في النار"[٢][٢]

.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني

لأعيذنــه"[٣][٣] ، وفي الصحيحين عنــه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وســلم: "إذا أحب الله العبد دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبــه، فيحبــه جبريل، ثم ينادي في السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبــه أهل الســماء، ثم يوضــع لــه القبــول في الأرض"[٤][٤] . وذكر في البغض عكس ذلك.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنــهما في حديث أمير السرية الذي كان يقرأ]قل هو الله أحد[لأصحابــه في كل صلاة، وقال: لأنــها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقــرأ بــها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخبروه أن الله يحبــه"[٥][٥] .

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبــه الله سبحانــه من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبــه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم، كقوله تعالى:]والله يحب الصابرين[[آل عمران: ١٤٦]،]والله يحب المحسنين[[آل عمران: ١٣٤]،]إن الله يحب التــوابين ويحــب المتطهــرين[[البقرة: ٢٢٢]،]إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنــهم بنيــان مرصــوص[[الصف: ٤]،]فإنــه الله يحب المتقين[[آل عمران: ٧٦].

وقوله في ضد ذلك:]والله لا يحب الفساد[[البقرة: ٢٠٥]،]إن الله لا يحب كل مختــال فخور[[لقمان: ١٨]،]والله لا يحب الظــالمين[[آل عمــران: ٥٧، ١٤٠]،]إن الله لا يحب من كان مختالاً كفوراً[[النساء: ٣٦].

وكم في السنة: "أحب الأعمال إلى الله كذا وكذا"، و "إن الله يحب كذا وكذا"، وكقوله: "أحب الأعمال إلى الله: الصلاة على أول وقتــها، ثم بر الوالدين، ثم الجهــاد في ســبيل الله"[٦][٦] ، و "أحب الأعمال إلى الله: الإيمان بالله، ثم الجهاد في ســبيل الله، ثم حــج مبرور"[٧][٧] ، و "أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبــه"[٨][٨] ، وقولــه: "إن الله يحب أن يؤخذ برخصه"[٩][٩] .

وبعد؛ لقد حاولنا الطواف والوقوف على بعض المعاني والآثار التي تبين حقيقة وأهمية محبة العبد لله ومحبة الله للعبد، فعلينا أن نلزم تلك الحدود وأن لا نتعداها أو نبخســها حقهــا، وعلينا فوق ذلك أن نعرض أعمالنا وأقوالنا على هذه الموازين الثابتة لننظر هل نحن فعــلاً صادقون في دعوانا أننا نحب الله؟ فإذا كانت إجابتنا إيجاباً حمدنا الله على ذلك وشمرنا على ساعد الجد والاجتــهاد لطلب المزيد. وإذا كانت غير ذلك فما علينا إلا أن نســارع إلى

تدارك ما فاتنا من نقص حتى لا نكون سبباً في هلاك أنفسنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ونكون سبباً في زيادة بلايانا ورزايانا بما كسبت أيدينا من معاص وآثام.

ب - ثاني هذه المواصفات: أنــه جيل مجاهد لا تأخذه في الله لومة لائم: قــال تعــالى:]يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمة[، وقال جل شأنــه:]إن الله اشترى مــن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليــه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن — إلى قوله — ذلك هو الفوز العظيم[[التوبة: ١١١].

والحديث عن الجهاد وأثره في إعزاز أمة الإسلام يطول، ويكفي أن النبي صلى الله عليــه وسلم ذكر في الأحاديث الصحيحة أن الأمة سيصيبــها الذل والصغار إن هي تركــت هذه الشعيرة العظيمة وأنــه لا يُرفع عنــها لباس الهوان هذا إلا العودة الصادقة إلى ممارسة هذه الشعيرة وتربية الأجيال على معانيها وطلب معاليها.

يقول سيد رحمه الله معلقاً على آيتي ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبــة: "والعــذاب الــذي يتــهددهم ليس عذاب الآخرة وحده؛ فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين واستغلالها للمعادين، وهم كذلك يخسرون من النفوس والأموال أضــعاف مــا يخسرون من الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذابح الذل أضعاف ما تتطلبــه منــــهم الكرام لو قدموا لها الغداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبــه منــها كفاح الأعداء" اهـــ.

وقد مثل جيل الصحابة رضوان الله عليهم النموذج الفذ في تطبيــق متطلبــات الجهــاد والشوق إلى ما عند الله، وهذا الأمر له صلة بما قبله، وذلك لأن هذا الجيــل أحــب الله وأحب لقاءه، فكان يبحث عن أيسر السبل التي توصله إلى محبوبة، فوجد في حب الشهادة والاستشهاد وامتطاء صهوة جوادها الوسيلة المثلى لتحقيق هذا المبتغى.

فكانت تحيتــهم هذه نقيض ما قاله من كانوا مع موسى عليه السلام:]اذهــب أنــت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون[، بل قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: "اذهــب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون".

ولا يتسع المقام إلى العيش مع صور من تلك البطولات فعلى المــرء أن يطلبـــــها مـــن مظانـــها وأن يستلذ بالاطلاع عليها ويجعل ذلك جزءاً من برنامجه التربوي حـــتى تعلـــو همتـــه، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون أبناءهم مغازي الرسول صـــلى الله عليه وسلم كما يعلمونـــهم السورة من القرآن.

وقبل أن نترك هذه الخصلة لابد أن نشير إلى أن للجهاد أحكاماً وضوابطاً ليس هذا مجـــال التفصيل فيها، كما أن له أخلاقاً تبين المجاهد الصادق من غيره. فمن أخـــلاق المجاهـــدين الرحمة والشفقة بالناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق وليس من أخلاقهم التعالى والتكبر واحتقار جهد الآخرين والنظر إليهم بعين الازدراء والسخرية.

فقد كان الصحابة أكبر المجاهدين وأفضل المضحين ولكنـــهم مع ذلك كـــانوا]رحمـــاء بينـــهم[و]أشد على الكفار[،]أذلة على المؤمنين أعزة على الكـــافرين[، أمـــا الـــذين يزايدون ببعض بطولاتـــهم ويتشدقون بذلك، فعليهم أن يراجعوا مسيرتـــهم ويعرضوها على نقاء السيرة التي تركها رجال خير القرون. فهؤلاء الأفذاذ على ما بذلوه من تضحية وجهاد وعلم وعمل كانوا دائماً يخافون من أن تحبط أعمالهم وكانوا دائماً يحتقرون تلـــك الأعمال مقابل ما أعده الله لهم من جنات النعيم.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه يسأل أمين سر النبي صلى الله عليه وسلم حذيفـــة بن اليمان رضي الله عنـــه هل ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في عداد المنافقين الـــذين أسر له بـــهم؟ وهذا التابعي بن أبي مليكة يقول: أدركت ثلاثين من أصـــحاب محمـــد، كلهم يخشى النفاق على نفسه، ما منـــهم أحد يقول أن إيمانـــه على مســـتوى إيمـــان ميكائيل وجبرائيل، وغير ذلك من الآثار كثير، التي تبين تواضع القوم وانكسار قلوبـــهم وإخباتـــها لربـــها، على عكس كثير ممن رفعوا شعار هذه الفريضة في هـــذا الزمـــان أو تصدوا لأعمال دعوية أخرى تتطلب الشجاعة والإقدام فتباهوا على الناس بـــها وازدروا أعمال غيرهم الصائبة.

وذكر هذه المسألة والتركيز عليها من شأنـــه أن يجعلنا دائماً – مهما قدسنا من أعمـــال وتضحيات – في مراجعة دائمة لسيرنا ومسيرتنا وذلك حتى نتدارك عوامل الخلل والنقص والمواطن التي أتى أعداؤنا إلينا منـــها، ومن ذلك نذكر القضايا التالية:

١ – التشرذم، فلا يعقل في عصر تكالبت علينا فيه الأمم قاطبة والأعداء بجميع أصـــنافهم أن ينفرد بأمر المواجهة فئة من الناس غير واضعة في حسابـــها هذه المعادلـــة، مـــع مـــا أوجبـــه الله سبحانـــه وتعالى من ضرورة تراص الصفوف والتصاقها ببعضها في ساحات الوغى]إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنـــهم بنيان مرصوص[.

٢ – معرفة أحكام الجهاد ومعالمه حتى نسير في كل خطوة نخطوها على بينة من أمرنـــا، فالله تعبدنا بما شرع لنا هو لا بما شرعت لنا أنفسنا وأهواؤها.

٣ – معرفة الراية التي نقاتل تحتـــها، وهي الراية التي تكون كلمة الله تحت لوائهـــا هـــي العليا وليس القتال من أجل القومية أو الحزب أو الجماعة أو الحمية والشجاعة وإنما مـــن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

ج – ثالث هذه الصفات: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين: قال تعالى:]محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينـــهم[، وقال:]واخفض جناحك لمن اتبعـــك من المؤمنين[،]ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك[، نعم هكذا كان حـــال الرعيل الأول، وذلك كان حال معلمهم معهم، وهكذا يجب أن يكون حال مـــن يريـــد اقتفاء أثرهم وتحقيق الثمرة التي حققوها، من خفض الجناح ولين الجانب عنـــدما يتعلـــق الأمر بالمؤمنين وبالشدة والعزة والإباء عندما يتعلق الأمر بأعداء الله المحاربين.

يقول ابن عاشور عند آية سورة المائدة: "فالمراد هنا بالذل بمعنى لـــين الجانـــب وتوطئـــة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق بـــه قوله]على المؤمنين[... والأعز جمع العزيز، فهو المتصف بالعزة وهو القوة والاستقلال... وفي [أي الجمع بين صفتي الذلة والعزة] إيماء إلى أن صفاتـــهم تسيرها آراؤهم الحصيفة [المنقادة للشرع] فليسوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، وليسوا ممن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون ليناً في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائـــم ذلـــك الحال، قال [الشاعر]:

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب" اهـــ.

وهذا الذي ذكره الله في هذا الموضع من ضرورة وإيجاب التصرف في كل حال ومع كـــل قوم بما يناسب المقام شبيه بقوله سبحانـــه في سورة هود:]فاستقم كما أمرت ومن تاب

معك ولا تطغوا إنــه بما تعملون بصير، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا[، وهي الآيــة الــتي شيبت النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك المفسرون.

قال الألوسي عند نفس الآية [آية سورة المائدة]: "]أذلة على المؤمنين[عــاطفين علــيهم متذللين لهم... وكان الظاهر أن يقال: أذلة للمؤمنين كما يقال تذلل له، ولا يقال: تذلل عليه للمنافاة بين التذلل والعلو لكنــه عدي بعلى لتضمينــه معنى العطف والحنو المتعدي بــها، وقل: للتنبيه على أنــهم مع علو طبقتــهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهــم أجنحتــهم، ولعل المراد بذلك أنــه استعيرت (على) لمعنى اللام ليؤذن بأنــــهم غلبــوا غيرهم من المؤمنين في التواضع حتى علوهم بــهذه الصفة..." اهــ.

قال الشاعر:

ملأ السنابل تنحني لخشوع والفارغات رؤوسهن شوامخ

إن الإيمان إذا سكن في القلب واستجابت لذلك الجوارح تحول المؤمن إلى شــجرة طيبــة ريحها وثمرها يسقي من ماء غير آسن وأصلها ثابت وفرعها في السماء.

يقول صاحب زبدة التفسير: "أي يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله، وعدم خــوف الملامة في الدين، بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشــيطان، مــن الازدراء بأهل الدين، وقلب محاسنــهم مساوئ، ومناقبــهم مثالب، حســداً وبغضــاً وكراهة للحق وأهله" اهــ.

قال ابن كثير رحمه الله عند نفس الآية [آية سورة المائدة]: "وهذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه متعززاً على عدوه كقوله تعالى:]أشداء علــى الكفــار رحماء بينــهم[ومن علامة حب الله تعالى للمؤمنين أن يكون لــين الجانــب متواضــعاً لإخوانــه المؤمنين، متسربلاً بالعزة حيال الكافرين والمنافقين" اهــ.

وهذا ما تضافرت نصوص الوحي لتثبيتــه في قلوب الناس وليكون من يريد تحقيق أمــر التمكين على يديه مثالاً يحتذى في تطبيق هذه الأخلاق الرائعة والعمــل بــــها، ولقــد خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بأنــه لو كان غليظ القلب شديداً مــع أصحابــــه لانفضوا من حوله:]ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك[.

الفظ: الغليظ السيء الخلق.

انفضوا: تفرقوا.

ونذكر هنا بعضاً من النصوص وأقوال أهل العلم التي تحث المؤمنين على هذه الأخلاق:

١ - بعض النصوص: قال الله تعالى:]وعباد الرحمن الـــذين يمشـــون في الأرض هونـــاً[[الفرقان: ٦١]، أي سكينة ووقاراً متواضعين، غير أشرين، ولا مرحين ولا متكبرين، قال الحسن: علماء حلماء، وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا.

و "الهون" بالفتح في اللغة: الرفق واللين. والهون بالضم: الهوان، فالمفتوح منـــه: صفة أهل الإيمان، والمضموم: صفة أهل الكفران، وجزاؤهم من الله النيران.

وقال تعالى:]يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينـــه فسوف يأتي الله بقوم يحبـــهم ويحبونـــه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين[[المائدة: ٥٤].

لما كان الذل منـــهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة "على" تضميناً لمعـــاني هذه الأفعال، فإنـــه لم يرد بـــه ذل الهوان الذي صاحبـــه ذليل، وإنمـــا هـــو ذل اللـــين والانقياد الذي صاحبـــه ذلول، فالمؤمن ذلول، كما في الحديث: "المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق والفاسق ذليل"[١٠][١٠] وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب، والنمام، والبخيل، والجبار.

وقوله:]أعزة على الكافرين[هو من عزة القوة والمنعة والغلبة. قال عطاء رضي الله عنـــه: للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريستـــه، كمـــا قـــال في الآيـــة الأخرى]أشداء على الكفار رحماء بينـــهم[[الفتح: ٢٩].

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنـــه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[١١][١١] .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنـــه قال: قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبـــه مثقال ذرة من كبر"[١٢][١٢].

وفي حديث احتجاج الجنة والنار: "أن النار قالت: مالي لا يـــدخلني غـــلا الجبـــارون، والمتكبرون؟ وقالت الجنة: مالي لا يـــدخلني إلا ضـــعفاء النـــاس وســـقطهم" وهـــو في الصحيح[١٣][١٣] .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنـــهما قالا: قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: العزة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نـــازعني عذبتـــه"[١٤][١٤] .

٢ – هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر على الصبيان فيسلم عليهم[١٥][١٥] .

وكانت الأمة تأخذ بيده صلى الله عليه وسلم، فتنطلق بـــه حيث شاءت[١٦][١٦].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل لعق أصابعه الثلاث[١٧][١٧] .

وكان صلى الله عليه وسلم يكون في بيتـــه في خدمة أهله[١٨][١٨] ولم يكـــن ينـــتقم لنفسه قط[١٩][١٩] .

وكان صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويرقع ثوبـــه، ويحلب الشاة لأهله[٢٠][٢٠] .

ويعلف البعير ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشـــى مـــع الأرملـــة واليتـــيم في حاجتـــهما[٢١][٢١]، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيســـر شيء[٢٢][٢٢] .

وكان صلى الله عليه وسلم هي المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكـــل مســـلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ – أو تحرم عليه النار – تحرم على كل قريب هين لين سهل" رواه الترمذي، وقال حديث حسن[٢٣][٢٣] .

وقال: "لو دعيت إلى ذراع – أو كراع – لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع – أو كـــراع – لقبلت" رواه البخاري[٢٤][٢٤] .

٣ – حقيقة الذل والتواضع:

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع؟ فقال: يخضع للحق، وينقاد له. ويقبله ممن قاله.

وقال الجنيد بن محمد: هو خفض الجناح، ولين الجانب.

وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان، والعز في التواضع، فمن طلبه في الكبر فهو كتطلب الماء من النار.

وقال إبراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة.

وقال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: "يا أمر المؤمنين؛ لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها".

وولي أبو هريرة رضي الله عنه إمارة مرة، فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره، ويقول: طَرِّقوا للأمير.

ومر الحسن على صبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه، فنزل فأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، فأطعمهم وكساهم، وقال: اليد لهم، لأنهم لا يجدون شيئاً غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر ممنه.

ويذكر أن أبا ذر رضي الله عنه عير بلالاً رضي الله عنه بسواده، ثم ندم، فألقى بنفسه، فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه، فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال.

وروح التواضع: أن يتواضع العبد لصولة الحق. بأن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والذل، والانقياد، والدخول تحت رقة، بحيث يكون الحق متصرفاً فيه تصرف المالك في مملوكه، فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع، ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بضده، فقال: "الكبر بطر الحق، وغمص الناس"[٢٥][٢٥] . فبطر الحق: رده وجحده، والدفع في صدره، كدفع الصائل، و "غمص الناس" احتقارهم، وازدراؤهم، ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم، وجحدها، واستهان بها.

ولما كان لصاحب الحق مقالة وصولة: كانت النفوس المتكبرة لا تقر له بالصولة على تلك الصولة التي فيها، ولا سيما النفوس المبطلة، فتصول على صولة الحق بكبرها وباطلها، فكان حقيقة التواضع: خضوع العبد لصولة الحق، وانقياده لها، فلا يقابلها بصولته عليها.

وجمال التواضع إنما يكون بأن ترضى بما رضي الحق بـــه لنفسه عبداً من المسلمين أخـــاً، وأن لا ترد على عدوك حقاً، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

فإذا كان الله قد رضي أخاك المسلم عبداً، أفلا ترضى أنت بــه أخاً؟ فعدم رضاك بـــــه أخاً: عين الكبر، وأي قبيح أقبح من تكبر العبد على عبد مثله، لا يرضى بأخوتــه، والله راض بعبوديتـــه؟.

ولا تصح لك درجة "التواضع" حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض فتقبله مـــن عـــدوك كما تقبله من وليك، وإذا لم ترد عليه حقه، فكيف تمنعه حقاً له قبلـــك؟ بـــل حقيقـــة "التواضع" أنـــه إذا جاءك قبلتـــه منـــه، وإذا كان له عليك حق أديتـــه إليه، فلا تمنعك عداوتـــه من قبول حقه، ولا من إيتائه إياه.

وكذلك من أساء إليك ثم جاء يعتذر عن إساءتـــه فإن "التواضع" يوجب عليك قبـــول معذرتـــه، حقاً كانت أو باطلاً، وتكل سريرتـــه إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين الذين تخلفوا عنـــه في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليـــه، فقبل أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى[٢٦][٢٦] .

وعلامة الكبر والتواضع: أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه ولا تحاجه، وقـــل: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضي شيء لكان، والمقدور ولا مدفع لـــه، ونحـــو ذلك.

وتمام التواضع: أن لا يرى العابد لنفسه حقاً على الله لأجل عمله، فإنـــه في عبودية وفقر محض، وذل وانكسار، فمتى رأى لنفسه على الله حقاً: فسدت عبوديتـــــه، وصـــارت معلولة وخيف منـــها المقت. ولا ينافي هذا ما أحقه سبحانـــه على نفسه، مـــن إثابـــة عابديه وإكرامهم، فإن ذلك حق أحقه على نفسه بمحض كرمه وبره وجوده وإحسانـــه، لا باستحقاق العبيد، وأنـــهم أوجبوه عليه بأعمالهم.

هذه جملة من المعاني التي تبين حقيقة خفض الجانب والوضع الذي يجب أن يكون عليـــه المؤمن حيال إخوانـــه، ونقيض ذلك ينسحب على معاملة غير المعلم على أن لا تتعـــدى حدود الشرع فنفرق بين المحارب والمعاهد المسالم فنلتزم في كل حالة حسب ما يطلـــب

الشارع سبحانــه ولا خيار لنا في ذلك، وهذا الموضوع يطول التفصيل فيه فاعقل هــذا الإجمال واعمل بــه وإذا أردت التفصيل فاطلبــه من مظانــه.

وعلينا بعد هذا الإيضاح والتبيان أن نعرض حالنا كأفراد وجماعات علــى هــذا الميــزان الدقيق: فهل هو موافق أم مخالف لتلك الآثار والمعاني الجميلة؟.

د – رابع هذه الصفات: صابر وثابت على المبدأ مهما ادلهمت الخطوب: قال عــز مــن قائل:]واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل[، وقال:]وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون[[الأعــراف: ١٣٧].

اقتضت حكمة الله جل في علاه أن يكون هناك تدافع بين الناس وذلك لوجود الخير والشر والحق والباطل، ومن خلال هذه المدافعة تتمايز الصفوف، قال جل في علاه:]ولولا دفــع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين[،]ولولا دفــع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز[، وهذه الآية الأخيرة جاءت بعد أن بــين الله سبحانــه وتعالى أنــه يدافع عن الذين آمنوا وأنــه أذن لهم القتال لهم قــال في محكــم كتابــه:]إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفــور. أذن للــذين يقاتلون بأنــهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير[لماذا قيل لهم هذا ونــزل لهم هــذا التشريع؟ لأنــهم أخرجوا من ديارهم بغير حق:]الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله[.

فبين سياق هذه الآيات المحكمات وترتيبــها أن هناك فريق مظلوم يجب عليه أن يدفع هذا الظلم الذي حصل له وهو فريق الحق، وأن هناك فريق معتد ظالم متكبر وهو فريق الباطل يجب أن يردع وأن يوقف عند حده.

إن هذا الوضع وهذه السنة بالنسبة للمؤمنين تتطلب منــهم عدة أكبر من عدة عــدوهم، فكان من الله أن أرشدهم إلى ذلك قائلاً:]يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطــوا واتقوا الله لعلكم تفلحون[، المصابرة: وهي مقابلة صبر الآخرين والتغلب عليه. وحــديثنا عن الصبر يتناول الجوانب الآتية:

١ - الصبر في القرآن:

قال الإمام أحمد رحمه الله: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً.

وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً.

الأول: الأمر به: نحو قوله تعالى:]يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة[[البقرة: ١٥٣]، وقوله:]واستعينوا بالصبر والصلاة[[البقرة: ٤٥]، وقوله:]اصبروا وصابروا[[آل عمران: ٢٠٠]، وقوله:]واصبر وما صبرك إلا بالله[[النحل: ١٢٧].

الثاني: النهي عن ضده كقوله:]فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل بـه[[الأحقاف: ٣٥]، وقوله:]فلا تولوهم الأدبار[[الأنفال: ١٥]، فإن تولية الأدبار ترك للصبر والمصابرة، وقوله:]ولا تبطلوا أعمالكم[[محمد: ٣٣]، فإن ابطالها ترك الصبر على إتمامها، وقوله:]ولا تهنوا ولا تحزنوا[[آل عمران: ١٣٩]، فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى:]الصابرين والصادقين[[آل عمران: ١٧]، وقوله:]والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون[[البقرة: ١٧٧]، وهو كير في القرآن.

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله:]والله يحب الصابرين[[البقرة: ١٤٦].

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم، والإحاطة، كقوله:]واصبروا إن الله مع الصابرين[[الأنفال: ٤٦]، وقوله:]والله مع الصابرين[[البقرة: ٢٤٩، الأنفال: ٦٦].

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله:]ولئن صبرتم لهو خير للصابرين[[النحل: ١٢٦]، وقوله:]وأن تصبروا خير لكم[[النساء: ٢٥].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله تعالى:]ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[[النحل: ٩٦].

الثامن: إيجابــه سبحانــه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى:]إنما يــوفى الصــابرون أجرهم بغير حساب[[الزمر: ١٠].

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى:]ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين[[البقرة: ١٥٥].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى:]بلى إن تصبروا وتتقوا ويــأتوكم مــن فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مســومين[[آل عمــران: ١٢٥]، ومنــه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "واعلم أن النصر مع الصبر"[٢٧][٢٧] .

الحادي عشر: الإخبار منــه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى:]ولمــن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور[[الشورى: ٤٣].

الثاني عشر: الإخبار أنــه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهــل الصبر، كقوله تعالى:]ويلكم ثواب الله خير لمن آمــن وعمــل صــالحاً ولا يلقاهــا إلا الصابرين[[القصص: ٨٠]، وقوله:]وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حــظ عظيم[[فصلت: ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنــه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر، كقوله تعالى لموسى:]أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكــل صــبار شكور[[إبراهيم: ٥]، وقوله في أهل سبأ:]فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور[[سبأ: ١٩]، وقوله في سورة الشورى:]ومــن آياتــه الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهــره إن في ذلــك لآيات لكل صبار شكور[[الشورى: ٣٢، ٣٣].

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخــول الجنة، إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى:]والملائكة يدخلون عليهم من كــل بــاب ســلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[[الرعد: ٢٣، ٢٤].

الخامس عشر: أنــه يورث صاحبــه درجة الإمامة، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: بالصبر واليقين تنال الإمام في الدين، ثم تلا قوله تعالى:]وجعلنا منــهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون[[السجدة: ٢٤].

السادس عشر: اقترانـــه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنـــه الله سبحانـــه بـــاليقين وبالإيمان، وبالتقوى والتوكل، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة.

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنـــزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنـــه لا جسد لمن لا رأس له، وقال عمرو بن الخطاب رضي الله عنـــه: "خير عيش أدركنـــاه بالصبر" وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "أنـــه ضياء"[٢٨][٢٨] ، وقال: "من يتصبر يصبره الله"[٢٩][٢٩] .

وفي الحديث الصحيح: "عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كل له خير، وليس ذلك لأحـــد إلا للمؤمن؛ إن أصابتـــه سراء شكر، فكان خير له، وإن أصابتـــه ضراء صبر، فكان خـــيراً له"[٣٠][٣٠] .

وأمر الأنصار رضي الله عنـــهم، بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونـــها بعده، حتى يلقـــوه على الحوض[٣١][٣١] .

وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر، وأمر بالصبر عند المعصية، وأخبر "أنـــه إنما يكـــون عنـــد الصدمة الأولى"[٣٢][٣٢] .

وأمر صلى الله عليه وسلم المصاب بأنفع الأمور له، وهو الصبر والاحتساب، فإن ذلـــك يخفف مصيبتـــه، ويوفر أجره، والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصـــيبة، ويـــذهب الأجر.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الصبر خير كله، فقال: "ما أعطي أحد عطاء خـــيراً لـــه وأوسع من الصبر"[٣٣][٣٣] .

٢ - معنى الصبر وأنواعه:

و الصبر في اللغة: الحبس والكف، ومنـــه قتل فلان صبراً: إذا أمسك وحبس، ومنـــه قول تعالى:]واصبر نفسك مع الذين يدعون ربـــهم بالغداة والعشي يريـــدون وجهـــه[[الكهف: ٢٨]، أي احبس نفسك معهم.

فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عـــن الشـــكوى، وحـــبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله.

٣ - مراتب الصبر:

وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.

فالأول: الاستعانة بــه، ورؤيتــه أنــه هو المصبر، وأن صبر العبد بربــه لا بنفسه، كما قال تعالى:]واصبر وما صبرك إلا بالله[[النحل: ١٢٧]، يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منــه، ومع أحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتــها، يتوجه معها أين توجهت ركائبــها، وينــزل معها أين استقلت مضاربــها.

وقد أمر الله سبحانــه وتعالى في كتابــه بالصبر الجميل، والصــفح الجميــل، والهجــر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه.

وقال ابن عيينة في قوله تعلى:]وجعلنا منــهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا[[الســجدة: ٢٤]، قال: "أخذوا برأس الأمر فجعلم رؤساء".

تنبيه هام:

والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل، والنبي إذا وعد لا يخلف، ثم قال:]إنما أشكو بثــي وحــزني إلى الله[[يوســف: ٨٦]، وكذلك أيوب أخبر الله عنــه: أنــه وجده صابراً مع قوله:]مسني الضر وأنت أرحــم الراحمين[[الأنبياء: ٨٣].

وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟ ثم أنشد:

وإذا عــرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنــه بــك أعــلم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

٤ - الصبر في المحن وكيف نحصله:

أما الصبر في المحن على أذى الظالمين، وعند النوازل فإن العبد يستجلبه ويستعين عليه بثلاث أشياء:

أحدها: "ملاحظة حسن الجزاء" وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض، وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها، ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس موكلة بحب العاجل، وإنما خاصة العقل: تلمح العواقب، ومطالعة الغايات.

وأجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من رافق الراحة، حصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكريم الكرائم

ويكبر في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

والقصد: أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر فيما تتحمله باختيارك وغير اختيارك.

والثاني: انتظار الفرج.

أي: راحته ونسيمه ولذته، فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة، ولا سيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج، فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرح ونسيمه وراحته: ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل، وبه - يفهم معنى اسمه "اللطيف".

والثالث: تهوين البلية، بأمرين:

أحدهما: أن يعد نعم الله وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ماهو فيه من البلاء، ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر.

الثاني: تذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضي، وتعداد أيادي المنن: يتعلق بالحال، وملاحظة حسن الجزاء، وانتظار الجزاء، وانتظار روح الفرج: يتعلق بالمستقبل، وأحدهما في الدنيا، والثاني يوم الجزاء.

وفي ختام الحديث عن الصبر نقول: "فعلى وهج النار الملتهبة نار الفتنة بجمع أنواعها تتميز معادن الناس، فينقسمون إلى مؤمنين صابرين، وإلى مدعين أو منافقين، وينقسم

المؤمنون إلى طبقات كثيرة؛ بحسب شدة صبرهم وقوة احتمالهم" اهـ [سلسلة رسائل الغرباء (٣) ص ٢٠١].

ثم نضيف: "فالمراحل التي تمر بها حياة المؤمنين المجاهدين؛ من العلماء والدعاة؛ ممن صدقوا في دعوى الإيمان، واستحقوا أن يمنحهم الله قيادة البشرية بالإسلام؛ هي: الابتلاء، ثم الصبر، ثم العاقبة" [نفس المصدر، ص ٢٠٥].

فاعقل أخي المؤمن هذه المراحل والزمها وتعقبها في سير الأولين لتكون على بينة مما نقول واعلم: أن النصر مع الصبر، وأنه لا يتسع الأمر إذا إذا ضاق، وأنه بعد العسر يسراً.

قال تعالى:]ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا ميل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين[[الأنعام: ٢٤]uuu

----

[١][١] - نقلاً عن ابن كثير، مع تصرف يسير.

[٢][٢] - رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

[٣][٣] - تقدم تخريجه.

[٤][٤] - رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٣٦٣٧)، ومالك ٩٥٣/٢، والترمذي ٣١٦٠ عن أبي هريرة.

[٥][٥] - أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

[٦][٦] – رواه البخاري ومسلم.

[٧][٧] – رواه البخاري.

[٨][٨] –رواه البخاري.

[٩][٩] – صحيح رواه أحمد وابن حبان عن ابن عمر.

[١٠][١٠] - روي بلفظ "إنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما انقيد انقاد" رواه أحمد ١٢٦/٤، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم ٩٦/١ عن العرباض بن سارية في حديث طويل وإسناده قوي.

[١١][١١] - رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأبو داود (٣٨٩٥)، وابن ماجة (٤١٧٩)، وله شواهد عن أنس عند البخاري في الأدب المفرد (٤٢٦)، وابن ماجة (٤٢١٤).

[١٢][١٢] - رواه مسلم (٩١)، والبغوي (٣٥٨٧).

[١٣][١٣] - رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)، والترمذي (٢٥٦٤) عن أبي هريرة.

[١٤][١٤] - رواه مسلم (٢٦٢٠)، والبغوي (٣٥٩٢) عن أبي هريرة.

[١٥][١٥] - رواه البخاري عن أنس.

[١٦][١٦] - صحيح، علقه البخاري ووصله أبو داود وغيره عن أنس.

[١٧][١٧] - رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس.

[١٨][١٨] - أخرجه البخاري عن الأسود.

[١٩][١٩] - أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة.

[٢٠][٢٠] - صحيح، رواه أحمد وابن حبان عن عائشة.

[٢١][٢١] - صحيح، رواه النسائي والحاكم عن ابن أبي أوفى.

[٢٢][٢٢] - كما في حديث "الأمة" المتقدم تخريجه وغيره من الأحاديث.

[٢٣][٢٣] - صحيح، أخرجه الترمذي (٢٤٩٠)، وأحمد ٤١٥/١، وابن حبان (١٠٩٦) عن ابن مسعود ورجاله ثقات غير عبد الله بن عمر الأودي لم يوثقه غير ابن حبان، وله شواهد يتقوى بها من حديث معيقب وحديث أبي هريرة وحديث أنس وانظر "مجمع الزوائد" ٧٥/٤.

[٢٤][٢٤] - برقم (٥١٧٨) عن أبي هريرة، وآخر الترمذي (١٣٣٨) عن أنس.

[٢٥][٢٥] - رواه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٩) عن عبد الله بن مسعود، ورواه أبو داود (٤٠٩٢) عن أبي هريرة بسند صحيح.

[٢٦][٢٦] - أنظر البخاري (٤٤١٨).

[٢٧][٢٧] - حسن، رواه أحمد ٣٠٧/١ ، والحاكم ٥٤١/٣ و ٥٤٢، عن ابن عباس.

[٢٨][٢٨] - روان مسلم (٢٢٣)، والنسائي ٥/٥، وأحمد ٣٤٢/٥، عن أبي مالك الأشعري.

[٢٩][٢٩] – رواه البخـــاري (٦٤٧٠)، ومســـلم (١٠٥٣)، وأبـــو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٢٤)، عن أبي سعيد.
[٣٠][٣٠] – رواه مسلم (٢٩٩٩)، والدارمي ٣١٨/٢، وأحمد ١٦/٦، من حـــديث صهيب.
[٣١][٣١] – رواه البخاري (٣٧٩٢) و (٧٠٥٧)، ومسلم (١٨٤٥) عن أســـيد بـــن حضير.
[٣٢][٣٢] – رواه البخاري (١٣٠٢)، ومسلم (٦٢٦) (١٥) عن أنس بن مالك.
[٣٣][٣٣] – تقدم تخريجه.
****

وبين تعالى أن أعداء الرسل مغلوبون مقهورون مهما ملكوا من قوة ومن عتاد ومكر :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَـــذَهُمُ اللَّـــهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٠-١٢] }

إن هذه الآيات واردة في صدد خطاب بني إسرائيل ، وتهديدهم بمصـــير الكفـــار قبلـــهم وبعدهم . وفيها لفتة لطيفة عميقة الدلالة كذلك . . فهو يذكرهم فيها بمصير آل فرعون . . وكان الله سبحانه قد أهلك آل فرعون وأنجى بني إسرائيل . ولكن هذا لا يمنحهم حقاً خاصاً إذا هم ضلوا وكفروا ، ولا يعصمهم أن يوصموا بالكفر إذا هم انحرفوا ، وأن ينالوا جزاء الكافرين في الدنيا والآخرة كما نال آل فرعون الذين أنجاهم الله منهم!

كذلك يذكرهم مصارع قريش في بدر – وهم كفار – ليقـــول لهـــم : إن ســـنة الله لا تتخلف .

وإنه لا يعصمهم عاصم من أن يحق عليهم ما حق على قريش . فالعلة هي الكفر . وليس لأحد على الله دالة ، ولا له شفاعة إلا بالإيمان الصحيح!

{ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، وأولئك هم وقود النار } . .

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية؛ ولكنهما لا يغنيان شيئاً في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه ، لأنه لا إخلاف لميعاد الله . وهم فيه : { وقود النار } . . بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص « الإنسان » ومميزاته ، ويصورهم في صورة الحطب والخشب وسائر « وقود النار » . .

لا بل إن الأموال والأولاد ، ومعهما الجاه والسلطان ، لا تغني شيأً في الدنيا :

{ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا ، فأخذهم الله بذنوبهم ، والله شديد العقاب } . .

وهو مثل مضى في التاريخ مكروراً ، وقصة الله في هذا الكتاب تفصيلاً : وهو يمثل سنة الله في المكذبين بآياته ، يجريها حيث يشاء . فلا أمان إذن ولا ضمان لمكذب بآيات الله .

وإذن فالذين كفروا وكذبوا بدعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وآيات الكتاب الذي نزله عليه بالحق ، معرضون لهذا المصير في الدنيا والآخرة سواء . . ومن ثم يلقن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن ينذرهم هذا المصير في الدارين ، وأن يضرب لهم المثل بيوم بدر القريب ، فلعلهم نسوا مثل فرعون والذين من قبله في التكذيب والأخذ الشديد :

{ قل للذين كفروا : ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا : فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين . والله يؤيد بنصره من يشاء . إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار } . .

وقوله تعالى : { يرونهم مثليهم رأي العين } يحتمل تفسيرين : فإما أن يكون ضمير « يرون » راجعاً إلى الكفار ، وضمير « هم » راجعاً إلى المسلمين ، ويكون المعنى أن الكفار على كثرتهم كانوا يرون المسلمين القليلين { مثليهم } . . وكان هذا من تدبير الله حيث خيل للمشركين أن المسلمين كثرة وهم قلة ، فتزلزلت قلوبهم وأقدامهم .

وإما أن يكون العكس ، ويكون المعنى أن المسلمين كانوا يرون المشركين { مثليهم } هم - في حين أن المشركين كانوا ثلاثة أمثالهم - ومع هذا ثبتوا وانتصروا .

والمهم هو رجع النصر إلى تأييد الله وتدبيره . . وفي هذا تخذيل للذين كفـــروا وتهديـــد . كما أن فيه تثبيتا للذين آمنوا وتهوينا من شأن أعدائهم فلا يرهبونهم . . وكان الموقف – كما ذكرنا في التمهيد للسورة – يقتضي هذا وذاك . . وكان القرآن يعمل هنا وهناك . . وما يزال القرآن يعمل بحقيقته الكبيرة . وبما يتضمنه من مثل هذه الحقيقة . . إن وعد الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله ، قائم في كل لحظة .

ووعد الله بنصر الفئة المؤمنة – ولو قل عددها – قائم كذلك في كل لحظـــة . وتوقـــف النصر على تأييد الله الذي يعطيه من يشاء حقيقة قائمة لم تنسخ ، وسنة ماضية لم تتوقف وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة؛ وتثق في ذلك الوعد؛ وتأخذ للأمر عدته التي في طوقها كاملة؛ وتصبر حتى يأذن الله؛ ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليهـــا الأمد المغيب في علم الله ، المدبر بحكمته ، المؤجل لموعده الذي يحقق هذه الحكمة .

{ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار } . .

ولا بد من بصر ينظر وبصير تتدبر ، لتبرز العبرة ، وتعيها القلوب . وإلا فالعبرة تمر في كل لحظة في الليل والنهار!

****

ولكن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا باتباع منهجه الذي أكرمه الله تعالى به حتى نفوز بسعادة الدارين ، ففيه العزة والكرامة والحياة وكل خير لنا في الدارين:

قال تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِـــدُوا فِـــي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) [النساء/٦٥] }

ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وحدّ الإسلام . يقرره الله سبحانه بنفسه . ويقســـم عليه بذاته . فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحـــد الإســـلام ، ولا تأويل لمؤول .

اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام . . وهي أن هذا القول مرهون بزمان ، وموقـــوف على طائفة من الناس! وهذا قول من لا يدرك من الإسلام شيئاً؛ ولا يفقه مـــن التعـــبير

القرآني قليلاً ولا كثيراً . فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام؛ جاءت في صورة قسم مؤكد؛ مطلقة من كل قيد . . وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو تحكيم شخصه . إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه . وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته – صلى الله عليه وسلم – وذلك قول أشد المرتدين ارتداداً على عهد أبي بكر – رضي الله عنه – وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين . بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير . وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله ، في حكم الزكاة؛ وعدم قبول حكم رسول الله فيها ، بعد الوفاة!

وإذا كان يكفي لإثبات « الإسلام » أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله . . فانه لا يكفي في « الإيمان » هذا ، ما لم يصحبه الرضى النفسي ، والقبول القلبي ، وإسلام القلب والجنان ، في اطمئنان!

هذا هو الإسلام .

وهذا هو الإيمان . . فلتنظر نفس أين هي من الإسلام؛ وأين هي من الإيمان! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان!

****

ولا بد من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء :

قال تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) [آل عمران/٣١، ٣٢] }

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال { قل إن كنتم تحبون الله } أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها

على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.
****

القول اللبيب في الذب عن الحبيب (صلى الله عليه وسلم)

استمعت إلى بعضهم (...) وهم يهونون مما يحدث حولهم ، بل ويتحدثون وكأن ما حدثً أمراً عادياً ، مما دعاني إلى الكتابة.

فحب الله و رسوله موجود في قلب كل مؤمن لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمناً ، و تظهر علامات حبه لله و لرسوله إذا أخذ أحد يسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، و يطعن عليه ، أو يسب الله و يذكره بما لا يليق به ، فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه و أمه.

الذب عن الدين فرض واجب

فقد جاء في (إيضاح الدليل) أن : الذب عن الدين لمن تمكن منه فرض واجب ، والرد على أهل البدع أمر لازب ، مع أنه لا يقدر على الحمل على الاعتقاد إلا الرب الذي بيده تصاريف قلوب العباد ، وغاية المنتصب لإقامة الدليل بيان إبطال حجج أهل التشبيه والتعطيل ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء.

(إيضاح الدليل ١/٨٩)

المحاربة باللسان والكلمة

وبعد إن الرسومات الكاريكاتورية التي رسمت قاصدة الإساءة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هي نوع من الحرب ، فقد جاء في (الصارم المسلول) :

الوجه الخامس : أن المحاربة نوعان : محاربة باليد ، و محاربة باللسان . و المحاربة باللسان في باب الدين : قد تكون أنكى من المحاربة باليد . ولذلك كان النبي (عليه الصلاة و السلام) يقتل من كان يحاربه باللسان ، مع استبقائه بعض من حاربه باليد.د

خصوصاً محاربة الرسول(عليه الصلاة و السلام) بعد موته فإنها إنما تكون باللســـان ، و كذلك الإفساد قد يكون باليد ، و قد يكون باللسان ، و ما يفسده اللسان من الأديـــان أضعاف ما تفسده اليد ، كما أن ما يصلحه اللسان من الأديان أضعاف ما تصلحه اليـــد. فثبت أن محاربة الله و رسوله باللسان أشد ، و السعي في الأرض لفساد الدين باللســـان أوكد فهذا الساب لله ولرسوله أولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق.

(الصارم المسلول ٣٨٩/١)

وبذلك تدخل هذه الرسومات الكاريكاتورية في باب المحاربة باللسان ، لأنها عبارة عـــن توجيه لمجموعة من الأفكار حول الإهانة لشخص النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وبذلك تكون هذه الرسومات أشد من الحرب باليد والآلة. بل وأنكى من الحرب باللسان لأنهـــا تعبيرات واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير أو بيان شرح .

من هنا نتناول هذا الموضوع من وجهتين ، ونتبعه بفصل في الصبر :

(أ) الوجهة الأولى : الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(ب) الوجهة الثانية : قتل من سب أو أساء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

(ج) فصل في الصبر والنصر .

(أ) الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

يجب علينا الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والذي يؤكد ذلك ويبينه أشد التأكيد ما يلي :

أولاً ــ المولى (عز وجل) يدافع عن النبي (صلى الله عليه سلم)

١ــ خندق من نار

عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمـــد وجهـــه بـــين أظهركم ؟ فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته [فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته] قال : فما فجأهم إلا أنه يتقي بيده وينكص على عقبيه ، فأتوه فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : إن بيني وبينه لخندقاً مـــن نـــار ، وهولاً ، وأجنحة . قال أبو المعتمر : فأنزل الله جل وعلا : { أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى } إلى { فليدع ناديه } . قال : قومه { سندع الزبانية } ، قال الملائكـــة : { لا

تطعه } ثم أمره بما أمره من السجود في آخر السورة ، قال : فبلغني عن المعتمر في هـــذا الحديث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دنا مني لاختطفته الملائكـــة عضوا عضوا).(صحيح ابن حبان ١٤/٥٢٥)

٢ـــ الله يرسل ملك الجبال ليدافع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت لرسول (الله صلى الله عليه وسلم) : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : (لقد لقيـــت مـــن قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ؛ فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل (عليه السلام) فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمر بما شئت فيهم ، قال (صلى الله عليه وسلم) : فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ، ثم قال : يا محمـــد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شـــئت أطبق عليهم الأخشبين) فقال رسول (الله صلى الله عليه وسلم) : (بل أرجو أن يخـــرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً).(صحيح ابن حبان ١٤/٥١٦)

٣ـــ والله يعصمك من الناس

عن أبي هريرة قال : كنا إذا صحبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سفر تركنا لـــه أعظم شجرة وأظلها فيترل تحتها ، فترل ذات يوم تحت شجرة ، وعلق سيفه فيها فجـــاء رجل فأخذه فقال : يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله(صلى الله عليه وســـلم) [الله يمنعني منك ضع السيف] فوضعه فأنزل الله عز وجل : { والله يعصمك من الناس }

ثانياًً ـــ القرآن الكريم يدافع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

١ ـــ الشدة والعنف مع أهل مكة

جاء حديث القرآن الكريم إلى أهل مكة في كثير من المواقف وخطابهم بالشدة والعنـــف ؛ فذلك لما مردوا عليه من أذى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، والكيـــد لهـــم حتى أخرجوهم من أوطانهم ، و لم يكتفوا بذلك بل أرسلوا إليهم الأذى في مهـــاجرهم ، وكان القرآن في حملته عليهم وعلى أمثالهم بالقول بعيداً عن كل معاني السباب والإقذاع

متذرعاً بالحكمة والأدب الكامل في الإرشاد والإقناع ، حاثــاً علــى الصــبر والعفــو والإحسان. (مناهل العرفان ١/ ١٤٩)

٢ــ قول الله عز وجل : {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }

يقول تعالى ذكره (إنا كفيناك المستهزئين) يا محمد الذين يستهزئون بك ويسخرون منك فاصدع بأمر الله ولا تخف شيئا سوى الله فإن الله كافيك من ناصيك وآذاك كما كفــاك المستهزئين وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين، ودعا عليهم رســول الله (صلى الله عليه وسلم) .

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قول الله عز وجل : {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْــتَهْزِئِينَ } (الحجر/٩٥) قال المستهزئون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبــد يغــوث الزهــري، والأسود بن المطلب ، وأبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى ، والحــارث بــن عيطــل السهمي ، والعاص بن وائل ، فأتاه جبريل (عليه السلام) شكاهم إلى رسول (الله صلى الله عليه وسلم) فأراه الوليد أبا عمرو بن المغيرة فأومأ جبريل إلى أبجله ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته . ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومئ جبريل إلى عينيه ، فقال : ما صنعت . قال : كفيته . ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري ، فأومأ إلى رأسه ، فقــال: مــا صنعت ؟ قال : كفتيه . ومر به العاص بن وائل ، فأومأ إلى أخمصه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته . فأما الوليد بن المغيرة ، فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصــاب أبجله فقطعها ، وأومأ الأسود بن المطلب فعمي ، فمنهم من يقول عمي هكذا، ومنهم من يقول نزل تحت سمرة ، فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت ، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . وجعل يقول : يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت ها هو ذا أطعن بالشوك في عيني. فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الأســود بن عبد يغوث الزهري فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها ، وقال غيره فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلتــه.(ســنن البيهقي الكبرى ٩/ ٨)

٣ــ الدفاع عن عرض الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حادثة الإفك

إنها محنة تناولت بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أحب نسائه إليه ، وهي الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) فيما يسمى بحادثة الإفك ، وقد كانت تلك الحادثة حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أعداء الدين ، وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف زيفها وبطلانها ، وسجلها في قرآن يتلى إلى يوم الدين ، لتكون مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما يتعرضون في حياتهم لمثل هذا العداء ، فقد انقطع الوحي ،وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال المتعاقبة .

ومجمل القصة كما جاء في الصحيحين : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان إذا أراد أن يخرج للسفر ، أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ، فلما كانت غزوة بني المصطلق خرج سهم عائشة (رضي الله عنها) فخرجت معه (صلى الله عليه وسلم)، فلما رجعوا من الغزوة ، نزل الجيش في بعض المنازل ليلاً ، فخرجت عائشة (رضي الله عنها) لحاجتها ، فانفرط عقدها ، فأخذت تجمعه ، بينما تحرك الجيش ، وهم يظنون أنها في الهودج فلما رجعت لم تجد أحداً ، فظنت أنهم سيفتقدونها ويرجعون في طلبها ، فقعدت مكانها ، وغلبتها عيناها فنامت ، وكان صفوان بن المعطل (رضي الله عنه) من وراء الجيش ، فلما رأها عرفها ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فاستيقظت على استرجاعه ، فأناخ راحلته ، وقربها إليها ، فركبتها ، ولم يكلمها كلمة واحدة ، ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة ، فلما رأى الناس ذلك تكلم كل منهم بشاكلته ، وما يليق به ، واتهم المنافقون عائشة (رضي الله عنها) في عرضها الشريف ، وأخذوا يلوكون الحديث ويشيعونه حتى انتشر في المدينة كلها ، وقد مكث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مدة لا يوحى إليه في شأن عائشة بشيء ، حتى اشتد الأمر عليه(صلى الله عليه وسلم) واستشار بعض أصحابه فأشار عليه بعضهم بطلاقها ، وبينما الفتنة في أوجها ، والمحنة في أشدها إذ جاء فرج الله ــ تعالى ــ فشهد الله تعالى ببراءة عائشة (رضي الله عنها) في قرآن يتلى إلى يوم القيامة .

{إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْــرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَــنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُــونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (النور/١٠ــ ١٨)

وقوله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) نزلت في الذين قذفوا عائشة (رضي الله عنها) فأخبر الله أن ذلك كذب ، و(الإفك) هو الكذب ، ونال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبا بكر وجماعة من المسلمين غــم شــديد وأذى وحزن. (والذي تولى كبره) روي أنه : عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان منافقــاً و(كبره) هو عظمه ، وإن عظم ما كان فيه لأنهم كانوا يجتمعون عنده وبرأيــه وأمــره كانوا يشيعون ذلك ويظهرونه وكان هو يقصد بذلك أذى رسول الله (صلى الله عليــه وسلم) .(أحكام القرآن ٥/ ١٦١)

٤ــ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُــمْ عَــذَاباً مُّهِينــاً }(الأحزاب/٥٧) قوله { لعنهم الله في الدنيا والآخرة } يقول تعالى ذكره : أبعــدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه.

٥ــ التحذير من أذى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وذلك في أغراض سورة الصف ، حيث أن من أغراض هذه السورة الكريمة :

ــ التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين.

ــ التحريض على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه وصدق الإيمان.

ــ الثبات في نصرة الدين.

ــ الإئتساء بالصادقين مثل الحواريين.

ــ التحذير من أذى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ـــ الوعد على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفـــتح.(التحريـــر والتنوير ٤٣٩٨/١)

٦ـــ سورة القلم

في هذه السورة ، عدد الله (عز وجل) لزعماء المشركين مثل أبي جهل والوليد بن المغيرة مذمات كثيرة ، وتوعدهم بعذاب الآخرة ، وببلايا في الدنيا ، بأن ضرب لهم مـــثلاً بمـــن غرهم عزهم وثراؤهم فأزال الله ذلك عنهم وأباد نعمتهم ، ووعظهم بأن ما هم فيه مـــن النعمة استدراج وإملاء جزاء كيدهم . وأنهم لا معذرة لهم فيما قابلوا به دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) من طغيانهم.(التحرير والتنوير ٤٥١٢/١)

٦ـــ (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

وقوله : { ما أنت بنعمة ربك بمجنون } يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (صلى الله عليـــه وسلم) ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، مكذباً بذلك مشركي قريش الذين قالوا له : إنك مجنون.

٧ـــ ذم امرأة أبي لهب

(وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) أعقب ذم أبي لهب ووعيده بمثل ذلـــك لامرأته لأنها كانت تشاركه في أذى النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعينه عليه.(الترغيـــب والترهيب ٩٢٨/٤)

٨ ـــ نسلك بهم سبيل أسلافهم

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَـــانُواْ بِـــهِ يَسْـــتَهْزِئُونَ }(الأنعام/ ١٠) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (صلى الله عليـــه وســـلم) مسلياً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف في ذات الله : هون عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك فيّ وفي طاعتي ، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي ، فإنهم إن تمادوا في غيهم وأصروا على المقام على كفرهم ، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم ، من تعجيل النقمة لهم وحلول المثلات بهم، فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك وفعلوا مثل ما فعل قومـــك

بك { فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } يعني بقوله : فحـــاق فـــترل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم { ما كانوا به يستهزئون } يقول : العذاب الذي كانوا يهزأون به وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسلهم وعن السدي : { فحاق بالذين سخروا منهم } من الرسل { ما كانوا به يستهزئون } يقول : وقع بهم العـــذاب الذي استهزأوا به.(تفسير الطبري ١/ ١٥٣)

وبعد فهذه طائفة مختصرة لدفاع القرآن الكريم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهناك من الآيات في مثل ذلك الكثير ، ولكنني أردت أن أوضح أمثلة واضحة وصريحة في الدفاع ، حتى يستيقظ المؤمن ويعلم أن الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واجب ، وأن الدفاع عنه (صلى الله عليه وسلم) ذُكر في القرآن الكريم ، وعلى كـــل مســـلم ومؤمن أن يدافع عن حبيبه (صلى الله عليه وسلم) بما استطاع .

ثالثاً ـــ النبي (صلى الله عليه وسلم)

١ـــ الرسول يأمر خمسة رهط من قومه للدفاع عنه وعن المسلمين

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن كعب بن الأشرف اليهـــودي كـــان شاعراً، وكان يهجو رسول (الله صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ويحرض عليهم كفـــار قريش في شعره ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قدم إلى المدينة وهي أخـــلاط منهم : المسلمون الذين يجمعهم دعوة رسول الله (صلى الله عليـــه وســـلم) ، وفـــيهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، ومنهم أهل الحلقة والحصـــون وهـــم حلفاء الحيين الأوس والخزرج .

فأراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قدم استصلاحهم وموادعتهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشركا ، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشركاً ، وكان المشـــركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤذون النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه أشد الأذى .

وأمر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم)والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم ، ففيهم أنزل الله تعالى { لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور } وفيهم أنزل الله

تعالى { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا } إلى قوله { حـــتى يأتي الله بأمره } فلما أبى كعب بن الأشرف أن يترع عن [أذى] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأذى المسلمين ، أمر رسول (الله صلى الله عليه وسلم) سعد بن معـــاذ ، و محمد بن مسلمة الأنصاري ، ثم الحارثي ، و أبا عيسى بن حبر الأنصاري ، و الحارث بن أخي سعد بن معاذ ، في خمسة رهط ، فأتوه عشية في مجلسه بالعوالي فلما رآهم كعب بن الأشرف أنكر شأهم ، وكان يذعر منهم ، وقال لهم : ما جاء بكم ؟ قالوا جاء بنا حاجة إليك ، قال : فليدنو إلي بعضكم ليحدثني بها فدنا إليه بعضهم ، فقال : قد جئناك لنبيعك أدراعاً لنا لنستنفق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجـــل ، فواعدهم أن يأتوه عشاء حين يهدي عنه الناس ، فجاؤوه ، فناداه رجل منهم فقام ليخرج إليهم ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحب ، قال : بلى إنهـــم قـــد حدثوني حديثهم فخرج إليهم ، فأعتنقه محمد بن مسلمة وقال لأصحابه : لا يسبقكم وإن قتلتموني وإياه جميعاً ، فطعنه بعضهم بالسيف في خاصرته .

فلما قتلوه فزعت اليهود ، ومن كان معهم من المشركين ، فغدوا على النبي (صـــلى الله عليه وسلم) حين أصبحوا فقالوا : قد طرق صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا ، فقتـــل غيلة ، فذكر لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يقول في أشعاره ويؤذيهم به ، فدعاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يكتب بينه وبينهم وبـــين المســـلمين عامة صحيفة فيها جامع أمر الناس فكتبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .(المعجـــم الكبير ٧٦/١٩)

ومنه أيضاً

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك : أن كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعراً وكـــان يهجو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ويحرض عليهم فقال (صلى الله عليه وسلم): (من لكعب ؟) فلما أبى أن يترع عن أذى رسول الله (صلى الله عليه وســـلم) وأذى المسلمين أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سعد بن معاذ و محمد بن مسلمة و أبا عيسى بن الحارث ابن أخي سعد بن معاذ في خمسة ، فأتوا كعبا فذكر مثله.(المعجـــم الكبير ٧٨/١٩) .

٢ـــ محاصرة من شتم الرسول (صلى الله عليه وسلم)

لما خرج المسلمون إلى بني قريظة أعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الراية علي بـــن أبي طالب (رضي الله عنه) واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ونهض علي وطائفـــة معه حتى أتوا بني قريظة ونازلوهم ؛ فسمعوا سب الرسول الله (صلى الله عليـــه وســـلم) فانصرف علي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له : يا رسول الله لا تبلغ إليهم وعرض له ، فقال له : أظنك سمعت منهم شتمي ، لو رأوني لكفوا عن ذلك. ونهص إليهم فلما رأوه أمسكوا . فقال لهم : نقضتم العهد يا إخوة القرود ، أخواكم الله وأنزل بكـــم نقمته . فقالوا : ما كنت جاهلاً يا محمد فلا تجهل علينا . ونزل رسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة. (تفسير القرطبي ١٦/١٤)

رابعاً ـــ قريشيون يدافعون عن النبي (صلى الله عليه وسلم)

أبو طالب ينهي عن أذى الرسول (صلى الله عليه وسلم)

قال تعالى {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَـــهُمْ وَمَـــا يَشْـــعُرُونَ }(الأنعام/٢٦) عن ابن عباس يقول : نزلت في أبي طالب كان ينهى عن محمد أن يـــؤذى وينأى عما جاء به أن يؤمن به ، وعن القاسم بن مخيمرة قال : كان أبو طالب ينهى عـــن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا يصدقه ، قال ابن بشر : كان أبو طالب ينهى عن الـــنبي (صلى الله عليه وسلم) أن يؤذى ولا يصدق به كان ينهى عن أذى محمد وينأى عما جاء به أن يتبعه.(تفسير الطبري ١٧١/٥) و(معاني القرآن ٤١١/٢)

خامساً ـــ الأنصار يدافعون عن النبي (صلى الله عليه وسلم)

قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليـــه : { ألم يجـــدك يتيما فآوى } وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه ، وقيل بعد أن ولد عليه السلام، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جـــده عبـــد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب ثم لم يـــزل يحوطـــه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقـــدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل ، فأقدم عليـــه ســـفهاء قـــريش

وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج ، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه ،(رضي الله عنهم أجمعين) وكل هذا من حفظ الله لـــه وكلاءتـــه وعنايتـــه به.(تفسير بن كثير ٤/٦٧٤)

سادساً ـــ صور من دفاع الصحابة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)

١ــ أبو بكر يدافع عن رسول الله

عن عبد الله بن عمرو قال: قلت : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : قد حضرتهم وقد اجتمع أشـــرافهم في الحجر فذكروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليـــه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا .

فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأقبل يمشي حتى استلم الركن فمر بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض القول قال : وعرفت ذلك في وجهه ثم مضى (صلى الله عليه وسلم) فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى (صلى الله عليه وسلم) فمر بهم الثالثة غمزوه بمثلها ، ثم قال : (أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا لكأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلـــك يتوقـــاه بأحسن ما يجيب من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً فوالله ما كنت جهولاً فانصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلـــغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، وبينا هم في ذلك إذ طلـــع عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فوثبوا إليه وثبة رجل واحـــد ، وأحـــاطوا بـــه يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينـــهم، قال : (نعم أنا الذي أقول ذلك) قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه ، وقال : وقام أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) دونه يقول وهو يبكي : أتقتلون رجلاً أن يقول

ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط. (صحيح ابـــن حبان ٥١٦/١٤)

عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي عند الكعبة فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شـــديداً ، فأقبل أبو بكر (رضي الله عنه) فأخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول (الله صلى الله عليه وسلم) فقال { أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات مـــن ربكـــم } أخرجـــه البخاري في الصحيح من حديث الأوزاعي.(سنن البيهقي الكبرى ٧/٩)

٢ـــ حمزة ابن عبد المطلب يضرب أبا جهل لأنه شتم النبي (صلى الله عليه وسلم)

عن ابن إسحاق قال : حدثني رجل من أسلم و كان واعية أن أبا جهل اعترض لرســـول الله (صلى الله عليه وسلم) عند الصفا فأذاه و شتمه ، و قال فيه ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله (صلى الله عليه و سلم) .

و مولاة لعبد الله بن جدعان التميمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ،ثم انصـــرف عنه ، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم ، و لم يلبث حمزة بن عبد المطلـــب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، و كان إذا فعل ذلك لم يمر على نادي قريش و أشدها شكيمة ، و كان يومئذ مشركاً على دين قومه ، فجاءته المولاة و قد قام رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ليرجع إلى بيته فقالت له : يا عمارة لو رأيت ما لقـــي ابـــن أخيك محمد من أبي الحكم آنفاً ، و جده ها هنا فآذاه و شتمه ، و بلـــغ مـــا يكـــره ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس ، و لم يكلم محمد ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله من كرامته فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصـــنع يريـــد الطواف بالبيت معتمداً لأبي جهل أن يقع به فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً ، في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه على رأسه ضربة مملوءة ، و قامـــت رجال من قريش من بني مخزوم لينصروا أبا جهل ، فقالوا : ما نراك يا حمزة إلا صـــبأت . فقال حمزة : و ما يمنعني و قد استبان لي ذلك منه أنا أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه و

سلم و أن الذي يقول حق فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبـــا جهـــل : دعوا أبا عمارة : لقد سببت ابن أخيه سبًا قبيحاً .

و مر حمزة على إسلامه و تابع يخفف رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قد عزموا و امتنع و أن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولونه و ينالون منه ، فقال في ذلك سعد حين ضـــرب أبـــا جهل فذكر رجزا غير مستقر أوله : ذق أبا جهل بما غشيت ، قال ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء و تركت دين آبائك للمـــوت خير لك مما صنعت ، فأقبل على حمزة شبه فقال : ما صنعت اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي و إلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح فغدا على رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فقال : ابن أخي إني وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه و أقامه مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي شديد فحدثني حديثاً فقد استشهيت يا ابن أخي أن تحدثني فأقبل رسول الله (صـــلى الله عليه و سلم) فذكره و وعظه و خوفه و بشره فألقى الله في نفسه الإيمان ، كمـــا قـــال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) . فقال : أشهد أنك لصادق شهادة المصدق و المعارف فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما ألمعت الشمس و أني على ديـــني الأول. قال : فكان حمزة ممن أعز الله به الدين.

(المستدرك ٣/ ٢١٣) (رقم ٤٨٧٨) و(المعجم الكبير ١٣٩/٣) و(مجمـــع الزوائـــد ٩/ ٤٣٣)

سابعاً ـــ صورة من دفاع آل البيت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فاطمة تدافع عن الرسول(صلى الله عليه وسلم)

عن عبد الله هو بن مسعود (رضي الله عنه) قال : بينما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائم يصلي عند الكعبة وجميع قريش في مجالسهم ينظرون ، إذ قال قائل منهم ألا تنظرون إلى هذا المرائي ، أيكم يقوم إلى جزور أبي فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ، فانبعث أشقاها فجاء به فلما سجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي (صلى الله عليه وسلم) ســـاجدا

وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة (رضـــي الله عنها) ـــــ وهي جويرية ـــــ فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تســبهم فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثلاثًـــا، ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وبعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد ، قال عبد الله : والله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر يسحبون إلى قليب بدر ، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأتبع أصحاب القليب لعنة . (رواه البخاري في الصحيح عن أحمد بن إسحاق عن عبيد الله بن موسى وأخرجـــه هـــو ومسلم من وجه آخر عن أبي إسحاق) (سنن البيهقي الكبرى ٧/٩)

وصور ، ونماذج الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وسلم) كثيرة ، ومتعددة في كل تقسيم من التقسيمات سابقة الذكر ، ولكنني أردت أن أقف على نماذج سريعة ، تبين الهـــدف المنشود ، من أن الدفاع عنه (صلى الله عليه وسلم) أمر واجب ، وقد حدث أثناء حياته (صلى الله عليه وسلم) فمن واجبنا الآن الذب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(ب) : قتل من سب أو أساء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

١ــ أن الذمي إذا سب الرسول أو سب الله أو عاب الإسلام علانية فقد نكث يمينـــه و طعن في ديننا لأنه لا خلاف بين المسلمين أنه يعاقب على ذلك و يؤدب عليه فعلم أنه لم يعاهد عليه لأنا لو عاهدناه عليه ثم فعله لم تجز عقوبته و إذا كنا قد عاهدناه علـــى أن لا يطعن في ديننا ثم يطعن في ديننا فقد نكث في دينه من بعد عهده و طعن في ديننا فيجـــب قتله بنص الآية(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حـــرم الله)الصارم المسلول ١٦/١

٢ــ عن خليد أن رجلا سب عمر بن عبد العزيز فكتب عمر : إنه لا يقتل إلا من سب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و لكن اجلده على رأسه أسواطاً ، و لولا أني أعلـــم أن ذلك خير له لم أفعل .(الصارم المسلول ١/ ٢١٣)

٣ــ أن عيب ديننا و شتم نبينا مجاهدة لنا و محاربة فكان نقضا للعهد كالمجاهدة و المحاربة بالأولى. يبين ذلك أن الله سبحانه قال في كتابه : { و جاهدوا بأموالكم و أنفســكم في سبيل الله } [التوبة : ٤١] و الجهاد بالنفس يكون باللسان كما يكون باليد بـــل قـــد

يكون أقوى منه قال النبي (صلى الله عليه و سلم)[جاهـــدوا المشـــركين بأيـــديكم و ألسنتكم و أموالكم] (رواه النسائي و غيره)
٤ـــ و كان [صلى الله عليه و سلم] يقول لحسان بن ثابت : [أهجهم و هاجهم] [و كان ينصب له منبر في المسجد ينافح عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) بشـــعره و هجائه للمشركين] و قال النبي صلى الله عليه و سلم : [اللهم أيده بروح القـــدس] و قال : [إن جبرئيل معك ما دمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم] و قال : [هي أنكى فيهم من النبل[.
٥ـــ و إذا كان شأن الجهاد باللسان هذا الشأن في شتم المشركين و هجائهم و إظهار دين الله و الدعاء إليه ، علم أن من شتم دين الله و رسوله و أظهر ذلك و ذكـــر كتـــاب الله بالسوء علانية فقد جاهد المسلمين و حاربهم و ذلك نفض للعهد.
٦ـــ أنّا و إن أقررناهم على ما يعتقدونه من الكفر و الشرك فهو كإقرارنا لهم علـــى مـــا يضمرونه لنا من العداوة و إرادة السوء بنا و تمني الغوائل لنا فإننا نحن نعلم أنهم يعتقـــدون خلاف ديننا و يريدون سفك دمائنا و علو دينهم و يسعون في ذلك لو قدروا عليه فهـــذا القدر أقررناهم عليه فإذا عملوا بموجب هذه الإرادة ـــ بأن حاربونا و قاتلونا ـــ نقضـــوا العهد كذلك إذا عملوا بموجب تلك العقيدة ـــ من إظهار السب لله و لكتابه و لدينـــه و لرسوله ـــ نقضوا العهد إذ لا فرق بين العمل بموجب الإرادة و موجب الاعتقاد.
٧ـــ أن مطلق العهد الذي بيننا و بينهم يقتضي أن يكفوا و يمسكوا عن إظهار الطعـــن في ديننا و شتم رسولنا كما يقتضي الإمساك عن دمائنا و محاربتنا لأن معنى العهد أن كـــل واحد من المتعاهدين يؤمن الآخر مما يحذره منه قبل العهد و من المعلوم أنا نحـــذر منـــهم إظهار كلمة الكفر و سب الرسول و شتمه كما نحذر إظهار المحاربة بل أولى لأنا نسفك الدماء و نبذل الأموال في تعزير الرسول و توقيره و رفع ذكره و إظهار شرفه و علو قدره وهم جميعا يعلمون هذا من ديننا فالمظهر منهم لسبه ناقض للعهد فاعل لما كنا نحـــذره و نقاتله عليه قبل العهد و هذا واضح.الصارم المسلول ٢١٣/١

٨ــ أن إظهار سب الرسول طعن في دين المسلمين و إضرار بهم و مجرد التكلم بدينــــهم ليس فيه إضرار بالمسلمين فصار إظهار سب الرسول بمنزلة المحاربة يعـــاقبون عليهـــا و إن كانت دون الشرك .

٩ــ متى أظهروا الكفر الذي هو طعن في دين الله نقضوا به العهد بخلاف كفر لا يطعنون به في ديننا و هذا لأن العهد إنما اقتضى أن يقولوا و يفعلوا بينهم ما شاءوا ممـــا لا يضـــر المسلمين فأما أن يظهروا كلمة الكفر أو أن يؤذوا المسلمين فلم يعاهدوا عليه البتة .

١٠ــ قال أبو عبد الله في رواية حنبل : [كل من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب تبارك و تعالى فعليه القتل مسلما كان أم كافرا و هذا مذهب أهل المدينة ، و قال جعفر بن محمد : سمعت أبا عبد الله يسأل عن يهودي مر بمؤذن و هو يؤذن فقال له : كذبت فقال : يقتل لأنه شتم].

١١ــ عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال بمحضر من المهاجرين و الأنصار للنصراني الذي قال : إن الله لا يضل أحداً ، قال : إنا لم نعطك ما أعطيناك على أن تدخل علينا في ديننا فوالذي نفسي بيده لئن عدت لأخذن الذي فيه عيناك.

١٢ــ و جميع ما ذكرناه من الآيات و الاعتبار يجيئ أيضا في ذلك فإن الجهـــاد واجـــب حتى تكون كلمة الله هي العليا و حتى يكون الدين كله لله و حتى يظهر ديـــن الله علـــى الدين كله. الصارم المسلول ٢٥٦/١

١٤ــ يتعين قتل من نقض العهد بسب الرسول الله (صلى الله عليه و سلم) وحـــده ، كما قد ذكره القاضي أبو يعلى و كما ذكره طائفة من أصحاب الشافعي و كما نـــص عليه عامة الذين ذكروه في نواقض العهد و ذكروا أن الإمام يتخير فيمن نقض العهد على سبيل الإجمال فإنهم ذكروا في مواضع أخر انه يقتل من غير تخيير.

١٥ــ إنه يقتل لأن سب رسول الله صلى الله عليه و سلم موجب للقتل حدا من الحدود كما لو نقض العهد بزنا أو قطع طريق فإنه يقام عليه حد ذلك فيقتل إن أوجب القتل بل قد يقتل الذمي حدا من الحدود و إن لم ينتقض عهده كما لو قتل ذميا آخر أو زنى بذمية فإنه يستوفى منه القود و حد الزنا وعهده باق و مذهب مالك يمكن أن يوجه على هـــذا المأخذ إن كان فيهم من يقول لم ينتقض عهده.الصارم المسلول ٢٨٧/١

١٦ـــ والدليل ،الآيات الدالة على وجوب قتل الطاعن في الدين.الصارم المسلول ٢٨٨/١
١٧ـــ قوله (صلى الله عليه و سلم) إن كان ثابتا [من سب نبيا قتـــل و مـــن ســـب أصحابه جلد] فأوجب القتل عينا على كل ساب و لم يخير بينه و بين غيره .
١٨ـــ أن النبي (صلى الله عليه و سلم) دعا الناس إلى قتل ابن الأشرف لأنه كان يؤذي الله و رسوله و كذلك كان يأمر بقتل من يسبه أو يهجوه إلا من عفا عنه بعد القدرة .
و أمره (صلى الله عليه و سلم) للإيجاب فعلم وجوب قتل الساب و إن لم يجب قتل غيره من المحاربين و كذلك كانت سيرته لم يعلم أنه ترك قتل أحد من السابين بعد القدرة عليه إلا من تاب أو كان من المنافقين و هذا يصلح أن يكون امتثالا للأمر بالجهـــاد و إقامـــة الحدود فيكون على الإيجاب يؤيد أن في ترك قتله تركاً لنصر الله و رسوله و ذلك غـــير جائز.
١٩ـــ أقاويل الصحابة فإنها نصوص في تعين قتله مثل قول عمر رضي الله عنه [من سب الله أو سب أحدا من الأنبياء فاقتلوه] فأمر بقتله عينا و مثل قول ابن عباس رضي الله عنه [أيما معاهد عاند فسب الله أو سب أحدا من الأنبياء أو جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه] فأمر بقتل المعاهد إذا سب عينا .
و مثل قول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بما كتب به إلى المهاجر في المرأة التي سبت النبي صلى الله عليه و سلم [لولا ما قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلها لأن حـــد الأنبيـــاء لا يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد و معاهد فهو محارب غادر] فبين أن الواجب كان قتلها عينا لولا فوات ذلك و لم يجعل فيه خيرة إلى الأمام و لا سيما والسابة امرأة و ذلك وحده دليل .
و مثل قول ابن عمر في الراهب الذي بلغه أنه يسب النبي (صلى الله عليه و سلم) : [لو سمعته لقتلته] و لو كان كالأسير الذي يخير فيه الإمام لم يجز لابن عمر اختيار قتله و هذا الدليل واضح.
٢٠ ـــ أن ناقض العهد بسب النبي (صلى الله عليه و سلم) و نحوه حاله أغلظ من حال الحربي الأصلي و خروجه عما عاهدنا عليه بالطعن في الدين و أذى الله ورسوله و مثـــل هذا يجب أن يعاقب عقوبة تزجر أمثاله عن مثل حاله .

و الدليل عليه قوله سبحانه و تعالى : { إن شر الدواب عند الله الذين كفـــروا فهـــم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة و هم لا يتقون فإما تثقفنـــهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون } [الأنفال : ٥٧] فأمر الله رسوله إذا صادف الناكثين للعهد في الحرب أن يشرد بهم غيرهم من الكفار بأن يفعل بهم ما يتفرق به أولئك و قال تعالى : { ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم و هموا بإخراج الرسول و هـــم بدأوكم أول مرة } [التوبة : ١٣] فحض على قتال من نكث اليمين و هـــم بـــإخراج الرسول و بدأ بنقض العهد .

٢١ـــ و معلوم أن من سب الرسول (صلى الله عليه و سلم) فقد فعل ما هو أعظم من الهم بإخراج الرسول و بدأنا أول مرة ثم قال تعالى : { قاتلوهم يعـــذبهم الله بأيـــديهم و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم } [التوبة : ١٥] فعلم أن تعذيب هؤلاء و إخزاءهم و نصر المؤمنين علـــيهم و شـــفاء صـــدورهم بالإنتقام منهم و ذهاب غيظ قلوبهم مما أذوهم به أمر مقصود للشارع مطلوب في الدين و معلوم أن هذا المقصود لا يحصل ممن سب النبي (صلى الله عليه و سلم) و آذى الله تعالى و رسوله و عباده المؤمنين إلا بقتله لا يحصل بمجرد استرقاقه و لا بالمن عليه و المفاداة به.

٢٢ـــ و كذلك أيضا تنكيل غيره من الكفار الذين قد يريدون إظهار السب لا يحصـــل على سبيل التمام إلا بذلك و لا يعارض هذا من نقض العهد في طائفة ممتنعـــة إذا أســـرنا واحدا منهم لأن قتال أولئك و الظهور عليهم يحصل هذا المقصود بخلاف مـــن كـــان في أيدينا قبل السب و بعده فإن لم يحدث فيه قتلاً لم يحصل هذا المقصود.الصـــارم المســـلول ٣٩٢/١

٢٣ ـــ أن الذمي إذا سب النبي (صلى الله عليه و سلم) فقد صدر منه فعل تضمن أمرين أحدهما : انتقاض العهد الذي بيننا و بينه الثاني : جنايته على عرض رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و انتهاكه حرمته و إيذاء الله و رسوله و المؤمنين و طعنه في الدين و هـــذا معنى زائد على مجرد كونه كافرا قد نقض العهد ونظير ذلك أن ينقضه بالزنا بمســـلمة أو بقطع الطريق على المسلمين و قتلهم و أخذ أموالهم أو بقتل مسلم فإن فعله ـــ مع كونـــه نقضا للعهد ـــ قد تضمن جناية آخرى فإن الزنا و قطع الطريق و القتل من حيث هو هو

جناية منفصلة عن نقض العهد له عقوبة تخصه في الدنيا و الآخرة زائدة على مجرد عقوبة التكذيب بنبوية ، و الدليل عليه قوله سبحانه و تعالى : { إن الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا } [الأحزاب : ٥٧] فعلق اللعنة في الدنيا و الآخرة و العذاب المهين بنفس أذى الله و رسوله فعلم أنه موجب ذلك و كذلك قوله تعالى : { و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون } [التوبة : ١٢] .

٢٤ ـــ يوضح ذلك أن النبي (صلى الله عليه و سلم) لما دخل مكة آمن الناس الذين كانوا يقاتلونه قبل ذلك و الذين نقضوا العهد الذي كان بينه و بينهم و خانوه ، إلا نفرا منهم القينتان اللتان كانتا تغنيان بهجائه و سارة مولاة بني عبد المطلب التي كانت تؤذيه بمكة.

فإذا كان قد أمر بقتل التي كانت تهجوه من النساء ـــ مع أن قتل المرأة لا يجوز إلا إذا قاتلت و هو (صلى الله عليه و سلم) قد آمن جميع أهل مكة من كان قد قاتل و نقض العهد من الرجال و النساء ـــ علم بذلك أن الهجاء جناية زائدة على مجرد القتال و الحراب ، لأن التفريق بين المتماثلين لا يقع من النبي (صلى الله عليه و سلم) كما أنه بقتل ابن خطل لأنه كان قد قتل مسلماً و لأنه كان مرتداً و لأنه كان يأمر بهجائه و كل واحد من القتل و الردة و الأمر بهجائه جناية زائدة على مجرد الكفر و الحراب.

٢٦ ـــ و مما يبين ذلك أنه قد كان أمر بقتل من كان يؤذيه بعد فتح مكة ـــ مثل ابن الزبعرى و كعب بن زهير و الحويرث بن نقيد و ابن خطل و غيرهم ـــ مع أمانه لسائر أهل البلد وكذلك أهدر دم أبي سفيان بن الحارث و امتنع من إدخاله عليه و إدخال عبد الله بن أبي أمية لما كانا يقعان في عرضه ـــ و قتل ابن أبي معيط و النضر بن الحارث دون غيرهما من الأسرى و سمى من يبذل نفسه في قتله ناصراً لله و رسوله و كان بندب إلى قتل من يؤذيه و يقول : [من يكفني عدوي[.

٢٧ ـــ السب جناية زائدة على الكفر .

٢٨ـــ السب جناية لها موقع يزيد على سائر الجنايات بحيث يستحق صاحبها من العقوبة مالا يستحقه غيره و إن كان كافراً حربياً مبالغاً في محاربة المسليمين و أن وجوب

الانتصار ممن كان هذه حالة كان مؤكداً في الدين و السعي في إهدار دمه من أفضل الأعمال و أوجبها و أحقها بالمسارعة إليه و ابتغاء رضوان الله تعالى فيه و أبلغ الجهاد الذي كتبه الله على عباده و فرضه عليهم .

٢٩ ــ و من تأمل الذين أهدر النبي (صلى الله عليه و سلم) دماؤهم يوم الفتح و اشتد غضبه عليهم حتى قتل بعضهم في نفس الحرم و أعرض عن بعضهم و انتظر قتل بعضهم وجد لهم جرائم زائدة على الكفر و الحراب من ردة و قتل و نحو ذلك و جرم أكثرهم إنما كان من سب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و أذاه بألسنتهم فأي دليل أوضح من هذا على أن سبه و هجاءه جناية زائدة على الكفر و الحراب ، لا يدخل في ضمن الكفر كما يدخل سائر المعاصي في ضمن الكفر و على أن المعاهدين إذا نقضوا العهد و فيهم من سب النبي (صلى الله عليه و سلم) كان للسب عقوبة زائدة على عقوبة مجرد نقض العهد.الصارم المسلول ٢٩٢/١

٣٠ ــ الرسول له نعت البشرية و نعت الرسالة كما قال : { سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا } [الاسراء : ٩٣] فمن حيث هو بشر له أحكام البشر و من حيث هو رسول قد ميزه الله سبحانه و فضله بما خصه به . فسبه موجب للعقوبة من حيث هو بشر كغيره من المؤمنين ، و موجب العقوبة من حيث هو رسول بما خصه الله به ، لكن إنما أوجب القتل من حيث هو رسول فقط ؛ لأن السب المتعلق بالبشرية لا يوجب قتلاً وسبه من حيث هو رسول حق الله فقط ، فإذا أسلم الساب انقطع حكم السب المتعلق برسالته كما انقطع حكم السب المتعلق بالمرسل ، فسقط القتل الذي هو موجب ذلك السب و يبقى حق بشريته من هذا السب و حق البشرية إنما موجب جلد ثمانين.٣٤١/١ الصارم المسلول

٣١ــ قال تعالى : (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) يقول تعالى وإن نكث المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي عهودهم ومواثيقهم { وطعنوا في دينكم } أي عابوه وانتقصوه ومن ههنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص ولهذا قال : { فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون

} أي يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال وقد قال قتادة وغيره : أئمة الكفر كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف وعدد رجالا.تفسير ابن كثير ٤٤٧/٢
(ج) فصل في الصبر والنصر .
١ـ الصبر على الأذى والاستمرار في الدعوة
(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد(صلى الله عليه وسلم) : واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله { وما صبرك إلا بالله } يقول : وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله وتوفيقه إياك لذلك { ولا تحزن عليهم } يقول : ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة { ولا تك في ضيق مما يمكرون } يقول : ولا يضيق صدرك بما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة { مما يمكرون } : مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله ومن أراد الإيمان بك والتصديق بما أنزل الله إليك.تفسير الطبري ٧/ ٦٦٦
٢ـ قال تعالى : (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود)
يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) عما يناله من أذى المشركين بالله وحاضاً له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب : وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم فلا يصدنك ذلك فإن العذاب المهين من ورائهم ونصري إياك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك كما آتى عذاب على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال فقد كذبت قبلهم : يعني مشركي قريش قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وهم قوم شعيب : يقول : كذب كل هؤلاء رسلهم وكذب موسى فقيل : وكذب موسى و لم يقل : وقوم موسى لأن قوم موسى بنو إسرائيل وكانت قد استجابت له و لم تكذبه وإنما كذبه فرعون من القبط وقد قيل : إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة.

وقوله : { فأمليت للكافرين } يقول : فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمـــم فلـــم أعاجلهم بالنقمة والعذاب { ثم أخذهم } يقول : ثم أحللت بهم العقاب بعد الإمـــلاء { فكيف كان نكير } يقول : فانظر يا محمد كيف كان تغييري ما كان بهـــم مـــن نعمـــة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم ألم أبدلهم بالكثرة قلـــة وبالحيـــاة موتـــا وهلاكا وبالعمارة خرابا ؟ يقول : فكذلك فعلي بمكذبيك من قريش وإن أمليت لهـــم إلى آجالهم فإني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.تفسير الطبري ١٦٧/٩

٣ـــ قال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مثبته على المضي لما قلده مـــن عـــبء الرسالة وثقل أحمال النبوة (صلى الله عليه وسلم) وآمره بالائتسام في العزم على النفـــوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم مـــن المكاره ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد { فاصبر } يا محمد على ما أصـــابك في الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار { كما صبر أولو العزم } على القيام بأمر الله والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيـــه من شدة.

عن ابن جبير في قوله { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل } قال : سماه الله من شدته العزم ، وقوله { ولا تستعجل لهم } يقول : ولا تستعجل عليهم بالعـــذاب يقـــول : لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة { كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار } يقول : كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه مترل بهم لم يلبثوا في الدنيا ساعة من نهار لأنه ينسيهم شدة ما يترل شدة ما يترل بهم من عذابه قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين و الشهور كما قال جل ثنـــاؤه { قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يـــوم فاســـأل العـــادين } (المؤمنون : ١١٢ – ١١٣)تفسير الطبري ٣٠٢/١١

٤ـــ قال تعالى (وإن لك لأجرا غير ممنون)

وقوله : { وإن لك لأجرا غير ممنون } يقول تعالى ذكره : وإن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع.تفسير الطبري ١٧٩/١٢

٥ ـــ قال تعالى (فاصبر صبرا جميلا)

قوله { فاصبر صبرا جميلا } يقول تعالى ذكره : فاصبر صبرا جميلا يعني : صبرا لا جزع فيه يقول له : اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك ولايثنيك ما تلقى منهم من المكروه عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبلغهم من الرسالة تفسير الطبري ٢٢٨/١٢

٦ـــ قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله)

يقول تعالى : { إلا تنصروه } أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره { إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين } أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هارباً بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر (رضي الله عنه) يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منهم أذى فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يسكنه ويثبته ويقول : [يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما] كما قال الإمام أحمد عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي (صلى الله عليه وسلم) ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال : فقال : [يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما] ولهذا قال تعالى : { فأنزل الله سكينته عليه } أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أشهر القولين وقيل على أبي بكر ، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا : لأن الرسول(صلى الله عليه وسلم) لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال : { وأيده بجنود لم تروها } أي الملائكة { وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا } قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله .تفسير بن كثير ٤٧٢/٢

٧ـــ قال عز وجل : { ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك } قال قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كـــذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لهم فاصبر أنت على أذى قومك.تفسير ابن كثير ٤/١٣٠

٨ـــ يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قـــال لقومه : { لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إلـــيكم } أي لم توصـــلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة وفي هذا تسلية لرسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال [رحمة الله على موسى : لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر] وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من الـــنبي (صلى الله عليه وسلم) أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى : { يا أيها الـــذين آمنـــوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها } وقوله تعـــالى : { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قـــال تعـــالى : { ونقلـــب أفئـــدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون }.تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦١

وعلى هذا فإن الذب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واجب ، حيـــث أن الله ـــ عز وجل دافع عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) وكذلك القـــرآن الكـــريم ، وبعـــض القريشيين ، والصحابة أجمعين والأنصار والمهاجرين ،والتابعين ، وآل البيت ، كل دافـــع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وعلينا اتباع سيرتهم العطرة.

http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?p=٥٥٤٢٧

==========================

توجيهات للدُعاة

أيها الداعية :

وظيفتك عالية ، وغالية ، فأنت سائر في طريق المرسلين .

الإخلاص أولاً ، والاتباع ثانيا ...سر على منهج الرسل) قل هذه سبيلي أدعـــوا إلى الله على بصيرة).

عليك بحسن الأسلوب في الدعوة ، واختيار الأمر المناسب من الأقـــوال ، والأعمـــال ، والأوقات.

ثم عليك بحسن الكلام ، فلا تغلظ في دعوتك ، بل كن هيّناً سهلاً وفي قصة موسى لمـــا ذهب لفرعون ، قال الله له ولأخيه هارون) فقولا له قولاً ليّناً لعله يتـــذكر أو يخشـــى (والكلمة القوية القاسية ليس لها قبول ، فلماذا تقولها؟

مع أنك تستطيع أن تقول بدلها كلمة أخرى أحسن منها ...

ثم عليك بمجاهدة النفس على هذه الدعوة ، واصبر على ما تواجهه) واصـــبر علـــى مـــا أصابك (

أخي الداعية

قد يصيبك الفتور ، وهذا ليس بغريب ، ولكن انتبه ، لا تجعل الفتور يأخذ فترة طويلة من وقتك .

عليك بالتزود من الصلاة ، والصيام والقرآن، وطلب العلم ، وغيرها من الأعمال الصالحة كما قال الله تعالى) واستعينوا بالصبر والصلاة (فالعبادات زادُ كبير في طريق الدعاة

أخي الداعية

الوقت الوقت ، حافظ عليه ، فهو رأس مالك ، فاجعله كله لله

وأوصيك أخي :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ، وأعطها من الأعمال الصالحة ، وحاسبها .

ثم عليك بأهلك ، فادعهم إلى الله) وأنذر عشيرتك الأقربين (

أخي الكريم

لا تنتظر نتيجة دعوتك ، ولا تنتظر أن يأتيك المدعو ويقول لك جزاك الله خيراً

ولاتكن ممن ينتظر ثناء الناس على دعوته

أو ممن يريد من الناس أن يغيروا منكراتهم بين يوم وليلة ، لا ، لا لا تنتظر ذلك .

ولا أي شيءٍ من ذلك ، ألم تعلم بأنه سيأتي (نبي) يوم القيامة ، وليس معه أحد . فلماذا أنت تنتظر ... ؟

ولماذا تتوقف عن الدعوة بحجة : أن الناس مازالوا على منكراهم ؟

ولماذا تركت الدروس والأعمال الدعوية ..؟

هل أنت (تهدي قلوبهم) (إن عليك إلا البلاغ)

أخي المبارك

إن كنت تعمل وتكدح وتتعب ، فاعلم أن الأعداء يعملون ويكدحون

) إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون (

أيها الموفق

لابد من كسب قلب المدعو ، حتى يحبك ، فإن أحبك أحب ما تقول

فأحسن للناس وذلك بالخلق الحسن وبذل المال للمحتاج وبذل الوقت لحل مشاكل الناس .

وداوم على الابتسامة فهي مفتاح القلوب وتواضع للخلق ، وسترى حب الناس لك .

وقفة

لا بد لك أيها الداعية من معرفة حال المدعو ، ومدى علمه ، وعقله ، وفهمه ، ونفسيته ، وبالتجربة فإن معرفة ذلك من أكبر أسباب نجاح الدعوة

إشارة

استخدم أسلوب (العمل) أحياناً ، فالتأثير بالقدوة أبلغ في النفوس من الكلام المجرد ، ولا مانع من الدعوة بالكلام .

ولكن ممارسة التنويع مهم ،مثال : لو أردت دعوة الناس لصيام الأثنين والخميس ، فلو أنك داومت على صيامهما لتأثر الناس بك حتى لو لم تقل لهم صوموا ، ولا يمنع أيضاً من أن تخبرهم بفضائل الصيام

همسة

عليك بأسلوب (القصة) لأن القصة لها لذة في الاستماع ، والقرآن مليء بذلك) فاقصص القَصص لعلهم يتفكرون (، ولكن لا تحدث الناس إلا بالقصص الحقيقية ، ولا تكذب.

خاطرة

داوم على مطالعة سيرة الأنبياء وأخبارهم لترى فقه الدعوة ، وترى صبرهم ، وإخلاصهم) لقد كان في قصصهم عبرة .(

عبرة

قد ينالك أذى في نفسك أو في أهلك ، أو في دعوتك ، وهذا ليس بغريب ، فهذا طريق الأنبياء) وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين .(

همسة

انتبه لأفعالك ، فالناس ينظرون إليك ، يلاحظون أفعالك ، واعلم أن الناس يعتقدون أنك (قدوة) فلا تكن مثالاً سيئاً للدعاة .

أخي الداعية

تزود من العلم ، وواظب على مطالعة الكتب ، وخاصة كتاب الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالعلم من أعظم الضروريات للدعاة ، والناس عندهم أسئلة ومشكلات يريدون منك إجابة عليها

فكيف تجيب إذا لم يكن لديك العلم الكافي ؟؟

انتبه

لا تكن (موسمياً) ولا (حماسياً) ، فإن بعض الدعاة يتحمس للدعوة لأجل شريط سمعه ، أو قصة ، ولكن هذا الحماس يتوقف بعد أيام لا ، إننا نريد دعوة مستمرة ، دعوة لها منطلقات صحيحة ، دعوة مدروسة ، دعوة باقية ما بقي العمر.

أخي الكريم

أوصيك أن يكون نَفَسَك طويل فكن بعيد النظرة ، وواسع الأفق ، فلا تستعجل ، لا تستعجل ثمرة الدعوة ،لا تستعجل زوال المنكرات ، لا تستعجل العذاب الذي يترل بالكافرين) فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم (

وصية لك

نريد الغضب لله ، لا للهوى ، لا لحظ النفس ، ونبيك صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله فقط ، ولم يكن ينتصر لنفسه ،وما أصعب ذلك في وقت الغضب .

همسة خاصة

تعرّف إلى أعداءك ، وتعرّف على مكائدهم ، وصفاهم ،واعلم بأهم يدرسون الصــحوة دراسة قوية ، ثم يُصدرون عقب ذلك الأعمال المدمّرة (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون(.

يا أيها (الداعية) ألم تقرأ هذه الآية) يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله (هذا نداء مــن الله للمؤمنين ، أن ينصروا دين الله ، أن ينصروا الدعوة ، فما شعورك عندما تقرأ هــذه الآية ؟ وهل استجبت لدعوة الله

وقفة

قد يضيق صدرك من كيد الأعداء ، وانتشار الفساد ، وجهود العلمانيين ، فمــا عليــك منهم ولكن عليك بالتقوى والصبر) وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً (

إشارة

لا تكن ممن يسب الواقع ويتأفف دائماً ، ويتضجر في كل حين

نعم .. نحن نريد العمل ، نعم إن الواقع مرير وكلنا يعرف ذلك

والأعداء يعملون ولا ننتظر منهم أن يتوقف كيدهم نريد بكل صراحة (عمــلاً قويــاً) عملاً من منطلق الحكمة ،والذي يوقد شمعة خير من الذي يسب الظلام

الابتلاء

لا بد لك أيها الداعية من أن تتجرع كأس (الابتلاء) وتشرب من ماءه ، لا بد ، شئت أم أبيت إن لم يكن اليوم فقد يكون غداً ، فإن لم يكن غداً فبعد شهر ، أو سنة أو سنوات ،لا بد ومن هو النبي الذي لم ينله أذى ؟ من الذي سلم من كلام الناس) ولقد كُــذّبت رُسلٌ من قبلك)) ولقد استهزئ برسل من قبلك((وكذلك جعلنا لكل نبي عــدواً مــن المجرمين (

آيات كثيرة دلت على هذا الأصل العظيم

فما عليك إلا التزود بالتقوى والصبر ، والاستعداد لمواجهة عاصفة الابتلاء ومن كان مع الله كان الله معه ، ومن أراد الآخرة ، فليصبروالدنيا قليلة ، والآخرة هــي دار القــرار . فاصبر ....نعم ..... الصبر زادك ، الصبر على كل شيء ،

أمامك الصبر على انتشار الباطل والفساد ......

أمامك الصبر على تأخر استجابة الناس لك ...

أمامك الصبر على خذلان أهل الحق للحق ..

أمامك الصبر على كلام الناس فيك ، وسخريتهم .. نعم . نعم .. الصـــبر . الصـــبر..

أمامك الصبر على ترك زخرف الحياة الدنيا

أمامك الصبر على فتنة الشهرة والثناء والمدح

أمامك الصبر على : القتل في سبيل الله .. أمامك الصبر على السجن لأجل كلمة الحق .. الصبر .. الصبر ..هو زاد الأنبياء كلهم نعم .. كلهم ..) فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (فهذا نوح لم يؤمن معه إلا قليل ، فهل كان زاده إلا الصبر .

وهذا يوسف (يُسجن)

وهذا عيسى أرادوا قتله

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يتعرض لأنواع الأذى والقتل

وهذا عمر (قُتل) وعثمان (قتل) وعلي (قُتل)

وهذا خبيب بن عدي يوضع على المشنقة

وهذا أحمد بن حنبل يُجلد ثم يُسجن

وهذا مالك بن أنس يُطافُ به على البعير وهو يجلد

وهذا ابن تيمية يُسجن – حتى مات في السجن

هذه سيرة الأنبياء والدعاة إلى الله ، (فهل كان زادهم ..) فمانصيب الصبر عندك ؟

همسة من محب

لاتكن كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها

اجعل من وقتك شيء لمحاسبة النفس ومراجعة أعمالك

لترى ما قدمت ولكي تنظر في منهجك وطريقتك

وهل صدر منك خطأ لكي تتوب منه

لا بد من مراجعة أعمالكم أيها الدعاة

إشارة على الطريق

أخي الداعية

ينبغي لك أن تستشير العلماء والدعاة في أعمالك الدعوية) وشاورهم في الأمر (وبالتجربة فإن الإقدام على بعض الأعمال بدون استشارة العلماء والدعاة يكون سبباً في الوقـــوع في الأخطاء .

وقفة

حاول أن تغرس (هم الإسلام) في نفوس الناس بقدر ما تستطيع

لأن وجود ذلك في نفوسهم يدفعهم للبذل والتضحية

أيها الداعية

عليك بالزهد ، نعم ، عليك بالزهد في كل ما في هذه الحياة

الزهد في زخرف الحياة ومتاعها ، الزهد في ثناء الناس ومدحهم

الزهد في الرئاسة والمناصب ، الزهد في المراكب الفاخرة

والقصور الشامخة ، ألم تتأمل في سيرة إمام الزاهدين صلى الله عليه وسلم فمـــاذا كـــان يركب ؟

وماذا كان في بيته ؟

ولا تفهم من ذلك ترك التجمل والزينة المعتدلة لا ، المقصود (رفض الدنيا عن قلبك)

=================

وشيجة العقيدة هي الأساس الذي يجب أن يتجمع عليه الناس

إن الوشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعـــة هـــذا الدين ، وتتعلق بآفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم .

إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الدم والنسب؛ وليست وشيجة الأرض والوطن ، وليست وشيجة القوم والعشيرة ، وليست وشيجة اللون واللغة ، وليست وشيجة الجنس والعنصر ، وليست وشيجة الحرفة والطبقة . . إن هذه الوشائج جميعها قد توجد ثم تنقطع العلاقـــة بين الفرد والفرد؛ كما قال الله سبحانه وتعالى لعبده نوح عليه السلام وهو يقول : { رب إن ابني من أهلي } . . { يا نوح إنه ليس من أهلك } ثم بين له لماذا يكون ابنه . . ليس

من أهله . . { إنه عمل غير صالح } . . إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح : { فلا تسألن ما ليس لك به علم } فأنت تحسب أنه من أهلك ، ولكن هـذا الحسـبان خاطئ . أما المعلوم المستيقن فهو أنه ليس من أهلك ، ولو كان هو ابنك من صلبك!

وهذا هو الْمَعْلَم الواضح البارز على مفرق الطريق بين نظرة هـذا الـدين إلى الوشـائج والروابط ، وبين نظرات الجاهلية المتفرقة . . . إن الجاهليات تجعل الرابطة آنا هي الـدم والنسب؛ وآناً هي الأرض والوطن ، وآناً هي القوم والعشيرة ، وآناً هي اللون واللغـة ، وآناً هي الجنس والعنصر ، وآناً هي الحرفة والطبقة! تجعلها آناً هي المصالح المشتركة ، أو التاريخ المشترك . أو المصير المشترك . . وكلها تصورات جاهلية على تفرقها أو تجمعهـا تخالف مخالفة أصيلة عميقة عن أصل التصور الإسلامي!

والمنهج الرباني القويم ممثلاً في هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم وفي توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم وهي من هذا القرآن وعلى نسقه واتجاهه قد أخذ الأمـة المسـلمة بالتربية على ذلك الأصل الكبير . . والْمَعْلَم الواضح البارز في مفرق الطريق . .

وهذا المثل الذي يضربه في هذه السورة من نوح وابنه فما يكون بين الولـد والوالـد ، ضرب أمثاله لشتى الوشائج والروابط الجاهلية الأخرى ، ليقرر من وراء هـذه الأمثـال حقيقة الوشيجة الوحيدة التي يعتبرها .

* ضرب لها المثل فيما يكون بين الولد والوالد وذلك فيما كان بين إبراهيم عليه السـلام وأبيه وقومه كذلك :

{ واذكر في الكتاب إبراهيم ، إنه كان صديقاً نبياً . إذ قال لأبيه : يا أبت لم تعبد مـا لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ، فاتبعني أهدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً . . قال : أراغب أنت عـن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك! واهجرني ملياً . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي ، إنه كان بي حفياً ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي ، عسـى ألا أكـون بدعاء ربي شقياً . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكـلا جعلنا نبياً؛ ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عليا } [مريم : ٤١ ٥٠] .

* وضرب لها المثل فيما كان بين إبراهيم وذريته كما علمه الله سبحانه ولقنه ، وهو يعطيه عهده وميثاقه . ويبشره ببقاء ذكره وامتداد الرسالة في عقبه :

{ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ، فأتمهن ، قال : إني جاعلك للناس إماما ، قال : ومن ذريتي؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين . . } { وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال : ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير } [البقرة : ١٢٤ ١٢٦]

* وضرب لها المثل فيما يكون بين الزوج وزوجه ، وذلك فيما كان بين نوح وامرأته ، و لوط وامرأته . وفي الجانب الآخر ما كان بين امرأة فرعون و فرعون :

{ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل : ادخلا النار مع الداخلين } { وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين } [التحريم : ١٠ ١١]

* وضربَ لها المثل فيما يكون بين المؤمنين وأهلهم وقومهم ووطنهم وأرضهم وديارهم وأموالهم ، ومصالحهم وماضيهم ومصيرهم . وذلك فيما كان بين إبراهيم والمؤمنين به مع قومهم . وما كان من الفتية أصحاب الكهف مع أهلهم وقومهم ودورهم وأرضهم . . .

{ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده . . . } [الممتحنة : ٤] .

{ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً؟ إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً ، فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ، ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ، نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذن شططاً . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة . لولا يأتون عليهم بسلطان بين! فمن أظلم ممن افترى على الله

كذباً؟ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم [الكهــف : ٩ ١٦] .

وبهذه الأمثلة التي ضربها الله للأمة المسلمة من سيرة الرهط الكريم من الأنبياء والمــؤمنين . الذين سبقوها في موكب الإيمان الضارب في شعاب الزمان ، وضحت معالم الطريق لهذه الأمة؛ وقام هذا المَعْلَم البارز أمامها عن حقيقة الوشيجة التي يجب أن يقوم عليها المجتمــع المسلم ، ولا يقوم على سواها . وطالبها ربها بالإستقامة على الطريق في حسم ووضـــوح يتمثلان في مواقف كثيرة ، وفي توجيهات من القرآن كثيرة . . هذه نماذج منها . .

{ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيــدهم بــروح منــه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضــوا عنــه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون } [المجادلة : ٢٢] { يا أيها الــذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم مــن الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل } [الممتحنة : ١]

{ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصــير ، قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه . . . الخ } [الممتحنة : ٣ ٤] { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون } [التوبة : ٢٣] .

{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين } [المائدة : ٥١] .

وهكذا تقررت تلك القاعدة الأصيلة الحاسمة في علاقات المجتمع الإسلامي؛ وفي طبيعة بنائه وتكوينه العضوي الذي يتميز به عن سائر المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً إلى آخر الزمان . و لم يعد هناك مجال للجمع بين « الإسلام » وبين إقامة المجتمع على أية قاعدة أخرى غير القاعدة التي اختارها الله للأمة المختارة .

والذين يدعون صفة الإسلام ، ثم يقيمون مجتمعاتهم على قاعدة أو أكثر من تلك العلاقات الجاهلية التي أحل الإسلام محلها قاعدة العقيدة ، إما أنهم لا يعرفون الإسلام؛ وإما أنهم يرفضونه . والإسلام في كلتا الحالتين لا يعترف لهم بتلك الصفة التي يدعونها لأنفسهم وهم لا يطبقونها ، بل يختارون غيرها من مقومات الجاهلية فعلاً!

وندع هذه القاعدة وقد صارت واضحة تماماً لننظر في جوانب من حكمة الله في إقامة المجتمع الإسلامي على هذه القاعدة . .

* إن العقيدة تمثل أعلى خصائص « الإنسان » التي تفرقه من عالم البهيمة؛ لأنها تتعلق بالعنصر الزائد في تركيبه وكينونته عن تركيب البهيمة وكينونتها وهو العنصر الروحي الذي به صار هذا المخلوق إنساناً في هذه الصورة وحتى أشد الملحدين إلحاداً وأكثر الماديين مادية ، قد انتبهوا أخيراً إلى أن العقيدة خاصة من خواص الإنسان تفرقه فرقاً أساسياً عن الحيوان .

ومن ثم ينبغي أن تكون العقيدة في المجتمع الإنساني الذي يبلغ ذروة الحضارة الإنسانية هي آصرة التجمع . لأنها العنصر الذي يتعلق بأخص خصائص الإنسان المميزة له عن البهائم . ولا تكون آصرة التجمع عنصراً يتعلق بشيء يشترك فيه الإنسان مع البهائم! من مثل الأرض والمرعى والمصالح والحدود التي تمثل خواص الحظيرة ، وسياج الحظيرة! ولا تكون كذلك هي الدم والنسب والعشيرة والقوم والجنس والعنصر واللون واللغة . . فكلها مما يشترك فيه الإنسان مع البهيمة . وليس هناك إلا شؤون العقل و القلب التي يختص بها الإنسان دون البهيمة!

* كذلك تتعلق العقيدة بعنصر آخر يتميز به الإنسان عن البهائم . . هو عنصر الاختيار والإرادة ، فكل فرد على حدة يملك أن يختار عقيدته بمجرد أن يبلغ سن الرشد؛ وبذلك يقرر نوع المجتمع الذي يريد أن يعيش فيه مختاراً؛ ونوع المنهج الاعتقادي والاجتماعي والسياسي والإقتصادي والخلقي الذي يريد بكامل حريته أن يتمذهب به ويعيش . .

ولكن هذا الفرد لا يملك أن يقرر دمه ونسبه ولونه وقومه وجنسه . كما لا يملك أن يقرر الأرض التي يحب أن يولد فيها ، ولغة الأم التي يريد أن ينشأ عليها . . إلى آخر تلك المقومات التي تقام عليها مجتمعات الجاهلية! . . إن هذه الأمور كلها يقضى فيها قبل مجيئه

إلى هذه الأرض ، ولا يؤخذ له فيها مشورة ولا رأي؛ إنما هي تفرض عليه فرضاً سواء أحب أم كره! فإذا تعلق مصيره في الدنيا والآخرة معاً أو حتى في الدنيا وحدها بمثل هذه المقومات التي تفرض عليه فرضاً لم يكن مختاراً ولا مريداً؛ وبذلك تسلب إنسانيته مقوماً من أخص مقوماتها؛ وتهدر قاعدة أساسية من قواعد تكريم الإنسان؛ بل من قواعد تركيبه وتكوينه الإنساني المميز له من سائر الخلائق!

ومن أجل المحافظة على خصائص الإنسان الذاتية ، والمحافظة على الكرامة التي وهبها الله له متمشية مع تلك الخصائص؛ يجعل الإسلام العقيدة التي يملك كل فرد اختيارها بشخصه منذ أن يبلغ سن الرشد هي الآصرة التي يقوم عليها التجمع الإنساني في المجتمع الإسلامي؛ والتي يتقرر على أساسها مصير كل فرد بإرادته الذاتية .

وينفي أن تكون تلك العوامل الاضطرارية ، التي لا يد له فيها ، ولا يملك كذلك تغييرها باختياره ، هي آصرة التجمع التي تقرر مصيره طول حياته .

* ومن شأن قيام المجتمع على آصرة العقيدة وعدم قيامه على العوامل الاضطرارية الأخرى أن ينشئ مجتمعاً إنسانياً عالمياً مفتوحاً؛ يجيء إليه الأفراد من شتى الأجناس والألوان واللغات والأقوام والدماء والأنساب والديار والأوطان بكامل حريتهم واختيارهم الذاتي؛ لا يصدهم عنه صاد ، ولا يقوم في وجوههم حاجز ، ولا تقف دونه حدود مصطنعة ، خارجة عن خصائص الإنسان العليا . وأن تصب في هذا المجتمع كل الطاقات والخواص البشرية ، وتجتمع في صعيد واحد ، لتنشىء « حضارة إنسانية » تنتفع بكل خصائص الأجناس البشرية؛ و لا تغلق دون كفاية واحدة ، بسبب من اللون أو العنصر أو النسب والأرض . . .

« ولقد كان من النتائج الواقعية الباهرة للمنهج الإسلامي في هذه القضية؛ ولإقامة التجمع الإسلامي على آصرة العقيدة وحدها ، دون أواصر الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح الأرضية القريبة ، والحدود الإقليمية السخيفة! ولإبراز » خصائص الإنسان « في هذا التجمع وتنميتها وإعلائها ، دون الصفات المشتركة بينه وبين الحيوان . . كان من النتائج الواقعية الباهرة لهذا المنهج أن أصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مفتوحاً لجميع الأجناس والألوان واللغات ، بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة! وأن صبت في بوتقة المجتمع

الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفاياها ، وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت ، وأنشأت مركباً عضوياً فائقاً في فترة تعد نسبياً قصيرة . وصنعت هذه الكتلة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة ، تحوي خلاصة الطاقة البشرية في زمانها مجتمعة ، على بعد المسافات وبطء طرق الاتصال في ذلك الزمان . »

« لقد اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق : العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونيسي والإفريقي . . . إلى آخر الأقوام والأجناس . . . وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية . ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوماً ما » عربية « إنما كانت دائماً » إسلامية « ولم تكن يوماً ما » قومية « إنما كانت دائماً » إسلامية « و لم تكن يوماً ما » قومية « إنما كانت دائماً » عقيدية « .

» ولقد اجتمعوا كلهم على قدم المساواة ، وبآصرة الحب . وبشعور التطلع إلى وجهة واحدة . فبذلوا جميعاً أقصى كفاياهم ، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم ، وصبوا خلاصة تجارهم الشخصية والقومية والتاريخية فى بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعاً على قدم المساواة ، وتجمع فيه بينهم آصرة تتعلق برهم الواحد ، وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق .

وهذا ما لم يجتمع قط لأى تجمع آخر على مدار التاريخ!

« لقد كان أشهر تجمع بشري في التاريخ القديم هو تجمع الإمبراطورية الرومانية مثلاً . فقد جمعت بالفعل أجناساً متعددة ، ولغات متعددة ، وألواناً متعددة ، وأمزجة متعددة . ولكن هذا كله لم يقم على » آصرة إنسانية « ولم يتمثل في قيمة عليا كالعقيدة . . لقد كان هناك تجمع طبقي على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد في الإمبراطورية كلها من ناحية؛ وتجمع عنصري على أساس سيادة الجنس الروماني بصفة عامة وعبودية سائر الأجناس الأخرى . ومن ثم لم يرتفع قط إلى أفق التجمع الإسلامي؛ ولم يؤت الثمار التي آتاها التجمع الإسلامي . »

« كذلك قامت في التاريخ الحديث تجمعات أخرى . . تجمع الإمبراطورية البريطانية مثلاً . . ولكنه كان كالتجمع الروماني ، الذي هو وريثه! تجمعاً قومياً استغلالياً ، يقوم على

أساس سيادة القومية الانجليزية ، واستغلال المستعمرات التي تضمها الإمبراطورية . . ومثله الإمبراطوريات الأوربية كلها . . الإمبراطورية الإسبانية والبرتغالية في وقت ما ، والإمبراطورية الفرنسية . . كلها في ذلك المستوى الهابط البشع المقيت! وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمعاً من نوع آخر ، يتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون . ولكنها لم تقمه على قاعدة » إنسانية « عامة ، إنما أقامته على القاعدة » الطبقية « . فكان هذا التجمع هو الوجه الآخر للتجمع الروماني القديم . . هذا تجمع قاعدة طبقة » الأشراف « وذلك تجمع على قاعدة طبقة » الصعاليك « (البروليتريا) ؛ والعاطفة التي تسوده هي عاطفة الحقد الأسود على سائر الطبقات الأخرى! وما كان لمثل هذا التجمع الصغير البغيض أن يثمر إلا أسوأ ما في الكائن الإنساني . . فهو ابتداء قائم على أساس إبراز الصفات الحيوانية وحدها وتنميتها وتمكينها . باعتبار أن » المطالب الأساسية « للإنسان هي » الطعام والمسكن والجنس « وهي مطالب الحيوان الأولية وباعتبار أن تاريخ الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام!! »

« لقد تفرد الإسلام بمنهجه الرباني في إبراز أخص خصائص الإنسان وتنميتها وإعلائها في بناء المجتمع الإنساني . . وما يزال متفرداً . . والذين يعدلون عنه إلى أي منهج آخر ، يقوم على أية قاعدة أخرى ، من القوم أو الجنس أو الأرض أو الطبقة . . إلى آخر هذا النتن السخيف ، هم أعداء » الإنسان « حقاً! هم الذين لا يريدون لهذا الإنسان أن يتفرد في هذا الكون بخصائصه العليا كما فطره الله؛ ولا يريدون لمجتمعه أن ينتفع باقصى كفايات أجناسه وخصائصها وتجاربها في امتزاج وتناسق » .

* ويحسن أن نذكر أن أعداء هذا الدين ، الذين يعرفون مواضع القوة في طبيعته وحركته؛ وهم الذين يقول الله تعالى فيهم :

{ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } لم يفتهم أن يدركوا أن التجمع على أساس العقيدة سر من أسرار قوة هذا الدين ، وقوة المجتمع الإسلامي الذي يقوم على هذا الأساس . . ولما كانوا بصدد هدم ذلك المجتمع أو إضعافه إلى الحد الذي يسهل عليهم السيطرة عليه؛ وشفاء ما في صدورهم من هذا الدين وأهله؛ ولاستغلالهم كذالك و استغلال مقدراتهم وديارهم وأموالهم . . لما كانوا بصدد تلك المعركة مع هذا المجتمع لم

يفتهم أن يوهنوا من القاعدة التي يقوم عليها؛ وأن يقيموا لأهله المجتمعين على إله واحد ، أصناماً تعبد من دون الله ، اسمها تارة « الوطن » واسمها تارة « القوم » واسمها تارة « الجنس » . وظهرت هذه الأصنام على مراحل التاريخ تارة باسم « الشعوبية » وتارة باسم « الجنسية الطورانية » وتارة باسم « القومية العربية » وتارة بأسماء شتى ، تحملها جبهات شتى ، تتصارع فيما بينها في داخل المجتمع الإسلامي الواحد القائم على أساس العقيدة ، المنظم بأحكام الشريعة . . إلى أن وهنت القاعدة الأساسية تحت المطارق المتوالية ، وتحت الإيحاءات الخبيثة المسمومة؛ وإلى أن أصبحت تلك « الأصنام » مقدسات يعتبر المنكر لها خارجاً على دين قومه! أو خائناً لمصالح بلده!!!

وأخبث المعسكرات التي عملت وما زالت تعمل في تخريب القاعدة الصلبة التي كان يقوم عليها التجمع الإسلامي الفريد في التاريخ . . كان هو المعسكر اليهودي الخبيث ، الذي جرب سلاح « القومية » في تحطيم التجمع المسيحي ، و تحويله إلى قوميات سياسية ذات كنائس قومية . . وبذلك حطموا الحصار المسيحي حول الجنس اليهودي؛ ثم ثنوا بتحطيم الحصار الإسلامي حول ذلك الجنس الكنود!

وكذلك فعل الصليبيون مع المجتمع الإسلامي بعد جهد قرون كثيرة في إثارة النعرات الجنسية والقومية والوطنية بين الأجناس الملتحمة في المجتمع الإسلامي . . ومن ثم استطاعوا أن يرضوا أحقادهم الصليبية القديمة على هذا الدين وأهله . كما استطاعوا أن يمزقوهم ويروضوهم على الإستعمار الأوروبي الصليبي . وما يزالون . . حتى يأذن الله بتحطيم تلك الأصنام الخبيثة الملعونة؛ ليقوم التجمع الإسلامي من جديد ، على أساسه المتين الفريد . .

* وأخيراً فإن الناس ما كانوا ليخرجوا من الجاهلية الوثنية بكلياتهم حتى تكون العقيدة وحدها هي قاعدة تجمعهم . ذلك أن الدينونة لله وحده لا تتم تمامها إلا بقيام هذه القاعدة في تصورهم وفي تجمعهم .

يجب أن تكون هناك قداسة واحدة لمقدس واحد ، وألا تتعدد « المقدسات »! ويجب ان يكون هناك شعار واحد ، وألا تتعدد « الشعارات » ويجب أن تكون هناك قبلة واحدة يتجه إليها الناس بكلياتهم وألا تتعدد القبلات والمتجهات . .

إن الوثنية ليست صورة واحدة هي وثنية الأصنام الحجرية والآلهة الأسطورية! إن الوثنية يمكن أن تتمثل في صور شتى؛ كما أن الأصنام يمكن أن تتخذ صوراً متعددة؛ وآلهة الأساطير يمكن أن تتمثل مرة أخرى في المقدسات والمعبودات من دون الله أياً كانت أسماؤها .

وأياً كانت مراسمها .

وما كان الإسلام ليخلص الناس من الأصنام الحجرية والأرباب الأسطورية ، ثم يرضى لهم بعد ذلك أصنام الجنسيات والقوميات والأوطان . . وما إليها . . يتقاتل الناس تحت راياتها وشعاراتها . وهو يدعوهم إلى الله وحده ، وإلى الدينونة له دون شيء من خلقه!

لذلك قسم الإسلام الناس إلى أمتين اثنتين على مدار التاريخ البشري . . أمة المسلمين من أتباع الرسل كل في زمانه حتى يأتي الرسول الأخير إلى الناس كافة وأمة غير المسلمين من عبدة الطواغيت والأصنام في شتى الصور والأشكال على مدار القرون . .

وعندما أراد الله أن يعرف المسلمين بأمتهم التي تجمعهم على مدار القرون ، عرفها لهم في صورة أتباع الرسل كل في زمانه وقال لهم في نهاية استعراض أجيال هذه الأمة : { إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون } ولم يقل للعرب : إن أمتكم هي الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها سواء! ولا قال لليهود : إن أمتكم هي بنو إسرائيل أو العبرانيون في جاهليتهم وإسلامهم سواء! ولا قال لسلمان الفارسي : إن أمتك هي فارس! ولا لصهيب الرومي : إن أمتك هي الرومان! ولا لبلال الحبشي : إن أمتك هي الحبشة! إنما قال للمسلمين من العرب والفرس والروم والحبش : إن أمتكم هي المسلمون الذين أسلموا حقاً على أيام موسى وهارون ، وإبراهيم ، ولوط ، ونوح ، وداود وسليمان ، وأيوب ، وإسماعيل وإدريس وذي الكفل وذي النون ، وزكريا ويحيى ، ومريم . . كما جاء في سورة الأنبياء : [آيات ٤٨ ٩١] .

هذه هي أمة « المسلمين » في تعريف الله سبحانه . . فمن شاء له طريقاً غير طريق الله فليسلكه . ولكن ليقل : إنه ليس من المسلمين! أما نحن الذين اسلمنا لله ، فلا نعرف لنا أمة إلا الأمة التي عرفها لنا الله . والله يقص الحق وهو خير الفاصلين . .

وحسبنا هذا القدر مع إلهامات قصة نوح في هذه القضية الأساسية في هذا الدين .

ثم نقف الوقفة الأخيرة مع قصة نوح لنرى قيمة الحفنة المسلمة في ميزان الله سبحانه :
إن حفنة من المسلمين من أتباع نوح عليه السلام ، تذكر بعض الروايات انهم اثنا عشر ، هم كانوا حصيلة دعوة نوح في ألف سنة إلا خمسين عاماً كما يقرر المصدر الوحيد المستيقن الصحيح في هذا الشأن . .
إن هذه الحفنة وهي ثمرة ذلك العمر الطويل والجهد الطويل قد استحقت أن يغير الله لها المألوف من ظواهر هذا الكون؛ وأن يجري لها ذلك الطوفان الذي يغمر كل شيء وكل حي في المعمور وقتها من الأرض!
وأن يجعل هذه الحفنة وحدها هي وارثة الأرض بعد ذلك ، وبذرة العمران فيها والإستخلاف من جديد
. . وهذا أمر خطير . .
إن طلائع البعث الإسلامي التي تواجه الجاهلية الشاملة في الأرض كلها؛ والتي تعاني الغربة في هذه الجاهلية والوحشة؛ كما تعاني من الأذى والمطاردة والتعذيب والتنكيل .
إن هذه الطلائع ينبغي أن تقف طويلاً أمام هذا الأمر الخطير ، وأمام دلالته التي تستحق التدبر والتفكير!
إن وجود البذرة المسلمة في الأرض شيء عظيم في ميزان الله تعالى . . شيء يستحق منه سبحانه أن يدمر الجاهلية وأرضها وعمرانها ومنشآتها وقواها ومدخراتها جميعاً؛ كما يستحق منه سبحانه ان يكلأ هذه البذرة ويرعاها حتى تسلم وتنجو وترث الأرض وتعمرها من جديد!
لقد كان نوح عليه السلام يصنع الفلك بأعين الله ووحيه ، كما قال تعالى : { واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون } . .
وعندما لجأ نوح إلى ربه والقوم يطاردونه ويزجرونه ويفترونه عليه كما قال الله تعالى في سورة القمر :
{ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر . فدعا ربه أني مغلوب فانتصر } عندما لجأ نوح إلى ربه يعلن أنه { مغلوب } ويدعو ربه أن « ينتصر » هو

وقد غُلب رسوله . . عندئذ أطلق الله القوى الكونية الهائلة لتكون في خدمة عبده المغلوب :

{ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر }
وبينما كانت تلك القوى الهائلة تزاول عملها على هذا المستوى الكوني الرائع الموهوب . . كان الله سبحانه بذاته العلية مع عبده المغلوب :

{ وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجري بأعيننا . . جزاء لمن كان كفر . . } هذه هي الصورة الهائلة التي يجب أن تقف طلائع البعث الإسلامي في كل مكان وفي كل زمان أمامها حين تطاردها الجاهلية؛ وحين « تغلبها » الجاهليه!

إنها تستحق أن يسخر الله لها القوى الكونية الهائلة . . وليس من الضروري أن تكون هي الطوفان . فما الطوفان إلا صورة من صور تلك القوى! { وما يعلم جنود ربك إلا هو } وإنه ليس عليها إلا أن تثبت وتستمر في طريقها؛ وإلا أن تعرف مصدر قوتها وتلجأ إليه؛ وإلا أن تصبر حتى يأتي الله بأمره ، وإلا أن تثق أن وليها القدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . وأنه لن يترك أولياءه إلى أعدائه ، إلا فترة الإعداد والابتلاء؛ وأنها متى اجتازت هذه الفترة فإن الله سيصنع لها وسيصنع بها في الأرض ما يشاء .

وهذه هي عبرة الحادث الكوني العظيم . .

إنه لا ينبغي لأحد يواجه الجاهلية بالإسلام أن يظن أن الله تاركه للجاهلية وهو يدعو إلى إفراد الله سبحانه بالربوبية . كما أنه لا ينبغي له أن يقيس قوته الذاتية إلى قوى الجاهلية فيظن أن الله تاركه لهذه القوى و هو عبده الذي يستنصر به فيدعوه : { أني مغلوب فانتصر } إن القوى في حقيقتها ليست متكافئة و لا متقاربة . . إن الجاهلية تملك قواها . . و لكن الداعي إلى الله يستند إلى قوة الله

و الله يملك أن يسخر له بعض القوى الكونية – حينما يشاء و كيفما يشاء وأيسر هذه القوى يدمر على الجاهلية من حيث لا تحتسب!

وقد تطول فترة الابتلاء لأمر يريده الله . . ولقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ قبل أن يأتي الأجل الذي قدره الله . و لم تكن حصيلة هذه الفترة الطويلة إلا اثني عشر مسلماً . . ولكن هذه الحفنة من البشر كانت في ميزان الله تساوي تسخير تلك

القوى الهائلة ، والتدمير على البشرية الضالة جميعاً ، وتوريث الأرض لتلك الحفنة الطيبة تعمرها من جديد وتستخلف فيها . .

إن عصر الخوارق لم يمض! فالخوارق تتم في كل لحظة وفق مشيئة الله الطليقة ولكن الله يستبدل بأنماط من الخوارق أنماطاَ أخرى ، تلائم واقع كل فترة ومقتضياتها . وقد تدِق بعض الخوارق على بعض العقول فلا تدركها؛ ولكن الموصولين بالله يرون يد الله دائماً ، ويلابسون آثارها المبدعة .

والذين يسلكون السبيل إلى الله ليس عليهم إلا أن يؤدوا واجبهم كاملاً ، بكل ما في طاقتهم من جهد؛ ثم يدَعوا الأمور لله في طمأنينة وثقة . وعندما يُغلبون عليهم أن يلجأوا إلى الناصر المعين وأن يجأروا إليه كما جأر عبده الصالح نوح : { فدعا ربه أني مغلوب ، فانتصر } ثم ينتظروا فرج الله القريب . وانتظار الفرج من الله عبادة؛ فهم على هذا الانتظار مأجورون .

ومرة أخرى نجد أن هذا القرآن لا يكشف عن أسراره إلا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهاداً كبيراً . . إن هؤلاء وحدهم هم الذين يعيشون في مثل الجو الذي تنزل فيه القرآن؛ ومن ثم يتذوقونه ويدركونه؛ لأنهم يجدون أنفسهم مخاطبين خطاباً مباشراً به ، كما خوطبت به الجماعة المسلمة الأولى ، فتذوقته وأدركته وتحركت به . .

. . والحمد لله في الأولى والآخرة . .(الظلال)

====================

وحي القلم من سيرة النبي الأكرم لى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب " يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء من عباده وهم يجادلون في الله ، وهو شديد المحال ، له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال "

وأصلي وأسلم على منهاج الكمال ، ومعراج الجلال والجمال ، وبهجة نفوس المتقين ، وراحة صدور الصالحين ، ومرجع العلماء الربانيين ، وقرة عيون الموحدين ، سيدنا محمد

النبي الأمين ، سيدنا وسيد الأولين ولآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله المطهرين ، وصحبة الكرام الطيبين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارزقنا اللهم حبه وحبهم ، وطريقة وهديهم ، وشفاعته وصحبتهم .

وبعد /.....

كنت اودَّ أن أكتب هذه الورقات بماء الذهب على صفائح الفضة فإني أحتسب عند الله تعالى أجرها ، وأدّخر في عظيم خزائنة ثوابها ، يحدوني فيها الحُبُّ الصادقُ للنبي الكريم ، ومنهجه القويم ، وصراطه المستقيم ، عسى أن تكون لي عملاً صالحاً أتوسل به إلى الله أنْ يغفر خطيئتي وذنبي ، ويصلح سريرتي وقلبي ، ويستَلَّ سخيمتي ويستر عيبي ، ويقبل توتبتي ، ويعفو عن حَوْبني ، ويرحم والديَّ ، ويحسن إليهما ، كما ربياني صغيراً ، ويُحْسِنَ إلى أستاذي ، ومشايخي ، وإخواني ، ورحمي ، ويجعل لي من زوجي وذريتي قُرَّة عينٍ ، ويرفع بما يجب من أخلاق الصادقين عنده درجتي . إنه ولي حليم ، وعليّ كريم .

وفي هذه المقدمة للمجلد الثالث من الموسوعة التي نرجو الله أن ينفع بها ، وهو المجلد الخاص بالسيرة النبيوية نبدأ بترجمة موجزة لإمام المتقين محمد r .

وهذا أوان الشروع في المقصود :

ترجمة موجزة لإمام المتقين محمد r

أكتبها من رأس القلم ، يمليها الخاطر المُحِبْ :

هو إمام المتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب (وهو شيبة الحمد) ، بن هاشم (وهو : عمرو) ، بن عبد مناف (وهو المغيرة) ، ابن قصيّ (وهو : زيد) ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ابن فهر ، بن مالك ، بن النضير ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة (وهو : عامر) بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

وهذا النسب هو ما يقفه عنده الحفاظ الأيقاظ ، وما بعده إلى إبراهيم ، له إلى آدم من خبط العشواء ، وركوب الماء .

ولد صلى الله عليه وسلم في عام نصر الله فيه نفسه ، وأظهر بعض بأسه ، ورفع سوط عذابه ليدفع عن بيته ومحرابه ، وأرى العرب والعجم آية من آياته المبينة ، إذ أرسل على

عدده " أبرهة " أسلحته القاضية ، وسيوفة الماضية ، فجعلتهم – كعصفٍ مأكول ؛ إذ ما تصنع طيور كالعصافير ، وأحجار كالمسامير ، في جيش جرار ، وجند مغوار .

إنَّ بأس الله وحده ، وبطش الله وحده ، ولا والله ليس كما قال عبد المطلب : إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدالك فليس لكم في هذا الأمرشيئ ، وأني المشركين يعبدون الأوثان في جو في بيت الله الرحمن أن ينصره ؟

لقد قال الله للناس جمعياً يومئذ (من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا) وأعلمهم أنه ناصر نفسه ، وإن تولى الناس ، وأن المفلح من قيد نفسه في ديوان المدافعين ، وماهو بشئ ، ولكن " الله يدافع " .

وهنالك زلزل إيوان كسرى ، وهدمت جنباته ، وأخمدت النيران ، إشارة إلى انهدام الباطل ، وانطفاء ناره (وقل جاء الحق وذهق الباطل) ، (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) .

وهنالك وُلِدَ محمد صلى الله عليه وسلم – يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول من هذا العام المشهود – هذا ما بقوله أصحاب السير وفي هذه الليلة المكية المباركة كان يهدد المدينة يراقبون الموقف ، فها هو يهودي يصرخ بأعلى صوته : يا معشر يهود : قالوا : ويلك : مالك ؛ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلِدَ به .

أبواه : عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم – أشرف العرب قاطبة

وأمه : آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة – من قريش " فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولدا آدم حباً ، وأفضلهم نسباً ، من قبل أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، ومجد وعظم "

وكانت رضاعته في " بني سعد " وكان اليتيم من حظ " حليمة " فكتب اسمها في التاريخ ، بينما نسيت أسماء صواحباتها اللاتي ترجعن بأبناء الأحياء .

كانت أزهد الناس فيه ،فلما أخذته قالت " فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير ، حتى مضت سنتاه ، وفصلته ، فجاءت إلى مكة تحتال لكي تتركه خديجة معها ؛ " لو تركت بني عندي حتى يغلظ ؛ فإني أخشى عليه وبأ مكة " ، قالت فلم نزل بها – أي بأمه – حتى ردته معنا .

تقول : أخشى عليه وبأ مكة . وهي لم يدر في خلوها أن هو الذي سيزيل وبأ مكة ، ووبأ العالم كله :

[وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين]

وهناك شق صدره المبارك ، واستخرج قلبه الطيب ، فطهر من السوء ، وغسل بالثلج ، (ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك) وكفله جده ثم عمه ، وظهرت معه الكرامه الربانية حيثما حل ، وأينما سار ، وأدرك بعض متفر سمي الأحبار وارهبان أن (محمد) صاحبهم الذي ذكر في كتابهم ، منهم " بحيرا" الراهب الذي كان يقطن صومعته على مشارف الشام " إليه انتهى علم النصرانية في زمانه " وهو الذي قال لأبي طالب حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لو رأوه وعرفوا منه عرفت ببغنه وشراً ؛ فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم " .

وتواردت بشارات الأحبار والرهبان ، وأخبار الجان والكهان عن مبعث النبي المصطفى ، والزكي المرتضى صلى الله عليه وسلم ، حتى عرفها كثير من الناس في الوقت الذي تزوج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب — أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً .

وحبب إليه الخلاء ، فكان يذهب الليالي ذوات العدد ، يتخنث في غار حراء " على مبعدة ثلاثة أميال من مكة ، ينفض عند أوساخ الجاهلية ، ويخلو بربه ، فليت شعري : ماذا كان يقول رسول الله في هذه الليالي ؟ وماذا كانت مشاعره ؟ وكيف كان يناجي حبيبه وطبيبه ؟

الذي نعلمه أن ربه كان راضيا عن هذه المناجاة ، ومثنياً على هذه المشاعر ، فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم موفقاً في كل أمر يدخل فيه ، مباركاً في كل موضع يطؤه ؛ يدل على ذلك حلف الفضول ، وحرب الفجار ، ووضع الحجر الأسود ، وغير ذلك من المواطن التي تدل على التسديد من الله والتأييد .

ثم ختم هذا الرضا ، وهذا التأييد ، بمفتاح الهدى على التأييد ، وهو :

[اقرأ باسم ربك الذي خلق]

وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين من رمضان – وهي ليلة القدر – التي هي خير من ألف شهر رزقنا الله خيرها .

وبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وأشرف على مكة نور بعثته :

[قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من

اتبعه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور]

وآمنت خديجة ، وجدد ورقة بن نوفل إيمانه .. وورقة بن نوفل هو ابن عم خديجة ، نوفل أخو خويلد . وكان رجلاً قرأ الكتب النصراني ، وكتب الانجيل بالعبرانية ، وعرف محمداً صلى الله عليه وسلم قبل أن يراه وآمن به قبل أن يبعث ، ثم لما أخبره النبي بخبر الملك إذ جاءه بشره ورقة بأن ذلك هو الناموس الذي كان يأتي لموسى ، وقال :

" ليتني كنت جذعاً إذ يخرجك قوماً ، والله لأنصرنك نصراً عزيزاً مؤزراً " ثم آمن على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وزيد بن حادثة ، رضي الله عنهم جميعا .

وكان على بن أبي طالب ابن عم رسول الله ، وكان عند رسول الله في بيته ، وأما زيد بن حادثة فكان عبداً رقيقاً عند خديجة ، وأما أبو بكر فكان رجلاً عاقلاً من " تيم " ، وكان تاجراً ، فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله وأسلم بدعوته رجال كثيرون منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فهؤلاء خمسة ، وقبلهم الثلاثة : على ، وزيد ، وأبو بكر . قال ابن هشام " فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ، فصلوا وصدقوا " رضي الله عنهم جميعا .

ثم أسلم الناس ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة ، ولما سمعت قريش عيبت النبي آلهتهم وتسفيه دينهم ناصبة العداء ، وتربص به ، وحدب عليه عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، طيلة حياته ، فلم يصلو إليه صلوات الله عليه بأذى .

أما بقية القبائل فقد هبت على من قبلهم من أصحابه رضوان الله عليهم يعذبونهم ويفتنونهم ، ومنع الله نبيه بعمه أبي طالب ، ونزلت آيات الصبر ، والتعزية ، مواكبة لمعركة الحق والباطل ؛

فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون ، ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمدك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

[فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون]

[ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهو لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذي صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الــذي يعملــون الســيئات أن يسبقونا . ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت . وهو الســميع العليم]

[ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ، و لقد جاء آل فرعون النذر .كذبوا بآياتنــا كلها فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر.أكفاركم خير من أولئكم أم لكم بــراءة في الزّبــر .ام يقولون نحن جميع منتصر ،سيهزم الجمع ويولون الدبر،بل الساعة موعدهم ،والساعة أدهي وأمر] وغير ذلك من الآيات.

وفي وسط لدادة قريش وأذاهم للنبي صلي الله عله وسلم- اسلم بعض كبارهــا ،ومنــهم حمزة بن عبد المطلب ،وعمر بنالخطاب.

واشتد ازر المستضعفين قليلا" باسلامهما ،فجهر عبدالله بن مســعود بــالقرآن في مكــة ،وكان اول من جهر بالقرآن ــ رضي الله عنه ـ اذ قام في الضّــحي عنــدالمقام حيــث اجتماع قريش في انديتها فرفع صوته يقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم

"الرحمن.علّم القرآن "

ثم استقبل قريشا" يقرأها . فتأملوه وقالوا :ماذا قال ابن أم عبد ؟ قالوا انه يتلو بعض مــا جاء به محمد .

فقاموا اليه يضربون في وجهه ، وجعل هو يقرأ وهم يضربونه ،وهو يقرأ،حتي بلــغ مــن سورة الرحمن ما شاء الله له أن يبلغ ،ثم انصرف الي المسلمين وآثارالضرب في وجهــه ،

فقال أصحاب النبي ـــصلي الله عليه وسلم ـــ "هذا الذي خشينا عليك " .قال :"ما كـــان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن ."

ولعل هذه الحادثه جعلت سادة قريش يتسللون سرا لسماع قراءة الرسول ـــصلي الله عليه وسلم ـــ بالليل وكان قد فرض عليه قرآن الليل ،فخرج أبو سفيان ، وأبو جهل بن هشام ،والأخنس بن شريف الثقفي ،وخرجالوليد بن المغيرة ، وجاء عامر بن الطفيـــل الشـــاعر العاقل .

وكلما بلغ النبي شاواً من الدعوة قابلته قريش بمزيد من الأذى ، فأذن الله بهجرة الحبشة ، فياهر نفر من الصحابة ، ومكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، واشتد أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب ثم موت خديجة رضي الله عنها ، خصوصاً مـــن أعداء الله تعالى : أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء ، وابن الأصداء الهذلي وكان معهم الحكم بن العاصي بن وائل – لكنه أسلم بعد .

وظهرت هنا أخلاق النبي وأصحابه ، من شدة الصبر ، وشدة الاستمساك بـــالحق ، ورد السيئة بالحسنة ، والتعالي على الأحداث الصغار انتظاراً للأحداث الكبار .

وكان أول الأحداث الكبار حادثة الإسراء والمعراج ، الإسراء الرباني ليدل على أن هـــذا الرجل فوق العادة ، وأن هذا الدين فوق العادة ، وأن نصر الله فوق العادة ؛ وليزيد الثقة في نفوس المسلمين بربهم ونبيهم و بدينهم ،وليجدد عزيمة رسوله المبارك الكـــريم برحلـــة تنسيه هموم القوم ، نعم : لقد رجع النبي صلوات الله عليه من هذه الرحلة كيوم ولدته أمه . كيف لا ؟ وقد صعد الي الملك فوق سماواته "وهو بالأفق الأعلـــي . ثم دنـــا فتـــدلي ، فأوحي الي عبده ما أوحي ،ما كذب الفؤاد ما رأي ،أفتمارونه علي ما يري ،ولقـــد رآه نزلة أخري ،عند سدرة المنتهي ،عندها جنة المأوي ، إذ يغشي السدرة ما يغشي ، ما زاغ البصر و ما طغي ، لقد رأي من آيات ربه الكبري ، أفرأيتم اللات والعزي ، ومناة الثالثة الأخري ."

وليت شعري ! أين تقع اللات والعزّى في هذا الملك ؟ انها الرحلات الايمانية التي يعـــاين فيها النبي الكريم مشاهد الملك ، حتي اذا وقف أبو سفيان في عز المعمعة يقول :

[اعل هبل]

أجابه الموفّق علي الفور :
[الله أعلي وأجلّ.]
واشتد ساعد رسول الله في الدعوة ، حتي لقد بعث الله له الجن يدعوهم ويبايعهم .. تري من أين جاءوا ؟ لقد جاءوه من (نصيبين) ؟ وأين نصيبين ؟ إنها هناك في أقصى الشمال الشرقي _علي طريق القوافل بين الموصل والشام _ يعني بين العراق .وقد كان !
بدأت دعوة النبي للقبائل ، يقف علي منازلهم ،ويستقبلهم في طريق الحج، ويعرض عليهم الإسلام ، وخلفه عدو الله عبد العزي_لاعزّ له _ أبو لهب بن عبد المطلب ،يـــرد عليـــه دعوته :
أتي كنده في منازلهم فدعاهم إلي الله فأبوا عليه .
وأتي ابني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله فأبوا عليه .
وأتي بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردّا" منهم .
ومع ذلك فهو يسير في طريق البلاغ حتما أذن الله بالفتح ، وجاء الأنصار _ وهم الخزرج ،وذلك في السنة الحادية عشرة للنبوة .أتمها الله ونفع بها .إذ لقيهم رسول الله_صـــلي الله عليه وسلم _ في الموسم فدعاهم فأجابوا ورجعوا إلي أهلهم فدعوهم ، فلم يبق بيت مـــن الأنصار إلا دخله خبر الإسلام ، وفيه ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
حتى إذا كان العام المقبل بايعة اثنا عشر رجلاً من الأنصار بالعقبة ، وهي موضع على بعد ميلين من مكة ، ومنها ترمى جمرة العقبة ، وكان من المبالغين عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي ردى حديث البيعة .
وبعث معهم رسول الله مصعب بن عمير ليعلمهم الإسلام ويقرئهم القرآن ، وكان مصعب فتى قريش ، رضي بالإسلام عزاً عن عز قومه ، فرضي به وأعزه ، استشهده يوم أحـــد ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من الحور العين بجواره فرضي الله عنه .
وكانت بيعة العقبة الثانية إذ بايع النبي سبعون رجلاً وامرأ تان .ثم كان الحدث الكـــبير ، والتحول الخطير في حياة المسلمين — لا ، بل حياة الإسلام ، وهو الهجرة (إلا تنصـــروه فقد نصره الله إذ أخرج الذين كفروا ثاني اثنين)

كل الناس إذا مشت – وقريش منهم – تتلفت أسفل ، ولكن في هذا الموضـــع يتلفتـــون أعلى ، يمسحون الآفاق بأعينهم وضالتهم تحت أقدامهم .

متى يدرك الناس أن السمع والبصر عبد ذليل من عباد الله ، فإذا شاء الله قلبه كيف شاء ؟ ما أغلى هذه الضالة تدري ما جعل المشركون لمن يأتى بها ؟ وبه كل واحـــد منـــهما . ولكنهما أنفس على الله من هذا الثمن ؟ بل من كل الأرض .(هو الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين) .

كان أبو بكر يكثر الالتفات ، ورسول الله لا يلتفت . إنه اليقين ، إنـــه الفـــرق بـــين – والموقف واحد ، والمعطيات واحدة – بين الرسول وغير الرسول .

وتخمد نار الطلب فيخرج المعصوم وصاحبه متوجهين إلى المدينة (الناقـــة مـــأمورة " لأن راكبها مأمور . حتى بركت في موضع ما عند بني النجار – أخوال جده عبد المطلـــب . وفي هذا الموضع بني المسجد النبوي المبارك .

هذه أحلى أيام شهدتها المدينة المنورة ، ليت مثلها يعودلها بالإسلام ، وظفرة ، والغلبة على أعداء محمد ، الذين داسوا بأقدامهم جزيرة العرب بعد أن طهرها النبي منهم . قال أنـــس بن مالك :

" شهدته يوم علينا المدينة ،فمارأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من اليوم الذي دخل المدينة علينا ،وشهدته يوم مات ، فما رأيت يوماً قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات "

سعيد أنت أيهذا القلم إذ أكتب هذه السيرة .. ومحبور أنت أيها المداد .

هنا بني المسجد ، من بالطوب اللبن . قيل له : ألا تسقفه ؟ فقال :

" عريش كعريش موسى "

وهنا بنى صلى الله عليه وسلم بعائشة في بيته الذي بني له شرقي المسجد ، وكان بناؤه بها في شوال من السنة الأولى للهجرة ، مخالفة لعادة بعض الناس في كراهة البناء في شوال .

وماكان أعظم بركاته على المدينة ، وخلها وهي وبيئة ، فمرض بعض المهاجرين منهم أبو بكر وبلال ، فقال رسول الله عليه وسلم :

" اللهم صححها ، وبارك لنا في صاعها وقدها ، واثقل حماها إلى الجحفة " واستجاب الله . هذا هو الفأل ، لا فأل اليهود الذين (وإذا أصابتهم مصيبة قالوا : هذه من عندك)

وفي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة زيدت صلاة الحضر فصارت أربع ركعات .
وبدأت الكفالة الاجتماعية بمشروع (أهل الصفة)

وفي السنة الأولى توفى البراء بن معرور ، وهو الصحابي الذي صلى للكعبة قبل أن تحـــول القبلة .

وبدأ أيضاً العمل السياسي مع اليهود بالموادعة – التي نقضوها بعد – لعنهم الله . وفي هذه السنة أسلم كاشف زيوف اليهود عبد الله بن سلام ، وقصة إسلامه مشهورة .

ثم حولت القبلة – في السنة الثانية – إلى القبلة التي (يرضاها) النبي لنفســـه ولأمتـــه (فلنولنيك قبلة ترضاها)

إن تحول دولة وشريعة ، ذلك أن شريعة موسى هي آخر الشرائع ، ودولة بني إسرائيل هي آخر الدول القائمة على أساس ديني ، وهذا إشعار بتحويل الشريعة ، بنســـخ القـــديم ، وتحول الدولة إلى دولة محمد صلى الله عليه وسلم ، إنه الإظهار الرباني لهذا الدين ، وبيان أن شريعة موسى ، ودولة موسى على رغم تقدير رسول الله له – شريعة ودولة لم تعـــد تصلح الآن .

وتحولت القبلة ، فتحولت معها بعض القلوب ، أو قل ظهر ما بها من حولٍ نعـــم : هـــي قلوب حولاء ، لكنها تخفى هذا الحول – حتى إذا جاء الاختبار لم تصبر على الإخفاء ..

[سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقيبه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم]

قال الكافرون : كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا .

وقال اليهود : ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .

وقال المنافقون : إن كانت الأولى حقا فقد تركها ، وإن كانت الثانية هي الحـــق ، فقـــد كان على الباطل .

إنها معركة اللافتات والشعرات الإسلامية في مواجهة رسول الله (وإن كانت كـــبيرة إلا على الذين هدى الله)

آمنا بالله ورسوله .

كانت هذه الشعارات حرباً نفسية يروجها اليهود والمنافقون استعداداً للحـــرب العلنيـــة العسكرية بينما كانت قريش تعد العدة للمواجهة أيضاً (إنهم يكيدون كيدا ، وأكيد كيداً)

وعقد أول لواء للمسلمين في السنة الأولى للهجرة –أصبح للمستضعفين ألوية – أصـــبح المستضعفون غزاة – الله أكبر (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخـــافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم) وهذا اللواء هو (لواء حمزة بن عبد المطلب) وكانت مهمته اعتراض عير لقريش قادمة من الشام ، فيها أبو جهل – بالقباحة الاسم والمسمى – وثمانون من المشركين – وكان مجدي موادعاً للفريقين .

بدأت العدة منذ للحظات الأولى للاستقرار بالمدينة ، فقد تلت هذا البعث عدة ســـرايا ، منها سرية عبيدة بن الحرث وسرية سعد بن أبي وقاص وغزوة الأيواء – التي شهدها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فاعترض عيداً لقريش وبني ضمرة ، فوادعه بنـــو ضـــمرة ، ورجع ولم يلق كيداً .

إن الإعداد للقاء القوم ، والمناولات المتكررة للتدرب ولإخافة العدد ، يستمر بغزوة بواط ، ثم غزوة العشيرة ، ثم بعث عبد الله بن جحش ثم غزوة سفوان وهي (بدر الصـــغرى) ولكن شتان شتان بينهما .. إنهما ما تشابهتا إلا في الاسم والموضف ... وكانـــت بـــدر الصغرى في جمادي الآخرة ثم بعث عبد الله بن جحش في رجب ..

ثم جاء رمضان .. وكانت غزوة " بدر الكبرى " حيث اختار الله للمسلمين النفير علـــى العير ، وخفهم بطلب الانتصار لله لا الانتصار لأنفسهم (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحـــق بكلماتـــه ويقطع دابر الكافرين) .

وظهرن بشائر الرحمة الربانية والجند سائرون في الرمل ، فأنزل الله بالليل مطـــراً واحـــداً صلب الرمل ، وثبت الأقدام ، فعلمت القلوب أن هذا بشارة النصر ، وسار النبي صـــلى

الله عليه وسلم يشير على مواضع بينهما ، فيقول : " هذا مصرع فلان ، وهذا مصـــرع فلان إن شاء الله " فلما كانت المعركة ما تعدى واحد من الصرعى موضع إشارته صــلى الله عليه وسلم " الله أكبر – إنها النبوة "

وجاءت قريش بخيلائها وفخرها لتحارب الله ورسوله والمؤمنين ، واستخدم النبي صلوات الله عليه أول الأسلحة وأمضاها ، قام ورفع يديه متضرعاً إلى الله حتى سقط رداؤه .

" اللهم أنجز ما وعدتني ، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك "

هذا الذي معه من الدعوة يتضرع ، فكيف بنا ؟

فأجابة الله عز وجل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكـــة مردفين) فأصبح عدد المسلمين المقاتلين ألفاً وثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً ، وعدد المشركين ألفاً ، فأسرع المسلمون في القتل ، قال ابن هشام :

" و لم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً ، لا يضربون "

وأثار أبو جهل – قبح الله اسمه ورسمه – الحرب ، يا يعازه لعامري الحضـــرمي وبـــدأت الحرب بمبارزة بين الأسود بن عبد الأسد المخزومي وأسد الله حمزة وشتان بـــين (عبـــد الأسد) وبين (الأسد) نفسه ، فلم تمض لحظات حتى رأى المشركون صاحبهم مكومـــا في الحوض مقتولاً .

وبعدها مبارزة جماعية بين ثلاثة أسنمة من الكفار وثلاثة أسنمة من المسلمين ، أما أسنمة قريش فهم : عتبة ابن ربيعة وأخوة شيبه وابن الوليد وأما المسلمون فهم : حمزة بن عبـــد المطلب وعلى بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث .

وما هي إلا لحظات حتى قيل الثلاثة النتني المشركون بسيوف الحق التي كانـــت بأيـــدي المطهرين المسلمي ،

وتزاحف الناس ، واستخدم النبي سلاماً جد

يداً لا يعرف الكفار استخدامه ، أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا وقال : شاهت الوجوه ، ثم ألقاها عليهم ، وقال لأصحابه : شدوا

فكانت الهزيمة ، وقتلت صناديد قريش ، وأسرت أشرافهم . وكان فيمن قتل فرعون هذه الأمة أبو جهل قبحه الله تعالى ، وفيمن أسر أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ليس كل الناس يحسنون استخدام الأسلحة ..

ثم حدثت غزوة بني سليم بعد قدوم النبي من بدر بسبع ليال ، ثم غزوة السويق ، ثم غزوة بني قينقاع ، إذ نقض يهود العهد الذي عاهدوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد الله ورسوله فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمة فشفع فيهم عبد الله بن سلام فأطلقهم له . ثم كانت غزوة أحد .

وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال للسنة الثانية للقاء الكفار وهم نحو ثلاثة آلاف رجل ، وكان المسلمون ألفاً — كان فيهم عبد الله بن أبي بن سلول ومن ثلث العسكر ، فانخذل بهم في الطريق ورجع ، وبقي سبعمائة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقوا بالمشركين وهم ثلاثة آلاف ، وهزموهم وركبوا أكتافهم ، وولوا مدبرين قهرهم الله ، ولكن الرماة لما رأوا ذلك استعجلوا الغنيمة وخالفوا أمر قائدهم بل قائد الدنيا والآخرة ، فانكشف ظهر المسلمين ، فالتف فرسان المشركين حتى أحاطوا وانكشف النبي صلوات اللع عليه ، بعد استشهاد سبعين من أصحابه رضي الله عنهم ، فخلص إليه أعداء الله فكسروا رباعية وجرحوه جراحات ، وظهرت كوا من الصحابة يومئذ وترجم ما في قلوبهم من حب رسول الله وفوائد ، فقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى عليه وسلم حتى قتل ، قتله قمئة الليثي — انظر إلى الاسم وقذاريه . وقام زياد بن السكن في خمسة نفر من الأنصار يقاتلون دون رسول الله ، حتى قتلوا جميعا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ترس دون رسول الله أبو دجانة بجسمه ، فكان يقع في ظهره النبل فلا يتحرك حماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وظلوا مدافعين عن صلوات الله عليه (لايرغبون بأنفسهم عن نفسه) لا والله ، فهي أعلى نفس علينا ، وأعز نفس في قلوبنا بآبائنا هو وأمهاتنا ، صلوات الله وسلامه عليه ، وهم يردون له بعض فضله ، ويكافئونه ببعض جميلة ، أليس هو الذي هداهم الله ، من العمى إلى البصيرة ، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وأحيا قلوبهم بعد موت ، وشرح صدورهم بعد كفر وغم :

(أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن هو مثله في الظلمـــات ليس بخارج منها)

ولا والله ما يكون منهم إلا هذا الذي صنعوا ، وهم الذين أضافهم الله إلى نفسه فقال لهم (ياعبادي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) فخرجوا للهجرة ، وشرفهم بمعيشـــة نبيـــه فقال (محمد رسول الله والذين معه) ، وهم معادن الخير ، وينابيع التقوى ، وجرثومـــة الفداء والبذل .

وفي هذه الغزوة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف رأس الكفر قتله بطعنـــة واحدة في عنقه تدأد أبها عن فرسه هذا الفرس منكوب أن يركبه مثل الحمار – كـــان أبي بن خلف يعلف هذا الفرس اثني عشر رطلاً من الذرة يومياً ليقتل عليه رســـول الله عليـــه وسلم :

(يريدون .... ويأبى الله)

و لم تنته الغزوة ، فهناك (حمراء الأسد) ، حيث أراد القرشيون أن يرجعوا لكي يجهـــزوا على الجيش المسلم ، ويستأصلوا ، بقيصتهم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنادي في الناس بالمسير إليهم ، واستحاب له المسلمون رغم القرح وما أصابهم من جراء أحـــد ، فساروا معه حتى بلغوا (حمراء الأسد) ، وهي على بعد ليلتين من المدينة ، فلما بلغ ذلك أبا سفيان هرع راجعاً إلى مكة .

وكثرت الغزوات مع اليهود بأحيائهم المختلفة والعرب المشركين بطونهم وقبائلهم المتعددة حتى جاءت سنة خمس للهجرة ، ووقعت غزوة الأحزاب .

وكان سببها اشعال اليهود للفتنة ، وتحريض المشركين في مكة وغيرها على المســـلمين ، وتعاهدت أحزاب المشركين واليهود معاً لغزو المدينة ، غزو خارجي من مكة والقبائـــل ، وغزو داخلي يتمثل في الحرب النفسية والتسهيلات العسكرية من اليهـــود ، مـــع جـــبن وتقاعس من المنافقين وحاصرت الجيوش المدينة شهراً ، فيها رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم . وهنا كان السلاح الفتاك – سلاح الريح (يأيها الذين آمنوا اذكـــروا نعمـــة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها) وتفرق أمر القوم بإذن الله ورحلوا عن المدينة تصفر الريح في آذانهم ، ويضرب الرمل إلياتهم وأعجازهم .

ورجع المسلمون إلى المدينة فوضع النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له : كيف تضع سلاحك ، والملائكة لم تضع أسلحتها ؟ - انهض إلى هؤلاء – يعنى بني قريظة ، وكانت اليهود وقد نقضت العهد ، وتواطأت مع المشركين ، فنادى رسول الله صلى اله عليه وسلم بعبئ الجيش لقتال بني قريظة ، وسارع المسلمون إلى الزحف على إخوان القردة والخنازير بني قريظة فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمم فيهم سعد بن معاذ فقضى أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتبسى النساء والذراري . وهذا – لعمر الله – هو حكم الله فيهم ألهمه الفارس البطل ، والتقى النقي سعد بن معاذ . ثم كان في هذه السنة أيضاً ما كان صلح رسول الله لأهل مكة عند الحديبية وأعلم أن صلح الحديبية كان بوحي من الله لرسوله ، و لم يكن لأحد فيه خيار ، لأن ناقة النبي حين انطلاقة نحو مكة ، بركت في موضع يقال له " ثنية المرار " فقال الصحابة : " خلات القصواء " فقال صلوات الله عليه : ما خلات القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل " ثم قال : " والذي نفس محمد بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " ثم عدل عن سيره حتى بلغ الحديبية . وقال بعدها " إني رسول الله ، ولا أعصيه "

وبعد المفاوضات اتفقوا على الصلح الذي كتبه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت شروط الصلح أن يخلى بين النبي والبيت وفي العام المقبل – وأن يرجع لقريش من جاءه مسلماً وصار في أثناء ذلك غيظ من المسلمين لشروط الصلح ولعدم إكمال رحلة الحج ، لكن أراح الله الصدور وشفى النفوس بحمكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحروا الهدي ، وذهبوا إلى المدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

فلم يستقر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة إلا شهرا وبعض شهر وخرج إلى خيبر في المحرم للسنة السابقة وكان يهود خيبر من اليهود الذين نقضوا العهد مع الله ورسوله ، فحاصرهم رسول الله صلى عليه وسلم ، وظل يفتح الله له الحصون ، ويسير له الأموال ، ويورثه الأرضين ، حتى أتوا آخر حصونهم وهما : الوطيح والسلام فحاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة .

وبرز مرحب اليهودي يطلب المبارزة – وكان مبارزاً – فبرز له عامر ابن الأكوع – وقيل : كعب بن مالك – فتبارزا فقتله عامر – رضي الله عنه .

ولما اشتد الحصار وأيقنوا بالهلكة سألوه الصلح ، فصالحهم على حقن الدماء وأن يخرجوا من " خبير " ويتركوا الصفراء والبيضاء والحلقة إلا ثوباً على ظهر إنسان ، إلا أنهم رجوه أن يبقوا في الأرض فيزرعوها على شطر ما يخرج من غلتها فأذن لهم في ذلك على أنه إن شاء أن يخرجهم .

واستمرت السيوف مشهرة لعز دين الله ، ونشر لا إله إلا الله ، وتأديب الناكثين ، وتخويف الكفار والمنافقين ، ما بين غزوة وسرية وبعث ، حتى كان ذو القعدة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتمر عمرة القضاء ، بدلاً من عمرة العام الماضي التي أحصر عنها ورجع من الحديبية ، وترك قول الله تعالى:

" لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا "

وفي جمادىالأولى من السنة الثامنة كانت سرية مؤتة ، ومن المؤرخين من يسميها غزوة مؤتة ، وذلك لعلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عد نفسه الفئة التي تحيز لها المقاتلون . والله أعلم .

وقد كانت هذه السرية تأديبية ، ولم يكن المقصود بها الغزو ، وإنما المناورة وإثبات القوة ، وقد علمت الروم يومئذ قوة المسلمين وحنكة قوادهم ، ولما رجع الجيش إلى المدينة بعد جراحاتهم وشهدائهم وبلائهم الحسن استقبلهم رسول اللهخ صلى الله عليه وسلم .

ثم جاء رمضان ، ومع رمضان جاء الفتح :

ونقض مشركو قريش العهد ، وظاهروا " بكراً " على قبيلة خزاعة في عددها عليها ، وكانت الفرصة للفتح وعد الله به وتشوق إليه المسلمون :

عد منا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

يبارين الأسنة مصعدان على أكتافها الأسل الظماء

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح ،وانكشف الغطاء

وإلا ، فاصبروا الجلاد يوم يعز الله فيه من يشاء

وقد أعز الله في هذا اليوم آناف المسلمين ، وأذل آناف الكافرين وكان في أيـــام الفـــتح الأعاجيب ، قوم صهرهم الإسلام في بوتقته ، وتوقد فيهم قيام الليل وصيام النهار وعفـــة العمر ذكاء ، فلا ينكقون إلا عن قسطاس ، ولا ينصرفون إلا عن قصد ، فإذا انتشـــقوا الحسام ، وأشهر والصمصام ، وأمسكوا الأعنة ، وأشرعوا الأسنة ، فهم حينئذ الوحـــوش الضواري في البراري ، والضراغم الضياغم في الملاحم ، في المفاوضات محـــدثون بخبـــاء ، ومفاوضون علماء أذكياء – أين منهم أخباء القوم في تفاوضهم ، وألبادهم في تعارضيهم ، فإذا ساروا فسير الغازي الحذر ، المحارب المكر ،حتى إذا التقت الأجســـاد ، وهلعـــت الآساد ، واقتلعت القلوب والأكباد ، وقعقعت السيوف ن وشعشعتالحتوف ، فهم يومئذ همو :

حتى إذا ازور الفوارس وانحنت أصلاب أهل الخبرة الأكفـــاء

وارتاعت الأبطال من خوف الردى وأتى الشجاع بلكنة ووعـــاء

لم تلق غير المسلمين تثبـــــــــتا أنعم بهم من رفقة ولـــــواء

أظفرها الله بالعدد بعد طول مناجزة ، وأدخلهم مكة بعد طول اغتراب ، وأصبح أمـــان الرجل الشديد من قريش أن يغلق عليه داره كالنساء ، وأسلم الصـــناديد ، وحطمـــت الأوثان ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

ثم بدأت معركة هدم الأصنام في الكعبة وحولها ، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره وبعث عمـــرو بـــن العاص في شهر رمضان إلى " سواع " وهو صنم لهذيل ، فهدمه ، وأسلم سادن لله تعـــالى وقوالب البعوث لتطهير الجزيرة من الأصنام ، فهدم سعد بن زيد من بني عبد الأشـــهل " مناة " وهدم خالد بن الوليد " العزةى " ..

ثم أرادت هوازن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علمت بفتحة مكة ، وعزمـــوا الأمر إلى هذا الضلال المبين ، فخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفـــوا عنـــد وادي حنين ، وكان المسلمون كثرة ، وكانت هوازن في عدها ، فهجم المشركون هجمة رجل واحد ، وحملوا على المسلمين ، فانكشفوا – وكانوا يظنون ألن يغلبوا مادامو كثرة

، وقد رأوا من قبل أن النصر لا يكون بالكثرة ، فوقع بهم ذلك ابتلاء من الله وتنبيهاً لهـــم إلى حقائق لا ينبغى أن تغيب .

ولكن رسول الله ثبت حين انكشاف المسلمين ، ودعاهم ثانية فاستجاب الصحابة والتفوا حول النبي الكريم صلوات الله عليه ، وشهر رسول الله صلى الله عليه وســـلم ســـلاحاً مـــن الألأسلحة الغريبة على القوم ، التي ما يصنعون شيئا في ردها ، قال العباس : " ثم أخـــذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات ، فرمى وجوه القوم ، ثم قـــال : انهزمـــوا ورب محمد . قال : فما هوإلا أن رماهم ، فمازلت أرى حدهم كليلا ، وأمرهم مدبراً وانهـــزم المشركون ، وسبى منهم المسلمون وغنموا ، كان السبي ستة آلاف رأس ،واالإبل : أربعة وعشرين ألفاً ، والغنم أربعين ألف شاة ، والفضة أربعة آلاف أوقية .

ثم جاءت غزوة تبوك سنة تسع ، وهي غزوة العشرة حيث كان الناس في عشرة وجدب ، وهي الغزوة التي سماها باسمها قبل الخروج إليها ، وهذه الغزوة هي التي غزا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (الروم) .

وفيها من عجائب النفاق ، وكيفية الانزلاق عن مواطن الجد ، والإباق من مواقف الشد ، والاعتذار عن الجهاد بالأعذار ، ما فيها من العجب العجاب وفيها من حرص الصـــحابة الأطهار على رضا نبيهم ونصرة دينهم ما يوصف من عظمته إلا بسرد حكايته ، وهـــي طويلة ، وإنما قصدنا أوجز الإيجاز ، والإيناس بسيرة سيد الناس .

ثم فيها من معجزات رسول الله ما يقر العين وبثلج الصدور ويثبت القدم .

وانتهت الغزوة بظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مسير مرير ، وطريـــق شـــاق وعسير ، وجلاد وجهاد ، وقلع أكباد وأوتاد ، ورجع ظافراً بمصالحة أهـــل أيلـــة لـــه ، وكذلك مصالحة أهل " دومة الجندل " له على الجزية وعاد رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم إلى المدينة فاستقبلته الناس والنساء والجواري والصبيان ، يغنو وغنت الجواري:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعـــا لله داع

وهذا هو الصحيح ، أن هذا النشيد كان فقول النبي صلى الله عليه وسلم من " تبـــوك " وليس مقدمة المدينة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لم يدخلها من " ثنية الوداع " والله أعلم .

وكانت غزوة تبوك آخر غزوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها نزلت سورة براءة أو (الفاضحة) أو (المبعثرة) التي كشفت من سرائر المنافقين وخبايا قلوبهم .

وفي سنة تسع أيضاً جاءت الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلن إسلام القبائل ، وما مطمع طامع في حرب الله تعالى ، وهذا نوره بلغ الأصقاع ، وأضاء البقاع ، وهذا بأس أخذه قلع الأوتاد ، وخلع الجبابرة الشداد ؟ وما البقاء على دين أعوج أعرج كان له نفع في الدنيا حين كانت الكعبة بيت الأصنام ، فيها وصورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام ، أما وقد سقط الشرك ، وحبط الإفك ، ودخلت قريش الإسلام ، وأســـلمت هوازن ثم ثقيف ، و لم يبق للعرب بؤرة جاهلية يرجعون إليها ، فعرف من لم يكن منهم قد عرف ألا طاقة لهم بحرب الله ورسوله ، فجاءت الوفود تباعاً إليه صلوات الله عليه وقـــد تميم ، وسيدهم عطارد بن حاجب التميمي ، ووفد طيئ وسيدهم زيد الخيل ، ووفد عبد القيس ومقدمهم الجارود العبدي ، ووفد بني حنيفة ، وكان فيهم مسيلمة الكذاب غير أن تخلف في رحالهم ، فلما رجعوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وزعم أن يوحى إليه ، وقتل اللعين في خلافة الصديق رضي الله عنه .

وسمي هذا العام ما لم الوفود .

ثم في هذه السنة في ذي العقدة حج أبو بكر بالناس ، أشعر رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم البدن وقلدها بيده ، ووضعها مع أبي بكر .

ثم كانت حجة الوداع سنة عشر ، وهي الحجة الوحيدة التي حجها رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وبين الناس مناسكهم ومعالمهم ، وتبرأ من كل الجاهلية ، ووضعها تحت قدميه ، ورجع إلى المدينة فأرسل البعوث والرسل مخاطباً للملوك في الجزيرة وفـــارس والـــروم يدعوهم إلى الإسلام .

وكان آخر بعوثه صلوات الله عليه هو بعث أسامة ، الذي جهزة قبل موتة صـــلوات الله عليه بأيام ، فأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض " فلسطين " ولكن توفي

رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يبعث البعث وبعثه أبوبكر الصديق ، وكان هذا العمل أول أعماله المباركات ، ودل ذلك على امتداد هدي محمد في أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

وفي ضحى الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول إحدى عشرة للهجرة لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ، واختار جواره ، بعد أن استعد لهذا اللقاء الكريم أحسن عدة ، وترك في الأمة كتاب الله وسنته نوراً وهدىً يهدي إلى سواء السبيل ، وترك صحابته وآل بيتــه أوتاد الأرض ، وحفظة الوحي ، وعلماء الشريعة ، فاضت روحه المطهـــرة إلى بارئهـــا ، واستمرت سيرته تعطر الدنيا وتنسير الآفاق .

وصلى الله عليه وآله وسلم كثيراً .

وكان تسطيره يا مجلسين اثنين :

الأول : من الساعة الثانية عشرة والنصف ليلة الخميس الثالث والعشرين من شعبان المكرم عام ١٤١٤ حتى الساعة التاسعة والنصف صباح الخميس .

والثاني : من الساعة الثانية ظهر الخميس حتى الساعة الخامسة وخمس وعشـــرين دقيقـــة مغرب شمس هذا اليوم الطيب من أيام الله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو عبد الله القاضي

في ٢٢ من شعبان ١٤١٤ هـــ / ٣/٤/ ١٩٩٤ م

=====================

الثوابت الأساسية في الإسلام

يتناول الدرس الأصول أو الثوابت التي بني عليها الإسلام موضحا أدلة هـــذه الثوابـــت وأهميتها من القرآن والسنة وأقوال العلماء وموضحا الواجبات التي تتفـــرع عـــن هـــذه الأصول ويبين موقف المسلم منها. ثم يذكر عقب كل أصل الفرق الـــتي خالفـــت هـــذا الأصل ومدى ونوعية المخالفة لهذا الأصل حتى يحذر منها المسلم والداعية إلى الله.

الأصل الأول : القرآن الكريم : القرآن الكريم كتاب الله المترل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله إلى أهل الأرض، وهو الذي تحدى الله به العرب البلغاء أن يأتوا

بسورة من مثل سوره، فعجزوا، وكان ذلك من أكبر الأدلة على أنه من عند الله، ولـــيس من عند البشر؛ لأن البشر لا يعجز بعضهم أن يأتي بما يأتي به بعضهم، فما من شـــاعر إلا وعورض بمثله وأشعر منه، ولا من خطيب إلا وجاء من هو أخطب منه، ولا عالم إلا قـــد جاء من يفوقه. وكذلك الشأن في كل ما يحسنه البشر يستحيل أن يأتي أحد منـــهم بمـــا يعجز البشر كلهم في كل عصورهم، قال الله تعالى متحدياً المكذبين برسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم :

} وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِـــنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[٢٣]فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّـــاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[٢٤] { 'سورة البقرة' .

◄وهذا الكتاب الكريم مع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم هما مصدرا التشريع، قـــال الله تعالى:} وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًـــا لِكُـــلِّ شَـــيْءٍ وَهُـــدًى وَرَحْمَـــةً وَبُشْـــرَى لِلْمُسْلِمِينَ[٨٩] { 'سورة النحل' وقال فيه أيضاً:} حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالـــدَّمُ وَلَحْـــمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَـــئِسَ الَّـــذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّـــهَ غَفُـــورٌ رَحِيمٌ[٣] { 'سورة المائدة' .

◄وهذا الكتاب الكريم أنزله الله موضحاً ومبيناً به السبيل إليه، فهو بصيرة وفرقان، يفرق بين الشرك والتوحيد، والحق والباطل، وما أحله الله وما حرّمه، ومـــا يرضـــاه الله ومـــا يسخطه، وفرق الله به أيضاً بين أوليائه وأعدائه، وأوضح سبيل كل فريق منهم، وقد جعله الله ميسراً سهلاً للتذكر والاعتبار والتعلم، فقال سبحانه وتعالى:} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُـــرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ[١٧] { 'سورة القمر'.

وقال تعالى:} كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُـــو الْأَلْبَـــابِ[٢٩] { 'سورة ص' .

وقال تعالى:} أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا[٢٤]{ 'سورة محمد'. وقال:} أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا[٨٢]{ 'سورة النساء' .

◄وقد حذر الله سبحانه وتعالى من الإعراض عنه، قال تعالى:} كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا[٩٩]مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا[١٠٠]خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا[١٠١]{ 'سورة طه' وقال تعالى في شأن إعراض المنافقين عنه:}وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا[٦١]{ 'سورة النساء' .

◄وقد أمر الله نبيه الكريم أن يحكم كتاب الله في الصغير والكبير، قال تعالى:} وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[٤٨]وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ[٤٩]{ 'سورة المائدة'

ولما كان القرآن الكريم بهذه المثابة والمترلة؛ فإن الله سبحانه وتعالى أتم نعمته على أمة الإسلام بأن كفل له الحفظ والرفعة والمجد، فلا تناله يد بتحريف، أو تبديل، أو نقص، أو زيادة، قال تعالى:} إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[٩]{ 'سورة الحجر' . وقال:} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ[٤١]لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ[٤٢]{ 'سورة الحجر' .

فهو كتاب ممتنع على التغيير والتبديل... وفي الحديث الصحيح:'...وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ...' رواه مسلم وأحمد. فلو اجتمعت بحار الأرض على محو القرآن من الأرض لما حصل ذلك، ولو اجتمع كل جبابرة الأرض وكفارها وفجارها على أن يبدلوا القرآن ما استطاعوا ذلك.

وهذه القضية أعني حفظ القـــرآن وبقاءه، وأنه مصدر الحكم والتشـــريع؛ هـــي قضـــية الإسلام الأولى والكبرى.

الأصل الثاني: السنة النبوية:

سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي: ما أُثِر ونقل من أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصـــفته صلى الله عليه وسلم. وما نقـــل إلينا نقلاً صحيحاً منها يجب علينا تصـــديقه واعتقـــاده، والعمل به؛ لأن القرآن أمرنا بذلك، وقد تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجـــوب العمل بسنته، قال تعالى:} وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـــاكُمْ عَنْـــهُ فَـــانْتَهُوا[٧] {'سورة الحشر'. وقال تعالى:} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[٦٥] {'سورة النساء'. وقـــال تعالى:} مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ[٨٠] {'سورة النساء' . وقال تعالى:} فَلْيَحْـــذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٦٣] {'سورة النـــور' .. والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

◄والسنة- في جانب منها- تفسير وبيان لكتاب الله تعالى، كما قال جل وعلا:} وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[٤٤] {'سورة النحـــل' . وقـــال تعالى:} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ[١٧]فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ[١٨]ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَـــهُ[١٩] {'سورة القيامة' أي: إن الله سبحانه وتعالى تكفل أن يجمع القرآن في صدر الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينسى منه إلا ما شاء الله أن ينسيه:} سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى[٦]إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...[٧] { 'سورة الأعلى' ثم إن على الله أن يبينه لرسوله صلى الله عليه وسلم ليعمـــل به، ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن للناس كما أمره الله سبحانه وتعالى، وقد أثنى الله عليه فقال:} وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى[٣]إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى[٤] {'سورة النجم' .

فالسنة في نهاية الأمر عائدة إلى الله؛ لأنه سبحانه هو الذي أوحى بها لرسوله صلى الله عليه وسلـــم، وأرشده إلى ما قال، وهداه فيما فعل:} إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِـــتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ[١٠٥] {'سورة النساء' .

◄وكل أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم هي في مجال التأسي والقدوة؛ فإن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، فجميع ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في طعامـــه

وشرابه ولباسه، ونومه وقيامه، وصحبته، ومعاشرته، وطرائق حياته ومعيشته، كل ذلك كان على أتم الهدى وأسمى ما يتأدب به المتأدبون، ويفعله الحكماء العالمون.

والخلاصة أنه ليس شيءٌ من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج عن التأسي والاقتداء حتى في أموره الجبلية الحياتية. وأما في أعماله التشريعية، فإنه يجب الأخذ بسنته؛ لأنها تشريع من الله سبحانه وتعالى.

المخالفون لهذا الأصل: الطاعنون في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم: شهد تاريخ الإسلام كثيراً من الفرق الضالة، والعقائد الباطلة، ممن ردوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها، أو بعضها تحت دعاوٍ كثيرة، وشبهٍ متباينة:

فمنهم : الخوارج: الذين قالوا بكفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجنده، وقالوا: بأن علياً رضي الله عنه كان مسلماً قبل قتال الخوارج بالنهروان، ثم كفر بعد قتالهم، وكفروا الحَكَمَيْنِ وسائر المسلمين بعد ذلك، وبنوا على تكفير الصحابة بعد الفتنة؛ ردَّ روايتهم، وردّوا رواية جميع من وكل على السلاطين من بني أمية وغيرهم.

ومنهم : المعتزلة والمتكلمون: الذين ردوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي سموها بالآحاد، وقالوا: لا نقبل إلا بالمتواتر، الذي يستحيل تواطؤ من رووه على الكذب.

ومنهم: بعض المنافقين الذين اتبعوا المستشرقين من أعداء الإسلام: الذين شككوا في ثبوت سنة النبي صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلاً.

ومنهم: من رد السنة الثابتة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دعاوى: أنها لا توافق العقل، أو أنها كانت لجيل غير جيلنا، ولعصر غير عصرنا، ومنهم من يقول: يجب أن نأخذ روح السنة وأهدافها الثابتة دون أحكامها التفصيلية العملية.

◄ ولا شك : أن كل من رد سنة ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم راغباً عنها فقد كفر بذلك، لقيام الأدلة القطعية على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفة أمره.

◄ ولا شك أيضاً: أن الله سبحانه وتعالى يستحيل أن يتعبد الناس بشيء لم يبلغهم.

◄ ولا شك أيضاً: أنه لو ضاعت السنة؛ لضاع القـــرآن؛ لأن السنة شارحته ومبينته، إذ كيف يمكن التحقق من أعداد الصلوات، وأعداد الركعات، وهيئـــة الصـــلاة، ونصـــاب الزكاة، والأموال التي تجب فيها، وكذلك كثير من أحكام الصوم والحج لولا السنة.

ولو كان الصحابة الذين رووا السنة مطعونين، لكان القرآن كذلك مشكوكاً فيـــه؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين دونوه وحفظوه، وجمعوه في مصحف واحـــد بعـــد رسول الله، ونشروه في الأرض، ونقلوه لمن بعدهم، فلو كانوا غير مؤتمنين؛ لكان القـــرآن مكذوباً، ولذلك أجمع المسلمون أن جرح الصحابة جرح للدين، وهدم عدالة الصـــحابة هدم للقرآن والسنة معاً، وليس للسنة وحدها.

ولذلك قال الإمام أبو زرعة: 'إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك: أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جـــاء بـــه حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شـــهودنا ليبطلـــوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة' 'الإصابة لابن حجر ١٨/١' .

◄ولا شك أيضاً: أن رد بعض السنة إذا كان صحيحاً ثابتاً حسب ضوابط النقل الـــتي أجمع عليها أهل الإسلام فيما سموه مصطلح الحديث وعلموه وهو قبـــول نقـــل العـــدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه إذا خلا من الشذوذ والعلة؛ ردها بزعم أنها تخـــالف العقل أو ردها بالهوى.. لا شك أن رد بعض السنة الثابتة بذلك هو هدم للســـنة كلها؛ لأنه هدم للأصول التي على أساسها تعرف السنة الصحيحة الثابتة مما افتراه أهل الكذب، ونسبوه إلى رسول صلى الله عليه وسلم، أو مما غلط فيه بعض الرواة .

والعقل لا يمكن أن يكون مقياساً للقبول والـــرد، لأن ما يراه زيد من الناس معقولاً قـــد يراه غيره أنه غير معقول إلا في الأمور الحسية القطعية. ولا توجد سنة صـــحيحة ثابتـــة حسب أصول النقل تخالف شيئاً من المعقول المقطوع به، ولذلك كان الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لضاعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضياعها يعني ضياع القرآن كذلك، وضياع الدين كله.

والحمد لله الذي حفظ لنا كتابه وسنة رسوله الكريم التي هي الحكمة كما قال تعالى: } هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[٢]{ 'سورة الجمعة'. وقال تعالى لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم:} وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا[٣٤]{ 'سورة الأحزاب'. فآيات الله هي: القرآن. والحكمة هي: سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويستحيل أن تضيع الحكمة التي امتن الله بها على عباده المؤمنين، قال تعالى:} لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[١٦٤]{ 'سورة آل عمران'.

أَفَتَرَى الله سبحانه وتعالى يتكفل بحفظ القرآن، فيقول جل وعلا:} إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[٩]{ 'سورة الحجر' . ولا يحفظ الحكمة التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يبين به القرآن ويشرحه ويفسره، وما هو تطبيقه وتأويله؟! إن هذا مستحيل.

◄ ولا شك أن الناظر في علم الإسناد، وكيف وضع علماء السنة ضوابط النقد للرجال، وكيف تتبعوهم وأحصوهم، وكيف ضبطوا هذا العلم ضبطاً فائقاً، وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ له جهابذة من الرجال كانت لهم ملكات عظمية في الحفظ والملاحظة والدقة مع الدين والتقى مما مكنهم من تمييز ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما حاول الزنادقة والملحدون، وأهل الأهواء أن يدخلوه على الإسلام مما هو ليس منه في شيء.. وهذه معجزة من معجزات هذا الدين... فكما حفظ الله القرآن الكريم بأسباب عظيمة توافرت وتضافرت على حفظه من أن يتطرق إليه أدنى خلل، حفظ الله كذلك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا رد مجمل على كل من الفرق التي شككت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولسنا في مقام الرد على كل شبهة من شبهاتهم الكثيرة، فإن هذا مكانه المطولات.

◄ وأما الذين ردوا بعض السنة الثابتة حسب مصطلحات أهل الحديث تحت دعوى أنها تخالف معقولهم، فإننا نقول لهم: إن ما تزعمونه من مخالفة عقولكم، يخالفكم فيه غيركم ممن يرون أن هذا يوافق العقل الصحيح، فأي العقول يعتمد عليه، ويقدم على الآخر؟! ولو ظن مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بما يخالف العقل الصحيح لكفر. ولا شك

أن هدم قواعد الإسناد التي وضعها أهل الحديث لتمييز السنة الصحيحة من الضعيفة هدم للسنة كلها.

◄وأما من قال بأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتفسيره للقرآن كان مناسباً لجيل الصحابة، وأنه غير معقول لأجيالنا، فهو كافر بالله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى:} وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا[٦٤]{ 'سورة مريم' والقرآن والسنة حجة الله على الناس ما بقيت الدنيا:

}وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ[١٩]{ 'سورة الأنعام' فكل من تبلغه النذارة في شرق الأرض وغربها، وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد حياته؛ فقد أقيمت عليه الحجة، وإقامة الحجة بهذا القرآن المترل، وبالسنة التي هي وحي كذلك من الله.

◄وقد سلم الله سبحانه وتعالى أهل السنة والجماعة من الانحراف عن هذا الأصل العظيم، وهو الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً واعتقاداً، كما قال سبحانه وتعالى:} إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا...[٥١]{ 'سورة النور'.

فهم سامعون، مذعنون لحكم الله، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، ومطبقون لقوله تعالى:} يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا[٥٩]{ 'سورة النساء'.

فالرد إلى الله هو: الرد إلى كتابه، والرد إلى رسول الله: هو الرد إلى سنته. فلو كانت سنته قد ضاعت؛ لما كان للرد إليها من معنى، ولو كان بعضها قد ضاع؛ لذهب الكثير مما يجب التحاكم والرد إليه. فالحمد لله الذي حفظ لنا كتابه الكريم، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجزى الله خيراً أعلام الإسلام، وعلماء الحديث على جهودهم المباركة في حفظ سنة رسول صلى الله عليه وسلم وتدوينها.

الأصل الثالث: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

اختار الله لصحبة نبيه الخاتم، والإيمان به خير أصحاب الأنبياء ديناً وجهاداً، وعلماً وتقوى، فكانوا أنصاره والمجاهدين في سبيل الله، قدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وأذلَّ الله بهم دول الكفر كلها في سنوات قليلة، ومكن لهم في الأرض، ونشر بهم الإسلام في عامة المعمورة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتحولت شعوب كثيرة إلى الإسلام في زمن قياسي، و لم يحدث هذا لنبي قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى:} هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ[٦٢]وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٦٣]{ 'سورة الأنفال'.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على إيمانهم وجهادهم وإحسانهم في آيات كثيرة من كتابه، منها:

قوله تعالى:} ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ[٢٨٥]{ 'سورة البقرة'. فشهد لهم بالإيمان مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال:} مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا[٢٩] {'سورة الفتح'. وهذه الآية من أعظم المدح والشهادة لهم بالإيمان وإخلاص الدين لله، وأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وأنهم أهل طاعة وصلاة، وأنهم ممدوحون بذلك في التوراة والإنجيل، وأن أوائلهم هم بذرة الدين، ونبتة الإسلام التي كبرت وتفرعت حتى أصبحت شجرة الإسلام قوية باسقةً تستعصي على الرياح:} يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ {.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:} لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا[١٨]وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا[١٩]{ 'سورة الفتح'. وهذه الآية نزلت في غزوة الحديبية، وكان الصحابة فيها ألفاً وأربعمائة رجل.

وقال تعالى:} لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[١١٧]{ 'سورة التوبة'. وهذه الآية نزلت في غزوة تبوك وكانوا ثلاثين ألفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونزل على الرسول وهو في حجة الوداع في أعظم حشد تجمع له، وكانوا أكثر من مائة ألف قول الله تبارك وتعالى:} الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[٣]{ 'سورة المائدة'. فهؤلاء الأصحاب الأطهار الأبرار سادة هذه الأمة وعنوان مجدها، وسر خلودها، ونموذجها الفريد في الإيمان والجهاد والعمل الصالح، وهم أسوة الأمة وقدوتها، ومنبعها الذي لا ينضب من المُثُل والعطاء والخير.. ولكل منهم من المناقب والفضل والسابقة ما هو محل القدوة والأسوة، ففيهم الذي انفق ماله كله في سبيل الله، وفيهم الذي قتل أباه في الله، وفيهم الذي آثر ضيفه على نفسه، وأهله وعياله، حتى عجب الرب من صنيعه من فوق سبع سمواته، وفيهم الأبطال الصناديد فرسان الحروب، وفيهم رهبان الليل، فرسان النهار، وكلهم قد تحمل في سبيل الله ما لم تتحمله الجبال، وكلهم كان يفتدي الرسول بأبويه ونفسه وماله، وقد عظموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبوه كما لم يُعظَّم عظيم قط أو يحب، ولم ينصر أتباع رسول رسولهم كما نصر أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم محمداً صلى الله عليه وسلم.. ومناقبهم وفضائلهم أكثر من أن تحصر.

موقف المؤمن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

ومن أجل هذا الفضل والإيمان والإحسان الذي كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ أوجب الله على كل مسلم يأتي بعدهم:

أن يعترف بفضلهم وأن يدعو الله لهم بالمغفرة:} وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[١٠]{ 'سورة الحشر'.

وأن يحبـــهم ويواليهم:} إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّـــلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ[٥٥]وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ[٥٦]{ 'سورة المائدة'.

وأن يعترف أنـــه لم يصبح مسلماً إلا بفضل جهادهم وفتوحهم:و' لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَـــا يَشْكُرُ النَّاسَ' رواه أبوداود والترمذي وأحمد .

وأن يأتسي بهم في جهادهـــم وصبرهم: كما أرشدنا الله إلى ذلك حيث قال سبحانه في بيان صبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وصبرهم في غزوة الخندق:} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِـــي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا[٢١]وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّـــا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا[٢٢]مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا[٢٣]{ 'سورة الأحزاب'.

وفي هذه الآيات رفع الله من شأن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصادقين، وأبـــان الصورة العظيمة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة العصـــيبة مـــن الصبر والإيمان والتوكل، وثبت مع رسول الله: أهل الإيمان واليقين، الـــذين وصـــفهم الله بقوله:} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...[٢٣]{ 'سورة الأحزاب'. وقد عاهدوه على نصر رسوله، والموت في سبيله. وما ذكر الله لنا هـــذا إلا ليكـــون هـــؤلاء الأصحاب الأطهار الأقوياء في الدين قدوة لنا وأسوة، وأن نحبهم ونجلهم، ونـــثني علـــى جهادهم وصبرهم.

الصحابة أسوة في العلم كما هم أسوة في الجهاد:

ولا شك أنهم كانوا في العلم واليقين والفهم الصحيح للـــدين كمـــا كـــانوا في الجهـــاد والبذل.. فكما أثنى الله على جهادهم وصبرهم، أثنى على إيمانهم وإحسانهم وعبادهم، ولا غرو فقد كانوا هم الفوج الأول الذي تلقى التعليم والتربية من فم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت القدوة المثلى، والمثل الكامل ماثلاً أمامهم ليس بينهم واسطة. فهذا رسول الله الإنسان الكامل، والقدوة المثلى أمامهم، يتلو عليهم الكتاب ويبينه لهـــم، ويعلمهـــم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويربيهم بالأسوة والموعظة الحسنة، ولفت النظـــر، والهجـــر والزجر أحياناً، ولا يقر أحداً منهم على باطل، ويختار فريقاً منهم فيوجب عليهم ما ليس

واجباً على العامة؛ ليحوزوا قَصَبَ السَّبْق، ويكونوا مثلاً لمن وراءهم كما أخـــذ علـــى بعضهم ألا يسأل الناس شيئاً فكان إذا وقع السوط منه وهو على بعيره لا يسأل أحداً أن يناوله إياه، وكل ذلك ليخرج منهم جيلاً يكون مثلاً لكل الأجيـــال في العلـــم والعمـــل والجهاد والصبر.

وبث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجونه من علم كما قَالَ أَبُو ذَرٍّ:' لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًـــا' رواه أحمد .

ومن أجل ذلك كله كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الجيل المثالي الذي يجب أن تحتذيه كل أجيال الأمة في الإيمانوالجهاد، والعمل والعلم، وأن يقـــدم تفســـيرهم للكتاب والسنة على كل تفسير، وأن كل ما جاء مخالفاً لما قالـــوه فلـــيس مـــن الهـــدى والدين، فما لم يعرفه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من الدين فلا شك أنه لـــيس ديناً.

ولا شك أن أفضلهم بإطلاق هو أبو بكر الصديق، ثم عمـــر بن الخطاب، ثم عثمان بـــن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وفضلهم كترتيبهم في الخلافة.

الأصل الرابع: الموالاة بين المسلم والمسلم:

فكل مسلم أخ لكل مسلم تجب عليه موالاته، ولا يجوز له أن يعتدي على دمه، أو مالـــه، أو عرضه.

وهذا الأصل دلت عليه مئات النصوص من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، منها:

قوله تعالى:} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...[١٠]{ 'سورة الحجرات'. وأكثر الآيات في سورة الحجرات.

وقوله تعالى:} وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...[١٠٣]{ 'سورة آل عمران'. وما تلى ذلك من الآيات من سورة آل عمران.

وقوله تعالى:} إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ[٥٥]وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ[٥٦]{ 'سورة المائدة'.

وأما الحديث فكثيرة جداً، فمنها:

قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: '...فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا...' رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة والدارمي وأحمد.

وقوله صلى الله عليه وسلم: 'لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ' رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد .

ومنها: تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل من نطق بالشهادتين ولو كان ظاهر حاله لا يدل على صدقه، كما عَنَّفَ النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد لما قتل رجلاً كان قد قتل عدة رجال من المسلمين فاتبعه أسامة فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَتَلَهُ أُسَامَةُ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:' يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ' قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا فَقَالَ:' أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ' ' فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ' قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ:' وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ' فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ:' كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ' رواه البخاري ومسلم- وبعضهم يزيد على بعض وينقص في روايته- . والنصوص في حرمة المسلم على أخيه المسلم كثيرة جداً.

ومنها:إيجاب مجموعة من المعروف يجب على المسلم أن يقدمها لأخيه المسلم دون أخذ أجر على ذلك بل من حق المسلم على أخيه المسلم كرد السلام وإلقائه، وتشميت العاطس وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وإبرار المقسم، وكذلك التطوع بالشهادة دون أن يأخذ على ذلك أجراً.

هذا مع وجوب نصره ظالماً برده عن الظلم، ومظلوماً في السعي لرفع الظلم عنه. كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:'انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا' رواه البخاري والترمذي وأحمد .

ومن فروع هذا الأصل- أعني أخوة المسلم لأخيه المسلم- : تحريم كل ما يدعو إلى فرقة بين المسلمين، ويفرق جماعتهم، ويمزق صفوفهم. فقد جاء الإسلام بتحريم كل عصـــبية، ولو كانت لاسم شريف، وفئة كريمة، كما أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على مـــن دعا إلى تعصب الأنصار ضد المهاجرين، والمهاجرين ضد الأنصار فقال:' مَا بَالُ دَعْـــوَى الْجَاهِلِيَّةِ ...دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ' رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد .

فكل العصبيات في الدين مذمومة سواء كانت لفئة أو قبيلة، أو جماعة، أو وطن، أو إقليم، أو عالم، وقد ذم علماء الإسلام من تعصب لمذهب من المذاهب الفقهية؛ لأن هذا يؤدي- وقد أدى- إلى فرقة بين المسلمين، حتى إنه أدى أحياناً إلى الفرقة في الصلاة، فكان بعضهم لا يصلي الجماعة خلف المخالف في المذهب، وكذلك في الـــزواج، والقضاء والمـــدارس، حتى جاء وقت كانت المذاهب الفقهية المدونة كأنها شرائع مستقلة. فكل عصبية تؤدي إلى فرقة في الدين فهي مذمومة.

والواجب على أهل الإسلام جميعاً: التمسك بأصل الموالاة في الدين، وترك كل خـــلاف يؤدي إلى الفرقة بين المسلم والمسلم. ففي الخلاف الديني يجب الرد إلى كلام الله، وكـــلام رســـوله، واتباع أهل العلـــم الذين هم أولو الأمر، والتمسك بجماعة أهـــل الإســـلام، وإجماعهم، وعدم إخراج المسلم من الإسلام بمعصية لا تبلغ الكفر ولا تبدعه ولا تكفـــره، وأن يوالى كل مسلم يشهد ألا إله إلا الله ولا يعاديه 'إلا' بقدر معصيته، ولا يعاقـــب 'إلا' بقدر بدعته مع موالاته في أصل الدين، وإبقائه في جماعة المسلمين، وإعطائه ما للمسلم من حق في حرمة دمه وماله وعرضه، ووجوب نصره، ومحبته، وموالاته.

المخالفون في أصل الولاء:

الخـــــوارج : الذين خرجوا على المسلمين بالسيف، واســـتحلوا دمـــاءهم وأمـــوالهم بالمعصية، واعتقدوا خلود المسلم الموحد في النار إذا ارتكب كبيرة من الكبائر، وهؤلاء شر الفرق.

أهل التأويل والتعطيل الباطل: الذين اخترعوا منهجاً في أسماء الله وصفاته يقوم على نفـــي وتحريف كل ما وصف الله به مما زعموا أن إثباته يوجب المماثلة لخلقه، وقد قالوا بكفـــر من لم يعتقد معتقدهم، وينزه الله حسب زعمهم وتأويلهم.

المتنطعون المتشددون الجراحون : الذين أخرجوا المسلم من الإسلام بمجرد أن يقع في خطأ بتأويل أو اجتهاد، والذين يتتبعون سقطات العلماء، ولا يغفرون زلة، ولا يعذرون جاهلاً ولا ناسياً، ولا متأولاً، ويأخذون المسلم بلازم قوله.

المجتمعون على عصبية : يوالون عليها ويعادون عليها أيا كانت هذه العصبية من مذهب فقهي، أو جماعة دعوية، أو هوية سياسية، أو دولة إقليمية.

كل صاحب هوى وبدعة : ينصر هواه، ويوالي من يوافقه في بدعته، ويحارب من يخالفه، ولا يرجع في خلافه إلى كلام الله ورسوله.

المختلفون بسبب هذه الدنيا الفانية: ويوالون عليها ويعادون عليها، ويقتلون في سبيلها، فيقطعون الأرحام، ويهدمون أخوة الإسلام، ويسفكون الدم الحرام، ويفرقون أمة الإسلام، وكل ذلك بسبب هذا الحطام!!!

الأصل الخامس: البراءة من الكفار:

أرسل الله سبحانه وتعالى رسله إلى أهل الأرض مبشرين ومنذرين، وشاء الله سبحانه وتعالى أن ينقسم الناس إزاء دعوة رسله إلى مؤمن وكافر. وأن يظل هذا الخلاف ما بقيت الدنيا.

ومن أجل سنة الله هذه في خلقه وعباده، فإنه أرسل الرسل مبشرين من أطاعهم بالجنة، ومنذرين من عصاهم بالنار، وداعين إلى الله يبينون الطريق والصراط إليه، وأمر الله الرسل وأتباعهم أن يجاهدوا الكفار بأنفسهم وأموالهم وألسنتهم. وأن يوالي أهل الإيمان بعضهم بعضاً، وأن يعادي أهل الإيمان أهل الكفران، فلا يحبوهم، ولايركنوا إليهم، حتى ولو كان المؤمن وحيداً في هذه الأرض كما ضرب الله لأتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً بإبراهيم عليه السلام و لم يكن مؤمن في الأرض غيره وزوجه سارة، و لم يؤمن به غير لوط ابن أخيه، قال تعالى:} قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ...[٤]{ 'سورة الممتحنة'.

ولذلك أوجب الله على أهل الإسلام مفارقة ما عليه آباؤهم وأهلهم من الكفر، ومعاداتهم في الدين،

قال تعالى:} يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[٢٣] {'سورة التوبة'.

وأوجب كذلك سبحانه وتعالى معاداة الناس جميعاً ممن اتبع غير دين الإسلام، ولو كانوا أكثر عدداً، وأعظم قوة، كما قال تعالى:} يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[٥١]{ 'سورة المائدة'.

وجعل الله سبحانه وتعالى موالاة ونصرة المسلم للكافر على المسلم كفراً به سبحانه وتعالى، كما قال تعالى:} لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ[٢٨]قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٢٩]{'سورة آل عمران'.

وأمر الله سبحانه وتعالى أهل الإسلام أن يلزموا صراط الله المستقيم، وشريعة الله الإسلام التي اختصهم بها، ولا يخلطوا دينهم بغيره في عقيدة أو عبادة، وألا يتشبهوا بأعداء الله. قال تعالى:} قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ[١]لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ[٢]وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ[٣]وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ[٤]وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ[٥]لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ[٦]{ 'سورة الكافرون'.

وقال صلى الله عليه وسلم: :'بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ' رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم٢٨٣١.

وبَعْثُ النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف هو تكليفه بقتال الكفار حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما قال صلى الله عليه وسلم: 'أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ' متفق عليه .

وفي أهل الكتاب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ليسلموا، أو يدفعوا الجزية، كما قال سبحانه وتعالى: }قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ[٢٩]{ 'سورة التوبة'.

وهذه هي البراءة من الكفار، والفصل الكامل بين ديننا ودينهم، وطريق أهـــل الإســـلام وطريقهم، والحذر من اتخاذهم أولياء، بل ولا بطانة وأعواناً، كما قال تعـــالى:} يَاأَيُّهَـــا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَـــاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَـــاتِ إِنْ كُنْـــتُمْ تَعْقِلُـــونَ[١١٨]{'سورة آل عمران'. هذه البراءة وما يتبعها من العداوة في الـــدين، ومخالفـــة أصـــحاب الجحيم، والحذر من اتخاذهم بطانة... الخ أصل من أصول الإســـلام، وقد خالفته طوائف كثيرة؛ فكان من هذه المخالفة الشر والفساد الكبير الذي حذر الله منه. كما قال تعالى:} إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ[٧٣]{ 'سورة الأنفال' والضمير في:} تَفْعَلُوهُ { راجع إلى ما أمر الله به من وجوب موالاة المسلمين بعضهم بعضاً، ووجوب الحذر من موالاة الكفار.

المخالفون لهذا الأصل:

الفرق الباطنية من أهل النفاق والكفر الذين كانوا في كل أدوار تاريخهم عونـــاً للكفـــار على المسلمين، وإلباً على أولياء الله من الصالحين، وعوناً لليهود والنصـــارى والمغـــــول الكافرين على المسلمين.

المنافقون المستغربون، الذين فتنوا بما عليه الغرب الكافر في علومه وثقافاته وعاداته وطرائق معيشته؛ فحاولوا التوفيق -في زعمهم- بين الإســـلام وبين الحضارة الغربية:} وَإِذَا قِيـــلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُـــدُودًا[٦١]{ 'سورة النساء'.

ويتعللون دائماً بموافقتـــهم لأعـــداء الإســـــلام قـــائلين:} إِنْ أَرَدْنَـــا إِلَّـــا إِحْسَـــانًا وَتَوْفِيقًا[٦٢]{'سورة النساء'.

الأصل السادس: أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس:

من أصول الإســـلام التي يجب علي كل مسلم اعتقادها، ويكفر مـــن قـــال بنقضـــيها: الاعتقاد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي خير أمة من أمم الهداية أخرجت للنـــاس،

قال تعالى:} كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ[١١٠]{ 'سورة آل عمران'.

وهذه الخيرية والفضل كان لأسباب كثيرة:

منها: كرم الأصل، ونفاسة الجرثومة، وطيب المعدن كما قال صلى الله عليه وسلم: 'النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ... ' رواه مسلم . وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: 'خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ يَتَسَمَّنُونَ وَيُحِبُّونَ السِّمَنَ يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا' رواه الترمذي وأحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٢٩٤.

ومن أجل ذلك كانت أمانتهم وصدقهم وشجاعتهم منطلقاً لحمل رسالة الإسلام بصدق وإخلاص، وتفان وشجاعة، فكانوا كما قال تعالى:} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا[٢٣] {'سورة الأحزاب'.

وقال سبحانه وتعالى في مدحهم:} مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا[٢٩] {'سورة الفتح'. ولا يوجد في أمة من أمم الهداية ما وجد في هذه الأمة من العلماء والعباد، والمجاهدين، والشهداء والزهاد.

ومنها: أنهم أطول الأمم عمراً في الدعوة إلى الله وهداية الناس، وبقاء الحق فيهم ما بقيت الدنيا، فلا تزال طائفة منهم على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يقاتل آخرهم الدجال.

ولأجل ذلك جعلهم الله سبحانه وتعالى أمة وسطاً عدولاً قال تعالى:} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...[١٤٣] {'سورة البقرة'.

فهم شهداء الله في أرضه من شهدوا له بالصلاح؛ نال الجنة، ومن شهدوا عليه بالشر؛ كانت النار مصيره . بل يشهدون لكل نبي على أمته بما أنزل الله إليهم من القرآن.

ولأجل هذه المهمة العظيمة، وهذه الخيرية المطلقة على كل أمم الأرض فإن الله اختصهم بأنواع كثيرة من رحمته، منها:

أن العبادات التي كلفوا بها قليلة، ولكن جعل الله لهم من الأجر ضعف ما أعطى الأمم السابقة كما قال تعالى:} يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[٢٨] { 'سورة الحديد'.

وقال صلى الله عليه وسلم:'مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ شِئْتُ' رواه البخاري.

وقد حفظ لهم القرآن من التغيير والتبديل، وحفظ لهم سنة نبيهم، ولم يمت رسول الله ويتركهم إلا وقد أسس الدين، وأتم الله به النعمة، وكملت الشريعة، وتركهم على مثل المحجة، ومكن الله لهم في الأرض فأصبحت الجزيرة العربية كلها خاضعة للدين. وهذا بخلاف جميع الرسل قبل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن موسى عليه السلام مات وقومه ما زالوا في التيه. وعيسى عليه السلام رفعه الله إلى السماء، وتلامذته خائفون مختفون من أعدائهم.

والخصائص والفضائل التي اختصت بها هذه الأمة كثيرة جداً... من أجل ذلك يجب اعتقاد هذا الفضل لأمة الإسلام، وتعظيم أصحاب رسول الله الذين هم خلاصة الأمة، ونقاوتها، وأهل السبق والسابقة فيها وهذا من عقائد الإسلام الراسخة.

خاتمة: والخلاصة أن من ثوابت الإسلام وأصوله الأصيلة: الاعتقـــاد بكمـــال القـــرآن وحفظه، وأنه لا يوجد قرآن غيره بأيدي أحد من الناس، ووجوب التحـــاكم إلى هـــذا القرآن في الصغير والكبير، وتحكيمه في حياة الأمة، ووضعه حيث وضعه الله سبحانه مـــن الحكم به في جميع شئوننا.

وكذلك حجية السنة وأنها بمنزلة القرآن اعتقاداً وعملاً }مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَـــدْ أَطَـــاعَ اللَّهَ...[٨٠]{ 'سورة النساء'.

والإيمان بعدالة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمانتهم في نقل القرآن والسنة، وأنهم النموذج الذي يجب أن يحتذى في الدين والجهاد والصبر، وكذلك في فهـــم الـــدين اعتقاداً، وعملاً.

والاعتقاد بفضل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وإنزالهم منزلتهم، وأنهم كانوا مـــع القرآن لم يفارقوه .

ووجوب الموالاة بين أهل الإسلام جميعاً، ووجوب المعاداة والبراءة من الكفار جميعاً ولـــو كانوا من الآباء والأخوان .

واعتقاد فضل هذه الأمة الإسلامية على جميع أمم الهداية، وأنهم حملة رسالة الله الخاتمة إلى أهل الأرض جميعاً. ووجوب قيامهم بما كلفهم الله به:} كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّـــاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...[١١٠]{ 'سورة آل عمران'.

وعالمية رسالة الإسلام، وأنه الدين الذي يجب أن يكون دين الناس جميعـــاً، وأن البشـــر جميعاً يجب إن يخضعوا له كما قال تعالى:} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الـــدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...[٣٩]{ 'سورة الأنفال'. وقوله تعالى:} قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَـــيْكُمْ جَمِيعًا... [١٥٨]{ 'سورة الأعراف'.

وأن غاية الرسالة المحمدية هي تعبيد الناس لله سبحانه وتعالى. وأن هذه هي مهمة الرسل جميعاً قبل رسولنا صلى الله عليه وسلم:} وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُـــدُوا اللَّـــهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... [٣٦]{ 'سورة النحل'.

وأن الإسلام جاء ليهذب النفوس، ويزكيها بالإيمان والعمل الصالح والخلق الكريم: 'إِنَّمَـــا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ' رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد. وأن على دعاة الإسلام

أن يعملوا لبناء هذا الإنسان الصالح، والمسلم الكريم، والنمـــوذج الذي يحتذى به كمـــا جاءت أوصافه في الكتاب والسنة.

وكذلك وجوب الاعتقاد بشرف اللغة العربية؛ لنزول القرآن بها، وأنها لســـان الرســـول الخاتم صلى الله عليه وسلم، وجعل هذه العربية هي اللغة الأولى لكل مســـلم في الأرض؛ لأنه لا تتم عبادته في صلاته إلا بها، ولا يفهم الإسلام فهماً كاملاً إلا بجمعها، ومعرفتـــها بعلومها البالغة اثنى عشر علماً، أهمها ورأسها:'علم النحو'.

وكذلك اعتقاد أنه لا عصمة لأحد من خطأ بعد رسول الله صلى الله عليه وســـلم، وأن الاجتهاد حق بل واجب على كل من استكمل آلته من علماء الإســـلام؛ لأنه لا بصيرة، ولا عمل بالكتاب والسنة والدين إلا باجتهاد أهل العلم، الذين يترلون آيـــات القـــرآن منازلها، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مواقعها، هذا مع وجوب حفظ تراث أهـــل العلم وجهودهم في تبويبه وتأصيله، وفقهه وتعليمه، وألا تكون مذاهب العلمـــاء بمثابـــة شرائع مستقلة لأهل الإســــــلام حتى لا يتفرقوا في الدين.

من مقال:' الثوابت الأساسية في الإسلام'.... للشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق

================

من مواقف قريش المضادة للدعوة الإسلامية في مكة

الخميس ١٣ شوال ١٤٢٥هـــ - ٢٥نوفمبر ٢٠٠٤ م مفكرة الإسلام :

تحتاج الأمة، وهي تتلمس طريقها نحو النهضة إلى ما يسمى:' بالحس التاريخي' تعي فيـــه ذاتها وتحقق أصالتها، وأي أمة خلت من هذا الحس التاريخي؛ هي أمة تابعة مقلدة لاهثـــة، لا تعي ذاتها وبالتالي لا تملك ذاتها، ومصيرها يكون إلى زوال.

ودراسة الدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى طريق إلى إيجاد الحس التاريخي في هذه الأمة، وإنعاشه وبلورته إلى عمل فعّال في استثارة كوامن الطاقات الإسلامية وتجميعها وتوجيهها نحو الخير والعطاء. وقد واجهت الدعوة الإسلامية من اللحظة الأولى لظهورهـــا الوثنيـــة وتزعمتها قريش، وبشكل خاص بعد أن اعتَنق الدعوة كثير من أهل الفضل منهم، ووقفوا في سبيلها بمختلف الوسائل، ومن هذه الوسائل:

١- اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بمختلف التهم ليبعدوا الناس عنه: فكانوا يقولون:'هذا أساطير الأولين'، قال تعالى:{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا[٥]}[سورة الفرقان]. ونعتوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالكاهن حيناً، والكاذب المفتري حيناً، والمتعلم المقتبس من غيره حيناً، وظلوا يكرّرون ذلك حتى آخر العهد المكي، قال تعالى:{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ[٤]}[سورة ص]. وقال سبحانه:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا[٤]}[سورة الفرقان]. ووصفوا القرآن بالسحر، قال تعالى:{...وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ[٤٣]}[سورة سبأ].

٢- اتبعوا أسلوب الحِجاج، فكانوا يحاجّون الرسول صلى الله عليه وسلم: وهو أسلوب أهل الكتاب،

ومن قوله سبحانه وتعالى يبيّن أسلوبهم في الحجاج:{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ[١٤٨]}[سورة الأنعام]. وقوله تعالى:{ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [٢٤] وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[٢٥]}[سورة الجاثية].

٣- مطالبة الرسول بالمعجزات وتحدّيه: فقد طالبوه بالمعجزات والآيات برهاناً على صدق دعواه، قال سبحانه:{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا[٩٠]أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا[٩١]أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا[٩٢]أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا[٩٢]}[سورة الإسراء].

٤- محاولة استمالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإقناعه بالعدول عن الدعوة: فقد عرض عليه زعماء قريش الملك والمال والنساء، أرسلوا إليه عتبة بن ربيعة سيد قومه، فذهب إليه وهو يصلي في المسجد فقال له: 'يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت، من خيارنا حسباً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها: إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبيب، وبذلنا فيه أحوالنا حتى نبرئك منه...'إلخ القصة.

فهكذا كان زعماء قريش يحاولون إقناع محمد صلى الله عليه وسلم بالعدول عن الدعوة، أو التنازل عن شيء منها مقابل تنازلهم عن أشياء، فكان قوله تعالى:{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ[٩]}[سورة القلم]. فثبت الرسول أصحابه في الموقف الذي لا يحتمل مساومة، ولا تعدداً.

٥- أسلوب التعذيب: لما رأى زعماء قريش إصرار الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتشار الإسلام؛ توجهوا إلى مقاومة الإسلام عن طريق تعذيب العبيد والضعفاء من المسلمين؛ ليعودوا إلى الشرك، وليحولوا دون إسلام المزيد، فكان من صور هذا التعذيب: أن يعرّى صدر المسلم، ويطرح فوق الرمال المتوهجة من شدة حرارة الشمس، ويوضع على أجسادهم الصخور الثقيلة، ويمنع عنهم الماء والطعام، وتقيّد أيديهم وأرجلهم بقيود الحديد، ويجلدون بالسياط جلدًا شديدًا، فزهقت أرواح بعضهم.

ومن بين الذين تعرضوا لمثل هذا العذاب: ياسر وزوجته سمية، وابنهما عمار، وبلال بن رباح، وخباب بن الأرت، فكان المشركون يخرجون ياسراً وزوجة وابنه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء ويعذبوهم بحرّها، فيمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول: [صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ] رواه الحاكم والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في شعب الإيمان. وقد مات ياسر وهو يعذّب، وأما زوجه فقد طعنها أبو جهل بحربة فقتلها.

وقد ضرب المسلمون مثلاً خالدًا للتمسّك بالعقيدة، وتحمّل أنـواع الأذى، والتضـحية بالنفس، وكان بعضُ المسلمين الأغنياء -وخاصة أبا بكر- يشترون الأرقاء المضطهدين من مالكيهم، وينقذوهم.

ثم خطا المشركون خطوة أخرى في التعذيب: فأخذوا يعتدون على المسلمين جميعًا ودون تمييز حتى شمل الاعتداء ذوي الثراء والوجاهة والقوة: كأبي بكـر، وعثمـان، والـزبير، وطلحة، وأبي عبيدة، وعثمان بن مظعون، فقد شدّ نوفل بن خويلد وكان يسمى [أسـد قريش] أبا بكر وطلحة القرشيين بحبل واحد، فسميا القرينين، وعذب أبو أحيحـة ابنـه خالد بن سعيد بن العاص، فكان يضربه بقراعة في يده حتى يكسرها على رأسه، ثم يـأمر بحبسه ويضيّق عليه، ويجيعه ويعطشه، حتى لقد مكث في حر ّمكة ثلاثاً ما ذاق ماءً.

ونتيجة لتعرض المسلمين جميعاً للعذاب أذن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لأصـحابه بالهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة من بعثته.

٦- تهديد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكف عن دعواه، والعدوان عليه: حين بـاءت أساليب مقاومة كفار قريش بالفشل؛ لجأوا إلى عمه أبي طالب، وقال زعماؤهم: 'يا أبـا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلّي بيننا وبينه'. فردّهم أبو طالب ردّاً جميلاً دون أن يتوقف صلى الله عليه وسلم عن نشاطه، أو يتهاون في الدعوة.

فعاودوا الكرة، وخاطبوا أبا طالب بلهجة المتوعد المهدد، وأنهم لن يصبروا علـى هـذا الحال، وخيرّوه بين أن يمنعه عمّا يقول، أو ينازلوه وإياه حتى يهلك أحد الطرفين، فعظـم الأمر على أبي طالب فكلّم محمداً صلى الله عليه وسلم بما جاء به إليه قومه وقال له:

'يا ابن أخي، إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق'. فكان ردّ المبلّغ الداعية إلى الحقّ الذي يحمل نفساً أبيّـة لا تعـرف الذل، ولا تنحني للوهن، ينظر إلى خصمه من علٍ؛ لأنه يستمد القوة من عزيز حكـيم، ينظر إلى زخارف الدنيا وكأنها أوراق الخريف تتطاير في الهواء، ويحتقـر أبهـة المشـرك وعظمته، يستعلي على الدنيا بإيمانه، فهو على الحق وان لقي العنت الشديد، قال صلى الله

عليه وسلم: [مَا أَنَا بِأَقْدِرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنَ تُشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً - يَعْنِي الشَّمْسَ-] رواه أبويعلى وابن عساكر. فطمأنه أبو طالب ووعده الاستمرار في حمايته.

فعاد زعماء قريش إلى أبي طالب يعرضون عليه عمارة بن الوليد أوسم شباب قريش ليسلموه إليه على أن يسلمهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فردهم ساخراً بقوله: 'بئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه!!'. فاتجه بعضهم إلى إنزال الأذى بالرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، ومن الذين اشتدوا في إيذائه صلى الله عليه وسلم: أبو جهل، وأبو لهب عمه، وأم جميل زوجة أبي لهب، وعقبة بن أبي معيط، ولكنّ إسلام حمزة، ثم عمر بن الخطاب كفّ القرشيين عن بعض ما كانوا ينالون به الرسول صلى الله عليه وسلم من أذى خوفاً منهما. وفي أثناء ذلك استمر القرآن الكريم يردّد مشاهد الشدة والعنف مع المشركين يندّد بهم، وينذرهم بسوء المصير، ويصبّر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ويعدهم بالنصر والتأييد، وحسن العاقبة.

٧- أسلوب المقاطعة: إزداد حنق المشركين من قريش إزاء صبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين على الأذى والتعذيب وإصرارهم في المضي بالدعوة، وإزاء فشو الإسلام في القبائل، فاجتمعوا وائتمروا، وقرروا مقاطعة المسلمين وبني هاشم دون أبي لهب، فلا يتزوجون منهم ولا يزوّجونهم، ولا يبيعون لهم شيئاً، ولا يشترون منهم، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك، وعلقوا صحيفة المقاطعة بالكعبة. فاضطر بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى التروح إلى شعب أبي طالب شرقي مكة، وقطعت عنهم قريش كل أنواع المؤن، ولم يكن يتاح لهم الاختلاط بغيرهم من الناس إلا في الأشهر الحرم حين يفد العرب إلى مكة لزيارة البيت الحرام، وبلغ بهم الجهد حدّاً لا يطاق، فذاقوا الجوع والحرمان حوالي ثلاث سنوات لا يصل إليهم القوت إلا خفية.

وأخيراً أخذت الحمية والرأفة نفراً من القرشيين منهم: هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وزهير بن أمية بن المغيرة المخزومي، والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأبو البختري ابن هشام، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وتعاهدوا على نقض الصحيفة رغم اعتراض أبي جهل، وخرجوا إلى بني هاشم، وبني عبد المطلب، وطلبوا منهم العودة

إلى منازلهم وشقوا الصحيفة، فوجدوا الأرض قد أكلتها إلا ما كان من: 'باسمك اللـــهم، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش'.

٨- القتل أو الحبس أو النفي:اجتمع مشركوا قريش في دار الندوة، فتشـــاوروا في أمـــر الدعوة الإسلامية، ففكروا في ثلاث وسائل، وهي: حبسه صـــلى الله عليـــه وســـلم، أو اغتياله، أو نفيه، قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ[٣٠]}[سورة الأنفال]. واتفق رأيهم أخـــيراً على قتله شريطة اشتراك شبان من مختلف بيوتات قريش؛ حتى يتوزع دمه فلا يستطيع آله المطالبة بدمه.

علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج من داره ليلاً بعد أن ترك عليًا ليقوم بتأدية الأمانات، وشق طريقه مع صاحبه أبي بكر- رضي الله عنه- إلى المدينة المنورة لتتشـــرف باستقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبدأ الدعوة مرحلة جديدة مليئـــة بالكفـــاح والنضال والجهاد.

من:'من مراحل الدعوة الإسلامية في مكة' للدكتور/ جميل عبد الله المصري

==============

وقال تعالى : { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُـــو الْأَرْحَـــامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَـــائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) [الأحزاب/٦] }

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد:

ربما تعقيبا على موضوع اختي الكريمة في المنتدى عن زوجات الرسول صلى الله عليـــه و سلم ..اورد هذا المقال الذي يتحدث عن اسباب زيجات النبي الكريم المتعددة و اهمية هذه الزيجات للدعوة و العبر الالهية منها حيث يحاول أعداء الإسلام (منذ بزوغ فجره وحـــتى اليوم) باستماتة النيل منه والطعن فيه باستغلال تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وســـلم ..

زعموا أن نبي الإسلام كان منصرفا إلى إشباع شهوته بالتقلب في أحضان تسع نســاء !! (قالها يهود يثرب) .. فرد عليهم القرآن الكريم ردا بليغا وبين أنهم فعلوا ذلــك حسـدا للرسول صلى الله عليه وسلم ، على الرغم من أن داود وسليمان (عليهما السلام) آتاهمـا الله الملك وكان لهما من الزوجات والجواري أضعاف ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم : (أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة...) (سفر الملوك الأول ١١:١)، (وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه) (سـفر الملـوك الأول١١:٣). (وهل هذا كلام يليق بنبى من أنبياء الله عليهم أفضل الصـلاة والسـلام أجمعين؟!)

ومازالون يتطاولون على المقام الشريف والسُنّة المطهرة، كيدا منهم لهذا الدين، والله يحفظه (رغم أنوفهم) إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهناك آخرون لا يعلمون بواعث تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ومن يطالع السيرة العطرة سوف يكتشف بسهولة أن بعض هذه الزيجات كان في المقـام الأول تلبية لدوافع إنسانية، والبعض الآخر كان لتأليف القلوب، وتطييب النفوس، وتمهيد الأرض للدعوة المباركة بالمصاهرة وجبر الخاطر ..

ثم هناك حقه الطبيعي صلى الله عليه وسلم في الزواج، لأنه بشـر، ولـيس ملَـكاً .. والزواج هو شريعة كل أنبياء الله (حتى من لم يتزوج منهم مثل عيسى ويحـيى عليهمـا السلام)، ولا يوجد نص في الكتاب المقدس يحظر تعدد الزوجات، فنجـد أن لإبـراهيم وإسرائيل (يعقوب) وداود وسليمان (عليهم السلام أجمعين) أكثر من زوجة، ولم توجـه كلمة لوم واحدة فى الكتاب المقدس لهذه الحالات الواضحة من حالات تعدد الأزواج!

***

ولنبدأ بأول زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهى السيدة (خديجة بنت خويلـد) رضي الله عنها وأرضاها، فقد تزوجت في الجاهلية من هند بن النباش التميمى (وكنيته أبو هالة) .. وبعد موته تزوجت (عتيق بن عابد المخزومى) .. ثم مات عنها عتيق .. وكانت من أرفع بيوت قريش وأوسطها نسبا وحسبا. وكان لها مال ترسل رجالا مـن قومهـا

يتاجرون لها فيه .. ولما سمعت بأمانة محمد عليه الصلاة والسلام أرسلت إليه ليتاجر لها في مالها في رحلة الشام، على أن تعطيه ضعف ما كانت تعطى غيره من الأجر .

ورحل صلى الله عليه وسلم بمالها مع غلامها (ميسرة) إلى الشام، فباع واشترى وعــاد إلى مكة بأضعاف ما كانت خديجة تربحه من قبل .. وأعطته السيدة خديجة ضـعف الأجـر المتفق عليه .. وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فى محمد صلى الله عليه وسلم مـن شمائـل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين ..

فازدادت إعجابا به، وأرسلت إليه صديقتها (نفيسة بنت أمية) تعرض عليه الزواج مـن خديجة التي كان عمرها في ذلك الوقت أربعين سنة .. فوافق عليه الصلاة والسلام، وكان عمره وقت أن تزوجها خمسا وعشرين سنة .

وولدت له السيدة خديجة كل أولاده وبناته باستثناء إبراهيم ولده مـن ماريـة القبطيـة (الجارية التي أهداها المقوقس إلى النبي ..) ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم أخـرى حـتى ماتت السيدة خديجة عن خمس وستين سنة، بينما كان عليه الصلاة والسلام قـد تخطـى الخمسين سنة ..

والآن نتساءل: إذا كان نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم قد عاش بلا زواج حـتى سـن الخامسة والعشرين .. ولم يكن أهل مكة يقولون عنه إلا كل الخـير، وكـانوا يلقبونـه بالصادق الأمين .. وكانت طهارته وعفته مضرب الأمثال (باعتراف أعـتى المشـركين وأشدهم عداوة له وحقدا عليه) .. وإذا كان تزوج بعد ذلك من السيدة خديجة (وهـى أكبر منه سنا بخمس عشرة سنة)، وظل مكتفيا بها زوجة وحيدة حتى بعـد أن تجـاوزت الستين .. فأين ما يزعمون من حبه للشهوات واستكثاره من النساء ؟!!

لقد كان عليه الصلاة والسلام في تلك الفترة في ريعان شبابه، ولم يكن قد شـغل بعـد بأعباء الدعوة المباركة، وتبعاتها الثقيلة، ولو كان (كما يزعم أعداء الإسـلام) مـن ذوى الشهوة الطاغية لتزوج من شاء من النساء ، وقد كان تعدد الزوجات والجواري شائعا قبل الإسلام بلا قيد أو عدد محدد .. وما كان ذلك عيبا ولا محظورا .. فلماذا لم يفعل صـلى الله عليه وسلم ؟!

أليس هذا دليلا على أنه صلى الله عليه وسلم قد عدد زوجاته فيما بعد لأسباب أخـــرى أسمى وأرفع قدرا من مجرد إشباع الشهوة، رغم أن هذا الإشباع بالزواج ليس عيبـــا ولا شائنا للزوج ؟!

ثم هناك نقطة أخرى (قبل أن ننتقل إلى باقي الزوجات). لقد كان عليه الصلاة والســـلام يذكر السيدة خديجة بكل الخير والوفاء بعد موتها .. وحتى بعد أن صار له تسع نسوة .. كان يغضب إذا أساء أحد إلى ذكراها العطرة، ولو كانت عائشة أحب زوجاته إليـــه.. ويذكر عليه الصلاة والسلام (في كل مناسبة) معروف خديجة وفضلها عليه وعلى الدعوة الغراء، و لم ينسها رغم أنها كانت عجوزا ورزق بعدها بزوجات أصغر سنا، وربما أكثـــر جمالا ..

هل مثل هذا الزوج يقال عنه إنه يضع الشهوة الجنسية في المقام الأول ؟!! هل يظن مثـــل هذا الظن المريض بمن وصفه رب العزة بأنه على خلق عظيم؟! : (وإنك لعلى خلق عظيم) (سورة ق: ٤).

***

ونأتي الآن إلى ظروف زواجه صلى الله عليه وسلم بثانية زوجاته السيدة (ســـودة بنـــت زمعة) رضي الله عنها، فقد كانت متزوجة في الجاهلية بـــ(السكران بن عمرو بن عبـــد شمس)، وهو ابن عمها، وأسلما بمكة وخرجا مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية .. ثم قدما من الحبشة، ومات السكران بمكة، و ترملت زوجته الســـيدة ســـودة، فلمـــا انقضت عدتها أرسل لها النبي صلى الله عليه وسلم فخطبها وتزوجها بمكة، وهاجرت معه إلى المدينة .

وكانت رضي الله عنها قد كبرت سنها، وبعد فترة من زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها تنازلت عن ليلتها للسيدة عائشة، وقالت كما جاء في إحدى الروايات: يا رسول الله، والله ما بي حب الرجال (تقصد أنها مسنة وليست بها حاجة إلى الرجال) ولكني أرجو أن أبعث في أزواجك يوم القيامة. وقبل منها النبي صلى الله عليه وسلم تنازلها للسيدة عائشة، وأبقى عليها زوجة في عصمته حتى موته صلى الله عليه وسلم ..

فهل يكون اقترانه عليه الصلاة والسلام بعجوز أخرى دليلا على ما يذهب إليه أعداء الله ورسوله من أن تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم كان للشهوة أو حب النساء ؟!! أو أنها مواساة منه عليه الصلاة والسلام لأرملة مسلمة لم يعد لها عائل بعد موت رجلها، وليس لها مال أو شباب أو جمال يدفع غيره صلى الله عليه وسلم للزواج منها ؟!!

والله .. إن مثل هذه الزيجة التي لا يطمع فيها أحد لهي بعض أعبائه عليه الصلاة والسلام ، وواجب ثقيل ألزم به نفسه الشريفة النبيلة صلى الله عليه وسلم .

ومن سواه يواسى الأرملة المحزونة؟ من سواه يجبر المكسور، ويفك الأسير، ويعين على شدائد الدهر، وهو الذي أرسله ربه رحمة للعالمين ؟!!

***

وأما السيدة (عائشة بنت الصِدّيق أبي بكر) رضي الله عنهما، فهي الزوجة الثالثة لنبي الهدى صلى الله عليه وسلم .. ومن الطبيعي أن يرتبط الداعية بالرجال الذين يقوم على أكتافهم البناء الشاهق، وتنتشر الدعوة بهم، ومن خلالهم إلى سائر إرجاء المعمورة .. وخير الروابط بين النبي وكبار أصحابه هو الرباط المقدس (الزواج) .. ولهذا تزوج عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة، وكانت صغيرة السن .. كما تزوج أيضا لذات السبب من السيدة (حفصة بنت عمر بن الخطاب) رضي الله عنهما ..

وهناك سبب ثان لزواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة حفصة ، فقد كانت متزوجة قبله من (خنيس بن حذافة السهمي) الذي أسلم معها وهاجر بها إلى المدينة فمات عنها (عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد) متأثرا بإصابته في الغزوة، وعندما انقضت عدتها عرض عمر على أبي بكر الصديق أن يزوجه ابنته حفصة، فسكت أبو بكر، مما أغضب عمر (رضي الله عنهم أجمعين) وكان عمر قد عرضها قبل ذلك على عثمان بن عفان فلم يوافق كذلك، مما أسخط عمر عليه كما سخط على صاحبه، فجاء عمر يشكوهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ..

وطيّب صلى الله عليه وسلم خاطره وتزوجها تكريما لعُمَر، كما كرم أبا بكر من قبل وتزوج بابنته عائشة .. وكان الباعث لأبي بكر على عدم قبول الزواج من حفصة أنه سمع

النبي صلى الله عليه وسلم يذكرها لنفسه، وما كان الصديق ليفشى سر رســـول الله، أو يتزوج بمن عزم صلى الله عليه وسلم على الزواج منها ..

ومن المعروف أن السيدة حفصة رضي الله عنها لم تكن جميلة مثل عائشة أو صفية، لكنها كانت صوّامة قوّامة تحب الله ورسوله.

فهل يكون الزواج في حالة السيدة عائشة والسيدة حفصة استكثارا من النساء، أو جريـــا وراء الشهوات؟!! أم هي ضرورات الدعوة، وجبر الخاطر، وتوكيد الروابط بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وكبار رجال الدعوة الوليدة والرأفة بزوجة شهيد (مثل حفصــــة) لم يكن لها من الجمال أو المال ما يغرى غيره عليه الصلاة والسلام بالزواج منها ؟!!

إنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، عليه الصلاة والسلام ..

***

هناك أيضا ظروف زواج الرسول الأمين من السيدة (زينب بنت خزيمة) الملقبـــة بـــــ(أم المساكين) رضي الله عنها، فقد كانت زوجة لابن عم النبى صلى الله عليه وسلم (عبيــــدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف) رضي الله عنه، الذي استشهد في يوم بــــدر و تركها وحيدة لا عائل لها ..

فهل يكون جزاء الصحابي وابن العم الشهيد أن تترك أرملته وحـــدها ؟!! ومــــن يصــــل الرحم، ويجازى الشهيد، ويخلفه في أهله بكل البر والخير والرحمة سوى الصادق الأمــــين خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ؟!!

وهل مثل هذه الزيجة يكمن خلفها أي مطمع حسي أو غيره ؟! أم أنها واجــــب وعــــبء إضافي على عاتق المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟!! وقد ماتت (رضي الله عنــــها) بعــــد زواجها من الرسول بعدة أشهر .

***

وكذلك جاء زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة (أم سلمة) رضي الله عنها، واسمهـــا (هند بنت سهيل بن المغيرة المخزومى) .. وقد أصيب زوجها (أبو سلمة) رضي الله عنــــه يوم أحد (هو عبد الله بن عبد الأسد – وكان أ خًا للنبى صلى الله عليــــه وســــلم مــــن الرضاعة)، ثم برئ الجرح بعدها بشهر .. وخرج رضي الله عنه في (سرية قطن) ثم رجــــع

منها بعد شهر آخر، وانتقض الجرح عليه فتسبب في استشهاده (رضي الله عنه) وخلف وراءه السيدة أم سلمة وكثرة من الأطفال ..

فلما انقضت عدتها أرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها ، فاعتذرت بأنها تقدمت في السن، وأنها ذات أطفال، وأنها شديدة الغيرة، فرد عليها النبى صلى الله عليه وسلم : ((أما ما ذكرت من غيرتك فيذهبها الله .. وأما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سنا ... وأما ما ذكرت من أيتامك فعلى الله وعلى رسوله)) . [أي أن عيالها سوف يرعاهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم]، وهذا أهم أهداف هذه الزيجة المباركة، أي كفالة هؤلاء الأيتام، فضلا عن رعاية الصحابية الجليلة بعد أن أصبحت أرملة ..

وأخيرا جاءت هذه الزيجة تكريما للزوج أبى سلمة نفسه بعد استشهاده، برعاية أرملته وأطفاله، وصلة لرحمه، فهو ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم .. فأين اتباع الشهوة في مثل هذا الارتباط بأرملة تجاوزت الخمسين وذات أطفال ؟!!

***

وأما زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة (أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن حرب) رضي الله عنها، فله قصة توضح الهدف منه، والمقصد النبيل الذي تحقق به .. فقد كانت أم حبيبة زوجة لـ(عبيد الله بن جحش بن خزيمة)، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية .. وهناك فُتِن عبيد الله وارتد عن الإسلام (والعياذ بالله) وثبتت السيدة أم حبيبة رضي الله عنها على دينها رغم الغربة والوحشة والوحدة .. ولم تكن تستطيع الرجوع إلى مكة حيث كان أبوها أبو سفيان أحد زعماء قريش يضطهد الرسول وأصحابه أشد الاضطهاد ، فلو رجعت أم حبيبة لتعرضت للفتنة في دينها بدورها ..

وكان لا بد من تكريمها وتعويضها عن الزوج الذي ارتد، ثم مات بالحبشة ..

وهكذا أرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى (النجاشي) ملك الحبشة (وكان قد أسلم) طالبا منه أن يعقد له على أم حبيبة .. وبالفعل زوجه النجاشي إياها، وأرسلها إليه بالمدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم معززة مكرمة ..

ولما بلغ أبا سفيان خبر زواج النبي صلى الله عليه وسلم من ابنته أم حبيبة شعر بالسعادة، وقال عن زوج ابنته مبتهجا (والذي كان ما يزال عدوا له ولدينه) : ((هو الفحل لا

يقرع أنفه)) (وهو مثل عربي مأخوذ مما يفعله العرب حين يردون الفحل المريض أو الذي به عيب عن تلقيح إناث الإبل بضربه على أنفه برمح أو عصا .. بينما يتركـــون الفحـــل الأصيل ليلقح الإناث بغير ضرب) .. أي أن مثل النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد صهره، فهو كفء كريم تفخر كل قبيلة بمصاهرته وتزويجه بناتها.

قال أبو سفيان بن حرب ذلك على الرغم من أنه كان ما يزال مشركا عدوا للإســـلام، ولكنه لا يخدع نفسه كأب تزوجت ابنته بأعظم وأشرف الرجال ..

وشاء الله جلت قدرته أن تدور الأيام، ويأتي أبو سفيان إلى المدينة محاولا إثناء النبي صـــلى الله عليه وسلم عن غزو مكة بعد أن نقض المشركين عهودهم معه، واعتدوا على حلفائه من قبيلة (خزاعة)، وقتلوهم في البلد الحرام في الشهر الحرام .

ولم يجد أبو سفيان ملجأ بعد أن رفض كبار الصحابة التوسط له عند النبي صلى الله عليه وسلم سوى بيت ابنته وفوجئ أبو سفيان بابنته تطوى عنه الفراش في ضيق واشمئـــزاز .. فسألها: والله يا بنية ما أدرى هل رغبت بالفراش عني أم رغبت بي عنه ؟!! فردت عليـــه بحسم : ((بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك)) ..

يا الله .. إنها العقيدة الراسخة كالجبال في قلب زوجة المصطفى صلى الله عليـــه وســـلم، تواجه بها أباها الذي خرجت من صلبه .. وذلك هو الإيمان الحق الذي يجعل الله ورسوله أحب إلى المسلم الصادق من أمه وأبيه وابنه وأخيه .

هل كان من المطلوب من الرسول أن يترك مثل هذه السيدة العظيمة للضياع بـــين زوج مرتد وأب كان كافراً ؟!! ومن سواه صلى الله عليه وسلم أولى بأن يكرم مثواها، ويجزيها على ثباتها وصبرها وجهادها في سبيل عقيدتها ورسالتها ؟!! ومن يكون مناسبا لابنة سيد قريش سوى سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ؟!!

***

ونأتي إلى قصة زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة (زينب بنت جحـــش الأســـدى) رضي الله عنها، وهى ابنة عمته (أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف) .. أي أنها من أعرق وأشرف بيوت قريش وأرفعها نسبا وأما .. وكانت فيما يـــروون فائقـــة الجمال ..

وعندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها ظن أهلها أنه يريدها لنفسه، ثم فوجئوا به يطلبها لــ(زيد بن حارثة) .. كان زيد رضي الله عنه، عبدا في الجاهليـــة، وانتـــهي بـــه المطاف عند الصادق الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي أكرم مثواه، وبلغ من تأثير عطفه وحنانه على زيد أن زيد فضّله على أبيه وعمه (لّما خيّره بين البقاء معه أو اللحاق بأبيه وعمه عندما عثرا عليه، وجاءا من ديارهما في طلبه .. وهنا أشـــهدهم الـــنبي صلى الله عليه وسلم أن زيد ابني أرثه ويرثني ... وذلك قبل تحريم التبني) فرضـــي أبـــوه بذلك.

وعلى الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعتق زيدا وتبناه، ثم أبطل الإسلام التبني فاسترد زيد اسمه الأول (وحريته من قبل)، فإن آل جحش رفضوا أن يزوجوه ابنتهم وهى من فتيات قريش المعدودات اللاتي يتنافس خيرة شباب العرب للفوز بهن ..

ولكن الله تعالى شاء أن يمضى هذا الزواج لحكمة كبرى، بل لعدة مقاصد: أولها أن يهدم التفاخر بالأنساب، ويثبت القاعدة الخالدة الراشدة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولـــيس أغناكم أو أعرقكم نسبا أو أفضلكم حسبا ..

ولهذا نزل قول الله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (الأحزاب: ٣٦).

وفور نزول هذه الآية الكريمة عرف عبد الله بن جحش وأخته زينب رضي الله عنهما أنه لا محيد لهم عن طاعة الله ورسوله، فقال عبد الله لابن خاله محمد صلى الله عليه وســـلم: ((مرني بما شئت)) فزوجها صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة ..

وعلى الرغم من إتمام الزواج ظلت زينب تستعصي على زيد، وتشـــمخ عليـــه بنســـبها وحسبها، حتى ضاق(رضي الله عنه) بها ذرعا، وذهب إلى النبي صلى الله عليـــه وســـلم يستأذنه في تطليقها لاستحالة العشرة بينهما، فأمره النبي أن يتقى الله ويمسك عليه زوجـــه فلا يطلقها ..

في ذلك الوقت أطلع الله تعالى رسوله على ما سوف يحدث، وهو أن زيد سيطلق زينب، ثم يزوجها الله من رسوله الأمين، ليهدم بذلك قاعدة التبني التي ســـادت في الجاهليـــة، إذ الأعدل والأصوب هو أن يُـــدعى كل ابن لأبيه الحقيقي، وليس لذلك الذي تبناه .. وإذا

كان الإسلام يحرم إلى الأبد زواج الأب من امرأة ابنه، فالأمر ليس كذلك في حالة الابن بالتبني إذ هو ليس ابنا حقيقيا، وما ينبغي أن يكون .

ونزل قول الله تعالى: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتقِ الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) (الأحزاب: ٣٧).

وأفضل تفسير لهذه الآية الكريمة وأقربه إلى ما يليق بمقام النبوة الشريف النبيل، وما هو مقطوع به من عصمة الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ما قاله الإمام على بن الحسين بن على بن أبي طالب، (الملقب بزين العابدين رضي الله عنه) ..

روى على بن الحسين: ((أن النبي صلى الله عليه و سلم كان قد أُوحي إليه أن زيدا سوف يطلق زينب، وأن الله سيزوج رسوله إياها .. فلما شكا زيد للنبي صلى الله عليه وسلم ما يلقى من أذى زوجته، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية: (اتق الله وأمسك عليك زوجك) .. وهو صلى الله عليه و سلم يعلم أنه سيفارقها، ثم يتزوجها هو من بعده، وهذا (العلم) هو ما أخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه، و لم يرد أن يأمره بطلاقها .. فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس في شيء قد أباحه الله له، وقوله لزيد ((أمسك عليك زوجك))، مع علمه بأنه يطلقها، وأعلمه سبحانه أن الله أحق بالخشية في كل حال)) .قال علماؤنا رحمهم الله : ((وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، مثل الزهري وبكر بن علاء القشيرى وأبو بكر بن العربي وغيرهم. ورفض الإمام ابن كثير (رضي الله عنه) كل رواية أخرى لا تناسب عصمة الرسول ومقام النبوة الرفيع، إذ هي من الموضوع وما لا يصح سنده ولا معناه.

ويعلق الإمام القرطبى على تلك الرواية الجاهلية التي تفسر قوله تعالى للرسول: (وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) بأنه صلى الله عليه وسلم أخفى في

نفسه هوى لزينب، بقوله: ((هذا القول يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته صلى الله عليه وسلم)) ..

وقال الحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول)) : (على بن الحسين جاء بهذا التفسير السليم للآية من خزانة العلم جوهرة من الجواهر ، ودرا من الدرر، فإنه إنما عتب الله عليه أنه أعلمك أن هذه ستكون من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد (أمسك عليك زوجك)، وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، و(والله أحق أن تخشاه) ..

وقال النحاس: قال بعض العلماء: ليس هذا خطيئة من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يؤمر بالتوبة أو بالاستغفار منه، وقد يكون الشئ ليس خطيئة، ولكن غيره أحسن منه، وقد أخفى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في نفسه خشية أن يفتن الناس.

والخلاصة أنه عليه الصلاة والسلام تزوج السيدة زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة بأمر من الله الذي تولى سبحانه تزويجها له مباشرة، ليهدم بذلك قاعدة التبني إلى الأبد، وحتى لا يكون هناك حرج على الآباء في الزواج من مطلقات الأدعياء، لأنهم ليسوا أبناءهم .. وقد كانت السيدة زينب ابنة عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وربيت تحت رعايته، ولو كان له فيها مأرب لتزوجها منذ البداية، ولم يزوجها بنفسه لزيد من قبل ..

ومن أقوى ما قيل في تفنيد مزاعم المنافقين حول هذه الآية ما قاله فضيلة الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) قال: إنهم يقولون إن الذي يخفيه النبي في نفسه ويخشى فيه الناس دون الناس هو ميله إلى زينب. أي أن الله (بزعمهم) يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل !!

ونقول: هل الأصل الأخلاقي أن الرجل إذا أحب امرأة أن يشهر بها بين الناس ؟ وخاصة إذا كان ذا عاطفة منحرفة جعلته يحب امرأة رجل آخر ؟!!

هل يلوم الله رجلا لأنه أحب امرأة آخر فكتم هذا الحب في نفسه ؟! وهل كان يرفع درجته لو أنه صاغ فيها قصائد غزل ؟!! هذا والله هو السفه! وهذا السفه هو ما يريد بعض المغفلين أن يفسر به القرآن !!

إن الله لا يعاتب أحداً على كتمان حب طائش .. والذي أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه تأذّيه من هذا الزواج المفروض، وتراخيه في تنفيذ أمر الله به، وخوفه من كلام الناس عندما يجدون نظام التبني (كما ألفوه) قد انهار .

وقد أفهم الله رسوله أن أمره سبحانه لا يجوز أن يعطله توهم شئ ما، وأنه (إزاء التكليف الأعلى) لا مفر له من السمع والطاعة، شأن من سبقه من المرسلين، وأعقب الآية السابعة والثلاثين هذه بآيات أخرى تؤكد هذا المعنى :

(ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا) (الأحزاب: ٣٨-٣٩).

ويضيف الشيخ الغزالي: ((إنك حين تثبت قلب رجل تقول له: لا تخش إلا الله، إنك لا تقول له ذلك وهو بصدد ارتكاب معصية .. إنما تقول له ذلك وهو يبدأ القيام بعمل فاضل كبير يخالف التقاليد الموروثة، وظاهر في هذه الآيات كلها أن الله لا يجرئ نبيه على حب امرأة، إنما يجرئه على إبطال عادة سيئة يتمسك الناس بها، عادة التبني، ويراد منه كذلك أن يترل على حكمها، لذلك يقول الله تعالى بعد ذلك مباشرة، وهو يهدم نظام التبني: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيءٍ عليما) (الأحزاب: ٤٠).

***

أما السيدة (صفية بنت حيى بن أخطب) زعيم اليهود، فقد وقعت في الأسر بعد فتح خيبر، وكان أبوها وأخوها وزوجها قد قتلوا في المعركة .. ورفقا ورحمة بها خيرها الرسول صلى الله عليه وسلم بين إطلاق سراحها وإلحاقها بقومها إن أرادت البقاء على يهوديتها، وبين الزواج منه إن أسلمت، فقالت له: ((يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني .. وخيرتني بين الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلى من العتق ومن الرجوع إلى قومي)) .. فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، وجعل تحريرها من الأسر هو مهرها.

ومن الواضح أنه كان من الضروري ألا يتزوج ابنة ملك اليهود سوى من يفوق أباها مترلة ومكانة، وهو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم .. وليس معقولا ولا مقبولا أن تترك هذه المسكينة بعد ما كانت فيه من عز ورفاهية ورفعة لمن قد يسيء معاملتها، أو يضرب وجهها ..

ويؤيد هذه الرؤية رواية (دحية الكلبي) رضي الله عنه فقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أعطني جارية من سبى يهود . فقال عليه الصلاة والسلام له: ((اذهب فخـــذ جاريـــة))، فذهب دحية فأخذ صفية .. فرآها الصحابة فقالوا : ((يا رسول الله، إنها سيدة بنى قريظة وبنى النضير، ما تصلح إلا لك)) .. فتزوجها صلى الله عليه وسلم لذلك السبب.

***

وذات الأمر كان دافعا للنبي صلى الله عليه وسلم للزواج من السيدة (جويرية بنت الحارث بن ضرار) زعيم بنى المصطلق .. فقد حارب أبوها المسلمين، ولحقت به هزيمـــة منكـــرة كادت تتسبب في فناء قبيلته أو إذلالهم أبد الدهر .. فقد سقط المئات من بنى المصـــطلق أسرى، ومنهم السيدة جويرية بنت الحارث رضى الله عنها .. وجاءت إليه فقالت : ((يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه .. وقد أصابني من الأمر ما قـــد علمـــت [تقصد الأسر والذل] فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق، فـــأعِني في فكاكي [تطلب معاونته صلى الله عليه وسلم في دفع المتفق عليه لتحريرها من الأسر] فقال لها صلى الله عليه وسلم : أو خير من ذلك؟ فسألته: ما هو؟ فقال صلى الله عليه وســـلم أؤدي عنك كتابك وأتزوجك.. فقالت: نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وســـلم: ((قد فعلت))

.. وخرج الخبر إلى الصحابة فقالوا : أصهار رسول الله (يقصدون بنى المصطلق) في الأسر .. فجعل الناس يطلقون سراح من عندهم من أسرى بنى المصطلق، حتى تحرروا جميعا.

تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) ((أعتق بتزويج جويرية من النبي أهل مائة بيت، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها)) .. وقد أسلم قومها جميعا بعد ذلـــك وحســـن إسلامهم .

وهكذا كانت هذه الزيجة بركة وخيرا للإسلام والمسلمين من كل الوجـــوه، ولم تكـــن للاستكثار من النساء كما يظن الجهلة ويشيع المنافقون والمستشرقون !!

ولو كان الأمر حبا للنساء استكثاراً من الحسناوات لما نزل بعد ذلك أمر مـــن الله للـــنبى صلى الله عليه وسلم يحظر عليه الزواج بعد من ذكرنا، ولظل الرسول صلى الله عليه وسلم

حرا يتزوج من شاء، ويطلق من لا يريد .. ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع زوجات (وكانت السيدتان خديجة وزينب بنت خزيمة قد توفيتا في حياته) وكان لهن نعم الـــزوج والعشير .. وصدق فيه قول رب العزة: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء: ١٠٧).

=====================

شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم

أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بفضائل جمّة ، وصفات عدة، فأحســـن خلْقَــه وأتم خُلقه، حتى وصفه تعالى بقوله:{ وإنك لعلى خلق عظيم } (القلم:٤)، ومنحه جل وعلا فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، تميز بها صلى الله عليه وسلم عن غيره، فضلاً عن مكانة النبوة التي هي أشرف المراتب، ونتناول في الأسطر التالية شيئاً من فضائله صلى الله عليـــه وسلم:

فمنها أنه خليل الرحمن فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : (ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلا، إن صاحبكم خليل الله) رواه مسلم . وهذه الفضيلة لم تثبت لأحد غير نبينا وإبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

ومن فضائله أنه شهيد وبشير، فعن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وســـلم خـــرج يوماً، فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: (إني فرط لكم - أي سابقكم - ، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيـــت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) متفق عليه.

ومن فضائله أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال تعالى: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } (الأحزاب:٦).

قال الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" : "فإذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لشـــيء، ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتـــهم

أنفسهم إليه ، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم".

ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد بني آدم، فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، وقال أنا سيد القوم يوم القيامة) متفق عليه.

وهو صلى الله عليه وسلم أمان لأمته، حيث جاء في الحديث الصحيح (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) رواه مسلم .

ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يشفع ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع) رواه مسلم ، وهو صاحب المقام المحمود ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما (إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا – أي جالسين على ركبهم –، كل أمة تتبع نبيها، يقولون يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) رواه البخاري .

تلك هي بعض فضائل نبينا الكريم، ورسولنا العظيم، الذي اختاره الله ليكون خاتم الرسل المكرمين ورحمة للخلق أجمعين، نسأل الله أن يجمعنا به، ويدخلنا مُدخله، وألا يحرمنا شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

=================

حقيقة محبة النبي صلى الله عليه وسلم

د : أبو صهيب الرهواني

<TD< tr/>

على اثر الاعتداء على رسولنا العظيم ثارت مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تعبر عن سخطها ورفضها لهذا السلوك العدواني الظالم وهي ثورة ناتجة في أساسها عن حب المسلمين لنبيهم الكريم وهو شيء محمود إلا أن هذا الحب عند تمحيصه والتأمل في حقيقته يتبين أنه لا يرقى الى المستوى المطلوب وهو ما سنحاول بيانه من خلال هذه الصفحات التالية :

أولا : وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم

لكن دعونا في البداية نبين أن محبة النبي ليست كسائر المحبة لأي شخص نعم إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم عبادة عظيمة نعبد بها الله عز و جل وقربة نتقرب بها من خلالها إليه و أصل عظيم من أصول الدين ودعامة أساسية من دعائم الإيمان كما قال تعالى "{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}،وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين". [البخاري]

وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه، واللّه لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال صلى اللّه عليه وسلم: "لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال: يا رسول اللّه واللّه لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال صلى اللّه عليه وسلم: "الآن يا عمر "

إذن فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ليست أمرا ثانويا أو أمرا مخير فيه إن شاء المرء أحبه وإن شاء لم يحبه بل هي واجب على كل مسلم وهي من صميم الإيمان ولابد لهذا الحب أن يكون أقوى من أي حب ولو كان حب المرء لنفسه .

لماذا نحب النبي ؟

ثانيا -بواعث محبة النبي صلى الله عليه وسلم

١- موافقة مراد الله تعالى في محبته

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أحب الخلق الى الله تعالى فقد اتخـــذه خلـــيلا وأثنى عليه ما لم يثن على غيره كان لزاما على كل مسلم أن يحب ما يحب الله وذلك مـــن تمام محبته سبحانه

٢- مقتضى الإيمان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا أن من مقتضى الإيمان حب النبي صلى الله عليـــه وسلم وإجلاله وتوقيره "والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين". [البخاري]

٣- مميزات النبي صلى الله عليه وسلم :

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أ شرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس وأعظم النـــاس في كل شيء وهذه كلها دواعي لأن يكون صلى الله عليه وسلم أحب الناس .

٤- شدة محبته لأمته وشفقته عليها ورحمته بها

كما وصفه ربه " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حـــريص علـــيكم بالمؤمنين رؤوف رحيم،" ولذلك أرجأ استجابة دعوته شفاعة لأمته غدا يوم القيامة

٥- بذل جهده الكبير في دعوة أمته

وإخراج الناس من الظلمات الى النور

ثالثا : دلائل محبته صلى الله عليه وسلم ومظاهر تعظيمه

١- تقديم النبي صلى الله عليه وسلم على كل أحد

قال تعالى " {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميـــع عليم"

وقال سبحانه " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأمـــوال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" فعلامة حـــب الـــنبي صلى الله عليه وسلم أن لايقدم عليه أشيء مهما كان شأنه .

٢- سلوك الأدب معه صلى الله عليه وسلم

ويتحقق بالأمور التالية :

* الثناء عليه والصلاة والسلام عليه لقوله تعالى ""إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"

* التأدب عند ذكره بأن لا يذكره مجرد الاسم بل مقرونا بالنبوة أو الرسالة كما قال تعالى ""لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا"قال سعيد بن جبير ومجاهد: المعنى قولوا يا رسول الله، في رفق ولين، ولا تقولوا يا محمد بتجهم. وقال قتادة: أمرهم أن يشرفوه ويفخموه.

* الأدب في مسجده وكذا عند قبره وترك اللغط ورفع الصوت

* توقير حديثه والتأدب عند سماعه وعند دراسته كما كن يفعل سلف الأمة وعلماءها في إجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان مالك إذا أراد أن يجلس (أي للتحديث) توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، وتطيّب، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقّر به حديث رسول الله.

و كان سعيد بن المسيب وهو مريض يقول أقعدوني فإني أعظم أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع"

٣: تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به

وهذا من أصول الإيمان وركائزه ومن الشواهد في هذا الباب ما ناله ابو بكر من لقب الصديق فعن عروة، عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت:

لما أسري بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس.فمن كان آمنوا به وصدقوه وسمعوا بذلك إلى أبي بكر -رضي الله تعالى عنه-، فقالوا:هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال:أو قال ذلك؟قالوا: نعم.قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح.

قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصـــدقه بخـــبر الســـماء في غـــدوة أو روحة.فلذلك سمي أبو بكر الصديق.هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه.

٤ : اتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته والاهتداء بهديه

فطاعة الرسول هي المثال الحي والصادق لمحبته ولهذا قال تعالى ""قل إن كنتم تحبـــون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"

والاقتداء به صلى الله عليه وسلم من أكبر العلامات على حبه :

قال تعالى " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليـــوم الآخـــر وذكر الله كثيرا"

فالمؤمن الذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يقلده في كل شيء في العبادة وفي الأخلاق وفي السلوك وفي المعاملات وفي الآداب كما كان شأن الصحابة الكرام فعن نافع قال لو نظرت الى ابن عمر في اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت هذا مجنون ومما يروى عنه في هذا الباب

٥: الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم

إن الدفاع عن رسول الله ونصرته علامة من علامات المحبة والإجلال .

وقد سطر الصحابة أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الدفاع رسول الله وفدائه بـــالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره .كما قال تعالى " للفقراء المهاجرين الذين أخرجـــوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئـــك هـــم الصادقون"

والدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أنواع نذكر منها :

١- نصرة دعوته ورسالته بكل ما يملك المرء من مال ونفس ....

٢- الدفاع عن سنته صلى الله عليه وسلم :بحفظها وتنقيحها وحمايتها ورد الشبهات عنها .

٣- نشر سنته صلى الله عليه وسلم وتبليغها خاصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بذلك في أحاديث كثيرة كقوله" فليبلغ الشاهد الغائب " وقوله "بلغوا عني ولو آية "

رابعا "حال الصحابة في محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
لقد أحب الصحابة الكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا ليس له نظـــير وصـــل الى درجة أن افتدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم وآباءهم :

نماذج مختلفة

* من الشباب : علي ابن أبي طالب ونومه في فراش النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة أن أراد المشركون قتله
وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : كان والله أحب إلينا من أموالنا واولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ

* من الرجال :
قصة قتل زيد بن الدثنة ،. قال ابن إسحاق : اجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عنـــدنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ قال : (٤/ ١٢٦) والله مـــا أحـــب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلـــي . قـــال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمدٍ محمدا
* أخرج الطبراني وحسنه عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكـــون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليـــه

النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...} الآية".

* من النساء :

أخرج ابن إسحاق: عن سعد بن أبي وقاص قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.

قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

خامسا :جزاء محبة النبي

روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَتَى السَّاعَةُ ؟

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟"قَالَ: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ.قَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء ما فرحوا به. فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نستطيع أن نعمل كعمله فإذا كنا معه فحسبنا.

==================

النبيُّ العظيم والرحمة المهداة بين وفاء المؤمنين وإيذاء المشركين

"=FPRIVATE "TYPE=PICT;ALT

غلاف الجندى المسلم العدد ١٢٣

www.alnahwi.com

أنعم الله تبارك وتعالى على هذه الأمة نبي الهدى { الذي أخرج الناس من الظلمـــات إلى النور، فهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، وهو خاتم النبيين، وسيد المرسلين، ومحبته واجبة على الخلق أجمعين، وقد نصره وأحبه كل مؤمن تقي، وخذله وآذاه كل منافق ومشـــرك، والكاتب ينفع الله به – أبان في هذا المقال هذه الصور بشكل دقيق وبيان لطيف.

١- ثناء من الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم { :

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنـــافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى" بالله وكيلا (٤٨) {الأحزاب: ٤٥ – ٤٨}.

مهما كتب الصادقون من ثناء على النبيّ العظيم، سيد المرسلين محمد {، ومهما ألَّفوا من كتب وقدَّموا من دراسات عن عظمة النبيِّ الخاتم، ومهما نظَم الشعراء من قصائد في مديح النبيّ المصطفى، فلن يبلغ ذلك كله ما أثنى به الله على رسوله الذي اصطفاه وبعثه رحمـــة للعالمين. وحَسْبُك هذا الوصف الذي تعرضه الآيات الكريمة أعلاه، يخاطب بها الله سبحانه وتعالى رسوله ونبيّه، فيبيّن له حقيقة المهمة التي بُعث بها: شاهداً على أُمَّتِكَ وقد بلَّغــتَهم وأقمتَ عليهم الحجَّة وعلى الناس كافَّة، ومبشراً للمؤمنين بالجنَّة والفضل العظيم من الله، ونذيراً للكافرين من عذاب النار يوم القيامة، وداعياً يبلِّغ رسالة ربِّه، الرسالةَ الخاتمـــة، إلى الناس كافة، رسالة ظاهرة مشرقة كالشمس بصدقها وحجتها وآياتها. ولا تطـــع الـــذين أدبروا عن الهدى، ولا تبالِ بأذاهم وامضِ متوكلاً على الله، على خطّة جليَّة، ونهج قويم، وصراط مستقيم، لا يعطله إيذاء المجرمين !

وتتوالى الآيات الكريمة تعرض عظمة النبيّ الذي اصطفاه الله واختاره وبعثه بالهدى وديـــن الحق، تعرض وتحيط بجوانب عظمته في بيان معجز وعرض حق . ولا نستطيع هنا أن نورد الآيات كلها في هذا الصدد، ولكننا نأخذ قبسات تشير وتدلُّ : وإنك لعلى" خلق عظيم ٤ {القلم: ٤}.

وما أعظم هذا الثناء من ربِّ العالمين، يبرز فيه سبحانه وتعالى أهمية الخُلُــق في ديــن الله، ومترلته في حياة الناس، ودوره في الوفاء بالأمانة والعهد، والتبليغ والتعهد. ولتكون نبراساً للخَلْقِ كلِّهم، للبشريَّة كلِّها، حتى يتمسكوا بهذا المبدأ العظيم، ويتأسَّوا بخُلُق الرسول {:
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ٢١ {الأحزاب: ٢١}.

ويرفع الله مترلة النبي { بين المؤمنين وبين الخلق جميعاً، حتى يكون أولى بــالمؤمنين مــن أنفسهم، وزوجاته أمهاتهم :
النبي أولى" بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى" ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى" أوليائكم معروفــا كــان ذلــك في الكتاب مسطورا ٦ {الأحزاب: ٦}.

وهذه المترلة العالية والصفات السامية تجتمع في رجل أمّيٍّ لا يقرأ ولا يكتب، وبعثــه الله بهذه المعجزة العظيمة ليدحض الله بها أقوال المفترين ومزاعم المضلّين:
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إلــه إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكــم تهتدون ١٥٨ {الأعراف: ١٥٨}.

وأمر الله المؤمنين باحترام الرسول { بأسلوب الحديث وعدم رفع الصوت وعــدم تقــديم الرأي بين يديه، وجعل الله الإخلال بذلك مبطلاً لأعمالهم. إنه إجلال للنبــوة ولمترلتــها العالية :
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ١ يــا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ٢ {الحجرات: ١، ٢}.

وحَسْبك من ثناء الله على رسوله { أن اختاره واصطفاه من خلقه، ليحمل هذه الرســالة العظيمة، وجعل طاعة الرسول من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله ســبحانه وتعــالى، وإيذاءه يجلب غضب الله ولعنته :

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ٢٠ ولا تكونـــوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ٢١ {الأنفال: ٢٠، ٢١}.

قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ٥٤ {النور: ٥٤}.

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى" فما أرسلناك عليهم حفيظا ٨٠ {النساء: ٨٠}.

إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عـــذابا مهينـــا ٥٧ {الأحزاب: ٥٧}.

وأيّ ثناء أعظم من أن يجعل الله طاعة رسوله { من طاعته، قاعدة إيمانيَّة رئيسة يلتزم بهـــا المؤمنون أبد الدهر . ولتكون طاعة الله ورسوله هي القاعدة الجامعة للمؤمنين صفاً واحداً ما التزموا ذلك !

ويظلُّ الثناء على رسوله { ثناءً ممتداً أبد الدهر، كلما تلا مؤمن كتاب الله، يـــردّد مـــع التلاوة ثناء الله على رسوله {، كما يقول الشاعر :

حَسْبُكَ المَدْحُ أَنْ تكون عَلَى خُلْ
ق عَظيمٍ يُتْلَى بِهِ الكِتابُ المُجيدُ
كُلُّ آيٍ مِنَ الكِتابِ وَذِكْرٍ
هُوَ ذِكْرٌعلى الزَّمَانِ جَدِيدُ(١)

٢- عناية الله ورعايته، وتثبيته وحمايته :

ولا يقف الأمر عند ثناء الله على رسوله النبي المصطفى فحسب، ولكن مع هذا الثناء تمتد رعاية الله سبحانه وتعالى رعاية حانية، تحنو على الرسول الكريم وهو يشقُّ ســـبيله بـــين صخور وعقبات، وشدَّة إيذاء وعظيم ابتلاء. ويمتدُّ مع الرعاية والحنو توجيهٌ وتثبيتٌ ومددٌ بالوحي والملائكة والنور الذي أُنْزل، كلُّ ذلك ليبعث في نفسه الطمأنينة، وفي قلبه الثبات والعزيمة، ومع مسيرته الصبر والثقة والاستبشار. ولنتدبَّر بعض القبسات مـــن كتـــاب الله تضيء لنا هذه الحقائق :

وتوكل على العزيز الرحيم ٢١٧ الذي يراك حين تقوم ٢١٨ وتقلبك في الساجدين ٢١٩ إنه هو السميع العليم ٢٢٠ {الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠}.

وتمضي هذه الرعاية في كلِّ أحوال الرسول {، وهو يتلقَّى الإيذاء الشديد مـــن قـــريش، والعدوان والمطاردة، والكيد والتآمر والمكر من اليهود ومن قريش ومن الأحزاب كلـــها، حين تجمَّعت والتقت على حربه :

واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ٤٨ ومن الليل فســـبحه وإدبار النجوم ٤٩ {الطور: ٤٨، ٤٩}.

وتمتد هذه الرعاية الحانية إلى التوجيه والتثبيت في مواقف الشدَّة والكيد والمكر، مع كـــلِّ مرحلة من مراحل الدعوة :

وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصـــفح الصـــفح الجميل ٨٥ إن ربك هو الخلاق العليم ٨٦ ولقد آتيناك سبعا من المثـــاني والقـــرآن العظيم ٨٧ لا تمدن عينيك إلى" ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن علـــيهم واخفـــض جناحك للمؤمنين ٨٨ وقل إني أنا النذير المبين ٨٩ {الحجر: ٨٥ - ٨٩}.

نعم ! وقل إني أنا النذير المبين ! إعلان حاسم للرسالة، سيعقبه الإيذاء والاســـتهزاء مـــن المشركين . فيأمره الله بالمضيّ دون أن يأبه بالمشركين ولا بإيذائهم، فهو ماضٍ على نهـــج قويم وصراط مستقيم، وقد تعهَّد الله بأن يكفيه المستهزئين:

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ٩٤ إنا كفيناك المســـتهزئين ٩٥ الـــذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ٩٦ {الحجر: ٩٤ - ٩٦}.

ويشتدُّ الإيذاء على رسول الله {، ويشتدُّ المكر والكيد، وتظلُّ رعاية الله لنبيّه حانية ممتدة، حتى إذا حاولوا أن يفتنوا الرسول { عن الذي أوحى به الله إليه، كانت الرعاية الربَّانيَّـــة حانية توجِّه وتثبّت وتنصر :

وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ٧٣ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ٧٤ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ٧٥ {الإسراء: ٧٣ - ٧٥} .

وكما يمتدُّ مكر المشركين والكيد برسول الله {، تمتدُّ عناية الله برسوله وحمايته له:

وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ٧٦ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ٧٧ {الإسراء: ٧٦، ٧٧}.
تثبيت ويقين يتنزّل على رسول الله {، وإنذار شديد للكافرين يذهب بمكرهم وكيدهم: ... وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ! سينزل بهم عذاب الله! وكذلك تدَّبَّرْ هذه الآيات التالية لترى عظمة الرعاية وجلال الحنو وقوة التثبيت :
وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٣٠ {الأنفال: ٣٠}.
وكذلك :
وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ٤٦ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو \نتقام ٤٧ {إبراهيم: ٤٦، ٤٧}.
ولقد ثبت رسول الله {، ومضى في دعوته بين كيد الكافرين ومكر المشركين، وبين رعاية الله وحمايته حتى من المستهزئين: إنا كفيناك المستهزئين ! واستمع إلى قوله سبحانه وتعالى يمدُّ الرعاية لرسوله الكريم:
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد \هتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ١٣٧ {البقرة: ١٣٧}.
نعم ! فسيكفيكهم الله ! وقد كفاه المستهزئين والماكرين، فأخذهم الله بهلاك من عنده، ويمتدُّ وعد الله هذا إلى أبد الآبدين على سنن لله ثابتة وقضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة.

ولو راجعنا السيرة لوجدنا أن المستهزئين كانوا كثيرين. فأما " أبو لهب " فقد بشره الله بالهلاك في الدنيا والخلود في النار بالآخرة. فأصيب أبو لهب بمرض مات فيه شر ميتة، ولم يقدروا على تغسيله لشدَّة الرائحة الكريهة التي كانت تخرج من جسده الذي ينسلخ ويتساقط. وأبو جهل قتل في بدر، والنضر ابن الحارث أُسِرَ في بدر وأمر الرسول { بضرب عنقه. والأسود بن يغوث أصابته السموم ومرض الأكلة، فامتلأ جسمه قيحاً فمات شرَّ ميتة. والحارث بن قيس السهمي مات بالذبحة. وأُبيّ بن خلف وأميَّة بن خلف كانا من أشدِّ من آذى رسول الله { وعداوة له واستهزاء به، فهلك أمية في بدر وأُبيّ في

أُحد. وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة هلك على يد حمزة رضي الله عنه. والعاص بن وائل السهمي، فقد هلك هذا المشرك في مكة بلدغة حيَّة في رجله فانتفخت رجله حتى مـــات. وكذلك نَبِيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج السَّهميَّان، والأسود بن المطلب ابن أسد، وطعيمـــة بـــن عديّ بن نوفل، ومالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان، وركانة بن عبد يزيد، والوليد ابن المغيرة(٢). وحشد من اليهود والمشركين، ردَّ الله استهزاءَهم ومكرهم على أنفســـهم وباؤوا بخسران في الدنيا والآخرة. وذهب ذكرهم وطُوي، وظلَّ محمد{ يشرق مع الدهر ذكراً حميداً في السماء وحميداً في الدنيا:

أَيُّها المصطفى! تَفَرَّدْتَ في الخَلْ
ق نَبِيّاً عُلاَك أُفْقٌ فَرِيدُ
أَنْتَ مَعْنَى الوَفَاءِ: ذِكْرُكَ في الأَرْ
ضِ حميدٌ وفي السَّماءِ حَميدُ(٣)

وظلَّ أعداء محمد { هم أعداء الدين الحق، ظلُّوا ممتدّين مع الزمن يكيدون ويســـتهزئون، ويُرَدُّ كيدهم إلى نحورهم، وهم دائماً : الكافرون والمشركون والمنافقون واليهود وفريـــق من النصارى، حيث ما زال منهم من يؤمن بهذا الدين :

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى" بعض زخـــرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ١١٢ {الأنعام: ١١٢}.

إنها سنَّة من سنن الله !

ولقد اجتمعت هذه الخصائص والسمات الفريدة في محمد { وهو يشقُّ طريقه بين أعـــداء مجرمين وبين عناية من ربِّ العالمين، ولكنه مع كلِّ ذلك ظلَّ رحمةً للعالمين، رحمةً بأصحابه المؤمنين ورحمةً للبشريَّة على مرِّ القرون، ما دام المؤمنون يُبلِّغون رسالة ربِّهـــم إلى النـــاس كافَّة، ليخرجوهم من الظلمات إلى النور:

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ١٠٧ {الأنبياء: ١٠٧}.

يهدي به الله من \تبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمـــات إلى النـــور بإذنـــه ويهديهم إلى صراط مستقيم ١٦ {المائدة: ١٦}.

٣- ثناء الشعراء المؤمنين على مرِّ العصور :

وقد عرف المؤمنون رسولهم ونبيُّهم محمداً {، وأصبح حُبّه جزءاً رئيساً من الإيمان، ليكون حُبُّ الله ورسوله الحبَّ الأكبر في حياة المؤمن، ومنه ينبع كلُّ حبٍّ في الحياة الدنيا . ومن هذا الحب الصادق انطلق الشعراء المسلمون يمدحون رسول الله { بقصائدهم الغنيَّة بالبيان والصدق والوفاء .

ولعلَّ أول من بدأ بمدح رسول الله { من الشعراء الأعشى الكبير ميمون ابن قيس في قصيدته التي مطلعها(٤):

ألم تَغْتمِضْ عيناك ليلة أرمدا

وعادك ما عاد السليم المسهَّدا

وقد نظم القصيدة حين عزم على أن يسلم، وتوجَّه إلى النبيّ { بهذه القصيدة، فصدَّته قريش لما خافت من أثر شعره في العرب، إذ كان يُسمَّى صنَّاجة العرب . ونجحت قريش في صدَّه فعاد إلى قريته، وفي طريق عودته رمى به بعيره إلى الأرض فمات، وذلك سنة ٦٢٩م .

وقصة كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه، حين هجا الرسول {، ثمَّ تاب وتوجّه إلى الرسول الكريم بقصيدته الرائعة، وأعلن توبته بين يدي الرسول {، ثمَّ ألقى قصيدته التي مطلعها(٤):

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

مُتيمّ إثرها لم يُفْدَ مكبول

وإني لأعدُّ هذه القصيدة من روائع الأدب العالمي . وإني لا أرى كما يرى الكثيرون أنَّ مطلعها غزل وتشبيب كعادة العرب في الجاهلية، ولكني أرى أنَّ كعباً يصف فيها رحلته من الجاهلية التي كان قد عشقها ثمَّ فارقها (بانت سعاد) إلى الإسلام والإيمان الذي دخل قلبه وملك حبّه (أمْستْ سعاد بأرضٍ لا يبلّغها: إلا العتاق النجيبات المراسيل).

ثمَّ تتدافع الشعراء من أصحاب رسول الله { يمدحون نبيّهم ورسولهم، ويدافعون عنه ويدفعون عنه أذى قريش وشعرائها . وكان من شعراء الصحابة عبد الله بن رواحة وكعب

بن مالك وحسان بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين . ولكن حسان بن ثابت كان أطولهم باعاً وأشدهم إيذاءً لقريش .

وكان وصف أم معبد لرسول الله { حين مرَّ بخيمتها :

" رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبْه ثُجلة، ولم تُزْرِ به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي ضوئه صحل، وفي عنقه سطع، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلَّم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق لا نزر ولا هذر ....الخ"(٥). وقد وصفه عليٌّ بن أبي طالب في بيان رائع، وكذلك أنس بن مالك، وأبو جحيفة، والبراء، وجابر بن سمرة، وأبو هريرة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد توالى الشعراء المسلمون على مرِّ العصور يدفعون لآلئ قرائحهم وغنيّ بيانهم في مدح رسول الله {، حتى لا يكاد يخلو عصر من أحد منهم. وجاء الشعراء في العصر الحديث يبدعون في هذا المديح. وكان أولهم محمود سامي باشا البارودي في قصيدته: "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتاً، وكذلك أحمد محرَّم في ديوانه مجد الإسلام، وشوقي في قصيدتيه البائية والهمزية، وعمر أبو ريشة في مقدمة ملحمته، وعدنان النحوي في قصيدته رسول الهدى في سبعة وأربعين بيتاً .

ولقد بيَّنَّا في هذه الصفحات كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أثنى على عبده النبيّ الخاتم أعلى ثناء، وكيف مدحه عدد من أصحابه الشعراء وأخرسوا سفهاء قريش، وكيف وصفته أم معبد، وهي لم تره إلا مرّة واحدة ولفترة قصيرة، ولكنه أثر النبوّة المشرق الذي يؤثر في النفوس، ويزداد تأثيره كلما صفت النفوس وزادت إيماناً. وأشرنا كذلك كيف وصفه بعض الصحابة كذلك وصفاً جامعاً يهزُّ النفوس.

٤- النبيّ العظيم يصف نسبه ومنزلته عند الله:

وبالإضافة إلى ذلك كله، فقد عرَّفنا رسول الله { بنسبه وكيف اختاره الله من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا . فلننظر في قبسات من الأحاديث الشريفة حول ذلك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي { قال : "بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه"(٦).

عنه أيضاً عن الرسول { أنه قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع وأول مشفّع"(٧) وفي رواية أخرى عنه أيضاً في حديث طويل: "أنا سيد الناس يوم القيامة. وهل تدرون بِمَ ذلك ؟! يجمع الله الأولين والآخرين ....."(٨).

وعن المطلب بن أبي وداعة عن العباس عن الرسول { أنه قال: "..أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، وخلق القبائل، فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً"(٩).

والأحاديث الشريفة كثيرة حول هذا الموضوع، حيث يظهر فضل الله على خلقه جميعاً أن بعث فيهم محمداً { على أحسن هيئة خَلْقاً وخُلُقاً، وأحسنهم منبتاً .

٥- الشعراء غير المسلمين يمدحون الرسول { :

ولم يقتصر مديح الرسول { على المسلمين، فقد قام عدد من الشعراء النصارى يمدحون رسول الله { بقصائد غنيَّة تلمس فيها وضوح العاطفة وحقيقة الإكبار . ويبقى السؤال: فلماذا لم يسلموا ؟! ومن هؤلاء: "إلياس قنصل"، والشاعر القروي "رشيد سليم الخوري"، و"رشيد أيوب"، و"رياض المعلوف"، و"إلياس طعمة" الذي أسلم وجعل اسمه بعد إسلامه "وليد طعمة"! وكذلك سعيد جرجس العيسى الذي مدح رسول الله بقصيدة جميلة، والذي ذكر عيسى عليه السلام ومريم عليها السلام كما هما في القرآن الكريم، وأشاد بالتوحيد كما هو في كتاب الله . وقد دعوته ليعلن إسلامه، ولكنّه توفّي قبل أن أتلقّى منه خبراً .

٦- الرسول { في الكتب المنزلة :

ولدينا في كتاب الله القول الحق بأنَّ اسم محمد { ثابت في التوراة والإنجيل :

وإذ قال عيسى \بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يـدي مـن التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي \سمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سـحر مبين ٦ {الصف: ٦}.

و لم يقف الأمر عند عيسى عليه السلام وحده، وإنما امتدَّ إلى جميع الرسل، حيث أخذ الله عهداً منهم جميعاً أن يؤمنوا بالنبيّ الخاتم وينصروه :

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصـدق لمـا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على" ذلكم إصري قـالوا أقررنـا قـال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٨١ {آل عمران: ٨١}.

ولقد كتب عدد من الباحثين في التوراة والإنجيل وبيّنوا أنَّ اسم محمـد وارد في التـوراة والإنجيل بالأسلوب واللغة التي دُوِّن فيهما هذان الكتابان، مع ما أصابهما من التحريف . فيذكر البروفسور عبد الأحد داود في كتابه: " محمد في الكتاب المقدس " نماذج متعـددة عن ذكر محمد {، ففي الإصحاح الثاني من سفر حَجّي، تأتي الترجمة هكـذا: " ويـأتي مشتهى كل الأمم "! " وعندما أرسل الله خادمه النبيّ حجّي ليسري عن هؤلاء المحـزونين على تدمير الهيكل، ومعه الرسالة الهامة: ولسوف أزلزل كل الأمم وسوف يـأتي حِمَـدا (Himada) لكل الأمم " ! وبالعبريّة: " في يافو حِمْداث كول هاجو بيم "، وترجمتها الحرفية كما سبق ذكره(١٠). ويورد نصّاً آخر : " .... حتى يأتي شيلوه ويكـون لـه خضوع الشعوب " ! ويفسّر كلمة " شيلوه " بالشخص الذي تخصّه، ويـذكر المؤلـف نصوصاً أخرى كثيرة لِيُثْبتَ رأيه .

ويذكر المستشار محمد عزت الطهطاوي في كتابه: " محمد { نبيّ الإسـلام: في التـوراة والإنجيل والقرآن "، وأمثلة كثيرة عن ورود اسم النبيّ الخاتم بألفاظ متعددة . ويـذكر في الباب الأول نصوصاً من البشارات في "العهد القديم " . ويحقق في كلِّ نصٍّ لِيُثْبتَ الإشارة والبشارة بمجيء محمد {. ويأخذ النصوص من أسفار: التكوين، التثنية، المزامير، وأشعياء، وميخا، وحبقوق، وحَجّي، ملاخي . ويأتي بنصوص من الإشارات والبشارات في بعـض كتب العهد الجديد، وهي الأناجيل الأربعة: " متى ومرقص، ولوقا ويوحنا"(١١).

فبالرغم مما جرى في العهدين القديم والجديد من تحريف، فقد بقيت نصوص كثيرة تشير إلى أنَّ الله سيبعث بعد موسى وعيسى عليهما السلام النبيّ الذي تخضع له الشعوب أو الذي تنتظره الشعوب .

٧- كتب ودراسات تشيد بذكر النبي العظيم محمد {:

و لم يقف الأمر عند هذا الحدّ من الثناء على النبيّ العظيم، المصطفى، ولكن كثيراً من الناس، من مسلمين وغير مسلمين، كتبوا عن محمد {، بعد أن درسوا سيرته، فخشعوا أمام هذه السيرة العظيمة المتفرِّدة . فقد كتب كثيرون قديماً وحديثاً عن الرسول { دراسات عامة من عظمته وتفرّده، أو عن جانب من جوانب عظمته، بحيث يصعب حصر الذين كتبوا في ذلك، يضاف إلى ذلك المقالات الواسعة التي لا تقع تحت حصر. وكلها تدور بين الثناء والكشف عن أسرار عظمته، أو للدفاع والردِّ على المجرمين المبطلين الذين يؤذون الله ورسوله. ولكننا نشير إلى ثلاثة كتب رئيسة، هي : السيرة النبوية لابن هشام، الشمائل المحمدية للترمذي، وزاد المعاد لابن القيم.

ومن غير المسلمين من عبَّر عن رأيه في عظمة الرسول { بكلمات أو جمل تعبّر عن جلاء قناعته بعظمة النبي الكريم . ونذكر بعض أسماء من عبَّروا عن آرائهم، فالقائمة طويلة تتجاوز خمسين اسماً، كان من بينهم: بيرنارد شو، توماس كارلايل، ه . جي . ويلز جوستاف لوبون، بلانشيه، الفونس لا مارتين، تولستوي، سير وليم موير في كتابه : حياة محمد ({)، غاندي، ... وكثيرون !

ونأخذ نصَّاً واحداً للعالم الهندي د . ت . ل . فسواني، حيث يقول: " إليك يا محمد وأنا الخادم الحقير أقدّم إجلالي بخضوع وتكريم . إليك أطأطئ رأسي!، إنك لنبيٌّ حقاً من الله . قوّتك العظيمة كانت مستمدَّة من عالم الغيب الأزلي!"(١٢).

من هذا العرض السريع نرى بجلاء أنه لا يوجد لدى البشرية كلها من نال من الثناء والإجلال في جميع العصور ومن مختلف الاتجاهات ما ناله نبيُّ الرحمة محمد {. فمن مِن

الناس، مثلاً كُتبَ في الثناء عليه شعر تجاوز ألفاً وخمسمائة صفحةً، خلاف النثر والكتب والمؤلفات . ولا بدَّ أن نؤكِّد أنَّ أعظم ثناء ناله هو من الله سبحانه وتعالى .

٨- الرسول ﷺ في قلوب المؤمنين:

وسيظلُّ ذكرُ الرسول ﷺ مقترناً بذكر الله الذي لا إله إلا هو، وسيظلُّ حبّ الله ورسوله الحبّ الأكبر في قلوب المؤمنين، منه ينبع كل حبٍّ في الحياة الدنيا، وسيظلُّ العهد الأول مع الله سبحانه وتعالى، منه ينبع كلُّ عهد في الحياة الدنيا ويرتبط به، وسيظلُّ الولاء الأكبر هو لله سبحانه وتعالى، منه تنبع كلُّ موالاة في الحياة الدنيا، لتبني أُخوّة الإيمان بين المؤمنين جميعاً كما أمر الله ورسوله .

وهذا الإيمان الذي يدعو إليه الكتاب والسنة هو الذي يجمع المؤمنين أمة مسلمة واحدة، ممتدّة مع الدهر، يهابها أعداء الله ما التزم المؤمنون التزاماً صادقاً برسالتهم، وما داموا صفّاً واحداً كما أمر الله، وما داموا يحملون رسالة الله يبلِّغونها إلى الناس كافَّة !

٩- هل دين الله واحد أم أديان؟:

إن دين الله واحد للرسل جميعاً وهو الإسلام . فلقد كان الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى عباده، والذين خُتموا بمحمد ﷺ فليس عند الله إلا دين واحد هو الإسلام . ولا يُعقل أن يكون هنالك أديانٌ سماوية توحيدية، كما يزعم الكثيرون، وكما يردِّد ذلك بعض المسلمين .فذلك تناقض واضح بين كلمة أديان وكلمة سماوية توحيدية .

وهل يُعقل أن يبعث الله لعباده بأديان مختلفة يتصارع الناس عليها، وهو الله الذي يريد لعباده جميعاً الإيمان الواحد الصادق، والذي جعل الجنَّة مأوى الصادقين والنار مأوى المكذّبين ! فلا بدَّ أن يكون الدين عند الله واحداً، وأن يبعث جميع الأنبياء والمرسلين بدين واحد، حتى لا يناقض نبيٌّ نبيًّا، فيختلط الأمر على الناس .

ونحن المسلمين نؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً، وبالكتب المترلة قبل تحريفها جميعـــاً . وأيّ إخلال بذلك هو إخلال بالإيمان والتوحيد . فلا نؤذي نبيّاً ورسولاً، ولا نفرّق بين أحـــد منهم :

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبـــه ورســـله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ٢٨٥ {البقرة: ٢٨٥}.

١٠- إيذاء رسول الله { يجلب لعنة الله وغضبه :

فالاجتراء على نبيٍّ من الأنبياء اجتراء على الله، وإيذاء النبيّ هو إيذاء لله، يُترل الله به غضبه ولعناته :

إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عـــذابا مهينـــا ٥٧ {الأحزاب: ٥٧}.

ولقد وجد أهل الكتاب صادق الرعاية والرحمة في ظلال حكم الله ورسوله، حكم الكتاب والسنَّة، ولقد أحسن محمد { إليهم إحساناً كبيراً، وكذلك فعل المؤمنون .

فما بال بعض النصارى، أو المنتسبين إلى دين عيسى عليه السلام، بعد أن حرَّفوه وبـــدَّلوا وغيَّروا، ما بالهم يحملون الأحقاد على الإسلام والمسلمين، وعلى رسول الله {. فلا تكاد هدأ فتنة حتى تثور فتنة. وقد نبَّأنا الله في كتابه الحكيم أنه قد جعل لكل نبيّ عـــدوّاً مـــن المجرمين، من شياطين الإنس والجن . وقد بدأت العداوة لمحمد { من لحظة ابتعاثـــه مـــن قريش وبعد ذلك من اليهود، ثمَّ امتدَّ الحقد مع الزمن حتى تولّى كبر ذلـــك: المشـــركون والكافرون والمنافقون والظالمون من أهل الكتاب في إيذاء بعد إيذاء عبر التـــاريخ، حـــتى الحروب الصليبية، وحتى ظلمهم وعدوانهم على مسلمي الأندلس، و كلما واتت فرصـــة لذلك !

وجاءت الحادثة الأخيرة عندما نشرت إحدى صحف الدنمارك صوراً مهينة ومؤذية لرسول الله {. واعتبرت الدولة أنَّ هذا من باب حريّة الرأي!، وكأنَّها اعتبرت الناس بلا عقـــول

حتى يصدّقوا أنَّ هذا من باب حريّة الرأي . وإن كان الأمر كذلك فعلى دولة الدنمارك أن تراجع قوانينها، وأن تتعلَّم من الإسلام، ومن محمد {، حدود حريّة الرأي، وأدب الرأي، وحقوق الإنسان . ثمَّ تولّت صحيفة نرويجية نشر تلك الصور أيضاً، وفي بلادهم جميعـــاً مسلمون أقاموا عشرات السنين، ما قدَّموا إلا الخير والإحسان .

لم يكن الأمر مصادفة أو زلّة رسَّام! فلقد أرسل المحرّر الثقافي في الجريـــدة دعـــواتٍ إلى أربعين رسَّاماً يدعوهم إلى رسم النبيّ {، فأجاب الدعوة اثنا عشر رساماً فقط. وكانـــت ملكة الدنمارك " مارغاريت " الثانية، قد اعتبرت أنَّ الإسلام يمثّل تهديداً على المســـتويين المحلي والدولي، وحثَّت حكومتها على عدم التسامح مع المسلمين والإسلام! ودون مبالاة لما قد تثير هذه السياسة من غضب خارجي! إنها لغة التهديد والإثارة بكـــل الاعتبـــارات اللغوية والسياسية والرسمية. ويرفض رئيس وزراء الدنمارك مقابلة السفراء المسلمين الرسميين في بلده . وتتولى أجهزة الدولة والصحافة صياغة المسوِّغات لهذا العمل، فكانت الأعـــذار أقبح من الذنب . عدوان إثر عدوان . وكان أوقح ما في هذه الأساليب قول الصـــحيفة: "إننا لا نعتذر عن عمل هو جزء طبيعي من النشاط الإعلامي....". الصحيفة الدنماركيـــة هي صحيفة " يولاند بوستن "، والصحيفة النرويجية هي: "مغازينات"! وكذلك امتـــدَّت الهجمة على الإسلام بإعادة إذاعة هذه الصور الكاذبة في صحف فرنسا وإسبانيا وألمانيـــا وسويسرا. وربما تمتدُّ الهجمة إلى أبعد من ذلك .

ولا ننسى ذلك المخرج الهولندي الذي أخرج فيلماً مســـيئاً إلى الرســـول الكـــريم وإلى الإسلام، والذي أثار ضجّة كبيرة . ولا ننسى كذلك قضية المؤسسة التي أصدرت كتابـــاً أسمته " الفرقان " تزوّر فيه جملاً وكلمات تحريفاً لآيات الله في القرآن الكريم، وطعنـــاً في الإسلام والإيمان والتوحيد . يضاف إلى ذلك جهـــود الحركـــات التنصـــيرية في العـــالم الإسلامي، وما تقوم به من محاولات لصرف المسلمين عن دينهم، وتشويه صورة الإسلام، وإثارة الفتن !

إنَّ هذا كلّه ليدلّ دلالة واضحة على أنَّ القوم يمضون على نهج وخطة وليس على عمـــل ارتجالي . ولا بدَّ للمسلمين أن يجابهوا ذلك بعمل منهجي مدروس يجمع جهـــود الأمـــة كلها.

١١- واجب المؤمنين أمام هذا الاعتداء والنصيحة الواجبة :

القضيّة قديمة، بدأت، كما تذكر بعض الصحف، قبل ثلاثة أشهر، واشتدَّ التفاعل ضـــدّ هذه الإهانة الكبيرة منذ أسبوع أو أسبوعين . وإن كان قد بدأت محـــاولات هادئـــة لا تتناسب مع عظم الجريمة . إنها حقاً جريمة، وجريمة كبيرة في ميزان الإسلام . أين المسلمون ؟! وأين المليار من المسلمين ؟!

أُمة الحقِّ ! ما دهاكِ فأصْبح

تِ شظايا تطايرتْ في النجادِ

كلما رُمْتِ ملتقيً كُنتِ في السا

حةِ أوهى من حفنة من رمادِ(١٣)

لقد هان المسلمون في الأرض، وأصبحوا غثاءً كغثاء السيل، كما جاء في حديث رســـول الله { يرويه ثوبان رضي الله عنه : (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلـــة على قصعتها " . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم كثير . ولكنكم غثـــاء كغثاء السيل . وليترعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقـــذفنَّ الله في قلـــوبكم الوهن " فقال قائل : يا رسول الله ! وما الـــوهن ؟! قـــال : حـــبُّ الـــدنيا وكراهيـــة الموت!)(١٤).

منذ سنين طويلة، حين أصدرتُ كتابي : " دور المنهاج الرباني في الـــدعوة الإســـلامية "، ذكرتُ هذا الحديث الشريف، متوقعاً أن حالة المسلمين ستتحسَّن مع الأيَّام ومع ضـــجيج الشعارات، وكثرة المؤتمرات، وتزاحم الكتب والمقالات، وتزاحم الدعاة هنا وهناك، وبعد هذه السنين أرى أننا ما زلنا غثاءً كغثاء السيل .

وأول سبب أجده لهوان المسلمين هو تمزّقهم أقطاراً ومصالح وأهواءً، وشـــيعاً وأحزابـــاً، يخالفون بذلك ما أمرهم الله به ورسوله {:

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على" شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كـــذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٣ {آل عمران: ١٠٣}.

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ {آل عمران: ١٠٥}.

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بمـــا كانوا يفعلون ١٥٩ {الأنعام: ١٥٩}.

وآيات كريمة أخرى تنذر المسلمين إن تفرّقوا إنذاراً شديداً. وحسبك هذا الإنذار في الآية السابقة: وأولئك لهم عذاب عظيم !

وأهم سبب لهذا التمزّق والهوان، هو عدم التزام الإسلام التزاماً أميناً، وعدم التزام الكتاب والسنَّة التزاماً أميناً، وبذلك عدم طاعة الله ورسوله:

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصـــابرين ٤٦ {الأنفال: ٤٦}.

ولا بدَّ على ضوء ذلك أن توضع قاعدة عمليّة نابعة من قواعد الإيمان والتوحيـــد ومـــن منهاج الله، ومن مدرسة محمد {، قاعدة تثبّت مسؤوليات الفـــرد المســـلم ودوره، ودور الأسرة في البناء والتعهد، ودور كل مؤسسة في الأمة المسلمة، وتبين قواعد التربية والبناء، والأهداف والصراط المستقيم الذي يوصل إلى الأهداف، ليكون الدرب ربانياً، والأهداف ربانية . لقد تناثرت الأهداف، وتباعدت الدروب، وقد جعل الله لعباده المـــؤمنين دربـــاً واحداً

واحداً يجمعهم، ولغيرهم سبلاً شتَّى:

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ١٥٣ {الأنعام: ١٥٣}.

إنَّ الغرب ماضٍ في حربه ضدَّ الإسلام والمسلمين بصورة خفيّة، وإنَّ عداءهم هذا امتـــدَّ حتى اليوم لم يتوقّف، وإنَّ عمل الصحيفة الدنمركية لم يتوقف في الدنمارك، فسرعان مـــا

تبنته النرويج، ثمَّ فرنسا، ثمَّ أخذت عواطف بعض الناس في تلك الــدول تتــأجج ضــدّ المسلمين . ولم يكن ذلك ليتمَّ لولا الدعاية السيئة التي أشاعتها أجهــزة الإعــلام ضــدَّ المسلمين .

والأمر العجيب أن الدول الغربية كلها لا تنظر في جرائم إســرائيل في فلســطين، ولا في انتهاكها لحقوق الإنسان، ولا في عدم التزامها بقرارات هيئة الأمم المتحدة!، ولا في مــا تملكه من أسلحة نووية، أو أسلحة دمار شامل. كلُّ ما تفعله إسرائيل من جرائم يغضــون الطرف عنه، ويغضون الطرف عما ترتكب الدول الغربية نفسها من جرائم بحق الشعوب، في تاريخ طويل مليء بالمجازر والتدمير .

إنها قصة التاريخ الممتدّ منذ أن بُعِثَ محمد {، بدأت عداوة المشركين لرسول الله { دون أن يؤذيهم أو يعتدي عليهم . دعاهم إلى الله الذي لا إله إلا هو، دعوة سلم وخير. فلــم يُجْدِ السلم ولا الخير، وإنما بادروا بالإيذاء والعدوان . وكذلك اليهود الــذين عاملــهم الرسول أطيب معاملة قابلوا ذلك بالغدر والحرب والفتن . ومنذ ذلك العهد حتى اليوم فإنَّ الحرب ضدّ الإسلام لم تتوقف، ولن تتوقف . فإنها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، يمحــص به عباده لتقوم عليهم الحجة يوم القيامة أو تقوم لهم .

وإنا إذ نُحَيِّي النفوس المؤمنة التي غضبت لرسول الله {، والنفوس المؤمنة التي تــداعت إلى النصرة بوسائل متعددة، فكلنا مع نصرة الله ورسوله.

لذلك فإنا ننصح بأن يراجع المسلمون أنفسهم لينظروا في واقعهم، ويروا كم يُرضون الله بما هم عليه، وبما يفعلون . ومن أهم مسؤوليات المسلمين أن يبلِّغــوا رســالة الله وديــن الإسلام إلى الناس كافَّة . فهل بلَّغ أحد هذا الدين إلى رئيس وزراء الدنمارك أو غيره مــن رجال الدولة، أو رؤساء الدول الأخرى، حتى نعذر أنفسنا بين يدي الله يوم القيامة .

مع أهمية ردود آفعال المسلمين التي عمَّت العالم الإسلامي إلا أن هذا وحده لا يكفي .فلا بدِّ من معالجة أخطائنا وتقصيرنا بحقِّ هذا الدين العظيم ونبيِّه العظيم .

فإن أدرك المسلمون جوانب الخلل في واقعنا اليوم، فليبادروا إلى إصلاح كل خلل يغضب الله، وإلى صدق التوبة والإنابة، عسى أن يكون الله معنا فيما نجابه من أحداث، لن نقوى على مجابهتها دون نصر يتنزَّل من عند الله:

وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ٣١ {النور: ٣١}.

ومن خلال ذلك فلا بدَّ أن يقف المسلمون في العالم الإسلامي كله وقفة واحدة، لردِّ هذا الاعتداء، فهو اعتداء على كلِّ مسلم في الأرض، ولإِشعار هؤلاء أنَّ المسلمين مـــا زالـــوا أقوياء يفدون دينهم بكل شيء .

وهنا نقف أمام خيارين: إمَّا أن نطيع الله ورسوله، وننصر ديننا فننال رحمة الله وعونـــه، وإما أن نتهاون في هذا الأمر، فَيُنْزِل الله غضبه علينا . وإنها مسؤولية جميع مستويات الأمة المسلمة كلها ابتداءً من الفرد المسلم، على خطة إيمانيَّة واعية ونهج مدروس شامل، يعـــالج الواقع ويبني المستقبل بإذن الله .

الهوامش:

(١) ديوان مهرجان القصيد لصاحب المقال .

(٢) أبو بكر الجزائري : " هذا الحبيب محمد "يا محب" ص : ١١٢-١١٩ .

(٣) ديوان مهرجان القصيد مرجع سابق .

(٤) ديوان الأعشى : دار صادر بيروت . ص : (٤٥) .

(٤) د . محمود حسن زيني : قصيدة البردة ص : (٧٦) .

(٥) البداية والنهاية ٣/٢٩، زاد المعاد لابن القيم : ٢-٥٤ . صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم : ص : (١٨٩) . تحفة الرسائل : اختيار مؤسسة الوقف الإسلامي : من صفات الرسول { الخلقية والخلقية : ص : ٢ .

(٦) صحيح البخاري رقم: (٣٤٨١).

(٧) صحيح مسلم رقم: (٥٨٩٣).

(٨) صحيح البخاري رقم: (٣٢٧٠) ومسلم رقم: (٤٣٣).

(٩) أخرجه أحمد (١/٣٤٥)، (٥/١٧٢) صحيح الجامع (١٤٦٦).

(٩) أحمد(١/٣٤٥) صحيح الجامع (١٤٧٢).

(١٠) البرفسور عبد الأحد داود : " محمد ({) في الكتاب المقدس " ص : (٥٠-٥١) .

(١١) المستشار محمد عزّت الطهطاوي : محمد { نبي الإسلام " ص : (١١-٣٠)، ص : (٣١-٥٦) .

(١٢) أحمد بن حَجَر آل بو طامي آل بن علي : " الإسلام والرسول { " في نظر منصفي الشرق والغرب . ص : (١٢٩-١٩٨) .

(١٣) د . عدنان النحوي : ملحمة أرض الرسالات . ص : (١٣٤) .

(١٤) أبو داود : ٣١-٥-٤٢٩٧ الجامع الصغير وزيادته رقم : (٨١٣٨).

==================

الأدب مع أمهات المؤمنين :

- ورد الثناء في الكتاب والسنة على الصحابة من أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكورا وإناثا ، وأوضح الله بأن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – في مرتبة علية ومترلة رفيعة قال تعالى { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }

- ففي هذه الآية فضيلة عظيمة ومنقبة رفيعة لجميع أزواجه عليه الصلاة والسلام .

- وأوجب الله لهن حكم الأمومة على كل مؤمن ما لهن من شرف صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم - .

- قال القرطبي – رحمه الله - :" شرّف الله أزواج نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي : وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال ، وحجبهن – رضي الله عنهن – بخلاف الأمهات " (التفسير ١٤/١٢٣) .

- قال ابن كثير – رحمه الله - :" وقوله وأزواجه أمهاتهم أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع " (التفسير ٥/٤٢٥) .

- والذي دفعني للكلام عن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن أجمعين – ما يلي :

- أولاً : امتثالا لقول النبي ووصية النبي – صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم :" وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال "وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي". فقال له حصين: ومن أهل

بيته؟ يا زيد! أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته. ولكن أهل بيتــه مــن حرم الصدقة بعده. قال: وهم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عبــاس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم " .

- ونساء النبي من آل بيته قال تعالى] إنما يريد ليذهب عنكم [.

- لذلك أقر المجلسي بأن السياق هو في شأن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال في بحار الأنوار ٢٤/٣٥ :" فلعل آية التطهير أيضا وضعوها في موضع زعموا أنها تناسبه أو أدخلوها في سياق مخاطبة الزوجات لبعض مصالحهم الدنيوية وقد ظهر من الأخبار عــدم ارتباطهن بقصتهن فالاعتماد في هذا على النظم والترتيب ظاهر البطلان ولو سلم عــدم التغيير في الترتيب فنقول سيأتي أخبار مستفيضة بأنه سقط في القرآن آيات كثيرة فلعلــه سقط مما قبل الآية وما بعدها آيات لو ثبتت لم يفت الربط الظاهري " .

- والأهل في اللغة تطلق على الزوجة قال تعالى { وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً } وبإجماع المفسرين أنه كان مع موسى زوجته .

- وقالت هاجر زوج إبراهيم { قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد }

- وقال النبي – :" أيها الناس من يعذرني في رجل قد بلغ أذاه في أهلي " .

- وكذلك جاء عن عائشة – رضي الله عنها أنها قالت :" ما شبع آل رســول الله e – من خبز بر " أخرجه الإمامان البخاري ومسلم وقول عائشة ما شبع آل رسول الله . تريد نفسها وأزواج النبي – .

- والسبب الثاني : قوله – صلى الله عليه وسلم – :" المرء مع من أحب " مسلم .

- والسبب الثالث :" كما قال الصديق – رضي الله عنه – ارقبوا محمداً في أهل بيتــه " رواه البخاري ، ولقول الصديق :" والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحب إلي من أن اصل قرابتي " البخاري .

- ومن مناقبهن :

- أهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة إيثاراً منهن لذلك على الدنيا وزينتها فأعد الله لهن على ذلك ثواباً جزيلاً وأجراً عظيما قال تعالى{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً }

- ففي البخاري بإسناده إلى عائشة – رضي الله عنها – قالت :" لما أُمر رسول الله بتخيير أزواجه بدأ بي فقال :" إني ذاكر لك أمرا، ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك، ثم قال: " إن الله قال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً } قلت: أفي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة " (البخاري ٢٣٣٦) .

- ومن مناقبهن العامة :

- أن الله تعالى أخبر عباده أن ثوابهن على الطاعة والعمل الصالح ضعف أجر غيرهن ، قال تعالى { وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } .

- ففي هذه الآية أن التي تطيع الله ورسوله منهن وتعمل صالحاً فإن الله يعطيها ضعف ثواب غيرها من سائر نساء المسلمين ، وأعد الله لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنان .

- قال الحافظ ابن كثير :" { نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } أي : في الجنة فإنهن في منازل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أعاى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش " .

- ومن مناقبهن :

- ومن المناقب التي شرفهن بها رب العالمين وأخبر بها عباده في كتابه العزيز أهن لسن كأحد من النساء في الفضل والشرف وعلو المترلة قال تعالى { يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً }

- فقد بين المولى جل وعلا في هذه الآية أنه لا يلحقهن من نساء الناس في الشرف والفضل ، كما بين أن هذا الفضل إنما يتم لهن بشرط التتقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن

- ومن مناقبهن :

- أن الله أخبر أنه طهرهن من الرجس تطهيراً قال تعالى { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }

- والسؤال الذي يطرح نفسه هل قولنا أن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – مجاملة من الله ؟ هل هذه محاباة من الله لرسوله ؟

- هل هن اللاتي فرضن هذه الأمومة على المؤمنين بسبب قربهن من رسول الله ؟

- والحق : أنهن لم يتطلعن يوما من الأيام للحصول على هذه الميزات بسبب ارتباطهن بالرسول الكريم بصلة الزواج .

- ولكن الله وحده هو الذي من عليهن بهذا الفضل وفرض هذه الأمومة وقررها على جميع المؤمنين قال تعالى { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم } .

- وفي هذه الآية يتقرر شيئين :

- الأول : أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ولا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه .

- الثاني : أن زوجات النبي – رضي الله عنهن – هن أمهات للمؤمنين .

- فهذه الأمومة التي يقررها القرآن لزوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – ويعممها على جميع المؤمنين ، تفرض على من شرفوا بهذه الأمومة واجبات والتزامات يجب أن تؤدى .

- ولكن قبل الخوض في بيان هذه الحقوق فإننا يجب أن نؤكد بأن هذا الفضل وذلك التكريم لهن – رضي الله عنهن – لم يكن ليستقر تاجاً فوق رؤسهن إلا بعد أن نجحن فيما اختبرن به من أوامر .

- وسنتكلم عن بعض الاختبارات ليتبين لنا بوضوح وجلاء أهن – رضي الله عنهن – كن جديرات بهذا التكريم وأهلا لهذا الفضل .

- فأول هذه الاختبارات ما جاء في قوله تعالى { يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيماً }

- وهذا الاختبار الصعب شكين إليه خشونة العيش وقلة حظهن من متاع الدنيا فماذا حدث ؟

- في البخاري (٥١٠٧) :" عن عائشة رضي الله عنها قالت:
ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم، منذ قدم المدينة، من طعام البُرِّ ثلاث ليال تباعاً، حتى قبض " .

- وفي البخاري عن أمنا عائشة – رضي الله عنها – قالت :" كان فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أَدَمٍ وحشوُه من ليف " .

- وفي البخاري قال قتادة كنا نأتي أنس بن مالك – رضي الله عنه - :" وخبّازه قائم فقال : كلوا فما أعلم النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى رغيفا مرقّقاً حتى لحق بالله " .

- وفي البخاري عن عائشة – رضي الله عنها قالت لابن أختها عروة بن الزبير :" إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة وما أوقدت في أبيات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ناراً فقلت : ما كان عيشكم قالت : الأسودان التمر والماء " .

- لذلك لما دخلت حفصة – رضي الله عنها – على عمر عندما كان خليفة للمؤمنين ، فتراه في شدة العيش والزهد في الملبس والمطعم فتقول له :" إن الله أكثر من الخير ، وأوسع عليك من الرزق ، فلو أكلت طعاماً أطيب من ذلك ، ولبست ثياباً ألين من ثوبك ؟ قال : سأخصمك إلى نفسك ، فذكر أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما كان يلقى من شدة العيش ، فلم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما كان يلقى من شدة العيش ، فلم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكانت معه حتى أبكاها " (خبر صحيح أخرجه ابن المبارك في الزهد ٢٠١) .

- اعتزلهن النبي – صلى الله عليه وسلم – شهرا كاملا حتى تهامس المسلمون أنه طلق أزواجه ثم جاء الاختبار الصعب من الله عز وجل بين العيش مع رسول الله على هذه الحال وبين تطليقهن وتسريحهن .

- فما كان منهن – رضي الله عنهن – إلا أن اخترن العيش مع النبي – صلى الله عليه وسلم – مع خشونة العيش وقلة حظهن من متاع الدنيا ابتغاء ما عند الله وحب لله ولرسوله .

- ثم جاء الاختبار الثاني :

- وليس بأقل مما سبق ، وهو أنه إذا ارتكبت إحداهن ذنبا أو إثما فإن عقابها مضاعف ، وإن آمنّ واتقين الله ورسوله وخشعن لله تعالى وخضعن لرسوله فإن الله يؤتيهن أجرهن مضاعفاً .

- قال تعالى { يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما } .

- فما كان منهن إلا التسليم والإقرار بذلك .

===================

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

للشيخ عبد المحسن العباد

المدرس في الجامعة

الحمد لله حمداً كثيراً طيبا مبارك فيه كما يحب ربنا ويرضى، نحمده سبحانه ولا نحصي ثناء عليه أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فارتضى له الإسلام دينا، وجعل القرآن له خلقا، أمتن عليه بالصفات الفاضلة، ثم أثنى عليه قائلا: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.ونشهد أن لا إ له إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر وبيده الخير وهو على كل شيء قدير، يعطي من يشاء بفضله ويمنع من يشاء بعدله، قسم بينهم أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم فجعل نصيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

من الرزق كفافا ومن الأخلاق أكملها وأحسنها وأوفاها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشـــاء والله ذو الفضل العظيم.

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه بعثه الله إلى أهل المعمورة ليجدد به صلة السماء بالأرض، فأنزل عليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتـــاب ومهيمنـــا عليه، ختم به الرسل وختم بكتابه الكتب وجعله معجزته الخالدة، فهدى النـــاس بـــه إلى الصراط المستقيم وحذرهم السبل التي تنتهي بهم إلى الجحيم، وأخرجهم به من الظلمـــات إلى النور، ومن وحشة القلوب وتقلباتها في أنواع المعبودات إلى انسها وثباتها على عبـــادة فاطر السموات والأرض، قد أعظم الله عليه المنة وأتم به وعليه النعمة إذ بعثه ليتم مكارم الأخلاق. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصـــحابه الذين اختارهم الله لصحبته ونشر سنته، فجعلهم طليعة الخيار، وصفوة الأبرار، وعلى من سلك سبيلهم وسار على منوالهم مترسما خطاهم، مقتفيا آثارهم، عامر القلـــب بحبـــهم، رطب اللسان بذكرهم بالجميل اللائق بهم بالثناء عليهم بما هم أهله والدعاء لهم بما علمنا الله في قوله: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

أما بعد: فموضوع هذه المحاضرة موضوع حبيب إلى النفوس المؤمنة هو (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها) وكيف لا يكون حبيبا إلى النفوس الحديث عن أخلاق نبي بعثة الله رحمة للعالمين، نبي لا نكون مؤمنين حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا ووالدينا والناس أجمعين، نبي لا يؤمن أحدنا حتى يكون هواه تبعا لما جاء به صلى الله عليه وســـلم، نبي رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من ذكره عنده فلم يصل عليه صـــلى الله عليـــه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين. وهذا الموضوع العظيم الذي اخترته وآثرت الحديث فيه اعتذر مقدما عن تقصيري في توفيته حقه واعتقد أن توفيتـــه حقه على الحقيقة نادر إن لم يكن متعذرا لكن كما يقولون .. ما لا يدرك كثيرة لا يترك قليلة.

نعم إن جهد المقل أعرضه في هذه السوق التي أتاحت لي رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أن أساهم فيها، وأسأل الله العظيم رب كل شئ ومليكه أن يوفقنا جميعا للتـــأدب

بآداب هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وأن يحينا على دين الإسلام الذي ارتضاه لنا دينا حتى يتوفانا عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا به. وقبل الشروع في نفس الموضوع أرى أن أتحدث بين يديه إجمالا عن شدة الحاجة إلى بعثته صلى الله عليه وسلم، واختيار الله له واعتزاز المشركين على ذلك، والامتنان على الناس ببعثته، وضرب أمثلة للأمور والخصال التي حصلت بين يدي بعثته توطئة وتمهيدا لها.

شدة الحاجة إلى بعثته صلى الله عليه وسلم:

ما أكثر نعم الله على عباده وما أحوجهم دائما وأبداً إلى شكره سبحانه على هذه النعم التي أمتن عليهم بها في قوله: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا} وقوله: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} وأعظم نعمة أنعم بها على هذه الأمة أن بعث فيها رسولها الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ليرشد إلى كل نافع في الحاضر والمستقبل، ويحذر من كل ضار في العاجل والآجل، أرسله على حين فترة من الرسل، واند راس من الكتب في وقت انتشرت فيه الضلالة وعمت فيه الجهالة وبلغت البشرية منتهى الانحطاط في العقائد والعادات والأخلاق فانتشلهم به من هوة الضلالة ورفعهم إلى صرح العلم والهداية، فأزاح به عن النفوس تعلقها بغير خالقها وفاطرها سبحانه وتعالى، ووجهها إليه بقلبها وقالبها حتى لا يكون فيها محل لغيره سبحانه، بل تكون معمورة بحبة وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه تستسلم لأوامره، وترعوي عن زواجره ونواهيه. شيء من أمراض القلوب التي انتشرت قبيل بعثته صلى الله عليه وسلم، وكيف عالجها صلوات الله وسلامه عليه. خلق الله الإنسان مركبا من شيئين بدون وروح، وجعل لكل منهما ما يغذيه وينميه، وأرشد إلى طرق العلاج التي يعالج بها كل منهما عندما يطرأ عليه مرض أو سقم فقد أغدق نعمه على عباده وقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً}. أما الروح فقد استحكمت أمراضها قبل بعثته صلوات الله وسلامه عليه حتى كانت من قبيل الأموات فأحياها الله بما بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم من الهدى والنور: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا}. وأرشد سبحانه إلى أن شفاء أمراضها وجلاء أسقامها إنما هو بما أنزل الله على محمد صلى

الله عليه وسلم فقال سبحانه وتعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} وقال: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ}.

نعم لقد بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم في مجتمع انتشرت فيه الأمراض القلبية على اختلافها وتنوعها وأعظم هذه الأمراض على الإطلاق تعلق القلوب بغير الله وصرف خالص حقه سبحانه إلى غيره من مخلوقاته، فعالج صلى الله عليه وسلم هذا المرض الخطير والداء العضال باستئصاله وتطهير القلوب من أدرانه أولا، ثم شغلها وعمارتها بحب الله وخوفه ورجائه وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له لكونه سبحانه المتفرد بالخلق والإيجاد، فهو بحق المستحق لأن يعبد وحده لا يعبد معه غيره كائنا ما كان، وقد لقي صلوات الله وسلامه عليه من المشركين في هذا السبيل ألوانا مختلفة من الإيذاء، فصبر حتى ظفر بنصر الله وتأييده وكانت العاقبة له صلى الله عليه وسلم وأنصاره والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين والعاقبة للمتقين والعاقبة للتقوى، ولقي أيضا منهم ألوانا من المعارضة والتعنت أوضحها الله في كتابه العزيز في سورة الحجر والإسراء وغيرها من سور القرآن ومن ذلك ما ذكره الله عنهم في سورة ص {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا}. وقد حملهم على هذه المقالة الكبر والحسد، ومثل هذه المقالة التي حكاها الله عن كفار قريش ما ذكره الله سبحانه في سورة القمر عن قوم صالح بقوله: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} وأبرز الطرق التي عالج بها صلى الله عليه وسلم ذلك الداء الذي هو أعظم الأدواء على الإطلاق إلزام الكفار بأن يفردوا الله في العبادة لما كانوا معترفين بانفراده سبحانه بالربوبية، وأكتفي بالتمثيل لذلك بما ذكره الله سبحانه في سورة النمل من الآيات التي أوضحت تلك الطريقة غاية الإيضاح وذلك قوله سبحانه: {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. وبما ذكره الله سبحانه في سورة الحج من التصوير العجيب والتمثيل البليغ لعجز المعبودات التي أشركوها مع الله حيث قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ..}.

ومن الأمراض التي عالجها صلى الله عليه وسلم بحكمته الظلم والجور، وازدراء المساكين، والتفاخر بالأحساب والأنساب. فنشر فيهم العدل، وعمهم الاطمئنان والاستقرار، وصار مقياس الفضل بينهم تقوى الله بدلا من اعتبار ذلك بالحسب والنسب، وقد أعلنها صلى الله عليه وسلم صريحة في حجة الوداع في أعظم جمع شاهده عليه الصلاة والسلام حيث قال: "ألا لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، الناس لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله اتقاكم" أو كما قال. ولما بلغه صلى الله عليه وسلم شأن المخزومية التي سرقت أمر بقطع يدها فراجعه أسامه بن زيد فأنكر صلى الله عليه وسلم عليه ذلك وقال صلى الله عليه وسلم المقالة التي برهن بها عن مدى تحقيق العدالة: "و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". وقد أشار صلى الله عليه وسلم في جوابه لأسامة ابن زيد بأن العدول عن العدل سبب هلاك الأمم المتقدمة حيث قال: "إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.."

ولما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم حنين وأكثر العطاء للمؤلفة قلوبهم وجد الأنصار رضي الله عنهم في أنفسهم شيئا إذا لم يصبهم ما أصاب الناس، فأتى إليهم صلى الله عليه وسلم وقال: "ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم بي، وعالة فأغناكم الله بي" وقد ذكرهم الله سبحانه في كتابه العزيز بهذه النعمة وأنها من أعظم النعم عليهم فقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}. وقال سبحانه: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

هذه بعض الأمراض التي انتشرت قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، منّ الله سبحانه وتعالى على البشرية بإرسال رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لينقلها من ذل عبادة المخلوق إلى عز طاعة الخالق جل وعلا، ومن الظلم والجور وسفك الدماء إلى ساحة العدل والأمن والاطمئنان، من الفرقة والاختلاف إلى الاجتماع والائتلاف، من التعاون على الإثم والعدوان إلى التعاون على البر والتقوى، من الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الغش والخيانة إلى النصح والأمانة، من الجزع والهلع والاعتراض على قضاء الله إلى الصبر والثبات والرضى بما قدره الله وقضاه، وفي الجملة: من كل ضار عاجلا وآجلا إلى كل نافع في الحال والمآل. وقد أرشد الله سبحانه إلى شكره على ذلك بعبادته وحده لا شريك له في قوله سبحانه: {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}.

اختيار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم:

يقول الله سبحانه: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}. هذه الآية الكريمة تدل على أن الله سبحانه وتعالى منفرد بالخلق يقول للشيء الذي أراده كن فيكون، وتدل أيضا على أن تلك المخلوقات التي أوجدها من العدم لم يسوها أختار منها ما شاء وله الحكمة البالغة فخصه بالتفضيل، فقد اختار من أرضه مكة حرسها الله فجعلها مقر بيته الحرام من دخله كان آمنا وصرف قلوب الناس إليه وأوجب على المستطيع منهم حجة، وحرم صيده، وقطع شجره، وضاعف الأعمال الصالحة فيه، وحذر من الخروج عن طاعته سبحانه وأشار إلى عقوبة إرادة السوء في الحرم بقوله سبحانه: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}. ويلي ذلك مهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم هذه المدينة المباركة حرم رسول الله صلى عليه وسلم "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا

المسجد الحرام". واختار سبحانه من الشهور شهر رمضان ففضله على سائر الشهور، واختار منه ليلة القدر ففضلها على سائر الليالي، واختار من الأيام يوم عرفه فجعله أفضل الأيام، واختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة فجعله أفضلها، وأختار من الملائكة جبريل وإسرافيل وميكائيل فوكلهم بأسباب الحياة، واختار من البشر أنبياءه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ففضلهم على غيرهم وجعل أفضلهم أولي العزم منهم، واختار الخليلين إبراهيم ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما فجعلهما أفضلهم، وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخليلين، وأمته خير الأمم فهو عليه الصلاة والسلام إمام المتقين وسيد المرسلين وخليل رب العالمين وخاتم النبيين، أقام الله به الحجة على الثقلين الجن والإنس، وأول قبر ينشق عند النفخ في الصور قبره، ولا يدخل الجنة أحد قبله، واختصه سبحانه بالمقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون وهو الشفاعة العظمى في فصل القضاء التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل كل واحد يقول نفسي نفسي أذهبوا إلى غيري حتى تنتهي إليه صلوات الله وسلامه عليه فيقول: "أنا لها" ثم يشفع فيشفعه الله وصدق الله العظيم حيث يقول: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. وقد أشار سبحانه في كتابة العزيز إلى اختياره من يشاء بقوله سبحانه: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}. وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله اصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" فهو صلى الله عليه وسلم بنص هذا الحديث الشريف خلاصة خلاصة خلاصة باعتبار شرف النسب كما كان خلاصة باعتبار الفضل وعلو المترلة عند الله.

اعتراض المشركين على اختيار الله له صلى الله عليه وسلم

ولما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ليهديهم به إلى الصراط المستقيم قابله المشركون بما يستطيعونه من الأذى والمناوأة وتأليب الناس عليه وتحذيرهم منه، فوصفوه بأشنع الأوصاف فقالوا: "أنه ساحر" وقالوا: "أخرى أنه كاهن" وقالوا: "مجنون" هذا وهم أعلم الناس بماضيه المشرق الوضاء، ولكن الذي حملهم على ذلك الكبر والحسد.

فقد أخبر الله عنهم في كتابه العزيز أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما جاءهم نذير مازا دهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. وقال سبحانه وتعالى مخبرا عنهم: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}. إلى أن قال مشيرا إلى حسدهم له صلوات الله وسلامه عليه: {أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا}. وقال سبحانه وتعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ}. ثم قال مخبرا عن اعتراضهم على الله في اختياره لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: {وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}. فأنكر عليهم ذلك وبين أن الأمر أمره، والخلق خلقه، والفضل فضله يؤتيه من يشاء فهو أعلم حيث يجعل رسالته فقال سبحانه: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً}. ونظير هذا قوله سبحانه: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}. وقال سبحانه: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ – إلى أن قال– قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ}. وقال: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} وقد روى الحاكم بسند على شرط الشيخين أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به" فأنزل الله {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}. وروي أن الأخنس بن شريق دخل على أبي جهل فقال: "يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا" فقال أبو جهل: "ويحك والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي بالسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش"، وقال: "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يترل عليه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به ولا نصدقه". وهكذا يبلغ الكبر والحسد

بهؤلاء القوم الذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، حملهم ذلك على تجاهل الحقيقة وإبداء خلاف المستقر في القلوب، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم متبعين في ذلك إمامهم في الضلال والحسد إبليس اللعين حيث فسق عن أمر ربه له بالسجود لآدم كبرا وحسدا استنادا منه لعنة الله على أنه أفضل منه على زعمه، لكونه خلق من نار وآدم عليه الصلاة والسلام خلق من طين..

امتنان الله سبحانه على الثقلين برسالته صلى الله عليه وسلم

من رحمة الله سبحانه بعباده أن أرسل فيهم رسله يبشرون وينذرون كلما ذهب نبي خلفه نبي حتى ختمهم نبي الرحمة محمدا صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك يقول سبحانه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَة}. ولقد اختار منهم سيدهم وإمامهم فجعله خاتم النبيين واختصه بخصائص ومزايا لم يشاركه فيها أحد منهم، كما اختص أمته بخصائص ليست لغيرهم من الأمم السالفة، ومن تلك المزايا التي أمتاز بها على غيره من المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أن بعثه إلى الأسود والأحمر بل إلى الجن والإنس جميعا كما قال الله سبحانه عن الجن الذين استمعوا لقراءته صلى الله عليه وسلم ثم ولوا إلى قومهم منذرين: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}. وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي -فذكر من بينها- وكان النبي يبعث إلى قومه خاص وبعثت إلى الناس عامة". وفي ذلك يقول سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً} ويقول: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}. وقد أوضح ذلك صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحة حيث قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار.." قال سعيد بن جبير رحمه الله مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل قال الله سبحانه: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ}. ولا شك أن أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض هي إرسال هذا النبي الكريم الذي أكمل الله به

الدين وجعله حجة على الناس أجمعين. وقد أخبر الله في كتابه العزيز عن إبراهيم بأدعيـــة من بينها: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَـــةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.وقد أجاب الله دعائه فبعث في الأمين وفي غيرهـــم محمدا صلى الله عليه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وتلك النعمة العظمى والمنة الجسيمة نوه الله بها في معرض الثناء على نفسه سبحانه في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـــمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. ومنها قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُـــزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}. ومنها قولـــه: {كَمَـــا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُـــمُ الْكِتَـــابَ وَالْحِكْمَـــةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ}. ومنـــها قوله سبحانه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِـــتُّمْ حَـــرِيصٌ عَلَـــيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}. وإنما كان إرساله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أعظـــم منـــة أمتن بها على عباده لأن في ذلك تخليص من وفقه الله وهداه منهم من العذاب الســـرمدي بسبب الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والابتعاد عن الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}. وقـــال: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.

التمهيد لبعثته صلى الله عليه وسلم

ومن حكمة الله وفضله أن هيأ لنبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثـــه جميـــع أســـباب الشرف والرفعة وعلو المترلة، ووفر فيه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعبـــاء الرســـالة العظمى التي اصطفاه واختاره لها صلوات الله وسلامه عليه، وفيما يلي أذكر على ســـبيل المثال بعض تلك الأسباب والخصال وأبين كيف كانت توطئة وتقدمة لبعثته صلى الله عليه وسلم:

أولا: أن الله سبحانه جعله عريق النسب، كريم المنبت، اصطفاه من أشرف قبائل العرب قبيلة قريش التي شهد لها غيرها بالسيادة والقيادة، وهذه سنة الله في رسله كما جاء ذلك في سؤال هرقل ملك الروم لأبي سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف نسبه فيكم" قال أبو سفيان: "هو فينا ذو نسب" ثم قال هرقل عند ذلك: "الرسل تبعث في نسب قومها" وإنما كانت هذه سنة الله في رسله ليسد على أعدائهم باب القدح فيهم والتنقيص لهم، فلا يجد أعداؤهم سبيلا إلى إلصاق العيوب بهم.

ثانيا: أنه صلى الله عليه وسلم نشأ فقيرا يتيما في كفالة جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب وذلك من أسباب التواضع والتحلي بالصفات الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة كالكبر والظلم وغير ذلك، وقد ذكر الله ذلك منوها بتفضله على نبيه صلى الله عليه وسلم بإيوائه وإغنائه وهدايته حيث قال سبحانه: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى}. ثم أرشده إلى شكر هذه النعمة بأن يعطف على اليتامى والمساكين ويتحدث بنعمة الله عليه قال: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}. وهذه تربية إلهية لنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ذكرها الله في كتابه العزيز تنبيها لعباده المؤمنين بأن يحملوا أنفسهم على تلك الصفات الحميدة وغيرها شكرا لله سبحانه على توفيقه لهم بالهداية بعد الضلالة، والغنى بعد الفقر، وغير ذلك من نعمه عليهم، والمعنى لا تقهر ولا تنهر الفقير فقد كنت فقيرا تكره أن تنهر، ولا شك أن تذكير الإنسان بنعمة الله عليه من أقوى الأسباب في الإقدام على الخير والأحجام عن الشر لمن وفقه الله..

ثالثا: إن الله سبحانه وتعالى نشأه نشأة صالحة، وأنبته نباتا حسنا متحليا بكل خلق كريم بعيدا عن كل وصف ذميم، شهد له بذلك موالوه ومعادوه، ولكن من لم يشأ الله هدايته تعامى عن هذا كله وأظهر خلاف ما يبطنه كبرا وحسدا، وفي توفيق الله لنبيه صلى الله عليه وسلم للاتصاف بالصفات النبيلة والسلامة من الأخلاق الرذيلة قطع لألسنة أعدائه وإسكات لهم عن أن يعيروه بأدنى عيب، أو يصفوه بشيء من النقص، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يغدر قال: "لا" ولم يستطع

مع شدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت أن يقول أكثر من قوله بعد نفي الغدر عنه: "ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها" قال: "ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة". وقد تحرز من الكذب خوفا من ملك الروم فأعداؤه صلى الله عليه وسلم لا يستطيعون وصفه حقيقة بوصف معيب، أما الكذب والافتراء عليه صلى الله عليه وسلم فقد قالوا عنه: "أنه ساحر" وقالوا عنه: "شاعر" وقالوا عنه: "أنه كاهن" وغير ذلك، وقد صانه الله سبحانه من ذلك الذي الصقوه به ومن كل عيب، وأنكر على المشركين افتراءهم وكذهم عليه وأخبر بأنه من ذلك براء فقال سبحانه: {فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. وقال: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ}. وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً}.

رابعا: أنه صلى الله عليه وسلم نشأ أميا بين أميين لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء من الله بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وفي نشأته صلى الله عليه وسلم على هذه الصفة قطع للطريق التي ينفذ منها الكفار إلى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.. فيما جاء به عن الله وأنه من أساطير الأولين قرأها أو كتبها لو كان كذلك، وقد أوضح الله ذلك بقوله: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ}. ثم أشار إلى حصول الريبة من أعدائه لو كان قارئا كاتبا بقوله: {إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}. وتلك الطريق التي قطعت عليهم بجعله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب سلكوها كذبا وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم التام ببعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا إنما يعلمه بشر ويأبى الله إلا إن يتم نوره ويظهر دينه فيجيبهم بأن لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا الذي جاءهم به لسان عربي مبين. ولهذا نجد الله سبحانه وتعالى عند إنكاره على قومه صلى الله عليه وسلم ما يقومون به من المعارضة والمناوأة له صلى الله عليه وسلم يلفت أنظارهم إلى ماضيه المشرق الوضاء، ويذكرهم بعلمهم ومعرفتهم التامة

لحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه فيقول سبحانه: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} ويقول: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}. ثم إنه تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأنه ليس له إلا التبليغ عن الله، وأنه لو شاء الله ما حصلت منه صلى الله عليه وسلم تلاوة ولا حصل لهم علم بذلك فقال: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ}. ثم ذكرهم بماضيه قبل إنزال القرآن عليه وما اتصفت به من جميل الصفات، وأنه قد بقي فيهم قبل أن يبعثه الله أربعين سنة ملازما لأسباب الرفعة بعيدا عن أسباب الضعة والهوان فقال: {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ}. أنكر عليهم وصفهم له بالكذب والافتراء مع أنهم أعلم الناس به، وأن ذلك مخالف للفطر والعقول السليمة فقال: {أَفَلا تَعْقِلُونَ}. ثم أخبر بأنه لا أحد أشد ظلما وأكبر جريمة من أثنين المفتري على الله والمكذب بما جاء عن الله فقال: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ..}.

خامسا: ومن الأمور التي حصلت بين يدي بعثته صلى الله عليه وسلم توطئة وتمهيدا لها الرؤيا الصالحة في النوم؛ فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره.

سادسا: أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم بمكة وفي ذلك تمهيد وتهيئة لإرساله إلى الناس كافة ليرشدهم إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وتحذيرهم مما يعود عليهم بالأضرار العاجلة والآجلة، وإنما كان رعية الغنم بمكة توطئة وتقدمة لبعثته صلى الله عليه وسلم لأن هذا العمل مدعاة إلى التحلي بجميل الصفات كالتواضع والسكينة والوقار مع مافيه من اشتغال الراعي بالرعية وبذله الأسباب التي تؤدي إلى سلامتها وقوتها فيعتني بها ويرتاد لها المراعي الخصبة ويبتعد بها عن الأراضي المجدبة، ويحميها من الذئاب، ويسلك بها الطرق السهلة ويحيد بها عن السبل ذات الشدة والوعورة، وهذه سنة الله في رسله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامة عليه ولله الحكمة البالغة في ذلك، فمزاولة مثل هذا العمل فيه ترويض للنفس وتهيئة لها للقيام بأعباء الرسالة، فهو بلا شك درس

عملي لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم يكسبهم مرونة وخبرة لينتقلوا من تربية الحيوان إلى تربية بني الإنسان..

أخلاقه صلى الله عليه وسلم

تعريف الخلق:

الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية قاله ابن الأثير في غريب الحديث: "وفي الاصطلاح يطلق إطلاقين أحدهما أعم من الثاني فيطلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، ويطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلا وتركا، ومن الأول قوله صلى الله عليه وسلم: لأشج عبد القيس: "إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة قال يا رسول الله أخلقين – تخلقت بهما أم جبلت عليهما قال "بل جبلت عليهما" قال: "الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله" ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم: "البر حسن الخلق" وقول عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} كان خلقه القرآن.

هذا تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح. ننتقل بعده إلى الحديث عن أخلاقه الفاضلة وسجاياه الحميدة في جميع مراحل حياته صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا أجتمع فيه من أوصاف المدح والثناء ما تفرق في غيره، قد صانه الله سبحانه وحفظه من أدنى وصف يعاب صاحبه كل ذلك حصل له من ربه فضلا ومنه قطعا لألسنة أعدائه الذين يتربصون به ويقفون في طريق دعوته مؤذين له محذرين منه أحب شيء إليهم تحصيل شيء يعيبونه به وأنى لهم ذلك.

فقد نشأ صلى الله عليه وسلم في أول أمره إلى آخرة لحظة من لحظاته متحليا بكل خلق كريم، مبتعدا عن كل وصف ذميم، فهو أعلم الناس وأنصحهم وأفصحهم لسانا، وأقواهم بيانا، وأكثرهم حياء، يضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف. أدبه الله فأحسن تأديبه فكان أرجح الناس عقلا، وأكثرهم أدبا، وأوفرهم حلما، وأكملهم قوة وشجاعة وشفقة، وأكرمهم نفسا، وأعلاهم مترلة، وبالجملة كل خلق محمود يليق بالإنسان فله صلى الله عليه وسلم منه القسط الأكبر والحظ الأوفر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه وأبعدهم عنه شهد له بذلك العدو والصديق.

وفيما يلي أورد بعض الشهادات التي شهد له بها الموالون له والمعادون الدالة دلالة بينة على تمسكه بالأخلاق الحسنة قبل أن يبعثه الله تعالى وذلك معلوم من الدين بالضرورة:

١- شهادة خديجة رضي الله عنها:

لما أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في غار حراء لأول مرة ورجع إلى خديجة أخبرها الخبر وقال: "لقد خشيت على نفسي". فقالت له رضي الله عنها: "كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق".رواه البخاري.

٢- شهادة كفار قريش عند بنائهم الكعبة:

ولما قامت قريش ببناء الكعبة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تنازعوا في رفع الحجر الأسود إلى مكانه، واتفقوا على تحكيم أول من يدخل عليهم الباب، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا جميعا وقالوا جاء الأمين جاء محمد. وقد كانوا يلقبونه بلقب الأمين لما يعلمونه من أمانته صلوات الله وسلامه عليه...

٣- شهادة كفار قريش بصدقه صلى الله عليه وسلم:

ثبت في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي" قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال: أبو لهب: "تبا لك ألهذا جمعتنا.."

٤- شهادة أبي جهل بصدقه صلى الله عليه وسلم:

تقديم الحديث الذي رواه الحاكم بسند على شرط الشيخين أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لا نكذبك لكن نكذب ما جئت به". فأنزل الله {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}.

ولما قال له الأخنس بن شريق: "يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟" فقال: "ويحك والله إن محمدا صادق وما كذب محمد قط" الخ..

٥- شهادة أبي سفيان بين يدي هرقل ملك الروم بصدق رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم:

ووفائه:

فقد روى البخاري في صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا ذهبوا إلى الشام لأجل التجارة في المـدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادا فيها أبا سفيان وكفار قريش .فأتوه بإيليـا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: "أيكم أقرب نسـبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي" فقال: "أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسبا" فقال: "أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: لترجمانه قل لهم أني سائل عن هذا الرجـل فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: "كيف نسبه فيكم" قلت: "هو فينا ذو نسب" قال: "فهل قال هذا القول أحد منكم قط قبله" قلت: "لا" قال: "فهل كان من آبائه من ملـك" قلـت: "لا" قال: "فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفائهم" فقلت: "بل ضعفاؤهم" قـال: "أيزيـدون أم ينقصون" قلت: "بل يزيدون" قال: "فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه" قلت: "لا" قال: "فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال" قلت: "لا" قال: "فهل يغدر" قلت: "لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: و لم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة" قال: "فهل قاتلتموه" قلت: "نعم" قال: "فكيف كان قتـالكم إياه" قلت: "الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه" قال: "بماذا يـأمركم" قلـت: "يقول أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصـلاة والصدق والعفاف والصلة" فقال: "للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذالك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القـول قبله قط؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقـول قيل قبله، وسألتك هل كان في آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول مـا قال؟ فذكرت أن لا، قلت لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسـألتك

أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهـــم إتبـــاع الرســـل وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون

وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يـــدخل فيـــه؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بماذا يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفـــاف. فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكـــن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إليه مع دحية بـــن خليفـــة الكلبي – فقرأه قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتـــاب كثـــر عنـــده الصخب وارتفعت الأصوات فأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمـــر ابـــن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقنا أنه سيظهر حـــتى أدخـــل الله علـــى الإسلام..

ففي هذه القضية آيات بينان ودلالات واضحات على نبوته صلى الله عليه وســـلم وأنـــه صلى الله عليه وسلم صادق فيما جاء به ومحل الشاهد من القصة شهادة أبي سفيان بـــن حرب وهو من أشد أعدائه في ذلك الوقت على – اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله بالصدق وأنهم لا يتهمونه بالكذب وبالوفاء وأنه لا يغدر.

٦- شهادة السائب المخزومي له صلى الله عليه وسلم بحسن المعاملة والرفق قبل النبوة:

روى أبو داود وغيره أن السائب المخزومي كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم قبـــل البعثة فجاء يوم الفتح فقال: "مرحبا بأخي وشريكي لا تداري ولا تماري، وفي لفظ أنـــه قال للنبي صلى الله عليه وسلم كنت شريكي في الجاهلية فكنت خير شريك لا تداريني ولا تماريني، وفي لفظ شريكي ونعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري".

٧- شهادة عبد الله بن سلام رضي الله عنه بصدقه صلى الله عليه وسلم:

روى أحمد وأصحاب السنن عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: "لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كنت ممن أنجفل فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول: "أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ".

٨- شهادة مكرز بن حفص بن الأحنف له صلى الله عليه وسلم بالوفاء في جميع مراحل حياته:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية قد أبرم صلحا بينه وبين قريش على أن يرجع ويعتمر من العام المقبل، ومن الشروط التي اشترطتها قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة بسلاح الراكب فقط (السيوف مغمدة) فلما قدم صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء استعد بالخيل والسلاح لا ليدخل بها الحرم وإنما لتكون في متناول يده لو نكثت قريش، وعندما قرب صلى الله عليه وسلم من الحرم بعث بها إلى يأجح. وكان خبر ذلك السلاح قد بلغ قريشا فبعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: "يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر". فقال صلى الله عليه وسلم: "وقد بعثنا به إلى يأجح" فقال مكرز: "بهذا عرفناك بالبر والوفاء".

(أخلاقه صلى الله عليه وسلم في القرآن)

تفضل الله تعالى على خليله محمد صلى الله عليه وسلم بتوفيقه للاتصاف بمكارم الأخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ثم أثنى عليه ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز أقتصر على إيراد بعضها من ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عما كان عليه المصطفى من أخلاق فاضلة ووصف خلقه صلى الله عليه وسلم بأنه عظيم، وأكد ذلك بثلاثة أشياء بالأقسام عليه بالقلم وما يسطرون، وتصديره بأن، وإدخال اللام على الخبر، وكلها من أدوات تأكيد الكلام، وذلك الخلق العظيم الذي كان صلى الله عليه وسلم ورد تفسيره عن السلف الصالح بعبارات متقاربة، ففسره ابن عباس رضي الله عنه

بأن الدين العظيم وهو دين الإسلام وبهذا التفسير فسره أيضا مجاهد والسدي والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم، وفسره الحسن بأنه آداب القرآن، وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنه أنها سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت: "كان خلقه القرآن" ومعنى ذلك أن امتثال ماأمره الله به واجتناب ما نهاه عنه في القرآن وصار له خلقا وسجيه، وقد أشارت عائشة رضي الله عنها إلى ما يوضح هذا المعنى في حديث آخر متفق على صحته وهو أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لي يتأول القرآن" أي كان يدعوا بهذا الدعاء امتثالا لما أمره الله به في سورة النصر في قوله:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْه..}.

وقد نوه سبحانه بما جبل نبيه عليه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم في دينهم وأخراهم، والتألم من كل ما يشق عليهم بقوله سبحانه ممتنا على المؤمنين بإرساله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} وقال: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ والأغلال }، وقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}.وأشار سبحانه إلى ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من اللطف والرفق بأمته بقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك}.

أما ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من النصح والأمانة والقيام بأداء الرسالة على الوجه الذي أراده الله فقد ذكره سبحانه

بقوله: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}. ويقول تعالى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} وفيها قراءتان -بالظاء - والمراد به المتهم، وبالضاد والمراد به البخيل، وكلا هذين منفي عنه صلى الله عليه وسلم فليس هو - متهم بكتمان ما أرسله الله به وليس ببخيل بما أنزل الله عليه بل يبذله لكل أحد-.

أخلاقه صلى الله عليه وسلم في سننه وأقوال صحابته رضي الله عنهم:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله بالرسالة العظمى في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة صدقا وأمانة وكرما وحلما وشجاعة وعفة وقناعة وغير ذلك من الصفات التي يحظى بالإجلال والإكبار من حصل على واحدة منها فضلا عمن جمعت له وتوفرت فيه.
ولما بعثه الله سبحانه بالنور والهدى إلى الثقلين الجن والإنس زاده الله قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته حتى بلغ الحد الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه إنسان مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق" وقد نوه الله سبحانه بتفضله وامتنانه على نبيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة كقوله تعالى: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} وقوله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}. وقوله: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً}.
وقد اختار سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم أصحابا هم خير هذه الأمة المحمدية التي هي خير الأمم، وقفوا حياهم في سبيل تبليغ دعوته وحفظ سنته تحقيقا لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ورثوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الحق ورثوه لمن جاء بعدهم حتى هيأ الله له رجالا قاموا بتدوينه منهم بل على رأسهم الإمامان الجليلان البخاري ومسلم وغيريهما من المحدثين فقد أفنوا أعمارهم جزاهم الله خيرا الجزاء في تقييد تلك الدور الثمينة التي ورثوها عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة السلاسل الذهبية المتصلة بأمثال مالك ونافع وشعبة وأحمد وعلي بن المديني وغيرهم من خيار هذه الأمة وهذه الدرر الثمينة التي توارثوها ونعم الإرث هي تشمل أقواله صلى الله

عليه سلم وأفعاله وتقريرا ته وبيان خلقه وأخلاقه ولهذا يعرف المحدثون الحديث بأنه ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي.

ولقد اعتنى هؤلاء الورثة الكرام بتدوين ما جاءهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم على سبيل العموم، وبما يتعلق بأخلاقه ومزاياه على سبيل الخصوص، فمنهم من أفرد ذلك بالتأليف، ومنهم من عقد له أبوابا خاصة ضمن المؤلفات العامة أورد فيها ما يتصل بخوفه صلى الله عليه وسلم ورجائه وخشيته لربه، وجوده وكرمه وإيثاره وحياته ووفائه وصدقة وأمانته وإخلاصه وشكره وصبره وحلمه وكثرة احتماله، ورفقه بأمته وحرصه على التيسير عليها، وعفوه وشجاعته وتواضعه وعدله وزهده وقناعته، وصلته لرحمه، وكثرة تبسمه، وعفته وغيرته، إلى غير ذلك من آحاد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

تفصيل القول في أخلاقه صلى الله عليه وسلم:

وهذه الأخلاق التي أشرنا على بعض آحادها يحتاج تفصيلها وبسط القول فيها إلى عدة محاضرات. أما المحاضرة الواحدة فلا تكفي إلا للإشارة على بعض تلك الأخلاق والمزايا الحميدة التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، فأجدني مضطرا إلى الاقتضاب والإيجاز حسب الإمكان..

١-جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم:

وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه في خلق الجود والكرم مبلغا لم يبلغه غيره، ووصل فيه إلى الغاية التي ينتهي عندها الكمال الإنساني. ومن توفيق الله له صلى الله عليه وسلم أن جعل جوده يتضاعف في الأزمنة الفاضلة يقول ابن عباس رضي الله عنه في الحديث الصحيح: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة". جاد بنفسه في سبيل الله فكسرت رباعيته وشج وجهه وسال الدم منه صلوات الله وسلامه عليه. والجود بالنفس أقصى غاية الجود؛ وجاد بجاهه ومن أمثلة ذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم لمغيث زوج بريرة رضي الله عنهما لما عتقت واختارت فراقه أشار عليها أن تبقى في عصمته رحمة منه صلى الله عليه وسلم بزوجها مغيث. وأخص الأمثلة في ذلك ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من شفاعته في أهل الموقف

التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل فتنتهي إليه فيقول أنا لها صلى الله عليه وسلم وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لكل نبي دعوة مستجابة قد دعا بها فاستجيب له، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة" وجاد صلى الله عليه وسلم بما أعطاه الله من المال فما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا من الدنيا قط فقال لا ولقد جاءت إليه صلى الله عليه وسلم امرأة ببردة منسوجة فقالت نسجتها بيدي لأكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ولبسها فقل رجل من الصحابة: "أكسينها يا رسول الله". فقال صلى الله عليه وسلم: "نعم"

فدخل مترله فطواها وبعث بها إليه فقال له بعض الصحابة: "ما أحسنت، لبسها رسول الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلا". فقال: "إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني" قال سهل بن سعد رضي الله عنه: "فكانت كفنه"، هذا مثل من أمثال اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم فهل بعد هذا كرم يصدر من مخلوق؟ وهل وراء هذا الإيثار إيثار؟. ولقد وصف الله الأنصار في كتابه العزيز بصفة الإيثار في قوله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}. وهذه الصفة الكريمة التي اتصفوا بها أسوتهم فيها وفي غيرها من مكارم الأخلاق سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. ولما رجع من حنين التف حوله الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا ..".

وجوده صلى الله عليه وسلم في العطاء لبعض الناس إنما هو لتأليفهم على الإسلام، فكثيرا ما كان يخص حديثي العهد بالإسلام بوافر العطاء دون من تمكن الإيمان في نفوسهم. ففي غزوة حنين أعطى أكابر قريش المئات من الإبل ومنهم صفوان بن أمية فقد روى مسلم في صحيحة أنه قال: "لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه من أحب الناس إلي"، وروى أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: "ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي

عطاء من لا يخشى الفقر". وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها، أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل تلك الغنم الكثيرة التي لكثرتها ملأت ما بين جبلين وماذا كانت نتيجة هذا الإعطاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لقد كانت حصول الغرض الذي من أجله أعطاه وهي أنه أصبح داعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد كان بدافع من نفسه رسولا لرسول الله إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذل المال في سبيل نصرة الإسلام والدعوة إليه والترغيب فيه، ينفق مال الله الذي آتاه في سبيل الله حتى توفاه الله ودرعه مرهونة في دين عليه صلوات الله وسلامه عليه.

======================

توجيهه وتربيته وتعليمه لأصحابه

وعلى الرغم من انشغال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ومجالدة الشرك وأهله، إلا أنه كان دائماً مع أصحابه مخالطاً ومعايشاً ومُرَبِّياً وموجِّهًا، ومعلِّماً لهم على اختلاف أحوالهم وأعمارهم، ولا يترك موطناً من مواطن الزلل أو جانباً من جوانب الخطأ إلا وأصلحه وبينه، ولا موطناً من مواطن الخير إلا حثّهم عليه ورغبهم فيه.

فكان يؤاكل أصحابه فربما حضر الطعام معه الأعرابي حديث عهد بالإسلام، أو الغلام والجارية ممن لا يعرف آداب الطعام والشراب فيأخذ صلى الله عليه وسلم بأيديهم ويعلّمهم ويربِّيهم.

روى أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: ((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأُتِيَ بِطَعَامٍ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُطْرَدُ فَذَهَبَ يَتَنَاوَلُ فَأَخَذَ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ وَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُطْرَدُ فَأَهْوَتْ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ الشَّيْطَانَ لَمَّا أَعْيَيْتُمُوهُ جَاءَ بِالْأَعْرَابِيِّ وَالْجَارِيَةِ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ إِذَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، بِسْمِ اللَّهِ كُلُوا)).

وروى البخاري ومسلم عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: ((كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ)).

وكان يبرز للناس كلِّهم ويبايع الوفود بنفسه ولا ينيب عنه أحداً من أصحابه، ولا يكتفي برئيس الوفد بل يبايعهم واحداً واحداً، وأحياناً يجيء الرهط من الناس ليبايعوه على الإسلام فيرى في أحدهم مظهراً من مظاهر الشرك من بقايا الجاهلية فيأبى أن يبايعه حتى يزيله.

روى الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا قَالَ: إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ وَقَالَ: مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ)).

وقد أخذ بهذا المنهج صحابته الكرام رضي الله عنهم

فقد روى أحمد عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: ((كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنَ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ قَالَتْ: قُلْتُ خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا)).

وكان صلى الله عليه وسلم يداعب أصحابه ويلاعب أطفالهم

روى مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيمًا قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَآهُ قَالَ: أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ)).

أما خدمه ومواليه فلم يكن يكلّفهم من العمل ما لا يطيقون، ولم يبكتهم يوماً ما أو ينهرهم فضلاً من أن يضربهم، بل إنهم لم يسمعوا منه مجرّد التأفّف عليهم.

ففي صحيح مسلم قَالَ أَنَسٌ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا)).

وربما قام صلى الله عليه وسلم بالتعليم وهو على حمار مردفاً لأحد أصحابه وذلك بتكرار النداء وفي هذا إثارة انتباه السامع.

يقول معاذ بن جبل: ((كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعةً، فقال: يامعاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعةً فقال: يامعاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا))(١)

وقد اختار صلى الله عليه وسلم معاذاً لينوب عنه في دعوة أهل اليمن ورسم لــه منهج الدعوة وبماذا يبدأ به الناس فقال له: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ

بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))(٢)

وكان صحابته يرجعون إليه في كل شيء حتى في مخالفات الأطفال، فيتعامل معها صلى الله عليه وسلم بأسلوب تربوي عظيم بما يتناسب مع سنّ الصغير ومرحلة الطفولة.

روى أبو داود عن أَبِي رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ قَالَ: ((كُنْتُ غُلامًا أَرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأُتِيَ بِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا غُلامُ لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ قَالَ: آكُلُ قَالَ: فَلا تَرْمِ النَّخْلَ وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسْفَلِهَا ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ)).

وفي رواية للترمذي قال: ((أشبعك الله وأرواك)).

يصف الصحابة رضوان الله عليهم مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جميع حياتهم حضرها وسفرها، وتفقده لأحوالهم الخاصّة والعامّة، فيقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: ((إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْزُو مَعَنَا وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ))(٣)

وقد اختار صلى الله عليه وسلم من أساليب التعليم أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدّ تثبيتًا في نفسه، وأكثرها إيضاحاً: فتارةً يؤكّد لهم التعليم بالقسم، وتارةً بالتكرار، وأخرى بالنداء، وأحياناً بإبهام الشيء لحمل السامع على استكشافه والسؤال عنه كما في حديث أبي هريرة عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ))(٤)

وأحياناً يعلّمهم بأسلوب الشرح والبيان والتوضيح، وترتيب النتائج على مقدماتها كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ))(٥)

وأحياناً يأتي تعليمه بالمناسبات العارضة كما في قصّة الرجل الذي حلف بغير الله، كما روى سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ((أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لاَ وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لاَ

يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)). قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وروى الإمام أحمد عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ: ((سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً يَقُولُ: وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ: لاَ تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ)).

وأحياناً يأتيه الأعرابي الجافي فيغلظ للرسول الله صلى الله عليه وسلم القول، وربما يستطيل بيده على طبيعة الأعراب من العنف والجفاء، فيبتسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجيبه إلى طلبه بحسن خلق وسموّ معاملة.

روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)).

وفي رواية لمسلم: ((ثُمَّ جَبَذَهُ إِلَيْهِ جَبْذَةً رَجَعَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي نَحْرِ الْأَعْرَابِيِّ)). وَفِي حَدِيثِ هَمَّامٍ: ((فَجَاذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ الْبُرْدُ وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)).

ولكنّه، لما رأى رجلاً لبس سواراً من نحاس يقي به مرضاً يأخذ في العضد، غضب عليه وزجره ونهره.

فعن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: ((أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا هَذِهِ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا))(٦)

فهناك لم يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، أمّا هنا ولـمّا رأى مظهراً من مظاهر الشرك غضب لله عز وجل، حيث أنه صلى الله عليه وسلم بعث بتكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيّات والتعلّق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات،

والجدّ في الأمور النافعة المرقّية للعقول، المزكّية للنفوس، المُصْلِحَة للأحوال كلــها دينــها ودنياها(٧)

وربما لحقه الأطفال فأركبهم معه على بغلته.

فعن إِيَاسٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالْحَسَنِ وَالْحُسَــيْنِ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَذَا قُدَّامَهُ وَهَذَا خَلْفَهُ))(٨)

بل ربما نزل وترك الخطبة من المنبر وحمل الأطفال ثم أتمّ خطبته

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَال: ((سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَنَزَلَ رَسُــولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْــبِرْ حَتَّــى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا))(٩)

وإذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكر انتدب له رجلاً من صاحبته؛ ليقوم بإزالته، فقد روى لنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثــه بمهمّة وهي تسوية القبور بالأرض وعدم رفعها، وطمس التماثيل والصور.

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: ((قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلا طَمَسْــتَهُ وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ))، وفي رواية قَالَ: ((وَلا صُورَةً إِلا طَمَسْتَهَا)).

و لم يكن رسول الله يخصّ أحداً من أقاربه بعلم دون الناس.

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: ((سُئِلَ عَلِيٌّ أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشَيْءٍ لَمْ يَعُمَّ بِــهِ النَّــاسَ كَافَّةً إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا قَالَ: فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّـهُ مَــنْ آوَى مُحْدِثًا)).

وكان يرسل البنيات الصغيرات لِيَلْعَبْنَ مع عائشة رضي الله عنها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))(١٠)

وكان صلى الله عليه وسلم لا ينفكّ عن التعليم والتوجيه في حال الصحة والمرض فقد كان بعض نسائه يقصصن عليه بعض القصص وهو في مرضه، لعلّ ذلك من أجل تسليته ففي البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ((لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ)).

فعلى الرغم من مرضه صلى الله عليه وسلم استدرك على نسائه وبيّن ضلال أولئك النصارى حيث اتخذوا المساجد على قبور الصالحين وصوّروا صوراً فيها.

وقد تعامل مع أخطاء الأعراب الجفاة بالحكمة والتأني مع الحلم والصبر عليهم والصفح عنهم، وحسن توجيههم وإرشادهم وتربيتهم، مع غاية الرحمة والرأفة بهم.

فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لا تُزْرِمُوهُ (أي لاتقطعوا عليه بولته) دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))(١١)

وكان لطيفاً رحيماً رقيقاً في معاملته لأصحابه وفي تعامله مع أخطائهم.

يصف لنا ذلك معاوية بن الحكم السلمي فيقول – كما في صحيح مسلم – عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: ((بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا

شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: فَلا تَأْتِهِمْ قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلا يَصُدَّنَّهُمْ، قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلا يَصُدَّنَّكُمْ، قَالَ: قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا قَالَ: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)).

وقد أكّد رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيه عن إتيان الكهان في موطن آخر فقال: ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم))(١٢)

وقد بلغ من رأفته ورحمته أن يصعد الصبيّ على ظهره وهو ساجد يصلي بالناس فيطيل السجود كراهة أن يعجّل الصبيّ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي إِحْدَى صَلاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّلاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى

إِلَيْكَ قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ))(١٣)

روى النسائي عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ رَفَعَهَا)).

بل إن رأفته ورحمته بالناس حملته على تخفيف الصلاة بسبب بكاء صبيّ مراعاةً لحال أمه.

عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنِّي لأدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَإِنِّي أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ لِوَجْدِ أُمِّهِ بِبُكَائِهِ))(١٤)

في السَّنَة التي مات بها ابن النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم

يقول الْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ: ((انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ)).

فبدّد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأوهام والخرافات المنتشرة في الجاهلية.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يملك عينيه من شدّة الرحمة

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عبد الرحمن بْنُ عَوْفٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))(١٥)

———————————

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه النسائي.

(٦) رواه أحمد وابن ماجة.

(٧) القول السديد ص ٣٧.

(٨) رواه مسلم.

(٩) رواه الترمذي وحسنه.

(١٠) رواه البخاري.

(١١) رواه البخاري ومسلم.

(١٢) رواه أحمد عن أبي هريرة.

(١٣) رواه النسائي.

(١٤) رواه ابن ماجة.

(١٥) رواه البخاري.

=================

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أحباب وأتباع هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم
قال تعالى :{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) }

جمعه وفهرسه وقدم له

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في الخامس من شهر شعبان لعام ١٤٢٧ هـ الموافق ٣٠ /٨/٢٠٠٦ م

الفهرس العام :

فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه وحقوقه (١)

مقدمة هامة

الباب الأول- الشمائل المحمدية

١.هذا النبي الذي سخروا منه..

قالوا فيه ما قالوا، والناس أعداء ما جهلوا.. ألا فليعرفوه، ولينظروا في أخلاقه، وأوصافه، فشفاء الجهل العلم (١).

د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه

أعظم رجل في التاريخ: محمد عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ومن حسن تقدير الله لهذه الأمة أن جعله رسولها، فلها الفخر بهذا الشرف.. ومن المؤسف:

- أن من الناس من لا يستشعر عظمته.
- ومنهم من لا يكترث بحقوقه الواجبة على الأمة، من: محبة، واتباع، وأدب.
- وقد أهمل تعليم الصغار صفاته الخُلُقية والخَلْقية؛ فأطفالنا ينشئون وهم لا يعرفون عن نبيهم إلا: اسمه وشيئا من نسبه، وهجرته من مكة إلى المدينة. أما صفاته البدنية، وأخلاقه، ومقامه، وحقوقه، وجوانب سيرته فلا خبر لهم بها. وهذا تقصير منا..!!

نحن نحتاج إلى أن نتعرف على كل صغيرة وكبيرة في حياته، من لدن مولده إلى وفاته.. ينبغي أن ننظر إليه: مربيا، وقدوة، وقائدا، ورسولا، وسيدا ذا مقام رفيع، وقلب رحيم، ونفس زكية، وأدب جم، وصبر جميل. من حقه علينا أن ندرس كل جوانب حياته، ونعلم أطفالنا وأزواجنا وأهلينا: من هو رسول الله ؟.

وأداء لبعض هذا الحق، سنخصص هذا الحديث عن صفاته عليه السلام الخَلقية والخُلقية:

*   *   *

إنه محمد بن عبد الله ؛ ومحمد معناه: المحمود في كل صفاته.

أخرج البخاري في التاريخ الصغير عن أبي طالب:

وشق له من اسمه ليجله *** فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد كان اسمه أحمد كما جاءت تسميته في الكتب السابقة، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام:

- {ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}.

وتسميته محمدًا وقعت في القرآن؛ سمي محمدا:

- لأن ربه حمده قبل أن يحمده الناس، وفي الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس.
- ولأنه خص بسورة الحمد، وبلواء الحمد، وبالمقام المحمود.
- وشرع له الحمد بعد الأكل، والشرب، والدعاء، وبعد القدوم من السفر.

وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه...

*   *   *

وأما عن صفاته الخَلقية:

- فهو أبيض، ليس شديد البياض أمهقا، بل مشربا بحمرة، والعرب تسمي الأسمر سمرة خفيفة أبيضا مشرب بحمرة، قال أبو طالب:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه *** ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

- ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد.
- بعيد ما بين المنكبين.
- شديد سواد الشعر، ليس بالجعد القطط؛ وهو الشعر الذي يلتف على بعضه، ولا بالسبط؛ وهو الشعر المسترسل الناعم شديد النعومة، وإنما بين ذلك، يبلغ شحمة أذنيه، وقيل: "منكبيه".. يفرقها فرقتين من وسط الرأس، وفي شعر رأسه ولحيته شعيرات بيض لا تبلغ العشرون.
- مليح، وجهه مثل القمر في استدارته وجماله، ومثل الشمس في إشراقه، إذا سر يستنير ويتهلل وتنفرج أساريره.
- واسع الفم، والعرب تمدح بذلك وتذم بصغر الفم، جميل العينين قال جابر: "أشكل العينين" رواه مسلم قيل أشكل العينين: "أي طويل شق العينين"، وقيل: "حمرة في بياض العينين".
- يداه رحبتان كبيرتان واسعتان لينة الملمس كالحرير، يقول أنس: "ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم". متفق عليه
- قدماه غليظتان لينة الملمس، فكان يجمع في بدنه وأطرافه بين لين الملمس وقوة العظام.
- يداه باردتان، لهما رائحة المسك، يقول أبو جحيفة: "قام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم، فأخذت بيده فوضعتهما على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك"رواه البخاري.

* وعن جابر بن سمرة: "مسح رسول الله خدي فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار"مسلم كان عرقه أطيب من ريح المسك، قال أنس: " كأن عرقه اللؤلؤ " مسلم.

* ويقول وائل بن حجر: " لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده، فأتعرقه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك". الطبراني والبيقهي.

- وجمعت أم سليم من عرق النبي صلى الله عليه وسلم فجعلته في طيبها.
- وعن أنس: " كان رسول الله صلى الله إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك فيقال: مر رسول الله ". أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح.
- قال أنس: " ما شممت عنبرا قط، ولا مسكا، ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله" رواه مسلم
- ساقاه بيضاء، تبرقان لمعانا.
- إبطه أبيض، من تعاهده نفسه بالنظافة والتجمل.
- إذا مشى يسرع، كأنما ينحدر من أعلى، لا يستطيع أحد أن يلحق به.

* * *

أما عن صفاته الخُلقية:

- فقد كان أجود الناس، أجود بالخير من الريح المرسلة.
- ما عرض عليه أمران إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما.
- أشد حياء من العذراء في خدرها.
- ما عاب طعاما قط؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه.
- إذا تكلم تكلم ثلاثا، بتمهل، لا يسرع ولا يسترسل، لو عد العاد حديثه لأحصاه.
- لا يحب النميمة ويقول لأصحابه: " لا يبلغني أحد عن أحد شيئا، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".
- أشجع الناس، وأحسنهم خلقا، قال أنس: "خدمت رسول الله عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط. ولا لشيء فعلته: لم فعلت كذا ؟، وهلا فعلت كذا؟". مسلم
- ما عاب شيئا قط.
- ما سئل شيئا فقال: "لا". يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.
- يحلم على الجاهل، ويصبر على الأذى.
- يتبسم في وجه محدثه، ويأخذ بيده، ولا ينزعها قبله.
- يقبل على من يحدثه، حتى يظن أنه أحب الناس إليه.
- يسلم على الأطفال ويداعبهم.
- يجيب دعوة: الحر، والعبد، والأمة، والمسكين، ويعود المرضى.
- ما التقم أحد أذنه، يريد كلامه، فينحّي رأسه قبله.
- يبدأ من لقيه بالسلام.
- خير الناس لأهله يصبر عليهم، ويغض الطرف عن أخطائهم، ويعينهم في أمور البيت، يخصف نعله، ويخيط ثوبه.
- يأتيه الصغير، فيأخذ بيده يريد أن يحدثه في أمر، فيذهب معه حيث شاء.
- يجالس الفقراء.
- يجلس حيث انتهى به المجلس.
- يكره أن يقوم له أحد، كما ينهى عن الغلو في مدحه.
- وقاره عجب، لا يضحك إلا تبسما، ولا يتكلم إلا عند الحاجة، بكلام يعد يحوي جوامع الكلم، حسن السمت.
- إذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه.
- لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا سخابا، بالأسواق، ولا لعانا، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.
- لا يقابل أحدا بشيء يكرهه، وإنما يقول: (ما بال أقوام).
- لا يغضب ولا ينتقم لنفسه، إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى، فينتقم لله.
- ما ضرب بيمينه قط إلا في سبيل الله.
- لا تأخذه النشوة والكبر عن النصر:
* دخل في فتح مكة إلى الحرم خاشعا مستكينا، ذقنه يكاد يمس ظهر راحلته من الذلة لله تعالى والشكر له.. لم يدخل متكبرا، متجبرا، مفتخرا، شامتا.

* وقف أمامه رجل وهو يطوف بالبيت، فأخذته رعدة، وهو يظنه كملك من ملوك الأرض، فقال له رسول الله: "هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ".

- كان زاهدا في الدنيا:

* يضطجع على الحصير، ويرضى باليسير، وسادته من أدم حشوها ليف.

* يمر الشهر وليس له طعام إلا التمر.. يتلوى من الجوع ما يجد ما يملأ بطنه، فما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى فارق الدنيا.

- كان رحيما بأمته، أعطاه الله دعوة مستجابة، فادخرها لأمته يوم القيامة شفاعة، قال:

* (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا) [البخاري]؛ ولذا قال تعالى عنه: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}

*   *   *

نحن اليوم في غاية الحاجة إلى تدارس سيرته، ولو مرة في الأسبوع:

نجلس في البيت مع الزوجة والأبناء.. نقرأ إحدى كتب السير المعتمدة مثل:

- تهذيب سيرة ابن هشام.

- البداية والنهاية لابن كثير.

- الشمائل المحمدية للترمذي.

- فقه السيرة للغزالي.

- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري.

وغيرها.. لابد أن نحرص على مثل هذه الحلقات في بيوتنا، إن أردنا أن نتزكى ونربي أبناءنا وأزواجنا، فهذه من أحسن وسائل التربية، وهو السلاح الذي نواجه به الغثاء الذي يتصدر وسائل الإعلام:

- فبه نحفظ أبناءنا من الانسلاخ، والانسياق وراء زخارف: الكفر، والفسق، والشهوات.

- وبه نغرس في قلوبهم محبة رسول الله، والفخر به،

- والتعلق بسنته، وتقليده في العادات والعبادات.

فمن غير المعقول أن تكون سيرة هذا الرجل العظيم، الذي ما حفظ لنا القرآن والسنة والتاريخ سيرة إنسان، مثلما حفظ سيرته، بين أيدينا ثم نهمله وننصرف عنه!.

إن ذلك لغفلة معيبة..!!.

[مراجع: فتح الباري ٦/٥٤٤ـ ٥٧٨، مسلم الفضائل، البداية والنهاية].

....

(١) المقصود بهم هنا: الصحف الدنمركية. التي نالت من مقام النبي صلى الله عليه وسلم شخصه بالرسومات، تنقصا، وسخرية.

٢.نبذة يسيرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

محمد بن إبراهيم التويجري
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فقد اختلف بنو إسرائيل. وحرفوا وبدلوا في عقيدتهم وشريعتهم فانطمس الحق وظهر الباطل وانتشر الظلم والفساد واحتاجت الأمة إلى دين يحق الحق ويمحق الباطل ويهدي الناس إلى الصراط المستقيم فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} النحل/٦٤.
أرسل الله جميع الأنبياء والرسل للدعوة إلى عبادة الله وحده، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور فأولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} النحل/٣٦.
وآخر الأنبياء والرسل هو محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده قال تعالى: {ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين} الأحزاب/٤٠.
وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة كما قال سبحانه: {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون} سبأ/٢٨.
وقد أنزل الله على رسوله القرآن يهدي به الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم قال تعالى: {كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد} إبراهيم/١.
وقد ولد الرسول محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي بمكة عام الفيل الذي جاء أصحابه لهدم الكعبة فأبادهم الله وتوفي أبوه وهو في بطن أمه ولما ولد محمد أرضعته حليمة السعدية ثم زار أخواله في المدينة مع أمه آمنة بنت وهب وفي طريق العودة إلى مكة توفيت أمه بالأبواء وعمره ست سنين ثم كفله جده عبد المطلب فمات وعمر محمد ثمان سنين ثم كفله عمه أبو طالب يرعاه ويكرمه ويدافع عنه أكثر من أربعين سنة وتوفي أبو طالب ولم يؤمن بدين محمد خشية أن تعيره قريش بترك دين آبائه.
وكان محمد في صغره يرعى الغنم لأهل مكة ثم سافر إلى الشام بتجارة لخديجة بنت خويلد وربحت التجارة وأعجبت خديجة بخلقه وصدقه وأمانته فتزوجها وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت.
وقد أنبت الله محمداً صلى الله عليه وسلم نباتاً حسناً وأدبه فأحسن تأديبه ورباه وعلمه حتى كان أحسن قومه خَلقاً وخُلقاً وأعظمهم مروءة وأوسعهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأحفظهم أمانة حتى سماه قومه بالأمين.
ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء الأيام والليالي يتعبد فيه ويدعو ربه وأبغض الأوثان والخمور والرذائل فلم يلتفت إليها في حياته.
ولما بلغ محمداً صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة شارك قريشاً في بناء الكعبة لما جرفتها السيول فلما تنازعوا في وضع الحجر الأسود حكموه في الأمر فدعا بثوب

فوضع الحجر فيه ثم أمر رؤساء القبائل أن يأخذوا بأطرافه فرفعوه جميعاً ثم أخذه محمد فوضعه في مكانه وبنى عليه فرضي الجميع وانقطع النزاع.
وكان لأهل الجاهلية صفات حميدة كالكرم والوفاء والشجاعة وفيهم بقايا من دين إبراهيم كتعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة وإهداء البدن وإلى جانب هذا كانت لهم صفات وعادات ذميمة كالزنا، وشرب الخمور وأكل الربا وقتل البنات والظلم، وعبادة الأصنام.
وأول من غير دين إبراهيم ودعا إلى عبادة الأصنام عمرو بن لحي الخزاعي فقد جلب الأصنام إلى مكة وغيرها ودعا الناس إلى عبادتها ومنها ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا.
ثم اتخذ العرب أصناماً أخرى ومنها صنم مناة بقديد واللات بالطائف والعزى بوادي نخلة وهبل في جوف الكعبة وأصنام حول الكعبة وأصنام في بيوتهم واحتكم الناس إلى الكهان والعرافين والسحرة.
ولما انتشر الشرك والفساد بهذه الصورة بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وعمره أربعون سنة يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فأنكرت عليه قريش ذلك وقالت: {أجعل الآلهة ألهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب} ص/٥.
وظلت هذه الأصنام تعبد من دون الله حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد فكسرها وهدمها هو وأصحابه رضوان الله عليهم فظهر الحق وزهق الباطل: {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً} الإسراء/٨١.
وأول ما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء الذي كان يتعبد فيه حيث جاءه جبريل فأمره أن يقرأ فقال الرسول ما أنا بقارئ فكرر عليه وفي الثالثة قال له: {اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم} العلق/١-٢-٣.
فرجع الرسول، وفؤاده يرجف، ودخل على زوجته خديجة ثم أخبرها وقال لقد خشيت على نفسي فطمأنته وقالت: (والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق) ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر فلما أخبره بشره وقال له هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى وأوصاه بالصبر إذا آذاه قومه وأخرجوه.
ثم فتر الوحي مدة فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فبينما هو يمشي يوماً إذ رأى الملك مرة أخرى بين السماء والأرض فرجع إلى منزله وتدثر فأنزل الله عليه: (يا أيها المدثر، قم فأنذر) المدثر/١-٢، ثم تتابع الوحي بعد ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم.
أقام النبي في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعوا إلى عبادة الله وحده سراً ثم جهراً حيث أمره الله أن يصدع بالحق فدعاهم بلين ولطف من غير قتال فأنذر عشيرته الأقربين ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين. ثم قال سبحانه: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) الحجر/٩٤.
وقد آمن بالرسول قلة من الأغنياء والأشراف والضعفاء والفقراء والعبيد رجالاً ونساءً وأوذي الجميع في دينهم فعُذِّبَ بعضهم وقتل بعضهم، وهاجر بعضهم إلى

الحبشة فراراً من أذى قريش وأوذي معهم الرسول صلى الله عليه وسلم فصبر حتى أظهر الله دينه.
ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين سنة ومضى عشر سنوات من بعثته مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أذى قريش ثم ماتت من بعده زوجته خديجة التي كانت تؤنسه فاشتد عليه البلاء من قومه وتجرؤا عليه وآذوه بصنوف الأذى وهو صابر محتسب. صلوات الله وسلامه عليه.
ولما اشتد عليه البلاء وتجرأت عليه قريش خرج إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام فلم يجيبوه، بل آذوه ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، فرجع إلى مكة وظل يدعوا الناس إلى الإسلام في الحج وغيره.
ثم أسرى الله برسوله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق بصحبة جبريل، فنزل وصلى بالأنبياء ثم عرج به إلى السماء الدنيا فرأى فيها آدم، وأرواح السعداء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن شماله ثم عرج به إلى السماء الثانية فرأى فيها عيسى ويحيى ثم إلى الثالثة فرأى فيها يوسف ثم إلى الرابعة فرأى فيها إدريس ثم إلى الخامسة فرأى فيها هارون ثم إلى السادسة فرأى فيها موسى ثم إلى السابعة فرأى فيها إبراهيم ثم رفع إلى سدرة المنتهى ثم كلمه ربه فأكرمه وفرض عليه وعلى أمته خمسين في اليوم والليلة ثم خففها إلى خمس في العمل وخمسين في الأجر واستقرت الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة إكراماً منه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى مكة قبل الصبح فقص عليهم ما جرى له فصدقه المؤمنون وكذبه الكافرون: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} الإسراء/١.
ثم هيأ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من ينصره فالتقى في موسم الحج برهط من المدينة من الخزرج فأسلموا ثم رجعوا إلى المدينة، ونشروا فيها الإسلام فلما كان العام المقبل صاروا بضعة عشر فالتقى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم فلما انصرفوا بعث معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام فأسلم على يديه خلق كثير، منهم زعماء الأوس سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير.
فلما كان العام المقبل وجاء موسم الحج خرج منهم ما يزيد على سبعين رجلاً من الأوس والخزرج فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن هجره وآذاه أهل مكة، فواعدهم الرسول في إحدى ليالي التشريق عند العقبة فلما مضى ثلث الليل خرجوا للميعاد فوجدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ولم يؤمن إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه فتكلم العباس، والرسول، والقوم بكلام حسن ثم بايعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يهاجر إليهم في المدينة على أن يمنعوه، وينصروه ويدافعوا عنه، ولهم الجنة فبايعوه واحداً، واحداً، ثم انصرفوا ثم علمت بهم قريش فخرجوا في طلبهم، ولكن الله نجاهم منهم، وبقي الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة إلى حين: {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} الحج/٤٠.
ثم أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى المدينة فهاجروا أرسالاً إلا من حبسه المشركون ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله وأبو بكر وعلي فلما أحس المشركون

بهجرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة خافوا أن يلحق بهم فيشتد أمره فتآمروا على قتله فأخبر جبريل رسول الله بذلك فأمر الرسول علياً أن يبيت في فراشه، ويرد الودائع التي كانت عند الرسول صلى الله عليه وسلم لأهلها وبات المشركون عند باب الرسول ليقتلوه إذا خرج فخرج من بينهم وذهب إلى بيت أبي بكر بعد أن أنقذه الله من مكرهم وأنزل الله: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} الأنفال/٣٠.
ثم عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهجرة إلى المدينة، فخرج هو وأبو بكر إلى غار ثور ومكثا فيه ثلاث ليال واستأجرا عبد الله بن أبي أريقط وكان مشركاً ليدلهما على الطريق، وسلماه راحلتيهما فذعرت قريش لما جرى وطلبتهما في كل مكان، ولكن الله حفظ رسوله فلما سكن الطلب عنهما، ارتحلا إلى المدينة فلما أيست منهما قريش بذلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما مائتين من الإبل فجد الناس في الطلب وفي الطريق إلى المدينة، علم بهما سراقة بن مالك وكان مشركاً فأرادهما فدعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض فعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ممنوع، وطلب من الرسول أن يدعوا له ولا يضره فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم، فرجع سراقة، ورد الناس عنهما ثم أسلم بعد فتح مكة.
فلما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كبر المسلمون فرحاً بقدومه واستقبله الرجال والنساء والأطفال فرحين مستبشرين فنزل بقباء وبنى هو والمسلمون مسجد قباء وأقام بها بضع عشرة ليلة ثم ركب يوم الجمعة فصلاها في بني سالم بن عوف ثم ركب ناقته ودخل المدينة والناس محيطون به، آخذون بزمام ناقته لينزل عندهم، فيقول لهم الرسول صلى الله عليه وسلم دعوها فإنها مأمورة فسارت حتى بركت في موضع مسجده اليوم.
وهيأ الله لرسوله أن ينزل على أخواله قرب المسجد فسكن في منزل أبي أيوب الأنصاري، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتي بأهله وبناته وأهل أبي بكر من مكة فجاءوا بهم إلى المدينة.
ثم شرع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في بناء مسجده في المكان الذي بركت فيه الناقة وجعل قبلته إلى بيت المقدس وجعل عمده الجذوع وسقفه الجريد ثم حولت القبلة إلى الكعبة بعد بضعة عشر شهراً من مقدمه المدينة.
ثم آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ووادع الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود وكتب بينه وبينهم كتاباً على السلم والدفاع عن المدينة وأسلم حبر اليهود عبد الله بن سلام وأبى عامة اليهود إلا الكفر وفي تلك السنة تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها.
وفي السنة الثانية شرع الأذان وصرف الله القبلة إلى الكعبة، وفرض صوم رمضان.
ولما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة وأيده الله بنصره والتف المهاجرون والأنصار حوله واجتمعت القلوب عليه عند ذلك رماه المشركون، واليهود والمنافقون عن قوس واحدة فآذوه وافتروا عليه وبارزوه بالمحاربة والله يأمره بالصبر والعفو والصفح فلما اشتد ظلمهم وتفاقم شرهم، أذن الله للمسلمين

بالقتال، فنزل قوله تعالى: {أذن للذين يُقاتِلون بأنهم ظُلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير} الحج/٣٩.
ثم فرض الله على المسلمين قتال من قاتلهم فقال: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} البقرة/١٩٠.
ثم فرض الله عليهم قتال المشركين كافة فقال: {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة} التوبة/٣٦.
فقام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله ورد كيد المعتدين ودفع الظلم عن المظلومين وأيده الله بنصره، حتى صار الدين كله لله فقاتل المشركين في بدر في السنة الثانية من الهجرة في رمضان فنصره الله عليهم وفرق جموعهم وفي السنة الثالثة غدر يهود بني قينقاع فقتلوا أحد المسلمين فأجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة إلى الشام ثم ثأرت قريش لقتلاها في بدر، فعسكرت حول أحد في شوال من السنة الثالثة ودارت المعركة وعصى الرماة أمر الرسول، فلم يتم النصر للمسلمين وانصرف المشركون إلى مكة ولم يدخلوا المدينة.
ثم غدر يهود بني النضير وهموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بإلقاء الحجر عليه فنجاه الله، ثم حاصرهم في السنة الرابعة وأجلاهم إلى خيبر.
وفي السنة الخامسة غزا الرسول صلى الله عليه وسلم بني المصطلق لرد عدوانهم، فانتصر عليهم وغنم الأموال والسبايا ثم سعى زعماء اليهود في تأليب الأحزاب على المسلمين للقضاء على الإسلام في عقر داره. فاجتمع حول المدينة المشركون والأحباش وغطفان اليهود ثم أحبط الله كيدهم ونصر رسوله والمؤمنين: {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً} الأحزاب/٢٥.
ثم حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم يهود بني قريظة لغدرهم، ونقضهم العهد فنصره الله عليهم فقتل الرجال وسبى الذرية وغنم الأموال.
وفي السنة السادسة عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على زيارة البيت والطواف به فصده المشركون عنه، فصالحهم في الحديبية على وقف القتال عشر سنين، يأمن فيها الناس ويختارون ما يريدون فدخل الناس في دين الله أفواجاً.
وفي السنة السابعة غزا الرسول خيبر للقضاء على زعماء اليهود الذين آذوا المسلمين، فحاصرهم ونصره الله عليهم وغنم الأموال والأرض وكاتب ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام.
وفي السنة الثامنة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة زيد بن حارثه لتأديب المعتدين ولكن الروم جمعوا جيشاً عظيماً فقتلوا قواد المسلمين وأنجى الله بقية المسلمين من شرهم.
ثم غدر كفار مكة فنقضوا العهد فتوجه إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بجيش عظيم وفتح مكة، وطهر بيته العتيق من الأصنام، وولاية الكفار.
ثم كانت غزوة حنين في شوال من السنة الثامنة لرد عدوان ثقيف وهوازن فهزمهم الله وغنم المسلمون مغانم كثيرة ثم واصل الرسول صلى الله عليه وسلم مسيره إلى الطائف وحاصرها، ولم يأذن الله بفتحها فدعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم

وانصرف، فأسلموا فيما بعد ثم رجع ووزع الغنائم، ثم اعتمر هو وأصحابه ثم خرجوا إلى المدينة.
وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك في زمان عسرة وشدة وحر شديد فسار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك لرد كيد الروم فعسكر هناك، ولم يلق كيداً وصالح بعض القبائل، وغنم ثم رجع إلى المدينة وهذه آخر غزوة غزاها عليه الصلاة والسلام وجاءت في تلك السنة وفود القبائل تريد الدخول في الإسلام ومنها وفد تميم ووفد طيء ووفد عبد القيس، ووفد بني حنيفة وكلهم أسلموا ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يحج بالناس في تلك السنة وبعث معه علياً رضي الله عنه وأمره أن يقرأ على الناس سورة براءة للبراءة من المشركين وأمره أن ينادي في الناس فقال علي يوم النحر: {يا أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته}.
وفي السنة العاشرة عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحج، ودعا الناس إلى ذلك فحج معه من المدينة وغيرها خلقٌ كثير فأحرم من ذي الحليفة، ووصل إلى مكة في ذي الحجة وطاف وسعى وعلم الناس مناسكهم وخطب الناس بعرفات خطبة عظيمة جامعة، قرر فيها الأحكام الإسلامية العادلة فقال: (أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أيها الناس إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون، قالوا نشهد أنك قد بلَّغت، وأديت، ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات).
ولما أكمل الله هذا الدين، وتقررت أصوله، نزل عليه وهو بعرفات: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} المائدة/٣.
وتسمى هذه الحجة حجة الوداع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ودع فيها الناس، ولم يحج بعدها ثم رجع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من حجه إلى المدينة.
وفي السنة الحادية عشرة في شهر صفر بدأ المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اشتد عليه الوجع أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس وفي ربيع الأول، زاد عليه المرض فقبض صلوات الله وسلامه عليه ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً ثم غُسل وصلى عليه المسلمون يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ودفن في بيت عائشة والرسول قد مات ودينه باق إلى يوم القيامة.

ثم اختار المسلمون صاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة أبا بكر رضي الله عنه خليفة لهم ثم تولى الخلافة من بعده عمر ثم عثمان ثم علي وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون المهديون رضوان الله عليهم أجمعين.
وقد امتنّ الله على رسوله محمد بنعم عظيمة وأوصاه بالأخلاق الكريمة كما قال سبحانه: {ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث} الضحى/٦-١١.
وقد أكرم الله رسوله بأخلاق عظيمة لم تجتمع لأحدٍ غيره حتى أثنى عليه ربه بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم} القلم/٤.
وبهذه الأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، استطاع عليه السلام أن يجمع النفوس ويؤلف القلوب بإذن ربه: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين} آل عمران/١٥٩.
وقد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وأنزل عليه القرآن وأمره بالدعوة إلى الله كما قال سبحانه: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً} الأحزاب/٤٦.
وقد فضل الله رسوله محمداً على غيره من الأنبياء بست فضائل كما قال صلى الله عليه وسلم: ((فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون)). رواه مسلم/٥٢٣.
فيجب على جميع الناس الإيمان به، واتباع شرعه، ليدخلوا جنة ربهم: {ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم} النساء/١٣.
وقد أثنى الله على من يؤمن بالرسول من أهل الكتاب وبشرهم بالأجر مرتين كما قال سبحانه: {الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون} القصص/٥٢ -٥٤. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران... إلخ)).
ومن لم يؤمن بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، والكافر جزاؤه النار كما قال سبحانه: {ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً} الفتح/١٣، وقال عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار)). رواه مسلم/١٥٤.
و الرسول صلى الله عليه وسلم بشر لا يعلم إلا ما علمه الله ولا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً كما قال سبحانه: {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون} الأعراف/١٨٨.

وقد أرسله الله بالإسلام ليظهره على الدين كله: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً} الفتح/٢٨.
ومهمة الرسول هي إبلاغ ما أرسل به، والهداية بيد الله: {فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ} الشورى/٤٨.
ولما للرسول صلى الله عليه وسلم من فضل عظيم على البشرية، بدعوتها إلى هذا الدين وإخراجها من الظلمات إلى النور، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمرنا بالصلاة عليه في حالات كثيرة فقال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً} الأحزاب/٢١.
وقد جاهد النبي عليه الصلاة والسلام في سبيل نشر هذا الدين وجاهد أصحابه معه فعلينا الاقتداء به واتباع سنته والسير على هديه كما قال سبحانه: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} الأحزاب/٢١.
والإسلام دين الفطرة والعدل دين ارتضاه الله للناس كافة وهو يشتمل على أصول وفروع وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات ولن تسعد الأمة إلا باتباعه والعمل به ولن يقبل الله من الناس غيره كما قال سبحانه: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} آل عمران/٨٥.
اللهم صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.
من كتاب أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التويجر

٣.من هو الكريم إذا عُدّ الكرماء؟؟

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم
إذا أراد بعض الناس أن يضرب مثلا للكرم فإنه يذكر حاتم الطائي.
فيقول بعضهم: كرم حاتمي !!
أو أكرم من حاتم !!
وفي الشجاعة يُضرب المثل بعنتر أو بغيره من شُجعان العرب.
وفي الحِلم يُضرب المثل بالأحنف أو بخاله قيس بن عاصم.
وهكذا...
ولكن دعونا نرى:
من هو الكريم؟
ومن هو الشجاع؟
ومن هو الحليم؟
إن هذه الصفات وغيرها من كريم الخصال وحميد السجايا قد جمعها الله – عز وجل – لصفوة خلقه
جمعها الله لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.
فلقد وُصِف – عليه الصلاة والسلام – بأنه يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر.
قال أنس – رضي الله عنه –:

ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه. قال: وجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يُعطي عطاء لا يخشى الفاقة. رواه مسلم.
وأعطى صفوان بن أمية يوم حُنين مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. رواه مسلم.
فمن أعطى مثل هذا العطاء؟؟
ومن يستطيع مثل ذلك العطاء والسخاء والجود والكرم؟؟؟
بل مَن يُدانيه؟؟؟
إن من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لا يُمكن أن يُعطي مثل ذلك العطاء.
ولو أعطى مثل ذلك العطاء، فلديه الكثير
أما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيُعطي العطاء الجزيل، وربما بات طاوياً جائعاً.
فهذا الذي أخذ بمعاقد الكرم فانفرد به، وحاز قصب السبق فيه بل في كل خلق فاضل كريم
فلا أحد يقترب منه أو يُدانيه في ذلك كله.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودُ بالخير من الرِّيح المرسَلَة، وكان أجود ما يكون في رمضان. كما في الصحيحين من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –.
وقَدِمَ عليه سبعون ألف درهم، فقام يَقْسِمُها فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها صلى الله عليه وسلم. رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.
وأخبر جبير بن مطعم أنه كان يسير هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَـقْـفَلَـهُ من حنين، فَـعَـلِـقـه الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمُرة، فخطفت رداءه، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعطوني ردائي. لو كان لي عدد هذه العِضَـاه نَـعَـماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوبا، ولا جبانا. رواه البخاري.
ورسول الله صلى الله عليه وسلم الشُّجاع الذي يتقدّم الشجعان إذا احمرّت الحَدَق، وادلهمّت الخطوب
أنت الشّجاع إذا الأبطال ذاهلة *** والهُنْدُوانيُّ في الأعناق واللِّمَم

قال البراء رضي الله عنه: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منـّا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم. رواه مسلم
وقال عليّ رضي الله عنه: كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه. رواه أحمد وغيره.
أما البراء رضي الله عنه فهو الملقب بالمَهْلَكَة، وأما عليٌّ رضي الله عنه فشجاعتُه أشهرُ من أن تُذْكَر.
ومع ذلك يتّقون برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ومع ذلك كان الشجاع منهم الذي يُحاذي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال رجل للبراء بن عازب – رضي الله عنهما –: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يَفِر. متفق عليه.

وقال – رضي الله عنه –: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة، وهو يقول: لم تراعوا. لم تراعوا. قال: وجدناه بحراً، أو إنه لبحر. (يعني الفرس) متفق عليه.

كان صلى الله عليه وسلم حليم على مَنْ سَفِه عليه، أتته قريش بعد طول عناء وأذى، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

شَدّ أعربيٌّ بُردَه حتى أثّر في عاتقه، ثم أغلظ له القول بأن قال له: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ! فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء. متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

هو مَنْ جمع خصال الخير وكريم الشمائل، وَصَفَه ربّه بأنه {بالمؤمنين رؤوف رحيم}.

قال الحسن البصري في قوله عز وجل: {فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم} قال: هذا خُلُقُ محمد صلى الله عليه وسلم نَعَتَه الله عز وجل.

كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان أجودَ الناس كفّاً، وأشرَحهم صدرا، وأصدق الناس لهجة، وألْيَنهم عريكة، وأكرمهم عِشرة، من رآه بديهة هابَه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه، يقول ناعِتُه: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم. رواه الترمذي وابن أبي شيبة والبيهقي في شُعب الإيمان.

تلك قَطْرةٌ من بحرِ صفاتِه، وإشارةٌ لمن ألقى السَّمْعَ، وتذكِرةٌ للمُحِبّ.

فهذه أخلاقه فأين المحبُّون؟

هذه من أخلاقه عليه الصلاة والسلام فأين المقتدون؟

فهل أبقى لحاتم طي مِن كرم؟

وهل أبقى لعنتر من شجاعة؟

وهل أبقى لقيس مِن حِلم؟

صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

٤.من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقاً وأكرمهم وأتقاهم، عن أنس رضي الله عنه قال" كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا" - الحديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: (ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) - رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

قال تعالى مادحاً وواصفاً خُلق نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم {وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم ٤].

قالت عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رضي الله عنها ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً.... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل.اهـ.

عن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا) رواه البخاري.

ما المقصود بحُسن الخلق؟

عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ((البر حسن الخلق..)) رواه مسلم [رقم: ٢٥٥٣]

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث السابع والعشرون في الأربعين النووية:

حسن الخلق أي حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله فان تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره.

على الرغم من حُسن خلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي) رواه أحمد ورواته ثقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)) رواه أبو داود والنسائي.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله:

كان صلى الله خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) سنن الترمذي.

وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يرقق اسم عائشة ـ رضي الله عنها ـ كأن يقول لها: (يا عائش)، ويقول لها: (يا حميراء) ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق) وما ذلك إلا تودداً وتقرباً وتلطفاً إليها واحتراماً وتقديراً لأهلها.
كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه صلى الله عليه وسلم من إناءٍ واحد، فيقول لها: ((دعي لي))، وتقول له: دع لي. رواه مسلم.
وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئاً لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقاً - وهو العَظْمُ الذي عليه لحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حَجِها، ويقرأ القرآن ورأسه في حَجرِها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزِرُ ثم يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنه يمكّنها من اللعب.

(عن الأسود قال:سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قال: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة) رواه مسلم والترمذي.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم - رواه أحمد.
قال صلى الله عليه وسلم "إن من أعظم الأمور أجرًا النفقة على الأهل" رواه مسلم.
عن عائشة رضي الله عنها قالت "خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: اقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذا بتلك" رواه أحمد.
(وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضي الله عنها رجلها حتى تركب على بعيرها) رواه البخاري.
ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه - رواه البخاري.
عدل النبي صلى الله عليه وسلم:
كان عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربين.
قال تعالى: {يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للّهِ وَلَوْ عَلَىَ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ} (النساء:١٣٥)

كان يعدل بين نسائه صلى الله عليه وسلم ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ غيورة.
فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها أنها ـ أتت بطعامٍ في صحفةٍ لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءت عائشة... ومعها فِهرٌ ففلقت به الصحفة، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة وهو يقول: ((كلوا، غارت أمكم)) مرتين. ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة. رواه النسائي وصححه الألباني.
قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: ((والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها)).
كلام النبي صلى الله عليه وسلم:
كان إذا تكلم تكلم بكلام فَصْلٍ مبين، يعده العاد ليس بسريع لا يُحفظ، ولا بكلام منقطع لا يُدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهديِّ،كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يتحفظه من جلس إليه) متفق عليه.
وكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم فيما لا يَعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشيء: عُرِفَ في وجهه.
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال:
وعن انس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم - رواه البخاري واللفظ له ومسلم.
كان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه.
وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (الأنفال:٢٨) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.
خلقه صلى الله عليه وسلم في معاملة الصبيان فإنه كان إذا مر بالصبيان سلم عليهم وهم صغار وكان يحمل ابنته أمامه وكان يحمل أبنه ابنته أمامه بنت زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالناس وكان ينزل من الخطبة ليحمل الحسن والحسين ويضعهما بين يديه.
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخدم:
ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفا رحيماً فلم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.
عن أنس رضي الله عنه قال" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" ـ رواه الشيخان وأبو داود و الترمذي.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله.
وفي رواية ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله - رواه مالك والشيخان وأبو داود.
عن عائشة رضي الله عنها قالت "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم".
رحمة النبي صلى الله عليه وسلم:
قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٧)
وعندما قيل له: ادع على المشركين قال صلى الله عليه وسلم: ((إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة)) - رواه مسلم.
قال عليه الصلاة والسلام: ((اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة و أجراً)) رواه مسلم .
كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، و من ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به)).
قال صلى الله عليه وسلم: ((هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم)) رواه البخاري.
قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ..} (آل عمران:١٥٩)
وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الرحمة: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) رواه الترمذي وصححه الألباني .
وقال صلى الله عليه وسلم في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: ((أهل الجنة ثلاثة وذكر منهم ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم)) رواه مسلم.

عفو النبي صلى الله عليه وسلم:
عن أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت له: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال: ((يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟)) قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله – فذهبت) رواه مسلم وأبو داود.
وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَه مَه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزرموه، دعوه))، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن)) قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه. رواه مسلم

تواضعه صلى الله عليه وسلم:
وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر.
وكان صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: {تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ} [القصص: ٨٣].
فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)) رواه البخاري.
كيف لا وهو الذي كان يقول صلى الله عليه وسلم: ((آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)) رواه أبو يعلى وحسنه الألباني.
كيف لا وهو القائل بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم: ((لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت)) رواه الترمذي وصححه الألباني.
كيف لا وهو الذي كان صلى الله عليه وسلم يحذر من الكبر أيما تحذير فقال: ((لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر)) رواه مسلم
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية.
عن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب - رواه الترمذي في الشمائل.
[الإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث].

مجلسه صلى الله عليه وسلم:
كان يجلِس على الأرض، وعلى الحصير، والبِساط.
عن أنس رضي الله عنه قال "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له" - رواه أبو داود والترمذي بلفظه.
عن أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا - رواه أبو داود أبن ماجة وإسناده حسن.

زهده صلى الله عليه وسلم:
كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكا نبيا أو يكون عبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا.

كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِمَالهِ، وتارة على كِساء أسود.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال: بلى قال: هو كذلك).

وكان من زهده صلى الله عليه وسلم وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في الثلاثة أهلة في شهرين .

عن عروة رضي الله عنه قال: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان ـ التمر والماء ـ) متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءاً، وكان أكثر خبزهم الشعير) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني.

عبادته:

كان عليه الصلاة والسلام أعبد الناس، و من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان عبداً لله شكوراً.

فإن من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين وذلك بأن يعرف العبد حقّ ربه سبحانه وتعالى عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عز وجل عليه من الفرائض ثم يتمم ذلك بما يسّر الله تعالى له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجةً مرتفعةً عاليةً في العلم والفضل والتقى كلما عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عز وجل بالنوافل.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه أن الله تعالى قال: ((... وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه...)) رواه البخاري.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف حق ربه عز وجل عليه وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع لله عز وجل حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

فعن عبدالله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ قال: (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء) رواه أبو داود وصححه الألباني.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبداً شكوراً)) رواه البخاري.
وكان من تمثله صلى الله عليه وسلم للقرآن أنه يذكر الله تعالى كثيراً، قال عز وجل: {....وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب ٣٥].
وقال تعالى: {... فَاذْكُرُونِيَ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة ١٥٢].
ومن تخلقه صلى الله عليه وسلم بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذاً لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال صلى الله عليه وسلم: ((لأن أقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس)) رواه مسلم.
وقال صلى الله عليه وسلم: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت)) رواه البخاري.
وقال صلى الله عليه وسلم: ((ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)) أخرجه الطبراني بسندٍ حسن.
كان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: ((اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) متفق عليه.
وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته: ((اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل)) رواه النسائي وصححه الألباني.

دعوته:
كانت دعوته عليه الصلاة والسلام شملت جميع الخلق، كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أكثر رسل الله دعوة وبلاغـًا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا .

وقد ذكر كتاب زاد المعاد حيث قال أن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام كانت على مراتب:
المرتبة الأولى: النبوة. الثانية: إنذار عشيرته الأقربين. الثالثة: إنذار قومه. الرابعة: إنذار قومٍ ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة. الخامسة: إنذارُ جميع مَنْ بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدّهر.
وقد قال الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.
وهذا أيضا من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، ومن أخلاق أهل العلم جميعا، أهل العلم والبصيرة أهل العلم والإيمان أهل العلم والتقوى.

ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى.
فعن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال له: ((ادنه))، فدنا منه قريباً، قال: ((أتحبّه لأمّك؟)) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)) قال: ((أفتحبه لابنتك؟)) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم)) قال: ((أفتحبه لأختك؟)) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم)). قال: ((أفتحبه لعمتك؟)) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم)). قال: ((أفتحبه لخالتك؟)) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم)) قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه)) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. رواه أحمد.
وقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، كان يتمثل في ذلك صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل: {ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...} [النحل:١٢].
إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أُسيء إليه يدفع بالتي هي أحسن يتمثل ويتخلق بقوله تعالى: {... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت ٣٤-٣٥].

مزاح النبي صلى الله عليه وسلم:
وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمازح العجوز، فقد سألته امرأة عجوز قالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز)) فولت تبكي، فقال: ((أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَاهُنّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً})) [الواقعة ٣٥ ـ ٣٧] رواه الترمذي في الشمائل وحسنه الألباني.
وكان جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه.
كرم النبي صلى الله عليه وسلم:
من كرمه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها صلى الله عليه وسلم
صبر النبي صلى الله عليه وسلم:
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة.. وهذه الشدة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان..
قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} الفتح:٢٩

ومن صبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان.
فقد أخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت إبراهيم وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون)).
تعاون النبي صلى الله عليه وسلم:
قال عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ اسْتطاع منكم أنْ يَنْفَعَ أخاه فَلْيَنْفَعْه)).
عن ابن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته. رواه النسائي والحاكم.

نصيحة لنفسي ولأخوتي:
قال تعالى: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً *ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً} [سورة النساء:٦٩-٧٠].
وقال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [سورة الأحزاب:٢١].
فأكمل المؤمنين إيماناً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأعظمهم اتباعا، له وأسعدهم بالاجتماع – معه: المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه، قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)).
وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)).
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من خياركم أحسنكم خلقا)).
قال عليه الصلاة والسلام: ((ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذيء)). وفي رواية: ((وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)).
وقال صلى الله عليه وسلم: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لأهله)). وفي رواية: ((لنسائهم)). وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال: ((أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا)).
وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن هذه الأخلاق من الله تعالى؛ فمن أراد الله به خيراً منحه خلقا حسنا)). وروي عنه صلى الله عليه وسلم: ((إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد)).
....

بعض المصادر:

* مجموع فتاوى ومقالات_الجزء الرابع – للشيخ ابن باز رحمه الله
http://www.binbaz.org.sa/default.asp

* موقع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله
http://www.ibnothaimeen.com
شرح الشيخ للحديث: السابع والعشرون – الأربع النووية
كتاب: زاد المعاد

٥.ملخص لمائة خصلة انفرد بها صلى الله عليه وسلم عن بقية الأنبياء السابقين عليهم السلام

للدكتور /خليل إبراهيم ملا خاطر
أستاذ مشارك في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة النبوية
لخصها إبراهيم الحدادي

ما أكرمه الله تعالى به لذاته في الدنيا:

١. أخذ الله له العهد على جميع الأنبياء، صلى الله عليه وسلم.
٢. كان عند أهل الكتاب علم تام به صلى الله عليه وسلم.
٣. كان نبيا وآدم منجدل في طينته صلى الله عليه وسلم.
٤. هو أول المسلمين صلى الله عليه وسلم.
٥. هو خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.
٦. هو نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.
٧. هو أولى بالأنبياء من أممهم صلى الله عليه وسلم.
٨. هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم صلى الله عليه وسلم.
٩. كونه منة يمتن الله بها على عباده.
١٠. كونه خيرة الخلق، وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم.
١١. طاعته ومبايعته هي عين طاعة الله ومبايعته.
١٢. الإيمان به مقرون بالإيمان بالله تعالى.
١٣. هو رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم.
١٤. هو أمنة لأمته صلى الله عليه وسلم.
١٥. عموم رسالته صلى الله عليه وسلم.
١٦. تكفل المولى بحفظه وعصمته صلى الله عليه وسلم.
١٧. التكفل بحفظ دينه صلى الله عليه وسلم.
١٨. القسم بحياته صلى الله عليه وسلم.
١٩. القسم ببلده صلى الله عليه وسلم.
٢٠. القسم له صلى الله عليه وسلم.
٢١. لم يناده باسمه صلى الله عليه وسلم.
٢٢. ذكر في أول من ذكر من الأنبياء.
٢٣. النهي عن مناداته باسمه صلى الله عليه وسلم.
٢٤. لا يرفع صوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم.
٢٥. تقديم الصدقة بين يدي مناجاتهم له (ثم نسخ ذلك).
٢٦. جعله الله نورا صلى الله عليه وسلم.
٢٧. فرض بعض شرعه في السماء صلى الله عليه وسلم.

٢٨. تولى الإجابة عنه صلى الله عليه وسلم.
٢٩. استمرار الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.
٣٠. الإسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم.
٣١. معجزاته صلى الله عليه وسلم.
٣٢. غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صلى الله عليه وسلم.
٣٣. تأخير دعوته المستجابة ليوم القيامة صلى الله عليه وسلم.
٣٤. أعطي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم.
٣٥. أعطي مفاتيح خزائن الأرض صلى الله عليه وسلم.
٣٦. إسلام قرينه من الجن صلى الله عليه وسلم.
٣٧. نصره بالرعب مسيرة شهر صلى الله عليه وسلم.
٣٨. شهادة الله وملائكته له صلى الله عليه وسلم.
٣٩. إمامته بالأنبياء في بيت المقدس صلى الله عليه وسلم.
٤٠. قرنه خير قرون بني آدم صلى الله عليه وسلم.
٤١. ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة صلى الله عليه وسلم.
٤٢. أعطي انشقاق القمر صلى الله عليه وسلم.
٤٣. يرى من وراء ظهره صلى الله عليه وسلم.
٤٤. رؤيته في المنام حق صلى الله عليه وسلم.
٤٥. عرض الأنبياء مع أممهم عليه صلى الله عليه وسلم.
٤٦. جعل خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم.
٤٧. اطلاعه على المغيبات صلى الله عليه وسلم.

ما أكرمه الله تعالى به في الآخرة:

٤٨- وصفه بالشهادة صلى الله عليه وسلم.
٤٩- ما أعطي من الشفاعات صلى الله عليه وسلم.
٥٠- هو أول من يبعث صلى الله عليه وسلم.
٥١-هو إمام الأنبياء وخطيبهم صلى الله عليه وسلم.
٥٢- كل الأنبياء تحت لوائه صلى الله عليه وسلم.
٥٣- هو أول من يجوز على الصراط صلى الله عليه وسلم.
٥٤- هو أول من يقرع باب الجنة صلى الله عليه وسلم.
٥٥- هو أول من يدخل الجنة صلى الله عليه وسلم.
٥٦-إعطاؤه الوسيلة والفضيلة صلى الله عليه وسلم.(الوسيلة : اعلى منزلة في الجنة).
٥٧-إعطاؤه المقام المحمود صلى الله عليه وسلم.(وهي الشفاعة العظمى).
٥٨- إعطاؤه الكوثر صلى الله عليه وسلم.(وهو نهر في الجنة).
٥٩- إعطاؤه لواء الحمد صلى الله عليه وسلم.
٦٠-يكون له كرسي عن يمين العرش صلى الله عليه وسلم.
٦١-هو أكثر الأنبياء تبعا صلى الله عليه وسلم.
٦٢- هو سيد الأولين والآخرين يوم القيامة صلى الله عليه وسلم.

٦٣- هو أول شافع ومشفع صلى الله عليه وسلم.
٦٤- هو مبشر الناس يوم يفزع إليه الأنبياء صلى الله عليه وسلم.
٦٥- ما يوحى إليه في سجوده تحت العرش مما لم يفتح على غيره من قبل ومن بعد صلى الله عليه وسلم.
٦٦- منبره على حوضه صلى الله عليه وسلم.

ما أكرمه الله به في أمته في الدنيا:
٦٧- جعلت خير الأمم.
٦٨- سماهم الله تعالى المسلمين، وخصهم بالإسلام.
٦٩- أكمل الله لها الدين، وأتم عليها النعمة.
٧٠- ما حطه الله لها عنها من الاصر والاغلال.
٧١- صلاة المسيح خلف إمام المسلمين.
٧٢- أحلت لها الغنائم.
٧٣- جعلت صفوفها كصفوف الملائكة.
٧٤- التيمم والصلاة على الأرض.
٧٥- خصهم بيوم الجمعة.
٧٦- خصهم بساعة الإجابة يوم الجمعة.
٧٧- خصهم بليلة القدر.
٧٨- هذه الأمة هي شهداء الله في الأرض.
٧٩- مثلها في الكتب السابقة (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل).
٨٠- لن تهلك بجوع، ولا يسلط عليها عدو من غيرها فيستأصلها.
٨١- خصت بصلاة العشاء.
٨٢- تؤمن بجميع الأنبياء.
٨٣- حفظها من التنقص في حق ربها عز وجل.
٨٤- لا تزال طائفة منها على الحق منصورة.
ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الآخرة:
٨٥- هي شاهدة للأنبياء على أممهم.
٨٦- هي أول من يجتاز الصراط.
٨٧- هي أول من يدخل الجنة،وهي محرمة على الناس حتى تدخلها.
٨٨- انفرادها بدخول الباب الأيمن من الجنة.
٨٩- سيفديها بغير من الأمم.
٩٠- تأتي غرا محجلين من آثار الوضوء.
٩١- هي أكثر أهل الجنة.
٩٢- سيرضي الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها.
٩٣- زيادة الثواب مع قلة العمل.
٩٤- كلها تدخل الجنة إلا من أبى بمعصيته لله ورسوله للحديث الذي رواه البخاري.
٩٥- كثرة الشفاعات في أمته.

٩٦- تمني الكفار لو كانوا مسلمين.
٩٧- هم الآخرون في الدنيا السابقون يوم القيامة.
٩٨- دخول العدد الكثير منها الجنة بغير حساب.
٩٩- لها علامة تعرف بها ربها عز وجل وهو الساق.
١٠٠- فيها سادات أهل الجنة.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
المرجع كتاب /تذكير المسلمين باتباع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
المؤلف /عبد الله بن جار الله

٦.محمد خاتم المرسلين

د. عبد المعطي الدالاتي
هل أشرح العنوان؟!..
أخاف على إشراقه أن يُمَس!.. وأغار على جماله أن يُنتقَص!..
وأعترف أني – في نفسي – قد حاولت، واستنجد ت بمفردات اللغة فما نجحت، فيا حيرة القلم، ويا عجمة البيان!
وإذا ما عجزت عن بلوغ النجم في ذ راه، فلن أعجز عن الإشارة إلى النجم في سُراه، ورُبَّ كلمة يبارك الله بها فنقرأ فيها فحوى كتاب، وكم بارك الله بالسطور التي لا تُرى!
أخي الذي تقرأ معي هذه الكلمات: ألست معي في أنّ من عرف محمداً، عرف كل خير وحق وجمال؟ وظفر بكون معنوي كامل قائم بهذا الإنسان الأعظم؟
ومن شك فليدرس حياته كلها – أقول كلها – بقلب منصف، وعقل مفتوح، فلن يبصر فيها إلا ما تهوى العلا، ولن يجد فيها إلا كرا ئم ا لمعا ني، وطهر ا لسيرة والسريرة.
أرأيت العطر!! ألا يغنيك استنشاقه في لحظة عن وصفه في كتاب!؟
فإنك ما إن تقرأ كلامه حتى يتصل بك تيار الروح العظيمة التي أودَعت بعض عظمتها في أحاديثها، فإذا بالقلب يزكو، والنفس تطيب، وإذا بأنوار النبوة تمحو عن النفس حجاب الظلمات!
هكذا يخترق كلام النبوة حُجب النفس بعد أن اخترق حجب الزمان.
محظوظون أولئك الذين استطاعوا الرقي إلى عالم النبي، لأنهم سيشعرون في فضاءات عظمته أنهم عظماء، فالحياة في ظلال الرسول حياة ... وإذا كانت حياة الجسم في الروح، فإن حياة الروح في سنة و سيرة وحياة الحبيب المصطفى ...
لا يمكن الإحاطة بجوانب عظمة النبي محمد إلا إذا أمكن الإحاطة بجميع أطواء الكون، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عالَماً في فرد، فكان بهذا فرداً في العالم..
النبوة إشراق سماوي على الإنسانية، ليقوّمها في سيرها، ويجذبها نحو الكمال..
والنبي من الأنبياء هو الإنسان الكامل الذي يبعثه الله تعالى لتهتدي به خُطا العقل الإنساني في التاريخ..

لقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام النور الذي أشرق في تاريخ الإنسان، ففيهم تحس صدق النور، وسر الروعة، ولطف الجمال الظاهر والباطن ...

في طهر سيرتهم، ونقاء سريرتهم، وعطر أفكارهم، ويقظة أفئدتهم، وفي كل حركاتهم وسكَناتهم تلمس إعجاز النبوة العجيب.. أ ليس الله قد اصطنعهم على عينه، واختارهم ليبلغوا رسالته؟!

لقد كان الأنبياء هم البدء، ولا بد للبدء من تكملة، والتكملة بدأت في يوم حراء، غرّة أيام الدهر، ففيه تنزلت أنوار الوحي على من استحق بزّة الخاتمية فكان خاتم الأنبياء، ومن ذا يستحق أن يُختم به الوحي الإلهي غير الصادق الأمين؟!

الصادق الذي ما كذب مرة قط، لا على نفسه، ولا على الناس، ولا على ربه ... ومن منا يستطيع أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله ومشاعره ومواقفه مدى الحياة؟! اللهم لا يطيق هذا سوى الأنبياء ... والأمين الذي كان أميناً في كل شيء وكان قبل كل شيء أميناً على عقول الناس، وأفكار الناس.

كسفت الشمس يوم توفي ولده إبراهيم، فقالوا: "كُسفت الشمس لموت إبراهيم" لم يستغل رسول الإنسانية الأمين ضعف الناس فيتخذ من هذه الحادثة الاستثنائية دليلاً على صدق نبوته.. فنبوته حق، والحق قوي بذاته، والطبيعة لا تتدخل في أحزان الإنسان، فجاء البيان النبوي الصادق:" إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت أحد" وهيهات أن يقبل الرسول لأصحابه أن يكون الجهل سبباً للإيمان ...

لم يشغله حزنه الكبير على وفاة طفله الصغير، عن تصحيح مفهوم خاطئ عند الناس.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أميناً في تبليغ الرسالة كلها، فلم يُخف من القرآن المنزل عليه آية، ولو لم يكن نبياً لما وجدنا في القرآن سورة (مريم) و(آل عمران).. لو لم يكن نبياً لكتم آياتٍ كثيرةً من مثل هذه الآية الكريمة: {وإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ}. "على نساء العالمين"! هكذا بهذا الإطلاق الذي رفع السيدة مريم إلى أعلى الآفاق! أي صدق؟! وأية دلالة على مصدر هذا القرآن وصدق النبي الأميــن؟! ولو لم يكن رســولاً مــن الله ما أظهر هذا القول في هذا المجال بحال..

إن نبوّة محمد هي نبوّة صدق وأمانة وإيمان، إنها نبوة تدعو إلى فهم ووعي وهداية، هداية بالتفكر والتأمل والنظر، فالتفكير يوجب الإسلام والإسلام يوجب التفكير ... فلا يُخشى على الإسلام من حرية الفكر، بل يخشى عليه من اعتقال الفكر.

إنها نبوة مبشرة منذرة {إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

لا إغراء في هذه النبوة ولا مساومة {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}، وإن من لا يُصدق هذه ا لنبوة فلن يصدق أي خبر عن الإيمان أو الوجود، ومن لا ينتفع بعقله وضميره للإيمان بهذه النبوة فلن تنفعه كل المعجزات.

لقد كان القرآن معجزة الإسلام الأولى، وكان الرسول بذاته وأخلاقه وسيرته وانتشار دعوته معجزة الإسلام الثانية، وحُقّ للنفس التي تجمعت فيها نهايات الفضيلة الإنسانية العليا أن تكون معجزة الإنسانية الخالدة.

يقول أستاذ الفلسفة راما راو: (إن إلقاء نظرة على شخصية محمد تسمح لنا بالاطلاع على عدد كبير من المشاهد: فهناك محمد الرسول، ومحمد المجاهد، ومحمد الحاكم، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملجأ الأيتام، ومحمد محرر العبيد، ومحمد حامي المرأة، ومحمد القاضي، ومحمد العابد لله.. كل هذه الأدوار الرائعة تجعل منه أسوة للإنسانية)..

ويقول الزيات: "لما بُعث الرسول الكريم بَعث الحرية من قبرها، وأطلق العقول من أسرها، وجعل التنافس في ا لخير، والتعاون على البر، ثم وصل بين القلوب بالمؤاخاة، وعدل بين الحقوق بالمساواة.. حتى شعر الضعيف أن جند الله قوّته، والفقير أن بيت المال ثروته!! والوحيد أن المؤمنين جميعاً إخوته..".

" من كتاب ربحت محمدا ولم أخسر المسيح "

٧.ماذا يُحب الحبيب؟

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

أكمل خلق الله هو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

فماذا كان صلى الله عليه وسلم يُحب؟

لنحاول التعرّف على بعض ما يُحب لنحبّ ما أحب صلى الله عليه وسلم.

قال أنس رضي الله عنه: إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزاً ومرقا فيه دباء وقديد، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة. قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. رواه البخاري ومسلم.

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيباً أحب الطّيب والجنس اللطيف.

قال عليه الصلاة والسلام: حُبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة. رواه الإمام أحمد والنسائي.

وحُبه صلى الله عليه وسلم للطيب معروف حتى إنه لا يردّ الطيب.

وكان لا يرد الطيب، كما قاله أنس، والحديث في صحيح البخاري.

وكان يتطيّب لإحرامه، وإذا حلّ من إحرامه، كما حكته عنه عائشة رضي الله عنها، والحديث في الصحيحين.

قالت عائشة رضي الله عنها: كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم عند إحرامه بأطيب ما أجد. رواه البخاري.

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيباً أحب الطيّبات والطيبين.

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة فقيل: من الرجال؟ فقال: أبوها. قيل: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعدّ رجالا.

فما كره الطيب أو النساء إلا منكوس الفطرة !

وما على العنبر الفوّاح من حرج = أن مات من شمّه الزبّال والجُعلُ !!

وأحب صلى الله عليه وسلم الصلاة، حتى إنه ليجد فيها راحة نفسه، وقرّة عينه.

فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول لبلال: يا بلال أرحنا بالصلاة. رواه الإمام أحمد وأبو داود.
بل إن الكفار علموا بهذا الشعور فقالوا يوم قابلوا جيش النبي صلى الله عليه وسلم: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد. رواه مسلم.
وشُرعت يومها صلاة الخوف.
فهذا الشعور بمحبة الصلاة علِم به حتى الكفار !
ومن أحب شيئا أكثر من ذِكره، وعُرف به.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل. رواه البخاري ومسلم.
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الزبد والتمر. رواه أبو داود.
وما هذه إلا أمثلة لا يُراد بها الحصر.
ولكن السؤال الذي يطرح نفسه:
هل نجد الشعور الذي وجده أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أحب ما أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعاً لمحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟
اللهم صلّ وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

٨.صلى الله عليه وسلم

سلمان بن فهد العودة

لم يكتب لأحدٍ من البشر من الأثر والخلود والعظمة ما كتب لصاحب النسب الشريف - صلى الله عليه وسلم-.
ولقد دونت في سيرته الكتب، ودبجت في مديحه القصائد، وعمرت بذكره المجالس، وبقيت عظمته قمة سامقة لا تطالها الظنون.
تقلبت به صروف الحياة من قوة وضعف، وغنى وفقر، وكثرة وقلة، ونصر وهزيمة، وظعن وإقامة، وجوع وشبع، وحزن وسرور، فكان قدوة في ذلك كله، وحقق عبودية الموقف لربه كما ينبغي له.
ظل في مكة ثلاث عشرة سنة، وما آمن معه إلا قليل، فما تذمّر ولا ضجر، وجاءه أصحابه يشتكون إليه ويسألونه الدعاء والاستنصار فحلف على نصر الدين وتمام الأمر، وأنكر عليهم أنهم يستعجلون، فكان الأمر كما وعد، علماً من أعلام نبوته، ونصراً لأمر الله، لا للأشخاص.
وكان من نصره أن تأتيه وفود العرب من كل ناحية مبايعة على الإسلام والطاعة فما تغير ولا تكبّر، ولا انتصر لنفسه من قوم حاربوه وآذوه وعاندوا دينه.
كما كان يقول أبو سفيان بن الحارث:

لعـــمرك إني يوم أحمل راية *** لتغـلب خيل اللات خيل محمدِ
لكـــالمدلج الـحيران أظلم ليله *** فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
هداني هـــادٍ غير نفسي ودلني *** على الله من طردته كل مطرد

وما حملت من ناقة فوق ظهرها *** أبر وأوفى ذمـــة من محـــمد

فاستل العداوات، ومحا السخائم، وألّف القلوب، وأعاد اللُّحمة، وعرف عدوُّه قبل صديقه أنها النبوة، وأنه لم يكن صاحب طموح شخصي ولا باني مجد ذاتي، وإن كان الطموح والمجد لبعض جنوده.
تعجب من عفويته وقلة تكلفه في سائر أمره، واحتفاظ شخصيته بهدوئها وطبيعتها وتوازنها مهما تقلبت عليها الأحوال، واختلفت عليها الطرائق.
قل إنسان إلا وله طبعه الخاص الذي يبين في بعض الحال ويستتر في بعض، ويترتب عليه استرواح لقوم دون آخرين، ويحكم العديد من مواقفه وتصرفاته حاشاه -صلى الله عليه وسلم-.
فهو يُقبِل بوجهه على كل جليس، ويخاطب كل قوم بلغتهم، ويحدثهم بما يعرفون، ويعاملهم بغاية اللطف والرحمة والإشفاق، إلا أن يكونوا محاربين حملوا السلاح في وجه الحق، وأجلبوا لإطفاء نوره وحجب ضيائه.
كل طعام تيسر من الحلال فهو طعامه، وكل فراش أتيح فهو وطاؤه، وكل فرد أقبل فهو جليسه.
ما تكلف مفقوداً، ولا رد موجوداً، ولا عاب طعاماً، ولا تجنب شيئاً قط لطيبه، لا طعاماً ولا شراباً ولا فراشاً ولا كساءً، بل كان يحب الطيب، ولكن لا يتكلفه.
سيرته صفحة مكشوفة يعرفها محبوه وشانئوه، ولقد نقل لنا الرواة دقيق وصف بدنه، وقسمات وجهه، وصفة شعره، وكم شيبة في رأسه ولحيته، وطريقة حديثه، وحركة يده، كما نقلوا تفصيل شأنه في مأكله، ومشربه، ومركبه، وسفره، وإقامته، وعبادته، ورضاه، وغضبه، حتى دخلوا في ذكر حاله مع أزواجه أمهات المؤمنين في المعاشرة، والغسل، والقسم، والنفقة، والمداعبة، والمغاضبة، والجد، والمزاح، وفصلوا في خصوصيات الحياة وضروراتها.
ولعمر الله إن القارئ لسيرته اليوم ليعرف من تفصيل أمره ما لا يعرفه الناس عن متبوعيهم من الأحياء، ومالا يعرفه الصديق عن صديقه، ولا الزوج عن زوجه، ولا كان أهل الكتاب يعرفونه شيئاً يقاربه أو يدانيه عن أنبيائهم وهم أحياء ؛ وذلك لتكون سيرته موضع القدوة والأسوة في كل الأحوال، ولكل الناس.
فالرئيس والمدير والعالم والتاجر والزوج والأب والمعلم والغني والفقير...
كلهم يجدون في سيرته الهداية التامة على تنوع أحوالهم وتفاوت طرائقهم.
والفرد الواحد لا يخرج عن محل القدوة به -صلى الله عليه وسلم- مهما تقلبت به الحال، ومهما ركب من الأطوار، فهو القدوة والأسوة في ذلك كله.
وإنك لتقرأ سيرة علم من الأعلام فتندهش من جوانب العظمة في شخصيته فإذا تأملت صلاحيتها للأسوة علمت أنها تصلح لهذا العلم في صفته وطبعه وتكوينه، ولكنها قد لا تصلح لغيره.
ولقد يرى الإنسان في أحوال السالفين من الجلد على العبادة، أو على العلم، أو على الزهد ما يشعر أنه أبعد ما يكون عن تحقيقه حتى يقول لنفسه:
لا تـــعرضن لذكرنا مع ذكرهم *** ليس الصحيح إذا مشى كالمقعدِ

فإذا قرأ سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحس بقرب التناول وسهولة المأخذ، وواقعية الاتباع.
حتى لقد وقع من بعض أصحابه ما وقع فقال لهم: ((أنا أخشاكم لله، وأتقاكم له، وأعلمكم بما أتقى)).
وقال: ((اكلفوا من العمل ما تطيقون)).
وقال: ((إن هذا الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا)).
ولهذا كان خير ما يربى عليه السالكون مدارسة سيرته وهديه وتقليب النظر فيها وإدمان مطالعتها واستحضار معناها وسرها، وأخذها بكليتها دون اجتزاء أو اعتساف.
إن الله -عز وتعالى- لم يجعل لأحد وراء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا المنصب الشريف: منصب القدوة والأسوة ؛ لأنه جمع هدى السابقين الذين أمر أن يقتدي بهم " فبهداهم اقتده " إلى ما خصه الله -تعالى- وخيَّره به من صفات الكمال ونعوت الجمال، ولهذا قال -سبحانه-: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}.
إن حياته -صلى الله عليه وسلم- وحياة خلفائه الراشدين هي المذكرة التفسيرية والترجمة العلمية لنصوص الشريعة.
ومن الخير أن تظل هذه السيرة بواقعيتها وصدقها محفوظة من تزيد الرواة، ومبالغات النقلة التي ربما حولتها إلى ملحمة أسطورية تعتمد على الخوارق والمعجزات، وبهذا يتخفف الناس من مقاربتها واتباعها ليكتفوا بقراءتها مع هزِّ الرؤوس وسكب الدموع وقشعريرة البدن.
إن الآيات التي تأتي مع الأنبياء حق، لكنها الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، والقاعدة هي الجريان مع السنن الكونية كما هي.
وكثيرون من المسلمين، وربما من خاصتهم يستهويهم التأسي بالأحوال العملية الظاهرة في السلوك والعبادة وغيرها، فيقتدون به -صلى الله عليه وسلم- في صلاته: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))، وحجّه ((خذوا عني مناسككم)) وسنن اللباس والدخول والخروج ...
وهذا جزء من الاتباع المشروع، بيد أنه ليس كله، ولا أهم ما فيه، فإن اتباع الهدي النبوي في المعاملة مع الله تعالى، والتجرد والإخلاص، ومراقبة النفس، وتحقيق المعاني المشروعة من الحب والخوف والرجاء أولى بالعناية وأحق بالرعاية، وإن كان ميدان التنافس في هذا ضعيفاً ؛ لأن الناس يتنافسون –عادة- فيما يكون مكسبة للحمد والثناء من الأمور الظاهرة التي يراها الناس، ولا يجدون الشيء ذاته في الأمور الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله، وربما تحرى امرؤ صفة نبوية في عبادة أو عمل واعتنى بها وتكلف تمثلها فوق المشروع، دون أن يكلف نفسه عناء التأمل في سر هذه الصفة وحكمتها وأثرها في النفس.

وهذه المسائل، حتى التعبدية منها ؛ ما شرعت إلا لمنافع الناس ومصالحهم العاجلة والآجلة، وليست قيمتها في ذاتها فحسب، بل في الأثر الذي ينتج عنها فيراه صاحبه ويراه الآخرون.
وإنه لخليق بكل مسلم أن يجعل له ورداً من سيرة المصطفى -عليه السلام-، إن كان ناشئاً فمثل (بطل الأبطال) لعزام، وإن كان شاباً فمثل (الشمائل المحمدية) لابن كثير أو الترمذي، و (الفصول) لابن كثير، أو (مختصر السيرة) أو (الرحيق المختوم) أو (تهذيب سيرة ابن هشام) وإن كان شيخاً فمثل (سيرة ابن هشام) أو (ابن كثير) وإن كان متضلعاً بالمطولات فمثل (سبل الهدى والرشاد) وكتاب (نضرة النعيم).
رزقنا الله حب نبيه وحسن اتباعه ظاهراً وباطناً وحشرنا في زمرته مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

٩.خصائص النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم

ماجد المبارك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبده ورسوله أما بعد.
فموضوعي هذا عن خصائص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذلك أن معرفة ما يتعلق به واجب علينا وأن نعرف له حقه وأن نعرف له منزلته وقدره. وذلك كله داخل في إيماننا بنبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم.
فخصائصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي ما اختصه الله عز وجل بها وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين والخلق. ومعرفة هذه الخصائص تزيدنا في معرفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتجعلنا نحبه ويزداد إيماننا به فنزداد له تبجيلاً ونزداد له شوقا. ومن خصائصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم منها:
ما اختص بها في ذاته في الدنيا. ومنها ما اختص بها في ذاته في الآخرة.
ومنها ما اختصت به أمته في الدنيا ومنها ما اختصت به أمته في الآخرة.
قال تعالى: {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً} [النساء: ١١٣] وقال تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات} [البقرة: ٢٥٣].
التفضيل الأول صريح في المفاضلة، والثاني في تضعيف المفاضلة بدرجات وقد فضل الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم من وجوه. ومن هذه الخصائص خصيصة عجيبة وهي:
١- أن الله عز وجل أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام أنه إذا ظهر النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عهده وبعث أن يؤمن به ويتبعه ولا تمنعه نبوته أن يتابع نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم. وكل نبي أخذ العهد والميثاق على أمته أنه لو بعث محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يتابعوه ولا يتابعوا نبيهم. والدليل قال الله تعالى:

{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} [آل عمران: ٨١].
٢- أنه ساد الكل، قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) [رواه ابن حبان] والسيّدُ من اتصف بالصفات العليّة، والأخلاق السنيّة. وهذا مشعرٌ بأنه أفضل منهم في الدارين، أمّا في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة. وأمّا في الآخرة فلأن الجزاء مرتبٌ على الأخلاق والأوصاف، فإذا كان أفضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، كان أفضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات. وإنما قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) ليخبر أمتُه عن منزلته من ربه عزّ وجل، ولّما كان ذكر مناقب النفس إنما تذكر افتخاراً في الغالب، أراد صلى الله عليه وسلم أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أن يذكر ذلك افتخاراً قال: ((ولا فخر)).
٣- ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر)).
٤- ومنها أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الله تعالى: {إنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر} الآيه [الفتح: ١، ٢]. ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم، لأن كل واحد منهم إذا طُلِبَتْ منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: ((نفسي نفسي)) ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يُوْجَل منها في ذلك المقام، وإذا استشفعت الخلائق بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام قال: ((أنا لها)).
٥- ومنها إيثاره صلى الله عليه وسلم على نفسه، إذ جعل لكل نبي دعوة مستجابة، فكل منهم تعجل دعوته في الدنيا، واختبأ هو صلى الله عليه وسلم دعوته شفاعة لأمته.
٦- ومنها أن الله تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم فقال: ((لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون)) [الحجر: ٧٢]. والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المقُسم بها ن وأن حياته صلى الله عليه وسلم لجديرة أن يقسم بها من البركة العامة والخاصة، ولم يثبت هذا لغيره صلى الله عليه وسلم.
٧- ومنها أن الله تعالى وقره ففي ندائه، فناداه بأحب أسمائه واسني أوصافه فقال: {يا أيها النبي} [الأنفال: ٦٤، ٦٥، ٧٠ ومواضع أخرى]، {يا أيها الرسول} [المائدة: ٤١، ٦٧] وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلاً منهم نودي باسمه، فقال تعالي: {يا آدم اسكن} [البقرة: ٣٥]، {يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك} [المائدة: ١١٠]، {يا موسى إني أنا الله} [القصص: ٣٠]، {يا نوح اهبط بسلام} [هود: ٤٨]، {يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض} [ص: ٢٩] {يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا} [الصافات: ١٠٥]، {يا لوط أنا رُ سُلُ ربك} [هود: ٨١]، {يا زكريا إنا نبشرك} [مريم: ٧]، {يا يحيى خذ الكتاب} [مريم: ١٢] ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دَعى أحد عبيده بأفضل ما وجد يهم من الأوصاف العليّة والأخلاق السنيّة، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يُشعر بوصف من الأوصاف، ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن

دعاه باسمه العلم. وهذا معلومٌ بالعرف أن من دُعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كل ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه.

٨- ومنها أن معجزة كل نبي تصرمت وانقرضت، ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدين.
٩- ومنها تسليم الحجر عليه وحنين الجذع إليه ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك.
١٠- ومنها أنه وجد في معجزاته ما هو أظهر ففي الإعجاز من معجزات غيره، كتفجير الماء من بين أصابعه فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء، وكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.
١١ - ومنها أن الله تعالى يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، وأمتُه شطر أهل الجنة، وقد أخبر الله تعالى أن أمته خير أمة أخرجت للناس وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف.
١٢- ومنها أن الله أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته، ولنبينا صلى الله عليه وسلم ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه، تارة لمباشرة الإبلاغ، وتارة بالنسبة إليه ولذلك تمنن عليه بقوله تعالى: {ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً} [الفرقان: ٥١]، ووجه التمنن: أنه لو بعث في كل قرية نذيراً لما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أجر إنذاره لأهل قريته.
١٣- ومنها أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بالطور، وبالوادي المقدس، وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى.
١٤- ومنها أنه قال: ((نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق، ونحن أول من يدخل الجنة)) [أخرجه مسلم].
١٥- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة، حتى إبراهيم.
١٦- ومنها أنه قال: ((الوسيلة منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)) [أخرجه مسلم].
١٧- ومنها أنه يدخل من أمته إلى الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم.
١٨- ومنها: الكوثر الذي أعطيه ففي الجنة، والحوض الذي أعطيه في الموقف.
١٩- ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((نحن الآخرون السابقون)) الآخرون زماناً، السابقون بالمناقب والفضائل.
٢٠- ومنها أنه أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله. وجعلت صفوف أمته كصفوف الملائكة، وجعلت له الأرض مسجداً، وترابها طهوراً. وهذه الخصائص تدل على علو مرتبته، والرفق بأمته.

٢١- ومنها أن الله تعالى أثنى على خلقه فقال: {وإنك لعلى خلق عظيم} [القلم: ٤]، واستعظام العظماء للشيء يدل على إيغاله في العظمة، فما الظن باستعظام أعظم العظماء؟.
٢٢- ومنها أن الله تعالى كلمه بأنواع الوحي وهي ثلاثة أحدها: الرؤيا الصادقة. والثاني: الكلام من غير واسطة. والثالث: مع جبريل صلى الله عليه وسلم. وزاد الألباني النفث في الروع.
٢٣- ومنها أن كتابة صلى الله عليه وسلم مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة والإنجيل والزبور، وفضل بالمفصل.
٢٤- ومنها أن أمته أقل عملاً ممن قبلهم، وأكثر أجراً كما جاء في الحديث الصحيح
٢٥- ومنها أن الله عز وجل عرض عليه مفاتيح كنوز الأرض وخيرة أن يكون ملكاً أو نبياً عبداً، فاستشار جبريل عليه السلام. فأشار إليه أن تواضع.
٢٦- ومنها أن الله تعالى أرسله (رحمةً للعالمين)، فأمهل عصاه أمته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم، بخلاف من تقدمه من الأنبياء إنهم لما كذبوا عُوجل مكذبهم.
وأما أخلاقه صلى الله عليه وسلم في حلمه وعفوه وصفحه وصبره وشكره ولينه في الله، وانه لم يغضب لنفسه، وأنه جاء بإتمام مكارم الأخلاق، وما نقل من خشوعه وخضوعه وتبتله وتواضعه ففي مأكله، وملبسة، ومشربه، ومسكنه ن وجميل عشرته، وكريم خليقته، وحسن سجيته، ونصحه لأمته وحرصه على إيمان عشيرته، وقيامه بأعباء رسالته في نصرة دين الله، وإعلاء كلمته، وما لقيه من أذى قومه وغيرهم في وطنه وغربته بعض هذه المناقب موجودة في كتاب الله وكتب شمائله. ومنها كتاب الشمائل للترمذي.
٢٧- أما لينه ففي قوله تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم} [آل عمران: ١٥٩].
٢٨- وأما شدته على الكافرين، ورحمته على المؤمنين ففي قوله تعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} [الفتح: ٢٩].
٢٩- وأما حرصه على إيمان أمته، ورأفته بالمؤمنين، وشفقته على الكافة ففي قوله تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم} [التوبة: ١٢٨] أني يُشق عليه ما يشق عليكم، {حريص عليكم}، أي إيمانكم {بالمؤمنين رؤوف رحيم}.
٣٠- وأما نصحه في أداء رسالته ففي قوله تعالى: {فتول عنهم فما أنت بملوم} [الذاريات: ٥٤] أي فما أنت بملوم لأنك بلغتهم فأبرأت ذمتك.
٣١- ومنها أن الله تعالى أمته منزل العدول من الحكام، فإن الله تعالى إذا حكم بين العباد فجحدت الأمم بتبليغ الرسالة أحضر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون على الناس بأن رسلهم أبلغتهم وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء.
٣٢- ومثلها عصمة أمته بأنها لا تجتمع على ضلالة في فرع ولا في أصل.
٣٣- ومثلها حفظ كتابه، قل لو اجتمع والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة، أو ينقصوا منه لعجزوا عن ذلك، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل.
٣٤- ومنها أنه بعث بجوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصاراً وفاق العرب في فصاحته وبلاغته.

كما قال عليه الصلاة والسلام: ((أعطيت فواتح الكلم، وجوامعه وخواتمه)) [في الصحيحين].
هذا ما يسره الله لي من جمع لبعض خصائص أفضل المخلوقين ونسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لإتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سننه وطريقته وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة وأن يجعلنا من حزبه وأنصاره ومن أهل حوضه.
إن الله على كل شيء قدير و بالإجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.
* * *
المراجع:
الخاصية الأولى من شريط الشيخ محمد بن صالح المنجد في شريط بعنوان خصائص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.
أما بقية الخصائص فهي من كتاب [بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم] للعلامة [العز بن عبدالسلام ـ رحمه الله] تحقيق حجة الحديث [محمد بن ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله].

١٠.حريص عليكم...

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم
وصفه ربُّه بذلك:
فقال: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}
هذا من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن.
{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} يشق عليه ما يشقّ عليكم، وما يُسبب لكم العَنت، وهو الحرج والمشقّة.
{حَرِيصٌ عَلَيْكُم}
وسبب ذلك الحرص رحمته بالمؤمنين ورأفته بهم.
وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم:
{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}
ولعلي أستعرض شيئا من حرصه عليه الصلاة والسلام على أمته.
فمن صور حرصه صلى الله عليه وسلم:
حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته يوم القيامة:
قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض – ثم ذكر مجيئهم إلى الأنبياء – فقال: فيأتونني فأقول أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي...))الحديث. رواه البخاري ومسلم.
ودعوى الأنبياء يومئذٍ: (اللهم سلّم سلّم).

قال أبو عبدالرحمن السلمي – في قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.
قال – رحمه الله –:
انظر هل وصف الله عز وجل أحدا من عباده بهذا الوصف من الشفقة والرحمة التي وصف بها حبيبه صلى الله عليه وسلم؟ ألا تراه في القيامة إذا اشتغل الناس بأنفسهم كيف يدع نفسه ويقول: أمتي أمتي. يرجع إلى الشفقة عليهم. اهـ.
حرصه على هداية أمته:
قال عليه الصلاة والسلام لما تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} وقول عيسى عليه السلام: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فرفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي)) وبكى، فقال الله عز وجل: ((يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم، فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)). رواه مسلم.
حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية الناس أجمع:
كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار. رواه البخاري.
مع أنه غلام يهودي، ولم يعد خادما للنبي صلى الله عليه وسلم، لكنه الحرص على هداية الخلق.
حرصه صلى الله عليه وسلم على عدم المشقّة عليهم في التكاليف:
في الصلاة:
لما فُرضت الصلاة على أمته خمسين صلاة، استشار موسى عليه الصلاة والسلام، فقال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.
فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يُراجع ربّه حتى خفف الله عن هذه الأمة فصارت خمس صلوات.
ولما أعتم النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل وحتى نام أهل المسجد ثم خرج فصلى فقال: إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي. رواه مسلم
ولما صلى في رمضان، وصلى رجال بصلاته، ترك القيام في الليلة الثالثة أو الرابعة، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها. متفق عليه.
في الحج:
لما قال عليه الصلاة والسلام: ((أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا))، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم)) ثم قال: ((ذروني ما تركتكم، فإنما هلك

من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)). رواه مسلم.

في السنن:
قال صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)). رواه البخاري ومسلم.
شفقته بنساء أمته:
قال عليه الصلاة والسلام: ((إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمِّه)). رواه البخاري.
حرصه على مراعاة نفسيات أصحابه:
قال عليه الصلاة والسلام: ((لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي)). رواه البخاري ومسلم.
حرصه صلى الله عليه وسلم على شباب أمته:
حدّث مالك بن الحويرث رضي الله عنه فقال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رقيقا - فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عن من تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: ((ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم)). متفق عليه.
فاللهم صلِّ وسلّم وزد وأنعم على عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم.
اللهم اجزه عنا خير ما جازيت نبيّاً عن أمته.
اللهم احشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا من يده الشريفة.

١١.{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}

عبدالله البصري

أما بَعدُ، فأُوصِيكُم ـ أيها الناسُ ـ ونفسي بتقوى اللهِ ـ جل وعلا ـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجعَل لَّكُم نُورًا تَمشُونَ بِهِ وَيَغفِرْ لَكُم وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

أيها المسلمون، ومِن فَضلِ اللهِ ـ جل وعلا ـ ورحمتِهِ بِعِبادِهِ، أَنْ بَعَثَ إِلَيهِم رُسُلَهُ يخُرِجونهم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} وكان تمامُ هذِهِ النِّعمَةِ وكَمَالَهَا، وتَاجَهَا وَوِسَامَ فَخرِها، خَاتَمَ الأَنبِيَاءِ وَأَشرَفَ المُرسَلِينَ، وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا محمدًا ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ، الذي امتنَّ اللهُ عَلَينَا بِبِعثَتِهِ، وَأَنعَمَ عَلَينَا بِرِسَالَتِهِ، قال ـ سبحانَه ـ: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِم يَتْلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} وقال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُم رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم

بِالمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} وقال ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأنبيَاءِ مِن قَبلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بنى بَيتًا فَأَحسَنَهُ وَأَجمَلَهُ، إِلا مَوضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وَضَعْتَ هذِهِ اللَّبِنَةَ)) قال: ((فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)).

نَعَمْ ـ أيها المسلمون ـ لقد بَعَثَ اللهُ محمدًا ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ والناسُ في جاهليةٍ جَهلاءَ، يَتِيهُونَ في الضَّلالِ وَالشَّقَاءِ، يَعبُدُونَ الأَصنَامَ وَيَستَقسِمُونَ بِالأَزلامِ، قَدِ استَحَلُّوا المَيسِرَ وَالرِّبا، وَعَاقَرُوا الخَمرَ وَالزِّنا، يَئِدُونَ البَنَاتَ وَلا يُوَرِّثُونَ الزَّوجَاتِ، فَفَتَحَ اللهُ بِبِعثَتِهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ أَعيُنًا عُميًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلفًا، وَهَدَى بِهِ مِنَ العَمَى وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، فَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَصَلَحَت حَالُها، وَعَرَفَ النَّبيَّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ وَاتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِهِ، مَن أَنَارَ اللهُ بَصِيرَتَهُ وَوَفَّقَهُ وَشَرَحَ صَدرَهُ، بل حتى البَهَائِمِ وَالعَجمَاوَاتُ وَالجَمَادَاتُ، أَقَرَّت بِخَيرِ البرِيَّةِ واعترفت بأزكى البَشَرِيَّةِ، فَهَابَتْهُ وَوَقَّرَتْهُ وَتَأَدَّبَتْ لَه، وَسَلَّمَتْ عَلَيهِ وَحَنَّتْ إِلَيهِ، وَخَضَعَتْ لَه وَبَكَتْ بَينَ يَدَيهِ، وَانقَادَت لَه وَأَطَاعَت أَمرَهُ.

فَعَن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: أَقبَلنَا مَعَ رَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ حتى دَفَعْنَا إِلى حائِطٍ في بني النَّجَّار، فَإِذَا فِيهِ جملٌ لا يَدخُلُ الحائِطَ أَحَدٌ إِلا شَدَّ عَلَيهِ، فَذَكَرُوا ذلك للنبيِّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ فَأَتَاهُ فَدَعَاهُ، فَجَاءَ وَاضِعًا مِشفَرَهُ عَلَى الأَرضِ حتى بَرَكَ بَينَ يَدَيهِ، فقال: هاتُوا خِطَامًا، فَخَطَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلى صَاحِبِهِ، ثم التَفَتَ فقال: ((ما بَينَ السَّمَاءِ إِلى الأَرضِ أَحَدٌ إِلا يَعلَمُ أَني رَسولُ اللهِ، إِلا عاصِي الجِنِّ وَالإِنس)).

وعن عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: أَردَفَني رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ خَلفَهُ ذَاتَ يَومٍ، فَأَسَرَّ إِليَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ ما استَتَرَ بِهِ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أو حَائِشَ نخلٍ، قال: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنصَارِ، فَإِذَا جملٌ، فَلَمَّا رَأَى النبيَّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَينَاهُ، فَأَتَاهُ النبيُّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ فَمَسَحَ ذِفرَاهُ فَسَكَتْ، فقال: ((مَن رَبُّ هذا الجمَلِ؟ لِمَن هذا الجملُ؟)) فجاء فتىً مِنَ الأَنصَارِ، فقال: لي يا رَسولَ اللهِ، فقال: ((أفلا تَتَّقِي اللهَ في هذِهِ البَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)).

وعن عائشة ـ رضي اللهُ عنها ـ قالت: كان لآلِ رَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ لَعِبَ وَاشتَدَّ وَأَقبَلَ وَأَدبَرَ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ قَد دَخَلَ رَبَضَ، فَلَم يَتَرَمْرَمْ مَا دَامَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ في البيتِ كَرَاهِيَةَ أَن يُؤْذِيَهُ.

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: سِرْنا مَعَ رَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ حتى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفيَحَ. فَذَهَبَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ يَقضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِأَدَاوَةٍ مِن مَاءٍ. فَنَظَرَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ فَلَم يَرَ شَيئًا يَستَتِرُ بِهِ. فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الوَادِي. فَانطَلَقَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ إِلى إِحدَاهما، فَأَخَذَ بِغُصنٍ مِن أَغصَانِها. فقال: ((انقَادِي عَلَيَّ بِإِذنِ اللهِ)) فَانقَادَت مَعَهُ كَالبَعِيرِ المَخشُوشِ الذي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حتى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخرَى، فَأَخَذَ بِغُصنٍ مِن أَغصَانِها،

فقال: ((انقَادِي عَلَيَّ بإِذنِ اللهِ)) فَانقَادَت مَعَهُ كذلك. حتى إذَا كان بِالمَنصَفِ ممَّا بَينَهُمَا، لأَمَ بَينَهُمَا (يَعني جمعَهُمَا) فقال: ((الِتَئِمَا عَلَيَّ بإِذنِ اللهِ)) فالتَأَمَتَا. قال جابرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ (أَيْ أَعدُو وَأَسعَى سَعيًا شَدِيدًا) مَخَافَةَ أن يُحِسَّ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ بِقُربي فَيَبتَعِدَ، فَجَلَستُ أُحَدِّثُ نَفسِي، فَحَانَت مِنِّي لَفتَةٌ، فَإِذَا أَنا بِرَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ مُقبِلا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افتَرَقَتَا، فَقَامَت كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنهُمَا عَلَى سَاقٍ".

وعنه ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: كان النبيُّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ يَقُومُ إلى جِذْعٍ قبلَ أن يُجعَلَ لَهُ المِنبَرُ، فَلَمَّا جُعِلَ المِنبَرُ حَنَّ الجِذعُ حتى سَمِعْنَا حَنِينَهُ، فَمَسَحَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ يَدَهُ عَلَيهِ فَسَكَنَ. وعن جابرِ بنِ سَمُرَةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: قال رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ: ((إِنِّي لأَعرفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبلَ أن أُبعَثَ، إِنِّي لأَعرِفُهُ الآنَ)).

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: كُنتُ مَعَ النبيِّ بمكة، فَخَرَجْنَا في بَعضِ نَوَاحِيها، فَمَا استَقبَلَهُ جَبَلٌ ولا شَجَرٌ إلا هو يَقُولُ: السَّلامُ عَلَيكَ يَا رَسولَ اللهِ. ولمَّا هَاجَرَ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ إلى المدينةِ، وكانت مِن أَوبَأِ أَرضِ اللهِ، فَصَحَّحَهَا اللهُ بِبَرَكَةِ حُلُولِهِ بها وَدُعائِهِ لأَهلِهَا، حَيثُ دَعَا ـ عليه السلامُ ـ رَبَّهُ أن يُذهِبَ حُمَّاهَا إلى الجُحفَةِ، فَاستَجَابَ اللهُ له ذلك..

وعن أنسٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: لمَّا كان اليَومُ الذي دَخَلَ النبيُّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ فِيهِ المَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنها كُلُّ شَيءٍ، فَلَمَّا كان اليَومُ الذي مَاتَ فِيهِ، أَظلَمَ منها كُلُّ شَيءٍ... اللهُ أكبرُ ـ أيها المسلمون ـ كُلُّ شَيءٍ يَعرِفُ رَسُولَ اللهِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ وَيُحِبُّهُ، كُلُّ شَيءٍ يُؤمِنُ بِنُبُوَّتِهِ وَيُقِرُّ بِرِسالَتِهِ، إلا مَن أَرَادَ اللهُ ضَلالَتَهُم مِن أَشقِيَاءِ بَنِي الإنسانِ، فَلَم يَزَالُوا مُنذُ مَبعَثِهِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ ضَائِقَةً بِهِ صُدُورُهُم، غَاصَّةً بِهِ نُحُورُهُم، يَكِيدُونَ لَهُ وَيَمكُرونَ بِهِ، وَيُدَبِّرُونَ المُؤَامَرَاتِ ضِدَّهُ وَيُؤذُونَهُ، سَخِرُوا مِنهُ وَاستَهزَؤُوا بما جاء به، واتَّهَمُوهُ بِالجُنُونِ والكَهَانَةِ، وَقَالُوا عَنه إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ، وَوَضَعُوا سَلا الجَزُورِ على ظَهرِهِ وهو سَاجِدٌ يُصَلِّي، وَرَمَوهُ بِالحِجارَةِ حَتى أَدمَوا عَقِبَيهِ، وَحَاصَرُوهُ في الشِّعبِ وَتَآمَرُوا لِقَتلِهِ، بَل لم يَزَالُوا به حتى أَخرَجُوهُ مِن أَحَبِّ البِقَاعِ إليهِ وَأَبعَدُوهُ عنها، وَمَنَعُوهُ مِن دُخُولِها لِعِبادَةِ رَبِّهِ وَزِيَارَةِ بَيتِهِ، ثم جَيَّشُوا الجُيُوشَ لِحَربِهِ وَجَابَهُوهُ، وكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ وَشَجُّوا وجنَتَهُ وَأَدمَوا وَجهَهُ {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} وَتِلكَ سُنَّةُ اللهِ في إخوانِهِ الذين خَلَوا مِن قَبلِهِ مِنَ الأنبياءِ وَالمُرسَلِينَ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلا، وَلَن تجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تحويلا، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعضُهُم إِلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُرُورًا، وَلَو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفتَرُونَ} وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}.

واليَومَ وفي ظِلِّ حَضَارَةِ الغَرْبِ النَّصرَانيِّ المُتَطَرِّفِ، والذي تَتَغَنَّى بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّمَدُّنِ عَوَاصِمُهُ، وَيَتَشَدَّقُ بِالمَعَاني الإنسَانِيَّةِ مُثَقَّفُوهُ، وَيَدَّعِي الحُرِّيَّةَ وَالتَّسَامُحَ كُبَرَاؤُهُ، تَأبَى الحَقَائِقُ إلا أن تَتَكَشَّفَ يومًا بَعدَ يَومٍ، لِتُظهِرَ مَا تُكِنُّهُ صُدُورُ أولئك القَومِ مِن كُرهٍ وَبَغضَاءَ، وَتُظهِرُ مَا يَنطَوُونَ عَلَيهِ مِن حِقدٍ وَشَحنَاءَ، فَتَتَمَادَى وَسَائِلُ إعلامِهِم

وَيَتَنَاوَبُ مِنهُم أَشخَاصٌ مَوتُورُونَ، على الاستِهزَاءِ برَسولِ اللهِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ وَتَتَكَرَّرُ مِنهُم محاولاتُ الإسَاءَةِ إِلَيهِ بِأَلفَاظٍ نَابِيَةٍ وَرُسُومٍ بَغِيضَةٍ كَاذِبَةٍ، مُعلِنِينَ ذلك على المَلأِ في صُحُفِهِم وَوَسَائِلِ إعلامِهِم، ضَارِبِينَ بِعُرضِ الحَائِطِ مَشَاعِرَ أَكثَرَ مِن أَلفِ مِليونِ مُسلِمٍ هُم أَتبَاعُهُ وَأَحبَابُهُ.

وَلَئِنْ سَاءَ المُسلِمِينَ وَقَطَّعَ قُلُوبَهُم، وَأَغَاضَهُم وَقَرَّحَ أَكبَادَهُم، ما نُشِرَ في تِلكَ الصُّحُفِ خِلالَ الأَشهُرِ الماضِيَةِ، فَإِنَّ مِن عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، أَنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ شَرًّا مَحْضًا، بل كما قال ـ سبحانَه ـ: {لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فقد تَضَمَّنَ ذلك الشَّرُّ خَيرًا، وَأَظهَرَ ذلك السُّوءُ حُسنًا، وَلَو لم يَكُنْ إلا أَنِ انكَشَفَتِ الحقِيقَةُ عَن وَجهِ الحَضَارَةِ الغَربِيَّةِ، وَظَهَرَ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ زَيفُ مَا تَتَشَدَّقُ بِهِ مِن حُبٍّ لِلسَّلامِ، وَبَانَت عَدَاوَةُ النَّصَارَى وَكَذِبُهُم فِيمَا يَزعُمُونَ مِن صَدَاقَةٍ وَمَوَدَّةٍ لِلمُسلِمِينَ، وَاتَّضَحَ أَنَّ مَن يَطلُبُ رِضَاهُم وَيَنشُدُ وُدَّهُم، مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذوَةَ نَارٍ.

وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} فَمَاذَا عَسَى المُغتَرُّونَ مِن قَومِنَا يَقُولُونَ؟ مَاذَا عَسَى أُغَيْلِمَةُ الصَّحَافَةِ وَسُفَهَاءُ الإعلامِ يَكتُبُونَ؟ أينَ الذين كانوا يُلَمِّعُونَ الغَرْبَ تحتَ شِعَارِ (الآخَرِ) سَتْرًا لِلكَافِرِ؟! أَلا إِنَّ الحقِيقَةَ قَد تجلَّتْ وَانكَشَفَتْ ! فَلْيَصمُتْ مَن كانوا يُنَادُونَ بِاحترَامِ (الآخَرِ) ! وَلْيَلْقَمْ حَجَرًا مَن كَانوا يَوَدُّونَ لَو صَمَتَ دُعَاةُ الإسلامِ، مُنَادِينَ بِـ (حُرِّيَّةِ الفِكرِ) بَل (حُرِّيَّةِ الكُفْرِ) ! إذَا تَكَلَّمَ صَادِقٌ نَصَبُوا لَهُ العِدَاءَ، وَإِنْ تَبَجَّحَ كَافِرٌ سَكَتُوا وَكَأَنَّ الأمرَ لا يَعنِيهِم. هَاهُوَ الكَافِرُ الذي سمَّوهُ (الآخَرَ) فِي مُحاوَلَةٍ لِتَمييعِ المُصطَلَحَاتِ الشَّرعِيَّةِ، وَإِضعَافِ عقيدةِ البَرَاءِ فِي نُفُوسِ المُسلِمِينَ، هَا هُوَ ذلكم (الآخَرُ) يَتَطَاوَلُ على دِينِ اللهِ وَيَستَهزِئُ بِرَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ فماذا عَسَاهُم فَاعِلِينَ؟

إِنَّ هذا (الآخَرَ) الذي تَوَدَّدَ لَهُ بَعضُ سُفَهَاءِ المُسلِمِينَ وَطَلَبُوا رِضَاهُ، لم يَقبَلْهُم مِن قَبلُ، وَلَن يَقبَلَهُم بَعدُ، لَن يُحِبَّهُم وَلَن يُقَدِّرَهُم، وَلَن يَذهَبَ مَا في صَدرِهِ عَلَيهِم، حتى يجتَمِعَ الماءُ والنَّارُ، وَحتى يَلتَقِيَ الضَّبُّ وَالحُوتُ، ولا يُقَالُ هذا رَجمًا بِالغَيبِ وَلا ادِّعَاءً كَاذِبًا، بل هُوَ مَا أَخبرَ اللهُ بِهِ في مُحكَمِ كِتَابِهِ، إِذْ قَالَ ـ سبحانَه ـ: {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} إنها عَدَاوَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ وَإِحَنٌ مُنعَقِدَةٌ، لا يُذهِبُها زَمَانٌ ولا يُعالِجُها دَوَاءٌ، وَلا تَهدَأُ مَهمَا قَدَّمَ المسلمون مِن تَنَازُلاتٍ عَن دِينِهِم أو مَيَّعُوا أَحكَامَ عَقِيدَتِهِم.

وَمِمَّا يُستَفَادُ مِن هَذِهِ الأَحدَاثِ ـ أيها المسلمون ـ تميُّزُ الطَّيِّبِ مِنَ الخَبِيثِ، وَظُهُورُ الصَّادِقِ مِنَ الكَاذِبِ، قال ـ سبحانَه ـ: {مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُم عَلَيهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}، ثم إِنَّ في الغَربِ مُنصِفِينَ، فَقَد تُثِيرُهُم تِلكَ الحَمَلاتُ الشَّعوَاءُ وَتَحمِلُهُم على طَلَبِ الحَقَائِقِ، فَيَهدِي اللهُ مِنهُم رِجالاً وَنِسَاءً فَيَحمِلُونَ الإِسلامَ في بِلادِهِم، وَ((إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ)).

وَمَا قِصَّةُ إِسلامِ حمزَةَ بن عبدِ المُطَّلِبِ ـ رضي اللهُ عنه ـ عنَّا بِبَعِيدٍ، فقد كان سَبَبُ إِسلامِهِ استِخفَافَ أبي جَهلٍ بِرَسُولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ إِذْ مَرَّ بِرَسولِ اللهِ يَومًا

عِندَ الصَّفَا، فَآذَاهُ وَنَالَ مِنهُ، وَرَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ سَاكِتٌ وَلا يُكَلِّمُهُ، ثم ضَرَبَهُ أَبُو جَهلٍ بِحَجَرٍ في رَأسِهِ فَشَجَّهُ، حتى نَزَفَ مِنهُ الدَّمُ، ثم انصَرَفَ عنه إلى نادِي قُرَيشٍ عِندَ الكَعبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُم، وكَانَت مَولاةٌ لِعَبدِاللهِ بنِ جدعانَ في مَسكَنٍ لها على الصَّفَا تَرَى ذلك، وأَقبَلَ حمزَةُ مِنَ القَنصِ مُتَوَشِّحًا قَوسَهُ، فَأخبَرتهُ المَولاةُ بما رَأَت مِن أَبي جَهلٍ، فَغَضِبَ وَخَرَجَ يَسعَى، لم يَقِفْ لأَحَدٍ حتى دَخَلَ المَسجِدَ وَفِيهِ أَبو جَهلٍ، فَقَامَ على رَأسِهِ، وقال له: يَا مُصفِرَ استِهِ، تَشتُمُ ابنَ أَخِي وَأَنَا على دِينِهِ؟ ثم ضَرَبَهُ بِالقَوسِ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنكَرَةً، فَثَارَ رِجَالٌ مِن بني مخزُومٍ، وَثَارَ بَنُو هاشِمٍ، فَقَالَ أَبو جَهلٍ: دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ، فَإِني سَبَبْتُ ابنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا.

ثم شَرَحَ اللهُ صَدرَ حمزَةَ للإِسلامِ، فَاستَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقى، واعتَزَّ بِهِ المسلمون أَيَّمَا اعتِزَازٍ، وكان إِسلامُهُ نَصرًا عَظِيمًا للإِسلامِ، وَكَانَت تِلكَ المَسَبَّةُ وذلك الاستخفافُ مِن أَبي جَهلٍ، سَبَبًا في النَّكبَةِ وَالخِزيِ وَالذُّلِّ لِلطُّغَاةِ المُعتَدِينَ.

وَإِنَّا لَنَرَى أَنَّ هذا الاستِخفَافَ وَالاستِهزَاءَ مِن هؤلاءِ الطُّغَاةِ في صُحُفِهِم وَوَسَائِلِ إِعلامِهِم، لَبِدَايَةُ نَصرٍ لِلإِسلامِ وَالمُسلِمِينَ، وَإِنَّ بَشَائِرَ النَّصرِ لَتَلُوحُ في الأُفُقِ... وإِنَّ مَا يُقَالُ أَو يُثَارُ ضِدَّ الإِسلامِ أَو ضِدَّ نَبِيِّهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ لَيَسُوءُ كُلَّ مُسلِمٍ وَيُحزِنُهُ ويُغضِبُهُ.. إلا أَنَّ هذا الشَّرَّ لا يَخلُو مِن خَيرٍ، هُم يُرِيدُون أَمرًا، وَالله يُرِيدُ أَمرًا {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ، وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ}.

لَقَد دَبَّرَ أَسلافُهُم مِن قَبلِهِم وَمَكَرُوا، وَأَعمَلُوا أَفكَارَهُم وَخَطَّطُوا، وَأَجَالُوا آرَاءَهُم وَتَآمَرُوا، وَابتَغَوُا الفِتنَةَ وَقَلَّبُوا الأُمُورَ، وَاستَهزَؤُوا وَخَاضُوا، فَأَبْطَلَ اللهُ سَعيَهُم، وَرَدَّ كَيدَهُم في نحُورِهِم، وحَاقَ بهم مَكرُهُم، وَنَصَرَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَه، قال ـ سبحانَه ـ: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون} وقال تعالى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} {وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}.

* * *

أما بعدُ، فاتَّقُوا اللهَ تعالى وأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوا أَمرَهُ وَنهيَهُ ولا تَعصُوهُ.

أيها المسلمون، إِنَّهُ وَإِنِ استَهزَأَت صُحُفٌ غَربِيَّةٌ بِالحَبِيبِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ وَسَخِرَت مِنهُ، فَإِنَّ ذلك لَحَسرَةٌ عَلَيهِم مَا بَعدَهَا حَسرَةٌ، وَبُؤسٌ لهم مَا بَعدَهُ بُؤسٌ، إِنَّهُ لَمُؤذِنٌ بِخَرَابِ دِيَارِهِم وَتَمَزُّقِ مُلكِهِم وَذَهَابِ دَولَتِهِم، وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولَ: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ، مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون}.

لَقَد بَعَثَ رَسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ رَسَائِلَ إِلى كِسرَى مَلِكِ الفُرسِ وَإِلى قَيصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَكِلاهما لم يُسلِمْ ولم يَتَّبِعِ الهُدَى، لَكِنَّ قَيصَرَ أَكرَمَ كِتَابَ رَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ وَأَكرَمَ رَسولَهُ، فَثَبَتَ مُلكُهُ، وَاستَمَرَّ في الأَجيَالِ اللاحِقَةِ، وَأَمَّا كِسرَى فَمَزَّقَ كِتَابَ رَسولِ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ واستَهزَأَ بِهِ، فَقَتَلَهُ اللهُ بَعدَ قَلِيلٍ، وَمَزَّقَ مُلكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، ولم يَبقَ لِلأَكَاسِرَةِ مُلكٌ ولم تَقُمْ لهم قَائِمَةٌ.

فَأَبشِرُوا ـ أيها المسلمون ـ وَتَفَاءَلُوا، ولا تَيأَسُوا مِن نَصرِ اللهِ وَلا تَقنَطُوا، فَإِنها قَضِيَّةُ وَقتٍ لا أَقَلَّ وَلا أَكثَرَ، يَقُولُ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ ـ رحمه اللهُ ـ: إِنَّ اللهَ مُنتَقِمٌ لِرَسولِهِ

ممَّن طَعَنَ عَلَيهِ وَسَبَّهُ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكَاذِبِ، إذَا لم يُمكِنِ النَّاسَ أن يُقِيمُوا عَلَيهِ الحَدَّ، ونَظِيرُ هذا ما حَدَّثَنَاهُ أعدَادٌ مِنَ المُسلِمِينَ العُدُولِ، أهلِ الفِقهِ والخِبرَةِ، عَمَّا جَرَّبُوهُ مَرَّاتٍ متعددةٍ، في حَصْرِ الحُصُونِ والمَدَائِنِ التي بالسَّوَاحِلِ الشَّامِيَّةِ، لمَّا حَصَرَ المسلمون فيها بَني الأصفَرِ في زَمانِنا، قالوا: كُنَّا نحنُ نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشَّهرَ أو أكثَرَ مِنَ الشَّهرِ وَهُو ممتَنِعٌ عَلَينَا، حتى نَكَادُ نَيأَسُ مِنهُ، حتى إذَا تَعَرَّضَ أهلُهُ لِسَبِّ رَسولِ اللهِ والوَقِيعَةِ في عِرضِهِ، تَعَجَّلْنَا فَتحَهُ وتَيَسَّرَ، ولم يَكَدْ يَتَأَخَّرُ إلا يومًا أو يَومَينِ أو نحوَ ذلك، ثم يُفتَحُ المَكانُ عُنوَةً، ويَكُونُ فِيهِم مَلحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، قالوا: حتى إنْ كُنَّا لَنَتَبَاشَرُ بتَعجِيلِ الفَتحِ إذَا سَمِعنَاهُم يَقَعُونَ فيه، مَعَ امتِلاءِ القُلُوبِ غَيظًا عَلَيهم بما قالوا فِيهِ.. انتهى كلامُهُ.

وفي الصحيح عن النبيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم - قال: ((يَقُولُ اللهُ تعالى: مَن عَادَى لي وَلِيًّا، فَقَد آذَنتُهُ بالحَربِ)) فكيفَ بِمَن عَادَى سَيِّدَ الأولِيَاءِ؟ كَيفَ بِمَن استهزأَ سَيِّدَ الأنبِيَاءِ؟ الذي أَمَرَ اللهُ تعالى بِتَعظِيمِهِ وتَوقِيرِهِ، وَعَلَّقَ الفَلاحَ على نُصرتِهِ، وَأخبرَ أنَّ مَن لم يَنصُرْهُ فَلَيس مِنَ المُفلِحِينَ، وَأنَّ مَن آذَاهُ وَشَاقَّهُ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَأَنَّهُ - سبحانَه - كافِيهِ وَنَاصِرُهُ وَعَاصِمُهُ، فقال تعالى: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} وقال - سبحانَه -: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وقال تعالى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

وقال - جل وعلا -: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} وقال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا} وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ} وقال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} وقال تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}.

عن ابنِ مسعودٍ - رضي اللهُ عنه - قال: بَينَمَا النبيُّ - صلى اللهُ عليه وسلم - يُصلِّي عِندَ البَيتِ، وأبو جهلٍ وأصحابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إذا قال بعضُهُم لِبَعضٍ: أَيُّكُم يجِيءُ بِسَلا جَزُورِ بني فُلانٍ، فَيَضَعَهُ على ظَهرِ محمدٍ إذَا سَجَدَ؟ فَانبَعَثَ أشقَى القومِ فجاء به، فَنَظَرَ حتى سَجَدَ النبيُّ - صلى اللهُ عليه وسلم - وَوَضَعَهُ على ظَهرِهِ بَينَ كَتِفَيهِ، وَأنَا أنظُرُ لا أُغَيِّرُ شَيئًا، لَو كَان لي مَنَعَةٌ، قال: فَجَعَلُوا يَضحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعضُهُم على بَعضٍ، وَرَسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم - ساجدٌ لا يَرفَعُ رَأسَهُ، حتى جاءته فَاطِمَةُ، فَطَرَحَت عَن ظَهرِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ ثم قال: ((اللهم عَلَيكَ بِقُرَيشٍ)) ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيهم إذْ دَعَا عَلَيهِم. قال: وكانوا يَرونَ أنَّ الدَّعوَةَ في ذلك البَلَدِ مُستَجَابَةٌ. ثم سمَّى: اللهم عليك بأبي جهلٍ، وعليك بِعُتبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَشَيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بنِ عُتبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وَعُقبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ. وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَم نحفَظْهُ، قال: فوالذي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد رَأَيتُ الذين عَدَّ رَسُولُ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم - صَرعَى في القَلِيبِ قَلِيبِ بَدرٍ.

وعن أنس بن مالكٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: كان رَجُلٌ نَصرانيٌّ فَأسلَمَ وَقرَأ البَقَرَةَ وآلَ عِمرَانَ، وكان يَكتُبُ لِلنَّبيِّ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ فَعَادَ نَصرَانِيًّا، وكان يَقُولُ: لا يَدري محمدٌ إلا ما كَتَبتُ له، فَأمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ، فَأصبَحَ وَقَد لَفَظَتْهُ الأَرضُ، فقالوا: هذا فِعلُ محمدٍ وأصحابِهِ لمَّا هَرَبَ مِنهُم، نَبَشُوا عن صاحبِنا فَألقَوهُ، فَحَفَرُوا له فَأعمَقُوا له في الأرض ما استَطَاعُوا، فَأصبَحُوا وَقَد لَفَظَتْهُ الأرضُ، فَعَلِمُوا أنَّهُ لَيسَ مِنَ النَّاس فَألقَوه.

ألا فَاتَّقُوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ وانصُرُوا رَسولَكُم وَذُبُّوا عَن عِرضِهِ بما تَستَطِيعُون، هُبُّوا للانتِقَامِ لَهُ كُلٌّ بِحَسَبِ قُدرَتِهِ وَاستِطَاعَتِهِ، اِقرَؤُوا سَيرَتَهُ، وَانشُرُوها مِن خِلالِ الوَسَائِلِ المُتَاحَةِ، بِالمَقَالَةِ وَالمَطويَّةِ، وَالنَّشرَةِ وَالكِتَابِ، وَالبَرَامِجِ المَرئِيَّةِ وَالمَسمُوعَةِ، مِن خِلالِ المَدَارِسِ وَالمَسَاجِدِ، في البُيُوتِ وَالمَحَافِلِ. قِفُوا على تَفَاصِيلِ سَيرتِهِ، وَتَأَمَّلُوا دَقَائِقَ سُنَّتِهِ، فَهُوَ أعظَمُ رَجُلٍ في التاريخِ، وَهُوَ مِنَّا وَنحنُ مِنهُ، وَقَد فُزنَا بِهِ وَشَرُفنَا بِالنَّسبَةِ إِلَيهِ، فَلا يَلِيقُ بِنَا أن نجهَلَ تَاريخَهُ وَسِيرتَهُ وَسُنَّتَهُ.

ثم عَلَيكُم بِتَفعِيلِ سِلاحِ المُقَاطَعَةِ لِمُنتَجَاتِ هذِهِ الدُّوَلِ التي سُبَّ فِيهَا وَاستُهزِئَ بِهِ في صُحُفِها، فَذَلِكَ مِن أقلِّ مَا يجِبُ نحوَهُ ـ عَلَيهِ الصلاةُ والسلامُ ـ وَارفَعُوا إلى اللهِ أكُفَّ الضَّرَاعَةِ أن يُعِزَّ دِينَهُ وَيُعلِيَ كَلِمَتَهُ، وَأن يُذِلَّ الكُفرَ وَيَمحَقَ الكَافِرِينَ، وَأجزِلُوا الدُّعَاءَ وَأخلِصُوهُ، لِوُلاةِ أمرنا، حَيثُ سَحَبُوا سَفِيرَهُم مِن تِلكَ البِلادَ، احتجاجًا منهم ـ وفقهم اللهُ ـ على استِهزَاءِ أولئك بِرَسولِ اللهِ، فَادعُوا لهم ولمن قَاطَعَ سِلَعَ أولئك مِن تُجَّارِنَا ـ وَسَّعَ اللهُ عَلَيهم ـ وَادعَمُوا ذلك وَاحتَسِبُوا الأجرَ مِن رَبِّكُم

١٢.أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

ما تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الدنيا، وإنما تمنى ما له علاقة بمنازل الآخرة، بل برفيع المنازل، وعالي الدرجات.

فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل. رواه البخاري ومسلم.

هذه كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت النفوس كبار *** تعبت في مرادها الأجسامُ

أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشجع الشجعان حتى إنه ليحتمي به صناديد الأبطال عند اشتداد النِّزال.

قال البراء رضي الله عنه: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منـّا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم. رواه مسلم.

وقال عليّ رضي الله عنه: كنا إذا احمرّ البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه. رواه الإمام أحمد وغيره.

من هنا كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم عالية، كانت منزلة رفيعة، ألا وهي الشهادة في سبيل الله.
وليست مرة بل مرّات.
تأمل:
((والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)). وفي رواية للبخاري: ((والذي نفسي بيده وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا)).
وما ذلك إلا لكرامة الشهيد والشهادة على الله.
ولذا لما قُتِل من قُتِل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ولقوا ربهم تبارك وتعالى، فسألهم: ماذا يُريدون ما اختاروا غير العودة للدنيا من أجل أن يُقتلوا في سبيل الله مرة ثانية.
لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت: بلى. قال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحا، فقال: يا عبدي تمنّ عليّ أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ! قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.
وقال عليه الصلاة والسلام: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}. رواه الإمام أحمد وأبو داود.
فأي كرامة يُكرم الله عز وجل بها الشهيد الذي قُتِل في سيل الله لإعلاء كلمة الله ؟
قال عليه الصلاة والسلام:
للشهيد عند الله عز وجل سبع خصال:
يُغفر له في أول دفعة من دمه.
ويرى مقعده من الجنة.
ويُحلى حلة الإيمان.
ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.
ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر.
ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها.
ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو في صحيح الجامع.
فأي كرامة فوق هذه الكرامة ؟
وأي فضل فوق هذا الفضل سوى رؤية وجه الرب سبحانه وتعالى ؟

ولما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة. رواه النسائي.
تلك كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عليه الصلاة والسلام لا يتمنى إلا ما كان يُقرّبه إلى الله عز وجل.
فهل نتمنى ما تمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
أما إنها لو كانت أمنية صادقة لكفى.
قال صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق)). رواه مسلم.
وقال عليه الصلاة والسلام: من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه. رواه مسلم.
وأختم بوصية الصِّدِّيق رضي الله عنه: احرص على الموت توهب لك الحياة.
وإن تعجب فاعجب لمن قال تلك الكلمة ؟
لقد قالها أبو بكر رضي الله عنه لسيف الله المسلول رضي الله عنه.
وبقول الخنساء:
نهين النفوس وهَوْن النفوس *** يوم الكريهة أوقى لها
وما أروع قول الحصين المرّي:
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياة مثل أن أتقدما

١٣.الوصف الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم

من موقع مجلة السنة
قبل أن نبدأ هل تعلم كم هو مقدار ما ستجنيه من إحالتك لهذه الرسالة بعد قراءتها ولو لقارئ واحد من بعدك؟
- وردت (صلى الله عليه وسلم) في هذا المقال مائة واثنا عشرة مرة، وهذا معناه، أن الله جل وعلا سيصلي عليك بها ألفاً ومائة وعشرين مرة، وسيصلي عليك كل ملك مثلها، ملائكة لا يعلم عددهم إلا الخالق جل شأنه عالم الغيب والشهادة.
- وردت آية من القرآن الكريم في هذا المقال بلغت عدد حروفها ثلاث وستين حرفاً، والحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها، وهذا يعني ستمائة وثلاثين حسنة.
- اعلم أن كل من سيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الرسالة ويكون سببها قراءة هذه الرسالة، فإن حسناتك منها وصلوات ربك وملائكته عليك في تصاعد مستمر.
تخيل أن تنتشر هذه الرسالة من بعدك تواتراً وتصل إلى مائة ألف مسلم على الأقل؟ فماهي غنيمتك من ذلك؟ سأجعل حساب ذلك لك.
* * *
بسم الله الرحمن الرحيم

صفة لونه:

عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أزهر اللون، ليس بالأدهم و لا بالأبيض الأمهق - أي لم يكن شديد البياض والبرص - يتلألأ نوراً).

صفة وجهه:

كان صلى الله عليه وسلم أسيل الوجه مسنون الخدين ولم يكن مستديراً غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة هو أجمل عند كل ذي ذوق سليم. وكان وجهه مثل الشمس والقمر في الإشراق والصفاء، مليحاً كأنما صيغ من فضة لا أوضأ ولا أضوأ منه وكان صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر. قال عنه البراء بن عازب: (كان أحسن الناس وجهًا و أحسنهم خلقاً).

صفة جبينه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيل الجبين). الأسيل: هو المستوي. أخرجه عبد الرازق والبيهقي وابن عساكر. وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبين أي ممتد الجبين طولاً وعرضاً، والجبين هو غير الجبهة، هو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، فهما جبينان، فتكون الجبهة بين جبينين. وسعة الجبين محمودة عند كل ذي ذوق سليم. وقد صفه ابن أبي خيثمة فقال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلى الجبين، إذا طلع جبينه بين الشعر أو طلع من فلق الشعر أو عند الليل أو طلع بوجهه على الناس، تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ).

صفة حاجبيه:

كان حاجباه صلى الله عليه وسلم قويان مقوسان، متصلان اتصالاً خفيفاً، لا يرى اتصالهما إلا أن يكون مسافراً وذلك بسبب غبار السفر.

صفة عينيه:

كان صلى الله عليه وسلم مشرب العينين بحمرة، وقوله مشرب العين بحمرة: هي عروق حمر رقاق وهي من علاماته صلى الله عليه وسلم التي في الكتب السالفة. وكانت عيناه واسعتين جميلتين، شديدتي سواد الحدقة، ذات أهداب طويلة - أي رموش العينين - ناصعتي البياض وكان صلى الله عليه وسلم أشكل العينين. قال القسطلاني في المواهب: الشكلة بضم الشين هي الحمرة تكون في بياض العين وهو محبوب محمود. وقال الزرقاني: قال الحافظ العراقي: هي إحدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم، ولما سافر مع ميسرة إلى الشام سأل عنه الراهب ميسرة فقال: في عينيه حمرة؟ فقال: ما تفارقه، قال الراهب: هو شرح المواهب. وكان صلى الله عليه وسلم (إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل) رواه الترمذي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت عيناه صلى الله عليه وسلم نجلاوان أدعجهما - والعين النجلاء الواسعة الحسنة والدعج: شدة سواد الحدقة، ولا يكون الدعج في شيء إلا في سواد الحدقة - وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها). أخرجه البيهقي في الدلائل وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق.

صفة أنفه:

يحسبه من لم يتأمله صلى الله عليه وسلم أشماً ولم يكن أشماً وكان مستقيماً، أقنى أي طويلاً في وسطه بعض ارتفاع، مع دقة أرنبته والأرنبة هي ما لان من الأنف.

صفة خديه:

كان صلى الله عليه وسلم صلب الخدين. وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده). أخرجه ابن ماجه وقال مقبل الوادي: هذا حديث صحيح.

صفة فمه وأسنانه:

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشنب مفلج الأسنان). الأشنب: هو الذي في أسنانه رقة وتحدد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والترمذي في الشمائل وابن سعد في الطبقات والبغوي في شرح السنة. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضليع الفم (أي واسع الفم) جميله، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم. وكان صلى الله عليه وسلم وسيماً أشنب - أبيض الأسنان مفلج أي متفرق الأسنان، بعيد ما بين الثنايا والرباعيات- أفلج الثنيتين - الثنايا جمع ثنية بالتشديد وهي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت، والفلج هو تباعد بين الأسنان - إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، - النور المرئي يحتمل أن يكون حسياً كما يحتمل أن يكون معنوياً فيكون المقصود من التشبيه ما يخرج من بين ثناياه من أحاديثه الشريفة وكلامه الجامع لأنواع الفصاحة والهداية).

صفة ريقه:

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم خصائص كثيرة لريقه الشريف ومن ذلك أن ريقه صلى الله عليه وسلم فيه شفاء للعليل، ورواء للغليل وغذاء وقوة وبركة ونماء، فكم داوى صلى الله عليه وسلم بريقه الشريف من مريض فبرىء من ساعته بإذن الله. فقد جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم يرجو أن يعطاها ، فقال صلى الله عليه وسلم: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به وفي رواية مسلم: قال سلمة: فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي، فجئت به أقوده أرمد فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، فبرىء كأنه لم يكن به وجع). وروى الطبراني وأبو نعيم أن عميرة بنت مسعود الأنصارية وأخواتها دخلن على النبي صلى الله عليه وسلم يبايعنه، وهن خمس، فوجدنه يأكل قديداً (لحم مجفف)، فمضغ لهن قديدة، قالت عميرة: ثم ناولني القديدة فقسمتها بينهن، فمضغت كل واحدة قطعة فلقين الله تعالى وما وجد لأفواههن خلوف، أي تغير رائحة فم. ومما يروى في عجائب غزوة أحد، ما أصاب قتادة رضي الله عنه بسهم في عينه قد فقأتها له، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تدلت عينه، فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وأعادها ثم تفل بها ومسح عليها وقال (قم معافى بإذن الله) فعادت

أبصر من أختها، فقال الشاعر (اللهم صل على من سمى ونمى ورد عين قتادة بعد العمى).

صفة لحيته:

(كان رسول الله صلى الله عليه حسن اللحية)، أخرجه أحمد وصححه أحمد شاكر. وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان صلى الله عليه وسلم كث اللحية، - والكث: الكثير منابت الشعر الملتفها - وكانت عنفقته بارزة، وحولها كبياض اللؤلؤ، في أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها)، أخرجه أبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق وابن أبي خيثمة في تاريخه. وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: (كان في عنفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرات بيض). أخرجه البخاري. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (لم يختضب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان البياض في عنفقته). أخرجه مسلم. (وكان صلى الله عليه وسلم أسود كث اللحية، بمقدار قبضة اليد، يحسنها ويطيبها، أي يضع عليها الطيب. وكان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات). أخرجه الترمذي في الشمائل والبغوي في شرح السنة. وكان من هديه صلى الله عليه وسلم حف الشارب وإعفاء اللحية.

صفة رأسه:

كان النبي صلى الله عليه وسلم ذا رأس ضخم.

صفة شعره:

كان صلى الله عليه وسلم شديد السواد رجلاً، أي ليس مسترسلاً كشعر الروم ولا جعداً كشعر السودان وإنما هو على هيئة المتمشط، يصل إلى أنصاف أذنيه حيناً ويرسله أحياناً فيصل إلى شحمة أذنيه أو بين أذنيه وعاتقه، وغاية طوله أن يضرب منكبيه إذا طال زمان إرساله بعد الحلق، وبهذا يجمع بين الروايات الواردة في هذا الشأن، حيث أخبر كل واحدٍ من الرواة عما رآه في حين من الأحيان. قال الإمام النووي: (هذا، ولم يحلق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه (أي بالكلية) في سني الهجرة إلا عام الحديبية ثم عام عمرة القضاء ثم عام حجة الوداع). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس راجله)، أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح. ولم يكن في رأس النبي صلى الله عليه وسلم شيب إلا شعيرات في مفرق

رأسه، فقد أخبر ابن سعيد أنه ما كان في لحية النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه إلا سبع عشرة شعرة بيضاء وفي بعض الأحاديث ما يفيد أن شيبه لا يزيد على عشرة شعرات وكان صلى الله عليه وسلم إذا ادهن واراهن الدهن، أي أخفاهن، وكان يدهن بالطيب والحناء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد)، أخرجه البخاري ومسلم. وكان رجل الشعر حسناً ليس بالسبط ولا الجعد القطط، كما إذا مشطه بالمشط كأنه حبك الرمل، أو كأنه المتون التي تكون في الغدر

إذا سفتها الرياح، فإذا مكث لم يرجل أخذ بعضه بعضاً، وتحلق حتى يكون متحلقاً كالخواتم، لما كان أول مرة سدل ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل جاءه جبريل عليه السلام بالفرق ففرق. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت إذا أردت أن أفرق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم صدعت الفرق من نافوخه وأرسل ناصيته بين عينيه). أخرجه أبو داود وابن ماجه. وكان صلى الله عليه وسلم يسدل شعره، أي يرسله ثم ترك ذلك وصار يفرقه، فكان الفرق مستحباً، وهو آخر الأمرين منه صلى الله عليه وسلم. وفرق شعر الرأس هو قسمته في المفرق وهو وسط الرأس. وكان يبدأ في ترجيل شعره من الجهة اليمنى، فكان يفرق رأسه ثم يمشط الشق الأيمن ثم الشق الأيسر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترجل غباً، أي يمشط شعره ويتعهده من وقت إلى آخر. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن في طهوره، أي الابتداء باليمين، إذا تطهر وفي ترجله إذا ترجل وفي انتعاله إذا انتعل). أخرجه البخاري.

صفة عنقه ورقبته:

رقبته فيها طول، أما عنقه فكأنه جيد دمية (الجيد: هو العنق، والدمية: هي الصورة التي بولغ في تحسينها). فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كان عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة)، أخرجه ابن سعد في الطبقات والبيهقي. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما قالت: (كان أحسن عباد الله عنقاً، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة يشوب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيب في الثياب من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر)، أخرجه البيهقي وابن عساكر.

صفة منكبيه:

كان صلى الله عليه وسلم أشعر المنكبين (أي عليهما شعر كثير)، واسع ما بينهما، والمنكب هو مجمع العضد والكتف. والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين أنه عريض أعلى الظهر ويلزمه أنه عريض الصدر مع الإشارة إلى أن بعد ما بين منكبيه لم يكن منافياً للاعتدال. وكان كتفاه عريضين عظيمين.

صفة خاتم النبوة:

وهو خاتم أسود اللون مثل الهلال وفي رواية أنه أخضر اللون، وفي رواية أنه كان أحمراً، وفي رواية أخرى أنه كلون جسده. والحقيقة أنه لا يوجد تدافع بين هذه الروايات لأن لون الخاتم كان يتفاوت باختلاف الأوقات، فيكون تارة أحمراً وتارة كلون جسده وهكذا بحسب الأوقات. ويبلغ حجم الخاتم قدر بيضة الحمامة، وورد أنه كان على أعلى كتف النبي صلى الله عليه وسلم الأيسر. وقد عرف سلمان الفارسي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الخاتم. فعن عبد الله بن سرجس قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزاً ولحماً وقال ثريداً. فقيل له: أستغفر لك النبي؟ قال: نعم ولك، ثم تلى هذه الآية: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) محمد/١٩. قال: (ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى عليه خيلان كأمثال الثآليل)، أخرجه مسلم. قال أبو زيد رضي الله عنه: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقترب مني، فاقتربت منه، فقال: أدخل يدك فامسح

ظهري، قال: فأدخلت يدي في قميصه فمسحت ظهره فوقع خاتم النبوة بين أصبعي قال: فسئل عن خاتم النبوة فقال: (شعرات بين كتفيه)، أخرجه أحمد والحاكم وقال (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي. اللهم كما أكرمت أبا زيد رضي الله عنه بهذا فأكرمنا به يا ربنا يا إلهنا يا من تعطي السائلين من جودك وكرمك ولا تبالي.

صفة إبطيه:

كان صلى الله عليه وسلم أبيض الإبطين، وبياض الإبطين من علامة نبوته إذ إن الإبط من جميع الناس يكون عادة متغير اللون. قال عبد الله بن مالك رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد فرج بين يديه (أي باعد) حتى نرى بياض إبطيه). أخرجه البخاري. وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد جافى حتى يرى بياض إبطيه). أخرجه أحمد وقال الهيثمي في المجمع رجال أحمد رجال الصحيح.

صفة ذراعيه:

كان صلى الله عليه وسلم أشعر، طويل الزندين (أي الذراعين)، سبط القصب (القصب يريد به ساعديه).

صفة كفيه:

كان صلى الله عليه وسلم رحب الراحة (أي واسع الكف) كفه ممتلئة لحماً، غير أنها مع غاية ضخامتها كانت لينة أي ناعمة. قال أنس رضي الله عنه: (ما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم). وأما ما ورد في روايات أخرى عن خشونة كفيه وغلاظتها، فهو محمول على ما إذا عمل في الجهاد أو مهنة أهله، فإن كفه الشريفة تصير خشنة للعارض المذكور (أي العمل) وإذا ترك رجعت إلى النعومة. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار). أخرجه مسلم.

صفة أصابعه:

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل الأطراف (سائل الأطراف: يريد الأصابع أنها طوال ليست بمنعقدة). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والترمذي في الشمائل وابن سعد في الطبقات والحاكم مختصراً والبغوي في شرح السنة والحافظ في الاصابة.

صفة صدره:

كان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر، ممتلئ لحماً، ليس بالسمين ولا بالنحيل، سواء البطن والظهر. وكان صلى الله عليه وسلم أشعر أعالي الصدر، عاري الثديين والبطن (أي لم يكن عليها شعر كثير) طويل المسربة وهو الشعر الدقيق.

صفة بطنه:

قالت أم معبد رضي الله عنها: (لم تعبه ثلجه). الثلجة: كبر البطن.

صفة سرته:

عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دقيق المسربة موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك: حديث هند تقدم تخريجه. واللبة المنحر وهو النقرة التي فوق الصدر.

صفة مفاصله وركبتيه:

كان صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء كالركبتين والمرفقين والمنكبين والأصابع، وكل ذلك من دلائل قوته صلى الله عليه وسلم.

صفة ساقيه:

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى بيض ساقيه). أخرجه البخاري في صحيحه.

صفة قدميه:

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء ششن الكفين والقدمين). قوله: خمصان الأخمصين: الأخمص من القدم ما بين صدرها وعقبها، وهو الذي لا يلتصق بالأرض من القدمين، يريد أن ذلك منه مرتفع. مسيح القدمين: يريد أنهما ملساوان ليس في ظهورهما تكسر لذا قال ينبو عنهما الماء، يعني أنه لا ثبات للماء عليها وششن الكفين والقدمين أي غليظ الأصابع والراحة. رواه الترمذي في الشمائل والطبراني. وكان صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وكانت قدماه الشريفتان تشبهان قدمي سيدنا إبراهيم عليه السلام كما هي آثارها في مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.

صفة عقبيه:

كان رسول صلى الله عليه وسلم منهوس العقبين أي لحمهما قليل.

صفة قامته و طوله:

عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم (أي مربوع القامة)، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وكان إلى الطول أقرب. وقد ورد عند البيهقي وابن عساكر أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يماشي أحداً من الناس إلا طاله، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب إلى الربعة، وكان إذا جلس يكون كتفه أعلى من الجالس. فكان صلى الله عليه وسلم حسن الجسم، معتدل الخلق ومتناسب الأعضاء.

صفة عرقه:

عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ (أي كان صافياً أبيضاً مثل اللؤلؤ). وقال أيضاً: (ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم). أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له. وعن أنس أيضاً قال: (دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أي نام) عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: عرق نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب). رواه مسلم، وفيه دليل أن الصحابة كانوا يتبركون بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم أم سليم على ذلك. وكان صلى

الله عليه وسلم إذا صافحه الرجل وجد ريحه (أي تبقى رائحة النبي صلى الله عليه وسلم على يد الرجل الذي صافحه)، وإذا وضع يده على رأس صبي، فيظل يومه يعرف من بين الصبيان بريحه على رأسه.

ما جاء في اعتدال خلقه صلى الله عليه وسلم:

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر). أخرجه الطبراني والترمذي في الشمائل والبغوي في شرح السنة وابن سعد وغيرهم. وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: (كان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً). أخرجه البخاري ومسلم.

الرسول المبارك صلى الله عليه وسلم بوصفٍ شامل:

يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ومولاه ودليلهما، خرجوا من مكة ومروا على خيمة امرأة عجوز تسمى (أم معبد)، كانت تجلس قرب الخيمة تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئاً. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في جانب الخيمة، وكان قد نفد زادهم وجاعوا. وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أم معبد: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد والضعف عن الغنم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بها من لبن؟ قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاة، ومسح بيده ضرعها، وسمى الله جل ثناؤه ثم دعا لأم معبد في شاتها حتى فتحت الشاة رجليها، ودرت. فدعا بإناء كبير، فحلب فيه حتى امتلأ، ثم سقى المرأة حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا (أي شبعوا)، ثم شرب آخرهم، ثم حلب في الإناء مرة ثانية حتى ملأ الإناء، ثم تركه عندها وارتحلوا عنها.

وبعد قليل أتى زوج المرأة (أبو معبد) يسوق عنزاً يتمايلن من الضعف، فرأى اللبن، فقال لزوجته: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب (أي الغنم) ولا حلوب في البيت!، فقالت: لا والله، إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، فقال أبو معبد: صفيه لي يا أم معبد، فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه (أي مشرق الوجه)، لم تعبه نحلة (أي نحول الجسم) ولم تزر به صقلة (أنه ليس بناحلٍ ولا سمين)، وسيمٌ قسيم (أي حسن وضيء)، في عينيه دعج (أي سواد)، وفي أشفاره وطف (طويل شعر العين)، وفي صوته صحل (بحة وحسن)، وفي عنقه سطع (طول)، وفي لحيته كثاثة (كثرة شعر)، أزج أقرن (حاجباه طويلان ومقوسان ومتصلان)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأجلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل لا تذر ولا هذر (كلامه بين وسط ليس بالقليل ولا بالكثير)، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)، لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محشود محفود (أي عنده جماعة من أصحابه يطيعونه)، لا عابس ولا مفند (غير عابس الوجه، وكلامه خالٍ من الخرافة)، فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعه الناس، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول: جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتي أم معبد. هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد. حديث حسن قوي أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيان، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى القمر، فإذا هو عندي أحسن من القمر). (إضحيان هي الليلة المقمرة من أولها إلى آخرها). وما أحسن ما قيل في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل. (ثمال: مطعم، عصمة: مانع من ظلمهم).

ما جاء في حسن النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد وصف بأنه كان مشرباً حمرة وقد صدق من نعته بذلك، ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح، فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر لا يشك فيه أحد ممن وصفه بأنه أبيض أزهر. يعرف رضاه وغضبه وسروره في وجهه وكان لا يغضب إلا لله، كان إذا رضى أو سر إستنار وجهه فكأن وجهه المرآة، وإذا غضب تلون وجهه واحمرت عيناه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبتها فلم أقدر عليها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة لشعاع وجهه). أخرجه ابن عساكر والأصبهاني في الدلائل والديلمي في مسند الفردوس كما في الجامع الكبير للسيوطي.

في ختام هذا العرض لبعض صفات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الخلقية التي هي أكثر من أن يحيط بها كتاب لا بد من الإشارة إلى أن تمام الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم هو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق بدنه الشريف في غاية الحسن والكمال على وجه لم يظهر لآدمي مثله.

رحم الله حسان بن ثابت رضي الله عنه إذ قال:

خلقت مبرءاً من كل عيب *** كأنك قد خلقت كما تشاء

ويرحم الله القائل:

فهو الذي تم معناه وصورته *** ثم اصطفاه حبيباً باريء النسم

فتنزه عن شريك في محاسنه *** فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقيل في شأنه صلى الله عليه وسلم أيضاً:

بلغ العلى بكماله *** كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله *** صلوا عليه وآله

ورحم الله ابن الفارض حيث قال:

وعلى تفنن واصف يفنى *** الزمان وفيه ما لم يوصف

مسألة:

من المعلوم أن النسوة قطعت أيديهم لما رأين يوسف عليه السلام إذ إنه عليه السلام أوتي شطر الحسن، فلماذا لم يحصل مثل هذا الأمر مع النبي صلى الله عليه وسلم؟

هل يا ترى سبب ذلك أن يوسف عليه السلام كان يفوق الرسول صلى الله عليه وسلم حسناً وجمالاً؟
الجواب:
صحيح أن يوسف عليه السلام أوتي شطر الحسن ولكنه مع ذلك ما فاق جماله جمال وحسن النبي صلى الله عليه وسلم. فلقد نال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صفات كمال البشر جميعاً خلقاً وخلقاً، فهو أجمل الناس وأكرمهم وأشجعهم على الإطلاق وأذكاهم وأحلمهم وأعلمهم... إلخ هذا من جهة، ومن جهة أخرى وكما مر معنا سابقاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلوه الوقار والهيبة من عظمة النور الذي كلله الله تعالى به، فكان الصحابة إذا جلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسهم الطير من الهيبة والإجلال فالطير تقف على الشيء الثابت الذي لا يتحرك. وما كان كبار الصحابة يستطيعون أن ينظروا في وجهه ويصفوه لنا لشدة الهيبة والإجلال الذي كان يملأ قلوبهم وإنما وصفه لنا صغار الصحابة، ولهذا السبب لم يحصل ما حصل مع يوسف عليه السلام.
*   *   *
اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك وابن عبدك وابن أمتك، صفوة خلقك وخليلك الرحمة المهداة، نبيك ورسولك الأمين محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، مادامت السموات والأرض وبقيت الحياة في هذا الكون، منذ أن خلقت الخلق وإلى أن تقوم الساعة، صلاة وسلاماً ترضيك عنا وتليق بقدره الطاهر عندك، وبالقدر الذي أمرت به بقولك الحق: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}، وأجعلها شاهدة لنا لا علينا، وأغنمنا شفاعته صلى الله عليه وسلم، يوم البعث وساعة الحشر ويوم يقوم الناس من القبور، ولا تحرمنا لذة النظر إليك، وجواره الكريم في جنة الخلد، صلواتك ربي وسلامك عليه وعلى آله وأصحابه أجميعن ونحن معهم يا رب العالمين. آمين.

١٤.الحياة الدنيوية لصفوة خلق الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه

عبدالرحمن بن عبدالخالق

كانت الحياة الدنيوية لأشرف الرسل، وأكرم خلق الله، وخير البرية محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، مثالاً وبرهاناً أن الله لا يختار الدنيا لأوليائه وأحبابه، وإنما يختار لهم الآخرة {وللآخرة خير لك من الدنيا}.
وكانت كذلك سلسلة متواصلة من الاختبارات والابتلاءات.
فقبل الرسالة نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في أسرة فقيرة فقد مات أبوه قبل أن يولد، ولم يترك له من الميراث إلا أمة هي أم أيمن رضي الله عنها.
وقد عانت أمه حتى وجدت مرضعاً له، وبقي في كفالة جده عبدالمطلب ثم لم تلبث والدته حتى توفيت وهو طفل صغير، ثم تبعها جده عبدالمطلب، فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى كفالة عمه أبي طالب، الذي كان فقيراً، كثير الأولاد، وهكذا نشأ

النبي يتيماً فقيراً قد من الله عليه بالمأوى عند جده، ثم عمه. قال تعالى: {ألم يجدك يتيماً فآوى}.
وعمل النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام أجيراً في رعي غنم الأثرياء من أهل مكة فقال: [رعيت الغنم على قراريط لبعض أهل مكة]، والقيراط عمله صغيرة في قيمة الفلس.
ولما شب لم يكن له مال ليتاجر فيه كأهل مكة الذين كانت التجارة هي عملهم الأساس. فإن مكة ليست ببلد زرع، وإنما عيش أهلها على التجارة واستجلاب البضائع، والبيع في أسواق الحج.. وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالتجارة مرات قليلة في مال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. وكان أهل مكة يقارضون بأموالهم. (والقراض أن يعطي رب المال ماله للعامل ليتاجر فيه ثم يكون الربح بينهما وإذا وقعت الخسارة وقعت في المال وخسر العامل عمله)، وهذه المعاملة التي كان أهل الجاهلية يتعاملون بها جاء الإسلام وأقرها، فهي صورة من صورة الشركة في الإسلام.
ولم يتوغل النبي في التجارة، ولا كانت هماً له.
وبعد أن تزوج من خديجة رضي الله عنها، انصرف إلى العزلة والتعبد، فكان يأخذ زاده من طعام وشراب، ويخرج خارج مكة، وقد اختار جبل حراء الذي وجد كهفاً (مغارة) في أعلاه سكنها النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يمكث فيها الليالي ذوات العدد حتى إذا فنى الطعام الذي معه، ونفذ الماء رجع إلى مكة مرة ثانية، ثم يكون من شأنه أن يتزود من الطعام والشراب لأيام أخرى يقضيها وحده في غار حراء.

ووجد صلى الله عليه وسلم في هذه الخلوة راحته وسعادته واطمئنان قلبه، وحببت إليه هذه الخلوة والابتعاد عن الناس، ومن كان في مثل هذه الحال فإن الدنيا لا تكون له على بال.
وكان هذا إعداداً من الله له ليحمل بعد ذلك ما لا تستطيع حمله الجبال.
وأتاه الوحي من الله، وحمله الله سبحانه وتعالى رسالته إلى العالمين، وأمره بإبلاغ دينه إلى الناس كافة في الأرض كلها.
وهذه الرسالة تبديل كامل لما عليه الأمم كلها من العقائد والنظم والتشريع والآداب والأخلاق، وفيها إكفار أهل الأرض كلهم: اليهود والنصارى والعرب المشركين والمجوس، وتسفيه لأحلامهم وحكم عليهم بالنار والعذاب والخسران هم ومن مضى من آبائهم إن ظلوا على ما هم عليه من الدين والخلق والسلوك والتشريع..
ومع ضخامة هذه المهمة وثقلها، وتكاليفها الباهظة فإن الله سبحانه وتعالى لم يضع تحت يد النبي صلى الله عليه وسلم كنزاً من المال ينفق منه، ولا وسيلة معجزة خارقة للعادة تحمله هنا وهناك ليبلغ رسالة ربه، بل ولم يرفع عنه السعي الواجب ليكسب عيشه وعيش أولاده، وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق بولدين القاسم وعبدالله ماتا سريعاً، وبأربعة من البنات هن زينب،ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، عليهن السلام جميعاً ظللن في كنفه. والبنت ليست كاسبة.

وكان على النبي صلى الله عليه وسلم الذي حمل هذه الأمانة العظمى أن يسعى فيها وأن يجد ويجتهد، فانتهى بذلك عهد السكون والخلوة والسلامة من الناس والبعد عن شرورهم..

يوم الطائف!! وما لقي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم من ماله في هذا الوقت دابة يركبها، ولو حماراً يحمله إلى مكان بعيد عن مكة ليبلغ رسالة ربه، ولما أراد الذهاب إلى الطائف لم يجد إلا قدميه، وعندما رآه أهل الطائف وهم أهل الغنى والثراء، وقد أتاهم من مكة ماشياً، وليس معه أحد.. لا صديق، ولا مرافق، ولا خادم، يقوم بخدمته.. ثم يقول لهم بعد ذلك: [أنا رسول رب العالمين]!!، استنكروا هذا جداً، ولم تتقبل عقولهم المريضة، ونفوسهم الخسيسة أن يكون هذا الذي أمامهم وهو على تلك الحال من الضعف والفقر هو رسول الله حقاً وصدقاً، إذ كيف يكون رسول الله خالق الكون الذي يكلفه بالبلاغ للناس جميعاً، ولا يضع له ولو ردابة في الخدمة ليبلغ عليها رسالة ربه!!

وكان من شأنهم ما قصه النبي صلى الله عليه وسلم عندما سألته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قائلة: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: [لقيت من قومك ما لقيت!! وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذا عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت -فانطلقت وأنا مهموم- على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب -وهو المسمى بقرن المنازل- فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم!! فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، ذلك!! فما شئت؟! إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - أي لفعلت، (والأخشبان هما جبلا مكة، أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان) - قال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً].(متفق عليه).

النبي صلى الله عليه وسلم يستدين ثمن الراحلة التي يهاجر عليها إلى المدينة:

ولما أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة بعد أن أجمعت قريش أمرها على قتله، رأت أن هذا هو السبب الوحيد الذي يمكن أن يوقف دعوته، وأن نفيه خارج مكة أو حبسه فيها، لن يمنع من انتشار دعوته في مكة وخارجها.. أقول لما عزم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج مكة وأذن الله له في الخروج منها لم يكن يملك راحلة يركبها، وهو رسول رب العالمين، الذي له ملك السموات والأرضين، ولما عرض النبي صلى الله عليه وسلم أمر الهجرة على الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فرح أبو بكر بذلك فرحاً شديداً، وكان يعلم أنه لا بقاء له والرسول صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أن اشتد على المسلمين الأذى وهاجر عامتهم إلى الحبشة، ولم يبق إلا من له عهد مع قريش أو عصبة قوية تحميه، وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين من ماله، وكان تاجراً ميسوراً فعرض على النبي صلى الله عليه وسلم إحداهما ليهاجر عليها فقبلها النبي بثمنها.

الصديق يرتب أمر الهجرة خطة ومالاً:

ورتب أبو بكر شأن الهجرة كله، الرواحل، والزاد، ودليل الطريق (عبدالله بن أريقط) وكان غلاماً للصديق، والاختفاء في نواحي مكة حتى يخف الطلب ويأمن الطريق، وكيفية وصول الزاد إليهما، ومعرفة أخبار قريش مدة الاختفاء حتى يخف الطلب، فقد كان رأس أبي بكر مطلوباً مع رأس النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قريش جعلت مائة من الإبل لمن أتاها بالنبي أو صاحبه حياً أو ميتاً.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الصديق الذي لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم من أهل الأرض كلهم ناصر بعد الله إلا هو، الذي رافقه في هجرته جاعلاً حياته مع حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروحه دون روحه. قال تعالى: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذي كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا...} الآية

وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لا يحمل مالاً ولا متاعاً، والراحلة التي حملته كانت من مال الصديق ديناً على النبي صلى الله عليه وسلم، وحق للنبي صلى الله عليه وسلم قبل موته أن يذكر الصديق مشيداً بمنزلته وفضله فيقول: [إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن] (متفق عليه).

النبي صلى الله عليه وسلم ينزل المدينة بلا مال أو متاع:

ويسكن النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وينزل أولاً ضيفاً على أبي أيوب الأنصاري، ثم يعرض شراء أرض المسجد وكانت خربة فيها قبور لبعض المشركين، وبقايا نخل لا يثمر، فيقول أصحاب الأرض: والله لا نقبل ثمنها إلا من الله!!

فيكون وقفهم هذا أعظم وقف في الإسلام (المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم) ويشتري النبي بجوار المسجد أرضاً يقيم فيها حجرات لزوجاته. كانت الحجرة لا تسعه قائماً يصلي، وتسع امرأته. قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها: (كنت أنام في قبلة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم يصلي من الليل فإذا أراد أن يسجد غمزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطتهما). (متفق عليه) وهذا من ضيق المكان.

فهل تتصور الآن غرفة لا تسع مصل ونائم!!

أنس بن مالك أعظم هدية في الإسلام:

ولما سكن الرسول بيته جاءته أم سليم الأنصارية الصحابة العابدة الفقيهة الحصيفة كاملة الدين والعقل فأهدت له ابنها، وقالت: يا رسول الله هذا خادمك أنس!!، فكان أنس بن مالك رضي الله عنه خادم النبي صلى الله عليه وسلم لعشر سنين!! لم يعرف خادم في الدنيا أشرف ولا أجل ولا أعظم منه فشرف الخادم بشرف المخدوم، وهل أجل وأعظم وأشرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولو قدر لنا أن نرى خادم رسول الله لخدمناه لخدمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

منزل بلا أثاث أو رياش:

وعاش النبي صلى الله عليه وسلم في منزل لا يعرف الأثاث ولا الرياش، فلم يكن فيه بساط قط، ولا كان يستر حيطانه من الطين شيء من الأصباغ بل ولا تسويه بالملاط.

ولما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم عدي بن حاتم الطائي وهو ملك طيء وسيدهم وحبرهم، وقد علق صليباً من الذهب في صدره، واستضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزله لم يجد النبي صلى الله عليه وسلم ما يقدم لضيفه ليجلس عليه إلا وسادة واحدة من ليف وضعها النبي صلى الله عليه وسلم لضيفه ليجلس عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض!!.

منزل بلا مطبخ ولا نار!!

ولم يعرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم مطبخاً قط، ولا كان فيه فرن قط، وكان يمر شهران كاملان ولا يوقد في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم نار قط، وكان يعيشون الشهر والشهرين على الماء والتمر فقط.. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كنا نتراءى الهلال والهلال والهلال ثلاثة أهلة في شهرين، ولا يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار!! قيل: فما كان طعامكم. قالت: الأسودان: التمر والماء!!!

ولم يكن يجد آل محمد صلى الله عليه وسلم التمر في كل أوقاتهم، بل كان رسول الله يمضي عليه اليوم واليومين وهو لا يجد من الدقل (التمر الرديء) ما يملأ به بطنه.

ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبز الأبيض النقي قط، وسأل عروة بن الزبير رضي الله عنه خالته عائشة رضي الله عنها هل أكل رسول الله خبز النقي؟ فقالت: ما دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلاً قط، ولا رأى رسول الله منخلاً قط.. قال: فكيف كنتم تأكلون الشعير؟ قالت: كنا نطحنه ثم نذريه (مع الهواء) ثم نثريه ونعجنه!! ومع ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشبع من خبز الشعير هذا يومين متتالين حتى لقي الله عز وجل!!

قالت أم المؤمنين رضي الله عنها: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتالين حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكانت تمر الأيام على أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجدون ما يأكلونه لا تمراً ولا شعيراً إلا الماء.

ولقد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله أنا ضيفك اليوم!! فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى تسع زوجات عنده، ترد كل واحدة منهن (والله ما عندنا ما يأكله ذو كبير!! والمعنى من طعام يمكن أن يأكله إنسان أو حيوان) فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن أخذه إلى المسجد عارضاً ضيافته على من يضيفه من المسلمين فقال: [من يضيف ضيف رسول الله!!]

وأقول: الله أكبر!! رسول رب العالمين، ومن له خزائن السموات والأراضين لا يوجد في بيته خبزة من شعير أو كف من تمر يقدمه لضيفه!!

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد الذي أرسلته رحمة للعالمين وسيداً للبشر أجمعين، وأعليت ذكره في الأولين والآخرين، واحشرني تحت لوائه يوم الدين.

وعاش النبي صلى الله عليه وسلم حياته لم يجلس في طعامه على خوان قط، ولا أكل في (سكرجة) قط (السكرجة: هي الصحون الصغيرة) ولم يعرف لا هو ولا أصحابه المناديل التي يجفف بها الأيدي بعد الطعام قط.

هذه ثياب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

وكان عامة أصحابه لا يجد أحدهم إزاراً ورداءاً معاً، بل عامتهم من كان له إزار لم يكن له رداء، ومن كان له رداء لم يكن له إزار!!
وكان يستحيون من رقة حالهم إذا جلسوا أو مشوا أن تظهر عوراتهم!!
وكان يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلوا وليس لإحدهم إلا الإزار أن يخالف بين طرفيه ويربطه في رقبته على عاتقيه!! حتى لا يسقط إزاره وهو يصلي!!
وفي عهد التابعين رأى أحدهم جابر بن عبدالله الأنصاري يصلي في إزار قد عقده من قبل قفاه!! وثيابه موضوعة على المشجب فقال له: تصلي في إزار واحد؟! فقال: إنما صنعت ذلك ليراني أحمق مثلك!! وأينا كان له ثوبان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
واختار النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيش حياته كلها متخففاً من الدنيا، مقبلاً على الآخرة، ولما فتحت له الفتوح، وكان له الخمس من مال بني النضير وخمس الخمس من خيبر، والخمس من فدك وكلها أراض ترد غلات كبيرة جعل كل ذلك في سبيل الله، وجاءته نساؤه يطلبن التوسعة في النفقة، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً}.
ولما نزلت هذه الآية على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم أن هذا الخيار قد يصعب على بعض زوجاته، وكان صلى الله عليه وسلم يحب عائشة رضي الله عنها، وكانت في وقت نزول هذه الآية طفلة صغيرة لم تكمل الحادية عشرة من عمرها.
فبدأ النبي بها صلى الله عليه وسلم وقال لها: ((يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تستعجلي فيه حتى تستأمري أبويك!!)).
وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن أبويها لا يمكن أن ينصحا لها بفراق النبي صلى الله عليه وسلم!! فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم عليها الآية وفيها تخيير بين الحياة مع النبي مع التقشف والتخفف من الدنيا، وترك التوسع فيها، وبين الطلاق.
قالت: يا رسول الله أفيك أستأمر أبوي!! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة!!
الله أكبر... ما أعظم هذا!! هذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فتاة لم تبلغ الحادية عشرة من عمرها... أي فقه وفهم ورجاحة عقل ودين كانت تحمله هذه الحِصَان الرازن الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها. ثم قالت عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: ولكن يا رسول الله لا تخبر أحداً من زوجاتك بالذي اخترته!!
ومرة ثانية أقول الله أكبر... عائشة أم المؤمنين التي اختارت الله ورسوله والدار الآخرة وآثرت الحياة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع الزهد والتقشف والتقلل من الدنيا يظهر فيها كذلك معاني الأنثى الكاملة، والزوجة الغيور المحبة لزوجها التي تريد أن تستأثر به (وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، وترجو أن يسقط في الاختبار غيرها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم!!

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: ((لا تسألني واحدة منهن عما اخترتيه إلا قلت لها!!)).
نعم المعلم أنت يا رسول الله!! فقد كنت كاملاً في كل نواحيك!!:
فأنت خير زوج لأزواجك، وخير صديق لأصدقائك، وخير صاحب لأصحابك، وخير شريك لشركائك، وخير جار لجيرانك، وفي النهاية خير رسول لأمته. فصلى الله عليك وعلى آلك وأزواجك الطيبين الطاهرين الذين صحبوك في هذه الحياة الدنيا على أتم صحبة، فكانت زوجاتك الطيبات الطاهرات خير النساء، ومن أجل ذلك جعلهن الله أمهات لكل مؤمن بمنزلة الأم الرؤوم الحنون. كما كنت يا رسول الله أباً لكل مؤمن بمنزلة الوالد الرؤوف الرحيم {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهن}.
وفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا يوم فارقها وهو في ثوبه الخشن، ومنزله المتواضع، عيشه الكفاف، ولم يترك ديناراً ولا درهماً بل مات وهو مدين بثمن ثلاثين صاعاً من شعير طعاماً لأهل بيته كان قد اشتراها من يهودي ورهنه النبي درعه!!
وأخرجت عائشة رضي الله عنها للناس رداءاً وكساءاً غليظاً فقالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين!!
فسلام الله عليك ورحمته وبركاته عليك يا رسول الله في العالمين

١٥.التوازن النفسي والسلوكي في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم

د/ خالد سعد النجار

إن الدارس لشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستلف نظره ذلك التوازن الدقيق بين معالمها مما لا يمكن أن تجده في أي بشر سواه، هذا التوازن - الذي يعد من أبرز دلائل نبوته - يتمثل في الكم الهائل من الشمائل ومحاسن الأخلاق التي اجتمعت في شخصيته صلى الله عليه وسلم على نسق متعادل لا تطغى صفة على صفة ولا توظف صفة في موقف لا تحتاجه ولا تليق به بل لكل مقام مقال ولكل حالة لبوسها حتى لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه إذ كل منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر، إنه الكمال البشرى الذي يقود المسلمين إلى مزيد من الإعجاب والحب لرسولهم الكريم مفاخرين الدنيا بأسرها أنهم أتباع سيد البشر.

التوازن النفسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم:

حقق التوازن النفسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أسمى غاياته فكان ذو نفس سوية تتمتع بمثالية يدركها من له أدنى معرفة بالسلوك النفسي وأبعاده فما كان صلى الله عليه وسلم بالكئيب العبوس الذي تنفر منه الطباع ولا بالكثير الضحك الهزلي الذي تسقط مهابته من العيون ولم يكن حزنه وبكاؤه إلا مما يحزن ويبكى منه العقلاء في غير إفراط ولا إسراف.
وفي ذلك يقول ابن القيم: [وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فلم يكن بشهيق ورفع صوت ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز وكان بكاؤه تارة

رحمة للميت وتارة خوفا على أمته وشفقة عليها وتارة من خشية الله وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمة له وقال: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون))، وبكى لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى فيها إلى قوله تعالى: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} وبكى لما مات عثمان بن مظعون وبكى لما كسفت الشمس وصلى صلاة الكسوف وجعل يبكى في صلاته وجعل ينفخ ويقول: ((رب ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك)) وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته وكان يبكى أحيانا في صلاة الليل].

أما ضحكه صلى الله عليه وسلم: فكان يضحك مما يُضحك منه وهو مما يُتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ويستندر كما كان يداعب أصحابه. فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال (أتت امرأة يقال لها أم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي يدعوك قال: ومن هو ؟ أهو الذي بعينه بياض ؟ قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى إن بعينه بياضا فقالت لا والله فقال ما من أحد إلا وبعينه بياض) رواه أبو داود وعن أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنا حاملوك على ولد ناقة) فقال يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل تلد الإبل إلا النوق) رواه الترمذى.

التوازن السلوكي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان التوازن السلوكي في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد دلائل نبوته فلقد جعل هذا التوازن من رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة العليا التي تمثلت فيها كل جوانب الحياة فهو الأب والزوج ورئيس الدولة والقائد للجيش والمحارب الشجاع كما كان المستشار والقاضي والمربى والمعلم والعابد والزاهد ... إلى آخر صفاته صلى الله عليه وسلم التي كانت من الخصب بحيث استوعبت كل جوانب حياة البشر الأمر الذي جعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للناس كافة على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم حتى تقوم الحجة على الناس مرتين مرة بالبيان النظري ومرة بالبيان العملي وإليك بعض مظاهر هذا التوازن السلوكي:-

(أ) التوازن النبوي بين القول والفعل:

(شهدت البشرية في تاريخها الطويل انفصالا بين المثل والواقع، بين المقال والفعال، بين الدعوى والحقيقة وكان دائما المثال والمقال والدعوى أكبر من الواقع والفعال والحقيقة وهذا شيء يعرفه من له أدنى معرفة بالتاريخ والحياة غير أن هذه الظاهرة تكاد تكون مفقودة في واقع الرسل وأتباعهم فهم وحدهم الذين دعوا الإنسانية إلى أعظم قمم السمو ومثلوا بسلوكهم العملي هذه الذروة بشكل رائع مدهش).

وظهور هذا التوازن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم العملية كان على أعلى ما يخطر بقلب بشر فهو العابد والزاهد والمجاهد والزوج و ... و ... الذي ما كان يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شر إلا كان أو تارك له.

فعن عبادته تقول السيدة عائشة رضي الله عنه (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون عبدا شكورا) رواه الشيخان، وعن أنس رضي الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته) رواه البخاري.
وعن زهده يروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنه قالت: دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراش النبي صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فرجعت إلى منزلها فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ما هذا ؟) فقلت فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا فقال (رديه) قالت فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات ثم قال (يا عائشة رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة) قالت: فرددته.
وهو إمام الزاهدين الذي ما أكل على خوان قط وما رأى شاة سميطا قط وما رأى منخلا منذ أن بعثه الله إلى يوم قبض ما أخذ من الدنيا شيئا ولا أخذت منه شيئا وصدق صلى الله عليه وسلم إذ يقول (مالي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها) .
وأما عن شجاعته وجهاده فيروى أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول (لم تراعوا ... لم تراعوا) وهو على فرس لأبى طلحة عرى ما عليه سرج في عنقه سيف فقال (لقد وجدته بحرا) ، وعن على رضي الله عنه قال: كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه. ولولا خوف الإطالة لسردنا شمائله صلى الله عليه وسلم التي نادى بها وعلّمها أمته وكان أول الممارسين العمليين لها.
(ب) الصدق النبوي في الجد والدعابة:
(الصدق صفة أساسية لابد أن يتمتع بها صاحب الرسالة، هذا الصدق لابد أن يكون مطلقا لا يُنقض في أي حال بحيث لو امتحن صاحب الرسالة في كل قول له لكان مطابقا للواقع إذا وعد أو عاهد أو جد أو داعب أو أخبر أو تنبأ وإذا انتقضت هذه الصفة أي نقض فإن دعوى الرسالة تنتقض من أساسها؛ لأن الناس لا يثقون برسول غير صادق والرسول الصادق لا تجد في ثنايا كلامه شيئا من الباطل في أي حال من الأحوال) ولقد كان الصدق من أوضح السمات في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفي دلالة على هذا الصدق أن قومه لقبوه بالصادق الأمين بل إن أول انطباع يرسخ في نفس من يراه لأول مرة أنه من الصديقين فعن عبه الله بن سلام قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس وقيل قد قدم النبي صلى الله عليه وسلم وجئت فيمن جاء قال فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول ما قال (يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام) رواه الترمذى .

فهو الصادق في وعده وعهده فعن عبد الله بن أبى الخنساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال (يا فتى لقد شققت علىّ أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك) رواه أبو داود وبعد غزوة حنين جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم هوازن فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال (صدقت فاحتكم ما شئت) قال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال (هي لك وقال احتكمت يسيرا) رواه الحاكم. وأخرج الحاكم عن حويطب بن عبد العزى في قصة إسلامه أنه عندما كان مشركا تولى مطالبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالجلاء عن مكة في عمرة القضاء بعد انقضاء مدة الثلاثة أيام المتفق عليها يقول حويطب: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وخرجت قريش من مكة كنت فيمن تخلف بمكة أنا وسهيل بن عمرو لكى نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مضى الوقت فلما انقضت الثلاثة أقبلت أنا وسهيل بن عمرو فقلنا: قد مضى شرطك فاخرج من بلدنا فصاح (يا بلال لا تغب الشمس وواحد من المسلمين بمكة ممن قدم معنا) وما حدث أن وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عاهد فأخلف أو غدر ولقد روى البخارى (أن هرقل لما سأل أبا سفيان عن محمد هل يغدر ؟ أجاب أبو سفيان لا فقال هرقل بعد ذلك وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر) بل إنه صلى الله عليه وسلم لا يحيد عن الصدق ولا حتى مجاملة لأحد فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك فكان يقبل بوجهه وحديثه علىّ حتى ظننت أنى خير القوم فقلت يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر فقال أبو بكر فقلت يا رسول الله أن خير أم عمر فقال عمر فقلت أنا خير أم عثمان فقال عثمان فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقني فلوددت أنى لم أكن سألته) رواه الترمذى.

وحتى في أوقات الدعابة والمرح حيث يتخفف الكثيرون من قواعد الانضباط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق في مزاحه فعن أبى هريرة قال (قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا) رواه الترمذى.

(جـ) التوازن الأخلاقي في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أبلغ وأجمع الكلمات التي وصفت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنه (كان خلقه القرآن) ولقد كانت هذه الأخلاق من السمو والتوازن ما جعل تواضعه لا يغلب حلمه ولا يغلب حلمه بره وكرمه ولا يغلب بره وكرمه صبره ... وهكذا في كل شمائله صلوات الله وسلامه عليه هذا مع انعدام التصرفات الغير أخلاقية في حياته.

فعن تواضعه يروى أبو نعيم في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبى أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه وما تناول أحد بيده إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه.

وعن حلمه يروى البخاري يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم الغنائم فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت -أي عبد الله راوي الحديث- والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال (من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر).

وعن كرمه يروى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ..) وأخرج أحمد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل شيئا على الإسلام إلى أعطاه قال فأتاه رجل فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الرجل إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمد يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وأخرج ابن عساكر في قصة إسلام صفوان بن أمية عن عبد الله بن الزبير قال: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر وقد أرسل إليه يستعيره سلاحه فقال صفوان طوعا أو كرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية رادة فأعاره مائة درع بأداتها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملها إلى حنين فشهد حنينا والطائف ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان بن أمية جعل صفوان ينظر إلى شعب ملاء نعما وشاء ورعاء فأدام النظر إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه فقال (أبا وهب يعجبك هذا الشعب) قال نعم قال (هو لك وما فيه) فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأسلم مكانه.

(د) التوازن النبوي بين الحزم واللين.

(فرغم ما حباه الله به من الحلم والرأفة إلا أنه الحلم والرأفة التي لا تجاوز حدها فكان صلى الله عليه وسلم يغضب للحق إذا انتهكت حرمات الله فإذا غضب فلا يقوم لغضبه شيء حتى يهدم الباطل وينتهي وفيما عدا ذلك فهو أحلم الناس عن جاهل لا يعرف أدب الخطاب أو مسئ للأدب أو منافق يتظاهر بغير ما يبطن).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله) رواه أحمد ، وعن جابر رضي الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت نذير قوم أتاهم العذاب فإذا ذهب عنه ذلك رأيته أطلق الناس وجها وأكثرهم ضحكا وأحسنهم بشرا) رواه البزار.

ولما نكث بنو قريظة العهد وتحالفوا مع الأحزاب على حرب المسلمين ثم رد الله كيدهم في نحورهم وأمكن الله رسوله منهم رضوا بحكم سعد بن معاذ كما رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم سعد أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وزراريهم فتهلل وجه الرسول وقال (لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات) فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم في يوم واحد أربعمائة رجل صبرا. وروى ابن إسحاق في قصة أسرى غزوة بدر قال: ومنهم أبو عزة الشاعر كان محتاجا ذا بنات

فقال يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحد فقال أبو عزة في ذلك شعرا يمدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد عليه الرسول ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم فلما كان يوم أحد أُسر فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه أيضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين)) ثم أمر به فضربت عنقه.
وعن المسور بن مخرمه رضي الله عنه قال خطب عليّ بنت أبى جهل وعنده فاطمة فسمعت بذلك فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح ابنه أبى جهل فقام النبي صلى الله عليه وسلم فتشهد وقال أما بعد فإني أنكحت أبى العاص بن الربيع فحدثني وصدقنى وإن فاطمة بضعة منى يريبنى ما يريبها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله أبدا قال فترك عليّ الخطبة. إنه اللين الذي لا يعرف الخور والحزم الذي به تكون الرجال فصلوات الله وسلامه عليه.
لقد سجل لنا التاريخ سير آلاف المصلحين والزعماء الذين عاشوا مناضلين من أجل فكرة أو مبدأ أفاد شعوبهم أو الإنسانية عامة ولكن لم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلا في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت والقيادة والأخلاق والعبادة والكثير من أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه فصلوات الله عليه في الأولين والآخري

١٦.اعرف نبيك صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي أوضح لنا سبيل الهداية، وأزاح عن بصائرنا ظلمة الغواية، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى، المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للمالكين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:
أيها المسلمون: إن من خير ما بذلت فيه الأوقات، و شغلت به الساعات هو دراسة السيرة النبوية العطرة، والأيام المحمدية الخالدة، فهي تجعل المسلم كأنه يعيش تلك الأحداث العظام التي مرت بالمسلمين، وربما تخيل أنه واحد من هؤلاء الكرام البررة التي قامت على عواتقهم صروح المجد ونخوة البطولة.
وفي السيرة يتعرف المسلم على جوانب متعددة من شخصية النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، وأسلوبه في حياته ومعيشته، ودعوته في السلم والحرب.
وفيها أيضاً: يتلمس المسلم نقاط الضعف والقوة؛ وأسباب النصر والهزيمة، وكيفية التعامل مع الأحداث وإن عظمت.
وبدراسة السيرة النبوية يستعيد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، ويوقنون بأن الله معهم وناصرهم، إن هم قاموا بحقيقة العبودية، له والانقياد لشريعته: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:٧]، {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ} [غافر:٥١]. {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج:٤٠].

وهذه عبارة عن رؤوس أقلام وجمل يسيرة في سيرة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام، قصد بها فتح الطريق أمام ناشئة المسلمين وشبيبتهم لدراسات أعمق لهذه السيرة النبوية الخالدة. قال الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ} [الفتح:٢٩].

نسبه صلى الله عليه وسلم:

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. هذا هو المتفق عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم واتفقوا أيضاً أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.

أسماؤه صلى الله عليه وسلم:

عن جبير بن مطعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((إن لي أسماء، وأنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميَّ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد)) [متفق عليه]. وعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال: ((أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة)) [مسلم].

طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم:

اعلم رحمني الله وإياك أن نبينا المصطفى على الخلق كله قد صان الله أباه من زلة الزنا، فولد صلى الله عليه وسلم من نكاح صحيح ولم يولد من سفاح، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)) [مسلم]، وحينما سأل هرقل أبا سفيان عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((هو فينا ذو نسب، فقال هرقل: كذلك الرسل تبعث في نسب قومها)) [البخاري].

ولادته صلى الله عليه وسلم:

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، قيل في الثاني منه، وقيل في الثامن، وقيل في العاشر، وقيل في الثاني عشر. قال ابن كثير: والصحيح أنه ولد عام الفيل، وقد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري، وخليفة بن خياط وغيرهما إجماعاً.

قال علماء السير: لما حملت به آمنة قالت: ما وجدت له ثقلاً، فلما ظهر خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب.

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدلٌ في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت، انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام)) [أحمد والطبراني].

وتوفي أبوه صلى الله عليه وسلم وهو حَمْل في بطن أمه، وقيل بعد ولادته بأشهر وقيل بسنة، والمشهور الأول.

رضاعه صلى الله عليه وسلم:

أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أياماً، ثم استُرضع له في بني سعد، فأرضعته حليمة السعدية، وأقام عندها في بني سعد نحواً من أربع سنين، وشُقَّ عن فؤاده هناك، واستخرج منه حظُّ النفس والشيطان، فردته حليمة إلى أمه إثر ذلك.
ثم ماتت أمه بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة وهو ابن ست سنين، ولما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة عام الفتح، استأذن ربّه في زيارة قبر أمه فأذن له، فبكى وأبكى من حوله وقال: ((زوروا القبور فإنها تذكر بالموت)) [مسلم]. فلما ماتت أمه حضنته أم أيمن وهي مولاته ورثها من أبيه، وكفله جده عبد المطلب، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر ثماني سنين توفي جده، وأوصى به إلى عمه أبي طالب فكفله، وحاطه أتم حياطة، ونصره وآزره حين بعثه الله أعزّ نصر وأتم مؤازرة مع أنه كان مستمراً على شركه إلى أن مات، فخفف الله بذلك من عذابه كما صح الحديث بذلك.
صيانة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من دنس الجاهلية:
وكان الله سبحانه وتعالى قد صانه وحماه من صغره، وطهره من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل خُلقٍ جميل، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوه من طهارته وصدق حديثه وأمانته، حتى أنه لما أرادت قريش تجديد بناء الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره، فوصلوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضعه أول داخل عليهم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوبٍ، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه صلى الله عليه وسلم . [أحمد والحاكم وصححه].
زواجه صلى الله عليه وسلم:
تزوجته خديجة وله خمس وعشرون سنة، وكان قد خرج إلى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، وما كان يتحلى به من الصدق والأمانة، فلما رجع أخبر سيدته بما رأى، فرغبت إليه أن يتزوجها.
وماتت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، فلما ماتت خديجة رضي الله عنها تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة، ثم تزوج صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ولم يتزوج بكراً غيرها، ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث رضي الله عنها، وتزوج أم سلمة واسمها هند بنت أمية رضي الله عنها، وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، ثم تزوج أم حبيبة رضي الله عنها واسمها رملة وقيل هند بنت أبي سفيان. وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حييّ بن أخطب رضي الله عنها، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، وهي آخر من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .
أولاده صلى الله عليه وسلم:
كل أولاده صلى الله عليه وسلم من ذكر وأنثى من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم، فإنه من مارية القبطية التي أهداها له المقوقس.

فالذكور من ولده:
القاسم وبه كان يُكنى، وعاش أياماً يسيرة، والطاهر والطيب.
وقيل: ولدت له عبدالله في الإسلام فلقب بالطاهر والطيب. أما إبراهيم فولد بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ومات قبله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر.
بناته صلى الله عليه وسلم:
زينب وهي أكبر بناته، وتزوجها أبو العاص بن الربيع وهو ابن خالتها، ورقية تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفاطمة تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأنجبت له الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأم كلثوم تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد رقية رضي الله عنهن جميعاً. قال النووي: فالبنات أربع بلا خلاف. والبنون ثلاثة على الصحيح.
مبعثه صلى الله عليه وسلم:
بعث صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فنزل عليه الملك بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وكان إذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه وتغيّر وجهه وعرق جبينه.
فلما نزل عليه الملك قال له: اقرأ.. قال: لست بقارئ، فغطاه الملك حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له: اقرأ.. فقال: لست بقارئ ثلاثاً. ثم قال: {اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١-٥]. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة رضي الله عنها يرتجف، فأخبرها بما حدث له، فثبتته وقالت: أبشر، وكلا والله لا يخزيك أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحملُّ الكَلَّ، وتعين على نوائب الدهر.
ثم فتر الوحي، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئاً، فاغتم لذلك واشتاق إلى نزول الوحي، ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسيّ، وثبته، وبشره بأنه رسول الله حقاً، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف منه وذهب إلى خديجة وقال: زملوني.. دثروني، فأنزل الله عليه: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّر، وَثِيَابَكَ فَطَهِّر} [المدثر:١-٤]. فأمر الله تعالى في هذه الآيات أن ينذر قومه، ويدعوهم إلى الله، فشمَّر صلى الله عليه وسلم عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله أتم قيام، يدعو إلى الله تعالى الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة ممن أراد الله تعالى فوزهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فدخلوا في الإسلام على نور وبصيرة، فأخذهم سفهاء مكة بالأذى والعقوبة، وصان الله رسوله وحماه بعمه أبي طالب، فقد كان شريفاً مطاعاً فيهم، نبيلاً بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من محبته له.
قال ابن الجوزي: وبقي ثلاث سنين يتستر بالنبوة، ثم نزل عليه: {فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَر} [الحجر:٩٤]. فأعلن الدعاء. فلما نزل قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤]، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ((يا صباحاه!)) فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد! فاجتمعوا إليه فقال: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟)) قالوا: ما جربنا عليك كذباً.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك، أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزل قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} إلى آخر السورة. [متفق عليه].

صبره صلى الله عليه وسلم على الأذى:

ولقي صلى الله عليه وسلم الشدائد من قومه وهو صابر محتسب، وأمر أصحابه أن يخرجوا إلى أرض الحبشة فرارا من الظلم والاضطهاد فخرجوا.

قال ابن إسحاق: فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تطمع فيه حياته، وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما مات أبو طالب تجهَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك).

وفي الصحيحين: أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي، وسلا جزورٍ قريب منه، فأخذه عقبة بن أبي معيط، فألقاه على ظهره، فلم يزل ساجداً، حتى جاءت فاطمة فألقته عن ظهره، فقال حينئذ: ((اللهم عليك بالملأ من قريش)). وفي أفراد البخاري: أن عقبة بن أبي معيط أخذ يوماً بمنكبه صلى الله عليه وسلم ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فدفعه عنه وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟

رحمته صلى الله عليه وسلم بقومه:

فلما اشتد الأذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فدعا قبائل ثقيف إلى الإسلام، فلم يجد منهم إلا العناد والسخرية والأذى، ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، فقرر صلى الله عليه وسلم الرجوع إلى مكة. قال صلى الله عليه وسلم: ((انطلقت – يعني من الطائف – وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب – ميقات أهل نجد – فرفعت رأسي فإذا سحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد أرسل لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال، قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين – جبلان بمكة – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)) [متفق عليه].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في كل موسم، فيعرض نفسه على القبائل ويقول: ((من يؤويني؟ من ينصرني؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي!)).

ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر فدعاهم فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا قومهم، حتى فشا الإسلام فيهم، ثم كانت بيعة العقبة الأولى والثانية، وكانت سراً، فلما تمت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً.

هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة:

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر إلى المدينة فتوجه إلى غار ثور، فأقاما فيه ثلاثاً، وعني أمرهم على قريش، ثم دخل المدينة فتلقاه أهلها بالرحب والسعة، فبنى فيها مسجده ومنزله.

غزواته صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون، ليَهلِكُنَّ، فأنزل الله عز وجل: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج:٣٩]. وهي أول آية نزلت في القتال. وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً وعشرين غزاة، قاتل منها في تسع: بدر، وأحد، والريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وبعثَ ستاً وخمسين سرية.

حج النبي صلى الله عليه وسلم واعتماره:

لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة، وهي حجة الوداع. فالأولى عمرة الحديبية التي صدّه المشركون عنها. والثانية عمرة القضاء، والثالثة عمرة الجعرانة، والرابعة عمرته مع حجته.

صفته صلى الله عليه وسلم:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون - أي أبيض بياضاً مشرباً بحمرة - أشعر، أدعج العينين –أي شديد سوادهما – أجرد – أي لا يغطي الشعر صدره وبطنه -، ذو مَسرُبه – أي له شعر يكون في وسط الصدر والبطن.

أخلاقه صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وأصدقهم لهجة، وألينهم طبعاً، وأكرمهم عشرة، قال تعالى: {إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:٤]. وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأعف الناس وأكثرهم تواضعاً، وكان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، يقبل الهدية ويكافئ عليها، ولا يقبل الصدقة ولا يأكلها، ولا يغضب لنفسه، وإنما يغضب لربه، وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد، ولا يدُّ ما حضر، ولا يتكلف ما لم يحضره، وكان لا يأكل متكئاً ولا على خوان، وكان يمر به الهلال ثم الهلال ثم الهلال، وما يوقد في أبياته صلى الله عليه وسلم نار، وكان صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء والمساكين ويعود المرضى ويمشي في الجنائز.

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً، ويضحك من غير قهقهة، وكان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله، وقال: {خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي} [الترمذي وصححه الألباني]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله، ألا فعلت كذا!!

وما زال صلى الله عليه وسلم يلطف بالخلق ويريهم المعجزات، فانشق له القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وحنَّ إليه الجذع، وشكا إليه الجمل، وأخبر بالغيوب فكانت كما قال.

فضله صلى الله عليه وسلم:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس كافة)) [متفق

عليه]. وفي أفراد مسلم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أنا أول الناس يشفع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)). وفي أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع وأول مُشفع)).

عبادته ومعيشته صلى الله عليه وسلم:

قالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتفطر قدماه، فقيل له في ذلك، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً) [متفق عليه]، وقالت: وكان مضجعه الذي ينام عليه في الليل من أَدَمَ محشوّاً ليفاً!! وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظلُّ اليوم يَلتَوي ما يجد دِقْلاً يملأ بطنه – والدقل ردئ التمر -!! ما ضره من الدنيا ما فات وهو سيد الأحياء والأموات، فالحمد لله الذي جعلنا من أمته، ووفقنا الله لطاعته، وحشرنا على كتابه وسنته آمين، آمين.

من أهم الأحداث:

الإسراء والمعراج: وكان قبل الهجرة بثلاث سنين وفيه فرضت الصلاة.

السنة الأولى: الهجرة - بناء المسجد - الانطلاق نحو تأسيس الدولة - فرض الزكاة.

السنة الثانية: غزوة بدر الكبرى وفيها أعز الله المؤمنين ونصرهم على عدوهم.

السنة الثالثة: غزوة أحد وفيها حدثت الهزيمة بسبب مخالفة تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم ونظر الجنود إلى الغنائم.

السنة الرابعة: غزوة بني النضير وفيها أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير عن المدينة لأنهم نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين.

السنة الخامسة: غزوة بني المصطلق وغزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة.

السنة السادسة: صلح الحديبية، وفي هذه السنة حُرّمت الخمر تحريماً قاطعاً.

السنة السابعة: غزوة خيبر، وفي هذه السنة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مكة واعتمروا، وفيها أيضاً تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حُيَيّ.

السنة الثامنة: غزوة مؤتة بين المسلمين والروم، وفتح مكة وغزوة حُنين ضد قبائل هوازن وثقيف.

السنة التاسعة: غزوة تبوك وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم ، وفي هذه السنة قدمت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وسمي هذا العام عام الوفود.

السنة العاشرة: حجة الوداع، و حج فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة ألف مسلم.

السنة الحادية عشرة: وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول مع اختلاف في تحديد هذا اليوم من الشهر. وتوفي صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون سنة قبل النبوة، وثلاث

وعشرون سنة نبياً رسولاً، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، وعشر سنين بالمدينة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر:

- تهذيب الأسماء واللغات للنووي.
- التبصرة والحدائق لابن الجوزي.
- زاد المعاد لابن القيم.
- السيرة النبوية للذهبي.
- جوامع السيرة النبوية لابن حزم.
- الفصول في سيرة الرسول (ابن كثير).
- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي.

وأصلي على النبي الأكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وما كان من صواب فمن الله عز وجل وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.

١٧.العظمة المحمدية

محمد بن إبراهيم الحمد

الحديث عن السيرة النبوية حديث تنشرح له الصدور، وتنطلق له الأسارير، وتخفق له الأفئدة.

كيف لا وهو حديث عن أكرم البشرية، وأزكاها وأبرها، وعظيم لو طالعت كتب التاريخ والسير عربية وغير عربية، وأمعنت النظر في أحوال عظماء الرجال من مبدأ الخليقة إلى هذا اليوم - فإنك لا تستطيع أن تضع يدك على اسم رجل من أولئك العظماء، وتقص علينا سيرته ومزاياه وأعماله الجليلة حديثاً يضاهي أو يداني ما تُحدِّث به عن هذا الرسول العظيم.

وغير خفي على مَنْ يَقْدُر هذا النبي قدره أن ليس في طوق كاتب -ولو ألقت إليها البلاغة أعنتها- تقصي المعاني التي انطوت في هذه السيرة العظيمة.

وإن من يبتغي عظمة رجلٍ بحق فليبحث عنها في ناحية عقله، وعلمه، وخلقه، وإخلاصه، وعزمه، وعمله، وحسن بيانه.

ولقد كان محمد -صلى الله عليه وسلم- راجحَ العقل، غزيرَ العلم، عظيم الخلق، شديد الإخلاص، صادق العزم، جليل العمل، رائع البيان.

أما رجحان عقله فمن دلائله بعد اختصاص الله له بالرسالة أنه نشأ بين قوم يعبدون الأصنام، ويتنافسون في مظاهر الأبهة والخيلاء، وينحطون في شهواتهم إلى المنزلة السفلى، فلم يكن لهذه البيئة المظلمة من أثر في نفس محمد -صلى الله عليه وسلم- قليل أو كثير؛ فانبذ بين هذه الظلمات المتراكمة مكاناً يخلو فيه بنفسه، ويقدح فيه زناد فكره، ويناجي فيه ربه؛ فإذا نورُ النبوة يتلألأ بين جنبيه، وحكمة الله تتدفق بين شفتيه.

وأما علمه فهو ما يزكي النفوس، وينقي الأبصار، ويرفع الأمم إلى ذروة العز والشرف، حتى تحرز الحياة الطيبة في الأولى والسعادة الباقية في الأخرى.

ومَنْ يتدبر القرآنَ والأحاديث الثابتة حتى يتفقه فيما انطويا عليه من حقائق وحكم وآداب -يلف رأسه حياءً من أن ينفي عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- عظمة العلم تحت اسم الفلسفة متكئاً على أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.
وقد خرج من بين يدي محمد -صلى الله عليه وسلم- رجال عظماء، ولم يتلقوا من العلم غير ما كانوا يتلقونه في مجلسه من حكمته، فكانوا منبع علم وأدب، وأدركوا في حصافة الرأي وقوة الحجة الأمد الأقصى.
وأما خُلقه فهذه السيرة المستفيضة في القرآن وعلى ألسنة الرواة وأقلامهم تنطق وتلوح بأنه قد بلغ الذروة في كل خلق كريم، وبَسْطُ القول في هذا الصدد لا يغني فيه سفر، بل أسفار.
وأما إخلاصه فقد كان صافي السريرة لا يبغي إلا هدياً، ولا ينوي إلا إصلاحاً، والإخلاص روح العظمة وقطب مدارها.
وأقرب شاهد على إخلاصه في دعوته أنه لم يحد عن سبيل الزهد في هذه الحياة قيد أنملة؛ فعيشه يوم كان يتعبد في غار حراء كعيشه يوم أظلت رايته البلاد العربية، وأطلت على ممالك قيصر من ناحية تبوك.
وأما صدق عزيمته فقد قام -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى العدل ودين الحق ويلقى من الطغاة والطغام أذىً كثيراً، فيضرب عنه صفحاً أو عفواً، ويمضي في سبيل الدعوة لا يأخذه يأس، ولا يقعد به ملل، ولا يثنيه جزع، وقد ظهر دين الله وَعَلَتْ حكمته بهذا العزم الذي تخمد النار ولا يخمد.
وأما عمله فتهجد وصيام، وتشريع وقضاء، ووعظ وإرشاد، وسياسة وجهاد، وهل من سيرة تُبْتَغى لعظمة يرضى عنها الله، ويسعد بها البشر غير هذه السيرة؟
وهل يستطيع أحد أن يدلنا على رجل كان ناسكاً مخلصاً، ومشرعاً حكيماً، وقاضياً عادلاً، ومرشداً ناصحاً، وواعظاً بليغاً، وسياسياً أميناً، ومجاهداً مصلحاً، وفاتحاً ظافراً، وسيداً تذوب في محبته القلوب، غير المصطفى -عليه الصلاة والسلام-؟
وأما حسن بيانه فقد أحرز -عليه الصلاة والسلام- من خصلتي الفصاحة والبلاغة الغاية التي ليس وراءها لمخلوق غاية، فانظروا إن شئتم إلى مخاطباته وخطبه وما يضربه من الأمثال، وينطق به من جوامع الكلم تجدوا جزالة اللفظ، ومتانة التركيب، وسهولة المأخذ، إلى رفعة الأسلوب، إلى حكمة المعنى.
عَظَمَةٌ انتظمت من هذه المزايا العالية؛ فبلغت حد الإعجاز، وكل درة في عقد حياة محمد -عليه الصلاة والسلام- معجزة.
هذا وإن مما يبعث على الأسى، ويدعو إلى الأسف والحسرة ما تناقلته وسائل الإعلام في الأيام الماضية، حيث تناولت ما تبثه صحف الدانمارك والنرويج تلك الصحف التي ما فتئت تنال من مقام النبوة بأسلوب ساخر، ينم عن حقد دفين، وحسد يأكل قلوبهم، ويأبى لها إلا تغالط محل الحقائق، وتتيه في أودية الزور والبهتان؛ ظانين أن ذلك ينزل من مقام النبوة الأعظم فتيلاً أو قطميراً.
وفي تعب من يحسد الشمس نورها *** ويجهد أن يأتي لها بضريب
{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة:٣٢].

ولقد ساء ذلك الفعل الشائن قلوب المسلمين، وتتابعت أقلام الكتاب في رد ذلك الزيف، وإبطال ذلك الكيد؛ فكان من ذلك بعثٌ لفضائل هذا النبي الكريم -عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

وإذا أراد الله نشر فضيلة *** طويت أتاح لها لسان حسود

وفضيلة النبي -صلى الله عليه وسلم- لم تطوَ، وإنما تتجدد، وتتلألأ كالبدر في سماء صاحية، وكالشمس في رأد الضحى.

١٨.محبة الرسول صلى الله عليه وسلم. د. سفر الحوالي

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

الشيخ/ سفر الحوالي

١ - معنى المحبة وتعريفها:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

معنى المحبة في اللغة معروف، وهي في الشرع: أمر زائد على مجرد الميل الطبيعي للمحبوب؛ فمحبة الله تعالى، ومحبة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة المؤمنين، ومحبة ما شرع الله من الدين، هي أمر زائد على مجرد الميل الطبيعي إلى شيء من ذلك؛ إذ لا بد فيها من جانب اختياري تكليفي.

وباصطلاحاتنا المعاصرة أقول: إن المحبة الشرعية ليست مجرد عاطفة متعلقة بالوجدان وحده، وإنما هي متعلقة بالوجدان والعاطفة، والعقل والإرداة، والعمل: عمل القلب، وعمل الجوارح؛ إذ أنها جزء مهم من الإيمان.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة كما هو معلوم للجميع قول وعمل، أي: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، كما هو مبين في مواضعه.

وعلى هذا فمن ظن أن محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي مجرد الميل الطبيعي والوجداني له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو غالط غلطاً بيناً؛ لأن هذا الظن هو الذي أوقع طوائف من الأمة في التفريط في اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك سنته، ونبذ شريعته، وترك تحكيمه، وترك التأدب معه، وأوقعهم في التقديم بين يدي هديه وحكمه، هذا مع تعلقهم العاطفي بذاته، وتغنيهم بشمائله، وإعجابهم بكماله، وربما بكائهم لتذكره، ولهجهم بالصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك من قال: إن معنى محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي طاعته، وامتثال أمره، والتمسك بسنته، فهو مقصر عن إصابة كبد الحقيقة في هذا، إذ أن هذا هو تفسير لها باللازم والمقتضى.

فالطاعة والامتثال هو لازم المحبة ومقتضاها لا حقيقتها، ومعناها والتحقيق في ذلك: أنها أمر زائد على ذلك يجمع ويشمل ما ذكرنا آنفاً، فالمحبة بهذا الاعتبار أمر عظيم من أمور الإيمان.

وقد بين ذلك شَيْخ الإِسْلامِ ابن تيمية رحمه الله تعالى، يقول 'إذا كان الحب أصل كل عمل من حقٍ أو باطل، وهو أصل الأعمال الدينية وغيرها، وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، فالعملان القلبيان العظيمان إذاً هما المحبة والتصديق، المحبة هي أصل جميع الأعمال والتصديق هو أصل جميع الأقوال الإيمانية'.

ويقول رحمه الله في موضع آخر:

'أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحب الله هو أصل التوحيد العملي وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع وهذا هو الإسلام'.

وقال: 'أصل الإشراك العملي في الله الإشراك في المحبة، كما قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ [البقرة:١٦٥].

وكما هو معلوم أن تأليه الله تبارك وتعالى أو الشهادة بأنه لا إله إلا الله، قيل: إنها مشتقة من الأله أو من الوله، فالأله هو: العبادة، كما في الآية وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ [الأعراف:١٢٧] وأما إن كان من الوله فالمقصود بالوله هو: درجة عليا من درجات المحبة، وهي تعلق القلب بهذا المألوه الذي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المعبود وحده لا شريك له.

ومن هنا وقع شرك المشركين حين أحبوا غير الله، وتعلقت قلوبهم به، ونتج عن ذلك أن دعوهم واستغاثوا بهم وعبدوهم من دون الله سبحانه، وصرفوا لهم الحق الخالص لله عز وجل، وهذا المعنى الواسع العميق للمحبة عند أهل السنة والجماعة هو الذي يميز محبتهم عن المحبة العاطفية الهائمة، التي يدَّعيها الصوفية دون أي أساس من الشرع.

وهذه المحبة التي يدعونها هي شحنه عاطفية يمكن أن تفرغ بقصيدة من الشعر أو حفلة أو ذكر أو حضرة، أو بأي نوع من أنواع المتفرغات العاطفية وينتهي مفعولها، بخلافها عند أهل السنة والجماعة؛ حيث تشمل عمل القلب وعمل الجوارح التي ترتبط بعمل القلب، فيكون المحب في هذه الحالة مطيعاً وذاكراً ومتعلق القلب بالمحبوب.

وأما المحبة الصوفية أو المحبة البدعية الهائمة، فهي تلك المحبة التي عبَّر عنها السلف الصالح بأنها زندقة، حيث قالوا: 'من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن' وهذا هو القول الصحيح، وقد عبَّر عن هذه المحبة الزنديقية تصديقاً لهذا القول القديم المأثور الشاعر الصوفي المشهور ابن عربي حين قال قاتله الله:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعىً لغزلان، وديراً لرهبان
وبيتاً لأوثان، وكعبة طائف وألواحَ توراةٍ، ومصحفَ قرآن
أدينُ بدينِ الحبِّ أَنَّى تَوَجَهَت رَكَائِبُه فَالحُبُّ ديني وإيماني

فلما أصبحت المحبة بهذا المعنى، وأصبحت محبة الله ومحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي هذا الهيام العاطفي الذي لا يحده ضابط ولا قيد؛ وقعت الأمة أو الطوائف التي اعتنقت هذه المحبة في الغلو العظيم، على ما سوف نوضحه -إن شاء الله- في الفقرة المناسبة له، وخرج بذلك عن حد المحبة الشرعية، وحقيقتها، وما ذلك إلا لجهلهم لهذه المحبة التي شرعها الله والتي لا يقبل الله تبارك وتعالى إلا هي.
٢ - مقتضيات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:
لوازم ومقتضيات محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة جداً، نرجو الله تعالى أن يوفقنا لنظم أشتات الحديث فيها:

(١) تحقيق الشهادة له صلى الله عليه وسلم:
وأعظم ذلك هو تحقيق الشهادة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه رسول الله، هذه الشهادة التي هي ركن التوحيد، والشهادة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة التي تعني طاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما أمر، وتعني كذلك اجتناب كل ما نهى عنه وزجر، وتعني تصديقه في كل ما أخبر به، وتعني ألاَّ يعبد الله إلا بما شرع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا قال الله تبارك وتعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:٣١] قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [آل عمران:٣٢].
فلا بد من اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بد من طاعته؛ وهذا الاتباع والطاعة يرث العبد بهما محبة الله فتورث محبة الله تبارك وتعالى بذلك، وهذه هي الغاية العظمى التي يسعى إليها كل المؤمنين، كما قال بعض السلف: 'ليست العبرة بأن تُحِبْ، ولكن العبرة بأن تُحَبَّ'.
فمن أحبه الله تبارك وتعالى، فقد وفقه لكل خير، وتحقق محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعبد لا يكون إلا بأن يحقق العبد اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:٣١] وبالطبع اتباع الله واتباع دين الله وشرعه.
(٢) الاقتداء به صلى الله عليه وسلم:
ومن ذلك الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتأسي به، كما قال عز وجل: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً [الأحزاب:٢١] فلا بد من الاقتداء به والتأسي به في هديه وخلقه ومعاملته وكل أحواله في البيت، والمسجد، وفي الطريق، في السِّلم، والحرب، وفي كل الأحوال، وهذا الاقتداء هو حقيقة أو هو علامة ولازم تلك المحبة، التي يجب أن تكون كما أشرنا.
وقد ورد حديث عن عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه حسنه الشيخ الألباني بل ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة في الجزء الذي لم يخرج، قال: { أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توضأ يوماً فجعل الصحابة يتمسحون بوضوئه وذلك تبركاً منهم بوضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما يحملكم

على هذا -أي: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: حب الله ورسوله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله، فليصدق حديثه إذا حدَّث، وليؤد أمانته إذا اؤتمن، وليحسن جوار من جاوره }.
ولو تأملنا خلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوجدنا أنه أصدق الناس لهجة، وأنه أعظم الناس أمانةً، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس جواراً، فهذا نوع وجزء من شمائله العظمى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب الاقتداء به فيها، وهذا هو تحقيق محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولازمها ومقتضاها.
(٣) تحكيمه في كل موضع نزاع:
ومن أعظم لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحكيمه في كل موضع نـزاع، فلا يقدم قول أحد ولا رأيه ولا اجتهاده ولا نظره، ولا حكمه على قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكمه، يقول الله تبارك وتعالى في هذا: فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [النساء:٦٥].
وهذه الآية كما ذكر ابن القيم رحمه الله في شرح المنازل، هذه الآية شملت مراتب الدين الثلاثه، ففيها المقامات الثلاثة: مقام الإسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان، فالتحكيم في مقام الإسلام فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ [النساء:٦٥].
فمن لم يحكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يكون مسلماً، والإيمان في مقام نفي الحرج فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ [النساء:٦٥] فمن انتفى عنه الحرج فهو مؤمن -أي: حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتفى عنه الحرج بما حكم به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا هو المؤمن.
وأعلى من ذلك وأجل هو تحقيق مرتبة الإحسان وهي التسليم المطلق وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [النساء:٦٥] فيسلم المؤمن تسليماً مطلقاً لما حكم به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما أمر ولما أخبر به من خبر فلا يعرضه لا على عقله ولا على رأيه ولا على مذهبه ولا على قول شيخه، ولا على أي مخلوق أو أي فكر بشري.
وإنَّ مما يجب أن ننبه عليه في هذا المقام، هو ذلك المنكر العظيم الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية أو طوائف كبيرة منها مع دعوى محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع إظهار بعض الشكليات التي يظنون بها أنهم قد أدوا حقه وأظهروا محبته وزعموها، وذلك هو: تحكيم القوانين الوضعية في شئون حياتهم، ومعارضة سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهديه وحكمه وشريعته بتلك الأحكام.
فهذه جرأة على الله، وجرأة على مقام النبوة، بل هي إهدار وحط من مقام الرسالة؛ لأن معنى الشهادة بأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أن يشهد العبد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أرسل هذا الرسول إلينا لنطيعه ونتبع أوامره، ونلتزم بكل ما يأمرنا به فيما هو إلا رسول مبلغ من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
فالذين يرفضون حكم الله ورسوله ولا يقيمون شرع الله ودينه في أنفسهم ولا في مجتمعاتهم ولا في شئون السياسة أو الحكم أو الاقتصاد أو الاجتماع أو مناهج التعليم، أو أي ناحية من نواحي الحياة فلا ينفعهم أنهم يقيمون له الموالد أو ينشدون له

الأناشيد، أو يحيون ذكريات بدعية في ليلة الإسراء والمعراج وما أشبهها، ويزعمون بعد ذلك أنهم مؤمنون وأنهم يعظمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وربما ذهب بهم الشيطان إلى أبعد من هذا فَعَادوا من يُطبِّق سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتمسك بها ويقتدي بهديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحجة أنه مبغض للرسول، أو أنه خارج عن هديه، وينبزونه بأشنع التهم، والألقاب.

فهذا من أعظم المنكرات الدالة على أن هؤلاء الناس تركوا محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يقيمون له وزناً، ولا لرسالته ولا لمقام نبوته ولا لمنـزلته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي فضله الله تعالى بها على العالمين أجمعين.

ولا شك أن هذا مخالف لحال المؤمنين من السلف الكرام والصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين حالهم كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [النور:٥١] فلا اعتراض، ولا منازعة، ولا مدافعة، ولا تردد، ولهذا قال: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [النور:٥١].

فلا يكون الفلاح إلا لهؤلاء الذين حكَّموا سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أعمالهم وحركاتهم ولم تكن لهم الخيرة فيما يقضي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [الأحزاب:٣٦].

فلا اختيار مع أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل التنفيذ والامتثال، هذه هي لوازم محبته وهذا هو تحقيقها، وقد أمر الله تبارك وتعالى تبعاً لذلك بالرد إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [النساء:٥٩] والرد إلى الله هو: الرد إلى كتابه عز وجل، إلى هذا الذكر الحكيم، والرد إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو: الرد إلى سنته، بأن يُسأل في حياته ويرجع إليه في الأمور، وبعد مماته يرجع إلى دينه وسنته، وهديه، فلا يكون لأحدٍ إيماناً إلا بذلك، كما قال: إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [النساء:٥٩].

فمن ادَّعى الإيمان والمحبة مع عدم الرد إلى الله ورسوله في مواضع النـزاع والاشتباه في أي حال من الأحوال فقد نقض تلك المحبة وهو كاذب في دعواها، ولم يأتِ بلوازمها، ومقتضياتها.

وكما هو معلوم عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الثابت: {من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد }، وقد أشار الشراح رحمهم الله إلى أن هذه اللفظة (عليه أمرنا) فيها الجار والمجرور متعلق بمحذوف يقدر بـ(حاكماً أو قاضياً)، من عمل عملاً ليس أمرنا حاكماً عليه أو قاضياً عليه أو خاتماً عليه فهو رد، فمعنى ذلك: أن أعمال العباد يجب أن تكون تحت أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحت سنته وهديه وشرعه.

وكذلك في الحديث الآخر يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: {فمن رغب عن سنتي فليس مني } فمهما ادَّعى من مدعي محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راغب عن سنته فليس منه.

وأما صحابته الكرام الذين أحبوه ذلك الحب العظيم فإنهم رضي الله عنهم كانوا متمسكين بسنته، حريصين على التأدب معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء به والاهتداء بهديه، والتأدب معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم التقديم بين يديه.
(٤) عدم التقديم بين يديه وغضّ الصوت:
وأيضاً مما يجب لتحقيق هذه المحبة وهو لازم عظيم من لوازمها:
التقديم بين يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغض الصوت عنده يكون في حياته كما هو معلوم بالنسبة لشخصه ولذاته، وبعد مماته يكون بالتأدب مع سنته وغض الصوت، فلا يرتفع صوت رأي، ولا فكرة، ولا مذهب، ولا قياس فوق سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد كان الصحابة الكرام، يدركون هذا المعنى غاية الإدراك كما ورد في صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: {كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذٍ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحياء خير كله -قال- أو قال: الحياء كله خير }.
الحديث المشهور المعروف { والحياء شعبة من الإيمان } والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: {الحياء خير كله أو الحياء كله خير } هذا بلفظ عام لم يخصص بشيء، فقال بشير بن كعب: {إنا لنجد في بعض الكتب، أو الحكمة أن منه سكينة ووقاراً لله ومنه ضعف } يقول: نجد في بعض الكتب أو في بعض موروثات كتب الأولين أن من الحياء سكينة ووقاراً ولكن أيضاً، أن منه ضعف.
{قال أبو قتادة: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعارض فيه، ثم يقول أبو قتادة: فأعاد عمران الحديث، فأعاد بشير، فغضب عمران }.
ولا شك أن الغضب الثاني أشد من الغضب الأول، فلما رأى أولئك الرهط ثورة عمران، أخذوا يهدئونه قال أبو قتادة: {فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد إنه لا بأس به }.
يقولون: يا أبا نجيد، إن بشيراً هذا منا، إنه ليس من أهل البدع ولا من أهل النفاق ولا من أهل الزيغ والضلال، فما حصل منه هو عمل أهل الزيغ وأهل الضلال وأهل النفاق الذين إذا قيل لهم: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: إن الأمر كذا، ولكن فلاناً قال كذا، ولكن العلماء قالوا كذا، ولكن المذهب فيه كذا، ولكن الشيخ الفلاني أفتى بكذا، إلى آخر ذلك.
ولذلك الإمام الشافعي رحمة الله عليه، عبَّر عن ذلك تعبيراً عظيماً حين جاءه رجل يسأله عن أمر من الأمور، فقال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا -وتلا عليه حديثاً- فقال له الرجل: فما رأيك أنت؟ فغضب الإمام الشافعي رضي الله عنه، غضباً شديداً، وقال: أتراني في كنيسة؟! أترى عليَّ زناراً؟! أقول لك: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول ما رأيك أنت. فكانوا يعلمون ويدركون أنه لا رأي لأحد مع كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع هديه، ومع سنته.
(٥) الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم:

يجب أو ينبغي أن ننبه إلى أمر عظيم من لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الأمر العظيم قد جاء تفصيله في الشرع؛ فهناك مواضع تجب فيها الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصيغة أو بالصيغ الشرعية الواردة في الأحاديث الصحيحة، وهناك مواضع تستحب فيها هذه الصلاة وتتأكد، وهناك أحوال بل نقول: إنها في كل حال، وفي كل وقت الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي قربة وذكر ونافلة وعبادة من أعظم العبادات وأجلّها.

(٦) عدم أذيته صلى الله عليه وسلم:

مما يجب أن يعلم أن من لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم أذيته، كما تفضل الشيخ عبد الله في مسألة الاستهزاء؛ بل إن الله سبحانه بيَّن أن أذيته هي شأن المنافقين وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ [التوبة:٦١].

فأي قول فيه نوع من التحقير، أو التقليل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الحط من قيمته، أو الأذية له أو لسنته فإنه من عمل المنافقين وهذا النفاق هو نفاق أكبر -نسأل الله العفو والعافية- وما من قلب ينعقد على شيء من بغض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو كراهيته ويكون صاحبه مؤمناً قط.

نعم. الناس يتفاوتون في محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفاوتاً عظيماً، ولكن المؤمن المسلم لا يخلو قلبه أبداً من شيء من محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن قل، أما أن يشتمل قلب أحدٍ من البشر بشيء من كراهيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا هو الكفر عياذاً بالله، ولا يجتمع الإيمان مع بغضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبداً، ومن ذلك عدم إيذائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زوجاته، وعدم إيذائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحابته الكرام.

فإن من آذاه في زوجاته أو في صحابته فكأنما آذاه في نفسه وفي شخصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الواحد من الناس أو الواحد من البشر من آذاه في زوجته أو في صديقه، أو في حبيبه فلا شك أنه آذاه هو، فكيف بمن آذى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء من ذلك؟! وهذا مما هو معلوم من جميع المسلمين -ولله الحمد- وإنما أحببنا أن ننبه فيه لأهميته.

[وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]

١٩.وأين الشمس من دنس وعار

ماجد عبد الله

majed٧٧٧٤٤@hotmail.com

بكالوريوس في كلية الشريعة

مفكرة الإسلام: إن من الظلم لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن من الظلم للحقيقة أن نقيسه بواحد من هؤلاء الآلاف من العظماء الذين لمعت أسماؤهم في دياجي التاريخ من يوم وجد التاريخ، فإن من العظماء من كان عظيم العقل ولكنه فقير في العاطفة والبيان، ومن كان بليغ القول وثاب الخيال ولكنه عادي الفكر، ومن برع في الإدارة أو القيادة ولكن سيرته وأخلاقه كانت أخلاق السوقة الفجار.

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الذي جمع العظمة من أطرافها، وما من أحد من هؤلاء إلا كانت له نواح يحرص على سترها وكتمان أمرها، ويخشى أن يطّلع الناس على خبرها، نواحٍ تتصل بالشهوة أو ترتبط بأسرته، أو تدل على ضعفه وشذوذه، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الذي كشف حياته للناس جميعًا فكانت كتابًا مفتوحًا، ليس فيه صفحة مطبّقة ولا سطر مطموس، يقرأ فيه من شاء ما شاء، وهو وحده الذي أذن لأصحابه أن يذيعوا عنه كل ما يكون منه ويبلغوه، فرووا كل ما رأوا من أحواله في ساعات الصفاء، وفي ساعات الضعف البشري وهي ساعات الغضب والرغبة والانفعال، وروى نساؤه كل ما كان بينه وبينهنّ، هاكم زوجته عائشة رضي الله عنها تعلن في حياته وبإذنه أوضاعه في بيته، وأحواله مع أهله؛ لأن فعله كله دين وشريعة، وكتب الحديث والسير والفقه ممتلئة بها، لقد رووا عنه في كل شيء حتى ما يكون في حالات الضرورة البشرية، فعرفنا كيف يأكل، وكيف يلبس، وكيف ينام، وكيف يقضي حاجته، وكيف يتنظف من آثارها.

فأروني عظيماً آخر جَرؤ أن يغامر فيقول للناس: هاكم سيرتي كلها، وأفعالي جميعا، فاطّلعوا عليها، وارووها للصديق والعدو، وليجد من شاء مطناً عليها؟ أروني عظيماً آخر دُوّنت سيرته بهذا التفصيل، وعُرفت وقائعها وخفاياها بعد ألف وأربعمائة سنة، مثل معرفتنا بسيرة نبينا!!

والعظمة إما أن تكون بالطباع والأخلاق والمزايا والصفات الشخصية، وإما أن تكون بالأعمال الجليلة التي عملها العظيم، وإما أن تكون بالآثار التي أبقاها في تاريخ أمته وفي تاريخ العالم، ولكل عظيم جانب من هذه المقاييس تُقاس بها عظمته.

أما عظمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقاس بها جميعها، لأنه جمع أسباب العظمة، فكان عظيم المزايا، عظيم الأعمال، عظيم الآثار، والعظماء إما أن يكونوا عظماء في أقوامهم فقط، نفعوها بقدر ما ضروا غيرها، كعظمة الأبطال المحاربين والقواد الفاتحين، وإما أن تكون عظمته عالمية، ولكن في جانب محدود، في كشف قانون من القوانين التي وضعها الله في هذه الطبيعة وأخفاها حتى تُعمل العقل في الوصول إليها، أو معرفة دواء من أدوية المرض، أو وضع نظيرة من نظريات الفلسفة، أو صَوغ آية من آيات البيان، قصة عبقرية، أو ديوان شعر بليغ، أما محمد فكانت عظمته عالمية في مداها، وكانت شاملة في موضوعها.

والذي جرّني إلى الحديث عن هذا الجزء اليسير من هذه السيرة العطرة ما انتشر وذاع من قيام بعض من لا خلاق له بالتطاول على نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم واستهتارهم بالمسلمين، فالواجب علينا نحن المسلمين تجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القيام بهذه الأمور:

١- الدعاء عليهم.

٢- المقاطعة الاقتصادية، فهي والله أشد عليهم من الاستنكار وغيرها، ونشرها في كل مكان.

٣- الاستنكار لهذه الحادثة بكل وسيلة مستطاعة

٢٠.محمد صلى الله عليه وسلم

هو نبينا وحبيبنا ، محمد صلى الله عليه وسلم .. النبي المصطفى .. والرسول المجتبى .. سيد الأولين والآخرين .. شفيع المذنبين بإذن الله .. قائد الغر المحجلين .
ذلكم النبي الذي أخرجه ربه من أفضل المعادن منبتا ، وأعز الأرومات مغرسا ، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه ، وانتخب منها أمناءه ، عترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وشهاب سطع نوره .
سيرته القصد ، وسنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل ، أرسله ربه على فترة من الرسل، فترة ضل الناس فيها رشادهم ، ومجدوا عقولهم ، وملأوا الأرض جورا وظلما ، حتى استغاثت الأرض بالسماء ، فلطف الله بعباده فأرسله ربه رحمة للعالمين.
فكان أعدل الناس..
وأصدقهم لهجة ..
وأعظمهم أمانة ..
وأشجع الناس وأكرمهم ، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه ..
وكان أشد الناس تواضعا ..
وأبعدهم عن الكبر ..
كان أوفى الناس بالعهود..
وأوصلهم للرحم..
وأعظمهم شفقة ورأفة..
وأحسنهم عشرة وأدبا ..
كان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم ..
كان لا يحقر فقيرا لفقره ، ولا يحسد غنيا لغناه ..
كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة..
ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ..
طويل السكوت ، يتكلم بجوامع الكلم ..
يعظم النعمة وإن دقت ، ويشكر إن كثرت أو قلت..
يؤلف أصحابه ولا يفرقهم..
يكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم..
ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم..
كان خلقه القرآن ، بل كان وكأنه قرآن يمشي على الأرض..
كان أجود الناس بالخير..
كان أشد الناس حياء..
كان أطيبهم كفا ، وأزكاهم رائحة ..
كان كما وصفه ربه ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} [الأحزاب :٤٥] ،

وقد وصف بذلك في التوراة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، فيقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، فيهدي به بعد الضلالة ، ويعلم به الجهالة ... » .

هو السراج المنير ، وفي القرآن الكريم سراجان : {سِرَاجاً وَهَّاجاً} ، و {وَسِرَاجاً مُّنِيراً} ، فالسراج الوهاج هو الشمس في ضحاها ، والسراج المنير هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في جماله وبهائه وكماله ، فما الفرق بين السراجين ؟

السراج الوهاج : فيه نور وحرارة ، والسراج المنير : فيه نور وليس فيه حرارة ..

الشمس تؤذيك بحرها صيفا ، ونور الحبيب محمد يهديك صيفا وشتاء ..

الشمس إذا ازددت منها قربا تصيبك بالأمراض ، والحبيب محمد إذا ازددت منه قربا ازددت من الرحمن حبا..

الشمس تغيب ليلا ، ونور الحبيب محمد لا يغيب ليلا ولا نهارا ..

حبيبي يا رسول الله ، لقد زكاك ربك في كل شيء :

زكاك في عقلك فقال : { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم :٢] .

زكاك في بصرك فقال : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم :١٧] .

زكاك في قلبك فقال : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح :١] .

زكاك في ذكرك فقال : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح :٤] .

زكاك في علمك فقال : { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم :٥] .

وزكاك كلك فقال : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم :٤] .

قال الحسن بن الفضل : لم يجمع الله تعالى لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ،

فإنه قال عن نفسه سبحانه وتعالى : { إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحج :٦٥] ،

وقال عن نبيه صلى الله عليه وسلم : { بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة ١٢٨] .

لما فقده الجذع الذي كان يخطب عليه قبل أن يتخذ المنبر حن إليه الجذع وصاح كما يصيح الصبي ، فنزل صلى الله عليه وسلم إليه ، فاعتنقه ، فجعل يهذي كما يهذي الصبي الذي يسكن عند بكائه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لو لم أعتنقه لحن إلى يوم القيامة » .

فكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال : هذه خشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .

ينزل عليه جبريل عليه السلام ذات ليلة فيجده يبكي ، فيقول : يا رسول الله ما يبكيك ؟ فقال الحبيب المصطفى : لقد قرأت قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [إبراهيم :٣٦] ، وقرأت قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة :١١٨] ، ثم رفع

يديه إلى السماء وقال : « اللهم أمتي » وبكى ، فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام : اذهب إلى محمد فسله : ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله تعالى : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل له : « إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

إذا كان رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم يحبنا هذا الحب ، فلماذا لا نتأدب معه ؟!

بل إنه يحبنا أكثر من ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلي كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمونها » .

لذلك فإن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل فيما يلي :

الإيمان به صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف :١٥٨] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (والإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما ، والتصديق به عقدا ، والإقرار به نطقا ، والانقياد به محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان) .

والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق بنبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ، ومطابقة تصديق القلب بذلك ، بشهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك اللسان ، ثم الإيمان به صلى الله عليه وسلم والتصديق له .

- وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)

يقول الإمام النووي معلقا على هذا الحديث : (وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور) .

وقوله :« لا يسمع بي أحد من هذه الأمة » أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته ، وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب،فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى)

محبته صلى الله عليه وسلم :

ومن الأدب مع الرسول الأعظم ، والنبي الأكرم ، أن يحبه المؤمن أكثر من نفسه وماله وأهله وولده والناس أجمعين .

- قال تعالى : { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} [الأحزاب :٦] ،

• ولقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

• وعن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ، والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » ، فقال عمر : والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الآن يا عمر » ، أي الآن كمل إيمانك.

• قال ابن بطال والقاضي عياض : المحبة ثلاثة أقسام :

١) محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد .
٢) ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد .
٣) ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس .

فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأصناف في محبته .

• وقال القاضي عياض رحمه الله : ومن محبته نصرة سنته والذب عن شريعته ، وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه .

لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

نحب رسول الله

أولا : لأن الله أمرنا بذلك و تعبدنا بذلك وجعل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شروط الإيمان به

ثانيا : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله الله سبب كل خير نحن غيه من خيري الدنيا والآخرة، ولولاه لهلكنا ومتنا على الكفر ، واستحققنا الخلود في النار ، فبه عرفنا طريق الله ، وبه عرفنا مكائد الشيطان ، جعله الله رحمة مهداة ، ونعمة مسداة ، لولاه لنزل العذاب بالأمة ، رحمة لأتباعه ، رحمة لأعدائه .

- أما أتباعه فنالوا به كرامة في الدنيا والآخرة .

- وأما أعداؤه المحاربون له : فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة ، وهم قد كتب الله عليهم الشقاء ، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر .

- وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له .

- وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم وجريان أحكام المسلمين عليهم.

- وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه وتعالى رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض ، فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : توقيره :

• قال الله تعالى : {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨)لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)} [الفتح :٨-٩] ،

• وقال سبحانه : { لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً} [النور :٦٣] ، فلا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دعوتموه

ونداءكم له إذا ما ناديتموه كدعاء أو نداء بعضكم لبعض ، وإنما عليكم إذا ما ناديتموه أن تنادوه بقولكم : يا نبي الله ، أو يا رسول الله ، ولا يليق بكم أن تنادوه باسمه مجردا ، فلا تقولوا : يا محمد .
فإن مولاه لم يناده باسمه مجردا كسائر الأنبياء والمرسلين كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ولكنه كان يناديه بقوله : يا أيها المدثر ، يا أيها المزمل ، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، وإن كان قد ورد في أكثر من موضع ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم ، فإن وروده لم يكن على سبيل النداء .
فمن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نناديه باسمه مجردا ، وإنما علينا أن نوقره ونعظمه في أقوالنا وفي قلوبنا .
الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته :
والأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذلك يكون المؤمن مؤدبا معه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، والأدب معه بعد موته يتمثل في :
توقيره :
إنه أدب ممتد في حياته وبعد مماته ، لأن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته وهو حي .
ولقد شدد فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك الأمر تشديدا عظيما ، فقد كان يعاقب من يرفع صوته في المسجد النبوي الشريف بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فعن السائب بن يزيد قال : كنت قائما في المسجد فحصبني – أي رماني بحصاة – رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما ، قال : من أنتما ؟ من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضربا ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟
قال ابن العربي : حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا ، وكلامه المأثور بعد موته ككلامه المسموع من لفظه صلى الله عليه وسلم ، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه في مجلسه صلى الله عليه وسلم .
و انظر إلى أدب الإمام مالك رحمه الله ، فقد كان إذا جاءه طلاب العلم ، خرجت إليهم الجارية فتقول لهم : يقول لكم الشيخ : تريدون الحديث أو المسائل ؟ فإن قالوا : المسائل خرج إليهم ، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله ، واغتسل وتطيب ، ولبس ثيابا جددا ، وتعمم ووضع عليه الرداء ، وارتقى على كرسي ، ويخرج وعليه الخشوع والوقار ، ولايزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان يكره أن يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل .
قال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه ، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له يوما في ذلك فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون .

ومن الأدب معه : التأسي به في كل الأقوال والأفعال :
قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ} [الأحزاب : ٢١] .
قال ابن كثير : هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته ، وانتظاره الفرج من ربه .
كان عبد الله بن عمر يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله ، حتى في الأعمال الحياتية التي لا دخل لها في التشريع ولم نؤمر باتباعها .فعن نافع أن ابن عمر كان يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي في كل مكان صلى فيه ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس .
قال مجاهد : كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر فمر بمكان فحاد عنه ، فسئل لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ففعلته .
وينقل إلينا نافع وصفا لحاله وهو يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : لو نظرت إلى ابن عمر إذ اتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم لقلت : هذا مجنون .
- ونحن كذلك يجب علينا أن نتأسى به صلى الله عليه وسلم .
- نتأسى به في شجاعته ، فقد كان أشجع الناس .
- نتأسى به في أخلاقه فقد كان خلقه القرآن .
* « كَانَ رَسُولُ الله أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا » .
* « كَانَ رَسُولُ الله أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ » .
* « كَانَ رَسُولُ الله أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً» .
* « لَمْ يَكُنْ رَسُولَ الله فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَلا صَخَّابًا في الأَسْوَاقِ وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ » .
* « كَانَ رَسُولُ الله يَعُودُ المَرِيض وَيَتْبَعُ الجَنَازَةِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ المَمْلُوكِ وَيَرْكَبُ الحِمَارِ»
* « كَانَ رَسُولُ الله إِذَا صَافَحَ الرَّجُلَ لَمْ يَنْزَعْ يَدَهُ وَلَمْ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمَ رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَي جَلِيسٍ لَهُ » .
* « كَانَ رَسُولُ الله طَوِيلُ الصَّمْتِ »
* « كَانَ رَسُولُ الله يُكْثِرُ الذِّكْرِ وَيُقِلُّ اللَّغْوِ وَيُطِيلُ الصَّلاةِ وَيُقَصِّرُ خُطْبَتَهْ ، وَلا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِي مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ فَيَقْضِي الحَاجَةَ» .
*« مَا سُئِلَ رَسُولُ الله شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لا » .
• قال الجنيد بن محمد : الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الله عز وجل يقول : (وعزتي وجلالي ، لو أتوني من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك يا محمد .
ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم الانتهاء عما نهى عنه وزجر :
فكما أن طاعته صلى الله عليه وسلم في كل الأمور واجبة ، فإنه يتبعه حتما وجوب الانتهاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزجر .

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أكلت الحمر .. فسكت ، ثم أتاه الثانية فقال : أكلت الحمر .. فسكت ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : « أفنيت الحمر » .
فأمر مناديا فنادى في الناس : (إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية) ، فأكفيت القدور ، وإنها لتفور باللحم .
إن هؤلاء الأبرار لم يفكروا في حيلة ، ولم يبحثوا عن فرصة أو استثناء ، ولم يجادلوا ويقولوا : إنما حرم رسول الله ما يذبح بعد ذلك لا ما تفور به القدور ، لكنهم انطاعوا للأمر ، وهكذا يكون الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومن الأدب مع رسول الله توقير أصحابه والتأدب معهم :
• يقول القاضي عياض : ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره:
- توقير أصحابه وبرهم.
- ومعرفة حقهم والاقتداء بهم.
- وحسن الثناء عليهم.
- والاستغفار لهم.
- والإمساك عما شجر بينهم.
- ومعاداة من عاداهم.
- والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم.
- وأن يلتمس لهم في ما نقل عنهم من مثل ذلك في ما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ،
- ويخرج لهم أصوب المخارج ، إذ هم أهل لذلك.
- ولا يذكر أحد منهم بسوء ، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ، ويسكت عما وراء ذلك.
• فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من سب أصحابي » ، وقال صلى الله عليه وسلم :« من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» .
ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن نزور مسجده ونصلي فيه:
• قال القاسمي : من قصد زيارة المدينة ، فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا ، وليتطيب ويلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما ، ويقصد المسجد ويصلي فيه بجانب المنبر ركعتين ، ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه .
فيقف ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، ويصلي ويسلم عليه كثيرا ، ثم يسلم على أبي بكر وعمر .
ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام عليه:
• لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} ،
- والصلاة من الله: ثناؤه على أنبيائه.

- والصلاة من الملائكة:الاستغفار.
- ومن الناس: الدعاء والتعظيم والتكريم.
والصلاة عليه من أعظم الذكر.
• عن عامر بن ربيعة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلَّى عليَّ ، فليقلَّ عبدٌ من ذلك أو ليكثر».
• وروى عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن جبريل أتاني فبشرني: أن الله عز وجل يقول لك: من صلى عليك صليتُ عليه ، ومن سلم عليك سلمتُ عليه ، فسجدتُ لله عز وجل شكراً » .
• وعن ابن مسعود : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة » .
وتتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع وأعمال ، منها :
إذا ورد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ،
لقوله : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ ».
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»، ومثل هذا الحديث يدل على مشروعية الصلاة عليه كما ذكر، وقال بعضهم بوجوبها كلما ذكر ، وقال بعض آخر: تجب أول مرة ، وتسن فيما بعد.
الصلاة عليه في المجالس:
• لقوله صلى الله عليه وسلم : «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة ،فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم».
الصلاة عليه عند سماع المؤذن:
• لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» .
الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه ، وعند المرور بالمساجد:
• لأنه صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال: (اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك) . وإذا خرج: «صلى على محمد وسلَّم ، ثم قال: (اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك) » .
• ولقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم) .
الصلاة عليه في التشهد الأخير ، وهو ركن من أركان الصلاة أو واجب ، وأما الصلاة عليه في التشهد الأول: فهي مستحبة.
الصلاة عليه في صلاة الجنائز، فإن من السنة:

- أن يقرأ في التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ،
- وفي الثانية يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ،
- وفي الثالثة يدعو للميت ،
- وفي الرابعة يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنَّا بعده .

الصلاة عليه بين تكبيرات صلاة العيد.

تستحب الصلاة عليه عند ختم الدعاء:

- لقول عمر رضي الله عنه : « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك » .

يوم الجمعة وليلته يستحب الإكثار فيه من الصلاة عليه:

- لقوله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، ففيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعنى: وقد بليت ؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ،
- وقد ذهب الإمامان الشافعي وأحمد إلى وجوب الصلاة عليه والسلام في خطبتي الجمعة. ولا تصح الخطبتان إلا بذلك.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يؤدبنا بآداب المصطفى ، ويعلمنا سنته ، ويجعلنا متمسكين بها في الدنيا ، وأن يحشرنا مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يسقينا من حوضه الشريف شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا .

٢١.صور من محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته

محمد السمان
خطيب جامع الجهيمي بالرياض

الصورة الأولى :

جاء في صحيح البخاري في حديث الشفاعة العظمى عن أنس رضي الله عنه وفي الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فيأتوني ، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، فيقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، فيحد لي حدا ، فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة : وسمعته أيضا يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود فأستأذن على ربي في داره ، فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحد لي حدا ، فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة : وسمعته يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود الثالثة ، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت له ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحد لي حدا ، فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة : وقد سمعته يقول : فأخرج

فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن) . أي وجب عليه الخلود . قال : ثم تلا هذه الآية : {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} . قال : وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم .

الصورة الثانية ..

جاء عند البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة العظمى أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم (فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدا لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو : كما بين مكة وبصرى).

الصورة الثالثة ..

قرأ صلى الله عليه وسلم يوماً قول اللـه فى إبراهيم: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [إبراهيم: ٣٦]
وقرأ قول اللـه فى عيسى: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة: ١١٨].
فبكى صلى الله عليه وسلم فأنزل اللـه إليه جبريل عليه السلام وقال: يا جبريل سل محمدًا ما الذي يبكيك؟ - وهو أعلم-، فنزل جبريل وقال: ما يبكيك يا رسول اللـه؟ قال: أمتي.. أمتي يا جبريل، فصعد جبريل إلى الملك الجليل. وقال: يبكى على أمته واللـه أعلم، فقال لجبريل: انزل إلى محمد وقل له إنا سنرضيك فى أمتك) رواه مسلم .

الصورة الرابعة

قول النبي صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة) رواه البخاري .

الصورة الخامسة

أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله : {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات} . فقال الرجل: يا رسول الله، ألي هذا ؟ قال : (لجميع أمتي كلهم). رواه البخاري .

الصورة السادسة

قول النبي صلى الله عليه وسلم (لولا أن أشق على أمتي ، أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) رواه البخاري .

الصورة السابعة

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : (عرضت علي الأمم ، فجعل يمر النبي معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فرجوت أن يكون أمتي ، فقيل : هذا موسى وقومه ، ثم قيل

لي : انظر ، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل : هؤلاء أمتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب). فتفرق الناس ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكنا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هم الذين لا يتطيرون ، ولا يسترقون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون). فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال: (نعم). فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ فقال: (سبقك بها عكاشة).

الصورة الثامنة ..

جاء في حديث الإسراء والمعراج الطويل ..قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك ، حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها ، فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال ارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته ، فقال : هي خمس ، وهي خمسون ، لا يبدل القول لدي ، فرجعت إلى موسى ، فقال : راجع ربك ، فقلت : استحييت من ربي ، ثم انطلق بي ، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك. رواه البخاري.

الصورة التاسعة ..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: "سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه". قالت فقلت: يا رسول الله! أراك تكثر من قول: "سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟" فقال: "خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي . فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه . فقد رأيتها . إذا جاء نصر الله والفتح . فتح مكة . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا". رواه مسلم .

الصورة العاشرة ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله! من قتل في سبيل الله فهو شهيد . قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل ، قالوا : فمن هم ؟ يا رسول الله ! قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد . ومن مات في سبيل الله فهو شهيد . ومن مات في الطاعون فهو شهيد . ومن مات في البطن فهو شهيد . قال ابن مقسم : أشهد على أبيك ، في هذا الحديث ؛ أنه قال : والغريق شهيد . وفي رواية : قال عبيد الله بن مقسم : أشهد على أخيك أنه زاد في هذا الحديث: ومن غرق فهو شهيد. وفي رواية : زاد فيه: والغرق شهيد) رواه مسلم.

الصورة الحادية عشرة ..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الريح والغيم ، عرف ذلك في وجهه ، وأقبل وأدبر. فإذا أمطرت ، سر به ، وذهب عنه ذلك . قالت عائشة : فسألته . فقال:

"إني خشيت أن يكون عذابا سلطا على أمتي" . ويقول ، إذا رأى المطر "رحمة". رواه مسلم .
الصورة الثانية عشرة ..
عن عبد الله بن عمر؛ قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة . فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده . فلا ندري أشيء شغله في أهله أو غير ذلك . فقال حين خرج: إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم . ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة. ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى. رواه مسلم
الصورة الثالثة عشرة ..
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية. حتى إذا مر بمسجد بني معاوية ، دخل فركع فيه ركعتين . وصلينا معه . ودعا ربه طويلا . ثم انصرف إلينا . فقال صلى الله عليه وسلم "سألت ربي ثلاثا . فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة . سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها . وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" . وفي رواية : أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه . فمر بمسجد بني معاوية. رواه مسلم .
الصورة الرابع عشرة ..
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار. قال فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف . فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم أتاه الثانية . فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . فقال "أسأل الله معافاته ومغفرته . وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال "أسأل الله معافاته ومغفرته . وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرءوا عليه ، فقد أصابوا. رواه مسلم.

٢٢.قطوف من الشمائل المحمدية

محمد بن جميل زينو
بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
أما بعد فإن أقدم لإخواني القراء المسلمين الكرام :
قطوفاً من الشمائل المحمدية ، والأخلاق النبوية ، والآداب الإسلامية ليطلعوا عليها ، ويقتدوا بهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، في أخلاقه ، وآدابه ، وتواضعه ، وحلمه ، وشجاعته ، وكرمه ، وتوحيده لربه ، ولا سيما نحن في عصر نحتاج إلى نشر التوحيد والأخلاق اللذين انتصر بهما المسلمون ، وانتشر الإسلام .
وما أحسن قول الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}
٢- وقال الله تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ }
٣- وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن صوم يوم الاثنين قال : (ذلك يوم ولدت فيه ، وفيه بعثت ، وفيه أنزل الحق) .
٤- لقد ولد الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في مكة المكرمة عام الفيل عام ٥٧١م من أبوين معروفين : أبوه عبدالله بن عبدالمطلب ، وأمه آمنة بنت وهب ، سماه جده محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقد مات أبوه قبل ولادته .
٥- إن من واجب المسلمين أن يعرفوا قدر هذا الرسول الكريم ، فيحكموا بالقرآن الذي أنزل عليه ، ويتخلقوا بأخلاقه ، ويهتموا بالدعوة إلى التوحيد التي بدأ بها رسالته متمثلة في قوله تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} .
اسم ونسب الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ} .
٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي .
٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمي لنا نفسه أسماء فقال : "أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا المقفى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة"(المقفى : آخر الأنبياء)
٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ، ولعنهم ؟ يشتمون مذمماً ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد) .
٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) .
٦- وقال صلى الله عليه وسلم : (تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم) .
الرسول كأنك تراه صلى الله عليه وسلم :
١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل البائن ولا القصير .
٢- كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، أبيض مليح الوجه .

٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مربوعاً ( ) ، عريض ما بين المنكبين ، كث اللحية ، تعلوه حُمرة ، جمته إلى شحمة أذنيه ، لقد رأيته في حُلة حمراء ، ما رأيت أحسن منه . (كث اللحية : كثير الشعر) (جمته : شعره) .
٤- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس واليدين والقدمين ، حسن الوجه ، لم أر قبله ولا بعده مثله .
٥- كان وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديراً .
٦- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك .
٧- كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تبسماً ، وكنت إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل .
٨- وعن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً ، حتى أرى منه لهواته ، إنما كان ضحكه التبسم . (لهواته : أقصى حلقه) .
٩- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ليلة إضحيان فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى القمر ، وعليه حلة حمراء ، فإذا هو عندي أحسن من القمر . (إضحيان : مضيئة مقمرة) .
١٠- وما أحسن من قال في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل .

هذا الشعر من كلام أبي طالب أنشده ابن عمر وغيره ، لما أصاب المسلمين قحط ، فدعا لهم الرسول قائلاً : (اللهم أسقنا) فنزل المطر . (ثمال : مُطعم ، عِصمة : مانع من ظلمهم) .

والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم المنعوت بالبياض يسأله الناس أن يتوجه إلى الله بوجهه الكريم ودعائه أن يُنزل عليهم المطر وذلك في حال حياته صلى الله عليه وسلم ، أما بعد مماته فقد توسل الخليفة عمر بالعباس أن يدعو لهم بنزول المطر ولم يتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم : وأنشد من كنانة فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر
*** سُقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة
*** إليه وأشخص منه البصر
فلم يك إلا كإلقاء الرداء
*** وأسرع حتى رأينا الدرر
وكان كما قال لـه عمه
*** أبو طالب أبيض ذو غرر
به الله يسقى صـوب الغمـام
*** وهذا العيان لذاك الخير

فمن يشكر الله يلق المزيد
*** ومن يكفر الله يلق الغير

قال الشاعر أبو رواحة عبدالله بن عيسى اليمني :
هذا رسول الله يبدو في الدنيا
*** شمساً تضئ لسائر الأكوان
فهو الذي كان الختام لرسلنا
*** كختام مسك فاح في البلدان
ذو الصورة البيضاء والوجه الذي
*** أضحى لنا قمراً بكل مكان
وإذا لمست الكف قلت : حريرة
*** من لينة كالزبد في فنجان
وإذا سمعت كلامه مترسلاً
*** يصل القلوب يهز كل جنان
وجوامع الكلم البليغ أحاطتها
*** إذا أنها فاقت لكل بيان
أبو معبد والرسول صلى الله عليه وسلم :
اشتهر في كتب السيرة والحديث خبر نزول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بخيمة أم مبعد (بقرير) طالبين القرى ، فاعتذرت لهم لعدم وجود طعام عندها إلا شاة هزيلة لا تدر لبناً ، فأخذ الشاة فمسح ضرعها بيده ، ودعا الله ، وحلب في إناء حتى علت الرغوة ، وشرب الجميع ، ولكن هذه الرواية طرقها ما بين ضعيفة وواهية إلا طريقاً واحداً يريوها الصحابي قيس بن النعمان السكوني ونصها :
(لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يستخفيان نزلا بأبي معبد فقال : والله ما لنا شاة ، وإن شاءنا لحوامل فما بقي لنا لبن .
الرسول صلى الله عليه وسلم : فما تلك الشاة ؟
أبو معبد : أتى بها .
الرسول صلى الله عليه وسلم : دعا بالبركة عليها ، ثم حلب عُسا فسقاه ثم شربوا . (عُساً : قدحاً كبيراً) .
أبو معبد : أنت الذي يزعم قريش أنك صابئ .
الرسول صلى الله عليه وسلم : إنهم ليقولون .
أبو معبد : أشهد أن ما جئت به حق .
أبو معبد : أتبعك .
الرسول صلى الله عليه وسلم : لا ، حتى تسمع أنا قد ظهرنا : (أي انتصرنا) .
أبو معبد : فاتبعه بعد : (أي لحقه بعد أن ظهر في المدينة) .
من فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} .
٢- {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} .
٣- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

٤-	وقال صلى الله عيه وسلم : (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة) .
٥-	وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا أول شفيع في الجنة ، لم يُصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن نبياً من الأنبياء ما صدقه من أمته إلا رجل واحد) .
٦-	وقال صلى الله عليه وسلم : سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة : سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسِّنة ، فأعطانيها ، وسألته أن يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) . (السنة : القحط) .

وفي رواية : (فسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها) .

٧-	وقال أنس بن مالك في حديث الإسراء وفيه :

(والنبي صلى الله عليه وسلم ، نائمة عيناه ، ولا ينام قلبه) .

٨-	وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم يوم القيام ، وأول من تنشق عه الأرض ، شافع ومشفع) .
٩-	وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون) .
١٠-	وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنت في القرن الذي كنت منه) .
١١-	وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي ، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون لـه ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) .
١٢-	وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني عند الله مكتوب خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم بأول أمري : دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتنا ، وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام) . (لمنجدل : ملقى على الأرض) .

١٢-	جاء الملك جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء فقال : (إقرأ باسم ربك الذي خلق) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد وأخبرها : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ( ) ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ، فقالت له خديجة ، يا ابن عم : أسمع من إبن أخيك ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبر ما رأى ، فقال لـه ورقة : هذا الناموس ( ) الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) .
خاتم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- عن جابر بن سمرة قال : رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غُدة حمراء مثل بيضة الحمامة يشبه جسده .
٢- عن عبدالله بن سرجس قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخلت عليه ، وأكلت من طعامه ، وشربت من شرابه ، ورأيت خاتم النبوة في ناغض كتفه اليسرى ، جُمعاً عليه خيلان كأمثال التآليل .
٣- عن الجعد بن عبدالرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وجع فمسح رأسي ، ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ( ) ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة ( ) .

طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم :

١- عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشا تكفأ ( ) ، وما مسحت ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم .
٢- عن أنس قال : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ( ) عندنا فعَرق ، فجاءت أمي بقارورة ، فجعلت تسلُت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (يا أم سليم ، ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله طيبنا ، وهو من أطيب الطيب .
٣- كان صلى الله عليه وسلم ، يعرف بريح الطيب إذا أقبل .
٤- وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان لا يرد الطيب) .
٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (أطيب الطيب المسك) .

صفة نوم الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- كان ينام أول ، ويُحيي آخره .
٢- كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا أوى إلى فراشه قال : (باسمك اللهم أموت وأحيا) وإذا استيقظ قال : (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا ، واليه النشور) .
٣- كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن ، وقال : (رب قني عذابك يوم تبعث عبادك) .
٤- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ فيهما : (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، ينصع ذلك ثلاث مرات .
٥- كانت وسادته التي ينام عليها بالليل من أدم (جلد) حشوها من ليف .
٦- كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه من أدم (أي جلد) حشوه ليف.
٧- قال عائشة : يا رسول الله ، أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : (يا عائشة : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) .

قراءة الرسول وصلاته صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} .

٢- كان لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاثة (أيام) .

٣- كان يقطع قراءته آية آية : (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف (الرحمن الرحيم) ثم يقف.

٤- كان صلى الله عليه وسلم يقول : (زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً) .

٥- كان يمد صوته بالقرآن مداً .

٦- كان يقوم إذا سمع الصارخ (الديك) .

٧- كان يصلي في نعليه : (إذا كان المكان غير مفروش) .

٨- كان إذا حزبه أمر صلى (حزبه : كربه) .

٩- كان إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه ، ورفع إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام فدعا بها .

١٠- كان يُحرك إصبعه اليمنى يدعو بها .
(السبابة عند الجلوس في الصلاة) .
ويقول : (لهي أشد على الشيطان من الحديد) .

١١- كان يضع يده اليمنى على اليسرى على صدره (في الصلاة) .

١٢- إن الأئمة الأربعة أجمعت على قول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، فيكون التحريك ، وضع اليدين على اليدين على الصدر في الصلاة من مذهبهم ، وهو من سنن الصلاة .

١٣- لقد أخذ بسنة تحريك الأصبع (السبابة) في الصلاة الإمام مالك وغيره ، وبعض الشافعية – رحمهم الله – كما في شرح المهذب للنووي ٤٥٤/٣ ذكر ذلك محقق جامع الأصول .

١٤- وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، الحكمة من تحريكها في الحديث المذكور أعلاه ، لأن تحريك الأصبع يشير إلى توحيد الله ، وهذا التحريك أشد على الشيطان من ضرب الحديد ، لأنه يكره التوحيد ، فعلى المسلم أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا ينكر سنته ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رأيتموني أصلي) .

١٥- كان يعقد التسبيح (بيمينه) .

صوم النبي صلى الله عليه وسلم :

١- قال صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) .

٢- قال صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصوم الدهر) .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله ، صيام يوم عرفة ( ) احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله

، والسنة التي بعده ، وصيام (يوم) عاشوراء ( ) احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله) .

٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع) ( ) .

٥- سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين والخميس ؟قال : يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم) .

٦- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن صوم يوم الفطر والأضحى .

٧- ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استكمل صيام شهر قط ، إلا رمضان .

قيام الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} .

٢- عن عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ، ولا في غيره ، على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً ، فقلت : أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : (ياعائشة : إن عيني تنامان ، ولا ينام قلبي) .

٣- عن الأسود بن يزيد قال : سألت عائشة رضي الله عنها ، عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالليل ، فقالت : كان ينام أول الليل ، ثم يقوم ، فإذا كان من السحر أوتر ، ثم أتى فراشه ، فإذا كان له حاجة ، ألم بأهله ، فإذا سمع الأذان وثب ، فإذا كان جنباً أفاض عليه من الماء ، والا توضأ وخرج للصلاة .

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقوم حتى تنتفخ قدماه فيقال له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) .

صفة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو : (أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق) .

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، فبينما أنا نائم رأيتني أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي) .

قال أبو هريرة : ذهب رسول الله وأنتم تنتقلونها .

(جوامع الكلام : الكلام القليل ذو المعنى الكثير)

مفاتيح خزائن الأرض : تسهيل فتح البلاد) .

٤- عن عائشة قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسردكسردكم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه) .

(فصل : ظاهر) .

٥- كان يحدث حديثاً لو عدة العادة لأحصاه .

٦- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طويل الصمت .
٧- كان صلى الله عليه وسلم يُعيد الكلمة ثلاثاً لُتِعْقل عنه .
وفي رواية (حتى تُفهم عنه) .
والمراد : الكلمة الصعبة التي تحتاج للإعادة) .
٨- كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يحب الجوامع من الدعاء ، ويدع ما بين ذلك .
(الجوامع : الكلام القليل ذو المعنى الكثير) .
٩- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم .

صفة حوض الرسول صلى الله عليه وسلم :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً) .
(كيزان : جمع كوز وهو الإبريق) .
من زهد الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} .
٢- وعن عمر بن الخطاب في حديث إيلاء ( ) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه ألا يدخل عليهن شهراً ، واعتزل عنهن في عُلية ، فلما دخل عليه عمر في تلك العُلية ، فإذا فيها سوى صُبرة ( ) من قرظ ( ) وأهبةٍ ( ) وصُبرة من شعير ، وإذا هو مضطجع عل رمال حصير ، وقد أثر في جنبه ، فهملت عينا عمر ، فقال : مالك ؟ قلت يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هما فيه ، فجلس مُحمراً وجهه ، فقال : أوفي شك يا ابن الخطاب ؟ ثم قال : أولئك قوم عُجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا .
وفي رواية مسلم : (أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ، ولنا الآخرة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فاحمد الله عز وجل .
٣- وعن علقمة عن ابن مسعود قال : اضطجع رسول الله على حصير ، فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه وأقول : بأبي أنت وأمي : ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ قال : (مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)
٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر عليّ ثلاث ليالي وعندي منه شئ إلا شيئاً أرصده لدين) .
٥- وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنهما قال ك ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ولا أمة ، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة .
جوع الصحابة والرسول صلى الله عليه وسلم :

يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فإذا هو بأبي بكر قاعد وعمر معه خارج بيوتهما
الرسول صلى الله عليه وسلم : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟
أبو بكر وعمر : الجوع يا رسول الله .
الرسول صلى الله عليه وسلم : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما .
يأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يقوموا فقاموا معه ، فذهبوا إلى بيت رجل من الأنصار اسمه (أبو الهيثم مالك بن التيهان) فلم يجدوه في بيته .
المرأة : (تخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه) : مرحباً وأهلاً .
الرسول صلى الله عليه وسلم : أين فلان (يعني أبا هيثم) .
المرأة : ذهب يستعذب لنا الماء (يأتي بالماء الحلو) .
يأتي أبو الهيثم فينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، ويلتزم النبي ويفديه بأبيه وأمه .
أبو الهيثم : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني .
ينطلق أبو الهيثم فيأتي بغصن نخيل فيه بُسر وتمر ورُطب .
(أنواع التمر حين ينضج) .
أبو الهيثم : كلوا من هذه :
ينطلق أبو الهيثم ومعه السكين ليذبح لهم شاة :
الرسول صلى الله عليه وسلم : إياك والحلوب (احذر الشاة ذات اللبن) .
الرسول صلى الله عليه وسلم يأكلون التمر واللحم ويشربون الماء العذب ، حتى شبعوا ورووا .
الرسول صلى الله عليه وسلم : (لأبي بكر وعمر) والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم .

يستفاد من الحديث :
١- كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته يشتد به الجوع ، فيخرجون من بيوتهم ، لعلهم يجدون طعاماً ، آخذين بالأسباب .
٢- لا بأس أن يذهب الرجل إلى تناول الطعام في بيت أحد أصحابه ، إذا كان يعلم أن ذلك يسره .
٣- يجوز للرجل سؤال المرأة من وراء حجاب إذا لم يكن وحده .
٤- التنبيه على فضل النعمة ، وشكر خالقها ، وعدم الاشتغال بها عن المنعم ، قال الله تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}
عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}
(أي كنت فقيراً ذا عيال ، فأغناك الله عمن سواه) .
٢- وعن عائشة أنها قالت : إن كنا آل محمد ، ليمر بنا الهلال ، ما نوقد ناراً ، إنما هما الأسودان ، التمر والماء ، إلا أنه كان حولنا أهل دور من الأنصار ، يبعثون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن منائحهم ( ) ، فيشر ويسقينا من ذلك اللبن .

٣-	وعن أنس قال : ما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى رغيفاً مرققاً ، حتى لحق الله ، ولا شاة سميطاً ( ) بعينه قط .
٤-	وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتلوى من الجوع ، ما يجد ما يملأ من الدقل بطنه .(الدقل : ردئ التمر) .
٥-	وعن أنس رضي الله عنه أنه مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخبز وإهالة سنخة ( ) ، ولقد رهن درعه عند يهودي ، فأخذ لأهلـه شعيراً ، ولقد سمعته ذات يوم يقول : (ما أمسي عند آل محمد صاع تمر ، ولا صاع حب) .
٦-	كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله ، ولا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير.
٧-	وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدموا المدينة – ثلاثة أيام تباعاً – من خبر بر ، حتى مضى لسبيله (أي مات) .
٨-	وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم أجعل رزق آل محمد قوتاً) (أي ما يسد الجوع) .
بكاء الرسول صلى الله عليه وسلم :
الحديث الأول : الرسول جالس مع عبدالله بن مسعود :
الرسول صلى الله عليه وسلم : إقرأ عليّ .
ابن مسعود : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ .
الرسول صلى الله عليه وسلم : أحب أن أسمعه من غير .
عبدالله بن مسعود يقرأ من سورة النساء حتى أتى إلى هذه الآية : {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا} .
الرسول صلى الله عليه وسلم : حسبك الآن .
يلتفت ابن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا عيناه تذرفان (أي تدمعان) .
يستفاد من الحديث :
١-	قول الرسول صلى الله عليه وسلم للقارئ (حسبك الآن) ولم يقل صدق الله العظيم .
٢-	كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب سماع القرآن من غيره .
٣-	أن الخشوع عند سماع القرآن يكون بالبكاء لا بالصياح .
الحديث الثاني : يدخل الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ولده إبراهيم وهو عند مرضعته ، فيأخذه ويقبله ويشمه ، ثم يدخل الصحابة عليه بعد ذلك فيجدون إبراهيم يجود بنفسه (أي يموت) فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان (تدمعان) .
عبدالرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله (تبكي) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : إنها رحمة ... إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون .
يستفاد من الحديث :
١-	جواز البكاء على المبيت بدون صراخ ولا نواح .

٢- جواز الحزن على الميت ، مع تجنب الكلام الذي يدل على السخط والغضب ، والرضا بالقدر والتسليم .
٣- البكاء رحمة .
٤- الصبر والاحتساب .
رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال صلى الله عليه وسلم : (من رآني في المنام ، فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي) .
٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتزيأ بي) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي) .
يستفاد من هذه الأحاديث :
١- أن رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ممكنة على الوجه الذي ورد في شمائله . من طوله ، ولونه ، وهيبته ، ولحيته ، وغير ذلك .
٢- لقد ذكر المناوي في تفسير هذه الأحاديث أن الرؤيا الصحيحة ، أن يراه بصورته الثابتة بالنقل الصحيح ، فإن رآه بغيرها كطويل أو قصير ، أو شديد السمرة ، لم يكن رآه .
٣- وذكر المناوي أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : فسيراني في اليقظة رؤية خاصة بصفة القرب والشفاعة (يوم القيامة) .
٤- يدعى بعض الصوفية أنهم يرون الرسول صلى الله عليه وسلم : في الدنيا يقظة ، استناداً للحديث الثالث ، ورد عليهم ابن حجر بقوله : (يلزم عليه أن هؤلاء صحابة ، وبقاء الصحبة إلى يوم القيامة) وهذا لا يقوله مسلم .
٥- قرأت في أحد كتب الصوفية قوله : قال أبو المواهب الشاذلي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (....إلى آخر الحديث المكذوب) وسألت المؤلف عن هذا الشخص هل هو صحابي ؟ قال : لا ، بل بينه وبين أبي الحسن الشاذلي خمسة مشايخ وقد رأى الرسول يقظة ، قلت له : الصحابة لم يروا الرسول يقظة بعد موته ، فلم يقتنع ، فقلت في نفسي : هذا من الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حذر منه بقوله : (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .
٦- سئل شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن رجل زعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، يأمر بشئ ، فقال : يكره ، بل يحرم ، ونص العلماء على أن الرؤيا لا يؤخذ منها أحكام .
٧- يدعي بعض الصوفية كابن عربي أنهم يأخذون علوم الشريعة من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة مخالفين قوله تعالى : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} .
٨- إن أكبر رد على من يدعي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته قوله تعالى : {وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة ، عذبها ونبيها حي ، فأهلكها وهو ينظر ، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه ، وعصوا أمره) - فرطاً وسلفاً : أجراً متقدماً - .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله خير عبداً بين الدنيا ، وبين ما عند الله ، فاختار ذلك العبد ما عند الله) فبكى أبو بكر .

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كشف الستارة يوم الاثنين فنظرت إلى وجهه ، كأنه ورقة مصحف ، والناس خلف أبي بكر ، فكاد الناس أن يضطربوا ، فأشار إلى الناس أن أثبتوا ، وأبو بكر يؤمهم ، وألقى السجف (الستر) وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من آخر ذلك اليوم .

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قبضه الله ، وإن رأسه لبين نحري وسحري (أرادت أنه مات في حضنها) .

٦- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة رضي الله عنها : واكرباه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا كرب على أبيك بعد اليوم ، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك مه أحداً ( ) الموافاة يوم القيامة ( ) .

٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه ، وبالمدينة عشراً ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين) .

٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبوبكر بالسنح (يعني بالعالية بالمدينة) فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله ،، فجاء أبو بكر ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبله ، وقال : بأبي أنت ، طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي بيده ، لا يذيقنك الله الموتتين أبداً ( ) ، ثم خرج أبو بكر ، فقال : أيها الحالف على رسلك (أي لا تعجل يا عمر) فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ، فإن محمد قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال : {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ } ، وقال تعالى : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} .

قال : فنشج الناس (بكى الناس) .

٩- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : (إنه لم يُقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير بين الدنيا والآخرة) .

قالت عائشة رضي الله عنها : لما نزل به – ورأسه على فخذي – غُشي عليه ، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ، ثم قال : (اللهم الرفيق الأعلى) ، قلت : إذاً لا يختارنا ، قالت : وعرفت أنه الحديث الذي كان يُحدثنا به وهو صحيح .

١٠- والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، توفى يوم الاثنين سنة ١١ هجرية بعد أن بلّغ رسالته ، وأكمل الله به الدين .
من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} .
٢- وقال الله تعالى : {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} .
٣- كان صلى الله عليه وسلم ، خلقه القرآن .
٤- كان أبغض الخلق إليه الكذب .
٥- لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا لعاناً وكان يقول : (عن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) .
٦- وعن أنس قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً ، وكان يقول عند المعتبة : (المعاتبة) ماله ترب جبينه ، (ترب جبينه : كلمة تقال عند التعجب).
٧- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خُلقاً .
٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أدع على المشركين ، قال : (إني لم أُبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة) .
٩- كان يتفاءل ولا يتطير (يتشاءم) ، ويُعجبه الاسم الحسن .
١٠- عن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله يُقبل بوجهه وحديثه عليّ ، حتى ظننت إني خير القوم .
عمر بن العاص : يا رسول الله ، أنا خير ، أو أبو بكر ؟ .
الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر .
عمرو بن العاص : يا رسول الله أنا خير أو عمر ؟ .
الرسول صلى الله عليه وسلم : عمر .
عمر بن العاص : يا رسول الله أنا خير أو عثمان ؟ .
الرسول صلى الله عليه وسلم : عثمان .
عمر بن العاص : فلما سألت رسول الله صدقني ، فلوددت أني لم أكن أسأله .
١١- وعن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة والعوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفاً) .
١٢- وعن عائشة رضي الله عنه قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط ، إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، كان أبعد الناس منه ، وما انتقم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لنفسه في شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم بها .

١٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شئ قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله .

١٤- وكان صلى الله عليه وسلم ، إذا أتاه السائل ، أو صاحب الحاجة قال ك (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء) .

١٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت حتى أمر على صبيان ، وهم يلعبون في السوق ، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقفاي من ورائي ، فنظرت إليه وهو يضحك .

الرسول صلى الله عليه وسلم : يا أنيس ذهبت حيث أمرتك ؟ .

أنس بن مالك : أنا أذهب يا رسول الله .

قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشئ صنعته : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب عليّ شيئاً قط ، والله ما قال لي أفّ قط .

١٦- أسر الصحابة سيداً اسمه "ثمامة" وربطوه بسارية المسجد ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي يا محمد خير ، ان تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أطلقوا ثمامة) ، فانطلق ثمامة فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحسن الوجوه كلها إليّ ، وما كان من دين أبغض إليّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ ، ولما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟

قال : لا ولكن أسلمت .

أحاديث في الأخلاق :

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً).

٢- (إن من أحبكم اليّ أحسنكم أخلاقاً) .

٣- (أكمل المؤمنين إيماناً ، أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم)

٤- (إن لكل دين خلقاً ، وإن خلق الإسلام الحياء) .

٥- (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

٦- (إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ، وألطفهم بأهله) .

٧- (ما من شئ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذئ) .

٨- (إن من أحبكم اليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم اليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون والمتفيهقون ،

قالوا : يا رسول الله ما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون . (الثرثارون : المكثرون من الكلام تكلفاً) ، (المتشدقون : المتكلمون تفاصحاً وتعظيماً لنطقهم) .

٩- (البرُ حُسن الخُلق) .

١٠- (اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) .

١١- (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) .

١٢- (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ على كل قريب سهل لين)

١٣- (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً) .

١٤- (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ، ويؤلفون ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) .

١٥- سُئل صلى الله عليه وسلم ، عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة فقال : (تقوى الله وحُسن الخلق) .

١٦- وقال صلى الله عليه وسلم : (المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم) .

١٧- (المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف ، إن قيد انقاد ، وان أنيخ على صخرة استناخ).

١٨- (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) .

١٩- (ألا أنبئكم بخياركم ؟ قالوا : بلى ، قال : خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أخلاقاً) .

٢٠- (أربع إذا كن فيك ، فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، صدق الحديث ، وحفظ الأمانة ، وحسن الخلق ، وعفة مطعم) .

٢١- (إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثني مُعلماً وميسراً) .

(المعنت : من يشق على الناس ، المتعنت : طالب المشقة) .

٢٢- (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقاً ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) .

(ربض : أسفل ، المراء : الجدال) .

من دعاء الرسول في الأخلاق :

١- (اللهم أهدني لأحسن الأعمال ، وأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنا إلا أنت ، وقني سيئ الأعمال ، وسيئ الأخلاق ، لا يقي سيئها إلا أنت) .

٢- (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء) .

٣- (اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا) .

٤- (اللهم إنما أنا بشر ، فأي المسلمين سببته أو لعنته ، فأجعلها له زكاة وأجراً) .

٥- (اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً ، فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم ، فارفق له) .

٦- (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) .
٧- (اللهم كما حسنت خَلقي فأحسن خُلقي) .
العفو عند الخصام :
١- عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً شتم أبا بكر ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس يتعجب ويبتسم ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام فلحقه أبوب بكر :
أبو بكر : يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت .
الرسول صلى الله عليه وسلم : كان معك ملك يرد عليه ، فلما رددت عليه وقع الشيطان (أي حضر) ، يا أبا بكر : ثلاث كلهن حق :
ما من عبد ظُلم بمظلمة ، فيغضي ( ) عنها الله عز وجل ، إلا أعز الله بها نصره ، وما فتح رجب باب عطية ( ) يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجب باب مسألة ( ) يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة) .
٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (المستبان ما قالا ، فعل البادئ ما لم يعتد المظلوم) .
دل الحديث على جواز مجازاة من ابتدأ الإنسان بالأذية أو السب بمثله ، وأن إثم ذلك عائد على البادئ ، لأنه المتسبب لكل ما قاله المجيب ، إلا أن يعتدي المجيب في أذيته بالكلام،فيختص به إثم عدوانه ، لأنه إنما أذن في مثل ما عوقب به .
قال تعالى : {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} .
وعدم المجازاة والصبر والاحتمال أفضل ، كما مر في حديث أبي هريرة الأول .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) .
ومعناه أن الله يبغض من كان شديد المراء الذي يحج صاحبه ، وحقيقة المراء طعنك في كلام غيرك ، لإظهار خلل فيه ، لغير غرض سوى تحقير قائله ، وإظهار مزيتك عليه .
من تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} .
٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحسن الناس خُلقاً ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير ، وهو فطيم ، كان إذا جاءنا ، قال : يا أبا عمير ، ما فعل النغير؟ النغير كان يعلب به (طائر يشبه العصفور) .
٣- وعن الأسود بن يزيد النخعي رحمه الله قال : سألت عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : يكون في مهنة ( ) أهله ، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج للصلاة .
٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن كانت الأمة ( ) لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنطلق به حيث شاءت .

٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ، لما يعلمون من كراهيته لذلك .

٦- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبدالله ورسوله) .

(الإطراء : الزيادة في المدح) .

٧- كان يزور الأنصار ويُسلم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسهم .

٨- كان لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ، وسكت .

٩- كان يأتي ضعفاء المسلمين ، ويزورهم ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم .

١٠- كان يتخلف في المسير ، فيُزجي الضعيف ، ويُردف ويدعو لهم .

(يزجي : يسوق الضعيف ليلحق بأهله ، يُردف : يُركب خلفه) .

١١- كان يكثر الذكر ، ويقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمضي مع الأرملة والمسكين ، والعبد ، حتى يقضي له حاجته .

(لا يأنف : لا يمتنع) .

١٢- كان يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعقل الشاة .

١٣- كان لا يدفع عنه الناس ولا يضربوا عنه .

١٤- كان لا يرد الطيب .

١٥- كان يلاعب زينب بنت أم سلمة ، ويقول : (يا زوينب ، يا زوينب مراراً) .

١٦- عن جابر رضي الله عنه قال : أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر يمشيان .

١٧- وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : مر على صبيان يلعبون فسلم عليهم .

١٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ، وقالت : كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ويخدم نفسه .

١٩- وعن أنس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وأنا ابن ثمان سنين فما لامني على شئ قط أتي فيه (أي أهلك وأتلف) فإن لامني لائم من أهله قال : "دعوه ، فإنه لو قُضي شئ كان" .

أحاديث في التواضع :

١- قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد) .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه) .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (لو دُعيت إلى كراع ، أو ذراع لأجبت ، ولو أهدي اليّ ذراع أو كراع لقبلت) .

٤- وعن أنس رضي الله عنه قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (العضباء) لا تسبق ، أو لا تكاد تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له (جمل) فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حق على الله أن لا يرتفع شئ من الدنيا إلا وضعه .
٥- وقال صلى الله صلى الله عليه وسلم : (ما بعث الله نبياً إلا رعي الغنم ، قال أصحابه : وأنت ؟ فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) .
٦- وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسل كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث وقال : (إذا سقطت لُقمة أحدكم فليأخذها ، وليمط عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان ، وأمرنا أن نسلت القصعة ، وقال : إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة) .

عاقبة المتكبرين :
١- قال الله تعالى : {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} .
٢- وقال تعالى : {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : (العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني شيئاً منهما عذبته) .
المعنى : شُبه العز والكبرياء بالإزار والرداء ، لأن المتصف بهما يشملانه ، كما يشمل الإنسان الإزار والرداء ، وأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد ، فكذلك الله عز وجل : العز والكبرياء إزاره ورداؤه ، فلا ينبغي أن يشركه فيهما أحد ، فضربه مثلاً لذلك ، ولله المثل الأعلى .
٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس) .
(بطر الحق : رده تكبراً وتجبراً ، غمط الناس : احتقارهم) .
وفي رواية : (لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر) .
معنى الحديث :
١- ذكر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم هذا الحديث : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) أي لا يدخلها مع المتقين أولاً ، حتى ينظر الله فيه ، فإما أن يجازيه ، وإما أن يعفو عنه) .
٢- وقوله : (لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان) يعني به دخول تخليد وتأبيد .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن جهنم يقال له : (بولس) تعلوهم نار الأنيار ، يسقون عصارة أهل النار طينة الخبال) .
٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب) عبية الجاهلية : كبرها) .
٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (بينما رجل يمشي في حالة تعجبه نفسه ، مرجل رأسه ، يختال في مشيته ، إذا خسف الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) مرجل : أي مسرح ، يتجلجل : يغوص في الأرض .
من حلم النبي صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} .
٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه بُرد نجراني غلظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجذبه بردائه جبذة شديدة ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته ، قال ، يا محمد ، مُر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضحك ، ثم أمر له بعطاء .
٣- وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبدالقيس (إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) .
٤- نزل النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ، ثم نام ، فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا اخترط سيفي ، فقال : من يمنعك ؟ قلت : الله ، فشام السيف ، فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه . (واللفظ للبخاري مختصراً - اخترط سيفي : سله من غمده ، فشام السيف : أعاده لغمده) .
الغضب وعلاجه :
١- قال الله تعالى : {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} .
٢- وقال الله تعالى : {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} .
٣- وعن عائشة قالت : (...... وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله بها) .
وقال صلى الله عليه وسلم : (من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، حتى يخبره في أي الحور شاء) .
٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (ليس الشديد بالصُرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب) .
٥- جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أوصني ولا تكثر عليّ ، لعلي أحفظ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تغضب .

٦- وعن سليمان بن صُرد قال : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحن عنده جلوس ، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً ، قد احمر وجهه .
النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" .
الصحابة للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم .
الرجل الغاضب : إني لست بمجنون .
٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} .
قال : الصبر عند الغضب ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا عصمهم الله ، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم .
٨- وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا غضب أحدكم وهو قائم ، فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع) .
من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- عن عبدالله بن مسعود قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سفر فقل الماء :
الرسول صلى الله عليه وسلم : أطلبوا إلى فضله من ماء . (الصحابة يجيئون بإناء فيه ماء قليل ، فيدخل الرسول صلى الله عليه وسلم يده في الإناء) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله .
ابن مسعود : لقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .
٢- وعن عمران بن حصين قال : سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سفر هو وأصحابه ، فأصابهم عطش شديد ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم ، رجلين من أصحابه : أحسبهما علياً والزبير ، أو غيرهما :
الرسول صلى الله عليه وسلم : إنكما ستجدان امرأة بمكان كذا وكذا ، ومعها بعير عليه مزادتان ، فأتياني بها :-
الصحابيان يأتيان المرأة فيجدانها قد ركبت بين مُزادتين على البعير (مزادتان : قربتان من جلد) .
الصحابيان للمرأة : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
المرأة تسأل : ومن رسول الله ؟ هذا الصابئ . (أي التارك لدين آبائه)
الصحابيان : هو الذي تعنين ، هو رسول الله حقاً .
تأتي المرأة إلى الرسول ، فيأمر أن يؤخذ من مُزادتبها ، ويوضع في الإناء ، ثم يقول في الماء ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء في المزادتين ، ثم أمر بفتح المزادتين ففتحتا ، ثم أمر الناس فملؤوا آنيتهم ، وأسقيتهم ، فلم يدعوا (يتركوا) إناء ولا سقاء إلا ملؤوه .
قال عمران : حتى يُخيل اليّ أنها لم تزدد إلا امتلاء .
يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم : أن يبسط ثوب المرأة ، ثم أمر الصحابة أن يحضروا شيئاً من زادهم ، حتى ملأ لها ثوبها .

الرسول صلى الله عليه وسلم (للمرأة) : اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئاً ، ولكن الله سقانا .
تأخذ المرأة الزاد والمزادتين وتأتي أهلها :
المرأة لأهلها : جئتكم من عند أسحر الناس ، أو إنه لرسول الله حقاً
يأتي أهل ذلك الحواء (الحي) إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيسلموا كلهم .

يستفاد من هذه المعجزة :

١- قد يُطلع الله رسوله على بعض المغيبات عندما يريد ، ولذلك أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أصحابه عن مكان المرأة التي تحمل الماء .
٢- يلفت الرسول صلى الله عليه وسلم نظر الصحابة إلى أن الماء المبارك الذي ينبع من بين أصابعه إنما بركته من الله وحده الذي خلق هذه المعجزة ، وهذا حرس من الرسول صلى الله عليه و سلم ، على توجيه أمته إلى التوحيد ، وتعلقهم بالله وحده ولذلك قال : "البركة من الله" .
٣- كان المشركون يقولون لمن أسلم (صابئ) (أي تارك دين آبائه الذين يدعون الأولياء من دون الله) ليصرفوا الناس عنه ويذمونه ، وفي عصرنا من دعا إلى التوحيد ، وأمر بدعاء الله وحده ، وحذر من دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء ، حسب أمر الله ورسوله قال الناس عنه (وهابي) ليصرفوا الناس عن دعوته ، لأنه في نظرهم كالصابئ في نظر المشركين ، وشاء الله أن تكون كلمة (وهابي) نسبة إلى (الوهاب) وهو اسم من أسماء الله الذي وهب له التوحيد .
٤- المكافأة على الإحسان : أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن تكافأ المرأة التي أعطتهم قليلاً من الماء ، فملأ ثوبها زاداً بعد أن أعاد لها الماء ، ولم ينقص منه شئ ، وقال لها : (ولكن الله سقانا) .
٥- لقد تأثرت المرأة بهذه المعجزة والمعاملة الطيبة التي لقيتها من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، فعادت إلى قومها تقول لهم : إنه لرسول الله حقاً ، وتكون النتيجة أن يُسلم أهلها ومن معهم جميعاً .
٦- بهذا الحرص على التوحيد ، وبهذه الأخلاق الحسنة ، نصر الله المسلمين ، وانتشر الاسم في المعمورة ، ويوم ترك المسلمون التوحيد والأخلاق الفاضلة أصابهم الذل والهوان ، ولا عز لهم إلا بالرجوع إلى التوحيد والأخلاق .
{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} .
٧- ترجيح المرأة الرسالة على السحر لأن السحرة يأخذون المال والرسول صلى الله عليه وسلم ، أعطاها الزاد .

من صبر النبي صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} .
٢- حديث متفق عليه :
عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟

الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبدالليل بن عبدكلال ، فلم يجبن إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ( ) ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل .

جبريل (ينادي) : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمر بما شئت فيهم .

ملك الجبال : (يسلم على الرسول ويقول) : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلان بمكة) .

الرسول صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً .

٣- حديث متفق عليه :

وعن ابن مسعود قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسماً

رجل يقول : ما أريد بهذا وجه الله .

ابن مسعود يذكر كلام الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم : فيتمعر وجهه (أي يتغير)

الرسول صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى ، قد أوذي بما هو أشد من هذا فصبر.

٤- حديث رواه مسلم :

الرسول صلى الله عليه وسلم : في غزوة أحد تكسر رباعيته ، ويشج رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول :

الرسول صلى الله عليه وسلم : كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟

القرآن ينزل : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} .

٥- عن خباب بن الأرث قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعوا لنا ؟ فقال : (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه .

والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون .

من رفق الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} .

الحديث الأول : عن انس رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد .

أصحاب الرسول : (يصيحون به) مه مه (أي أترك) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : لا تزرموه دعوه (لا تقطعوا بوله) .
يترك الصحابة الأعرابي يقضي بوله ثم يدعو الرسول الأعرابي .
الرسول للأعرابي : إن المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول والقذر ، إنما هي لذكر الله ، والصلاة ، وقراءة القرآن .
الرسول (لأصحابه) : إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين ، صبوا عليه دلواً من الماء .
الأعرابي : اللهم أرحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً .
الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد تحجرت واسعاً (أي ضيقت واسعاً) .
الحديث الثاني : وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا عطس رجل من القوم (أي المصلين)
معاوية (للعاطس) : يرحمك الله .
المصلون : ينظرون لي منكرين .
معاوية يخاطبهم : وأثكل أماه ، ما شأنكم تنظرون إليّ ؟ .
المصلون يضربون بأيديهم على أفخاذهم ليسكت فسكت عندما رآهم يصمتونه حتى انتهت الصلاة .
معاوية يمدح الرسول : بأي هو وأمي : ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني (كهرني : قهرني) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس ، إنما هي التسبيح والتكبير ، وقراءة القرآن .
معاوية : يا رسول الله ، إني حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منا رجالاً يأتون الكهان (الذي يدعون علم الغيب) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : فلا تأتهم .
معاوية : ومنا رجال يتطيرون (يتشاءمون) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : ذاك شئ يجدونه في صدورهم ، فلا يصدنهم (أي لا يمنعهم ذلك عن وجهتهم ، فإن ذلك لا يؤثر نفعاً ولا ضراً) .
الحديث الثالث : وعن عائشة قالت : إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم :
اليهود : السام عليكم (الموت عليك) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : وعليكم .
عائشة : السام عليكم ، ولعنكم الله وغضب عليكم .
الرسول صلى الله عليه وسلم : مهلاً يا عائشة ، عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش .
عائشة : أو لم تسمع ما قالوا ؟
الرسول : أو لم تسمعي ما قلت : رددت عليهم فيستجاب لي ، ولا يستجاب لهم فيّ .
وفي رواية لسلم : (لاتكوني فاحشة ، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش)

أحاديث الرفق :

١- قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه) .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم ، لعائشة : (عليكم بالرفق ، وإياك والعنف ، والفحش ، إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه) (أي عابه) .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (يا عائشة إرفقي ، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق) .

٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (من يُحرم الرفق ، يُحرم الخير كله) .

٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (من أعطى حظه من الرفق ، فقد أُعطي حظه من الخير ، ومن حُرم حظه من الرفق ، فقد حُرم حظه من الخير) .

٦- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره ، قال : بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا .

٧- وقال صلى الله عليه وسلم : إني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه (أتجوز : لا أطيل ، وجد أمه : حزن أمه) .

من شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} .

٢- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحسن الناس وجهاً ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس من قِبل الصوت ، فلتقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وفي رواية : وقد استبرأ الخبر وهو على فرس عُري لأبي طلحة ، في عنقه السيف ، وهو يقول ك لن تراعوا ، قال : وجدناه بحراً ، أو إنه لبحر ، قال : وكان فرساً يُبطأ . (وجدناه بحراً : وجدنا الفرس سريعاً) .

٣- جاء رجل إلى البراء ، فقال : أكتم وليتم يوم حنين ، يا أبا عمارة ؟ فقال : أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ، ولكنه انطلق أخفاء من الناس ، وحسر إلى هذا الحي من هوازن ، وهم قوم رماة ، فرموهم برشق من نبل ، كأنها رجل من جراد ، فانكشفوا ، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته ، فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول : (أنا النبي لا أكذب ، أنا ابن عبدالمطلب ، اللهم أنزل نصرك) .

٤- قال البراء : كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يُحاذي به (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) .

٥- وعن علي رضي الله عنه قال : لقد رأيتني يوم بدر ، ونحن نلوذ (أي نحتمي) بالنبي عليه السلام ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً .

٦- وعن جابر رضي الله عنه قال : إنا كنا نحفر ، فعرضت كدي شديدة (صخرة قوية) فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم : هذه كُدية عرضت لنا .

الرسول صلى الله عليه وسلم : أنا نازل .
يقوم الرسول وبطنه معصوب بحجر من الجوع فيأخذ المعول فيضرب الصخرة ، فتعود كثيباً أهيل (تراباً ناعماً) .
محمد صلى الله عليه وسلم أعظم رجل في التاريخ :
لقد شهد العالم بهذه العظمة ومنه العالِم الأمريكي الدكتور (مايكل هارت) في كتابه (مائة رجل من التاريخ) والذي ترجم منه الأستاذ (أحمد بهاء الدين) ونشره في (مجلة العربي) في عددها رقم (٢٤١) ، أخذنا منه ما قاله في عظمة هذا الرسول الكريم .
(إن اختياري محمداً ، ليكون الأول في أهم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين : الديني والدنيوي .
فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح في المسيحية ( ) أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة ، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً ، وحّد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم ، أيضاً في حياته ،، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية ، وأتمها .
الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين :
قال الله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ، وأصح القولين أنه على عمومه ، وفيه على هذا التقدير وجهان :
أحدهما : أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته :
١- أما اتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة .
٢- وأما أعداؤه المحاربون له ، فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة ، وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر .
٣- وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له .
٤- وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم ، واحترامها ، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها .
٥- وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته .
الوجه الثاني : أنه رحمة لكل أحد ، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة ، فانتفعوا بها دنيا وأخرى ، والكفار ردوها ، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم ، لكن لم يقبلوها .

الرحمة عند الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } .
٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (بعثت بالرحمة) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا رحمة مهداة) .
٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) .
٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) .
٦- وقال صلى الله عليه وسلم : (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى : أرحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء) . "أي على السماء وهو الله" .
٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : (من لا يرحم لا يُرحم) .
٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تقبلوا الصبيان ، ولا نُقبلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك) .
٩- كان صلى الله عليه وسلم ، رحيماً ، لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده .
١٠- وعن أنس بن مالك قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالحيوان :
١- وعن سهيل بن الحنظلية قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ببعير قد لحق ظهره ببطنه ، فقال : (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فأركبوها صالحة ، وكلوها صالحة) . "المعجمة : التي لا تنطق" .
٢- وعن عبدالله ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا (حُمرة) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تُعرش ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقناها ، فقال : من أحرق هذه ؟ قلنا : نحن ، قال : لا ينبغي أن يُذب بالنار إلا رب النار.
(الحمرة : طائر يشبه العصفور) ، (تُعرش : ترفرف) .
٣- كان صلى الله عليه وسلم ، يُصغي للهرة الإناء ، فتشرب ثم يتوضأ ، بفضلها ، (يصغي ، يميل) .
٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله كتب الإحسان على كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) .
٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته ، وهي تلحظ إليه ببصرها ، فقال : أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها ؟ (تلحظ : تنظر) .

٦- وقال صلى الله عليه وسلم : (عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل خشاش الأرض) . " خشاش الأرض : حشراتها " .

من عدل الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} .

٢- وقال تعالى : {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} .

٣- وعن عائشة قالت : إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب ، ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقُطعت يدها ، قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد وتزوجت ، وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحياء عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} .

٢- كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (الحياء من الإيمان) و (الحياء خير كله) .

٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار) . " البذاء : الفحش" .

٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (الحياء والإيمان قرنا جميعاً ، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر) .

٦- وقال صلى الله عليه وسلم : (الحياء لا يأتي إلا بخير) .

٧- وقال صلى الله عليه وسلم : (الحياء والعي شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق) .

(والمعنى أن الحياء وقلة الكلام من شعب الإيمان ، والفحش والتشدق في الكلام من شعب النفاق) .

٨- وعن يعلى بن أمية قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى رجلاً يغتسل بالبراز (أي بالفضاء) فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (إن الله حي ستير ، يحب الحياء والتستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر) .

٩- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياء) .

١٠- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .
١١- وقال صلى الله عليه وسلم : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) .
١٢- وعن سالم بن عبدالله عن أبيه قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، برجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول : إنه ليستحي يعني كأنه يقول : قد أضر بك الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه فإن الحياء من الإيمان .
١٣- وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما كان الفحش في شئ إلا شانه ، ولا كان الحياء في شئ إلا زانه) "شانه : عابه" .
من آداب الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول : (السلام عليكم ، السلام عليكم) .
٢- كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : (بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا) .
٣- كان يقبل الهدية ويُثيب عليها .
٤- كان يُغير الاسم القبيح .
٥- كان إذا دخل على مريض يعوده قال : (لا بأس طهور إن شاء الله) .
٦- كان إذا شرب تنفس ثلاثاً ، (خارج الإناء) .
٧- كان إذا مشى مشى أصحابه أمامه ، وتركوا ظهره للملائكة .
٨- كان لا يصافح النساء في البيعة . (ولا في غيرها) .
٩- كان يجعل يمينه لأكله وشربه ووضوئه وثيابه وأخذه وعطائه ، وشماله لما سوى ذلك .
١٠- كان إذا طلع على أحد من أهل بيته كذبة ، لم يزل مُعرضاً عنه ، حتى يحدث توبة.
١١- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ائذنوا له ، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة ، فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت له يا رسول الله ، قلت ما قلت ثم ألنت له في القول ، فقال : (إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه) .
(وقد اعتبر العلماء قول النبي صلى الله عليه وسلم ، فيه وهو غائب ، وإلانته له القول وهو حاضر ، من باب المداراة والتأليف ليُسلم قومه) .
من جود النبي صلى الله عليه وسلم :
١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان ، حتى ينسلخ ، فيأتيه جبريل ، فيعرض عليه القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

٢- عن أنس رضي الله عنه قال : ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم : أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة .

٣- وعن أنس : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال : أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليُعطي عطاء ما يخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها .

٤- وعن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح : فتح مكة ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومئذٍ صفوان بن أمية مائة من النعم ، ثم مائة ، ثم مائة (النعم :الإبل) .

قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس اليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس اليّ .

٥- لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين تبعه الأعراب يسألونه ، فألجؤوه إلى شجرة ، فخطفت رداؤه ، وهو على راحلته ، فقال : (ردوا عليّ ردائي ، أتخشون عليّ البخل ؟ فوالله لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً) .

٦- بايع الرسول صلى الله عليه وسلم جابر بن عبدالله في جمل له كان قد كلّ في السفر ، فباعه إياه بكذا درهم ، ولما جاء يتقاضاه الثمن أعطاه الثمن والجمل معاً .

من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم :

١- كان إذا أتاه الأمر يسره قال : (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات) وإذا أتاه الأمر يكرهه قال : (الحمد لله على كل حال) .

٢- كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ، ومسح عنه بيده .

٣- كان إذا جاءه أمر يسر به ، خرّ ساجداً ، شكراً لله .

٤- كان إذا خاف قوماً قال : (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم) .

٥- كان إذا راعه شئ قال : (الله ربي ، الله ربي ، لا شريك له) .

٦- كان إذ كربه أمر قال : (يا حي يا قيوم ، برحمتك استغيث) .

٧- كان يتعوذ من الجان ، وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما .

٨- كان يتعوذ من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء .

٩- كان يخطب بـ (قاف) يوم الجمعة (أي يقرأ سورة "ق") .

١٠- كان إذا غزا قال : (اللهم أنت عضدي ، وأنت نصيري ، بك أحول ، وبك أصول ، وبك أقاتل) .

١١- كان لا يقوم من مجلسه إلا قال : (سبحانك اللهم ربي وبحمدك ، لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك) ، وقال : (لا يقولن أحد حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس) .
١٢- كان ينهانا عن كثير من الإرفاء . (أي التنعيم) .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا أن نحتفي أحياناً ،
(نحتفي : نمشي حفاة) .
١٣- كان أكثر دعوة يدعو بها يقول : (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .
من مزاح الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- عن أنس قال : إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ، ليخالطنا ، حتى يقول لأخ لي صغير (يا أبا عُمير ما فعل النُغير) ، كان له نُغير يلعب فمات . (النُغير : طائر يشبه العصفور ، أحمر المنقار) .
٢- وعن أبي هريرة قال : يا رسول الله ، إنك تداعبنا ، قال : (أني لا أقول إلا حقاً) (صدقاً) .
٣- وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إني حاملك على ولد ناقة) فاق : وما أصنع بولد ناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وهل تلد الإبل إلا النوق) . (استحمل : أي طلب منه أن يحمله على دابة) .
٤- وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا ذا الأذنين) .
٥- وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم من البادية ، فيُجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن زاهراً باديتنا ، ونحن حاضروه) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ، وكان دميماً ، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلاله ولا يُبصره .
زاهر بن حرام : أرسلني من هذا ؟ .
يلتفت زاهر فيرى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيجعل يُلزق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم ، حين عرفه .
النبي صلى الله عليه وسلم للناس : من يشتري العبد ؟ .
زاهر بن حرام للرسول : إذاً والله تجدني كاسداً .
الرسول صلى الله عليه وسلم : لكن عند الله لست بكاسد ، أو قال : لكن عند الله أنت غال .
المزاح : بكسر الميم الانبساط مع الغير من غير تنقيص أو تحقير له ، والمزاح المنهى عنه هو الذي فيه كذب أو إفراط ، ويداوم عليه ، فإنه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب ، ويورث الأحقاد ، ويسقط المهابة والوقار .
الشعر الذي تمثل به الرسول صلى الله عليه وسلم :
١- قال الله تعالى : {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ} .

٢- عن شريح قال : قلت لعائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتمثل بشئ من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل من شعر ابن رواحة ، قالت : وربما قال : ويأتيك بالأخبار من لم تزود . (هذا الشعر لطرفة من معلقته) .

٣- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كلُ شئ ما خلا الله باطل .

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم

قال ذلك الرسول عندما سمع شعره

٤- وعن جندب بن سفيان البجلي قال : أصاب حجر إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدميت فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

(هذا الشعر لابن رواحة) .

٥- عن البراء بن عازب قال : قال له رجل أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا أبا عمارة ؟ فقال : لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن ولى سرعانُ الناس ، تلقتهم هوازن بالنبل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، على بغلته ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بلجامها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

أنا النبي لا أكذب ، أنا ابن عبدالمطلب

٦- وعن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبرّ بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا

** ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

** وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بقوا علينا

** إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته : (أبينا ، أبينا) .

٧- وعن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق ، وينقلون الترب وهم يقولون .

نحن الذين بايعوا محمداً

** علـى الجهاد ما بقينا أبدا

يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يجيبهم :

اللهم لا عيش إلا عيشُ الآخرة

** فأغفر للأنصار والمهاجرة

حسان يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

أغرّ ( ) عليه للنبوة خاتم

** من الله مشهود يلوح ويشهد

وضمّ الإله اسم النبي إلى إسمه

** إذ قال في الخمس المؤذن أشهـــد
وشق لـه من اسمه ليجله
** فـذو العـرش محمـود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة
** من الرسول والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهاديـــاً
** يلوك كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشر جنة
** وعلمنا الإسلام فالله نحمد
وأنت إله الخلق ربـــي وخالقي
** لذلـك ما عمـــرت في الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا
** سواك إلهاً أنت أعلى وأمجد
لك الخلق والنعماء والأمر كلـــه
** فإياك نستهدي وإياك نعبد
****
بطيبة رسم للرسول ومعهد
** منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
عرفت بها رسم الرســول وعهده
** وقبراً به وأرى التراب وملحد
****
أعني الرسول فإن الله فضله
** على البرية بالتقوى والجود
فينا الرسول وفينـــا الحق نتبعه
** حتى الممات ونصـر غيـر محــدود
لباس الرجل المسلم :
١- قال الله تعالى : {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} .
(أغسلها بالماء ، وطهر نفسك من الذنوب والمعاصي) .
٢- عن أم سلمة قالت : كان أحب الثياب إلى رسول ا لله صلى الله عليه وسلم ، القميص
(القميص : ثوب طويل إلى نصف ساقيه) .
٣- وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء) .
(الخيلاء : الكبر والعجب) .
٤- وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أسفل الكعبين من الإزار في النار) .

٥- وعن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أعتم سدل عمامته بين كتفيه .
٦- وعن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الإسبال في الإزار والقميص والعمامة ، من جرّ منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) .
٧- وعن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما أسفل من ذلك ففي النار ، قال ذلك ثلاث مرات ، ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً) . أي تكبراً .
٨- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي إزاري استرخاء فقال : يا عبد الله ، ارفع إزارك ، فرفعته ، ثم قال : زد ، فزدت ، فما زلت أتحراها بعد ، فقال بعض القوم : إلى أين ؟ قال : إلى أنصاف الساقين .
٩- وعن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (البسوا الثياب البيض ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم) .
١٠- وقال صلى الله عليه وسلم : (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة) .
١١- وقال صلى الله عليه وسلم : (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة) .
(أي اجتنب الإسراف والتكبر في الأكل والشرب والملبس) .

الخلاصة :

١- ذكر الإمام النووي بعد ذكر أحاديث اللبس ما خلاصته :

إن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة والثوب ، وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء ، فإن كان لغيرها فهو مكروه ، فالمستحق إلى نصف الساقين ، والجائز بلا كراهية إلى الكعبين ، فما نزع عن الكعبين فهو ممنوع .

٢- وقد ذكر ابن حجر في الفتح رأيه ، وهو عدم الجواز في اللباس تحت الكعبين فقال :

وقد نقل القاضي عياض الإجماع على أن المنع في حق الرجال دون النساء (أي تطويل اللباس تحت الكعبين) .

ثم قال ابن حجر : والحاصل أن للرجال حالين : حال استحباب ، وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق ، وحال جواز وهو إلى الكعبين .

ومفهوم كلامه أن إطالة الإزار ، مثل الثوب والسروال والبنطال تحت الكعبين غير جائز .

٣- وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى عليه ثوبين مُعصفرَين فقال : (إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما) .

يستفاد من الحديث :

١- لا يجوز للمسلم أن يلبس ثياب الكفار ، وأن يتزين بزيهم لقوله صلى الله عليه وسلم : (من تشبه بقوم فهو منهم) .

لقد انتشر في كثير من البلاد الإسلامية التشبه بالكفار كلباس البنطال الضيق الذي يسمونه (كوبوي ، أو شارلستون وغيرها) وسمعت أحد العلماء يجيب شاباً عن سؤاله على لباس البنطال الضيق ، فقال : حرام ، لأنه يجسم العورة ، وفيه تشبه بالكفار .

٢- أما لبسا الرأس فهو شعار الأمم ، وقد تشبه بعض المسلمين فلبسوا البرنيطة ، وتسمى القبعة ، وقد فرضت على الجنود فألبسوهم القبعة التي يلبسها الكفار ، ويلبسها بعض الأغنياء وبعض العمال بحجة ستر الرأس من الشمس ، ولو ستروا الرأس بقلنسوة أو عمامة ، أو منديل لكان أصح لرؤوسهم ، وأبعد عن التشبه بالكفار ، وشاع هذا التشبه حتى أصبح الناس لا يشعرون أنه فيه مخالفة شرعية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فكيف نحارب الكفار ونحن نتشبه بهم في لباسهم وعاداتهم ؟ وكان الواجب أن نقلدهم في الأمور النافعة كصنع الطائرة ، والدبابة ، والمدفع ، وغير ذلك مما يساعد على الدفاع عن ديننا وأرضنا .

لباس المرأة المسلمة :

١- قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} .

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، فقالت أم سلمة : فكيف ينصنع النساء بذيولهن ؟ قال ك يُرخين شبراً ، قالت : إذاً تنكشف أقدامهن ، قال : فيُرخين ذراعاً لا يزدن عليه) .

يستفاد من الآية والحديث :

١- أن لباس المرأة يجب أن يكون عريضاً وطويلاً يغطي القدمين ، بعكس الرجال الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يقصروا الثياب إلى نصف الساق ، ولا يزيدوا عن الكعبين ، وفي عصرنا انعكس الأمر ، فأصبح الرجال يطيلون ثيابهم أسفل الكعبين ، ويتعرضون لدخول النار ، وأصبح النساء يقصرن إلى الركبة ، أو ما فوقها ، ويتعرضن بهذا العمل إلى حرمانهن من دخول الجنة ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله : (ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

(والمعنى أن المرأة التي تكشف ساقها أو شيئاً من جسمها ، وتتمايل في مشيتها ، ورأسها مرتفع بشعرها كأنه سنام جمل ، لا يتدخل الجنة حتى تلقى جزاءها) .

٢- إذا كان قدم المرأة لا يجوز كشفها ، فوجهها بالأولى ، لأنها تعرف به ، وفيه الفتنة أكثر ، وسفور المرأة تقليد للكفار والأجانب وتشبه بهم ، وفي الحديث : (من تشبه بقوم فهو منهم) .

وليتنا قلدناهم في المخترعات النافعة كصنع الغواصات وغيرها مما يفيدنا ، ولكن كما قال الشاعر :

قلدوني الغربى لكن بالفجور وعن اللب استعاضوا بالقشور

٣- المسئول هو الأب والزوج والأخ ، وكل راع يقوم على النساء ، قال صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) .

لبس الذهب والخاتم :

١- عن أنس رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم ، اتخذ خاتماً من فضلة ، ونقش فيه : محمد رسول الله .

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن خاتم الذهب .

٣- وعن عبدالله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى خاتماً من ذهب على يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده) فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به ، قال : لا والله ، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤- وعن علي بن أبي طالب قال : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ألبس خاتمي في هذه ، أو في التي تليها ، وأشار إلى الوسطى والتي تليها .

وفي رواية النسائي : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الخاتم في السبابة والوسطى .

٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يلبس حريراً ولا ذهباً) .

٦- وقال صلى الله عليه وسلم : عن الذهب والحرير : (هذان حرام على ذكور أمتي ، حلال لإناثها) .

(المراد الحرير الأصلي المستخرج من دودة القز ، لا الحرير الاصطناعي الموجود الآن) .

٧- وعن عبدالله بن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى على بعض أصحابه خاتماً من ذهب ، فأعرض عنه ، واتخذ خاتماً من حديد ، فقال : هذا شر ، هذا حلية أهل النار ، فألقاها ، فاتخذ خاتماً من ورق (فضة) فسكت عنه .

٨- وقال صلى الله عليه وسلم : (من لبس الذهب من أمتي فمات وهو يلبسه حرم الله عليه ذهب الجنة) .

يستفاد من الأحاديث

١- أن الذهب محرم على الرجال ، حلال للنساء ، والمسلم هو الذي يستسلم لأوامر الله ورسوله .

٢- إذا لبس الرجل خاتم الذهب للزواج الذي يسمونه خاتم الخطبة ، فهو حرام من الكبائر لأنه خالف أوامر دينه ، وقلد الكفار والنصارى الذين ابتدعوا خاتم الخطبة ،

ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وفي لبس خاتم الذهب تشبه بالنساء ، وفي الحديث : (لعن النبي المتشبهين من الرجال بالنساء) .
٣- يباح للرجال خاتم الفضة ، ما لم يكن للخطبة تجنباً لمشابهة الكفرة .
الزينة في اللباس :
١- قال الله تعالى : {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} .
ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ما خلاصته :
أغسلها ، وطهر نفسك من الذنوب والمعاصي وغيرها .
٢- وقال الله تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} .
ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية : عن ابن عباس قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله بالزينة ، والزينة : اللباس ، وهو ما يواري السوأة وما سوى ذلك من جيد البزّ والمتاع ، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد .
ثم قال ابن كثير بعد ذلك :
(ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يُستحق التجمل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب لأنه من الزينة ، والسواك لأنه تمام ذلك ، ومن أفضل اللباس البياض) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (البسوا الثياب البيض ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم) .
٤- وعن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مربوعاً وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه) .
٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس) "رد الحق تكبراً واحتقار الناس) .
٦- وعن أبي الأحوص عن أبيه رضي الله عنه ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ ثوب دون (ردئ) .
الرسول صلى الله عليه وسلم : ألك مال ؟
الرجل : نعم .
الرسول صلى الله عليه وسلم : من أي المال ؟
الرجل : من الإبل والبقر والغنم والخيل والرقيق .
الرسول صلى الله عليه وسلم : فإذا آتاك الله مالاً ، فلُيرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته .
٧- وقال صلى الله عليه وسلم : (من أنعم الله عليه نعمة ، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .
الزينة للصلاة والناس :
١- قال صلى الله عليه وسلم : (ما على أحدكم إن وجد أو ما على أحدكم إن وجدتم أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة ، سوى ثوبي مهنته) .

٢- وعن جابر رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني أنمار ، قال : فبينما أنا تحت شجرة ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

جابر : يا رسول الله ، هلُمّ إلى الظل .

الرسول صلى الله عليه وسلم : يأتي ويُسلم وينزل ، فيأتي جابر بصغار القثاء ويُقربه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم : من أين لكم هذا ؟ .

جابر : خرجنا به من المدينة .

يخرج راع لجابر ، وعليه بُردان قد أخلقا (بليا وتلفا) فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم : أما له ثوبان غير هذين .

جابر : بل ، له ثوبان في العيبة كسوته إياهما .

الرسول صلى الله عليه وسلم : فادعُه فليلبسهما .

يأتي الراعي ، ويلبس الثوبين ويذهب .

الرسول صلى الله عليه وسلم : ما له ؟ - ضرب الله عنقه – أليس هذا خيراً ؟

الراعي يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الراعي يتفاءل : في سبيل الله يا رسول الله .

الرسول صلى الله عليه وسلم : في سبيل الله .

الرجل يُقتل في سبيل الله .

النظافة من الإسلام :

١- عن جابر بن عبدالله قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زائراً في منزلنا فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال : أما كان يجد هذا ما يُسكن به شعره ؟ ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال : أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه ؟ .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (من كان له شعر فليكرمه) .

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : عشرة من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم (عقد الأصابع) ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاصُ الماء (يعني الاستنجاء) والمضمضة .

٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد "حلق العانة" وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب) .

من آداب السلام :

١- قال الله تعالى : {وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام) .

٣- وعن عبدالله بن عمرو : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي الإسلام خير ؟ قال : "تُطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرف ومن لم تعرف .

٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) .

٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (يُسَلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير) .
٦- وعن أنس رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مرّ على صبيان فسَلم عليهم .
٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا سلم عليكم أهل الكتاب ، فقولوا : وعليكم) .
٨- وعن عمران بن حصين ، أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : السلام عليكم ، فردّ عليه ثم جلس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "عشر" ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فردّ عليه فجلس ، فقال : "عشرون" ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فردّ عليه فجلس ، فقال "ثلاثون" (أي حسنة) .
٩- وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا دخلتم بيتاً ، فسلموا على أهله ، وإذا خرجتم فأودعوا أهله بالسلام) .
١٠- وقال صلى الله عليه وسلم : (يا بُني إذا دخلت على أهلك ، فسلم يكن بركة عليك وعلى أهلك) .
١١- وقال صلى الله عليه وسلم : (من بدأ بالكلام قبل السلام ، فلا تجيبوه) .
١٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا لقي أحدكم أخاه فليُسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة ، أو جدار ، أو ح جر ، ثم لقيه فليُسلم عليه) .
١٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (يُجزئ عن الجماعة إذا مرُوا أن يُسلم أحدهم ويُجزئ عن الجلوس أن يردّ أحدهم) .
١٤- وعن جابر أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثني لحاجة ، ثم أدركته وهو يسير (قال قتيبة يُصلي) فسلمت عليه ، فأشار اليّ ، فلما فرغ دعاني ، فقال : (إنك سلمت آنفاً وأنا أصلي) .
وهو مُوجه حينئذٍ قِبل المشرق (أي موجه راحلته نحو الشرق)
١٥- وعن ابن عمر قال : قلت لبلال كيف رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يرد عليهم حين يسلمون عليه وهو يصلي ؟ قال : يقول هكذا وبسط كفه .
والحديث دليل على أنه إذا سَلم أحد على المصلي رد عليه السلام بإشارة دون النطق : يسبط كافه اليمنى مستقيمة .
والسلام على القارئ والذاكر والمدرس وعند دخول المسجد جائز من باب أولى .
١٦- السلام تحية أهل الجنة (تحيتهم يوم يلقونه سلام) .
١٧- السلام اسم من أسماء الله الحسنى .
١٨- السلام معناه الأمان التام من الغدر والخيانة والغش .
١٩- السلام طريق المحبة ، والمحبة طريق الإيمان ، والإيمان طريق الجنة .
المصافحة لا التقبيل :
١- عن أبي الخطاب قتادة قال : قلت لأنس : أكانت المصافحة في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم .

٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (يقدم عليكم غداً أقوام هم أرق قلوباً للإسلام منكم) "يعني أهل اليمن" فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى الأشعري ، فلما دنوا من المدينة ، جعلوا يرتجزون ويقولون :
غداً نلقى الأحبة محمد وصحبه
فلما قدموا تصافحوا ، فكانوا هم أول من أحدث المصافحة
٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه ، وأخذ بيده ، فصافحه تناثرت خطاياهما ، كما يتناثر ورق الشجر) .
٥- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه ، أينحني له ؟ قال : لا ، قال : أفيلتزمه ويُقبله ؟ قال : لا ، قال : فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم .
وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتعانقون إذا قدموا من سفر وأما تقبيل اليد ففي الباب أحاديث وآثار كثيرة يدل مجموعها على ثبوت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنرى جواز تقبيل يد العالم إذا لم يمد يده متكبراً ، ولا يكون على سبيل التبرك ، ولا يتخذ التقبيل عادة ، ولا يُعطل المصافحة ولا توضع على الجبهة .
لا أصافح النساء :
١- وقال صلى الله عليه وسلم : (إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة) .
٢- وقالت عائشة : لا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة وما بايعهن إلا بقوله : (قد بايعتك على ذلك) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد ، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) .

آداب العطاس والتثاؤب :
١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أني قول له : يرحمك الله ، فأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فان أحدكم إذا تثاءب ضحك من الشيطان) .
وفي رواية لمسلم :فإن أحدكم إذا قال : ها ضحك الشيطان منه) .
٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ( ) وغن لم يحمد الله فلا تشمتوه) .

٤- وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا تثاءب أحدكم فليمسك يده على فمه ، فإن الشيطان لا يدخل) .
٥- وكان صلى الله عليه وسلم ، إذا عطس غطى وجهه بيده أو ثوبه ، وغض بها صوته .
٦- وقال صلى الله عليه وسلم : (شمت أخاك ثلاثاً فما زاد فإنما هي نزلة أو زكام) .
(أي لا تشمته بعد الثالثة ، بل أدع له) .
٧- وعن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر ، فقال : الحمد الله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عمر : وأنا أقول : الحمد لله والسلام على رسول الله ، وليس هكذا ، علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول : (الحمد لله على كل حال) .
يفيد هذا الحديث أن التقيد بتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم واجب .
غيروا الشيب واجتنبوا السواد :
١- قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} .
٢- وقال صلى الله عليه وسلم : (جزوا الشوارب ، وأعفوا اللحى ، خالفوا المجوس) .
٣- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) .
٤- وعن جابر رضي الله عنه قال : أتى بأبي قحافة يوم الفتح ولحيته ورأسه كالثغامة بياضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غيروا هذا بشئ ، واحتنبوا السواد) .
٥- وقال صلى الله عليه وسلم : (يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام ، لا يجدون ريح الجنة) .
٦- وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السبتية ( ) ويُصفر لحيته بالورس ( ) والزعفران ، وكان ابن عمر يفعل ذلك .
٧- وعن ابن عباس قال : مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، رجل قد خضب بالحناء ، فقال : ما أحسن هذا ، قال : فمرّ آخر قد خضب بالحناء والكتم ، فقال : وهذا أحسن من هذا ، ثم مرّ آخر قد خضب بالصفرة ، فقال : هذا أحسن من هذا كله .
٨- وقال صلى الله عليه وسلم : (غيروا الشيب ، ولا تشبهوا باليهود) .
٩- وعن عثمان بن عبدالله بن موهب قال : دخلت على أم سلمة ، فأخرجت إلينا شعرً من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، مخضوباً .
وفي رواية أخرى : أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أرته شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحمر .
١٠- خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال : (يا معشر الأنصار حمروا أو صفروا ، وخالفوا أهل الكتاب) .
١١- وقد نقل عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه يجب ، وعنه يجب ولو مرة ، وعنه لا أحب لأحد ترك الخضب ، وتشبه بأهل الكتاب ، وفي السواد عنه كالشافعية روايتان : المشهورة : يكره ، وقيل يحرم ، ويتأكد المنع لمن دلس به (أي غش) .

واجبنا نحو الرسول صلى الله عليه وسلم :
إن للرسول صلى الله عليه وسلم حقوقاً وواجبات إذا أداها المسلم نفعه الله به ، وأسعده بشفاعته ، وأكرمه بورود حوضه ، وسقاه من ماء كوثره .
١- محبته صلى الله عليه وسلم ، أ:ثر من النفس والأهل والمال والولد .
٢- طاعته في كل ما أمر به من دعاء الله وحده ، والاستعانة به ، والصدق والأمانة ، وحسن الخلق ، وغير ذلك مما جاء في القرآن وأحادثه الصحيحة .
٣- التحذير من الشرك الذي حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو صرف العبادة لغير الله ، كدعاء الأنبياء والأولياء وطلب المدد والعون منهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) . "الند : المثل والشريك" .
٤- إن نؤمن بما أخبر به القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، من الصفات ، كعلو الله على عرشه ، تحقيقاً لقوله تعالى : {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش) . وان الله مع عباده يسمعهم ويراهم ويعلم أحوالهم لقوله تعالى : {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } .
٥- إن من واجب المسلمين أن يشكروا الله على بعثه ومولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فيتمسكوا بسنته ، ومنها صيام يوم الاثنين الذي سئل عن صومه فقال : (ذاك يوم وُلدت فيه ، وفيه بُعثت ، وعليّ أُنزل) ، (أي القرآن) .
٦- أما الاحتفال بيوم مولده صلى الله عليه وسلم ، الذي أحدثه المتأخرون ، فلم يعرفه الرسول والصحابة والتابعون ولو كان في الاحتفال خير لسبقونا إليه ، وأرشدنا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أرشدنا في الحديث السابق إلى صوم يوم الاثنين الذي وُلد فيه ، علماً بأن الرسول صلى الله عيه وسلم ، مات يوم الاثنين ، فليس الفرع بأولى من الحزن على موته صلى الله عليه وسلم .
٧- إن الأموال التي تنفق في الاحتفالات ، ولو أُنفقت في بيان شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته ، وأخلاقه ، وأدبه ، وتواضعه ، ومعجزاته ، وأحاديثه ، ودعوته للتوحيد التي بدأ بها رسالته وغيرها من الأمور النافعة ، لو فعل ذلك المسلمون لنصرهم الله كما نصر رسوله صلى الله عليه وسلم .
٨- إن المحب الصادق للرسول صلى الله عليه وسلم ، يهمه إتباع أوامره ، والعمل بسنته ، والحكم بقرآنه والإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

التحلي بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :
إذا كنت محباً صادقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخلق بأخلاقه :
١- أترك الفحش ، وهو كل ما قبح وساء من قول أو فعل .
٢- أخفض صوتك ، وأغضض منه إذا نطقت ، وخاصة في المجتمعات العامة ، كالأسواق والمساجد ، والحفلات وغيرها ، ما تكن خطيباً أو واعظاً .

٣- أدفع السيئة التي تقد تصيبك من أحد بالحسنة ، بأن تعفو عن المسئ ، فلا تؤاخذه ، وتصفح عنه بأن لا تعاقبه ، ولا تهجره .
٤- أترك التأنيب والتعنيف لخادمك ، أو زميلك أو ولدك ، أو تلميذك ، أو زوجتك إذا أخطأوا أو قصروا .
٥- لا تُقصر في واجبك ، ولا تبخس حق غيرك ، حتى لا تضطره إلى أن يقول لك : لِمَ فعلت كذا ...؟ أو لِمَ لم لا تفعل كذا ؟ لائماً عليك ، أو عاتباً عليك .
٦- أترك الضحك إلا قليلاً ، وليكن جلّ ضَحِكِك التبسم .
٧- لا تتأخر عن قضاء حاجة الضعيف والمسكين والمرأة ، والمشي معهم في غير تكبر ولا استنكاف .
٨- مساعدة أهل البيت على شئون البيت ، ولو كان حلب شاة ، أو طهي طعام أو غيره .
٩- البس أحسن الثياب التي عندك ، لا سيما وقت الصلاة ، والأعياد ، والحفلات .
١٠- لا تتكبر عن الأكل على الأرض ، وكل ما وجد من الطعام ، والاكتفاء بقليل الطعام ولا تعيبه .
١١- العمل ومشاركة العاملين ، ولو بحفر الأرض ونقل التراب ، والسرور بذلك إظهاراً لعدم التكبر .
١٢- عدم الرضا بالمدح الزائد ، والإطراء المبالغ فيه ، والاكتفاء بما هو ثابت للعبد ، وبما قام به من صفات الحق والفضل والخير .
١٣- لا تنطق ببذاء ولا جفاء ، ولا كلام فاحش ولو مازحاً .
١٤- لا تقل سوءاً ولا تفعله .
١٥- لا تواجه أحداً من إخوانك بمكروه .
١٦- لازم سلامة النطق ، وحلو الكلام ( ) .
١٧- لا تكثر المزاح ، ولا تقل إلا الصدق .
١٨- أرحم الإنسان والحيوان حتى يرحمك الله .
١٩- احذر البخل ، فهو مكروه من الله والناس .
٢٠- نم باكراً ، واستيقظ للعبادة والاجتهاد والعمل .
٢١- لا تتأخر عن صلاة الجماعة في المسجد .
٢٢- احذر الغضب وما ينتج عنه ، وإذا غضبت فاستعذ من الشيطان الرجيم .
٢٣- الزم الصمت ، ولا تكثر الكلام فهو مسجل عليك .
٢٤- اقرأ القرآن بفهم وتدبر ، واسمعه من غيرك ، وأعمل به .
٢٥- لا ترد الطيب ، واستعمله دائماً ، لا سيما عند الصلاة .
٢٦- استعمل السواك فهو مفيد جداً ، لا سيما عند الصلاة .
٢٧- كن شجاعاً ، وقل الحق ولو على نفسك .
٢٨- أقبل النصيحة من كل إنسان واحذر ردها .
٢٩- اعدل بين زوجاتك وأولادك وفي كل أعمالك .
٣٠- اصبر على أذى الناس وسامحهم ، حتى يسامحك الله .

٣١- أحب للناس ما تحب لنفسك .
٣٢- أكثر من السلام عند الدخول والخروج واللقاء وفي الأسواق .
٣٣- تقيد بلفظ السلام الوارد في السنة ، وهو : "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ولا يُغني عنه كلمة (صباح الخير ، ومساء الخير) أو (أهلاً ومرحباً) ويمكن قولها بعد السلام .
٣٤- كن نظيفاً في مظهرك ولباسك .
٣٥- غيّر شيبك بالأصفر أو الأحمر ، واحذر السواد امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .
٣٦- تمسك بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى تدخل في قوله : (إن من ورائكم أيام الصبر ، للمُتمسك فيهن بما أنتم عليه أجرُ خمسين منكم ، قالوا : يا نبي الله أو منهم ؟ قال : بل منكم) .
٣٧- اللهم أرزقنا العمل بكتابك ، وسنة نبيك ، وأرزقنا حبه واتباعه وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة .

٢٣.محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

المقدمة

الحمد لله الذي كرّم الإنسان بالإيمان ، وميّزه بالعقل ، ولم يَجعله كسائر المخلوقات ، تعيش بلا هدف ، أو تعيش لغيرها ، بل جَعَله مُفكّراً ، يَسمو بفكره ، ويُعمِل عقله .
ومن هنا قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [الإسراء:٧٠] .
هذا التكريم الرباني هو في الأصل للأصل ، أي لِجنس النوع الإنساني ، إلا أن الإنسان بنفسه يسمو بالإيمان ، أو يَنحطّ بانعدامه .
وقد جَعَل الله له اختياراً ، وأعطاه عقلاً ، وأوضح له السَّبيل ، وأبَان له الطريق (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان:٢ ، ٣] .
وقال رب العزة سبحانه عن هذا الإنسان : (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [البلد:٨-١٠] .
ومِن عدل الله وحِكمته أن أرسل الرُّسُل ، وأنْزَل الكُتب ، وأقام البيّنات ، ونَصَب الأدلـة على وحدانيته .
فأيّد رُسُله بالمعجزات والآيات الباهرات ، فلم يَبْقَ أمام أعداء الرُّسُل – بل وأعداء العَقل – إلا المكابَرة والمعانَدة .
فإن إنكار الوحدانية لله دَفْع بالصَّدْر ، وضَرب بالوجْه .
فإن النفوس شاهدة بأن الله ليس له شريك .
بل الوجود أجمع شاهد بذلك .
وقد ضرب الله الأمثلة على ذلك ، فمن ذلك قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء:٢٢] أي لو كان في الأرض والسماء آلهة مُتعددة لَفَسَدتِ السماوات

والأرض ، فالعقل والمنطق يقول : إما أن يتغلّب إله على إله على آخر ، فيكون الغالِب هو المتفرِّد ، وإما أن يَذهب كل إلهٍ بما له من مُلك ومكان وخَلْق ، وهنا يَفسد أمر السماوات والأرض ، ولذا قال رب العزة سبحانه : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون:٩١]

ومِن هنا فإننا ندعو كل إنسان مُنصف عاقل أن يتأمل في هذا المعنى ، وأن يَعلم أن دعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم تَخرج عن دعوات الأنبياء السابقين ، بل هي مُنتظمة في سِلكهم ، سائرة في طريقهم ، مُقتفية آثارهم ، ومن هنا قال رب العزة سبحانه : (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف:٩] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ، ليس بيني وبينه نبي . رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية لمسلم : أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : الأنبياء إخوة من علات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبي .

ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، حينما قال : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة:١٢٩] .

هي بِشارة نبي الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) [الصف:٦] .

ونحن إذ نَضع بين يدي القارئ هذا الموضوع لنرجو الله وندعوه أن يَفتح به أعيناً عُمياً ، وآذانا صُمّا ، وقلوباً غُلْفا .

ونضع بين يدي القارئ أعظم إنسان في العالم [محمد صلى الله عليه وسلم] لِيَقِف بنفسه على بعض البشارات التي وَرَدتْ في الكُتب المتقدمة من كُتُب أهل الكتابات ، والتي كانت سببا في إسلام الكثيرين من أهل الكتاب .

كما نضع بين يديه إشارات إلى البشارات من خلال واقع مُعاصِريه صلى الله عليه وسلم ، سواء ممن آمن به أو ممن لم يؤمن به ، وإن كان أضمر ذلك في نفسه ، وأقرّ به في قرارة نفسه.

كما نُشير إلى طريقة القرآن في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأشرنا إلى الأدلـة العقلية التي تقتضي صِدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأن دعوته ليست بدعاً من الدعوات ، وهو لم يُخالِف الرُّسل والأنبياء في أصل الدعوة إلى وحدانية الله وإفراده بالعبودية .

بل هذا أمر اتّفقت عليه الرسالات ، وتتابع عليه الأنبياء ، وأقر به الموحِّدون على مرّ الأزمان، حتى كان ذلك الإقرار في فترات خَلَتْ من الرُّسُل ، كتلك الفترة التي سَبَقَتْ مَبعثه صلى الله عليه وسلم ، فقد وُجِد فيها من أفراد الناس من يُوحِّد الله ، ولا يأكل ما ذُبح لغير الله ، وكان هؤلاء يُنكرون عِبادة غير الله .

وقد آن أن نترك القارئ مع محاور هذا الموضوع ، وهي كالتالي :
١- أعظم إنسان في العالم في القرآن والسنه.
٢- أعظم إنسان في العالم في كتب أهل الكتاب.

(أعظم إنسان في العالم في القرآن والسنة)
محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة

لقد قرر الله في كتابه المُبِين نبوة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم بِطُرق كثيرة مُتنوّعة ، " يُعرَف بها كمال صِدقه صلى الله عليه وسلم ، فأخْبَر أنه صدَّق المرسلين ، ودَعا إلى ما دَعوا إليه ، وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء فهي في محمد صلى الله عليه وسلم ، وما نُزِّهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمدٌ أولاهم وأحقّهم بهذا التنْزيه ، وأن شريعته مُهيمنة على جميع الشرائع ، وكتابه مُهيمن على كل الكُتُب ، فجميع محاسن الأديان والكُتُب قد جَمعها هذا الكتاب وهذا الدِّين ، وفَاق عليها بِمحاسِن وأوصاف لو تُوجَد في غيره ، وقرّره نبوته بأنه أميّ لا يَكتب ولا يَقرأ ، ولا جَالَس أحدا من أهل العلم بالكُتُب السابقة ، بل لم يُفجأ الناس حتى جاءهم بهذا الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما أتوا ، ولا قَدَروا ، ولا هُوَ في استطاعتهم ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وأنه مُحال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه ، أو مُتقوّل ، أو متوهّم فيما جاء به . وأعاد في القرآن وأبدى في هذا النوع ، وقرّر ذلك بأنه يُخبِر بقصص الأنبياء السابقين مُطوّلة على الوجه الواقع الذي لا يستريب فيه أحد ، ثم يُخبر تعالى أنه ليس له طريق ولا وصول إلى هذا إلا بما آتاه الله من الوحي ، كمثل قوله تعالى لما ذكَر قصة موسى مُطوّلة : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) ، (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ) ، وكما في قوله : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) ، ولما ذكَر قصة يوسف وإخوته مُطوّلة قال : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) .
فهذه الأمور والإخْبَارات المفصّلة التي يُفصِّلها تفصيلا لم يتمكّن أهل الكتاب الذين في وقته ولا من بعدهم على تكذيبه فيها ولا مُعارَضته – من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقاً .
وتارة يُقرِّر نبوته بِكمال حكمة الله وتمام قُدرته ، وأن تأييده لرسوله ، ونَصْره على أعدائه ، وتمكينه في الأرض موافق غاية الموافقة لِحكمة الله ، وان مَن قَدَح في رسالته فقد قَدَح في حِكْمَة الله وفي قُدْرَته .
وكذلك نَصْره وتأييده الباهر على الأمم الذين هم أقوى أهل الأرض من آيات رسالته ، وأدلة توحيده ، كما هو ظاهر للمتأمّلين .
وتارة يُقرِّر نبوته ورسالته بما حازَه من أوصاف الكمال ، وما هو عليه من الأخلاق الجميلة ، وأن كل خُلُق عال سامٍ فَلِرَسول الله صلى الله عليه وسلم منه أعلاه وأكمله ؛

فَمَن عظُمت صِفته وفاقَتْ نُعُوته جميع الخَلْق التي أعلاها الصِّدق . أليس هذا أكبر الأدلة على أنه رسول رب العالمين ، والمصطفى المختار من الخَلْق أجمعين ؟
وتارة يُقرِّرها بما هو موجود في كُتُب الأولين ، وبشارات الأنبياء والمرسلين ، إما باسمه العَلَم ، أو بأوصافه الجليلة ، وأوصاف أمّته ، وأوصاف دِينه .
وتارة يُقرِّر رسالته بما أخبَر به من الغيوب الماضية ، والغيوب المستقبَلة ، التي وَقَعتْ في زمانه ، والتي لا تزال تَقَع في كل وقت ، فلولا الوحي ما وصل إليه شيء من هذا ، ولا له ولا لِغيره طريق إلى العلم به .
وتارة يُقرِّرها بحفظه إياه ، وعِصمته له من الخَلْق ، مع تكالب الأعداء وضغطهم ، وجدّهم التام في الإيقاع به بكل ما في وسعهم ، والله يَعصِمه ، ويمنعه ، وينصره ! وما ذاك إلا لأنه رسوله حقاً ، وأمِينه على وحيه .
وتارة يُقرِّر رسالته بذِكر عظمة ما جاء به ، وهو القرآن الذي (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وتحدّى أعداءه ومَنْ كَفَر به أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ، ونكصوا ، وباؤوا بالخيبة والفَشَل ! وهذا القرآن أكبر أدلـة رسالته ، وأجلها ، وأعمّها .
وتارة يُقرِّر رسالته بما أظهر على يديه من المعجزات ، وما أجرى له من الخوارق والكرامات الدالـة – كل واحد بمفرَدِه منها ، فكيف إذا اجتمعت – على أنه رسول الله الصادق المصدوق ، الذي لا يَنطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يُوحى .
وتارة يُقرِّرها بعظيم شفقته على الخَلْق ، وحُنوّه الكامل على أمّته ، وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وانه لم يُوجد ، ولن يُوجَد أحد من الخَلْق أعظم شفقة وبِراً وإحساناً إلى الخلق منه ، وآثار ذلك ظاهرة للناظرين .
فهذه الأمور والطُّرُق قد أكثر الله من ذِكرها في كتابه ، وقرّرها بعبارات مُتنوّعة ، ومعاني مفصّلة ، وأساليب عجيبة ، وأمثلتها تَفوق العد والإحصاء " [بطوله من القاعدة السابعة من : " القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن " للشيخ السعدي رحمه الله] .
فهذه الأمور التي قرّرها الشيخ وبسطها هي من الأدلة العقلية المتّفقة مع الأدلة النقلية ، فالله تبارك وتعالى خاطَب العقول ، ولذا نَعى على العرب أنهم لا يُعمِلون عقولهم في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فمن ذلك :

قوله تعالى : (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [الأعراف:١٦٩] .
وقوله تعالى : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [يونس:١٦] .
وقوله سبحانه وتعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف:٢] .
وقوله عز وجل : (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء:١٠] .

إلى غير ذلك من الآيات التي خاطَبتْ عقول النـاس ، أفلا تـرون إلـى هذا النبـي الـذي أُرسل إليكم، لم يكن قبل اليوم يتلو من كتـاب (وَمَـا كُنْـتَ تَتْلُـو مِـنْ قَبْلِـهِ مِـنْ كِتَـابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت:٤٨] ؟
كما أن هذا النبـي الـذي أُرسِل إليكم لبِث فيكم سنين عددا قبل بعثتـه ، فأنتم تعرفـون خُلُقه ، وتعرفون أمانته ، وهو ذو نسب فيكم ، بل هو من أشرافكم .
هذا خطـاب للعقول السليمة أن تتفكّر وتتأمّل قبل أن تُكذِّب هذا الرسـول الـذي يـأتيهم بأنباء الغيب، والتي لم يَجِدوا لها مَدْفَع ، إلا أن يُدفَع فـي الصَّدْر ، ويُقـال عن الشمس في رابعة النهار ليس دونها غيم : هذا ليل !
فمن ذلك أنه أخبر بنبأ غَلَبة الرُّوم – النصارى – فيما بعد ، وذلك في أَمَـدٍ قريـب :
(غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْـرِ اللَّـهِ يَنْصُـرُ مَـنْ يَشَـاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لا يَعْلَمُـونَ) [الروم:٢-٦] .
وقد وَقَـع هذا خـلال الـزمن الـذي جـاء بـه الـوحي ، والـذي حُدِّد بـ (بِضْعِ سِنِينَ) من الثلاث إلى التسع سنوات .
ودارت الأيام ، ودَالَتْ الرّوم على فارس ، وانتصرتْ الروم من بعد غَلَبهم .
هذه آيـات بـاهرات ، ومعجزات ظـاهرات ، لـم يستطيعوا دَفعها ولا ردّهـا فـي حقيقـة الأمر ، وإنما ردّوهـا ظلمـا وعُلـوّاً ، كمـا قـال تعـالى عن آل فرعـون مـع موسـى عليـه الصلاة والسلام : (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل:١٣، ١٤] .
ثم يُذكّرهم مع جحودهم ، بأن هذا النبـي لـو كـان كاذبـاً لـم يُمكّن لـه فـي الأرض ، ولا نَصَره الله على أعدائـه ، فقـال تعـالى : (إِنَّـهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَـا هُـوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَـاهِنٍ قَلِيلاً مَـا تَـذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيـلٌ مِـنْ رَبِّ الْعَـالَمِينَ (٤٣) وَلَـوْ تَقَـوَّلَ عَلَيْنَـا بَعْضَ الأَقَاوِيـلِ (٤٤) لأَخَـذْنَا مِنْـهُ بِـالْيَمِينِ (٤٥) ثُـمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) [الحاقة:٤٠-٤٦]
وهذه أدلة عقلية تُخاطِب العقول إن كانت تَعِي !
كيف يُمكّن الله لمن كَذَب عليه ؟
وكيف يَنصر الله من زَعم أن الله أرسله ؟
(أي : لو كان كاذبا على الله لَقَصَمه ولم يُمكّن له ولم يَنصره)
فإن سُنّـة الله أنه يأخذ الظالم أخذ عزيز مُقتَدر ، وأنه يُملي للظالِم فإذا أخذه لم يُفلِته والله لا يُحب الظالمين ، ولا يُحب الكاذِبين ، ولا يُصلِح أعمال المفسِدِين ، قـال تعـالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس:٨١] .
وقد نصر الله نبيَّـه مُحمدا صلى الله عليه وسلم ، وأظهر صدقه ، وأيّـده على أعدائه ، ونَصَره عليهم ، حتى طأطأت أمامه رؤوس الجبابرة ، وخضعت له صناديد قـريش ، وبَلَغـتْ دعوتـه المشـارق والمغـارب ، واعتـرف بصـدقه القريـب والبعيـد ، والعـدو المُحارب .
وقد صدّقه أهل الكتاب ، وعرفوه بصفاته المذكورة في كُتبهم .

روى البخاري من طريق عطاء بن يسار قال : لَقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة . قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صِفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحِرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سَمّيتُك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخّاب في الأسواق ، ولا يَدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عُميا ، وآذانا صُما ، وقلوبا غُلفا .

ومِن هنا فإننا نُخاطِب العقول التي تَعِي أن تتأمل في حياة ذلك الرجل العظيم ، الذي شهِد بنبوته كل مُنصِف من أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام الذي كان يَهوديا فأسلَم لما رأى وجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئتُ في الناس لأنظر إليه ، فلما استثبتّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب . رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه .

وهو الذي قال الله في شأنه : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) ولذا ذهب غير واحد من المفسِّرين إلى أن المقصود بالآية هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه .

فهو قد شهد شهادة الحق ، وأخبر أن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة .

وقصة إسلامه في صحيح البخاري .

وشهد كذلك هرقل (رئيس النصارى في زمانه) بصدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فإنه لما جاء كتاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى هرقل – عظيم الرُّوم – لم يَقُل : هذه رسالة خاصة بالعرب ، ولا بالأعراب ، كما لم يَقُل : هذا غير صادق ، وإنما قال لأبي سفيان – وكان أبو سفيان آنذاك مُشركاً – : فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمتُ لقاءه ، ولو كُنْتُ عنده لَغَسَلْتُ عن قَدَمِه . رواه البخاري ومسلم .

وآمن به ملِك الحبشة (النجاشي) ، وقال عن القرآن – وقد سَمِع آيات من سورة مريم – فبكى حتى أخضل لحيته ، وبَكَتْ أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلِيَ عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . رواه الإمام أحمد .

كما شهد بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم غير واحد من اليهود ، مع أنهم لم يُؤمِنوا به إلا أنهم اعترفوا أنه هو الذي ذُكِر ووُصِف في التوراة .

يهود يشهدون بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم

شهدت اليهود بصدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الله عز وجل : (وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، فأسْلَمَ ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار . رواه البخاري .
فهذا اليهودي أمر ابنه أن يُطيع أبا القاسم ، مما يدلّ على أنه يعلم في قرارة نفسه بصدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .
وحدّث سلمة بن سلامة بن وقش - وكان من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال : فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل . قال سلمة : وأنا يومئذ أحْدَث من فيه سِناً على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أنّ بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به لودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه ، وأن ينجو من تلك النار غدا . قالوا له : ويحك وما آية ذلك ؟ قال : نبي يُبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن . قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : ويلك يا فلان ! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، وليس به !
وحدّثت صفية – رضي الله عنها – فقالت : كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، فأتيا كالّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ . قالت : وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ! رواه ابن إسحاق في السيرة فيما ذكره ابن هشام .
ها هم اليهود يشهدون بنبوة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، ومع ذلك جحدوا بها .
(فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ) .
ولذا قال عليه الصلاة والسلام : لو آمن بي عشرة من اليهود ، لآمن بي اليهود . رواه البخاري ومسلم .
وفي رواية لمسلم : لو تابعني عشرة من اليهود ، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم.
اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
التواضع والبَسَاطَة في حياة سيّد السّادة

لقد تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يدَع لمتواضِع قولاً ، ولم يترك لِمُتَكَبِّر حجة.

فهو عليه الصلاة والسلام المؤيّد بالوحي ، وهو خليل الرحمن ، وهو من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عُرِج به إلى السماوات العُلى ، وهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم ، بل هو أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام ، ومع ذلك كان يتواضع لله فَرَفَعه الله عز وجل .

كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي السوق ، ويُمازحُ أصحابه ، وكان رجل من أهل البادية اسمه زاهر ، كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية ، فيجهزَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضرته ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ، وكان رجلا دميما ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ، فقال له : من هذا ؟ أرسلني ، والتفت ، فعرف النبيَّ صلى الله عليه وسلم فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : من يشتري مني هذا العبد ؟ وجعل هو يلصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : إذا تجدني كاسداً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لكنك عند الله لست بكاسد . رواه الإمام أحمد وغيره وهو حديث صحيح .

ويُمازِح أصحابه ، وينام معهم، روى الإمام مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال : أقبلت أنا وصاحبان لي ، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجَهْد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس أحد منهم يقبلنا ، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : احتلبوا هذا اللبن بيننا .

قال : فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ، ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه .

قال : فيجيء من الليل فيسلم تسليما لا يُوقظ نائما ويُسمع اليقظان .

قال : ثم يأتي المسجد فيُصلي ، ثم يأتي شرابه فيشرب ، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي ، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة ! فأتيتها فشربتها فلما أن وَغلت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل ، ندمني الشيطان ! فقال : ويحك ما صنعت ؟ أشربت شراب محمد ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك ، فتذهب دنياك وأخرتك ، وعَلَيّ شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي ، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي ، وجعل لا يجيئني النوم ، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت .

قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلّم كما كان يسلم ، ثم أتى المسجد فصلى ، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعو عَلَيّ فأهلك ، فقال : اللهم أطعم من أطعمني وأسق من أسقاني .

قال : فعمدت إلى الشملة فشددتها عليّ ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هي حافلة وإذا هن حُفل كلهن ،

فعمدت إلى إناء لآل محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه ، قال : فحلبت فيه حتى عَلَته رغوة ، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أشربتم شرابكم الليلة ؟
قال : قلت : يا رسول الله اشرب ، فشرب ، ثم ناولني فقلت: يا رسول الله اشرب ، فشرب ، ثم ناولني فلما عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد روى وأصبت دعوته ضَحِكْتُ حتى ألقيت إلى الأرض.
قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إحدى سوآتك يا مقداد !
فقلت : يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا ، وفعلت كذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذه إلا رحمة من الله ، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها ؟
قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس .
فأي تواضع تكتنفه عَظَمة هذا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ؟
يُغضي حياءً ويُغضى من مَهَابتِه *** فلا يُكلّم إلا حين يبتسمُ
النبي صلى الله عليه وسلم يبيت مع أصحابه وهو قائد الأمة ، بل ويقتسمون اللبن بينهم بالسّوية !
واليوم نرى من ينتسب إلى العلم أو إلى المناصب الدنيوية لا يُكلّمون الناس إلا من أطراف أنوفهم!
وربما لا يردّون السلام خشية أن تذهب الهيبة !
نبي الله يُسابِق أصحابه رضي الله عنهم
روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابَقَ بين الخيل التي أُضمرت من الحفياء ، وأمدها ثنية الوداع ، وسابَقَ بين الخيل التي لم تُضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق .
وروى البخاري عن أنس قال : كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تُسمى العضباء وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها ، فاشتدّ ذلك على المسلمين ، وقالوا : سُبِقَت العضباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه .
سيّد ولد آدم يُدخل السرور على أهله ، فيُسابق زوجته
قالت عائشة رضي الله عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا خفيفة اللحم فنـزلنا منزلا ، فقال لأصحابه : تقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ، فسابقني فسبقته ، ثم خرجت معه في سفر آخر ، وقد حملت اللحم ، فنـزلنا منـزلا ، فقال لأصحابه : تقدموا ، ثم قال لي : تعالي أسابقك ، فسابقني فسبقني ، فضرب بيده كتفي وقال : هذه بتلك . رواه أحمد وأبو داود والنسائي في الكبرى ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح .
نبي الله صلى الله عليه وسلم يُجيب الدعوة ولو كانت على يسير الطعام
روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ له ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : قُومُوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ .

قالَ أَنَسٌ : فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا . فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .
ويُجيب الدعوة ولو كانت من رجل فقير
ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه . قال أنس : فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام ، فقرّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا ومرقا فيه دباء وقديد ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة .
وعند الإمام أحمد : أن خياطا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام فأتاه بطعام وقد جعله بإهالة سنخة وقرع .
والإهالة : ما أذيب من الشحم ، وقيل : الإهالة الشحم والزيت ، وقيل كل دُهنٍ أُوتُدِمَ به . ذكره العيني .
والسَّنِخَة : أي المتغيرة الرِّيح . قاله ابن حجر .
بل يُجيب الدعوة ولو كانت من يهودي أو يهودية !
فقد أجاب صلى الله عليه وسلم دعوة امرأة يهودية حينما دعته إلى الطعام .
روى الشيخان عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، فقالت : أردت لأقتلك. قال : ما كان الله ليسلّطك على ذاك .
وقال مُؤكّدا على هذا المعنى : لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبتُ ، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقَبِلْتُ . رواه البخاري .
سيد ولد آدم يجلس بين أصحابه فيأتي الرجل الغريب فلا يُميِّزه من بينهم حتى يسأل عنه !
فعن أبي هريرة قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاءهم رجل من أهل البادية فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟
قالوا : هذا الأمغر المرتفق .
قال حمزة – أحد رواة الحديث – : الأمغر الأبيض المشرب حمرة .
قال : إني سائلك فَمُشْتَدّ عليك في المسألة .
قال : سل عمّا بدا لك .
قال : أنشدك بربِّ من قبلك ورب من بعدك آلله أرسلك ؟
قال : اللهم نعم .
قال : وأنشدك به آلله أمرك أن نصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة ؟
قال : اللهم نعم .
قال : وأنشدك به آلله أمرك أن تأخذ من أموال الأغنياء فتردّه على فقرائنا ؟
قال : اللهم نعم .
قال : وأنشدك به آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا ؟
قال : اللهم نعم .
قال : وأنشدك به آلله أمرك أن نَحُجّ هذا البيت من استطاع إليه سبيلا ؟

قال : اللهم نعم .
قال : فإني آمنت وصدّقت ، وأنا ضمام بن ثعلبة . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي .
وعن أبي جري جابر بن سليم قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدَرُوا عنه .
قلت : من هذا ؟
قالوا : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قلت : عليك السلام يا رسول الله مرتين .
قال : لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت قل : السلام عليك .
قال : قلت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته كشفه عنك ، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك ، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فَضَلّت راحلتك فدعوته ردّها عليك .
قلت : اعهد إليّ .
قال : لا تسبن أحدا .
قال : فما سببت بعده حُرّا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة .
قال : ولا تحقرن شيئا من المعروف ، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف ، وارفع إزارك إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه ، فإنما وبال ذلك عليه . رواه الإمام أحمد وأبو داود .
من أجل ذلك لجأ أصحابه إلى تمييزه
فعن أبي ذر وأبي هريرة قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلسا يَعرفه الغريب إذا أتاه . قال : فبنينا له دُكاناً من طين فجلس عليه ، وكنا نجلس بجنبتيه . رواه أبو داود والنسائي .
قال ابن الأثير : الدكان الدَّكة المبنية للجلوس عليها .
نبي الله صلى الله عليه وسلم يستمع لامرأة في عقلها شيء
روى الإمام مسلم عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال : يا أم فلان ! انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها .
اسْتَمَعَ صلى الله عليه وسلم إلى ما تريد أن تقوله فلم يضع ذلك من قدره بل رفع الله منزلته صلى الله عليه وسلم .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهم حوائجهم

فعن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر الذكر ، ويُقلّ اللغو، ويُطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته . رواه النسائي .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه في بستان ويُدلّي رجليه مع أرجلهم في البئر
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط بالمدينة على قُفّ البئر مُدلّياً رجليه ، فَدَقّ الباب أبو بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى : ائذن له وبشِّره بالجنة ، ففعل فدخل أبو بكر فَدَلّى رجليه ، ثم دقّ الباب عمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له وبشِّره بالجنة ، ففعل ، ثم دقّ عثمان الباب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له وبشِّره بالجنة ، وسيلقى بلاء . رواه الإمام أحمد .
ارتعد منه رجل فقال له : هوِّن عليك ! فإني لست بملك إنما أنا بن امرأة تأكل القديد !
طأطأت أمامه رقاب أعدائه ، فطأطأ رأسه تواضعاً لله
دَخَل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً مُتواضعاً حتى إن ذقنه ليمس رَحْلَه .
كان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار ، ويُجيب دعوة المملوك ، ويأكل على الأرض ، ويعتقِل الشاة .
وكان يُردِف بعض أصحابه خَلْفَه
فقد أردف ابن عمِّه ابن عباس رضي الله عنهما
وأردف معاذ بن جبل رضي الله عنه
وهذا لا يفعله أرباب المناصب ولا أصحاب الأموال !
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ، ويخصف نعله
كان في بيته يكون في مهنة أهله ، يعني في خدمتهم
سُئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة .
وقيل لعائشة رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : كما يصنع أحدكم : يخصف نعله ، ويرقع ثوبه . رواه الإمام أحمد .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام على الحصير حتى أثّر في جنبه
قال عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه وسادة من أدَم حشوها ليف ، وإن عند رجليه قرظا مصبوبا ، وعند رأسه أُهُب معلقة ، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت رسول الله ! فقال : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ رواه البخاري ومسلم .
وسجد على الأرض من غير حائل بينه وبينها ، حتى سجد في ماء وطين من أثر المطر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر ، وقد أُريت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها ،

فالتمسوها في العشر الأواخر ، والتمسوها في كل وتر ، فمطرت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش فَوَكَف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين . رواه البخاري ومسلم

.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الصبيان ويُلاعبهم

وكان يَمُرّ بهم فيُسلِّم عليهم

لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسير معه الجبال ذهبا لكان ، ذلك أنه خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً وبين أن يكون نبيّاً ملِكاً ، فاختار أن يكون نبيّاً عبدا .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا ، هم أصحاب المنابر يوم القيامة . طوبى للمُصلِحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة .

٢٤.بشارات العهد القديم بمحمد صلى الله عليه وسلم

د. محمد بن عبد الله السحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى .. أما بعد

فقد طلب مني الأخوة الفضلاء القائمون على موقع (شبكة مشكاة الإسلامية) أن أذكر لهم شيئاً مما كُتب عن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب فنقلت لهم بعض ما أوردته في كتابي: (مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية) وهذه البشارات نقلتها من مسلمي أهل الكتاب بمعنى أنني لم أدون أي نص أو بشارة إلا ما شهد عليه مسلم من أهل الكتاب أنه وجد هذا النص في كتابه. وقد أشرت في نهاية كل بشارة إلى اسم المهتدي الذي نقلتها منه ورقم الصفحة من كتابه ثم طابقتها على الطبعات المحدثة من ما يسمى "بالكتاب المقدس" ونتيجته لأن بعض هؤلاء المهتدين ينقلون لنا من نسخ قديمة جداً كالطبري الذي كان معاصراً للمتوكل ولأن اليهود والنصارى يقومون بعمل تصحيح لكتابهم بين آونة وأخرى ويضيفون ويحذفون من العبارات ما يشاؤون فقد يجد الباحث صعوبة المقارنة بين النص الذي أورده المهتدي والنص الموجود في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس المزعوم لكن العبرة بشهادة هؤلاء المهتدين ونقلهم لهذه النصوص.

وليعلم القارئ أن هذه البشارات موجودة في كتب كثيرة سواء في بعض دواوين السيرة أو في مصنفات الجدل مع أهل الكتاب مثل كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية وهداية الحيارى لابن القيم .

وإظهار الحق لرحمة الله الهندي والفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن باجه جي أو كتاب أحمد السقا البشارة بنبي الإسلام وكذلك مصنفات المهتدين من أهل الكتاب مثل كتاب:

١. الدين والدولة لعلي بن ربّن الطبري.
٢. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان.
٣. النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية للمتطبب.

٤. إفحام اليهود للمسئول بن يحيى المغربي.
٥. مسالك النظر في نبوة سيد البشر لسعيد بن الحسن الاسكندراني.
٦. محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود.
٧. محمد نبي الحق لمجدي مرجان.
٨. محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد.

وغيرها كثير. وقد جمعت جميع الأدلة والبشارات التي استدل بها هؤلاء وغيرهم وضمنتها كتابي السابق ذكره.

كما أن هناك من صنف مصنفات خاصة ببشارات أصحاب الأديان السابقة بهذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وكذا صنفت مصنفات خاصة تحمل بين دفتيها شهادات الكتاب المعاصرين المعتبرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ككتاب : إلى الدين الفطري الأبدي.. تأليف مبشر الطرازي الحسيني من علماء تركستان. وهو من منشورات مكتبة الخانجي – القاهرة.

د. محمد بن عبد الله السحيم

بشارات العهد القديم

البشارة الأولى: رؤيا رآها يعقوب عليه السلام في منامه، وذلك أنه رأى سلماً منصوباً من الأرض إلى السماء، وله خمس درجات، ورأى في منامه أمة عظيمة صاعدة في ذلك الدرج والملائكة يعضدونهم، وأبواب السماء مفتوحة فتجلى له ربه قائلاً: يا يعقوب أنا معك أسمع وأرى، تمن يا يعقوب. فقال: يا رب من أولئك الصاعدون في ذلك الدرج ؟ فقال الله له: هم ذرية إسماعيل. فقال يا رب بماذا وصلوا إليك ؟ فقال: بخمس صلوات فرضتهن عليهم في اليوم والليلة فقبلوهن وعملوا بهن فلما استيقظ يعقوب من منامه فرض على ذريته الخمس الصلوات، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد فرض على بني إسرائيل صلاة في التوراة إلا القرابين يقربونها، وما زالت بنو إسرائيل وعلماؤهم يصلون الصلوات الخمس إتباعاً لسنة جدهم يعقوب عليه السلام، ولم تزل أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام يبشرون بظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتمنون أن يكونوا في زمانه.

البشارة الثانية: أن يعقوب عليه السلام لما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم: (تقربوا إليّ أقول لكم ما يظهر آخر الزمان. فلما اجتمعوا قال لهم: ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، قال الإسكندراني: (ولم يوجد في التوراة أنه ذُكر شيء مما وعد به، بل مكتوب في التوراة أنه دعا لهم وتوفى، علم من ذلك أنهم محوا اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الآية.

قلت: إن الله صرفهم عن محو اسم النبي صلى الله عليه وسلم من وصية يعقوب، ففي هذا الإصحاح وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة يرد إخبار يعقوب لأبنائه بما سيكون في آخر الزمان، وقد بقى هذا الإخبار إلى الآن يحمل بعض ألفاظه العبرية، وهو قول يعقوب عليه السلام: (لا يزول صولجان من يهوذا أو مشرّعٌ من بين قدميه حتى يأتي شيلوه، ويكون له خضوع الشعوب)، وقد منّ الله على المهتدي عبد الأحد داود فكشف

اللثام عن هذه الوصية، وفي الأسطر التالية اقتبس بعض استدلالاته واستنتاجاته على أن هذه البشارة خاصة برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاستدلالات هي:
١. أن كلمة "شيلوه" كلمة فريدة في العهد القديم، ولا تكرر في أي مكان آخر في العهد القديم
٢. أن كلمة شيلوه تتكون من أربعة أحرف عبرية هي: "شين"، "يود"، "لاميد"، "وهي"، وتوجد بلدة اسمها شيلوه ولكن لا يوجد فيها حرف "يود"، ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقا أو مشيراً للبلدة، إذاً فالكلمة حيثما وجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان.
٣. أن هذه العبارة اشتملت على ضمير لغير العاقل، وقد يشير إلى القضيب أو الصولجان، أو المشرع بصورة منفصلة أو مجتمعة، وربما يشير للطاعة، وعليه فإن معنى العبارة: (إن الطابع الملكي المتنبي لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجئ الشخص الذي يخصه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب).
٤. بعد أن أورد بعض تحولات الترجمة لهذه الكلمة بين العبرية والسريانية قال: يمكن أن تقرأ هذه العبارة بالصورة التالية: (حتى يأتي الشخص الذي تخصه..)
٥. أن الكلمة "شيلوه" مشتقة من الفعل العبري "شله" وهي تعني المسالم والهاي والوديع والموثوق.
٦. من المحتمل أنه تم على هذه العبارة تحريف متعمد فتكون "شالوه" فحينئذ يكون معناها "شيلوح" وهذه العبارة مرادفة لكلمة "رسول ياه" وهو نفس اللقب الموصوف به محمد صلى الله عليه وسلم "وشيلواح إلوهيم" تعني: رسول الله.
٧. لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على المسيح حتى لو آمن اليهود بنبوته، لأنه لا توجد أي من العلامات أو الخصائص التي توقعها اليهود في هذا النبي المنتظر في المسيح عليه السلام، فاليهود كانوا ينتظرون مسيحاً له سيف وسلطة، كما أن المسيح رفض هذه الفكرة القائلة بأنه هو المسيح المنتظر الذي تنتظره اليهود.
٨. أن هذه النبوة قد تحققت حرفيا وعملياً في محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتعابير المجازية "الصولجان" و "المشرع" قد أجمع الشراح المعلقون على أن معناها السلطة الملكية والنبوة. وهذا يعني علمياً أنه صاحب الصولجان والشريعة، أو الذي يملك حق التشريع وتخضع له الشعوب.
٩. لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة في حق موسى، لأنه أول منظم لأسباط بني إسرائيل، ولا في حق داود، لأنه أول ملك فيهم.
١٠. لو تم تفسير "شيلوه" بـ "شالا" الآرامية فهي تعني: هادي ومسالم وأمين، وهذا يتفق مع تفسير "شله" العبرية. وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة هو الأمين، وهو محل الثقة، وهو المسالم الهادي الصادق. وبعد هذه المحاولات التفسيرية والترجمة ينتقل المهتدي عبد الأحد إلى إلزام الخصم بهذه النبوة ومدلولاتها وهي ما يلي:
١. أن الصولجان والمشرع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شيلوه لم يظهر.
٢. بموجب ادعاء اليهود في هذا "الشيلوه" فإن شيلوه لم يظهر، وأن الصولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط، وقد انقرضنا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

٣. أن سبط يهوذا اختفى مع سلطته الملكية وشقيقتها الخلافة النبوية، ومن الشروط الأساسية لظهور "الشيلوه" إبقاء السبط على وجه الأرض يعيض في أرض آبائه، أو في مكان آخر بصورة جماعية.
٤. اليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من الخيارين: إما التسليم بأن "شيلوه" قد جاء من قبل، وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه. أو أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجوداً، وهو السبط الذي ينحدر منه "شيلوه".
٥. أن النص يتضمن بصورة واضحة ومعاكسة جداً للاعتقاد اليهودي والنصراني – أن "شيلوه" غريب تماماً على سبط يهوذا وبقية الأسباط، لأن النبوة تدل على أنه عندما يجيء "شيلوه" فإن الصولجان والمشرع سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان "شيلوه" غريباً عن يهوذا، فإن كان "شيلوه" منحدراً من يهوذا فكيف ينقطع هذان العنصران من ذلك السبط، ولا يمكن أن يكون "شيلوه" منحدراً من أي سبط آخر، لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل كلها، وليس لمصلحة سبط واحد. وهذه الملاحظة الأخيرة تقضي على الادعاء النصراني في أن المسيح هو "شيلوه"، لأن المسيح منحدر من يهوذا من جهة أمه.
وقد أورد هذه البشارة النجار وقال إن المعنى: أن النبوة تبقى في سبط يهوذا – أكبر أولاد سيدنا يعقوب – حتى يأتي "شيلون" أي الإسلام، وتخضع له الأمم.
أولاً : بشارة سفر العدد: ما ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال: (انظروا كوكباً قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها) وقال المهتدي الإسكندراني: (ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره صلى الله عليه وسلم. حقا إنه كوكب آل إسماعيل، وهو الذي تغير الكون لمبعثه صلى الله عليه وسلم ، فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على أيدي أتباعه.
وقد حرف هذا النص في الطبعات المحدثة إلى: (يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم موآب، ويهلك من الوغى).
ثانياً: بشارات سفر التثنية:
البشارة الأولى: لما هُزمت جيوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله سبحانه وتعالى مستشفعاً بمحمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: (اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جيوش المؤمنين، فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد صلى الله عليه وسلم) وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: (اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته) ولا يمكن أن يكون هذا الدعاء – الذي في النص الأول – قد صدر من موسى عليه السلام ، لأنه ينافي كمال التوحيد.
البشارة الثانية: في الفصل الحادي عشر أن موسى قال لبني إسرائيل: (إن الرب إلهكم يقيم نبياً مثلي من بينكم، ومن إخوتكم فاسمعوا له) وقد ورد في هذا الإصحاح ما يؤكد هذا القول ويوضحه، وهو ما ورد في التوراة أن الله قال لموسى: (إني مقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم، وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك

الرجل باسمي أنا أنتقم منه) وتكاد أن تكون هذه البشارة محل إجماع من كل من كتب في هذا الجانب، وقد بين هؤلاء المهتدون كيف تنطبق هذه البشارة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الوجوه التالية:

١. اليهود مجمعون على أن جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل من بعد موسى لم يكن فيهم مثله. والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاص تتبعه عليه الأمم من بعده، وهذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه من إخوتهم العرب، وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وتبعته الأمم عليها، فهو كموسى، هذا فضلاً عن أن لفظه (من بينهم) الواردة في البشارة قد أكدت وحددت الشخص المراد.

٢. هذا النص يدل على أن النبي الذي يقيمه الله لبني إسرائيل ليس من نسلهم، ولكنه من إخوتهم، وكل نبي بعث من بعد موس كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام، فلم يبق رسول من إخوتهم سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٣. أن إسماعيل وذريته كانوا يسمون إخوة لبني إبراهيم عليه السلام، لأن الله قال في التوراة لهاجر – حسب رواية العهد القديم – عن ابنها إسماعيل: (بأنه قبالة إخوته ينصب المضارب) كما دعى إسحاق وذريته إخوة لإسماعيل وذريته.

٤. أن في هذه الآية إشارة خفية غير صريحة، فائقة الحكمة، لأن موسى لو كان قصد بالنبي الموعود أنه من بني إسرائيل، لكان ينبغي أن يقول بدلا من (من إخوتكم): منكم، أو من نسلكم، أو من أسباطكم، أو من خلفكم، وبما أنه ترك هذا الإيضاح، علمنا أنه قصد بهذه الإشارة أنه من بني إسماعيل المباينين لهم.

٥. إشتمل هذا النص على مفردة كافية للتدليل على أن هذه النبوة خاصة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله: "انتقم منه". وفي بعض الترجمات (وكل نفس لا تسمع لذلك النبي وتطيعه تستأصل). فهي تدل على أن من لا يسمع له ويطعه ينتقم منه ويستأصل. وهذا ينطبق تماماً مع حال المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن أن تنطبق على عيسى عليه السلام الذي طارده وحاربه اليهود، ولم يقع عليهم الإنتقام منه أو من أتباعه، وهذه المفردة كافية للتدليل على صدقها على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثالثة: جاء في الفصل العشرين: (أن الرب جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز، وحببهم إلى الشعوب، ودعا بجميع قديسيه بالبركة) وهذه البشارة كالتي قبلها كادت أن تكون محل إجماع وقبول ممن كتب في هذا الجانب.

وفاران هي مكة وأرض الحجاز، وقد سكنها إسماعيل، ونصت على ذلك التوراة (وأقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر) وإذا كانت التوراة أشارت إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل، لأنهم سكان فاران.

أما من توهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب جبل سيناء – فليس ظنه صحيحاً، لأن فاران تلك هي برية فاران كما أفادت عنها التوراة. وهنا ذكر جيلاً. ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار. ولفظة فاران عبرية تحتمل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل

ذو غار، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبل فاران الذي فيه المغارة. كما أن لفظة فاران مشتقه من فاري بالعبرية وعربيتها: المتجمل. أي المتجمل بوجود بيت الله. وهذه الجبال قد تجملت ببيت الله.

ومعنى جاء الرب: أي ظهر دينه ودعي إلى توحيده. كما أن لفظة "رب" هنا تقع على موسى وعيسى ومحمد وهي مستعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب رب البيت بمعنى صاحب البيت ويقول السريان لمن أرادوا تفخيمه "مار" ومار بالسريانية هو الرب.

وقد أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية ثم ترجمها إلى اللغة العربية ونص ترجمته هكذا: (جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب) وقال: (إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية صلى الله عليه وسلم.

وقد يقول قائل: إن موسى تكلم بهذه البشارة بصيغة الماضي فلا تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم. والجواب أن من عادة الكتب الإلهية أن تستعمل الماضي في معنى المستقبل، ألم تر أنه أخبر عن عيسى في هذه البشارة كذلك بصيغة الماضي، فإن قبلت هذه البشارة في حق عيسى فهي في حق محمد ادعى للقبول.

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن المعنى المراد منه المؤدي به إلى إتباع دينهم. وقد ربط المهتدي إبراهيم خليل بين هذه البشارة وبين صدر سورة التين واستنتج منه تطابقاً كاملاً في الوسيلة والتعبير.

البشارة الرابعة: لما بعث المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأظهر لهم المعجزات، نهض إليه عالم من علمائهم يقال له شمعون بلقيش وقال له: (لا نؤمن بك ولا نسلم لك فيما ادعيته، ولا فيما أتيت به، لأن موسى عليه السلام أخبرنا في شريعته عن الله عز وجل أن النبي المبعوث في آخر الزمان هو من نسل إسماعيل، وأنت من بني إسرائيل. واستدل على ذلك بقول موسى في التوراة: (لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى) وأفتوا بقتل عيسى عليه السلام. وعيسى لم يدع أنه مثل موسى، وإنما دعاهم إلى عبادة الله وحده، والعمل والتصديق بما في التوراة.

ثالثاً: بشارة إلياس:

ذكر المهتدي الإسكندراني أنه جاء في صحف إلياس عليه السلام أنه خرج في سياحته وصحبه سبعون رجلاً، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا هؤلاء الذين يملكون حصونكم العظيمة فقالوا: يا نبي الله ! ما الذي يكون معبودهم ؟ فقال عليه السلام: يوحدون الله تبارك وتعالى فوق كل منبر عال، فقال له أتباعه يا نبي الله ! من يدلهم على ذلك ؟ فقال: ولد يولد من نسل إسماعيل، اسمه مقرون باسم الله، حيث يذكر اسم الله تعالى يذكر اسمه. قال المهتدي الإسكندراني: ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم.

رابعا: بشارات المزامير:

البشارة الأولى: قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين: (من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد السيف أيها الجبار، لأن بهاءك وحمدك البهاء الغالب، وأركب كلمة الحق، وسميت التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونه، والأمم يخرون تحتك) وقد أورد هذه البشارة المهتدي الشيخ زيادة في البحث الصريح بصورة أطول من هذه، وكل الصفات الواردة في كلا النصين تنطبق تماماً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قول داود عليه السلام في المزمور الثامن والأربعين: (إن ربنا عظيم محمود جداً، وفي قرية إلهنا وفي جبله قدوس ومحمد، وعمت الأرض كلها فرحا) فقد صرح وأبان عن اسمه، وذكر مبعثه وهي أم القرى، ووصف حال الكون بعد مبعثه وهو الاستبشار والفرح، ألم تتلق الشعوب المغلوبة على أمرها جنوده بالفرح والاستبشار كما هو مدون في كتب السير والتأريخ. وقد حرف هذا النص في الطبعة التي بين يدي إلى: (عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا قدسه) وقد يتضح القصد من إبدال القرية بالمدينة، حتى تنطبق هذه البشارة على أنبياء بني إسرائيل المبعوثين في مدنهم. وقد أعماهم الله عن تحريف الجزء الأول منه فلله الحمد والمنة.

البشارة الثالثة: قول داود عليه السلام في المزمور الخمسين: (إن الله صهيون إكليلاً محموداً، فالله يأتي ولا يهمل، وتحرق النيران بين يديه، وتضطرم حواليه اضطراماً) وقال المهتدي الطبري تعليقاً على هذه البشارة: (أفما ترون أنه لا يخلى داود عليه السلام شيئاً من نبواته من ذكر محمد أو محمود، كما تقرءون، ومعنى قوله إكليلاً محموداً: أي أنه رأس وإمام محمد محمود، ومعنى محمد ومحمود وحميد شيء واحد في اللغة، وإنما ضرب بالإكليل مثلاً للربانية والإمامية) وقد حرف هذا النص إلى: (من صهيون كمال الجمال الله أشرق، يأتي إلهنا ولا يصمت).

البشارة الرابعة: قول داود في المزمور الثاني والسبعين: (إنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب، تأتيه ملوك تاريس والجزائر بالقرابين، وتقرّب إليه ملوك سابا القرابين، وتسجد له الملوك كلهم، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، ويفتقد الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وينجي أنفسهم من الضر والضيم، وتعز عليه دماؤهم، وأنه يبقى ويعطى من ذهب سبأ، ويصلى عليه في كل وقت، ويبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال، كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الأرض، ويدوم ذكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس، فالأمم كلهم يتبكون به، وكلهم يحمدونه) وقال المهتدي الطبري: (ولا نعلم أحداً يصلى عليه في كل وقت غير محمد صلى الله عليه وسلم) وغني هذا النص عن زيادة تعليق أو شرح، فلم تتحقق هذه الصفات متكاملة لنبي أو ملك قبل محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما تحققت له، وبمقارنة سريعة بين الآيات التي سأوردها وهذا النص يتضح التماثل التام بينهما، قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقال عز وجل: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا

سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأة فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار).

قد تضمن المزمور الذي وردت فيه هذه البشارة بعض الألفاظ التي لا تزال مشرقة وشاهدة وهي قول داود: (ويشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر) وهذا اللفظ يقع مباشرة قبل قوله: (إنه يجوز من البحر إلى البحر..) ولنفاسه هذا اللفظ أحببت إيراده. وقد ضُبطت لفظة "الصديق" بالشكل الذي نقلته، فهل بعد هذا الإيضاح يبقى إشكال لذي عقل؟ وقد ذكر صاحبه الصديق رضي الله عنه، وذكر سنة من سنن دينه وهي كثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، واضمحلال القمر تعبير عن الساعة يشهد له أول سورة التكوير والانفطار، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة أن يكون السلام على الخاصة.

البشارة الخامسة: قال داود في المزمور الحادي عشر بعد المائة: (قال يهوه لسيدي: اجلس على يميني إلى أن أجعل أعداءك مسنداً لقدميك) ويبرر المهتدي عبد الأحد داود إطلاق داود عليه السلام لهذا الوصف "سيدي" بما يلي:

١. أن داود كان ملكاً قوياً، ولا يتأتى أن يكون خادماً لأي كائن بشري.

٢. لا يمكن أن نتصور أنه كان يعني بهذا اللقب أحد الأنبياء المتوفين.

٣. لا يمكن لداود أن يدعو أحداً من سلالته "سيدي"، لأن اللقب المعقول حينئذ سيكون: يا بني.

٤. لا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو الذي عناه داود بسيدي، لأن المسيح قد استثنى نفسه من هذا اللقب بنص إنجيل برنابا.

أما الحجج التي احتج بها عبد الأحد على أن الموصوف بـ "سيدي" في هذا النص هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كالتالي:

١. أنه أعظم نبي، لأنه هو الذي نشر التوحيد، وقضى على الشرك، وطهّر الكعبة من الأصنام، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، إذاً ليس لداود فحسب، بل سيد الأنبياء ولا فخر.

٢. أن عيسى اعترف أنه لم يكن سيد داود، فلم يبق سوى محمد صلى الله عليه وسلم سيداً لداود.

٣. بمقارنة ما قدمه محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية مع ما قدمه كافة الأنبياء، نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمد صلى الله عليه وسلم وحده هو الذي يستحق هذا اللقب المميز.

٤. تفوقه صلى الله عليه وسلم في التنديد بالشرك والوثنية وبالثالوث النصراني.

٥. أن هذا التشريف قد تم ليلة المعراج.

البشارة السادسة: قول داود عليه السلام في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة: (من أجل أن الرب أتاح لشعبه وتطول على المساكين بالخلاص، فليتعزز الأبرار بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكرمون الله بحناجرهم، لأن في أيديهم السيف ذا الشفرتين للانتقام من الشعوب وتوبيخ الأمم، وإثقال ملوكهم بالقيود، وعليّتهم ومكرّميهم بالسلاسل، ليحملهم على القَدَر المكتوب المبرم، فالحمد لجميع أبراره) ألم

تحقق هذه النبوة في محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه؟ ألم يقل الحق عنهم: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أما قوله: ويكرمون الله بحناجرهم. فهذا من أخص خصائص هذه الأمة، وهو الأذان والإقامة والتكبير والتسبيح والذكر. وقال المهتدي الطبري معلقاً على هذه البشارة: (أما ترون – يهديكم الله – هذه الصفات خالصة للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته ؟ فهو الذي معه السيف ذو الشفرتين، وهو المنتقم بأمته من جبابرة فارس وطغاة الروم وغيرهم، وهو الذي قيّدت أمته الملوك، وساقت جلّتهم وأولادهم في السلاسل والأغلال).

البشارة السابعة: قول داود عليه السلام في المزمور الثاني والخمسين بعد المائة: (لترتاح البوادي وقراها، ولتصر أرض قيدار مروجاً، وليسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر، لأن الرب يجئ كالجبار، كالرجل المجرب المتلظي للتكبر، فهو يزجر ويتجبر، ويقتل أعداءه) قال المهتدي الطبري: (من قيدار؟ إلا ولد إسماعيل عليه السلام، وهم سكان الكهوف الذي يحمدون الرب ويذيعون تسابيحه في الهواجر والأسحار) ولم يختص أبناء إسماعيل بسكنى الكهوف، وإنما ذكر في هذه البشارة سكان البوادي والقرى والكهوف وقلل الجبال والجزائر إشارة إلى شمول رسالته صلى الله عليه وسلم كافة أرجاء المعمورة، ولجميع الأماكن الممكنة لسكنى البشر كالبوادي والقرى والكهوف والجزائر وقلل الجبال، وليس وراء هذه الأماكن ما ينفع لإقامة البشر فيها واتخاذها مسكناً.

البشارة الثامنة: قول داود عليه السلام: (طوبى لكم يا بني إسماعيل سيبعث منكم نبي تكون يده عالية على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده) وعلق الإسكندراني على هذه البشارة بقوله: (ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام لم يكن ظهر له ملك، ولا علت يده على إخوته، ولا نزل إلى الشام ولا سكن، ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمته هم الذين سكنوا بمساكن بني إسرائيل بمصر والشام) وهذه البشارة مماثلة للبشارة الأولى في سفر التكوين – وقد سبق إيرادها في هذا المبحث.

البشارة التاسعة: قول داود في المزمور: (عظموا الله يا كل الأمم، ووحدوا الله يا أهل الأرض، سيبعث لكم نبي الرحمة) فهل بعد هذا التصريح من تصريح؟ ومن غير محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ؟ .

خامساً : بشارات إشعياء:

البشارة الأولى: قول إشعياء في الإصحاح الأول: (اسمعي يا سموات، وقرّي يا أرض، ولماذا تقلقي؟ سيبعث عليك نبي به ترحمي) وهذه النبوة توافق النبوة الماضية في مزامير داود عليه السلام التي قال فيها: سيبعث لكم نبي الرحمة.

البشارة الثانية: قول إشعياء في الفصل الثالث: (إني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيراً، فيأتون سراعاً عجالاً، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، وقسيهم موترة، وحوافر خيلهم كالجلاميد صلابة، وعجلهم مسرعة مثل الزوابع، وزئيرهم كنهيم الليوث، وكشبل الأسد الذي يزأر وينهم للفريسة، فلا ينجو منهم ناج، ويرهقهم يومئذ مثل دوي البحر واصطكاكه، ويرمون بأبصارهم إلى

الأرض فلا يرون إلا النكبات والظلمات، وينكشف النور عن عجاج جموعهم) وقد استنبط المهتدي الشيخ زيادة من هذا النص الدلالات التالية:

١. هذه البشارة منطبقة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كل وجه، بدليل قوله رابع آية للأمم. ومحمد صلى الله عليه وسلم هو العلامة المرفوعة لسائر الأمم.
٢. أن قوله: من بلد بعيد، إشارة إلى أن هذه العلامة ترفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضح ذلك من قوله بعده: من أقاصي الأرض. فكأنه قال: إن أقصى أرض إسرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.
٣. نفى التعب والإعياء والنوم عن جيوشه، وإثبات السرعة، برهان ظاهر على أن المراد بهذه النبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الملائكة كانت تشارك في جيوشه، وهم الذين لا ينامون ولا يسأمون.. كما أن نفي النوم عنه يدل أيضا على نبينا، لأنه كان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماه.
٤. الشهادة لحوافر خيله بأنها مثل الصوان، مطابق لوصف الله لها في القرآن بقوله: (والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا) ولا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على عيسى عليه السلام، لأنه لم يكن له خيل.

ولعل المراد من قوله: وأصفر لهم من أقاصي الأرض فيأتون سراعاً عجالاً. هو النداء بالحج إلى بيت الله الحرام الوارد في قوله تعالى: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق). وعبر بالصفير عن النداء والأذان.

البشارة الثالثة: قول إشعياء في الفصل الخامس مفسراً ما تقدم من نبواته: (إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نوراً باهراً، والذين كانوا في الدجى وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب، ولم تستكثر بهم، فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم، لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان يستبعد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين وقال الطبري: (وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن وقال إنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).

وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته، فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك، ثم أضاء لها نور الوحدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة، كثر أتباعها، وفرحوا بانضمامهم إليها، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استبعاد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر.

البشارة الرابعة: قول إشعياء في الفصل الخامس: (إنه ولد لنا مولود، ووهب لنا ابن سلطانه على كتفه) هذا النص عن الترجمة السريانية، أما ترجمته عن اللغة العبرية فهو: (إن على كتفه علامة النبوة).

وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بالنص العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وكانت بصورة أطول مما ذكره الطبري هنا، واستنتج منها الأدلة التالية الدالة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي:

١. أن اسمه عجيب، فلم يتسم أحد بهذا الاسم الشريف من قبل.
٢. أنه من سلالة إسماعيل الذي لم يظهر منهم سواه.

٣. أن لفظه "عجيباً" التي تضمنتها البشارة قد وجدت في التوراة اليونانية "رسولاً" وهو الاسم المتغلب عليه صلى الله عليه وسلم.
٤. هذه النبوة تضمنت أن إشعياء سماه "مشاوراً"، ولم يكن أحد أكثر منه مشاورة لأصحابه صلى الله عليه وسلم.
٥. أن إشعياء قال عنه: "سيد سلام"، وهذا يدل على أنه رئيس الإسلام والمسلمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين. ولا تنطبق هذه الأوصاف على عيسى عليه السلام، لأنه لا توجد على كتفه علامة النبوة، ولم يكن اسمه عجيباً فقد سبقه من تسمى بمثل اسمه، ولم يأت بشريعة مستقلة.

والمقصود بهذه البشارة الإشارة إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه الشريف، وقد استفاضت كتب السنة والسيرة والدلائل بذكر خبره وصفته، وكذلك القصص والحوادث المتعلقة به كقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقصة بحيرا الراهب.

البشارة الخامسة: قول إشعياء في الفصل العاشر: (هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً، مقداً مثل الزعازع من الرياح، ورأينا منظراً رائعاً هائلاً ظالماً يظلم، ومنتهياً ينتهب ... ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فيدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيئة على المنظرة، ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل.. فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم). ويستنتج من هذا النص الدلالات التالية المؤكدة على أن المعنى بهذه البشارة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

١. أن إشعياء قال: ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية، لئلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأت أحد بهذه النوبة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد صلى الله عليه وسلم.
٢. أنه قال: (هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها). ولم تزل الأوثان تعبد في بابل حتى ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ، فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، واذعنوا لدين الله طوعاً أو كرهاً.
٣. إذا كان راكب الحمار ينطبق على المسيح، فليس في الدنيا راكب جمل أولى بهذه النبوة من محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار وراكب الجمل، ثم اتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه: (فرأى ركب رديف خيل، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل) وقال: هذه حال جيوشه صلى الله عليه وسلم، خلاف عساكر الملوك، لأن الملوك لا تركب جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال.

أما قوله: (ظالماً بظلم، ومنتهبا ينتهب). فقصد به الإمبراطورية الفارسية والرومانية.

البشارة السادسة: قول إشعياء في الفصل السادس عشر: (لتفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج البراري والفلوات، ولتخرج نوراً كنور الشسلبذ، ولتستر وتزه مثل الوعل، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمثل الدساكر والرياض، وسيرون

جلال الله عز وجل وبهاء إلهنا) وقد اشتملت هذه البشارة على ذكر بلده وحال أمته، وصرحت باسمه، وتضمنت ما وعدوا به من النظر إلى وجهه تعالى في الآخرة.
البشارة السابعة: قول إشعياء في الفصل التاسع عشر: (هتف هاتف في البدو وقال: خلوا الطريق للرب، وسهلوا لإلهنا السبيل في القفر، فستمتلئ الأودية كلها مياهاً، وتنخفض الجبال انخفاضاً، وتصير الآكام دكا دكاً، والأرض الوعرة ملساء، وتظهر كرامة الرب، ويراه كل أحد، من أجل أن الرب يقول ذلك). ولم تدع أمه من البادية وتكرم هذا التكريم سوى الأمة الإسلامية. وقد أول الطري الجبال والروابي في هذه البشارة على أنهم الملوك والجبابرة، وأن الأودية الواردة هنا حقيقية.
ولعل الأولى أن يتم تأويل هذه الأودية على معنى معنوي كما أول الجبال والآكام فيكون المقصود بفيضان الأودية بالماء هو انتشار الإسلام، وإشاعة العلم الشرعي الذي لا تستغني عنه الأمة، كما أنها لا تستغني عن الماء، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ما بُعث به بالغيث أصاب الأرض.
البشارة الثامنة: قول إشعياء في الفصل التاسع عشر: (من الذي نبه البر من المشرق، ودعاه إلى موطئ قدمه ليسلم إليه الأمم، ويذهل عنه الملوك، ويجعل سيوفه في عدد الثرى .. وقسيه في عدد الحزم المنثورة، فهو يغلبهم ويضرب وجوههم، ثم يحدث سلماً، ولا يطأ برجله سفراً). قال الطبري: (فإن الحجاز والعراق وما ولاها عند أهل الشام مشرق). ومعنى قوله من الذي نبه البر. لعله بمعنى من الذي نبه البار من المشرق، أو لعل المقصود بالبر الإيمان، كما جاء في قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر). أما بقية النص فهو متحقق في النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الذي سلمت إليه الأمم قيادها، وذهل منه الملوك، وكانت سيوفه بعدد الثرى، وهو الذي تغلب على الكفار وخذلهم، ولم تجتمع هذه الصفات لأحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
البشارة التاسعة: قول إشعياء في الفصل العشرين: (يا آل إبراهيم خليلي الذي قويتك، ودعوتك من أقاصي الأرض، ومن نجودها وعواليها، ناديتك وقلت لك: إنك عبدي وأنا اجتبيتك، ولم أستر ذلك، فلا تخف، لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك، وبيميني العزيزة البرة مهدت لك، ولذلك يبهت ويخزي المستطيلون عليك، ويضمحل ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك، ويبيد القوم المنازعون لك، وتطلبهم فلا تحس منم أثراً، لأنهم يبطلون، ويصيرون كالنسئ المنسي أمامك لأني أنا الرب قويت يمينك، وقلت لك لا تخف، فإني أنا عونك ومخلصك، هو قدوس إسرائيلل، يقول الله الرب: (أنا جاعلك مثل الجرجر الحديد الذي يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال، وتدقها، وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف، وتلوى به هوج الرياح، وتبتهج أنت حينئذ، وترتاح بالرب، وتكون محمداً بقدوس إسرائيل). وقد استبدل أول هذا النص بـ (وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته من نسل إبراهيم). كما استبدل آخره بـ (وأنت لتبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر).
وقد تقدم في البشارات السابقة أن أرض الحجاز واقعة في أقاصي أرض إسرائيل، أما قوله: (فلا تخف لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك). فهو متفق

مع قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس). أما قوله: (يبهت ويخزي المستطيلون عليك). فهو متفق مع قوله تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين) وقوله: (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) كما أنه متفق مع حال المناوئين له والمخالفين لأمره ممن كانوا أمما أو أفراداً. ومعنى قوله: (تدوس الجبال وتدقها) .. فقد سبق تأويل الجبال بالملوك والجبابرة، وقد سحقوا أمام جيوشه وجيوش أصحابه، وأصبحوا هشيماً تذروه الرياح.
وقال المهتدي الطبري: (وإن شغب شاغب فأكثر ما يمكنه أن يقول: إن تفسير اللفظة السريانية هو: أن يكون محموداً وليس بمحمد. ومن عرف اللغة وفهم نحوها لم يخالفنا في أن معنى محمود ومحمد شيء واحد).
البشارة العاشرة: قول إشعياء في الفصل العشرين: (إن المساكين والضعفاء يستسقون ماء ولا ماء لهم، فقد جفت ألسنتهم من الظمأ، وأنا الرب أجيب حينئذ دعوتهم، ولن أهملهم بل أفجر لهم في الجبال والأنهار وأجري بين القفار العيون، وأحدث في البدو آجاماً، وأجري في الأرض ماء معيناً، وأنبت في القفار البلاقع والصنوبر والآس والزيتون، وأغرس في القاع الصفصف والسرو البهية، ليروها جميعاً، وليعلموا ويتدبروا ثم يفهموا معاً أن يد الله فعلت ذلك، قدوس إسرائيل ابتدعه) وقد ذهب الطبري إلى أن الألفاظ الواردة في هذه النبوة على حقيقتها، فقال: (فأين لكم يا بني عمي المحيد عن هذه النبوة الواضحة الناطقة؟ وما عسيتم تقولون فيها؟ وقد سمى البلاد ووصف المعاطش والقفار البلاقع، وما فجر فيها من العيون، وأجرى من الأنهار، وغرس فيها من أنواع الأشجار، وسمي العطاش المساكين من أهل البوادي والحجاز..) ولكنني أرى أن المقصود بهذه الألفاظ هي المعاني المجازية التي يمكن تأويل هذه الألفاظ إليها استئناساً بقرينة الحال والواقع، لا أن المقصود بهذه الألفاظ المعاني الحقيقية، يؤكد ذلك أن الأرض التي أشرقت بنور الرسالة المحمدية لا تزال منذ أن سكنها إسماعيل عليه السلام إلى يوم الناس هذا واد غير ذي زرع، كما قال ذلك الخليل عليه السلام، فلم تنعم بالأنهار،ولم تتفجر فيها العيون، ولم تنبت الزيتون والآس. ولعل المراد من قوله: إن المساكين والضعفاء يستسقون ولا ماء لهم أن هذا كناية عن سؤالهم الله أن يغيثهم بالرسالة، ويزكيهم بالكتاب والحكمة وينزل على قلوبهم السكينة والطمأنينة، امتداداً لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام لما قال – كما أخبر بذلك الله عنه في محكم تنزيله -: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم).
وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة نصاً عن إشعياء يتضمن أن "دوما" – وهي إحدى البلاد التي عمرها أحد أبناء إسماعيل عليه السلام – تستغيث بلسان حالها إلى الله سبحانه وتعالى أن يرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم ، ليخرجها من الظلمات إلى النور. فعلى ذلك يتيسر تأويل بقية النص الوارد إلى المعاني المجازية، فيكون المراد بالأنهار والعيون، وازدياد الخير والنماء وتبدل حال القفار ... هو انتشار الرسالة، وعموم نور الإسلام، وكثرة العلماء والدعاة الذين يرد إليهم الناس لسؤالهم والاستفادة من علمهم الذي هو للروح كالماء للجسد. وقد يكون من حكمة الله أن تظل هذه النصوص بهذه الألفاظ، لأنها لو وردت ظاهرة لتلقفتها أيدي اليهود النصارى بالتحريف والتغيير.

وبناء على ذلك يكون هذا النص – سواء كان ظاهراً أم مؤولاً – دالاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه ذكر الضعفاء والمساكين في البادية العطشى بين الجبال والقفار، وقد كانت أمته قبل بعثته على هذه الحال من الضعف والمسكنة والبداوة والسكنى بين الجبال وفي القفار والأودية العطشى.

البشارة الحادية عشر: قول إشعاء في الفصل الحادي والعشرين: (لتسبحني وتحمدني حيوانات البر من بنات آوى حتى النعائم، لأني أظهرت الماء في البدو، وأجريت الأنهار في بلد أشيمون، لتشرب منها أمتي المصطفاة فلتشرب منه أمتي التي اصطفيتها) وما ورد في هذه النبوة يؤكد ما جاء في النبوة السابقة، ويؤكد أيضاً تأويل الماء بالرسالة.

البشارة الثانية عشر: قول إشعياء في الفصل الثالث والعشرين متحدثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: (اسمعي أيتها الجزائر، وتفهمي يا أيتها الأمم، إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، جعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وأحاطني بظل يمينه، وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنني لسره، وقال لي: إنك عبدي. فصرفي وعدلي قدام الرب حقا، وأعمالي بني يدي إلهي، وصرت محمداً عند الرب، وبإلهي حولي وقوتي) قال المهتدي الطبري: فإن أنكر منكر اسم محمد في الباب. فليكن محموداً، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً.

البشارة الثالثة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل للذي كانت نفسه مسترذلة مهانة، ولمن كانت الأمم تستخف به، وأتباع السلطان يهينونه، ستقوم له الملوك إذا رأوه، وتسجد له السلاطين، لأن وعد الله حق، وهو قدوس إسرائيل الذي انتخبك واختارك، وهو الذي يقول أجبتك عند الرضى، وترث تواريث الخرابات، وتقول للأسرى: أخرجوا وانفكوا، وللمحبسين اظهروا وانطلقوا.. ويتوافى القوم من بلد شاسع بعيد: بعض من جهة الجربياء، وبعض من البحر، وبعض من بحر سنيم. فسبحي أيتها السماء، واهتزي أيتها الأرض فرحاً، وابتهجي أيتها الجبال بالحمد، فقد تلاقى الرب شعبه، ورحم المساكين من خلقه) ولم تتحقق هذه المعاني مجتمعة إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت أمته قبل بعثته أمة مسترذلة مستضعفة، وببعثته صلى الله عليه وسلم أذعنت لهم الملوك، واستسلمت لهم الجبابرة، وقضوا على الإمبراطوريات القائمة، وحكموا البلاد والعباد.

أما قوله: (جعلتك ميثاقاً للشعوب). فهو متفق مع قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) والذي جاء مصدقاً لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه).

أما قوله: نوراً للأمم. فهو متفق أيضاً مع قوله تعالى: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون). وقوله تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها

يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) وقوله تعالى: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا).
أما قوله: (لتطمئن بك الأرض)، فهو مماثل لقوله تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب).
أما قوله: (وترث ثواريث الخرابات) فتستطيع أن تلمح منه وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف كما في قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ..). أما بقية هذه البشارة فهي تصوير لتوافد الأمة الإسلامية في موسم الحج، وإقامة شعائر الله في تلك البقاع الطاهرة المباركة..
البشارة الرابعة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين مخاطباً مكة وهاجر: (أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعا، ويخرج عنك من أراد أن يتحيّفك ويخرّبك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك، وانظري فإنهم يأتونك ويجتمعون عن آخرهم إليك يقول الله مقسماً باسمه: إني أنا الحي، لتلبسنهم مثل الحلة، ولتتزينين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقن عنك قفارك وخراباتك، والأرض التي ألجئوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهربن منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك: أيتها النزور الرقوب، إنه قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم. وهذه البشارة لا تتطلب الشرح والتعليق لوضوحها، كما أنها لا تقبل أن تؤول على غير مكة أو هاجر، فمن الذي تكفل الله بحمايتها غير مكة؟ ومن الذي تكاثر عددها ونسلها، وضاقت عنهم أرضها، سوى هاجر ؟؟.
البشارة الخامسة عشرة: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (هكذا يقول الرب: ها أنا رافع يدي على الأمم، وناصب لهم آية، وهي أن الناس يأتونك بأبنائك على أيديهم، ويحملون بناتك على أكتافهم وتكون الملوك ظؤوتك، وعقائل نسائهم مرضعاتك، ويخرون على وجوههم سجداً على الأرض، ويلحسون تراب أقدامك، وتعلمين حينئذ أني أنا الرب الذي لا يخزي الراجون لي لدى). وفي هذا النص تقرير لخضوع الأمم لهذه الأمة الإسلامية، فيكون أبناؤها وبناتها خدماً لأبناء الأمة الإسلامية، وتكون نساؤهم مرضعات لأطفال المسلمين، وقد حدث ذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية التي أثمرت عن انتشار الرقيق من سبايا الكفار، كما أن في قوله: (ويلحسون تراب أقدامك). تصوير لحال الصغار والذل الذي يلازم دافع الجزية كما في قوله تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). وقد وافق إشعياء داود في هذه النبوة، ولم لا، والمصدر واحد، والموضوع واحد، والوصف واحد، وهو قوله: (ويلحسون تراب أقدامك).
البشارة السادسة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (من الذي أقبل من أدوم؟ وثيابه أشد حمرة من البسر، وأراه بهياً في حلله ولباسه، عزيزاً لكثرة خيله وأجناده، وإني أنا الناطق بالحق والمخلص للأقوام، وإن لدينا ليوم الفتنة نكلاً، ولقد اقتربت ساعة النجاة، وحانت ساعة تخليصي، لأني نظرت فلم أجد من يعينني،

وتعجبت إذ ليس من ينيب إلى رأيي، فخلصني عند ذلك ذراعي، وثبت بالغضب قدمي، ودست الأمم برجزي، وأشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي، ودفنت عزهم تحت الأرض). تورد هذه النبوة بعضاً من صفاته صلى الله عليه وسلم في هيبته وجلاله، وطرفاً من ذكر بهائه، وإشارة إلى كثرة خيله وأجناده، وأن بمقدمه تتخلص الأقوام من قيد العبودية لغير الله، وتقترب ساعة نجاتها، كما تضمنت هذه النبوة صفة البشرية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وأنها لا تسمع لكلام الله، ولا تنصر المؤمنين به، فاستحقت بذلك غضب الله ومقته، فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم عقاباً لأمم الكفر، إذ ناصبهم العداوة، وشهر السيف في وجوههم، وأرغمهم على الإذعان له، ودفن مجد الكافرين تحت الأرض.

وقد يقول قائل: إن هذه البشارة ذكرت أنه أقبل من أدوم. ومحمد صلى الله عليه وسلم كان في أرض الحجاز، فلا تنطبق عليه هذه النبوة. والجواب على ذلك: أن الصفات الواردة في بقية النبوة لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، أما قوله: أقبل من "أدوم" فمن المعلوم أن المتحدث في هذه البشارة هو أحد أنبياء بني إسرائيل المقيمين في أرضها، و"أدوم" إقليم يقع بين الحجاز وفلسطين، إذ القادم من الحجاز إلى فلسطين لا بد أن يعبر من خلال "أدوم"، ويجب أن لا نغفل أن المتحدث – وهو إشعياء – يتحدث عن أمر غيبي مستقبلي فلا يمكن إذاً أن يقول: من الذي أقبل من الحجاز. لأنه سيقال له: أين منا الحجاز ؟؟. ولكنه يتحدث عن هذا النبي القادم بيقين لا شك فيه، حتى لكأنه يراه في أطراف أرض إسرائيل فيقول لهم: من هذا الذي أقبل من أدوم؟؟ وهو على يقين منه، لأنه ذكر صفاته، ولكنه طرح الخبر بصيغة التساؤل حتى تستشرف النفوس، وتهفو الأرواح للقائه.

البشارة السابعة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين عن الله عز وجل أنه قال مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: (إني جعلت اسمك محمداً، فانظر من محالك ومساكنك يا محمد، يا قدوس، .. واسمك موجود منذ الأبد) فذكر اسمه مرتين في هذه النبوة، وهذه مماثلة لما ورد في نبوة داود عليه السلام عنه في المزامير من قول داود: (في جبله قدوس ومحمد). فليس وراء هذا مجل لمدع أن يتمحل أو يجادل. وقال الطبري: (إن القدوس في اللغة السريانية: الرجل البر الطاهر ... فإن غالط مغالط فقال: (يا محمد يا قدوس)، إنما يقع على المساكن التي ذكرها. فإن الكتاب السرياني يكذبه، لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال: يا قدوسين ومحمدين. ولم يقل قدوساً ومحمداً.

البشارة الثامنة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (اعبروا اعبروا الباب، وردوا الطريق على الأمة، وسهلوا السبيل وذللوها، ونحوا الحجارة عن سبيلها، وارفعوا للأمة علماً ومناراً، فإن الرب أسمع نداءه من في أقطار الأرض، فقل لابنه صهيون إنه قد قرب مجيء من يخلصك، وأجره معه، وعمله قدامه، ويسمون شعباً طاهراً، يخلصهم الرب، وتسمين أنت أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها ولم يخذلها ربها) وهذه البشارة شاهدة ومؤكدة للبشارة السابقة لإشعياء التي سبق إيرادها تحت مسمى البشارة التاسعة.

ويماثل قول إشعياء أسمع نداءه من في أقطار الأرض. قوله صلى الله عليه وسلم عن هذا الدين: (لا يبقي على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو بذل ذليل: إما يعزه الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم الله فيدينون لها.
أما قوله: فقل لابنة صهيون إنه قد قرب مجيء من يخلصك. فهو شاهد على أن هذا المخلص هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه ذكر شيئا من صفاته، وهو أن أجره معه فهو لا يبتغي على رسالته أجراً من أحد سوى الله، كما أنه لا يعمل لدنياه بل يعمل لآخرته فعمله أمامه، ولم تتخلص ابنة صهيون – ولعل ذلك تعبير عن بيت المقدس – من ربقة السيطرة اليهودية، وضلال الوثنية النصرانية إلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهو الذي ألبسها حلة الإيمان، وكساها رونق التوحيد، وكشف عنها ستار الجهالة. ويؤكد اختصاص هذه الأمة بهذه البشارة قوله: (ويسمون شعبا طاهراً ... وتسمين أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها). فذكر حالهم وهو الطهارة، ولعنايتهم به جعله اسماً لهم، وهذا موافق لقوله r: (أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء). وأشار إلى موطنهم وهو مكة، فهي القرية وهي أم القرى.
البشارة التاسعة عشر: قول إشعياء في الفصل السادس والعشرون مخاطباً هاجر عليها السلام: (سبحي أيتها النزور الرقوب، واغتبطي بالحمد أيتها العاقر، فقد زاد ولد الفارغة المجفية على ولد المشغولة الحظية. وقال لها الرب أوسعي مواضع خيامك، ومدي ستور مضاريك، لأنك لا تنفسي ولا تضني، بل طوّلي أطنابك، واستوثقي من أوتادك، من أجل أنك تتبسطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة اليبات). فذكر حال هاجر عليها السلام. وبشر هاجر بهذه الآمال العظيمة التي تستحق الحمد والشكر والاغتباط، وما ينتظر ذريتها من التوسع والسيطرة والغلبة على سائر الأمم، وبمقارنة هذا الوعد الذي وعد به إشعياء هاجر عليها السلام – مع الفتوحات التي تحققت للأمة الإسلامية على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أنه قد تحقق فعلاً، وليس بعد شهادة الواقع وتصديقه لهذه النبوة مجال لمجادل أن يجادل أو يغالط فيدعي أن هذه البشارة لا تصدق هنا، وأنها دالة على قوم آخرين .. ويكفي في هذه النبوة حجة ودليلاً أنه نص على أن أبناء المجفية قد زادوا على أبناء المشغولة الحظية، ومن المجفية إلا هاجر؟ ومن الحظية إلا سارة؟. ولم تحصل هذه الزيادة، ولم تتحقق هذه الغلبة إلا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.
البشارة العشرون: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين مخاطباً هاجر عليها السلام: (أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهموم التي لم تنل حظوة ولا سلوا، إن جاعل حجرك بلوراً .. ويعرفني هنالك جميع ولدك ولا ينكرونني، وأعلم أبناءك بالسلم، وتكونين مزينة بالصلاح والبر، فتنحي عن الأذى والمكارة، لأنك آمنة منها، فانحرفي عن الانكسار والانخذال فلن يقرباك، ومن انبعث من بين يدي فإليك يكون وفيك حلوله، وتصيرين وزراً وملجأً لقاطنيك وساكانك). قال الطبري: (فأي شهادة أعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونه ولا يجهلونه؟ وأنه صيّر بلدهم وزراً وملجأً للناس، أي حرماً آمناً).

البشارة الواحد والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (يا معشر العطاش توجهوا إلى الماء والورود، ومن ليس له فضة فليذهب ويمتار ويستسقي ويأكل من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن). قال المهتدي الطبري: (فهذا من نبوة إشعياء دال على ما أنعم الله به على ولد هاجر من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى أنهم صائرون إلى ما وعدهم الله تعالى في الآخرة من أنهار من خمر، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين. فانظروا إلى هذه المشاكلة والموافقة التي بين النبوتين جميعاً). وهذا إشارة منه إلى قوله تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم).

البشارة الثانية والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (إني أقمتك شاهداً للشعوب، ومدبراً وسلطاناً للأمم، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً، من أجل الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب، فإذا عرفتموه فاستجيبوا له، وإذا قرب منكم فليرجع عن خطيئته، والفاجر عن سبيله، وليرجع إليّ لأرحمه، ولينب إلى إلهنا الذي عمّت رحمته وفضله) قال الطبري: (فقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم باسمه، وقال: إن الله جعلك محمداً. فإن آثر المخالف أن يقول: ليس بمحمد، بل محمود وافقناه فيه، لأن معناهما واحد).

أما قوله: (أقمتك شاهداً للشعوب). فهو مماثل لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) وقوله عز وجل: (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس). وقوله عز من قائل: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً).

أما قوله: سلطاناً للأمم. فيحتمل أن يكون المراد منه المعنى المتبادر للذهن وهو السيادة والقيادة، وقد تحققت له هذه على الأمم في حياته وحياة أصحابه. ويحتمل أن يكون المراد منه أنه سلطان بمعنى حجة على الأمم، لأن السلطان في لغة التنزيل تأتي بمعنى حجة.

وأما قوله: (لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم). فقد تحقق ذلك بإرساله صلى الله عليه وسلم الرسل والكتب إلى الملوك كهرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم ممن لا يعرفهم كما هو مشهور في كتب السنة والسيرة.

وأما قوله: تأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً. فمصداق ذلك في انضواء الأمم التي لم تكن تعرفه من قبل، والتي لا تعد ولا تحصى تحت لوائه، والإذعان لأمره. كما أن هذه البشارة لا تنطبق على الأنبياء قبله، لأنهم دعوا أقوامهم وهم يعرفونهم، واستجابت لهم الأمم التي تعرفهم، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا من لم يعرفه، واستجاب له من لا يعرفه.

وبقية النص تتعلق بالرحمة والمغفرة والتوبة، وهي معان ظاهرة في شريعته، أظهر من الشمس في رائعة النهار، ولا يمكن أن تكون هذه البشارة دالة على اليهودية أو على النصرانية لما يأتي.

١. أن اليهودية تعتقد أنها دين خاص ببني إسرائيل، وهذه البشارة قد تضمنت أنه يدعو الأمم ، وتأتيه الأمم، وهذا يناقض اعتقادها.
٢. أن هذا النص تضمن أن صاحب هذه الرسالة يبشر بالتوبة والمغفرة والرحمة، وهذا يخالف اعتقاد اليهود والنصارى: فاليهود تعتقد أن من حق الكاهن المغفرة ومحو الخطايا كما أن النصرانية تعتقد أن البشرية كانت مثقلة بالخطيئة الموروثة التي رفعت عنهم بعد صلب المسيح – كما زعموا – ثم غفلت النصرانية عن كونها محت الخطيئة الموروثة فمنحت رجال الدين حق مغفرة الخطايا.
٣. المسيحية ديانة خاصة ببني إسرائيل، لأن المسيح عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل حيث يقول لتلاميذه: (إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

البشارة الثالثة والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين عن الله سبحانه وتعالى أنه قال: (إني أقسمت بنفسي وأخرجت من فمي كلمة الحق التي لا خلف لها ولا تبديل، وإنه تخرّ لي كل ركبة، ويقسم بي كل لسان، ويقولون معا: إن النعمة من عند الرب). قال المهتدي الطبري: (فمن هذه الأمة التي تقسم باسم الله؟ ومن ذا الذي يخر على الركب لاسم الفرد الواحد، ويحدث بنعم الله صباحاً ومساء، ويفرده بالدعاء والابتهال غير هذه الأمة ؟ فأما جماعة النصارى فإنهم ينسبون النعم إلى المسيح).

البشارة الرابعة والعشرون: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (إن الله نظر ولم ير عدلاً، وأنكر ذلك، ورأى أنه ليس أحد يعين على الحق، فعجب الرب منه، وبعث وليه فأنقذه بذراعه، ومهد له بفضله، فاستلأم العفاف كالدرع، ووضع على رأسه سنور الإعانة والفلح، ولبس لباس الخلاص، لينتقم من المبغضين له والمعادين، ويجازي أهل الجزائر جزاءهم أجمعين، ليتقي اسم الله في مغارب الأرض، وليخشع في مشارقها لجلاله) وفي هذه النبوة تصوير لواقع البشرية قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام، كما أن فيها إشارة إلى اختيار الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ووصفاً لجهاده صلى الله عليه وسلم الكافرين والمعاندين، وبياناً للنتيجة التي تحققت على يديه وهي: دخول الأمم في دين الله أفواجاً، حتى شمل ذلك المشرق والمغرب.

البشارة الخامسة والعشرون: قول إشعياء مخاطباً هاجر عليها السلام وبلادها وهي مكة: (قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخللت الأرض الظلام، وغطي على الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقاً، وتظهر كرامته عليك، وتسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك وتأملي، فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك، ويأتيك ولدك من بلد بعيد، وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المربلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، ويساق إليك كباش مدين وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها، وتخدمك رخلات نبايوت، ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً). فذكر هاجر وذكر البلد، وصرح بالحج وما يصاحبه من توافد الأمم، وسوق الهدي، كما

صرح بأسماء بعض هذه الأمم الوافدة إلى الحج كأهل سبأ ومدين وغيرهما. أما قوله: (قيدار ونبايوت). فقال الطبري: هما من أولاد إسماعيل عليه السلام.
البشارة السادسة والعشرون: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (سيترجاني أهل الجزائر، ومن في سفن تارسيس كما فعلوا من قبل، ويوردون عليك أبناءك من بلد بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم، من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك وأكرمك، ويبني أبناء الغرباء سورك، وملوكهم يخدمونك، وتفتح أبوابك في كل وقت وأوان من آناء الليل والنهار فلا تغلق، ويدخل إليك أرسال الأمم، ويقاد إليك ملوكهم أسرى، لأن كل أمة ومملكة لا تخضع لك تتبدد ستورها، وتصطلم الشعوب بالسيف اصطلاماً، وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن أبهلها ليبخر به بيتي، ويعظم به موضع قدمي ومستقر كرامتي، وتأتيك أبناء القوم الذين كانوا يذلونك، ويقبل آثار أقدامك جميع من كان يؤذيك ويضطهدك، وأجعلك كرامة إلى الأبد، وغبطة وفرحاً إلى دهر الداهرين، وسترضعين ألبان الشعوب، وستصيبين من غنائم الملوك، وتتمززين من غاراتك عليهم ... وأجعل السالمة مدبرك، والصلاح والبر سلطانك، ويكون الرب نورك ومصباحك إلى الأبد). فلم تتحقق هذه الصفات مجتمعة إلا لهذه الأمة الإسلامية، فتغلبت على الأمم، وقادت ملوكهم أسرى، وتبدد من أمامها الأمم التي لم تذعن لها. وكتب الله لها الغلبة والظهور إلى قيام الساعة وهو ما أشار إليه أشعياء في قوله: إلى دهر الداهرين .. إلى الأبد. وهو مماثل لقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض). وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون).
البشارة السابعة والعشرون: قال إشعياء في الإصحاح الثاني والأربعين: (إن عبدي المجتبى عندي، ابن حبيبي اخترته وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة).
وقد أورد المهتدي الترجمان وغيره هذا النص بصورة أطول، واشتمل على صفات هي ألصق بمحمد صلى الله عليه وسلم من غيره وهو قوله: (إن الرب سبحانه وتعالى سيبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه، ويبعث له الروح الأمين، يعلمه دينه، ويعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل، وما يقول للناس هو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا فيها، وعليها رقود، وقد عرّفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون). فمحمد صلى الله عليه وسلم هو المبعوث في آخر الزمان، وهو الذي نزل عليه الروح الأمين، وهو الذي حكم بين الناس بالعدل وأخرجهم من الظلمات إلى النور.
البشارة الثامنة والعشرون: قول إشعياء في الإصحاح الثاني والأربعين: (لترفع البرية ومدنها صوتها، والديار التي سكنها قيدار، ولتترنم سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا ليعطوا مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر الرب كالجبار، يخرج كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ على أعدائه). تضمن هذا النص الإشارة إلى مساكن العرب وهم ذرية قيدار أحد أبناء إسماعيل عليه السلام، والتصريح بذكر جبال المدينة المنورة وهو سالع، إذاً فلا تقبل هذه البشارة أن تنطبق على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقبل الانتقال إلى نبوات إرميا لا بد لي من الإشارة على أن النبوات التي أوردها إشعياء تكاد أن تأخذ طابعاً معيناً وهو: المباشرة في الطرح والتصريح بذكر الأسماء كمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإسماعيل، ومكة والعرب، أو الإشارة إلى صفته وصفات أمته وأصحابه كذكر الدروع والسيوف والجهاد .. كما مر سابقاً.

سادساً: بشارات إرميا:

البشارة الأولى: خاطب الله بها النبي صلى الله عليه وسلم على لسان إرميا في الفصل الأول فقال: (من قبل أن أصورك في الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من البطن قدستك، وجعلتك نبياً للأمم، لأنك بكل ما آمرك تصدع، وإلى كل من أرسلك تتوجه، فأنا معك لخلاصك، يقول الرب: وأفرغت كلامي في فمك إفراغاً، فتأمل وانظر، فقد سلطتك اليوم على الأمم والمملكات، لتنسف وتهدم وتتبر وتسحق، وتغرس من رأيت) قال المهتدي الطبري عن هذه البشارة: (هي شبيهة بنبوات إشعياء وغيره) وهو يقصد قول إشعياء: (إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم) وهذه هي البشارة الرابعة عشرة من بشارات إشعياء حسب ترتيب هذا البحث.

ويتفق أول هذه البشارة مع قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بالحق مصدقاً لما معهم بدليل قوله تعالى عنه: (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) وقوله تعالى: (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه).

أما قول إرميا: (لأنك بكل ما أمرك تصدع). فيصدقه قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين). ويشهد لقوله: (وأفرغت كلامي في فمك). قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى). وبقية النص متوافق مع البشارات التي تحدثت عن جهاده صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قال إرميا في الفصل التاسع عشر مخبراً عن الله عز وجل أنه قال: (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلهاً، ويكونون لي شعبا، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له أعرف الرب، لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنوبهم، ولا أذكرهم بخطاياهم). قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: (وقد صدق وعد الله، وازدرع حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به). واقرأ قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). وقوله عز من قائل (والذين آمنوا أشد حبا لله)، وقوله عز وجل: (يحبهم ويحبونه) وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في هذه النصوص من صفات خيّرة مباركة، فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان إرميا.

البشارة الثالثة: قول إرميا في الإصحاح الثامن والعشرين: (النبي الذي تنبأ بالسلام، فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الله أرسله حقاً). هذه النبوة أوردها

المهتدي عبد الأحد داود بالمعنى، ويرى أنها بمعنى: (إن النبي الذي تدور نبوءاته حول الإسلام "شالوم" عند ورود كلمة النبي، ذلك النبي المعروف أنه المرسل من قبل الله الحق) وبعد دراسته للنص السابق خرج منه بالنتائج التالية:

١. أنه لا يمكن أن يكون النبي صادقاً إلا إذا بشر بدين الإسلام ونشره، (إن الدين عند الله الإسلام).

٢. من الحقائق المسلّم بها أن كلمة "شالوم" العبرية و "سلام" السريانية و "إسلام" العربية كلها من نفس الجذر السامي "شلام" وتحمل نفس المعنى، وهذا أمر يعترف به جميع علماء اللغات السامية، وفعل "شلام" يدل على الخضوع أو الاستسلام، ولا يوجد نظام ديني في العالم يحمل اسماً أو وصفاً أفضل وأشمل من الإسلام. فالدين الحق لله الحق.

٣. أن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح عليه السلام الذي استخدم كلمة "شالوم" بمعنى الدين، وهو النبي الوحيد الذي يستخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق أحد من رسل الله. أي أن إرميا هو الوحيد قبل المسيح الذي جعل الإسلام هو المقياس الذي يعرف من خلاله النبي الصادق من الكاذب، وإلا فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكافة الرسل عليهم السلام كانوا مسلمين، واتخذوا الإسلام ديناً.

٤. أن دين الإسلام – أي الإسلام – هو وحده القادر على تحديد الخصائص المميزة للنبي الصادق من النبي الكاذب، كما أنه لا يوجد في العالم دين يتبنى ويدافع عن هذه الوحدانية المطلقة سوى الإسلام.

البشارة الرابعة: قال إرميا في الفصل الثاني والثلاثين مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم: (اعدوا لي آلات الحرب، فإني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها وأبدد بك الطغاة والولاة، وأجازي بابل، وجميع سكان بلاد الكلدانيين بجميع أوزارهم التي ارتكبوها. هذا قول الرب). وبمقارنة النهاية التي آلت إليها الإمبراطورية الفارسية على أيدي المسلمين بما ورد في هذه النبوة، نجد أن هذا الوعد لهذه الأمة الإسلامية، وذلك الوعيد المتوعد به الأمة الفارسية قد تحقق فعلا، وأقامه الله شاهداً من شواهد التاريخ مصدقاً لما وعد الله به المؤمنين على ألسنة رسله وأوليائه.

سابعاً: بشارة حزقيال:

قال حزقيال في الفصل التاسع: (إن أمّك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان كالعصى قوية مشرفة على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت وبسقت أفنانهن على غيرهن، وحسنت أقدارهن بارتفاعهن والتفاف سعفهن، فلم تلبث الكرمة أن قلعت بالسخط، ورمى بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمارها، وتفرق قواها، ويبس عصي عزها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند ذلك غرس في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان). فتأمل ما في هذا النص من بلاغة في التصوير، ودقة في التعبير، فشبه الأمة اليهودية إبان عزها وسؤددها – لما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء – بالكرمة الحسنة، وبعد أن نزعت منها النبوة، وأغضبت ربها استأصل شأفتها، واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها.

واستبدل الله بها أمة هي خير أمة أخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هذه الشجرة الأغصان الفاضلة التي قضت على تلك الشجرة الأولى ولم تبق فيها عصا ولا قضيباً. وهذا حال الأمة اليهودية والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسع نفوذها، حتى شمل بلاد بني إسرائيل وغيرها.
البشارة الأولى: قال دانيال في الإصحاح السابع: (إن ملكوت الله وعظمة المملكة الممتدة تحت رقعة السماء كلها سوف تعطي لعباد الله تعالى وأوليائه. وسيكون ملكوتهم هذا مملكة أبدية، تخدمها جميع الممالك الأخرى، وتعمل بطاعتها) إن هذه البشارة لتدل بوضوح على أن في الإسلام توجد وحدة لا انفصام لها بين الدين والدولة. فالإسلام ليس ديناً فحسب، بل أيضاً المملكة الدنيوية. ولا بد من إلقاء نظرة خاطفة على التدرج التأريخي لهذا الملكوت حتى بلغ غايته، واكتمل بناؤه على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا التدرج هو كما يلي:
١. أن الإسلام قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم تمثله دولة تحكم باسمه وتدافع عنه، وإنما كان الإسلام ديناً قائماً في حياة الأقوام التي آمنت به، ولم تقم له دولة في حياتهم، بل كان السلطان والقوة في أيدي الكفرة الوثنيين، في العموم الغالب، ويستثنى من ذلك فترات حكم كل من سليمان وداود ويوشع عليهم السلام.
٢. إن المسيح عليه السلام قد بشر تلاميذه باقتراب ملكوت الله. وهذا الملكوت يعني وجود دين ومجتمع قوي من المؤمنين بالله، وهذا المجتمع يتسلح بالإيمان بالله وبالسيف لقتال أعدائهم الذين يريدون أن يحولوا بينهم وبين تبليغ كلمة الله إلى البشرية، أو بمعنى أوضح: إن ملكوت الله هو الإسلام. إذاً فالمسيح عليه السلام بشر تلاميذه باقتراب ظهور الإسلام على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكد لليهود أن النبي الذي تنتظره اليهود ليس يهودياً، ولا من نسل داود عليه السلام، بل هو من نسل إسماعيل عليه السلام واسمه أحمد، وسيقيم الدولة الإسلامية وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، وهذه الدولة مؤيدة بنصر الله ثم بسواعد المجاهدين في سبيله.
٣. طبيعة هذا الملكوت وتكوينه: يتألف هذا الملكوت من المؤمنين بالله الذين يلازمهم ذكر الله سبحانه وتعالى في كل أحوالهم، فلا يقومون بأي عمل إلا ويبدءونه بذكر الله، ويحمدونه بعد الانتهاء منه.
وطبيعة هذا الملكوت أنه يتكون في جوهره من شقين: الأول: دين صحيح قائم على وجه الأرض وفق المنهج الذي ارتضاه الله في كتابه القرآن. والثاني: دولة إسلامية تقوم على هذا المنهج ويتصف المؤمنون بهذا المنهج بما يأتي:
أ) أنهم يكونون أمة واحدة تربطهم أخوة واحدة هي أخوة الدين.
ب) أنهم كما وصفهم دانيال: جماعة القديسين. وهذه صفة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار وعلى سائر المؤمنين بالله.
٤. ديمومة هذه المملكة ورفعة شأنها: هذه الحقيقة أكدها دانيال بقوله: إن جميع الأمم تحت قبة السماء تخدم شعب الأبرار العامل بطاعة الله. ولم تتحقق هذه الصفة – وهي خدمة الأمم – إلا للأمة الإسلامية التي خدمتها الأمم في مشارق الأرض ومغاربها. ومن دواعي استمرار هذه الأمة وديمومتها أنها لا تعرف التمييز الطبقي

في تشريعاتها بين أفرادها فالكل سواء أمام شرع الله، لا فرق بين الأبيض والأسود أو بين الحاكم والمحكوم.

البشارة الثانية: قال دانيال: (طوبى لمن أمل أن يدرك الأيام الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين). قال المهتدي الطبري: (فأعملت فيه الفكر فوجدته يوحي إلى هذا الدين، وهذه الدولة العباسية خاصة، وذلك أنه لا يخلو دانيال من أن يكون أراد بهذا العدد: الأيام والشهور والسنين، أو سرا من أسرار النبوة بخرجه الحساب. فإن قال قائل: إنه أراد به الأيام. فإنه لم يحدث لبني إسرائيل، ولا في العالم بعد أربع سنين فرح ولا حادثة سارة، ولا بعد ألف والثلاثمائة وخمسة وثلاثين شهراً، فإن ذلك مائة وإحدى عشر سنة وأشهر. فإن قالوا: عني به السنين. فإنما ينتهي ذلك إلى هذه الدولة، لأن من زمن دانيال إلى المسيح نحواً من خمسمائة سنة... ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسية منذ ثلاثين سنة، أو يزيد شيئاً).

وبمقارنة هذا التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري تكون السنة التي أشار إليها هي سنة ٢٥٣هـ تقريباً. ولعل في هذه البشارة سراً عجيباً وهو الإشارة إلى بلوغ الدولة الإسلامية غاية مجدها، وكمال سيطرتها، ونهاية فتوحاتها.

ثامناً: بشارات هوشاع:

البشارة الأولى: قول هوشاع: (قال الرب: إني أنا الرب الإله الذي رعيتك في البدو، وفي أرض خراب قفر غير مأهول، ليس بها أنيس). قال المهتدي الطبري: فلسنا نعرف أحداً رعاه الله في البدو، وفي أرض قفر غير النبي صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قال هوشاع يصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم: (إنها أمة عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون، وإن النار تحرق أمامها، وتتوقد خلفها الضرائر). ولم تنل أمة من العز والمنعة والسلطان في فترة طويلة وعلى رقعة واسعة كما نالت الأمة الإسلامية.

تاسعاً : بشارة ميخا:

قال ميخا: (إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنياً على قلال الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أمم كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع جبل الرب). ويرى الطبري أن هذا النص يتضمن صفة مكة. بينما يرى الترجمان أن الجبل المشار إليه هو جبل عرفات، وأن الأمة المشار إليها في النص الذي أورده الترجمان هي الأمة الإسلامية. وعلى كلا الحالين فهذه النبوة شاهدة ومبشرة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومبينة صفة أمته، ومشاعر ملته.

وقد حرف آخر هذا النص في الطبعة التي بين يدي فصار هكذا (... هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب من طرقه، ونسلك في سبيله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب). وقد أعماهم الله عن تحريف أول هذا النص، حتى يبقى شاهداً على الحقيقة، دالاً على النبوة. وقد توقع المهتدي الطبري مثل هذا التحريف فقال: عني بيت المقدس. فكيف يصح له ذلك ؟ وقد بين الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجوداً، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث، لا على ما كان ومضى).

عاشراً : بشارة حبقوق:

قال حبقوق: (إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل فاران. لقد انكسفت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، ويكون شعاع منظره مثل النور، يحوط بلده بعزه، وتسير المنايا أمامه، وتصحب الطير أجناده. قام فمسح الأرض، ثم تأمل الأمم وبحث عنها، فتضعضعت الجبال القديمة، واتضعت الروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعي القديمة، وغضب الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار، واحتدام صولتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسيك إغراقاً وترعاً، وترتوي السهم بأمرك يا محمد ارتواءً، وتحرث الأرض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شئبوب السيل، ونعرت المهاوي نعيراً ورعياً، ورفعت أيديها وجلاً وخوفاً، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك، تدوخ الأرض غضباً، وتدوس الأمم رجزاً، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ شريعة آبائك). هذا النص أورده المهتدي الطبري بهذه الصيغة، وورد لدى كل من الشيخ زيادة، والترجمان، وإبراهيم خليل أحمد: بصور مختلفة طولاً وقصراً، مع اختلاف يسير في العبارات، واتفاقهم على محتوى السطر الأول. واتفق أيضاً كل من الترجمان والشيخ زيادة وإبراهيم خليل على أن المراد بجبال فاران هي جبال مكة. وأشار الطبري والشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة موسى عليه السلام الواردة في سفر التثنية وهي قوله: (جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألأ من جبال فاران). كما أشار الشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة أشعياء التي ذكر فيها أن حوافر خيله مثل الصوان الذي ينبعث منه الشرر. وقد سبق الحديث عنهما. وأكد المهتدي الطبري والشيخ زيادة على أن هذا الوصف الوارد في هذه النبوة عن الخيل والسهام والسيوف، إنما ينطبق على جيوش محمد صلى الله عليه وسلم وقال المهتدي الطبري بعد أن أورد تطابق هذه النبوة مع حالة صلى الله عليه وسلم. (فإن لم يكن هو الذي وصفنا – أي محمد صلى الله عليه وسلم – فمن إذاً ؟ لعلهم بنو إسرائيل المأسورون المسببون، أو النصارى الخاضعون المستسلمون. وكيف يكون ذلك وقد سمي فيها النبي مرتين ووصف عساكره وحروبه ...).

وإن الاستفاضة في تأمل هذه النبوة ، واستخراج ما أشارت إليه، وبسطه، لتعجز عنه هذه الصفحات ، لأنه يستغرق كتاباً، وليس المجال هنا مجال البسط والتوسع، وإنما هو الاستدلال والإشارة فقط. ولكن استوقفتني بعض العبارات التي اشتمل عليها هذا النص، ولم أر هؤلاء الذين مر ذكرهم تعرضوا لها، فأردت أن أقف عندها وقفة يسيرة تكشف ما في النفس، ولا تطيل البحث. وأول هذه العبارات هي قوله: (قام فمسح الأرض). وهذه العبارة تحاكي قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها ...) أما الثانية فهي قوله: (لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك). فمن أباؤه؟ إنهم إبراهيم وإسماعيل، وما هو إرثهم ؟ هل هو الملك أم الأموال أم ماذا ؟؟ إنه التوحيد والرسالة قال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا

والله ولي المؤمنين) وقال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله).
الحادي عشر: بشارة صفتيا:
قال صفتيا: (يقول الرب: أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم كلها وجميع الملوك، لأصب عليهم رجزي، وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احتراقاً بسخطي ونكيري. هناك أجدد للأمم اللغة المختارة، ليذوقوا اسم الرب جميعاً، ويعبدوه في ربقة واحدة معاً ويأتون بالذبائح في تلك الأيام من معابر أنهار كوش). قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: وهذا صفنيا قد نطق بالوحي وأخبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه، ووصف الأمة التي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتجتمع على عبادته، وتأتيه بالذبائح من سواحل السودان ومعابر الأنهار واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين ... وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها.
الثاني عشر: بشارة حجي:
قال حجي: (ولسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي "حمدا" "Himada" لكل الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد، هكذا قال رب الجنود، ولي الفضة، ولي الذهب، هكذا يقول رب الجنود، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. هكذا يقول رب الجنود، وفي هذا المكان أعطى السلام. هكذا يقول رب الجنود). وقد ترجمت كلمتي "حمدا" و "شالوم" العبريتين إلى الأمنية، أو المشتهى، أو السلام. وعندئذ تفقد هذه النبوة ما اشتملت عليه من معنى وتصبح ولا قيمة لها. ولكن الترجمة الصحيحة لهذه العبارات هي أن "شالوم" أو "شالما" و "حمدا" تترجم إلى الإسلام، وأحمد. وتؤدي نفس الدلالة التي تؤديها تلك العبارات السابقة وبنفس الأهمية. وبين المهتدي عبد الأحد داود أصول هذه الكلمات ووضح ما ذهب إليه من أنها تترجم إلى الإسلام، وأحمد، فقال:
أ) إن كلمة "حمدا" تقرأ باللغة العبرية الأصلية هكذا: (في يافوا حمداث كول هاجوييم) والتي تعني حرفياً: (وسوف يأتي حمداً لكل الأمم). وعليه فإن الحقيقة الناصعة تبقى بأن كلمة "أحمد" هي الصيغة العربية لكلمة "حمدا" العبرية، وهذا التفسير تفسير قاطع لا ريب فيه. ولقد جاء في القرآن الكريم في سورة الصف: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوارة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد).
ب) إن كلمة "شالوم" و "شلاما" بالعبرية و "سلام" و "إسلام" باللغة العربية هما مشتقتان من أصل واحد، وتعنيان نفس المعنى وهو السلام والإذعان أو الاستسلام.
وبعد هذا التوضيح من قبل هذا المهتدي لهذه الألفاظ ذكر عدداً من البراهين التي استند إليها فيما ذهب إليه، وهي:
١. إن القرابة والعلاقة والتشابه بين هذين التعبيرين "حمدا" و "أحمد" وكذلك التشابه في الأصل الذي اشتق الاسم منهما لا يترك أدنى جزء من الشك، لأن المفهوم من الجملة هو (وسوف يأتي حمدا لكل الأمم) إنما هو "أحمد" أي محمد، ولا يوجد

أدنى صلة في أصل الألفاظ ولا في تعليلها بين كلمة "حمد" وبين الأسماء الأخرى كمثل يسوع أو المسيح أو المخلص.

٢. لو سلمنا جدلاً بالصيغة العبرية لكلمة "حمده" وأنها مجرد معنى اسمي لكلمات "أمنية أو مشتهى أو شهوة أو مدح" فإن هذا الجدل هو في صالح ما نطرحه من بحث هنا، وذلك لأن الصيغة العبرية تكون بحسب أصول الكلمات متساوية تماماً بالمعنى والتشبيه أو حتى في التطابق لكلمة "حمدا" وعلى أية حال فإن صلتها بـ "أحمد" أو "أحمدية" هي صلة قاطعة، وليس لها علاقة أبداً بـ "يسوع" أو "اليسوعية".،

٣. إن هيكل "زورو بابل" كان يجب أن يكون أعظم مجداً من هيكل سليمان عليه السلام، ذلك لأن "ملاخي" تنبأ بأن الرسول العظيم لا بد أن يزوره فجأة، وهذا احصل فعلاً عندما زاره الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

٤. إن "أحمد" وهي الصيغة الأخرى لاسم محمد ومن نفس المصدر والتعبير ومعناه "الأمجد"، وفي خلال رحلته الليلية صلى الله عليه وسلم زار تلك البقعة المقدسة كما ينص القرآن الكريم على ذلك، وهناك أدى الصلاة المباركة بحضور جميع الأنبياء عليهم السلام كما تدل أحاديثه الشريفة، وبهذا يتحقق المجد.

٥. إن تسمية خاتم الأنبياء بـ "محمد" أو "أحمد" من أعظم المعجزات، لأنه أول اسم عرف بهذه الصفة في تاريخ البشرية.

الثالث عشر: بشارات زكريا عليه السلام:

البشارة الأولى: قال النبي زكريا عليه السلام في الإصحاح الثامن: (هكذا يقول رب الجنود: في تلك الأيام يجتمع عشرة رجال من كل لسانات الشعوب ويتمسكون بذيل رجل حميد، أعني أبو حيد، ويقولون: لنذهب معك، لأننا سمعنا أن الله معك) أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وأطال الكلام حول هذه البشارة واشتقاقات اسم "حميد وأحمد" وبين أنه ظل سنين طويلة وهو يقرأ هذه النبوة ويفهمها على وفق الترجمة اليهودية، حتى يسر الله له كتب أصول اللغة العبرية – وكانت شبه معدومة – فوقف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ "يا أودي" وأنه إذا ترجم إلى اللغة العربية صار: "حميد".

الرابع عشر: بشارات ملاخي:

البشارة الأولى: قال ملاخي مخبراً عن الله أنه قال: (انظروا، إنني أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيد الذي تبحثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون. انظروا إنه قادم. هكذا يقول رب الجيوش أو الجموع) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن التحديد الدقيق لموضوع هذه النبوة أمر في غاية الأهمية، لأن الكنائس المسيحية اعتقدت منذئذ أن المقصود بها شخصان. ومما يدحض هذا الزعم انتهجته الكنائس ما يلي:

١. أن السيد أو الرسول الموعود كلف بتأسيس وإقامة دين قويم صالح، ومكلف بإزالة كافة العقبات التي تحول بين البشرية وربها، ومكلف أيضاً بأن يجعل الطريق سهلاً ممهداً مستنيراً ... وبالتأكيد فإن الرسول الرفيع الشأن المبعوث من الله لم يكن قادماً لإصلاح الطريق من أجل حفنة من اليهود، ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت

للناس كافة، والديانة اليهودية ديانة خاصة لشعب خاص، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه من طقوس وتضحيات، وخلوها من العقائد الإيمانية الإيجابية، كل ذلك يفقد هذه الديانـة جوهرهـا، ويجعلهـا غيـر ملائمـة إطلاقـا، وغيـر واقعيـة باحتياجـات الشـعوب المختلفة، أما الديانـة النصـرانية فـإن طقوسـها السـبعة، واعتقادهـا بـالخطيئـة الأصـلية، وتجسد الإلـه والتثليث – وهـي أمور لـم تعهد فـي الـديانات السـابقة – بالإضـافة إلـى افتقادها إلى كتابها الأصـلي الـذي أنـزل علـى مؤسسـها عليـه السـلام، كـل ذلـك يجعلهـا غير مؤهلة لأن تقدم خيراً للبشر. وإذا كان الرسول الخاتم مكلفاً بإلغاء هذين الـدينين، وإقامـة دين إبراهيم وإسماعيل ودين كافـة الأنبيـاء علـى أسس وتعـاليم تصـلح للبشـر كافة، فإن هذا الدين الذي أقامه ودعا إليه هو الصـراط المستقيم، وهـو أقـرب الطـرق الموصـلة إلـى الله عـز وجـل، وأسـهل الأديـان لعبادتـه، وأسـلم العقائـد الباقيـة علـى طهارتهـا ونقائهـا الأبدي. إذا كـان منوطـاً بهـذا الرسـول المبشـر بـه فـي هـذا الـنص أن يرسخ هذا الدين، ويقيم الوحدانية، ويحول دون تدخل الوسطاء بين الله والناس.

٢. هذا النص أكد على أن هذا الرسول المبشر به لا بد أن يصل بصـورة مفاجئة إلـى بيت المقدس، منطلقاً من الحرم الأول "مكة" وهذا مـا تحقق فـي ليلـة الإسـراء، وهـذا يعني أن مهمة هذا الرسول تطهير هذه البقـاع مـن الوثنيـة، ويلقـن روادهـا الوحدانيـة، والإيمان بالله الواحد الأحد. وإذا تحقق هذا فهو بمثابـة بنـاء طريـق جديد يـربط العبد بربه، وهذا الطريق الذي شرعه هو دين عالمي شـامل يـدعو إلـى إلغـاء الوسـائط بـين الله وعباده، فلا قديس ولا قسيس، ولا سر مقدس. وهذا لم يتحقق إلا على يد الرسـول المنعوت بأنه "محمد صلى الله عليه وسلم ".

البشارة الثانية: قول ملاخي: (هأنذا أرسل إليكم إيليـا النبـي قبـل مجـيء يـوم الـرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبنـاء علـى آبـائهم، لـئلا آتـي وأضـرب الأرض بلعـن). قـال المهتـدي النجـار: (والمعنـى أن الله يرسـل قـرب السـاعة النبـي أحمد صـلى الله عليـه وسـلم "فيـرد قلـب الآبـاء علـى الأبنـاء" يـرد بنـي إسماعيل – أعمام بني إسرائيل – إلى حقيقة وحي الأنبياء والمرسلين من أبناء أخـيهم إسحاق "وقلب الأبناء على آبائهم" ويرد اليهود والنصـارى علـى ديـن آبـائهم الأنبيـاء نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسـى، قـال تعـالى: (شـرع لكـم مـن الـدين مـا وصـى بـه نوحـا والـذي أوحينـا إليـك ومـا وصـينا بـه إبـراهيم وموسـى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

تأمل ما في هذه البشارة من الوعد بمجيئـه صـلى الله عليـه وسـلم قبـل يـوم القيامـة مـع قوله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة هكذا. ويشير بأصبعيه فيمد بهما).

هذه أسفار العهد القديم شـاهدة بنبـوة محمـد صـلى الله عليـه وسـلم ، شـهادة لا تقبـل التضـليل، مصـرحة باسـمه ولغتـه وصـفة أمتـه صـراحة لا تحتمـل التأويـل، فمـن كـان طالبـاً للحق اتبعـه إذا قـام عليـه الـدليل، فكيـف إذا تظـافرت عليـه الأدلـة والبـراهين، والحق هنا شهادة العهد التقديم بنبـوة محمد صـلى الله عليـه وسـلم. فمـن أراد أن يـدفع اليقين بأوهن الشكوك، وأفسد التأويل، ويدعي – مماحكـة ومجادلـة – أن هـذه النبـوات والشـهادات وردت فـي حـق عيسـى عليـه السـلام – فيقـال لـه لـيس بعـد التصـريح بـذكر اسمه وصفته وخبره وبلده وأمته – مجال للتأويل والاحتمال. كيف وقد شـهد المسـيح

عليه السلام بنبوته وأخبر تلامذته باقتراب ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ؟؟ وهذه الشهادة ما يماثلها من شهادات العهد الجديد هي ما سيكون الحديث عنه في المطلب التالي.

٢٥.بشارات العهد الجديد بمحمد صلى الله عليه وسلم

د. محمد بن عبد الله السحيم

بشارات العهد الجديد

بشارات متى:

البشارة الأولى: قال متى في الإصحاح الثالث مخبراً عن يوحنا المعمدان – يحيى عليه السلام – أنه قال: (أنا أعمدكم بالماء – وذلك للتوبة وغفران الخطايا – ولكن هناك شخص قادم بعدي وهو أقوى مني، لدرجة أنني لا أستحق حل سيور حذائه، وسيعمدكم بالروح والنار). هذه البشارة أوردها كل من المهتدي عبد الأحد داود والنجار، وأضاف إليها النجار بعض العبارات التي تذكر صفة هذا القادم المنتظر، وهو قوله: (الذي رفشه بيده، وينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ) وأوضح هذه العبارات فقال: (قوله: الذي رفشه بيده. ونسخة الآباء العيسويين: (الذي بيده المذري). إشارة إلى ما قام من حروب وجهاد مع الكفار لنصرة دين الله وإعلاء كلمته. وقوله: (وينقي بيدره) بمعنى يطهر موطنه من الأصنام ومن عبدتها المشركين. وقوله: (ويجمع قمحه إلى المخزن) أي يجمع صحابته والمؤمنين به عند بيت الله الحرام. (أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ). أي يقضي على عناصر الشر والفساد في العالم، ويناهض أهل الشرك والضلالة وعبادة الأصنام).

أما عبد الأحد داود فقد اكتفى بهذا النص الذي أوردته، وأشار على هذه الزيادة في ثنايا الشرح والتحليل. كما أنه أطال النفس في استنطاق هذه النبوة من جانبين: الجانب الأول: نفى فيه أن يكون النبي الذي تنبأ به يوحنا هو عيسى عليه السلام. وفي الجانب الثاني: أثبت أن هذا النبي المبشر هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد قدم في الجانب الأول البراهين التالية:

١. أن نفس كلمة "بعد" تستبعد عيسى بكل وضوح من أن يكون هو النبي المبشر به، لأن عيسى ويوحنا ولدا في سنة واحدة وعاصر أحدهما الآخر، وكلمة "بعد" هذه تدل على مستقبل غير معلوم بعده.

٢. أن يوحنا قدم المسيح عليه السلام إلى قومه وطلب منهم طاعته واتباعه، إلا أنه أخبرهم بوضوح أن ثمة كوكباً آخر عظيماً هو الأخير الخاتم الممجد عند الله.

٣. لم يكن عيسى هو المقصود عند يوحنا، لأنه لو كان الأمر كذلك لتبع عيسى وخضع له، ولكنا نجده على العكس من ذلك إذ نجده يعظ ويعمد ويستقبل الأتباع في حياة المسيح عليهما السلام.

٤. مع اعتقاد الكنائس النصرانية بأن المسيح إله أو ابن إله، إلا أن كونه معمداً على يد يوحنا المعمدان يثبت أن الأمر بالعكس تماما، فلو كان عيسى هو الشخص الذي

تنبأ به يوحنا على أنه أقوى منه، وأنه سيعمد بالروح وبالنار – لما كان هناك ضرورة أو معنى لتعميده في النهر على يد يوحنا وهو الشخص الأقل منه .
٥. تضاربت الأناجيل في موقف يوحنا من عيسى: فهو في أحدها يرسل التلاميذ يسألونه: هل أنت النبي الذي سيأتي أم ننتظر واحداً آخر؟ أما يوحنا كاتب الإنجيل فقد أثبت أن يوحنا لما رأى عيسى قال: انظروا حمل الله. ففي النص الأول: يتبين أن يوحنا لم يكن يعرف حقيقة المسيح، وفي النص: ذكر وصفاً مغايراً للنبي المبشر به.
٦. لا يمكن أن يكون يوحنا هو سلف عيسى المبشر به بالمعنى الذي تفسر فيه الكنائس بعثته، لأن من مهام هذا الرسول المبشر به أنه يمهد الطريق، وأنه يأتي فجأة إلى هيكله ويقيم السلام. فإذا اعتبر أن هذه المهام قد أسندت إلى يوحنا – فنستطيع أن نؤكد أنه فشل في تحقيقها فشلاً ذريعاً، لأن كل الذي قام به يوحنا تجاه عيسى عليهما السلام أنه استقبله على نهر الأردن وعمده فيه – كما زعموا -.
أما البراهين أو الأدلة التي قدمها هذا المهتدي على أن يوحنا قد بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فهي:
١. يتأكد من هذه النبوة شيء واحد وهو أن النبي الذي تمت البشارة بقدومه معروف لدى كافة الرسل والأنبياء، وإلا لما اعترف شخص معصوم هذا الاعتراف المتواضع.
٢. أن إنكار الرسالة المحمدية هو إنكار أساسي لكل الوحي الإلهي، وكافة الرسل الذين بشروا به، لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي أنجزه محمد صلى الله عليه وسلم وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاما.
٣. اعتراف يوحنا بأن "محمداً" صلى الله عليه وسلم أعلى منه وأسمى قدراً، يتضح ذلك من قوله "هو أقوى مني" وبمقارنة ما كان عليه يوحنا بما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، نجد أن الواقع يشهد أن محمداً ص كان هو الأقوى الذي بشر به يوحنا، يتضح ذلك من خلال الصورة المأساوية التي ترسمها الأناجيل لنهاية يوحنا حيث يسجن ثم يقطع رأسه ويقدم على طبق، بينما نرى محمداً صلى الله عليه وسلم يدخل مكة دخول الفاتح العظيم، ويدمر الأصنام، ويطهر الكعبة، والكفار مستسلمون له ينتظرون حكمه فيهم.
٤. أخبر يوحنا عن الغضب القادم أو العذاب القادم على اليهود والكفار المعاندين للرسل. وهذا العذاب الذي تنبأ عنه، منه ما تحقق بعد ثلاثين سنة في بني إسرائيل، ومنه ما أعلنه هو وأخوه المسيح عليهما السلام عن قدوم رسول الله الذي سوف ينتزع جميع الامتيازات من اليهود، ولم يتحقق هذا إلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم الذي دمر حصونهم، وطردهم من ديارهم، ولقد أنذرهم يوحنا من هذا العذاب الآتي إذا لم يؤمنوا برسل الله الصادقين وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم – بقوله: (من الذي أخبركم أن تهربوا من الغضب الآتي).
٥. أن هدف محمد صلى الله عليه وسلم هو: إقامة دين الإسلام على الأرض، فقد اختفت الأوثان والأصنام من أمامه، وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه، وأصبح المسلمون في ملته متساوين، وتكونت منهم الجماعة المؤمنة، وتحققت بينهم المساواة إذ لا كهنوت ولا طقوس، وليس هناك مسلم مرتفع، ولا مسلم منخفض، ولا توجد

طبقية أو تمايز يقوم على العنصر والرتبة، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي كائن مهما عظم، ومهما كان مقدسا – كوسيط مطلق بين الله والبشر.
٦. أن أتباع يوحنا كانوا يعرفون كل المعرفة أن عيسى عليه السلام لم يكن هو الشخص المقصود، وقد اعتنقوا الإسلام عندما جاء محمد صلى الله عليه وسلم.
البشارة الثانية: قال متى في الإصحاح الخامس مخبراً عن المسيح أنه قال: (الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) قال المهتدي الهاشمي موضحاً هذه البشارة: (الكل هنا – كما سبقت إليه الإشارة هو القرآن الكريم الذي فيه نبأ السلف، وأخبار الخلف، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلاؤهم على أيدي أقوامهم، فيه هدى للمتقين، ووعيد للكافرين، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة، روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام).
وفي هذا النص إشارة إلى وجوب العمل بالتوراة والإنجيل إلى غاية محدودة وهي مجيء الكل، فإذا جاء الكل – وهو القرآن الكريم – بطل العمل بها، وحان نسخهما، وأذن الله بزوالهما. والمراد بالزوال هنا زوال الحكم لا زوال الوجود.
ولعل مقصود عيسى عليه السلام من قوله "الأصغر" أي الأصغر سنا. هذا على فرض صحة نسبة هذا النص إلى عيسى عليه السلام.
البشارة الثالثة: قال متى في الإصحاح الحادي عشر: (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي). قال المهتدي النجار بعد هذه النبوة: (أي إن أردتم أن تتبعوا فاتبعوا أحمد الذي سيبعث، وشدد عليهم في التمسك بهذه الوصية والمحافظة عليها فقال: "من له أذنان للسمع فليسمع". وهذه البشارة مماثلة وشاهدة ومصدقة لنبوة ملاخي، وقد سبق إيرادها في هذا البحث تحت عنوان: البشارة الثانية من بشارات ملاخي.
البشارة الرابعة: روى متى في الإصحاح السابع عشر ذلك الحوار الذي دار بين المسيح عليه السلام وتلامذته وهو: (قولهم: لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولا؟. فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولا، ويرد كل شيء) وأردف المهتدي النجار هذه البشارة بقوله: (ونجد المحرفين يشيرون بأن هذا الكلام على يوحنا – أي سيدي يحيى – مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع ولا كتاب).
البشارة الخامسة: قال متى في الإصحاح العشرين مخبراً عن المسيح أنه قال: (أما قرأتم قط في الكتب: أن الحجر الذي رذله البناؤون، هذا صار رأساً للزاوية، من قبل الرب كانت هذه، وهي عجيبة في أعيننا، من أجل هذا أقول لكم: إن ملكوت الله تنزع منكم، وتعطي لآخرين، لأمة يصنعون ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه).
أجدني مضطراً أمام هذه البشارة إلى تقسيم الكلام عنها إلى قسمين حسب ما ورد عن هؤلاء المهتدين:
القسم الأول: يختص بالكلام عن الحجر الذي رفضه البناؤون، وهذا الحجر المشار إليه هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو الحجر المتمم للبناء الذي ابتدأه الأنبياء من آدم حتى المسيح، وبين المسيح عليه السلام ما خص به محمد صلى الله عليه وسلم ،

من النصر والتأييد بقوله: (ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن يسقط عليه يطحنه). وإلى هذا ذهب كل من المهتدي الشيخ زيادة والنجار والهاشمي. بينما يرى المهتدي إبراهيم خليل: أن الحجر المشار إليه هو إسماعيل عليه السلام الذي رفضه قومه. ولكن الذي رفضه قومه، ورفضه اليهود والنصارى هو محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: (من قبل الرب): أي مرسل من قبل الله حقاً وصدقا.

قوله: (عجيب في أعيننا). هذا القول يطابق قول إشعياء: إن اسمه عجيب. أو أن تكون بمعنى عجيب، لأنه كريم في طبعه عربي غريب من غير بني إسرائيل.

وإن قيل إن المسيح عني نفسه بهذا المثل فيقال:

١. أنه قال: (في أعيننا) ولم يقل في أعينكم.

٢. أن خاتمة البشارة وهي قوله: (من سقط على هذا الحجر يترضض). تفيد جليا أن هذه العبارة واردة في حق شخص آخر غير المسيح عليه السلام، لأن عيسى عليه السلام لم يرض غيره، ولم يسحق من سقط عليه.

٣. لا يجوز عند علماء اللغة أن يعود اسم الإشارة على المتكلم وهو عيسى، إذاً فلابد أن يعود على شخص أشار إليه عيسى وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه البشارة تماثل قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين).

وهذا القول منه صلى الله عليه وسلم معجزة وأي معجزة، فمن أخبره صلى الله عليه وسلم بوصفهم له بأنه حجر الزاوية ؟ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتتلمذ على يد معلم أو راهب!! ولكنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والحق الذي لا يختلف في كل عصر ومصر، فلا عجب أن تماثلت أقوالهم، واتفقت أمثالهم، أليس الجميع يخرج من مشكاة واحدة ؟؟!!.

القسم الثاني: يختص بالكلام عن نزع ملكوت الله من بني إسرائيل، ووضعه في أمة أخرى:

والحديث عن ملكوت الله يتطلب الحديث عن حقيقته، وصفات أتباعه، وملكوت الله في تفسير الكنائس، وبيان أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله، وأن الملكوت نزع من بني إسرائيل وأعطي لأمة أخرى، وهذه الأمة هي الأمة الإسلامية.

بشارات يوحنا:

البشارة الأولى: لما ابتدأ يوحنا يعمد الناس في نهر الأردن، وكان ذلك في زمن المسيح عليه السلام، تصدى له اليهود – المكتوب عندهم في التوراة أن المسيح آت وسيأتي بعده نبي – وسألوه سؤالا كما جاء في الإصحاح الأول: (هل أنت المسيح ؟ هل أنت إيلياء ؟، هل أنت النبي؟ وعندما أجابهم بالنفي قالوا إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء ولا ذلك النبي المنتظر، إذاً فلماذا تعمد ؟؟) قال المهتدي الهاشمي بعد هذه البشارة: (من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبياً بشرت به كتبهم، حيث أن السؤال كان في عهد السيد المسيح، وأن إيلياء كان نبيا من أنبياء بني

إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح). ويطرح المهتدي عبد الأحد داود عدة تساؤلات ملزمة حول هذا النص وهي:
من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم: ذلك النبي؟ وإذا كنتم تدعون معرفتكم مقصد رجال الدين العبرانيين، فهل يعرف باباواتكم وبطارقتكم من هو ذلك النبي؟ وإذا كانوا لا يعرفون فما الفائدة الدنيوية من هذه الأناجيل المشكوك في صحتها؟ وإذا كان الأمر على العكس، وكنتم تعرفون من هو ذلك النبي فلماذا تبقون صامتين ؟؟!.
ويستنتج المهتدي الشيخ زيادة من هذه البشارة: أن اليهود منذ زمن موسى إلى زمن مجيء المسيح عليهما السلام كان يتداول بينهم – نقلا عن آبائهم وأجدادهم – أن الله يرسل نبيا. وهم بانتظار ثلاثة أفراد عظام هم: إيلياء والمسيح والنبي فحيث جاء إيلياء والمسيح لم يبق إلا "النبي" الذي ينتظرونه، وقد ورد في هذا النص بعد المسيح فتعين أن هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه قد جاء بعد المسيح عليهما الصلاة والسلام.
وهذه البشارة تفند ادعاء اليهود أن بشارة موسى عن نبي يقيمه الله لهم. دالة على يوشع بن نون، لأنه لو كان المقصود لما ظل اليهود إلى زمن المسيح يسألونه عن ذلك النبي. وتفند – أيضاً – ادعاء النصارى بأن بشارة موسى السابقة مقولة على المسيح عليهما السلام، لأن علماء اليهود قالوا ليوحنا: (إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي وهذا يدل على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام.
البشارة الثانية: قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله إن المسيح عليه السلام قال: (إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء) وقال – أيضا – في الفصل السادس عشر: (إن الفارقليط لن يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكنه يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب) وقال – أيضا – : (إني سائل أبي أن يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن النص الأخير لا يتضح المعنى المراد منه إلا بإعادة الكلمات المسروقة أو المحرفة فتكون الصيغة الصحيحة كالتالي: (وسوف أذهب إلى الأب، وسيرسل لكم رسولاً سيكون اسمه "البرقليطوس"، لكي يبقى معكم إلى الأبد) والكلمات التي أضافها هي ما تحتها خط.
هذه البشارة تكاد أن تكون محل إجماع من هؤلاء المهتدين، وسيكون الحديث عنها من جانبين:
الجانب الأول: بشارة المسيح عليه السلام بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال النقاط التالية:
١. أن هذا النبي الذي بشر به المسيح عليه السلام علّم الناس مالم يعلموه من قبل، ولم يكن في تلاميذ المسيح ومن بعدهم من علّم الناس شيئاً غير الذي كان علمهم المسيح.
٢. تضمن النص أن هذا الشخص المبشر به لا يتكلم من تلقاء نفسه، وأنه يخبر بالحوادث والغيوب، ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تواتر عنه إخباره بالحوادث المقبلة والغيوب التي تحققت في

حياته وبعد مماته. وتتفق هذه البشارة مع بشارة موسى عن هذا النبي المنتظر عندما أخبر أن الله قال: (وأجعل كلامي في فيه). وقد سبق الحديث عن هذه البشارة ضمن بشارات العهد القديم.

٣. أن هذا النبي المنتظر بكت العالم على الخطيئة، ولا خطيئة أعظم من الشرك، ولم يقتصر عمل محمد صلى الله عليه وسلم على اقتلاع الشرك من جزيرة العرب، وبعث رسله وكتبه إلى ما جاوره من الدول والإمبراطوريات يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بل لما لم تقبل دعوته استل سيفه مؤذنا بإعلان الحرب على الشرك مهما كان موقعه.

٤. أن الشخص المبشر به يؤنب العالم. ولقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه. واعتقد النصارى أن المسيح قد صلب وأنه الله أو ابن الله. ولم يزل العالم يعتقد هذا الاعتقاد حتى جاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وجلّى كل الحقيقة عن المسيح من أنه عبد الله ورسوله، وأنه لم يصلب ولم يقتل، بل رفع إلى السماء.

٥. في هذا النص صرح المسيح عليه السلام أن الشخص المبشر به هو "روح الحقيقة" ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أظهر كل الحقيقة عن الله وعن وحدانيته ورسله وكتبه ودينه، وصحح كثيراً من الافتراءات والأكاذيب التي كانت مدونة ومعتقداً بها، فهو الذي وبخ النصارى على اعتقادهم في الثالوث، وادعائهم أن المسيح هو ابن الله، وكشف مفتريات اليهود والنصارى ضد أنبياء الله ورسله، وطهر ساحتهم من الدنس والعيب الذي ألحقه بهم اليهود.

٦. ذكر المهتدي الترجمان في سبب إسلامه أن أحبار النصارى كان لهم مجلس يجتمعون فيه، ويتذاكرون فيه أنماطاً من المسائل، فاختلفوا يوماً حول النبي الذي يأتي بعد المسيح والمسمى في الإنجيل "البارقليط" وانفض المجلس في ذلك اليوم ولم يصلوا إلى حقيقة هذا اللفظ، وقد تخلف عنهم في ذلك اليوم أكبر علمائهم، فلما رجع الترجمان إليه أخبره الخبر، وطلب الترجمان من هذا العالم أن يبين له الحقيقة فأخبره: أن "البارقليط" هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٧. قال المهتدي الهاشمي: (إنه جاء في الإنجيل المكتوب باللغة القبطية الذي كتبه أحد البطاركة في سنة ٥٠٦م ما معناه: الآتي بعدي يسمى: الفارقليط بندكراطور. أي الروح المنشق اسمه من اسم الحمد، سيبعث الحياة في أمه ليست لها من الحياة نصيب إلا الضلال في برية فاران كجحاش الأتن. وذكر أن هذا الإنجيل منزوع الغلاف، وذكر كاتبه في ديباجته أنه نقله من أصول الإنجيل الحقيقي.

٨. استخرج هؤلاء المهتدون تطابق كلمة "البارقليط" مع اسم محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وبيان هذا التطابق كما يلي:

أ) هذا الاسم "بارقليط" يوناني. وتفسيره باللغة العربية أحمد أو محمد أو محمود. وقال المهتدي عبد الأحد داود: ومن المدهش أن الاسم الفريد الذي لم يعط لأحد من قبل كان محجوزاً بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء، ونحن لا نجد أبداً أي يوناني كان يحمل اسم "برقليطس" ولا أي عربي كان يحمل اسم أحمد.

ب) قال المهتدي عبد الأحد داود موضحاً هذا التطابق: (إن التنزيل القرآني القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان "مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" – واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً، وأن القرآن تنزيل إلهي فعلاً، إذ لم يكن في وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة البارقليط كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي والتنزيل الإلهي، وحجة القرآن قاطعة ونهائية، لأن الدلالة الحرفية للاسم اليوناني تعادل بالدقة ودون شك كلمتي "أحمد" و "محمد" صلى الله عليه وسلم.

ج) أن اسم البارقليط لفظة يونانية يجتمع من معانيها في القواميس المعزي، والناصر، والمنذر، والداعي. وإذا ترجمت حرفاً بحرف إلى اللغة العربية صارت بمعنى "الداعي" وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وقد وصف في القرآن الكريم بمثل ذلك في قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه) وقد فهم أوائل النصارى أن هذه اللفظة إنما تعني الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثالثة: قال يوحنا في إنجيله الإصحاح السادس عشر مخبراً أن المسيح قال: (إن أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما أمتي جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني). قال المهتدي النجار: (وهذه البشارة في معنى قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى). وقال المهتدي الهاشمي معلقاً على هذه البشارة: (والمسيح يبصر أمته بأن لديه أموراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم، وأنه سيأتي الوقت المناسب لمجيء الرسول الذي يعنيه بالروح الحق. فتكون العقول قد تفتحت، والقلوب قد ذهب عنها رينها، والنفوس قد ألهمت بعد فجورها تقواها، في هذه اللحظة – فقد – يكون الناس قد استعدت إفهامهم، واتسعت مداركهم، لاحتمال كل ما يلقى إليهم على لسان هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه، وإنما من وحي يوحى إليه من ربه بالقرآن).

ويذكر المسيح عليه السلام بعض أوصاف هذا الرسول الخاتم التي تساعد على تمييز شخصيته منها قوله: (ذاك يمجدني). فمن صفات هذا الرسول أنه يمجد المسيح، ولم يأت أحد بعد المسيح ويمنحه من التمجيد والثناء ما يستحقه، ويرفع عنه وعن أمه افتراءات اليهود، ويضعه في المنزلة التي وضعه الله فيها – وهي العبودية والرسالة – سوى محمد صلى الله عليه وسلم. ومن صفات هذا الرسول أنه سيرشد الخلق إلى أمور وحقائق لم يبلغها المسيح، وذلك في قوله: (ويخبركم بأمور آتية).

بشارة سفر أعمال الرسل:

قال المهتدي الطبري أنه جاء في كتاب فراكسيس قول رئيس الحواريين: (إنه قد حان أن يبتدأ من بيت الله) قال المهتدي الطبري: (وتفسير ذلك أن بيت الله الذي ذكره الحواري هو مكة، وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها. فإن قال قائل: إنه عني به حكم اليهود. فقد كان أخبرهم المسيح أنه لا يترك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة، فقد وضح أن الحكم الجديد الذي ذكره الحواري هو دين الإسلام وحكمه).

بشارة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية:
قال فولس في رسالته إلى أهل غلاطية: (إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة، وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر، فأما مولد الذي من الحرة فإنه ولد بالعدة من الله.
فهما مثالان مشبهان بالفرضين والناموسين، فأما هاجر فإنها تشبه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أوراشلم هذه، فأما أوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة) قال المهتدي الطبري: (فقد ثبت فولس في قوله هذا معاني جمة:
أولهما: أن إسماعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب، وهي التي سماها بلاد أرابيا.
الثاني: أن جبل سيناء الذي بالشام يتصل ببلاد البوادي بقوله: إن هاجر تشبه بطور سينا الذي ببلاد أرابيا. وسينا هو الذي ذكرته التوارة في صدر هذه النبوات في قولها: (إن الرب جاء من سينا، وطلع لها من ساعير، وظهر من جبل فاران). فشهد فولس هذا بأن الذي قالت عنه التوراة: إنه جاء من سينا: هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا. وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عني بها بلاد العرب.
الثالث: أن بيت المقدس هو نظير مكة.
الرابع: أن هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية وهي "الشريعة الإسلامية" سماوية لا شك فيها، فقد سماهما باسم واحد، ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني.
فأما تقديمه الحرة، وقوله: (ابن الأمة لم يولد بالعدة) فذلك منه بالعصبية والميل، وفيما استشهدت به من قوارع التوراة على إسماعيل ما فيه كفاية وبرهان على أنه – أيضاً – ولد ليس بعده واحدة بل بعدات كثيرة.
الخـاتمـة
ليست هذه البشارات التي أوردتها هي كل ما في التوراة والإنجيل، وليست – أيضاً – هي كل ما استطاع هؤلاء المهتدون استنباطه منهما، لأنهم أوردوا أمثالاً وصوراً منها للتدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم ، ويؤكد ذلك قول المهتدي الترجمان: (ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك –أي البشارات- لطال الكتاب، وأنا أرجو أن أجمع لبشارات جميع الأنبياء به كتاباً مجرداً لذلك). وقال المهتدي النجار بعد ذكره لعدد من البشارات: (وهذا قليل من كثير).
وقد استخلص المهتدي إبراهيم خليل خلاصة هذه البشارات بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوجد أنها تؤكد جانبين هما:
١. أنه الرسول الخاتم ولا نبي بعده.
٢. أنه رسول الله للعالمين كافة. وأيد هذين الجانبين أو الوصفين بعشرين سبباً استخرجها من نصوص العهد القديم والجديد.
وقال المهتدي الطبري بعد فراغه من الاستدلال بالبشارات: (ولقد صرح عدة منهم – أي من أنبياء بني إسرائيل – باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفوه أيضاً وسيافيه ورماته، وسير المنايا وسباع الطير أمام عساكره ... فهذه – أي البشارات – كلها محققة لدينه، ومفخمة لشأنه، ومصدقة لما أدت دعاته عنه).

هذه البشارات التي استعرضت جانبا منها تبين اتفاق كثير منها في ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم ، وصفته، وصفة جهاده وجنوده، وبلده وأمته ولغته ... فماذا يعني هذا التوافق والتعاضد ؟ إن هذا التعاضد يعني أموراً كثيرة لعل من أبرزها ما يلي:

١. أن هذه الرسالات كلها من عند الله، وهذه التحريف الذي طرأ عليها وأثبته القرآن، ولا ننفيه عنها – لم يستطع أن يخفي المعنى الذي ورد أصلا في اللفظ المنزل.

٢. أن كتب الله ورسله يصدق بعضها بعضاً، ويؤمن بعضها ببعض، فالسابق يبشر باللاحق، واللاحق يؤمن بالسابق، فإبراهيم آمن بمن سبقه من رسل، وسأل الله أن يبعث في ذريته رسولاً يزكيهم يعلمهم الكتاب والحكمة، وموسى آمن بإبراهيم وبمن سبقه وبشر بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعيسى آمن بمن سبقه وبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

٣. أن ما ورد من الحق فلا يخرج عن الصدق، ولا يناقض بعضه بعضاً، وأن ما ورد من الباطل فلا يكون حقاً أبداً.

٤. يتأكد من هذه النبوات شيء واحد، وهو أن هذا النبي الذي بشرت به الأنبياء معروف لديهم كافة.

٥. أن ظهور الرسالة المحمدية والملة الإسلامية على يد خاتم الرسل يعتبر آية لنبوتهم، إذ تحقق صدق ما أخبروا به، وظهور ما بشروا به، ولو لم يظهر لبطلت النبوات فيه وفي إسماعيل عليهما السلام.

٦. توافق هذه النبوات في حق محمد صلى الله عليه وسلم يدل على فضيلته وانفراده بهذا الشرف الرفيع بين سائر الأنبياء صلوات عليهم وسلامه.

٧. توافق هذه النصوص مؤيد لما أخبر به صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة من أنه مذكور في الكتب المتقدمة.

٨. نستنتج من هذا التوافق عناية الله بهذه الأمة، ورعايته لها، وحفظه لدينها، فمن حفظه لدينها حفظ هذه الأدلة الدالة عليه والمبشرة – لا لحاجة هذا الدين إليها، وإنما لإقامة الحجة على أهلها.

٩. أن البشر على عتوهم وتمردهم لوحي الشيطان في محاولة طمس نور الله وإضلال عباده – لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله، يقول الحق تبارك وتعالى بعد ذكره بشارة المسيح عليه السلام بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون).

١٠. رأينا في البشارات السابقة كيف أثبت هؤلاء المهتدون اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة والإنجيل، ورأينا كذلك كيف استبدلت هذه الأسماء وغيرت الأوصاف في الطبعات الحديثة، كفراً وحسداً وحقداً.

٢٦.هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم

محمد شندي الراوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدِّين ...
أوجب الله سبحانه وتعالى على المؤمنين طاعته والاقتداء بهديه واتِّباع سُنَّته وتوقيره ومحبته صلى الله عليه وسلم فوق محبة الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة، والتجارة والأموال، وأوعد من تخلف عن تحقيق ذلك بالعقاب، فقال سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤].
كان محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقاً وأدباً وأكرمهم و أتقاهم وأنقاهم معاملة . قال عنه ربه عز وجل مادحاً وواصفاً خُلقه الكريم صلى الله عليه وسلم ((وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) [القلم ٤].
عن أنس رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا " - متفق عليه.
وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم" - رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.
وعن عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام ، قالت : (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.
عن عطاء رضي الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا - رواه البخاري
لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أكمل الناس شرفاً وألطفهم طبعاً وأعدلهم مزاجاً وأسمحهم صلة وأنداهم يداً، لأنه مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات.
محمد وما أدراك من هو محمد.. بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم
- محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين وهو سيد الأولين والآخرين : قال صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)
- محمد صلى الله عليه وسلم هو نبي الرحمة قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:١٠٧) .
- محمد صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة قال تعالى : { إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ }
وقال تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } (الأعراف ١٥٨)
- محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب الشفاعة العظمى :
في حديث أبي هريرة رضي الله عنه (فيأتوني ، فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ، ألا

ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطى ، واشفع تشفع) متفق عليه.
- محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب المقام المحمود :
قال تعالى: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} (الإسراء: ٧٩)
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا - جلوسا على الركب - ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) رواه البخاري .
- محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد يوم القيامة
قال صلى الله عليه وسلم : ((وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر))
- محمد صلى الله عليه وسلم هو أول من تفتح له أبواب الجنة :
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ قال : فأقول : محمد. قال : يقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك (رواه مسلم .)
- محمد صلى الله عليه وسلم أخبره ربه بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر و يتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) الآيتان ١و٢من سورة الفتح.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان من أعبد الناس :
عن عبد الله بن الشخير - رضي الله عنه - قال : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء) رواه أبو داود .
وعن عائشة - رضي الله عنها - : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) رواه البخاري.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يحب الذكر :
قال صلى الله عليه وسلم : (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم.
وقال صلى الله عليه وسلم : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره ، مثل الحي والميت) رواه البخاري.
وقال صلى الله عليه وسلم : (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) أخرجه الطبراني بسندٍ حسن.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس دعاءً ، وكان من أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول : (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) متفق عليه .
وعن عائشة - رضي الله عنها - أنه كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته: (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) رواه النسائي .

- محمد صلى الله عليه وسلم معجزته باقية خالدة ما بقيت السموات و الارض بعكس معجزات الأنبياء السابقين ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدين .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان متواضعا وكان أبعد الناس عن الكبر ، كيف لا وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان شفيقا بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب ، بألطف عبارة وأحسن إشارة ، من ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنا.
فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا: مه مه فقال له: (ادنو) ، فدنا منه قريباً ، قال: (أتحبّه لأمّك؟) قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداءك . قال : (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال : (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله ، جعلني الله فداءك . قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه ، وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصّن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . رواه أحمد.
- محمد صلى الله عليه وسلم خير الناس لأهله يصبر عليهم ، ويغض الطرف عن أخطائهم قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) سنن الترمذي .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم
عن الأسود قال : سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت : (كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة) رواه مسلم والترمذي.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه.
عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم - رواه أحمد.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يمازح أهله ويلاعبهم ويسابقهم..
عن عائشة رضي الله عنها قالت " : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : اقدموا فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس: تقدموا فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي أسابقك فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك " رواه أحمد.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان عادلا يقيم شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربين.

قال تعالى: (يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للّهِ وَلَوْ عَلَىَ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَ الأقْرَبِينَ) (النساء:١٣٥)

قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت : (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه صلى الله عليه وسلم ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة - رضي الله عنها - غيورة.

- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم تكلم بكلام فَصْلٍ مبين ، يعده العاد ليس بسريع لا يُحفظ ، ولا بكلام منقطع لا يُدركُه السامع ، بل هديه فيه أكمل الهديِّ ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يتحفظه من جلس إليه) متفق عليه

- محمد صلى الله عليه وسلم ، كان يتفقد أصحابه ويسأل عنهم ، ويواسيهم ويقدم لهم النصيحة

في الحديث كان يزور الأنصار، ويُسَلِّم على صبيانهم ، و يمسح رؤوسهم "، حديث صحيح رواه النسائي.

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يحيى مع أصحابه حياة فطرية عادية ، يشاركهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم ، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال : " نعم غير أني لا أقول إلا حقاً".

وجاءت إليه امرأة عجوز تقول له: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: "يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز" ! فبكت المرأة حيث أخذت الكلام على ظاهره ، فأفهمها : أنها حين تدخل الجنة لن تدخلها عجوزًا ، بل شابة حسناء.

وتلا عليها قول الله تعالي في نساء الجنة: (إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكارًا. عربًا أترابًا).(الواقعة: ٣٥-٣٧(أخرجه الترمذي

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يجالس أصحابه ويماشيهم وإذا مشى مع أصحابه يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول دعوا ظهري للملائكة .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يماشي أصحابه فرادى وجماعة ومشى في بعض غزواته مرة فدميت أصبعه وسال منها الدم فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

- محمد صلى الله عليه وسلم كان في السفر ساقه أصحابه يزجي الضعيف ويردفه ويدعو لهم .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يكرم ضيفه ويجالسهم وكان يجلس على الأرض لما قدم عليه عدي بن حاتم دعاه إلى منزله فألقت إليه الجارية وسادة يجلس عليها فجعلها بينه وبين عدي وجلس صلى الله عليه وسلم على الأرض .

قال عدي : فعرفت أنه ليس بملك

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يخفض طرفه

عن أبي هالة عن الحسن بن علي قال أن النبي عليه الصلاة والسلام كان خافض الطرف (من الخفض ضد الرفع) فكان إذا نظر لم ينظر إلى شيء يخفض بصره لأن هذا من شأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه)، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، وكان جل نظره الملاحظة (المراد أنه لم يكن نظره إلى الأشياء كنظر أهل الحرص والشره بل بقدر الحاجة).

- محمد صلى الله عليه وسلم كان أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكا نبيا أو يكون عبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا.

- محمد صلى الله عليه وسلم كان ينامُ على الفراش تارة ، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة بين رِمَالهِ ، وتارة على كِساء أسود قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عمر قال : ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال : بلى قال: هو كذلك)

- محمد صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويسبي الأرواح ويشهد له بذلك أعداؤه .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم ؛ تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بمسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام بل هديه فيه أكمل الهدي قالت عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلام فصل لا فضول ولا تقصير وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه وإذا كره الشيء عرف في وجهه ولم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان جل ضحكه التبسم بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه .

وفي الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تَبَسُّماً، وكنتَ إذا نظرتَ إليه قُلتَ أكحل العينين وليس بأكحل "، حسن رواه الترمذي .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان أحسن الناس معاملة ، وكان إذا استسلف سلفا قضى خيرا منه .

ذكر البزار أنه صلى الله عليه وسلم استسلف من رجل أربعين صاعا فاحتاج الأنصاري فأتاه فقال صلى الله عليه وسلم : ما جاءنا من شيء بعد فقال الرجل وأراد أن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقل إلا خيرا فأنا خير من تسلف فأعطاه أربعين فضلا وأربعين سلفة فأعطاه ثمانين.

وباعه يهودي بيعا إلى أجل فجاءه قبل الأجل يتقاضاه ثمنه فقال : لم يحل الأجل فقال اليهودي : إنكم لمطل يا بني عبد المطلب فهم به أصحابه فنهاهم فلم يزده ذلك إلا حلما فقال اليهودي : كل شيء منه قد عرفته من علامات النبوة وبقيت واحدة وهي أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فأردت أن أعرفها فأسلم اليهودي.

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يسلم على الأطفال ويداعبهم.

عن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم - رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع بكاء الصبي يسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه.

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها وجاء الحسن والحسين وهما ابنا ابنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى ووضعهما بين يديه .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان لطيفا رحيماً فلم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

عن أنس رضي الله عنه قال : "خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، والله ما قال أف قط ، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" - رواه الشيخان وأبو داود و الترمذي.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله متفق عليه.

- محمد صلى الله عليه وسلم نبي التيسير على أمته وعلى الناس أجمعين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت " ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم".

- محمد صلى الله عليه وسلم كان يحب أمته ويدعو على من آذاها : (اللهم من ولِيَ من أمرِ أمتي شيئاً ، فشقَّ عليهم ، فاشقُق عليه ، و من ولي من أمر أمتي شيئاً ، فرفق بهم ، فارفق به)

- محمد صلى الله عليه وسلم عندما قيل له ادع على المشركين قال صلى الله عليه وسلم " إني لم أبعث لعانًا ، وإنما بعثت رحمة " - رواه مسلم

- محمد صلى الله عليه وسلم كان رحيما في تعامله مع الناس حكيما في توجيههم

عن أنس رضي الله عنه قال : " بينما نحن في المجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فصاح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم : مَه مَه (أي اترك) !!.قال النبي عليه الصلاة و السلام : لا تُزرموه، (لا تقطعوا بوله).

فترك الصحابة الأعرابي يقضي بَوله ، ثم دعاه الرسول صلى الله عليه و سلم وقال له:

"إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنَّما هي لِذِكر الله والصلاة و قراءة القرآن"، ثم قال لأصحابه صلى الله عليه و سلم: "إنَّما بُعِثتم مُبَشِرين ، ولم تُبعَثوا معسرين، صُبّوا عليه دلواً من الماء".
عندها قال الأعرابي: "اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ".
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : "لقد تحجَّرتَ واسعاً"، (أي ضَيَّقتَ واسعاً)، متفق عليه.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر.
عن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب - رواه الترمذي .
الإهالة السنخة : أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث.
وقال صلى الله عليه وسلم (لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت) رواه الترمذي .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يقضي حوائج الناس :
عن ابن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته. رواه النسائي والحاكم.
- محمد صلى الله عليه وسلم يأتيه الصغير، فيأخذ بيده يريد أن يحدثه في أمر، فيذهب معه حيث شاء.
- محمد صلى الله عليه وسلم وقاره عجب ، لا يضحك إلا تبسما ، ولا يتكلم إلا عند الحاجة ، بكلام يعد يحوي جوامع الكلم ، حسن السمت.
- محمد صلى الله عليه وسلم لا يحب النميمة ويقول لأصحابه : " لا يبلغني أحد عن أحد شيئا ، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".
- محمد صلى الله عليه وسلم كان أحسن الناس خلقا ، قال أنس : "خدمت رسول الله عشر سنين ، والله ما قال لي: أف قط ولا لشيء فعلته : لم فعلت كذا ؟، وهلا فعلت كذا؟". مسلم
محمد صلى الله عليه وسلم لا يقابل أحدا بشيء يكرهه ، وإنما يقول: (ما بال أقوام)
- محمد صلى الله عليه وسلم لا يغضب ولا ينتقم لنفسه ، إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى ، فينتقم لله.
* محمد صلى الله عليه وسلم دخل في فتح مكة إلى الحرم خاشعا مستكينا ، ذقنه يكاد يمس ظهر راحلته من الذلة لله تعالى والشكر له.. لم يدخل متكبرا، متجبرا، مفتخرا، شامتا.
* محمد صلى الله عليه وسلم وقف أمامه رجل وهو يطوف بالبيت ، فأخذته رعدة ، وهو يظنه كملك من ملوك الأرض ، فقال له رسول الله : " هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ".
* محمد صلى الله عليه وسلم يمر الشهر وليس له طعام إلا التمر.. يتلوى من الجوع ما يجد ما يملأ بطنه ، فما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى فارق الدنيا .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان رحيما بأمته.

- محمد صلى الله عليه وسلم أعطاه الله دعوة مستجابة ، فادخرها لأمته يوم القيامة شفاعة ، قال: (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا) [البخاري] ؛ ولذا قال تعالى عنه : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يمر عليه الشهران والثلاثة ولا يوقد في بيته نار
عن عروة رضي الله عنه قال : عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول : والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت : الأسودان - التمر والماء -) متفق عليه.
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم الشعير) رواه الترمذي وابن ماجه.
- محمد صلى الله عليه وسلم ما عاب شيئا قط.
- محمد صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاما قط ؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه.
- محمد صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام.
- محمد صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء.
- محمد صلى الله عليه وسلم يجلس حيث انتهى به المجلس.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس
- محمد صلى الله عليه وسلم أشجع الناس
- محمد صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها.
- محمد صلى الله عليه وسلم ما سئل شيئا فقال: "لا" .
- محمد صلى الله عليه وسلم يحلم على الجاهل ، ويصبر على الأذى.
- محمد صلى الله عليه وسلم يتبسم في وجه محدثه، ويأخذ بيده ، ولا ينزعها قبله.
- محمد صلى الله عليه وسلم يقبل على من يحدثه ، حتى يظن أنه أحب الناس إليه.
- محمد صلى الله عليه وسلم ما أراد أحد أن يسره بحديث ، إلا واستمع إليه بإنصات.
- محمد صلى الله عليه وسلم يكره أن يقوم له أحد ، كما ينهى عن الغلو في مدحه.
- محمد صلى الله عليه وسلم إذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه.
- محمد صلى الله عليه وسلم ما ضرب بيمينه قط إلا في سبيل الله.
- محمد صلى الله عليه وسلم لا تأخذه النشوة والكبر عن النصر.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان زاهدا في الدنيا.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يبغض الكذب.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان أحب العمل إليه ما دوم عليه وإن قل
- محمد صلى الله عليه وسلم كان أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن .

- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا جاء أمرا أسره يخر ساجداً شكرا لله تعالى.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا بدا بنفسه .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا الله لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان لا ينام إلا والسواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاثة أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله.
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى في كل وقت .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله .
- محمد صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام الاثنين والخميس .
- محمد صلى الله عليه وسلم يضطجع على الحصير، ويرضى باليسير، وسادته من أدم حشوها ليف.
- محمد صلى الله عليه وسلم على الرغم من حُسن خلقه كان يدعو الله بأن يحسّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام .
عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي " - رواه أحمد ورواته ثقات.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول " اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق " - رواه أبو داود والنسائي
وختاماً :
قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً *ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً) [سورة النساء:٦٩-٧٠].
وقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) [سورة الأحزاب:٢١].
فالمؤمن الحق هو المتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم والمستن بسنته وهديه .
قال صلى الله عليه وسلم: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)).

قال عليه الصلاة والسلام: ((ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذيء)).
وقال صلى الله عليه وسلم : ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لأهله)).
ومن ها هنا نعلم اضطرارنا فوق كل ضرورة إلى معرفة نبينا صلى الله عليه وسلم لتقوى محبتنا له ، فإذا ما أحببناه اقتدينا بهديه وتأدبنا بآدابه وتعاليمه ، فبمتابعته يتميز أهل الهدى من أهل الضلال.
أخي المسلم وبعد هذا أسالك سؤالا فأقول هل تحب نبيك صلى الله عليه وسلم ؟؟؟
هل تريد نصرته ؟؟
فلماذا لا تهتدي بهديه وتستن بسنته وتطيعه ولا تعصيه حتى تكون من أهل سنته؟؟؟
نسأل المولى عز وجل أن يرزقنا حسن متابعته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأن ينفعنا بهديه ، لنفوز بشفاعته ومحبته صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة وأن يعيننا على خدمة السُنَّة النبوية المُطَهَّرة وأن يجمعنا وإياكم تحت لواء المصطفى صلى الله عليه وسلم.
اللهم اجعل حبك وحب رسولك أحب إلينا من أنفسنا وأبنائنا ومن الماء البارد على الظمأ ، اللهم ارزقنا شفاعة نبيك محمد وأوردنا حوضه ، وارزقنا مرافقته في الجنة ، اللهم صلى وسلم وبارك أطيب وأزكى صلاة وسلام وبركة على رسولك وخليلك محمد وعلى آله وصحبه.
وصلى الله على نبينا وحبينا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
إعداد: محمد شندي الراوي
المصدر: موقع طريق الجنة http://www.aljannahway.com

٢٧.بيتٌ .. وبيت!!

بيتٌ .. وبيت!!
نتكلم اليوم عن نموذجين لبيتين مختلفين تمام الاختلاف في التعامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:
البيت الأول: بيت أبي لهب عم الرسول صلى الله عليه وسلم:
وهو بيت آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكثر من إيذائه. وأبو لهب هذا هو أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم. ونتساءل لماذا خُص أبو لهب من بين سائر الكفار من صناديد قريش بالتوعد بالعقوبة في القرآن الكريم؟ والسبب في ذلك هو شدة معاداته له صلى الله عليه وسلم، فقد كان كثير الأذية والبغض له، والازدراء به والتنقص له ولدينه.
فمع بداية مرحلة الدعوة الجهرية، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بني هاشم بعد نزول آية (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) [الشعراء: ٢١٤]، فجاءوا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا نحو خمسة وأربعين رجلاً. فلما أراد أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بادره أبو لهب وقال: هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم، ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من

أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحدًا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتكلم في ذلك المجلس.
ثم دعاهم ثانية وقال: "الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ". ثم قال: " إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدًا أو النار أبدًا ".
فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقًا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به. فوالله، لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا.[١]
ثم بعد أن تأكد النبي صلى الله عليه وسلم من تعهد أبي طالب بحمايته وهو يبلّغ عن ربه، صعد النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على الصفا، فعلا أعلاها حجرًا، ثم جعل ينادى بطون قريش، ويدعوهم قبيلة قبيلة.
فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش. فلما اجتمعوا أخذ يدعوهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله ، فخص وعم. ولما تم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولا يُذكر عنهم أي ردة فعل، سوى أن أبا لهب واجه النبي صلى الله عليه وسلم بالسوء، وقال: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت فيه: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المسد:١].[٢]
أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يتبع الناس في منازلهم وفي عُكَاظ ومَجَنَّة وذى المَجَاز، يدعوهم إلى الله ، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب. وأدى ذلك إلى أن صدرت العرب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.[٣]
وقد رُوي ما يفيد أن أبا لهب كان لا يقتصر على التكذيب، بل كان يضربه بالحجر حتى يدمى عقباه.[٤]
ولما بدأت قريش في التنكيل بالمسلمين، لم تستطع في بادئ الأمر الاجتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن مع استمراره صلى الله عليه وسلم في دعوته، بدأت في مد يد الاعتداء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ما كانت تأتيه من السخرية والاستهزاء والتشويه والتلبيس والتشويش وغير ذلك. وكان من الطبيعي أن يكون أبو لهب في مقدمتهم وعلى رأسهم، فإنه كان أحد رؤوس بني هاشم، فلم يكن يخشى ما يخشاه الآخرون، وكان عدوًا لدودًا للإسلام وأهله، وقد وقف موقف العداء من رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اليوم الأول، واعتدى عليه قبل أن تفكر فيه قريش.[٥]
وكان أبو لهب قد زوج ولديه عتبة وعتيبة ببنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة حتى طلقاهما.

ولما مات عبد الله - الابن الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم - استبشر أبو لهب، وذهب إلى المشركين يبشرهم بأن محمدًا صار أبتر.[٦]
كان أبو لهب يفعل كل ذلك وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاره، فكان بيته ملصقا ببيته. كما كان غيره من جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذونه وهو في بيته. قال ابن إسحاق: كان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبو لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدى بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلى - وكانوا جيرانه - لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص. فكان أحدهم يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلى، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرًا ليستتر به منهم إذا صلى الله عليه وسلم.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: "يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟" ثم يلقيه في الطريق.[٧]
ولما أبرمت قريش قرارها بإهدار دم النبي صلى الله عليه وسلم، كان أبو لهب من بين أكابر مجرمي قريش الذين قضوا نهارهم في الإعداد سرا لتنفيذ الخطة المرسومة، بل وكان من النفر الذين اختيروا لتنفيذ تلك المؤامرة اللئيمة.
فماذا كانت العاقبة؟! رماه الله بالعدسة[٨] فقتلته!! فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا، ما دفناه حتى أنتن. وكانت قريش تتقي هذه العدسة، كما تتقي الطاعون. حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنما نخشى عدوى هذه القرحة!! فقال: انطلقا، فأنا أعينكما عليه! فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رجموا عليه بالحجارة.[٩]
وكانت امرأة أبي لهب - أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، والتي سماها المسلمون أم قبيح من كثرة ما تؤذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا تقل عن زوجها في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم. فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى بابه ليلاً. وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب.
ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فِهْرٌ[١٠] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة. ثم قالت:
مُذَمَّما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قَلَيْنا
ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، أما تراها رأتك؟ فقال: " ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني".

وروى أبو بكر البزار هذه القصة، وفيها: أنها لما وقفت على أبي بكر قالت: أبا بكر! هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمُصدَّق.[١١]
فماذا كانت نهايتها؟ كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة[١٢] من الحسك[١٣] فتطرحها في طريق المسلمين. فبينما هي حاملة ذات يوم حُزمة، إذ أَعْيَت، فقعدت على حجر لتستريح. فجُذبت من خلفها، فهلكت. خنقها الله بحبلها!! وقيل: لما كانت تعيّر النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف، فخنقها الله جل وعز به فأهلكها، وهو في الآخرة حبل من نار.[١٤]
ومما تروي لنا كتب السنة والسيرة: أن عتيبة بن أبي لهب أتى يومًا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أكفر بـ (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)] النجم: ١ [، وبالذي (دَنَا فَتَدَلَّى)] النجم: ٨ [. ثم تسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه صلى الله عليه وسلم، إلا أن البزاق لم يقع عليه. وحينئذ دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك".
فماذا كانت عاقبة ذلك؟ لقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم!! فقد خرج عتيبة إثر ذلك في نفر من قريش، فلما نزلوا بالزرقاء من الشام طاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: يا ويل أخي هو والله آكلي، كما دعا محمد عليّ، قتلني وهو بمكة، وأنا بالشام. ثم جعلوه بينهم، وناموا من حوله، ولكن جاء الأسد وتخطاهم إليه، فضغم[١٥] رأسه.[١٦] وانظر رحمك الله... لما تفل عتيبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتى إليه الأسد، فشم وجهه، ثم ضغم رأسه!! لم يأكله من يديه أو رجليه، وإنما رأسًا برأس!!![١٧]
والبيت الثاني: بيت أبي بكر الصديق:
لما بدأت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، كان من الطبيعي أن يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أولاً على ألصق الناس به من أهل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الحق والخير، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح. وكان من أوائل من دُعوا إلى الإسلام، صديقه الحميم أبو بكر الصديق، الذي أسلم في أول يوم للدعوة.[١٨]
ثم نشط أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام، وكان رجلاً مألفاً محبباً سهلاً ذا خلق ومعروف. وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو من يثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعوته عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله.[١٩]
واشترى أبو بكر رضي الله عنه الكثير من الإماء والعبيد رضي الله عنهم وعنهن أجمعين، فأعتقهم جميعًا. وقد عاتبه في ذلك أبوه أبو قحافة وقال: أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أعتقت رجالاً جلدًا لمنعوك. قال: إني أريد وجه الله . فأنزل الله قرآنًا مدح فيه أبا بكر، وذم أعداءه. قال تعالى: (فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى)] الليل: ١٤ - ١٦ [، وهو أمية بن خلف، ومن كان على شاكلته،

(وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى)] الليل: ١٧ - ٢١ [، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.[٢٠]
وأوذي أبو بكر الصديق رضي الله عنه أيضًا كثيرا من كفار قريش بسبب إسلامه، وبسبب منافحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن أشد المواقف التي صنعها المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم، كان بجانبه صديقه الحميم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. فبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا. فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟[٢١]
ومن أكثر مواقف الصديق رضي الله عنه عظمة مع النبي صلى الله عليه وسلم، موقفه معه هو وأسرته أثناء الهجرة.[٢٢] فبعد أن أذن الله تعالى إلى نبيه بالهجرة، ذهب النبي صلى الله عليه وسلم في الهاجرة - حين يستريح الناس في بيوتهم - إلى أبي بكر رضي الله عنه ليبرم معه مراحل الهجرة. قالت عائشة رضي الله عنها: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها. فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.
قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن، فأذن له فدخل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: " أخرج مَنْ عندك ". فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله. قال: " فإني قد أذن لي في الخروج ". فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم".
ثم أبرم معه خطة الهجرة، ورجع إلى بيته ينتظر مجيء الليل. وقد استمر في أعماله اليومية حسب المعتاد حتى لم يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة، أو لأي أمر آخر اتقاء مما قررته قريش.
غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته، وأتى إلى دار رفيقه - وأمنّ الناس عليه في صحبته وماله - أبي بكر رضي الله عنه. ثم غادر منزل الأخير من باب خلفي، ليخرجا من مكة على عجل وقبل أن يطلع الفجر.
ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن قريشًا سَتَجِدُّ في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالاً، فسلك الطريق الذي يضاده تمامًا، وهو الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن. سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال، حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثَوْر، وهو جبل شامخ، وَعِر الطريق، صعب المرتقى، ذو أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: بل كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفي أثره فحفيت قدماه. وأيا ما كان فقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل، وطفق يشتد به حتى انتهي به إلى غار في قمة الجبل، عُرف في التاريخ بغار ثور.
ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك! فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقبًا فشق إزاره وسدها به، وبقى منها

اثنان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ادخل. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع رأسه في حجره ونام. فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " ما لك يا أبا بكر "؟ قال: لُدغت، فداك أبي وأمي. فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب ما يجده.
وكَمُنَا في الغار ثلاث ليال. وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما. قالت عائشة: وهو غلام شاب ثَقِف لَقِن، فيُدْلِج من عندهما بسَحَرٍ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.
أما قريش فقد جن جنونها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ليلة تنفيذ المؤامرة. فأول ما فعلوا بهذا الصدد أنهم ضربوا عليًا، وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، علهم يظفرون بخبرهما.
ولما لم يحصلوا من عليّ على جدوى جاءوا إلى بيت أبي بكر وقرعوا بابه، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدرى والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشًا خبيثًا - فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها.
وقررت قريش في جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين، كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، كائنًا من كان. وقد وصل المطاردون إلى باب الغار، ولكن الله غالب على أمره. روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم. فقلت: يا نبي الله! لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا. قال: " اسكت يا أبا بكر، اثنان، الله ثالثهما"، وفي لفظ: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما".
وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة. وحين خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأت ثائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى، تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه للخروج إلى المدينة.
وتستمر أيادي الخير الممتدة من أبي بكر، وتستمر مواقفه العظيمة في خدمة الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم والمسلمين. وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: "مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ ".[٢٣]
هذه بعض من مواقف أبي بكر الصديق مع النبي صلى الله عليه وسلم. فماذا كانت مواقف أهل بيته من النبي صلى اله عليه وسلم ودعوته؟ قد علمنا فيما مضى الدور العظيم الذي لعبه عبد الله بن أبي بكر في الهجرة، فقد كان يبقى في النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم، ثم يتسلل في الليل لينقل هذه الأخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيه. ويبيت عندهما، ويخرج من السحر، فيصبح مع قريش.[٢٤]

وبنته أسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين، وهي أسن من عائشة. سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين لأنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبيها سفرة لما هاجرا، فلم تجد ما تشدها به، فشقت نطاقها وشدت به السفرة، فسماها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. وهي زوجة الزبير بن العوام، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب. هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فولدته بعد الهجرة، فكان أول مولود يُولد في الإسلام بعد الهجرة. بلغت مائة سنة، ولم يُنكر من عقلها شيء، ولم يسقط لها سن.[٢٥] عاشت إلى أن ولي ابنها عبد الله الخلافة، ثم إلى أن قُتل، وماتت بعده بقليل.[٢٦]

وزوجه أم رومان، التي أسلمت مبكرا وبايعت[٢٧]، ثم هاجرت إلى المدينة. وهي والدة عبد الرحمن وعائشة. توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم قبرها، واستغفر لها وقال: " اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك ". وقيل: لما دُليت أم رومان في قبرها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى هذه ".[٢٨]

وغني عن البيان بنته الأخرى، الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها وأرضاها، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي الآخرة. وهي أعلم النساء، كنّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عبد الله، وكان حبه لها مثالا للزوجية الصالحة.

وبعد... فهذان نموذجان لبيتين تفاعلا مع النبي صلى الله عليه ودعوته. ويمثل هذان البيتان طرفي نقيض في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم. وتتفاوت باقي البيوت في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته في نطاق هذا الإطار. فانظر أخي وحبيبي في الله، أي بيت تود أن يكون بيتك!! هل تريد أن يكون بيتك مثل بيت أبي لهب أو قريبًا منه، أم تريد أن يكون بيتك دائرًا في فلك بيت أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه. وهاهو موقف يحتاج منك لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ تنشر الصحف الدانمركية – ومن بعدها صحف أوروبا كلها - الصور الكاريكاتورية التي تنال منه صلى الله عليه وسلم! فتخيل نفسك في موقف أبي بكر وبيته، وانظر ماذا كان سيفعل رضي الله عنه في مثل هذا الموقف، وحاول أن تقتدي به!!

٥ من المحرم عام ١٤٢٧ من الهجرة (الموافق في تقويم النصارى ٤ من فبراير عام ٢٠٠٦).

الهوامش:

[١] الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص: ٦٩-٧٠.

[٢] الرحيق المختوم، ص: ٧٠.

[٣] الرحيق المختوم، ص: ٧٣.

[٤] الرحيق المختوم، ص: ٧٧، نقلا عن سيرة ابن هشام.

[٥] الرحيق المختوم، ص: ٧٦.
[٦] الرحيق المختوم، ص: ٧٦.
[٧] الرحيق المختوم، ص: ٧٧ – ٧٨.
[٨] بثرة تخرج في البدن كالطاعون، وقلما يسلم صاحبها.
[٩] الجزاء من جنس العمل، د/ سيد حسين العفاني، الجزء الأول، ص: ٢٥٥-٢٥٦.
[١٠] أي بمقدار ملء الكف.
[١١] الرحيق المختوم، ص: ٧٧.
[١٢] حزمة كبيرة.
[١٣] نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.
[١٤] الجزاء من جنس العمل، الجزء الأول، ص: ٢٥٧، وكذا تفسير القرطبي، تفسير سورة المسد، الآية الخامسة.
[١٥] عضه شديدا بملء الفم.
[١٦] الرحيق المختوم، ص: ٨٩، وكذلك: الجزاء من جنس العمل، الجزء الأول، ص: ٢٥٤ – ٢٥٥.
[١٧] الجزاء من جنس العمل، الجزء الأول، ص: ٢٥٥.
[١٨] الرحيق المختوم، ص: ٦٦، نقلا عن: رحمة للعالمين.
[١٩] الرحيق المختوم، ص: ٦٦ – ٦٧.
[٢٠] وانظر بسط هذا الموضوع بالتفصيل في: الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د/ علي محمد محمد الصلابي، ص: ٣٩ - ٤٢. والرواية المذكورة ذكرها ابن جرير في تفسيره، انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، المجلد الحادي عشر، ص: ٦٥٦٠.
[٢١] الرحيق المختوم، ص: ٩٠، نقلا عن رواية في صحيح البخاري.
[٢٢] انظر قصة الهجرة في: الرحيق المختوم، ص: ١٤٩ – ١٦٢.
[٢٣] رواه الترمذي في سننه (٣٦٦١)، وقال عنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: " ضعيف، دون قوله: " وما نفعني ... "، فصحيح ". وانظر جامع الأصول: المجلد الثامن (ح/ ٦٤٠٥).
[٢٤] الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، المجلد الرابع، ص: ٢٤ (ت/ ٤٥٨٦).
[٢٥] الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص: ٢٣.
[٢٦] الإصابة في تمييز الصحابة، المجلد الثامن، ص: ١٢ - ١٤ (ت/ ١٠٨٠٤).
[٢٧] الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص: ٢٢.
[٢٨] الإصابة في تمييز الصحابة، المجلد الثامن، ص: ٣٩١ – ٣٩٢ (ت/ ١٢٠٢٧).

٢٨.القدوة الحسنة !

موسى محمد هجاد الزهراني

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [سُورَةُ التَّوْبَةِ : ١٢٨] ..
إن المتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ليجد أنها حوت جميع مكارم الأخلاق التي تواطأ عليها فضلاء ونجباء البشر ونبلاؤهم، حتى إنها لتجيب على كل ما يختلج في الفؤاد من أسئلة قد تبدو محيرة لمن لم يذق طعم الإيمان بالله تعالى من الذين كفروا ، والغريب في الأمر أن بعض بني قومنا من المسلمين هداهم الله لا يحفلون بهذه الميزة العظيمة التي ميزنا الله بها وهي كون النبي صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة حسنة رغم أنها تمثل الرادع الفعلي عن ارتكاب ما يخل بخلق المسلم ، وهي المحرك الأساس إلى الارتقاء بالذات إلي معالي الأمور وقممها السامقات .
إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنٌ يمشي على الأرض وكان خلقه القرآن ، ولذلك تجد كثيراً من عامة المسلمين اليوم إذا سألتهم ولو كان ذلك بطريقة عشوائية عن : من هو قدوتك أو مثلك الأعلى؟!
لسمعت الإجابة: النبي صلى الله عليه سلم!
أتعرف شيئاً عن سيرته؟!
فسيحدثك ولو بالقدر القليل عن سيرته عليه السلام من ولادته ونشأته وعبادته وشجاعته وحسن خلقه وغزواته وغير ذلك إلى الوفاة.
وإنك لتسمع من البعض أيضاً عبارة: هذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وما ذلك إلاّ دلالة واضحة على أن المسلمين عموماً لديهم الرجوع الذهني إلى القدوة المطلقة وهو النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .. فيفعلون ما فعل وينتهون عما نهى ويخجلون من فعل شيء لم يفعله.
* * *
أين هذا من الكثرة الكاثرة في الأرض اليوم بكل في كل زمان من الكافرين على جميع أصنافهم وتنوع مذاهبهم وتنوع مذاهبهم ومشاربهم؟
خذ مثلاً .. النصارى الموجودين اليوم .. لو سألت أحدهم أو مجموعة منهم عن قدوته في الحياة لما حار جواباً إلاّ بعد تفكير مضطرب قد تأتي الإجابة بعده ليست كما تريد .. وينسى (المسيح عليه السلام) أو (يسوع كما يحلو لهم أن يعبروا) لأنه يجهل سيرته تماماً ولا يعلم منها إلا الجزء المظلم في نظرة النصرانية من أنه أحد الأقانيم الثلاثة .. ثلاثة في واحد .. وأنه ابن الإله ، وهو المصلوب لإنقاذ الجنس البشري من تبعات خطيئة أبيهم آدم .. وهو الذي نزل باسم الإله تارة أو ابنه تارة أو ما إلى ذلك من خرافاتهم ..
{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [سُورَةُ النِّسَاءِ : ١٥٨]
فإذا أردت منه شيئاً يسيراً عنه ولادة عيسى عليه السلام .. لربما غضب منك لأنه يعلم أنك تريد تسفيه عقيدته في ابن الإله (حسب زعمهم).. وإذا أردت شيئاً من سيرته لم تسمع من في الخاصة منهم إلاّ العبارة المشهورة عن المسيح عندهم " إذا صفعك أحدهم على الخد الأيسر فأدر له الخد الأيمن ومن جاءك يريد أخذ شيئاً من مالك

فأعطه مالك كله " على أنها لا سند لها من شرع ولا عقل إلاّ إنها لا تمثل ما عليه واقع حال النصرانية المحرفة أبداً ولا يحفل قسسهم ولا باباوتهم ورهبانهم وساستهم – وبوش الظالم المعتدي على أفغانستان والعراق أكبر مثال – لا يحفلون بهذا النص عن المسيح عندهم ولا يُعملونه في واقعهم، وواقعهم المرّ يشهد بذلك .
{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً} [سُورَةُ النِّسَاءِ : ١٧١]

* * *

أين المسلمون عن شكر نعمة القدوة المطلقة محمد صلى الله عليه وسلم وأين العمل بسنته والافتخار بها؟
{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا} [سُورَةُ الأَحْزَابِ : ٢١]
وبقي أن نعلم أن القدوات ثلاثة .. القدوة المطلقة وهو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والقدوة الثانية : من مات على الإسلام الصحيح من سلف الأمة المخلصين ومن كانت سيرته نبراساً لمن بعده كالصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .. وعلماء الأمة الأربعة فمن بعدهم وشمسهم الوهاجة شيخ الإسلام بن تيميه .. إلى آخر عالمٍ مات منهم .. بالشرط المتقدم .
القدوة الثالثة : من يصلح الاقتداء به في هذا الزمان من الأخيار ، على أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ..
ولله در الشيخ الدكتور عائض القرني على روعة وصفة لقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم ، في رائعته : تاج المدائح :

أنصت لميميةٍ جاءتك من أَمَمِ **** مُدادها من معاني نون والقلم
سالت قريحةُ صبٍّ في محبتكم***** فيضاً تدفق مثل الهاطلِ العممِ
كالسيل كالليل كالفجر اللحوح غدا * يطوي الروابي ولا يلوي على الأكم
أجش كالرعد في ليل السعود ولا *** يشابه الرعد في بطش وفي غشم
كدمع عيني إذا ما عشت ذكركم *** أو خفق قلب بنار الشوق مضطرم
يزري بنابغة النعمان رونقها ***** ومن زهير ؟ وماذا قال في هَرِمِ
دع سيف ذي يزنٍ صفحاً ومادحه ***** وتبّعاً وبني شداد في إرم
ولا تعرج على كسرى ودولته ***** وكل أصْيد أو ذي هالةٍ وكمي
وانسخ مدائح أرباب المديح كما ***** كانت شريعته نسخا لدينهم
رصّع بها هامة التأريخ رائعة ***** كالتاج في مفرق بالمجد مرتسم
فالهجر والوصل والدنيا وما حملت **** وحب مجنون ليلى ضلة لعمي
دع المغاني وأطلال الحبيب ولا***** تلمح بعينك برقا لاح في أضم
وأنس الخمائل والأفنان مائلة ***** وخيمة وشويهات بذي سلم
هنا ضياء هنا ري هنا أمل ***** هنا رواء هنا الرضوان فاستلم
لو زينت لامرء القيس انزوى خجلا ***** ولو رآها لبيد الشعر لم يقم

ميمية لو فتى بوصير أبصرها ***** لعوذوه برب الحل والحرم
سل شعر شوقي أيروي مثل قافيتي *** أو أحمد بن حسين في بني حكم
ما زار سوق عكاظ مثل طلعتها***** هامت قلوب بها من روعة النغم
أثني على من ؟ أتدري من أبجله ؟ ***** أما علمت بمن أهديته كلمي
في أشجع الناس قلبا غير منتقم ***** وأصدق الخلق طرّا غير متهم
أبهى من البدر في ليل التمام وقل * أسخى من البحر بل أرسى من العلم
أصفى من الشمس في نطق وموعظة ** *أمضى من السيف في حكم وفي حكم
أغر تشرق من عينيه ملحمة ***** من الضياء لتجلو الظلم والظلم
في همة عصفت كالدهر واتقدت *** كم مزقت من أبي جهل ومن صنم
أتى اليتيم أبو الأيتام في قدر ***** أنهى لأمته ما كان من يتم
محرر العقل باني المجد باعثنا ***** من رقدة في دثار الشرك واللمم
بنور هديك كحلنا محاجرنا ***** لما كتبنـا حروفا صغتها بدم
من نحن قبلك إلا نقطة غرقت **** في اليم بل دمعة خرساء في القدم
أكاد أقتلع الآهات من حُرَقي ***** إذا ذكرتُك أو أرتاعُ من ندمي
لما مدحتك خلت النجم يحملني ***** وخاطري بالسنا كالجيش محتدم
أقسمتُ بالله أن يشدو بقافية ***** من القريض كوجه الصبح مبتسم
صه شكسبير من التهريج أسعدنا **** عن كل إلياذة ما جاء في الحكم
الفرس والروم واليونان إن ذكروا ***** فعند ذكراه أسمال على قزم
هم نمقوا لوحة للرق هائمة ***** وأنت لوحك محفوظ من التهم
أهديتنا منبر الدنيا وغار حرا ***** وليلة القدر والإسراء للقمم
والحوض والكوثر الرقراق جئت به*** أنت المزمل في ثوب الهدى فقم
الكون يسأل والأفلاك ذاهلة ***** والجن والإنس بين اللاء والنعم
والدهر محتفلٌ والجو مبتهج ***** والبدر ينشق والأيام في حلم
سرب الشياطين لما جئتنا احترقت **** ونار فارس تخبو منك في ندم
وصُفّدَ الظلم والأوثان قد سقطت ***** وماء ساوة لما جئت كالحمم
قحطان عدنان حازوا منك عزتهم ***** بك التشرف للتأريخ لا بهم
عقود نصرك في بدر وفي أحد ***** وعدلا فيك لا في هيئة الأمم
شادوا بعلمك حمراء وقرطبة ***** لنهرك العذب هب الجيل وهو ظمي
ومن عمامتك البيضاء قد لبست ***** دمشق تاج سناها غير منثلم
رداء بغداد من برديك تنسجه ***** أيدي رشيد ومأمون ومعتصم
وسدرة المنتهى أولتك بهجتها ***** على بساط من التبجيل محترم
دارست جبريل آيات الكتاب فلم***** ينس المعلم أو يسهو ولم يهم
اقرأ ودفترك الأيام خُط به ***** وثيقة العهد يا من بر في القسم
قربت للعالم العلوي أنفسنا ***** مسكتنا متن حبل غير منصرم
نصرت بالرعب شهرا قبل موقعة *** كأن خصمك قبل الحرب في صمم
إذا رأوا طفلا في الجو أذهلهم ***** ظنوك بين بنود الجيش والحشم
بك استفقنا على صبح يؤرقه ***** بلال بالنغمة الحرّى على الأطم

إن كان أحببت بعد الله مثلك في **** بدو وحضر ومن عرب ومن عجم
فلا اشتفى ناظري من منظر حسن *****ولا تفوه بالقول السديد فمي
* * *
بعد ، فهذه كلمات يسيرة كتبتها على عجل ، أثارها في صدري ما قرأته عن مقارنه الأديان[١] وتخبطاتها حاشا الإسلام.
أسأل الله أن يجعلنا من المهتدين المقتدين بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ويرزقنا أتباع سنته وشفاعته يوم القيامة .
القاهرة
في ١٤٢٥/٥/١٢هـ
....
[١] انظر كتاب أستاذنا الفاضل أ د / مصطفى حلمي (الإسلام ومقارنة الأديان)

٢٩.بأبي أنت وأمي يا رسول الله

محمد بن شاكر الشريف

تدلهم على الناس الخطوب وتفجؤهم المصائب الكبيرة، فإذا تأملوها حق التأمل وجدوا فيها من فضل الله وإحسانه ما تعجز الألفاظ عن التعبير عنه، لقد فوجئ المسلمون بحفنة من الحاقدين النصارى الذين أعمى بصيرتهم شعاع الحق الظاهر من دين الإسلام، الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده ولم يرض دينا سواه، فذهب هؤلاء المنكوسين يفرغون حقدهم وضلالهم في العيب والذم لرسول الله تعالى الذي أرسله ربه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لقد كانت فاجعة وأي فاجعة ومصيبة وأي مصيبة، لكن جعل الله من ذلك فرصة عظيمة للمسلمين لبيان حبهم لدينهم وشدة تمسكهم به، وبذل الغالي والنفس والنفيس للذود عن حبيبهم، ومهما كتب الكاتبون ومدح المادحون ونافح المنافحون فلن يستطيعوا أن يوفوه حقه اللائق به صلى الله عليه وسلم، ولكنها كلمات يكتبها المسلم المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليعبر بها عن بعض ما بداخله، وليؤدي جزءًا مما يجب عليه نحوه، كيف لا وقد أخرجنا الله تعالى به من الظلمات إلى النور وهدانا به الصراط المستقيم، فمن أقل ما يجب علينا أن ننتهز هذه الفرصة لنعبر عما يجيش بصدورنا تجاه هذا الرسول الأكرم الذي لم تعرف له البشرية نظيرًا أو مدانيًا، وما مثل الكاتبون ومثل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا كمثل رجل دخل بستانا مثمرًا من كل أنواع الثمار التي تحبها النفوس وتشتهيها، وذلك وقت نضجها، فلم يدر من شدة جمالها وحسنها ماذا يأخذ وماذا يدع.

كيف كان العالم قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان العالم كله يعيش في ظلمات الجهل والضلالة والشرك، إلا عددًا قليلاً جدًا ممن حافظ على دينه من أهل الكتاب، فلم يحرفوه أو يقبلوا تحريفه ممن قام به، يقول الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم:"إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال:إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان.." الحديث، فهذا الحديث يصور الحالة

البشعة التي كان عليها العالم قبل مبعث خير البرية، حيث استوجبت من الله تعالى أشد البغض، وهذا لا يكون إلا مع الانغماس التام في الضلالة والبعد عن سنن الرشاد.
فقد كان العرب يئدون البنات ويحرمون أشياء مما رزقهم الله تعالى بغير حجة أو برهان، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام:" قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ" [الأنعام:١٤٠]، وكانوا يأكلون الميتة ويشربون الدم، كما قال الله تعالى مبينا حالهم، وآمرا رسوله أن يقول لهم:" قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [الأنعام:١٤٥]، وفوق ذلك كله كانوا مشركين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، ويحرمون على أنفسهم الاستفادة من بعض حيواناتهم، ويجعلون إنتاجها للطواغيت، كما نعى الله عليهم ذلك في قوله:"مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ" [المائدة :١٠٣]، ولم يكن أهل الكتاب بأحسن حالاً منهم فحرفوا كتابهم المنزل على رسولهم، وافتروا على الله الكذب وأشركوا بالله، وادعى اليهود أن لله تعالى ولدًا، كما ادعت النصارى أن لله تعالى ولدًا :"وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"[التوبة:٣٠]، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله تعالى، قال الله تعالى في وصف ذلك:" اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" [التوبة:٣١]، ولم يكونوا يتناهون عن المنكرات التي تحدث بينهم كما قال الله عنهم:"لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ" [المائدة:٧٨-٧٩]، وكانوا المجوس يعبدون النار ويستحلون نكاح المحارم فينكح الرجل منهم أخته أو ابنته، وبالجملة فقد كان العالم في ظلام دامس وشرك وضلال، حتى جاءهم الرسول الكريم بالرسالة الشاملة الهادية إلى صراط مستقيم، فبأبي أنت وأمي يا رسول الله.
كما يبين الحديث الغرض الذي لأجله بعثه الله تعالى، وهو دعوة الناس إلى الله تعالى ومجانبة طريق الشرك والضلال، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، قال النووي:"إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة، وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده، والصبر في الله تعالى وغير ذلك، وأبتلي بك من أرسلتك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعاته، ومن يتخلف ويتأبد بالعداوة والكفر، ومن ينافق"، ولم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان العدل والإنصاف من شمائله أن يستثني من الشرك والضلالة طائفة من أهل الكتاب ظلت محافظة على عهد الله تعالى إليهم، فقال:"إلا بقايا من أهل الكتاب"، فالإسلام دين يحث على العدل والإنصاف وعدم غمط الناس،

يقول الله تعالى:" لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ [آل عمران:١١٣] وقال:"وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" [آل عمران:١٩٩]، وقال:"وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [آل عمران:٧٥]وغير ذلك من الآيات.

ماذا قدمت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للعالمين:

بعد أن عم الشرك والجهل والضلال والظلم العالم كله، وكان في حاجة ماسة إلى من يخرجه من كل هذه الظلمات منَّ الله تعالى على العالمين ببعثته كما قال تعالى:"الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"، [إبراهيم:١]، فهو صلى الله عليه وسلم مرسل ليخرج الناس كلهم-وليس جنسا دون جنس، إذ دعوته صلى الله عليه وسلم ليست قومية أو عنصرية- من أنواع الظلمات كلها إلى النور التام، كما قال تعالى:"هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ"، [الحديد:٩]، فكان صلى الله عليه وسلم بذلك رحمة للناس جميعًا، كما قال تعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"، [الأنبياء:١٠٧].

فدعا الناس إلى الله ربهم، لا يطلب منهم على ذلك أجرًا أو مقابل، وتحمل منهم في سبيل ذلك الأذى الكثير، ومنع العدوان على الناس حتى لو كانوا من الكافرين، فبلغ عن ربه قوله:" وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" [المائدة:٢] والشنآن هو البغض.

ومنع الظلم بين الناس ولم يقبله حتى من أتباعه على أعدائه، وأمر بالعدل حتى مع الأعداء فبلغ عن ربه تعالى قوله:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" [المائدة:٨].

ودعا الناس إلى الوفاء بالعهود والعقود حتى مع الأعداء، ولم يكونوا كالذين قالوا:ليس لمن خالفنا في ديننا علينا أية حقوق، يستحلون بذلك ظلم من يخالفهم ويكذبون على الله وينسون ذلك إليه، فبلغ عن ربه تعالى قوله:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ" [المائدة:١]، وقوله:"وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ" [النحل:٩١].

وقد كان النهي عن الخيانة من الأحكام التي جاء بها الرسول الكريم وبلغها للناس حتى من يُخشى من خيانتهم من الأعداء فلا ينبغي خيانتهم لأن الخيانة خلق ذميم والله لا يحب الخائنين، قال الله تعالى:"وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ" [الأنفال:٥٨] فإذا خاف الرسول صلى الله عليه وسلم أو أتباعه من قوم عاهدوهم خيانة بإمارة تلوح أو ترشد إلى ذلك، فلا ينبغي للمسلم أن يخون بناء على ما ظهر من إقدام العدو على الخيانة، ولكن عليه أن يبين لهم أن

العهد الذي بيننا وبينهم قد ألغي قال ابن كثير:" أي أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي تستوي أنت وهم في ذلك"، فإن غير ذلك من الخيانة والله لا يحب الخائنين.

وقد كان لتعليماته صلى الله عليه وسلم على أصحابه أكبر التأثير فالتزموا بها حتى ضربوا أروع الأمثلة في كل ذلك، فعن سليم بن عامر رجل من حمير قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول:الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله، فقال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء، فرجع معاوية "

فما أحسن أثر دعوته على العالمين جميعًا، وما أقبح موقف الكافرين منه، الذين ناصبوه العداء وعاندوا دعوته، فبأبي أنت وأمي يا رسول الله.

احتماله صلى الله عليه وسلم الأذى في تبليغ الدعوة:

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في التمسك بالحق والثبات عليه وعدم التضعضع أمام الباطل وسلطانه، فعن عقيل بن أبي طالب قال:جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا:إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مجلسنا فانهه عن أذانا، فقال لي:يا عقيل ائت محمدًا قال فانطلقت إليه، فجاء في الظهر من شدة الحر فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة حر الرمضاء، فأتيناهم، فقال أبو طالب:إن بني عمك زعموا إنك تؤذيهم في ناديهم وفي مجلسهم، فانته عن ذلك، فحلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب:ما كذبنا بن أخي قط فارجعوا"، يبين لهم شدة تمسكه بالحق الذي هداه الله إليه واستحالة تركه أو ترك الدعوة إليه، فكما أنهم عاجزون عن أن يشعلوا شعلة من الشمس فهو لا يمكنه ترك ما أوحاه الله إليه، وإزاء هذا الإباء والثبات، عادته قريش وآذوه وصدوا الناس عنه، حتى بلغ بهم الأمر أن يتعاقدوا ويتعاهدوا على مقاطعة الرسول والمؤمنين ومن يسانده من أقربائه حتى لو كانوا على دين قريش، فقاطعوهم مقاطعة اجتماعية لا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم وقاطعوهم مقاطعة اقتصادية لا يبيعون منهم ولا يبيعون لهم، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، وظلت هذه المقاطعة ثلاث سنوات، وانظر تصويرًا لتلك الحالة الصعبة التي كان فيها المسلمون، يقول سعد بن أبي وقاص: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجت من الليل أبول، فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي، فنظرت فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها، فرضضتها بين حجرين ثم استففتها، فشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا"، "وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئًا من الطعام لعياله، فيقوم أبو لهب عدو الله، فيقول: يا معشر التجار:غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم ما لي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها

أضعافا، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به" فما رده ذلك عن دعوته، وقد بلغ الإيذاء بأصحابه مبلغه حتى اضطرهم ذلك إلى مغادرة الأوطان والهجرة منها، وترك التجارات والأموال والأهلين، وانتهى الأمر به صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة وهو صابر محتسب صامد كالطود الأشم، تميد الجبال الشم وهو صلى الله عليه وسلم ثابت لا ينحني، ولم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يساوم على دعوته، أو يقبل بما يدعونه من الحلول الوسط، بأن يكتم بعض ما أنزل الله إليه في سبيل أن يمتنع الكافرون عن معاداته أو محاربته، أو أن يلين في الحق في مقابل أن يلينوا معه في مواقفهم، بل رفض كل ذلك وظل صامدا فصلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف بقوله تعالى:" وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ" [القلم:٩]، وقال لهم في قوة وصلابة في الحق كما أمره ربه:" قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" [الكافرون:١-٦] وعرضوا عليه الأموال والنساء والملك، فيأبى كل ذلك ولسان حاله يقول: والله لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه".

ولما مكنه الله تعالى وأظهره لم يطغى أو يظلم أحد ولم يبغ العلو في الأرض وإنما جاهد في الله حق جهاده، وبذل نفسه في سبيل ذلك، وسنَّ في ذلك سننًا هي في غاية العدل والكمال، فلا ظلم ولا اعتداء ولا إفساد، ولا رغبة في العلو في الأرض بالباطل، ولا رغبة في التوسع على حساب الشعوب، بل كان يدعوهم إلى الله تعالى لا إلى نفسه ولا إلى قومه، حتى كان العربي والعجمي في كنفه سواء، فهذا بلال الحبشي مؤذن لصلاة المسلمين بين يدي رسول الله، وهذا صهيب الرومي الذي ترك ماله لقريش حتى لا يمنعوه من الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: ربح البيع، وهذا سلمان الفارسي الذي يقول فيه الرسول: سلمان منا أهل البيت، وكان يدعو الناس فمن قبل منهم دعوة الله كان واحدا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم من غير تفرقة بلون أو لغة أو جنس، وهذه هي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن خرج مجاهدا في سبيل الله تعالى مما يبين بكل وضوح نبل غاية الجهاد وأنه جهاد لإحقاق الحق وليس للعلو في الأرض أو الإفساد فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن

هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم..الحديث " فبأبي أنت وأمي يا رسول الله.

الأمانة في تبليغه صلى الله عليه وسلم الدعوة:

حيثما توجهت مع الرسول الكريم لا تجد إلا الطهر والنقاء، والثبات والقوة، والصدق والأمانة، يبلغ ما أوحاه الله إليه، ولا يُخفي منه شيئًا، حتى لو كان فيما أمر بتبليغه ما يدل على معاتبته على أحد التصرفات، فبلغ قوله تعالى:" عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى" [عبس:١-٤]، قال ابن كثير: "ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديما، فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه، وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى: "عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى"، فما انصرف عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وعبس رغبة عنه أو استهانة به، وإنما حمله على ذلك رغبته في إسلام أولئك العظماء، ليعز بهم المسلمون، ومع ذلك فقد بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكتمها.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مولى اسمه زيد بن حارثة تبناه الرسول قبل البعثة، وكانت عادة العرب أن زوجة الابن تحرم على الوالد ولو لم يكن ابنا للصلب وإنما كان ابنا بالتبني، وأراد الله تعالى أن يهدم هذا العرف الجاهلي، فلما طُلقت زينب زوجة زيد، شرع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم زواجها ليكون هو أول من يهدم هذا العرف الجاهلي، لكن هذا الأمر كان صعبًا على تلك البيئة لتأصل تلك العادة فيهم، فأخفى صلى الله عليه وسلم في نفسه هذه المشروعية، فقال الله تعالى له في شأن زينب بنت جحش وزوجها حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" فبلغها ولم يكتمها، قال أنس:"جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات "، فالرسول صلى الله عليه وسلم أمين على وحي الله تعالى، يبلغه كما أنزله الله عليه، لا يزيد فيه ولا ينقص منه.

رحمته صلى الله عليه وسلم بالعالمين:

قال الله له:"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"، [الأنبياء:١٠٧]، فما أرسله تعالى إلا ليكون إرساله رحمة للعالمين جميعا فمن قبل رسالته فهو ممن رحمهم الله تعالى ومن أعرض فعلى نفسه جنى، ولقد شملت رحمته صلى الله عليه وسلم حتى الحيوانات، فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال:"كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت

الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا:نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار". فالنبي صلى الله عليه وسلم يرق لحال هذا الطائر الذي فقد ولديه، ويرحمه ويأمر من أخذهما بإطلاقهما، مع أن صيد البر حلال لكن الرحمة التي ملأت جوانح الرسول الكريم لم يقدر معها على رؤية هذا الطائر المسكين المفجوع في ولده، حتى أمر بإطلاقه، وها هو ذا صلى الله عليه وسلم يدعو إلى رحمة كل ما فيها روح ويحث على ذلك ببيان ما فيه من الأجر فيقول: "بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال:لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر". وكان صلى الله عليه وسلم يرحم الصبية الصغار ويقبلهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:من لا يَرحم لا يُرحم"، ودعا أمته إلى رحمة الخلق جميعهم-من في الأرض- من يعقل كالإنس ومن لا يعقل كالحيوانات، فقال:"الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله "، وقد سجلت لنا السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها شمائله التي طبعه الله تعالى عليها حتى من قبل أن تأتيه الرسالة، فقالت له لما جاءه الوحي:" والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" فكانت هذه خلاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه، فلما جاءه الوحي زادت نورًا وتلألؤًا وجلالاً، فصلى الله عليك يا من أرسلك ربك رحمة للعالمين.

الحلم والعفو والصفح من شمائله صلى الله عليه وسلم:

كان الحلم والعفو والصفح شيمة هذا الرسول الكريم، حتى إنه لم ينتقم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حدود الله تعالى، فقد كان لرجل من اليهود دين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه يتقاضاه منه وأغلظ له في الكلام فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بحلم وصفح-على ما يتبين من هذه الرواية-حتى أداه ذلك إلى الإسلام، فقد كان زيد بن سعنة من أحبار اليهود وأتى النبي صلى الله عليه وسلم "يتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن، ثم قال:إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وأني بكم لعارف، فانتهره عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمر أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج:أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما أنه قد بقي من أجله ثلاث [أي لم يحن أجل الدين بعدُ، بل بقي منه ثلاث] فزده ثلاثين صاعًا، لتزويرك عليه"، ورواه ابن حبان وفيه: "فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم

قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فو الله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، وقال: أي عدو الله، أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى؟ فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا من غيره، مكان ما رعته، قال زيد فذهب بي عمر فقضاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلت:ما هذه الزيادة؟ قال:أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك، فقلت:أتعرفني يا عمر؟ قال:لا فمن أنت؟ قلت:أنا زيد بن سعنة، قال:الحَبْر؟ قلت:نعم الحَبْر، قال:فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت وتفعل به ما فعلت؟ فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد أختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، وأشهدك أن شطر مالي-فإني أكثرها مالاً-صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أو على بعضهم؟ فإنك لا تسعهم كلهم، قلت:أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ..الحديث" فحلم عليه، ولم يرد عليه بمثل ما قال، بل زاده في حقه من أجل انتهار عمر له، وعن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء" فلم يقابل جفاء الأعرابي وغلظته وقسوته عليه إلا أن التفت إليه وضحك، ثم أعطاه ما سأل، فما أحلمك يا رسول الله.

وقد حاربته قريش أشد المحاربة، وألّبوا عليه القبائل وآذوه وآذوا أصحابه، فلما أمكنه الله منهم وأظهره عليهم ودخل مكة فاتحًا في عام الفتح في موقف النصر والعزة والتمكين، لم يعاملهم بما يستحقونه من العقاب البليغ، بل عفا عنهم "وقال لهم حين اجتمعوا في المسجد: ما ترون أني صانع بكم؟ قالوا:خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال:اذهبوا فأنتم الطلقاء".

شجاعته صلى الله عليه وسلم:

كان لرسول صلى الله عليه وسلم في الشجاعة القدح المعلى فكان أسرع الناس إلى العدو وأقربهم إليه، ولم يفر صلى الله عليه وسلم من أية معركة رغم شدتها والتحام الصفوف فعن أبي إسحق قال:"جاء رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة، فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولىَّ، ولكنه انطلق أخِفَّاء من الناس وحُسَّر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل

كأنها رجل من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك، قال البراء:كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم" وكان صلى الله عليه وسلم إذا دهم المدينة خطر يكون أسرع الناس لاستجلائه، فعن أنس قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: لن تراعوا، لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحرًا أو إنه لبحر" فلفرط شجاعته صلى الله عليه وسلم كان أول من فزع حتى استجلى الأمر، حتى إن أسرع الناس من بعده لم يلحقه إلا وهو راجع، وذهب على فرس عري ليس عليه سرج والسيف في عنقه، فأي شجاعة هذه التي تجعل من صاحبها يقدم بمفرده ولا ينتظر من يعاونه أو يساعده على هذا الوضع الصعب، و عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر:"أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه، قال جابر فنمنا نومة ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم "، في هذا الوضع الصعب حيث الرجل ممسك بالسيف، والرسول صلى الله عليه وسلم ليس معه سلاح، لكنه ظل رابط الجأش واثقا من معية الله، ولم يظهر منه خوف أو جزع، بل ثبات ويقين، قال ابن حجر:"وفي الحديث فرط شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال".

وجوب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم:

نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان، وقد ضمن الله تعالى الفلاح لمن آمن برسوله ونَصَرَه، فقال تعالى: "فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [الأعراف:١٥٧]، فالذين عزروه هم الذين وقَّروه، والذين نصروه هم الذين أعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم، وقد مدح الله تعالى المهاجرين الذين نصروا رسوله وشهد لهم بالصدق في إيمانهم فقال تعالى:" لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[الحشر:٨] كما شهد لمن آوى المهاجرين ونصر الرسول بأنهم هم المؤمنون حقا فقال تعالى:"وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ" [الأنفال:٧٤] فكان البذل والعطاء في سبيل الله سواء بالهجرة أو بالنصرة دليل الإيمان الحق.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة قبل الهجرة يطوف على الناس يطلب النصرة حتى يتمكن من إبلاغ رسالة الله تعالى للعالمين،"فعن جابر قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بمنى، يقول:من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي، وله الجنة،.." الحديث، وعندما أراد الهجرة إليهم في المدينة أخذ البيعة عليهم أن ينصروه وأن يمنعوه مما يمنعون من أهليهم، ففي الحديث المتقدم قال لهم:"وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة".

وقد أخذ الله تعالى الميثاق على من تقدمنا من الأمم بنصرة الرسول الكريم، فما أتعس قوم أخذ عليهم الميثاق بنصرته صلى الله عليه وسلم فإذا هم يسخرون ويستهزئون، قال الله تعالى في أخذه الميثاق على من سبق من الأمم: "وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" [آل عمران:٨١]، فأخذ الميثاق على النبيين كلهم وأممهم تبع لهم فيه، قال ابن كثير :"قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما:ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أُخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به وينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه".

وقد بين الله تعالى أنه ناصر رسوله، وأن رسوله ليس في حاجة إلى نصرهم، والمسلم عندما ينصر الرسول فإنما يسعى لخير نفسه، وإذا تقاعس فلن يضر إلا نفسه، وقد نصر الله رسوله في أحلك الظروف وأصعب الأوقات عندما هاجر من مكة إلى المدينة وقريش كلها تطارده بخيلها ورجلها تأمل في العثور عليه، لكن الله أنجاه منهم مع ضعف الإمكانات وقلة الزاد والمعين، قال الله تعالى يبين ذلك :" إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [التوبة:٤٠] فمن تقاعس عن نصرة الرسول فلا يُزري إلا بنفسه، وهي منزلة من العز والشرف قد حرمها منه.

وإذا كانت هناك وسائل كثيرة لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والانتصار له ممن سخر أو استهزأ من الكفرة والملحدين، فإن من النصرة التي يقدر عليها كل مسلم، ولا يعذر في التخلف عنها: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وموالاته واتباع سنته، وترك الابتداع في الدين، إذ لا يستقيم أن يكون المسلم ناصرًا حقًا للرسول الكريم في الوقت الذي يعصيه فيه ويخالف سنته، ويبتدع في دينه، أو يوالي أعداءه، ويناصرهم ويقف معهم في ملماتهم، وكيف تكون هناك موالاة بين المسلم وبين الكافر الذي يسخر أو يسب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم

بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [المجادلة:٢٢]

وجوب تعزيره وتوقيره صلى الله عليه وسلم:

التعزير النصرة والحماية والتوقير التعظيم والإجلال وكل ذلك يستحقه الرسول الكريم وبذلك أمرنا رب السموات والأرضين قال الله تعالى:"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً" [الفتح:٨-٩]، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره يرجع إلى أمرين: أمر إلى صفاته الشخصية وشمائله التي تحلى بها، والتي لا تدع لأحد منصف اطلع عليها إلا محبة هذا الرسول وتوقيره وتعظيمه، وهذه تكون من المسلمين كما تكون من المنصفين من غير المسلمين، وهناك كم كبير من أقوالهم في ذلك، وآخر إلى أمر الله بذلك وإيجابه على المسلمين وهذه يختص بها الذين آمنوا بالله ورسوله، حتى يفديه المؤمن بأبيه وأمه، بل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من كل شيء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"، بل لا بد أن يكون الرسول أحب إلى المسلم من نفسه التي بين جوانحه فيؤثر مرضاة الرسول على ما تطمح إليه نفسه، ويقدم أمره وسنته على محبوباته ورغباته، فعن عبد الله بن هشام قال:"كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر:يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر"، وقد كان المسلمون من محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضون أنفسهم للمهالك والردى في سبيل حفظ الرسول ونجاته فعن أنس رضي الله عنه قال:"لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مجوب به عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد القد يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول انثرها لأبي طلحة، فأشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك"، وإزاء كل ما تقدم لم يكن من المسلمين لرسولهم إلا الحب والإجلال والإكبار والرغبة في فدائه بكل ما يملكون، ولم يكن أحد من أصحابه يطيق أن يسمع شيئًا مما قد يكون فيه أدني نقص من قدره صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"استب رجلان: رجل من المسلمين ورجل من اليهود، قال المسلم: والذي اصطفى محمدًا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله" فلم يحتمل

الصحابي الجليل أن يسمع من اليهودي تفضيل موسى صلى الله عليه وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قصة تبين مدى حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعنه " أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا اشهدوا أن دمها هدر ".

ولم يكن يتصور أن يقوم أحد ممن آمن به بانتقاصه أو سبه أو السخرية منه أو الاستهزاء به، وقد أجمع علماء المسلمين على أن من سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد من أنبياء الله ورسله أنه مرتد ويجب قتله، كما أن من سبه من أهل العهد والذمة فإن عهده ينتقض بذلك ويجب قتله فإنا لم نعاهدهم على سب رسولنا أو الانتقاص منه، قال محمد بن سحنون:" أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم والمتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له و حكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر" وقال ابن تيمية:" و تحرير القول فيه: إن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر و يقتل بغير خلاف و هو مذهب الأئمة الأربعة و غيرهم و قد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه و غيره، و إن كان ذميًا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك و أهل المدينة، و سيأتي حكاية ألفاظهم وهو مذهب أحمد و فقهاء الحديث و قد نص أحمد على ذلك في مواضع متعددة قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: [كل من شتم النبي صلى الله عليه و سلم أو تنقصه ـ مسلمًا كان أو كافرًا ـ فعليه القتل و أرى أن يقتل و لا يستتاب".

وبعد فهل وفيتُ حق الرسول صلى الله عليه وسلم، لا وألف لا، بل ولا قطرة في بحر حقه وفضله، فبأبي أنت وأمي يا رسول الله.

اللهم إنا قد أحببنا نبيك وأصحاب نبيك فاللهم احشرنا في زمرتهم.

٣٠.مكانة الرسول في القرآن الكريم

د. طلعت عفيفي**

ذكر لنا ربنا في كتابه هذه المنة التي تطوق عنق كل مسلم في كل زمان ومكان، فقال: {لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [آل عمران:١٦٤].

ومن ثم يؤكد القرآن الكريم على موقع النبي صلى الله عليه وسلم لدى كل مسلم؛ فيقول: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب:٦]. فهو أقرب إلينا من قلوبنا، وأحب إلى نفوسنا من نفوسنا، وهو عند كل مسلم منا أعز لديه، وأغلى من جميع الخلق دونما استثناء، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" [متفق عليه].

نداء متميز

وقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الإشارات التي تتحدث عن مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في كل ما يتعلق بهذا الجانب، ونكتفي بذكر بعض ما ورد بهذا الشأن.

فمثلا من علامات بر الله به وتعظيمه لشأنه أنه جل شأنه نادى جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا زكريا، يا يحيى... إلخ، بينما نادى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله له: يا أيها النبي – يا أيها الرسول – يا أيها المزمل- يا أيها المدثر.

وحين أثنى الله على أنبيائه السابقين بما فيهم من أخلاق كريمة؛ كان يذكر لكل نبي صفات محددة. فقال عن خليله إبراهيم: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} وقال عن إسماعيل: {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا} وقال عن موسى: {إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا} وقال عن أيوب {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} وحين تحدث عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين أنه حاز الكمالات كلها فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

رحمة للعالمين

ومن الخصائص التي خص الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل نبي مبعوثا إلى قومه خاصة؛ وفي القرآن ما يشير إلى هذا. فيقول الله عن عيسى: {وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ}، وعن هود قال: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}... إلخ، في حين أن رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة في زمانه وفيما بعد زمانه، فهو خاتم النبيين، قال تعال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}. وقال جل ذكره: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}.

وفي الحديث الذي رواه الشيخان: "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وكمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين" {صححه الألباني}.

ومن مظاهر تكريم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما أخذه من العهد على جميع الأنبياء من الإيمان به ونصرة دينه، فقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}.

ومن مظاهر تكريم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما جاء في قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} قال قتادة: "رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس هناك خطيب ولا مستشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله".
وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ضم الإله اسم النبي إلى اسمه ** إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ** فذو العرش محمود وهذا محمد

ثناء متتالي
ومن مظاهر تكريم الله تعالى لنبيه وثنائه عليه ما جاء في مطلع سورة النجم مع غيرها من السور حيث أثنى الله على عقله فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} وأثنى على لسانه. فقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} وأثنى على جليسه ومعلمه جبريل فقال: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} وأثنى على بصره فقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} وأثنى على صدره فقال: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} وأثنى على أخلاقه كلها فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.
ونكتفي بهذا القدر من الإشارات القرآنية على علو مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند ربه، فالكلام فيها يطول ويطول.
وقد أشار العلماء رحمهم الله إلى أن خصال الكمال والجلال إذا وقعت منها واحدة أو اثنتان لشخص ما عظم قدره، وضربت باسمه الأمثال، فيقال: أحلم من الأحنف، وأكرم من حاتم، وأذكى من إياس... إلخ.. فكيف بمن عظم قدره حتى اجتمعت فيه كل هذه الخصال؟.
يقول القاضي عياض اليحصبي في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى": "ما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه خصال الخير كلها مما لا يحصيه عد، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال، من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء، وسيادة ولد آدم، والرحمة للعالمين، وشرح الصدور، ورفع الذكر، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، وصلاة الله تعالى والملائكة عليه، ووضع الإصر، والأغلال عن الخلق ببعثه، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل وانشقاق القمر، والنصر بالرعب، والإطلاع على الغيب، وظل الغمام وتسبيح الحصى، والعصمة من الناس، إلى ما لا يحصيه عد ولا يحيط بعلمه إلا الله تعالى إضافة إلى ما أعد الله له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول، وتحار دون إدراكها الأفهام" ا. هـ بتصرف.
وصدق من قال:
فإن فضل رسول الله ليس له ** حد فيعرب عنه ناطق بفم

واجب المحب للنبي
ولا يملك المسلم أمام هذا البنيان الشامخ إلا التوقير والإجلال لمقام هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وأن يقتفي أثر الصحب الكرام الذين تفانوا في حب رسولهم صلى الله عليه وسلم حتى شهد بذلك الأعداء والأصدقاء على السواء. يقول أبو سفيان بن حرب قبل أن يعلن إسلامه: "ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا".
ومن حق هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم علينا أن نقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه النيل من مقامه الشريف بأي لون من الألوان. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}.
وقد أدبنا ربنا تبارك وتعالى بأدب المقاطعة، والبغض لأولئك المتطاولين على مقامه الكريم صلى الله عليه وسلم. فقال: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.
فليعتذر كل مسلم إلى الله عز وجل عما يقال، أو ينشر في حق نبيه صلى الله عليه وسلم مما لا يليق بمقامه الشريف، وليكن ذلك بصورة عملية تتناسب مع موقع كل منهم ومدى تأثيره، بدءا من إظهار الاحتجاج واستدعاء السفراء ومخاطبة المسئولين في الدول التي تنطلق منها هذه المواقف، ومرورا بالمقاطعة الاقتصادية لسلع ومنتجات تلك الدول، وكل ما في وسع المسلم أن يفعله لنصرة الحبيب المصطفى.
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

٣١.العظمة المحمدية

محمد بن إبراهيم الحمد *
الحديث عن السيرة النبوية حديث تنشرح له الصدور، وتنطلق له الأسارير، وتخفق له الأفئدة.
كيف لا وهو حديث عن أكرم البشرية، وأزكاها وأبرها، وعظيم لو طالعت كتب التاريخ والسير عربية وغير عربية، وأمعنت النظر في أحوال عظماء الرجال من مبدأ الخليقة إلى هذا اليوم - فإنك لا تستطيع أن تضع يدك على اسم رجل من أولئك العظماء، وتقص علينا سيرته ومزاياه وأعماله الجليلة حديثاً يضاهي أو يداني ما تُحدَّث به عن هذا الرسول العظيم.
وغير خفي على مَنْ يَقْدُر هذا النبي قدره أن ليس في طوق كاتب -ولو ألقت إليها البلاغة أعنتها- تقصي المعاني التي انطوت في هذه السيرة العظيمة.
وإن من يبتغي عظمة رجلٍ بحق فليبحث عنها في ناحية عقله، وعلمه، وخلقه، وإخلاصه، وعزمه، وعمله، وحسن بيانه.

ولقد كان محمد -صلى الله عليه وسلم- راجحَ العقل، غزيرَ العلم، عظيم الخلق، شديد الإخلاص، صادق العزم، جليل العمل، رائع البيان.
أما رجحان عقله/ فمن دلائله بعد اختصاص الله له بالرسالة أنه نشأ بين قوم يعبدون الأصنام، ويتنافسون في مظاهر الأبهة والخيلاء، وينحطون في شهواتهم إلى المنزلة السفلى، فلم يكن لهذه البيئة المظلمة من أثر في نفس محمد -صلى الله عليه وسلم- قليل أو كثير؛ فانبذ بين هذه الظلمات المتراكمة مكاناً يخلو فيه بنفسه، ويقدح فيه زناد فكره، ويناجي فيه ربه؛ فإذا نورُ النبوة يتلألأ بين جنبيه، وحكمة الله تتدفق بين شفتيه.
وأما علمه/ فهو ما يزكي النفوس، وينقي الأبصار، ويرفع الأمم إلى ذروة العز والشرف، حتى تحرز الحياة الطيبة في الأولى والسعادة الباقية في الأخرى.
ومَنْ يتدبر القرآنَ والأحاديث الثابتة حتى يتفقه فيما انطويا عليه من حقائق وحكم وآداب -يلف رأسه حياءً من أن ينفي عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- عظمة العلم تحت اسم الفلسفة متكئاً على أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.
وقد خرج من بين يدي محمد -صلى الله عليه وسلم- رجال عظماء، ولم يتلقوا من العلم غير ما كانوا يتلقونه في مجلسه من حكمته، فكانوا منبع علم وأدب، وأدركوا في حصافة الرأي وقوة الحجة الأمد الأقصى.
وأما خُلقه/ فهذه السيرة المستفيضة في القرآن وعلى ألسنة الرواة وأقلامهم تنطق وتلوح بأنه قد بلغ الذروة في كل خلق كريم، وبَسْطُ القول في هذا الصدد لا يغني فيه سفر، بل أسفار.
وأما إخلاصه/ فقد كان صافي السريرة لا يبغي إلا هدياً، ولا ينوي إلا إصلاحاً، والإخلاص روح العظمة وقطب مدارها.
وأقرب شاهد على إخلاصه في دعوته أنه لم يحد عن سبيل الزهد في هذه الحياة قيد أنملة؛ فعيشه يوم كان يتعبد في غار حراء كعيشه يوم أظلت رايته البلاد العربية، وأطلت على ممالك قيصر من ناحية تبوك.
وأما صدق عزيمته/ فقد قام -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى العدل ودين الحق ويلقى من الطغاة أذىً كثيراً، فيضرب عنه صفحاً أو عفواً، ويمضي في سبيل الدعوة لا يأخذه يأس، ولا يقعد به ملل، ولا يثنيه جزع، وقد ظهر دين الله وَعَلَتْ حكمته بهذا العزم الذي تخمد النار ولا يخمد، وينام المشرفي ولا ينام.
وأما عمله/ فتهجد وصيام، وتشريع وقضاء، ووعظ وإرشاد، وسياسة وجهاد، وهل من سيرة تُبْتَغى لعظمة يرضى عنها الله، ويسعد بها البشر غير هذه السيرة؟
وهل يستطيع أحد أن يدلنا على رجل كان ناسكاً مخلصاً، ومشرعاً حكيماً، وقاضياً عادلاً، ومرشداً ناصحاً، وواعظاً بليغاً، وسياسياً أميناً، ومجاهداً مصلحاً، وفاتحاً ظافراً، وسيداً تذوب في محبته القلوب، غير المصطفى -عليه الصلاة والسلام-؟
وأما حسن بيانه/ فقد أحرز -عليه الصلاة والسلام- من خصلتي الفصاحة والبلاغة الغاية التي ليس وراءها لمخلوق غاية، فانظروا إن شئتم إلى مخاطباته وخطبه وما يضربه من الأمثال، وينطق به من جوامع الكلم تجدوا جزالة اللفظ، ومتانة التركيب، وسهولة المأخذ، إلى رفعة الأسلوب، إلى حكمة المعنى.

عَظَمَة انتظمت من هذه المزايا العالية؛ فبلغت حد الإعجاز، وكل درة في عقد حياة محمد -عليه الصلاة والسلام- معجزة[٢].
هذا وإن مما يبعث على الأسى، ويدعو إلى الأسف والحسرة ما تناقلته وسائل الإعلام في الأيام الماضية، حيث تناولت ما تبثه صحف الدانمرك والنرويج تلك الصحف التي ما فتئت تنال من مقام النبوة بأسلوب ساخر، ينم عن حقد دفين، وحسد يأكل قلوبهم، ويأبى لها إلا تغالط محل الحقائق، وتتيه في أودية الزور والبهتان؛ ظانين أن ذلك ينزل من مقام النبوة الأعظم فتيلاً أو قطميراً.
وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهد أن يأتي لها بضريب
(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة:٣٢].
ولقد ساء ذلك الفعل الشائن قلوب المسلمين، وتتابعت أقلام الكتاب في رد ذلك الزيف، وإبطال ذلك الكيد؛ فكان من ذلك بعثٌ لفضائل هذا النبي الكريم -عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم-.
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
وفضيلة النبي -صلى الله عليه وسلم- لم تطوَ، وإنما تتجدد، وتتلألأ كالبدر في سماء صاحية، وكالشمس في رأد الضحى.

---

[١] المقالة مقتطفة من مقدمة لكتاب سيصدر قريباً -بإذن الله- تحت عنوان (نبي الإسلام – مقالات نادرة في السيرة النبوية).
[٢] انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين للشيخ محمد الخضر حسين٥-٧، ٢٠٤-٢٠٦.
* عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

٣٢.مع الحبيب صلى الله عليه وسلم

إعداد/ علاء خضر
قال اللّه عز وجل: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].
أخلاقه صلى الله عليه وسلم:
عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة: يا أم المؤمنين أخبريني عن خلق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان القرآن. [صحيح مسلم].
صفته صلى الله عليه وسلم:

عن البراء قال: «كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها، وأحسنه خلقا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير» [صحيح البخاري].
وعن أنس بن مالك قال: ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا ولا شيئًا ألين من كف رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم. [صحيح البخاري]
جهاده صلى الله عليه وسلم:
عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أنه سئل عن جرح رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة _ رضي اللَّه عنها بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم تغسله وعليٌّ يسكب الماء بالمجنَّ. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم. وكُسرت رباعيته يومئذ، وجُرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه. [صحيح البخاري]
شجاعته صلى الله عليه وسلم:
عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، أجود الناس. ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم سبقهم على فرس، وقال: «وجدناه بحرًا».
[صحيح البخاري]
خاتم النبوة:
عن ابن السائب قال: ذهبت بي خالتي إلي رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول اللَّه! إن ابن أختي وَجِع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلي خاتمه بين كتفيه، مثل زر الحجلة.[صحيح البخاري]
أسماؤه صلى الله عليه وسلم:
عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو اللَّه بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس علي قدمي، وأنا العاقب، الذي ليس بعدى نبي".[صحيح البخاري]
حب الصحابة له صلى الله عليه وسلم:
سئل علي بن أبى طالب رضي اللَّه عنه كيف كان حبكم لرسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ قال: والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ. [الشفا للقاضي عياض]
جزاء من نال منه صلى الله عليه وسلم:
عن المهاجر بن أبي أمية، وكان أميراً على اليمامة ونواحيها - أن امرأتين مغنيتين غنت إحداهما بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها، ونزع ثنيتها وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها، ونزع ثنيتها، فكتب أبو بكر: بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمَّرت بشتم النبي صلى الله عليه وسلم، فلولا قد سبقتني

فيها لأمرتك بقتلها، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر. [الصارم المسلول]

علامة محبته صلى الله عليه وسلم:

قال القاضي عياض: اعلم أن من أحب شيء آثره وآثر موافقته و إلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه وأولها: الإقتداء به واستعمال سنته وإتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله [آل عمران: ٣١] وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهواته. [الشفا للقاضي عياض]

تعظيم سنته صلى الله عليه وسلم:

عن المقدام بن معدي كرب عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كما حرم اللّه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا أكل ذي ناب من السبع". الحديث. [رواه أبو داود]

ذم من لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم:

عن أبى هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصل عليَّ، ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة». [رواه البخاري]

توقير النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته:

قال القاضى عياض: واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته. [الشفا القاضى عياض]

حب الصحابة دليل لحب النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أيوب السختاني قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور اللّه، ومن أحب علي فقد أخذ بالعروة الوثقى، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق، ومن انتقص أحدًا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة.[الشفا: القاضى عياض]

من درر العلماء هذا هو المنهج!

قال ابن تيمية: في قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) إلى قوله: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) قال: وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول لله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون اللّه ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذى اللّه ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية

قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. [الصارم المسلول ص ٢/٤١٣]
دعوة الأمة إلى نبذ الفرقة:
إن الغضب العارم الذي اجتاح العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها على الذين استهزءوا بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يجعلنا نتساءل: أين نحن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لقد تفرقت الأمة إلى فرق وجماعات، كل حزب بما لديهم فرحون، والرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من الفرقة، كما أخرج ابن ماجه: عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار».
قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة». فإن التوحد الذي حدث للأمة الإسلامية أمام أعدائها دفاعًا عن المصطفى صلى الله عليه وسلم يجعلنا ندعو جميع المسلمين في جميع البلدان الإسلامية إلي نبذ الفرقة والخلافات، والاجتماع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بفهم سلف الأمة رضوان الله عليهم، وأن نلتف حول العلماء الرافعين لواء التوحيد والسنة.

٣٣.رسولنا الذي لم يعرفوه

إعداد/ اللجنة العلمية
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول اللّه، وبعد:
فلقد عمد أعداء الإسلام والحاقدون عليه والحاسدون له والكارهون للهدى ودين الحق إلى مهاجمته في جولة جديدة من جولات الظلم والعدوان، والكراهية والبهتان، تمثلت هذه الجولة في الاستهزاء بسيد البشر، سيد ولد آدم، وإن ما فعلوه سيندمون عليه في الدنيا والآخرة ولن ينفعهم الندم، فمن ندمهم في الدنيا؛ تلك المكاسب والمغانم العظيمة للمسلمين التي لا تعدلها الملايين من الأموال، والممثلة في تميز المسلمين بعد ذوبانهم في غيرهم، وانحيازهم إلى نبيهم بعد أن أهملوا كثيرًا من سيرته وسنته، فضلاً عن الحجم الباهظ من المؤلفات والمقالات والرسائل والكتب والإذاعات المرئية والمسموعة والخطب والدروس التي تعرّف بالنبي صلى الله عليه وسلم وتحث الأمة على طاعته واتباع هديه، إضافة إلى ترسيخ الكراهية في قلوب المسلمين تجاه أهل الضلال والانحراف، وشحنها إيمانيًا بتعظيم اللّه ورسوله، ومعه احتقار الباطل والكفر به، بل من النتائج والمكاسب أيضًا تفتح عيون اللا دينيين والمنصرفين إلى دنياهم ليعرفوا الكثير عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان المجرمون الذين أساءوا للإسلام والمسلمين بالاستهزاء بنبيهم يعلمون أن كل ذلك سيحدث لما فعلوه، ولو أعطيناهم أغلى ما يملكه أهل الإسلام من مال ودنيا، ومن النتائج أيضًا؛ تلك الخسائر الفادحة في اقتصادهم وأموالهم ودنياهم التي هم أحرص الناس عليها، مما يورث الفتن والشحناء بينهم والبأس الشديد، قال تعالى:(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) [الحشر:١٤]، ومن النتائج أنهم استجلبوا مزيدًا من سخط اللّه عليهم وتعجيلاً لتنكيل اللّه تعالى بهم، (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)

[البقرة]، (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [العنكبوت].
عند هذا كله يعرف المسلمون جيدًا ما قاله اللَّه تعالى في أمثال هؤلاء المنحرفين من قبل: (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) [النور: ١١].
إنهم وإن كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم على الإجمال كما أخبر اللَّه تعالى عنهم بقوله: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)، لكنهم لطول الأمد وقسوة القلوب وامتلائها بالحقد والكراهية والتعصب الأعمى البغيض نسوا الجوانب الهامة العظيمة التي أودعها اللَّه تعالى في أخلاق هذا النبي الكريم وشخصيته.
لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين ليبين لهم هدفًا من أهداف بعثته فيقول: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [السلسلة الصحيحة (٤٥)]، تلك الأخلاق التي يتشدقون بحمايتها ويزعمون كذبًا صيانتها ويسمونها حرية وحضارة، وهم في الحقيقة أعداء الحرية والحضارة، جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليريح المظلومين من شبح العنصرية المبنية على اختلاف الأديان والأوطان والألوان والألسنة، فيعلن النبي وهو عربي للبشرية جمعاء «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى». [غاية المرام (٣٠٨)] ويذيع لهم خبر السماء الذي انطلق منه وبه: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات] ثم يعرفهم الأصل الذي ينتمون إليه ليلتفوا حوله جميعًا: «الناس ولد آدم وآدب من تراب». [السلسلة الصحيحة (١٠٠٩)] ويزيح ستار الظلم والبغي: «إن اللَّه أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». [السلسلة الصحيحة (٥٧٠)]
هذه المعاني وأكثر منها لو ذكرت أمام الغربيين الحاقدين لقالوا نحن الدعاة إليها، بل يحاولون عند احتلالهم لقطر من الأقطار أن يذيعوا ويشيعوا أنهم جاءوا حماة لهذه المبادئ، فكيف لو عرفوا أن الداعية الأول إليها هو النبي صلى الله عليه وسلم، لكن بدون احتلال، ولا خداع واحتيال، فمن كان يؤمن بذلك بعد توحيد اللَّه تعالى فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، دمه وماله وعرضه حرام على من طمع فيه.
وهذه نماذج مشرفة ومواقف خالدة لهذا النبي العظيم في معاملة المنافقين وغير المسلمين:
أولها: موقفه صلى الله عليه وسلم من كبير المنافقين ابن سلول لمَّا أهانه:
عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلس فيه عبد اللَّه بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يُسلم عبد اللَّه بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد اللَّه ابن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خَمَّر عبد اللَّه بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى اللَّه وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد اللَّه بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا، فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك

فاقصص عليه. فقال عبد اللَّه بن رواحة: بلى يا رسول اللَّه، فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟»- يريد عبد اللَّه بن أبي- قال كذا وكذا. قال سعد بن عبادة: يا رسول اللَّه، اعف عنه واصفح عنه، فو الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء اللَّه بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى اللَّه ذلك بالحق الذي أعطاك اللَّه شَرِق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن سلول عند موته وكان قد أسلم:

لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُ النبي قَمِيصَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ أَوْ أَخْبَرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. فَقَالَ: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون). [رواه البخاري]

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم مع من تعاهد معه من المشركين:

قال حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «انْصَرِفَا؛ نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ». [مسلم]

ومن وفائه صلى الله عليه وسلم بالعهود مع أهل الذمة من المشركين: ما حدث مع بني عامر:

ذكر الطبري في تاريخه قال: خرج عمرو بن أمية (رجل من المسلمين) حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر (من الكفار) حتى نزلا معه في ظل هو فيه، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بني عامر بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد قتلت قتيلين، لا دينهما». يعني أن يدفع الدية. [تاريخ الطبري]

والموقف الثالث هنا وفاؤه لقريش بعهدها الذي عاهدته إياه في صلح الحديبية:

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: آت محمدًا وصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فو الله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدًا. فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه

رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.
فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح.
فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب (العهد)، وثب عمر فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى. قال أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى قال أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنِية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله: ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: "أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني".
وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرًا.
قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال: فقال سهل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب «باسمك اللهم» فكتبها، ثم قال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه".
فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها.
قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل ابنه قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه وقال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره يعني يرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد

ذلك الناس إلى ما بهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم " قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه. قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية.
فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون.
[البداية والنهاية لابن كثير]
منعه صلى الله عليه وسلم الغدر بالكفار:
وكثيرًا ما منع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في كل مواقفهم من الغدر ولو بالمشركين.
عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ أَوْ خِلاَلٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ.
[مسلم]
وينهى صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والأطفال:
عن نافع أن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه أخبره أن امرأة وُجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان.[البخاري]
عفوه صلى الله عليه وسلم عن أعدائه بعد قدرته عليهم عند فتح مكة وغيرها:
عندما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال: «يا معشر قريش؛ ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». [البداية والنهاية]

وعن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما أخبره أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر فنزل النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ثم نام فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا اخترط سيفي فقال من يمنعك؟ قلت: اللّه، فشام السيف فها هو ذا جالس». ثم لم يعاقبه. [البخاري ومسلم]

٣٤.وداع الرسول لأمته

دروس، وصايا، وعبرٌ، وعظات
تأليف الفقير إلى الله تعالى
سعيد بن علي بن وهف القحطاني
بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذه الرسالة مختصرة في وداع النبي الكريم والرسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم لأمته، بينت فيه باختصار: خلاصة نسب النبي صلّى الله عليه وسلّم، وولادته، ووظيفته، واجتهاده وجهاده، وخير أعماله، ووداعه لأمته في عرفات، ومنى، والمدينة، ووداعه للأحياء والأموات، ووصاياه في تلك المواضع، ثم بداية مرضه، واشتداده، ووصاياه لأمته ووداعه لهم عند احتضاره، واختياره الرفيق الأعلى، وأنه مات شهيداً، ومصيبة المسلمين بموته، وميراثه، ثم حقوقه على أمته، وذكرت الدروس والفوائد والعبر والعظات المستنبطة في آخر كل مبحث من هذه المباحث.

والله أسأل أن يجعله عملاً مقبولاً نافعًا لي ولإخواني المسلمين؛ فإنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأن يعلمنا جميعًا ما ينفعنا، ويوفق جميع المسلمين إلى الاهتداء بهدي سيد المرسلين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله و أصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المؤلف

حرر في ليلة الخميس ١٤١٦/٣/٢١هـ

المبحث الأول: خلاصة نسبه ووظيفته صلّى الله عليه وسلّم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معدَ بن عدنان([١])، فهو عليه الصلاة والسلام من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام([٢]).

ولد صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل بمكة في شهر ربيع الأول([٣]) يوم الاثنين([٤]) الموافق ٥٧١م([٥])، وتوفي صلّى الله عليه وسلّم وله من العمر ثلاث وستون سنة،

منها: أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيّاً رسولاً، نُبِّئَ بـإقرأ، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة([٦]) أُمِر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلّى الله عليه وسلّم، ودينه باقٍ وهذا دينه، لا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار([٧]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

١- إن النبي صلّى الله عليه وسلّم خيار من خيار من خيار، فهو أحسن الناس وخيرهم نسباً، وأرجح العالمين عقلاً، وأفضل الخلق منزلة في الدنيا والآخرة، وأرفع الناس ذكراً، وأكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة.

٢- إن إقامة الاحتفالات بمولد النبي صلّى الله عليه وسلّم كل عام في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول بدعة منكرة؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يفعل ذلك في حياته، ولم يفعله الصحابة من بعده رضي الله عنهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، ومع ذلك فإن تحديد ميلاد النبي باليوم الثاني عشر من ربيع الأول لم يُجْزَم به، وإنما فيه خلاف وحتى ولو ثبت فالاحتفال به بدعة لما تقدم؛ ولقوله صلّى الله عليه وسلّم: "من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد"([٨]). وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"([٩]).

٣- إن وظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم هي الدعوة إلى التوحيد، وإنقاذ الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات المعاصي والسيئات إلى نور الطاعات والأعمال الصالحات، ومن الجهل إلى المعرفة والعلم، فلا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه صلّى الله عليه وسلّم.

٤- المبحث الثاني: جهاده واجتهاده وأخلاقه

كان صلّى الله عليه وسلّم أسوة وقدوة وإماماً يُقتدى به؛ لقوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ([١٠])؛ ولهذا كان صلّى الله عليه وسلّم يصلي حتى تفطَّرت قدماه وانتفخت وورمت فقيل له: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً"([١١]). وكان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة([١٢])، وكان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة([١٣]) وربما صلاها عشر ركعات([١٤])، وكان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله([١٥])، وكان يطيل صلاة الليل فربما صلى ما يقرب من خمسة أجزاء في الركعة الواحدة([١٦])، فكان ورده من الصلاة كل يوم وليلة أكثر من أربعين ركعة منها الفرائض سبع عشر ركعة([١٧]).

وكان يصوم غير رمضان ثلاثة أيام من كل شهر([١٨]) ويتحرَّى صيام الاثنين والخميس([١٩])، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً، بل كان يصومه كله([٢٠])، ورغَّب في صيام ست من شوال([٢١])، وكان صلّى الله عليه وسلّم يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم([٢٢])، وما استكمل شهر غير رمضان إلا ما كان منه في شعبان، وكان يصوم يوم عاشوراء([٢٣])، وروي عنه صوم تسع ذي الحجة([٢٤])، وكان يواصل الصيام اليومين والثلاثة وينهى عن الوصال، وبيَّن أنه صلّى الله عليه وسلّم ليس كأمته؛ فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه([٢٥])، وهذا على الصحيح: ما يجد من لذة العبادة والأنس والراحة وقرة العين بمناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: "يا بلال أرحنا بالصلاة"([٢٦])، وقال: "وجُعِلتْ قرة عيني في الصلاة"([٢٧]).

٥- وكان يكثر الصدقة، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة حينما يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام([٢٨])؛ فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة؛ ولهذا أعطى رجلاً غنماً بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة([٢٩])، فكان صلّى الله عليه وسلّم أكرم الناس، وأشجع الناس([٣٠])، وأرحم الناس وأعظمهم تواضعاً، وعدلاً، وصبراً، ورفقاً، وأناة، وعفواً، وحلماً، وحياءً، وثباتاً على الحق.

٦- وجاهد صلّى الله عليه وسلّم في جميع ميادين الجهاد: جهاد النفس وله أربع مراتب: جهادها على تعلم أمور الدين، والعمل به، والدعوة إليه على بصيرة، والصبر على مشاق الدعوة، وجهاد الشيطان وله مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات، ودفع ما يلقي من الشهوات، وجهاد الكفار وله أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، واليد. وجهاد أصحاب الظلم وله ثلاث مراتب: باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب. فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، وأكمل الناس فيها محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه كمل مراتب الجهاد كله، فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه، ولسانه، ويده، وماله؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً([٣١]).
وقد دارت المعارك الحربية بينه وبين أعداء التوحيد، فكان عدد غزواته التي قادها بنفسه سبع وعشرون غزوة، وقاتل في تسع منها، أما المعارك التي أرسل جيشها ولم يقدها فيقال لها سرايا فقد بلغت ستة وخمسين سرية([٣٢]).

٧- وكان صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس معاملة، فإذا استسلف سلفًا قضى خيراً منه؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم يتقاضاه بعيراً فأغلظ له في القول، فهم به أصحابه فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً" فقالوا: يا رسول الله: لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنّه فقال صلّى الله عليه وسلّم: "أعطوه" فقال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال صلّى الله عليه وسلّم: "إن خير عباد الله أحسنهم قضاءً"([٣٣]). واشترى من جابر بن عبد الله رضي الله عنه بعيراً، فلما جاء جابر بالبعير قال له صلّى الله عليه وسلّم: "أتراني ماكستك"؟ قال: لا يا رسول الله، فقال: "خذ الجمل والثمن"([٣٤]).

٨- وكان صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس خلقاً؛ لأن خلقه القرآن، لقول عائشة رضي الله عنهما: ‘‘كان خلقه القرآن’’([٣٥])؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق’’([٣٦]).
٩- وكان صلّى الله عليه وسلّم أزهد الناس في الدنيا، فقد ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه اضطجع على الحصير فأثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها’’([٣٧]). وقال: ‘‘لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذهباً ما يَسُرُّني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أرصُدُهُ لدين’’([٣٨]).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض"([٣٩]). والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام بلياليها متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم([٤٠])؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "خرج النبي صلّى الله عليه وسلّم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير"([٤١]). وقالت: "ما أكل آل محمد صلّى الله عليه وسلّم أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر"([٤٢]). وقالت: "إنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نار. فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء"([٤٣]). والمقصود بالهلال الثالث: وهو يُرى عند انقضاء الشهرين. وعن عائشة رضي الله عنهما قالت: ‘‘كان فراشُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أدَم وحشوُهُ ليفٌ’’([٤٤]). ومع هذا كان يقول صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتاً’’([٤٥]).
١٠- وكان صلّى الله عليه وسلّم من أورع الناس؛ ولهذا قال: ‘‘إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقيها’’([٤٦]). وأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘كَخْ كَخْ ارمِ بها أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة’’؟([٤٧]).
١١- ومع هذه الأعمال المباركة العظيمة فقد كان صلّى الله عليه وسلّم يقول: ‘‘خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل’’ وكان آلُ محمد صلّى الله عليه وسلّم إذا عَمِلُوا عملاً أثبتوه([٤٨]). ‘‘وكان صلّى الله عليه وسلّم إذا صلى صلاة داوم عليها’’([٤٩]). وقد تقالَّ عبادة النبي صلّى الله عليه وسلّم نفر من أصحابه صلّى الله عليه وسلّم وقالوا: وأين نحن من النبي صلّى الله عليه وسلّم؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال بعضهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال بعضهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال بعضهم: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً [وقال بعضهم: لا آكل اللحم] فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فجاء إليهم فقال: ‘‘أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم الله أتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني’’([٥٠]). والمراد بالسنة الهدي والطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن

الشيء الإعراض عنه إلى غيره. ومع هذه الأعمال الجليلة فقد كان يقول عليه الصلاة والسلام: ‘‘سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله’’ قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ‘‘ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل’’. وفي رواية: ‘‘سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيءٌ من الدُّلجة، والقَصْدَ القَصْدَ تبلغوا’’([٥١]). وكان يقول: ‘‘يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك’’([٥٢]). ويقول: ‘‘اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك’’([٥٣]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

١. إن النبي صلّى الله عليه وسلّم قدوة كل مسلم صادق مع الله تعالى في كل الأمور؛ لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}([٥٤]).

٢. إن النبي صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس خَلْقاً، وخُلُقاً، وألينهم كفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية([٥٥])، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها، ولكنه إذا انتُهكت حرمات الله، فإنها ينتقم الله تعالى، وإذا غضب الله لم يقم لغضبه أحد، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قطاً إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ويخصف نعليه ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شاته، ويخدِمُ نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقير لفقره، ولا يهاب مَلكاً لملكه، وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه، ولا يدع أحداً يمشي خلفه([٥٦]). وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن وربما يلبسه في الأيسر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة، وكان يكثر الذكر، دائم الفكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويحب الطيب ولا يرده، ويكره الروائح الكريهة، وكان أكثر الناس تبسماً، وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه([٥٧]) ويمزح ولا يقول إلا حقّاً، ولا يجفو أحداً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، ويتنفس في الشرب ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلام، وإذا تكلم تكلّم بكلام بيِّنٍ فَصْلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلام ثلاثاً إذا لم تفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة، وقد جمع الله له مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فكانت معاتبته تعريضاً، وكان يأمر بالرفق ويحثّ عليه، وينهي عن العنف، ويحث على العفو والصفح، والحلم، والأناة، وحسن الخلق ومكارم الأخلاق، وكان يحب التيمن في طهوره وتنعُّله، وترجُّله، وفي شأنه كله، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا اضطجع اضطجع على جنبه الأيمن، ووضع كفه اليمنى تحته خده الأيمن، وإذا عرَّس([٥٨]) قُبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، وكان مجلسه: مجلس علم، وحلم، وحياء، وأمانة، وصيانة، وصبر، وسكينة، ولا ترفع فيه

الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات، يتفاضلون في مجلسه بالتقوى، ويتواضعون، ويُوقِّرون الكبار، ويرحَمُون الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويخرجون دعاة إلى الخير، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يمشي مع الأرملة والمسكين، والعبد، حتى يقضي له حاجته. ومر على الصبيان يلعبون فسلّم عليهم، وكان لا يصافح النساء غير المحارم. وكان يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم الكريم كل قوم، ويقبل بوجهه وحديثه على من يحادثه، حتى على أشرِّ القوم يتألفهم بذلك، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً([٥٩])، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ويحلم، ولم يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه.

وقد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الشيم وآتاه من العلم والفضل وما فيه النجاة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم له من البشر، واختاره الله على جميع الأولين والآخرين، وجعل دينه للجن والناس أجمعين إلى يوم الدين، فصلوات الله وسلامه عليه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين؛ فإن خلقه كان من القرآن.

فينبغي الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم والتأسي في جميع أعماله، وأقواله، وجده واجتهاده، وجهاده، وزهده، وورعه، وصدقه وإخلاصه، إلا في ما كان خاصّاً به، أو ما لا يُقدر على فعله؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا([٦٠])’’([٦١])؛ ولقوله: ‘‘ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم’’([٦٢]).

المبحث الثالث: خير أعماله وخواتمها

كان صلّى الله عليه وسلّم إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه؛ ولهذا قال: ‘‘إن أحب الأعمال إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه وإن قل’’([٦٣]). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ‘‘كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عرض القرآن مرتين’’([٦٤]).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر القول قبل أن يموت: ‘‘سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك’’. قالت: قلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: ‘‘جُعلت لي علامةٌ في أمتي إذا رأيتها قلتها {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}([٦٥]). وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمر عن هذه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} إنها: أجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم’’([٦٦]). وقيل: نزلت {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} يوم النحر والنبي صلّى الله عليه وسلّم في منى بحجة الوداع([٦٧])، وقيل: نزلت أيام التشريق([٦٨])، وعند الطبراني أنها لما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشدَّ ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة([٦٩])؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنهما: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: ‘‘سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر

لي" يتأول القرآن([٧٠]). ومعنى ذلك أنه يفعل ما أمر به فيه وهو قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}([٧١]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ الحث على المداومة على العمل الصالح، وأن قليلاً دائماً خير من كثير منقطع؛ لأن بدوام العمل الصالح القليل تدوم الطاعة والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال على الخالق، والقليل الدائم يثمر؛ لأنه يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة([٧٢]).

٢ ـ من أجهد نفسه في شيء من العبادات لا يطيق العمل به خُشِيَ عليه أن يمل فيفضي ذلك إلى تركه([٧٣]).

٣ ـ الإنسان المسلم كلما تقدم في العمر اجتهد في العمل على حسب القدرة والطاقة، ليلقى الله على خير أحواله؛ ولأن الأعمال بالخواتيم، وخير الأعمال الصالحة خواتيمها([٧٤]).

المبحث الرابع: وداعه لأمته ووصاياه في حجة الوداع

١ ـ أذانه في الناس بالحج:

١ ـ بعد أن بلّغ صلّى الله عليه وسلّم البلاغ المبين وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، أعلن في الناس وأذَّن فيهم وأعلمهم أنه حاج في السنة العاشرة – بعد أن مكث في المدينة تسع سنين كلها معمورة بالجهاد والدعوة والتعليم – وبعد هذا النداء العظيم الذي قصد به صلّى الله عليه وسلّم إبلاغ الناس فريضة الحج، ليتعلموا المناسك منه صلّى الله عليه وسلّم؛ وليشهدوا أقواله، وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد([٧٥]). قال جابر رضي الله عنه: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويعمل مثل عمله... وساق الحديث وفيه: حتى إذا استوت به ناقته على البيداء([٧٦]) نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك([٧٧])، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله وما عمل به من شيء عملنا به... وساق الحديث وقال: حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضُربت له بنمرة فنزل بها.

٢ ـ وداعه ووصيته لأمته في عرفات:

قال جابر رضي الله عنه: حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: "إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع([٧٨]) ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله([٧٩]) فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله([٨٠]) ولكم

عليهن أن لا يوطئن فراشكم([٨١]) أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح([٨٢]) ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله([٨٣])، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون"؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بإصبعه السبَّابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد، اللهم اشهد" ثلاث مرات([٨٤]). وقد كان في الموقف جمٌّ غفير لا يُحصي عددها إلا الله تعالى([٨٥]).

وأنزل على النبي صلّى الله عليه وسلّم في يوم عرفة يوم الجمعة قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}([٨٦]) وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الجن والإنس فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف، {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً}([٨٧]) أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الله لهم الدين تمت عليهم النعمة([٨٨]).

وقد ذُكر أن عمر بكى عندما نزلت هذه الآية في يوم عرفة، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص([٨٩])، وكأنه رضي الله عنه توقع موت النبي صلّى الله عليه وسلّم قريباً.

٣ ـ وداعه ووصيته لأمته عند الجمرات:

قال جابر رضي الله عنه: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: "لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلّي لا أحُجُّ بعد حجتي هذه"([٩٠]).

وعن أم الحصين رضي الله عنها قالت: حججت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة... فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولاً كثيراً ثم سمعته يقول: "إن أُمِّر عليكم عبد مجدَّع أسود يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا"([٩١]).

٤ ـ وصيته ووداعه لأمته يوم النحر:

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه – أو بزمامه – وخطب الناس فقال: "أتدرون أيُّ يوم هذا"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: "أليس بيوم النحر"؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: "فأي شهر هذا"؟ قلنا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسمه بغير اسمه، فقال: "أليس بذي الحجة"؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: "فأي بلد هذا"؟ قلنا الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: "أليست البلدة الحرام"؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا [وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً [أو ضُلاَّلاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد [منكم] الغائب [فَرُبَّ مُبلّغ أوعى من سامع] ألا هل بلّغت [ثم انكفأ([٩٢]) إلى كبشين أملحين فذبحهما.."([٩٣]) قال ابن عباس

رضـــي الله عنهمـــا: فوالـــذي نفســـي بيـــده إنهـــا لوصـــيته إلـــى أمتـــه فليبلـــغ الشـــاهد الغائب([٩٤]).
وسكوته صلّى الله عليه وسلّم بعد كل سؤال من هذه الأسئلة الثلاثـة كـان لاستحضـار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه([٩٥]).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وقف النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم النحر بين الجمرات... وقال: "هذا يوم الحج الأكبر" وطَفِق([٩٦]) النبي يقول: "اللهم اشـهد" وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع"([٩٧]).
وقد فتح الله أسماع جميع الحجاج بمنى حتى سمعوا خطبة النبي صلّى الله عليـه وسلّم يوم النحر، هذا من معجزاته أن بارك في أسماعهم وقوَّاها حتى سمعها القاضـي الداني حتى كانوا يسمعون وهم في منازلهم([٩٨]). فعن عبد الرحمن بن معاذ التيمي رضـي الله عنـه قـال: "خطبنـا رسـول الله صلّى الله عليـه وسلّم ونحـن بمنـى فَفُتِحـت أسماعُنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا.."([٩٩]).
٥ ـ وصيته صلّى الله عليه وسلّم لأمته في أوسط أيام التشريق:
وخطب صلّى الله عليه وسلّم الناس في اليوم الثاني عشر من ذي الحجـة وهـو ثـاني أيـام التشريق ويقـال لـه: يوم الرؤوس؛ لأن أهل مكة يسمونه بذلك؛ لأكلهـم رؤوس الأضاحي فيه، وهو أوسط أيام التشريق([١٠٠])، فعن أبي نجيح عن رجلين من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهما من بني بكر، قالا: رأينا رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم يخطـب بـين أوسـط أيـام التشـريق، ونحـن عنـد راحلتـه، وهـي خطبـة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي خطب([١٠١]) بمنى([١٠٢])، وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبي صلّى الله عليه وسلّم وسْطَ أيام التشـريق فقـال: "يـا أيهـا النـاس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحـد، ألا لا فضـل لعربـي علـى أعجمـي ولا لعجمي علـى عربـي، ولا لأحمر علـى أسود، ولا لأسود علـى أحمر علـى أحمر إلا بالتقوى، أبلغت"؟ قالوا: بلَّغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ثم قال: "أي يـوم هذا"؟ قالوا: يوم حرام. ثم قال: "أيُّ شهر هذا"؟ قالوا: شهر حرام. ثـم قـال: "أي بلـد هذا"؟ قالوا: بلد حرام. قال: "فإن الله قد حرَّم بينكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، كحرمـة يومكم هذا، في شهركم هذا، فـي بلدكم هذا، أبلغت"؟ قـالوا بلَّـغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال: "ليبلغ الشاهد الغائب"([١٠٣]).

وهناك جمل من خطبه صلّى الله عليه وسلّم في حجة الوداع في الأماكن المقدسة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم خطـب النـاس في حجة الوداع فقال: "إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم ولكن رضـي أن يُطـاع فيمـا سـوى ذلـك ممـا تحـاقرون مـن أعمـالكم فاحـذروا، إنـي قـد تركـت فـيكم مـا إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه..." الحديث([١٠٤]). وحـديث أبـي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول وهـو يخطـب الناس على ناقته الجدعاء في حجة الوداع يقول: "يا أيها الناس أطيعوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وأدّوا زكـاة أمـوالكم، وصـوموا شـهركم، وأطيعـوا ذا أمـركم تـدخلوا جنـة ربكم"([١٠٥]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:
١ ـ إن كل من قدم المدينة إجابة لأذان النبي صلّى الله عليه وسلّم بالحج فقد حج مع النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ لقول جابر رضي الله عنه: "فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويعمل مثل عمله"([١٠٦]).
٢ ـ استحباب نزول الحاج إلى عرفات بعد زوال الشمس إن تيسر ذلك.
٣ ـ استحباب خطبة الإمام بالحجاج بعرفات، يبين فيها للناس ما يحتاجون إليه، ويعتني ببيان التوحيد، وأصول الدين، ويحذر فيها من الشرك والبدع والمعاصي، ويوصي الناس بالعمل بالكتاب والسنة.
وقد ثبت أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خطب في حجة الوداع ثلاث خطب: خطبة يوم عرفة، والخطبة الثانية يوم النحر في منى، والخطبة الثالثة في منى يوم الثاني عشر من ذي الحجة. ومذهب الشافعي أن الإمام يخطب يوم السابع من ذي الحجة كذلك([١٠٧])، ويعلم الإمام الناس في كل خطبة ما يحتاجون إليه إلى الخطبة لأخرى.
٤ ـ تأكيد غلظ تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، والأبشار الجلدية.
٥ ـ استخدام ضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا’’.
٦ ـ إبطال أفعال الجاهلية، وربا الجاهلية، وأنه لا قصاص في قتلى الجاهلية.
٧ ـ إن الإمام ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يبدأ بنفسه وأهله؛ لأنه أقرب لقبول قوله، وطيب نفس من قرب عهده بالإسلام.
٨ ـ الموضوع من الربا هو الزائد على رأس المال، أما رأس المال فلصاحبه.
٩ ـ مراعاة حق النساء، ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاءت أحاديث كثيرة بذلك جمعها النووي أو معظمها في رياض الصالحين.
١٠ ـ وجوب نفقة الزوجة وكسوتها، وجواز تأديبها إذا أتت بما يقتضي التأديب لكن بالشروط والضوابط التي جاءت بالكتاب والسنة، وأن لا يحصل منكر من أجل ذلك التأديب.
١١ ـ الوصية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم.
١٢ ـ قوله: ‘‘لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه’’ ففي ذلك لام الأمر، والمعنى خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال، والأفعال، والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها، واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، فهو كقوله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘صلوا كما رأيتموني أصلي’’([١٠٨]).
١٣ ـ وفي قوله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘لعلي لا أحج بعد حجتي هذه’’ إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته صلّى الله عليه وسلّم، وحثهم على الأخذ عنه، وانتهاز الفرصة وملازمته، وبهذا سميت حجة الوداع.

١٤ ـ الحث على تبليغ العلم ونشره، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدم ولكن بقلة، وأن الأفضل أن يكون الخطيب على مكان مرتفع؛ ليكون أبلغ في سماع الناس ورؤيتهم له.
١٥ ـ استخدام السؤال ثم السكوت والتفسير يدل على التفخيم، والتقرير والتنبيه.
١٦ ـ الأمر بطاعة ولي الأمر مادام يقود الناس بكتاب الله تعالى، وإذا ظهرت منه بعض المعاصي والمنكرات، وُعِظَ وَذُكِّر بالله وخُوِّف به لكن بالحكمة والأسلوب الحسن.
١٧ ـ الوصية بطاعة الله، والصلاة، والزكاة، والصيام، وأنه لا فرق بين أصناف الناس إلا بالتقوى.
١٨ ـ معجزة النبي صلّى الله عليه وسلّم الظاهرة الدالة على صدقه، وذلك بسماع الناس لخطبته يوم النحر وهم في منازلهم([١٠٩]) فقد فتح الله لأسماعهم كلهم لها.
١٩ ـ الضحية سنه مؤكدة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي في حق الحاج وغير الحاج فلا يجزئ عنها الهدي، وإنما هي سنة مستقلة؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم بعد أن خطب الناس بمنى انقلب فذبح كبشين أملحين([١١٠]) وهذا غير الهدايا التي نحرها بيده وأشرك عليّاً في الهدي وأمره بنحر الباقي من البدن.
المبحث الخامس: توديعه للأحياء والأموات
عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلما كان ليلتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: ‘‘السلام عليكم دار قول مؤمنين، وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد’’([١١١]). وفي رواية أنه قال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘فإن جبريل أتاني.. فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم’’ قالت عائشة: يا رسول الله، كيف أقول لهم؟ قال: ‘‘قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون’’([١١٢]).
وقد ذكر الإمام الأبي رحمه الله تعالى أن خروجه هذا كان في آخر عمره صلّى الله عليه وسلّم([١١٣]) وهذا والله أعلم يدل على توديعه للأموات كما فعل مع شهداء أحد؛ ولهذا والله أعلم كان يخرج في الليل ويقف في البقيع يدعو لهم كما قالت عائشة رضي الله عنها: ‘‘ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف...’’([١١٤]).
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج يوماً فصلى على قتلى أحد صلاة الميت([١١٥]) بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع علي المنبر فقال: ‘‘إني بين أيديكم فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإن موعدكم الحوض، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي([١١٦])، ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها [وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم] قال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [على المنبر]’’([١١٧]).

فتوديعه صلّى الله عليه وسلّم للأحياء ظاهر؛ لأن سياق الأحاديث يشعر أن ذلك كان آخر حياته صلّى الله عليه وسلّم، وأما توديعه للأموات فباستغفاره لأهل البقيع ودعائه لأهل أحد، وانقطاعه بجسده عن زيارتهم([١١٨]).
وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، منها:
١ ـ حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم على نفع أمته، والنصح لهم في الحياة، وبعد الممات؛ ولهذا صلى على شهداء أحد بعد ثمان سنوات، وزار أهل البقيع ودعا لهم، وأوصى الأحياء ونصحهم، ووعظهم وأمرهم ونهاهم فما ترك خيراً إلا دلهم عليه، ولا شرًا إلا حذرهم منه.
٢ ـ التحذير من فتنة زهرة الدنيا لمن فتحت عليه، فينبغي له أن يحذر سوء عاقبتها، ولا يطمئن إلى زخارفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستخدم ما عنده منها في طاعة الله تعالى([١١٩]).
المبحث السادس: بداية مرضه صلّى الله عليه وسلّم وأمره لأبي بكر أن يصلي بالناس
رجع صلّى الله عليه وسلّم من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقية الشهر، والمحرم، وصفراً، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بشكواه في ليال بقين من صفر: قيل في الثاني والعشرين منه، وقيل: في التاسع والعشرين، وقيل: بل في أول شهر ربيع الأول، وقد صلى على شهداء أحد فدعا لهم كما تقدم، وذهب إلى أهل البقيع وسلم عليهم ودعا لهم مودعاً لهم، ثم رجع مرة من البقيع فوجد عائشة وهي تشتكي من صداع برأسها وهي تقول: وارأساه. فقال: "بل أنا والله يا عائشة وارأساه". قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال: "وما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك" قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك. قالت: "فتبسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"([١٢٠]) وتتام به وجعه حتى استعزبه([١٢١]) وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي([١٢٢]).
وأول ما اشتدَّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه في بيت ميمونة رضي الله عنها فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها([١٢٣])، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنَّ له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر([١٢٤]) وكانت عائشة رضي الله عنها تحدث أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما دخل بين واشتد به وجعه قال: "هَرِيقوا([١٢٥]) عليَّ من سبع قرب([١٢٦]) لم تُحْلَلْ أوكيتهن لعلي أعهد([١٢٧]) إلى الناس، فأجلسناه في مِخضَب([١٢٨]) لحفصة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم طفقنا([١٢٩]) نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم"([١٣٠]).
وعنها رضي الله عنها قالت: "ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: "أصلى الناس"؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: "ضعوا لي ماء في المخضب" قالت: ففعلنا. فاغتسل فذهب لينوءَ([١٣١]) فأغمي عليه، ثم أفاق فقال صلّى الله عليه

وسلّم: ‘‘أصلى الناس’’؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: ‘‘ضعوا لي ماء في المخضب’’ قالت: ففعلنا [فقعد] فاغتسل. ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه. ثم أفاق فقال: ‘‘أصلى الناس’’؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: ‘‘ضعوا لي ماء في المخضب’’ ففعلنا [فقعد] فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: ‘‘أصلى الناس’’؟ فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي صلّى الله عليه وسلّم لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أبي بكر؛ ليصلي بالناس، فأتاه الرسول([١٣٢]) فقال: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر – وكان رجلاً رقيقاً – يا عمر! صلِّ بالناس. فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك. قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام. ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجد من نفسه خِفَّة فخرج بين رجلين – أحدهما العباس([١٣٣])– لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم بأن لا يتأخر، وقال لهما: ‘‘أجلساني إلى جنبه’’ فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم يأتم بصلاة النبي صلّى الله عليه وسلّم والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي صلّى الله عليه وسلّم قاعد’’([١٣٤]). وهذا صريح في أن هذه الصلاة هي صلاة الظهر([١٣٥]). وقد كان صلّى الله عليه وسلّم حريصاً على أن يكون أبو بكر هو الإمام وردد الأمر بذلك مراراً، فمن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: ‘‘مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس’’ فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف([١٣٦]) وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر؟ فقال: ‘‘مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس’’ قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، ففعلت حفصة. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘إنكنَّ لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس’’ فقالت حفصة لعائشة: [ما كنت لأصيب منك خيراً]. قالت عائشة: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘قم مكانك’’ فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي صلّى الله عليه وسلّم ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر’’([١٣٧]).

والسبب الذي جعل عائشة رضي الله عنها تراجع النبي صلّى الله عليه وسلّم في إمامة أبي بكر بالصلاة هو ما بيَّنَتْه في رواية أخرى قالت رضي الله عنها: ‘‘لقد راجعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن أبي بكر’’([١٣٨])؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم لها ولحفصة: ‘‘إنكن لأنتن صواحب يوسف’’([١٣٩]).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وتقديمه صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر معلوم بالضرورة من دين الإسلام وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة، وأقرؤهم لما ثبت في الصحيح: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله.."([١٤٠]) الحديث. نعم قد اجتمعت في أبي بكر هذه الصفات رضي الله عنه...([١٤١]).
وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:
١ - استحباب زيارة قبور الشهداء بأحد وقبور أهل البقيع والدعاء لهم بشرط عدم شد الرحال، وعدم إحداث البدع.
٢ - جواز تغسل الرجل زوجته وتجهيزها والزوجة كذلك.
٣ - جواز استئذان الرجل زوجاته أن يُمرِّض في بيت إحداهن كان الانتقال يشق عليه، وإذا لم يأذنَّ فحينئذ يقرع بينهن.
٤ - جواز المرض والإغماء على الأنبياء بخلاف الجنون فإنه لا يجوز عليهم؛ لأنه نقص، والحملة من مرض الأنبياء؛ لتكثير أجرهم، ورفع درجاتهم، وتسلية الناس بهم؛ ولئلا يفتتن الناس بهم فيعبدونهم؛ لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات، وهم مع ذلك لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله.
٥ - استحباب الغسل من الإغماء؛ لأنه ينشط ويزيل أو يخفف الحرارة.
٦ - إذا تأخر الإمام تأخراً يسيراً ينتظر، فإذا شق الانتظار صلى أعلم الحاضرين.
٧ - فضل أبي بكر وترجيحه على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وتنبيهه وتنبيه الناس أنه أحق بالخلافة من غيره؛ لأن الصلاة بالناس للخليفة؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: "رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لديننا".
٨ - إذا عرض للإمام عارض أو شغل بأمر لا بد منه منعه من حضور الجماعة فإنه يستخلف من يصلي بهم ويكون أفضلهم.
٩ - فضل عمر رضي الله منه؛ لأن أبا بكر وثق به، ولهذا أمره أن يصلي ولم يعدل إلى غيره.
١٠ - جواز الثناء والمدح في الوجه لمن أُمِنَ عليه الإعجاب والفتنة؛ لقول عمر رضي الله عنه: "أنت أحق بذلك".
١١ - دفع الفضلاء الأمور العظيمة عن أنفسهم إذا كان هناك من يقول بها على وجه مقبول.
١٢ - يجوز للمستخلف في الصلاة ونحوها أن خلف غيره من الثقات لقول أبي بكر: "صلِّ يا عمر".
١٣ - الصلاة من أهم ما يسأل عنه.
١٤ - فضل عائشة رضي الله عنها على جميع أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم الموجودات ذلك الوقت وهن تسع إحداهن عائشة رضي الله عنهن.
١٥ - جواز مراجعة ولي الأمر على سبيل العرض والمشاورة والاستشارة بما يظهر أنه مصلحة، لكن بعبارة لطيفة تحمل الحكمة وحسن الأسلوب.
١٦ - جواز وقوف المأموم بجنب الإمام لحاجة أو مصلحة: كإسماع المأمومين التكبير في الجم الغفير الذين لا يسمعون الصوت، أو ضيق المكان، أو علة أخرى كصلاة المرأة بالنساء، أو المنفرد مع الإمام، أو إمام العراة.

١٧ ـ جواز رفع الصوت بالتكبير فينقل المبلغ للناس صوت الإمام إذا لم يسمع الناس تكبير الإمام.
١٨ ـ التنبيه على الحرص على حضور الصلاة مع الجماعة إلا عند العجز التام عن ذلك.
١٩ ـ الأعلم والأفضل أحق بالإمامة من العالم والفاضل.
٢٠ ـ إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا صلى جالساً صلي الناس جلوساً، وإذا صلى قائماً صلوا قياماً.
٢١ ـ البكاء في الصلاة من خشية الله لا حرج فيه لكن لا يتكلف ذلك ولا يطلبه، فإذا غلبه البكاء في الصلاة بدون اختياره فلا حرج([١٤٢]).
المبحث السابع: خطبته العظيمة ووصيته للناس
خطب عليه الصلاة والسلام أصحابه في يوم الخميس قبل أن يموت بخمسة أيام خطبة عظيمة بيَّن فيها فضل الصدِّيق من سائر الصحابة، مع ما قد كان نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين، ولعل خطبته هذه كانت عوضاً أراد يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه الصلاة والسلام بين يدي هذه الخطبة العظيمة، فصبوا عليه من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بعدد السبع كما وردت به الأحاديث([١٤٣]) والمقصود أنه صلّى الله عليه وسلّم اغتسل ثم خرج وصلى بالناس ثم خطبهم. قال جندب رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ‘‘إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل([١٤٤])؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك’’([١٤٥]). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: ‘‘إن الله خيَّر عبداً بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله’’، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن عبدٍ خيَّرَه الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو [العبد] المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘[يا أبا بكر لا تبكي] إن من أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله([١٤٦]) أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوَّةُ الإسلام، ومودته، لا يَبْقَينَّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر’’([١٤٧]).
وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:
١ ـ أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بسد الأبواب إلا باب أبي بكر من جملة الإشارات التي تدل على أنه هو الخليفة.
٢ ـ فضل أبي بكر رضي الله عنه وأنه أعلم الصحابة رضي الله عنهم، ومن كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وأنه أحب الصحابة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ـ الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وأن الرغبة في البقاء في الدنيا وقتاً من الزمن إنما هي للرغبة في رفع الدرجات في الآخرة وذلك بالازدياد من الحسنات لرفع الدرجات.
٤ ـ شكر المحسن والتنويه بفضله وإحسانه والثناء عليه؛ لأن من لم يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.
٥ ـ التحذير من اتخاذ المساجد على القبور وإدخال القبور في المساجد أو وضع الصور فيها، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله كائناً من كان([١٤٨]).
٦ ـ حب الصحابة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين ولهذا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.
المبحث الثامن: اشتداد مرضه صلّى الله عليه وسلّم ووصيته في تلك الشدة
عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات([١٤٩]) وينفث فلما اشتد [الذي توفي فيه] كنت أقرأ [وفي رواية أنفث] عليه بهن وأمسح بيده نفسه رجاء بركتها. قال ابن شهاب: ‘‘ينفث على يديه ثم يمسح يهما وجهه’’([١٥٠]). وفي صحيح مسلم قالت: ‘‘كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي’’([١٥١]). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي صلّى الله عليه وسلّم فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال: ‘‘مرحباً بابنتي’’ فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارّها فضحكت أيضاً، فقلتُ لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنتُ لأفشي سرَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزْنٍ، فقلت حين بكت أخصَّك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلما توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلت: عزمتُ عليك بمالي من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقالت: أما الآن فنعم: أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أُراني([١٥٢]) إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: ‘‘يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة’’؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت"([١٥٣]) وفي رواية: ‘‘فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت’’([١٥٤]).
وسبب ضحكها رضي الله عنها أنها سيدة نساء المؤمنين، وأول من يلحق به من أهله، وسبب البكاء أنه أخبرها بموته صلّى الله عليه وسلّم، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وروى النسائي في سبب الضحك الآمرين"([١٥٥]) أي بشارتها بأنها سيد ة نساء هذه الأمة، وكونها أول من يلحق به من أهله. وقد اتفقوا على أن فاطمة رضي

الله عنها أول من مات من أهل بيت النبي صلّى الله عليه وسلّم بعده حتى من أزواجه([١٥٦]).
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحداً أشدَّ عليه الوجع([١٥٧]) من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"([١٥٨]).
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يوعك([١٥٩]) فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘أجل إني أُوعك كما رَجُلان منكم’’ قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه [شوكة فما فوقها] إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها’’([١٦٠]).
وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نُزِلَ([١٦١]) برسول الله صلّى الله عليه وسلّم طفق([١٦٢]) يطرح خميصة([١٦٣]) له على وجهه فإذا اغتم([١٦٤]) كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: ‘‘لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد’’ يُحذرُ ما صنعوا([١٦٥]).
وعن عائشة رضي الله عنها أنهم تذاكروا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه فذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصوير، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة’’([١٦٦]).
وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: "قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي لم يقم منه: ‘‘لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد’’ قالت: فلولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يُتخذ مسجداً"([١٦٧]).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: ‘‘لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم’’([١٦٨]).
وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل يتغشاه([١٦٩])، فقالت فاطمة رضي الله عنها: وا كرب أباه([١٧٠]) فقال لها: ‘‘ليس على أبيك كرب بعد اليوم’’ فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا لأبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه([١٧١]). فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التراب’’؟([١٧٢]).
وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:
١ ـ استحباب الرقية بالقرآن، وبالأذكار، وإنما جاءت الرقية بالمعوذات؛ لأنها جامعة للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق الله عز وجل، فيدخل في ذلك كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس([١٧٣]).
٢ ـ عناية النبي صلّى الله عليه وسلّم ببنته فاطمة ومحبته لها؛ ولهذا قال: ‘‘مرحباً بابنتي’’ وقد جاءت الأخبار أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبَّلها، وأجلسها في

مجلسه، وإذا دخل عليها فعلت ذلك رضي الله عنها، فلما مرض دخلت عليه وأكتب عليه تقبله([١٧٤]).
٣ ـ يؤخذ من قصة فاطمة رضي الله عنها أنه ينبغي العناية بالبنات، والعطف عليهن، والإحسان إليهن، ورحمتهن، وتربيتهن التربية الإسلامية، اقتداء بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، وأن يختار لها الزوج الصالح المناسب.
٤ ـ عناية الولد بالوالد كما فعلت فاطمة رضي الله عنها، فيجب على الولد أن يحسن إلى والديه، ويعتني ببرهما، ولا يعقهما، فيتعرض لعقوبة الله تعالى.
٥ ـ معجزة النبي صلّى الله عليه وسلّم التي تدل على صدقه وأنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن ذلك أنه أخبر أن فاطمة أول من يلحقه من أهله، فكانت أول من مات من أهله بالاتفاق.
٦ ـ سرور أهل الإيمان بالانتقال إلى الآخرة، وإيثارهم حب الآخرة على الدنيا لحبهم للقاء الله تعالى، ولكنهم لا يتمنون الموت لضر نزل بهم؛ لرغبتهم في الإكثار من الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما بين النبي عليه الصلاة والسلام.
٧ ـ المريض إذا قرب أجله ينبغي له أن يوصي أهله بالصبر؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم لفاطمة: ‘‘فاتقي الله واصبري’’.
٨ ـ فضل فاطمة رضي الله عنها وأنها سيدة نساء المؤمنين.
٩ ـ المرض إذا احتسب المسلم ثوابه، فإنه يكفر الخطايا، ويرفع الدرجات، ويزاد به الحسنات، وذلك عام في الأسقام، والأمراض ومصائب الدنيا، وهمومها وإن قلت مشقتها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثال؛ لأنهم مخصوصون بكمال الصبر والاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم، ويُلحق بالأنبياء الأمثال فالأمثل من أتباعهم؛ لقربهم منهم وإن كانت درجتهم أقل، السر في ذلك والله أعلم أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد؛ ولهذا ضوعف حد الحر على حد العبد، وقال الله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}([١٧٥]). والقوي يُحمَّل ما حمل، والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة هان البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ويرضى ولا يعترض([١٧٦]).
١٠ ـ التحذير من بناء المساجد على القبور ومن إدخال القبور والصور في المساجد، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا من أعظم الوصايا التي أوصى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل موته بخمسة أيام([١٧٧]).
المبحث التاسع: وصايا النبي صلّى الله عليه وسلّم عند موته
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يوم الخميس وما يوم الخميس([١٧٨]) اشتد برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه فقال: ‘‘ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً’’ فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع [فقال بعضهم: إن رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،] [فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقوم غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "[قوموا] وفي رواية: "دعوني فالذي أنا فيه خير([١٧٩]) مما تدعونني إليه] أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به"([١٨٠]) وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها"([١٨١]) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وأوصاهم بثلاث" أي في تلك الحالة، وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه صلّى الله عليه وسلّم لم يكن أمراً متحتماً؛ لأنه لو كان مما أُمر بتبليغه لم يتركه لوقوع اختلافهم ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلّغه لهم لفظاً كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياماً وحفظوا عنه أشياء لفظاً فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه والله أعلم([١٨٢]).
والوصية الثالثة في هذا الحديث يحتمل أن تكون الوصية بالقرآن، أو الوصية بتنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه. أو الوصية بالصلاة وما ملكت الأيمان، أو الوصية وما ملكت الأيمان، أو الوصية بأن لا يتخذ قبره صلّى الله عليه وسلّم وثناً يُعبد من دون الله، وقد ثبتت هذه الوصايا عنه صلّى الله عليه وسلّم([١٨٣]).
وعن عبد الله بن أبي أوْفَى رضي الله عنه أنه سئل هل أوصى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟... قال: "أوصى بكتاب الله عز وجل"([١٨٤]). والمراد بالوصية بكتاب الله: حفظه حسّاً ومعنى، فيكرم ويصان، ويتبع ما فيه: فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك([١٨٥]).
وأمر عليه الصلاة والسلام وأوصى بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى أنه كان تجهيز جيش أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلّى الله عليه وسلّم بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلّى الله عليه وسلّم، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة وقال: "سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش..." فبدأ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، ثم اشتد برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه فقال: "أنفذوا جيش أسامة" فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه ورجع الجيش سالماً وقد غنموا.."([١٨٦]).
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة([١٨٧]) وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحبّ الناس إليَّ بعده"([١٨٨]). وقد كان عُمْرُ أسامة رضي الله عنه حين توفي النبي صلّى الله عليه وسلّم ثمان عشر سنة([١٨٩]).
وأوصي صلّى الله عليه وسلّم بالصلاة وما مكلت الأيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين حضره الموت: "الصلاة

الصلاة وما ملكت أيمانكم" حتى جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغرغر صدره ولا يكاد يفيض بها لسانه"([١٩٠]).
وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم"([١٩١]).
وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:
١ ـ وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى بذلك عند موته، وقد أخرجهم عمر رضي الله عنه في بداية خلافته، أما أبو بكر فقد انشغل بحروب الردة.
٢ ـ إكرام الوفود وإعطاؤهم ضيافتهم كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى بذلك.
٣ ـ وجوب العناية بكتاب الله حسّاً ومعنى: فيكرم، ويصان، ويتبع ما فيه في فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى به في عدة مناسبات، فدل ذلك على أهميته أهمية بالغة مع سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم.
٤ ـ أهمية الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ ولهذا أوصى بها النبي صلّى الله عليه وسلّم عند موته أثناء الغرغرة.
٥ ـ القيام بحقوق المماليك والخدم ومن كان تحت الولاية؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى بذلك فقال: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم".
٦ ـ فضل أسامة بن زيد حيث أمَّره النبي صلّى الله عليه وسلّم على جيش عظيم فيه الكثير من المهاجرين والأنصار، وأوصى بإنفاذ جيشه([١٩٢]).
٧ ـ فضل أبي بكر حيث أنفذ وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في جيش أسامة فبعثه؛ لقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}([١٩٣]).
المبحث العاشر: اختياره صلّى الله عليه وسلّم الرفيق الأعلى
عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحَّة([١٩٤]) [شديدة] يقول: {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا}([١٩٥]) قالت فظننته خير حينئذ([١٩٦]).
وفي رواية عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو صحيح يقول: "إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر" قالت: فلما نزل برسول الله صلّى الله عليه وسلّم([١٩٧]) ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصرهُ إلى السقف ثم قال: "اللهم في الرفيق الأعلى" فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اللهم مع الرفيق الأعلى"([١٩٨]). وقالت رضي الله عنها: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو مسند إليَّ ظهره يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى"([١٩٩]) وكان صلّى الله عليه وسلّم

متصل بربه وراغباً فيما عنده، ومحبّاً للقائه، ومحبّاً لما يحبه سبحانه، ومن ذلك السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري([٢٠٠])، ونحري([٢٠١])، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن [بن أبي بكر] وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [إلى صدري]([٢٠٢]) فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ ‘‘فأشار برأسه أن نعم’’ فتناولته فاشتد عليه، وقلتُ ألّيّنه لك؟ ‘‘فأشار برأسه أن نعم’’ فلينته [وفي رواية: فقصمته، ثم مضغته([٢٠٣]) [وفي رواية فقضمته ونفضته وطيبته([٢٠٤]) ثم دفعته إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فاستنَّ به([٢٠٥]) فما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استن استناناً قطّ أحسن منه]([٢٠٦]) وبين يديه ركوة([٢٠٧]) أو علبة([٢٠٨]) فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: ‘‘لا إله إلا الله إن للموت سكرات’’ ثم نصب يده فجعل يقول: ‘‘في الرفيق الأعلى’’ حتى قبض ومالت يده"([٢٠٩]) صلّى الله عليه وسلّم.

وقالت عائشة رضي الله عنها: مات النبي صلّى الله عليه وسلّم وإنه لبين حاقنتي([٢١٠]) وذاقنتي([٢١١])، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم([٢١٢]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ إن الرفيق الأعلى: هم الجماعة المذكورون في قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا}([٢١٣]) فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد بالرفيق الأعلى هم الأنبياء الساكنون أعلى عليين. ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع؛ لقوله تعالى: {وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا}([٢١٤]).

٢ ـ إن النبي صلّى الله عليه وسلّم اختار الرفيق الأعلى حين خُيِّر حبّاً للقاء الله تعالى، ثم حبّاً للرفيق الأعلى، وهو الذي يقول صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه’’([٢١٥]).

٣ ـ فضل عائشة رضي الله عنها حيث نقلت العلم الكثير عنه صلّى الله عليه وسلّم، وقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها؛ ولهذا قالت: ‘‘إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري’’.

٤ ـ عناية النبي صلّى الله عليه وسلّم بالسواك حتى وهو في أشد سكرات الموت، وهذا يدل على تأكد استحباب السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب.

٥ ـ قول النبي صلّى الله عليه وسلّم في سكرات الموت: ‘‘لا إله إلا الله إن للموت سكرات’’ وهو الذي قد حقق لا إله إلا الله، يدل على تأكُّدِ استحبابها والعناية بها والإكثار من قولها وخاصة في مرض الموت؛ لأن ‘‘من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة’’.

٦ ـ حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم على مرافقة الأنبياء ودعاؤه بذلك يدل على أن المسلم ينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يجمعه بهؤلاء بعد الموت في جنات النعيم، اللهم اجعلنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧ ـ شدة الموت وسكراته العظيمة للنبي صلّى الله عليه وسلّم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا بغيره.

المبحث الحادي عشر: موت النبي صلّى الله عليه وسلّم شهيداً

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول في مرضه الذي مات فيه: ‘‘يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام([٢١٦]) الذي أكلت بخيبر([٢١٧])، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَري([٢١٨]) من ذلك السم’’([٢١٩]).

وقد عاش صلّى الله عليه وسلّم بعد أكله من الشاة المسمومة بخيبر ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قُبض فيه([٢٢٠]) وقد ذُكِرَ أن المرأة التي أعطته الشاة المسمومة أسلمت حينما قالت: من أخبرك؛ فأخبر صلّى الله عليه وسلّم أن الشاة المسمومة أخبرته، وأسلمت وعفى عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أولاً ثم قتلها بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراءة بعد أن مات رضي الله عنه([٢٢١]) وقد ثبت الحديث متصلاً أن سبب موته صلّى الله عليه وسلّم هو السم، فعن أبي سلمة قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقبل ولا يأكل الصدقة فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمَّتها، فأكل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منها وأكل القول فقال: ‘‘ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة’’ فمات بشر بن البراء معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: ‘‘ما حملك على الذي صنعت’’؟ قالت: إن كنت نبيّاً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك ‘‘فأمر بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقتلت’’ ثم قال في وجعه الذي مات فيه: ‘‘ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري’’([٢٢٢]). وقالت أم بشر للنبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه: ما يتهم بك يا رسول الله؟ فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المسمومة التي أكل معك بخيبر. وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك فهذا أوان انقطاع أبهري’’([٢٢٣]).

وقد جزم ابن كثير رحمه الله تعالى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم مات شهيداً([٢٢٤])، ونقل: ‘‘وإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة’’([٢٢٥]). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لئن أحلف تسعاً أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك؛ لأن الله اتخذه نبيّاً واتخذه شهيداً’’([٢٢٦]).

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي بهم في وجع النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي توفي فيه حتى إذا كلن يوم الاثنين وهم صفوف [في صلاة الفجر] ففاجأهم النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد كشف سِترَ حجرةِ عائشة رضي الله عنها [وهم في صفوف الصلاة] وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف([٢٢٧]) ثم تبسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يضحك [وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً] [برؤية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم] [فنكص([٢٢٨]) أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، وظنَّ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خارج إلى الصلاة] [فأشار إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [بيده] أن أتموا صلاتكم [ثم

دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم] [الحجرة] وأرخى الستر فتوفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من يومه ذلك.
وفي رواية: [وتوفي من آخر ذلك اليوم]([٢٢٩]). وفي رواية: [لم يخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً]([٢٣٠]). فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله صلّى الله عليه وسلّم بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبي صلّى الله عليه وسلّم ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلّى الله عليه وسلّم حين وضح لنا، فأومأ النبي صلّى الله عليه وسلّم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي صلّى الله عليه وسلّم الحجاب فلم يُقدر عليه حتى مات([٢٣١]).
وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:
١ ـ موت النبي صلّى الله عليه وسلّم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى شهيداً؛ لأن الله اتخذه نبيّاً واتخذه شهيداً صلّى الله عليه وسلّم.
٢ ـ عداوة اليهود للإسلام وأهله ظاهرة من قديم الزمان فهم أعداء الله ورسله.
٣ ـ عدم انتقام النبي صلّى الله عليه وسلّم لنفسه، بل يعفو ويصفح؛ ولهذا لم يعاقب من سمَّت الشاة المصلية، ولكنها قُتِلتْ بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراء بعد أن مات بِصُنعها.
٤ ـ معجزة من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم وهي أن لحم الشاة المصلية نطق وأخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه مسموم.
٥ ـ فضل الله تعالى على عباده أنه لم يقبض نبيهم إلا بعد أن أكمل به الدين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.
٦ ـ محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبيهم صلّى الله عليه وسلّم حتى أنهم فرحوا فرحاً عظيماً عندما كشف الستر في صباح يوم الاثنين وهو ينظر إليهم وصلاتهم فأدخل الله بذلك السرور في قلبه صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه ناصح لأمته يحب لهم الخير؛ ولهذا ابتسم وهو في شدة المرض فرحاً وسروراً بعملهم المبارك.
المبحث الثاني عشر: من يعبد الله فإن الله حي لا يموت
قال الله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}([٢٣٢]). {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}([٢٣٣]). {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}([٢٣٤]). {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}([٢٣٥]).
مات محمد بن عبد الله أفضل الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليه وسلّم وكان آخر كلمة تكلم بها عند الغرغرة كما قالت عائشة رضي الله عنها: أنه كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يده صلّى الله عليه وسلّم في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: "لا إله إلا الله إن للموت سكرات" ثم نصب يده فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده([٢٣٦]). فكان آخر كلمة تكلم بها: "اللهم في الرفيق الأعلى"([٢٣٧]).
وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات وأبو بكر بالسُّنح([٢٣٨]) فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم. قالت: وقال: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّه الله فلقطع أيدي رجال وأرجلهم([٢٣٩])، فجاء أبو بكر رضي الله عنه [على فرسه من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم([٢٤٠]) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو مغشَّى بثوب حِبرة([٢٤١]) فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله([٢٤٢]) [ثم بكى] فقال: بأبي أنت وأمي [يا نبي الله] [طبت حيّاً وميتًا والذي نفسي بيده] [لا يجمع الله عليك موتتين]([٢٤٣]) [أبداً] [أما الموتة التي كُتبت عليك قد مُتَّها] [ثم] [خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: [أيها الحالف على رسلك] [اجلس] [فأبى فقال: اجلس فأبى] [فتشهد أبو بكر] [فلما تكلم أبو بكر جلس عمر] [ومال إليه الناس وتركوا عمر] [فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه] وقال: [أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً صلّى الله عليه وسلّم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال الله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}([٢٤٤]) وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}([٢٤٥]) [فوا لله لكأن الناس لم يكونوا يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها [وأخبر سعيد بن المسيب] [أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت([٢٤٦]) حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قد مات] [قال: ونشج الناس([٢٤٧]) يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منَّا أمير ومنكم أمير([٢٤٨])، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيَّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل منَّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً([٢٤٩]) فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله([٢٥٠]).

قالت عائشة رضي الله عنها: في شأن خطبة أبي بكر وعمر في يوم موت النبي صلّى الله عليه وسلّم: فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، فلقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك، ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدى وعرَّفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}([٢٥١]). وخطب عمر ثم أبو بكر يوم الثلاثاء خطبة عظيمة مفيدة نفع الله بها والحمد لله.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم

قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة([٢٥٢]) ما كانت وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدها إليَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا – يقول: يكون آخرنا – وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه البيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: ‘‘أما بعد، أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم([٢٥٣]) فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته([٢٥٤]) إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله’’([٢٥٥]) ثم استمر الأمر لأبي بكر والحمد لله.

وقد بُعِثَ صلّى الله عليه وسلّم فبقي بمكة يدعو إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم هاجر إلى المدينة وبقي بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وآله وسلم([٢٥٦]).

ورجح الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أن آخر صلاة صلاها صلّى الله عليه وسلّم مع أصحابه رضي الله عنهم هي صلاة الظهر يوم الخميس، وقد انقطع عنهم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل([٢٥٧]).

وبعد موته صلّى الله عليه وسلّم وخطبة أبي بكر رضي الله عنه دارت مشاورات – كما تقدم – وبايع الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، وانشغل الصحابة ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ثم شرعوا في تجهيز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم([٢٥٨]) وغُسل من أعلى ثيابه، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم صلى عليه الناس فرادى لم يؤمهم أحد، وهذا أمر مجمع عليه: صلى عليه الرجال، ثم الصبيان، ثم النساء، والعبيد والإماء، وتوفي يوم الاثنين على المشهور([٢٥٩])، ودفن ليلة الأربعاء، أُلحد لحداً صلّى الله عليه وسلّم ونصب عليه اللبن نصباً([٢٦٠])، ورُفع قبره من الأرض نحواً من شبر([٢٦١])، وكان قبره صلّى الله عليه وسلّم مسنماً([٢٦٢])، وقد تواترت الأخبار أنه دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها شرقي مسجده صلّى الله عليه وسلّم في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ووسع المسجد النبوي الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ وقد كان نائبه بالمدينة عمر بن عبد العزيز فأمره بالتوسعة فوسعه حتى من ناحية الشرق فدخلت الحجرة النبوية فيه([٢٦٣]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ إن الأنبياء والرسل أحب الخلق إلى الله تعالى وقد ماتوا؛ لأنه لا يبقى على وجه الكون أحد من المخلوقات، وهذا يدل على أن الدنيا متاع زائل، ومتاع الغرور الذي

لا يدوم، لا يبقى للإنسان من تعبه وماله إلا ما كان يبتغي به وجه الله تعالى، وما عدا ذلك يكون هباءً منثوراً.
٢ ـ حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يكون مع الرفيق الأعلى؛ ولهذا سأل الله تعالى ذلك مرات متعددة، وهذا يدل على عظم هذه المنازل لأنبيائه وأهل طاعته.
٣ ـ استحباب تغطية الميت بعد تغميض عينيه، وشد لحييه؛ ولهذا سجِّي وغطي النبي صلّى الله عليه وسلّم بثوب حبرة.
٤ ـ الدعاء للميت بعد موته؛ لأن الملائكة يؤمنون على ذلك؛ ولهذا قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلّى الله عليه وسلّم: "طبت حيّاً وميتاً".
٥ ـ إذا أصيب المسلم بمصيبة فليقل: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها".
٦ ـ جواز البكاء بالدمع والحزن بالقلب.
٧ ـ النهي عن النياحة وشق الجيوب وحلق الشعر ونتفه والدعاء بدعوى الجاهلية وكل ذلك معلوم تحريمه بالأدلة الصحيحة.
٨ ـ إن الرجل وإن كان عظيماً قد يفوته بعض الشيء ويكون الصواب مع غيره، وقد يخطئ سهواً ونسياناً.
٩ ـ فضل أبي أبو بكر وعلمه وفقهه؛ ولهذا قال: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".
١٠ ـ أدب عمر رضي الله عنه وأرضاه وحسن خلقه؛ ولهذا سكت عندما قام أبو بكر يخطب ولم يعارضه بل جلس يستمع مع الصحابة رضي الله عن الجميع.
١١ ـ حكمة عمر العظيمة في فض النزاع في سقيفة بني ساعدة، وذلك أنه بادر فأخذ بيد أبي بكر فبايعه فانصب الناس وتتابعوا في مبايعة أبي بكر، وانفض النزاع والحمد لله تعالى.
١٢ ـ بلاغة أبي بكر فقد تكلم في السقيفة فأجاد وأفاد حتى قال عمر عنه: "فتكلم أبلغ الناس".
١٣ ـ قد نفع الله بخطبة عمر يوم موت البني صلّى الله عليه وسلّم قبل دخول أبي بكر فخاف المنافقون، ثم نفع الله بخطبة أبي بكر فعرف الناس الحق.
١٤ ـ ظهرت حكمة أبي بكر وحسن سياسته في خطبته يوم الثلاثاء بعد الوفاة النبوية، وبين أن الصدق أمانة والكذب خيانة، وأن الضعيف قوي عنده حتى يأخذ له الحق، والقوي ضعيف عنده حتى يأخذ منه الحق، وطالب الناس بالطاعة له إذا أطاع الله ورسوله، فإذا عصى الله ورسوله فلا طاعة لهم عليه.
١٥ ـ حكمة عمر رضي الله عنه وشجاعته العقلية والقلبية حيث خطب الناس قبل أبي بكر ورجع عن قوله بالأمس واعتذر، وشد من أزر أبي بكر، وبين أن أبا بكر صاحب رسول الله وأحب الناس إليه، وثاني اثنين إذ هما في الغار.
١٦ ـ استحباب بياض الكفن للميت، وأن يكون ثلاثة أثواب ليس فيها قمص ولا عمامة، وأن يلحد لحداً، وأن ينصب عليه اللبن نصباً، وأن يكون مسنماً بقدر شبر فقط.

المبحث الثالث عشر: مصيبة المسلمين بموته صلّى الله عليه وسلّم

من المعلوم يقيناً أن محبة النبي صلّى الله عليه وسلّم محبة كاملة من أعظم درجات الإيمان الصادق؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين’’([٢٦٤]). فإذا فقد الإنسان أهله، أو والده، أو ولده، لا شك أن هذه مصيبة عظيمة من مصائب الدنيا، فكيف إذا فقدهم كلَّهم جميعاً في وقت واحد؟

ولا شك أن مصيبة موت النبي صلّى الله عليه وسلّم أعظم المصائب على المسلمين؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باباً بينه وبين الناس، أو كشف ستراً فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رآه من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: ‘‘يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أُمتي لن يُصاب بمصيبة أشدَّ عليه من مُصيبتي’’([٢٦٥]).

وعن أنس رضي الله عنه قال: "لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة أضاء منها كل شيء([٢٦٦])، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأيدي([٢٦٧]) وإنا لفي دفنه([٢٦٨]) حتى أنكرنا([٢٦٩]) قلوبنا"([٢٧٠]).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه – بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – لعمر: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن نزورها كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يزورها، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله صلّى الله عليه وسلّم. قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها([٢٧١]).

وما أحسن ما قال القائل:

واعلم بأن المرء غير مخلَّد

اصبر لكلِّ مصيبة وتجلد

فاذكر مصابك بالنبي محمد

فإذا ذكرت مصيبة تسلو بها

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستفاد هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ موت النبي صلّى الله عليه وسلّم أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون.

٢ ـ إنكار الصحابة قلوبهم بعد موت النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ لفراقهم نزول الوحي وانقطاعه من السماء.
٣ ـ النبي صلّى الله عليه وسلّم أحب إلى المسلمين من النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين، وقد ظهر ذلك عند موته بين القريب والبعيد من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، بل وجميع المسلمين.
٤ ـ محبة الصحابة للإقتداء والتأسي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في كل شيء من أمور الدين حتى في زيارة النساء كبار السن، كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

المبحث الرابع عشر: ميراثه صلّى الله عليه وسلّم

عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: "ما ترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند موته: دِرْهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أَمَةً، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء [التي كان يركبها] وسلاحه، [وأرضاً بخيبر] جعلها [لابن السبيل] صدقة"([٢٧٢]). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء([٢٧٣])"([٢٧٤]).
وقال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘لا نورث ما تركنا فهو صدقة’’([٢٧٥]) وذلك لأنه لم يبعث صلّى الله عليه وسلّم جابياً للأموال وخازناً إنما بعث هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وهذا هو شأن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر’’([٢٧٦]).
وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك، فعن سليمان بن مهران: بينما ابن مسعود رضي الله عنه يوماً معه نفر من أصحابه إذ مرّ أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه: "على ميراث محمد صلّى الله عليه وسلّم يقسّمونه"([٢٧٧]).
فميراث النبي صلّى الله عليه وسلّم هو الكتاب والسنة والعلم والاهتداء بهديه صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا توفي صلّى الله عليه وسلّم ولم يترك درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا بعيراً، ولا شاة، ولا شيئاً، إلا بغلته وأرضاً جعلها صدقة لابن السبيل.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "توفي النبي صلّى الله عليه وسلّم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير"([٢٧٨]). وهذا يبين أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يتقلل من الدنيا، ويستغني عن الناس؛ ولهذا لم يسأل الصحابة أموالهم أو يقترض منهم؛ لأن الصحابة لا يقبلون رهنه وربما لا يقبضوا منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودي؛ لئلا يضيِّق على أحد من أصحابه صلّى الله عليه وسلّم([٢٧٩]).
وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يصيبه الجوع وهو حي؛ ولهذا يمر ويمضي الشهر والشهران وما أوقدت في أبيات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نار، قال عروة لعائشة رضي الله عن الجميع: ما كان يقيتكم؟ قالت: "الأسودان: التمر والماء..."([٢٨٠]). ومع هذا كان يقول صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها’’([٢٨١]).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:
١ ـ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لجمع الأموال وإنما بعثوا لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ لهذا لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.
٢ ـ زهد النبي صلّى الله عليه وسلّم في الدنيا وحطامها الفاني؛ وإنما هو كالركب الذي استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.
٣ ـ استغناء النبي صلّى الله عليه وسلّم عن سؤال الناس فهو يقترض ويرهن حتى لا يكلف لي أصحابه؛ ولهذا مات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير.
٤ ـ شدة الحال وقلة ما في اليد عند النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا يمضي الشهر والشهران ولم توقد في أبياته نار، وإنما كان يقيتهم الأسودان.
فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من أتباعه المخلصين، وأن يحشرنا في زمرته يوم الدين.
المبحث الخامس عشر: حقوقه صلّى الله عليه وسلّم على أمته
للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم حقوق على أمته وهي كثيرة، منها: الإيمان الصادق به صلّى الله عليه وسلّم قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به صلّى الله عليه وسلّم، وجوب طاعته والحذر من معصيته صلّى الله عليه وسلّم، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله منزلته صلّى الله عليه وسلّم بلا غلو ولا تقصير، واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبته أكثر من النفس، الأهل والمال والولد والناس جميعاً، واحترامه وتوقيره ونصر دينه والذب عن سنته صلّى الله عليه وسلّم، والصلاة عليه؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ''إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ'' فقال رجل: يا رسول الله! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت. قال: ''إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء''([٢٨٢]).
وإليك هذه الحقوق بالتفصيل والإيجاز كالتالي:
١ ـ الإيمان الصادق به صلّى الله عليه وسلّم وتصديقه فيما أتى به قال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}([٢٨٣])، {فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}([٢٨٤])، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}([٢٨٥])، {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا}([٢٨٦])، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به''([٢٨٧]).
والإيمان به صلّى الله عليه وسلّم هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك العمل بما جاء به تمَّ الإيمان به صلّى الله عليه وسلّم([٢٨٨]).
٢ ـ وجوب طاعته صلّى الله عليه وسلّم والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ} ([٢٨٩])، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} ([٢٩٠])، {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} ([٢٩١])، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ([٢٩٢])، {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} ([٢٩٣])، {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا} ([٢٩٤])، {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} ([٢٩٥]).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله’’([٢٩٦])، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى’’([٢٩٧]).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذّلُّ والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقول فهو منهم’’([٢٩٨]).

٣ - اتباعه صلّى الله عليه وسلّم واتخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ([٢٩٩])، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ([٣٠٠])، وقال تعالى: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ([٣٠١]) فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، قال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘فمن رغب عن سنتي فليس مني’’([٣٠٢]).

٤ - محبته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ([٣٠٣])، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين’’([٣٠٤]). وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال: ‘‘ما أعددت لها’’؟ قال يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: ‘‘فأنت مع من أحببت’’([٣٠٥]). قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘فإنك مع من أحببت’’، فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر. فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم([٣٠٦]).

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك’’، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘الآن يا عمر’’([٣٠٧])، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘المرء مع من أحب’’([٣٠٨]).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: ‘‘ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً’’([٣٠٩]).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان اللهُ ورسولهُ أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار’’([٣١٠]).

ولاشك أن من وفَّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاقة في رضى الله عز وجل ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظْهر حُبَّهُ   هذا لعمري في القياس بديعُ

لو كان حُبَّكَ صادقاً لأطعته   إن المُحبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ([٣١١])

وعلامات محبته صلّى الله عليه وسلّم تظهر في الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً([٣١٢]).

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘الدين النصيحة’’ قلنا لمن؟ قال: ‘‘لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم’’([٣١٣])، والنصيحة لرسوله صلّى الله عليه وسلّم: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة([٣١٤]).

٥ ـ احترامه وتوقيره ونصرته كما قال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}([٣١٥])، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}([٣١٦])، {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}([٣١٧]).

وحرمة النبي صلّى الله عليه وسلّم بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها([٣١٨]).

٦ ـ الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}([٣١٩])، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘.. من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً’’([٣٢٠])، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم’’([٣٢١])، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ‘‘البخيل من ذكرت

عنده فلم يصلِّ عليّ"([٣٢٢])، وقال صلّى الله عليه وسلّم: "ما جاس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم"([٣٢٣])، وقال صلّى الله عليه وسلّم: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام"([٣٢٤])، وقال جبريل عليه السلام للنبي صلّى الله عليه وسلّم: "رغم أنف عبد – أو بعُد – ذُكِرتَ عنده فلم يصلّ عليك" فقال صلّى الله عليه وسلّم: "آمين"([٣٢٥])، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما من أحد يسلّم عليَّ إلا ردّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام"([٣٢٦]).

* وللصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه لله تعالى واحداً وأربعين موطناً منها على سبيل المثال: الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه([٣٢٧]).

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى "من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات([٣٢٨]). [كتب الله له بها عشرة حسنات]([٣٢٩]) وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات"([٣٣٠]).

٧ ـ وجوب التحاكم إليه والرضي بحكمه صلّى الله عليه وسلّم، قال الله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}([٣٣١])، {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}([٣٣٢]) ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده صلّى الله عليه وسلّم.

٨ ـ إنزاله مكانته صلّى الله عليه وسلّم بلا غلو ولا تقصير فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}([٣٣٣])، وقال تعالى: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}([٣٣٤])، {قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا، قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}([٣٣٥])، وقد مات صلّى الله عليه وسلّم كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيام {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}([٣٣٦])، {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}([٣٣٧])، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له

{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}([٣٣٨]).
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.
. . . .

الهوامش:

([١]) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي صلّى الله عليه وسلّم ١٦٢/٧.

([٢]) انظر نسب النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى آدم: البداية والنهاية لابن كثير ١٩٥/٢، وسيرة ابن هشام ١/١.

([٣]) هذا هو الصحيح المشهور أنه ولد صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل في شهر ربيع الأول، وقد نقل بعضهم الإجماع على ذلك، انظر: تهذيب السيرة للإمام النووي ص ٢٠.

([٤]) التحديد بيوم الاثنين ثابت؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم حينما سئل عن صومه: "فيه ولدت وفيه أُنزِل عليَّ" مسلم ٨٢٠/٢. أما تحديد تاريخ اليوم ففيه عدة أقول: فقيل في اليوم الثاني، وقيل لثماني، وقيل لعشر، وقيل: لسبعة عشر، وقيل في الثاني عشر، وقيل غير ذلك، وأشهر وأقرب الأقوال قولان: الأول: أنه ولد لثماني مضين من ربيع الأول، ورجحه ابن عبد البر عن أصحاب التأريخ: انظر: البداية والنهاية ٢٦٠/٢ وقال: "هو أثبت". القول الثاني: أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، قال ابن كثير في البداية والنهاية: "وهذا هو المشهور عند الجمهور" ٢٦٠/٢، وجزم به ابن إسحاق: انظر: سيرة ابن هشام ١٧١/١.

([٥]) انظر: الرحيق المختوم ص ٥٣.

([٦]) وصل إلى المدينة صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول وحدده بعضهم باليوم الثاني عشر من ربيع الأول، انظر: فتح الباري ٢٢٤/٧.

([٧]) انظر: الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧٥، ٧٦.

([٨]) البخاري برقم ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

([٩]) انظر: رسالة التحذير من البدع لسماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز.

([١٠]) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

([١١]) البخاري برقم ١١٣٠، ومسلم برقم ٢٨١٩.

([١٢]) البخاري برقم ١١٤٧، ومسلم برقم ٧٣٧.

([١٣]) مسلم برقم ٧٢٨.

([١٤]) مسلم برقم ٧٢٩، والبخاري برقم ١١٧٢.

([١٥]) مسلم برقم ٧١٩.

([١٦]) مسلم برقم ٧٧٢.

([١٧]) كتاب الصلاة لابن القيم ص ١٤٠.

([١٨]) مسلم برقم ١١٦٠.

([١٩]) الترمذي برقم ٧٤٥، والنسائي ٢٠٢/٤ وغيرهما.

([٢٠]) البخاري رقم ١٩٦٩ و١٩٧٠، ومسلم برقم ١١٥٦ و١١٥٧.
([٢١]) مسلم برقم ١١٦٤.
([٢٢]) البخاري برقم ١٩٧١، ومسلم ١١٥٦.
([٢٣]) البخاري برقم ٢٠٠٠ – ٢٠٠٧، ومسلم برقم ١١٢٥.
([٢٤]) النسائي ٢٠٥/٤، وأبو داود برقم ٢٤٣٧، وأحمد ٢٨٨/٦، وانظر صحيح النسائي رقم ٢٢٣٦.
([٢٥]) البخاري برقم ١٩٦١ - ١٩٦٤ ومسلم ١١٠٢ - ١١٠٣.
([٢٦]) أبو داود برقم ٨٥٤٩، وأحمد ٣٩٣/٥.
([٢٧]) النسائي ٦١/٧، وأحمد ١٢٨/٣، وانظر: صحيح النسائي ٨٢٧/٣.
([٢٨]) البخاري برقم ٦، ومسلم رقم ٢٣٠٨.
([٢٩]) مسلم ١٨٠٦/٤.
([٣٠]) البخاري مع الفتح ٤٥٥/١٠، ومسلم ١٨٠٤/٤.
([٣١]) زاد المعاد ٥/٣، ١٠، ١٢.
([٣٢]) انظر: شرح النووي ٩٥/١٢، وفتح الباري ٢٧٩/٧ - ٢٨١، و١٥٣/٨.
([٣٣]) البخاري رقم ٢٣٠٥، ومسلم ١٦٠٠.
([٣٤]) البخاري مع الفتح ٦٧/٣، ومسلم ١٢٢١/٣.
([٣٥]) مسلم ٥١٣/١.
([٣٦]) البيهقي بلفظه ١٩٢/١٠، وأحمد ٣٨١/٢، وانظر: الصحيحة للألباني رقم ٤٥.
([٣٧]) الترمذي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢٨٠/٢.
([٣٨]) البخاري برقم ٢٣٨٩، ومسلم برقم ٩٩١.
([٣٩]) البخاري مع الفتح ٥١٧/٩ و٥٤٩.
([٤٠]) انظر فتح الباري ٥١٧/٩ و٥٤٩ برقم ٥٣٧٤، ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٥٤١٦.
([٤١]) البخاري مع الفتح ٥٤٩/٩.
([٤٢]) البخاري مع الفتح ٢٨٣/١١.
([٤٣]) البخاري مع الفتح ٢٨٣/١١.
([٤٤]) البخاري برقم ٦٤٥٦.
([٤٥]) البخاري برقم ٦٤٦٠، ومسلم برقم ١٠٥٥ والقوت: هو ما يقوت البدن من غير إسراف وهو معنى الرواية الأخرى عند مسلم "كفافاً" ويكف عن الحاجة، وقال أهل اللغة: القوت: هو ما يسد رمق، وفي الكفاف سلامة من آفاق الغنى والفقر جميعاً والله أعلم. الفتح ٢٩٣/١١، وشرح النووي ١٥٢/٧، والأبي ٥٣٧/٣.
([٤٦]) مسلم ٧٥١/٢.
([٤٧]) مسلم ٧٥١/٢.
([٤٨]) البخاري مع الفتح ٢١٣/٤، ٢٩٤/١١، ومسم ٥٤١/١ برقم ٧٨٢، و٨١١/٢.

([٤٩]) البخاري مع الفتح ٢١٣/٤، وانظر: صحيح البخاري حديث رقم ٦٤٦١ – ٦٤٦٧.
([٥٠]) البخاري مع الفتح ١٠٤/٩، ومسلم ١٠٢٠/٢ وما بين المعكوفين من رواية مسلم.
([٥١]) البخاري برقم ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ومسلم ٢١٧٠/٤.
([٥٢]) الترمذي ٢٣٨/٥ وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ١٧١/٣.
([٥٣]) مسلم ٢٠٤٥/٤.
([٥٤]) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
([٥٥]) ولهذا قال عبد الله بن الشِّخِّير: أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المِرجل من البكاء، أبو داود برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر الشمائل برقم ٢٧٦، ومعنى: أزير المرجل: أي غليان القدر.
([٥٦]) أحمد ٣٩٨/٣، وابن ماجه برقم ٢٤٦، والحاكم ٤٨١/٤، وابن حبان موارد ٢٠٩٩ ، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٥٧.
([٥٧]) النواجذ: الأنياب.
([٥٨]) التعريس: نزول مسافة آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٠٦/٣.
([٥٩]) الصّخّاب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام، فهو صلّى الله عليه وسلّم لم يكن صخَّاباً في الأسواق ولا في غيرها. النهاية ١٤/٣.
([٦٠]) تقدم تخريجه.
([٦١]) انظر: تهذيب السيرة النبوية للإمام النووي ص ٥٦، ومختصر السيرة النبوية للحافظ عبد الغني المقدسي ص ٧٧، وحقوق المصطفى للقاضي عياض ٧٧/١ – ٢١٥، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي ص ١١٢-١٨٨.
([٦٢]) البخاري برقم ٧٢٨٨، ومسلم برقم ٢٦١٩.
([٦٣]) البخاري مع الفتح ٤٣/٩، برقم ٤٩٩٨، و ٢١٣/٤، ومسلم ٨١١/٢ وتقدم تخريجه.
([٦٤]) البخاري برقم ٤٤٣٣، ومسلم ٢٤٥٠.
([٦٥]) مسلم ٣٥١/١.
([٦٦]) البخاري مع الفتح ١٣٠/٨.
([٦٧]) انظر: الفتح ٧٣٤/٨، وقيل: عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً. فتح ٧٣٤/٨.
([٦٨]) انظر: المرجع السابق ١٣٠/٨.
([٦٩]) انظر: فتح الباري ١٣٠/٨.
([٧٠]) البخاري برقم ٧٩٤، ومسلم برقم ٤٨٤.
([٧١]) انظر: شرح النووي ٤٤٧/٤.
([٧٢]) انظر: فتح الباري ١٠٣/١، وشرح النووي ٣١٨/٦.
([٧٣]) انظر: فتح الباري ٢١٥/٤.
([٧٤]) انظر: فتح الباري ٢٨٥/٤، و ٤٦/٩.
([٧٥]) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٤٢٢/٨ ، وشرح الأبي ٢٤٤/٤.

([٧٦]) البيداء: اسم للمفازة والصحراء التي لا شيء فيها، وهي هنا موضع بذي الحليفة. فتح الملك المعبود ٩/٢.
([٧٧]) قيل كان عددهم تسعين ألفاً، وقيل مائة وثلاثين ألفاً. انظر: المرجع السابق ٩/٢، و ١٠٥.
([٧٨]) والمعنى أنه أبطل كل شيء من أمور الجاهلية وصار كالشيء الموضوع تحت القدمين فلا يعمل به في الإسلام، فجعله كالشيء الموضوع تحت القدم من حيث إهماله وعدم المبالاة به. انظر: شرح النووي ٤٣٢/٨، وشرح الأبي ٢٥٥/٤، وفتح الملك المعبود ١٨/٢.
([٧٩]) والمعنى الزائد على رأس المال باطل أما رأس المال فلصاحبه بنص القرآن، انظر: شرح النووي ٤٣٣/٨.
([٨٠]) قيل: الكلمة هي: الأمر بالتسريح بالمعروف أو الإمساك بإحسان، وقيل: هي لا إله إلا الله، وقيل: الإيجاب والقبول، وقيل: هي قوله تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ}، سورة النساء، الآية: ٣. قال النووي ٤٣٣/٨، وشرح الأبي ٢٥٦/٤، وفتح الملك المعبود ١٩/٢.
([٨١]) والمعنى لا يأذن لأحد من الرجال أو النساء تكرهون أن يدخل منازلكم، وليس المراد من ذلك الزنا؛ لأنه حرام سواء كرهه الزوج أو لم يكرهوه؛ ولأن فيه الحد. شرح النووي ٤٣٣/٨، والأبي ٢٥٧/٤، وفتح الملك المعبود ٢٠/٢.
([٨٢]) غير المبرِّح: لا شديد ولا شاق، انظر: فتح الملك المعبود ١٩/٢، وشرح النووي ٤٣٤/٨.
([٨٣]) والمعنى قد تركت فيكم أمراً لن تخطئوا إن تمسكتم به في الاعتقاد والعمل وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وسكت عن السنة؛ لأن القرآن هو الأصل في الدين، أو لأن القرآن أمر باتباع السنة كما قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}. سورة النساء، الآية: ٥٩. وقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}. سورة الحشر، الآية: ٧. انظر: فتح الملك المعبود ٢٠/٢، وقد جاء عند الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الوصية ب "... كتاب الله وسنة نبيه.." وصححه الألباني في صحيحه الترغيب برقم ٣٦.
([٨٤]) أخرجه مسلم برقم ١٢١٨.
([٨٥]) قيل: مائة وثلاثون ألفاً. انظر: فتح الملك المعبود ١٠٥/٢.
([٨٦]) سورة المائدة، الآية: ٣، والحديث أخرجه البخاري برقم ٤٥، ومسلم برقم ٣٠١٦، ٣٠١٧.
([٨٧]) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.
([٨٨]) تفسير ابن كثير ١٢/٢.
([٨٩]) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٢/٢ وعزاه بإسناده إلى تفسير الطبري. وهذا يشهد له قوله صلّى الله عليه وسلّم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبًا كما بدأ...".
([٩٠]) مسلم برقم ١٢٩٧.
([٩١]) مسلم برقم ١٢٩٨.

([٩٢]) انكفأ: أي انقلب. انظر: شرح النووي ١٨٣/١١.
([٩٣]) البخـــاري ٢٦/٣ بـــرقم ٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧، ومسلم برقم ١٦٧٩ والألفاظ من هذه المواضع.
([٩٤]) البخاري برقم ١٧٣٩.
([٩٥]) انظر: فتح الباري ١٥٩/١.
([٩٦]) طفق: جعل وشرع بقول.
([٩٧]) البخاري برقم ١٧٤٢.
([٩٨]) انظر: عون المعبود ٤٣٦/٥، وفتح الملك المعبود ١٠٦/٢.
([٩٩]) أبو داود برقم ١٩٥٧ وفي آخره قصة تدل على أنه يوم النحر، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ١٧٢٤، ٣٦٩/١.
([١٠٠]) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٣٢/٥، وفتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ١٠٠/٢، وفتح الباري ٥٧٤/٣.
([١٠١]) ومعنى قوله: "وهي خطبته التي خطب بمنى" أي مثل الخطبة التي خطبها يوم النحر بمنى، فالخطبتان: في يوم النحر، وفي ثاني أيام التشريق اليوم الثاني عشر متحدتان في المعنى. انظر: عون المعبود ٤٣١/٥، وفتح الملك المعبود ١٠٠/٢.
([١٠٢]) أبو داود برقم ١٩٥٢ ويشهد له حديث سرَّاء بنت نبهان برقم ١٩٥٣ وصحح حديث أبي نجيح الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٦٨/١ برقم ١٧٢٠.
([١٠٣]) أحمد بترتيب عبد الرحمن البناء ٢٢٦/١٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٢٦٦/٣. وانظر: حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه قال: كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس... وذكر فيه جملاً تراجع ويراجع سند الحديث في مسند أحمد ٧٢/٥.
([١٠٤]) ذكره المنذري في الترغيب وعزاه إلى الحاكم، وحسنه الألباني صحيح الترغيب ٢١/١ برقم ٣٦ وله أصل في صحيح مسلم. انظر: حديث رقم ٢٨١٢، وانظر: مسند أحمد ٣٦٨/٢ والأحاديث الصحيحة برقم ٤٧٢.
([١٠٥]) الحاكم ٤٧٣/١ وصحيحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
([١٠٦]) تقدم تخريجه من حديث جابر رضي الله عنه.
([١٠٧]) انظر: فتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود ٢٠/٢.
([١٠٨]) البخاري برقم ٧٢٤٦.
([١٠٩]) البخاري، ومسلم برقم ١٦٧٩ وتقدم تخريجه.
([١١٠]) انظر: فتح الباري ٥٧٤/٣، ٥٧٧، وشرح النووي ٤٢٢/٨ – ٤٣٤ و٩ /٥١-٥٢ و١٨٢/١١، وفتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود شرح سنن أبي داود ٢٠/٢ و٥٤/٢، ٩٩/٢-٢٠٦.
([١١١]) البقيع هو مدفن أهل المدينة، وسمي بقيع الغرقد، لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من العوسج. انظر: شرح النووي ٤٦/٧، وشرح الأبي على مسلم ٣٩٠/٣.
([١١٢]) أخرجه مسلم برقم ٩٧٤.
([١١٣]) انظر: شرح الأبي على صحيح مسلم ٣٨٨/٣، وفتح الباري ٣٤٩/٧.

([١١٤]) مسلم برقم ٩٧٤.
([١١٥]) الأحاديث الصحيحة دلت أن شهداء المعركة لا يصلى عليهم، أما هذا الحديث فكأنه صلّى الله عليه وسلّم دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم. انظر: فتح الباري ٢١٠/٣ و٣٤٩/٧ ورجح ذلك العلامة ابن باز في تعليقه على فتح الباري ٦١١/٦.
([١١٦]) أي لا أخاف على مجموعكم؛ لأن الشرك قد وقع من بعض أمته بعده صلّى الله عليه وسلّم. فتح الباري ٢١١/٣.
([١١٧]) البخاري من الألفاظ في جميع المواضع، برقم ١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، ومسلم برقم ٢٢٩٦، وما بين المعكوفين من صحيح مسلم.
([١١٨]) الفتح ٣٤٩/٧.
([١١٩]) انظر: فتح الباري ٢٤٥/١١.
([١٢٠]) ابن هشام بسند ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام ٣٢٠/٤، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٤/٥، وفتح الباري ٨/ ١٢٩ - ١٣٠، وأخرجه أحمد ١٤٤/٦ و٢٢٨ لابن ماجه، والبيهقي، وقال الألباني: إن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث في رواية ابن هشام فثبت الحديث والحمد لله. أحكام الجنائز ص ٥٠.
([١٢١]) استعزبه: اشتد عليه وغلبه على نفسه.
([١٢٢]) انظر: سيرة ابن هشام ٣٢٠/٤ والبداية والنهاية لا بن كثير ٢٢٣/٥ - ٢٣١، وقيل: كان ذلك في التاسع والعشرين من شهر صفر يوم الأربعاء، فبقي في مرضه ثلاثة عشر يوماً وهذا قول الأكثر.
انظر: الفتح ١٢٩/٨.
([١٢٣]) صحيح مسلم برقم ٤١٨، وانظر: فتح الباري ١٢٩/٨.
(٦) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما قال ابن عباس في آخر حديث البخاري رقم ٦٨٧ ومسلم ٤١٨.
([١٢٥]) وفي رواية: أهريقوا: أي أريقوا وصبوا. الفتح ٣٠٣/١.
([١٢٦]) هذا من باب التداوي؛ لأن لعدد السبع دخولاً في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقة، وفي رواية لهذا الحديث عند الطبراني: "... من آبار شتى". الفتح ٣٠٣/١ و١٤١/٨.
([١٢٧]) أعهد: أي أوصي. الفتح ٣٠٣/١.
([١٢٨]) المخضب: هو إناء نحو المركن الذي يغسل فيه وتغسل فيه الثياب من أي جنس كان. النووي ٣٧٩/٤ والفتح ٣٠١/١ و٣٠٣.
([١٢٩]) طفقنا: أي شرعنا: يقال: طفق يفعل كذا إذا شرع في فعل واستمر فيه. الفتح ٣٠٣/٣.
([١٣٠]) البخاري برقم ١٩٨ وذكر هنا له ستة عشر موضعاً، وقد جمع بين هذه المواضع الألباني في مختصر البخاري ١٧٠/١، ومسلم برقم ٤١٨.
([١٣١]) لينوء: أي لينهض بجهد. الفتح ١٧٤/٢.
([١٣٢]) أي الذي أرسله إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم ليصلي بالناس.
([١٣٣]) والآخر علي رضي الله عنه كما تقدم.

([١٣٤]) البخاري برقم ٦٨٧ ومسلم برقم ٤١٨ وقد اخترت بعض الألفاظ من البخاري وبعضها من مسلم.
([١٣٥]) وزعم بعضهم أنها الصبح، واستدل برواية أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس: "وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القراءة من حيث بلغ أبو بكر، وهذا لفظ ابن ماجه وإسناده حسن؛ لكن في الاستدلال به نظر؛ لاحتمال أن يكون صلّى الله عليه وسلّم سمع لما قرب من أبي بكر الآية التي انتهى إليها أبو بكر خاصة، وقد كان هو يسمع الآية أحياناً في الصلاة السرية كما في حديث أبي قيادة، ثم لو سلم لم يكن فيه دليل على أنها الصبح بل يحتمل أن تكون المغرب فقد ثبت في الصحيحين من حديث أم الفضل قالت: "سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله" البخاري برقم ٧٦٣ و٤٤٢٩، ومسلم برقم ٤٦٢ قال ابن حجر: لكن وجدت في النسائي أن هذه الصلاة التي ذكرتها أم الفضل كانت في بيته وقد صرح الشافعي أنه صلّى الله عليه وسلّم لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة وهي هذه التي صلى فيها قاعداً وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً ثم صار مأموماً يسمع الناس التكبير. انظر: الفتح ١٧٥/٢.
([١٣٦]) أسيف: شديد الحزن: والمراد أنه رقيق القلب إذا قرأ غلبه البكاء فلا يقدر على القراءة. فتح ١٥٢/٢، ١٦٥، ٢٠٣.
([١٣٧]) البخاري برقم ٧١٣ ، ٢٠٤/٢ ومسلم برقم ٤١٨، قول حفصة رضي الله عنها: ما كنت لأصيب منك خيراً. البخاري برقم ٦٧٩.
([١٣٨]) البخاري برقم ١٩٨، و٤٤٤٥، ومسلم برقم ٤١٨ رواية ٩٣.
([١٣٩]) البخاري برقم ٧١٣، مسلم برقم ٤١٨ وتقدم تخريجه.
([١٤٠]) مسلم برقم ٦٧٣.
([١٤١]) البداية والنهاية ٢٣٤/٥ وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يقول: "آخر صلاة صلاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع القوم في ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبي بكر" قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ٢٣٤/٥: "وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح" ورجح العلامة ابن باز حفظه الله أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يصلِّ خلف أحد من أمته إلا عبد الرحمن بن عوف. قلت: أما الصلاة التي صلاها مع أبي بكر فإنه هو الإمام كما تقدم والله أعلم.
([١٤٢]) انظر: شرح النووي ٣٧٩/٤ – ٣٨٦ ، وشرح الأبي ٣٠١/٢- ٣٠٢، وفتح الباري ٢/ ١٥١، ١٥٢، ١٦٤ و١٦٦، ١٧٣، ٢٠٣، ٢٠٦.
([١٤٣]) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٨/٥.
([١٤٤]) الخُلَّة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله؛ أي في باطنه، وهي أعلى المحبة الخالصة، والخليل: الصديق الخالص؛ وإنما قال ذلك صلّى الله عليه وسلّم؛ لأن خلته كانت مقصوره على حب الله تعالى فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٧٢/٢، والمصباح المنبر ١٨٠/١، وشرح النووي ١٦/٥، شرح الأبي ٤٢٦/٢.
([١٤٥]) مسلم برقم ٥٣٢.

([١٤٦]) معناه: أكثرهم جوداً لنا بنفسه وماله، انظر: فتح الباري ١/٥٥٩، وشرح النووي ١٥/١٦٠.
([١٤٧]) البخاري برقم ٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤، ومسلم برقم ٢٣٨٢.
([١٤٨]) انظر: فتح الباري ١/٥٥٩، ٧/١٤، ١٦، والنووي ١٥/١٦.
([١٤٩]) المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. انظر: الفتح ٨/١٣١ و٩/٦٢.
([١٥٠]) البخاري برقم ٤٤٣٩، ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١، ومسلم برقم ٢١٩٢ وكان يفعل ذلك صلّى الله عليه وسلّم أيضاً إذا أوى إلى فراشه "فيقرأ بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح يهما وجهه وما بلغت من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات" البخاري برقم ٥٧٤٨.
([١٥١]) مسلم برقم ٢١٩٢.
([١٥٢]) أي لا أظن.
([١٥٣]) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم.
([١٥٤]) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم ٢٤٥٠.
([١٥٥]) انظر: فتح الباري ٨/١٣٨.
([١٥٦]) انظر: فتح الباري ٨/١٣٦.
([١٥٧]) المراد بالوجع: المرض، والعرب تسمي كل مرض وجعاً. انظر: الفتح ١٠/١١١، وشرح النووي ١٦/٣٦٣.
([١٥٨]) البخاري برقم ٥٦٤٦، ومسلم ٢٥٧٠.
([١٥٩]) يوعك: قيل الحمى، وقيل ألمها ، وقيل إرعادها الموعوك وتحريكها إياه. الفتح ١٠/١١١.
([١٦٠]) البخاري مع الفتح ١٠/١١١ برقم ٥٦٤٧، ٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦١، ٥٦٦٧، ومسلم ٤/١٩٩١ برقم ٢٥٧١ واللفظ له إلا ما بين المعكوفين.
([١٦١]) نُزِل: أي لما حضرت المنية والوفاة. انظر: شرح السنوسي على صحيح مسلم بهامش الأبي ٢/٤٢٥، وفتح الباري ١/٥٣٢.
([١٦٢]) طفق: أي شرح وجعل، انظر: شرح النووي ٥/١٦، وشرح الأبي ٢/٤٢٥، حاشية السنوسي، وفتح الباري ١/٥٣٢.
([١٦٣]) خميصة: كساء له أعلام.
([١٦٤]) اغتم: تسخن بالخميصة وأخذ بنفسه من شدة الحرارة.
([١٦٥]) البخاري مع الفتح ٨/١٤٠ برقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤، ومسلم برقم ٥٣١.
([١٦٦]) البخاري برقم ٤٢٧ و٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨، ومسلم برقم ٥٢٨.
([١٦٧]) البخاري برقم ٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥، ومسلم برقم ٥٢٩ ولفظ مسلم ‘‘غير أنه خُشِيَ’’، وعند البخاري برقم ١٣٩٠ ‘‘غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ’’.
([١٦٨]) أبو داود ٢/٢١٨، وأحمد ٢/٣٦٧، وانظر صحيح أبي داود ١/٣٨٣.
([١٦٩]) يتعشاه: يغطيه ما اشتدّ به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه.

([١٧٠]) لم ترفع صوتها رضي الله عنها بذلك، وإلا لنهاها صلّى الله عليه وسلّم. انظر: الفتح ١٤٩/٨.
([١٧١]) ننعاه: نَعَى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.
([١٧٢]) البخاري برقم ٤٤٦٢.
([١٧٣]) انظر: شرح النووي ٤٣٣/١٤، والأبي ٣٧٥/٧.
([١٧٤]) انظر: فتح الباري ١٣٥/٨، ١٣٦.
([١٧٥]) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠، وانظر: شرح النووي ٢٣٨/١٦، ٣٦٥، ٣٦٦، ١٤/٥، والأبي ٣٢٦/٨.
([١٧٦]) انظر: فتح الباري ١٣٦/٨، و١١٢/١٠، و٢٠٨/٣.
([١٧٧]) انظر: فتح الباري ١٣٦/٨، و١١٢/١٠، و٢٠٨/٣.
([١٧٨]) يوم الخميس وما يوم الخميس؛ معناه: تفخيم أمره في الشدة والمكروه، والتعجب منه ، وفي رواية في أواخر كتاب الجهاد عند البخاري: "ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى". وفي رواية لمسلم: "ثم جعلت تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه..." انظر: فتح الباري ١٣٢/٨، وشرح النووي على صحيح مسلم.
([١٧٩]) المعنى: دعوني من النزاع والاختلاف الذي شرعتم فيه فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه، والفكر في ذلك خير مما أنتم فيه، أو فالذي أعانيه من كرامة الله تعالى الذي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه من الحياة.. وقبل غير ذلك. انظر: فتح الباري ١٣٤/٨، وشرح النووي.
([١٨٠]) وأجيزوا الوفد: أي أعطوهم، والجائزة العطية، وهذا أمر منه صلّى الله عليه وسلّم بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم. انظر: فتح الباري ١٣٥/٧ وشرح النووي.
([١٨١]) البخاري برقم ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ومسلم برقم ١٦٣٧.
([١٨٢]) فتح الباري ١٣٤/٨.
([١٨٣]) المرجع السابق ١٣٥/٨.
([١٨٤]) مسلم برقم ١٦٣٤، البخاري برقم ٢٧٤٠، ٤٤٦٠، ٥٠٢٢.
([١٨٥]) الفتح ٦٧/٩.
([١٨٦]) انظر: فتح الباري ١٥٢/٨، وسيرة ابن هشام ٣٢٨/٤.
([١٨٧]) خليقاً: حقيقاً بها. النووي ٢٠٥/١٥.
([١٨٨]) البخاري ٨٦/٧، برقم ٣٧٣٠، ٤٢٥٠، ٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٦٦٢٧، ٧١٨٧، ومسلم برقم ٢٤٢٦.
([١٨٩]) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٥/١٥.
([١٩٠]) أحمد بلفظه ١١٧/٣، وإسناده صحيح، ورواه ابن ماجه ٩٠٠/٢، وانظر صحيح ابن ماجه ١٠٩/٢.
([١٩١]) أخرجه ابن ماجه ٩٠١/٢، وأحمد برقم ٥٨٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ١٠٩/٢.
([١٩٢]) انظر: فتح الباري ١٣٤/٨ - ١٣٥ و٦٧/٩.

([١٩٣]) سورة النور، الآية: ٦٣.
([١٩٤]) البُحةُ: غِلظٌ في الصوت. انظر: شرح النووي ٢١٩/١٥.
([١٩٥]) سورة النساء، الآية: ٦٩.
([١٩٦]) البخاري برقم ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩، ومسلم برقم ٢٤٤٤.
([١٩٧]) وفي البخاري "فلما اشتكى وحضره القبض" رقم ٤٤٣٧.
([١٩٨]) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٤٦٣ ومسلم ٢٤٤٤.
([١٩٩]) البخاري برقم ٤٤٤٠، ٥٦٦٤.
([٢٠٠]) سحري: هو الصدر، وهو في الأصل: الرئة وما تعلق بها. الفتح ١٣٩/٨، والنووي ٢١٨/١٥.
([٢٠١]) ونحري: النحر هو موضع النحر. الفتح ١٣٩/٨.
([٢٠٢]) في البخاري رقم ٤٤٣٨.
([٢٠٣]) في البخاري برقم ٩٨٠.
([٢٠٤]) طيبته: بالماء، ويتحمل أن يكون تطييبه تأكيداً للينه، الفتح ١٣٩/٨.
([٢٠٥]) أي استاك به وأمره على أسنانه.
([٢٠٦]) في البخاري برقم ٤٤٣٨.
([٢٠٧]) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٦٠/٢.
([٢٠٨]) شك بعض الرواة وهو عمر، انظر: الفتح ١٤٤/٨.
([٢٠٩]) البخاري ٣٧٧/٢، برقم ٨٩٠، وأخرجه البخاري في تسعة مواضع، انظر: ٣٧٧/٢، ومسلم برقم ٢٤٤٤.
([٢١٠]) الحاقنة: ما سفل من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ١٣٩/٨.
([٢١١]) والذاقنة: ما علا من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ١٣٩/٨، والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة: هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها. الفتح ١٣٩/٨.
([٢١٢]) البخاري برقم ٤٤٤٦ ، ومسلم برقم ٢٤٤٣.
([٢١٣]) سورة النساء، الآية: ٦٩.
([٢١٤]) انظر: فتح الباري ١٣٨/٨، وشرح النووي ٢١٩/١٥.
([٢١٥]) البخاري برقم ٦٥٠٧، ومسلم برقم ٢٦٨٣.
([٢١٦]) ما أزال أجد ألم لطعام: أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام. الفتح ١٣١/٨.
([٢١٧]) وذلك أنه عندما فتح خيبر أُهديت له صلّى الله عليه وسلّم شاة مشوية فيها سم، وكانت المرأة اليهودية سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساع لقمته، ومات منها، وقال لأصحابه: أمسكوا عنها فإنها مسمومة، وقال لها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: أردت إن كنت نبيّاً فيطلعك الله، وإن كنت كاذباً

فأريح الناس منك... انظر: فتح الباري ١٩٧/٧، والقصة في البخاري برقم ٣١٦٩، و٤٢٤٩، ٥٧٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٨/٤.
([٢١٨]) الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. الفتح ١٣١/٨.
([٢١٩]) البخاري مع الفتح ١٣١/٨ برقم ٤٤٢٨ وقد وصله الحاكم والإسماعيلي. انظر: الفتح ١٣١/٨.
([٢٢٠]) انظر: الفتح ١٣١/٨ فقد ساق آثاراً موصولة عند الحاكم وابن سعد. الفتح ١٣١/٨.
([٢٢١]) انظر: التفصيل في ففتح الباري ٤٩٧/٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٨/٤- ٢١٢.
([٢٢٢]) أبو داود برقم ٤٥١٢، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٨٥٥/٣.
([٢٢٣]) أبو داود برقم ٤٥١٣ وصحح إسناده الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٨٥٥/٣.
([٢٢٤]) انظر: البداية والنهاية ٢١٠/٤ و٢١١ و٢١٠/٤ – ٢١٢ و٢٢٣/٥ – ٢٤٤.
([٢٢٥]) انظر: المرجع السابق ٢١١/٤.
([٢٢٦]) ذكره ابن كثير وعزاه بإسناده إلى البيهقي. انظر: البداية والنهاية ٢٢٧/٥.
([٢٢٧]) كأن وجهه ورقة مصحف: عبارة وكناية عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته. شرح الأبي على صحيح مسلم ٣١٠/٢.
([٢٢٨]) فنكص على عقبيه: أي رجع القهقرى فتأخر، لظنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج ليصلي بالناس، الفتح ١٦٥/٢.
([٢٢٩]) وقد ذكر ابن إسحاق أنه صلّى الله عليه وسلّم مات حين اشتد الضحى، ويجمع بينهما بأن إطلاق الأخير بمعنى: ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحي يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس، وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه صلّى الله عليه وسلّم مات حين زاغت الشمس. الفتح ١٤٣/٨ -١٤٤.
([٢٣٠]) ابتداء من صلاته بهم قاعد الخميس كما تقدم. انظر: فتح الباري ١٦٥/٢، والبداية ٢٣٥/٥.
([٢٣١]) البخاري برقم ٦٠٨، ٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨، ومسلم برقم ٤١٩ والألفاظ مقتبسة من جميع المواضع، وانظر: مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني ١٧٤/١ برقم ٣٧٤.
([٢٣٢]) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
([٢٣٣]) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.
([٢٣٤]) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
([٢٣٥]) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
([٢٣٦]) البخاري برقم ٨٩٠ وما بعدها من المواضع، ومسلم ٢٤٤٤.

([٢٣٧]) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٦٣، ومسلم ٢٤٤٤.
([٢٣٨]) السُّنح: العالية وهو مسكن زوجة أبي بكر رضي الله عنه وهو منازل بني الحارث من الخزرج بيته وبين المسجد النبوي ميل. الفتح ١٤٥/٨ و١٩/٧، ٢٩.
([٢٣٩]) أي يبعثه في الدنيا ليقطع أيدي القائلين بموته. انظر: الفتح ٢٩/٧.
([٢٤٠]) أي قصد. الفتح ١١٥/٣.
([٢٤١]) وفي رواية للبخاري: وهو مسجًّى ببرد حبرة. البخاري برقم ١٢٤١، ومعنى مغشى ومسجى أي مغطى، وبرد حبرة: نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن. الفتح ١١٥/٣.
([٢٤٢]) أي قبله بين عينيه كما ترجم له النسائي. انظر: الفتح ١١٥/٣، وانظر: ما نقله ابن حجر من الروايات في أنه قبل جبهته. الفتح ١٤٧/٨.
([٢٤٣]) قوله: لا يجمع الله عليك موتتين: فيه أقوال: قيل هو على حقيقته وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال..؛ لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى.. وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل أراد لا يموت موته أخرى في القبر كغيره إذ يحيا ليسئل ثم يموت، وهذا أحسن من الذي قبله؛ لأن حياته صلّى الله عليه وسلّم لا يعقبها موت بل يستمر حيّاً والأنبياء حياتهم برزخية لا تأكل أجسادهم الأرض، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين... أي المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء. انظر: فتح الباري ١١٤/٣ و٢٩/٧.
([٢٤٤]) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
([٢٤٥]) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
([٢٤٦]) عقِرت: دهشت وتحيرت، أما بضم العين فالمعنى هلكت. الفتح ١٤٦/٨.
([٢٤٧]) نشج الناس: بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يحصل للباكي من الغصة. انظر: الفتح ٣٠/٧.
([٢٤٨]) إنما قالت الأنصار رضي الله عنهم: منا أمير ومنكم أمير على ما عرفوه من عادة العرب أنه لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها فلما سمعوا حديث الأئمة من قريش رجعوا إلى ذلك وأذعنوا. الفتح ٣٢/٧.
([٢٤٩]) أي قريش. انظر: الفتح ٣٠/٧.
([٢٥٠]) البخاري برقم ١١٤١، ١٤٢، ١١٣/٣، و٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ١٩/٧ و٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، ١٤٥/٨. وقد جمعت هذه الألفاظ من هذه المواضع لتكتمل القصة وأسأل الله أن يجعل ذلك صواباً.
([٢٥١]) البخاري برقم ٣٦٦٩، ٣٦٧١، والآية من سورة آل عمران، ١٤٤.
([٢٥٢]) هي خطبته التي خطب يوم الاثنين حينما قال: إن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يمت.
([٢٥٣]) وهذا من باب التواضع منه رضي الله عنه وإلا فهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنه. البداية والنهاية ٢٤٨/٥.
([٢٥٤]) والمعنى: الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له وأنصره وأعينه.

([٢٥٥]) البداية والنهاية ٢٤٨/٥ وساق سند بن إسحاق قال: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر... الحديث. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ٢٤٨/٥.
([٢٥٦]) انظر: البخاري مع الفتح ١٥/٨ برقم ٤٤٦٦، وفتح الباري ١٥١/٨ مختصر الشمائل للترمذي للألباني ص١٩٢.
([٢٥٧]) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٢٣٥/٥.
([٢٥٨]) انظر: المرجع السابق ٢٤٥/٥.
([٢٥٩]) توفي صلّى الله عليه وسلّم سنة إحدى عشرة للهجرة في ربيع الأول يوم الاثنين، أما تاريخ اليوم فقد اختلف فيه: فقيل لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لليلة خلت منه، وقيل غير ذلك، وقيل مرض في التاسع والعشرين من شهر صفر، وتوفي يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، فكان مرضه ثلاثة عشر يوماً، وهذا قول الأكثر. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٥/٥ – ٢٥٦، وتهذيب السير للنووي ص ٢٥، وفتح الباري ١٢٩/٨-١٣٠.
([٢٦٠]) مسلم برقم ٩٦٦.
([٢٦١]) ابن حبان في صحيحه ٦٠٢/١٤، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.
([٢٦٢]) كما قال سفيان التمار في البخاري مع الفتح ٢٥٥/٣٠.
([٢٦٣]) انظر: البداية والنهاية ٢٧١/٥-٢٧٣، وفتح الباري ١٢٩/٨-١٣٠.
([٢٦٤]) البخاري مع الفتح ٥٨/١ برقم ٥، ومسلم ٦٧/١.
([٢٦٥]) أخرجه ابن ماجه برقم ١٥٩٩، وغيره وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٦٧/١، والأحاديث الصحيحة برقم ١١٠٦، وانظر: البداية والنهاية ٢٧٦/٥.
([٢٦٦]) أضاء منها كل شيء: أشرق من المدينة كل شيء. انظر: تحفة الأحوذي ٨٧/١٠.
([٢٦٧]) وما نفضنا: من النفض: وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما. انظر تحفة الحوذي ٨٨/١٠.
([٢٦٨]) وإنا لفي دفنه: أي مشغولون بدفنه بعد. انظر: تحفة الحوذي ٨٨/١٠.
([٢٦٩]) حتى أنكرنا قلوبنا: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول صلّى الله عليه وسلّم من التأييد والتعليم، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إيماناً وتصديقاً. انظر: تحفة الحوذي ٨٨/١٠.
([٢٧٠]) الترمذي وصححه ٥٨٩/٥، وأحمد ٦٨/٣، وابن ماجه برقم ١٦٣١، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده صحيح على شرط الصحيحين ٢٧٤/٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢٧٣/١.
([٢٧١]) مسلم برقم ٢٤٥٤، وابن ماجه برقم ١٦٣٥، واللفظ من المصدرين. وانظر: شرحه في النووي ٢٤٢/١٦.
([٢٧٢]) البخاري ٣٥٦/٥، برقم ٢٧٣٩، ٢٨٧٣، ٢٩١٢، ٣٠٩٨، ٤٤٦١، واللفظ من هذه المواضع.

([٢٧٣]) مسلم برقم ١٦٣٥.
([٢٧٤]) أي لم يوص بثلث ماله ولا غيره إذ لم له مال، أما أمور الدين فقد تقدم أنه أوصى بكتاب الله وسنه نبيه، وأهل بيته، وإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجازة الوفد، والصلاة وملك اليمين وغير ذلك. انظر: شرح النووي ٩٧/١١.
([٢٧٥]) البخاري في عدة مواضع من حديث عائشة ومالك بن أوس، وأبي بكر رضي الله عنهم، برقم ٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٥٣٥٨، ٦٧٢٦، و٦٧٢٧، ٧٣٠٥. ومسلم برقم ٧٥٧، و١٧٥٨، ١٧٥٩، و١٧٦١، واللفظ لعائشة عند مسلم.
([٢٧٦]) أبو داود ٣١٧/٣، والترمذي ٤٩/٥، وابن ماجه ٨٠/١، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٣/١.
([٢٧٧]) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده في شرف أصحاب الحديث ص ٤٥.
[٢٧٨]) البخاري برقم ٢٠٦٨ وكرره بفوائده في عشرة مواضع ، ومسلم برقم ١٦٠٣ ، وانظر: جميعها في مختصر البخاري للألباني ٢١/٢.
[٢٧٩]) انظر: شرح النووي ٤٣/١١.
[٢٨٠]) انظر: البخاري مع الفتح ٢٨٣/١١.
([٢٨١]) أحمد ١٥٤/٦ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٤/٥، وإسناده جيد، وأخرجه الترمذي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢٨٠/٢.
([٢٨٢]) أبو داود ٢٧٥/١، وابن ماجه ٥٢٤/١، والنسائي ٩١/٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١٩٧/١.
([٢٨٣]) سورة التغابن، الآية: ٨.
([٢٨٤]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
([٢٨٥]) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
([٢٨٦]) سورة الفتح، الآية: ١٣.
([٢٨٧]) مسلم ٥٢/١.
([٢٨٨]) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للقاضي عياض ٥٣٩/٢.
([٢٨٩]) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.
([٢٩٠]) سورة الحشر، الآية: ٧.
([٢٩١]) سورة النور، الآية: ٥٤.
([٢٩٢]) سورة النور، الآية: ٦٣.
([٢٩٣]) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.
([٢٩٤]) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
([٢٩٥]) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.
([٢٩٦]) البخاري مع الفتح ١١١/١٣ برقم ٧١٣٧.
([٢٩٧]) البخاري مع الفتح ٢٤٩/١٣ برقم ٧٢٨٠.
([٢٩٨]) أحمد في المسند ٩٢/١، والبخاري مع الفتح معلقاً ٩٨/٦، وحسنه العلامة ابن باز، وانظر: صحيح الجامع ٨/٣.

([٢٩٩]) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
([٣٠٠]) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
([٣٠١]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
([٣٠٢]) البخاري مع الفتح ١٠٤/٩ برقم ٥٠٦٣.
([٣٠٣]) سورة التوبة، الآية: ٢٤.
([٣٠٤]) البخاري مع الفتح ٥٨/١ برقم ١٥، مسلم ٦٧/١.
([٣٠٥]) البخاري مع الفتح ٥٥٧/١٠ و١٣١/١٣، ومسلم ٢٠٣٢/٤.
([٣٠٦]) مسلم ٢٠٣٢/٤.
([٣٠٧]) البخاري مع الفتح ٥٢٣/١١.
([٣٠٨]) البخاري مع الفتح ٥٥٧/١٠.
([٣٠٩]) مسلم في صحيحه ٦٢/١.
([٣١٠]) البخاري مع الفتح ٧٢/١، ومسلم ٦٦/١ وتقدم تخريجه ص٦٦.
([٣١١]) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ٥٤٩/٢ و٥٦٣/٢.
([٣١٢]) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ٥٧١/٢ – ٥٨٢.
([٣١٣]) مسلم ٧٤/١.
([٣١٤]) الشفاء بتعريف حقوق المصطفي صلّى الله عليه وسلّم للقاضي حياض ٥٨٢/٢ - ٥٨٤.
([٣١٥]) سورة الفتح، الآية: ٩.
([٣١٦]) سورة الحجرات، الآية: ١.
([٣١٧]) سورة النور، الآية: ٦٣.
([٣١٨]) الشفاء ٥٩٥/٢ و٦١٢.
([٣١٩]) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
([٣٢٠]) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ٢٨٨/١.
([٣٢١]) أبو داود ٢١٨/٢، وأحمد ٣٦٧/٢، وانظر: صحيح أبي داود ٣٨٣/١.
([٣٢٢]) الترمذي ٥٥١/٥، وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ١٧٧/٣.
([٣٢٣]) الترمذي، وانظر: صحيح الترمذي ١٤٠/٣.
([٣٢٤]) النسائي ٤٣/٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٧٤/١.
([٣٢٥]) ابن خزينة ١٩٢/٣، وأحمد ٢٥٤/٢، وصححه الأرنؤوط في الأفهام.
([٣٢٦]) أخرجه أبو داود ٢١٨/٢ برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٢٨٣/١.
([٣٢٧]) راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة واللام على خير الأنام صلّى الله عليه وسلّم للإمام ابن القيم رحمه لله تعالى.
([٣٢٨]) السياق يقتضي "و".
([٣٢٩]) هذه الزيادة من حديث طلحة في مسند أحمد ٢٩/٤.
([٣٣٠]) أحمد ٢٦١/٣، وابن حبان الرقم ٢٣٩٠ (موارد)، والحاكم ٥٥١/١، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص ٦٥.

([٣٣١]) سورة النساء الآية: ٥٩.
([٣٣٢]) سورة النساء، الآية: ٦٥.
([٣٣٣]) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
([٣٣٤]) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
([٣٣٥]) سورة الجن، الآيتان: ٢١، ٢٢.
([٣٣٦]) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
([٣٣٧]) سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥.
([٣٣٨]) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

٣٥.الرحمة النبوية.. منهج إنساني نادر

محمد فتح الله كولن

لقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الممثل الوحيد لتجلي صفة الرحمة والرحمانية لله تعالى في الأرض. واستعمل هذه الصفة كإكسير شاف لفتح القلوب والتربع على عروشها.

فصفة الشفقة والرأفة واللين في الإنسان هي العامل الثاني في جذب الناس وفتح قلوبها بعد صفة الإخلاص والتجرد الحقيقي.

لقد كانت رقة وجمال العالم الداخلي للرسول صلى الله عليه وسلم وقابليته غير الاعتيادية ورحمته وشفقته -اللتان كانتا بُعدًا آخر من أبعاد فطنته- من عوامل نجاحه التي استعملها واستغلها، ومن دلائل نبوته كذلك.

أجل؛ لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين. لقد كان مرآة مجلوة تعكس رحمة الله تعالى. كأنه كان نبعًا وسط الصحارى أو حوض كوثر تقاطر عليه الجميع وفي يد كل منهم وعاؤه، يشرب حتى يطفئ ظمأه ويروي غلته ويملأ وعاءه. إنه بسرّ بُعد الرحمة المتجلية فيه مثل حوض كوثر للجميع، لمن أراد واستطاع الاستفادة منه.

غير أنه بفطنته الرائعة جعل الرحمة الموجودة في فطرته شِبَاك رحمة لصيد القلوب، فمن وجد نفسه في ذلك الجو الساحر وجد نفسه في طريق الجنة، وفي قمة الوجد.

هكذا كانت "الرحمة" في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاحًا سحريًّا. وبهذا المفتاح فتح مغاليق أقفال صدئة لم يكن أحد يتوقع فتحها بأي مفتاح، وأشعل شعلة الإيمان في القلوب.. أجل، لقد سلّم هذا المفتاح الذهبي إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان أليق الناس به، والله تعالى دائمًا يسلم الأمانة لمن هو أهل لها.

لذا، سلّم مفتاح القلوب التي أعطاها أمانة للناس إلى من هو أكثر أهلية له من بين كل الناس وكل البشر؛ إلى محمد صلى الله عليه وسلم. لقد أرسله الله رحمة للعالمين، فقام صلى الله عليه وسلم بتقييم هذه الرحمة بشكل متوازن جدًّا؛ لأن التوازن شيء مهم في موضوع الرحمة.

الإفراط والتفريط في الرحمة

هناك إفراط وتفريط في مسألة الرحمة كما في المسائل الأخرى. ويمكن مشاهدة أفضل مثل على سوء استعمال الرحمة في فكر وتصرفات الماسونيين، فهم مع كونهم يتحدثون بمبالغة عن الحب وعن الإنسانية، نراهم لا يستطيعون إقامة أي علاقة

حميمة مع أي شخص متدين، بل لو كان في مقدروهم أن يقتلوا كل شخص متدين ومسلم لفعلوا.
فالحب الذي يتحدثون عنه مقتصر عليهم وعلى من يفكر مثلهم، وهذا الحب في الحقيقة ليس الحب الخالص الذي نعرفه نحن، بل هو حب قائم على المنافع وعلى المصالح؛ بينما كانت رحمة سيد المرسلين رحمة متوازنة شاملة، لم تشمل الناس فقط، بل شملت الوجود بأجمعه.
يستطيع المؤمنون الاستفادة من الرحمة التي كان يمثلها النبي صلى الله عليه وسلم؛ ذلك لأنه: {... بالمؤمنين رءوف رحيم} (التوبة: ١٢٨). ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضًا -إلى جانب المؤمنين- الاستفادة من هذه الرحمة كذلك. حتى إن لجبريل حصة من هذه الرحمة.[١]
انظروا وتأملوا مدى شمولية وسعة هذه الرحمة؛ بحيث إن الشيطان نفسه بعدما شاهد هذه الرحمة انبعث فيه بعض الأمل فيها.[٢] الرحمة التي يمثلها غير مقتصرة على أناس معينين ولا على جماعات معينة، ولم يقم أبدًا باستغلال هذه الرحمة كما فعل البعض.
خدعة "الإنسانية"(Humanizm)
في أيامنا الحالية تيارات اتخذت من فكرة "الإنسانية" ستارًا لخداع الإنسان. وأنا أتساءل: ما الفرق بين هذا التصرف وبين تصرف العقارب والثعابين التي تقترب من الإنسان لتلدغه؟ إن الحب الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمثله لم يكن من هذا النوع أبدًا، ويجب ألا يخلط به.
إن مفهوم الحب في الإسلام حب متوازن يضم في إطاره الدنيا والآخرة كما هو شأنه في الأمور الأخرى كذلك. لقد احتضن محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الإنسانية كلها، بل الوجود كله بالحب، غير أن حبه الواسع وشفقته الشاملة لم تبق في إطار الكلام أو في بطون الكتب كما فعل الآخرون، بل سرعان ما انعكست في الحياة العملية وبكل معانيها العميقة وأبعادها الشاملة. علمًا بأنه ما من فكر من أفكاره صلى الله عليه وسلم أو عمل من أعماله إلا وأخذ طريقه إلى التطبيق العملي؛ ذلك لأنه كان رجل فكر وحركة وعمل.
إن الرحمة الواسعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي ضمت الوجود كله بإخلاص؛ وجدت طريقها إلى التطبيق؛ لأنها كانت معنى منبعثًا بكل تجرد وإخلاص من قلب الوجود كله. فمثلاً نراه يعبر عن شفقته على الحيوان بمثالين حيين: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن امرأة بغيًّا رأت كلبًا في يوم حارٍّ يُطِيف ببئرٍ، قد أَدْلَعَ لسانَه من العطش، فنَزَعَتْ له بِمُوقِها فغُفِر لها".[٣]
ثم يروي صلى الله عليه وسلم حادثة مقابلة لذلك: "عُذِّبتْ امرأةٌ في هرّة سجنتْها حتى ماتت فدخلت فيها النارَ، لا هي أطعمتْها ولا سقتْها إذ حبستْها، ولا هي تركتْها تأكل من خَشَاش الأرض".[٤]
كان ذروة في كل شيء
لقد جاء رسول الله ليبلغ رسالة الرحمة هذه، فقد كان المنهل العذب المورود. فمن جاءه وجد الرحمة عنده، ومن شرب ماء الحياة من يده فقد حصل ووصل إلى الخلود

المعنوي. فيا ليت الذين سيقفون أمام حوض الكوثر بقدَر ولطف من الله تعالى يعلمون قدره وفضله صلى الله عليه وسلم حق العلم.
ولكي لا يبقى ما قلناه مفهومًا مجردًا؛ فإنني أود تقديم أمثلة ملموسة، غير أنني أود قبل هذا لفت انتباهكم إلى أنه كان ذروة في كل شيء. فهناك أناس يتقدمون الصفوف في بعض المسائل، ولكنا نجدهم في أواخر صفوف مسائل ومجالات أخرى.
مثلاً نرى القائد الموفق في ساحات القتال وفي فنون الحرب مهما بلغ في مهارته هذه، فإنه لا يكاد يبلغ درجة راعٍ بسيط في ساحات أخرى في الشفقة ورقة العاطفة والفهم، بل لكونه معتادًا على القتل، فلن يكون إنسانًا رحيمًا في معظم الأحوال. ذلك لأن عواطفه وأحاسيسه قد فقدت حساسيتها ورقتها من كثرة ما اقترف من أعمال القتل، فلا يشعر بأدنى عاطفة وهو يقوم بقتل إنسان.
وقد يكون هناك سياسي ناجح في ميدان السياسة، ولكنك قد تراه مبتعدًا عن الصدق بنسبة نجاحه هذا، وقد لا يحترم حقوق الناس. أي أن ابتعاده عن الصدق وعن المروءة بنسبة نجاحه في ميدان السياسة يكون أمرًا واردًا. وهذا يعني أن ارتفاعًا في ميدان ما قد يستتبعه هبوط في ميدان آخر.
كما تستطيع مشاهدة الإنسان الذي افتتن بتيار الوضعية (Positivism)؛ وهو يجري وراء إجراء التجارب على كل شيء. وكيف أن الحياة الروحية والقلبية لمثل هذا الرجل لا تتجاوز خط الصفر.
بل هناك أشخاص وصلوا بعقولهم إلى "قمة إفرست". ولكنهم في حياتهم القلبية والروحية هابطين إلى مستوى "البحر الميت" "بحيرة لوط". فكم من شخص انساب عقلُه إلى عينيه فلا يرى شيئًا سوى المادة، يقف ذاهلاً أحمق أمام منطق الوحي، قد عميت عيناه عن رؤية الحقيقة.
من هذا الشرح القصير نعرف أن هناك أشخاصاً ينجحون في ساحات وميادين معينة، ولكنهم يفشلون في ساحات وميادين أخرى أكثر أهمية. أي أن الصفات المتناقضة الموجودة في الإنسان تعمل إحداها ضد الأخرى. فعندما تتوسع صفة ما وتقوى يكن هذا ضد صفات أخرى، وعندما تنمو إحداها وتقوى تضمر الأخرى وتضعف.
ولكن هذا الأمر غير وارد بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو إلى جانب كونه محاربًا كان صاحب شفقة عظيمة. كان سياسيًّا ولكنه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير.
وبينما كان يعطي أهمية للأمور الملموسة وللتجارب، فإنه كان ذروة في حياة الروح وفي حياة القلب. ويمكن العثور على أمثلة كثيرة بهذا الصدد في غزوة أُحد. ففي تلك الغزوة استشهد عمه حمزة رضي الله عنه الذي كان يراه شقيق نفسه. لم يُستشهد فقط، بل مُزّق جسده تمزيقاً.[٥] كما مُزّق جسد ابن عمته عبد الله بن جحش تمزيقاً.[٦] وشج رأسه المبارك، وكسرت أسنانه وغطى الدم جسده الشريف؛[٧] وبينما كثّف أعداؤه الهجوم عليه جاهدين الوصول إليه لقتله كان هذا الإنسان العظيم فوق كل عظمة فاتحاً يديه يبتهل إلى الله تعالى قائلاً: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".[٨] فما أعظم وما أروع هذه الشفقة من شخص يحاول أعداؤه قتله فلا يدعو عليهم، بل يبتهل لله تعالى أن يغفر لهم.

حتى فتح مكة لم يبق في يد أعدائه أيٌّ وسيلة للإيذاء لم يجربوها معه ولم يوجهوها نحوه. تأملوا معي كيف أنهم أخرجوه هو ومن يقف معه من بيوتهم إلى منطقة صحراوية معلنين عليهم المقاطعة، ومعلقين بنود هذه المقاطعة الشريرة على جدار الكعبة، وكانت تقضي بعدم التعامل معهم بيعًا وشراء وعدم التزوج من بناتهم أو تزويج بناتهم لهم.
وقد دامت هذه المقاطعة ثلاث سنوات بحيث اضطروا إلى أكل العشب والجذور وأوراق الأشجار، حتى هلك منهم الأطفال والشيوخ من الجوع دون أن تهتز منهم شعرة، أو تتحرك عندهم عاطفة رحمة. ولم يكتفوا بهذا، بل اضطروهم لترك بيوتهم وأوطانهم والهجرة إلى أماكن أخرى بعيدة. ولم يدعوهم في راحة هناك فبدسائسهم المختلفة سلبوا منهم طعم الراحة والاطمئنان.
وفي غزوات بدر وأحد والخندق اشتبكوا معهم في معارك ضارية، وحرموهم حتى من أبسط حقوقهم كزيارة الكعبة، وأرجعوهم إلى ديارهم بعد إبرام معاهدة ذات شروط قاسية. ولكن الله تعالى أنعم عليهم ففتحوا مكة ودخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس جيش عظيم.
فكيف كانت معاملته لأهل مكة بعد كل هذا التاريخ المملوء عداوة وبغضًا؟ لقد قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطُلَقاء". ولولا أنني أخذت هذا الدرس منه لما كنت قد تصرفت هكذا لو كنت في موقعه، ولا أشك أنكم تشاطرونني رأيي هذا.
ويدخل مكة على مركبه والدرع على صدره والمغفر على رأسه والسيف في يده والنبال على ظهره. ولكنه مع كل مظاهر لباس الحرب هذه كان أنموذجًا للشفقة والرأفة. سأل أهل مكة: "ما ترون أني فاعل بكم؟" فأجابوه: "خيرًا.. أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم". فقال لهم ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته: {لا تثريبَ عليكم اليوم يَغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين} (يوسف: ٢٩) [٩].
لم يقصر في حياته أبداً من ناحية اتخاذ الحيطة. وليس هناك من استطاع مثله الجمع بقوة بين اتخاذ التدبير والتوكل. عندما خرج بأصحابه إلى بدر امتحنهم. كان كل منهم كالطود الشامخ لا يخاف الوقوف وحده أمام جيش بكامله، وعندما قال له سعد بن معاذ -وفي رواية سعد بن عبادة-: "يا رسول الله! والذي نفسي بيده لو أمرتَنا أن نخيضها البحار لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الغِمَاد لفعلنا ما تخلَّف منا أحد" [١٠].
فإنه كان يعطي أنموذجًا لهؤلاء، ثم ما أكثر المعاني التي يحملها قوله للرسول صلى الله عليه وسلم: "فصِلْ حِبال من شئتَ واقطعْ حبال من شئت وعادِ من شئت وسالِمْ من شئت وخذ من أموالنا ما شئت". [١١].
كان المقاتلون متهيئين فكأن كل واحد منهم سعد بن معاذ، ومع ذلك لم يقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في اتخاذ التدابير، بل كان يهيئ كل الوسائل والأمور الضرورية للحرب. وبعد هذا الدعاء الفعلي -لأن اتخاذ الوسائل دعاء فعلي- رفع يديه إلى السماء مبتهلاً إلى الله من كل قلبه ضارعاً وملتجئاً إليه.
واندمج في دعائه بحيث كان رداؤه يسقط دون أن يشعر بذلك ولم يتحمل أبو بكر الذي كان يراقب هذا المنظر، فكان يعيد عليه رداءه ويقول: "يا نبيّ الله! كفاك

مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك".[١٢] فمثل هذا المستوى الرفيع من التوكل على رب العالمين بعد اتخاذ كل هذه التدابير صفة تميز بها ذلك الإنسان.. إنسان الذروة صلى الله عليه وسلم.

الرحمة العالمية

لقد ذكرت في بداية هذا الموضوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مثال الرحمة التي استفاد منها الكل؛ المؤمن والكافر والمنافق. يستفيد المؤمن من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يقول بأنه أقرب للمؤمنين من أنفسهم.

صحيح أن المفسرين يقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون أعز وأحب إلى المؤمنين من أنفسهم، استناداً إلى الآية الكريمة: {النبي أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم} (الأحزاب: ٦). ولكن الحقيقة أن المعنيين متقاربان من بعضهما، فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أنفسنا، والرسول صلى الله عليه وسلم يحب من يحمل له هذه العاطفة بالحب نفسه؛ ذلك لأنه رجل مروءة كبير.

هذا حب عقلي ومنطقي، ومع أن لهذا الحب جانبه العاطفي إلا أن بُعد المعرفة وعمق المنطق يشكلان الجانب الأساسي فيه. ولو تم بحث هذا الموضوع وتسليط الأضواء عليه، تجذر هذا الحب عند الإنسان وقوي إلى درجة أن يسير وراء ذكره كما سار "قيس" وراء ليلاه، وكلما ذكر اسمه أحس كأن دخاناً يخرج من أنفه، ويُعِدّ حياته التي انقضت دون رؤيته كأنها حياة منفى وهجر.

أجل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب إلينا من أنفسنا. كيف لا ونحن نرى الكثير من الشرور والآثام من أنفسنا، بينما لم نرَ منه سوى الكرم والرحمة والخير والشفقة والمروءة، فهو يمثل الرحمة الإلهية؛ لذا فلا شك أنه أقرب إلينا من أنفسنا.

وعندما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أقرب إلى المؤمنين من أنفسهم فقد صدق، فالله تعالى يقول {النبي أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم} (الأحزاب: ٦). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفِّي وعليه دَيْن فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته".[١٣]

وبداية هذا الحديث:... عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين، فيسأل: "هل ترك لدينه من قضاء؟"، فإن حدث أنه ترك وفاء صلَّى عليه، وإلا قال: "صلّوا على صاحبكم". فلما فتح الله عليه الفتوح، قال: "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفِّي وعليه دين فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته".[١٤] وكون الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الدنيا والآخرة يُعَدّ رحمة، وناحية الرحمة هذه مستمرة إلى الأبد.

كان رحمة للمنافقين أيضًا. فبسبب هذه الرحمة الواسعة لم يرَ المنافقون العذاب في الحياة الدنيا. فقد حضروا إلى المسجد واختلطوا بالمسلمين واستفادوا من كل الحقوق التي تمتع بها المسلمون. ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضحهم وإفشاء أسرار نفاقهم أبداً مع أنه كان يعرف دخائل نفوسهم ونفاقهم، حتى إنه أخبر حُذيفة رضي الله عنه بذلك [١٥]. لذا، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يراقب حُذيفة، فإن رآه لا يصلي على جنازة لم يصلها هو كذلك.[١٦]

ومع ذلك فلم يهتك الإسلام سرهم، فبقوا بين المؤمنين، وانقلب كفرهم المطلق إلى ريبة وشك على الأقل، فلم يحرموا من لذائذ الدنيا؛ لأن الإنسان الذي يعتقد أنه سيفنى ويذهب إلى العدم لا يمكن أن يهنأ في عيشه، ولكن إن انقلب كفره إلى شك وشبهة فإنه يقول في نفسه: "ربما توجد هناك حياة أخروية"، عندئذ لن تكفهر حياته تمام الاكفهرار. ومن هذا المنطلق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم بهذا المعنى.

كما استفاد الكفار من رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى كان يهلك من قبل الأمم الكافرة بسبب كفرها وعصيانها هلاكاً جماعياً، بينما رفع الله تعالى بعد بعثة نبينا هذا الهلاك الجماعي، فاستفاد الناس من خلاصهم من مثل هذا العذاب، فكان ذلك نعمة دنيوية بالنسبة للكفار. يخاطب الله تعالى نبيه في هذا الخصوص فيقول: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} (الأنفال: ٣٣).

أجل، فمن أجل حرمة النبي صلى الله عليه وسلم رفع الله تعالى العذاب والهلاك الجماعي. وبينما كان النبي عيسى عليه السلام يقول لله تعالى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} (المائدة: ١١٨). نرى أن الله تعالى يقول لنبيه: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}.

فتأمل قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته عند الله، أي طالما أنت تعيش بينهم فلن يعذبهم الله. طالما أن ذكرك موجود، وتلهج به الألسنة، وطالما أن الناس يتبعون طريقك فلن يعذبهم الله ولن يهلكهم.

وإحدى الجهات التي استفاد الكفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إني لم أُبعث لعّاناً، وإنما بُعثت رحمة".[١٧] أي إنني بعثت رحمة من قبل الله تعالى للناس أجمعين، ولم أبعث لكي أستمطر اللعنة والبلايا والمصائب على الناس. ولهذا تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتداء ألدّ أعداء الإسلام، وبذل كل جهوده ومساعيه لتحقيق هذا.

حتى جبريل عليه السلام قد استفاد من النور الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يشير إلى القرآن: "هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟" قال: "نعم، كنت أخشى العاقبة، فأمنت لثناء الله عز وجل عليّ بقوله: {ذي قوة عند ذي العرش مكين * مُطاعٍ ثَمّ أمين} (التكوير: ٢٠-٢١)" [١٨].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: "أنا محمد وأحمد والمقفّى[١٩]، وأنا الحاشر[٢٠]، ونبي التوبة ونبي الرحمة".[٢١] وباب التوبة مفتوح حتى يوم القيامة؛ لأن رسول الله نبيٌّ الرحمة والتوبة، ونبوته وحكمه ماض إلى يوم القيامة.

كان إذا رأى طفلاً أو صبيًّا يبكي جلس وبكى معه؛ إذ يشعر في وجدانه ألم الأم وعذابها. ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه نجد نموذج هذه الرحمة، وهذه الشفقة التي لهجت بها الألسن؛ إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وَجْد أمه به".[٢٢]

كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلة، ولا سيما النوافل منها؛ إذ كانت تتجاوز طاقة الصحابة، ولكنه عندما يقف للصلاة يريد إطالتها ويسمع بكاء طفل في أثنائها؛ إذ به يخفف صلاته ويتَجوَّز فيها؛ ذلك لأن النساء كن يقفن للصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يشتركن في أداء صلاة الجماعة خلفه، فخوفاً من أن تكون أم ذلك الطفل موجودة بين المصليات فإنه كان يخفف صلاته، ويسرع بها لكي يريح قلب تلك الأم.

كان في كل مسألة نموذجًا للشفقة؛ فبكاء طفل كان يؤلمه، بل كان يبكيه. ولكن المهم هو أنه بكل شفقته الواسعة الباهرة، ورحمته كان متوازنًا، فمثلاً رحمته الواسعة هذه لم تكن حائلة أمامه في تطبيق الحدود الشرعية؛ مهما كان شكل هذه الحدود وكيفيتها.

جاءه أحد الصحابة وهو ماعز رضي الله عنه قائلاً له: "طهِّرْني يا رسول الله". فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً له: "ويحك، اِرْجِعْ فاستغفر الله وتب إليه". إلا أن ماعزاً كان يُصِرّ على التطهر ويطلبه. وعندما كرّر طلبه للمرة الرابعة سأله الرسول صلى الله عليه وسلم: "فيم أطهرك؟"، فقال ماعز: من الزنى يا رسول الله.

كان ماعز متزوجًا، أي محصنًا، وعقاب الزنى للمحصن هو القتل رجماً. ولكي يبقى هذا الأمر منقوشاً في الأذهان حتى يوم القيامة فقد التفت إلى من حوله سائلاً: "أبه جنون؟" فأُخبر أنه ليس بمجنون. وفي رواية: ما نعلمه إلا وفيّ العقل، من صالحينا فيما نرى.

فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشَرب خمراً؟" فقام رجل فاستنكهه، فلم يجد منه ريح خمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لماعز: "أزَنيت؟" فقال: نعم. فأمر برجمه، فسيق ماعز إلى المصلى لرجمه، فلما أصابته الحجارة أدبر يشتد، فلقيه رجل بيده لحي جمل فضربه فصرعه، فذُكر للنبي صلى الله عليه وسلم فراره. فقال: "فهلاً تركتموه".

فكان الناس فيه فرقتين، فقائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئة، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة. فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس، فسلّم ثم جلس فقال: "استغفروا لماعز بن مالك" فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لَوَسِعتهم"[٢٣]. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل موازنة، ولو فرضنا المستحيل وقلنا إن ماعزًا عاد للحياة، واقترف الذنب نفسه لكرر الرسول صلى الله عليه وسلم العقاب نفسه.

كان لدى بني مقرّن خادمة، فلطمها أحدهم، فجاءت تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باكية، فاستدعى الرسول صلى الله عليه وسلم مالكها قائلاً له: "أعتِقوها"، فقالوا: ليس لهم خادم غيرها. قال: "فليستخدموها، فإذا استغنوا عنها، فليخلّوا سبيلها". [٢٤] أجل، فلو بقي إثم هذه اللطمة الظالمة ليوم الحساب لكانت اللطمات هناك أشد وأقسى؛ لذا كان العتق هو بديل هذه اللطمة لكي تكن ديتها يوم القيامة عن عذاب جهنم[٢٥].

الشفقة مع الأطفال

أما شفقته على أطفاله فكان أمراً مختلفاً تماماً، فكثيراً ما ذهب إلى الأسرة التي ترضع ابنه إبراهيم، حيث يأخذه في حجره طويلاً، ويقبله ويعطف عليه[٢٦].

وعندما رأى الأقرع بن حابس التميمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن والحسين رضي الله عنه ويأخذهما في حضنه، قال: "إن لي عشرة من الولد، ما قبَّلتُ منهم أحداً"، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "من لا يَرْحم لا يُرحم" [٢٧].

وفي حديث آخر: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".[٢٨] وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبّلون الصبيان؟ فما نقبّلهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أوَ أملك لك إن نَزَع الله من قلبك الرحمة"[٢٩].

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطف على أقربائه، فإنه كان يعطف كذلك على أصدقائه القريبين منه أو البعيدين عنه. وفي رواية لابن عمر رضي الله عنه قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعًا، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: "قد قضى؟". قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا. فقال: "ألا تسمعون، إن الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا"، وأشار إلى لسانه[٣٠].

أجل، إن الله لا يعذب بسبب دمع العين، على العكس من ذلك فهناك دموع يرفع الله بسببها العذاب، ففي حديث آخر يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرُس في سبيل الله". [٣١] إحدى العينين عين الرهبان، والأخرى عين الفرسان.

ففي الليل كانوا رهباناً يذرفون الدموع في عبادتهم وسجودهم. وفي النهار كانوا فرساناً يصولون ويجولون ويهاجمون الأعداء كالأسود. دموع هؤلاء كانت دموع المؤمنين الحقيقيين، والصحابة كانوا من هذا النوع من المؤمنين: رهبان في الليل فرسان في النهار.

عندما أُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه أسرع إلى بيته، فقد كان عثمان رضي الله عنه من الصحابة القريبين إلى قلبه. فبكى النبي صلى الله عليه وسلم عليه بكاء كثيراً. ولكن عندما قالت زوجة عثمان رضي الله عنه: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي صلى الله عليه سلم: "وما يدريك أن الله أكرمه؟ والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي"[٣٢].

أجل، لقد كان رجل توازن. فشفقته وبكاؤه لم يكن يمنعه من تصحيح خطأ. فالدموع التي سكبها على أحد أصحابه الأحبة؛ ما كانت لتحول بينه وبين تصحيح كلام مبالغ فيه أو خاطئ. فالوفاء شيء والحق شيء آخر. كان يزور شهداء أحد كل أسبوع[٣٣]، ولكنه لم يكن يقول: لقد طِرتم إلى الجنة. ولا يقولن أحد منا: إن لم يذهب هؤلاء إلى الجنة؟! نعم هذا هو الأمر.

ثم ألا تكفي الرتبة والمقام الذي أعطاه لكافل اليتيم دليلاً على شفقته الواسعة؟ انظروا ماذا يقول صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا"، ثم أشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً.[٣٤] فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول بأنه لن يدخل أحد بيني وبين كافل اليتيم في الجنة.

رحمة بالحيوانات.. أيضاً

كانت شفقته تشمل الحيوانات أيضاً، فقد مرّ سابقاً كيف أن امرأة دخلت النار بسبب هرة، وكيف أن بغياً دخلت الجنة بسبب سقيها الماء لكلب ظامئ. وهنا أنقل لكم حادثة أخرى بهذا الخصوص كخاتمة للموضوع:

عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته. فرأينا حُمَّرَة معها فرخان، فأخذْنا فرخيْها، فجاءت الحُمَّرَة فجعلت تَفْرُش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من فَجَع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها"[٣٥].

أجل، لقد كانت شفقته تحتضن الحيوانات أيضًا. ثم ألا نتذكر أن الله تعالى عاتب أحد أنبيائه السابقين بسبب بيت نمل؟ إذ قام هذا النبي عن قصد أم عن دون قصد بحرق بيت نمل، فما لبث أن جاءه تأنيب من الله تعالى[٣٦].

ونبينا الذي نقل لنا هذه الحادثة وأمثالها من الحوادث الأخرى أيمكن أن يتصرف إلا هكذا..؟ وظهر فيما بعد في أمته أشخاص عندما يُمدحون يقال عنهم: إنه لا يؤذي حتى نملة. هؤلاء الأشخاص كانوا يعلقون أجراساً صغيرة على أقدامهم لكي تبتعد الحشرات عن طريقهم عند سماعها لصوت الأجراس، ولا تنسحق تحت الأقدام... يا إلهي..! ما هذه الشفقة العميقة والشاملة!! وما هذا الأنموذج الرائع للرحمة..!.

أجل، حتى النمل لم تخرج عن دائرة رحمته صلى الله عليه وسلم ولم تستثنَ منها. وهل يكون في مقدور إنسان يتحرج عن سحق نملة القيام بظلم الناس الآخرين؟ كلا، لا يستطيع هذا عن علم وعن قصد أبداً.

عندما كان صلى الله عليه وسلم في "مِنًى" خرجت حية من بين بعض الصخور، فأسرع بعض الصحابة لقتلها، غير أنها استطاعت أن تنسلّ بين شقوق الصخور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يراقب المنظر عن بُعد: "وقاها الله شرّكم، ووقاكم شرّها"[٣٧].

فالرسول كان يرى فيما هم به الصحابة شراً، والمقتول وإن كان حية إلا أن لها مكانًا أيضاً في نظام هذه الدنيا. فأي قتل غير ضروري سيضر بالتوازن البيئي، ويؤدي إلى أضرار لا يمكن تلافيها. والحقيقة أن إعلان الحرب على الحشرات باسم الزراعة والمحافظة عليها، يُعَدّ جريمة بالنسبة للتوازن البيئي، والغريب أن هذه الجرائم ترتكب اليوم باسم العلم.

يروي ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً أضجع شاة يريد أن يذبحها، وهو يحد شفرته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلاّ حددتَ شفرتك قبل أن تضجعها".[٣٨] كان هذا بمثابة عتاب لذلك الشخص.

يروي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: جاء بعير يشتد حتى سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قام بين يديه، فذرفت عيناه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من صاحب هذا البعير؟" قالوا: فلان. فقال: "ادعوه، فأتوا به"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "يشكوك" فقال: يا رسول الله، هذا البعير كنا نسنو عليه منذ عشرين سنة، ثم أردنا نحره.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شكا ذلك، بئسما جازيتموه، استعملتموه عشرين سنة حتى إذا أرق عظمه، ورق جلده أردتم نحره بعينه" قال: بل هو لك يا رسول الله. فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه نحو الظهر، أي الإبل[٣٩].
لقد كانت رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفقته تتجاوز بكثير الرحمة المدعاة من قبل ما يطلق عليهم اليوم اسم "أنصار الإنسانية"، ولكنه استطاع أن يصون رحمته الواسعة من الإفراط ومن التفريط أيضاً، بفضل فطنته الكبيرة.
أجل، لم يتهاون أبداً مع أي شر أو إثم تحت اسم المرونة أو الرحمة أو المسامحة، ولم يدعْ له فرصة لوضع بنيانه ومد جذوره؛ لأنه كان يعرف جيداً أن أي مسامحة لمجرم أثيم ذي روح متوحش تعني الاعتداء على حقوق آلاف من الأبرياء.
ونعترف بكل أسى أن أيامنا الحالية مملوءة بمثل هذه الاعتداءات أكثر من أي عهد مضى. فقد رأينا بأم أعيننا إلى أي حال جرّنا هذا التسامح مع الفوضويين ومع أعداء عقائدنا وتراثنا وماضينا. ولا نزال نرى ذلك ونشاهده، وقلوبنا تتفطر ألماً.
فإن لم تستخدم الرحمة والشفقة بشكل متوازن أدى ذلك إلى نتائج وخيمة جداً في مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع ككل. بينما لا يمكن الإشارة إلى أي مثال على هذا الاستعمال السلبي للرحمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أجل، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الناس إلى درجة يكاد يتلف فيها نفسه، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الأمر في بعض المواضع؛ إذ يقول: {فلعلك باخع نفسك[٤٠] على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً} (الكهف: ٦). هذا علماً بأنه عندما اقتربت منه نسائم النبوة كان معتكفاً في مغارة، وجاءه الوحي لأول مرة هناك. إذن، فقد كان يحب الناس، ونذر نفسه من أجل هذه الغاية.

----

* مقال مأخوذ من كتاب: "مفخرة الإنسانية: النور الخالد".
** من أشهر الدعاة في تركيا وواحد من أبرز المنظّرين للفكر الدعوي بها. ولد في ٢٧ نيسان عام ١٩٤١ في قرية صغيرة تابعة لقضاء (حسن قلعة) المرتبطة بمحافظة أرضروم، وهي قرية كوروجك ونشأ في عائلة متدينة، وكان والده (رامز أفندي) شخصاً مشهوداً له بالعلم والأدب والدين.
[١] الشفاء، للقاضي عياض ١٧/١.
[٢] مجمع الزوائد، للهيثمي ٢١٦/١٠؛ "كنز العمال" للهندي ٢٤٤/٤
[٣] البخاري، الأنبياء، ٥٤؛ مسلم، السلام، ١٥٤
[٤] البخاري، المساقاة، ٩؛ مسلم، السلام، ١٥١؛ الدرامي، الرقاق، ٩٣؛ "المسند" للإمام أحمد ٥٠٧/٢
[٥] البخاري، المغازي، ٢٣
[٦] السيرة النبوية، لابن هشام ١٠٣/٣

[٧] البخاري، المغازي، ٢٤؛ مسلم، الجهاد، ١٠٠، ١٠١
[٨] البخاري، الأنبياء، ٥٤؛ مسلم، الجهاد، ١٠٤، ١٠٥
[٩] السيرة النبوية، لابن هشام ٥٥/٤؛ "البداية والنهاية" لابن كثير ٣٤٤/٤
[١٠] البداية والنهاية، لابن كثير ٣٢١/٣، ٣٢٢؛ "السيرة النبوية" لابن هشام ٢٦٦/٢
[١١] البداية والنهاية، لابن كثير ٣٢٢/٣
[١٢] مسلم، الجهاد، ٥٨؛ الترمذي، تفسير سورة (٨) ٣؛ "المسند" للإمام أحمد ٣٢/١؛ "السيرة النبوية" لابن هشام ٢٧٩/٢؛ "البداية والنهاية" لابن كثير ٣٣٢/٣
[١٣] البخاري، الكفالة، ٤؛ مسلم، الفرائض، ١٤
[١٤] البخاري، الاستقراض، ١١؛ مسلم، الفرائض، ١٤؛ "المسند" للإمام أحمد ٣١١/٣
[١٥] البخاري، فضائل أصحاب النبي، ٢٠؛ "أسد الغابة" لابن الأثير ٤٦٨/١
[١٦] أسد الغابة، لابن الأثير ٤٦٨/١
[١٧] مسلم، البر، ٨٧
[١٨] الشفاء، للقاضي عياض ١٧/١
[١٩] المقفّي: أي خاتم الأنبياء. (المترجم)
[٢٠] الحاشر: أي ليس بينه وبين الحشر نبي آخر في معنى، وفي معنى آخر أن الله سيحشر الناس أمامه يوم القيامة. (المترجم)
[٢١] مسلم، الفضائل، ١٢٦؛ "المسند" للإمام أحمد ٣٩٥/٤
[٢٢] البخاري، الأذان، ٦٥؛ مسلم، الصلاة، ١٩٢
[٢٣] مسلم، الحدود، ١٧-٢٣؛ البخاري، الحدود، ٢٨؛ "المسند" للإمام أحمد ٢٣٨/١، ٤٥٠/٢
[٢٤] مسلم، الأيْمان، ٣١، ٣٣؛ أبو داود، الأدب، ١٢٣؛ "المسند" للإمام أحمد ٤٤٧/٣
[٢٥] مسلم، الأيْمان، ٣٠
[٢٦] المسند، للإمام أحمد ١١٢/٣
[٢٧] البخاري، الأدب، ١٨؛ مسلم، الفضائل، ٦٥
[٢٨] الترمذي، البر، ١٦؛ أبو داود، الأدب، ٥٨
[٢٩] البخاري، الأدب، ١٨؛ مسلم، الفضائل، ٦٤؛ ابن ماجه، الأدب، ٣؛ "المسند" للإمام أحمد ٥٦/٦
[٣٠] البخاري، الجنائز، ٤٥؛ مسلم، الجنائز، ١٢
[٣١] الترمذي، فضائل الجهاد، ١٢
[٣٢] البخاري، الجنائز، ٣
[٣٣] البخاري، المغازي، ٢٧؛ مسلم، الفضائل، ٣٠؛ النسائي، الجنائز، ١٠٣؛ "الطبقات الكبرى" لابن سعد ٢٠٥/٢؛ "السيرة النبوية" لابن هشام ٣٠٠/٤
[٣٤] البخاري، الطلاق، ٢٥، الأدب، ٢٤؛ مسلم، الزهد، ٤٢
[٣٥] أبو داود، الأدب، ١٦٤، الجهاد، ١١٢؛ "المسند" للإمام أحمد ٤٠٤/١

[٣٦] البخاري، الجهاد، ١٥٣؛ مسلم، السلام، ١٤٨
[٣٧] البخاري، جزاء الصيد، ٧؛ مسلم، السلام، ١٣٧؛ النسائي، الحج، ١١٤؛ "المسند" للإمام أحمد ٣٨٥/١
[٣٨] المستدرك، للحاكم ٢٣١/٤، ٢٣٣
[٣٩] مجمع الزوائد، للهيثمي ٩/٩؛ "الخصائص الكبرى" للسيوطي ٩٥/٢
[٤٠] باخع نفسك: قاتلها ومهلكها من شدة الغم (المترجم).

٣٦.صبر النبي عليه الصلاة والسلام على الدعوة

د.عبد الوهاب بن ناصر الطريري

أيها الإخوة والأخوات والأبناء والبنات حياكم الله مع لقاء يتجدد نرحل به مع قلوبنا أرواحنا وجداننا، نرحل به إلى هناك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع رسول الله في دعوته، هذه الدعوة التي كان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ملحمة في الصبر، دأب وطول الأمل واليقين والثبات، هذه المعاني ليست معاني مجردة نذكرها سرداً وعداً لكنها حقائق تشرق من حال النبي صلى الله عليه وسلم.

عندما نتقفى هذه السيرة نفوسنا ظمئة يرويها أن ترد معين السيرة ومعين حال النبي صلى الله عليه وسلم فتتروى من هديه وهداه، نحن أحوج ما نكون إلى أن نورد قلوبنا المكدودة معين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجد هناك مستراحها وأنسها، ولذلك استنهض نفوسكم أيها الإخوة والأخوات والأبناء والبنات أن نذهب إلى هناك، نرحل مع خبر تقصه علينا أمنا عائشة.

أمنا تستنطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستروي خبره فيخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تستقرئه وتسترويه مسيرته مع دعوته، تستروي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تحضره من أحواله وقصته مع الدعوة، تفتح وعي أمنا عائشة رضي الله عنها مع الرسول والرسالة على حوادث وافتها لحداثة سنها وصغر عمرها، أحداث أخر ولذلك كان أشد ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم مما أدركه وعي عائشة يوم أحد وإذا بها تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما قبل يوم احد، فتقول له : يا رسول الله هل مر عليك يوم هو أشد عليك من يوم أحد؟ سؤال من أمنا عائشة وكانت صغيرة السن لكنها عبقرية ذكية ولماحة، هي تعلم ماذا لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد، في يوم أحد شج جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، كسرت رباعيته، غاصت حلقتان من حلقات المغفر في وجنتيه صلى الله عليه وسلم.

صرع أصحابه حوله، وقف على جثمان عمه حمزة أحب الناس إليه وخيرة أهل بيته، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جثمانه وقد بقر بطنه، واستخرجت أحشائه، ومثل به، فوقف صلى الله عليه وسلم كاسفاً حزيناً على هذا الجثمان الطاهر وهو يقول: لن أصاب بعد اليوم بمثل مصيبتي فيك.

كل هذا أصاب النبي صلى الله عليه وسلم في أحد، فهل أصاب النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أشد من ذلك؟ يا رسول الله هل أصابك ما هو أشد عليك مما أصابك يوم أحد، سؤال أمنا عائشة فما كان الجواب، ماذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه

وسلم، كانت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنما تنكأ جراحاً غائرة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد لقيت من قومك أذى شديداً كأنما كان سؤال عائشة يسترجع ذكريات مضى عليها زمن طمرتها السنين، فإذا بعائشة تستثيرها وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يجيب وكأنما عادت هذه المشاهد حية أمام ناظريه صلى الله عليه وسلم، لقد لقيت من قومك أذى كثيراً يعني نعم، مر عليّ ما هو أشد من يوم أحد فما الذي كان أشد من يوم أحد، ما الذي كان أشد من جرح في الجبين وكسر السن وأن تغار حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن يرى أصحابه يصرعون حوله وأن يقف على جثمان عمه حمزة مشوهاً ممثلاً به، ما هو أشد من ذلك أشد من ذلك ما سيرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد من ذلك يوم عرضت دعوتي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، ما هو خبر هذه الدعوة وخبر هذا العرض، نحتاج أن نذكر ما لم يذكر ونظهر المضمر، فنقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قضى أزيد من عشر سنين قبل الهجرة وهو يدعو قريشاً ويصبر لها ويصابرها عشر سنين في دعوة وثبات وصبر على الأذى، حتى جرأ سفهاء قريش وملؤها على أنواع من أذى النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً بعد موت عمه أبي طالب، جرؤوا عليه جراءة شديدة فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طول الصدود وكثرة الجحود، إذا به يبحث عن تربة يلقي فيها بذرة دعوته لعله يستنبت هذه الدعوة في أرض أخرى فتنمو فيها وتورق.

خرج من مكة إلى الطائف علـه أن يجد في الطائف أذاناً صاغية تستجيب لدعوته وتتبع رسالته وتحمل هديه وهداه ودينه، خرج من مكة ماشياً إلى الطائف يقطع طريقاً يزيد الآن على مائة كيلو من الطريق المعروف الآن بطريق السيل، وكان يسمى أولا وادي نخلة، طريق وادي نخلة الذي هو طريق السيل الآن ووادي نخلة هو الذي يسمى الآن الزيمة، قطعه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مولاه زيد ابن حارثة مشياً على الأقدام في وقت الصيف القائض، حتى وصل إلى الطائف وبقي هناك عشرة أيام يعرض فيها دينه ويبلغ رسالته، يغشاهم في نواديهم ويغشاهم في مجتمعاتهم يقرأ عليهم القرآن حتى قال بعض أهل الطائف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف يقرأ والسماء والطارق فحفظتها وأنا مشرك وقرأتها وأنا مسلم.

عشرة أيام قضاها النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه إلا بالصدود والإعراض فلما خشي ملأ أهل الطائف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستميل الناس إليه أغروا به سفهائهم فردوا عليه أقبح الرد، حتى قال له بعضهم أما وجد الله غيرك رسولاً فيرسله إلينا، فلما أغروا به سفهائهم فواجهوه بأقبح الرد إذا به صلى الله عليه وسلم وهو يواجه بهذا الصدود وهذا الإعراض يرجع حزيناً مكلوم الفؤاد مغموم النفس، وهو الذي خرج من مكة بعد أن جحده قوم أهل الملأ فيها وجرؤوا عليه بالأذى أملاً أن يجد في الطائف مستنبتاً لدعوته فيصد بهذا الصدود ويقابل بهذا الجحود، فإذا به صلى الله عليه وسلم وهو الحامل لهم رسالته يغتم لذلك أشد الغم، ويحزن لذلك أشد الحزن، وتتراكب الهموم على القلب الكريم الطيب فلا يتنفس ولا ينفس عن ذلك إلا بدعوات يصدع بها السماء "اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة

حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبة حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك".

دعاء مكروب مغموم يصدع السماء، ثم ينقلب النبي صلى الله عليه وسلم بعد عشر ليال طوال قضاها في الدعوة والمصابرة يرجع إلى مكة لكن كيف كان الرجوع، ويسير في الطريق ولكن كيف كان المسير، كيف قطع الطريق من الطائف عائداً إلى مكة، مكة التي خرج منها وبمرأى وبمسمع من أهلها يرونه ويعلمون إلى أين سيذهب وما هي قضيته وما هو هدفه في ذهابه إلى الطائف، وسيرجع إليهم وقد سبقته إليهم أخبار أهل الطائف معه، فكيف سيدخل إلى بلد وكيف سيلقى قومه وهم الذين كانوا جرؤوا عليه فكيف سيكون حاله بعد أن يرجع إليهم، ولذلك عاد مكروباً مغموماً فإلى أي درجة بلغ غمه وعلى أي حال كان حزنه.

يصف ذلك فيقول "فلم أستفق إلا وأنا في قرن الثعالب"، قرن الثعالب هو السيل الكبير يبعد عن الطائف ستة وأربعين كيلو قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشياً، ولكنه كان في حال من الاستغراق مع غمه وهمه وحزنه لأجل دعوته بحيث أنه لم يستفق ولم يشعر بما حوله إلا وهو في قرن

٣٧.رسول الأمّيين

د. سلمان بن فهد العودة

يا رسولَ الله..

حبُّكَ في مهجتي كالدّرِ في الصدفِ

والشذى في الروضةِ الأُنفِ

والفراتِ العذبِ في الدِّيمِ

ليس كالمختارِ في البشرِ ..

فهو كلُّ السمعِ والبصرِ ..

واحدُ التاريخِ والسيرِ ..

وإمامُ الرسلِ والأممِ

لقد قرأتُ سير المصلحين والعظماء والزعماء وأئمة المذاهب الكبار، حتى إني قد أشعر حين أقرأ عن أحدهم أني أمام جبل وعر صعب المرتقى؛ لأنهم أخذوا أنفسهم بشيء من الجدّ الذي يصيب المرء بالعجز عن إدراكه وصعوبة الاقتداء به، وربما استحالته، أمّا إمام هؤلاء جميعاً وسيّدهم قاطبة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فتشعر وأنت تقرأ سيرته بالسهولة والقابليّة للتطبيق والقرب من النفس البشريّة وطباع الناس، وهذا سرّ بديع من أسرار إعجاز الشخصيّة النبويّة.

وهو صلى الله عليه وسلم قائد الركب وسيد ولد آدم:

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ   غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وهذا المعنى - والله أعلم- هو سر بشريّته وعظمته في آن.

وثمة شيء آخر: وهو أنه ما من إنسان إلا وفي شخصيّته جوانب غموض وخفاء والتباس من القدماء والمحدثين والعباقرة والفلاسفة وغيرهم، بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم - سيرته كتاب مفتوح مقروء، يقرؤها الأصدقاء والأعداء، والعلماء والبسطاء، وينزل عليه الوحي في أخص أموره عليه السلام؛ فيقوم ويقرؤه على الناس ويقرأ عليهم في مكة قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) [الحاقة:٤٤-٤٧]، أمام المؤمن والمشرك والوثنيّون يحاربونه ويشنون عليه حملات إعلاميّة وكلاميّة باحثين عن أيّ ثغرة ينفذون منها للطعن في مصداقيّة الدعوة والداعية، فلم يكن ذلك يثنيه عن التبليغ بكل شيء ولو كان هذا الشيء معاتبة له من الله عز وجل.

وفي المدينة: يتربّص يهودها ومنافقوها بهذا الدين الدّوائر، ويرجعون البصر كرّة وكرّتين في حقيقة الرسالة:

هل يرون من فطور؟

ومع ذلك كان يقرأ على الناس من القرآن قوله تعالى: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)[الأحزاب:٣٧]، وقوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)[عبس:٢]، وكان يعلّمها أصحابه ويؤمّهم بها في الصلاة، وأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكتبون كل كلمة وحرف ويدوّنون كل همسة ولمسة تصدر منه صلى الله عليه وسلم؛ فسيرته سجّل مفتوح للناس كلهم أجمعين ومدوّنة واضحة دقيقة في كل شيء يخصّه عليه أفضل الصلاة والسلام.

وبكل هذا الجلاء في سيرته دون استثناء كان أمثل خلق (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم:٤]؛ وأصدق لسان (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) [النجم:٣]، وأبين حجة (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء:١٩٥]، وهو في كل ذلك "إنسان" له صفات الإنسان؛ ليكون أيسر في الاتّباع وأسهل في الاقتداء، ولكي يعلم الأتباع المؤمنون - ولو بعد عدّة قرون - أن مشاعر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحاسيسه ليست بدعاً من المشاعر، وأن ما يلحق الناس من أذى ومضايقة من المشركين وغيرهم أو فرح وسرور ينال النبي -صلى الله عليه وسلم- منه أوفر الحظ والنصيب، فغدت هذه الأيام التي يداولها الله على الناس تبييناً لمعدن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسمُوِّ أرومته، وطريقة تعامله مع الأحداث المختلفة والظروف العادية والاستثنائية (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [النساء:١٦٥].

وسيّد الرسل هو محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فهل لهما من بديل أو عنهما من عِوض؟

ولا شك أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- أكمل صورة بشريّة جاء للناس من أنفسهم فلم ينزل من السماء، ولم يكن ملكاً (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) [الأنعام:٩]، بل كان بشراً رسولاً (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة:١٢٨] لقد كانوا يعرفونه عليه السلام ويعاملونه ويصفونه بالصادق الأمين، ولم يزل صلى الله عليه وسلم يترقى في مدارج ومعارج الكمال حتى قُبض على أكمل ما يكون صلى الله عليه وسلم، قُبض وهو متلبّس بالعبادة والدعوة والتوجيه والإرشاد والأمر والنهي

والوصيّة حتى في اللحظة التي انتقل فيها من هذه الدنيا- بأبي هو وأمي عليه السلام- عملاً بقوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر:٩٩].

وقبل ذلك كان محمد -صلى الله عليه وسلم- يرعى الغنم حتى بعثه الله فقاد الأمم، وكان يضرب في أسواق الشام إلى أن أرسله الله بشيراً ونذيراً إلى الناس كافة؛ شامها ويمنها وحجازها، وعربها وعجمها، وكان يتيماً عانى مشاكل فقدان الأب ثم الأم؛ فآواه الله ورعاه، وكان ضالاً فهداه الله -عز وجل- بهداه، وكان عائلاً يشتكي العوز والفاقة؛ فكفاه الله -عز وجل- وأغناه: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) [الضحى:٦-٨].

"مرسَلٌ" قد صاغهُ خالقُه من معاني الرسل بدْءاً وخِتاما
قد سعى والطرقُ نارٌ ودمٌ يعبرُ السهلَ ويجتازُ الأكاما
نزل الأرضَ فأضحت جنةً وسماءً تحملُ البدرَ التّماما
وأتى الدنيا فقيراً فأتت نحوه الدنيا وأعطته الزّماما
ورعى الأغنامَ بالعدلِ إلى أن رعى في مرتع الحقِّ الأناما
عربيّ مدّن الصحرا كما علّم الناسَ إلى الحشر النظاما
يا رسولَ الحقِّ خلّدت الهدى وتركْت الظلمَ والبغيَ حُطاما

وإذا جاءت كل أمة بعظيمها ومتبوعها، وقدّمت زعيمها أتيناهم بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ فظهر الحق، وبطل ما كانوا يعملون، ذلكم أن شخصيّته عظيمة بكل المقاييس، صالحةٌ لكل العصور والبيئات والمستويات والمجتمعات والحضارات، وبها تُحلّ مشكلات الأمم والعالم، وهو يحتسي قهوة الصباح!

فرسولنا -صلى الله عليه وسلم- نفسه معجزة في شخصيته، وأخلاقه، وهدْيه، وعبادته، وقيادته، تُضاف إلى معجزاته الأصلية المعروفة كمعجزة القرآن الكريم العظمى، ومعجزة الإسراء والمعراج، (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير) [سورة الإسراء:١].

ومعجزة انشقاق القمر، (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) [سورة القمر:١]، ولما كان القرآن العظيم معجزة، كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن - كما وصفته عائشة (رضي الله عنها) – عند مسلم وأبي داود - فخلقه معجزة؛ في صبره وكفاحه، وبلائه وتجرّده وإنسانيّته.

فله صلى الله عليه وسلم كل خصائص الإنسان؛كما أن له - أيضاً– كل صفات العظمة البشرية مجتمعة ..

صلى عليك اللهُ يا علمَ الهدى ما ناحَ طيرٌ أو ترنّم حادي

اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

٣٨.صلى الله عليه وسلم

سلمان بن فهد العودة
لم يكتب لأحدٍ من البشر من الأثر والخلود والعظمة ما كتب لصاحب النسب الشريف - صلى الله عليه وسلم- .
ولقد دونت في سيرته الكتب ، ودبجت في مديحه القصائد، وعمرت بذكره المجالس ، وبقيت عظمته قمة سامقة لا تطالها الظنون .
تقلبت به صروف الحياة من قوة وضعف ، وغنى وفقر ، وكثرة وقلة ، ونصر وهزيمة ، وظعن وإقامة ، وجوع وشبع ، وحزن وسرور ، فكان قدوة في ذلك كله، وحقق عبودية الموقف لربه كما ينبغي له .
ظل في مكة ثلاث عشرة سنة ، وما آمن معه إلا قليل ، فما تذمّر ولا ضجر ، وجاءه أصحابه يشتكون إليه ويسألونه الدعاء والاستنصار فحلف على نصر الدين وتمام الأمر ، وأنكر عليهم أنهم يستعجلون ، فكان الأمر كما وعد ، علماً من أعلام نبوته ، ونصراً لأمر الله ، لا للأشخاص .
وكان من نصره أن تأتيه وفود العرب من كل ناحية مبايعة على الإسلام والطاعة فما تغير ولا تكبّر ، ولا انتصر لنفسه من قوم حاربوه وآذوه وعاندوا دينه .
كما كان يقول أبو سفيان بن الحارث :
لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمدِ
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
هداني هادٍ غير نفسي ودلني على الله من طردته كل مطرد
وما حملت من ناقة فوق ظهرها أبر وأوفى ذمة من محمد
فاستل العداوات ، ومحا السخائم ، وألّف القلوب ، وأعاد اللُّحمة ، وعرف عدوُّه قبل صديقه أنها النبوة ، وأنه لم يكن صاحب طموح شخصي ولا باني مجد ذاتي ، وإن كان الطموح والمجد لبعض جنوده .
تعجب من عفويته وقلة تكلفه في سائر أمره ، واحتفاظ شخصيته بهدوئها وطبيعتها وتوازنها مهما تقلبت عليها الأحوال، واختلفت عليها الطرائق .
قل إنسان إلا وله طبعه الخاص الذي يبين في بعض الحال ويستتر في بعض ، ويترتب عليه استرواح لقوم دون آخرين ، ويحكم العديد من مواقفه وتصرفاته حاشاه -صلى الله عليه وسلم- .
فهو يُقبِل بوجهه على كل جليس ، ويخاطب كل قوم بلغتهم ، ويحدثهم بما يعرفون ، ويعاملهم بغاية اللطف والرحمة والإشفاق ، إلا أن يكونوا محاربين حملوا السلاح في وجه الحق ، وأجلبوا لإطفاء نوره وحجب ضيائه .
كل طعام تيسر من الحلال فهو طعامه ، وكل فراش أتيح فهو وطاؤه ، وكل فرد أقبل فهو جليسه .
ما تكلف مفقوداً ، ولا رد موجوداً ، ولا عاب طعاماً ، ولا تجنب شيئاً قط لطيبه ، لا طعاماً ولا شراباً ولا فراشاً ولا كساءً، بل كان يحب الطيب، ولكن لا يتكلفه .
سيرته صفحة مكشوفة يعرفها محبوه وشانئوه ، ولقد نقل لنا الرواة دقيق وصف بدنه ، وقسمات وجهه ، وصفة شعره ، وكم شيبة في رأسه ولحيته ، وطريقة حديثه ، وحركة يده ، كما نقلوا تفصيل شأنه في مأكله ، ومشربه ، ومركبه ، وسفره ،

وإقامته ، وعبادته ، ورضاه ، وغضبه ، حتى دخلوا في ذكر حاله مع أزواجه أمهات المؤمنين في المعاشرة ، والغسل ، والقسم ، والنفقة ، والمداعبة ، والمغاضبة ، والجد، والمزاح ، وفصلوا في خصوصيات الحياة وضروراتها .
ولعمر الله إن القارئ لسيرته اليوم ليعرف من تفصيل أمره ما لا يعرفه الناس عن متبوعيهم من الأحياء ، ومالا يعرفه الصديق عن صديقه ، ولا الزوج عن زوجه ، ولا كان أهل الكتاب يعرفونه شيئاً يقاربه أو يدانيه عن أنبيائهم وهم أحياء ؛ وذلك لتكون سيرته موضع القدوة والأسوة في كل الأحوال ، ولكل الناس.
فالرئيس والمدير والعالم والتاجر والزوج والأب والمعلم والغني والفقير ...
كلهم يجدون في سيرته الهداية التامة على تنوع أحوالهم وتفاوت طرائقهم .
والفرد الواحد لا يخرج عن محل القدوة به -صلى الله عليه وسلم- مهما تقلبت به الحال ، ومهما ركب من الأطوار، فهو القدوة والأسوة في ذلك كله.
وإنك لتقرأ سيرة علم من الأعلام فتندهش من جوانب العظمة في شخصيته فإذا تأملت صلاحيتها للأسوة علمت أنها تصلح لهذا العلم في صفته وطبعه وتكوينه ، ولكنها قد لا تصلح لغيره .
ولقد يرى الإنسان في أحوال السالفين من الجلد على العبادة ، أو على العلم ، أو على الزهد ما يشعر أنه أبعد ما يكون عن تحقيقه حتى يقول لنفسه :
لا تـــعرضن لذكرنا مع ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعدِ
فإذا قرأ سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحس بقرب التناول وسهولة المأخذ ، وواقعية الاتباع .
حتى لقد وقع من بعض أصحابه ما وقع فقال لهم : " أنا أخشاكم لله ، وأتقاكم له، وأعلمكم بما أتقي".
وقال : "اكلفوا من العمل ما تطيقون".
وقال : " إن هذا الدين يسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ، والقصدَ القصدَ تبلغوا ".
ولهذا كان خير ما يربى عليه السالكون مدارسة سيرته وهديه وتقليب النظر فيها وإدمان مطالعتها واستحضار معناها وسرها ، وأخذها بكليتها دون اجتزاء أو اعتساف .
إن الله -عز وتعالى- لم يجعل لأحد وراء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا المنصب الشريف : منصب القدوة والأسوة ؛ لأنه جمع هدى السابقين الذين أمر أن يقتدي بهم " فبهداهم اقتده " إلى ما خصه الله -تعالى- وخيَّره به من صفات الكمال ونعوت الجمال ، ولهذا قال -سبحانه- : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ".
إن حياته -صلى الله عليه وسلم- وحياة خلفائه الراشدين هي المذكرة التفسيرية والترجمة العلمية لنصوص الشريعة .
ومن الخير أن تظل هذه السيرة بواقعيتها وصدقها محفوظة من تزيد الرواة ، ومبالغات النقلة التي ربما حولتها إلى ملحمة أسطورية تعتمد على الخوارق

والمعجزات ، وبهذا يتخفف الناس من مقاربتها واتباعها ليكتفوا بقراءتها مع هزِّ الرؤوس وسكب الدموع وقشعريرة البدن .
إن الآيات التي تأتي مع الأنبياء حق ، لكنها الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ، والقاعدة هي الجريان مع السنن الكونية كما هي .
وكثيرون من المسلمين ، وربما من خاصتهم يستهويهم التأسي بالأحوال العملية الظاهرة في السلوك والعبادة وغيرها ، فيقتدون به -صلى الله عليه وسلم- في صلاته " صلوا كما رأيتموني أصلي " وحجّه " خذوا عني مناسككم " وسنن اللباس والدخول والخروج ...
وهذا جزء من الاتباع المشروع ، بيد أنه ليس كله ، ولا أهم ما فيه ، فإن اتباع الهدي النبوي في المعاملة مع الله تعالى ، والتجرد والإخلاص ، ومراقبة النفس ، وتحقيق المعاني المشروعة من الحب والخوف والرجاء أولى بالعناية وأحق بالرعاية ، وإن كان ميدان التنافس في هذا ضعيفاً ؛ لأن الناس يتنافسون –عادة- فيما يكون مكسبة للحمد والثناء من الأمور الظاهرة التي يراها الناس ، ولا يجدون الشيء ذاته في الأمور الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله ، وربما تحرى امرؤ صفة نبوية في عبادة أو عمل واعتنى بها وتكلف تمثلها فوق المشروع ، دون أن يكلف نفسه عناء التأمل في سر هذه الصفة وحكمتها وأثرها في النفس .
وهذه المسائل ، حتى التعبدية منها ؛ ما شرعت إلا لمنافع الناس ومصالحهم العاجلة والآجلة ، وليست قيمتها في ذاتها فحسب ، بل في الأثر الذي ينتج عنها فيراه صاحبه ويراه الآخرون وإنه لخليق بكل مسلم أن يجعل له ورداً من سيرة المصطفى -عليه السلام- ، إن كان ناشئاً فمثل (بطل الأبطال) لعزام، وإن كان شاباً فمثل (الشمائل المحمدية) لابن كثير أو الترمذي ، و (الفصول) لابن كثير ، أو (مختصر السيرة) أو (الرحيق المختوم) أو (تهذيب سيرة ابن هشام) وإن كان شيخاً فمثل (سيرة ابن هشام) أو (ابن كثير) وإن كان متضلعاً بالمطولات فمثل (سبل الهدى والرشاد) وكتاب (نضرة النعيم).
رزقنا الله حب نبيه وحسن اتباعه ظاهراً وباطناً وحشرنا في زمرته مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

٣٩.إنهم يسبون مذممًا وهو محمد

محمد أبو الهيثم
بسم الله نبدأ، وعلى هدي نبيه صلى الله عليه وسلم نسير..
ابتلاء تلو ابتلاء..
وتتوالى الابتلاءات تترى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم..
اجتياح للديار، وسفك للدماء، وهتك للأعراض، وعبث بالعقائد..
وعمّت البلوى وطمّت بالإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم..
لمّا سبّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إنهم يشتمون مذمماً وأنا محمّد». وبنفس المنطق نقول لمن يسيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم تسبون مذمماً وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تضافرت وتواترت الأخبار من

الكتب السماوية والمقالات الإنسانية لعقلاء الغرب والشرق قديماً وحديثاً على أنه بلغ الكمال الإنساني في الصفات.
قال القرآن عنه: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح:٢٩].
وجاء على لسان عيسى عليه السلام في الإنجيل: "أنطلق فإن لم أنطلق لم يأتكم المنحمنا، ذلك الي يوبخ العالم على خطيئته".
والمنحمنا توافق في اللاتينية كثير الحمد، والتي توافق من الأسماء العربية محمد أو أحمد، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى على لسان عيسى {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦]. ويقول الإنجيل عن يحيى عليه السلام: "وانطلق يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود توبوا فقد اقترب ملكوت السماء"، أي قانون السماء، فهذه بشارة باقتراب قانون سماوي جديد ولم يأتِ قانون من السماء بعد يحيى -الذي واكب حياة المسيح عليهما السلام- إلا القرآن الكريم الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم.
كما أقرّ عقلاء النصارى والمسلمين بكمال صفاته الإنسانية صلى الله عليه وسلم، فهذا قائد من أعظم قادتهم عبر التاريخ وعالم من أعلامهم وحكمائهم يقر بذلك، فيما روى البخاري من حديث قصة هرقل القائد الرومي الكبير والعالم النصراني الشهير وأبو سفيان بن حرب:
"حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِي؟
فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا .
فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ.
ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَي كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.
ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟
قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.
قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟
قُلْتُ: لَا.
قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟
قُلْتُ: لَا.
قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاس يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟
فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟
قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.
قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟
قُلْتُ: لَا.
قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟
قُلْتُ: لَا.
قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟
قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا.
قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.
قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟
قُلْتُ: نَعَمْ.
قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟
قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.
قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟
قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ. وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.
فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.
ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ. فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ -صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ- سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ. فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ. وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ. فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ. رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ.
صحيح البخاري.
وجاء من أقوال حكماء العالم في العصر الحديث ما أفردت قليله فيما يلي وقد نقلته من جمع الكتور خالد الشايع في محاضرة قيمة:
١- يقول (مهاتما غاندي) في حديث لجريدة "ينج إنديا": "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".
٢- يقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه (محمد النبيّ): "لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة.
فهناك محمد النبيّ، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد

محـرر النسـاء، ومحمـد القاضــي، كـل هـذه الأدوار الرائعـة فـي كـل دروب الحيـاة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا ".
٣- يقول المستشرق الكندي الدكتور (زويمر) في كتابه (الشرق وعاداته) : إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنـه كـان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه مـا ينـافي هـذه الصـفات، وهـذا قرآنـه الـذي جـاء بـه وتاريخـه يشـهدان بصـحة هـذا الادعاء".
٤- يقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) فـي كتابـه (الشرقيون وعقائدهم) : "كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشـخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التـي كان يعيش النبيُّ بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإلـه الواحد، وكـان فـي دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما: العدالة والرحمة".
٥- ويقـول الانجليـزي (برنـاردشـو) فــي كتابــه (محمــد)، والــذي أحرقتــه السـلطة البريطانية: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضـع دينـه دائمـاً موضـع الاحتـرام والإجـلال ، فإنـه أقـوى ديـن علـى هضـم جميـع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).
إنّ رجـال الـدين فـي القـرون الوسـطى، ونتيجـة للجهـل أو التعصّـب، قد رسـموا لـدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمَّى منقذ البشرية، وفـي رأيـي أنّـه لـو تـولّى أمـر العـالم اليوم، لوفّق فـي حـلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها".
٦- ويقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية، في كتابه (تاريخ حياة محمد): "إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ".
٧- ويقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه (ديانة العرب): "ظهر محمد بعد المسـيح بخمسـمائة وسـبعين سـنة، وكانـت وظيفتـه ترقيـة عقـول البشـر، بإشـرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة".
٨- ويقول (مايكل هارت) في كتابه (مائة رجل في التاريخ): "إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.
فهنـاك رُسـل وأنبيـاء وحكمـاء بـدءوا رسـالات عظيمـة، ولكـنهم مـاتوا دون إتمامهـا، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في

اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها".

٩- ويقول الأديب العالمي (ليف تولستوي) الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية: "يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعة محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة".

١٠- ويقول الدكتور (شبرك) النمساوي: "إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته".

١١- ويقول الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه (الأبطال): "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خدّاع مزوِّر .
وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!".

١٢- جوتة الأديب الألماني: "إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".

تلك بعض أقوال مشاهير العالم في محمد نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، فلماذا المزايدات التي تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبني!

وقد أوردت السنة النبوية صفاته صلى الله عليه وسلم صفاته الخلقية كما تراه فهل هذا الذي نورد صفاته هو من سبه الأفاكون من الدانمرك.

أولاً:

صفاته الخَلقية: وبعد ذكر الصفات سألحق المصادر الحديثية وكتب السيرة.

أولاً: الوجه والشعر:

تصف أم معبد رضي الله عنها لزوجها.. الرسول صلى الله عليه وسلم لمّا مرّ بخيمتها في حادثة الهجرة قائلة: "ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه" (أي مستنير الوجه أبيضه)، ويقول على وهو ينعت الرسول صلى الله عليه وسلم: "وكان في الوجه تدوير وكان ابيضاً". وقال أبو الطفيل رضي الله عنه: "كان أبيض، مليح الوجه"، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان أزهر اللون"، وقال البراء رضي الله عنه: "كان أحسن الناس وجهاً". وسُئل البراء رضي الله عنه: أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا بل كان مثل القمر، وفي رواية بل كان وجهه مستديراً. وقال أبو

هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأنّ الشمس تجري في وجهه". وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: رأيته في ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر إلى القمر -وعليه حلة حمراء- فإذا هو أحسن عندي من القمر. وقال كعب بن مالك رضي الله عنه "كان إذا سر استنار وجهه، كأنه قطعة قمر" ، وعرق مرة وهو عند عائشة فجعلت تبرك أسارير وجهه، فتمثّلت له بقول أبي كبير الهذلي:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

وكان عمر رضي الله عنه ينشد قول زهير في هرم بن سنان:

لو كنت من شيء سوى البشر
كنت المضيء ليلـــة البدر

ثم يقول كذلك كان رسول الله صلى الله عليه و سلم.

أما تفاصيل وجهه صلى الله عليه وسلم فورد فيها ما يلي:

تقول أم معبد رضي الله عنها: "في عينيه دعج (سواد العين)، وفي أشفاره وطف (في شعر أجفانه طول)، وفي صوته صحل (بحة وخشونة)، وفي عنقه سطع (طول)، أحور أكحل، أزج (الحاجب الرقيق في الطول)". وقال ابن عباس رضي الله عنه: "كان أفلج الثنيتين (بعيد ما بين الأسنان)، إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه.

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كان ضليع الفم (عظيم الفم -والعرب تمدح هذه الصفة-، أشكل العين (طويل شق العين)". وجاء في خلاصة السير أنه "أقنى العرنين (ارتفع أعلى أنفه واحدودب وسطه وضاق منخراه، وهي غاية الجمال لمنظر الأنف، والعرنين أي الأنف وما صلب منه)، وفي لحيته كثاثة. وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: رأيت بياضاً تحت شفته السفلى: العنفقة". وقال عبد الله بن بسر رضي الله عنه: "كان في عنفقته شعرات بيض"، وجاء في مشكاة المصابيح "وكان إذا غضب احمرّ وجهه، حتى كأنه فقئ في وجنته حب الرمان".

وأما شعره صلى الله عليه وسلم: قالت أم معبد رضي الله عنها: "شديد سواد الشعر"، وقال علي رضي الله عنه: "لم يكن بالجعد القطط (الملتوي الشعر شديد الجعودة) ولا بالسبط (المسترسل شديد النعومة)". قال البراء: "له شعر يبلغ شحمة أذنيه"، "وكان يسدل شعره أولاً لحبه متابعة أهل الكتاب، ثم فرق رأسه بعد"، وقال أنس: "قبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء".

ثانياً: باقي جسده الشريف:

تقول أم معبد رضي الله عنها: "لا تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول". وقال عليّ رضي الله عنه: "لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القوم" وقال أيضاً: "جليل المشاش والكتد (المشاش أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين أما الكتد فهو مجتمع الكتفين وهو الكاهل)، دقيق المسربة (الشعر الدقيق كأنه قضيب من الصدر إلى السرة"، أجرد (ليس في البدن شعر)، شثن الكفين والقدمين (الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين).

وقال البراء رضي الله عنه: "كان مربوعاً ما بين القدمين". وجاء في خلاصة السير "من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، أشعر الذراعين والمنكبين، سواء الصدر والبطن، مسيح الصدر عريضه، طويل الزند، رحب الراحة، سبط القصب (يريد ساعديه وساقيه بلا تعقد ولا نتوء)".
وقال أنس رضي الله عنه: "ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي، ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً قط، وفي رواية: ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح أو عرف رسول الله".
وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: "أخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك". وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه -وكان صبياً -: مسح خدّي، فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار (التي يعد فيها الطيب). وقال أنس رضي الله عنه: كأن عرقه اللؤلؤ . وقالت أم سليم رضي الله عنها: هو من أطيب الطيب.
وفي مسلم "كان بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده، وكان عند ناغص كتفه اليسرى، جمعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل(الثآليل: الحبة التي تظهر في الجلد).
ثالثاً: مظهره العام صلى الله عليه وسلم:
تقول أم معبد رضي الله عنها: "إذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلّم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فضل لا نزر ولا هذر (لا قليل ولا كثير)، كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفّون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود، محشود، لا عابس ولا مفند (المحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسارعون في طاعته، والمحشود: الذي يجتمع إليه الناس، ولا مفند: أي لا يهجن أحداً ويستقل عقله، بل جميل المعاشرة، حسن الصحبة، صاحبه كريم عليه".
وقال علي رضي الله عنه: "إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله".
وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث".
فهل بعد كل هذا نقر لهم أنهم سبوا رسولنا صلى الله عليه وسلم؟!
والله ما سبوا إلا مذمماً هيئه لهم خيالهم المريض وخوائهم الروحي والعقائدي.
وأخيراً:
أذكّر أحبابي أنّ معرفة صفاته صلى الله عليه وسلم إنما غاية المقصود منها محبته، ولا تتمّ المحبة إلا بالاتباع، ولو لم يتم الاتباع فهو برئ من كل مبتدع غير دينه من بعده؛ يقول تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣]. قال ابن كثير رحمه الله : "أمره: أي منهجه وطريقته وسنته"

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} [الفرقان:٢٧].
فمن أعظم وسائل نصرته صلى الله عليه وسلم اتباع سنته واجتناب كل بدعة وضلالة نهى عنها صلى الله عليه وسلم، وكذا نشر صفاته وتعاليم دينه، إن لم يكن باللسان فبالمال من خلال نشر الشريط أو الكتاب أو الكتيب الإسلامي.
كذا أدعو الأمة شعوباً وحكومات لعقد مقاطعة شاملة لكل دولة تسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسيء لجنابه على مستوى الأفراد والحكومات، فأما الأفراد فبمقاطعة البضائع والمنتجات الخاصة بالدول المعتدية وعلى رأسها الدانمرك، وأما الحكومات بسحب السفراء وتعليق العلاقات حتى يتم الاعتذار الرسمي والوعد المحقق بالتوبة عن هذا الفعل الشنيع وعدم العودة لهذه الأفعال مرة أخرى.
وأخيراً، لو أننا طبقنا شرعه صلى الله عليه وسلم لتحقق لنا النصر والتمكين، ولخافنا وهابنا كل ماكر لعين..
اللهم حكّم شرعك، وانصر كتابك، وأذل من عادى نبيك، وانتصر لأوليائك..
....
المراجع: الصفات مجموعة بغير هذا الترتيب في كتاب "الرحيق المختوم/ لصفي الرحمن المباركفوري نقلاً عن صحيح البخاري ومسلم، زاد المعاد، ابن هشام، مشكاة المصابيح، جامع الترمذي، والشمائل للترمذي، خلاصة السير

٤٠.عظمة محمد مع أطفال غير المسلمين

الدكتور رشاد لاشين**
من عظمة محمد صلي الله عليه وسلم مع الأطفال أن رحمته ورعايته إياهم تشمل الأطفال جميعًا، فهي تشمل أطفال غير المسلمين كما تشمل أطفال المسلمين، وتشمل الإناث كما تشمل الذكور، وتشمل المرضى كما تشمل الأصحاء، وتشمل أطفال المجتمع العام كما تشمل أطفال ذوي القربى؛ وتشمل الموهوبين كما تشمل ذوي الاحتياجات الخاصة، فالطفولة في منهجه صلي الله عليه وسلم لها وضع خاص ومعاملة مميزة عن غيرها، فإذا نظرنا إلى تعامله مع أطفال غير المسلمين لوجدنا منهجًا رائعًا يستحق التقدير والتحية والإكبار والإجلال وتتمثل في الآتي:
١ ـ الحرص عليهم وهم في أصلاب آبائهم:
لما تعرض أهل الطائف لرسول الله صلي الله عليه وسلم وآذوه ورموه بالحجارة عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين (جبلين بمكة) عندها قال النبي الرءوف الرحيم صلى الله عليه وسلم: "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله"، فقمة الرحمة أن يحفظ الإنسان على حياة عدوه ويرجو الخير لذريته التي تخرج من صلبه.
٢ ـ النظرة نحوهم تتميز بالروح الطيبة:
وتصنفهم في إطار البراءة والفطرة وتربي المسلمين على سلامة الصدر نحوهم، وأن تخلو النظرة النفسية حتى من مجرد الكراهية تجاههم: ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على

الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أو يمجسانه..."، ويأتي ذلك أيضًا في إطار قوله صلى الله عليه وسلم: "رُفع القلم عن ثلاث (ومنهم) وعن الصبي حتى يبلغ الحلم".

٣ - الحرص على الطفل الموهوب غير المسلم:

ومن جوانب عظمته صلى الله عليه وسلم حرصه على الطفل الموهوب حتى لو كان غير مسلم، ويتبين لنا هذا من قصة الطفل الموهوب غير المسلم (أبو محذورة) صاحب الصوت الجميل الذي كان يستهزئ بأذان المسلمين وكيف أهتم به الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه على استهزائه بأذان المسلمين، بل مسح على رأسه وقال: "اللهم بارك فيه واهده إلى الإسلام.. اللهم بارك فيه وأهده إلى الإسلام"، وقال له: "قل الله أكبر الله أكبر" حتى أذن أبو محذورة بمكة.

٤ - الاهتمام بالأطفال المرضى غير المسلمين ودعوتهم:

فبرغم انتصار الإسلام وتأسيس الدولة بالمدينة المنورة كان حريصًا على زيارة مرضى أطفال غير المسلمين ودعوتهم والأخذ بأيديهم إلى الخير. ورد في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: "أسلِم". فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار".

وورد في الصحيحين (البخاري ومسلم): عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة. وقد قارب ابن صياد، يومئذ، الحلم. فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد: "أتشهد أني رسول الله؟"، فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "آمنت بالله وبرسله"...، ورغم لؤم هذا الغلام ورفضه الإسلام بل وسخريته برسول الله صلي الله عليه وسلم فإنه صبر عليه ونهى سيدنا عمر بن الخطاب عن قتله.. وقد ورد في (أسد الغابة في معرفة الصحابة) خبر إسلام ابن صياد هذا بعد ذلك.

٥ - عدم تكليف الأطفال غير المسلمين أعباء مالية أو ضريبية في ظل الدولة الإسلامية:

(عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أمراء الأجناد: أن لا تضربوا الجزية على النساء ولا على الصبيان) {كنز العمال الإصدار للمتقي الهندي المجلد الرابع ومسند عمر رضي الله عنه:١١٤١٢}.

٦ - عدم إكراه الأبناء على اعتناق العقيدة:

وهذا من روعة منهج الإسلام الذي يحترم رأي الطفل ويعتمد الحوار والإقناع: روى أبو داود في (باب في الأسير يكره على الإسلام) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كانت المرأة تكون مقلاتًا (المقلاة: التي لا يعيش لها ولد)، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولدٌ أن تُهَوِّدَهُ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا:

لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦].

٧ - الحفاظ على حياة أطفال غير المسلمين وعدم التعرض لهم أثناء الحروب:

ما أعظم محمد صلي الله عليه وسلم في حرصه على حياة الأطفال، وما أعظم ممارسات أصحابه من بعده التي تنمّ عن عظيم الرأفة والرحمة؛ ورحمة محمد صلي الله عليه وسلم وأصحابه الفاتحين العظماء شهد بها القاصي والداني حتى قال جوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي: "ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب".

روى مسلم في صحيحه عن بريدة بن الحصيب الأسلمي (أن رسول الله كان إذا أمّر أمير على جيش أو سرية، أوصاه...)، وذكر من جملة ما أوصاه: "ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا".

وقد أجاب سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن سؤالاً ورد إليه: يقول: هَلْ كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ؟ فقال: "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ فَلاَ تَقْتُلِ الصِّبْيَانَ" يقول الإمام النووي وفيه: النَّهي عن قتل صبيان أهل الحرب.

وقد ورد في كنز العمال للمتقي الهندي عن ابن عمر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام وكان مما أوصاه به: ولا تقتلوا شيخًا كبيرًا ولا صبيًّا ولا صغيرًا ولا امرأة.

وورد في مسند الإمام أحمد عن الأسود بن سريع قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وغزوت معه فأصبت ظفرًا، فقتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟"، فقال رجل: يا رسول الله إنما هم أبناء المشركين، فقال: "ألا إن خياركم أبناء المشركين"، ثم قال: "ألا لا تقتلوا ذرية، كل مولود يولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يعرب عنها لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

٨. المسلم في حالة الأسر والظلم وعند الإعدام لا يغدر ولا يقتل أطفال الأعداء:

روى البخاري، في باب غَزْوَةِ الرَّجِيعِ وَرِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبِئْرِ مَعُونَةَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ في شأن سيدنا خبيب بن عدي رضي الله عنه وهو الأسير المحجوز للقتل؛ لا يقتل طفل الأعداء وهو يقدر على قتله: (.. فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسًى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ قَالَتْ فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمُوسَى فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَانَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ...).

....

** ماجستير طب الأطفال - جامعة الزقازيق وليسانس الشريعة الإسلام

١٤.الحبيب كأنك تراه

إعداد: محمود أحمد إسماعيل **

بين يديك مختصر اشتمل على أهم الصفات الخَلقية للنبي الكريم؛ وذلك لتتعرف أكثر على أشرف المخلوقين، وأفضل السابقين واللاحقين، فكلما ازدادت معرفتنا به ازداد حبنا له؛ لأن معرفته تقوي محبتنا له، وإذا ما أحببناه اقتدينا بهديه وتأدبنا بآدابه وتعاليمه.. فلا تجعل ذهنك يفارق صورة النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وأخلاقه.

* اسمه:

١- قال الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ} (الفتح: ٢٩).

٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي" رواه مسلم.

٣ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟ يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد".

٤ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" رواه مسلم.

٥ - وقال صلى الله عليه وسلم: "تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم" رواه مسلم.

* فضائله:

١- قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا} (الأحزاب ٤٥، ٤٦).

٢- {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (الأحزاب: ٤٠).

٣- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: ١٠٧).

٤- وقال صلى الله عيه وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة" صحيح مسلم.

٥- وقال صلى الله عليه وسلم: "أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن نبيًا من الأنبياء ما صدقه من أمته إلا رجل واحد" صحيح مسلم.

٦- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيام، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع" صحيح مسلم.

٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون" رواه الترمذي وابن ماجه وهو حديث حسن صحيح.

٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين" رواه البخاري ومسلم.

٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني، وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام". رواه أحمد والطبراني والبيهقي وصححه ابن حبان (لمنجدل: ملقى على الأرض).
* لونه:
عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على وجه الأرض رجل رآه غيري قال: فكيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحًا مقصدًا. رواه مسلم.
وعن أنس رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم. رواه البخاري ومسلم، والأزهر: هو الأبيض المستنير المشرق، وهو أحسن الألوان.
وعن أبي الطفيل رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مليحًا مقصدًا. رواه مسلم.
وعن أبي جحيفة رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض قد شاب. رواه البخاري ومسلم.
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مشربًا بياضه حمرة. رواه أحمد والترمذي والبزار وابن سعد وأبو يعلى والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
* وجهه:
كان الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام أسيَل الوجه، مسنون الخدين ولم يكن مستديرًا غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة، وهو أجمل عند كل ذي ذوق سليم. وكان وجهه مثل الشمس والقمر في الإشراق والصفاء، مليحًا كأنما صيغ من فضة لا أوضأ ولا أضوأ منه.
وعن كعب بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر. رواه البخاري ومسلم.
وعن أبي إسحاق قال: سُئل البراء أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر. رواه البخاري.
وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه.
وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيان(مقمرة)، وعليه حُلَّة حمراء، فجعلتُ أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى القمر، فإذا هو عندي أحسنُ من القمر".
* جبينه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيل الجبين"، (الأسيل: هو المستوي)، أخرجه عبد الرازق والبيهقي وابن عساكر.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان صلى الله عليه وسلم أجلى الجبهة، إذا طلع جبينه من بين الشعر، أو طلع في فلق الصبح، أو عند طفل الليل، أو طلع بوجهه على

الناس تراءوا جبينه كأنه ضوء السرج المتوقد يتلألأ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة. رواه البيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر.

* عيناه:

كان النبي صلى الله عليه وسلم أكحل العينين أهدب الأشفار إذا وطئ بقدمه وطئ بكلّها ليس له أخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة" البيهقي وحسنه الألباني.

وكان صلى الله عليه وسلم "إذا نظرت إليه قُلت أكحل العينين وليس بأكحل"، رواه الترمذي.

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين، هَدِبُ الأشفار، مشرب العينين بحمرة. رواه أحمد وابن سعد والبزار. ومعنى مشرب العينين بحمرة: أي عروق حمراء رقاق.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين وليس بأكحل صلى الله عليه وسلم. رواه الترمذي وأحمد وأبو يعلى والحاكم والطبراني في الكبير.

* أنفه:

يحسبه من لم يتأمله أشمًا ولم يكن أشمًا وكان مستقيمًا، أقنى أي طويلاً في وسطه بعض ارتفاع، مع دقة أرنبته (الأرنبة هي ما لان من الأنف).

* خدّاه:

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَلِّمُ عن يمينه وعن يساره حتى يُرى بياض خده"، أخرجه ابن ماجه وقال مقبل الوادي هذا حديث صحيح.

قال يزيد الفارسي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميل دوائر الوجه. رواه أحمد.

* رأسه :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس. رواه أحمد والبزار وابن سعد.

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة. رواه الطبراني في الكبير والترمذي في الشمائل.

* فمه وأسنانه:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم.. قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. رواه مسلم.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضليع الفم (أي واسع الفم) جميلهُ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم. وكان وسيمًا أشنب أبيض الأسنان مفلج (متفرق الأسنان) بعيد ما بين الثنايا والرباعيات، أفلج الثنيَّتين (أي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت) إذا تكلم رُئِيَ كالنور يخرج من بين ثناياه".

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين، إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه. رواه الدرامي والترمذي في الشمائل. وأفلج الثنيتين أي متفرق الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت.

* سمعه:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟". فقال رجل: أنا. قال: "فمتى مات هؤلاء؟". قال: ماتوا على الإشراك. فقال: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه". رواه مسلم.

* صوته:

عن أم معبد رضي الله عنها، قالت: كان في صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم صهل. رواه الطبراني في الكبير والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، قالت: إني كنت لأسمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على عريشي. يعني قراءته في صلاة الليل. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم والطبراني.

* ريقه:

لقد أعطى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم خصائص كثيرة لريقه الشريف، ومن ذلك أن ريقه صلى الله عليه و سلم فيه شفاء للعليل، ورواء للغليل وغذاء وقوة وبركة ونماء... فكم داوى صلى الله عليه وسلم بريقه الشريف من مريض فبرئ من ساعته!

جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: لأعطِيَنَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم يرجو أن يُعطاها، فقال صلى الله عليه وسلم: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه.

فأُتِيَ به وفي رواية مسلم: قال سلمة: فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي، فجئت به أقوده أرمد فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، فبرئ كأنه لم يكن به وجع...

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: "رأيت أثر ضربة في ساق سلمة فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة... فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت حتى الساعة"، أخرجه البخاري.

وروي عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده قال: "أصيبت عين أبي ذر يوم أحد فبزق فيها النبي صلى الله عليه وسلم فكانت أصح عينيه"، أخرجه البخاري.

* عنقه ورقبته:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "كأن عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة"، أخرجه ابن سعد في الطبقات والبيهقي.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان أحسن عباد الله عنقًا، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة يشوب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيب في الثياب من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر"، أخرجه البيهقي وابن عساكر.
* منكِباه:
عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين. رواه البخاري مسلم.
والمنكب هو مجمع العضد والكتف. والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين أنه عريض أعلى الظهر ويلزمه أنه عريض الصدر مع الإشارة إلى أن بُعد ما بين منكبيه لم يكن منافيًا للاعتدال. وكان كَتِفاه عريضين عظيمين.
* كفاه:
عن أنس أو جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ضخم الكفين لم أر بعده شبهًا له. أخرجه البخاري.
لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم رحب الراحة (أي واسع الكف) كفه ممتلئة لحمًا، غير أنّها مع غاية ضخامتها كانت لَيِّنَة أي ناعمة.
وعن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم. أخرجه البخاري ومسلم.
وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء... وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه، فيمسحون بها وجوههم. قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك. أخرجه البخاري.
وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جونة عطار. أخرجه مسلم.
وعن عبد الله بن مسعود قال: "كنا نَعُد الآيات بَركة، وأنتم تَعُدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقَلَّ الماء، قال عليه الصلاة والسلام: اطلبوا لي فضلة من ماء. فأدخَل يده في الإناء وقال: حَيّ على الطَّهور المبارك، والبركة من الله. ويقول ابن مسعود: لقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل"، رواه البخاري.
عن إياس بن سلمة، حدثني أبي، قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً إلى أن قال: ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته الشهباء.. فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: "شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة" فولوا مدبرين. أخرجه مسلم.

* صَدره:
قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء البطن والصدر، عريض الصدر. رواه الطبراني والترمذي في الشمائل.
قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر ممسوحة، كأنه المرايا في شدتها واستوائها، لا يعدو بعض لحمه بعضًا، على بياض القمر ليلة البدر، موصول ما بين لبته إلى سرته شعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره. رواه ابن نعيم وابن عساكر والبيهقي.
* ساقاه:
عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: "... وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى بيض ساقيه"، أخرجه البخاري في صحيحه.
* قدماه:
قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم خمصان الأخمصين (الأخمص من القدم ما بين صدرها وعقبها، وهو الذي لا يلتصق بالأرض من القدمين، يريد أن ذلك منه مرتفع) مسيح القدمين (أي ملساوين ليس في ظهورهما تكسر) وسشن الكفين والقدمين (أي غليظ الأصابع والراحة) رواه الترمذي في الشمائل والطبراني.
وكان صلى الله عليه و سلم أشبَهَ النَّاس بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وكانت قدماه الشَّريفتان تشبهان قدمي سيدنا إبراهيم عليه السلام كما هي آثارها في مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء في وصف سيدنا إبراهيم عليه السلام: "ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به". صحيح البخاري.
وكان أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي الصحابي الجليل، يقول: ما رأيت شبهًا كشبه قدم النبي صلى الله عليه وسلم بقدم إبراهيم التي كنا نجدها في المقام.
* قامته وطوله:
وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. رواه البخاري ومسلم.
* مشيته:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ما رأيتُ شيئًا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنَّ الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنَّما الأرض تطوى له، إنَّا لَنُجهد أنفسنا وإنَّه غير مكترث".
وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى تَكَفَّأ (أي مال يميناً وشمالاً ومال إلى قصد المشية) ويمشي الهُوَينا (أي يُقارب الخُطا).
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى، مشى مجتمعًا ليس فيه كسل"، (أي شديد الحركة، قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي) رواه أحمد.
* التفاته:

كان صلى الله عليه وسلم إذا التفت التفت معًا أي بجميع أجزائه فلا يلوي عنقه يمنة أو يسرة إذا نظر إلى الشيء لما في ذلك من الخفة وعدم الصيانة وإنّما كان يقبل جميعًا ويُدبِر جميعًا لأن ذلك أَلْيَق بجلالته ومهابته هذا بالنسبة للالتفات وراءه، أمّا لو التفت يمنة أو يسرة فالظاهر أنه كان يلتفت بعنقه الشريف.

* خاتم النبوة:

هو خاتم أسود اللون مثل الهلال وفي رواية أنه أخضر اللون، وفي رواية أنه كان أحمر، وفي رواية أخرى أنه كلون جسده. ويبلغ حجم الخاتم قدر بيضة الحمامة، وورد أنه كان على أعلى كتف النبي صلى الله عليه وسلم الأيسر.

١- عن جابر بن سمرة قال: رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، غُدة حمراء مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

* رائحته:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشا تكفأ، وما مسحت ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكاً ولا عنبرًا أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن أنس أيضًا قال: "دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَال (أي نام) عندنا، فعرِقَ وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسلُتُ العَرَق، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أم سُلَيم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: عَرَق نجعله في طيبنا وهو أطيَب الطيب"، رواه مسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا صافحه الرجل وجد ريحه، وإذا وضع يده على رأس صبي فيظل يومه يُعرَف من بين الصبيان بريحه على رأسه.

يقول جابر بن سمرة: ما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقًا فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه، وقد كنت صبيًا - فمسح خدي فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جونة عطار.

* كلامه:

قال الله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم ١-٤).

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي، لذلك كان يقول لعبد الله بن عمرو:"اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق".

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم رأيتني أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي" مسند الإمام أحمد.

وكان كلامه صلى الله عليه وسلم بَيِّن فَصْل ظاهر يحفظه من جَلَس إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: "كان يُحَدِّث حديثاً لو عَدَّه العادُّ لأحصاه".
"وكان صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لِتُعقَل عنه" رواه البخاري.
* ضحكه:
"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تَبَسُّماً، وكنتَ إذا نظرتَ إليه قُلتَ أكحل العينين وليس بأكحل"، حسن رواه الترمذي.
- وعن عبد الله بن الحارث قال: "ما رأيتُ أحداً أكثر تبسمًا من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُحَدِّث حديثاً إلا تبَسَّم وكان مِن أضحك الناس وأطيَبَهم نَفسًا".
وكان صلى الله عليه وسلم إذا ضحك بانت نواجذه أي أضراسه من غير أن يرفع صوته، وكان الغالب من أحواله التَّبَسُّم.
يقول خارجة بن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل، كان ضحكه تبسمًا، وكلامه فصلاً، لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيراً له واقتداءً به.
قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألأ في الجدر. رواه عبد الرزاق في مصنفه.
* خاتمه:
كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة، نقش عليه من الأسفل إلى الأعلى "محمد رسول الله"، وذلك لكي لا تكون كلمة "محمد" صلى الله عليه وسلم فوق كلمة "الله" سبحانه وتعالى.
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى العجم، قيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتابًا عليه ختم، فاصطنع خاتمًا، فكأني أنظر إلى بياضه في كفه"، رواه الترمذي في الشمائل والبخاري ومسلم.
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق (أي من فضة) فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر ويد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع في بئر أريس" وأريس بفتح الهمزة وكسر الراء، هي بئر بحديقة من مسجد قباء.
* وصف أم معبد:
قالت أم معبد الخزاعية في وصف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لزوجها، حين مر بخيمتها مهاجرًا:
رجل ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبه تجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشعاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطح، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، فضل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، ربعة، لا تقحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة

منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود، محشود، لا عابس ولا مفند.

* وصف علي بن أبي طالب:

قال علي رضي الله عنه وهو ينعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، وكان جعداً رَجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في الوجه تدوير، وكان أبيض مشرباً، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، دقيق المسربة، أجرد، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

* وصف هند بن أبي هالة:

كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه -لا بأطراف فمه- ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئاً، ولم يكن يذم ذواقاً -ما يطعم- ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها - سماح - وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه. يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره.

يتفقد أصحابه - ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره الذي يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن - لا يميز لنفسه مكاناً - إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين. يتفاضلون عنده بالتقوى، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم -لا تخشى فلتاته- يتعاطفون بالتقوى، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه قد ترك نفسه من

ثلاث الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا. لا يتنازعون عنده الحديث. من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ.

* وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه :

عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِىِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِى سِيَاقَةِ الْمَوْتِ. فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ. فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِنِّى قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنِّى وَلاَ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِى قَلْبِى أَتَيْتُ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ - قَالَ - فَقَبَضْتُ يَدِى. قَالَ « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ». قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ.

قَالَ « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ». قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِى. قَالَ « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ». وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَلاَ أَجَلَّ فِى عَيْنِى مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَىَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَىَّ مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِى مَا حَالِى فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلاَ تَصْحَبْنِى نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِى فَشُنُّوا عَلَىَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِى قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّى.أخرجه مسلم برقم (١٢١)

وصلى اللهم على خير الأنام سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

٤٢.عظمة خُلُق الرسول عليه السلام

الشهيدسيد قطب رحمه الله:

ثم تجيء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.. وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصوّر، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

ومدلول الخُلُق العظيم هو ما هو عند الله، مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين!

ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم، تبرز من نواحٍ شتى:
تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجّلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله.
وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد صلى الله عليه وسلم لتلقّيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة.
ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين.
إن إطاقة محمد صلى الله عليه وسلم لتلقي هذه الكلمة من هذا المصدر، وهو ثابت، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل -ولو أنها ثناء-، ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب.. تلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن.. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.
ولقد رويت عن عظمة خُلُقِهِ في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة. وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر؛ أعظم بصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقّي محمد لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتاً راسخاً مطمئناً، لا يتكبّر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير!
و{اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}.. وما كان إلا محمد صلى الله عليه وسلم بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الأخيرة، بكل عظمتها الكونية الكبرى؛ فيكون كفئاً لها، كما يكون صورة حية منها.
إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء. فتطيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء في تماسك وفي توازن، وفي طمأنينة؛ طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم. ثم يتلقى -بعد ذلك- عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة. ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئاً ولا تلك.. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم، والعبد الطائع، والمبلغ الأمين.
إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة، وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه بشر. وقصارى ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها، وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار!
ومرة أخرى أجد نفسي مشدوداً للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الكلمة من ربه، وهو ثابت راسخ متوازن مطمئن الكيان..
لقد كان -وهو بشر- يثني على أحد أصحابه، فيهتزّ كيان صاحبه هذا وأصحابه من وقع هذا الثناء العظيم.. وهو بشر وصاحبه يعلم أنه بشر، وأصحابه يدركون أنه بشر.. إنه نبي.. نعم، ولكن في الدائرة المعلومة الحدود؛ دائرة البشرية ذات الحدود..
فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله، وهو يعلم من هو الله، هو بخاصة يعلم من هو الله!

هو يعلم منه ما لا يعلمه سواه، ثم يصطبر ويتماسك ويتلقى ويسير... إنه أمر فوق كل تصور وفوق كل تقدير!!
إنه محمد -وحده-، هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة..
إنه محمد -وحده-، هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني..
إنه محمد -وحده- هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية؛ حتى لتتمثل في شخصه حية، تمشي على الأرض في إهاب إنسان..
إنه محمد -وحده-، الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم. وأعلن في الأخرى أنه، جلّ شأنه وتقدّست ذاته وصفاته، يصلي عليه هو وملائكته (إن الله وملائكته يصلون على النبي). وهو جل شأنه، وحده القادر على أن يهب عبداً من عباده ذلك الفضل العظيم..
ثم إن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله، وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية كأصالة الحقيقة المحمدية.
والناظر في هذه العقيدة، كالناظر في سيرة رسولها، يجد العنصر الأخلاقي بارزاً أصيلاً فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء.. الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد، ومطابقة القول للفعل، ومطابقتهما معاً للنية والضمير، والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على الحرمات والأعراض، وإشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور..
والتشريعات في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك، وفي أعماق الضمير وفي واقع المجتمع، وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء.
والرسول الكريم يقول: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».. فيلخّص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالاً حياً، وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } .. فيمجّد بهذا الثناء نبيه صلى الله عليه وسلم، كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم، ويشد به الأرض إلى السماء، ويعلّق به قلوب الراغبين إليه -سبحانه- وهو يدلّهم على ما يحب ويرضى من الخلق القويم.
وهذا الاعتبار هو الاعتبار الفذّ في أخلاقية الإسلام؛ فهي أخلاقية لم تنبع من البيئة، ولا من اعتبارات أرضية إطلاقاً. وهي لا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العرف أو المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة في الجيل؛ إنما تستمد من السماء وتعتمد على السماء.
تستمد من هتاف السماء للأرض لكي تتطلع إلى الأفق، وتستمد من صفات الله المطلقة ليحققها البشر في حدود الطاقة، كي يحققوا إنسانيتهم العليا، وكي يصبحوا أهلاً لتكريم الله لهم واستخلافهم في الأرض، وكي يتأهلوا للحياة الرفيعة الأخرى {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} .. ومن ثم فهي غير مقيدة ولا محدودة بحدود من

أي اعتبارات قائمة في الأرض؛ إنما هي طليقة ترتفع إلى أقصى ما يطيقه البشر. ثم إنها ليست فضائل مفردة: صدق وأمانة وعدل ورحمة وبر.... إنما هي منهج متكامل، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً، وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله.. لا إلى أي اعتبار آخر من اعتبارات هذه الحياة!

وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واطّرادها وثباتها في محمد صلى الله عليه وسلم وتمثلت في ثناء الله العظيم، وقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}..الظلال

٤٣.الخلق الذي لا يفارق النبي!!

سلمان بن يحي المالكي
slman_٩٥٥@hotmail.com

الابتسامة:

تُعدّ الابتسامة إحدى لغات الجسد التي منحها الله لبني الإنسان ، وهي وسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي لدى الكائن البشري ، تعتبر الابتسامة من أقل الضحك وأحسنه وهي عبارة عن إنفراج الشفتين وبروز الأسنان مع انبساط الأسارير نعم .. الابتسامة طريق مختصر لكسب القلوب ومفتاح لهداية الكثيرين وباب يوصل إلى النفوس ، وهي وسيلة حية للتعبير عما يجول في خاطر الإنسان تجاه أخيه المسلم ، الابتسامة سلاح قوي يُستخدم منذ الطفولة للاقتراب وحسن التوجيه والتودد للآخرين ، وهي تعبير صادق ورونقُ جمال وإشراقة أمل تَميّز بها الإنسان عن باقي الكائنات الحية لتضفي على وجهه قمة الراحة وذروة الانشراح ونهاية الانبساط ..

أخي الكريم .. أختي الكريمة ..

لا شك أن المسلم في حياته تعتريه أكدار وهموم وأحزان وغموم ، مما يحتاج حقيقة إلى من يجلوا حلكتها ، ويخترق ظلمتها بشيء من الابتسامة الرفيعة والضحكة المتزنة والدعابة المرموقة ، والجدّية سمة بارزة في حياة المسلم ، وهي مطلب ملح وأمر مهم ، فإذا كانت صارمة فإنها لا تزرع الابتسامة على الوجه ، ولا تدخل السرور على النفس..

إن البلسم الناجع والدواء النافع في ترويح النفس وطرد الآلام وتخفيف الأحزان عن المسلم ، رسم الابتسامة على شفتيه بضحكة متزنة ودعابة بريئة وابتسامة مشرقة ..

أحاديث في البسمة والابتسامة:

١. عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه يقول " ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي " [رواه البخاري]

٢. يقول جابر بن سمرة رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: "...كان لا يضحك إلا تبسمًا..." [رواه الحاكم].

٣. عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه "ما رأيت أحدا أكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم" [رواه الترمذي]

٤. عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم كثيراً ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم " [رواه مسلم].

٥. عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسمًا [رواه الترمذي]

٦. "كان النبي صلى الله عليه وسلم كالرجل من رجالكم ، إلا أنه كان أكرم الناس ، وألين الناس ضحّاكا بسّاما " [مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٣٩٧]

٧. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة" [رواه الترمذي]

٨. وقال صلى الله عليه وسلم: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق" [رواه مسلم].

الابتسامة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد كان رسول الهدى ونبي التقى محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه من أشرح الناس صدرا وأعظمهم قدرا ، وأعلاهم شرفا وأبهاهم وجها ، وأكثرهم تبسما صلى الله عليه وسلم ، وما كان يتكلف الضحك ، ولا يختلق الابتسامة ، بل كان يمتلك نفوس أصحابه رضي الله عنهم بابتسامته المشرقة ، وضحكته البريئة ، الهادئة اللطيفة ، ليكسب قلوبهم ويفوز بودهم ، ليقبلوا على هديه ، ويرتضوا نهجه ، ويجيبوا دعوته ، وانظر إلى هذه الابتسامة التي ملكت لبّ هذا الصحابي وأسرت فؤاده ، يقول فضالة بن عمير الليثي : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالكعبة ، وكنت أريد قتله ، فلما اقتربت من الرسول صلى الله عليه وسلم قال لي : أفضالة ؟ قلت : نعم فضالة يا رسول الله ، قال : ماذا كنت تحدث نفسك ؟ قلت : لا شيء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لي: استغفر الله ، ثم وضع يده على صدري ، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه" [الإصابة في معرفة الصحابة لابن رجب ٨ / ٦٩٩٨] لقد مات المعصوم صلى الله عليه وسلم وما فتنة ولا مصيبة إلا نزلت به ، فما كدرت حياته ، وما مسحت السرور من تقاسيم وجهه ، لأن البسمة وربي لا تفارق محيّاه ، فهو يبتسم في الشدة والرخاء.

صلى الإله ومن يحفّ بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

وللابتسامة أنواع:

١. ابتسامة المُغضب : يقول كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه وما كان من شأنه في غزوة تبوك : فجئته ـ أي النبي صلى الله عليه وسلم ـ فلما سلمت عليه تبسم تبسُّم المغضب " [رواه البخاري].

٢. ابتسامة المُتعجِّب : كما في قصة النملة مع نبي الله سليمان عليه السلام إذ يقول الله: "فتبسم ضاحكاً من قولها" [النمل]

٣. ابتسامة السخرية والاستهزاء والشماتة بالمسلمين ، وقد يصاحب البسمة صوت أو ضحك وقهقهة كما حكى الله عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام في معرض استهزائهم بآيات الله " فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون " [الزخرف]
٤. ابتسامة الملاطفة والترحيب والمضاحكة عند تسلية الناس ولقاؤهم : يقول جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال : "ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي" [رواه البخاري]
٥. ابتسامة التفاؤل والأمل والبشارة : عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قريباً مني ثم استيقظ يتبسم فقلت : ما أضحكك ، قال: أناسٌ من أمتي عرضوا عليّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة، قالت : فادعوا الله أن يجعلني منهم فدعا لها ... الحديث " [البخاري]
٦. ابتسامة النفاق والعياذ بالله : وهي أكثر ما يروج بين كثير من الناس اليوم إلا ما رحم ربي فيبتسم هذا لهذا والقلوب في الغالب مليئة بنوع من البغضاء والشحناء والكراهية .
مواقف باسمة:
١. عن أنس رضي الله عنه قال : أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطبنا يوم جمعة إذ قام رجل فقال يا رسول الله هلك الكراع هلك الشاء فادع الله أن يسقينا فمد يديه ودعا ، قال أنس : وإن السماء لمثل الزجاجة فهاجت ريح ثم أنشأت سحابة ثم اجتمعت ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم يزل المطر إلى الجمعة الأخرى فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله أن يحبسه، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: حوالينا ولا علينا ، فنظرت إلى السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل [رواه أبو داود]
٢. عن صهيب رضي الله عنه قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ادن فكل ، فأخذت آكل من التمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم تأكل تمرا وبك رمد قال : فقلت إني أمضغ من ناحية أخرى، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم" [رواه ابن ماجة]
٣. عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة ، قال أنس : فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت فضحك ثم أمر له بعطاء" [رواه البخاري].
٤. عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك" [رواه البخاري].
٥. وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين ـ في غزوة أحد ـ فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم " ارم فداك أبي وأمي

، قال : فنزعت له بسهم له نصل ، فأصبت جنبه فسقط وانكشفت عورته ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم [رواه الطبراني في الكبير].
فوائد الابتسامة:
١. أنها باب من أبواب الخير والصدقة " وتبسمك في وجه أخيك لك صدقة " [رواه الترمذي]
٢. أنها سبب في كسب مودة الناس ومحبتهم وزرع الابتسامة على وجوههم " لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم بسط الوجه " [رواه الحاكم].
٣. فيها ترويح للنفس وإجمام للروح ودواء للهموم وذهاب للغموم "وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة" [رواه الطبراني في الكبير].
٤. تبعث على الاطمئنان بين المسلمين ، وتصفي القلوب من الغل والحسد وتجدد في النفس النشاط ، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه " إن هذه القلوب تمل كمل تملّ الأبدان ، فابتغوا لها طرف الحكمة".
٥. أنها مظهر من مظاهر حسن الخلق التي يدعوا إليها الإسلام " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " [رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان].
٦. فيها تأسٍّ بسيد الخلق وأعظمهم خُلُقا وأكثرهم ابتسامة صلى الله عليه وسلم.
وأخيرا..
ينبغي لمن كان عبوسا منقبض الوجه أن يتبسم ويحسّن خلقه ، ويمقت نفسه على رداءة خلقه ، فكل انحراف عن الاعتدال مذموم ، ولا بدّ للنفس من مجاهدة وتأديب..
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

٤٤.وإنك لعلى خلق عظيم

سلمان بن يحي المالكي
slman_٩٥٥@hotmail.com
الحمد الله تقدست ذاته وعلت أسماؤه وصفاته ، أحمده سبحانه لا تحصى نعماؤُه ولا تحصر مكنوناته ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد مصطفاه وخليله ، وأمينه على وحيه ، خصه بخصائص علت بها منزلتُه وبَهرت مُعجزاتُه ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .. أما بعد ..
لقد بعث الله عز وجل نبيه بالهدى والنور ، فهدى البرية وزكى البشرية ، واطمأنت إليه القلوب وانشرحت به الصدور ، بعثه رحمة للعالمين وقدوة للأخيار والصالحين ، بعثه ليتمم من الأخلاق مكارمها ، ومن المكارم أجملها ، فكان صلوات ربي وسلامه عليه إمامها وهاديها ، فأقسم له ربه جل وعلا من فوق سبع سموات أنه قد حاز أفضلها وأشرفها وأعظمها فقال جل وعلا " وإنك لعلى خلق عظيم " نعم .. كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق ، كَمُلَ أدبُهُ مع ذي العزة والجلال ، فزينه وكمله بأفضل الشمائل والخصال ، فهو مع ربه أكمل الناس أدبًا وأشدهم خشية له وخوفًا منه " إني

أخشاكم لله وأتقاكم " قام في جوف الليل حتى تورمت قدماه من القيام وصام النهار فما مل ولا سَئم بل واصل الصيام .
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق حينما كان دائم البِشْر طليق الوجه بالسرور ، يقول جرير بن عبد الله: "ما لقيت النبي إلا تبسم في وجهي ".
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق حينما كان سيد الأنبياء وإمام الرحماء ، يرحم الصغير والكبير ويعطف على الجليل والحقير ، قال أنس بن مالك: " ما لمست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ولقد صحبت رسول الله عشر سنين ، ما قال لي يومًا لشيء فعلته: لمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله لمَ لم تفعله.
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق حينما كان جوادًا كريمًا ، يُعطي الشاة والبعير وما كان في بيته صاع من شعير و "ما سُئل عليه الصلاة والسلام شيئًا فقال : لا " يقول عنه تلميذه حبر الأمة وترجمان القرآن القبس والنبراس عبد الله بن عباس وعن أبيه " كان النبي أجودُ بالخير من الريح المرسلة " .
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق حينما كان برًا بالعباد رحيمًا ، رحيمًا في دعوته ، رحيمًا في توجيهه وحكمته رحيمًا بالأمة حتى في صلاته وإمامته ، كان يصلي في الفجر بالستين إلى المائة آية ، فدخل ذات يوم يريد أن يطول فسمع بكاء صبي فقرأ بـ " إنا أعطيناك الكوثر " فلما انفتل من صلاته قال " إني سمعت بكاء صبي فأشفقت على أمه " وكان يوصي الأئمة ويقول "إذا أمّ أحدكم بالناس فليخفف، فإن وراءه الضعيف والسقيم والشيخ الكبير وذا الحاجة.. "
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق وهو على منبره يُفصّلُ الشريعة والأحكام ويأخذ بمجامع القلوب إلى طريق السلم والرحمة والسلام ، فما كان يجرّح ولا يعنف ولا يُشهِّرُ ولا يكسر الخواطر ، لم يكن جبارًا ولا فظًا ولا سخابًا ولا لعانًا ، كان يقول عليه الصلاة والسلام "ما بال أقوام ، ما بال أقوام".
كان جوادا عظيمًا في الأخلاق ، فما كان يُعرف من بين صحابته من تواضعه بأبي وأمي صلوات ربي وسلامه عليه ، حتى كان القادم يقول : أيكم محمد ؟ أيكم محمد ..؟.
كان رحيمًا بالأحياء والأموات ، إذا جن الليل وأرخى سدوله ، خرج إلى بقيع الغرقد يقف على قبور المؤمنين والمؤمنات ، يسأل ربه بصالح الدعوات أن يُسبغ عليهم الرحمات ، ولما توفيت المرأة السوداء التي كانت تَقُمُّ المسجد قال أوما أخبرتموني ، فصلى عليها ودعا لها .
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق ، إذا دخل بيته ملك قلوب أزواجه بالعطف والإحسان والرحمة والحنان ، فقد كان خير الأزواج وأبرهم وأفضلهم .
كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق ، ما عاب طعامًا وُضع بين يديه ، ولا سب امرأة ولا شتمها ولا ضربها ولا أهانها ، كان يُكرم ولا يهين ، يُعزُّ ولا يُذلُّ ، إذا جاءت زوجته بالشراب أقسم عليها أن تشرب قبله ، وإذا شربت من الإناء وضع فمه حيث وضعت فمها ، وكان يؤتى له بالمرق والعظم فيه اللحم فيقسم عليها أن تنهش منه قبله فإذا نهشت منه وضع فمه حيث وضعت فمها .

كان عظيمًا وإمامًا في الأخلاق ، حينما دخل عليه الأعرابي فبال في مسجده وهو جالس والصحابة ينظرون وينهرون ويمنعون ، فقال لهم " لا تزرموه " حتى إذا انتهى أمر بذنوب من ماء فصب على بوله ثم دعاه فوجهه وعلمه وأرشده ، فدعا الأعرابي قائلا " اللهم ارحمني وارحم محمدًا ولا ترحم معنا أحدًا " وصلى بأصحابه يوما فصاح رجل وتكلم في الصلاة ، فما زال الصحابة يسكتونه حتى رمقوه بأبصارهم ، فصاح الرجل : واثُكل أماه ، فلما سلم قال الصحابي : فبأبي وأمي ما رأيت معلمًا كرسول الله فوالله ما كهرني ولا شتمني ، ولكن قال لي "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والاستغفار وقراءة القرآن" ما أكرمه من نبي وما أحلمه من رسول وما أرحمه من إنسان صلوات ربي وسلامه عليه ، وبعد أيها الأحبة ..

هذا فيض من غيظ ونقطة من بحر وقليل من كثير من سيرة البشير النذير السراج المنير فما أحوجنا أن نملأ بمحبته قلوبنا ، ما أحوجنا أن نربي على هذه السنة والأخلاق الكريمة صغارنا وكبارنا ، ما أحوجنا أن نتربى عليها مساء صباح ، ونعتقد فضلها سرًا وجهارًا ، لتظهر آثارها علينا ليلاً ونهارًا ، فبحسب متابعته تكون العزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد والهداية والفلاح والنجاة وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، وإلى أن ألتقي بكم في حلقة قادمة وموعدٍ قريب ولقاء ماتع ، استودع الله دينكم وأمانتَكم وخواتيم أعمالِكم وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليكم

٤٥.الصفات الخَلقية للرسول صلى الله عليه وسلم

صفة كلامه:

كان كلامه صلى الله عليه وسلم بَيِّن فَصْل ظاهر يحفظه من جَلَس إليه.

ورد في حديث متفق عليه أنَّه عليه الصلاة والسلام: "كان يُحَدِّث حديثاً لو عَدَّه العادُّ لأحصاه".

"وكان صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لِتُعقَل عنه"، رواه البخاري.

ورُوِيَ أنه كان صلى الله عليه وسلم يُعرض عن كل كلام قبيح و يُكَنِّي عن الأمور المُستَقبَحَة في العُرف إذا اضطره الكلام إلى ذكرها، وكان صلى الله عليه و سلم يذكر الله تعالى بين الخطوتين.

صفة ضحكه و بكائه:

- " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تَبَسُّماً، وكنتَ إذا نظرتَ إليه قُلتَ أكحل العينين وليس بأكحل "، حسن رواه الترمذي .

- وعن عبد الله بن الحارث قال: "ما رأيتُ أحداً أكثر تبسماً من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُحَدِّث حديثاً إلا تبَسَّم، وكان ضَحِك أصحابه صلى الله عليه وسلم عنده التبسُّم من غير صوت اقتِداءً به وتَوقيراً له، وكان صلى الله عليه وسلم إذا جرى به الضحك وضع يده على فمه، وكان صلى الله عليه وسلم مِن أضحك الناس وأطيَبَهم نَفساً ".

وكان صلى الله عليه وسلم إذا ضحك بانت نواجذه أي أضراسه من غير أن يرفع صوته وكان الغالب من أحواله التَّبَسُّم. وبكاؤه صلى الله عليه وسلم كان من جنس

ضحكه، لم يكن بشهيق و رفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تنهملان ويُسمَع لصدره أزيز، ويبكي رحمة لِمَيِّت وخوفاً على أمَّته وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القرآن وفي صلاة الليل.

وعن عائشة قالت: " ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُستَجمِعاً قط ضاحكاً، حتى أرى منه لهاته، (أي أقصى حَلقِه) ".

صفة لباسه:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: " وكان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص (وهو اسم لما يلبس من المخيط)، رواه الترمذي في الشمائل وصححه الحاكم. ولقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه أتَم و أنفع للبدن وأخَفّ عليه، فلم تكن عمامته بالكبيرة التي يُؤذيه حملها أو يضعفه أو يجعله عرضة للآفات ، ولا بالصغيرة التي تقصُر عن وقاية الرأس من الحر والبرد وكذلك الأَرديَة (جمع رداء) والأزُر (جمع إزار) أخَفّ على البدن من غيرها. ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه و سلم نوعاً مُعيَّناً من الثياب، فقد لبس أنواعاً كثيرة ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس ما يجده. وكان عليه الصلاة والسلام يلبس يوم الجمعة والعيد ثوباً خاصاً، وإذا قدِمَ عليه الوفد، لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك.

وعن أبي سعيد الخدري قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوباً سماه باسمه، (عمامة أو قميصاً أو رداء) ثم يقول: "اللهم لك الحمد كما كسوتنيه أسألك خير ما صنع له وأعوذ من شره وشر ما صنع له"، رواه الترمذي في الشمائل، والسنن في اللباس، وأبو داود.

كان أحب الثياب إليه البيضاء . وكان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه إلا طيب، كان آية ذلك في بدنه الشريف أنه لا يتَّسِخ له ثوب أي كانت ثيابه لا يصيبها الوسخ من العرق أو ما سوى ذلك وكان الذباب لا يقع على ثيابه.

صفة عمامته:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء، والقلنسوة هي غشاء مبطَّن يستر الرأس، وكان صلى الله عليه و سلم يلبس القلانس (جمع قلنسوة) أحياناً تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير القلانس أحياناً. كان صلى الله عليه وسلم إذا اعتَمَّ (أي لبس العمامة)، سدل عمامته بين كتفيه، وكان عليه الصلاة والسلام لا يُوَلّي والياً حتى يُعَمِّمه و يرخي له عذبة من الجانب الأيمن نحو الأذن. ولم يكن صلى الله عليه وسلم يُطَوِّل العمامة أو يُوَسِّعها. قال ابن القيم: لم تكن عمامته صلى الله عليه وسلم كبيرة يؤذي الرأس حملها ولا صغيرة تقصر عن وقاية الرأس بل كانت وسطاً بين ذلك وخير الأمور الوسط. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتم بعمامة بيضاء وأحياناً خضراء أو غير ذلك. وعن جابر رضي الله عنه قال: " دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء ". ولقد اعتم صلى الله عليه وسلم بعد بدر حيث رأى الملائكة تلبسها. وصحة لبس المصطفى للسواد ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صُفر لا يعارض عموم الخبر الصحيح الآمر بالبياض لأنه لمقاصد اقتضاها خصوص المقام كما بيّنه بعض الأعلام.

صفة نعله و خُفِّه:

كان لنعل رسول الله صلى الله عليه و سلم قِبالان مُثَنَّى شراكهما أي لكلٍ منهما قِبالان ، والقِبال هو زِمام يوضع بين الإصبع الوسطى و التي تليها ويُسمَّى شِسعاً، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يضع أحد القِبالين بين الإبهام و التي تليها والآخر بين الوسطى و التي تليها و الشِّراك للسير (أي النعل). وكان يلبس النعل ليس فيها شعر، كما رُؤيَ بنعلين مخصوفتين أي مخروزتين مُخاطتين ضُمَّ فيها طاق إلى طاق. وطول نعله شِبر وإصبعان و عرضها مِمَّا يلي الكعبان سبع أصابع وبطن القدم خمس أصابع ورأسها مُحَدَّد. وكان عليه الصلاة والسلام يقول موصياً الناس: " إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين و إذا نزع فليبدأ بالشمال ".

صفة خاتمه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى العجم ، قيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتاباً عليه ختمٍ، فاصطنع خاتماً، فكأني أنظر إلى بياضه في كفه"، رواه الترمذي في الشمائل والبخاري ومسلم. ولهذا الحديث فائدة أنه يندب معاشرة الناس بما يحبون وترك ما يكرهون و استئلاف العدو بما لا ضرر فيه ولا محذور شرعاً والله أعلم.

ولقد كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة و فَصُّه (أي حجره) كذلك ، وكان عليه الصلاة و السلام يجعل فَصَّ خاتمه مِمَّا يلي كفه ، نقش عليه من الأسفل إلى الأعلى ((محمد رسول الله))، و ذلك لكي لا تكون كلمة "محمد" صلى الله عليه و سلم فوق لفظ الجلالة {الله} سبحانه وتعالى. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورِق (أي من فضة) فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر ويد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع في بئر أريس نَقشُهُ ((محمد رسول الله)) "، رواه الترمذي في الشمائل ومسلم وأبو داود، وأريس بفتح الهمزة وكسر الراء ، هي بئر بحديقة من مسجد قباء.

و لقد ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يلبس الخاتم في يمينه و في روايات أخرى أنه كان يلبسه بيساره و يُجمع بين روايات اليمين و روايات اليسار بأن كُلاً منهما وقع في بعض الأحوال أو أنه صلى الله عليه و سلم كان له خاتمان كل واحد في يد و قد أحسن الحافظ العراقي حيث نظم ذلك فقال:

يلبسه كما روى البخاري   في خنصر يمين أو يسار
كلاهما في مسلم و يجمع   بأن ذا في حالتين يقع
أو خاتمين كل واحد بيدْ   كما بفص حبشي قد وردْ

ولكن الذي ورد في الصحيحين هو تعيين الخنصر ، فالسُنَّة جعل الخاتم في الخنصر فقط، والخنصر هو أصغر أصابع اليد وحكمته أنه أبعد عن الامتهان فيما يتعاطاه الإنسان باليد و أنه لا يشغل اليد عمّا تزاوله من الأعمال بخلاف ما لو كان في غير الخنصر.

صفة سيفه:

عن سعيد بن أبي الحسن البصري قال: " كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة ".

والمراد بالسيف هنا، ذو الفقار وكان لا يكاد يفارقه ولقد دخل به مكة يوم الفتح. والقبيعة كالطبيعة ما على طرف مقبض السيف يعتمد الكف عليها لئلا يزلق. وفي رواية ابن سعد عن عامر قال: " أخرج إلينا علي بن الحسين سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قبيعته من فضة وحلقته من فضة ". وعن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أسفله وحلقته وقبيعته من فضة.

صفة درعه:

عن الزبير بن العوام قال: " كان على النبي صلى الله عليه و سلم يوم أُحُد درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع (أي فأسرع إلى الصخرة ليراه المسلمون فيعلمون أنه عليه الصلاة و السلام حيّ فيجتمعون عليه، فلم يقدر على الارتفاع على الصخرة قيل لما حصل من شج رأسه وجبينه الشريفين واستفراغ الدم الكثير منهما) فأقعد طلحة تحته (أي أجلسه فصار طلحة كالسلم) وصعد النبي صلى الله عليه وسلم (أي وضع رجله فوقه و ارتفع) حتى استوى على الصخرة (أي حتى استقر عليها)، قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: "أوجبَ طلحة" (أي فعل فعلاً أوجب لنفسه بسببه الجنة وهو إعانته له صلى الله عليه وسلم على الارتفاع على الصخرة الذي ترتب عليه جمع شمل المسلمين وإدخال السرور على كل حزين ويحتمل أن ذلك الفعل هو جعله نفسه فداء له صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم حتى أصيب ببضع وثمانين طعنة و شلَّت يده في دفع الأعداء عنه) ". و قوله (كان عليه يوم أُحُد درعان) دليل على اهتمامه عليه الصلاة و السلام بأمر الحرب وإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون التوكل مقروناً بالتحصن لا مجرداً عنه. و لقد ورد في روايات أخرى أنه كان للنبي عليه الصلاة و السلام سبعة أدرع.

صفة طيبه (أي عطره):

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ المِسك فيمسح به رأسه و لحيته و كان صلى الله عليه و سلم لا يردُّ الطيب، رواه البخاري. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه"، ورواه الترمذي في الأدب باب ما جاء في طيب الرجال والنساء، والنسائي في الزينة باب الفصل بين طيب الرجال والنساء، وهو حديث صحيح.

صفة كُحله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: "اكتحلوا بالإثمد فإنّه يجلو البصر و يُنبِت الشعر"، وزعم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم له مكحلة يكتحل منها كلَّ ليلةٍ ثلاثةً في هذه وثلاثة في هذه. قوله (اكتحلوا بالإثمد) المخاطَب بذلك الأصِحّاء أمّا العين المريضة فقد يضُرُّها الإثمِد، والإثمِد هو حجر الكحل المعدني المعروف ومعدنه بالمشرق وهو أسود يضرب إلى حمرة. وقوله (فإنّه يجلو البصر) أي يقوّيه و يدفع المواد الرديئة المنحدرة إليه من الرأس لاسيما إذا أُضيف إليه قليل من المسك. وأمّا قوله (يُنبت الشعر) أي يقوّي طبقات شعر العينين التي هي الأهداب وهذا إذا اكتحل به من اعتاده فإن اكتحل به من لم يعتده رمدت عينه.

صفة عيشه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما شَبِعَ آل محمد صلى الله عليه و سلم منذ قَدِموا المدينة ثلاثة أيام تِباعاً من خبز بُرّ، حتى مضى لسبيله أي مات صلى الله عليه وسلم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً" (أي ما يسدُّ الجوع) متفق عليه.

صفة شرابه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " دَخَلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله فقال لي: الشَّربة لك فإن شئتَ آثرتَ بها خالداً، فقُلتُ ما كنتُ لأوثِرَ على سؤرك أحداً، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أطعَمَهُ الله طعاماً فليقُل: "اللهم بارِك لنا فيه وأطعِمنا خيراً منه، ومن سقاه الله عزّ و جلّ لبَناً فليقُل: اللهم بارك لنا فيه وزِدنا منه"، ثم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس شيء يُجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن ".

صفة شُربه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم شرب من زمزم وهو قائم.

وعن أنَس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه و آله سلم كان يتنفَّس في الإناء ثلاثاً إذا شرب ويقول هو أمرأُ و أروى، قوله (كان يتنفس في الإناء ثلاثاً) وفي رواية لمسلم (كان يتنفس في الشراب ثلاثاً) المراد منه أنه يشرب من الإناء ثم يزيله عن فيه (أي فمه) ويتنفس خارجه ثم يشرب وهكذا لا أنه كان يتنفس في جوف الإناء أو الماء المشروب. وكان عليه الصلاة والسلام غالباً ما يشرب وهو قاعد.

صفة تكأته:

عن جابر بن سَمُرَة قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم مُتَّكئاً على وسادة على يساره ".

وعن عبد الرحمن بن أبي بَكرَة عن أبيه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أحدِّثكم بأكبر الكبائر؟! قالوا بلى يا ر سول الله ، قال: الإشراك بالله و عقوق الوالِدَين، قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مُتَّكِئاً، قال وشهادة الزور أو قول الزور، قال فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا لَيته سكت ".

صفة فراشه:

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فراش من أدم. (أي من جلد مدبوغ) محشو بالليف.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على حصير قد أثَّر بجنبه فبكيت، فقال: ما يُبكيك يا عبد الله؟ قلت: يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-كسرى وقيصر قد يطئون على الخز والديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير قد أثَّر في جنبك!. فقال: لا تبكِ يا عبد الله فإن لهم الدنيا و لنا الآخرة ".

صفة نومه:

كان عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم ينـام أول الليل ، و يُحيي آخره. وكـان إذا أوى إلـى فِراشـه قـال: (باسمك اللهم أموت و أحيـا) ، و إذا استيقظ قـال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النُّشور).
عن البـراء بن عـازب رضـي الله عنـه: أن النبـي صلـى الله عليـه وسلم كـان إذا أخذ مضجعه، ووضـع كفه اليمنـى تحت خده الأيمن، وقـال: "ربِّ قِنـي عذابك يـوم تبعث عبادك"، رواه أحمد في المسند والنسائي في عمل اليوم والليلـة وابن حبـان وصححه الحافظ في الفتح.
وعن عائشـة رضـي الله عنهـا: " كـان رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم إذا أوى إلـى فراشه كل ليلة، جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهمـا مـا استطاع من جسده، يبدأ بهمـا رأسـه ووجهـه ومـا أقبـل من جسده، يصـنع ذلك ثـلاث مرات"، رواه البخـاري فـي الطب والترمذي والظـاهر أنـه كـان يصنـع ذلك فـي الصحة والمرض وقـال النـووي فـي الأذكار: "النفث نفخ لطيف بلا ريق". ويستفاد من الحديث أهمية التعوذ والقراءة عند النوم لأن الإنسان يكون عرضة لتسلط الشياطين.
وعن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عرَّس بليل ، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح ، نصب ذراعه ووضـع رأسـه علـى كفـه، رواه أحمد في المسند ومسلم فـي الصحيح ،كتـاب المساجد بـاب قضـاء الصـلاة، والتعريس هو نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة قاله في النهاية لعل ذلك تعليمـاً للأمـة لـئلا يثقل بهم النوم فتفوتهم الصبح في أول وقتها. ويستفاد من الحديث أن من قـارب وقت الصبح ينبغي أن يتجنب الاستغراق فـي النـوم وأن يستلقي علـى هيئـة تقتضـي سرعة انتباهه إقتداءً بالمصطفى صلى الله عليه وسلم.
صفة عطاسه:
عن أبي هريرة رضي عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عطس وضع يده أو ثوبـه علـى فيـه وخفض بهـا صـوته"، رواه أبـو داود والترمـذي وصـححه الحـاكم وأقره الذهبي.
صفة مشيته:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " ما رأيتُ شيئاً أحسن من رسول الله صلـى الله عليه وسلم كأنَّ الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلـى الله عليه و سلم كأنَّما الأرض تطوى له، إنَّا لنُجهد أنفسنا وإنَّه غير مكترث ".
وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا مشى تَكَفَّأ (أي مـال يميناً وشمالاً ومال إلى قصد المشية) ويمشي الهُوَينا (أي يُقارب الخُطا).
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبـي صلـى الله عليـه وسلم كـان إذا مشـى ، مشـى مجتمعاً ليس فيه كسل "، (أي شديد الحركة ، قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي) رواه أحمد.
كان صلى الله عليه و سلم إذا التفت التفت معاً أي بجميع أجزائه فلا يلـوي عنقه يمنـة أو يسرة إذا نظر إلى الشـيء لمـا فـي ذلك من الخفة و عدم الصيانة وإنّما كـان يقبل

جميعاً و يُدبِر جميعاً لأن ذلك أليَق بجلالته ومهابته هذا بالنسبة لالتفاته وراءه، أمّا لو التفت يمنة أو يسرة فالظاهر أنه كان يلتفت بعنقه الشريف.
صفة دُعائه:
" كان النبي صلى الله عليه و سلم يُحب الجوامع من الدعاء و يدع ما بين ذلك " ، حديث صحيح رواه أحمد.
ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في الأخلاق: (اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، و قني سيئ الأعمال و سيئ الأخلاق، لا يقي سَيِّئها إلا أنت)، أخرجه النسائي.
صفة تسبيحه:
" كان يعقد التسبيح بيمينه"، حديث صحيح رواه البخاري و الترمذي و أبو داود (أي يسبِّح على عقد أصابع يده اليمنى).
من أخلاقه صلى الله عليه و سلم :
عن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد ما يكون عنه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تُنهَكَ حُرمة الله، فينتقم للّه بها ".

وعن عائشة أيضاً قالت: " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئاً بيده قط، و لا امرأة، و لا خدماً إلاّ أن يجاهد في سبيل الله، و ما نيلَ من شيء قط، فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله ، فينتقم لله ".
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خُلُقاً، فأرسلني يومًا لِحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لِما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم. فخرجتُ حتى أمُرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بقفاي (من ورائي)، فنظرتُ إليه وهو يضحك.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أُنَيس ذهبتَ حيث أمرتُك، فقلت: أنا أذهب يا رسول الله!
قال أنس رضي الله عنه: والله لقد خدمته تسع سنين ما عَلِمته قال لشيء صنعتُه، لم فعلتَ كذا وكذا؟ ولا عاب علَيّ شيئاً قط، والله ما قال لي أُف قط"، رواه مسلم.
قلت فكم من مرة قلنا لوالدينا أفٍّ أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لخادمه أفٍّ قط!!.
وعن أبي هالة عن الحسن بن علي قال أن النبي عليه الصلاة والسلام كان خافض الطرف (من الخفض ضد الرفع فكان إذا نظر لم ينظر إلى شيء يخفض بصره لأن هذا من شأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه)، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، وكان جل نظره الملاحظة (المراد أنه لم يكن نظره إلى الأشياء كنظر أهل الحرص والشره بل بقدر الحاجة)، يسوق أصحابه أمامه (أي يقدمهم أمامه، ويمشي خلفهم تواضعاً، أو إشارة إلى أنه كالمربي، فينظر في أحوالهم

وهيئتهم، أو رعاية للضعفاء وإغاثة للفقراء، أو تشريعاً، وتعليماً، وفي ذلك رد على أرباب الجاه وأصحاب التكبر والخيلاء)، وكان صلى الله عليه وسلم يبدر من لقي بالسلام.
لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أكمل الناس شرفاً وألطفهم طبعاً وأعدلهم مزاجاً وأسمحهم صلة وأنداهم يداً لأنه مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات.
* وقد أكّد الرسول صلى الله عليه وسلم على التواضع في جملة في الأحاديث منها:
- قوله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً ، و خِيارُكم خِيارُكم لِنسائه خُلُقا".
- وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن لَيُدرك بِحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم "، صحيح رواه أبو داود.
* العفو عند الخصام:
عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رجلاً شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس يتعجب ويبتسم، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، فلحقه أبو بكر قائلاً له: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبتَ وقُمتَ!!
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان معك مَلَك يرد عليه ، فلما رددتَ عليه وقع الشيطان (أي حضر) يا أبا بكر ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظُلِمَ بمظلمة فيُغضي (أي يعفو) عنها لله عز و جل إلا أعزَّ الله بها نصره و ما فتح رجل باب عطِيَّة (أي باب صدقة يعطيها لغيره) يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، و ما فتح رجل باب مسألة (أي يسأل الناس المال) يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قِلَّة".
* من تواضع الرسول صلى الله عليه و سلم:
عن أنس رضي الله عنه قال: "ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لِما يعلمون من كراهيته لذلك "، رواه أحمد والترمذي بسند صحيح.
"كان يزور الأنصار، ويُسَلِّم على صبيانهم ، و يمسح رؤوسهم "، حديث صحيح رواه النسائي.
وكان عليه الصلاة والسلام يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم. وكان يجلس على الأرض و يأكل على الأرض ويجيب دعوة العبد، كما كان يدعى إلى خبز الشعير فيجيب.
عن أنس رضي الله عنه قال: " كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تُسبَق أو لا تكاد تُسبَق، فجاء أعرابي على قعود له (أي جمل) فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: "حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه "، رواه البخاري.
* من رفق الرسول صلى الله عليه و سلم :
قال الله تعالى: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}.

عن أنس رضي الله عنه قال: " بينما نحن في المجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فصاح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: مَه مَه (أي اترك)!!
قال النبي عليه الصلاة و السلام: لا تُزرموه، (لا تقطعوا بوله).
فترك الصحابة الأعرابي يقضي بَوله، ثم دعاه الرسول صلى الله عليه و سلم و قال له:
"إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنَّما هي لِذِكر الله والصلاة و قراءة القرآن"، ثم قال لأصحابه صلى الله عليه و سلم: " إنَّما بُعِثتم مُبَشِرين، ولم تُبعَثوا معسرين، صُبّوا عليه دلواً من الماء ".
عندها قال الأعرابي: "اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً ".
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : "لقد تحجَّرتَ واسعاً"، (أي ضَيَّقتَ واسعاً)، متفق عليه.
وعن عائشة رضي الله عنها رَوَت أنَّ اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فدار بينهم الحوار الآتي:
- اليهود: السَّام عليك، (أي الموت عليك).
- الرسول صلى الله عليه و سلم : وعليكم.
- عائشة: السَّام عليكم، ولعنكم الله وغَضِبَ عليكم !.
- الرسول صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة! عليكِ بالرِّفق، و إيَّاكِ و العنف و الفُحش .
- عائشة: أوَلم تسمع ما قالوا ؟!!.
- الرسول صلى الله عليه و سلم: أوَلم تسمعي ما قُلت، رددتُ عليهم، فيُستَجاب لي ولا يُستَجاب لهم فيَّ.
وفي رواية لمسلم: (لا تكوني فاحشة، فإنَّ الله لا يحب الفُحش والتَّفَحُّش).
* الرحمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قَبَّل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحَسَن بن عليّ، وعنده الأقرع بن حابس التيمي، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "من لا يَرحم لا يُرحم "، متفق عليه.
* سِعة قلبه منذ طفولته إلى لحظة وفاته:
روى ابن اسحق و ابن هشام أنَّ حليمة لمَّا جاءت كان على صدرها ولد لا يشبع من ثديها و لا من ناقتها، فناقتها عجفاء وثديها جاف. وراحت تبحث عن طفل تُرضِعه وتأخذ من المال من أهله ما تأكل به طعاماً فيفيض حليباً. بحثت في الأطفال فلم تَرَ إلا اليتيم (محمد صلى الله عليه وسلم)، فأعرضت عنه و سألت عن غيره فما جاءها غيره، فعادت إليه، أخذته ومشت. تقول حليمة فيما رواه ابن اسحق: فلمَّا وضعته على ثديي ما أقبل عليه، وقد شعرتُ أن ثديي قد امتلأ بالحليب، أعطيه الثدي لا يقبله، انتبهت إلى أن أخاه يبكي من الجوع فوضعته فأخذت أخاه فأرضعته، فشرب، فشبع، ثم حملتُ ابني محمداً فوضعته على ثديي فأخذه ".

ما أخذ ثديها وله أخ جائع و هو طفل صغير. إن الله تعالى جعله محبوباً من اللحظة الأولى، فما كان يقبل أن يأكل حتى يأكل أخاه، وما كان يقبل أن يأكل حتى يفيض الطعام.
وما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من إناء وانتهى الطعام الذي فيه أبداً. قال عنه عمه أبو طالب:كان إذا جاء الأولاد للطعام ، امتنع حتى يأكل الأولاد جميعاً، و لا يقترب حتى يأكلوا لأنه لا يريد أن يُقَلّل على أحد غذاءه، فهو يصبر ليشبع الآخرون، فما كان يوماً يُجاذِب الدنيا أحداً، فهو يعلم أن الحب ينبع من إعراضك عن الدنيا، فإذا أحببتَ الدنيا أعرض الناس عنك وإذا أحببتَ الله أقبَلَ الناس إليك.
من منَّا إذا دخلت عليه ابنته يقوم لها؟ كان إذا دخلت فاطمة قام لها وقال: "مرحباً بمن أشبهَت خُلُقي وخلقي". و تعالوا نرى كيف عبَّر عليه الصلاة والسلام عن حبه للزهراء ، هل كان ذلك بمال أو بأثاث؟ أبداً و لكن بقربان إلى الله تعالى ، فكانت كلما جاء جبريل عليه السلام بكنز فيه قربة من الله، يقول صلى الله عليه وسلم: " يا فاطمة، جاءني جبريل بكنز من تحت العرش، تعالي أعطيكِ إيَّاه، فأنت أحبُّ الناس إليّ يا فاطمة. ولمَّا شكَت له يوماً من أعمال المنزل وطلبت منه خادمة، قال لها عليه الصلاة والسلام: ألا أعطيكِ ما هو خير من ذلك؟ قالت: نعم فقال لها: تقولين بعد كل فريضة، سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين و الله أكبر ثلاث و ثلاثين وتمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ". فهذا خير لها من الخادمة في الدنيا والآخرة، فهو يُعينها في دنياها وينفعها في آخرتها، وقد قبلت فاطمة ما أعطاها والدها وهي مسرورة فرِحَة ...
* حبه لأمَّته صلى الله عليه وسلم:
بعد أن عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وسلم و كَرَّمه ربه، سأله رب العزة :"يا محمد، أبَقِيَ لكَ شيء؟ قال : نعم ربي. فقال سبحانه وتعالى: سَل تُعط. فقال: أمَّتي ، أمَّتي ". لم يقل أبنائي، لم يقل أصحابي، لم يقل أهلي، قال أمَّتي.
و قد ورد في بعض كتب التفسير عند قوله تعالى :{ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى: ٥]، أنه لمَّا نزلت عليه هذه الآية قال: " اللهم لا أرضى يوم القيامة و واحد من أمَّتي في النار ".
لقد أرسل لنا عليه الصلاة والسلام نحن الذين نعيش في هذا الزمن ولكل الذين عاشوا بعده: " بلّغوا السلام عني من آمن بي إلى يوم القيامة ". سَلَّمَ علينا قبل أن نكون شيئاً مذكوراً، و عرفنا قبل أن نعرفه ، فكيف لا نكافئ هذا الحب بحب؟!!!.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد خلقك ورضاء نفسك و زنة عرشك ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرنا الغافلون.
* من كرم النبي صلى الله عليه و سلم:
عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين، فأتى قومه فقال:
" أي قوم، أسلِموا، فإنَّ محمداً يُعطي عطاء ما يخاف الفاقة، فإنه كان الرجل لَيجيء إلى رسول الله ما يريد إلا الدنيا، فما يُمسي حتى يكون دينه أحَبُّ إليه و أعَزُّ عليه من الدنيا و ما فيها ".

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أجود الناس صدراَ، أي أن جوده كان عن طيب قلب وانشراح صدر لا عن تكلف وتصنع .
وورد في رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام كان أوسع الناس صدراَ وهو كناية عن عدم الملل من الناس على اختلاف طباعهم وتباين أمزجتهم.
جامع صفاته صلى الله عليه وسلم:
عن إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال:
كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: ...." أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهةً هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه، يقول ناعِتِه لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم "، أخرجه الترمذي وابن سعد والبغوي في شرح السنة والبيهقي في شعب الأيمان.
عراقة أصله:
هو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلِنَسَبِهِ من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته. وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول: {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِنَ بآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ}.
ويؤيد ذلك ما جاء على لسان أبي جهل عدو الله وعدو رسوله إذ قال للنبي - صلى الله عليه وسلم-:
" قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا نكذبك ولكنّ نكذب الذي جئت به " أخرجه الحاكم في مستدركه هذا صحيح على شرط الشيخين. فأنزل الله - عز وجل-: {قَد نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِنَ بآيَاتِ الله يَجحَدُونَ}، [الأنعام: ٣٣].
ولهذا ورد أنهم عرضوا عليه الجاه والسيادة والملك وجمع الأموال والمغريات الأخرى مقابل ترك هذه الدعوة أو جزءاً منها كحل وسط ولكنهم لم ينجحوا فيها لأنّ موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان ثابتاً.
وعرض هذه الأمور عليه يدل على سمو مكانة النبي -صلى الله عليه وسلم - من جهة النسب عند قومه قريش الذين كانوا يأنفون أن يخضعوا للوضيع مهما كان الأمر وخاصة إذا جاء بأمر يخالف عاداتهم وتقاليدهم مثل ما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الدين الحنيف والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والأوثان وما كان سائداً في مجتمع مكة من عادات وتقاليد جاهلية.
عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره وإجلاله:
عن ابن شُمَاسَةَ المهَرِيِّ قال حضرنا عمرو ابن العاص فذكر لنا حديثاً طويلاً فيه: "وما كان أحدٌ أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيقُ أن أملأ عيني منهُ إجلالاً له، ولو سئلتُ أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن املأ عيني منه ".
وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحدُ منهم إليه

بصره إلا أبو بكر وعمرُ، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويبتسمان إليه ، ويبتسمُ لهما.
ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه و سلم.
وروى أسامة بن شريك قال: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير ".
وفي رواية أخرى: " إذا تكلم أطرق جلساؤه وكأنما على رؤوسهم الطير".
وقال عروة بن مسعود حين وَجَّهَتْهُ قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوئه، وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم، فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدَّونَ إليه النظر تعظيماً له، فلما رجع إلى قريش قال:
"يا معشر قريش ، إني جئتُ كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً".
غض الصوت وقت مخاطبته صلى الله عليه وسلم:
من المعلوم أنَ الرسول صلى الله عليه وسلم هو المصدر الوحيد الذي يتلقى عنه المسلمون تعاليم الله سبحانه وتعالى سواء كان قرآنا أو سنة أو حديثاً قدسياً، لذلك يجب عليهم أن يتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم أثناء كلامه معهم أو كلامهم معه، وذلك بخفض الصوت وترك الجهر العالي كما يكون بين الإنسان وصديقه لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءامنوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ولاَ تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢].
يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذا أدب ثان أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته".
والأدب هنا يحصل بمجانبة أمرين أثنين:
أولاهما: رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم أخذا من النهي الوارد في قوله:
{لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتَ النَّبيِّ ..}.
ثانيهما: الجهر بالقول له صلى الله عليه وسلم كالجهر بعضكم بعضاً أخذا من النهي الوارد في قوله تعالى: {.... ولاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ...}.
وقد فرق المفسرون بين النهيين الواردين في الآية حيث قالوا: إن الأول يتعلق برفع الصوت فوق صوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء كلامه معهم، وأما الثاني فيتعلق بالجهر له صلى الله عليه وسلم وقت صمته.

ومنهم من يقول: إن النهي الأول يتعلق وقت خطابه معهم أو خاطبهم معه أو صمته، وأنّ الثاني يتعلق بندائه صلى الله عليه وسلم باسمه المجرد أو بكنيته ، مثل يا محمد أو يا أبا القاسم.
وقد أجمل النيسابوري رحمه الله تعالى في ما ورد في التفريق بين هذين النهيين قائلاً:
"والجمهور على أن بين النهيين فرقاً ثم اختلفوا فقيل:
الأول: فيما إذا نطق ونطقتم أو أنصت ونطقوا في أثناء كلامه فنهوا أن يكون جهرهم باهر الجهر.
والثاني: فيما إذا سكت ونطقوا ونهوا عن جهر مقيد بما اعتادوه بما بينهم وهو الخالي عن مراعاة أبهة النبوة. وقيل: النهي الأول أعم مما إذا نطق ونطقوا أو أنصت ونطقوا والمراد بالنهي الثاني أن لا ينادى وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضكم لبعض فلا يقال : يا أحمد يا محمد يا أبا القاسم، ولكن يا نبي الله يا رسول الله.
والأدب الثاني هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب وتوقيرهم له في قلوبهم توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، ويميز شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، ويمييز مجلسه فيهم، والله يدعوهم إلى ذلك النداء الحبيب ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب.
والتحذير الرهيب هو إحباط العمل الصالح بدون شعور صاحبه أخذاً من قوله تعالى: {... أَنْ تَحْبَطَ أَعْمِالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ}.
وأحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ما ذكره ابن المنير- رحمه الله حيث يقول:
" والقاعدة المختارة أنّ إيذاءه - عليه الصلاة والسلام -يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق، فورد النهي عما هو مظنّة لأذى النبي- صلى الله عليه وسلم - سواء وجد هذا المعنى أو لا، حمايةً للذريعة وحسماً للمادة.
وهذا على غرار قوله تعالى في قضية الإفك: {... وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ}.
وقوله صلى الله عليه وسلم" إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم"، صحيح البخاري.
وقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده كما ورد في الآثار: منها قول أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل "، أورده الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
هكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وذلك التحذير الرهيب، وهكذا تأدبوا في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون وتداركوا أمرهم ولكنّ هذا المنزلق الخافي عليهم كان أخوف عليهم فخافوه واتقوه:

{إنَّ الذينَ يَغُضُّونَ أصواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِيْنَ امتَحَنَ اللهُ قُلوبَهُمْ للِتَّقْوَى لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: ٣].
هكذا كان الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم وأمَا بعد مماته فكذلك يجب على المسلم أن يتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يرفع صوته عند سماع أحاديثه صلى الله عليه وسلم لأن حرمته ميتاً كحرمته حياً سواءً بسواء وأن أحاديثه تقوم مقامه.
يقول ابن العربي رحمه الله تعالى:
" حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى:
{وإذا قُرِئَ القُرْآنُ فاستَمِعُوا لَهُ وأنصِتُوا ...} [الأعراف: ٢٠٤].
وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله الحرمة مثلما القرآن إلا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه، والله أعلم. ويُراعى هذا الأدب ـ وهو عدم رفع الصوت ـ أيضا في مسجده صلى الله عليه وسلم، لما أخرجه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال: " كنتُ قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتِني بهذين فجئته بهما، قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، صحيح البخاري.
كما أن هذا الأدب المستفاد من الآية يكون مع العلماء لأنهم ورثة الأنبياء وكذلك مع الأبوين وغيرهما لمن له فضل على الإنسان المسلم ، فلا شك أنّ هؤلاء الأشخاص يأخذون هذا الحكم وينبغي التأدب معهم وتوقيرهم بالشكل اللائق بهم مع مراعاة الفرق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنَ مقامه أرفع من هؤلاء جميعاً وهو صلى الله عليه وسلم المعنيُّ بالآية أصلاً وهؤلاء تبعاً وليس الفرع كالأصل وإن اشتركا في أمور، والله تعالى يقول: {النَّبيُّ أوْلَى بالمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أنْفُسِهِمْ ...} [الأحزاب: ٦] بل ينبغي أن يحترم العبد النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سيده.
وفي مجال التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم جاء التنبيه في القرآن الكريم على ضرورة عدم مناداته بطريقة جافة ومزعجة بل لا بد من مراعاة مقامه وقدره وبالأخص عندما يكون في بيته مع نسائه وأولاده.
يقول تعالى: {إنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهم لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: ٤] .
عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا محمد أخرج إلينا، فلم يجبه ، فقال: يا محمد إن حمدي زين وانّ ذمي شين"، فقال الله تعالى: {إنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ}.
وقد تضمنت الآية أمرين :
أولهما: عدم إزعاج الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت خلوته في بيته مع نسائه بالنداء غير اللائق به.

وثانيهما: الإرشاد إلى ما ينبغي أن يفعل في هذه الحالة وهو الانتظار إلى أن يحين وقت خروجه.
وفي ذلك قال الله عز وجل: {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} أي: لكان في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والآخرة.
وهذا لا يعني أنه لا يجوز مناداته صلى الله عليه وسلم بتاتاً ، وإنما المحظور مناداته في وقت خلوته مع نسائه في بيته كما في هذه الحالة، وكذلك مناداته بصوت مرتفع خالٍ من الاحترام والتقدير بل ينبغي أن ينادى بصوت منخفض وبصيغة معينة تتناسب مع قدره وعظمته ووقاره مثل: يا رسول الله، يا نبي الله ، لا مجرد اسمه مثل: يا محمد، ويا أحمد، ويا أبا القاسم . كما ينادي الناس بعضهم بعضاً.
وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:
{لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ...} [النور: ٦٣].
ومما تدل عليه هذه الآية أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخر إذا دعاهم.
يجب على المسلم أن يدع هذه النداءات السوقية في لفظها وكيفيتها مثل: يا محمد، ويا أحمد، أو كنيته مثل: يا أبا القاسم كما كانوا يفعلونه من قبل، وأن يناديه صلى الله عليه وسلم نداءً يتناسب مع مقامه ومكانته مثل: يا رسول الله ويا نبي الله ، اقتداءً بما في القرآن من نداء الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم بحيث لم يناد رسوله في القرآن بمجرد اسمه ولو مرة واحدة وإنما ناداه بصفة النبوة والرسالة وغيرها من الصفات الثابتة له في القرآن الكريم.
كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا...} [الأحزاب: ٢٨] و {يا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ قمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً.. } و {يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ }.
مع أنه سبحانه قد قال:
{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ..} [البقرة: ٣٥].
{ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ...} [هود: ٤٦].
{ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ...} [هود: ٧٦].
{ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِي الأَرْضِ ..} [ص: ٢٦].
لزوم محبته صلى الله عليه وسلم :
قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} . [التوبة: ٢٤] .
فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحُجَّة على إلزام محبته، ووجوب فرضها وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرَّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوَعَّدهم بقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}. [التوبة: ٢٤]. ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضَلّ ولم يهده الله سبحانه وتعالى.
وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثَلاثٌ مَّنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهُما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبهُ

إلا لله، وأن يَكرَهَ أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار"، رواه مسلم ونسائي.
وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين"، أخرجه البخاري ومسلم.
حب الرسول صلى الله عليه وسلم من تمام الإيمان:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين "، أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي.
وفي الحديث جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسام المحبة التي تكون بين الناس وهي ثلاثة:
١- محبة إجلال وإعظام كمحبة الولد والده.
٢- محبة إشفاق ورحمة كمحبة الوالد ولده.
٣- محبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس.
أما محبته صلى الله عليه وسلم فهي فوق هذا كله كما يفيد أفعل التفضيل في قوله:" أحب أليه".
وفي حديث عمر: " أنت أحبُّ إليّ يا رسول الله من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي. فقال له عليه الصلاة والسلام: لا تكون مؤمناً حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب، لأنت أحبُ إليَّ من نفسي التي بين جنبي، فقال صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عُمُر تم إيمانك"، أخرجه البخاري.
قال القاضي عياض:
"اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال ، فقال سفيان: "المحبة اتّباع الرسول، كأنه التفت إلى قوله تعالى: {قُل إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبعُونِ يُحْبِبْكُمُ اللهُ ..} [آل عمران: ٣١] وقال بعضهم: محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ، وقال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب، وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب بحُبِّ ما أحبَّ ويكْرهِ ما كَرِهَ، وقال آخر: المحبة ميل القلب إلى موافق له، ثم قال: وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها، وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان ".
ويقول أبو عبد الله المحاسبي:
"والمحبة في ثلاثة أشياء لا يسمى محباً لله عز وجل إلا بها:
١- محبة المؤمنين في الله عز وجل.
٢- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لله عز وجل.
٣- محبة الله عز وجل في إيثار الطاعة على المعصية.
"وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته إمّا لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما يميل كل طبع سليم إليها لموافقتها له ، أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني

باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السِّيَر الجميلة والأفعال الحسنة ، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واحترام النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جُبِلَت النفوس على حب من أحسن إليها".

ثم ذكر بعد ذلك أنّ هذه الأنواع المسببة للمحبة كلها مجتمعة في شخصيته صلى الله عليه وسلم على أتم وجه حيث قال: " فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت أنّه جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة . فقد تميّز بجمال الصورة والظاهرة وكمال الأخلاق والباطن، كما تميز بإحسانه وإنعامه على أمته.

وقد ذكر الله تعالى في أوصافه رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم من النار وأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، ويتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فأي إحسان أجل قدراً وأعظم خطراً من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعمّ منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربّهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمدي فقد استبان لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعاً.. إلى أن قال: فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذّي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب، وإذا كان يحب بالطبع ملكاً لحسن سيرته أو حاكماً لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال كلها على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل".

علامة محبته صلى الله عليه وسلم:

إن من أحب شيئاً آثرَ موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حُبه، وكان مُدعياً، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها: الإقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عُسره ويُسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى:

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، وإيثار ما شرعه، والحض عليه وتقديمه على هوى نفسه وموافقة شهوته.

قال الله تعالى:

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: " قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بنيَّ إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غِشٌ لأحدٍ فافعل "، ثم قال لي: يا بُنَيَّ وذلك من سنتي ، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة ".

فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها.
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم:
الإيثار أي إيثار النبي صلى الله عليه وسلم على النفس كما يدل عليه قوله تعالى:
{وَالَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ وَ الإيمَانَ من قَبلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَان بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].
والآية وإن كانت عامة في إيثار المهاجرين إلا أنه صلى الله عليه وسلم هو رئيس المهاجرين وقائدهم، وهو المحبوب الأول من الخلق أساساً، وأمّا غيره فتَبَعٌ له بحسب قربهم إليه صلى الله عليه وسلم ومتابعتهم إيّاه.
ومن علامات محبته صلى الله عليه و سلم أيضاً : بغض من أبغض الله ورسوله مهما كانت صلته ورتبته لقوله تعالى: {لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليوم الآخر يُوادُّونَ مَّنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءاباءهم أو أبناءهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيْمَان وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ...} [المجادلة: ٢٢].
يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:
قيل في قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا آباءهُمْ}: نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، و{أَوْ أَبْنَاءهُمْ} في الصِدِّيق لابنه عبد الرحمن، {أَوْ عَشِيرَتُهُم}: في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً .."
وهؤلاء قاموا بقتل أقرب أقربائهم في معركة بدر لأن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يقتضي قتل من حادَّ الله ورسوله وبغض من أبغض الله ورسوله.
ومن العلامات كذلك: حب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عكس الصورة السابقة لقوله صلى الله عليه وسلم: " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومنآذى الله يوشك أن يأخذه "، حديث حسن غريب.
ثمرة محبته صلى الله عليه وسلم:
من ثمرة محبته عليه الصلاة و السلام، مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لحديث عائشة رضي الله عنها: " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم،فقال يا رسول الله: إنّك لأحبَ إلى من نفسي وإنك لأحب إليَ من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك،وإذا ذكرت موتك عرفت إنَك دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإنّي إذا دخلت خشيت أن لا أراك فأنزل الله تعالى:
{وَمَنْ يُطع الله والرَّسُولَ فأُولَئكَ مع الذين أنْعَمَ اللهُ عَلَيهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} [النساء: ٦٩]، مجمع الزوائد وقال الهيثمي: ورواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران الغامدي وهو ثقة.
عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة، ولا صوم، ولا

صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: "أنت مع من أحببت"، أخرجه البخاري ومسلم.
فهل من ثواب أرجى من أن يُحشَر المرء مع من أحب خاصة إذا كان المحبوب هو المصطفى صلى الله عليه و سلم!.
قال شهاب الدين الخفاجي رحمه الله تعالى:
وحق المصطفى لي فيه حب   إذا مرض الرجاء يكون طباً
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى   إذا كان الفتى مع من أحبا
صور من حب السلف للرسول صلى الله عليه وسلم:
هناك صور متعددة من حب السلف للرسول صلى الله عليه وسلم نذكر طرفاً منها في هذا المقام وخاصة ما روي في حب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين للرسول صلى الله عليه وسلم:
من ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " لمّا فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لي ألفين وخمسمائة قلت له: يا أبَتِ لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمسمائة، والله ما شهد أسامة مشهداً غبت عنه ولا شهد أبوه مشهداً غاب عنه أبي، فقال: صدقت يا بني، ولكني أشهد، لأبوه كان أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ولهو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك "، رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
ومنها ما روي أنّه لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب: "أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك لضرب عنقه وإنّك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإنّي جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ".
ومنها ما روي أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها فأخبروها بذلك فقالت: " ما فعل الله برسول الله؟ قالوا: بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظره، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل ".
وقال صلى الله عليه وسلم: " أشدّ أمتي لي حباً قوم يكونون من بعدي ، يود أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآني"، أخرجه أحمد بسند حسن.

٤٦.مع المصطفى.. حسن معاملة الأجير

د/ خالد سعد النجار

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل، فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم؛ فكيف أنا منهم؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا كان يوم القيامة؛ يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم؛ كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنبهم، كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم؛ اقتص لهم منك الفضل"، فتنحى الرجل

وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تقرأ قول الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (١) فقال الرجل: يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم؛ أشهدك أنهم كلهم أحرار. (٢)
شاء الله عز وجل أن تتباين أدوار البشر وتتنوع مسؤولياتهم وتتعدد اهتماماتهم حتى تتكامل حركة الحياة وتعمر الأرض، واقتضت مشيئته وحكمته سبحانه أن يجعل بعض عباده أغنياء وبعضهم فقراء، وسخّر كلاً من الطائفتين للأخرى، هذه تنمي المال وتنفق منه على تلك، وتلك تقوم بالعمل مقابل ذلك الإنفاق . والإسلام يوجه الأغنياء المخدومين إلى التواضع وعدم التكبر على الخادمين، ويجعل لهؤلاء حقوقًا على أولئك يجب عليهم أن يؤدوها بدون مماطلة ولا نقص، فالمخدوم ينبغي أن يتواضع مع خادمه ولا يترفع عليه لأنه قد يكون أعظم درجة منه عند الله، وليس الفضل بكثرة الأموال ولا بعظم الأجسام، ولا بغير ذلك من متاع الدنيا وزينتها ومظاهرها وإنما الفضل بالتقوى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في معاملة الخادم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا"(٣) والرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة لأمته، وهي إذا لم تستطع أن تصل إلى درجة الكمال التي بلغها صلى الله عليه وسلم فلتسدد ولتقارب.
وقال صلى الله عليه وسلم: (من لايمكم من خدمكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ، ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله) (٤) وقال صلى الله عليه وسلم (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم) (٥) وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه" (٦) وبلغ من رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يطيق أحدًا أن يقول: كان عبدي وأمتي وأنه أمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك، وأن يقولوا فتاي وفتاتي (٧)
وعن المعمور بن سويد قال: "رأيت أبا ذر الغفاري وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال: سابيت رجلا فشكاني إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (أعيرته بأمه؟! ثم قال: إخوانكم خولكم جعلهم اللّه تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) (٨) وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي ، فسمعت من خلفي صوتًا (اعلم، أبا مسعود! لله أقدر عليك منك عليه) فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! هو حر لوجه الله، فقال (أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار) (٩) وعن معاوية بن سويد قال: لطمت مولى لنا فهربت ثم جئت قبيل الظهر، فصليت خلف أبي فدعاه ودعاني ثم قال: امتثل منه ثم قال: كنا بني مقرن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا إلا خادم واحدة فلطمها أحدها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم

فقال: "اعتقوها" قالوا: ليس لهم خادم غيرها قال: "فليستخدموها فإذا استغنوا عنها فيخلوا سبيلها" (١٠)
وللخادم على سيده حقوق نذكر منها (١١):
ـ أن يعامله معاملة حسنة ويحلم عليه إذا بدر منه خطأ، قال تعالى {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} آل عمران ١٣٤
ـ أن يتواضع معه ولا يتكبر عليه فإن التواضع مع الخادم يؤنسه ويشعر معه بالطمأنينة وعدم الحرج من العسر والفقر، والتكبر عليه يوحشه ويشعر بسببه أنه محتقر لا قيمة له فيضطرب ويعيش كئيبا حزينا، وقد ذم الله الكبر والمتكبرين وأعدّ لهم عقابا أليما كما مدح التواضع والمتواضعين ووعدهم الجزاء الحسن قال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الشعراء ٢١٥ وقال تعالى في وصف المؤمنين {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} المائدة ٥٤، وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" (١٢) وعن أنس رضي الله عنه قال: "إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت" (١٣)
ـ قد يقوم الخادم بالخدمة في مقابل طعامه وشرابه وكسوته، وقد يقوم بها بأجر معلوم من النقود أو غيرها، وفي كلتا الحالتين يجب على المخدوم أن يؤدي إلى الخادم ما يستحق، ولا يجوز له أن يظلمه بنقص أجرته أو مماطلته فيها فإن فعل شيئا من ذلك فقد ظلمهن، والله تعالى ذم في كتابه الظلم والظالمين كما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منه قال تعالى: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} الحج ٧١ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة" فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: "وإن كان قضيبًا من أراك"(١٤) وقد حذر الله المستأجر تحذيرًا شديدًا من عدم إعطاء الأجير أجره، قال البخاري رحمه الله: "باب إثم من منع أجر الأجير" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره" (١٥) وقال صلى الله عليه وسلم (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) (١٦) أي ينشف لأن أجره عمالة جسده وقد عجل منفعته فإذا عجلها استحق التعجيل، ومن شأن الباعة إذا سلموا قبضوا الثمن عند التسليم فهو أحق وأولى. إذ كان ثمن مهجته لا ثمن سلعته فيحرم مطله والتسويف به مع القدرة، فالأمر بإعطائه قبل جفاف عرقه إنما هو كناية عن وجوب المبادرة عقب فراغ العمل إذا طلب وإن لم يعرق أو عرق وجف (١٧).
ـ ومن أهم ما ينبغي أن يعتني به السيد للخادم تعليمه ما يجب عليه وما يحرم من أمور دينه، وحثه على التحلي بالأخلاق الفاضلة فإن في ذلك مصلحة عظيمة للسيد والخادم والمجتمع، كما ينبغي أن يحذره من الأخلاق الرذيلة واقتراف الأمور المحرمة ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر لأنه أصبح مسئولا عنه كمسئوليته عن بقية أهل بيته.

الهوامش

---

(١) الأنبياء ٤٧.
(٢) الحديث رواه الترمذي ــ كتاب التفسير رقم ٣١٦٥ وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم ٢٥٣١ والمشكاة رقم ٥٤٩٤ والفظ له.
(٣) رواه مسلم رقم ٢٣٠٩
(٤) رواه أحمد وأبو داود عن أبي ذر (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٦٠٢ في صحيح الجامع.
(٥) رواه أبو داود عن جابر (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٢٦٧ في صحيح الجامع.
(٦) البخاري رقم ٥٤٦٠
(٧) البخاري رقم ٢٥٥٢
(٨) البخاري رقم ٢٥٤٥
(٩) مسلم ١٦٥٩
(١٠)مسلم رقم ١٦٥٨
(١١) المسئولية في الإسلام الشيخ عبد الله قادري بتصرف.
(١٢)مسلم رقم ٢٨٦٥
(١٣) رواه البخاري تعليقا انظر رياض الصالحين بتحقيق الألباني رقم ٦١٠.
(١٤) صحيح مسلم من حديث أبي أمامة الحارثي رقم ١٣٧.
(١٥) البخاري رقم ٢٢٧٠.
(١٦) رواه ابن ماجة عن ابن عمر وصححه الألباني في الإرواء رقم ١٤٩٨.
(١٧) فيض القدير ـ المناوي ١/٢٥٤.

E-MAIL: alnaggar٦٦@hotmail.com

٤٧.من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ محمد شعبان أبو قرن

أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بفضائل جمّة، وصفات عدة، فأحسن خلْقه وأتم خُلُقه، حتى وصفه تعالى بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم: ٤)، ومنحه جل وعلا فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، تميز بها صلى الله عليه وسلم عن غيره، فضلاً عن مكانة النبوة التي هي أشرف المراتب.

ونتناول في الأسطر التالية شيئًا يسيرًا من فضائله صلى الله عليه وسلم..

فمنها:

* أنه خليل الرحمن: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، إن صاحبكم خليل الله" رواه مسلم. وهذه الفضيلة لم تثبت لأحد غير نبينا وإبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

* ومن فضائله أنه شهيد وبشير: فعن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يومًا، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال:

"إني فرط لكم -أي سابقكم-، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها" متفق عليه.
* ومن فضائله أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم: قال تعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} (الأحزاب: ٦).
قال الشوكاني في تفسيره "فتح القدير": "فإذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لشيء ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم".
* ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد بني آدم: فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، وقال: أنا سيد القوم يوم القيامة" متفق عليه.
* وهو صلى الله عليه وسلم أمان لأمته: حيث جاء في الحديث الصحيح: "النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" رواه مسلم.
* ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه أول من تنشق عنه الأرض: وأول من يشفع؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع" رواه مسلم.
وهو صاحب المقام المحمود؛ ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا -أي جالسين على ركبهم-، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود" رواه البخاري.
تلك هي بعض فضائل نبينا الكريم ورسولنا العظيم، الذي اختاره الله ليكون خاتم الرسل المكرمين ورحمة للخلق أجمعين، نسأل الله أن يجمعنا به، ويدخلنا مُدخله، وألا يحرمنا شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
اللهم آمين.

٤٨.علماء الدين يؤكدون عظمة الرسول حتى لو لم يكن نبيًا

أ. ولاء الشمول
حدث جلل كهذا، كان يجب أن يكون للشريعة رأي فيه، لنقتدي بما ترى، فليس منا من يرضى الإساءة التي حصلت من الصحيفة الدنمركية ورد الفعل اللا مبالي حيال الاحتجاجات الكثيرة التي تقدم بها المسلمون من جميع أرجاء العالم..
لها أون لاين التقت بأساتذة وعلماء تبادلت معهم الأسف والاستياء لما حصل من تعدي كبير على الإسلام والمسلمين، ومن انتهاك لدينهم وعقيدتهم.. والذين أعربوا مشكورين عن آرائهم في هذه القضية الشائكة.
تفاهات ضد شخصية عظيمة

يقول الدكتور أحمد يوسف "أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة": في البداية الرسول صلى الله عليه وسلم أرفع وأعلى شأناً من هذه التفاهات.
وهو شخصية عظيمة حتى على المستوى الإنساني، لدرجة يعترف بها كل منصف، حتى لو كان مجرد شخص عادي وليس نبياً، فكل من قرأ سيرته بشيء من الموضوعية والإنصاف، يقر بعظمته حتى لو كان هذا الشخص غير مسلم.
وكون بعض الجهلاء أصحاب الأغراض السيئة يعيبونه فهذا لا يضيره في شيء، وهناك في الغرب ينشئون أولادهم على أفكار مشوشة ومشوهة عن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وينسبون له صفات لا يصح أن تنسب له بمقتضى المنهج العلمي الذي يتشدقون به.
ولكن هذه الأفكار المغلوطة مترسخة في أذهان الناس، ودورنا يتمثل في تجلية صورة الإسلام باستخدام اللغات المختلفة، وأن ننور العالم مستخدمين لغتهم، وهناك العديد من المراكز الإسلامية التي تستطيع أن تفعل هذا في الغرب.
كما علينا أن نستخدم الإعلام لتوضيح الجوانب الإنسانية من حياة الرسول صلي الله عليه وسلم، وتعريفهم بهذا الإنسان العظيم، لأن على كل إنسان تعظيمه واحترامه وتبجيله.
واجب وفرض
وبشكل أكثر تفصيلا يقول الدكتور محمد نبيل غنايم "أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة" لموقع لها أون لاين: إن احترام جميع الأنبياء والرسل واجب إلهي وفرض ديني، ومن يخرج على هذا الالتزام والواجب يعتبر كافراً.
فقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا).
ونحن معاشر المسلمين نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ونحترمهم كما نحترم رسول الله صلي الله عليه وسلم عملاً بقوله تعالي: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).
لذا فإننا لا نقبل من أحد كائن من كان أن يعتدي على الإسلام أو على شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم سواء بالكلمة أو بالرسم أو بالصورة أو بأي وسيلة أخرى، لأن الرضا بذلك يعتبر مشاركة في هذا الاعتداء الذي بين الله تعالى أنه كفر.
وكذلك فإن جميع المسلمين قد قابلوا ما أشيع، وما أعلن عن قيام البعض في بعض البلاد من تشويه صورة الرسول صلي الله عليه وسلم ببعض الرسوم أو العبارات قاموا بشجب هذا واستنكاره.
كما عقدت مجالس متعددة على المستوى الرسمي والشعبي، لإنكار ذلك، ومن أهم هذه المجالس جلسة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والتي قامت بشجب واستنكار هذه الأعمال غير المسئولة، وأبلغتها إلى سفارات البلاد التي صدر منها هذا الفعل المشين، وقام سفراء هذه البلاد بتقديم الاعتذار الرسمي عما حدث، وهذا أقل ما يمكن

توقعه، ولكننا نريد تقديم هؤلاء المسيئين سواء إلى الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، أو إلى أي رسول من رسله تعالى إلى المحاكمة، وأن يردع بكل ما يمنعه من تكرار ذلك، ويكون عبرة لغيره في ذلك.

شذوذ وتطرف وجحود

ويؤكد الدكتور محمد نبيل غنايم بقوله:"وليكن معلوماً أن العدوان على الأنبياء والمرسلين لا يمت إلى حرية التعبير بصلة، بل إنه يعتبر شذوذاً وتطرفاً في التعبير والتفكير، ويكفي أن الله تعالى اعتبر فاعل هذا كافراً.

ويتساءل الدكتور محمد في استنكار:" ثم ماذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من المرسلين حتى يعتدى عليه هذا الشخص أو ذاك في هذا البلد أو غيره؟ وهم الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم ليكونوا مشاعل هداية وإصلاح للناس، فهل يكون جزاؤهم هذا الجحود والكفران؟

أم يكون الجزاء هو الشكر والتقدير؟

٤٩.محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى

عداد: محمود إسماعيل

كثير من المستشرقين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومع كونهم لم يرتدوا عباءة الإسلام إلا أنهم أحبوه لا لشيء إلا لأن أنصبته قد فاضت بكمٍّ من الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري يفوق الوصف، فانطلقت ألسنتهم بكلمات حق سطرها التاريخ في كتبهم وتراثهم.

وهذه بعض المقتطفات من كتاب "محمد نبي الإسلام" الذي ألفه ك. س. رامكرشنة، أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور في الهند..

والكاظمين الغيظ:

كان العرب يتقاتلون لأربعين سنة بسبب حدث بسيط؛ كاقتحام جمل يملكه ضيف إحدى القبائل داخل مراعي القبيلة الأخرى، وتقاتل كلا الجانبين حتى إن سبعين ألف نفس قد حصدت؛ وهو ما هدد بفناء القبيلتين. لمثل هؤلاء العرب الشرسين جاء نبي الإسلام ليعلمهم ضبط النفس والاتزان إلى حد إقامة الصلاة في ساحة القتال.

الحرب دفاعًا عن النفس:

بعد أن أخفقت تمامًا الجهود المتكررة الرامية إلى المصالحة، وطرأت ظروف اضطرت محمدًا إلى ساحة القتال اضطرارًا دفاعًا عن النفس، بدل نبي الإسلام فن (إستراتيجية) القتال بالكامل. إن إجمالي الخسائر في الأنفس في جميع الحروب التي وقعت خلال حياته حين دانت له الجزيرة العربية كلها لا يتعدى بضع مئات.

التمدن والإنسانية في ساحة القتال:

إن ساحة القتال نفسها صارت مجالًا للتحضر الإنساني، وصدرت توجيهات صارمة بعدم الفساد أو الإتلاف، وعدم الغش، وعدم نقض المواثيق، وعدم انتهاك الحرمات، وعدم التمثيل بالقتلى، وعدم قتل الولدان ولا النساء ولا الشيوخ، وعدم قطع النخل أو حرقه، وعدم قطع شجرة مثمرة، وعدم التعرض للرهبان والأشخاص المشغولين بالعبادة.

إن معاملة محمد الشخصية لألد أعدائه هي المثال الأسمى لأتباعه؛ فقد كان في أوج قوته عند فتح مكة، تلك القرية التي عذبته هو وأتباعه وأخرجته هو وقومه إلى المغترب، واضطهدته وقاطعته بقسوة، حتى حينما لجأ إلى مكان يبعد عنها أكثر من مائتي ميل، هذه القرية كانت خاضعة له تمامًا في ذلك الحين، وقد كان يحق له - حسب قوانين الحرب- أن يثأر منها للأعمال الوحشية التي أنزلتها به وبقومه، ولكن أي معاملة تلك التي قابلهم بها؟ لقد فاض قلب محمد بفطرة الحب والرحمة حين صرح قائلا: "لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء".

العفو عن ألد الأعداء:

لقد كان أحد الأهداف الرئيسية التي أجاز بسببها الحرب دفاعًا عن النفس هو توحيد البشر، وحينما تحقق هذا الهدف عفا عن ألد أعدائه حتى أولئك الذين قتلوا عمه الحبيب حمزة وانتهكوا حرمة جسده ومثلوا به فشقوه ولاكوا جزءًا من كبده.

النظرية تمتزج بالتطبيق:

إن مبدأ الأخوة العالمية وعقيدة وتعاليم المساواة بين البشر التي أعلنها ونادى بها تمثل مساهمة عظيمة جدًا من محمد للارتقاء الاجتماعي للإنسانية. إن جميع الأديان الكبرى دعت أيضًا إلى نفس العقيدة والتعاليم، ولكن نبي الإسلام وضع هذه النظرية في التطبيق الواقعي.

وسوف يُعترف بقيمة هذه العقيدة بعد فترة، ربما حين يستيقظ الضمير العالمي فتختفي التحيزات والتحاملات والأحكام العنصرية المسبقة، ويخرج مفهوم أقوى لأخوة البشر إلى الوجود.

الفلاح والمَلِك متساويان أمام الله:

تقول الشاعرة الهندية "ساروجيني نايدو" عن هذا المظهر من مظاهر الإسلام: "لقد كان الإسلام أول دين يبشر بالديمقراطية ويمارسها؛ فيجتمع المصلون سويا في المساجد حين يرفع الأذان لتتجسد ديمقراطية الإسلام خمس مرات في اليوم عندما يركع ويسجد الفلاح والملك جنبا إلى جنب معلنين أن "الله أكبر".

وتمضي شاعرة الهند العظيمة قائلة: "وقد أدهشتني مرة أخرى هذه الوحدة الإسلامية التي لا انفصام لها، التي تجعل المرء أخًا بالفطرة؛ فأنت حين تقابل مصريًا وجزائريًا وهنديًا وتركيًا في لندن فلا فرق، إلا أن مصر هي بلدة أحدهم والهند بلدة الآخر".

الحج شهادة حية:

يرى العالم كل عام في موسم الحج المشهد الرائع لهذا الاستعراض العالمي للإسلام وهو يسوي جميع الفروقات في الجنس واللون والمكانة، ولا يجتمع الأوربيون والأفارقة والفرس والهنود والصينيون سويا في مكة كأفراد أسرة ربانية واحدة فحسب، ولكنهم يرتدون زيا موحدًا أيضًا (إزار)؛ فيرتدي كل رجل منهم قطعتين ساذجتين من القماش الأبيض غير المخيط إحداهما حول سوءته والأخرى فوق كتفيه (رداء) وهو حاسر الرأس في غير خيلاء ولا تكلف مرددًا: "لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك". وبذلك لا يبقى ما يفرق بين الرفيع والوضيع. ويحمل كل حاج معه إلى بلده انطباعا بالمدلول العالمي للإسلام والإنسانية الحقة التي لن تصل إلى ما وصل إليه الإسلام.

الإسلام منارة لعالم ضل السبيل:
إن نبي الإسلام قد جاء بحكم الديمقراطية في أحسن أشكالها. إن الخليفة عمر، والخليفة علي زوج ابنة النبي، والخلفاء المنصور والعباس بن الخليفة المأمون، وخلفاء وملوك آخرون كثيرون كان عليهم أن يمثلوا أمام القضاة كرجال عاديين في المحاكم الإسلامية، ونحن نعلم كيف يُعامَل السود بواسطة الأجناس البيضاء المتحضرة حتى يومنا هذا.
ولنأخذ كمثال منزلة بلال العبد الحبشي في أيام نبي الإسلام زهاء أربعة عشر قرنا خلت، إن العمل كمؤذن لصلاة المسلمين كان يعتبر عملاً يدعو للاحترام في أيام الإسلام المبكرة. وقد أعطي هذا العمل لهذا العبد الحبشي وأمره النبي بعد فتح مكة أن ينادي للصلاة فوقف هذا العبد الحبشي ذو البشرة السوداء والشفتين الغليظتين على سطح الكعبة المشرفة؛ أكثر الأماكن عراقة وقداسة في العالم الإسلامي. هنالك صرخ أحد العرب المستكبرين بصوت عال متألمًا: " الويل لهذا العبد الحبشي الأسود؛ إنه يقف فوق سطح الكعبة المشرفة لينادي للصلاة". وقد ألقى نبي الإسلام خطبة كانت كأنها الرد على هذه الثورة التي تفوح منها رائحة الكبرياء والهوى اللذين عزم نبي الإسلام على استئصالهما، قال فيها ما معناه: "الحمد لله الذي أذهب عنا نخوة الجاهلية وتفاخرها بالأنساب. أيها الناس، اعلموا أن الناس فريقين: الأبرار المتقين الفائزين عند الله، والفجار القاسية قلوبهم السفلة الذين تزدريهم عين الله، وإلا فإن الناس كلهم لآدم وخلق الله آدم من تراب".
التحول فوق العادي:
إن نبي الإسلام أحدث تحولاً هو من العظم بحيث أن أكرم العرب وأخلصهم نسبًا عرضوا بناتهم للزواج من هذا العبد الحبشي. وكلما رأى خليفة الإسلام الثاني - المعروف في التاريخ بأمير المؤمنين عمر العظيم - هذا العبد الحبشي وقف له احترامًا ورحب به معلنا: "ها هو قد جاء سيدنا، ها هو قد جاء مولانا". فيا له من تحول هائل أحدثه القرآن والنبي محمد في العرب؛ أكثر الناس تفاخرا بالأنساب على الأرض في ذلك الحين. وهذا هو السبب الذي دعا جوته -أعظم الشعراء الألمان- يعلن وهو يتكلم عن القرآن الكريم أن "هذا الكتاب سيستمر في ممارسة تأثير قوي جدا عبر جميع العصور".
وهو السبب أيضا الذي دعا جورج برنارد شو لقول: "لو قدر لأي دين أن يسود إنجلترا، لا بل أوربا في غضون المائة عام المقبلة، فالإسلام هو هذا الدين".
. . . .
*أجزاء محددة من كتاب (Mohammed the Prophet of Islam). وترجمته: "محمد نبي الإسلام" من تأليف ك.س. رامكرشنة راو أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور في الهند. وقد ترجمه الأستاذ محمد مختار عن الطبعة الإنجليزية الصادرة عن المركز العالمي للدعوة الإسلامية بدربان في جمهورية جنوب إفريقية الذي كان يرأسه الداعية الإسلامي المجاهد أحمد ديدات رحمه الله

٥٠.التميز الإداري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم[١]

إسلام عبد الله
الإدارة
هي فن قيادة الآخرين، فالإنسان يتشكل من مجموعة من العواطف والمشاعر، لذا فهو بحاجة إلى مرونة كاملة في التعامل معه، لذا فالواجب على الإدارة أن تكون مرنة، وعلى المدير الناجح أن يلاحظ ذلك جيداً..
ولنا في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة في كل نواحي الحياة على وجه الخصوص في قيادة الآخرين على الأسس السليمة التي رسخها الإسلام، وفي الرفق والتعاون حيث يقول الله -عز وجل- في كتابه الكريم: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).
ولقد رسخ الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- أسس ومبادئ الإدارة وفن قيادة الآخرين من خلال مواقفه مع أصحابه، فكل موقف كان يرسخ مبدأً جديداً في كيفية إنجاز الأعمال بنجاح وتميز دون إهدار حقوق الغير، ودون التقليل من المهام الموكولة للآخرين، بل يصبح تقسيم العمل والتعاون والاستماع للآخرين من الصفات التي ينبغي أن نتحلى بها في تعاملنا نحن في أعمالنا.
وقد كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- أكبر الأثر في توجيه صحابته وتحفيزهم على العمل بكفاءة ،وبذلك فنجده صلى الله عليه وسلم قد وضع هذه الأسس قبل أن نكتب فيها بأربعة عشر قرناً فمن أولى هذه المبادئ:
مهارة تحفيز وتشجيع فريق العمل
يصف الواقدي تحركات الرسول - صلى الله عليه وسلم- بجيشه نحو حُنين حيث ينقل قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "ألا فارس يحرسنا الليلة؟" إذ أقبل أنيس بن أبي مرثد الغنوي على فرسه فقال: أنا ذا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "انطلق حتى تقف على جبل كذا وكذا فلا تنزلن إلا مصلياً أو قاضي حاجة ، ولا تغرن من خلفك".
قال: فبتنا حتى أضاء الفجر وحضرنا الصلاة فخرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: " أأحسستم فارسكم الليلة؟".
قلنا لا والله، فأقيمت الصلاة فصلى بنا ، فلما سلّم رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينظر خلال الشجر، فقال: "أبشروا جاء فارسكم " وعندئذ جاء (أي الفارس) وقال:
يا رسول الله إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصلياً أو قاضي حاجة حتى أصبحت ، فلم أحس أحداً قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "انطلق فانزل عن فرسك وأقبل علينا، فقال: ما عليه أن يعمل بعد هذا عملاً".
كان من منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأداء أنه كان دائما ما يعمد إلى التخيير وبث روح المنافسة بين فريق عمله.. "ألا فارس يحرسنا الليلة ؟".
كما أنه استقبل حديث "أنيس " وهو يتحدث عن دوره وإجادته في تنفيذه بنفس طيبة " قال : يا رسول الله إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصليًا أو قاضي حاجة حتى أصبحت فلم أحس أحداً ".

فلم يتهمه النبي -صلى الله عليه وسلم - وهو يعرض موقفه بنقص في إخلاصه لا سيما وأنه يدلي بهذا الحديث أمام جمع من صحابته -رضوان الله عليهم - ، ثم يبادر النبي بتشجيعه وتحفيزه: "ما عليه أن يعمل بعد هذا عملا".

وفي هذا الثناء والتشجيع والإشادة بالموقف.. ما يدعو كل مشرف أو مدير إلى استنفاذ طاقة فريقه وتفانيهم في العمل ، كما أن الرسول أتقن فن التحفيز والتشجيع من خلال الأوصاف المتميزة على صحابته، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق – رضي الله عنهما- كما ذكر محمد أحمد عبد الجواد في كتابه "أسرار التميز الإداري والمهاري في حياة الرسول".

مهارة بناء العلاقات مع الآخرين.. والتعامل مع الناس

إذا كانت الإدارة الناجحة في حقيقتها.. هي فن إدارة الآخرين لتحقيق هدف معين؛ فإن مناط نجاحها هو التعامل الأمثل مع هؤلاء البشر الذين يراد بهم تحقيق هذا الهدف..

ومن ثم تصبح من المسلمات لكل من يتولى مهمة الإدارة أو يتصدى لقيادة الآخرين أن يجيد هذا الفن، حيث إنه سيواجه أصنافاً من البشر تختلف عن بعضها في الأمزجة والميول والمشارب والاتجاهات، وإذا تأملنا هذه الصفة في سيد الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- وجدناها جلية واضحة..

يقول الإمام البخاري - رحمه الله -:

".. فدخل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على خديجة -رضي الله عنها - فقال زملوني.. زملوني " فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي "، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً.. "إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.. ".

لننظر في هذه الصفات ولنتأمل فيما قالته السيدة خديجة -رضي الله عنها- عن رسول الله، ولكي ندرك أكثر هذه المهارة ونتعامل بها؛ فإن هنا بعض المنطلقات التي ينبغي الإيمان بها حتى تكون حركتنا في هذا المجال راشدة ومهدفة:

* في بناء العلاقات لابد من معاملة كل فرد على أنه مهم - وهو بالفعل كذلك- فلا يوجد إنسان بلا قيمة، وأنت لا تعرف من ستحتاج إليه غداً، كما أن العالم صغير حقيقة لا مجازاً، وستدهش عندما تكتشف أن كثيرين ممن تعرفهم سيتقلدون مناصب مهمة لم تكن تتوقعها.

* في مجال التعامل مع الآخرين ينبغي أن ننتبه إلى أن أنهم ليسوا نمطاً واحداً، وفي نفس الوقت مطلوب منا أن نتعامل معهم جميعاً، ومن ثم كان علينا أن نعرف الجهد في تنمية مهارات التعامل معهم بأنماطهم المختلفة، وليس الحكم عليهم وتقييمهم؛ لأننا لن نعدم أن نجد بعض نقاط التميز حتى في الشخصيات التي نختلف معها.

وفي حديث السيدة خديجة جعلت من صفات الرسول شخصية مجمعة:

فهو يحمل الكلّ، ويكسب المعدوم، وفي هاتين الصفتين إشارة إلى ما ينبغي أن يتمتع به من يدير الآخرين تجاههم من عاطفة جياشة تجعله يسعى إلى خدمتهم والسهر على راحتهم والمسارعة في بذل الخير لهم، وهو صلى الله عليه وسلم يقري الضيف؛ لذا لابد للمدير الناجح أن يكون دائما كريمًا وجواداً يحسن استقبال ضيفه.

مهارة التفويض الفعال.. وتوزيع المسؤوليات

إن الأكتاف القوية لا تنمو إلا بالتدريب، والمساعدون الأكفاء لا يولدون من فراغ، والمؤسسات القوية هي التي تحسن إدارة عملية تفويض المسؤوليات والاختصاصات، ولا تعتمد على مستوى إداري واحد تحسن إعداده فحسب؛ وإنما تبني كل منطلقاتها وحركتها على إدارة عملية التفويض، حتى لا يمر في أية مرحلة من مراحله بمنعطفات أو مشكلات تنبع من عدم وجود المستوى المؤهل لتناول القيادة من سابقه، كما أن نجاح المدير أو المشرف يكمن في إدراكه لهذا الأمر في مؤسسته أو إدارته.

ولقد أدرك الرسول -صلى الله عليه وسلم- أهمية هذا الأمر، ومن ثم: أوجد النبي لكل طاقة ما يناسبها من عمل، ووزع المسؤوليات، وفرض المهام ومنح أجزاء متساوية من المسؤولية والسلطة لأصحابه رضي الله عنهم؛ ففي عهده صلى الله عليه وسلم تولى علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان كتابة الوحي، كما كان يقوم بذلك أيضاً أثناء غيابهما "أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يقومان بكتابة أموال الصدقات، وكان حذيفة بن اليمان يعد تقديرات الدخل من النخيل، وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان الميزانيات والمعاملات بين الناس.

وفي هذا إشارة إلى أصحاب المسؤوليات في تفويض المهام، وأن يعهد ببعض مهامه إلى أحد معاونيه، ويعطيه سلطة اتخاذ القرارات اللازمة للنهوض بهذه المهمة على وجه مُرضٍ.

ومما لاشك فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أدى هذه الأدوار؛ فإنه سيكون أسرع وأفضل، ولكن على المدى القصير، وسيتحمل أكثر من طاقته، ويغرق في كثير من التفاصيل الروتينية وتصبح المسؤولية عبئاً ثقيلاً.

ومن ثم أدرك الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن قدرته على تحقيق النتائج ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأداء أصحابه.

وقد ظهر تفويض السلطة في عهد الخلفاء الراشدين حينما كان سيدنا عمر بن الخطاب يطلق الحرية لعماله في الشؤون الوظيفية، ويقيدهم في المسائل العامة، أي يفوضهم بعضاً من السلطات ويراقب عملهم في حدود ذلك التفويض، وكان يختبر موظفيه بين الحين والآخر ليتأكد من كفاءاتهم وقدرتهم.

ويبدو ذلك جليًا في موقفه مع (كعب بن سور) حينما كان جالسًا عند عمر فجاءته امرأة تشكو زوجها فقال " لكعب: اقض بينهما فلما قضي قضاءه قال لكعب: "اذهب قاضيًا على البصرة".

وهنا لا ينبغي للمشرف أن ينظر إلى التفويض على أنه تهرب من المسؤولية؛ لأنه المسؤول في النهاية عن نتائج إدارته، ومن ثم فهو يفوض طريقة العمل ولا يفوض المسؤولية.

كما أن التفويض ليس تخلصاً من المهام غير الممتعة، بأن يعهد بها المدير إلى أحد مرؤوسيه؛ إنما ينبغي أن ننظر إلى التفويض على أنه إيجاد البدائل القادرة على القيام

بالصورة المثلى في المستقبل مستصحبة في أدائها الفعال ما سبق لها من تجربة ناضجة في أدائه.

٥١.التميز الإداري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم[٢]

إسلام عبد الله

نحن نعقد الاجتماعات لكي يعبر كل فرد فيها عن وجهة نظره في القضايا المطروحة، وحتى يتاح للمجتمعين هذا الأمر لابد من التركيز على الجوانب الإنسانية في الاجتماعات، وعدم الوقوف عند الجوانب الشكلية في الاجتماع، ومن ثم كان جواز المرور لأي مدير فعال في إدارة اجتماعاته هو أن يدع كل فرد يعبر عما يؤرقه، وأن يجمع الآخرين حوله، ولا ينحاز لأحد داخل الاجتماع؛ بل يسعى جاهداً في أن يجعل مجموعته صفًا واحداً.

والمتأمل في مواقف النبي -صلى الله عليه وسلم- في إدارته لاجتماعاته يلمح هذا الأمر جلياً؛ فقد كان الرسول في اجتماعاته ومجالسه "لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها (أي اختصاص كل واحد بمجلس معين في المسجد أو غيره) وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه (وقف معه قائمًا) في حاجة صابَره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول ".

أما عن سيرته في جلسائه: فقد " كان الرسول دائم البِشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ (سيئ الخلق)، ولا غليظ، ولا سخاب (صياح)، ولا فحاش ولا عياب، ولا مزّاح .. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه ..".

فقد ترك نفسه من ثلاث: المراء (الجدل)، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه.

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فإذا تكلم سكتوا، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده (أي لا يتكلمون سوياً)، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ.

مهارة المتابعة وتقويم الأداء

إن وجود هدف مخطط له في أية مؤسسة أو في أي عمل من أعمال الفريق لا يعني أن الهدف قد تحقق.

ومن ثم كان على المدير أو المشرف أن يقوم بمجموعة من الأساليب والإجراءات لكي يتأكد من أن ما تم إنجازه مطابق لما يجب أن يكون، ومحققا له، ولك أن تتخيل ماذا يحدث لو تركنا كل شئ يجري دون أن نتأكد من أن ما يتحقق أو ما تحقق مطابق للأهداف.

فالمدير الناجح أو المشرف الناجح مثل قائد السفينة، لا يمكن ولا يصح أن يترك عملية الرقابة حتى يكتشف أنه ضاع أو تاه؛ بل يجب عليه أن يتأكد أن سفينته في طريقها للهدف المحدد لها بالكفاءة المحددة مقدماً.

وقد تواترت المواقف النبوية التي تشير إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قد أولى المتابعة أهمية خاصة، وصحح من خلالها كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها الصحابة -رضوان الله عليهم-، وتعددت مناهج هذه المتابعة؛ فتارة نجدها قبل العمل، وتارة أثناء العمل، وتارة أخرى بعد انتهاء العمل .

في قصة "كعب بن مالك" وتخلفه عن غزوة تبوك قدوة ومثل؛ فقد جاء كعب بن مالك فلما سلم عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال له: تعال قال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه؛ فقال لي: " ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟" فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت إني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله عني، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك؛ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك" فقمت .

كان من نهج النبي- صلى الله عليه وسلم- في تعامله مع صحابته المتابعة وتقويم الأداء، فهو يسأل " كعب بن مالك " عن سبب تخلفه في الغزوة "ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟" فما كان رسول -الله صلى الله عليه وسلم- يترك كل فرد يتصرف من تلقاء نفسه، وإنما كان يتابع ويُسائل وإن كانت هناك فكان يحاسب.

ومن ثم كان على المدير أن يتابع وأن يقوّم أداء فريقه؛ لأنه إذا تُركت الأمور بغير متابعة فسوف تختلط الأمور، ويضيع جهد العاملين..، غير أن هذه المتابعة لا ينبغي أن تكون في كل دقائق أمورهم؛ فإن ذلك يبعث على النفور، ويشعرهم بأنهم في حصار مستمر، ومن ثم يضطرون لإخفاء الحقائق أو التورية، فيها ويفقده ذلك ثقته بنفسه.

فلا ينبغي للمشرف أن يجعل فريقه يصل إلى هذه الحال حرصاً على سلامة قلوبهم وصدق حديثهم وتحرر أفئدتهم ووجدانهم، وقد عزل النبي "العلاء بن الحضرمي" عمله في البحرين؛ لأن وفد عبد القيس شكاه وولى إبان بن سعيد، وقال له: "استوص بعبد القيس خيراً، وأكرم سراتهم ".

وكان صلى الله عليه وسلم يستوفي الحساب على العمال، ويحاسبهم على المستخرج والمصروف، وقد استعمل صلى الله عليه وسلم مرة رجلاً على الصدقات، فلما رجع حاسبه.

وعن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله استعمل رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم، فلما جاء بالمال حاسبه فقال الرجل هذا لكم وهذا هدية أُهدي إليّ؛ فقال النبي: "فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ! " ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدي إلي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ؟ والذي نفس محمد بيده لا نستعمل رجلاً على العمل بما ولانا الله فيغفل منه شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه ".

فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحاسب عماله، ويناقشهم من أين لهم ما يملكون؟ ومن أي طريق وصل إليهم؟
كما سار على هذا النهج عمر - رضي الله عنه -، أخرج البيقهي وابن عساكر عن طاووس أن عمر -رضي الله عنه- قال: أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمر بالعدل أقضيت ما عليّ ؟ قالوا: نعم ! قال لا حتى أنظر في عمله أعمِل بما أمرته أم لا؟ ..فهذه كانت بعض من تعاليم المدرسة النبوية في فن قيادة الآخرين.

٥٢.الشدة والعناء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

هشام عبد الله
للشدة أثر لا يخفى في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد نال في حياته من التعب قدراً عظيماً، وللثقل على نفسه موقع من سيرته - صلى الله عليه وسلم - إذ لاقى في حياته ما لاقى .
وما ألفته تلكم الشدة وذاك النصب إلا بعد مبعثه لا قبل، بعد أن بلغ من العمر أشده وبلغ أربعين سنة، إذ كانت شدة في الله - عز وجل - ودعوته.
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعالج شدة من نزول الوحي ويجد لذلك ثقلاً، تقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا) فكان إذا أنزل عليه الوحي كَرُب لذلك وتربد وجهه، ولما جاءه الملك في غار حراء قال - صلى الله عليه وسلم -: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ..) فرجع - صلى الله عليه وسلم - يرجف فؤاده.
وقبل مبعثه - صلى الله عليه وسلم - كان أعظمهم أمانة في قومه وأرضاهم فيهم وأصدقهم حديثًا ما جربوا عليه كذبًا قط، فلما بلغ رسالة ربه اتهموه بالكذب، وأنه ساحر أو مجنون.
وامتد به الأذى حتى ألقي سلا الجذور على ظهره وهو ساجد بين يدي الله في البيت الحرام، ونالت قريش منه ما نالت إذ طلع عليهم يوما فوثبوا وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا – لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم – فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: نعم أنا الذي أقول ذلك، ورجل منهم أخذ بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله!
وحُوصِر - صلى الله عليه وسلم - في شعب أبي طالب مع بني هاشم وبني المطلب حتى سُمع صوت صبيانهم ونسائهم يتضاغون جوعاً وطعامهم الأوراق والجلود، ويعرض نفسه - صلى الله عليه وسلم - على القبائل ويخرج إلى الطائف يطلب النصرة فيقول له من يقول هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك!ويخاطبه آخر: أما وجد الله أحداً غيرك؟! ثم يجتمع عليه العبيد والصبيان يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه.. سبحان الله يقدر الله - عز وجل - ذلك لخير رسول من أنبيائه.. ليعلم به صدق نبيه في بلاغ رسالته وهو جل وعلا به أعلم، أمن أجل إبلاغنا الهدى يُصاب - صلى الله عليه وسلم - بذلك؟
فما تردد - صلى الله عليه وسلم - في تبليغ دعوة رب العالمين وما كُتب عليه فيها من الشدة، بل كان الأسوة الحسنة لأمته فكان - صلى الله عليه وسلم - يقوم من الليل حتى

تفطرت قدماه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم هو يوعك كما يوعك الرجلان من أمته، قالت عائشة - رضي الله عنها -: (ما رأيت أحدا أشد عليه الوجع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) وتصيبه الحمى في آخر حياته فيمسح وجهه بالماء ويقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات).
ولما دنا منه الرحيل - صلى الله عليه وسلم -، يسائل أمته في حجة الوداع: (وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟)، أبعد كل ذلك يا رسول الله تسألهم؟ أما يكفيك ما لاقيت حتى تسألهم بما هم قائلون عنك؟
أما يكفيك يا رسول الله تكالب الكفار من قريش عليك يوم أُحُد وأنت تنافح عن دعوة ربك؟ وقد شُجَّ وجهُك، وكُسِرت رباعيتك، وكُلِمَت شفتك السفلي، ووَقعتَ لشِقك؟ أما يكفيك وقد ضُربتَ على عاتقك بالسيف ضربة عنيفة كنت تشكو لأجلها أكثر من شهر، وقد دخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وَجْنَتِك وقد سال الدم من وجهك الشريف؟
أتسألهم يا رسول الله وقد كنت لهم الأسوة الحسنة وقد كنت تتهجد من الليل بآية من القرآن، وقد كان لصدرك أزيز كأزيز المرجل من البكاء من خشية الله؟
أتسألهم وأنت تربط حجرين على بطنك من الجوع، وقد كنت لا تجد من الدقل ما يملأ بطنك، وما شبعتَ وأهلُك من خبزِ شعير يومين متتابعين وتبيت الليالي طاوياً لا تجد عشاءً؟
أتسألهم وأنت تنام على حصير وقد أثر في جنبك وتقول: (ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قَالَ في ظلِّ شجرة ثم راح وتركها) تقول ذلك وقد أُعْطِيْتَ مفاتيح خزائن الأرض، وتنام على وسادة من أدم حشوها لِيْف؟
أتسألهم يا رسول الله وقد فُعل بك ما فُعل لا لشيء إلا لتبلغ الرسالة وتؤدي الأمانة؟
بعد كل ذلك يسألهم - صلى الله عليه وسلم -: (وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصابعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: (اللهم اشهد) ثلاث مرات.
فما فعلت أمته من بعده؟ وقد رأى في حياته من الشدة ما رأى من أجل هدايتها، كيف به إذا جاء شهيداً عليها وقد جيء من كل أمة بشهيد (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا) كيف بأمة يشهد عليها خير البشر وقد جاهد في إبلاغها رسالة ربه، ثم هي تعرض عنه وتوله ظهرها؟
أيرى سنته وقد بُدلت، ومنهجه وقد نُحيّ، وشريعته وقد أُقصيت؟
أيرى أقواماً من أمته وقد بدلوا وغيروا من بعده وما برحوا يرجعون على أعقابهم؟
أيرى من أمته من تخلى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدعي له حباً ونسباً، ويزعم له فيه قدوة وأسوة؟
كيف يشهد على أقوام يعصون الله ورسوله ثم لا يعتذرون منها ولكن يعذرون لها.
أيرى من نساء أمته وقد بدا منهن ما بدا واستبدال هدية بهدى من لا خلاف له.
أيرى من أمته من يأكلون الربا، ومن يتسامرون على المعازف، ومن يتفكهون بأعراض الناس ..
عجبا لأمة هذا نبيها، ويكون هذا حالها.

٥٣.إنسانيّة محمد صلى الله عليه وسلم

حامد بن عبد العزيز الحامد

محمدٌ صفوةُ الباري ورحمتُه وبغيةُ اللهِ من خلقٍ ومن نسمِ
جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيمٍ غيرِ منصرمِ
شريعةٌ لك فجّرْتَ العقولَ بها عن زاخرٍ بصنوفِ العلمِ ملتطمِ

هكذا قال أحمد شوقي عن خير البرية صلى الله عليه وسلم.

ومهما أكثرت من الثناء على هذا الإنسان فإنما تكثر من الثناء على الإنسانية التي لم تعرف مخلوقا تَمَثّلها كما تمثلها محمد صلى الله عليه وسلم.

وكفاه دليلاً على إنسانيته معجزته الخالدة، وهي القرآن، الذي (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:٤٢).

ومن أي جانب أردتَ أن تتحدث عن الإنسانية فسيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي القِدْحُ المعلّى.

إن الإنسانية ليست فلسفة وضعية يصطلح عليها مجموعة أناس يخالفهم فيها غيرهم، ولكنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي مجموعة قيم أخلاقية قد اتفق بنو آدم على استحسانها.

وأي مصلح يتكلم عن الإصلاح فإنما يتحدث عن هذه القيم الإنسانية.

ومهما بلغ هذا المصلح أو ذاك من العظمة فإنه إن استطاع تثبيت بعض القيم الإنسانية فإنه سيغفل عن جوانب أخرى تعجز نفسه عن إدراكها، بل حتى في الجوانب الإنسانية التي يريد تثبيتها، ويسخّر حياته من أجلها قد لا يعطيها حقها اللائق بها، ولا يزنها بميزان عدل، وإنما قد يتطرف بها ذات اليمين أو ذات الشمال.

وأما المصلح العظيم صلى الله عليه وسلم فهو أجل وأعظم من أن يبخس الإنسانية جانباً من جوانبها، وأعظم من ذلك فإنه قد أعطى كل جانب إنساني قدره من غير وكس ولا شطط.

ولكن هذا القسطاس المستقيم للقيم الإنسانية لن يرضي الظالمين؛ لأنه سيحدّ من جشعهم وشهواتهم؛ فتنطلق ألسنتهم وأيديهم لتعلن تمردها على مبدأ العدالة، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة:٣٣).

ولو كان هذا التمرد الأخلاقي على عظيم من عظماء البشر لأمكن تحمّله؛ لأن أي عظيم
لا يستطيع أن يدّعي المثالية، بل لا بد أن يعترف بالتقصير في جانب من جوانبه الإنسانية، ولكنه يعتذر عن هذا بما عنده من حسنات تستر هذا النقص الذي هو فيه.

وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو كامل في مثاليته؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، قد أدّبه ربه فأحسن تأديبه، فاستحق الثناء من رب العالمين:
(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤).

والعجب أن يكون هذا التمرد على الإنسانية باسم الإنسانية؛ تبديلاً للحقائق، وتشكيكاً في المسلمات، ونتيجة لهذا التمرد تتحول القيم الإنسانية إلى نزغات بهيميّة تقوم على مبدأ الظلم والبغي والطغيان.

إن الحديث عن الجوانب الإنسانية كلها قد لا يتيسر، ولكن المتيسر هو أن نعرض بعض جوانبها على ضوء الشريعة المحمدية، حتى تستضيء البشرية بهذه الإشراقة الإنسانية.

ولعلنا نستغني عن كثير من المقدمات المنطقية حينما نعلم أن الذنب الذي جناه محمد صلى الله عليه وسلم -في نظر أعدائه- هو اعترافه بالمبادئ الإنسانية.

فاستخدام القوة -مثلاً- أمام القوى المقاتلة ليس مبدأ محمدياً ابتدًاء، وإنما هو مبدأ إنساني، وحيث إن الإنسانية ممثلة بمحمد صلى الله عليه وسلم أصبح استخدام القوة مبدأ محمدياً.

والإسلام -الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم - لم يقابل بقواته أمماً تقابله بالورود والرياحين، وإنما يقابل جيوشاً مدججة بالسلاح، فما معنى امتلاك تلك الأمم للسلاح؟!

بل إن الإسلام منع من استخدام القوة أمام من لا يملك القوة، كالأطفال، والنساء، والرهبان، ونحوهم، وهذا لأن الأصل في الإسلام هو السلام، وأما استخدام القوة فعارض ينتهي بانتهاء سببه.

ثم إن استخدام القوة في الإسلام لا يكون إلا أمام الجيوش المحاربة، وأما الأفراد فليس من دين الإسلام مقابلتهم بالسلاح، وإنما يُقابَلون بالهدى والصلاح.

ولعلك تعجب حينما ترى أن الإسلام قد وهب للأفراد حرية الاختيار -على عكس معتقدات الأمم الأخرى- ومع ذلك ترى الشعوب على اختلافها تتسابق إلى الدخول في دين الله أفواجاً، على عكس معتقدات الأمم الأخرى التي عجزت عن إدخال شعوبها في معتقداتها بالحديد والنار.

وأعظم من هذا حينما تجد الشعوب المختلفة تتسابق في تقديم أبنائها الأعلام لخدمة الإسلام، وهذا لإيمانها بأنها تعيش في ظل الإسلام على قاعدة: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى)، وتردّد صباح مساء قول ربها سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:١٣).

ولغتها:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ   إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

وإذا كانت هذه سياسة الإسلام أمام القوى الخارجية فإن الشريعة الإسلامية لم تهمل شؤونها الداخلية، ولأن المظاهر الإجرامية جزء من المجتمعات الإنسانية فقد وقف لها الإسلام بالمرصاد؛ ليدرأ شرها عن البلاد والعباد، فأعطى كل جريمة ما يناسبها من العقوبات التي ربما قد تصل إلى القتل، وهذه العقوبات تقرّ بها جميع الأمم، ولكنها تختلف في تحديد أنواع الجرائم التي تستحق تلك العقوبات.

وإذا كنا نريد برهاناً على صحة العقوبات الإسلامية وملاءمتها للحياة الإنسانية، فلسنا بحاجة إلى مقدمات منطقية، ولا نظريات فلسفية، وإنما يكفينا أن نلتفت إلى مجتمعات العالم أجمع؛ لنسألها:
أي المجتمعات نجحت في الحد من انتشار الجريمة؟!
ولنترك الجواب للأرقام.
ومن إنسانية الإسلام مراعاته لاختلاف القدرات العقلية لبني الإنسان، فيهب للعقول مساحة واسعة لتلعب دورها في بناء الحضارة الإسلامية، بل حتى في المسائل الشرعية يسمح بوجهات نظر مختلفة؛ اعترافاً بالطبيعة الإنسانية، وتيسيرًا للأمة الإسلامية، (ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه).
ولكنه مع هذا لم يتجاهل التفريق بين المصالح العامة والمصالح الفردية؛ فيختار للرعاية نخبة من أولي الدّراية؛ ويَكِلُ إليهم النظر في مصالح الولاية.
وأما المصالح الفردية فقد شرع لكل فرد أن ينظر في أموره الخاصة على حسب ما تقتضيه مصلحته.
تلك هي الحرية التي يتكلم عنها الإسلام، وليست سفسطات وفلسفات تُسوَّد بها الصفحات، وتمتلئ بها المجلات، وليست شعارات ولافتات تتشدق بها المرئيات والإذاعات، حتى إذا ما أتيت إلى الواقع لم تجدها شيئاً، وإنما تجد واقعاً لا يحرر الإنسان من الطغيان والعصيان، وإنما يحرره من مبادئه الحسان.
وهو إن طالب بالحرية فإنما يطالب بحريته الشخصية، وتسخير الإنسان لمصالحه الذاتية، بل وشهواته البهيمية.
ولعلك لا تجد أحداً من بني الإنسان يطالب بحرية مطلقة، وإنما يقيدها كل أناس على حسب ما تشتهيه أهواؤهم، وتمليه عليهم خيالاتهم، وأفضل حرية عرفها الإسلام هي تلك التي قامت على مبدأ العدل بين الناس أجمعين، على قاعدة: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:١٠٧]. هذه بعض الجوانب الإنسانية التي يتمثلها الإسلام على قائده أفضل الصلاة والسلام.
وهي جوانب تشهد على صحة هذا الدين السماوي، وأن محمداً رسول من رب العالمين.
ومن الحيف والظلم أن يصدق شخص بالدلائل الإنسانية على صحة الرسالة المحمدية، ثم يتهجم على أمر جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، مما قد يكون متوقفاً على الوحي الذي يأتي من رب العالمين، الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وهو أعلم بمصلحته.
فتعدد الزوجات -مثلاً- لا يستطيع العقل تحديد الأصلح فيه، فيقف عندئذ أمام الوحي السماوي موقف جاهل مسترشداً يريد الوصول إلى ما ينفعه.
وكون النبي صلى الله عليه وسلم يختص ببعض الخصائص، -كتزوجه بأكثر من أربع نسوة- لا يزعزع ثقتنا به صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قد جاءنا ببراهين ودلائل على صدقه ونصحه تجعلنا نقطع بأنه ما من خير إلا وقد دلّنا عليه، وما من شر إلا وقد حذّرنا منه، وأنه لا يأتي منه صلى الله عليه وسلم إلا ما فيه خير وصلاح.

والمريض الذي يتناول الدواء بناء على وصفة طبية إنما يتناوله بناء على ثقته بالطبيب، وأما هو فقد يكون جاهلاً بفاعلية هذا الدواء لدائه.
وسيرته صلى الله عليه وسلم كلها يشهد بعضها لبعض على أنه مصلح عظيم، وإمام قد أرسله الله رحمة للعالمين، عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم.

٥٤.أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم
ما تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من الدنيا، وإنما تمنى ما له علاقة بمنازل الآخرة، بل برفيع المنازل، وعالي الدرجات.
فقال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل. رواه البخاري ومسلم.
هذه كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإذا كانت النفوس كبارًا*** تعبت في مرادها الأجسامُ
أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشجع الشجعان حتى إنه ليحتمي به صناديد الأبطال عند اشتداد النِّزال.
قال البراء رضي الله عنه: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منـّا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم. رواه مسلم.
وقال عليّ رضي الله عنه: كنا إذا احمرّ البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه. رواه الإمام أحمد وغيره.
من هنا كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم عالية، كانت منزلة رفيعة، ألا وهي الشهادة في سبيل الله.
وليست مرة بل مرّات
تأمل:
" والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل "
وفي رواية للبخاري:
"والذي نفسي بيده وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا".
وما ذلك إلا لكرامة الشهيد والشهادة على الله.
ولذا لما قُتِل من قُتِل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ولقوا ربهم تبارك وتعالى، فسألهم: ماذا يُريدون ما اختاروا غير العودة للدنيا من أجل أن يُقتلوا في سبيل الله مرة ثانية.
لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت : بلى. قال : ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحا، فقال : يا عبدي تمنّ عليّ أعطك. قال : يا رب تحييني

فأقتل فيك ثانية ! قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال : يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ). رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.
وقال عليه الصلاة والسلام: لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ). رواه الإمام أحمد وأبو داود.
فأي كرامة يُكرم الله عز وجل بها الشهيد الذي قُتِل في سيل الله لإعلاء كلمة الله؟
قال عليه الصلاة والسلام:
" للشهيد عند الله عز وجل سبع خصال:
يُغفر له في أول دفعة من دمه.
ويرى مقعده من الجنة.
ويُحلى حلة الإيمان.
ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.
ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر.
ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها.
ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه". رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو في صحيح الجامع.
فأي كرامة فوق هذه الكرامة؟
وأي فضل فوق هذا الفضل سوى رؤية وجه الرب سبحانه وتعالى؟
ولما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة". رواه النسائي.
تلك كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عليه الصلاة والسلام لا يتمنى إلا ما كان يُقرّبه إلى الله عز وجل.
فهل نتمنى ما تمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أما إنها لو كانت أمنية صادقة لكفى.
قال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق". رواه مسلم.
وقال عليه الصلاة والسلام: "من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه". رواه مسلم.
وأختم بوصية الصدِّيق رضي الله عنه: احرص على الموت توهب لك الحياة.
وإن تعجب فاعجب لمن قال تلك الكلمة؟
لقد قالها أبو بكر رضي الله عنه لسيف الله المسلول رضي الله عنه.

وبقول الخنساء :
نهين النفوس وهَوْن النفوس **** يوم الكريهة أوقى لها
وما أروع قول الحصين المرّي:
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياة مثل أن أتقدما

٥٥.متن "الدرة المضية" في السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
قال الشيخ الإمام الحبر الحافظ أبو محمد، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه:
الحمد لله خالق الأرض والسماء، وجاعل النور والظلماء، وجامع الخلق لفصل القضاء، لفوز المحسنين وشقوة أهل الشقاء، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة يسعد بها قائلها يوم الجزاء، وصلى الله على سيد المرسلين والأنبياء، محمد، وآله، وصحبه النجباء.
أما بعد:
فهذه جملة مختصرة من أحوال سيدنا ونبينا، المصطفى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لا يستغني عنها أحد من المسلمين، نفعنا الله بها، ومن قرأها، وسمعها.
نسبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
فنبدأ بنسبه:
فهو أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن المقوم ابن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح – وهو آزر – بن ناحور بن ساروع بن راعو بن فالخ ابن عيبر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ – وهو إدريس النبي فيما يزعمون، وهو أول بني آدم أعطي النبوة، وخط بالقلم ـ ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام.
هذا النسب ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني في إحدى الروايات عنه. وإلى عدنان متفق على صحته من غير اختلاف فيه، وما بعده مختلف فيه.
وقريش: ابن فهر بن مالك، وقيل: النضر بن كنانة.
أمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
وأم رسول الله، ـ صلى الله عليه وسلم ـ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب.
ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ
وولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة عام "الفيل" في شهر ربيع الأول لليلتين خلتا منه، يوم الاثنين.
وقال بعضهم: بعد "الفيل" بثلاثين عامًا، وقال بعضهم: بأربعين عامًا. والصحيح أنه ولد عام الفيل.

وفاة والد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأمه، وجده

ومات أبوه عبد الله بن عبد المطلب ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أتى له ثمانية وعشرون شهرًا. وقال بعضهم: (مات أبوه وهو ابن سبعة أشهر). وقال بعضهم (مات أبوه في دار النابغة وهو حمل). وقيل: (مات بالأبواء بين مكة والمدينة).

وقال أبو عبد الله الزبير بن بكار الزبيري: (توفي عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ابن شهرين).

وماتت أمه وهو ابن أربع سنين. ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين. وقيل: (ماتت أمه وهو ابن ست سنين).

رضاعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأرضعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثويبة جارية أبي لهب، وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب، وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، أرضعتهم بلبن ابنها مسروح.

وأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية.

فصل في أسمائه

روى جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إنه أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي حشر الناس، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي) صحيح متفق عليه.

وروى أبو موسى عبد الله بن قيس، قال: سمى لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: (أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة) وفي رواية: (ونبي الملحمة) وهي المقتلة، صحيح، رواه مسلم.

وروى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (أنا أحمد، وأنا محمد، وأنا الحاشر، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، فإذا كان يوم القيامة لواء الحمد معي، وكنت إمام المرسلين، وصاحب شفاعتهم).

وسماه الله – عز وجل – في كتابه العزيز: (بَشِيرًا) و (وَنَذِيرًا) [البقرة: ١١٩]. و (رَءُوفًا) و (رَّحِيمًا) و (رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧] ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فصل

نشأته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة، وخروجه مع عمه أبي طالب إلى الشام، وزواجه بخديجة

ونشأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيما يكفله جده عبد المطلب، وبعده عمه أبو طالب بن عبد المطلب.

وطهره الله – عز وجل – من دنس الجاهلية، ومن كل عيب، ومنحه كل خلق جميل، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوا من أمانته، وصدق حديثه، وطهارته.

"فلما بلغ اثنتي عشرة سنة، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، حتى بلغ بُصرَى فرآه بحيرا الراهب، فعرفه بصفته، فجاء وأخذ بيده وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه رحمة للعالمين. فقيل له: وما علمك بذلك؟ قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجرة، ولا حجر، إلا خر ساجدًا، ولا يسجدون إلا لنبي، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب فرده خوفًا عليه من اليهود".

ثم خرج ثانيًا إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة – ـ رضي الله عنه ـا – في تجارة لها قبل أن يتزوجها، حتى بلغ إلى سوق بصرى، فباع تجارته.

فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوج خديجة عليها السلام(١) .

فلما بلغ أربعين سنة اختصه الله بكرامته، وابتعثه برسالته، أتاه جبريل عليه السلام وهو بغار حراء – جبل بمكة ـ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة، وقيل: عشرصا، والصحيح الأول.

وكان يصلي إلى بيت المقدس مدة إقامته بمكة، ولا يستدبر الكعبة، ويجعلها بين يديه. وصلى إلى بيت المقدس أيضًا بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهرًا، أو ستة عشر شهرًا.

هجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم هاجر إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي، وهو كافر ولم يعرف له إسلام.

وأقام بالمدينة عشر سنين.

وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. وقيل: خمس وستين. وقيل ستين، والأول أصح.

وتوفي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين حين اشتد الضحى لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: لاستهلال شهر ربيع الأول.

ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وكانت مدة علته اثني عشر يومًا، وقيل: أربعة عشر يومًا.

وغسله علي بن أبي طالب، وعمه العباس، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولياه، وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري.

وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من ثياب سحول – بلدة باليمن – ليس فيها قميص ولا عمامة.

وصلى عليه المسلمون أفذاذًا، لم يؤمهم عليه أحد.

وفرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطى بها، ودخل قبره العباس وعلي والفضل وقثم وشقران، وأطبق عليه تسع لبنات.

ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه حول فراشه، وحفر له وألحد في بيته الذي كان بيت عائشة، ثم دفن معه أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

فصل في أولاده

وله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من البنين ثلاثة:

القاسم: وبه كان يكنى، ولد بمكة قبل النبوة، ومات بها وهو ابن سنتين.

وقال قتادة: عاش حتى مشى.

وعبد الله: ويسمى الطيب والطاهر، لأنه ولد في الإسلام. وقيل: إن الطاهر والطيب غيره، والصحيح الأول.
وإبراهيم عليه السلام: ولد بالمدينة، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر. وقيل: كان له ابن يقال له: عبد العزى، وقد طهره الله – عز وجل – من ذلك وأعاذه منه.
البنات:
زينب: تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها، وأمه هالة بنت خويلد، ولدت له عليًا – مات صغيرًا – وأمامة التي حملها النبي، - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة، وبلغت حتى تزوجها علي بعد موت فاطمة.
وفاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له الحسن والحسين، ومحسنا – مات صغيرا – وأم كلثوم، تزوجها عمر بن الخطاب، وزينب، تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
ورقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوجها عثمان بن عفان فماتت عنده، ثم تزوج أم كلثوم فماتت عنده، وولدت رقية ابنا فسماه عبد الله، وبه كان يكنى.
فالبنات أربع بلا خلاف، والصحيح في البنين أنهم ثلاثة، وأول من ولد له القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم في الإسلام عبد الله، ثم إبراهيم بالمدينة. وأولاده كلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر.
فصل في حجه وعمره
روى همام بن يحيى، عن قتادة، قال: قلت لأنس: كم حج النبي، - صلى الله عليه وسلم -، من حجة؟ قال: (حجة واحدة، واعمر أربع عمر: عمرة النبي - صلى الله عليه وسلم - حين صده المشركون عن البيت، والعمرة الثانية حيث صالحوه من العام المقبل، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنيمة حنين في ذي القعدة، وعمرته مع حجته) صحيح متفق عليه.
هذا بعد قدومه المدينة، وأما ما حج بمكة واعتمر فلم يحفظ والذي حج حجة الوداع، ودع الناس فيها، وقال: (عسى ألا تروني بعد عامي هذ).
فصل في غزواته
غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه خمسًا وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، قاله: محمد ابن إسحاق، وأبو معشر، وموسى بن عقبة وغيرهم. وقيل: غزا سبعا وعشرين، والبعوث والسرايا خمسون أو نحوها.
ولم يقاتل إلا في تسع: بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، والمصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف. وقد قيل: إنه قاتل بوادي القرى، وفي الغابة، وبني النضير.
فصل في كتابه ورسله
كتب له - صلى الله عليه وسلم -:
أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وأبي بن كعب، وثابت بن قيس بن شماس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع الأسدي، وزيد بن ثابت،

ومعاوية بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وكان معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك، وأخصهم به.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:
عمرو بن أمية الضمري رسولًا إلى النجاشي واسمه أصحمة، ومعناه عطية، فأخذ كتاب رسول الله، ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، وأسلم وحسن إسلامه، إلا أن إسلامه كان عند حضور جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وصح أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى عليه يوم مات، وروي أنه كان لا يزال يرى النور على قبره.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل، فسأل عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثبت عنده صحة نبوته، فهم بالإسلام، فلم توافقه الروم، وخافهم على ملكه فأمسك.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، فمزق كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (مزق الله ملكه). فمزق الله ملكه، وملك قومه.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، فقال خيرًا، وقارب الأمر، ولم يسلم، فأهدى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، مارية القبطية، و أختها سيرين، فوهبها لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن بن حسان.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن العاص إلى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي، وهما من الأزد، والملك جيفر، فأسلما وصدقا، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سليط بن عمرو بن العامري إلى اليمامة، إلى هوذة بن علي الحنفي، فأكرمه وأنزله، وكتب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا خطيب قومي وشاعرهم، فاجعل لي بعض الأمر، فأبى النبي، ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يسلم، ومات زمن الفتح.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء من أرض الشام، قال شجاع: فانتهيت إليه وهو بغوطة دمشق، فقرأ كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم رمى به، وقال: إني سائر إليه، وعزم على ذلك، فمنعه قيصر.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري أحد مقاولة اليمن.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين، وكت إليه كتابًا يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وصدق.
وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل الأنصاري ـ رضي الله عنه ـما إلى جملة اليمن، داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن وملوكهم طوعا من غير قتال.

فصل في أعمامه وعماته
وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ، من العمومة أحد عشر؛ منهم:
الحارث: وهو أكبر ولد عبد المطلب، وبه كان يكنى، ومن ولده وولد ولده جماعة لهم صحبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وقثم: هلك صغيرًا، وهو أخو الحارث لأمه.
والزبير بن عبد المطلب: وكان من أشراف قريش، وابنه عبد الله بن الزبير، شهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنيئًا، وثبت يومئذ، واستشهد بأجنادين، وروي أنه وجد إلى جنب سبعة قد قتلهم وقتلوه.
وضباعة بنت الزبير، لها صحبة، وأم الحكم بنت الزبير، روت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وحمزة بن عبد المطلب: أسد الله وأسد رسوله، وأخوه من الرضاعة، أسلم قديمًا، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وقتل يوم أحد شهيدًا، ولم يكن له إلا ابنة.
وأبو الفضل العباس بن عبد المطلب: أسلم وحسن إسلامه، وهاجر إلى المدينة، وكان أكبر من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثلاث سنين، وكان له عشرة من الذكور: الفضل، وعبد الله، وقثم لهم صحبة، ومات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان ابن عفان بالمدينة. ولم يسلم من أعمام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا العباس وحمزة.
وأبو طالب بن عبد المطلب: واسمه عبد مناف، وهو أخو عبد الله – أبي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ لأمه وعاتكة صاحبة الرؤيا في بدر وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم.
وله من الولد طالب – مات كافرًا – وعقيل، وجعفر، وعلي، وأم هانئ – لهم صحبة – واسم أم هانئ فاختة، وقيل: هند. وجمانة ذكرت في أولاده أيضًا.
وأبو لهب بن عبد المطلب: واسمه عبد العزى، كناه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن ولده عتبة، ومعتب، ثبتا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حنين، ودرة، لهم صحبة. وعتيبة قتلة الأسد بالزرقاء من أرض الشام على كفره بدعوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
وعبد الكعبة، و حجل واسمه المغيرة، وضرار أخو العباس لأمه، والغيداق، وإنما سمي الغيداق لأنه أجود قريش، وأكثرهم طعامًا.
وعماته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ست:
صفية بنت عبد المطلب: أسلمت وهاجرت، وهي أم الزبيربن العوام، توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب، وهي أخت حمزة لأمه.
وعاتكة بنت عبد المطلب: قيل إنها أسلمت، وهي صاحبة الرؤيا في بدر، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولدت له عبد الله، أسلم وله صحبة، وزهيرًا، وقريبة الكبرى.
وأروى بنت عبد المطلب: كانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي، فولدت له طليب بنعمير، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا، وقتل بأجنادين شهيدًا، ليس له عقب.

وأميمة بنت عبد المطلب كانت عند جحش بن رئاب، ولدت لـه عبد الله المقتول بأحد شهيدًا، وأبا أحمد الأعمى الشاعر واسمه عبد، وزينب زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وحبيبة، وحمنة، كلهم لهم صحبة، وعبيد الله بن جحش أسلم ثم تنصر، ومات بالحشبة كافرًا.
وبرة بنت عبد المطلب: كانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، فولدت له أبا سلمة، واسمه عبد الله، وكان زوج أم سلمة قبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وتزوجها بعد عبد الأسد أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس، فولدت له أبا عبرة بن أبي رهم.
وأم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب، كانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت لـه أروى بنت كريز، وهي أم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.
ذكر أزواجه عليه وعليهن الصلاة والسلام
وأول من تزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب، تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه حتى بعثه الله – عز وجل – فكانت له وزير صدق، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، وهذا أصح الأقوال، وقيل: قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بأربع سنين.
ثم تزوج : سوءدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، بعد خديجة بمكة قبل الهجرة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو، وكبرت عنده، وأراد طلاقها، فوهبت يومها لعائشة، فأمسكها.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وهي بنت ست سنين، وقيل: سبع سنين، والأول أصح، وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة وهي بنت تسع سنين على رأس سبعة أشهر، وقيل: على رأس ثمانية عشر شهرًا.
ومات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، أوصت بذلك، سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة سبع وخمسين، والأول أصح، وصلى عليها أبو هريرة، ولم يتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكرًا غيرها، وكنيتها أم عبد الله، وروى أنها أسقطت من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سقطا، ولم يثبت.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: حفصة بنت عمر بن الخطاب – ـ رضي الله عنه ـما – وكانت قبله عند خنيس بن حذافة، وكان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، توفي بالمدينة، وقد شهرد بدرًا. ويروى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طلقها، فأتاه جبريل – عليه السلام ـ فقال: (إن الله يأمرك أن تراجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة).
وروى عقبة بن عامر الجهني قال: طلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر، فحثا على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا، فنزل جبريل من الغد على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: (إن الله – عز

وجل – يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر. توفيت سنة سبع وعشرين. وقيل: سنة ثمان وعشرين، عام أفريقية).
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أم حبيبة بنت أبي سفيان، واسمها: رملة بنت صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي بأربعمائة دينار، بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن أمية الضمري فيها إلى أرض الحبشة، وولي نكاحها عثمان بن عفان،وقيل: خالد بن سعيد ابن العاص. توفيت سنة أربع وأربعين.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أم سلمة، واسمها، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، توفيت سنة اثنتين وستين، ودفنت بالبقيع بالمدينة، وهي آخر أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفاة، وقيل: إن ميمونة آخرهن.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها، فزوجها الله إياه من السماء، ولم يعقد عليها، وصح أنها كانت تقول لأزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (زوجكن آباؤكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات). توفيت بالمدينة سنة عشرين، ودفنت بالبقيع.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وكانت تسمى "أم المساكين"؛ لكثرة إطعامها المساكين، وكانت تحت عبد الله بن جحش، وقيل: عبد الطفيل بن الحارث، والأول أصح. وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة، ولم تلبث عنده إلا يسيرًا: شهرين أو ثلاثة.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ ابن مالك بن المصطلق الخزاعية، سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت ابن قيس بن شماس، فكاتبها فقضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابتها، وتزوجها في ست من الهجرة، وتوفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: صفية بنت حيي بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب ابن الخزرج النضرية، من ولد هارون بن عمران – أخي موسى بن عمران عليهما السلام – سبيت في خيبر سنة سبع من الهجرة، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأعتق صفية، وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة ثلاثين. وقيل سنة خمسين.
وتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رويبة ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وهي

خالة خالد بن الوليد، وعبدالله بن عباس، تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسرف، وبنى بها فيه، وماتت به، وهو ماء على تسعة أميال من مكة، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، توفيت سنة ثلاث وستين.
فهذه جملة من دخل بهن من النساء، وهن إحدى عشرة وعقد على سبع ولم يدخل بهن.
ذكر خدمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
أنس بن مالك بن النضر الأنصاري.
وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان. وربيعة بن كعب الأسلمي.
وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه،، كان إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم.
وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته، يقودها في الأسفار.
وبلال بن رباح؛ المؤذن. وسعد، مولى أبي بكر الصديق.
وذو مخمر ابن أخي النجاشي، ويقال: ابن أخته. ويقال: ذو مخبر بالباء.
وبكير بن شداخ الليثي، ويقال: بكر. وأبو ذر الغفاري.
ذكر مواليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وابنه أسامة بن زيد، وكان يقال لأسامة ابن زيد: الحب بن الحب.
وثوبان بن بجدد؛ وكان له نسب في اليمن.
وأبو كبشة من مولدي مكة. يقال: اسمه سليم، شهد بدرًا، ويقال: كان من مولدي أرض دوس.
وأنسة مولدي السراة.
وصالح، شقران. ورباح، أسود. ويسار، نوبي.
وأبو رافع، واسمه أسلم. وقيل: إبراهيم، وكان عبدًا للعباس، فوهبه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأعتقه.
وأبو مويهبة، من مولدي مزينة. وفضالة، نزل بالشام.
ورافع كان لسعيد بن العاص فورثه ولده، فأعتقه بعضهم، وتمسك بعضهم، فجاء رافع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستعينه، فوهب له، وكان يقول: أنا مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
ومدعم، أسود، وهبه له رفاعة بن زيد الجذامي، وكان من مولدي حسمي، قتل بوادي القرى.
وكركرة، كان على ثقل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وزيد، جد هلال بن يسار بن زيد، وعبيد.
وطهمان، أو كيسان، أو مهران، أو ذكوان، أو مروان.
ومأبور القبطي، أهداه المقوقس.
وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبو ضميرة، وحنين، وأبو عسيب، واسمه أحمر، وأبو عبيد.

وسفينة كان عبدًا لأم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأعتقته، وشرطت عليه أن يخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حياته، فقال: لو لم تشترطي علي ما فارقت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
هؤلاء المشهورون، وقيل: إنهم أربعون.
ومن الإماء: سلمى أم رافع، وبركة أم أيمن، ورثها من أبيه، وهي أم أسامة بن زيد وميمونة بنت سعدٍ، وخضرة، ورضوى.
ذكر أفراس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
أول فرس ملكه: السكب، اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشر أواق، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس، فسماه السكب، وكان أغر محجلًا طلق اليمين، وهو أول فرس غزا عليه.
وكان له سبحة، وهو الذي سابق عليه، فسبق، ففرح به.
والمرتجز: وهو الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له خزيمة بن ثابت، والأعرابي من بني مرة.
وقال سهل بن سعد الساعدي: كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندي ثلاثة أفراس: لزاز، والظرب، واللحيف. فأما لزاز: فأهداه له المقوقس، وأما اللحيف: فأهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلاب، وأما الظرب: فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي.
وكان له فرس يقال له: الورد، أهداه له تميم الداري، فأعطاه عمر، فحمل عليه، فوجده يباع.
وكانت بغلته الدلدل، يركبها في الأسفار، وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أسنانه، وكان يجش لها الشعير، وماتت بينبع، وحماره عفير مات في حجة الوداع.
وكان له عشرون لقحة بالغابة، يراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن، وكان فيها لقاح غزار: الحناء، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والريا.
وكانت له لقحة تدعي بردة، أهداها له الضحاك بن سفيان، كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان.
وكانت له مهرة أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل. والشقراء.
وكانت له العضباء، ابتاعها أبو بكر من نعم بني الحريش، وأخرى بثمانمائة درهم، فأخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأربعمائة درهم، وهي التي هاجر عليها، وكانت حين قدم المدينة رباعية، وهي القصواء والجدعاء، وقد سبقت، فشق على المسلمين.
وكان له منائح سبع من الغنم: عجرة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وأطلال، وأطراف.
وكان له مائة من الغنم.
سلاحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
وكان له ثلاثة رماح أصابها من سلاح بني قينقاع، وثلاثة قسيك قوس اسمها الروحاء، وقوس شوحط، وقوس صفراء تدعى الصفراء.
وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش، فكره مكنه، فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل.

وكان سيفه ذو الفقار، تنفله يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وكان لمنبه بن الحجاج السهمي.
وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلعي، وسيف يدعى بتارا، وسيف يدعى الحتف.
وكان عنده بعد ذلك المخدم، ورسوب، أصابها من الفلس، وهو صنم لطيء.
قال أنس بن مالك: (كان نعل سيف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضة، وقبيعته فضة، وما بين ذلك حلق فضة).
وأصاب من سلاح بني قينقاع درعين: درع يقال لها: السعدية، ودرع يقال لها: فضة.
وروي عن محمد بن سلمة قال: (رأيت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد درعين: درعه ذات الفضول، ودرعه فضة، ورأيت عليه يوم خيبر درعين: ذات الفضول والسعدية.)
فصل في صفته
روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إذا رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، مقبلا يقول:
أمين مصطفى بالخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام
وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ينشد قول زهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان، حيث يقول:
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المضيء (٢) ليلة البدر.
ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ،ولم يكن كذلك غيره.
وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبيض اللون، مشربًا حمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة، دقيق المسربة، كأن عنقه إبريق فضة، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب، ليس في بطنه، ولا صدره شعر غيره، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذامشى كأنما ينقلع من صخر، إذا التفت التفت جميعًا، كأن عرقه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا الفاجر ولا اللئيم، لم أرب قبله ولا بعده مثله).
وفي لفظ: (بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفا، وأوسع الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ـ صلى الله عليه وسلم).
وقال البراء بن عازب: (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه ـ صلى الله عليه وسلم).
وقالت أم معبد الخزاعية في صفته، ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيمًا، قسيمًا، في عينيه دعج، وفي أشفاره غطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته

كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس، وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصلٌ، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم تحدرت ربعة لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال؛ أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره محفود محشود، لا عابس، ولا مفند).

وعن أنس بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنه وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: (كان ربعة من القوم، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، ليس بجعد، ولا قطط، ولا سبط، رجل الشعر).

وقال هند بن أبي هالة: (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج العينين، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنًا متماسكًا، سواء البطن والصدر، مسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، عريض الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، ويخطو تكفؤا، ويمشي هونًا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام).

فصل

تفسير غريب ألفاظ صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فالوضاءة: الحسن والجمال. والأبلج الجبين: المشرق المضيء، ولم يرد به الحاجب؛ لأنها وصفته بالقرن. والثجلة: بالثاء المثلثة والجيم عظم البطن مع استرخاء أسفله، ويروى بالنون والحاء المهملة، وهو: النحول وضعف التركيب، والإزراء: والاحتقار للشيء والتهاون به. والصعلة: صغر الرأس، ويروي: صقلة – بالقاف – والصقل: منقطع الأضلاع من الخاصرة، أي ليس بأثجل، عظيم البطن ولا بشديد لحوق الجنبين، بل هو كما لا تعيب صفة من صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

والوسيم: المشهور بالحسن، كأنه صار الحسن له علامة. والقسيم: الحسن قسمة الوجه. والدعج: شدة سواد العين. والأشفار: حروف الأجفان التي تلتقي عند التغميض، والشعر نابت عليها، ويقال لهذا الشعر: الأهداب، فأراد به: في شعر

أشفاره. والغطف: بالغين والعين، الطول، وهو بالمعجمة أشهر، ومعناه: أنها مع طولها منعطفة مثنية، وفي رواية: وطف: وهو الطول أيضًا.
والصحل: شبه البحة، وهو غلظ في الصوت، وفي رواية: صهل، وهو قريب منه أيضًا؛ لأن الصهيل صوت الفرس، وهو يصهل بشدة وقوة والسطع: طول العنق.
والكثاثة: كثرة في التفاف واجتماع. والأزج: المتقوس الحاجبين، وقيل: طول الحاجبين ودقتهما، وسبوغهما إلى مؤخر العينين. والأقرن: المتصل أحد الحاجبين بالآخر.
وسما: أي علا برأسه، وفي رواية: سما به: أي بكلامه على من حوله من جلسائه.
والفصل فسرته بقولها: لا نزر ولا هذر: أي ليس كلامه بقليل لا يفهم، ولا بكثير يمل، والهذر: الكثير.
وقولها: لا تقتحمه عين من قصر أي: لا تزدريه لقصره فتجاوزه إلى غيره، بل تهابه وتقبلُهُ. والمحفود: المخدوم. والمحشود: الذي يجتمع الناس حوله.
وأنصر: أحسن. والعابس: الكالح الوجه. والمفند: المنسوب إلى الجهل وقلة العقل، وفخمًا مفخمًا: عظيمًا معظمًا. والمشذب: الطويل، والعقيقة: الشعر. والعرنين: الأنف.
والأقنى: فيه طول ودقة أرنبته وحدب في وسطه. والشمم: ارتفاع القصبة، واستواء أعلاها، وإشراف الأرنبة قليلًا. وضليع الفم: أي واسعه. والشنب في الأسنان: وهو تحديد أطرافها.
والمسربة: الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة. والجيد: العنق، والدمية: الصورة.
والبادن: العظيم البدن. والمتماسك: المستمسك اللحم غير مسترخيه.
وقوله: سواء البطن والصدر. يريد أن بطنه غير مستفيض، فهو مساو لصدره، وصدره عريض، فهو مساو لبطنه. وأنور المتجرد: يعني شديد بياض ما جرد عنه الثوب. ورحب الراحة: واسع الكف. والشثن: الغليظ.
وقوله: خمصان الأخمصين: الأخمص: ما ارتفع عن الأرض من باطن القدم، أراد أن ذلك مرتفع منها، وقد روي بخلاف ذلك. وقوله: مسيح القدمين يريد: ممسوح ظاهر القدمين، فالماء إذا صب عليهما مر مرًا سريعًا لاستوائهما وإملاسهما.
وقوله: يخطو تكفؤا، يريد أنه يمتد في مشيته، ويمشي في رفق غير مختال. والصبب: الانحدار.
فصل في أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشجع الناس. قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم).
وكان أسخى الناس، ما سئل شيئًا قط، فقال: لا.
وكان أحلم الناس.
وكان أشد حياء من العذراء في خدرها، لا يثبت بصره في وجه أحد.
وكان لا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها، إلاأن تنتهك حرمات الله، فيكون لله ينتقم. وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد.
والقريب والبعيد والقوي والضعيف عنده في الحق واحد.

وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه.
وكان لا يأكل متكئًا، ولا يأكل على خوان، ولا يمتنع من مباح، إن وجد تمرًا أكله، وإن وجد خبزًا أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بر أو شعيرًا أكله، وإن وجد لبنًا اكتفى به. أكل البطيخ بالرطب، وكان يحب الحلواء والعسل.
قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: (خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الدنيا، ولم يشبع من خبز الشعير).
(وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار، وكان قوتهم التمر والماء).
ياكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، ويكافئ على الهدية.
لا يتأنق في مأكل ولا ملبس، يأكل ما وجد، ويلبس ما وجد.
وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويعود المرضى.
وكان أشد الناس تواضعًا، يجيب من دعاه من غني، أو فقير، أو دنيء، أو شريف.
وكان يحب المساكين، ويشهد جنائزهم، ويعود مرضاهم، لا يحقر فقيرًا لفقره، ولا يهاب ملكًا لملكه.
وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه عبده، أو غيره، لا يدع أحدًا يمشي خلفه، ويقول: (خلوا ظهري للملائكة).
ويلبس الصوف وينتعل المخصوف، وكان أحب اللباس إليه الحبرة، وهي من برود اليمن، فيها حمرة وبياض.
وخاتمه فضة، فصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن، وربما لبسه في الأيسر.
وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض كلها، فأبى أن يأخذها واختار الآخرة عليها.
وكان يكثر الذكر ويقل اللغو، ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة.
أكثر الناس تبسمًا، وأحسنهم بشرا، مع أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكر.
وكان يحب الطيب، ويكره الريح الكريهة.
يستألف أهل الشرف، ويكرم أهل الفضل، ولا يطوي بشره عن أحد، ولا يجفو عليه.
يرى اللعب المباح فلا ينكره، يمزح ولا يقول إلا حقًا، ويقبل معذرة المعتذر إليه.
له عبيد وإماء، لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس.
لا يمضي له وقت في غير عمل لله، أو فيما لابد له ولأهله منه.
رعى الغنم، وقال: (ما من نبي إلا وقد رعاه).
وسئلت عائشة ـ رضي الله عنه ـا عن خُلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: (كان خُلقه القرآن). يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه.
وصح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت رائحة قط كانت أطيب من رائحة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولقد خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا لشيء فعلته: لم فعلت كذا؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا وكذا؟).

قد جمع الله – تعالى – له كمال الأخلاق، ومحاسن الأفعال، وآتاه الله – تعالى علم الأولين والآخرين (٣)، وما فيه النجاة والفوز، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم له من البشر، نشأ في بلاد الجهل والصحاري، آتاه الله ما لم يؤت أحدًا من العالمين، واختاره على جميع الأولين والآخرين، فصلوات الله عليه دائمة إلى يوم الدين.

فصل في معجزاته

فمن أعظم معجزاته، وأوضح دلالاته، "القرآن العزيز" الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي أعجز الفصحاء، وحير البلغاء، وأعياهم أن يأتوا بعشر سورة مثله، أو بسورة، أو آية، وشهد بإعجازه المشركون، وأيقن بصدقه الجاحدون، والملحدون.

وسأل المشركون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، فانشق حتى صار فرقتين؛ وهو المراد بقوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر: ١].

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن الله تعالى زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها). وصدق الله قوله بأن ملك أمته بلغ أقصى المشرق والمغرب، ولم ينتشر في الجنوب ولا في الشمال.

وكان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر، وقام عليه، حن الجذع حنين العشار، حتى جاء إليه والتزمه، وكان يئن كما يئن الصبي الذي يسكت، ثم سكن.

ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة.

وسبح الحصى في كفه، ثم وضعه في كف أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فسبح.

وكانوا يسمعون تسبيح الطعام عنده وهو يؤكل.

وسلم عليه الحجر والشجر ليالي بعث.

وكلمته الذراع المسمومة، ومات الذي أكل معه من الشاة المسمومة، وعاش هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بعده أربع سنين.

وشهد الذئب بنبوته.

ومر في سفره ببعير يستقي عليه، فلما رآه جرجر، ووضع جرانه فقال: "إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف".

ودخل حائطًا فيه بعير، فلما رآه حنه وذرفت عيناه، فقال لصاحبه: "إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه".

ودخل حائطًا آخر في فحلان من الإبل، وقد عجز صاحبهما عن أخذهما، فلما رآه أحدهما جاءه حتى برك بين يديه، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، فلما رآه الآخر فعل مثل ذلك.

وكان نائمًا في سفر، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له، فقال: "هي شجرة استأذنت ربها أن تسلم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فأذن لها" وأمر شجرتين فاجتمعتا، ثم أمرهما فافترقتا.

وسأله أعرابي أن يريه آية، فأمر شجرة، فقطعت عروقها حتى جاءت فقامت بين يديه، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها.

وأراد أن ينحر ست بدنات، فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ. ومسح ضرع شاة حائل لم ينز عليها الفحل، فحفل الضرع، فحلب فشرب وسقى أبا بكر، ونحو هذه القصة في خيمتي (أم معبد الخزاعية).
وندرت عين قتادة بن النعمان الظفري حتى صارت في يده، فردها، وكانت أحسن عينيه وأحدهما، وقيل: إنها لم تعرف.
وتفل في عيني علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو أرمد، فبرأ من ساعته، ولم يرمد بعد ذلك. ودعاله أيضًا وهو وجع، فبرأ، ولم يشتك ذلك الوجع بعد ذلك.
وأصيبت رجل عبد الله بن عتيك الأنصاري، فمسحها، فبرأت من حينها.
وأخبر أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي يوم أحد، فخدشه خدشًا يسيرًا فمات.
وقال سعد بن معاذ لأخيه أمية بن خلف: (سمعت محمدًا يزعم أنه قاتلك). فقتل يوم بدر كافرًا.
وأخبر يوم "بدر" بمصارع المشركين؛ فقال: "هذا مسرع فلان غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله" فلم يعد واحد منهم مصرعه الذي سماه.
وأخبر أن طوائف من أمته يغزون البحر، وأن أم حرام بنت ملحان منهم، فكان كما قال.
وقال لعثمان: إنه سيصيبه بلوى؛ فقتل عثمان.
وقال للحسن بن علي: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المؤمنين عظيمتين" فكان كذلك.
وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله، وبمن قتله، وهو بصنعاء اليمن. وبمثل ذلك في قتل كسرى.
وأخبر عن الشيماء بنت بقيلة الأزدية أنها رفعت له في خمار أسود على بغلة شهباء، فأخذت في زمن أبي بكر الصديق في جيش خالد بن الوليد بهذه الصفة.
وقال لثابت بن قيس بن شماس: "تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا" فعاش حميدًا، وقتل يوم اليمامة شهيدًا.
وقال لرجل ممن يدعي الإسلام وهو معه في القتال: "إنه من أهل النار" فصدق الله قوله بأنه نحر نفسه.
ودعا لعمر بن الخطاب، فأصبح عمر فأسلم.
ودعا لعلي بن أبي طالب أن يذهب الله عنه الحر والبرد، فكان لا يجد حرًا ولا بردًا.
ودعا لعبد الله بن عباس أن يفقهه الله في الدين، ويعلمه التأويل، فكان يُسمى الحبر والبحر لكثرة علمه.
ودعا لأنس بن مالك بطول العمر، وكثرة المال والولد، وأن يبارك الله له فيه، فولد له مائة وعشرون ذكرًا لصلبه، وكان نخله يحمل في السنة مرتين، وعاش مائة وعشرين سنة أو نحوها.
وكان عتيبة بن أبي لهب قد شق قميصه وآذاه، فدعا عليه أن يسلط الله عليه كلبًا من كلابه، فقتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام.

وشكي إليه قحوط المطر، وهو على المنبر، فدعا الله – عز وجل – وما في السماء قزعة، فثار سحاب أمثال الجبال، فمطروا إلى الجمعة الأخرى حتى شكي إليه كثرة المطر، فدعا الله – عز وجل – فأقلعت، وخرجوا يمشون في الشمس.

وأطعم أهل الخندق – وهم ألف – من صاع شعير أو دونه، وبهيمة، فشبعوا وانصرفوا والطعام أكثر ما كان.

وأطعم أهل الخندق أيضًا من تمر يسير أتت به ابنة بشير بن سعد إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة.

وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من تمر كالفصيل الرابض، فزوج، وبقي كأنه لم ينقص تمرة واحدة.

وأطعم في منزل أبي طلحة ثمانين رجلًا من أقراص شعير جعلها أنس تحت إبطه، حتى شبعوا كلهم.

(وأطعم الجيش من مزودة أبي هريرة حتى شبعوا كلهم) (٤)، ثم رد ما بقي فيه، ودعا له فيه، فأكل منه حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأبي بكر، وعمر، وعثمان - رضي الله عنهم - فلما قتل عثمان وهب، وحمل منه فيما روي عنه خمسون وسقا في سبيل الله عز وجل.

وأطعم في بنائه بزينب من قصعة أهدتها له أم سليم خلقا، ثم رفعت، ولا يدرى الطعام فيها أكثر حين وضعت، أو حين رفعت.

ورمى الجيش يوم حنين بقبضة من تراب، فهزمهم الله عز وجل وقال بعضهم :لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه ترابًا. وفيه أنزل الله عز وجل: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: ١٧].

وخرج على مائة من قريش وهم ينتظرونه، فوضع التراب على رؤوسهم، ومضى ولم يروه.

وتبعه سراقة بن مالك بن جعشم يريد قتله أو أسره، فلما قرب منه دعا عليه، فساخت يد فرسه في الأرض، فناداه بالأمان، وسأله أن يدعو له، فدعا له، فنجاه الله.

وله - صلى الله عليه وسلم - معجزات باهرة، ودلالات ظا٨هرة، وأخلاق طاهرة، اقتصرنا منها على هذا تحقيقًا.

فصل في سيرة العشرة

أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -:

اسمه عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرة بن كعب.

وأمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

عاش ثلاثًا وستين سنة، سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أول الأمة إسلامًا، وخيرهم بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وولي الخلافة سنتين ونصفًا، وقيل: سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليالٍ، وقيل: سنتين، وقيل: عشرين شهرًا.

وله من الولد:

عبد الله: أسلم قديمًا، وله صحبة، وكان يدخل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر وهما في الغار، أصابه سهم يوم الطائف، ومات في خلافة أبيه.
وأسماء ذات النطاقين: وهي زوجة الزبير بن العوام. هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة، وأمها قتيلة بنت عبد العزى، من بني عامر بن لؤي، لم تسلم.
وعائشة الصديقة: زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وأخوها لأمها وأبيها: عبد الرحمن بن أبي بكر: شهد بدرًا مع المشركين، وأسلم بعد ذلك، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع ابن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، أسلمت وهاجرت وتوفيت في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وأبو عتيق محمد بن عبد الرحمن: ولد في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
ولم نعرف في الصحابة أربعة صحبوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بعضهم أولاد بعض سواهم.
ومحمد بن أبي بكر: ولد عام حجة الوداع، وقتل بمصر، وقبره بها. وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية.
وأم كلثوم بنت أبي بكر: ولدت بعد وفاة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وأمها حبيبة، وقيل فاختة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري، تزوجها طلحة ابن عبيد الله.
وله ثلاثة بنين وثلاث بنات، كلهم له صحبة إلا أم كلثوم، ومحمد ولد في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
ومات أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في جمادى الآخرة لثلاث ليال بقين منه سنة ثلاث عشرة.
أبو حفص عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:
ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب.
يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كعب بن لؤي.
وأمه: حنتمة بنت هاشم وقيل: هشام بن المغيرة، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلم بمكة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وأولاده:
أبو عبد الرحمن عبد الله: أسلم قديمًا، وهاجر مع أبيه، وهو من خيار الصحابة.
وحفصة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أمها زينب بنت مظعون.
وعاصم بن عمر: ولد في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أمه: أم عاصم جميلة بنت ثابت ابن أبي الأقلح.
وزيد الأكبر بن عمر، ورقية: أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.
وزيد الأصغر، وعبيد الله ابنا عمر: أمهما أم كلثوم بنت جرول الخزاعية.

وعبد الرحمن الأكبر بن عمر. وعبد الرحمن الأوسط: وهو أبو شحمة، المجلود في الخمر. أمه أم ولد يقال لها: لهية.
وعبد الرحمن الأصغر بن عمر: أمه أم ولد يقال لها: فكيهة.
وعياض بن عمر: أمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.
وعبد الله الأصغر بن عمر: أمه سعيدة بنت رافع الأنصارية، من بني عمرو ابن عوف.
وفاطمة بنت عمر: أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام.
وأم الوليد بنت عمر: وفيها نظر.
وزينب بنت عمر: أخت عبد الرحمن الأصغر بن عمر.
ولي الخلافة عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، وقتل في آخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، سن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي سنه اختلاف.
أبو عبد الله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ:
ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عبد مناف، وهو الأب الخامس.
وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب.
أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وتزوج ابنتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وولي الخلافة ثنتي عشرة سنة إلا عشرة أيام، وقيل: إلا اثني عشر وقتل في ذي الحجة لثمان عشرة خلت منه بعد العصر، وهو يومئذ صائم، سنة خمس وثلاثين، وهو ابن اثنتين وثمانين.
وله من الولد :
عبد الله الأكبر: وأمه رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفي وهو ابن ست سنين، ودخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبره.
وعبد الله الأصغر: وأمه فاختة بنت غزوان، أخت عتبة.
وعمر وخالد وأبان ومريم: أمهم أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة من الأزد، من دوس.
والوليد وسعيد وأم عثمان: أمهم فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم.
وعبد الملك: لا عقب له، مات رجلًا، وأمه أم البنين بنت عيينة بن حصن ابن حذيفة بن زيد.
وعائشة وأم أبان وأم عمرو: وأمهن رملة بنت شيبة بن ربيعة.
وأم خالد وأروى وأم أبان الصغرى: أمهم نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص ابن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب، من كلب بن وبرة.
أبو الحسن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :
ابن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وماتت في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وتزوج فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فولدت له الحسن، والحسين، ومحسنًا مات صغيرًا.
وله من الولد:
محمد بن الحنفية: وأمه خولة بنت جعفر، من بني حنيفة.
وعمر بن علي، وأخته رقية الكبرى: وهما توأمان، وأمهما تغلبية.
والعباس الأكبر بن علي: يقال له السقاء، قتل مع الحسين.
وإخوته لأمه وأبيه: عثمان، وجعفر، وعبد الله، بنو علي، أمهم أم البنين الكلابية.
وعبيد الله وأبو بكر ابنا علي: لا بقية لهما، أمهما ليلى بنت مسعود النهشلية.
ويحيى بن علي: مات صغيرًا، أمه أسماء بنت عميس.
ومحمد بن علي الأصغر: لأم ولد، درج.
وأم الحسن ورملة: أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.
وزينب الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، ورقية الصغرى، وأم هانئ، وأم الكرام، وأم جعفر، اسمها جمانة، وأم سلمة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة، وأمامة: بنات علي لأمهات أولاد شتى.
وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وأيامًا، على اختلاف في الأيام.
قتل وله ثلاث وستون وقيل: خمس وستون، وقيل: ثمان وخمسون، وقيل سبع وخمسون، عام الجماعة، سنة أربعينه.
أبو محمد طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ:
ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مرة بن كعب.
وأمه: الصعبة بنت الحضرمي، أخت العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي،: عبد الله بن عباد بن أكبر بن عوف بن مالك بن عويف بن خزرج بن إياد بن الصدق، أسلمت أمه وتوفيت مسلمة.
أسلم قديمًا، وشهد أحدًا، وما بعدها، ولم يشهد بدرًا، كان بالشام في تجارة، وضرب له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسهمه وأجره.
وكان له من الولد:
محمد السجاد: قتل معه، وعمران: أمهما حمنة بنت جحش.
وموسى بن طلحة: أمه خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة.
ويعقوب، وإسماعيل، وإسحاق: وأمهم أم أبان بنت عتبة بن ربيعة.
وزكريا وعائشة: أمهما أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين.
وعيسى، ويحيى: أمهما سعدى بنت عوف المرية.
أم إسحاق: بنت طلحة: أمها أم الحارث بنت قسامة بن حنظلة الطائية.
فأولاد طلحة أحد عشر، وقيل: ابنان آخران: عثمان وصالح، ولم يثبت ذلك
وقتل طلحة سنة ست وثلاثين يوم الجمل، وهو ابن اثنتين وستين.
أبو عبد الله الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ:

ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قصي بن كلاب، وهو الأب الخامس.
وأمه: صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلمت وهاجرت إلى المدينة.
هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وهو أول من سل سيفه في سبيل الله – عز وجل – وهو حواري رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وله من الولد:
عبد الله: وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة.
والمنذر، وعروة، وعاصم، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة: أمهم أسماء بنت أبي بكر الصديق.
وخالد، وعمرو، وحبيبة، وسودة، وهند: أمهم أم خالد بنت خالد بن سعيد ابن العاص.
ومصعب، وحمزة، ورملة: أمهم الرباب بنت أنيف الكلبية.
وعبيدة، وجعفر، وحفصة: أمهم زينب بنت بشر من بني قيس بن ثعلبة.
وزينب بنت الزبير: أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.
وخديجة الصغرى: أمها الجلال بنت قيس، من بني أسد بن خزيمة.
فأولاد الزبير واحد وعشرون رجلًا وامرأة.
قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين وله سبع وستون، أو ست وستون سنة.
أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ :
واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كلاب بن مرة.
وأمه: حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.
وأسلم قديمًا، وكان يقول: (لقد رأيتني وإني لثلث الإسلام). وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان رميه ذلك في جيش فيهم أبو سفيان، لقوهم بصدر رابغ في أول سنة قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة.
وله من الولد:
محمد: قتله الحجاج.
وعمر: قتله المختار بن أبي عبيد.
وعامر، ومصعب: وروي عنهما الحديث.
وعمير، وصالح، وعائشة بنو سعد.
مات بقصره في العقيق على عشرة أميال من المدينة، وحمل على رقاب الرجال لى المدينة سنة خمس وخمسين وهو ابن بضع وسبعين، فكان آخر العشرة وفاة.
أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ:
ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بنغالب، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كعب بن لؤي.
أمه: فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد، من بني مليح، من خزاعة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وتزوج أخته أم جميل بنت الخطاب.

أسلم قديمًا، ولم يشهد بدرًا.
وله من الولد:
عبد الله: وكان شاعرًا، وقال الزبير بن بكار: (وولده قليل، وليس بالمدينة منهم).
وتوفي سعيد بن زيد سنة إحدى وخمسين، وسنه بضع وسبعون سنة.
أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ـ رضي الله عنه ـ:
ابن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كلاب ابن مرة.
وأمه: الشفاء، وقيل: العنقاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وكانت مهاجرة.
أسلم قديمًا، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وصح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى وراءه في غزوة تبوك.
ومن ولده:
سالم الأكبر: مات قبل الإسلام.
وأم القاسم: ولدت في الجاهلية.
ومحمد : وبه كان يكنى، ولد في الإسلام.
وإبراهيم، وحميد، وإسماعيل: أمهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من المهاجرات المبايعات وكل ولد عبد الرحمن منها، قد روي عنهم الحديث.
وعروة بن عبد الرحمن قتل بأفريقية وأمه: نحيرة بنت هانئ بن قبيصة ابن مسعود بن شعبان.
وسالم الأصغر: قتل بأفريقية، وأمه: سهلة بنت سهيل بن عمرو، وهو أخو محمد ابن أبي حذيفة بن عتبة لأمه.
وعبد الله الأكبر: قتل بأفريقية، وأمه من بني عبد الأشهل.
وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو سلمة الفقيه، وهو عبد الله الأصغر، وأمه: تماضر بنت الأصبغ الكلبية، وهي أول كلبية نكحها قرشي.
وعبد الرحمن بن عبد الرحمن، ومصعب بن عبد الرحمن، وكان على شرطة مروان بن الحكم بالمدينة.
مات بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان، وصلى عليه عثمان، وسنه اثنان وسبعون.
أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ :
ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك.
وأمه: أم غنم بنت جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث ابن فهر.
وقيل: أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى، يلتقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فهر ابن مالك.
أسلم قديمًا قبل دخول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار الأرقم، وشهد بدرًا والمشاهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ونزع يوم أحد الحلقتين اللتين دخلتا

في وجه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المغفر، وانتزعت ثنيتاه، فحسنتا فاه. فقيل: ما رئي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة.
وكان له من الولد:
يزيد، وعمير: وقد انقرض ولد أبي عبيدة فلم يعقب.
ومات بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وقبره بغور بيسان بقرية عمتا، وهو ابن ثمان وخمسين، وصلى عليه معاذ بن جبل. وقد قيل: عمرو ابن العاص.
وقد قتل أبو عبيدة أباه يوم بدر كافرًا، وفيه أنزل الله – عز وجل -: (لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ـ رضي الله عنه ـمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة: ٢٢] .

---

(١) الأصوب ألا يميز أحد من الصحابة بمثل قولهم عليه السلام ونحو ذلك وإن كان ذلك جائزًا في الأصل، وبكل حال فألفاظ الصلاة والترضي والترحم ونحوها مما قد يتصرف فيه بعض النساخ فتنبه. [المحقق: الشيخ: خالد الشايع].
(٢) كذا في "دلائل النبوة" لأبي نعيم، وفي الأصل لكنت المصطفى.
(٣) هذه العبارة مجملة، وفيها عموم، ولو اقتصر على قوله: (آتاه الله من العلم ما لم يؤت أحدًا من العالمين). أو نحوًا من ذلك لكان أحسن؛ فإن من علم الأولين والآخرين ما لا يعلمه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بل ومن الأمور التي كانت في زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ودلائل هذا واضحة بحمد الله، منها: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن الروح، فأوحى الله إليه: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) الآية: [الإسراء: ٨٥]. وسئل عن أهل الكهف فقال: أخبركم غدًا، فتأخر الوحي عنه، فحزن لذلك، ثم أوحي إليه نبؤهم، وقوله تعالى: (وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ) [الكهف: ٢٣ – ٢٤]. وسئل عن الساعة فنفى علمه بها بقوله: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" ، وقال تعالى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ) [الأحزاب: ٦٣] .
وفي قصة شرع التيمم في: "صحيح البخاري" (٣٣٤) لما بحثوا عن عقد عائشة، ولم يجدوه والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معهم، ثم علموا أنه تحت البعير لما قام، وبالجملة فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يعلم إلا ما علمه الله، مع ما آتاه الله من العلم، والحكمة، ومزيد الفضل، والشرف، ما لم يؤت أحدًا من العالمين؛ صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم الدين، ولعل هذا هو مراد المؤلف بتلك العبارة؛ ولكن نبهت إليه لأن في العبارة إجمالاً، ولظن بعض الجهلة من الناس أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم من الغيب ما لم يعلمه الله. [المحقق الشيخ: خالد الشايع].
(٤) ما بين معقوفين من "سنن الترمذي"، والسياق يقتضيها لأن هذه الواقعة لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ [المحقق: الشيخ: خالد الشايع].

د.محمد علي الغامدي
لقد أمر الله تعالى بأن يُعاشر النساء بالمعروف فقال جل ذكره: (وعاشروهن بالمعروف)، والمعروف كلمة جامعة لكل فعل وقول وخلق نبيل يقول الحافظ بن كثير رحمه الله في التفسير: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)، وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه".
لقد كان عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة لأمته، والنموذج البشري الكامل قال جلّ ذكره: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، والحديث عن هديه عليه الصلاة والسلام مع النساء حديث طويل متشعب ولا غرو فقد أوضح لأمته: (أنهن شقائق الرجال)، ولعلي أقصر حديثي عن هديه الشريف مع نسائه، أو بعبارة أخرى: كيف عاش عليه الصلاة والسلام زوجًا؟ وكيف تعامل مع نسائه؟ وكيف راعى نفسياتهن؟ وما هي وصاياه وإرشاداته للرجال بضرورة رعاية حقهن زوجات، وأمهات لأولادهم؟ وحسبي أن أسوق بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق فهي كافية في إيضاح المراد مكتفيا بالإشارة إلى بعض ما تدل عليه تلك الأحاديث الشريفة:
* فقد أوصى بهن خيرًا في نصوص كثيرة: منها حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة)، وحديث أبي ذر عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خيارهم لنسائهم) وفي لفظ (وألطفهم بأهله).
وعن بهز قال حدثني أبي عن جدي قال قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها و ما ندع؟ قال: (حرثك أنى شئت غير أن لا تقبح الوجه ولا تضرب وأطعمها إذا طعمت واكسها إذا اكتسيت ولا تهجرها إلا في بيتها كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليها).
* وخوّف ورهّب من تزوج بأكثر من واحدة ثم لم يعدل بينهن: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل).
* وأرشد بفعاله ومقاله إلى أهمية مراعاة ما طبعن عليه من الغيرة: عن أنس قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام فضربت يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول غارت أمكم كلوا فأكلوا فأمر حتى جاءت بقصعتها التي في بيتها فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها)، وعن عائشة قالت: (افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت فقلت بأبي وأمي إنك لفي

شأن وإني لفي آخر)، وقالت أيضاً: (التمست رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخلت يدي في شعره فقال قد جاءك شيطانك فقلت أما لك شيطان؟ قال: بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم).

* وكان وفيا لبعض نسائه غاية الوفاء حتى بعد وفاتهن: فعن عائشة قالت: (ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين).

* كما كان عليه الصلاة والسلام يتيح لهن أن ينفذن شيئًا من غيرتهن بحيث لا يتجاوزن الحد المشروع، ويضفي على سلوكهن ذلك المرح والابتسامة: فعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: "زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها فعملت لها حريرة أو قال خزيرة فقلت كلي فأبت فقلت لتأكلي أو لألطخن وجهك فأبت فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله من حجرها تستقيد مني فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فإذا عمر يقول: يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلا".

* بل إنه عليه الصلاة والسلام بيّن لأمته أن اللهو واللعب مع الزوجة مما يثاب عليه الرجل ، بل لا يعد من اللهو أصلاً: ففي حديث عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين يرميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر كسلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ولهو إلا أربعة خصال مشي بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة).

* وكان يراعي فيهن حالهن والسن التي كان عليها بعضهن: فعن عائشة قالت: (كنت ألعب بالبنات فربما دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصواحباتي عندي فإذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم فررن فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنت وكما أنتن).

* وكان إذا بدر منهن شيء يسوؤه لم يكن يقابله إلا بالحكمة واللطف: فعن أنس بن مالك قال كانت صفية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكان ذلك يومها فأبطت في المسير فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي وتقول حملتني على بعير بطيء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بيديه عينيها ويسكتها فأبت إلا بكاء فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركها فقدمت فأتت عائشة فقالت يومي هذا لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أنت أرضيتيه عني فعمدت عائشة إلى خمارها وكانت صبغته بورس وزعفران فنضحته بشيء من ماء ثم جاءت حتى قعدت عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك؟، فقالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فرضي عن صفية وانطلق إلى زينب فقال لها: إن صفية قد أعيا بها بعيرها فما عليك أن تعطيها بعيرك، قالت زينب أتعمد إلى بعيري فتعطيه اليهودية، فهاجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشهر فلم يقرب بيتها

وعطلت زينب نفسها وعطلت بيتها وعمدت إلى السرير فأسندته إلى مؤخر البيت وأيست أن يأتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هي ذات يوم إذا بوجس رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل البيت فوضع السرير موضعه فقالت زينب: يا رسول الله جاريتي فلانة قد طهرت من حيضتها اليوم هي لك فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها).

....

* عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بجدة.

٥٧.إيماض البرق في خلق سيد الخلق صلى وسلم عليه الحق

فضيلة الشيخ علي بن عبد الخالق القرني

الحمد لله الذي قد أنزلا كتابه وللرسول أرسلا..

اللهم لك الحمد حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك..

ولك الحمد زنة عرشك وعدد خلقك ورضا نفسك ومداد كلماتك..

لا تشكر نعمتك إلا بنعمتك.. ولا تنال كرامتك إلا برحمتك..

أنت أهل الثناء والمجد ** فامنن بجميل من الثناء المواتي
يا محب الثناء والمدح إني ** من حيائي خواطري في شتاتي
حمدنا وثنائنا ليس إلا **هبة منك يا عظيم الهبات
لو نظمنا قلائد من جمان ** ومعان خلابة بالمئات
لو برينا الأشجار أقلام شكر ** بمداد من دجلة والفرات
لو نقشنا ثنائنا من دمانا ** أو بذلنا أرواحنا الغاليات
أو وصلنا نهارنا بدجانا ** في صلاة وألسن ذاكرات
أو قطعنا مفاوز من لهيب ** ومشينا بأرجل حافيات
أو بكينا دما وفاضت عيون ** بلهيب المدامع الحارقات
ما أبنا عن همسة من معاني ** في حنايا نفوسنا ماكينات
أي شيء أبقى وأنقى وأرقى ** من حروف بمدحكم مترعات

فالق الحب والنوى جل شائنا.. لم يزل مرغما أنوف الطغاة.. الولي المتين ما خاب ظن لنفوس في فضله طامعات.. الحمد لك لا ند لك.. والملك لك من عالم الذر الخفي إلى الفلك.. ما عام أو ما طار فيه أو سلك.. ما كان من إنس وجن أو ملك.. إلا وقد شهدوا بأن الملك لك.. الحمد لله على توفيقه ومنه وفضله وجوده.. وصلوات الله والسلام ما ناح طير الأيك والحمام.. على النبي المصطفى البشير الهاشمي المجتبى النذير وآله.. ما انبلج الصباح وصحبه ما هبت الرياح.. بذكر الله ترتاح القلوب.. ودنيانا بذكراه تطيب.. من شاء في ظل السعادة هجعته.. فهنا تشاد صروحها وتقام.. أورام نسيان الهموم فهاهنا.. تنسى الهموم وتنسخ الألأم.. سبحان من لا هدي إلا هديه.. نفنى ويبقى الواحد العلام..

أي فلذات الأكباد وثمرات الفؤاد.. فتيان الحمى وجنود الهدى.. معاقد الأمل ورجال العمل.. قادة السفينة في موج كالجبال.. وليل خافت الذبال.. حداة القافلة في خضم العواصف الهوج والملتويات العوج..

نظر الله هذه الوجوه التي أحسبها في الخير قد رقت أندائها.. وتجاوبت أصدائها.. وغردت أطيارها.. وتنفست أزهارها.. وفاح أريج أصائلها وأسحارها.. فالسعد والإيمان في بسماتها.. والورد والريحان من نسماتها.. في هذه الليلة الغراء.. التي لا أرى فيها إلا المغوار وأب المغوار.. والرجال وأبناء الرجال وأحفاد الرجال..

أحييكم بتحية الإسلام تحية ظامئ لريكم ورياكم.. ومتطلع لسهيلكم وثرياكم.. تحية الأبوة للبنوة.. والشيخوخة للفتوة.. والقرابة للأخوة.. فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. تصافح مواطن الإحساس من نفوسكم.. وتخالط معاقد الإيمان من قلوبكم.. وتحرك أوتار الحمية في صدوركم.. سائلين لكم التأييد من ذي العرش المجيد.. وزيادة في النعيم.. وسيادة تدفع إلى حرم العز من ثنية التنعيم..

أهلا بني طه ونون والضحى.. وبني تبارك والكتاب المحكم.. وبني الأباطح والمشاعر والصفا.. والركن والبيت العتيق وزمزم..

حياكم الله وأحياكم للأمة.. ترفعون منارها.. وتورون نارها.. وتقومون منئآدها.. وتصلحون فسادها.. وتنفقون كسادها.. وتحسنون تهيئتها وإعدادها.. فتملكون قيادها.. وتستنشقون رندها وعرارها وشيحها وقيصومها وريحانها..

جمع الهداية قد شرفت منزلا ** قدر المنازل عن سناها نازل

كم سرت فيها نحو ربعك منشدا ** لك يا منازل في القلوب منازل

معشر الإخوة...... غير خاف على الغبي والنبيه.. والحليم والسفيه.. أننا نعيش مرحلة حرجة لم يسبق لها مثال.. الأمة كثير فيما يعد العادون لكنهم مع هذا العدد مبددون..

مدوا يدا لغريب بات يقطعها ** وكان يلثمها لو أنه لطما

أسراهم في سجون البغي ما عرفوا ** لون الحياة وقتلاهم بلا قودي

بنوا اللقيطة داسوا حرمة الصحف ** واستأسد الغي حين استنوق الرشدوا

يهان كتاب الله في حملة إذلال منظمة.. فلا تنشق مرارة ولا تثور حرارة.. فتتخذ مواقف تدل على الثأر للكرامة..

ماذا سيبقى من كرامة ديننا ** لما تداس وتستباح مصاحف

ردود أفعال هلاهيل..!! لا تتناسب مع فداحة المصيبة ومقدار الإهانة..!! فلم يجد أبرهة حتى من يقول: أنا رب الأسرى وللمصحف رب يحميه.. فوا ذلاه..!!!

في زمان الصقور صرنا حماما ** كيف يحيا مع الصقور الحماما؟

وقع السقف يا صناديد قومي ** أوى صاحون أنتم أم نياما

لا يهين الجموع إلا رضاها ** رضي الناس بالهوان فهانوا

ولا عجب إذا أرخصت نفسك عند ** قوم فلا تغضب عليهم إن أساءوا

لو كنت من هاشم لم تستبح صحفي ** بنوا اللقيطة من قرد ابن نصرانيا

أمة تداعى عليها الأعداء.. فإذا هي في عمومها غثاء لا منفعة ولا غناء.. في اضطراب واحتراب.. السرائر منها بليت.. والصحائف نشرت.. والدفائن نبشت..
فهي والأحداث تستهدفها ** تعشق اللهو وتعشق الطربَ
تساق إلى الذبح خاضعة ** وترفع للذابحين الذنبَ

تتلمس الهداية من مطالع الظلال.. وتطلب الشفاء بأسباب المرض العضال.. تبحث عن الدليل وهو معها وحي من ربها.. يراد لها ومنها أن تفزع إلى عدوها.. تتعادى لإرضائه.. !! وتتمادى بإغوائه..!! تتنازل عن عقلها لعقله وإن كان مأفونا..!! وعن فكرها لفكره وإن كان مجنونا..!! يراد لها أن تلقح فضائلها برذائله..!! وتهزأ بماضيها افتتانا بحاضره..!! وتسخر من رجالها إعجابا برجاله..!! وتنسى تاريخها لتحفظ تاريخه..!! وتحتقر لسانها احتراما للسانه..!! وتحت ضغط ما يراد لها تضاءلت فيها السوابق.. وتصاهلت عرج الحمير.. وترجل الجنس اللطيف.. مخلفا فينا شبابا للأنوثة ينتمي.. ونطق الرويبضة والتافه.. وأشار بالرأي البليد للذكا.. وتؤم أشباه الرجال نسائها.. خابت ذكور إذ تأمهم نساء.. ووئدت الأخلاق بأيدي نساء بلحى.. من كل ذي وجه لو الناصفاته تندى لكان من الفضيحة يقطر..
بئس المناخ لقد حسبت هوائه ** دنسا وأن بحاره لا تطهر
كل ذلك عبر شبكات وقنوات وصحف ومجلات.. نظَّرَ لها المفسدون.. واستحوذ عليها المستهترون.. لو اطلعت عليها لوليت منها فرارا ولمئت منها رعبًا.. ولازالوا يخصفون عليها زخرف القول غرورا.. واتخذوا معها القرآن مهجورا.. تنفث السموم وتحمل النفاق والتدجيل.. فإذا الحق باطل والأباطيل حقوق والإفك أثوم قيلا.. شعاراها من ذا يعيب هز البطون.. وذاك من روائع الفنون.. الدين أن تبدوا ظريفا مرنا.. وإن عبدت نعجة أو وثنا..
ما الدين بالعفاف والصلاة ** الدين خذ فيه خفة وهات
فيها أعذب مطرب هو الحمار.. وشر مزعج هو الهزار.. وأشجع الشجعان ذاك الأرنب.. والليث رمز الجبن لا تعجب.. دنيا الإعلام تقليب الحقائق.. وتظهر العلقم حلو الرائق.. فأفرزت لنا جيلا غالبه مظلم الروح.. بليد الذهن.. ضعيف الإرادة.. يترنح كالذي يتخبطه الشيطان من المس.. سقط متاع لا يباع ولا يبتاع.. دوٍ كحال الطبل.. ما في جوفه شيء.. ولكن للمسامع يشغل.. هبل إذا اجتمعوا صاحوا.. كأنهم ثعالب ظبحت بين النواويس.. رؤاهم أهدافهم ما عرضت إلا رأيت عجبا.. ترى ناسا يتمنون العمى.. وآخرين يحمدون الصمم..!!
معشر الأخوة..... إن بلائنا ليس في هجمة عدونا فحسب.. بل إن من بلائنا فئة من بني جلدتنا.. هي بمثابة بوق عدونا..!! لا دور لها سوى ترديد كلامه لكن بصوت أعلى..!! آله صماء يديروها على ما شاء..!! ويريدها على ما شاء..!! يحركها للفتنة فتتحرك.. لتغطي الشمس بغربال.. وتطاول العماليق بالتنبال..!! يدعوها لتفريق الصفوف فتستجيب وتجيد التخريب..!! يريدها حمى تنهك فتكون طاعون يُهلك..!! يريدها لسانا فتكون لساناً وعيناً وأذناً ويداً ورجلاً ومقراضاً للقطع وفأساً للقلع ومعولاً للصدع..!! ما يشاء العدو إخماد حركة إلا كانت على يديها الهلكة..!! قد تهيأت فيها

أدوات الفتنة.. فجنسها وفردها غبي العين عن طلب المعالي.. وفي السوءات شيطان مريد..!! بينه وبين أمته إدغام بغير غنة..!! كما تدغم اللام في اللام فلا يظهر إلا المتحرك..!! طويل اليد اليسرى وأما يمينه فليس لها في المكرمات بنان..!! يهدم الأمة ويدعي إنهاضها..!!

يا من حملت الفأس تهدمها على أنقاضها ** أقعد فما أنت الذي يسعى إلى إنهاضها
كم قلت أمراض البلاد ** وأنت من أمراضها

وتحت وطأة تداعي الأعداء.. خرج مدافعون عن الإسلام بمنطق الضعفاء العجزة.. يتمسكون بالقشة لينفوا عنهم التهمة.. فلا الإسلام نصروا..!! ولا لأعدائه كسروا..!! فضروا وما نفعوا..!! بل سوغوا وميعوا وخلطوا البعر بالدر الثمين..!! فلم يميز بين غث وسمين..!! فجاءوا بالكفن في ثياب العرس..!! وعرضوا النوائح في مواكب الفرح..!! فصارت الأمة في عمومها تمثالا.. لا يؤوي بل يغري.. وسراب يخدعوا ولا يروي..(وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)..(قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ).. إن أمة تتزحزح عن دينها مقدار شعرة.. تنأى عن مراق الفلاح والعزة سبعين ذراعا..!! ومع هذا كله فهي أمة مرحومة.. لا تزال فيها طائفة على الحق ظاهرين إلى قيام الساعة.. فما زال في الكرخ زند يوري بالمرخ نلمح شعلته.. وما زلنا نرى من السنان صفحته..

لا تقل ذلت فما يصدق ** أن يستذل الفار ليث الأجمي
ما غفا طرفي ** ولا قلبي سها
لم أزل ألمح في روضتنا ** وجنة الورد وأهداب المها
لم أزل أحمل في ذاكرتي ** صورة النجم الذي فوق السها
والناس مثل الأرض منها بقعة ** تلقي بها خبثا وأخرى مسجد

لهذا كله كانت هذه الكلمات بعنوان:
((إيماض البرق في خلق سيد الخلق صلى وسلم عليه الحق))
خفق القلب له لما ومض ** بارق شب الجوى لما برق
خلته من بين أسداف الدجى ** أملا من بعد يأس قد برق

إيماض يقول: إن المعركة مع أعداء الله ليست معركة خاطفة سريعة..!! لكنها شاقة طويلة مستمرة..!!(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ).. نحتاج معها إلى طول نفس.. وشدة صبر.. وعمق إيمان.. ورسوخ يقين.. وبذل جهد.. وتظافر جهود.. لاستنقاذ الغثاء من دوامة السيل.. فالسيل فيه غرق وويل.. ورسولنا صلى الله عليه وسلم في ذلك أسوة.. فإن لم نجعل الإنقاذ نهجا.. فسوف تضيق بالدمع المآقي..!!
إيماض يقول: لئن تخلينا اليوم عن كل وسائل الانتصار المادية.. فقد بقي في أيدينا سلاح من أنضى الأسلحة.. لا يقوم له شيء(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ).. والله ما هي إلا نفحة من نفحاته.. تهب على هذا القطيع المبدد.. فإذا قلوبهم مجتمعة.. ونوافرهم متآلفة.. وأخلاقهم شاما..
كلمات رب العالمين بها ** سما عقل وفيها للظلام كواشف

إيماض يقول: زمزم فينا ولكن أين من يقنع الدنيا بجدوى زمزم..؟؟!!
إيماض يقول: إن الدعوة إلى الله بأخلاق الإسلام.. روح تجري.. ونفحة تسري.. حقيقة جذابة.. ليس بين النفوس وبين الإذعان لها إلا إشراقها عليها..
ولولاها لساوى الليث ذئبا ** وساوى الصارم الماضي قرابا
يشهد بذلك العقل والنقل والقريب والغريب والموالي والمعادي.. يذكر الأستاذ النجار أن أحد عقلاء الغرب وقف يخاطب جمعاً من المسلمين يقول: يا أيها المسلمون إنكم لن تستطيعوا أن تسايروا الغرب اليوم.. لا اقتصاديا ولا عسكريا ولا سياسيا ولا إعلاميا..!! ولكنكم تستطيعون هذا الغرب المتكبر المتغطرس المستعلي يجثوا على ركبهم أمامكم بالإسلام..!! ثم يقول إيتوني بأربعين شاباً يحسنون فهم هذا الدين فهما دقيقا.. ويحسنون تطبيقه على أنفسهم تطبيق دقيقاً.. ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر عرضا دقيقاً.. وأنا أظمن لكم أن أفتح بهم الأمريكيتين الشمالية والجنوبية..!!
حالـه:
ولسوف تشرق شمسكم بسمائهم ** يوماً وليست بعد ذلك تغرب

والتاريخ أثبت أن انتشار الإسلام في بقاع من آسيا ورقاع من أفريقيا.. لم يكن بجيوش ولا حشود.. بل بأخلاق الإسلام التي كان يتعامل بها معهم تجار الإسلام..!!
ليس بعد اليقين يا عين شك ** أكد الفعل ما حواه الكلام
إيماض يقول: أننا نعيش أزمة أخلاق وإننا أمة الأخلاق.. وإنما الأمم الأخلاق..
إذا الأخلاق قد ولى ذووها ** فقل يا موت مر بنا سريعا
إيماض يقول: ألا ما أحوج الأمة الغافلة المنقطعة عن القافلة.. إلى صور مثالية عليا لأخلاق فاضلة.. وليس ذلك إلا في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاكيا..
سل الشيح عنها والخزامى ورندها ** وطيب مغانيها وصفو الجداول
فالورد والريحان عرف عبيرها ** والمسك كدرة ماءها والعنبر
إيماض يقول: والله وبالله وتالله.. لا نعرف أحداً كمله الله بكل فضيلة ونزهه عن كل رذيلة.. مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم..!!
فلن ترى في وصفه مثيلا ** مستوجب ثنائي الجميلا
فهو ختام الرسل باتفاق ** وأفضل الخلق على الإطلاق
ما فضيلة إلا وهي صفته إتمام مكارم الأخلاق من مهمة بعثته.. سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلقه. فقالت تنثر الدر عبقريا عجيبا ** ليس من مسقط ولا من عمان
قالت: " كان خلقه القرآن ".. ما خُلق سني دعا القرآن له.. إلا كان أول عامل به وداع إليه.. وما خُلق سيء حذر منه القرآن.. إلا كان أول مجتنب له ومحذر منه..
وحاله(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)..
في وجهه قسمات قد دللن على** ما ضمه القلب من أخلاق قرآن

إيماض يقول:(وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)..
فكن في إتباع المصطفى مثل عصبة ** وراء خبير في ملغم بقعة
فمن ينحرف يردى ومن يتبع يفز ** وبين الردى والفوز زح بخطوة
فلزم صفاته وإياك الملل ** إن يستطل الوصف ولم يستطل
اجعله نصب العين والقلب ولا ** تعدل به فهو يضاهي المثلَ

إيماض فحواه:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ).. صلاح القدوة صلاح الأتباع.. وإن صلحت العين صلح سواقيها.. وإن رشد المربي كان موسى.. وإن هو ضل كان السامري..
إنه إيماض برق يكاد يخطف بصر زنيم.. ليس يعرف من أبوه.. نبطي من زجاج مظلم.. نسبة لا يعرف إلا بالسراج.. من أسخن الله عينه وأدنى هلاكه وحينا.. فكشف عن لكنته.. وصرح بسوءته.. يتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ويطعن في رسالته وفي خلقه.. بل وفي نسبه.. ويا لله..
يريد بقوله تدنيس شمس ** وأين الشمس من دنس وعار
ضريبان سلاحه الفسا.. نعوذ بالله وبالله نعوذ.. قد جف من ماء الكرامة وجهه.. لكنه واقحة ولؤم ينقط.. لو أن صاعقة هوت.. ما أثرت في وجه الوقح العديم الماء.. لا تعجبن إذا امتحنت بسخفه.. فالحر ممتحن بأولاد الزنا..!! إنه شواظ يقول:
أرعد وأبرق يا سخيف فما ** على آساد غيل من نباح جراء
أخسأ رقيع فليس كفؤك غير ** ما يجري من الأعفاج والأمعاء
لو ذات سوار لطمتني.. والضرورة دعتني.. ولولا الضرورة لم آته.. وعند الضرورات آتي الكنيف!!
آلا أرغم الله معطسك من شآن.. مغالط أنتن من حلتيت.. وأثقل من كبريت.. وأهدى إلى الظلال من خريت.. وعريت وهريت.. وقطعت وفريت.. وأحرقت وذريت.. وأذبت وأجريت.. أغريت أم أُغريت.. وضريت أم ضريت.. وتطوعت أم كريت.. ألا خبت.. لو ضربت الجبل بالزجاج ألف ضربة ما انكسر..!! ولو سترت الصبح بكل شيء ما أنستر..!! إنه خيار من خيار من خيار زكاه الله وكفاه.. زكى استقامته(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى).. ونطقه(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى).. وعلمه(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى).. وفؤاده(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى).. وبصره(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى).. وصدره وذكره(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ).. وخُلقه(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).. وزكاه كله(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)..
فإذا كتاب الله أثنى مفصحا ** كان القصور قصارى كل فصيح
وأين دوي الذباب والزنبور من نغم الفرقان والزبور..
فما على البدر أن قالوا به كلف ** ولا على المسك أن المسك مفتوت
وطالما أخلي الياقوت جمر غضا ** ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت
ومن العجائب والعجائب جمة أن تسخر القرعاء بالفرعاء..!!
والشمس لا تخفى محاسنها وإن غطى عليها برقع الأنواء..
لكن أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها ** والشمس تبهر أبصار الخفافيش

إيماض يقول: إن رسول الله عليه وسلم مثلٌ أعلى.. لأقصى ما يبلغه البشر من مراق الكمال.. وغاية تنقطع دونها الآمال.. يقول الصديق من رجح إيمانه بإيمان الأمة: أما كلفتموني أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم.. والله ما ذاك عندي ولا عند أحد من الناس.. والله ما في طاقة متحدث ولو ألقت إليه البلاغة أعنتها.. أن يتقصى أخلاقه ويستوربها.. لكنها تتحدث عن نفسها..

فالمسك ما قد شف عن ** ذاته لا ما غدا ينعته بائعه

فحسبي وحسبكم أن نُنيخَ ركائبنا على ساحل بحر مسك أخلاقه.. لنظفر منه الليلة بدرة.. وعلى روض ريحان خلاله.. لنشتم منها نفحه.. فيكون العنوان:

((إيماض البرق في شجاعة سيد الخلق))

وأنا على يقين أني لن أبلغ.. من تأمل هذا الخُلق.. في هذه الدقائق.. إلا مقدار ما يبلغه واصف الشمس وهو لا يعرف منها إلا أنها كوكب ينسخ طلوعه سواد الليل..!!

ماذا عسى بلـغاء اليوم قائلة ** من بعد ما نطقت حم تنزيل

موضع النجم لا ينال بباع لا تقسه بغيره في جناس.. سبع الغاب ليس مثل السباع.. ما عسى أجمله من ورق العرار إلى العبير والعنبر.. في خير من حملت أنثى ووضعت.. وخير حاف على الدنيا ومنتعل.. إن هي إلا دماجيل للعضد.. وقلائد للجيد.. عجزت فيها عن أداء الواجب.. وأحاول الجبر بالمسنون.. وفضل الله على من يشاء ليس بممنوع ولا ممنون.. وكلن ينفق على قدر استطاعته.. وهو ابن ساعته.. من لم يقل له ربي أعيت عليه مطالبه.. أسألك اللهم أن تجعلها لوجهك الأعلى وأن تقبلها.. أقول والله تعالى المستعان ومن بغيره استعان لا يعان..

شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شجاعته..؟! تناقلتها الأخبار.. وسارت مسير الشمس في رائعة النهار.. حدث عنها لا حرج.. بمكان لا يجهل.. ومنزلة لا تدفع.. تناقلها الرواة بكل فج.. وأهدتها الحواضر للبوادي.. وحسبه أنه نبي.. وأنه أبو الشجعان وصانعهم.. على عينيه ملك الشجاعة فهي طوع زمامه.. ولغيره جمحت وليست تركب.. والذي رفع السماء وعلم آدم الأسماء.. ما شهدت الغبراء أشجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ولا أثبت منه قلبا.. كان طودا لا يتزعزع.. شامخا لا يتزلزل.. لا ترهبه الأزمات.. ولا تهزه الحوادث والملمات..

تروى أحاديث الوغى عن بأسه ** فالسيف يسند والعوالي تطلق

وما رآه فارس إلا استتر ** في فعل النجوم عاين القمر

وحسبه أنه نبي..... كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس حين خرج على قومه بدعوة ينكرونها جميعا.. وليس له من معين سوى ربه.. فصدع بها في جميع الأماكن والأزمان والأحوال.. فوق الجبل وفي المسجد وفي الطريق والسوق.. في المنازل والمواسم والحواضر والبوادي حتى في المقابر.. في الحضر والسفر والأمن والقتال والصحة والمرض.. وحين يزور وحين يزار.. دعا من أحبوه ومن أبغضوه.. ومن استمعوا له ومن أعرضوا عنه.. خطيبه يقارع الخطباء.. وشاعره ينازل الشعراء.. دعاته يجوبون الآفاق.. في استنفار دعوي لم تملك قريش أمامه إلا أن تقول: لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون..!!

بذل كل وسعه.. واستخدم كل أسلوب ووسيلة مشروعة.. في حلم وأناة وهدوء.. قذف بالحق على الباطل.. فأزاح العلل وسد الخلل.. وقال ما يرضي الله وإن أغضب البشر.. فذهب الزبد جفاء وطاعنا حتى لم يجد من مطاعن.. ونازل حتى لم يجد من منازل.. وبقي صلى الله عليه وسلم قدوة.. يصبوا إليها كل من عرف الحق.. وبالحق يدين مثلا.. أعلى لنفس جمعت.. سطوة العادل في أنس الحليم.. فهو الحياء ما حل في بلد إلا بإذن الله أحياه.. وحسبه أنه نبي..........
كان أشجع الناس.. حين قوطع وحوصر مع بني هاشم في شعب لسنوات بلا ميرة.. حتى اضطروا لأكل ورق الشجر.. وسمع صوت الصبية يتضائون من شد الجوع.. فصبر وما وهن وما ضعف وما استكان.. حتى انتصر وسقطت المقاطعة.. وأحق الله الحق وأبطل الباطل.. وكذلك الحق لا يتغير أصله وسوسه.. وإن تغير لبوسه..
ففي المعادن ما تمضي برونقه ** يد الصباغر لا يصدأ الذهب
والصخر في ظل العقيدة عسجد والآل في ظل العقيد ماء.. والعز في كنف العزيز ومن عبد العبيد أذله الله..
وحسبه انه نبي........ كان صلى الله عليه وسلم شجاعا أشجع من الشجاعة.. وأشد في الحق من الشدة..
ماضي العزيمة والسيوف كليلة ** طلق المحيا والخطوب دواجي
سعى كفار قريش إلى عمه أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن لك فينا سنا ومنزلة وشرفا.. وإنا قد إستنهيناك في ابن أخيك فلم تنه عنا.. وإنا والله لا نصبر على ذلك.. فإما أن تكفه عنا أو ننازلك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا.. فعظم عليه فراق قومه ولم يطب نفسا بإسلام ابن أخيه لهم وخذلانه.. فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخي أبقي علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق.. فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خاذله.. فحلق وحدق ببصره إلى السماء.. ووقفت الدنيا مشدودة السمع لما تفتر عنه شفتا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وأصاخ الكون وأنصت التاريخ لكلمة التي يتوقف عليها مصير السعادة البشرية والحضارة الإنسانية.. فقال: أترون هذه الشمس .؟! قالوا: نعم .! ففي تصميم يفل الحديد.. وعزيمة لا تعرف الهزيمة.. وتحد يقهر الخصوم اللد.. وإصرار يقتحم البحر بجزره والمد.. قال كلمة صريحة لا يقبل معناها التأويل.. ببلاغة لو قست سحبانا بها ألفيته ذا منطق تمتامي.. قال: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من إن يشعل أحدكم من هذه شمسي شعلة نار.. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري.. على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.. ثم استعبر وبكى وولى.. كأنما أنفاسه حرجف.. وبين جنبيه لظى واقده.. لو مادت الأجبال من تحته.. أو خرت الأفلاك ما زعزع..!
يا لقوة الإيمان وجلال البطولة.. رجل يظن أنه تخلى عنه ناصره الوحيد من أهله.. ثم يقف هذا الموقف العظيم.. إنه ثبات النبوة..
إن يكن أعزل فالحق له سيف ولامه ** فهو في جيش من الإيمان ما فل لهامه
وقف أبو طالب مأخوذا بما سمع ورأى.. وهو في قرارة نفسه يقول: والله ما هذا إلا نبي كريم .. بلغ أسمى درجات الثقة بالله رب العالمين.. فلن ينكس على عقبيه لأنه

يأوي إلى ركن شديد.. فما عليه وبين جنبيه دين.. لو أراد به صم الجبال لما قرت رواسيها.. ثم يناديه أقبل يا ابن أخي فأقبل صلى الله عليه وسلم فقال له: إذهب فقل ما أحببت والله لا أسلمك لشيء أبدا.. والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينًا.. حالـه:

قم وأبلغ نوره للعلمين ** قم واسمعه البرايا أجمعين

إن تكون في مثل نيران الخليل ** أسمع النمرود توحيد الجليل

فلم يزل يجهر بالتوحيد ولا يخاف سطوة العبيد..! وحسبه أنه نبي صلى الله عليه وسلم.......

كان أشجع الناس صلى الله عليه وسلم.. عرضت عليه المغريات من مال وملك وشرف وجاه ونساء.. نظير أن يتنازل عن دعوته فأبى ذلك العرض وازدراه ورفضه..

متميزا كالليث ديس عرينه ** متوثبا يدعوا الرجال نزالي

لا تذكروا نار الصواعق عنده ** نار الصواعق عنده كذبالي

قال قائل قريش: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيله.. قد كان محمد غلاما حدثا فيكم.. أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة.. حتى إذا رأيتم الشيب في صدغيه قلتم ساحر كاهن شاعر مجنون.. والله ما هو بذلك فانظروا في شأنكم.. وما معهم إلا العناد وما بهم من العقل من الإنصاف مثقال درهم.. أجمعوا رأيهم على أن يفاوض ويغرى بالدنيا والنساء.. وهو القائل صلى الله عليه وسلم: " فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ".. انتدبوا لتلك المهمة أبا الوليد بن عتبة.. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد أنت خير أم هاشم؟! أنت خير أم عبد المطلب؟! أنت خير أم عبد الله؟! فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لأنه يريد هدايته.. فمن الحكمة أن لا يدخل معه في معارك جانبيه تعيقه عن ذلك الهدف.. لقد كان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يقول أنا أفضل وصدق.. فهو سيد ولد آدم أجمعين.. لكنه بذلك قد يضيع الفرصة الذهبية من هداية هذا الرجل.. وكان بإمكانه أن يثني على آباءه بما فيهم من صفات حميدة.. لكنه بذلك يتيح الفرصة أن يلزمه بما يترتب على ذلك من إتباع دينهم.. وقد فعل ولذا آثر بحكمته عدم الإجابة.. فالسؤال لا يستحق ذلك.. لأنه ليس في صميم الموضوع الذي عقد من أجله الحوار.. فهم عتبة ذلك فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك.. فقد عبدوا الآلهة التي عبت.. وإن كنت تزعم أنك خير منهم.. فقل حتى نسمع قولك.. والله ما رئينا سخلة أشئم على قومه منك.. فرقت جماعتنا.. وعبت ديننا.. وفضحتنا.. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى.. فيقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف.. فنقتتل حتى نتفانى.. وياله من عور عن الحقيقة..

لابد في العور من تيه ومن صلفا ** لأنهم يحسبون الناس أنصافا

من أين يدري الفضل معدومه ** لا يعرف المعروف إلا ذووه

تظن بعض القوم علامة ** وهو إذا ينطق بوم يفوه

ثم ألقى عتبة حباله وعصيه.. إغراءات تغشى البصائر.. وتزيغ الأبصار.. بلغة مسمومة.. ما لامست مستشرفا لها.. إلا أهدته السم ونزعت منه الروح.. وأبقت

الجسم.. وكم لعبت بهذا النغمات من نشاز أصابع من على أوتار.. فلم يبالي الصادقون بما وقع منها وطار.. قال: يا محمد إن كان إن ما بك المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.. وإن كنت تريد شرفا سودناك فلا نقطع أمرا دونك.. وإن كنت تريد ملكا ملكناك.. وإن كان شيئا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب حتى نبرئك.. وإن كان إن ما بك النسا فاختر من أجمل نساء قريش عشرًا.. يا محمد قل نسمع..

فلوا كان الحديد للينوه ** ولكن كان أشد من الحديد

في حلم ورحابة صدر.. أعرض عن كرهات عتبة وأغضى عن سبابه.. وقال في أدب النبوة يكنيه: أفرغت يا أبا الوليد..؟ قال: نعم..! فأعلن موقفه الحاسم بشجاعة نادرة.. دون مراوغة أو مداهنة أو استعطاف أو استلطاف.. لأن قضيته قضية عقيدة تقوم على الصراحة والبيان فلا تنازل ولا إدهان..

كالكوكب الدري تلقاه ** العز بين يديه والجاه

والأرض في عينيه خردله ** وعلى عبيد الأرض نعلاه

قذف باطلهم بأوائل فصلت .. فالشمس منها سطعت وحسمت.. ورفعت الحجاب.. وأثارت الإعجاب.. ومحت السلب بالإيجاب..(حم{١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{٢} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ{٣} بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ{٤})..

عتبة يسمع القرآن من فم من أنزل عليه القرآن.. فيلقي يديه خلف ظهره وقد فغر فوه مأخوذا بسلطان البيان.. ورسول الله قد استحضر عظمة الله الذي خاطبه به.. يتلوه بكل أحاسيسه ومشاعره.. ويهوي به على إغراءاتهم ومطامعهم..

فكان الآي صاعقة عليهم ** تشب على مطامعهم سعيرا

كذالك السيف أمضى وهو هاو ** واقطع مضربا منه شهيرا

لما بلغ قول الله(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ).. هب عتبة مذعورا قد خيل إليه أن الصاعقة حلت به.. فأمسك بفم النبي صلى الله عليه وسلم يناشده الله والرحم إلا صمت.. فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم..(فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ{١١٨} فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ{١١٩}).. انقلب إلى قومه فلما راؤه قالوا: نحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به..!!

قد نطقت بضعفه العيون ** ما أبلغ العيون إذ تبين

بادروه.. ما وراءك يا أبا الوليد..؟؟ فقال وقد آمن بسلطان اللغة والبيان وإن لم يؤمن بالقران: ما هو والله إلا أن جئته فعرضت عليه ما عرضت.. ثم سمعت منه قولا والله ما سمعت مثله قط..! والله ما هو بالسحر ولا بالكهانة ولا الشعر ما فقهت إلا قوله..(أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فأمسكت بفيه وناشدته أن يكف.. ولقد علمتم أن محمد إذا قال شيئا لم يكذب.. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وما هو فيه.. والله ليكونن قوله بالذي سمعته نبأ عظيم.. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد..!! فعاد كالكلب بالوصيد.. وكان قريبا على صحة.. فقد داخلته حروف العلل ولا عجب..!!

من يكن للجرب خلا.. ليس يخلوا من إصابة.. وهل يبصر الرمداء شمس الضحى .؟؟ وهل يحس بطعم العذب من إيف في الفم..؟؟(وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)..
معشر الإخوة:
إنها إشارة منه صلى الله عليه وسلم في شجاعة فذة.. مفادها لا لقاء بين الحق والباطل.. لا إجتماع بين النور والظلام.. الاختلاف جوهري يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق.. الأمر لا يحتاج إلى مراوغة ولا مساومة.. ليس إلا الخروج عن الكفر بجملته إلى الإسلام بجملته.. وإلا فالبراءة التامة..(لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ).. إن قوة الهجمة اليوم على الدين.. ينبغي أن تقابل برد في غاية الوضوح.. بعيدا عن التعميم والتمييع.. فالأمر جد لا هزل فيه..(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ).. لا بد من الوضوح التام.. في القضايا المصيرية التي لا تحتمل إلا وجها واحدا..(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ{١} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ{٢})..
من يملك النبع لن يحتاج من ظمأ ** إلى الدلاء ولن يحتاج للقرب
يا ابن الإسلام.. إن الرؤوس التي رفعها الإسلام تأبى أن تخضع لغير الإسلام.. وإن الألسنة التي استقامة على قول الحق.. تأبى أن يلويها لاوي لغير الحق.. الإسلام دعوة ربانية لا مجال فيها للمساومات.. مهما كانت الدوافع والإغراءات والمبررات..
فإذا نثر الحب وتساقطت العصافير.. وطرح الأب وتهافتت اليعافير.. فكن ليثا ديس عرينه.. ووسم عرنينه.. وأبرق وأرعد.. وقلها بملأ الفم.. مطعم خبيث لا يأكله إلا الخاطئون.. والذي خلق الضب وأنبت النجم والأب.. وفلق النوى والحب.. لو حالف بطن الراحة الشعر.. وسقطت السماء على الغبراء.. وصار الشرق غربا والشمال جنوبا.. فإني لأرجوا الله أن لا يزل لي قدم.. ولا يزيغ لي بصر.. ولا أحيد عن مبدأ حق.. إني على بينة من ربي..
ألا يا قبح الله شهوة أبيع بها ديني..!! وأعق بها سلفي..!! وأهين بها نفسي..!! وأهدم شرفي..!! وأكون عارا على أمتي..!!
عرى العقيدة جلت عن مساومة ** ما قيمتي في الملا من غير معتقدي
هل يصير الحر عبدا آبقا..؟! هل يصير الصقر مثل الرخم..؟! هل يتيه الشهم في أوهامه ينحني بعد بلوغ القمم..؟!.......... لا.......... لا يكون العير مهرا لا يكون.. المهر مهر.. المهر مهر.. وحسب أنه نبي....
كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.. كبير الهمة.. لا ينقض عزمه.. ولا ينكث عقده..
أصالة عزم أخجلت كل صارم ** من البيض حتى خاف أن يتجردا
وحسب الفتى من عزمه خير ** صاحب يؤازره في كل خطب يئوده
فإن لم يكن للمرء من عزماته ** نصير فأخلق أن تخيب جذوده
أشار الشباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أحد.. بالخروج إلى المشركين خارج المدينة.. وكان صلى الله عليه وسلم يرى القتال داخلها.. فنزل على رأيهم.. وعلم الله أنه ما به إليهم من حاجة.. ولكن ليستن به من بعده من القادة.. كما قال الحسن رحمه الله.. صلى بالمسلمين ثم دخل منزله.. فتدجج بسلاحه وخرج في كامل

عدته.. وأمرهم بالخروج إلى العدو.. فندم ذوي الرأي منهم حين شعروا أنه أشاروا عليه بخطه كان يفضل غيرها.. فقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فامكث واصنع ما شئت.. فأتى بالإعجاز في باب الإيجاز.. وقال بقلب أسد في همة تدك الجبل الأشم والخصم الألد: ما كان لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه..

ماض البصيرة غلاب إذا اشتبهت ** مسالك الرأي صاد الباز بالحجل
إن قال برا وإن ناداه منتصر ** لبى وإن هم لم يرجع بلا نفلي

وحسبه أنه نبي.......... كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس..
هو للصديق كما يحب وللعدى ** عند الكريهة ضيغم زئار

يجتمعون على حربه.. ويحرض بعضهم بعضا.. للوقوف في وجهه.. وعدم التقصير في عداوته.. ويتطاولون عليه بالسخرية.. وهو صامد كالجبل الشهيق في علياءه.. يقرر أن ما جاء به سينفذ.. لو كان الثمن إهلاك هؤلاء الصناديد.. وحاله:
إن قومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا ** لا أبالي بجمعهم كل جمع مؤنث

يقول عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: اجتمع أشراف قريش في الحجر.. فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قالوا: ما رأينا مثل صبرنا على هذا الرجل.. سفه أحلامنا.. وعاب ديننا.. وفرق جماعتنا فبين هم كذلك.. إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فأقبل يمشي حتى أستلم الركن.. وعداته منه تغص وتشرق.. فمغرب من غيظه ومشرق.. ثم مر بهم وهو يطوف بالبيت.. فغمزوه ببعض ما يقول.. وأشاروا بأعينهم وحواجبهم.. وهروا هرير المجحرات اللواهث.. قال ابن عمر: فعرفت ذلك في وجهه إذ تغير.. وظهرت عليه علامات الغضب.. ثم مضى فغمزوه بمثلها.. ثم مضى فغمزوه بمثلها.. فإذا السكون تحرك.. وإذا الخمود تلهب.. وإذا السكوت كلام.. يستنزل الهلك من أعلى منابره.. ويستوي عنده الرعديد والبطل.. فسل حساما من بيان فهومه.. فرد سيوف الغي مفلولة الحد.. قال : تسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده.. لقد جئتكم بالذبح.. ألا إنها لو تنزلت على جبل.. أهوت به وهو خاشع.. فأخذت القوم كلمته.. حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر..

حال الجريظ دون القريظ.. صادف در السل در يدفعه.. في هضبته ترفعه وتضعه.. وإن أشدهم وصات على إيذاءه.. ليرفؤه ويسكنه بأحسن ما يجد من القول.. يا أبا القاسم انصرف راشدا والله ما كنت جهولا.. والله ما كان جهولا صلى الله عليه وسلم..

لكنه جبل الوقار رسا وأشرف ** واعتلى وسما فطأطأت التلال رؤوس
من أنكر الفضل الذي أوتيته ** جحد العيان وأنكر المحسوس
كذلك كان إذا غضب.. ولا يغضب إلا لله ثم لا يقوم لغضبه شيء..
فإذا أوثير رأيت بركان رمى ** حمما ودك الأرض زلزالا
ترى الرجال وقوفا بعد فتكته ** بهم يظنون أحياء وقد قتلوا

وحسبه أنه نبي........... كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.. أدركته القائلة في إحدى غزواته في واد كثير العظاح.. فنزل تحت سمرة وعلق بها سيفه.. وتفرق عنه أصحابه.. فجاء أعرابي فاختلط سيفه وسله.. ويا لله عدو متمكن وسيف شاهر وموت حاضر.. يقول: يا محمد أتخافني..؟؟ فلا نفس جزعت ولا حال تغيرت ولا روعة حصلت..!! وما كان إلا الرعد دعوى هديده.. يقول:......... لا........
كأنما الليث شبيه له ** فهو أخو الليث لام وأب
من اتق الله فأسد الشرى ** لديه مثل الأكلب العاوية
قال: فمن يمنعك مني يا محمد..؟؟ فاستحضر عظمة الله وقدرته ونصرته لأولياءه.. وقال..
يهوي فصيح القول من لهواته ** كالصخر يهبط من ذرى ثهلان
.... الله.......... فخارت قواه وانحلت وسقط السيف من يده وأمكن من نفسه.. وقال: كن خير آخذ يا محمد فعفا عنه يتألفه.. فالله ما أشجعه وما أحلمه..
تهوي الجبال الراسيات وحلمه ** في الصدر لا يهوي ولا يتزعزع
رجع الأعرابي إلى قومه يقول جئتكم من عند خير الناس.. حاله:
قضيت التعجب من أمره ** فصرت أطالع باب البدل
وحسبه أنه نبي.......... كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.. خبيرا بفنون المنازلة.. يزلزل الخصم فيوهي بنيانه.. يقوض أركانه.. يرعب جنانه..
عزيمته ترد الغمد سيفا ** وحكمة تر السيف غمدا
إن تعدوا يا سيف لتستعينه ** أجاب قبل أن تتم سينه
ثبت في سنن الترمذي رحمه الله.. أن ركانة مصارع لم يضع أحد جنبه على الأرض.. طلب منازلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصارعته تبجحا بقوته وإعجابا ببنيته وسطوته.. معه ثلاث مئة من الغنم وقال: يا محمد هي لك أن تصارعني..؟؟
وساوس إبليس تغشى النظر ** وتخفي عن العقل نور الفكر
أي ركان أرح المطية ولا تكن ** كمحاول صيد النجوم من المياه الركد
هل لك أن تصارعني يا محمد..؟؟ فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا العرض وسيلة لهدف أسمى من المصارعة.. وهو إسلام هذا الرجل مع توظيف هذه الطاقة المتفجرة لإعلاء كلمة الله.. لا يريد صرعه لا يريد قتله.. وإنما يريد حياته.. فما هو إلا الغيث.. أما وقوعه خصب.. وأما ماؤه فطهور صلى الله عليه وسلم.. عامله صلى الله عليه وسلم على أنه غريق بحاجة إلى من ينتشله.. حاله:
يا رب حيران لو شئته ** تدا ظمئآن لو شئت وردت
يقول له: وما تجعل لي إن صرعتك..؟؟ فقال: مئة من الغنم.. فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه.. فقال ركانة: هل لك في العود..؟؟ قال صلى الله عليه وسلم: وما تجعل لي إن صرعتك..؟؟ قال: مئة أخرى فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه..
هو بالله وهل يخشى انهزاما ** من يكون الله في الدنيا نصيره

قال: هل لك في العود..؟؟ قال صلى الله عليه وسلم: وما تجعل لي إن صرعتك..؟؟ قال المئة الباقية فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرعه.. ثم بقي عليه كسرت شوكته ومالت هامته.. ارتطم بالأرض ظهره هوى بأسه وهوت قواه.. ومع ذلك فقد ذهب ماله وصار حاله:

وإني لمقدام وعندك هائب ** وفي الحي سحفان وندك باقل

ثم قال: يا محمد والله ما وضع جنبي على الأرض أحد قبلك.. وما كان أحد أبغض إليّ منك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.. حاله: والله ما على الأرض أحد أحب إليّ منك اليوم

وأسبلت العينان منه بواكف ** من الدمع يجري بعد سح بوابلي

والليل ولى والظلام تبددا ** والصبح أشرق والضياء تجددا

فصار حال ركانة.. عملت الجزم بي.. وخفضت مني محل النصب.. ثم رفعت حالي.. قام عنه صلى الله عليه وسلم ورد عليه غنمه.. وهدفه هدايته.. فما الدنيا والله ببغيته.. يرى الدنيا وإن عظمت وجلت لديه.. أقل من شسع النعال.. ومن شيمة العضب المهند.. أنه يخاف ويرجى مغمدا ومجردا.. وحسبه أنه نبي.....

تبلى عظامي وفيها من محبته ** حب مقيم وشوق غير منصرم

كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.. لا يجارى في قوة رأيه وإدراكه وبعد نظره فطن..

تكاد العمي تبصر الدجى لو ** أنها اكتحلت بنور ذكائه

وقف ضد رغبات أصحابه يوم الحديبية حين بركت ناقته فأعلن مقسما.. والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم.. حاله: مع حرمات الله فديتك بالسويدا من فؤادي.. ومن حدقي فديتك بالسواد.. دارت المفاوضات وسدت قريش السبل وأشيع مقتل عثمان رضي الله عنه.. فبايع أصحابه تحت الشجرة على الموت وعدم الفرار.. وتحت ذلك التصميم أرسلت قريش سهيل للصلح..

ولا ملامة إن هابوا وإن حرجوا ** لا يزار الليث إلا فرق الغنم

أجبتهم معلنا بالسيف منصلتا ** ولو أجبت بغير السيف لم تجبي

النبي صلى الله عليه وسلم يفاوض من مركز قوة.. ويتنازل في بعد نظر وأصالة رأي.. عن بسم الله إلى باسمك اللهم.. وعن رسول الله إلى محمد ابن عبدالله..

عذب المناهل غير أن ورودها ** نار المنايا حوله تتأجج

وكانت قريش إذ تأبى لشرطها ** كباحثث عن مدية تستثيرها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل برد من جاء من المسلمين مهاجرا ولا العكس.. ويعلل ويقول: من ذهب منا إليهم فأبعده الله.. ومن جاءنا فرد جعل الله له فرجا ومخرجا.. وثقل ذلك على المسلمين وذهلوا عن أنفسهم.. لما أعيد أبو جندل رضي الله عنه إلى أبيه يرفس في قيوده.. يضربه أبوه في وجهه ويأخذ بتلابيبه وهو يستصرخ.. أأرد إلى المشركين وقد جئت مسلما..؟؟

فاضطرمت القلوب واضطربت.. وزلزل الهم قاصيهم ودانيهم.. حتى السماء رأوها غير ما عهدوا.. أما الصديق رضي الله عنه فقد تلقى ذلك بالرضا والتسليم.. فكان قلبه على قلب محمد صلى الله عليه وسلم حاله:

والكف ليس الزند ينكر قربه ** والعين لا يقسوا عليها المحجر
من لحمه لحمي ومن دمه دمعي ** وعلى محبته أموت وأحشر
أما عمر رضي الله عنه لعظم الوارد عليه.. أبى إلا أن يعلن عما في نفسه فيقول: يا رسول الله ألست نبي الله حقا..؟؟ ألسنا المسلمين..؟؟ أليسوا بالمشركين..؟؟ ألسنا على الحق وهم على الباطل..؟؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي عمر حرية إبداء رأيه .. مع تسديده بلا عقاب ولا تجريم.. ويقول لعمر في كل ذلك: بلى.. بلى.. فيقول عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا يا رسول الله.. فيقول صلى الله عليه وسلم إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.. ويذعن الفاروق ويؤنب نفسه بعد.. وماهي والله إلا غيرة على الإسلام منه.. فهم بعدها هو وغيره إنما يحقق المكاسب العليا للإسلام.. فهو السنة النبوية والسياسة الشرعية التي يجب أن تقتفى.. فأذعنوا وندموا وعرفوا قصورهم فاقتصروا..
أخاطب البرق إن يسقي ديارهم ** ولو أراد بدمعي أو أراد دمي
معشر الأخوة:
ومع ما فيه الصحابة من غم لا مزيد عليه.. لم يخرجوا عن طوع رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وهم يرون سهيل فردا في جيش يتمادى في تفاوضه.. فلم ينله أحد بأذى وإنما مرجعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ورسول الله يسعه بالحلم حتى وصل إلى الغاية المنشودة من الصلح.. وانبلج الصبح فإذا الصلح فتح.. والغبن في الظاهر نصر.. سمعوا كلام الله وعظمت حرمات الله..
وكلما أوقدوا نارا بها احترقوا ** وأحدثوا الحرب فيهم يحدث الحرب
هكذا تبدوا شجاعة وسياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم العملاقة.. إلى جانب سطحية التفكير لدى زعماء المشركين.. فشرطهم الذي اشترطوه تعنتا واستعلاء.. كان وبالا عليهم حيث سبب لهم حروبا عصابات على أيدي أبي بصير وصحبه لم يحسبوا لها حسابا..
حتى أقامت رؤوسا كان يحبلها ** أجلاف قوم وفي أعناقهم صعر
فقدوا الهدف الأعلى من الصلح.. وهو تأمين طريقهم إلى الشام.. فعادوا خاضعين ذليلين يعلنون تنازلهم عن شرطهم الجائر.. ويرجون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤوي كل من جاءه من المسلمين..
فصار لواء الحق بالنصر خافقا ** وظل لواء الشرك بالذل يقهر
فما هو في صورته الظاهرة ظيم للمسلمين.. هو عز وفتح ونصر مبين.. نزلت السكينة على المؤمنين ودخل في دين الله أضعاف ما دخل قبل من المشركين.. وما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه.. وتم تحييد قريش وتكبيلها بهذه المعاهدة.. فلم يفكروا في الحرب لعشر سنين..!! فحول المسلمون المعركة إلى اليهود وغيرهم من المجرمين..
عافوا المذلة في الدنيا فعندهم ** عز الحياة وعز الموت سياني

تلكم هي الشجاعة حقا يا معشر الإخوة:

تريث في غير عجلة.. تثبت في تؤدة.. بعد نظر في أصالة رأي.. لزم الوحي مع اتهام الرأي.. قضاء المصالح على أحسن وجه.. درء المفاسد في أجمل هيئة..
من يلاقي النار بالنار يزهدها ** لهبا إطفائه يغدوا محالا
الحد والشدة ليست لوازم قوة.. والتعقل والمدارات ليست مؤشرات ضعف.. والحزم والقوة والشجاعة حقا فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي..!!
وريث المثابر أمضى خطا ** وأبلغ من قفزات الصخب
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ليس الشديد بالسرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"
والسيف لا يمضي بدون روية ** والرأي لا يمضي بغير مهند
وقد يدفع الإنسان عن نفسه الأذى ** بمقوله إن لم يدافعه باليد
كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.. خاض غمار الحروب في سبيل الله.. لإعلاء كلمة الله حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله..
أزال ظلام الغي عن نير الهدى ** وحكم سيف الحق في كل باطل
مضى فعله المشتق من مصدر العلا ** فصح له منه اشتقاق اسم فاعل
في يوم حنين اختل نظام جيشه وانفض عنه معظمه.. وهو ثابت في الميدان لا يبرح.. مقبل لا يدبر.. ظاهر لا يتوارى.. وكيف يتوارى عن الموت.. من يوقن أن موته انتقال من حياة نصب ومشقة.. إلى ما اشتهت نفسه ولذت عينه.. يركض بغلته البيضاء في نحر العدو.. ويترجل عنها حينا.. فلا يرى أحد أشد منه يومئذ.. كالسيل في دفعاته.. والسيف في عزماته.. والموت في وثباته.. يشهر نفسه وهو هدف العدو الأعلى.. ويزأر.. هلموا إلي أيها الناس.. أنا رسول الله.. أنا محمد ابن عبد الله.. أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب..
تخرج الألفاظ من فيه كما ** تخرج الدرة من جوف الصدف
له عزمة لو صادمت ركن يذبل ** ورضوى لهدت يذبل ومحت رضوى
مناديه ينادي: يا أصحاب السمرة.. يا أصحاب سورة البقرة.. فجر النداء مكامن الإباء.. وثاب الفار منهم ولبى.. وأما الصوت وحاله: يا رسول الله هانا ذا..
أنا بعض منك والكف على ** كل حال لا تضيع المعصم
وحمي الوطيس وبذل النفيس.. ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه القوم بقبضة من تراب قائلا: شاهت الوجوه فما خلق الله إنسانا منهم.. إلا ملئت عيناه من تلك القبضة فولوا مدبرين..
قد زلزل الرعب أيديهم وأرجلهم ** وعاد ثعلب قفر ذلك الأسد
فمجدل ومرمل وموسد ومضرج ومضمخ ومخضب.. ونزلت السكينة على المؤمنين..(فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)..
ومن لاذ بالله في دربه ** كفاه المهيمن من كل شر
كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس على الإطلاق.. فر عنه الكماة الأبطال غير مرة . وما أحصيت غير مرة.. ذهل عنه الشجعان ووجم الفرسان غير مرة.. ولم يحفظ له وجمة..
على الزعازع والأهوال والباس ** لو مادت الأرض يبقى الشامخ الراسي

ما وقعت هيعة أو صيحة أو فزع.. إلا تقلد السيف في عنقه وبادر ظهر الفرس يسبق إلى العدو.. يستبرأ الخبر ويطمئن أصحابه بشعار.. لن تراعوا لن تراعوا..
ليس يدنوا الخوف منه أبدا ** ليس غير الله يخشى أحدا
يغدوا وهوج الذاريات رواكد ** ويبيت يسري والكواكب نوموا
وحسبه أنه نبي....... كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس يحقر كل ما يسميه الناس خطرا.. يثبت حين تزلزل أقدام الأبطال رهبا.. موقفه أقرب موقف من عدوه.. إذا اتقدت جمرة الحرب آوى الناس إليه وإحتموا بظله..
يتقي الموت به أشياعه ** حين جف الريق وانشق البصر
يشهد بذلك غصن من دوحته وجزء من جملته.. يؤكد العيان بالبيان ويؤد الإصطاح بالمصباح.. إنه علي رضي الله عنه فارس الفرسان وفتى الفتيان.. البطل المقدام همام الهمام الليث الكرار.. مفرق كتائب الكفار من روي في شجاعته مشهود الأخبار.. ما أمسك بذراع علج إلا حار وانقطع نفسه وخار..
لو عاين الأسد الضرغام لمته ** ما ليم أن ظن رعبا أنه الأسد
يقول علي رضي الله عنه في رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ولقد رأيتنا يوم بدر وقد حمي البأس واحمرت الحدق.. ونحن نلوذ ونتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وأشدنا بأسا.. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به..
له من بديع العزم ما لو تلوته ** على جبل لنهال في الدوي ربده
له هيبة في قوله وفعاله ** فلوا شاهدته الأسد كانت تهابه
هذه شهادة علي.. وحسبه أنه رسول نبي..........
لا تسألن القوافي عن شجاعته ** إن شئت فاستنطق القران والصحف
كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس لم يملأ صدره هول قط.. وما كر إلا كان أول طاعن ولا عاينته الخيل إلا اقشعرت..
يكون أمام الخيل أولا طاعن ** ويضرب أخراها إذا هي ولت
روي أن أبيّ ابن خلف قال بعد بدر متهددا.. إني لي فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا..
ظل عنك المحال يا من تعنى ** ليس يلقى الرجال غير الرجال
هيهات لقد رمت أمرا يا أبيّ ** ودونه خياطف إلود صعاب مراتبه
شماريخ لو أن أبيّ أراداها ** رأى نفسه أذل من القرد
(فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ).. بلغت المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة.. بل أنا أقتله عليها إن شاء الله.. وحاله:
فأنتم وعدتم بالهدية قبلنا ** فكان علينا يا أبيّ ثوابها
وفي يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم أبيّ فآذنوني.. لأنه صلى الله عليه وسلم لا يلتفت في القتال وراءه..
هزبر تفادى الأسد من وثباته ** لو مربض عنه يحيد الأكابر
إذا ما رأته العين غير لونها ** له واقشعرت من عراه الدوائر
أقبل أبيّ يركض فرسه متدرعا بالحديد مملوء الوطاب من سوء أدب الخطاب..

لو أن خفة عقله في رجله ** سبق الغزال ولم يفته الأرنب
يبحث عن حتفه بظلفه ** ويجدع مارن أنفه بكفه
يصيح بأعلى صوته: يا محمد لا نجوت إن نجوت.. يا محمد لا نجوت إن نجوت..
فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ما كنت صانع حين يغشاك فقد أتاك.. وإن شئت عطف عليه بعضنا فكفاكه.. فأبى صلى الله عليه وسلم أشد الإباء..
بطل تشيعه الأسود إذا غزى ** حتى وثقنا أنها من جنده
قنصت مهابته البزات وصادت ** الأسد الكماة قشاعم من جرده
فصاح أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما أبى: نوصيك بالبغل شرا فإنه ابن الحمار.. رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبادره.. بل تركه يرعد وهو في غاية السكون والتؤدة والهدوء..
وهدوء أمواج البحار تأهب ** للمد يكتسح الشواطىء صرصرا
إذا رأيت الموج في البحر سكن ** فالموت كامن لإغراق السفن
ما أحد يشبهه صلى الله عليه وسلم ولا يكون له إذا جد الجد..
يتلاشى البحر في نيرانه ** ويخاف البحر من طوفانه
ولما دنى أبيّ تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة ثم هزها.. وحاله:
اقترب الوعد وحان الهلاك ** وكل ما تحذره قد أتاك
ثم انتفض بالحرمة كما ينتفض البعير.. فتطاير الصحابة من حوله تطاير الشعارير.. هيبة له حتى إذا رضيها عطف عليها بالفاء لا بثم.. فضربه بها في عنقه في فرجَة بين درعه وبيضته.. فأقتلعه من على فرسه فخر..
فلم يزده الله إلا هوانا ** وهو مهتضم حقير
وكان كفاقع عينيه عمدا ** فأصبح لا يضيء لها النهار
جعل يخور كما يخور الثور.. قتلني محمد.. قتلني محمد.. وعاد عواء بعد نبح هريره..
متبرقعا لؤما كأن عيونه ** طليت حواجبها عنية قاري
لم تغني عنه سيوف الهند مصلتتا ** لما أتته سيوف الواحد الصمد
جاءه أصحابه يقولون: أبا عامر والله ما بك من بأس ولو كان الذي بك بعين أحدنا ما ضره.. فقال: واللات والعزى لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون.. أليس قال لأقتلنك..!! والله لو بصق علي لقتلني.. فأصمت منهم كل من كان ينطق..!!
وما هم إلا بائل من مخافتي ** وآخر منهم ظل بالريق يشرق
وباء أبيّ بالصفقة الخاسرة ** وضيع الدنيا والآخرة
وهلك في طريقهم إلى مكة ولا يجني الظالم إلا على نفسه..
ومن ينزوا في أرض تسوخ فإنه ** على قدر ما ينزو يغوص ويغرق
شجاعة أعجزت قولي ** وفخري أن يلم بها لماما
ولولا إحتقار الأسد شبهتها به ** ولكنها معدودة في البهائم
كل الذي قلت شيء من شجاعته ** ما زدت إلا لعلي زدت نقصانا
فمن رام من شجاعة المختار كل الأخبار.. فدونه نزح البحار وما هذه كلها إلا إيماض برق باختصار..!!

ألفاظها نمت على مضمونها ** وصدورها دلت على الإعجاز
قولوا لأشباه الرجال تصنعا ** إلا تكونوا مثله فتقنعوا
معشر الإخوة:
أما إنه لولا الإيمان مقرونا بهذا الخُلق.. ما قام لله ناصح وما نفح عن الإسلام منافح.. إن الشجاعة ليست منازلة في الحروب فحسب..!!((الشجاعة)) تكليف يلتزم المسلم أداءه في السلم والحرب.. الأمر والنهي عن المنكر في عالم ضال((شجاعة)).. الدعوة إلى الإصلاح في أمة فاسدة النظم((شجاعة)).. الثبات أمام الشبهات والشهوات((شجاعة)).. فعل أوامر الله والكف عن نواهي الله((شجاعة)).. الدفاع عن النفس والمال والعرض والدين والمظلوم((شجاعة)).. ثبات المسلمة أمام شبهات أدعياء تحرير المرأة((شجاعة))..
هكذا كوني ولا تخشي أذى ** من أحب الشهد قاس الأبرا
الإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس((شجاعة)).. المجاهدة على ذلك كله((شجاعة))..
وكل شجاعة في المرء تغني ** ولا مثل الشجاعة في الحكيم
معشر الإخوة:
بهذا الخُلق نصر الإسلام على يدي أبي بكر رضي الله عنه يوم الردة.. والإمام أحمد رحمه الله يوم المحنة..
وإن لم يسر نجل السري بسيره ** فلا بدع إن طال العدى إنه دعي
هذا الخُلق هو الذي ترجم معنى لا إله إلا الله في قلب عبدالله رضي الله عنه ابن رأس النفاق أبي.. حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأبيه ودعاه.. فخمر أنفه وقال: غبر علينا ابن أبي كبشة إليك عنا فقد آذانا نتن حمارك.. فغضب عبدالله لله.. وفي ظلال قول الله..(لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ).. أتى رسول الله وقال: يا رسول الله والذي أكرمك بالهدى ودين الحق لإن شئت لآتيتك برأسه.. حاله:
وإني لأرجوا أن أنال بقتله ** من الله أجرا مثل أجر المرابط
فقال صلى الله عليه وسلم:..... لا...... ولكن بر أباك وأحسن صحبته.. والحال:
فما البحر الخضم يعاب يوما ** إذا بالت بجانبه القرود

هذا الخُلق مع الإيمان هو الذي حرك الغيرة في قلب الشيخ المحاربي.. حين رأى منكرا على الحجاج لا يسعه السكوت عليه.. فأنكر عليه وهو يستشعر أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.. فقال له: أسكت وأغرب والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب بها وجهك..
فقال الشيخ بعزيمة جبارة لو ** حملت أحدا لما شعرت له بكلال
سبحان الله إن صدقناك أغضبناك وإن غششناك أغضبنا الله.. ولا والله الذي لا إله إلا هو.. لغضب الأمير أهون من غضب الله..(وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) ثم مضى.. وحاله:
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي ** ولا طاش عقلي يوم تلك الزلازل

وما أنا ممن تقبل الضيم نفسه ** ويرضى بما يرضى به كل مائق
هذا الخُلق مع الإيمان هو الذي جعل عبادة في فتنة القول بخلق القرآن يصدع ويقول: كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.. ثم كان حجة يفهم من يقول بذلك القول.. حين دخل يوما على الواثق وقال: يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في القرآن..!! قال: ويلك القرآن يموت..!! قال: يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت.. ثم موه عليه ومخرق.. قال: بالله يا أمير المؤمنين من يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن..

فأعاد الحر منهم حائرا ** وثنا منهم المنطيق مفحما
سيرت سفنهم في بحره ** فهوت في قعره والتطما
سدت الطريق وأغص بالريق ويئس من الساحل الغريق..!!
وإن رغمت أنوف من أناس ** فقل يا رب لا ترغم سواه
وما كانت كِلام السيف يوما ** لتبلغ مثل ما بلغ الكلام

هذا الخُلق مع الإيمان هو الذي جعل دعاة القيم يزدرون حطام الدنيا وينظرون بشفقة ورثاء لمن يلهث ورائها كخادم لسيده..

تراه يشفق من تضييع درهمه ** وليس يشفق من دين يضيعه

حداه في درهمه أعز عندي من وحيد أمه كل المنى في ضمه وشمه.. فرفعوا أصواتهم إنما هذه الحياة الدنيا متاع.. من هؤلاء شاعر مسلم شجاع استنفر فوجب عليه النفير.. لما سمع يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري.. خرج مجاهدا في سبيل الله أمسكت به زوجته وهي تبكي وتقول: كيف تخرج وتتركني..؟! إلى من تدعني..؟! فكر وتأمل ورأى أن لا عذر له فولى وهو يغالب عواطفه.. يقول:

باتت تذكرني بالله قاعدة ** والدمع ينهل من شانيه سبلا
يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ** كرها وهل أمنع الله ما فعلا
فإن رجعت فرب الكون أرجعني ** وان لحقت بربي فابتغي بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ** أو ضارع من ضنا لم يستطع هولا

ثم مضى شجاعا آثر الله ورسوله والدار الآخرة وجعل الدنيا دابة يركبها يستخدمها ولا يخدمها حداءه..

اختر لنفسك منزلا تعلوا به ** أو مت كريما تحت ظل القسطل
موت الفتى في عزة خير له ** من أن يعيش أسير طرف أكحل

عبد الله..........

من يرضى بالعير يهجر كاهل الفرس ** أتطلب جيفة الغربان يا خير الشياهين

خذها رافعيا إذا رأيت أمة فتنت بدنياها.. فاعلم أنها أمة جبانة مأكولة مفلولة.. فلو شهرت السيف الماضي.. لقاتل في يدها بروح ملعقة.. ولو رعدت بالأسطول المهول.. لصلصل كآنية المطبخ..

أسود لدى الأبيات عند نسائهم ** ولكنهم عند الهياج نقانق
إذا أبصروا شخصا يقولون جحفل ** وجبن الفتى سيف لعينيه بارق
فلا رحم الله امرأ باع دينه ** بدنيا سواه وهو للحق رامق

.. ..

هذا الخُلق مع خوف الله هو الذي جعل القاسم ابن محمد رحمه الله أحد الفقهاء السبعة يقول لمن سأله عن شيء لا يعلمه: لا أعلمه.. لا أحسنه.. فجعل يقول الرجل: إني أرسلت إليك لا أعرف غيرك..!! فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي.. والله لا أحسنه.. ووالله لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا علم لي به..

نأى بأعطافه من خوفه ورسا ** بأصله وسما بالأنف والراسي

فقال شيخ من قريش كان بجنبه: إلزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم..!!

تحكي السماء إذا أنوارها لمعت ** برج ببرج ونبراسا بنبراس

كم شارب عسلا فيه منيته ** وكم تقلد سيفا من به ذبحا

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)..

هذا الخُلق مع القرآن هو الذي جعل الشيخ ابن باز رحمه الله أسد إذا علم بظلم يقع على المسلمين أو عدوان على شريعة رب العالمين..

الحلم شيمته ولكن حينما ** يعصى الإله فإنما هو ضيغم

فلا يغرنك وجه راق منظره ** فالنصل فيه المنايا وهو بسام

يقول المجذوب رحمه الله: حينما كان الشيخ للجامعة الإسلامية صدر حكم بقتل أحد الدعاة في بلد ما فاعترى الشيخ ما يعتري المؤمن من غم في هذه النازلة التي تستهدف الإسلام.. فنفسه تخذل عنه يقول المجذوب: فكلفني بصياغة برقة لحاكم ذلك البلد.. قال: فكتبتها بقلب منذر يقطر غيرة وغضبا وجئت بها وكلي يقين أنه سيدخل على لهجتها من التعديل ما يجعلها إلى لغة المسئولين المنذرين.. لكنه حطم كل توقعاتي..!! فأقرها جميعا ثم قال أضف إليها قول الله..(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً).. وأرسلت الرسالة وقضى الله قضاءه وقد أدى الشيخ ما عليه رحمه الله.. وحاله:

وما كل نفس تحمل الذل إنني ** رأيت احتمال الذل شأن البهائم

ولا خير في العيدان إلا صلابها ** ولا ناهضات الطير إلا صقورها

ولا عجب يا معشر الإخوة فقد نقل عنه أنه قال يوما: والله منذ عقلت إلى اليوم ما أعلم أني عملت عملا لغير الله..

تعود صدق القول حتى لو أنه ** تكلف قولا غيره لا يجيده

فرحمه الله.............

هذا الخُلق مع الحق هو الذي جعل شابا مسلما يدخل في جموع النصارى.. ليفحم كبيرهم حين وقف يتحدث عن عيسى عليه السلام ويضعه في منزلة الله ويقول: من قال آمنت بعيسى إله لم يضره شيء ولم يتعرض لأذى..!! واستمر بعقول الناس ويداعب خيالهم وآمالهم بتعاليل لا تطفىء الغليل..!!

كلام كل ما فيه هراء ** وأشخاص الحكاية أغبياء

فقل أين التصامم والعماء ..؟! لكن أعذب الأصوات عند الحمير صوت الحمار.. عندما انتهى قام الشاب المسلم الشجاع وسأله قائلا: هل فعلا أنت تؤمن حق الإيمان بأن من قال آمنت بعيسى إله لا يضره شيء..؟! قال القس: نعم..!! فأخرج الشاب

كأسا استجلس بها الراكب واستركب بها الجالس وقال: إن في هذه الكأس سما نوعه كذا ودرجة تأثيره كذا أرجوا أن تثبت لنا بطريقة عمليه تترجم صدق إيمانك بما قلت وتشرب بما في داخل هذه الكأس..؟!
فمحا بنور الحق آية ليلهم ** وتطايروا كالحمر لاقت قسورا
اتضح الحق.. والقس افتضح .. إسود وجه.. وأربد وهدد وأرعد.. ثم لان الجعد وسكن الرعد.. وحاله:
لا مساس.. لله الأمر من قبل ومن بعد.. كالسامري يقول إن حركته دعني .. فليس علي غير إزاري..!!
كذلك يعلوا الحق والحق واضح ** ويسهل كعب الزور والزور عاثر
هذا الخُلق مع الإيمان هو الذي جعل المهلب يعرض عن من شتمه وأقذعه وبهته بما ليس فيه.. ولما قيل له: لما لا ترد عليه..؟! قال: لا أعرف مساوئه وأخشى الله أن أبهته بما ليس فيه..!!
ومن الناس اسود خدر**ومن الناس ذباب وطنين
وهذا الخُلق مع إيمان كالجبال هو الذي حرك سيف الله ليث الإسلام وفارس المشاهد.. أبا سليمان خالد رضي الله عنه فدمر جيش مهران الفارسي مع نصارى العرب بأكمله.. دون أن يخسر جنديا واحدا..!!
يستسهل الصعب إن هاجت حفيظته ** لا يشاور إلا السيف إن غضبا
لما إلتقى جيش الإسلام بجيش الفرس مع النصارى العرب قال أحد نصارى العرب لمهران الفارسي: دعنا وخالدا نحن العرب أعلم بقتال العرب.. فقدمه مهران الفارسي ليتقي به..
وكيف يجيء البغل يوما بحاجة ** تسر وفيه للحمار نصيب
ولكن..........؟!
وإذا الحمار بأرض قوم لم ** يروا خيلا قالوا أغروا محجل
بلغت المقالة خالدا رضي الله عنه فعزم على أن يلقن المغرور درسا لكل مغرور ويخبره أي رجال حرب هم المسلمون.. وفي أناة القطاة ووثوب الأسد قام عاشق المفاجأة من لا ينام ولا ينيم.. ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.. وقال: إني حامل عليه بعينه ومينه..!!
فما كان إلا الليث انهوه الطوى ** وما كان إلا السيف فارقه الغمد
خرج إليه في جريدة من الخيل وهو مشغول بتسوية صفوف جيشه وجيشه منشغل بالنظر إلى خالد.. ما عسى أن يفعل أمام عشرات الآلاف وبينا هم غارقون في دهشتهم.. إذ انقض خالد في أسلوب صاعق مفاجيء كالبرق الخاطف والرعد القاصف والريح العاصف.. على المغرور فاختطفه من بين يدي جيشه كأنه ذباب..
ذباب طار في لهواته ليث ** كذاك الليث يلتهم الذباب
حمله على فرسه كما يحمل الصبي الرضيع ليرجع به إلى المسلمين.. وحاله:
فلو كنت حر العرض أو ذا حفيظة ** غلبت ولكن لم تلدتك الحرائر
ثم قال له خالد نفس مقالته: نحن العرب أعلم بقتال العرب.. ثم قده بالسيف ورماه على الجسر وقال: هكذا فاصنعوا بهم.. لله در أبي سليمان.. إنتضح بحره فأغرق..!!

وقدح زنده فأحرق..!! فصار حيهم ميتا وهذرهم صمتا وجبالهم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا.. لم يتحملوا الصدمة فلاذوا بالفرار..!!
وضاقت الأرض حتى صار هاربهم ** إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
فركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويسبون وهرب من هرب منهم إلى الحصن ثم نزلوا على رأيه فدمر جيشهم بأكمله ولم يخسر من جيشه..!!
لا يغمد السيف إلا بعد ملحمة ** ولا يعاقب إلا بعد تحذير
بعض المواقف يا رجال حرائر ** والبعض يا ابن الأكرمين إماء
ما جاء سيف الله من خمارة ** ما أنجبته الليلة الحمراء
حالـه:
أناضل عن دين عظيم وهبته ** عطاء مقل مهجتي وحياتيا
فممتثل لله أسلم وجهه ** يقول أنا وحدي سأحمي دينيا
بظهري ببطني بالذراع بمقلتي ** بجنبي بعظم الصدر حتى التراقيا
على ذروة التوحيد تخفق رايتي ** وتحت روابيها تصب دمائيا
بمثل هذا الشجاعة في إيمان بالله ترتفع راية الله.. في أرض الله.. وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله.. لا توهمه بعيدا إنما الآتي قريب..!
لكن النصر لا يأتي ** جزافا بائنا عن مقصدي
لكنه بالصبر والإيمان**لا الفعل الردي
يا قوموا إن الله أكبر**من جموع المعتدي
فامضوا على نهج الرسول**وعزمه المتوقدي
تجمل أيها الآسي**وبث الخير في الناسي
وقرب فارس الإيمان**واطرد فارس اليأسي
ليزرع دربنا وردا**ويتحفنا بريحاني
ويقطع مارد الأشواك**في رفق وإحساني
ويسقي من معين الوحي ** عذبا كل ظمآني
أيها الجيل:
إن سلاحنا الذي لا يفل هو إيماننا.. فكلما قوي إيماننا ازداد يقيننا بتحقق وعد الله بالدفاع عنا..(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)..
أيها الجيل:
مالنا من فائت أضعناه من خصال أسلافنا.. وحرمناه بسوء فعالنا.. مثل الشجاعة بلا تهور ولا حماقة.. ولعمر الله.. إن تلك الشجاعة لم تمت إنما هي كامنة..!! ولم تنطفىء شعلتها فهي في كنف القرآن والسنة آمنة..!! وما دامت نفحات الوحي تلامس القلوب والعقول على أيدي القدوات فلابد من يوم يتحرك فيه ذلك العرق المخبوء ليأتي بالعجائب..!!
إن الرماح حدائد منبوذة ** حتى يثقف جنبيها سمهر
أيها الجيل الخاطب:
الشجاعة عقيلة كرام لا يساق في مهرها بهرج الكلام..!! إنها كريمة بيت لا تنال بلو أو ليت..!! إنما تنال بالإيمان الثابت.. يظاهره مجاهدة ومصابرة.. وقوة توكل في ثقة

وحلم وأناة وشدة بأس.. بلا يأس ولا طمع ولا فزع.. مع نظر في سير أنبياء الله.. وكثرة ذكر لله وحبس للنفس مع منهم كذلك من عباد الله...

ترنوا إلى تلك الوجوه التي ** فيها يضيء الليل بل يرحل

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)..

من رام نيل الشيء قبل أوانه ** رام انتقال يلملم وعسيب

ومستعجل الشيء قبل الأوان ** يصيب الخسارة ويجني التعب

أيها الجيل:

الحق ساهر والعدو وقح كافر.. لم يعد يخشى من التصريح بنا.. يريد فعله في ديار المسلمين.. ألفاظه محددة صريحة لا تورية.. فعلى الأمة أخذ الحذر في تعقل ووعي.. لا يجر الأمة إلى معركة ليست مستعدة لها.. الهجمة عظيمة لو قدر لها أن تنجح فلن تبقي ولن تذر..!! وعندها تتحول الأمة عافاها الله.. إلى رعاة خنازير لعباد صليب..!!

فيا أمتي فكري في المصير ** فان الحساب علينا عسير

فلنطرح التصرفات الرعناء جانبا.. لسنا دعاة حرب اليوم.. بل في حالة دفاع عن ضرورياتنا.. من دين ونفس ومال وعرض ومقدسات بكل وسيلة تنفع ولا تضر.. وليس يكون ذلك إلا برد الأمر إلى أهله الذين يستنبطونه.. لسنا في حالة هجوم لكن علينا أن نشعر من تسول له نفسه أن يقترب من حياضنا.. أننا لسنا اللقمة السائغة بل اللقمة المرة..!! التي لن يشعر معها بسعادة إن حاول بلعها أبدا.. بل تسد حلقه حتى تقضي عليه والله غالب على أمره..

أعداء الله مسلكهم خائب وكيدهم حابط.. وسعيهم في ضلال وأخرتهم خزي ووبال.. ولم يبق منا نحن إلا أن ننصر الله لِنُنْصَر.. حققوا الشرط يحقق الله الجزاء..(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)..

عبد الله.. تعرف سبيل المجرمين من كتاب رب العالمين.. وجدد الإيمان وأكد التوحيد وزد نون التوكيد..

خذ يا مليك فكلنا ** من بحر جودك والعطا

خذ من سويدانا ** قرابين المحبة والولا

ما ظل ماء في البحار ** وطار طير في السما

أيها الجيل:

إنما السائل من لون الإناء.. إن تأنيث الأسماء جبن يورث تأنيث الشمائل والطباع.. والظاهر يؤثر على الباطن.. لقد كان المسلمون على عدوهم صخورا وجنادل.. يوم كان منهم صخر وجندلا..!!

وكانوا عليهم غصصا وسموما يوم كان فيهم مرة وحنظلا..!! وكانوا عليهم حسكا وشوكا يوم كان فيهم قتادة وعوسجا..!! ولا يرضى بالأسماء والكنى والألقاب الرخوة إلا العبيد..!! وما شاعت هذه الرخاوة يوم كان المسلمون سادة ..!! وما راجت بينهم إلا عندما أضاعوا السيادة والقيادة..!! أما والله لو نادى منادي ببعض هذه الأسماء في حظرة عمر رضي الله عنه لهاجت شرته وبادرت بالجواب درته..!!

فإن لم يكن حسن فعال فليكن ** قوة اسم وكنية ولقب وحسن فال

وعادت النصل أن يزهى بجوهره ** وليس يعمل إلا في يدي بطل
أيها الجيل:
المسلمون جسد واحد.. ودار الإسلام دار واحدة.. لا تقبل القسمان..!! فإذا حاول تفريقها محاول.. سفهته السواحل باتحاد أمواجها.. وصدمته الجبال بتناوح أثباجها.. واشتباه فجاجها.. وكذبته الصحاري بسرابها وسراجها.. ومراتع غزلانها ونعاجها ومراعي أذوادها وأعراجها..
لن نبلغ الآمال في دربنا ** ما لم نوحد سيرنا في اللقاء
وهل يهز العضو إذا لم ** تكن الأعضاء ذات التقاء
إن الخلاف جبن وفشل وذهاب ريح.. والشاهد وحي الله.. لا يكاد يذكر الأحزاب بلفظ الجمع إلا في مقام الهزيمة والخلاف(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ).. ولا يكاد يذكر الحزب بلفظ مفرد إلا في مقام الخير والفلاح(أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).. لقد مللنا جمع التكسير لكثرة ما تردد.. وسئمنا منه لكثرة ما تعدد ونتطلع لجمع السالم الصحيح يحدوا ويغرد..
إن التفرق شر كله.. وشره ما كان في الدين.. وأشنعه ما كان عن هوى.. ونتيجته التعادي.. وأثره السخرية من الدين.. وما أعظم جناية مسلم.. يقيم من عمله الفاسد.. حجة على دينه الصحيح..
إذا افترقت آراء قوم تشتتوا ** ولم يرجعوا إلا بعار التخاذل
نريد مواجهة عدونا فلا يكون بأسنا بيننا..
نريد إقامة فرض فلا تشغلونا بالخلاف في نافلا..
نريد بالإسلام العاليا فلا تنزلوا به بالخلاف السافلا..
الخلاف شر كله والعدو يستهدف الجمع كله(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)..
أرضنا أرض كتاب الله فيها**كملت دائرة الوحي الأخيره
شهدت مبعث خير الناس لما**تتمم الأخلاق في أكرم سيره
يئس الشيطان أن يعبد فيها**فانبرى يطلب تفريق العشيره
اجمعوا الآراء كي نبني بناءا**دونه تهوي الأساطيل المغيره
واحذوا أن يوقد الشيطان فيكم**لهب التحريش يا أهل الجزيره
فاتِقوا أكناف ورد الحب**حتى يجد البائس والشاتي عبيره
أيها الجيل:
ما غرد بلبل بغير حنجرة
قل من يحتقر الليث تقدم ** حينما تسمع عن قرب زئيره
والله لن نجاري الأمم ونفوقها في ميادين الحياة.. إلا((بالإسلام وأخلاقه)).. فإن لم يكن فنحن هازلون في جد الزمان..!! مغترون بالخوف بعهده الأمان..!! سائرون إلى الورا بهدى الشيطان..!! من تطلع إلى ثوب العز فليحكه بأنامله..
وليجلبه بعوامله وإلا فشاعر الذي يقول: ما حك جلدك صارخ في واد ** وسيبويه نافخ في رماد
يا من يداوي الجرح من دائه ** مهلا فلن تحظى بطعم الشفا

ماذا يفيد الظامئين المنى ** إن لم يروا ماء بذاك السقا

أيها الجيل:
ظل سبيل من وها سقائه.. ومن أريق بالفلاة ماؤه.. لا تطلب الحكمة من عند غيرك.. فعندك معدن الحكمة كتاب وسنة.. لا تتطفل على موائد الغير فعندك الجفنة الرائدة..
هل يطلب الماء ممن يشتكي عطشا**أو يطلب الثوب ممن جسمه عاري
العمل.. العمل.. بكتاب الله تلك نصرته حقا(وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً).. لا تكونن كبارق ليس في برقه ندى..!!
أوقد من الحق للراجين نبراسا ** واقرع لإيقاظ أهل الكهف أجراسا
وأبشر..........أبشر فإنك رأس والعلا جسد ** والمجد وجه وأنت السمع والبصر
ولم تزل نخلة الإسلام باسقة مليئة بعذوق التمر والرطب.. وإن الفقاقيع تطفوا ثم يمضينا..!!
لا يأس.... فالنخلة الشماء كانت بذرة تحت التراب والموجة الرعناء كانت قطرة فوق السحاب..!!
لا يأس... فالفجر يولد رغم أشباح الظلام والشمس تشرق رغم أطباق القتام..!!
لا يأس... فالريح لا تهوى سوى قمم الجبال والطير لا ترقى سوى الشجر الطوال والورد لا يزدان إلا فوق أطراف التلال..!!
لا يأس... إن أظلمت فستنجلي وكمثل ما حملت تضع..!!
لا يأس... إن ضاقت الأرض على بلبل فسوف يشدو في رحاب السماء..!!
أيها الرافع في وجه غصون الشوك ما أخفيت بال....!
إنني أملك في وجه المآسي السود رايات اتزان.....!
إنني أبصر شمسا تشرئب الأرض في شوق إليها يتسامى الأخشبان.....!
وأرى نهرا من النور يغني فيتيه الشاطئان......!
وأرى القصواء تحيي في رمال البيد أقوى مهرجان......!
وارى بلقاء سعد وأبا محجل والسيف اليماني وأطراف السنان.....!
وأرى اليرموك تستعذب صوت النهروان......!
أيها الرافع في وجه غصون الشوك ما أخفيت بان.......!
مرحبا بالموت في عز ويا بعد هوان.......!
(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)..
هو الله الذي يخشى..
هو الله الذي يحيي..
هو الله الذي يحمي..
وأهل الأرض كل الأرض.. لا والله ما ضروا ولا نفعوا.. ولا رفعوا ولا خفضوا.. فما لاقيته في الله فلا تجزع ولا تيأس(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)..
سيروا فإن لكم خيلا ومضمارا ** وفجروا الصخر ريحانا ونوارا
وذكرونا بأيام لنا سلفت ** فقد نسينا شرحبيلا وعمارا
وإن الفجر مرتقب بلا ريب سيأتينا ** ويملأ نوره أرجاء هذي الأرض يحيينا

وإنـا لنأمل نصـر الليـوث وأن يلقم الحجـر النـابح..!!... إلهنـا قد تـم مـا أردنـا وغايـة انتهائي ما قصدنا...
إيماض لمع ومر.. نقطة من يم.. وقرطعب من جم وعبر.. ووخز إبر.. وجمل من الأخلاق سمعنا ومبتداها ولا زلنا في انتظار الخبر.. فإيعاب هدي المصطفى وخلالـه عسير.. فمن يقوى علـى حصـر الأنجـم.. أرجـوا الله أن يهـز بهـذا الإيمـاض جامـدا.. ويؤز إلى الخير خامدا.. لنجني شيئا من ثمـرة النيـة.. ونغيـر أواخـر الأسماء المبينـة.. فـإن تـم فبيـان وتوكيـد.. وذاك مـا نريـد.. وإلا فهـو بـث ونفـث.. ومعـراج صـعود لمـن يريد.. ربما تبلغ يومـا كلمـاتي للقلـوب.. والله يقضـي بهبـات جمـة.. لـي ولكـم ولجميـع الأمـة.. ونسـأل الله القبـول والرضـا.. والختم بالحسنى إذا العمـر انقضـى.. اللهم إليك نشكو ضعف قوتنـا.. وقلة حيلتنا.. وهواننا على النـاس.. أنـت رب المستضـعفين وأنـت ربنا وأنت أرحم الراحمين.. نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات من أن تنـزل بنا غضبك.. لك العتبى حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك.. يا من لا يهزم جنده.. ولا يغلب أولياؤه.. أنت حسبنا ومن كنت حسبه فقد كفيتـه.. حسبنا الله ونعـم الوكيـل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. والحمد لله علـى إتمامـه.. ثـم صـلاة الله مـع سـلامه.. علـى النبـي وآلـه وصـحبه وحزبـه وكـل مـؤمن بـه.. سـبحانك اللهـم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك..
~~~**__**__**__**~~~
لا تنسونا من صالح دعائكم

٥٨.مظاهر العظمة النبوية

مظاهر العظمة النبوية في الطفولة:
كان لطفولته صلى الله عليه وسلم مظـاهر واضـحة من العظمـة تـدل علـى رعايـة الله عز وجل له، حيث أعده الله عز وجل ليكون للعالمين نذيراً وليختم به النبوة والرسالة وأعدّه ليرتقي السماوات السبع ليصل إلى سدرة المنتهى إلى مكان لم يصله غيره من البشر.
ومن مخايل النجابة ومظاهر العظمة في طفولته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم:
١- أنه ولد من نكاح شرعي لا من سفاح جاهلي وهذه عصمة من الله عز وجل.
٢- أن أمه آمنة لم تشعر بما يشعرن به الحوامل من الضعف.
٣- رأت أمه لما ولدته نوراً خرج منها فأضاء لها قصور الشام.
٤- انكسـار البرمـة التـي وضـعت عليـه بعد ولادتـه علـى عـادة النسـاء مـن قـريش، إذ وجدت منكسرة على شقين ولم يبت تحتها صلى الله عليه وسلم فكانت له آية.
٥- ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته عند مولده صلى الله عليه وسلم.
٦- خمود نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة.
٧- امتلأ البيت الذي ولد فيه نوراً. ورؤية النجوم وهي تدنو منه حتـى لتكـاد تقـع عليـه صلى الله عليه وسلم.
~~~

فهذه وغيرها من الآيات التي واكبت ميلاده تعلن بشكل واضح علو شأنه وتخبر بما سيكون عليه مستقبل العالم كله.

مظاهر العظمة النبوية في الشباب:

ثم أثناء مراحل عمره في طفولته وشبابه كانت هناك آيات وإرهاصات تدل على تكريم الله عز وجل له وحفظه من كل ما يسوء فمن ذلك:

١ـ الاستسقاء به وهو صغير حيث استسقى به عمه أبو طالب وهو غلام صغير وفيه يقول:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه **** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

٢ـ عدم كشف عورته أبداً وفي ذلك قصة عجيبة: حين كانت قريش تبني الكعبة وكانوا يرفعون أزرهم على عواتقهم يتقون بها ضرر الحجارة وكان صلى الله عليه وسلم يضع الحجر على عاتقه وليس عليه شيء، فرآه عمه العباس – رضي الله عنه – فقال له: لو رفعت إزارك على عاتقك فلما رفعه سقط وسمع منادياً لا يراه يأمره بستر عورته فستر نفسه ولم يتكشف بعد ذلك.

٣ـ قصة بحيرى الراهب وهي مشهورة معروفة حيث لم ينزل من صومعته أبداً إلا لما مرت به القافلة التي كان فيها نبينا صلى الله عليه وسلم.

٤ـ تحكيمه بين قريش لما اختلف سادتها في وضع الحجر الأسود ورضاهم به لما رأوه داخلاً عليهم وقولهم (هذا محمد الأمين رضينا به حكماً)

فكل تلك الحوادث تدل على أن الله عز وجل كان يهيئه لمنصب النبوة والرسالة إذ لم تجتمع هذه الكرامات لأحد قبله صلى الله عليه وسلم

٥٩.ملامح العظمة في شخصية الرسول

الشيخ/ محمد حسين فضل الله

من العظماء، من إذا استغرقت في عناصر شخصيته فإنَّك تلتقي بذاته في نطاق الدائرة المحدودة من تلك العناصر التي جعلت منه إنساناً عظيماً صاحب فكرٍ أو صاحب قوّةٍ وما إلى ذلك، ما يمنح شخصيته ضخامتها الذاتية التي لا تمتد إلى أبعد من ذلك. ومن العظماء من إذا استغرقت في داخل شخصيته فإنَّك تنفتح على العالم كلّه، ذلك هو الفرق بين عظيم يجمّع عناصر عظمته من أجل أن يؤكّد ذاته وبين عظيم يجمّع هذه العناصر من أجل أن يعطي الحياة عظمة ويتجه بالإنسان إلى مواقع العظمة حتى تكون عظمته حركة في الحياة، حركة في الإنسان، ويجتمع الإنسان والحياة وينطلقا ليعيشا مع أجواء العظمة في اللّه العليّ العظيم.

من أولئك أنبياء اللّه الذين عاشوا للّه، فاكتشفوا الحياة من خلاله لأن الحياة هبة الله، واكتشفوا الإنسان من خلال معرفتهم بالله، لأنَّ الإنسان خلق الله. وبذلك، فإنَّهم لم يعيشوا مع اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ استغراقاً في ذاته بالمعنى العاطفي للكلمة، لتكون كلّ حياتهم مجرّد تأوّهات وتنهّدات وحسرات وما إلى ذلك، ولكنَّهم رأوا بأنَّهم عندما ينقذون الإنسان من جهله، إنَّما بذلك يعبدون اللّه، فقد ارتفعوا إلى اللّه من خلال رفعهم للإنسان إلى مستوى المسؤولية عن الحياة من خلال تعاليم اللّه، عاشوا الآلام

والحسرات مع اللّه من خلال حملهم لآلام الإنسان وتنهّداته من أجل أن تنطلق روحانيتهم في قلب مسئوليتهم.
ولذلك فالأنبياء ليسوا شخصياتٍ عظيمةً تعيش في المجال الطبقي الذي يصنعه النّاس لعظمائهم، ولكنَّ الأنبياء كانوا يعيشون مع النّاس، كانوا فيهم كأحدهم، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، يفتحون قلوبهم لإنسان يعيش ألماً من أجل أن يفسحوا المجال للفرح حتّى يطرد ذلك الألم، يتواضعون للنّاس، يستمعون إلى آلامهم، يشاركونهم، يعيشون معهم، لا يتحسّسون في أنفسهم أيّة حالة علوّ وهم في المراتب العليا، وممّا تنقله لنا السيرة » بأنَّ رسول اللّه كان ذات يوم يسير ورأته امرأة فارتعدت هيبة له فقال (صلى الله عليه وسلم): "ما عليك إنَّما أنا ابن امرأة مثلك كانت تأكل القديد".
إنَّه لم ينفتح على ما عاشته من هيبته لتكون هيبته فاصلاً بينها وبين إحساسها الإنساني به وإحساسه الإنساني بها، لم يرد للعظمة أن تكون حاجزاً بين إنسان وإنسان كما يفعل الكثيرون ممن يتخيّلون أنفسهم خطباء أو يرفعهم النّاس إلى صفوف العظماء فإذا بك تجد بينهم وبين النّاس حواجز وحواجز لا يعيشون التفاعل مع النّاس، وبذلك سقطت عظمتهم من خلال ما كانوا يؤكدونه من عظمتهم.
سرّ الإنسانية في النبوّة:
أمّا رسول اللّه فقد ارتفع إلى أعلى درجات العظمة عندما عاش حياة الإنسان، محتضناً له، ليرحمه وليرأف به، فلأنَّ سرّ إنسانيته في سرّ نبوته، في سرّ حركته في الحياة. لذلك قد نجد أنَّ بعض النّاس يتحدّثون في أشعارهم عن جمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعن لون عينيه وعن جمال وجهه ويتغزّلون به من خلال ذلك، في الوقت الذي نرى أنَّ اللّه لم يتحدّث عن كلّ ذلك، والسبب في ذلك أنَّ اللّه أراد أن يقول لنا بأنَّ الأنبياء الذين هم رسل اللّه إلى النّاس، انطلقوا مع الإنسان في صفاته الإنسانية التي تلتقي بالإنسان الآخر، أن تكون أيّ شيء في جمالك، أن تكون أيّ شيء في خصائص جسدك ذاك شيء يخصك لا علاقة له بالنّاس، لكن ما هي أخلاقك، ما هي انفعالاتك بالنّاس، ما هو احتضانك لحياة النّاس، ما هي طبيعة أحاسيسك، هل هي أحاسيس ذاتية تعيشها في ذاتك أو هي أحاسيس إنسانية تحتضن بها أحاسيس النّاس؟ كيف قدّمه اللّه إلينا؟
لم يذكر لنا نسبه، ونحن دائماً نصرّ على العائلية في الحديث، فلم يتحدّث لنا عن هاشميته ولا عن قرشيته ولا عن مكيته، لم يحدّثنا عن اسم أبيه، عن اسم أمّه، ولكن حدّثنا عنه بصفته الرسولية الرسالية: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم}، لم يأتِ من فوق ليطلّ عليكم من علياء العظمة، ولد بينكم، عاش معكم، تألّم كما تتألمون، وعاش الجوع كما تعيشون، وعاش اليُتم كما تعيشون اليُتم عندما تكونون أيتاماً، {من أنفسكم} وكلمة من أنفسكم تحمل في داخلها عمق المعنى الإنساني الذي يجعل النبيّ في الصورة القرآنية إنساناً مندمجاً بالنّاس الآخرين، يعيش معهم، من داخل حياتهم، من داخل آلامهم، من داخل أحلامهم، من داخل قضاياهم، بحيث لا يوجد بينهم وبينه أيّ فاصل، إنَّه يتابعكم وأنتم تتألمون، يتابعكم وأنتم تتعبون، يتابعكم وأنتم تواجهون مشاكل الحياة التي تثقلكم، يعزّ عليه ذلك ويؤلمه ويثقله، لأنَّه يعيش دائماً في حالة نفسية متحفزة تراقب وترصد كلّ متاعبكم ومشاقكم {حريص عليكم} وكلمة حريص

هنا تختزن في داخلها الكثير من الحنـان، من الأبـوة، من الاحتضـان، من العاطفـة.. يحرص عليكم فيضمّكم إليه، فتعيشون في قلبه، يقدّم لكم حلولاً لمشـاكل حيـاتكم، عن كلّ تعقيداتكم، يحرص عليكم فيوحّدكم، ويجمع شملكم تماماً كما يحرص الأب على أبنائـه والأم علـى أولادهـا، حـريصٌ علـيكم يخـاف أن تضـيعوا، يخـاف أن تسـقطوا، يخـاف أن تـموتوا، وهـو {بـالمؤمنين رؤوف رحـيم} (التوبـة:١٢٨) الرأفـة كلّهـا والرحمة كلّها، والرحمة في القرآن الكريـم ليست مجرّد حالـة عاطفيـة، نبضـة قلب وخفقة إحساس، بل الرحمة هي حركة الإنسان فيما يمكن لـه أن يحمـي الإنسـان، من نفسه، ومن غيره، من أجل الانطلاق بالإنسان.

رسول الرحمة:

ألـم نقرأ الآية الثانية وهي تحدّثنا عنـه {فبمـا رحمـةٍ من اللّـه لنت لهم}، هذه الرحمـة الإلهية التـي أنزلهـا اللّـه علـى النّـاس من خـلال تجسّدها فـي النبـيّ، بحيث بعث إليهم رسولاً يعيش وعـي الواقع ويواجـه كلّ التحجّر، تحجّر التقاليد، والعـادات والعقائد، والتعقيدات، وما إلى ذلك، فيواجه ذلك وهو يرى أنَّ هذا التحجّر يمكن أن يتحوّل إلى حجارة ترميه تماماً كما كانت الحجارة تدمي رجليه وهو فـي الطـائف، وكمـا كانت حجارة القذارات تثقل جسده وهو عائد من البيت الحرام أو ساجد بين يـديّ ربِّـه. كـان يعرف أنَّ هناك تحجّراً، وأنَّ الذي يريد أن يبعث الينابيع في قلوب النّـاس لا بُدَّ لـه أن يكتشف في الحجارة شيئاً من الينبوع، لأنَّ اللّه حدّثنا أنَّ من الحجـارة لمـا يتفجر منـه الماء، إنَّ هناك ينابيع في قلب الحجارة، لذلك لا تنظر إلى حجرية الحجارة ولكن انفذ إلى أعماقها.

لذلك لا تنفذ إلى النّاس المتحجّرين لتقول إنَّ هؤلاء لا ينفع معهم كـلام ولا يمكن أن ينطلقوا إلى الحوار، اصبر جيّداً، انطلق بالينبوع من قلبك، ليكن قلبك ولسـانك لينين، فـإنَّ لـين القلـب ينفذ إلـى أعمـاق الحجـارة ليخـرج منهـا المـاء، ولـين الكلمـة تنفذ إلـى حجارة العقل من أجل أن تفتح فيها أكثر من ثغرة {فبما رحمة من اللّـه لنت لهم ولـو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك} (آل عمران:١٥٩)، قال ذلك لكلّ إنسان يحمل مسؤولية فكر يريد أن يُقنع به إنسـاناً، أو يحمـل مسؤولية عاطفـة يريد أن يفتح عليها قلب إنسان، قال: أيُّها الإنسان المسؤول: المسؤولية تعنـي وعـي إنسـانية الآخـر والصـبر عليـه، إن كنـت مسؤولاً لا تصـبر ابتعـد عـن المسؤولية، لأنَّـك سـوف تثقـل النّـاس فيمـا تعتبـره مسـؤوليتك، وإن لـم تـعِ أمـور النّـاس، ولا تفهـم حركيـة عقـولهم وقلـوبهم وأوضــاعهم الحياتيــة فكيــف يمكــن أن تخاطــب النّــاس؟ فـتّش عـن مفتــاح الشخصية، وهو مفتاحٌ لا تصنعه عند صانع المفاتيح ولكن تصنعه وتأخذه من خـلال خالق المفاتيح {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو} (الأنعام:٥٩).

ومن مفاتيح الغيب تنطلق مفاتيح الرسالة، ومن مفاتيح الرسـالة تنطلـق مفـاتيح الـوعي وتنفتح الحياة كلّها، صفاته هي رسالته، ولـذلك إذا أردت أن تتحدّث عن صـاحب أيّ فكرة فلا بُدَّ أن تتحدّث عن أخلاقيته في حركة الفكرة، لأنَّ ذلك هو الـرابط الأساسـي له بالنّ

الشيخ محمد الدويش
١ - التربية بالقصة:
إن القصة أمر محبب للناس، وتترك أثرها في النفوس، ومن هنا جاءت القصة كثيراً في القرآن، وأخبر تبارك وتعالى عن شأن كتابه فقال:{نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن} {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى} وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: {فاقصص القصص لعلهم يتفكرون} ولهذا فقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج واستخدم هذا الأسلوب.
شاب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - وهو خباب بن الأرت رضي الله عنه - يبلغ به الأذى والشدة كل مبلغ فيأتي للنبي صلى الله عليه وسلم شاكياً له ما أصابه فيقول رضي الله عنه :أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أوعصب، مايصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله » [رواه البخاري (٣٨٥٢]
وحفظت لنا السنة النبوية العديد من المواقف التي يحكي فيها النبي صلى الله عليه وسلم قصة من القصص، فمن ذلك: قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وقصة الذي قتل مائة نفس، وقصة الأعمى والأبرص والأقرع، وقصة أصحاب الأخدود... وغيرها كثير.
٢ - التربية بالموعظة:
للموعظة أثرها البالغ في النفوس، لذا فلم يكن المربي الأول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله فقد كان كما وصفه أحد أصحابه وهو ابن مسعود -رضي الله عنه-:«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا» [رواه البخاري ٦٨].
ويحكي أحد أصحابه وهو العرباض بن سارية -رضي الله عنه- عن موعظة وعظها إياهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » [رواه الترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢)] وحتى تترك الموعظة أثرها ينبغي أن تكون تخولاً ، وألا تكون بصفة دائمة .
عن أبي وائل قال كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا [رواه البخاري (٧٠) ومسلم (٢٨٢١)].

٣ - الجمع بين الترغيب والترهيب:
النفس البشرية فيها إقبال وإدبار، وفيها شرّة وفترة، ومن ثم كان المنهج التربوي الإسلامي يتعامل مع هذه النفس بكل هذه الاعتبارات، ومن ذلك الجمع بين الترغيب والترهيب، والرجاء والخوف.
عن أنس -رضي الله عنه- قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط: «قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين [رواه البخاري ومسلم].
ومن أحاديث الرجاء والترغيب ما حدث به أبو ذر -رضي الله عنه- قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال:«وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال:«وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر» وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر [رواه البخاري (٥٨٢٧) ومسلم (٩٤)].
وعن هريرة -رضي الله عنه- قال كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة -والربيع الجدول- فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:«أبو هريرة؟» فقلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما شأنك؟» قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: «يا أبا هريرة» -وأعطاني نعليه- قال: «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة»...الحديث. [رواه مسلم (٣١)]
والمتأمل في الواقع يلحظ أننا كثيراً ما نعتني بالترهيب ونركز عليه، وهو أمر مطلوب والنفوس تحتاج إليه، لكن لابد أن يضاف لذلك الترغيب، من خلال الترغيب في نعيم الجنة وثوابها، وسعادة الدنيا لمن استقام على طاعة الله، وذكر محاسن الإسلام وأثر تطبيقه على الناس، وقد استخدم القرآن الكريم هذا المسلك فقال تعالى: {ولو أن أهل القرى..} {ولو أنهم أقاموا التوراة...}.
٤ - الإقناع العقلي:
عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: « أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال:«أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه

لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [رواه أحمد] .
إن هذا الشاب قد جاء والغريزة تتوقد في نفسه، مما يدفعه إلى أن يكسر حاجز الحياء، ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم علناً أمام أصحابه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم المربي المعلم لديه جانباً لم يدركه فيه أصحابه فما هو؟
لقد جاء هذا الشاب يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان قليل الورع عديم الديانة لم ير أنه بحاجة للاستئذان بل كان يمارس ما يريد سراً، فأدرك صلى الله عليه وسلم هذا الجانب الخير فيه، فما ذا كانت النتيجة: «فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»
٥ - استخدام الحوار والنقاش:
وخير مثال على ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في غزوة حنين بعد قسمته للغنائم، فقد أعطى صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم وترك الأنصار، فبلغه أنهم وجدوا في أنفسهم، فدعاهم صلى الله عليه وسلم ، وكان بينهم وبينه هذا الحوار الذي يرويه عبد الله بن زيد -رضي الله عنه- فيقول: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: "يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟« كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال: »ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟« قال كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن قال:» لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض« [رواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١)]
ففي هذا الموقف استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الحوار معهم، فوجه لهم سؤالاً وانتظر منهم الإجابة، بل حين لم يجيبوا لقنهم الإجابة قائلاً: (ولو شئتم لقلتم ولصدقتم وصُدقتم ...) .
٦ - الإغلاظ والعقوبة:
وقد يُغلظ صلى الله عليه وسلم على من وقع في خطأ أو يعاقبه:
فعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضباً من يومئذ فقال:» أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة« [رواه البخاري (٩٠) ومسلم (٤٦٦)].
وعن زيد بن خالد الجهني -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجل عن اللقطة فقال:»اعرف وكاءها -أو قال: وعاءها وعفاصها- ثم عرفها سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأدها إليه« قال: فضالة الإبل؟ فغضب حتى احمرت وجنتاه -أو قال احمر وجهه- فقال:» وما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء

وترعى الشجر فذرها حتى يلقاها ربها« قال: فضالة الغنم؟ قال:» لك أو لأخيك أو للذئب« [رواه البخاري (٩٠) ومسلم (١٧٢٢)].
وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه على هذين الحديثين » باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى مايكره«.
وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: »يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده« فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم . [رواه مسلم (٢٠٩٠)]
عن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال: "كل بيمينك" قال لا أستطيع قال: " لا استطعت ما منعه إلا الكبر" قال فما رفعها إلى فيه [رواه مسلم (٢٠٢١)]
إلا أن ذلك لم يكن هديه الراتب صلى الله عليه وسلم فقد كان الرفق هو الهدي الراتب له صلى الله عليه وسلم ، لكن حين يقتضي المقام الإغلاظ يغلظ صلى الله عليه وسلم ، ومن الأدلة على ذلك:
١- أن الله سبحانه وتعالى وصفه بالرفق واللين أو بما يؤدي إلى ذلك قال تعالى {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} فوصفه باللين وقال تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} ولا أدل على وصفه عليه الصلاة والسلام من وصف الله له فهو العليم به سبحانه.
٢- وصف أصحابه له:
فقد وصفه معاوية بن الحكم -رضي الله عنه- بقوله :فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني [رواه مسلم (٥٣٧)].
٣- أمره صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالرفق فهو القدوة في ذلك وهو الذي نزل عليه {لم تقولون ما لا تفعلون} فهو أقرب الناس إلى تطبيقه وامتثاله، وحينما أرسل معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال لهما: »يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا« [رواه البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٣)] .
٤- ثناؤه صلى الله عليه وسلم على الرفق، ومن ذلك في قوله:»ما كان الرفق في شيئ إلا زانه ولانزع من شيئ إلا شانه« وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة :»إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله« رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥)] وفي رواية:»إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه« [رواه مسلم (٢٥٩٣)].
وفي حديث جرير -رضي الله عنه- »من يحرم الرفق يحرم الخير« [رواه مسلم (٢٥٩٢) (ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف) .
٥- سيرته العملية في التعامل مع أصحابه فقد كان متمثلاً الرفق في كل شيئ ومن ذلك :

أ) قصة الأعرابي الذي بال في المسجد والقصة مشهورة.
ب) قصة عباد بن شرحبيل - رضي الله عنه - يرويها فيقول: أصابنا عام مخمصة فأتيت المدينة فأتيت حائطا من حيطانها فأخذت سنبلا ففركته وأكلته وجعلته في كسائي، فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال للرجل:» ما أطعمته إذ كان جائعا -أو ساغبا- ولا علمته إذ كان جاهلا« فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فرد إليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق [رواه أحمد (١٦٠٦٧) وأبو داود (٢٦٢٠) وابن ماجه (٢٢٩٨)].
ج)قصة سلمة بن صخر الأنصاري -رضي الله عنه- قال: كنت رجلا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان تظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان، فرقا من أن أصيب منها في ليلتي فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري فقلت انطلقوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمري فقالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا قرآن أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال:» أنت بذاك؟ « قلت: أنا بذاك، قال:» أنت بذاك؟ « قلت: أنا بذاك، قال:» أنت بذاك؟ « قلت: أنا بذاك، وها أنا ذا فأمض في حكم الله فإني صابر لذلك، قال:» أعتق رقبة« قال: فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت: لا والذي بعثك بالحق لا أملك غيرها، قال:» صم شهرين« قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال:» فأطعم ستين مسكينا« قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى ما لنا عشاء، قال:» اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك« قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي، فدفعوها إلي [رواه أحمد (٢٣١٨٨) وأبو داود (٢٢١٣) والترمذي () وابن ماجه (٢٠٦٢)].
٧ - الهجر:
واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الهجر في موقف مشهور في السيرة، حين تخلف كعب بن مالك -رضي الله عنه- وأصحابه عن غزوة تبوك، فهجرهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا يكلمهم أحد أكثر من شهر حتى تاب الله تبارك وتعالى عليهم.
إلا أن استخدام هذا الأسلوب لم يكن هدياً دائماً له صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن رجلاً كان يشرب الخمر وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم ... والمناط في ذلك هو تحقيقه للمصلحة، فمتى كان الهجر مصلحة وردع للمهجور شرع ذلك وإن كان فيه مفسدة وصد له حرم هجره .
٨ - استخدام التوجيه غير المباشر:
ويتمثل التوجيه غير المباشر في أمور منها:

أ ـ كونه صلى الله عليه وسلم يقول "ما بال أقوام"، دون أن يخصص أحداً بعينه، ومن ذلك قوله في قصة بريرة فعن عائشة ـرضي الله عنهاـ فقالت أتتها بريرة تسألها في كتابتها فقالت إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي فلما جاء رسول الله صلى اللهم عليه وسلم ذكرته ذلك قال النبي صلى اللهم عليه وسلم: "ابتاعيها فأعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق" ثم قام رسول الله صلى اللهم عليه وسلم على المنبر فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة شرط" [رواه البخاري (٢٧٣٥) ومسلم ()]

وحديث أنس ـرضي الله عنهـ أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» [رواه البخاري (١٤٠١)].

ب ـ وأحياناً يثني على صفة في الشخص ويحثه على عمل بطريقة غير مباشرة، ومن ذلك ما رواه عن عبد الله بن عمر ـرضي الله عنهماـ قال: كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكنت غلاماً أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تراع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل» قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً [رواه البخاري (٣٧٣٨-٣٧٣٩)].

ج ـ وأحياناً يأمر أصحابه بما يريد قوله للرجل، عن أنس بن مالك أن رجلا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أثر صفرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قلما يواجه رجلا في وجهه بشيء يكرهه فلما خرج قال:» لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه« [رواه أبو داود (٤١٨٢)].

د ـ وأحياناً يخاطب غيره وهو يسمع، عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لست بمجنون [رواه البخاري (٦١١٥) ومسلم (٢٦١٠)]

٩ ـ استثمار المواقف والفرص:

عن أنس ـرضي الله عنهـ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه يوماً وإذا بامرأة من السبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ضمته فقال صلى الله عليه وسلم :«أترون هذه طارحة ولدها في النار» قالوا: لا، قال: «والله لا يلقي حبيبه في النار؟» [رواه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤)].

فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة، مع عرضها في صورة مجردة جافة.
إن المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يستثمر هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة، تستعصي على النسيان.
والمواقف متنوعة فقد يكون الموقف موقف حزن وخوف فيستخدم في الوعظ، كما في وعظه صلى الله عليه وسلم أصحابه عند القبر.
عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى اللهم عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا... ثم ذكر الحديث الطويل في وصف عذاب القبر وفتنته. [رواه أبو داود (٤٧٥٣)]
ب - وقد يكون وقد يكون موقف مصيبة إذا أمر حل بالإنسان، فيستثمر ذلك في ربطه بالله تبارك وتعالى.
عن زيد بن أرقم قال أصابني رمد فعادني النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فلما برأت خرجت، قال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أرأيت لو كانت عيناك لما بهما ما كنت صانعاً؟» قال: قلت: لو كانتا عيناي لما بهما صبرت واحتسبت، قال:«لو كانت عيناك لما بهما ثم صبرت واحتسبت للقيت الله عز وجل ولا ذنب لك» [رواه أحمد].
بل إن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم مثل هذا الموقف لتقرير قضية مهمة لها شأنها وأثرها كما فعل حين دعائه للمريض بهذا الدعاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء الرجل يعود مريضا قال: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا ويمشي لك إلى الصلاة» [رواه أحمد (٦٥٦٤)]
إنه يوصي المسلم بعظم مهمته وشأنه وعلو دوره في الحياة، فهو بين أن يتقدم بعبادة خالصة لله ، أو يساهم في نصرة دين الله والذب عنه.
ج - وقد يكون الموقف ظاهرة كونية مجردة، لكنه صلى الله عليه وسلم يستثمره ليربطه بهذا المعنى عن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال:«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب} [رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم].
د - وقد يكون الموقف مثيراً، يستثير العاطفة والمشاعر كما في حديث أنس السابق في قصة المرأة.
١٠ - التشجيع والثناء:
سأله أبو هريرة - رضي الله عنه - يوماً :من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم «لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما علمت من

حرصك على الحديث» [رواه البخاري (٩٩)]. فتخيل معي أخي القارئ موقف أبي هريرة، وهو يسمع هذا الثناء، وهذه الشهادة من أستاذ الأساتذة، وشيخ المشايخ صلى الله عليه وسلم .بحرصه على العلم، بل وتفوقه على الكثير من أقرانه. وتصور كيف يكون أثر هذا الشعور دافعاً لمزيد من الحرص والاجتهاد والعناية.
وحين سأل أبيَ بن كعب: «أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟» فقال أبي:آية الكرسي. قال له صلى الله عليه وسلم «ليهنك العلم أبا المنذر» [رواه مسلم (٨١٠) وأحمد (١٤٢/٥)] ".
إن الأمر قد لا يعدو كلمة ثناء، أو عبارة تشجيع، تنقل الطالب مواقع ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد. والنفس أياً كان شأنها تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز. ويدفعها ثناء الناس -المنضبط- خطوات أكثر.
والتشجيع والثناء حث للآخرين، ودعوة غير مباشرة لهم لأن يسلكوا هذا الرجل الذي توجه الثناء له.

٦١.من مشكاة النبوة

د/ خالد سعد النجار
alnaggar٦٦@hotmail.com

عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق قيل ما القلب المحموم؟ قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد قيل فمن علي أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا و يحب الآخرة قيل فمن علي أثره؟ قال: مؤمن في خلق حسن (١).
كلمات ينبغي أن تكتب بماء الذهب، ونور لا يخرج إلا من مشكاة النبوة إنها دعوة لإرشاد النفس إلى طريق الخير دعوة امتزجت بكل الإخلاص بعيدة عن الهتافات والشعارات الجوفاء التي خالطها الرياء فلم يبق فيها من الخير شيئًا.
[خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق]
فالقلب العامر بنور الإيمان هو المعيار الأساسي للتقوى قال صلى الله عليه وسلم (التقوى هاهنا التقوى هاهنا ...وأشار إلى صدره) (٢) فأمر الإيمان ليس بكثرة الأعمال الظاهرة ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل (ألا وإن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (٣) لذلك كان صلاح القلوب بالطاعات الشغل الشاغل للمؤمنين الصادقين.
قال إبراهيم الخواص: (دواء القلب في خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسه الصالحين) (٤). والذنوب للقلب بمنزلة السموم إن لم تهلكه أضعفته ولابد، والضعيف لا يقوي علي مقاومة العوارض ، قال ذو النون المصري:[سقم الجسد في الأوجاع وسقم القلوب في الذنوب فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب](٤)
والقلوب الفارغة من طاعة الله موكله بالشهوات التي هي سبب هلكتها وموتها .

كيف الرحيل بلا زاد إلى وطـن *** ما ينفع المرء فيه غير تقـواه
من لم يكن زاده التقوى فليس لـه *** يوم القيامة عذر عند مـولاه

[قيل ما القلب المحموم (٥)؟ قال هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد] إنه القلب الخالي من آفات وأمراض القلوب كالبغي والغل والحقد والحسد... فهو القلب السليم التقي النقي الذي لا يفلح ولا ينجو يوم القيامة إلا صاحبه قال تعالى [يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم] (الشعراء ٨٨-٨٩)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار ينظف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال نعم قال أنس وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هو إلا ما رأيت قال فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق (٦).

[خير الناس ذو القلب المحموم و اللسان الصادق]

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة ١١٩) وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (٧)

قال أحد الحكماء: من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل. وقيل إن ربعي بن حراش لم يكذب كذبه قط وكان له ابنان عاصيان على الحجاج فطلبهما فلم يعثر عليهما فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبه قط لو أرسلت إليه فسألته عنهما فاستدعى أباهما فقال: أين أبناؤك؟ قال هما في البيت فأستغرب الحجاج وقال لأبيهما: ما حملك على هذا وأنا أريد قتلهما فقال: لقد كرهت أن ألقى الله تعالى بكذبه فقال الحجاج قد عفونا عنهما بصدقك ...، ذاك والله الصدق الحق الذي يصفه الجنيد بقوله (حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب) (٨)

والصدق إنما يحسن إذا تعلق به نفع ولا يلحق ضرره بأحد فمن المعلوم قبح الغيبة والنميمة والسعاية وإن كانتا صدقاً ولذلك قيل كفى بالسعاية والغيبة والنميمة ذماً أن الصدق يقبح فيهما.
[قيل فمن على أثره؟ قال الذي يشنأ الدنيا و يحب الآخرة]
فحب الدنيا رأس كل خطيئة وحقيقة الزهد فيها ليس بالتبتل والإعراض بالكلية عن طيباتها ولكن نجا من نجا من عباد الله الصالحين بأنهم جعلوا الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم وأيقنوا أنها مزرعة للآخرة فأنفقوا أعمارهم وأموالهم في كل ما يقربهم لله تعالى وأما طالب الدنيا لا يخلو من الحزن في حالين حزن على ما فاته كيف لم ينله، وحزن على ما ناله يخشى أن يسلبه وإن أمن سلبه أيقن بتركه لغيره بعد موته فهو مغموم ومحزون في جميع أحواله، قال تعالى (اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأمـوال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخـرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) الحديد ٢٠.
[ولقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد زمانهما وكانا لهما من المال والملـك والنساء ما لهما وكان علي بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضى الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال و كذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد وكان له رأس مال وكان يقول: لولا هو لتمندل بنا هؤلاء (أي بني أمية).
و قيل لبعض العلماء ما خير المكاسب؟ قال: خير مكاسب الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجـة والأخذ منه للقوة على العبادة وتقديم فضلة الزائد ليوم القيامة. وأما خير مكاسب الآخرة فعلم معمول به نشرته وعمل صالح قدمته و سنه حسنة أحييتـها، ولقي معاوية بن قرة أحد إخوانه وقد جاء من الكلأ فقال له معاوية ما صنعت؟ قـال: اشتريت لأهلي كذا وكذا قال وأصبت من حلال قال نعم قال: لأن أغدو فيما غدوت به أحب إلى من أن أقوم الليل وأصوم النهار، وكان حسان بن أبى سنان يقـول: لولا المساكين ما اتجـرت](٩)
أريد من الدنيا ثلاث و إنهـا *** لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيـفة *** وإكثار أعمال عليها أواظب
و إذا تأملت القرآن وجدت أن الله تعالى حين ذكر الدنيا قال (فامشوا في مناكبها) وحين ذكر الذكر فيها قال (فاسعوا إلى ذكر الله) وحين تكلم عن الجنة قال (وسارعوا)(سابقوا) وحين تكلم عن العلي القدير قال (ففروا إلى الله).
[روى أن سليمان بن عبد الملك تجمل يوم ولبث ثيابه واعتم بعمامة وعنده جارية فقال لهـا كيف ترين الهيئة؟ فقالت أنت أجمل العرب لولا..! فطلب منها أن تكمل الجواب وتصرح بما أضمرت فقالت:
أنت نعم المتاع لو كنت تبقي *** غير أن لا بقاء للإنسـان
أنت خالٍ من العيوب و ممـا *** يكره الناس غير أنك فان
وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال:{يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهه الخلقة لا يراها أحد إلا كرهها فتشرف

على الخلائق فيقال لـــهم أتعرفون هذه؟ فيقال لهم هذه التي تفاخرتم وتحاربتم عليها ثم يؤمر بها إلى النار فتقول يا رب أين أتباعي وأصحابي وأحبابي؟ فيلحقونها} ووجه إلقائها في النار لينظر إليها أهلها فيرون هوانها على الله عز و جل](١٠)
فحب الدنيا يورث الضغائن والعداوات ويزرع الأحقاد ويكمن الشر ويمنع البر ويسـبب العقوق وقطيعة الرحم والظلم وطالب الدنيا قصير العمر كثير الفكر فيما يضر ولا ينفع فأمر الدنيا أفقر من أن تتعادى فيه النفوس وأن تطاع فيه الضغائن والأحقاد.
يؤمل دنيا لتبقى لـــه *** فمات المؤمل قبل الأمــل
يربي فسيلا ليبقى لـه *** فعاش الفسيل ومات الرجل
قال رجل لداود الطائي أوصني فدمعت عيناه وقال: يا أخي إنما الليل والنهار مراحل ينزلـها الناس مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي ذلك إلى آخر سفرهم فإن استطعت أن تقدم كل يوم زاداً لما بين يديك فافعل فإن انقطاع السفر عن قريب والأمر أعجل من ذلك فتزود لنفســك واقض ما أنت قاض فكأنك بالأمر قد نعتك إني لا أقول لك هذا وما أعلم أحداً أشـــد تقصيراً منّي ثم قام وتركه (١١)
[قيل فمن على إثره؟ قال مؤمن في خلق حسن]
فالخلق الحسن صفه سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو شطر الدين وثمره مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين فتزكيه النفوس ملاك دعوة الرسل بعد التوحيد .
فهذا موسى عليه السلام يقول لفرعون (هل لك أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) النازعات ١٨ – ١٩ فحسن الخلق يغطى غيره من القبائح وسوء الخلق يغطى غيره من المحاسن ومن حسن خلقه طابت عيشته ودامت سلامته في الغالب وتأكدت في النفوس محبته ومن ساء خلقة تنكدت عيشته ودامت بغضته ونفرت النفوس منه قال تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران ١٥٩ ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أثقل شئ في الميزان الخلق الحسن" (١٢) وقال صلى الله عليه وسلم: "إن أحبكم إلي وأقربكم منى في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منّى في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون" (١٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة" (١٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم "عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذى نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما" (١٥) وقال صلى الله عليه وسلم: "من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار". (١٦)
ومن أحسن ما قيل في تفسير حسن الخلق أنه طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى وطيب الكلام وقلــة الغضب واحتمال الأذى وقيل أيضاً هو التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.
صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله فكلامك شفاء من كل داء ومنهج للحيارى الذين يتلمسون طريق النجاة إنه نور لا يخرج إلا من مشكاة النبوة.
و مما زادني شرفاً و تيــها *** وكدت بأخمصي أطؤ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي *** وأن صيرت أحمد لي نبيـا

الهوامش
١. رواه ابن ماجة (٤٢١٦) عن عبد الله بن عمرو بلفظ [قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب صدوق اللسان" قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد] وصححه البوصيري في الزوائد (٢٩٩/٣)ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٢٩/١٧) وزاد من طريق القاسم بن موسى [قالوا فمن يليه يا رسول الله؟ قال: الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قالوا ما نعرف هذا فينا إلا رافع مولى رسول الله قالوا فمن يليه قال مؤمن في خلق حسن] ورواه البيهقي بنفس الزيادة في شعب الإيمان ج: ٤ ص: ٢٠٥ برقم (٤٨٠٠) عن عبد الله بن عمرو قال [قلنا يا نبي الله من خير الناس؟ قال: ذو القلب المحموم واللسان الصادق قال قلنا قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المحموم؟ قال: التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد. قال قلنا يا رسول الله فمن على أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قلنا ما نعرف هذا فينا إلا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن على إثره قال: مؤمن في خلق حسن قلنا أما هذه ففينا]، ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج: ٢ ص: ١٦٨ وأبو نعيم في حلية الأولياء ج: ١ ص: ١٨٣ والطبراني في مسند الشاميين ج٢ ص٢١٧ برقم ١٢١٨ كلهم بنفس رواية وزيادة ابن عساكر والبيهقي، وأورده السيوطي في الجامع الصغير (صحيح الجامع ٣٢٩١) ومنه نقلنا هذا النص الذي نحن بصدده وقال الألباني في الصحيحة بعد أن ساق إسناد ابن ماجة: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات (السلسلة الصحيحة ٩٤٨).
٢. رواه مسلم في باب البر والصلة والآداب برقم ٤٦٥٠
٣. رواه مسلم في باب المساقاة برقم ٢٩٩٦
٤. سير أعلام النبلاء / الذهبي ج ٨ ص ١٢٢
٥. رواية ابن ماجة وردت بلفظ (مخموم) ومعها أغلب روايات الحديث أنظر تاريخ ابن عساكر ومصباح الزجاجة للكناني ح٤ ص٢٣٩ ومسند الشاميين للطبراني والترغيب والترهيب برقم ٤٣٨٦وحلية الأولياء ج١ ص١٨٣ وتاريخ واسط للواسطي ج١ ص٢٧٣ ونوادر الأصول وشرح الزرقاني ج٣ص٤٦٤
ومما رواها بلفظ (محموم) البيهقي في شعب الإيمان ح٤ص٢٠٥ برقم ٤٨٠٠ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٨ص١١٢ والسيوطي في الجامع الصغير والكبير
وفي لسان العرب لابن منظور ج: ١٢ ص: ١٨٩
مادة خمم: خَمَّ البيتَ والبئرَ يَخُمُّهما خَمّاً و اخْتَمَّهما: كنسهما، والاخْتِمامُ مثله. و المِخمَّةُ: المِكْنسَةُ. و خُمامَةُ البيت والبئر: ما كُسِحَ عنه من التراب فأُلقِيَ بعضُه على بعض؛ عن اللحياني: و الخُمامَةُ والقُمامَةُ: الكُناسةُ، وما يُخَمُّ من تراب البئر. و خُمامةُ المائدة: ما يَنْتَثِرُ من الطعام فيؤكل ويُرْجَى عليه الثواب. وقلب مَخْمومٌ أي نَقِيٌّ من الغِلِّ والحسد. ورجل مَخمُومُ القلب: نَقِيٌّ من الغش والدَّغَلِ، وقيل: نَقِيُّهُ من الدنس. وفي الحديث عن سيدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: خير الناس المَخْمومُ القلب. قيل: يا رسول الله ، وما المَخْمُومُ القلب؟ قال: الذي لا غشّ فيه ولا

حسد، وفي رواية: سُئِلَ أيُّ الناس أفضلُ؟ قال: الصادقُ اللسانِ الـمَخْمُومُ القلب، وفي رواية: ذو القلب الـمَخْمُومِ واللسان الصادق، وهو من خَمَمْتُ البيت إذا كنسته؛ ومثله قول مالك: وعلى السَّاقي خَمُّ العين أي كنسها وتنظيفها.

٦. رواه أحمد باقي مسند المكثرين برقم ١٢٢٣٦

٧. البخاري كتاب الأدب برقم ٥٦٢٩ ، مسلم كتاب الآداب والبر والصلة برقم ٤٧١٩

٨. إيقاظ أولي الهمم العالية / عبد العزيز السلمان / دار الإيمان _ ص٥٦

٩. المصدر السابق ص٨٩

١٠. المصدر السابق ص ٩٣

١١. صفة الصفوة / ابن الجوزي ج٣ ص ٦٧

١٢. (صحيح) رواه ابن حبان عن أبي الدرداء حديث رقم: ١٣٤ في صحيح الجامع/ السيوطي، الألباني

١٣. (صحيح) رواه أحمد والطبراني عن أبي ثعلبة الخشني. حديث رقم: ١٥٣٥ في صحيح الجامع.

١٤. (صحيح) رواه البزار عن أنس انظر حديث رقم: ١٥٧٨ في صحيح الجامع .

١٥. (حسن) رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس حديث رقم: ٤٠٤٨ في صحيح الجامع.

١٦. (صحيح) رواه الحاكم عن أبي هريرة حديث رقم: ٦٤٨٤ في صحيح الجامع.

٦٢.بناء الرسول للجانب الاقتصادي في دولة المدينة

د.عبد الحليم عويس**

من المعروف أن المهاجرين عندما وفدوا إلى المدينة استقبلهم إخوانهم الأنصار انطلاقًا من قاعدة المؤاخاة بحب وإيثار لم يعرف تاريخ البشرية مثلهما، لدرجة أن الأنصار استحقوا أن يقول الله فيهم في كتابه الكريم: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر: ٩).

وكان مما عرضه الأنصار على المهاجرين أن يقسموا بينهم أموالهم وأرضهم ودورهم، ولكن المهاجرين شكروا لهم كرمهم، وعملوا في شتى مناشط الحياة مع إخوانهم الأنصار.

وكان الأنصار أصحاب مزارع فقالوا للرسول: "اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، فقال: لا، فقالوا: تكفونا المئونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا" رواه البخاري.

إحياء للأرض

وقد بدأت عملية مزارعة كبرى في المدينة أعقبتها حركة إحياء للأرض الزراعية المهملة وفقا للقاعدة الشرعية التي وضعها الرسول "من أحيا أرضًا مواتًا فهي له" رواه البخاري.

وقد أقطع الرسول علي بن أبي طالب عيونًا بينبع اشتهرت فيما بعد بكثرة إنتاجها، وعمل فيها علي رضي الله عنه بنفسه.
كما أقطع الزبير بن العوام أرضًا بالمدينة استثمرها في الزراعة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.
وقد اشتهرت الكثير من الأودية التي انتشرت الزارعة بها في عصر الرسول، منها وادي "العقيق" الذي هو أهم أودية المدينة وفيه أموال أهل المدينة ومزارعهم.
كذلك من الأودية المهمة التي استخدمت للزراعة في المدينة وادي "بطحان" وكانت به مزارع بني النضير وأموالهم، كذلك وادي "مهزوز" كانت به أموال قريظة، ووادي "قناة" وهو ثالث أودية المدينة، ووادي "رانونا".
كذلك من الأودية التي استفيد من أرضها بالزراعة "وادي القرى"، كذلك عرف في الطائف الكثير من الأودية التي استفيد منها بالزراعة، أهمها وادي "وج"، ويقع غرب الطائف، وفيه الكثير من المزارع والبساتين وترفده بعض الأودية الأخرى، كذلك وادي "ليه" ويقع شرق الطائف وبالقرب منها.
نهضة زراعية
ولم يكن المهاجرون والأنصار وحدهم الذين أقاموا النهضة الزراعية في المدينة المنورة، بل كان ضمن العاملين بالزراعة في المدنية المنورة، (وغيرها من مدن الحجاز) شباب آخرون من الأجانب الذين أسلموا والتحقوا بالمدينة، سوريون أو مصريون أو رومانيون أو عراقيون.
ومما يدل على كثرة الموالي، أن الرسول حينما حاصر الطائف وأعلن عتق من ينزل إليه من الموالي، نزل إليه ثلاثة وعشرون عبدًا من الطائف.
وكانت هناك مجموعة كبيرة من الموالي الأحباش يعملون في المدينة في حقول الأنصار، ويدل على وجودهم الملموس أنهم حين قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الهجرة خرج هؤلاء الأحباش واجتمعوا ولعبوا بحرابهم فرحا بقدوم النبي إلى المدينة.
وكانت لهذه الطوائف الشابة تأثيرها الذي لا ينكر في تنمية الزراعة في عهد الرسول.
وقد حرص الرسول على أن يكون للمدينة كيانها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي المستقل؛ اعتمادا على التشابك القائم بين مجموعة النظم في إقامة كيان الدولة وتحقيق هيبتها الداخلية والخارجية.
كفالة المهاجرين
وعندما دخل الرسول المدينة وأقام سبعة أشهر في بيت أبي أيوب الأنصاري، قام الأنصار بالتنازل لرسول الله عن كل فضل كان في خططهم.. حتى يتمكن من تنظيم المدينة تنظيما يسمح بكفالة إخوانهم المهاجرين، بل إنهم -رضي الله عنهم- قالوا للرسول: يا نبي الله: إن شئت فخذ منازلنا.. فشكر الرسول لهم قولهم.
وقد سأل الرسول أسعد بن زرارة (نقيب النقباء) أن يبيعه أرضا متصلة بالمسجد الذي كان أسعد قد بناه لنفسه، فعرض عليه أسعد أن يأخذها الرسول هبة منه، لكنه

رفض، ليقيم الموازين القانونية في التعامل، ودفع ثمنها عشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
ثم أمر الرسول باتخاذ "اللّبن" فاتخذ، وبني به المسجد (مسجد الرسول) ورفع أساسه بالحجارة، وسقف بالجريد، وجعلت عمده جذوعا، وبهذا وضع الرسول القاعدة الدينية والأساسية في بناء دولة المدينة نظرا لتعدد الوظائف التي كان يقوم بها مسجده الشريف، والتي يجب أن يقوم بها كل مسجد.
تنظيم الري
واعتمادًا على تفويض الأنصار -رضي الله عنهم- للرسول في تنظيم أرض المدينة واقتصادها، بحيث يتحقق نسيج جديد إسلامي (إخائي) للمجتمع الجديد، قام الرسول بتوجيه التعامل مع "الماء والزرع" تعاملًا يكفل أقصى الفعالية.
فعندما قال له بنو حارثة من الأنصار: "يا رسول الله ها هنا مسارح إبلنا ومرعى غنمنا ومخرج نسائنا -يعنون موضع السقاية- قال لهم الرسول: من قطع شجرة فليغرس مكانها، فغرسنا الغابة".
وقد قضى رسول الله في وادي مهزور أن يحبس الماء في الأرض إلى الكعبين ثم يرسل إلى الأخرى، لا يمنع الأعلى الأسفل، (وهي عملية داخلة في باب تنظيم المياه بالنسبة للزراعة) وفي هذا لإطار ورد -أيضا- عن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول الله قضى في سيل مهزور أن الأعلى يمسك على من أسفل منه، حتى يبلغ الكعبين ثم يرسله على من أسفل منه.
وحدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قضى رسول الله في سيل مهزور أن لأهل النخل إلى العقبين، ولأهل الزرع إلى الشراكين، ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم.
وعن ابن جعدبة وغيره قالوا: أشرفت المدينة على الغرق في خلافة عثمان من سيل مهزور حتى اتخذ له عثمان ردمًا.
وفيما يتعلق بالأرض ومعادنها أو زراعتها قام الرسول بتوزيع الأرض المتروكة في المدينة على الصحابة، فأقطع عليه السلام بلال بن الحارث معادن بناحية الفروع، أي أرضا فيها معادن.
وعن جعفر بن محمد أن رسول الله أقطع عليا رضي الله عنه أربع أرضين: الفقيرين، وبئر قيس، والشجرة.
وعن أبي عكرمة مولى بلال بن الحارث المزني قال: أقطع رسول الله بلالًا أرضًا فيها جبل ومعدن، فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضا منها، فظهر فيها معدن أو قال معدنان، فقالوا: إنما بعناك أرض حرث، ولم نبعك المعادن.
وجاءوا بكتاب النبي لهم في جريدة، فقبلها عمر، ومسح بها عينه، وقال لقيمه: انظر ما خرج منها وما أنفقت وقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل.
وهكذا قام الرسول كنبي وقائد دولة بتنظيم المياه والأرض، والأسواق، وتشجيع الزراعات والمهن والحرف، بحيث تحقق لدولة المدينة كيان اقتصادي يواجه المسلمون من خلاله اليهود الذين كانوا يريدون احتكار عصب الاقتصاد في الداخل، ويواجهون -كذلك- الكيانات الاقتصادية الخارجية.

....
**أستاذ بجامعة الأزهر الشريف

٦٣.الرسول صلى الله عليه وسلم وحقوق الإنسان
دكتور-محمد إبراهيم الجيوشي**
حقوق الإنسان
كثر الحديث في عالمنا المعاصر عن حقوق الإنسان، واتخذ العالم يوما خاصا سماه يوم حقوق الإنسان، وذلك على الرغم مما يعانيه البشر في جوانب متعددة في أرض الله من الإذلال والتشريد والقتل، وإهدار للكرامة الإنسانية، وتحكم القوى العظمى في مصائر الأمم والشعوب، وممالأة المعتدين والمغتصبين، وإغماض العين عن صنوف المعاناة التي يواجهها بنو الإنسان في مناطق مختلفة من العالم.
لأن المعتدي يوافقهم في الدين، والمعتدى عليه ليس على ملتهم، وأصدق مثل لذلك ما وقع، ويقع في بلاد المسلمين المختلفة، مما يدمغ هذه القوى بالخديعة والنفاق واسترخاء الأعصاب، كأن ليس هناك أنفس تزهق، وبيوت تهدم، وأعراض تنتهك، وشعوب تواجه الموت والدمار. ثم تحرم من الحصول على سلاح تحمي بها نفسها، وتدافع به عن كيانها.
عدوان على القيم
أرأيت ظلما أبشع من هذا الظلم، وتنكرا لقيم الحق والعدل والإنصاف أمعن في الضلال والتضليل والخداع أعتى مكرا من هذا الذي يقع تحت سمع العالم وبصره، وعلى مرأى منه، بل وحماية من الأمم المتحدة للعدوان على شعب مسلم يريد أن يعيش حرا على أرضه آمنا في سربه.
هؤلاء المسلمون الذين يواجهون كل هذا العدوان على القيم الإنسانية هم أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، الذي رد للإنسان كرامته، وحفظ عليه إنسانيته، ونادى بحقه في الحرية والحياة الكريمة، وكم عمل جاهدا حتى يحقق للضعفاء أمنا وسلاما نعموا بهما، وذاقوا طعم الحياة الكريمة في ظل القيم والمبادئ التي أرسى الإسلام قواعدها
ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي حين يقول:
يا من له الأخلاق ما تهوى العلا***منه وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها***دينا تضيء بنوره الآلاء
زانتك في الخلق العظيم شمائل***يغرى بهن ويولع الكرماء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى***فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنسانا تخير ملة*******ما اختار إلا دينك الفقراء
الحق في الحياة
هذه اللمحة النورانية التي حبا الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ردت الكرامة الإنسانية على قوم أفقدهم الظلم إياها، وسلبهم نعمتها، وأعادت إليهم الإحساس بقيمتهم وحقهم في الحياة الحرة الكريمة التي لا تعرف تمييزًا بين البشر بسبب جنس أو لون أو لغة، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب.

لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلى بالتقوى والعمل الصالح، وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، والتقوى والأعمال النافعة للأمم والأفراد هي مناط التقدم عند الله سبحانه {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} الحجرات: آية ١٣.

والله وحده هو الذي تخضع له الرقاب، وتعنو له الجباه، والناس جميعا أمام الحق سواء.

الله فوق الخلق فيها وحده***والناس تحت لوائها أكفاء

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمح لنزعة التعالي والعنصرية أن يذر قرنها، بل كان يواجهها بكل حزم حتى يقتلعها من جذورها، ولذلك لما سمع أبا ذر يعير آخر بسواد أمه بدا عليه الغضب الشديد، وقال له مقرعا ومعبرا عن ضيقه بهذه النزعة المقيتة: طف الصاع طف الصاع، إنك امرؤ فيك جاهلية، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل، ونزل قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} الحجرات: آية ١١.

نزعة التعالي

ولما طلب بعض الزعماء من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مجلسا خاصا لا يشاركهم فيه الضعفاء والفقراء نزل القرآن ينهى عن الاستجابة لهم، ويطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصبر نفسه على الجلوس إلى الضعفاء والفقراء، لأن نزعة التعالي هذه يمقتها الإسلام، ويؤكد الأخوة الإنسانية العامة، {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف: آية ٢٨.

كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا فذا في التاريخ الإنساني كله، لم تعرف الدنيا مثلا فريدا في سمو الخلق واستقامة السلوك وحسن المعاملة كما عرفت من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي فاضت بها الأخبار، ورواها من خالطه وتعامل معه وسجلتها كتب السير على ألسنتهم إعجابا بما رأوا، وما لمسوه من نبل الأخلاق، وكرم المعاملة، ولا غرو في ذلك، فالله سبحانه قد أثنى عليه في كتابه الكريم بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} القلم: آية ٤، ووصفه بالرحمة ولين الجانب والتواضع، والبعد عن الجفوة والخشونة بقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} آل عمران: آية ١٥٩.

دعوى للطهر والنقاء

وإن الدارس لحياة النبي صلى الله عليه وسلم حينما يجد هذه العظمة التي لم تعرف البشرية لها مثيلا، والتي كانت سمة واضحة تبدو جلية في كل تصرفاته وأقواله وأفعاله، حينما يرى ذلك يتساءل من أين اكتسب -صلوات الله وسلامه عليه- هذه

الشمائل المضيئة؟، هل جاءته من البيئة المحيطة به، والتي نشأ فيها؟ وهل ورثها وتلقاها عن والديه؟.
حينما يحاول المرء أن يجد جوابًا عن هذه التساؤلات يجد أن الجو العام الذي نشأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمثل مجتمعًا بعيدًا كل البعد عما اتصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُثل وأخلاق، وحسبك لتعلم ذلك أن تلقي بسمعك لما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي يصف ما كان عليه المجتمع قبل دعوته -صلوات الله وسلامه عليه- من ظلم وضياع للحقوق وفقدان للأمان، واستغلال القوي للضعيف، وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من احترام الإنسان، ورد لكرامته الضائعة، وحماية للضعفاء من عسف الأقوياء، ودعوى للطهر والعفاف والنقاء، وإصلاح للعقائد، واحترام لعقل الإنسان وتقدير له في قوله:
"أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى إله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا...
وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءه من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك".
هكذا صور جعفر رضي الله عنه حال المجتمع قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. ووضع في مقابل ذلك ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من إصلاح للعقيدة والأخلاق والسلوك والمعاملات، وبخاصة حماية الضعفاء من ظلم الأقوياء.
فهل يعتقد أن بيئة هذه سماتها يكون لها تأثير إيجابي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، إذن فليس للبيئة أثر في هذا السمو النبيل في الأخلاق التي تحلى بها -صلوات الله وسلامه عليه.
وإذا عرفنا أن أباه مات وهو جنين في بطن أمه، وأن أمه ماتت وهو في سن السادسة أدركنا أيضا أن ليس لهما توجيه في حياته، إذن فمن أين جاء ذلك لنبي الرحمة والهدى؟؟!
الإجابة ببساطة شديدة تأتي في آية قرآنية -من لدن حكيم خبير- جامعة لكل معاني الرحمة لبني البشر أجمعين؛ هي قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء: ١٠٧) إذن فهي رسالته صلى الله عليه وسلم.. نعم تلك هي الإجابة.
....

** عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة سابقً

٦٤.ولد أمة على يد الحبيب

الدكتور: عبد الستار الهيتي**

في فترة من فترات التاريخ الغابرة، وعلى ثرى البقعة المباركة التي اختارها الله لتكون مثابة للناس وأمنًا، وفي ظل أجواء مليئة بالجهل والظلم، وتحكم الغني بالفقير، وسيطرة القوي على الضعيف؛ كان العالم كله يرقب ولادة جديدة تنتشل الأمة من وهدتها، وتطيح بالظلم والطغيان؛ لتضع الأمور في نصابها وتعيد للإنسانية كرامتها وترتفع بالبشرية من حياة الذل والضياع متطلعة بها إلى حياة العزة والمجد.

وسط هذه الأجواء الملبدة بغيوم الجهل والشرك والوثنية كانت الولادة المرتقبة؛ فانتبهت مكة على إيقاع صوت الحق ينطلق من بين أزقتها، وأفاقت تلك المدينة المقدسة الوادعة على أنغام الترحاب بالوليد اليتيم الذي لم يكن يخطر ببال أحد أنه سيكون منقذًا لأمة ومؤسسًا لحضارة ومعلمًا للبشرية وقائدًا لركب الإيمان والتوحيد.

علامة مضيئة

إنه في صبيحة الثاني عشر من ربيع الأول كان العالم على موعد مع العلم والفضيلة والحضارة التي انطوت جميعها فتمثلت بالميلاد الميمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، في وقت كانت فيه البشرية بأمس الحاجة إلى تصحيح الأفكار وبناء العقائد وبرمجة الرؤى والتوجهات.

بحيث أصبح ذلك الميلاد علامة مضيئة في التاريخ الإنساني ليس للمسلمين فحسب وإنما للإنسانية جمعاء على اختلاف مللها وتعدد نحلها، ويؤكد هذا المعنى ما أشار إليه أحد الشعراء المسيحيين بقوله:

أمحمد والمجد بعض صفاته
مجّدت في تعليمك الأديانا
بعث الجهاد لدن بعثت وجردت
أسياف صحبك تفتح البلدانا
ورفعت ذكر الله في أمية
وثنية ونفحتها الإيمانا
مرحا لأمي يعلم سفره
نبغاء يعرب حكمة وبيانا
إني مسيحي أحب محمدا
وأراه في فلك العلا عنوانا

اليد العصماء

لم يكن ميلاد محمد بن عبد الله العربي القرشي حدثا تاريخيا عابرا يمر عليه المؤرخون مرورا، وإنما مثّل من خلال نبوته ورسالته أبرز دعوات الإصلاح والتربية في دنيا البشرية على الإطلاق.

فقد استطاع أن يجعل من جزيرة العرب مصدر إشعاع فكري وثقافي وحضاري، قدمت الأمة من خلاله للعالم صياغة روحية ومادية حملت بين طياتها معالم البعد الرسالي لدعوة الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.
حيث تمكن محمد -صلى الله عليه وسلم- من أن يتبوأ قمة الهرم ليكون على رأس المصلحين الذين كان لهم أثر بارز في توجيه البشرية نحو الفضيلة والرشاد، وفي هذا يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:
المصلحون أصابع جمعت يدا***هي أنت بل أنت اليد العصماء
ففي ميدان الإصلاح العقائدي والفكري كان لمحمد -صلى الله عليه وسلم- الفضل الكبير في ترسيخ معالم عقيدة التوحيد التي تعني إفراد العبودية لله تعالى ونبذ الشرك والوثنية والإطاحة بعبادة الأصنام لتخليص الفكر البشري من سفاهات العقائد الباطلة والترفع به عن عبادة البشر أو الحجر:
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
للحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة
نادى بها سقراط والحكماء

نبذ التمايز الطبقي
وفي ميدان الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي كان لمحمد -صلى الله عليه وسلم- الباع الطويل في بناء نظرية اقتصادية ترعى الفقراء وتهتم بشئونهم وتحافظ على حقوقهم من أن يتعدى عليها المتنفذون وأصحاب رؤوس الأموال، كما كان له الفضل الكبير في تحقيق العدالة والمساواة بعيدا عن التمايز الطبقي أو التفاوت الاجتماعي:
جاءت فوحّدت الزكاة سبيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنسانا تخيّر ملـّة
ما اختار إلا دينَك الفقراء

قيم وثوابت
أما السياسة والقيادة عند محمد -صلى الله عليه وسلم- فلها نمط آخر وصيغة متقدمة لم يستطع العالم الذي يعيش اليوم أوج حضارته وقمة تقدمه الحضاري أن يصل إلى ذلك النهج السوي من حيث الوضوح في الطرح، والصدق في التعامل، والأمانة في العهود، والعدل في الحكم؛ فمزج بذلك السياسة بالأخلاق والقيادة بالرحمة والإمارة بالمساواة، فتحقق بذلك حلم الفلاسفة القدماء وآمال المفكرين الحكماء:
والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته

فجميع عـهدك ذمـة ووفاء
وإذا رحـمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحـماء

وعلـى أسـاس هـذه الثوابـت شـيّد "محمـد النبـي والرسـول" قواعـد حضـارة عربيـة إسلامية، وبنى مجدا وعزا وعلما لا يزال العالم ينهل منه ويفيد من طروحاته ويرجع إليـه عنـد اشـتداد الأزمـات واحـتلاك الخطـوب؛ فالمصـدر ربـاني إلهـي، والصـياغة محمدية نبوية، وآلية التطبيق عربية إسلامية عاش العالم في ظلالها ردحا طويلا من الزمن ينعم بالأمن والأمان والخير والسلام.

فلا ظلـم ولا طغيـان، ولا انتهـاك ولا عـدوان؛ الجميـع تحـت مظلـة القـانون سواسـية؛ فكلكم لآدم وآدم من تراب، فلا ميزة لعربـي علـى أعجمـي إلا بـالتقوى، ولا فـرق بـين مسلم أو يهـودي أو نصـراني مـن حيث الحقـوق والواجبـات، فلهـم مـا لنـا وعليهـم مـا علينا.

ومحمـد -صـلى الله عليـه وسـلم- يقـول: "مـن آذى ذميـا فأنـا خصـمه" رواه أبـو داود، ويقول: "يا أيها الناس إنمـا ضـل مـن قبلكم أنهـم كـانوا إذا سـرق الشـريف تركـوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطـع محمد يدها" رواه البخاري.

وهكذا قدم "محمد" برنـامج عمـل وصـياغة قانونيـة لدولـة العـدل والتسـامح والمسـاواة قبل أن يعرف العالم بوادر النهضة الحديثة وقبل أن تبرز طلائع الثورة الفرنسية التـي يفخر الغرب بها وبطروحاتها حتى كان ميلاد محمد -صلى الله عليه وسلم- ميلاد أمة بكاملها؛ شيدت حضارة وأقامت دولة ونشرت في ربوع العالم العلم والمعرفة.

إذا كانت هذه هي المعاني السامية التـي قدمها محمد للعالم كافة وللعرب والمسلمين خاصة، فإن الأمة اليوم مطالبة ببرمجتها علـى أرض الواقـع وتقديمها كحلـول ناجعـة للخـلاص مـن حالـة الضـياع والتشـرذم الـذي آلـت إليـه أحوالهـا فـي كافـة المجـالات السياسية والاقتصـادية والاجتماعيـة.

وإذا كان العامة من أبناء الأمة ملتزمين بالكثير من هذه المفاهيم والمعاني الكبيـرة فـي علاقاتهم الدينية والأخلاقية، فإن خاصتها مـن المثقفين والسياسيين وأصـحاب القـرار يحتاجون إلى مراجعة حثيثة لأنفسهم ولخطواتهم ولقراراتهم؛ لتـأتي متفقـة مـع الإرث الحضـاري الـذي خلفـه محمد بن عبد الله لهذه الأمـة ولتحظـى بالمكانـة السـامية التـي حظي بها أسلافنا يوم سادوا العالم وقدموا لـه أفضـل بـرامج الحيـاة سياسيا واقتصـاديا واجتماعيا.

وإلى أن يتحقق ذلك فإن أولي الأمر في هذه الأمة وعلماءها ومثقفيهـا مطـالبون بجهـد كبيـر وسـعي حثيـث لتصـحيح علاقـاتهم مـع الله أولا ومـع شـعوبهم ثانيـا، عـن طريـق الحوار الهادف البناء والمرونـة في الطرح والتعامل والمشاركة الحقيقية لشعوبهم فـي آمالهم وآلامهم ليكونوا جزءا من الأمة وليس في أبراج عالية بعيدة عنـها.

• •

* نقلا عن صحيفة الشرق القطرية ببعض التصرف.

** الدكتور: عبد الستار إبراهيم الهيتي كاتب وأكاديمي عراقي.

٦٥.إذَا عَزَّ أخُوكَ فَهُنْ

الكاتب: شيخ سلمان بن فهد العودة

الناظر فيما يكتب اليوم في الإنترنت؛ يلحظ جرأة محمودة في الطرح والتناول للقضايا؛ تؤذن بانقراض زمن الصمت، وميلاد عصر المشاركة، والمصارحة، وحوار الآراء. وعلينا أن نتقبل هذا الواقع لاعتبارات كثيرة؛ من أهمهما: أنه يفضي إلى تكريس دور الفرد، وواجبه ومسئوليته، ويخفف في نهاية المطاف من الاحتقان والتوتر الناجم عن المصادرة والإلغاء، والقضاء على خصوصية الإنسان.

فمناخ الحرية المعتدل هو الأفضل لبناء أناس أسوياء راشدين معتدلين؛ ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- متواضعاً، بعيداً عن مؤاخذة الناس ومعاجلتهم. وما ضرب خادماً ولا امرأة ولا أحداً؛ إلا أن يضرب في سبيل الله. وقال له رجل: اعدل يا محمد؟ فقال: "ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل!" وانتهى الأمر عند هذا الحد!.

وقال آخر: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله!، فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة الرجل؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر!".

وأنزل عليه ربه سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)[الأحزاب:١]، وقوله: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاه) [الأحزاب: من الآية٣٧] وقوله: (وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً) [النساء: من الآية١٠٥]. وقوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)[عبس:١،٢]. وقوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى *وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى *وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)[الضحى:٨]. وقوله: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [الأنفال:٦٧].

ومن حوله كان المنافقون واليهود وضعفاء الإيمان من الأعراب وغيرهم..، فكان يتلو عليهم جميعاً هذا القرآن، وهم يتحفظونه ويقرؤونه في صلاتهم ومجامعهم؛ ولهذا اختار صلى الله عليه وسلم أن يكون عبداً رسولاً، فليس له سيماء الملوك، وأبهتهم في الهيبة المتكلفة، والوقار المفرط. وقد رآه أعرابي؛ فاضطرب! فقال صلى الله عليه وسلم: "هون عليك؛ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد!".

ومن أكثر أصحابه هيبة وقوة (عمر بن الخطاب). وفي خلافته كان يأتيه أبي بن كعب -من صغار الأنصار-؛ فيرد عليه في مسألة علمية، ويقول له: يا ابن الخطاب لا تكونن عذاباً على أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ فيعتذر الخليفة، ويقول: خفي علي هذا من أمر رسول الله؟ ألهاني عنه الصفق في الأسواق!.

إن الرجوع إلى هذا النمط في العلاقة بين الناس- من العلماء، والمتعلمين، والعامة- ضرورة في هذا العالم المتغير.وإذا كنا في مرحلة توجب علينا تقبل هذا التنوع في المعالجة والنظر، وهذا التجديد في الرؤية لاعتبارات عديدة، منها: اعتبارات خارج

إطارنـا الإسـلامي، مـن حيـث الانفتـاح العـالمي والإعلامـي والاقتصـادي والسياسـي، بحيث إن الدول بما تملكه من قدرات وإمكانيات أصبحت عاجزة عن مقاومة هذا الانفتـاح أو صـده، فكيـف بغيرهـا؟!.وهـذا قـد يبـدو كمـا لـو أن الانفتـاح كـان أمـراً اضطرارياً لا خيار فيه من حيث الجملة.
لكن ثمة اعتبارات داخل الإطار الإسلامي تلاحظ أن كسر الاعتياد المألوف على أمر واحد كان صعباً، وقد يفضي إلى كثير من الخصام والانشقاق الذي يداريه بعض رجال الدعوة، ويتخوفون سوء عواقبه، فلما جاءت هذه الحركة الانفتاحية رأوا فيها -على ما فيها- وجهاً من الخير يؤهل للرجوع إلى الأمر الأول الذي كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، بحيث لا تكون الأطروحات الدعوية مثقلة بأعباء تاريخية وواقعية تئد مسيرتها وتبطئ خطوها، وبهذا يتم التخفف من ألوان العصبيات العلمية والاجتماعية والحركية لصالح الحرية الشرعية المنضبطة.ولأن الناس ربما لم يتعودوا على كيفية استخدام هذه الحرية التي حصلوا عليها إلكترونياً أو فضائياً؛ فإن المرحلة السابقة يمكن اعتبارها فترة للتدريس والتعود، وهذا يخفف من القلق الذي يساورنا حين نرى اللغة التي يتم تداولها عبر الحوار، أو المسلك الأخلاقي في التثبت والاستماع والمعالجة والجرأة على ما لا يفهم المرء ولا يحسن ولا يدرك أبعاده، وبصفة أوسع: التفريط في حقوق الأخوة بسبب ما يظن أنه اختلاف، وقد يكون الأمر اختلافاً سائغاً؛ بل محموداً لا تثريب فيه، أو أن الحق مع الطرف الذي نشجبه ونشنع عليه، ولكن خفي علينا، ومن جهل شيئاً أنكره و عاداه، أو ليس ثمة اختلاف أصلاً، وإنما هو كما يقول أهل العلم: "خلاف لفظي ليس له ثمرة ولا محصلة". وبكل حال؛ فإن الواجب علينا أن نجتهد في رفع مستوى الحوار ولغة التخاطب وأخلاقيات التعامل إلى أسمى ما هو ممكن، والمثل الأعلى لدينا هو في التعليمات الربانية في محكم التنـزيل، وفي التطبيقات النبوية الكريمة.ومن الخطأ افتراض أننا نعيش أوضاعاً ليس لها مثيل من قبل، ولذلك نفترض أن أساليب مواجهتها يحب أن تختلف عما كان عليه الأمر في عهد السلف. هذا غير صحيح، فلدينا سيرة نبوية عطرة عاشت فترة الضعف والتمكين، والكثرة والقلة، ومع الموافق والمخالف، وعايشت اليهود والمنافقين بالمدينة، والوثنين بمكة ثم بالمدينة وجزيرة العرب، والنصارى في نجران وبلاد الشام، وضعفاء النفوس من المسلمين، كما عايشت الاختلاف في وجهات النظر منذ العهد النبوي ثم عصور بني أمية وبني العباس. والعبرة بالقواعد العامة التي انطلقوا منها، وليست بالاجتهاد الفردي، فحين نقول عن منهج ما أو طريقة ما: إنها طريقة سلفية؛ فهذا يعني لزاماً أن السلف مطبقون عليها، أما حين يكون اجتهاداً لإمام منهم؛ فإنها تظل اجتهاداً فردياً غير ملزم، وإنما الملزم للناس هو:
- الكتاب.
- السنة الصحيحة.
- الإجماع الثابت، وليس المدعى.
ولكل فقيه أو عالم أن يجتهد وراء ذلك بما يدين به من فهم النص أو الجمع بينه وبين غيره، أو الانطلاق من القواعد الكلية والمقاصد الشرعية. وليس ثمة حجر أن يختلف

العلماء، وأن يرد بعضهم على بعض؛ لكن مع رعاية أصول الاختلاف وأصول الرد وأصول التنازع، فلا تجريح ولا اتهام، ولا تنقص ولا ازدراء ولا تسفيه؛ وإنما عفة في اللسان والقلم يكسو المرء بها لفظه، ويبين عن طيب معدنه وسلامة قصده، وحرصه على الهداية، وبعده عن الهوى والحظ الشخصي.وقديماً كان حكيم الفقهاء (الشافعي) يقول:

- قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب.
- ما ناظرت أحداً إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه.
- لو خاصمت ألف عالم لخصمتهم، ولو خاصمت جاهلاً لخصمني.
- يا ربيع اكسُ ألفاظك.
- ألا يمكن أن نكون إخوة؛ وإن لم نتفق في مسألة؟
- الحر من راعى وداد لحظة أو تمسك بمن أفاده لفظة.

فرحم الله الإمام الشافعي وأعاد إلى المسلمين سداد هذا المنهج

٦٦.لمحة من أخلاق خير البشر

الكاتب: محمد الغزالي

ظهر من هذه التعاليم أن الإسلام جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرفة بالفضائل و الآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عد الإخلال بهذه الوسائل خروجا علية و ابتعادا عنه.

فليست الأخلاق من مواد الترف، التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين، ويحترم ذويها.. وقد أحصى الإسلام بعدئذ الفضائل، و حث أتباعه على التمسك بها واحدة، واحدة.

ولو جمعنا أقوال صاحب الرسالة في التحلي بالأخلاق الذكية لخرجنا بسفر لا يعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح.

وقبل أن نذكر تفاصيل هذه الفضائل، وما ورد في كل منها على حدا نثبت طرفا من دعوته الحارة، إلى محامد الأخلاق، ومحاسن الشيم:

عن أسامة بن شريك قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: ((أحسنهم خلقا)). وفي رواية: ((ما خير ما أعطى الإنسان؟ قال: خلق حسن)).

قال: ((إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شئ، وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم خلقا)).

وسئل: ((أي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال: أحسنهم خلقا)).

و عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ((ألا أخبركم بأحبكم إلىّ، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة؟ - فأعادها مرتين أو ثلاثا - قالوا نعم يا رسول الله؛ قال: أحسنكم خلقا)).

و قال: ((ما من شئ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، إن الله يكره الفاحش البذيء، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)).

هذا التصريح لو صدر عن فيلسوف يشتغل بشؤون الإصلاح الخلقي فحسب لما كان مستغربا منه، إنما وجه العجب أن يصدر عن مؤسس دين كبير، والأديان – عادة – ترتكز في حقيقتها الأولى على التعبد المحض.
ونبي الإسلام دعا إلى عبادات شتى، و أقام دوله ارتكزت على جهاد طويل ضد أعداء كثيرين، فإذا كان – مع سعه دينة، و تشعب نواحي العمل أمام أتباعه، يخبرهم بأن أرجح ما في موازينهم يوم الحساب، الخلق الحسن، فإن دلالة ذلك على منزلة الخلق في الإسلام لا تخفى..
والخلق أن الدين إن كان خلقًا حسنًا بين إنسان وإنسان، فهو في طبيعته السماوية صلة حسنة بين الإنسان وربه، و كلا الأمرين يرجع إلى حقيقة واحدة أن هناك أدياناً تبشر بأن اعتناق عقيدة ما، يمحو الذنوب، وأن أداء طاعة معينه يمسح الخطايا.
لكن الإسلام لا يقول هذا، إلا أن تكون العقيدة المعتنقة محواراً لعمل الخير، و أداء الواجب، و أن تكون الطاعة المقترحة غسلاً من السوء، و أعدادا للكمال المنشود، أي أنه لا يمحق السيئات إلا الحسنات التي يضطلع بها الإنسان، ويرقى صاعدًا، إلى مستوى أفضل.
و قد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على توكيد هذه المبادئ العادلة، تتبينها أمته جيدًا، فلا تهون لديها قيمة الخلق و ترفع قيمة الطقوس.
عن أنس: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وأشرف المنازل، وأنه لضعيف العبادة، و أنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم)).
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أن المؤمن بحسن خلقه درجة الصائم القائم))..
و في رواية: ((إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل و صائم النهار)).
و عن بن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات بحسن خلقه و كرم طبيعته)).
و روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه)).
وروى عنه أبو ذر: ((قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليمًا، ولسانه صادقًا، و نفسه مطمئنة، و خلقه مستقيمة)).
وحسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفى في طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره: أفعل كذا، أو لا تفعل كذا، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة، و يتطلب تعهدًا مستمرًا.
و لن تصلح تربيه إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيئ لا يترك في نفوس من حوله أثرًا طيبًا.
وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه و يسبيها ليله و تقتبس- بالإعجاب المحض من خلاله، و تمشى بالمحبة الخالصة من أثاره.
بل لابد- ليحصل التابع على قدر كبير من الفضل- أن يكون في متبعه قدر أكبر و قسط أجل..

و قد كان رسول الإسلام بين أصحبه مثلاً أعلى للخلق الذي يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي، بسيرته العاطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم و عظات.
عن عبد الله بن عمرو قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا، و كان يقول: ((خياركم أحاسنكم أخلاقا)).
وعن أنس قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين. والله ما قال لي: أف قط، و لا قال لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟
وعنه: إن الأمة كانت لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت، و كان إذا أستقبله فصافحه، لا ينزع يده من يده، حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه، حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له - يعنى أنه يتحفظ مع جلسائه فلا يتكبر-.
و عن عائشة رضى الله عنها قالت: ((ما خير رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما أنتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شئ قط، إلا أن تنتهك حرمه الله فينتقم، وما ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى.
وعن أنس: كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برده غليظة الحاشية، فأدركه أعرابيًا فجذبه جذبه شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله، و قد أثرت بهل حاشيه البرد من شده جذبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك! فألتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضحك، و أمر له بعطاء.
و عن عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((إن الله رفيق، يحب الرفق، و يعطى على الرفق مالا يعطى على العنف، و مالا يعطى على سواه)).
و في رواية: ((إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه، ولا ينزع من شئ إلا شانه))
و عن جرير أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((إن الله عز و جل ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق – الحمق – و إذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق، ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير كله)).
و سئلت عائشة رضى الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل فى بيته؟ قالت: ((كان يكون في مهنة أهله – أي خدمتهم- فإذا حضرت الصلاة يتوضأ و يخرج إلى الصلاة)).
وعن عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه و سلم!.
و عن أنس: كان رسول الله أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ فطيم، يسمى أبا عمير، لديه عصفور صغير اسمه النغير، فكان رسول الله يلاطف الطفل الصغير ويقول له: " يا أبا عمير، ما فعل النغير"!.
و المعروف في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان سمحًا لا يبخل بشيء أبدًا، شجاعًا لا ينكص عن حق أبدًا، عدلا لا يجور في حكم أبدًا، صدوقا أميناً في أطوار حياته كلها.

وقد أمر الله المسلمين أن يقتدوا به في طيب شمائله وعريق خلاله فقال: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا) (الأحزاب: ٢١).

قال القاضي عياض:

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، لقد فظع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قِبل الصوت، فتلقاهم رسول الله راجعا، قد سبقهم إليه واستبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عري و السيغ في عنقه، وهو يقول لن تراعوا.

و قال على رضى الله عنه: إنا كنا – إذا حمى البأس و احمرت الحدق- نتقى برسول الله صلى الله عليه و سلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

و عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:لا، وقد قالت له خديجة: ((إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)).

و حمل إليه سبعون ألف درهم، فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها، فما رد سائلاً، حتى فرغ منها.

وجاءه رجل فسأله، فقال له: ما عندي شئ، ولكن ابتع علي، فإذا جائنا شئ قضيناه، فقال عمر: ما كلفك الله مالا تقدر عليه! فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي، وعرف البشر في وجهه، وقال: بهذا أُمرت.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم.

ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه.

يتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه.

من جالسه، أو قاربه لحاجه صابره، حتى يكون هو المنصرف عنه.

ومن سأله حاجه لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول.

قد وسع الناس بسطه و خلقه، فصار لهم أبا، و صاروا عنده في الحق سواء.

وكان دائم البشر، سهل البع، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يقنط منه قاصده.

وعن عائشة رضى الله عنها: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: لبيك.

و قال جرير بن عبد الله رضى الله عنه: ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم.

وكان يمازح أصحابه ويخالطهم و يجاريهم، ويداعب صبيانهم و يجلسهم في حجره.

ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المتعذر.

قال أنس: ما ألتقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه و سلم فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الأخر، و كان يبدأ من لاقيه بالسلام، و يبدأ أصحابه بالمصافحة.
لم ير قط مادًا رجليه بين أصحابه فيضيق بهما على أحد.
يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى.
ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمه لهم، ولا يقطع على أحد حديثه، حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام.
وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ أتى بهديه قال: آذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقه لخديجة، إنها كانت تحب خديجة.
و عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما غرت من امرأة، ما غرت من خديجة، لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان يذبح الشاه فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها فأرتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الأيمان.
وكان يصل ذوى رحمه، من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.
و عن أبى قتاده: لما جاء وفد النجاشى قام رسول الله صلى الله عليه و سلم يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنى أحب أن أكافئهم.
و عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا، فقمنا له فقال: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضًا.
وقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، حيثما انتهى به المجلس جلس.
وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفه ما تساوى أربعه دراهم، فقال: الهم حجه لا رياء فيها ولا سمعة.
و لما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين، طأطأ رأسه على راحلته حتى كاد يمس قادمته، تواضعا لله تعالى.
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير الحاجة، و يعرض عمن تكلم بغير جميل.
و كان ضحكه تبسمًا، و كلامه فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير.
و كان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيرا له و إقتداء به.
مجلسه مجلس حلم و خير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، لا تخدش فيه الحرم.
إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير.
و إذا مشى مجتمعا، يعرف في مشيته أنه غير ضجر ولا كسلان.
قال بن أبى هالة: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.
و قالت عائشة كان يتحدث حديثًا، لو عده العاد أحصاه.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة؛ و يستعملها كثيرًا.

و قد سيقت له الدنيا بحذافيرها، و ترادفت عليه فتوحها، فأعرض عن زهرتها، ومات و درعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله.
اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات
المصدر: موقع الوحدة الإسلامية: www.alwihdah.com
* المصدر: كتاب خلق المسلم (محمد الغزالي).

٦٧.السر في اسم " محمد صلى الله عليه وسلم"..؟؟

أختكم في الله/ مروة
حين ولد الرسول صلى الله عليه وسلم أقام جده عبد المطلب مأدبة دعى إليها كل أفراد قبيلة قريش الذي أكلوا من عقيقة النبي صلى الله عليه وسلم وسألوا عبد المطلب: ماذا سميته؟ فقال: سميته محمدًا، فنظر الناس إلى بعضهم بدهشة لأن الاسم غريب على آذانهم لم تعرفه العرب قبل ذلك، وكأن الله تبارك وتعالى ادخر هذا الاسم وألهم عبد المطلب به ليقع أمرًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ منذ خلق آدم عليه السلام، أن نبي آخر الزمان اسمه محمد، وعبد المطلب لم يوح إليه، وسألته قريش: لم رغبت عن أسماء آبائك؟ فقال أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده أهل الأرض في الأرض.
هناك ملايين المسلمين اسمهم محمد لكن أحدًا منهم لم يفكر في معنى اسمه ولم يحس بمعناه.
النبي صلى الله عليه وسلم يعلق على اسمه في الحديث الذي رواه البخاري وسلم حيث يقول: ".. أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي وأنا الحاشر وأنا العاقب." رواه البخاري ومسلم.. فما معنى كلمة محمد؟؟
محمد من صفة الحمد وهو الذي يحمد ثم يحمد ثم يحمد، فلا يحمد مرة واحدة فقط من عظمة أفعاله، إنما يحمد كثيرًا فصار محمدًا.
وماذا يعني أحمد؟؟
هو أحمد الحامدين على الإطلاق فلا أحد يحمد الله مثله.
وبهذا فإن محمدًا تحمده الناس كثيرًا على أفعاله وأحمد هو أعظم من حمد الله.
****

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني بإذن الله تعالى
الفهرس

فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه وحقوقه(٢)

الباب الثاني - هدي خير العباد

١. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم معَ الكفارِ و الْمُنَافِقِينَ

فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ سِيَاقِ هَدْيِهِ مَعَ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ حِينِ بُعِثَ إلَى حِينِ لَقِيَ اللّهَ عَزّ وَجَل

أَوّلَ مَا أَوْحَى إلَيْهِ رَبّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنْ يَقْرَأَ بِاسْمِ رَبّهِ الّذِي خَلَقَ وَذَلِكَ أَوّلَ نُبُوّتِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْمُرْهُ إذْ ذَاكَ بِتَبْلِيغٍ ثُمّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ { يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ } [الْمُدّثّرُ ١ ، ٢] فَنَبّأَهُ بِقَوْلِهِ { اقْرَأْ } وَأَرْسَلَهُ بِ { يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ } ثُمّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ ثُمّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ثُمّ أَنْذَرَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ ، ثُمّ أَنْذَرَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً ثُمّ أَنْذَرَ الْعَالَمِينَ فَأَقَامَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ نُبُوّتِهِ يُنْذِرُ بِالدّعْوَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا جِزْيَةٍ وَيُؤْمَرُ بِالْكَفّ وَالصّبْرِ وَالصّفْحِ . ثُمّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ ثُمّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ قَاتَلَهُ وَيَكُفّ عَمّنْ اعْتَزَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ ثُمّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ حَتّى يَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لِلّهِ ثُمّ كَانَ الْكُفّارُ مَعَهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ أَهْلُ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ وَأَهْلُ حَرْبٍ وَأَهْلُ ذِمّةٍ فَأُمِرَ بِأَنْ يُتِمّ لِأَهْلِ الْعَهْدِ وَالصّلْحِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِهِ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ فَإِنْ خَافَ مِنْهُمْ خِيَانَةً نَبَذَ إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتّى يُعْلِمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَأُمِرَ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ . وَلَمّا نَزَلَتْ (سُورَةُ بَرَاءَةٌ) نَزَلَتْ بِبَيَانِ حُكْمِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ كُلّهَا ، فَأَمَرَهُ فِيهَا أَنْ " يُقَاتِلَ عَدُوّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أَوْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَرَهُ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ فَجَاهَدَ الْكُفّارَ بِالسّيْفِ وَالسّنَانِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجّةِ وَاللّسَانِ . [ص ١٤٤]

[الْفَرْقُ بَيْنَ أَشْهُرِ التّسْيِيرِ الْحُرُمِ وَبَيْنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ]

وَأَمَرَهُ فِيهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عُهُودِ الْكُفّارِ وَنَبْذِ عُهُودِهِمْ إلَيْهِمْ وَجَعَلَ أَهْلَ الْعَهْدِ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ قِسْمًا أَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ وَهُمْ الّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُ وَلَمْ يَسْتَقِيمُوا لَهُ فَحَارَبَهُمْ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ . وَقِسْمًا لَهُمْ عَهْدٌ مُؤَقّتٌ لَمْ يَنْقُضُوهُ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إلَى مُدّتِهِمْ . وَقِسْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ أَوْ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ مُطْلَقٌ فَأُمِرَ أَنْ يُؤَجّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِذَا انْسَلَخَتْ قَاتَلَهُمْ وَهِيَ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ } [التّوْبَةُ ٢] وَهِيَ الْحُرُمُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ } [التّوْبَةُ ٥] فَالْحُرُمُ هَا هُنَا : هِيَ أَشْهُرُ التّسْيِيرِ أَوّلُهَا يَوْمُ الْأَذَانِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجّةِ وَهُوَ يَوْمُ الْحَجّ الْأَكْبَرِ الّذِي وَقَعَ فِيهِ التّأْذِينُ بِذَلِكَ وَآخِرُهَا الْعَاشِرُ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ وَلَيْسَتْ هِيَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ { إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ } [التّوْبَةُ ٣٦] فَإِنّ تِلْكَ وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجّةِ وَالْمُحَرّمُ . وَلَمْ يُسَيّرْ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنّ هَذَا لَا يُمْكِنُ لِأَنّهَا غَيْرُ مُتَوَالِيَةٍ وَهُوَ إنّمَا أَجّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ثُمّ أَمَرَهُ بَعْدَ انْسِلَاخِهَا أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَقَتَلَ النّاقِضَ لِعَهْدِهِ وَأَجّلَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ أَوْ لَهُ عَهْدٌ مُطْلَقٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمّ لِلْمُوفِي بِعَهْدِهِ عَهْدَهُ إلَى مُدّتِهِ فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ كُلّهُمْ وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ إلَى مُدّتِهِمْ وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِ الذّمّةِ الْجِزْيَةَ . [ص ١٤٥] فَاسْتَقَرّ أَمْرُ الْكُفّارِ مَعَهُ بَعْدَ نُزُولِ بَرَاءَةٌ عَلَى

ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مُحَارِبِينَ لَهُ وَأَهْلِ عَهْدٍ وَأَهْلِ ذِمّةٍ ثُمّ آلَتْ حَالُ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالصّلْحِ إلَى الْإِسْلَامِ فَصَارُوا مَعَهُ قِسْمَيْنِ مُحَارِبِينَ وَأَهْلَ ذِمّةٍ وَالْمُحَارِبُونَ لَهُ خَائِفُونَ مِنْهُ فَصَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ بِهِ وَمُسَالِمٌ لَهُ آمِنٌ وَخَائِفٌ مُحَارِبٌ . وَأَمّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ فَإِنّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللّهِ وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُبَلّغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إلَى نُفُوسِهِمْ وَنَهَاهُ أَنْ يُصَلّيَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ وَأَخْبَرَ أَنّهُ إنْ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنْ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ .

فَصْلٌ [سِيرَتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ]

وَأَمّا سِيرَتُهُ فِي أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَأَلّا تَعْدُوَ عَيْنَاهُ عَنْهُمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَيُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَأَنْ يُصَلّيَ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَهُ بِهَجْرِ مَنْ عَصَاهُ وَتَخَلّفَ عَنْهُ حَتّى يَتُوبَ وَيُرَاجِعَ طَاعَتَهُ كَمَا هَجَرَ الثّلَاثَةَ الّذِينَ . خُلّفُوا . وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ أَتَى مُوجِبَاتِهَا مِنْهُمْ وَأَنْ يَكُونُوا عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ شَرِيفُهُمْ وَدَنِيئُهُمْ .

[مَعْنَى خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ]

وَأَمَرَهُ فِي دَفْعِ عَدُوّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ بِأَنْ يَدْفَعَ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَيُقَابِلَ إسَاءَةَ مَنْ أَسَاءَ إلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ وَجَهْلَهُ بِالْحِلْمِ وَظُلْمَهُ بِالْعَفْوِ وَقَطِيعَتَهُ بِالصّلَةِ وَأَخْبَرَهُ أَنّهُ إنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَادَ عَدُوّهُ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ . وَأَمَرَهُ فِي دَفْعِهِ عَدُوّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنّ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاَللّهِ مِنْهُمْ وَجَمَعَ لَهُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ الْقُرْآنِ فِي (سُورَةِ الْأَعْرَافِ) و (الْمُؤْمِنُونَ) [ص ١٤٦] فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الْأَعْرَافِ ١٩٩ - ٢٠٠] فَأَمَرَهُ بِاتّقَاءِ شَرّ الْجَاهِلِينَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَبِاتّقَاءِ شَرّ الشّيْطَانِ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ وَجَمَعَ لَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَالشّيَمِ كُلّهَا ، فَإِنّ وَلِيّ الْأَمْرِ لَهُ مَعَ الرّعِيّةِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ فَإِنّهُ لَا بُدّ لَهُ مِنْ حَقّ عَلَيْهِمْ يَلْزَمُهُمْ الْقِيَامُ بِهِ وَأَمْرٍ يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَلَا بُدّ مِنْ تَفْرِيطٍ وَعُدْوَانٍ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي حَقّهِ فَأُمِرَ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ الْحَقّ الّذِي عَلَيْهِمْ مَا طَوّعَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ وَسَمَحَتْ بِهِ وَسَهُلَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَشُقّ وَهُوَ الْعَفْوُ الّذِي لَا يَلْحَقُهُمْ بِبَذْلِهِ ضَرَرٌ وَلَا مَشَقّةٌ وَأُمِرَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْعُرْفِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ الّذِي تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ السّلِيمَةُ وَالْفِطَرُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَتُقِرّ بِحُسْنِهِ وَنَفْعِهِ وَإِذَا أَمَرَ بِهِ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَيْضًا لَا بِالْعُنْفِ وَالْغِلْظَةِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَابِلَ جَهْلَ الْجَاهِلِينَ مِنْهُمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ دُونَ أَنْ يُقَابِلَهُ بِمِثْلِهِ فَبِذَلِكَ يَكْتَفِي شَرّهُمْ . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ { قُلْ رَبّ إِمّا تُرِيَنّي مَا يُوعَدُونَ رَبّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظّالِمِينَ وَإِنّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ السّيّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبّ أَنْ يَحْضُرُونِ } [الْمُؤْمِنُونَ ٩٣ - ٩٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم فُصّلَتْ { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السّيّئَةُ ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا الّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا ذُو حَظّ عَظِيمٍ وَإِمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ } [فُصّلَتْ ١٣٤] فَهَذِهِ سِيرَتُهُ مَعَ أَهْلِ الْأَرْضِ إنْسِهِمْ وَجِنّهِمْ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ . زاد المعاد - (ج ٣ / ص ١٤٣)

ومن هذا التلخيص الجيد لمراحل الجهاد في الإسلام تتجلى سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين ، جديرة بالوقوف أمامها طويلاً ، ولكننا لا نملك هنا إلا أن نشير إليها إشارات مجملة :

السمة الأولى : هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين .. فهو حركة تواجه واقعاً بشرياً .. وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي .. إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية ، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية ، تسندها سلطات ذات قوة مادية .. ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه .. تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات ، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها ، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات ، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبِّدهم لغير ربهم الجليل .. إنها حركة لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي ، كما إنها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد .. وهذه كتلك سواء في منهج هذا الدين وهو يتحرك لإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده كما سيجيء .

والسمة الثانية في منهج هذا الدين : هي الواقعية الحركية .. فهو حركة ذات مراحل ، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية ، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها .. فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة . كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة .. والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد ، ولا يراعون هذه السمة فيه ، ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها .. الذين يصنعون هذا يخلطون خلطاً شديداً ويلبسون منهج هذا الدين لبساً مضللاً ، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية . ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصاً نهائياً ، يمثل القواعد النهائية في هذا الدين ، ويقولون - وهم مهزومون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان - : أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع ! ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً ، وتعبيد الناس لله وحده ، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد ! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته ، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة .. بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة ، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها .

والسمة الثالثة : هي أن هذه الحركة الدائبة ، والوسائل المتجددة ، لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة ، ولا عن أهدافه المرسومة . فهو - منذ اليوم الأول - سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين ، أو يخاطب قريشاً ، أو يخاطب العرب أجمعين ، أو يخاطب العالمين ، إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة ، ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد هو إخلاص العبودية لله ، والخروج من العبودية للعباد . لا مساومة في هذه القاعدة ولا لين .. ثم يمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد في خطة مرسومة ، ذات مراحل محددة ، لكل مرحلة وسائلها المتجددة . على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة .

والسمة الرابعة : هي ذلك الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى - على النحو الملحوظ في ذلك التلخيص الجيد الذي نقلناه عن " زاد المعاد " - وقيام ذلك الضبط على أساس أن الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه ، أو أن تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي ، أو قوة مادية ، وأن تخلي بينه وبين كل فرد ، يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته ، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه ! فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه !

* * *

والمهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن " الجهاد في الإسلام " ليدفعوا عن الإسلام هذا " الاتهام " يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة ، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ، والتي تعبِّد الناس للناس ، وتمنعهم من العبودية لله .. وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما .. ومن أجل هذا التخليط ، وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة ! - يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم : " الحرب الدفاعية " .. والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم ، ولا بواعثها ، ولا تكييفها كذلك .. إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة " الإسلام " ذاته ودوره في هذه الأرض ، وأهدافه العليا التي قررها الله ، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة ، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات .

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير " الإنسان " في " الأرض " من العبودية للعباد - ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد - وذلك بإعلان ألوهية الله وحده - سبحانه - وربوبيته للعاليمن .. ! إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها : الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها ، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض ، الحكم فيه للبشر بصورة من الصور .. أو بتعبير آخر مرادف : الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور .. ذلك أن الحكم الذي مردّ الأمر فيه إلى البشر ، ومصدر السلطات فيه هم البشر ، هو تأليه للبشر ، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله . إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله ، وطرد المغتصبين له ، الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم ، فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مكان العبيد .. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض ، أو بالتعبير القرآني الكريم :

{ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } [الزخرف : ٨٤] .

{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } [يوسف : ٤٠] .

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران : ٦٤] .

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم - هم رجال الدين - كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ،

كما كان الحال فيما يعرف باسم " الثيوقراطية " أو الحكم الإلهي المقدس !! - ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة ، وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة .

وقيام مملكة الله في الأرض ، وإزالة مملكة البشر ، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده .. وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية .. كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان ، لأن المتسلطين على رقاب العباد ، والمغتصبين لسلطان الله في الأرض ، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان ، وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض ! وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال !

إن هذا الإعلان العام لتحرير " الإنسان " في " الأرض " من كل سلطان غير سلطان الله ، بإعلان إلوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً .. إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً .. إعلاناً يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة الله ، ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك .. ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل " الحركة " إلى جانب شكل " البيان " .. ذلك ليواجه " الواقع " البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه .

والواقع الإنساني ، أمس واليوم وغداً ، يواجه هذا الدين - بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير " الإنسان " في " الأرض " من كل سلطان غير سلطان الله - بعقبات اعتقادية تصورية ، وعقبات مادية واقعية .. وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية ، إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة .. وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد .

وإذا كان " البيان " يواجه العقائد والتصورات ، فإن " الحركة " تواجه العقبات المادية الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة - .. وهما معاً - البيان والحركة - يواجهان " الواقع البشري " بجملته ، بوسائل مكافئة لكل مكوناته .. وهما معاً لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض .. " الإنسان " كله في " الأرض " كلها .. وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة أخرى !

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي ! وليس رسالة خاصة بالعرب ! .. إن موضوعه هو " الإنسان " .. نوع " الإنسان " .. ومجاله هو " الأرض " .. كل " الأرض " . إن الله - سبحانه - ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم .. إن الله هو " رب العالمين " .. وهذا الدين يريد أن يرد " العالمين " إلى ربهم ، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره . والعبودية الكبرى - في نظر الإسلام - هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر .. وهذه هي " العبادة " التي يقرر أنها لا تكون إلا لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين . ولقد نص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على

أن " الاتّباع " في الشريعة والحكم هو " العبادة " التي صار بها اليهود والنصارى " مشركين " مخالفين لما أمروا به من " عبادة " الله وحده ..
أخرج الترمذي - بإسناده - عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه لما بلغته دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فر إلى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منَّ رسول الله - - صلى الله عليه وسلم - على أخته فأعطاها ، فرجعت إلى أخيها فرغَّبته في الإسلام ، وفي القدوم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقه - أي " عدي " صليب من فضة وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه الآية .. { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ } ( ) .. قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : " بلى ! إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم " .
وتفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقول الله سبحانه ، نص قاطع على أن الاتّباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين ، وأنها هي اتخاذ بعض الناس أرباباً لبعض .. الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ، ويعلن تحرير " الإنسان " في " الأرض " من العبودية لغير الله ..
ومن ثم لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في " الأرض " لإزالة " الواقع " المخالف لذلك الإعلان العام .. بالبيان وبالحركة مجتمعين .. وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تعبِّد الناس لغير الله .. - أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه - والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى " البيان " واعتناق " العقيدة " بحرية لا يتعرض لها السلطان . ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي - بعد إزالة القوة المسيطرة - سواء كانت سياسية بحتة ، أو متلبسة بالعنصرية ، أو الطبقية داخل العنصر الواحد !
إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يكره الناس على اعتناق عقيدته .. ولكن الإسلام ليس مجرد " عقيدة " . إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد . فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان .. ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً - بالفعل - في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم - بعد رفع الضغط السياسي عنهم ، وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم - ولكن هذه التجربة ليس معناها أن يجعلوا إلاههم هواهم ، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعباد ! وأن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ! .. إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده ، وذلك بتلقي الشرائع منه وحده . ثم ليعتنق كل فرد - في ظل هذا النظام العام - ما يعتنقه من عقيدة ! وبهذا يكون " الدين " كله لله . أي تكون الدينونة والخضوع والاتباع والعبودية كلها لله .. إن مدلول " الدين " أشمل من مدلول " العقيدة " . إن الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة ، وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة ، ولكنه في عمومه أشمل من العقيدة .. وفي الإسلام يمكن أن تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام .

والذي يدرك طبيعة هذا الدين - على النحو المتقدم - يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف - إلى جانب الجهاد بالبيان - ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية - بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح " الحرب الدفاعية " كما يريد المهزومون - أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر - أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام - إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير " الإنسان " في " الأرض " .. بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري ، وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة .

وإذا لم يكن بد أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية ، فلا بد أن نغير مفهوم كلمة " دفاع " ، ونعتبره " دفاعاً عن الإنسان " ذاته ، ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره .. هذه العوامل التي تتمثل في المعتقدات والتصورات ، كما تتمثل في الأنظمة السياسية ، القائمة على الحواجز الاقتصادية والطبقية والعنصرية ، التي كانت سائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام ، والتي ما تزال أشكال منها سائدة في الجاهلية الحاضرة في هذا الزمان !

وبهذا التوسع في مفهوم كلمة " الدفاع " نستطيع أن نواجه حقيقة بواعث الانطلاق الإسلامي في " الأرض " بالجهاد ، ونواجه طبيعة الإسلام ذاتها ، وهي أنه إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، وتحطيم مملكة الهوى البشري في الأرض ، وإقامة مملكة الشريعة الإلهية في عالم الإنسان ..

أما محاولة إيجاد مبررات دفاعية للجهاد الإسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد العدوان من القوى المجاورة على " الوطن الإسلامي " - وهو في عرف بعضهم جزيرة العرب - فهي محاولة تنم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين ، ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الأرض . كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي !

ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض ؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد ، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية ، وأنظمة المجتمع العنصرية والطبقية ، والاقتصادية الناشئة من الاعتبارات العنصرية والطبقية ، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك ؟!

إنها سذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير " الإنسان " .. نوع الإنسان .. في " الأرض " .. كل الأرض .. ثم تقف أمام هذه العقبات تجاهدها باللسان والبيان ! .. إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد ، تخاطبهم بحرية ، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات .. فهنا " لا إكراه في الدين " .. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية ، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة ، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله ، وهو طليق من هذه الأغلال !

إن الجهاد ضرورة للدعوة ، إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلاناً جاداً يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه ، ولا يكفي بالبيان الفلسفي

النظري ! سواء كان الوطن الإسلامي - وبالتعبير الإسلامي الصحيح : دار الإسلام - آمناً أم مهدداً من جيرانه . فالإسلام حين يسعى إلى السلم ، لا يقصد تلك السلم الرخيصة ، وهي مجرد أن يؤمن الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية . إنما هو يريد السلم التي يكون فيها الدين كله لله . أي تكون عبودية الناس كلهم فيها لله ، والتي لا يتخذ فيها الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام - بأمر من الله - لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأواسطها .. ولقد انتهت هذه المراحل كما يقول الإمام ابن القيم : " فاستقر أمر الكفار معه - بعد نزول براءة - على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام .. فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه .. فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن (وهم أهل الذمة كما يفهم من الجملة السابقة) وخائف محارب " ..
وهذه هي المواقف المنطقية مع طبيعة هذا الدين وأهدافه ، لا كما يفهم المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام هجوم المستشرقين الماكر !
ولقد كف الله المسلمين عن القتال في مكة ، وفي أول العهد بالهجرة إلى المدينة .. وقيل للمسلمين : { كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } ( ) .. ثم أذن لهم فيه ، فقيل لهم : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } ( ).. ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقيل لهم : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } ( ) .. ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، فقيل لهم : { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } ( ) .. وقيل لهم : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } ( ) . فكان القتال - كما يقول الإمام ابن القيم - " محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين " ..
إن جدِّية النصوص القرآنية الواردة في الجهاد ، وجدية الأحاديث النبوية التي تحض عليه ، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام ، وعلى مدى طويل من تاريخه .. إن هذه الجدية الواضحة تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاوله المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي !
ومن ذا الذي يسمع قول الله سبحانه في هذا الشأن وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويتابع وقائع الجهاد الإسلامي ، ثم يظنه شأناً عارضاً مقيداً بملابسات تذهب وتجيء ، ويقف عند حدود الدفاع لتأمين الحدود ؟!

لقد بين الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال أن الشأن الدائم الأصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، لدفع الفساد عن الأرض :
{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً } .. [الحج : ٣٩ - ٤٠]
وإذن فهو الشأن الدائم لا الحالة العارضة . الشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل في هذه الأرض . وأنه متى قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة ربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط ، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن " الإنسان " في " الأرض " ذلك السلطان الغاصب .. حال دائمة لا يقف معها الانطلاق الجهادي التحريري حتى يكون الدين كله لله .
إن الكف عن القتال في مكة لم يكن إلا مجرد مرحلة في خطة طويلة . كذلك كان الأمر أول العهد بالهجرة . والذي بعث الجماعة المسلمة في المدينة بعد الفترة الأولى للانطلاق لم يكن مجرد تأمين المدينة .. هذا هدف أولي لا بد منه ، ولكنه ليس الهدف الأخير .. إنه هدف يضمن وسيلة الانطلاق ، ويؤمن قاعدة الانطلاق .. الانطلاق لتحرير " الإنسان " ، ولإزالة العقبات التي تمنع " الإنسان " ذاته من الانطلاق !
وكف أيدي المسلمين في مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم . لأنه كان مكفولاً للدعوة في مكة حرية البلاغ .. كان صاحبها - صلى الله عليه وسلم - يملك بحماية سيوف بني هاشم ، أن يصدع بالدعوة ، ويخاطب بها الآذان والعقول والقلوب ، ويواجه بها الأفراد .. لم تكن هناك سلطة سياسية منظمة تمنعه من إبلاغ الدعوة ، أو تمنع الأفراد من سماعه ! فلا ضرورة - في هذه المرحلة - لاستخدام القوة ، وذلك إلى أسباب أخرى لعلها كانت قائمة في هذه المرحلة . وقد لخصتها في ظلال القرآن عند تفسير قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ .. } [الآية ٧٧ من سورة النساء] . ولا بأس في إثبات بعض هذا التلخيص هنا :
" ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد ، في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة . ومن أهداف التربية والإعداد في مثل هذه البيئة بالذات ، تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم على شخصه أو على من يلوذون به ، ليخلص من شخصه ، ويتجرد من ذاته ، ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محور الحياة في نظره ودافع الحركة في حياته . وتربيته كذلك على ضبط أعصابه ، فلا يندفع لأول مؤثر - كما هي طبيعته - ولا يهتاج لأول مهيج ، فيتم الاعتدال في طبيعته وحركته . وتربيته على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته ، ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره به - مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته - وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي ، لإنشاء " المجتمع المسلم " الخاضع لقيادة موجهة ، المترقي المتحضر ، غير الهمجي أو القبلي !

" وربما كان ذلك أيضاً . لأن الدعوة السلمية كانت أشد أثراً وأنفذ ، في مثل بيئة قريش . ذات العنجهية والشرف . والتي قد يدفعها القتال معها - في مثل هذه المرحلة - إلى زيادة العناد ، وإلى نشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة التي أثارت حرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، أعواماً طويلة ، تفانت فيها قبائل برمتها . وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام ، فلا تهدأ بعد ذلك أبداً ، ويتحول الإسلام من دعوة ودين إلى ثارات وذحول تنسى معها وجهته الأساسية ، وهو في مبدئه ، فلا تذكر أبداً !

" وربما كان ذلك أيضاً ، اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت . فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة ، هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم ، إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد يعذبونه ويفتنونه " ويؤدبونه ! " ومعنى الإذن بالقتال - في مثل هذه البيئة - أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت .. ثم يقال : هذا هو الإسلام ! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال ! فقد كانت دعاية قريش في الموسم . في أواسط العرب القادمين للحج والتجارة : إن محمداً يفرق بين الوالد وولده ، فوق تفريقه لقومه وعشيرته ! فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد ، والمولى بقتل الولي .. في كل بيت وفي كل محلة ؟

" وربما كان ذلك أيضاً لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ، ويعذبونهم ويؤذونهم ، هم بأنفسهم سيكونون جند الإسلام المخلص ، بل من قادته .. ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟!

" وربما كان ذلك أيضاً ، لأن النخوة العربية ، في بيئة قبلية ، من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ، ولا يتراجع ! وبخاصة إذا كان واقعاً على كرام الناس فيهم .. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة - في هذه البيئة - فابن الدغنة لم يرض أن يترك أبا بكر - وهو رجل كريم - يهاجر ويخرج من مكة ، ورأى في ذلك عاراً على العرب ! وعرض عليه جواره وحمايته .. وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب ، بعد ما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة .. بينما في بيئة أخرى من بيئات " الحضارة " القديمة التي مردت على الذل ، قد يكون السكوت على الأذى مدعاة للهزء والسخرية والاحتقار من البيئة ، وتعظيم المؤذي الظالم المعتدي !

" وربما كان ذلك ، أيضاً ، لقلة عدد المسلمين حينذاك . وانحصارهم في مكة ، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت أخبارها متناثرة ، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها ، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف . ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة ، إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة - حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم - ويبقى الشرك ، وتنمحي الجماعة المسلمة ، ولم يقم في الأرض للإسلام نظام ، ولا وجد له كيان واقعي . وهو دين جاء ليكون منهاج حياة ، وليكون نظاماً واقعياً عملياً للحياة .

" ... إلخ " ...

فأما في المدينة - في أول العهد بالهجرة - فقد كانت المعاهدة التي عقدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع اليهود من أهلها ومن بقي على الشرك من العرب فيها وفيما حولها ، ملابسة تقتضيها طبيعة المرحلة كذلك ..
أولاً : لأن هناك مجالاً للتبليغ والبيان ، لا تقف له سلطة سياسية تمنعه وتحول بين الناس وبينه ، فقد اعترف الجميع بالدولة المسلمة الجديدة ، وبقيادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تصريف شؤونها السياسية . فنصت المعاهدة على ألا يعقد أحد منهم صلحاً ولا يثير حرباً ، ولا ينشئ علاقة خارجية إلا بإذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان واضحاً أن السلطة الحقيقة في المدينة في يد القيادة المسلمة . فالمجال أمام الدعوة مفتوح ، والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد قائمة .
ثانياً : إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يريد التفرغ في ، هذه المرحلة - لقريش ، التي تقوم معارضتها لهذا الدين حجر عثرة في وجه القبائل الأخرى الواقعة في حالة انتظار لما ينتهي إليه الأمر بين قريش وبعض بنيها ! لذلك بادر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإرسال " السرايا " وكان أول لواء عقده لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة .
ثم توالت هذه السرايا ، على رأس تسعة أشهر . ثم على رأس ثلاثة عشر شهراً . ثم على رأس ستة عشر شهراً . ثم كانت سرية عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، وهي أول غزاة وقع فيها قتل وقتال ، وكان ذلك في الشهر الحَرام ، والتي نزلت فيها آيات البقرة : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا .. } [البقرة : ٢١٧] .
ثم كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان من هذه السنة .. وهي التي نزلت فيها سورة الأنفال .
ورؤية الموقف من خلال ملابسات الواقع ، لا تدع مجالاً للقول بأن " الدفاع " بمفهومه الضيق كان هو قاعدة الحركة الإسلامية ، كما يقول المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر !
إن الذين يلجأون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي ، إنما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشراقية ، في وقت لم يعد للمسلمين شوكة ، بل لم يعد للمسلمين إسلام ! - إلا من عصم الله ممن يصرون على تحقيق إعلان الإسلام العام بتحرير " الإنسان " في " الأرض " من كل سلطان إلا من سلطان الله ، ليكون الدين كله لله - فيبحثون عن مبررات أدبية للجهاد في الإسلام !
والمد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له أكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية :
{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ، وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ، الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } .. [النساء : ٧٤ - ٧٦]
{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } [الأنفال : ٣٨ - ٤٠]
{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } ... [التوبة : ٢٩ - ٣٢] .
إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض ، وتحقيق منهجه في حياة الناس ، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين ، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس ، والناس عبيد لله وحده ، لا يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه ! وهذا يكفي .. مع تقرير مبدأ : " لا إكراه في الدين " .. أي لا إكراه على اعتناق العقيدة ، بعد الخروج من سلطان العبيد ، والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله ، أو أن الدين كله لله ، بهذا الاعتبار .
إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض . بإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك .. وهذه وحدها تكفي .. لقد كانت هذه المبررات ماثلة في نفوس الغزاة من المسلمين ، فلم يسأل أحد منهم عما أخرجه للجهاد فيقول : خرجنا ندافع عن وطننا المهدد ! أو خرجنا نصد عدوان الفرس أو الروم علينا نحن المسلمين ! أو خرجنا نوسع رقعتنا ونستكثر من الغنيمة !
لقد كانوا يقولون كما قال ربعي بن عامر . وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية ، قبل المعركة : ما الذي جاء بكم ؟ فيكون الجواب : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا إلى سعتها . ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .. فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه . ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر " .
إن هناك مبرراً ذاتياً في طبيعة هذا الدين ذاته ، وفي إعلانه العام ، وفي منهجه الواقعي لمقابلة الواقع البشري بوسائل مكافئة لكل جوانبه ، في مراحل محددة ، بوسائل متجددة .. وهذا المبرر الذاتي قائم ابتداء - ولو لم يوجد خطر الاعتداء على الأرض الإسلامية وعلى المسلمين فيها - إنه مبرر في طبيعة المنهج وواقعيته ، وطبيعة المعوقات الفعلية في المجتمعات البشرية .. لا من مجرد ملابسات دفاعية محدودة ، وموقوتة !

وإنه ليكفي لأن يخرج المسلم مجاهداً بنفسه وماله .. " في سبيل الله " .. في سبيل هذه القيم التي لا يناله هو من ورائها مغنم ذاتي ، ولا يخرجه لها مغنم ذاتي ..
إن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر في نفسه مع الشيطان .. مع هواه وشهواته .. مع مطامعه ورغباته .. مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه .. مع كل شارة غير شارة الإسلام .. ومع كل دافع إلا العبودية لله ، وتحقيق سلطانه في الأرض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله ..
والذين يبحثون عن مبررات للجهاد الإسلامي في حماية " الوطن الإسلامي " يغضون من شأن " المنهج " ويعتبرونه أقل من " الموطن " وهذه ليست نظرة الإسلام إلى هذه الاعتبارات . إنها نظرة مستحدثة غريبة على الحس الإسلامي ، فالعقيدة والمنهج الذي تتمثل فيه والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج هي الاعتبارات الوحيدة في الحس الإسلامي . أما الأرض - بذاتها - فلا اعتبار لها ولا وزن ! وكل قيمة للأرض في التصور الإسلامي إنما هي مستمدة من سيادة منهج الله وسلطانه فيها ، وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهج و " دار الإسلام " ونقطة الانطلاق لتحرير " الإنسان " .
وحقيقة إن حماية " دار الإسلام " حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج . ولكنها ليست الهدف النهائي ، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي ، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته . فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير !
وكما أسلفنا فإن الانطلاق بالمذهب الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ، ونظام المجتمع ، وأوضاع البيئة .. وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة ، كي يخلو له وجه الأفراد من الناس ، يخاطب ضمائرهم وأفكارهم ، بعد أن يحررها من الأغلال المادية ، ويترك لها بعد ذلك حرية الاختيار .
يجب ألا تخدعنا أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ " الجهاد " وألا يثقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية ، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين ، في ملابسات دفاعية وقتية ، كان الجهاد سينطلق في طريقه سواء وجدت أم لم توجد !
ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي ألا نغفل عن الاعتبارات الذاتية في طبيعة هذا الدين وإعلانه العام ومنهجه الواقعي ، وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية ..
حقاً إنه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له ، لأن مجرد وجوده في صورة إعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية ، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية ، لأن الحاكمية فيه لله وحده .. إن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من

حوله ـ القائمة على قاعدة العبودية للعباد ـ أن تحاول سحقه ، دفاعاً عن وجودها ذاته ، ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه ..
هذه ملابسة لا بد منها ، تولد مع ميلاد الإسلام ذاته ، وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضاً ، ولا خيار له في خوضها ، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً .. .
هذا كله حق .. ووفق هذه النظرة يكون لا بد للإسلام أن يدافع عن وجوده ، ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضاً ..
ولكن هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة .. إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء . لإنقاذ " الإنسان " في " الأرض " من العبودية لغير الله ، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية ، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية ، تاركاً " الإنسان " .. نوع الإنسان .. في " الأرض " .. كل الأرض .. للشر والفساد والعبودية لغير الله .
إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام ، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية ، ورضى أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام ! ولكن الإسلام لا يهادنها ، إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية ، ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها .
هذه طبيعة هذا الدين ، وهذه وظيفته ، بحكم أنه إعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله في الناس أجمعين !
وفرق بين تصور الإسلام على هذه الطبيعة ، وتصوره قابعاً داخل حدود إقليمية أو عنصرية ، لا يحركه إلا خوف الاعتداء ! إنه في هذه الصورة الأخيرة يفقد مبرراته الذاتية في الانطلاق !
إن مبررات الانطلاق الإسلامي تبرز بوضوح وعمق عند تذكر أن هذا الدين هو منهج الله للحياة البشرية ، وليس منهج إنسان ، ولا مذهب شيعة من الناس ، ولا نظام جنس من الأجناس ! .. ونحن لا نبحث عن مبررات خارجية إلا حين تفتر في حسنا هذه الحقيقة الهائلة .. حين ننسى أن القضية هي قضية ألوهية الله وعبودية العباد .. إنه لا يمكن أن يستحضر إنسان ما هذه الحقيقة الهائلة ثم يبحث عن مبرر آخر للجهاد الإسلامي !
والمسافة قد لا تبدو كبيرة عند مفرق الطريق ، بين تصور أن الإسلام كان مضطراً لخوض معركة لا اختيار له فيها ، بحكم وجوده الذاتي ووجود المجتمعات الجاهلية الأخرى التي لا بد أن تهاجمه ، وتصور أنه هو بذاته لا بد أن يتحرك ابتداء ، فيدخل في هذه المعركة ..
المسافة عند مفرق الطريق قد لا تبدو كبيرة ، فهو في كلتا الحالتين سيدخل المعركة حتماً ، ولكنها في نهاية الطريق تبدو هائلة شاسعة ، تغير المشاعر والمفهومات الإسلامية تغييراً كبيراً .. خطيراً .
إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام منهجاً إلهياً ، جاء ليقرر ألوهية الله في الأرض ، وعبودية البشر جميعاً لإله واحد ، ويصب هذا التقرير في قالب واقعي ،

هو المجتمع الإنساني الذي يتحرر فيه الناس من العبودية للعباد ، بالعبودية لرب العباد ، فلا تحكمهم إلا شريعة الله ، التي يتمثل فيها سلطان الله ، أو بتعبير آخر تتمثل فيها ألوهيته .. فمن حقه إذن أن يزيل العقبات كلها من طريقه ، ليخاطب وجدان الأفراد وعقولهم دون حواجز ولا موانع مصطنعة من نظام الدولة السياسي ، أو أوضاع الناس الاجتماعية .. إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام على هذا النحو ، واعتباره نظاماً محلياً في وطن بعينه فمن حقه فقط أن يدفع الهجوم عليه في داخل حدوده الإقليمية !

هذا تصور .. وذاك تصور .. ولو أن الإسلام في كلتا الحالتين سيجاهد .. ولكن التصور الكلي لبواعث هذا الجهاد وأهدافه ونتائجه ، يختلف اختلافاً بعيداً ، يدخل في صميم الاعتقاد كما يدخل في صميم الخطة والاتجاه .

إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء . فالإسلام ليس نحلة قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم .. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية " الإنسان " في الاختيار . وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته ، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة ، المفسدة للفطرة ، المقيدة لحرية الاختيار .

من حق الإسلام أن يُخرج " الناس "من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .. ليحقق إعلانه العام بربوبية الله للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين .. وعبادة الله وحده لا تتحقق - في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي - إلا في ظل النظام الإسلامي ، فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم ، حاكمهم ومحكومهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء .. أما في سائر الأنظمة ، فيعبد الناس العباد ، لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد . وهو من خصائص الألوهية ، فأيما بشر ادعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه ، فقد ادّعى الألوهية اختصاصاً وعملاً ، سواء ادَّعاها قولاً أم لم يعلن هذا الادعاء . وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية ، سواء سماها باسمها أم لم يسمها !

والإسلام ليس مجرد عقيدة ، حتى يقنع بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان . إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس ، والتجمعات الأخرى لا تمكّنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو ، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرير العام ، وهذا - كما قلنا من قبل - معنى أن يكون الدين كله لله ، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته . كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقم على عبودية العباد للعباد !

إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر ، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة ، لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة . والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً أن هذه ليست هي الحقيقة ، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة .. ومن ثم يقوم المنافحون - المهزومون - عن سمعة الإسلام ، بنفي هذا

الاتهام ، فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته ، وحقه في " تحرير الإنسان " ابتداء .
وقد غشى على أفكار الباحثين العصريين - المهزومين - ذلك التصور الغربي لطبيعة " الدين " .. وإنه مجرد " عقيدة " في الضمير ، لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة .
ومن ثم يكون الجهاد للدين ، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير !
ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام ، فالإسلام منهج الله للحياة البشرية ، وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية - متمثلة في الحاكمية - وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية ! فالجهاد له جهاد لتقرير المنهج وإقامة النظام . أما العقيدة فأمر موكول إلى حرية الاقتناع ، في ظل النظام العام ، بعد رفع جميع المؤثرات .. ومن ثم يختلف الأمر من أساسه ، وتصبح له صورة جديدة كاملة .
وحيثما وجد التجمع الإسلامي ، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي ، فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام ، مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان ، فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد ، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ ، مسألة مقتضيات الحركة لا مسألة عقيدة .. وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة ، في المراحل التاريخية المتجددة ، ولا نخلط بين دلالتها المرحلية ، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الثابت الطويل .(المعالم)

٢. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في دَعْوَةِ الْمُلُوكِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْكُتُبِ إِلَيْهِمْ

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٦٠٠)
فَصْلٌ ذِكْرُ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مُكَاتَبَاتِهِ إلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ
[الْكِتَابُ إلَى هِرَقْلَ]
[ص ٦٠١] ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَتَبَ إلَى هِرَقْل : بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى أَمّا بَعْدُ فَإِنّي أَدْعُوك بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِك اللّهُ أَجْرَكَ مَرّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلّيْت فَإِنّ عَلَيْك إثْمَ الْأَرِيسِيّينَ وَ { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ }
[الْكِتَابُ إلَى كِسْرَى]
وَكَتَبَ إلَى كِسْرَى : بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَدْعُوك بِدِعَايَةِ اللّهِ فَإِنّي أَنَا رَسُولُ اللّهِ إلَى النّاسِ كَافّةً لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّا وَيَحِقّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ أَسْلِمْ تَسْلَمْ فَإِنْ أَبَيْت فَعَلَيْك إثْمُ الْمَجُوسِ " فَلَمّا قُرِئَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ مَزّقَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ " مَزّقَ اللّهُ مُلْكَهُ
[الْكِتَابُ إلَى النّجَاشِيّ]
[ص ٦٠٢] وَكَتَبَ إلَى النّجَاشِيّ : بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى النّجَاشِيّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ أَسْلِمْ أَنْتَ فَإِنّي أَحْمَدُ إلَيْكَ اللّهَ الّذِي لَا إلَهَ إلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ

السّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ وَأَشْهَدُ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطّيّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ اللّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَإِنّي أَدْعُوكَ إلَى اللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِاَلّذِي جَاءَنِي فَإِنّي رَسُولُ اللّهِ وَإِنّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَقَدْ بَلّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ مَعَ عَمْرِو بْنِ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ فَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : إنّ عَمْرًا قَالَ لَهُ يَا أَصْحَمَةُ إنّ عَلَيّ الْقَوْلَ وَعَلَيْكَ الِاسْتِمَاعَ إنّك كَأَنّك فِي الرّقّةِ عَلَيْنَا وَكَأَنّا فِي الثّقَةِ بِك مِنْك لِأَنّا لَمْ نَظُنّ بِك خَيْرًا قَطّ إلّا نِلْنَاهُ وَلَمْ نَخَفْكَ عَلَى شَيْءٍ قَطّ إلّا أَمِنّاهُ وَقَدْ أَخَذْنَا الْحُجّةَ عَلَيْك مِنْ فِيك الْإِنْجِيلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَك شَاهِدٌ لَا يُرَدّ وَقَاضٍ لَا يَجُورُ وَفِي ذَلِكَ مَوْقِعُ الْحَزّ وَإِصَابَةُ الْمُفَصّلِ وَإِلّا فَأَنْتَ فِي هَذَا النّبِيّ الْأُمّيّ كَالْيَهُودِ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَقَدْ فَرّقَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رُسُلَهُ إلَى النّاسِ فَرَجَاك لِمَا لَمْ يَرْجُهُمْ لَهُ وَأَمّنَك عَلَى مَا خَافَهُمْ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ سَالِفٍ وَأَجْرٍ يُنْتَظَرُ . فَقَالَ النّجَاشِيّ : أَشْهَدُ بِاَللّهِ أَنّهُ النّبِيّ الْأُمّيّ الّذِي يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَنّ بِشَارَةَ مُوسَى بِرَاكِبِ الْحِمَارِ كَبِشَارَةِ عِيسَى بِرَاكِبِ الْجَمَلِ وَأَنّ الْعِيَانَ لَيْسَ بِأَشْفَى مِنْ الْخَبَرِ ثُمّ كَتَبَ النّجَاشِيّ جَوَابَ كِتَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ إلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ مِنْ النّجَاشِيّ أَصْحَمَةَ سَلَامٌ عَلَيْك يَا نَبِيّ اللّهِ مِنْ اللّهِ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ اللّهُ الّذِي لَا إلَهَ إلّا هُوَ أَمّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُك يَا رَسُولَ اللّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى فَوَرَبّ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ إنّ عِيسَى لَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ثُفْرُوقًا إنّهُ كَمَا ذَكَرْت وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثْت بِهِ إلَيْنَا وَقَدْ قَرّبْنَا ابْنَ عَمّك وَأَصْحَابَهُ فَأَشْهَدُ أَنّك رَسُولُ اللّهِ صَادِقًا مُصَدّقًا وَقَدْ بَايَعْتُك وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمّك وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ " . وَالثّفْرُوقُ عِلَاقَةُ مَا بَيْنَ النّوَاةِ وَالْقِشْرِ . [ص ٦٠٣] النّجَاشِيّ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَوْتِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَخَرَجَ بِالنّاسِ إلَى الْمُصَلّى فَصَلّى عَلَيْهِ وَكَبّرَ أَرْبَعًا .

[النّجَاشِيّ الّذِي صَلّى عَلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْسَ بِالنّجَاشِيّ الّذِي كَتَبَ إلَيْهِ يَدْعُوهُ]

قُلْت : وَهَذَا وَهْمٌ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - وَقَدْ خَلَطَ رَاوِيهِ وَلَمْ يُمَيّزْ بَيْنَ النّجَاشِيّ الّذِي صَلّى عَلَيْهِ وَهُوَ الّذِي آمَنَ بِهِ وَأَكْرَمَ أَصْحَابَهُ وَبَيْنَ النّجَاشِيّ الّذِي كَتَبَ إلَيْهِ يَدْعُوهُ فَهُمَا اثْنَانِ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُبَيّنًا فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَتَبَ إلَى النّجَاشِيّ وَلَيْسَ بِاَلّذِي صَلّى عَلَيْهِ .

فَصْلٌ [الْكِتَابُ إلَى الْمُقَوْقِسِ]

وَكَتَبَ إلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيّةِ : بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ عَبْدِ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى أَمّا بَعْدُ فَإِنّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللّهُ أَجْرَكَ مَرّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلّيْت فَإِنّ عَلَيْكَ إثْمَ الْقِبْطِ { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ } [آلِ عِمْرَانَ ٦٤] وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَلَمّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ إنّهُ كَانَ قَبْلَك رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنّهُ الرّبّ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى فَانْتَقَمَ بِهِ ثُمّ انْتَقَمَ مِنْهُ فَاعْتَبَرَ بِغَيْرِك وَلَا يَعْتَبِرُ غَيْرُك بِك . فَقَالَ إنّ لَنَا دِينًا لَنْ نَدَعَهُ إلّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ

فَقَالَ حَاطِبٌ نَدْعُوك إلَى دِينِ اللّهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْكَافِي بِهِ اللّهُ فَقَدَ مَا سِوَاهُ إنّ هَذَا النّبِيّ دَعَا النّاسَ فَكَانَ أَشَدّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ وَأَعْدَاهُمْ لَهُ الْيَهُودُ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ النّصَارَى وَلَعَمْرِي مَا بِشَارَةُ مُوسَى بِعِيسَى إلّا كَبِشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمّدٍ وَمَا دُعَاؤُنَا إيّاكَ إلَى الْقُرْآنِ إلّا كَدُعَائِك أَهْلَ التّوْرَاةِ إلَى الْإِنْجِيلِ وَكُلّ نَبِيّ أَدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ [ص ٦٠٤] أُمّتِهِ فَالْحَقّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَأَنْتَ مِمّنْ أَدْرَكَهُ هَذَا النّبِيّ وَلَسْنَا نَنْهَاك عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ وَلَكِنّا نَأْمُرُك بِهِ . فَقَالَ الْمُقَوْقِسُ : إنّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النّبِيّ فَوَجَدْتُهُ لَا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ فِيهِ وَلَا يَنْهَى عَنْ مَرْغُوبٍ فِيهِ وَلَمْ أَجِدْهُ بِالسّاحِرِ الضّالّ وَلَا الْكَاهِنِ الْكَاذِبِ وَوُجِدَتْ مَعَهُ آيَةُ النّبُوّةِ بِإِخْرَاجِ الْخَبْءِ وَالْإِخْبَارِ بِالنّجْوَى وَسَأَنْظُرُ وَأَخَذَ كِتَابَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَجَعَلَهُ فِي حُقّ مِنْ عَاجٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إلَى جَارِيَةٍ لَهُ ثُمّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيّةِ فَكَتَبَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ لِمُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ مِنْ الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَيْك أَمّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَك وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إلَيْهِ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنّ نَبِيّا بَقِيَ وَكُنْتُ أَظُنّ أَنّهُ يَخْرُجُ بِالشّامِ وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَك وَبَعَثْتُ إلَيْك بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٌ وَبِكِسْوَةٍ وَأَهْدَيْتُ إلَيْك بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا وَالسّلَامُ عَلَيْك . وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَمْ يَسْلَمْ وَالْجَارِيَتَانِ مَارِيَةُ وَسِيرِينُ وَالْبَغْلَةُ دُلْدُلُ بَقِيَتْ إلَى زَمَنِ مُعَاوِيَةَ .

فَصْلٌ [الْكِتَابُ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى عَامِلِ الْبَحْرَيْنِ]

وَكَتَبَ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى فَذَكَرَ الْوَاقِدِيّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ وَجَدْتُ هَذَا الْكِتَابَ فِي كُتُبِ ابْنِ عَبّاسٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فَنَسَخْته فَإِذَا فِيهِ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيّ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى وَكَتَبَ إلَيْهِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إلَى الْإِسْلَامِ فَكَتَبَ الْمُنْذِرُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللّهِ فَإِنّي قَرَأْت كِتَابَك عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبِأَرْضِي مَجُوسٌ وَيَهُودُ فَأَحْدِثْ إلَيّ فِي ذَلِكَ أَمْرَك فَكَتَبَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ [ص ٦٠٥] بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنّي أَحْمَدُ إلَيْك اللّهَ الّذِي لَا إلَهَ إلّا هُوَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمّا بَعْدُ فَإِنّي أُذَكّرُكَ اللّهَ عَزّ وَجَلّ فَإِنّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ وَإِنّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي وَإِنّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا وَإِنّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِك فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذّنُوبِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَإِنّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِك وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيّةٍ أَوْ مَجُوسِيّةٍ فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ

فَصْلٌ [الْكِتَابُ إلَى مَلِكِ عُمَانَ]

وَكَتَبَ إلَى مَلِكِ عُمَانَ كِتَابًا وَبَعَثَهُ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ إلَى جَيْفَرَ وَعَبْدٍ ابْنَيْ الْجُلَنْدَى سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى أَمّا بَعْدُ فَإِنّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَا تَسْلَمَا فَإِنّي رَسُولُ اللّهِ إلَى النّاسِ كَافّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّا وَيَحِقّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ فَإِنّكُمَا إنْ أَقْرَرْتُمَا بِالْإِسْلَامِ وَلّيْتُكُمَا وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرّا بِالْإِسْلَامِ فَإِنّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا وَخَيْلِي تَحُلّ بِسَاحَتِكُمَا وَتَظْهَرُ نُبُوّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا . وَكَتَبَ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ وَخَتَمَ الْكِتَابَ . قَالَ عَمْرٌو : فَخَرَجْتُ حَتّى انْتَهَيْتُ إلَى عُمَانَ فَلَمّا قَدِمْتهَا عَمَدْتُ إلَى عَبْدٍ وَكَانَ أَحْلَمَ الرّجُلَيْنِ وَأَسْهَلَهُمَا خُلُقًا فَقُلْتُ إنّي رَسُولُ رَسُولِ اللّهِ

صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْك وَإِلَى أَخِيك فَقَالَ أَخِي الْمُقَدّمُ عَلَيّ بِالسّنّ وَالْمُلْكِ وَأَنَا أُوصِلُك إلَيْهِ حَتّى يَقْرَأَ كِتَابَك ثُمّ قَالَ وَمَا تَدْعُو إلَيْهِ ؟ قُلْت : أَدْعُوك إلَى اللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتَخْلَعَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ وَتَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قَالَ يَا عَمْرُو إنّك ابْنُ سَيّدِ قَوْمِك فَكَيْفَ صَنَعَ أَبُوكَ فَإِنّ لَنَا فِيهِ قُدْوَةً ؟ قُلْتُ مَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ [ص ٦٠٦] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَوَدِدْتُ أَنّهُ كَانَ أَسْلَمَ وَصَدّقَ بِهِ وَقَدْ كُنْتُ أَنَا عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ حَتّى هَدَانِي اللّهُ لِلْإِسْلَامِ قَالَ فَمَتَى تَبِعْتَهُ ؟ قُلْتُ قَرِيبًا فَسَأَلَنِي أَيْنَ كَانَ إسْلَامُك ؟ قُلْت : عِنْدَ النّجَاشِيّ وَأَخْبَرْته أَنّ النّجَاشِيّ قَدْ أَسْلَمَ قَالَ فَكَيْفَ صَنَعَ قَوْمُهُ بِمُلْكِهِ ؟ فَقُلْت : أَقَرّوهُ وَاتّبَعُوهُ قَالَ وَالْأَسَاقِفَةُ وَالرّهْبَانُ تَبِعُوهُ ؟ قُلْت : نَعَمْ . قَالَ اُنْظُرْ يَا عَمْرُو مَا تَقُولُ إنّهُ لَيْسَ مِنْ خَصْلَةٍ فِي رَجُلٍ أَفْضَحَ لَهُ مِنْ الْكَذِبِ قُلْته : مَا كَذَبْت وَمَا نَسْتَحِلّهُ فِي دِينِنَا ثُمّ قَالَ مَا أَرَى هِرَقْلَ عَلِمَ بِإِسْلَامِ النّجَاشِيّ قُلْت : بَلَى .

قَالَ بِأَيّ شَيْءٍ عَلِمْت ذَلِكَ ؟

قُلْت : كَانَ النّجَاشِيّ يُخْرِجُ لَهُ خَرْجًا فَلَمّا أَسْلَمَ وَصَدّقَ بِمُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَا وَاَللّهِ لَوْ سَأَلَنِي دِرْهَمًا وَاحِدًا مَا أَعْطَيْته فَبَلَغَ هِرَقْلَ قَوْلُهُ فَقَالَ لَهُ يَنّاقُ أَخُوهُ أَتَدَعُ عَبْدَك لَا يُخْرِجُ لَك خَرْجًا وَيَدِينُ دِينًا مُحْدَثًا ؟ قَالَ هِرَقْلُ رَجُلٌ رَغِبَ فِي دِينٍ فَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مَا أَصْنَعُ بِهِ وَاَللّهِ لَوْلَا الضّنّ بِمُلْكِي لَصَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ قَالَ اُنْظُرْ مَا تَقُولُ يَا عَمْرُو قُلْت : وَاَللّهِ صَدّقْتُك . قَالَ عَبْدٌ فَأَخْبِرْنِي مَا الّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَيُنْهِي عَنْهُ ؟ قُلْتُ يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَيَأْمُرُ بِالْبِرّ وَصِلَةِ الرّحِمِ وَيَنْهَى عَنْ الظّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَعَنْ الزّنَى وَعَنْ الْخَمْرِ وَعَنْ عِبَادَةِ الْحَجَرِ وَالْوَثَنِ وَالصّلِيبِ . قَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الّذِي يَدْعُو إلَيْهِ لَوْ كَانَ أَخِي يُتَابِعُنِي عَلَيْهِ لَرَكِبْنَا حَتّى نُؤْمِنَ بِمُحَمّدٍ وَنُصَدّقَ بِهِ وَلَكِنْ أَخِي أَضَنّ بِمُلْكِهِ مِنْ أَنْ يَدَعَهُ وَيَصِيرَ ذَنَبًا قُلْت : إنّهُ إنْ أَسْلَمَ مَلّكَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذَ الصّدَقَةَ مِنْ غَنِيّهِمْ فَرَدّهَا عَلَى فَقِيرِهِمْ . قَالَ إنّ هَذَا لَخُلُقٌ حَسَنٌ وَمَا الصّدَقَةُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فَرَضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الصّدَقَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حَتّى انْتَهَيْتُ إلَى الْإِبِلِ . قَالَ يَا عَمْرُو : وَتُؤْخَذُ مَنْ سَوَائِمِ مَوَاشِينَا الّتِي تَرْعَى الشّجَرَ وَتَرِدُ الْمِيَاهَ ؟ فَقُلْت : نَعَمْ . فَقَالَ وَاَللّهِ مَا أَرَى قَوْمِي فِي بُعْدِ دَارِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ يُطِيعُونَ بِهَذَا قَالَ فَمَكَثْتُ بِبَابِهِ أَيّامًا وَهُوَ يَصِلُ إلَى أَخِيهِ فَيُخْبِرُهُ كُلّ خَبَرِي ثُمّ إنّهُ دَعَانِي يَوْمًا فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخَذَ أَعْوَانُهُ بِضَبُعَيّ فَقَالَ دَعُوهُ فَأُرْسِلْت فَذَهَبْت لِأَجْلِسَ فَأَبَوْا أَنْ يَدْعُونِي أَجْلِسَ فَنَظَرْت إلَيْهِ فَقَالَ تَكَلّمْ بِحَاجَتِك فَدَفَعْت إلَيْهِ الْكِتَابَ مَخْتُومًا فَفَضّ خَاتَمَهُ وَقَرَأَ حَتّى انْتَهَى [ص ٦٠٧] أَخِيهِ فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ إلّا أَنّي رَأَيْت أَخَاهُ أَرَقّ مِنْهُ قَالَ أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ صَنَعَتْ ؟ فَقُلْت : تَبِعُوهُ إمّا رَاغِبٌ فِي الدّينِ وَإِمّا مَقْهُورٌ بِالسّيْفِ . قَالَ وَمَنْ مَعَهُ ؟ قُلْت : النّاسُ قَدْ رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ وَاخْتَارُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَعَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ مَعَ هُدَى اللّهِ إيّاهُمْ أَنّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ غَيْرَك فِي هَذِهِ الْحَرَجَةِ وَأَنْتَ إنْ لَمْ تُسْلِمْ الْيَوْمَ وَتَتّبِعْهُ يُوَطّئْك الْخَيْلَ وَيُبِيدُ خَضْرَاءَك فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ وَيَسْتَعْمِلْك عَلَى قَوْمِك وَلَا تَدْخُلْ عَلَيْك الْخَيْلُ وَالرّجَالُ . قَالَ دَعْنِي يَوْمِي هَذَا وَارْجِعْ إلَيّ غَدًا فَرَجَعْتُ إلَى أَخِيهِ فَقَالَ يَا عَمْرُو إنّي لَأَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ إنْ لَمْ يَضِنّ بِمُلْكِهِ حَتّى إذَا كَانَ الْغَدُ أَتَيْتُ إلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لِي فَانْصَرَفْتُ إلَى أَخِيهِ فَأَخْبَرْتُهُ أَنّي لَمْ أَصِلْ إلَيْهِ فَأَوْصَلَنِي إلَيْهِ فَقَالَ إنّي فَكّرْتُ فِيمَا دَعَوْتنِي إلَيْهِ فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ الْعَرَبِ إنْ مَلّكْتُ رَجُلًا مَا فِي يَدِي وَهُوَ لَا تَبْلُغُ

خَيْلُهُ هَا هُنَا وَإِنْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ أَلْفَتْ قِتَالًا لَيْسَ كَقِتَالِ مَنْ لَاقَى . قُلْت : وَأَنَا خَارِجٌ غَدًا فَلَمّا أَيْقَنَ بِمَخْرَجِي خَلَا بِهِ أَخُوهُ فَقَالَ مَا نَحْنُ فِيمَا قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ وَكُلّ مَنْ أَرْسَلَ إلَيْهِ قَدْ أَجَابَهُ فَأَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إلَيّ فَأَجَابَ إلَى الْإِسْلَامِ هُوَ وَأَخُوهُ جَمِيعًا وَصَدّقَا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخَلّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصّدَقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي .

فَصْلٌ [الْكِتَابُ إلَى صَاحِبِ الْيَمَامَةِ]

وَكَتَبَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى صَاحِبِ الْيَمَامَةِ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيّ وَأَرْسَلَ بِهِ مَعَ سَلِيطِ بْنِ عَمْرٍو الْعَامِرِيّ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى وَاعْلَمْ أَنّ دِينِي سَيَظْهَرُ إلَى مُنْتَهَى الْخُفّ وَالْحَافِرِ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْك فَلَمّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَلِيطٌ بِكِتَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَخْتُومًا أَنْزَلَهُ [ص ٦٠٨] وَحَيّاهُ وَاقْتَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَرَدّ رَدّا دُونَ رَدّ وَكَتَبَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي فَاجْعَلْ إلَيّ بَعْضَ الْأَمْرِ أَتْبَعُك وَأَجَازَ سَلِيطًا بِجَائِزَةٍ وَكَسَاهُ أَثْوَابًا مِنْ نَسْجِ هَجَرٍ فَقَدِمَ بِذَلِكَ كُلّهِ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ وَقَرَأَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِتَابَهُ فَقَالَ لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً مِنْ الْأَرْضِ مَا فَعَلْت بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ .

فَلَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْفَتْحِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ بِأَنّ هَوْذَةَ قَدْ مَاتَ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَا إنّ الْيَمَامَةَ سَيَخْرُجُ بِهَا كَذّابٌ يَتَنَبّأُ يُقْتَلُ بَعْدِي " فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللّهِ مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " أَنْتَ وَأَصْحَابُك فَكَانَ كَذَلِكَ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيّ أَنّ أَرْكُونَ دِمَشْقَ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ النّصَارَى كَانَ عِنْدَ هَوْذَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ جَاءَنِي كِتَابُهُ يَدْعُونِي إلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ أُجِبْهُ قَالَ الْأَرْكُونُ لَمْ لَا تُجِيبُهُ ؟ قَالَ ضَنَنْت بِدِينِي وَأَنَا مَلِكُ قَوْمِي وَإِنْ تَبِعْتُهُ لَمْ أَمْلِكْ قَالَ بَلَى وَاَللّهِ لَئِنْ تَبِعْتَهُ لَيُمَلّكَنّك فَإِنّ الْخِيرَةَ لَك فِي اتّبَاعِهِ وَإِنّهُ لَلنّبِيّ الْعَرَبِيّ الّذِي بَشّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَإِنّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدَنَا فِي الْإِنْجِيلِ مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ

فَصْلٌ فِي كِتَابِهِ إلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسّانِيّ

وَكَانَ بِدِمَشْقَ بِغُوطَتِهَا فَكَتَبَ إلَيْهِ كِتَابًا مَعَ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ مَرْجِعَهُ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاَللّهِ وَصَدّقَ وَإِنّي أَدْعُوكَ إلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَبْقَى لَكَ مُلْكُك وَقَدْ تَقَدّمَ ذَلِكَ [ص ٦٠٩

....

فَصْلٌ فِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمُلُوكِ

لَمّا رَجَعَ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ إلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ فَكَتَبَ إلَى مَلِكِ الرّومِ فَقِيلَ لَهُ إنّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إلّا إذَا كَانَ مَخْتُومًا فَاتّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضّةٍ وَنَقَشَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولُ سَطْرٌ وَاَللّهِ سَطْرٌ وَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ إلَى الْمُلُوكِ وَبَعَثَ سِتّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الْمُحَرّمِ سَنَةَ سَبْعٍ .

[الْكِتَابُ إلَى النّجَاشِيّ]

فَأَوَّلُهُمْ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ بَعَثَهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ بْنُ أَبْجَرَ وَتَفْسِيرُ أَصْحَمَةَ بِالْعَرَبِيَّةِ عَطِيَّةٌ فَعَظَّمَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْإِنْجِيلِ وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ بِالْحَبَشَةِ هَكَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْوَاقِدِيّ وَغَيْرُهُ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ هَذَا الثَّانِي لَا يُعْرَفُ إِسْلَامُهُ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا . وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى [ص ١١٧] كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ : إِنَّ هَذَا النَّجَاشِيّ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ لَمْ يُسْلِمْ وَالْأَوَّلُ هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ وَالظَّاهِرُ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ .

[الْكِتَابُ إِلَى هِرَقْلَ]

وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ وَاسْمُهُ هِرَقْلُ وَهَمَّ بِالْإِسْلَامِ وَكَادَ وَلَمْ يَفْعَلْ وَقِيلَ بَلْ أَسْلَمَ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَدْ رَوَى أَبُو حَاتِمِ بْن حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَنْطَلِقُ بِصَحِيفَتِي هَذِهِ إِلَى قَيْصَرَ وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ ؟ قَالَ وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ فَوَافَقَ قَيْصَرَ وَهُوَ يَأْتِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَدْ جُعِلَ عَلَيْهِ بِسَاطٌ لَا يَمْشِي عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَرَمَى بِالْكِتَابِ عَلَى الْبِسَاطِ وَتَنَحَّى فَلَمَّا انْتَهَى قَيْصَرُ إِلَى الْكِتَابِ أَخَذَهُ فَنَادَى قَيْصَرُ مَنْ صَاحِبُ الْكِتَابِ ؟ فَهُوَ آمِنٌ فَجَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ أَنَا . قَالَ فَإِذَا قَدِمْتَ فَأْتِنِي فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ فَأَمَرَ قَيْصَرُ بِأَبْوَابِ قَصْرِهِ فَغُلِّقَتْ ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي : أَلَا إِنَّ قَيْصَرَ قَدْ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا وَتَرَكَ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَقْبَلَ جُنْدُهُ وَقَدْ تَسَلَّحُوا حَتَّى أَطَافُوا بِهِ فَقَالَ لِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَرَى أَنِّي خَائِفٌ عَلَى مَمْلَكَتِي ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى : أَلَا إِنَّ قَيْصَرَ قَدْ رَضِيَ عَنْكُمْ وَإِنَّمَا اخْتَبَرَكُمْ لِيَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَارْجِعُوا فَانْصَرَفُوا وَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي مُسْلِمٌ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِدَنَانِيرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَهُوَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَقَسَّمَ الدَّنَانِير .

[الْكِتَابُ إِلَى كِسْرَى]

وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيّ إِلَى كِسْرَى وَاسْمُهُ أَبْرَوِيزُ بْنُ هُرْمُزَ بْنِ [ص ١١٨] أَنُوشِرْوَانَ فَمَزَّقَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَه فَمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَمُلْكَ قَوْمِهِ .

[الْكِتَابُ إِلَى الْمُقَوْقِسِ]

وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ وَاسْمُهُ جُرَيْجُ بْنُ مِينَاءَ مَلِكُ الإسكندرية عَظِيمُ الْقِبْطِ فَقَالَ خَيْرًا وَقَارَبَ الْأَمْرَ وَلَمْ يُسْلِمْ وَأَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَارِيَةَ وَأُخْتَيْهَا سِيرِينَ وَقَيْسَرَى فَتَسَرَّى مَارِيَةَ وَوَهَبَ سِيرِينَ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَهْدَى لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى وَأَلْفَ مِثْقَالٍ ذَهَبًا وَعِشْرِينَ ثَوْبًا مِنْ قَبَاطِيِّ مِصْرَ وَبَغْلَةً شَهْبَاءَ وَهِيَ دُلْدُلُ وَحِمَارًا أَشْهَبَ وَهُوَ عُفَيْرٌ وَغُلَامًا خَصِيًّا يُقَالُ لَهُ مأبور . وَقِيلَ هُوَ ابْنُ عَمِّ مَارِيَةَ

وَفَرَسًا وَهُوَ اللّزَازُ وَقَدَحًا مِنْ زُجَاجٍ وَعَسَلًا فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : ضَنّ الْخَبِيثُ بِمُلْكِهِ وَلَا بَقَاءَ لِمُلْكِهِ

[الْكِتَابُ إلَى مَلِكِ الْبَلْقَاءِ]

بَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيّ إلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِرٍ الْغَسّانِيّ مَلِكِ الْبَلْقَاءِ قَالَهُ ابْنُ إسْحَاقَ وَالْوَاقِدِيّ . قِيلَ إنّمَا تَوَجّهَ لِجَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ . وَقِيلَ تَوَجّهَ لَهُمَا مَعًا . وَقِيلَ تَوَجّهَ لِهِرَقْلَ مَعَ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . [ص ١١٩] سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو إلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيّ الْحَنَفِيّ بِالْيَمَامَةِ فَأَكْرَمَهُ . وَقِيلَ بَعَثَهُ إلَى هَوْذَةَ وَإِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ الْحَنَفِيّ فَلَمْ يُسْلِمْ هَوْذَةُ وَأَسْلَمَ ثُمَامَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ السّتّةُ قِيلَ هُمْ الّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

[الْكِتَابُ إلَى عَامِلِي عُمَانَ]

وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ إلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ اللّهِ ابْنَيْ الْجُلَنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ بِعُمَانَ فَأَسْلَمَا وَصَدّقَا وَخَلّيَا بَيْنَ عَمْرٍو وَبَيْنَ الصّدَقَةِ وَالْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَزَلْ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتّى بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

[الْكِتَابُ إلَى مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ]

وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيّ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ قَبْلَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ الْجِعْرَانَةِ وَقِيلَ قَبْلَ الْفَتْحِ فَأَسْلَمَ وَصَدّقَ .

[الْكِتَابُ إلَى الْيَمَنِ]

وَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيّةَ الْمَخْزُومِيّ إلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ الْحِمْيَرِيّ بِالْيَمَنِ فَقَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي .

[بُعُوثٌ أُخْرَى]

وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إلَى الْيَمَنِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ . وَقِيلَ بَلْ سَنَةَ عَشْرٍ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوّلِ دَاعِيَيْنِ إلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ عَامّةُ أَهْلِهَا طَوْعًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ . ثُمّ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إلَيْهِمْ وَوَافَاهُ بِمَكّةَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ . وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ الْبَجَلِيّ إلَى ذِي الْكَلَاعِ الْحِمْيَرِيّ وَذِي عَمْرٍو يَدْعُوهُمَا إلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا وَتُوُفّيَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ . [ص ١٢٠] عَمْرَو بْنَ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ إلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابِ بِكِتَابٍ وَكَتَبَ إلَيْهِ بِكِتَابٍ آخَرَ مَعَ السّائِبِ بْنِ الْعَوّامِ أَخِي الزّبَيْرِ فَلَمْ يُسْلِمْ . وَبَعَثَ إلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيّ يَدْعُوهُ إلَى الْإِسْلَامِ . وَقِيلَ لَمْ يَبْعَثْ إلَيْهِ وَكَانَ فَرْوَةُ عَامِلًا لِقَيْصَرَ بِمَعَانَ فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إلَيْهِ هَدِيّةً مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ يُقَالُ لَهَا : فِضّةٌ وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا : الظّرِبُ وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَعْفُورُ كَذَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ وَالظّاهِرُ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - أَنّ عُفَيْرًا وَيَعْفُورَ وَاحِدٌ عُفَيْرٌ تَصْغِيرُ يَعْفُورَ تَصْغِيرَ التّرْخِيمِ . وَبَعَثَ أَثْوَابًا وَقَبَاءً مِنْ سُنْدُسٍ مُخَوّصٍ بِالذّهَبِ فَقَبِلَ هَدِيّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيّةً وَنَشّا . وَبَعَثَ عَيّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيّ بِكِتَابٍ إلَى الْحَارِثِ وَمَسْرُوحٍ وَنُعَيْمٍ بَنِي عَبْدِ كُلَالٍ مِنْ حِمْيَرَ . زاد المعاد - (ج ١ / ص ١١٦)

٣. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي عَقْدِ الذّمّةِ وَأَخْذِ الْجِزْيَةِ

فَصْلٌ [عَقْدُ الذّمّةِ وَأَخْذُ الْجِزْيَةِ]

وَأَمّا هَدْيُهُ فِي عَقْدِ الذّمّةِ وَأَخْذِ الْجِزْيَةِ فَإِنّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْكُفّارِ جِزْيَةً إلّا بَعْدَ نُزُولِ (سُورَةِ بَرَاءَةٌ) فِي السّنَةِ الثّامِنَةِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَلَمّا نَزَلَتْ آيَةُ الْجِزْيَةِ أَخَذَهَا مِنْ الْمَجُوسِ ، وَأَخَذَهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَخَذَهَا مِنْ النّصَارَى ، وَبَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ إلَى الْيَمَنِ ، فَعَقَدَ لِمَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْ يَهُودِهَا الذّمّةَ وَضَرَبَ عَلَيْهِمْ الْجِزْيَةَ وَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ ، فَظَنّ بَعْضُ الْغَالِطِينَ الْمُخْطِئِينَ أَنّ هَذَا حُكْمٌ مُخْتَصّ بِأَهْلِ خَيْبَرَ ، وَأَنّهُ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ جِزْيَةٌ وَإِنْ أُخِذَتْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهَذَا مِنْ عَدَمِ فِقْهِهِ فِي السّيَرِ وَالْمَغَازِي ، فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَاتَلَهُمْ وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يُقِرّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ وَلَمْ تَكُنْ الْجِزْيَةُ نَزَلَتْ بَعْدُ فَسَبَقَ عَقْدُ صُلْحِهِمْ وَإِقْرَارُهُمْ فِي أَرْضِ خَيْبَرَ نُزُولَ الْجِزْيَةِ ثُمّ أَمَرَهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُقَاتِلَ أَهْلَ الْكِتَابِ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي هَذَا يَهُودُ خَيْبَرَ إذْ ذَاكَ لِأَنّ الْعَقْدَ [ص ١٣٨] كَانَ قَدِيمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَلَى إقْرَارِهِمْ وَأَنْ يَكُونُوا عُمّالًا فِي الْأَرْضِ بِالشّطْرِ فَلَمْ يُطَالِبْهُمْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ وَطَالَبَ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِمّنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَقْدٌ كَعَقْدِهِمْ بِالْجِزْيَةِ كَنَصَارَى نَجْرَانَ ، وَيَهُودِ الْيَمَنِ ، وَغَيْرِهِمْ فَلَمّا أَجْلَاهُمْ عُمَرُ إلَى الشّامِ ، تَغَيّرَ ذَلِكَ الْعَقْدُ الّذِي تَضَمّنَ إقْرَارَهُمْ فِي أَرْضِ خَيْبَرَ ، وَصَارَ لَهُمْ حُكْمُ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

[بَيَانُ تَزْوِيرِ طَائِفَةٍ مِنْ الْيَهُودِ كِتَابًا فِيهِ إسْقَاطُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْجِزْيَةَ]

وَلَمّا كَانَ فِي بَعْضِ الدّوَلِ الّتِي خَفِيَتْ فِيهَا السّنّةُ وَأَعْلَامُهَا ، أَظْهَرَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ كِتَابًا قَدْ عَتّقُوهُ وَزَوّرُوهُ وَفِيهِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَسْقَطَ عَنْ يَهُودِ خَيْبَرَ الْجِزْيَةَ وَفِيهِ شَهَادَةُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ الصّحَابَةِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ فَرَاجَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ جَهِلَ سُنّةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَغَازِيَهُ وَسِيَرَهُ وَتَوَهّمُوا ، بَلْ ظَنّوا صِحّتَهُ فَجَرَوْا عَلَى حُكْمِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُزَوّرِ حَتّى أُلْقِيَ إلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيّةَ - قَدّسَ اللّهُ رُوحَهُ - وَطُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُعِينَ عَلَى تَنْفِيذِهِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ فَبَصَقَ عَلَيْهِ وَاسْتَدَلّ عَلَى كَذِبِهِ بِعَشَرَةِ أَوْجُهٍ مِنْهَا : أَنّ فِيهِ شَهَادَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَسَعْدٌ تُوُفّيَ قَبْلَ خَيْبَرَ قَطْعًا . وَمِنْهَا : أَنّ فِي الْكِتَابِ أَنّهُ أَسْقَطَ عَنْهُمْ الْجِزْيَةَ وَالْجِزْيَةُ لَمْ تَكُنْ نَزَلَتْ بَعْدُ وَلَا يَعْرِفُهَا الصّحَابَةُ حِينَئِذٍ فَإِنّ نُزُولَهَا كَانَ عَامَ تَبُوكَ بَعْدَ خَيْبَرَ بِثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ . وَمِنْهَا : أَنّهُ أَسْقَطَ عَنْهُمْ الْكُلَفَ وَالسّخَرَ وَهَذَا مُحَالٌ فَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ كُلَفٌ وَلَا سُخَرٌ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ وَقَدْ أَعَاذَهُ اللّهُ وَأَعَاذَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَخْذِ الْكُلَفِ وَالسّخَرِ وَإِنّمَا هِيَ مِنْ وَضْعِ الْمُلُوكِ الظّلَمَةِ وَاسْتَمَرّ الْأَمْرُ عَلَيْهَا . وَمِنْهَا : أَنّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ فَلَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي وَالسّيَرِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسّنّةِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْإِفْتَاءِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التّفْسِيرِ وَلَا أَظْهَرُوهُ فِي زَمَانِ السّلَفِ لِعِلْمِهِمْ أَنّهُمْ إنْ زَوّرُوا مِثْلَ ذَلِكَ عَرَفُوا كَذِبَهُ وَبُطْلَانَهُ فَلَمّا اسْتَخَفّوا بَعْضَ الدّوَلِ فِي وَقْتِ فِتْنَةٍ وَخَفَاءِ بَعْضِ السّنّةِ زَوّرُوا ذَلِكَ وَعَتّقُوهُ وَأَظْهَرُوهُ وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ طَمَعُ بَعْضِ الْخَائِنِينَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَمْ يَسْتَمِرّ لَهُمْ ذَلِكَ حَتّى كَشَفَ اللّهُ أَمْرَهُ وَبَيّنَ خُلَفَاءُ الرّسُلِ بُطْلَانَهُ وَكَذِبَهُ . [ص ١٣٩]

فَصْلٌ [هَلْ يَجُوزُ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْ غَيْرِ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنّصَارَى]

فَلَمّا نَزَلَتْ آيَةُ الْجِزْيَةِ أَخَذَهَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ ثَلَاثِ طَوَائِفَ مِنْ الْمَجُوسِ ، وَالْيَهُودِ ، وَالنّصَارَى ، وَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْ عُبّادِ الْأَصْنَامِ . فَقِيلَ لَا يَجُوزُ أَخْذُهَا مِنْ كَافِرٍ

غَيْرِ هَؤُلَاءِ وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ اقْتِدَاءً بِأَخْذِهِ وَتَرْكِهِ . وَقِيلَ بَلْ تُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ كَعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ مِنَ الْعَجَمِ دُونَ الْعَرَبِ ، وَالْأَوَّلُ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَحْمَدَ ، فِي إِحْدَى رِوَايَتَيْهِ . وَالثَّانِي : قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَأَحْمَدَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى . وَأَصْحَابُ الْقَوْلِ الثَّانِي : يَقُولُونَ إِنَّمَا لَمْ يَأْخُذْهَا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا نَزَلَ فَرْضُهَا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ دَارَةُ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مُشْرِكٌ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَدُخُولِ الْعَرَبِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَلَمْ يَبْقَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُشْرِكٌ وَلِهَذَا غَزَا بَعْدَ الْفَتْحِ تَبُوكَ ، وَكَانُوا نَصَارَى ، وَلَوْ كَانَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُشْرِكُونَ لَكَانُوا يَلُونَهُ وَكَانُوا أَوْلَى بِالْغَزْوِ مِنَ الْأَبْعَدِينَ . وَمَنْ تَأَمَّلَ السِّيَرَ وَأَيَّامَ الْإِسْلَامِ عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ فَلَمْ تُؤْخَذْ مِنْهُمُ الْجِزْيَةُ لِعَدَمِ مَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُ لَا لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، قَالُوا : وَقَدْ أَخَذَهَا مِنَ الْمَجُوسِ ، وَلَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا يَصِحُّ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ كِتَابٌ وَرُفِعَ وَهُوَ حَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ مِثْلُهُ وَلَا يَصِحُّ سَنَدُهُ . وَلَا فَرْقَ بَيْنَ عُبَّادِ النَّارِ وَعُبَّادِ الْأَصْنَامِ بَلْ أَهْلُ الْأَوْثَانِ أَقْرَبُ حَالًا مِنْ عُبَّادِ النَّارِ وَكَانَ فِيهِمْ مِنَ التَّمَسُّكِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عُبَّادِ النَّارِ بَلْ عُبَّادُ النَّارِ أَعْدَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، فَإِذَا أُخِذَتْ مِنْهُمُ الْجِزْيَةُ فَأَخْذُهَا مِنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ أَوْلَى ، وَعَلَى ذَلِكَ تَدُلُّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " أَنَّهُ قَالَ إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى خِلَالٍ ثَلَاثٍ فَأَيَّتُهُنَّ أَجَابُوكَ إِلَيْهَا ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ " . ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوِ الْجِزْيَةِ أَوْ يُقَاتِلَهُمْ [ص ١٤٠] وَقَالَ الْمُغِيرَةُ لِعَامِلِ كِسْرَى : أَمَرَنَا نَبِيُّنَا أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقُرَيْشٍ : هَلْ لَكُمْ فِي كَلِمَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَرَبُ ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْكُمْ بِهَا الْجِزْيَةَ . قَالُوا : مَا هِيَ ؟ قَالَ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فَصْلٌ

وَلَمَّا كَانَ فِي مَرْجِعِهِ مِنْ تَبُوكَ ، أَخَذَتْ خَيْلُهُ أُكَيْدِرَ دُومَةَ ، فَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ وَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ " . [ص ١٤١]

[صُلْحُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِ نَجْرَانَ]

وَصَالَحَ أَهْلَ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ . النِّصْفُ فِي صَفَرٍ وَالْبَقِيَّةُ فِي رَجَبٍ يُؤَدُّونَهَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَارِيَةٍ ثَلَاثِينَ دِرْعًا ، وَثَلَاثِينَ فَرَسًا ، وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا ، وَثَلَاثِينَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ السِّلَاحِ يَغْزُونَ بِهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ ضَامِنُونَ لَهَا حَتَّى يَرُدُّوهَا عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ بِالْيَمَنِ كَيْدٌ أَوْ غَدْرَةٌ عَلَى أَلَّا تُهْدَمَ لَهُمْ بِيعَةٌ وَلَا يُخْرَجَ لَهُمْ قَسٌّ وَلَا يُفْتَنُوا عَنْ دِينِهِمْ مَا لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا أَوْ يَأْكُلُوا الرِّبَا وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى انْتِقَاضِ عَهْدِ الذِّمَّةِ بِإِحْدَاثِ الْحَدَثِ وَأَكْلِ الرِّبَا إِذَا كَانَ مَشْرُوطًا عَلَيْهِمْ . وَلَمَّا وَجَّهَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ مُحْتَلِمٍ دِينَارًا أَوْ قِيمَتَهُ مِنَ الْمَعَافِرِيِّ وَهِيَ ثِيَابٌ تَكُونُ بِالْيَمَنِ

[الْجِزْيَةُ تُقَدَّرُ بِحَسَبِ حَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ]

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجِزْيَةَ غَيْرُ مُقَدَّرَةِ الْجِنْسِ وَلَا الْقَدْرِ بَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ثِيَابًا وَذَهَبًا وَحُلَلًا ، وَتَزِيدُ وَتَنْقُصُ بِحَسَبِ حَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاحْتِمَالِ مَنْ تُؤْخَذُ مِنْهُ وَحَالِهِ فِي الْمَيْسَرَةِ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ . [ص ١٤٢]

[تُؤْخَذُ الْجِزْيَةُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ بِغَيْرِ اعْتِبَارٍ لِآبَائِهِمْ]

وَلَمْ يُفَرّقْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا خُلَفَاؤُهُ فِي الْجِزْيَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، بَلْ أَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ ، وَأَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرٍ ، وَكَانُوا عَرَبًا ، فَإِنّ الْعَرَبَ أُمّةٌ لِي لَهَا فِي الْأَصْلِ كِتَابٌ وَكَانَتْ كُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَدِينُ بِدِينِ مَنْ جَاوَرَهَا مِنْ الْأُمَمِ فَكَانَتْ عَرَبُ الْبَحْرَيْنِ مَجُوسًا لِمُجَاوَرَتِهَا فَارِسَ ، وَتَنُوخَ ، وَبُهْرَةَ ، وَبَنُو تَغْلِبَ نَصَارَى لِمُجَاوَرَتِهِمْ لِلرّومِ وَكَانَتْ قَبَائِلُ مِنْ الْيَمَنِ يَهُودَ لِمُجَاوَرَتِهِمْ لِيَهُودِ الْيَمَنِ ، فَأَجْرَى رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحْكَامَ الْجِزْيَةِ وَلَمْ يَعْتَبِرْ آبَاءَهُمْ وَلَا مَتَى دَخَلُوا فِي دِينِ أَهْلِ الْكِتَابِ هَلْ كَانَ دُخُولُهُمْ قَبْلَ النّسْخِ وَالتّبْدِيلِ أَوْ بَعْدَهُ وَمِنْ أَيْنَ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَكَيْفَ يَنْضَبِطُ وَمَا الّذِي دَلّ عَلَيْهِ ؟ وَقَدْ ثَبَتَ فِي السّيَرِ وَالْمَغَازِي ، أَنّ مِنْ الْأَنْصَارِ مَنْ تَهَوّدَ أَبْنَاؤُهُمْ بَعْدَ النّسْخِ بِشَرِيعَةِ عِيسَى ، وَأَرَادَ آبَاؤُهُمْ إكْرَاهَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدّينِ } [الْبَقَرَةُ ٢٥٦] وَفِي قَوْلِهِ لِمُعَاذٍ : خُذْ مِنْ كُلّ حَالِمٍ دِينَارًا دَلِيلٌ عَلَى أَنّهَا لَا تُؤْخَذُ مِنْ صَبِيّ وَلَا امْرَأَةٍ . فَإِنْ قِيلَ فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِالْحَدِيثِ الّذِي رَوَاهُ عَبْدُ الرّزّاقِ فِي " مُصَنّفِهِ " وَأَبُو عُبَيْدٍ فِي " الْأَمْوَالِ " أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ الْيَمَنِ الْجِزْيَةَ مِنْ كُلّ حَالِمٍ أَوْ حَالِمَةٍ زَادَ أَبُو عُبَيْدٍ : عَبْدًا أَوْ أَمَةً دِينَارًا أَوْ قِيمَتَهُ مِنْ الْمَعَافِرِيّ " فَهَذَا فِيهِ أَخْذُهَا مِنْ الرّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَالْحُرّ وَالرّقِيقِ ؟ قِيلَ [ص ١٤٣] الزّيَادَةُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا ، لَمْ يَذْكُرْهَا سَائِرُ الرّوَاةِ وَلَعَلّهَا مِنْ تَفْسِيرِ بَعْضِ الرّوَاةِ . وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ وَالتّرْمِذِيّ ، وَالنّسَائِيّ ، وَابْنُ مَاجَهْ ، وَغَيْرُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَاقْتَصَرُوا عَلَى قَوْلِهِ أَمَرَهُ " أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَالِمٍ دِينَارًا " وَلَمْ يَذْكُرُوا هَذِهِ الزّيَادَةَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْجِزْيَةَ الْعَرَبُ مِنْ النّصَارَى وَالْيَهُودِ ، وَالْمَجُوسِ ، وَلَمْ يَكْشِفْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَتَى دَخَلَ فِي دِينِهِ وَكَانَ يَعْتَبِرُهُمْ بِأَدْيَانِهِمْ لَا بِآبَائِهِمْ .زاد المعاد - (ج ٣ / ص ١٣٧)

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٣٠٥)

فَصْلٌ [جَوَازُ الْمُسَاقَاةِ وَالْمُزَارَعَةِ بِجُزْءٍ مِمّا يَخْرُجُ مِنْ الْأَرْضِ]

[ص ٣٠٦] جَوَازُ الْمُسَاقَاةِ وَالْمُزَارَعَةِ بِجُزْءٍ مِمّا يَخْرُجُ مِنْ الْأَرْضِ مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ كَمَا عَامَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَهْلَ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ وَاسْتَمَرّ ذَلِكَ إلَى حِينِ وَفَاتِهِ لَمْ يُنْسَخْ الْبَتّةَ وَاسْتَمَرّ عَمَلُ خُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْمُؤَاجَرَةِ فِي شَيْءٍ بَلْ مِنْ بَابِ الْمُشَارَكَةِ وَهُوَ نَظِيرُ الْمُضَارَبَةِ سَوَاءً فَمَنْ أَبَاحَ الْمُضَارَبَةَ وَحَرّمَ ذَلِكَ فَقَدْ فَرّقَ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ .

فَصْلٌ [عَدَمُ اشْتِرَاطِ كَوْنِ الْبَذْرِ مِنْ رَبّ الْأَرْضِ]

وَمِنْهَا أَنّهُ دَفَعَ إلَيْهِمْ الْأَرْضَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَلَمْ يَدْفَعْ إلَيْهِمْ الْبَذْرَ وَلَا كَانَ يَحْمِلُ إلَيْهِمْ الْبَذْرَ مِنْ الْمَدِينَةِ قَطْعًا فَدَلّ عَلَى أَنّ هَدْيَهُ عَدَمُ اشْتِرَاطِ كَوْنِ الْبَذْرِ مِنْ رَبّ الْأَرْضِ وَأَنّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْعَامِلِ وَهَذَا كَانَ هَدْيَ خُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَكَمَا أَنّهُ هُوَ الْمَنْقُولُ فَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلْقِيَاسِ فَإِنّ الْأَرْضَ بِمَنْزِلَةِ رَأْسِ الْمَالِ فِي الْقِرَاضِ وَالْبَذْرُ يَجْرِي مَجْرَى سَقْيِ الْمَاءِ وَلِهَذَا يَمُوتُ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُرْجَعُ إلَى صَاحِبِهِ وَلَوْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ رَأْسِ مَالِ الْمُضَارَبَةِ لَاشْتُرِطَ عَوْدُهُ إلَى صَاحِبِهِ وَهَذَا يُفْسِدُ الْمُزَارَعَةَ فَعُلِمَ أَنّ الْقِيَاسَ الصّحِيحَ هُوَ الْمُوَافِقُ لِهَدْيِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ فِي ذَلِكَ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ
وَمِنْهَا : خَرْصُ الثِّمَارِ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ وَقِسْمَتُهَا كَذَلِكَ وَأَنّ الْقِسْمَةَ لَيْسَتْ بَيْعًا .
وَمِنْهَا : الِاكْتِفَاءُ بِخَارِصٍ وَاحِدٍ وَقَاسِمٍ وَاحِدٍ . وَمِنْهَا : جَوَازُ عَقْدِ الْمُهَادَنَةِ عَقْدًا جَائِزًا لِلْإِمَامِ فَسْخُهُ مَتَى شَاءَ . وَمِنْهَا : جَوَازُ تَعْلِيقِ عَقْدِ الصّلْحِ وَالْأَمَانِ بِالشّرْطِ كَمَا عَقَدَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِشَرْطِ أَنْ لَا يُغَيّبُوا وَلَا يَكْتُمُوا . [ص ٣٠٧]
[جَوَازُ نَسْخِ الْأَمْرِ قَبْلَ فِعْلِهِ]
وَمِنْهَا : الْأَخْذُ فِي الْأَحْكَامِ بِالْقَرَائِنِ وَالْأَمَارَاتِ كَمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِكِنَانَةَ الْمَالُ كَثِيرٌ وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ فَاسْتَدَلّ بِهَذَا عَلَى كَذِبِهِ فِي قَوْلِهِ أَذْهَبَتْهُ الْحُرُوبُ وَالنّفَقَةُ . وَمِنْهَا : أَنّ مَنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَهُ إذَا قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى كَذِبِهِ لَمْ يُلْتَفَتْ إلَى قَوْلِهِ وَنُزّلَ مَنْزِلَةَ الْخَائِنِ .
[إذَا خَالَفَ أَهْلُ الذّمّةِ شَيْئًا مِمّا شُرِطَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ ذِمّةٌ]
وَمِنْهَا : أَنّ أَهْلَ الذّمّةِ إذَا خَالَفُوا شَيْئًا مِمّا شُرِطَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ ذِمّةٌ وَحَلّتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لِأَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَقَدَ لِهَؤُلَاءِ الْهُدْنَةَ وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُغَيّبُوا وَلَا يَكْتُمُوا فَإِنْ فَعَلُوا حَلّتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ فَلَمّا لَمْ يَفُوا بِالشّرْطِ اسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَبِهَذَا اقْتَدَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ فِي الشّرُوطِ الّتِي اشْتَرَطَهَا عَلَى أَهْلِ الذّمّةِ فَشَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنّهُمْ مَتَى خَالَفُوا شَيْئًا مِنْهَا فَقَدْ حَلّ لَهُ مِنْهُمْ مَا يَحِلّ مِنْ أَهْلِ الشّقَاقِ وَالْعَدَاوَةِ .
[جَوَازُ الْأَخْذِ فِي الْأَحْكَامِ بِالْقَرَائِنِ]
وَمِنْهَا : جَوَازُ نَسْخِ الْأَمْرِ قَبْلَ فِعْلِهِ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَهُمْ بِكَسْرِ الْقُدُورِ ثُمّ نَسَخَهُ عَنْهُمْ بِالْأَمْرِ بِغَسْلِهَا . وَمِنْهَا : أَنّ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ لَا يَطْهُرُ بِالذّكَاةِ لَا جِلْدُهُ وَلَا لَحْمُهُ وَأَنّ ذَبِيحَتَهُ بِمَنْزِلَةِ مَوْتِهِ وَأَنّ الذّكَاةَ إنّمَا تَعْمَلُ فِي مَأْكُولِ اللّحْمِ .
[الْغُلُولُ قَبْلَ الْقَسْمِ لَا يَمْلِكُ وَإِنْ كَانَ دُونَ الْحَقّ]
وَمِنْهَا : أَنّ مَنْ أَخَذَ مِنْ الْغَنِيمَةِ شَيْئًا قَبْلَ قِسْمَتِهَا لَمْ يَمْلِكْهُ وَإِنْ كَانَ دُونَ حَقّهِ وَأَنّهُ إنّمَا يَمْلِكُهُ بِالْقِسْمَةِ وَلِهَذَا قَالَ فِي صَاحِبِ الشّمْلَةِ الّتِي غَلّهَا : إنّهَا تَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا وَقَالَ لِصَاحِبِ الشّرَاكِ الّذِي غَلّهُ شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ [ص ٣٠٨] أَرْضُ الْعَنْوَةِ بَيْنَ قِسْمَتِهَا وَتَرْكِهَا وَقَسْمِ بَعْضِهَا وَتَرْكِ بَعْضِهَا .
[اسْتِحْبَابُ التّفَاؤُلِ]
وَمِنْهَا : جَوَازُ التّفَاؤُلِ بَلْ اسْتِحْبَابُهُ بِمَا يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ مِمّا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَامِهِ كَمَا تَفَاءَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِرُؤْيَةِ الْمَسَاحِي وَالْفُؤُوسِ وَالْمَكَاتِلِ مَعَ أَهْلِ خَيْبَرَ فَإِنّ ذَلِكَ فَأْلٌ فِي خَرَابِهَا .
[جَوَازُ إجْلَاءِ أَهْلِ الذّمّةِ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إذَا اُسْتُغْنِيَ عَنْهُمْ]
وَمِنْهَا : جَوَازُ إجْلَاءِ أَهْلِ الذّمّةِ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إذَا اُسْتُغْنِيَ عَنْهُمْ كَمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نُقِرّكُمْ مَا أَقَرّكُمْ اللّه وَقَالَ لِكَبِيرِهِمْ كَيْفَ بِكَ إذَا رَقَصَتْ بِكَ رَاحِلَتُكَ نَحْوَ الشّامِ يَوْمًا ثُمّ يَوْمًا وَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ بَعْدَ مَوْتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهَذَا مَذْهَبُ مُحَمّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطّبَرِيّ وَهُوَ قَوْلٌ قَوِيّ يَسُوغُ الْعَمَلُ بِهِ إذَا رَأَى الْإِمَامُ فِيهِ الْمَصْلَحَةَ .
وَلَا يُقَالُ أَهْلُ خَيْبَرَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ذِمّةٌ بَلْ كَانُوا أَهْلَ هُدْنَةٍ فَهَذَا كَلَامٌ لَا حَاصِلَ تَحْتَهُ فَإِنّهُمْ كَانُوا أَهْلَ ذِمّةٍ قَدْ أَمِنُوا بِهَا عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَمَانًا مُسْتَمِرّا نَعَمْ لَمْ تَكُنْ الْجِزْيَةُ قَدْ

شُرِعَتْ وَنَزَلَ فَرْضُهَا وَكَانُوا أَهْلَ ذِمَّةٍ بِغَيْرِ جِزْيَةٍ فَلَمَّا نَزَلَ فَرْضُ الْجِزْيَةِ اُسْتُؤْنِفَ ضَرْبُهَا عَلَى مَنْ يُعْقَدُ لَهُ الذِّمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ فَلَمْ يَكُنْ عَدَمُ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ لِكَوْنِهِمْ لَيْسُوا أَهْلَ ذِمَّةٍ بَلْ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ نَزَلَ فَرْضُهَا بَعْدُ . وَأَمَّا كَوْنُ الْعَقْدِ غَيْرَ مُؤَبَّدٍ فَذَاكَ لِمُدَّةِ إقْرَارِهِمْ فِي أَرْضِ خَيْبَرَ لَا لِمُدَّةِ حَقْنِ دِمَائِهِمْ ثُمَّ يَسْتَبِيحُهَا الْإِمَامُ مَتَى شَاءَ فَلِهَذَا قَالَ نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ اللَّهُ أَوْ مَا شِئْنَا وَلَمْ يَقُلْ نَحْقِنُ دِمَاءَكُمْ مَا شِئْنَا وَهَكَذَا كَانَ عَقْدُ الذِّمَّةِ لِقُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ عَقْدًا مَشْرُوطًا بِأَنْ لَا يُحَارِبُوهُ وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ وَمَتَى فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَكَانُوا أَهْلَ ذِمَّةٍ بِلَا جِزْيَةٍ إذْ لَمْ يَكُنْ نَزَلَ فَرْضُهَا إذْ ذَاكَ وَاسْتَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيَ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَجَعَلَ نَقْضَ الْعَهْدِ سَارِيًا فِي حَقِّ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ وَجَعَلَ حُكْمَ السَّاكِتِ وَالْمُقِرِّ حُكْمَ النَّاقِضِ وَالْمُحَارِبِ وَهَذَا مُوجَبُ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ الذِّمَّةِ بَعْدَ الْجِزْيَةِ أَيْضًا أَنْ يَسْرِي نَقْضُ الْعَهْدِ فِي [ص ٣٠٩] وَنِسَائِهِمْ وَلَكِنْ هَذَا إذَا كَانَ النَّاقِضُونَ طَائِفَةً لَهُمْ شَوْكَةٌ وَمَنَعَةٌ أَمَّا إذَا كَانَ النَّاقِضُ وَاحِدًا مِنْ طَائِفَةٍ لَمْ يُوَافِقْهُ بَقِيَّتُهُمْ فَهَذَا لَا يَسْرِي النَّقْضُ إلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ كَمَا أَنَّ مَنْ أَهْدَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِمَاءَهُمْ مِمَّنْ كَانَ يَسُبُّهُ لَمْ يَسُبَّ نِسَاءَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ فَهَذَا هَدْيُهُ فِي هَذَا وَهُوَ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ .

[جَوَازُ جَعْلِ عِتْقِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ صَدَاقًا لَهَا بِغَيْرِ إذْنِهَا وَبِلَا شُهُودٍ وَلَا وَلِيِّ غَيْرِهِ]

وَمِنْهَا : جَوَازُ عِتْقِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَجَعْلِ عِتْقِهَا صَدَاقًا لَهَا وَيَجْعَلُهَا زَوْجَتَهُ بِغَيْرِ إذْنِهَا وَلَا شُهُودٍ وَلَا وَلِيِّ غَيْرِهِ وَلَا لَفْظِ إنْكَاحٍ وَلَا تَزْوِيجٍ كَمَا فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَفِيَّةَ وَلَمْ يَقُلْ قَطُّ هَذَا خَاصٌّ بِي وَلَا أَشَارَ إلَى ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِ بِاقْتِدَاءِ أُمَّتِهِ بِهِ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ إنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ لِغَيْرِهِ بَلْ رَوَوْا الْقِصَّةَ وَنَقَلُوهَا إلَى الْأُمَّةِ وَلَمْ يَمْنَعُوهُمْ وَلَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي ذَلِكَ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا خَصَّهُ فِي النِّكَاحِ بِالْمَوْهُوبَةِ قَالَ { خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } [الْأَحْزَابَ ٥٠] ؛ فَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دُونِ أُمَّتِهِ لَكَانَ هَذَا التَّخْصِيصُ أَوْلَى بِالذِّكْرِ لِكَثْرَةِ ذَلِكَ مِنْ السَّادَاتِ مَعَ إمَائِهِمْ بِخِلَافِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَهَبُ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ لِنُدْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ أَوْ مِثْلُهُ فِي الْحَاجَةِ إلَى الْبَيَانِ وَلَا سِيَّمَا وَالْأَصْلُ مُشَارَكَةُ الْأُمَّةِ لَهُ وَاقْتِدَاؤُهَا بِهِ فَكَيْفَ يَسْكُتُ عَنْ مَنْعِ الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَجُوزُ مَعَ قِيَامِ مُقْتَضَى الْجَوَازِ هَذَا شِبْهُ الْمُحَالِ وَلَمْ تَجْتَمِعْ الْأُمَّةُ عَلَى عَدَمِ الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي ذَلِكَ فَيَجِبُ الْمَصِيرُ إلَى إجْمَاعِهِمْ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ . وَالْقِيَاسُ الصَّحِيحُ يَقْتَضِي جَوَازَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ رَقَبَتَهَا وَمَنْفَعَةَ وَطْئِهَا وَخِدْمَتِهَا فَلَهُ أَنْ يُسْقِطَ حَقَّهُ مِنْ مِلْكِ الرَّقَبَةِ وَيَسْتَبْقِيَ مِلْكَ الْمَنْفَعَةِ أَوْ نَوْعًا مِنْهَا كَمَا لَوْ أَعْتَقَ عَبْدَهُ وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْدِمَهُ مَا عَاشَ فَإِذَا أَخْرَجَ الْمَالِكُ رَقَبَةَ مِلْكِهِ وَاسْتَثْنَى نَوْعًا مِنْ مَنْفَعَتِهِ لَمْ يُمْنَعْ مِنْ ذَلِكَ فِي عَقْدِ الْبَيْعِ فَكَيْفَ يُمْنَعُ مِنْهُ فِي عَقْدِ النِّكَاحِ وَلَمَّا كَانَتْ مَنْفَعَةُ الْبُضْعِ لَا تُسْتَبَاحُ إلَّا بِعَقْدِ نِكَاحٍ أَوْ مِلْكِ يَمِينٍ وَكَانَ إعْتَاقُهَا يُزِيلُ مِلْكَ الْيَمِينِ عَنْهَا كَانَ مِنْ ضَرُورَةِ اسْتِبَاحَةِ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ جَعْلُهَا زَوْجَةً وَسَيِّدُهَا كَانَ يَلِي [ص ٣١٠] شَاءَ بِغَيْرِ رِضَاهَا فَاسْتَثْنَى لِنَفْسِهِ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ مِنْهَا وَلَمَّا كَانَ مِنْ ضَرُورَتِهِ عَقْدُ النِّكَاحِ مَلَكَهُ لِأَنَّ بَقَاءَ مِلْكِهِ الْمُسْتَثْنَى لَا يَتِمُّ إلَّا بِهِ فَهَذَا مَحْضُ الْقِيَاسِ الصَّحِيحِ الْمُوَافِقِ لِلسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

[جَوَازُ كَذِبِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ إذَا كَانَ يَتَوَصَّلُ بِالْكَذِبِ إلَى حَقِّهِ مَا لَمْ يَتَضَمَّنْ ضَرَرَ ذَلِكَ الْغَيْرِ]

وَمِنْهَا : جَوَازُ كَذِبِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ إذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ ضَرَرَ ذَلِكَ الْغَيْرِ إذَا كَانَ يَتَوَصَّلُ بِالْكَذِبِ إلَى حَقِّهِ كَمَا كَذَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ مِنْ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ لَحِقَتْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ الْكَذِبِ وَأَمَّا مَا نَالَ مَنْ بِمَكَّةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْأَذَى وَالْحُزْنِ فَمَفْسَدَةٌ يَسِيرَةٌ فِي جَنْبِ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي حَصَلَتْ بِالْكَذِبِ وَلَا سِيَّمَا تَكْمِيلُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَزِيَادَةُ الْإِيمَانِ الَّذِي حَصَلَ بِالْخَبَرِ الصَّادِقِ بَعْدَ هَذَا الْكَذِبِ فَكَانَ الْكَذِبُ سَبَبًا فِي حُصُولِ هَذِهِ الْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ وَنَظِيرُ هَذَا الْإِمَامُ وَالْحَاكِمُ يُوهِمُ الْخَصْمَ خِلَافَ الْحَقِّ لِيَتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إلَى اسْتِعْلَامِ الْحَقِّ كَمَا أَوْهَمَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ إحْدَى الْمَرْأَتَيْنِ بِشَقِّ الْوَلَدِ نِصْفَيْنِ حَتَّى تَوَصَّلَ بِذَلِكَ إلَى مَعْرِفَةِ عَيْنِ الْأُمِّ وَمِنْهَا : جَوَازُ بِنَاءِ الرَّجُلِ بِامْرَأَتِهِ فِي السَّفَرِ وَرُكُوبِهَا مَعَهُ عَلَى دَابَّةٍ بَيْنَ الْجَيْشِ . وَمِنْهَا : أَنَّ مَنْ قَتَلَ غَيْرَهُ بِسُمٍّ يَقْتُلُ مِثْلُهُ قُتِلَ بِهِ قِصَاصًا كَمَا قُتِلَتْ الْيَهُودِيَّةُ بِبِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ .
وَمِنْهَا : جَوَازُ الْأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَحِلِّ طَعَامِهِمْ .
[الِاخْتِلَافُ فِي مُوجِبِ قَتْلِ الْيَهُودِيَّةِ]
وَمِنْهَا : قَبُولُ هَدِيَّةِ الْكَافِرِ . فَإِنْ قِيلَ فَلَعَلَّ الْمَرْأَةَ قُتِلَتْ لِنَقْضِ الْعَهْدِ لِحِرَابِهَا بِالسُّمِّ لَا قِصَاصًا قِيلَ لَوْ كَانَ قَتْلُهَا لِنَقْضِ الْعَهْدِ لَقُتِلَتْ مِنْ حِينِ أَقَرَّتْ أَنَّهَا سَمَّتْ الشَّاةَ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ قَتْلُهَا عَلَى مَوْتِ الْآكِلِ مِنْهَا . [ص ٣١١] قِيلَ فَهَلَّا قُتِلَتْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ ؟ قِيلَ هَذَا حُجَّةُ مَنْ قَالَ إنَّ الْإِمَامَ مُخَيَّرٌ فِي نَاقِضِ الْعَهْدِ كَالْأَسِيرِ . فَإِنْ قِيلَ فَأَنْتُمْ تُوجِبُونَ قَتْلَهُ حَتْمًا كَمَا هُوَ مَنْصُوصُ أَحْمَدَ وَإِنَّمَا الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَمَنْ تَبِعَهُ قَالُوا : يُخَيَّرُ الْإِمَامُ فِيهِ قِيلَ إنْ كَانَتْ قِصَّةُ الشَّاةِ قَبْلَ الصُّلْحِ فَلَا حُجَّةَ فِيهَا وَإِنْ كَانَتْ بَعْدَ الصُّلْحِ فَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي نَقْضِ الْعَهْدِ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِ عَلَى قَوْلَيْنِ فَمَنْ لَمْ يَرَ النَّقْضَ بِهِ فَظَاهِرٌ وَمَنْ رَأَى النَّقْضَ بِهِ فَهَلْ يَتَحَتَّمُ قَتْلُهُ أَوْ يُخَيَّرُ فِيهِ أَوْ يُفَصَّلُ بَيْنَ بَعْضِ الْأَسْبَابِ النَّاقِضَةِ وَبَعْضِهَا فَيَتَحَتَّمُ قَتْلُهُ بِسَبَبِ السَّبَبِ وَيُخَيَّرُ فِيهِ إذَا نَقَضَهُ بِحِرَابِهِ وَلُحُوقِهِ بِدَارِ الْحَرْبِ وَإِنْ نَقَضَهُ بِسِوَاهُمَا كَالْقَتْلِ وَالزِّنَى بِالْمُسْلِمَةِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَإِطْلَاعِ الْعَدُوِّ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ ؟ فَالْمَنْصُوصُ تَعَيُّنُ الْقَتْلِ وَعَلَى هَذَا فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ لَمَّا سَمَّتْ الشَّاةَ صَارَتْ بِذَلِكَ مُحَارِبَةً وَكَانَ قَتْلُهَا مُخَيَّرًا فِيهِ فَلَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ السُّمِّ قُتِلَتْ حَتْمًا إمَّا قِصَاصًا وَإِمَّا لِنَقْضِ الْعَهْدِ بِقَتْلِهَا الْمُسْلِمَ فَهَذَا مُحْتَمَلٌ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .
[هَلْ فُتِحَتْ خَيْبَرُ عَنْوَةً أَمْ صُلْحًا ؟ وَالْأَحْكَامُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى ذَلِكَ]
وَاخْتُلِفَ فِي فَتْحِ خَيْبَرَ : هَلْ كَانَ عَنْوَةً أَوْ كَانَ بَعْضُهَا صُلْحًا وَبَعْضُهَا عَنْوَةً ؟ فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا خَيْبَرَ فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً فَجُمِعَ السَّبْيُ وَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : سَأَلْتُ ابْنَ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ عَنْوَةً بَعْدَ الْقِتَالِ وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ عَنْوَةً بَعْدَ الْقِتَالِ وَنَزَلَ مَنْ نَزَلَ مِنْ أَهْلِهَا عَلَى الْجَلَاءِ بَعْدَ الْقِتَالِ [ص ٣١٢] قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي أَرْضِ خَيْبَرَ أَنَّهَا كَانَتْ عَنْوَةً كُلُّهَا مَغْلُوبًا عَلَيْهَا بِخِلَافِ فَدَكٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ جَمِيعَ أَرْضِهَا عَلَى الْغَانِمِينَ لَهَا الْمُوجِفِينَ عَلَيْهَا بِالْخَيْلِ وَالرِّكَابِ وَهُمْ أَهْلُ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَمْ يَخْتَلِفْ الْعُلَمَاءُ أَنَّ أَرْضَ خَيْبَرَ مَقْسُومَةٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا : هَلْ تُقْسَمُ الْأَرْضُ إذَا غُنِمَتْ الْبِلَادُ أَوْ تُوقَفُ ؟ فَقَالَ الْكُوفِيُّونَ : الْإِمَامُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ قِسْمَتِهَا كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْضِ خَيْبَرَ وَمِنْ إيقَافِهَا كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ .

وَقَالَ الشّافِعِيّ : تُقْسَمُ الْأَرْضُ كُلّهَا كَمَا قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَيْبَرَ لِأَنّ الْأَرْضَ غَنِيمَةٌ كَسَائِرِ أَمْوَالِ الْكُفّارِ . وَذَهَبَ مَالِكٌ إلَى إيقَافِهَا اتّبَاعًا لِعُمَرَ لِأَنّ الْأَرْضَ مَخْصُوصَةٌ مِنْ سَائِرِ الْغَنِيمَةِ بِمَا فَعَلَ عُمَرُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الصّحَابَةِ مِنْ إيقَافِهَا لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لَوْلَا أَنْ يُتْرَكَ آخِرُ النّاسِ لَا شَيْءَ لَهُمْ مَا افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ قَرْيَةً إلّا قَسَمْتُهَا سُهْمَانًا كَمَا قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خيبر سهمانا وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنّ أَرْضَ خَيْبَرَ قُسِمَتْ كُلّهَا سُهْمَانًا كَمَا قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ . وَأَمّا مَنْ قَالَ إنّ خَيْبَرَ كَانَ بَعْضُهَا صُلْحًا وَبَعْضُهَا عَنْوَةً فَقَدْ وَهِمَ وَغَلِطَ وَإِنّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ الشّبْهَةُ بِالْحِصْنَيْنِ اللّذَيْنِ أَسْلَمَهُمَا أَهْلُهُمَا فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ فَلَمّا لَمْ يَكُنْ أَهْلُ ذَيْنِكَ الْحِصْنَيْنِ مِنْ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ وَالذّرّيّةِ [ص ٣١٣] وَلَعَمْرِي إنّ ذَلِكَ فِي الرّجَالِ وَالنّسَاءِ وَالذّرّيّةِ كَضَرْبٍ مِنْ الصّلْحِ وَلَكِنّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا أَرْضَهُمْ إلّا بِالْحِصَارِ وَالْقِتَالِ فَكَانَ حُكْمُ أَرْضِهِمَا حُكْمَ سَائِرِ أَرْضِ خَيْبَرَ كُلّهَا عَنْوَةً غَنِيمَةً مَقْسُومَةً بَيْنَ أَهْلِهَا . وَرُبّمَا شُبّهَ عَلَى مَنْ قَالَ إنّ نِصْفَ خَيْبَرَ صُلْحٌ وَنِصْفَهَا عَنْوَةٌ بِحَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ بَشِيرِ بْنِ يَسَارٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَسَمَ خَيْبَرَ نِصْفَيْنِ : نِصْفًا لَهُ وَنِصْفًا لِلْمُسْلِمِينَ قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَلَوْ صَحّ هَذَا لَكَانَ مَعْنَاهُ أَنّ النّصْفَ لَهُ مَعَ سَائِرِ مَنْ وَقَعَ فِي ذَلِكَ النّصْفِ مَعَهُ لِأَنّهَا قُسِمَتْ عَلَى سِتّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا فَوَقَعَ السّهْمُ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَطَائِفَةٍ مَعَهُ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَهْمًا وَوَقَعَ سَائِرُ النّاسِ فِي بَاقِيهَا وَكُلّهُمْ مِمّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ ثُمّ خَيْبَرَ وَلَيْسَتْ الْحُصُونُ الّتِي أَسْلَمَهَا أَهْلُهَا بَعْدَ الْحِصَارِ وَالْقِتَالِ صُلْحًا وَلَوْ كَانَتْ صُلْحًا لَمَلَكَهَا أَهْلُهَا كَمَا يَمْلِكُ أَهْلُ الصّلْحِ أَرْضَهُمْ وَسَائِرَ أَمْوَالِهِمْ فَالْحَقّ فِي هَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ إسْحَاقَ دُونَ مَا قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ هَذَا آخِرُ كَلَامِ أَبِي عُمَرَ . قُلْت : ذَكَرَ مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنّ خَيْبَرَ كَانَ بَعْضُهَا عَنْوَةً وَبَعْضُهَا صُلْحًا وَالْكُتَيْبَةُ أَكْثَرُهَا عَنْوَةً وَفِيهَا صُلْحٌ . قَالَ مَالِكٌ : وَالْكُتَيْبَةُ أَرْضُ خَيْبَرَ وَهُوَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ عَذْقٍ . وَقَالَ مَالِكٌ : عَنْ الزّهْرِيّ عَنْ ابْنِ الْمُسَيّبِ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ افْتَتَحَ بَعْضَ خَيْبَرَ عَنْوَةً

٤. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الأَمَانِ وَ الصُّلْحِ وَمُعَامَلَةِ الرُّسُلِ

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ فِي الْأَمَانِ وَالصّلْحِ وَمُعَامَلَةِ رُسُلِ الْكُفّارِ

وَأَخْذِ الْجِزْيَةِ وَمُعَامَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ وَإِجَارَةِ مَنْ جَاءَهُ مِنْ الْكُفّارِ حَتّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّهِ وَرَدّهِ إلَى مَأْمَنِهِ وَوَفَائِهِ بِالْعَهْدِ وَبَرَاءَتِهِ مِنْ الْغَدْرِ ثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ ذِمّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَيَسْعَى بِذِمّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ [ص ١١٣] وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَحُلّنّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدّهَا حَتّى يَمْضِيَ أَمَدُهُ أَوْ يَنْبِذَ إلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ وَقَالَ مَنْ أَمّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ الْقَاتِلِ وَفِي لَفْظٍ أُعْطِي لِوَاءَ غَدْرَةٌ وَقَالَ لِكُلّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ [ص ١١٤] وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إلّا أُدِيلَ عَلَيْهِمْ الْعَدُوّ

فَصْلٌ [تَقْرِيرُ مَصِيرِ الْكُفّارِ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]
وَلَمّا قَدِمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ ، صَارَ الْكُفّارُ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ قِسْمٌ صَالَحَهُمْ وَوَادَعَهُمْ عَلَى أَلّا يُحَارِبُوهُ وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ وَلَا يُوَالُوا عَلَيْهِ عَدُوّهُ وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ آمِنُونَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . وَقِسْمٌ حَارَبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ . وَقِسْمٌ تَارَكُوهُ فَلَمْ يُصَالِحُوهُ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ بَلْ انْتَظَرُوا مَا يَئُولُ إلَيْهِ أَمْرُهُ وَأَمْرُ أَعْدَائِهِ ثُمّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ يُحِبّ ظُهُورَهُ وَانْتِصَارَهُ فِي الْبَاطِنِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبّ ظُهُورَ عَدُوّهِ عَلَيْهِ وَانْتِصَارَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ فِي الظّاهِرِ وَهُوَ مَعَ عَدُوّهِ فِي الْبَاطِنِ لِيَأْمَنَ الْفَرِيقَيْنِ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُنَافِقُونَ فَعَامَلَ كُلّ طَائِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الطّوَائِفِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .
[مُحَارَبَةُ بَنُو قَيْنُقَاعَ لِلْمُسْلِمِينَ]
فَصَالَحَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ ، وَكَتَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابَ أَمْنٍ وَكَانُوا ثَلَاثَ طَوَائِفَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ : بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَبَنِي النّضِيرِ ، وَبَنِي قُرَيْظَةَ ، فَحَارَبَتْهُ بَنُو قَيْنُقَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ ، وَشَرِقُوا بِوَقْعَةِ بَدْرٍ ، [ص ١١٥] فَسَارَتْ إلَيْهِمْ جُنُودُ اللّهِ يَقْدُمُهُمْ عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ يَوْمَ السّبْتِ لِلنّصْفِ مِنْ شَوّالٍ عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ وَكَانَ حُلَفَاءُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولَ رَئِيسِ الْمُنَافِقِينَ وَكَانُوا أَشْجَعَ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ، وَحَامِلُ لِوَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، وَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ لَيْلَةً إلَى هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ وَهُمْ أَوّلُ مَنْ حَارَبَ مِنْ الْيَهُودِ ، وَتَحَصّنُوا فِي حُصُونِهِمْ فَحَاصَرَهُمْ أَشَدّ الْحِصَارِ وَقَذَفَ اللّهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرّعْبَ الّذِي إذَا أَرَادَ خِذْلَانَ قَوْمٍ وَهَزِيمَتَهُمْ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ وَقَذَفَهُ فِي قُلُوبِهِمْ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رِقَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرّيّتِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَكُتّفُوا ، وَكَلّمَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ فِيهِمْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَلَحّ عَلَيْهِ فَوَهَبَهُمْ لَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ الْمَدِينَةِ ، وَلَا يُجَاوِرُوهُ بِهَا ، فَخَرَجُوا إلَى أَذْرُعَاتٍ مِنْ أَرْضِ الشّامِ ، فَقَلّ أَنْ لَبِثُوا فِيهَا حَتّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ وَكَانُوا صَاغَةً وَتُجّارًا ، وَكَانُوا نَحْوَ السّتّمِائَةِ مُقَاتِلٍ وَكَانَتْ دَارُهُمْ فِي طَرَفِ الْمَدِينَةِ ، وَقَبَضَ مِنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَخَذَ مِنْهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَ قِسِيّ وَدِرْعَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ وَثَلَاثَةَ رِمَاحٍ وَخَمّسَ غَنَائِمَهُمْ وَكَانَ الّذِي تَوَلّى جَمْعَ الْغَنَائِمِ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . زاد المعاد - (ج ٣ / ص ١١٢)

٥. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الأسَارَى

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَسَارَى
كَانَ يَمُنّ عَلَى بَعْضِهِمْ وَيَقْتُلُ بَعْضَهُمْ وَيُفَادِي بَعْضَهُمْ بِالْمَالِ وَبَعْضَهُمْ بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ كُلّهُ بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ فَفَادَى أُسَارَى بَدْرٍ بِمَالٍ وَقَالَ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ حَيّا ، ثُمّ كَلّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النّتْنَى ، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ [ص ١٠٠] وَهَبَطَ عَلَيْهِ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ ثَمَانُونَ مُتَسَلّحُونَ يُرِيدُونَ غِرّتَهُ فَأَسَرَهُمْ ثُمّ مَنّ عَلَيْهِمْ . وَأَسَرَ ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالٍ سَيّدَ بَنِي حَنِيفَةَ ، فَرَبَطَهُ بِسَارِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمّ أَطْلَقَهُ فَأَسْلَمَ .
[أُسَارَى بَدْرٍ]
وَاسْتَشَارَ الصّحَابَةَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الصّدّيقُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً تَكُونُ لَهُمْ قُوّةً عَلَى عَدُوّهِمْ وَيُطْلِقَهُمْ لَعَلّ اللّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ وَقَالَ عُمَرُ : لَا وَاَللّهِ مَا أَرَى

الـذِي رَأَى أَبُـو بَكْـرٍ وَلَكِـنْ أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنَـا فَنَضْـرِبَ أَعْنَـاقَهُمْ فَـإِنَّ هَؤُلَـاءِ أَئِمَّـةُ الْكُفْـرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَقْبَلَ عُمَرُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ أَبْكِـي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ } [الْأَنْفَالُ ٦٧] . [ص ١٠١] تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي أَيِّ الرَّأْيَيْنِ كَانَ أَصْوَبَ فَرَجَّحَتْ طَائِفَةٌ قَوْلَ عُمَرَ لِهَذَا الْحَدِيثِ وَرَجَّحَتْ طَائِفَةٌ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ لِاسْتِقْرَارِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ وَمُوَافَقَتِهِ الْكِتَابَ الَّذِي سَبَقَ مِنْ اللَّهِ بِإِحْلَالِ ذَلِكَ لَهُمْ وَلِمُوَافَقَتِهِ الرَّحْمَةَ الَّتِي غَلَبَتْ الْغَضَبَ وَلِتَشْبِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ فِي ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ، وَتَشْبِيهِهِ لِعُمَرَ بِنُوحٍ وَمُوسَى وَلِحُصُولِ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي حَصَلَ بِإِسْلَامِ أَكْثَرِ أُولَئِكَ الْأَسْرَى ، وَلِخُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَلِحُصُولِ الْقُوَّةِ الَّتِي حَصَلَتْ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْفِدَاءِ وَلِمُوَافَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ أَوَّلًا ، وَلِمُوَافَقَةِ اللَّهِ لَهُ آخِرًا حَيْثُ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى رَأْيِهِ وَلِكَمَالِ نَظَرِ الصِّدِّيقِ فَإِنَّهُ رَأَى مَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ حُكْمُ اللَّهِ آخِرًا ، وَغَلَبَ جَانِبَ الرَّحْمَةِ عَلَى جَانِبِ الْعُقُوبَةِ . قَالُوا : وَأَمَّا بُكَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّمَا كَانَ رَحْمَةً لِنُزُولِ الْعَذَابِ لِمَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ عَرَضَ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يُرِدْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَإِنْ أَرَادَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَالْفِتْنَةُ كَانَتْ تَعُمُّ وَلَا تُصِيبُ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ خَاصَّةً كَمَا هُزِمَ الْعَسْكَرُ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِقَوْلِ أَحَدِهِمْ (لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ) وَبِإِعْجَابِ كَثْرَتِهِمْ لِمَنْ أَعْجَبَتْهُ مِنْهُمْ فَهُزِمَ الْجَيْشُ بِذَلِكَ فِتْنَةً وَمِحْنَةً ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَاسْتَأْذَنَهُ الْأَنْصَارُ أَنْ يَتْرُكُوا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ فِدَاءَهُ فَقَالَ " لَا تَدَعُوا مِنْهُ دِرْهَمًا وَاسْتَوْهَبَ مِنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ جَارِيَةً نَفَلَهُ إِيَّاهَا أَبُو بَكْرٍ فِي بَعْضِ [ص ١٠٢] فَوَهَبَهَا لَهُ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ ، فَفَدَى بِهَا نَاسًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَفَدَى رَجُلَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِرَجُلٍ مِنْ عُقَيْلٍ وَرَدَّ سَبْيَ هَوَازِنَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الْقِسْمَةِ ، وَاسْتَطَابَ قُلُوبَ الْغَانِمِينَ فَطَيَّبُوا لَهُ وَعَوَّضَ مَنْ لَمْ يُطَيِّبْ مِنْ ذَلِكَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتَّ فَرَائِضَ وَقَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ مِنْ الْأَسْرَى ، وَقَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ . وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ نَاسٌ مِنْ الْأَسْرَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْفِدَاءِ بِالْعَمَلِكَمَا يَجُوزُ بِالْمَالِ .

[الِاسْتِرْقَاقُ]

وَكَانَ هَدْيُهُ أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْأَسْرِ لَمْ يُسْتَرَقَّ وَكَانَ يَسْتَرِقُّ سَبْيَ الْعَرَبِ ، كَمَا يَسْتَرِقُّ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَكَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ فَقَالَ أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ [ص ١٠٣] الطَّبَرَانِيِّ مَرْفُوعًا : مَنْ كَانَ عَلَيْهِ رَقَبَةٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَلْيَعْتِقْ مِنْ بَلْعَنْبَرَ وَلَمَّا قَسَمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّبْيِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَتَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، فَأُعْتِقَ بِتَزَوُّجِهِ إِيَّاهَا مِئَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ إِكْرَامًا لِصِهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهِيَ مِنْ صَرِيحِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ

يَكُونُوا يَتَوَقّفُونَ فِي وَطْءِ سَبَايَا الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ كَانُوا يَطَئُونَهُنّ بَعْدَ الِاسْتِبْرَاءِ وَأَبَاحَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يَشْتَرِطْ الْإِسْلَامَ بَلْ قَالَ تَعَالَى : { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النّسَاءِ إِلّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } [النّسَاءُ ٢٤] فَأَبَاحَ وَطْءَ مِلْكِ الْيَمِينِ وَإِنْ كَانَتْ مُحْصَنَةً إذَا انْقَضَتْ عِدّتُهَا بِالِاسْتِبْرَاءِ وَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، لَمّا اسْتَوْهَبَهُ الْجَارِيَةَ الْفَزَارِيّةَ مِنْ السّبْيِ وَاَللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي ، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا وَلَوْ كَانَ وَطْؤُهَا حَرَامًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُمْ لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْقَوْلِ مَعْنًى ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَسْلَمَتْ لِأَنّهُ قَدْ فَدَى بِهَا نَاسًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِمَكّةَ ، وَالْمُسْلِمُ لَا يُفَادَى بِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا نَعْرِفُ فِي أَثَرٍ وَاحِدٍ قَطّ اشْتِرَاطَ الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا فِي وَطْءِ الْمَسْبِيّةِ فَالصّوَابُ الّذِي كَانَ عَلَيْهِ هَدْيُهُ وَهَدْيُ أَصْحَابِهِ اسْتِرْقَاقُ الْعَرَبِ ، وَوَطْءُ إمَائِهِنّ الْمَسْبِيّاتِ بِمِلْكِ الْيَمِينِ مِنْ غَيْرِ اشْتِرَاطِ الْإِسْلَامِ .

فَصْلٌ [لَا يُفَرّقُ فِي السّبْيِ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَمْنَعُ التّفْرِيقَ فِي السّبْيِ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا ، وَيَقُولُ مَنْ فَرّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا ، فَرّقَ اللّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَانَ يُؤْتَى بِالسّبْيِ فَيُعْطِي أَهْلَ الْبَيْتِ جَمِيعًا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُفَرّقَ بَيْنَهُمْ . [ص ١٠٤] زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٩٩)

٦. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْغَنَائِمِ وَالْفَيْءِ

زاد المعاد - (ج ٥ / ص ٦٢)

فَصْلٌ فِي حُكْمِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ

[الْفَارِسُ وَالرّاجِلُ]

حَكَمَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةَ أَسْهُمٍ وَلِلرّاجِلِ سَهْمٌ هَذَا حُكْمُهُ الثّابِتُ عَنْهُ فِي مُغَازِيهِ كُلّهَا وَبِهِ أَخَذَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ . [ص ٦٣] وَحَكَمَ أَنّ السّلَبَ لِلْقَاتِلِ . الْخُمُسُ وَأَمّا حُكْمُهُ بِإِخْرَاجِ الْخُمُسِ فَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : كَانَتْ الْخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا وَكَانَ أَوّلَ فَيْءٍ وَقَعَتْ فِيهِ السّهْمَانِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ الْخُمُسَ وَمَضَتْ بِهِ السّنّةُ وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الْقَاضِي إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ فَقَالَ إسْمَاعِيلُ وَأَحْسِبُ أَنّ بَعْضَهُمْ قَالَ تَرَكَ أَمْرَ الْخُمُسِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ مِنْ الْحَدِيثِ مَا فِيهِ بَيَانٌ شَافٍ وَإِنّمَا جَاءَ ذِكْرُ الْخُمُسِ يَقِينًا فِي غَنَائِمِ حُنَيْنٍ . وَقَالَ الْوَاقِدِيّ : أَوّلُ خُمُسٍ خُمّسَ فِي غَزْوَةِ بَنِي قَيْنُقَاعَ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرٍ وَثَلَاثَةِ أَيّامٍ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ وَلَهُمْ النّسَاءَ وَالذّرّيّةَ وَخَمّسَ أَمْوَالَهُمْ . وَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى بَدْرٍ فَلَمّا هَزَمَ اللّهُ الْعَدُوّ تَبِعَتْهُمْ طَائِفَةٌ يَقْتُلُونَهُمْ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَطَائِفَةٌ اسْتَوْلَتْ عَلَى الْعَسْكَرِ وَالْغَنِيمَةِ فَلَمّا رَجَعَ الّذِينَ طَلَبُوهُمْ قَالُوا : لَنَا النّفَلُ نَحْنُ طَلَبْنَا الْعَدُوّ وَقَالَ الّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَحْنُ أَحَقّ بِهِ لِأَنّا أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ لَا يَنَالَ الْعَدُوّ غِرّتَهُ وَقَالَ الّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْعَسْكَرِ هُوَ لَنَا نَحْنُ حَوَيْنَاهُ . فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ } [الْأَنْفَالُ ١] . فَقَسّمَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ بَوَاءٍ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ { وَاعْلَمُوا أَنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ } [الْأَنْفَالُ ٤١] .

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ١٠٦)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ فِي الْأَرْضِ الْمَغْنُومَةِ
ثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَسَمَ أَرْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النّضِيرِ وَخَيْبَرَ بَيْنَ الْغَانِمِينَ وَأَمّا الْمَدِينَةُ ، فَفُتِحَتْ بِالْقُرْآنِ وَأَسْلَمَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، فَأُقِرّتْ بِحَالِهَا . وَأَمّا مَكّةُ ، فَفَتَحَهَا عَنْوَةً وَلَمْ يَقْسِمْهَا ، فَأَشْكَلَ عَلَى كُلّ طَائِفَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ الْجَمْعُ بَيْنَ فَتْحِهَا عَنْوَةً وَتَرْكِ قِسْمَتِهَا ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ لِأَنّهَا دَارُ الْمَنَاسِكِ وَهِيَ وَقْفٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلّهِمْ وَهُمْ فِيهَا سَوَاءٌ فَلَا يُمْكِنُ قِسْمَتُهَا ، ثُمّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ مَنَعَ بَيْعَهَا وَإِجَارَتَهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَوّزَ بَيْعَ رِبَاعِهَا ، وَمَنَعَ إجَارَتَهَا ، وَالشّافِعِيّ لَمّا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الْعَنْوَةِ وَبَيْنَ عَدَمِ الْقِسْمَةِ قَالَ إنّهَا فُتِحَتْ صُلْحًا ، فَلِذَلِكَ لَمْ تُقْسَمْ . قَالَ وَلَوْ فُتِحَتْ عَنْوَةً لَكَانَتْ غَنِيمَةً فَيَجِبُ قِسْمَتُهَا كَمَا تَجِبُ قِسْمَةُ الْحَيَوَانِ وَالْمَنْقُولِ وَلَمْ يَرَ بَأْسًا مِنْ بَيْعِ رُبَاعِ مَكّةَ ، وَإِجَارَتِهَا ، وَاحْتَجّ بِأَنّهَا مِلْكٌ لِأَرْبَابِهَا تُورَثُ عَنْهُمْ وَتُوهَبُ وَقَدْ أَضَافَهَا اللّهُ سُبْحَانَهُ إلَيْهِمْ إضَافَةَ الْمِلْكِ إلَى مَالِكِهِ وَاشْتَرَى عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ دَارًا مِنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ ، وَقِيلَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيْنَ تَنْزِلُ غَدًا فِي دَارِك بِمَكّةَ ؟ فَقَالَ وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دُورٍ وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبَا طَالِبٍ ، فَلَمّا كَانَ أَصْلُ الشّافِعِيّ أَنّ الْأَرْضَ مِنْ الْغَنَائِمِ وَأَنّ الْغَنَائِمَ تَجِبُ [ص ١٠٧] مَكّةَ تُمْلَكُ وَتُبَاعُ وَرِبَاعُهَا وَدُورُهَا لَمْ تُقْسَمْ لَمْ يَجِدْ بُدّا مِنْ الْقَوْلِ بِأَنّهَا فُتِحَتْ صُلْحًا .
[هَلْ الْأَرْضُ تَدْخُلُ فِي الْغَنَائِمِ]
لَكِنْ مَنْ تَأَمّلَ الْأَحَادِيثَ الصّحِيحَةَ وَجَدَهَا كُلّهَا دَالّةً عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ أَنّهَا فُتِحَتْ عَنْوَةً . ثُمّ اخْتَلَفُوا لِأَيّ شَيْءٍ لَمْ يَقْسِمْهَا ؟ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ لِأَنّهَا دَارُ النّسُكِ وَمَحَلّ الْعِبَادَةِ فَهِيَ وَقْفٌ مِنْ اللّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ الْإِمَامُ مُخَيّرٌ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ قِسْمَتِهَا وَبَيْنَ وَقْفِهَا ، وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَسَمَ خَيْبَرَ ، وَلَمْ يَقْسِمْ مَكّةَ ، فَدَلّ عَلَى جَوَازِ الْأَمْرَيْنِ . قَالُوا : وَالْأَرْضُ لَا تَدْخُلُ فِي الْغَنَائِمِ الْمَأْمُورِ بِقِسْمَتِهَا ، بَلْ الْغَنَائِمُ هِيَ الْحَيَوَانُ وَالْمَنْقُولُ لِأَنّ اللّهَ تَعَالَى لَمْ يُحِلّ الْغَنَائِمَ لِأُمّةٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمّةِ وَأَحَلّ لَهُمْ دِيَارَ الْكُفْرِ وَأَرْضَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ } إلَى قَوْلِهِ { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدّسَةَ الّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ } [الْمَائِدَةُ ٢٠ ، ٢١] وَقَالَ فِي دِيَارِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَأَرْضِهِمْ { كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الشّعَرَاءُ ٥٩] فَعُلِمَ أَنّ الْأَرْضَ لَا تَدْخُلُ فِي الْغَنَائِمِ وَالْإِمَامُ مُخَيّرٌ فِيهَا بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ وَقَدْ قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَرَكَ وَعُمَرُ لَمْ يَقْسِمْ بَلْ أَقَرّهَا عَلَى حَالِهَا وَضَرَبَ عَلَيْهَا خَرَاجًا مُسْتَمِرّا فِي رَقَبَتِهَا يَكُونُ لِلْمُقَاتِلَةِ فَهَذَا مَعْنَى وَقْفِهَا ، لَيْسَ مَعْنَاهُ الْوَقْفَ الّذِي يَمْنَعُ مِنْ نَقْلِ الْمِلْكِ فِي الرّقَبَةِ بَلْ يَجُوزُ بَيْعُ هَذِهِ الْأَرْضِ كَمَا هُوَ عَمَلُ الْأُمّةِ وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنّهَا تُورَثُ وَالْوَقْفُ لَا يُورَثُ وَقَدْ نَصّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى - عَلَى أَنّهَا يَجُوزُ أَنْ تُجْعَلَ صَدَاقًا ، وَالْوَقْفُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَهْرًا فِي النّكَاحِ وَلِأَنّ الْوَقْفَ إنّمَا امْتَنَعَ بَيْعُهُ وَنَقْلُ الْمِلْكِ فِي رَقَبَتِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إبْطَالِ حَقّ الْبُطُونِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنْفَعَتِهِ وَالْمُقَاتِلَةِ حَقّهُمْ فِي خَرَاجِ الْأَرْضِ فَمَنْ اشْتَرَاهَا صَارَتْ عِنْدَهُ خَرَاجِيّةً كَمَا كَانَتْ عِنْدَ الْبَائِعِ سَوَاءً فَلَا يَبْطُلُ حَقّ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْبَيْعِ كَمَا لَمْ يَبْطُلْ بِالْمِيرَاثِ وَالْهِبَةِ وَالصّدَاقِ وَنَظِيرُ هَذَا بَيْعُ رَقَبَةِ الْمُكَاتَبِ وَقَدْ انْعَقَدَ فِيهِ سَبَبُ الْحُرّيّةِ بِالْكِتَابَةِ فَإِنّهُ يَنْتَقِلُ إلَى الْمُشْتَرِي مُكَاتَبًا كَمَا كَانَ عِنْدَ الْبَائِعِ وَلَا يَبْطُلُ مَا انْعَقَدَ فِي حَقّهِ مِنْ سَبَبِ الْعِتْقِ بِبَيْعِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . [ص ١٠٨] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

قَسَمَ نِصْفَ أَرْضِ خَيْبَرَ خَاصَّةً وَلَوْ كَانَ حُكْمُهَا حُكْمَ الْغَنِيمَةِ لَقَسَمَهَا كُلَّهَا بَعْدَ الْخُمُسِ فَفِي " السُّنَنِ " و " الْمُسْتَدْرَكِ " : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا ، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنْ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ وَنَوَائِبِ النَّاسِ هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ وَفِي لَفْظٍ عَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَهْمًا ، وَهُوَ الشَّطْرُ لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ ذَلِكَ الْوَطِيحَ وَالْكُتَيْبَةَ ، وَالسَّلَالِمَ وَتَوَابِعَهَا . وَفِي لَفْظٍ لَهُ أَيْضًا : عَزَلَ نِصْفَهَا لِنَوَائِبِهِ وَمَا نَزَلَ بِهِ : الْوَطِيحَةَ وَالْكُتَيْبَةَ ، وَمَا أُحِيزَ مَعَهُمَا ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْآخَرَ فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الشَّقَّ وَالنَّطَاةَ ، وَمَا أُحِيزَ مَعَهُمَا ، وَكَانَ سَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحِيزَ مَعَهُمَا

زاد المعاد - (ج ٥ / ص ٧٢)

فَصْلٌ فِي حُكْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِسْمَةِ الْأَمْوَالِ

[ص ٧٣] كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُهَا ثَلَاثَةٌ الزَّكَاةُ وَالْغَنَائِمُ وَالْفَيْءُ . فَأَمَّا الزَّكَاةُ وَالْغَنَائِمُ فَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُهُمَا وَبَيَّنَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَوْعِبُ الْأَصْنَافَ الثَّمَانِيَةَ وَأَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا وَضَعَهَا فِي وَاحِدٍ .

[الْحُكْمُ فِي الْفَيْءِ]

وَأَمَّا حُكْمُهُ فِي الْفَيْءِ فَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ الْفَيْءِ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَعَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَنْطَلِقُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُودُونَهُ إِلَى رِحَالِكُمْ فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْقِصَّةِ وَفَوَائِدُهَا فِي مَوْضِعِهَا . وَالْقِصَّةُ هُنَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبَاحَ لِرَسُولِهِ مِنْ الْحُكْمِ فِي مَالِ الْفَيْءِ مَا لَمْ يُبِحْهُ لِغَيْرِهِ وَفِي " الصَّحِيحِ " عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأُعْطِي أَقْوَامًا وَأَدَعُ غَيْرَهُمْ وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الَّذِي أُعْطِي وَفِي " الصَّحِيحِ " عَنْهُ إِنِّي لَأُعْطِي أَقْوَامًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ قَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ . [ص ٧٤] أَنَّ عَلِيًّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِذُهَيْبَةٍ مِنْ الْيَمَنِ فَقَسَمَهَا أَرْبَاعًا فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَأَعْطَى زَيْدَ الْخَيْرِ وَأَعْطَى عَلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الْجَبْهَةِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيْلَك أَوَلَسْت أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ؟ الْحَدِيثَ .

زاد المعاد - (ج ٥ / ص ٧٨)

[هَلْ تُقْسَمُ الزَّكَاةُ وَالْفَيْءُ عَلَى الْأَصْنَافِ كُلِّهَا]

[ص ٧٩] فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : تَجِبُ قِسْمَةُ الزَّكَاةِ وَالْخُمُسِ عَلَى الْأَصْنَافِ كُلِّهَا وَيُعْطِي مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مَنْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْجَمْعِ . وَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ : بَلْ يُعْطِي فِي الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِمَا وَلَا يَعْدُوهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ وَلَا تَجِبُ قِسْمَةُ الزَّكَاةِ وَلَا الْفَيْءُ فِي جَمِيعِهِمْ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو حَنِيفَةَ : بِقَوْلِ مَالِكٍ رَحِمَهُمْ اللَّهُ فِي آيَةِ الزَّكَاةِ وَبِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آيَةِ الْخُمُسِ . وَمَنْ تَأَمَّلَ النُّصُوصَ وَعَمَلَ رَسُولِ

اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخُلَفَائِهِ وَجَدَهُ يَدُلّ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَهْلَ الْخُمُسِ هُمْ أَهْلُ الْفَيْءِ وَعَيّنَهُمْ اهْتِمَامًا بِشَأْنِهِمْ وَتَقْدِيمًا لَهُمْ وَلَمّا كَانَتْ الْغَنَائِمُ خَاصّةً بِأَهْلِهَا لَا يَشْرُكُهُمْ فِيهَا سِوَاهُمْ نَصّ عَلَى خُمُسِهَا لِأَهْلِ الْخُمُسِ وَلَمّا كَانَ الْفَيْءُ لَا يَخْتَصّ بِأَحَدٍ دُونَ أَحَدٍ جَعَلَ جُمْلَتَهُ لَهُمْ وَلِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَتَابِعِيهِمْ فَسَوّى بَيْنَ الْخُمُسِ وَبَيْنَ الْفَيْءِ فِي الْمَصْرِفِ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَصْرِفُ سَهْمَ اللّهِ وَسَهْمَهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَأَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْخُمُسِ فِي أَهْلِهَا مُقَدّمًا لِلْأَهَمّ فَالْأَهَمّ وَالْأَحْوَجِ فَالْأَحْوَجِ فَيُزَوّجُ مِنْهُ عُزّابَهُمْ وَيَقْضِي مِنْهُ دُيُونَهُمْ وَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ مِنْهُمْ وَيُعْطِي عَزَبَهُمْ حَظّا وَمُتَزَوّجَهُمْ حَظّيْنِ وَلَمْ يَكُنْ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ يَجْمَعُونَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ السّبِيلِ وَذَوِي الْقُرْبَى وَيَقْسِمُونَ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْفَيْءِ بَيْنَهُمْ عَلَى السّوِيّةِ وَلَا عَلَى التّفْضِيلِ كَمَا لَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الزّكَاةِ فَهَذَا هَدْيُهُ وَسِيرَتُهُ وَهُوَ فَصْلُ الْخِطَابِ وَمَحْضُ الصّوَابِ .

٧. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٦٢)

فَصْلٌ [الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ]

فَلَمّا اسْتَقَرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ وَأَيّدَهُ اللّهُ بِنَصْرِهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَنْصَارِ وَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالْإِحَنِ الّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَتْهُ أَنْصَارُ اللّهِ وَكَتِيبَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَبَذَلُوا نُفُوسَهُمْ دُونَهُ وَقَدّمُوا مَحَبّتَهُ عَلَى مَحَبّةِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَكَانَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ وَالْيَهُودُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَشَمّرُوا لَهُمْ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ وَالْمُحَارَبَةِ وَصَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلّ جَانِبٍ وَاَللّهُ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُهُمْ بِالصّبْرِ وَالْعَفْوِ وَالصّفْحِ حَتّى قَوِيَتْ الشّوْكَةُ [ص ٦٣] فَقَالَ تَعَالَى : { أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } [الْحَجّ ٣٩] . وَقَدْ قَالَتْ طَائِفَةٌ إنّ هَذَا الْإِذْنَ كَانَ بِمَكّةَ وَالسّورَةُ مَكّيّةٌ وَهَذَا غَلَطٌ لِوُجُوهٍ أَحَدُهَا : أَنّ اللّهَ لَمْ يَأْذَنْ بِمَكّةَ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ وَلَا كَانَ لَهُمْ شَوْكَةٌ يَتَمَكّنُونَ بِهَا مِنْ الْقِتَالِ بِمَكّةَ . الثّانِي : أَنّ سِيَاقَ الْآيَةِ يَدُلّ عَلَى أَنّ الْإِذْنَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَإِخْرَاجُهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ فَإِنّهُ قَالَ { الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ إِلّا أَنْ يَقُولُوا رَبّنَا اللّهُ } [الْحَجّ ٤٠] وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُهَاجِرُونَ . الثّالِثُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ } [الْحَجّ ١٩] نَزَلَتْ فِي الّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ . الرّابِعُ أَنّهُ قَدْ خَاطَبَهُمْ فِي آخِرِهَا بِقَوْلِهِ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا وَالْخِطَابُ بِذَلِكَ كُلّهِ مَدَنِيّ فَأَمّا الْخِطَابُ (يَا أَيّهَا النّاسُ فَمُشْتَرَكٌ . الْخَامِسُ أَنّهُ أَمَرَ فِيهَا بِالْجِهَادِ الّذِي يَعُمّ الْجِهَادَ بِالْيَدِ وَغَيْرِهِ وَلَا رَيْبَ أَنّ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ الْمُطْلَقِ إنّمَا كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فَأَمّا جِهَادُ الْحُجّةِ فَأَمَرَ بِهِ فِي مَكّةَ بِقَوْلِهِ { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ } أَيْ بِالْقُرْآنِ { جِهَادًا كَبِيرًا } [الْفُرْقَانُ : ٥٢] فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكّيّةٌ وَالْجِهَادُ فِيهَا هُوَ التّبْلِيغُ وَجِهَادُ الْحُجّةِ وَأَمّا الْجِهَادُ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي (سُورَةِ الْحَجّ فَيَدْخُلُ فِيهِ الْجِهَادُ بِالسّيْفِ . السّادِسُ أَنّ الْحَاكِمَ رَوَى فِي " مُسْتَدْرَكِهِ " مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ مَكّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : [ص ٦٤] إنّا لِلّهِ وَإِنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ لَيَهْلِكُنّ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا } [الْحَجّ

٣٩] وَهِيَ أَوّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ . وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ " الصّحِيحَيْنِ " وَسِيَاقُ السّورَةِ يَدُلّ عَلَى أَنّ فِيهَا الْمَكّيّ وَالْمَدَنِيّ فَإِنّ قِصّةَ إلْقَاءِ الشّيْطَانِ فِي أُمْنِيّةِ الرّسُولِ مَكّيّةٌ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [فَرْضُ الْقِتَالِ]

ثُمّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ قَاتَلَهُمْ دُونَ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْهُمْ فَقَالَ { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } [الْبَقَرَةُ ١٩٠] . ثُمّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ كَافّةً وَكَانَ مُحَرّمًا ثُمّ مَأْذُونًا بِهِ ثُمّ مَأْمُورًا بِهِ لِمَنْ بَدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ ثُمّ مَأْمُورًا بِهِ لِجَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ إمّا فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ أَوْ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الْمَشْهُورِ .

[التّحْقِيقُ فِي مَسْأَلَةِ فَرْضِيّةِ الْجِهَادِ]

وَالتّحْقِيقُ أَنّ جِنْسَ الْجِهَادِ فَرْضُ عَيْنٍ إمّا بِالْقَلْبِ وَإِمّا بِاللّسَانِ وَإِمّا بِالْمَالِ وَإِمّا بِالْيَدِ فَعَلَى كُلّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ . أَمّا الْجِهَادُ بِالنّفْسِ فَفَرْضُ كِفَايَةٍ وَأَمّا الْجِهَادُ بِالْمَالِ فَفِي وُجُوبِهِ قَوْلَانِ وَالصّحِيحُ وُجُوبُهُ لِأَنّ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ بِهِ وَبِالنّفْسِ فِي الْقُرْآنِ سَوَاءٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [التّوْبَةُ ٤١] وَعَلّقَ النّجَاةَ مِنْ النّارِ بِهِ وَمَغْفِرَةَ الذّنْبِ وَدُخُولَ الْجَنّةِ فَقَالَ { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [الصّفّ ١٥]

وَأَخْبَرَ أَنّهُمْ إنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَعْطَاهُمْ مَا يُحِبّونَ مِنْ النّصْرِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ فَقَالَ [ص ٦٥] { وَأُخْرَى تُحِبّونَهَا } [الصّفّ ١٢] أَيْ وَلَكُمْ خَصْلَةٌ أُخْرَى تُحِبّونَهَا فِي الْجِهَادِ وَهِيَ { نَصْرٌ مِنَ اللّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنّهُ { اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ } [التّوْبَةُ ١١٠] وَأَعَاضَهُمْ عَلَيْهَا الْجَنّةَ وَأَنّ هَذَا الْعَقْدَ وَالْوَعْدَ قَدْ أَوْدَعَهُ أَفْضَلَ كُتُبِهِ الْمُنَزّلَةِ مِنْ السّمَاءِ وَهِيَ التّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ ثُمّ أَكّدَ ذَلِكَ بِإِعْلَامِهِمْ أَنّهُ لَا أَحَدَ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثُمّ أَكّدَ ذَلِكَ بِأَنْ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِهِمْ الّذِي عَاقَدُوهُ عَلَيْهِ ثُمّ أَعْلَمَهُمْ أَنّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. فَلْيَتَأَمّلْ الْعَاقِدُ مَعَ رَبّهِ عَقْدَ هَذَا التّبَايُعِ مَا أَعْظَمَ خَطَرَهُ وَأَجَلّهُ فَإِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ هُوَ الْمُشْتَرِي وَالثّمَنُ جَنّاتُ النّعِيمِ وَالْفَوْزُ بِرِضَاهُ وَالتّمَتّعُ بِرُؤْيَتِهِ هُنَاكَ. وَاَلّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ هَذَا الْعَقْدُ أَشْرَفُ رُسُلِهِ وَأَكْرَمُهُمْ. عَلَيْهِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ وَإِنّ سِلْعَةً هَذَا شَأْنُهَا لَقَدْ هُيّئَتْ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَسِيمٍ قَدْ هَيّئُوك لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَه فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

مَهْرُ الْمُحِبّةِ وَالْجَنّةِ بَذْلُ النّفْسِ وَالْمَالِ لِمَالِكِهِمَا الّذِي اشْتَرَاهُمَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لِلْجَبَانِ الْمُعْرِضِ الْمُفْلِسِ وَسَوْمِ هَذِهِ السّلْعَةِ بِاَللّهِ مَا هَزُلَتْ فَيَسْتَامَهَا الْمُفْلِسُونَ وَلَا كَسَدَتْ فَيَبِيعَهَا بِالنّسِيئَةِ الْمُعْسِرُونَ لَقَدْ أُقِيمَتْ لِلْعَرْضِ فِي سُوقِ مَنْ يُرِيدُ فَلَمْ يَرْضَ رَبّهَا لَهَا بِثَمَنٍ دُونَ بَذْلِ النّفُوسِ فَتَأَخّرَ الْبَطّالُونَ وَقَامَ الْمُحِبّونَ يَنْتَظِرُونَ أَيّهُمْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ الثّمَنَ فَدَارَتْ السّلْعَةُ بَيْنَهُمْ وَوَقَعَتْ فِي يَدِ { أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } [الْمَائِدَةُ ٥٤] .

[شِرَاؤُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعِيرًا مِنْ جَابِرٍ]
لَمّا كَثُرَ الْمُدّعُونَ لِلْمَحَبّةِ طُولِبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيّنَةِ عَلَى صِحّةِ الدّعْوَى فَلَوْ يُعْطَى النّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادّعَى الْخَلِيّ حِرْفَةَ الشّجِيّ فَتَنَوّعَ الْمُدّعُونَ فِي الشّهُودِ فَقِيلَ لَا تَثْبُتُ هَذِهِ الدّعْوَى إلّا بِبَيّنَةٍ { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ } [آلُ عِمْرَانَ ٣١] فَتَأَخّرَ الْخَلْقُ كُلّهُمْ وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الرّسُولِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ [ص ٦٦] وَقِيلَ لَا تُقْبَلُ الْعَدَالَةُ إلّا بِتَزْكِيَةٍ { يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } [الْمَائِدَةُ ٥٤] فَتَأَخّرَ أَكْثَرُ الْمُدّعِينَ لِلْمَحَبّةِ وَقَامَ الْمُجَاهِدُونَ فَقِيلَ لَهُمْ إنّ نُفُوسَ الْمُحِبّينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ فَسَلّمُوا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ فَإِنّ { اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ } وَعَقْدُ التّبَايُعِ يُوجِبُ التّسْلِيمَ مِنْ الْجَانِبَيْنِ فَلَمّا رَأَى التّجّارُ عَظَمَةَ الْمُشْتَرِي وَقَدْرَ الثّمَنِ وَجَلَالَةَ قَدْرِ مَنْ جَرَى عَقْدُ التّبَايُعِ عَلَى يَدَيْهِ وَمِقْدَارَ الْكِتَابِ الّذِي أُثْبِتَ فِيهِ هَذَا الْعَقْدُ عَرَفُوا أَنّ لِلسّلْعَةِ قَدْرًا وَشَأْنًا لَيْسَ لِغَيْرِهَا مِنْ السّلَعِ فَرَأَوْا مِنْ الْخُسْرَانِ الْبَيّنِ وَالْغَبْنِ الْفَاحِشِ أَنْ يَبِيعُوهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ تَذْهَبُ لَذّتُهَا وَشَهْوَتُهَا وَتَبْقَى تَبِعَتُهَا وَحَسْرَتُهَا فَإِنّ فَاعِلَ ذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي جُمْلَةِ السّفَهَاءِ فَعَقَدُوا مَعَ الْمُشْتَرِي بَيْعَةَ الرّضْوَانِ رِضًى وَاخْتِيَارًا مِنْ غَيْرِ ثُبُوتِ خِيَارٍ وَقَالُوا : وَاَللّهِ لَا نَقِيلُكَ وَلَا نَسْتَقِيلُكَ فَلَمّا تَمّ الْعَقْدُ وَسَلّمُوا الْمَبِيعَ قِيلَ لَهُمْ قَدْ صَارَتْ أَنْفُسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ لَنَا وَالْآنَ فَقَدْ رَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ وَأَضْعَافَ أَمْوَالِكُمْ مَعَهَا { وَلَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آلُ عِمْرَانَ ٦٩] لَمْ نَبْتَعْ مِنْكُمْ نُفُوسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ طَلَبًا لِلرّبْحِ عَلَيْكُمْ بَلْ لِيَظْهَرَ أَثَرُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ فِي قَبُولِ الْمَعِيبِ وَالْإِعْطَاءِ عَلَيْهِ أَجَلّ الْأَثْمَانِ ثُمّ جَمَعْنَا لَكُمْ بَيْنَ الثّمَنِ وَالْمُثَمّنِ . تَأَمّلْ قِصّةَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ " وَقَدْ اشْتَرَى مِنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعِيرَهُ ثُمّ وَفّاهُ الثّمَنَ وَزَادَهُ وَرَدّ عَلَيْهِ الْبَعِيرَ وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قُتِلَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ فَذَكّرَهُ بِهَذَا الْفِعْلِ حَالَ أَبِيهِ مَعَ اللّهِ وَأَخْبَرَهُ أَنّ اللّهَ أَحْيَاهُ وَكَلّمَهُ كِفَاحًا وَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنّ عَلَيّ " فَسُبْحَانَ مَنْ [ص ٦٧] الْمَبِيعَ عَلَى عَيْبِهِ وَأَعَاضَ عَلَيْهِ أَجَلّ الْأَثْمَانِ وَاشْتَرَى عَبْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ بِمَالِهِ وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الثّمَنِ وَالْمُثَمّنِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِهَذَا الْعَقْدِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ الّذِي وَفّقَهُ لَهُ وَشَاءَهُ مِنْهُ . فَحَيّهَلَا إنْ كُنْتَ ذَا هِمّةٍ فَقَدْ حَدَا بِكَ حَادِي الشّوْقِ فَاطْوِ الْمَرَاحِلَا

وَقُلْ لِمُنَادِي حُبّهِمْ وَرِضَاهُمْ إذَا مَا دَعَا لَبّيْكَ أَلْفًا كَوَامِلَا
وَلَا تَنْظُرْ الْأَطْلَالَ مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ نَظَرْتَ إلَى الْأَطْلَالِ عُدْنَ حَوَائِلَا
وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسّيْرِ رُفْقَةَ قَاعِدٍ وَدَعْهُ فَإِنّ الشّوْقَ يَكْفِيك حَامِلَا
وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالْحُبّ تُصْبِحْ وَاصِلَا
وَأَحْيِي بِذِكْرَاهُمْ شِرَاكَ إذَا دَنَتْ رِكَابُكَ فَالذّكْرَى تُعِيدُك عَامِلَا
وَأَمّا تَخَافَنّ الْكَلَالَ فَقُلْ لَهَا أَمَامَكِ وِرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِي الْمَنَاهِلَا
وَخُذْ قَبَسًا مَنْ نُورِهِمْ ثُمّ سِرْ بِهِ فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمَشَاعِلَا
وَحَيّ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ فَقِلْ بِهِ عَسَاكَ تَرَاهُمْ ثَمّ إنْ كُنْتَ قَائِلَا
وَإِلّا فَفِي نَعْمَانَ عِنْدِي مُعَرّفُ الْ أَحِبّةِ فَاطْلُبْهُمْ إذَا كُنْتَ سَائِلَا
وَإِلّا فَفِي جَمْعٍ بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ تَفُتْ فَمِنًى يَا وَيْحَ مَنْ كَانَ غَافِلَا
وَحَيّ عَلَى جَنّاتِ عَدْنٍ فَإِنّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلَا

وَلَكِنْ سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا وَقَفْت عَلَى الْأَطْلَالِ تَبْكِي الْمَنَازِلَا
وَحَيِّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ بِجَنَّةِ الْ خُلُودِ فَجُدْ بِالنَّفْسِ إنْ كُنْتَ بَاذِلَا
فَدَعْهَا رُسُومًا دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا مَقِيلٌ وَجَاوِزْهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلَا
رُسُومًا عَفَتْ يَنْتَابُهَا الْخَلْقُ كَمْ بِهَا قَتِيلٌ وَكَمْ فِيهَا لِذَا الْخَلْقِ قَاتِلَا
وَخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي عَلَيْهِ سَرَى وَفْدُ الْأَحِبَّةِ آهِلَا
وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً فَعِنْدَ اللِّقَا ذَا الْكَدّ يُصْبِحُ زَائِلَا
فَمَا هِيَ إلَّا سَاعَةٌ ثُمّ تَنْقَضِي وَيُصْبِحُ ذُو الْأَحْزَانِ فَرْحَانَ جَاذِلَا

لَقَدْ حَرّكَ الدّاعِي إلَى اللّهِ وَإِلَى دَارِ السّلَامِ النّفُوسَ الْأَبِيّةَ وَالْهِمَمَ الْعَالِيَةَ [ص ٦٨] وَأَسْمَعَ مُنَادِي الْإِيمَانِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ وَأَسْمَعَ اللّهُ مَنْ كَانَ حَيّا فَهَزّهُ السّمَاعُ إلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ وَحَدَا بِهِ فِي طَرِيقِ سَيْرِهِ فَمَا حَطّتْ بِهِ رِحَالُهُ إلّا بِدَارِ الْقَرَارِ فَقَالَ انْتَدَبَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إلّا إيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنّةَ وَلَوْلَا أَنْ أَشُقّ عَلَى أُمّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيّةٍ وَلَوَدِدْتُ أَنّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمّ أُحْيَا ثُمّ أُقْتَلُ ثُمّ أُحْيَا ثُمّ أُقْتَل وَقَالَ مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ الصّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَتَوَكّلَ اللّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وَقَالَ غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدّنْيَا وَمَا فِيهَا [ص ٦٩] وَقَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَيّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أُرْجِعَهُ إنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وَإِنْ قَبَضْتُهُ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ وَأَرْحَمَهُ وَأُدْخِلَهُ الْجَنّةَ " وَقَالَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِنّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنّةِ يُنَجّي اللّهُ بِهِ مِنْ الْهَمّ وَالْغَمّ وَقَالَ " أَنَا زَعِيم - وَالزّعِيمُ الْحَمِيلُ - لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنّةِ وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنّةِ وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الْجَنّةِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا وَلَا مِنْ الشّرّ مَهْرَبًا يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ وَقَالَ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ [ص ٧٠] وَقَالَ إنّ فِي الْجَنّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدّهَا اللّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ مَا بَيْنَ كُلّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنّهُ أَوْسَطُ الْجَنّةِ وَأَعْلَى الْجَنّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجّرُ أَنْهَارُ الْجَنّةِ وَقَالَ لِأَبِي سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاَللّهِ رَبّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ " فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ أَعِدْهَا عَلَيّ يَا رَسُولَ اللّهِ فَفَعَلَ ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنّةِ مَا بَيْنَ كُلّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ " قَالَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّه

وَقَالَ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنّةِ كُلّ خَزَنَةِ بَابٍ أَيْ فُلُ هَلُمّ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرّيّانِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللّهِ مَا عَلَى

مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أحَد مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلّهَا ؟ قَالَ " نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ [ص ٧١] وَقَالَ مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبِسَبْعِمِائَةٍ وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعَادَ مَرِيضًا أَوْ أَمَاطَ الْأَذَى عَنْ طَرِيقٍ فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالصّوْمُ جُنّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا وَمَنْ ابْتَلَاهُ اللّهُ فِي جَسَدِهِ فَهُوَ لَهُ حِطّةٌ وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْهُ مَنْ أَرْسَلَ بِنَفَقَةٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأَقَامَ فِي بَيْتِهِ فَلَهُ بِكُلّ دِرْهَمٍ سَبْعُمِائَةِ دِرْهَمٍ وَمَنْ غَزَا بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأَنْفَقَ فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ فَلَهُ بِكُلّ دِرْهَمٍ سَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ " ثُمّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ } [الْبَقَرَةُ ٢٦١] . وَقَالَ مَنْ أَعَانَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ غَارِمًا فِي غُرْمِهِ أَوْ مُكَاتَبًا فِي رَقَبَتِهِ أَظَلّهُ اللّهُ فِي ظِلّهِ يَوْمَ لَا ظِلّ إلّا ظِلّه وَقَالَ مَنْ اغْبَرّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ حَرّمَهُ اللّهُ عَلَى النّارِ [ص ٧٢] وَقَالَ لَا يَجْتَمِعُ شُحّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَدُخَانُ جَهَنّمَ فِي وَجْهِ عَبْدٍ وَفِي لَفْظٍ " فِي قَلْبِ عَبْدٍ " وَفِي لَفْظٍ " فِي جَوْفِ امْرِئٍ " وَفِي لَفْظٍ " فِي مَنْخِرَيْ مُسْلِمٍ وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى : مَنْ اغْبَرّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النّارِ وَذَكَرَ عَنْهُ أَيْضًا أَنّهُ قَالَ لَا يَجْمَعُ اللّهُ فِي جَوْفِ رَجُلٍ غُبَارًا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَدُخَانُ جَهَنّمَ وَمِنْ اغْبَرّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ حَرّمَ اللّهُ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النّارِ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللّهِ بَاعَدَ اللّهُ عَنْهُ النّارَ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ لِلرّاكِبِ الْمُسْتَعْجِلِ وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللّهِ خُتِمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشّهَدَاءِ لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْنُهَا لَوْنُ الزّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ يَعْرِفُهُ بِهَا الْأَوّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَيَقُولُونَ فُلَانٌ عَلَيْهِ طَابَعُ الشّهَدَاءِ وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ [ص ٧٣] وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْهُ مَنْ رَاحَ رَوْحَةً فِي سَبِيلِ اللّهِ كَانَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَهُ مِنْ الْغُبَارِ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَكَرَ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللّهُ - عَنْهُ مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ رَهَجٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا حَرّمَ اللّهُ عَلَيْهِ النّارَ وَقَالَ رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ خَيْرٌ مِنْ الدّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَقَالَ رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتّانَ وَقَالَ كُلّ مَيّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلّا الّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِنّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمّنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ [ص ٧٤] وَقَالَ رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَنَازِلِ وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْهُ مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللّهِ كَانَتْ لَهُ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا وَقَالَ مُقَامُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ فِي أَهْلِهِ سِتّينَ سَنَةً أَمَا تُحِبّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ الْجَنّةَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْهُ مَنْ رَابَطَ فِي شَيْءٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ أَجْزَأَتْ عَنْهُ رِبَاطَ سَنَةٍ [ص ٧٥] وَذَكَرَ عَنْهُ أَيْضًا : حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا وَقَالَ حَرُمَتْ النّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ أَوْ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَحَرُمَتْ النّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللّه وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْهُ مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ مُتَطَوّعًا لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ لَمْ يَرَ النّارَ بِعَيْنَيْهِ إلّا تَحِلّةَ الْقَسَمِ فَإِنّ اللّهَ يَقُولُ { وَإِنْ مِنْكُمْ إلّا وَارِدُهَا } وَقَالَ لِرَجُلٍ حَرَسَ الْمُسْلِمِينَ لَيْلَةً فِي

سَفَرِهِمْ مِنْ أَوّلِهَا إلَى الصّبَاحِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ لَمْ يَنْزِلْ إلّا لِصَلَاةٍ أَوْ قَضَاءِ حَاجَةٍ قَدْ أَوْجَبْتَ فَلَا عَلَيْكَ أَلّا تَعْمَلَ بَعْدَهَا

[فَضْلُ الرّمْيِ]

وَقَالَ مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنّةِ وَقَالَ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَهُوَ عِدْلُ مُحَرّرٍ وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَ النّسَائِيّ تَفْسِيرُ الدّرَجَةِ بِمِائَةِ عَامٍ . [ص ٧٦] وَقَالَ إنّ اللّهَ يُدْخِلُ بِالسّهْمِ الْوَاحِدِ الْجَنّةَ : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالْمُمِدّ بِهِ وَالرّامِيَ بِهِ وَارْمُوا وَارْكَبُوا وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبّ إلَيّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا وَكُلّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرّجُلُ فَبَاطِلٌ إلّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ أَوْ تَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ امْرَأَتَهُ وَمَنْ عَلّمَهُ اللّهُ الرّمْيَ فَتَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَنِعْمَةٌ كَفَرَهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السّنَنِ وَعِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ مَنْ تَعَلّمَ الرّمْيَ ثُمّ تَرَكَهُ فَقَدْ عَصَانِي [ص ٧٧] وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْهُ أَنّ رَجُلًا قَالَ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللّهِ فَإِنّهُ رَأْسُ كُلّ شَيْءٍ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنّهُ رَهْبَانِيّةُ الْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنّهُ رُوحُكَ فِي السّمَاءِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ " . وَقَالَ ذِرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَاد وَقَالَ ثَلَاثَةٌ حَقّ عَلَى اللّهِ عَوْنُهُمْ : الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُكَاتَبُ الّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنّاكِحُ الّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ [ص ٧٨] وَقَالَ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهّزْ غَازِيًا أَوْ يُخَلّفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ إذَا ضَنّ النّاسُ بِالدّينَارِ وَالدّرْهَمِ وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ وَاتّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَنْزَلَ اللّهُ بِهِمْ بَلَاءً فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتّى يُرَاجِعُوا دِينَهُم [ص ٧٩] وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْهُ مَنْ لَقِيَ اللّهَ عَزّ وَجَلّ وَلَيْسَ لَهُ أَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ لَقِيَ اللّهَ وَفِيهِ ثُلْمَةٌ وَقَالَ تَعَالَى : { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التّهْلُكَةِ } [الْبَقَرَةُ ١٩٥] وَفَسّرَ أَبُو أَيّوبَ الْأَنْصَارِيّ الْإِلْقَاءَ بِالْيَدِ إلَى التّهْلُكَةِ بِتَرْكِ الْجِهَادِ وَصَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ أَبْوَابَ الْجَنّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السّيُوفِ [ص ٨٠] مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللّه وَصَحّ عَنْهُ إنّ النّارَ أَوّلُ مَا تُسَعّرُ بِالْعَالِمِ وَالْمُنْفِقِ وَالْمَقْتُولِ فِي الْجِهَادِ إذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِيُقَالَ وَصَحّ عَنْهُ أَنّ مَنْ جَاهَدَ يَبْتَغِي عَرَضَ الدّنْيَا فَلَا أَجْرَ لَهُ وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو : إنْ قَاتَلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ اللّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا بَعَثَكَ اللّهُ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا يَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرٍو عَلَى أَيّ وَجْهٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْت بَعَثَك اللّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ

فَصْلٌ

[ص ٨١] وَكَانَ يَسْتَحِبّ الْقِتَالَ أَوّلَ النّهَارِ كَمَا يَسْتَحِبّ الْخُرُوجَ لِلسّفَرِ أَوّلَهُ فَإِنْ لَمْ يُقَاتِلْ أَوّلَ النّهَارِ أَخّرَ الْقِتَالَ حَتّى تَزُولَ الشّمْسُ وَتَهُبّ الرّيَاحُ وَيَنْزِلَ النّصْرُ .

فَصْلٌ

قَالَ وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ - إلّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللّوْنُ لَوْنُ الدّمِ وَالرّيحُ رِيحُ الْمِسْك وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبّ إلَى اللّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ أَوْ أَثَرَيْنِ قَطْرَةِ دَمْعَةٍ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَقَطْرَةِ دَمٍ

تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللّه
[فَضْلُ الشّهِيدِ]
وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لَا يَسُرّهُ أَنْ يَرْجِعَ إلَى الدّنْيَا وَأَنّ لَهُ الدّنْيَا وَمَا فِيهَا إلّا الشّهِيدُ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشّهَادَةِ فَإِنّهُ يَسُرّهُ أَنْ يَرْجِعَ إلَى الدّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرّةً أُخْرَى وَفِي لَفْظٍ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ الْكَرَامَةِ [ص ٨٢] وَقَالَ لِأُمّ حَارِثَةَ بِنْتِ النّعْمَانِ وَقَدْ قُتِلَ ابْنُهَا مَعَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَسَأَلَتْهُ أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ إنّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَقَالَ إنّ أَرْوَاحَ الشّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمّ تَأْوِي إلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطّلَعَ إلَيْهِمْ رَبّهُمْ اطّلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا ؟ فَقَالُوا : أَيّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ فَلَمّا رَأَوْا أَنّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا : يَا رَبّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِك مَرّةً أُخْرَى فَلَمّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا وَقَالَ إنّ لِلشّهِيدِ عِنْدَ اللّهِ خِصَالًا أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مِنْ أَوّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنّةِ وَيُحَلّى حِلْيَةَ الْإِيمَانِ وَيُزَوّجَ مِنْ الْحُورِ الْعَيْنِ وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنَ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ الدّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَيُزَوّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ الْحُورِ الْعَيْنِ وَيُشَفّعَ فِي سَبْعِينَ إنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ ذَكَرَهُ أَحْمَد وَصَحّحَهُ التّرْمِذِيّ . وَقَال لِجَابِرٍ : أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللّهُ لِأَبِيكَ ؟ " قَالَ بَلَى قَالَ مَا كَلّمَ اللّهُ أَحَدًا إلّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنّ عَلَيّ أُعْطِك قَالَ يَا رَبّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً قَالَ إنّهُ سَبَقَ مِنّي (أَنّهُمْ إلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ قَالَ يَا رَبّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ { وَلَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آلُ عِمْرَانَ ١٦٩] [ص ٨٣] وَقَالَ لَمّا أُصِيبَ إخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلّ الْعَرْشِ فَلَمّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ قَالُوا : يَا لَيْتَ إخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللّهُ لَنَا لِئَلّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عَنْ الْحَرْبِ فَقَالَ اللّهُ أَنَا أُبَلّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ هَذِهِ الْآيَاتِ { وَلَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا } وَفِي " الْمُسْنَدِ مَرْفُوعًا : الشّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنّةِ فِي قُبّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْ الْجَنّةِ بُكْرَةً وَعَشِيّةً وَقَالَ لَا تَجِفّ الْأَرْضُ مِنْ دَمِ الشّهِيدِ حَتّى يَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ كَأَنّهُمَا طَيْرَانِ أَضَلّتَا فَصِيلَيْهِمَا بِبَرَاحٍ مِنْ الْأَرْضِ بِيَدِ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلّةٌ خَيْرٌ مِنْ الدّنْيَا وَمَا فِيهَا وَفِي " الْمُسْتَدْرَكِ " وَالنّسَائِيّ مَرْفُوعًا : لَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَحَبّ إلَيّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْمَدَرِ وَالْوَبَرِ [ص ٨٤] مَا يَجِدُ الشّهِيدُ مِنْ الْقَتْلِ إلّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسّ الْقَرْصَةِ وَفِي " السّنَنِ " : يَشْفَعُ الشّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَفِي " الْمُسْنَدِ " : أَفْضَلُ الشّهَدَاءِ الّذِينَ إنْ يَلْقَوْا فِي الصّفّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتّى يُقْتَلُوا أُولَئِكَ يَتَلَبّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنْ الْجَنّةِ وَيَضْحَكُ إلَيْهِمْ رَبّك وَإِذَا ضَحِكَ رَبّكَ إلَى عَبْدٍ فِي الدّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَفِيهِ الشّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيّدُ الْإِيمَانِ لَقِيَ الْعَدُوّ فَصَدَقَ اللّهَ حَتّى قُتِلَ فَذَلِكَ الّذِي يَرْفَعُ إلَيْهِ النّاسُ أَعْنَاقَهُمْ

وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ حَتَّى وَقَعَتْ قَلَنْسُوَتُهُ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَكَأَنَّمَا يُضْرَبُ جِلْدُهُ بِشَوْكِ الطَّلْحِ أَتَاهُ سَهْمُ غَرْبٍ فَقَتَلَهُ هُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَاكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ إِسْرَافًا كَثِيرًا لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ [ص ٨٥] الْمُسْنَدِ " وَ " صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ " : الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ فَذَاكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ فَرِقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ فَتِلْكَ مُمَصْمِصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءُ الْخَطَايَا وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ فَإِنَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا وَسُئِلَ أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ قِيلَ . فَأَيُّ الْقَتْلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ مَنْ أُهْرِيقَ دَمُهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ فِي سَبِيلِ اللَّه [ص ٨٦] سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " : إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ وَهُوَ لِأَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ مُرْسَلًا . وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةَ وَفِي لَفْظٍ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ

فَصْلٌ [مُبَايَعَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ]

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَايِعُ أَصْحَابَهُ فِي الْحَرْبِ عَلَى أَلَّا يَفِرُّوا وَرُبَّمَا بَايَعَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ وَبَايَعَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ كَمَا بَايَعَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَبَايَعَهُمْ عَلَى الْهِجْرَةِ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَايَعَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْتِزَامِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبَايَعَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَلَّا يَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا . [ص ٨٧] وَكَانَ السَّوْطُ يَسْقُطُ مِنْ يَدِ أَحَدِهِمْ فَيَنْزِلُ عَنْ دَابَّتِهِ فَيَأْخُذُهُ وَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِي إِيَّاهُ

[مَشُورَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجِهَادِ]

وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي أَمْرِ الْجِهَادِ وَأَمْرِ الْعَدُوِّ وَتَخَيُّرِ الْمَنَازِلِ وَفِي " الْمُسْتَدْرَكِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : مَا رَأَيْت أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ يَتَخَلَّفُ فِي سَاقَتِهِمْ فِي الْمَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ الْمُنْقَطِعَ وَكَانَ أَرْفَقَ النَّاسِ بِهِمْ فِي الْمَسِيرِ وَكَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا فَيَقُولُ مَثَلًا إِذَا أَرَادَ غَزْوَةَ حُنَيْنٍ : كَيْفَ طَرِيقُ نَجْدٍ وَمِيَاهُهَا وَمَنْ بِهَا مِنَ الْعَدُوِّ وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَكَانَ يَقُولُ الْحَرْبُ خَدْعَةٌ [ص ٨٨] وَكَانَ يَبْعَثُ الْعُيُونَ يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ عَدُوِّهِ وَيُطْلِعُ الطَّلَائِعَ وَيُبَيِّتُ الْحَرَسَ وَكَانَ إِذَا لَقِيَ عَدُوَّهُ وَقَفَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَأَكْثَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَخَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ وَكَانَ يُرَتِّبُ الْجَيْشَ وَالْمُقَاتِلَةَ وَيَجْعَلُ فِي كُلِّ جَنَبَةٍ كُفْئًا لَهَا وَكَانَ يُبَارِزُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرِهِ وَكَانَ يَلْبَسُ لِلْحَرْبِ عُدَّتَهُ وَرُبَّمَا ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ وَكَانَ لَهُ الْأَلْوِيَةُ وَالرَّايَاتُ وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِعَرْصَتِهِمْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَفَلَ وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُغَيِّرَ انْتَظَرَ فَإِنْ سَمِعَ

فِي الْحَيِّ مُؤَذِّنًا لَمْ يُغِرْ وَإِلَّا أَغَار وَكَانَ رُبَّمَا بَيَّتَ عَدُوَّهُ وَرُبَّمَا فَاجَأَهُمْ نَهَارًا وَكَانَ يُحِبّ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ بَكْرَةَ النَّهَار وَكَانَ الْعَسْكَرُ إذَا نَزَلَ [ص ٨٩] انْضَمّ بَعْضُهُ إلَى بَعْضٍ حَتّى لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ كِسَاءٌ لَعَمّهُمْ . وَكَانَ يُرَتّبُ الصّفُوفَ وَيُعَبّئُهُمْ عِنْدَ الْقِتَالِ بِيَدِهِ وَيَقُولُ تَقَدّمْ يَا فُلَانُ تَأَخّرْ يَا فُلَانُ وَكَانَ يَسْتَحِبّ لِلرّجُلِ مِنْهُمْ أَنْ يُقَاتِلَ تَحْتَ رَايَةِ قَوْمِهِ .

[دُعَاءُ لِقَاءِ الْعَدُوّ]

وَكَانَ إذَا لَقِيَ الْعَدُوّ قَالَ اللّهُمّ مُنَزّلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ وَرُبّمَا قَالَ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلّونَ الدّبُرَ بَلْ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرّ وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ وَكَانَ يَقُولُ " اللّهُمّ أَنْتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَصِيرِي وَبِكَ أُقَاتِلُ وَكَانَ إذَا اشْتَدّ لَهُ بَأْسٌ وَحَمِيَ الْحَرْبُ وَقَصَدَهُ الْعَدُوّ يُعْلِمُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ أَنَا النّبِيّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ

وَكَانَ النّاسُ إذَا اشْتَدّ الْحَرْبُ اتّقَوْا بِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إلَى الْعَدُوّ . [ص ٩٠] وَكَانَ يَجْعَلُ لِأَصْحَابِهِ شِعَارًا فِي الْحَرْبِ يُعْرَفُونَ بِهِ إذَا تَكَلّمُوا وَكَانَ شِعَارُهُمْ مَرّةً أَمِتْ أَمِتْ وَمَرّةً يَا مَنْصُورُ وَمَرّةً حم لَا يُنْصَرُونَ

١ـ كان يستحب القتال أول النهار، فإذا لم يقاتل أول النهار أَخَّرَ القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح.

٢ـ وكان يحب الخروج يوم الخميس بكرة النهار.

٣ـ وكان يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الإسلام.

٤ـ وكان يشاور أصحابه في الجهاد، ولقاء العدو، وتخيُّر المنازل.

٥ـ وكان يتخلف في ساقتهم في المسير، فيزجي الضعيف ويردف المنقطع، وكان أرفق الناس بهم في المسير.

٦ـ وكان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، ويقول: ((الحرب خدعة)) [ق].

٧ـ وكان يبعث العيون يأتون بخبر عدوه، ويطلع الطلائع، ويبيِّتُ الحرس.

٨ـ وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر الله، وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، وخفضوا أصواتهم.

٩ـ وكان يلبس للحرب عدته، وربما ظاهر بين درعين، وكان يلبس الدرع والخوذة ويتقلد السيف، ويحمل الرمح والقوس، ويتترس بالترس.

١٠ـ وكان يرتب الجيش والمقاتلة، ويجعل في كل جنبةٍ كفئًا لها، وكان يُبارَزُ بين يديه بأمره.

١١ـ وكان العسكر إذا نزل انضم بعضهم إلى بعض، حتى لو بسط عليهم كساء لَعَمَّهُم.

١٢ـ وكان يرتب الصفوف ويعبئهم عند القتال بيده، ويقول: تقدم يا فلان، تأخر يا فلان.

١٣ـ وكان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه.

١٤ـ وكان إذا ظهر على قوم نزل بعرصتهم ثلاثًا ثم قفل.

١٥ـ وكان إذا أراد أن يُغِير انتظر، فإن سمع في الحي أذانًا، لم يُغِرْ وإلا أغار.

١٦ـ وكان ربما يبيّت عدوَّه، وربما فاجأهم نهارًا.
١٧ـ وكان إذا لقي العدو يقول: ((اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)) [ق]، وربما قال: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(٤٥)بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [خ]، وكان يقول: ((اللهم أنزل نصرك)) ويقول: ((اللهم أنت عضدي وأنت نصيري، وبك أقاتل)).
١٨ـ وكان إذا اشتد الناس اتقوا به، وكان أقربهم للعدو.
١٩ـ وكان إذا قصده العدو يُعْلِم نفسه، ويقول: ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)) [ق].
٢٠ـ وكان يجعل لأصحابه شعارًا في الحرب يُعرفون به إذا تكلموا، وكان شعاره مرة: ((أمت أمت))، ومرة: ((حم لا ينصرون)).
٢١ـ وكان يحب الخيلاء في الحرب.
٢٢ـ وكان يتخذ الحرس، فلما نزل قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [لمائدة: ٦٧]، خرج على الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس.
٢٣ـ وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله، ويقول: ((سيروا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا)) [م].
٢٤ـ وكان ينهى عن قتل النساء والصبيان.
٢٥ـ وكان يأمر أمير السرية أن يدعو عدوه قبل القتال، إما إلى الإسلام والهجرة، أو الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين، ليس لهم نصيب في الفيء، أو بذل الجزية، فإن هم أجابوا إليه قَبِلَ منهم، وإلا استعان بالله وقاتلهم.
٢٦ـ وقاتل مرة بالمنجنيق، فنصبه على أهل الطائف.
٢٧ـ وكان ينهى في مغازيه عن النهبة والمثلة. والمثلة: تشويه الجسد قبل القتل أو بعده.
٢٨ـ وكان ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو.

٨. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْهِجْرَةِ إلَى الْمَدِينَةِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٩٤)
فَصْلٌ فِي ذِكْرَى الْهِجْرَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ
[ص ٩٥] وَخَافَ مِنْهُمْ الْكُفّارُ اشْتَدّ أَذَاهُمْ لَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفِتْنَتُهُمْ إيّاهُمْ فَأَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْهِجْرَةِ إلَى الْحَبَشَةِ وَقَالَ إنّ بِهَا مَلِكًا لَا يَظْلِمُ النّاس عِنْدَهُ فَهَاجَرَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ وَهُوَ أَوّلُ مَنْ خَرَجَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رُقَيّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَقَامُوا فِي الْحَبَشَةِ فِي أَحْسَنِ جِوَارٍ فَبَلَغَهُمْ أَنّ قُرَيْشًا أَسْلَمَتْ وَكَانَ هَذَا الْخَبَرُ كَذِبًا فَرَجَعُوا إلَى مَكّةَ فَلَمّا بَلَغَهُمْ أَنّ الْأَمْرَ أَشَدّ مِمّا كَانَ رَجَعَ مِنْهُمْ مَنْ رَجَعَ وَدَخَلَ جَمَاعَةٌ فَلَقُوا مِنْ قُرَيْشٍ أَذًى شَدِيدًا وَكَانَ مِمّنْ دَخَلَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .
[الْحَصْرُ فِي الشّعْبِ ثُمّ وَفَاةُ خَدِيجَةَ فَعَمّهِ فَخُرُوجُهُ لِلطّائِفِ]
ثُمّ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْهِجْرَةِ ثَانِيًا إلَى الْحَبَشَةِ فَهَاجَرَ مِنْ الرّجَالِ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا إنْ كَانَ فِيهِمْ عَمّارٌ فَإِنّهُ يُشَكّ فِيهِ وَمِنْ النّسَاءِ ثَمَانِ عَشْرَةَ امْرَأَةً فَأَقَامُوا عِنْدَ النّجَاشِيّ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا فَأَرْسَلُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ فِي

جَمَاعَةٍ لِيَكِيدُوهُمْ عِنْدَ النّجَاشِيّ فَرَدّ اللّهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ فَاشْتَدّ أَذَاهُمْ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَحَصَرُوهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي الشّعْبِ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ سِنِينَ وَقِيلَ سَنَتَيْنِ وَخَرَجَ مِنْ الْحَصْرِ وَلَهُ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَقِيلَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهُرٍ مَاتَ عَمّهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَفِي الشّعْبِ وُلِدَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ فَنَالَ الْكُفّارُ مِنْهُ أَذًى شَدِيدًا ثُمّ مَاتَتْ خَدِيجَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ فَاشْتَدّ أَذَى الْكُفّارِ لَهُ فَخَرَجَ إلَى الطّائِفِ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَدْعُو إلَى اللّهِ تَعَالَى وَأَقَامَ بِهِ أَيّامًا فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَآذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ وَقَامُوا لَهُ سِمَاطَيْنِ فَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتّى أَدْمَوْا كَعْبَيْهِ فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَاجِعًا إلَى مَكّةَ وَفِي طَرِيقِهِ لَقِيَ عَدّاسًا النّصْرَانِيّ فَآمَنَ بِهِ وَصَدّقَهُ وَفِي طَرِيقِهِ أَيْضًا بِنَخْلَةَ صُرِفَ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ الْجِنّ سَبْعَةٌ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ فَاسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ وَأَسْلَمُوا وَفِي طَرِيقِهِ تِلْكَ أَرْسَلَ اللّهُ إلَيْهِ مَلَكَ الْجِبَالِ يَأْمُرُهُ [ص ٩٦] مَكّةَ وَهُمَا جَبَلَاهَا إنْ أَرَادَ فَقَالَ : لَا بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ لَعَلّ اللّهَ يُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِم مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا

[الْإِسْرَاءُ]

وَفِي طَرِيقِهِ دَعَا بِذَلِكَ الدّعَاءِ الْمَشْهُورِ اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي وَقِلّةَ حِيلَتِي . . . الْحَدِيثُ ثُمّ دَخَلَ مَكّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيّ ثُمّ أُسْرِيَ [ص ٩٧] الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ثُمّ عُرِجَ بِهِ إلَى فَوْقِ السّمَوَاتِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ فَخَاطَبَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصّلَوَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ مَرّةً وَاحِدَةً هَذَا أَصَحّ الْأَقْوَالِ . وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ مَنَامًا وَقِيلَ بَلْ يُقَالُ أُسْرِيَ بِهِ وَلَا يُقَالُ يَقَظَةً وَلَا مَنَامًا . وَقِيلَ كَانَ الْإِسْرَاءُ إلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَقَظَةً وَإِلَى السّمَاءِ مَنَامًا . وَقِيل : كَانَ الْإِسْرَاءُ مَرّتَيْنِ مَرّةً يَقَظَةً وَمَرّةً مَنَامًا . وَقِيلَ بَلْ أُسَرِيَ بِهِ ثَلَاثَ مَرّاتُ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِالِاتّفَاقِ . وَأَمّا مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ شَرِيكٍ أَنّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إلَيْهِ فَهَذَا مِمّا عُدّ مِنْ أَغْلَاطِ شَرِيكٍ الثّمَانِيَةِ وَسُوءِ حِفْظِهِ لِحَدِيثِ الْإِسْرَاءِ . وَقِيلَ إنّ هَذَا كَانَ إسْرَاءَ الْمَنَامِ قَبْلَ الْوَحْيِ . وَأَمّا إسْرَاءُ الْيَقَظَةِ فَبَعْدَ النّبُوّةِ وَقِيلَ بَلْ الْوَحْيُ هَاهُنَا مُقَيّدٌ وَلَيْسَ بِالْوَحْيِ الْمُطْلَقِ الّذِي هُوَ مَبْدَأُ النّبُوّةِ وَالْمُرَادُ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إلَيْهِ فِي شَأْنِ الْإِسْرَارِ فَأُسْرِيَ بِهِ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ تَقَدّمِ إعْلَامٍ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

[دَعْوَةُ الْقَبَائِلِ وَالْهِجْرَةُ إلَى الْمَدِينَةِ]

فَأَقَامَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إلَى اللّهِ تَعَالَى وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلّ مَوْسِمٍ أَنْ يُؤْوُوهُ حَتّى يُبَلّغَ رِسَالَةَ رَبّهِ وَلَهُمْ الْجَنّةُ فَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُ قَبِيلَةٌ وَادّخَرَ اللّهُ ذَلِكَ كَرَامَةً لِلْأَنْصَارِ فَلَمّا أَرَادَ اللّهُ تَعَالَى إظْهَارَ دِينِهِ وَإِنْجَازَ وَعْدِهِ وَنَصْرَ نَبِيّهِ وَإِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ وَالِانْتِقَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ سَاقَهُ إلَى الْأَنْصَارِ لَمّا أَرَادَ بِهِمْ مِنْ الْكَرَامَةِ فَانْتَهَى إلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ سِتّةً وَقِيلَ ثَمَانِيَةً وَهُمْ يَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ عِنْدَ عَقَبَةِ مِنًى فِي الْمَوْسِمِ فَجَلَسَ إلَيْهِمْ وَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ [ص ٩٨] الْمَدِينَةِ فَدَعَوْا قَوْمَهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ حَتّى فَشَا فِيهِمْ وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إلّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَأَوّلُ مَسْجِدٍ قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ بِالْمَدِينَةِ مَسْجِدُ بَنِي زُرَيْقٍ ثُمّ قَدِمَ مَكّةَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنْ السّتّةِ الْأَوّلِينَ فَبَايَعُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى بَيْعَةِ النّسَاءِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ ثُمّ انْصَرَفُوا إلَى الْمَدِينَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ وَهُمْ أَهْلُ الْعَقَبَةِ الْأَخِيرَةِ فَبَايَعُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ

وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فَتَرْحَلُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَيْهِمْ وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَأَذِنَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَصْحَابِهِ فِي الْهِجْرَةِ إلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجُوا أَرْسَالًا مُتَسَلّلِينَ أَوّلُهُمْ فِيمَا قِيلَ : أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيّ وَقِيلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فَقَدِمُوا عَلَى الْأَنْصَارِ فِي دُورِهِمْ فَآوَوْهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَفَشَا الْإِسْلَامُ بِالْمَدِينَةِ ثُمّ أَذِنَ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْهِجْرَةِ فَخَرَجَ مِنْ مَكّةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ وَقِيلَ فِي صَفَرٍ وَلَهُ إذْ ذَاكَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ وَدَلِيلُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأُرَيْقِطِ اللّيْثِيّ فَدَخَلَ غَارَ ثَوْرٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فَأَقَامَا فِيهِ ثَلَاثًا ثُمّ أَخَذَا عَلَى طَرِيقِ السّاحِلِ فَلَمّا انْتَهَوْا إلَى الْمَدِينَةِ وَذَلِكَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ نَزَلَ بِقُبَاءٍ فِي أَعْلَى الْمَدِينَةِ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ . وَقِيلَ نَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بْنِ الهدم . وَقِيلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ وَالْأَوّلُ أَشْهَرُ فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَأَسّسَ مَسْجِدَ قُبَاءَ ثُمّ خَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمٍ [ص ٩٩] كَانَ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مِائَةٌ ثُمّ رَكِبَ نَاقَتَهُ وَسَارَ وَجَعَلَ النّاسُ يُكَلّمُونَهُ فِي النّزُولِ عَلَيْهِمْ وَيَأْخُذُونَ بِخِطَامِ النّاقَةِ فَيَقُولُ خَلّوا سَبِيلَهَا فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَبَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ وَكَانَ مِرْبَدًا لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ غُلَامَيْنِ مِنْ بَنِي النّجّارِ فَنَزَلَ عَنْهَا عَلَى أَبِي أَيّوبَ الْأَنْصَارِيّ ثُمّ بَنَى مَسْجِدَهُ مَوْضِعَ الْمِرْبَدِ بِيَدِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْجَرِيدِ وَاللّبِنِ ثُمّ بَنَى مَسْكَنَهُ وَمَسَاكِنَ أَزْوَاجِهِ إلَى جَنْبِهِ وَأَقْرَبُهَا إلَيْهِ مَسْكَنُ عَائِشَةَ ثُمّ تَحَوّلَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ دَارِ أَبِي أَيّوبَ إلَيْهَا وَبَلَغَ أَصْحَابَهُ بِالْحَبَشَةِ هِجْرَتُهُ إلَى الْمَدِينَةِ فَرَجَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ [ص ١٠٠] صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ ثُمّ هَاجَرَ بَقِيّتُهُمْ فِي السّفِينَةِ عَامَ خَيْبَرَ سَنَةَ سَبْعٍ .

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٣٨)

فَصْلٌ فِي مَبْدَأِ الْهِجْرَةِ الّتِي فَرّقَ اللهُ فِيهَا بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ

وَجَعَلَهَا مَبْدَأً لِإِعْزَازِ دِينِهِ وَنَصْرِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ

[دَعْوَتُهُ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقَبَائِلَ]

[ص ٣٩] قَالَ الْوَاقِدِيّ : حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ وَغَيْرُهُمَا قَالُوا : أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ مِنْ أَوّلِ نُبُوّتِهِ مُسْتَخْفِيًا ثُمّ أَعْلَنَ فِي الرّابِعَةِ فَدَعَا النّاسَ إلَى الْإِسْلَامِ عَشْرَ سِنِينَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ كُلّ عَامٍ يَتْبَعُ الْحَاجّ فِي مَنَازِلِهِمْ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِعُكَاظٍ وَمَجَنّةَ وَذِي الْمَجَازِ يَدْعُوهُمْ إلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ حَتّى يُبَلّغَ رِسَالَاتِ رَبّهِ وَلَهُمْ الْجَنّةُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَلَا يُجِيبُهُ حَتّى إنّهُ لَيَسْأَلُ عَنْ الْقَبَائِلِ وَمَنَازِلِهَا قَبِيلَةً قَبِيلَةً وَيَقُولُ يَا أَيّهَا النّاسُ قُولُوا : لَا إلَهَ إلّا اللهُ تُفْلِحُوا وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ وَتَذِلّ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ فَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْجَنّةِ وَأَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ يَقُولُ لَا تُطِيعُوهُ فَإِنّهُ صَابِئٌ كَذّابٌ فَيَرُدّونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَقْبَحَ الرّدّ وَيُؤْذُونَهُ وَيَقُولُونَ أُسْرَتُك وَعَشِيرَتُكَ أَعْلَمُ بِكَ حَيْثُ لَمْ يَتّبِعُوك وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلَى اللهِ وَيَقُولُ اللّهُمّ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا قَالَ وَكَانَ مِمّنْ يُسَمّى لَنَا مِنْ الْقَبَائِلِ الّذِينَ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدَعَاهُمْ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَمُحَارِبُ بْنُ حصفة وَفَزَارَةُ وَغَسّانُ

وَمُرّةُ وَحَنِيفَةُ وَسُلَيْمٌ وَعَبْسُ وَبَنُو النّضْرِ وَبَنُو الْبَكّاءِ وَكِنْدَةُ وَكَلْبٌ وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ وَعُذْرَةُ وَالْحَضَارِمَةُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ

فَصْلٌ [لُقْيَاهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ]

وَكَانَ مِمّا صَنَعَ اللّهُ لِرَسُولِهِ أَنّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ حُلَفَائِهِمْ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ أَنّ نَبِيّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مَبْعُوثٌ [ص ٤٠] عَادٍ وَإِرَمٍ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَحُجّونَ الْبَيْتَ كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَحُجّهُ دُونَ الْيَهُودِ فَلَمّا رَأَى الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَدْعُو النّاسَ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَتَأَمّلُوا أَحْوَالَهُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَعْلَمُونَ وَاَللّهِ يَا قَوْمِ أَنّ هَذَا الّذِي تَوَعّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ فَلَا يَسْبِقُنّكُمْ إلَيْهِ . وَكَانَ سُوَيْدُ بْنُ الصّامِتِ مِنْ الْأَوْسِ قَدْ قَدِمَ مَكّةَ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمْ يُبْعِدْ وَلَمْ يُجِبْ حَتّى قَدِمَ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ أَبُو الحيسر فِي فِتْيَةٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَطْلُبُونَ الْحِلْفَ فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ إيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ شَابّا حَدَثًا : يَا قَوْمِ هَذَا وَاَللّهِ خَيْرٌ مِمّا جِئْنَا لَهُ فَضَرَبَهُ أَبُو الحيسر وَانْتَهَرَهُ فَسَكَتَ ثُمّ لَمْ يَتِمّ لَهُمْ الْحِلْفَ فَانْصَرَفُوا إلَى الْمَدِينَةِ

[فَصْلٌ لَقِيَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سِتّةَ نَفَرٍ مِنْ الْخَزْرَجِ]

ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَقِيَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ فِي الْمَوْسِمِ سِتّةَ نَفَرٍ مِنْ الْأَنْصَارِ كُلّهُمْ مِنْ الْخَزْرَجِ وَهُمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْن رِئَابٍ فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا

[بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى]

ثُمّ رَجَعُوا إلَى الْمَدِينَةِ فَدَعَوْهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ فَفَشَا الْإِسْلَامُ فِيهَا حَتّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ إلّا وَقَدْ دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ فَلَمّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ جَاءَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا السّتّةُ الْأُوَلُ خَلَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ وَمَعَهُمْ مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ أَخُو عَوْفٍ الْمُتَقَدّمِ وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ وَقَدْ أَقَامَ ذَكْوَانُ بِمَكّةَ حَتّى هَاجَرَ إلَى الْمَدِينَةِ فَيُقَالُ إنّهُ مُهَاجِرِيّ أَنْصَارِيّ وَعُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التّيْهَانِ [ص ٤١] وَعُوَيْمِرُ بْنُ مَالِكٍ هُمْ اثْنَا عَشَرَ . وَقَالَ أَبُو الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَبِثَ بِمَكّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتّبِعُ النّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ وَمَجَنّةَ وَعُكَاظَ يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي ؟ مَنْ يَنْصُرُنِي ؟ حَتَى أُبَلّغَ رِسَالَاتِ رَبّي وَلَهُ الْجَنّةُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَلَا يُؤْوِيهِ حَتّى إنّ الرّجُلَ لَيَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ أَوْ الْيَمَنِ إلَى ذِي رَحِمِهِ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ لَهُ احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنْك وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَهُمْ يُشِيرُونَ إلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتّى بَعَثَنَا اللّهُ مِنْ يَثْرِبَ فَيَأْتِيهِ الرّجُلُ مِنّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إلّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَبَعَثَنَا اللّهُ إلَيْهِ فَائْتَمَرْنَا وَاجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا : حَتّى مَتَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكّةَ وَيَخَافُ فَرَحَلْنَا حَتّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدَنَا بَيْعَةَ الْعُقْبَةِ فَقَالَ لَهُ عَمّهُ الْعَبّاسُ يَا ابْنَ أَخِي مَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الّذِينَ جَاءُوك إنّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ فَلَمّا نَظَرَ الْعَبّاسُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا نَعْرِفُهُمْ هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللّهِ عَلَامَ نُبَايِعُك ؟ قَالَ " تُبَايِعُونِي عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ فِي النّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَعَلَى النّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ

وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَتَمْنَعُونِي مِمّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنّةُ فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السّبْعِينَ فَقَالَ رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إنّا لَمْ نَضْرِبْ إلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيّ إلّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنّهُ رَسُولُ اللّهِ وَإِنّ إخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعَضّكُمْ السّيُوفُ فَإِمّا أَنْتُمْ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللّهِ وَإِمّا أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ فَقَالُوا : يَا أَسْعَدُ أَمِطْ عَنّا يَدَك فَوَاَللّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا فَقُمْنَا إلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا [ص ٤٢] فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ يُعْطِينَا بِذَلِكَ الْجَنّةَ ثُمّ انْصَرَفُوا إلَى الْمَدِينَةِ وَبَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَمْرَو بْنَ أُمّ مَكْتُومٍ وَمُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ يُعَلّمَانِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْقُرْآنَ وَيَدْعُوَانِ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ فَنَزَلَا عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يَؤُمّهُمْ وَجَمَعَ بِهِمْ لَمّا بَلَغُوا أَرْبَعِينَ فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِمَا بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أُسَيْد بْنُ الْحُضَيْرِ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا يَوْمَئِذٍ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ الرّجَالُ وَالنّسَاءُ إلّا أُصَيْرِم عَمْرَو بْنَ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ فَإِنّهُ تَأَخّرَ إسْلَامُهُ إلَى يَوْمِ أُحُدٍ وَأَسْلَمَ حِينَئِذٍ وَقَاتَلَ فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لِلّهِ سَجْدَةً فَأُخْبِرَ عَنْهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا

[بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثّانِيَةُ]

[ص ٤٣] بِالْمَدِينَةِ وَظَهَرَ ثُمّ رَجَعَ مُصْعَبُ إلَى مَكّةَ وَوَافَى الْمَوْسِمَ ذَلِكَ الْعَامَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَزَعِيمُ الْقَوْمِ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ فَلَمّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْعَقَبَةِ الثّلُثُ الْأَوّلُ مِنْ اللّيْلِ تَسَلّلَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ فَبَايَعُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خِفْيَةً مِنْ قَوْمِهِمْ وَمِنْ كُفّارِ مَكّةَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأُزُرَهُمْ فَكَانَ أَوّلَ مَنْ بَايَعَهُ لَيْلَتَئِذٍ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ إذْ أَكّدَ الْعَقْدَ وَبَادَرَ إلَيْهِ وَحَضَرَ الْعَبّاسُ عَمّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُؤَكّدًا لِبَيْعَتِهِ كَمَا تَقَدّمَ وَكَانَ إذْ ذَاكَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ وَاخْتَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمْ تِلْكَ اللّيْلَةَ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَسَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ

وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ وَكَانَ إسْلَامُهُ تِلْكَ اللّيْلَةَ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو وَعُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ فَهَؤُلَاءِ تِسْعَةٌ مِنْ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوْسِ : أُسَيْد بْنُ الْحُضَيْرِ وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ . وَقِيلَ بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التّيْهَانِ مَكَانَهُ . وَأَمّا الْمَرْأَتَانِ فَأُمّ عُمَارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو وَهِيَ الّتِي قَتَلَ مُسَيْلِمَةُ ابْنَهَا حَبِيبَ بْنَ زَيْدٍ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيّ . فَلَمّا تَمّتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَمِيلُوا عَلَى أَهْلِ الْعَقَبَةِ بِأَسْيَافِهِمْ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَصَرَخَ الشّيْطَانُ عَلَى الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سُمِعَ يَا أَهْلَ الْجَبَاجِبِ هَلْ لَكَمَ فِي مُذَمّمٍ وَالصّبَاةُ مَعَهُ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ ؟ فَقَالَ [ص ٤٤] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذَا أَزَبّ الْعَقَبَةِ هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ أَمَا وَاَللّهِ يَا عَدُوّ اللّهِ لَأَتَفَرّغَنّ لَكَ ثُمّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفَضّوا إلَى رِحَالِهِمْ فَلَمّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ غَدَتْ عَلَيْهِمْ جِلّةُ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافُهُمْ حَتّى دَخَلُوا شِعْبَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ إنّهُ بَلَغَنَا أَنّكُمْ لَقِيتُمْ صَاحِبَنَا الْبَارِحَةَ

وَوَاعَدْتُمُوهُ أَنْ تُبَايِعُوهُ عَلَى حَرْبِنَا وَايْمُ اللَّهِ مَا حَيٌّ مِنْ الْعَرَبِ أَبْغَضَ إلَيْنَا مِنْ أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْحَرْبُ مِنْكُمْ فَانْبَعَثَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ الْخَزْرَجِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاَللَّهِ مَا كَانَ هَذَا وَمَا عَلِمْنَا وَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ هَذَا بَاطِلٌ وَمَا كَانَ هَذَا وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا لَوْ كُنْتُ بِيَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتَّى يُؤَامِرُونِي فَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ مِنْ عِنْدَهُمْ وَرَحَلَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ فَتَقَدَّمَ إلَى بَطْنِ يَأْجَجَ وَتَلَاحَقَ أَصْحَابُهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَتَطَلَّبَتْهُمْ قُرَيْشٌ فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إلَى عُنُقِهِ بِنِسْعِ رَحْلِهِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَجُرُّونَهُ وَيَجْذِبُونَهُ بِجُمَّتِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ فَجَاءَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالْحَارِثُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ فَخَلَّصَاهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَتَشَاوَرَتْ الْأَنْصَارُ حِينَ فَقَدُوهُ أَنْ يَكِرُّوا إلَيْهِ فَإِذَا سَعْدٌ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَوَصَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إلَى الْمَدِينَةِ .

[بَدْءُ الْهِجْرَةِ إلَى الْمَدِينَةِ]

فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْهِجْرَةِ إلَى الْمَدِينَةِ فَبَادَرَ النَّاسُ إلَى ذَلِكَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ إلَى الْمَدِينَةِ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَامْرَأَتُهُ أُمّ سَلَمَةَ وَلَكِنَّهَا احْتُبِسَتْ دُونَهُ وَمُنِعَتْ مِنْ اللَّحَاقِ بِهِ سَنَةً [ص ٤٥] وَحِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا سَلَمَةَ ثُمّ خَرَجَتْ بَعْدَ السّنَةِ بِوَلَدِهَا إلَى الْمَدِينَةِ وَشَيّعَهَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ . ثُمّ خَرَجَ النّاسُ أَرْسَالًا يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَمْ يَبْقَ بِمَكّةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إلّا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَلِيّ أَقَامَا بِأَمْرِهِ لَهُمَا وَإِلّا مَنْ احْتَبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ كَرْهًا وَقَدْ أَعَدّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جِهَازَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالْخُرُوجِ وَأَعَدّ أَبُو بَكْرٍ جِهَازَهُ .

فَصْلٌ [ائْتِمَارُ قُرَيْشٍ بِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِقَتْلِهِ]

فَلَمّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ تَجَهّزُوا وَخَرَجُوا وَحَمَلُوا وَسَاقُوا الذّرَارِيّ وَالْأَطْفَالَ وَالْأَمْوَالَ إلَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَعَرَفُوا أَنّ الدّارَ دَارُ مَنَعَةٍ وَأَنّ الْقَوْمَ أَهْلُ حَلْقَةٍ وَشَوْكَةٍ وَبَأْسٍ فَخَافُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْهِمْ وَلُحُوقَهُ بِهِمْ فَيَشْتَدّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النّدْوَةِ وَلَمْ يَتَخَلّفْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الرّأْيِ وَالْحِجَا مِنْهُمْ لِيَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ وَحَضَرَهُمْ وَلِيّهُمْ وَشَيْخُهُمْ إبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مُشْتَمِلٌ الصّمّاءَ فِي كِسَائِهِ فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَشَارَ كُلّ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِرَأْيٍ وَالشّيْخُ يَرُدّهُ وَلَا يَرْضَاهُ إلَى أَنْ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : قَدْ فُرِقَ لِي فِيهِ رَأْيٌ مَا أَرَاكُمْ قَدْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ قَالُوا : مَا هُوَ ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ غُلَامًا نَهْدًا جَلْدًا ثُمّ نُعْطِيهِ سَيْفًا صَارِمًا فَيَضْرِبُونَهُ [ص ٤٦] ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَتَفَرّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ فَلَا تَدْرِي بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ بَعْدَ ذَلِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ وَلَا يُمْكِنُهَا مُعَادَاةُ الْقَبَائِلِ كُلّهَا وَنَسُوقُ إلَيْهِمْ دِيَتَهُ فَقَالَ الشّيْخُ لِلّهِ دَرّ الْفَتَى هَذَا وَاَللّهِ الرّأْيُ قَالَ فَتَفَرّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ رَبّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللّيْلَةَ .

[قِصّةُ هِجْرَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

وَجَاءَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَبِي بَكْرٍ نِصْفَ النّهَارِ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ فِيهَا مُتَقَنّعًا فَقَالَ لَهُ " أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَك " فَقَالَ إنّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ إنّ اللّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ

صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي وَأُمّي إحْدَى رَاحِلَتَيّ هَاتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالثّمَنِ

[نَوْمُ عَلِيّ فِي مَضْجَعِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم]

وَأَمَرَ عَلِيّا أَنْ يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللّيْلَةَ وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ النّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَطَلّعُونَ مِنْ صَيْرِ الْبَابِ وَيَرْصُدُونَهُ وَيُرِيدُونَ بَيَاتَهُ وَيَأْتَمِرُونَ أَيّهُمْ يَكُونُ أَشْقَاهَا فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ الْبَطْحَاءِ فَجَعَلَ يَذُرّهُ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُمْ لَا يَرَوْنَهُ وَهُوَ يَتْلُو { وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } [يس : ٩] وَمَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ فِي دَارِ أَبِي بَكْرٍ لَيْلًا وَجَاءَ رَجُلٌ وَرَأَى الْقَوْمَ بِبَابِهِ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ قَالُوا : مُحَمّدًا قَالَ خِبْتُمْ وَخَسِرْتُمْ قَدْ وَاَللّهِ مَرّ بِكُمْ وَذَرّ عَلَى رُءُوسِكُمْ التّرَابَ قَالُوا : وَاَللّهِ مَا أَبْصَرْنَاهُ وَقَامُوا يَنْفُضُونَ التّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ وَهُمْ أَبُو جَهْلٍ وَالْحَكَمُ بْنُ الْعَاصِ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَالنّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ [ص ٤٧] وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ وَأَبُو لَهَبٍ وَأُبَيّ بْنُ خَلَفٍ وَنُبَيْه وَمُنَبّهُ ابْنَا الْحَجّاجِ فَلَمّا أَصْبَحُوا قَامَ عَلِيّ عَنْ الْفِرَاشِ فَسَأَلُوهُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهِ . ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ إلَى غَارِ ثَوْرٍ فَدَخَلَاهُ وَضَرَبَ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِهِ . وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ اللّيْثِيّ وَكَانَ هَادِيًا مَاهِرًا بِالطّرِيقِ وَكَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمِنَاهُ عَلَى ذَلِكَ وَسَلّمَا إلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَجَدّتْ قُرَيْشٌ فِي طَلَبِهِمَا وَأَخَذُوا مَعَهُمْ الْقَافَةَ حَتّى انْتَهَوْا إلَى بَابِ الْغَارِ فَوَقَفُوا عَلَيْهِ . فَفِي " الصّحِيحَيْنِ أَنّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ لَوْ أَنّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنّكَ بِاثْنَيْنِ اللّهُ ثَالِثُهُمَا لَا تَحْزَنْ فَإِنّ اللّهَ مَعَنَا وَكَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ [ص ٤٨] يَسْمَعَانِ كَلَامَهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا وَلَكِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ عَمّى عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمَا وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَرْعَى عَلَيْهِمَا غَنَمًا لِأَبِي بَكْرٍ وَيَتَسَمّعُ مَا يُقَالُ بِمَكّةَ ثُمّ يَأْتِيهِمَا بِالْخَبَرِ فَإِذَا كَانَ السّحَرُ سَرَحَ مَعَ النّاسِ . قَالَتْ عَائِشَةُ وَجَهّزْنَاهُمَا أَحْسَنَ الْجَهَازِ وَوَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَأَوْكَتْ بِهِ الْجِرَابَ وَقَطَعَتْ الْأُخْرَى فَصَيّرَتْهَا عِصَامًا لِفَمِ الْقِرْبَةِ فَلِذَلِكَ لُقّبَتْ ذَاتَ النّطَاقَيْنِ . وَذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي " مُسْتَدْرَكِهِ " عَنْ عُمَرَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللّهِ أَذْكُرُ الطّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَك ثُمّ أَذْكُرُ الرّصَدَ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْك فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي ؟ [ص ٤٩] قَالَ نَعَمْ وَاَلّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ فَلَمّا انْتَهَى إلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللّهِ حَتّى أَسْتَبْرِئَ لَك الْغَارَ فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَهُ حَتّى إذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئْ الْجِحَرَةَ فَقَالَ مَكَانَك يَا رَسُولَ اللّهِ حَتّى أَسْتَبْرِئَ الْجِحَرَةَ ثُمّ قَالَ انْزِلْ يَا رَسُولَ اللّهِ فَنَزَلَ فَمَكَثَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لِيَالٍ حَتّى خَمَدَتْ عَنْهُمَا نَارُ الطّلَبِ فَجَاءَهُمَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِالرّاحِلَتَيْنِ فَارْتَحَلَا وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ وَسَارَ الدّلِيلُ أَمَامَهُمَا وَعَيْنُ اللّهِ تَكْلَؤُهُمَا وَتَأْيِيدُهُ يَصْحَبُهُمَا وَإِسْعَادُهُ يُرَحّلُهُمَا وَيُنْزِلُهُمَا .

[قِصّةُ سُرَاقَةَ]

وَلَمّا يَئِسَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ الظّفَرِ بِهِمَا جَعَلُوا لِمَنْ جَاءَ بِهِمَا دِيَةَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَجَدّ النّاسُ فِي الطّلَبِ وَاَللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ فَلَمّا مَرّوا بِحَيّ بَنِي مُدْلِجٍ مُصْعِدِينَ مِنْ قُدَيْد بَصُرَ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ الْحَيّ فَوَقَفَ عَلَى الْحَيّ فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ آنِفًا بِالسّاحِلِ أَسْوِدَةً مَا أُرَاهَا إلّا مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ فَفَطِنَ بِالْأَمْرِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ الظّفَرُ لَهُ خَاصّةً وَقَدْ سَبَقَ لَهُ مِنْ الظّفَرِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ فَقَالَ بَلْ هُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ خَرَجَا فِي طَلَبِ حَاجَةٍ لَهُمَا ثُمّ مَكَثَ قَلِيلًا ثُمّ قَامَ فَدَخَلَ خِبَاءَهُ وَقَالَ لِخَادِمِهِ اُخْرُجْ بِالْفَرَسِ مِنْ وَرَاءِ الْخِبَاءِ وَمَوْعِدُك وَرَاءَ الْأَكَمَةِ ثُمّ أَخَذَ رُمْحَهُ وَخَفَضَ عَالِيَهُ يَخُطّ بِهِ الْأَرْضَ حَتّى رَكِبَ فَرَسَهُ فَلَمّا قَرُبَ مِنْهُمْ وَسَمِعَ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَلْتَفِتُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ قَدْ رَهِقَنَا فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَاخَتْ يَدَا فَرَسِهِ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنّ الّذِي أَصَابَنِي بِدُعَائِكُمَا فَادْعُوَا اللّهَ لِي وَلَكُمَا عَلَيّ أَنْ أَرُدّ النّاسَ عَنْكُمَا فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأُطْلِقَ وَسَأَلَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فَكَتَبَ لَهُ أَبُو [ص ٥٠] بَكْرٍ بِأَمْرِهِ فِي أَدِيمٍ وَكَانَ الْكِتَابُ مَعَهُ إلَى يَوْمِ فَتْحِ مَكّةَ فَجَاءَهُ بِالْكِتَابِ فَوَفّاهُ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الزّادَ وَالْحِمْلَانَ فَقَالَا : لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ وَلَكِنْ عَمّ عَنّا الطّلَبَ فَقَالَ قَدْ كُفِيتُمْ وَرَجَعَ فَوَجَدَ النّاسَ فِي الطّلَبِ فَجَعَلَ يَقُولُ قَدْ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمْ الْخَبَرَ وَقَدْ كُفِيتُمْ مَا هَا هُنَا وَكَانَ أَوّلُ النّهَارِ جَاهِدًا عَلَيْهِمَا وَآخِرُهُ حَارِسًا لَهُمَا .

فَصْلٌ [أُمّ مَعْبَدٍ]

ثُمّ مَرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ حَتّى مَرّ بِخَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيّةِ وَكَانَتْ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ ثُمّ تُطْعِمُ وَتَسْقِي مَنْ مَرّ بِهَا فَسَأَلَاهَا : هَلْ عِنْدَهَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ وَاَللّهِ لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ مَا أَعْوَزَكُمْ الْقِرَى وَالشّاءُ عَازِبٌ وَكَانَتْ مُسْنِتَةً شَهْبَاءَ فَنَظَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ فَقَالَ مَا هَذِهِ الشّاةُ يَا أُمّ مَعْبَدٍ ؟ قَالَتْ شَاةٌ خَلّفَهَا الْجَهْدُ عَنْ الْغَنَمِ فَقَالَ هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا ؟ قَالَتْ نَعَمْ بِأَبِي وَأُمّي إنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا فَمَسَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمّى اللّهَ وَدَعَا فَتَفَاجّتْ عَلَيْهِ وَدَرّتْ فَدَعَا بِإِنَاءٍ لَهَا يُرْبِضُ الرّهْطَ فَحَلَبَ فِيهِ حَتّى عَلَتْهُ الرّغْوَةُ فَسَقَاهَا فَشَرِبَتْ حَتّى رَوِيَتْ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتّى رَوَوْا ثُمّ شَرِبَ وَحَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا حَتّى مَلَأَ الْإِنَاءَ ثُمّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا فَارْتَحَلُوا فَقَلّمَا لَبِثَتْ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا لَا نِقْيَ بِهِنّ فَلَمّا رَأَى اللّبَنَ عَجِبَ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا وَالشّاةُ عَازِبٌ ؟ وَلَا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ ؟ فَقَالَتْ لَا وَاَللّهِ إلّا أَنّهُ مَرّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَاَللّهِ إنّي لَأَرَاهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الّذِي تَطْلُبُهُ صِفِيهِ لِي يَا أُمّ مَعْبَدٍ قَالَتْ ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجُ الْوَجْهِ حَسَنُ الْخَلْقِ لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ وَلَمْ تُزْرِ بِهِ [ص ٥١] صُعْلَةٌ وَسِيمٌ قَسِيمٌ فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ أَحْوَرُ أَكْحَلُ أَزَجّ أَقْرَنُ شَدِيدُ سَوَادِ الشّعْرِ إذَا صَمَتَ عَلَاهُ الْوَقَارُ وَإِنْ تَكَلّمَ عَلَاهُ الْبَهَاءُ أَجْمَلُ النّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْسَنُهُ وَأَحْلَاهُ مِنْ قَرِيبٍ حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ كَأَنّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدّرْنَ رَبْعَةٌ لَا تُقْحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ وَلَا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثّلَاثَةِ

مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفّونَ بِهِ إذَا قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إلَى أَمْرِهِ مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفْنِدٌ فَقَالَ أَبُو مَعْبَدٍ وَاَللّهِ هَذَا صَاحِبُ قُرَيْشٍ الّذِي ذَكَرُوا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرُوا لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ وَلَأَفْعَلَنّ إنْ وَجَدْتُ إلَى ذَلِكَ سَبِيلًا وَأَصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكّةَ عَالِيًا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَ الْقَائِلَ

جَزَى اللّهُ رَبّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ
رَفِيقَيْنِ حَلّا خَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرّ وَارْتَحَلَا بِه
وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمّدِ
فَيَالَقُصَيّ مَا زَوَى اللّهُ عَنْكُمْ
بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازَى وَسُودَدِ
لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ
وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا
فَإِنّكُمْ إنْ تَسْأَلُوا الشّاءَ تَشْهَدِ

[ص ٥٢] قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ : مَا دَرَيْنَا أَيْنَ تَوَجّهَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ الْجِنّ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ فَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَالنّاسُ يَتْبَعُونَهُ وَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَلَا يَرَوْنَهُ حَتّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَاهَا قَالَتْ فَلَمّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ تَوَجّهَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنّ وَجْهَهُ إلَى الْمَدِينَةِ .

فَصْلٌ [وُصُولُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ]

وَبَلَغَ الْأَنْصَارَ مَخْرَجُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ مَكّةَ وَقَصْدُهُ الْمَدِينَةَ وَكَانُوا يَخْرُجُونَ كُلّ يَوْمٍ إلَى الْحَرّةِ يَنْتَظِرُونَهُ أَوّلَ النّهَارِ فَإِذَا اشْتَدّ حَرّ الشّمْسِ رَجَعُوا عَلَى عَادَتِهِمْ إلَى مَنَازِلِهِمْ فَلَمّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ ثَانِيَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ النّبُوّةِ خَرَجُوا عَلَى عَادَتِهِمْ فَلَمّا حَمِيَ حَرّ الشّمْسِ رَجَعُوا وَصَعِدَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَرَأَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابَهُ مُبَيّضِينَ يَزُولُ بِهِمْ السّرَابُ فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا بَنِي قَيْلَةَ هَذَا صَاحِبُكُمْ قَدْ جَاءَ هَذَا جَدّكُمْ الّذِي تَنْتَظِرُونَهُ فَبَادَرَ الْأَنْصَارُ إلَى السّلَاحِ لِيَتَلَقّوْا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسُمِعَتْ الرّجّةُ وَالتّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَكَبّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ فَتَلَقّوْهُ وَحَيّوْهُ بِتَحِيّةِ النّبُوّةِ فَأَحْدَقُوا بِهِ مُطِيفِينَ حَوْلَهُ وَالسّكِينَةُ تَغْشَاهُ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ { فَإِنّ اللّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } [التّحْرِيمُ ٤] فَسَارَ حَتّى نَزَلَ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَنَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بْنِ الْهِدْمِ وَقِيلَ بَلْ عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ وَالْأَوّلُ أَثْبَتُ فَأَقَامَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأَسّسَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَهُوَ أَوّلُ مَسْجِدٍ أُسّسَ بَعْدَ النّبُوّةِ . [ص ٥٣] كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ رَكِبَ بِأَمْرِ اللّهِ لَهُ فَأَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ الّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي . ثُمّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ هَلُمّ إلَى الْعَدَدِ وَالْعُدّةِ وَالسّلَاحِ وَالْمَنَعَةِ فَقَالَ خَلّوا سَبِيلَهَا فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَلَمْ تَزَلْ نَاقَتُهُ سَائِرَةً بِهِ لَا تَمُرّ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إلّا رَغِبُوا إلَيْهِ فِي النّزُولِ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ دَعُوهَا فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَسَارَتْ حَتّى وَصَلَتْ إلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ وَبَرَكَتْ وَلَمْ يَنْزِلْ

عَنْهَا حَتّى نَهَضَتْ وَسَارَتْ قَلِيلًا ثُمّ الْتَفَتَتْ فَرَجَعَتْ فَبَرَكَتْ فِي مَوْضِعِهَا الْأَوّلِ فَنَزَلَ عَنْهَا وَذَلِكَ فِي بَنِي النّجّارِ أَخْوَالِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَكَانَ مِنْ تَوْفِيقِ اللّهِ لَهَا فَإِنّهُ أَحَبّ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى أَخْوَالِهِ يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ فَجَعَلَ النّاسُ يُكَلّمُونَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي النّزُولِ عَلَيْهِمْ وَبَادَرَ أَبُو أَيّوبَ الْأَنْصَارِيّ إلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ وَجَاءَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ فَأَخَذَ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ وَكَانَتْ عِنْدَهُ وَأَصْبَحَ كَمَا قَالَ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ الْأَنْصَارِيّ وَكَانَ ابْنُ عَبّاسٍ يَخْتَلِفُ إلَيْهِ يَتَحَفّظُ مِنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجّةً
يُذَكّرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَمّا أَتَانَا وَاسْتَقَرّتْ بِهِ النّوَى
وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةَ رَاضِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظُلَامَةَ ظَالِمٍ
بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنْ النّاسِ بَاغِيَا
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلّ مَالِنَا
وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتّآسِيَا
نُعَادِي الّذِي عَادَى مِنْ النّاسِ كُلّهِمْ
جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا
وَنَعْلَمُ أَنّ اللّهَ لَا رَبّ غَيْرُهُ
وَأَنّ كِتَابَ اللّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا

[مَعْنَى أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ]

[ص ٥٤] قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ : كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ فَأُمِرَ بِالْهِجْرَةِ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ { وَقُلْ رَبّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا } [الْإِسْرَاءُ ٨٠] . قَالَ قَتَادَةُ : أَخْرَجَهُ اللّهُ مِنْ مَكّةَ إلَى الْمَدِينَةِ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَنَبِيّ اللّهِ يَعْلَمُ أَنّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إلّا بِسُلْطَانٍ فَسَأَلَ اللّهَ سُلْطَانًا نَصِيرًا وَأَرَاهُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ دَارَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ بِمَكّةَ فَقَالَ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ بِسَبْخَةٍ ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي " مُسْتَدْرَكِهِ " عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ مَنْ يُهَاجِرُ مَعِي ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ قَالَ الْبَرَاءُ أَوّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمّ مَكْتُومٍ فَجَعَلَا يُقْرِئَانِ النّاسَ الْقُرْآنَ ثُمّ جَاءَ عَمّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ ثُمّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي عِشْرِينَ رَاكِبًا ثُمّ جَاءَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَمَا رَأَيْتُ النّاسَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ كَفَرَحِهِمْ بِهِ حَتّى رَأَيْتُ النّسَاءَ وَالصّبْيَانَ وَالْإِمَاءَ يَقُولُونَ هَذَا رَسُولُ اللّهِ قَدْ جَاءَ [ص ٥٥] وَقَالَ أَنَسٌ شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَيْنَا وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَاتَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطّ كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ

....

في ظلال الهجرة النبوية
* الدكتور راغب السرجاني

بعد أن نجحت بيعت العقبة الثانية، وأصبح الأنصار يمثلون عددًا لا بأس به في المدينة المنورة وَقبِل الأنصار أن يستقبلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يحموه مما يحمون منه نساءهم وأبناءهم وأموالهم.. بعد كل هذه الأمور العظيمة، والتي حدثت في فترة وجيزة جدًّا.. جاء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن له بفتح باب الهجرة لأصحابه إلى المدينة المنورة..

كل من يستطيع أن يهاجر فليهاجر.. بل يجب أن يهاجر..

يستوي في ذلك الضعفاء والأقوياء.. الفقراء والأغنياء.. الرجال والنساء.. الأحرار والعبيد..

الكل يجب أن يهاجر إلى المدينة.. فهناك مشروع ضخم سيُبنى على أرض المدينة.. وهو مشروع يحتاج إلى كل طاقات المسلمين.. هذا هو مشروع إقامة الأمة الإسلامية!..

ولن يسمح لمسلم صادق بالقعود عن المشاركة في بناء هذا الصرح العظيم..

انظروا إلى الآيات تتحدث عن الهجرة:

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

الهجرة لم تكن أمراً سهلاً ميسوراً.. الهجرة لم تكن ترك بلد ما إلى بلد ظروفه أفضل، وأمواله أكثر، (ليست عقد عمل بأجر أعلى).. الهجرة كانت تعني ترك الديار.. وترك الأموال.. وترك الأعمال.. وترك الذكريات.. الهجرة كانت ذهابًا للمجهول.. لحياة جديدة.. لا شك أنها ستكون شاقة.. وشاقة جدًّا.. الهجرة كانت تعني الاستعداد لحرب هائلة.. حرب شاملة.. ضد كل المشركين في جزيرة العرب.. بل ضد كل العالمين..

الحرب التي صوّرها الصحابي الجليل العباس بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه على أنها الاستعداد لحرب الأحمر والأسود من الناس.

هذه هي الهجرة.. ليست هروباً ولا فراراً، بل كانت استعداداً ليوم عظيم.. أو لأيام عظيمة..

لذلك عظّم الله جدًّا من أجر المهاجرين.. {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ}.

صدر الأمر النبوي لجميع المسلمين القادرين على الهجرة أن يهاجروا، لكن لم يبدأ هو صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلا بعد أن هاجر الجميع إلى المدينة.. فلم يكن من

همه صلى الله عليه وسلم أن ينجو بنفسه، وأن يُؤَمِّنَ حاله، وأن يحافظ على أمواله.. إنما كان كل همه صلى الله عليه وسلم أن يطمئن على حال المسلمين المهاجرين.. كان صلى الله عليه وسلم يتصرف كالربّان الذي لا يخرج من سفينته إلا بعد اطمئنانه على كل الركاب أنهم في أمان.. فالقيادة عنده ليست نوعًا من الترف أو الرفاهية.. إنما القيادة مسئولية وتضحية وأمانة.

ونستطيع أن نلاحظ بعض الملامح الهامة لهجرة المسلمين من مكة إلى المدينة:

(١) الاهتمام بقضية النية:

لماذا تهاجر؟

روى البخاري عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ".

ومع أن الهجرة للزواج ليست محرمة.. ومع أن الهجرة لإصابة الدنيا الحلال ليست محرمة.. لكن هذه هجرة ليست كالهجرة لبناء أمة إسلامية.

وهيهات أن يكون الذي ترك كل ما يملك ابتغاء مرضات الله وسعيًا لإنشاء أمة إسلامية ورغبةً في تطبيق شرع الله عز وجل في الأرض.. كالذي عاش لحياته فقط.. وإن كانت حياتُه حلالاً.

(٢) الهجرة الكاملة لكل المسلمين لم تكن إلا بعد أن أُغلقت أبواب الدعوة تمامًا في مكة.. وقد أغلقت أبواب الدعوة منذ ثلاث سنوات.. بعد موت أبي طالب والسيدة خديجة رضي الله عنها.. ومنذ ذلك التاريخ، والرسول صلى الله عليه وسلم يخطط للهجرة.. وكان من الممكن أن يكون مكان الهجرة مختلفًا عن المدينة لو آمن وفد من الوفود التي دعاها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام مثل بني شيبان أو بني حنيفة أو بني عامر، ولكن الله عز وجل أراد أن تكون الهجرة إلى المدينة المنورة.. فليس المهم هو المكان، ولكن المهم هنا ملاحظة أن الهجرة لم تكن نوعًا من الكسل عن الدعوة في مكة، أو "الزهق" من الدعوة في مكة.. أبدًا.. الدعوة في مكة من أول يوم وهي صعبة، ولكن ما ترك المسلمون بكاملهم البلد إلا بعد أن أُغلقت تمامًا أبواب الدعوة.. أما إذا كانت السبل للدعوة مفتوحة -ولو بصعوبة- فالأولى البقاء لسد الثغرة التي وضعك الله عز وجل عليها.

(٣) الهجرة كانت للجميع، وذلك على خلاف الهجرة إلى الحبشة والتي كانت لبعض الأفراد دون الآخرين.. والسبب أن طبيعة المكان وظروفه تختلف من الحبشة إلى المدينة.. فالمسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا يريدون حفظ أنفسهم في مكان آمن حتى لا يستأصل الإسلام بالكلية إذا تعرض المسلمون في مكة للإبادة.. ولم يكن الغرض هو إقامة حكومة إسلامية في الحبشة، بل كان المسلمون مجرد لاجئين إلى ملك عادل.. أما الهجرة إلى المدينة فكان الغرض منها إقامة دولة إسلامية تكون المدينة هي المركز الرئيسي لها.

ولماذا تصلح المدينة لإقامة الأمة الإسلامية ولا تصلح الحبشة؟ إن هذا ليس راجعاً إلى عامل البُعْد عن مكة واختلاف اللغة واختلاف التقاليد فقط، وإن كانت هذه عوامل

هامة، ولكن الاختلاف الرئيسي -في نظري- هو أن الاعتماد في الحبشة كان على رجل واحد هو النجاشي -ملك لا يظلم عنده أحد- فإذا مات هذا الرجل أو خلع، فإن المسلمين سيصبحون في خطر عظيم.. وقد كاد أن يحدث ذلك، ودارت حرب أهلية كاد النجاشي فيها أن يفقد ملكه، فما كان من النجاشي إلا أن يسر سبيل الهروب للمسلمين المهاجرين عنده.. فهو لا يملك لهم إلا هذا.. هذا كان الوضع في الحبشة..
أما في المدينة المنورة فالهجرة لم تكن تعتمد على رجل معين.. بل تعتمد على شعب المدينة.. والجو العام في المدينة أصبح محبًّا للإسلام.. أو على الأقل أصبح قابلاً للفكرة الإسلامية، ومن ثم كانت الهجرة إلى هناك هجرة جماعية كاملة..
(٤) الهجرة لم تكن عشوائية، بل كانت بأمر القيادة إلى مكان معين.. وهذا الذي أدى إلى نجاح الهجرة، وقيام الأمة.. أما أن يهاجر فلان إلى مكان كذا، ويهاجر آخر إلى مكان كذا.. ويتفرق المسلمون.. فهذا وإن كان يكتب نجاة مؤقتة للأفراد، إلا أنه لا يقيم أمة.. وعلى المسلمين الفارين بدينهم من ظلم ما أن يفقهوا هذا الأمر جيدًا..
الهجرة النبوية إلى المدينة كانت هجرة منظمة مرتبة.. أُعد لها بصبر وبحكمة وبسياسة وفقه.. فالعشوائية ليست من أساليب التغيير في الإسلام.
(٥) بهذه الهجرة الناجحة تمت مرحلة هامة -بل هامة جدًّا- من مراحل السيرة النبوية.. وهي المرحلة المكية..
لقد تمت هذه المرحلة بكل أحداثها وآلامها ومشاكلها..
وهي مرحلة ذات طابع خاص جدًّا..
بدأ الإسلام فيها غريباً.. واستمر غريباً إلى قرب نهايتها.. إلى أن آمن الأنصار.. رضي الله عنهم ورضي الله عن المهاجرين.. وعن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين..
كان الاهتمام الرئيسي لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة أن يبني الجانب العقائدي عند الصحابة.. فلا يؤمنون بإله غير الله.. ولا يتوجهون بعبادة لأحد سواه.. ولا يطيعون أحداً يخالف أمره.. وهم يتوكلون عليه.. وينيبون إليه.. ويخافون عذابه.. ويرجون رحمته..
إيمان عميق برب العالمين.. وإيمان برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وبإخوانه من الأنبياء و المرسلين..
واعتقاد جازم بأن هناك يوماً سيبعث فيه الخلائق أجمعون.. سيقوم فيه الناس لرب العالمين يحاسبون على ما يعملون.. لن يُظلم في ذلك اليوم أحد.. لن تُغفل الذرة والقطمير.. إنها والله إما الجنة أبداً أو النار أبداً..
وإلى جانب العقيدة الراسخة فقد تعلم المؤمنون في هذه المرحلة الأخلاق الحميدة، والخصال الرفيعة.. هذبت نفوسهم.. وسمت بأرواحهم.. وارتفعوا عن قيم الأرض وأخلاق الأرض وطبائع الأرض.. إلى قيم السماء وأخلاق السماء وطبائع السماء..
لقد نزل الميزان الحق الذي يستطيع الناس به أن يقيموا أعمالهم بصورة صحيحة..
وعرف المؤمنون في هذه المرحلة أن الطريق الطبيعي للجنة طريق شاق صعب.. مليء بالابتلاءات والاختبارات.. ما تنتهي من امتحان إلا وهناك امتحان آخر.. تعب

كلها الحياة.. والله يراقب العباد في صبرهم ومصابرتهم وجهادهم.. ولن يُستثنى أحد من الاختبار.. ويُبتلى المرء على حسب دينه.
لقد كانت الفترة المكية يا إخواني بمثابة الأساس المتين للصرح الإسلامي الهائل.
ومن المستحيل أن يجتاز المسلمون خطوات كبَدْر وكالأحزاب وكخَيْبر وكتَبوك، دون المرور على فترة مكة..
ومن المستحيل أن تبنى أمة صالحة.. أو تنشأ دولةٌ قوية.. أو تخوض جهاداً ناجحاً.. أو تثبت في قتال ضار.. إلا بعد أن تعيش في فترة مكة بكل أبعادها..
وعلى الدعاة المخلصين أن يدرسوا هذه المرحلة بعمق.. وعليهم أن يقفوا أمام كل حدث ـ وإن قصر وقته أو صغر حجمه، وقوفاً طويلاً طويلاً..
فهنا البداية التي لا بد منها..
وبغير مكة لن تكون هناك المدينة..
وبغير المهاجرين لن يكون هناك أنصار..
وبغير الإيمان والأخلاق والصبر على البلاء لن تكون هناك أمة ودولة وسيادة وتمكين..
(٦) الهجرة – وإن كانت حدثاً تاريخياً مر منذ مئات السنين، ولا يستطيع أحد بعد جيل المهاجرين أن يحققه، وذلك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ" – إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم فتح باب العمل للمسلمين الذين يأتون بعد ذلك، فقال في نفس الحديث: "وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"، فالجهاد والبذل والحركة والعمل في سبيل الله لن يتوقف أبداً في الدنيا، والسعيد حقاً هو من انشغل بعمله عن قوله، وبنفسه عن غيره، وبآخرته عن دنياه.
(٧) أول مراحل الهجرة هي ترك المعاصي، والبُعْد عن مواطن الشبهات، ولن ينصر الدين رجل غرق في شهواته، والمعروف أن ترك المعاصي مقدم على فعل فضائل الأعمال، والإنسان قد يُعذر في ترك قيام أو صيام نفل أو صدقة تطوع، لكنه لا يُعذر في فعل معصية، وذلك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"؛ ولذلك عرف الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجر الحقيقي بتعريف عميق من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فقال فيما رواه أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: "إِنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ".
....
* داعية مصري، وأستاذ مساعد جراحة المسالك البولية بكلية طب القصر العيني بالقاهرة.

٩. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في مَبْدَإِ الدَّعْوَةِ

هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في مَبْدَإِ الدَّعْوَةِ:
١ـ كان صلى الله عليه وسلم يجاهد في الله حق جهاده، وشرع في الجهاد من حين بعثه الله إلى أن توفاه.

٢ـ وكان يدعو إلى الله ليلاً ونهارًا وسرًا وجهارًا، وأقام بمكة ثلاث سنين من أول نبوته يدعو إلى الله مستخفيًا، ولما أنزل عليه {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} صدع بأمر الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، فدعا إلى الله الكبيرَ والصغيرَ والحرَّ والعبدَ، والذَّكرَ والأنثى، والجن والإنس.

٣ـ ولما اشتد على أصحابه العذاب بمكة أذِنَ لهم بالهجرة إلى الحبشة.

٤ـ وخرج إلى الطائف رجاء أن ينصروه، ودعاهم إلى الله، فلم ير مؤيدًا ولا ناصرًا، وآذوه أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه، وأخرجوه إلى مكة، فدخلها في جوار مطعم بن عدي.

٥ـ وظل يدعو عشر سنين جهرًا، يوافي الموسم كل عام، يتبع الحجاج في منازلهم، وفي المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلةٍ قبيلة.

٦ـ ثم لقي عند العقبة ستة نفر كلهم من الخزرج، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا ثم رجعوا إلى المدينة، فدعوا الناس إلى الإسلام ففشا فيها حتى لم يبق دار إلا وقد دخلها الإسلام.

٧ـ ولما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلاً، فواعدهم بيعة العقبة، فبايعوه على السمع والطاعة والنفقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقولوا في الله لا تأخذهم فيه لومة لائم، وأن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة، ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث معهم ابن أم مكتوم، ومصعب بن عمير يعلمان القرآن، ويدعوان إلى الله، فأسلم على يديهما بَشَرٌ كثير، منهم أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٨٤)

فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ الدّعْوَةِ

وَلَهَا مَرَاتِبُ الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى : النّبُوّةُ .

الثّانِيَةُ إنْذَارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ .

الثّالِثَةُ إنْذَارُ قَوْمِهِ .

الرّابِعَةُ إنْذَارُ قَوْمٍ مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمْ الْعَرَبُ قَاطِبَةً .

الْخَامِسَةُ إنْذَارُ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ مِنْ الْجِنّ وَالْإِنْسِ إلَى آخِرِ الدّهْرِ .

فَصْلٌ [الْجَهْرُ بِالدّعْوَةِ]

وَأَقَامَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ يَدْعُو إلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ مُسْتَخْفِيًا ثُمّ نَزَلَ عَلَيْهِ { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الْحَجَر : ٩٤] . فَأَعْلَنَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالدّعْوَةِ وَجَاهَرَ قَوْمَهُ بِالْعَدَاوَةِ وَاشْتَدّ الْأَذَى عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتّى أَذِنَ اللّهُ لَهُمْ بِالْهِجْرَتَيْنِ .

فَصْلٌ [أَكْمَلُ الْخَلْقِ مَنْ كَمّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَأَكْمَلُهُمْ مُحَمّدٌ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللّهِ مَنْ كَمّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ كُلّهَا وَالْخَلْقُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللّهِ تَفَاوُتُهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْجِهَادِ وَلِهَذَا كَانَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللّهِ خَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فَإِنّهُ كَمّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَجَاهَدَ فِي اللّهِ حَقّ جِهَادِهِ وَشَرَعَ فِي الْجِهَادِ مِنْ حِينَ بُعِثَ إلَى أَنْ تَوَفّاهُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ فَإِنّهُ لَمّا نَزَلَ عَلَيْهِ { يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبّكَ

فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } [الْمُدَّثِّرُ ا - ٤] شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الدَّعْوَةِ وَقَامَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَتَمّ قِيَامٍ وَدَعَا إلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَجِهَارًا وَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ } [الْحِجْرُ : ٩٤] فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ فَدَعَا إلَى اللَّهِ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالْحُرَّ وَالْعَبْدَ وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى وَالْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ . وَلَمَّا صَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَصَرَّحَ لِقَوْمِهِ بِالدَّعْوَةِ وَنَادَاهُمْ بِسَبِّ آلِهَتِهِمْ وَعَيَّبَ دِينَهُمْ [ص ١٢] وَنَالُوهُ وَنَالُوهُمْ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { مَا يُقَالُ لَكَ إلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } [فُصِّلَتْ ٤٣] وَقَالَ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ } [الْأَنْعَامُ ١١٢] وَقَالَ { كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ } [الذَّارِيَاتُ ٥٢- ٥٣] فَعَزَّى سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ وَأَنَّ لَهُ أُسْوَةً بِمَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ وَعَزَّى أَتْبَاعَهُ بِقَوْلِهِ { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [الْبَقَرَةُ ٢١٤] وَقَوْلُهُ { الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } [الْعَنْكَبُوتُ ١ - ١١] [ص ١٣]

[ذِكْرُ الِابْتِلَاءِ فِي أَوَّلِ الدَّعْوَةِ]

فَلْيَتَأَمَّلْ الْعَبْدُ سِيَاقَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْعِبَرِ وَكُنُوزِ الْحِكَمِ فَإِنَّ النَّاسَ إذَا أُرْسِلَ إلَيْهِمْ الرُّسُلُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ آمَنَّا وَإِمَّا أَلَا يَقُولَ ذَلِكَ بَلْ يَسْتَمِرَّ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَالْكُفْرِ فَمَنْ قَالَ آمَنَّا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ وَابْتَلَاهُ وَفَتَنَهُ وَالْفِتْنَةُ الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنْ الْكَاذِبِ وَمَنْ لَمْ يَقُلْ آمَنَّا فَلَا يَحْسِبُ أَنَّهُ يُعْجِزُ اللَّهَ وَيَفُوتُهُ وَيَسْبِقُهُ فَإِنَّهُ إنَّمَا يَطْوِي الْمَرَاحِلَ فِي يَدَيْهِ . وَكَيْفَ يَفِرّ الْمَرْءُ عَنْهُ بِذَنْبِهِ إذَا كَانَ تُطْوَى فِي يَدَيْهِ الْمَرَاحِلُ

فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَأَطَاعَهُمْ عَادَاهُ أَعْدَاؤُهُمْ وَآذَوْهُ فَابْتُلِيَ بِمَا يُؤْلِمُهُ وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ وَلَمْ يُطِعْهُمْ عُوقِبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَحَصَلَ لَهُ مَا يُؤْلِمُهُ وَكَانَ هَذَا الْمُؤْلِمُ لَهُ أَعْظَمَ أَلَمًا وَأَدْوَمَ مِنْ أَلَمِ اتِّبَاعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الْأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ آمَنَتْ أَوْ رَغِبَتْ عَنْ الْإِيمَانِ لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَحْصُلُ لَهُ الْأَلَمُ فِي الدُّنْيَا ابْتِدَاءً ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْمُعْرِضُ عَنْ الْإِيمَانِ تَحْصُلُ لَهُ اللَّذَّةُ ابْتِدَاءً ثُمَّ يَصِيرُ إلَى الْأَلَمِ الدَّائِمِ . وَسُئِلَ الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى ؟ فَقَالَ لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى وَاَللَّهُ تَعَالَى ابْتَلَى أُولِي الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ فَلَا يَظُنّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنْ الْأَلَمِ الْبَتَّةَ وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتُ أَهْلُ الْآلَامِ فِي الْعُقُولِ فَأَعْقَلُهُمْ مَنْ بَاعَ أَلَمًا مُسْتَمِرًّا عَظِيمًا

بِأَلَمٍ مُنْقَطِعٍ يَسِيرٍ وَأَشْقَاهُمْ مَنْ بَاعَ الْأَلَمَ الْمُنْقَطِعَ الْيَسِيرَ بِالْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَخْتَارُ الْعَاقِلُ هَذَا ؟ قِيلَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا النَّقْدُ وَالنَّسِيئَةُ . و َالنَّفْسُ مُوَكَّلَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ .

[مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا]

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } [الْقِيَامَةُ ٢٠] { إنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا } [الدَّهْرُ ٢٧] وَهَذَا يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَعِيشَ مَعَ النَّاسِ وَالنَّاسُ لَهُمْ إرَادَاتٌ وَتَصَوُّرَاتٌ فَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهَا فَإِنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ آذَوْهُ وَعَذَّبُوهُ وَإِنْ [ص ١٤] حَصَلَ لَهُ الْأَذَى وَالْعَذَابُ تَارَةً مِنْهُمْ وَتَارَةً مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَنْ عِنْدَهُ دِينٌ وَتُقًى حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ فُجَّارٍ ظَلَمَةٍ وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ فُجُورِهِمْ وَظُلْمِهِمْ إلَّا بِمُوَافَقَتِهِ لَهُمْ أَوْ سُكُوتِهِ عَنْهُمْ فَإِنْ وَافَقَهُمْ أَوْ سَكَتَ عَنْهُمْ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ فِي الِابْتِدَاءِ ثُمَّ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِ بِالْإِهَانَةِ وَالْأَذَى أَضْعَافَ مَا كَانَ يَخَافُهُ ابْتِدَاءً لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفَهُمْ وَإِنْ سَلِمَ مِنْهُمْ فَلَا بُدَّ أَنْ يُهَانَ وَيُعَاقَبَ عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي الْأَخْذِ بِمَا قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لِمُعَاوِيَةَ : مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ رَأَى هَذَا كَثِيرًا فِيمَنْ يُعِينُ الرُّؤَسَاءَ عَلَى أَغْرَاضِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَفِيمَنْ يُعِينُ أَهْلَ الْبِدَعِ عَلَى بِدَعِهِمْ هَرَبًا مِنْ عُقُوبَتِهِمْ فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ وَوَقَاهُ شَرَّ نَفْسِهِ امْتَنَعَ مِنْ الْمُوَافَقَةِ عَلَى فِعْلِ الْمُحَرَّمِ وَصَبَرَ عَلَى عِدْوَانِهِمْ ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ كَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ اُبْتُلِيَ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَصَالِحِي الْوُلَاةِ وَالتُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ .

[تَعْزِيَةُ اللَّهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَصِيرَةٌ]

وَلَمَّا كَانَ الْأَلَمُ لَا مَحِيصَ مِنْهُ الْبَتَّةَ عَزَّى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - مَنْ اخْتَارَ الْأَلَمَ الْيَسِيرَ الْمُنْقَطِعَ عَلَى الْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ بِقَوْلِهِ { مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الْعَنْكَبُوتُ ٥] فَضَرَبَ لِمُدَّةِ هَذَا الْأَلَمِ أَجَلًا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَهُوَ يَوْمُ لِقَائِهِ فَيَلْتَذُّ الْعَبْدُ أَعْظَمَ اللَّذَّةِ بِمَا تَحَمَّلَ [ص ١٥] أَجْلِهِ وَفِي مَرْضَاتِهِ وَتَكُونُ لَذَّتُهُ وَسُرُورُهُ وَابْتِهَاجُهُ بِقَدْرِ مَا تَحَمَّلَ مِنْ الْأَلَمِ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ وَأَكَّدَ هَذَا الْعَزَاءَ وَالتَّسْلِيَةَ بِرَجَاءِ لِقَائِهِ لِيَحْمِلَ الْعَبْدُ اشْتِيَاقُهُ إلَى لِقَاءِ رَبِّهِ وَوَلِيِّهِ عَلَى تَحَمُّلِ مَشَقَّةِ الْأَلَمِ الْعَاجِلِ بَلْ رُبَّمَا غَيَّبَهُ الشَّوْقُ إلَى لِقَائِهِ عَنْ شُهُودِ الْأَلَمِ وَالْإِحْسَاسِ بِهِ وَلِهَذَا سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ الشَّوْقَ إلَى لِقَائِهِ فَقَالَ فِي الدُّعَاءِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي إذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُك كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُك لَذَّةَ النَّظَرِ إلَى وَجْهِك وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ فَالشَّوْقُ يَحْمِلُ الْمُشْتَاقَ عَلَى الْجِدِّ فِي السَّيْرِ إلَى مَحْبُوبِهِ وَيُقَرِّبُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ وَيَطْوِي لَهُ الْبَعِيدَ وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْآلَامَ وَالْمَشَاقَّ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ وَلَكِنْ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ هُمَا السَّبَبُ الَّذِي تُنَالُ بِهِ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمِيعٌ لِتِلْكَ الْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ

يَصْلُحُ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَيَشْكُرُهَا وَيَعْرِفُ قَدْرَهَا وَيُحِبّ الْمُنْعِمَ عَلَيْهِ [ص ١٦] قَالَ تَعَالَى : { وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ } [الْأَنْعَامُ ٥٣] فَإِذَا فَاتَتْ الْعَبْدَ نَعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ رَبّهِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى نَفْسِهِ { أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ }

[مَنْ جَاهَدَ فَإِنّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ]

ثُمّ عَزّاهُمْ تَعَالَى بِعَزَاءٍ آخَرَ وَهُوَ أَنّ جِهَادَهُمْ فِيهِ إنّمَا هُوَ لِأَنْفُسِهِمْ وَثَمَرَتُهُ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَأَنّهُ غَنِيّ عَنْ الْعَالَمِينَ وَمَصْلَحَةُ هَذَا الْجِهَادِ تَرْجِعُ إلَيْهِمْ لَا إلَيْهِ سُبْحَانَهُ ثُمّ أَخْبَرَ أَنّهُ يُدْخِلُهُمْ بِجِهَادِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ فِي زُمْرَةِ الصّالِحِينَ .

[مَعْنَى فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذَابِ اللّهِ]

ثُمّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِ الدّاخِلِ فِي الْإِيمَانِ بِلَا بَصِيرَةٍ وَأَنّهُ إذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ لَهُ كَعَذَابِ اللّهِ وَهِيَ أَذَاهُمْ لَهُ وَنَيْلُهُمْ إيّاهُ بِالْمَكْرُوهِ وَالْأَلَمِ الّذِي لَا بُدّ أَنْ يَنَالَهُ الرّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِمّنْ خَالَفَهُمْ جَعَلَ ذَلِكَ فِي فِرَارِهِ مِنْهُمْ وَتَرْكِهِ السّبَبَ الّذِي نَالَهُ كَعَذَابِ اللّهِ الّذِي فَرّ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ فَالْمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيرَتِهِمْ فَرّوا مِنْ أَلَمِ عَذَابِ اللّهِ إلَى الْإِيمَانِ وَتَحَمّلُوا مَا فِيهِ مِنْ الْأَلَمِ الزّائِلِ الْمُفَارِقِ عَنْ قَرِيبٍ وَهَذَا لِضَعْفِ بَصِيرَتِهِ فَرّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرّسُلِ إلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ فَفَرّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إلَى أَلَمِ عَذَابِ اللّهِ فَجَعَلَ أَلَمَ فِتْنَةِ النّاسِ فِي الْفِرَارِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ أَلَمِ عَذَابِ اللّهِ وَغُبِنَ كُلّ الْغَبْنِ إذْ اسْتَجَارَ مِنْ الرّمْضَاءِ بِالنّارِ وَفَرّ مِنْ أَلَمِ سَاعَةٍ إلَى أَلَمِ الْأَبَدِ وَإِذَا نَصَرَ اللّهُ جُنْدَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ قَالَ إنّي كُنْتُ مَعَكُمْ وَاَللّهُ عَلِيمٌ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنْ النّفَاقِ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنّهُ لَا بُدّ أَنْ يَمْتَحِنَ النّفُوسَ وَيَبْتَلِيَهَا فَيُظْهِرُ بِالِامْتِحَانِ طَيّبَهَا مِنْ خَبِيثِهَا وَمَنْ يَصْلُحُ لِمُوَالَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَمَنْ لَا يَصْلُحُ وَلِيُمَحّصَ النّفُوسَ الّتِي تَصْلُحُ لَهُ وَيُخَلّصَهَا بِكِيرِ الِامْتِحَانِ كَالذّهَبِ الّذِي لَا يَخْلُصُ وَلَا يَصْفُو مِنْ غِشّهِ إلّا بِالِامْتِحَانِ إذْ النّفْسُ فِي الْأَصْلِ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ وَقَدْ حَصَلَ لَهَا بِالْجَهْلِ وَالظّلْمِ مِنْ الْخُبْثِ مَا يَحْتَاجُ خُرُوجُهُ إلَى السّبْكِ وَالتّصْفِيَةِ فَإِنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الدّارِ وَإِلّا فَفِي كِيرِ جَهَنّمَ فَإِذَا هُذّبَ الْعَبْدُ وَنُقّيَ أُذِنَ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنّةِ . [ص ١٧]

١٠. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْهَدَايَا وَالضّحَايَا وَالْعَقِيقَةِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٢٨٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْهَدَايَا وَالضّحَايَا وَالْعَقِيقَةِ

وَهِيَ مُخْتَصّةٌ بِالْأَزْوَاجِ الثّمَانِيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا عَنْ الصّحَابَةِ هَدْيٌ وَلَا أُضْحِيّةٌ وَلَا عَقِيقَةٌ مِنْ غَيْرِهَا ، وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ الْقُرْآنِ مِنْ مَجْمُوعِ أَرْبَعِ آيَاتٍ . إحْدَاهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى : { أُحِلّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ } [الْمَائِدَةُ ١] . وَالثّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ فِي أَيّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } [الْحَجّ : ٢٨] . وَالثّالِثَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلَا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } [ص ٢٨٦] ذَكَرَهَا . الرّابِعَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ } [الْمَائِدَةُ ٩٥] . فَدَلّ عَلَى أَنّ الّذِي يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ مِنْ الْهَدْيِ هُوَ هَذِهِ الْأَزْوَاجُ الثّمَانِيَةُ وَهَذَا اسْتِنْبَاطُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ . وَالذّبَائِحُ الّتِي هِيَ قُرْبَةٌ إلَى اللّهِ وَعِبَادَةٌ هِيَ ثَلَاثَةٌ الْهَدْيُ وَالْأُضْحِيّةُ وَالْعَقِيقَةُ . فَأَهْدَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْغَنَمَ

وَأَهْدَى الْإِبِلَ وَأَهْدَى عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرَ وَأَهْدَى فِي مَقَامِهِ وَفِي عُمْرَتِهِ وَفِي حَجّتِهِ وَكَانَتْ سُنّتُهُ تَقْلِيدَ الْغَنَمِ دُونَ إشْعَارِهَا . وَكَانَ إذَا بَعَثَ بِهَدْيِهِ وَهُوَ مُقِيمٌ لَمْ يَحْرُمْ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ مِنْهُ حَلَالًا . وَكَانَ إذَا أَهْدَى الْإِبِلَ قَلّدَهَا وَأَشْعَرَهَا ، فَيَشُقّ صَفْحَةَ سَنَامِهَا الْأَيْمَنِ يَسِيرًا حَتّى يَسِيلَ الدّمُ . قَالَ الشّافِعِيّ : وَالْإِشْعَارُ فِي الصّفْحَةِ الْيُمْنَى ، كَذَلِكَ أَشْعَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَكَانَ إذَا بَعَثَ بِهَدْيِهِ أَمَرَ رَسُولَهُ إذَا أَشْرَفَ عَلَى عَطَبٍ شَيْءٌ مِنْهُ أَنْ يَنْحَرَهُ ثُمّ يَصْبُغَ نَعْلَهُ فِي دَمِهِ ثُمّ يَجْعَلَهُ عَلَى صَفْحَتِهِ وَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ رُفْقَتِهِ ثُمّ يَقْسِمُ لَحْمَهُ وَمَنَعَهُ مِنْ هَذَا الْأَكْلِ سَدّا لِلذّرِيعَةِ فَإِنّهُ لَعَلّهُ رُبّمَا [ص ٢٨٧] وَشَرّكَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي الْهَدْيِ كَمَا تَقَدّمَ الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ وَالْبَقَرَةُ كَذَلِكَ . وَأَبَاحَ لِسَائِقِ الْهَدْيِ رُكُوبَهُ بِالْمَعْرُوفِ إذَا احْتَاجَ إلَيْهِ حَتّى يَجِدَ ظَهْرًا غَيْرَهُ وَقَالَ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا مَا فَضَلَ عَنْ وَلَدِهَا وَكَانَ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَحْرَ الْإِبِلِ قِيَامًا ، مُقَيّدَةً مَعْقُولَةَ الْيُسْرَى ، عَلَى ثَلَاثٍ وَكَانَ يُسَمّي اللّهَ عِنْدَ نَحْرِهِ وَيُكَبّرُ وَكَانَ يَذْبَحُ نُسُكَهُ بِيَدِهِ وَرُبّمَا وَكّلَ فِي بَعْضِهِ كَمَا أَمَرَ عَلِيّا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنْ يَذْبَحَ مَا بَقِيَ مِنْ الْمِائَةِ . وَكَانَ إذَا ذَبَحَ الْغَنَمَ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهَا ثُمّ سَمّى ، وَكَبّرَ وَذَبَحَ وَقَدْ تَقَدّمَ أَنّهُ نَحَرَ بِمِنًى وَقَالَ إنّ فِجَاجَ مَكّةَ كُلّهَا مَنْحَرٌ وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ : مَنَاحِرُ الْبُدْنِ بِمَكّةَ ، وَلَكِنّهَا نُزّهَتْ عَنْ الدّمَاءِ وَمِنًى مِنْ مَكّةَ ، وَكَانَ ابْنُ عَبّاسٍ يَنْحَرُ بِمَكّةَ . وَأَبَاحَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأُمّتِهِ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ هَدَايَاهُمْ وَضَحَايَاهُمْ وَيَتَزَوّدُوا مِنْهَا ، [ص ٢٨٨] وَنَهَاهُمْ مَرّةً أَنْ يَدّخِرُوا مِنْهَا بَعْدَ ثَلَاثٍ لِدَافّةٍ دَفّتْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْعَامَ مِنْ النّاسِ فَأَحِبّ أَنْ يُوَسّعُوا عَلَيْهِم وَذَكَرَ أَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ ضَحّى رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ قَالَ يَا ثَوْبَانُ أَصْلِحْ لَنَا لَحْمَ هَذِهِ الشّاةِ قَالَ فَمَا زِلْتُ أُطْعِمُهُ مِنْهَا حَتّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ . وَرَوَى مُسْلِمٌ هَذِهِ الْقِصّةَ وَلَفْظُهُ فِيهَا : إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ أَصْلِحْ هَذَا اللّحْمَ " قَالَ فَأَصْلَحْتُهُ فَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ وَكَانَ رُبّمَا قَسَمَ لُحُومَ الْهَدْيِ وَرُبّمَا قَالَ مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ فَعَلَ هَذَا ، [ص ٢٨٩] وَنَحْوِهِ وَفُرّقَ بَيْنَهُمَا بِمَا لَا يَتَبَيّنُ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٢٨٩)

فَصْلٌ [هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ذَبْحِ هَدْيِ الْعُمْرَةِ وَالْقِرَانِ]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَبْحُ هَدْيِ الْعُمْرَةِ عِنْدَ الْمَرْوَةِ ، وَهَدْيِ الْقِرَانِ بِمِنًى ، وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُ وَلَمْ يَنْحَرْ هَدْيَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَطّ إلّا بَعْدَ أَنْ حَلّ وَلَمْ يَنْحَرْهُ قَبْلَ يَوْمِ النّحْرِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الصّحَابَةِ الْبَتّةَ وَلَمْ يَنْحَرْهُ أَيْضًا إلّا بَعْدَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَبَعْدَ الرّمْيِ فَهِيَ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ مُرَتّبَةٍ يَوْمَ النّحْرِ أَوّلُهَا : الرّمْيُ ثُمّ النّحْرُ ثُمّ الْحَلْقُ ثُمّ الطّوَافُ وَهَكَذَا رَتّبَهَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ يُرَخّصْ فِي النّحْرِ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ الْبَتّةَ وَلَا رَيبَ أَنّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِهَدْيِهِ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْأُضْحِيّةِ إذَا ذُبِحَتْ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ .

....

١ـ أهدى الغنم، وأهدى الإبل، وأهدى عن نسائه البقر وأهدى في مقامه، وفي حجته، وفي عمرته.

٢ـ وكانت سنته تقليد الغنم دون إشعارها، وإذا بعث بهديه وهو مقيم لم يَحْرُمْ عليه منه شيء كان منه حلالاً.

٣ـ وكان إذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها، فيشق صفحة سنامها الأيمن يسيرًا، حتى يسيل الدم.
٤ـ وإذا بعث بهدي أمر رسوله إذا أشرف على عطبٍ شيٌ منه أن ينحره، ثم يصبغ نعله في دمه، ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه ولا أحد من رفقته، ثم يقسم لحمه.
٥ـ وكان يشرك بين أصحابه في الهدي: البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.
٦ـ وأباح لسائق الهدي ركوبه بالمعروف إذا احتاج حتى يجد غيره.
٩ـ وكان هديه نحر الإبل قيامًا، معقولة يدها اليسرى، وكان يسمي الله عند نحره، ويكبر.
١٠ـ وكان يذبح نسكه بيده، وربما وكَّل في بعضه.
١١ـ وكان إذا ذبح الغنم وضع قدمه على صفاحها، ثم سمى وكبر ونحر.
١٢ـ وأباح لأمته أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتزودوا منها.
١٣ـ وكان ربما قسم لحوم الهدي، وربما قال: ((من شاء اقتطع)).
١٤ـ وكان من هديه ذبح هدي العمرة عند المروة، وهدي القران بمنى.
١٥ـ ولم ينحر هديه فقط إلا بعد أن حلَّ، ولم ينحره ـ أيضًا ـ إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمي، ولم يرخص في النحر قبل طلوع الشمس البتة.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الْأَضَاحِي:
١ـ لم يكن يدع الأضحية وكان يضحي بكبشين، وكان ينحرهما بعد صلاة العيد. وقال: ((كل أيام التشريق ذبح)) [الصحيحة].
٢ـ وأخبر أن من ((ذبح قبل الصلاة فليس من النسك في شيء، وإنما هو لحم قدمه لأهله)) [ق].
٣ـ وأمرهم أن يذبحوا الجذع من الضأن ـ وهو ما أتم ستة أشهر ـ والثني مما سواه ـ والثني من الإبل: ما استكمل خمس سنين، ومن البقر والمعز: ما دخل في السنة الثالثة.
٤ـ وكان من هديه اختيار الأضحية واستحسانها وسلامتها من العيوب، ونهى أن يُضحَّي بمقطوعة الأذن ومكسورة القرن، والعوراء، والعرجاء والكسيرة والعجفاء. وأمر أن تستشرق العين والأذن ـ أي: ينظر إلى سلامتها ـ.
٥ـ وأمر من أراد التضحية ألا يأخذ من شعره وبشره شيئًا إذا دخل العشر.
٦ـ وكان من هديه أن يضحي بالمصلى.
٧ـ وكان من هديه أن الشاة تجزئ عن الرجل وعن أهل بيته ولو كثر عددهم.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الْعَقِيقَة:
١ـ صح عنه: ((عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة)) [صحيح الترمذي].
٢ـ وقال: ((كل غلام رهن بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويُحلق رأسه ويُسمى)) [صحيح أبي داود].

١١. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الْحجِّ وَالْعُمْرَةِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٨٦)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّهِ وَعُمَرِهِ
[الْعُمُرَاتُ الّتِي اعْتَمَرَهَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنّهَا كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ]

اعْتَمَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلّهُنّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ . الْأُولَى : عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ ، وَهِيَ أُولَاهُنّ سَنَةَ سِتّ فَصَدّهُ الْمُشْرِكُونَ عَنْ الْبَيْتِ فَنَحَرَ الْبُدْنَ حَيْثُ صُدّ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَحَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ وَحَلّوا مِنْ إحْرَامِهِمْ وَرَجَعَ مِنْ عَامِهِ إلَى الْمَدِينَةِ . الثّانِيَةُ عُمْرَةُ الْقَضِيّةِ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ دَخَلَ مَكّةَ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا ، ثُمّ خَرَجَ بَعْدَ إكْمَالِ عُمْرَتِهِ وَاخْتُلِفَ هَلْ كَانَتْ قَضَاءً لِلْعُمْرَةِ الّتِي صُدّ عَنْهَا فِي الْعَامِ الْمَاضِي ، أَمْ عُمْرَةً مُسْتَأْنَفَةً ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ وَهُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إحْدَاهُمَا : أَنّهَا قَضَاءٌ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ . وَالثّانِيَةُ لَيْسَتْ بِقَضَاءٍ وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللّهُ وَاَلّذِينَ قَالُوا : كَانَتْ قَضَاءً احْتَجّوا بِأَنّهَا سُمّيَتْ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ وَهَذَا الِاسْمُ تَابِعٌ لِلْحُكْمِ . وَقَالَ آخَرُونَ الْقَضَاءُ هُنَا مِنْ الْمُقَاضَاةِ لِأَنّهُ قَاضَى أَهْلَ مَكّةَ عَلَيْهَا ، لَا أَنّهُ مِنْ قَضَى قَضَاءً . قَالُوا : وَلِهَذَا سُمّيَتْ عُمْرَةَ الْقَضِيّةِ . قَالُوا : وَاَلّذِينَ صُدّوا عَنْ الْبَيْتِ ، كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ ، وَهَؤُلَاءِ كُلّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَعَهُ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيّةِ ، وَلَوْ كَانَتْ قَضَاءً لَمْ يَتَخَلّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَصَحّ ؛ لِأَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَأْمُرْ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِالْقَضَاءِ . - ٨٧ - الثّالِثَةُ عُمْرَتُهُ الّتِي قَرَنَهَا مَعَ حَجّتِهِ فَإِنّهُ كَانَ قَارِنًا لِبِضْعَةَ عَشَرَ دَلِيلًا ، سَنَذْكُرُهَا عَنْ قَرِيبٍ إنْ شَاءَ اللّهُ . الرّابِعَةُ عُمْرَتُهُ مِنْ الْجِعْرَانَةِ ، لَمّا خَرَجَ إلَى حُنَيْنٍ ، ثُمّ رَجَعَ إلَى مَكّةَ ، فَاعْتَمَرَ مِنْ الْجِعْرَانَةِ دَاخِلًا إلَيْهَا . فَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلّهُنّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إلّا الّتِي كَانَتْ مَعَ حَجّتِهِ عُمْرَةٌ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ أَوْ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةٌ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةٌ مِنْ الْجِعْرَانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةٌ مَعَ حَجّتِهِ وَلَمْ يُنَاقِضْ هَذَا مَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ قَبْلَ أَنْ يَحُجّ مَرّتَيْنِ لِأَنّهُ أَرَادَ الْعُمْرَةَ الْمُفْرَدَةَ الْمُسْتَقِلّةَ وَلَا رَيْبَ أَنّهُمَا اثْنَتَانِ فَإِنّ عُمْرَةَ الْقِرَانِ لَمْ تَكُنْ مُسْتَقِلّةً وَعُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ صُدّ عَنْهَا ، وَحِيلَ بَيْنَهُ [ص ٨٨] قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ : اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ . عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ وَعُمْرَةُ الْقَضَاءِ مِنْ قَابِلٍ وَالثّالِثَةُ مِنْ الْجِعْرَانَةِ ، وَالرّابِعَةُ مَعَ حَجّتِهِ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ حَدِيثِ أَنَسٍ : أَنّهُنّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إلّا الّتِي مَعَ حَجّتِهِ وَبَيْنَ قَوْلِ عَائِشَةَ ، وَابْنِ عَبّاسٍ : لَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا فِي ذِي الْقَعْدَةِ لِأَنّ مَبْدَأَ عُمْرَةِ الْقِرَانِ كَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَنِهَايَتُهَا كَانَ فِي ذِي الْحِجّةِ مَعَ انْقِضَاءِ الْحَجّ فَعَائِشَةُ وَابْنُ عَبّاسٍ أَخْبَرَا عَنْ ابْتِدَائِهَا ، وَأَنَسٌ أَخْبَرَ عَنْ انْقِضَائِهَا . فَأَمّا قَوْلُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ : إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعًا ، إحْدَاهُنّ فِي رَجَبٍ ، فَوَهْمٌ مِنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ . قَالَتْ عَائِشَةُ لَمّا بَلَغَهَا ذَلِكَ عَنْهُ يَرْحَمُ اللّهُ أَبَا عَبْدِ الرّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُمْرَةً قَطّ إلّا وَهُوَ شَاهِدٌ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطّ . وَأَمّا مَا رَوَاهُ الدّارَقُطْنِيّ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عُمْرَةٍ فِي رَمَضَانَ فَأَفْطَرَ وَصُمْتُ وَقَصَرَ وَأَتْمَمْتُ فَقُلْتُ بِأَبِي وَأُمّي ، أَفْطَرْت وَصُمْت ، وَقَصَرْت وَأَتْمَمْت ، فَقَالَ : أَحْسَنْتِ يَا عَائِشَةُ فَهَذَا الْحَدِيثُ غَلَطٌ [ص ٨٩] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَعْتَمِرْ فِي رَمَضَانَ قَطّ ، وَعُمَرُهُ مَضْبُوطَةُ الْعَدَدِ وَالزّمَانِ وَنَحْنُ نَقُولُ يَرْحَمُ اللّهُ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رَمَضَانَ قَطّ ، وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : لَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ

عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا فِي ذِي الْقَعْدَةِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ . وَلَا خِلَافَ أَنّ عُمَرَهُ لَمْ تَزِدْ عَلَى أَرْبَعٍ فَلَوْ كَانَ قَدْ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ لَكَانَتْ خَمْسًا ، وَلَوْ كَانَ قَدْ اعْتَمَرَ فِي رَمَضَانَ لَكَانَتْ سِتّا ، إلّا أَنْ يُقَالَ بَعْضُهُنّ فِي رَجَبٍ وَبَعْضُهُنّ فِي رَمَضَانَ وَبَعْضُهُنّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهَذَا لَمْ يَقَعْ وَإِنّمَا الْوَاقِعُ اعْتِمَارُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ كَمَا قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ، وَابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا . وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ عَائِشَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتَمَرَ فِي شَوّالٍ وَهَذَا إذَا كَانَ مَحْفُوظًا ، فَلَعَلّهُ فِي عُمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ حِينَ خَرَجَ فِي شَوّالٍ وَلَكِنْ إنّمَا أَحْرَمَ بِهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ .

فَصْلٌ [الْعُمْرَةُ لِلدّاخِلِ إلَى مَكّةَ]

وَلَمْ يَكُنْ فِي عُمَرِهِ عُمْرَةٌ وَاحِدَةٌ خَارِجًا مِنْ مَكّةَ كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنْ النّاسِ الْيَوْمَ وَإِنّمَا كَانَتْ عُمَرُهُ كُلّهَا دَاخِلًا إلَى مَكّةَ ، وَقَدْ أَقَامَ بَعْدَ الْوَحْيِ بِمَكّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنّهُ اعْتَمَرَ خَارِجًا مِنْ مَكّةَ فِي تِلْكَ الْمُدّةِ أَصْلًا . فَالْعُمْرَةُ الّتِي فَعَلَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَشَرَعَهَا ، هِيَ عُمْرَةُ الدّاخِلِ إلَى مَكّةَ ، لَا عُمْرَةُ مَنْ كَانَ بِهَا فَيَخْرُجُ إلَى الْحِلّ لِيَعْتَمِرَ وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا عَلَى عَهْدِهِ أَحَدٌ قَطّ إلّا عَائِشَةُ وَحْدَهَا بَيْنَ سَائِرِ مَنْ كَانَ مَعَهُ لِأَنّهَا كَانَتْ قَدْ أَهَلّتْ بِالْعُمْرَةِ فَحَاضَتْ [ص ٩٠] فَأَمَرَهَا ، فَأَدْخَلَتْ الْحَجّ عَلَى الْعُمْرَةِ وَصَارَتْ قَارِنَةً وَأَخْبَرَهَا أَنّ طَوَافَهَا بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ قَدْ وَقَعَ عَنْ حَجّتِهَا وَعُمْرَتِهَا ، فَوَجَدَتْ فِي نَفْسِهَا أَنْ يَرْجِعَ صَوَاحِبَاتُهَا بِحَجّ وَعُمْرَةٍ مُسْتَقِلّيْنِ فَإِنّهُنّ كُنّ مُتَمَتّعَاتٍ وَلَمْ يَحِضْنَ وَلَمْ يَقْرِنّ وَتَرْجِعُ هِيَ بِعُمْرَةٍ فِي ضِمْنِ حَجّتِهَا ، فَأَمَرَ أَخَاهَا أَنْ يُعْمِرَهَا مِنْ التّنْعِيمِ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهَا ، وَلَمْ يَعْتَمِرْ هُوَ مِنْ التّنْعِيمِ فِي تِلْكَ الْحَجّةِ وَلَا أَحَدٌ مِمّنْ كَانَ مَعَهُ وَسَيَأْتِي مَزِيدُ تَقْرِيرٍ لِهَذَا وَبَسْطٍ لَهُ عَنْ قَرِيبٍ إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى .

فَصْلٌ [كَانَتْ عُمَرُهُ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ]

دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ خَمْسَ مَرّاتٍ سِوَى الْمَرّةِ الْأُولَى ، فَإِنّهُ وَصَلَ إلَى الْحُدَيْبِيَةِ ، وَصُدّ عَنْ الدّخُولِ إلَيْهَا ، أَحْرَمَ فِي أَرْبَعٍ مِنْهُنّ مِنْ الْمِيقَاتِ لَا قَبْلَهُ فَأَحْرَمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ ، ثُمّ دَخَلَهَا الْمَرّةَ الثّانِيَةَ فَقَضَى عُمْرَتَهُ وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا ، ثُمّ خَرَجَ ثُمّ دَخَلَهَا فِي الْمَرّةِ الثّالِثَةِ عَامَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ بِغَيْرِ إحْرَامٍ ثُمّ خَرَجَ مِنْهَا إلَى حُنَيْنٍ ، ثُمّ دَخَلَهَا بِعُمْرَةٍ مِنْ الْجِعْرَانَةِ وَدَخَلَهَا فِي هَذِهِ الْعُمْرَةِ لَيْلًا ، وَخَرَجَ لَيْلًا ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَكّةَ إلَى الْجِعْرَانَةِ لِيَعْتَمِرَ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ مَكّةَ الْيَوْمَ وَإِنّمَا أَحْرَمَ مِنْهَا فِي حَالِ دُخُولِهِ إلَى مَكّةَ ، وَلَمّا قَضَى عُمْرَتَهُ لَيْلًا ، رَجَعَ مِنْ فَوْرِهِ إلَى الْجِعْرَانَةِ ، فَبَاتَ بِهَا ، فَلَمّا أَصْبَحَ وَزَالَتْ الشّمْسُ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ سَرِفٍ حَتّى جَامَعَ الطّرِيقَ [طَرِيقَ جَمْعٍ بِبَطْنِ سَرِفٍ] ، وَلِهَذَا خَفِيَتْ هَذِهِ الْعُمْرَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النّاسِ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ عُمَرَهُ كُلّهَا كَانَتْ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ مُخَالَفَةً لِهَدْيِ الْمُشْرِكِينَ فَإِنّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ وَيَقُولُونَ هِيَ مِنْ أَفْجَرِ الْفُجُورِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنّ الِاعْتِمَارَ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي رَجَبٍ بِلَا شَكّ .

[الِاعْتِمَارُ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ أَفْضَلُ مِنْ الِاعْتِمَارِ فِي رَمَضَانَ]

وَأَمّا الْمُفَاضَلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاعْتِمَارِ فِي رَمَضَانَ فَمَوْضِعُ نَظَرٍ فَقَدْ صَحّ عَنْهُ [ص ٩١] أَمَرَ أُمّ مَعْقِلٍ لَمّا فَاتَهَا الْحَجّ مَعَهُ أَنْ تَعْتَمِرَ فِي رَمَضَانَ وَأَخْبَرَهَا أَنّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجّةً . وَأَيْضًا : فَقَدْ اجْتَمَعَ فِي عُمْرَةِ رَمَضَانَ أَفْضَلُ الزّمَانِ وَأَفْضَلُ

الْبِقَاعِ وَلَكِنّ اللّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَخْتَارَ لِنَبِيّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عُمَرِهِ إلّا أَوْلَى الْأَوْقَاتِ وَأَحَقّهَا بِهَا ، فَكَانَتْ الْعُمْرَةُ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ نَظِيرَ وُقُوعِ الْحَجّ فِي أَشْهُرِهِ وَهَذِهِ الْأَشْهُرُ قَدْ خَصّهَا اللّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ وَجَعَلَهَا وَقْتًا لَهَا ، وَالْعُمْرَةُ حَجّ أَصْغَرُ فَأَوْلَى الْأَزْمِنَةِ بِهَا أَشْهُرُ الْحَجّ وَذُو الْقَعْدَةِ أَوْسَطُهَا ، وَهَذَا مِمّا نَسْتَخِيرُ اللّهَ فِيهِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ عِلْمٍ فَلْيَرْشُدْ إلَيْهِ .

[كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتْرُكُ الْعَمَلَ خَشْيَةَ الْمَشَقّةِ عَلَى أُمّتِهِ]

وَقَدْ يُقَال : إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَشْتَغِلُ فِي رَمَضَانَ مِنْ الْعِبَادَاتِ بِمَا هُوَ أَهَمّ مِنْ الْعُمْرَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُمْكِنُهُ الْجَمْعُ بَيْنَ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ وَبَيْنَ الْعُمْرَةِ فَأَخّرَ [ص ٩٢] بِأُمّتِهِ وَالرّأْفَةِ بِهِمْ فَإِنّهُ لَوْ اعْتَمَرَ فِي رَمَضَانَ لَبَادَرَتْ الْأُمّةُ إلَى ذَلِكَ وَكَانَ يَشُقّ عَلَيْهَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْعُمْرَةِ وَالصّوْمِ وَرُبّمَا لَا تَسْمَحُ أَكْثَرُ النّفُوسِ بِالْفِطْرِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْعُمْرَةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ فَتَحْصُلُ الْمَشَقّةُ فَأَخّرَهَا إلَى أَشْهُرِ الْحَجّ وَقَدْ كَانَ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ الْعَمَلِ وَهُوَ يُحِبّ أَنْ يَعْمَلَهُ خَشْيَةَ الْمَشَقّةِ عَلَيْهِمْ . وَلَمّا دَخَلَ الْبَيْتَ خَرَجَ مِنْهُ حَزِينًا ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ إنّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ شَقَقْتُ عَلَى أُمّتِي وَهَمّ أَنْ يَنْزِلَ يَسْتَسْقِي مَعَ سُقَاةِ زَمْزَمَ لِلْحَاجّ فَخَافَ أَنْ يُغْلَبَ أَهْلُهَا عَلَى سِقَايَتِهِمْ بَعْدَهُ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [لَمْ يَعْتَمِرْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي السّنَةِ إلّا مَرّةً وَاخْتِلَافُ النّاسِ فِي تَكْرَارِهَا]

وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ اعْتَمَرَ فِي السّنَةِ إلّا مَرّةً وَاحِدَةً وَلَمْ يَعْتَمِرْ فِي سَنَةٍ مَرّتَيْنِ وَقَدْ ظَنّ بَعْضُ النّاسِ أَنّهُ اعْتَمَرَ فِي سَنَةٍ مَرّتَيْنِ وَاحْتَجّ بِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ عَائِشَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، اعْتَمَرَ عُمْرَتَيْنِ عُمْرَةً فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَعُمْرَةً فِي شَوّالٍ قَالُوا : وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا ذِكْرَ مَجْمُوعِ مَا اعْتَمَرَ فَإِنّ أَنَسًا ، [ص ٩٣] وَعَائِشَةَ ، وَابْنَ عَبّاسٍ ، وَغَيْرَهُمْ قَدْ قَالُوا : إنّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ ، فَعُلِمَ أَنّ مُرَادَهَا بِهِ أَنّهُ اعْتَمَرَ فِي سَنَةٍ مَرّتَيْنِ مَرّةً فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَمَرّةً فِي شَوّالٍ وَهَذَا الْحَدِيثُ وَهْمٌ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا عَنْهَا ، فَإِنّ هَذَا لَمْ يَقَعْ قَطّ ، فَإِنّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ بِلَا رَيْبٍ الْعُمْرَةُ الْأُولَى كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ ، ثُمّ لَمْ يَعْتَمِرْ إلَى الْعَامِ الْقَابِلِ فَاعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْقَضِيّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ إلَى مَكّةَ حَتّى فَتَحَهَا سَنَةَ ثَمَانٍ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَعْتَمِرْ ذَلِكَ الْعَامَ ثُمّ خَرَجَ إلَى حُنَيْنٍ فِي سِتّ مِنْ شَوّالٍ وَهَزَمَ اللّهُ أَعْدَاءَهُ فَرَجَعَ إلَى مَكّةَ ، وَأَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ كَمَا قَالَ أَنَسٌ ، وَابْنُ عَبّاسٍ : فَمَتَى اعْتَمَرَ فِي شَوّالٍ ؟ وَلَكِنْ لَقِيَ الْعَدُوّ فِي شَوّالٍ وَخَرَجَ فِيهِ مِنْ مَكّةَ ، وَقَضَى عُمْرَتَهُ لَمّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ لَيْلًا ، وَلَمْ يَجْمَعْ ذَلِكَ الْعَامَ بَيْنَ عُمْرَتَيْنِ وَلَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ وَمَنْ لَهُ عِنَايَةٌ بِأَيّامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسِيرَتِهِ وَأَحْوَالِهِ لَا يَشُكّ وَلَا يَرْتَابُ فِي ذَلِكَ . فَإِنْ قِيلَ فَبِأَيّ شَيْءٍ يَسْتَحِبّونَ الْعُمْرَةَ فِي السّنَةِ مِرَارًا إذَا لَمْ يُثْبِتُوا ذَلِكَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قِيلَ قَدْ اُخْتُلِفَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ مَالِكٌ : أَكْرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فِي السّنَةِ أَكْثَرَ مِنْ عُمْرَةٍ وَاحِدَةٍ وَخَالَفَهُ مُطَرّفٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَابْنُ الْمَوّازِ ، قَالَ مُطَرّفٌ لَا بَأْسَ بِالْعُمْرَةِ فِي السّنَةِ مِرَارًا ، وَقَالَ ابْنُ الْمَوّازِ : أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِهِ بَأْسٌ وَقَدْ اعْتَمَرَتْ عَائِشَةُ مَرّتَيْنِ فِي شَهْرٍ وَلَا أَرَى أَنْ يُمْنَعَ أَحَدٌ مِنْ التّقَرّبِ إلَى اللّهِ بِشَيْءٍ مِنْ الطّاعَاتِ وَلَا مِنْ الِازْدِيَادِ

مِنْ الْخَيْرِ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَأْتِ بِالْمَنْعِ مِنْهُ نَصٌّ ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ إلَّا أَنّ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى ، اسْتَثْنَى خَمْسَةَ أَيّامٍ لَا يُعْتَمَرُ فِيهَا : يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النّحْرِ ، وَأَيّامَ التّشْرِيقِ . وَاسْتَثْنَى أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى : يَوْمَ النّحْرِ وَأَيّامَ التّشْرِيقِ خَاصّةً وَاسْتَثْنَتْ الشّافِعِيّةُ : الْبَائِتَ بِمِنًى لِرَمْيِ أَيّامِ التّشْرِيقِ . وَاعْتَمَرَتْ عَائِشَةُ فِي سَنَةٍ مَرّتَيْنِ . فَقِيلَ لِلْقَاسِمِ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهَا أَحَدٌ ؟ فَقَالَ أَعَلَى أُمّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَكَانَ أَنَسٌ إذَا حَمّمَ رَأْسَهُ [ص ٩٤] خَرَجَ فَاعْتَمَرَ . وَيُذْكَرُ عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَعْتَمِرُ فِي السّنَةِ مِرَارًا ، وَقَدْ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعُمْرَةُ إلَى الْعُمْرَةِ كَفّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَيَكْفِي فِي هَذَا ، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَعْمَرَ عَائِشَةَ مِنْ التّنْعِيمِ سِوَى عُمْرَتِهَا الّتِي كَانَتْ أَهَلّتْ بِهَا ، وَذَلِكَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَلَا يُقَالُ عَائِشَةُ كَانَتْ قَدْ رَفَضَتْ الْعُمْرَةَ فَهَذِهِ الّتِي أَهَلّتْ بِهَا مِنْ التّنْعِيمِ قَضَاءً عَنْهَا ؛ لِأَنّ الْعُمْرَةَ لَا يَصِحّ رَفْضُهَا . وَقَدْ قَالَ لَهَا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسَعُكِ طَوَافُك لِحَجّكِ وَعُمْرَتِك وَفِي لَفْظٍ حَلَلْتِ مِنْهُمَا جَمِيعًا فَإِنْ قِيلَ قَدْ ثَبَتَ فِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " : أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهَا : اُرْفُضِي عُمْرَتَك ، وَانْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَفِي لَفْظٍ آخَرَ انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَفِي لَفْظٍ أَهِلّي بِالْحَجّ وَدَعِي الْعُمْرَةَ فَهَذَا صَرِيحٌ فِي رَفْضِهَا مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : قَوْلُهُ اُرْفُضِيهَا وَدَعِيهَا ، وَالثّانِي : أَمْرُهُ لَهَا بِالِامْتِشَاطِ . قِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ اُرْفُضِيهَا : اُتْرُكِي أَفْعَالَهَا وَالِاقْتِصَارُ عَلَيْهَا ، وَكُونِي فِي حَجّةٍ مَعَهَا ، وَيَتَعَيّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ حَلَلْتِ مِنْهُمَا جَمِيعًا لَمّا قَضَتْ أَعْمَالَ الْحَجّ . وَقَوْلُهُ يَسَعُكِ طَوَافُكِ لِحَجّكِ وَعُمْرَتِكِ فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنّ إحْرَامَ الْعُمْرَةِ لَمْ يُرْفَضْ وَإِنّمَا رُفِضَتْ أَعْمَالُهَا وَالِاقْتِصَارُ عَلَيْهَا ، وَأَنّهَا بِانْقِضَاءِ [ص ٩٥] أَعْمَرَهَا مِنْ التّنْعِيمِ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهَا ، إذْ تَأْتِي بِعُمْرَةٍ مُسْتَقِلّةٍ كَصَوَاحِبَاتِهَا ، وَيُوَضّحُ ذَلِكَ إيضَاحًا بَيّنًا ، مَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ، مِنْ حَدِيثِ الزّهْرِيّ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ فَحِضْتُ فَلَمْ أَزَلْ حَائِضًا حَتّى كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَلَمْ أُهِلّ إلّا بِعُمْرَةٍ فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَنْقُضَ رَأْسِي وَأَمْتَشِطَ ، وَأُهِلّ بِالْحَجّ ، وَأَتْرُكَ الْعُمْرَةَ قَالَتْ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ حَتّى إذَا قَضَيْتُ حَجّي ، بَعَثَ مَعِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْتَمِرَ مِنْ التّنْعِيمِ مَكَانَ عُمْرَتِي الّتِي أَدْرَكَنِي الْحَجّ وَلَمْ أُهِلّ مِنْهَا فَهَذَا حَدِيثٌ فِي غَايَةِ الصّحّةِ وَالصّرَاحَةِ أَنّهَا لَمْ تَكُنْ أَحَلّتْ مِنْ عُمْرَتِهَا ، وَأَنّهَا بَقِيَتْ مُحْرِمَةً حَتّى أَدْخَلَتْ عَلَيْهَا الْحَجّ فَهَذَا خَبَرُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَهَا ، كُلّ مِنْهُمَا يُوَافِقُ الْآخَرَ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . وَفِي قَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعُمْرَةُ إلَى الْعُمْرَةِ كَفّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلّا الْجَنّةُ دَلِيلٌ عَلَى التّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ فِي التّكْرَارِ وَتَنْبِيهٌ عَلَى ذَلِكَ إذْ لَوْ كَانَتْ الْعُمْرَةُ كَالْحَجّ لَا تُفْعَلُ فِي السّنَةِ إلّا مَرّةً لَسَوّى بَيْنَهُمَا وَلَمْ يُفَرّقْ . وَرَوَى الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه، أَنّهُ قَالَ : اعْتَمِرْ فِي كُلّ شَهْرٍ مَرّةً وَرَوَى وَكِيعٌ ، عَنْ إسْرَائِيلَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ أَبِي نَاجِيَةَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ، قَالَ عَلِيّ رضي الله عنه : اعْتَمِرْ فِي الشّهْرِ إنْ أَطَقْتَ مِرَارًا وَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ ، عَنْ بَعْضِ وَلَدِ أَنَسٍ ، أَنّ أَنَسًا كَانَ إذَا كَانَ بِمَكّةَ فَحَمّمَ رَأْسَهُ خَرَجَ إلَى التّنْعِيمِ فَاعْتَمَرَ

فَصْلٌ فِي سِيَاقِ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّتِهِ

[لَمّا فُرِضَ الْحَجّ سَنَةَ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ بَادَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْهِ عَلَى الْفَوْرِ سَنَةَ عَشْرٍ وَهِيَ حَجّتُهُ الْوَحِيدَةُ]
[ص ٩٦] الْمَدِينَةِ سِوَى حَجّةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ حَجّةُ الْوَدَاعِ وَلَا خِلَافَ أَنّهَا كَانَتْ سَنَةَ عَشْرٍ . وَاخْتُلِفَ هَلْ حَجّ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ؟ فَرَوَى التّرْمِذِيّ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ حَجّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَ حِجَجٍ حَجّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ وَحَجّةً بَعْدَمَا هَاجَرَ مَعَهَا عُمْرَةٌ قَالَ التّرْمِذِيّ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ . قَالَ وَسَأَلْتُ مُحَمّدًا - يَعْنِي الْبُخَارِيّ - عَنْ هَذَا ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ حَدِيثِ الثّوْرِيّ ، وَفِي رِوَايَةٍ لَا يُعَدّ هَذَا الْحَدِيثُ مَحْفُوظًا . وَلَمّا نَزَلَ فَرْضُ الْحَجّ بَادَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْحَجّ مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ فَإِنّ فَرْضَ الْحَجّ تَأَخّرَ إلَى سَنَةِ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ وَأَمّا قَوْلُهُ تَعَالَى { وَأَتِمّوا الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ } [الْبَقَرَةُ ١٩٦] ، فَإِنّهَا وَإِنْ نَزَلَتْ سَنَةَ سِتّ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ ، فَلَيْسَ فِيهَا فَرْضِيّةُ الْحَجّ وَإِنّمَا فِيهَا الْأَمْرُ بِإِتْمَامِهِ وَإِتْمَامِ الْعُمْرَةِ بَعْدَ الشّرُوعِ فِيهِمَا ، وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي وُجُوبَ الِابْتِدَاءِ فَإِنْ قِيلَ فَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ تَأْخِيرُ نُزُولِ فَرْضِهِ إلَى التّاسِعَةِ أَوْ الْعَاشِرَةِ ؟ قِيلَ لِأَنّ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ نَزَلَ عَامَ الْوُفُودِ وَفِيهِ قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ وَالْجِزْيَةُ إنّمَا نَزَلَتْ عَامَ تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ وَفِيهَا نَزَلَ صَدْرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، وَنَاظَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَدَعَاهُمْ إلَى التّوْحِيدِ وَالْمُبَاهَلَةِ وَيَدُلّ عَلَيْهِ أَنّ أَهْلَ مَكّةَ وَجَدُوا فِي نُفُوسِهِمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ التّجَارَةِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ لَمّا أَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى : { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا إِنّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } [التّوْبَةُ ٢٨] ، فَأَعَاضَهُمْ اللّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ بِالْجِزْيَةِ . وَنُزُولُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْمُنَادَاةُ بِهَا ، إنّمَا كَانَ فِي سَنَةِ [ص ٩٧] ، وَبَعَثَ الصّدّيقَ يُؤَذّنُ بِذَلِكَ فِي مَكّةَ فِي مَوَاسِمِ الْحَجّ وَأَرْدَفَهُ بِعَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَهَذَا الّذِي ذَكَرْنَاهُ قَدْ قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السّلَفِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
فَصْلٌ [خُرُوجُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ النّاسَ]
لَمّا عَزَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْحَجّ أَعْلَمَ النّاسَ أَنّهُ حَاجّ ، فَتَجَهّزُوا لِلْخُرُوجِ مَعَهُ وَسَمِعَ ذَلِكَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، فَقَدِمُوا يُرِيدُونَ الْحَجّ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَوَافَاهُ فِي الطّرِيقِ خَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ فَكَانُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ مَدّ الْبَصَرِ وَخَرَجَ مِنْ الْمَدِينَةِ نَهَارًا بَعْدَ الظّهْرِ لِسِتّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ بَعْدَ أَنْ صَلّى الظّهْرَ بِهَا أَرْبَعًا ، وَخَطَبَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ خُطْبَةً عَلّمَهُمْ فِيهَا الْإِحْرَامَ وَوَاجِبَاتِهِ وَسُنَنَهُ .
[تَرْجِيحُ الْمُصَنّفِ أَنّ خُرُوجَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَوْمَ السّبْتِ]
وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَكَانَ خُرُوجُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ قُلْتُ وَالظّاهِرُ أَنّ خُرُوجَهُ كَانَ يَوْمَ السّبْتِ وَاحْتَجّ ابْنُ حَزْمٍ عَلَى قَوْلِهِ بِثَلَاثِ مُقَدّمَاتٍ . إحْدَاهَا : أَنّ خُرُوجَهُ كَانَ لِسِتّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ . وَالثّانِيَةُ أَنّ اسْتِهْلَالَ ذِي الْحِجّةِ كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالثّالِثَةُ أَنّ يَوْمَ عَرَفَةَ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاحْتَجّ عَلَى أَنّ خُرُوجَهُ كَانَ لِسِتّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ بِمَا رَوَى الْبُخَارِيّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ ، انْطَلَقَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ بَعْدَمَا تَرَجّلَ وَادّهَنَ . .. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَقَالَ وَذَلِكَ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَقَدْ نَصّ ابْنُ عُمَرَ عَلَى أَنّ يَوْمَ عَرَفَةَ ، كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ التّاسِعُ وَاسْتِهْلَالُ ذِي الْحِجّةِ بِلَا شَكّ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ فَآخِرُ ذِي الْقَعْدَةِ يَوْمُ [ص ٩٨] كَانَ خُرُوجُهُ لِسِتّ بَقِيْنَ

مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ إذْ الْبَاقِي بَعْدَهُ سِتّ لَيَالٍ سِوَاهُ . وَوَجْهُ مَا اخْتَرْنَاهُ أَنّ الْحَدِيثَ صَرِيحٌ فِي أَنّهُ خَرَجَ لِخَمْسٍ بَقَيْنَ وَهِيَ يَوْمُ السّبْتِ وَالْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالثّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ فَهَذِهِ خَمْسٌ وَعَلَى قَوْلِهِ يَكُون خُرُوجُهُ لِسَبْعٍ بَقَيْنَ . فَإِنْ لَمْ يُعَدّ يَوْمُ الْخُرُوج كَانَ لِسِتّ وَأَيّهُمَا كَانَ فَهُوَ خِلَافُ الْحَدِيثِ . وَإِنْ اعْتَبَرَ اللّيَالِي ، كَانَ خُرُوجُهُ لِسِتّ لَيَالٍ بَقَيْنَ لَا لِخَمْسٍ فَلَا يَصِحّ الْجَمْعُ بَيْنَ خُرُوجِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَبَيْنَ بَقَاءِ خَمْسٍ مِنْ الشّهْرِ أَلْبَتّةَ بِخِلَافِ مَا إذَا كَانَ الْخُرُوجُ يَوْمَ السّبْتِ فَإِنّ الْبَاقِيَ بِيَوْمِ الْخُرُوج خَمْسٌ بِلَا شَكّ وَيَدُلّ عَلَيْهِ إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَكَرَ لَهُمْ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى مِنْبَرِهِ شَأْنَ الْإِحْرَامِ وَمَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ بِالْمَدِينَةِ وَالظّاهِرُ أَنّ هَذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَنّهُ لَمْ يُنْقَلْ أَنّهُ جَمَعَهُمْ وَنَادَى فِيهِمْ لِحُضُورِ الْخُطْبَةِ وَقَدْ شَهِدَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا هَذِهِ الْخُطْبَةَ بِالْمَدِينَةِ عَلَى مِنْبَرِهِ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُعَلّمَهُمْ فِي كُلّ وَقْتٍ مَا يَحْتَاجُونَ إلَيْهِ إذَا حَضَرَ فِعْلُهُ فَأَوْلَى الْأَوْقَاتِ بِهِ الْجُمُعَةُ الّتِي يَلِيهَا خُرُوجُهُ وَالظّاهِرُ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْجُمُعَةَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بَعْضُ يَوْمٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَقَدْ اجْتَمَعَ إلَيْهِ الْخَلْقُ وَهُوَ أَحْرَصُ النّاسِ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ الدّينَ وَقَدْ حَضَرَ ذَلِكَ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَجّ مُمْكِنٌ بِلَا تَفْوِيتٍ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَلَمّا عَلِمَ أَبُو مُحَمّدٍ ابْنُ حَزْمٍ ، أَنّ قَوْلَ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : خَرَجَ لِخَمْسٍ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لَا يَلْتَئِمُ مَعَ قَوْلِهِ أَوّلَهُ بِأَنْ قَالَ مَعْنَاهُ أَنّ انْدِفَاعَهُ مِنْ ذِ ي الْحُلَيْفَةِ كَانَ لِخَمْسٍ قَالَ وَلَيْسَ بَيْنَ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ إلّا أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ فَقَطْ فَلَمْ تُعَدّ هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ الْقَرِيبَةُ لِقِلّتِهَا ، وَبِهَذَا تَأْتَلِفُ جَمِيعُ الْأَحَادِيثِ . قَالَ وَلَوْ كَانَ خُرُوجُهُ مِنْ الْمَدِينَةِ لِخَمْسٍ بَقَيْنَ لِذِي الْقَعْدَةِ لَكَانَ خُرُوجُهُ بِلَا شَكّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنّ الْجُمُعَةَ لَا تُصَلّى أَرْبَعًا ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَسٌ ، أَنّهُمْ صَلّوْا الظّهْرَ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا قَالَ وَيَزِيدُهُ [ص ٩٩] سَاقَ مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيّ ، حَدِيثَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ : قَلّمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَخْرُجُ فِي سَفَرٍ إذَا خَرَجَ إلّا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُحِبّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فَبَطَلَ خُرُوجُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِمَا ذَكَرْنَا عَنْ أَنَسٍ وَبَطَلَ خُرُوجُهُ يَوْمَ السّبْتِ لِأَنّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ خَارِجًا مِنْ الْمَدِينَةِ لِأَرْبَعٍ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَهَذَا مَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ . قَالَ وَأَيْضًا قَدْ صَحّ مَبِيتُهُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ اللّيْلَةَ الْمُسْتَقْبَلَةَ مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِ مِنْ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَكُونُ انْدِفَاعُهُ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ يَعْنِي : لَوْ كَانَ خُرُوجُهُ يَوْمَ السّبْتِ وَصَحّ مَبِيتُهُ بِذِي طُوَى لَيْلَةَ دُخُولِهِ مَكّةَ ، وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ دَخَلَهَا صُبْحَ رَابِعَةٍ مِنْ ذِي الْحِجّةِ فَعَلَى هَذَا تَكُونُ مُدّةُ سَفَرِهِ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى مَكّةَ سَبْعَةَ أَيّامٍ لِأَنّهُ كَانَ يَكُونُ خَارِجًا مِنْ الْمَدِينَةِ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لِأَرْبَعٍ بَقَيْنَ لِذِي الْقَعْدَةِ وَاسْتَوَى عَلَى مَكّةَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجّةِ وَفِي اسْتِقْبَالِ اللّيْلَةِ الرّابِعَةِ فَتِلْكَ سَبْعُ لَيَالٍ لَا مَزِيدَ وَهَذَا خَطَأٌ بِإِجْمَاعٍ وَأَمْرٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ ، فَصَحّ أَنّ خُرُوجَهُ كَانَ لِسِتّ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَائْتَلَفَتْ الرّوَايَاتُ كُلّهَا ، وَانْتَفَى التّعَارُضُ عَنْهَا بِحَمْدِ اللّهِ انْتَهَى . قُلْت : هِيَ مُتَآلِفَةٌ مُتَوَافِقَةٌ وَالتّعَارُضُ مُنْتَفٍ عَنْهَا مَعَ خُرُوجِهِ يَوْمَ السّبْتِ وَيَزُولُ عَنْهَا الِاسْتِكْرَاهُ الّذِي أَوّلَهَا عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ . وَأَمّا قَوْلُ أَبِي مُحَمّدٍ ابْنِ حَزْمٍ : لَوْ كَانَ خُرُوجُهُ مِنْ الْمَدِينَةِ لِخَمْسٍ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لَكَانَ خُرُوجُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إلَى آخِرِهِ فَغَيْرُ لَازِمٍ بَلْ يَصِحّ أَنْ يَخْرُجَ لِخَمْسٍ وَيَكُونَ خُرُوجُهُ يَوْمَ السّبْتِ وَاَلّذِي غَرّ أَبَا مُحَمّدٍ أَنّهُ رَأَى الرّاوِيَ قَدْ حَذَفَ التّاءَ مِنْ الْعَدَدِ وَهِيَ إنّمَا تُحْذَفُ مِنْ الْمُؤَنّثِ فَفَهِمَ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقَيْنَ

وَهَذَا إنّمَا يَكُونُ إذَا كَانَ الْخُرُوجُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . فَلَوْ كَانَ يَوْمَ السّبْتِ لَكَانَ لِأَرْبَعٍ لَيَالٍ بَقِيْنَ وَهَذَا بِعَيْنِهِ يَنْقَلِبُ عَلَيْهِ فَإِنّهُ لَوْ كَانَ [ص ١٠٠] بَقِيْنَ وَإِنّمَا يَكُونُ لِسِتّ لَيَالٍ بَقِيْنَ وَلِهَذَا اُضْطُرّ إلَى أَنْ يُؤَوّلَ الْخُرُوجَ الْمُقَيّدَ بِالتّارِيخِ الْمَذْكُورِ بِخَمْسٍ عَلَى الِانْدِفَاعِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَلَا ضَرُورَةَ لَهُ إلَى ذَلِكَ إذْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ كَانَ نَاقِصًا ، فَوَقَعَ الْإِخْبَارُ عَنْ تَارِيخِ الْخُرُوجِ بِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْهُ بِنَاءً عَلَى الْمُعْتَادِ مِنْ الشّهْرِ وَهَذِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ وَالنّاسِ فِي تَوَارِيخِهِمْ أَنْ يُؤَرّخُوا بِمَا بَقِيَ مِنْ الشّهْرِ بِنَاءً عَلَى كَمَالِهِ ثُمّ يَقَعُ الْإِخْبَارُ عَنْهُ بَعْدَ انْقِضَائِهِ وَظُهُورِ نَقْصِهِ كَذَلِكَ لِئَلّا يَخْتَلِفَ عَلَيْهِمْ التّارِيخُ فَيَصِحّ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ يَوْمَ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ كُتِبَ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ وَيَكُونُ الشّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ وَأَيْضًا فَإِنّ الْبَاقِيَ كَانَ خَمْسَةَ أَيّامٍ بِلَا شَكّ بِيَوْمِ الْخُرُوجِ وَالْعَرَبُ إذَا اجْتَمَعَتْ اللّيَالِي وَالْأَيّامُ فِي التّارِيخِ غَلّبَتْ لَفْظَ اللّيَالِي لِأَنّهَا أَوّلُ الشّهْرِ وَهِيَ أَسْبَقُ مِنْ الْيَوْمِ فَتَذْكُرُ اللّيَالِيَ وَمُرَادُهَا الْأَيّامُ فَيَصِحّ أَنْ يُقَالَ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ بِاعْتِبَارِ الْأَيّامِ وَيُذَكّرُ لَفْظُ الْعَدَدِ بِاعْتِبَارِ اللّيَالِي ، فَصَحّ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهُ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ وَلَا يَكُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَأَمّا حَدِيثُ كَعْبٍ فَلَيْسَ فِيهِ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ قَطّ إلّا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَإِنّمَا فِيهِ أَنّ ذَلِكَ كَانَ أَكْثَرَ خُرُوجِهِ وَلَا رَيْبَ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَقَيّدُ فِي خُرُوجِهِ إلَى الْغَزَوَاتِ بِيَوْمِ الْخَمِيسِ . وَأَمّا قَوْلُهُ لَوْ خَرَجَ يَوْمَ السّبْتِ لَكَانَ خَارِجًا لِأَرْبَعٍ فَقَدْ تَبَيّنَ أَنّهُ لَا يَلْزَمُ لَا بِاعْتِبَارِ اللّيَالِي ، وَلَا بِاعْتِبَارِ الْأَيّامِ .

[إكْمَالُ الْمُصَنّفِ لِسِيَاقِ حَجّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

وَأَمّا قَوْلُهُ إنّهُ بَاتَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ اللّيْلَةَ الْمُسْتَقْبَلَةَ مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى آخِرِهِ فَإِنّهُ يَلْزَمُ مِنْ خُرُوجِهِ يَوْمَ السّبْتِ أَنْ تَكُونَ مُدّةُ سَفَرِهِ سَبْعَةَ أَيّامٍ فَهَذَا عَجِيبٌ مِنْهُ فَإِنّهُ إذَا خَرَجَ يَوْمَ السّبْتِ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ الشّهْرِ خَمْسَةُ أَيّامٍ وَدَخَلَ مَكّةَ لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجّةِ فَبَيْنَ خُرُوجِهِ مِنْ الْمَدِينَةِ وَدُخُولِهِ مَكّةَ تِسْعَةُ أَيّامٍ وَهَذَا غَيْرُ مُشْكِلٍ بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ فَإِنّ الطّرِيقَ الّتِي سَلَكَهَا إلَى مَكّةَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَبَيْنَهَا هَذَا الْمِقْدَارُ وَسَيْرُ الْعَرَبِ أَسْرَعُ مِنْ سَيْرِ الْحَضَرِ بِكَثِيرٍ وَلَا سِيّمَا مَعَ عَدَمِ الْمَحَامِلِ وَالْكَجّاوَاتِ وَالزّوَامِلِ الثّقَالِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ . [ص ١٠١] عُدْنَا إلَى سِيَاقِ حَجّهِ فَصَلّى الظّهْرَ بِالْمَدِينَةِ بِالْمَسْجِدِ أَرْبَعًا ، ثُمّ تَرَجّلَ وَادّهَنَ وَلَبِسَ إزَارَهُ وَرِدَاءَهُ وَخَرَجَ بَيْنَ الظّهْرِ وَالْعَصْرِ فَنَزَلَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ فَصَلّى بِهَا الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ بَاتَ بِهَا وَصَلّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصّبْحَ وَالظّهْرَ فَصَلّى بِهَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَكَانَ نِسَاؤُهُ كُلّهُنّ مَعَهُ ، وَطَافَ عَلَيْهِنّ تِلْكَ اللّيْلَةَ ، فَلَمّا أَرَادَ الْإِحْرَامَ اغْتَسَلَ غُسْلًا ثَانِيًا لِإِحْرَامِهِ غَيْرَ غُسْلِ الْجِمَاعِ الْأَوّلِ وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ حَزْمٍ أَنّهُ اغْتَسَلَ غَيْرَ الْغُسْلِ الْأَوّلِ لِلْجَنَابَةِ وَقَدْ تَرَكَ بَعْضُ النّاسِ ذِكْرَهُ فَإِمّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَهُ عَمْدًا ، لِأَنّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ وَإِمّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَهُ سَهْوًا مِنْهُ وَقَدْ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : إنّهُ رَأَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَجَرّدَ لِإِهْلَالِهِ وَاغْتَسَلَ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

[حَجّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَارِنًا وَالدّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ]

وَذَكَرَ الدّارَقُطْنِيّ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ غَسَلَ رَأْسَهُ بِخِطْمِيّ وَأُشْنَانٍ . ثُمّ طَيّبَتْهُ عَائِشَةُ بِيَدِهَا بِذَرِيرَةٍ وَطِيبٍ فِيهِ مِسْكٌ فِي بَدَنِهِ وَرَأْسِهِ حَتّى كَانَ وَبِيصُ الْمِسْكِ يُرَى فِي مَفَارِقِهِ وَلِحْيَتِهِ ثُمّ اسْتَدَامَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ ثُمّ لَبِسَ إزَارَهُ وَرِدَاءَهُ ثُمّ صَلّى الظّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ فِي مُصَلّاهُ وَلَمْ

يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى لِلْإِحْرَامِ رَكْعَتَيْنِ غَيْرَ فَرْضِ الظُّهْرِ . [ص ١٠٢] وَقَلَّدَ قَبْلَ الْإِحْرَامِ بُدْنَهُ نَعْلَيْنِ ، وَأَشْعَرَهَا فِي جَانِبِهَا الْأَيْمَنِ فَشَقَّ صَفْحَةَ سَنَامِهَا ، وَسَلَتَ الدَّمَ عَنْهَا وَإِنَّمَا قُلْنَا : إِنَّهُ أَحْرَمَ قَارِنًا لِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثًا صَحِيحَةً صَرِيحَةً فِي ذَلِكَ . أَحَدُهَا : مَا أَخْرَجَاهُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ وَأَهْدَى ، فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ أَهَلَّ بِالْحَجِّ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَثَانِيهَا : مَا أَخْرَجَاهُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " أَيْضًا ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ سَوَاءٌ . وَثَالِثُهَا : مَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ، مِنْ حَدِيثِ قُتَيْبَةَ عَنْ اللَّيْثِ عَنْ نَافِعٍ عَن ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ قَرَنَ الْحَجَّ إِلَى الْعُمْرَةِ وَطَافَ لَهُمَا طَوَافًا وَاحِدًا ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَابِعُهَا : مَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ النُّفَيْلِيِّ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ هُوَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ عَنْ مُجَاهِدٍ : سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَرَّتَيْنِ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَقَدْ عَلِمَ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثًا سِوَى الَّتِي قَرَنَ بِحَجَّتِهِ . [ص ١٠٣] ابْنِ عُمَرَ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعُمْرَةَ الْكَامِلَةَ الْمُفْرَدَةَ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمَا عُمْرَتَانِ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ وَعُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ ، وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَرَادَتْ الْعُمْرَتَيْنِ الْمُسْتَقِلَّتَيْنِ وَعُمْرَةُ الْقِرَانِ وَالَّتِي صُدَّ عَنْهَا ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهَا أَرْبَعٌ . وَخَامِسُهَا : مَا رَوَاهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّ ثَلَاثَ حِجَجٍ : حَجَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ وَحَجَّةً بَعْدَمَا هَاجَرَ مَعَهَا عُمْرَةٌ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَغَيْرُهُ . وَسَادِسُهَا : مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ النُّفَيْلِيِّ وَقُتَيْبَةَ قَالَا : حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ ، وَالثَّانِيَةُ حِينَ تَوَاطَئُوا عَلَى عُمْرَةٍ مِنْ قَابِلٍ وَالثَّالِثَةُ مِنْ الْجِعْرَانَةِ ، وَالرَّابِعَةُ الَّتِي قَرَنَ مَعَ حَجَّتِهِ وَسَابِعُهَا : مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي الْعَقِيقِ يَقُولُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ : عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ وَثَامِنُهَا : مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كُنْت مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْيَمَنِ ، فَأَصَبْتُ مَعَهُ أَوَاقِيَّ مِنْ ذَهَبٍ فَلَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ مِنْ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَجَدْتُ فَاطِمَةَ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغَاتٍ ، وَقَدْ نَضَحَتْ الْبَيْتَ بِنَضُوحٍ فَقَالَتْ مَا لَك ؟ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَحَلُّوا ، قَالَ فَقُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَهْلَلْتُ بِإِهْلَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي : كَيْفَ صَنَعْتَ ؟ قَالَ قُلْتُ أَهْلَلْتُ بِإِهْلَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَإِنِّي قَدْ سُقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْتُ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ [ص ١٠٤] وَتَاسِعُهَا : مَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ يَزِيدَ الدِّمَشْقِيِّ ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ مُسْلِمٍ الْبُطَيْنِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُثْمَانَ ، فَسَمِعَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُلَبِّي بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ فَقَالَ أَلَمْ تَكُنْ تَنْهَى عَنْ هَذَا ؟ قَالَ بَلَى لَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي بِهِمَا جَمِيعًا ، فَلَمْ أَدَعْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِكَ وَعَاشِرُهَا : مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ سَمِعْتُ مُطَرِّفًا قَالَ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ، ثُمَّ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَنْزِلْ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ وَحَادِي عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ إِنَّمَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَحُجُّ بَعْدَهَا وَلَهُ طُرُقٌ صَحِيحَةٌ إِلَيْهِمَا . [ص ١٠٥] وَثَانِي عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ وَقَرَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِسْنَادُهُ ثِقَاتٌ . وَثَالِثُ عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ، وَفِيهِ الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ . وَرَابِعُ عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ الْهِرْمَاسِ بْنِ زِيَادٍ الْبَاهِلِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَخَامِسُ عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّ ابْنَ أَبِي أَوْفَى قَالَ إِنَّمَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَحُجُّ بَعْدَ عَامِهِ ذَلِكَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ عَطَاءٍ أَخْطَأَ فِي إِسْنَادِهِ وَقَالَ آخَرُونَ لَا سَبِيلَ إِلَى تَخْطِئَتِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ . وَسَادِسُ عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، [ص ١٠٦] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، فَطَافَ لَهُمَا طَوَافًا وَاحِدًا وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَفِيهِ الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ وَحَدِيثُهُ لَا يَنْزِلُ عَنْ دَرَجَةِ الْحَسَنِ مَا لَمْ يَنْفَرِدْ بِشَيْءٍ أَوْ يُخَالِفُ الثِّقَاتِ . وَسَابِعُ عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَهِلُّوا يَا آلَ مُحَمَّدٍ بِعُمْرَةٍ فِي حَجٍّ وَثَامِنُ عَشْرِهَا : مَا أَخْرَجَاهُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا وَلَمْ تَحِلَّ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ ؟ قَالَ إِنِّي قَلَّدْتُ هَدْيِي ، وَلَبَّدْتُ رَأْسِي ، فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَحِلَّ مِنْ الْحَجِّ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي عُمْرَةٍ مَعَهَا حَجٌّ ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ مِنْ الْعُمْرَةِ حَتَّى يَحِلَّ مِنْ الْحَجِّ وَهَذَا عَلَى أَصْلِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ أَلْزَمُ لِأَنَّ الْمُعْتَمِرَ عُمْرَةً مُفْرَدَةً لَا يَمْنَعُهُ عِنْدَهُمَا الْهَدْيُ مِنْ التَّحَلُّلِ وَإِنَّمَا يَمْنَعُهُ عُمْرَةُ الْقِرَانِ فَالْحَدِيثُ عَلَى أَصْلِهِمَا نَصٌّ .

وَتَاسِعُ عَشْرِهَا : مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَالضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ عَامَ حَجَّ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَهُمَا يَذْكُرَانِ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ الضَّحَّاكُ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَهِلَ أَمْرَ اللَّهِ فَقَالَ سَعْدٌ بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أَخِي . قَالَ الضَّحَّاكُ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ نَهَى عَنْ [ص ١٠٧] قَالَ سَعْدٌ قَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَنَعْنَاهَا مَعَهُ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

[الْقِرَانُ أَحَدُ نَوْعَيْ التَّمَتُّعِ وَهُوَ لُغَةُ الْقُرْآنِ]

وَمُرَادُهُ بِالتَّمَتُّعِ هُنَا بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ : أَحَدُ نَوْعَيْهِ وَهُوَ تَمَتُّعُ الْقِرَانِ فَإِنَّهُ لُغَةُ الْقُرْآنِ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ شَهِدُوا التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ شَهِدُوا بِذَلِكَ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ : تَمَتَّعَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجِّ فَبَدَأَ فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ أَهَلَّ بِالْحَجِّ وَكَذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ ، وَأَيْضًا : فَإِنَّ الَّذِي صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مُتْعَةُ الْقِرَانِ بِلَا شَكٍّ كَمَا قَطَعَ بِهِ أَحْمَدُ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِمُطَرِّفٍ أُحَدِّثُك حَدِيثًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَك بِهِ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ ثُمَّ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ . وَهُوَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " فَأَخْبَرَ عَنْ قِرَانِهِ بِقَوْلِهِ تَمَتَّعَ وَبِقَوْلِهِ جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا ، مَا ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ اجْتَمَعَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ بِعُسْفَانَ ، فَقَالَ كَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنْ الْمُتْعَةِ أَوْ الْعُمْرَةِ فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا تُرِيدُ إلَى أَمْرٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْهَى عَنْهُ ؟ قَالَ عُثْمَانُ : دَعْنَا مِنْك ، فَقَالَ إنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَك ، فَلَمَّا أَنْ رَأَى عَلِيٌّ ذَلِكَ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا . هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ ، وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ : اخْتَلَفَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ بِعُسْفَانَ فِي الْمُتْعَةِ فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا تُرِيدُ إلَّا أَنْ تَنْهَى عَنْ أَمْرٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ ، أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَحْدَهُ مِنْ حَدِيثِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ شَهِدْتُ عُثْمَانَ [ص ١٠٨] وَعَلِيًّا ، وَعُثْمَانُ يَنْهَى عَنْ الْمُتْعَةِ وَأَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ ذَلِكَ أَهَلَّ بِهِمَا : لَبَّيْكَ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ وَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ أَحَدٍ . فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا ، كَانَ مُتَمَتِّعًا عِنْدَهُمْ وَأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَافَقَهُ عُثْمَانُ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُ مَا تُرِيدُ إلَى أَمْرٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْهَى عَنْهُ لَمْ يَقُلْ لَهُ لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْلَا أَنَّهُ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ لَأَنْكَرَهُ ثُمَّ قَصَدَ عَلِيٌّ إلَى مُوَافَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي ذَلِكَ وَبَيَانُ أَنَّ فِعْلَهُ لَمْ يُنْسَخْ وَأَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا تَقْرِيرًا لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ وَمُتَابَعَتِهِ فِي الْقِرَانِ وَإِظْهَارًا لِسُنَّةٍ نَهَى عَنْهَا عُثْمَانُ مُتَأَوِّلًا ، وَحِينَئِذٍ فَهَذَا دَلِيلٌ مُسْتَقِلٌّ تَمَامَ الْعِشْرِينَ . الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ مَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي " الْمُوَطَّأِ " ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَأَهْلَلْنَا بِعُمْرَةٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهْلِلْ بِالْحَجِّ مَعَ الْعُمْرَةِ ، ثُمَّ لَا يَحِلَّ حَتَّى يَحِلَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ فَهُوَ أَوْلَى مَنْ بَادَرَ إلَى مَا أَمَرَ بِهِ وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ سَائِرُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَنَذْكُرُهَا . وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ إلَى إيجَابِ الْقِرَانِ عَلَى مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ وَالتَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ الْمُفْرَدَةِ عَلَى مَنْ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ فَعِنْدَهُمْ لَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَمَّا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِهِ أَصْحَابَهُ فَإِنَّهُ قَرَنَ وَسَاقَ الْهَدْيَ وَأَمَرَ كُلَّ مَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ بِالْفَسْخِ إلَى عُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ فَالْوَاجِبُ أَنْ نَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ أَوْ كَمَا أَمَرَ وَهَذَا الْقَوْلُ أَصَحُّ مِنْ قَوْلِ [ص ١٠٩] كَثِيرَةٍ سَنَذْكُرُهَا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ مَا أَخْرَجَاهُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ . قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ فَبَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، حَمِدَ اللَّهَ وَسَبَّحَ [وَكَبَّرَ] ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهِمَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا ، أَمَرَ النَّاسَ فَحَلُّوا ، حَتَّى إذَا كَانَ

يَوْمُ التَّرْوِيَةِ أَهَلُّوا بِالْحَجِّ . وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " أَيْضًا : عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ جَمِيعًا ، قَالَ بَكْرٌ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ لَبَّى بِالْحَجِّ وَحْدَهُ فَلَقِيتُ أَنَسًا ، فَحَدَّثْتُهُ بِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ أَنَسٌ مَا تَعُدُّونَنَا إِلَّا صِبْيَانًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَبَّيْكَ عُمْرَةً وحَجًّا وَبَيْنَ أَنَسٍ وَابْنِ عُمَرَ فِي السِّنِّ سَنَةٌ أَوْ سَنَةٌ وَشَيْءٌ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ ، وَحُمَيْدٍ أَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَسًا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَلَّ بِهِمَا لَبَّيْكَ عُمْرَةً وحَجًّا وَرَوَى أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَبَّيْكَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ مَعًا [ص ١١٠] النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي بِهِمَا . وَرُوِيَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَلَّ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ وَرَوَى الْبَزَّارُ ، مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَة وَمِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَنَسٍ كَذَلِكَ وَعَنْ أَبِي قُدَامَةَ عَنْ أَنَسٍ مِثْلَهُ . وَذَكَرَ وَكِيعٌ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ سَمِعْت أَنَسًا مِثْلَهُ قَالَ وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ مِثْلَهُ وَذَكَرَ الْخُشَنِيِّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي قَزَعَة عَنْ أَنَسٍ مِثْلَهُ . وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ فَذَكَرَهَا وَقَالَ وَعُمْرَةٌ مَعَ حَجَّتِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ وَحُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ أَنَسٍ مِثْلَهُ فَهَؤُلَاءِ سِتَّةَ عَشَرَ نَفْسًا مِنْ الثِّقَاتِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ لَفْظَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِهْلَالًا بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ مَعًا ، وَهُمْ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَأَبُو قِلَابَة ، وَحُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ ، وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّوِيلُ ، وَقَتَادَةُ : وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَثَابِتٌ الْبُنَانِيِّ ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ ، وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيِّ ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَمُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ ، وَأَبُو أَسْمَاءَ ، وَأَبُو قُدَامَة عَاصِمُ بْنُ حُسَيْنٍ وَأَبُو قَزَعَة وَهُوَ سُوَيْدُ بْنُ حَجَرٍ الْبَاهِلِيِّ . [ص ١١١] أَنَسٍ عَنْ لَفْظِ إِهْلَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْهُ وَهَذَا عَلِيٌّ وَالْبَرَاءُ يُخْبِرَانِ عَنْ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْقِرَانِ وَهَذَا عَلِيٌّ أَيْضًا ، يُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَهُ وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِأَنْ يَفْعَلَهُ وَعَلَّمَهُ اللَّفْظَ الَّذِي يَقُولُهُ عِنْدَ الْإِحْرَامِ وَهَذَا عَلِيٌّ أَيْضًا يُخْبِرُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي بِهِمَا جَمِيعًا ، وَهَؤُلَاءِ بَقِيَّةُ مَنْ ذَكَرْنَا يُخْبِرُونَ عَنْهُ بِأَنَّهُ فَعَلَهُ وَهَذَا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِهِ آلَهُ وَيَأْمُرُ بِهِ مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ .

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ رَوَوْا الْقِرَانَ بِغَايَةِ الْبَيَانِ عَائِشَةُ أُمّ الْمُؤْمِنِين ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بِإِقْرَارِهِ لِعَلِيٍّ وَتَقْرِيرِ عَلِيٍّ لَهُ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَحَفْصَةُ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبُو قَتَادَةَ ، وَابْنُ أَبِي أَوْفَى ، وَأَبُو طَلْحَة وَالْهِرْمَاسُ بْنُ زِيَادٍ وَأُمّ سَلَمَة ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ سَبْعَة عَشَرَ

صَحَابِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْهُمْ مَنْ رَوَى فِعْلَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَى لَفْظَ إحْرَامِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَى خَبَرَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَى أَمْرَهُ بِهِ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ تَجْعَلُونَ مِنْهُمْ ابْنَ عُمَرَ وَجَابِرًا ، وَعَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ ؟ وَهَذِهِ عَائِشَةُ تَقُولُ أَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ وَفِي لَفْظٍ أَفْرَدَ الْحَجَّ وَالْأَوَّلُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " ، وَالثَّانِي فِي مُسْلِمٍ وَلَهُ لَفْظَانِ هَذَا أَحَدُهُمَا وَالثَّانِي: أَهَلَّ بِالْحَجِّ مُفْرِدًا وَهَذَا ابْنُ عُمَرَ يَقُول: لَبَّى بِالْحَجِّ وَحْدَهُ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ ، وَهَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ وَأَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ [ص ١١٢] جَابِرٌ يَقُولُ أَفْرَدَ الْحَجَّ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ . قِيلَ إنْ كَانَتْ الْأَحَادِيثُ عَنْ هَؤُلَاءِ تَعَارَضَتْ وَتَسَاقَطَتْ فَإِنَّ أَحَادِيثَ الْبَاقِينَ لَمْ تَتَعَارَضْ فَهَبْ أَنَّ أَحَادِيثَ مَنْ ذَكَرْتُمْ لَا حُجَّةَ فِيهَا عَلَى الْقِرَانِ وَلَا عَلَى الْإِفْرَادِ لِتَعَارُضِهَا ، فَمَا الْمُوجِبُ لِلْعُدُولِ عَنْ أَحَادِيثِ الْبَاقِينَ مَعَ صَرَاحَتِهَا وَصِحَّتِهَا ؟ فَكَيْفَ وَأَحَادِيثُهُمْ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا ، وَإِنَّمَا ظَنَّ مَنْ ظَنَّ التَّعَارُضَ لِعَدَمِ إحَاطَتِهِ بِمُرَادِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ وَحَمْلِهَا عَلَى الِاصْطِلَاحِ الْحَادِثِ بَعْدَهُمْ . وَرَأَيْت لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فَصْلًا حَسَنًا فِي اتِّفَاقِ أَحَادِيثِهِمْ نَسُوقُهُ بِلَفْظِهِ قَالَ وَالصَّوَابُ أَنَّ الْأَحَادِيثَ فِي هَذَا الْبَابِ مُتَّفِقَةٌ لَيْسَتْ بِمُخْتَلِفَةٍ إلَّا اخْتِلَافًا يَسِيرًا يَقَعُ مِثْلُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ ثَبَتَ عَنْهُمْ أَنَّهُ تَمَتَّعَ وَالتَّمَتُّعُ عِنْدَهُمْ يَتَنَاوَلُ الْقِرَانَ وَاَلَّذِينَ رُوِيَ عَنْهُمْ أَنَّهُ أَفْرَدَ رُوِيَ عَنْهُمْ أَنَّهُ تَمَتَّعَ أَمَّا الْأَوَّلُ فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ اجْتَمَعَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ بِعُسْفَانَ ، وَكَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنْ الْمُتْعَةِ أَوْ الْعُمْرَةِ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تُرِيدُ إلَى أَمْرٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْهَى عَنْهُ ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ دَعْنَا مِنْك فَقَالَ إنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَك . فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا . فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا كَانَ مُتَمَتِّعًا عِنْدَهُمْ وَأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَافَقَهُ عُثْمَانُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ ذَلِكَ لَكِنْ كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَهُمَا ، هَلْ ذَلِكَ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّنَا أَمْ لَا ؟ وَهَلْ شُرِعَ فَسْخُ الْحَجِّ إلَى الْعُمْرَةِ فِي حَقِّنَا كَمَا تَنَازَعَ فِيهِ الْفُقَهَاءُ ؟ فَقَدْ اتَّفَقَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ عَلَى أَنَّهُ تَمَتَّعَ وَالْمُرَادُ بِالتَّمَتُّعِ عِنْدَهُمْ الْقِرَانُ . وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، ثُمَّ إنَّهُ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَنْزِلْ فِيهِ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص ١١٣] وَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ فَهَذَا عِمْرَانُ وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ تَمَتَّعَ وَأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْقَارِنُ عِنْدَ الصَّحَابَةِ مُتَمَتِّعٌ وَلِهَذَا أَوْجَبُوا عَلَيْهِ الْهَدْيَ وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } [الْبَقَرَةُ ١٩٦] ، وَذَكَرَ حَدِيثَ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ : عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ قَالَ فَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ، وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رُوِيَ عَنْهُمْ بِأَصَحِّ الْأَسَانِيدِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ بَيْنَ الْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَكَانُوا يُسَمُّونَ ذَلِكَ تَمَتُّعًا ، وَهَذَا أَنَسٌ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ جَمِيعًا . وَمَا ذَكَرَهُ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيّ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ لَبَّى بِالْحَجِّ وَحْدَه فَجَوَابُهُ أَنَّ الثِّقَاتِ الَّذِينَ هُمْ أَثْبَتُ فِي ابْنِ عُمَرَ مِنْ بَكْرٍ مِثْلَ سَالِمٍ ابْنِهِ وَنَافِعٍ رَوَوْا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجِّ وَهَؤُلَاءِ أَثْبَتُ فِي ابْنِ عُمَرَ مِنْ بَكْرٍ . فَتَغْلِيطُ بَكْرٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَوْلَى مِنْ تَغْلِيطِ

سَالِمٍ وَنَافِعٍ عَنْهُ وَأَوْلَى مِنْ تَغْلِيطِهِ هُوَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُشْبِهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ لَهُ أَفْرَدَ الْحَج فَظَنَّ أَنَّهُ قَالَ لَبَّى بِالْحَجِّ فَإِنَّ إِفْرَادَ الْحَجِّ كَانُوا يُطْلِقُونَهُ وَيُرِيدُونَ بِهِ إِفْرَادَ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَذَلِكَ رَدٌّ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّهُ قَرَنَ قِرَانًا طَافَ فِيهِ طَوَافَيْنِ وَسَعَى فِيهِ سَعْيَيْنِ وَعَلَى مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ حَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ فَرِوَايَةُ مَنْ رَوَى مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ أَفْرَدَ الْحَجَّ تَرُدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ يُبَيِّنُ هَذَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَهْلَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ مُفْرَدًا ، وَفِي رِوَايَةٍ أَهَلَّ بِالْحَجِّ مُفْرِدًا فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ إِذَا قِيلَ إِنَّ مَقْصُودَهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَلَّ بِحَجٍّ مُفْرِدًا ، قِيلَ فَقَدْ ثَبَتَ بِإِسْنَادٍ أَصَحَّ مِنْ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى [ص ١١٤] أَهَلَّ بِالْحَجِّ ، وَهَذَا مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَمَا عَارَضَ هَذَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ إمَّا أَنْ يَكُونَ غَلَطًا عَلَيْهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُهُ مُوَافِقًا لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ابْنُ عُمَرَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحِلَّ ظَنَّ أَنَّهُ أَفْرَدَ كَمَا وَهِمَ فِي قَوْلِهِ إِنَّهُ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ وَكَانَ ذَلِكَ نِسْيَانًا مِنْهُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا لَمْ يَحِلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ وَكَانَ هَذَا حَالَ الْمُفْرِدِ ظَنَّ أَنَّهُ أَفْرَدَ ثُمَّ سَاقَ حَدِيثَ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ . وَقَوْلَ الزُّهْرِيِّ : وَحَدَّثَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ بِمِثْلِ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ فَهَذَا مِنْ أَصَحِّ حَدِيثٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالسُّنَّةِ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ مِنْ أَصَحِّ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ . وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي " الصَّحِيحَيْنِ " : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ ، الرَّابِعَةُ مَعَ حَجَّتِهِ وَلَمْ يَعْتَمِرْ بَعْدَ الْحَجِّ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ مُتَمَتِّعًا تَمَتُّعَ قِرَانٍ أَوْ التَّمَتُّعَ الْخَاصَّ . وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَقَالَ هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي " الصَّحِيحِ " . قَالَ وَأَمَّا الَّذِينَ نُقِلَ عَنْهُمْ إفْرَادُ الْحَجِّ فَهُمْ ثَلَاثَةٌ عَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَجَابِرٌ وَالثَّلَاثَةُ نُقِلَ عَنْهُمْ التَّمَتُّعُ وَحَدِيثُ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِهِمَا ، وَمَا صَحَّ فِي ذَلِكَ عَنْهُمَا ، فَمَعْنَاهُ إِفْرَادُ أَعْمَالِ الْحَجِّ أَوْ أَنْ يَكُونَ وَقَعَ مِنْهُ غَلَطٌ كَنَظَائِرِهِ فَإِنَّ أَحَادِيثَ التَّمَتُّعِ مُتَوَاتِرَةٌ رَوَاهَا أَكَابِرُ الصَّحَابَةِ كَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَرَوَاهَا أَيْضًا : عَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَجَابِرٌ بَلْ رَوَاهَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ الصَّحَابَةِ . [ص ١١٥] وَعَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ وَإِنَّمَا وَهِمَ ابْنُ عُمَرَ فِي كَوْنِ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ وَكُلُّهُمْ قَالُوا : وَعُمْرَةٌ مَعَ حَجَّتِهِ وَهُمْ سِوَى ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالُوا : إنَّه أَفْرَدَ الْحَجَّ وَهُمْ سِوَى أَنَسٍ قَالُوا : تَمَتَّعَ . فَقَالُوا : هَذَا ، وَهَذَا ، وَهَذَا ، وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ أَقْوَالِهِمْ فَإِنَّهُ تَمَتَّعَ تَمَتُّعَ قِرَانٍ وَأَفْرَدَ أَعْمَالَ الْحَجِّ وَقَرَنَ بَيْنَ النُّسُكَيْنِ وَكَانَ قَارِنًا بِاعْتِبَارِ جَمْعِهِ بَيْنَ النُّسُكَيْنِ وَمُفْرِدًا بِاعْتِبَارِ اقْتِصَارِهِ عَلَى أَحَدِ الطَّوَافَيْنِ وَالسَّعْيَيْنِ وَمُتَمَتِّعًا تَرَفُّهَهُ بِتَرْكِ أَحَدِ السَّفَرَيْنِ . وَمَنْ تَأَمَّلَ أَلْفَاظَ الصَّحَابَةِ ، وَجَمَعَ الْأَحَادِيثَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَاعْتَبَرَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ وَفَهِمَ لُغَةَ الصَّحَابَةِ أَسْفَرَ لَهُ صُبْحُ الصَّوَابِ وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ ظُلْمَةُ الِاخْتِلَافِ وَالِاضْطِرَابِ وَاَللَّهُ الْهَادِي لِسَبِيلِ الرَّشَادِ وَالْمُوَفِّقُ لِطَرِيقِ السَّدَادِ .

[الرَّدُّ عَلَى مَنْ ادَّعَى حَجَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفْرِدًا]

فَمَنْ قَالَ إنّهُ أَفْرَدَ الْحَجّ وَأَرَادَ بِهِ أَنّهُ أَتَى بِالْحَجّ مُفْرِدًا ، ثُمّ فَرَغَ مِنْهُ وَأَتَى بِالْعُمْرَةِ بَعْدَهُ مِنْ التّنْعِيمِ أَوْ غَيْرِهِ كَمَا يَظُنّ كَثِيرٌ مِنْ النّاسِ فَهَذَا غَلَطٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصّحَابَةِ وَلَا التّابِعِينَ وَلَا الْأَئِمّةِ الْأَرْبَعَةِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمّةِ الْحَدِيثِ . وَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنّهُ حَجّ حَجّا مُفْرَدًا ، لَمْ يَعْتَمِرْ مَعَهُ كَمَا قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنْ السّلَفِ وَالْخَلَفِ فَوَهْمٌ أَيْضًا ، وَالْأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ الصّرِيحَةُ تَرُدّهُ كَمَا تَبَيّنَ وَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنّهُ اقْتَصَرَ عَلَى أَعْمَالِ الْحَجّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُفْرِدْ لِلْعُمْرَةِ أَعْمَالًا ، فَقَدْ أَصَابَ وَعَلَى قَوْلِهِ تَدُلّ جَمِيعُ الْأَحَادِيثِ . وَمَنْ قَالَ إنّهُ قَرَنَ فَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنّهُ طَافَ لِلْحَجّ طَوَافًا عَلَى حِدَةٍ وَلِلْعُمْرَةِ طَوَافًا عَلَى حِدَةٍ وَسَعَى لِلْحَجّ سَعْيًا ، وَلِلْعُمْرَةِ سَعْيًا ، فَالْأَحَادِيثُ الثّابِتَةُ تَرُدّ قَوْلَهُ . وَإِنْ أَرَادَ أَنّهُ قَرَنَ بَيْنَ النّسُكَيْنِ وَطَافَ لَهُمَا طَوَافًا وَاحِدًا ، وَسَعَى لَهُمَا سَعْيًا وَاحِدًا ، فَالْأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ تَشْهَدُ لِقَوْلِهِ وَقَوْلُهُ هُوَ الصّوَابُ .

[الرّدّ عَلَى مَنْ ادّعَى حَجّةُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُتَمَتّعًا]

وَمَنْ قَالَ إنّهُ تَمَتّعَ فَإِنْ أَرَادَ أَنّهُ تَمَتّعَ تَمَتّعًا حَلّ مِنْهُ ثُمّ أَحْرَمَ بِالْحَجّ [ص ١١٦] أَرَادَ أَنّهُ تَمَتّعَ تَمَتّعًا لَمْ يَحِلّ مِنْهُ بَلْ بَقِيَ عَلَى إحْرَامِهِ لِأَجْلِ سَوْقِ الْهَدْيِ فَالْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ تَرُدّ قَوْلَهُ أَيْضًا ، وَهُوَ أَقَلّ غَلَطًا ، وَإِنْ أَرَادَ تَمَتّعَ الْقِرَانِ فَهُوَ الصّوَابُ الّذِي تَدُلّ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْأَحَادِيثِ الثّابِتَةِ وَيَأْتَلِفُ بِهِ شَمْلُهَا ، وَيَزُولُ عَنْهَا الْإِشْكَالُ وَالِاخْتِلَافُ .

فَصْلٌ [غَلَطُ النّاسِ فِي عُمَرِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

غَلِطَ فِي عُمَرِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَمْسُ طَوَائِفَ . إحْدَاهَا : مَنْ قَالَ إنّهُ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ وَهَذَا غَلَطٌ فَإِنّ عُمَرَهُ مَضْبُوطَةٌ مَحْفُوظَةٌ لَمْ يَخْرُجْ فِي رَجَبٍ إلَى شَيْءٍ مِنْهَا أَلْبَتّةَ . الثّانِيَةُ مَنْ قَالَ إنّهُ اعْتَمَرَ فِي شَوّال وَهَذَا أَيْضًا وَهْمٌ وَالظّاهِرُ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - أَنّ بَعْضَ الرّوَاةِ غَلِطَ فِي هَذَا ، وَأَنّهُ اعْتَكَفَ فِي شَوّالٍ فَقَالَ اعْتَمَرَ فِي شَوّالٍ ، لَكِنّ سِيَاقَ الْحَدِيثِ وَقَوْلَهُ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَ عُمَرٍ عُمْرَةً فِي شَوّالٍ وَعُمْرَتَيْنِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ يَدُلّ عَلَى أَنّ عَائِشَةَ أَوْ مَنْ دُونَهَا ، إنّمَا قَصَدَ الْعُمْرَةَ . الثّالِثَةُ مَنْ قَالَ إنّهُ اعْتَمَرَ مِنْ التّنْعِيمِ بَعْدَ حَجّهِ وَهَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَإِنّمَا يَظُنّهُ الْعَوَامّ ، وَمَنْ لَا خِبْرَةَ لَهُ بِالسّنّةِ . الرّابِعَةُ مَنْ قَالَ إنّهُ لَمْ يَعْتَمِرْ فِي حَجّتِهِ أَصْلًا ، وَالسّنّةُ الصّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ الّتِي لَا يُمْكِنُ رَدّهَا تُبْطِلُ هَذَا الْقَوْلَ . الْخَامِسَةُ مَنْ قَالَ إنّهُ اعْتَمَرَ عُمْرَةً حَلّ مِنْهَا ، ثُمّ أَحْرَمَ بَعْدَهَا بِالْحَجّ مِنْ مَكّةَ ، وَالْأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ تُبْطِلُ هَذَا الْقَوْلَ وَتَرُدّهُ [ص ١١٧]

فَصْلٌ [غَلَطُ النّاسِ فِي حَجّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

وَوَهِمَ فِي حَجّهِ خَمْسُ طَوَائِفَ . الطّائِفَةُ الْأُولَى : الّتِي قَالَتْ حَجّ حَجّا مُفْرَدًا لَمْ يَعْتَمِرْ مَعَهُ . الثّانِيَةُ مَنْ قَالَ حَجّ مُتَمَتّعًا تَمَتّعًا حَلّ مِنْهُ ثُمّ أَحْرَمَ بَعْدَهُ بِالْحَجّ كَمَا قَالَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ . الثّالِثَةُ مَنْ قَالَ حَجّ مُتَمَتّعًا تَمَتّعًا لَمْ يَحِلّ مِنْهُ لِأَجْلِ سَوْقِ الْهَدْيِ وَلَمْ يَكُنْ قَارِنًا ، كَمَا قَالَهُ أَبُو مُحَمّدٍ بْنُ قُدَامَةَ صَاحِبُ " الْمُغْنِي " وَغَيْرُهُ . الرّابِعَةُ مَنْ قَالَ حَجّ قَارِنًا قِرَانًا طَافَ لَهُ طَوَافَيْنِ وَسَعَى لَهُ سَعْيَيْنِ . الْخَامِسَةُ مَنْ قَالَ حَجّ حَجّا مُفْرَدًا ، وَاعْتَمَرَ بَعْدَهُ مِنْ التّنْعِيمِ .

فَصْلٌ [غَلَطُ النّاسِ فِي إحْرَامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

وَغَلِطَ فِي إحْرَامِهِ خَمْسُ طَوَائِفَ . إحْدَاهَا : مَنْ قَالَ لَبّى بِالْعُمْرَةِ وَحْدَهَا ، وَاسْتَمَرّ عَلَيْهَا . الثّانِيَةُ مَنْ قَالَ لَبّى بِالْحَجّ وَحْدَهُ ، وَاسْتَمَرّ عَلَيْهِ . الثّالِثَةُ مَنْ قَالَ لَبّى بِالْحَجّ

مُفْرَدًا ، ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الْعُمْرَةَ وَزَعَمَ أَنّ ذَلِكَ خَاصّ بِهِ . الرّابِعَةُ مَنْ قَالَ لَبّى بِالْعُمْرَةِ وَحْدَهَا ، ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْحَجّ فِي ثَانِي الْحَالِ . الْخَامِسَةُ مَنْ قَالَ أَحْرَمَ إحْرَامًا مُطْلَقًا لَمْ يُعَيّنْ فِيهِ نُسُكًا ، ثُمّ عَيّنَهُ بَعْدَ إحْرَامِهِ . [ص ١١٨] أَحْرَمَ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ مَعًا مِنْ حِينِ أَنْشَأَ الْإِحْرَامَ وَلَمْ يَحِلّ حَتّى حَلّ مِنْهُمَا جَمِيعًا ، فَطَافَ لَهُمَا طَوَافًا وَاحِدًا ، وَسَعَى لَهُمَا سَعْيًا وَاحِدًا . وَسَاقَ الْهَدْيَ كَمَا دَلّتْ عَلَيْهِ النّصُوصُ الْمُسْتَفِيضَةُ الّتِي تَوَاتَرَتْ تَوَاتُرًا يَعْلَمُهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ فِي أَعْذَارِ الْقَائِلِينَ بِهَذِهِ الْأَقْوَالِ وَبَيَانِ مَنْشَأِ الْوَهْمِ وَالْغَلَطِ

[عُذْرُ مَنْ قَالَ اعْتَمَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رَجَبٍ]

أَمّا عُذْرُ مَنْ قَالَ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ ، فَحَدِيثُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ مُتّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَدْ غَلّطَتْهُ عَائِشَةُ وَغَيْرُهَا ، كَمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسًا إلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَإِذَا نَاسٌ يُصَلّونَ فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الضّحَى ، قَالَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ . فَقَالَ بِدْعَةٌ . ثُمّ قُلْنَا لَهُ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قَالَ أَرْبَعًا . إحْدَاهُنّ فِي رَجَبٍ ، فَكَرِهْنَا أَنْ نَرُدّ عَلَيْهِ قَالَ وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَ عُرْوَةُ : يَا أُمّهُ أَوْ يَا أُمّ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرّحْمَنِ ؟ قَالَتْ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ يَقُولُ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ ، إحْدَاهُنّ فِي رَجَبٍ . قَالَتْ يَرْحَمُ اللّهُ أَبَا عَبْدِ الرّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ عُمْرَةً قَطّ إلّا وَهُوَ شَاهِدٌ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطّ وَكَذَلِكَ قَالَ أَنَسٌ ، وَابْنُ عَبّاسٍ : إنّ عُمَرَهُ كُلّهَا كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهَذَا هُوَ الصّوَابُ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ اعْتَمَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي شَوّالٍ]

وَأَمّا مَنْ قَالَ : اعْتَمَرَ فِي شَوّالٍ ، فَعُذْرُهُ مَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي " الْمُوَطّأِ " ، عَنْ [ص ١١٩] ، عَنْ أَبِيهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَعْتَمِرْ إلّا ثَلَاثًا ، إحْدَاهُنّ فِي شَوّالٍ وَاثْنَتَيْنِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَلَكِنّ هَذَا الْحَدِيثَ مُرْسَلٌ وَهُوَ غَلَطٌ أَيْضًا ، إمّا مِنْ هِشَامٍ وَإِمّا مِنْ عُرْوَةَ أَصَابَهُ فِيهِ مَا أَصَابَ ابْنَ عُمَرَ . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مَرْفُوعًا عَنْ عَائِشَةَ وَهُوَ غَلَطٌ أَيْضًا لَا يَصِحّ رَفْعُهُ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرّ : وَلَيْسَ رِوَايَتُهُ مُسْنَدًا مِمّا يُذْكَرُ عَنْ مَالِكٍ فِي صِحّةِ النّقْلِ . قُلْت : وَيَدُلّ عَلَى بُطْلَانِهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنّ عَائِشَةَ وَابْنَ عَبّاسٍ ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالُوا : لَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهَذَا هُوَ الصّوَابُ فَإِنّ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ وَعُمْرَةَ الْقَضِيّةِ ، كَانَتَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةَ الْقِرَانِ إنّمَا كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةَ الْجِعْرَانَةِ أَيْضًا كَانَتْ فِي أَوّلِ ذِي الْقَعْدَةِ وَإِنّمَا وَقَعَ الِاشْتِبَاهُ أَنّهُ خَرَجَ مِنْ مَكّةَ فِي شَوّالٍ لِلِقَاءِ الْعَدُوّ وَفَرَغَ مِنْ عَدُوّهِ وَقَسَمَ غَنَائِمَهُمْ وَدَخَلَ مَكّةَ لَيْلًا مُعْتَمِرًا مِنْ الْجِعْرَانَةِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا لَيْلًا ، فَخَفِيَتْ عُمْرَتُهُ هَذِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النّاسِ وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَرّشٌ الْكَعْبِيّ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ اعْتَمَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ
مِنْ التّنْعِيمِ بَعْدَ الْحَجّ]

وَأَمّا مَنْ ظَنّ أَنّهُ اعْتَمَرَ مِنْ التّنْعِيمِ بَعْدَ الْحَجّ فَلَا أَعْلَمُ لَهُ عُذْرًا ، فَإِنّ هَذَا خِلَافُ الْمَعْلُومِ الْمُسْتَفِيضِ مِنْ حَجّتِهِ وَلَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ قَطّ ، وَلَا قَالَهُ إمَامٌ وَلَعَلّ ظَانّ هَذَا سَمِعَ أَنّهُ أَفْرَدَ الْحَجّ ، وَرَأَى أَنّ كُلّ مَنْ أَفْرَدَ الْحَجّ مِنْ أَهْلِ الْآفَاقِ لَا بُدّ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ بَعْدَهُ إلَى التّنْعِيمِ

، فَنَزّلَ حَجّةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا عَيْنُ الْغَلَطِ . [ص ١٢٠]
فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ لَمْ يَعْتَمِرْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّتِهِ]
وَأَمّا مَنْ قَالَ إنّهُ لَمْ يَعْتَمِرْ فِي حَجّتِهِ أَصْلًا ، فَعُذْرُهُ أَنّهُ لَمّا سَمِعَ أَنّهُ أَفْرَدَ الْحَجّ ، وَعَلِمَ يَقِينًا أَنّهُ لَمْ يَعْتَمِرْ بَعْدَ حَجّتِهِ قَالَ إنّهُ لَمْ يَعْتَمِرْ فِي تِلْكَ الْحَجّةِ اكْتِفَاءً مِنْهُ بِالْعُمْرَةِ الْمُتَقَدّمَةِ وَالْأَحَادِيثُ الْمُسْتَفِيضَةُ الصّحِيحَةُ تَرُدّ قَوْلَهُ كَمَا تَقَدّمَ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا ، وَقَدْ قَالَ هَذِهِ عُمْرَةٌ اسْتَمْتَعْنَا بِهَا وَقَالَتْ حَفْصَةُ : مَا شَأْنُ النّاسِ حَلّوا وَلَمْ تَحِلّ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِك ؟ وَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ : تَمَتّعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ ، وَعَائِشَةُ وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَابْنُ عَبّاسٍ وَصَرّحَ أَنَسٌ ، وَابْنُ عَبّاسٍ وَعَائِشَةُ أَنّهُ اعْتَمَرَ فِي حَجّتِهِ وَهِيَ إحْدَى عُمَرِهِ الْأَرْبَعِ .
فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ اعْتَمَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُمْرَةً حَلّ مِنْهَا]
وَأَمّا مَنْ قَالَ إنّهُ اعْتَمَرَ عُمْرَةً حَلّ مِنْهَا ، كَمَا قَالَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَمَنْ وَافَقَهُ فَعُذْرُهُمْ مَا صَحّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَغَيْرِهِمْ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَمَتّعَ وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنّهُ تَمَتّعٌ حَلّ مِنْهُ وَيَحْتَمِلُ أَنّهُ لَمْ يَحِلّ فَلَمّا أَخْبَرَ مُعَاوِيَةُ أَنّهُ قَصّرَ عَنْ رَأْسِهِ بِمِشْقَصٍ عَلَى الْمَرْوَةِ ، وَحَدِيثُهُ فِي " الصّحِيحَيْنِ " دَلّ عَلَى أَنّهُ حَلّ مِنْ إحْرَامِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي غَيْرِ حَجّةِ الْوَدَاعِ لِأَنّ مُعَاوِيَةَ إنّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَكُنْ زَمَنَ الْفَتْحِ مُحْرِمًا ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي عُمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ الصّحِيحِ " وَذَلِكَ فِي حَجّتِهِ " . وَالثّانِي : أَنّ فِي رِوَايَةِ النّسَائِيّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَذَلِكَ فِي أَيّامِ الْعَشْرِ وَهَذَا إنّمَا كَانَ فِي حَجّتِهِ وَحَمَلَ هَؤُلَاءِ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى أَنّ الْمُتْعَةَ كَانَتْ لَهُ خَاصّةً [ص ١٢١] طَائِفَةً مِنْهُمْ خُصّوا بِالتّحْلِيلِ مِنْ الْإِحْرَامِ مَعَ سَوْقِ الْهَدْيِ دُونَ مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ مِنْ الصّحَابَةِ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ آخَرُونَ مِنْهُمْ شَيْخُنَا أَبُو الْعَبّاسِ . وَقَالُوا : مَنْ تَأَمّلَ الْأَحَادِيثَ الْمُسْتَفِيضَةَ الصّحِيحَةَ تَبَيّنَ لَهُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَحِلّ لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِمّنْ سَاقَ الْهَدْيَ .
فَصْلٌ فِي أَعْذَارِ الّذِينَ وَهِمُوا فِي صِفَةِ حَجّتِهِ
[عُذْرُ مَنْ قَالَ حَجّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُفْرِدًا وَلَمْ يَعْتَمِرْ فِيهِ]
أَمّا مَنْ قَالَ إنّهُ حَجّ حَجّا مُفْرَدًا ، لَمْ يَعْتَمِرْ فِيهِ فَعُذْرُهُ مَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَامَ حَجّةِ الْوَدَاعِ فَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ ، وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ وَأَهَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْحَجّ . وَقَالُوا : هَذَا التّقْسِيمُ وَالتّنْوِيعُ صَرِيحٌ فِي إهْلَالِهِ بِالْحَجّ وَحْدَهُ . وَلِمُسْلِمٍ عَنْهَا ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، أَهَلّ بِالْحَجّ مُفْرَدًا وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَبّى بِالْحَجّ وَحْدَهُ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " ، عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَهَلّ بِالْحَجّ . وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " ، عَنْ جَابِرٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَفْرَدَ الْحَجّ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْهُ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا نَنْوِي إلّا الْحَجّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ . [ص ١٢٢] " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ حَجّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنّ أَوّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ

قَدِمَ مَكَّةَ ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ] ، ثُمَّ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ حَجَّ عُثْمَانُ فَرَأَيْتُهُ أَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ ثُمَّ مُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، ثُمَّ حَجَجْتُ مَعَ أَبِي الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ ثُمَّ رَأَيْتُ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضْهَا عُمْرَةً وَهَذَا ابْنُ عُمَرَ عِنْدَهُمْ فَلَا يَسْأَلُونَهُ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ مَضَى مَا كَانُوا يَبْدَءُونَ بِشَيْءٍ حِينَ يَضَعُونَ أَقْدَامَهُمْ أَوَّلَ مِنْ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ ثُمَّ لَا يَحِلُّونَ وَقَدْ رَأَيْت أُمِّي وَخَالَتِي حِينَ تَقْدَمَانِ لَا تَبْدَآنِ بِشَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ الْبَيْتِ تَطُوفَانِ بِهِ ثُمَّ إنَّهُمَا لَا تَحِلَّانِ وَقَدْ أَخْبَرَتْنِي أُمِّي أَنَّهَا أَهَلَّتْ هِيَ وَأُخْتُهَا وَالزُّبَيْرُ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ بِعُمْرَةٍ فَلَمَّا مَسَحُوا الرُّكْنَ حَلُّوا وَفِي" سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، ووُهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَافِينَ لِهِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ فَلَمَّا كَانَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَالَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُهِلَّ بِحَجٍّ فَلْيُهِلَّ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُهِلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهِلَّ بِعُمْرَةٍ ثُمَّ انْفَرَدَ وُهَيْبٌ فِي حَدِيثِهِ بِأَنْ قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي لَوْلَا أَنِّي أَهْدَيْتُ لَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ وَقَالَ الْآخَرُ وَأَمَّا أَنَا فَأُهِلُّ بِالْحَجِّ فَصَحَّ بِمَجْمُوعِ الرِّوَايَتَيْنِ أَنَّهُ أَهَلَّ بِالْحَجِّ مُفْرَدًا فَأَرْبَابُ هَذَا الْقَوْلِ عُذْرُهُمْ ظَاهِرٌ كَمَا تَرَى ، وَلَكِنْ مَا عُذْرُهُمْ فِي حُكْمِهِ وَخَبَرِهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخْبَرَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ سُقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْت ، وَخَبَرُ مَنْ هُوَ تَحْتَ بَطْنِ نَاقَتِهِ وَأَقْرَبُ إلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ يَسْمَعُهُ [ص ١٢٣] لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ وَخَبَرُ مَنْ هُوَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلِيِّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ يُخْبِرُ أَنَّهُ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا ، وَلَبَّى بِهِمَا جَمِيعًا ، وَخَبَرُ زَوْجَتِهِ حَفْصَةَ فِي تَقْرِيرِهِ لَهَا عَلَى أَنَّهُ مُعْتَمِرٌ بِعُمْرَةٍ لَمْ يَحِلَّ مِنْهَا ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، بَلْ صَدَّقَهَا ، وَأَجَابَهَا بِأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ حَاجٌّ ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُقِرُّ عَلَى بَاطِلٍ يَسْمَعُهُ أَصْلًا ، بَلْ يُنْكِرُهُ .

وَمَا عُذْرُهُمْ عَنْ خَبَرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْوَحْيِ الَّذِي جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ يَأْمُرُهُ فِيهِ أَنْ يُهِلَّ بِحَجَّةٍ فِي عُمْرَةٍ وَمَا عُذْرُهُمْ عَنْ خَبَرِ مَنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ قَرَنَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَحُجُّ بَعْدَهَا ، وَخَبَرِ مَنْ أَخْبَرَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ اعْتَمَرَ مَعَ حَجَّتِهِ وَلَيْسَ مَعَ مَنْ قَالَ إنَّهُ أَفْرَدَ الْحَجَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْهُ إنِّي أَفْرَدْت ، وَلَا أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي يَأْمُرُنِي بِالْإِفْرَادِ وَلَا قَالَ أَحَدٌ : مَا بَالُ النَّاسِ حَلُّوا ، وَلَمْ تَحِلَّ مِنْ حَجَّتِك ، كَمَا حَلُّوا هُمْ بِعُمْرَةٍ وَلَا قَالَ أَحَدٌ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَبَّيْكَ بِعُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ أَلْبَتَّةَ وَلَا بِحَجٍّ مُفْرَدٍ وَلَا قَالَ أَحَدٌ : إنَّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ الرَّابِعَةَ بَعْدَ حَجَّتِهِ وَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَارِنٌ وَلَا سَبِيلَ إلَى دَفْعِ ذَلِكَ إلَّا بِأَنْ يُقَالَ لَمْ يَسْمَعُوهُ . وَمَعْلُوم قَطْعًا أَنَّ تَطَرُّقَ الْوَهْمِ وَالْغَلَطِ إلَى مَنْ أَخْبَرَ عَمَّا فَهِمَهُ هُوَ مِنْ فِعْلِهِ يَظُنُّهُ كَذَلِكَ أَوْلَى مِنْ تَطَرُّقِ التَّكْذِيبِ إلَى مَنْ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا وَإِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ فَإِنَّ هَذَا لَا يَتَطَرَّقُ إلَيْهِ إلَّا التَّكْذِيبُ بِخِلَافِ خَبَرِ مَنْ أَخْبَرَ عَمَّا ظَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ وَكَانَ وَاهِمًا ، فَإِنَّهُ لَا يُنْسَبُ إلَى الْكَذِبِ وَلَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ عَلِيًّا ، وَأَنَسًا ، وَالْبَرَاءَ وَحَفْصَةَ عَنْ أَنْ يَقُولُوا : سَمِعْنَاهُ يَقُولُ كَذَا وَلَمْ يَسْمَعُوهُ وَنَزَّهَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنْ يُرْسِلَ إلَيْهِ أَنْ افْعَلْ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ يَفْعَلْهُ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ فَكَيْفَ وَالَّذِينَ ذَكَرُوا الْإِفْرَادَ عَنْهُ لَمْ يُخَالِفُوا هَؤُلَاءِ فِي مَقْصُودِهِمْ وَلَا نَاقَضُوهُمْ وَإِنَّمَا أَرَادُوا

إفْرَادَ الْأَعْمَالِ وَاقْتِصَارَهُ عَلَى عَمَلِ الْمُفْرَدِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي عَمَلِهِ زِيَادَةٌ عَلَى عَمَلِ الْمُفْرَدِ . وَمَنْ رَوَى عَنْهُمْ مَا يُوهِمُ خِلَافَ هَذَا ، فَإِنَّهُ عَبَّرَ بِحَسَبِ مَا فَهِمَهُ كَمَا سَمِعَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : أَفْرَدَ الْحَجَّ ، فَقَالَ لَبَّى بِالْحَجِّ وَحْدَه فَحَمَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى . وَقَالَ سَالِمٌ ابْنُهُ عَنْهُ وَنَافِعٌ مَوْلَاهُ . إنَّهُ تَمَتَّعَ فَبَدَأَ فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ أَهَلَّ [ص ١٢٤] ، فَهَذَا سَالِمٌ يُخْبِرُ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَ بِهِ بَكْرٌ وَلَا يَصِحّ تَأْوِيلُ هَذَا عَنْهُ بِأَنَّهُ أَمِرَ بِهِ فَإِنَّهُ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ وَبَدَأَ فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ أَهَلَّ بِالْحَجِّ ، وَكَذَا الَّذِينَ رَوَوْا الْإِفْرَادَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَهُمَا : عُرْوَةُ وَالْقَاسِمُ وَرَوَى الْقِرَانَ عَنْهَا عُرْوَةُ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو الْأَسْوَدِ يَرْوِي عَنْ عُرْوَةَ الْإِفْرَادَ ، وَالزّهْرِيّ يَرْوِي عَنْهُ الْقِرَانَ . فَإِنْ قَدّرْنَا تَسَاقُطَ الرّوَايَتَيْنِ سَلِمَتْ رِوَايَةُ مُجَاهِدٍ ، وَإِنْ حُمِلَتْ رِوَايَةُ الْإِفْرَادِ عَلَى أَنّهُ أَفْرَدَ أَعْمَالَ الْحَجّ تَصَادَقَتْ الرّوَايَاتُ وَصَدّقَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا رَيْبَ أَنّ قَوْلَ عَائِشَةَ وَابْنَ عُمَرَ أَفْرَدَ الْحَج ، مُحْتَمِلٌ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ : أَحَدُهَا : الْإِهْلَالُ بِهِ مُفْرَدًا . الثّانِي : إفْرَادُ أَعْمَالِهِ . الثّالِثُ أَنّهُ حَجّ حَجّةً وَاحِدَةً لَمْ يَحُجّ مَعَهَا غَيْرَهَا ، بِخِلَافِ الْعُمْرَةِ فَإِنّهَا كَانَتْ أَرْبَعَ مَرّاتٍ . وَأَمّا قَوْلُهُمَا : تَمَتّعَ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجّ وَبَدَأَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ ، فَحَكَيَا فِعْلَهُ فَهَذَا صَرِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ مَعْنًى وَاحِدٍ فَلَا يَجُوزُ رَدّهُ بِالْمُجْمَلِ وَلَيْسَ فِي رِوَايَةِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ وَعَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنّهُ أَهَلّ بِالْحَجّ مَا يُنَاقِضُ رِوَايَةَ مُجَاهِدٍ وَعُرْوَةَ عَنْهَا أَنّهُ قَرَنَ فَإِنّ الْقَارِنَ حَاجّ مُهِلّ بِالْحَجّ قَطْعًا ، وَعُمْرَتُهُ جُزْءٌ مِنْ حَجّتِهِ فَمَنْ أَخْبَرَ عَنْهَا أَنّهُ أَهَلّ بِالْحَجّ ، فَهُوَ غَيْرُ صَادِقٍ . فَإِنْ ضُمّتْ رِوَايَةُ مُجَاهِدٍ إلَى رِوَايَةِ عَمْرَةَ وَالْأَسْوَدِ ثُمّ ضُمّتَا إلَى رِوَايَةِ عُرْوَةَ تَبَيّنَ مِنْ مَجْمُوعِ الرّوَايَاتِ أَنّهُ كَانَ قَارِنًا ، وَصَدّقَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حَتّى لَوْ لَمْ يَحْتَمِلْ قَوْلُ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ إلّا مَعْنَى الْإِهْلَالِ بِهِ مُفْرَدًا ، لَوَجَبَ قَطْعًا أَنْ يَكُونَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ وَقَوْلِ عَائِشَةَ أَوْ عُرْوَةَ إنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتَمَرَ فِي شَوّال ، إلّا أَنّ تِلْكَ الْأَحَادِيثَ الصّحِيحَةَ الصّرِيحَةَ لَا سَبِيلَ أَصْلًا إلَى تَكْذِيبِ رُوَاتِهَا ، وَلَا تَأْوِيلِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى غَيْرِ مَا دَلّتْ عَلَيْهِ وَلَا سَبِيلَ إلَى تَقْدِيمِ هَذِهِ الرّوَايَةِ الْمُجْمَلَةِ الّتِي قَدْ اضْطَرَبَتْ عَلَى رُوَاتِهَا ، وَاخْتُلِفَ عَنْهُمْ فِيهَا ، وَعَارَضَهُمْ مَنْ هُوَ أَوْثَقُ مِنْهُمْ أَوْ مِثْلُهُمْ عَلَيْهَا . [ص ١٢٥] أَفْرَدَ الْحَجّ ، فَالصّرِيحُ مِنْ حَدِيثِهِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا ، وَإِنّمَا فِيهِ إخْبَارُهُ عَنْهُمْ أَنْفُسِهِمْ أَنّهُمْ لَا يَنْوُونَ إلّا الْحَجّ فَأَيْنَ فِي هَذَا مَا يَدُلّ عَلَى أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَبّى بِالْحَجّ مُفْرَدًا . وَأَمّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ الّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَفْرَدَ الْحَجّ ، فَلَهُ ثَلَاثُ طُرُقٍ أَجْوَدُهَا : طَرِيقُ الدّرَاوَرْدِيّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمّدٍ عَنْ أَبِيهِ وَهَذَا يَقِينًا مُخْتَصَرٌ مِنْ حَدِيثِهِ الطّوِيلِ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ وَمَرْوِيّ بِالْمَعْنَى ، وَالنّاسُ خَالَفُوا الدّرَاوَرْدِيّ فِي ذَلِكَ . وَقَالُوا : أَهَلّ بِالْحَجّ ، وَأَهَلّ بِالتّوْحِيدِ . وَالطّرِيقُ الثّانِي : فِيهَا مُطَرّفُ بْنُ مُصْعَبٍ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ جَعْفَرٍ وَمُطَرّفٍ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ هُوَ مَجْهُولٌ قُلْتُ لَيْسَ هُوَ بِمَجْهُولٍ وَلَكِنّهُ ابْنُ أُخْتِ مَالِكٍ رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيّ ، وَبِشْرُ بْنُ مُوسَى ، وَجَمَاعَةٌ . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ صَدُوقٌ مُضْطَرِبُ الْحَدِيثِ هُوَ أَحَبّ إلَيّ مِنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ وَقَالَ ابْنُ عَدِيّ : يَأْتِي بِمَنَاكِيرَ وَكَأَنّ أَبَا مُحَمّدِ بْنَ حَزْمٍ رَأَى فِي النّسْخَةِ مُطَرّفَ بْنَ مُصْعَبٍ فَجَهِلَهُ وَإِنّمَا هُوَ مُطَرّفُ أَبُو مُصْعَبٍ وَهُوَ مُطَرّفُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مُطَرفِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ . وَمِمّنْ غَلِطَ فِي هَذَا أَيْضًا، مُحَمّدُ بْنُ عُثْمَانَ الذّهَبِيّ فِي كِتَابِهِ " الضّعَفَاءِ " فَقَالَ : مُطَرّفُ بْنُ مُصْعَبٍ الْمَدَنِيّ عَنْ

ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ . قُلْتُ وَالرَّاوِي عَنْ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ ، وَالدَّرَاوَرْدِيّ ، وَمَالِكٍ هُوَ مُطَرِّفُ أَبُو مُصْعَبٍ الْمَدَنِيّ ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرِ الْحَدِيثِ وَإِنَّمَا غَرَّهُ قَوْلُ ابْنِ عَدِيّ يَأْتِي بِمَنَاكِيرَ ثُمّ سَاقَ لَهُ مِنْهَا ابْنُ عَدِيّ جُمْلَةً لَكِنْ هِيَ مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ صَالِحٍ عَنْهُ كَذّبَهُ الدّارَقُطْنِيّ ، وَالْبَلَاءُ فِيهَا مِنْهُ . وَالطّرِيقُ الثّالِثُ لِحَدِيثِ جَابِرٍ فِيهَا مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهّابِ يُنْظَرُ فِيهِ مَنْ هُوَ وَمَا حَالُهُ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ مُسْلِمٍ إنْ كَانَ الطّائِفِيّ فَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ ابْنِ مَعِينٍ ، ضَعِيفٌ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ سَاقِطٌ أَلْبَتّةَ وَلَمْ أَرَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ فِيهِ لِغَيْرِهِ وَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِهِ مُسْلِمٌ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ؟ قُلْت : لَيْسَ بِغَيْرِهِ بَلْ هُوَ الطّائِفِيّ يَقِينًا . وَبِكُلّ حَالٍ فَلَوْ صَحّ هَذَا عَنْ جَابِرٍ لَكَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمَرْوِيّ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَسَائِرِ الرّوَاةِ الثّقَاتِ إنّمَا قَالُوا : [ص ١٢٦] أَهَلّ بِالْحَجّ فَلَعَلّ هَؤُلَاءِ حَمَلُوهُ عَلَى الْمَعْنَى ، وَقَالُوا: أَفْرَدَ الْحَج وَمَعْلُومٌ أَنّ الْعُمْرَةَ إذَا دَخَلَتْ فِي الْحَجّ فَمَنْ قَالَ : أَهَلّ بِالْحَج لَا يُنَاقِضُ مَنْ قَالَ أَهَلّ بِهِمَا ، بَلْ هَذَا فَصّلَ وَذَاكَ أَجْمَلَ . وَمَنْ قَالَ أَفْرَدَ الْحَج يَحْتَمِلُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ الْوُجُوهِ الثّلَاثَةِ وَلَكِنْ هَلْ قَالَ أَحَدٌ قَطّ عَنْهُ إنّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ " لَبّيْكَ بِحَجّةٍ مُفْرَدَةٍ " ، هَذَا مَا لَا سَبِيلَ إلَيْهِ حَتّى لَوْ وُجِدَ ذَلِكَ لَمْ يُقَدّمْ عَلَى تِلْكَ الْأَسَاطِينِ الّتِي ذَكَرْنَاهَا وَالّتِي لَا سَبِيلَ إلَى دَفْعِهَا أَلْبَتّةَ وَكَانَ تَغْلِيطُ هَذَا أَوْ حَمْلُهُ عَلَى أَوّلِ الْإِحْرَامِ وَأَنّهُ صَارَ قَارِنًا فِي أَثْنَائِهِ مُتَعَيّنًا ، فَكَيْفَ وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ وَقَدْ قَدّمْنَا عَنْ سُفْيَانَ الثّوْرِيّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَرَنَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ . رَوَاهُ زَكَرِيّا السّاجِيّ ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ الْقَطْوَانِيّ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ ، عَنْ سُفْيَانَ . وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ : أَهَلّ بِالْحَجّ ، وَأَفْرَدَ بِالْحَجّ وَلَبّى بِالْحَجّ كَمَا تَقَدّمَ .

فَصْلٌ [وُجُوهُ التّرْجِيحِ لِرِوَايَةِ مَنْ رَوَى الْقِرَانَ]

فَحَصَلَ التّرْجِيحُ لِرِوَايَةِ مَنْ رَوَى الْقِرَانَ لِوُجُوهٍ عَشَرَةٍ . أَحَدُهَا : أَنّهُمْ أَكْثَرُ كَمَا تَقَدّمَ . الثّانِي : أَنّ طُرُقَ الْإِخْبَارِ بِذَلِكَ تَنَوّعَتْ كَمَا بَيّنّاهُ .

الثّالِثُ أَنّ فِيهِمْ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ سَمَاعِهِ وَلَفْظِهِ صَرِيحًا ، وَفِيهِمْ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ إخْبَارِهِ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنّهُ فَعَلَ ذَلِكَ وَفِيهِمْ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ أَمْرِ رَبّهِ لَهُ بِذَلِكَ وَلَمْ يَجِئْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِفْرَادِ .

الرّابِعُ تَصْدِيقُ رِوَايَاتِ مَنْ رَوَى أَنّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ لَهَا .

الْخَامِسُ أَنّهَا صَرِيحَةٌ لَا تَحْتَمِلُ التّأْوِيلَ بِخِلَافِ رِوَايَاتِ الْإِفْرَادِ .

السّادِسُ أَنّهَا مُتَضَمّنَةٌ زِيَادَةً سَكَتَ عَنْهَا أَهْلُ الْإِفْرَادِ أَوْ نَفَوْهَا ، وَالذّاكِرُ [ص ١٢٧] الزّائِدُ مُقَدّمٌ عَلَى السّاكِتِ وَالْمُثْبِتُ مُقَدّمٌ عَلَى النّافِي .

السّابِعُ أَنّ رُوَاةَ الْإِفْرَادِ أَرْبَعَةٌ عَائِشَةُ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَجَابِرٌ ، وَابْنُ عَبّاسٍ ، وَالْأَرْبَعَةُ رَوَوْا الْقِرَانَ فَإِنْ صِرْنَا إلَى تَسَاقُطِ رِوَايَاتِهِمْ سَلِمَتْ رِوَايَةُ مَنْ عَدَاهُمْ لِلْقِرَانِ عَنْ مُعَارِضٍ وَإِنْ صِرْنَا إلَى التّرْجِيحِ وَجَبَ الْأَخْذُ بِرِوَايَةِ مَنْ لَمْ تَضْطَرِبْ الرّوَايَةُ عَنْهُ وَلَا اخْتَلَفَتْ كَالْبَرَاءِ ، وَأَنَسٍ ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ ، وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَحَفْصَةَ ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِمّنْ تَقَدّمَ .

الثّامِنُ أَنّهُ النّسُكُ الّذِي أُمِرَ بِهِ مِنْ رَبّهِ فَلَمْ يَكُنْ لِيَعْدِلَ عَنْهُ .

التَّاسِعُ أَنَّهُ النُّسُكُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ كُلُّ مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ فَلَمْ يَكُنْ لِيَأْمُرَهُمْ بِهِ إذَا سَاقُوا الْهَدْيَ ثُمَّ يَسُوقُ هُوَ الْهَدْيَ وَيُخَالِفُهُ .
الْعَاشِرُ أَنَّهُ النُّسُكُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ آلَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَاخْتَارَهُ لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لِيَخْتَارَ لَهُمْ إلَّا مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ . وَثَمَّتَ تَرْجِيحٌ حَادِي عَشَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهَا قَدْ صَارَتْ جُزْءًا مِنْهُ أَوْ كَالْجُزْءِ الدَّاخِلِ فِيهِ بِحَيْثُ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَإِنَّمَا تَكُونُ مَعَ الْحَجِّ كَمَا يَكُونُ الدَّاخِلُ فِي الشَّيْءِ مَعَهُ .
وَتَرْجِيحٌ ثَانِي عَشَرَ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلصَّبِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ وَقَدْ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ ، أَوْ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هُدِيتَ لِسُنَّةِ نَبِيِّك مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا يُوَافِقُ رِوَايَةَ عُمَرَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْوَحْيَ جَاءَهُ مِنْ اللَّهِ بِالْإِهْلَالِ بِهِمَا جَمِيعًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْقِرَانَ سُنَّتُهُ الَّتِي فَعَلَهَا ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ اللَّهِ لَهُ بِهَا .
وَتَرْجِيحٌ ثَالِثَ عَشَرَ أَنَّ الْقَارِنَ تَقَعُ أَعْمَالُهُ عَنْ كُلٍّ مِنْ النُّسُكَيْنِ فَيَقَعُ [ص ١٢٨] عَشَرَ وَهُوَ أَنَّ النُّسُكَ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى سَوْقِ الْهَدْيِ أَفْضَلُ بِلَا رَيْبٍ مِنْ نُسُكٍ خَلَا عَنْ الْهَدْيِ . فَإِذَا قَرَنَ كَانَ هَدْيُهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ النُّسُكَيْنِ فَلَمْ يَخْلُ نُسُكٌ مِنْهُمَا عَنْ هَدْيٍ وَلِهَذَا - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ أَنْ يُهِلَّ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعًا ، وَأَشَارَ إلَى ذَلِكَ فِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بِقَوْلِهِ " إنِّي سُقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْتُ .
[قَوْلُ الْمُصَنِّفِ التَّمَتُّعُ أَفْضَلُ مِنْ الْإِفْرَادِ]
وَتَرْجِيحٌ خَامِسَ عَشَرَ وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ التَّمَتُّعَ أَفْضَلُ مِنْ الْإِفْرَادِ لِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ . مِنْهَا : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِفَسْخِ الْحَجِّ إلَيْهِ وَمُحَالٌ أَنْ يَنْقُلَهُمْ مِنْ الْفَاضِلِ إلَى الْمَفْضُولِ الَّذِي هُوَ دُونَهُ وَمِنْهَا : أَنَّهُ تَأَسَّفَ عَلَى كَوْنِهِ لَمْ يَفْعَلْهُ بِقَوْلِهِ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْت لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً وَمِنْهَا : أَنَّهُ أَمَرَ بِهِ كُلَّ مَنْ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ . وَمِنْهَا : أَنَّ الْحَجَّ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ فِعْلُهُ وَفِعْلُ أَصْحَابِهِ الْقِرَانُ لِمَنْ سَاقَ الْهَدْيَ وَالتَّمَتُّعُ لِمَنْ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ وَلِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ هَذِهِ وَالْمُتَمَتِّعُ إذَا سَاقَ الْهَدْيَ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ مُتَمَتِّعٍ اشْتَرَاهُ مِنْ مَكَّةَ ، بَلْ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ لَا هَدْيَ إلَّا مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ، فَالْقَارِنُ السَّائِقُ أَفْضَلُ مِنْ مُتَمَتِّعٍ لَمْ يَسُقْ وَمِنْ مُتَمَتِّعٍ سَاقَ الْهَدْيَ لِأَنَّهُ قَدْ سَاقَ مِنْ حِينِ أَحْرَمَ وَالْمُتَمَتِّعُ إنَّمَا يَسُوقُ الْهَدْيَ مِنْ أَدْنَى الْحِلِّ فَكَيْفَ يُجْعَلُ مُفْرِدٌ لَمْ يَسُقْ هَدْيًا ، أَفْضَلُ مِنْ مُتَمَتِّعٍ سَاقَهُ مِنْ أَدْنَى الْحِلِّ ؟ فَكَيْفَ إذَا جُعِلَ أَفْضَلَ مِنْ قَارِنٍ سَاقَهُ مِنْ الْمِيقَاتِ وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَاضِحٌ .
فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ حَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَمَتِّعًا تَمَتُّعًا حَلَّ فِيهِ مِنْ إحْرَامِهِ]
وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ إنَّهُ حَجَّ مُتَمَتِّعًا تَمَتُّعًا حَلَّ فِيهِ مِنْ إحْرَامِهِ ثُمَّ أَحْرَمَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِالْحَجِّ مَعَ سَوْقِ الْهَدْيِ . فَعُذْرُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ ، أَنَّهُ قَصَّرَ عَنْ [ص ١٢٩] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِشْقَصٍ فِي الْعَشْرِ وَفِي لَفْظٍ وَذَلِكَ فِي حَجَّتِهِ . وَهَذَا مِمَّا أَنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَغَلَّطُوهُ فِيهِ وَأَصَابَهُ فِيهِ مَا أَصَابَ ابْنَ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ إنَّهُ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ فَإِنَّ سَائِرَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ مِنْ الْوُجُوهِ الْمُتَعَدِّدَةِ كُلَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحِلَّ مِنْ إحْرَامِهِ إلَّا يَوْمَ النَّحْرِ وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ لَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْت وَقَوْلِهِ إنِّي سُقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْتُ فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ

وَهَذَا خَبَرٌ عَنْ نَفْسِهِ فَلَا يَدْخُلُهُ الْوَهْمُ وَلَا الْغَلَطُ بِخِلَافِ خَبَرِ غَيْرِهِ عَنْهُ لَا سِيّمَا خَبَرًا يُخَالِفُ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَأَخْبَرَ عَنْهُ بِهِ الْجَمّ الْغَفِيرُ أَنّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ شَيْئًا ، لَا بِتَقْصِيرِ وَلَا حَلْقٍ وَأَنّهُ بَقِيَ عَلَى إحْرَامِهِ حَتّى حَلَقَ يَوْمَ النّحْرِ وَلَعَلّ مُعَاوِيَةَ قَصّرَ عَنْ رَأْسِهِ فِي عُمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ ، فَإِنّهُ كَانَ حِينَئِذٍ قَدْ أَسْلَمَ ، ثُمّ نَسِيَ فَظَنّ أَنّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْعَشْرِ كَمَا نَسِيَ ابْنُ عُمَرَ أَنّ عُمَرَهُ كَانَتْ كُلّهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ . وَقَالَ كَانَتْ [إحْدَاهُنّ] فِي رَجَبٍ وَقَدْ كَانَ مَعَهُ فِيهَا ، وَالْوَهْمُ جَائِزٌ عَلَى مَنْ سِوَى الرّسُولِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَإِذَا قَامَ الدّلِيلُ عَلَيْهِ صَارَ وَاجِبًا . وَقَدْ قِيلَ إنّ مُعَاوِيَةَ لَعَلّهُ قَصّرَ عَنْ رَأْسِهِ بَقِيّةَ شَعْرٍ لَمْ يَكُنْ اسْتَوْفَاهُ الْحَلّاقُ يَوْمَ النّحْرِ فَأَخَذَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمَرْوَةِ ، ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمّدِ بْنُ حَزْمٍ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ وَهْمِهِ فَإِنّ الْحَلّاقَ لَا يُبْقِي غَلَطًا شَعْرًا يُقَصّرُ مِنْهُ ثُمّ يُبْقِي مِنْهُ بَعْدَ التّقْصِيرِ بَقِيّةً يَوْمَ النّحْرِ وَقَدْ قَسَمَ شَعْرَ رَأْسِهِ بَيْنَ الصّحَابَةِ فَأَصَابَ أَبَا طَلْحَةَ أَحَدَ الشّقّيْنِ وَبَقِيّةُ الصّحَابَةِ اقْتَسَمُوا الشّقّ الْآخَرَ الشّعْرَةَ وَالشّعْرَتَيْنِ وَالشّعَرَاتِ وَأَيْضًا فَإِنّهُ لَمْ يَسْعَ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ إلّا سَعْيًا وَاحِدًا وَهُوَ سَعْيُهُ الْأَوّلُ لَمْ يَسْعَ عَقِبَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ وَلَا اعْتَمَرَ بَعْدَ الْحَجّ قَطْعًا ، فَهَذَا وَهْمٌ مَحْضٌ . وَقِيلَ هَذَا [ص ١٣٠] وَقَعَ فِيهِ غَلَطٌ وَخَطَأٌ أَخْطَأَ فِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيّ ، فَجَعَلَهُ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ . وَإِنّمَا هُوَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ . وَهِشَامٌ ضَعِيفٌ . قُلْت : وَالْحَدِيثُ الّذِي فِي الْبُخَارِيّ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَصّرْتُ عَنْ رَأْسِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمِشْقَصٍ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا ، وَاَلّذِي عِنْدَ مُسْلِمٍ قَصّرْتُ عَنْ رَأْسِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمِشْقَصٍ عَلَى الْمَرْوَةِ . وَلَيْسَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " غَيْرُ ذَلِكَ . وَأَمّا رِوَايَةُ مَنْ رَوَى " فِي أَيّامِ الْعَشْرِ " فَلَيْسَتْ فِي الصّحِيحِ وَهِيَ مَعْلُولَةٌ أَوْ وَهْمٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ . قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ رَاوِيهَا عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْهُ وَالنّاسُ يُنْكِرُونَ هَذَا عَلَى مُعَاوِيَةَ . وَصَدَقَ قَيْسٌ ، فَنَحْنُ نَحْلِفُ بِاَللّهِ إنّ هَذَا مَا كَانَ فِي الْعَشْرِ قَطّ . وَيُشْبِهُ هَذَا وَهْمُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَدِيثِ الّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي شَيْخٍ الْهُنَائِيّ أَنّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِأَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ كَذَا ، وَعَنْ رُكُوبِ جُلُودِ النّمُورِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ فَتَعْلَمُونَ أَنّهُ نَهَى أَنْ يُقْرَنَ بَيْنَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ ؟ قَالُوا : أَمّا هَذِهِ فَلَا . فَقَال : أَمَا إنّهَا مَعَهَا وَلَكِنّكُمْ نَسِيتُمْ . وَنَحْنُ نَشْهَدُ بِاَللّهِ إنّ هَذَا وَهْمٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ أَوْ كَذِبٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْهَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ ذَلِكَ قَطّ ، وَأَبُو شَيْخٍ شَيْخٌ لَا يُحْتَجّ بِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَدّمَ عَلَى الثّقَاتِ الْحُفّاظِ الْأَعْلَامِ وَإِنْ رَوَى عَنْهُ قَتَادَةُ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ . وَاسْمُهُ خَيْوَانُ بْنُ خَلْدَةَ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ مَجْهُولٌ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ حَجّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُتَمَتّعًا تَمَتّعًا لَمْ يَحِلّ مِنْهُ لِأَجْلِ سَوْقِ الْهَدْيِ]

[ص ١٣١] قَالَ حَجّ مُتَمَتّعًا تَمَتّعًا لَمْ يَحِلّ مِنْهُ لِأَجْلِ سَوْقِ الْهَدْيِ كَمَا قَالَهُ صَاحِبُ " الْمُغْنِي " وَطَائِفَةٌ فَعُذْرُهُمْ قَوْلُ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ : تَمَتّعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَوْلُ حَفْصَةَ : مَا شَأْنُ النّاسِ حَلّوا وَلَمْ تَحِلّ مِنْ عُمْرَتِك ، وَقَوْلُ سَعْدٍ فِي الْمُتْعَةِ قَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَصَنَعْنَاهَا مَعَهُ وَقَوْلُ ابْنِ عُمَرَ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ مُتْعَةِ الْحَجّ هِيَ حَلَالٌ فَقَالَ لَهُ السّائِلُ إنّ أَبَاكَ قَدْ نَهَى عَنْهَا ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إنْ كَانَ أَبِي نَهَى عَنْهَا ، وَصَنَعَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَأَمْرُ أَبِي تَتّبَعُ أَمْ أَمْرُ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ بَلْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَقَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَؤُلَاءِ وَلَوْلَا الْهَدْيُ لَحَلَّ كَمَا يَحِلُّ الْمُتَمَتِّعُ الَّذِي لَا هَدْيَ مَعَهُ وَلِهَذَا قَالَ لَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَانِعَ لَهُ مِنْ الْحِلِّ سَوْقُ الْهَدْيِ وَالْقَارِنُ إنَّمَا يَمْنَعُهُ مِنْ الْحِلِّ الْقِرَانُ لَا الْهَدْيُ . وَأَرْبَابُ هَذَا الْقَوْلِ قَدْ يُسَمُّونَ هَذَا الْمُتَمَتِّعَ قَارِنًا ، لِكَوْنِهِ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ قَبْلَ التَّحَلُّلِ مِنْ الْعُمْرَةِ وَلَكِنَّ الْقِرَانَ الْمَعْرُوفَ أَنْ يُحْرِمَ بِهِمَا جَمِيعًا ، أَوْ يُحْرِمَ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ يُدْخِلَ عَلَيْهَا الْحَجَّ قَبْلَ الطَّوَافِ .

[الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَارِنِ وَالْمُتَمَتِّعِ السَّائِقِ لِلْهَدْيِ]

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَارِنِ وَالْمُتَمَتِّعِ السَّائِقِ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : مِنْ الْإِحْرَامِ فَإِنَّ الْقَارِنَ هُوَ الَّذِي يُحْرِمُ بِالْحَجِّ قَبْلَ الطَّوَافِ إمَّا فِي ابْتِدَاءِ الْإِحْرَامِ أَوْ فِي أَثْنَائِهِ . وَالثَّانِي : أَنَّ الْقَارِنَ لَيْسَ عَلَيْهِ إلَّا سَعْيٌ وَاحِدٌ فَإِنْ أَتَى بِهِ أَوَّلًا ، وَإِلَّا سَعَى عَقِيبَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ وَالْمُتَمَتِّعُ عَلَيْهِ سَعْيٌ ثَانٍ عِنْدَ الْجُمْهُورِ . وَعَنْ أَحْمَدَ [ص ١٣٢] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْعَ سَعْيًا ثَانِيًا عَقِيبَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ مُتَمَتِّعًا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ . فَإِنْ قِيلَ فَعَلَى الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى ، يَكُون مُتَمَتِّعًا ، وَلَا يَتَوَجَّهُ الْإِلْزَامُ وَلَهَا وَجْهٌ قَوِيٌّ مِنْ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَهُوَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ لَمْ يَطُفْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَصْحَابُهُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إلَّا طَوَافًا وَاحِدًا . طَوَافَهُ الْأَوَّلَ هَذَا ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا مُتَمَتِّعِينَ . وَقَدْ رَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ حَلَفَ طَاوُوسٌ : مَا طَافَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِحَجِّهِ وَعُمْرَتِهِ إلَّا طَوَافًا وَاحِدًا . قِيلَ الَّذِينَ نَظَرُوا أَنَّهُ كَانَ مُتَمَتِّعًا تَمَتُّعًا خَاصًّا ، لَا يَقُولُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ بَلْ يُوجِبُونَ عَلَيْهِ سَعْيَيْنِ وَالْمَعْلُومُ مِنْ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَسْعَ إلَّا سَعْيًا وَاحِدًا ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَرَنَ وَقَدِمَ مَكَّةَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَحْلِقْ وَلَا قَصَّرَ وَلَا حَلَّ مِنْ شَيْءٍ حَرَمَ مِنْهُ حَتَّى كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ فَنَحَرَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ قَضَى طَوَافَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِطَوَافِهِ الْأَوَّلِ وَقَالَ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . وَمُرَادُهُ بِطَوَافِهِ الْأَوَّلِ الَّذِي قَضَى بِهِ حَجَّهُ وَعُمْرَتَهُ الطَّوَافُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بِلَا رَيْبٍ . وَذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ ، عَنْ عَطَاءٍ وَنَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إنَّمَا طَافَ لِحَجِّهِ وَعُمْرَتِهِ طَوَافًا وَاحِدًا ، وَسَعَى سَعْيًا وَاحِدًا ، ثُمَّ قَدِمَ مَكَّةَ ، فَلَمْ يَسْعَ بَيْنَهُمَا بَعْدَ الصَّدَرِ . فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ وَلَا بُدَّ إمَّا أَنْ يَكُونَ قَارِنًا ، [ص ١٣٣] أَوْجَبَ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ سَعْيَيْنِ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهُ وَإِمَّا أَنَّ الْمُتَمَتِّعَ يَكْفِيهِ سَعْيٌ وَاحِدٌ وَلَكِنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي بَيَانِ أَنَّهُ كَانَ قَارِنًا صَرِيحَةٌ فِي ذَلِكَ فَلَا يُعْدَلُ عَنْهَا . . فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ رَوَى شُعْبَةُ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَافَ طَوَافَيْنِ وَسَعَى سَعْيَيْنِ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ ابْنِ صَاعِدٍ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْأَزْدِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ ، عَنْ شُعْبَةَ . قِيلَ هَذَا خَبَرٌ مَعْلُولٌ وَهُوَ غَلَطٌ . قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : يُقَالُ إنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى حَدَّثَ بِهَذَا مِنْ حِفْظِهِ فَوَهِمَ فِي مَتْنِهِ وَالصَّوَابُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَسَيَأْتِي إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ غَلَطٌ . وَأَظُنُّ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ قُدَامَةَ ، إنَّمَا ذَهَبَ إلَى أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُتَمَتِّعًا ، لِأَنَّهُ رَأَى الْإِمَامَ أَحْمَدَ قَدْ نَصَّ عَلَى أَنَّ التَّمَتُّعَ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَانِ وَرَأَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْتَارَ لِرَسُولِهِ إِلَّا الْأَفْضَلَ وَرَأَى الْأَحَادِيثَ قَدْ جَاءَتْ بِأَنَّهُ تَمَتَّعَ وَرَأَى أَنَّهَا صَرِيحَةٌ فِي أَنَّهُ لَمْ يَحِلَّ فَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الْأَرْبَعِ أَنَّهُ تَمَتَّعَ تَمَتُّعًا خَاصًّا لَمْ يَحِلَّ مِنْهُ وَلَكِنَّ أَحْمَدَ لَمْ يُرَجِّحْ التَّمَتُّعَ لِكَوْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّ مُتَمَتِّعًا ، كَيْفَ وَهُوَ الْقَائِلُ لَا أَشُكُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَارِنًا ، وَإِنَّمَا اخْتَارَ التَّمَتُّعَ لِكَوْنِهِ آخِرَ الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الصَّحَابَةَ أَنْ يَفْسَخُوا حَجَّهُمْ إِلَيْهِ وَتَأَسَّفَ عَلَى فَوْتِهِ .

[إِنْ سَاقَ الْهَدْيَ فَالْقِرَانُ أَفْضَلُ وَإِنْ لَمْ يَسُقْ فَالتَّمَتُّعُ أَفْضَلُ]

وَلَكِنْ نَقَلَ عَنْهُ الْمَرْوَزِيّ ، أَنَّهُ إِذَا سَاقَ الْهَدْيَ فَالْقِرَانُ أَفْضَلُ فَمِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ جَعَلَ هَذَا رِوَايَةً ثَانِيَةً وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمَسْأَلَةَ رِوَايَةً وَاحِدَةً وَأَنَّهُ إِنْ سَاقَ الْهَدْيَ فَالْقِرَانُ أَفْضَلُ وَإِنْ لَمْ يَسُقْ فَالتَّمَتُّعُ أَفْضَلُ وَهَذِهِ طَرِيقَةُ شَيْخِنَا ، وَهِيَ [ص ١٣٤] أَحْمَدَ وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَمَنَّ أَنَّهُ كَانَ جَعَلَهَا عُمْرَةً مَعَ سَوْقِهِ الْهَدْيَ بَلْ وَدَّ أَنَّهُ كَانَ جَعَلَهَا عُمْرَةً وَلَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ .

[هَلْ التَّمَتُّعُ مَعَ تَرْكِ سَوْقِ الْهَدْيِ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَانِ مَعَ السَّوْقِ]

بَقِيَ أَنْ يُقَالَ فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَفْضَلُ أَنْ يَسُوقَ وَيَقْرِنُ أَوْ يَتْرُكَ السَّوْقَ وَيَتَمَتَّعَ كَمَا وَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فَعَلَهُ . قِيلَ قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَمْرَانِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ وَسَاقَ الْهَدْيَ وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَخْتَارَ لَهُ إِلَّا أَفْضَلَ الْأُمُورِ وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ جَاءَهُ الْوَحْيُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالثَّانِي قَوْلُهُ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً . فَهَذَا يَقْتَضِي ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْوَقْتُ الَّذِي تَكَلَّمَ فِيهِ هُوَ وَقْتَ إِحْرَامِهِ لَكَانَ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَلَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ لِأَنَّ الَّذِي اسْتَدْبَرَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ وَمَضَى فَصَارَ خَلْفَهُ وَالَّذِي اسْتَقْبَلَهُ هُوَ الَّذِي لَمْ يَفْعَلْهُ بَعْدُ بَلْ هُوَ أَمَامَهُ فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْتَقْبِلًا لِمَا اسْتَدْبَرَهُ وَهُوَ الْإِحْرَامُ بِالْعُمْرَةِ دُونَ هَدْيٍ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَخْتَارُ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنِ الْأَفْضَلِ إِلَى الْمَفْضُولِ بَلْ إِنَّمَا يَخْتَارُ الْأَفْضَلَ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ آخِرَ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ تَرْجِيحُ التَّمَتُّعِ .

وَلِمَنْ رَجَّحَ الْقِرَانَ مَعَ السَّوْقِ أَنْ يَقُولَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقُلْ هَذَا لِأَجْلِ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ مَفْضُولٌ مَرْجُوحٌ بَلْ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ مَعَ بَقَائِهِ هُوَ مُحْرِمًا ، وَكَانَ يَخْتَارُ مُوَافَقَتَهُمْ لِيَفْعَلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مَعَ انْشِرَاحٍ وَقَبُولٍ وَمَحَبَّةٍ وَقَدْ يَنْتَقِلُ عَنِ الْأَفْضَلِ إِلَى الْمَفْضُولِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُوَافَقَةِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ كَمَا قَالَ لِعَائِشَةَ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ فَهَذَا تَرْكُ مَا هُوَ الْأَوْلَى لِأَجْلِ الْمُوَافَقَةِ وَالتَّأْلِيفِ فَصَارَ هَذَا هُوَ الْأَوْلَى [ص ١٣٥] جَمَعَ بَيْنَ مَا فَعَلَهُ وَبَيْنَ مَا وَدَّهُ وَتَمَنَّاهُ وَيَكُونُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا بِفِعْلِهِ لَهُ وَالثَّانِي : بِتَمَنِّيهِ وَوُدِّهِ لَهُ فَأَعْطَاهُ أَجْرَ مَا فَعَلَهُ وَأَجْرَ مَا نَوَاهُ مِنَ الْمُوَافَقَةِ وَتَمَنَّاهُ وَكَيْفَ يَكُونُ نُسُكٌ يَتَخَلَّلُهُ التَّحَلُّلُ وَلَمْ يَسُقْ فِيهِ الْهَدْيَ أَفْضَلَ مِنْ نُسُكٍ لَمْ يَتَخَلَّلْهُ تَحَلُّلٌ وَقَدْ سَاقَ فِيهِ مِائَةَ بَدَنَةٍ وَكَيْفَ يَكُونُ نُسُكٌ أَفْضَلَ فِي حَقِّهِ مِنْ نُسُكٍ اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهُ وَأَتَاهُ بِهِ الْوَحْيُ مِنْ رَبِّهِ . فَإِنْ قِيلَ التَّمَتُّعُ وَإِنْ تَخَلَّلَهُ تَحَلُّلٌ لَكِنْ قَدْ تَكَرَّرَ فِيهِ الْإِحْرَامُ وَإِنْشَاؤُهُ عِبَادَةٌ مَحْبُوبَةٌ لِلرَّبِّ وَالْقِرَانُ لَا يَتَكَرَّرُ فِيهِ الْإِحْرَامُ ؟ قِيلَ فِي تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ بِسَوْقِ الْهَدْيِ

وَالتَّقَرُّبِ إلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ فِي مُجَرَّدِ تَكَرُّرِ الْإِحْرَامِ ثُمَّ إنَّ اسْتِدَامَتَهُ قَائِمَةٌ مَقَامَ تَكَرُّرِهِ وَسَوْقُ الْهَدْيِ لَا مُقَابِلَ لَهُ يَقُومُ مَقَامَهُ .

[قَوْلُ الْمُصَنِّفِ التَّمَتُّعُ أَفْضَلُ مِنْ إفْرَادٍ تَعْقُبُهُ عُمْرَةٌ]

فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّمَا أَفْضَلُ إفْرَادٌ يَأْتِي عَقِيبَهُ بِالْعُمْرَةِ أَوْ تَمَتُّعٌ يَحِلُّ مِنْهُ ثُمَّ يُحْرِمُ بِالْحَجِّ عَقِيبَهُ ؟ قِيلَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَظُنَّ أَنَّ نُسُكًا قَطُّ أَفْضَلُ مِنْ النُّسُكِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِأَفْضَلِ الْخَلْقِ ، وَسَادَاتِ الْأُمَّةِ وَأَنْ نَقُولَ فِي نُسُكٍ لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَجُّوا مَعَهُ بَلْ وَلَا غَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ إنَّهُ أَفْضَلُ مِمَّا فَعَلُوهُ بِأَمْرِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ حَجٌّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلَ مِنْ الْحَجِّ الَّذِي حَجَّهُ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَاخْتَارَهُ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِفَسْخِ مَا عَدَاهُ مِنْ الْأَنْسَاكِ إلَيْهِ وَوَدَّ أَنَّهُ كَانَ فَعَلَهُ لَا حَجَّ قَطُّ أَكْمَلُ مِنْ هَذَا . وَهَذَا وَإِنْ صَحَّ عَنْهُ الْأَمْرُ لِمَنْ سَاقَ الْهَدْيَ بِالْقِرَانِ وَلِمَنْ لَمْ يَسُقْ بِالتَّمَتُّعِ فَفِي جَوَازِ خِلَافِهِ نَظَرٌ وَلَا يُوحِشْك قِلَّةُ الْقَائِلِينَ بِوُجُوبِ ذَلِكَ فَإِنَّ فِيهِمْ الْبَحْرَ الَّذِي لَا يَنْزِفُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، وَجَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَالسُّنَّةُ هِيَ الْحَكَمُ بَيْنَ النَّاسِ وَاَللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ حَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَارِنًا طَافَ لَهُمَا طَوَافَيْنِ وَسَعَى لَهُمَا سَعْيَيْنِ]

[ص ١٣٦] قَالَ إنَّهُ حَجَّ قَارِنًا قِرَانًا طَافَ لَهُ طَوَافَيْنِ وَسَعَى لَهُ سَعْيَيْنِ كَمَا قَالَهُ كَثِيرٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْكُوفَةِ ، فَعُذْرُهُ مَا رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ مَعًا ، وَقَالَ : سَبِيلُهُمَا وَاحِدٌ ، قَالَ وَطَافَ لَهُمَا طَوَافَيْنِ وَسَعَى لَهُمَا سَعْيَيْنِ . وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْت . وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَهُمَا ، وَطَافَ لَهُمَا طَوَافَيْنِ وَسَعَى لَهُمَا سَعْيَيْنِ وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ . وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَارِنًا ، فَطَافَ طَوَافَيْنِ وَسَعَى سَعْيَيْنِ . وَعَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَجَّتِهِ وَعُمْرَتِهِ طَوَافَيْنِ وَسَعَى سَعْيَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ . وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ طَوَافَيْنِ وَسَعَى سَعْيَيْنِ . وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الْعُذْرَ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَحِيحَةً بَلْ لَا يَصِحُّ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ . أَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ فَفِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ ، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيّ : لَمْ يَرْوِهِ عَنْ الْحَكَمِ غَيْرُ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ ، وَهُوَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . [ص ١٣٧] عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَوَّلُ فَيَرْوِيهِ حَفْصُ بْنُ أَبِي دَاوُد . وَقَالَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ حَفْصٌ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ وَقَالَ ابْنُ خِرَاشٍ : هُوَ كَذَّابٌ يَضَعُ الْحَدِيثَ وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، ضَعِيفٌ . وَأَمَّا حَدِيثُهُ الثَّانِي : فَيَرْوِيهِ عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ . حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ : عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُقَال لَهُ مُبَارَكٌ وَهُوَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . وَأَمَّا حَدِيثُ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَيَرْوِيهِ أَبُو بَرْدَةَ عَمْرُو بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ حَمَّادٍ عَنْ إبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ . قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ : وَأَبُو بَرْدَةَ ضَعِيفٌ وَمَنْ دُونَهُ فِي الْإِسْنَادِ ضُعَفَاءُ انْتَهَى . وَفِيهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبَانَ ، قَالَ يَحْيَى : هُوَ كَذَّابٌ خَبِيثٌ . وَقَالَ الرَّازِيّ وَالنَّسَائِيّ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . وَأَمَّا حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فَهُوَ مِمَّا غَلِطَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْأَزْدِيّ ، وَحَدَّثَ بِهِ مِنْ حِفْظِهِ فَوَهِمَ فِيهِ وَقَدْ حَدَّثَ بِهِ عَلَى الصَّوَابِ

مِـرَارًا ، وَيُقَـالُ إِنّـهُ رَجَـعَ عَـنْ ذِكْـرِ الطّـوَافِ وَالسّـعْيِ . وَقَـدْ رَوَى الْإِمَـامُ أَحْمَـدُ ، وَالتّرْمِذِيّ ، وَابْنُ حِبّانَ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ الدّرَاوَرْدِيّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ قَرَنَ بَيْنَ حَجّتِهِ وَعُمْرَتِهِ أَجْزَأَهُ لَهُمَا طَوَافٌ وَاحِدٌ وَلَفْظُ التّرْمِذِيّ مَنْ أَحْرَمَ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ أَجْزَأَهُ طَوَافٌ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ عَنْهُمَا ، حَتّى يَحِلّ مِنْهُمَا جَمِيعًا وَفِي الصّحِيحَيْنِ [ص ١٣٨] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ فَأَهْلَلْنَا بِعُمْرَةٍ ثُمّ قَالَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهِلّ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ ثُمّ لَا يَحِلّ حَتّى يَحِلّ مِنْهُمَا جَمِيعًا ، فَطَافَ الّذِينَ أَهَلّوا بِالْعُمْرَةِ ثُمّ حَلّوا ، ثُمّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى ، وَأَمّا الّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنّمَا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا وَصَحّ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ إنّ طَوَافَكِ بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، يَكْفِيكِ لِحَجّكِ وَعُمْرَتِك وَرَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَافَ طَوَافًا وَاحِدًا لِحَجّهِ وَعُمْرَتِهِ . وَعَبْدُ الْمَلِكِ : أَحَدُ الثّقَاتِ الْمَشْهُورِينَ احْتَجّ بِهِ مُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ السّنَنِ . وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْمِيزَانُ وَلَمْ يُتَكَلّمْ فِيهِ بِضَعْفٍ وَلَا جُرْحٍ وَإِنّمَا أُنْكِرَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الشّفْعَةِ وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْهُ عَارُهَا

وَقَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَرَنَ بَيْنَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ وَطَافَ لَهُمَا طَوَافًا وَاحِدًا وَهَذَا ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْحَجّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ ، فَقَدْ رَوَى عَنْهُ سُفْيَانُ ، وَشُعْبَةُ ، وَابْنُ نُمَيْرٍ ، وَعَبْدُ الرّزّاقِ ، وَالْخَلْقُ عَنْهُ . قَالَ الثّوْرِيّ : وَمَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْرَفُ بِمَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ مِنْهُ وَعِيبَ عَلَيْهِ التّدْلِيسُ وَقَلّ مَنْ سَلِمَ مِنْهُ . وَقَالَ أَحْمَدُ كَانَ مِنْ الْحُفّاظِ وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِالْقَوِيّ وَهُوَ صَدُوقٌ يُدَلّسُ . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ إذَا قَالَ حَدّثَنَا ، فَهُوَ صَادِقٌ لَا نَرْتَابُ فِي صِدْقِهِ وَحِفْظِهِ . وَقَدْ رَوَى الدّارَقُطْنِيّ ، مِنْ حَدِيثِ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ قَالَ حَدّثَنِي عَطَاءٌ وَطَاوُوسٌ ، وَمُجَاهِدٌ ، عَنْ جَابِرٍ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ [ص ١٣٩] وَالْمَرْوَةِ إلّا طَوَافًا وَاحِدًا لِعُمْرَتِهِمْ وَحَجّهِمْ وَلَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ، احْتَجّ بِهِ أَهْلُ السّنَنِ الْأَرْبَعَةِ وَاسْتَشْهَدَ بِهِ مُسْلِمٌ وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ : لَا بَأْسَ بِهِ وَقَالَ الدّارَقُطْنِيّ : كَانَ صَاحِبَ سُنّةٍ وَإِنّمَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ الْجَمْعَ بَيْنَ عَطَاءٍ وَطَاوُوسٍ وَمُجَاهِدٍ حَسْب وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ : كَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ وَقَالَ أَحْمَدُ مُضْطَرِبُ الْحَدِيثِ وَلَكِنْ حَدّثَ عَنْهُ النّاسُ وَضَعّفَهُ النّسَائِيّ ، وَيَحْيَى فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ وَمِثْلُ هَذَا حَدِيثُهُ حَسَنٌ . وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ رُتْبَةَ الصّحّةِ . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ جَابِرٍ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى عَائِشَةَ ثُمّ وَجَدَهَا تَبْكِي فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ ؟ " فَقَالَتْ قَدْ حِضْتُ وَقَدْ حَلّ النّاسُ وَلَمْ أَحِلّ وَلَمْ أَطُفْ بِالْبَيْتِ فَقَالَ " اغْتَسِلِي ثُمّ أَهِلّي فَفَعَلَتْ ثُمّ وَقَفَتْ الْمَوَاقِفَ حَتّى إذَا طَهُرَتْ طَافَتْ بِالْكَعْبَةِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمّ قَالَ " قَدْ حَلَلْتِ مِنْ حَجّكَ وَعُمْرَتِكِ جَمِيعًا وَهَذَا يَدُلّ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ أَحَدُهَا : أَنّهَا كَانَتْ قَارِنَةً وَالثّانِي : أَنّ الْقَارِنَ يَكْفِيهِ طَوَافٌ وَاحِدٌ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ . وَالثّالِثُ أَنّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهَا قَضَاءُ تِلْكَ الْعُمْرَةِ الّتِي حَاضَتْ فِيهَا ، ثُمّ أَدْخَلَتْ عَلَيْهَا الْحَجّ وَأَنّهَا لَمْ تَرْفُضْ إحْرَامَ الْعُمْرَةِ بِحَيْضِهَا ، وَإِنّمَا رَفَضَتْ أَعْمَالَهَا وَالِاقْتِصَارَ عَلَيْهَا ، وَعَائِشَةُ لَمْ تَطُفْ أَوّلًا طَوَافَ الْقُدُومِ ، بَلْ لَمْ تَطُفْ إلّا بَعْدَ التّعْرِيفِ وَسَعَتْ مَعَ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ وَالسّعْيُ بَعْدُ يَكْفِي الْقَارِنَ فَلَأَنْ يَكْفِيَهُ طَوَافُ

الْقُدُومِ مَعَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ وَالسَّعْيُ بَعْدُ يَكْفِي الْقَارِنَ فَلِأَنْ يَكْفِيَهُ طَوَافُ الْقُدُومِ مَعَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ مَعَ أَحَدِهِمَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى ، لَكِنَّ عَائِشَةَ تَعَذَّرَ عَلَيْهَا الطَّوَافُ الْأَوَّلُ فَصَارَتْ قِصَّتُهَا حُجَّةً فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا الطَّوَافُ الْأَوَّلُ تَفْعَلُ كَمَا فَعَلَتْ عَائِشَةُ تُدْخِلُ [ص ١٤٠] قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : وَمِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَطُفْ طَوَافَيْنِ وَلَا سَعَى سَعْيَيْنِ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَإِنَّمَا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُ جَابِرٍ لَمْ يَطُفْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إلَّا طَوَافًا وَاحِدًا ، طَوَافَهُ الْأَوَّلَ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ لِعَائِشَةَ يُجْزِئُ عَنْكِ طَوَافُكِ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَنْ حَجِّك وَعُمْرَتِكِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ لَهَا فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ طَوَافُكِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ يَكْفِيك لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ جَمِيعًا وَقَوْلُهُ لَهَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ لَمَّا طَافَتْ بِالْكَعْبَةِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ : " قَدْ حَلَلْتِ مِنْ حَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ جَمِيعًا " قَالَ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ نَقَلُوا حَجَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ نَقَلُوا أَنَّهُمْ لَمَّا طَافُوا بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، أَمَرَهُمْ بِالتَّحْلِيلِ إلَّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إلَّا يَوْمَ النَّحْرِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ طَافَ وَسَعَى ، ثُمَّ طَافَ وَسَعَى . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا مِمَّا تَتَوَفَّرُ الْهِمَمُ وَالدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . فَلَمَّا لَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ . وَعُمْدَةُ مَنْ قَالَ بِالطَّوَافَيْنِ وَالسَّعْيَيْنِ أَثَرٌ يَرْوِيهِ الْكُوفِيُّونَ ، عَنْ عَلِيٍّ وَآخَرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَقَدْ رَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْقَارِنَ يَكْفِيهِ طَوَافٌ وَاحِدٌ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ خِلَافَ مَا رَوَى أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَمَا رَوَاهُ الْعِرَاقِيُّونَ ، مِنْهُ مَا هُوَ مُنْقَطِعٌ وَمِنْهُ مَا رِجَالُهُ مَجْهُولُونَ أَوْ مَجْرُوحُونَ وَلِهَذَا طَعَنَ عُلَمَاءُ النَّقْلِ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ ابْنُ حَزْمٍ كُلُّ مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ الصَّحَابَةِ لَا يَصِحُّ مِنْهُ وَلَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ . وَقَدْ نُقِلَ فِي ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِلَا رَيْبٍ . وَقَدْ حَلَفَ طَاوُوسٌ مَا طَافَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَجَّتِهِ وَعُمْرَتِهِ إلَّا طَوَافًا وَاحِدًا ، وَقَدْ ثَبَتَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَجَابِرٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُخَالِفُوهَا ، بَلْ هَذِهِ الْآثَارُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّهُمْ لَمْ يَطُوفُوا بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً [ص ١٤١]

[هَلْ عَلَى الْقَارِنِ وَالْمُتَمَتِّعِ سَعْيَانِ أَوْ سَعْيٌ وَاحِدٌ]

؟ وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الْقَارِنِ وَالْمُتَمَتِّعِ هَلْ عَلَيْهِمَا سَعْيَانِ أَوْ سَعْيٌ وَاحِدٌ ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ . أَحَدُهَا : لَيْسَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا إلَّا سَعْيٌ وَاحِدٌ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قُلْت لِأَبِي : الْمُتَمَتِّعُ كَمْ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ؟ قَالَ إنْ طَافَ طَوَافَيْنِ فَهُوَ أَجْوَدُ . وَإِنْ طَافَ طَوَافًا وَاحِدًا ، فَلَا بَأْسَ . قَالَ شَيْخُنَا : وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ . الثَّانِي : الْمُتَمَتِّعُ عَلَيْهِ سَعْيَانِ وَالْقَارِنُ عَلَيْهِ سَعْيٌ وَاحِدٌ وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي فِي مَذْهَبِهِ وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ . وَالثَّالِثُ إنَّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَعْيَيْنِ كَمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَيُذْكَرُ قَوْلًا فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَاَلَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ بَسْطُ قَوْلِ شَيْخِنَا وَشَرْحُهُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ حَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفْرِدًا اعْتَمَرَ عَقِيبَهُ مِنْ التَّنْعِيمِ]

وَأَمّا الّذِينَ قَالُوا : إنّهُ حَجّ حَجّا مُفْرَدًا اعْتَمَرَ عَقِيبَهُ مِنْ التّنْعِيمِ ، فَلَا يُعْلَمُ لَهُمْ عُذْرٌ أَلْبَتّةَ إلّا مَا تَقَدّمَ مِنْ أَنّهُمْ سَمِعُوا أَنّهُ أَفْرَدَ الْحَجّ ، وَأَنّ عَادَةَ الْمُفْرِدِينَ أَنْ يَعْتَمِرُوا مِنْ التّنْعِيمِ ، فَتَوَهّمُوا أَنّهُ فَعَلَ كَذَلِكَ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ لَبّى صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْعُمْرَةِ وَحْدَهَا وَاسْتَمَرّ عَلَيْهَا]

وَأَمّا الّذِينَ غَلِطُوا فِي إهْلَالِهِ فَمَنْ قَالَ إنّهُ لَبّى بِالْعُمْرَةِ وَحْدَهَا وَاسْتَمَرّ عَلَيْهَا ، فَعُذْرُهُ أَنّهُ سَمِعَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَمَتّعَ وَالْمُتَمَتّعُ عِنْدَهُ مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ [ص ١٤٢] قَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : مَا شَأْنُ النّاسِ حَلّوا وَلَمْ تَحِلّ مِنْ عُمْرَتِك ؟ وَكُلّ هَذَا لَا يَدُلّ عَلَى أَنّهُ قَالَ لَبّيْكَ بِعُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ وَلَمْ يَنْقُلْ هَذَا أَحَدٌ عَنْهُ أَلْبَتّةَ فَهُوَ وَهْمٌ مَحْضٌ وَالْأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ فِي لَفْظِهِ فِي إهْلَالِهِ تُبْطِلُ هَذَا .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ لَبّى صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْحَجّ وَحْدَهُ وَاسْتَمَرّ عَلَيْهِ]

وَأَمّا مَنْ قَالَ إنّهُ لَبّى بِالْحَجّ وَحْدَهُ وَاسْتَمَرّ عَلَيْهِ فَعُذْرُهُ مَا ذَكَرْنَا عَمّنْ قَالَ : أَفْرَدَ الْحَجّ وَلَبّى بِالْحَجّ وَقَدْ تَقَدّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ وَأَنّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ قَطّ : إنّهُ قَالَ لَبّيْكَ بِحَجّةٍ مُفْرَدَةٍ وَإِنّ الّذِينَ نَقَلُوا لَفْظَهُ صَرّحُوا بِخِلَافِ ذَلِكَ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ لَبّى صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْحَجّ وَحْدَهُ ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الْعُمْرَةَ]

وَأَمّا مَنْ قَالَ إنّهُ لَبّى بِالْحَجّ وَحْدَهُ ، ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الْعُمْرَةَ وَظَنّ أَنّهُ بِذَلِكَ تَجْتَمِعُ الْأَحَادِيثُ فَعُذْرُهُ أَنّهُ رَأَى أَحَادِيثَ إفْرَادِهِ بِالْحَجّ صَحِيحَةً فَحَمَلَهَا عَلَى ابْتِدَاءِ إحْرَامِهِ ثُمّ إنّهُ أَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبّهِ تَعَالَى فَقَالَ قُلْ : عُمْرَةٌ فِي حَجّةٍ ، فَأَدْخَلَ الْعُمْرَةَ حِينَئِذٍ عَلَى الْحَجّ فَصَارَ قَارِنًا ؛ وَلِهَذَا قَالَ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ : " إنّي سُقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْتُ " ، فَكَانَ مُفْرِدًا فِي ابْتِدَاءِ إحْرَامِهِ قَارِنًا فِي أَثْنَائِهِ وَأَيْضًا فَإِنّ أَحَدًا لَمْ يَقُلْ إنّهُ أَهَلّ بِالْعُمْرَةِ وَلَا لَبّى بِالْعُمْرَةِ وَلَا أَفْرَدَ الْعُمْرَةَ وَلَا قَالَ خَرَجْنَا لَا نَنْوِي إلّا الْعُمْرَةَ بَلْ قَالُوا : أَهَلّ بِالْحَجّ وَلَبّى بِالْحَجّ وَأَفْرَدَ الْحَجّ وَخَرَجْنَا لَا نَنْوِي إلّا الْحَجّ وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنّ الْإِحْرَامَ وَقَعَ أَوّلًا بِالْحَجّ ثُمّ جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنْ رَبّهِ تَعَالَى بِالْقِرَانِ فَلَبّى بِهِمَا فَسَمِعَهُ أَنَسٌ يُلَبّي بِهِمَا ، وَصَدَقَ وَسَمِعَتْهُ عَائِشَةُ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَجَابِرٌ يُلَبّي بِالْحَجّ وَحْدَهُ أَوّلًا وَصَدَقُوا . قَالُوا : وَبِهَذَا تَتّفِقُ الْأَحَادِيثُ وَيَزُولُ عَنْهَا الِاضْطِرَابُ . وَأَرْبَابُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ لَا يُجِيزُونَ إدْخَالَ الْعُمْرَةِ عَلَى الْحَجّ وَيَرَوْنَهُ لَغْوًا ، [ص ١٤٣] دُونَ غَيْرِهِ . قَالُوا : وَمِمّا يَدُلّ عَلَى ذَلِكَ أَنّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ : لَبّى بِالْحَجّ وَحْدَهُ ، وَأَنَسٌ قَالَ أَهَلّ بِهِمَا جَمِيعًا ، وَكِلَاهُمَا صَادِقٌ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إهْلَالُهُ بِالْقِرَانِ سَابِقًا عَلَى إهْلَالِهِ بِالْحَجّ وَحْدَهُ لِأَنّهُ إذَا أَحْرَمَ قَارِنًا ، لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُحْرِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَجّ مُفْرَدٍ وَيَنْقُلَ الْإِحْرَامَ إلَى الْإِفْرَادِ فَتَعَيّنَ أَنّهُ أَحْرَمَ بِالْحَجّ مُفْرَدًا ، فَسَمِعَهُ ابْنُ عُمَرَ وَعَائِشَةُ وَجَابِرٌ فَنَقَلُوا مَا سَمِعُوهُ ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الْعُمْرَةَ فَأَهَلّ بِهِمَا جَمِيعًا لَمّا جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنْ رَبّهِ فَسَمِعَهُ أَنَسٌ يُهِلّ بِهِمَا ، فَنَقَلَ مَا سَمِعَهُ ثُمّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنّهُ قَرَنَ وَأَخْبَرَ عَنْهُ مَنْ تَقَدّمَ ذِكْرُهُ مِنْ الصّحَابَةِ بِالْقِرَانِ فَاتّفَقَتْ أَحَادِيثُهُمْ وَزَالَ عَنْهَا الِاضْطِرَابُ وَالتّنَاقُضُ . قَالُوا : وَيَدُلّ عَلَيْهِ قَوْلُ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يُهِلّ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ فَلْيُهِلّ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُهِلّ بِحَجّ فَلْيُهِلّ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُهِلّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهِلّ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَهَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِحَجّ وَأَهَلّ بِهِ نَاسٌ مَعَهُ . فَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنّهُ كَانَ مُفْرِدًا فِي ابْتِدَاءِ إحْرَامِهِ فَعُلِمَ أَنّ قِرَانَهُ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَلَا رَيْبَ أَنّ فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدّمَةِ وَدَعْوَى التّخْصِيصِ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِإِحْرَامٍ لَا

يَصِحّ فِي حَقّ الْأُمّةِ مَا يَرُدّهُ وَيُبْطِلُهُ وَمِمّا يَرُدّهُ أَنّ أَنَسًا قَالَ صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الظّهْرَ بِالْبَيْدَاءِ ثُمّ رَكِبَ وَصَعِدَ جَبَلَ الْبَيْدَاءِ ، وَأَهَلّ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ حِينَ صَلّى الظّهْرَ . وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ أَنّ الّذِي جَاءَهُ مِنْ رَبّهِ قَالَ لَهُ " صَلّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ : عُمْرَةٌ فِي حَجّةٍ " . فَكَذَلِكَ فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَالّذِي رَوَى عُمَرُ أَنّهُ أُمِرَ بِهِ وَرَوَى أَنَسٌ أَنّهُ فَعَلَهُ سَوَاءٌ فَصَلّى الظّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، ثُمّ قَالَ " لَبّيْكَ حَجّا وَعُمْرَةً

[هَلْ يَجُوزُ إدْخَالُ الْعُمْرَةِ عَلَى الْحَجّ]

وَاخْتَلَفَ النّاسُ فِي جَوَازِ إدْخَالِ الْعُمْرَةِ عَلَى الْحَجّ عَلَى قَوْلَيْنِ وَهُمَا [ص ١٤٤] أَحْمَدَ ، أَشْهَرُهُمَا : إنّهُ لَا يَصِحّ وَالّذِينَ قَالُوا بِالصّحّةِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمْ اللّهُ بَنَوْهُ عَلَى أُصُولِهِمْ وَأَنّ الْقَارِنَ يَطُوفُ طَوَافَيْنِ وَيَسْعَى سَعْيَيْنِ فَإِذَا أَدْخَلَ الْعُمْرَةَ عَلَى الْحَجّ فَقَدْ الْتَزَمَ زِيَادَةَ عَمَلٍ عَلَى الْإِحْرَامِ بِالْحَجّ وَحْدَهُ وَمَنْ قَالَ يَكْفِيهِ طَوَافٌ وَاحِدٌ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ قَالَ لَمْ يُسْتَفَدْ بِهَذَا الْإِدْخَالِ إلّا سُقُوطُ أَحَدِ السّفَرَيْنِ وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِهِ زِيَادَةَ عَمَلٍ بَلْ نُقْصَانَهُ فَلَا يَجُوزُ وَهَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ أَحْرَمَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِعُمْرَةٍ ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْحَجّ]

وَأَمّا الْقَائِلُونَ إنّهُ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْحَجّ فَعُذْرُهُمْ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ تَمَتّعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجّ وَأَهْدَى ، فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَدَأَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ . مُتّفَقٌ عَلَيْهِ . وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنّهُ أَحْرَمَ أَوّلًا بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْحَجّ وَيُبَيّنُ ذَلِكَ أَيْضًا أَنّ ابْنَ عُمَرَ لَمّا حَجّ زَمَنَ ابْنِ الزّبَيْرِ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ ثُمّ قَالَ : أُشْهِدُكُمْ أَنّي قَدْ أَوْجَبْت حَجّا مَعَ عُمْرَتِي ، وَأَهْدَى هَدْيًا اشْتَرَاهُ بِقَدِيدٍ ثُمّ انْطَلَقَ يُهِلّ بِهِمَا جَمِيعًا حَتّى قَدِمَ مَكّةَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْحَرْ وَلَمْ يَحْلِقْ وَلَمْ يُقَصّرْ وَلَمْ يَحِلّ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتّى كَانَ يَوْمَ النّحْرِ فَنَحَرَ وَحَلَقَ وَرَأَى أَنّ ذَلِكَ قَدْ قَضَى طَوَافَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ بِطَوَافِهِ الْأَوّلِ . وَقَالَ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَعِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنّهُ كَانَ مُتَمَتّعًا فِي ابْتِدَاءِ إحْرَامِهِ قَارِنًا فِي أَثْنَائِهِ وَهَؤُلَاءِ أَعْذَرُ مِنْ الّذِينَ قَبْلَهُمْ وَإِدْخَالُ الْحَجّ عَلَى الْعُمْرَةِ جَائِزٌ بِلَا نِزَاعٍ يُعْرَفُ وَقَدْ أَمَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا بِإِدْخَالِ الْحَجّ عَلَى الْعُمْرَةِ فَصَارَتْ قَارِنَةً وَلَكِنْ سِيَاقُ الْأَحَادِيثِ الصّحِيحَةِ يَرُدّ عَلَى أَرْبَابِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ . [ص ١٤٥] أَنَسًا أَخْبَرَ أَنّهُ حِينَ صَلّى الظّهْرَ أَهَلّ بِهِمَا جَمِيعًا ، وَفِي " الصّحِيحِ " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ مُوَافِينَ لِهِلَالِ ذِي الْحِجّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يُهِلّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهِلّ فَلَوْلَا أَنّي أَهْدَيْتُ لَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ قَالَتْ وَكَانَ مِنْ الْقَوْمِ مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ أَهَلّ بِالْحَجّ ، فَقَالَتْ فَكُنْتُ أَنَا مِمّنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَذَكَرْت الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنّهُ لَمْ يُهِلّ إذْ ذَاكَ بِعُمْرَةٍ فَإِذَا جَمَعْت بَيْنَ قَوْلِ عَائِشَةَ هَذَا ، وَبَيْنَ قَوْلِهَا فِي " الصّحِيحِ " : تَمَتّعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ وَبَيْنَ قَوْلِهَا وَأَهَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْحَجّ وَالْكُلّ فِي " الصّحِيحِ " ، عَلِمْتَ أَنّهَا إنّمَا نَفَتْ عُمْرَةً مُفْرَدَةً وَأَنّهَا لَمْ تَنْفِ عُمْرَةَ الْقِرَانِ وَكَانُوا يُسَمّونَهَا تَمَتّعًا كَمَا تَقَدّمَ وَأَنّ ذَلِكَ لَا يُنَاقِضُ إهْلَالَهُ بِالْحَجّ فَإِنّ عُمْرَةَ الْقِرَانِ فِي ضِمْنِهِ وَجُزْءٌ مِنْهُ وَلَا يُنَافِي قَوْلَهَا : أَفْرَدَ الْحَجّ ،

فَإِنّ أَعْمَالَ الْعُمْرَةِ لَمّا دَخَلَتْ فِي أَعْمَالِ الْحَجّ وَأُفْرِدَتْ أَعْمَالُهُ كَانَ ذَلِكَ إفْرَادًا بِالْفِعْلِ . وَأَمّا التّلْبِيَةُ بِالْحَجّ مُفْرَدًا ، فَهُوَ إفْرَادٌ بِالْقَوْلِ وَقَدْ قِيلَ إنّ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَمَتّعَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجّ وَبَدَأَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ ، مَرْوِيّ بِالْمَعْنَى مِنْ حَدِيثِهِ الْآخَرِ وَأَنّ ابْنَ عُمَرَ هُوَ الّذِي فَعَلَ ذَلِكَ عَامَ حَجّهِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزّبَيْرِ وَأَنّهُ بَدَأَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ قَالَ مَا شَأْنُهُمَا إلّا وَاحِدٌ ، أُشْهِدُكُمْ أَنّي قَدْ أَوْجَبْت حَجّا مَعَ عُمْرَتِي ، فَأَهَلّ بِهِمَا جَمِيعًا ، ثُمّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَإِنّمَا أَرَادَ اقْتِصَارَهُ عَلَى طَوَافٍ وَاحِدٍ وَسَعْيٍ وَاحِدٍ فَحُمِلَ عَلَى الْمَعْنَى ، وَرُوِيَ بِهِ إنّ رَسُولَ اللّهِ بَدَأَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ ، وَإِنّمَا الّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ وَهَذَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ بَلْ مُتَعَيّنٌ فَإِنّ عَائِشَةَ قَالَتْ عَنْهُ " لَوْلَا أَنّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ " وَأَنَسٌ قَالَ عَنْهُ إنّهُ حِينَ صَلّى الظّهْرَ أَوْجَبَ حَجّا وَعُمْرَةً وَعُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنّ الْوَحْيَ جَاءَهُ مِنْ رَبّهِ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ . [ص ١٤٦] قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِقَوْلِ الزّهْرِيّ : إنّ عُرْوَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ عَائِشَةَ بِمِثْلِ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ؟ قِيلَ الّذِي أَخْبَرَتْ بِهِ عَائِشَةُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَافَ طَوَافًا وَاحِدًا عَنْ حَجّهِ وَعُمْرَتِهِ وَهَذَا هُوَ الْمُوَافِقُ لِرِوَايَةِ عُرْوَةَ عَنْهَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " ، وَطَافَ الّذِينَ أَهَلّوا بِالْعُمْرَةِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمّ حَلّوا ، ثُمّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى لِحَجّهِمْ وَأَمّا الّذِينَ جَمَعُوا الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ فَإِنّمَا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا ، فَهَذَا مِثْلُ الّذِي رَوَاهُ سَالِمٌ عَنْ أَبِيهِ سَوَاءٌ . وَكَيْفَ تَقُولُ عَائِشَةُ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَدَأَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ ، وَقَدْ قَالَتْ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ " لَوْلَا أَنّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ " وَقَالَتْ وَأَهَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْحَجّ ؟ فَعُلِمَ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يُهِلّ فِي ابْتِدَاءِ إحْرَامِهِ بِعُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ أَحْرَمَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إحْرَامًا مُطْلَقًا لَمْ يُعَيّنْ فِيهِ نُسُكًا ثُمّ عَيّنَهُ بَعْدَ إحْرَامِهِ]

وَأَمّا الّذِينَ قَالُوا : إنّهُ أَحْرَمَ إحْرَامًا مُطْلَقًا ، لَمْ يُعَيّنْ فِيهِ نُسُكًا ، ثُمّ عَيّنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَمّا جَاءَهُ الْقَضَاءُ وَهُوَ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالِ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ نَصّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ " اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ " . قَالَ وَثَبَتَ أَنّهُ خَرَجَ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَهُوَ مَا بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَهَلّ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يَجْعَلَهُ عُمْرَةً ثُمّ قَالَ وَمَنْ وَصَفَ انْتِظَارَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقَضَاءَ إذْ لَمْ يَحُجّ مِنْ الْمَدِينَةِ بَعْدَ نُزُولِ الْفَرْضِ طَلَبًا لِلِاخْتِيَارِ فِيمَا وَسّعَ اللّهُ مِنْ الْحَجّ وَالْعُمْرَةِ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ أَحْفَظَ لِأَنّهُ قَدْ أَتَى بِالْمُتَلَاعِنَيْنِ فَانْتَظَرَ الْقَضَاءَ كَذَلِكَ حُفِظَ عَنْهُ فِي الْحَجّ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ . وَعُذْرُ أَرْبَابِ هَذَا الْقَوْلِ مَا ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا نَذْكُرُ حَجّا وَلَا عُمْرَةً " وَفِي لَفْظٍ " يُلَبّي لَا يَذْكُرُ حَجّا وَلَا عُمْرَةً وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا نَرَى إلّا الْحَجّ حَتّى إذَا دَنَوْنَا مِنْ مَكّةَ أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ إذَا طَافَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَحِلّ [ص ١٤٧] وَقَالَ طَاوُوس ٌ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ لَا يُسَمّي حَجّا وَلَا عُمْرَةً يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَهُوَ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ،

فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَهَلّ بِالْحَجِّ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً . .. الْحَدِيثُ . وَقَالَ جَابِر فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي سِيَاقِ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ فَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ فَأَهَلّ بِالتَّوْحِيدِ " لَبّيْكَ اللّهُمّ لَبّيْكَ لَبّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبّيْكَ إِنّ الْحَمْدَ وَالنّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ . وَأَهَلّ النّاسُ بِهَذَا الّذِي يُهِلّونَ بِهِ وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَه فَأَخْبَرَ جَابِرٌ أَنّهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذِهِ التّلْبِيَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنّهُ أَضَافَ إِلَيْهَا حَجّا وَلَا عُمْرَةً وَلَا قِرَانًا ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْذَارِ مَا يُنَاقِضُ أَحَادِيثَ تَعْيِينِهِ النّسُكَ الّذِي أَحْرَمَ بِهِ فِي الِابْتِدَاءِ وَأَنّهُ الْقِرَانُ . فَأَمّا حَدِيثُ طَاوُوسٍ فَهُوَ مُرْسَلٌ لَا يُعَارِضُ بِهِ الْأَسَاطِينَ الْمُسْنَدَاتِ وَلَا يُعْرَفُ اتّصَالُهُ بِوَجْهٍ صَحِيحٍ وَلَا حَسَنٍ . وَلَوْ صَحّ فَانْتِظَارُهُ لِلْقَضَاءِ كَانَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمِيقَاتِ فَجَاءَهُ الْقَضَاءُ وَهُوَ بِذَلِكَ الْوَادِي ، أَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبّهِ تَعَالَى فَقَالَ صَلّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ : عُمْرَةٌ فِي حَجّةٍ فَهَذَا الْقَضَاءُ الّذِي انْتَظَرَهُ جَاءَهُ قَبْلَ الْإِحْرَامِ فَعَيّنَ لَهُ الْقِرَانَ . وَقَوْلُ طَاوُوسٍ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَهُوَ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، هُوَ قَضَاءٌ آخَرُ غَيْرُ الْقَضَاءِ الّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ بِإِحْرَامِهِ فَإِنّ ذَلِكَ كَانَ بِوَادِي الْعَقِيقِ ، وَأَمّا الْقَضَاءُ الّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَهُوَ قَضَاءُ الْفَسْخِ [ص ١٤٨] أَمَرَ بِهِ الصّحَابَةَ إِلَى الْعُمْرَةِ فَحِينَئِذٍ أَمَرَ كُلّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ مِنْهُمْ أَنْ يَفْسَخَ حَجّهُ إِلَى عُمْرَةٍ وَقَالَ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً ، وَكَانَ هَذَا أَمْرَ حَتْمٍ بِالْوَحْيِ فَإِنّهُمْ لَمّا تَوَقّفُوا فِيهِ قَالَ " انْظُرُوا الّذِي آمُرُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ " . فَأَمّا قَوْلُ عَائِشَةَ خَرَجْنَا لَا نَذْكُرُ حَجّا وَلَا عُمْرَةً فَهَذَا إِنْ كَانَ مَحْفُوظًا عَنْهَا ، وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى مَا قَبْلَ الْإِحْرَامِ وَإِلّا نَاقَضَ سَائِرَ الرّوَايَاتِ الصّحِيحَةِ عَنْهَا ، أَنّ مِنْهُمْ مَنْ أَهَلّ عِنْدَ الْمِيقَاتِ بِحَجّ وَمِنْهُمْ مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَأَنّهَا مِمّنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ . وَأَمّا قَوْلُهَا : نُلَبّي لَا نَذْكُرُ حَجّا وَلَا عُمْرَةً فَهَذَا فِي ابْتِدَاءِ الْإِحْرَامِ وَلَمْ تَقُلْ إِنّهُمْ اسْتَمَرّوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى مَكّةَ ، هَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا فَإِنّ الّذِينَ سَمِعُوا إِحْرَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَهَلّ بِهِ شَهِدُوا عَلَى ذَلِكَ وَأَخْبَرُوا بِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدّ رِوَايَاتِهِمْ . وَلَوْ صَحّ عَنْ عَائِشَةَ ذَلِكَ لَكَانَ غَايَتُهُ أَنّهَا لَمْ تَحْفَظْ إِهْلَالَهُمْ عِنْدَ الْمِيقَاتِ فَنَفَتْهُ وَحَفِظَهُ غَيْرُهَا مِنْ الصّحَابَةِ فَأَثْبَتَهُ وَالرّجَالُ بِذَلِكَ أَعْلَمُ مِنْ النّسَاءِ . وَأَمّا قَوْلُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَهَلّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتّوْحِيدِ فَلَيْسَ فِيهِ إِلّا إِخْبَارُهُ عَنْ صِفَةِ تَلْبِيَتِهِ وَلَيْسَ فِيهِ نَفْيٌ لِتَعْيِينِهِ النّسُكَ الّذِي أَحْرَمَ بِهِ بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ . وَبِكُلّ حَالٍ وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةً فِي نَفْيِ التّعْيِينِ لَكَانَتْ أَحَادِيثُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ أَوْلَى بِالْأَخْذِ مِنْهَا ؛ لِكَثْرَتِهَا ، وَصِحّتِهَا ، وَاتّصَالِهَا ، وَأَنّهَا مُثْبِتَةٌ مُبَيّنَةٌ مُتَضَمّنَةٌ لِزِيَادَةٍ خَفِيَتْ عَلَى مَنْ نَفَى ، وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَاضِحٌ وَبِاَللَّهِ التّوْفِيقُ .

فَصْلٌ وَلْنَرْجِعْ إِلَى سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

وَلَبّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ بِالْغِسْلِ وَهُوَ بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ عَلَى وَزْنِ كِفْلٍ [ص ١٤٩] خِطْمِيّ وَنَحْوِهِ يُلَبّدُ بِهِ الشّعْرُ حَتّى لَا يَنْتَشِرَ وَأَهَلّ فِي مُصَلّاهُ ثُمّ رَكِبَ عَلَى نَاقَتِهِ وَأَهَلّ أَيْضًا ، ثُمّ أَهَلّ لَمّا اسْتَقَلّتْ بِهِ عَلَى الْبَيْدَاءِ . قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ :

وَأَيْمُ اللهِ لَقَدْ أَوْجَبَ فِي مُصَلّاهُ وَأَهَلّ حِينَ اسْتَقَلّتْ بِهِ نَاقَتُهُ وَأَهَلّ حِينَ عَلَا عَلَى شَرَفِ الْبَيْدَاءِ . وَكَانَ يُهِلّ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ تَارَةً وَبِالْحَجّ تَارَةً لِأَنّ الْعُمْرَةَ جُزْءٌ مِنْهُ فَمِنْ ثَمّ قِيلَ قَرَنَ وَقِيلَ تَمَتّعَ وَقِيلَ أَفْرَدَ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الظّهْرِ بِيَسِيرٍ وَهَذَا وَهْمٌ مِنْهُ وَالْمَحْفُوظُ أَنّهُ إنّمَا أَهَلّ بَعْدَ صَلَاةِ الظّهْرِ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ قَطّ : إنّ إحْرَامَهُ كَانَ قَبْلَ الظّهْرِ وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ لَهُ هَذَا . وَقَدْ قَالَ ابْنُ عُمَرَ مَا أَهَلّ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا مِنْ عِنْدِ الشّجَرَةِ حِينَ قَامَ بِهِ بَعِيرُهُ وَقَدْ قَالَ أَنَسٌ إنّهُ صَلّى الظّهْرَ ثُمّ رَكِبَ وَالْحَدِيثَانِ فِي " الصّحِيحِ " . فَإِذَا جَمَعْت أَحَدَهُمَا إلَى الْآخَرِ تَبَيّنَ أَنّهُ إنّمَا أَهَلّ بَعْدَ صَلَاةِ الظّهْرِ ثُمّ لَبّى فَقَالَ لَبّيْكَ اللّهُمّ لَبّيْكَ لَبّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبّيْكَ إنّ الْحَمْدَ وَالنّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِهَذِهِ التّلْبِيَةِ حَتّى سَمِعَهَا أَصْحَابُهُ وَأَمَرَهُمْ [ص ١٥٠] وَكَانَ حَجّهُ عَلَى رَحْلٍ لَا فِي مَحْمِلٍ وَلَا هَوْدَجٍ وَلَا عَمّارِيّةٍ وَزَامِلَتُهُ تَحْتَهُ . وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي جَوَازِ رُكُوبِ الْمُحْرِمِ فِي الْمَحْمِلِ وَالْهَوْدَجِ وَالْعَمّارِيّةِ وَنَحْوِهَا عَلَى قَوْلَيْنِ هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ أَحَدُهُمَا : الْجَوَازُ وَهُوَ مَذْهَبُ الشّافِعِيّ وَأَبِي حَنِيفَةَ . وَالثّانِي : الْمَنْعُ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ .

فَصْلٌ [تَخْيِيرُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَصْحَابِهِ بَيْنَ الْأَنْسَاكِ الثّلَاثَةِ]

ثُمّ إنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَيّرَهُمْ عِنْدَ الْإِحْرَامِ بَيْنَ الْأَنْسَاكِ الثّلَاثَةِ ثُمّ نَدَبَهُمْ عِنْدَ دُنُوّهِمْ مِنْ مَكّةَ إلَى فَسْخِ الْحَجّ وَالْقِرَانِ إلَى الْعُمْرَةِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ ثُمّ حَتّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْمَرْوَةِ .

[السّنَنُ الّتِي وَرَدَتْ فِي قِصّةِ وِلَادَةِ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْس بِذِي الْحُلَيْفَةِ]

وَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ زَوْجَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا بِذِي الْحُلَيْفَةِ مُحَمّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ تَغْتَسِلَ وَتَسْتَثْفِرَ بِثَوْبٍ وَتُحْرِمَ وَتُهِلّ . وَكَانَ فِي قِصّتِهَا ثَلَاثُ سُنَنٍ إحْدَاهَا : غُسْلُ الْمُحْرِمِ وَالثّانِيَةُ أَنّ الْحَائِضَ تَغْتَسِلُ لِإِحْرَامِهَا ، وَالثّالِثَةُ أَنّ الْإِحْرَامَ يَصِحّ مِنْ الْحَائِضِ . [ص ١٥١] سَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يُلَبّي بِتَلْبِيَتِهِ الْمَذْكُورَةِ وَالنّاسُ مَعَهُ يَزِيدُونَ فِيهَا وَيَنْقُصُونَ وَهُوَ يُقِرّهُمْ وَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ وَلَزِمَ تَلْبِيَتَهُ فَلَمّا كَانُوا بِالرّوْحَاءِ رَأَى حِمَارَ وَحْشٍ عَقِيرًا ، فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ صَاحِبُهُ " فَجَاءَ صَاحِبُهُ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ شَأْنُكُمْ بِهَذَا الْحِمَارِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبَا بَكْرٍ فَقَسَمَهُ بَيْنَ الرّفَاقِ

[جَوَازُ أَكْلِ الْمُحْرِمِ مِنْ صَيْدِ الْحَلَالِ إذَا لَمْ يَصِدْهُ لِأَجْلِهِ]

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ أَكْلِ الْمُحْرِمِ مِنْ صَيْدِ الْحَلَالِ إذَا لَمْ يَصِدْهُ لِأَجْلِهِ وَأَمّا كَوْنُ صَاحِبِهِ لَمْ يُحْرِمْ فَلَعَلّهُ لَمْ يَمُرّ بِذِي الْحُلَيْفَةِ فَهُوَ كَأَبِي قَتَادَةَ فِي قِصّتِهِ . وَتَدُلّ هَذِهِ الْقِصّةُ عَلَى أَنّ الْهِبَةَ لَا تَفْتَقِرُ إلَى لَفْظِ وَهَبْتُ لَك ، بَلْ تَصِحّ بِمَا يَدُلّ عَلَيْهَا ، وَتَدُلّ عَلَى قِسْمَتِهِ اللّحْمَ مَعَ عِظَامِهِ بِالتّحَرّي ، وَتَدُلّ عَلَى أَنّ الصّيْدَ يُمْلَكُ بِالْإِثْبَاتِ وَإِزَالَةِ امْتِنَاعِهِ وَأَنّهُ لِمَنْ أَثْبَتَهُ لَا لِمَنْ أَخَذَهُ وَعَلَى حِلّ أَكْلِ لَحْمِ الْحِمَارِ الْوَحْشِيّ وَعَلَى التّوْكِيلِ فِي الْقِسْمَةِ وَعَلَى كَوْنِ الْقَاسِمِ وَاحِدًا . فَصْلٌ ثُمّ مَضَى حَتّى إذَا كَانَ بِالْأُثَايَةِ بَيْنَ الرّوَيْثَةِ وَالْعَرْجِ ، إذَا ظَبْيٌ حَاقِفٌ فِي ظِلّ فِيهِ سَهْمٌ فَأَمَرَ رَجُلًا أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ لَا يَرِيبُهُ أَحَدٌ مِنْ النّاسِ حَتّى يُجَاوِزُوا . [ص ١٥٢] صَادَ الْحِمَارَ كَانَ حَلَالًا ، فَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَكْلِهِ وَهَذَا

لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ حَلَالٌ وَهُمْ مُحْرِمُونَ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِي أَكْلِهِ وَوَكَّلَ مَنْ يَقِفُ عِنْدَهُ لِئَلَّا يَأْخُذَهُ أَحَدٌ حَتَّى يُجَاوِزُوه
[قَتْلُ الْمُحْرِمِ لِلصَّيْدِ يَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَيْتَةِ]
وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَتْلَ الْمُحْرِمِ لِلصَّيْدِ يَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَيْتَةِ فِي عَدَمِ الْحِلِّ إِذْ لَوْ كَانَ حَلَالًا ، لَمْ تَضِعْ مَالِيَّتُهُ . فَصْلٌ ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِالْعَرْجِ ، وَكَانَتْ زِمَالَتُهُ وَزِمَالَةُ أَبِي بَكْرٍ وَاحِدَةً وَكَانَتْ مَعَ غُلَامٍ لِأَبِي بَكْرٍ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى جَانِبِهِ وَعَائِشَةُ إِلَى جَانِبِهِ الْآخَرِ وَأَسْمَاءُ زَوْجَتُهُ إِلَى جَانِبِهِ وَأَبُو بَكْرٍ يَنْتَظِرُ الْغُلَامَ وَالزِّمَالَةَ إِذْ طَلَعَ الْغُلَامُ لَيْسَ مَعَهُ الْبَعِيرُ فَقَالَ أَيْنَ بَعِيرُك ؟ فَقَالَ أَضْلَلْتُهُ الْبَارِحَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَعِيرٌ وَاحِدٌ تُضِلُّهُ . قَالَ فَطَفِقَ يَضْرِبُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ وَيَقُول : اُنْظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُحْرِمِ مَا يَصْنَعُ ، وَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَيَتَبَسَّمَ وَمِنْ تَرَاجِمِ أَبِي دَاوُدَ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ بَابٌ " الْمُحْرِمُ يُؤَدِّبُ غُلَامَهُ " .
فَصْلٌ [رَدُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارَ الْوَحْشِ مَعَ تَعْلِيلِهِ بِأَنَّهُ مُحْرِمٌ]
ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْأَبْوَاءِ ، أَهْدَى لَهُ الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ عَجُزَ حِمَارٍ وَحْشِيٍّ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " : " أَنَّهُ أَهْدَى لَهُ حِمَارًا وَحْشِيًّا ، وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ لَحْمَ حِمَارِ وَحْشٍ [ص ١٥٣] وَقَالَ الْحُمَيْدِيّ كَانَ سُفْيَان يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمُ حِمَارِ وَحْشٍ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ يَقْطُرُ دَمًا ، وَرُبَّمَا لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ وَكَانَ سُفْيَانُ فِيمَا خَلَا رُبَّمَا قَالَ حِمَارَ وَحْشٍ ثُمَّ صَارَ إِلَى لَحْمٍ حَتَّى مَاتَ . وَفِي رِوَايَةٍ شِقَّ حِمَارِ وَحْشٍ وَفِي رِوَايَةٍ رِجْلَ حِمَارِ وَحْشٍ . وَرَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ الصَّعْبِ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجُزَ حِمَارِ وَحْشٍ وَهُوَ بِالْجُحْفَةِ فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ الْقَوْمُ قَالَ الْبَيْهَقِيّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ . فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا ، فَكَأَنَّهُ رَدَّ الْحَيَّ وَقَبِلَ اللَّحْمَ . وَقَالَ الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنْ كَانَ الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحِمَارَ حَيًّا ، فَلَيْسَ لِلْمُحْرِمِ ذَبْحُ حِمَارِ وَحْشٍ وَإِنْ كَانَ أَهْدَى لَهُ لَحْمَ الْحِمَارِ فَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلِمَ أَنَّهُ صِيدَ لَهُ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ وَإِيضَاحُهُ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ . قَالَ وَحَدِيثُ مَالِكٍ أَنَّهُ أَهْدَى لَهُ حِمَارًا أَثْبَتُ مِنْ حَدِيثِ مَنْ حَدَّثَ لَهُ مِنْ لَحْمِ حِمَارٍ . قُلْت : أَمَّا حَدِيثُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ جَعْفَرٍ فَغَلَطٌ بِلَا شَكٍّ فَإِنَّ الْوَاقِعَةَ وَاحِدَةٌ وَقَدْ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ إِلَّا هَذِهِ الرِّوَايَةَ الشَّاذَّةَ الْمُنْكَرَةَ . [ص ١٥٤] وَأَمَّا الِاخْتِلَافُ فِي كَوْنِ الَّذِي أَهْدَاهُ حَيًّا ، أَوْ لَحْمًا ، فَرِوَايَةُ مَنْ رَوَى لَحْمًا أَوْلَى لِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ . أَحَدُهَا : أَنَّ رَاوِيَهَا قَدْ حَفِظَهَا ، وَضَبَطَ الْوَاقِعَةَ حَتَّى ضَبَطَهَا : أَنَّهُ يَقْطُرُ دَمًا ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى حِفْظِهِ لِلْقِصَّةِ حَتَّى لِهَذَا الْأَمْرِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ . الثَّانِي : أَنَّ هَذَا صَرِيحٌ فِي كَوْنِهِ بَعْضَ الْحِمَارِ وَأَنَّهُ لَحْمٌ مِنْهُ فَلَا يُنَاقِضُ قَوْلَهُ أَهْدَى لَهُ حِمَارًا ، بَلْ يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى رِوَايَةِ مَنْ رَوَى لَحْمًا ، تَسْمِيَةً لِلَّحْمِ بِاسْمِ الْحَيَوَانِ وَهَذَا مِمَّا لَا تَأْبَاهُ اللُّغَةُ . الثَّالِثُ أَنَّ سَائِرَ الرِّوَايَاتِ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّهُ بَعْضٌ مِنْ أَبْعَاضِهِ وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ الْبَعْضِ هَلْ هُوَ عَجُزُهُ أَوْ شِقُّهُ أَوْ رِجْلُهُ أَوْ لَحْمٌ مِنْهُ ؟ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ إِذْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الشِّقُّ هُوَ الَّذِي فِيهِ الْعَجُزُ وَفِيهِ الرِّجْلُ فَصَحَّ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِهَذَا وَهَذَا ، وَقَدْ رَجَعَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ قَوْلِهِ " حِمَارًا " وَثَبَتَ عَلَى قَوْلِهِ " لَحْمَ

حِمَارٍ " حَتّى مَاتَ . وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنّهُ تَبَيّنَ لَهُ أَنّهُ إنّمَا أَهْدَى لَهُ لَحْمًا لَا حَيَوَانًا ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ أَكْلِهِ لِمّا صَادَهُ أَبُو قَتَادَةَ ، فَإِنّ قِصّةَ أَبِي قَتَادَةَ كَانَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ سَنَةَ سِتّ وَقِصّةُ الصّعْبِ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنّهَا كَانَتْ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ مِنْهُمْ الْمُحِبّ الطّبَرِيّ فِي كِتَابِ " حَجّةِ الْوَدَاعِ " لَهُ . أَوْ فِي بَعْضِ عُمَرِهِ وَهَذَا مِمّا يُنْظَرُ فِيهِ . وَفِي قِصّةِ الظّبْيِ وَحِمَارِ يَزِيدُ بْنُ كَعْبٍ السّلَمِيّ الْبَهْزِيّ ، هَلْ كَانَتْ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ أَوْ فِي بَعْضِ عُمَرِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ ؟ فَإِنّ حَمْلَ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَلَى أَنّهُ لَمْ يَصِدْهُ لِأَجْلِهِ وَحَدِيثَ الصّعْبِ عَلَى أَنّهُ صِيدَ لِأَجْلِهِ زَالَ الْإِشْكَالُ وَشَهِدَ لِذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرٍ الْمَرْفُوعُ " صَيْدُ الْبَرّ لَكُمْ حَلَالٌ مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَادُ لَكُمْ " [ص ١٥٥] كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ أُعِلّ بِأَنّ الْمُطّلِبَ بْنَ حَنْطَبٍ رَاوِيَهُ عَنْ جَابِرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَمَاعٌ مِنْهُ قَالَهُ النّسَائِيّ . قَالَ الطّبَرِيّ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ لَهُ فَلَمّا كَانَ فِي بَعْضِ الطّرِيقِ اصْطَادَ أَبُو قَتَادَةَ حِمَارًا وَحْشِيّا ، وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمًا ، فَأَحَلّهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَصْحَابِهِ بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُمْ هَلْ أَمَرَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَشَارَ إلَيْهِ ؟ وَهَذَا وَهْمٌ مِنْهُ رَحِمَهُ اللّهُ فَإِنّ قِصّةَ أَبِي قَتَادَةَ إنّمَا كَانَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ ، هَكَذَا رُوِيَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ ابْنِهِ عَنْهُ قَالَ انْطَلَقْنَا مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ ، فَأَحْرَمَ أَصْحَابُهُ وَلَمْ أُحْرِمْ فَذَكَرَ قِصّةَ الْحِمَارِ الْوَحْشِيّ .

فَصْلٌ [مُرُورُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِوَادِي عُسْفَانَ]

فَلَمّا مَرّ بِوَادِي عُسْفَانَ ، قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَيّ وَادٍ هَذَا " ؟ قَالَ وَادِي عُسْفَانَ . قَالَ لَقَدْ مَرّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ عَلَى بَكْرَيْنِ أَحْمَرَيْنِ خُطُمُهُمَا اللّيفُ وَأُزُرُهُمْ الْعَبَاءُ وَأَرْدِيَتُهُمْ النّمَارُ يُلَبّونَ يَحُجّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي " الْمُسْنَدِ " .

فَصْلٌ [الْعَوْدَةُ إلَى سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

عُدْنَا إلَى سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا كَانَ بِسَرِفٍ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَأَحَبّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلَا وَهَذِهِ [ص ١٦٦]

[بَحْثٌ فِي فَسْخِ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ]

فَلَمّا كَانَ بِمَكّةَ ، أَمَرَ أَمْرًا حَتْمًا مَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً وَيَحِلّ مِنْ إحْرَامِهِ وَمَنْ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يُقِيمَ عَلَى إحْرَامِهِ وَلَمْ يَنْسَخْ ذَلِكَ شَيْءٌ أَلْبَتّةَ بَلْ سَأَلَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ هَذِهِ الْعُمْرَةِ الّتِي أَمَرَهُمْ بِالْفَسْخِ إلَيْهَا ، هَلْ هِيَ لِعَامِهِمْ ذَلِكَ أَمْ لِلْأَبَدِ قَالَ بَلْ لِلْأَبَدِ وَإِنّ الْعُمْرَةَ قَدْ دَخَلَتْ فِي الْحَجّ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَدْ رَوَى عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْأَمْرَ بِفَسْخِ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَحَادِيثُهُمْ كُلّهَا صِحَاحٌ وَهُمْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ أُمّا الْمُؤْمِنِينَ وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقُ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ ، وَسَبْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيّ ، وَسُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَنَحْنُ نُشِيرُ إلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ . فَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَدِمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابُهُ صَبِيحَةَ رَابِعَةٍ مُهِلّينَ بِالْحَجّ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيّ الْحِلّ ؟ فَقَالَ " الْحِلّ كُلّهُ وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ قَدِمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابُهُ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ

الْعَشْرِ إِلَى مَكَّةَ ، وَهُمْ يُلَبُّونَ بِالْحَجِّ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً وَفِي لَفْظٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَجْعَلُوا إِحْرَامَهُمْ بِعُمْرَةٍ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ [ص ١٦٧] جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَهَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحَجِّ وَلَيْسَ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ هَدْيٌ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلْحَةَ وَقَدِمَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ وَمَعَهُ هَدْيٌ فَقَالَ أَهْلَلْتُ بِمَا أَهَلَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً وَيَطُوفُوا ، وَيُقَصِّرُوا ، وَيَحِلُّوا إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ قَالُوا : نَنْطَلِقُ إِلَى مِنًى وَذَكَرُ أَحَدِنَا يَقْطُرُ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ " لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ وَفِي لَفْظٍ فَقَامَ فِينَا فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ ، وَأَبَرُّكُمْ وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ وَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ ، لَمْ أَسُقْ الْهَدْيَ فَحُلُّوا " فَحَلَلْنَا ، وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَفِي لَفْظٍ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَحْلَلْنَا ، أَنْ نُحْرِمَ إِذَا تَوَجَّهْنَا إِلَى مِنًى قَالَ فَأَهْلَلْنَا مِنَ الْأَبْطَحِ ، فَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ ؟ قَالَ لِلْأَبَدِ . وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُلُّهَا فِي الصَّحِيحِ وَهَذَا اللَّفْظُ الْأَخِيرُ صَرِيحٌ فِي إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ خَاصًّا بِهِمْ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ لِعَامِهِمْ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا لِلْأَبَدِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهُ لِلْأَبَدِ . وَفِي " الْمُسْنَدِ " : عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَأَصْحَابُهُ مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى مِنًى وَذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا ؟ قَالَ " نَعَمْ " وَسَطَعَتْ الْمَجَامِرِ [ص ١٦٨] الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِعُسْفَانَ ، قَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْضِ لَنَا قَضَاءَ قَوْمٍ كَأَنَّمَا وُلِدُوا الْيَوْمَ فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَدْخَلَ عَلَيْكُمْ فِي حَجَّةٍ عُمْرَةً فَإِذَا قَدِمْتُمْ فَمَنْ تَطَوَّفَ بِالْبَيْتِ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَقَدْ حَلَّ إِلَّا مَنْ مَعَهُ هَدْيٌ وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ . .. فَذَكَرَتْ الْحَدِيثَ وَفِيهِ فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ "اجْعَلُوهَا عُمْرَةً " فَأَحَلَّ النَّاسُ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ . .. وَذَكَرَتْ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ فَلَمَّا قَدِمْنَا تَطَوَّفْنَا بِالْبَيْتِ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَاقَ الْهَدْيَ أَنْ يَحِلَّ فَحَلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَاقَ الْهَدْيَ وَنِسَاؤُهُ لَمْ يَسُقْنَ فَأَحْلَلْنَ وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ غَضْبَانُ فَقُلْتُ مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ . قَالَ أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ . مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوْا وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَلَا نَرَى إِلَّا أَنَّهُ الْحَجُّ ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ مَكَّةَ ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَحِلَّ قَالَ يَحْيَى بْنُ [ص ١٦٩] فَقَالَ أَتَتْكَ وَاللَّهِ بِالْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَزْوَاجَهُ أَنْ

يَحْلِلْنَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَحِلّ ؟ فَقَالَ " إنّي لَبّدْتُ رَأْسِي ، وَقَلّدْتُ هَدْيِي ، فَلَا أُحِلّ حَتّى أَنْحَرَ الْهَدْيَ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، خَرَجْنَا مُحْرِمِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَقُمْ عَلَى إحْرَامِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحْلِلْ وَذَكَرَتْ الْحَدِيثَ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " أَيْضًا : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَصْرُخُ بِالْحَجّ صُرَاخًا ، فَلَمّا قَدِمْنَا مَكّةَ أَمَرَنَا أَنْ نَجْعَلَهَا عُمْرَةً إلّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ . فَلَمّا كَانَ يَوْمُ التّرْوِيَةِ وَرُحْنَا إلَى مِنًى ، أَهْلَلْنَا بِالْحَجّ . وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " : عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ أَهَلّ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وَأَزْوَاجُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ وَأَهْلَلْنَا فَلَمّا قَدِمْنَا مَكّةَ ، قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اجْعَلُوا إهْلَالَكُمْ بِالْحَجّ عُمْرَةً إلّا مَنْ قَلّدَ الْهَدْيَ . .. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

[غَضَبُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِمّنْ لَمْ يَفْسَخْ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ]

[ص ١٧٠] عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابُهُ فَأَحْرَمْنَا بِالْحَجّ فَلَمّا قَدِمْنَا مَكّةَ ، قَالَ اجْعَلُوا حَجّكُمْ عُمْرَةً . فَقَالَ النّاسُ يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ أَحْرَمْنَا بِالْحَجّ فَكَيْفَ نَجْعَلُهَا عُمْرَةً ؟ فَقَالَ " انْظُرُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ " ، فَرَدّدُوا عَلَيْهِ الْقَوْلَ فَغَضِبَ ثُمّ انْطَلَقَ حَتّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهُوَ غَضْبَانُ فَرَأَتْ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَتْ مَنْ أَغْضَبَك ، أَغْضَبَهُ اللّهُ فَقَال : وَمَا لِي لَا أَغْضَبُ وَأَنَا آمُرُ أَمْرًا فَلَا يُتّبَع وَنَحْنُ نُشْهِدُ اللّهَ عَلَيْنَا أَنّا لَوْ أَحْرَمْنَا بِحَجّ لَرَأَيْنَا فَرْضًا عَلَيْنَا فَسْخَهُ إلَى عُمْرَةٍ تَفَادِيًا مِنْ غَضَبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاتّبَاعًا لِأَمْرِهِ . فَوَاَللّهِ مَا نُسِخَ هَذَا فِي حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَهُ وَلَا صَحّ حَرْفٌ وَاحِدٌ يُعَارِضُهُ وَلَا خَصّ بِهِ أَصْحَابَهُ دُونَ مَنْ بَعْدَهُمْ بَلْ أَجْرَى اللّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ سُرَاقَةَ أَنْ يَسْأَلَهُ هَلْ ذَلِكَ مُخْتَصّ بِهِمْ ؟ فَأَجَابَ بِأَنّ ذَلِكَ كَائِنٌ لِأَبَدِ الْأَبَدِ فَمَا نَدْرِي مَا نُقَدّمُ عَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَهَذَا الْأَمْرُ الْمُؤَكّدُ الّذِي غَضِبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ . وَلِلّهِ دَرّ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللّهُ إذْ يَقُولُ لِسَلَمَةَ بْنِ شُبَيْبٍ وَقَدْ قَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ كُلّ أَمْرِك عِنْدِي حَسَنٌ إلّا خَلّةً وَاحِدَةً قَالَ وَمَا هِيَ ؟ قَالَ تَقُولُ بِفَسْخِ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ . فَقَالَ يَا سَلَمَةُ كُنْتُ أَرَى لَك عَقْلًا ، عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَحَدَ عَشَرَ حَدِيثًا صِحَاحًا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَأَتْرُكُهَا لِقَوْلِكَ ؟ وَفِي " السّنَنِ " عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، أَنّ عَلِيّا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ لَمّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْيَمَنِ ، أَدْرَكَ فَاطِمَةَ وَقَدْ لَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا ، وَنَضَحَتْ الْبَيْتَ بِنَضُوحٍ فَقَالَ مَا بَالُكِ ؟ فَقَالَتْ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَحَلّوا وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، [ص ١٧١] مُجَاهِدٍ ، قَالَ قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ الزّبَيْرِ : أَفْرِدُوا الْحَجّ وَدَعُوا قَوْلَ أَعْمَاكُمْ هَذَا . فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ : إنّ الّذِي أَعْمَى اللّهُ قَلْبَهُ لَأَنْتَ أَلَا تَسْأَلُ أُمّك عَنْ هَذَا ؟ فَأَرْسَلَ إلَيْهَا ، فَقَالَتْ صَدَقَ ابْنُ عَبّاسٍ جِئْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ حُجّاجًا ، فَجَعَلْنَاهَا عُمْرَةً فَحَلَلْنَا الْإِحْلَالَ كُلّهُ حَتّى سَطَعَتْ الْمَجَامِرُ بَيْنَ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَطَاءٍ أَسْتَفْتِيهِ فَقَالَ حَدّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ : أَنّهُ حَجّ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ سَاقَ الْبُدْنَ مَعَهُ وَقَدْ أَهَلّوا بِالْحَجّ مُفْرَدًا ، فَقَالَ لَهُمْ " أَحِلّوا مِنْ إحْرَامِكُمْ بِطَوَافٍ بِالْبَيْتِ ، وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَقَصّرُوا ، ثُمّ أَقِيمُوا حَلَالًا ، حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ التّرْوِيَةِ فَأَهِلّوا بِالْحَجّ وَاجْعَلُوا الّتِي

قَدِمْتُمْ بِهَا مُتْعَةً " . فَقَالُوا : كَيْفَ نَجْعَلُهَا مُتْعَةً وَقَدْ سَمّيْنَا الْحَجّ ؟ فَقَالَ " افْعَلُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ فَلَوْلَا أَنّي سُقْتُ الْهَدْيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ . وَلَكِنْ لَا يَحِلّ مِنّي حَرَامٌ حَتّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلّهُ " ، فَفَعَلُوا وَفِي " صَحِيحِهِ " أَيْضًا عَنْهُ أَهَلّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحَجّ . .. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَفِيهِ فَأَمَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً وَيَطُوفُوا ، ثُمّ يُقَصّرُوا إلّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ فَقَالُوا : أَنَنْطَلِقُ إلَى مِنًى وَذَكَرُ أَحَدِنَا يَقْطُرُ ؟ فَبَلَغَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ " لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ وَلَوْلَا أَنّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ " . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْهُ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ حَتّى إذَا قَدِمْنَا مَكّةَ ، طُفْنَا بِالْكَعْبَةِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَحِلّ مِنّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ [ص ١٧٢] قَالَ فَقُلْنَا : حِلّ مَاذَا ؟ قَالَ " الْحِلّ كُلّهُ " ، فَوَاقَعْنَا النّسَاءَ وَتَطَيّبْنَا بِالطّيبِ وَلَبِسْنَا ثِيَابَنَا ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إلّا أَرْبَعُ لَيَالٍ ثُمّ أَهْلَلْنَا يَوْمَ التّرْوِيَةِ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لِمُسْلِمٍ " فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً فَحَلّ النّاسُ كُلّهُمْ وَقَصّرُوا إلّا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلَمّا كَانَ يَوْمُ التّرْوِيَةِ تَوَجّهُوا إلَى مِنًى ، فَأَهَلّوا بِالْحَجّ .

وَفِي " مُسْنَدِ الْبَزّارِ " بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَهَلّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ فَلَمّا قَدِمُوا مَكّةَ ، طَافُوا بِالْبَيْتِ وَالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَنْ يَحِلّوا ، فَهَابُوا ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَحِلّوا فَلَوْلَا أَنّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ فَأَحَلّوا حَتّى حَلّوا إلَى النّسَاءِ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " : عَنْ أَنَسٍ قَالَ صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظّهْرَ أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمّ بَاتَ بِهَا حَتّى أَصْبَحَ ثُمّ رَكِبَ حَتّى اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، حَمِدَ اللّهَ وَسَبّحَ ثُمّ أَهَلّ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ ، وَأَهَلّ النّاسُ بِهِمَا ، فَلَمّا قَدِمْنَا أَمَرَ النّاسَ فَحَلّوا ، حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ التّرْوِيَةِ أَهَلّوا بِالْحَجّ . .. وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . وَفِي " صَحِيحِهِ " أَيْضًا : عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ ، قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ إلَى قَوْمِي بِالْيَمَنِ ، فَجِئْت وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ ، فَقَالَ " بِمَ أَهْلَلْتَ " ؟ فَقُلْتُ أَهْلَلْتُ بِإِهْلَالِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ : " هَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ " ؟ قُلْتُ لَا ، فَأَمَرَنِي ، فَطُفْتُ بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمّ أَمَرَنِي فَأَحْلَلْتُ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : أَنّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْهُجَيْمِ قَالَ لِابْنِ عَبّاسٍ مَا هَذِهِ [ص ١٧٣] تَشَغّبَتْ بِالنّاسِ أَنّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلّ ؟ فَقَالَ سُنّةُ نَبِيّكُمْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَإِنْ رَغِمْتُمْ . وَصَدَقَ ابْنُ عَبّاسٍ ، كُلّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ مِمّنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ مِنْ مُفْرِدٍ أَوْ قَارِنٍ أَوْ مُتَمَتّعٍ فَقَدْ حَلّ إمّا وُجُوبًا ، وَإِمّا حُكْمًا ، هَذِهِ هِيَ السّنّةُ الّتِي لَا رَادّ لَهَا وَلَا مَدْفَعَ وَهَذَا كَقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ إذَا أَدْبَرَ النّهَارُ مِنْ هَاهُنَا ، وَأَقْبَلَ اللّيْلُ مِنْ هَاهُنَا ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصّائِمُ إمّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : أَفْطَرَ حُكْمًا ، أَوْ دَخَلَ وَقْتُ إفْطَارِهِ وَصَارَ الْوَقْتُ فِي حَقّهِ وَقْتَ إفْطَارِهِ . فَهَكَذَا هَذَا الّذِي قَدْ طَافَ بِالْبَيْتِ إمّا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَلّ حُكْمًا ، وَإِمّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَقْتُ فِي حَقّهِ لَيْسَ وَقْتَ إحْرَامٍ بَلْ هُوَ وَقْتُ حِلّ لَيْسَ إلّا ، مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ وَهَذَا صَرِيحُ السّنّةِ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " أَيْضًا عَنْ عَطَاءٍ قَالَ كَانَ ابْنُ عَبّاسٍ يَقُولُ لَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَاجّ وَلَا غَيْرُ حَاجّ إلّا حَلّ وَكَانَ يَقُولُ هُوَ بَعْدَ الْمُعَرّفِ

وَقَبْلَهُ وَكَانَ يَأْخُذُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَحِلُّوا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذِهِ عُمْرَةٌ اسْتَمْتَعْنَا بِهَا ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ الْهَدْيُ فَلْيَحِلَّ الْحِلَّ كُلَّهُ فَقَدْ دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ [ص ١٧٤] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَنْ جَاءَ مُهِلًّا بِالْحَجِّ فَإِنَّ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ يُصَيِّرُهُ إلَى عُمْرَةٍ شَاءَ أَوْ أَبَى قُلْتُ إنَّ النَّاسَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ عَلَيْكَ قَالَ هِيَ سُنَّةُ نَبِيِّهِمْ وَإِنْ رَغِمُوا وَقَدْ رَوَى هَذَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَمَّيْنَا وَغَيْرُهُمْ وَرَوَى ذَلِكَ عَنْهُمْ طَوَائِفُ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ حَتَّى صَارَ مَنْقُولًا نَقْلًا يَرْفَعُ الشَّكَّ وَيُوجِبُ الْيَقِينَ وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يُنْكِرَهُ أَوْ يَقُولَ لَمْ يَقَعْ وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَذْهَبُ حَبْرِ الْأُمَّةِ وَبَحْرِهَا ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَذْهَبُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَمَذْهَبُ إمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَتْبَاعِهِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مَعَهُ وَمَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ قَاضِي الْبَصْرَةِ ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ .

[أَعْذَارُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِفَسْخِ الْحَجِّ إلَى الْعُمْرَةِ]

وَاَلَّذِينَ خَالَفُوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ لَهُمْ أَعْذَارٌ . الْعُذْرُ الْأَوَّلُ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ . الْعُذْرُ الثَّانِي : أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِالصَّحَابَةِ لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِمْ مُشَارَكَتُهُمْ فِي حُكْمِهَا . الْعُذْرُ الثَّالِثُ مُعَارَضَتُهَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ حُكْمِهَا ، وَهَذَا مَجْمُوعُ مَا اعْتَذَرُوا بِهِ عَنْهَا . وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَذِهِ الْأَعْذَارَ عُذْرًا عُذْرًا ، وَنُبَيِّنُ مَا فِيهَا بِمَعُونَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ . أَمَّا الْعُذْرُ الْأَوَّلُ وَهُوَ النَّسْخُ فَيَحْتَاجُ إلَى أَرْبَعَةِ أُمُورٍ لَمْ يَأْتُوا مِنْهَا بِشَيْءٍ يَحْتَاجُ إلَى نُصُوصٍ أُخَرَ تَكُونُ تِلْكَ النُّصُوصُ مُعَارِضَةً لِهَذِهِ ثُمَّ تَكُونُ مَعَ هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ مُقَاوِمَةً لَهَا ، ثُمَّ يَثْبُتُ تَأَخُّرُهَا عَنْهَا . قَالَ الْمُدَّعُونَ لِلنَّسْخِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السِّجِسْتَانِيُّ : حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ حَفْصٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا وَلِيَ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَلَّ لَنَا الْمُتْعَةَ ثُمَّ حَرَّمَهَا عَلَيْنَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ فِي " مُسْنَدِهِ " عَنْهُ [ص ١٧٥] قَالَ الْمُبِيحُونَ لِلْفَسْخِ عَجَبًا لَكُمْ فِي مُقَاوَمَةِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي لَا تُزَعْزِعُهَا الرِّيَاحُ بِكَثِيبٍ مَهِيلٍ تَسْفِيهِ الرِّيَاحُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَهَذَا الْحَدِيثُ لَا سَنَدَ وَلَا مَتْنَ أَمَّا سَنَدُهُ فَإِنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ عَلَيْنَا عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَمَّا مَتْنُهُ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْمُتْعَةِ فِيهِ مُتْعَةُ النِّسَاءِ الَّتِي أَحَلَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ حَرَّمَهَا ، لَا يَجُوزُ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ لِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا : إجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّ مُتْعَةَ الْحَجِّ غَيْرُ مُحَرَّمَةٍ بَلْ إمَّا وَاجِبَةٌ أَوْ أَفْضَلُ الْأَنْسَاكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَوْ مُسْتَحَبَّةٌ أَوْ جَائِزَةٌ وَلَا نَعْلَمُ لِلْأُمَّةِ قَوْلًا خَامِسًا فِيهَا بِالتَّحْرِيمِ . الثَّانِي : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَّ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ قَالَ لَوْ حَجَجْتُ لَتَمَتَّعْتُ ثُمَّ لَوْ حَجَجْتُ لَتَمَتَّعْتُ ذَكَرَهُ الْأَثْرَمُ فِي " سُنَنِهِ " وَغَيْرُهُ . وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي " مُصَنَّفِهِ " : عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سُئِلَ أَنَهَى عُمَرُ عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ ؟ قَالَ لَا ، أَبَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ وَذَكَرَ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ أَنَهَى عُمَرُ عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ ؟ قَالَ لَا . وَذَكَرَ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قَالَ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ الْمُتْعَةِ ، - يَعْنِي عُمَرَ - سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَوْ اعْتَمَرْتُ ثُمَّ حَجَجْتُ لَتَمَتَّعْتُ قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ : صَحَّ عَنْ عُمَرَ الرُّجُوعُ إلَى الْقَوْلِ بِالتَّمَتُّعِ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْهُ وَهَذَا مُحَالٌ أَنْ يَرْجِعَ إلَى الْقَوْلِ بِمَا صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ . الثَّالِثُ أَنَّهُ مِنْ الْمُحَالِ

أَنْ يَنْهَى عَنْهَا ، وَقَدْ قَالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِمَنْ سَأَلَهُ هَلْ هِيَ لِعَامِهِمْ ذَلِكَ أَمْ لِلْأَبَدِ ؟ فَقَالَ " بَلْ لِلْأَبَدِ " ، وَهَذَا قَطْعٌ لِتَوَهّمِ وُرُودِ النّسْخِ عَلَيْهَا ، [ص ١٧٦] أَحَدُ الْأَحْكَامِ الّتِي يَسْتَحِيلُ وُرُودُ النّسْخِ عَلَيْهَا ، وَهُوَ الْحُكْمُ الّذِي أَخْبَرَ الصّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِاسْتِمْرَارِهِ وَدَوَامِهِ فَإِنّهُ لَا خَلَفَ لِخَبَرِهِ .

فَصْلٌ

الْعُذْرُ الثّانِي : دَعْوَى اخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِالصّحَابَةِ وَاحْتَجّوا بِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا : مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزّبَيْرِ الْحُمَيْدِيّ ، حَدّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ الْمُرَقّعِ عَنْ أَبِي ذَرّ أَنّهُ قَالَ كَانَ فَسْخُ الْحَجّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لَنَا خَاصّةً . وَقَالَ وَكِيعٌ : حَدّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ حَدّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي ذَرّ قَالَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ بَعْدَنَا أَنْ يَجْعَلَ حَجّتَهُ عُمْرَةً ، إنّهَا كَانَتْ رُخْصَةً لَنَا أَصْحَابَ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَقَالَ الْبَزّارُ : حَدّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، حَدّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ إسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ الْأَسَدِيّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكٍ ، قُلْنَا لِأَبِي ذَرّ كَيْفَ تَمَتّعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنْتُمْ مَعَهُ ؟ فَقَالَ مَا أَنْتُمْ وَذَاكَ إنّمَا ذَاكَ شَيْءٌ رُخّصَ لَنَا فِيهِ يَعْنِي الْمُتْعَةَ وَقَالَ الْبَزّارُ : حَدّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، حَدّثَنَا عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ مُوسَى ، حَدّثَنَا إسْرَائِيلُ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ التّيْمِيّ ، عَنْ أَبِيهِ وَالْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَا : قَالَ أَبُو ذَرّ فِي الْحَجّ وَالْمُتْعَةِ رُخْصَةٌ أَعْطَانَاهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ حَدّثَنَا هَنّادُ بْنُ السّرِيّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي زَائِدَةَ ، أَخْبَرَنَا مُحَمّدُ بْنُ إسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ سُلَيْمَانَ أَوْ سُلَيْمِ بْنِ الْأَسْوَدِ أَنّ أَبَا ذَرّ كَانَ يَقُولُ فِيمَنْ حَجّ ثُمّ فَسَخَهَا إلَى عُمْرَةٍلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إلّا لِلرّكْبِ الّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم [ص ١٧٧] وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ أَبِي ذَرّ . قَالَ كَانَتْ الْمُتْعَةُ فِي الْحَجّ لِأَصْحَابِ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ خَاصّةً . وَفِي لَفْظٍ " كَانَتْ لَنَا رُخْصَةً ، يَعْنِي الْمُتْعَةَ فِي الْحَجّ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ " لَا تَصِحّ الْمُتْعَتَانِ إلّا لَنَا خَاصّةً يَعْنِي مُتْعَةَ النّسَاءِ وَمُتْعَةَ الْحَجّ " وَفِي لَفْظٍ آخَرَ " إنّمَا كَانَتْ لَنَا خَاصّةً دُونَكُمْ ، يَعْنِي مُتْعَةَ الْحَجّ " . وَفِي " سُنَنِ النّسَائِيّ " بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ إبْرَاهِيمَ التّيْمِيّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرّ فِي مُتْعَةِ الْحَجّلَيْسَتْ لَكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْهَا فِي شَيْءٍ ، إنّمَا كَانَتْ رُخْصَةً لَنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنّسَائِيّ " ، مِنْ حَدِيثِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ قُلْت : يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ فَسْخَ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ لَنَا خَاصّةً أَمْ لِلنّاسِ عَامّةً ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ " بَلْ لَنَا خَاصّةً " وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَفِي " مُسْنَدِ أَبِي عَوَانَةَ " بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ إبْرَاهِيمَ التّيْمِيّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ سُئِلَ عُثْمَانُ عَنْ مُتْعَةِ الْحَجّ فَقَال : كَانَتْ لَنَا ، لَيْسَتْ لَكُمْ . [ص ١٧٨] قَالَ الْمُجَوّزُونَ لِلْفَسْخِ وَالْمُوجِبُونَ لَهُ لَا حُجّةَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَإِنّ هَذِهِ الْآثَارَ بَيْنَ بَاطِلٍ لَا يَصِحّ عَمّنْ نُسِبَ إلَيْهِ أَلْبَتّةَ وَبَيْنَ صَحِيحٍ عَنْ قَائِلٍ غَيْرِ مَعْصُومٍ لَا تُعَارَضُ بِهِ نُصُوصُ الْمَعْصُومِ . أَمّا الْأَوّلُ فَإِنّ الْمُرَقّعَ لَيْسَ مِمّنْ تَقُومُ بِرِوَايَتِهِ حُجّةٌ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَدّمَ عَلَى النّصُوصِ الصّحِيحَةِ غَيْرِ الْمَدْفُوعَةِ . وَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : - وَقَدْ عُورِضَ بِحَدِيثِهِ - وَمَنْ الْمُرَقّعُ الْأَسَدِيّ ؟ وَقَدْ رَوَى أَبُو ذَرّ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ الْأَمْرُ بِفَسْخِ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ . وَغَايَةُ مَا نُقِلَ عَنْهُ إنْ صَحّ أَنّ ذَلِكَ مُخْتَصّ بِالصّحَابَةِ فَهُوَ رَأْيُهُ . وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ

: إنّ ذَلِكَ عَامّ لِلْأُمّةِ فَرَأْيُ أَبِي ذَرّ مُعَارَضٌ بِرَأْيِهِمَا ، وَسَلِمَتْ النّصُوصُ الصّحِيحَةُ الصّرِيحَةُ ثُمّ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنّ دَعْوَى الِاخْتِصَاصِ بَاطِلَةٌ بِنَصّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَنّ تِلْكَ الْعُمْرَةَ الّتِي وَقَعَ السّؤَالُ عَنْهَا وَكَانَتْ عُمْرَةَ فَسْخٍ لِأَبَدِ الْأَبَدِ لَا تَخْتَصّ بِقَرْنٍ دُونَ قَرْنٍ وَهَذَا أَصَحّ سَنَدًا مِنْ الْمَرْوِيّ عَنْ أَبِي ذَرّ وَأَوْلَى أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ مِنْهُ لَوْ صَحّ عَنْهُ .

[الْأَصْلُ فِي الْمَسَائِلِ الْإِحْكَامُ حَتّى يَثْبُتَ نَسْخُهَا أَوْ اخْتِصَاصُهَا بِأَحَدٍ]

وَأَيْضًا ، فَإِذَا رَأَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ قَدْ صَحّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَنّهُ فَعَلَهُ وَأَمَرَ بِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إنّهُ مَنْسُوخٌ أَوْ خَاصّ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ بَاقٍ إلَى الْأَبَدِ فَقَوْلُ مَنْ ادّعَى نَسْخَهُ أَوْ اخْتِصَاصَهُ مُخَالِفٌ لِلْأَصْلِ فَلَا يُقْبَلُ إلّا بِبُرْهَانٍ وَإِنّ أَقَلّ مَا فِي الْبَابِ مُعَارَضَتُهُ بِقَوْلِ مَنْ ادّعَى بَقَاءَهُ وَعُمُومَهُ وَالْحُجّةُ تَفْصِلُ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ وَالْوَاجِبُ الرّدّ عِنْدَ التّنَازُعِ إلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ . فَإِذَا قَالَ أَبُو ذَرّ وَعُثْمَانُ : إنّ الْفَسْخَ مَنْسُوخٌ أَوْ خَاصّ ، وَقَالَ أَبُو مُوسَى وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ : إنّهُ بَاقٍ وَحُكْمُهُ عَامّ ، فَعَلَى مَنْ ادّعَى النّسْخَ وَالِاخْتِصَاصَ الدّلِيلُ . [ص ١٧٩] بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ - فَحَدِيثٌ لَا يُكْتَبُ وَلَا يُعَارَضُ بِمِثْلِهِ تِلْكَ الْأَسَاطِين الثّابِتَةُ . قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَحْمَدَ : كَانَ أَبِي يَرَى لِلْمُهِلّ بِالْحَجّ أَنْ يَفْسَخَ حَجّهُ إنْ طَافَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ . وَقَالَ فِي الْمُتْعَةِ هِيَ آخِرُ الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ . وَقَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ اجْعَلُوا حَجّكُمْ عُمْرَةً قَالَ عَبْدُ اللّهِ فَقُلْت لِأَبِي : فَحَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ فِي فَسْخِ الْحَجّ يَعْنِي قَوْلَهُ " لَنَا خَاصّةً " ؟ قَالَ لَا أَقُولُ بِهِ لَا يُعْرَفُ هَذَا الرّجُلُ هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إسْنَادُهُ بِالْمَعْرُوفِ لَيْسَ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ عِنْدِي يَثْبُتُ . هَذَا لَفْظُهُ . قُلْت : وَمِمّا يَدُلّ عَلَى صِحّةِ قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَأَنّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَصِحّ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَخْبَرَ عَنْ تِلْكَ الْمُتْعَةِ الّتِي أَمَرَهُمْ أَنْ يَفْسَخُوا حَجّهُمْ إلَيْهَا أَنّهَا لِأَبَدِ الْأَبَدِ فَكَيْفَ يَثْبُتُ عَنْهُ بَعْدَ هَذَا أَنّهَا لَهُمْ خَاصّةً ؟ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ . وَكَيْفَ يَأْمُرُهُمْ بِالْفَسْخِ وَيَقُولُ دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجّ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمّ يَثْبُتُ عَنْهُ أَنّ ذَلِكَ مُخْتَصّ بِالصّحَابَةِ دُونَ مَنْ بَعْدَهُمْ فَنَحْنُ نَشْهَدُ بِاَللّهِ أَنّ حَدِيثَ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ هَذَا ، لَا يَصِحّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ غَلَطٌ عَلَيْهِ وَكَيْفَ تُقَدّمُ رِوَايَةُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ عَلَى رِوَايَاتِ الثّقَاتِ الْأَثْبَاتِ حَمَلَةِ الْعِلْمِ الّذِينَ رَوَوْا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ خِلَافَ رِوَايَتِهِ ثُمّ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا ثَابِتًا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يُفْتِي بِخِلَافِهِ . وَيُنَاظِرُ عَلَيْهِ طُولَ عُمْرِهِ بِمَشْهَدٍ مِنْ الْخَاصّ وَالْعَامّ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مُتَوَافِرُونَ وَلَا يَقُولُ لَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ هَذَا كَانَ مُخْتَصّا بِنَا ، لَيْسَ لِغَيْرِنَا حَتّى يَظْهَرَ بَعْدَ مَوْتِ الصّحَابَةِ أَنّ أَبَا ذَرّ كَانَ يَرَى اخْتِصَاصَ ذَلِكَ بِهِمْ ؟ وَأَمّا قَوْلُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي مُتْعَةِ الْحَجّ إنّهَا كَانَتْ لَهُمْ لَيْسَتْ [ص ١٨٠] أَبِي ذَرّ سَوَاءٌ عَلَى أَنّ الْمَرْوِيّ عَنْ أَبِي ذَرّ وَعُثْمَانَ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ . أَحَدُهَا : اخْتِصَاصُ جَوَازِ ذَلِكَ بِالصّحَابَةِ وَهُوَ الّذِي فَهِمَهُ مَنْ حَرّمَ الْفَسْخَ . الثّانِي : اخْتِصَاصُ وُجُوبِهِ بِالصّحَابَةِ وَهُوَ الّذِي كَانَ يَرَاهُ شَيْخُنَا قَدّسَ اللّهُ رُوحَهُ يَقُولُ إنّهُمْ كَانُوا قَدْ فُرِضَ عَلَيْهِمْ الْفَسْخُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لَهُمْ بِهِ وَحَتْمِهِ عَلَيْهِمْ وَغَضَبِهِ عِنْدَمَا تَوَقّفُوا فِي الْمُبَادَرَةِ إلَى امْتِثَالِهِ .

وَأَمّـا الْجَـوَازُ وَالِاسْتِحْبَابُ فَلِلْأُمّـةِ إلَـى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ لَكِـنْ أَبَـى ذَلِـكَ الْبَحْـرُ ابْـنُ عَبّـاسٍ ، وَجَعَلَ الْوُجُوبَ لِلْأُمّةِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنّ فَرْضًا عَلَى كُلّ مُفْرِدٍ وَقَارِنٍ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ أَنْ يَحِلّ وَلَـا بُـدّ بَـلْ قَـدْ حَـلّ وَإِنْ لَـمْ يَشَـأْ وَأَنَـا إلَـى قَوْلِـهِ أَمْيَـلُ مِنّـي إلَـى قَـوْلِ شَـيْخِنَا . الِاحْتِمَالُ الثّالِثُ أَنّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِ الصّحَابَةِ أَنْ يَبْتَدِئَ حَجّا قَارِنًا أَوْ مُفْرِدًا بِلَا هَدْيٍ بَلْ هَذَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إلَى الْفَسْخِ لَكِنْ فُرِضَ عَلَيْـهِ أَنْ يَفْعَلَ مَـا أَمَـرَ بِـهِ النّبِـيّ صَـلّى اللّـهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَهُ فِي آخِرِ الْـأَمْرِ مِنْ التّمَتّعِ لِمَنْ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ وَالْقِرَانُ لِمَنْ سَاقَ كَمَا صَحّ عَنْهُ ذَلِكَ . وَإِمّا أَنْ يُحْرِمَ بِحَجّ مُفْرَدٍ ثُمّ يَفْسَخَهُ عِنْدَ الطّوَافِ إلَـى عُمْـرَةٍ مُفْرَدَةٍ وَيَجْعَلَهُ مُتْعَـةً فَلَيْسَ لَـهُ ذَلِكَ بَـلْ هَـذَا إنّمَـا كَـانَ لِلصّـحَابَةِ فَـإِنّهُمْ ابْتَـدَءُوا الْـإِحْرَامَ بِالْحَجّ الْمُفْرَدِ قَبْلَ أَمْرِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ بِالتّمَتّعِ وَالْفَسْخِ إلَيْهِ فَلَمّا اسْتَقَرّ أَمْرُهُ بِالتّمَتّعِ وَالْفَسْخِ إلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يُخَالِفَهُ وَيُفْرِدَ ثُمّ يَفْسَخَهُ .
وَإِذَا تَأَمّلْت هَـذَيْنِ الِاحْتِمَـالَيْنِ الْـأَخِيرَيْنِ رَأَيْتهمَـا إمّـا رَاجِحِـينَ عَلَـى الِاحْتِمَـالِ الْـأَوّلِ أَوْ مُسَاوِيَيْنِ لَهُ وَتَسْقُطُ مُعَارَضَةُ الْأَحَادِيثِ الثّابِتَةِ الصّرِيحَةِ بِهِ جُمْلَةً وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . وَأَمّا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " : عَنْ أَبِي ذَرّ أَنّ الْمُتْعَـةَ فِـي الْحَجّ كَانَـتْ لَهُـمْ خَاصّـةً . فَهَذَا إنْ أُرِيدَ بِهِ أَصْلُ الْمُتْعَةِ فَهَذَا لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ [ص ١٨١] الْقِيَامَةِ . وَإِنْ أُرِيدَ بِـهِ مُتْعَةُ الْفَسْخِ احْتَمَلَ الْوُجُوهَ الثّلَاثَـةَ الْمُتَقَدّمَـةَ . وَقَـالَ الْـأَثْرَمُ فِـي " سُنَنِهِ " : وَذَكَرَ لَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، أَنّ عَبْدَ الـرّحْمَنِ بْـنَ مَهْـدِيّ حَدّثَـهُ عَـنْ سُـفْيَانَ عَـنْ الْـأَعْمَشِ عَنْ إبْرَاهِيمَ التّيْمِيّ ، عَنْ أَبِي ذَرّ فِي مُتْعَةِ الْحَجّ كَانَتْ لَنَا خَاصّةً . فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : رَحِمَ اللّـهُ أَبَـا ذَرّ هِـيَ فِـي كِتَـابِ اللّـهِ عَـزّ وَجَـلّ { فَمَـنْ تَمَتّـعَ بِـالْعُمْرَةِ إلَـى الْحَـجّ } [الْبَقَـرَةُ ١٩٦] . قَـالَ الْمَـانِعُونَ مِـنْ الْفَسْـخِ قَـوْلُ أَبِـي ذَرّ وَعُثْمَـانَ إنّ ذَلِـكَ مَنْسُـوخٌ أَوْ خَاصّ بِالصّحَابَةِ لَا يُقَالُ مِثْلُهُ بِالرّأْيِ فَمَعَ قَائِلِهِ زِيَادَةُ عِلْمٍ خَفِيَتْ عَلَى مَنْ ادّعَـى بَقَـاءَهُ وَعُمُومَـهُ فَإِنّـهُ مُسْتَصْـحِبٌ لِحَـالِ النّصّ بَقَـاءً وَعُمُومًـا ، فَهُـوَ بِمَنْزِلَـةِ صَـاحِبِ الْيَـدِ فِـي الْعَيْنِ الْمُدّعَاةِ وَمُـدّعِي فَسْـخَهُ وَاخْتِصَاصَـهُ بِمَنْزِلَـةِ صَـاحِبِ الْبَيّنَـةِ الّتِـي تُقَـدّمُ عَلَـى صَاحِبِ الْيَدِ . قَالَ الْمُجَوّزُونَ لِلْفَسْخِ هَذَا قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا شَكّ فِيهِ بَلْ هَذَا رَأْيٌ لَـا شَـكّ فِيـهِ وَقَدْ صَرّحَ - بِأَنّهُ رَأْيُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ عُثْمَانَ وَأَبِي ذَرّ - عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ فَفِـي " الصّحِيحَيْنِ " وَاللّفْظُ لِلْبُخَارِيّ تَمَتّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَنَـزَلَ الْقُرْآنُ فَقَالَ رَجُلٌ بِرَأْيِهِ مَا شَاءَ . وَلَفْظُ مُسْلِمٍ نَزَلَتْ آيَةُ الْمُتْعَةِ فِي كِتَابِ اللّهِ عَـزّ وَجَـلّ يَعْنِي مُتْعَةَ الْحَجّ وَأَمَرَنَا بِهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ ثُمّ لَمْ تَنْزِلْ آيَةٌ تَنْسَخُ مُتْعَةَ الْحَجّ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَـلّمَ حَتّـى مَـاتَ قَـالَ رَجُـلٌ بِرَأْيِهِ مَا شَاءَ وَفِي لَفْظٍ يُرِيدُ عُمَرَ . وَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ لِمَـنْ سَـأَلَهُ عَنْهَـا ؛ وَقَـالَ لَـهُ إنّ أَبَاك نَهَى عَنْهَا : أَأَمْرُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ وَسَـلّمَ أَحَقّ أَنْ يُتّبَـعَ أَوْ أَمْـرُ أَبِي ؟ [ص ١٨٢] وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ لِمَنْ كَانَ يُعَارِضُهُ فِيهَا بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ يُوشِكُ أَنْ تَنْـزِلَ عَلَـيْكُمْ حِجَـارَةٌ مِـنْ السّـمَاءِ ، أَقُـولُ قَـالَ رَسُـولُ اللّـهِ صَـلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ سَـلّمَ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر فَهَذَا جَـوَابُ الْعُلَمَـاءِ لَـا جَـوَابُ مَـنْ يَقُـولُ عُثْمَـانُ وَأَبُـو ذَرّ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مِنْكُمْ فَهَلّا قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ ، وَعَبْدُ اللّـهِ بْـنُ عُمَرَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مِنّا ، وَلَـمْ يَكُـنْ أَحَـدٌ مِنْ الصّحَابَةِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ التّابِعِينَ يَرْضَـى بِهَـذَا الْجَـوَابِ فِـي دَفْـعِ نَـصّ عَـنْ رَسُـولِ اللّـهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَتْقَى لَهُ مِنْ أَنْ يُقَدّمُـوا عَلَـى قَـوْلِ

الْمَعْصُومِ رَأْيَ غَيْرِ الْمَعْصُومِ ثُمّ قَدْ ثَبَتَ النّصّ عَنْ الْمَعْصُومِ بِأَنّهَا بَاقِيَةٌ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَدْ قَالَ بِبَقَائِهَا : عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبّاسٍ ، وَأَبُو مُوسَى ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ ، وَجُمْهُورُ التّابِعِينَ
وَيَدُلّ عَلَى أَنّ ذَلِكَ رَأْيٌ مَحْضٌ لَا يُنْسَبُ إلَى أَنّهُ مَرْفُوعٌ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ لَمّا نَهَى عَنْهَا قَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَحْدَثْتَ فِي شَأْنِ النّسُكِ ؟ فَقَالَ إنْ نَأْخُذْ بِكِتَابِ رَبّنَا ، فَإِنّ اللّهَ يَقُولُ { وَأَتِمّوا الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ } [الْبَقَرَةُ ١٩٦] ، وَإِنْ نَأْخُذْ بِسُنّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لَمْ يَحِلّ حَتّى نَحَرَ فَهَذَا اتّفَاقٌ مِنْ أَبِي مُوسَى وَعُمَرَ عَلَى أَنّ مَنْعَ الْفَسْخِ إلَى الْمُتْعَةِ وَالْإِحْرَامِ بِهَا ابْتِدَاءً إنّمَا هُوَ رَأْيٌ مِنْهُ أَحْدَثَهُ فِي النّسُكِ لَيْسَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَإِنْ اسْتَدَلّ لَهُ بِمَا اسْتَدَلّ
وَأَبُو مُوسَى كَانَ يُفْتِي النّاسَ بِالْفَسْخِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كُلّهَا ، وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ حَتّى فَاوَضَ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي نَهْيِهِ عَنْ ذَلِكَ وَاتّفَقَا عَلَى أَنّهُ رَأْيٌ أَحْدَثَهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي النّسُكِ ثُمّ صَحّ عَنْهُ الرّجُوعُ عَنْهُ . [ص ١٨٣]
فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ ادّعَى مُعَارَضَةَ أَحَادِيثِ الْفَسْخِ بِمَا يَدُلّ عَلَى خِلَافِهَا]
وَأَمّا الْعُذْرُ الثّالِثُ وَهُوَ مُعَارَضَةُ أَحَادِيثِ الْفَسْخِ بِمَا يَدُلّ عَلَى خِلَافِهَا ، فَذَكَرُوا مِنْهَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ الزّهْرِيّ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ فَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ حَتّى قَدِمْنَا مَكّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مَنْ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَلَمْ يُهْدِ ، فَلْيَحْلِلْ وَمَنْ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَأَهْدَى ، فَلَا يَحِلّ حَتّى يَنْحَرَ هَدْيَهُ وَمَنْ أَهَلّ بِحَجّ فَلْيُتِمّ حَجّهُ وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا : مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ عَامَ حَجّةِ الْوَدَاعِ فَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ ، وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِالْحَجّ ، وَأَهَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ بِالْحَجّ فَأَمّا مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ فَحَلّ وَأَمّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ أَوْ جَمَعَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ فَلَمْ يَحِلّوا حَتّى كَانَ يَوْمُ النّحْرِ وَمِنْهَا : مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيّ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ ، حَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لِلْحَجّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ فَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ وَحَجّةٍ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ مُفْرَدٍ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ فَمَنْ كَانَ أَهَلّ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ مَعًا ، لَمْ يَحِلّ مِنْ شَيْءٍ مِمّا حَرُمَ مِنْهُ حَتّى قَضَى مَنَاسِكَ الْحَجّ وَمَنْ أَهَلّ بِحَجّ مُفْرَدٍ لَمْ يَحِلّ مِنْ شَيْءٍ مِمّا حَرُمَ مِنْهُ حَتّى قَضَى مَنَاسِكَ الْحَجّ وَمَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، حَلّ مِمّا حُرِمَ مِنْهُ حَتّى اسْتَقْبَلَ حَجّا [ص ١٨٤] ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ نَوْفَلٍ ، أَنّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، قَالَ لَهُ سَلْ لِي عُرْوَةَ بْنَ الزّبَيْرِ ، عَنْ رَجُلٍ أَهَلّ بِالْحَجّ ، فَإِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ أَيَحِلّ أَمْ لَا ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ قَدْ حَجّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنّ أَوّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ قَدِمَ مَكّةَ ، أَنّهُ تَوَضّأَ ثُمّ طَافَ بِالْبَيْتِ ثُمّ حَجّ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمّ كَانَ أَوّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطّوَافُ بِالْبَيْتِ ثُمّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ ثُمّ عُمَرُ مِثْلُ ذَلِكَ ثُمّ حَجّ عُثْمَانُ فَرَأَيْتُهُ أَوّلَ شَيْءٍ بَدَأَ

بِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ ثُمّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ . ثُمّ مُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، ثُمّ حَجَجْتُ مَعَ أَبِي الزّبَيْرِ بْنِ الْعَوّامِ ، فَكَانَ أَوّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطّوَافُ بِالْبَيْتِ ثُمّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ . ثُمّ رَأَيْتُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ثُمّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةٌ ثُمّ آخِرُ مَنْ رَأَيْت فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ ثُمّ لَمْ يَنْقُضْهَا بِعُمْرَةٍ فَهَذَا ابْنُ عُمَرَ عِنْدَهُمْ أَفَلَا يَسْأَلُونَهُ ؟ وَلَا أَحَدٌ مِمّنْ مَضَى مَا كَانُوا يَبْدَءُونَ بِشَيْءٍ حِينَ يَضَعُونَ أَقْدَامَهُمْ أَوّلَ مِنْ الطّوَافِ بِالْبَيْتِ ثُمّ لَا يَحِلّونَ وَقَدْ رَأَيْتُ أُمّي وَخَالَتِي حِينَ تَقْدَمَانِ لَا تَبْدَآنِ بِشَيْءٍ أَوّلَ مِنْ الطّوَافِ بِالْبَيْتِ تَطُوفَانِ بِهِ ثُمّ لَا تَحِلّانِ .

[رَدّ الْمُصَنّفِ عَلَي ما عارضوا به أحاديث فسخ الحج إلى العمرة]

فَهَذَا مَجْمُوعُ مَا عَارَضُوا بِهِ أَحَادِيثَ الْفَسْخِ وَلَا مُعَارَضَةَ فِيهَا بِحَمْدِ اللّهِ وَمَنّهِ . أَمّا الْحَدِيثُ الْأَوّلُ وَهُوَ حَدِيثُ الزّهْرِيّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ فَغَلِطَ فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ أَوْ أَبُوهُ شُعَيْبٌ أَوْ جَدّهُ اللّيْثُ أَوْ شَيْخُهُ عُقَيْلٌ فَإِنّ الْحَدِيثَ رَوَاهُ مَالِكٌ وَمَعْمَرٌ وَالنّاسُ عَنْ الزّهْرِيّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا وَبَيّنُوا أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ إذَا طَافَ وَسَعَى أَنْ يَحِلّ . فَقَالَ مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْهَا خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقَيْنَ لِذِي الْقَعْدَةِ وَلَا نَرَى إلّا الْحَجّ فَلَمّا دَنَوْنَا مِنْ مَكّة أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ إذَا طَافَ بِالْبَيْتِ وَسَعَى بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَحِل وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . قَالَ يَحْيَى : فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمّدٍ فَقَالَ أَتَتْك وَاَللّهِ بِالْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ [ص ١٨٥] وَقَالَ مَنْصُورٌ عَنْ إبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْهَا ؛ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَلَا نَرَى إلّا الْحَجّ فَلَمّا قَدِمْنَا تَطَوّفْنَا بِالْبَيْتِ فَأَمَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَاقَ الْهَدْيَ أَنْ يَحِلّ فَحَلّ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَاقَ الْهَدْيَ وَنِسَاؤُهُ لَمْ يَسُقْنَ فَأَحْلَلْنَ وَقَالَ مَالِكٌ وَمَعْمَرٌ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ عَامَ حَجّةِ الْوَدَاعِ فَأَهْلَلْنَا بِعُمْرَةٍ ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ " مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهِلّ بِالْحَجّ مَعَ الْعُمْرَةِ وَلَا يَحِلّ حَتّى يَحِلّ مِنْهُمَا جَمِيعًا وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ : عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا بِمِثْلِ الّذِي أَخْبَرَ بِهِ سَالِمٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَلَفْظُهُ تَمَتّعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجّ فَأَهْدَى فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَدَأَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فَأَهَلّ بِالْعُمْرَةِ ثُمّ أَهَلّ بِالْحَجّ وَتَمَتّعَ النّاسُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ بِالْعُمْرَةِ إلَى الْحَجّ فَكَانَ مِنْ النّاسِ مَنْ أَهْدَى فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُهْدِ فَلَمّا قَدِمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مَكّةَ قَالَ لِلنّاسِ " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَهْدَى فَإِنّهُ لَا يَحِلّ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتّى يَقْضِيَ حَجّهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْدَى فَلْيَطُفْ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ وَلْيُقَصّرْ وَلْيَحِلّ ثُمّ لِيُهِلّ بِالْحَجّ وَلْيُهْدِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيّامٍ فِي الْحَجّ وَسَبْعَةٍ إذَا رَجَعَ إلَى أَهْلِهِ وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . [ص ١٨٦] وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لَا نَذْكُرُ إلّا الْحَجّ . .. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَفِيهِ قَالَتْ فَلَمّا قَدِمْتُ مَكّةَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لِأَصْحَابِهِ " اجْعَلُوهَا عُمْرَةً فَأَحَلّ النّاسُ إلّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ " . وَقَالَ الْأَعْمَشُ : عَنْ إبْرَاهِيمَ عَنْ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلّمَ لَا نَذْكُرُ إلّا الحَجّ فَلَمّا قَدِمْنَا ُ أُمِرْنَا أَنْ نَحِلّ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَقَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ : عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَلَا نَذْكُرُ إلّا الْحَجّ فَلَمّا جِئْنَا سَرِفَ ُ طَمِثْت . قَالَتْ فَدَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَأَنَا أَبْكِي . فَقَالَ " مَا يُبْكِيك " ؟ قَالَتْ فَقُلْتُ وَاَللّهِ لَوَدِدْتُ أَنّي لَا أَحُجّ الْعَامَ . .. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَفِيهِ فَلَمّا قَدِمْتُ مَكّةَ ُ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ " اجْعَلُوهَا عُمْرَةً "ُ قَالَتْ فَحَلّ النّاسُ إلّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ . وَكُلّ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي " الصّحِيحِ "ُ وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا رَوَاهُ جَابِرٌ وَابْنُ عُمَرَ وَأَنَسٌ وَأَبُو مُوسَى ُ وَابْنُ عَبّاسٍ ُ وَأَبُو سَعِيدٍ وَأَسْمَاءُ وَالْبَرَاءُ وَحَفْصَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَمْرِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَهُ كُلّهُمْ بِالْإِحْلَالِ إلّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ وَأَنْ يَجْعَلُوا حَجّهُمْ عُمْرَةً . وَفِي اتّفَاقِ هَؤُلَاءِ كُلّهِمْ عَلَى أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ كُلّهُمْ أَنْ يَحِلّوا ُ وَأَنْ يَجْعَلُوا الّذِي قَدِمُوا بِهِ مُتْعَةً إلّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ دَلِيلٌ عَلَى غَلَطِ هَذِهِ الرّوَايَةِ وَوَهْمٍ وَقَعَ فِيهَا ُ يُبَيّنُ ذَلِكَ أَنّهَا مِنْ رِوَايَةِ اللّيْثِ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ الزّهْرِيّ ُ عَنْ عُرْوَةَ وَاللّيْثُ بِعَيْنِهِ هُوَ الّذِي رَوَى عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ الزّهْرِيّ ُ عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا مِثْلَ مَا رَوَاهُ عَنْ الزّهْرِيّ ُ [ص ١٨٧] أَبِيهِ فِي تَمَتّعِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَأَمْرِهِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْدَى أَنْ يَحِلّ . ثُمّ تَأَمّلْنَا ُ فَإِذَا أَحَادِيثُ عَائِشَةَ يُصَدّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ُ وَإِنّمَا بَعْضُ الرّوَاةِ زَادَ عَلَى بَعْضٍ وَبَعْضُهُمْ اخْتَصَرَ الْحَدِيثَ وَبَعْضُهُمْ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهِ وَبَعْضُهُمْ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى . وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ لَيْسَ فِيهِ مَنْعُ مَنْ أَهَلّ بِالْحَجّ مِنْ الْإِحْلَالِ وَإِنّمَا فِيهِ أَمْرُهُ أَنْ يُتِمّ الْحَجّ فَإِنْ كَانَ هَذَا مَحْفُوظًا ُ فَالْمُرَادُ بِهِ بَقَاؤُهُ عَلَى إحْرَامِهِ فَيَتَعَيّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْإِحْلَالِ وَجَعْلِهِ عُمْرَةً وَيَكُون هَذَا أَمْرًا زَائِدًا قَدْ طَرَأَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْإِتْمَامِ كَمَا طَرَأَ عَلَى التّخْيِيرِ بَيْنَ الْإِفْرَادِ وَالتّمَتّعِ وَالْقِرَانِ وَيَتَعَيّنُ هَذَا وَلَا بُدّ وَإِلّا كَانَ هَذَا نَاسِخًا لِلْأَمْرِ بِالْفَسْخِ وَالْأَمْرُ بِالْفَسْخِ نَاسِخًا لِلْإِذْنِ بِالْإِفْرَادِ وَهَذَا مُحَالٌ قَطْعًا ُ فَإِنّهُ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ بِالْحِلّ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِنَقْضِهِ وَالْبَقَاءِ عَلَى الْإِحْرَامِ الْأَوّلِ هَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا ُ فَيَتَعَيّنُ إنْ كَانَ مَحْفُوظًا أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الْأَمْرِ لَهُمْ بِالْفَسْخِ وَلَا يَجُوزُ غَيْرُ هَذَا أَلْبَتّة وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ

وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا . وَفِيهِ " وَأَمّا مَنْ أَهَلّ بِحَجّ أَوْ جَمَعَ الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ فَلَمْ يَحِلّوا حَتّى كَانَ يَوْمَ النّحْرِ " . وَحَدِيثُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ عَنْهَا : فَمَنْ كَانَ أَهَلّ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ مَعًا ُ لَمْ يَحِلّ مِنْ شَيْءٍ مِمّا حَرُمَ مِنْهُ حَتّى يَقْضِيَ مَنَاسِكَ الْحَجّ وَمَنْ أَهَلّ بِحَجّ مُفْرِدٍ كَذَلِكَ " . فَحَدِيثَانِ قَدْ أَنْكَرَهُمَا الْحُفّاظُ وَهُمَا أَهْلٌ أَنْ يُنْكَرَا ُ قَالَ الْأَثْرَمُ : حَدّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ُ حَدّثَنَا عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيّ ُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِالْحَجّ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِالْعُمْرَةِ وَمِنّا مَنْ أَهَلّ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ وَأَهَلّ بِالْحَجّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلّمَ فَأَمّا مَنْ أَهَلّ بِالْعُمْرَةِ فَأَحَلّوا حِينَ طَافُوا بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ وَأَمّا مَنْ أَهَلّ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ فَلَمْ يَحِلّوا إلَى يَوْمِ النّحْرِ فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : أَيْش فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ الْعَجَبِ هَذَا خَطَأٌ فَقَالَ [ص ١٨٨] الْأَثْرَمُ : فَقُلْتُ لَهُ الزّهْرِيّ ُ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ بِخِلَافِهِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ وَهِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ . وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو مُحَمّدِ بْنُ حَزْمٍ : هَذَانِ حَدِيثَانِ مُنْكَرَانِ جِدّا ُ قَالَ وَلِأَبِي الْأَسْوَدِ فِي هَذَا

النّحْوِ حَدِيثٌ لَا خَفَاءَ بِنُكْرَتِهِ وَوَهْنِهِ وَبُطْلَانِهِ . وَالْعَجَبُ كَيْفَ جَازَ عَلَى مَنْ رَوَاهُ ؟ ثُمّ سَاقَ مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيّ عَنْهُ أَنّ عَبْدَ اللّهِ مَوْلَى أَسْمَاءٍ حَدّثَهُ أَنّهُ كَانَ يَسْمَعُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا تَقُول كُلّمَا مَرّتْ بِالْحَجُونِ : صَلّى اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ لَقَدْ نَزَلْنَا مَعَهُ هَاهُنَا ُ وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ خِفَافٌ قَلِيلٌ ظُهْرُنَا ُ قَلِيلَةٌ أَزْوَادُنَا ُ فَاعْتَمَرْتُ أَنَا وَأُخْتِي عَائِشَةُ وَالزّبَيْرُ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ . فَلَمّا مَسَحْنَا الْبَيْتَ أَحْلَلْنَا ثُمّ أَهْلَلْنَا مِنْ الْعَشِيّ بِالْحَجّ . قَالَ وَهَذِهِ وَهْلَةٌ لَا خَفَاءَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ مِمّنْ لَهُ أَقَلّ عِلْمٍ بِالْحَدِيثِ لِوَجْهَيْنِ بَاطِلَيْنِ فِيهِ بِلَا شَكّ . أَحَدُهُمَا : قَوْلُهُ فَاعْتَمَرْتُ أَنَا وَأُخْتِي عَائِشَةُ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النّقْلِ فِي أَنّ عَائِشَةَ لَمْ تَعْتَمِرْ فِي أَوّلِ دُخُولِهَا مَكّةَ ُ وَلِذَلِكَ أَعْمَرَهَا مِنْ التّنْعِيمِ بَعْدَ تَمَامِ الْحَجّ لَيْلَةَ الْحَصْبَةِ هَكَذَا رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ ُ وَرَوَاهُ عَنْ عَائِشَةَ الْأَثْبَاتُ كَالْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ وَابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ُ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمّدٍ ُ وَعُرْوَةَ وَطَاوُوسٍ وَمُجَاهِدٍ . الْمَوْضِعُ الثّانِي : قَوْلُهُ فِيهِ فَلَمّا مَسَحْنَا الْبَيْتَ أَحْلَلْنَا ُ ثُمّ أَهْلَلْنَا مِنْ الْعَشِيّ بِالْحَجّ وَهَذَا بَاطِلٌ لَا شَكّ فِيهِ لِأَنّ جَابِرًا ُ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ُ وَعَائِشَةَ وَابْنَ عَبّاسٍ ُ كُلّهُمْ رَوَوْا أَنّ الْإِحْلَالَ كَانَ يَوْمَ دُخُولِهِمْ مَكّةَ ُ وَأَنّ إِحْلَالَهُمْ بِالْحَجّ كَانَ يَوْمَ التّرْوِيَةِ وَبَيْنَ الْيَوْمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ثَلَاثَةُ أَيّامٍ بِلَا شَكّ . قُلْت : الْحَدِيثُ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ وَلَا بَاطِلٍ وَهُوَ صَحِيحٌ وَإِنّمَا أُتِيَ أَبُو مُحَمّدٍ فِيهِ مِنْ فَهْمِهِ فَإِنّ أَسْمَاءَ أَخْبَرَتْ أَنّهَا اعْتَمَرَتْ هِيَ وَعَائِشَةُ وَهَكَذَا وَقَعَ بِلَا شَكّ . وَأَمّا قَوْلُهَا : فَلَمّا مَسَحْنَا الْبَيْتَ أَحْلَلْنَا ُ فَإِخْبَارٌ مِنْهَا عَنْ نَفْسِهَا ُ وَعَمّنْ لَمْ يُصِبْهُ [ص ١٨٩] أَصَابَ عَائِشَةَ وَهِيَ لَمْ تُصَرّحْ بِأَنّ عَائِشَةَ مَسَحَتْ الْبَيْتَ يَوْمَ دُخُولِهِمْ مَكّةَ ُ وَأَنّهَا حَلّتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا رَيْبَ أَنّ عَائِشَةَ قَدِمَتْ بِعُمْرَةٍ وَلَمْ تَزَلْ عَلَيْهَا حَتّى حَاضَتْ بِسَرِفٍ فَأَدْخَلَتْ عَلَيْهَا الْحَجّ وَصَارَتْ قَارِنَةً . فَإِذَا قِيلَ اعْتَمَرَتْ عَائِشَةُ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَوْ قَدِمَتْ بِعُمْرَةٍ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَذِبًا . وَأَمّا قَوْلُهَا : ثُمّ أَهْلَلْنَا مِنْ الْعَشِيّ بِالْحَجّ فَهِيَ لَمْ تَقُلْ إِنّهُمْ أَهَلّوا مِنْ عَشِيّ يَوْمِ الْقُدُومِ لِيَلْزَمَ مَا قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ وَإِنّمَا أَرَادَتْ عَشِيّ يَوْمِ التّرْوِيَةِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَحْتَاجُ فِي ظُهُورِهِ وَبَيَانِهِ إِلَى أَنْ يُصَرّحَ فِيهِ بِعَشِيّ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ لِعِلْمِ الْخَاصّ وَالْعَامّ بِهِ وَأَنّهُ مِمّا لَا تَذْهَبُ الْأَوْهَامُ إِلَى غَيْرِهِ فَرَدّ أَحَادِيثِ الثّقَاتِ بِمِثْلِ هَذَا الْوَهْمِ مِمّا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ . قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ وَأَسْلَمُ الْوُجُوهِ لِلْحَدِيثَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ يَعْنِي اللّذَيْنِ أَنْكَرَهُمَا ُ أَنْ تُخَرّجَ رِوَايَتُهُمَا عَلَى أَنّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهَا : إنّ الّذِينَ أَهَلّوا بِحَجّ أَوْ بِحَجّ وَعُمْرَةٍ لَمْ يَحِلّوا حَتّى كَانَ يَوْمُ النّحْرِ حِينَ قَضَوْا مَنَاسِكَ الْحَجّ إنّمَا عَنَتْ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ وَبِهَذَا تَنْتَفِي النّكْرَةُ عَنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَبِهَذَا تَأْتَلِفُ الْأَحَادِيثُ كُلّهَا ؛ لِأَنّ الزّهْرِيّ عَنْ عُرْوَةَ يَذْكُرُ خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ وَالزّهْرِيّ بِلَا شَكّ أَحْفَظُ مِنْ أَبِي الْأَسْوَدِ وَقَدْ خَالَفَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ فِي هَذَا الْبَابِ مَنْ لَا يُقْرَنُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ إِلَيْهِ لَا فِي حِفْظٍ وَلَا فِي ثِقَةٍ وَلَا فِي جَلَالَةٍ وَلَا فِي بِطَانَةٍ لِعَائِشَةَ كَالْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ُ وَأَبِي عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ وَعَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرّحْمَنِ ُ وَكَانَتْ فِي حِجْرِ عَائِشَةَ وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْخُصُوصِيّةِ وَالْبِطَانَةِ بِهَا ُ فَكَيْفَ ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ لَكَانَتْ رِوَايَتُهُمْ أَوْ رِوَايَةُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَوْ انْفَرَدَ هِيَ الْوَاجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ بِهَا ُ لِأَنّ فِيهَا زِيَادَةً عَلَى رِوَايَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ وَيَحْيَى ُ وَلَيْسَ مَنْ جَهِلَ أَوْ غَفَلَ حُجّةً عَلَى مَنْ عَلِمَ وَذَكَرَ وَأَخْبَرَ فَكَيْفَ وَقَدْ وَافَقَ هَؤُلَاءِ الْجِلّةُ عَنْ عَائِشَةَ فَسَقَطَ التّعَلّقُ بِحَدِيثِ أَبِي الْأَسْوَدِ وَيَحْيَى اللّذَيْنِ ذَكَرْنَا . [ص ١٩٠] قَالَ وَأَيْضًا ُ فَإِنّ حَدِيثَيْ أَبِي الْأَسْوَدِ وَيَحْيَى ُ مَوْقُوفَانِ غَيْرُ مُسْنَدَيْنِ لِأَنّهُمَا

إنّمَا ذَكَرَا عَنْهَا فِعْلَ مَنْ فَعَلَ مَا ذَكَرَتْ دُونَ أَنْ يَذْكُرَا أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَحِلّوا ، وَلَا حُجّةَ فِي أَحَدٍ دُونَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ فَلَوْ صَحّ مَا ذَكَرَاهُ وَقَدْ صَحّ أَمْرُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ بِالْفَسْخِ فَتَمَادَى الْمَأْمُورُونَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَحِلّوا لَكَانُوا عُصَاةً لِلّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ أَعَاذَهُمْ اللّهُ مِنْ ذَلِكَ وَبَرّأَهُمْ مِنْهُ فَثَبَتَ يَقِينًا أَنّ حَدِيثَ أَبِي الْأَسْوَدِ وَيَحْيَى ، إنّمَا عُنِيَ فِيهِمَا : مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ وَهَكَذَا جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصّحَاحُ الّتِي أَوْرَدْنَاهَا ، بِأَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أَمَرَ مَنْ مَعَهُ الْهَدْيُ بِأَنْ يَجْمَعَ حَجّا مَعَ الْعُمْرَةِ ثُمّ لَا يَحِلّ حَتّى يَحِلّ مِنْهُمَا جَمِيعًا . ثُمّ سَاقَ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا تَرْفَعُهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهْلِلْ بِالْحَجّ وَالْعُمْرَةِ ، ثُمّ لَا يَحِلّ حَتّى يَحِلّ مِنْهُمَا جَمِيعًا قَالَ فَهَذَا الْحَدِيثُ كَمَا تَرَى ، مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ يُبَيّنُ مَا ذَكَرْنَا أَنّهُ الْمُرَادُ بِلَا شَكّ فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ وَحَدِيثُ يَحْيَى عَنْ عَائِشَةَ وَارْتَفَعَ الْآنَ الْإِشْكَالُ جُمْلَةً وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ . قَالَ وَمِمّا يُبَيّنُ أَنّ فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَسْوَدِ حَذْفًا قَوْلُهُ فِيهِ عَنْ عُرْوَةَ " أَنّ أُمّهُ وَخَالَتَهُ وَالزّبَيْرَ أَقْبَلُوا بِعُمْرَةٍ فَقَطْ فَلَمّا مَسَحُوا الرّكْنَ حَلّوا " . وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَحَدٍ أَنّ مَنْ أَقْبَلَ بِعُمْرَةٍ لَا يَحِلّ بِمَسْحِ الرّكْنِ حَتّى يَسْعَى بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ بَعْدَ مَسْحِ الرّكْنِ فَصَحّ أَنّ فِي الْحَدِيثِ حَذْفًا بَيّنَهُ سَائِرُ الْأَحَادِيثِ الصّحَاحِ الّتِي ذَكَرْنَا ، وَبَطَلَ التّشْغِيبُ بِهِ جُمْلَةً وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٢٠٦)

فَصْلٌ [الْعَوْدَةُ إلَى سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ نُزُولِهِ بِذِي طُوَى]

عُدْنَا إلَى سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . ثُمّ نَهَضَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَنْ نَزَلَ بِذِي طُوَى ، وَهِيَ - ٢٠ ٧ - الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِآبَارِ الزّاهِرِ ، فَبَاتَ بِهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجّةِ وَصَلّى بِهَا الصّبْحَ ثُمّ اغْتَسَلَ مِنْ يَوْمِهِ وَنَهَضَ إلَى مَكّةَ ، فَدَخَلَهَا نَهَارًا مِنْ أَعْلَاهَا مِنْ الثّنِيّةِ الْعُلْيَا الّتِي تُشْرِفُ عَلَى الْحَجُونِ ، وَكَانَ فِي الْعُمْرَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَسْفَلِهَا ، وَفِي الْحَجّ دَخَلَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا ، ثُمّ سَارَ حَتّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَذَلِكَ ضُحًى . وَذَكَرَ الطّبَرَانِيّ ، أَنّهُ دَخَلَهُ مِنْ بَابِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ الّذِي يُسَمّيهِ النّاسُ الْيَوْمَ بَابَ بَنِي شَيْبَةَ . وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَنّهُ كَانَ إذَا دَخَلَ مَكَانًا مِنْ دَارِ يَعْلَى ، اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ فَدَعَا . وَذَكَرَ الطّبَرَانِيّ : أَنّهُ كَانَ إذَا نَظَرَ إلَى الْبَيْتِ قَالَ اللّهُمّ زِدْ بَيْتَك هَذَا تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُكَبّرُ وَيَقُولُ اللّهُمّ أَنْتَ السّلَامُ وَمِنْك السّلَامُ حَيّنَا رَبّنَا بِالسّلَامِ اللّهُمّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَزِدْ مَنْ حَجّهُ أَوْ اعْتَمَرَهُ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَبِرّا وَهُوَ مُرْسَلٌ وَلَكِنْ سَمِعَ هَذَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُهُ . [ص ٢٠٨] دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَمَدَ إلَى الْبَيْتِ وَلَمْ يَرْكَعْ تَحِيّةَ الْمَسْجِدِ فَإِنّ تَحِيّةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الطّوَافُ فَلَمّا حَاذَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ ، اسْتَلَمَهُ وَلَمْ يُزَاحِمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَقَدّمْ عَنْهُ إلَى جِهَةِ الرّكْنِ الْيَمَانِيّ ، وَلَمْ يَرْفَعْ يَدَيْهِ وَلَمْ يَقُلْ نَوَيْتُ بِطَوَافِي هَذَا الْأُسْبُوعَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَا افْتَتَحَهُ بِالتّكْبِيرِ كَمَا يَفْعَلُهُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ بَلْ هُوَ مِنْ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا حَاذَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ ثُمّ انْفَتَلَ عَنْهُ وَجَعَلَهُ عَلَى شِقّهِ بَلْ اسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَلَمَهُ ثُمّ أَخَذَ عَنْ يَمِينِهِ وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَلَمْ يَدْعُ عِنْدَ الْبَابِ بِدُعَاءٍ وَلَا تَحْتَ الْمِيزَابِ ، وَلَا عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَأَرْكَانِهَا ،

وَلَا وَقتَ لِلطّوَافِ ذِكْرًا مُعَيّنًا ، لَا بِفِعْلِهِ وَلَا بِتَعْلِيمِهِ بَلْ حُفِظَ عَنْهُ بَيْنَ الرّكْنَيْنِ { رَبّنَا آتِنَا فِي الدّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النّارِ } وَرَمَلَ فِي طَوَافِهِ هَذَا الثّلَاثَةَ الْأَشْوَاطَ الْأُوَلَ وَكَانَ يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ وَيُقَارِبُ بَيْنَ خُطَاهُ وَاضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ فَجَعَلَ طَرَفَيْهِ عَلَى أَحَدِ كَتِفَيْهِ وَأَبْدَى كَتِفَهُ الْأُخْرَى وَمَنْكِبَهُ وَكُلّمَا حَاذَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ ، أَشَارَ إلَيْهِ أَوْ اسْتَلَمَهُ بِمِحْجَنِهِ وَقَبّلَ الْمِحْجَنَ وَالْمِحْجَنُ عَصًا مَحْنِيّةُ الرّأْسِ وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ اسْتَلَمَ الرّكْنَ الْيَمَانِيّ . وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ قَبّلَهُ وَلَا قَبّلَ يَدَهُ عِنْدَ اسْتِلَامِهِ وَقَدْ رَوَى الدّارَقُطْنِيّ : عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُقَبّلُ الرّكْنَ الْيَمَانِيّ ، وَيَضَعُ خَدّهُ عَلَيْهِ وَفِيهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ هُرْمُزَ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : صَالِحُ الْحَدِيثِ وَضَعّفَهُ غَيْرُهُ . وَلَكِنّ الْمُرَادَ بِالرّكْنِ الْيَمَانِيّ هَا هُنَا ، الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ، فَإِنّهُ يُسَمّى الرّكْنَ الْيَمَانِيّ وَيُقَالُ لَهُ مَعَ الرّكْنِ الْآخَرِ الْيَمَانِيّانِ [ص ٢٠٩] وَيُقَالُ لَهُ مَعَ الرّكْنِ الّذِي يَلِي الْحَجَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَابِ الْعِرَاقِيّانِ ؟ وَيُقَالُ لِلرّكْنَيْنِ اللّذَيْنِ يَلِيَانِ الْحَجَرَ : الشّامِيّانِ . وَيُقَالُ لِلرّكْنِ الْيَمَانِيّ وَاَلّذِي يَلِي الْحَجَرَ مِنْ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ : الْغَرْبِيّانِ وَلَكِنْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَبّلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ . وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ اسْتَلَمَهُ بِيَدِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ثُمّ قَبّلَهَا ، وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ اسْتَلَمَهُ بِمِحْجَنٍ فَهَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا ، أَنّهُ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلَيْهِ طَوِيلًا يَبْكِي . وَذَكَرَ الطّبَرَانِيّ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ جَيّدٍ أَنّهُ كَانَ إذَا اسْتَلَمَ الرّكْنَ الْيَمَانِيّ ، قَالَ " بِسْمِ اللّهِ وَاَللّهُ أَكْبَرُ " . وَكَانَ كُلّمَا أَتَى عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ قَالَ " اللّهُ أَكْبَرُ . وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ الطّيَالِسِيّ ، وَأَبُو عَاصِمٍ النّبِيلُ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُثْمَانَ ، قَالَ رَأَيْتُ مُحَمّدَ بْنَ عَبّادِ بْنِ جَعْفَرٍ قَبّلَ الْحَجَرَ وَسَجَدَ عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ عَبّاسٍ يُقَبّلُهُ وَيَسْجُدُ عَلَيْهِ وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ قَبّلَهُ وَسَجَدَ عَلَيْهِ . ثُمّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَعَلَ هَكَذَا فَفَعَلْتُ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيّ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ : أَنّهُ قَبّلَ الرّكْنَ الْيَمَانِيّ ، ثُمّ سَجَدَ عَلَيْهِ ثُمّ قَبّلَهُ ثُمّ سَجَدَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرّاتٍ وَذَكَرَ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَجَدَ عَلَى الْحَجَرِ . [ص ٢١٠] يَسْتَلِمْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ يَمَسّ مِنْ الْأَرْكَانِ إلّا الْيَمَانِيّيْنِ فَقَطْ . قَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ وَلَمْ يَدَعْ أَحَدٌ اسْتِلَامَهُمَا هِجْرَةً لِبَيْتِ اللّهِ وَلَكِنْ اسْتَلَمَ مَا اسْتَلَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَمْسَكَ عَمّا أَمْسَكَ عَنْهُ .

فَصْلٌ [صَلَاتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَلْفَ الْمَقَامِ]

فَلَمّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ جَاءَ إلَى خَلْفِ الْمَقَامِ فَقَرَأَ { وَاتّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّى } [الْبَقَرَةُ ١٢٥] ، فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ وَالْمَقَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَرَأَ فِيهِمَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَتَيْ الْإِخْلَاصِ وَقِرَاءَتُهُ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ بَيَانٌ مِنْهُ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمُرَادُ اللّهِ مِنْهُ بِفِعْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَقْبَلَ إلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، فَاسْتَلَمَهُ ثُمّ خَرَجَ إلَى الصّفَا مِنْ الْبَابِ الّذِي يُقَابِلُهُ فَلَمّا قَرُبَ مِنْهُ . قَرَأَ { إِنّ الصّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللّهِ } [الْبَقَرَةُ ١٥٩] ابْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللّهُ بِهِ وَفِي رِوَايَةِ النّسَائِيّ : " ابْدَءُوا " بِصِيغَةِ الْأَمْرِ . ثُمّ رَقِيَ عَلَيْهِ حَتّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحّدَ اللّهَ وَكَبّرَهُ وَقَالَ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ " ثُمّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ وَقَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرّاتٍ . وَقَامَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى الصّدْعِ ، وَهُوَ الشّقّ الّذِي فِي الصّفَا . فَقِيلَ لَهُ هَا هُنَا يَا أَبَا عَبْدِ الرّحْمَنِ ؟ قَالَ هَذَا وَاَلّذِي لَا إلَهَ غَيْرُهُ مَقَامُ الّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ

. [ص ٢١١] ثُمّ نَزَلَ إلَى الْمَرْوَةِ يَمْشِي ، فَلَمّا انْصَبّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي ، سَعَى حَتّى إذَا جَاوَزَ الْوَادِيَ وَأَصْعَدَ مَشَى هَذَا - الّذِي صَحّ عَنْهُ وَذَلِكَ الْيَوْمُ قَبْلَ الْمِيلَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ فِي أَوّلِ الْمَسْعَى وَآخِرِهِ . وَالظّاهِرُ أَنّ الْوَادِيَ لَمْ يَتَغَيّرْ عَنْ وَضْعِهِ هَكَذَا قَالَ جَابِرٌ عَنْهُ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " . وَظَاهِرُ هَذَا : أَنّهُ كَانَ مَاشِيًا ، وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ أَنّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ طَافَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيَرَاهُ النّاسُ وَلِيُشْرِفَ وَلِيَسْأَلُوهُ فَإِنّ النّاسَ قَدْ غَشَوْهُ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ : لَمْ يَطُفْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا أَصْحَابُهُ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ إلّا طَوَافًا وَاحِدًا طَوَافَهُ الْأَوّلَ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : لَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا ؛ لِأَنّ الرّاكِبَ إذَا انْصَبّ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَدْ انْصَبّ كُلّهُ وَانْصَبّتْ قَدَمَاهُ أَيْضًا مَعَ سَائِرِ جَسَدِهِ . وَعِنْدِي فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا وَجْهٌ آخَرُ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا ، وَهُوَ أَنّهُ سَعَى مَاشِيًا أَوّلًا ، ثُمّ أَتَمّ سَعْيَهُ رَاكِبًا ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُصَرّحًا بِهِ فَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ أَبِي الطّفَيْلِ ، قَالَ قُلْت لِابْنِ عَبّاسٍ : أَخْبَرَنِي عَنْ الطّوَافِ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ رَاكِبًا ، أَسُنّةٌ هُوَ ؟ فَإِنّ قَوْمَك يَزْعُمُونَ أَنّهُ سُنّةٌ . قَالَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ قُلْتُ مَا قَوْلُك : صَدَقُوا وَكَذَبُوا ؟ قَالَ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَثُرَ عَلَيْهِ النّاسُ يَقُولُونَ هَذَا مُحَمّدٌ هَذَا مُحَمّدٌ حَتّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنْ الْبُيُوتِ . قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُضْرَبُ النّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ فَلَمّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ وَالْمَشْيُ وَالسّعْيُ أَفْضَلُ [ص ٢١٢]

فَصْلٌ [طَوَافُ الْقُدُومِ]

وَأَمّا طَوَافُهُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ قُدُومِهِ فَاخْتُلِفَ فِيهِ هَلْ كَانَ عَلَى قَدَمَيْهِ أَوْ كَانَ رَاكِبًا ؟ فَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ طَافَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ عَلَى بَعِيرِهِ يَسْتَلِمُ الرّكْنَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُضْرَبَ عَنْهُ النّاسُ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " : عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَالَ قَدِمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ وَهُوَ يَشْتَكِي ، فَطَافَ عَلَى رَاحِلَتِهِ كُلّمَا أَتَى عَلَى الرّكْنِ اسْتَلَمَهُ بِمِحْجَنٍ فَلَمّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ أَنَاخَ فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ قَالَ أَبُو الطّفَيْلِ : رَأَيْتُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَطُوفُ حَوْلَ الْبَيْتِ عَلَى بَعِيرِهِ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِمِحْجَنِهِ ثُمّ يُقَبّلُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ دُونَ ذِكْرِ الْبَعِيرِ . وَهُوَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ ، بِإِسْنَادِ مُسْلِمٍ بِذِكْرِ الْبَعِيرِ . وَهَذَا وَاَللّهُ أَعْلَمُ فِي طَوَافِ الْإِفَاضَةِ لَا فِي طَوَافِ الْقُدُومِ ، فَإِنّ جَابِرًا حَكَى عَنْهُ الرّمَلَ فِي الثّلَاثَةِ الْأُوَلِ وَذَلِك لَا يَكُونُ إلّا مَعَ الْمَشْيِ . قَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ أَمّا سَبْعُهُ الّذِي طَافَهُ لِمَقْدَمِهِ فَعَلَى قَدَمَيْهِ لِأَنّ جَابِرًا حَكَى عَنْهُ فِيهِ أَنّهُ رَمَلَ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ وَمَشَى أَرْبَعَةً فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَابِرٌ يَحْكِي عَنْهُ الطّوَافَ مَاشِيًا وَرَاكِبًا فِي سَبْعٍ وَاحِدٍ . وَقَدْ حُفِظَ أَنّ سَبْعَهُ الّذِي رَكِبَ فِيهِ فِي طَوَافِهِ يَوْمَ النّحْرِ . ثُمّ ذَكَرَ الشّافِعِيّ : عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُهَجّرُوا بِالْإِفَاضَةِ

، وَأَفَاضَ فِي نِسَائِهِ لَيْلًا عَلَى رَاحِلَتِهِ يَسْتَلِمُ الرّكْنَ بِمِحْجَنِهِ أَحْسِبُهُ قَالَ فَيُقَبّلُ طَرَفَ الْمِحْجَنِ . [ص ٢١٣] جَابِرٌ عَنْهُ فِي " الصّحِيحِ " أَنّهُ طَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ يَوْمَ النّحْرِ نَهَارًا ، وَكَذَلِكَ رَوَتْ عَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ ، كَمَا سَيَأْتِي . وَقَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ : إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدِمَ مَكّةَ وَهُوَ يَشْتَكِي ، فَطَافَ عَلَى رَاحِلَتِهِ كُلّمَا أَتَى الرّكْنَ اسْتَلَمَهُ . هَذَا إنْ كَانَ مَحْفُوظًا ، فَهُوَ فِي إحْدَى عُمَرِهِ وَإِلّا فَقَدْ صَحّ عَنْهُ الرّمَلُ فِي

الثَّلَاثَةِ الْأُولِ مِنْ طَوَافِ الْقُدُومِ ، إلَّا أَنْ يَقُولَ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي السَّعْيِ إنَّهُ رَمَلَ عَلَى بَعِيرِهِ فَإِنَّ مَنْ رَمَلَ عَلَى بَعِيرِهِ فَقَدْ رَمَلَ لَكِنْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ كَانَ رَاكِبًا فِي طَوَافِ الْقُدُومِ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [غَلَطُ ابْنِ حَزْمٍ وَبَيَانُ أَنَّهُ لَمْ يَحُجَّ]

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَطَافَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَيْضًا سَبْعًا ، رَاكِبًا عَلَى بَعِيرِهِ يَخُبُّ ثَلَاثًا ، وَيَمْشِي أَرْبَعًا ، وَهَذَا مِنْ أَوْهَامِهِ وَغَلَطِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يَقُلْ هَذَا قَطُّ غَيْرَهُ وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْبَتَّةَ . وَهَذَا إنَّمَا هُوَ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ فَغَلِطَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَنَقَلَهُ إلَى الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِدْلَالُهُ عَلَيْهِ بِمَا رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ أَوَّلَ شَيْءٍ ثُمَّ خَبَّ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى أَرْبَعًا ، فَرَكَعَ حِينَ قَضَى طَوَافَهُ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَانْصَرَفَ فَأَتَى الصَّفَا ، فَطَافَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ . . وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . قَالَ وَلَمْ نَجِدْ عَدَدَ الرَّمَلِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مَنْصُوصًا ، وَلَكِنَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . هَذَا لَفْظُهُ . قُلْت : الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ السَّعْيُ فِي بَطْنِ الْوَادِي فِي الْأَشْوَاطِ كُلِّهَا . وَأَمَّا الرَّمَلُ فِي الثَّلَاثَةِ الْأُوَلِ خَاصَّةً فَلَمْ يَقُلْهُ وَلَا نَقَلَهُ فِيمَا نَعْلَمُ غَيْرَهُ . وَسَأَلْت شَيْخَنَا عَنْهُ فَقَالَ هَذَا مِنْ أَغْلَاطِهِ وَهُوَ لَمْ يَحُجَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَيُشْبِهُ هَذَا الْغَلَطَ غَلَطُ مَنْ قَالَ إنَّهُ سَعَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَكَانَ يَحْتَسِبُ [ص ٢١٤] وَاحِدَةً . وَهَذَا غَلَطٌ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْقُلْهُ عِنْدَ أَحَدٍ ، وَلَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ اُشْتُهِرَتْ أَقْوَالُهُمْ وَإِنْ ذَهَبَ إلَيْهِ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الْأَئِمَّةِ . وَمِمَّا يُبَيِّنُ بُطْلَانَ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا خِلَافَ عَنْهُ أَنَّهُ خَتَمَ سَعْيَهُ بِالْمَرْوَةِ وَلَوْ كَانَ الذَّهَابُ وَالرُّجُوعُ مَرَّةً وَاحِدَةً لَكَانَ خَتْمُهُ إنَّمَا يَقَعُ عَلَى الصَّفَا .

[مُتَابَعَةُ سِيَاقِ الْحَجِّ]

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا وَصَلَ إلَى الْمَرْوَةِ ، رَقِيَ عَلَيْهَا ، وَاسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَكَبَّرَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا ، فَلَمَّا أَكْمَلَ سَعْيَهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ ، أَمَرَ كُلَّ مَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ أَنْ يَحِلَّ حَتْمًا وَلَا بُدَّ قَارِنًا كَانَ أَوْ مُفْرِدًا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحِلُّوا الْحِلَّ كُلَّهُ مِنْ وَطْءِ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ وَلُبْسِ الْمَخِيطِ وَأَنْ يَبْقَوْا كَذَلِكَ إلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ وَلَمْ يَحِلَّ هُوَ مِنْ أَجْلِ هَدْيِهِ . وَهُنَاكَ قَالَ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ أَحَلَّ هُوَ أَيْضًا ، وَهُوَ غَلَطٌ قَطْعًا ، قَدْ بَيَّنَّاهُ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَهُنَاكَ دَعَا لِلْمُحَلِّقِينَ بِالْمَغْفِرَةِ ثَلَاثًا ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ مَرَّةً وَهُنَاكَ سَأَلَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَقِيبَ أَمْرِهِ لَهُمْ بِالْفَسْخِ وَالْإِحْلَالِ هَلْ ذَلِكَ لِعَامِهِمْ خَاصَّةً أَمْ لِلْأَبَدِ ؟ فَقَالَ " بَلْ لِلْأَبَدِ " . وَلَمْ يَحِلَّ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَا عُمَرُ ، وَلَا عَلِيٌّ وَلَا طَلْحَةُ ، وَلَا الزُّبَيْرُ مِنْ أَجْلِ الْهَدْيِ . وَأَمَّا نِسَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْلَلْنَ وَكُنَّ قَارِنَاتٍ إلَّا عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ مِنْ أَجْلِ تَعَذُّرِ الْحِلِّ عَلَيْهَا لِحَيْضِهَا ، وَفَاطِمَةُ حَلَّتْ لِأَنَّهَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا هَدْيٌ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَحِلَّ مِنْ أَجْلِ هَدْيِهِ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَهَلَّ بِإِهْلَالٍ كَإِهْلَالِهِ أَنْ يُقِيمَ عَلَى إحْرَامِهِ إنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ وَأَنْ يَحِلَّ إنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ .

[خُطْبَةُ الْوَدَاعِ]

وَكَانَ يُصَلِّي مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ إِلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ فِيهِ [ص ٢١٥] مَكَّةَ ُ فَأَقَامَ بِظَاهِرِ مَكَّةَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ضُحًى ُ تَوَجَّهَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مِنًى ُ فَأَحْرَمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ مِنْ رِحَالِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَحْرَمُوا مِنْهُ بَلْ أَحْرَمُوا وَمَكَّةُ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِنًى نَزَلَ بِهَا ُ وَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَبَاتَ بِهَا ُ وَكَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا طَلَعَتْ الشَّمْسُ سَارَ مِنْهَا إِلَى عَرَفَةَ ُ وَأَخَذَ عَلَى طَرِيقِ ضَبٍّ عَلَى يَمِينِ طَرِيقِ النَّاسِ الْيَوْمَ

وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُلَبِّي ُ وَمِنْهُمْ الْمُكَبِّرُ وَهُوَ يَسْمَعُ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُ عَلَى هَؤُلَاءِ وَلَا عَلَى هَؤُلَاءِ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ بِأَمْرِهِ وَهِيَ قَرْيَةٌ شَرْقِيَّ عَرَفَاتٍ ُ وَهِيَ خَرَابٌ الْيَوْمَ فَنَزَلَ بِهَا ُ حَتَّى إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ أَمَرَ بِنَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ

ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى بَطْنَ الْوَادِي مِنْ أَرْضِ عُرَنَةَ ُ فَخَطَبَ النَّاسَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ خُطْبَةً عَظِيمَةً قَرَّرَ فِيهَا قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَهَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ فِيهَا تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي اتَّفَقَتْ الْمِلَلُ عَلَى تَحْرِيمِهَا ُ وَهِيَ الدِّمَاءُ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ وَوَضَعَ فِيهَا أُمُورَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ وَوَضَعَ فِيهَا رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ وَأَبْطَلَهُ وَأَوْصَاهُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ُ وَذَكَرَ الْحَقَّ الَّذِي لَهُنَّ وَالَّذِي عَلَيْهِنَّ وَأَنَّ الْوَاجِبَ لَهُنَّ الرِّزْقُ وَالْكِسْوَةُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يُقَدِّرْ ذَلِكَ بِتَقْدِيرٍ وَأَبَاحَ لِلْأَزْوَاجِ ضَرْبَهُنَّ إِذَا أَدْخَلْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ مَنْ يَكْرَهُهُ أَزْوَاجُهُنَّ وَأَوْصَى الْأُمَّةَ فِيهَا بِالِاعْتِصَامِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَضِلُّوا مَا دَامُوا مُعْتَصِمِينَ بِهِ

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُ وَاسْتَنْطَقَهُمْ بِمَاذَا يَقُولُونَ وَبِمَاذَا يَشْهَدُونَ فَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَرَفَعَ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَاسْتَشْهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدُهُمْ غَائِبَهُمْ . [ص ٢١٦] قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةُ وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا أَتَمَّ الْخُطْبَةَ أَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَهَذَا مِنْ وَهْمِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ قِصَّةَ شُرْبِهِ اللَّبَنَ إِنَّمَا كَانَتْ بَعْدَ هَذَا حِينَ سَارَ إِلَى عَرَفَةَ ُ وَوَقَفَ بِهَا هَكَذَا جَاءَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " مُصَرَّحًا بِهِ عَنْ مَيْمُونَةَ : أَنَّ النَّاسَ شَكُّوا فِي صِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ ُ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِحِلَابٍ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي الْمَوْقِفِ فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ . وَفِي لَفْظٍ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ

[أَهْلُ مَكَّةَ يُقَصِّرُونَ وَيَجْمَعُونَ بِعَرَفَةَ]

وَمَوْضِعُ خُطْبَتِهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْقِفِ فَإِنَّهُ خَطَبَ بِعُرَنَةَ ُ وَلَيْسَتْ مِنَ الْمَوْقِفِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ بِنَمِرَةَ ُ وَخَطَبَ بِعُرَنَةَ ُ وَوَقَفَ بِعَرَفَةَ ُ وَخَطَبَ خُطْبَةً وَاحِدَةً وَلَمْ تَكُنْ خُطْبَتَيْنِ جَلَسَ بَيْنَهُمَا ُ فَلَمَّا أَتَمَّهَا ُ أَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ أَسَرَّ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُسَافِرَ لَا يُصَلِّي جُمُعَةً ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ أَيْضًا وَمَعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ قَصْرًا وَجَمْعًا بِلَا رَيْبٍ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْإِتْمَامِ وَلَا بِتَرْكِ الْجَمْعِ وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ " أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ فَإِنَّا قَوْمٌ سَفْرٌ " ُ فَقَدْ غَلِطَ فِيهِ غَلَطًا بَيِّنًا ُ وَوَهِمَ وَهْمًا قَبِيحًا . وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي غَزَاةِ الْفَتْحِ بِجَوْفِ مَكَّةَ ُ حَيْثُ كَانُوا فِي دِيَارِهِمْ مُقِيمِينَ . وَلِهَذَا كَانَ أَصَحَّ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَقْصُرُونَ وَيَجْمَعُونَ بِعَرَفَةَ كَمَا فَعَلُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي

هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى أَنّ سَفَرَ [ص ٢١٧] جَعَلَهُ اللّهُ سَبَبًا وَهُوَ السّفَرُ هَذَا مُقْتَضَى السّنّةِ وَلَا وَجْهَ لِمَا ذَهَبَ إلَيْهِ الْمُحَدّدُونَ .

[الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ]

فَلَمّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ رَكِبَ حَتّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَوَقَفَ فِي ذَيْلِ الْجَبَلِ عِنْدَ الصّخَرَاتِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَانَ عَلَى بَعِيرِهِ فَأَخَذَ فِي الدّعَاءِ وَالتّضَرّعِ وَالِابْتِهَالِ إلَى غُرُوبِ الشّمْسِ وَأَمَرَ النّاسَ أَنْ يَرْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ ، وَأَخْبَرَ أَنّ عَرَفَةَ لَا تَخْتَصّ بِمَوْقِفِهِ ذَلِكَ بَلْ قَالَ وَقَفْتُ هَا هُنَا وَعَرَفَةُ كُلّهَا مَوْقِفٌ وَأَرْسَلَ إلَى النّاسِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى مَشَاعِرِهِمْ وَيَقِفُوا بِهَا ، فَإِنّهَا مِنْ إرْثِ [ص ٢١٨] أَبِيهِمْ إبْرَاهِيمَ وَهُنَالِكَ أَقْبَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ الْحَجّ فَقَالَ الْحَجّ عَرَفَةُ مَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الصّبْحِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ ، تَمّ حَجّهُ أَيّامُ مِنًى ثَلَاثَةٌ فَمَنْ تَعَجّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخّرَ فَلَا إثْمَ عَلَيْهِ

[مَا وَرَدَ فِي دُعَائِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِعَرَفَةَ]

وَكَانَ فِي دُعَائِهِ رَافِعًا يَدَيْهِ إلَى صَدْرِهِ كَاسْتِطْعَامِ الْمِسْكِينِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنّ خَيْرَ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ . وَذَكَرَ مِنْ دُعَائِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمَوْقِفِ اللّهُمّ لَكَ الْحَمْدُ كَالّذِي نَقُولُ ، وَخَيْرًا مِمّا نَقُولُ اللّهُمّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي ، وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ، وَإِلَيْكَ مَآبِي ، وَلَكَ رَبّي تُرَاثِي ، اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَوَسْوَسَةِ الصّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرّيحُ ذَكَرَهُ التّرْمِذِيّ . [ص ٢١٩] اللّهُمّ تَسْمَعُ كَلَامِي ، وَتَرَى مَكَانِي ، وَتَعْلَمُ سِرّيّ وَعَلَانِيَتِي ، لَا يَخْفَى عَلَيْك شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ وَالْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقِرّ الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِي ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ وَأَبْتَهِلُ إلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذّلِيلِ وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضّرِيرِ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ وَذَلّ جَسَدُهُ وَرَغِمَ أَنْفُهُ لَكَ اللّهُمّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبّ شَقِيّا ، وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا ، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ ذَكَرَهُ الطّبَرَانِيّ . وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ : لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي بِعَرَفَةَ : لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللّهُمّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي صَدْرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، اللّهُمّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسّرْ لِي أَمْرِي ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الصّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِك مِنْ شَرّ مَا يَلِجُ فِي اللّيْلِ وَشَرّ مَا يَلِجُ فِي النّهَارِ وَشَرّ مَا تَهُبّ بِهِ الرّيَاحُ وَشَرّ بَوَائِقِ الدّهْرِ [ص ٢٢٠] لِينٌ . وَهُنَاكَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [الْمَائِدَةُ ٣] .

فَصْلٌ [مُتَابَعَةُ سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

عُدْنَا إلَى سِيَاقِ حَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

[الْإِفَاضَةُ مِنْ عَرَفَةَ]

فَلَمّا غَرَبَتْ الشّمْسُ وَاسْتَحْكَمَ غُرُوبُهَا بِحَيْثُ ذَهَبَتْ الصّفْرَةُ أَفَاضَ مِنْ عَرَفَةَ ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ خَلْفَهُ وَأَفَاضَ بِالسّكِينَةِ وَضَمّ إلَيْهِ زِمَامَ نَاقَتِهِ حَتّى إنّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ طَرَفَ رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ أَيّهَا النّاسُ عَلَيْكُمْ السّكِينَةَ ، فَإِنّ الْبِرّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ أَيْ لَيْسَ بِالْإِسْرَاعِ . [ص ٢٢٨] الْمَأْزِمَيْنِ ، وَدَخَلَ عَرَفَةَ مِنْ طَرِيقِ ضَبّ ، وَهَكَذَا كَانَتْ عَادَتُهُ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ فِي الْأَعْيَادِ أَنْ يُخَالِفَ الطّرِيقَ وَقَدْ تَقَدّمَ حِكْمَةُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى هَدْيِهِ فِي الْعِيدِ . ثُمّ جَعَلَ يَسِيرُ الْعَنَقَ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ السّيْرِ لَيْسَ بِالسّرِيعِ وَلَا الْبَطِيءِ . فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً وَهُوَ الْمُتّسَعُ نَصّ سَيْرَهُ أَيْ رَفَعَهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَكُلّمَا أَتَى رَبْوَةً مِنْ تِلْكَ الرّبَى ، أَرْخَى لِلنّاقَةِ زِمَامَهَا قَلِيلًا حَتّى تَصْعَدَ . وَكَانَ يُلَبّي فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ لَمْ يَقْطَعْ التّلْبِيَةَ . فَلَمّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطّرِيقِ نَزَلَ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فَبَالَ وَتَوَضّأَ وُضُوءًا خَفِيفًا ، فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ : الصّلَاةَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ الصّلَاةَ - أَوْ الْمُصَلّى - أَمَامَك ثُمّ سَارَ حَتّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ ، فَتَوَضّأَ وُضُوءَ الصّلَاةِ ثُمّ أَمَرَ بِالْأَذَانِ فَأَذّنَ الْمُؤَذّنُ ثُمّ أَقَامَ فَصَلّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ حَطّ الرّحَالِ وَتَبْرِيكِ الْجِمَالِ فَلَمّا حَطّوا رِحَالَهُمْ أَمَرَ فَأُقِيمَتْ الصّلَاةُ ثُمّ صَلّى عِشَاءَ الْآخِرَةِ بِإِقَامَةٍ بِلَا أَذَانٍ ، وَلَمْ يُصَلّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا وَقَدْ رُوِيَ أَنّهُ صَلّاهُمَا بِأَذَانَيْنِ وَإِقَامَتَيْنِ وَرُوِيَ بِإِقَامَتَيْنِ بِلَا أَذَانٍ وَالصّحِيحُ أَنّهُ صَلّاهُمَا بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ ، كَمَا فَعَلَ بِعَرَفَةَ . ثُمّ نَامَ حَتّى أَصْبَحَ وَلَمْ يُحْيِ تِلْكَ اللّيْلَةَ وَلَا صَحّ عَنْهُ فِي إحْيَاءِ لَيْلَتَيْ الْعِيدَيْنِ شَيْءٌ . [ص ٢٢٩]

[هَلْ يَجُوزُ رَمْيُ الْجِمَارِ قَبْلَ الْفَجْرِ]

وَأَذِنَ فِي تِلْكَ اللّيْلَةِ لِضَعَفَةِ أَهْلِهِ أَنْ يَتَقَدّمُوا إلَى مِنًى قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْبُوبَةِ الْقَمَرِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ صَحّحَهُ التّرْمِذِيّ وَغَيْرُهُ [ص ٢٣٠] وَأَمّا حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : أَرْسَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِأُمّ سَلَمَةَ لَيْلَةَ النّحْرِ فَرَمَتْ الْجَمْرَةَ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمّ مَضَتْ فَأَفَاضَتْ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الّذِي يَكُونُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَعْنِي عِنْدَهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، فَحَدِيثٌ مُنْكَرٌ أَنْكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ . وَمِمّا يَدُلّ عَلَى إنْكَارِهِ أَنّ فِيهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَهَا أَنْ تُوَافِيَ صَلَاةَ الصّبْحِ يَوْمَ النّحْرِ بِمَكّةَ وَفِي رِوَايَةٍ تُوَافِيهِ بِمَكّةَ وَكَانَ يَوْمَهَا ، فَأَحَبّ أَنْ تُوَافِيَهُ وَهَذَا مِنْ الْمُحَالِ قَطْعًا . قَالَ الْأَثْرَمُ : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللّهِ : حَدّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمّ سَلَمَةَ ، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَهَا أَنْ تُوَافِيَهُ يَوْمَ النّحْرِ بِمَكّةَ لَمْ يُسْنِدْهُ غَيْرُهُ وَهُوَ خَطَأٌ . وَقَالَ وَكِيعٌ : عَنْ أَبِيهِ مُرْسَلًا : إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَهَا أَنْ تُوَافِيَهُ صَلَاةَ الصّبْحِ يَوْمَ النّحْرِ بِمَكّةَ أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَهَذَا أَعْجَبُ أَيْضًا ، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ النّحْرِ وَقْتَ الصّبْحِ مَا يَصْنَعُ بِمَكّةَ ؟ يُنْكِرُ ذَلِكَ . قَالَ فَجِئْتُ إلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ " أَمَرَهَا أَنْ تُوَافِيَ " وَلَيْسَ " تُوَافِيهِ " قَالَ وَبَيْنَ ذَيْنِ فَرْقٌ . قَالَ وَقَالَ لِي يَحْيَى : سَلْ عَبْدَ الرّحْمَنِ عَنْهُ فَسَأَلْته ، فَقَالَ هَكَذَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ . قَالَ الْخَلّالُ سَهَا الْأَثْرَمُ فِي حِكَايَتِهِ عَنْ وَكِيعٍ " تُوَافِيهِ " ، وَإِنّمَا قَالَ وَكِيعٌ : تُوَافِي مِنًى . وَأَصَابَ فِي قَوْلِهِ " تُوَافِي " كَمَا قَالَ أَصْحَابُهُ وَأَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ " منى " . قَالَ الْخَلّالُ أَنْبَأَنَا عَلِيّ بْنُ حَرْبٍ ، حَدّثَنَا هَارُونُ بْنُ عِمْرَانَ ، عَنْ [ص ٢٣١] سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَخْبَرَتْنِي أُمّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ قَدّمَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَنْ قَدّمَ مِنْ أَهْلِهِ لَيْلَةَ الْمُزْدَلِفَةِ .

قَالَتْ فَرَمَيْتُ بِلَيْلٍ ثُمّ مَضَيْتُ إلَى مَكّة ، فَصَلّيْتُ بِهَا الصّبْحَ ثُمّ رَجَعْتُ إلَى مِنًى قُلْت : سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ هَذَا : هُوَ الدّمَشْقِيّ الْخَوْلَانِيّ ، وَيُقَالُ ابْنَ دَاوُدَ . قَالَ أَبُو زُرْعَة عَنْ أَحْمَدَ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ : ضَعِيفٌ . قُلْت : وَمِمّا يَدُلّ عَلَى بُطْلَانِهِ مَا ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمّدٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْلَةَ الْمُزْدَلِفَةِ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَهُ وَقَبْلَ حَطْمَةِ النّاسِ وَكَانَتْ امْرَأَةً ثَبِطَةً قَالَتْ فَأَذِنَ لَهَا ، فَخَرَجَتْ قَبْلَ دَفْعِهِ وَحُبِسْنَا حَتّى أَصْبَحْنَا ، فَدَفَعْنَا بِدَفْعِهِ وَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَمَا اسْتَأْذَنَتْهُ سَوْدَةُ أَحَبّ إلَيّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ فَهَذَا الْحَدِيثُ الصّحِيحُ يُبَيّنُ أَنّ نِسَاءَهُ غَيْرَ سَوْدَةَ ، إنّمَا دَفَعْنَ مَعَهُ . فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ الّذِي رَوَاهُ الدّارَقُطْنِيّ وَغَيْرُهُ عَنْهَا ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ نِسَاءَهُ أَنْ يَخْرُجْنَ مِنْ جَمْعٍ لَيْلَةَ جَمْعٍ ، فَيَرْمِينَ الْجَمْرَةَ ثُمّ تُصْبِحُ فِي مَنْزِلِهَا ، وَكَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ حَتّى مَاتَتْ قِيلَ يَرُدّهُ مُحَمّدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَحَدُ رُوَاتِهِ كَذّبَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ . وَيَرُدّهُ أَيْضًا : [ص ٢٣٢] الصّحِيحَيْنِ " وَقَوْلُهَا : وَدِدْتُ أَنّي كُنْت اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَمَا اسْتَأْذَنَتْهُ سَوْدَةُ . وَإِنْ قِيلَ فَهَبْ أَنّكُمْ يُمْكِنُكُمْ رَدّ هَذَا الْحَدِيثِ فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَدِيثِ الّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ، عَنْ أُمّ حَبِيبَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ بِهَا مِنْ جَمْعٍ بِلَيْلٍ . قِيلَ قَدْ ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدّمَ تِلْكَ اللّيْلَةَ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ وَكَانَ ابْنُ عَبّاسٍ فِيمَنْ قَدّمَ . وَثَبَتَ أَنّهُ قَدّمَ سَوْدَةَ ، وَثَبَتَ أَنّهُ حَبَسَ نِسَاءَهُ عِنْدَهُ حَتّى دَفَعْنَ بِدَفْعِهِ . وَحَدِيثُ أُمّ حَبِيبَةَ ، انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ . فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا ، فَهِيَ إذًا مِنْ الضّعَفَةِ الّتِي قَدّمَهَا . فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ بِهِ مَعَ أَهْلِهِ إلَى مِنًى يَوْمَ النّحْرِ فَرَمَوْا الْجَمْرَةَ مَعَ الْفَجْرِ قِيلَ نُقَدّمُ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ الْآخَرَ الّذِي رَوَاهُ أَيْضًا الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالتّرْمِذِيّ وَصَحّحَهُ أَنّ ا لنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدّمَ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ وَقَالَ لَا تَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ وَلَفْظُ أَحْمَدَ فِيهِ قَدّمَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُغَيْلِمَةَ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ عَلَى حُمُرَاتٍ لَنَا مِنْ جَمْعٍ ، فَجَعَلَ يَلْطَحُ أَفْخَاذَنَا وَيَقُولُ " أَيْ بُنَيّ لَا تَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ لِأَنّهُ أَصَحّ مِنْهُ وَفِيهِ نَهَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ رَمْيِ الْجَمْرَةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَهُوَ مَحْفُوظٌ بِذِكْرِ الْقِصّةِ فِيهِ . وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ إنّمَا فِيهِ أَنّهُمْ رَمَوْهَا مَعَ الْفَجْرِ ثُمّ تَأَمّلْنَا فَإِذَا أَنّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَإِنّهُ أَمَرَ الصّبْيَانَ أَنْ لَا يَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ فَإِنّهُ لَا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَقْدِيمِ الرّمْيِ أَمّا مَنْ قَدّمَهُ مِنْ النّسَاءِ فَرَمَيْنَ قَبْلَ [ص ٢٣٣] مُزَاحَمَةِ النّاسِ وَحَطْمِهِمْ وَهَذَا الّذِي دَلّتْ عَلَيْهِ السّنّةُ جَوَازُ الرّمْيِ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ لِلْعُذْرِ بِمَرَضٍ أَوْ كِبَرٍ يَشُقّ عَلَيْهِ مُزَاحَمَةُ النّاسِ لِأَجْلِهِ وَأَمّا الْقَادِرُ الصّحِيحُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ . وَفِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ أَحَدُهَا : الْجَوَازُ بَعْدَ نِصْفِ اللّيْلِ مُطْلَقًا لِلْقَادِرِ وَالْعَاجِزِ كَقَوْلِ الشّافِعِيّ وَأَحْمَدَ رَحِمَهُمَا اللّهُ وَالثّانِي : لَا يَجُوزُ إلّا بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ وَالثّالِثُ لَا يَجُوزُ لِأَهْلِ الْقُدْرَةِ إلّا بَعْدَ طُلُوعِ الشّمْسِ كَقَوْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ . وَالّذِي دَلّتْ عَلَيْهِ السّنّةُ إنّمَا هُوَ التّعْجِيلُ بَعْدَ غَيْبُوبَةِ الْقَمَرِ لَا نِصْفِ اللّيْلِ وَلَيْسَ مَعَ مَنْ حَدّهُ بِالنّصْفِ دَلِيلٌ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [مَذْهَبُ مَنْ قَالَ بِرُكْنِيّةِ الْوُقُوفِ بِمُزْدَلِفَةَ وَالْمَبِيتِ بِهَا]

فَلَمّا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلّاهَا فِي أَوّلِ الْوَقْتِ لَا قَبْلَهُ قَطْعًا بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ يَوْمَ النّحْرِ وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ وَهُوَ يَوْمُ الْحَجّ الْأَكْبَرِ وَهُوَ يَوْمُ الْأَذَانِ بِبَرَاءَةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ كُلّ مُشْرِكٍ . ثُمّ رَكِبَ حَتّى أَتَى مَوْقِفَهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأَخَذَ فِي الدّعَاءِ وَالتّضَرّعِ وَالتّكْبِيرِ وَالتّهْلِيلِ وَالذّكْرِ حَتّى أَسْفَرَ جِدّا ، وَذَلِك قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ . وَهُنَالِكَ سَأَلَهُ عُرْوَةُ بْنُ مُضَرّسٍ الطّائِيّ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّي جِئْتُ مِنْ جَبَلَيْ طَيّئٍ ، أَكْلَلْتُ رَاحِلَتِي ، وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي ، وَاَللّهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ جَبَلٍ إلّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ وَوَقَفَ مَعَنَا حَتّى نَدْفَعَ وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَقَدْ أَتَمّ حَجّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . [ص ٢٣٤] ذَهَبَ إلَى أَنّ الْوُقُوفَ بِمُزْدَلِفَةَ وَالْمَبِيتَ بِهَا ، رُكْنٌ كَعَرَفَةَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ اثْنَيْنِ مِنْ الصّحَابَةِ ابْنِ عَبّاسٍ ، وَابْنِ الزّبَيْرِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ إبْرَاهِيمُ النّخَعِيّ ، وَالشّعْبِيّ ، وَعَلْقَمَةُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيّ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيّ ، وَحَمّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ ، وَدَاوُدَ الظّاهِرِيّ وَأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلّامٍ ، وَاخْتَارَهُ الْمُحَمّدَانِ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَهُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ لِلشّافِعِيّةِ ، وَلَهُمْ ثَلَاثُ حُجَجٍ هَذِهِ إحْدَاهَا ، وَالثّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { فَاذْكُرُوا اللّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } [الْبَقَرَةُ ١٩٨] . وَالثّالِثَةُ فِعْلُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِي خَرَجَ مَخْرَجَ الْبَيَانِ لِهَذَا الذّكْرِ الْمَأْمُورِ بِه. وَاحْتَجّ مَنْ لَمْ يَرَهُ رُكْنًا بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَدّ وَقْتَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ إلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنّ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بِأَيْسَرِ زَمَانٍ صَحّ حَجّهُ وَلَوْ كَانَ الْوُقُوفُ بِمُزْدَلِفَةَ رُكْنًا لَمْ يَصِحّ حَجّهُ . الثّانِي : أَنّهُ لَوْ كَانَ رُكْنًا ، لَاشْتَرَكَ فِيهِ الرّجَالُ وَالنّسَاءُ فَلَمّا قَدّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّسَاءَ بِاللّيْلِ عُلِمَ أَنّهُ لَيْسَ بِرُكْنٍ وَفِي الدّلِيلَيْنِ نَظَرٌ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا قَدّمَهُنّ بَعْدَ الْمَبِيتِ بِمُزْدَلِفَةَ ، وَذَكَرَ اللّهُ تَعَالَى بِهَا لِصَلَاةِ عِشَاءِ الْآخِرَةِ وَالْوَاجِبُ هُوَ ذَلِكَ . وَأَمّا تَوْقِيتُ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ إلَى الْفَجْرِ فَلَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ الْمَبِيتُ بِمُزْدَلِفَةَ رُكْنًا ، وَتَكُونُ تِلْكَ اللّيْلَةُ وَقْتًا لَهُمَا كَوَقْتِ الْمَجْمُوعَتَيْنِ مِنْ الصّلَوَاتِ وَتَضْيِيقُ الْوَقْتِ لِأَحَدِهِمَا لَا يُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ وَقْتًا لَهُمَا حَالَ الْقُدْرَةِ . [ص ٢٣٥]

فَصْلٌ [قِصّةُ الْفَضْلِ مَعَ الْخَثْعَمِيّةِ]

وَقَفَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مَوْقِفِهِ وَأَعْلَمَ النّاسَ أَنّ مُزْدَلِفَةَ كُلّهَا مَوْقِفٌ ثُمّ سَارَ مِنْ مُزْدَلِفَةَ مُرْدِفًا لِلْفَضْلِ بْنِ عَبّاسٍ ، وَهُوَ يُلَبّي فِي مَسِيرِهِ وَانْطَلَقَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي سِبَاقِ قُرَيْشٍ . وَفِي طَرِيقِهِ ذَلِكَ أَمَرَ ابْنَ عَبّاسٍ أَنْ يَلْقُطَ لَهُ حَصَى الْجِمَارِ سَبْعَ حَصَيَاتٍ وَلَمْ يَكْسِرْهَا مِنْ الْجَبَلِ تِلْكَ اللّيْلَةَ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ وَلَا الْتَقَطَهَا بِاللّيْلِ فَالْتَقَطَ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنّ فِي كَفّهِ وَيَقُولُ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا ، وَإِيّاكُمْ وَالْغُلُوّ فِي الدّينِ فَإِنّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوّ فِي الدّينِ وَفِي طَرِيقِهِ تِلْكَ عَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ جَمِيلَةٌ فَسَأَلَتْهُ عَنْ الْحَجّ عَنْ أَبِيهَا وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَمْسِكُ عَلَى الرّاحِلَةِ فَأَمَرَهَا أَنْ تَحُجّ عَنْهُ وَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إلَيْهَا وَتَنْظُرُ إلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَصَرَفَهُ إلَى الشّقّ الْآخَرِ وَكَانَ الْفَضْلُ وَسِيمًا ، فَقِيلَ صَرَفَ وَجْهَهُ عَنْ نَظَرِهَا إلَيْهِ . وَقِيلَ صَرَفَهُ عَنْ نَظَرِهِ إلَيْهَا ، وَالصّوَابُ إنّهُ فَعَلَهُ لِلْأَمْرَيْنِ فَإِنّهُ فِي الْقِصّةِ جَعَلَ يَنْظُرُ إلَيْهَا وَتَنْظُرُ إلَيْهِ . [ص ٢٣٦]

[الْحَجّ عَنْ الْأُمّ]

وَسَأَلَهُ آخَرُ هُنَالِكَ عَنْ أُمّهِ فَقَالَ إنّهَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ فَإِنْ حَمَلْتُهَا لَمْ تَسْتَمْسِكْ وَإِنْ رَبَطْتُهَا خَشِيتُ أَنْ أَقْتُلَهَا ، فَقَالَ " أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ ؟ قَال : نَعَمْ . قَالَ فَحُجّ عَنْ أُمّكَ " فَلَمّا أَتَى بَطْنَ مُحَسّرٍ ، حَرّكَ نَاقَتَهُ وَأَسْرَعَ السّيْرَ وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَتَهُ فِي الْمَوَاضِعِ الّتِي نَزَلَ فِيهَا بَأْسُ اللّهِ بِأَعْدَائِهِ فَإِنّ هُنَالِكَ أَصَابَ أَصْحَابَ الْفِيلِ مَا قَصّ اللّهُ عَلَيْنَا ، وَلِذَلِكَ سُمّيَ ذَلِكَ الْوَادِي وَادِيَ مُحَسّرٍ ، لِأَنّ الْفِيلَ حُسِرَ فِيهِ أَيْ أُعْيِيَ وَانْقَطَعَ عَنْ الذّهَابِ إلَى مَكّةَ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي سُلُوكِهِ الْحِجْرَ دِيَارَ ثَمُودَ ، فَإِنّهُ تَقَنّعَ بِثَوْبِهِ وَأَسْرَعَ السّيْرَ . وَمُحَسّرٌ : بَرْزَخٌ بَيْنَ مِنًى وَبَيْنَ مُزْدَلِفَةَ ، لَا مِنْ هَذِهِ وَلَا مِنْ هَذِهِ وَعُرَنَةُ : بَرْزَخٌ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، فَبَيْنَ كُلّ مَشْعَرَيْنِ بَرْزَخٌ لَيْسَ مِنْهُمَا ، فَمِنًى : مِنْ [ص ٢٣٧] الْحَرَمِ ، وَهِيَ مَشْعَرٌ وَمُحَسّرٌ : مِنْ الْحَرَمِ ، وَلَيْسَ بِمَشْعَرٍ وَمُزْدَلِفَةُ : حَرَمٌ وَمَشْعَرٌ وَعُرَنَةُ لَيْسَتْ مَشْعَرًا ، وَهِيَ مِنْ الْحِلّ . وَعَرَفَةُ : حِلّ وَمَشْعَرٌ . وَسَلَكَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الطّرِيقَ الْوُسْطَى بَيْنَ الطّرِيقَيْنِ وَهِيَ الّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى ، حَتّى أَتَى مِنًى ، فَأَتَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ ، فَوَقَفَ فِي أَسْفَلِ الْوَادِي ، وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْجَمْرَةَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَمَاهَا رَاكِبًا بَعْدَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ يُكَبّرُ مَعَ كُلّ حَصَاةٍ . وَحِينَئِذٍ قَطَعَ التّلْبِيَةَ وَكَانَ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ يُلَبّي حَتّى شَرَعَ فِي الرّمْيِ وَرَمَى بِلَالٌ وَأُسَامَةُ مَعَهُ أَحَدُهُمَا آخِذٌ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ وَالْآخَرُ يُظَلّلُهُ بِثَوْبٍ مِنْ الْحَرّ . وَفِي هَذَا : دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ اسْتِظْلَالِ الْمُحْرِمِ بِالْمَحْمِلِ وَنَحْوِهِ إنْ كَانَتْ قِصّةُ هَذَا الْإِظْلَالِ يَوْمَ النّحْرِ ثَابِتَةً وَإِنْ كَانَتْ بَعْدَهُ فِي أَيّامِ مِنًى ، فَلَا حُجّةَ فِيهَا ، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ بَيَانٌ فِي أَيّ زَمَنٍ كَانَتْ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [خُطْبَةُ مِنًى]

ثُمّ رَجَعَ إلَى مِنًى ، فَخَطَبَ النّاسَ خُطْبَةً بَلِيغَةً أَعْلَمَهُمْ فِيهَا بِحُرْمَةِ يَوْمِ النّحْرِ وَتَحْرِيمِهِ وَفَضْلِهِ عِنْدَ اللّهِ وَحُرْمَةِ مَكّةَ عَلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ وَأَمَرَهُمْ بِالسّمْعِ وَالطّاعَةِ لِمَنْ قَادَهُمْ بِكِتَابِ اللّهِ وَأَمَرَ النّاسَ بِأَخْذِ مَنَاسِكِهِمْ عَنْهُ وَقَالَ لَعَلّي لَا أَحُجّ بَعْدَ عَامِي هَذَا . [ص ٢٣٨] وَعَلّمَهُمْ مَنَاسِكَهُمْ وَأَنْزَلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ مَنَازِلَهُمْ وَأَمَرَ النّاسَ أَنْ لَا يَرْجِعُوا بَعْدَهُ كُفّارًا يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ وَأَمَرَ بِالتّبْلِيغِ عَنْهُ . وَأَخْبَرَ أَنّهُ رُبّ مُبَلّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ . وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ لَا يَجْنِي جَانٍ إلّا عَلَى نَفْسِهِ . وَأَنْزَلَ الْمُهَاجِرِينَ عَنْ يَمِينِ الْقِبْلَةِ وَالْأَنْصَارَ عَنْ يَسَارِهَا ، وَالنّاسُ حَوْلَهُمْ وَفَتَحَ اللّهُ لَهُ أَسْمَاعَ النّاسِ حَتّى سَمِعَهَا أَهْلُ مِنًى فِي مَنَازِلِهِمْ . وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ تِلْكَ اُعْبُدُوا رَبّكُمْ وَصَلّوا خَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنّةَ رَبّكُمْ . وَوَدّعَ حِينَئِذٍ النّاسَ فَقَالُوا : حَجّةُ الْوَدَاعِ . وَهُنَاكَ سُئِلَ عَمّنْ حَلَقَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ وَعَمّنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ فَقَالَ " لَا حَرَجَ " قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو مَا رَأَيْتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إلّا قَالَ افْعَلُوا وَلَا حَرَجَ . [ص ٢٣٩] قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ إنّهُ قِيلَ لَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّبْحِ وَالْحَلْقِ وَالرّمْيِ وَالتّقْدِيمِ وَالتّأْخِيرِ فَقَالَ لَا حَرَجَ . وَقَالَ أُسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ خَرَجْتُ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَاجّا ، وَكَانَ النّاسُ يَأْتُونَهُ فَمِنْ قَائِلٍ يَا رَسُولَ اللّهِ سَعَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَطُوفَ أَوْ قَدّمْت شَيْئًا أَوْ أَخّرْتُ شَيْئًا فَكَانَ يَقُولُ لَا حَرَجَ لَا حَرَجَ إلّا عَلَى رَجُلٍ اقْتَرَضَ عِرْضَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَهُوَ ظَالِمٌ فَذَلِكَ الّذِي حَرَجَ وَهَلَكَ .

وَقَوْلُهُ سَعَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَطُوفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ . وَالْمَحْفُوظُ تَقْدِيمُ الرَّمْيِ وَالنَّحْرِ وَالْحَلْقِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ .

[بَحْثٌ فِي نَحْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ]

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ بِمِنًى ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ وَكَانَ يَنْحَرُهَا قَائِمَةً مَعْقُولَةً يَدُهَا الْيُسْرَى . وَكَانَ عَدَدُ هَذَا الَّذِي نَحَرَهُ عَدَدَ سِنِي عُمْرِهِ ثُمَّ [ص ٢٤٠] أَمْسَكَ وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَنْحَرَ مَا غَبَرَ مِنَ الْمِائَةِ ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجِلَالِهَا وَلُحُومِهَا وَجُلُودِهَا فِي الْمَسَاكِينِ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يُعْطِيَ الْجَزَّارَ فِي جِزَارَتِهَا شَيْئًا مِنْهَا ، وَقَالَ نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا وَقَالَ مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ فَإِنْ قِيلَ فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ فَبَاتَ بِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَجَعَلَ يُهَلِّلُ وَيُسَبِّحُ فَلَمَّا عَلَا عَلَى الْبَيْدَاءِ ، لَبَّى بِهِمَا جَمِيعًا ، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَحِلُّوا ، وَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ سَبْعَ بُدْنٍ قِيَامًا ، وَضَحَّى بِالْمَدِينَةِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ حَزْمٍ : مَخْرَجُ حَدِيثِ أَنَسٍ ، عَلَى أَحَدِ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ . أَحَدُهَا : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْحَرْ بِيَدِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِ بُدْنٍ كَمَا قَالَ أَنَسٌ ، وَأَنَّهُ أَمَرَ مَنْ يَنْحَرُ مَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى تَمَامِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ثُمَّ زَالَ عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَحَرَ مَا بَقِيَ . الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ أَنَسٌ لَمْ يُشَاهِدْ إِلَّا نَحْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا فَقَطْ بِيَدِهِ وَشَاهَدَ جَابِرٌ تَمَامَ نَحْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْبَاقِي ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا رَأَى وَشَاهَدَ . الثَّالِثُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ بِيَدِهِ مُنْفَرِدًا سَبْعَ بُدْنٍ كَمَا قَالَ أَنَسٌ ، ثُمَّ أَخَذَ هُوَ وَعَلِيٌّ الْحَرْبَةَ مَعًا ، فَنَحَرَا كَذَلِكَ تَمَامَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ كَمَا قَالَ غَرَفَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِنْدِيُّ [ص ٢٤١] أَنَّهُ شَاهَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ قَدْ أَخَذَ بِأَعْلَى الْحَرْبَةِ وَأَمَرَ عَلِيًّا فَأَخَذَ بِأَسْفَلِهَا ، وَنَحَرَا بِهَا الْبُدْنَ ثُمَّ انْفَرَدَ عَلِيٌّ بِنَحْرِ الْبَاقِي مِنَ الْمِائَةِ كَمَا قَالَ جَابِرٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِنْ قِيلَ فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا نَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدْنَهُ فَنَحَرَ ثَلَاثِينَ بِيَدِهِ وَأَمَرَنِي فَنَحَرْتُ سَائِرَهَا قُلْنَا : هَذَا غَلَطٌ انْقَلَبَ عَلَى الرَّاوِي ، فَإِنَّ الَّذِي نَحَرَ ثَلَاثِينَ هُوَ عَلِيٌّ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ سَبْعًا بِيَدِهِ لَمْ يُشَاهِدْهُ عَلِيٌّ ، وَلَا جَابِرٌ ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ أُخْرَى ، فَبَقِيَ مِنَ الْمِائَةِ ثَلَاثُونَ فَنَحَرَهَا عَلِيٌّ ، فَانْقَلَبَ عَلَى الرَّاوِي عَدَدُ مَا نَحَرَهُ عَلِيٌّ بِمَا نَحَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي . قَالَ وَقُرِّبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَنَاتٌ خَمْسٌ فَطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إِلَيْهِ بِأَيَّتِهِنَّ يَبْدَأُ ؟ فَلَمَّا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا قَالَ : فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ خَفِيَّةٍ لَمْ أَفْهَمْهَا ، فَقُلْتُ مَا قَالَ ؟ قَالَ مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ قِيلَ نَقْبَلُهُ وَنُصَدِّقُهُ فَإِنَّ الْمِائَةَ لَمْ تُقَرَّبْ إِلَيْهِ جُمْلَةً وَإِنَّمَا كَانَتْ تُقَرَّبُ إِلَيْهِ أَرْسَالًا ، فَقُرِّبَ مِنْهُنَّ إِلَيْهِ خَمْسُ بَدَنَاتٍ رَسَلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّسَلُ يُبَادِرْنَ وَيَتَقَرَّبْنَ إِلَيْهِ لِيَبْدَأَ بِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ . فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي فِي " الصَّحِيحَيْنِ " ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي [ص ٢٤٢] فِي خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَذَبَحَهُمَا ، وَإِلَى جُزَيْعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا لَفْظُهُ لِمُسْلِمٍ . فَفِي

هَذَا ، أَنّ ذَبْحَ الْكَبْشَيْنِ كَانَ بِمَكّةَ ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ ، أَنّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ . قِيلَ فِي هَذَا طَرِيقَتَانِ لِلنّاسِ . إحْدَاهُمَا : أَنّ الْقَوْلَ قَوْلُ أَنَسٍ ، وَأَنّهُ ضَحّى بِالْمَدِينَةِ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ وَأَنّهُ صَلّى الْعِيدَ ثُمّ انْكَفَأَ إلَى كَبْشَيْنِ فَفَصّلَ أَنَسٌ ، وَمَيّزَ بَيْنَ نَحْرِهِ بِمَكّةَ لِلْبُدْنِ وَبَيْنَ نَحْرِهِ بِالْمَدِينَةِ لِلْكَبْشَيْنِ وَبَيّنَ أَنّهُمَا قِصّتَانِ وَيَدُلّ عَلَى هَذَا أَنّ جَمِيعَ مَنْ ذَكَرَ نَحْرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمِنًى ، إنّمَا ذَكَرُوا أَنّهُ نَحَرَ الْإِبِلَ وَهُوَ الْهَدْيُ الّذِي سَاقَهُ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ نَحْرِ الْغَنَمِ هُنَاكَ بِلَا سَوْقٍ وَجَابِرٌ قَدْ قَالَ فِي صِفَةِ حَجّةِ الْوَدَاعِ إنّهُ رَجَعَ مِنْ الرّمْيِ فَنَحَرَ الْبُدْنَ وَإِنّمَا اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ الرّوَاةِ أَنّ قِصّةَ الْكَبْشَيْنِ كَانَتْ يَوْمَ عِيدٍ فَظَنّ أَنّهُ كَانَ بِمِنًى فَوَهِمَ . الطّرِيقَةُ الثّانِيَةُ طَرِيقَةُ ابْنِ حَزْمٍ ، وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُ أَنّهُمَا عَمَلَانِ مُتَغَايِرَانِ وَحَدِيثَانِ صَحِيحَانِ فَذَكَرَ أَبُو بَكْرَةَ تَضْحِيَتَهُ بِمَكّةَ ، وَأَنَسٌ تَضْحِيَتَهُ بِالْمَدِينَةِ . قَالَ وَذَبَحَ يَوْمَ النّحْرِ الْغَنَمَ وَنَحَرَ الْبَقَرَ وَالْإِبِلَ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ : ضَحّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَئِذٍ عَنْ أَزْوَاجِهِ بِالْبَقَرِ وَهُوَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " . وفي " صحيح مسلم " : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة بقرة يوم النحر [ص ٢٤٣] وَفِي " السّنَنِ " : أَنّهُ نَحَرَ عَنْ آلِ مُحَمّدٍ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ بَقَرَةً وَاحِدَةً وَمَذْهَبُهُ أَنّ الْحَاجّ شُرِعَ لَهُ التّضْحِيَةُ مَعَ الْهَدْيِ وَالصّحِيحُ إنْ شَاءَ اللّهُ الطّرِيقَةُ الْأُولَى ، وَهَدْيُ الْحَاجّ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأُضْحِيّةِ لِلْمُقِيمِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا أَصْحَابَهُ جَمَعُوا بَيْنَ الْهَدْيِ وَالْأُضْحِيّةِ بَلْ كَانَ هَدْيُهُمْ هُوَ أَضَاحِيّهُمْ فَهُوَ هَدْيٌ بِمِنًى ، وَأُضْحِيّةٌ بِغَيْرِهَا . وَأَمّا قَوْلُ عَائِشَةَ : ضَحّى عَنْ نِسَائِهِ بِالْبَقَرِ فَهُوَ هَدْيٌ أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْأُضْحِيّةِ وَأَنّهُنّ كُنّ مُتَمَتّعَاتٍ وَعَلَيْهِنّ الْهَدْيُ فَالْبَقَرُ الّذِي نَحَرَهُ عَنْهُنّ هُوَ الْهَدْيُ الّذِي يَلْزَمُهُنّ . وَلَكِنْ فِي قِصّةِ [بَيَانُ بُطْلَانِ قَوْلِ ابْنِ حَزْمٍ بِأَنّهُ لَا هَدْيَ عَلَى الْقَارِنِ]

وَأَجَابَ أَبُو مُحَمّدٍ ابْنُ حَزْمٍ عَنْهُ بِجَوَابٍ عَلَى أَصْلِهِ وَهُوَ أَنّ عَائِشَةَ لَمْ تَكُنْ مَعَهُنّ فِي ذَلِكَ فَإِنّهَا كَانَتْ قَارِنَةً وَهُنّ مُتَمَتّعَاتٌ وَعِنْدَهُ لَا هَدْيَ عَلَى الْقَارِنِ وَأَيّدَ قَوْلَهُ بِالْحَدِيثِ الّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُوَافِينَ لِهِلَالِ ذِي الْحِجّةِ فَكُنْتُ فِيمَنْ أَهَلّ بِعُمْرَةٍ فَخَرَجْنَا حَتّى قَدِمْنَا مَكّةَ ، فَأَدْرَكَنِي يَوْمُ عَرَفَةَ وَأَنَا حَائِضٌ لَمْ أَحِلّ مِنْ عُمْرَتِي ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ دَعِي عُمْرَتَك وَانْقُضِي رَأْسَكِ ، وَامْتَشِطِي ، وَأَهِلّي بِالْحَجّ . قَالَتْ فَفَعَلْتُ . فَلَمّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ وَقَدْ قَضَى اللّهُ حَجّنَا ، أَرْسَلَ مَعِي عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَرْدَفَنِي ، وَخَرَجَ إلَى التّنْعِيمِ ، فَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ فَقَضَى اللّهُ حَجّنَا وَعُمْرَتَنَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ هَدْيٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا صَوْمٌ [ص ٢٤٤] ابْنُ حَزْمٍ عَنْ النّاسِ . وَاَلّذِي عَلَيْهِ الصّحَابَةُ وَالتّابِعُونَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَنّ الْقَارِنَ يَلْزَمُهُ الْهَدْيُ كَمَا يَلْزَمُ الْمُتَمَتّعَ بَلْ هُوَ مُتَمَتّعٌ حَقِيقَةً فِي لِسَانِ الصّحَابَةِ كَمَا تَقَدّمَ وَأَمّا هَذَا الْحَدِيثُ فَالصّحِيحُ أَنّ هَذَا الْكَلَامَ الْأَخِيرَ مِنْ قَوْلِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مُصَرّحًا بِهِ فَقَالَ حَدّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا . .. فَذَكَرَتْ الْحَدِيثَ . وَفِي آخِرِهِ قَالَ عُرْوَةُ فِي ذَلِكَ إنّهُ قَضَى اللّهُ حَجّهَا وَعُمْرَتَهَا . قَالَ هِشَامٌ : وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ هَدْيٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ . قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ : إنْ كَانَ وَكِيعٌ جَعَلَ هَذَا الْكَلَامَ لِهِشَامٍ ، فَابْنُ نُمَيْرٍ ، وَعَبَدَةُ أَدْخَلَاهُ فِي كَلَامِ عَائِشَةَ ، وَكُلّ مِنْهُمَا ثِقَةٌ فَوَكِيعٌ نَسَبَهُ إلَى هِشَامٍ ، لِأَنّهُ سَمِعَ هِشَامًا يَقُولُهُ وَلَيْسَ

قَوْلُ هِشَامٍ إِيّاهُ بِدَافِعٍ أَنْ تَكُونَ عَائِشَةُ قَالَتْهُ فَقَدْ يَرْوِي الْمَرْءُ حَدِيثًا يُسْنِدُهُ ثُمّ يُفْتِي بِهِ دُونَ أَنْ يُسْنِدَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا بِمُتَدَافِعٍ وَإِنّمَا يَتَعَلّلُ بِمِثْلِ هَذَا مَنْ لَا يُنْصِفُ وَمَنْ اتّبَعَ هَوَاهُ وَالصّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ أَنّ كُلّ ثِقَةٍ فَمُصَدّقٌ فِيمَا نَقَلَ . فَإِذَا أَضَافَ عَبَدَةُ وَابْنُ نُمَيْرٍ الْقَوْلَ إلَى عَائِشَةَ ، صُدّقَا لِعَدَالَتِهِمَا . وَإِذَا أَضَافَهُ وَكِيعٌ إلَى هِشَامٍ ، صُدّقَ أَيْضًا لِعَدَالَتِهِ وَكُلّ صَحِيحٌ وَتَكُونُ عَائِشَةُ قَالَتْهُ وَهِشَامٌ قَالَهُ . قُلْت : هَذِهِ الطّرِيقَةُ هِيَ اللّائِقَةُ بِظَاهِرِيّتِهِ وَظَاهِرِيّةِ أَمْثَالِهِ مِمّنْ لَا فِقْهَ لَهُ فِي عِلَلِ الْأَحَادِيثِ كَفِقْهِ الْأَئِمّةِ النّقّادِ أَطِبّاءِ عِلَلِهِ وَأَهْلِ الْعِنَايَةِ بِهَا ، وَهَؤُلَاءِ لَا [ص ٢٤٥] وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنّ عَبَدَةَ وَابْنَ نُمَيْرٍ لَمْ يَقُولَا فِي هَذَا الْكَلَامِ قَالَتْ عَائِشَةُ ، وَإِنّمَا أَدْرَجَاهُ فِي الْحَدِيثِ إدْرَاجًا ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِمَا ، أَوْ مِنْ كَلَامِ عُرْوَةَ أَوْ مِنْ هِشَامٍ ، فَجَاءَ وَكِيعٌ ، فَفَصّلَ وَمَيّزَ وَمَنْ فَصّلَ وَمَيّزَ فَقَدْ حَفِظَ وَأَتْقَنَ مَا أَطْلَقَهُ غَيْرُهُ نَعَمْ لَوْ قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ وَعَبَدَةُ : قَالَتْ عَائِشَةُ ، وَقَالَ وَكِيعٌ : قَالَ هِشَامٌ ، لَسَاغَ مَا قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ وَكَانَ مَوْضِعَ نَظَرٍ وَتَرْجِيحٍ . وَأَمّا كَوْنُهُنّ تِسْعًا وَهِيَ بَقَرَةٌ وَاحِدَةٌ فَهَذَا قَدْ جَاءَ بِثَلَاثَةِ أَلْفَاظٍ أَحَدُهَا أَنّهَا بَقَرَةٌ وَاحِدَةٌ بَيْنَهُنّ وَالثّانِي : أَنّهُ ضَحّى عَنْهُنّ يَوْمَئِذٍ بِالْبَقَرَةِ وَالثّالِثُ دَخَلَ عَلَيْنَا يَوْمَ النّحْرِ بِلَحْمِ بَقَرٍ فَقُلْتُ مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ ذَبَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ أَزْوَاجِهِ وَقَدْ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي عَدَدِ مَنْ تُجْزِئُ عَنْهُمْ الْبَدَنَةُ وَالْبَقَرَةُ فَقِيلَ سَبْعَةٌ وَهُوَ قَوْلُ الشّافِعِيّ ، وَأَحْمَدَ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ وَقِيلَ عَشَرَةٌ وَهُوَ قَوْلُ إسْحَاقَ . وَقَدْ ثَبَتَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ الْمَغَانِمَ فَعَدَلَ الْجَزُورَ بِعَشْرِ شِيَاهٍ وَثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ضَحّى عَنْ نِسَائِهِ وَهُنّ تِسْعٌ بِبَقَرَةٍ وَقَدْ رَوَى سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنّهُمْ نَحَرُوا الْبَدَنَةَ فِي حَجّهِمْ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ عَشَرَةٍ وَهُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجْهُ وَإِنّمَا أَخْرَجَ قَوْلَهُ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُهِلّينَ بِالْحَجّ مَعَنَا النّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ فَلَمّا قَدِمْنَا مَكّةَ ، طُفْنَا بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَأَمَرَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ نَشْتَرِكَ فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ كُلّ سَبْعَةٍ مِنّا فِي بَدَنَةٍ . [ص ٢٤٦] الْمُسْنَدِ " : مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ : كُنّا مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَ الْأَضْحَى ، فَاشْتَرَكْنَا فِي الْبَقَرَةِ سَبْعَةً وَفِي الْجَزُورِ عَشَرَةً وَرَوَاهُ النّسَائِيّ وَالتّرْمِذِيّ ، وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْهُ نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ ، الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ وَقَالَ حُذَيْفَةُ : شَرّكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّتِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَقَرَةِ عَنْ سَبْعَةٍ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ . وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُخَرّجُ عَلَى أَحَدِ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ إمّا أَنْ يُقَالَ أَحَادِيثُ السّبْعَةِ أَكْثَرُ وَأَصَحّ ، وَإِمّا أَنْ يُقَالَ عَدْلُ الْبَعِيرِ بِعَشَرَةٍ مِنْ الْغَنَمِ تَقْوِيمٌ فِي الْغَنَائِمِ لِأَجْلِ تَعْدِيلِ الْقِسْمَةِ وَأَمّا كَوْنُهُ عَنْ سَبْعَةٍ فِي الْهَدَايَا ، فَهُوَ تَقْدِيرٌ شَرْعِيّ ، وَإِمّا أَنْ يُقَالَ إنّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمِنَةِ . وَالْأَمْكِنَةِ وَالْإِبِلِ فَفِي بَعْضِهَا كَانَ الْبَعِيرُ يَعْدِلُ عَشْرَ شِيَاهٍ فَجَعَلَهُ عَنْ عَشَرَةٍ وَفِي بَعْضِهَا يَعْدِلُ سَبْعَةً فَجَعَلَهُ عَنْ سَبْعَةٍ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ : إنّهُ ذَبَحَ عَنْ نِسَائِهِ بَقَرَةً لِلْهَدْيِ وَضَحّى عَنْهُنّ بِبَقَرَةٍ وَضَحّى عَنْ نَفْسِهِ بِكَبْشَيْنِ وَنَحَرَ عَنْ نَفْسِهِ ثَلَاثًا وَسِتّينَ هَدْيًا ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْوَهْمِ وَلَمْ تَكُنْ بَقَرَةُ الضّحِيّةِ غَيْرَ بَقَرَةِ الْهَدْيِ بَلْ هِيَ هِيَ وَهَدْيُ الْحَاجّ بِمَنْزِلَةِ ضَحِيّةِ الْآفَاقِيّ . [ص ٢٤٧]

فَصْلٌ [مَكّةُ كُلّهَا مَنْحَرٌ وَمِنًى مُنَاخٌ لِمَنْ سَبَقَ إلَيْهِ]

وَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْحَرِهِ بِمِنًى ، وَأَعْلَمَهُمْ " أَنَّ مِنًى كُلَّهَا مَنْحَرٌ وَأَنَّ فِجَاجَ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ " وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّحْرَ لَا يَخْتَصُّ بِمِنًى ، بَلْ حَيْثُ نَحَرَ مِنْ فِجَاجِ مَكَّةَ أَجْزَأَهُ كَمَا أَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَالَ وَقَفْتُ هَا هُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ وَوَقَفَ بِمُزْدَلِفَةَ ، وَقَالَ وَقَفْتُ هَا هُنَا وَمُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى لَهُ بِمِنًى بِنَاءٌ يُظِلُّهُ مِنَ الْحَرِّ فَقَالَ لَا ، مِنًى مُنَاخٌ لِمَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اشْتِرَاكِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا ، وَأَنَّ مَنْ سَبَقَ إِلَى مَكَانٍ مِنْهَا ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ عَنْهُ وَلَا يَمْلِكُهُ بِذَلِكَ .
نَحْرِ الْبَقَرَةِ عَنْهُنَّ وَهُنَّ تِسْعٌ إِشْكَالٌ وَهُوَ إِجْزَاءُ الْبَقَرَةِ عَنْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةٍ .
فصل [الْحَلْقُ وَالتَّقْصِيرُ]
فَلَمَّا أَكْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْرَهُ اسْتَدْعَى بِالْحَلَّاقِ فَحَلَقَ رَأْسَهُ فَقَالَ لِلْحَلَّاقِ - وَهُوَ مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالْمُوسَى وَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ - وَقَالَ يَا مَعْمَرُ أَمْكَنَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَفِي يَدِكَ الْمُوسَى فَقَالَ مَعْمَرٌ أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيَّ وَمَنِّهِ . قَالَ أَجَلْ إِذًا أُقِرُّ لَكَ [ص ٢٤٨] ذَكَرَ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي " صَحِيحِهِ " وَزَعَمُوا أَنَّ الَّذِي حَلَقَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ عَوْفٍ انْتَهَى . فَقَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَسَمَ شَعْرَهُ بَيْنَ مَنْ يَلِيهِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحَلَّاقِ فَحَلَقَ جَانِبَهُ الْأَيْسَرَ ثُمَّ قَالَ هَا هُنَا أَبُو طَلْحَةَ ؟ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ هَكَذَا وَقَعَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " . وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " : عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ وَهَذَا لَا يُنَاقِضُ رِوَايَةَ مُسْلِمٍ ، لِجَوَازِ أَنْ يُصِيبَ أَبَا طَلْحَةَ مِنَ الشِّقِّ الْأَيْمَنِ مِثْلُ مَا أَصَابَ غَيْرَهُ وَيَخْتَصَّ بِالشِّقِّ الْأَيْسَرِ لَكِنْ قَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، قَالَ لَمَّا رَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمْرَةَ وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ نَاوَلَ الْحَلَّاقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الْأَيْسَرَ فَقَالَ احْلِقْ . فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ ، فَقَالَ اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ . فَفِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ كَمَا تَرَى أَنَّ نَصِيبَ أَبِي طَلْحَةَ كَانَ الشِّقَّ الْأَيْمَنَ وَفِي الْأُولَى : أَنَّهُ كَانَ الْأَيْسَرَ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَقْدِسِيُّ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ ، وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ شَعْرَ شِقِّهِ الْأَيْسَرِ [ص ٢٤٩] سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ، أَنَّهُ دَفَعَ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ شَعْرَ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ . قَالَ وَرِوَايَةُ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أُرَاهَا تُقَوِّي رِوَايَةَ سُفْيَانَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قُلْت : يُرِيدُ بِرِوَايَةِ ابْنِ عَوْنٍ ، مَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ ، وَجَعْلَ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ أَبُو طَلْحَةَ ، هُوَ الشِّقَّ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالَّذِي يَقْوَى أَنَّ نَصِيبَ أَبِي طَلْحَةَ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ كَانَ الشِّقَّ الْأَيْسَرَ وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّ ثُمَّ خَصَّ وَهَذِهِ كَانَتْ سُنَّتَهُ فِي عَطَائِهِ وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ فَإِنَّ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ قَالَ لِلْحَلَّاقِ " خُذْ " وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ، فَقَسَمَ شَعْرَهُ بَيْنَ مَنْ يَلِيهِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحَلَّاقِ إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَا يُعَارِضُ هَذَا دَفْعُهُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ ، فَإِنَّهَا امْرَأَتُهُ . وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فَبَدَأَ بِالشِّقِّ

الْأَيْمَنِ فَوَزّعَهُ الشّعْرَةَ وَالشّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النّاسِ ثُمّ قَالَ بِالْأَيْسَرِ فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمّ قَالَ هَا هُنَا أَبُو طَلْحَةَ ؟ فَدَفَعَهُ إلَيْهِ . وَفِي لَفْظٍ ثَالِثٍ دَفَعَ إلَى أَبِي طَلْحَةَ شَعْرَ شِقّ رَأْسِهِ الْأَيْسَرِ ثُمّ قَلّمَ أَظْفَارَهُ وَقَسَمَهَا بَيْنَ النّاسِ . وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنّ أَبَاهُ حَدّثَهُ أَنّهُ شَهِدَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ الْمَنْحَرِ وَرَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ يَقْسِمُ أَضَاحِيّ فَلَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ وَلَا صَاحِبَهُ فَحَلَقَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ فَأَعْطَاهُ فَقَسَمَ مِنْهُ عَلَى رِجَالٍ وَقَلّمَ أَظْفَارَهُ فَأَعْطَاهُ صَاحِبَهُ قَالَ فَإِنّهُ عِنْدَنَا مَخْضُوبٌ بِالْحِنّاءِ وَالْكَتَمِ يَعْنِي شَعْرَهُ وَدَعَا لِلْمُحَلّقِينَ بِالْمَغْفِرَةِ ثَلَاثًا ، وَلِلْمُقَصّرِينَ مَرّةً وَحَلَقَ كَثِيرٌ مِنْ الصّحَابَةِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ وَقَصّرَ بَعْضُهُمْ وَهَذَا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : { لَتَدْخُلُنّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ مُحَلّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ } [الْفَتْحُ ٢٧] وَمَعَ قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ، طَيّبْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ وَلِإِحْلَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَحِلّ [ص ٢٥٠]

فَصْلٌ [تَرْجِيحُ الْمُصَنّفِ بِأَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَطُفْ غَيْرَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ بَعْدَ إفَاضَتِهِ إلَى مَكّةَ]

ثُمّ أَفَاضَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَكّةَ قَبْلَ الظّهْرِ رَاكِبًا ، فَطَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ وَهُوَ طَوَافُ الزّيَارَةِ وَهُوَ طَوَافُ الصّدَرِ وَلَمْ يَطُفْ غَيْرَهُ وَلَمْ يَسْعَ مَعَهُ هَذَا هُوَ الصّوَابُ وَقَدْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ ثَلَاثُ طَوَائِفَ طَائِفَةٌ زَعَمَتْ أَنّهُ طَافَ طَوَافَيْنِ طَوَافًا لِلْقُدُومِ سِوَى طَوَافِ الْإِفَاضَةِ ثُمّ طَافَ لِلْإِفَاضَةِ وَطَائِفَةٌ زَعَمَتْ أَنّهُ سَعَى مَعَ هَذَا الطّوَافِ لِكَوْنِهِ كَانَ قَارِنًا ، وَطَائِفَةٌ زَعَمَتْ أَنّهُ لَمْ يَطُفْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَإِنّمَا أَخّرَ طَوَافَ الزّيَارَةِ إلَى اللّيْلِ فَنَذْكُرُ الصّوَابَ فِي ذَلِكَ وَنُبَيّنُ مَنْشَأَ الْغَلَطِ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . قَالَ الْأَثْرَمُ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللّهِ فَإِذَا رَجَعَ أَعْنِي الْمُتَمَتّعَ كَمْ يَطُوفُ وَيَسْعَى ؟ قَالَ يَطُوفُ وَيَسْعَى لِحَجّهِ وَيَطُوفُ طَوَافًا آخَرَ لِلزّيَارَةِ عَاوَدْنَاهُ فِي هَذَا غَيْرَ مَرّةٍ فَثَبَتَ عَلَيْهِ . قَالَ الشّيْخُ أَبُو مُحَمّدٍ الْمَقْدِسِيّ فِي " الْمُغْنِي " : وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الْقَارِنِ وَالْمُفْرِدِ إذَا لَمْ يَكُونَا أَتَيَا مَكّةَ قَبْلَ يَوْمِ النّحْرِ وَلَا طَافَا لِلْقُدُومِ فَإِنّهُمَا يَبْدَآنِ بِطَوَافِ الْقُدُومِ قَبْلَ طَوَافِ الزّيَارَةِ نَصّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ وَاحْتَجّ بِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ فَطَافَ الّذِينَ أَهَلّوا بِالْعُمْرَةِ بِالْبَيْتِ ، وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمّ حَلّوا ، ثُمّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى لِحَجّهِمْ وَأَمّا الّذِينَ جَمَعُوا الْحَجّ وَالْعُمْرَةَ فَإِنّمَا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا ، فَحَمَلَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ قَوْلَ عَائِشَةَ ، عَلَى أَنّ طَوَافَهُمْ لِحَجّهِمْ هُوَ طَوَافُ الْقُدُومِ ، قَالَ وَلِأَنّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنّ طَوَافَ الْقُدُومِ مَشْرُوعٌ فَلَمْ يَكُنْ طَوَافُ الزّيَارَةِ مُسْقِطًا لَهُ كَتَحِيّةِ الْمَسْجِدِ عِنْدَ دُخُولِهِ قَبْلَ التّلَبّسِ بِالصّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ . وَقَالَ الْخِرَقِيّ فِي " مُخْتَصَرِهِ " وَإِنْ كَانَ مُتَمَتّعًا ، فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا كَمَا فَعَلَ لِلْعُمْرَةِ ثُمّ يَعُودُ فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ طَوَافًا يَنْوِي بِهِ [ص ٢٥١] { وَلْيَطّوّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } [الْحَجّ : ٢٩] فَمَنْ قَالَ إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ مُتَمَتّعًا كَالْقَاضِي وَأَصْحَابِهِ عِنْدَهُمْ هَكَذَا فَعَلَ وَالشّيْخُ أَبُو مُحَمّدٍ عِنْدَهُ أَنّهُ كَانَ مُتَمَتّعًا التّمَتّعَ الْخَاصّ وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا ، قَالَ وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا وَافَقَ أَبَا عَبْدِ اللّهِ عَلَى هَذَا الطّوَافِ الّذِي ذَكَرَهُ الْخِرَقِيّ ، بَلْ الْمَشْرُوعُ طَوَافٌ وَاحِدٌ لِلزّيَارَةِ كَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَقَدْ أُقِيمَتْ الصّلَاةُ فَإِنّهُ يَكْتَفِي بِهَا عَنْ تَحِيّةِ الْمَسْجِدِ وَلِأَنّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا أَصْحَابِهِ الّذِينَ تَمَتّعُوا مَعَهُ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ وَلَا أَمَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهِ أَحَدًا ، قَالَ

وَحَدِيثُ عَائِشَةَ دَلِيلٌ عَلَى هَذَا ، فَإِنَّهَا قَالَتْ طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى لِحَجِّهِمْ وَهَذَا هُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ وَلَمْ تَذْكُرْ طَوَافًا آخَرَ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَتْهُ طَوَافَ الْقُدُومِ ، لَكَانَتْ قَدْ أَخَلَّتْ بِذِكْرِ طَوَافِ الزِّيَارَةِ الَّذِي هُوَ رُكْنُ الْحَجِّ الَّذِي لَا يَتِمّ إلَّا بِهِ وَذَكَرَتْ مَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَمَا ذَكَرَتْ إلَّا طَوَافًا وَاحِدًا ، فَمِنْ أَيْنَ يُسْتَدَلّ بِهِ عَلَى طَوَافَيْنِ ؟ وَأَيْضًا ، فَإِنَّهَا لَمَّا حَاضَتْ فَقَرَنَتْ الْحَجّ إلَى الْعُمْرَةِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ تَكُنْ طَافَتْ لِلْقُدُومِ لَمْ تَطُفْ لِلْقُدُومِ وَلَا أَمَرَهَا بِهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنّ طَوَافَ الْقُدُومِ لَوْ لَمْ يَسْقُطْ بِالطَّوَافِ الْوَاجِبِ لَشُرِعَ فِي حَقّ الْمُعْتَمِرِ طَوَافُ الْقُدُومِ مَعَ طَوَافِ الْعُمْرَةِ لِأَنَّهُ أَوّلُ قُدُومِهِ إلَى الْبَيْتِ ، فَهُوَ بِهِ أَوْلَى مِنْ الْمُتَمَتِّعِ الَّذِي يَعُودُ إلَى الْبَيْتِ بَعْدَ رُؤْيَتِهِ وَطَوَافِهِ بِهِ . انْتَهَى كَلَامُهُ . قُلْت : لَمْ يَرْفَعْ كَلَامُ أَبِي مُحَمّدٍ الْإِشْكَالَ وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَنْكَرَهُ هُوَ الْحَقّ كَمَا أَنْكَرَهُ وَالصّوَابُ فِي إنْكَارِهِ فَإِنّ أَحَدًا لَمْ يَقُلْ إنّ الصّحَابَةَ لَمّا رَجَعُوا مِنْ عَرَفَة ، طَافُوا لِلْقُدُومِ وَسَعَوْا ، ثُمّ طَافُوا لِلْإِفَاضَةِ بَعْدَهُ وَلَا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذَا لَمْ يَقَعْ قَطْعًا ، وَلَكِنْ كَانَ مَنْشَأُ الْإِشْكَالِ أَنّ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ فَرّقَتْ بَيْنَ الْمُتَمَتّعِ وَالْقَارِنِ فَأَخْبَرَتْ أَنّ الْقَارِنِينَ طَافُوا بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى طَوَافًا وَاحِدًا ، وَأَنّ الّذِينَ أَهَلّوا بِالْعُمْرَةِ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى لِحَجّهِمْ وَهَذَا غَيْرُ طَوَافِ الزّيَارَةِ قَطْعًا ، فَإِنّهُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْقَارِنُ وَالْمُتَمَتّعُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِيهِ وَلَكِنّ الشّيْخَ أَبَا [ص ٢٥٢] ، لَمّا رَأَى قَوْلَهَا فِي الْمُتَمَتّعِينَ إنّهُمْ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى ، قَالَ لَيْسَ فِي هَذَا مَا يَدُلّ عَلَى أَنّهُمْ طَافُوا طَوَافَيْنِ وَاَلّذِي قَالَهُ حَقّ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرْفَعْ الْإِشْكَالَ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ هَذِهِ الزّيَادَةُ مِنْ كَلَامِ عُرْوَةَ أَوْ ابْنِهِ هِشَامٍ ، أُدْرِجَتْ فِي الْحَدِيثِ وَهَذَا لَا يَتَبَيّنُ وَلَوْ كَانَ فَغَايَتُهُ أَنّهُ مُرْسَلٌ وَلَمْ يَرْتَفِعْ الْإِشْكَالُ عَنْهُ بِالْإِرْسَالِ . فَالصّوَابُ أَنّ الطّوَافَ الّذِي أَخْبَرَتْ بِهِ عَائِشَةُ ، وَفَرّقَتْ بِهِ بَيْنَ الْمُتَمَتّعِ وَالْقَارِنِ هُوَ الطّوَافُ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، لَا الطّوَافُ بِالْبَيْتِ ، وَزَالَ الْإِشْكَالُ جُمْلَةً فَأَخْبَرَتْ عَنْ الْقَارِنِينَ أَنّهُمْ اكْتَفَوْا بِطَوَافٍ وَاحِدٍ بَيْنَهُمَا ، لَمْ يُضِيفُوا إلَيْهِ طَوَافًا آخَرَ يَوْمَ النّحْرِ وَهَذَا هُوَ الْحَقّ ، وَأَخْبَرَتْ عَنْ الْمُتَمَتّعِينَ أَنّهُمْ طَافُوا بَيْنَهُمَا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ الرّجُوعِ مِنْ مِنًى لِلْحَجّ وَذَلِك الْأَوّلُ كَانَ لِلْعُمْرَةِ وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَتَنْزِيلُ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا مُوَافِقٌ لِحَدِيثِهَا الْآخَرَ وَهُوَ قَوْلُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسَعُكِ طَوَافُكِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ لِحَجّكِ وَعُمْرَتِكِ " ، وَكَانَتْ قَارِنَةً يُوَافِقُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ لِحَجّكِ وَعُمْرَتِكِ وَكَانَتْ قَارِنَةً يُوَافِقُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ . وَلَكِنْ يَشْكُلُ عَلَيْهِ حَدِيثُ جَابِرٍ الّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " لَمْ يَطُفْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَلَا أَصْحَابُهُ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ إلّا طَوَافًا وَاحِدًا ، طَوَافَهُ الْأَوّلَ . هَذَا يُوَافِقُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ يَكْفِي الْمُتَمَتّعَ سَعْيٌ وَاحِدٌ كَمَا هُوَ إحْدَى الرّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللّهُ نَصّ عَلَيْهَا فِي رِوَايَةِ ابْنِهِ عَبْدِ اللّهِ وَغَيْرِهِ وَعَلَى هَذَا ، فَيُقَالُ عَائِشَةُ أَثْبَتَتْ وَجَابِرٌ نَفَى ، وَالْمُثْبِتُ مُقَدّمٌ عَلَى النّافِي . أَوْ يُقَالُ مُرَادُ جَابِرٍ مَنْ قَرَنَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَاقَ الْهَدْيَ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَطَلْحَةَ وَعَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَذَوِي الْيَسَارِ فَإِنّهُمْ إنّمَا سَعَوْا سَعْيًا وَاحِدًا . وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ عُمُومَ الصّحَابَةِ أَوْ يُعَلّلُ حَدِيثُ عَائِشَةَ ، بِأَنّ تِلْكَ الزّيَادَةَ فِيهِ مُدْرَجَةٌ مِنْ قَوْلِ هِشَامٍ وَهَذِهِ ثَلَاثُ طُرُقٍ لِلنّاسِ فِي حَدِيثِهَا وَاَللّهُ أَعْلَمُ . [ص ٢٥٣]

[رَدّ الْقَوْلِ بِالطّوَافِ وَالسّعْيِ لِلْقُدُومِ بَعْدَ إحْرَامِ الْمُتَمَتّعِ بِالْحَجّ مِنْ مَكّةَ]

وَأَمّا مَنْ قَالَ الْمُتَمَتِّعُ يَطُوفُ وَيَسْعَى لِلْقُدُومِ بَعْدَ إحْرَامِهِ بِالْحَجّ قَبْلَ خُرُوجِهِ إلَى مِنًى ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الشّافِعِيّ ، وَلَا أَدْرِي أَهُوَ مَنْصُوصٌ عَنْهُ أَمْ لَا ؟ قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ فَهَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الصّحَابَةِ أَلْبَتّةَ وَلَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ ، قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ لَا أَرَى لِأَهْلِ مَكّةَ أَنْ يَطُوفُوا ، وَلَا أَنْ يَسْعَوْا بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ بَعْدَ إحْرَامِهِمْ بِالْحَجّ حَتّى يَرْجِعُوا مِنْ مِنًى . وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبّاسٍ قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَمَالِكٍ ، وَأَحْمَدَ ، وَأَبِي حَنِيفَةَ وَإِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ . وَالّذِينَ اسْتَحَبّوهُ قَالُوا : لَمّا أَحْرَمَ بِالْحَجّ صَارَ كَالْقَادِمِ فَيَطُوفُ وَيَسْعَى لِلْقُدُومِ . قَالُوا : وَلِأَنّ الطّوَافَ الْأَوّلَ وَقَعَ عَنْ الْعُمْرَةِ فَيَبْقَى طَوَافُ الْقُدُومِ ، وَلَمْ يَأْتِ بِهِ فَاسْتُحِبّ لَهُ فِعْلُهُ عَقِيبَ الْإِحْرَامِ بِالْحَجّ وَهَاتَانِ الْحُجّتَانِ وَاهِيَتَانِ فَإِنّهُ إنّمَا كَانَ قَارِنًا لَمّا طَافَ لِلْعُمْرَةِ فَكَانَ طَوَافُهُ لِلْعُمْرَةِ مُغْنِيًا عَنْ طَوَافِ الْقُدُومِ ، كَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى الصّلَاةَ قَائِمَةً فَدَخَلَ فِيهَا ، فَقَامَتْ مَقَامَ تَحِيّةِ الْمَسْجِدِ وَأَغْنَتْهُ عَنْهَا . وَأَيْضًا فَإِنّ الصّحَابَةَ لَمّا أَحْرَمُوا بِالْحَجّ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَطُوفُوا عَقِيبَهُ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مُتَمَتّعًا . وَرَوَى مُحَمّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، أَنّهُ إنْ أَحْرَمَ يَوْمَ التّرْوِيَةِ قَبْلَ الزّوَالِ طَافَ وَسَعَى لِلْقُدُومِ وَإِنْ أَحْرَمَ بَعْدَ الزّوَالِ لَمْ يَطُفْ وَفَرّقَ بَيْنَ الْوَقْتَيْنِ بِأَنّهُ بَعْدَ الزّوَالِ يَخْرُجُ مِنْ فَوْرِهِ إلَى مِنًى ، فَلَا يَشْتَغِلُ عَنْ الْخُرُوجِ [ص ٢٥٤] ابْنِ عَبّاسٍ وَالْجُمْهُورِ هُوَ الصّحِيحُ الْمُوَافِقُ لِعَمَلِ الصّحَابَةِ وَبِاللّهِ التّوْفِيقُ .

فَصْلٌ [الرّدّ عَلَى مَنْ قَالَ إنّ الْقَارِنَ يَحْتَاجُ إلَى سَعْيَيْنِ]

وَالطّائِفَةُ الثّانِيَةُ قَالَتْ إنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَعَى مَعَ هَذَا الطّوَافِ وَقَالُوا : هَذَا حُجّةٌ فِي أَنّ الْقَارِنَ يَحْتَاجُ إلَى سَعْيَيْنِ كَمَا يَحْتَاجُ إلَى طَوَافَيْنِ وَهَذَا غَلَطٌ عَلَيْهِ كَمَا تَقَدّمَ وَالصّوَابُ أَنّهُ لَمْ يَسْعَ إلّا سَعْيَهُ الْأَوّلَ كَمَا قَالَتْهُ عَائِشَةُ ، وَجَابِرٌ ، وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ فِي السّعْيَيْنِ حَرْفٌ وَاحِدٌ بَلْ كُلّهَا بَاطِلَةٌ كَمَا تَقَدّمَ فَعَلَيْك بِمُرَاجَعَتِهِ . وَالطّائِفَةُ الثّالِثَةُ الّذِينَ قَالُوا : أَخّرَ طَوَافَ الزّيَارَةِ إلَى اللّيْلِ وَهُمْ طَاوُوسٌ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَعُرْوَةُ ، فَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُد " ، وَالنّسَائِيّ ، وَابْنِ مَاجَهْ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزّبَيْرِ الْمَكّيّ ، عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبّاسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخّرَ طَوَافَهُ يَوْمَ النّحْرِ إلَى اللّيْلِ وَفِي لَفْظٍ طَوَافُ الزّيَارَةِ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَهَذَا الْحَدِيثُ غَلَطٌ بَيّنٌ خِلَافُ الْمَعْلُومِ مِنْ فِعْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِي لَا يَشُكّ فِيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ بِحَجّتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنَحْنُ نَذْكُرُ كَلَامَ النّاسِ فِيهِ قَالَ التّرْمِذِيّ فِي كِتَابِ " الْعِلَلِ " لَهُ سَأَلْت مُحَمّدَ بْنَ إسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَقُلْت لَهُ أَسَمِعَ أَبُو الزّبَيْرِ مِنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبّاسٍ ؟ قَالَ أَمّا مِنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، فَنَعَمْ وَفِي سَمَاعِهِ مِنْ عَائِشَةَ [ص ٢٥٥] وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَطّانُ : عِنْدِي أَنّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ إنّمَا طَافَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَئِذٍ نَهَارًا ، وَإِنّمَا اخْتَلَفُوا : هَلْ صَلّى الظّهْرَ بِمَكّةَ أَوْ رَجَعَ إلَى مِنًى ، فَصَلّى الظّهْرَ بِهَا بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ ؟ فَابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إنّهُ رَجَعَ إلَى مِنًى ، فَصَلّى الظّهْرَ بِهَا ، وَجَابِرٌ يَقُولُ : إنّهُ صَلّى الظّهْرَ بِمَكّةَ ، وَهُوَ ظَاهِرُ حَدِيثِ عَائِشَةَ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ أَبِي الزّبَيْرِ هَذِهِ الّتِي فِيهَا أَنّهُ أَخّرَ الطّوَافَ إلَى اللّيْلِ وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُرْوَ إلّا مِنْ هَذَا الطّرِيقِ وَأَبُو الزّبَيْرِ مُدَلّسٌ لَمْ يَذْكُرْ هَا هُنَا سَمَاعًا مِنْ عَائِشَةَ وَقَدْ عَهِدَ أَنّهُ يَرْوِي عَنْهَا بِوَاسِطَةٍ وَلَا عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَيْضًا ، فَقَدْ عَهِدَ كَذَلِكَ أَنّهُ يَرْوِي عَنْهُ بِوَاسِطَةٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ سَمِعَ مِنْهُ فَيَجِبُ التّوَقّفُ فِيمَا يَرْوِيهِ أَبُو الزّبِيرِ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبّاسٍ مِمّا لَا يَذْكُرُ فِيهِ سَمَاعَهُ

مِنْهُمَا ، لِمَا عُرِفَ بَهْ مِنَ التَّدْلِيسِ لَوْ عُرِفَ سَمَاعُهُ مِنْهَا لِغَيْرِ هَذَا ، فَأَمَّا وَلَمْ يَصِحَّ لَنَا أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ فَالْأَمْرُ بَيِّنٌ فِي وُجُوبِ التَّوَقُّفِ فِيهِ وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ فِي قَبُولِ حَدِيثِ الْمُدَلِّسِ إِذَا كَانَ عَمَّنْ قَدْ عُلِمَ لِقَاؤُهُ لَهُ وَسَمَاعُهُ مِنْهُ هَا هُنَا . يَقُولُ قَوْمٌ يُقْبَلُ وَيَقُولُ آخَرُونَ يُرَدُّ مَا يُعَنْعِنُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الِاتِّصَالُ فِي حَدِيثٍ حَدِيثٍ وَأَمَّا مَا يُعَنْعِنُهُ الْمُدَلِّسُ عَمَّنْ لَمْ يُعْلَمْ لِقَاؤُهُ لَهُ وَلَا سَمَاعُهُ مِنْهُ فَلَا أَعْلَمُ الْخِلَافَ فِيهِ بِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ . وَلَوْ كُنَّا نَقُولُ بِقَوْلِ مُسْلِمٍ بِأَنَّ مُعَنْعَنَ الْمُتَعَاصِرِينَ مَحْمُولٌ عَلَى الِاتِّصَالِ وَلَوْ لَمْ يُعْلَمِ الْتِقَاؤُهُمَا ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي غَيْرِ الْمُدَلِّسِينَ . وَأَيْضًا فَلَمَّا قَدَّمْنَاهُ مِنْ صِحَّةِ طَوَافِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ نَهَارًا . وَالْخِلَافُ فِي رَدِّ حَدِيثِ الْمُدَلِّسِينَ حَتَّى يُعْلَمَ اتِّصَالُهُ أَوْ قَبُولُهُ حَتَّى يُعْلَمَ انْقِطَاعُهُ إِنَّمَا هُوَ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَا لَا شَكَّ فِي صِحَّتِهِ وَهَذَا قَدْ عَارَضَهُ مَا لَا شَكَّ فِي صِحَّتِهِ . انْتَهَى كَلَامُهُ . وَيَدُلُّ عَلَى غَلَطِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَضْنَا يَوْمَ النَّحْرِ وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص ٢٥٦] أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ فَزَارُوا الْبَيْتَ يَوْمَ النَّحْرِ ظَهِيرَةً وَزَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نِسَائِهِ لَيْلًا وَهَذَا غَلَطٌ أَيْضًا . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَأَصَحُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ حَدِيثُ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَحَدِيثُ جَابِرٍ وَحَدِيثُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ يَعْنِي : أَنَّهُ طَافَ نَهَارًا . قُلْتُ إِنَّمَا نَشَأَ الْغَلَطُ مِنْ تَسْمِيَةِ الطَّوَافِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَّرَ طَوَافَ الْوَدَاعِ إِلَى اللَّيْلِ كَمَا ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ . قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . .. فَذَكَرْتِ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَتْ فَنَزَلْنَا الْمُحَصَّبَ ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ اُخْرُجْ بِأُخْتِكَ مِنَ الْحَرَمِ ، ثُمَّ افْرُغَا مِنْ طَوَافِكُمَا ، ثُمَّ ائْتِيَانِي هَا هُنَا بِالْمُحَصَّبِ . قَالَتْ فَقَضَى اللَّهُ الْعُمْرَةَ وَفَرَغْنَا مِنْ طَوَافِنَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَأَتَيْنَاهُ بِالْمُحَصَّبِ فَقَالَ " فَرَغْتُمَا " ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ فَمَرَّ بِالْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ ثُمَّ ارْتَحَلَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَهَذَا هُوَ الطَّوَافُ الَّذِي أَخَّرَهُ إِلَى اللَّيْلِ بِلَا رَيْبٍ فَغَلِطَ فِيهِ أَبُو الزُّبَيْرِ أَوْ مَنْ حَدَّثَهُ بِهِ وَقَالَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ . وَلَمْ يَرْمُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الطَّوَافِ وَلَا فِي طَوَافِ الْوَدَاعِ وَإِنَّمَا رَمَلَ فِي طَوَافِ الْقُدُومِ [ص ٢٥٧]

فَصْلٌ [تَعْلِيلُ شُرْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا]

ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ بَعْدَ أَنْ قَضَى طَوَافَهُ وَهُمْ يَسْقُونَ فَقَالَ " لَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ لَنَزَلْتُ فَسَقَيْتُ مَعَكُمْ " ، ثُمَّ نَاوَلُوهُ الدَّلْوَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ فَقِيلَ هَذَا نَسْخٌ لِنَهْيِهِ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا ، وَقِيلَ بَلْ بَيَانٌ مِنْهُ أَنَّ النَّهْيَ عَلَى وَجْهِ الِاخْتِيَارِ وَتَرْكِ الْأَوْلَى ، وَقِيلَ بَلْ لِلْحَاجَةِ وَهَذَا أَظْهَرُ .

[طَافَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ]

وَهَلْ كَانَ فِي طَوَافِهِ هَذَا رَاكِبًا أَوْ مَاشِيًا ؟ فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْتِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ لِأَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَلِيُشْرِفَ وَلِيَسْأَلُوهُ فَإِنَّ النَّاسَ غَشُوهُ وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ وَهَذَا الطَّوَافُ لَيْسَ بِطَوَافِ الْوَدَاعِ فَإِنَّهُ كَانَ لَيْلًا ، وَلَيْسَ بِطَوَافِ

الْقُدُومِ لِوَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ قَدْ صَحّ عَنْهُ الرّمَلُ فِي طَوَافِ الْقُدُومِ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ قَطّ : رَمَلَتْ بَهْ رَاحِلَتُهُ وَإِنّمَا قَالُوا : رَمَلَ نَفْسُهُ . [ص ٢٥٨] وَالثّانِي : قَوْلُ الشّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ : أَفَضْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَمَا مَسّتْ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ حَتّى أَتَى جَمْعًا وَهَذَا ظَاهِرُهُ أَنّهُ مِنْ حِينِ أَفَاضَ مَعَهُ مَا مَسّتْ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إلَى أَنْ رَجَعَ وَلَا يَنْتَقِضُ هَذَا بِرَكْعَتَيْ الطّوَافِ فَإِنّ شَأْنَهُمَا مَعْلُومٌ . قُلْت : وَالظّاهِرُ أَنّ الشّرِيدَ بْنَ سُوَيْدٍ ، إنّمَا أَرَادَ الْإِفَاضَةَ مَعَهُ مِنْ عَرَفَة ، وَلِهَذَا قَالَ حَتّى أَتَى جَمْعًا وَهِيَ مُزْدَلِفَةُ ، وَلَمْ يُرِدْ الْإِفَاضَةَ إلَى الْبَيْتِ يَوْمَ النّحْرِ وَلَا يَنْتَقِضُ هَذَا بِنُزُولِهِ عِنْدَ الشّعْبِ حَيْنَ بَالَ ثُمّ رَكِبَ لِأَنّهُ لَيْسَ بِنُزُولِ مُسْتَقِرّ وَإِنّمَا مَسّتْ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ مَسّا عَارِضًا . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [أَيْنَ صَلّى صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الظّهْرَ حِينَ رُجُوعِهِ إلَى مِنًى]

ثُمّ رَجَعَ إلَى مِنًى ، وَاخْتُلِفَ أَيْنَ صَلّى الظّهْرَ يَوْمَئِذٍ فَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَفَاضَ يَوْمَ النّحْرِ ثُمّ رَجَعَ فَصَلّى الظّهْرَ بِمِنًى . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ جَابِرٍ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى الظّهْرَ بِمَكّةَ وَكَذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ . وَاخْتُلِفَ فِي تَرْجِيحِ أَحَدِ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ عَلَى الْآخَرِ فَقَالَ أَبُو مُحَمّدٍ ابْنُ حَزْمٍ [ص ٢٥٩] عَائِشَةَ وَجَابِرٍ أَوْلَى وَتَبِعَهُ عَلَى هَذَا جَمَاعَةٌ وَرَجّحُوا هَذَا الْقَوْلَ بِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا : أَنّهُ رِوَايَةُ اثْنَيْنِ وَهُمَا أَوْلَى مِنْ الْوَاحِدِ . الثّانِي : أَنّ عَائِشَةَ أَخَصّ النّاسِ بِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَهَا مِنْ الْقُرْبِ وَالِاخْتِصَاصِ بِهِ وَالْمَزِيّةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهَا . الثّالِثُ أَنّ سِيَاقَ جَابِرٍ لِحَجّةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَوّلِهَا إلَى آخِرِهَا ، أَتَمّ سِيَاقٍ وَقَدْ حَفِظَ الْقِصّةَ وَضَبَطَهَا ، حَتّى ضَبَطَ جُزْئِيّاتِهَا . حَتّى ضَبَطَ مِنْهَا أَمْرًا لَا يَتَعَلّقُ بِالْمَنَاسِكِ وَهُوَ نُزُولُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْلَةَ جَمْعٍ فِي الطّرِيقِ فَقَضَى حَاجَتَهُ عِنْدَ الشّعْبِ ثُمّ تَوَضّأَ وُضُوءًا خَفِيفًا ، فَمَنْ ضَبَطَ هَذَا الْقَدْرَ فَهُوَ بِضَبْطِ مَكَانِ صَلَاتِهِ يَوْمَ النّحْرِ أَوْلَى . الرّابِعُ أَنّ حَجّةَ الْوَدَاعِ كَانَتْ فِي آذَارٍ وَهُوَ تَسَاوِي اللّيْلِ وَالنّهَارِ وَقَدْ دَفَعَ مِنْ مُزْدَلِفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ إلَى مِنًى ، وَخَطَبَ بِهَا النّاسَ وَنَحَرَ بُدْنًا عَظِيمَةً وَقَسَمَهَا ، وَطُبِخَ لَهُ مِنْ لَحْمِهَا ، وَأَكَلَ مِنْهُ وَرَمَى الْجَمْرَةَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَتَطَيّبَ ثُمّ أَفَاضَ فَطَافَ وَشَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، وَمِنْ نَبِيذِ السّقَايَةِ وَوَقَفَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَسْقُونَ وَهَذِهِ أَعْمَالٌ تَبْدُو فِي الْأَظْهَرِ أَنّهَا لَا تَنْقَضِي فِي مِقْدَارٍ يُمْكِنُ مَعَهُ الرّجُوعُ إلَى مِنًى ، بِحَيْثُ يُدْرِكُ وَقْتَ الظّهْرِ فِي فَصْلِ آذَارٍ . الْخَامِسُ أَنّ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ جَارِيَانِ مَجْرَى النّاقِلِ وَالْمُبْقِي ، فَقَدْ كَانَتْ عَادَتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حَجّتِهِ الصّلَاةَ فِي مَنْزِلِهِ الّذِي هُوَ نَازِلٌ فِيهِ بِالْمُسْلِمِينَ فَجَرَى ابْنُ عُمَرَ عَلَى الْعَادَةِ وَضَبَطَ جَابِرٌ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا الْأَمْرَ الّذِي هُوَ خَارِجٌ عَنْ عَادَتِهِ فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَحْفُوظَ . وَرَجّحَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى قَوْلَ ابْنِ عُمَرَ لِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا : أَنّهُ لَوْ صَلّى الظّهْرَ بِمَكّةَ ، لَمْ تُصَلّ الصّحَابَةُ بِمِنًى وُحْدَانًا [ص ٢٦٠] أَحَدٌ قَطّ ، وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ : إنّهُ اسْتَنَابَ مَنْ يُصَلّي بِهِمْ وَلَوْلَا عِلْمُهُ أَنّهُ يَرْجِعُ إلَيْهِمْ فَيُصَلّي بِهِمْ . لَقَالَ إنْ حَضَرَتْ الصّلَاةُ وَلَسْتُ عِنْدَكُمْ فَلْيُصَلّ بِكُمْ فُلَانٌ وَحَيْثُ لَمْ يَقَعْ هَذَا وَلَا هَذَا ، وَلَا صَلّى الصّحَابَةُ هُنَاكَ وُحْدَانًا قَطْعًا ، وَلَا كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ إذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يُصَلّوا عِزِينَ عُلِمَ أَنّهُمْ صَلّوا مَعَهُ عَلَى عَادَتِهِمْ . الثّانِي : أَنّهُ لَوْ صَلّى بِمَكّةَ لَكَانَ خَلْفَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْبَلَدِ وَهُمْ مُقِيمُونَ وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يُتِمّوا صَلَاتَهُمْ وَلَمْ يُنْقَلْ أَنّهُمْ قَامُوا فَأَتَمّوا بَعْدَ سَلَامِهِ صَلَاتَهُمْ وَحَيْثُ لَمْ يُنْقَلْ هَذَا وَلَا هَذَا ، بَلْ هُوَ مَعْلُومُ الِانْتِفَاءِ قَطْعًا ، عُلِمَ أَنّهُ لَمْ يُصَلّ حِينَئِذٍ بِمَكّةَ . وَمَا يَنْقُلُهُ

بَعْضُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّهُ قَالَ يَا أَهْلَ مَكَّةَ أَتِمّوا صَلَاتَكُمْ فَإِنّا قَوْمٌ سَفْرٌ فَإِنّمَا قَالَهُ عَامَ الْفَتْحِ لَا فِي حَجّتِهِ . الثّالِثُ أَنّهُ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنّهُ لَمّا طَافَ رَكَعَ رَكْعَتَيْ الطّوَافِ وَمَعْلُومٌ أَنّ كَثِيرًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا خَلْفَهُ يَقْتَدُونَ بِهِ فِي أَفْعَالِهِ وَمَنَاسِكِهِ فَلَعَلّهُ لَمّا رَكَعَ رَكْعَتَيْ الطّوَافِ وَالنّاسُ خَلْفَهُ يَقْتَدُونَ بِهِ ظَنّ الظّانّ أَنّهَا صَلَاةُ الظّهْرِ وَلَا سِيّمَا إذَا كَانَ ذَلِكَ فِي وَقْتِ الظّهْرِ وَهَذَا الْوَهْمُ لَا يُمْكِنُ رَفْعُ احْتِمَالِهِ بِخِلَافِ صَلَاتِهِ بِمِنًى ، فَإِنّهَا لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَ الْفَرْضِ . الرّابِعُ أَنّهُ لَا يُحْفَظُ عَنْهُ فِي حَجّهِ أَنّهُ صَلّى الْفَرْضَ بِجَوْفِ مَكّةَ ، بَلْ إنّمَا كَانَ يُصَلّي بِمَنْزِلِهِ بِ الْأَبْطَحِ بِالْمُسْلِمِينَ مُدّةَ مُقَامِهِ كَانَ يُصَلّي بِهِمْ أَيْنَ نَزَلُوا لَا يُصَلّي فِي مَكَانٍ آخَرَ غَيْرِ الْمَنْزِلِ الْعَامّ . الْخَامِسُ أَنّ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ مُتّفَقٌ عَلَيْهِ وَحَدِيثُ جَابِرٍ مِنْ أَفْرَادِ مُسْلِمٍ . فَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ أَصَحّ مِنْهُ وَكَذَلِك هُوَ فِي إسْنَادِهِ فَإِنّ رُوَاتَهُ أَحْفَظُ وَأَشْهَرُ وَأَتْقَنُ فَأَيْنَ يَقَعُ حَاتِمُ بْنُ إسْمَاعِيلَ مِنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ الْعُمَرِيّ ، وَأَيْنَ يَقَعُ حِفْظُ جَعْفَرٍ مِنْ حِفْظِ نَافِعٍ ؟ السّادِسُ أَنّ حَدِيثَ عَائِشَةَ قَدْ اضْطَرَبَ فِي وَقْتِ طَوَافِهِ فَرُوِيَ عَنْهَا عَلَى [ص ٢٦١] طَافَ نَهَارًا ، الثّانِي : أَنّهُ أَخّرَ الطّوَافَ إلَى اللّيْلِ الثّالِثُ أَنّهُ أَفَاضَ مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ فَلَمْ يَضْبِطْ فِيهِ وَقْتَ الْإِفَاضَةِ وَلَا مَكَانَ الصّلَاةِ بِخِلَافِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ . السّابِعُ أَنّ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ أَصَحّ مِنْهُ بِلَا نِزَاعٍ فَإِنّ حَدِيثَ عَائِشَةَ مِنْ رِوَايَةِ مُحَمّدِ بْنِ إسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْهَا ، وَابْنُ إسْحَاقَ مُخْتَلَفٌ فِي الِاحْتِجَاجِ بِهِ وَلَمْ يُصَرّحْ بِالسّمَاعِ بَلْ عَنْعَنَهُ فَكَيْفَ يُقَدّمُ عَلَى قَوْلِ عُبَيْدِ اللّهِ حَدّثَنِي نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ . الثّامِنُ أَنّ حَدِيثَ عَائِشَةَ لَيْسَ بِالْبَيّنِ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى الظّهْرَ بِمَكّةَ ، فَإِنّ لَفْظَهُ هَكَذَا : أَفَاضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ حِينَ صَلّى الظّهْرَ ثُمّ رَجَعَ إلَى مِنًى ، فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيّامِ التّشْرِيقِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ إذَا زَالَتْ الشّمْسُ كُلّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ . فَأَيْنَ دَلَالَةُ هَذَا الْحَدِيثِ الصّرِيحَةُ عَلَى أَنّهُ صَلّى الظّهْرَ يَوْمَئِذٍ بِمَكّةَ وَأَيْنَ هَذَا فِي صَرِيحِ الدّلَالَةِ إلَى قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ أَفَاضَ يَوْمَ النّحْرِ ثُمّ صَلّى الظّهْرَ بِمِنًى ، يَعْنِي رَاجِعًا . وَأَيْنَ حَدِيثٌ اتّفَقَ أَصْحَابُ الصّحِيحِ عَلَى إخْرَاجِهِ إلَى حَدِيثٍ اُخْتُلِفَ فِي الِاحْتِجَاجِ بِهِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [ذِكْرُ طَوَافِ أُمّ سَلَمَةَ]

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَطَافَتْ أُمّ سَلَمَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى بَعِيرِهَا مِنْ وَرَاءِ النّاسِ وَهِيَ شَاكِيَةٌ اسْتَأْذَنَتْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَذِنَ لَهَا ، وَاحْتَجّ عَلَيْهِ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمّ سَلَمَةَ ، عَنْ أُمّ سَلَمَةَ قَالَتْ شَكَوْتُ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّي أَشْتَكِي ، فَقَالَ " طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ " قَالَتْ فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَئِذٍ يُصَلّي إلَى جَنْبِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقْرَأُ { وَالطّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ } وَلَا يَتَبَيّنُ أَنّ هَذَا الطّوَافَ هُوَ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ لِأَنّ [ص ٢٦٢] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَقْرَأْ فِي رَكْعَتَيْ ذَلِكَ الطّوَافِ بِالطّورِ وَلَا جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ بِالنّهَارِ بِحَيْثُ تَسْمَعُهُ أُمّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ النّاسِ وَقَدْ بَيّنَ أَبُو مُحَمّدٍ غَلَطَ مَنْ قَالَ إنّهُ أَخّرَهُ إلَى اللّيْلِ فَأَصَابَ فِي ذَلِكَ . وَقَدْ صَحّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْسَلَ بِأُمّ سَلَمَةَ لَيْلَةَ النّحْرِ ، فَرَمَتْ الْجَمْرَةَ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمّ مَضَتْ فَأَفَاضَتْ فَكَيْفَ يَلْتَئِمُ هَذَا مَعَ طَوَافِهَا يَوْمَ النّحْرِ وَرَاءَ النّاسِ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى جَانِبِ الْبَيْتِ يُصَلّي وَيَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ { وَالطّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ } ؟ هَذَا مِنْ الْمُحَالِ فَإِنّ هَذِهِ الصّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ كَانَتْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ أَوْ الْمَغْرِبِ أَوْ الْعِشَاءِ وَأَمّا أَنّهَا

كَانَتْ يَوْمَ النَّحْرِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْوَقْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَطْعًا ، فَهَذَا مِنْ وَهْمِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

[طَوَافُ عَائِشَةَ]

فَطَافَتْ عَائِشَةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ طَوَافًا وَاحِدًا ، وَسَعَتْ سَعْيًا وَاحِدًا أَجْزَأَهَا عَنْ حَجِّهَا وَعُمْرَتِهَا ، وَطَافَتْ صَفِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ حَاضَتْ فَأَجْزَأَهَا طَوَافُهَا ذَلِكَ عَنْ طَوَافِ الْوَدَاعِ وَلَمْ تُوَدِّعْ فَاسْتَقَرَّتْ سُنَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَرْأَةِ الطَّاهِرَةِ إِذَا حَاضَتْ قَبْلَ الطَّوَافِ - أَوْ قَبْلَ الْوُقُوفِ - أَنْ تَقْرِنَ وَتَكْتَفِيَ بِطَوَافٍ وَاحِدٍ وَسَعْيٍ وَاحِدٍ وَإِنْ حَاضَتْ بَعْدَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ اجْتَزَأَتْ بِهِ عَنْ طَوَافِ الْوَدَاعِ . [ص ٢٦٣]

فَصْلٌ [رَمْيُ الْجِمَارِ]

ثُمَّ رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مِنًى مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ فَبَاتَ بِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ انْتَظَرَ زَوَالَ الشَّمْسِ فَلَمَّا زَالَتْ مَشَى مِنْ رَحْلِهِ إِلَى الْجِمَارِ وَلَمْ يَرْكَبْ فَبَدَأَ بِالْجَمْرَةِ الْأُولَى الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ الْخَيْفِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ يَقُولُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ " اللَّهُ أَكْبَرُ " ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عَلَى الْجَمْرَةِ أَمَامَهَا حَتَّى أَسْهَلَ فَقَامَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا دُعَاءً طَوِيلًا بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ أَتَى إِلَى الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى ، فَرَمَاهَا كَذَلِكَ ثُمَّ انْحَدَرَ ذَاتَ الْيَسَارِ مِمَّا يَلِي الْوَادِيَ فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو قَرِيبًا مِنْ وُقُوفِهِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الثَّالِثَةَ وَهِيَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِيَ وَاسْتَعْرَضَ الْجَمْرَةَ فَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ كَذَلِكَ .

[التَّعْلِيلُ لِتَرْكِ الدُّعَاءِ بَعْدَ الْعَقَبَةِ]

وَلَمْ يَرْمِهَا مِنْ أَعْلَاهَا كَمَا يَفْعَلُ الْجُهَّالُ وَلَا جَعَلَهَا عَنْ يَمِينِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَقْتَ الرَّمْيِ كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ . فَلَمَّا أَكْمَلَ الرَّمْيَ رَجَعَ مِنْ فَوْرِهِ وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَهَا ، فَقِيلَ لِضِيقِ الْمَكَانِ بِالْجَبَلِ وَقِيلَ وَهُوَ أَصَحُّ : إِنَّ دُعَاءَهُ كَانَ فِي نَفْسِ الْعِبَادَةِ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْهَا ، فَلَمَّا رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ ، فَرَغَ الرَّمْيُ وَالدُّعَاءُ فِي صُلْبِ الْعِبَادَةِ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْهَا أَفْضَلُ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا ، وَهَذَا كَمَا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي دُعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ إِذْ كَانَ يَدْعُو فِي صُلْبِهَا ، فَأَمَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَثْبُت عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَادُ الدُّعَاءَ وَمَنْ رَوَى عَنْهُ ذَلِكَ فَقَدْ غَلِطَ عَلَيْهِ وَإِنْ رُوِيَ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ أَحْيَانًا يَدْعُو بِدُعَاءٍ عَارِضٍ بَعْدَ السَّلَامِ وَفِي صِحَّتِهِ نَظَرٌ . [ص ٢٦٤] رِيبَ أَنَّ عَامَّةَ أَدْعِيَتِهِ الَّتِي كَانَ يَدْعُو بِهَا ، وَعَلَّمَهَا الصِّدِّيقَ إِنَّمَا هِيَ فِي صُلْبِ الصَّلَاةِ وَأَمَّا حَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : لَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِك ، وَحُسْنِ عِبَادَتِك فَدُبُرُ الصَّلَاةِ يُرَادُ بِهِ آخِرُهَا قَبْلَ السَّلَامِ مِنْهَا ، كَدُبُرِ الْحَيَوَانِ وَيُرَادُ بِهِ مَا بَعْدَ السَّلَامِ كَقَوْلِهِ تُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ الْحَدِيثُ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [مَيْلُ الْمُصَنِّفِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى قَبْلَ الصَّلَاةِ]

وَلَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِي ، هَلْ كَانَ يَرْمِي قَبْلَ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَوْ بَعْدَهَا ؟ وَالَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ كَانَهُ يَرْمِي قَبْلَ الصَّلَاةِ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُصَلِّي ، لِأَنَّ جَابِرًا وَغَيْرَهُ قَالُوا : كَانَ يَرْمِي إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ فَعَقَّبُوا زَوَالَ الشَّمْس بِرَمْيِهِ . وَأَيْضًا ، فَإِنَّ وَقْتَ الزَّوَالِ لِلرَّمْيِ أَيَّامَ مِنًى ، كَطُلُوعِ الشَّمْسِ لِرَمْيِ يَوْمِ النَّحْرِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ لَمَّا دَخَلَ وَقْتُ الرَّمْيِ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ عِبَادَاتِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَيْضًا فَإِنَّ التِّرْمِذِيَّ وَابْنَ مَاجَهْ ، رَوَيَا فِي " سُنَنِهِمَا " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَانَ

رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَرْمِي الْجِمَارَ إذَا زَالَتْ الشّمْسُ زَادَ ابْنُ مَاجَهْ : قَدْرَ مَا إذَا فَرَغَ مِنْ رَمْيِهِ صَلّى الظّهْرَ . وَقَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ وَلَكِنْ فِي إسْنَادِ حَدِيثِ التّرْمِذِيّ الْحَجّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ ، وَفِي إسْنَادِ حَدِيثِ ابْنِ مَاجَهْ إبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ أَبُو [ص ٢٦٥] وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنّهُ كَانَ يَرْمِي يَوْمَ النّحْرِ رَاكِبًا ، وَأَيّامَ مِنًى مَاشِيًا فِي ذَهَابِهِ وَرُجُوعِهِ .

فَصْلٌ [وَقَفَاتُ الدّعَاءِ فِي الْحَجّ]

فَقَدْ تَضَمّنَتْ حَجّتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سِتّ وَقَفَاتٍ لِلدّعَاءِ . الْمَوْقِفُ الْأَوّلُ عَلَى الصّفَا ، وَالثّانِي : عَلَى الْمَرْوَةِ ، وَالثّالِثُ بِعَرَفَةَ ، وَالرّابِعُ بِمُزْدَلِفَةَ ، وَالْخَامِسُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَى ، وَالسّادِسُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثّانِيَةِ .

فَصْلٌ [خُطْبَتَا مِنًى]

وَخَطَبَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّاسَ بِمِنًى خُطْبَتَيْنِ خُطْبَةَ يَوْمَ النّحْرِ وَقَدْ تَقَدّمَتْ وَالْخُطْبَةَ الثّانِيَةَ فِي أَوْسَطِ أَيّامِ التّشْرِيقِ فَقِيلَ هُوَ ثَانِي يَوْمِ النّحْرِ وَهُوَ أَوْسَطُهَا ، أَيْ خِيَارُهَا ، وَاحْتَجّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِحَدِيثِ سَرّاءَ بِنْتِ نَبْهَانَ ، قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُول : أَتَدْرُونَ أَيّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالَتْ وَهُوَ الْيَوْمُ الّذِي تَدْعُونَ يَوْمَ الرّءُوس . قَالُوا : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا أَوْسَطُ أَيّامِ التّشْرِيق . هَلْ تَدْرُونَ أَيّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قَالُوا : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ هَذَا الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ . ثُمّ قَال : إنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا ، أَلَا وَإِنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، حَتّى تَلْقَوْا رَبّكُمْ فَيَسْأَلَكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا فَلْيُبَلّغْ أَدْنَاكُمْ أَقْصَاكُمْ أَلَا هَلْ بَلّغْتُ " فَلَمّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، لَمْ يَلْبَثْ إلّا قَلِيلًا حَتّى مَاتَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد [ص ٢٦٦] ثَانِي يَوْمِ النّحْرِ بِالِاتّفَاقِ . وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ ، مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عبيْدَةَ الرّبَذِيّ ، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ السّورَةُ { إذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ } عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي وَسَطِ أَيّامِ التّشْرِيقِ وَعُرِفَ أَنّهُ الْوَدَاعُ فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ وَاجْتَمَعَ النّاسُ فَقَالَ " يَا أَيّهَا النّاسُ " ثُمّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُطْبَتِهِ .

فَصْلٌ [تَرْخِيصُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِمَنْ لَهُ عُذْرٌ بِالْمَبِيتِ خَارِجَ مِنًى وَبِجَمْعِ رَمْيِ يَوْمَيْنِ بَعْدَ يَوْمِ النّحْرِ فِي أَحَدِهِمَا]

وَاسْتَأْذَنَهُ الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ أَنْ يَبِيتَ بِمَكّةَ لَيَالِيَ مِنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ . وَاسْتَأْذَنَهُ رِعَاءُ الْإِبِلِ فِي الْبَيْتُوتَةِ خَارِجَ مِنًى عِنْدَ الْإِبِلِ فَأَرْخَصَ لَهُمْ أَنْ يَرْمُوا يَوْمَ النّحْرِ ثُمّ يَجْمَعُوا رَمْيَ يَوْمَيْنِ بَعْدَ يَوْمِ النّحْرِ يَرْمُونَهُ فِي أَحَدِهِمَا . [ص ٢٦٧] قَالَ مَالِكٌ : ظَنَنْتُ أَنّهُ قَالَ فِي أَوّلِ يَوْمٍ مِنْهُمَا ، ثُمّ يَرْمُونَ يَوْمَ النّفْرِ . وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَخّصَ لِلرّعَاءِ أَنْ يَرْمُوا يَوْمًا ، وَيَدَعُوا يَوْمًا فَيَجُوزُ لِلطّائِفَتَيْنِ بِالسّنّةِ تَرْكُ الْمَبِيتِ بِمِنًى ، وَأَمّا الرّمْيُ فَإِنّهُمْ لَا يَتْرُكُونَهُ بَلْ لَهُمْ أَنْ يُؤَخّرُوهُ إلَى اللّيْلِ فَيَرْمُونَ فِيهِ وَلَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا رَمْيَ يَوْمَيْنِ فِي يَوْمٍ وَإِذَا كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ رَخّصَ لِأَهْلِ السّقَايَةِ وَلِلرّعَاءِ فِي الْبَيْتُوتَةِ فَمَنْ لَهُ مَالٌ يَخَافُ ضَيَاعَهُ أَوْ مَرِيضٌ يَخَافُ مِنْ تَخَلّفِهِ عَنْهُ أَوْ كَانَ مَرِيضًا لَا تُمْكِنُهُ الْبَيْتُوتَةُ سَقَطَتْ عَنْهُ بِتَنْبِيهِ النّصّ عَلَى هَؤُلَاءِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [أَيْنَ لَقِيَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَائِشَةَ بَعْدَ رُجُوعِهَا مِنْ عُمْرَةِ التّنْعِيمِ]

وَلَمْ يَتَعَجّلْ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي يَوْمَيْنِ بَلْ تَأَخّرَ حَتّى أَكْمَلَ رَمْيَ أَيّامِ التّشْرِيقِ الثّلَاثَةِ وَأَفَاضَ يَوْمَ الثّلَاثَاءِ بَعْدَ الظّهْرِ إلَى الْمُحَصّبِ ، وَهُوَ الْأَبْطَحُ ، وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ ، فَوَجَدَ أَبَا رَافِعٍ قَدْ ضَرَبَ لَهُ فِيهِ قُبّةً هُنَاكَ وَكَانَ عَلَى ثَقَلِهِ تَوْفِيقًا مِنْ اللّهِ عَزّ وَجَلّ دُونَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَصَلّى الظّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَرَقَدَ رَقْدَةً ثُمّ نَهَضَ إلَى مَكّةَ ، فَطَافَ لِلْوَدَاعِ لَيْلًا سَحَرًا ، وَلَمْ يَرْمُلْ فِي هَذَا الطّوَافِ ، وَأَخْبَرَتْهُ صَفِيّةُ أَنّهَا حَائِضٌ فَقَالَ " أَحَابِسَتُنَا هِيَ ؟ " فَقَالُوا لَهُ إنّهَا قَدْ أَفَاضَتْ قَالَ " فَلْتَنْفِرْ إذًا " وَرَغِبَتْ إلَيْهِ عَائِشَةُ تِلْكَ اللّيْلَةَ أَنْ يُعْمِرَهَا عُمْرَةً مُفْرَدَةً فَأَخْبَرَهَا أَنّ طَوَافَهَا بِالْبَيْتِ وَبِالصّفَا وَالْمَرْوَةِ قَدْ أَجْزَأَ عَنْ حَجّهَا وَعُمْرَتِهَا ، فَأَبَتْ إلّا أَنْ تَعْتَمِرَ عُمْرَةً مُفْرَدَةً فَأَمَرَ أَخَاهَا عَبْدَ الرّحْمَنِ أَنْ يُعْمِرَهَا مِنْ التّنْعِيمِ ، فَفَرَغَتْ مِنْ عُمْرَتِهَا لَيْلًا ثُمّ وَافَتْ الْمُحَصّبَ مَعَ أَخِيهَا ، فَأَتَيَا فِي جَوْفِ اللّيْلِ فَقَالَ [ص ٢٦٨] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " فَرَغْتُمَا " ؟ قَالَتْ نَعَمْ فَنَادَى بِالرّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ فَارْتَحَلَ النّاسُ ثُمّ طَافَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ صَلَاةِ الصّبْحِ . هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيّ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ تَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا ، وَبَيْنَ حَدِيثِ الْأَسْوَدِ عَنْهَا الّذِي فِي " الصّحِيحِ " أَيْضًا ؟ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ نَرَ إلّا الْحَجّ . . . فَذَكَرْت الْحَدِيثَ وَفِيهِ فَلَمّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ يَرْجِعُ النّاسُ بِحَجّةٍ وَعُمْرَةٍ وَأَرْجِعُ أَنَا بِحَجّةٍ ؟ قَالَ أَوَمَا كُنْتِ طُفْتِ لَيَالِيَ قَدِمْنَا مَكّةَ ؟ قَالَتْ قُلْتُ لَا . قَالَ " فَاذْهَبِي مَعَ أَخِيكِ إلَى التّنْعِيمِ ، فَأَهِلّي بِعُمْرَةٍ ثُمّ مَوْعِدُكِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا " ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ مُصْعِدٌ مِنْ مَكّةَ ، وَأَنَا مُنْهَبِطَةٌ عَلَيْهَا ، أَوْ أَنَا مُصْعِدَةٌ وَهُوَ مُنْهَبِطٌ مِنْهَا فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنّهُمَا تَلَاقَيَا فِي الطّرِيقِ وَفِي الْأَوّلِ أَنّهُ انْتَظَرَهَا فِي مَنْزِلِهِ فَلَمّا جَاءَتْ نَادَى بِالرّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ . ثُمّ فِيهِ إشْكَالٌ آخَرُ وَهُوَ قَوْلُهَا : لَقِيَنِي وَهُوَ مُصْعِدٌ مِنْ مَكّةَ وَأَنَا مُنْهَبِطَةٌ عَلَيْهَا ، أَوْ بِالْعَكْسِ فَإِنْ كَانَ الْأَوّلُ فَيَكُونُ قَدْ لَقِيَهَا مُصْعِدًا مِنْهَا رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ مُنْهَبِطَةٌ عَلَيْهَا لِلْعُمْرَةِ وَهَذَا يُنَافِي انْتِظَارَهُ لَهَا بِالْمُحَصّبِ . قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ ابْنُ حَزْمٍ : الصّوَابُ الّذِي لَا شَكّ فِيهِ أَنّهَا كَانَتْ مُصْعِدَةً مِنْ مَكّةَ ، وَهُوَ مُنْهَبِطٌ لِأَنّهَا تَقَدّمَتْ إلَى الْعُمْرَةِ وَانْتَظَرَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى جَاءَتْ ثُمّ نَهَضَ إلَى طَوَافِ الْوَدَاعِ فَلَقِيَهَا مُنْصَرِفَةً إلَى الْمُحَصّبِ عَنْ مَكّةَ ، وَهَذَا لَا يَصِحّ ، فَإِنّهَا قَالَتْ وَهُوَ مُنْهَبِطٌ مِنْهَا ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُحَصّبِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكّةَ ، فَكَيْفَ يَقُولُ أَبُو مُحَمّدٍ : إنّهُ نَهَضَ إلَى طَوَافِ [ص ٢٦٩] مَكّةَ ؟ هَذَا مُحَالٌ . وَأَبُو مُحَمّدٍ ، لَمْ يَحُجّ . وَحَدِيثُ الْقَاسِمِ عَنْهَا صَرِيحٌ كَمَا تَقَدّمَ فِي أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . انْتَظَرَهَا فِي مَنْزِلِهِ بَعْدَ النّفْرِ حَتّى جَاءَتْ فَارْتَحَلَ وَأَذّنَ فِي النّاسِ بِالرّحِيلِ فَإِنْ كَانَ حَدِيثُ الْأَسْوَدِ هَذَا مَحْفُوظًا ، فَصَوَابُهُ لَقِيَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا مُصْعِدَةٌ مِنْ مَكّةَ ، وَهُوَ مُنْهَبِطٌ إلَيْهَا ، فَإِنّهَا طَافَتْ وَقَضَتْ عُمْرَتَهَا ، ثُمّ أَصْعَدَتْ لِمِيعَادِهِ فَوَافَتْهُ قَدْ أَخَذَ فِي الْهُبُوطِ إلَى مَكّةَ لِلْوَدَاعِ فَارْتَحَلَ وَأَذّنَ فِي النّاسِ بِالرّحِيلِ وَلَا وَجْهَ لِحَدِيثِ الْأَسْوَدِ غَيْرُ هَذَا ، وَقَدْ جُمِعَ بَيْنَهُمَا بِجَمْعَيْنِ آخَرِينَ وَهُمَا وَهْمٌ . أَحَدُهُمَا : أَنّهُ طَافَ لِلْوَدَاعِ مَرّتَيْنِ مَرّةً بَعْدَ أَنْ بَعَثَهَا ، وَقَبْلَ فَرَاغِهَا ، وَمَرّةً بَعْدَ فَرَاغِهَا لِلْوَدَاعِ وَهَذَا مَعَ أَنّهُ وَهْمٌ بَيّنٌ فَإِنّهُ لَا يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ بَلْ يَزِيدُهُ فَتَأَمّلْهُ . الثّانِي : أَنّهُ انْتَقَلَ مِنْ الْمُحَصّبِ إلَى ظَهْرِ الْعَقَبَةِ خَوْفَ الْمَشَقّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي التّحْصِيبِ فَلَقِيَتْهُ وَهِيَ مُنْهَبِطَةٌ إلَى مَكّةَ ، وَهُوَ مُصْعِدٌ إلَى الْعَقَبَةِ ، وَهَذَا

أَقْبَحُ مِنْ الْأَوّلِ لِأَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ الْعَقَبَةِ أَصْلًا ، وَإِنّمَا خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ مِنْ الثّنِيّةِ السّفْلَى بِالِاتّفَاقِ . وَأَيْضًا : فَعَلَى تَقْدِيرِ ذَلِكَ لَا يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ . وَذَكَرَ أَبُو مُحَمّدٍ ابْنُ حَزْمٍ أَنّهُ رَجَعَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ إلَى الْمُحَصّبِ ، وَأَمَرَ بِالرّحِيلِ وَهَذَا وَهْمٌ أَيْضًا ، لَمْ يَرْجِعْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ وَدَاعِهِ إلَى الْمُحَصّبِ ، وَإِنّمَا مَرّ مِنْ فَوْرِهِ إلَى الْمَدِينَةِ . وَذَكَرَ فِي بَعْضِ تَآلِيفِهِ أَنّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ كَالْمُحَلّقِ عَلَى مَكّةَ بِدَائِرَةٍ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ فَإِنّهُ بَاتَ بِذِي طُوًى ، ثُمّ دَخَلَ مِنْ أَعْلَى مَكّةَ ، ثُمّ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا ، ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمُحَصّبِ ، وَيَكُونُ هَذَا الرّجُوعُ مِنْ يَمَانِي مَكّةَ حَتّى تَحْصُلَ الدّائِرَةُ فَإِنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا جَاءَ نَزَلَ بِذِي طُوًى ، ثُمّ أَتَى مَكّةَ مِنْ كَدَاءٍ ، ثُمّ نَزَلَ بِهِ لَمّا فَرَغَ مِنْ الطّوَافِ ثُمّ لَمّا فَرَغَ مِنْ جَمِيعِ النّسُكِ نَزَلَ بِهِ ثُمّ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ [ص ٢٧٠] وَأَخَذَ مِنْ يَمِينِهَا حَتّى أَتَى الْمُحَصّبَ ، وَيَحْمِلُ أَمْرَهُ بِالرّحِيلِ ثَانِيًا عَلَى أَنّهُ لَقِيَ فِي رُجُوعِهِ ذَلِكَ إلَى الْمُحَصّبِ قَوْمًا لَمْ يُرَحّلُوا ، فَأَمَرَهُمْ بِالرّحِيلِ وَتَوَجّهَ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ إلَى الْمَدِينَةِ . وَلَقَدْ شَانَ أَبُو مُحَمّدٍ نَفْسَهُ وَكِتَابَهُ بِهَذَا الْهَذَيَانِ الْبَارِدِ السّمِجِ الّذِي يُضْحَكُ مِنْهُ وَلَوْلَا التّنْبِيهُ عَلَى أَغْلَاطِ مَنْ غَلِطَ عَلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَرَغِبْنَا عَنْ ذِكْرِ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ .

وَالّذِي كَأَنّك تَرَاهُ مِنْ فِعْلِهِ أَنّهُ نَزَلَ بِالْمُحَصّبِ وَصَلّى بِهِ الظّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَرَقَدَ رَقْدَةً ثُمّ نَهَضَ إلَى مَكّةَ ، وَطَافَ بِهَا طَوَافَ الْوَدَاعِ لَيْلًا ، ثُمّ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا إلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إلَى الْمُحَصّبِ ، وَلَا دَارَ دَائِرَةً فَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " : عَنْ أَنَسٍ ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى الظّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ ، وَالْعِشَاءَ وَرَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحَصّبِ ثُمّ رَكِبَ إلَى الْبَيْتِ وَطَافَ بِهِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ عَائِشَةَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَذَكَرَتْ الْحَدِيثَ ثُمّ قَالَتْ حِينَ قَضَى اللّهُ الْحَجّ وَنَفَرْنَا مِنْ مِنًى ، فَنَزَلْنَا بِالْمُحَصّبِ فَدَعَا عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ " اُخْرُجْ بِأُخْتِكَ مِنْ الْحَرَمِ ، ثُمّ افْرُغَا مِنْ طَوَافِكُمَا ، ثُمّ ائْتِيَانِي هَا هُنَا بِالْمُحَصّبِ " . قَالَتْ فَقَضَى اللّهُ الْعُمْرَةَ وَفَرَغْنَا مِنْ طَوَافِنَا فِي جَوْفِ اللّيْلِ فَأَتَيْنَاهُ بِالْمُحَصّبِ . فَقَالَ فَرَغْتُمَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . فَأَذّنَ فِي النّاسِ بِالرّحِيلِ فَمَرّ بِالْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ ثُمّ ارْتَحَلَ مُتَوَجّهًا إلَى الْمَدِينَةِ فَهَذَا مِنْ أَصَحّ حَدِيثٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَأَدَلّهِ عَلَى فَسَادِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ تِلْكَ التّقْدِيرَاتِ الّتِي لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنّ حَدِيثَ الْأَسْوَدِ غَيْرُ مَحْفُوظٍ ، وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا ، فَلَا وَجْهَ لَهُ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَا وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

[هَلْ التّحْصِيبُ سُنّةٌ ؟]

وَقَدْ اخْتَلَفَ السّلَفُ فِي التّحْصِيبِ هَلْ هُوَ سُنّةٌ أَوْ مَنْزِلُ اتّفَاقٍ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ هُوَ مِنْ سُنَنِ الْحَجّ فَإِنّ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، [ص ٢٧١] أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَنْفِرَ مِنْ مِنًى : نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا إنْ شَاءَ اللّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ . يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُحَصّبَ وَذَلِك أَنّ قُرَيْشًا وَبَنِي كِنَانَةَ تَقَاسَمُوا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطّلِبِ أَلّا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ شَيْءٌ حَتّى يُسَلّمُوا إلَيْهِمْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَصَدَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إظْهَارَ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَكَانِ الّذِي أَظْهَرُوا فِيهِ شَعَائِرَ الْكُفْرِ وَالْعَدَاوَةَ لِلّهِ وَرَسُولِهِ وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَتُهُ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ شِعَارَ

التَّوْحِيدِ فِي مَوَاضِعِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ كَمَا أَمَرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى مَسْجِدُ الطَّائِفِ مَوْضِعَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُحَصَّبَ ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَبَنِي كِنَانَةَ ، تَقَاسَمُوا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَدَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارَ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَظْهَرُوا فِيهِ شَعَائِرَ الْكُفْرِ وَالْعَدَاوَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَتُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ شِعَارَ التَّوْحِيدِ فِي مَوَاضِعِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ كَمَا أَمَرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى مَسْجِدُ الطَّائِفِ مَوْضِعَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى . قَالُوا : وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، كَانُوا يَنْزِلُونَهُ . وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَرَى التَّحْصِيبَ سُنَّةً . وَقَالَ الْبُخَارِيّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ كَانَ يُصَلِّي بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَيَهْجَعُ وَيَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ ذَلِكَ وَذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَائِشَةُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِسُنَّةٍ وَإِنَّمَا هُوَ مَنْزِلُ اتِّفَاقٍ فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، لَيْسَ الْمُحَصَّبُ بِشَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ نَزَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ أَسْمَحَ لِخُرُوجِهِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ أَبِي رَافِعٍ لَمْ يَأْمُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَنْزِلَ بِمَنْ مَعِي بِالْأَبْطَحِ وَلَكِنْ أَنَا ضَرَبْتُ قُبَّتَهُ ثُمَّ جَاءَ فَنَزَلَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ بِتَوْفِيقِهِ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِهِ " نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ " ، وَتَنْفِيذًا لِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَمُوَافَقَةً مِنْهُ لِرَسُولِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ [ص ٢٧٢]

فَصْلٌ

هَا هُنَا ثَلَاثُ مَسَائِلَ هَلْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَ فِي حَجَّتِهِ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ وَقَفَ فِي الْمُلْتَزَمِ بَعْدَ الْوَدَاعِ ، أَمْ لَا ؟ وَهَلْ صَلَّى الصُّبْحَ لَيْلَةَ الْوَدَاعِ بِمَكَّةَ أَوْ خَارِجًا مِنْهَا ؟

[هَلْ دَخَلَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَ ؟]

فَأَمَّا الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى ، فَزَعَمَ كَثِيرٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ فِي حَجَّتِهِ وَيَرَى كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ أَنَّ دُخُولَ الْبَيْتِ مِنْ سُنَنِ الْحَجِّ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ سُنَّتُهُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ الْبَيْتَ فِي حَجَّتِهِ وَلَا فِي عُمْرَتِهِ وَإِنَّمَا دَخَلَهُ عَامَ الْفَتْحِ فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَةٍ لِأُسَامَةَ حَتَّى أَنَاخَ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَدَعَا عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بِالْمِفْتَاحِ فَجَاءَهُ بِهِ فَفَتَحَ فَدَخَلَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُسَامَةُ ، وَبِلَالٌ ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ، فَأَجَافُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ مَلِيًّا ، ثُمَّ فَتَحُوهُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَبَادَرْتُ النَّاسَ فَوَجَدْتُ بِلَالًا عَلَى الْبَابِ . فَقُلْت : أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْمُقَدَّمَيْنِ . قَالَ وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ ، أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ قَالَ فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَمَا وَاَللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ " . قَالَ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ [ص ٢٧٣] فَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ دُخُولَيْنِ صَلَّى فِي أَحَدِهِمَا ، وَلَمْ يُصَلِّ فِي الْآخَرِ . وَهَذِهِ طَرِيقَةُ ضُعَفَاءِ النَّقْدِ كُلَّمَا رَأَوْا اخْتِلَافَ

لَفْظٍ جَعَلُوهُ قِصَّةً أُخْرَى ، كَمَا جَعَلُوا الْإِسْرَاءَ مِرَارًا لِاخْتِلَافِ أَلْفَاظِهِ وَجَعَلُوا اشْتِرَاءَهُ مِنْ جَابِرٍ بَعِيرَهُ مِرَارًا لِاخْتِلَافِ أَلْفَاظِهِ وَجَعَلُوا طَوَافَ الْوَدَاعِ مَرَّتَيْنِ لِاخْتِلَافِ سِيَاقِهِ وَنَظَائِرُ ذَلِكَ . وَأَمَّا الْجَهَابِذَةُ النُّقَّادُ فَيَرْغَبُونَ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَلَا يَجْبُنُونَ عَنْ تَغْلِيطِ مَنْ لَيْسَ مَعْصُومًا مِنْ الْغَلَطِ وَنِسْبَتُهُ إِلَى الْوَهْمِ قَالَ الْبُخَارِيّ وَغَيْرُهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ وَالْقَوْلُ قَوْلُ بِلَالٍ لِأَنَّهُ مُثْبِتٌ شَاهِدَ صَلَاتِهِ بِخِلَافِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ دُخُولَهُ الْبَيْتَ إِنَّمَا كَانَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، لَا فِي حَجِّهِ وَلَا عُمَرِهِ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، قَالَ قُلْتُ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى : أَدَخَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عُمْرَتِهِ الْبَيْتَ ؟ قَالَ لَا . وَقَالَتْ عَائِشَةُ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ عِنْدِي وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ طَيّبُ النّفْسِ ثُمّ رَجَعَ إِلَيّ وَهُوَ حَزِينُ الْقَلْبِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي وَأَنْتَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ إِنّي دَخَلْتُ الْكَعْبَةَ وَوَدِدْتُ أَنّي لَمْ أَكُن فَعَلْتُ إِنّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَتْعَبْتُ أُمّتِي مِنْ بَعْدِي فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ أَنّهُ كَانَ فِيهِ حَجّتُهُ بَلْ [ص ٢٧٤] حَقّ التّأَمّلِ أَطْلَعَكَ التّأَمّلُ عَلَى أَنّهُ كَانَ فِي غَزَاةِ الْفَتْحِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ وَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ أَنْ تَدْخُلَ الْبَيْتَ فَأَمَرَهَا أَنْ تُصَلّيَ فِي الْحِجْرِ رَكْعَتَيْنِ .

فَصْلٌ [هَلْ وَقَفَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمُلْتَزَمِ بَعْدَ الْوَدَاعِ]

وَأَمّا الْمَسْأَلَةُ الثّانِيَةُ وَهِيَ وُقُوفُهُ فِي الْمُلْتَزَمِ ، فَاَلّذِي رُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ فَعَلَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ فَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُد " ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَفْوَانَ ، قَالَ لَمّا فَتَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ ، انْطَلَقْتُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ خَرَجَ مِنْ الْكَعْبَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَقَدْ اسْتَلَمُوا الرّكْنَ مِنْ الْبَابِ إِلَى الْحَطِيمِ ، وَوَضَعُوا خُدُودَهُمْ عَلَى الْبَيْتِ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَطَهُمْ . وَرَوَى أَبُو دَاوُد أَيْضًا : مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ طُفْتُ مَعَ عَبْدِ اللّهِ فَلَمّا حَاذَى دُبُرَ الْكَعْبَةِ قُلْتُ أَلَا تَتَعَوّذُ ؟ قَالَ نَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ النّارِ ، ثُمّ مَضَى حَتّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، فَقَامَ بَيْنَ الرّكْنِ وَالْبَابِ فَوَضَعَ صَدْرَهُ وَوَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ هَكَذَا ، وَبَسَطَهُمَا بَسْطًا ، وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَفْعَلُهُ فَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي وَقْتِ الْوَدَاعِ وَأَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِهِ وَلَكِنْ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالشّافِعِيّ بَعْدَهُ وَغَيْرُهُمَا : إِنّهُ يُسْتَحَبّ أَنْ يَقِفَ فِي الْمُلْتَزَمِ بَعْدَ طَوَافِ الْوَدَاعِ وَيَدْعُو ، وَكَانَ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا يَلْتَزِمُ مَا بَيْنَ الرّكْنِ وَالْبَابِ وَكَانَ يَقُولُ لَا يَلْتَزِمُ مَا بَيْنَهُمَا أَحَدٌ يَسْأَلُ اللّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلّا أَعْطَاهُ إِيّاهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [أَيْنَ صَلّى صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّبْحَ لَيْلَةَ الْوَدَاعِ ؟]

وَأَمّا الْمَسْأَلَةُ الثّالِثَةُ وَهِيَ مَوْضِعُ صَلَاتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلَاةَ الصّبْحِ صَبِيحَةَ لَيْلَةِ [ص ٢٧٥] الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ أُمّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّي أَشْتَكِي ، فَقَالَ طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ . قَالَتْ فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَئِذٍ يُصَلّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقْرَأُ ب وَالطّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي الْفَجْرِ وَفِي غَيْرِهَا ، وَأَنْ يَكُونَ فِي طَوَافِ الْوَدَاعِ وَغَيْرِهِ فَنَظَرْنَا فِي ذَلِكَ فَإِذَا الْبُخَارِيّ قَدْ رَوَى فِي " صَحِيحِهِ " فِي هَذِهِ الْقِصّةِ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا أَرَادَ الْخُرُوجَ وَلَمْ تَكُنْ أُمّ سَلَمَةَ طَافَتْ بِالْبَيْتِ وَأَرَادَتْ الْخُرُوجَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِذَا أُقِيمَتْ صَلَاةُ الصّبْحِ ، فَطُوفِي عَلَى بَعِيرِكِ وَالنّاسُ يُصَلّونَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ فَلَمْ تُصَلّ حَتّى خَرَجَتْ وَهَذَا مُحَالٌ قَطْعًا أَنْ

يَكُونَ يَوْمَ النّحْرِ فَهُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ بِلَا رَيْبٍ فَظَهَرَ أَنّهُ صَلّى الصّبْحَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ الْبَيْتِ وَسَمِعَتْهُ أُمّ سَلَمَةَ يَقْرَأُ فِيهَا بِالطّورِ .

فَصْلٌ [ارْتِحَالُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ]

ثُمّ ارْتَحَلَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمّا كَانَ بِالرّوْحَاءِ ، لَقِيَ رَكْبًا ، فَسَلّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ مَنْ الْقَوْمُ ؟ فَقَالُوا : الْمُسْلِمُونَ قَالُوا : فَمَنْ الْقَوْمُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَرَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيّا لَهَا مِنْ مِحَفّتِهَا ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ أَلِهَذَا حَجّ ؟ قَالَ نَعَمْ وَلَكِ أَجْر فَلَمّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ ، بَاتَ بِهَا ، فَلَمّا رَأَى الْمَدِينَةَ ، كَبّرَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ وَقَالَ لَا إلَه إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ [ص ٢٧٦] دَخَلَهَا نَهَارًا مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرّسِ ، وَخَرَجَ مِنْ طَرِيقِ الشّجَرَةِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

----

* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْعُمْرَةِ:

١ـ اعتمر أربع مرات؛ إحداها: عمرة الحديبية، فَصَدَّهُ المشركون عن البيت، فنحر وحلق حيث صُدَّ، وحلَّ. والثانية: عمرة القضاء؛ حيث قضاها في العام المقبل. والثالثة: عمرته التي قرنها مع حجته. والرابعة عمرته من الجِعْرَانة.

٢ـ ولم يكن في عُمره عمرة واحدة خارجًا من مكة، وإنما كانت كلها داخلاً إلى مكة.

٣ـ ولم يحفظ عنه أنه اعتمر في السنة إلا مرة واحدة، ولم يعتمر في سنة مرتين. [صحيح الترغيب].

٤ـ وكانت عُمُره كلها في أشهر الحج.

٥ـ وقال: ((عمرة في رمضان تعدل حجة)).

* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْحِجِّ:

١ـ لما فُرِضَ الحج بادر إليه من غير تأخير ولم يحج إلا حجة واحدة، وحج قارنًا.

٢ـ وأهل بالنسك بعد صلاة الظهر ثم لبى فقال: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك))، ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله أن يرفعوا أصواتهم بها. ولزم تلبيته والناس يزيدون فيها وينقصون ولا ينكر عليهم.

٣ـ وخيَّر أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة، ثم ندبهم عند دنوهم من مكة إلى فسخ الحج والقران إلى العمرة لمن لم يكن معه هدي.

٤ـ وكان حجه على رَحْل؛ لا في محمل ولا هودج وزاملته تحته أي: طعامه ومتاعه. فلما كان بمكة أمر أمرًا حتمًا من لا هدي معه أن يجعلها عمرة ويحلَّ من إحرامه، ومن معه هدي أن يقيم على إحرامه، ثم نهض إلى أن نزل بذي طوى، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه، ودخل مكة نهارًا من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون.

فلما دخل المسجد عَمَد إلى البيت، ولم يركع تحية المسجد، فلما حاذى الحجر الأسود استلمه، ولم يزاحم عليه، ثم أخذ عن يمينه، وجعل البيت عن يساره، ولم يدع عند الباب بدعاء ولا تحت الميزاب ولا عند ظهر الكعبة وأركانها، وحفظ عنه بين

الركنين: ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) ولم يوقت للطواف ذكرًا معينًا غير هذا.
ورمل في طوافه هذا الثلاثة الأشواط الأول، وكان يسرع في مشيه، ويقارب بين خطاه، واضطبع بردائه فجعل طرفيه على أحد كتفيه وأبدى كتفه الأخرى ومنكبه.
وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه أو استلمه بمجّنهِ وقبَّل المجنَّ - وهو عصا محنية الرأس - وقال: ((الله أكبر)).
واستلم الركن اليماني ولم يقبله ولم يقبل يده عند استلامه.
فلما فرغ من طوافه، جاء خلف المقام، فقرأ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً} [البقرة:١٢٥]، فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت؛ قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص - وهما: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فلما فرغ من صلاته ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه، ثم أقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه.
ثم خرج إلى الصفا فلما قرب منه قرأ: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٥٩]. ((أبدأ بما بدأ الله به))، ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده)). ثم دعا بين ذلك. وقال مثل هذا ثلاث مرات.
ثم نزل إلى المروة يمشي فلما انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا جاوز الوادي وأصعد مشى - وذلك بين الميلين الأخضرين وابتدأ سعيه ماشيًا ثم أتمه راكبًا لما كثر عليه الناس.
وكان إذا وصل إلى المروة رقى عليها، واستقبل البيت، وكبَّر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا.
فلما أكمل سعيه عند المروة، أمر كلَّ من لا هدي معه أن يحلَّ الحلَّ كله حتمًا ولا بد، قارنًا كان أو مفردًا.
ولم يحل هو من أجل هديه وقال: ((لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة)).
ودعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثًا، وللمقصرين مرة.
وكان يصلي مدة مقامه بمكة إلى يوم التروية بمنزله بظاهر مكة بالمسلمين يقصر الصلاة.
فلما كان يوم التروية ضحى توجه بمن معه إلى منى، فأحرم بالحج من كان أحل منهم من رحالهم.
فلما وصل إلى منى نزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها فلما طلعت الشمس سار منها إلى عرفة - ومن أصحابه الملبي والمكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على أحد - فوجد القبة قد ضربت له بنمرة بأمره - ونمرة ليست من عرفة وهي قرية شرقي عرفة - فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرُحِلت، ثم سار حتى أتى بطن الوادي من أرض عُرنة، فخطب الناس وهو على راحلته خطبة واحدة عظيمة قرر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرر فيها تحريم

المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها، ووضع أمور الجاهلية وربا الجاهلية تحت قدميه، وأوصاهم بالنساء خيرًا، وأوصى الأمة بالاعتصام بكتاب الله واستنطقهم واستشهد الله عليهم أنه قد بلغ وأدى ونصح.
فلما أتم الخطبة أمر بلالاً فأذن، ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة ـ وكان يوم الجمعة ـ ثم أقام فصلى العصر ركعتين ومعه أهل مكة ولم يأمرهم بالإتمام ولا بترك الجمع.
فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف ولما شك الناس في صيامه يوم عرفه أرسلت إليه ميمونة بحلاب وهو واقف في الموقف، فشرب منه والناس ينظرون، ووقف في ذيل الجبل عند الصخرات، واستقبل القبلة، وجعل حَبْلَ المشاة بين يديه، وكان على بعيره. فأخذ في الدعاء والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس.
وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عُرَنة وقال: ((وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف)).
وكان في دعائه رافعًا يديه إلى صدره كاستطعام المسكين وقال: ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) [صحيح الترمذي].
فلما غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث ذهبت الصفرة، أفاض من عرفة بالسكينة مردفًا أسامة بن زيد خلفه، وضم إليه زمام ناقته حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله وهو يقول: ((أيها الناس عليكم بالسكينة؛ فإن البر ليس بالإيضاع))، أي: ليس بالإسراع.
وأفاض من طريق المأزين، ودخل عرفة من طريق ضَبّ. ثم جعل يسير العَنَق وهو ـ السير بين السريع والبطيء ـ فإذا وجد متسعًا أسرع.
وكان يلبي في مسيره ولم يقطع التلبية، ونزل أثناء الطريق فبال وتوضأ وضوءًا خفيفًا ثم سار ولم يصل حتى أتى مزدلفة فتوضأ وضوء الصلاة ثم أمر بالأذان ثم أقام، فصلى المغرب قبل حطِّ الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء بإقامة بلا أذان، ولم يصل بينهما شيئًا.
ثم نام حتى أصبح، ولم يحي تلك الليلة.
وأذن في تلك الليلة عند غياب القمر لضعفة أهله أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر، وأمرهم ألا يرموا حتى تطلع الشمس.
فلما طلع الفجر صلاّها في أول الوقت بأذان وإقامة، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جدًا، ثم سار من مزدلفة قبل طلوع الشمس مردفًا للفضل بن عباس.
وفي طريقه أمر ابن عباس أن يلقط له حصى الجمار، سبع حصيات؛ فجعل ينفضهن في كفه ويقول: ((بأمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين ..)).
فلما أتى بطن مُحَسِّر أسرع السير، وسلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منى وهو يلبي حتى شرع في الرمي، فرمى جمرة العقبة راكبًا بعد طلوع الشمس، من أسفل الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه. يكبر مع كل حصاة.

ثم رجع منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وفضله وحرمة مكة وأمرهم بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله، وعلمهم مناسكهم. ثم انصرف إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثًا وستين بدنة بيده، وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى، ثم أمسك وأمر عليًا أن ينحر ما بقي من المائة، ثم أمر عليًا أن يتصدق بها في المساكين وألا يعطي الجزار في جزارتها شيئًا منها.

وأعلمهم أن منى كلها منحر، وفجاج مكة طريق ومنحر.

فلما أكمل نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه فبدأ بالشق الأيمن فأعطاه أبا طلحة ثم الأيسر، فدفع شعره إلى أبي طلحة وقال: ((اقسمه بين الناس)).

ودعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثًا، وللمقصرين مرة. وطيبته عائشة قبل أن يحل.

ثم أفاض إلى مكة قبل الظهر راكبًا فطاف طواف الإفاضة ولم يطف غيره ولم يسع معه. ولم يرمل فيه ولا في طواف الوداع وإنما رمل في القدوم فقط.

ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه وهم يسقون، فناولوه الدلو فشرب وهو قائم.

ثم رجع إلى منى فبات بها، واختلف أين صلى الظهر يومئذ؛ فنقل ابن عمر أنه صلى الظهر بمنى، وقال جابر وعائشة صلاه بمكة.

فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار، ولم يركب، فبدأ بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف، فرماها بسبع حصيات، يقول مع كل حصاة: ((الله أكبر)).

ثم تقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل، فقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلاً بقدر سورة البقرة.

ثم أتى إلى الجمرة الوسطى فرماها كذلك، ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادي، فوقف مستقبل القبلة رافعًا يديه قريبًا من وقوفه الأول.

ثم أتى الجمرة الثالثة وهي العقبة فاستبطن الوادي واستعرض الجمرة فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك.

فلما أكمل الرمي رجع ولم يقف عندها.

وغالب الظن أنه كان يرمي قبل أن يصلي الظهر ثم يرجع فيصلي. وأذن للعباس بالمبيت بمكة ليالي منى أجل سقايته.

ولم يتعجل في يومين بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة، وأفاض بعد الظهر إلى المحصَّب، فصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ورقد رقدة ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلاً سحرًا، ولم يرمل في هذا الطواف، ورخص لصفية لما حاضت فلم تطف للوداع.

وأعمر عائشة تلك الليلة من التنعيم تطييبًا لنفسها بصحبة أخيها عبد الرحمن فلما فرغت من عمرتها ليلاً نادى بالرحيل في أصحابه، فارتحل الناس

١٢. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الصَّوْمِ والاعْتِكَافِ

* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في صَوْمِ التَّطَوُّع:

١ـ كان هديه فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيل للمقصود وأسهله على النفوس فكان يصوم حتى يقال: لا يفطر. ويفطر حتى يقال: لا يصوم. وما استكمل صيام شهر غير

رمضان، وما كان يصوم في شهر أكثر مما كان يصوم في شعبان، ولم يكن يخرج عن شهر حتى يصوم منه.
٢- وكان من هديه كراهية تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وكان يتحرى صيام الاثنين والخميس.
٣- وكان لا يفطر أيام في حضر ولا سفر البيض وكان يحُض على صيامهما.
٤- وكان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام.
٥- وقال في ستة شوال: ((صيامها يعادل مع رمضان يعدل صيام الدهر)) [م] وكان يتحرى صوم يوم عاشوراء على سائر الأيام.
٦- وقال في يوم عرفة: ((صيامه يكفر السنة الماضية والباقية))، وكان من هديه إفطار يوم عرفة بعرفة [م].
٧- ولم يكن من هديه صيام الدهر، بل قال: ((من صام الدهر لا صام ولا أفطر)) [صحيح النسائي].
٨- وكان أحيانًا ينوي صوم التطوع ثم يفطر، وكان يدخل على أهله فيقول: ((هل عندكم شيء؟)) فإن قالوا: لا، قال: ((إني إذًا صائم)) [م].
٩- وقال: ((إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل: إني صائم)) [صحيح أبي داود].
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في صَوْمِ رَمَضَانَ:
١- كان من هديه أنه لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد، فإن لم يكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين.
٢- وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره سحابٌ أكمل شعبان ثلاثين، ولم يكن يصوم يوم الإِغْمَامِ، ولا أمر به.
٣- وكان من هديه الخروج منه بشهادة اثنين.
٤- وكان إذا شهد شاهدان برؤيته بعد خروج وقت العيد أفطر وأمرهم بالفطر، وصلى العيد بعد الغد في وقتها.
٥- وكان يعَجِّل الفطر، ويحث عليه، ويتسحر ويحث عليه، ويؤخره ويرغب في تأخيره.
٦- وكان يفطر قبل أن يُصلي، وكان فطره على رطبات إن وجدها، فإن لم يجدها، فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى حسوات من ماء.
٧- وكان يقول إذا أفطر: ((ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى)) [صحيح أبي داود].
٨- وكان من هديه في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادة، وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان.
٩- وكان يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف.
١٠- وكان يخصه من العبادات بما لا يخص به غيره، حتى إنه ليواصل فيه أحيانًا، وكان ينهي أصحابه عن الوصال، وأذن فيه إلى السحر.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في مَا يُحْظَرُ وَمَا يُبَاحُ في الصَّوْمِ:

١ـ نهى الصائمَ عن الرفث والصخب والسباب، وجواب السباب، وأمره أن يقول لمن سابه: إني صائم.
٢ـ وسافر في رمضان فصام وأفطر، وخيَّر أصحابه بين الأمرين.
٣ـ وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من العدو.
٤ـ ولم يكن من هديه تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد.
٥ـ وكان الصحابة حين ينشئون السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت، ويخبرون أن ذلك هديه وسنته صلى الله عليه وسلم.
٦ـ وكان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، فيغتسل بعد الفجر ويصوم.
٧ـ وكان يُقبِّل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان.
٨ـ وكان يستاك وهو صائم، ويتمضمض ويستنشق وهو صائم، وكان يصب على رأسه الماء وهو صائم.
٩ـ وكان من هديه إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيًا.
١٠ـ ورخص للمريض والمسافر أن يفطر ويقضيا، والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك، قال ابن القيم: وإن خافتا على ولديهما زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم. وهذا روي عن ابن عمر وابن عباس وهو قول الشافعي وأحمد.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الاِعْتِكَافِ:
١ـ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة فقضاه في شوال.
٢ـ واعتكف مرة في العَشْر الأوَل، ثم الأوسط، ثم العَشْر الأواخر يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العَشْر الأواخر، فداوم على الاعتكاف حتى لحق بربه عز وجل.
٣ـ ولم يفعله إلا مع الصوم.
٤ـ وكان يأمر بخباء، فيضرب له في المسجد يخلو فيه.
٥ـ وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله.
٦ـ وكان إذا اعتكف طُرح له فراشه وسريره في معتكفه، وكان يدخل قبته وحده.
٧ـ وكان لا يدخل بيته إلا لحاجة الإنسان.
٨ـ وكان يُخرِج رأسه إلى بيت عائشة فترجِّله وهي حائض.
٩ـ وكان بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب قام معها يقلبها وكان ذلك ليلاً.
١٠ـ ولم يكن يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقُبلة ولا غيرها.
١١ـ وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا.
زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٢٦)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّيَامِ
[الْمَقْصُودُ مِنْ الصّيَامِ وَفَوَائِدِهِ]
[ص ٢٧] كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ الصّيَامِ حَبْسَ النّفْسِ عَنْ الشّهَوَاتِ وَفِطَامَهَا عَنْ الْمَأْلُوفَاتِ وَتَعْدِيلَ قُوّتِهَا الشّهْوَانِيّةِ لِتَسْتَعِدّ لِطَلَبِ مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَقَبُولِ مَا تَزْكُو بِهِ مِمّا فِيهِ حَيَاتُهَا الْأَبَدِيّةُ وَيَكْسِرُ الْجُوعُ وَالظّمَأُ مِنْ حِدّتِهَا وَسَوْرَتِهَا وَيُذَكّرُهَا

بِحَالِ الْأَكْبَادِ الْجَائِعَةِ مِنْ الْمَسَاكِينِ . وَتُضَيِّقُ مَجَارِي الشَّيْطَانِ مِنْ الْعَبْدِ بِتَضْيِيقِ مَجَارِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَتَحْبِسُ قُوَى الْأَعْضَاءِ عَنْ اسْتِرْسَالِهَا لِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ فِيمَا يَضُرُّهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا وَيُسَكِّنُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهَا وَكُلَّ قُوَّةٍ عَنْ جِمَاحِهِ وَتُلْجَمُ بِلِجَامِهِ فَهُوَ لِجَامُ الْمُتَّقِينَ وَجُنَّةُ الْمُحَارِبِينَ وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَإِنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ فَهُوَ تَرْكُ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّذَاتِهَا إيثَارًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ وَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ وَالْعِبَادُ قَدْ يَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُفْطِرَاتِ الظَّاهِرَةِ وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ . [ص ٢٨] أَيْدِي الشَّهَوَاتِ فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الْبَقَرَةُ ١٨٥] . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ . وَأَمَرَ مَنْ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النِّكَاحِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ بِالصِّيَامِ وَجَعَلَهُ وِجَاءَ هَذِهِ الشَّهْوَةِ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَصَالِحَ الصَّوْمِ لَمَّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفِطَرِ الْمُسْتَقِيمَةِ شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ وَإِحْسَانًا إلَيْهِمْ وَحِمْيَةً لَهُمْ وَجُنَّةً . وَكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ وَأَعْظَمَ تَحْصِيلٍ لِلْمَقْصُودِ وَأَسْهَلَهُ عَلَى النُّفُوسِ . [ص ٢٩] كَانَ فَطْمُ النُّفُوسِ عَنْ مَأْلُوفَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا مِنْ أَشَقِّ الْأُمُورِ وَأَصْعَبِهَا تَأَخَّرَ فَرْضُهُ إلَى وَسَطِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ لَمَّا تَوَطَّنَتْ النُّفُوسُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَأَلِفَتْ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ فَنُقِلَتْ إلَيْهِ بِالتَّدْرِيجِ

[زَمَنُ فَرْضِيَّةِ الصِّيَامِ]

وَكَانَ فَرْضُهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَامَ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ وَفُرِضَ أَوَّلًا عَلَى وَجْهِ التَّخْيِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُطْعِمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا ثُمَّ نُقِلَ مِنْ ذَلِكَ التَّخْيِيرِ إلَى تَحَتُّمِ الصَّوْمِ وَجَعَلَ الْإِطْعَامَ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ إذَا لَمْ يُطِيقَا الصِّيَامَ فَإِنَّهُمَا يُفْطِرَانِ وَيُطْعِمَانِ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا وَرَخَّصَ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ أَنْ يُفْطِرَا وَيَقْضِيَا وَلِلْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ إذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا كَذَلِكَ فَإِنْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا زَادَتَا مَعَ الْقَضَاءِ إطْعَامَ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ فَإِنَّ فِطْرَهُمَا لَمْ يَكُنْ لِخَوْفِ مَرَضٍ وَإِنَّمَا كَانَ مَعَ الصِّحَّةِ فَجُبِرَ بِإِطْعَامِ - ُ ٣٠ - الْمِسْكِينِ كَفِطْرِ الصَّحِيحِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ . وَكَانَ لِلصَّوْمِ رُتَبٌ ثَلَاثٌ إحْدَاهَا : إيجَابُهُ بِوَصْفِ التَّخْيِيرِ . وَالثَّانِيَةُ تَحَتُّمُهُ لَكِنْ كَانَ الصَّائِمُ إذَا نَامَ قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ إلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ فَنُسِخَ ذَلِكَ بِالرُّتْبَةِ الثَّالِثَةِ وَهِيَ الَّتِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

فَصْلٌ [إكْثَارُ الْعِبَادَاتِ فِي رَمَضَانَ]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْإِكْثَارُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فَكَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ وَكَانَ إذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ يُكْثِرُ فِيهِ مِنْ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالِاعْتِكَافِ [ص ٣١]

[الْوِصَالُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي]

وَكَانَ يَخُصُّ رَمَضَانَ مِنْ الْعِبَادَةِ بِمَا لَا يَخُصُّ غَيْرَهُ بِهِ مِنْ الشُّهُورِ حَتَّى إنَّهُ كَانَ لَيُوَاصِلُ فِيهِ أَحْيَانًا لِيُوَفِّرَ سَاعَاتِ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَانَ يَنْهَى أَصْحَابَهُ عَنْ

الوِصَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ إنّك تُوَاصِلُ فَيَقُولُ لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إنّي أبيت - وَفِي رِوَايَةٍ إنّي أَظَلّ - عِنْدَ رَبّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَقَدْ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي هَذَا الطّعَامِ وَالشّرَابِ الْمَذْكُورَيْنِ عَلَى قَوْلَيْنِ . أَحَدُهُمَا : أَنّهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ حِسّيّ لِلْفَمِ قَالُوا : وَهَذِهِ حَقِيقَةُ اللّفْظِ وَلَا مُوجِبَ لِلْعُدُولِ عَنْهَا . الثّانِي : أَنّ الْمُرَادَ بِهِ مَا يُغَذّيهِ اللّهُ بِهِ مِنْ مَعَارِفِهِ وَمَا يَفِيضُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ لَذّةِ مُنَاجَاتِهِ وَقُرّةِ عَيْنِهِ بِقُرْبِهِ وَتَنَعّمِهِ بِحُبّهِ وَالشّوْقِ إلَيْهِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ مِنْ الْأَحْوَالِ الّتِي هِيَ غِذَاءُ الْقُلُوبِ وَنَعِيمُ الْأَرْوَاحِ وَقُرّةُ الْعَيْنِ وَبَهْجَةُ النّفُوسِ وَالرّوحِ وَالْقَلْبِ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ غِذَاءً وَأَجْوَدُهُ وَأَنْفَعُهُ وَقَدْ يَقْوَى هَذَا الْغِذَاءُ حَتّى يُغْنِيَ عَنْ غِذَاءِ الْأَجْسَامِ مُدّةً مِنْ الزّمَانِ كَمَا قِيلَ لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا عَنْ الشّرَابِ وَتُلْهِيهَا عَنْ الزّادِ

لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ وَمِنْ حَدِيثِك فِي أَعْقَابِهَا حَادِي

إذَا شَكَتْ مِنْ كَلَالِ السّيْرِ أَوْعَدَهَا رُوحُ الْقُدُومِ فَتَحْيَا عِنْدَ مِيعَادِ

وَمَنْ لَهُ أَدْنَى تَجْرِبَةٍ وَشَوْقٍ يَعْلَمُ اسْتِغْنَاءَ الْجِسْمِ بِغِذَاءِ الْقَلْبِ وَالرّوحِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ الْغِذَاءِ الْحَيَوَانِيّ وَلَا سِيّمَا الْمَسْرُورُ الْفَرْحَانُ الظّافِرُ بِمَطْلُوبِهِ الّذِي قَدْ [ص ٣٢] قَرّتْ عَيْنُهُ بِمَحْبُوبِهِ وَتَنَعّمَ بِقُرْبِهِ وَالرّضَى عَنْهُ وَأَلْطَافِ مَحْبُوبِهِ وَهَدَايَاهُ وَتُحَفِهِ تَصِلُ إلَيْهِ كُلّ وَقْتٍ وَمَحْبُوبُهُ حَفِيّ بِهِ مُعْتَنٍ بِأَمْرِهِ مُكْرِمٌ لَهُ غَايَةَ الْإِكْرَامِ مَعَ الْمَحَبّةِ التّامّةِ لَهُ أَفَلَيْسَ فِي هَذَا أَعْظَمُ غِذَاءً لِهَذَا الْمُحِبّ ؟ فَكَيْفَ بِالْحَبِيبِ الّذِي لَا شَيْءَ أَجَلّ مِنْهُ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَجْمَلُ وَلَا أَكْمَلُ وَلَا أَعْظَمُ إحْسَانًا إذَا امْتَلَأَ قَلْبُ الْمُحِبّ بِحُبّهِ وَمَلَكَ حُبّهُ جَمِيعَ أَجْزَاءِ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ وَتَمَكّنَ حُبّهُ مِنْهُ أَعْظَمَ تَمَكّنٍ وَهَذَا حَالُهُ مَعَ حَبِيبِهِ أَفَلَيْسَ هَذَا الْمُحِبّ عِنْدَ حَبِيبِهِ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا ؟ وَلِهَذَا قَالَ إنّي أَظَلّ عِنْدَ رَبّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ طَعَامًا وَشَرَابًا لِلْفَمِ لَمَا كَانَ صَائِمًا فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ مُوَاصِلًا وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي اللّيْلِ لَمْ يَكُنْ مُوَاصِلًا وَلَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إذْ قَالُوا لَهُ إنّك تُوَاصِلُ " لَسْتُ أُوَاصِلُ " . وَلَمْ يَقُلْ " لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ " بَلْ أَقَرّهُمْ عَلَى نِسْبَةِ الْوِصَالِ إلَيْهِ وَقَطَعَ الْإِلْحَاقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَا بَيّنَهُ مِنْ الْفَارِقِ كَمَا فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاصَلَ فِي رَمَضَانَ فَوَاصَلَ النّاسُ فَنَهَاهُمْ فَقِيلَ لَهُ أَنْتَ تُوَاصِلُ . فَقَالَ إنّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إنّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى . وَسِيَاقُ الْبُخَارِيّ لِهَذَا الْحَدِيثِ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْوِصَالِ فَقَالُوا : إنّك تُوَاصِلُ . قَالَ إنّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إنّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْوِصَالِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إنّك يَا رَسُولَ اللّهِ تُوَاصِلُ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَيّكُمْ مِثْلِي إنّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبّي وَيَسْقِينِي . وَأَيْضًا : فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا نَهَاهُمْ عَنْ الْوِصَالِ فَأَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمّ يَوْمًا ثُمّ رَأَوْا الْهِلَالَ فَقَالَ لَوْ تَأَخّرَ الْهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ . كَالْمُنَكّلِ لَهُمْ [ص ٣٣] أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ الْوِصَالِ . وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لَوْ مُدّ لَنَا الشّهْرُ لَوَاصَلْنَا وِصَالًا يَدَعُ الْمُتَعَمّقُونَ تَعَمّقَهُمْ إنّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ أَوْ قَالَ إنّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي فَإِنّي أَظَلّ يُطْعِمُنِي رَبّي وَيَسْقِينِي فَأَخْبَرَ أَنّهُ يُطْعَمُ وَيُسْقَى مَعَ كَوْنِهِ مُوَاصِلًا وَقَدْ فَعَلَ فِعْلَهُمْ مُنَكّلًا بِهِمْ مُعَجّزًا لَهُمْ فَلَوْ كَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ لَمَا كَانَ ذَلِكَ تَنْكِيلًا وَلَا تَعْجِيزًا بَلْ وَلَا وِصَالًا وَهَذَا بِحَمْدِ اللّهِ وَاضِحٌ . وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْوِصَالِ رَحْمَةً لِلْأُمّةِ وَأَذِنَ فِيهِ إلَى السّحَرِ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيّ أَنّهُ سَمِعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لَا تُوَاصِلُوا فَأَيّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إلَى السّحَرِ

[الِاخْتِلَافُ فِي حُكْمِ الْوِصَالِ وَتَرْجِيحِ الْمُصَنّفِ بِجَوَازِهِ مِنْ السّحَرِ إلَى السّحَرِ]

فَإِنْ قِيلَ فَمَا حُكْمُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَهَلْ الْوِصَالُ جَائِزٌ أَوْ مُحَرّمٌ أَوْ مَكْرُوهٌ ؟ قِيلَ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ . أَحَدُهَا : أَنّهُ جَائِزٌ إنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَرْوِيّ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ السّلَفِ وَكَانَ ابْنُ الزّبَيْرِ يُوَاصِلُ الْأَيّامَ وَمِنْ حُجّةِ أَرْبَابِ هَذَا الْقَوْلِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاصَلَ بِالصّحَابَةِ مَعَ نَهْيِهِ لَهُمْ عَنْ الْوِصَالِ كَمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّهُ نَهَى عَنْ الْوِصَالِ وَقَالَ إنّي لَسْت كَهَيْئَتِكُمْ فَلَمّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمّ يَوْمًا فَهَذَا وِصَالُهُ بِهِمْ بَعْدَ نَهْيِهِ عَنْ الْوِصَالِ وَلَوْ كَانَ النّهْيُ لِلتّحْرِيمِ لَمَا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا وَلَمَا أَقَرّهُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ . قَالُوا : فَلَمّا فَعَلُوهُ بَعْدَ نَهْيِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ وَيُقِرّهُمْ عُلِمَ أَنّهُ أَرَادَ الرّحْمَةَ بِهِمْ وَالتّخْفِيفَ عَنْهُمْ [ص ٣٤] قَالَتْ عَائِشَةُ : نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ مُتّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : لَا يَجُوزُ الْوِصَالُ مِنْهُمْ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشّافِعِيّ وَالثّوْرِيّ رَحِمَهُمُ اللّهُ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرّ : وَقَدْ حَكَاهُ عَنْهُمْ إنّهُمْ لَمْ يُجِيزُوهُ لِأَحَدِ قُلْت : الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ نَصّ عَلَى كَرَاهَتِهِ وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُهُ هَلْ هِيَ كَرَاهَةُ تَحْرِيمٍ أَوْ تَنْزِيهٍ ؟ عَلَى وَجْهَيْنِ وَاحْتَجّ الْمُحَرّمُونَ بِنَهْيِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالُوا : وَالنّهْيُ يَقْتَضِي التّحْرِيمَ . قَالُوا : وَقَوْلُ عَائِشَةَ : " رَحْمَةً لَهُمْ " لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ لِلتّحْرِيمِ بَلْ يُؤَكّدُهُ فَإِنّ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ حَرّمَهُ عَلَيْهِمْ بَلْ سَائِرُ مَنَاهِيهِ لِلْأُمّةِ رَحْمَةٌ وَحِمْيَةٌ وَصِيَانَةٌ . قَالُوا : وَأَمّا مُوَاصَلَتُهُ بِهِمْ بَعْدَ نَهْيِهِ فَلَمْ يَكُنْ تَقْرِيرًا لَهُمْ كَيْفَ وَقَدْ نَهَاهُمْ وَلَكِنْ تَقْرِيعًا وَتَنْكِيلًا فَاحْتَمَلَ مِنْهُمْ الْوِصَالَ بَعْدَ نَهْيِهِ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ النّهْيِ فِي تَأْكِيدِ زَجْرِهِمْ وَبَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي نَهْيِهِمْ عَنْهُ بِظُهُورِ الْمَفْسَدَةِ الّتِي نَهَاهُمْ لِأَجْلِهَا فَإِذَا ظَهَرَتْ لَهُمْ مَفْسَدَةُ الْوِصَالِ وَظَهَرَتْ حِكْمَةُ النّهْيِ عَنْهُ كَانَ ذَلِكَ أَدْعَى إلَى قَبُولِهِمْ وَتَرْكِهِمْ لَهُ فَإِنّهُمْ إذَا ظَهَرَ لَهُمْ مَا فِي الْوِصَالِ وَأَحَسّوا مِنْهُ الْمَلَلَ فِي الْعِبَادَةِ وَالتّقْصِيرِ فِيمَا هُوَ أَهَمّ وَأَرْجَحُ مِنْ وَظَائِفِ الدّينِ مِنْ الْقُوّةِ فِي أَمْرِ اللّهِ وَالْخُشُوعِ فِي فَرَائِضِهِ وَالْإِتْيَانِ بِحُقُوقِهَا الظّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَالْجُوعُ الشّدِيدُ يُنَافِي ذَلِكَ وَيَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَهُ تَبَيّنَ لَهُمْ حِكْمَةُ النّهْيِ عَنْ الْوِصَالِ وَالْمَفْسَدَةِ الّتِي فِيهِ لَهُمْ دُونَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالُوا : وَلَيْسَ إقْرَارُهُ لَهُمْ عَلَى الْوِصَالِ لِهَذِهِ الْمَصْلَحَةِ الرّاجِحَةِ بِأَعْظَمَ مِنْ إقْرَارِ الْأَعْرَابِيّ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ لِمَصْلَحَةِ التّأْلِيفِ وَلِئَلّا يُنَفّرَ عَنْ الْإِسْلَامِ وَلَا بِأَعْظَمَ مِنْ إقْرَارِهِ [ص ٣٥] أَخْبَرَهُمْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهَا لَيْسَتْ بِصَلَاةٍ وَأَنّ فَاعِلَهَا غَيْرُ مُصَلّ بَلْ هِيَ صَلَاةٌ بَاطِلَةٌ فِي دِينِهِ فَأَقَرّهُ عَلَيْهَا لِمَصْلَحَةِ تَعْلِيمِهِ وَقَبُولِهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ فَإِنّهُ أَبْلَغُ فِي التّعْلِيمِ وَالتّعَلّمِ قَالُوا : وَقَدْ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ . قَالُوا : وَقَدْ ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلّ عَلَى أَنّ الْوِصَالَ مِنْ خَصَائِصِهِ . فَقَالَ إنّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ وَلَوْ كَانَ مُبَاحًا لَهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ خَصَائِصِهِ . قَالُوا : وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَقْبَلَ اللّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النّهَارُ مِنْ هَاهُنَا وَغَرَبَتْ الشّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصّائِمُ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى . قَالُوا : فَجَعَلَهُ مُفْطِرًا حُكْمًا بِدُخُولِ وَقْتِ الْفِطْرِ وَإِنْ لَمْ يُفْطِرْ وَذَلِكَ

يُحِيلُ الْوِصَالَ شَرْعًا . قَالُوا : وَقَدْ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تَزَالُ أُمّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ أَوْ لَا تَزَالُ أُمّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجّلُوا الْفِطْرَ
[ص ٣٦] أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ لَا يَزَالُ الدّينُ ظَاهِرًا مَا عَجّلَ النّاسُ الْفِطْرَ إنّ الْيَهُودَ وَالنّصَارَى يُؤَخّرُونَ
وَفِي " السّنَنِ " عَنْهُ قَالَ قَالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ أَحَبّ عِبَادِي إلَيّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا وَهَذَا يَقْتَضِي كَرَاهَةَ تَأْخِيرِ الْفِطْرِ فَكَيْفَ تَرْكُهُ وَإِذَا كَانَ مَكْرُوهًا لَمْ يَكُنْ عِبَادَةً فَإِنّ أَقَلّ دَرَجَاتِ الْعِبَادَةِ أَنْ تَكُونَ مُسْتَحَبّةً . وَالْقَوْلُ الثّالِثُ وَهُوَ أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ أَنّ الْوِصَالَ يَجُوزُ مِنْ سَحَرٍ إلَى سَحَرٍ وَهَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تُوَاصِلُوا فَأَيّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إلَى السّحَرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيّ . وَهُوَ أَعْدَلُ الْوِصَالِ وَأَسْهَلُهُ عَلَى الصّائِمِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بِمَنْزِلَةِ عَشَائِهِ إلّا أَنّهُ تَأَخّرَ فَالصّائِمُ لَهُ فِي الْيَوْمِ وَاللّيْلَةِ أَكْلَةٌ فَإِذَا أَكَلَهَا فِي السّحَرِ كَانَ قَدْ نَقَلَهَا مِنْ أَوّلِ اللّيْلِ إلَى آخِرِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ
زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٦١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صِيَامِ التّطَوّعِ
كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَصُومُ حَتّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَمَا اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ غَيْرَ رَمَضَانَ وَمَا كَانَ يَصُومُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِمّا يَصُومُ فِي شَعْبَانَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ عَنْهُ شَهْرٌ حَتّى يَصُومَ مِنْهُ . وَلَمْ يَصُمْ الثّلَاثَةَ الْأَشْهُرَ سَرْدًا كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النّاسِ وَلَا صَامَ رَجَبًا قَطّ وَلَا اسْتَحَبّ صِيَامَهُ بَلْ رُوِيَ عَنْهُ النّهْيُ عَنْ صِيَامِهِ ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهْ . وَكَانَ يَتَحَرّى صِيَامَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ . وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُفْطِرُ أَيّامَ الْبِيضِ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ ذَكَرَهُ النّسَائِيّ . وَكَانَ يَحُضّ عَلَى صِيَامِهَا وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [ص ٦٢] رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَصُومُ مِنْ غُرّةِ كُلّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُد وَالنّسَائِيّ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيّ الشّهْرِ صَامَهَا ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ . وَأَمّا صِيَامُ عَشْرِ ذِي الْحِجّةِ فَقَدْ اُخْتُلِفَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا رَأَيْته صَائِمًا فِي الْعَشْرِ قَطّ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَتْ حَفْصَةُ : أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعَهُنّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَالْعَشْرُ وَثَلَاثَةُ أَيّامٍ مِنْ كُلّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ . [ص ٦٣] وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجّةِ وَيَصُومُ عَاشُورَاءَ وَثَلَاثَةَ أَيّامٍ مِنْ الشّهْرِ أَوْ الِاثْنَيْنِ مِنْ الشّهْرِ وَالْخَمِيسِ وَفِي لَفْظٍ الْخَمِيسَيْنِ . وَالْمُثْبِتُ مُقَدّمٌ عَلَى النّافِي إنْ صَحّ . وَأَمّا صِيَامُ سِتّةِ أَيّامٍ مِنْ شَوّالٍ فَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ صِيَامُهَا مَعَ رَمَضَانَ يَعْدِلُ صِيَامَ الدّهْرِ " .

١٣. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الزّكَاةِ وَالصّدَقَاتِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٥)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّدَقَةِ وَالزّكَاةِ
[ص ٥] الْمَسَاكِينِ وَجَعَلَهَا اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طُهْرَةً لِلْمَالِ وَلِصَاحِبِهِ وَقَيّدَ النّعْمَةَ بِهَا عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فَمَا زَالَتْ النّعْمَةُ بِالْمَالِ عَلَى مَنْ أَدّى زَكَاتَهُ بَلْ يَحْفَظُهُ عَلَيْهِ وَيُنَمّيهِ لَهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْآفَاتِ وَيَجْعَلُهَا سُورًا عَلَيْهِ وَحِصْنًا لَهُ وَحَارِسًا لَهُ .

[الْأَصْنَافُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ]
ثُمَّ إنَّهُ جَعَلَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْ الْمَالِ وَهِيَ أَكْثَرُ الْأَمْوَالِ دَوَرَانًا بَيْنَ الْخَلْقِ وَحَاجَتُهُمْ إلَيْهَا ضَرُورِيَّةٌ . أَحَدُهَا : الزَّرْعُ وَالثِّمَارُ . الثَّانِي : بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ . الثَّالِثُ الْجَوْهَرَانِ اللَّذَانِ بِهِمَا قِوَامُ الْعَالَمِ وَهُمَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ . الرَّابِعُ أَمْوَالُ التِّجَارَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا .
[وَقْتُ وُجُوبِهَا]
ثُمَّ إنَّهُ أَوْجَبَهَا مَرَّةً كُلَّ عَامٍ وَجَعَلَ حَوْلَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ عِنْدَ كَمَالِهَا وَاسْتِوَائِهَا وَهَذَا أَعْدَلُ مَا يَكُونُ إذْ وُجُوبُهَا كُلَّ شَهْرٍ أَوْ كُلَّ جُمُعَةٍ يَضُرُّ بِأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَوُجُوبُهَا فِي الْعُمْرِ مَرَّةً مِمَّا يَضُرُّ بِالْمَسَاكِينِ فَلَمْ يَكُنْ أَعْدَلَ مِنْ وُجُوبِهَا كُلَّ عَامٍ مَرَّةً .
[نِصَابُ الزَّكَاةِ]
ثُمَّ إنَّهُ فَاوَتَ بَيْنَ مَقَادِيرِ الْوَاجِبِ بِحَسَبِ سَعْيِ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ فِي تَحْصِيلِهَا [ص ٦] فَأَوْجَبَ الْخُمُسَ فِيمَا صَادَفَهُ الْإِنْسَانُ مَجْمُوعًا مُحَصَّلًا مِنْ الْأَمْوَالِ وَهُوَ الرِّكَازُ . وَلَمْ يَعْتَبِرْ لَهُ حَوْلًا بَلْ أَوْجَبَ فِيهِ الْخُمُسَ مَتَى ظَفِرَ بِهِ . وَأَوْجَبَ نِصْفَهُ وَهُوَ الْعُشْرُ فِيمَا كَانَتْ مَشَقَّةُ تَحْصِيلِهِ وَتَعَبُهُ وَكُلْفَتُهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَذَلِكَ فِي الثِّمَارِ وَالزُّرُوعِ الَّتِي يُبَاشِرُ حَرْثَ أَرْضِهَا وَسَقْيِهَا وَبَذْرِهَا وَيَتَوَلَّى اللَّهُ سَقْيَهَا مِنْ عِنْدِهِ بِلَا كُلْفَةٍ مِنْ الْعَبْدِ وَلَا شِرَاءِ مَاءٍ وَلَا إثَارَةَ بِئْرٍ وَدُولَابٍ . وَأَوْجَبَ نِصْفَ الْعُشْرِ فِيمَا تَوَلَّى الْعَبْدُ سَقْيَهُ بِالْكُلْفَةِ وَالدَّوَالِي وَالنَّوَاضِحِ وَغَيْرِهَا . وَأَوْجَبَ نِصْفَ ذَلِكَ وَهُوَ رُبُعُ الْعُشْرِ فِيمَا كَانَ النَّمَاءُ فِيهِ مَوْقُوفًا عَلَى عَمَلٍ مُتَّصِلٍ مِنْ رَبِّ الْمَالِ بِالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ تَارَةً وَبِالْإِدَارَةِ تَارَةً وَبِالتَّرَبُّصِ تَارَةً وَلَا رَيْبَ أَنَّ كُلْفَةَ هَذَا أَعْظَمُ مِنْ كُلْفَةِ الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ وَأَيْضًا فَإِنَّ نُمُوَّ الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ أَظْهَرُ وَأَكْثَرُ مِنْ نُمُوِّ التِّجَارَةِ فَكَانَ وَاجِبُهَا أَكْثَرَ مِنْ وَاجِبِ التِّجَارَةِ وَظُهُورُ النُّمُوِّ فِيمَا يُسْقَى بِالسَّمَاءِ وَالْأَنْهَارِ أَكْثَرُ مِمَّا يُسْقَى بِالدَّوَالِي وَالنَّوَاضِحِ وَظُهُورُهُ فِيمَا وُجِدَ مُحَصَّلًا مَجْمُوعًا كَالْكَنْزِ أَكْثَرُ وَأَظْهَرُ مِنْ الْجَمِيعِ . [ص ٧] كَانَ لَا يَحْتَمِلُ الْمُوَاسَاةَ كُلُّ مَالٍ وَإِنْ قَلَّ جَعَلَ لِلْمَالِ الَّذِي تَحْتَمِلُهُ الْمُوَاسَاةُ نُصُبًا مُقَدَّرَةً الْمُوَاسَاةُ فِيهَا لَا تُجْحِفُ بِأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَتَقَعُ مَوْقِعَهَا مِنْ الْمَسَاكِينِ فَجَعَلَ لِلْوَرِقِ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ وَلِلذَّهَبِ عِشْرِينَ مِثْقَالًا وَلِلْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ وَهِيَ خَمْسَةُ أَحْمَالٍ مِنْ أَحْمَالِ إبِلِ الْعَرَبِ وَلِلْغَنَمِ أَرْبَعِينَ شَاةً وَلِلْبَقَرِ ثَلَاثِينَ بَقَرَةً وَلِلْإِبِلِ خَمْسًا لَكِنْ لَمَّا كَانَ نِصَابُهَا لَا يَحْتَمِلُ الْمُوَاسَاةَ مِنْ جِنْسِهَا أَوْجَبَ فِيهَا شَاةً . فَإِذَا تَكَرَّرَتْ الْخُمُسُ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَصَارَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ احْتَمَلَ نِصَابُهَا وَاحِدًا مِنْهَا فَكَانَ هُوَ الْوَاجِبُ . ثُمَّ إنَّهُ لَمَّا قَدَّرَ سِنَّ هَذَا الْوَاجِبِ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ بِحَسَبِ كَثْرَةِ الْإِبِلِ وَقِلَّتِهَا مِنْ ابْنِ مَخَاضٍ وَبِنْتِ مَخَاضٍ وَفَوْقَهُ ابْنُ لَبُونٍ وَبِنْتُ لَبُونٍ وَفَوْقَهُ الْحِقُّ وَالْحِقَّةُ وَفَوْقَهُ الْجَذَعُ وَالْجَذَعَةُ وَكُلَّمَا كَثُرَتْ الْإِبِلُ زَادَ السِّنُّ إلَى أَنْ [ص ٨] السِّنُّ إلَى مُنْتَهَاهُ فَحِينَئِذٍ جَعَلَ زِيَادَةَ عَدَدِ الْوَاجِبِ فِي مُقَابَلَةِ زِيَادَةِ عَدَدِ الْمَالِ .
[أَصْنَافُ مَنْ يَأْخُذُ الزَّكَاةَ]
فَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ جَعَلَ فِي الْأَمْوَالِ قَدْرًا يَحْتَمِلُ الْمُوَاسَاةَ وَلَا يُجْحِفُ بِهَا وَيَكْفِي الْمَسَاكِينَ وَلَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إلَى شَيْءٍ فَفَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَكْفِي الْفُقَرَاءَ فَوَقَعَ الظُّلْمُ مِنْ الطَّائِفَتَيْنِ الْغَنِيِّ يَمْنَعُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ وَالْآخِذُ يَأْخُذُ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ فَتَوَلَّدَ مِنْ بَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ ضَرَرٌ عَظِيمٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَفَاقَةٌ شَدِيدَةٌ أَوْجَبَتْ لَهُمْ أَنْوَاعَ الْحِيَلِ وَالْإِلْحَافِ

فِي الْمَسْأَلَةِ وَالرّبّ سُبْحَانَهُ تَوَلّى قَسْمَ الصّدَقَةِ بِنَفْسِهِ وَجَزّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ يَجْمَعُهَا صِنْفَانِ مِنْ النّاسِ
أَحَدُهُمَا : مَنْ يَأْخُذُ لِحَاجَةِ فَيَأْخُذُ بِحَسْبِ شِدّةِ الْحَاجَةِ وَضَعْفِهَا وَكَثْرَتِهَا وَقِلّتِهَا وَهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَفِي الرّقَابِ وَابْنِ السّبِيلِ .
وَالثّانِي : مَنْ يَأْخُذُ لِمَنْفَعَتِهِ وَهُمْ الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَالْغَارِمُونَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَالْغُزَاةُ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْآخِذُ مُحْتَاجًا وَلَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الزّكَاةِ
زاد المعاد - (ج ٢ / ص ١٨)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ
[مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ وَمِقْدَارُهَا]
فَرَضَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْمُسْلِمِ وَعَلَى مَنْ يَمُونُهُ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ذَكَرٍ وَأُنْثَى حُرّ وَعَبْدٍ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ . وَرُوِيَ عَنْهُ أَوْ صَاعًا مِنْ دَقِيقٍ وَرُوِيَ عَنْهُ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ بُرّ . وَالْمَعْرُوفُ أَنّ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ جَعَلَ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرّ مَكَانَ الصّاعِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُد . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ أَنّ مُعَاوِيَةَ هُوَ الّذِي قَوّمَ ذَلِك وَفِيهِ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ آثَارٌ مُرْسَلَةٌ وَمُسْنَدَةٌ يُقَوّي بَعْضُهَا بَعْضًا . [ص ١٩] عَبْدِ اللّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَوْ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي صعير عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَاعٌ مِنْ بُرّ أَوْ قَمْحٍ عَلَى كُلّ اثْنَيْنِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ مُنَادِيًا فِي فِجَاجِ مَكّةَ أَلَا إنّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى حُرّ أَوْ عَبْدٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ مُدّانِ مِنْ قَمْحٍ أَوْ سِوَاهُ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . وَرَوَى الدّارَقُطْنِيّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ عَمْرَو بْنَ حَزْمٍ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ بِنِصْفِ صَاعٍ مِنْ حِنْطَةٍ وَفِيهِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى وَثّقَهُ بَعْضُهُمْ وَتَكَلّمَ فِيهِ بَعْضُهُمْ . قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيّ : خَطَبَ ابْنُ عَبّاسٍ فِي آخِرِ رَمَضَانَ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ أَخْرِجُوا صَدَقَةَ صَوْمِكُمْ فَكَأَنّ النّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا . فَقَالَ مِنْ هَاهُنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؟ قُومُوا إلَى إخْوَانِكُمْ فَعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَرَضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذِهِ الصّدَقَةَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ قَمْحٍ عَلَى كُلّ حُرّ أَوْ مَمْلُوكٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ فَلَمّا قَدِمَ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ رَأَى رُخْصَ السّعْرِ قَالَ قَدْ أَوْسَعَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَلَوْ جَعَلْتُمُوهُ صَاعًا مِنْ كُلّ شَيْءٍ [ص ٢٠] أَبُو دَاوُد وَهَذَا لَفْظُهُ وَالنّسَائِيّ وَعِنْدَهُ فَقَالَ عَلِيّ : أَمّا إذْ أَوْسَعَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَأَوْسِعُوا اجْعَلُوهَا صَاعًا مِنْ بُرّ وَغَيْرِهِ وَكَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللّهُ يُقَوّي هَذَا الْمَذْهَبَ وَيَقُولُ هُوَ قِيَاسُ قَوْلِ أَحْمَدَ فِي الْكَفّارَاتِ أَنّ الْوَاجِبَ فِيهَا مِنْ الْبُرّ نصف الواجب من غيره .
زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٢٠)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَدَقَةِ التّطَوّعِ
كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَعْظَمَ النّاسِ صَدَقَةً بِمَا مَلَكَتْ يَدُهُ وَكَانَ لَا يَسْتَكْثِرُ شَيْئًا أَعْطَاهُ لِلّهِ تَعَالَى وَلَا يَسْتَقِلّهُ وَكَانَ لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ شَيْئًا عِنْدَهُ إلّا أَعْطَاهُ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا

وَكَانَ عَطَاؤُهُ عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ وَكَانَ الْعَطَاءُ وَالصّدَقَةُ أَحَبّ شَيْءٍ إلَيْهِ وَكَانَ سُرُورُهُ وَفَرَحُهُ بِمَا يُعْطِيهِ أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِ الْآخِذِ بِمَا يَأْخُذُهُ وَكَانَ أَجْوَدَ النّاسِ بِالْخَيْرِ يَمِينُهُ كَالرّيحِ الْمُرْسَلَةِ . وَكَانَ إذَا عَرَضَ لَهُ مُحْتَاجٌ آثَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ تَارَةً بِطَعَامِهِ وَتَارَةً بِلِبَاسِهِ . وَكَانَ يُنَوّعُ فِي أَصْنَافِ عَطَائِهِ وَصَدَقَتِهِ فَتَارَةً بِالْهِبَةِ وَتَارَةً بِالصّدَقَةِ وَتَارَةً بِالْهَدِيّةِ وَتَارَةً بِشِرَاءِ الشّيْءِ ثُمّ يُعْطِي الْبَائِعَ الثّمَنَ وَالسّلْعَةَ جَمِيعًا كَمَا فَعَلَ بِبَعِيرِ [ص ٢٢] جَابِرٍ .
وَتَارَةً كَانَ يَقْتَرِضُ الشّيْءَ فَيَرُدّ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَفْضَلَ وَأَكْبَرَ وَيَشْتَرِي الشّيْءَ فَيُعْطِي أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِهِ وَيَقْبَلُ الْهَدِيّةَ وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا بِأَكْثَرَ مِنْهَا أَوْ بِأَضْعَافِهَا تَلَطّفًا وَتَنَوّعًا فِي ضُرُوبِ الصّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ بِكُلّ مُمْكِنٍ وَكَانَتْ صَدَقَتُهُ وَإِحْسَانُهُ بِمَا يَمْلِكُهُ وَبِحَالِهِ وَبِقَوْلِهِ فَيُخْرِجُ مَا عِنْدَهُ وَيَأْمُرُ بِالصّدَقَةِ وَيَحُضّ عَلَيْهَا وَيَدْعُو إلَيْهَا بِحَالِهِ وَقَوْلِهِ فَإِذَا رَآهُ الْبَخِيلُ الشّحِيحُ دَعَاهُ حَالُهُ إلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَكَانَ مَنْ خَالَطَهُ وَصَحِبَهُ وَرَأَى هَدْيَهُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ السّمَاحَةِ وَالنّدَى . وَكَانَ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَدْعُو إلَى الْإِحْسَانِ وَالصّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَشْرَحَ الْخَلْقِ صَدْرًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا فَإِنّ لِلصّدَقَةِ وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي شَرْحِ الصّدْرِ وَانْضَافَ ذَلِكَ إلَى مَا خَصّهُ اللّهُ بِهِ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ بِالنّبُوّةِ وَالرّسَالَةِ وَخَصَائِصِهَا وَتَوَابِعِهَا وَشَرْحِ صَدْرِهِ حِسّا وَإِخْرَاجِ حَظّ الشّيْطَانِ مِنْهُ
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الزَّكَاةِ:
١ـ هديه فيها أكمل الهدي في وقتها وقدرها ونصابها، ومن تجب عليه ومصرفها، راعى فيها مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المساكين، ففرض في أموال الأغنياء ما يكفي الفقراء من غير إجحاف.
٢ـ وكان إذا علم من الرجل أنه من أهلها أعطاه وإن سأله منها مَنْ لا يعرف حاله أعطاه بعد أن يخبره أنه لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب.
٣ـ وكان من هديه تفريقها على المستحقين في بلد المال، وما فضل عنهم منها حُمِلَ إليه ففرقه.
٤ـ ولم يكن يبعثهم إلا إلى أهل الأموال الظاهرة من المواشي والزروع والثمار.
٥ـ وكان يبعث الخارص يخرص على أهل النخيل ثمر نخيلهم، وعلى أهل الكروم كرومهم، وينظر كم يجيء منه وسقًا، فيحسب عليهم من الزكاة بقدره. ـ والخرص: الحزر والتخمين ـ.
٦ـ ولم يكن من هديه أخذها من الخيل ولا الرقيق، ولا البغال ولا الحمير، ولا الخضراوات، ولا المطابخ ولا المقاتي والفواكه التي لا تكال ولا تدخر، إلا العنب والرطب، فلم يفرق بين رطبه ويابسه.
٧ـ ولم يكن من هديه أخذ كرائم الأموال، بل وسطه.
٨ـ وكان ينهى المتصدق أن يشتري صدقته، وكان يبيح للغني أن يأكل منها إذا أهداها إليه الفقير.
٩ـ وكان يستدين لمصالح المسلمين على الصدقة أحيانًا، وكان يستسلف الصدقة من أربابها أحيانًا.

١٠- وكان إذا جاء الرجل بالزكاة دعا له، يقول: ((اللهم بارك فيه وفي إبله)) [صحيح النسائي]، وتارة يقول: ((اللهم صَلِّ عليه)) [ق].
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في زَكَاةِ الْفِطْرِ:
١- فرض زكاة الفطر صاعًا من تمر أو شعير أو أقط أو زبيب.
٢- وكان من هديه إخراجها قبل صلاة العيد، وقال: ((من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)) [صحيح أبي داود].
٣- وكان من هديه تخصيص المساكين بها، ولم يكن يقسمها على الأصناف الثمانية.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ:
١- كان أعظم الناس صدقة بما ملكت يده وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله، ولا يستقله.
٢- وكان لا يسأله أحدٌ شيئًا عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيرًا.
٣- وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما أخذه.
٤- وكان إذا عرض له محتاجٌ آثره على نفسه، تارةً بطعامه، وتارةً بلباسه.
٥- وكان من خالطه لا يملك نفسه من السماحة.
٦- وكان ينوع في أصناف إعطائه وصدقته، فتارةً بالهدية، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهبة، وتارةً بشراء الشيء ثم يعطي البائع السلعة والثمن، وتارةً يقترض الشيء فيرد أكثر منه، وتارة يقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها.

١٤. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الجَنَائِزِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٧٩)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْجَنَائِزِ وَالصّلَاةِ عَلَيْهَا وَاتّبَاعِهَا وَدَفْنِهَا وَمَا كَانَ يَدْعُو بِهِ لِلْمَيّتِ فِي صَلَاةِ الْجِنَازَةِ وَبَعْدَ الدّفْنِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ

كَانَ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْجَنَائِزِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ مُخَالِفًا لِهَدْيِ سَائِرِ الْأُمَمِ مُشْتَمِلًا عَلَى الْإِحْسَانِ إلَى الْمَيّتِ وَمُعَامَلَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ مَعَادِهِ وَعَلَى الْإِحْسَانِ إلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَعَلَى إقَامَةِ عُبُودِيّةِ الْحَيّ لِلّهِ وَحْدَهُ فِيمَا يُعَامِلُ بِهِ الْمَيّتَ . وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ فِي الْجَنَائِزِ إقَامَةُ الْعُبُودِيّةِ لِلرّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحْسَانُ إلَى الْمَيّتِ وَتَجْهِيزُهُ إلَى اللّهِ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَأَفْضَلِهَا وَوُقُوفُهُ وَوُقُوفُ أَصْحَابِهِ صُفُوفًا يَحْمَدُونَ اللّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَيَسْأَلُونَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرّحْمَةَ وَالتّجَاوُزَ عَنْهُ ثُمّ الْمَشْيُ بَيْنَ يَدَيْهِ إلَى أَنْ يُودِعُوهُ حُفْرَتَهُ ثُمّ يَقُومُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ سَائِلِينَ لَهُ التّثْبِيتَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إلَيْهِ ثُمّ يَتَعَاهَدُهُ بِالزّيَارَةِ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَالسّلَامِ عَلَيْهِ وَالدّعَاءِ لَهُ كَمَا يَتَعَاهَدُ الْحَيّ صَاحِبَهُ فِي دَارِ الدّنْيَا . فَأَوّلُ ذَلِكَ تَعَاهُدُهُ فِي مَرَضِهِ وَتَذْكِيرُهُ الْآخِرَةَ وَأَمْرُهُ بِالْوَصِيّةِ وَالتّوْبَةِ وَأَمْرُ مَنْ حَضَرَهُ بِتَلْقِينِهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ لِتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ ثُمّ النّهْيُ عَنْ [ص ٤٨٠] وَسَنّ الْخُشُوعَ لِلْمَيّتِ وَالْبُكَاءَ الّذِي لَا صَوْتَ مَعَهُ وَحُزْنَ الْقَلْبِ وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَيَقُولُ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إلّا مَا يُرْضِي الرّبّ وَسَنّ لِأُمّتِهِ الْحَمْدَ وَالِاسْتِرْجَاعَ وَالرّضَى عَنْ اللّهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنَافِيًا لِدَمْعِ الْعَيْنِ وَحُزْنِ الْقَلْبِ وَلِذَلِكَ كَانَ أَرْضَى الْخَلْقِ عَنْ اللّهِ فِي قَضَائِهِ وَأَعْظَمَهُمْ لَهُ حَمْدًا وَبَكَى مَعَ ذَلِكَ يَوْمَ مَوْتِ ابْنِهِ إبْرَاهِيمَ رَأْفَةً مِنْهُ وَرَحْمَةً لِلْوَلَدِ وَرِقّةً عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مُمْتَلِئٌ بِالرّضَى عَنْ اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَشُكْرِهِ وَاللّسَانُ مُشْتَغِلٌ بِذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ . وَلَمّا ضَاقَ هَذَا الْمَشْهَدُ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ عَلَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ يَوْمَ مَاتَ وَلَدُهُ جَعَلَ

يَضْحَكُ فَقِيلَ لَهُ أَتَضْحَكُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ؟ قَالَ إنّ اللّهَ تَعَالَى قَضَى بِقَضَاءِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِقَضَائِهِ فَأَشْكَلَ هَذَا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقَالُوا : كَيْفَ يَبْكِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ إبْرَاهِيمُ وَهُوَ أَرْضَى الْخَلْقِ عَنْ اللّهِ وَيَبْلُغُ الرّضَى بِهَذَا الْعَارِفِ إلَى أَنْ يَضْحَكَ فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ هَدْيُ نَبِيّنَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ أَكْمَلَ مِنْ هَدْيِ هَذَا الْعَارِفِ فَإِنّهُ أَعْطَى الْعُبُودِيّةَ حَقّهَا فَاتّسَعَ قَلْبُهُ لِلرّضَى عَنْ اللّهِ وَلِرَحْمَةِ الْوَلَدِ وَالرّقّةِ عَلَيْهِ فَحَمِدَ اللّهَ وَرَضِيَ عَنْهُ فِي قَضَائِهِ وَبَكَى رَحْمَةً وَرَأْفَةً فَحَمَلَتْهُ الرّأْفَةُ عَلَى الْبُكَاءِ وَعُبُودِيّتُهُ لِلّهِ وَمَحَبّتُهُ لَهُ عَلَى الرّضَى وَالْحَمْدِ وَهَذَا الْعَارِفُ ضَاقَ قَلْبُهُ عَنْ اجْتِمَاعِ الْأَمْرَيْنِ وَلَمْ يَتّسِعْ بَاطِنُهُ لِشُهُودِهِمَا وَالْقِيَامِ بِهِمَا فَشَغَلَتْهُ عُبُودِيّةُ الرّضَى عَنْ عُبُودِيّةِ الرّحْمَةِ وَالرّأْفَةِ [ص ٤٨١]

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٩٠)

فَصْلٌ [التّسْلِيمُ مِنْ صَلَاةِ الْجِنَازَةِ]

وَأَمّا هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي التّسْلِيمِ مِنْ صَلَاةِ الْجِنَازَةِ فَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يُسَلّمُ وَاحِدَةً . وَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يُسَلّمُ تَسْلِيمَتَيْنِ . فَرَوَى الْبَيْهَقِيّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ الْمَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى عَلَى جِنَازَةٍ فَكَبّرَ أَرْبَعًا وَسَلّمَ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً لَكِنْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ الْأَثْرَمِ : هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي مَوْضُوعٌ ذَكَرَهُ الْخَلّالُ فِي " الْعِلَلِ " . [ص ٤٩١] وَقَالَ إبْرَاهِيمُ الْهَجَرِيّ حَدّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى : أَنّهُ صَلّى عَلَى جِنَازَةِ ابْنَتِهِ فَكَبّرَ أَرْبَعًا فَمَكَثَ سَاعَةً حَتّى ظَنَنّا أَنّهُ يُكَبّرُ خَمْسًا ثُمّ سَلّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَلَمّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ مَا هَذَا ؟ فَقَالَ إنّي لَا أَزِيدُكُمْ عَلَى مَا رَأَيْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَصْنَعُ أَوْ هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : ثَلَاثُ خِلَالٍ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَفْعَلُهُنّ تَرَكَهُنّ النّاسُ إحْدَاهُنّ التّسْلِيمُ عَلَى الْجِنَازَةِ مِثْلَ التّسْلِيمِ فِي الصّلَاةِ ذَكَرَهُمَا الْبَيْهَقِيّ . وَلَكِنْ إبْرَاهِيمَ بْنَ مُسْلِمٍ الْعَبْدِيّ الْهَجَرِيّ ضَعّفَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَالنّسَائِيّ وَأَبُو حَاتِمٍ وَحَدِيثُهُ هَذَا قَدْ رَوَاهُ الشّافِعِيّ فِي كِتَابِ حَرْمَلَةَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْهُ وَقَالَ كَبّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ثُمّ قَامَ سَاعَةً فَسَبّحَ بِهِ الْقَوْمُ فَسَلّمَ ثُمّ قَالَ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْ أَزِيدَ عَلَى أَرْبَعَ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَبّرَ أَرْبَعًا وَلَمْ يَقُلْ ثُمّ سَلّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ . وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ الْمُحَارِبِيّ عَنْهُ كَذَلِكَ وَلَمْ يَقُلْ ثُمّ سَلّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ . وَذَكَرَ السّلَامَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ انْفَرَدَ بِهَا شَرِيكٌ عَنْهُ . قَالَ الْبَيْهَقِيّ : ثُمّ عَزَاهُ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي التّكْبِيرِ فَقَطْ أَوْ فِي التّكْبِيرِ وَغَيْرِهِ . قُلْت : وَالْمَعْرُوفُ عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى خِلَافُ ذَلِكَ أَنّهُ كَانَ يُسَلّمُ وَاحِدَةً ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْهُ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللّهِ أَتَعْرِفُ عَنْ أَحَدٍ [ص ٤٩٢] كَانَ يُسَلّمُ عَلَى الْجِنَازَةِ تَسْلِيمَتَيْنِ ؟ قَالَ لَا وَلَكِنْ عَنْ سِتّةٍ مِنْ الصّحَابَةِ أَنّهُمْ كَانُوا يُسَلّمُونَ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً خَفِيفَةً عَنْ يَمِينِهِ فَذَكَرَ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ عَبّاسٍ وَأَبَا هُرَيْرَةَ وَوَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ وَابْنَ أَبِي أَوْفَى وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ . وَزَادَ الْبَيْهَقِيّ : عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَجَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَأَبَا أُمَامَةَ بْنَ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ فَهَؤُلَاءِ عَشَرَةٌ مِنْ الصّحَابَةِ وَأَبُو أُمَامَةَ أَدْرَكَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَمّاهُ بِاسْمِ جَدّهِ لِأُمّهِ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي الصّحَابَةِ وَمِنْ كِبَارِ التّابِعِينَ

١ـ كان هديه في الجنائز أكمل هدي، مخالفًا لهدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت وإلى أهله وأقاربه، فأول ذلك تعاهده في مرضه، وتذكيره الآخرة، وأمره بالوصية والتوبة، وأمر من حضره بتلقينه شهادة أن لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه.
٢ـ وكان أرضى الخلق عن الله في قضائه وأعظمهم له حمدًا، وبكى لموت ابنه إبراهيم رأفة به ورحمة له ورقة عليه، والقلب ممتلئ بالرضا عن الله وشكره، واللسان مشتغل بذكره وحمده. ويقول: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب)) [ق].
٣ـ ونهى عن لطم الخدود، ورفع الصوت بالنياحة والنَّدب.
٤ـ وكان من هديه الإسراع بتجهيز الميت إلى الله، وتطهيره وتنظيفه وتكفينه في ثياب البياض.
٥ـ وكان من هديه تغطية وجه الميت وبدنه، وتغميض عينيه.
٦ـ وكان ربما يُقَبِّلُ الميت.
٧ـ وكان يأمر بغسل الميت ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر بحسب ما يراه الغاسل، ويأمر بالكافور في الغسلة الأخيرة.
٨ـ وكان لا يغسل الشَّهيد قتيل المعركة، وكان ينزع عن الشهداء الجلود والحديد، ويدفنهم في ثيابهم ولا يصلي عليهم.
١٠ـ وأمر بغسل المُحْرِمِ بماء وسدر، ويكفن في ثوب إحرامه، ونهى عن تطييبه وتغطية رأسه.
١١ـ وكان يأمر وَلِيَّ الميت أن يُحْسِنَ كَفَنَهُ ويكفنه في البياض، ونهى عن المغالاة في الكفن.
١٢ـ وكان إذا قصر الكفن عن ستر جميع البدن غطى رأسه، وجعل على رجليه شيئًا من العشب.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الصَّلاَةِ عَلَى المَيِّتِ:
١ـ كان يصلي على الميت خارج المسجد، وربما صلى عليه في المسجد ولكن لم يكن ذلك من هديه الراتب.
٢ـ وكان إذا قُدِم عليه بميت سأل: ((هل عليه دين؟)) فإن لم يكن عليه دين صلى عليه، وإن كان عليه دين لم يصل عليه، وأمر أصحابه أن يُصَلُّوا عليه.
ولما فتح الله عليه كان يصلي على المدين ويتحمل دينه، ويدع ماله لورثته.
٣ـ وكان إذا أخذ في الصلاة كبر وحمد الله وأثنى عليه ودعا، وكان يكبر أربع تكبيرات وكبر خمسًا.
٤ـ وكان يأمر بإخلاص الدعاء للميت، وحفظ من دعائه: ((اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده)). [صحيح الترمذي].
وحفظ أيضًا من دعائه: ((اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب

الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من القبر ومن عذاب النار)) [م].
٥- وكان يقوم عند رأس الرجل، ووسط المرأة.
٦- وكان يصلي على الطفل، ولا يصلي على من قتل نفسه، ولا على من غَلَّ من الغنيمة.
٧- وصلى على المرأة الجهنية التي رجمها.
٨- وصلى على النجاشي صلاته على الميت، ولم يكن من هديه الصلاة على كل ميت غائب.
٩- وكان من هديه إذا فاتته الصلاة على الجنازة صلى على القبر.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الدَّفْنِ وَتَوَابِعِهِ:
١- كان إذا صلى على الميت تبعه إلى المقابر ماشيًا أمامه، وسن للراكب أن يكون وراءها، وإن كان ماشيًا يكون قريبًا منها، إما خلفها أو أمامها، أو عن يمينها أو عن شمالها، وكان يأمر بالإسراع بها.
٢- وكان لا يجلس حتى توضع.
٣- وأمر بالقيام للجنازة لما مرت به، وصح عنه أنه قعد.
٤- وكان من هديه ألا يدفن الميت عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها ولا حين يقوم قائم الظهيرة.
٥- وكان من هديه اللحد، وتعميق القبر، وتوسيعه عند رأس الميت ورجليه.
٦- وكان يحثو التراب على الميت إذا دفن من قِبَل رأسه ثلاثًا.
٧- وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره وسأل له التثبيت، وأمر أصحابه بذلك.
٨- ولم يكن يجلس يقرأ على القبر ولا يلقن الميت.
٩- وكان من هديه ترك نعي الميت، بل كان ينهى عنه.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَقَابِرِ وَالتَّعْزِيَةِ:
١- لم يكن من هديه تعلية القبور ولا بناؤها ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها.
٢- وبعث عليًّا إلى اليمن أن لا يدع تمثالاً إلا طمسه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سواه، فكانت سنته تسوية القبور المشرفة كلها.
٢- ونهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه.
٣- وكان يعلم من أراد أن يعرف قبره بصخرة.
٣- ونهى عن اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السُّرُج عليها، ولعن فاعله.
٥- ونهى عن الصلاة إليها، ونهى أن يتخذ قبره عيدًا.
٦- وكان من هديه أن لا تهان القبول ولا توطأ، ولا يجلس عليها، ولا يتكأ عليها، ولا تعظم.
٧- وكان يزور قبور أصحابه للدعاء لهم، والاستغفار لهم، وسن للزائر أن يقول: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)) [م].
٨- وكان من هديه تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع ويقرأ له القرآن، لا عند القبر ولا غيره.

٩ـ وكان من هديه أن أهل الميت لا يتكلفون الطعام للناس، بل أمر أن يصنع الناس لهم طعامًا.

١٥. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في صَلاَةِ الْخَوْفِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٥٠٩)

فَصْلٌ صَلَاةُ الْخَوْفِ

قال تعالى : { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) [النساء/١٠٢-١٠٤] }

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ أَنْ أَبَاحَ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَصْرَ أَرْكَانِ الصّلَاةِ وَعَدَدَهَا إذَا اجْتَمَعَ الْخَوْفُ وَالسّفَرُ وَقَصْرُ الْعَدَدِ وَحْدَهُ إذَا كَانَ سَفَرٌ لَا خَوْفَ مَعَهُ وَقَصْرُ الْأَرْكَانِ وَحْدَهَا إذَا كَانَ خَوْفٌ لَا سَفَرَ مَعَهُ وَهَذَا كَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبِهِ تُعْلَمُ الْحِكْمَةُ فِي تَقْيِيدِ الْقَصْرِ فِي الْآيَةِ بِالضّرْبِ فِي الْأَرْضِ وَالْخَوْفِ .

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ إذَا كَانَ الْعَدُوّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَنْ يَصُفّ الْمُسْلِمِينَ كُلّهُمْ خَلْفَهُ وَيُكَبّرَ وَيُكَبّرُونَ جَمِيعًا ثُمّ يَرْكَعُ فَيَرْكَعُونَ جَمِيعًا ثُمّ يَرْفَعُ وَيَرْفَعُونَ جَمِيعًا مَعَهُ ثُمّ يَنْحَدِرُ بِالسّجُودِ وَالصّفّ الّذِي يَلِيهِ خَاصّةً وَيَقُومُ الصّفّ الْمُؤَخّرُ مُوَاجِهَ الْعَدُوّ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ الرّكْعَةِ الْأُولَى وَنَهَضَ إلَى الثّانِيَةِ سَجَدَ الصّفّ الْمُؤَخّرُ بَعْدَ قِيَامِهِ سَجْدَتَيْنِ ثُمّ قَامُوا فَتَقَدّمُوا إلَى مَكَانِ الصّفّ الْأَوّلِ وَتَأَخّرَ الصّفّ الْأَوّلُ مَكَانَهُمْ لِتَحْصُلَ فَضِيلَةُ الصّفّ الْأَوّلِ لِلطّائِفَتَيْنِ وَلِيُدْرِكَ الصّفّ الثّانِي مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ السّجْدَتَيْنِ فِي الرّكْعَةِ الثّانِيَةِ كَمَا أَدْرَكَ الْأَوّلُ مَعَهُ السّجْدَتَيْنِ فِي الْأُولَى فَتَسْتَوِي الطّائِفَتَانِ فِيمَا أَدْرَكُوا مَعَهُ وَفِيمَا قَضَوْا لِأَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ غَايَةُ الْعَدْلِ فَإِذَا رَكَعَ صَنَعَ الطّائِفَتَانِ كَمَا صَنَعُوا أَوّلَ مَرّةٍ فَإِذَا جَلَسَ لِلتّشَهّدِ سَجَدَ الصّفّ الْمُؤَخّرُ سَجْدَتَيْنِ وَلَحِقُوهُ فِي التّشَهّدِ فَيُسَلّمُ بِهِمْ جَمِيعًا . [ص ٥١١] كَانَ الْعَدُوّ فِي غَيْرِ جِهَةِ الْقِبْلَةِ فَإِنّهُ كَانَ تَارَةً يَجْعَلُهُمْ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً بِإِزَاءِ الْعَدُوّ وَفِرْقَةً تُصَلّي مَعَهُ فَتُصَلّي مَعَهُ إحْدَى الْفِرْقَتَيْنِ رَكْعَةً ثُمّ تَنْصَرِفُ فِي صَلَاتِهَا إلَى مَكَانِ الْفِرْقَةِ الْأُخْرَى وَتَجِيءُ الْأُخْرَى إلَى مَكَانِ هَذِهِ فَتُصَلّي مَعَهُ الرّكْعَةَ الثّانِيَةَ ثُمّ تُسَلّمُ وَتَقْضِي كُلّ طَائِفَةٍ رَكْعَةً رَكْعَةً بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ . وَتَارَةً كَانَ يُصَلّي بِإِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ رَكْعَةً ثُمّ يَقُومُ إلَى الثّانِيَةِ وَتَقْضِي هِيَ رَكْعَةً وَهُوَ وَاقِفٌ وَتُسَلّمُ قَبْلَ رُكُوعِهِ وَتَأْتِي الطّائِفَةُ الْأُخْرَى فَتُصَلّي مَعَهُ الرّكْعَةَ الثّانِيَةَ فَإِذَا جَلَسَ فِي التّشَهّدِ قَامَتْ فَقَضَتْ رَكْعَةً وَهُوَ يَنْتَظِرُهَا فِي التّشَهّدِ فَإِذَا تَشَهّدَتْ يُسَلّمُ بِهِمْ . وَتَارَةً كَانَ يُصَلّي بِإِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَتُسَلّمُ قَبْلَهُ وَتَأْتِي الطّائِفَةُ الْأُخْرَى فَيُصَلّي بِهِمْ الرّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ وَيُسَلّمُ بِهِمْ فَتَكُونُ لَهُ أَرْبَعًا وَلَهُمْ

رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ . [ص ٥١٢] كَانَ يُصَلِّي بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَيُسَلِّمُ بِهِمْ وَتَأْتِي الْأُخْرَى فَيُصَلِّي بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ وَيُسَلِّمُ فَيَكُونُ قَدْ صَلَّى بِهِمْ بِكُلِّ طَائِفَةٍ صَلَاةً . وَتَارَةً كَانَ يُصَلِّي بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ رَكْعَةً فَتَذْهَبُ وَلَا تَقْضِي شَيْئًا وَتَجِيءُ الْأُخْرَى فَيُصَلِّي بِهِمْ رَكْعَةً وَلَا تَقْضِي شَيْئًا فَيَكُونُ لَهُ رَكْعَتَانِ وَلَهُمْ رَكْعَةٌ رَكْعَةٌ وَهَذِهِ الْأَوْجُهُ كُلُّهَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ بِهَا . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كُلُّ حَدِيثٍ يُرْوَى فِي أَبْوَابِ صَلَاةِ الْخَوْفِ فَالْعَمَلُ بِهِ جَائِزٌ . وَقَالَ سِتَّةُ أَوْجُهٍ أَوْ سَبْعَةٌ تُرْوَى فِيهَا كُلُّهَا جَائِزَةٌ وَقَالَ الْأَثْرَمُ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَقُولُ بِالْأَحَادِيثِ كُلِّهَا كُلُّ حَدِيثٍ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ تَخْتَارُ وَاحِدًا مِنْهَا ؟ قَالَ أَنَا أَقُولُ مَنْ ذَهَبَ إلَيْهَا كُلِّهَا فَحَسَنٌ . وَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ جَوَّزَ أَنْ تُصَلِّيَ كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَهُ رَكْعَةً رَكْعَةً وَلَا تَقْضِي شَيْئًا وَهَذَا مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ [ص ٥١٣] وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَطَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَالْحَكَمِ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ . قَالَ صَاحِبُ " الْمُغْنِي " : وَعُمُومُ كَلَامِ أَحْمَدَ يَقْتَضِي جَوَازَ ذَلِكَ وَأَصْحَابُنَا يُنْكِرُونَهُ . وَقَدْ رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ صِفَاتٍ أُخَرَ تَرْجِعُ كُلُّهَا إلَى هَذِهِ وَهَذِهِ أُصُولُهَا وَرُبَّمَا اخْتَلَفَ بَعْضُ أَلْفَاظِهَا وَقَدْ ذَكَرَهَا بَعْضُهُمْ عَشْرَ صِفَاتٍ وَذَكَرَهَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ نَحْوَ خَمْسَ عَشْرَةَ صِفَةً وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا وَهَؤُلَاءِ كُلَّمَا رَأَوْا اخْتِلَافَ الرُّوَاةِ فِي قِصَّةٍ جَعَلُوا ذَلِكَ وُجُوهًا مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ اخْتِلَافِ الرُّوَاةِ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي ظلال القرآن - (ج ٢ / ص ٢٢٧)

جنوبكم . فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً } . .

إن المتأمل في أسرار هذا القرآن؛ وفي أسرار المنهج الرباني للتربية ، المتمثل فيه ، يطلع على عجب من اللفتات النفسية ، النافذة إلى أعماق الروح البشرية . ومنها هذه اللفتة في ساحة المعركة إلى الصلاة . .

إن السياق القرآني لا يجيء بهذا النص هنا لمجرد بيان الحكم « الفقهي » في صفة صلاة الخوف . ولكنه يحشد هذا النص في حملة التربية والتوجيه والتعليم والإعداد للصف المسلم وللجماعة المسلمة .

وأول ما يلفت النظر هو الحرص على الصلاة في ساحة المعركة! ولكن هذا طبيعي بل بديهي في الاعتبار الإيماني . إن هذه الصلاة سلاح من أسلحة المعركة . بل إنها السلاح! فلا بد من تنظيم استخدام هذا السلاح ، بما يتناسب مع طبيعة المعركة ، وجو المعركة!

ولقد كان أولئك الرجال - الذين تربوا بالقرآن وفق المنهج الرباني - يلقون عدوهم بهذا السلاح الذي يتفوقون فيه قبل أي سلاح .

لقد كانوا متفوقين في إيمانهم بإله واحد يعرفونه حق المعرفة؛ ويشعرون أنه معهم في المعركة . متفوقين كذلك في إيمانهم بهدف يقاتلون من أجله؛ ويشعرون أنه أرفع الأهداف جميعاً . متفوقين أيضاً في تصورهم للكون والحياة ولغاية وجودهم الإنساني ، تفوقهم في تنظيمهم الاجتماعي الناشىء من تفوق منهجهم الرباني . . وكانت الصلاة رمزاً لهذا كله ، وتذكيراً بهذا كله . ومن ثم كانت سلاحاً في المعركة . بل كانت هي السلاح!

والأمر الثاني الذي يلفت النظر في هذا النص هو هذه التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو . وهذا الحذر الذي يوصى المؤمنون به تجاه عدوهم الذي يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم ، ليميل عليهم ميلة واحدة! ومع هذا التحذير والتخويف؛ التطمين والتثبيت؛ إذ يخبرهم أنهم إنما يواجهون قوماً كتب الله عليهم الهوان : { إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً } . . وهذا التقابل بين التحذير والتطمين؛ وهذا التوازن بين استثارة حاسة الحذر وسكب فيض الثقة؛ هو طابع هذا المنهج في تربية النفس المؤمنة والصف المسلم ، في مواجهة العدو الماكر العنيد اللئيم!

١٦. هديه صلى الله عليه وسلم في الاِستِسْقَاءِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٣٩)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ

ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ اسْتَسْقَى عَلَى وُجُوهٍ . أَحَدُهَا : يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ وَقَالَ اللّهُمّ أَغِثْنَا اللّهُمّ أَغِثْنَا اللّهُمّ أَغِثْنَا اللّهُمّ اسْقِنَا اللّهُمّ اسْقِنَا اللّهُمّ اسْقِنَا [ص ٤٤٠] الثّانِي : أَنّهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَدَ النّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ إلَى الْمُصَلّى فَخَرَجَ لَمّا طَلَعَتْ الشّمْسُ مُتَوَاضِعًا مُتَبَذّلًا مُتَخَشّعًا مُتَرَسّلًا مُتَضَرّعًا فَلَمّا وَافَى الْمُصَلّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ - إنْ صَحّ وَإِلّا فَفِي الْقَلْبِ مِنْهُ شَيْءٌ - فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَكَبّرَهُ وَكَانَ مِمّا حُفِظَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَدُعَائِهِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللّهُمّ أَنْتَ اللّهُ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ اللّهُمّ لَا إلّا إلَه إلّا أَنْتَ أَنْتَ الْغَنِيّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ عَلَيْنَا قُوّةً لَنَا وَبَلَاغًا إلَى حِينٍ ثُمّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ فِي التّضَرّعِ وَالِابْتِهَالِ وَالدّعَاءِ وَبَالَغَ فِي الرّفْعِ حَتّى بَدَا بَيَاضُ إبْطَيْهِ ثُمّ حَوّلَ إلَى النّاسِ ظَهْرَهُ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَحَوّلَ إذْ ذَاكَ رِدَاءَهُ وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ الْقِبْلَةَ فَجَعَلَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ وَالْأَيْسَرَ عَلَى الْأَيْمَنِ وَظَهْرَ الرّدَاءِ لِبَطْنِهِ وَبَطْنَهُ لِظَهْرِهِ وَكَانَ الرّدَاءُ خَمِيصَةً سَوْدَاءَ وَأَخَذَ فِي الدّعَاءِ مُسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةِ وَالنّاسُ كَذَلِكَ ثُمّ نَزَلَ فَصَلّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ كَصَلَاةِ الْعِيدِ مِنْ غَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إقَامَةٍ وَلَا نِدَاءٍ الْبَتّةَ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ وَقَرَأَ فِي الْأُولَى بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ سَبّحْ اسْمَ رَبّكَ الأعلَى وَفِي الثّانِيَةِ هَلْ أَتَاك حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ . الْوَجْهُ الثّالِثُ أَنّهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَسْقَى عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ اسْتِسْقَاءً مُجَرّدًا فِي [ص ٤٤١] صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي هَذَا الِاسْتِسْقَاءِ صَلَاةٌ . الْوَجْهُ الرّابِعُ أَنّهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَسْقَى وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا اللّهَ عَزّ وَجَلّ فَحُفِظَ مِنْ دُعَائِهِ حِينَئِذٍ اللّهُمّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا طَبَقًا عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارّ الْوَجْهُ الْخَامِسُ أَنّهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَسْقَى عِنْدَ أَحْجَارِ الزّيْتِ قَرِيبًا مِنْ الزّوْرَاءِ وَهِيَ خَارِجُ بَابِ الْمَسْجِدِ الّذِي يُدْعَى الْيَوْمَ بَابَ السّلَامِ نَحْوَ قَذْفَةِ حَجَرٍ يَنْعَطِفُ عَنْ يَمِينِ الْخَارِجِ مِنْ الْمَسْجِدِ . الْوَجْهُ السّادِسُ أَنّهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَسْقَى فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ لَمّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إلَى الْمَاءِ فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشُ فَشَكَوْا إلَى رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ لَوْ كَانَ نَبِيّا لَاسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كَمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ أَوَقَدْ قَالُوهَا ؟ عَسَى رَبّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ ثُمّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا فَمَا رَدّ يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتّى أَظَلّهُمْ السّحَابُ وَأُمْطِرُوا فَأَفْعَمَ السّيْلُ الْوَادِيَ فَشَرِبَ النّاسُ فَارْتَوَوْا . وَحُفِظَ مِنْ دُعَائِهِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ اللّهُمّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَك وَانْشُرْ رَحْمَتَك

وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّت اللَّهُمّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ [ص ٤٤٢] وَأَغِيثَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي كُلّ مَرّةٍ اسْتَسْقَى فِيهَا . وَاسْتَسْقَى مَرّةً فَقَامَ إلَيْهِ أَبُو لُبَابَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ التّمْرَ فِي الْمَرَابِدِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اللّهُمّ اسْقِنَا حَتّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَة عُرْيَانًا فَيَسُدّ ثَعْلَبَ مِرْبَدَهُ بِإِزَارِهِ فَأَمْطَرَتْ فَاجْتَمَعُوا إلَى أَبِي لُبَابَة فَقَالُوا : إنّهَا لَنْ تُقْلِعَ حَتّى تَقُومَ عُرْيَانًا فَتَسُدّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِك بِإِزَارِك كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَفَعَلَ فَاسْتَهَلّتْ السّمَاءُ وَلَمّا كَثُرَ الْمَطَرُ سَأَلُوهُ الِاسْتِصْحَاءَ فَاسْتَصْحَى لَهُمْ وَقَالَ اللّهُمّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللّهُمّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالظّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشّجَرِ وَكَانَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا رَأَى مَطَرًا قَالَ اللّهُمّ صَيّبًا نَافِعًا وَكَانَ يُحْسِرُ ثَوْبَهُ حَتّى يُصِيبَهُ مِنْ الْمَطَرِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِأَنّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبّه قَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ أَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ أَنّ [ص ٤٤٣] صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا سَالَ السّيْلُ قَالَ اُخْرُجُوا بِنَا إلَى هَذَا الّذِي جَعَلَهُ اللّهُ طَهُورًا فَنَتَطَهّرَ مِنْهُ وَنَحْمَدَ اللّهَ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ إسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّ عُمَرَ كَانَ إذَا سَالَ السّيْلُ ذَهَبَ بِأَصْحَابِهِ إلَيْهِ وَقَالَ مَا كَانَ لِيَجِيءَ مِنْ مَجِيئِهِ أَحَدٌ إلّا تَمَسّحْنَا وَكَانَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا رَأَى الْغَيْمَ وَالرّيحَ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرّيَ عَنْهُ وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ وَكَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْعَذَابُ . قَالَ الشّافِعِيّ : وَرُوِيَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا أَنّهُ كَانَ إذَا اسْتَسْقَى قَالَ اللّهُمّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا هَنِيئًا مَرِيئًا غَدَقًا مُجَلّلًا عَامّا طَبَقًا سَحّا دَائِمًا اللّهُمّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ الْقَانِطِينَ اللّهُمّ إنّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلْقِ مِنْ اللّأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضّنْكِ مَا لَا نَشْكُوهُ إلّا إلَيْك اللّهُمّ أَنْبِتْ لَنَا الزّرْعَ وَأَدِرّ لَنَا الضّرْعَ وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السّمَاءِ وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ اللّهُمّ ارْفَعْ عَنّا الْجَهْدَ وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ وَاكْشِفْ عَنّا مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكُ اللّهُمّ إنّا نَسْتَغْفِرُكُ إنّك كُنْتَ غَفّارًا فَأَرْسِلْ السّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا قَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ وَأُحِبّ أَنْ يَدْعُوَ الْإِمَامُ بِهَذَا قَالَ وَبَلَغَنِي أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا دَعَا فِي الِاسْتِسْقَاءِ رَفَعَ يَدَيْهِ وَبَلَغَنَا أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَتَمَطّرُ [ص ٤٤٤] جَسَدَهُ . قَالَ وَبَلَغَنِي أَنّ بَعْضَ أَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا أَصْبَحَ وَقَدْ مُطِرَ النّاسُ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْفَتْحِ ثُمّ يَقْرَأُ { مَا يَفْتَحِ اللّهُ لِلنّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا } [فَاطِرٌ ٢] .

[طَلَبُ الْإِجَابَةِ عِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ]

قَالَ وَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ اُطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ وَإِقَامَةِ الصّلَاةِ وَنُزُولِ الْغَيْث وَقَدْ حُفِظْتُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ طَلَبَ الْإِجَابَة عِنْد : نُزُولِ الْغَيْثِ وَإِقَامَةِ الصّلَاةِ . قَالَ الْبَيْهَقِيّ : وَقَدْ رَوَيْنَا فِي حَدِيثٍ مَوْصُولٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الدّعَاءُ لَا يُرَدّ عِنْدَ النّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ وَتَحْتَ الْمَطَرِ . وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ عِنْدَ الْتِقَاءِ الصّفُوفِ وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ وَعِنْدَ إقَامَةِ الصّلَاةِ وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ .

١ـ كان يستسقي على المنبر في أثناء الخطبة، وكان يستسقي في غير الجمعة، واستسقى وهو جالس في المسجد ورفع يديه ودعا الله عز وجل.

٢ـ وحفظ من دعائه في الاستسقاء: ((اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت)) [صحيح أبي داود]، و((اللهم اسقنا غيثا مغيثًا مريئًا مريعًا نافعًا غير ضار، عاجلاً غير آجل)) [صحيح أبي داود].
٣ـ وكان إذا رأى الغيم والريح عُرِفَ ذلك في وجهه، فأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرِّيَ عنه.
٤ـ وكان إذا رأى المطر قال: ((اللهم صَيِّبًا نافعًا)) [ق]، ويحسر ثوبه حتى يصيبه من المطر، فسئل عن ذلك: فقال: ((لأنه حديث عهد بربه)) [م].
٥ـ ولما كثر المطر سألوه الاستصحاء، فاستصحى لهم، وقال: ((اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب، والآكام، والجبال، وبطون الأودية، ومنابت الشجر)) [ق].

١٧. هديه صلى الله عليه وسلم في الْكُسُوفِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٣٣)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ
لَمّا كَسَفَتْ الشّمْسُ خَرَجَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَسْجِدِ مُسْرِعًا فَزِعًا يَجُرّ رِدَاءَهُ وَكَانَ كُسُوفُهَا فِي أَوّلِ النّهَارِ عَلَى مِقْدَارِ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنْ طُلُوعِهَا فَتَقَدّمَ فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ قَرَأَ فِي الْأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ طَوِيلَةٍ جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ ثُمّ رَكَعَ [ص ٤٣٤] دُونَ الْقِيَامِ الْأَوّلِ وَقَالَ لَمّا رَفَعَ رَأْسَهُ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبّنَا لَكَ الْحَمْدُ ثُمّ أَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ ثُمّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرّكُوعِ الْأَوّلِ ثُمّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرّكُوعِ ثُمّ سَجَدَ سَجْدَةً طَوِيلَةً فَأَطَالَ السّجُودَ ثُمّ فَعَلَ فِي الرّكْعَةِ الْأُخْرَى مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى فَكَانَ فِي كُلّ رَكْعَةٍ رُكُوعَانِ وَسُجُودَانِ فَاسْتَكْمَلَ فِي الرّكْعَتَيْنِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ وَرَأَى فِي صَلَاتِهِ تِلْكَ الْجَنّةَ وَالنّارَ وَهَمّ أَنْ يَأْخُذَ عُنْقُودًا مِنْ الْجَنّةِ فَيُرِيَهُمْ إيّاهُ وَرَأَى أَهْلَ الْعَذَابِ فِي النّارِ فَرَأَى امْرَأَةً تَخْدِشُهَا هِرّةٌ رَبَطَتْهَا حَتّى مَاتَتْ جَوْعًا وَعَطَشًا وَرَأَى عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرّ أَمْعَاءَهُ فِي النّارِ وَكَانَ أَوّلَ مَنْ غَيّرَ دِينَ إبْرَاهِيمَ وَرَأَى فِيهَا سَارِقَ الْحَاجّ يُعَذّبُ ثُمّ انْصَرَفَ فَخَطَبَ بِهِمْ خُطْبَةً بَلِيغَةً حُفِظَ مِنْهَا قَوْلُهُ إنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللّهَ وَكَبّرُوا وَصَلّوا وَتَصَدّقُوا يَا أُمّةَ مُحَمّدٍ وَاَللّهِ مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ يَا أُمّةَ مُحَمّدٍ وَاَللّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ بِهِ حَتّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنْ الْجَنّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي أَتَقَدّمُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخّرْتُ وَفِي لَفْظٍ وَرَأَيْتُ النّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطّ أَفْظَعَ مِنْهَا وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِ النّارِ النّسَاءَ . قَالُوا : وَبِمَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ بِكُفْرِهِنّ . قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاَللّهِ ؟ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إلَى إحْدَاهُنّ الدّهْرَ كُلّهُ ثُمّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطّ وَمِنْهَا : وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيّ أَنّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدّجّالِ يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرّجُلِ ؟ فَأَمّا الْمُؤْمِنُ أَوْ قَالَ الْمُوقِنُ فَيَقُولُ مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ جَاءَنَا بِالْبَيّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَآمَنّا وَاتّبَعْنَا فَيُقَالُ لَهُ نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا وَأَمّا الْمُنَافِقُ أَوْ قَالَ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه [ص ٤٣٥] وَفِي طَرِيقٍ أُخْرَى لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللّهُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا سَلّمَ حَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا

اللَّهُ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَصَّرْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ رَبِّي لَمَّا أَخْبَرْتُمُونِي بِذَلِكَ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّك وَنَصَحْتَ لِأُمَّتِك وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ . ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ رِجَالًا يَزْعُمُونَ أَنَّ كُسُوفَ هَذِهِ الشَّمْسِ وَكُسُوفَ هَذَا الْقَمَرِ وَزَوَالَ هَذِهِ النُّجُومِ عَنْ مَطَالِعِهَا لِمَوْتِ رِجَالٍ عُظَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا وَلَكِنَّهَا آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعْتَبِرُ بِهَا عِبَادُهُ فَيَنْظُرُ مَنْ يُحْدِثُ مِنْهُمْ تَوْبَةً وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ قُمْتُ أُصَلِّي مَا أَنْتُمْ لَاقُوهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ وَإِنَّهُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمْ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا عَيْنُ أَبِي يَحْيَى لِشَيْخٍ حِينَئِذٍ مِنْ الْأَنْصَارِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَإِنَّهُ مَتَى يَخْرُجُ فَسَوْفَ يَزْعُمُ أَنَّهُ اللَّهُ فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِهِ سَلَفَ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَهُ لَمْ يُعَاقَبْ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ سَلَفَ وَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إلَّا الْحَرَمَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ وَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجُنُودَهُ حَتَّى إنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ أَوْ قَالَ أَصْلُ الْحَائِطِ وَأَصْلُ الشَّجَرَةِ لَيُنَادِي : يَا مُسْلِمُ يَا مُؤْمِنُ هَذَا يَهُودِيٌّ أَوْ قَالَ هَذَا كَافِرٌ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ قَالَ وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ بَيْنَكُمْ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ وَتُسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا : وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَنْ مَرَاتِبِهَا ثُمَّ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ الْقَبْضُ [ص ٤٣٦]

[بَيَانُ الِاخْتِلَافِ فِي صِفَةِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ]

فَهَذَا الَّذِي صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صِفَةِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَخُطْبَتِهَا . وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّاهَا عَلَى صِفَاتٍ أُخَرَ . مِنْهَا : كُلُّ رَكْعَةٍ بِثَلَاثِ رُكُوعَاتٍ وَمِنْهَا: كُلُّ رَكْعَةٍ بِأَرْبَعِ رُكُوعَاتٍ وَمِنْهَا : إنَّهَا كَإِحْدَى صَلَاةٍ صُلِّيَتْ كُلُّ رَكْعَةٍ بِرُكُوعٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ كِبَارَ الْأَئِمَّةِ لَا يُصَحِّحُونَ ذَلِكَ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَيَرَوْنَهُ غَلَطًا . قَالَ الشَّافِعِيّ وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ رَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَالَ الشَّافِعِيّ : فَقُلْتُ لَهُ أَتَقُولُ بِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ لَا وَلَكِنْ لِمَ لَمْ تَقُلْ بِهِ أَنْتَ وَهُوَ زِيَادَةٌ عَلَى حَدِيثِكُمْ ؟ يَعْنِي حَدِيثَ الرُّكُوعَيْنِ فِي الرَّكْعَةِ فَقُلْتُ هُوَ مِنْ وَجْهٍ مُنْقَطِعٍ وَنَحْنُ لَا نُثْبِتُ الْمُنْقَطِعَ عَلَى الِانْفِرَادِ وَوَجْهٍ نَرَاهُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - غَلَطًا قَالَ الْبَيْهَقِيّ : أَرَادَ بِالْمُنْقَطِعِ قَوْلَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : حَدَّثَنِي مَنْ أُصَدِّقُ قَالَ عَطَاءٌ : حَسِبْته يُرِيدُ عَائِشَةَ . . . الْحَدِيثَ وَفِيهِ فَرَكَعَ فِي [ص ٤٣٧] رُكُوعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ .

وَقَالَ قَتَادَة : عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْهَا : سِتَّ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ . فَعَطَاءٌ إنَّمَا أَسْنَدَهُ عَنْ عَائِشَةَ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ لَا بِالْيَقِينِ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مَحْفُوظًا عَنْ عَائِشَةَ وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ عُرْوَةَ وَعَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ خِلَافُهُ وَعُرْوَةُ وَعَمْرَةُ أَخَصُّ بِعَائِشَةَ وَأَلْزَمُ لَهَا مِنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُمَا اثْنَانِ فَرِوَايَتُهُمَا أَوْلَى أَنْ تَكُونَ هِيَ الْمَحْفُوظَةُ . قَالَ وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ الشَّافِعِيّ غَلَطًا فَأَحْسَبُهُ حَدِيثَ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ إبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّاسُ إنَّمَا انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إبْرَاهِيمَ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ الْحَدِيثَ . قَالَ الْبَيْهَقِيّ : مَنْ نَظَرَ فِي قِصَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَقِصَّةِ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَلِمَ أَنَّهُمَا قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا إنَّمَا فَعَلَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً وَذَلِكَ فِي يَوْمِ تُوُفِّيَ ابْنُهُ إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ ثُمَّ

وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ وَبَيْنَ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ فِي عَدَدِ الرُّكُوعِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَوَجَدْنَا رِوَايَةَ هِشَامٍ أَوْلَى يَعْنِي أَنَّ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رُكُوعَيْنِ فَقَطْ لِكَوْنِهِ مَعَ أَبِي الزُّبَيْرِ أَحْفَظَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلِمُوَافَقَةِ رِوَايَتِهِ فِي عَدَدِ الرُّكُوعِ رِوَايَةَ عَمْرَةَ وَعُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ وَرِوَايَةَ كَثِيرِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرِوَايَةَ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ثُمَّ رِوَايَةَ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمٍ وَغَيْرِهِ وَقَدْ خُولِفَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَطَاءٍ فَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ وَقَتَادَةَ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : سِتَّ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ فَرِوَايَةُ هِشَامٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ الَّتِي لَمْ يَقَعْ فِيهَا الْخِلَافُ وَيُوَافِقُهَا عَدَدٌ كَثِيرٌ أَوْلَى مِنْ رِوَايَتَيْ عَطَاءٍ اللَّتَيْنِ إنَّمَا [ص ٤٣٨] عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ الَّذِي قَدْ أُخِذَ عَلَيْهِ الْغَلَطُ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ . قَالَ وَأَمَّا حَدِيثُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ طَاوُوسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَلَّى فِي كُسُوفٍ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ قَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ قَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ قَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ قَالَ وَالْأُخْرَى مِثْلُهَا فَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " وَهُوَ مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ وَحَبِيبٌ وَإِنْ كَانَ ثِقَةً فَكَانَ يُدَلِّسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ فِيهِ سَمَاعَهُ مِنْ طَاوُوسٍ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ حَمَلَهُ عَنْ غَيْرِ مَوْثُوقٍ بِهِ وَقَدْ خَالَفَهُ فِي رَفْعِهِ وَمَتْنِهِ سُلَيْمَانُ الْمَكِّيُّ الْأَحْوَلُ فَرَوَاهُ عَنْ طَاوُوسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فِعْلِهِ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَةٍ . وَقَدْ خُولِفَ سُلَيْمَانُ أَيْضًا فِي عَدَدِ الرُّكُوعِ فَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فِعْلِهِ كَمَا رَوَاهُ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَغَيْرُهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رُكُوعَانِ . قَالَ وَقَدْ أَعْرَضَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الثَّلَاثِ فَلَمْ يُخَرِّجْ شَيْئًا مِنْهَا فِي " الصَّحِيحِ " لِمُخَالَفَتِهِنَّ مَا هُوَ أَصَحُّ إسْنَادًا وَأَكْثَرُ عَدَدًا وَأَوْثَقُ رِجَالًا وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي رِوَايَةِ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عِنْدِي فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَرُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ مَرْفُوعًا أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ . وَرُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ مَرْفُوعًا خَمْسُ رُكُوعَاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَصَاحِبَا الصَّحِيحِ لَمْ يَحْتَجَّا بِمِثْلِ إسْنَادِ حَدِيثِهِ . قَالَ وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إلَى تَصْحِيحِ الرِّوَايَاتِ فِي عَدَدِ [ص ٤٣٩] صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَهَا مِرَارًا وَأَنَّ الْجَمِيعَ جَائِزٌ فَمِمَّنْ ذَهَبَ إلَيْهِ إسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْن خُزَيْمَةَ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إسْحَاقَ الضُّبَعِيُّ وَأَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وَاسْتَحْسَنَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ . وَالَّذِي ذَهَبَ إلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ تَرْجِيحِ الْأَخْبَارِ أَوْلَى لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ رُجُوعِ الْأَخْبَارِ إلَى حِكَايَةِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ تُوُفِّيَ ابْنُهُ . قُلْت : وَالْمَنْصُوصُ عَنْ أَحْمَدَ أَيْضًا أَخْذُهُ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَحْدَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رُكُوعَانِ وَسُجُودَانِ . قَالَ فِي رِوَايَةِ الْمَرْوَزِيِّ : وَأَذْهَبُ إلَى أَنَّ صَلَاةَ الْكُسُوفِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعُ سَجَدَاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رَكْعَتَانِ وَسَجْدَتَانِ وَأَذْهَبُ إلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ أَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ عَلَى هَذَا . وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي بَكْرٍ وَقُدَمَاءِ الْأَصْحَابِ وَهُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ . وَكَانَ يُضَعِّفُ كُلَّ مَا خَالَفَهُ مِنْ الْأَحَادِيثِ وَيَقُولُ هِيَ غَلَطٌ وَإِنَّمَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُسُوفَ مَرَّةً وَاحِدَةً يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ إبْرَاهِيمُ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكُسُوفِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَتَاقَةِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

١ـ لما كسفت الشمس خرج إلى المسجد مسرعًا فزعًا يجر رداءه، فتقدم وصلى ركعتين، قرأ في الأولى بالفاتحة وسورة طويلة، وجهر بالقراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، وقال لما رفع رأسه من الركوع: ((سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد)) ثم أخذ في القراءة ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم سجد سجدة طويلة فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ما فعل في الركعة الأولى، فكان في كل ركعة ركوعان وسجودان. ثم انصرف فخطب بهم خطبة بليغة.

٢ـ وأمر في الكسوف بذكر الله والصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتاقة.

١٨. هديه صلى الله عليه وسلم في الْعِيدَيْنِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٢٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعِيدَيْنِ

كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي الْعِيدَيْنِ فِي الْمُصَلّى وَهُوَ الْمُصَلّى الّذِي عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ الشّرْقِيّ وَهُوَ الْمُصَلّى الّذِي يُوضَعُ فِيهِ مَحْمِلُ الْحَاجّ وَلَمْ يُصَلّ الْعِيدَ بِمَسْجِدِهِ إلّا مَرّةً وَاحِدَةً أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَصَلّى بِهِمْ الْعِيدَ فِي الْمَسْجِدِ إنْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ وَهُوَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَابْنِ مَاجَه وَهَدْيُهُ كَانَ فِعْلَهُمَا فِي الْمُصَلّى دَائِمًا . وَكَانَ يَلْبَسُ لِلْخُرُوجِ إلَيْهِمَا أَجْمَلَ ثِيَابِهِ فَكَانَ لَهُ حُلّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ [ص ٤٢٦] كَانَ يَلْبَسُ بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ وَمَرّةً بُرْدًا أَحْمَرَ وَلَيْسَ هُوَ أَحْمَرُ مُصْمَتًا كَمَا يَظُنّهُ بَعْضُ النّاسِ فَإِنّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بُرْدًا وَإِنّمَا فِيهِ خُطُوطٌ حُمْرٌ كَالْبُرُودِ الْيَمَنِيّةِ فَسُمّيَ أَحْمَرَ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ صَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضِ النّهْيُ عَنْ لُبْسِ الْمُعَصْفَرِ وَالْأَحْمَرِ وَأَمَرَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرٍو لَمّا رَأَى عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ أَحْمَرَيْنِ أَنْ يُحَرّقَهُمَا فَلَمْ يَكُنْ لِيَكْرَهَ الْأَحْمَرَ هَذِهِ الْكَرَاهَةَ الشّدِيدَةَ ثُمّ يَلْبَسُهُ وَاَلّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدّلِيلُ تَحْرِيمُ لِبَاسِ الْأَحْمَرِ أَوْ كَرَاهِيَتُهُ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً . وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْكُلُ قَبْلَ خُرُوجِهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ تَمَرَاتٍ وَيَأْكُلُهُنّ وِتْرًا وَأَمّا فِي عِيدِ الْأَضْحَى فَكَانَ لَا يَطْعَمُ حَتّى يَرْجِعَ مِنْ الْمُصَلّى فَيَأْكُلُ مِنْ أُضْحِيّتِهِ . وَكَانَ يَغْتَسِلُ لِلْعِيدَيْنِ صَحّ الْحَدِيثُ فِيهِ وَفِيهِ حَدِيثَانِ ضَعِيفَانِ حَدِيثُ ابْنِ عَبّاسٍ مِنْ رِوَايَةِ جُبارة بْنِ مُغَلّسٍ وَحَدِيثُ الْفَاكِهِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ رِوَايَةِ يُوسُفَ بْنِ خَالِدٍ السّمْتِيّ . وَلَكِنْ ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَعَ شِدّةِ اتّبَاعِهِ لِلسّنّةِ أَنّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ خُرُوجِهِ وَكَانَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَخْرُجُ مَاشِيًا وَالْعَنَزَةُ تُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا وَصَلَ إلَى الْمُصَلّى نُصِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُصَلّيَ إلَيْهَا فَإِنّ الْمُصَلّى كَانَ إذْ ذَاكَ فَضَاءً لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِنَاءٌ وَلَا حَائِطٌ وَكَانَتْ الْحَرْبَةُ سُتْرَتَهُ . [ص ٤٢٧] وَكَانَ يُؤَخّرُ صَلَاةَ عِيدِ الْفِطْرِ وَيُعَجّلُ الْأَضْحَى وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مَعَ شِدّةِ اتّبَاعِهِ لِلسّنّةِ لَا يَخْرُجُ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ وَيُكَبّرُ مِنْ بَيْتِهِ إلَى الْمُصَلّى . وَكَانَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا انْتَهَى إلَى الْمُصَلّى أَخَذَ فِي الصّلَاةِ مِنْ غَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إقَامَةٍ وَلَا قَوْلِ الصّلَاةُ جَامِعَةٌ وَالسّنّةُ أَنّهُ لَا يُفْعَلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَلَمْ يَكُنْ هُوَ وَلَا أَصْحَابُهُ يُصَلّونَ إذَا انْتَهَوْا إلَى الْمُصَلّى شَيْئًا قَبْلَ الصّلَاةِ وَلَا بَعْدَهَا . وَكَانَ يَبْدَأُ بِالصّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَيُصَلّي رَكْعَتَيْنِ يُكَبّرُ فِي الْأُولَى سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ بِتَكْبِيرَةِ الِافْتِتَاحِ يَسْكُتُ بَيْنَ كُلّ تَكْبِيرَتَيْنِ سَكْتَةً يَسِيرَةً وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ ذِكْرٌ مُعَيّنٌ بَيْنَ التّكْبِيرَاتِ وَلَكِنْ ذُكِرَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنّهُ قَالَ يَحْمَدُ اللّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُصَلّي عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَكَرَهُ

الْخَلَّالُ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مَعَ تَحَرِّيهِ لِلِاتِّبَاعِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَعَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَمَّ التَّكْبِيرَ أَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَهَا { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ } فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ وَفِي الْأُخْرَى { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } [ص ٤٢٨] { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } وَ { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ } صَحَّ عَنْهُ هَذَا وَهَذَا وَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَكَعَ ثُمَّ إِذَا أَكْمَلَ الرَّكْعَةَ وَقَامَ مِنْ السُّجُودِ كَبَّرَ خَمْسًا مُتَوَالِيَةً فَإِذَا أَكْمَلَ التَّكْبِيرَ أَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ فَيَكُونُ التَّكْبِيرُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ وَالْقِرَاءَةُ يَلِيهَا الرُّكُوعُ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَالَى بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فَكَبَّرَ أَوَّلًا ثُمَّ قَرَأَ وَرَكَعَ فَلَمَّا قَامَ فِي الثَّانِيَةِ قَرَأَ وَجَعَلَ التَّكْبِيرَ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ هَذَا عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ النَّيْسَابُورِيِّ . قَالَ الْبَيْهَقِيّ : رَمَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِالْكَذِبِ . وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَبَّرَ فِي الْعِيدَيْنِ فِي الْأُولَى سَبْعًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ وَفِي الْآخِرَةِ خَمْسًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ قَالَ التِّرْمِذِيّ : سَأَلْت مُحَمَّدًا يَعْنِي الْبُخَارِيّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ لَيْسَ فِي الْبَابِ شَيْءٌ أَصَحّ مِنْ هَذَا وَبِهِ أَقُولُ وَقَالَ وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِفِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ صَحِيحٌ أَيْضًا . [ص ٤٢٩] صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَبَّرَ فِي عِيدٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً سَبْعًا فِي الْأُولَى وَخَمْسًا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا . قَالَ أَحْمَدُ : وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى هَذَا . قُلْت : وَكَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو هَذَا ضَرَبَ أَحْمَدُ عَلَى حَدِيثِهِ فِي " الْمُسْنَدِ " وَقَالَ لَا يُسَاوِي حَدِيثُهُ شَيْئًا وَالتِّرْمِذِيّ تَارَةً يُصَحِّحُ حَدِيثَهُ وَتَارَةً يُحَسِّنُهُ وَقَدْ صَرَّحَ الْبُخَارِيّ بِأَنَّهُ أَصَحّ شَيْءٍ فِي الْبَابِ مَعَ حُكْمِهِ بِصِحَّةِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ

[كَانَ يَخْطُبُهُمْ فِي الْعِيدِ قَائِمًا عَلَى الْأَرْضِ]

وَكَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكْمَلَ الصَّلَاةَ انْصَرَفَ فَقَامَ مُقَابِلَ النَّاسِ وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيَعِظُهُمْ وَيُوصِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثًا قَطَعَهُ أَوْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ . وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ مِنْبَرٌ يَرْقَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ يُخْرِجُ مِنْبَرَ الْمَدِينَةِ وَإِنَّمَا كَانَ يَخْطُبُهُمْ قَائِمًا عَلَى الْأَرْضِ قَالَ جَابِرٌ : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِلَا أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُن مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ : كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ . . . الْحَدِيثَ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ : أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْعِيدِ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يُسَلِّمُ فَيَقِفُ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُسْتَقْبِلَ النَّاسِ وَهُمْ صُفُوفٌ جُلُوسٌ فَيَقُولُ " تَصَدَّقُوا " فَأَكْثَرُ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ بِالْقُرْطِ وَالْخَاتَمِ وَالشَّيْءِ . فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ بَعْثًا يَذْكُرُهُ لَهُمْ وَإِلَّا انْصَرَفَ . وَقَدْ كَانَ يَقَعُ لِي أَنَّ هَذَا وَهْمٌ فَإِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْعِيدِ [ص ٤٣٠] خَطَبَ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى إِلَى أَنْ رَأَيْتُ بَقِيّ بْنَ مَخْلَدٍ الْحَافِظَ قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي " مُسْنَدِهِ " عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا دَاوُد بْنُ قَيْسٍ حَدَّثَنَا عِيَاضُ بْنُ عَبْدِ

اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْعِيدِ مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ تَيْنِكَ الرَّكْعَتَيْنِ ثُمَّ يُسَلِّمُ فَيَسْتَقْبِلُ النَّاسُ فَيَقُولُ تَصَدَّقُوا وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا دَاوُد عَنْ عِيَاضٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ فَيَبْدَأُ بِالرَّكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَقْبِلُهُمْ وَهُمْ جُلُوسٌ فَيَقُولُ تَصَدَّقُوا فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَهَذَا إسْنَادُ ابْنِ مَاجَهْ إلَّا أَنَّهُ رَوَاهُ عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ دَاوُد . وَلَعَلَّهُ ثُمَّ يَقُومُ عَلَى رِجْلَيْهِ كَمَا قَالَ جَابِرٌ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ فَتَصَحَّفَ عَلَى الْكَاتِبِ بِرَاحِلَتِهِ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ أَخْرَجَا فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ شَهِدْتُ صَلَاةَ الْفِطْرِ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ قَالَ فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إلَيْهِ حِينَ يَجْلِسُ الرِّجَالُ بِيَدِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ حَتَّى جَاءَ إلَى النِّسَاءِ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَقَالَ { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاَللَّهِ شَيْئًا } [الْمُمْتَحِنَةُ ١٢] . فَتَلَا الْآيَةَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا الْحَدِيثَ . [ص ٤٣١] الصَّحِيحَيْنِ " أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ بَعْدُ فَلَمَّا فَرَغَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَّرَهُنَّ الْحَدِيثَ . وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرٍ أَوْ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَلَعَلَّهُ كَانَ قَدْ بُنِيَ لَهُ مِنْبَرٌ مِنْ لَبِنٍ أَوْ طِينٍ أَوْ نَحْوِهِ ؟ قِيلَ لَا رَيْبَ فِي صِحَّةِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمِنْبَرَ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ مِنْ الْمَسْجِدِ وَأَوَّلُ مَنْ أَخْرَجَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَأُنْكِرَ عَلَيْهِ وَأَمَّا مِنْبَرُ اللَّبِنِ وَالطِّينِ فَأَوَّلُ مَنْ بَنَاهُ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ فِي إمَارَةِ مَرْوَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ كَمَا هُوَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " فَلَعَلَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ فِي الْمُصَلَّى عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ أَوْ دُكَّانٍ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى مِصْطَبَةً ثُمَّ يَنْحَدِرُ مِنْهُ إلَى النِّسَاءِ فَيَقِفُ عَلَيْهِنَّ فَيَخْطُبُهُنَّ فَيَعِظُهُنَّ وَيُذَكِّرُهُنَّ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

[كَانَ يَفْتَتِحُ خُطَبَهُ بِالْحَمْدَلَةِ]

وَكَانَ يَفْتَتِحُ خُطَبَهُ كُلَّهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَفْتَتِحُ خُطْبَتَيْ الْعِيدَيْنِ بِالتَّكْبِيرِ وَإِنَّمَا رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ سَعْدٍ الْقَرَظِ مُؤَذِّنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ التَّكْبِيرَ بَيْنَ أَضْعَافِ الْخُطْبَةِ وَيُكْثِرُ التَّكْبِيرَ فِي خُطْبَتَيْ الْعِيدَيْنِ . وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَفْتَتِحُهَا بِهِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي افْتِتَاحِ خُطْبَةِ الْعِيدَيْنِ وَالِاسْتِسْقَاءِ فَقِيلَ يُفْتَتَحَانِ بِالتَّكْبِيرِ وَقِيلَ تُفْتَتَحُ خُطْبَةُ الِاسْتِسْقَاءِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَقِيلَ يُفْتَتَحَانِ بِالْحَمْدِ . قَالَ شَيْخُ [ص ٤٣٢] ابْنُ تَيْمِيَّةَ : وَهُوَ الصَّوَابُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ وَكَانَ يَفْتَتِحُ خُطَبَهُ كُلَّهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ . وَرَخَّصَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ شَهِدَ الْعِيدَ أَنْ يَجْلِسَ لِلْخُطْبَةِ وَأَنْ يَذْهَبَ وَرَخَّصَ لَهُمْ إذَا وَقَعَ الْعِيدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْ يَجْتَزِئُوا بِصَلَاةِ الْعِيدِ عَنْ حُضُورِ الْجُمُعَةِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَالِفُ الطَّرِيقَ يَوْمَ الْعِيدِ فَيَذْهَبُ فِي طَرِيقٍ وَيَرْجِعُ فِي آخَرَ فَقِيلَ لِيُسَلِّمَ عَلَى أَهْلِ الطَّرِيقَيْنِ وَقِيلَ لِيَنَالَ بَرَكَتَهُ الْفَرِيقَانِ وَقِيلَ [ص ٤٣٣] وَقِيلَ لِيُظْهِرَ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ فِي سَائِرِ الْفِجَاجِ وَالطُّرُقِ وَقِيلَ لِيَغِيظَ الْمُنَافِقِينَ بِرُؤْيَتِهِمْ عِزَّةَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ وَقِيَامَ شَعَائِرِهِ وَقِيلَ لِتَكْثُرَ شَهَادَةُ الْبِقَاعِ فَإِنَّ الذَّاهِبَ إلَى الْمَسْجِدِ وَالْمُصَلَّى إحْدَى خُطْوَتَيْهِ تَرْفَعُ دَرَجَةً وَالْأُخْرَى تَحُطُّ

خَطِيئَةٌ حَتّى يَرْجِعَ إلَى مَنْزِلِهِ وَقِيلَ وَهُوَ الْأَصَحّ : إنّهُ لِذَلِكَ كُلّهِ وَلِغَيْرِهِ مِنْ الْحُكْمِ الّتِي لَا يَخْلُو فِعْلُهُ عَنْهَا .

[التّكْبِيرُ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ]

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يُكَبّرُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ إلَى الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيّامِ التّشْرِيقِ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَاَللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ وَلِلّهِ الْحَمْدُ

١- كان يصلي العيدين في المصلى، وكان يلبس أجمل ثيابه.

٢- وكان يأكل في عيد الفطر قبل خروجه تمرات، ويأكلهن وترًا، وأما في الأضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى، فيأكل من أضحيته، وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الأضحى.

٣- وكان يخرج ماشيًا، والعَنَزَةُ تحمل بين يديه، فإذا وصل نصبت ليصلي إليها.

٤- وكان إذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة بغير أذان ولا إقامة، ولا يقول: الصلاة جامعة. ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلى المصلىَّ شيئًا قبلها ولا بعدها.

٥- وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، يصلي ركعتين، يكبر في الأولى سبعًا متوالية بتكبيرة الإحرام، يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة، ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات، فإذا أتم التكبير أخذ في القراءة، فإذا فرغ كَبَّرَ وَرَكَعَ، ثم يكبر في الثانية خمسًا متوالية، ثم يأخذ في القراءة، فإذا انصرف خطب في الناس وهم جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويأمرهم وينهاهم، وكان يقرأ بـ((ق)) و((اقتربت)) كاملتين، وتارةً بـ((سبح)) و((الغاشية)).

٦- وكان يخطب على الأرض، ولم يكن هناك منبر.

٧- ورخص في عدم الجلوس للخطبة، وأن يجتزئوا بصلاة العيد عن الجمعة إذا وقع العيد يومها.

٨- وكان يخالف الطريق يوم العيد.

١٩. هديه صلى الله عليه وسلم في الْجُمُعَةِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٣٥٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْجُمُعَةِ وَذِكْرِ خَصَائِصِ يَوْمِهَا

[هَدْيُ اللّهِ هَذِهِ الْأُمّةِ لَهُ]

ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ

نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوّلُونَ السّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمّ هَذَا يَوْمُهُمْ الّذِي فَرَضَ اللّهُ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللّهُ لَهُ وَالنّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعُ الْيَهُودِ غَدًا وَالنّصَارَى بَعْدَ غَدٍ [ص ٣٥٤] وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَضَلّ اللّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السّبْتِ وَكَانَ لِلنّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ فَجَاءَ اللّهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسّبْتَ وَالْأَحَدَ وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدّنْيَا وَالْأَوّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَالسّنَنِ مِنْ حَدِيثِ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَفْضَلِ أَيّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خَلَقَ اللّهُ آدَمَ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النّفْخَةُ وَفِيهِ الصّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيّ مِنْ الصّلَاةِ فِيهِ فَإِنّ

صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيّ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ (يَعْنِي : قَدْ بَلِيتَ قَالَ إنّ اللهَ حَرّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي " الْمُسْتَدْرَكِ " وَابْنُ حِبّانَ فِي " صَحِيحِهِ " . [ص ٣٥٥] " جَامِعِ التّرْمِذِيّ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خَلَقَ اللهُ آدَم وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السّاعَةُ إلّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَصَحّحَهُ الْحَاكِمُ . وَفِي " الْمُسْتَدْرَكِ " أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا سَيّدُ الْأَيّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السّاعَةُ إلّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَوَى مَالِكٌ فِي " الْمُوَطّأِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمَ وَفِيهِ أُهْبِطَ وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ وَفِيهِ تَقُومُ السّاعَةُ وَمَا مِنْ دَابّةٍ إلّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ شَفَقًا مِنْ السّاعَةِ إلّا الْجِنّ وَالْإِنْسَ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إلّا أَعْطَاهُ إيّاهُ قَالَ كَعْبٌ : ذَلِكَ فِي كُلّ سَنَةٍ يَوْمٌ فَقُلْتُ بَلْ فِي كُلّ جُمُعَةٍ فَقَرَأَ كَعْبٌ التّوْرَاةَ فَقَالَ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . . . قَالَ أَبُو هَرِيرَةَ ثُمّ لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ فَحَدّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبٍ قَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَيّةَ سَاعَةٍ هِيَ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي بِهَا قَالَ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقُلْتُ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلّي " وَتِلْكَ السّاعَةُ لَا يُصَلّى فِيهَا ؟ فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ : أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصّلَاةَ فَهُوَ فِي [ص ٣٥٦] يُصَلّيَ " ؟ وَفِي " صَحِيحِ ابْنِ حِبّانَ " مَرْفُوعًا لَا تَطْلُعُ الشّمْسُ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَفِي " مُسْنَدِ الشّافِعِيّ " مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمِرْآةٍ بَيْضَاءَ فِيهَا نُكْتَةٌ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا هَذِهِ ؟ فَقَالَ " هَذِهِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فُضّلْتَ بِهَا أَنْتَ وَأُمّتَك وَالنّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعُ الْيَهُودِ وَالنّصَارَى وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللهَ بِخَيْرٍ إلّا اُسْتُجِيبَ لَهُ وَهُوَ عِنْدَنَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَا جِبْرِيلُ مَا يَوْمُ الْمَزِيدِ ؟ قَالَ إنّ رَبّكَ اتّخَذَ فِي الْفِرْدَوْسِ وَادِيًا أَفْيَحَ فِيهِ كُثُبٌ مِنْ مِسْكٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا شَاءَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَحَوْلَهُ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا مَقَاعِدُ النّبِيّينَ وَحَفّ تِلْكَ الْمَنَابِرَ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلّلَةٍ بِالْيَاقُوتِ وَالزّبَرْجَدِ عَلَيْهَا الشّهَدَاءُ وَالصّدّيقُونَ فَجَلَسُوا مِنْ وَرَائِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْكُثُبِ " فَيَقُولُ اللهُ عَزّ وَجَلّ " أَنَا رَبّكُمْ قَدْ صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي فَسَلُونِي أُعْطِكُمْ فَيَقُولُونَ رَبّنَا نَسْأَلُك رِضْوَانَك فَيَقُولُ قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ وَلَكُمْ مَا تَمَنّيْتُمْ وَلَدَيّ مَزِيدٌ فَهُمْ يُحِبّونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِمَا يُعْطِيهِمْ فِيهِ رَبّهُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَهُوَ الْيَوْمُ الّذِي اسْتَوَى فِيهِ رَبّك تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ وَفِيهِ خَلَقَ آدَمَ وَفِيهِ تَقُومُ السّاعَةُ [ص ٣٥٧] رَوَاهُ الشّافِعِيّ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمّدٍ حَدّثَنِي مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ قَالَ حَدّثَنِي أَبُو الْأَزْهَرِ مُعَاوِيَةُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ أَنَسٍ . ثُمّ قَالَ وَأَخْبَرَنَا إبْرَاهِيمُ قَالَ حَدّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ إبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَعْدِ عَنْ أَنَسٍ شَبِيهًا بِهِ . وَكَانَ الشّافِعِيّ حَسَنَ الرّأْيِ فِي شَيْخِهِ إبْرَاهِيمَ هَذَا لَكِنْ قَالَ فِيهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ مُعْتَزِلِيّ جَهْمِيّ قَدَرِيّ كُلّ بَلَاءٍ فِيهِ . وَرَوَاهُ أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ حَدّثَنَا صَفْوَانُ قَالَ قَالَ أَنَسٌ : قَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " أَتَانِي جِبْرِيلُ فَذَكَرَهُ " وَرَوَاهُ مُحَمّدُ بْنُ

شُعَيْبٍ عَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ عَنْ أَنَسٍ . وَرَوَاهُ أَبُو ظَبْيَةَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَنَسٍ . وَجَمَعَ أَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُد طُرُقَهُ . وَفِي " مُسْنَدِ أَحْمَدَ " مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ لِأَنَّ فِيهِ طُبِعَتْ طِينَةُ أَبِيكَ آدَمَ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ وَالْبَعْثَةُ وَفِيهِ الْبَطْشَةُ وَفِي آخِرِهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ مِنْهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللَّهَ فِيهَا اُسْتُجِيبَ لَهُ [ص ٣٥٨] وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ فِي " مُسْنَدِهِ " حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْرَقُ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْخُشَنِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى غُفْرَةَ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَتَانِي جِبْرِيلُ وَفِي يَدِهِ كَهَيْئَةِ الْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَقُلْت : مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ ؟ فَقَالَ هَذِهِ الْجُمُعَةُ بُعِثْتُ بِهَا إلَيْكَ تَكُونُ عِيدًا لَكَ وَلِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِك . فَقُلْت : وَمَا لَنَا فِيهَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ أَنْتُمْ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إلَّا أَعْطَاهُ . قُلْتُ فَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذِهِ السَّاعَةُ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ عِنْدَنَا يَوْمَ الْمَزِيدِ . قُلْتُ وَمَا يَوْمُ الْمَزِيدِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ ذَلِكَ بِأَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ هَبَطَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَرْشِهِ إلَى كُرْسِيِّهِ وَيُحَفُّ الْكُرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ النُّورِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا النَّبِيُّونَ وَتُحَفُّ الْمَنَابِرُ بِكَرَاسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَيَهْبِطُ أَهْلُ الْغُرَفِ مِنْ غُرَفِهِمْ فَيَجْلِسُونَ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ لَا يَرَوْنَ لِأَهْلِ الْمَنَابِرِ وَالْكَرَاسِيِّ فَضْلًا فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ يَتَبَدَّى لَهُمْ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ سَلُونِي فَيَقُولُونَ بِأَجْمَعِهِمْ نَسْأَلُك الرِّضَى يَا رَبِّ فَيَشْهَدُ لَهُمْ عَلَى الرِّضَى ثُمَّ يَقُولُ سَلُونِي فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ نَهْمَةُ كُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ قَالَ ثُمَّ يُسْعَى عَلَيْهِمْ بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْجَبَّارُ مِنْ كُرْسِيِّهِ إلَى عَرْشِهِ وَيَرْتَفِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إلَى غُرَفِهِمْ وَهِيَ غُرْفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ بَيْضَاءَ أَوْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ أَوْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ لَيْسَ فِيهَا فَصْمٌ وَلَا وَصْمٌ مُنَوَّرَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا أَوْ قَالَ مُطَّرِدَةٌ مُتَدَلِّيَةٌ فِيهَا ثِمَارُهَا فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا وَمَسَاكِنُهَا قَالَ فَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَتَبَاشَرُونَ فِي الْجَنَّةِ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ كَمَا يَتَبَاشَرُ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا بِالْمَطَرِ [ص ٣٥٩] وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ " صِفَةِ الْجَنَّةِ " : حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ مَرْوَانَ الرَّقَاشِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرَادَةَ الشَّيْبَانِيُّ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُطَيَّبٍ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي جِبْرِيلُ وَفِي كَفِّهِ مِرْآةٌ كَأَحْسَنِ الْمَرَائِي وَأَضْوَئِهَا وَإِذَا فِي وَسَطِهَا لُمْعَةٌ سَوْدَاءُ فَقُلْت : مَا هَذِهِ اللُّمْعَةُ الَّتِي أَرَى فِيهَا ؟ قَالَ هَذِهِ الْجُمُعَةُ قُلْت : وَمَا الْجُمُعَةُ ؟ قَالَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ رَبِّكَ عَظِيمٌ وَسَأُخْبِرُكَ بِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُرْجَى فِيهِ لِأَهْلِهِ وَأُخْبِرُك بِاسْمِهِ فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّا شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ فِيهِ أَمْرَ الْخَلْقِ وَأَمَّا مَا يُرْجَى فِيهِ لِأَهْلِهِ فَإِنَّ فِيهِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ أَوْ أَمَةٌ مُسْلِمَةٌ يَسْأَلَانِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا خَيْرًا إلَّا أَعْطَاهُمَا إيَّاهُ وَأَمَّا شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ فِي الْآخِرَةِ وَاسْمُهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إذَا صَيَّرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ إلَى النَّارِ جَرَتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَيَّامُ وَهَذِهِ اللَّيَالِي لَيْسَ فِيهَا لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ إلَّا قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِقْدَارَ ذَلِكَ وَسَاعَاتِهِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ حِينَ يَخْرُجُ أَهْلُ الْجُمُعَةِ إلَى جُمُعَتِهِمْ نَادَى أَهْلَ الْجَنَّةِ مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ اُخْرُجُوا إلَى

وَادِي الْمَزِيدِ وَوَادِي الْمَزِيدِ لَا يَعْلَمُ سِعَةَ طُولِهِ وَعَرْضِهِ إلّا اللّهُ فِيهِ كُثْبَانُ الْمِسْكِ رُءُوسُهَا فِي السّمَاءِ قَالَ فَيَخْرُجُ غِلْمَانُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ وَيَخْرُجُ غِلْمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَرَاسِيّ مِنْ يَاقُوتٍ فَإِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ وَأَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ بَعَثَ اللّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا تُدْعَى الْمُثِيرَةَ تُثِيرُ ذَلِكَ الْمِسْكَ وَتُدْخِلُهُ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِمْ وَتُخْرِجُهُ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ تِلْكَ الرّيحُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِذَلِكَ الْمِسْكِ مِنْ امْرَأَةِ أَحَدِكُمْ لَوْ دُفِعَ إلَيْهَا كُلّ طِيبٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . قَالَ ثُمّ يُوحِي اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلَى حَمَلَةِ عَرْشِهِ ضَعُوهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَكُونُ أَوّلَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْهُ إلَيّ يَا عِبَادِي الّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ وَلَمْ يَرَوْنِي وَصَدّقُوا رُسُلِي وَاتّبَعُوا أَمْرِي سَلُونِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ رَضِينَا عَنْك فَارْضَ عَنّا فَيَرْجِعُ اللّهُ إلَيْهِمْ أَنْ يَا أَهْلَ الْجَنّةِ إنّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمْ أُسْكِنْكُمْ دَارِي فَسَلُونِي فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَا رَبّنَا وَجْهَكَ نَنْظُرْ إلَيْهِ فَيَكْشِفُ تِلْكَ الْحُجُبَ فَيَتَجَلّى لَهُمْ عَزّ وَجَلّ فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ شَيْءٌ لَوْلَا أَنّهُ قَضَى أَلّا يَحْتَرِقُوا لَاحْتَرَقُوا لِمَا يَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ ثُمّ يُقَالُ لَهُمْ ارْجِعُوا إلَى مَنَازِلِكُمْ فَيَرْجِعُونَ إلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ أَعْطَى كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الضّعْفَ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إلَى أَزْوَاجِهِمْ وَقَدْ خَفُوا عَلَيْهِنّ وَخَفِينَ عَلَيْهِمْ مِمّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ فَإِذَا رَجَعُوا تَرَادّ النّورُ حَتّى يَرْجِعُوا إلَى صُوَرِهِمْ الّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فَتَقُولُ لَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ لَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِنَا عَلَى صُورَةٍ وَرَجَعْتُمْ عَلَى غَيْرِهَا فَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ تَجَلّى لَنَا فَنَظَرْنَا مِنْهُ قَالَ وَإِنّهُ وَاَللّهِ مَا أَحَاطَ بِهِ خَلْقٌ وَلَكِنّهُ قَدْ أَرَاهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ مَا شَاءَ أَنْ يُرِيَهُمْ قَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فَنَظَرْنَا مِنْهُ قَالَ فَهُمْ يَتَقَلّبُونَ فِي مِسْكِ الْجَنّةِ وَنَعِيمِهَا فِي كُلّ سَبْعَةِ أَيّامٍ الضّعْفُ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ . قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [ص ٣٦٠] وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي " صِفَةِ الْجَنّةِ " مِنْ حَدِيثِ عِصْمَةَ بْنِ مُحَمّدٍ حَدّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَنَسٍ شَبِيهًا بِهِ . [ص ٣٦١] وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي " صِفَةِ الْجَنّةِ " مِنْ حَدِيثِ الْمَسْعُودِيّ عَنْ الْمِنْهَالِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللّهِ قَالَ سَارِعُوا إلَى الْجُمُعَةِ فِي الدّنْيَا فَإِنّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْرُزُ لِأَهْلِ الْجَنّةِ فِي كُلّ جُمُعَةٍ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ كَافُورٍ أَبْيَضَ فَيَكُونُونَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِالْقُرْبِ عَلَى قَدْرِ سُرْعَتِهِمْ إلَى الْجُمُعَةِ وَيُحْدِثُ لَهُمْ مِنْ الْكَرَامَةِ شَيْئًا لَمْ يَكُونُوا رَأَوْهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ أَحْدَثَ لَهُمْ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤١١)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي خُطَبِهِ

كَانَ إذَا خَطَبَ احْمَرّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدّ غَضَبُهُ حَتّى كَأَنّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبّحَكُمْ وَمَسّاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيُقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السّبّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمّا بَعْدُ فَإِنّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمّدٍ وَشَرّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ثُمّ يَقُولُ [ص ٤١٢] أَنَا أَوْلَى بِكُلّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيّ وَعَلَيّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَفِي لَفْظٍ كَانَتْ خُطْبَةُ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَحْمَدُ اللّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثُمّ يَقُولُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ فَذَكَرَهُ . وَفِي لَفْظٍ يَحْمَدُ اللّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ يَقُولُ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَلَا مُضِلّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللّهِ وَفِي لَفْظٍ

لِلنّسَائِيّ وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلّ ضَلَالَةٍ فِي النّارِ وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ التّحْمِيدِ وَالثّنَاءِ وَالتّشَهّدِ " أَمّا بَعْدُ " . وَكَانَ يُقَصّرُ الْخُطْبَةَ وَيُطِيلُ الصّلَاةَ وَيُكْثِرُ الذّكْرَ وَيَقْصِدُ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعَ وَكَانَ يَقُولُ إنّ طُولَ صَلَاةِ الرّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنّةٌ مِنْ فِقْهِهِ وَكَانَ يُعَلّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبَتِهِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي خُطْبَتِهِ إذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ كَمَا أَمَرَ الدّاخِلَ وَهُوَ يَخْطُبُ أَنْ يُصَلّيَ رَكْعَتَيْنِ . [ص ٤١٣] وَنَهَى الْمُتَخَطّيَ رِقَابَ النّاسِ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ . وَكَانَ يَقْطَعُ خُطْبَتَهُ لِلْحَاجَةِ تَعْرِضُ أَوْ السّؤَالِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيُجِيبُهُ ثُمّ يَعُودُ إلَى خُطْبَتِهِ فَيُتِمّهَا . وَكَانَ رُبّمَا نَزَلَ عَنْ الْمِنْبَرِ لِلْحَاجَةِ ثُمّ يَعُودُ فَيُتِمّهَا كَمَا نَزَلَ لِأَخْذِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فَأَخَذَهُمَا ثُمّ رَقِيَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ فَأَتَمّ خُطْبَتَهُ وَكَانَ يَدْعُو الرّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ تَعَالَ يَا فُلَانُ اجْلِسْ يَا فُلَانُ صَلّ يَا فُلَانُ . وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِمُقْتَضَى الْحَالِ فِي خُطْبَتِهِ فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ ذَا فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ أَمَرَهُمْ بِالصّدَقَةِ وَحَضّهُمْ عَلَيْهَا . [ص ٤١٤] وَكَانَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ السّبّابَةِ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ اللّهِ تَعَالَى وَدُعَائِهِ. وَكَانَ يَسْتَسْقِي بِهِمْ إذَا قَحَطَ الْمَطَرُ فِي خُطْبَتِه وَكَانَ يُمْهِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتّى يَجْتَمِعَ النّاسُ فَإِذَا اجْتَمَعُوا خَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ شَاوِيشٍ يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا لُبْسَ طَيْلَسَانًا وَلَا طُرْحَةً وَلَا سَوَادًا فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلّمَ عَلَيْهِمْ فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلّمَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَدْعُ مُسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةِ ثُمّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بِلَالٌ فِي الْأَذَانِ فَإِذَا فَرَغَ مِنْهُ قَامَ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَخَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ لَا بِإِيرَادِ خَبَرٍ وَلَا غَيْرِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ سَيْفًا وَلَا غَيْرَهُ وَإِنّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصًا قَبْلَ أَنْ يَتّخِذَ الْمِنْبَرَ وَكَانَ فِي الْحَرْبِ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ وَفِي الْجُمُعَةِ يَعْتَمِدُ عَلَى [ص ٤١٥] كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى السّيْفِ دَائِمًا وَأَنّ ذَلِكَ إشَارَةً إلَى أَنّ الدّينَ قَامَ بِالسّيْفِ فَمِنْ فَرْطِ جَهْلِهِ فَإِنّهُ لَا يُحْفَظُ عَنْهُ بَعْدَ اتّخَاذِ الْمِنْبَرِ أَنّهُ كَانَ يَرْقَاهُ بِسَيْفٍ وَلَا قَوْسٍ وَلَا غَيْرِهِ وَلَا قَبْلَ اتّخَاذِهِ أَنّهُ أَخَذَ بِيَدِهِ سَيْفًا الْبَتّةَ وَإِنّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى عَصًا أَوْ قَوْسٍ . وَكَانَ مِنْبَرُهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ وَكَانَ قَبْلَ اتّخَاذِهِ يَخْطُبُ إلَى جِذْعٍ يَسْتَنِدُ إلَيْهِ فَلَمّا تَحَوّلَ إلَى الْمِنْبَرِ حَنّ الْجِذْعُ حَنِينًا سَمِعَهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَنَزَلَ إلَيْهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَضَمّهُ قَالَ أَنَسٌ : حَنّ لَمّا فَقَدَ مَا كَانَ يَسْمَعُ مِنْ الْوَحْيِ وَفَقْدَهُ الْتِصَاقُ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَلَمْ يُوضَعْ الْمِنْبَرُ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ وَإِنّمَا وُضِعَ فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيّ قَرِيبًا مِنْ الْحَائِطِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَائِطِ قَدْرُ مَمَرّ الشّاةِ . وَكَانَ إذَا جَلَسَ عَلَيْهِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَيْرِ الْجُمُعَةِ أَوْ خَطَبَ قَائِمًا فِي الْجُمُعَةِ [ص ٤١٦] وَكَانَ وَجْهُهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ قِبَلَهُمْ فِي وَقْتِ الْخُطْبَةِ .

[الْأَمْرُ بِالْإِنْصَاتِ لِلْخُطْبَةِ]

وَكَانَ يَقُومُ فَيَخْطُبُ ثُمّ يَجْلِسُ جِلْسَةً خَفِيفَةً ثُمّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ الثّانِيَةَ فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا أَخَذَ بِلَالٌ فِي الْإِقَامَةِ . وَكَانَ يَأْمُرُ النّاسَ بِالدّنُوّ مِنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْإِنْصَاتِ وَيُخْبِرُهُمْ أَنّ الرّجُلَ إذَا قَالَ لِصَاحِبِهِ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَا . وَيَقُولُ مَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ مَنْ تَكَلّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَالّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَقَالَ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ : قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (تَبَارَكَ وَهُوَ قَائِمٌ فَذَكّرَنَا بِأَيّامِ اللّهِ وَأَبُو الدّرْدَاءِ أَوْ أَبُو ذَرّ يَغْمِزُنِي فَقَالَ مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ السّورَةُ ؟ فَإِنّي لَمْ أَسْمَعْهَا إلَى الْآنَ فَأَشَارَ إلَيْهِ أَنْ اُسْكُتْ فَلَمّا انْصَرَفُوا

قَالَ سَأَلْتُك مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ السّورَةُ فَلَمْ تُخْبِرْنِي فَقَالَ إنّهُ لَيْسَ لَك مِنْ صَلَاتِك الْيَوْمَ إلّا مَا لَغَوْت فَذَهَبَ إلَى رَسُولِ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ وَأَخْبَرَهُ بِالّذِي قَالَ لَهُ أُبَيّ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ " صَدَقَ أُبَيّ " . ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهْ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ [ص ٤١٧] " مُسْنَدِ أَحْمَدَ " . وَقَالَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ : رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظّهُ مِنْهَا وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللّهَ عَزّ وَجَلّ إنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ وَلَمْ يَتَخَطّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا فَهِيَ كَفّارَةٌ لَهُ إلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الّتِي تَلِيهَا وَزِيَادَةِ ثَلَاثَةِ أَيّامٍ وَذَلِكَ أَنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ يَقُولُ { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } ذَكَرَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد .

....

١ـ كان من هديه تعظيم يوم الجمعة وتشريفه وتخصيصه بخصائص؛ منها: الاغتسال في يومها، وأن يلبس فيه أحسن ثيابه، والإنصات للخطبة وجوبًا، وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ـ وكان يخرج إذا اجتمعوا فيسلم عليهم، ثم يصعد المنبر ويستقبلهم بوجهه ويسلم عليهم، ثم يجلس، ويأخذ بلال في الأذان، فإذا فرغ منه قام فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة، وكان يخطب معتمدًا على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر.

٣ـ وكان يخطب قائمًا، ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم فيخطب الثانية.

٤ـ وكان يأمر بالدنو منه والإنصات، ويخبر أن الرجل إذا قال لصاحبه: أنصت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له.

٥ـ وكان إذا خطب احمرتْ عيناه وَعَلاَ صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذرُ جيشٍ.

٦ـ وكان يقول في خطبته: ((أما بعد)) ويقصر الخطبة ويطيل الصلاة.

٧ـ وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه، ويأمرهم وينهاهم إذا عرض له أمر أو نهي.

٨ـ وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض، أو لإجابة من يسأله، ثم يعود إلى خطبته فيتمها، وكان ربما نزل عن المنبر لحاجة ثم يعود، وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة أو حاجة، أمرهم بالصدقة وحضهم عليها.

٩ـ وكان يشير بإصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله وكان يستسقي بهم إذا قحط المطر في خطبته.

١٠ـ وكان إذا صلى الجمعة دخل منزله، فصلى ركعتين سُنَّتَهَا، وأمر من صلاها أن يصلي بعدها أربعًا.

٢٠. هديه صلى الله عليه وسلم في التَّطوُّع وَقيَامِ اللَّيْلِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٢٩٨)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي السّنَنِ الرّوَاتِبِ

كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُحَافِظُ عَلَى عَشْرِ رَكَعَاتٍ فِي الْحَضَرِ دَائِمًا وَهِيَ الّتِي قَالَ فِيهَا ابْنُ عُمَرَ حَفِظْتُ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصّبْحِ فَهَذِهِ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهَا فِي الْحَضَرِ أَبَدًا وَلَمّا فَاتَتْهُ الرّكْعَتَانِ

بَعْدَ الظّهْرِ قَضَاهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ وَدَاوَمَ عَلَيْهِمَا لِأَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ وَقَضَاءُ السّنَنِ الرّوَاتِبِ فِي أَوْقَاتِ النّهْيِ عَامّ لَهُ وَلِأُمّتِهِ وَأَمّا الْمُدَاوَمَةُ عَلَى تِلْكَ الرّكْعَتَيْنِ فِي وَقْتِ النّهْيِ فَمُخْتَصّ بِهِ كَمَا سَيَأْتِي تَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي ذِكْرِ خَصَائِصِهِ إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى . وَكَانَ يُصَلّي أَحْيَانًا قَبْلَ الظّهْرِ أَرْبَعًا كَمَا فِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ فَإِمّا أَنْ يُقَالَ إنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا صَلّى فِي بَيْتِهِ صَلّى أَرْبَعًا وَإِذَا صَلّى فِي الْمَسْجِدِ صَلّى رَكْعَتَيْنِ وَهَذَا أَظْهَرُ وَإِمّا أَنْ يُقَالَ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا وَيَفْعَلُ هَذَا فَحَكَى كُلّ مِنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ مَا شَاهَدَهُ وَالْحَدِيثَانِ صَحِيحَانِ لَا مَطْعَنَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَقَدْ يُقَالُ إنّ هَذِهِ الْأَرْبَعَ لَمْ تَكُنْ سُنّةَ الظّهْرِ بَلْ هِيَ صَلَاةٌ مُسْتَقِلّةٌ كَانَ [ص ٢٩٩] يُصَلّيهَا بَعْدَ الزّوَالِ كَمَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ السّائِبِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُصَلّي أَرْبَعًا بَعْد أَنْ تَزُولَ الشّمْسُ وَقَالَ إنّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السّمَاءِ فَأُحِبّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ وَفِي السّنَنِ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا لَمْ يُصَلّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ صَلّاهُنّ بَعْدَهَا وَقَالَ ابْنُ مَاجَهْ . كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا فَاتَتْهُ الْأَرْبَعُ قَبْلَ الظّهْرِ صَلّاهَا بَعْدَ الرّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظّهْرِ وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَهْ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " يُصَلّي أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ يُطِيلُ فِيهِنّ الْقِيَامَ وَيُحْسِنُ فِيهِنّ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ فَهَذِهِ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - هِيَ الْأَرْبَعُ الّتِي أَرَادَتْ عَائِشَةُ أَنّهُ كَانَ لَا يَدَعُهُنّ . وَأَمّا سُنّةُ الظّهْرِ فَالرّكْعَتَانِ اللّتَانِ قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ يُوَضّحُ ذَلِكَ أَنّ سَائِرَ الصّلَوَاتِ سُنّتُهَا رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ وَالْفَجْرُ مَعَ كَوْنِهَا رَكْعَتَيْنِ وَالنّاسُ فِي وَقْتِهَا أَفْرَغُ مَا يَكُونُونَ وَمَعَ هَذَا سُنّتُهَا رَكْعَتَانِ وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ هَذِهِ الْأَرْبَعُ الّتِي قَبْلَ الظّهْرِ وِرْدًا مُسْتَقِلّا سَبَبُهُ انْتِصَافُ النّهَارِ وَزَوَالُ الشّمْسِ . وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُصَلّي بَعْدَ الزّوَالِ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ وَيَقُولُ إنّهُنّ يَعْدِلْنَ بِمِثْلِهِنّ مِنْ قِيَامِ اللّيْلِ وَسِرّ هَذَا [ص ٣٠٠] أَعْلَمُ - أَنّ انْتِصَافَ النّهَارِ مُقَابِلٌ لِانْتِصَافِ اللّيْلِ وَأَبْوَابُ السّمَاءِ تُفْتَحُ بَعْدَ زَوَالِ الشّمْسِ وَيَحْصُلُ النّزُولُ الْإِلَهِيّ بَعْدَ انْتِصَافِ اللّيْلِ فَهُمَا وَقْتَا قُرْبٍ وَرَحْمَةٍ هَذَا تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السّمَاءِ وَهَذَا يَنْزِلُ فِيهِ الرّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلَى سَمَاءِ الدّنْيَا . وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ أُمّ حَبِيبَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ مَنْ صَلّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بِهِنّ بَيْتٌ فِي الْجَنّةِ وَزَادَ النّسَائِيّ وَالتّرْمِذِيّ فِيهِ أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ قَالَ النّسَائِيّ : وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ بَدَلَ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَصَحّحَهُ التّرْمِذِيّ . وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ عَائِشَةَ تَرْفَعُهُ مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْ السّنّةِ بَنَى اللّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنّةِ أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَذَكَرَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَحْوَهُ وَقَالَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ أَظُنّهُ قَالَ قَبْلَ الْعَصْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ أَظُنّهُ قَالَ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَهَذَا التّفْسِيرُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ [ص ٣٠١]

يَكُونَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْفُوعًا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَمَّا الْأَرْبَعُ قَبْلَ الْعَصْرِ فَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي فِعْلِهَا شَيْءٌ إلَّا حَدِيثُ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ عَنْ عَلِيٍّ . .. الْحَدِيثُ الطَّوِيلُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي فِي النَّهَارِ سِتَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي إذَا كَانَتْ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا كَهَيْئَتِهَا مِنْ هَاهُنَا لِصَلَاةِ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَكَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَبَعْدَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ وَقَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَفِي لَفْظٍ كَانَ إذَا زَالَتْ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا كَهَيْئَتِهَا مِنْ هَاهُنَا عِنْدَ الْعَصْرِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَإِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا كَهَيْئَتِهَا مِنْ هَاهُنَا عِنْدَ الظُّهْرِ صَلَّى أَرْبَعًا وَيُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ وَقَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا وَيَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يُنْكِرُ هَذَا الْحَدِيثَ وَيَدْفَعُهُ جِدًّا وَيَقُولُ إنَّهُ مَوْضُوعٌ . وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي إسْحَاقَ الْجُوزَجَانِيِّ إنْكَارُهُ . وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَعَلَّلَهُ غَيْرُهُ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ سَمِعْت أَبِي يَقُولُ سَأَلْت أَبَا الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيَّ عَنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا فَقَالَ دَعْ ذَا . فَقُلْت : إنَّ أَبَا دَاوُد قَدْ رَوَاهُ فَقَالَ قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ كَانَ ابْنُ [ص ٣٠٢] حَفِظْتُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَلَوْ كَانَ هَذَا لَعَدَّهُ . قَالَ أَبِي : كَانَ يَقُولُ " حَفِظْت ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً " . وَهَذَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ أَصْلًا فَإِنَّ ابْنَ عُمَرَ إنَّمَا أَخْبَرَ بِمَا حَفِظَهُ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُخْبِرْ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَلَا تَنَافِي بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ الْبَتَّةَ . وَأَمَّا الرَّكْعَتَانِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيهِمَا وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ أَقَرَّ أَصْحَابَهُ عَلَيْهِمَا وَكَانَ يَرَاهُمْ يُصَلُّونَهُمَا فَلَمْ يَأْمُرْهُمْ وَلَمْ يَنْهَهُمْ وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ " . قَالَ فِي الثَّالِثَةِ " لِمَنْ شَاءَ كَرَاهَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ أَنَّهُمَا مُسْتَحَبَّتَانِ مَنْدُوبٌ إلَيْهِمَا وَلَيْسَتَا بِسُنَّةٍ رَاتِبَةٍ كَسَائِرِ السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ .

[كَانَ يُصَلِّي عَامَّةَ السُّنَنِ فِي بَيْتِهِ]

وَكَانَ يُصَلِّي عَامَّةَ السُّنَنِ وَالتَّطَوُّعَ الَّذِي لَا سَبَبَ لَهُ فِي بَيْتِهِ لَا سِيَّمَا سُنَّةَ الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ فَعَلَهَا فِي الْمَسْجِدِ الْبَتَّةَ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ السُّنَّةُ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ كَذَا رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ : لَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إذَا انْصَرَفُوا مِنْ الْمَغْرِبِ انْصَرَفُوا جَمِيعًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ كَأَنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَصِيرُوا إلَى [ص ٣٠٣] أَهْلِيهِمْ انْتَهَى كَلَامُهُ . فَإِنْ صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَهَلْ يُجْزِئُ عَنْهُ وَتَقَعُ مَوْقِعَهَا ؟ اخْتَلَفَ قَوْلُهُ فَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي الْمَسْجِدِ مَا أَجْزَأَهُ ؟ فَقَالَ مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ وَمَا أَجْوَدَ مَا انْتَزَعَ قَالَ أَبُو حَفْصٍ وَوَجْهُهُ أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ . وَقَالَ الْمَرْوَزِيّ : مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي الْمَسْجِدِ يَكُونُ عَاصِيًا قَالَ مَا أَعْرِفُ

هَذَا قُلْتُ لَهُ يُحْكَى عَنْ أَبِي ثَوْرٍ أَنّهُ قَالَ هُوَ عَاصٍ . قَالَ لَعَلّهُ ذَهَبَ إلَى قَوْلِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اجْعَلُوهَا فِي بُيُوتِكُم قَالَ أَبُو حَفْصٍ وَوَجْهُهُ أَنّهُ لَوْ صَلّى الْفَرْضَ فِي الْبَيْتِ وَتَرَكَ الْمَسْجِدَ أَجْزَأَهُ فَكَذَلِكَ السّنّةُ . انْتَهَى كَلَامُهُ . وَلَيْسَ هَذَا وَجْهَهُ عِنْدَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللّهُ وَإِنّمَا وَجْهُهُ أَنّ السّنَنَ لَا يُشْتَرَطُ لَهَا مَكَانٌ مُعَيّنٌ وَلَا جَمَاعَةٌ فَيَجُوزُ فِعْلُهَا فِي الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَفِي سُنّةِ الْمَغْرِبِ سُنّتَانِ إحْدَاهُمَا : أَنّهُ لَا يُفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ بِكَلَامٍ قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ فِي رِوَايَةِ الْمَيْمُونِيّ وَالْمَرْوَزِيّ : يُسْتَحَبّ أَلّا يَكُونَ قَبْلَ الرّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ إلَى أَنْ يُصَلّيَهُمَا كَلَامٌ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمّدٍ : رَأَيْت أَحْمَدَ إذَا سَلّمَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ قَامَ وَلَمْ يَتَكَلّمْ وَلَمْ يَرْكَعْ فِي الْمَسْجِدِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الدّارَ قَالَ أَبُو حَفْصٍ وَوَجْهُهُ قَوْلُ مَكْحُولٍ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ صَلّى رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلّمَ رُفِعَتْ صَلَاتُهُ فِي عِلّيّين [ص ٣٠٤] وَالسّنّةُ الثّانِيَةُ أَنْ تَفْعَلَ فِي الْبَيْتِ فَقَدْ رَوَى النّسَائِيّ وَأَبُو دَاوُد وَالتّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَتَى مَسْجِدَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَصَلّى فِيهِ الْمَغْرِبَ فَلَمّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ رَآهُمْ يُسَبّحُونَ بَعْدَهَا فَقَالَ هَذِهِ صَلَاةُ الْبُيُوت وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ وَقَالَ فِيهَا : ارْكَعُوا هَاتَيْنِ الرّكْعَتَيْنِ فِي بُيُوتِكُم وَالْمَقْصُودُ أَنّ هَدْيَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِعْلُ عَامّةِ السّنَنِ وَالتّطَوّعِ فِي بَيْتِهِ . كَمَا فِي الصّحِيحِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ حَفِظْتُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصّبْحِ

[لَمْ يَكُنْ يُصَلّي فِي السّفَرِ مِنْ السّنَنِ إلّا سُنّتَيْ الْفَجْرِ وَالْوِتْرِ]

وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي فِي بَيْتِي أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ ثُمّ يَخْرُجُ فَيُصَلّي بِالنّاسِ ثُمّ يَدْخُلُ فَيُصَلّي رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلّي بِالنّاسِ الْمَغْرِبَ ثُمّ يَدْخُلُ فَيُصَلّي رَكْعَتَيْنِ وَيُصَلّي بِالنّاسِ الْعِشَاءَ ثُمّ يَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلّي رَكْعَتَيْنِ وَكَذَلِكَ الْمَحْفُوظُ عَنْهُ فِي [ص ٣٠٥] كَانَ يُصَلّيهَا فِي بَيْتِهِ كَمَا قَالَتْ حَفْصَةُ . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُصَلّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فِي بَيْتِهِ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذِكْرِ سُنّةِ الْجُمُعَةِ بَعْدَهَا وَالصّلَاةِ قَبْلَهَا عِنْدَ ذِكْرِ هَدْيِهِ فِي الْجُمُعَةِ إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيّهَا النّاسُ صَلّوا فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إلّا الْمَكْتُوبَة وَكَانَ هَدْيُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِعْلَ السّنَنِ وَالتّطَوّعَ فِي الْبَيْتِ إلّا لِعَارِضٍ كَمَا أَنّ هَدْيَهُ كَانَ فِعْلَ الْفَرَائِضِ فِي الْمَسْجِدِ إلّا لِعَارِضٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ مِمّا يَمْنَعُهُ مِنْ الْمَسْجِدِ وَكَانَ تَعَاهُدُهُ وَمُحَافَظَتُهُ عَلَى سُنّةِ الْفَجْرِ أَشَدّ مِنْ جَمِيعِ النّوَافِلِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهَا هِيَ وَالْوِتْرُ سَفَرًا وَحَضَرًا وَكَانَ فِي السّفَرِ يُوَاظِبُ عَلَى سُنّةِ الْفَجْرِ وَالْوِتْرِ أَشَدّ مِنْ جَمِيعِ النّوَافِلِ دُونَ سَائِرِ السّنَنِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ فِي السّفَرِ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى سُنّةً رَاتِبَةً غَيْرَهُمَا وَلِذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَزِيدُ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَيَقُولُ سَافَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا فَكَانُوا لَا يَزِيدُونَ فِي السّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَهَذَا وَإِنْ احْتَمَلَ أَنّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُرَبّعُونَ إلّا أَنّهُمْ لَمْ يُصَلّوا السّنّةَ لَكِنْ قَدْ ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّهُ سُئِلَ عَنْ سُنّةِ الظّهْرِ فِي السّفَرِ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ مُسَبّحًا لَأَتْمَمْت وَهَذَا مِنْ فِقْهِهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَإِنّ اللّهَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَفَّفَ عَنْ الْمُسَافِرِ فِي الرَّبَاعِيَّةِ شَطْرَهَا [ص ٣٠٦] شَرَعَ لَهُ الرَّكْعَتَانِ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا لَكَانَ الْإِتْمَامُ أَوْلَى بِهِ .

[أَيُّهُمَا آكَدُ سُنَّةُ الْفَجْرِ أَوْ الْوِتْرِ]

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ أَيُّ الصَّلَاتَيْنِ آكَدُ سُنَّةُ الْفَجْرِ أَوْ الْوِتْرِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ وَلَا يُمْكِنُ التَّرْجِيحُ بِاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ فِي وُجُوبِ الْوِتْرِ فَقَدْ اخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي وُجُوبِ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَسَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تيمية يَقُولُ سُنَّةُ الْفَجْرِ تَجْرِي مَجْرَى بِدَايَةِ الْعَمَلِ وَالْوِتْرُ خَاتِمَتَهُ . وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي سُنَّةَ الْفَجْرِ وَالْوِتْرِ بِسُورَتَيْ الْإِخْلَاصِ وَهُمَا الْجَامِعَتَانِ لِتَوْحِيدِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَتَوْحِيدِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِرَادَةِ وَتَوْحِيدِ الِاعْتِقَادِ وَالْقَصْدِ انْتَهَى . تَوْضِيحٌ لِمَعْنَى : سُورَةُ الْإِخْلَاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَالزَّلْزَلَةِ نِصْفَهُ وَالْكَافِرُونَ رُبُعَهُ فَسُورَةُ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مُتَضَمِّنَةٌ لِتَوْحِيدِ الِاعْتِقَادِ وَالْمَعْرِفَةِ وَمَا يَجِبُ إثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى مِنْ الْأَحَدِيَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الْمُشَارَكَةِ بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ وَالصَّمَدِيَّةِ الْمُثْبِتَةِ لَهُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ وَنَفْيِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الصَّمَدِيَّةِ وَغِنَاهُ وَأَحَدِيَّتِهِ وَنَفْيِ الْكُفْءِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّنْظِيرِ فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ إثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ وَنَفْيَ كُلِّ نَقْصٍ عَنْهُ وَنَفْيَ إثْبَاتِ شَبِيهٍ أَوْ مَثِيلٍ لَهُ فِي كَمَالِهِ وَنَفْيَ مُطْلَقِ الشَّرِيكِ عَنْهُ وَهَذِهِ الْأُصُولُ هِيَ مَجَامِعُ التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ الِاعْتِقَادِيِّ الَّذِي يُبَايِنُ صَاحِبُهُ جَمِيعَ فِرَقِ الضَّلَالِ وَالشِّرْكِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مَدَارُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ وَالْإِنْشَاءُ ثَلَاثَةٌ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِبَاحَةٌ . وَالْخَبَرُ نَوْعَانِ خَبَرٌ عَنْ الْخَالِقِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَخَبَرٌ عَنْ خَلْقِهِ . فَأَخْلَصَتْ سُورَةُ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } الْخَبَرَ عَنْهُ وَعَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَعَدَلَتْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَخَلَّصَتْ قَارِئَهَا الْمُؤْمِنَ بِهَا مِنْ الشِّرْكِ الْعِلْمِيِّ كَمَا خَلَّصَتْ سُورَةُ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } مِنْ الشِّرْكِ الْعَمَلِيِّ الْإِرَادِيِّ الْقَصْدِيِّ . وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ قَبْلَ الْعَمَلِ وَهُوَ إمَامُهُ وَقَائِدُهُ وَسَائِقُهُ وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ وَمُنْزِلُهُ مَنَازِلَهُ كَانَتْ سُورَةُ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ . وَالْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ تَكَادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ و { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثُ بِذَلِكَ فِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [ص ٣٠٧] { إذَا زُلْزِلَتِ } تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ وَ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ " . رَوَاهُ الْحَاكِمِ فِي " الْمُسْتَدْرَكِ " وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ . وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ الْعَمَلِيُّ الْإِرَادِيُّ أَغْلَبَ عَلَى النُّفُوسِ لِأَجْلِ مُتَابَعَتِهَا هَوَاهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا تَرْتَكِبُهُ مَعَ عِلْمِهَا بِمَضَرَّتِهِ وَبُطْلَانِهِ لِمَا لَهَا فِيهِ مِنْ نَيْلِ الْأَغْرَاضِ وَإِزَالَتِهِ وَقَلْعِهِ مِنْهَا أَصْعَبُ وَأَشَدُّ مِنْ قَلْعِ الشِّرْكِ الْعِلْمِيِّ وَإِزَالَتِهِ لِأَنَّ هَذَا يَزُولُ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ وَلَا يُمْكِنُ صَاحِبُهُ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ بِخِلَافِ شِرْكِ الْإِرَادَةِ وَالْقَصْدِ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يَرْتَكِبُ مَا يَدُلُّهُ الْعِلْمُ عَلَى بُطْلَانِهِ وَضَرَرِهِ لِأَجْلِ غَلَبَةِ هَوَاهُ وَاسْتِيلَاءِ سُلْطَانِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ عَلَى نَفْسِهِ فَجَاءَ مِنْ التَّأْكِيدِ وَالتَّكْرَارِ فِي سُورَةِ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } الْمُتَضَمِّنَةِ لِإِزَالَةِ الشِّرْكِ الْعَمَلِيِّ مَا لَمْ يَجِئْ مِثْلُهُ فِي سُورَةِ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ شَطْرَيْنِ شَطْرًا فِي الدُّنْيَا وَأَحْكَامِهَا وَمُتَعَلِّقَاتِهَا وَالْأُمُورِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا مِنْ أَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ وَغَيْرِهَا وَشَطْرًا فِي الْآخِرَةِ وَمَا يَقَعُ فِيهَا وَكَانَتْ سُورَةُ { إذَا زُلْزِلَتِ } قَدْ أُخْلِصَتْ مِنْ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا لِهَذَا الشَّطْرِ فَلَمْ يُذْكَرْ فِيهَا إلَّا الْآخِرَةَ . وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَحْوَالِ الْأَرْضِ

وَسُكّانِهَا كَانَتْ تَعْدِلُ نِصفَ الْقُرْآنِ فَأَحْرَى بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - وَلِهَذَا كَانَ يَقْرَأُ بِهَاتَيْنِ السّورَتَيْنِ فِي رَكْعَتَيْ الطّوَافِ [ص ٣٠٨] سُورَتَا الْإِخْلَاصِ وَالتّوْحِيدِ كَانَ يَفْتَتِحُ بِهِمَا عَمَلَ النّهَارِ وَيَخْتِمُهُ بهما ، وَيَقْرَأُ بهما في الحَجّ الذي هو شِعَارَ التّوْحِيدِ .

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٣١١)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي قِيَامِ اللّيْلِ

[هَلْ كَانَ قِيَامُ اللّيْلِ عَلَيْهِ فَرْضًا]

قَدْ اخْتَلَفَ السّلَفُ وَالْخَلَفُ فِي أَنّهُ هَلْ كَانَ فَرْضًا عَلَيْهِ أَمْ لَا ؟ وَالطّائِفَتَانِ احْتَجّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمِنَ اللّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ } [الْإِسْرَاءُ ٧٩] قَالُوا : فَهَذَا صَرِيحٌ فِي عَدَمِ الْوُجُوبِ قَالَ الْآخَرُونَ أَمَرَهُ بِالتّهَجّدِ فِي هَذِهِ السّورَةِ كَمَا أَمَرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { يَا أَيّهَا الْمُزّمّلُ قُمِ اللّيْلَ إِلّا قَلِيلًا } [الْمُزّمّلُ ١] . وَلَمْ [ص ٣١٢] { نَافِلَةً لَكَ } فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ التّطَوّعَ لَمْ يَخُصّهُ بِكَوْنِهِ نَافِلَةً لَهُ وَإِنّمَا الْمُرَادُ بِالنّافِلَةِ الزّيَادَةُ وَمُطْلَقُ الزّيَادَةِ لَا يَدُلّ عَلَى التّطَوّعِ قَالَ تَعَالَى : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً } [الْأَنْبِيَاءُ ٧٢] أَيْ زِيَادَةً عَلَى الْوَلَدِ وَكَذَلِكَ النّافِلَةُ فِي تَهَجّدِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زِيَادَةً فِي دَرَجَاتِهِ وَفِي أَجْرِهِ وَلِهَذَا خَصّهُ بِهَا فَإِنّ قِيَامَ اللّيْلِ فِي حَقّ غَيْرِهِ مُبَاحٌ وَمُكَفّرٌ لِلسّيّئَاتِ وَأَمّا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَدْ غَفَرَ اللّهُ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخّرَ فَهُوَ يَعْمَلُ فِي زِيَادَةِ الدّرَجَاتِ وَعُلُوّ الْمَرَاتِبِ وَغَيْرِهِ يَعْمَلُ فِي التّكْفِيرِ . قَالَ مُجَاهِدٌ : إِنّمَا كَانَ نَافِلَةً لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَنّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخّرَ فَكَانَتْ طَاعَتُهُ نَافِلَةً أَيْ زِيَادَةً فِي الثّوَابِ وَلِغَيْرِهِ كَفّارَةً لِذُنُوبِهِ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي تَفْسِيرِهِ حَدّثَنَا يَعْلَى بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ حَدّثَنَا الْحَجّاجُ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ مَا سِوَى الْمَكْتُوبَةِ فَهُوَ نَافِلَةٌ مِنْ أَجْلِ أَنّهُ لَا يَعْمَلُ فِي كَفّارَةِ الذّنُوبِ وَلَيْسَتْ لِلنّاسِ نَوَافِلُ إِنّمَا هِيَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَاصّةً وَالنّاسُ جَمِيعًا يَعْمَلُونَ مَا سِوَى الْمَكْتُوبَةِ لِذُنُوبِهِمْ فِي كَفّارَتِهَا . حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ نَصْرٍ حَدّثَنَا عَبْدُ اللّهِ حَدّثَنَا عَمْرٌو عَنْ سَعِيدٍ وَقَبِيصَةَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمِنَ اللّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ } . قَالَ لَا تَكُونُ نَافِلَةَ اللّيْلِ إِلّا لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَذُكِرَ عَنْ الضّحّاكِ قَالَ نَافِلَةٌ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَاصّةً . وَذَكَرَ سُلَيْمُ بْنُ حَيّانَ حَدّثَنَا أَبُو غَالِبٍ حَدّثَنَا أَبُو أُمَامَةَ قَالَ إِذَا وَضَعْتَ الطّهُورَ مَوَاضِعَهُ قُمْتَ مَغْفُورًا لَك فَإِنْ قُمْتَ تُصَلّي كَانَتْ لَك فَضِيلَةً وَأَجْرًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا أَبَا أُمَامَةَ أَرَأَيْت إِنْ قَامَ يُصَلّي تَكُونُ لَهُ نَافِلَةً ؟ قَالَ لَا إِنّمَا النّافِلَةُ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ نَافِلَةً وَهُوَ يَسْعَى فِي الذّنُوبِ وَالْخَطَايَا ؟ تَكُونُ لَهُ [ص ٣١٣] فَضِيلَةً وَأَجْرًا قُلْتُ وَالْمَقْصُودُ أَنّ النّافِلَةَ فِي الْآيَةِ لَمْ يُرَدْ بِهَا مَا يَجُوزُ فِعْلُهُ وَتَرْكُهُ كَالْمُسْتَحَبّ وَالْمَنْدُوبِ وَإِنّمَا الْمُرَادُ بِهَا الزّيَادَةُ فِي الدّرَجَاتِ وَهَذَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْفَرْضِ وَالْمُسْتَحَبّ فَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ { نَافِلَةً لَكَ } نَافِيًا لِمَا دَلّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ الْوُجُوبِ وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ خَصَائِصِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

[مُثَابَرَتُهُ عَلَيْهِ سَفَرًا وَحَضَرًا]

وَلَمْ يَكُنْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَدَعُ قِيَامَ اللّيْلِ حَضَرًا وَلَا سَفَرًا وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ صَلّى مِنْ النّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً . فَسَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ فِي هَذَا

دَلِيلٌ عَلَى أَنّ الْوِتْرَ لَا يُقْضَى لِفَوَاتِ مَحَلّهِ فَهُوَ كَتَحِيّةِ الْمَسْجِدِ وَصَلَاةِ الْكُسُوفِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِهَا لِأَنّ الْمَقْصُودَ بِهِ أَنْ يَكُونَ آخِرُ صَلَاةِ اللّيْلِ وِتْرًا كَمَا أَنّ الْمَغْرِبَ آخِرُ صَلَاةِ النّهَارِ فَإِذَا انْقَضَى اللّيْلُ وَصَلّيْت الصّبْحَ لَمْ يَقَعْ الْوِتْرُ مَوْقِعَهُ . هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ . وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد وَابْنُ ماجه مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ مَنْ نَامَ عَنْ الْوِتْرِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلّهِ إذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَر وَلَكِنْ لِهَذَا الْحَدِيثِ عِدّةُ عِلَلٍ . أَحَدُهَا : أَنّهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَهُوَ ضَعِيفٌ . [ص ٣١٤] الثّانِي : أَنّ الصّحِيحَ فِيهِ أَنّهُ مُرْسَلٌ لَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ التّرْمِذِيّ : هَذَا أَصَحّ يَعْنِي الْمُرْسَلَ . الثّالِثُ أَنّ ابْنَ مَاجَهْ حَكَى عَنْ مُحَمّدِ بْنِ يَحْيَى بَعْدَ أَنْ رَوَى حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الصّحِيحُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا قَالَ فَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنّ حَدِيثَ عَبْدِ الرّحْمَنِ وَاهٍ .

[عَدَدُ رَكَعَاتِهِ فِي الْقِيَامِ]

وَكَانَ قِيَامُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِاللّيْلِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ وَعَائِشَةُ فَإِنّهُ ثَبَتَ عَنْهُمَا هَذَا وَهَذَا فَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْهَا : مَا كَانَ رَسُولُ اللّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَة وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْهَا أَيْضًا كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي مِنْ اللّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ لَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إلّا فِي آخِرِهِن وَالصّحِيحُ عَنْ عَائِشَةَ الْأَوّلُ وَالرّكْعَتَانِ فَوْقَ الْإِحْدَى عَشْرَةَ هُمَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ جَاءَ ذَلِكَ مُبَيّنًا عَنْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِعَيْنِهِ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي ثَلَاثَ [ص ٣١٥] بِرَكْعَتَيْ الْفَجْرِ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " . وَقَالَ الْبُخَارِيّ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي بِاللّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمّ يُصَلّي إذَا سَمِعَ النّدَاءَ بِالْفَجْرِ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمّدٍ قَالَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا تَقُولُ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ اللّيْلِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ وَيُوتِرُ بِسَجْدَةٍ وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ وَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً فَهَذَا مُفَسّرٌ مُبَيّنٌ . وَأَمّا ابْنُ عَبّاسٍ فَقَدْ اُخْتُلِفَ عَلَيْهِ فَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي جَمْرَةَ عَنْهُ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَعْنِي بِاللّيْلِ لَكِنْ قَدْ جَاءَ عَنْهُ هَذَا مُفَسّرًا أَنّهَا بِرَكْعَتَيْ الْفَجْرِ . قَالَ الشّعْبِيّ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَبّاسٍ وَعَبْدَ اللّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِاللّيْلِ فَقَالَا : ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْهَا ثَمَانٍ وَيُوتِرُ بِثَلَاثٍ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ كُرَيْبٍ عَنْهُ فِي قِصّةِ مَبِيتِهِ عِنْدَ خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمّ نَامَ حَتّى نَفَخَ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ الْفَجْرُ صَلّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وَفِي لَفْظٍ فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ ثُمّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ أَوْتَرَ ثُمّ اضْطَجَعَ حَتّى جَاءَهُ الْمُؤَذّنُ . فَقَامَ فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمّ خَرَجَ يُصَلّي الصّبْحَ [ص ٣١٦] حَصَلَ الِاتّفَاقُ عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً .

[مَجْمُوعُ الرّكَعَاتِ الّتِي كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا أَرْبَعُونَ رَكْعَةً
وَتَدْخُلُ فِيهَا رَكَعَاتُ فَرِيضَةٍ]

وَاخْتُلِفَ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ هَلْ هُمَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ أَوْ هُمَا غَيْرُهُمَا ؟ فَإِذَا انْضَافَ ذَلِكَ إلَى عَدَدِ رَكَعَاتِ الْفَرْضِ وَالسّنَنِ الرّاتِبَةِ الّتِي كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا جَاءَ مَجْمُوعُ

وِرْدِهِ الرّاتِبِ بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ أَرْبَعِينَ رَكْعَةً كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا دَائِمًا سَبْعَةَ عَشَرَ فَرْضًا وَعَشْرُ رَكَعَاتٍ أَوْ ثِنْتَا عَشْرَةَ سُنّةً رَاتِبَةً وَإِحْدَى عَشْرَةَ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً قِيَامُهُ بِاللّيْلِ وَالْمَجْمُوعُ أَرْبَعُونَ رَكْعَةً وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَعَارِضٌ غَيْرُ رَاتِبٍ كَصَلَاةِ الْفَتْحِ ثَمَانُ رَكَعَاتٍ وَصَلَاةِ الضّحَى إذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ وَصِلَاتِهِ عِنْدَ مَنْ يَزُورُهُ وَتَحِيّةِ الْمَسْجِدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَاظِبَ عَلَى هَذَا الْوِرْدِ دَائِمًا إلَى الْمَمَاتِ فَمَا أَسْرَعَ [ص ٣١٧] وَأَعْجَلَ فَتْحَ الْبَابِ لِمَنْ يَقْرَعُهُ كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعِينَ مَرّةً . وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَصْلٌ فِي سِيَاقِ صَلَاتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِاللّيْلِ وَوِتْرِهِ وَذِكْرِ صَلَاةِ أَوّلِ اللّيْلِ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : مَا صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعِشَاءَ قَطّ فَدَخَلَ عَلَيّ إلّا صَلّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتّ رَكَعَاتٍ ثُمّ يَأْوِي إلَى فِرَاشِهِ وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ لَمّا بَاتَ عِنْدَهُ صَلّى الْعِشَاءَ ثُمّ جَاءَ ثُمّ صَلّى ثُمّ نَامَ ذَكَرَهُمَا أَبُو دَاوُد . وَكَانَ إذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسّوَاكِ ثُمّ يَذْكُرُ اللّهَ تَعَالَى وَقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُ مَا كَانَ يَقُولُهُ عِنْدَ اسْتِيقَاظِهِ ثُمّ يَتَطَهّرُ ثُمّ يُصَلّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ كَمَا فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا قَامَ مِنْ اللّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وَأَمَرَ بِذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ إذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ اللّيْلِ فَلْيَفْتَتِحْ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَكَانَ يَقُومُ تَارَةً إذَا انْتَصَفَ اللّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ وَرُبّمَا كَانَ يَقُومُ إذَا سَمِعَ الصّارِخَ وَهُوَ الدّيكُ وَهُوَ إنّمَا يَصِيحُ فِي النّصْفِ الثّانِي وَكَانَ يَقْطَعُ وِرْدَهُ تَارَةً وَيَصِلُهُ تَارَةً وَهُوَ الْأَكْثَرُ وَيَقْطَعُهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ فِي حَدِيثِ مَبِيتِهِ عِنْدَهُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَيْقَظَ فَتَسَوّكَ وَتَوَضّأَ [ص ٣١٨] { إنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } [آلُ عِمْرَانَ ١٩٠] . فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتّى خَتَمَ السّورَةَ ثُمّ قَامَ فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرّكُوعَ وَالسّجُودَ ثُمّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتّى نَفَخَ ثُمّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ بِسِتّ رَكَعَاتٍ كُلّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ثُمّ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ فَأَذّنَ الْمُؤَذّنُ فَخَرَجَ إلَى الصّلَاةِ وَهُوَ يَقُولُ اللّهُمّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا وَمِنْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا اللّهُمّ أَعْطِنِي نُورًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَبّاسٍ افْتِتَاحَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ كَمَا ذَكَرَتْهُ عَائِشَةُ فَإِمّا أَنّهُ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً وَإِمّا أَنْ تَكُونَ عَائِشَةُ حَفِظَتْ مَا لَمْ يَحْفَظْ ابْنُ عَبّاسٍ وَهُوَ الْأَظْهَرُ لِمُلَازَمَتِهَا لَهُ وَلِمُرَاعَاتِهَا ذَلِكَ وَلِكَوْنِهَا أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِقِيَامِهِ بِاللّيْلِ وَابْنُ عَبّاسٍ إنّمَا شَاهَدَهُ لَيْلَةَ الْمَبِيتِ عِنْدَ خَالَتِهِ وَإِذَا اخْتَلَفَ ابْنُ عَبّاسٍ وَعَائِشَةُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ قِيَامِهِ بِاللّيْلِ فَالْقَوْلُ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ .

[أَنْوَاعُ صَلَاةِ الْقِيَامِ]

وَكَانَ قِيَامُهُ بِاللّيْلِ وَوِتْرُهُ أَنْوَاعًا فَمِنْهَا هَذَا الّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبّاسٍ . النّوْعُ الثّانِي : الّذِي ذَكَرَتْهُ عَائِشَةُ أَنّهُ كَانَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمّ يُتَمّمُ وِرْدَهُ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُسَلّمُ مِنْ كُلّ رَكْعَتَيْنِ وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ النّوْعُ الثّالِثُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً كَذَلِكَ . النّوْعُ الرّابِعُ يُصَلّي ثَمَانَ رَكَعَاتٍ يُسَلّمُ مِنْ كُلّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ يُوتِرُ بِخَمْسٍ سَرْدًا مُتَوَالِيَةً لَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إلّا فِي آخِرِهِنّ النّوْعُ الْخَامِسُ تِسْعُ رَكَعَاتٍ يَسْرُدُ مِنْهُنّ ثَمَانِيًا لَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ مِنْهُنّ إلّا فِي الثّامِنَةِ يَجْلِسُ يَذْكُرُ اللّهَ تَعَالَى وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلّمُ ثُمّ [ص ٣١٩] يُصَلّي التّاسِعَةَ ثُمّ يَقْعُدُ وَيَتَشَهّدُ وَيُسَلّمُ ثُمّ يُصَلّي رَكْعَتَيْنِ جَالِسًا

بَعْدَمَا يُسَلِّمُ . النَّوْعُ السَّادِسُ يُصَلِّي سَبْعًا كَالتِّسْعِ الْمَذْكُورَةِ ثُمَّ يُصَلِّي بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ جَالِسًا . النَّوْعُ السَّابِعُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي مَثْنَى مَثْنَى ثُمَّ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ . فَهَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ لَا فَصْلَ فِيهِنَّ وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْهَا : كَانَ لَا يُسَلِّمُ فِي رَكْعَتَيْ الْوِتْرِ وَهَذِهِ الصِّفَةُ فِيهَا نَظَرٌ فَقَدْ رَوَى أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُوتِرُوا بِثَلَاثٍ أَوْتِرُوا بِخَمْسٍ أَوْ سَبْعٍ وَلَا تَشَبَّهُوا بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : رُوَاتُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ قَالَ مُهَنَّا : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إلَى أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ فِي الْوِتْرِ تُسَلِّمُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قُلْتُ لِأَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ فِيهِ أَقْوَى وَأَكْثَرُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ . الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ [ص ٣٢٠] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَّمَ مِنْ الرَّكْعَتَيْنِ وَقَالَ حَرْبٌ سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْ الْوِتْرِ ؟ قَالَ يُسَلِّمُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ . وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمْ رَجَوْتُ أَلَّا يَضُرَّهُ إلَّا أَنَّ التَّسْلِيمَ أَثْبَتُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إلَى أَيِّ حَدِيثٍ تَذْهَبُ فِي الْوِتْرِ ؟ قَالَ أَذْهَبُ إلَيْهَا كُلِّهَا : مَنْ صَلَّى خَمْسًا لَا يَجْلِسُ إلَّا فِي آخِرِهِنَّ وَمَنْ صَلَّى سَبْعًا لَا يَجْلِسُ إلَّا فِي آخِرِهِنَّ وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ زُرَارَةَ عَنْ عَائِشَةَ يُوتِرُ بِتِسْعٍ يَجْلِسُ فِي الثَّامِنَةِ .
قَالَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْحَدِيثِ وَأَقْوَاهُ رَكْعَةٌ فَأَنَا أَذْهَبُ إلَيْهَا . قُلْت : ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ ثَلَاثٌ قَالَ نَعَمْ قَدْ عَابَ عَلَى سَعْدٍ رَكْعَةً فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ أَيْضًا شَيْئًا يَرُدُّ عَلَيْهِ . النَّوْعُ الثَّامِنُ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ فَرَكَعَ فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ مِثْلَ مَا كَانَ قَائِمًا ثُمَّ جَلَسَ يَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِي رَبِّ اغْفِرْ لِي مِثْلَ مَا كَانَ قَائِمًا . ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى مِثْلَ مَا كَانَ قَائِمًا فَمَا صَلَّى إلَّا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ حَتَّى جَاءَ بِلَالٌ يَدْعُوهُ إلَى الْغَدَاةِ وَأَوْتَرَ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَوَسَطَهُ وَآخِرَهُ . وَقَامَ لَيْلَةً تَامَّةً بِآيَةٍ يَتْلُوهَا وَيُرَدِّدُهَا حَتَّى الصَّبَاحِ وَهِيَ { إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ } [الْمَائِدَةُ ١١٨] . [ص ٣٢١] وَكَانَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ . أَحَدُهَا - وَهُوَ أَكْثَرُهَا : صَلَاتُهُ قَائِمًا . الثَّانِي : أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي قَاعِدًا وَيَرْكَعُ قَاعِدًا . الثَّالِثُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ قَاعِدًا فَإِذَا بَقِيَ يَسِيرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَامَ فَرَكَعَ قَائِمًا وَالْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ صَحَّتْ عَنْهُ . وَأَمَّا صِفَةُ جُلُوسِهِ فِي مَحَلِّ الْقِيَامِ فَفِي " سُنَنِ النَّسَائِيِّ " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مُتَرَبِّعًا قَالَ النَّسَائِيُّ : لَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ غَيْرَ أَبِي دُوَادَ يَعْنِي الْحَفْرِيَّ وَأَبُو دَاوُد ثِقَةٌ وَلَا أَحْسَبُ إلَّا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ خَطَأٌ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .
١ـ كان يصلي عامة السنن والتطوع الذي لا سبب له في بيته، لا سيما سنة المغرب.
٢ـ وكان يحافظ على عشر ركعات في الحضر دائمًا: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل صلاة الفجر.
٣ـ وكانت محافظته على سنة الفجر أشد من جميع النوافل، ولم يكن يدعها هي والوتر، لا حضرًا ولا سفرًا، ولم ينقل أنه صلى في السفر راتبة غيرها.
٤ـ وكان يضطجع بعد سنة الفجر على شقه الأيمن.
٥ـ وكان يصلي أحيانًا قبل الظهر أربعًا، ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاها بعد العصر.

٦ـ ولم يكن يدع صلاة الليل حضرًا ولا سفرًا.
٧ـ وكان أكثر صلاته بالليل قائمًا، وربما يصلي قاعدًا، وربما يقرأ قاعدًا، فإذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائمًا.
٨ـ وكان يصلي ثماني ركعات، يسلم بعد كل ركعتين، ثم يوتر بخمس سردًا متواليات، لا يجلس إلا في آخرهن، أو يوتر بتسع ركعات يسرد منهن ثمانيًا لا يجلس إلا في الثامنة، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يصلي التاسعة، ثم يقعد فيتشهد ويسلم، ثم يصلي بعدها ركعتين بعدما يسلم، أو يوتر بسبع كالتسع المذكورة ثم يصلي بعدها ركعتين جالسًا.
٩ـ وكان يوتر أول الليل ووسطه وآخره، وقال: ((اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا)) [ق].
١٠ـ وكان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسًا تارةً وتارةً يقرأ فيهما جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فركع.
١١ـ وكان إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة.
١٢ـ وقام ليلة بآية يتلوها ويرددها حتى الصباح.
١٣ـ وكان يُسِرُّ بالقرآن في صلاة الليل تارةً، ويجهر تارةً، ويطيل القيام تارة، ويخففه تارةً.
١٤ـ وكان يقرأ في الوتر بـ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فإذا سلم قال: ((سبحان الملك القدوس)) ثلاث مرات، يمد صوته في الثالثة ويرفع [صحيح النسائي].

٢١. هديه صلى الله عليه وسلم في الصَّلَاة

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٩٤)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّلَاةِ
[لَمْ يَتَلَفّظْ بِالنّيّةِ]
كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا قَامَ إلَى الصّلَاةِ قَالَ " اللّهُ أَكْبَرُ " وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا قَبْلَهَا وَلَا تَلَفّظَ بِالنّيّةِ الْبَتّةَ وَلَا قَالَ أُصَلّي لِلّهِ صَلَاةَ كَذَا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ إمَامًا أَوْ مَأْمُومًا وَلَا قَالَ أَدَاءً وَلَا قَضَاءً وَلَا فَرْضَ الْوَقْتِ وَهَذِهِ عَشْرُ بِدَعٍ لَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ قَطّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ وَلَا مُسْنَدٍ وَلَا مُرْسَلٍ لَفْظَةً وَاحِدَةً مِنْهَا الْبَتّةَ بَلْ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا اسْتَحْسَنَهُ أَحَدٌ مِنْ التّابِعِينَ وَلَا الْأَئِمّةِ الْأَرْبَعَةِ وَإِنّمَا غَرّ بَعْضَ الْمُتَأَخّرِينَ قَوْلُ الشّافِعِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي الصّلَاةِ إنّهَا لَيْسَتْ كَالصّيَامِ وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا أَحَدٌ إلّا بِذِكْرٍ فَظَنّ أَنّ الذّكْرَ تَلَفّظُ الْمُصَلّي بِالنّيّةِ وَإِنّمَا أَرَادَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ بِالذّكْرِ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ لَيْسَ إلّا وَكَيْفَ يَسْتَحِبّ الشّافِعِيّ أَمْرًا لَمْ يَفْعَلْهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ وَلَا أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَهَذَا هَدْيُهُمْ وَسِيرَتُهُمْ فَإِنْ أَوْجَدَنَا أَحَدٌ حَرْفًا وَاحِدًا عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ قَبِلْنَاهُ وَقَابَلْنَاهُ بِالتّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ وَلَا هَدْيَ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِمْ وَلَا سُنّةَ إلّا مَا تَلَقّوْهُ عَنْ صَاحِبِ الشّرْعِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .
[الْإِحْرَامُ]
وَكَانَ دَأْبُهُ فِي إحْرَامِهِ لَفْظَةَ اللّهُ أَكْبَرُ لَا غَيْرَهَا وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ عَنْهُ سِوَاهَا .
[رَفْعُ الْيَدَيْنِ عِنْدَ الْإِحْرَامِ]

وَكَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَعَهَا مَمْدُودَةَ الْأَصَابِعِ مُسْتَقْبِلًا بِهَا الْقِبْلَةَ إلَى فُرُوعِ أُذُنَيْه وَرُوِيَ إلَى مَنْكِبَيْهِ فَأَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ وَمَنْ مَعَهُ قَالُوا : حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا الْمَنْكِبَيْنِ وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ . وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ : إلَى حِيَالِ أُذُنَيْهِ . وَقَالَ الْبَرَاءُ : قَرِيبًا مِنْ أُذُنَيْهِ . وَقِيلَ هُوَ مِنْ الْعَمَلِ الْمُخَيَّرِ فِيهِ وَقِيلَ كَانَ أَعْلَاهَا [ص ١٩٥] وَكَفَّاهُ إلَى مَنْكِبَيْهِ فَلَا يَكُونُ اخْتِلَافًا وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَنْهُ فِي مَحَلّ هَذَا الرّفْعِ . ثُمّ يَضَعُ الْيُمْنَى عَلَى ظَهْرِ الْيُسْرَى .

[الِاسْتِفْتَاحُ]

وَكَانَ يَسْتَفْتِحُ تَارَةً بِ اللّهُمّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللّهُمّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثّلْجِ وَالْبَرَدِ اللّهُمّ نَقّنِي مِنْ الذّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقّى الثّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدّنَسِ وَتَارَةً يَقُولُ وَجّهْتُ وَجْهِيَ لِلّذِي فَطَرَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إنّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْت وَأَنَا أَوّلُ الْمُسْلِمِينَ اللّهُمّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ أَنْتَ رَبّي وَأَنَا عَبْدُك ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعَهَا إنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إلّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنّي سَيّئَ الْأَخْلَاقِ لَا يَصْرِفُ عَنّي سَيّئَهَا إلّا أَنْتَ لَبّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلّهُ بِيَدَيْك وَالشّرّ لَيْسَ إلَيْك أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْت أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْك [ص ١٩٦] كَانَ يَقُولُهُ فِي قِيَامِ اللّيْلِ . وَتَارَةً يَقُولُ اللّهُمّ رَبّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقّ بِإِذْنِك إنّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَتَارَةً يَقُولُ اللّهُمّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ . .. الْحَدِيثُ . وَسَيَأْتِي فِي بَعْضِ طُرُقِهِ الصّحِيحَةِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنّهُ كَبّرَ ثُمّ قَالَ ذَلِكَ . وَتَارَةً يَقُولُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرًا الْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرًا الْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا سُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا سُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ . [ص ١٩٧] وَتَارَةً يَقُولُ اللّهُ أَكْبَرُ عَشْرَ مَرّاتٍ ثُمّ يُسَبّحُ عَشْرَ مَرّاتٍ ثُمّ يَحْمَدُ عَشْرًا ثُمّ يُهَلّلُ عَشْرًا ثُمّ يَسْتَغْفِرُ عَشْرًا ثُمّ يَقُولُ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي عَشْرًا ثُمّ يَقُولُ " اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الْمُقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَشْرًا . فَكُلّ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ صَحّتْ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِسُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِك وَتَبَارَكَ اسْمُك وَتَعَالَى جَدّك وَلَا إلَهَ غَيْرُكَ ذَكَرَ ذَلِكَ أَهْلُ السّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيّ بْنِ عَلِيّ الرّفَاعِيّ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكّلِ النّاجِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى أَنّهُ رُبّمَا أَرْسَلَ. وَقَدْ رُوِيَ [ص ١٩٨] عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا وَالْأَحَادِيثُ الّتِي قَبْلَهُ أَثْبَتُ مِنْهُ وَلَكِنْ صَحّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِهِ فِي مَقَامِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَيَجْهَرُ بِهِ وَيُعَلّمُهُ النّاسَ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَمّا أَنَا فَأَذْهَبُ إلَى مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَلَوْ أَنّ رَجُلًا اسْتَفْتَحَ بِبَعْضِ مَا رُوِيَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الِاسْتِفْتَاحِ كَانَ حَسَنًا .

[اخْتِيَارُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ لِدُعَاءِ " سُبْحَانَك اللّهُمّ " وَالتّعْلِيلُ لَهُ]

وَإِنّمَا اخْتَارَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ هَذَا لِعَشَرَةِ أَوْجُهٍ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى . مِنْهَا جَهْرُ عُمَرَ بِهِ يُعَلّمُهُ الصّحَابَةَ . وَمِنْهَا اشْتِمَالُهُ عَلَى أَفْضَلِ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ فَإِنّ أَفْضَلَ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ سُبْحَانَ اللّهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ وَلَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَاَللّهُ أَكْبَرُ وَقَدْ تَضَمّنَهَا هَذَا الِاسْتِفْتَاحُ مَعَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ . وَمِنْهَا أَنّهُ اسْتِفْتَاحٌ أَخْلَصُ لِلثّنَاءِ عَلَى اللّهِ وَغَيْرُهُ مُتَضَمّنٌ لِلدّعَاءِ وَالثّنَاءُ أَفْضَلُ مِنْ الدّعَاءِ وَلِهَذَا كَانَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ [ص ١٩٩] تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ وَلِهَذَا كَانَ " سُبْحَانَ اللّهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ وَلَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَاَللّهُ أَكْبَرُ " أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ فَيَلْزَمُ أَنّ مَا تَضَمّنَهَا مِنْ الِاسْتِفْتَاحَاتِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الِاسْتِفْتَاحَاتِ . وَمِنْهَا أَنّ غَيْرَهُ مِنْ الِاسْتِفْتَاحَاتِ عَامّتُهَا إنّمَا هِيَ فِي قِيَامِ اللّيْلِ فِي النّافِلَةِ وَهَذَا كَانَ عُمَرُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلّمُهُ النّاسَ فِي الْفَرْضِ . وَمِنْهَا أَنّ هَذَا الِاسْتِفْتَاحَ إنْشَاءٌ لِلثّنَاءِ عَلَى الرّبّ تَعَالَى مُتَضَمّنٌ لِلْإِخْبَارِ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ وَالِاسْتِفْتَاحُ بِ " وَجّهْت وَجْهِيَ " إخْبَارٌ عَنْ عُبُودِيّةِ الْعَبْدِ وَبَيْنَهُمَا مِنْ الْفَرْقِ مَا بَيْنَهُمَا . وَمِنْهَا أَنّ مَنْ اخْتَارَ الِاسْتِفْتَاحَ بِ " وَجّهْت وَجْهِيَ " لَا يُكْمِلُهُ وَإِنّمَا يَأْخُذُ بِقِطْعَةٍ مِنْ الْحَدِيثِ وَيَذَرُ بَاقِيَهُ بِخِلَافِ الِاسْتِفْتَاحِ بِ سُبْحَانَك اللّهُمّ وَبِحَمْدِك فَإِنّ مَنْ ذَهَبَ إلَيْهِ يَقُولُهُ كُلّهُ إلَى آخِرِهِ .

وَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ أَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ ثُمّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَكَانَ يَجْهَرُ بِبِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ تَارَةً وَيُخْفِيهَا أَكْثَرَ مِمّا يَجْهَرُ بِهَا [ص ٢٠٠] دَائِمًا فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ مَرّاتٍ أَبَدًا حَضَرًا وَسَفَرًا وَيَخْفَى ذَلِكَ عَلَى خُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ وَعَلَى جُمْهُورِ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَلَدِهِ فِي الْأَعْصَارِ الْفَاضِلَةِ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ حَتّى يَحْتَاجَ إلَى التّشَبّثِ فِيهِ بِأَلْفَاظٍ مُجْمَلَةٍ وَأَحَادِيثَ وَاهِيَةٍ فَصَحِيحُ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ غَيْرُ صَرِيحٍ وَصَرِيحُهَا غَيْرُ صَحِيحٍ وَهَذَا مَوْضِعٌ يَسْتَدْعِي مُجَلّدًا ضَخْمًا .

وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ مَدّا يَقِفُ عِنْدَ كُلّ آيَةٍ وَيَمُدّ بِهَا صَوْتَهُ . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ قَالَ " آمِينَ " فَإِنْ كَانَ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ وَقَالَهَا مَنْ خَلْفَهُ [ص ٢٠١]

[سَكَتَاتُ الْإِمَامِ]

وَكَانَ لَهُ سَكْتَتَانِ سَكْتَةٌ بَيْنَ التّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ وَعَنْهَا سَأَلَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاخْتُلِفَ فِي الثّانِيَةِ فَرُوِيَ أَنّهَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ . وَقِيلَ إنّهَا بَعْدَ الْقِرَاءَةِ وَقَبْلَ الرّكُوعِ . وَقِيلَ هِيَ سَكْتَتَانِ غَيْرُ الْأُولَى فَتَكُونُ ثَلَاثًا وَالظّاهِرُ إنّمَا هِيَ اثْنَتَانِ فَقَطْ وَأَمّا الثّالِثَةُ فَلَطِيفَةٌ جِدّا لِأَجْلِ تَرَادّ النّفَسِ وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ الْقِرَاءَةَ بِالرّكُوعِ بِخِلَافِ السّكْتَةِ الْأُولَى فَإِنّهُ كَانَ يَجْعَلُهَا بِقَدْرِ الِاسْتِفْتَاحِ وَالثّانِيَةُ قَدْ قِيلَ إنّهَا لِأَجْلِ قِرَاءَةِ الْمَأْمُومِ فَعَلَى هَذَا : يَنْبَغِي تَطْوِيلُهَا بِقَدْرِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَأَمّا الثّالِثَةُ فَلِلرّاحَةِ وَالنّفَسِ فَقَطْ وَهِيَ سَكْتَةٌ لَطِيفَةٌ فَمَنْ لَمْ يَذْكُرْهَا فَلِقِصَرِهَا وَمَنْ اعْتَبَرَهَا جَعَلَهَا سَكْتَةً ثَالِثَةً فَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ الرّوَايَتَيْنِ وَهَذَا أَظْهَرُ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . وَقَدْ صَحّ حَدِيثُ السّكْتَتَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ سَمُرَةَ وَأُبَيّ بْنِ كَعْبٍ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو حَاتِمٍ فِي " صَحِيحِهِ " وَسَمُرَةُ هُوَ ابْنُ جُنْدُبٍ وَقَدْ تَبَيّنَ بِذَلِكَ أَنّ أَحَدَ مَنْ رَوَى حَدِيثَ السّكْتَتَيْنِ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ وَقَدْ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَكْتَتَيْنِ سَكْتَةً إذَا كَبّرَ وَسَكْتَةً إذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّالّينَ } وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ الْقِرَاءَةِ سَكَتَ وَهَذَا كَالْمُجْمَلِ وَاللّفْظُ الْأَوّلُ مُفَسّرٌ مُبَيّنٌ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ : لِلْإِمَامِ [ص ٢٠٢] الْقِرَاءَةَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ إذَا افْتَتَحَ الصّلَاةَ وَإِذَا قَالَ " وَلَا الضّالّينَ "

عَلَى أَنّ تَعْيِينَ مَحَلّ السّكْتَتَيْنِ إنّمَا هُوَ مِنْ تَفْسِيرِ قَتَادَةَ فَإِنّهُ رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ سَكْتَتَانِ حَفِظْتهمَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عِمْرَانُ فَقَالَ حَفِظْنَاهَا سَكْتَةً فَكَتَبْنَا إلَى أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ بِالْمَدِينَةِ فَكَتَبَ أُبَيّ أَنْ قَدْ حَفِظَ سَمُرَةُ قَالَ سَعِيدٌ فَقُلْنَا لِقَتَادَةَ مَا هَاتَانِ السّكْتَتَانِ قَالَ إذَا دَخَلَ فِي الصّلَاةِ وَإِذَا فَرَغَ مِنْ الْقِرَاءَةِ ثُمّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِذَا قَالَ وَلَا الضّالّينَ . قَالَ وَكَانَ يُعْجِبُهُ إذَا فَرَغَ مِنْ الْقِرَاءَةِ أَنْ يَسْكُتَ حَتّى يَتَرَادّ إلَيْهِ نَفَسُهُ وَمَنْ يَحْتَجّ بِالْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ يَحْتَجّ بِهَذَا . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ الْفَاتِحَةِ أَخَذَ فِي سُورَةٍ غَيْرِهَا وَكَانَ يُطِيلُهَا تَارَةً وَيُخَفّفُهَا لِعَارِضٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ وَيُتَوَسّطُ فِيهَا غَالِبًا .

[قِرَاءَتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّلَاةِ]

وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِنَحْوِ سِتّينَ آيَةً إلَى مِائَةِ آيَةٍ وَصَلّاهَا بِسُورَةِ (ق) وَصَلّاهَا بِ (الرّومِ) وَصَلّاهَا بِ (إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ) وَصَلّاهَا بِ { إذَا زُلْزِلَتِ } فِي الرّكْعَتَيْنِ كِلَيْهِمَا وَصَلّاهَا بِ (الْمُعَوّذَتَيْنِ) وَكَانَ فِي السّفَرِ وَصَلّاهَا فَافْتَتَحَ بِ (سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ) حَتّى إذَا بَلَغَ ذِكْرَ مُوسَى وَهَارُونَ فِي الرّكْعَةِ الْأُولَى أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ . وَكَانَ يُصَلّيهَا يَوْمَ الْجُمْعَةِ بِ (الم تَنْزِيلُ) السّجْدَةِ وَسُورَةِ (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) [ص ٢٠٣] قِرَاءَةِ بَعْضِ هَذِهِ وَبَعْضِ هَذِهِ فِي الرّكْعَتَيْنِ وَقِرَاءَةِ السّجْدَةِ وَحْدَهَا فِي الرّكْعَتَيْنِ وَهُوَ خِلَافُ السّنّةِ . وَأَمّا مَا يَظُنّهُ كَثِيرٌ مِنْ الْجُهّالِ أَنّ صُبْحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فُضّلَ بِسَجْدَةٍ فَجَهْلٌ عَظِيمٌ وَلِهَذَا كَرِهَ بَعْضُ الْأَئِمّةِ قِرَاءَةَ سُورَةِ السّجْدَةِ لِأَجْلِ هَذَا الظّنّ وَإِنّمَا كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَأُ هَاتَيْنِ السّورَتَيْنِ لِمَا اشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الْمَبْدَإِ وَالْمَعَادِ وَخَلْقِ آدَمَ وَدُخُولِ الْجَنّةِ وَالنّارِ وَذَلِكَ مِمّا كَانَ وَيَكُونُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَكَانَ يَقْرَأُ فِي فَجْرِهَا مَا كَانَ وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَذْكِيرًا لِلْأُمّةِ بِحَوَادِثِ هَذَا الْيَوْمِ كَمَا كَانَ يَقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ الْعِظَامِ كَالْأَعْيَادِ وَالْجُمُعَةِ بِسُورَةِ (ق) وَ (اقْتَرَبَتْ) وَ (سَبّحْ) وَ (الْغَاشِيَةِ) .

فَصْلٌ وَأَمّا الظّهْرُ فَكَانَ يُطِيلُ قِرَاءَتَهَا أَحْيَانًا

حَتّى قَالَ أَبُو سَعِيدٍ كَانَتْ صَلَاةُ الظّهْرِ تُقَامُ فَيَذْهَبُ الذّاهِبُ إلَى الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمّ يَأْتِي أَهْلَهُ فَيَتَوَضّأُ وَيُدْرِكُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّكْعَةِ الْأُولَى مِمّا يُطِيلُهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا تَارَةً بِقَدْرِ (الم تَنْزِيلُ) وَتَارَةً بِ (سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الْأَعْلَى) (وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى) وَتَارَةً بِ (وَالسّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (وَالسّمَاءِ وَالطّارِقِ) وَأَمّا الْعَصْرُ فَعَلَى النّصْفِ مِنْ قِرَاءَةِ صَلَاةِ الظّهْرِ إذَا طَالَتْ وَبِقَدْرِهَا إذَا قَصُرَتْ . وَأَمّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ هَدْيُهُ فِيهَا خِلَافَ عَمَلِ النّاسِ الْيَوْمَ فَإِنّهُ صَلّاهَا مَرّةً [ص ٢٠٤] (وَالطّورِ) وَمَرّةً بِ (وَالْمُرْسَلَاتِ) . قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرّ : رُوِيَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِ (المص) وَأَنّهُ قَرَأَ فِيهَا بِ (الصّافّاتِ) وَأَنّهُ قَرَأَ فِيهَا بِ (حم الدّخَانِ) وَأَنّهُ قَرَأَ فِيهَا بِ (سَبّحْ اسْمَ رَبّك الْأَعْلَى) وَأَنّهُ قَرَأَ فِيهَا بِ (التّينِ وَالزّيْتُونِ) وَأَنّهُ قَرَأَ فِيهَا بِ (الْمُعَوّذَتَيْنِ) وَأَنّهُ قَرَأَ فِيهَا بِ (الْمُرْسَلَاتِ) وَأَنّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِيهَا بِقِصَارِ الْمُفَصّلِ . قَالَ وَهِيَ كُلّهَا آثَارٌ صِحَاحٌ مَشْهُورَةٌ . انْتَهَى . وَأَمّا الْمُدَاوَمَةُ فِيهَا عَلَى قِرَاءَةِ قِصَارِ الْمُفَصّلِ دَائِمًا فَهُوَ فِعْلُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَلِهَذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَقَالَ مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفَصّلِ ؟ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِطُولَى الطّولَيَيْنِ . قَالَ

قُلْت : وَمَا طُولَى الطّولَيَيْنِ ؟ قَالَ (الْأَعْرَافُ) وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَهْلُ السّنَنِ . وَذَكَرَ النّسَائِيّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا أَنّ النّبِيّ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ (الْأَعْرَافِ) فَرّقَهَا فِي الرّكْعَتَيْنِ [ص ٢٠٥] فَالْمُحَافَظَةُ فِيهَا عَلَى الْآيَةِ الْقَصِيرَةِ وَالسّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمُفَصّلِ خِلَافُ السّنّةِ وَهُوَ فِعْلُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ . وَأَمّا الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ فَقَرَأَ فِيهَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِ (وَالتّينِ وَالزّيْتُونِ) وَوَقّتَ لِمُعَاذٍ فِيهَا بِ (وَالشّمْسِ وَضُحَاهَا) وَ (سَبّحْ اسْمَ رَبّكَ الْأَعْلَى) (وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى) وَنَحْوِهَا وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ قِرَاءَتَهُ فِيهَا بِ (الْبَقَرَةِ) بَعْدَمَا صَلّى مَعَهُ ثُمّ ذَهَبَ إلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَأَعَادَهَا لَهُمْ بَعْدَمَا مَضَى مِنْ اللّيْلِ مَا شَاءَ اللّهُ وَقَرَأَ بِهِمْ بِ (الْبَقَرَةِ) وَلِهَذَا قَالَ لَهُ أَفَتّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ فَتَعَلّقَ النّقّارُونَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إلَى مَا قَبْلَهَا وَلَا مَا بَعْدَهَا . وَأَمّا الْجُمُعَةُ فَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا بِسُورَتَيْ (الْجُمُعَةِ) وَ (الْمُنَافِقِينَ) كَامِلَتَيْنِ وَ (سُورَةِ سَبّحْ) وَ (الْغَاشِيَةِ) . وَأَمّا الِاقْتِصَارُ عَلَى قِرَاءَةِ أَوَاخِرِ السّورَتَيْنِ مِنْ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا . .. إلَى آخِرِهَا فَلَمْ يَفْعَلْهُ قَطّ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِهَدْيِهِ الّذِي كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهِ . وَأَمّا قِرَاءَتُهُ فِي الْأَعْيَادِ فَتَارَةً كَانَ يَقْرَأُ سُورَتَيْ (ق) و (اقْتَرَبَتْ) كَامِلَتَيْنِ وَتَارَةً سُورَتَيْ (سَبّحْ) وَ (الْغَاشِيَةِ) وَهَذَا هُوَ الْهَدْيُ الّذِي اسْتَمَرّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْهِ إلَى أَنْ لَقِيَ اللّهَ عَزّ وَجَلّ لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ . وَلِهَذَا أَخَذَ بِهِ خُلَفَاؤُهُ الرّاشِدُونَ مِنْ بَعْدِهِ فَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي [ص ٢٠٦] فَقَالُوا : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ كَادَتْ الشّمْسُ تَطْلُعُ فَقَالَ لَوْ طَلَعَتْ لَمْ تَجِدْنَا غَافِلِينَ . وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ فِيهَا بِ (يُوسُفَ) وَ (النّحْلِ) وَبِ (هُودٍ) وَ (بَنِي إسْرَائِيلَ) وَنَحْوِهَا مِنْ السّوَرِ وَلَوْ كَانَ تَطْوِيلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْسُوخًا لَمْ يَخْفَ عَلَى خُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ وَيَطّلِعْ عَلَيْهِ النّقّارُونَ . وَأَمّا الْحَدِيثُ الّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) وَكَانَتْ صَلَاتُهُ بَعْدُ تَخْفِيفًا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ " بَعْدُ " أَيْ بَعْدَ الْفَجْرِ أَيْ إنّهُ كَانَ يُطِيلُ قِرَاءَةَ الْفَجْرِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا وَصَلَاتُهُ بَعْدَهَا تَخْفِيفًا . وَيَدُلّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أُمّ الْفَضْلِ وَقَدْ سَمِعْت ابْنَ عَبّاسٍ يَقْرَأُ (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) فَقَالَتْ يَا بُنَيّ لَقَدْ ذَكّرْتَنِي بِقِرَاءَةِ هَذِهِ السّورَةِ إنّهَا لَآخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ فَهَذَا فِي آخِرِ الْأَمْرِ وَأَيْضًا فَإِنّ قَوْلَهُ وَكَانَتْ صَلَاتُهَا بَعْدُ غَايَةٌ قَدْ حُذِفَ مَا هِيَ مُضَافَةٌ إلَيْهِ فَلَا يَجُوزُ إضْمَارُ مَا لَا يَدُلّ عَلَيْهِ السّيَاقُ وَتَرْكُ إضْمَارِ مَا يَقْتَضِيهِ السّيَاقُ وَالسّيَاقُ إنّمَا يَقْتَضِي أَنّ صَلَاتَهُ بَعْدَ الْفَجْرِ كَانَتْ تَخْفِيفًا وَلَا يَقْتَضِي أَنّ صَلَاتَهُ كُلّهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَتْ تَخْفِيفًا هَذَا مَا لَا يَدُلّ عَلَيْهِ اللّفْظُ وَلَوْ كَانَ هُوَ الْمُرَادُ لَمْ يَخْفَ عَلَى خُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ فَيَتَمَسّكُونَ بِالْمَنْسُوخِ وَيَدَعُونَ النّاسِخَ .

[مَعْنَى " أَيّكُمْ أَمّ فَلْيُخَفّفْ "]

وَأَمّا قَوْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيّكُمْ أَمّ النّاسَ فَلْيُخَفّفْ " وَقَوْلُ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ [ص ٢٠٧] كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخَفّ النّاسِ صَلَاةً فِي تَمَامٍ فَالتّخْفِيفُ أَمْرٌ نِسْبِيّ يَرْجِعُ إلَى مَا فَعَلَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَوَاظَبَ عَلَيْهِ لَا إلَى شَهْوَةِ الْمَأْمُومِينَ فَإِنّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْمُرُهُمْ بِأَمْرٍ ثُمّ يُخَالِفُهُ وَقَدْ عَلِمَ أَنّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ فَالّذِي فَعَلَهُ هُوَ التّخْفِيفُ الّذِي أَمَرَ بِهِ فَإِنّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُ أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ فَهِيَ خَفِيفَةٌ بِالنّسْبَةِ إلَى أَطْوَلَ مِنْهَا وَهَدْيُهُ

الذِي كَانَ وَاظَبَ عَلَيْهِ هُوَ الحَاكِمُ عَلَى كُلّ مَا تَنَازَعَ فِيهِ المُتَنَازِعُونَ وَيَدُلّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ النّسَائِيّ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْمُرُنَا بِالتّخْفِيفِ وَيَؤُمّنَا بِ (الصّافّاتِ) فَالْقِرَاءَةُ بِ (الصّافّاتِ) مِنْ التّخْفِيفِ الّذِي كَانَ يَأْمُرُ بِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [عَدَمُ تَعْيِينِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُورَةً بِعَيْنِهَا]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُعَيّنُ سُورَةً فِي الصّلَاةِ بِعَيْنِهَا لَا يَقْرَأُ إلّا بِهَا إلّا فِي الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَأَمّا فِي سَائِرِ الصّلَوَاتِ فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ أَنّهُ قَالَ مَا مِنْ الْمُفَصّلِ سُورَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إلّا وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَؤُمّ النّاسَ بِهَا فِي الصّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ [ص ٢٠٨] وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ قِرَاءَةُ السّورَةِ كَامِلَةً وَرُبّمَا قَرَأَهَا فِي الرّكْعَتَيْنِ وَرُبّمَا قَرَأَ أَوّلَ السّورَةِ . وَأَمّا قِرَاءَةُ أَوَاخِرِ السّوَرِ وَأَوْسَاطِهَا فَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ . وَأَمّا قِرَاءَةُ السّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ فَكَانَ يَفْعَلُهُ فِي النّافِلَةِ وَأَمّا فِي الْفَرْضِ فَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ . وَأَمّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ إنّي لَأَعْرِفُ النّظَائِرَ الّتِي كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرِنُ بَيْنَهُنّ السّورَتَيْنِ فِي الرّكْعَةِ (الرّحْمَنُ)(وَالنّجْمِ) فِي رَكْعَةٍ وَ (اقْتَرَبَتْ) وَ (الْحَاقّةُ) فِي رَكْعَةٍ (وَالطّورِ) وَالذّارِيَاتِ فِي رَكْعَةٍ وَ (إذَا وَقَعَتْ) وَ (ن)فِي رَكْعَةٍ الْحَدِيثُ فَهَذَا حِكَايَةُ فِعْلٍ لَمْ يُعَيّنْ مَحَلّهُ هَلْ كَانَ فِي الْفَرْضِ أَوْ فِي النّفْلِ ؟ وَهُوَ مُحْتَمِلٌ . وَأَمّا قِرَاءَةُ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ فِي رَكْعَتَيْنِ مَعًا فَقَلّمَا كَانَ يَفْعَلُهُ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَنّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَأُ فِي الصّبْحِ { إذَا زُلْزِلَتِ } في الركعتين كِلْتَيْهِمَا ، قَالَ فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ رَسُول اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمْ قَرَأَ ذَلِكَ عَمْدًا

فَصْلٌ [إطَالَتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الرّكْعَةَ الْأُولَى عَلَى الثّانِيَةِ]

[تَعْلِيلُ إطَالَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلَاةَ الصّبْحِ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُطِيلُ الرّكْعَةَ الْأُولَى عَلَى الثّانِيَةِ مِنْ صَلَاةِ الصّبْحِ وَمِنْ كُلّ صَلَاةٍ وَرُبّمَا كَانَ يُطِيلُهَا حَتّى لَا يُسْمَعَ وَقْعُ قَدَمٍ وَكَانَ يُطِيلُ صَلَاةَ الصّبْحِ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الصّلَوَاتِ وَهَذَا لِأَنّ قُرْآنَ الْفَجْرِ مَشْهُودٌ يَشْهَدُهُ اللّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ وَقِيلَ يَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللّيْلِ وَالنّهَارِ وَالْقَوْلَانِ مَبْنِيّانِ عَلَى أَنّ النّزُولَ الْإِلَهِيّ هَلْ يَدُومُ إلَى انْقِضَاءِ صَلَاةِ الصّبْحِ أَوْ إلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ؟ وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ هَذَا وَهَذَا . [ص ٢٠٩] عَمّا نَقَصَتْهُ مِنْ الْعَدَدِ . وَأَيْضًا فَإِنّهَا تَكُونُ عَقِيبَ النّوْمِ وَالنّاسُ مُسْتَرِيحُونَ . وَأَيْضًا فَإِنّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا بَعْدُ فِي اسْتِقْبَالِ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِ الدّنْيَا . وَأَيْضًا فَإِنّهَا تَكُونُ فِي وَقْتٍ تَوَاطَأُ فِيهِ السّمْعُ وَاللّسَانُ وَالْقَلْبُ لِفَرَاغِهِ وَعَدَمِ تَمَكّنِ الِاشْتِغَالِ فِيهِ فَيَفْهَمُ الْقُرْآنَ وَيَتَدَبّرُهُ . وَأَيْضًا فَإِنّهَا أَسَاسُ الْعَمَلِ وَأَوّلُهُ فَأُعْطِيَتْ فَضْلًا مِنْ الِاهْتِمَامِ بِهَا وَتَطْوِيلِهَا وَهَذِهِ أَسْرَارٌ إنّمَا يَعْرِفُهَا مَنْ لَهُ الْتِفَاتٌ إلَى أَسْرَارِ الشّرِيعَةِ وَمَقَاصِدِهَا وَحِكَمِهَا وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَصْلٌ [الرّكُوعُ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا فَرَغَ مِنْ الْقِرَاءَةِ سَكَتَ بِقَدْرِ مَا يَتَرَادّ إلَيْهِ نَفَسُهُ ثُمّ رَفَعَ يَدَيْهِ كَمَا تَقَدّمَ وَكَبّرَ رَاكِعًا وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ كَالْقَابِضِ عَلَيْهِمَا وَوَتّرَ يَدَيْهِ فَنَحّاهُمَا عَنْ جَنْبَيْهِ وَبَسَطَ ظَهْرَهُ وَمَدّهُ وَاعْتَدَلَ وَلَمْ يَنْصِبْ رَأْسَهُ وَلَمْ يَخْفِضْهُ بَلْ يَجْعَلُهُ حِيَالَ ظَهْرِهِ مُعَادِلًا لَهُ . وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبّيَ الْعَظِيمِ وَتَارَةً يَقُولُ مَعَ ذَلِكَ أَوْ

مُقْتَصِرًا [ص ٢١٠] سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمْدِك اللّهُمّ اغْفِرْ لِي وَكَانَ رُكُوعُهُ الْمُعْتَادُ مِقْدَارَ عَشْرِ تَسْبِيحَاتٍ وَسُجُودُهُ كَذَلِكَ . وَأَمّا حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ رَمَقْتُ الصّلَاةَ خَلْفَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَكَانَ قِيَامُهُ فَرُكُوعُهُ فَاعْتِدَالُهُ فَسَجْدَتُهُ فَجَلْسَتُهُ مَا بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ قَرِيبًا مِنْ السّوَاءِ . فَهَذَا قَدْ فَهِمَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ أَنّهُ كَانَ يَرْكَعُ بِقَدْرِ قِيَامِهِ وَيَسْجُدُ بِقَدْرِهِ وَيَعْتَدِلُ كَذَلِكَ وَفِي هَذَا الْفَهْمِ شَيْءٌ لِأَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الصّبْحِ بِالْمِائَةِ آيَةٍ أَوْ نَحْوِهَا وَقَدْ تَقَدّمَ أَنّهُ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِ (الْأَعْرَافِ)(وَالطّورِ)(وَالْمُرْسَلَاتِ) وَمَعْلُومٌ أَنّ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ لَمْ يَكُنْ قَدْرَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَيَدُلّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَنَسٍ الّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السّنَنِ أَنّهُ قَالَ مَا صَلّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ هَذَا مَعَ قَوْلِ أَنَسٍ أَنّهُ كَانَ يَؤُمّهُمْ بِ (الصّافّاتِ) فَمُرَادُ الْبَرَاءِ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - أَنّ صَلَاتَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَتْ مُعْتَدِلَةً فَكَانَ إذَا أَطَالَ الْقِيَامَ أَطَالَ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ وَإِذَا خَفّفَ الْقِيَامَ خَفّفَ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ وَتَارَةً يَجْعَلُ الرّكُوعَ [ص ٢١١] كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحْيَانًا فِي صَلَاةِ اللّيْلِ وَحْدَهَا وَفِعْلُهُ أَيْضًا قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَهَدْيُهُ الْغَالِبُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَعْدِيلُ الصّلَاةِ وَتَنَاسُبُهَا . وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا فِي رُكُوعِهِ سُبّوحٌ قُدّوسٌ رَبّ الْمَلَائِكَةِ وَالرّوحِ وَتَارَةً يَقُولُ اللّهُمّ لَكَ رَكَعْت وَبِك آمَنْت وَلَكَ أَسْلَمْت خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي وَهَذَا إنّمَا حُفِظَ عَنْهُ فِي قِيَامِ اللّيْلِ .

[الِاعْتِدَالُ]

ثُمّ كَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَائِلًا : سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ كَمَا تَقَدّمَ وَرَوَى رَفْعَ الْيَدَيْنِ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الثّلَاثَةِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ نَفْسًا وَاتّفَقَ عَلَى رِوَايَتِهَا الْعَشَرَةُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ خِلَافُ ذَلِكَ الْبَتّةَ بَلْ كَانَ ذَلِكَ هَدْيَهُ دَائِمًا إلَى أَنْ فَارَقَ الدّنْيَا وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ حَدِيثُ الْبَرَاءِ : ثُمّ لَا يَعُودُ بَلْ هِيَ مِنْ [ص ٢١٢] زِيَادَةِ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ . فَلَيْسَ تَرْكُ ابْنِ مَسْعُودٍ الرّفْعَ مِمّا يُقَدّمُ عَلَى هَدْيِهِ الْمَعْلُومِ فَقَدْ تُرِكَ مِنْ فِعْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الصّلَاةِ أَشْيَاءَ لَيْسَ مُعَارِضُهَا مُقَارِبًا وَلَا مُدَانِيًا لِلرّفْعِ فَقَدْ تَرَكَ مِنْ فِعْلِهِ التّطْبِيقَ وَالِافْتِرَاشَ فِي السّجُودِ وَوُقُوفِهِ إمَامًا بَيْنَ الِاثْنَيْنِ فِي وَسَطِهِمَا دُونَ التّقَدّمِ عَلَيْهِمَا وَصَلَاتُهُ الْفَرْضَ فِي الْبَيْتِ بِأَصْحَابِهِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إقَامَةٍ لِأَجْلِ تَأْخِيرِ الْأُمَرَاءِ وَأَيْنَ الْأَحَادِيثُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ مِنْ الْأَحَادِيثِ الّتِي فِي الرّفْعِ كَثْرَةً وَصِحّةً وَصَرَاحَةً وَعَمَلًا وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . وَكَانَ دَائِمًا يُقِيمُ صُلْبَهُ إذَا رَفَعَ مِنْ الرّكُوعِ وَبَيْنَ السّجْدَتَيْنِ وَيَقُولُ لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ فِيهَا الرّجُلُ صُلْبَهُ فِي الرّكُوعِ وَالسّجُودِ ذَكَرَهُ ا بْنُ خُزَيْمَةَ فِي " صَحِيحِهِ " . وَكَانَ إذَا اسْتَوَى قَائِمًا قَالَ رَبّنَا وَلَكَ الْحَمْد وَرُبّمَا قَالَ رَبّنَا لَكَ الْحَمْدُ وَرُبّمَا قَالَ اللّهُمّ رَبّنَا لَكَ الْحَمْدُ صَحّ ذَلِكَ عَنْهُ . وَأَمّا الْجَمْعُ بَيْنَ " اللّهُمّ " وَ " الْوَاوُ " فَلَمْ يَصِحّ . وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ إطَالَةُ هَذَا الرّكْنِ بِقَدْرِ الرّكُوعِ وَالسّجُودِ فَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ اللّهُمّ رَبّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلّنَا لَكَ عَبْدٌ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْت وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْت وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدّ مِنْكَ الْجَدّ [ص ٢١٣] كَانَ يَقُولُ فِيهِ اللّهُمّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقّنِي مِنْ الذّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقّى

الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ قَوْلَهُ لِرَبِّي الْحَمْدُ لِرَبِّي الْحَمْدُ حَتَّى كَانَ بِقَدْرِ الرُّكُوعِ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ يَمْكُثُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ مِنْ إطَالَتِهِ لِهَذَا الرُّكْنِ . وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَامَ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَوْهَمَ ثُمَّ يَسْجُدُ ثُمَّ يَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَوْهَمَ [ص ٢١٤] أَطَالَ هَذَا الرُّكْنَ بَعْدَ الرُّكُوعِ حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْ رُكُوعِهِ وَكَانَ رُكُوعُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . فَهَذَا هَدْيُهُ الْمَعْلُومُ الَّذِي لَا مُعَارِضَ لَهُ بِوَجْهٍ .

وَأَمَّا حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ : كَانَ رُكُوعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنْ السَّوَاءِ رَوَاهُ الْبُخَارِيّ فَقَدْ تَشَبَّثَ بِهِ مَنْ ظَنَّ تَقْصِيرَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ وَلَا مُتَعَلَّقَ لَهُ فَإِنَّ الْحَدِيثَ مُصَرِّحٌ فِيهِ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَرْكَانِ فَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ وَالْقُعُودُ الْمُسْتَثْنَيَيْنِ هُوَ الْقِيَامَ بَعْدَ الرُّكُوعِ وَالْقُعُودِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ لَنَاقَضَ الْحَدِيثُ الْوَاحِدُ بَعْضَهُ بَعْضًا فَتَعَيَّنَ قَطْعًا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ قِيَامَ الْقِرَاءَةِ وَقُعُودَ التَّشَهُّدِ وَلِهَذَا كَانَ هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمَا إطَالَتَهُمَا عَلَى سَائِرِ الْأَرْكَانِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَاضِحٌ وَهُوَ مِمَّا خَفِيَ مِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ عَلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ . قَالَ شَيْخُنَا : وَتَقْصِيرُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ مِمَّا تَصَرَّفَ فِيهِ أُمَرَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الصَّلَاةِ وَأَحْدَثُوهُ فِيهَا كَمَا أَحْدَثُوا فِيهَا تَرْكَ إتْمَامِ التَّكْبِيرِ وَكَمَا أَحْدَثُوا التَّأْخِيرَ [ص ٢١٥] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُبِّيَ فِي ذَلِكَ مَنْ رُبِّيَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ السُّنَّةِ .

فَصْلٌ [السُّجُودُ]

ثُمَّ كَانَ يُكَبِّرُ وَيَخِرُّ سَاجِدًا وَلَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُهُمَا أَيْضًا وَصَحَّحَهُ بَعْضُ الْحُفَّاظِ كَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ وَهْمٌ فَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ عَنْهُ الْبَتَّةَ وَاَلَّذِي غَرَّهُ أَنَّ الرَّاوِيَ غَلِطَ مِنْ قَوْلِهِ كَانَ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ إلَى قَوْلِهِ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ عِنْدَ كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ وَهُوَ ثِقَةٌ وَلَمْ يَفْطِنْ لِسَبَبِ غَلَطِ الرَّاوِي وَوَهْمِهِ فَصَحَّحَهُ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

[مَبْحَثٌ فِي تَرْجِيحِ وَضْعِ الرُّكْبَتَيْنِ قَبْلَ الْيَدَيْنِ]

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَدَيْهِ بَعْدَهُمَا ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ هذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي رَوَاهُ شَرِيكٌ عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا سَجَدَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ وَإِذَا نَهَضَ رَفَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ [ص ٢١٦]

[شَرْحُ بُرُوكِ الْبَعِيرِ]

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ إذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ فَالْحَدِيثُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - قَدْ وَقَعَ فِيهِ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ [ص ٢١٧] أَوَّلُهُ يُخَالِفُ آخِرَهُ فَإِنَّهُ إذَا وَضَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ فَقَدْ بَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ فَإِنَّ الْبَعِيرَ إنَّمَا يَضَعُ يَدَيْهِ أَوَّلًا وَلَمَّا عَلِمَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ ذَلِكَ قَالُوا : رُكْبَتَا الْبَعِيرِ فِي يَدَيْهِ لَا فِي رِجْلَيْهِ فَهُوَ إذَا بَرَكَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ أَوَّلًا فَهَذَا هُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ وَهُوَ فَاسِدٌ لِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا :

أنّ الْبَعِيرَ إذَا بَرَكَ فَإِنّهُ يَضَعُ يَدَيْهِ أوّلًا وَتَبْقَى رِجْلَاهُ قَائِمَتَيْنِ فَإِذَا نَهَضَ فَإِنّهُ يَنْهَضُ بِرِجْلَيْهِ أوّلًا وَتَبْقَى يَدَاهُ عَلَى الْأَرْضِ وَهَذَا هُوَ الّذِي نَهَى عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفَعَلَ خِلَافَهُ . وَكَانَ أَوّلُ مَا يَقَعُ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ الْأَقْرَبَ مِنْهَا فَالْأَقْرَبَ وَأَوّلُ مَا يَرْتَفِعُ عَنْ الْأَرْضِ مِنْهَا الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى . وَكَانَ يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ أوّلًا ثُمّ يَدَيْهِ ثُمّ جَبْهَتَهُ . وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَ رَأْسَهُ أوّلًا ثُمّ يَدَيْهِ ثُمّ رُكْبَتَيْهِ وَهَذَا عَكْسُ فِعْلِ الْبَعِيرِ وَهُوَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى فِي الصّلَاةِ عَنْ التّشَبّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ فَنَهَى عَنْ بُرُوكٍ كَبُرُوكِ الْبَعِيرِ وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثّعْلَبِ وَافْتِرَاشٍ كَافْتِرَاشِ السّبُعِ وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ وَنَقْرٍ كَنَقْرِ الْغُرَابِ وَرَفْعِ الْأَيْدِي وَقْتَ [ص ٢١٨] السّلَامِ كَأَذْنَابِ الْخَيْلِ الشّمْسِ فَهَدْيُ الْمُصَلّي مُخَالِفٌ لِهَدْيِ الْحَيَوَانَاتِ . الثّانِي : أَنّ قَوْلَهُمْ رُكْبَتَا الْبَعِيرِ فِي يَدَيْهِ كَلَامٌ لَا يُعْقَلُ وَلَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ اللّغَةِ وَإِنّمَا الرّكْبَةُ فِي الرّجْلَيْنِ وَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى اللّتَيْنِ فِي يَدَيْهِ اسْمُ الرّكْبَةِ فَعَلَى سَبِيلِ التّغْلِيبِ . الثّالِثُ أَنّهُ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوهُ لَقَالَ فَلْيَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ وَإِنّ أَوّلَ مَا يَمَسّ الْأَرْضَ مِنْ الْبَعِيرِ يَدَاهُ . وَسِرّ الْمَسْأَلَةِ أَنّ مَنْ تَأَمّلَ بُرُوكَ الْبَعِيرِ وَعَلِمَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ بُرُوكٍ كَبُرُوكِ الْبَعِيرِ عَلِمَ أَنّ حَدِيثَ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ هُوَ الصّوَابُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ يَقَعُ لِي أَنّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا ذَكَرْنَا مِمّا انْقَلَبَ عَلَى بَعْضِ الرّوَاةِ مَتْنُهُ وَأَصْلُهُ وَلَعَلّهُ " وَلْيَضَعْ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ " كَمَا انْقَلَبَ عَلَى بَعْضِهِمْ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ إنّ بِلَالًا يُؤَذّنُ بِلَيْلٍ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّى يُؤَذّنَ ابْنُ أُمّ مَكْتُومٍ فَقَالَ ابْنُ أُمّ مَكْتُومٍ يُؤَذّنُ بِلَيْلٍ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّى يُؤَذّنَ بِلَالٌ . [ص ٢١٩] وَكَمَا انْقَلَبَ عَلَى بَعْضِهِمْ حَدِيثُ لَا يَزَالُ يُلْقَى فِي النّارِ فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ إلَى أَنْ قَالَ وَأَمّا الْجَنّةُ فَيُنْشِئُ اللّهُ لَهَا خَلْقًا يُسْكِنُهُمْ إيّاهَا فَقَالَ وَأَمّا النّارُ فَيُنْشِئُ اللّهُ لَهَا خَلْقًا يُسْكِنُهُمْ إيّاهَا حَتّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ قَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ فَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ جَدّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِرُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ وَلَا يَبْرُكْ كَبُرُوكِ الْفَحْلِ وَرَوَاهُ الْأَثْرَمُ فِي سُنَنِهِ " أَيْضًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ كَذَلِكَ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا يُصَدّقُ ذَلِكَ وَيُوَافِقُ حَدِيثَ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ . قَالَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ حَدّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عَدِيّ حَدّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ هُوَ مُحَمّدٌ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ جَدّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا سَجَدَ بَدَأَ بِرُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ وَقَدْ رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنّا نَضَعُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الرّكْبَتَيْنِ فَأُمِرْنَا بِالرّكْبَتَيْنِ قَبْلَ الْيَدَيْنِ وَعَلَى [ص ٢٢٠] كَانَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ مَحْفُوظًا فَإِنّهُ مَنْسُوخٌ وَهَذِهِ طَرِيقَةُ صَاحِبِ " الْمُغْنِي " وَغَيْرِهِ وَلَكِنْ لِلْحَدِيثِ عِلّتَانِ . إحْدَاهُمَا : أَنّهُ مِنْ رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ وَلَيْسَ مِمّنْ يُحْتَجّ بِهِ قَالَ النّسَائِيّ : مَتْرُوكٌ . وَقَالَ ابْنُ حِبّانَ : مُنْكَرُ الْحَدِيثِ جِدّا لَا يُحْتَجّ بِهِ وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . الثّانِيَةُ أَنّ الْمَحْفُوظَ مِنْ رِوَايَةِ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ هَذَا إنّمَا هُوَ قِصّةُ التّطْبِيقِ وَقَوْلُ سَعْدٍ كُنّا نَصْنَعُ هَذَا فَأُمِرْنَا أَنْ نَضَعَ أَيْدِيَنَا عَلَى الرّكَبِ . وَأَمّا قَوْلُ صَاحِبِ " الْمُغْنِي " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ كُنّا نَضَعُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الرّكْبَتَيْنِ فَأُمِرْنَا أَنْ نَضَعَ الرّكْبَتَيْنِ قَبْلَ الْيَدَيْنِ فَهَذَا - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - وَهْمٌ فِي الِاسْمِ وَإِنّمَا هُوَ عَنْ سَعْدٍ وَهُوَ أَيْضًا وَهْمٌ فِي الْمَتْنِ كَمَا تَقَدّمَ وَإِنّمَا هُوَ فِي قِصّةِ التّطْبِيقِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمُتَقَدّمِ فَقَدْ عَلّلَهُ الْبُخَارِيّ وَالتّرْمِذِيّ وَالدّارَقُطْنِيّ . قَالَ الْبُخَارِيّ : مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ حَسَنٍ لَا يُتَابَعُ

عَلَيْهِ وَقَالَ لَا أَدْرِي أَسُمِعَ مِنْ أَبِي الزِّنَادِ أَمْ لَا . وَقَالَ التِّرْمِذِيّ : غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزِّنَادِ إلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيّ : تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّراوَرْدِيّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ وَقَدْ ذَكَرَ النَّسَائِيّ عَنْ قُتَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ [ص ٢٢١] الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَيَبْرُكُ كَمَا يَبْرُكُ الْجَمَلُ وَلَمْ يَزِدْ . قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ : وَهَذِهِ سُنّةٌ تَفَرّدَ بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَلَهُمْ فِيهَا إسْنَادَانِ هَذَا أَحَدُهُمَا وَالْآخَرُ عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . قُلْت : أَرَادَ الْحَدِيثَ الّذِي رَوَاهُ أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ عَنْ الدّراوَرْدِيّ عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّهُ كَانَ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ وَيَقُولُ كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي " الْمُسْتَدْرَكِ " مِنْ طَرِيقِ مُحْرِزِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ الدّراوَرْدِيّ وَقَالَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَقَدْ رَوَاهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْحَطّ بِالتّكْبِيرِ حَتّى سَبَقَتْ رُكْبَتَاهُ يَدَيْهِ قَالَ الْحَاكِمُ : عَلَى شَرْطِهِمَا وَلَا أَعْلَمُ لَهُ عِلّةً . قُلْت : قَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ . انْتَهَى . وَإِنّمَا أَنْكَرَهُ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - لِأَنّهُ مِنْ رِوَايَةِ الْعَلَاءِ بْنِ إسْمَاعِيلَ الْعَطّارِ عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ وَالْعَلَاءُ هَذَا مَجْهُولٌ لَا ذِكْرَ [ص ٢٢٢] تَرَى . وَأَمّا الْآثَارُ الْمَحْفُوظَةُ عَنْ الصّحَابَةِ فَالْمَحْفُوظُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ ذَكَرَهُ عَنْهُ عَبْدُ الرّزّاقِ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُمَا وَهُوَ الْمَرْوِيّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ذَكَرَهُ الطّحَاوِيّ عَنْ فَهْدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إبْرَاهِيمَ عَنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللّهِ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ قَالَا : حَفِظْنَا عَنْ عُمَرَ فِي صَلَاتِهِ أَنّهُ خَرّ بَعْدَ رُكُوعِهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ كَمَا يَخِرّ الْبَعِيرُ وَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ ثُمّ سَاقَ مِنْ طَرِيقِ الْحَجّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ قَالَ قَالَ إبْرَاهِيمُ النّخَعِيّ : حَفِظَ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنّ رُكْبَتَيْهِ كَانَتَا تَقَعَانِ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ عَنْ وَهْبٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مُغِيرَةَ قَالَ سَأَلْت إبْرَاهِيمَ عَنْ الرّجُلِ يَبْدَأُ بِيَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ إذَا سَجَدَ ؟ قَالَ أَوَيَصْنَعُ ذَلِكَ إلّا أَحْمَقُ أَوْ مَجْنُونٌ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْبَابِ فَمِمّنْ رَأَى أَنْ يَضَعَ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَبِهِ قَالَ النّخَعِيّ وَمُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ وَالثّوْرِيّ وَالشّافِعِيّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ قَالَهُ مَالِكٌ وَقَالَ الْأَوْزَاعِيّ : أَدْرَكْنَا النّاسَ يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ قَبْلَ رُكَبِهِمْ . قَالَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ . قُلْت : وَقَدْ رُوِيَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظٍ آخَرَ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ وَهُوَ إذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ قَالَ [ص ٢٢٣] الْبَيْهَقِيّ : فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا كَانَ دَلِيلًا عَلَى أَنّهُ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ الْأَهْوَاءِ إلَى السّجُودِ . وَحَدِيثُ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ أَوْلَى لِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا : أَنّهُ أَثْبَتُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَهُ الْخَطّابِيّ وَغَيْرُهُ . الثّانِي : أَنّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ مُضْطَرِبُ الْمَتْنِ كَمَا تَقَدّمَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ فِيهِ وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالْعَكْسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْذِفُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ رَأْسًا . الثّالِثُ مَا تَقَدّمَ مِنْ تَعْلِيلِ الْبُخَارِيّ والدّارَقُطْنِيّ وَغَيْرِهِمَا . الرّابِعُ أَنّهُ عَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ قَدْ

ادّعَى فِيهِ جِمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ النّسْخَ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنّ وَضْعَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الرّكْبَتَيْنِ مَنْسُوخٌ وَقَدْ تَقَدّمَ ذَلِكَ . الْخَامِسُ أَنّهُ الْمُوَافِقُ لِنَهْيِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ بُرُوكٍ كَبُرُوكِ الْجَمَلِ فِي الصّلَاةِ بِخِلَافِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ . السّادِسُ أَنّهُ الْمُوَافِقُ لِلْمَنْقُولِ عَنْ الصّحَابَةِ كَعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ وَابْنِهِ وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا يُوَافِقُ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ إلّا عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافٍ عَنْهُ . السّابِعُ أَنّ لَهُ شَوَاهِدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَأَنَسٍ كَمَا تَقَدّمَ وَلَيْسَ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ شَاهِدٌ فَلَوْ تَقَاوَمَا لِقَدَمِ حَدِيثِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ مِنْ أَجْلِ شَوَاهِدِهِ فَكَيْفَ وَحَدِيثُ وَائِلٍ أَقْوَى كَمَا تَقَدّمَ . [ص ٢٢٤] الثّامِنُ أَنّ أَكْثَرَ النّاسِ عَلَيْهِ وَالْقَوْلُ الْآخَرُ إنّمَا يُحْفَظُ عَنْ الْأَوْزَاعِيّ وَمَالِكٍ وَأَمّا قَوْلُ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ إنّهُ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنّمَا أَرَادَ بِهِ بَعْضَهُمْ وَإِلّا فَأَحْمَدُ وَالشّافِعِيّ وَإِسْحَاقُ عَلَى خِلَافِهِ . التّاسِعُ أَنّهُ حَدِيثٌ فِيهِ قِصّةٌ مَحْكِيّةٌ سِيقَتْ لِحِكَايَةِ فِعْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَحْفُوظًا لِأَنّ الْحَدِيثَ إذَا كَانَ فِيهِ قِصّةٌ مَحْكِيّةٌ دَلّ عَلَى أَنّهُ حُفِظَ . الْعَاشِرُ أَنّ الْأَفْعَالَ الْمَحْكِيّةَ فِيهِ كُلّهَا ثَابِتَةٌ صَحِيحَةٌ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِهِ فَهِيَ أَفْعَالٌ مَعْرُوفَةٌ صَحِيحَةٌ وَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهَا فَلَهُ حُكْمُهَا وَمُعَارِضُهُ لَيْسَ مُقَاوِمًا لَهُ فَيَتَعَيّنُ تَرْجِيحُهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْجُدُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ دُونَ كَوْرِ الْعِمَامَةِ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ السّجُودُ عَلَى كَوْرِ الْعِمَامَةِ مِنْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ وَلَا حَسَنٍ وَلَكِنْ رَوَى عَبْدُ الرّزّاقِ فِي " الْمُصَنّفِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْجُدُ عَلَى كَوْرِ عِمَامَتِهِ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مُحَرّرٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ وَذَكَرَهُ أَبُو أَحْمَدَ الزّبَيْرِيّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَلَكِنّهُ مِنْ رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيّ مَتْرُوكٍ عَنْ مَتْرُوكٍ وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَاسِيلِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأَى رَجُلًا يُصَلّي فِي الْمَسْجِدِ فَسَجَدَ بِجَبِينِهِ وَقَدْ اعْتَمّ عَلَى جَبْهَتِهِ فَحَسَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ جَبْهَتِهِ . وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْجُدُ عَلَى الْأَرْضِ كَثِيرًا وَعَلَى الْمَاءِ وَالطّينِ وَعَلَى الْخُمْرَةِ الْمُتّخَذَةِ مِنْ خُوصِ النّخْلِ وَعَلَى الْحَصِيرِ الْمُتّخَذِ مِنْهُ وَعَلَى الْفَرْوَةِ الْمَدْبُوغَةِ . وَكَانَ إذَا سَجَدَ مَكّنَ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ مِنْ الْأَرْضِ وَنَحّى يَدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ [ص ٢٢٥] شَاءَتْ بَهْمَةٌ - وَهِيَ الشّاةُ الصّغِيرَةُ - أَنْ تَمُرّ تَحْتَهُمَا لَمَرّتْ . وَكَانَ يَضَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ الْبَرَاءِ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ إذَا سَجَدْت فَضَعْ كَفّيْك وَارْفَعْ مِرْفَقَيْك وَكَانَ يَعْتَدِلُ فِي سُجُودِهِ وَيَسْتَقْبِلُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ . وَكَانَ يَبْسُطُ كَفّيْهِ وَأَصَابِعَهُ وَلَا يُفَرّجُ بَيْنَهَا وَلَا يَقْبِضُهَا وَفِي " صَحِيحِ ابْنِ حِبّانَ كَانَ إذَا رَكَعَ فَرّجَ أَصَابِعَهُ فَإِذَا سَجَدَ ضَمّ أَصَابِعَ هُ وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبّيَ الْأَعْلَى وَأَمَرَ بِهِ . وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمْدِكَ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي [ص ٢٢٦] وَكَانَ يَقُولُ سُبّوحٌ قُدّوسٌ رَبّ الْمَلَائِكَةِ وَالرّوحِ وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِك لَا إلَهَ إلّا أَنْت وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِك وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِك وَأَعُوذُ بِكَ مِنْك لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْك أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ لَكَ سَجَدْت وَبِكَ آمَنْت وَلَكَ أَسْلَمْت سَجَدَ وَجْهِي لِلّذِي خَلَقَهُ وَصَوّرَهُ وَشَقّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلّهُ دِقّهُ وَجِلّهُ وَأَوّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرّهُ وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي اللّهُمّ اغْفِرْ لِي جِدّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي

وَعَمْدِي وَكُلّ ذَلِكَ عِنْدِي اللّهُمّ اغْفِرْ لِي مَا قَدّمْتُ وَمَا أَخّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت أَنْتَ إلَهِي لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ [ص ٢٢٧] وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ شِمَالِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا .

[اسْتِحْبَابُ الدّعَاءِ فِي السّجُودِ]

وَأَمَرَ بِالِاجْتِهَادِ فِي الدّعَاءِ فِي السّجُودِ وَقَالَ إنّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُم وَهَلْ هَذَا أَمْرٌ بِأَنْ يُكْثِرَ الدّعَاءَ فِي السّجُودِ أَوْ أَمْرٌ بِأَنّ الدّاعِيَ إذَا دَعَا فِي مَحَلّ فَلْيَكُنْ فِي السّجُودِ ؟ وَفَرْقٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَأَحْسَنُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ أَنّ الدّعَاءَ نَوْعَانِ دُعَاءُ ثَنَاءٍ وَدُعَاءُ مَسْأَلَةٍ وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُكْثِرُ فِي سُجُودِهِ مِنْ النّوْعَيْنِ وَالدّعَاءُ الّذِي أَمَرَ بِهِ فِي السّجُودِ يَتَنَاوَلُ النّوْعَيْنِ . وَالِاسْتِجَابَةُ أَيْضًا نَوْعَانِ اسْتِجَابَةُ دُعَاءِ الطّالِبِ بِإِعْطَائِهِ سُؤَالَهُ وَاسْتِجَابَةُ دُعَاءِ الْمُثْنِي بِالثّوَابِ وَبِكُلّ وَاحِدٍ مِنْ النّوْعَيْنِ فُسّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ } [الْبَقَرَة : ١٨٧] وَالصّحِيحُ أَنّهُ يَعُمّ النّوْعَيْنِ [ص ٢٢٨]

فَصْلٌ [أَيّهُمَا أَفْضَلُ السّجُودُ أَمْ الْقِيَامُ]

وَقَدْ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي الْقِيَامِ وَالسّجُود أَيّهُمَا أَفْضَلُ ؟ فَرَجّحَتْ طَائِفَةٌ الْقِيَامَ لِوُجُوهٍ . أَحَدُهَا : أَنّ ذِكْرَهُ أَفْضَلُ الْأَذْكَارِ فَكَانَ رُكْنُهُ أَفْضَلَ الْأَرْكَانِ . وَالثّانِي : قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ } [الْبَقَرَة : ٢٣٨] . الثّالِثُ قَوْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَفْضَلُ الصّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ السّجُودُ أَفْضَلُ وَاحْتَجّتْ بِقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ . وَبِحَدِيثِ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقُلْتُ حَدّثْنِي بِحَدِيثٍ عَسَى اللّهُ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ؟ فَقَالَ " عَلَيْكَ بِالسّجُودِ " فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلّهِ سَجْدَةً إلّا رَفَعَ اللّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً قَالَ مَعْدَانُ ثُمّ لَقِيتُ أَبَا الدّرْدَاءِ فَسَأَلْته فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ . [ص ٢٢٩] وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِرَبِيعَة بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيّ وَقَدْ سَأَلَهُ مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنّةِ أَعِنّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السّجُودِ وَأَوّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُورَةُ (اقْرَأْ) عَلَى الْأَصَحّ وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } [الْعَلَق : ١٩] . وَبِأَنّ السّجُودَ لِلّهِ يَقَعُ مِنْ الْمَخْلُوقاتِ كُلّهَا عُلْوِيّهَا وَسُفْلِيّهَا وَبِأَنّ السّاجِدَ أَذَلّ مَا يَكُونُ لِرَبّهِ وَأَخْضَعُ لَهُ وَذَلِكَ أَشْرَفُ حَالَاتِ الْعَبْدِ فَلِهَذَا كَانَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنْ رَبّهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَبِأَنّ السّجُودَ هُوَ سِرّ الْعُبُودِيّةِ فَإِنّ الْعُبُودِيّة هِيَ الذّلّ وَالْخُضُوعُ يُقَالُ طَرِيقٌ مُعَبّدٌ أَيْ ذَلّلَتْهُ الْأَقْدَامُ وَوَطّأَتْهُ وَأَذَلّ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ وَأَخْضَعُ إذَا كَانَ سَاجِدًا . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ طُولُ الْقِيَامِ بِاللّيْلِ أَفْضَلُ وَكَثْرَةُ الرّكُوعِ وَالسّجُودِ بِالنّهَارِ أَفْضَلُ وَاحْتَجّتْ هَذِهِ الطّائِفَةُ بِأَنّ صَلَاةَ اللّيْلِ قَدْ خُصّتْ بِاسْمِ الْقِيَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

{ قُمِ اللّيْلَ } [الْمُزّمّل : ١] وَقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَلِهَذَا يُقَالُ قِيَامُ اللّيْلِ وَلَا يُقَالُ قِيَامُ النّهَارِ قَالُوا : وَهَذَا كَانَ [ص ٢٣٠] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِنّهُ مَا زَادَ فِي اللّيْلِ عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَكَانَ يُصَلّي الرّكْعَة فِي بَعْضِ اللّيَالِي بِالْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَالنّسَاءِ وَأَمّا بِالنّهَارِ فَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بَلْ كَانَ يُخَفّفُ السّنَنَ . وَقَالَ شَيْخُنَا : الصّوَابُ أَنّهُمَا

سَوَاءٌ وَالْقِيَامُ أَفْضَلُ بِذِكْرِهِ وَهُوَ الْقِرَاءَةُ وَالسّجُودُ أَفْضَلُ بِهَيْئَتِهِ فَهَيْئَةُ السّجُودِ أَفْضَلُ مِنْ هَيْئَةِ الْقِيَامِ وَذِكْرُ الْقِيَامِ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِ السّجُودِ وَهَكَذَا كَانَ هَدْيَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِنّهُ كَانَ إذَا أَطَالَ الْقِيَامَ أَطَالَ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ كَمَا فَعَلَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَفِي صَلَاةِ اللّيْلِ وَكَانَ إذَا خَفّفَ الْقِيَامَ خَفّفَ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ فِي الْفَرْضِ كَمَا قَالَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ : كَانَ قِيَامُهُ وَرُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ وَاعْتِدَالُهُ قَرِيبًا مِنْ السّوَاءِ وَاَللّه أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [الْجُلُوسُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ]

ثُمّ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُكَبّرًا غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْهِ وَيَرْفَعُ مِنْ السّجُودِ رَأْسَهُ قَبْلَ يَدَيْهِ ثُمّ يَجْلِسُ مُفْتَرِشًا يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى . وَذَكَرَ النّسَائِيّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ مِنْ سُنّةِ الصّلَاةِ أَنْ يَنْصِبَ الْقَدَمَ الْيُمْنَى وَاسْتِقْبَالُهُ بِأَصَابِعِهَا الْقِبْلَةَ وَالْجُلُوسُ عَلَى الْيُسْرَى وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ جِلْسَةٌ غَيْرُ هَذِهِ . [ص ٢٣١] وَكَانَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَيَجْعَلُ مِرْفَقَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَطَرَفَ يَدِهِ عَلَى رُكْبَتِهِ وَيَقْبِضُ ثِنْتَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ وَيُحَلّقُ حَلْقَةً ثُمّ يَرْفَعُ أُصْبُعَهُ يَدْعُو بِهَا وَيُحَرّكُهَا هَكَذَا قَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ عَنْهُ . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ إذَا دَعَا وَلَا يُحَرّكُهَا فَهَذِهِ الزّيَادَةُ فِي صِحّتِهَا نَظَرٌ وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْهُ وَلَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الزّيَادَةَ بَلْ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا قَعَدَ فِي الصّلَاةِ جَعَلَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ . وَأَيْضًا فَلَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ أَنّ هَذَا كَانَ فِي الصّلَاةِ . وَأَيْضًا لَوْ كَانَ فِي الصّلَاةِ لَكَانَ نَافِيًا وَحَدِيثُ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ مُثْبِتًا وَهُوَ مُقَدّمٌ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي " صَحِيحِهِ " . ثُمّ كَانَ يَقُولُ [بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ] : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَذَكَرَ [ص ٢٣٢] كَانَ يَقُولُ رَبّ اغْفِرْ لِي رَبّ اغْفِرْ لِي وَكَانَ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إطَالَةَ هَذَا الرّكْنِ بِقَدْرِ السّجُودِ وَهَكَذَا الثّابِتُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ وَفِي " الصّحِيحِ " عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْعُدُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ حَتّى نَقُولَ قَدْ أَوْهَمَ وَهَذِهِ السّنّةُ تَرَكَهَا أَكْثَرُ النّاسِ مِنْ بَعْدِ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصّحَابَةِ وَلِهَذَا قَالَ ثَابِتٌ وَكَانَ أَنَسٌ يَصْنَعُ شَيْئًا لَا أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ يَمْكُثُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ حَتّى نَقُولَ قَدْ نَسِيَ أَوْ قَدْ أَوْهَمَ . وَأَمّا مَنْ حَكّمَ السّنّةَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَى مَا خَالَفَهَا فَإِنّهُ لَا يَعْبَأُ بِمَا خَالَفَ هَذَا الْهَدْيَ .

فَصْلٌ [جِلْسَةُ الِاسْتِرَاحَةِ]

ثُمّ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَنْهَضُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ مُعْتَمِدًا عَلَى فَخِذَيْهِ كَمَا ذَكَرَ [ص ٢٣٣] وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى الْأَرْضِ بِيَدَيْهِ وَقَدْ ذَكَرَ عَنْهُ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ أَنّهُ كَانَ لَا يَنْهَضُ حَتّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا وَهَذِهِ هِيَ الّتِي تُسَمّى جِلْسَةَ الِاسْتِرَاحَةِ . وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِيهَا هَلْ هِيَ مِنْ سُنَنِ الصّلَاةِ فَيُسْتَحَبّ لِكُلّ أَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهَا أَوْ لَيْسَتْ مِنْ السّنَنِ وَإِنّمَا يَفْعَلُهَا مَنْ احْتَاجَ إلَيْهَا ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللّهُ . قَالَ الْخَلّالُ رَجَعَ أَحْمَدُ إلَى حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ فِي جِلْسَةِ الِاسْتِرَاحَةِ

وَقَالَ أَخْبَرَنِي يُوسُفُ بْنُ مُوسَى أَنّ أَبَا أُمَامَةَ سُئِلَ عَنْ النّهُوضِ فَقَالَ عَلَى صُدُورِ الْقَدَمَيْنِ عَلَى حَدِيثِ رِفَاعَةَ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَجْلَانَ مَا يَدُلّ عَلَى أَنّهُ كَانَ يَنْهَضُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيْهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِدّةٍ مِنْ أَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَائِرُ مَنْ وَصَفَ صَلَاتَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الْجِلْسَةَ وَإِنّمَا ذُكِرَتْ فِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ وَمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ . وَلَوْ كَانَ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِعْلَهَا دَائِمًا لَذَكَرَهَا كُلّ مَنْ وَصَفَ صَلَاتَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمُجَرّدُ فِعْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَهَا لَا يَدُلّ عَلَى أَنّهَا مِنْ سُنَنِ الصّلَاةِ إلّا إذَا عُلِمَ أَنّهُ فَعَلَهَا عَلَى أَنّهَا سُنّةٌ يُقْتَدَى بِهِ فِيهَا وَأَمّا إذَا قُدّرَ أَنّهُ [ص ٢٣٤] وَكَانَ إذَا نَهَضَ افْتَتَحَ الْقِرَاءَةَ وَلَمْ يَسْكُتْ كَمَا كَانَ يَسْكُتُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصّلَاةِ فَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ هَلْ هَذَا مَوْضِعُ اسْتِعَاذَةٍ أَمْ لَا بَعْدَ اتّفَاقِهِمْ عَلَى أَنّهُ لَيْسَ مَوْضِعَ اسْتِفْتَاحٍ ؟ وَفِي ذَلِكَ قَوْلَانِ هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ وَقَدْ بَنَاهُمَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَلَى أَنّ قِرَاءَةَ الصّلَاةِ هَلْ هِيَ قِرَاءَةٌ وَاحِدَةٌ ؟ فَيَكْفِي فِيهَا اسْتِعَاذَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ قِرَاءَةُ كُلّ رَكْعَةٍ مُسْتَقِلّةٍ بِرَأْسِهَا . وَلَا نِزَاعَ بَيْنَهُمْ أَنّ الِاسْتِفْتَاحَ لِمَجْمُوعِ الصّلَاةِ وَالِاكْتِفَاءِ بِاسْتِعَاذَةٍ وَاحِدَةٍ أَظْهَرُ لِلْحَدِيثِ الصّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا نَهَضَ مِنْ الرّكْعَةِ الثّانِيَةِ اسْتَفْتَحَ الْقِرَاءَةَ بِ { الْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ } وَلَمْ يَسْكُتْ وَإِنّمَا يَكْفِي اسْتِعَاذَةٌ وَاحِدَةٌ لِأَنّهُ لَمْ يَتَخَلّلْ الْقِرَاءَتَيْنِ سُكُوتٌ بَلْ تَخَلّلَهُمَا ذِكْرٌ فَهِيَ كَالْقِرَاءَةِ الْوَاحِدَةِ إذَا تَخَلّلَهَا حَمْدُ اللّهِ أَوْ تَسْبِيحٌ أَوْ تَهْلِيلٌ أَوْ صَلَاةٌ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَنَحْوُ ذَلِكَ . [ص ٢٣٥] وَكَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي الثّانِيَةَ كَالْأُولَى سَوَاءٌ إلّا فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ السّكُوتِ وَالِاسْتِفْتَاحِ وَتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَتَطْوِيلِهَا كَالْأُولَى فَإِنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ لَا يَسْتَفْتِحُ وَلَا يَسْكُتُ وَلَا يُكَبّرُ لِلْإِحْرَامِ فِيهَا وَيَقْصُرُهَا عَنْ الْأُولَى فَتَكُونُ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنْهَا فِي كُلّ صَلَاةٍ كَمَا تَقَدّمَ .

[جِلْسَةُ التّشَهّدِ الْأَول]

فَإِذَا جَلَسَ لِلتّشَهّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ السّبّابَةِ وَكَانَ لَا يَنْصِبُهَا نَصْبًا وَلَا يُنِيمُهَا بَلْ يَحْنِيهَا شَيْئًا وَيُحَرّكُهَا شَيْئًا كَمَا تَقَدّمَ فِي حَدِيثِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ وَكَانَ يَقْبِضُ أُصْبُعَيْنِ وَهُمَا الْخِنْصَرُ وَالْبِنْصِرُ وَيُحَلّقُ حَلْقَةً وَهِيَ الْوُسْطَى مَعَ الْإِبْهَامِ وَيَرْفَعُ السّبّابَةَ يَدْعُو بِهَا وَيَرْمِي بِبَصَرِهِ إلَيْهَا وَيَبْسُطُ الْكَفّ الْيُسْرَى عَلَى الْفَخِذِ الْيُسْرَى وَيَتَحَامَلُ عَلَيْهَا . وَأَمّا صِفَةُ جُلُوسِهِ فَكَمَا تَقَدّمَ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ سَوَاءٌ يَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى . وَلَمْ يُرْوَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْجِلْسَةِ غَيْرُ هَذِهِ الصّفَةِ . وَأَمّا حَدِيثُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ الّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا قَعَدَ فِي الصّلَاةِ جَعَلَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى فَهَذَا فِي التّشَهّدِ الْأَخِيرِ كَمَا يَأْتِي وَهُوَ أَحَدُ الصّفَتَيْنِ اللّتَيْنِ رُوِيَتَا عَنْهُ فَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ فِي صِفَةِ صَلَاتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِذَا جَلَسَ فِي الرّكْعَتَيْنِ جَلَسَ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَنَصَبَ الْأُخْرَى وَإِذَا جَلَسَ فِي الرّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ قَدّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَنَصَبَ الْيُمْنَى وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِهِ فَذَكَرَ أَبُو [ص ٢٣٦] حُمَيْدٍ أَنّهُ كَانَ يَنْصِبُ الْيُمْنَى . وَذَكَرَ ابْنُ الزّبَيْرِ أَنّهُ كَانَ يَفْرِشُهَا وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ هَذِهِ صِفَةُ جُلُوسِهِ فِي التّشَهّدِ الْأَوّلِ وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ بِهِ بَلْ مِنْ النّاسِ مَنْ قَالَ يَتَوَرّكُ فِي التّشَهّدَيْنِ وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يَفْتَرِشُ فِيهِمَا فَيَنْصِبُ الْيُمْنَى وَيَفْتَرِشُ الْيُسْرَى

وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يَتَوَرَّكُ فِي كُلِّ تَشَهُّدٍ يَلِيهِ السَّلَامُ وَيَفْتَرِشُ فِي غَيْرِهِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يَتَوَرَّكُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فِيهَا تَشَهُّدَانِ فِي الْأَخِيرِ مِنْهُمَا فَرْقًا بَيْنَ الْجُلُوسَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى : أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي هَذَا الْجُلُوسِ عَلَى مَقْعَدَتِهِ فَتَكُونُ قَدَمُهُ الْيُمْنَى مَفْرُوشَةً وَقَدَمُهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ وَمَقْعَدَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ فَوَقَعَ الِاخْتِلَافُ فِي قَدَمِهِ الْيُمْنَى فِي هَذَا الْجُلُوسِ هَلْ كَانَتْ مَفْرُوشَةً أَوْ مَنْصُوبَةً ؟ وَهَذَا - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - لَيْسَ اخْتِلَافًا فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ عَلَى قَدَمِهِ بَلْ يُخْرِجُهَا عَنْ يَمِينِهِ فَتَكُونُ بَيْنَ الْمَنْصُوبَةِ وَالْمَفْرُوشَةِ فَإِنَّهَا تَكُونُ عَلَى بَاطِنِهَا الْأَيْمَنِ فَهِيَ مَفْرُوشَةٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ نَاصِبًا لَهَا جَالِسًا عَلَى عَقِبِهِ وَمَنْصُوبَةٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ جَالِسًا عَلَى بَاطِنِهَا وَظَهْرُهَا إلَى الْأَرْضِ فَصَحَّ قَوْلُ أَبِي حُمَيْدٍ وَمَنْ مَعَهُ وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَوْ يُقَالُ إنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا وَهَذَا فَكَانَ يَنْصِبُ قَدَمَهُ وَرُبَّمَا فَرَشَهَا أَحْيَانًا وَهَذَا أَرْوَحُ لَهَا . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَشَهَّدُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْجِلْسَةِ وَيُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . [ص ٢٣٧] ذَكَرَ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ بِسْمِ اللَّهِ وَبِاَللَّهِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ النَّارِ وَلَمْ تَجِئْ التَّسْمِيَةُ فِي أَوَّلِ التَّشَهُّدِ إلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَلَهُ عِلَّةٌ غَيْرُ عَنْعَنَةِ أَبِي الزُّبَيْرِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّفُ هَذَا التَّشَهُّدَ جِدًّا حَتَّى كَأَنَّهُ عَلَى الرَّضْفِ - وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ - وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ قَطُّ أَنَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فِي هَذَا التَّشَهُّدِ وَلَا كَانَ أَيْضًا يَسْتَعِيذُ فِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَمَنْ اسْتَحَبَّ ذَلِكَ فَإِنَّمَا فَهِمَهُ مِنْ عُمُومَاتٍ وَإِطْلَاقَاتٍ قَدْ صَحَّ تَبْيِينُ مَوْضِعِهَا وَتَقْيِيدُهَا بِالتَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ .

[النُّهُوضُ لِلرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ]

ثُمَّ كَانَ يَنْهَضُ مُكَبِّرًا عَلَى صُدُورِ قَدَمَيْهِ وَعَلَى رُكْبَتَيْهِ مُعْتَمِدًا عَلَى فَخِذِهِ كَمَا تَقَدَّمَ وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [ص ٢٣٨] كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَهِيَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ لَيْسَتْ مُتَّفَقًا عَلَيْهَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَأَكْثَرُ رُوَاتِهِ لَا يَذْكُرُونَهَا وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهَا مُصَرَّحًا بِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا قَامَ إلَى الصَّلَاةِ كَبَّرَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ وَيُقِيمُ كُلَّ عُضْوٍ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ يَقْرَأُ ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مُعْتَدِلًا لَا يُصَوِّبُ رَأْسَهُ وَلَا يُقْنِعُ بِهِ ثُمَّ يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ حَتَّى يَقِرَّ كُلُّ عَظْمٍ إلَى مَوْضِعِهِ ثُمَّ يَهْوِي إلَى الْأَرْضِ وَيُجَافِي يَدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَثْنِي رِجْلَهُ فَيَقْعُدُ عَلَيْهَا وَيَفْتَخُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ إذَا سَجَدَ ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ إلَى مَوْضِعِهِ

ثُمّ يَقُومُ فَيَصْنَعُ فِي الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمّ إذَا قَامَ مِنْ الرّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ كَمَا يَصْنَعُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصّلَاةِ ثُمّ يُصَلّي بَقِيّةَ صَلَاتِهِ هَكَذَا حَتّى إذَا كَانَتْ السّجْدَةُ الّتِي فِيهَا التّسْلِيمُ أَخْرَجَ رِجْلَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى شِقّهِ الْأَيْسَرِ مُتَوَرّكًا هَذَا سِيَاقُ أَبِي [ص ٢٣٩] صَحِيحِ مُسْلِمٍ " أَيْضًا وَقَدْ ذَكَرَهُ التّرْمِذِيّ مُصَحّحًا لَهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ أَيْضًا .

[لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ قَرَأَ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ شَيْئًا]

ثُمّ كَانَ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَحْدَهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ قَرَأَ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ شَيْئًا وَقَدْ ذَهَبَ الشّافِعِيّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ وَغَيْرُهُ إلَى اسْتِحْبَابِ الْقِرَاءَةِ بِمَا زَادَ عَلَى الْفَاتِحَةِ فِي الْأَخْرَيَيْنِ وَاحْتَجّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الّذِي فِي " الصّحِيحِ " : حَزَرْنَا قِيَامَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الظّهْرِ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ قَدْرَ قِرَاءَةِ { الم تَنْزِيلُ } السّجْدَةَ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ قَدْرَ النّصْفِ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنْ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ قِيَامِهِ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ مِنْ الظّهْرِ وَفِي الْأَخْرَيَيْنِ مِنْ الْعَصْرِ عَلَى النّصْفِ مِنْ ذَلِك وَحَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ الْمُتّفَقِ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ فِي الِاقْتِصَارِ عَلَى فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ .

[كَانَ يَفْعَلُ فِي الصّلَاةِ شَيْئًا لِعَارِضٍ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ]

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي بِنَا فَيَقْرَأُ فِي الظّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ أَحْيَانًا زَادَ مُسْلِمٌ : وَيَقْرَأُ فِي الْأَخْرَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثَانِ غَيْرُ [ص ٢٤٠] وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ فَإِنّمَا هُوَ حَزْرٌ مِنْهُمْ وَتَخْمِينٌ لَيْسَ إخْبَارًا عَنْ تَفْسِيرِ نَفْسِ فِعْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ فَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنّهُ كَانَ يَقْتَصِرُ عَلَى الْفَاتِحَةِ وَأَنْ يُرَادَ بِهِ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ يُخِلّ بِهَا فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ بَلْ كَانَ يَقْرَؤُهَا فِيهِمَا كَمَا كَانَ يَقْرَؤُهَا فِي الْأُولَيَيْنِ فَكَانَ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ فِي كُلّ رَكْعَةٍ وَإِنْ كَانَ حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ فِي الِاقْتِصَارِ أَظْهَرَ فَإِنّهُ فِي مَعْرِضِ التّقْسِيمِ فَإِذَا قَالَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَيَيْنِ بِالْفَاتِحَةِ وَالسّورَةِ وَفِي الْأَخْرَيَيْنِ بِالْفَاتِحَةِ كَانَ كَالتّصْرِيحِ فِي اخْتِصَاصِ كُلّ قِسْمٍ بِمَا ذُكِرَ فِيهِ وَعَلَى هَذَا فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إنّ هَذَا أَكْثَرُ فِعْلِهِ وَرُبّمَا قَرَأَ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأَخْرَيَيْنِ بِشَيْءٍ فَوْقَ الْفَاتِحَةِ كَمَا دَلّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ وَهَذَا كَمَا أَنّ هَدْيَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ تَطْوِيلَ الْقِرَاءَةِ فِي الْفَجْرِ وَكَانَ يُخَفّفُهَا أَحْيَانًا وَتَخْفِيفَ الْقِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ وَكَانَ يُطِيلُهَا أَحْيَانًا وَتَرْكَ الْقُنُوتِ فِي الْفَجْرِ وَكَانَ يَقْنُتُ فِيهَا أَحْيَانًا وَالْإِسْرَارَ فِي الظّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالْقِرَاءَةِ.كَانَ يُسْمِعُ الصّحَابَةَ الْآيَةَ فِيهَا أَحْيَانًا وَتَرْكَ الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ وَكَانَ يَجْهَرُ بِهَا أَحْيَانًا .

[الِالْتِفَاتُ فِي الصّلَاةِ]

وَالْمَقْصُودُ أَنّهُ كَانَ يَفْعَلُ فِي الصّلَاةِ شَيْئًا أَحْيَانًا لِعَارِضٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ فِعْلِهِ الرّاتِبِ وَمِنْ هَذَا لَمّا بَعَثَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَارِسًا طَلِيعَةً ثُمّ قَامَ إلَى الصّلَاةِ وَجَعَلَ [ص ٢٤١] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الِالْتِفَاتُ فِي الصّلَاةِ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الِالْتِفَاتِ فِي الصّلَاةِ ؟ فَقَالَ هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ وَفِي التّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ

الْمُسَيِّبِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بُنَيَّ إيَّاكَ وَالِالْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الِالْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَفِي التَّطَوُّعِ لَا فِي الْفَرْضِ وَلَكِنْ لِلْحَدِيثِ عِلَّتَانِ إحْدَاهُمَا : إنَّ رِوَايَةَ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسٍ لَا تُعْرَفُ . الثَّانِيَةُ إنَّ فِي طَرِيقِهِ عَلِيَّ بْنَ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ وَقَدْ ذَكَرَ الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَلَاةَ لِلْمُلْتَفِتِ فَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ : " إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَلْحَظُ [ص ٢٤٢] قَالَ التِّرْمِذِيّ فِيهِ حَدِيثٌ غَرِيبٌ . وَلَمْ يَزِدْ . وَقَالَ الْخَلَّالُ أَخْبَرَنِي الْمَيْمُونِيّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قِيلَ لَهُ إنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَسْنَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُلَاحِظُ فِي الصَّلَاةِ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ إنْكَارًا شَدِيدًا حَتَّى تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَتَحَرَّكَ بَدَنُهُ وَرَأَيْتُهُ فِي حَالٍ مَا رَأَيْتُهُ فِي حَالٍ قَطّ أَسْوَأَ مِنْهَا وَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُلَاحِظُ فِي الصَّلَاةِ ؟ يَعْنِي أَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَأَحْسَبُهُ قَالَ لَيْسَ لَهُ إسْنَادٌ وَقَالَ مَنْ رَوَى هَذَا ؟ إنَّمَا هَذَا مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ثُمَّ قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا : إنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَهَّنَ حَدِيثَ سَعِيدٍ هَذَا وَضَعَّفَ إسْنَادَهُ وَقَالَ إنَّمَا هُوَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ سَعِيدٍ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ : حَدَّثْت أَبِي بِحَدِيثِ حَسَّانَ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكُوفِيِّ قَالَ سَمِعْت الْعَلَاءَ قَالَ سَمِعْت مَكْحُولًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَوَاثِلَةَ كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا قَامَ إلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَرَمَى بِبَصَرِهِ فِي مَوْضِعِ سُجُودِهِ فَأَنْكَرَهُ جِدًّا وَقَالَ اضْرِبْ عَلَيْهِ . فَأَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْكَرَ هَذَا وَهَذَا وَكَانَ إنْكَارُهُ لِلْأَوَّلِ أَشَدّ لِأَنَّهُ بَاطِلٌ سَنَدًا وَمَتْنًا . وَالثَّانِي إنَّمَا أَنْكَرَ سَنَدَهُ وَإِلَّا فَمَتْنُهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَلَوْ ثَبَتَ الْأَوَّلُ لَكَانَ حِكَايَةَ فِعْلٍ فَعَلَهُ لَعَلَّهُ كَانَ لِمَصْلَحَةٍ تَتَعَلَّقُ [ص ٢٤٣] وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَذُو الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ لِمَصْلَحَتِهَا أَوْ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ كَالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ يَعْنِي صَلَاةَ الصُّبْحِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ يَلْتَفِتُ إلَى الشِّعْبِ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ يَعْنِي وَكَانَ أَرْسَلَ فَارِسًا إلَى الشِّعْبِ مِنْ اللَّيْلِ يَحْرُسُ فَهَذَا الِالْتِفَاتُ مِنْ الِاشْتِغَالِ بِالْجِهَادِ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ يَدْخُلُ فِي مَدَاخِلِ الْعِبَادَاتِ كَصَلَاةِ الْخَوْفِ وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ إنِّي لَأُجَهِّزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ . فَهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ الْجِهَادِ وَالصَّلَاةِ . وَنَظِيرُهُ التَّفَكُّرُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَاسْتِخْرَاجُ كُنُوزِ الْعِلْمِ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ فَهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالْعِلْمِ فَهَذَا لَوْنٌ وَالْتِفَاتُ الْغَافِلِينَ اللَّاهِينَ وَأَفْكَارُهُمْ لَوْنٌ آخَرُ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ .

[إطَالَةُ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ]

فَهَدْيُهُ الرَّاتِبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إطَالَةُ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنْ الرُّبَاعِيَّةِ عَلَى الْأُخْرَيَيْنِ وَإِطَالَةُ الْأُولَى مِنْ الْأُولَيَيْنِ عَلَى الثَّانِيَةِ وَلِهَذَا قَالَ سَعْدٌ لِعُمَرَ أَمَّا أَنَا فَأُطِيلُ فِي الْأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ وَلَا آلُو أَنْ أَقْتَدِيَ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[إطَالَةُ الْفَجْرِ عَلَى سَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَكَذَا قَوْلُ الصَّلَاةِ عَلَى آخِرِهَا]

[إشَارَةٌ إلَى الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْوِتْرِ]

وَكَذَلِكَ كَانَ هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إطَالَةَ صَلَاةِ الْفَجْرِ عَلَى سَائِرِ الصَّلَوَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ إلَّا الْفَجْرَ فَإِنَّهَا أُقِرَّتْ عَلَى

حَالِهَا مِنْ أَجْلِ طُولِ الْقِرَاءَةِ وَالْمَغْرِبَ لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ " [ص ٢٤٤] صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " . وَهَذَا كَانَ هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ صَلَاتِهِ إِطَالَةُ أَوَّلِهَا عَلَى آخِرِهَا كَمَا فَعَلَ فِي الْكُسُوفِ وَفِي قِيَامِ اللَّيْلِ لَمَّا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا حَتَّى أَتَمَّ صَلَاتَهُ . وَلَا يُنَاقِضُ هَذَا افْتِتَاحَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ اللَّيْلِ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وَأَمْرَهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ مِفْتَاحُ قِيَامِ اللَّيْلِ فَهُمَا بِمَنْزِلَةِ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَغَيْرِهَا وَكَذَلِكَ الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ كَانَ يُصَلِّيهِمَا أَحْيَانًا بَعْدَ وِتْرِهِ تَارَةً جَالِسًا وَتَارَةً قَائِمًا مَعَ قَوْلِهِ اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا فَإِنَّ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ لَا تُنَافِيَانِ هَذَا الْأَمْرَ كَمَا أَنَّ الْمَغْرِبَ وِتْرٌ لِلنَّهَارِ وَصَلَاةُ السُّنَّةِ شَفْعًا بَعْدَهَا لَا يُخْرِجُهَا عَنْ كَوْنِهَا وِتْرًا لِلنَّهَارِ وَكَذَلِكَ الْوِتْرُ لَمَّا كَانَ عِبَادَةً مُسْتَقِلَّةً وَهُوَ وِتْرُ اللَّيْلِ كَانَتْ الرَّكْعَتَانِ بَعْدَهُ جَارِيَتَيْنِ مَجْرَى سُنَّةِ الْمَغْرِبِ مِنْ الْمَغْرِبِ وَلَمَّا كَانَ الْمَغْرِبُ فَرْضًا كَانَتْ مُحَافَظَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سُنَّتِهَا أَكْثَرَ مِنْ مُحَافَظَتِهِ عَلَى سُنَّةِ الْوِتْرِ وَهَذَا عَلَى أَصْلِ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ الْوِتْرِ ظَاهِرٌ جِدًّا وَسَيَأْتِي مَزِيدُ كَلَامٍ فِي هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَهِيَ مَسْأَلَةٌ شَرِيفَةٌ لَعَلَّك لَا تَرَاهَا فِي مُصَنَّفٍ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ [ص ٢٤٥]

فَصْلٌ [الْجُلُوسُ لِلتَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ]

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا جَلَسَ فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ جَلَسَ مُتَوَرِّكًا وَكَانَ يُفْضِي بِوَرِكِهِ إلَى الْأَرْضِ وَيُخْرِجُ قَدَمَهُ مِنْ نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ . فَهَذَا أَحَدُ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوَرُّكِ . ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهِيعَةَ وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ فِي " صَحِيحِهِ " هَذِهِ الصِّفَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ ابْنِ لَهِيعَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُهُ . الْوَجْهُ الثَّانِي : ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ أَيْضًا قَالَ وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَنَصَبَ الْيُمْنَى وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِهِ فَهَذَا هُوَ الْمُوَافِقُ الْأَوَّلُ فِي الْجُلُوسِ عَلَى الْوَرِكِ وَفِيهِ زِيَادَةُ وَصْفٍ فِي هَيْئَةِ الْقَدَمَيْنِ لَمْ تَتَعَرَّضْ الرِّوَايَةُ الْأُولَى لَهَا . الْوَجْهُ الثَّالِثُ مَا ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْعَلُ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ وَيَفْرِشُ قَدَمَهُ الْيُمْنَى وَهَذِهِ [ص ٢٤٦] أَبُو الْقَاسِمِ الْخِرَقِيِّ فِي " مُخْتَصَرِهِ " وَهَذَا مُخَالِفٌ لِلصِّفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي إخْرَاجِ الْيُسْرَى مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ وَفِي نَصْبِ الْيُمْنَى وَلَعَلَّهُ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً وَهَذَا أَظْهَرُ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ اخْتِلَافِ الرُّوَاةِ وَلَمْ يُذْكَرْ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا التَّوَرُّكُ إلَّا فِي التَّشَهُّدِ الَّذِي يَلِيه السَّلَامُ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمَنْ وَافَقَهُ هَذَا مَخْصُوصٌ بِالصَّلَاةِ الَّتِي فِيهَا تَشَهُّدَانِ وَهَذَا التَّوَرُّكُ فِيهَا جُعِلَ فَرْقًا بَيْنَ الْجُلُوسِ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ الَّذِي يُسَنّ تَخْفِيفُهُ فَيَكُونُ الْجَالِسُ فِيهِ مُتَهَيِّئًا لِلْقِيَامِ وَبَيْنَ الْجُلُوسِ فِي التَّشَهُّدِ الثَّانِي الَّذِي يَكُونُ الْجَالِسُ فِيهِ مُطْمَئِنًّا . وَأَيْضًا فَتَكُونُ هَيْئَةُ الْجُلُوسَيْنِ فَارِقَةً بَيْنَ التَّشَهُّدَيْنِ مُذَكِّرَةً لِلْمُصَلِّي حَالَهُ فِيهِمَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ أَبَا حُمَيْدٍ إنَّمَا ذَكَرَ هَذِهِ الصِّفَةَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَلْسَةِ الَّتِي فِي التَّشَهُّدِ الثَّانِي فَإِنَّهُ ذَكَرَ صِفَةَ جُلُوسِهِ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ وَأَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ مُفْتَرِشًا ثُمَّ قَالَ وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ وَفِي لَفْظٍ فَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الرَّابِعَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ حَتَّى إذَا كَانَتْ الْجِلْسَةُ الَّتِي فِيهَا التَّسْلِيمُ أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَجَلَسَ عَلَى شِقِّهِ مُتَوَرِّكًا فَهَذَا قَدْ

يَحْتَجّ بِهِ مَنْ يَرَى التّوَرّكَ يُشْرَعُ فِي كُلّ تَشَهّدٍ يَلِيه السّلَامُ فَيَتَوَرّكُ فِي الثّانِيَةِ وَهُوَ قَوْلُ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ وَلَيْسَ بِصَرِيحٍ فِي الدّلَالَةِ بَلْ سِيَاقُ الْحَدِيثِ يَدُلّ عَلَى أَنّ ذَلِكَ إنّمَا كَانَ فِي التّشَهّدِ الّذِي [ص ٢٤٧] يَلِيه السّلَامُ مِنْ الرّبَاعِيّةِ وَالثّلَاثِيّةِ فَإِنّهُ ذَكَرَ صِفَةَ جُلُوسِهِ فِي التّشَهّدِ الْأَوّلِ وَقِيَامَهُ مِنْهُ ثُمّ قَالَ حَتّى إذَا كَانَتْ السّجْدَةُ الّتِي فِيهَا التّسْلِيمُ جَلَسَ مُتَوَرّكًا فَهَذَا السّيَاقُ ظَاهِرٌ فِي اخْتِصَاص هَذَا الْجُلُوس بِالتّشَهّدِ الثّانِي .

فَصْلٌ [وَضْعُ الْيَدِ فِي التّشَهّدِ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا جَلَسَ فِي التّشَهّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَضَمّ أَصَابِعَهُ الثّلَاثَ وَنَصَبَ السّبّابَةَ . وَفِي لَفْظٍ وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ الثّلَاثَ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى . ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ : جَعَلَ حَدّ مِرْفَقِهِ الْأَيْمَن عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى ثُمّ قَبَضَ ثِنْتَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ وَحَلّقَ حَلْقَةً ثُمّ رَفَعَ أُصْبُعَهُ فَرَأَيْته يُحَرّكُهَا يَدْعُو بِهَا وَهُوَ فِي " السّنَنِ " . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَقَدَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ وَهَذِهِ الرّوَايَاتُ كُلّهَا وَاحِدَةٌ فَإِنّ مَنْ قَالَ قَبَضَ أَصَابِعَهُ الثّلَاثَ أَرَادَ بِهِ أَنّ الْوُسْطَى كَانَتْ مَضْمُومَةً لَمْ تَكُنْ مَنْشُورَةً كَالسّبّابَةِ وَمَنْ قَالَ قَبَضَ ثِنْتَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ أَرَادَ أَنّ الْوُسْطَى لَمْ تَكُنْ مَقْبُوضَةً مَعَ الْبِنْصِرِ بَلْ الْخِنْصَرُ وَالْبِنْصِرُ مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْقَبْضِ دُونَ الْوُسْطَى وَقَدْ صَرّحَ بِذَلِكَ مَنْ قَالَ وَعَقَدَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ [ص ٢٤٨] وَقَدْ اسْتَشْكَلَ كَثِيرٌ مِنْ الْفُضَلَاءِ هَذَا إذْ عَقْدُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ لَا يُلَائِمُ وَاحِدَةً مِنْ الصّفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ فَإِنّ الْخِنْصَرَ لَا بُدّ أَنْ تُرَكّبَ الْبِنْصِرَ فِي هَذَا الْعَقْدِ . وَقَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا بَعْضُ الْفُضَلَاءِ بِأَنّ الثّلَاثَةَ لَهَا صِفَتَانِ فِي هَذَا الْعَقْدِ قَدِيمَةٌ وَهِيَ الّتِي ذُكِرَتْ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ تَكُونُ فِيهَا الْأَصَابِعُ الثّلَاثُ مَضْمُومَةً مَعَ تَحْلِيقِ الْإِبْهَامِ مَعَ الْوُسْطَى وَحَدِيثَةٌ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ الْيَوْمَ بَيْنَ أَهْلِ الْحِسَابِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ يَبْسُطُ ذِرَاعَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَلَا يُجَافِيهَا فَيَكُونُ حَدّ مِرْفَقِهِ عِنْدَ آخِرِ فَخِذِهِ وَأَمّا الْيُسْرَى فَمَمْدُودَةُ الْأَصَابِعِ عَلَى الْفَخِذِ الْيُسْرَى .

[مَوَاضِعُ اسْتِقْبَالِ أَصَابِعِهِ الْقِبْلَةَ]

وَكَانَ يَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِهِ الْقِبْلَةَ فِي رَفْعِ يَدَيْهِ فِي رُكُوعِهِ وَفِي سُجُودِهِ وَفِي تَشَهّدِهِ وَيَسْتَقْبِلُ أَيْضًا بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ فِي سُجُودِهِ . وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلّ رَكْعَتَيْنِ التّحِيّاتِ

.

[مَوَاضِعُ الدّعَاءِ فِي الصّلَاةِ]

وَأَمّا الْمَوَاضِعُ الّتِي كَانَ يَدْعُو فِيهَا فِي الصّلَاةِ فَسَبْعَةُ مَوَاطِنَ أَحَدُهَا : بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ فِي مَحَلّ الِاسْتِفْتَاحِ . الثّانِي : قَبْلَ الرّكُوعِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ الْقِرَاءَةِ فِي الْوِتْرِ وَالْقُنُوتِ الْعَارِضِ فِي الصّبْحِ قَبْلَ الرّكُوعِ إنْ صَحّ ذَلِكَ فَإِنّ فِيهِ نَظَرًا . الثّالِثُ بَعْدَ الِاعْتِدَالِ مِنْ الرّكُوعِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى : كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرّكُوعِ قَالَ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ اللّهُمّ رَبّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ اللّهُمّ طَهّرْنِي بِالثّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللّهُمّ طَهّرْنِي مِنْ الذّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقّى الثّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْوَسَخِ الرّابِعُ فِي رُكُوعِهِ كَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمْدِك اللّهُمّ اغْفِرْ لِي [ص ٢٤٩] الْخَامِسُ فِي سُجُودِهِ وَكَانَ فِيهِ غَالِبُ دُعَائِهِ .

السّادِسُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ . السّابِعُ بَعْدَ التّشَهّدِ وَقَبْلَ السّلَامِ وَبِذَلِكَ أَمَرَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَأَمَرَ أَيْضًا بِالدّعَاءِ فِي السّجُودِ .
[رَأْيُ الْمُصَنّفِ فِي الدّعَاءِ بَعْدَ الصّلَاةِ]
وَأَمّا الدّعَاءُ بَعْدَ السّلَامِ مِنْ الصّلَاةِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ أَوْ الْمَأْمُومِينَ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْلًا وَلَا رُوِيَ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا حَسَنٍ . وَأَمّا تَخْصِيصُ ذَلِكَ بِصَلَاتَيْ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَلَا أَرْشَدَ إلَيْهِ أُمّتَهُ وَإِنّمَا هُوَ اسْتِحْسَانٌ رَآهُ مَنْ رَآهُ عِوَضًا مِنْ السّنّةِ بَعْدَهُمَا وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَعَامّةُ الْأَدْعِيَةِ الْمُتَعَلّقَةِ بِالصّلَاةِ إنّمَا فَعَلَهَا فِيهَا وَأَمَرَ بِهَا [ص ٢٥٠] اللّائِقُ بِحَالِ الْمُصَلّي فَإِنّهُ مُقْبِلٌ عَلَى رَبّهِ يُنَاجِيهِ مَا دَامَ فِي الصّلَاةِ فَإِذَا سَلّمَ مِنْهَا انْقَطَعَتْ تِلْكَ الْمُنَاجَاةُ وَزَالَ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْقُرْبُ مِنْهُ فَكَيْفَ يَتْرُكُ سُؤَالَهُ فِي حَالِ مُنَاجَاتِهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ ثُمّ يَسْأَلُهُ إذَا انْصَرَفَ عَنْهُ ؟ وَلَا رَيْبَ أَنّ عَكْسَ هَذَا الْحَالِ هُوَ الْأَوْلَى بِالْمُصَلّي إلّا أَنّ هَاهُنَا نُكْتَةً لَطِيفَةً وَهُوَ أَنّ الْمُصَلّيَ إذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَذَكَرَ اللّهَ وَهَلّلَهُ وَسَبّحَهُ وَحَمِدَهُ وَكَبّرَهُ بِالْأَذْكَارِ الْمَشْرُوعَةِ عَقِيبَ الصّلَاةِ اُسْتُحِبّ لَهُ أَنْ يُصَلّيَ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ وَيَكُونُ دُعَاؤُهُ عَقِيبَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الثّانِيَةِ لَا لِكَوْنِهِ دُبُرَ الصّلَاةِ فَإِنّ كُلّ مَنْ ذَكَرَ اللّهَ وَحَمِدَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلّى عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اُسْتُحِبّ لَهُ الدّعَاءُ عَقِيبَ ذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ إذَا صَلّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِحَمْدِ اللّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمّ لِيُصَلّ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ لِيَدْعُ بِمَا شَاءَ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ .
فَصْلٌ [التّسْلِيمُ وَبَيَانُ أَنّهُ لَمْ تَثْبُتْ عَنْهُ التّسْلِيمَةُ الْوَاحِدَةُ]
ثُمّ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُسَلّمُ عَنْ يَمِينِهِ السّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَعَنْ يَسَارِهِ كَذَلِكَ . هَذَا كَانَ فِعْلَهُ الرّاتِبَ رَوَاهُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَحَابِيّا وَهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السّاعِدِيّ وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَعَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيّ وَطَلْقُ بْنُ عَلِيّ وَأَوْسُ بْنُ أَوْسٍ وَأَبُو رِمْثَةَ وَعَدِيّ بْنُ عَمِيرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يُسَلّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً تِلْقَاءَ وَجْهِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ [ص ٢٥١] عَائِشَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهَا أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُسَلّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً السّلَامُ عَلَيْكُمْ يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ حَتّى يُوقِظَنَا وَهُوَ حَدِيثٌ مَعْلُولٌ وَهُوَ فِي السّنَنِ لَكِنّهُ كَانَ فِي قِيَامِ اللّيْلِ وَاَلّذِينَ رَوَوْا عَنْهُ التّسْلِيمَتَيْنِ رَوَوْا مَا شَاهَدُوهُ فِي الْفَرْضِ وَالنّفْلِ عَلَى أَنّ حَدِيثَ عَائِشَةَ لَيْسَ صَرِيحًا فِي الِاقْتِصَارِ عَلَى التّسْلِيمَةِ الْوَاحِدَةِ بَلْ أَخْبَرَتْ أَنّهُ كَانَ يُسَلّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً يُوقِظُهُمْ بِهَا وَلَمْ تَنْفِ الْأُخْرَى بَلْ سَكَتَتْ عَنْهَا وَلَيْسَ سُكُوتُهَا عَنْهَا مُقَدّمًا عَلَى رِوَايَةِ مَنْ حَفِظَهَا وَضَبَطَهَا وَهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا وَأَحَادِيثُهُمْ أَصَحّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ صَحِيحٌ وَالْبَاقِي حِسَانٌ . قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرّ : رُوِيَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يُسَلّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ وَمِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إلّا أَنّهَا مَعْلُولَةٌ وَلَا يُصَحّحُهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ ثُمّ ذَكَرَ عِلّةَ حَدِيثِ سَعْدٍ : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُسَلّمُ فِي الصّلَاةِ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً . قَالَ وَهَذَا وَهْمٌ وَغَلَطٌ وَإِنّمَا الْحَدِيثُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُسَلّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ثُمّ سَاقَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

الْمُبَارَكِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُسَلّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ حَتّى كَأَنّي أَنْظُرُ إلَى صَفْحَةِ خَدّهِ فَقَالَ الزّهْرِيّ : مَا سَمِعْنَا هَذَا مِنْ حَدِيثِ [ص ٢٥٢] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَهُ إسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمّدٍ : أَكُلّ حَدِيثِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ سَمِعْتَهُ ؟ قَالَ لَا قَالَ فَنِصْفَهُ ؟ قَالَ لَا قَالَ فَاجْعَلْ هَذَا مِنْ النّصْفِ الّذِي لَمْ تَسْمَعْ . قَالَ وَأَمّا حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُسَلّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً فَلَمْ يَرْفَعْهُ أَحَدٌ إلّا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمّدٍ وَحْدَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَوَاهُ عَنْهُ عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ وَغَيْرُهُ وَزُهَيْرُ بْنُ مُحَمّدٍ ضَعِيفٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ كَثِيرُ الْخَطَأِ لَا يُحْتَجّ بِهِ وَذُكِرَ لِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ هَذَا الْحَدِيثُ فَقَالَ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَزُهَيْرٍ ضَعِيفَانِ لَا حُجّةَ فِيهِمَا قَالَ وَأَمّا [ص ٢٥٣] أَنَسٍ فَلَمْ يَأْتِ إلّا مِنْ طَرِيقِ أَيّوبَ السّخْتِيَانِيّ عَنْ أَنَسٍ وَلَمْ يَسْمَعْ أَيّوبُ مِنْ أَنَسٍ عِنْدَهُمْ شَيْئًا قَالَ وَقَدْ رُوِيَ مُرْسَلًا عَنْ الْحَسَنِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا كَانُوا يُسَلّمُونَ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً وَلَيْسَ مَعَ الْقَائِلِينَ بِالتّسْلِيمَةِ غَيْرُ عَمَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالُوا : وَهُوَ عَمَلٌ قَدْ تَوَارَثُوهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ وَمِثْلُهُ يَصِحّ الِاحْتِجَاجُ بِهِ لِأَنّهُ لَا يَخْفَى لِوُقُوعِهِ فِي كُلّ يَوْمٍ مِرَارًا وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ قَدْ خَالَفَهُمْ فِيهَا سَائِرُ الْفُقَهَاءِ وَالصّوَابُ مَعَهُمْ وَالسّنَنُ الثّابِتَةُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تُدْفَعُ وَلَا تُرَدّ بِعَمَلِ أَهْلِ بَلَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَقَدْ أَحْدَثَ الْأُمَرَاءُ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا فِي الصّلَاةِ أُمُورًا اسْتَمَرّ عَلَيْهَا الْعَمَلُ وَلَمْ يُلْتَفَتْ إلَى اسْتِمْرَارِهِ وَعَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الّذِي يُحْتَجّ بِهِ مَا كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ وَأَمّا عَمَلُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَبَعْدَ انْقِرَاضِ عَصْرِ مَنْ كَانَ بِهَا فِي الصّحَابَةِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَمَلِ غَيْرِهِمْ وَالسّنّةُ تَحْكُمُ بَيْنَ النّاسِ لَا عَمَلُ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخُلَفَائِهِ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

فَصْلٌ [الدّعَاءُ قَبْلَ التّسْلِيمِ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ فَيَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدّجّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ [ص ٢٥٤] وَكَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ أَيْضًا : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَسّعْ لِي فِي دَارِي وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ الثّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِك وَحُسْنَ عِبَادَتِك وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ [ص ٢٥٥] وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ رَبّ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلَاهَا وَقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُ بَعْضِ مَا كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَجُلُوسِهِ وَاعْتِدَالِهِ فِي الرّكُوعِ .

فَصْلٌ [الْمَحْفُوظُ فِي أَدْعِيَتِهِ فِي الصّلَاةِ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ]

وَالْمَحْفُوظُ فِي أَدْعِيَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّلَاةِ كُلّهَا بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ كَقَوْلِهِ رَبّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَسَائِرِ الْأَدْعِيَةِ الْمَحْفُوظَةِ عَنْهُ وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ اللّهُمّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ اللّهُمّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ الْحَدِيثُ . وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ وَأَهْلُ " السّنَنِ " مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَؤُمّ عَبْدٌ قَوْمًا

فَيَخُصّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ [ص ٢٥٦] قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي " صَحِيحِهِ " : وَقَدْ ذَكَرَ حَدِيثَ اللّهُمّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ الْحَدِيثُ قَالَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى رَدّ الْحَدِيثِ الْمَوْضُوعِ لَا يَؤُمّ عَبْدٌ قَوْمًا فَيَخُصّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي فِي الدّعَاءِ الّذِي يَدْعُو بِهِ الْإِمَامُ لِنَفْسِهِ وَلِلْمَأْمُومِينَ وَيَشْتَرِكُونَ فِيهِ كَدُعَاءِ الْقُنُوتِ وَنَحْوِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [كَانَ يُرَاعِي حَالَ الْمَأْمُومِينَ وَغَيْرِهِمْ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا قَامَ فِي الصّلَاةِ طَأْطَأَ رَأْسَهُ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ وَكَانَ فِي التّشَهّدِ لَا يُجَاوِزُ بَصَرُهُ إشَارَتَهُ وَقَدْ تَقَدّمَ . وَكَانَ قَدْ جَعَلَ اللّهُ تَعَالَى قُرّةَ عَيْنِهِ وَنَعِيمَهُ وَسُرُورَهُ وَرُوحَهُ فِي الصّلَاةِ . وَكَانَ يَقُولُ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصّلَاةِ وَكَانَ يَقُولُ وَجُعِلَتْ قُرّةُ عَيْنِي فِي الصّلَاةِ وَمَعَ هَذَا لَمْ يَكُنْ يَشْغَلُهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْمَأْمُومِينَ وَغَيْرِهِمْ مَعَ كَمَالِ إقْبَالِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ اللّهِ تَعَالَى وَحُضُورِ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاجْتِمَاعِهِ عَلَيْهِ . وَكَانَ يَدْخُلُ فِي الصّلَاةِ وَهُوَ يُرِيدُ إطَالَتَهَا فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصّبِيّ فَيُخَفّفُهَا [ص ٢٥٧] وَأَرْسَلَ مَرّةً فَارِسًا طَلِيعَةً لَهُ فَقَامَ يُصَلّي وَجَعَلَ يَلْتَفِتُ إلَى الشّعْبِ الّذِي يَجِيءُ مِنْهُ الْفَارِسُ وَلَمْ يَشْغَلْهُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ مُرَاعَاةِ حَالِ فَارِسِهِ . وَكَذَلِكَ كَانَ يُصَلّي الْفَرْضَ وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرّبِيعِ ابْنَةَ بِنْتِهِ زَيْنَبَ عَلَى عَاتِقِهِ إذَا قَامَ حَمَلَهَا وَإِذَا رَكَعَ وَسَجَدَ وَضَعَهَا . وَكَانَ يُصَلّي فَيَجِيءُ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ فَيَرْكَبُ ظَهْرَهُ فَيُطِيلُ السّجْدَةَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُلْقِيَهُ عَنْ ظَهْرِهِ . وَكَانَ يُصَلّي فَتَجِيءُ عَائِشَةُ مِنْ حَاجَتِهَا وَالْبَابُ مُغْلَقٌ فَيَمْشِي فَيَفْتَحُ لَهَا الْبَابَ ثُمّ يَرْجِعُ إلَى الصّلَاةِ [ص ٢٥٨]

[رَدّ السّلَامِ فِي الصّلَاةِ]

وَكَانَ يَرُدّ السّلَامَ بِالْإِشَارَةِ عَلَى مَنْ يُسَلّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصّلَاةِ . وَقَالَ جَابِرٌ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِحَاجَةٍ ثُمّ أَدْرَكْتُهُ وَهُوَ يُصَلّي فَسَلّمْت عَلَيْهِ فَأَشَارَ إلَيّ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " . وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُشِيرُ فِي الصّلَاةِ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ . وَقَالَ صُهَيْبٌ : مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يُصَلّي فَسَلّمْت عَلَيْهِ فَرَدّ إشَارَةً قَالَ الرّاوِي : لَا أَعْلَمُهُ قَالَ إلّا إشَارَةً بِأُصْبُعِهِ وَهُوَ فِي " السّنَنِ " و " الْمُسْنَدِ " . وَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا : خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى قُبَاءٍ يُصَلّي فِيهِ قَالَ فَجَاءَتْهُ الْأَنْصَارُ فَسَلّمُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصّلَاةِ فَقُلْتُ لِبِلَالٍ كَيْفَ رَأَيْتَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَرُدّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلّمُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلّي ؟ قَالَ يَقُولُ هَكَذَا وَبَسَطَ جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ كَفّهُ وَجَعَلَ بَطْنَهُ أَسْفَلَ وَجَعَلَ ظَهْرَهُ إلَى فَوْقُ [ص ٢٥٩] التّرْمِذِيّ وَلَفْظُهُ كَانَ يُشِيرُ بِيَدِهِ . وَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ لَمّا قَدِمْتُ مِنْ الْحَبَشَةِ أَتَيْت النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يُصَلّي فَسَلّمْت عَلَيْهِ فَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي غَطَفَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ أَشَارَ فِي صَلَاتِهِ إشَارَةً تُفْهَمُ عَنْهُ فَلْيُعِدْ صَلَاتَهُ فَحَدِيثٌ بَاطِلٌ ذَكَرَهُ الدّارَقُطْنِيّ وَقَالَ قَالَ لَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُد : أَبُو غَطَفَانَ هَذَا رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَالصّحِيحُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يُشِيرُ فِي صَلَاتِهِ . رَوَاهُ أَنَسٌ وَجَابِرٌ وَغَيْرُهُمَا . وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي وَعَائِشَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَهَا بِيَدِهِ فَقَبَضَتْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا قَامَ بَسَطَتْهُمَا . [ص ٢٦٠]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي فَجَاءَهُ الشّيْطَانُ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ فَأَخَذَهُ فَخَنَقَهُ حَتّى سَالَ لُعَابُهُ عَلَى يَدِهِ . وَكَانَ يُصَلّي عَلَى الْمِنْبَرِ وَيَرْكَعُ عَلَيْهِ فَإِذَا جَاءَتْ السّجْدَةُ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ عَلَى الْأَرْضِ ثُمّ صَعِدَ عَلَيْهِ . وَكَانَ يُصَلّي إلَى جِدَارٍ فَجَاءَتْ بَهْمَةٌ تَمُرّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَمَا زَالَ يُدَارِئُهَا حَتّى لَصِقَ بَطْنُهُ بِالْجِدَارِ وَمَرّتْ مِنْ وَرَائِهِ . يُدَارِئُهَا : يُفَاعِلُهَا مِنْ الْمُدَارَأَةِ وَهِيَ الْمُدَافَعَةُ . [ص ٢٦١] وَكَانَ يُصَلّي فَجَاءَتْهُ جَارِيَتَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ قَدْ اقْتَتَلَتَا فَأَخَذَهُمَا بِيَدَيْهِ فَنَزَعَ إحْدَاهُمَا مِنْ الْأُخْرَى وَهُوَ فِي الصّلَاةِ وَلَفْظُ أَحْمَدَ فِيهِ فَأَخَذَتَا بِرُكْبَتَيْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنَزَعَ بَيْنَهُمَا أَوْ فَرّقَ بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَنْصَرِفْ وَكَانَ يُصَلّي فَمَرّ بَيْنَ يَدَيْهِ غُلَامٌ فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا فَرَجَعَ وَمَرّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا فَمَضَتْ فَلَمّا صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ هُنّ أَغْلَبُ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَهُوَ فِي " السّنَنِ " . وَكَانَ يَنْفُخُ فِي صَلَاتِهِ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَهُوَ فِي " السّنَنِ " . وَأَمّا حَدِيثُ النّفْخُ فِي الصّلَاةِ كَلَامٌ فَلَا أَصْلَ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَإِنّمَا [ص ٢٦٢] ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا مِنْ قَوْلِهِ إنْ صَحّ .

[الْبُكَاءُ وَالتّحْنَحَةُ]

وَكَانَ يَبْكِي فِي صَلَاتِهِ وَكَانَ يَتَنَحْنَحُ فِي صَلَاتِهِ . قَالَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ لِي مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَاعَةٌ آتِيهِ فِيهَا فَإِذَا أَتَيْتُهُ اسْتَأْذَنْت فَإِنْ وَجَدْتُهُ يُصَلّي فَتَنَحْنَحَ دَخَلْت وَإِنْ وَجَدْته فَارِغًا أَذِنَ لِي ذَكَرَهُ النّسَائِيّ وَأَحْمَدُ وَلَفْظُ أَحْمَدَ : كَانَ لِي مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَدْخَلَانِ بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ وَكُنْتُ إذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلّي تَنَحْنَحَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَعَمِلَ بِهِ فَكَانَ يَتَنَحْنَحُ فِي صَلَاتِهِ وَلَا يَرَى النّحْنَحَةَ مُبْطِلَةً لِلصّلَاةِ .

[الْحَفْيُ وَالِانْتِعَالُ]

وَكَانَ يُصَلّي حَافِيًا تَارَةً وَمُنْتَعِلًا أُخْرَى كَذَلِك قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْهُ وَأَمَرَ بِالصّلَاةِ بِالنّعْلِ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ

[الصّلَاةُ بِالثّوْبِ الْوَاحِدِ]

وَكَانَ يُصَلّي فِي الثّوْبِ الْوَاحِدِ تَارَةً وَفِي الثّوْبَيْنِ تَارَةً وَهُوَ أَكْثَرُ .

* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الِاسْتِفْتَاح وَالْقِرَاءَةِ:

١ـ كان إذا قام إلى الصلاة قال: الله أكبر، ولم يقل شيئًا قبلها، ولا تلفظ بالنية البتة.

٢ـ وكان يرفع يديه معها ممدودتين الأصابع مستقبلاً بهما القبلة إلى فروغ أذنيه ـ و إلى منكبيه ـ؛ ثم يضع اليمنى على ظهر اليسرى.

٣ـ وكان يستفتح تارة بـ: ((اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَدِ، اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنس)) [ق].

وتارة يقول: ((وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين)) [م].

٤ـ وكان يقول بعد الاستفتاح: ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)) ثم يقرأ الفاتحة(١).

٥ـ وكان له سكتتان: سكتة بين التكبيرة والقراءة، واختلف في الثانية، فروي بعد الفاتحة وروي قبل الركوع.
٦ـ فإذا فرغ من قراءة الفاتحة أخذ في سورة غيرها، وكان يطيلها تارةً، ويخففها لعارض من سفر أو غيره، ويتوسط فيها غالبًا.
٧ـ وكان يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة، وصلاَّها بسورة ((ق))، وصلاَّها بسورة ((الروم))، وصلاَّها بسورة {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، وصلاَّها بسورة: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ} في الركعتين كلتيهما، وصلاها بـ((المعوذتين))، وكان في السفر، وصلاهَّا فاستفتح سورة ((المؤمنون)) حتى إذا بلغ ذكر موسى وهارون في الركعة الأولى أخذته سعلة فركع.
٨ـ وكان يصليها يوم الجمعة بـ {أَلَمْ} السجدة، و{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ}.
٩ـ وأما الظهر فكان يطيل قراءتها أحيانًا، وأما العصر فعلى النصف من قراءة الظهر إذا طالت، وبقدرها إذا قصرت.
١٠ـ وأما المغرب فصلاها مرة بـ((الطور))، ومرة بـ((المرسلات)).
١١ـ وأما العشاء فقرأ فيها بـ{وَالتِّينِ}، ووقَّت لمعاذ فيها بـ {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، و{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، و{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، ونحوها، وأنكر عليه قراءته فيها بـ((البقرة)).
١٢ـ وكان من هديه قراءة السورة كاملة وربما قرأها في الركعتين، وربما قرأ أول السورة، وأما قراءة أواخر السورة وأوساطها فلم يحفظ عنه.
وأما قراءة السورتين في ركعة فكان يفعله في النافلة، وأما قراءة سورة واحدة في الركعتين معًا فقلما كان يفعله وكان لا يعين سورة في الصلاة بعينها لا يقرأ إلا بها إلا في الجمعة والعيدين.
١٣ـ وقنت في الفجر بعد الركوع شهرًا ثم ترك، وكان قنوته لعارض، فلما زال تركه، فكان هديه القنوت في النوازل خاصة، ولم يكن يخصه بالفجر.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلاَةِ:
١ـ كان يطيل الركعة الأولى على الثانية من كل صلاة.
٢ـ وكان إذا فرغ من القراءة سكت بقدر ما يترادُّ إليه نفسه ثم رفع يديه وكبر راكعًا، ووضع كفيه على ركبتيه كالقابض عليهما، ووتَّر يديه فنحاهما على جنبيه، وبسط ظهره ومده واعتدل فلم ينصب رأسه ولم يخفضه، بل حيال ظهره.
٣ـ وكان يقول: ((سبحان ربي العظيم)) [م] وتارة يقول في ذلك: ((سبحان اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي)) [ق]، وكان يقول أيضًا: ((سبوح قدوس رب الملائكة والروح)) [م].
٤ـ وكان ركوعه المعتاد مقدار عشرة تسبيحات، وسجوده كذلك، وتارةً يجعل الركوع والسجود بقدر القيام، ولكن كان يفعله أحيانًا في صلاة الليل وحده، فهديه الغالب في الصلاة تعديل الصلاة وتناسبها.
٥ـ وكان يرفع رأسه قائلاً: ((سمع الله لمن حمده)) [ق]، ويرفع يديه ويقيم صلبه، وكذلك إذا رفع رأسه من السجود، وقال: ((لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود)) [صحيح أبي داود].

فإذا استوى قال: ((ربنا ولك الحمد))، وربما قال: ((ربنا لك الحمد))، وربما قال: ((اللهم ربنا لك الحمد)).

٦- وكان يطيل هذا الركن بقدر الركوع، ويقول فيه: ((اللهم ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)) [م].

٧- ثم كان يكبر ويخر ساجدًا، ولا يرفع يديه، وكان يضع ركبتيه ثم يديه بعدهما، ثم جبهته وأنفه،وكان يسجد على جبهته وأنفه دون كور العمامة، وكان يسجد على الأرض كثيرًا، وعلى الماء والطين، وعلى الخمرة المتخذة من خوص النخل، وعلى الحصير المتخذ منه، وعلى الفروة المدبوغة.

٨- وكان إذا سجد مكَّن جبهته وأنفه من الأرض، ونحَّى يديه عن جنبيه، وجافاهما حتى يُرى بياض إبطه.

٩- وكان يضع يده حذو منكبيه وأذنيه ويعتدل في سجوده، ويستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة،ويبسط كفيه وأصابعه، ولا يفرج بينهما ولا يقبضهما.

١٠- وكان يقول: ((سبحانك اللهم ربنا وبحمد، اللهم اغفر لي)) [ق]، ويقول: ((سبوح قدوس رب الملائكة والروح)) [م].

١١- ثم يرفع رأسه مكبرًا غير رافع يديه، ثم يجلس مفترشًا يفرش اليسرى ويجلس عليها، وينصب اليمنى ويضع يديه على فخذيه، ويجعل مرفقيه على فخذيه، وطرف يده على ركبته، ويقبض اثنتين من أصابعه ويحلق حلقة، ثم يرفع إصبعه يدعو بها ويحركها، ثم يقول: ((اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني)) [صحيح الترمذي].

١٢- وكان هديه صلى الله عليه وسلم إطالة هذا الركن بقدر السجود.

١٣- ثم ينهض على صدور قدميه، معتمدًا على فخذيه، فإذا نهض افتتح القراءة، ولم يسكت كما يسكت عند الاستفتاح، ثم يصلي الثانية كالأولى إلا في أربعة أشياء: السكوت، والاستفتاح، وتكبيرة الإحرام، وتطويلها فكان يطيل الركعة الأولى على الثانية وربما كان يطيلها حتى لا يسمع وقع قدم.

١٤- فإذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه الأيسر، ويده اليمنى على فخذه الأيمن، وأشار بالسبابة، وكان لا ينصبها نصبًا، ولا ينيمها بل يحنيها شيئًا يسيرًا ويحركها، ويقبض الخنصر والبنصر، ويحلق الوسطى مع الإبهام ويرفع السبابة يدعو بها ويرمي ببصره إليها.

١٥- وكان يتشهد دائمًا في هذه الجلسة ويعلم أصحابه أن يقولوا: ((التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)) وكان يخففه جدًا كأنه يصلي على الرَّضف - وهي الحجارة المحماة - ثم كان ينهض مكبرًا على صدور قدميه وعلى ركبتيه معتمدًا على فخذيه، وكان يرفع يده في هذا الموضع، ثم يقرأ الفاتحة وحدها وربما قرأ في الركعتين الأخريين بشيء فوق الفاتحة.

١٦- وكان صلى الله عليه وسلم إذا جلس في التشهد الأخير، جلس متوركًا، وكان يفضي بوركه إلى الأرض، ويخرج قدمه من ناحية واحدة. [صحيح أبي داود].
ويجعل اليسرى تحت فخذه وساقه [م] وينصب اليمنى، وربما فرشها أحيانًا.
ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، وضم أصابعه الثلاث ونصب السبابة.
وكان يدعو في صلاته فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم)) [خ].
ثم كان يسلم عن يمينه: السلام عليكم ورحمة الله، وعن يساره كذلك.
١٧- وأمر المصلي أن يستتر ولو بسهم أو عصا، وكان يركز الحربة في السفر والبرية فيصلي إليها فتكون سترته.
وكان يعرض راحلته فيصلي إليها، وكان يأخذ الرَّحل فيعدله ويصلي إلى آخرته.
١٨- وكان إذا صلى إلى جدار جعل بينه وبينه قدر ممر الشاة، ولم يكن يتباعد منه، بل أمر بالقرب من السترة.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في أفعاله في الصَّلاةِ ..
١- لم يكن من هديه الالتفات في الصلاة، وكان يفعله أحيانًا لعارض.
٢- ولم يكن من هديه تغميض عينيه في الصلاة.
٣- وكان إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه، وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة أن يَشُقَّ على أمه.
٤- وكان يصلي الفرض وهو حامل أُمامة بنت ابنته على عاتقه، إذا قام حملها وإذا ركع وسجد وضعها.
٥- وكان يصلي فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهرَه، فيطيل السجدة كراهية أن يلقيه عن ظهره.
٦- وكان يصلي فتجيء عائشة فيمشي فيفتح لها الباب، ثم يرجع إلى مصلاه.
٧- وكان يرد السلام في الصلاة بالإشارة.
٨- وكان ينفخ في صلاته، وكان يبكي فيها، ويتنحنح لحاجة.
٩- وكان يصلي حافيًا تارة، ومنتعلاً أخرى، وأمر بالصلاة في النَّعل مخالفة لليهود.
١٠- وكان يصلي في الثوب الواحد تارةً وفي الثوبين تارةً وهو أكثر.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في أَفْعَالِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ:
١- كان إذا سَلَّمَ استغفر ثلاثًا، ثم قال: ((اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام))، ولم يمكث مستقبل القبلة إلا مقدار ما يقول ذلك، بل يسرع الانتقال إلى المأمومين، وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره.
٢- وكان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس.
٣- وكان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد)) [ق] ((ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)) [م].

٤- وندب أمته أن يقولوا دبر كل صلاة مكتوبة: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، وتمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

....

(١) ذكر المصنف في الزاد أنه: ((كان يجهر بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) تارة، ويخفيها أكثر مما يجهر بها)). والثابت عنه صلى الله عليه وسلم عدم الجهر بها كما عند البخاري ومسلم من حديث أنس.

((قلت)) الصواب ما ذكر أعلاه الجهر والإسرار ، وإن كان الإسرار هو الأكثر

٢٢. هديه صلى الله عليه وسلم في َقضَاءِ الْحَاجَةِ وَالطّهَارَةِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٦٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ

كَانَ إذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ : اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِث [ص ١٦٤] الشّيْطَانِ الرّجِيمِ . وَكَانَ إذَا خَرَجَ يَقُولُ : غُفْرَانَكَ وَكَانَ يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ تَارَةً وَيَسْتَجْمِرُ بِالْأَحْجَارِ تَارَةً وَيَجْمَعُ بَيْنَهُمَا تَارَةً . وَكَانَ إذَا ذَهَبَ فِي سَفَرِهِ لِلْحَاجَةِ انْطَلَقَ حَتّى يَتَوَارَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَرُبّمَا كَانَ يَبْعُدُ نَحْوَ الْمِيلَيْنِ . وَكَانَ يَسْتَتِرُ لِلْحَاجَةِ بِالْهَدَفِ تَارَةً وَبِحَائِشِ النّخْلِ تَارَةً وَبِشَجَرِ الْوَادِي تَارَةً . وَكَانَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَبُولَ فِي عَزَازٍ مِنْ الْأَرْضِ - وَهُوَ الْمَوْضِعُ الصّلْبُ - أَخَذَ عُودًا مِنْ الْأَرْضِ فَنَكّتَ بِهِ حَتّى يُثَرّى ثُمّ يَبُولُ

[هَلْ يَجُوزُ التّبَوّلُ قَائِمًا ؟]

وَكَانَ يَرْتَادُ لِبَوْلِهِ الْمَوْضِعَ الدّمِثَ - وَهُوَ اللّيّنُ الرّخْوُ مِنْ الْأَرْضِ - وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يَبُولُ وَهُوَ قَاعِدٌ حَتّى قَالَتْ عَائِشَةُ : مَنْ حَدّثَكُمْ أَنّهُ كَانَ يَبُولُ قَائِمًا فَلَا تُصَدّقُوهُ مَا كَانَ يَبُولُ إلّا قَاعِدًا وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ [ص ١٦٥] حُذَيْفَةَ أَنّهُ بَالَ قَائِمًا فَقِيلَ هَذَا بَيَانٌ لِلْجَوَازِ وَقِيلَ إنّمَا فَعَلَهُ مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِمَأْبِضَيْهِ . وَقِيلَ فَعَلَهُ اسْتِشْفَاءً . قَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ : وَالْعَرَبُ تَسْتَشْفِي مِنْ وَجَعِ الصّلْبِ بِالْبَوْلِ قَائِمًا وَالصّحِيحُ أَنّهُ إنّمَا فَعَلَ ذَلِكَ تَنَزّهًا وَبُعْدًا مِنْ إصَابَةِ الْبَوْلِ فَإِنّهُ إنّمَا فَعَلَ هَذَا لَمّا أَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ وَهُوَ مَلْقَى الْكُنَاسَةِ وَتُسَمّى الْمَزْبَلَةَ وَهِيَ تَكُونُ مُرْتَفِعَةً فَلَوْ بَالَ فِيهَا الرّجُلُ قَاعِدًا لَارْتَدّ عَلَيْهِ بَوْلُهُ وَهُوَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَتَرَ بِهَا وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَائِطِ فَلَمْ يَكُنْ بَدّ مِنْ بَوْلِهِ قَائِمًا وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ ذَكَرَ التّرْمِذِيّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ قَالَ رَآنِي النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا أَبُولُ قَائِمًا فَقَالَ : يَا عُمَرُ لَا تَبُلْ قَائِمًا قَالَ فَمَا بُلْت قَائِمًا بَعْدُ قَالَ التّرْمِذِيّ : وَإِنّمَا رَفَعَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْمُخَارِق وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ . وَفِي مُسْنَدِ الْبَزّارِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ بُرِيدة عَنْ أَبِيهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ : ثَلَاثٌ مِنْ الْجَفَاءِ : أَنْ يَبُولَ الرّجُلُ قَائِمًا أَوْ يَمْسَحَ جَبْهَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَوْ يَنْفُخَ فِي سُجُودِهِ وَرَوَاهُ التّرْمِذِيّ

وَقَالَ هُوَ غَيْرُ [ص ١٦٦] وَقَالَ الْبَزّارُ : لَا نَعْلَمُ مَنْ رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ بُرِيدة إلّا سَعِيدَ بْنَ عُبَيْدِ اللّهِ وَلَمْ يَجْرَحْهُ بِشَيْءٍ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : هُوَ بَصْرِيّ ثِقَةٌ مَشْهُورٌ . وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ الْخَلَاءِ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَكَانَ يَسْتَنْجِي وَيَسْتَجْمِرُ بِشِمَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ شَيْئًا مِمّا يَصْنَعُهُ الْمُبْتَلَوْنَ بِالْوَسْوَاسِ مِنْ نَتْرِ الذّكَرِ وَالنّحْنَحَةِ وَالْقَفْزِ وَمَسْكِ الْحَبْلِ وَطُلُوعِ الدّرَجِ وَحَشْوِ الْقُطْنِ فِي الْإِحْلِيلِ وَصَبّ الْمَاءِ فِيهِ وَتَفَقّدِهِ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ وَنَحْوِ

ذَلِكَ مِنْ بِدَعِ أَهْلِ الْوَسْوَاسِ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ إذَا بَالَ نَتَرَ ذَكَرَهُ ثَلَاثًا . وَرُوِيَ أَنّهُ أَمَرَ بِهِ وَلَكِنْ لَا يَصِحّ مِنْ فِعْلِهِ وَلَا أَمْرِهِ . قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعُقَيلِي . وَكَانَ إذَا سَلّمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يَبُولُ لَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَرَوَى الْبَزّارُ فِي مُسْنَدِهِ فِي هَذِهِ الْقِصّةِ أَنّهُ رَدّ عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ : إنّمَا رَدَدْتُ عَلَيْكَ خَشْيَةَ أَنْ تَقُولَ سَلّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيّ سَلَامًا فَإِذَا رَأَيْتَنِي هَكَذَا فَلَا تُسَلّمْ عَلَيّ فَإِنّي لَا أَرُدّ عَلَيْكَ السّلَامَ وَقَدْ قِيلَ لَعَلّ هَذَا كَانَ مَرّتَيْنِ وَقِيلَ حَدِيثُ مُسْلِمٍ أَصَحّ لِأَنّهُ مِنْ حَدِيثِ الضّحّاكِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَحَدِيثُ الْبَزّارِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنْهُ . قِيلَ وَأَبُو بَكْرٍ هَذَا : هُوَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ [ص ١٦٧] مَالِكٌ وَغَيْرُهُ وَالضّحّاكُ أَوْثَقُ مِنْهُ . وَكَانَ إذَا اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ ضَرَبَ يَدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ وَكَانَ إذَا جَلَسَ لِحَاجَتِهِ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتّى يَدْنُوَ مِنْ الْأَرْضِ .

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٨٤)

فُصُولٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعِبَادَاتِ

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْوُضُوءِ

كَانَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَوَضّأُ لِكُلّ صَلَاةٍ فِي غَالِبِ أَحْيَانِهِ وَرُبّمَا صَلّى الصّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ يَتَوَضّأُ بِالْمُدّ تَارَةً وَبِثُلُثَيْهِ تَارَةً وَبِأَزْيَدَ مِنْهُ تَارَةً وَذَلِكَ نَحْوُ أَرْبَعِ أَوَاقٍ بِالدّمَشْقِيّ إلَى أُوقِيّتَيْنِ وَثَلَاثٍ . وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ النّاسِ صَبّا لِمَاءِ الْوُضُوءِ وَكَانَ يُحَذّرُ أُمّتَهُ مِنْ الْإِسْرَافِ فِيهِ وَأَخْبَرَ أَنّهُ يَكُونُ فِي أُمّتِهِ مَنْ يَعْتَدِي فِي الطّهُورِ وَقَالَ إنّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلْهَانُ فَاتّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ . [ص ١٨٥] وَمَرّ عَلَى سَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضّأُ فَقَالَ لَهُ لَا تُسْرِفْ فِي الْمَاءِ فَقَالَ وَهَلْ فِي الْمَاءِ مِنْ إسْرَافٍ ؟ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ . وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ تَوَضّأَ مَرّةً مَرّةً وَمَرّتَيْنِ مَرّتَيْنِ وَثَلَاثًا ثَلَاثًا وَفِي بَعْضِ الْأَعْضَاءِ مَرّتَيْنِ وَبَعْضِهَا ثَلَاثًا .

[كَيْفِيّةُ الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ]

وَكَانَ يَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ تَارَةً بِغَرْفَةٍ وَتَارَةً بِغَرْفَتَيْنِ وَتَارَةً بِثَلَاثٍ . وَكَانَ يَصِلُ بَيْنَ الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ فَيَأْخُذُ نِصْفَ الْغَرْفَةِ لِفَمِهِ وَنِصْفَهَا لِأَنْفِهِ وَلَا يُمْكِنُ فِي الْغَرْفَةِ إلّا هَذَا وَأَمّا الْغَرْفَتَانِ وَالثّلَاثُ فَيُمْكِنُ فِيهِمَا الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ إلّا أَنّ هَدْيَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ الْوَصْلَ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفّ وَاحِدَةٍ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَفِي لَفْظٍ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ بِثَلَاثِ غَرَفَاتٍ فَهَذَا أَصَحّ مَا رُوِيَ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ وَلَمْ يَجِئْ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ الْبَتّةَ لَكِنْ فِي حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرّفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ رَأَيْتُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ وَلَكِنْ لَا يُرْوَى إلّا عَنْ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ وَلَا يُعْرَفُ لِجَدّهِ صُحْبَةٌ [ص ١٨٦]

[مَسْحُ الرّأْسِ]

وَكَانَ يَسْتَنْشِقُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَسْتَنْثِرُ بِالْيُسْرَى وَكَانَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ كُلّهُ وَتَارَةً يُقْبِلُ بِيَدَيْهِ وَيُدْبِرُ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ حَدِيثُ مَنْ قَالَ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مَرّتَيْنِ . وَالصّحِيحُ أَنّهُ لَمْ يُكَرّرْ مَسْحَ رَأْسِهِ بَلْ كَانَ إذَا كَرّرَ غَسْلَ الْأَعْضَاءِ أَفْرَدَ مَسْحَ الرّأْسِ هَكَذَا جَاءَ عَنْهُ صَرِيحًا وَلَمْ

يَصِحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خِلَافُهُ الْبَتّةَ بَلْ مَا عَدَا هَذَا إمّا صَحِيحٌ غَيْرُ صَرِيحٍ كَقَوْلِ الصّحَابِيّ تَوَضّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَكَقَوْلِهِ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مَرّتَيْنِ وَإِمّا صَرِيحٌ غَيْرُ صَحِيحٍ كَحَدِيثِ ابْنِ الْبَيْلَمَانِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ مَنْ تَوَضّأَ فَغَسَلَ كَفّيْهِ ثَلَاثًا ثُمّ قَالَ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ ثَلَاثًا وَهَذَا لَا يُحْتَجّ بِهِ وَابْنُ الْبَيْلَمَانِيّ وَأَبُوهُ مُضَعّفَانِ وَإِنْ كَانَ الْأَبُ أَحْسَنَ حَالًا وَكَحَدِيثِ عُثْمَانَ الّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَسَحَ رَأْسَهُ ثَلَاثًا وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ أَحَادِيثُ عُثْمَانَ الصّحَاحُ كُلّهَا تَدُلّ عَلَى أَنّ مَسْحَ الرّأْسِ مَرّةٌ وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ أَنّهُ اقْتَصَرَ عَلَى مَسْحِ بَعْضِ رَأْسِهِ الْبَتّةَ وَلَكِنْ كَانَ إذَا مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ كَمّلَ عَلَى الْعِمَامَةِ .

فَأَمّا حَدِيثُ أَنَسٍ الّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَوَضّأُ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ قِطْرِيّةٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْعِمَامَةِ فَمَسَحَ مُقَدّمَ رَأْسِهِ وَلَمْ يَنْقُضْ الْعِمَامَةَ فَهَذَا مَقْصُودُ أَنَسٍ بِهِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَنْقُضْ [ص ١٨٧] أَثْبَتَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَغَيْرُهُ فَسُكُوتُ أَنَسٍ عَنْهُ لَا يَدُلّ عَلَى نَفْيِهِ . وَلَمْ يَتَوَضّأْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنّهُ أَخَلّ بِهِ مَرّةً وَاحِدَةً وَكَذَلِكَ كَانَ وُضُوءُهُ مُرَتّبًا مُتَوَالِيًا لَمْ يُخِلّ بِهِ مَرّةً وَاحِدَةً الْبَتّةَ وَكَانَ يَمْسَحُ عَلَى رَأْسِهِ تَارَةً وَعَلَى الْعِمَامَةِ تَارَةً وَعَلَى النّاصِيَةِ وَالْعِمَامَةِ تَارَةً . وَأَمّا اقْتِصَارُهُ عَلَى النّاصِيَةِ مُجَرّدَةً فَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ كَمَا تَقَدّمَ . وَكَانَ يَغْسِلُ رِجْلَيْهِ إذَا لَمْ يَكُونَا فِي خُفّيْنِ وَلَا جَوْرَبَيْنِ وَيَمْسَحُ عَلَيْهِمَا إذَا كَانَا فِي الْخُفّيْنِ أَوْ الْجَوْرَبَيْنِ . وَكَانَ يَمْسَحُ أُذُنَيْهِ مَعَ رَأْسِهِ وَكَانَ يَمْسَحُ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ أَخَذَ لَهُمَا مَاءً جَدِيدًا وَإِنّمَا صَحّ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ .

وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ فِي مَسْحِ الْعُنُقِ حَدِيثٌ الْبَتّةَ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ [ص ١٨٨] يُقَالُ عَلَيْهِ فَكَذِبٌ مُخْتَلَقٌ لَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَيْئًا مِنْهُ وَلَا عَلّمَهُ لِأُمّتِهِ وَلَا ثَبَتَ عَنْهُ غَيْرُ التّسْمِيَةِ فِي أَوّلِهِ وَقَوْلُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللّهُمّ اجْعَلْنِي مِنْ التّوّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهّرِينَ فِي آخِرِهِ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي " سُنَنِ النّسَائِيّ " [ص ١٨٩] يُقَالُ بَعْدَ الْوُضُوءِ أَيْضًا : سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِك أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ يَقُولُ فِي أَوّلِهِ نَوَيْت رَفْعَ الْحَدَثِ وَلَا اسْتِبَاحَةَ الصّلَاةِ لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الْبَتّةَ وَلَمْ يُرْوَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ حَرْفٌ وَاحِدٌ لَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ وَلَمْ يَتَجَاوَزْ الثّلَاثَ قَطّ وَكَذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ تَجَاوَزَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ وَلَكِنْ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَيَتَأَوّلُ حَدِيثَ إطَالَةِ الْغُرّةِ . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صِفَةِ وُضُوءِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ حَتّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدَيْنِ وَرِجْلَيْهِ حَتّى أَشْرَعَ فِي السّاقَيْنِ فَهُوَ إنّمَا يَدُلّ [ص ١٩٠]

[حُكْمُ التّنْشِيفِ بَعْدَ الْوُضُوءِ]

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعْتَادُ تَنْشِيفَ أَعْضَائِهِ بَعْدَ الْوُضُوءِ وَلَا صَحّ عَنْهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ الْبَتّةَ بَلْ الّذِي صَحّ عَنْهُ خِلَافُهُ وَأَمّا حَدِيثُ عَائِشَةَ كَانَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خِرْقَةٌ يُنَشّفُ بِهَا بَعْدَ الْوُضُوءِ وَحَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : رَأَيْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا تَوَضّأَ مَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ فَضَعِيفَانِ لَا يُحْتَجّ بِمِثْلِهِمَا فِي الْأَوّلِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَرْقَمَ مَتْرُوكٌ وَفِي الثّانِي عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمَ

الْأَفْرِيقِيّ ضَعِيفٌ قَالَ التّرْمِذِيّ : وَلَا يَصِحّ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُصَبّ عَلَيْهِ الْمَاءُ كُلّمَا تَوَضّأَ وَلَكِنْ تَارَةً يَصُبّ عَلَى نَفْسِهِ وَرُبّمَا عَاوَنَهُ مَنْ يَصُبّ عَلَيْهِ أَحْيَانًا لِحَاجَةٍ كَمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنّهُ صَبّ عَلَيْهِ فِي السّفَرِ لَمّا تَوَضّأَ

[تَخْلِيلُ اللّحْيَةِ]

وَكَانَ يُخَلّلُ لِحْيَتَهُ أَحْيَانًا وَلَمْ يَكُنْ يُوَاظِبُ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ اخْتَلَفَ [ص ١٩١] فِيهِ فَصَحّحَ التّرْمِذِيّ وَغَيْرُهُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُخَلّلُ لِحْيَتَهُ وَقَالَ أَحْمَدُ وَأَبُو زُرْعَةَ لَا يَثْبُتُ فِي تَخْلِيلِ اللّحْيَةِ حَدِيثٌ .

[تَخْلِيلُ الْأَصَابِعِ]

وَكَذَلِكَ تَخْلِيلُ الْأَصَابِعِ لَمْ يَكُنْ يُحَافِظُ عَلَيْهِ وَفِي " السّنَنِ " عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدّادٍ : رَأَيْت النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا تَوَضّأَ يُدَلّكُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصَرِهِ وَهَذَا إنْ ثَبَتَ عَنْهُ فَإِنّمَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَحْيَانًا وَلِهَذَا لَمْ يَرْوِهِ الّذِينَ اعْتَنَوْا بِضَبْطِ وُضُوئِهِ كَعُثْمَانَ وَعَلِيّ وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ زَيْدٍ وَالرّبَيّعِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَنّ فِي إسْنَادِهِ عَبْدَ اللّهِ بْنَ لَهِيعَةَ .

[تَحْرِيكُ الْخَاتَمِ]

وَأَمّا تَحْرِيكُ خَاتَمِهِ فَقَدْ رُوِيَ فِيهِ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ مِنْ رِوَايَةِ مَعْمَرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا تَوَضّأَ حَرّكَ خَاتَمَهُ وَمَعْمَرٌ وَأَبُوهُ ضَعِيفَانِ ذَكَرَ ذَلِكَ الدّارَقُطْنِيّ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفّيْنِ

[ص ١٩٢] مَسَحَ فِي الْحَضَرِ وَالسّفَرِ وَلَمْ يُنْسَخْ ذَلِكَ حَتّى تُوُفّيَ وَوَقّتَ لِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَلِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ وَلَيَالِيَهُنّ فِي عِدّةِ أَحَادِيثَ حِسَانٍ وَصِحَاحٍ وَكَانَ يَمْسَحُ ظَاهِرَ الْخُفّيْنِ وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ مَسْحُ أَسْفَلِهِمَا إلّا فِي حَدِيثٍ مُنْقَطِعٍ . وَالْأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ عَلَى خِلَافِهِ وَمَسَحَ عَلَى الْجَوْرَبَيْنِ وَالنّعْلَيْنِ وَمَسَحَ عَلَى الْعِمَامَةِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهَا وَمَعَ النّاصِيَةِ وَثَبَتَ عَنْهُ ذَلِكَ فِعْلًا وَأَمْرًا فِي عِدّةِ أَحَادِيثَ لَكِنْ فِي قَضَايَا أَعْيَانٍ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ خَاصّةً بِحَالِ الْحَاجَةِ وَالضّرُورَةِ وَيُحْتَمَلُ الْعُمُومُ كَالْخُفّيْنِ وَهُوَ أَظْهَرُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلّفُ ضِدّ حَالِهِ الّتِي عَلَيْهَا قَدَمَاهُ بَلْ إنْ كَانَتَا فِي الْخُفّ مَسَحَ عَلَيْهِمَا وَلَمْ يَنْزِعْهُمَا وَإِنْ كَانَتَا مَكْشُوفَتَيْنِ غَسَلَ الْقَدَمَيْنِ وَلَمْ يَلْبَسْ الْخُفّ لِيَمْسَحَ عَلَيْهِ وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَفْضَلِ مِنْ الْمَسْحِ وَالْغَسْلِ قَالَهُ شَيْخُنَا ، وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي التّيَمّمِ

كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَيَمّمُ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ لِلْوَجْهِ وَالْكَفّيْنِ وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ أَنّهُ تَيَمّمَ بِضَرْبَتَيْنِ وَلَا إلَى الْمِرْفَقَيْنِ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مَنْ قَالَ إنّ التّيَمّمَ إلَى [ص ١٩٣] زَادَهُ مِنْ عِنْدِهِ . وَكَذَلِكَ كَانَ يَتَيَمّمُ بِالْأَرْضِ الّتِي يُصَلّي عَلَيْهَا تُرَابًا كَانَتْ أَوْ سَبْخَةً أَوْ رَمْلًا . وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْ رَجُلًا مِنْ أُمّتِي الصّلَاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَطَهُورُهُ وَهَذَا نَصّ صَرِيحٌ فِي أَنّ مَنْ أَدْرَكَتْهُ الصّلَاةُ فِي الرّمْلِ فَالرّمْلُ لَهُ طَهُورٌ . وَلَمّا سَافَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَطَعُوا تِلْكَ الرّمَالَ فِي طَرِيقِهِمْ وَمَاؤُهُمْ فِي غَايَةِ الْقِلّةِ وَلَمْ يُرْوَ عَنْهُ أَنّهُ حَمَلَ مَعَهُ التّرَابَ وَلَا أَمَرَ بِهِ وَلَا فَعَلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَ الْقَطْعِ بِأَنّ فِي الْمَفَاوِزِ الرّمَالَ أَكْثَرُ مِنْ التّرَابِ وَكَذَلِكَ أَرْضُ الْحِجَازِ وَغَيْرِهِ وَمَنْ تَدَبّرَ هَذَا قَطَعَ بِأَنّهُ كَانَ يَتَيَمّمُ بِالرّمْلِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ . وَأَمّا مَا ذُكِرَ فِي صِفَةِ التّيَمّمِ

مِنْ وَضْعِ بُطُونِ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُسْرَى عَلَى ظُهُورِ الْيُمْنَى ثُمّ إمْرَارِهَا إلَى الْمِرْفَقِ ثُمّ إدَارَةِ بَطْنِ كَفّهِ عَلَى بَطْنِ الذّرَاعِ وَإِقَامَةِ إبْهَامِهِ الْيُسْرَى كَالْمُؤَذّنِ إلَى أَنْ يَصِلَ إلَى إبْهَامِهِ الْيُمْنَى فَيُطْبِقُهَا عَلَيْهَا فَهَذَا مِمّا يُعْلَمُ قَطْعًا أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَفْعَلْهُ وَلَا عَلّمَهُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَمَرَ بِهِ وَلَا اسْتَحْسَنَهُ وَهَذَا هَدْيُهُ إلَيْهِ التّحَاكُمُ وَكَذَلِكَ لَمْ يَصِحّ عَنْهُ التّيَمّمُ لِكُلّ صَلَاةٍ وَلَا أَمَرَ بِهِ بَلْ أَطْلَقَ التّيَمّمَ وَجَعَلَهُ قَائِمًا مَقَامَ الْوُضُوءِ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ [ص ١٩٤]

* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في قَضَاءِ الْحَاجَةِ:

١- كان إذا دخل الخلاء قال: ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) [ق]، وإذا خرج يقول: ((غفرانك)) [صحيح الترمذي].

٢- وكان أكثر ما يبول وهو قاعد.

٣- وكان يستنجي بالماء تارةً، ويستجمر بالأحجار تارةً، ويجمع بينهما تارةً.

٤- وكان يستنجي ويستجمر بشماله.

٥- وكان إذا استنجى بالماء ضرب يده بعد ذلك على الأرض.

٦- وكان إذا ذهب في سفره للحاجة انطلق حتى يتوارى عن أصحابه.

٧- وكان يستتر بالهدف تارةً وبحائش النخل تارة، وبشجر الوادي تارةً.

٨- وكان يرتاد لبوله الموضعَ الدَّمِث اللين الرخو - من الأرض -.

٩- وكان إذا جلس لحاجته لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض.

١٠- وكان إذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليه.

* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْوُضُوءِ:

١- كان يتوضأ لكل صلاة في غالب أحيانه، وربما صلى الصلوات بوضوء واحد.

٢- وكان يتوضأ بالمُدِّ تارةً، وبثلثيه تارةً، وبأزيد منه تارةً.

٣- وكان من أيسر الناس صبًّا لماء الوضوء ويحذر أمته من الإسراف فيه.

٤- وكان يتوضأ مرة مرة، ومرتين مرتين، وثلاثًا ثلاثًا، وفي بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثًا، ولم يتجاوز الثلاث قطُّ.

٥- وكان يتمضمض ويستنشق تارةً بغَرفة، وتارةً بغَرفتين، وتارةً بثلاث، وكان يصل بين المضمضة والاستنشاق.

٦- وكان يستنشق باليمين ويستنثر باليسرى.

٧- ولم يتوضأ إلا تمضمض واستنشق.

٨- وكان يمسح رأسهُ كلَّه، وتارةً يقبل بيديه ويدبر.

٩- وكان إذا مسح على ناصيته كَمَّلَ على العمامة.

١٠- وكان يمسح أذنيه - ظاهرهما وباطنهما - مع رأسه.

١١- وكان يغسل رجليه إذا لم يكونا في خفين ولا جوربين.

١٢- وكان وضوؤه مرتبًا متواليًا ولم يُخِل به مرة واحدة.

١٣- وكان يبدأ وضوءه بالتسمية، ويقول في آخره: ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهرين)) [صحيح الترمذي]، ويقول: ((سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)) [صحيح النسائي].

١٤ـ ولم يقل في أوله: نويت رفع الحدث ولا استباحة الصلاة لا هو ولا أحد من أصحابه البتة.
١٥ـ ولم يكن يتجاوز المرفقين والكعبين.
١٦ـ ولم يكن يعتاد تنشيف أعضائه.
١٧ـ وكان يخلل لحيته أحيانًا، ولم يواظب على ذلك.
١٨ـ وكان يخلل بين الأصابع ولم يكن يحافظ على ذلك.
١٩ـ ولم يكن من هديه أن يُصبَّ عليه الماء كلما توضأ، ولكن تارة يصب على نفسه، وربما عاونه من يصب عليه أحيانًا لحاجة.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنْ:
١ـ صح عنه أنه مسح في الحضر والسفر، وَوَقَّتَ للمقيم يومًا وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن.
٢ـ وكان يمسح ظاهر الخفين، ومسح على الجوربين، ومسح على العمامة مقتصرًا عليها، ومع الناصية.
٣ـ ولم يكن يتكلف ضد الحالة التي عليها قدماه، بل إن كانتا في الخفين مسح، وإن كانتا مكشوفتين غسل.
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي التَّيَمُّم:
١ـ كان يتيمم بالأرض التي يصلي عليها ترابًا كانت أو سبخة أو رملاً، ويقول: ((حيثما أدركت رجلاً من أمتي الصلاةُ فعنده مسجدُهُ وطهورُهُ)) [صحيح ـ الإرواء].
٢ـ ولم يكن يحمل التراب في السفر الطويل، ولا أمر به.
٣ـ ولم يصح عنه التيمم لكل صلاة، ولا أمر به، بل أطلق التيمم وجعله قائمًا مقام الوضوء.
٤ـ وكان يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين.

٢٣. هديه صلى الله عليه وسلم في قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٦٣)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَاسْتِمَاعِهِ وَخُشُوعِهِ وَبُكَائِهِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ وَاسْتِمَاعِهِ وَتَحْسِينِ صَوْتِهِ بِهِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ كَانَ لَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِزْبٌ يَقْرَؤُهُ وَلَا يُخِلّ بِهِ وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ تَرْتِيلًا لَا هَذًا وَلَا عَجَلَةً بَلْ قِرَاءَةً مُفَسّرَةً حَرْفًا حَرْفًا . وَكَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً وَكَانَ يَمُدّ عِنْدَ حُرُوفِ الْمَدّ فَيَمُدّ الرّحْمَنَ وَيَمُدّ الرّحِيمَ وَكَانَ يَسْتَعِيذُ بِاَللّهِ مِنْ الشّيْطَانِ [ص ٤٦٤] قِرَاءَتِهِ فَيَقُولُ " أَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ " وَرُبّمَا كَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَكَانَ تَعَوّذُهُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ . وَكَانَ يُحِبّ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَمَرَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ . وَخَشَعَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ حَتّى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ . وَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمُتَوَضّئًا وَمُحْدِثًا وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قِرَاءَتِهِ إلّا الْجَنَابَةُ . وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَغَنّى بِهِ وَيُرَجّعُ صَوْتَهُ بِهِ أَحْيَانًا كَمَا رَجّعَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي قِرَاءَتِهِ { إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } وَحَكَى عَبْدُ اللّهِ بْنُ مُغَفّلٍ تَرْجِيعَهُ آ آ آ ثَلَاثَ مَرّاتٍ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ . وَإِذَا جُمِعَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ إلَى قَوْلِهِ زَيّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ وَقَوْلِهِ [ص

٤٦٥] لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يَتَغَنّ بِالْقُرْآن وَقَوْلِهِ مَا أَذِنَ اللّهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيّ حَسَنِ الصّوْتِ يَتَغَنّى بِالْقُرْآنِ عَلِمْت أَنّ هَذَا التّرْجِيعَ مِنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا لِهَزّ النّاقَةِ لَهُ فَإِنّ هَذَا لَوْ كَانَ لِأَجْلِ هَزّ النّاقَةِ لَمَا كَانَ دَاخِلًا تَحْتَ الِاخْتِيَارِ فَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مُغَفّلٍ يَحْكِيهِ وَيَفْعَلُهُ اخْتِيَارًا لِيُؤْتَسَى بِهِ وَهُوَ يَرَى هَزّ الرّاحِلَةِ لَهُ حَتّى يَنْقَطِعَ صَوْتُهُ ثُمّ يَقُولُ كَانَ يُرَجّعُ فِي قِرَاءَتِهِ فَنُسِبَ التّرْجِيعُ إلَى فِعْلِهِ . وَلَوْ كَانَ مِنْ هَزّ الرّاحِلَةِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِعْلٌ يُسَمّى تَرْجِيعًا . وَقَدْ اسْتَمَعَ لَيْلَةً لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي ّ فَلَمّا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنّك تَسْمَعُهُ لَحَبّرْته لَكَ تَحْبِيرًا أَيْ حَسّنْته وَزَيّنْته بِصَوْتِي تَزْيِينًا [ص ٤٦٦] أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ عَبْدِ الْجَبّارِ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ : مَرّ بِنَا أَبُو لُبَابَةَ فَاتّبَعْنَاهُ حَتّى دَخَلَ بَيْتَهُ فَإِذَا رَجُلٌ رَثّ الْهَيْئَةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يَتَغَنّ بِالْقُرْآنِ . قَالَ فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ يَا أَبَا مُحَمّدٍ أَرَأَيْتَ إذَا لَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصّوْتِ قَالَ يُحَسّنُهُ مَا استطاع

١ـ كان له حزب يقرؤه ولا يَخِلُّ به.

٢ـ وكانت قراءته ترتيلاً، لا هَذًّا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا.

٣ـ وكان يُقَطِّع قراءته ويقف عند كل آية، وكان يرتل السورة حتى تكون أطولَ من أطولِ منها.

٤ـ وكان يمد عند حروف المد، فيمد {الرَّحْمَن}، ويمد {الرَّحِيم}.

٥ـ وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته فيقول: ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))، وربما كان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)) [صحيح الكلم].

٦ـ وكان يقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومتوضئًا ومحدثًا، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة(١).

٧ـ وكان يتغنى بالقرآن، ويقول: ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) [خ]، وقال: ((زينوا القرآن بأصواتكم)) [صحيح أبي داود].

٨ـ وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره.

٩ـ وكان إذا مر بآية سجدة كَبَّرَ وَسَجَدَ، وربما قال في سجوده: ((سجد وجهي للذي خلقه وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سمعَه وبصرَه بحوله وقوته)) [صحيح النسائي]، وربما قال: ((اللهم احطط عني بها وزرًا، واكتب لي بها أجرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود)) [صحيح الترمذي]، ولم ينقل عنه أنه كان يكبر للرفع من هذا السجود، ولا تشهد ولا سلم البتة.

....

(١) ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله حديث: ((كان لا يحجبه عن القرآن شيء ليس الجنابة)) لاختلاط أحد رواته، وكذا ضعفه الشافعي وأحمد والبيهقي والخطابي. وقال الحافظ في الفتح: ((وضعف بعضهم بعض رواته، والحق أنه من قبيل الحسن يصلح للحجة)). وصح عند مسلم من حديث عائشة: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه)).

٢٤. هديه صلى الله عليه وسلم في بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَتَعَامُلَاتِهِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٥٩)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مُعَامَلَتِهِ
[السّلَفِ فِي الْعُقُودِ]
كَانَ أَحْسَنَ النّاسِ مُعَامَلَةً . وَكَانَ إذَا اسْتَسْلَفَ سَلَفًا قَضَى خَيْرًا مِنْهُ . وَكَانَ إذَا اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ سَلَفًا قَضَاهُ إيّاهُ وَدَعَا لَهُ فَقَالَ : بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِك إنّمَا جَزَاءُ السّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ وَاسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ أَرْبَعِينَ صَاعًا فَاحْتَاجَ الْأَنْصَارِيّ فَأَتَاهُ فَقَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : مَا جَاءَنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ فَقَالَ الرّجُلُ وَأَرَادَ أَنْ يَتَكَلّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : لَا تَقُلْ إلّا خَيْرًا فَأَنَا خَيْرُ مَنْ تَسَلّفَ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ فَضْلًا وَأَرْبَعِينَ سُلْفَةً فَأَعْطَاهُ ثَمَانِينَ ذَكَرَهُ الْبَزّارُ . وَاقْتَرَضَ بَعِيرًا فَجَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَهَمّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ : دَعُوهُ فَإِنّ لِصَاحِبِ الْحَقّ مَقَالًا [ص ١٦٠] وَاشْتَرَى مَرّةً شَيْئًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ ثَمَنُهُ فَأُرْبِحَ فِيهِ فَبَاعَهُ وَتَصَدّقَ بِالرّبْحِ عَلَى أَرَامِلِ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ وَقَالَ : لَا أَشْتَرِي بَعْدَ هَذَا شَيْئًا إلّا وَعِنْدِي ثَمَنُهُ ذَكَرَهُ أَبُو دَاود وَهَذَا لَا يُنَاقِضُ الشّرَاءَ فِي الذّمّةِ إلَى أَجَلٍ فَهَذَا شَيْءٌ وَهَذَا شَيْءٌ . وَتَقَاضَاهُ غَرِيمٌ لَهُ دَيْنًا فَأَغْلَظَ عَلَيْهِ فَهَمّ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ فَقَالَ : مَهْ يَا عُمَرُ كُنْت أَحْوَجَ إلَى أَنْ تَأْمُرَنِي بِالْوَفَاءِ . وَكَانَ أَحْوَجَ إلَى أَنْ تَأْمُرَهُ بِالصّبْرِ وَبَاعَهُ يَهُودِيّ بَيْعًا إلَى أَجَلٍ فَجَاءَهُ قَبْلَ الْأَجَلِ يَتَقَاضَاهُ ثَمَنَهُ فَقَالَ : لَمْ يَحِلْ الْأَجَلُ فَقَالَ الْيَهُودِيّ : إنّكُمْ لَمُطُلٌ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَهَمّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَنَهَاهُمْ فَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إلّا حِلْمًا فَقَالَ الْيَهُودِيّ : كُلّ شَيْءٍ مِنْهُ قَدْ عَرَفْته مِنْ عَلَامَاتِ النّبُوّةِ وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ أَنّهُ لَا تَزِيدُهُ شِدّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إلّا حِلْمًا فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَهَا فَأَسْلَمَ الْيَهُودِيّ [ص ١٦١]
زاد المعاد - (ج ٥ / ص ٦٦٠)
ذِكْرُ أَحْكَامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْبُيُوعِ
ذِكْرُ حُكْمِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَا يَحْرُمُ بَيْعُه
ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " : مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أَنّهُ سَمِعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ إنّ اللّهَ وَرَسُولَهُ حَرّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْت شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنّهَا يُطْلَى بِهَا السّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النّاسُ ؟ فَقَالَ " لَا هُوَ حَرَامٌ " ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللّهُ الْيَهُودَ إنّ اللّهَ لَمّا حَرّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا جَمّلُوهُ ثُمّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ [ص ٦٦١] ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ بَلَغَ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ سَمُرَةَ بَاعَ خَمْرًا فَقَالَ قَاتَلَ اللّهُ سَمُرَةَ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَعَنَ اللّهُ الْيَهُودَ حُرّمَتْ عَلَيْهِمْ الشّحُومُ فَجَمّلُوهَا فَبَاعُوهَا فَهَذَا مِنْ " مُسْنَدِ عُمَرَ " رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ وَالْحَاكِمُ فِي " مُسْتَدْرَكِهِ " فَجَعَلَاهُ مِنْ " مُسْنَدِ ابْنِ عَبّاسٍ " وَفِيهِ زِيَادَةٌ وَلَفْظُهُ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمَسْجِدِ يَعْنِي الْحَرَامَ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إلَى السّمَاءِ فَتَبَسّمَ فَقَالَ لَعَنَ اللّهُ الْيَهُودَ لَعَنَ اللّهُ الْيَهُودَ لَعَنَ اللّهُ الْيَهُودَ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ حَرّمَ عَلَيْهِمْ الشّحُومَ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا إنّ اللّهَ إذَا حَرّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ فَإِنّ الْبَيْهَقِيّ رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَبْدَانَ عَنْ الصّفّارِ عَنْ إسْمَاعِيلَ الْقَاضِي حَدّثَنَا مُسَدّدٌ حَدّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضّلِ حَدّثَنَا خَالِدٌ الْحَذّاءُ

عَنْ بَرَكَةَ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ . نَحْوُهُ دُونَ قَوْلِهِ إنّ اللّهَ إذَا حَرّمَ أَكْلَ شَيْءٍ حَرّمَ ثَمَنَهُ

[أَجْنَاسُ الْمُحَرّمَاتِ]

فَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْجَوَامِعُ عَلَى تَحْرِيمِ ثَلَاثَةِ أَجْنَاسٍ مَشَارِبَ تُفْسِدُ الْعُقُولَ وَمَطَاعِمَ تُفْسِدُ الطّبَاعَ وَتُغَذّي غِذَاءً خَبِيثًا ؟ وَأَعْيَانٍ تُفْسِدُ الْأَدْيَانَ وَتَدْعُو إلَى الْفِتْنَةِ وَالشّرْكِ . [ص ٦٦٢] عَمّا يُزِيلُهَا وَيُفْسِدُهَا وَبِالثّانِي : الْقُلُوبَ عَمّا يُفْسِدُهَا مِنْ وُصُولِ أَثَرِ الْغِذَاءِ الْخَبِيثِ إلَيْهَا وَالْغَاذِي شَبِيهٌ بِالْمُغْتَذِي وَبِالثّالِثِ الْأَدْيَانُ عَمّا وُضِعَ لِإِفْسَادِهَا . فَتَضَمّنَ هَذَا التّحْرِيمُ صِيَانَةَ الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ وَالْأَدْيَانِ . وَلَكِنّ الشّأْنَ فِي مَعْرِفَةِ حُدُودِ كَلَامِهِ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ وَمَا يَدْخُلُ فِيهِ وَمَا لَا يَدْخُلُ فِيهِ لِتَسْتَبِينَ عُمُومُ كَلِمَاتِهِ وَجَمْعُهَا وَتَنَاوُلُهَا لِجَمِيعِ الْأَنْوَاعِ الّتِي شَمِلَهَا عُمُومُ كَلِمَاتِهِ وَتَأْوِيلُهَا بِجَمِيعِ الْأَنْوَاعِ الّتِي شَمِلَهَا عُمُومُ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَهَذِهِ خَاصّيّةُ الْفَهْمِ عَنْ اللّهِ وَرَسُولِهِ الّتِي تَفَاوَتَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ وَيُؤْتِيهِ اللّهُ مَنْ يَشَاءُ .

[تَحْرُمُ بَيْعُ الْخَمْرِ]

فَأَمّا تَحْرِيمُ بَيْعِ الْخَمْرِ فَيَدْخُلُ فِيهِ تَحْرِيمُ بَيْعِ كُلّ مُسْكِرٍ مَائِعًا كَانَ أَوْ جَامِدًا عَصِيرًا أَوْ مَطْبُوخًا فَيَدْخُلُ فِيهِ عَصِيرُ الْعِنَبِ وَخَمْرُ الزّبِيبِ وَالتّمْرِ وَالذّرَةِ وَالشّعِيرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَاللّقْمَةُ الْمَلْعُونَةُ لُقْمَةُ الْفِسْقِ وَالْقَلْبِ الّتِي تُحَرّكُ الْقَلْبَ السّاكِنَ إلَى أَخْبَثِ الْأَمَاكِنِ فَإِنّ هَذَا كُلّهُ خَمْرٌ بِنَصّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّحِيحِ الصّرِيحِ الّذِي لَا مَطْعَنَ فِي سَنَدِهِ وَلَا إجْمَالَ فِي مَتْنِهِ إذْ صَحّ عَنْهُ قَوْلُهُ كُلّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَصَحّ عَنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ الّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ الْأُمّةِ بِخِطَابِهِ وَمُرَادِهِ أَنّ الْخَمْرَ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ فَدُخُولُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ تَحْتَ اسْمِ الْخَمْرِ كَدُخُولِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الذّهَبِ وَالْفِضّةِ وَالْبُرّ وَالشّعِيرِ وَالتّمْرِ وَالزّبِيبِ تَحْتَ قَوْلِهِ لَا تَبِيعُوا الذّهَبَ بِالذّهَبِ وَالْفِضّةَ بِالْفِضّةِ وَالْبُرّ بِالْبُرّ وَالشّعِيرَ بِالشّعِيرِ وَالتّمْرَ بِالتّمْرِ وَالْمِلْحَ بِالْمِلْحِ إلّا مِثْلًا بِمِثْلٍ [ص ٦٦٣] فَكَمَا لَا يَجُوزُ إخْرَاجُ صِنْفٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ عَنْ تَنَاوُلِ اسْمِهِ لَهُ فَهَكَذَا لَا يَجُوزُ إخْرَاجُ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْمُسْكِرِ عَنْ اسْمِ الْخَمْرِ فَإِنّهُ يَتَضَمّنُ مَحْذُورَيْنِ . أَحَدُهُمَا : أَنْ يُخْرَجَ مِنْ كَلَامِهِ مَا قَصَدَ دُخُولَهُ فِيهِ . وَالثّانِي : أَنْ يُشْرَعَ لِذَلِكَ النّوْعِ الّذِي أُخْرِجَ حُكْمٌ غَيْرُ حُكْمِهِ فَيَكُونُ تَغْيِيرًا لِأَلْفَاظِ الشّارِعِ وَمَعَانِيهِ فَإِنّهُ إذَا سَمّى ذَلِكَ النّوْعَ بِغَيْرِ الِاسْمِ الّذِي سَمّاهُ بِهِ الشّارِعُ أَزَالَ عَنْهُ حُكْمَ ذَلِكَ الْمُسَمّى وَأَعْطَاهُ حُكْمًا آخَرَ . وَلَمّا عَلِمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أُمّتِهِ مَنْ يُبْتَلَى بِهَذَا كَمَا قَالَ لَيَشْرَبَنّ نَاسٌ مِنْ أُمّتِي الْخَمْرَ يُسَمّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا قَضَى قَضِيّةً كُلّيّةً عَامّةً لَا يَتَطَرّقُ إلَيْهَا إجْمَالٌ وَلَا احْتِمَالٌ بَلْ هِيَ شَافِيَةٌ كَافِيَةٌ فَقَالَ كُلّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ هَذَا وَلَوْ أَنّ أَبَا عُبَيْدَةَ وَالْخَلِيلَ وَأَضْرَابَهُمَا مِنْ أَئِمّةِ اللّغَةِ ذَكَرُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ هَكَذَا لَقَالُوا : قَدْ نَصّ أَئِمّةُ اللّغَةِ عَلَى [ص ٦٦٤] كُلّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَقَوْلُهُمْ حُجّةٌ وَسَيَأْتِي إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ هَدْيِهِ فِي الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ مَزِيدُ تَقْرِيرٍ لِهَذَا وَأَنّهُ لَوْ لَمْ يَتَنَاوَلْهُ لَفْظُهُ لَكَانَ الْقِيَاسُ الصّرِيحُ الّذِي اسْتَوَى فِيهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ مِنْ كُلّ وَجْهٍ حَاكِمًا بِالتّسْوِيَةِ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُسْكِرِ فِي تَحْرِيمِ الْبَيْعِ وَالشّرْبِ فَالتّفْرِيقُ بَيْنَ نَوْعٍ وَنَوْعٍ تَفْرِيقٌ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ .

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ بَيْعِ الْمَيْتَةِ]

[تَحْرِيمُ بَيْعِ شَحْمِ الْمَيْتَةِ]

وَأَمّا تَحْرِيمُ بَيْعِ الْمَيْتَةِ فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلّ مَا يُسَمّى مَيْتَةً سَوَاءٌ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ أَوْ ذُكّيَ ذَكَاةً لَا تُفِيدُ حِلّهُ . وَيَدْخُلُ فِيهِ أَبْعَاضُهَا أَيْضًا وَلِهَذَا اسْتَشْكَلَ الصّحَابَةُ رَضِيَ اللّه عَنْهُمْ تَحْرِيمَ بَيْعِ الشّحْمِ مَعَ مَا لَهُمْ فِيهِ مِنْ الْمَنْفَعَةِ فَأَخْبَرَهُمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ حَرَامٌ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا ذَكَرُوا مِنْ الْمَنْفَعَةِ وَهَذَا مَوْضِعٌ اخْتَلَفَ النّاسُ فِيهِ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي فَهْمِ مُرَادِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ أَنّ قَوْلَهُ لَا هُوَ حَرَامٌ هَلْ هُوَ عَائِدٌ إلَى الْبَيْعِ أَوْ عَائِدٌ إلَى الْأَفْعَالِ الّتِي سَأَلُوا عَنْهَا ؟ فَقَالَ شَيْخُنَا : هُوَ رَاجِعٌ إلَى الْبَيْعِ فَإِنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا أَخْبَرَهُمْ أَنّ اللّهَ حَرّمَ بَيْعَ الْمَيْتَةِ قَالُوا : إنّ فِي شُحُومِهَا مِنْ الْمَنَافِعِ كَذَا وَكَذَا يَعْنُونَ فَهَلْ ذَلِكَ مُسَوّغٌ لِبَيْعِهَا ؟ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ قُلْت : كَأَنّهُمْ طَلَبُوا تَخْصِيصَ الشّحُومِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَيْتَةِ بِالْجَوَازِ كَمَا طَلَبَ الْعَبّاسُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ تَخْصِيصَ الْإِذْخِرِ مِنْ جُمْلَةِ تَحْرِيمِ نَبَاتِ الْحَرَمِ بِالْجَوَازِ فَلَمْ يُجِبْهُمْ إلَى ذَلِكَ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ وَقَالَ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ التّحْرِيمُ عَائِدٌ إلَى الْأَفْعَالِ الْمَسْئُولِ عَنْهَا وَقَالَ هُوَ حَرَامٌ وَلَمْ يَقُلْ هِيَ لِأَنّهُ أَرَادَ الْمَذْكُورَ جَمِيعَهُ وَيُرَجّحُ قَوْلَهُمْ عَوْدُ الضّمِيرِ إلَى أَقْرَبِ مَذْكُورٍ وَيُرَجّحُهُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَنّ إبَاحَةَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ [ص ٦٦٥] ذَرِيعَةٌ إلَى اقْتِنَاءِ الشّحُومِ وَبَيْعِهَا وَيُرَجّحُهُ أَيْضًا : أَنّ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ فَقَالَ لَا هِيَ حَرَامٌ وَهَذَا الضّمِيرُ إمّا أَنْ يَرْجِعَ إلَى الشّحُومِ وَإِمّا إلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَعَلَى التّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ حُجّةٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَفْعَالِ الّتِي سَأَلُوا عَنْهَا . وَيُرَجّحُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي الْفَأْرَةِ الّتِي وَقَعَتْ فِي السّمْنِ إنْ كَانَ جَامِدًا فَأَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا وَكُلُوهُ وَإِنْ كَانَ مَائِعًا فَلَا تَقْرَبُوهُ وَفِي الِانْتِفَاعِ بِهِ فِي الِاسْتِصْبَاحِ وَغَيْرِهِ قُرْبَانٌ لَهُ . وَمَنْ رَجّحَ الْأَوّلَ يَقُولُ ثَبَتَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إنّمَا حَرُمَ مِنْ الْمَيْتَةِ أَكْلُهَا وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنّهُ لَا يَحْرُمُ الِانْتِفَاعُ بِهَا فِي غَيْرِ أَكْلٍ كَالْوَقِيدِ وَسَدّ الْبُثُوقِ وَنَحْوِهِمَا . قَالُوا : وَالْخَبِيثُ إنّمَا تَحْرُمُ مُلَابَسَتُهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَالْأَكْلِ وَاللّبْسِ وَأَمّا الِانْتِفَاعُ بِهِ مِنْ غَيْرِ مُلَابَسَةٍ فَلِأَيّ شَيْءٍ يَحْرُمُ ؟ قَالُوا : وَمَنْ تَأَمّلَ سِيَاقَ حَدِيثِ جَابِرٍ عَلِمَ أَنّ السّؤَالَ إنّمَا كَانَ مِنْهُمْ عَنْ الْبَيْعِ وَأَنّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُرَخّصَ لَهُمْ فِي بَيْعِ الشّحُومِ لِمَا فِيهَا مِنْ الْمَنَافِعِ فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ هُوَ حَرَامٌ فَإِنّهُمْ لَوْ سَأَلُوهُ عَنْ حُكْمِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ لَقَالُوا : أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَسْتَصْبِحَ بِهَا النّاسُ وَتُدْهَنَ بِهَا الْجُلُودُ ؟ وَلَمْ يَقُولُوا : فَإِنّهُ يَفْعَلُ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَإِنّ هَذَا إخْبَارٌ مِنْهُمْ لَا سُؤَالٌ وَهُمْ لَمْ يُخْبِرُوهُ بِذَلِكَ عَقِيبَ تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ عَلَيْهِمْ لِيَكُونَ قَوْلُهُ " لَا هُوَ حَرَامٌ " صَرِيحًا فِي تَحْرِيمِهَا وَإِنّمَا أَخْبَرُوهُ بِهِ عَقِيبَ تَحْرِيمِ بَيْعِ الْمَيْتَةِ فَكَأَنّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُرَخّصَ لَهُمْ فِي بَيْعِ الشّحُومِ لِهَذِهِ الْمَنَافِعِ الّتِي ذَكَرُوهَا فَلَمْ يَفْعَلْ . وَنِهَايَةُ الْأَمْرِ أَنّ الْحَدِيثَ يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ فَلَا يَحْرُمُ مَا لَمْ يَعْلَمْ أَنّ اللّهَ وَرَسُولَهُ حَرّمَهُ . قَالُوا : وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ نَهَاهُمْ عَنْ الِاسْتِسْقَاءِ مِنْ آبَارِ ثَمُودَ وَأَبَاحَ لَهُمْ أَنْ [ص ٦٦٦] قَالُوا : وَمَعْلُومٌ أَنّ إيقَادَ النّجَاسَةِ وَالِاسْتِصْبَاحَ بِهَا انْتِفَاعٌ خَالٍ عَنْ هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ وَعَنْ مُلَابَسَتِهَا بَاطِنًا وَظَاهِرًا فَهُوَ نَفْعٌ مَحْضٌ لَا مَفْسَدَةَ فِيهِ . وَمَا كَانَ هَكَذَا فَالشّرِيعَةُ لَا تُحَرّمُهُ فَإِنّ الشّرِيعَةَ إنّمَا تُحَرّمُ الْمَفَاسِدَ الْخَالِصَةَ أَوْ الرّاجِحَةَ وَطُرُقَهَا وَأَسْبَابَهَا الْمُوَصّلَةَ إلَيْهَا . قَالُوا : وَقَدْ أَجَازَ أَحْمَدُ فِي إحْدَى الرّوَايَتَيْنِ الِاسْتِصْبَاحَ بِشُحُومِ الْمَيْتَةِ إذَا خَالَطَتْ دُهْنًا طَاهِرًا فَإِنّهُ فِي أَكْثَرِ الرّوَايَاتِ عَنْهُ يَجُوزُ الِاسْتِصْبَاحُ بِالزّيْتِ النّجِسِ وَطَلْيُ السّفُنِ بِهِ وَهُوَ اخْتِيَارُ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ الشّيْخُ أَبُو مُحَمّدٍ وَغَيْرُهُ وَاحْتَجّ بِأَنّ ابْنَ عُمَرَ أَمَرَ أَنْ يُسْتَصْبَحَ

بِهِ . وَقَالَ فِي رِوَايَةِ ابْنَيْهِ صَالِحٍ وَعَبْدِ اللَّهِ لَا يُعْجِبُنِي بَيْعُ النَّجِسِ وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ إذَا لَمْ يَمَسُّوهُ لِأَنَّهُ نَجِسٌ وَهَذَا يَعُمُّ النَّجِسَ وَالْمُتَنَجِّسُ وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ إنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْمُتَنَجِّسَ فَهُوَ صَرِيحٌ فِي الْقَوْلِ بِجَوَازِ الِاسْتِصْبَاحِ بِمَا خَالَطَهُ نَجَاسَةُ مَيْتَةٍ أَوْ غَيْرُهَا وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الِاسْتِصْبَاحِ بِشَحْمِ الْمَيْتَةِ إذَا كَانَ مُنْفَرِدًا وَبَيْنَ الِاسْتِصْبَاحِ بِهِ إذَا خَالَطَهُ دُهْنٌ طَاهِرٌ فَنَجَّسَهُ ؟ فَإِنْ قِيلَ إذَا كَانَ مُفْرَدًا فَهُوَ نَجِسُ الْعَيْنِ وَإِذَا خَالَطَهُ غَيْرُهُ تَنَجَّسَ بِهِ فَأَمْكَنَ تَطْهِيرُهُ بِالْغُسْلِ فَصَارَ كَالثَّوْبِ النَّجِسِ وَلِهَذَا يَجُوزُ بَيْعُ الدُّهْنِ الْمُتَنَجِّسِ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ دُونَ دُهْنِ الْمَيْتَةِ . قِيلَ لَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْفَرْقُ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمَا وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ لِوَجْهَيْنِ . [ص ٦٦٧] أَحْمَدَ وَلَا عَنْ الشَّافِعِيِّ الْبَتَّةَ غَسْلُ الدُّهْنِ النَّجِسِ وَلَيْسَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ فَتْوَى بَعْضِ الْمُنْتَسِبِينَ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ يَطْهُرُ بِالْغَسْلِ هَذِهِ رِوَايَةُ ابْنِ نَافِعٍ وَابْنِ الْقَاسِمِ عَنْهُ .
الثَّانِي : أَنَّ هَذَا الْفَرْقَ وَإِنْ تَأَتَّى لِأَصْحَابِهِ فِي الزَّيْتِ وَالشَّيْرَجِ وَنَحْوِهِمَا فَلَا يَتَأَتَّى لَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَدْهَانِ فَإِنَّ مِنْهَا مَا لَا يُمْكِنُ غَسْلُهُ وَأَحْمَدُ وَالشَّافِعِيُّ قَدْ أَطْلَقَا الْقَوْلَ بِجَوَازِ الِاسْتِصْبَاحِ بِالدُّهْنِ النَّجِسِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ . وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْفَرْقَ لَا يُفِيدُ فِي دَفْعِ كَوْنِهِ مُسْتَعْمَلًا لِلْخَبِيثِ وَالنَّجَاسَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ عَيْنِيَّةً أَوْ طَارِئَةً فَإِنَّهُ إنْ حَرُمَ الِاسْتِصْبَاحُ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْخَبِيثِ فَلَا فَرْقَ وَإِنْ حَرُمَ لِأَجْلِ دُخَانِ النَّجَاسَةِ فَلَا فَرْقَ وَإِنْ حَرُمَ لِكَوْنِ الِاسْتِصْبَاحِ بِهِ ذَرِيعَةً إلَى اقْتِنَائِهِ فَلَا فَرْقَ فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ فِي جَوَازِ الِاسْتِصْبَاحِ بِهَذَا دُونَ هَذَا لَا مَعْنَى لَهُ . وَأَيْضًا فَقَدْ جَوَّزَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ الِانْتِفَاعَ بِالسِّرْقِينِ النَّجِسِ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ لِلزَّرْعِ وَالثَّمَرِ وَالْبَقْلِ مَعَ نَجَاسَةِ عَيْنِهِ وَمُلَابَسَةِ الْمُسْتَعْمَلِ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ مُلَابَسَةِ الْمُوقِدِ وَظُهُورُ أَثَرِهِ فِي الْبُقُولِ وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ فَوْقَ ظُهُورِ أَثَرِ الْوَقِيدِ وَإِحَالَةُ النَّارِ أَتَمُّ مِنْ إحَالَةِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالشَّمْسِ لِلسِّرْقِينِ فَإِنْ كَانَ التَّحْرِيمُ لِأَجْلِ دُخَانِ النَّجَاسَةِ فَمَنْ سَلَّمَ أَنَّ دُخَانَ النَّجَاسَةِ نَجِسٌ وَبِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ ثَبَتَ ذَلِكَ ؟ وَانْقِلَابُ النَّجَاسَةِ إلَى الدُّخَانِ أَتَمُّ مِنْ انْقِلَابِ عَيْنِ السِّرْقِينِ وَالْمَاءِ النَّجِسِ ثَمَرًا أَوْ زَرْعًا وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُشَكُّ فِيهِ بَلْ مَعْلُومٌ بِالْحِسِّ وَالْمُشَاهَدَةِ حَتَّى جَوَّزَ بَعْضُ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ بَيْعَهُ فَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْعَذِرَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِ النَّاسِ . وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الزِّبْلِ . قَالَ اللَّخْمِيِّ وَهَذَا يَدُلُّ مِنْ قَوْلِهِ عَلَى أَنَّهُ يَرَى بَيْعَ الْعَذِرَةِ . وَقَالَ أَشْهَبُ فِي الزِّبْلِ الْمُشْتَرِي أَعْذَرُ فِيهِ مِنْ الْبَائِعِ يَعْنِي فِي اشْتِرَائِهِ . وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : لَمْ [ص ٦٦٨] قُلْت : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ وَأَنَّ بَيْعَ ذَلِكَ حَرَامٌ وَإِنْ جَازَ الِانْتِفَاعُ بِهِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَحْرِيمِ بَيْعِ الْمَيْتَةِ تَحْرِيمُ الِانْتِفَاعِ بِهَا فِي غَيْرِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهَا كَالْوَقِيدِ وَإِطْعَامِ الصُّقُورِ وَالْبُزَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَقَدْ نَصَّ مَالِكٌ عَلَى جَوَازِ الِاسْتِصْبَاحِ بِالزَّيْتِ النَّجِسِ فِي غَيْرِ الْمَسَاجِدِ وَعَلَى جَوَازِ عَمَلِ الصَّابُونِ مِنْهُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بَابَ الِانْتِفَاعِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْبَيْعِ فَلَيْسَ كُلُّ مَا حَرُمَ بَيْعُهُ حَرُمَ الِانْتِفَاعُ بِهِ بَلْ لَا تَلَازُمَ بَيْنَهُمَا فَلَا يُؤْخَذُ تَحْرِيمُ الِانْتِفَاعِ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَيْعِ .
فَصْلٌ [تَحْرِيمُ بَيْعِ أَجْزَاءِ الْمَيْتَةِ الَّتِي تَحِلُّهَا الْحَيَاةُ وَتُفَارِقُهَا بِالْمَوْتِ وَحِلُّ بَيْعِ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ وَالصُّوفِ]
وَيَدْخُلُ فِي تَحْرِيمِ بَيْعِ الْمَيْتَةِ بَيْعُ أَجْزَائِهَا الَّتِي تَحِلُّهَا الْحَيَاةُ وَتُفَارِقُهَا بِالْمَوْتِ كَاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالْعَصَبِ وَأَمَّا الشَّعْرُ وَالْوَبَرُ وَالصُّوفُ فَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَيْتَةٍ وَلَا

تَحِلُهُ الْحَيَاةُ . وَكَذَلِكَ قَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ إنّ شُعُورَ الْمَيْتَةِ وَأَصْوَافَهَا وَأَوْبَارَهَا طَاهِرَةٌ إذَا كَانَتْ مِنْ حَيَوَانٍ طَاهِرٍ هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَاللَّيْثِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وَدَاوُد وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَالْمُزَنِيِّ وَمِنْ التَّابِعِينَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَانْفَرَدَ الشَّافِعِيِّ بِالْقَوْلِ بِنَجَاسَتِهَا وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنَّ اسْمَ الْمَيْتَةِ يَتَنَاوَلُهَا كَمَا يَتَنَاوَلُ سَائِرَ أَجْزَائِهَا بِدَلِيلِ الْأَثَرِ وَالنَّظَرِ أَمَّا الْأَثَرُ فَفِي " الْكَامِلِ " لِابْنِ عَدِيٍّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ يَرْفَعُهُ ادْفِنُوا الْأَظْفَارَ وَالدَّمَ وَالشَّعْرَ فَإِنَّهَا مَيْتَةٌ وَأَمَّا النَّظَرُ فَإِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْحَيَوَانِ يَنْمُو بِنَمَائِهِ فَيُنَجَّسُ بِالْمَوْتِ كَسَائِرِ أَعْضَائِهِ وَبِأَنَّهُ شَعَرٌ نَابِتٌ فِي مَحَلٍّ نَجِسٍ فَكَانَ نَجِسًا كَشَعْرِ الْخِنْزِيرِ وَهَذَا لِأَنَّ ارْتِبَاطَهُ بِأَصْلِهِ خِلْقَةٌ يَقْتَضِي أَنْ يَثْبُتَ لَهُ حُكْمُهُ تَبَعًا فَإِنَّهُ مَحْسُوبٌ مِنْهُ عُرْفًا وَالشَّارِعُ أَجْرَى الْأَحْكَامَ فِيهِ عَلَى وَفْقِ ذَلِكَ فَأَوْجَبَ غَسْلَهُ فِي الطَّهَارَةِ وَأَوْجَبَ الْجَزَاءَ بِأَخْذِهِ مِنْ الصَّيْدِ كَالْأَعْضَاءِ وَأَلْحَقَهُ بِالْمَرْأَةِ فِي النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ حِلًّا وَحُرْمَةً وَكَذَلِكَ هَاهُنَا وَبِأَنّ الشَّارِعَ لَهُ تَشَوُّفٌ إلَى إصْلَاحِ الْأَمْوَالِ وَحِفْظِهَا وَصِيَانَتِهَا وَعَدَمِ إضَاعَتِهَا . وَقَدْ قَالَ لَهُمْ فِي شَاةِ مَيْمُونَةَ هَلَّا أَخَذْتُمْ إهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ [ص ٦٦٩] كَانَ الشَّعْرُ طَاهِرًا لَكَانَ إرْشَادُهُمْ إلَى أَخْذِهِ أَوْلَى لِأَنَّهُ أَقَلُّ كُلْفَةً وَأَسْهَلُ تَنَاوُلًا . قَالَ الْمُطَهِّرُونَ لِلشُّعُورِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إلَى حِينٍ } [النَّحْلُ ٨٠] وَهَذَا يَعُمُّ أَحْيَاءَهَا وَأَمْوَاتَهَا وَفِي " مُسْنَدِ أَحْمَدَ " : عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عبيد الله بن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ لِمَيْمُونَةَ مَيِّتَةٍ فَقَالَ أَلَا انْتَفَعْتُمْ بِإِهَابِهَا قَالُوا : وَكَيْفَ وَهِيَ مَيْتَةٌ ؟ قَالَ إنّمَا حَرُمَ لَحْمُهَا وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا فِي إبَاحَةِ مَا سِوَى اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالْكَبِدِ وَالطِّحَالِ وَالْأَلْيَةِ كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي اللَّحْمِ كَمَا دَخَلَتْ فِي تَحْرِيمِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَلَا يَنْتَقِضُ هَذَا بِالْعَظْمِ وَالْقَرْنِ وَالظُّفْرِ وَالْحَافِرِ فَإِنّ الصَّحِيحَ طَهَارَةُ ذَلِكَ كَمَا سَنُقَرِّرُهُ عَقِيبَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . قَالُوا : وَلِأَنّهُ لَوْ أُخِذَ حَالَ الْحَيَاةِ لَكَانَ طَاهِرًا فَلَمْ يَنْجُسْ بِالْمَوْتِ كَالْبَيْضِ وَعَكْسُهُ الْأَعْضَاءُ . قَالُوا : وَلِأَنّهُ لَمّا لَمْ يَنْجُسْ بِجَزِّهِ فِي حَالِ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ بِالْإِجْمَاعِ دَلّ عَلَى أَنّهُ لَيْسَ جُزْءًا مِنْ الْحَيَوَانِ وَأَنّهُ لَا رَوْحَ فِيهِ لِأَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ مَا أُبِينَ مِنْ حَيّ فَهُوَ مَيْتَةٌ رَوَاهُ أَهْلُ السّنَنِ . وَلِأَنّهُ لَا يَتَأَلّمُ بِأَخْذِهِ وَلَا يَحُسّ بِمَسّهِ وَذَلِكَ دَلِيلُ عَدَمِ الْحَيَاةِ فِيهِ وَأَمّا النّمَاءُ فَلَا يَدُلّ عَلَى [ص ٦٧٠] بِمُفَارَقَتِهَا فَإِنّ مُجَرّدَ النّمَاءِ لَوْ دَلّ عَلَى الْحَيَاةِ وَنَجِسَ الْمَحَلّ بِمُفَارَقَةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ لَتَنَجّسَ الزّرْعُ بِيُبْسِهِ لِمُفَارَقَةِ حَيَاةِ النّمُوّ وَالِاغْتِذَاءِ لَهُ . قَالُوا : فَالْحَيَاةُ نَوْعَانِ حَيَاةُ حِسّ وَحَرَكَةٍ وَحَيَاةُ نُمُوّ وَاغْتِذَاءٍ فَالْأُولَى : هِيَ الّتِي يُؤَثّرُ فَقْدُهَا فِي طَهَارَةِ الْحَيّ دُونَ الثّانِيَةِ . قَالُوا : وَاللّحْمُ إنّمَا يَنْجُسُ لِاحْتِقَانِ الرّطُوبَاتِ وَالْفَضَلَاتِ الْخَبِيثَةِ فِيهِ وَالشّعُورُ وَالْأَصْوَافُ بَرِيئَةٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَنْتَقِضُ بِالْعِظَامِ وَالْأَظْفَارِ لِمَا سَنَذْكُرُهُ . قَالُوا : وَالْأَصْلُ فِي الْأَعْيَانِ الطّهَارَةُ وَإِنّمَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا التّنْجِيسُ بِاسْتِحَالَتِهَا كَالرّجِيعِ الْمُسْتَحِيلِ عَنْ الْغِذَاءِ وَكَالْخَمْرِ الْمُسْتَحِيلِ عَنْ الْعَصِيرِ وَأَشْبَاهِهَا وَالشّعُورِ فِي حَالِ اسْتِحَالَتِهَا كَانَتْ طَاهِرَةً ثُمّ لَمْ يَعْرِضْ لَهَا مَا يُوجِبُ نَجَاسَتَهَا بِخِلَافِ أَعْضَاءِ الْحَيَوَانِ فَإِنّهَا عَرَضَ لَهَا مَا يَقْتَضِي نَجَاسَتَهَا وَهُوَ احْتِقَانُ الْفَضَلَاتِ الْخَبِيثَةِ . قَالُوا : وَأَمّا حَدِيثُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ فَفِي إسْنَادِهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوّاد . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرّازِيّ : أَحَادِيثُهُ مُنْكَرَةٌ لَيْسَ مَحَلّهُ عِنْدِي الصّدْقَ وَقَالَ عَلِيّ بْنُ الحسين بن الْجُنَيْدِ : لَا يُسَاوِي فَلْسًا يُحَدّثُ بِأَحَادِيثِ كَذِبٍ . وَأَمّا

حَدِيثُ الشَّاةِ الْمَيْتَةِ وَقَوْلُهُ أَلَا انْتَفَعْتُمْ بِإِهَابِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلشَّعَرِ فَعَنْهُ ثَلَاثَةُ أَجْوِبَةٍ . أَحَدُهَا : أَنَّهُ أَطْلَقَ الِانْتِفَاعَ بِالْإِهَابِ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِزَالَةِ مَا عَلَيْهِ مِنْ الشَّعَرِ مَعَ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ شَعَرٍ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُقَيِّدْ الْإِهَابَ الْمُنْتَفَعَ بِهِ بِوَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الِانْتِفَاعَ بِهِ فَرْوًا وَغَيْرَهُ مِمَّا لَا يَخْلُو مِنْ الشَّعَرِ . [ص ٦٧١] وَالثَّانِي : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَرْشَدَهُمْ إلَى الِانْتِفَاعِ بِالشَّعْرِ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ حَيْثُ يَقُولُ إنَّمَا حَرَّمَ مِنَ الْمَيْتَةِ أَكْلَهَا أَوْ لَحْمَهَا وَالثَّالِثُ أَنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ مِنْ الْمَيْتَةِ لِيَتَعَرَّضَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّهُ الْمَوْتُ وَتَعْلِيلُهُمْ بِالتَّبَعِيَّةِ يَبْطُلُ بِجِلْدِ الْمَيْتَةِ إذَا دُبِغَ وَعَلَيْهِ شَعْرٌ فَإِنَّهُ يَطْهُرُ دُونَ الشَّعَرِ عِنْدَهُمْ وَتَمَسُّكُهُمْ بِغَسْلِهِ فِي الطَّهَارَةِ يَبْطُلُ بِالْجَبِيرَةِ وَتَمَسُّكُهُمْ بِضَمَانِهِ مِنْ الصَّيْدِ يَبْطُلُ بِالْبَيْضِ وَبِالْحَمْلِ . وَأَمَّا فِي النِّكَاحِ فَإِنَّهُ يَتْبَعُ الْجُمْلَةَ لِاتِّصَالِهِ وَزَوَالِ الْجُمْلَةِ بِانْفِصَالِهِ عَنْهَا وَهَاهُنَا لَوْ فَارَقَ الْجُمْلَةَ بَعْدَ أَنْ تَبِعَهَا فِي التَّنَجُّسِ لَمْ يُفَارِقْهَا فِيهِ عِنْدَهُمْ فَعُلِمَ الفرقُ .

فَصْلٌ [هَلْ يَحْرُمُ بَيْعُ عَظْمِ الْمَيْتَةِ وَقَرْنِهَا وَجِلْدِهَا بَعْدَ الدِّبَاغِ]

فَإِنْ قِيلَ فَهَلْ يَدْخُلُ فِي تَحْرِيمِ بَيْعِهَا تَحْرِيمُ بَيْعِ عَظْمِهَا وَقَرْنِهَا وَجِلْدِهَا بَعْدَ الدِّبَاغِ لِشُمُولِ اسْمِ الْمَيْتَةِ لِذَلِكَ ؟ قِيلَ الَّذِي يَحْرُمُ بَيْعُهُ مِنْهَا هُوَ الَّذِي يَحْرُمُ أَكْلُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَا أَشَارَ إلَيْهِ النَّبِيّ بِقَوْلِهِ إنّ اللّهَ تَعَالَى إذَا حَرّمَ شَيْئًا حَرّمَ ثَمَنَهُ وَفِي اللّفْظِ الْآخَرِ إذَا حَرّمَ أَكْلَ شَيْءٍ " حَرّمَ ثَمَنَهُ فَنَبّهَ عَلَى أَنّ الّذِي يَحْرُمُ بَيْعُهُ يَحْرُمُ أَكْلُهُ .

[بَيْعُ جِلْدِ الْمَيْتَةِ]

وَأَمَّا الْجِلْدُ إذَا دُبِغَ فَقَدْ صَارَ عَيْنًا طَاهِرَةً يَنْتَفِعُ فِي اللّبْسِ وَالْفُرُشِ وَسَائِرِ وُجُوهِ الِاسْتِعْمَالِ فَلَا يَمْتَنِعُ جَوَازُ بَيْعِهِ وَقَدْ نَصّ الشّافِعِيّ فِي كِتَابِهِ الْقَدِيمِ عَلَى أَنّهُ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُهُ فَقَالَ الْقَفّالُ لَا يَتّجِهُ هَذَا إلّا بِتَقْدِيرِ قَوْلٍ يُوَافِقُ مَالِكًا فِي أَنّهُ يَطْهُرُ ظَاهِرُهُ دُونَ بَاطِنِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَإِنْ طَهُرَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ عَلَى قَوْلِهِ الْجَدِيدِ فَإِنّهُ جُزْءٌ مِنْ الْمَيْتَةِ حَقِيقَةً فَلَا يَجُوزُ بَيْعُهُ كَعَظْمِهَا وَلَحْمِهَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ يَجُوزُ بَيْعُهُ بَعْدَ الدّبْغِ لِأَنّهُ عَيْنٌ طَاهِرَةٌ يُنْتَفَعُ بِهَا فَجَازَ بَيْعُهَا كَالْمُذَكّى وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ هَذَا يَنْبَنِي عَلَى أَنّ الدّبْغَ إزَالَةٌ أَوْ [ص ٦٧٢] قُلْنَا : إحَالَةٌ جَازَ بَيْعُهُ لِأَنّهُ قَدْ اسْتَحَالَ مِنْ كَوْنِهِ جُزْءً مَيْتَةً إلَى عَيْنٍ أُخْرَى وَإِنْ قُلْنَا : إزَالَةٌ لَمْ يَجُزْ بَيْعُهُ لِأَنّ وَصْفَ الْمَيْتَةِ هُوَ الْمُحَرّمُ لِبَيْعِهِ وَذَلِكَ بَاقٍ لَمْ يُسْتَحَلّ . وَبَنَوْا عَلَى هَذَا الْخِلَافِ جَوَازَ أَكْلِهِ وَلَهُمْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ أَكْلُهُ مُطْلَقًا وَتَحْرِيمُهُ مُطْلَقًا وَالتّفْصِيلُ بَيْنَ جِلْدِ الْمَأْكُولِ وَغَيْرِ الْمَأْكُولِ فَأَصْحَابُ الْوَجْهِ الْأَوّلِ غَلّبُوا حُكْمَ الْإِحَالَةِ وَأَصْحَابُ الْوَجْهِ الثّانِي غَلّبُوا حُكْمَ الْإِزَالَةِ وَأَصْحَابُ الْوَجْهِ الثّالِثِ أَجْرَوْا الدّبَاغَ مَجْرَى الذّكَاةِ فَأَبَاحُوا بِهَا مَا يُبَاحُ أَكْلُهُ بِالذّكَاةِ إذَا ذُكّيَ دُونَ غَيْرِهِ وَالْقَوْلُ بِجَوَازِ أَكْلِهِ بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ السّنّةِ وَلِهَذَا لَمْ يُمَكّنْ قَائِلُهُ الْقَوْلَ بِهِ إلّا بَعْدَ مَنْعِهِ كَوْنَ الْجِلْدِ بَعْدَ الدّبْغِ مَيْتَةً وَهَذَا مَنْعٌ بَاطِلٌ فَإِنّهُ جِلْدُ مَيْتَةٍ حَقِيقَةً وَحِسّا وَحُكْمًا وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ حَيَاةٌ بِالدّبْغِ تَرْفَعُ عَنْهُ اسْمَ الْمَيْتَةِ وَكَوْنُ الدّبْغِ إحَالَةً بَاطِلٌ حِسّا فَإِنّ الْجِلْدَ لَمْ يُسْتَحَلّ ذَاتُهُ وَأَجْزَاؤُهُ وَحَقِيقَتُهُ بِالدّبَاغِ فَدَعْوَى أَنّ الدّبَاغَ إحَالَةٌ عَنْ حَقِيقَةٍ إلَى حَقِيقَةٍ أُخْرَى كَمَا تُحِيلُ النّارُ الْحَطَبَ إلَى الرّمَادِ وَالْمُلّاحَةُ مَا يُلْقَى فِيهَا مِنْ الْمَيْتَاتِ إلَى الْمِلْحِ دَعْوَى بَاطِلَةٌ . وَأَمّا أَصْحَابُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللّهُ فَفِي " الْمُدَوّنَةِ " لِابْنِ الْقَاسِمِ الْمَنْعُ مِنْ بَيْعِهَا وَإِنْ دُبِغَتْ وَهُوَ الّذِي ذَكَرَهُ صَاحِبُ " التّهْذِيبِ " . وَقَالَ الْمَازِرِيّ هَذَا هُوَ مُقْتَضَى الْقَوْلِ بِأَنّهَا لَا تَطْهُرُ بِالدّبَاغِ . قَالَ وَأَمّا إذَا فَرّعْنَا عَلَى أَنّهَا

تَطْهُرُ بِالدّبَاغِ طَهَارَةً كَامِلَةً فَإِنّا نُجِيزُ بَيْعَهَا لِإِبَاحَةِ جُمْلَةِ مَنَافِعِهَا . قُلْت : عَنْ مَالِكٍ فِي طَهَارَةِ الْجِلْدِ الْمَدْبُوغِ رِوَايَتَانِ . إحْدَاهُمَا : يَطْهُرُ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ وَبِهَا قَالَ وَهْبٌ وَعَلَى هَذِهِ الرّوَايَةِ جَوّزَ أَصْحَابُهُ بَيْعَهُ . وَالثّانِيَةُ - وَهِيَ أَشْهَرُ الرّوَايَتَيْنِ عَنْهُ - أَنّهُ يَطْهُرُ طَهَارَةً مَخْصُوصَةً يَجُوزُ مَعَهَا اسْتِعْمَالُهُ فِي الْيَابِسَاتِ وَفِي الْمَاءِ وَحْدَهُ دُونَ سَائِرِ الْمَائِعَاتِ قَالَ أَصْحَابُهُ وَعَلَى هَذِهِ الرّوَايَةِ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَلَا الصّلَاةُ فِيهِ وَلَا الصّلَاةُ عَلَيْهِ . [ص ٦٧٣] الْإِمَامِ أَحْمَدَ : فَإِنّهُ لَا يَصِحّ عِنْدَهُ بَيْعُ جِلْدِ الْمَيْتَةِ قَبْلَ دَبْغِهِ . وَعَنْهُ فِي جَوَازِهِ بَعْدَ الدّبْغِ رِوَايَتَانِ هَكَذَا أَطْلَقَهُمَا الْأَصْحَابُ وَهُمَا عِنْدِي مَبْنِيّتَانِ عَلَى اخْتِلَافِ الرّوَايَةِ عَنْهُ فِي طَهَارَتِهِ بَعْدَ الدّبَاغِ .

[بَيْعُ الدّهْنِ النّجِسِ]

وَأَمّا بَيْعُ الدّهْنِ النّجَسِ فَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ فِي مَذْهَبِهِ . أَحَدُهَا : أَنّهُ لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ . وَالثّانِي : أَنّهُ يَجُوزُ بَيْعُهُ لِكَافِرٍ يَعْلَمُ نَجَاسَتَهُ وَهُوَ الْمَنْصُوصُ عَنْهُ . قُلْت : وَالْمُرَادُ بِعِلْمِ النّجَاسَةِ الْعِلْمُ بِالسّبَبِ الْمُنَجّسِ لَا اعْتِقَادَ الْكَافِرِ نَجَاسَتَهُ . وَالثّالِثُ يَجُوزُ بَيْعُهُ لِكَافِرٍ وَمُسْلِمٍ . وَخَرَجَ هَذَا الْوَجْهُ مِنْ جَوَازِ إيقَادِهِ وَخَرَجَ أَيْضًا مِنْ طَهَارَتِهِ بِالْغَسْلِ فَيَكُونُ كَالثّوْبِ النّجِسِ وَخَرّجَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَجْهًا بِبَيْعِ السّرْقِينِ النّجِسِ لِلْوَقِيدِ مِنْ بَيْعِ الزّيْتِ النّجِسِ لَهُ وَهُوَ تَخْرِيجٌ صَحِيحٌ .

[بَيْعُ السّرْجِينِ النّجِسِ]

وَأَمّا أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ فَجَوّزُوا بَيْعَ السّرْقِينِ النّجِسِ إذَا كَانَ تَبَعًا لِغَيْرِهِ وَمَنَعُوهُ إذَا كَانَ مُفْرَدًا .

فَصْلٌ [بَيْعُ عَظْمِ الْمَيْتَةِ]

وَأَمّا عَظْمُهَا فَمَنْ لَمْ يُنَجّسْهُ بِالْمَوْتِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَبَعْضِ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَاخْتِيَارِ ابْنِ وَهْبٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ فَيَجُوزُ بَيْعُهُ عِنْدَهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفَ مَأْخَذُ الطّهَارَةِ فَأَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ قَالُوا : لَا يَدْخُلُ فِي الْمَيْتَةِ وَلَا يَتَنَاوَلُهُ اسْمُهَا وَمَنَعُوا كَوْنَ الْأَلَمِ دَلِيلَ حَيَاتِهِ قَالُوا : وَإِنّمَا تُؤْلِمُهُ لِمَا جَاوَرَهُ مِنْ اللّحْمِ لَا ذَاتَ الْعَظْمِ وَحَمَلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : { قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } [يس : ٧٨] عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ أَصْحَابُهَا . وَغَيْرُهُمْ ضَعّفَ هَذَا الْمَأْخَذَ جِدّا وَقَالَ الْعَظْمُ يَأْلَمُ حِسّا وَأَلَمُهُ أَشَدّ مِنْ أَلَمِ اللّحْمِ وَلَا يَصِحّ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّهُ تَقْدِيرُ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ فَلَا سَبِيلَ إلَيْهِ . الثّانِي : أَنّ هَذَا التّقْدِيرَ يَسْتَلْزِمُ الْإِضْرَابَ عَنْ جَوَابِ سُؤَالِ السّائِلِ الّذِي اسْتَشْكَلَ حَيَاةَ [ص ٦٧٤] أُبَيّ بْنَ خَلَفٍ أَخَذَ عَظْمًا بَالِيًا ثُمّ جَاءَ بِهِ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَفَتّهُ فِي يَدِهِ فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَتَرَى اللّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا رُمّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَعَمْ وَيَبْعَثُك وَيُدْخِلُكَ النّارَ فَمَأْخَذُ الطّهَارَةِ أَنّ سَبَبَ تَنْجِيسِ الْمَيْتَةِ مُنْتَفٍ فِي الْعِظَامِ فَلَمْ يُحْكَمْ بِنَجَاسَتِهَا وَلَا يَصِحّ قِيَاسُهَا عَلَى اللّحْمِ لِأَنّ احْتِقَانَ الرّطُوبَاتِ وَالْفَضَلَاتِ الْخَبِيثَةِ يَخْتَصّ بِهِ دُونَ الْعِظَامِ كَمَا أَنّ مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَا يُنَجّسُ بِالْمَوْتِ وَهُوَ حَيَوَانٌ كَامِلٌ لِعَدَمِ سَبَبِ التّنْجِيسِ فِيهِ . فَالْعَظْمُ أَوْلَى وَهَذَا الْمَأْخَذُ أَصَحّ وَأَقْوَى مِنْ الْأَوّلِ وَعَلَى هَذَا فَيَجُوزُ بَيْعُ عِظَامِ الْمَيْتَةِ إذَا كَانَتْ مِنْ حَيَوَانٍ طَاهِرِ الْعَيْنِ . وَأَمّا مَنْ رَأَى نَجَاسَتَهَا فَإِنّهُ لَا يَجُوزُ بَيْعُهَا إذْ نَجَاسَتُهَا عَيْنِيّةٌ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : قَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى أَنْ تُشْتَرَى عِظَامُ الْمَيْتَةِ وَلَا تُبَاعُ وَلَا أَنْيَابُ الْفِيلِ وَلَا يُتّجَرُ فِيهَا وَلَا يُمْتَشَطُ بِأَمْشَاطِهَا وَلَا يُدْهَنُ بِمَدَاهِنِهَا وَكَيْفَ يُجْعَلُ الدّهْنُ فِي الْمَيْتَةِ وَيُمَشّطُ لِحْيَتَهُ بِعِظَامِ الْمَيْتَةِ وَهِيَ مَبْلُولَةٌ وَكَرِهَ أَنْ يُطْبَخَ

بِعِظَامِ الْمَيْتَةِ وَأَجَازَ مُطَرِّفٌ وَابْنُ الْمَاجِشُونِ بَيْعَ أَنْيَابِ الْفِيلِ مُطْلَقًا وَأَجَازَهُ ابْنُ وَهْبٍ وَأَصْبَغَ إنْ غُلِيَتْ وَسُلِقَتْ وَجَعَلَا ذَلِكَ دِبَاغًا لَهَا .

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ بَيْعِ الْخِنْزِيرِ]

وَأَمَّا تَحْرِيمُ بَيْعِ الْخِنْزِيرِ فَيَتَنَاوَلُ جُمْلَتَهُ وَجَمِيعُ أَجْزَائِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَتَأَمَّلْ كَيْفَ ذَكَرَ لَحْمَهُ عِنْدَ تَحْرِيمِ الْأَكْلِ إشَارَةً إلَى تَحْرِيمِ أَكْلِهِ وَمُعْظَمُهُ اللَّحْمُ فَذَكَرَ اللَّحْمَ تَنْبِيهًا عَلَى تَحْرِيمِ أَكْلِهِ دُونَ مَا قَبْلَهُ بِخِلَافِ الصَّيْدِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِيهِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ لَحْمَ الصَّيْدِ بَلْ حَرَّمَ نَفْسَ الصَّيْدِ لِيَتَنَاوَلَ ذَلِكَ أَكْلَهُ وَقَتْلَهُ . وَهَهُنَا لَمَّا حَرَّمَ الْبَيْعَ ذَكَرَ جُمْلَتَهُ وَلَمْ يَخُصَّ التَّحْرِيمَ بِلَحْمِهِ لِيَتَنَاوَلَ بَيْعَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا . [ص ٦٧٥]

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ بَيْعِ الْأَصْنَامِ]

وَأَمَّا تَحْرِيمُ بَيْعِ الْأَصْنَامِ فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ تَحْرِيمُ بَيْعِ كُلِّ آلَةٍ مُتَّخَذَةٍ لِلشِّرْكِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَانَتْ وَمِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَتْ صَنَمًا أَوْ وَثَنًا أَوْ صَلِيبًا وَكَذَلِكَ الْكُتُبُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَهَذِهِ كُلُّهَا يَجِبُ إزَالَتُهَا وَإِعْدَامُهَا وَبَيْعُهَا ذَرِيعَةٌ إلَى اقْتِنَائِهَا وَاتِّخَاذِهَا فَهُوَ أَوْلَى بِتَحْرِيمِ الْبَيْعِ مِنْ كُلِّ مَا عَدَاهَا فَإِنَّ مَفْسَدَةَ بَيْعِهَا بِحَسَبِ مَفْسَدَتِهَا فِي نَفْسِهَا وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُؤَخِّرْ ذِكْرَهَا لِخِفَّةِ أَمْرِهَا وَلَكِنَّهُ تَدَرَّجَ مِنْ الْأَسْهَلِ إلَى مَا هُوَ أَغْلَظُ مِنْهُ فَإِنَّ الْخَمْرَ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا قَدْ تَصِيرُ مَالًا مُحْتَرَمًا إذَا قَلَبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ابْتِدَاءً خَلًّا أَوْ قَلَبَهَا الْآدَمِيّ بِصَنْعَتِهِ عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَتُضْمَنُ إذَا أُتْلِفَتْ عَلَى الذِّمِّيّ عِنْدَ طَائِفَةٍ بِخِلَافِ الْمَيْتَةِ وَإِنَّمَا لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ حَدًّا اكْتِفَاءً بِالزَّاجِرِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِي الطِّبَاعِ مِنْ كَرَاهَتِهَا وَالنُّفْرَةِ عَنْهَا وَإِبْعَادِهَا عَنْهَا بِخِلَافِ الْخَمْرِ . وَالْخِنْزِيرِ أَشَدّ تَحْرِيمًا مِنْ الْمَيْتَةِ وَلِهَذَا أَفْرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحُكْمِ عَلَيْهِ أَنَّهُ رِجْسٌ فِي قَوْلِهِ { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ } [الْأَنْعَامُ ١٤٥] فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ " فَإِنَّهُ " وَإِنْ كَانَ عَوْدُهُ إلَى الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ بِاعْتِبَارِ لَفْظِ الْمُحَرَّمِ فَإِنَّهُ يَتَرَجَّحُ اخْتِصَاصَ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ بِهِ لِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ . أَحَدُهَا : قُرْبُهُ مِنْهُ وَالثَّانِي : تَذْكِيرُهُ دُونَ قَوْلِهِ فَإِنَّهَا رِجْسٌ وَالثَّالِثُ أَنَّهُ أَتَى " بِالْفَاءِ " و " إنْ " تَنْبِيهًا عَلَى عِلَّةِ التَّحْرِيمِ لِتَزْجُرَ النُّفُوسُ عَنْهُ وَيُقَابِلُ هَذِهِ الْعِلَّةِ مَا فِي طِبَاعِ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ اسْتِلْذَاذِهِ وَاسْتِطَابَتِهِ فَنَفَى عَنْهُ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ رِجْسٌ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ فِي الْمَيْتَةِ وَالدَّمُ لِأَنّ كَوْنَهُمَا رِجْسًا أَمْرٌ مُسْتَقِرّ مَعْلُومٌ عِنْدَهُمْ وَلِهَذَا فِي الْقُرْآنِ نَظَائِرُ فَتَأَمَّلْهَا . ثُمّ ذَكَرَ بَعْدَ تَحْرِيمِ بَيْعِ الْأَصْنَامِ وَهُوَ أَعْظَمُ تَحْرِيمًا وَإِثْمًا وَأَشَدّ مُنَافَاةً لِلْإِسْلَامِ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ . [ص ٦٧٦]

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ الشّيْءِ تَحْرِيمٌ لِثَمَنِهِ]

وَفِي قَوْلِهِ إنّ اللّهَ إذَا حَرّمَ شَيْئًا أَوْ حَرّمَ أَكْلَ شَيْءٍ حَرّمَ ثَمَنَهُ يُرَادُ بِهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا : مَا هُوَ حَرَامُ الْعَيْنِ وَالِانْتِفَاعِ جُمْلَةً كَالْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالدّمِ وَالْخِنْزِيرِ وَآلَاتِ الشّرْكِ فَهَذِهِ ثَمَنُهَا حَرَامٌ كَيْفَمَا اتّفَقَتْ . وَالثّانِي : مَا يُبَاحُ الِانْتِفَاعُ بِهِ فِي غَيْرِ الْأَكْلِ وَإِنّمَا يَحْرُمُ أَكْلُهُ كَجِلْدِ الْمَيْتَةِ بَعْدَ الدّبَاغِ وَكَالْحُمُرِ الْأَهْلِيّةِ وَالْبِغَالِ وَنَحْوِهَا مِمّا يَحْرُمُ أَكْلُهُ دُونَ الِانْتِفَاعِ بِهِ فَهَذَا قَدْ يُقَالُ إنّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْحَدِيثِ وَإِنّمَا يَدْخُلُ فِيهِ مَا هُوَ حَرَامٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَقَدْ يُقَالُ إنّهُ دَاخِلٌ فِيهِ وَيَكُونُ تَحْرِيمُ ثَمَنِهِ إذَا بِيعَ لِأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ الّتِي حَرُمَتْ مِنْهُ فَإِذَا بِيعَ الْبَغْلُ وَالْحِمَارُ لِأَكْلِهِمَا حَرُمَ ثَمَنُهُمَا بِخِلَافِ مَا إذَا بِيعَا لِلرّكُوبِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا بِيعَ جِلْدُ

الْمَيْتَةِ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ حَلَّ ثَمَنُهُ . وَإِذَا بِيعَ لِأَكْلِهِ حَرُمَ ثَمَنُهُ وَطَرَدَ هَذَا مَا قَالَهُ جُمْهُورٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ كَأَحْمَدَ وَمَالِكٍ وَأَتْبَاعِهِمَا : إنَّهُ إذَا بِيعَ الْعِنَبُ لِمَنْ يَعْصِرُهُ خَمْرًا حَرُمَ أَكْلُ ثَمَنِهِ . بِخِلَافِ مَا إذَا بِيعَ لِمَنْ يَأْكُلُهُ وَكَذَلِكَ السِّلَاحُ إذَا بِيعَ لِمَنْ يُقَاتِلُ بِهِ مُسْلِمًا حَرُمَ أَكْلُ ثَمَنِهِ وَإِذَا بِيعَ لِمَنْ يَغْزُو بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَثَمَنُهُ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَكَذَلِكَ ثِيَابُ الْحَرِيرِ إذَا بِيعَتْ لِمَنْ يَلْبَسُهَا مِمَّنْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ حَرُمَ أَكْلُ ثَمَنِهَا بِخِلَافِ بَيْعِهَا مِمَّنْ يَحِلُّ لَهُ لُبْسُهَا .

[هَلْ يَجُوزُ بَيْعُ الْمُسْلِمِ الْخَمْرَ وَالْخِنْزِيرَ لِلذِّمِّيِّ]

فَإِنْ قِيلَ فَهَلْ تُجَوِّزُونَ لِلْمُسْلِمِ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْخِنْزِيرِ مِنْ الذِّمِّيِّ لِاعْتِقَادِ الذِّمِّيِّ حِلَّهُمَا كَمَا جَوَّزْتُمْ بَيْعَهُ الدُّهْنَ الْمُتَنَجِّسَ إذَا بَيَّنَ حَالَهُ لِاعْتِقَادِهِ طَهَارَتَهُ وَحِلَّهُ ؟ قِيلَ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ وَثَمَنُهُ حَرَامٌ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ الدُّهْنَ الْمُتَنَجِّسَ عَيْنٌ طَاهِرَةٌ خَالَطَهَا نَجَاسَةٌ وَيَسُوغُ فِيهَا النِّزَاعُ . وَقَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ إلَى أَنَّهُ لَا يُنَجَّسُ إلَّا بِالتَّغَيُّرِ . وَإِنْ تَغَيَّرَ فَذَهَبَ طَائِفَةٌ إلَى إمْكَانِ تَطْهِيرِهِ بِالْغَسْلِ بِخِلَافِ الْعَيْنِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ رَسُولٍ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَالْخِنْزِيرِ فَإِنَّ اسْتِبَاحَتَهُ مُخَالِفَةٌ لِمَا أَجْمَعَتْ الرُّسُلُ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَإِنْ اعْتَقَدَ الْكَافِرُ حِلَّهُ - فَهُوَ كَبَيْعِ الْأَصْنَامِ لِلْمُشْرِكِينَ وَهَذَا هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ [ص ٦٧٧] فَإِنْ قِيلَ فَالْخَمْرُ حَلَالٌ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَجَوِّزُوا بَيْعَهَا مِنْهُمْ . قِيلَ هَذَا هُوَ الَّذِي تَوَهَّمَهُ مِنْ تَوَهَّمِهِ مِنْ عُمَّالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى كَتَبَ إلَيْهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَأَمَرَ عُمَّالَهُ أَنْ يُوَلُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ بَيْعَهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنْ يَأْخُذُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَثْمَانِهَا فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الْجُعْفِيِّ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ نَاسًا يَأْخُذُونَ الْجِزْيَةَ مِنْ الْخَنَازِيرِ فَقَامَ بِلَالٌ فَقَالَ إنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا تَفْعَلُوا وَلُّوهُمْ بَيْعَهَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَحَدَّثَنَا الْأَنْصَارِيُّ عَنْ إسْرَائِيلَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ أَنَّ بِلَالًا قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّ عُمَّالَك يَأْخُذُونَ الْخَمْرَ وَالْخَنَازِيرَ فِي الْخَرَاجِ فَقَالَ لَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ وَلَكِنْ وَلُّوهُمْ بَيْعَهَا وَخُذُوا أَنْتُمْ مِنْ الثَّمَنِ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : يُرِيدُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ الْخَمْرَ وَالْخَنَازِيرَ مِنْ جِزْيَةِ رُءُوسِهِمْ وَخَرَاجِ أَرْضِيهِمْ بِقِيمَتِهَا ثُمَّ يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ بَيْعَهَا فَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ بِلَالٌ وَنَهَى عَنْهُ عُمَرُ ثُمَّ رَخَّصَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ مِنْ أَثْمَانِهَا إذَا كَانَ أَهْلُ الذِّمَّةِ هُمْ الْمُتَوَلِّينَ لِبَيْعِهَا لِأَنَّ الْخَمْرَ وَالْخَنَازِيرَ مَالٌ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَا تَكُونُ مَالًا لِلْمُسْلِمِينَ . قَالَ وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ حَدِيثٌ آخَرُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَعْبَدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إلَى الْعُمَّالِ يَأْمُرُهُمْ بِقَتْلِ الْخَنَازِيرِ وَقَبْضِ أَثْمَانِهَا لِأَهْلِ الْجِزْيَةِ مِنْ [ص ٦٧٨] قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : فَهُوَ لَمْ يَجْعَلْهَا قِصَاصًا مِنْ الْجِزْيَةِ إلَّا وَهُوَ يَرَاهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . فَأَمَّا إذَا مَرَّ الذِّمِّيُّ بِالْخَمْرِ وَالْخَنَازِيرِ عَلَى الْعَاشِرِ فَإِنَّهُ لَا يَطِيبُ لَهُ أَنْ يُعَشِّرَهَا وَلَا يَأْخُذَ ثَمَنَ الْعُشْرِ مِنْهَا . وَإِنْ كَانَ الذِّمِّيُّ هُوَ الْمُتَوَلِّي لِبَيْعِهَا أَيْضًا وَهَذَا لَيْسَ مِنْ الْبَابِ الْأَوَّلِ وَلَا يُشْبِهُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ وَجَبَ عَلَى رِقَابِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ وَأَنَّ الْعُشْرَ هَاهُنَا إنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُوضَعُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْخَنَازِيرِ أَنْفُسِهَا وَكَذَلِكَ ثَمَنُهَا لَا يَطِيبُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ اللَّهَ إذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ أَفْتَى فِي مِثْلِ هَذَا بِغَيْرِ مَا أَفْتَى بِهِ فِي ذَاكَ وَكَذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . حَدَّثَنَا أَبُو الْأَسْوَدِ الْمِصْرِيِّ

حَدّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَبْدِ اللّـهِ بْنِ هُبَيْـرَةَ السّبَائِيّ أَنّ عُتْبَـةَ بْنَ فَرْقَدٍ بَعَثَ إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ صَدَقَةَ الْخَمْرِ فَكَتَبَ إلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللّـهُ عَنْـهُ بَعَثْت إلَيّ بِصَدَقَةِ الْخَمْرِ وَأَنْتَ أَحَقّ بِهَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ النّاسَ وَقَالَ وَاَللّـهِ لَـا اسْتَعْمَلْتُك عَلَى شَيْءٍ بَعْدَهَا قَالَ فَتَرَكَهُ حَدّثَنَا عَبْدُ الرّحْمَنِ عَنْ الْمُثَنّى بْنِ سَعِيدٍ الضّبَعِيّ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إلَى عَدِيّ بْنِ أَرْطَاةَ أَنْ ابْعَثْ إلَيّ بِتَفْصِيلِ الْأَمْوَالِ الّتِي قِبَلَك مِنْ أَيْنَ دَخَلَتْ ؟ فَكَتَبَ إلَيْهِ بِذَلِكَ وَصَنّفَهُ لَهُ وَكَانَ فِيمَا كَتَبَ إلَيْهِ مِنْ عُشْرِ الْخَمْرِ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ . قَالَ فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللّهُ ثُمّ جَاءَ جَوَابُ كِتَابِهِ إنّك كَتَبْتَ إلَيّ تَذْكُرُ مِنْ عُشُورِ الْخَمْرِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَإِنّ الْخَمْرَ لَا يُعَشّرُهَا مُسْلِمٌ وَلَا يَشْتَرِيهَا وَلَا يَبِيعُهَا فَإِذَا أَتَاك كِتَابِي هَذَا فَاطْلُبْ الرّجُلَ فَارْدُدْهَا عَلَيْهِ فَهُوَ أَوْلَى بِمَا كَانَ فِيهَا . فَطَلَبَ الرّجُلُ فَرُدّتْ عَلَيْهِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : فَهَذَا عِنْدِي الّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ إبْرَاهِيمُ النّخَعِيّ قَدْ [ص ٦٧٩] قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ . ثُمّ ذَكَرَ عَنْهُ فِي الذّمّيّ يَمُرّ بِالْخَمْرِ عَلَى الْعَاشِرِ قَالَ يُضَاعَفُ عَلَيْهِ الْعُشُورُ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ إذَا مَرّ عَلَى الْعَاشِرِ بِالْخَمْرِ وَالْخَنَازِيرِ عَشّرَ الْخَمْرَ وَلَمْ يُعَشّرْ الْخَنَازِيرَ سَمِعْتُ مُحَمّدَ بْنَ الْحَسَنِ يُحَدّثُ بِذَلِكَ عَنْهُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَقَوْلُ الْخَلِيفَتَيْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَوْلَى بِالِاتّبَاعِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

حُكْمُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسّنّوْرِ

فِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغِيّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ جَابِرًا عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسّنّوْرِ فَقَالَ زَجَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ ذَلِكَ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُد " : عَنْهُ أَنّ النّبِيّ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسّنّوْرِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ شَرّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغِيّ وَثَمَنُ الْكَلْبِ وَكَسْبُ الْحَجّامِ [ص ٦٨٠]

[تَحْرِيمُ بَيْعِ الْكَلْبِ]

أَحَدُهَا : تَحْرِيمُ بَيْعِ الْكَلْبِ وَذَلِكَ يَتَنَاوَلُ كُلّ كَلْبٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا لِلصّيْدِ أَوْ لِلْمَاشِيَةِ أَوْ لِلْحَرْثِ وَهَذَا مَذْهَبُ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَاطِبَةً وَالنّزَاعُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ عَنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ فَجَوّزَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ بَيْعَ الْكِلَابِ وَأَكْلَ أَثْمَانِهَا وَقَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهّابِ اخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي بَيْعِ مَا أُذِنَ فِي اتّخَاذِهِ مِنْ الْكِلَابِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يُكْرَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يَحْرُمُ انْتَهَى . وَعَقَدَ بَعْضُهُمْ فَصْلًا لِمَا يَصِحّ بَيْعُهُ وَبَنَى عَلَيْهِ اخْتِلَافَهُمْ فِي بَيْعِ الْكَلْبِ فَقَالَ مَا كَانَتْ مَنَافِعُهُ كُلّهَا مُحَرّمَةً لَمْ يَجُزْ بَيْعُهُ إذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَعْدُومِ حِسّا وَالْمَمْنُوعِ شَرْعًا وَمَا تَنَوّعَتْ مَنَافِعُهُ إلَى مُحَلّلَةٍ وَمُحَرّمَةٍ فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ الْعَيْنِ خَاصّةً كَانَ الِاعْتِبَارُ بِهَا وَالْحُكْمُ تَابِعٌ لَهَا فَاعْتُبِرَ نَوْعُهَا وَصَارَ الْآخَرُ كَالْمَعْدُومِ . وَإِنْ تَوَزّعَتْ فِي النّوْعَيْنِ لَمْ يَصِحّ الْبَيْعُ لِأَنّ مَا يُقَابِلُ مَا حَرُمَ مِنْهَا أَكْلُ مَالٍ بِالْبَاطِلِ وَمَا سِوَاهُ مِنْ بَقِيّةِ الثّمَنِ يَصِيرُ مَجْهُولًا . قَالَ وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ مَسْأَلَةُ بَيْعِ كَلْبِ الصّيْدِ فَإِذَا بُنِيَ الْخِلَافُ فِيهَا عَلَى هَذَا الْأَصْلِ قِيلَ فِي الْكَلْبِ مِنْ الْمَنَافِعِ كَذَا وَكَذَا وَعُدّدَتْ جُمْلَةُ مَنَافِعِهِ ثُمّ نَظَرَ فِيهَا فَمَنْ رَأَى أَنّ جُمْلَتَهَا مُحَرّمَةٌ مَنَعَ وَمَنْ رَأَى جَمِيعَهَا مُحَلّلَةً أَجَازَ وَمَنْ رَآهَا مُتَنَوّعَةً نَظَرَ هَلْ الْمَقْصُودُ الْمُحَلّلُ أَوْ الْمُحَرّمُ فَجَعَلَ الْحُكْمَ لِلْمَقْصُودِ وَمَنْ رَأَى مَنْفَعَةً وَاحِدَةً مِنْهَا مُحَرّمَةً وَهِيَ مَقْصُودَةٌ مَنَعَ أَيْضًا

وَمَنْ الْتَبَسَ عَلَيْهِ كَوْنُهَا مَقْصُودَةً وَقَفَ أَوْ كَرِهَ فَتَأَمَّلْ هَذَا التَّأْصِيلَ وَالتَّفْصِيلَ وَطَابِقْ بَيْنَهُمَا يَظْهَرُ لَك مَا فِيهِمَا مِنْ التَّنَاقُضِ وَالْخَلَلِ وَأَنَّ بِنَاءَ بَيْعِ كَلْبِ الصَّيْدِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ مِنْ أَفْسَدِ الْبِنَاءِ فَإِنَّ قَوْلَهُ مَنْ رَأَى أَنَّ جُمْلَةَ مَنَافِعِ كَلْبِ الصَّيْدِ مُحَرَّمَةٌ بَعْدَ [ص ٦٨١] أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ قَطُّ وَقَدْ اتَّفَقَتْ الْأُمَّةُ عَلَى إبَاحَةِ مَنَافِعِ كَلْبِ الصَّيْدِ مِنْ الِاصْطِيَادِ وَالْحِرَاسَةِ وَهُمَا جُلُّ مَنَافِعِهِ وَلَا يُقْتَنَى إلَّا لِذَلِكَ فَمَنْ الَّذِي رَأَى مَنَافِعَهُ كُلَّهَا مُحَرَّمَةً وَلَا يَصِحُّ أَنْ تُرَادَ مَنَافِعُهُ الشَّرْعِيَّةُ ؟ فَإِنَّ إعَارَتَهُ جَائِزَةٌ . وَقَوْلُهُ وَمَنْ رَأَى جَمِيعَهَا مُحَلَّلَةً أَجَازَ كَلَامَ فَاسِدٌ أَيْضًا فَإِنَّ مَنَافِعَهُ الْمَذْكُورَةَ مُحَلَّلَةٌ اتِّفَاقًا وَالْجُمْهُورُ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ بَيْعِهِ . وَقَوْلُهُ وَمَنْ رَآهَا مُتَنَوِّعَةً نَظَرَ هَلْ الْمَقْصُودُ الْمُحَلَّلُ أَوْ الْمُحَرَّمُ ؟ كَلَامٌ لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ الْبَتَّةَ فَإِنَّ مَنْفَعَةَ كَلْبِ الصَّيْدِ هِيَ الِاصْطِيَادُ دُونَ الْحِرَاسَةِ فَأَيْنَ التَّنَوُّعُ وَمَا يُقَدَّرُ فِي الْمَنَافِعِ مِنْ التَّحْرِيمِ يُقَدَّرُ مِثْلُهُ فِي الْحِمَارِ وَالْبَغْلِ ؟ وَقَوْلُهُ وَمَنْ رَأَى مَنْفَعَةً وَاحِدَةً مُحَرَّمَةً وَهِيَ مَقْصُودَةٌ مُنِعَ . أَظْهَرُ فَسَادًا مِمَّا قَبْلَهُ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَنْفَعَةَ الْمُحَرَّمَةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمَقْصُودَةَ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ مُشْتَرِيَهُ قَصَدَهَا فَهُوَ كَمَا لَوْ قَصَدَ مَنْفَعَةً مُحَرَّمَةً مِنْ سَائِرِ مَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَتَبَيَّنَ فَسَادُ هَذَا التَّأْصِيلِ وَأَنَّ الْأَصْلَ الصَّحِيحَ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ الصَّرِيحُ الَّذِي لَا مُعَارِضَ لَهُ الْبَتَّةَ مِنْ تَحْرِيمِ بَيْعِهِ .

فَإِنْ قِيلَ كَلْبُ الصَّيْدِ مُسْتَثْنًى مِنْ النَّوْعِ الَّذِي نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ إلَّا كَلْبَ الصَّيْدِ وَقَالَ النَّسَائِيُّ : أَخْبَرَنِي إبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ الْمِصِّيصِيُّ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ [ص ٦٨٢] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسِّنَّوْرِ إلَّا كَلْبَ الصَّيْدِ وَقَالَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ثَمَنُ الْكَلْبِ سُحْتٌ إلا كلب صيد وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ثَلَاثٌ هُنَّ سُحْتٌ حُلْوَانُ الْكَاهِنِ وَمَهْرُ الزَّانِيَةِ وَثَمَنُ الْكَلْبِ الْعَقُورِ وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ : حَدَّثَنِي الشِّمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضُمَيْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ الْعَقُورِ وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ أَيْضًا أَنَّ جَابِرًا أَحَدُ مَنْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيَ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَقَدْ رَخَّصَ جَابِرٌ نَفْسَهُ فِي ثَمَنِ كَلْبِ الصَّيْدِ وَقَوْلُ الصَّحَابِيِّ صَالِحٌ لِتَخْصِيصِ عُمُومِ الْحَدِيثِ عِنْدَ مَنْ جَعَلَهُ حُجَّةً فَكَيْفَ إذَا كَانَ مَعَهُ النَّصُّ بِاسْتِثْنَائِهِ وَالْقِيَاسِ ؟ وَأَيْضًا لِأَنَّهُ يُبَاحُ الِانْتِفَاعُ بِهِ وَيَصِحُّ نَقْلُ الْيَدِ فِيهِ بِالْمِيرَاثِ وَالْوَصِيَّةِ وَالْهِبَةِ وَتَجُوزُ إعَارَتُهُ وَإِجَارَتُهُ فِي أَحَدِ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ [ص ٦٨٣] لِلشَّافِعِيَّةِ فَجَازَ بَيْعُهُ كَالْبَغْلِ وَالْحِمَارِ . فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِثْنَاءُ كَلْبِ الصَّيْدِ بِوَجْهٍ أَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ هَذَا مِنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : الصَّوَابُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى جَابِرٍ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ لَا يَصِحُّ إسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ . وَقَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا لَا يَصِحُّ أَبُو الْمُهَزِّمِ ضَعِيفٌ يُرِيدُ رَاوِيَهُ عَنْهُ . وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيَ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ جَمَاعَةٌ

مِنْهُمْ ابْنُ عَبّاسٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَأَبُو جُحَيْفَةَ اللّفْظُ مُخْتَلِفٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ . وَالْحَدِيثُ الّذِي رُوِيَ فِي اسْتِثْنَاءِ كَلْبِ الصّيْدِ لَا يَصِحّ وَكَأَنّ مَنْ رَوَاهُ أَرَادَ حَدِيثَ النّهْيِ عَنْ اقْتِنَائِهِ فَشُبّهَ عَلَيْهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَأَمّا حَدِيثُ حَمّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ فَهُوَ الّذِي ضَعّفَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ بِالْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَكَأَنّهُ لَمْ يَقَعْ لَهُ طَرِيقُ حَجّاجِ بْنِ مُحَمّدٍ وَهُوَ الّذِي قَالَ فِيهِ الدّارَقُطْنِيّ : الصّوَابُ أَنّهُ مَوْقُوفٌ وَقَدْ أَعَلّهُ ابْنُ حَزْمٍ بِأَنّ أَبَا الزّبَيْرِ لَمْ يُصَرّحْ فِيهِ بِالسّمَاعِ مِنْ جَابِرٍ وَهُوَ مُدَلّسٌ وَلَيْسَ مِنْ رِوَايَةِ اللّيْثِ عَنْهُ . وَأَعَلّهُ الْبَيْهَقِيّ بِأَنّ أَحَدَ رُوَاتِهِ وَهِمَ مِنْ اسْتِثْنَاءِ كَلْبِ الصّيْدِ مِمّا نُهِيَ عَنْ اقْتِنَائِهِ مِنْ الْكِلَابِ فَنَقَلَهُ إلَى الْبَيْعِ . قُلْت : وَمِمّا يَدُلّ عَلَى بُطْلَانِ حَدِيثِ جَابِرٍ هَذَا وَأَنّهُ خُلِطَ عَلَيْهِ أَنّهُ صَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ أَرْبَعٌ مِنْ السّحْتِ ضِرَابُ الْفَحْلِ وَثَمَنُ الْكَلْبِ وَمَهْرُ الْبَغِيّ وَكَسْبُ الْحَجّامِ وَهَذَا عِلّةٌ أَيْضًا لِلْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِثْنَاءِ كَلْبِ الصّيْدِ فَهُوَ عِلّةٌ لِلْمَوْقُوفِ وَالْمَرْفُوعِ . وَأَمّا حَدِيثُ الْمُثَنّى بْنِ الصّبّاحِ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَبَاطِلٌ لِأَنّ فِيهِ يَحْيَى بْنُ أَيّوبَ وَقَدْ شَهِدَ مَالِكٌ عَلَيْهِ بِالْكَذِبِ وَجَرّحَهُ الْإِمَامُ [ص ٦٨٤] أَحْمَدُ . وَفِيهِ الْمُثَنّى بْنُ الصّبّاحِ وَضَعْفُهُ عِنْدَهُمْ مَشْهُورٌ وَيَدُلّ عَلَى بُطْلَانِ الْحَدِيثِ مَا رَوَاهُ النّسَائِيّ حَدّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبٍ حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدّثَنَا أَسْبَاطٌ حَدّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَرْبَعٌ مِنْ السّحْتِ ضِرَابُ الْفَحْلِ وَثَمَنُ الْكَلْبِ وَمَهْرُ الْبَغِيّ وَكَسْبُ الْحَجّامِ وَأَمّا الْأَثَرُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فَلَا يُدْرَى مَنْ أَخْبَرَ ابْنَ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ وَلَا مَنْ أَخْبَرَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ الصّدّيقِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَمِثْلُ هَذَا لَا يُحْتَجّ بِهِ . وَأَمّا الْأَثَرُ عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فَفِيهِ ابْنُ ضُمَيْرَةَ فِي غَايَةِ الضّعْفِ وَمِثْلُ هَذِهِ الْآثَارِ السّاقِطَةِ الْمَعْلُولَةِ لَا تُقَدّمُ عَلَى الْآثَارِ الّتِي رَوَاهَا الْأَئِمّةُ الثّقَاتُ الْأَثْبَاتُ حَتّى قَالَ بَعْضُ الْحُفّاظِ إنّ نَقْلَهَا نَقْلُ تَوَاتُرٍ وَقَدْ ظَهَرَ أَنّهُ لَمْ يَصِحّ عَنْ صَحَابِيّ خِلَافُهَا الْبَتّةَ بَلْ هَذَا جَابِرٌ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عَبّاسٍ يَقُولُونَ ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ قَالَ وَكِيعٌ : حَدّثَنَا إسْرَائِيلُ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنْ قَيْسِ بْنِ حَبْتَرٍ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهَ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ ثَمَنُ الْكَلْبِ وَمَهْرُ الْبَغِيّ وَثَمَنُ الْخَمْرِ حَرَامٌ وَهَذَا أَقَلّ مَا فِيهِ أَنْ يَكُونَ قَوْلَ ابْنِ عَبّاسٍ . وَأَمّا قِيَاسُ الْكَلْبِ عَلَى الْبَغْلِ وَالْحِمَارِ فَمِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ بَلْ قِيَاسُهُ عَلَى الْخِنْزِيرِ أَصَحّ مِنْ قِيَاسِهِ عَلَيْهِمَا لِأَنّ الشّبَهَ الّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخِنْزِيرِ أَقْرَبُ مِنْ الشّبَهِ الّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَغْلِ وَالْحِمَارِ وَلَهُ تَعَارُضُ الْقِيَاسَانِ لَكَانَ الْقِيَاسُ الْمُؤَيّدُ بِالنّصّ [ص ٦٨٥] أَصَحّ وَأَوْلَى مِنْ الْقِيَاسِ الْمُخَالِفِ لَهُ . فَإِنْ قِيلَ كَانَ النّهْيُ عَنْ ثَمَنِهَا حِينَ كَانَ الْأَمْرُ بِقَتْلِهَا فَلَمّا حَرُمَ قَتْلُهَا وَأُبِيحَ اتّخَاذُ بَعْضِهَا نُسِخَ النّهْيُ فَنَسَخَ تَحْرِيمَ الْبَيْعِ . قِيلَ هَذِهِ دَعْوَى بَاطِلَةٌ لَيْسَ مَعَ مُدّعِيهَا لِصِحّتِهَا دَلِيلٌ وَلَا شُبْهَةٌ وَلَيْسَ فِي الْأَثَرِ مَا يَدُلّ عَلَى صِحّةِ هَذِهِ الدّعْوَى الْبَتّةَ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ وَيَدُلّ عَلَى بُطْلَانِهَا : أَنّ أَحَادِيثَ تَحْرِيمِ بَيْعِهَا وَأَكْلِ ثَمَنِهَا مُطْلَقَةٌ عَامّةٌ كُلّهَا وَأَحَادِيثُ الْأَمْرِ بِقَتْلِهَا وَالنّهْيِ عَنْ اقْتِنَائِهَا نَوْعَانِ نَوْعٌ كَذَلِكَ وَهُوَ الْمُتَقَدّمُ وَنَوْعٌ مُقَيّدٌ مُخَصّصٌ وَهُوَ الْمُتَأَخّرُ فَلَوْ كَانَ النّهْيُ عَنْ بَيْعِهَا مُقَيّدًا مَخْصُوصًا لَجَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ كَذَلِكَ فَلَمّا جَاءَتْ عَامّةً مُطْلَقَةً عُلِمَ أَنّ عُمُومَهَا وَإِطْلَاقَهَا مُرَادٌ فَلَا يَجُوزُ إبْطَالُهُ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ بَيْعِ السّنّوْرِ]

الْحُكْمُ الثانِي : تَحْرِيمُ بَيْعِ السّنّوْرِ كَمَا دَلّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الصّحِيحُ الصّرِيحُ الّذِي رَوَاهُ جَابِرٌ وَأَفْتَى بِمُوجِبِهِ كَمَا رَوَاهُ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ وَضّاحٍ حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ آدَمَ حَدّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدّثَنَا حَمّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّهُ كَرِهَ ثَمَنَ الْكَلْبِ وَالسّنّوْرِ قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ فَهَذِهِ فُتْيَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّهُ كَرِهَ بِمَا رَوَاهُ وَلَا يُعْرَفُ لَهُ مُخَالِفٌ مِنْ الصّحَابَةِ وَكَذَلِكَ أَفْتَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وَهُوَ مَذْهَبُ طَاوُوسٍ وَمُجَاهِدٍ وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَجَمِيعِ أَهْلِ الظّاهِرِ وَإِحْدَى الرّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ وَهِيَ اخْتِيَارُ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ الصّوَابُ لِصِحّةِ الْحَدِيثِ بِذَلِكَ وَعَدَمِ مَا يُعَارِضُهُ فَوَجَبَ الْقَوْلُ بِهِ . قَالَ الْبَيْهَقِيّ : وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى أَنّ ذَلِكَ حِينَ كَانَ مَحْكُومًا بِنَجَاسَتِهَا فَلَمّا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْهِرّةُ لَيْسَتْ بِنَجِسٍ صَارَ ذَلِكَ [ص ٦٨٦] وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى السّنّوْرِ إذَا تَوَحّشَ وَمُتَابَعَةُ ظَاهِرِ السّنّةِ أَوْلَى . وَلَوْ سَمِعَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ الْخَبَرَ الْوَاقِعَ فِيهِ لَقَالَ بِهِ إنْ شَاءَ اللّهُ وَإِنّمَا لَا يَقُولُ بِهِ مَنْ تَوَقّفَ فِي تَثْبِيتِ رِوَايَاتِ أَبِي الزّبَيْرِ وَقَدْ تَابَعَهُ أَبُو سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ عَلَى هَذِهِ الرّوَايَةِ مِنْ جِهَةِ عِيسَى بْنِ يُونُسَ وَحَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ انْتَهَى كَلَامُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْهِرّ الّذِي لَيْسَ بِمَمْلُوكٍ وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْمَحَامِلِ مِنْ الْوَهْنِ .

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ مَهْرِ الْبَغِيّ]

[هَلْ لِلْحُرّةِ الْمُكْرَهَةِ عَلَى الزّنَى مَهْرٌ]

وَالْحُكْمُ الثّالِثُ مَهْرُ الْبَغِيّ وَهُوَ مَا تَأْخُذُهُ الزّانِيَةُ فِي مُقَابَلَةِ الزّنَى بِهَا فَحَكَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ ذَلِكَ خَبِيثٌ عَلَى أَيّ وَجْهٍ كَانَ حُرّةً كَانَتْ أَوْ أَمَةً وَلَا سِيّمَا فَإِنّ الْبِغَاءَ إنّمَا كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ فِي الْإِمَاءِ دُونَ الْحَرَائِرِ وَلِهَذَا قَالَتْ هِنْدُ : وَقْتَ الْبَيْعَةِ " أَوْ تَزْنِي الْحُرّةُ ؟ " وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنّ الْحُرّةَ الْبَالِغَةَ الْعَاقِلَةَ إذَا مَكّنَتْ رَجُلًا مِنْ نَفْسِهَا فَزَنَى بِهَا أَنّهُ لَا مَهْرَ لَهَا وَاخْتُلِفَ فِي مَسْأَلَتَيْنِ إحْدَاهُمَا : الْحُرّةُ الْمُكْرَهَةُ . وَالثّانِيَةُ الْأَمَةُ الْمُطَاوِعَةُ فَأَمّا الْحُرّةُ الْمُكْرَهَةُ عَلَى الزّنَى فَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ وَهِيَ رِوَايَاتٌ مَنْصُوصَاتٌ عَنْ أَحْمَدَ . أَحَدُهَا : أَنّ لَهَا الْمَهْرَ بِكْرًا كَانَتْ أَوْ ثَيّبًا سَوَاءٌ وُطِئَتْ فِي قُبُلِهَا أَوْ دُبُرِهَا . وَالثّانِي : أَنّهَا إنْ كَانَتْ ثَيّبًا فَلَا مَهْرَ لَهَا وَإِنْ كَانَتْ بِكْرًا فَلَهَا الْمَهْرُ وَهَلْ يَجِبُ مَعَهُ أَرْشُ الْبَكَارَةِ ؟ عَلَى رِوَايَتَيْنِ مَنْصُوصَتَيْنِ وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ أَبِي بَكْرٍ [ص ٦٨٧] كَانَتْ ذَاتَ مَحْرَمٍ فَلَا مَهْرَ لَهَا وَإِنْ كَانَتْ أَجْنَبِيّةً فَلَهَا الْمَهْرُ وَالرّابِعُ أَنّ مَنْ تَحْرُمُ ابْنَتُهَا كَالْأُمّ وَالْبِنْتِ وَالْأُخْتِ فَلَا مَهْرَ لَهَا وَمَنْ تَحِلّ ابْنَتُهَا كَالْعَمّةِ وَالْخَالَةِ فَلَهَا الْمَهْرُ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ لَا مَهْرَ لِلْمُكْرَهَةِ عَلَى الزّنَى بِحَالٍ بِكْرًا كَانَتْ أَوْ ثَيّبًا فَمَنْ أَوْجَبَ الْمَهْرَ قَالَ إنّ اسْتِيفَاءَ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ جُعِلَ مُقَوّمًا فِي الشّرْعِ بِالْمَهْرِ وَإِنّمَا لَمْ يَجِبْ لِلْمُخْتَارَةِ لِأَنّهَا بَاذِلَةٌ لِلْمَنْفَعَةِ الّتِي عَوّضَهَا لَهَا فَلَمْ يَجِبْ لَهَا شَيْءٌ كَمَا لَوْ أَذِنَتْ فِي إتْلَافِ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهَا لِمَنْ أَتْلَفَهُ . وَمَنْ لَمْ يُوجِبْهُ قَالَ الشّارِعُ إنّمَا جَعَلَ هَذِهِ الْمَنْفَعَةَ مُتَقَوّمَةً بِالْمَهْرِ فِي عَقْدٍ أَوْ شُبْهَةِ عَقْدٍ وَلَمْ يُقَوّمْهَا بِالْمَهْرِ فِي الزّنَى الْبَتّةَ وَقِيَاسُ السّفَاحِ عَلَى النّكَاحِ مِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ . قَالُوا : وَإِنّمَا جَعَلَ الشّارِعُ فِي مُقَابَلَةِ هَذَا الِاسْتِمْتَاعِ الْحَدّ وَالْعُقُوبَةَ فَلَا يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ضَمَانِ الْمَهْرِ . قَالُوا : وَالْوُجُوبُ إنّمَا يُتَلَقّى مِنْ الشّارِعِ مِنْ نَصّ خِطَابِهِ أَوْ عُمُومِهِ أَوْ فَحْوَاهُ أَوْ تَنْبِيهِهِ أَوْ مَعْنَى نَصّهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ثَابِتًا مُتَحَقّقًا عَنْهُ . وَغَايَةُ مَا يُدْعَى قِيَاسُ السّفَاحِ عَلَى النّكَاحِ وَيَا بُعْدُ مَا

بَيْنَهُمَا . قَالُوا : وَالْمَهْرُ إنّمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ النّكَاحِ لَفْظًا وَمَعْنًى وَلِهَذَا إنّمَا يُضَافُ إلَيْهِ فَيُقَالُ مَهْرُ النّكَاحِ وَلَا يُضَافُ إلَى الزّنَى فَلَا يُقَالُ مَهْرُ الزّنَا وَإِنّمَا أَطْلَقَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَهْرَ وَأَرَادَ بِهِ الْعَقْدَ كَمَا قَالَ إنّ اللّهَ حَرّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ . وَكَمَا قَالَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ . [ص ٦٨٨] وَالْأَوّلُونَ يَقُولُونَ الْأَصْلُ فِي هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ أَنْ تَقُومَ بِالْمَهْرِ وَإِنّمَا أَسْقَطَهُ الشّارِعُ فِي حَقّ الْبَغِيّ وَهِيَ الّتِي تَزْنِي بِاخْتِيَارِهَا وَأَمّا الْمُكْرَهَةُ عَلَى الزّنَى فَلَيْسَتْ بَغِيّا فَلَا يَجُوزُ إسْقَاطُ بَدَلِ مَنْفَعَتِهَا الّتِي أُكْرِهَتْ عَلَى اسْتِيفَائِهَا كَمَا لَوْ أُكْرِهَ الْحُرّ عَلَى اسْتِيفَاءِ مَنَافِعِهِ فَإِنّهُ يَلْزَمُهُ عِوَضُهَا وَعِوَضُ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ شَرْعًا هُوَ الْمَهْرُ فَهَذَا مَأْخَذُ الْقَوْلَيْنِ . وَمَنْ فَرّقَ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالثّيّبِ رَأَى أَنّ الْوَاطِئَ لَمْ يَذْهَبْ عَلَى الثّيّبِ شَيْئًا وَحَسْبُهُ الْعُقُوبَةُ الّتِي تَرَتّبَتْ عَلَى فِعْلِهِ وَهَذِهِ الْمَعْصِيَةُ لَا يُقَابِلُهَا شَرْعًا مَالٌ يُلْزِمُ مَنْ أَقْدَمَ عَلَيْهَا بِخِلَافِ الْبِكْرِ فَإِنّهُ أَزَالَ بَكَارَتَهَا فَلَا بُدّ مِنْ ضَمَانِ مَا أَزَالَهُ فَكَانَتْ هَذِهِ الْجِنَايَةُ مَضْمُونَةً عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ فَضَمِنَ مَا أَتْلَفَهُ مِنْ جُزْءِ مَنْفَعَةٍ وَكَانَتْ الْمَنْفَعَةُ تَابِعَةً لِلْجُزْءِ فِي الضّمَانِ كَمَا كَانَتْ تَابِعَةً لَهُ فِي عَدَمِهِ مِنْ الْبِكْرِ الْمُطَاوِعَةِ . وَمَنْ فَرّقَ بَيْنَ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ وَغَيْرِهِنّ رَأَى أَنّ تَحْرِيمَهُنّ لَمّا كَانَ تَحْرِيمًا مُسْتَقَرّا وَأَنّهُنّ غَيْرُ مَحِلّ الْوَطْءِ شَرْعًا كَانَ اسْتِيفَاءُ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ مِنْهُنّ بِمَنْزِلَةِ التّلَوّطِ فَلَا يُوجِبُ مَهْرًا وَهَذَا قَوْلُ الشّعْبِيّ وَهَذَا بِخِلَافِ تَحْرِيمِ الْمُصَاهَرَةِ فَإِنّهُ عَارِضٌ يُمْكِنُ زَوَالُهُ . قَالَ صَاحِبُ الْمُغْنِي وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ فِيمَنْ حَرُمَتْ بِالرّضَاعِ لِأَنّهُ طَارِئٌ أَيْضًا . وَمَنْ فَرّقَ فِي ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ بَيْنَ مَنْ تَحْرُمُ ابْنَتُهَا وَبَيْنَ مَنْ لَا تَحْرُمُ فَكَأَنّهُ رَأَى أَنّ مَنْ لَا تَحْرُمُ ابْنَتُهَا تَحْرِيمُهَا أَخَفّ مِنْ تَحْرِيمِ الْأُخْرَى فَأَشْبَهَ الْعَارِضَ . فَإِنْ قِيلَ فَمَا حُكْمُ الْمُكْرَهَةِ عَلَى الْوَطْءِ فِي دُبُرِهَا أَوْ الْأَمَةِ الْمُطَاوِعَةِ عَلَى ذَلِكَ ؟ قِيلَ هُوَ أَوْلَى بِعَدَمِ الْوُجُوبِ فَهَذَا كَاللّوَاطِ لَا يَجِبُ فِيهِ الْمَهْرُ اتّفَاقًا . - ٦٨٩ - وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الشّيْخَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ ابْنُ تَيْمِيّة وَأَبُو مُحَمّدِ بْنِ قُدَامَةَ فَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي " مُحَرّرِهِ " وَيَجِبُ مَهْرُ الْمِثْلِ لِلْمَوْطُوءَةِ بِشُبْهَةٍ وَالْمُكْرَهَةِ عَلَى الزّنَى فِي قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ وَقَالَ أَبُو مُحَمّدٍ فِي الْمُغْنِي لَا يَجِبُ الْمَهْرُ بِالْوَطْءِ فِي الدّبُرِ وَلَا اللّوَاطُ لِأَنّ الشّرْعَ لَمْ يَرِدْ بِبَدَلِهِ وَلَا هُوَ إتْلَافُ لِشَيْءٍ فَأَشْبَهَ الْقُبْلَةَ وَالْوَطْءَ دُونَ الْفَرْجِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصّوَابُ قَطْعًا فَإِنّ هَذَا الْفِعْلَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ الشّارِعُ قِيمَةً أَصْلًا وَلَا قَدّرَ لَهُ مَهْرًا بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ وَقِيَاسُهُ عَلَى وَطْءِ الْفَرْجِ مِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ وَلَازَمَ مَنْ قَالَهُ إيجَابُ الْمَهْرِ لِمَنْ فُعِلَتْ بِهِ اللّوطِيّةُ مِنْ الذّكُورِ وَهَذَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ الْبَتّةَ .

فَصْلٌ [تَحْرِيمُ حُلْوانِ الْكَاهِنِ]

الْحُكْمُ الْخَامِسُ حُلْوَانُ الْكَاهِنِ . قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرّ : لَا خِلَافَ فِي [ص ٦٩٧] حُلْوَانِ الْكَاهِنِ أَنّهُ مَا يُعْطَاهُ عَلَى كَهَانَتِهِ وَهُوَ مِنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَالْحُلْوَانُ فِي أَصْلِ اللّغَةِ الْعَطِيّةُ . قَالَ عَلْقَمَةُ فَمَنْ رَجُلٌ أحلوه رحلي وَنَاقَتِي يُبَلّغُ عَنّي الشّعْرَ إذْ مَاتَ قَائِلُهُ

انْتَهَى . وَتَحْرِيمُ حُلْوَانِ الْكَاهِنِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَحْرِيمِ حُلْوَانِ الْمُنَجّمِ وَالزّاجِرِ وَصَاحِبِ الْقُرْعَةِ الّتِي هِيَ شَقِيقَةُ الْأَزْلَامِ وَضَارِبَةِ الْحَصَا وَالْعَرّافِ وَالرّمّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمّنْ تُطْلَبُ مِنْهُمْ الْأَخْبَارُ عَنْ الْمُغَيّبَاتِ وَقَدْ نَهَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ إتْيَانِ الْكُهّانِ وَأَخْبَرَ أَنّ مَنْ أَتَى عَرّافًا فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ صَلّى اللّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا رَيْبَ أَنّ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبِمَا يَجِيءُ بِهِ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ قَدْ يَصْدُقُ أَحْيَانًا فَصِدْقُهُ بِالنّسْبَةِ إلَى كَذِبِهِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَشَيْطَانُهُ الّذِي يَأْتِيهِ بِالْأَخْبَارِ لَا بُدّ لَهُ أَنْ يَصْدُقَهُ أَحْيَانًا لِيُغْوِيَ بِهِ النّاسَ وَيَفْتِنَهُمْ بِهِ . وَأَكْثَرُ النّاسِ مُسْتَجِيبُونَ لِهَؤُلَاءِ مُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَلَا سِيّمَا ضُعَفَاءُ الْعُقُولِ كَالسّفَهَاءِ وَالْجُهّالِ وَالنّسَاءِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ فَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمَفْتُونُونَ بِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُحْسِنُ الظّنّ بِأَحَدِهِمْ وَلَوْ كَانَ مُشْرِكًا كَافِرًا بِاللّهِ مُجَاهِرًا بِذَلِكَ وَيَزُورُهُ وَيُنْذِرُ لَهُ وَيَلْتَمِسُ دُعَاءَهُ . فَقَدْ رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا وَسَبَبُ هَذَا كُلّهِ خَفَاءُ مَا بَعَثَ اللّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ عَلَى هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ { وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } وَقَدْ قَالَ الصّحَابَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ هَؤُلَاءِ يُحَدّثُونَنَا أَحْيَانًا بِالْأَمْرِ فَيَكُونُ كَمَا [ص ٦٩٨] قَالُوا فَأَخْبَرَهُمْ أَنّ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الشّيَاطِينِ يُلْقُونَ إلَيْهِمْ الْكَلِمَةَ تَكُونُ حَقّا فَيَزِيدُونَ هُمْ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ فَيُصَدّقُونَ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ . وَأَمّا أَصْحَابُ الْمَلَاحِمِ فَرَكّبُوا مَلَاحِمَهُمْ مِنْ أَشْيَاءَ . أَحَدِهَا : مِنْ أَخْبَارِ الْكُهّانِ . وَالثّانِي : مِنْ أَخْبَارٍ مَنْقُولَةٍ عَنْ الْكُتُبِ السّالِفَةِ مُتَوَارَثَةٍ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَالثّالِثُ مِنْ أُمُورٍ أَخْبَرَ نَبِيّنَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا . وَالرّابِعُ مِنْ أُمُورٍ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ لَهُ كَشْفٌ مِنْ الصّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ . وَالْخَامِسُ مِنْ مَنَامَاتٍ مُتَوَاطِئَةٍ عَلَى أَمْرٍ كُلّيّ وَجُزْئِيّ . فَالْجُزْئِيّ يُذَكّرُونَهُ بِعَيْنِهِ وَالْكُلّيّ يُفَصّلُونَهُ بِحَدْسٍ وَقَرَائِنَ تَكُونُ حَقّا أَوْ تُقَارِبُ . وَالسّادِسُ مِنْ اسْتِدْلَالٍ بِآثَارٍ عُلْوِيّةٍ جَعَلَهَا اللّهُ تَعَالَى عَلَامَاتٍ وَأَدِلّةً وَأَسْبَابًا لِحَوَادِثَ أَرْضِيّةٍ لَا يَعْلَمُهَا أَكْثَرُ النّاسِ فَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا سُدًى وَلَا عَبَثًا . وَرَبَطَ سُبْحَانَهُ الْعَالَمَ الْعُلْوِيّ بِالسّفْلِيّ وَجَعَلَ عُلْوِيّهُ مُؤَثّرًا فِي سُفْلِيّهِ دُونَ الْعَكْسِ فَالشّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَإِنْ كَانَ كُسُوفُهُمَا لِسَبَبِ شَرّ يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ وَلِهَذَا شَرَعَ سُبْحَانَهُ تَغْيِيرَ الشّرّ عِنْدَ كُسُوفِهِمَا بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الشّرّ الْمُتَوَقّعَ مِنْ الصّلَاةِ وَالذّكْرِ وَالدّعَاءِ وَالتّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْعِتْقِ فَإِنّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تُعَارِضُ أَسْبَابَ الشّرّ وَتُقَاوِمُهَا وَتَدْفَعُ مُوجِبَاتِهَا إنْ قَوِيَتْ عَلَيْهَا . وَقَدْ جَعَلَ اللّهُ سُبْحَانَهُ حَرَكَةَ الشّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاخْتِلَافَ مَطَالِعِهِمَا سَبَبًا لِلْفُصُولِ الّتِي هِيَ سَبَبُ الْحَرّ وَالْبَرْدِ وَالشّتَاءِ وَالصّيْفِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِمَا مِمّا يَلِيقُ بِكُلّ فَصْلٍ مِنْهَا فَمَنْ لَهُ اعْتِنَاءٌ بِحَرَكَاتِهِمَا وَاخْتِلَافِ مَطَالِعِهِمَا يَسْتَدِلّ [ص ٦٩٩] وَالزّرّاعَةِ وَنَوَاتِيّ السّفُنِ لَهُمْ اسْتِدْلَالَاتٌ بِأَحْوَالِهِمَا وَأَحْوَالِ الْكَوَاكِبِ عَلَى أَسْبَابِ السّلَامَةِ وَالْعَطَبِ مِنْ اخْتِلَافِ الرّيَاحِ وَقُوّتِهَا وَعُصُوفِهَا لَا تَكَادُ تَخْتَلّ . وَالْأَطِبّاءُ لَهُمْ اسْتِدْلَالَاتٌ بِأَحْوَالِ الْقَمَرِ وَالشّمْسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَتَهَيّئِهَا لِقَبُولِ التّغَيّرِ وَاسْتِعْدَادِهَا لِأُمُورٍ غَرِيبَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَوَاضِعُو الْمَلَاحِمِ لَهُمْ عِنَايَةٌ شَدِيدَةٌ بِهَذَا وَأُمُورٌ مُتَوَارَثَةٌ عَنْ قُدَمَاءِ الْمُنَجّمِينَ ثُمّ يَسْتَنْتِجُونَ مِنْ هَذَا كُلّهِ قِيَاسَاتٍ وَأَحْكَامًا تُشْبِهُ مَا تَقَدّمَ وَنَظِيرَهُ . وَسُنّةُ اللّهِ فِي خَلْقِهِ جَارِيَةٌ عَلَى سُنَنٍ اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ فَحُكْمُ النّظِيرِ حُكْمُ نَظِيرِهِ وَحُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ وَهَؤُلَاءِ صَرَفُوا قُوَى أَذْهَانِهِمْ إلَى أَحْكَامِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَاعْتِبَارِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَالِاسْتِدْلَالِ بِبَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ " كَمَا صَرَفَ أَئِمّةُ الشّرْعِ قُوَى أَذْهَانِهِمْ إلَى أَحْكَامِ الْأَمْرِ وَالشّرْعِ وَاعْتِبَارِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَالِاسْتِدْلَالِ بِبَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ وَاَللّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمَصْدَرُ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ عَنْ حِكْمَةٍ لَا تَخْتَلّ وَلَا تَتَعَطّلُ وَلَا تَنْتَقِضُ وَمَنْ صَرَفَ قُوَى ذِهْنِهِ وَفِكْرِهِ وَاسْتَنْفَدَ سَاعَاتِ عُمْرِهِ فِي

شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ هَذَا الْعَالَمِ وَعَلِمَهُ كَانَ لَهُ فِيهِ مِنْ النُّفُوذِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالِاطِّلَاعِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ . وَيَكْفِي الِاعْتِبَارُ بِفَرْعٍ وَاحِدٍ مِنْ فُرُوعِهِ وَهُوَ عِبَارَةُ الرُّؤْيَا فَإِنَّ الْعَبْدَ إذَا نَفَذَ فِيهَا وَكَمُلَ اطِّلَاعُهُ جَاءَ بِالْعَجَائِبِ .

فَصْلٌ [خُبْثُ كَسْبِ الْحَجَّامِ]

الْحُكْمُ السَّادِسُ خُبْثُ كَسْبِ الْحَجَّامِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْفَاصِدُ وَالشَّارِطُ وَكُلُّ مَنْ يَكُونُ كَسْبُهُ مِنْ إخْرَاجِ الدَّمِ وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ الطَّبِيبُ وَلَا الْكَحَّالُ وَلَا الْبَيْطَارُ لَا فِي لَفْظِهِ وَلَا فِي مَعْنَاهُ وَصَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَنَّهُ حَكَمَ بِخُبْثِهِ وَأَمَرَ صَاحِبَهُ أَنْ يَعْلِفَهُ نَاضِحَهُ أَوْ رَقِيقَهُ وَصَحَّ عَنْهُ أَنّه احْتَجَمَ وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ [ص ٧٠١] فَأَشْكَلَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَظَنُّوا أَنَّ النَّهْيَ عَنْ كَسْبِهِ مَنْسُوخٌ بِإِعْطَائِهِ أَجْرَهُ وَمِمَّنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ الطَّحَاوِيّ فَقَالَ فِي احْتِجَاجِهِ لِلْكُوفِيِّينَ فِي إبَاحَةِ بَيْعِ الْكِلَابِ وَأَكْلِ أَثْمَانِهَا : لِمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ ثُمَّ قَالَ مَا لِي وَلِلْكِلَابِ ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ وَكَانَ بَيْعُ الْكِلَابِ إذْ ذَاكَ وَالِانْتِفَاعُ بِهِ حَرَامًا وَكَانَ قَاتِلُهُ مُؤَدِّيًا لِلْفَرْضِ عَلَيْهِ فِي قَتْلِهِ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ وَأَبَاحَ الِاصْطِيَادَ بِهِ فَصَارَ كَسَائِرِ الْجَوَارِحِ فِي جَوَازِ بَيْعِهِ قَالَ وَمِثْلُ ذَلِكَ نَهْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ وَقَالَ كَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ ثُمَّ أَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ وَكَانَ ذَلِكَ نَاسِخًا لِمَنْعِهِ وَتَحْرِيمِهِ وَنَهْيِهِ . انْتَهَى كَلَامُهُ . وَأَسْهَلُ مَا فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَّهَا دَعْوَى مُجَرَّدَةٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا فَلَا تُقْبَلُ كَيْفَ وَفِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ مَا يُبْطِلُهَا فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الْكِلَابِ ثُمَّ رَخَّصَ لَهُمْ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ إلَّا كَلْبَ الصَّيْدِ أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ أَوْ مَاشِيَةٍ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الْكِلَابِ ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ وَالْحَدِيثَانِ فِي " الصَّحِيحِ " فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرُّخْصَةَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ وَقَعَتْ بَعْدَ الْأَمْرِ بِقَتْلِ الْكِلَابِ فَالْكَلْبُ الَّذِي أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اقْتِنَائِهِ هُوَ الَّذِي حَرَّمَ ثَمَنَهُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَبِيثٌ دُونَ الْكَلْبِ الَّذِي أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَإِنَّ الْمَأْمُورَ بِقَتْلِهِ غَيْرُ مُسْتَبْقًى حَتَّى تَحْتَاجَ الْأُمَّةُ إلَى بَيَانِ حُكْمِ ثَمَنِهِ وَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِبَيْعِهِ وَشِرَائِهِ بِخِلَافِ الْكَلْبِ الْمَأْذُونِ فِي اقْتِنَائِهِ فَإِنَّ الْحَاجَةَ دَاعِيَةٌ إلَى بَيَانِ حُكْمِ ثَمَنِهِ أَوْلَى مِنْ حَاجَتِهِمْ إلَى بَيَانِ مَا لَمْ تَجْرِ عَادَتُهُمْ بِبَيْعِهِ بَلْ قَدْ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ . [ص ٧٠٢] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي تُبْذَلُ فِيهَا الْأَمْوَالُ عَادَةً لِحِرْصِ النُّفُوسِ عَلَيْهَا وَهِيَ مَا تَأْخُذُهُ الزَّانِيَةُ وَالْكَاهِنُ وَالْحَجَّامُ وَبَائِعُ الْكَلْبِ فَكَيْفَ يُحْمَلُ هَذَا عَلَى كَلْبٍ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِبَيْعِهِ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الْكِلَابُ الَّتِي إنَّمَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِبَيْعِهَا هَذَا مِنْ الْمُمْتَنِعِ الْبَيِّنِ امْتِنَاعُهُ وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا ظَهَرَ فَسَادُ مَا شُبِّهَ بِهِ مِنْ نَسْخِ خُبْثِ أُجْرَةِ الْحَجَّامِ بَلْ دَعْوَى النَّسْخِ فِيهَا أَبْعَدُ . وَأَمَّا إعْطَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَّامَ أَجْرَهُ فَلَا يُعَارِضُ قَوْلَهُ كَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إنَّ إعْطَاءَهُ خَبِيثٌ بَلْ إعْطَاؤُهُ إمَّا وَاجِبٌ وَإِمَّا مُسْتَحَبٌّ وَإِمَّا جَائِزٌ وَلَكِنْ هُوَ خَبِيثٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْآخِذِ وَخُبْثُهُ بِالنِّسْبَةِ إلَى أَكْلِهِ فَهُوَ خَبِيثُ الْكَسْبِ وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ تَحْرِيمُهُ فَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثُّومَ وَالْبَصَلَ خَبِيثَيْنِ مَعَ إبَاحَةِ أَكْلِهِمَا وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إعْطَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَّامَ أَجْرَهُ حِلُّ أَكْلِهِ فَضْلًا عَنْ كَوْنِ أَكْلِهِ طَيِّبًا فَإِنَّهُ قَالَ إنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ الْعَطِيَّةَ يَخْرُجُ بِهَا يَتَأَبَّطُهَا نَارًا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ

يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ مِنْ مَالِ الزَّكَاةِ وَالْفَيْءِ مَعَ غِنَاهُمْ وَعَدَمِ حَاجَتِهِمْ إلَيْهِ لِيَبْذُلُوا مِنْ الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بَذْلُهُ بِدُونِ الْعَطَاءِ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ تَوَقُّفُ بَذْلِهِ عَلَى الْأَخْذِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ الْمُبَادَرَةُ إلَى بَذْلِهِ بِلَا عِوَضٍ . وَهَذَا أَصْلٌ مَعْرُوفٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرْعِ أَنَّ الْعَقْدَ وَالْبَذْلَ قَدْ يَكُونُ جَائِزًا أَوْ مُسْتَحَبًّا أَوْ وَاجِبًا مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ مَكْرُوهًا أَوْ مُحَرَّمًا مِنْ الطَّرَفِ الْآخَرِ فَيَجِبُ عَلَى الْبَاذِلِ أَنْ يَبْذُلَ وَيَحْرُمُ عَلَى الْآخِذِ أَنْ يَأْخُذَهُ . وَبِالْجُمْلَةِ فَخُبْثُ أَجْرِ الْحَجَّامِ مِنْ جِنْسِ خُبْثِ أَكْلِ الثُّومِ وَالْبَصَلِ لَكِنّ هَذَا خَبِيثُ الرَّائِحَةِ وَهَذَا خَبِيثٌ لِكَسْبِهِ .

[أَطْيَبُ الْمَكَاسِبِ وَأَحَلُّهَا]

فَإِنْ قِيلَ فَمَا أَطْيَبُ الْمَكَاسِبِ وَأَحَلُّهَا ؟ قِيلَ هَذَا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِلْفُقَهَاءِ . أَحَدُهَا : أَنّهُ كَسْبُ التّجَارَةِ [ص ٧٠٣] وَالثّانِي : أَنّهُ عَمَلُ الْيَدِ فِي غَيْرِ الصّنَائِعِ الدّنِيئَةِ كَالْحِجَامَةِ وَنَحْوِهَا . وَالثّالِثُ أَنّهُ الزّرَاعَةُ وَلِكُلّ قَوْلٍ مِنْ هَذِهِ وَجْهٌ مِنْ التّرْجِيحِ أَثَرًا وَنَظَرًا وَالرّاجِحُ أَنّ أَحَلّهَا الْكَسْبُ الّذِي جَعَلَ مِنْهُ رِزْقَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ كَسْبُ الْغَانِمِينَ وَمَا أُبِيحَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الشّارِعِ وَهَذَا الْكَسْبُ قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَدْحُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ وَأُثْنِيَ عَلَى أَهْلِهِ مَا لَمْ يُثْنَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَلِهَذَا اخْتَارَهُ اللّهُ لِخَيْرِ خَلْقِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ حَيْثُ يَقُولُ بُعِثْتُ بِالسّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السّاعَةِ حَتّى يُعْبَدَ اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذّلّةُ وَالصّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَهُوَ الرّزْقُ الْمَأْخُوذُ بِعِزّةٍ وَشَرَفٍ وَقَهْرٍ لِأَعْدَاءِ اللّهِ وَجُعِلَ أَحَبّ شَيْءٍ إلَى اللّهِ فَلَا يُقَاوِمُهُ كَسْبُ غَيْرِهِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ فِي حُكْمِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي بَيْعِ عَسْبِ الْفَحْلِ وَضِرَابِهِ

فِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ عَسْبِ الْفَحْلِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ جَابِرٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الْفَحْلِ وَهَذَا الثّانِي تَفْسِيرٌ لِلْأَوّلِ وَسَمّى أُجْرَةَ ضِرَابِهِ بَيْعًا إمّا لِكَوْنِ الْمَقْصُودِ هُوَ الْمَاءَ الّذِي لَهُ فَالثّمَنُ مَبْذُولٌ فِي مُقَابَلَةِ عَيْنِ مَائِهِ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْبَيْعِ وَإِمّا أَنّهُ سَمّى إجَارَتَهُ لِذَلِكَ بَيْعًا إذْ هِيَ عَقْدُ مُعَاوَضَةٍ وَهِيَ بَيْعُ الْمَنَافِعِ وَالْعَادَةُ أَنّهُمْ يَسْتَأْجِرُونَ الْفَحْلَ لِلضّرَابِ وَهَذَا هُوَ الّذِي نُهِيَ عَنْهُ وَالْعَقْدُ الْوَارِدُ عَلَيْهِ بَاطِلٌ سَوَاءٌ كَانَ بَيْعًا أَوْ إجَارَةً وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَحْمَدُ وَالشّافِعِيّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُمْ . [ص ٧٠٤] وَقَالَ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ : وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي الْجَوَازُ لِأَنّهُ عَقْدٌ عَلَى مَنَافِعِ الْفَحْلِ وَنَزْوِهِ عَلَى الْأُنْثَى وَهِيَ مَنْفَعَةٌ مَقْصُودَةٌ وَمَاءُ الْفَحْلِ يَدْخُلُ تَبَعًا وَالْغَالِبُ حُصُولُهُ عَقِيبَ نَزْوِهِ فَيَكُونُ كَالْعَقْدِ عَلَى الظّئْرِ لِيَحْصُلَ اللّبَنُ فِي بَطْنِ الصّبِيّ وَكَمَا لَوْ اسْتَأْجَرَ أَرْضًا وَفِيهَا بِئْرُ مَاءٍ فَإِنّ الْمَاءَ يَدْخُلُ تَبَعًا وَقَدْ يُغْتَفَرُ فِي الْأَتْبَاعِ مَا لَا يُغْتَفَرُ فِي الْمَتْبُوعَاتِ . وَأَمّا مَالِكٌ فَحُكِيَ عَنْهُ جَوَازُهُ وَاَلّذِي ذَكَرَهُ أَصْحَابُهُ التّفْصِيلُ فَقَالَ صَاحِبُ " الْجَوَاهِرِ " فِي بَابِ فَسَادِ الْعَقْدِ مِنْ جِهَةِ نَهْيِ الشّارِعِ وَمِنْهَا بَيْعُ عَسْبِ الْفَحْلِ وَيُحْمَلُ النّهْيُ فِيهِ عَلَى اسْتِئْجَارِ الْفَحْلِ عَلَى لِقَاحِ الْأُنْثَى وَهُوَ فَاسِدٌ لِأَنّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ عَلَى تَسْلِيمِهِ فَأَمّا أَنْ يَسْتَأْجِرَهُ عَلَى أَنْ يَنْزُوَ عَلَيْهِ دَفَعَاتٍ مَعْلُومَةً فَذَلِكَ جَائِزٌ إذْ هُوَ أَمَدٌ مَعْلُومٌ فِي نَفْسِهِ وَمَقْدُورٌ عَلَى تَسْلِيمِهِ .

١ـ باع واشترى، وكان شراؤه أكثر من بيعه بعد الرسالة. وآجر واستأجر، ووكل وتوكل، وكان توكيله أكثر من توكله.

٢ـ واشترى بالثمن الحالِّ والمؤجَّل، وَتَشَفَّعَ وشُفِّع إليه، واستدان برهن وبغير رهن، واستعار.
٣ـ ووهب واتَّهب، وأهدى وقبِل الهدية وأثاب عليها، وكان إذا أهديت له هدية كافأ بأكثر منها، وإن لم يُردْهَا اعتذر إلى مُهْدِيهَا، وكانت الملوك تُهدي إليه، فيقبل هداياهم، ويقسمها بين أصحابه.
٤ـ وكان أحسنَ الناس معاملة، وكان إذا استسلف من أحد سلفًا قضى خيرًا منه، ودعا بالبركة في أهله وماله. واقترض بعيرًا فجاء صاحبه يتقاضاه، فأغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم فَهَمَّ به أصحابه فقال: ((دَعُوهُ؛ فإن لصاحب الحق مقالاً)) [ق].
٥ـ كان لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وأمر من اشتد غضبه أن يطفئ جمرة الغضب بالوضوء، وبالقعود إن كان قائمًا، والاستعاذة بالله من الشيطان.
٦ـ وكان لا يتكبر على أحد، بل يتواضع لأصحابه ويبذل السلام للصغير والكبير.
٧ـ وكان يمازح ويقول في مزاحه الحق، ويورِّي ولا يقول في توريته إلا الحق.
٨ـ وسابق بنفسه على الأقدام، وَصَارَعَ بعض أصحابه، وخصف نعله بيده، ورقع ثوبه بيده، ورفع دلوه وحلب شاته وفلى ثوبه، وخدم أهله ونفسه، وحمل مع أصحابه اللَّبِنَ في بناء المسجد.
٩ـ وكان أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا.
١٠ـ وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثمًا.
١١ـ ولم يكن ينتصر من مظلمة ظلمها قطُّ ما لم ينتهك من محارم الله شيء، وكان من أشدهم غضبًا إذا انتهك من محارم الله شيء.
١٢ـ وكان يَشِيرُ وَيَسْتَشِيرُ ويعود المريض ويشهد الجنازة، ويجيب الدعوة، ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في قضاء حوائجهم.
١٣ـ وكان يدعو لمن تقرَّب إليه بما يحب، وقال: ((من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء)) [صحيح الترمذي]، وعاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام؛ فأسلم اليهود

٢٥. هديه صلى الله عليه وسلم في الذّكْر

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٣٢)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّكْرِ
كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَكْمَلَ الْخَلْقِ ذِكْرًا لِلّهِ عَزّ وَجَلّ بَلْ كَانَ كَلَامُهُ كُلّهُ فِي ذِكْرِ اللّهِ وَمَا وَالَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَتَشْرِيعُهُ لِلْأُمّةِ ذِكْرًا مِنْهُ لِلّهِ وَإِخْبَارُهُ عَنْ أَسْمَاءِ الرّبّ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَفْعَالِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ذِكْرًا مِنْهُ لَهُ وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِآلَائِهِ وَتَمْجِيدُهُ وَحَمْدُهُ وَتَسْبِيحُهُ ذِكْرًا مِنْهُ لَهُ وَسُؤَالُهُ وَدُعَاؤُهُ إيّاهُ وَرَغْبَتُهُ وَرَهْبَتُهُ ذِكْرًا مِنْهُ لَهُ وَسُكُوتُهُ وَصَمْتُهُ ذِكْرًا مِنْهُ لَهُ بِقَلْبِهِ فَكَانَ ذَاكِرًا لِلّهِ فِي كُلّ أَحْيَانِهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَكَانَ ذِكْرُهُ لِلّهِ يَجْرِي مَعَ أَنْفَاسِهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى جَنْبِهِ وَفِي مَشْيِهِ وَرُكُوبِهِ وَمَسِيرِهِ وَنُزُولِهِ وَظَعْنِهِ وَإِقَامَتِهِ . وَكَانَ إذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النّشُورُ [ص ٣٣٣]
[الذّكْرُ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ مِنْ اللّيْلِ]

وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ إذَا هَبَّ مِنْ اللَّيْلِ كَبَّرَ اللَّهَ عَشْرًا ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْرًا ، وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَشْرًا ، وَهَلَّلَ عَشْرًا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مَنْ ضِيقِ الدُّنْيَا ، وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا ، ثُمَّ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ . وَقَالَتْ أَيْضًا : كَانَ إذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنِي ، وَهَبْ لِي مَنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ذَكَرَهُمَا أَبُو دَاوُدَ . وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ اسْتَيْقَظَ مَنْ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَاَللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ [الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ] ثُمَّ قَالَ " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا بِدُعَاءٍ آخَرَ اُسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى ، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ . [ص ٣٣٤] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ مَبِيتِهِ عِنْدَهُ إنَّهُ لَمَّا اسْتَيْقَظَ رَفَعَ رَأْسَهُ إلَى السَّمَاءِ وَقَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِيمَ مَنْ سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) { إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } . .. إلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ إلَهِي ، لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ إذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ ا للَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِك ، إنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [ص ٣٣٥] قَالَتْ كَانَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ بِذَلِكَ . وَكَانَ إذَا أَوْتَرَ خَتَمَ وِتْرَهُ بَعْدَ فَرَاغِهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ثَلَاثًا ، وَيَمُدُّ بِالثَّالِثَةِ صَوْتَهُ .

[الذِّكْرُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مَنْ الْبَيْت]

وَكَانَ إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْت عَلَى اللَّهِ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ إذَا خَرَجَ مَنْ بَيْتِهِ : بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْت عَلَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ يُقَالُ لَهُ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ [ص ٣٣٦] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ لَيْلَةَ مَبِيتِهِ عِنْدَهُ إنَّهُ خَرَجَ إلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي لِسَانِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مَنْ خَلْفِي نُورًا ، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مَنْ فَوْقِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ تَحْتِي نُورًا ، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا وقَال فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَا خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِهِ إلَى الصَّلَاةِ فَقَال : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إلَيْكَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ بَطَرًا وَلَا أَشَرًا ، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِك ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنْ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ إلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ

[دُعَاءُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ]
وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ أَعُوذُ بِاَللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَإِذَا قَال ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك مِنْ فَضْلِكَ [ص ٣٣٧] أَنَّهُ كَانَ إذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك ، فَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ وَكَانَ إذَا صَلَّى الصُّبْحَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

[أَدْعِيَةُ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ]
وَكَانَ يَقُولُ إذَا أَصْبَحَ اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَكَانَ يَقُولُ أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مَنّ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ وَإِذَا أَمْسَى قَال : أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ . .. إلَى آخِرِهِ . [ص ٣٣٨] ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَمَالِكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إلَى مُسْلِمٍ قَالَ قُلْهَا إذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَقَالَ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : رَضِيتُ بِاَللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيّ وَالْحَاكِمُ . [ص ٣٣٩] وَقَالَ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : اللَّهُمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ " وَأَنّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنْ النَّارِ وَإِنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنْ النَّارِ وَإِنْ قَالَهَا ثَلَاثًا ، أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنْ النَّارِ وَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَقَالَ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مَنّ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ . [ص ٣٤٠] وَكَانَ يَدْعُو حَيْنَ يُصْبِحُ وَحَيْنَ يُمْسِي بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اُسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ . وَقَالَ إذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهِدَايَتَهُ

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا فِيهِ وَشَرّ مَا بَعْدَهُ ثُمّ إذَا أَمْسَى ، فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنَاتِهِ قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاَللّهِ الْعَلِيّ الْعَظِيمِ مَا شَاءَ اللّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمًا ، فَإِنّهُ مَنْ قَالَهُنّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهُنّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتّى يُصْبِحَ وَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ : أَلَا أُعَلّمُك كَلَامًا إذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللّهُ هَمّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ ؟ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ قُلْ إذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدّيْنِ وَقَهْرِ الرّجَالِ قَالَ فَقُلْتهنّ فَأَذْهَبَ اللّهُ هَمّي ، وَقَضَى عَنّي دَيْنِي [ص ٣٤١] وَكَانَ إذَا أَصْبَحَ قَالَ أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَدِينِ نَبِيّنَا مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمِلّةِ أَبِينَا إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ

[الرّسُولُ مُرْسَلٌ إلَى نَفْسِهِ وَأُمّتِهِ]

هَكَذَا فِي الْحَدِيثِ وَدِينِ نَبِيّنَا مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ اسْتَشْكَلَهُ بَعْضُهُمْ وَلَهُ حُكْمُ نَظَائِرِهِ كَقَوْلِهِ فِي الْخُطَبِ وَالتّشَهّدِ فِي الصّلَاةِ أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ فَإِنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُكَلّفٌ بِالْإِيمَانِ بِأَنّهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى خَلْقِهِ وَوُجُوبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ وُجُوبِهِ عَلَى الْمُرْسَلِ إلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيّ إلَى نَفْسِهِ وَإِلَى الْأُمّةِ الّتِي هُوَ مِنْهُمْ وَهُوَ رَسُولُ اللّهِ إلَى نَفْسِهِ وَإِلَى أُمّتِهِ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لِفَاطِمَةَ ابْنَتِهِ مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ : أَنْ تَقُولِي إذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ يَا حَيّ ، يَا قَيّومُ بِك أَسْتَغِيثُ فَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي ، وَلَا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لِرَجُلٍ شَكَا إلَيْهِ إصَابَةَ الْآفَاتِ قُلْ إذَا أَصْبَحْتَ بِسْمِ اللّهِ عَلَى نَفْسِي ، وَأَهْلِي وَمَالِي ، فَإِنّهُ لَا يَذْهَبُ عَلَيْكَ شَيْءٌ [ص ٣٤٢] وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ إذَا أَصْبَحَ قَالَ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَرِزْقًا طَيّبًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبّلاً وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ الْعَبْدَ إذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرّاتٍ اللّهُمّ إنّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ فَأَتْمِمْ عَلَيّ نِعْمَتَكَ وَعَافِيَتَك وَسِتْرَكَ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِذَا أَمْسَى ، قَالَ ذَلِك ، كَانَ حَقّا عَلَى اللّهِ أَنْ يُتِمّ عَلَيْه وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ مَنْ قَالَ فِي كُلّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : حَسْبِيَ اللّهُ لَا إلَهَ إلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْت وَهُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ سَبْعَ مَرّاتٍ كَفَاهُ اللّهُ مَا أَهَمّهُ مِنْ أَمْرِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي أَوّلِ نَهَارِهِ ، لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهَا آخِرَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتّى يُصْبِحَ " اللّهُمّ أَنْتَ رَبّي ، لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ ، عَلَيْكَ تَوَكّلْتُ وَأَنْتَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مَا شَاءَ اللّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاَللّهِ الْعَلِيّ الْعَظِيمِ أَعْلَمُ أَنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمًا ، اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ نَفْسِي ، وَشَرّ كُلّ دَابّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إنّ رَبّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَقَدْ قِيلَ لِأَبِي الدّرْدَاءِ [ص ٣٤٣] فَقَالَ مَا احْتَرَقَ وَلَمْ يَكُنْ اللّهُ عَزّ وَجَلّ لِيَفْعَلَ لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتهنّ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَذَكَرَهَا . وَقَالَ سَيّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللّهُمّ أَنْتَ رَبّي ، لَا إله إلّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي إنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أَنْتَ

مَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنّةَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنّةَ وَمَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمّا جَاءَ بِهِ إلّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ " . وَقَالَ " مَنْ قَالَ حَيْنَ يُصْبِحُ عَشْرَ مَرّاتٍ لَا إلَه إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللّهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيّئَاتٍ وَكَانَتْ كَعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ وَأَجَارَهُ اللّهُ يَوْمَهُ مِنْ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ وَإِذَا أَمْسَى فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتّى يُصْبِحَ [ص ٣٤٤] وَقَالَ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمّا جَاءَ بِهْ إلّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَغَيْرِهِ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلّمَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ فِي كُلّ صَبَاحٍ لَبّيْكَ اللّهُمّ لَبّيْكَ لَبّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ اللّهُمّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلّهِ مَا شِئْتَ كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِكَ إنّكَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللّهُمّ مَا صَلّيْتَ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلّيْتَ وَمَا لَعَنْتَ مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ أَنْتَ وَلِيّي فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ اللّهُمّ فَاطِرَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَإِنّي أَعْهَدُ إلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدّنْيَا ، وَأُشْهِدُكَ - وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا - بِأَنّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَأَشْهَدُ أَنّ وَعْدَكَ حَقّ ، وَلِقَاءَكَ حَقّ ، وَالسّاعَةَ حَقّ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنّكَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَأَشْهَدُ أَنّكَ إنْ تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إلَى ضَعْفٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ وَإِنّي لَا أَثِقُ إلّا بِرَحْمَتِكَ فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلّهَا إنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أَنْتَ وَتُبْ عَلَيّ إنّكَ أَنْتَ التّوّابُ الرّحِيمُ [ص ٣٤٥]

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّكْرِ عِنْدَ لُبْسِ الثّوْبِ وَنَحْوِهِ

كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا اسْتَجَدّ ثَوْبًا سَمّاهُ بِاسْمِهِ عِمَامَةً أَوْ قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً ثُمّ يَقُولُ اللّهُمّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهِ وَشَرّ مَا صُنِعَ لَهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . [ص ٣٤٦] قَالَ مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ : " الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مَنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي وَلَا قُوّةٍ غَفَرَ اللّهُ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَفِي " جَامِعِ التّرْمِذِيّ " عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُول : مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ " الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي ، وَأَتَجَمّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي ، ثُمّ عَمَدَ إلَى الثّوْبِ الّذِي أَخْلَقَ فَتَصَدّقَ بِهِ كَانَ فِي حِفْظِ اللّهِ وَفِي كَنَفِ اللّهِ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ حَيّا وَمَيّتًا وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ لِأُمّ خَالِدٍ لَمّا أَلْبَسَهَا الثّوْبَ الْجَدِيدَ أَبْلِي وَأَخْلِقِي ، ثُمّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي مَرّتَيْنِ وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأَى عَلَى عُمَرَ ثَوْبًا فَقَالَ أَجَدِيدٌ هَذَا ،أَمْ غَسِيلٌ ؟ فَقَالَ بَلْ غَسِيلٌ فَقَالَ " الْبَسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَمُتْ شَهِيدًا [ص ٣٤٧]

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ دُخُولِهِ إلَى مَنْزِلِهِ

لَمْ يَكُنْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَفْجَأَ أَهْلَهُ بَغْتَةً يَتَخَوّنُهُمْ وَلَكِنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِهِ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ بِدُخُولِهِ وَكَانَ يُسَلّمُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ إذَا دَخَلَ بَدَأَ بِالسّؤَالِ أَوْ سَأَلَ عَنْهُمْ وَرُبّمَا قَالَ هَلْ عِنْدَكُمْ مَنْ غَدَاء ؟ وَرُبّمَا سَكَتَ حَتّى يُحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا تَيَسّرَ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ إذَا انْقَلَبَ إلَى بَيْتِهِ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي كَفَانِي ، وَآوَانِي ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي مَنّ عَلَيّ فَأَفْضَلَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ النّارِ [ص ٣٤٨] وَثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لِأَنَسٍ إذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَفِي " السّنَنِ " عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا وَلَجَ الرّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ : اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ بِسْمِ اللّهِ وَلَجْنَا ، وَعَلَى اللّهِ رَبّنَا تَوَكّلْنَا ، ثُمّ لِيُسَلّمْ عَلَى أَهْلِهِ وَفِيهَا عَنْهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَةٌ كُلّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ حَتّى يَتَوَفّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنّةَ أَوْ يَرُدّهُ بِمَا نَالَ مَنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ وَرَجُلٌ رَاحَ إلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ حَتّى يَتَوَفّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنّةَ أَوْ يَرُدّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَصَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا دَخَلَ الرّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ . [ص ٣٤٩]

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّكْرِ عِنْدَ دُخُولِهِ الْخَلَاءَ

ثَبَتَ عَنْهُ فِي " الصّحِيحَيْنِ " أَنّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِهِ الْخَلَاءَ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ . وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْهُ أَنّهُ أَمَرَ مَنْ دَخَلَ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ لَا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ إذَا دَخَلَ مِرْفَقَهُ أَنْ يَقُولَ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الرّجْسِ النّجِسِ الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ . [ص ٣٥٠] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ سَتْرُ مَا بَيْنَ الْجِنّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللّهِ . وَثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ رَجُلًا سَلّمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبُولُ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ . وَأَخْبَرَ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَمْقُتُ الْحَدِيثَ عَلَى الْغَائِطِ فَقَالَ لَا يَخْرُجْ الرّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَاتِهِمَا يَتَحَدّثَانِ فَإِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ .

[النّهْيُ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَاسْتِدْبَارِهَا بِبَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ]

وَقَدْ تَقَدّمَ أَنّهُ كَانَ لَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا بِبَوْلٍ وَلَا بِغَائِطٍ وَأَنّهُ نَهَى عَنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَيّوبَ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَمَعْقِلِ بْنِ أَبِي مَعْقِلٍ ، وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جُزْءٍ الزّبَيْدِيّ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ، وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ [ص ٣٥١] رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَعَامّةُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ صَحِيحَةٌ وَسَائِرُهَا حَسَنٌ وَالْمُعَارِضُ لَهَا إمّا مَعْلُولُ السّنَدِ وَإِمّا ضَعِيفُ الدّلَالَةِ فَلَا يُرَدّ صَرِيحُ نَهْيِهِ الْمُسْتَفِيضُ عَنْهُ بِذَلِكَ كَحَدِيثِ عِرَاكٍ عَنْ عَائِشَةَ ، ذُكِرَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ أُنَاسًا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِفُرُوجِهِمْ فَقَالَ أَوَقَدْ فَعَلُوهَا حَوّلُوا مَقْعَدَتِي قِبَلَ الْقِبْلَةِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَقَالَ هُوَ أَحْسَنُ مَا رُوِيَ فِي الرّخْصَةِ وَإِنْ كَانَ مُرْسَلًا ، وَلَكِنّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ طَعَنَ فِيهِ الْبُخَارِيّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمّةِ الْحَدِيثِ وَلَمْ يُثْبِتُوهُ وَلَا يَقْتَضِي كَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ تَثْبِيتَهُ وَلَا تَحْسِينَهُ قَالَ التّرْمِذِيّ فِي كِتَابِ " الْعِلَلِ الْكَبِيرِ " لَهُ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللّهِ مُحَمّدَ بْنَ

إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ فِيهِ اضْطِرَابٌ وَالصّحِيحُ عِنْدِي عَنْ عَائِشَةَ مِنْ قَوْلِهَا انْتَهَى . قُلْت : وَلَهُ عِلّةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ انْقِطَاعُهُ بَيْنَ عِرَاكٍ وَعَائِشَةَ ، فَإِنّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهَا ، وَقَدْ رَوَاهُ عَبْدُ الْوَهّابِ الثّقَفِيّ عَنْ خَالِدٍ الْحَذّاءِ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَائِشَةَ ، وَلَهُ عِلّةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ ضَعْفُ خَالِدِ بْنِ أَبِي الصّلْتِ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرٍ : نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ تُسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةُ بِبَوْلٍ فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا وَهَذَا الْحَدِيثُ اسْتَغْرَبَهُ التّرْمِذِيّ بَعْدَ تَحْسِينِهِ وَقَالَ التّرْمِذِيّ فِي كِتَابِ " الْعِلَلِ " : سَأَلْت مُحَمّدًا يَعْنِي الْبُخَارِيّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ ابْنِ إسْحَاقَ ، فَإِنْ كَانَ مُرَادُ الْبُخَارِيّ صِحّتَهُ عَنْ ابْنِ إسْحَاقَ ، لَمْ يَدُلّ عَلَى صِحّتِهِ فِي نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ صِحّتَهُ فِي نَفْسِهِ فَهِيَ وَاقِعَةُ عَيْنٍ حُكْمُهَا حُكْمُ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ لَمّا رَأَى " رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْكَعْبَةِ " ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ وُجُوهًا سِتّةً نَسْخٌ [ص ٣٥٢] لِمَكَانٍ أَوْ غَيْرِهِ وَأَنْ يَكُونَ بَيَانًا ، لِأَنّ النّهْيَ لَيْسَ عَلَى التّحْرِيمِ وَلَا سَبِيلَ إلَى الْجَزْمِ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ عَلَى التّعْيِينِ وَإِنْ كَانَ حَدِيثُ جَابِرٍ لَا يَحْتَمِلُ الْوَجْهَ الثّانِيَ مِنْهَا ، فَلَا سَبِيلَ إلَى تَرْكِ أَحَادِيثِ النّهْيِ الصّحِيحَةِ الصّرِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ بِهَذَا الْمُحْتَمَلِ . وَقَوْلُ ابْنِ عُمَرَ : إنّمَا نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ فِي الصّحْرَاءِ فَهْمٌ مِنْهُ لِاخْتِصَاصِ النّهْيِ بِهَا ، وَلَيْسَ بِحِكَايَةِ لَفْظِ النّهْيِ وَهُوَ مُعَارَضٌ بِفَهْمِ أَبِي أَيّوبَ لِلْعُمُومِ مَعَ سَلَامَةِ قَوْلِ أَصْحَابِ الْعُمُومِ مِنْ التّنَاقُضِ الّذِي يَلْزَمُ الْمُفَرّقِينَ بَيْنَ الْفَضَاءِ وَالْبُنْيَانِ فَإِنّهُ يُقَالُ لَهُمْ مَا حَدّ الْحَاجِزِ الّذِي يَجُوزُ ذَلِكَ مَعَهُ فِي الْبُنْيَانِ ؟ وَلَا سَبِيلَ إلَى ذِكْرِ حَدّ فَاصِلٍ وَإِنْ جَعَلُوا مُطْلَقَ الْبُنْيَانِ مُجَوّزًا لِذَلِكَ لَزِمَهُمْ جَوَازُهُ فِي الْفَضَاءِ الّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْبَائِلِ وَبَيْنَهُ جَبَلٌ قَرِيبٌ أَوْ بَعِيدٌ كَنَظِيرِهِ فِي الْبُنْيَانِ وَأَيْضًا فَإِنّ النّهْيَ تَكْرِيمٌ لِجِهَةِ الْقِبْلَةِ وَذَلِكَ لَا يَخْتَلِفُ بِفَضَاءٍ وَلَا بُنْيَانٍ وَلَيْسَ مُخْتَصّا بِنَفْسِ الْبَيْتِ فَكَمْ مِنْ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ حَائِلٌ بَيْنَ الْبَائِلِ وَبَيْنَ الْبَيْتِ بِمِثْلِ مَا تَحُولُ جُدْرَانُ الْبُنْيَانِ وَأَعْظَمُ وَأَمّا جِهَةُ الْقِبْلَةِ فَلَا حَائِلَ بَيْنَ الْبَائِلِ وَبَيْنَهَا ، وَعَلَى الْجِهَةِ وَقَعَ النّهْيُ لَا عَلَى الْبَيْتِ نَفْسِهِ فَتَأَمّلْهُ فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَذْكَارِ الْوُضُوءِ

ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ فِي الْإِنَاءِ الّذِي فِيهِ الْمَاءُ ثُمّ قَالَ لِلصّحَابَةِ تَوَضّئُوا بِسْمِ اللّهِ وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ لِجَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ نَادِ بِوَضُوءٍ " فَجِيءَ بِالْمَاءِ فَقَالَ " خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبّ عَلَيّ وَقُلْ بِسْمِ اللّهِ " قَالَ فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ بِسْمِ اللّهِ قَالَ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَفِي أَسَانِيدِهَا لِينٌ . وَصَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ مَنْ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنّةِ الثّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيّهَا شَاءَ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ . [ص ٣٥٤] وَزَادَ التّرْمِذِيّ بَعْدَ التّشَهّدِ اللّهُمّ اجْعَلْنِي مِنْ التّوّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهّرِينَ وَزَادَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : ثُمّ رَفَعَ نَظَرَهُ إلَى السّمَاءِ وَزَادَ ابْنُ مَاجَهْ مَعَ أَحْمَدَ قَوْلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ .

وَذَكَرَ بَقِيّ بْنُ مَخْلَدٍ فِي " مُسْنَدِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ مَرْفُوعًا مَنْ تَوَضّأَ فَفَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ ، ثُمّ قَالَ سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ كُتِبَ فِي رَقّ وَطُبِعَ عَلَيْهَا بِطَابَعٍ ثُمّ رُفِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ يُكْسَرْ إلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ وَرَوَاهُ النّسَائِيّ فِي " كِتَابِهِ الْكَبِيرِ " مِنْ كَلَامِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَقَالَ النّسَائِيّ : بَابٌ مَا يَقُولُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وُضُوئِهِ فَذَكَرَ بَعْضَ مَا تَقَدّمَ . ثُمّ ذَكَرَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ قَالَ أَتَيْتُ [ص ٣٥٥] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضّأَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَيَدْعُو : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي فَقُلْتُ يَا نَبِيّ اللّهِ سَمِعْتُك تَدْعُو بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ " وَهَلْ تَرَكْت مِنْ شَيْءٍ ؟ وَقَالَ ابْنُ السّنّيّ : بَابٌ مَا يَقُولُ بَيْنَ ظَهْرَانِي وُضُوئِهِ . .. فَذَكَرَهُ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَذَانِ وَأَذْكَارِهِ

[هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَذَانِ]

ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ سَنّ التّأْذِينَ بِتَرْجِيعٍ وَبِغَيْرِ تَرْجِيعٍ وَشَرَعَ الْإِقَامَةَ مَثْنَى وَفُرَادَى ، وَلَكِنّ الّذِي صَحّ عَنْهُ تَثْنِيَةُ كَلِمَةِ الْإِقَامَةِ " قَدْ قَامَتْ الصّلَاةُ " وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ إفْرَادُهَا الْبَتّةَ وَكَذَلِكَ صَحّ عَنْهُ تَكْرَارُ لَفْظِ التّكْبِيرِ فِي أَوّلِ الْأَذَانِ أَرْبَعًا ، وَلَمْ يَصِحّ عَنْهُ الِاقْتِصَارُ عَلَى مَرّتَيْنِ وَأَمّا حَدِيثُ أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ وَيُوتِرَ الْإِقَامَةَ فَلَا يُنَافِي الشّفْعَ بِأَرْبَعٍ وَقَدْ صَحّ التّرْبِيعُ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ زَيْدٍ ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ ، وَأَبِي مَحْذُورَةَ ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ . وَأَمّا إفْرَادُ الْإِقَامَةِ فَقَدْ صَحّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا اسْتِثْنَاءُ كَلِمَةِ الْإِقَامَةِ فَقَالَ إنّمَا كَانَ الْأَذَانُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَرّتَيْنِ مَرّتَيْنِ وَالْإِقَامَةُ مَرّةً مَرّةً غَيْرَ أَنّهُ يَقُولُ " قَدْ قَامَتْ الصّلَاةُ قَدْ قَامَتْ الصّلَاةُ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ أَنَسٍ : أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ ، وَيُوتِرَ الْإِقَامَةَ إلّا الْإِقَامَةَ وَصَحّ [ص ٣٥٦] عَبْدِ اللّهِ بْنِ زَيْدٍ وَعُمَرَ فِي الْإِقَامَةِ قَدْ قَامَتْ الصّلَاةُ قَدْ قَامَتْ الصّلَاةُ وصح مَنْ حَدِيثِ أَبِي مَحْذُورَةَ تَثْنِيَةُ كَلِمَةِ الْإِقَامَةِ مَعَ سَائِرِ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ . وَكُلّ هَذِهِ الْوُجُوهِ جَائِزَةٌ مُجْزِئَةٌ لَا كَرَاهَةَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ أَخَذَ بِأَذَانِ بِلَالٍ وَإِقَامَتِهِ وَالشّافِعِيّ أَخَذَ بِأَذَانِ أَبِي مَحْذُورَةَ وَإِقَامَةِ بِلَالٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ أَخَذَ بِأَذَانِ بِلَالٍ وَإِقَامَةِ أَبِي مَحْذُورَةَ وَمَالِكٌ أَخَذَ بِمَا رَأَى عَلَيْهِ عَمَلَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ الِاقْتِصَارِ عَلَى التّكْبِيرِ فِي الْأَذَانِ مَرّتَيْنِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِقَامَةِ مَرّةً وَاحِدَةً رَحِمَهُمْ اللّهُ كُلّهُمْ فَإِنّهُمْ اجْتَهَدُوا فِي مُتَابَعَةِ السّنّةِ .

فَصْلٌ [الذّكْرُ عِنْدَ الْأَذَانِ وَبَعْدَهُ]

وَأَمّا هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّكْرِ عِنْدَ الْأَذَانِ وَبَعْدَهُ فَشَرَعَ لِأُمّتِهِ مِنْهُ خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ . أَحَدُهَا : أَنْ يَقُولَ السّامِعُ كَمَا يَقُول الْمُؤَذّنُ إلّا فِي لَفْظِ " حَيّ عَلَى الصّلَاةِ " " حَيّ عَلَى الْفَلَاحِ " فَإِنّهُ صَحّ عَنْهُ إبْدَالُهُمَا ب " لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاَللّهِ " وَلَمْ يَجِئْ عَنْهُ الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ " حَيّ عَلَى الصّلَاةِ " " حَيّ عَلَى الْفَلَاحِ " وَلَا الِاقْتِصَارُ عَلَى الْحَيْعَلَةِ وَهَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِي صَحّ عَنْهُ إبْدَالُهُمَا بِالْحَوْقَلَةِ وَهَذَا مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْمُطَابِقَةِ لِحَالِ الْمُؤَذّنِ وَالسّامِعِ فَإِنّ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ ذِكْرٌ فَسُنّ لِلسّامِعِ أَنْ يَقُولَهَا ، وَكَلِمَةُ الْحَيْعَلَةِ دُعَاءٌ إلَى الصّلَاةِ لِمَنْ سَمِعَهُ فَسُنّ لِلسّامِعِ أَنْ [ص ٣٥٧] الْإِعَانَةِ وَهِيَ " لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاَللّهِ " الْعَلِيّ الْعَظِيمِ . الثّانِي : أَنْ يَقُولَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَلّا إلَهَ إلّا اللّهُ ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ رَضِيتُ بِاَللّهِ رَبّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمّدٍ رَسُولًا وَأَخْبَرَ أَنّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ . الثّالِثُ أَنْ يُصَلّيَ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إجَابَةِ الْمُؤَذّنِ وَأَكْمَلُ مَا يُصَلّى عَلَيْهِ بِهِ وَيَصِلُ إلَيْهِ هِيَ الصّلَاةُ الْإِبْرَاهِيمِيّةُ كَمَا عَلّمَهُ أُمّتَهُ أَنْ يُصَلّوا عَلَيْهِ فَلَا صَلَاةَ عَلَيْهِ أَكْمَلُ مِنْهَا وَإِنْ تَحَذْلَقَ الْمُتَحَذْلِقُونَ . الرّابِعُ

أَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ اللَّهُمّ رَبّ هَذِهِ الدّعْوَةِ التّامّةِ ، وَالصّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الّذِي وَعَدْتَهُ إنّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ هَكَذَا جَاءَ بِهَذَا اللّفْظِ " مَقَامًا مَحْمُودًا " بِلَا أَلِفٍ وَلَا لَامٍ وَهَكَذَا صَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . [ص ٣٥٨] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُلْ كَمَا يَقُولُونَ يَعْنِي الْمُؤَذّنِينَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهُ وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ قَالَ حِينَ يُنَادِي الْمُنَادِي : اللّهُمّ رَبّ هَذِهِ الدّعْوَةِ التّامّةِ وَالصّلَاةِ النّافِعَةِ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَارْضَ عَنْهُ رِضًى لَا سَخَطَ بَعْدَهُ اسْتَجَابَ اللّهُ لَهُ دَعْوَتَهُ وَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : عَلّمَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَقُولَ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ اللّهُمّ إنّ هَذَا إقْبَالُ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ فَاغْفِرْ لِي ذَكَرَهُ التّرْمِذِيّ . وَذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي " الْمُسْتَدْرَكِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ أَنّهُ كَانَ إذَا سَمِعَ الْأَذَانَ قَالَ اللّهُمّ رَبّ هَذِهِ الدّعْوَةِ التّامّةِ الْمُسْتَجَابَةِ ، وَالْمُسْتَجَابِ لَهَا ، دَعْوَةِ الْحَقّ وَكَلِمَةِ التّقْوَى ، تَوَفّنِي عَلَيْهَا وَأَحْيِنِي عَلَيْهَا ، وَاجْعَلْنِي مِنْ صَالِحِي أَهْلِهَا عَمَلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ . [ص ٣٥٩] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ كَلِمَةِ الْإِقَامَةِ أَقَامَهَا اللّهُ وَأَدَامَهَا وَفِي السّنَنِ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الدّعَاءُ لَا يُرَدّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ " قَالُوا : فَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ " سَلُوا اللّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَفِيهَا عَنْهُ سَاعَتَانِ يَفْتَحُ اللّهُ فِيهِمَا أَبْوَابَ السّمَاءِ ، وَقَلّمَا تُرَدّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ عِنْدَ حُضُورِ النّدَاءِ وَالصّفّ فِي سَبِيلِ اللّهِ [ص ٣٦٠] أَمَرَ فِي الْكُسُوفِ بِالْفَزَعِ إلَى ذِكْرِ اللّهِ تَعَالَى ، وَأَنّهُ كَانَ يُسَبّحُ فِي صَلَاتِهَا قَائِمًا رَافِعًا يَدَيْهِ يُهَلّلُ وَيُكَبّرُ وَيَحْمَدُ وَيَدْعُو حَتّى حُسِرَ عَنْ الشّمْسِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [الدّعَاءُ فِي الْعَشْرِ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُكْثِرُ الدّعَاءَ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجّةِ وَيَأْمُرُ فِيهِ بِالْإِكْثَارِ مِنْ التّهْلِيلِ وَالتّكْبِيرِ وَالتّحْمِيدِ .

[التّكْبِيرُ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إلَى عَصْرِ ثَالِثِ أَيّامِ التّشْرِيقِ]

وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يُكَبّرُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ إلَى الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيّامِ التّشْرِيقِ فَيَقُولُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ ، وَاَللّهُ أَكْبَرُ وَلِلّهِ الْحَمْدُ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ لَا يَصِحّ إسْنَادُهُ فَالْعَمَلُ عَلَيْهِ وَلَفْظُهُ هَكَذَا يَشْفَعُ التّكْبِيرَ وَأَمّا كَوْنُهُ ثَلَاثًا ، فَإِنّمَا رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ وَابْنِ عَبّاسٍ مِنْ فِعْلِهِمَا ثَلَاثًا فَقَطْ وَكِلَاهُمَا [ص ٣٦١] قَالَ الشّافِعِيّ : إنْ زَادَ فَقَالَ اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَلَا نَعْبُدُ إلّا إيّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ لَا إلَه إلّا اللّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ لَا إلَه إلّا اللّهُ وَاَللّهُ أَكْبَرُ كَانَ حَسَنًا .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّكْرِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ

يُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ اللّهُمّ أَهِلّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ ، وَالسّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبّي وَرَبّكَ اللّهُ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُمّ أَهِلّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتّوْفِيقِ لِمَا يُحِبّ رَبّنَا وَيَرْضَى ، رَبّنَا وَرَبّكَ اللّهُ ذَكَرَهُ الدّارِمِيّ . وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ قَتَادَةَ أَنّهُ بَلَغَهُ أَنّ نَبِيّ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، آمَنْتُ بِاَلّذِي خَلَقَكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ ثُمّ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا ، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا

وَفِي أَسَانِيدِهَا لِينٌ . [ص ٣٦٢] أَبِي دَاوُدَ وَهُوَ فِي بَعْضِ نُسَخِ سُنَنِهِ أَنّهُ قَالَ لَيْسَ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ صَحِيحٌ .
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَذْكَارِ الطّعَامِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ
كَانَ إذَا وَضَعَ يَدَهُ فِي الطّعَامِ قَالَ " بِسْمِ اللّهِ " وَيَأْمُرُ الْآكِلَ بِالتّسْمِيَةِ وَيَقُول : إذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللّهِ فِي أَوّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللّهِ فِي أَوّلِهِ وَآخِرِهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَالصّحِيحُ وُجُوبُ التّسْمِيَةِ عِنْدَ الْأَكْلِ وَهُوَ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ ، وَأَحَادِيثُ الْأَمْرِ بِهَا صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ وَلَا مُعَارِضَ لَهَا ، وَلَا إجْمَاعَ يُسَوّغُ مُخَالَفَتَهَا وَيُخْرِجُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا ، وَتَارِكُهَا شَرِيكُهُ الشّيْطَانُ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ .
فَصْلٌ [هَلْ تَزُولُ مُشَارَكَةُ الشّيْطَانِ لِلْآكِلِينَ بِتَسْمِيَةِ أَحَدِهِمْ] ؟
وَهَاهُنَا مَسْأَلَةٌ تَدْعُو الْحَاجَةُ إلَيْهَا ، وَهِيَ أَنّ الْآكِلِينَ إذَا كَانُوا جَمَاعَةً [ص ٣٦٣] مُشَارَكَةُ الشّيْطَانِ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ بِتَسْمِيَتِهِ وَحْدَهُ أَمْ لَا تَزُولُ إلّا بِتَسْمِيَةِ الْجَمِيعِ ؟ فَنَصّ الشّافِعِيّ عَلَى إجْزَاءِ تَسْمِيَةِ الْوَاحِدِ عَنْ الْبَاقِينَ وَجَعَلَهُ أَصْحَابُهُ كَرَدّ السّلَامِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَقَدْ يُقَالُ لَا تُرْفَعُ مُشَارَكَةُ الشّيْطَانِ لِلْآكِلِ إلّا بِتَسْمِيَتِهِ هُوَ وَلَا يَكْفِيهِ تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ إنّا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَعَامًا ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنّمَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللهُ عليه وسلم بيدها ، ثُمّ جاء أَعْرَابِيّ كَأَنّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ الشّيْطَانَ لَيَسْتَحِلّ الطّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلّ بِهَا ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا ، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيّ لِيَسْتَحِلّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّ يَدَهُ لَفِي يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا ثُمّ ذَكَرَ اسْمَ اللّهِ وَأَكَلَ وَلَوْ كَانَتْ تَسْمِيَةُ الْوَاحِدِ تَكْفِي ، لَمَا وَضَعَ الشّيْطَانُ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الطّعَامِ . وَلَكِنْ قَدْ يُجَابُ بِأَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَضَعَ يَدَهُ وَسَمّى بَعْدُ وَلَكِنّ الْجَارِيَةَ ابْتَدَأَتْ بِالْوَضْعِ بِغَيْرِ تَسْمِيَةٍ وَكَذَلِكَ الْأَعْرَابِيّ ، فَشَارَكَهُمَا الشّيْطَانُ فَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنّ الشّيْطَانَ شَارَكَ مَنْ لَمْ يُسَمّ بَعْدَ تَسْمِيَةِ غَيْرِهِ ؟ فَهَذَا مِمّا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَكِنْ قَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ وَصَحّحَهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ أَعْرَابِيّ ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَا إنّهُ لَوْ سَمّى لَكَفَاكُمْ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأُولَئِكَ السّتّةَ سَمّوْا ، [ص ٣٦٤] فَأَكَلَ وَلَمْ يُسَمّ شَارَكَهُ الشّيْطَانُ فِي أَكْلِهِ فَأَكَلَ الطّعَامَ بِلُقْمَتَيْنِ وَلَوْ سَمّى لَكَفَى الْجَمِيعَ .
وَكَانَ إذَا رُفِعَ الطّعَامُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيّ وَلَا مُوَدّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبّنَا عَزّ وَجَل ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ . [ص ٣٦٥] كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ وَكَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا وَذَكَرَ الْبُخَارِيّ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي كَفَانَا وَآوَانَا وَذَكَرَ التّرْمِذِيّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي وَلَا قُوّةٍ غَفَرَ اللّهُ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ إذَا قُرّبَ إلَيْهِ الطّعَامُ قَالَ بِسْمِ اللّهِ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ " اللّهُمّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ فَلَك الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ " وَإِسْنَادُهُ

صَحِيحٌ . وَفِي " السّنَنِ " عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ إذَا فَرَغَ " الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي مَنّ عَلَيْنَا وَهَدَانَا ، وَالّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا ، وَمِنْ كُلّ الْإِحْسَانِ آتَانَا " حَدِيثٌ حَسَنٌ . [ص ٣٦٦] وَفِي " السّنَنِ " عَنْهُ أَيْضًا إذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ اللّهُمّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ . وَمَنْ سَقَاهُ اللّهُ لَبَنًا ، فَلْيَقُلْ اللّهُمّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ فَإِنّهُ لَيْسَ شَيْءٌ وَيُجْزِئُ عَنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ غَيْرُ اللّبَنِ حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ إذَا شَرِبَ فِي الْإِنَاءِ تَنَفّسَ ثَلَاثَةَ أَنْفَاسٍ وَيَحْمَدُ اللّهَ فِي كُلّ نَفَسٍ وَيَشْكُرُهُ فِي آخِرِهِنّ

فَصْلٌ [أَحْكَامُ الدّعْوَةِ إلَى الطّعَامِ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ رُبّمَا يَسْأَلُهُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ طَعَامٌ ؟ وَمَا عَابَ طَعَامًا قَطّ ، بَلْ كَانَ إذَا اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ وَسَكَتَ وَرُبّمَا قَالَ أَجِدُنِي أَعَافُهُ إنّي لَا أَشْتَهِيهِ [ص ٣٦٧] وَكَانَ يَمْدَحُ الطّعَامَ أَحْيَانًا ، كَقَوْلِهِ لَمّا سَأَلَ أَهْلَهُ الْإِدَامَ فَقَالُوا : مَا عِنْدَنَا إلّا خَلّ ، فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ الْأُدْمُ الْخَلّ وَلَيْسَ فِي هَذَا تَفْضِيلٌ لَهُ عَلَى اللّبَنِ وَاللّحْمِ وَالْعَسَلِ وَالْمَرَقِ وَإِنّمَا هُوَ مَدْحٌ لَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ الّتِي حَضَرَ فِيهَا ، وَلَوْ حَضَرَ لَحْمٌ أَوْ لَبَنٌ كَانَ أَوْلَى بِالْمَدْحِ مِنْهُ وَقَالَ هَذَا جَبْرًا وَتَطْيِيبًا لِقَلْبِ مَنْ قَدّمَهُ لَا تَفْضِيلًا لَهُ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الْإِدَامِ . وَكَانَ إذَا قُرّبَ إلَيْهِ طَعَامٌ وَهُوَ صَائِمٌ قَالَ إنّي صَائِمٌ وَأَمَرَ مَنْ قُرّبَ إلَيْهِ الطّعَامُ وَهُوَ صَائِمٌ أَنْ يُصَلّيَ أَيْ يَدْعُو لِمَنْ قَدّمَهُ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ . وَكَانَ إذَا دُعِيَ لِطَعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدٌ ، أَعْلَمَ بِهِ رَبّ الْمَنْزِلِ وَقَالَ إنّ هَذَا تَبِعَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ وَكَانَ يَتَحَدّثُ عَلَى طَعَامِهِ كَمَا تَقَدّمَ فِي حَدِيثِ الْخَلّ وَكَمَا قَالَ لِرَبِيبِهِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَهُوَ يُؤَاكِلُهُ سَمّ اللّهَ وَكُلْ مِمّا يَلِيك . [ص ٣٦٨] كَانَ يُكَرّرُ عَلَى أَضْيَافِهِ عَرْضَ الْأَكْلِ عَلَيْهِمْ مِرَارًا ، كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْكَرَمِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيّ فِي قِصّةِ شُرْبِ اللّبَنِ وَقَوْلِهِ لَهُ مِرَارًا : اشْرَبْ " ، فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتّى قَالَ وَالّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا وَكَانَ إذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ لَمْ يَخْرُجْ حَتّى يَدْعُوَ لَهُمْ فَدَعَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ بُسْرٍ ، فَقَالَ اللّهُمّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ . وَدَعَا فِي مَنْزِلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ لَمّا دَعَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التّيْهَانِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَأَكَلُوا ، فَلَمّا فَرَغُوا قَالَ أَثِيبُوا أَخَاكُمْ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا إثَابَتُهُ ؟ قَالَ " إنّ الرّجُلَ إذَا دُخِلَ بَيْتُهُ فَأُكِلَ طَعَامُهُ وَشُرِبَ شَرَابُهُ فَدَعَوْا لَهُ فَذَلِكَ إثَابَتُهُ . وَصَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ دَخَلَ مَنْزِلَهُ لَيْلَةً فَالْتَمَسَ طَعَامًا فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ اللّهُمّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي ، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي . [ص ٣٦٩] عَمْرَو بْنَ الْحَمِقِ سَقَاهُ لَبَنًا فَقَالَ اللّهُمّ أَمْتِعْهُ بِشَبَابِهِ فَمَرّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَرَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ . وَكَانَ يَدْعُو لِمَنْ يُضِيفُ الْمَسَاكِينَ وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَرّةً أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا رَحِمَهُ اللّهُ وَقَالَ لِلْأَنْصَارِيّ وَامْرَأَتِهِ اللّذَيْنِ آثَرَا بِقُوتِهِمَا وَقُوتِ صِبْيَانِهِمَا ضَيْفَهُمَا : لَقَدْ عَجِبَ اللّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللّيْلَةَ

[عَدَمُ الْأَنَفَةِ مِنْ مُؤَاكَلَةِ أَيّ إنْسَانٍ]

وَكَانَ لَا يَأْنَفُ مِنْ مُؤَاكَلَةِ أَحَدٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا ، حُرّا أَوْ عَبْدًا ، أَعْرَابِيّا أَوْ مُهَاجِرًا ، حَتّى لَقَدْ رَوَى أَصْحَابُ السّنَنِ عَنْهُ أَنّهُ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَوَضَعَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ فَقَالَ كُلْ بِسْمِ اللّهِ ثِقَةً بِاللّهِ ، وَتَوَكّلًا عَلَيْهِ

[الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ]
وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْأَكْلِ بِالْيَمِينِ وَيَنْهَى عَنْ الْأَكْلِ بِالشّمَالِ وَيَقُولُ إنّ الشّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ وَمُقْتَضَى هَذَا تَحْرِيمُ الْأَكْلِ بِهَا ، وَهُوَ الصّحِيحُ فَإِنّ الْآكِلَ بِهَا ، إمّا شَيْطَانٌ وَإِمّا مُشَبّهٌ بِهِ . وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ لِرَجُلٍ أَكَلَ [ص ٣٧٠] فَأَكَلَ بِشِمَالِهِ كُلْ بِيَمِينِكَ ، فَقَالَ لَا أَسْتَطِيعُ فَقَالَ لَا اسْتَطَعْتَ فَمَا رَفَعَ يَدَهُ إلَى فِيهِ بَعْدَهَا فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا ، لَمَا دَعَا عَلَيْهِ بِفِعْلِهِ وَإِنْ كَانَ كِبْرُهُ حَمَلَهُ عَلَى تَرْكِ امْتِثَالِ الْأَمْرِ فَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي الْعِصْيَانِ وَاسْتِحْقَاقِ الدّعَاءِ عَلَيْهِ . وَأَمَرَ مَنْ شَكَوْا إلَيْهِ أَنّهُمْ لَا يَشْبَعُونَ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِهِمْ وَلَا يَتَفَرّقُوا ، وَأَنْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ يُبَارِكْ لَهُمْ فِيهِ وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ إنّ اللّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ يَحْمَدُه عَلَيْهَا ، وَيَشْرَبُ الشّرْبَةَ يَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَالصّلَاةِ وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ وَأَحْرَى بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا وَالْوَاقِعُ فِي التّجْرِبَةِ يَشْهَدُ بِهِ . [ص ٣٧١]
فَصْلٌ [دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنْ الْخَلَاءِ]
وَكَانَ إذَا خَرَجَ مِنْ الْخَلَاءِ قَالَ غُفْرَانَكَ وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّي الْأَذَى ، وَعَافَانِي ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهْ . [ص ٣٥٣]
زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٧١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي السّلَامِ وَالِاسْتِئْذَانِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ
ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ أَفْضَلَ الْإِسْلَامِ وَخَيْرَهُ إطْعَامُ الطّعَامِ وَأَنْ تَقْرَأَ السّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِف . وَفِيهِمَا أَنّ آدَمَ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ لَمّا خَلَقَهُ اللّهُ قَالَ لَهُ اذْهَبْ إلَى أُولَئِكَ النّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فَسَلّمْ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمِعْ مَا يُحَيّونَكَ بِهِ فَإِنّهَا تَحِيّتُكَ وَتَحِيّةُ ذُرّيّتِكَ فَقَالَ السّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا : السّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّهِ فَزَادُوهُ " وَرَحْمَةُ اللّهِ . وَفِيهِمَا أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ بِإِفْشَاءِ السّلَامِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنّهُمْ إذَا أَفْشَوْا السّلَامَ بَيْنَهُمْ تَحَابّوا ، وَأَنّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّى يُؤْمِنُوا ، وَلَا يُؤْمِنُونَ حَتّى يَتَحَابّوا . وَقَالَ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " قَالَ عَمّارٌ ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ [ص ٣٧٢]
[فَضَائِلُ الْإِنْصَافِ]
وَقَدْ تَضَمّنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أُصُولَ الْخَيْرِ وَفُرُوعَهُ فَإِنّ الْإِنْصَافَ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَدَاءَ حُقُوقِ اللّهِ كَامِلَةً مُوَفّرَةً وَأَدَاءِ حُقُوقِ النّاسِ كَذَلِكَ وَأَنْ لَا يُطَالِبَهُمْ بِمَا لَيْسَ لَهُ وَلَا يُحَمّلَهُمْ فَوْقَ وُسْعِهِمْ وَيُعَامِلَهُمْ بِمَا يُحِبّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ وَيُعْفِيَهُمْ مِمّا يُحِبّ أَنْ يُعْفُوهُ مِنْهُ وَيَحْكُمَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهَا ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا إنْصَافُهُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ فَلَا يَدّعِي لَهَا مَا لَيْسَ لَهَا ، وَلَا يُخْبِثُهَا بِتَدْنِيسِهِ لَهَا ، وَتَصْغِيرِهِ إيّاهَا ، وَتَحْقِيرِهَا بِمَعَاصِي اللّهِ وَيُنَمّيهَا وَيُكَبّرُهَا وَيَرْفَعُهَا بِطَاعَةِ اللّه وَتَوْحِيدِهِ وَحُبّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَالتّوَكّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ وَمُحَابّهِ عَلَى مُرَاضِي الْخَلْقِ وَمُحَابّهِمْ وَلَا يَكُونُ بِهَا مَعَ الْخَلْقِ وَلَا مَعَ اللّهِ بَلْ يَعْزِلُهَا مِنْ الْبَيْنِ كَمَا عَزَلَهَا اللّهُ وَيَكُونُ بِاَللّهِ لَا بِنَفْسِهِ فِي حُبّهِ وَبُغْضِهِ وَعَطَائِهِ وَمَنْعِهِ وَكَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ فَيُنْجِي نَفْسَهُ مِنْ الْبَيْنِ وَلَا يَرَى لَهَا مَكَانَةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا ، فَيَكُونُ مِمّنْ ذَمّهُمْ اللّهُ بِقَوْلِهِ { اعْمَلُوا عَلَى

مَكَانَتِكُمْ } [الْأَنْعَامُ ١٣٥] فَالْعَبْدُ الْمَحْضُ لَيْسَ لَهُ مَكَانَةٌ يَعْمَلُ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُ مُسْتَحَقّ الْمَنَافِعِ وَالْأَعْمَالِ لِسَيِّدِهِ وَنَفْسُهُ مِلْكٌ لِسَيِّدِهِ فَهُوَ عَامِلٌ عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى سَيِّدِهِ [ص ٣٧٣] مَكَانَةٌ أَصْلًا ، بَلْ قَدْ كُوتِبَ عَلَى حُقُوقٍ مُنَجَّمَةٍ كُلَّمَا أَدَّى نَجْمًا حَلَّ عَلَيْهِ نَجْمٌ آخَرُ وَلَا يَزَالُ الْمُكَاتَبُ عَبْدًا مَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ نُجُومِ الْكِتَابَةِ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ إِنْصَافَهُ مِنْ نَفْسِهِ يُوجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ وَحَقَّهُ عَلَيْهِ وَمَعْرِفَةَ نَفْسِهِ وَمَا خُلِقَتْ لَهُ وَأَنْ لَا يُزَاحِمَ بِهَا مَالِكَهَا ، وَفَاطِرَهَا وَيَدَّعِي لَهَا الْمَلَكَةَ وَالِاسْتِحْقَاقَ وَيُزَاحِمُ مُرَادَ سَيِّدِهِ وَيَدْفَعَهُ بِمُرَادِهِ هُوَ أَوْ يُقَدِّمُهُ وَيُؤْثِرَهُ عَلَيْهِ أَوْ يَقْسِمُ إِرَادَتَهُ بَيْنَ مُرَادِ سَيِّدِهِ وَمُرَادِهِ وَهِيَ قِسْمَةٌ ضِيزَى ، مِثْلَ قِسْمَةِ الَّذِينَ قَالُوا : { هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الْأَنْعَامُ ١٣٦] . [ص ٣٧٤] فَكَيْفَ يَطْلُبُ الْإِنْصَافَ مِمَّنْ وَصْفُهُ الظُّلْمُ وَالْجَهْلُ ؟ وَكَيْفَ يُنْصِفُ الْخَلْقَ مَنْ لَمْ يُنْصِفْ الْخَالِقَ ؟ كَمَا فِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ابْنَ آدَمَ مَا أَنْصَفْتَنِي ، خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ وَشَرُّكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ كَمْ أَتَحَبَّبُ إِلَيْكَ بِالنِّعَمِ وَأَنَا غَنِيٌّ عَنْكَ وَكَمْ تَتَبَغَّضُ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي وَأَنْتَ فَقِيرٌ إِلَيَّ وَلَا يَزَالُ الْمَلَكُ الْكَرِيمُ يَعْرُجُ إِلَيَّ مِنْكَ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ .

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ ابْنَ آدَمَ مَا أَنْصَفْتَنِي ، خَلَقْتُكَ وَتَعْبُدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُكَ وَتَشْكُرُ سِوَايَ . ثُمَّ كَيْفَ يُنْصِفُ غَيْرَهُ مَنْ لَمْ يُنْصِفْ نَفْسَهُ وَظَلَمَهَا أَقْبَحَ الظُّلْمِ وَسَعَى فِي ضَرَرِهَا أَعْظَمَ السَّعْيِ وَمَنَعَهَا أَعْظَمَ لَذَّاتِهَا مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يُعْطِيهَا إِيَّاهَا ، فَأَتْعَبَهَا كُلَّ التَّعَبِ وَأَشْقَاهَا كُلَّ الشَّقَاءِ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يُرِيحُهَا وَيُسْعِدُهَا ، وَجَدَّ كُلَّ الْجِدِّ فِي حِرْمَانِهَا حَظَّهَا مِنْ اللَّهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُنِيلُهَا حُظُوظَهَا ، وَدَسَّاهَا كُلَّ التَّدْسِيَةِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُكَبِّرُهَا وَيُنَمِّيهَا ، وَحَقَّرَهَا كُلَّ التَّحْقِيرِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُعَظِّمُهَا ، فَكَيْفَ يُرْجَى الْإِنْصَافُ مِمَّنْ هَذَا إِنْصَافُهُ لِنَفْسِهِ ؟ إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلَ الْعَبْدِ بِنَفْسِهِ فَمَاذَا تَرَاهُ بِالْأَجَانِبِ يَفْعَلُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ قَوْلَ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِك ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالِمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ كَلَامٌ جَامِعٌ لِأُصُولِ الْخَيْرِ وَفُرُوعِهِ .

[بَذْلُ السَّلَامِ]

وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالِمِ يَتَضَمَّنُ تَوَاضُعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَتَكَبَّرُ عَلَى أَحَدٍ ، بَلْ يَبْذُلُ السَّلَامَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَمَنْ يَعْرِفُهُ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَالْمُتَكَبِّرُ [ص ٣٧٥] فَكَيْفَ يَبْذُلُ السَّلَامَ لِكُلِّ أَحَدٍ .

[الْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ]

وَأَمَّا الْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ فَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ قُوَّةِ ثِقَةٍ بِاَللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهُ مَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ قُوَّةِ يَقِينٍ وَتَوَكُّلٍ وَرَحْمَةٍ وَزُهْدٍ فِي الدُّنْيَا ، وَسَخَاءِ نَفْسٍ بِهَا ، وَوُثُوقٍ بِوَعْدِ مَنْ وَعَدَهُ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ، وَتَكْذِيبًا بِوَعْدِ مَنْ يَعِدُهُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَاَللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَصْلٌ [السَّلَامُ عَلَى الصِّبْيَانِ وَالنِّسْوَانِ]

وَثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ . وَذَكَرَ التِّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ يَوْمًا بِجَمَاعَةِ نِسْوَةٍ فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَهِيَ رِوَايَةُ حَدِيثِ التِّرْمِذِيّ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقِصَّةَ وَاحِدَةٌ وَأَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيْهِنَّ بِيَدِهِ . [ص ٣٧٦] وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " : أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَنْصَرِفُونَ

مِنْ الْجُمُعَةِ فَيَمُرّونَ عَلَى عَجُوزٍ فِي طَرِيقِهِمْ فَيُسَلّمُونَ عَلَيْهَا ، فَتُقَدّمُ لَهُمْ طَعَامًا مِنْ أُصُولِ السّلْقِ وَالشّعِيرِ وَهَذَا هُوَ الصّوَابُ فِي مَسْأَلَةِ السّلَامِ عَلَى النّسَاءِ يُسَلّمُ عَلَى الْعَجُوزِ وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ دُونَ غَيْرِهِنّ .

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٨٨)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي السّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ

صَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسّلَامِ وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي الطّرِيقِ فَاضْطَرّوهُمْ إلَى أَضْيَقِ الطّرِيقِ لَكِنْ قَدْ قِيلَ إنّ هَذَا كَانَ فِي قَضِيّةٍ خَاصّةٍ لَمّا سَارُوا إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ قَالَ لَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسّلَامِ فَهَلْ هَذَا حُكْمٌ عَامّ لِأَهْلِ الذّمّةِ مُطْلَقًا ، أَوْ يَخْتَصّ بِمَنْ كَانَتْ حَالُهُ بِمِثْلِ حَالِ أُولَئِكَ ؟ هَذَا مَوْضِعُ نَظَرٍ وَلَكِنْ قَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النّصَارَى بِالسّلَامِ وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطّرِيقِ فَاضْطَرّوهُ إلَى أَضْيَقِهِ وَالظّاهِرُ أَنّ هَذَا حُكْمٌ عَامّ . وَقَدْ اخْتَلَفَ السّلَفُ وَالْخَلَفُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَبْدَءُونَ بِالسّلَامِ وَذَهَبَ آخَرُونَ إلَى جَوَازِ ابْتِدَائِهِمْ كَمَا يُرَدّ عَلَيْهِمْ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، وَأَبِي أُمَامَةَ وَابْنِ مُحَيْرِيزٍ ، وَهُوَ وَجْهٌ فِي مَذْهَبِ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ لَكِنْ صَاحِبُ هَذَا الْوَجْهِ قَالَ يُقَالُ لَهُ السّلَامُ عَلَيْكَ فَقَطْ بِدُونِ ذِكْرِ الرّحْمَةِ وَبِلَفْظِ الْإِفْرَادِ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَجُوزُ الِابْتِدَاءُ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ مِنْ حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ إلَيْهِ أَوْ خَوْفٍ مِنْ أَذَاهُ أَوْ لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا ، أَوْ لِسَبَبٍ يَقْتَضِي ذَلِكَ يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ إبْرَاهِيمَ النّخَعِيّ ، وَعَلْقَمَةَ . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيّ : إنْ سَلّمْتَ فَقَدْ سَلّمَ الصّالِحُونَ وَإِنْ تَرَكْتَ فَقَدْ تَرَكَ الصّالِحُونَ . [ص ٣٨٩] وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ الرّدّ عَلَيْهِمْ فَالْجُمْهُورُ عَلَى وُجُوبِهِ وَهُوَ الصّوَابُ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ لَا يَجِبُ الرّدّ عَلَيْهِمْ كَمَا لَا يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَأَوْلَى ، وَالصّوَابُ الْأَوّلُ وَالْفَرْقُ أَنّا مَأْمُورُونَ بِهَجْرِ أَهْلِ الْبِدَعِ تَعْزِيرًا لَهُمْ وَتَحْذِيرًا مِنْهُمْ بِخِلَافِ أَهْلِ الذّمّةِ . فَصْلٌ وَثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ مَرّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ ، فَسَلّمَ عَلَيْهِمْ . وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ كَتَبَ إلَى هِرَقْلَ وَغَيْرِهِ السّلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٤٠٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَذْكَارِ السّفَرِ وَآدَابِهِ

[الِاسْتِخَارَةُ]

صَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إذَا هَمّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمّ لِيَقُلْ اللّهُمّ إنّي أَسْتَخِيرُك بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُك بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ اللّهُمّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي ، وَعَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسّرْهُ لِي ، وَبَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ شَرّا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي ، وَعَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمّ رَضّنِي بِهِ " قَالَ وَيُسَمّي حَاجَتَهُ قَالَ رَوَاهُ الْبُخَارِيّ . [ص ٤٠٥] فَعَوّضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُمّتَهُ بِهَذَا الدّعَاءِ عَمّا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيّةِ مِنْ زَجْرِ الطّيْرِ وَالِاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ الّذِي نَظِيرُهُ هَذِهِ الْقُرْعَةُ الّتِي كَانَ يَفْعَلُهَا إخْوَانُ الْمُشْرِكِينَ يَطْلُبُونَ بِهَا عِلْمَ مَا قُسِمَ لَهُمْ فِي الْغَيْبِ وَلِهَذَا سُمّيَ ذَلِكَ اسْتِقْسَامًا ، وَهُوَ اسْتِفْعَالٌ مِنْ الْقَسْمِ وَالسّينُ فِيهِ لِلطّلَبِ

وَعَوّضَهُمْ بِهَذَا الدّعَاءِ الّذِي هُوَ تَوْحِيدٌ وَافْتِقَارٌ وَعُبُودِيّةٌ وَتَوَكّلٌ وَسُؤَالٌ لِمَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلّهُ الّذِي لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلّا هُوَ وَلَا يَصْرِفُ السّيّئَاتِ إلّا هُوَ الّذِي إذَا فَتَحَ لِعَبْدِهِ رَحْمَةً لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ حَبْسَهَا عَنْهُ وَإِذَا أَمْسَكَهَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ إرْسَالَهَا إلَيْهِ مِنْ التّطَيّرِ وَالتّنْجِيمِ وَاخْتِيَارِ الطّالِعِ وَنَحْوِهِ . فَهَذَا الدّعَاءُ هُوَ الطّالِعُ الْمَيْمُونُ السّعِيدُ طَالِعُ أَهْلِ السّعَادَةِ وَالتّوْفِيقِ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ اللّهِ الْحُسْنَى ، لَا طَالِعُ أَهْلِ الشّرْكِ وَالشّقَاءِ وَالْخِذْلَانِ الّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . فَتَضَمّنَ هَذَا الدّعَاءُ الْإِقْرَارَ بِوُجُودِهِ سُبْحَانَهُ وَالْإِقْرَارَ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ مِنْ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْإِقْرَارَ بِرُبُوبِيّتِهِ وَتَفْوِيضَ الْأَمْرِ إلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتّوَكّلَ عَلَيْهِ وَالْخُرُوجَ مِنْ عُهْدَةِ نَفْسِهِ وَالتّبَرّي مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوّةِ إلّا بِهِ وَاعْتِرَافَ الْعَبْدِ بِعَجْزِهِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهَا ، وَإِرَادَتِهِ لَهَا ، وَأَنّ ذَلِكَ كُلّهُ بِيَدِ وَلِيّهِ وَفَاطِرِهِ وَإِلَهِهِ الْحَقّ . وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ ، عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَةُ اللّهِ وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللّهُ وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُ اسْتِخَارَةِ اللّهِ وَسَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللّهُ [ص ٤٠٦] فَتَأَمّلْ كَيْفَ وَقَعَ الْمَقْدُورُ مُكْتَنِفًا بِأَمْرَيْنِ التّوَكّلِ الّذِي هُوَ مَضْمُونُ الِاسْتِخَارَةِ قَبْلَهُ وَالرّضَى بِمَا يَقْضِي اللّهُ لَهُ بَعْدَهُ وَهُمَا عِنْوَانُ السّعَادَةِ . وَعِنْوَانُ الشّقَاءِ أَنْ يَكْتَنِفَهُ تَرْكُ التّوَكّلِ وَالِاسْتِخَارَةِ قَبْلَهُ وَالسّخَطُ بَعْدَهُ وَالتّوَكّلُ قَبْلَ الْقَضَاءِ . فَإِذَا أُبْرِمَ الْقَضَاءُ وَتَمّ انْتَقَلَتْ الْعُبُودِيّةُ إلَى الرّضَى بَعْدَهُ كَمَا فِي " الْمُسْنَدِ " ، وَزَادَ النّسَائِيّ فِي الدّعَاءِ الْمَشْهُورِ وَأَسْأَلُكَ الرّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ الرّضَى بِالْقَضَاءِ فَإِنّهُ قَدْ يَكُونُ عَزْمًا فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ تَنْحَلّ الْعَزِيمَةُ فَإِذَا حَصَلَ الرّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ كَانَ حَالًا أَوْ مَقَامًا . وَالْمَقْصُودُ أَنّ الِاسْتِخَارَةَ تَوَكّلٌ عَلَى اللّهِ وَتَفْوِيضٌ إلَيْهِ وَاسْتِقْسَامٌ بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحُسْنُ اخْتِيَارِهِ لِعَبْدِهِ وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ الرّضَى بِهِ رَبّا ، الّذِي لَا يَذُوقُ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، وَإِنْ رَضِيَ بِالْمَقْدُورِ بَعْدَهَا ، فَذَلِكَ عَلَامَةُ سَعَادَتِهِ . وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ لَمْ يُرِدْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَفَرًا قَطّ إلّا قَالَ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ جُلُوسِهِ اللّهُمّ بِكَ انْتَشَرْتُ وَإِلَيْكَ تَوَجّهْتُ ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكّلْتُ اللّهُمّ أَنْتَ ثِقَتِي ، وَأَنْتَ رَجَائِي ، اللّهُمّ اكْفِنِي مَا أَهَمّنِي وَمَا لَا أَهْتَمّ لَهُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي ، عَزّ جَارُكَ وَجَلّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إلَهَ غَيْرُكَ اللّهُمّ زَوّدْنِي التّقْوَى ، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَجّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجّهْتُ ثُمّ يَخْرُجُ [ص ٤٠٧]

كان أكمل الناس ذكرًا لله عز وجل، بل كان كلامه كُلُّهُ في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرًا منه لله، وسكوته ذكرًا منه له بقلبه، فكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه وسيره ونزوله وَظَعْنِهِ وإقامته.

هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الذِكرِ إذا أَصبَحَ أو أَمسَى:

١- وكان إذا أصبح قال: ((أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين)) [الصحيحة]. وكان يقول: ((اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور)) [صحيح الترمذي]. وقال: ((إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، الهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهدايته،

وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده. ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك)) [صحيح الجامع].
٢ـ وقال: ((سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عَلَيَّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يصبح موقنًا بها فمات من يومه، دخل الجنة، ومن قالها حين يمسي موقنًا بها، فمات من ليلته دخل الجنة)) [خ].
٣ـ وقال: ((من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه)) [ق].
٤ـ وكان يدعو حين يصبح وحين يمسي بهذه الدعوات: ((اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)) [صحيح أبي داود].
٥ـ وقال: ((ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا لم يضره شيء)) [صحيح أبي داود].
٦ـ وقال له أبو بكر: علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت قال له قل: ((اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه ومالكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشِرْكه، وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم. قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك)) [صحيح أبي داود].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الذِكْر إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ أو دَخَلَ:
١ـ كان إذا خرج من بيته يقول: ((بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظلَمَ أو أجهلَ أو يُجْهَلَ علي)) [صحيح الترمذي].
٢ـ وقال: ((من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ يقال له: هُديتَ وكُفيتَ، ووقيتَ، وتنحى عنه الشيطان)) [صحيح الترمذي].
٣ـ وإذا خرج إلى الفجر قال: ((اللهم اجعل في قلبي نورًا، واجعل في لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، واجعل من تحتي نورًا، اللهم أعظم لي نورًا)) [ق].
٤ـ وقال: ((إذا وَلَجَ الرجُّل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المَوْلِج وَخَيْرَ المَخْرَج، بسم الله وَلَجْنَا، وعلى الله ربنا توكّلنا ثم ليسلم على أهله)) [الصحيحة ٢٢٥].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الذِكْر عِنْدَ دُخُول المَسجِدِ وَالْخُرُوج مِنِهُ:

١ـ كان إذا دخل المسجد قال: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم)) [صحيح أبي داود].
٢ـ وقال: ((إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج؛ فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك)) [صحيح أبي داود].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي ذِكْرِ رُؤيةِ الْهِلاَل:
١ـ كان إذا رأى الهلال يقول: ((اللهم أَهِلَّهُ علينا بالأمن والإيمان، والسَّلامة والإسلام، ربي وربك الله)) [صحيح الترمذي].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الذِكْر عِنْدَ العُطاس والتثاؤب:
١ـ ثبت عنه صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يحب العُطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب؛ فإنما هو من الشيطان؛ فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع؛ فإن أحدكم إذا تثاءب، ضحك منه الشيطان)) [خ].
٢ـ وكان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غضَّ بها صوته. [صحيح أبي داود].
٣ـ وكان إذا عطس فقيل له: يرحمك الله، قال: ((يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم)) [صحيح الأدب المفرد].
٤ـ وقال: ((إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم)) [خ].
٥ـ وقال: ((إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه)) [م].
وكان إذا زاد العاطس عن ثلاث مرات لم يشمته وقال: ((هذا رجل مزكوم)).
٦ـ وصح عنه: أن اليهود كانوا يتعاطسون عنده، يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول: ((يهديكم الله ويصلح بالكم)) [صحيح الترمذي].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَقُولُ مَنْ رَأَىَ مُبْتَلَىَ:
* قال: ((ما من رجل رأى مبتلى، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلا لم يصبه ذلك البلاء كائنًا ما كان)) [صحيح الترمذي].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ سَمَاعِ نَهيق الحِمَار وَصِيَاح الدِيَكة:
أمر أمته إذا سمعوا نهيق الحمار أن يتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، وإذا سمعوا صياح الديكة أن يسألوا الله من فضله [صحيح أبي داود].
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ مَنْ اشْتَدَّ غَضَبُه:
أمر من اشتد غضبه بالوضوء، والقعود إن كان قائمًا، والاضطجاع إن كان قاعدًا، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الذكر في ذي الحجة:
كان يكثر الدعاء في عشر ذي الحجة، ويأمر فيه بالإكثار من التهليل والتكبير والتحميد.

هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة:
كان يُعلم أصحابه خطبة الجمعة:
((الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله))، ثم يقرأ الآيات الثلاث: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} الآية، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} الآية، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا} الآيتين.
هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الاستخارة:
وكان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن فقال: ((إذا هم أحدُكُم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمي حاجته - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجله وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجله وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به)) [خ].

٢٦. هديه صلى الله عليه وسلم في عِلَاجِ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَزَنِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٨٠)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْكَرْبِ وَالْهَمّ وَالْغَمّ وَالْحَزَنِ
أَخْرَجَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ رَبّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَرَبّ الْأَرْضِ رَبّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ وَفِي " جَامِعِ التّرْمِذِيّ " عَنْ أَنَسٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ " يَا حَيّ يَا قَيّومُ بِرَحْمَتِك أَسْتَغِيثُ وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا أَهَمّهُ الْأَمْرُ رَفَعَ طَرْفَهُ إلَى [ص ١٨١] فَقَالَ سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدّعَاءِ قَالَ يَا حَيّ يَا قَيّومُ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللّهُمّ رَحْمَتَك أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلّهُ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ وَفِيهَا أَيْضًا عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَلَا أُعَلّمُك كَلِمَاتٍ تَقُولِيهِنّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ اللّهُ رَبّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَفِي رِوَايَةٍ أَنّهَا تُقَالُ سَبْعَ مَرّاتٍ . [ص ١٨٢] مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ : اللّهُمّ إنّي عَبْدُك ابْنُ عَبْدِك ابْنُ أَمَتِك نَاصِيَتِي بِيَدِك مَاضٍ فِيّ حُكْمُك عَدْلٌ فِيّ قَضَاؤُك أَسْأَلُك بِكُلّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمّيْتَ بِهِ نَفْسَك أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك أَوْ عَلّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمّي إلّا أَذْهَبَ اللّهُ حُزْنَهُ وَهَمّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعْوَةُ ذِي النّونِ إذْ دَعَا رَبّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ سُبْحَانَك إنّي

كُنْت مِنْ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطّ إلّا اُسْتُجِيبَ لَهُ وَفِي رِوَايَةٍ إنّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إلّا فَرّجَ اللّهُ عَنْهُ كَلِمَةَ أَخِي يُونُسَ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ يَا أَبَا أُمَامَةَ مَالِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصّلَاةِ ؟ " فَقَالَ هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ " أَلَا أُعَلّمُكَ كَلَامًا إذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ هَمّكَ وَقَضَى دَيْنَكَ ؟ " قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ " قُلْ إذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدّيْنِ وَقَهْرِ الرّجَالِ قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ هَمّي وَقَضَى عَنّي دَيْنِي [ص ١٨٣] وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللّهُ لَهُ مِنْ كُلّ هَمّ فَرَجًا وَمِنْ كُلّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَفِي " الْمُسْنَدِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم كَانَ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إلَى الصّلَاةِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { وَاسْتَعِينُوا بِالصّبْرِ وَالصّلَاةِ } [الْبَقَرَةُ ٤٥] . وَفِي " السّنَنِ عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فَإِنّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنّةِ يَدْفَعُ اللّهُ بِهِ عَنْ النّفُوسِ الْهَمّ وَالْغَمّ وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ وَغُمُومُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاَللّهِ وَثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " أَنّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنّةِ . [ص ١٨٤] التّرْمِذِيّ : " أَنّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنّةِ " . هَذِهِ الْأَدْوِيَةُ تَتَضَمّنُ خَمْسَةَ عَشَرَ نَوْعًا مِنْ الدّوَاءِ فَإِنْ لَمْ تَقْوَ عَلَى إذْهَابِ دَاءِ الْهَمّ وَالْغَمّ وَالْحُزْنِ فَهُوَ دَاءٌ قَدْ اسْتَحْكَمَ وَتَمَكّنَتْ أَسْبَابُهُ وَيَحْتَاجُ إلَى اسْتِفْرَاغٍ كُلّيّ . الْأَوّلُ تَوْحِيدُ الرّبُوبِيّةِ . الثّانِي : تَوْحِيدُ الْإِلَهِيّةِ . الثّالِثُ التّوْحِيدُ الْعِلْمِيّ الِاعْتِقَادِيّ . الرّابِعُ تَنْزِيهُ الرّبّ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَظْلِمَ عَبْدَهُ أَوْ يَأْخُذَهُ بِلَا سَبَبٍ مِنْ الْعَبْدِ يُوجِبُ ذَلِكَ . الْخَامِسُ اعْتِرَافُ الْعَبْدِ بِأَنّهُ هُوَ الظّالِمُ . السّادِسُ التّوَسّلُ إلَى الرّبّ تَعَالَى بِأَحَبّ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَمِنْ أَجْمَعِهَا لِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَالصّفَاتِ الْحَيّ الْقَيّومُ . السّابِعُ الِاسْتِعَانَةُ بِهِ وَحْدَهُ . الثّامِنُ إقْرَارُ الْعَبْدِ لَهُ بِالرّجَاءِ . التّاسِعُ تَحْقِيقُ التّوَكّلِ عَلَيْهِ وَالتّفْوِيضِ إلَيْهِ وَالِاعْتِرَافِ لَهُ بِأَنّ نَاصِيَتَهُ فِي يَدِهِ يُصَرّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ وَأَنّهُ مَاضٍ فِيهِ حُكْمُهُ عَدْلٌ فِيهِ قَضَاؤُهُ . الْعَاشِرُ أَنْ يَرْتَعَ قَلْبُهُ فِي رِيَاضِ الْقُرْآنِ وَيَجْعَلَهُ لِقَلْبِهِ كَالرّبِيعِ لِلْحَيَوَانِ وَأَنْ يَسْتَضِيءَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الشّبُهَاتِ وَالشّهَوَاتِ وَأَنْ يَتَسَلّى بِهِ عَنْ كُلّ فَائِتٍ وَيَتَعَزّى بِهِ عَنْ كُلّ مُصِيبَةٍ وَيَسْتَشْفِي بِهِ مِنْ أَدْوَاءِ صَدْرِهِ فَيَكُونَ جَلَاءَ حُزْنِهِ وَشِفَاءَ هَمّهِ وَغَمّهِ . الْحَادِيَ عَشَرَ الِاسْتِغْفَارُ . [ص ١٨٥] عَشَرَ التّوْبَةُ . الثّالِثَ عَشَرَ الْجِهَادُ . الرّابِعَ عَشَرَ الصّلَاةُ . الْخَامِسَ عَشَرَ الْبَرَاءَةُ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوّةِ وَتَفْوِيضِهِمَا إلَى مَنْ هُمَا بِيَدِهِ .

١ـ كان يقول عند الكرب: ((لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم)) [ق].

٢ـ وكان إذا حزبه أمر قال: ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)) [صحيح الترمذي]، وقال: ((دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو؛ فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت)) [صحيح أبي داود].

((وكان إذا حزبه أمر صلى)) [صحيح أبي داود].

٣- وقال: ((ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري،وجلاء حزني، وذهاب همي - إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحًا)) [السلسلة الصحيحة].
٤- وكان يعلمهم عند الفزع: ((أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشيطان، وأعوذ بك رب أن يحضرون)) [صحيح أبي داود].
٥- وقال: ((ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها - إلا أجاره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها)) [م].

٢٧. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْعِلاَجِ بالأدْوِيَةِ الطَّبيعِيةِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٩)

فَصْلٌ [التّدَاوِي]

فَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِعْلُ التّدَاوِي فِي نَفْسِهِ وَالْأَمْرُ بِهِ لِمَنْ أَصَابَهُ مَرَضٌ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ وَلَا هَدْيِ أَصْحَابِهِ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ الْمُرَكّبَةِ الّتِي تُسَمّى أقرباذين بَلْ كَانَ غَالِبُ أَدْوِيَتِهِمْ بِالْمُفْرَدَاتِ وَرُبّمَا أَضَافُوا إلَى الْمُفْرَدِ مَا يُعَاوِنُهُ أَوْ يَكْسِرُ سَوْرَتَهُ وَهَذَا غَالِبُ طِبّ الْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا مِنْ الْعَرَبِ وَالتّرْكِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي قَاطِبَةً وَإِنّمَا عَنِيَ بِالْمُرَكّبَاتِ الرّومُ وَالْيُونَانِيّونَ وَأَكْثَرُ طِبّ الْهِنْدِ بِالْمُفْرَدَاتِ . وَقَدْ اتّفَقَ الْأَطِبّاءُ عَلَى أَنّهُ مَتَى أَمْكَنَ التّدَاوِي بِالْغِذَاءِ لَا يُعْدَلُ عَنْهُ إلَى الدّوَاءِ وَمَتَى أَمْكَنَ بِالْبَسِيطِ لَا يُعْدَلُ عَنْهُ إلَى الْمُرَكّبِ .

قَالُوا : وَكُلّ دَاءٍ قُدِرَ عَلَى دَفْعِهِ بِالْأَغْذِيَةِ وَالْحِمْيَةِ لَمْ يُحَاوَلْ دَفْعُهُ بِالْأَدْوِيَةِ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلطّبِيبِ أَنْ يَوْلَعَ بِسَقْيِ الْأَدْوِيَةِ فَإِنّ الدّوَاءَ إذَا لَمْ يَجِدْ فِي [ص ١٠] فَزَادَتْ كَمّيّتُهُ عَلَيْهِ أَوْ كَيْفِيّتُهُ تَشَبّثَ بِالصّحّةِ وَعَبِثَ بِهَا . وَأَرْبَابُ التّجَارِبِ مِنْ الْأَطِبّاءِ طِبّهُمْ بِالْمُفْرَدَاتِ غَالِبًا وَهُمْ أَحَدُ فِرَقِ الطّبّ الثّلَاثِ . وَالتّحْقِيقُ فِي ذَلِكَ أَنّ الْأَدْوِيَةَ مِنْ جِنْسِ الْأَغْذِيَةِ فَالْأُمّةُ وَالطّائِفَةُ الّتِي غَالِبُ أَغْذِيَتِهَا الْمُفْرَدَاتُ أَمْرَاضُهَا قَلِيلَةٌ جِدّا وَطِبّهَا بِالْمُفْرَدَاتِ وَأَهْلُ الْمُدُنِ الّذِينَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ الْأَغْذِيَةُ الْمُرَكّبَةُ يَحْتَاجُونَ إلَى الْأَدْوِيَةِ الْمُرَكّبَةِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنّ أَمْرَاضَهُمْ فِي الْغَالِبِ مُرَكّبَةٌ فَالْأَدْوِيَةُ الْمُرَكّبَةُ أَنْفَعُ لَهَا وَأَمْرَاضُ أَهْلِ الْبَوَادِي وَالصّحَارِي مُفْرَدَةٌ فَيَكْفِي فِي مُدَاوَاتِهَا الْأَدْوِيَةُ الْمُفْرَدَةُ فَهَذَا بُرْهَانٌ بِحَسَبِ الصّنَاعَةِ الطّبّيّةِ .

[فَضْلُ طِبّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى طِبّ الْأَطِبّاءِ]

وَنَحْنُ نَقُولُ إنّ هَا هُنَا أَمْرًا آخَرَ نِسْبَةُ طِبّ الْأَطِبّاءِ إلَيْهِ كَنِسْبَةِ طِبّ الطّرْقِيّةِ وَالْعَجَائِزِ إلَى طِبّهِمْ وَقَدْ اعْتَرَفَ بِهِ حُذّاقُهُمْ وَأَئِمّتُهُمْ فَإِنّ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ بِالطّبّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ قِيَاسٌ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ تَجْرِبَةٌ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ إلْهَامَاتٌ وَمَنَامَاتٌ وَحَدْسٌ صَائِبٌ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُخِذَ كَثِيرٌ مِنْهُ مِنْ الْحَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِيّةِ كَمَا نُشَاهِدُ السّنَانِيرَ إذَا أَكَلَتْ ذَوَاتَ السّمُومِ تَعْمِدُ إلَى السّرَاجِ فَتَلَغُ فِي الزّيْتِ تَتَدَاوَى بِهِ وَكَمَا رُئِيَتْ الْحَيّاتُ إذَا خَرَجَتْ مِنْ بُطُونِ الْأَرْضِ وَقَدْ عَشِيَتْ أَبْصَارُهَا تَأْتِي إلَى وَرَقِ الرازيانج فَتُمِرّ عُيُونَهَا عَلَيْهَا . وَكَمَا عُهِدَ مِنْ الطّيْرِ الّذِي يَحْتَقِنُ بِمَاءِ الْبَحْرِ عِنْدَ

انْحِبَاسِ طَبْعِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ فِي مَبَادِئِ الطِّبِّ . وَأَيْنَ يَقَعُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَى رَسُولِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيَضُرُّهُ فَنِسْبَةُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الطِّبِّ إِلَى هَذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ بَلْ هَا هُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الْأَطِبَّاءِ وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجَارِبُهُمْ وَأَقْيِسَتُهُمْ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالِانْطِرَاحِ وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ وَالصَّدَقَةِ وَالدُّعَاءِ [ص ١١] وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَالتَّفْرِيجِ عَنِ الْمَكْرُوبِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الْأُمَمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الْأَطِبَّاءِ وَلَا تَجْرِبَتُهُ وَلَا قِيَاسُهُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْ هَذَا أُمُورًا كَثِيرَةً وَرَأَيْنَاهَا تَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ بَلْ تَصِيرُ الْأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ عِنْدَهَا بِمَنْزِلَةِ أَدْوِيَةِ الطُّرُقِيَّةِ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ وَهَذَا جَارٍ عَلَى قَانُونِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَيْسَ خَارِجًا عَنْهَا وَلَكِنَّ الْأَسْبَابَ مُتَنَوِّعَةٌ فَإِنَّ الْقَلْبَ مَتَى اتَّصَلَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَالِقِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ وَمُدَبِّرِ الطَّبِيعَةِ وَمُصَرِّفِهَا عَلَى مَا يَشَاءُ كَانَتْ لَهُ أَدْوِيَةٌ أُخْرَى غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يُعَانِيهَا الْقَلْبُ الْبَعِيدُ مِنْهُ الْمُعْرِضُ عَنْهُ وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَتَى قَوِيَتْ وَقَوِيَتِ النَّفْسُ وَالطَّبِيعَةُ تَعَاوَنَا عَلَى دَفْعِ الدَّاءِ وَقَهْرِهِ فَكَيْفَ يُنْكِرُ لِمَنْ قَوِيَتْ طَبِيعَتُهُ وَنَفْسُهُ وَفَرِحَتْ بِقُرْبِهَا مِنْ بَارِئِهَا وَأُنْسِهَا بِهِ وَحُبِّهَا لَهُ وَتَنَعُّمِهَا بِذِكْرِهِ وَانْصِرَافِ قُوَاهَا كُلِّهَا إِلَيْهِ وَجَمْعِهَا عَلَيْهِ وَاسْتِعَانَتِهَا بِهِ وَتَوَكُّلِهَا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ وَأَنْ تُوجِبَ لَهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ دَفْعَ الْأَلَمِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ وَأَغْلَظُهُمْ حِجَابًا وَأَكْثَفُهُمْ نَفْسًا وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَسَنَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ أَزَالَتْ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ دَاءَ اللَّدْغَةِ عَنِ اللَّدِيغِ الَّتِي رُقِيَ بِهَا فَقَامَ حَتَّى كَأَنَّ مَا بِهِ قَلَبَةٌ . فَهَذَانِ نَوْعَانِ مِنَ الطِّبِّ النَّبَوِيِّ نَحْنُ بِحَوْلِ اللَّهِ نَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَالطَّاقَةِ وَمَبْلَغِ عُلُومِنَا الْقَاصِرَةِ وَمَعَارِفِنَا الْمُتَلَاشِيَةِ جِدًّا وَبِضَاعَتِنَا الْمُزْجَاةِ وَلَكِنَّا نَسْتَوْهِبُ مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ وَنَسْتَمِدُّ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ . [ص ١٢]

فَصْلٌ [الْحَثُّ عَلَى التَّدَاوِي وَرَبْطِ الْأَسْبَابِ بِالْمُسَبَّبَاتِ]

رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " : مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " : عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " : مِنْ حَدِيثِ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتِ الْأَعْرَابُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَدَاوَى ؟ فَقَالَ " نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ " قَالُوا : مَا هُوَ ؟ قَالَ " الْهَرَمُ وَفِي لَفْظٍ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه

وَفِي " الْمُسْنَدِ " : مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ يَرْفَعُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ [ص ١٣] عَنْ أَبِي خُزَامَةَ قَالَ قُلْتُ يَا

رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ " هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ
[مَعْنَى لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ]
فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ إِثْبَاتَ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ وَإِبْطَالَ قَوْلِ مَنْ أَنْكَرَهَا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ عَلَى عُمُومِهِ حَتَّى يَتَنَاوَلَ الْأَدْوَاءَ الْقَاتِلَةَ وَالْأَدْوَاءَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِطَبِيبٍ أَنْ يُبْرِئَهَا وَيَكُونُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَهَا أَدْوِيَةً تُبْرِئُهَا وَلَكِنْ طَوَى عِلْمَهَا عَنِ الْبَشَرِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِلَيْهِ سَبِيلًا لِأَنَّهُ لَا عِلْمَ لِلْخَلْقِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ وَلِهَذَا عَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشِّفَاءَ عَلَى مُصَادَفَةِ الدَّوَاءِ لِلدَّاءِ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا لَهُ ضِدٌّ وَكُلُّ دَاءٍ لَهُ ضِدٌّ مِنَ الدَّوَاءِ يُعَالَجُ بِضِدِّهِ فَعَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُرْءَ بِمُوَافَقَةِ الدَّاءِ لِلدَّوَاءِ وَهَذَا قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى مُجَرَّدِ وُجُودِهِ فَإِنَّ الدَّوَاءَ مَتَى جَاوَزَ دَرَجَةَ الدَّاءِ فِي الْكَيْفِيَّةِ أَوْ زَادَ فِي الْكَمِّيَّةِ عَلَى مَا يَنْبَغِي نَقَلَهُ إِلَى دَاءٍ آخَرَ وَمَتَى قَصَرَ عَنْهَا لَمْ يَفِ بِمُقَاوَمَتِهِ وَكَانَ الْعِلَاجُ قَاصِرًا وَمَتَى لَمْ يَقَعِ الْمُدَاوِي عَلَى الدَّوَاءِ أَوْ لَمْ يَقَعِ الدَّوَاءُ عَلَى الدَّاءِ لَمْ يَحْصُلِ الشِّفَاءُ وَمَتَى لَمْ يَكُنِ الزَّمَانُ صَالِحًا لِذَلِكَ الدَّوَاءِ لَمْ يَنْفَعْ وَمَتَى كَانَ الْبَدَنُ غَيْرَ قَابِلٍ لَهُ أَوِ الْقُوَّةُ عَاجِزَةً عَنْ حَمْلِهِ أَوْ ثَمَّ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنْ تَأْثِيرِهِ لَمْ يَحْصُلِ الْبُرْءُ لِعَدَمِ الْمُصَادَفَةِ وَمَتَى تَمَّتِ الْمُصَادَفَةُ حَصَلَ الْبُرْءُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا بُدَّ وَهَذَا أَحْسَنُ الْمَحْمَلَيْنِ فِي الْحَدِيثِ . وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَامِّ الْمُرَادِ بِهِ الْخَاصُّ لَا سِيَّمَا وَالدَّاخِلُ فِي اللَّفْظِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ الْخَارِجِ مِنْهُ وَهَذَا يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ لِسَانٍ وَيَكُونُ [ص ١٤] وَضَعَ لَهُ دَوَاءً فَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَدْوَاءُ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الدَّوَاءَ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الرِّيحِ الَّتِي سَلَّطَهَا عَلَى قَوْمِ عَادٍ : { تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا } [الْأَحْقَافُ ٢٥] أَيْ كُلَّ شَيْءٍ يَقْبَلُ التَّدْمِيرَ وَمِنْ شَأْنِ الرِّيحِ أَنْ تُدَمِّرَهُ وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ . وَمَنْ تَأَمَّلَ خَلْقَ الْأَضْدَادِ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَمُقَاوَمَةَ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ وَدَفْعَ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ وَتَسْلِيطَ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ تَبَيَّنَ لَهُ كَمَالُ قُدْرَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَحِكْمَتُهُ وَإِتْقَانُهُ مَا صَنَعَهُ وَتَفَرُّدُهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْقَهْرِ وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَلَهُ مَا يُضَادُّهُ وَيُمَانِعُهُ كَمَا أَنَّهُ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُحْتَاجٌ بِذَاتِهِ .
[الْأَمْرُ بِالتَّدَاوِي وَبِأَنَّهُ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ]
وَفِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْأَمْرُ بِالتَّدَاوِي وَأَنَّهُ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ كَمَا لَا يُنَافِيهِ دَفْعُ دَاءِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ بِأَضْدَادِهَا بَلْ لَا تَتِمُّ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ إِلَّا بِمُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ مُقْتَضَيَاتٍ لِمُسَبَّبَاتِهَا قَدَرًا وَشَرْعًا وَأَنَّ تَعْطِيلَهَا يَقْدَحُ فِي نَفْسِ التَّوَكُّلِ كَمَا يَقْدَحُ فِي الْأَمْرِ وَالْحِكْمَةِ وَيُضْعِفُهُ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ مُعَطِّلُهَا أَنَّ تَرْكَهَا أَقْوَى فِي التَّوَكُّلِ فَإِنَّ تَرْكَهَا عَجْزًا يُنَافِي التَّوَكُّلَ الَّذِي حَقِيقَتُهُ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ فِي حُصُولِ مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا الِاعْتِمَادِ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ وَإِلَّا كَانَ مُعَطِّلًا لِلْحِكْمَةِ وَالشَّرْعِ فَلَا يَجْعَلُ الْعَبْدَ عَجْزَهُ تَوَكُّلًا وَلَا تَوَكُّلَهُ عَجْزًا .
[التَّدَاوِي وَالشِّفَاءُ مُقَدَّرٌ وَالرَّدُّ عَلَى الْجَبْرِيَّةِ]
وَفِيهَا رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ التَّدَاوِي وَقَالَ إِنْ كَانَ الشِّفَاءُ قَدْ قُدِّرَ فَالتَّدَاوِي لَا يُفِيدُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قُدِّرَ فَكَذَلِكَ . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَرَضَ حَصَلَ بِقَدَرِ اللَّهِ وَقَدَرُ اللَّهِ لَا يُدْفَعُ وَلَا يُرَدُّ وَهَذَا السُّؤَالُ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْأَعْرَابُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَمَّا

أَفَاضِلُ الصّحَابَةِ فَأَعْلَمُ بِاللّهِ وَحِكْمَتِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ أَنْ يُورِدُوا مِثْلَ هَذَا وَقَدْ أَجَابَهُمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَا شَفَى وَكَفَى فَقَالَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةُ وَالرّقَى وَالتّقَى هِيَ مِنْ قَدَرِ اللّهِ فَمَا خَرَجَ شَيْءٌ عَنْ قَدَرِهِ بَلْ يُرَدّ قَدَرُهُ بِقَدَرِهِ وَهَذَا الرّدّ مِنْ قَدَرِهِ [ص ١٥] وَيُقَالُ لِمُورِدِ هَذَا السّؤَالِ هَذَا يُوجِبُ عَلَيْك أَنْ لَا تُبَاشِرَ سَبَبًا مِنْ الْأَسْبَابِ الّتِي تَجْلِبُ بِهَا مَنْفَعَةً أَوْ تَدْفَعُ بِهَا مَضَرّةً لِأَنّ الْمَنْفَعَةَ وَالْمَضَرّةَ إنْ قُدّرَتَا لَمْ يَكُنْ بُدّ مِنْ وُقُوعِهِمَا وَإِنْ لَمْ تُقَدّرَا لَمْ يَكُنْ سَبِيلٌ إلَى وُقُوعِهِمَا وَفِي ذَلِكَ خَرَابُ الدّينِ وَالدّنْيَا وَفَسَادُ الْعَالَمِ وَهَذَا لَا يَقُولُهُ إلّا دَافِعٌ لِلْحَقّ مُعَانِدٌ لَهُ فَيَذْكُرُ الْقَدَرَ لِيَدْفَعْ حُجّةِ الْمُحِقّ عَلَيْهِ كَالْمُشْرِكِينَ الّذِينَ قَالُوا : { لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا } [الْأَنْعَامُ ١٤٨] و { لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا } [النّحْلُ ٣٥] فَهَذَا قَالُوهُ دَفْعًا لِحُجّةِ اللّهِ عَلَيْهِمْ بِالرّسُلِ . وَجَوَابُ هَذَا السّائِلِ أَنْ يُقَالَ بَقِيَ قِسْمٌ ثَالِثٌ لَمْ تَذْكُرْهُ وَهُوَ أَنّ اللّهَ قَدّرَ كَذَا وَكَذَا بِهَذَا السّبَبِ فَإِنْ أَتَيْتَ بِالسّبَبِ حَصَلَ الْمُسَبّبُ وَإِلّا فَلَا فَإِنْ قَالَ إنْ كَانَ قَدّرَ لِي السّبَبَ فَعَلْته وَإِنْ لَمْ يُقَدّرْهُ لِي لَمْ أَتَمَكّنْ مِنْ فِعْلِهِ . قِيلَ فَهَلْ تَقْبَلُ هَذَا الِاحْتِجَاجَ مِنْ عَبْدِك وَوَلَدِك وَأَجِيرِك إذَا احْتَجّ بِهِ عَلَيْك فِيمَا أَمَرْتَهُ بِهِ وَنَهَيْتَهُ عَنْهُ فَخَالَفَك ؟ فَإِنْ قَبِلْته فَلَا تَلُمْ مَنْ عَصَاك وَأَخَذَ مَالَك وَقَذَفَ عِرْضَك وَضَيّعَ حُقُوقَك وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْهُ فَكَيْفَ يَكُونُ مَقْبُولًا مِنْك فِي دَفْعِ حُقُوقِ اللّهِ عَلَيْك . وَقَدْ رُوِيَ فِي أَثَرٍ إسْرَائِيلِيّ أَنّ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ قَالَ يَا رَبّ مِمّنْ الدّاءُ ؟ قَالَ " مِنّي " . قَالَ فَمِمّنْ الدّوَاءُ " ؟ قَالَ " مِنّي " . قَالَ فَمَا بَالُ الطّبِيبِ ؟ . قَالَ " رَجُلٌ أُرْسِلُ الدّوَاءَ عَلَى يَدَيْهِ " .

وَفِي قَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِكُلّ دَاءٍ دَوَاءٌ تَقْوِيَةٌ لِنَفْسِ الْمَرِيضِ وَالطّبِيبِ وَحَثّ عَلَى طَلَبِ ذَلِكَ الدّوَاءِ وَالتّفْتِيشِ عَلَيْهِ فَإِنّ الْمَرِيضَ إذَا اسْتَشْعَرَتْ نَفْسُهُ أَنّ لِدَائِهِ دَوَاءً يُزِيلُهُ تَعَلّقَ قَلْبُهُ بِرُوحِ الرّجَاءِ وَبَرُدَتْ عِنْدَهُ حَرَارَةُ الْيَأْسِ وَانْفَتَحَ [ص ١٦] وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِقُوّةِ الْأَرْوَاحِ الْحَيَوَانِيّةِ وَالنّفْسَانِيّةِ وَالطّبِيعِيّةِ وَمَتَى قَوِيَتْ هَذِهِ الْأَرْوَاحُ قَوِيَتْ الْقُوَى الّتِي هِيَ حَامِلَةٌ لَهَا فَقَهَرَتْ الْمَرَضَ وَدَفَعَتْهُ . وَكَذَلِكَ الطّبِيبُ إذَا عَلِمَ أَنّ لِهَذَا الدّاءِ دَوَاءً أَمْكَنَهُ طَلَبُهُ وَالتّفْتِيشُ عَلَيْهِ . وَأَمْرَاضُ الْأَبْدَانِ عَلَى وِزَانِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَمَا جَعَلَ اللّهُ لِلْقَلْبِ مَرَضًا إلّا جَعَلَ لَهُ شِفَاءً بِضِدّهِ فَإِنْ عَلِمَهُ صَاحِبُ الدّاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ وَصَادَفَ دَاءَ قَلْبِهِ أَبْرَأَهُ بِإِذْنِ اللّهِ تَعَالَى .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الِاحْتِمَاءِ مِنْ التّخَمِ وَالزّيَادَةِ فِي الْأَكْلِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَالْقَانُونُ الّذِي يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهُ فِي الْأَكْلِ وَالشّرْبِ

فِي " الْمُسْنَدِ " وَغَيْرِهِ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ مَا مَلَأَ آدَمِيّ وِعَاءً شَرّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا بُدّ فَاعِلًا فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ .

[سَبَبُ الْأَمْرَاضِ الْمَادّيّةِ]

الْأَمْرَاضُ نَوْعَانِ أَمْرَاضٌ مَادّيّةٌ تَكُونُ عَنْ زِيَادَةِ مَادّةٍ أَفْرَطَتْ فِي الْبَدَنِ حَتّى أَضَرّتْ بِأَفْعَالِهِ الطّبِيعِيّةِ وَهِيَ الْأَمْرَاضُ الْأَكْثَرِيّةُ وَسَبَبُهَا إدْخَالُ الطّعَامِ عَلَى الْبَدَنِ قَبْلَ هَضْمِ الْأَوّلِ وَالزّيَادَةُ فِي الْقَدْرِ الّذِي يَحْتَاجُ إلَيْهِ الْبَدَنُ وَتَنَاوُلُ الْأَغْذِيَةِ الْقَلِيلَةِ النّفْعِ الْبَطِيئَةِ الْهَضْمِ وَالْإِكْثَارُ مِنْ الْأَغْذِيَةِ الْمُخْتَلِفَةِ التّرَاكِيبِ الْمُتَنَوّعَةِ فَإِذَا مَلَأَ الْآدَمِيّ بَطْنَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَغْذِيَةِ وَاعْتَادَ ذَلِكَ أَوْرَثَتْهُ أَمْرَاضًا مُتَنَوّعَةً مِنْهَا بَطِيءُ الزّوَالِ وَسَرِيعُهُ فَإِذَا تَوَسّطَ

فِي الْغِذَاءِ وَتَنَاوَلَ مِنْهُ قَدْرَ الْحَاجَةِ وَكَانَ مُعْتَدِلًا فِي كَمِّيَّتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ كَانَ انْتِفَاعُ الْبَدَنِ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ انْتِفَاعِهِ بِالْغِذَاءِ الْكَثِيرِ . [ص ١٧]

[مَرَاتِبُ الْغِذَاءِ]

وَمَرَاتِبُ الْغِذَاءِ ثَلَاثَةٌ

أَحَدُهَا : مَرْتَبَةُ الْحَاجَةِ .

وَالثَّانِيَةُ مَرْتَبَةُ الْكِفَايَةِ .

وَالثَّالِثَةُ مَرْتَبَةُ الْفَضْلَةِ .

فَأَخْبَرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَكْفِيهِ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَلَا تَسْقُطُ قُوَّتُهُ وَلَا تَضْعُفُ مَعَهَا فَإِنْ تَجَاوَزَهَا فَلْيَأْكُلْ فِي ثُلُثِ بَطْنِهِ وَيَدَعْ الثُّلُثَ الْآخَرَ لِلْمَاءِ وَالثَّالِثُ لِلنَّفَسِ وَهَذَا مِنْ أَنْفَعِ مَا لِلْبَدَنِ وَالْقَلْبِ فَإِنّ الْبَطْنَ إذَا امْتَلَأَ مِنْ الطَّعَامِ ضَاقَ عَنْ الشَّرَابِ فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الشَّرَابُ ضَاقَ عَنْ النَّفَسِ وَعَرَضَ لَهُ الْكَرْبُ وَالتَّعَبُ بِحَمْلِهِ بِمَنْزِلَةِ حَامِلِ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ هَذَا إلَى مَا يَلْزَمُ ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الْقَلْبِ وَكَسَلِ الْجَوَارِحِ عَنْ الطَّاعَاتِ وَتَحَرّكِهَا فِي الشّهَوَاتِ الّتِي يَسْتَلْزِمُهَا الشّبَعُ . فَامْتِلَاءُ الْبَطْنِ مِنْ الطّعَامِ مُضِرّ لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ .

هَذَا إذَا كَانَ دَائِمًا أَوْ أَكْثَرِيًّا . وَأَمّا إذَا كَانَ فِي الْأَحْيَانِ فَلَا بَأْسَ بِهِ فَقَدْ شَرِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِحَضْرَةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ اللّبَنِ حَتّى قَالَ وَاَلّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا وَأَكَلَ الصّحَابَةُ بِحَضْرَتِهِ مِرَارًا حَتّى شَبِعُوا . وَالشّبَعُ الْمُفْرِطُ يُضْعِفُ الْقُوَى وَالْبَدَنَ وَإِنْ أَخْصَبَهُ وَإِنّمَا يَقْوَى الْبَدَنُ بِحَسْبِ مَا يَقْبَلُ مِنْ الْغِذَاءِ لَا بِحَسْبِ كَثْرَتِهِ .

وَلَمّا كَانَ فِي الْإِنْسَانِ جُزْءٌ أَرْضِيّ وَجُزْءٌ هَوَائِيّ وَجُزْءٌ مَائِيّ قَسَمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَفَسَهُ عَلَى الْأَجْزَاءِ الثّلَاثَةِ .

[هَلْ فِي الْبَدَنِ جُزْءٌ نَارِيّ]

فَإِنْ قِيلَ فَأَيْنَ حَظّ الْجُزْءِ النّارِيّ ؟ قِيلَ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَكَلّمَ فِيهَا الْأَطِبّاءُ وَقَالُوا : إنّ فِي الْبَدَنِ جُزْءًا نَارِيّا بِالْفِعْلِ وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِهِ وَاسْطِقْسَاتِهِ .

[ص ١٨] وَقَالُوا : لَيْسَ فِي الْبَدَنِ جُزْءٌ نَارِيّ بِالْفِعْلِ وَاسْتَدَلّوا بِوُجُوهٍ أَحَدُهَا : أَنّ ذَلِكَ الْجُزْءَ النّارِيّ إمّا أَنْ يُدّعَى أَنّهُ نَزَلَ عَنْ الْأَثِيرِ وَاخْتَلَطَ بِهَذِهِ الْأَجْزَاءِ الْمَائِيّةِ وَالْأَرْضِيّةِ أَوْ يُقَالُ إنّهُ تَوَلّدَ فِيهَا وَتَكَوّنَ وَالْأَوّلُ مُسْتَبْعَدٌ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّ النّارَ بِالطّبْعِ صَاعِدَةٌ فَلَوْ نَزَلَتْ لَكَانَتْ بِقَاسِرٍ مِنْ مَرْكَزِهَا إلَى هَذَا الْعَالَمِ . الثّانِي : أَنّ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ النّارِيّة لَا بُدّ فِي نُزُولِهَا أَنْ تَعْبُرَ عَلَى كُرَةِ الزّمْهَرِيرِ الّتِي هِيَ فِي غَايَةِ الْبَرْدِ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ فِي هَذَا الْعَالَمِ أَنّ النّارَ الْعَظِيمَةَ تَنْطَفِئُ بِالْمَاءِ الْقَلِيلِ فَتِلْكَ الْأَجْزَاءُ الصّغِيرَةُ عِنْدَ مُرُورِهَا بِكُرَةِ الزّمْهَرِيرِ الّتِي هِيَ فِي غَايَةِ الْبَرْدِ وَنِهَايَةُ الْعِظَمِ أَوْلَى بِالِانْطِفَاءِ . وَأَمّا الثّانِي : - وَهُوَ أَنْ يُقَالَ إنّهَا تَكَوّنَتْ هَا هُنَا - فَهُوَ أَبْعَدُ وَأَبْعَدُ لِأَنّ الْجِسْمَ الّذِي صَارَ نَارًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ قَدْ كَانَ قَبْلَ صَيْرُورَتِهِ إمّا أَرْضًا وَإِمّا مَاءً وَإِمّا هَوَاءً لِانْحِصَارِ الْأَرْكَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ وَهَذَا الّذِي قَدْ صَارَ نَارًا أَوّلًا كَانَ مُخْتَلِطًا بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَجْسَامِ وَمُتّصِلًا بِهَا وَالْجِسْمُ الّذِي لَا يَكُونُ نَارًا إذَا اخْتَلَطَ بِأَجْسَامٍ عَظِيمَةٍ لَيْسَتْ بِنَارٍ وَلَا وَاحِدٍ مِنْهَا لَا يَكُونُ مُسْتَعِدّا لِأَنْ يَنْقَلِبَ نَارًا لِأَنّهُ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِنَارٍ وَالْأَجْسَامُ الْمُخْتَلِطَةُ بَارِدَةٌ فَكَيْفَ يَكُونُ مُسْتَعِدّا لِانْقِلَابِهِ نَارًا ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ لِمَ لَا تَكُونُ هُنَاكَ أَجْزَاءٌ نَارِيّةٌ تَقْلِبُ هَذِهِ الْأَجْسَامَ وَتَجْعَلُهَا نَارًا بِسَبَبِ مُخَالَطَتِهَا إيّاهَا ؟

قُلْنَا : الْكَلَامُ فِي حُصُولِ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ النَّارِيَّةِ كَالْكَلَامِ فِي الْأَوَّلِ فَإِنْ قُلْتُمْ إنَّا نَرَى مِنْ رَشِّ الْمَاءِ عَلَى النُّورَةِ الْمُطْفَأَةِ تَنْفَصِلُ مِنْهَا نَارٌ وَإِذَا وَقَعَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَلَى الْبَلُّورَةِ ظَهَرَتْ النَّارُ مِنْهَا وَإِذَا ضَرَبْنَا الْحَجَرَ عَلَى الْحَدِيدِ ظَهَرَتْ [ص ١٩] قَالَ الْمُنْكِرُونَ نَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنْ تَكُونَ المصاكة الشَّدِيدَةُ مُحَدِّثَةً لِلنَّارِ كَمَا فِي ضَرْبِ الْحِجَارَةِ عَلَى الْحَدِيدِ أَوْ تَكُونُ قُوَّةُ تَسْخِينِ الشَّمْسِ مُحَدِّثَةً لِلنَّارِ كَمَا فِي الْبَلُّورَةِ لَكِنَّا نَسْتَبْعِدُ ذَلِكَ جِدًّا فِي أَجْرَامِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ إذْ لَيْسَ فِي أَجْرَامِهَا مِنْ الِاصْطِكَاكِ مَا يُوجِبُ حُدُوثَ النَّارِ وَلَا فِيهَا مِنْ الصَّفَاءِ وَالصِّقَالِ مَا يَبْلُغُ إلَى حَدِّ الْبَلُّورَةِ كَيْفَ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ يَقَعُ عَلَى ظَاهِرِهَا فَلَا تَتَوَلَّدُ النَّارُ الْبَتَّةَ فَالشُّعَاعُ الَّذِي يَصِلُ إلَى بَاطِنِهَا كَيْفَ يُولِدُ النَّارُ ؟ الْوَجْهُ الثَّانِي : فِي أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْأَطِبَّاءَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الشَّرَابَ الْعَتِيقَ فِي غَايَةِ السُّخُونَةِ بِالطَّبْعِ فَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ السُّخُونَةُ بِسَبَبِ الْأَجْزَاءِ النَّارِيَّةِ لَكَانَتْ مُحَالًا إذْ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ النَّارِيَّةُ مَعَ حَقَارَتِهَا كَيْفَ يُعْقَلُ بَقَاؤُهَا فِي الْأَجْزَاءِ الْمَائِيَّةِ الْغَالِبَةِ دَهْرًا طَوِيلًا بِحَيْثُ لَا تَنْطَفِئُ مَعَ أَنَّا نَرَى النَّارَ الْعَظِيمَةَ تُطْفَأُ بِالْمَاءِ الْقَلِيلِ . الْوَجْهُ الثَّالِثُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ جُزْءٌ نَارِيٌّ بِالْفِعْلِ لَكَانَ مَغْلُوبًا بِالْجُزْءِ الْمَائِيِّ الَّذِي فِيهِ وَكَانَ الْجُزْءُ النَّارِيُّ مَقْهُورًا بِهِ وَغَلَبَةُ بَعْضِ الطَّبَائِعِ وَالْعَنَاصِرِ عَلَى بَعْضٍ يَقْتَضِي انْقِلَابَ طَبِيعَةِ الْمَغْلُوبِ إلَى طَبِيعَةِ الْغَالِبِ فَكَانَ يَلْزَمُ بِالضَّرُورَةِ انْقِلَابَ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ النَّارِيَّةِ الْقَلِيلَةِ جِدًّا إلَى طَبِيعَةِ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ النَّارِ الْوَجْهُ الرَّابِعُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ يُخْبِرُ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ مَاءٍ وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ الْمُرَكَّبِ مِنْهُمَا وَهُوَ الطِّينُ وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَهُوَ الطِّينُ الَّذِي ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ وَالرِّيحُ حَتَّى صَارَ صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ وَلَمْ يُخْبِرْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ خَاصِّيَّةَ إبْلِيسَ . وَثَبَتَ [ص ٢٠] صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُم وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ خُلِقَ مِمَّا وَصَفَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَطْ وَلَمْ يَصِفْ لَنَا سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ وَلَا أَنَّ فِي مَادَّتِهِ شَيْئًا مِنْ النَّارِ . الْوَجْهُ الْخَامِسُ أَنَّ غَايَةَ مَا يَسْتَدِلُّونَ بِهِ مَا يُشَاهِدُونَ مِنْ الْحَرَارَةِ فِي أَبْدَانِ الْحَيَوَانِ وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى الْأَجْزَاءِ النَّارِيَّةِ وَهَذَا لَا يَدُلُّ فَإِنَّ أَسْبَابَ الْحَرَارَةِ أَعَمُّ مِنْ النَّارِ فَإِنَّهَا تَكُونُ عَنْ النَّارِ تَارَةً وَعَنْ الْحَرَكَةِ أُخْرَى وَعَنْ انْعِكَاسِ الْأَشِعَّةِ وَعَنْ سُخُونَةِ الْهَوَاءِ وَعَنْ مُجَاوَرَةِ النَّارِ وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ سُخُونَةِ الْهَوَاءِ أَيْضًا وَتَكُونُ عَنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ الْحَرَارَةِ النَّارُ .

[حُجَجُ مَنْ ادَّعَى وُجُودَ النَّارِ فِي الْبَدَنِ]

قَالَ أَصْحَابُ النَّارِ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ التُّرَابَ وَالْمَاءَ إذَا اخْتَلَطَا فَلَا بُدَّ لَهُمَا مِنْ حَرَارَةٍ تَقْتَضِي طَبْخَهُمَا وَامْتِزَاجَهُمَا وَإِلَّا كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا غَيْرَ مُمَازِجٍ لِلْآخَرِ وَلَا مُتَّحِدًا بِهِ وَكَذَلِكَ إذَا أَلْقَيْنَا الْبَذْرَ فِي الطِّينِ بِحَيْثُ لَا يَصِلُ إلَيْهِ الْهَوَاءُ وَلَا الشَّمْسُ فَسَدَ فَلَا يَخْلُو إمَّا أَنْ يَحْصُلَ فِي الْمُرَكَّبِ جِسْمٌ مُنْضَجٌ طَابِخٌ بِالطَّبْعِ أَوْ لَا فَإِنْ حَصَلَ فَهُوَ الْجُزْءُ النَّارِيُّ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَمْ يَكُنْ الْمُرَكَّبُ مُسْخَنًا بِطَبْعِهِ بَلْ إنْ سُخِّنَ كَانَ التَّسْخِينُ عَرَضِيًّا فَإِذَا زَالَ التَّسْخِينُ الْعَرَضِيُّ لَمْ يَكُنْ الشَّيْءُ حَارًّا فِي طَبْعِهِ وَلَا فِي كَيْفِيَّتِهِ وَكَانَ بَارِدًا مُطْلَقًا لَكِنْ مِنْ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يَكُونُ حَارًّا بِالطَّبْعِ فَعَلِمْنَا أَنَّ حَرَارَتَهَا إنَّمَا كَانَتْ لِأَنَّ فِيهَا جَوْهَرًا نَارِيًّا . وَأَيْضًا فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَدَنِ جُزْءٌ مُسَخِّنٌ لَوَجَبَ أَنْ

يَكُونَ فِي نِهَايَةِ الْبَرْدِ لِأَنّ الطّبِيعَةَ إذَا كَانَتْ مُقْتَضِيَةً لِلْبَرْدِ وَكَانَتْ خَالِيَةً عَنْ الْمُعَاوِنِ وَالْمُعَارِضِ وَجَبَ انْتِهَاءُ الْبَرْدِ إلَى أَقْصَى الْغَايَةِ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَصَلَ لَهَا الْإِحْسَاسُ بِالْبَرْدِ لِأَنّ الْبَرْدَ الْوَاصِلَ إلَيْهِ إذَا كَانَ فِي الْغَايَةِ كَانَ مِثْلَهُ وَالشّيْءُ لَا يَنْفَعِلُ عَنْ مِثْلِهِ وَإِذَا لَمْ يَنْفَعِلْ عَنْهُ لَمْ يَحُسّ بِهِ وَإِذَا لَمْ يَحُسّ بِهِ لَمْ يَتَأَلّمْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ [ص ٢١] أَوْلَى فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَدَنِ جُزْءٌ مُسَخّنٌ بِالطّبْعِ لَمَا انْفَعَلَ عَنْ الْبَرْدِ وَلَا تَأَلّمَ بِهِ .

قَالُوا : وَأَدِلّتُكُمْ إنّمَا تُبْطِلُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ الْأَجْزَاءُ النّارِيّةُ بَاقِيَةٌ فِي هَذِهِ الْمُرَكّبَاتِ عَلَى حَالِهَا وَطَبِيعَتِهَا النّارِيّةِ وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِذَلِكَ بَلْ نَقُولُ إنّ صُورَتَهَا النّوْعِيّةَ تَفْسُدُ عِنْدَ الِامْتِزَاجِ .

[الرّدّ عَلَى حُجَجِ الْمُثْبِتِينَ]

قَالَ الْآخَرُونَ لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إنّ الْأَرْضَ وَالْمَاءَ وَالْهَوَاءَ إذَا اخْتَلَطَتْ فَالْحَرَارَةُ الْمُنْضِجَةُ الطّابِخَةُ لَهَا هِيَ حَرَارَةُ الشّمْسِ وَسَائِرُ الْكَوَاكِبِ ثُمّ ذَلِكَ الْمُرَكّبُ عِنْدَ كَمَالِ نُضْجِهِ مُسْتَعِدّ لِقَبُولِ الْهَيْئَةِ التّرْكِيبِيّةِ بِوَاسِطَةِ السّخُونَةِ نَبَاتًا كَانَ أَوْ حَيَوَانًا أَوْ مَعْدِنًا وَمَا الْمَانِعُ أَنّ تِلْكَ السّخُونَةَ وَالْحَرَارَةَ الّتِي فِي الْمُرَكّبَاتِ هِيَ بِسَبَبِ خَوَاصّ وَقُوًى يُحْدِثُهَا اللّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ الِامْتِزَاجِ لَا مِنْ أَجْزَاءٍ نَارِيّةٍ بِالْفِعْلِ ؟ وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إلَى إبْطَالِ هَذَا الْإِمْكَانِ الْبَتّةَ وَقَدْ اعْتَرَفَ جَمَاعَةٌ مِنْ فُضَلَاءِ الْأَطِبّاءِ بِذَلِكَ . وَأَمّا حَدِيثُ إحْسَاسِ الْبَدَنِ بِالْبَرْدِ فَنَقُولُ هَذَا يَدُلّ عَلَى أَنّ فِي الْبَدَنِ حَرَارَةً وَتَسْخِينًا وَمَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ ؟ لَكِنْ مَا الدّلِيلُ عَلَى انْحِصَارِ الْمُسَخّنِ فِي النّارِ فَإِنّهُ وَإِنْ كَانَ كُلّ نَارٍ مُسَخّنًا فَإِنّ هَذِهِ الْقَضِيّةَ لَا تَنْعَكِسُ كُلّيّةً بَلْ عَكْسُهَا الصّادِقُ بَعْضُ الْمُسَخّنِ نَارٌ . وَأَمّا قَوْلُكُمْ بِفَسَادِ صُورَةِ النّارِ النّوْعِيّةِ فَأَكْثَرُ الْأَطِبّاءِ عَلَى بَقَاءِ صُورَتِهَا النّوْعِيّةِ وَالْقَوْلُ بِفَسَادِهَا قَوْلٌ فَاسِدٌ قَدْ اعْتَرَفَ بِفَسَادِهِ أَفْضَلُ مُتَأَخّرِيكُمْ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمّى بِالشّفَا وَبَرْهَنَ عَلَى بَقَاءِ الْأَرْكَانِ أَجْمَعَ عَلَى طَبَائِعِهَا فِي الْمُرَكّبَاتِ . وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . [ص ٢٢]

فَصْلٌ [أَنْوَاعُ عِلَاجِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم]

وَكَانَ عِلَاجُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْمَرَضِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ

أَحَدُهَا : بِالْأَدْوِيَةِ الطّبِيعِيّةِ .

وَالثّانِي : بِالْأَدْوِيَةِ الْإِلَهِيّةِ .

وَالثّالِثُ بِالْمُرَكّبِ مِنْ الْأَمْرَيْنِ .

وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْأَنْوَاعَ الثّلَاثَةَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنَبْدَأُ بِذِكْرِ الْأَدْوِيَةِ الطّبِيعِيّةِ الّتِي وَصَفَهَا وَاسْتَعْمَلَهَا ثُمّ نَذْكُرُ الْأَدْوِيَةَ الْإِلَهِيّةَ ثُمّ الْمُرَكّبَةَ . وَهَذَا إنّمَا نُشِيرُ إلَيْهِ إشَارَةً فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا بُعِثَ هَادِيًا وَدَاعِيًا إلَى اللّهِ وَإِلَى جَنّتِهِ وَمُعَرّفًا بِاَللّهِ وَمُبَيّنًا لِلْأُمّةِ مَوَاقِعَ رِضَاهُ وَآمِرًا لَهُمْ بِهَا وَمَوَاقِعَ سَخَطِهِ وَنَاهِيًا لَهُمْ عَنْهَا وَمُخْبِرَهُمْ أَخْبَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرّسُلِ وَأَحْوَالَهُمْ مَعَ أُمَمِهِمْ وَأَخْبَارَ تَخْلِيقِ الْعَالَمِ وَأَمْرَ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ وَكَيْفِيّةَ شَقَاوَةِ النّفُوسِ وَسَعَادَتِهَا وَأَسْبَابَ ذَلِكَ . وَأَمّا طِبّ الْأَبْدَانِ فَجَاءَ مِنْ تَكْمِيلِ شَرِيعَتِهِ وَمَقْصُودًا لِغَيْرِهِ بِحَيْثُ إنّمَا يُسْتَعْمَلُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَيْهِ فَإِذَا قَدَرَ عَلَى الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ كَانَ صَرْفُ الْهِمَمِ وَالْقُوَى إلَى عِلَاجِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَحِفْظِ صِحّتِهَا وَدَفْعِ أَسْقَامِهَا وَحِمْيَتِهَا مِمّا يُفْسِدُهَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْقَصْدِ الْأَوّلِ وَإِصْلَاحُ الْبَدَنِ بِدُونِ إصْلَاحِ الْقَلْبِ لَا يَنْفَعُ وَفَسَادُ الْبَدَنِ مَعَ إصْلَاحِ الْقَلْبِ مَضَرّتُهُ يَسِيرَةٌ جِدّا وَهِيَ مَضَرّةٌ زَائِلَةٌ تَعْقُبُهَا الْمَنْفَعَةُ الدّائِمَةُ التّامّةُ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . [ص ٢٣]

ذِكْرُ الْقِسْمِ الْأَوّلِ وَهُوَ الْعِلَاجُ بِالْأَدْوِيَةِ الطّبِيعِيّةِ

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ فِي عِلَاجِ الْحُمّى

ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ إنّمَا الْحُمّى أَوْ شِدّةُ الْحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ

[خِطَابُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَوْعَانِ عَامّ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَخَاصّ بِبَعْضِهِمْ]

وَقَدْ أَشْكَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ جَهَلَةِ الْأَطِبّاءِ وَرَأَوْهُ مُنَافِيًا لِدَوَاءِ الْحُمّى وَعِلَاجِهَا وَنَحْنُ نُبَيّنُ بِحَوْلِ اللّهِ وَقُوّتِهِ وَجْهَهُ وَفِقْهَهُ فَنَقُولُ خِطَابُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَوْعَانِ عَامّ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَخَاصّ بِبَعْضِهِمْ فَالْأَوّلُ كَعَامّةِ خِطَابِهِ وَالثّانِي : كَقَوْلِهِ لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرّقُوا أَوْ غَرّبُوا فَهَذَا لَيْسَ بِخِطَابٍ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَا الْعِرَاقِ [ص ٢٤] لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَا عَلَى سَمْتِهَا كَالشّامِ وَغَيْرِهَا . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ

[حَدِيثُ الْحُمّى خَاصّ بِأَهْلِ الْحِجَازِ]

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَخِطَابُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ خَاصّ بِأَهْلِ الْحِجَازِ مَا وَالَاهُمْ إذْ كَانَ أَكْثَرُ الْحُمّيَاتِ الّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ مِنْ نَوْعِ الْحُمّى الْيَوْمِيّةِ الْعَرَضِيّةِ الْحَادِثَةِ عَنْ شِدّةِ حَرَارَةِ الشّمْسِ وَهَذِهِ يَنْفَعُهَا الْمَاءُ الْبَارِدُ شُرْبًا وَاغْتِسَالًا فَإِنّ الْحُمّى حَرَارَةٌ غَرِيبَةٌ تَشْتَعِلُ فِي الْقَلْبِ وَتَنْبَثّ مِنْهُ بِتَوَسّطِ الرّوحِ وَالدّمِ فِي الشّرَايِينِ وَالْعُرُوقِ إلَى جَمِيعِ الْبَدَنِ فَتَشْتَعِلُ فِيهِ اشْتِعَالًا يَضُرّ بِالْأَفْعَالِ الطّبِيعِيّةِ أَسْبَابُ الْحُمّى وَهِيَ تَنْقَسِمُ إلَى قِسْمَيْنِ عَرَضِيّةٌ وَهِيَ الْحَادِثَةُ إمّا عَنْ الْوَرَمِ أَوْ الْحَرَكَةِ أَوْ إصَابَةِ حَرَارَةِ الشّمْسِ أَوْ الْقَيْظِ الشّدِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَمَرَضِيّةٌ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ وَهِيَ لَا تَكُونُ إلّا فِي مَادّةٍ أُولَى ثُمّ مِنْهَا يُسَخّنُ جَمِيعُ الْبَدَنِ . فَإِنْ كَانَ مَبْدَأُ تَعَلّقِهَا بِالرّوحِ سُمّيَتْ حُمّى يَوْمٍ لِأَنّهَا فِي الْغَالِبِ تَزُولُ فِي يَوْمٍ وَنِهَايَتُهَا ثَلَاثَةُ أَيّامٍ وَإِنْ كَانَ مَبْدَأُ تَعَلّقِهَا بِالْأَخْلَاطِ سُمّيَتْ عَفَنِيّةً وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ صَفْرَاوِيّةٌ وَسَوْدَاوِيّةٌ وَبَلْغَمِيّةٌ وَدَمَوِيّةٌ . وَإِنْ كَانَ مَبْدَأُ تَعَلّقِهَا بِالْأَعْضَاءِ الصّلْبَةِ الْأَصْلِيّةِ سُمّيَتْ حُمّى دق وَتَحْتَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ . وَقَدْ يَنْتَفِعُ الْبَدَنُ بِالْحُمّى انْتِفَاعًا عَظِيمًا لَا يَبْلُغُهُ الدّوَاءُ وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ حُمّى يَوْمٍ وَحُمّى الْعَفَنِ سَبَبًا لِإِنْضَاجِ مَوَادّ غَلِيظَةٍ لَمْ تَكُنْ تَنْضَجُ بِدُونِهَا وَسَبَبًا لِتَفَتّحِ سُدَدٍ لَمْ يَكُنْ تَصِلُ إلَيْهَا الْأَدْوِيَةُ الْمُفَتّحَةُ .

[تُبْرِئُ الْحُمّى كَثِيرًا مِنْ الْأَمْرَاضِ]

وَأَمّا الرّمَدُ الْحَدِيثُ وَالْمُتَقَادِمُ فَإِنّهَا تُبْرِئُ أَكْثَرَ أَنْوَاعِهِ بُرْءًا عَجِيبًا سَرِيعًا [ص ٢٥] الِامْتِلَائِيّ وَكَثِيرًا مِنْ الْأَمْرَاضِ الْحَادِثَةِ عَنْ الْفُضُولِ الْغَلِيظَةِ .

[تَأْكِيدُ هَذَا الْقَوْلِ لِلْمُصَنّفِ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ الْأَطِبّاءِ]

وَقَالَ لِي بَعْضُ فُضَلَاءِ الْأَطِبّاءِ إنّ كَثِيرًا مِنْ الْأَمْرَاضِ نَسْتَبْشِرُ فِيهَا بِالْحُمّى كَمَا يَسْتَبْشِرُ الْمَرِيضُ بِالْعَافِيَةِ فَتَكُونُ الْحُمّى فِيهِ أَنْفَعَ مِنْ شُرْبِ الدّوَاءِ بِكَثِيرٍ فَإِنّهَا تُنْضِجُ مِنْ الْأَخْلَاطِ وَالْمَوَادّ الْفَاسِدَةِ مَا يَضُرّ بِالْبَدَنِ فَإِذَا أَنْضَجَتْهَا صَادَفَهَا الدّوَاءُ مُتَهَيّئَةً لِلْخُرُوجِ بِنِضَاجِهَا فَأَخْرَجَهَا فَكَانَتْ سَبَبًا لِلشّفَاءِ . وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ الْحَدِيثِ مِنْ أَقْسَامِ الْحُمّيَاتِ الْعَرَضِيّةِ فَإِنّهَا تَسْكُنُ عَلَى الْمَكَانِ بِالِانْغِمَاسِ فِي الْمَاءِ الْبَارِدِ وَسَقْيِ الْمَاءِ الْبَارِدِ الْمَثْلُوجِ وَلَا يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا مَعَ ذَلِكَ إلَى عِلَاجٍ آخَرَ فَإِنّهَا مُجَرّدُ كَيْفِيّةٍ حَارّةٍ مُتَعَلّقَةٍ بِالرّوحِ فَيَكْفِي فِي زَوَالِهَا مُجَرّدُ وُصُولِ كَيْفِيّةٍ بَارِدَةٍ تُسْكِنُهَا وَتُخْمِدُ لَهَبَهَا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إلَى اسْتِفْرَاغِ مَادّةٍ أَوْ انْتِظَارِ نُضْجٍ .

[اعْتِرَافُ جالينوس بِأَنّ الْمَاءَ الْبَارِدَ يَنْفَعُ فِي الْحُمّى]
وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْحُمّيَاتِ وَقَدْ اعْتَرَفَ فَاضِلُ الْأَطِبّاءِ جالينوس : بِأَنّ الْمَاءَ الْبَارِدَ يَنْفَعُ فِيهَا قَالَ فِي الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ كِتَابِ " حِيلَةِ الْبُرْءِ " : وَلَوْ أَنّ رَجُلًا شَابّا حَسَنَ اللّحْمِ خِصْبَ الْبَدَنِ فِي وَقْتِ الْقَيْظِ وَفِي وَقْتِ مُنْتَهَى الْحُمّى وَلَيْسَ فِي أَحْشَائِهِ وَرَمٌ اسْتَحَمّ بِمَاءٍ بَارِدٍ أَوْ سَبَحَ فِيهِ لَانْتَفَعَ بِذَلِكَ . قَالَ وَنَحْنُ نَأْمُرُ بِذَلِكَ لَا تَوَقّفَ

[قَوْلُ الرّازِيّ]
وَقَالَ الرّازِيّ فِي كِتَابِهِ الْكَبِيرِ إذَا كَانَتْ الْقُوّةُ قَوِيّةً وَالْحُمّى حَادّةً جِدّا وَالنّضْجُ بَيّنٌ وَلَا وَرَمَ فِي الْجَوْفِ وَلَا فَتْقٌ يَنْفَعُ الْمَاءُ الْبَارِدُ شُرْبًا وَإِنْ كَانَ الْعَلِيلُ خِصْبَ الْبَدَنِ وَالزّمَانُ حَارّ وَكَانَ مُعْتَادًا لِاسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ خَارِجٍ فَلْيُؤْذَنْ فِيهِ .
[مَعْنَى الْحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ]
وَقَوْلُهُ الْحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمِ هُوَ شِدّةُ لَهَبِهَا وَانْتِشَارِهَا وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ شِدّةُ الْحَرّ مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ وَفِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا : أَنّ ذَلِكَ أُنْمُوذَجٌ وَرَقِيقَةٌ اُشْتُقّتْ مِنْ جَهَنّمَ لِيَسْتَدِلّ بِهَا الْعِبَادُ عَلَيْهَا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا ثُمّ إنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ قَدّرَ ظُهُورَهَا بِأَسْبَابٍ تَقْتَضِيهَا كَمَا أَنّ الرّوحَ وَالْفَرَحَ وَالسّرُورَ وَاللّذّةَ مِنْ نَعِيمِ الْجَنّةِ أَظْهَرَهَا اللّهُ فِي هَذِهِ الدّارِ عِبْرَةً وَدَلَالَةً وَقَدّرَ ظُهُورَهَا بِأَسْبَابٍ تُوجِبُهَا . وَالثّانِي : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ التّشْبِيهَ فَشَبّهَ شِدّةَ الْحُمّى وَلَهَبَهَا بِفَيْحِ جَهَنّمُ وَشَبّهَ شِدّةَ الْحَرّ بِهِ أَيْضًا تَنْبِيهًا لِلنّفُوسِ عَلَى شِدّةِ عَذَابِ النّارِ وَأَنّ هَذِهِ الْحَرَارَةَ الْعَظِيمَةَ مُشَبّهَةٌ بِفَيْحِهَا وَهُوَ مَا يُصِيبُ مِنْ قُرْبٍ مِنْهَا مِنْ حَرّهَا .
[مَعْنَى فَأَبْرِدُوهَا]
وَقَوْلُهُ " فَأَبْرِدُوهَا " رُوِيَ بِوَجْهَيْنِ بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا رُبَاعِيّ مِنْ أَبْرَدَ الشّيْءَ إذَا صَيّرَهُ بَارِدًا مِثْلَ أَسْخَنَهُ إذَا صَيّرَهُ سُخْنًا . وَالثّانِي : بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ مَضْمُومَةً مِنْ بَرّدَ الشّيْءَ يُبَرّدُهُ وَهُوَ أَفْصَحُ لُغَةً وَاسْتِعْمَالًا وَالرّبَاعِيّ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ عِنْدَهُمْ قَالَ إذَا وَجَدْتُ لَهِيبَ الْحُبّ فِي كَبِدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرَهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتّقِدُ

[مَعْنَى بِالْمَاءِ]
وَقَوْلُهُ " بِالْمَاءِ " فِيهِ قَوْلَانِ . أَحَدُهُمَا : أَنّهُ كُلّ مَاءٍ وَهُوَ الصّحِيحُ . وَالثّانِي : أَنّهُ مَاءُ زَمْزَمَ وَاحْتَجّ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ أَبِي جَمْرَةَ نَصْرِ بْنِ عِمْرَانَ الضّبَعِي قَالَ كُنْتُ أُجَالِسُ ابْنَ عَبّاسٍ بِمَكّةَ فَأَخَذَتْنِي الْحُمّى فَقَالَ أَبْرِدْهَا عَنْك بِمَاءِ زَمْزَمَ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ إنّ الْحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ أَوْ قَالَ بِمَاءِ زَمْزَمَ وَرَاوِي هَذَا قَدْ شَكّ فِيهِ وَلَوْ جَزَمَ بِهِ لَكَانَ أَمْرًا لِأَهْلِ مَكّةَ بِمَاءِ زَمْزَمَ إذْ هُوَ مُتَيَسّرٌ عِنْدَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْمَاءِ . ثُمّ اخْتَلَفَ مَنْ قَالَ إنّهُ عَلَى عُمُومِهِ هَلْ الْمُرَادُ بِهِ الصّدَقَةُ بِالْمَاءِ أَوْ اسْتِعْمَالُهُ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ . وَالصّحِيحُ أَنّهُ اسْتِعْمَالٌ وَأَظُنّ أَنّ الّذِي حَمَلَ مَنْ قَالَ الْمُرَادُ الصّدَقَةُ بِهِ أَنّهُ أَشْكَلَ عَلَيْهِ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي الْحُمّى وَلَمْ يَفْهَمْ وَجْهَهُ مَعَ أَنّ لِقَوْلِهِ وَجْهًا حَسَنًا وَهُوَ أَنّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فَكَمَا أَخْمَدَ لَهِيبَ الْعَطَشِ عَنْ الظّمْآنِ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ أَخْمَدَ اللّهُ لَهِيبَ الْحُمّى عَنْهُ جَزَاءً وِفَاقًا وَلَكِنّ هَذَا يُؤْخَذُ مِنْ فِقْهِ الْحَدِيثِ وَإِشَارَتِهِ وَأَمّا الْمُرَادُ بِهِ

فَاسْتِعْمَالُهُ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ إذَا حُمّ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُشّ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ السّحَرِ [ص ٢٨] سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ الْحُمّى كِيرٌ مِنْ كِيرِ جَهَنّمَ فَنَحّوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ يَرْفَعُهُ الْحُمّى قِطْعَةٌ مِنْ النّارِ فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا حُمّ دَعَا بِقِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَغَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَاغْتَسَلَ وَفِي " السّنَنِ " : مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ذُكِرَتْ الْحُمّى عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَبّهَا رَجُلٌ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تَسُبّهَا فَإِنّهَا تَنْفِي الذّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ لِمَا كَانَتْ الْحُمّى يَتْبَعُهَا حَمِيّةٌ عَنْ الْأَغْذِيَةِ الرّدِيئَةِ وَتَنَاوُلِ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ النّافِعَةِ وَفِي ذَلِكَ إعَانَةٌ عَلَى تَنْقِيَةِ الْبَدَنِ وَنَفْيُ أَخْبَاثِهِ وَفُضُولِهِ وَتَصْفِيَتِهِ مِنْ مَوَادّهِ الرّدِيئَةِ وَتَفْعَلُ فِيهِ كَمَا تَفْعَلُ النّارُ فِي الْحَدِيدِ فِي نَفْيِ خَبَثِهِ وَتَصْفِيَةِ جَوْهَرِهِ كَانَتْ أَشْبَهَ الْأَشْيَاءِ بِنَارِ الْكِيرِ الّتِي تُصَفّي جَوْهَرَ الْحَدِيدِ وَهَذَا الْقَدْرُ هُوَ الْمَعْلُومُ عِنْدَ أَطِبّاءِ الْأَبْدَانِ .

[الْحُمّى تَنْفَعُ الْبَدَنَ وَالْقَلْبَ]

وَأَمّا تَصْفِيَتُهَا الْقَلْبَ مِنْ وَسَخِهِ وَدَرَنِهِ وَإِخْرَاجِهَا خَبَائِثَهُ فَأَمْرٌ يَعْلَمُهُ أَطِبّاءُ الْقُلُوبِ وَيَجِدُونَهُ كَمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيّهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَكِنْ مَرَضُ الْقَلْبِ إذَا [ص ٢٩] صَارَ مَأْيُوسًا مِنْ بُرْئِهِ لَمْ يَنْفَعْ فِيهِ هَذَا الْعِلَاجُ . فَالْحُمّى تَنْفَعُ الْبَدَنَ وَالْقَلْبَ وَمَا كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَسَبّهُ ظُلْمٌ وَعُدْوَانٌ وَذَكَرْت مَرّةً وَأَنَا مَحْمُومٌ قَوْلَ بَعْضِ الشّعَرَاءِ يَسُبّهَا : زَارَتْ مُكَفّرَةُ الذّنُوبِ وَوَدّعَت تَبّا لَهَا مِنْ زَائِرٍ وَمُوَدّعِ

قَالَتْ وَقَدْ عَزَمْت عَلَى تَرْحَالِهَا مَاذَا تُرِيدُ فَقُلْتُ أَنْ لَا تَرْجِعِي

فَقُلْت : تَبّا لَهُ إذْ سَبّ مَا نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ سَبّهِ وَلَوْ قَالَ زَارَتْ مُكَفّرَةُ الذّنُوبِ لِصَبّهَا أَهْلًا بِهَا مِنْ زَائِرٍ وَمُوَدّعِ

قَالَتْ وَقَدْ عَزَمَتْ عَلَى تَرْحَالِهَا مَاذَا تُرِيدُ فَقُلْت : أَنْ لَا تُقْلِعِي

لَكَانَ أَوْلَى بِهِ وَلَأَقْلَعَتْ عَنْهُ فَأَقْلَعَتْ عَنّي سَرِيعًا . وَقَدْ رُوِيَ فِي أَثَرٍ لَا أَعْرِفُ حَالَهُ حُمّى يَوْمٍ كَفّارَةُ سَنَةٍ وَفِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا : أَنّ الْحُمّى تَدْخُلُ فِي كُلّ الْأَعْضَاءِ وَالْمَفَاصِلِ وَعِدّتُهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتّونَ مَفْصِلًا فَتُكَفّرُ عَنْهُ - بِعَدَدِ كُلّ مَفْصِلٍ - ذُنُوبَ يَوْمٍ . وَالثّانِي : أَنّهَا تُؤَثّرُ فِي الْبَدَنِ تَأْثِيرًا لَا يَزُولُ بِالْكُلّيّةِ إلَى سَنَةٍ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إنّ أَثَرَ الْخَمْرِ يَبْقَى فِي جَوْفِ الْعَبْدِ وَعُرُوقِهِ وَأَعْضَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَاَللّهُ أَعْلَمُ [ص ٣٠] قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا مِنْ مَرَضٍ يُصِيبُنِي أَحَبّ إلَيّ مِنْ الْحُمّى لِأَنّهَا تَدْخُلُ فِي كُلّ عُضْوٍ مِنّي وَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يُعْطِي كُلّ عُضْوٍ حَظّهُ مِنْ الْأَجْرِ وَقَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ يَرْفَعُهُ إذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ الْحُمّى - وَإِنّ الْحُمّى قِطْعَةٌ مِنْ النّارِ - فَلْيُطْفِئْهَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ وَيَسْتَقْبِلْ نَهَرًا جَارِيًا فَلْيَسْتَقْبِلْ جَرْيَةَ الْمَاءِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَلْيَقُلْ بِسْمِ اللّهِ اللّهُمّ اشْفِ عَبْدَك وَصَدّقْ رَسُولَك وَيَنْغَمِسُ فِيهِ ثَلَاثَ غَمَسَاتٍ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ فَإِنْ بَرِئَ وَإِلّا فَفِي خَمْسٍ فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي خَمْسٍ فَسَبْعٌ فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي سَبْعٍ فَتِسْعٌ فَإِنّهَا لَا تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعًا بِإِذْنِ اللّهِ قُلْت : وَهُوَ يَنْفَعُ فِعْلُهُ فِي فَصْلِ الصّيْفِ فِي الْبِلَادِ الْحَارّةِ عَلَى الشّرَائِطِ الّتِي تَقَدّمَتْ فَإِنّ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَبْرَدُ مَا يَكُونُ لِبُعْدِهِ عَنْ مُلَاقَاةِ الشّمْسِ وَوُفُورِ الْقُوَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِمَا أَفَادَهَا النّوْمُ وَالسّكُونُ وَبَرْدُ الْهَوَاءِ

فَتَجْتَمِعُ فِيهِ قُوّةُ الْقُوَى وَقُوّةُ الدّوَاءِ وَهُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ عَلَى حَرَارَةِ الْحُمّى الْعَرَضِيّةِ أَوْ الْغِبّ الْخَالِصَةِ أَعْنِي الّتِي لَا وَرَمَ مَعَهَا وَلَا شَيْءَ مِنْ الْأَعْرَاضِ الرّدِيئَةِ وَالْمَوَادّ الْفَاسِدَةِ فَيُطْفِئُهَا بِإِذْنِ اللّهِ لَا سِيّمَا فِي أَحَدِ الْأَيّامِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ وَهِيَ الْأَيّامُ الّتِي يَقَعُ فِيهَا بُحْرَانُ الْأَمْرَاضِ الْحَادّةِ كَثِيرًا سِيّمَا فِي الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ لِرِقّةِ أَخْلَاطِ سُكّانِهَا وَسُرْعَةِ انْفِعَالِهِمْ عَنْ الدّوَاءِ النّافِعِ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ فِي عِلَاجِ اسْتِطْلَاقِ الْبَطْنِ

[عِلَاجُهُ بِالْعَسَلِ]

فِي " الصّحِيحَيْنِ " : مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْمُتَوَكّلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ أَنّ رَجُلًا أَتَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ إنّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ وَفِي رِوَايَةٍ اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ فَقَالَ [ص ٣١] اسْقِهِ عَسَلًا " فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ فَقَالَ قَدْ سَقَيْته فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ شَيْئًا وَفِي لَفْظٍ فَلَمْ يَزِدْهُ إلّا اسْتِطْلَاقًا مَرّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ اسْقِهِ عَسَلًا " فَقَالَ لَهُ فِي الثّالِثَةِ أَوْ الرّابِعَةِ صَدَقَ اللّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ

وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " فِي لَفْظٍ لَهُ " إنّ أَخِي عَرِبَ بَطْنُهُ " أَيْ فَسَدَ هَضْمُهُ وَاعْتَلّتْ مَعِدَتُهُ وَالِاسْمُ الْعَرَبُ بِفَتْحِ الرّاءِ وَالذّرَبُ أَيْضًا .

[مَنَافِعُ الْعَسَلِ]

وَالْعَسَلُ فِيهِ مَنَافِعُ عَظِيمَةٌ فَإِنّهُ جِلَاءٌ لِلْأَوْسَاخِ الّتِي فِي الْعُرُوقِ وَالْأَمْعَاءِ وَغَيْرِهَا مُحَلّلٌ لِلرّطُوبَاتِ أَكْلًا وَطِلَاءً نَافِعٌ لِلْمَشَايِخِ وَأَصْحَابِ الْبَلْغَمِ وَمَنْ كَانَ مِزَاجُهُ بَارِدًا رَطْبًا وَهُوَ مُغَذّ مُلَيّنٌ لِلطّبِيعَةِ حَافِظٌ لِقُوَى الْمَعَاجِينِ وَلِمَا اُسْتُوْدِعَ فِيهِ مَذْهَبٌ لِكَيْفِيّاتِ الْأَدْوِيَةِ الْكَرِيهَةِ مُنَقّ لِلْكَبِدِ وَالصّدْرِ مُدِرّ لِلْبَوْلِ مُوَافِقٌ لِلسّعَالِ الْكَائِنِ عَنْ الْبَلْغَمِ وَإِذَا شُرِبَ حَارّا بِدُهْنِ الْوَرْدِ نَفَعَ مِنْ نَهْشِ الْهَوَامّ وَشُرْبِ الْأَفْيُونِ وَإِنْ شُرِبَ وَحْدَهُ مَمْزُوجًا بِمَاءٍ نَفَعَ مِنْ عَضّةِ الْكَلْبِ الْكَلِبِ وَأَكْلِ الْفُطُرِ الْقَتّالِ وَإِذَا جُعِلَ فِيهِ اللّحْمُ الطّرِيّ حَفِظَ طَرَاوَتَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَكَذَلِكَ إنْ جُعِلَ فِيهِ الْقِثّاءُ وَالْخِيَارُ وَالْقَرْعُ وَالْبَاذِنْجَانُ وَيَحْفَظُ كَثِيرًا مِنْ الْفَاكِهَةِ سِتّةَ أَشْهُرٍ وَيَحْفَظُ جُثّةَ الْمَوْتَى وَيُسَمّى الْحَافِظَ الْأَمِينَ . وَإِذَا لُطّخَ بِهِ الْبَدَنُ الْمُقَمّلُ وَالشّعْرُ قَتَلَ قَمْلَهُ وَصِئْبَانَهُ وَطَوّلَ الشّعْرَ وَحَسّنَهُ وَنَعّمَهُ وَإِنْ اكْتُحِلَ بِهِ جَلَا ظُلْمَةَ الْبَصَرِ وَإِنْ اُسْتُنّ بِهِ بَيّضَ الْأَسْنَانَ وَصَقَلَهَا وَحَفِظَ صِحّتَهَا وَصِحّةَ اللّثَةِ وَيَفْتَحُ أَفْوَاهَ الْعُرُوقِ وَيُدِرّ الطّمْثَ وَلَعْقُهُ عَلَى الرّيقِ يُذْهِبُ الْبَلْغَمَ وَيَغْسِلُ خَمْلَ الْمَعِدَةِ وَيَدْفَعُ الْفَضَلَاتِ عَنْهَا وَيُسَخّنُهَا تَسْخِينًا مُعْتَدِلًا وَيَفْتَحُ سُدَدَهَا وَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِالْكَبِدِ وَالْكُلَى وَالْمَثَانَةِ وَهُوَ أَقَلّ ضَرَرًا لِسُدَدِ الْكَبِدِ وَالطّحَالِ مِنْ كُلّ حُلْوٍ . وَهُوَ مَعَ هَذَا كُلّهِ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ قَلِيلُ الْمَضَارّ مُضِرّ بِالْعَرْضِ لِلصّفْرَاوِيّيْنِ [ص ٣٢] وَنَحْوِهِ فَيَعُودُ حِينَئِذٍ نَافِعًا لَهُ جِدّا . وَهُوَ غِذَاءٌ مَعَ الْأَغْذِيَةِ وَدَوَاءٌ مَعَ الْأَدْوِيَةِ وَشَرَابٌ مَعَ الْأَشْرِبَةِ وَحُلْوٌ مَعَ الْحَلْوَى وَطِلَاءٌ مَعَ الْأَطْلِيَةِ وَمُفَرّحٌ مَعَ الْمُفَرّحَاتِ فَمَا خُلِقَ لَنَا شَيْءٌ فِي مَعْنَاهُ أَفْضَلَ مِنْهُ وَلَا مِثْلُهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُعَوّلُ الْقُدَمَاءِ إلّا عَلَيْهِ وَأَكْثَرُ كُتُبِ الْقُدَمَاءِ لَا ذِكْرَ فِيهَا لِلسّكّرِ الْبَتّةَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ فَإِنّهُ حَدِيثُ الْعَهْدِ حَدَثَ قَرِيبًا وَكَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَشْرَبُهُ بِالْمَاءِ عَلَى الرّيقِ وَفِي ذَلِكَ سِرّ بَدِيعٌ فِي حِفْظِ الصّحّةِ لَا يُدْرِكُهُ إلّا الْفَطِنُ الْفَاضِلُ وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ إنْ شَاءَ اللّهُ عِنْدَ ذِكْرِ هَدْيِهِ فِي حِفْظِ الصّحّةِ . وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ لَعِقَ الْعَسَلَ ثَلَاثَ غَدَوَاتٍ كُلّ شَهْرٍ لَمْ يُصِبْهُ عَظِيمٌ مِنْ الْبَلَاءِ وَفِي أَثَرٍ آخَرَ عَلَيْكُمْ بِالشّفَاءَيْنِ الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ فَجَمَعَ بَيْنَ الطّبّ

الْبَشَرِيّ وَالْإِلَهِيّ وَبَيْنَ طِبّ الْأَبْدَانِ وَطِبّ الْأَرْوَاحِ وَبَيْنَ الدّوَاءِ الْأَرْضِيّ وَالدّوَاءِ السّمَائِيّ . إذَا عُرِفَ هَذَا فَهَذَا الّذِي وَصَفَ لَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَسَلَ كَانَ اسْتِطْلَاقُ بَطْنِه عَنْ تُخَمَةٍ أَصَابَتْهُ عَنْ امْتِلَاءٍ فَأَمَرَهُ بِشُرْبِ الْعَسَلِ لِدَفْعِ الْفُضُولِ الْمُجْتَمِعَةِ فِي نَوَاحِي الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ فَإِنّ الْعَسَلَ فِيهِ جِلَاءٌ وَدَفْعٌ لِلْفُضُولِ وَكَانَ قَدْ أَصَابَ الْمَعِدَةَ أَخْلَاطٌ لَزِجَةٌ تَمْنَعُ اسْتِقْرَارَ الْغِذَاءِ فِيهَا لِلُزُوجَتِهَا فَإِنّ الْمَعِدَةَ لَهَا خَمْلٌ كَخَمْلِ الْقَطِيفَةِ فَإِذَا عَلِقَتْ بِهَا الْأَخْلَاطُ اللّزِجَةُ أَفْسَدَتْهَا [ص ٣٣] يَجْلُوهَا مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاطِ وَالْعَسَلُ جِلَاءٌ وَالْعَسَلُ مِنْ أَحْسَنِ مَا عُولِجَ بِهِ هَذَا الدّاءُ لَا سِيّمَا إنْ مُزِجَ بِالْمَاءِ الْحَارّ .

[فَائِدَةُ تَكْرَارِ سَقْيِ الْعَسَلِ]

وَفِي تَكْرَارِ سَقْيِهِ الْعَسَلَ مَعْنًى طِبّيّ بَدِيعٌ وَهُوَ أَنّ الدّوَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِقْدَارٌ وَكَمّيّةٌ بِحَسَبِ حَالِ الدّاءِ إنْ قَصُرَ عَنْهُ لَمْ يُزِلْهُ بِالْكُلّيّةِ وَإِنْ جَاوَزَهُ . أَوْهَى الْقُوَى فَأَحْدَثَ ضَرَرًا آخَرَ فَلَمّا أَمَرَهُ أَنْ يَسْقِيَهُ الْعَسَلَ سَقَاهُ مِقْدَارًا لَا يَفِي بِمُقَاوَمَةِ الدّاءِ وَلَا يَبْلُغُ الْغَرَضَ فَلَمّا أَخْبَرَهُ عَلِمَ أَنّ الّذِي سَقَاهُ لَا يَبْلُغُ مِقْدَارَ الْحَاجَةِ فَلَمّا تَكَرّرَ تَرْدَادُهُ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَكّدَ عَلَيْهِ الْمُعَاوَدَةَ لِيَصِلَ إلَى الْمِقْدَارِ الْمُقَاوِمِ لِلدّاءِ فَلَمّا تَكَرّرَتْ الشّرَبَاتُ بِحَسَبِ مَادّةِ الدّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللّهِ وَاعْتِبَارُ مَقَادِيرِ الْأَدْوِيَةِ وَكَيْفِيّاتِهَا وَمِقْدَارِ قُوّةِ الْمَرَضِ مَرَضٌ مِنْ أَكْبَرِ قَوَاعِدِ الطّبّ .

[مَعْنَى صَدَقَ اللّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيك]

" وَفِي قَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَدَقَ اللّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيك إشَارَةً إلَى تَحْقِيقِ نَفْعِ هَذَا الدّوَاءِ وَأَنّ بَقَاءَ الدّاءِ لَيْسَ لِقُصُورِ الدّوَاءِ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْ لِكَذِبِ الْبَطْنِ وَكَثْرَةِ الْمَادّةِ الْفَاسِدَةِ فِيهِ فَأَمَرَهُ بِتَكْرَارِ الدّوَاءِ لِكَثْرَةِ الْمَادّةِ . وَلَيْسَ طِبّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَطِبّ الْأَطِبّاءِ فَإِنّ طِبّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُتَيَقّنٌ قَطْعِيّ إلَهِيّ صَادِرٌ عَنْ الْوَحْيِ وَمِشْكَاةِ النّبُوّةِ وَكَمَالِ الْعَقْلِ . وَطِبّ غَيْرِهِ أَكْثَرُهُ حَدْسٌ وَظُنُونٌ وَتَجَارِبُ وَلَا يُنْكَرُ عَدَمُ انْتِفَاعِ كَثِيرٍ مِنْ الْمَرْضَى بِطِبّ النّبُوّةِ فَإِنّهُ إنّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ تَلَقّاهُ بِالْقَبُولِ وَاعْتِقَادِ الشّفَاءِ بِهِ وَكَمَالِ التّلَقّي لَهُ بِالْإِيمَانِ وَالْإِذْعَانِ فَهَذَا الْقُرْآنُ الّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصّدُورِ - إنْ لَمْ يُتَلَقّ هَذَا التّلَقّي - لَمْ يَحْصُلْ بِهِ شِفَاءُ الصّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا بَلْ لَا يَزِيدُ الْمُنَافِقِينَ إلّا رِجْسًا إلَى رِجْسِهِمْ وَمَرَضًا إلَى مَرَضِهِمْ وَأَيْنَ يَقَعُ طِبّ الْأَبْدَانِ مِنْهُ فَطِبّ النّبُوّةِ لَا يُنَاسِبُ إلّا الْأَبْدَانَ الطّيّبَةَ كَمَا أَنّ شِفَاءَ الْقُرْآنِ لَا يُنَاسِبُ إلّا الْأَرْوَاحَ الطّيّبَةَ وَالْقُلُوبَ الْحَيّةَ فَإِعْرَاضُ النّاسِ عَنْ طِبّ النّبُوّةِ كَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ الِاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ الّذِي هُوَ الشّفَاءُ النّافِعُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِقُصُورٍ فِي الدّوَاءِ وَلَكِنْ لِخُبْثِ الطّبِيعَةِ وَفَسَادِ الْمَحَلّ وَعَدَمِ قَبُولِهِ وَاَللّهُ الْمُوَفّقُ . [ص ٣٤]

فَصْلٌ

[بَيَانُ أَنّ الْعَسَلَ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنّاسِ]

وَقَدْ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنّاسِ } [النّحْلُ ٦٩] هَلْ الضّمِيرُ فِي " فِيهِ " رَاجِعٌ إلَى الشّرَابِ أَوْ رَاجِعٌ إلَى الْقُرْآنِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ الصّحِيحُ رُجُوعُهُ إلَى الشّرَابِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبّاسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَالْأَكْثَرِينَ فَإِنّهُ هُوَ الْمَذْكُورُ وَالْكَلَامُ سِيقَ لِأَجْلِهِ وَلَا ذِكْرَ لِلْقُرْآنِ فِي الْآيَةِ وَهَذَا الْحَدِيثُ الصّحِيحُ وَهُوَ قَوْلُهُ " صَدَقَ اللّهُ " كَالصّرِيحِ فِيهِ وَاَللّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ فِي الطَّاعُونِ وَعِلَاجِهِ وَالِاحْتِرَازِ مِنْهُ

فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ : مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّاعُونِ ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " أَيْضًا : عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ قَالَتْ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ [ص ٣٥]

[مَا هُوَ الطَّاعُونُ]

الطَّاعُونُ - مِنْ حَيْثُ اللُّغَةِ - نَوْعٌ مِنَ الْوَبَاءِ قَالَهُ صَاحِبُ " الصِّحَاحِ " وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الطِّبِّ : وَرَمٌ رَدِيءٌ قَتَّالٌ يَخْرُجُ مَعَهُ تَلَهُّبٌ شَدِيدٌ مُؤْلِمٌ جِدًّا يَتَجَاوَزُ الْمِقْدَارَ فِي ذَلِكَ وَيَصِيرُ مَا حَوْلَهُ فِي الْأَكْثَرِ أَسْوَدَ أَوْ أَخْضَرَ أَوْ أَكْمَدَ وَيَئُولُ أَمْرُهُ إِلَى التَّقَرُّحِ سَرِيعًا . وَفِي الْأَكْثَرِ يَحْدُثُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فِي الْإِبْطِ وَخَلْفَ الْأُذُنِ وَالْأَرْنَبَةِ وَفِي اللُّحُومِ الرِّخْوَةِ . وَفِي أَثَرٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ ؟ قَالَ غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ يَخْرُجُ فِي الْمَرَاقِّ وَالْإِبْطِ قَالَ الْأَطِبَّاءُ إِذَا وَقَعَ الْخُرَّاجُ فِي اللُّحُومِ الرِّخْوَةِ وَالْمَغَابِنِ وَخَلْفَ الْأُذُنِ وَالْأَرْنَبَةِ وَكَانَ مِنْ جِنْسٍ فَاسِدٍ سُمِّيَ طَاعُونًا وَسَبَبُهُ دَمٌ رَدِيءٌ مَائِلٌ إِلَى الْعُفُونَةِ وَالْفَسَادِ مُسْتَحِيلٌ إِلَى جَوْهَرٍ سُمِّيٍّ يُفْسِدُ الْعُضْوَ وَيُغَيِّرُ مَا يَلِيهِ وَرُبَّمَا رَشَحَ دَمًا وَصَدِيدًا وَيُؤَدِّي إِلَى الْقَلْبِ كَيْفِيَّةً رَدِيئَةً فَيَحْدُثُ الْقَيْءُ وَالْخَفَقَانُ وَالْغَشْيُ وَهَذَا الِاسْمُ وَإِنْ كَانَ يَعُمُّ كُلَّ وَرَمٍ يُؤَدِّي إِلَى الْقَلْبِ كَيْفِيَّةً رَدِيئَةً حَتَّى يَصِيرَ لِذَلِكَ قَتَّالًا فَإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِهِ الْحَادِثُ فِي اللَّحْمِ الْغُدَدِيِّ لِأَنَّهُ لِرَدَاءَتِهِ لَا يَقْبَلُهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ إِلَّا مَا كَانَ أَضْعَفَ بِالطَّبْعِ وَأَرْدَؤُهُ مَا حَدَثَ فِي الْإِبْطِ وَخَلْفَ الْأُذُنِ لِقُرْبِهِمَا مِنَ الْأَعْضَاءِ الَّتِي هِيَ أَرْأَسُ وَأَسْلَمُهُ الْأَحْمَرُ ثُمَّ الْأَصْفَرُ . وَالَّذِي إِلَى السَّوَادِ فَلَا يَفْلِتُ مِنْهُ أَحَدٌ . وَلَمَّا كَانَ الطَّاعُونُ يَكْثُرُ فِي الْوَبَاءِ وَفِي الْبِلَادِ الْوَبِيئَةِ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْوَبَاءِ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ الْوَبَاءُ الطَّاعُونُ . وَقِيلَ هُوَ كُلُّ مَرَضٍ يَعُمُّ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَ الْوَبَاءِ [ص ٣٦] وَبَاءٌ وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ طَاعُونًا وَكَذَلِكَ الْأَمْرَاضُ الْعَامَّةُ أَعَمُّ مِنَ الطَّاعُونِ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهَا وَالطَّوَاعِينُ خُرَّاجَاتٌ وَقُرُوحٌ وَأَوْرَامٌ رَدِيئَةٌ حَادِثَةٌ فِي الْمَوَاضِعِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا .

[آثَارُ الطَّاعُونِ]

قُلْت : هَذِهِ الْقُرُوحُ وَالْأَوْرَامُ وَالْجِرَاحَاتُ هِيَ آثَارُ الطَّاعُونِ وَلَيْسَتْ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ الْأَطِبَّاءَ لِمَا لَمْ تُدْرِكْ مِنْهُ إِلَّا الْأَثَرَ الظَّاهِرَ جَعَلُوهُ نَفْسَ الطَّاعُونِ . وَالطَّاعُونُ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ

أَحَدُهَا : هَذَا الْأَثَرُ الظَّاهِرُ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَطِبَّاءُ .

وَالثَّانِي : الْمَوْتُ الْحَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قَوْلِهِ الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ

وَالثَّالِثُ السَّبَبُ الْفَاعِلُ لِهَذَا الدَّاءِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ بَقِيَّةُ رِجْزٍ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَرَدَ فِيهِ " أَنَّهُ وَخْزُ الْجِنِّ " وَجَاءَ أَنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيٍّ .

[بَيَانُ مَا لِلْجِنِّ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي الطَّاعُونِ - وَكَيْفِيَّةُ دَفْعِهِ]

وَهَذِهِ الْعِلَلُ وَالْأَسْبَابُ لَيْسَ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ مَا يَدْفَعُهَا كَمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَدُلّ عَلَيْهَا وَالرّسُلُ تُخْبَرُ بِالْأُمُورِ الْغَائِبَةِ وَهَذِهِ الْآثَارُ الّتِي أَدْرَكُوهَا مِنْ أَمْرِ الطّاعُونِ لَيْسَ مَعَهُمْ مَا يَنْفِي أَنْ تَكُونَ بِتَوَسّطِ الْأَرْوَاحِ فَإِنّ تَأْثِيرَ الْأَرْوَاحِ فِي الطّبِيعَةِ وَأَمْرَاضِهَا وَهَلَاكِهَا أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ إلّا مَنْ هُوَ أَجْهَلُ النّاسِ بِالْأَرْوَاحِ وَتَأْثِيرَاتِهَا وَانْفِعَالِ الْأَجْسَامِ وَطَبَائِعِهَا عَنْهَا وَاَللّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ يَجْعَلُ لِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ تَصَرّفًا فِي أَجْسَامِ بَنِي آدَمَ عِنْدَ حُدُوثِ الْوَبَاءِ وَفَسَادِ الْهَوَاءِ كَمَا يُجْعَلُ لَهَا تَصَرّفًا عِنْدَ بَعْضِ الْمَوَادّ الرّدِيئَةِ الّتِي تُحْدِثُ لِلنّفُوسِ هَيْئَةً رَدِيئَةً وَلَا سِيّمَا عِنْدَ هَيَجَانِ الدّمِ وَالْمِرّةِ السّوْدَاءِ وَعِنْدَ هَيَجَانِ الْمَنِيّ فَإِنّ الْأَرْوَاحَ الشّيْطَانِيّةَ تَتَمَكّنُ مِنْ فِعْلِهَا بِصَاحِبِ [ص ٣٧] أَقْوَى مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ مِنْ الذّكْرِ وَالدّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ وَالتّضَرّعِ وَالصّدَقَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَإِنّهُ يَسْتَنْزِلُ بِذَلِكَ مِنْ الْأَرْوَاحِ الْمَلَكِيّةِ مَا يَقْهَرُ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ وَيُبْطِلُ شَرّهَا وَيَدْفَعُ تَأْثِيرَهَا وَقَدْ جَرّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا هَذَا مِرَارًا لَا يُحْصِيهَا إلّا اللّهُ وَرَأَيْنَا لِاسْتِنْزَالِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الطّيّبَةِ وَاسْتِجْلَابِ قُرْبِهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي تَقْوِيَةِ الطّبِيعَةِ وَدَفْعِ الْمَوَادّ الرّدِيئَةِ وَهَذَا يَكُونُ قَبْلَ اسْتِحْكَامِهَا وَتَمَكّنِهَا وَلَا يَكَادُ يَنْخَرِمُ فَمَنْ وَفّقَهُ اللّهُ بَادَرَ عِنْدَ إحْسَاسِهِ بِأَسْبَابِ الشّرّ إلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ الّتِي تَدْفَعُهَا عَنْهُ وَهِيَ لَهُ مِنْ أَنْفَعِ الدّوَاءِ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ إنْفَاذَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ أَغْفَلَ قَلْبَ الْعَبْدِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا وَتَصَوّرِهَا وَإِرَادَتِهَا فَلَا يَشْعُرُ بِهَا وَلَا يُرِيدُهَا لِيَقْضِيَ اللّهُ فِيهِ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا . وَسَنَزِيدُ هَذَا الْمَعْنَى إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى إيضَاحًا وَبَيَانًا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى التّدَاوِي بِالرّقَى وَالْعُوَذِ النّبَوِيّةِ وَالْأَذْكَارِ وَالدّعَوَاتِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَنُبَيّنُ أَنّ نِسْبَةَ طِبّ الْأَطِبّاءِ إلَى هَذَا الطّبّ النّبَوِيّ كَنِسْبَةِ طِبّ الطّرْقِيّةِ وَالْعَجَائِزِ إلَى طِبّهِمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِهِ حُذّاقُهُمْ وَأَئِمّتُهُمْ وَنُبَيّنُ أَنّ الطّبِيعَةَ الْإِنْسَانِيّةَ أَشَدّ شَيْءٍ انْفِعَالًا عَنْ الْأَرْوَاحِ وَأَنّ قُوَى الْعُوَذِ وَالرّقَى وَالدّعَوَاتِ فَوْقَ قُوَى الْأَدْوِيَةِ حَتّى إنّهَا تُبْطِلُ قُوَى السّمُومِ الْقَاتِلَةِ .

[فَسَادُ الْهَوَاءِ جُزْءٌ مِنْ أَسْبَابِ الطّاعُونِ وَبَيَانُ حَالِهِ فِي الْفُصُولِ]

وَالْمَقْصُودِ أَنّ فَسَادَ الْهَوَاءِ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ السّبَبِ التّامّ وَالْعِلّةِ الْفَاعِلَةِ لِلطّاعُونِ فَإِنّ فَسَادَ جَوْهَرِ الْهَوَاءِ الْمُوجِبِ لِحُدُوثِ الْوَبَاءِ وَفَسَادِهِ يَكُونُ لِاسْتِحَالَةِ جَوْهَرِهِ إلَى الرّدَاءَةِ لِغَلَبَةِ إحْدَى الْكَيْفِيّاتِ الرّدِيئَةِ عَلَيْهِ كَالْعُفُونَةِ وَالنّتْنِ وَالسّمّيّةِ فِي أَيّ وَقْتٍ كَانَ مِنْ أَوْقَاتِ السّنَةِ وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ حُدُوثِهِ فِي أَوَاخِرِ الصّيْفِ وَفِي الْخَرِيفِ غَالِبًا لِكَثْرَةِ اجْتِمَاعِ الْفَضَلَاتِ الْمَرَارِيّةِ الْحَادّةِ وَغَيْرِهَا فِي فَصْلِ الصّيْفِ وَعَدَمِ تَحَلّلِهَا فِي آخِرِهِ وَفِي الْخَرِيفِ لِبَرْدِ الْجَوّ وَرَدْغَةِ الْأَبْخِرَةِ وَالْفَضَلَاتِ الّتِي كَانَتْ تَتَحَلّلُ فِي زَمَنِ الصّيْفِ . فَتَنْحَصِرُ فَتَسْخَنُ وَتُعَفّنُ فَتُحْدِثُ الْأَمْرَاضَ الْعَفِنَةَ وَلَا سِيّمَا إذَا صَادَفَتْ الْبَدَنَ مُسْتَعَدّا قَابِلًا رَهْلًا قَلِيلَ [ص ٣٨] وَأَصَحّ الْفُصُولِ فِيهِ فَصْلُ الرّبِيعِ . قَالَ إبّقْرَاط : إنّ فِي الْخَرِيفِ أَشَدّ مَا تَكُونُ مِنْ الْأَمْرَاضِ وَأَقْتَلُ وَأَمّا الرّبِيعُ فَأَصَحّ الْأَوْقَاتِ كُلّهَا وَأَقَلّهَا مَوْتًا وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الصّيَادِلَةِ وَمُجَهّزِي الْمَوْتَى أَنّهُمْ يَسْتَدِينُونَ وَيَتَسَلّفُونَ فِي الرّبِيعِ وَالصّيْفِ عَلَى فَصْلِ الْخَرِيفِ فَهُوَ رَبِيعُهُمْ وَهُمْ أَشْوَقُ شَيْءٍ إلَيْهِ وَأَفْرَحُ بِقُدُومِهِ وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ إذَا طَلَعَ النّجْمُ ارْتَفَعَتْ الْعَاهَةُ عَنْ كُلّ بَلَدٍ . وَفُسّرَ بِطُلُوعِ الثّرَيّا وَفُسّرَ بِطُلُوعِ النّبَاتِ زَمَنَ الرّبِيعِ وَمِنْهُ { وَالنّجْمُ وَالشّجَرُ يَسْجُدَانِ } [الرّحْمَنُ ٧] فَإِنّ كَمَالَ طُلُوعِهِ وَتَمَامَهُ يَكُونُ فِي فَصْلِ الرّبِيعِ وَهُوَ الْفَصْلُ الّذِي تَرْتَفِعُ فِيهِ الْآفَاتُ .

وَأَمّا الثّرَيّا فَالْأَمْرَاضُ تَكْثُرُ وَقْتَ طُلُوعِهَا مَعَ الْفَجْرِ وَسُقُوطِهَا .

قَالَ التّمِيمِيّ فِي كِتَابِ " مَادّةِ الْبَقَاءِ " : أَشَدّ أَوْقَاتِ السّنَةِ فَسَادًا وَأَعْظَمُهَا بَلِيّةً عَلَى الْأَجْسَادِ وَقْتَانِ
أَحَدُهُمَا : وَقْتُ سُقُوطِ الثّرَيّا لِلْمَغِيبِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . [ص ٣٩] وَالثّانِي : وَقْتَ طُلُوعِهَا مِنْ الْمَشْرِقِ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ عَلَى الْعَالَمِ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ وَهُوَ وَقْتُ تَصَرّمِ فَصْلُ الرّبِيعِ وَانْقِضَائِهِ غَيْرَ أَنّ الْفَسَادَ الْكَائِنَ عِنْدَ طُلُوعِهَا أَقَلّ ضَرَرًا مِنْ الْفَسَادِ الْكَائِنِ عِنْدَ سُقُوطِهَا . وَقَالَ أَبُو مُحَمّدِ بْنُ قُتَيْبَةَ يُقَالُ مَا طَلَعَتْ الثّرَيّا وَلَا نَأَتْ إلّا بِعَاهَةٍ فِي النّاسِ وَالْإِبِلِ وَغُرُوبُهَا أَعْوَهُ مِنْ طُلُوعِهَا . وَفِي الْحَدِيثِ قَوْلٌ ثَالِثٌ - وَلَعَلّهُ أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِهِ - أَنّ الْمُرَادَ بِالنّجْمِ الثّرَيّا وَبِالْعَاهَةِ الْآفَةُ الّتِي تُلْحِقُ الزّرُوعَ وَالثّمَارَ فِي فَصْلِ الشّتَاءِ وَصَدْرِ فَصْلِ الرّبِيعِ فَحَصَلَ الْأَمْنُ عَلَيْهَا عِنْدَ طُلُوعِ الثّرَيّا فِي الْوَقْتِ الْمَذْكُورِ وَلِذَلِكَ نَهَى صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ بَيْعِ الثّمَرَةِ وَشِرَائِهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ صَلَاحُهَا . وَالْمَقْصُودُ الْكَلَامُ عَلَى هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ وُقُوعِ الطّاعُونِ .
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي قَطْعِ الْعُرُوقِ وَالْكَيّ
ثَبَتَ فِي " الصّحِيحِ " مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ إلَى أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيبًا فَقَطَعَ لَهُ عِرْقًا وَكَوَاهُ عَلَيْه
وَلَمّا رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ حَسَمَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ وَرِمَتْ فَحَسَمَهُ الثّانِيَةَ وَالْحَسْمُ هُوَ الْكَيّ .
وَفِي طَرِيقٍ آخَرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَوَى سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ بِمِشْقَصٍ ثُمّ حَسَمَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَفِي لَفْظٍ آخَرَ أَنّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ رُمِيَ فِي أَكْحَلِهِ بِمِشْقَصٍ فَأَمَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهِ فَكُوِيَ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَقَدْ أُتِيَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِرَجُلٍ نُعِتَ لَهُ الْكَيّ فَقَالَ اكْوُوهُ وَارْضِفُوهُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الرّضْفُ الْحِجَارَةُ تُسَخّنُ ثُمّ يُكْمَدُ بِهَا . [ص ٥٩] وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ : حَدّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَوَاهُ فِي أَكْحَلِه وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنّهُ كُوِيَ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَيّ وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْ أَنَسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنْ الشّوْكَةِ وَقَدْ تَقَدّمَ الْحَدِيثُ الْمُتّفَقُ عَلَيْهِ وَفِيهِ وَمَا أُحِبّ أَنْ أَكْتَوِيَ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ وَأَنَا أَنْهَى أُمّتِي عَنْ الْكَيّ
وَفِي " جَامِعِ التّرْمِذِيّ " وَغَيْرِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ الْكَيّ قَالَ فَابْتُلِينَا فَاكْتَوَيْنَا فَمَا أَفْلَحْنَا وَلَا أَنْجَحْنَا وَفِي لَفْظٍ نُهِينَا عَنْ الْكَيّ وَقَالَ فَمَا أَفْلَحْنَ وَلَا أَنْجَحْنَ قَالَ الْخَطّابِيّ : إنّمَا كَوَى سَعْدًا لِيَرْقَأَ الدّمُ مِنْ جُرْحِهِ وَخَافَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِفَ فَيَهْلَكُ . وَالْكَيّ مُسْتَعْمَلٌ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا يُكْوَى مَنْ تُقْطَعُ يَدُهُ أَوْ رِجْلُهُ .
وَأَمّا النّهْيُ عَنْ الْكَيّ فَهُوَ أَنْ يَكْتَوِيَ طَلَبًا لِلشّفَاءِ وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنّهُ [ص ٦٠] هَلَكَ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ لِأَجْلِ هَذِهِ النّيّةِ . وَقِيلَ إنّمَا نَهَى عَنْهُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ خَاصّةً لِأَنّهُ كَانَ بِهِ نَاصُورٌ وَكَانَ مَوْضِعُهُ خَطَرًا فَنَهَاهُ عَنْ كَيّهِ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ النّهْيُ مُنْصَرِفًا إلَى الْمَوْضِعِ الْمُخَوّفِ مِنْهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : الْكَيّ جِنْسَانِ
كَيّ الصّحِيحِ لِئَلّا يَعْتَلّ فَهَذَا الّذِي قِيلَ فِيهِ لَمْ يَتَوَكّلْ مَنْ اكْتَوَى لِأَنّهُ يُرِيدُ أَنْ يَدْفَعَ الْقَدَرَ عَنْ نَفْسِهِ .

وَالثَّانِي : كَيّ الْجُرْحِ إذَا نَغِلَ وَالْعُضْوُ إذَا قُطِعَ فَفِي هَذَا الشّفَاءُ . وَأَمّا إذَا كَانَ الْكَيّ لِلتّدَاوِي الّذِي يَجُوزُ أَنْ يَنْجَعَ وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَنْجَعَ فَإِنّهُ إلَى الْكَرَاهَةِ أَقْرَبُ . انْتَهَى .
وَثَبَتَ فِي " الصّحِيحِ " فِي حَدِيثِ السّبْعِينَ أَلْفًا الّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَنّهُمْ الّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيّرُونَ وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ فَقَدْ تَضَمّنَتْ أَحَادِيثُ الْكَيّ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ أَحَدُهَا : فِعْلُهُ وَالثّانِي : عَدَمُ مَحَبّتِهِ لَهُ وَالثّالِثُ الثّنَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَهُ وَالرّابِعُ النّهْيُ عَنْهُ وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا بِحَمْدِ اللّهِ تَعَالَى فَإِنّ فِعْلَهُ يَدُلّ عَلَى جَوَازِهِ وَعَدَمَ مَحَبّتِهِ لَهُ لَا يَدُلّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ . وَأَمّا الثّنَاءُ عَلَى تَارِكِهِ فَيَدُلّ عَلَى أَنّ تَرْكَهُ أَوْلَى وَأَفْضَلُ . وَأَمّا النّهْيُ عَنْهُ فَعَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ وَالْكَرَاهَةِ أَوْ عَنْ النّوْعِ الّذِي لَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ بَلْ يُفْعَلُ خَوْفًا مِنْ حُدُوثِ الدّاءِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الصّرَعِ
أَخْرَجَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ [ص ٦١] ابْنُ عَبّاسٍ : أَلَا أُرِيَك امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ ؟ قُلْت : بَلَى . قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السّوْدَاءُ أَتَتْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَتْ إنّي أُصْرَعُ وَإِنّي أَتَكَشّفُ فَادْعُ اللّهَ لِي فَقَالَ " إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللّهَ لَكِ أَنْ يُعَافِيَكِ " فَقَالَتْ أَصْبِرُ . قَالَتْ فَإِنّي أَتَكَشّفُ فَادْعُ اللّهَ أَنْ لَا أَتَكَشّفَ فَدَعَا لَهَا قُلْتُ الصّرْعُ صَرْعَانِ صَرْعٌ مِنْ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ الْأَرْضِيّةِ وَصَرْعٌ مِنْ الْأَخْلَاطِ الرّدِيئَةِ . وَالثّانِي : هُوَ الّذِي يَتَكَلّمُ فِيهِ الْأَطِبّاءُ فِي سَبَبِهِ وَعِلَاجِهِ .
[إثْبَاتُ صَرْعِ الْأَرْوَاحِ]
وَأَمّا صَرْعُ الْأَرْوَاحِ فَأَئِمّتُهُمْ وَعُقَلَاؤُهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِهِ وَلَا يَدْفَعُونَهُ وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنّ عِلَاجَهُ بِمُقَابَلَةِ الْأَرْوَاحِ الشّرِيفَةِ الْخَيّرَةِ الْعُلْوِيّةِ لِتِلْكَ الْأَرْوَاحِ الشّرّيرَةِ الْخَبِيثَةِ فَتَدَافَعُ آثَارَهَا وَتُعَارِضُ أَفْعَالَهَا وَتُبْطِلُهَا وَقَدْ نَصّ عَلَى ذَلِكَ إبّقْرَاطُ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ فَذَكَرَ بَعْضَ عِلَاجِ الصّرْعِ وَقَالَ هَذَا إنّمَا يَنْفَعُ مِنْ الصّرْعِ الّذِي سَبَبُهُ الْأَخْلَاطُ وَالْمَادّةُ . وَأَمّا الصّرْعُ الّذِي يَكُونُ مِنْ الْأَرْوَاحِ فَلَا يَنْفَعُ فِيهِ هَذَا الْعِلَاجُ . وَأَمّا جَهَلَةُ الْأَطِبّاءِ وَسَقَطُهُمْ وَسِفْلَتُهُمْ وَمَنْ يَعْتَقِدُ بِالزّنْدَقَةِ فَضِيلَةً فَأُولَئِكَ يُنْكِرُونَ صَرْعَ الْأَرْوَاحِ وَلَا يُقِرّونَ بِأَنّهَا تُؤَثّرُ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ وَلَيْسَ مَعَهُمْ إلّا الْجَهْلُ وَإِلّا فَلَيْسَ فِي الصّنَاعَةِ الطّبّيّةِ مَا يَدْفَعُ ذَلِكَ وَالْحِسّ وَالْوُجُودُ شَاهِدٌ بِهِ وَإِحَالَتُهُمْ ذَلِكَ عَلَى غَلَبَةِ بَعْضِ الْأَخْلَاطِ هُوَ صَادِقٌ فِي بَعْضِ أَقْسَامِهِ لَا فِي كُلّهَا . وَقُدَمَاءُ الْأَطِبّاءِ كَانُوا يُسَمّوْنَ هَذَا الصّرْعَ الْمَرَضَ الْإِلَهِيّ وَقَالُوا : إنّهُ مِنْ الْأَرْوَاحِ وَأَمّا جالينوس وَغَيْرُهُ فَتَأَوّلُوا عَلَيْهِمْ هَذِهِ التّسْمِيَةَ وَقَالُوا : إنّمَا سَمّوْهُ بِالْمَرَضِ الْإِلَهِيّ لِكَوْنِ هَذِهِ الْعِلّةِ تَحْدُثُ فِي الرّأْسِ فَتَضُرّ بِالْجُزْءِ الْإِلَهِيّ الطّاهِرِ الّذِي مَسْكَنُهُ الدّمَاغُ . [ص ٦٢] نَشَأَ لَهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ بِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَأَحْكَامِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَجَاءَتْ زَنَادِقَةُ الْأَطِبّاءِ فَلَمْ يُثْبِتُوا إلّا صَرْعَ الْأَخْلَاطِ وَحْدَهُ . وَمَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَتَأْثِيرَاتِهَا يَضْحَكُ مِنْ جَهْلِ هَؤُلَاءِ وَضَعْفِ عُقُولِهِمْ .
[الْعِلَاجُ مِنْ صَرْعِ الْأَرْوَاحِ]
وَعِلَاجُ هَذَا النّوْعِ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ أَمْرٍ مِنْ جِهَةِ الْمَصْرُوعِ وَأَمْرٍ مِنْ جِهَةِ الْمُعَالِجِ فَالّذِي مِنْ جِهَةِ الْمَصْرُوعِ يَكُونُ بِقُوّةِ نَفْسِهِ وَصِدْقِ تَوَجّهِهِ إلَى فَاطِرِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَبَارِئِهَا وَالتّعَوّذِ الصّحِيحِ الّذِي قَدْ تَوَاطَأَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللّسَانُ فَإِنّ هَذَا نَوْعُ مُحَارَبَةٍ وَالْمُحَارِبُ لَا يَتِمّ لَهُ الِانْتِصَافُ مِنْ عَدُوّهِ بِالسّلَاحِ إلّا بِأَمْرَيْنِ أَنْ يَكُونَ السّلَاحُ صَحِيحًا فِي نَفْسِهِ

جَيِّدًا وَأَنْ يَكُونَ السَّاعِدُ قَوِيًّا فَمَتَى تَخَلَّفَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُغْنِ السِّلَاحُ كَثِيرَ طَائِلٍ فَكَيْفَ إذَا عُدِمَ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا : يَكُونُ الْقَلْبُ خَرَابًا مِنْ التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّقْوَى وَالتَّوَجُّهِ وَلَا سِلَاحَ لَهُ . وَالثَّانِي : مِنْ جِهَةِ الْمُعَالِجِ بِأَنْ يَكُونَ فِيهِ هَذَانِ الْأَمْرَانِ أَيْضًا حَتَّى إنَّ مِنْ الْمُعَالِجِينَ مَنْ يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ " اُخْرُجْ مِنْهُ " . أَوْ بِقَوْلِ " بِسْمِ اللَّهِ " أَوْ بِقَوْلِ " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ " وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ اُخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ

[عِلَاجُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ لِلْمَصْرُوعِ]

وَشَاهَدْتُ شَيْخَنَا يُرْسِلُ إلَى الْمَصْرُوعِ مَنْ يُخَاطِبُ الرُّوحَ الَّتِي فِيهِ وَيَقُولُ قَالَ لَك الشَّيْخُ اخْرُجِي فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَك فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ وَرُبَّمَا خَاطَبَهَا بِنَفْسِهِ وَرُبَّمَا كَانَتْ الرُّوحُ مَارِدَةً فَيُخْرِجُهَا بِالضَّرْبِ فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ وَلَا يَحُسُّ [ص ٦٣] وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [الْمُؤْمِنُونَ ١١٥] . وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ قَرَأَهَا مَرَّةً فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ فَقَالَتْ الرُّوحُ نَعَمْ وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ . قَالَ فَأَخَذْت لَهُ عَصًا وَضَرَبْته بِهَا فِي عُرُوقِ عُنُقِهِ حَتَّى كَلَّتْ يَدَايَ مِنْ الضَّرْبِ وَلَمْ يَشُكَّ الْحَاضِرُونَ أَنَّهُ يَمُوتُ لِذَلِكَ الضَّرْبِ . فَفِي أَثْنَاءِ الضَّرْبِ قَالَتْ أَنَا أُحِبُّهُ فَقُلْتُ لَهَا : هُوَ لَا يُحِبّك قَالَتْ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحُجَّ بِهِ فَقُلْت لَهَا : هُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ مَعَك فَقَالَتْ أَنَا أَدَعُهُ كَرَامَةً لَك قَالَ قُلْتُ لَا وَلَكِنْ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ قَالَتْ فَأَنَا أَخْرُجُ مِنْهُ قَالَ فَقَعَدَ الْمَصْرُوعُ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَقَالَ مَا جَاءَ بِي إلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ قَالُوا لَهُ وَهَذَا الضَّرْبُ كُلُّهُ ؟ فَقَالَ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَضْرِبُنِي الشَّيْخُ وَلَمْ أُذْنِبْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّهُ وَقَعَ بِهِ ضَرْبٌ أَلْبَتَّةَ . وَكَانَ يُعَالِجُ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَكَانَ يَأْمُرُ بِكَثْرَةِ قِرَاءَتِهَا الْمَصْرُوعَ وَمَنْ يُعَالِجُهُ بِهَا وَبِقِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ .

[الْتِفَاتُ الْمُصَنِّفِ إلَى خَرَابِ الْقُلُوبِ]

وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا النَّوْعُ مِنْ الصَّرْعِ وَعِلَاجِهِ لَا يُنْكِرُهُ إلَّا قَلِيلُ الْحَظِّ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْمَعْرِفَةِ وَأَكْثَرُ تَسَلُّطِ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ عَلَى أَهْلِهِ تَكُونُ مِنْ جِهَةِ قِلَّةِ دِينِهِمْ وَخَرَابِ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ حَقَائِقِ الذِّكْرِ وَالتَّعَاوِيذِ وَالتَّحَصُّنَاتِ النَّبَوِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ فَتَلْقَى الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ الرَّجُلَ أَعْزَلَ لَا سِلَاحَ مَعَهُ وَرُبَّمَا كَانَ عُرْيَانًا فَيُؤَثِّرُ فِيهِ هَذَا . وَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَرَأَيْت أَكْثَرَ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ صَرْعَى هَذِهِ الْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ وَهِيَ فِي أَسْرِهَا وَقَبْضَتِهَا تَسُوقُهَا حَيْثُ شَاءَتْ وَلَا يُمْكِنُهَا الِامْتِنَاعُ عَنْهَا وَلَا مُخَالَفَتُهَا وَبِهَا الصَّرْعُ الْأَعْظَمُ الَّذِي لَا يُفِيقُ صَاحِبُهُ إلَّا عِنْدَ الْمُفَارَقَةِ وَالْمُعَايَنَةِ فَهُنَاكَ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ حَقِيقَةً وَبِاَللَّهِ الْمُسْتَعَانُ . [ص ٦٤] الْإِيمَان بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَأَنْ تَكُونَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ وَقِبْلَةَ قَلْبِهِ وَيَسْتَحْضِرُ أَهْلَ الدُّنْيَا وَحُلُولَ الْمَثُلَاتِ وَالْآفَاتِ بِهِمْ وَوُقُوعَهَا خِلَالَ دِيَارِهِمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ وَهُمْ صَرْعَى لَا يُفِيقُونَ وَمَا أَشَدَّ دَاءَ هَذَا الصَّرْعِ وَلَكِنْ لَمَّا عَمَّتْ الْبَلِيَّةُ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَرَى إلَّا مَصْرُوعًا لَمْ يَصِرْ مُسْتَغْرَبًا وَلَا مُسْتَنْكَرًا بَلْ صَارَ لِكَثْرَةِ الْمَصْرُوعِينَ عَيْنَ الْمُسْتَنْكَرِ الْمُسْتَغْرَبِ خِلَافُهُ . فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَفَاقَ مِنْ هَذِهِ الصَّرْعَةِ وَنَظَرَ إلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا مَصْرُوعِينَ حَوْلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَطْبَقَ بِهِ الْجُنُونُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُفِيقُ أَحْيَانًا قَلِيلَةً وَيَعُودُ إلَى جُنُونِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُفِيقُ مَرَّةً وَيُجَنُّ أُخْرَى فَإِذَا أَفَاقَ عَمِلَ عَمَلَ أَهْلِ الْإِفَاقَةِ وَالْعَقْلِ ثُمَّ يُعَاوِدُهُ الصَّرْعُ فَيَقَعُ فِي التَّخَبُّطِ .

فَصْلٌ [صَرْعُ الْأَخْلَاطِ]
وَأَمّا صَرْعُ الْأَخْلَاطِ فَهُوَ عِلّةٌ تَمْنَعُ الْأَعْضَاءَ النّفْسِيّةَ عَنْ الْأَفْعَالِ وَالْحَرَكَةِ وَالِانْتِصَابِ مَنْعًا غَيْرَ تَامّ وَسَبَبُهُ خَلْطٌ غَلِيظٌ لَزِجٌ يَسُدّ مَنَافِذَ بُطُونِ الدّمَاغِ سُدّةً غَيْرَ تَامّةٍ فَيَمْتَنِعُ نُفُوذُ الْحِسّ وَالْحَرَكَةِ فِيهِ وَفِي الْأَعْضَاءِ نُفُوذًا تَامّا مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ بِالْكُلّيّةِ وَقَدْ تَكُونُ لِأَسْبَابٍ أُخَرَ كَرِيحٍ غَلِيظٍ يُحْتَبَسُ فِي مَنَافِذِ الرّوحِ أَوْ بُخَارٍ رَدِيءٍ يَرْتَفِعُ إلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ أَوْ كَيْفِيّةٍ لَاذِعَةٍ فَيَنْقَبِضُ الدّمَاغُ لِدَفْعِ الْمُؤْذِي فَيَتْبَعُهُ تَشَنّجٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَانُ مَعَهُ مُنْتَصِبًا بَلْ يَسْقُطُ وَيَظْهَرُ فِي فِيهِ الزّبَدُ غَالِبًا . وَهَذِهِ الْعِلّةُ تُعَدّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرَاضِ الْحَادّةِ بِاعْتِبَارِ وَقْتِ وُجُودِهِ الْمُؤْلِمِ خَاصّةً وَقَدْ تُعَدّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ بِاعْتِبَارِ طُولِ مُكْثِهَا وَعُسْرِ بُرْئِهَا لَا سِيّمَا إنْ تَجَاوَزَ فِي السّنّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهَذِهِ الْعِلّةُ فِي دِمَاغِهِ وَخَاصّةً فِي [ص ٦٥] قَالَ إبْقْرَاط : إنّ الصّرْعَ يَبْقَى فِي هَؤُلَاءِ حَتّى يَمُوتُوا .
[لَعَلّ صَرْعَ الْمَرْأَةِ الّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ كَانَ صَرْعُهَا مِنْ صَرْعِ الْأَخْلَاطِ]
إذَا عُرِفَ هَذَا فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ الّتِي جَاءَ الْحَدِيثُ أَنّهَا كَانَتْ تُصْرَعُ وَتَتَكَشّفُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَرْعُهَا مِنْ هَذَا النّوْعِ فَوَعَدَهَا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْجَنّةَ بِصَبْرِهَا عَلَى هَذَا الْمَرَضِ وَدَعَا لَهَا أَنْ لَا تَتَكَشّفَ وَخَيّرَهَا بَيْنَ الصّبْرِ وَالْجَنّةِ وَبَيْنَ الدّعَاءِ لَهَا بِالشّفَاءِ مِنْ غَيْرِ ضَمَانٍ فَاخْتَارَتْ الصّبْرَ وَالْجَنّةَ .
[جَوَازُ تَرْكِ التّدَاوِي وَأَنّ عِلَاجَ الْأَرْوَاحِ بِالتّوَجّهِ إلَى اللّهِ يَفْعَلُ مَا لَا يَنَالُهُ عِلَاجُ الْأَطِبّاءِ]
وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ الْمُعَالَجَةِ وَالتّدَاوِي وَأَنّ عِلَاجَ الْأَرْوَاحِ بِالدّعَوَاتِ وَالتّوَجّهِ إلَى اللّهِ يَفْعَلُ مَا لَا يَنَالُهُ عِلَاجُ الْأَطِبّاءِ وَأَنّ تَأْثِيرَهُ وَفِعْلَهُ وَتَأَثّرَ الطّبِيعَةِ عَنْهُ وَانْفِعَالَهَا أَعْظَمُ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَدْوِيَةِ الْبَدَنِيّةِ وَانْفِعَالِ الطّبِيعَةِ عَنْهَا وَقَدْ جَرّبْنَا هَذَا مِرَارًا نَحْنُ وَغَيْرُنَا وَعُقَلَاءُ الْأَطِبّاءِ مُعْتَرِفُونَ بِأَنّ لِفِعْلِ الْقُوَى النّفْسِيّةِ وَانْفِعَالَاتِهَا فِي شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ عَجَائِبُ وَمَا عَلَى الصّنَاعَةِ الطّبّيّةِ أَضَرّ مِنْ زَنَادِقَةِ الْقَوْمِ وَسِفْلَتِهِمْ وَجُهّالِهِمْ . وَالظّاهِرُ أَنّ صَرْعَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ كَانَ مِنْ هَذَا النّوْعِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْأَرْوَاحِ وَيَكُونُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ خَيّرَهَا بَيْنَ الصّبْرِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الْجَنّةِ وَبَيْنَ الدّعَاءِ لَهَا بِالشّفَاءِ فَاخْتَارَتْ الصّبْرَ وَالسّتْرَ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٦٥)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ عِرْقِ النّسَا
رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ مُحَمّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ دَوَاءُ عِرْقِ النّسَا أَلْيَةُ شَاةٍ أَعْرَابِيّةٍ تُذَابُ ثُمّ تُجَزّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ ثُمّ يُشْرَبُ عَلَى الرّيقِ فِي كُلّ يَوْمٍ جُزْءٌ [ص ٦٦] النّسَاءِ وَجَعٌ يَبْتَدِئُ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِكِ وَيَنْزِلُ مِنْ خَلْفٍ عَلَى الْفَخِذِ وَرُبّمَا عَلَى الْكَعْبِ وَكُلّمَا طَالَتْ مُدّتُهُ زَادَ نُزُولُهُ وَتَهْزُلُ مَعَهُ الرّجْلُ وَالْفَخِذُ وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مَعْنًى لُغَوِيّ وَمَعْنًى طِبّيّ . فَأَمّا الْمَعْنَى اللّغَوِيّ فَدَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَسْمِيَةِ هَذَا الْمَرَضِ بِعِرْقِ النّسَا خِلَافًا لِمَنْ مَنَعَ هَذِهِ التّسْمِيَةَ وَقَالَ النّسَا هُوَ الْعِرْقُ نَفْسُهُ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إضَافَةِ الشّيْءِ إلَى نَفْسِهِ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ وَجَوَابُ هَذَا الْقَائِلِ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّ الْعِرْقَ أَعَمّ مِنْ النّسَا فَهُوَ مِنْ بَابِ إضَافَةِ الْعَامّ إلَى الْخَاصّ نَحْوُ كُلّ الدّرَاهِمِ أَوْ بَعْضُهَا . الثّانِي : أَنّ النّسَا : هُوَ الْمَرَضُ

الْحَالُ بِالْعِرْقِ وَالْإِضَافَةِ فِيهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى مَحَلِّهِ وَمَوْضِعِهِ . قِيلَ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَلَمَهُ يُنْسِي مَا سِوَاهُ وَهَذَا الْعِرْقُ مُمْتَدٌّ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِكِ وَيَنْتَهِي إِلَى آخِرِ الْقَدَمِ وَرَاءَ الْكَعْبِ مِنَ الْجَانِبِ الْوَحْشِيِّ فِيمَا بَيْنَ عَظْمِ السَّاقِ وَالْوَتَرِ . وَأَمَّا الْمَعْنَى الطِّبِّيُّ فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا : عَامٌّ بِحَسَبِ الْأَزْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَالِ . وَالثَّانِي : خَاصٌّ بِحَسَبِ هَذِهِ الْأُمُورِ أَوْ بِضْعِهَا وَهَذَا مِنْ هَذَا الْقِسْمِ فَإِنَّ هَذَا خِطَابٌ لِلْعَرَبِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ وَلَا سِيَّمَا أَعْرَابُ الْبَوَادِي فَإِنَّ هَذَا الْعِلَاجَ مِنْ أَنْفَعِ الْعِلَاجِ لَهُمْ فَإِنَّ هَذَا الْمَرَضَ يَحْدُثُ مِنْ يُبْسٍ وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْ مَادَّةٍ غَلِيظَةٍ لَزِجَةٍ فَعِلَاجُهَا بِالْإِسْهَالِ . وَالْأَلْيَةُ فِيهَا الْخَاصِّيَّتَانِ الْإِنْضَاجُ وَالتَّلْيِينُ فَفِيهَا الْإِنْضَاجُ وَالْإِخْرَاجُ . وَهَذَا الْمَرَضُ يَحْتَاجُ عِلَاجُهُ إِلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ وَفِي تَعْيِينِ الشَّاةِ الْأَعْرَابِيَّةِ لِقِلَّةِ فُضُولِهَا وَصِغَرِ مِقْدَارِهَا وَلُطْفِ جَوْهَرِهَا وَخَاصِّيَّةِ مَرْعَاهَا لِأَنَّهَا تَرْعَى أَعْشَابَ الْبَرِّ الْحَارَةِ كَالشِّيحِ وَالْقَيْصُومِ وَنَحْوِهِمَا وَهَذِهِ النَّبَاتَاتُ إِذَا تَغَذَّى بِهَا الْحَيَوَانُ صَارَ فِي لَحْمِهِ مِنْ طَبْعِهَا بَعْدَ أَنْ يُلَطِّفَهَا تُغَذِّيهِ بِهَا وَيُكْسِبُهَا مِزَاجًا أَلْطَفَ مِنْهَا وَلَا سِيَّمَا الْأَلْيَةُ وَظُهُورُ فِعْلِ هَذِهِ النَّبَاتَاتِ فِي اللَّبَنِ أَقْوَى مِنْهُ فِي اللَّحْمِ وَلَكِنَّ الْخَاصِّيَّةَ الَّتِي فِي الْأَلْيَةِ مِنَ الْإِنْضَاجِ [ص ٦٧] غَالِبِ الْأُمَمِ وَالْبَوَادِي هِيَ الْأَدْوِيَةُ الْمُفْرَدَةُ وَعَلَيْهِ أَطِبَّاءُ الْهِنْدِ . وَأَمَّا الرُّومُ وَالْيُونَانُ فَيَعْتَنُونَ بِالْمُرَكَّبَةِ وَهُمْ مُتَّفِقُونَ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ مِنْ مَهَارَةِ الطَّبِيبِ أَنْ يُدَاوِيَ بِالْغِذَاءِ فَإِنْ عَجَزَ فَبِالْمُفْرَدِ فَإِنْ عَجَزَ فَبِمَا كَانَ أَقَلَّ تَرْكِيبًا .

الْيُونَانُ فَيَعْتَنُونَ بِالْمُرَكَّبَةِ وَهُمْ مُتَّفِقُونَ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ مِنْ مَهَارَةِ الطَّبِيبِ أَنْ يُدَاوِيَ بِالْغِذَاءِ فَإِنْ عَجَزَ فَبِالْمُفْرَدِ فَإِنْ عَجَزَ فَبِمَا كَانَ أَقَلَّ تَرْكِيبًا . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ غَالِبَ عَادَاتِ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي الْأَمْرَاضُ الْبَسِيطَةُ فَالْأَدْوِيَةُ الْبَسِيطَةُ تُنَاسِبُهَا وَهَذَا لِبَسَاطَةِ أَغْذِيَتِهِمْ فِي الْغَالِبِ . وَأَمَّا الْأَمْرَاضُ الْمُرَكَّبَةُ فَغَالِبًا مَا تَحْدُثُ عَنْ تَرْكِيبِ الْأَغْذِيَةِ وَتَنَوُّعِهَا وَاخْتِلَافِهَا فَاخْتِيرَتْ لَهَا الْأَدْوِيَةُ الْمُرَكَّبَةُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٦٧)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلَاجِ يُبْسِ الطَّبْعِ وَاحْتِيَاجِهِ إِلَى مَا يُمَشِّيهِ وَيُلَيِّنُهُ

رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي " جَامِعِهِ " وَابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءِ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ ؟ قَالَتْ بِالشُّبْرُمِ قَالَ حَارٌّ جَارٌّ قَالَتْ ثُمَّ اسْتَمْشَيْتُ بِالسَّنَا فَقَالَ " لَوْ كَانَ شَيْءٌ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ لَكَانَ السَّنَا .

[ص ٦٨] سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُمِّ حَرَامٍ وَكَانَ قَدْ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَتَيْنِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ " قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا السَّامُ ؟ قَالَ الْمَوْتُ .

[الْعِلَاجُ بِالشُّبْرُمِ]

قَوْلُهُ بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ ؟ أَيْ تُلَيِّنِينَ الطَّبْعَ حَتَّى يَمْشِيَ وَلَا يَصِيرُ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِفِ فَيُؤْذِي بِاحْتِبَاسِ النَّجْوِ وَلِهَذَا سُمِّيَ الدَّوَاءُ الْمُسَهِّلُ مَشِيًّا عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ . وَقِيلَ لِأَنَّ الْمَسْهُولَ يُكْثِرُ الْمَشْيَ وَالِاخْتِلَافَ لِلْحَاجَةِ وَقَدْ رُوِيَ بِمَاذَا تَسْتَشْفِينَ ؟ فَقَالَتْ بِالشُّبْرُمِ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَدْوِيَةِ الْيَتُوعِيَّةِ وَهُوَ قِشْرُ عِرْقِ شَجَرَةٍ وَهُوَ حَارٌّ يَابِسٌ فِي الدَّرَجَةِ

الرّابِعَةِ وَأَجْوَدُهُ الْمَائِلُ إلَى الْحُمْرَةِ الْخَفِيفُ الرّقِيقُ الّذِي يُشْبِهُ الْجِلْدَ الْمَلْفُوفَ وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ مِنْ الْأَدْوِيَةِ الّتِي أَوْصَى الْأَطِبّاءُ بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِهَا لِخَطَرِهَا وَفَرْطِ إسْهَالِهَا . وَقَوْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " حَارّ جَارّ " وَيُرْوَى : حَارّ يَارّ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ بِالْيَاءِ . قُلْت : وَفِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا : أَنّ الْحَارّ الْجَارّ بِالْجِيمِ الشّدِيدُ الْإِسْهَالُ فَوَصَفَهُ بِالْحَرَارَةِ وَشِدّةِ الْإِسْهَالِ وَكَذَلِكَ هُوَ قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ الدّينَوَرِيّ .

[مَا الْمَقْصُودُ بِالْإِتْبَاعِ]

وَالثّانِي - وَهُوَ الصّوَابُ - أَنّ هَذَا مِنْ الْإِتْبَاعِ الّذِي يُقْصَدُ بِهِ تَأْكِيدُ الْأَوّلِ وَيَكُونُ بَيْنَ التّأْكِيدِ اللّفْظِيّ وَالْمَعْنَوِيّ وَلِهَذَا يُرَاعُونَ فِيهِ إتْبَاعَهُ فِي أَكْثَرِ حُرُوفِهِ كَقَوْلِهِمْ حَسَنٌ بَسَنٌ أَيْ كَامِلُ الْحُسْنِ وَقَوْلُهُمْ حَسَنٌ قَسَنٌ بِالْقَافِ وَمِنْهُ شَيْطَانٌ لَيْطَانٌ وَحَارّ جَارّ مَعَ أَنّ فِي الْجَارّ مَعْنًى آخَرَ وَهُوَ [ص ٦٩] وَيَارّ إمّا لُغَةٌ فِي جَارّ كَقَوْلِهِمْ صِهْرِيّ وَصِهْرِيج وَالصّهَارِي وَالصّهَارِيجُ وَإِمّا إتْبَاعٌ مُسْتَقِلّ .

[نَبَاتُ السّنَا]

وَأَمّا السّنَا فَفِيهِ لُغَتَانِ الْمَدّ وَالْقَصْرُ وَهُوَ نَبْتٌ حِجَازِيّ أَفْضَلُهُ الْمَكّيّ وَهُوَ دَوَاءٌ شَرِيفٌ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ قَرِيبٌ مِنْ الِاعْتِدَالِ حَارّ يَابِسٌ فِي الدّرَجَةِ الْأُولَى يُسْهِلُ الصّفْرَاءَ وَالسّوْدَاءَ وَيُقَوّي جِرْمَ الْقَلْبِ وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ شَرِيفَةٌ فِيهِ وَخَاصّيّتُهُ النّفْعُ مِنْ الْوَسْوَاسِ السّوْدَاوِيّ وَمِنْ الشّقَاقِ الْعَارِضِ فِي الْبَدَنِ وَيَفْتَحُ الْعَضَلَ وَيَنْفَعُ مِنْ انْتِشَارِ الشّعَرِ وَمِنْ الْقَمْلِ وَالصّدَاعِ الْعَتِيقِ وَالْجَرَبِ وَالْبُثُورِ وَالْحِكّةِ وَالصّرْعِ وَشُرْبِ مَائِهِ مَطْبُوخًا أَصْلَحُ مِنْ شُرْبِهِ مَدْقُوقًا وَمِقْدَارُ الشّرْبَةِ مِنْهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ وَمِنْ مَائِهِ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ وَإِنْ طُبِخَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ زَهْرِ الْبَنَفْسَجِ وَالزّبِيبِ الْأَحْمَرِ الْمَنْزُوعِ الْعَجَمُ كَانَ أَصْلَحَ . قَالَ الرّازِيّ : السّنَاءُ وَالشاهترج يُسَهّلَانِ الْأَخْلَاطَ الْمُحْتَرِقَةَ وَيَنْفَعَانِ مِنْ الْجَرَبِ وَالْحِكّةِ وَالشّرْبَةُ مِنْ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ إلَى سَبْعَةِ دَرَاهِمَ .

[مَا هُوَ السّنُوت]

وَأَمّا السّنُوت فَفِيهِ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ ؟ أَحَدُهَا : أَنّهُ الْعَسَلُ . وَالثّانِي : أَنّهُ رُبّ عُكّةِ السّمْنِ يَخْرُجُ خُطَطًا سَوْدَاءَ عَلَى السّمْنِ حَكَاهُمَا عَمْرُو بْنُ بَكْرٍ السكسكي . الثّالِثُ أَنّهُ حَبّ يُشْبِهُ الْكَمّونَ وَلَيْسَ بِهِ قَالَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيّ . الرّابِعُ أَنّهُ الْكَمّونُ الْكَرْمَانِيّ . الْخَامِسُ أَنّهُ الرازيانج . حَكَاهُمَا أَبُو حَنِيفَةَ الدّينَوَرِيّ عَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ . السّادِسُ أَنّهُ الشّبِتّ . السّابِعُ أَنّهُ التّمْرُ حَكَاهُمَا أَبُو بَكْرِ بْنُ السّنّيّ الْحَافِظُ . الثّامِنُ أَنّهُ الْعَسَلُ الّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السّمْنِ حَكَاهُ عَبْدُ اللّطِيفِ الْبَغْدَادِيّ . قَالَ بَعْضُ الْأَطِبّاءِ وَهَذَا أَجْدَرُ [ص ٧٠] وَأَقْرَبُ إلَى الصّوَابِ أَيْ يُخْلَطُ السّنَاءُ مَدْقُوقًا بِالْعَسَلِ الْمُخَالِطِ لِلسّمْنِ ثُمّ يُلْعَقُ فَيَكُونُ أَصْلَحَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ مُفْرَدًا لِمَا فِي الْعَسَلِ وَالسّمْنِ مِنْ إصْلَاحِ السّنَا وَإِعَانَتِهِ لَهُ عَلَى الْإِسْهَالِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ يَرْفَعُهُ إنّ خَيْرَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ السّعُوطُ وَاللّدُودُ وَالْحِجَامَةُ وَالْمَشْيُ وَالْمَشِيّ هُوَ الّذِي يُمَشّي الطّبْعَ وَيُلَيّنُهُ وَيُسَهّلُ خُرُوجَ الْخَارِجِ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٧٠)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ حِكّةِ الْجِسْمِ وَمَا يُوَلّدُ الْقَمْلَ

فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَخّصَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزّبَيْرِ بْنِ الْعَوّامِ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي

لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا وَفِي رِوَايَةٍ أَنّ عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَالزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا شَكَوْا الْقَمْلَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَزَاةٍ لَهُمَا فَرَخّصَ لَهُمَا فِي قُمُصِ الْحَرِيرِ وَرَأَيْتُهُ عَلَيْهِمَا . هَذَا الْحَدِيثُ يَتَعَلّقُ بِهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا فِقْهِيّ وَالْآخَرُ طِبّيّ .

[حُكْمُ لُبْسِ الْحَرِيرِ]

فَأَمّا الْفِقْهِيّ فَالّذِي اسْتَقَرّتْ عَلَيْهِ سُنّتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إبَاحَةُ الْحَرِيرِ لِلنّسَاءِ مُطْلَقًا وَتَحْرِيمُهُ عَلَى الرّجَالِ إلّا لِحَاجَةٍ وَمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ فَالْحَاجَةُ إمّا مِنْ شِدّةِ الْبَرْدِ وَلَا يَجِدُ غَيْرَهُ أَوْ لَا يَجِدُ سُتْرَةً سِوَاهُ . وَمِنْهَا : لِبَاسُهُ لِلْجَرَبِ وَالْمَرَضِ وَالْحِكّةِ وَكَثْرَةِ الْقَمْلِ كَمَا دَلّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَنَسٍ هَذَا الصّحِيحُ . [ص ٧١] أَحْمَدَ وَأَصَحّ قَوْلَيْ الشّافِعِيّ إذْ الْأَصْلُ عَدَمُ التّخْصِيصِ وَالرّخْصَةُ إذَا ثَبَتَتْ فِي حَقّ بَعْضِ الْأُمّةِ لِمَعْنًى تَعَدّتْ إلَى كُلّ مَنْ وُجِدَ فِيهِ ذَلِكَ الْمَعْنَى إذْ الْحُكْمُ يَعُمّ بِعُمُومِ سَبَبِهِ . وَمَنْ مَنَعَ مِنْهُ قَالَ أَحَادِيثُ التّحْرِيمِ عَامّةٌ وَأَحَادِيثُ الرّخْصَةِ يُحْتَمَلُ اخْتِصَاصُهَا بِعَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزّبَيْرِ وَيُحْتَمَلُ تَعَدّيهَا إلَى غَيْرِهِمَا . وَإِذَا احْتَمَلَ الْأَمْرَانِ كَانَ الْأَخْذُ بِالْعُمُومِ أَوْلَى وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الرّوَاةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي أَبَلَغَتْ الرّخْصَةُ مِنْ بَعْدِهِمَا أَمْ لَا ؟ وَالصّحِيحُ عُمُومُ الرّخْصَةِ فَإِنّهُ عُرْفُ خِطَابِ الشّرْعِ فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُصَرّحْ بِالتّخْصِيصِ وَعَدَمِ إلْحَاقِ غَيْرِ مَنْ رَخّصَ لَهُ أَوّلًا بِهِ كَقَوْلِهِ لِأَبِي بُرْدَةَ فِي تَضْحِيَتِهِ بِالْجَذَعَةِ مِنْ الْمَعْزِ تَجْزِيك وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى لِنَبِيّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي نِكَاحِ مَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ { خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } [الْأَحْزَابُ ٥٠] . وَتَحْرِيمُ الْحَرِيرِ إنّمَا كَانَ سَدّا لِلذّرِيعَةِ وَلِهَذَا أُبِيحَ لِلنّسَاءِ وَلِلْحَاجَةِ وَالْمَصْلَحَةِ الرّاجِحَةِ وَهَذِهِ قَاعِدَةُ مَا حُرّمَ لِسَدّ الذّرَائِعِ فَإِنّهُ يُبَاحُ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْمَصْلَحَةِ الرّاجِحَةِ كَمَا حَرُمَ النّظَرُ سَدّا لِذَرِيعَةِ الْفِعْلِ وَأُبِيحَ مِنْهُ مَا تَدْعُو إلَيْهِ الْحَاجَةُ وَالْمَصْلَحَةُ الرّاجِحَةُ وَكَمَا حَرُمَ التّنَفّلُ بِالصّلَاةِ فِي أَوْقَاتِ النّهْيِ سَدّا لِذَرِيعَةِ الْمُشَابَهَةِ الصّورِيّةِ بِعُبّادِ الشّمْسِ وَأُبِيحَتْ لِلْمَصْلَحَةِ الرّاجِحَةِ وَكَمَا حَرُمَ رِبَا الْفَضْلِ سَدّا لِذَرِيعَةِ رِبَا النّسِيئَةِ وَأُبِيحَ مِنْهُ مَا تَدْعُو إلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ الْعَرَايَا [ص ٧٢] التّحْبِيرُ لِمَا يَحِلّ وَيَحْرُمُ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ

فَصْلٌ [فَوَائِدِ الْحَرِيرِ]

وَأَمّا الْأَمْرُ الطّبّيّ فَهُوَ أَنّ الْحَرِيرَ مِنْ الْأَدْوِيَةِ الْمُتّخَذَةِ مِنْ الْحَيَوَانِ وَلِذَلِكَ يُعَدّ فِي الْأَدْوِيَةِ الْحَيَوَانِيّةِ لِأَنّ مَخْرَجَهُ مِنْ الْحَيَوَانِ وَهُوَ كَثِيرُ الْمَنَافِعِ جَلِيلُ الْمَوْقِعِ وَمِنْ خَاصّيّتِهِ تَقْوِيَةُ الْقَلْبِ وَتَفْرِيحُهُ وَالنّفْعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَمْرَاضِهِ وَمِنْ غَلَبَةِ الْمِرّةِ السّوْدَاءِ وَالْأَدْوَاءِ الْحَادِثَةِ عَنْهَا ؛ وَهُوَ مُقَوّ لِلْبَصَرِ إذَا اكْتَحَلَ بِهِ وَالْخَامُ مِنْهُ - وَهُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الطّبّ - حَارّ يَابِسٌ فِي الدّرَجَةِ الْأُولَى . وَقِيلَ حَارّ رَطْبٌ فِيهَا : وَقِيلَ مُعْتَدِلٌ . وَإِذَا اُتّخِذَ مِنْهُ مَلْبُوسٌ كَانَ مُعْتَدِلَ الْحَرَارَةِ فِي مِزَاجِهِ مُسَخّنًا لِلْبَدَنِ وَرُبّمَا بَرُدَ الْبَدَنُ بِتَسْمِينِهِ إيّاهُ . قَالَ الرّازِيّ : الْإِبْرَيْسَمُ أَسْخَنُ مِنْ الْكَتّانِ وَأَبْرَدُ مِنْ الْقُطْنِ يُرَبّي اللّحْمَ وَكُلّ لِبَاسٍ خَشِنٍ فَإِنّهُ يُهْزِلُ وَيُصَلّبُ الْبَشَرَةَ وَبِالْعَكْسِ .

[أَقْسَامُ الْمَلَابِسِ مِنْ حَيْثُ تَسْخِينِ الْبَدَنِ]

قُلْت : وَالْمَلَابِسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ قِسْمٌ يُسَخّنُ الْبَدَنَ وَيُدَفّئُهُ وَقِسْمٌ يُدَفّئُهُ وَلَا يُسَخّنُهُ وَقِسْمٌ لَا يُسَخّنُهُ وَلَا يُدَفّئُهُ وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُسَخّنُهُ وَلَا يُدَفّئُهُ إذْ مَا يُسَخّنُهُ فَهُوَ أَوْلَى بِتَدْفِئَتِهِ فَمَلَابِسُ الْأَوْبَارِ وَالْأَصْوَافِ تُسَخّنُ وَتُدَفّئُ وَمَلَابِسُ الْكَتّانِ وَالْحَرِيرِ وَالْقُطْنِ تُدَفّئُ وَلَا تُسَخّنُ

فَثِيَابُ الْكَتّانِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ وَثِيَابُ الصّوفِ حَارّةٌ يَابِسَةٌ وَثِيَابُ الْقُطْنِ مُعْتَدِلَةُ الْحَرَارَةِ وَثِيَابُ الْحَرِيرِ أَلْيَنُ مِنْ الْقُطْنِ وَأَقَلّ حَرَارَةً مِنْهُ . قَالَ صَاحِبُ " الْمِنْهَاجِ " : وَلُبْسُهُ لَا يُسَخّنُ كَالْقُطْنِ بَلْ هُوَ مُعْتَدِلٌ وَكُلّ لِبَاسٍ أَمْلَسَ صَقِيلٍ فَإِنّهُ أَقَلّ إسْخَانًا لِلْبَدَنِ وَأَقَلّ عَوْنًا فِي تَحَلّلِ مَا يَتَحَلّلُ مِنْهُ وَأَحْرَى أَنْ يُلْبَسَ فِي الصّيْفِ وَفِي الْبِلَادِ الْحَارّةِ . وَلَمّا كَانَتْ ثِيَابُ الْحَرِيرِ كَذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ الْيُبْسِ وَالْخُشُونَةِ [ص ٧٣] صَارَتْ نَافِعَةً مِنْ الْحِكّةِ إذْ الْحِكّةُ لَا تَكُونُ إلّا عَنْ حَرَارَةٍ وَيُبْسٍ وَخُشُونَةٍ فَلِذَلِكَ رَخّصَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلزّبَيْرِ وَعَبْدِ الرّحْمَنِ فِي لِبَاسِ الْحَرِيرِ لِمُدَاوَاةِ الْحِكّةِ وَثِيَابُ الْحَرِيرِ أَبْعَدُ عَنْ تَوَلّدِ الْقَمْلِ فِيهَا إذْ كَانَ مِزَاجُهَا مُخَالِفًا لِمِزَاجِ مَا يَتَوَلّدُ مِنْهُ الْقَمْلُ .

[عِلّةُ تَحْرِيمِ الْحَرِيرِ]

وَأَمّا الْقِسْمُ الّذِي لَا يُدَفّئُ وَلَا يُسَخّنُ فَالْمُتّخَذُ مِنْ الْحَدِيدِ وَالرّصَاصِ وَالْخَشَبِ وَالتّرَابِ وَنَحْوِهَا فَإِنْ قِيلَ فَإِذَا كَانَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ أَعْدَلَ اللّبَاسِ وَأَوْفَقَهُ لِلْبَدَنِ فَلِمَاذَا حَرّمَتْهُ الشّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الْفَاضِلَةُ الّتِي أَبَاحَتْ الطّيّبَاتِ وَحَرّمَتْ الْخَبَائِثَ ؟ قِيلَ هَذَا السّؤَالُ يُجِيبُ عَنْهُ كُلّ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ بِجَوَابٍ فَمُنْكِرُو الْحُكْمِ وَالتّعْلِيلِ لِمَا رُفِعَتْ قَاعِدَةُ التّعْلِيلِ مِنْ أَصْلِهَا لَمْ يَحْتَاجُوا إلَى جَوَابٍ عَنْ هَذَا السّؤَالِ . وَمُثْبِتُو التّعْلِيلِ وَالْحُكْمِ - وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ - مِنْهُمْ مَنْ يُجِيبُ عَنْ هَذَا بِأَنّ الشّرِيعَةَ حَرّمَتْهُ لِتَصْبِرَ النّفُوسُ عَنْهُ وَتَتْرُكَهُ لِلّهِ فَتُثَابُ عَلَى ذَلِكَ لَا سِيّمَا وَلَهَا عِوَضٌ عَنْهُ بِغَيْرِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيبُ عَنْهُ بِأَنّهُ خُلِقَ فِي الْأَصْلِ لِلنّسَاءِ كَالْحِلْيَةِ بِالذّهَبِ فَحَرُمَ عَلَى الرّجَالِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَفْسَدَةِ تَشَبّهِ الرّجَالِ بِالنّسَاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ حَرُمَ لِمَا يُورِثُهُ مِنْ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالْعُجْبِ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ حَرُمَ لِمَا يُورِثُهُ بِمُلَامَسَتِهِ لِلْبَدَنِ مِنْ الْأُنُوثَةِ وَالتّخَنّثِ وَضِدّ الشّهَامَةِ وَالرّجُولَةِ فَإِنّ لُبْسَهُ يُكْسِبُ الْقَلْبَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْإِنَاثِ وَلِهَذَا لَا تَكَادُ تَجِدُ مَنْ يَلْبَسُهُ فِي الْأَكْثَرِ إلّا وَعَلَى شَمَائِلِهِ مِنْ التّخَنّثِ وَالتّأَنّثِ وَالرّخَاوَةِ مَا لَا يَخْفَى حَتّى لَوْ كَانَ مِنْ أَشْهَمِ النّاسِ وَأَكْثَرِهِمْ فَحَوْلِيّةً وَرُجُولِيّةً فَلَا بُدّ أَنْ يُنْقِصَهُ لُبْسُ الْحَرِيرِ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ يُذْهِبْهَا وَمَنْ غَلُظَتْ طِبَاعُهُ وَكَثُفَتْ عَنْ فَهْمِ هَذَا فَلْيُسَلّمْ لِلشّارِعِ الْحَكِيمِ وَلِهَذَا كَانَ [ص ٧٤] أَصَحّ الْقَوْلَيْنِ أَنّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْوَلِيّ أَنْ يُلْبِسَهُ الصّبِيّ لِمَا يَنْشَأُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ التّأْنِيثِ . وَقَدْ رَوَى النّسَائِيّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إنّ اللّهَ أَحَلّ لِإِنَاثِ أُمّتِي الْحَرِيرَ وَالذّهَبَ وَحَرّمَهُ عَلَى ذُكُورِهَا وَفِي لَفْظٍ حَرُمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمّتِي وَأُحِلّ لِإِنَاثِهِمْ وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالدّيبَاجِ وَأَنْ يُجْلَسَ عَلَيْهِ وَقَالَ هُوَ لَهُمْ فِي الدّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٧٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ ذَاتِ الْجَنْبِ

رَوَى التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ تَدَاوَوْا مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ بِالْقُسْطِ الْبَحْرِيّ وَالزّيْتِ وَذَاتُ الْجَنْبِ عِنْدَ الْأَطِبّاءِ نَوْعَانِ حَقِيقِيّ وَغَيْرُ حَقِيقِيّ . فَالْحَقِيقِيّ وَرَمٌ حَارّ يَعْرِضُ فِي نَوَاحِي الْجَنْبِ فِي الْغِشَاءِ الْمُسْتَبْطِنِ لِلْأَضْلَاعِ . وَغَيْرُ الْحَقِيقِيّ أَلَمٌ يُشْبِهُهُ يَعْرِضُ فِي نَوَاحِي الْجَنْبِ عَنْ رِيَاحٍ غَلِيظَةٍ مُؤْذِيَةٍ تَحْتَقِنُ بَيْنَ الصّفَاقَاتِ [ص ٧٥] قَالَ صَاحِبُ " الْقَانُونِ " : قَدْ يَعْرِضُ فِي الْجَنْبِ وَالصّفَاقَاتِ وَالْعَضَلِ الّتِي فِي الصّدْرِ وَالْأَضْلَاعِ وَنَوَاحِيهَا أَوْرَامٌ مُؤْذِيَةٌ جِدّا

مُوجِعَةٌ تُسَمّى شَوْصَةً وَبِرْسَامًا وَذَاتَ الْجَنْبِ . وَقَدْ تَكُونُ أَيْضًا أَوْجَاعًا فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ لَيْسَتْ مِنْ وَرَمٍ وَلَكِنْ مِنْ رِيَاحٍ غَلِيظَةٍ فَيُظَنّ أَنّهَا مِنْ هَذِهِ الْعِلّةِ وَلَا تَكُونُ مِنْهَا . قَالَ وَاعْلَمْ أَنّ كُلّ وَجَعٍ فِي الْجَنْبِ قَدْ يُسَمّى ذَاتَ الْجَنْبِ اشْتِقَاقًا مِنْ مَكَانِ الْأَلَمِ لِأَنّ مَعْنَى ذَاتِ الْجَنْبِ صَاحِبَةُ الْجَنْبِ وَالْغَرَضُ بِهِ هَا هُنَا وَجَعُ الْجَنْبِ فَإِذَا عَرَضَ فِي الْجَنْبِ أَلَمٌ عَنْ أَيّ سَبَبٍ كَانَ نُسِبَ إلَيْهِ وَعَلَيْهِ حُمِلَ كَلَامُ بُقْرَاطَ فِي قَوْلِهِ إنّ أَصْحَابَ ذَاتِ الْجَنْبِ يَنْتَفِعُونَ بِالْحَمَامِ . قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ كُلّ مَنْ بِهِ وَجَعُ جَنْبٍ أَوْ وَجَعُ رِئَةٍ مِنْ سُوءِ مِزَاجٍ أَوْ مِنْ أَخْلَاطٍ غَلِيظَةٍ أَوْ لَذّاعَةٍ مِنْ غَيْرِ وَرَمٍ وَلَا حُمّى . قَالَ بَعْضُ الْأَطِبّاءِ وَأَمّا مَعْنَى ذَاتِ الْجَنْبِ فِي لُغَةِ الْيُونَانِ فَهُوَ وَرَمُ الْجَنْبِ الْحَارّ وَكَذَلِكَ وَرَمُ كُلّ وَاحِدٍ مِنْ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ وَإِنّمَا سُمّيَ ذَاتَ الْجَنْبِ وَرَمَ ذَلِكَ الْعُضْوِ إذَا كَانَ وَرَمًا حَارّا فَقَطْ . وَيَلْزَمُ ذَاتَ الْجَنْبِ الْحَقِيقِيّ خَمْسَةُ أَعْرَاضٍ وَهِيَ الْحُمّى وَالسّعَالُ وَالْوَجَعُ النّاخِسُ وَضِيقُ النّفَسِ وَالنّبْضُ الْمِنْشَارِيّ . وَالْعِلَاجُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَ هُوَ لِهَذَا الْقِسْمِ لَكِنْ لِلْقِسْمِ الثّانِي الْكَائِنِ عَنْ الرّيحِ الْغَلِيظَةِ فَإِنّ الْقُسْطَ الْبَحْرِيّ - وَهُوَ الْعُودُ الْهِنْدِيّ عَلَى مَا جَاءَ مُفَسّرًا فِي أَحَادِيثَ أُخَرَ - صِنْفٌ مِنْ الْقُسْطِ إذَا دُقّ دَقّا نَاعِمًا وَخُلِطَ بِالزّيْتِ الْمُسَخّنِ وَدُلِكَ بِهِ مَكَانُ الرّيحِ الْمَذْكُورُ أَوْ لُعِقَ كَانَ دَوَاءً مُوَافِقًا لِذَلِكَ نَافِعًا [ص ٧٦] لِمَادّتِهِ مُذْهِبًا لَهَا مُقَوّيًا لِلْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ مُفَتّحًا لِلسّدَدِ وَالْعُودُ الْمَذْكُورُ فِي مَنَافِعِهِ كَذَلِكَ . قَالَ الْمُسَبّحِيّ الْعُودُ حَارّ يَابِسٌ قَابِضٌ يَحْبِسُ الْبَطْنَ وَيُقَوّي الْأَعْضَاءَ الْبَاطِنَةَ وَيَطْرُدُ الرّيحَ وَيَفْتَحُ السّدَدَ نَافِعٌ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ وَيُذْهِبُ فَضْلَ الرّطُوبَةِ وَالْعُودُ الْمَذْكُورُ جَيّدٌ لِلدّمَاغِ . قَالَ وَيَجُوزُ أَنْ يَنْفَعَ الْقُسْطُ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ الْحَقِيقِيّةِ أَيْضًا إذَا كَانَ حُدُوثُهَا عَنْ مَادّةٍ بَلْغَمِيّةٍ لَا سِيّمَا فِي وَقْتِ انْحِطَاطِ الْعِلّةِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَذَاتُ الْجَنْبِ مِنْ الْأَمْرَاضِ الْخَطِرَةِ وَفِي الْحَدِيثِ الصّحِيحِ عَنْ أُمّ سَلَمَةَ أَنّهَا قَالَتْ بَدَأَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَرَضِهِ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ وَكَانَ كُلّمَا خَفّ عَلَيْهِ خَرَجَ وَصَلّى بِالنّاسِ وَكَانَ كُلّمَا وَجَدَ ثِقَلًا قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ بِالنّاسِ " وَاشْتَدّ شَكْوَاهُ حَتّى غُمِرَ عَلَيْهِ مِنْ شِدّةِ الْوَجَعِ فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ نِسَاؤُهُ وَعَمّهُ الْعَبّاسُ وَأُمّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ فَتَشَاوَرُوا فِي لَدّهِ فَلَدّوهُ وَهُوَ مَغْمُورٌ فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ " مَنْ فَعَلَ بِي هَذَا هَذَا مِنْ عَمَلِ نِسَاءٍ جِئْنَ مِنْ هَا هُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَكَانَتْ أُمّ سَلَمَةَ وَأَسْمَاءُ لَدّتَاهُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الْجَنْبِ . قَالَ " فَبِمَ لَدَدْتُمُونِي " ؟ قَالُوا : بِالْعُودِ الْهِنْدِيّ وَشَيْءٍ مِنْ وَرْسٍ وَقَطَرَاتٍ مِنْ زَيْتٍ . فَقَالَ " مَا كَانَ اللّهُ لِيَقْذِفَنِي بِذَلِكَ الدّاءِ " ثُمّ قَالَ " عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إلّا لُدّ إلّا عَمّي الْعَبّاسُ [ص ٧٧] وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ لَدَدْنَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَشَارَ أَنْ لَا تَلُدّونِي فَقُلْنَا : كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدّوَاءِ فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدّونِي لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ إلّا لُدّ غَيْرَ عَمّي الْعَبّاسِ فَإِنّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ " قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ الْأَصْمَعِيّ : اللّدُودُ مَا يُسْقَى الْإِنْسَانُ فِي أَحَدِ شِقّيْ الْفَمِ أُخِذَ مِنْ لَدِيدَيْ الْوَادِي وَهُمَا جَانِبَاهُ . وَأَمّا الْوَجُورُ فَهُوَ فِي وَسَطِ الْفَمِ . قُلْت : وَاللّدُودُ - بِالْفَتْحِ - هُوَ الدّوَاءُ الّذِي يُلَدّ بِهِ . وَالسّعُوطُ مَا أُدْخِلَ مِنْ أَنْفِهِ .

[مُعَاقَبَةُ الْجَانِي بِمِثْلِ مَا فَعَلَ]

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ الْفِقْهِ مُعَاقَبَةُ الْجَانِي بِمِثْلِ مَا فَعَلَ سَوَاءٌ إذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ مُحَرّمًا لِحَقّ اللّهِ وَهَذَا هُوَ الصّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ لِبِضْعَةَ عَشَرَ دَلِيلًا قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي مَوْضِعٍ

آخَـرَ وَهُـوَ مَنْصُـوصُ أَحْمَـدَ وَهُـوَ ثَابِـتٌ عَـنْ الْخُلَفَـاءِ الرّاشِـدِينَ وَتَرْجَمَـةُ الْمَسْـأَلَةِ بِالْقِصَاصِ فِي اللّطْمَةِ وَالضّرْبَةِ وَفِيهَا عِدّةُ أَحَادِيثَ لَا مُعَارِضَ لَهَا أَلْبَتّـةَ فَيَتَعَيّنُ الْقَوْلُ بِهَا . [ص ٧٨]
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٧٨)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الصّدَاعِ وَالشّقِيقَةِ
رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " حَدِيثًا فِي صِحّتِهِ نَظَرٌ أَنّ النّبِـيّ صَلّـى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا صُدِعَ غَلّفَ رَأْسَهُ بِالْحِنّاءِ وَيَقُولُ إنّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللّهِ مِنْ الصّدَاعِ وَالصّدَاعُ أَلَمٌ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ الرّأْسِ أَوْ كُلّهِ فَمَا كَانَ مِنْهُ فِي أَحَدِ شِقّيْ الـرّأْسِ لَازِمًا يُسَمّى شَقِيقَةً وَإِنْ كَانَ شَامِلًا لِجَمِيعِهِ لَازِمًا يُسَمّى بَيْضَةً وَخُـودَةً تَشْبِيهًا بِبَيْضَـةِ السّلَاحِ الّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى الرّأْسِ كُلّهِ وَرُبّمَا كَانَ فِي مُؤَخّرِ الرّأْسِ أَوْ فِي مُقَدّمِهِ .
[حَقِيقَةُ الصّدَاعِ]
وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ . وَحَقِيقَةُ الصّدَاعِ سُخُونَـةُ الرّأْسِ وَاحْتِمَاؤُهُ لِمَا دَارَ فِيهِ مِنْ الْبُخَارِ يَطْلُبُ النّفُوذَ مِنْ الرّأْسِ فَلَا يَجِدُ مَنْفَذًا فَيُصَدّعُهُ كَمَا يَصْدَعُ الْوَعْيُ إذَا حَمِيَ مَا فِيهِ وَطَلَبَ النّفُوذَ فَكُلّ شَيْءٍ رَطْبٍ إذَا حَمِيَ طَلَبَ مَكَانًا أَوْسَعَ مِنْ مَكَانِـهِ الّـذِي كَـانَ فِيهِ فَإِذَا عَرَضَ هَذَا الْبُخَارُ فِي الرّأْسِ كُلّهِ بِحَيْثُ لَـا يُمْكِنُـهُ التّفَشّي وَالتّحَلّلُ وَجَـالَ فِي الرّأْسِ سُمّيَ السّدْرُ . [ص ٧٩]
[أَسْبَابُ الصّدَاعِ]
وَالصّـدَاعُ يَكُـونُ عَنْ أَسْبَابٍ عَدِيـدَةٍ أَحَـدُهَا : مِـنْ غَلَبَـةِ وَاحِـدٍ مِـنْ الطّبَـائِعِ الْأَرْبَعَـةِ . وَالْخَامِسُ يَكُونُ مِنْ قُرُوحٍ تَكُونُ فِي الْمَعِدَةِ فَيَأْلَمُ الرّأْسُ لِـذَلِكَ الْـوَرَمِ لِاتّصَـالِ الْعَصَـبِ الْمُنْحَدِرِ مِنْ الرّأْسِ بِالْمَعِدَةِ . وَالسّادِسُ مِنْ رِيحٍ غَلِيظَةٍ تَكُونُ فِـي الْمَعِدَةِ فَتَصْعَدُ إلَـى الرّأْسِ فَتَصْدَعُهُ . وَالسّابِعُ يَكُونُ مِنْ وَرَمٍ فِـي عُرُوقِ الْمَعِدَةِ فَيَـأْلَمُ الـرّأْسُ بِـأَلَمِ الْمَعِدَةِ لِلِاتّصَالِ الّذِي بَيْنَهُمَا . وَالثّامِنُ صُدَاعٌ يَحْصُلُ عَنْ امْتِلَاءِ الْمَعِدَةِ مِنْ الطّعَامِ ثُمّ يَنْحَدِرُ وَيَبْقَى بَعْضُهُ نِيئًا فَيُصَدّعُ الرّأْسَ وَيُثْقِلُهُ . وَالتّاسِعُ يَعْرِضُ بَعْدَ الْجِمَاعِ لِتَخَلْخُلِ الْجِسْمِ فَيَصِلُ إلَيْـهِ مِـنْ حَـرّ الْهَـوَاءِ أَكْثَـرُ مِـنْ قَـدْرِهِ . وَالْعَاشِـرُ صُـدَاعٌ يَحْصُـلُ بَعْـدَ الْقَـيْءِ وَالِاسْتِفْرَاغِ إمّـا لِغَلَبَـةِ الْيُبْسِ وَإِمّـا لِتَصَـاعُدِ الْـأَبْخِرَةِ مِنْ الْمَعِدَةِ إلَيْـهِ . وَالْحَـادِي عَشَـرَ صُدَاعٌ يَعْرِضُ عَنْ شِدّةِ الْحَرّ وَسُخُونَةِ الْهَوَاءِ . وَالثّـانِي عَشَـرَ مَـا يَعْرِضُ عَـنْ شِـدّةِ الْبَرْدِ وَتَكَاثُفِ الْأَبْخِرَةِ فِي الرّأْسِ وَعَدَمِ تَحَلّلِهَـا . وَالثّـالِثَ عَشَـرَ مَـا يَحْـدُثُ مِـنْ السّـهَرِ وَعَدَمِ النّوْمِ . وَالرّابِعُ عَشَرَ مَا يَحْدُثُ مِنْ ضَـغْطِ الـرّأْسِ وَحَمْلِ الشّـيْءِ الثّقِيلِ عَلَيْـهِ . وَالْخَامِسَ عَشَرَ مَا يَحْدُثُ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ فَتَضْعُفُ قُوّةُ الدّمَاغِ لِأَجْلِهِ . وَالسّادِسَ عَشَـرَ مَـا يَحْـدُثُ مِـنْ كَثْـرَةِ الْحَرَكَـةِ وَالرّيَاضَـةِ الْمُفْرِطَـةِ . وَالسّـابِعَ عَشَـرَ مَـا يَحْـدُثُ مِـنْ الْأَعْرَاضِ النّفْسَانِيّةِ كَالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْـأَحْزَانِ وَالْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ الرّدِيئَـةِ . [ص ٨٠] وَالثّامِنَ عَشَرَ مَا يَحْدُثُ مِنْ شِدّةِ الْجُوعِ فَإِنّ الْأَبْخِرَةَ لَـا تَجِدُ مَـا تَعْمَلُ فِيـهِ فَتَكْثُرُ وَتَتَصَاعَدُ إلَى الـدّمَاغِ فَتُؤْلِمُـهُ . وَالتّاسِـعَ عَشَـرَ مَـا يَحْدُثُ عَنْ وَرَمٍ فِي صِفَاقِ الـدّمَاغِ وَيَجِدُ صَاحِبُهُ كَأَنّهُ يُضْرَبُ بِالْمَطَارِقِ عَلَى رَأْسِهِ . وَالْعِشْرُونَ مَا يَحْدُثُ بِسَبَبِ الْحُمّى لِاشْتِعَالِ حَرَارَتِهَا فِيهِ فَيَتَأَلّمُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
فَصْلٌ [سَبَبُ صُدَاعِ الشّقِيقَةِ]
[تَعْصِيبُ الرّأْسِ يُسْكِنُ الْوَجَعَ]

وَسَبَبُ صُدَاعِ الشّقِيقَةِ مَادّةٌ فِي شَرَايِينِ الرّأْسِ وَحْدَهَا حَاصِلَةٌ فِيهَا أَوْ مُرْتَقِيَةٌ إلَيْهَا فَيَقْبَلُهَا الْجَانِبُ الْأَضْعَفُ مِنْ جَانِبَيْهِ وَتِلْكَ الْمَادّةُ إمّا بُخَارِيّةٌ وَإِمّا أَخْلَاطٌ حَارّةٌ أَوْ بَارِدَةٌ وَعَلَامَتُهَا الْخَاصّةُ بِهَا ضَرَبَانُ الشّرَايِينِ وَخَاصّةً فِي الدّمَوِيّ . وَإِذَا ضُبِطَتْ بِالْعَصَائِبِ وَمُنِعَتْ مِنْ الضّرَبَانِ سَكَنَ الْوَجَعُ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ " الطّبّ النّبَوِيّ " لَهُ أَنّ هَذَا النّوْعَ كَانَ يُصِيبُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَيَمْكُثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ وَلَا يَخْرُجُ . وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ وَفِي " الصّحِيحِ " أَنّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ وَارْأسَاه وَكَانَ يُعَصّبُ رَأْسَهُ [ص ٨١] الشّقِيقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَوْجَاعِ الرّأْسِ .

فَصْلٌ [عِلَاجُ الصّدَاعِ]

وَعِلَاجُهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَأَسْبَابِهِ فَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِالِاسْتِفْرَاغِ وَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِتَنَاوُلِ الْغِذَاءِ وَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِالسّكُونِ وَالدّعَةِ وَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِالضّمَادَاتِ وَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِالتّبْرِيدِ وَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِالتّسْخِينِ وَمِنْهُ مَا عِلَاجُهُ بِأَنْ يَجْتَنِبَ سَمَاعَ الْأَصْوَاتِ وَالْحَرَكَاتِ .

[الْعِلَاجُ بِالْحِنّاءِ جُزْئِيّ]

إذَا عُرِفَ هَذَا فَعِلَاجُ الصّدَاعِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالْحِنّاءِ هُوَ جُزْئِيّ لَا كُلّيّ وَهُوَ عِلَاجُ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ فَإِنّ الصّدَاعَ إذَا كَانَ مِنْ حَرَارَةٍ مُلْهِبَةٍ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَادّةٍ يَجِبُ اسْتِفْرَاغُهَا نَفَعَ فِيهِ الْحِنّاءُ نَفْعًا ظَاهِرًا وَإِذَا دُقّ وَضُمّدَتْ بِهِ الْجَبْهَةُ مَعَ الْخَلّ سَكَنَ الصّدَاعُ وَفِيهِ قُوّةٌ مُوَافِقَةٌ لِلْعَصَبِ إذَا ضُمّدَ بِهِ سَكَنَتْ أَوْجَاعُهُ وَهَذَا لَا يَخْتَصّ بِوَجَعِ الرّأْسِ بَلْ يَعُمّ الْأَعْضَاءَ وَفِيهِ قَبْضٌ تُشَدّ بِهِ الْأَعْضَاءُ وَإِذَا ضُمّدَ بِهِ مَوْضِعُ الْوَرَمِ الْحَارّ وَالْمُلْتَهِبِ سَكّنَهُ . وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيّ فِي " تَارِيخِهِ " وَأَبُو دَاوُدَ فِي " السّنَنِ " أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا شَكَا إلَيْهِ أَحَدٌ وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إلّا قَالَ لَهُ " احْتَجِمْ " وَلَا شَكَا إلَيْهِ وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ إلّا قَالَ لَهُ " اخْتَضِبْ بِالْحِنّاءِ " . وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْ سَلْمَى أُمّ رَافِعٍ خَادِمَةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَتْ كَانَ لَا يُصِيبُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُرْحَةٌ وَلَا شَوْكَةٌ إلّا وَضَعَ عَلَيْهَا الْحِنّاءَ . [ص ٨٢]

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٨٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مُعَالَجَةِ الْمَرْضَى بِتَرْكِ إعْطَائِهِمْ مَا يَكْرَهُونَهُ مِنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَإِنّهُمْ لَا يُكْرَهُونَ عَلَى تَنَاوُلِهِمَا

رَوَى التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطّعَامِ وَالشّرَابِ فَإِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ قَالَ بَعْضُ فُضَلَاءِ الْأَطِبّاءِ مَا أَغْزَرَ فَوَائِدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ النّبَوِيّةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى حِكَمٍ إلَهِيّةٍ لَا سِيّمَا لِلْأَطِبّاءِ وَلِمَنْ يُعَالِجْ الْمَرْضَى وَذَلِكَ أَنّ الْمَرِيضَ إذَا عَافَ الطّعَامَ أَوْ الشّرَابَ فَذَلِكَ لِاشْتِغَالِ الطّبِيعَةِ بِمُجَاهَدَةِ الْمَرَضِ أَوْ لِسُقُوطِ شَهْوَتِهِ أَوْ نُقْصَانِهَا لِضَعْفِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيّةِ أَوْ خُمُودِهَا وَكَيْفَمَا كَانَ فَلَا يَجُوزُ حِينَئِذٍ إعْطَاءُ الْغِذَاءِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَاعْلَمْ أَنّ الْجُوعَ إنّمَا هُوَ طَلَبُ الْأَعْضَاءِ لِلْغِذَاءِ لِتَخَلّفِ الطّبِيعَةِ بِهِ عَلَيْهَا عِوَضَ مَا يَتَحَلّلُ مِنْهَا فَتَجْذِبُ الْأَعْضَاءُ الْقُصْوَى مِنْ الْأَعْضَاءِ الدّنْيَا حَتّى يَنْتَهِيَ [ص ٨٤] الطّبِيعَةُ بِمَادّتِهِ وَإِنْضَاجِهَا وَإِخْرَاجِهَا عَنْ طَلَبِ الْغِذَاءِ أَوْ الشّرَابِ فَإِذَا أُكْرِهَ الْمَرِيضُ عَلَى اسْتِعْمَالِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَعَطّلَتْ بِهِ الطّبِيعَةُ عَنْ فِعْلِهَا

وَاشْتَغَلَتْ بِهَضْمِهِ وَتَدْبِيرِهِ عَنْ إِنْضَاجِ مَادَّةِ الْمَرَضِ وَدَفْعِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِضَرَرِ الْمَرِيضِ وَلَا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الْبُحْرَانِ أَوْ ضَعْفِ الْحَارِّ الْغَرِيزِيِّ أَوْ خُمُودِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي الْبَلِيَّةِ وَتَعْجِيلِ النَّازِلَةِ الْمُتَوَقَّعَةِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَالْحَالِ إِلَّا مَا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُوَّتَهُ وَيُقَوِّيهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعْمَالٍ مُزْعِجٍ لِلطَّبِيعَةِ أَلْبَتَّةَ وَذَلِكَ يَكُونُ بِمَا لَطُفَ قِوَامُهُ مِنَ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَغْذِيَةِ وَاعْتَدَلَ مِزَاجُهُ كَشَرَابِ اللِّينُوفَرِ وَالتُّفَّاحِ وَالْوَرْدِ الطَّرِيِّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَمِنَ الْأَغْذِيَةِ مَرَقُ الْفَرَارِيجِ الْمُعْتَدِلَةِ الطَّيِّبَةِ فَقَطْ وَإِنْعَاشُ قُوَاهُ بِالْأَرَايِيحِ الْعَطِرَةِ الْمُوَافِقَةِ وَالْأَخْبَارِ السَّارَّةِ فَإِنَّ الطَّبِيبَ خَادِمُ الطَّبِيعَةِ وَمُعِينُهَا لَا مُعِيقُهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّمَ الْجَيِّدَ هُوَ الْمُغَذِّي لِلْبَدَنِ وَأَنَّ الْبَلْغَمَ دَمٌ فَجٌّ قَدْ نَضِجَ بَعْضَ النُّضْجِ فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَرْضَى فِي بَدَنِهِ بَلْغَمٌ كَثِيرٌ وَعَدِمَ الْغِذَاءَ عَطَفَتْ الطَّبِيعَةُ عَلَيْهِ وَطَبَخَتْهُ وَأَنْضَجَتْهُ وَصَيَّرَتْهُ دَمًا وَغَذَّتْ بِهِ الْأَعْضَاءَ وَاكْتَفَتْ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ وَالطَّبِيعَةُ هِيَ الْقُوَّةُ الَّتِي وَكَّلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِتَدْبِيرِ الْبَدَنِ وَحِفْظِهِ وَصِحَّتِهِ وَحِرَاسَتِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ .

[إِجْبَارُ الْمَرِيضِ عَلَى الطَّعَامِ]

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ فِي النُّدْرَةِ إِلَى إِجْبَارِ الْمَرِيضِ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَذَلِكَ فِي الْأَمْرَاضِ الَّتِي يَكُونُ مَعَهَا اخْتِلَاطُ الْعَقْلِ وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْحَدِيثُ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ أَوْ مِنَ الْمُطْلَقِ الَّذِي قَدْ دَلَّ عَلَى تَقْيِيدِهِ دَلِيلٌ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرِيضَ قَدْ يَعِيشُ بِلَا غِذَاءٍ أَيَّامًا لَا يَعِيشُ الصَّحِيحُ فِي مِثْلِهَا . [ص ٨٥]

[مَعْنَى فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ]

" وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ " مَعْنًى لَطِيفٌ زَائِدٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْأَطِبَّاءُ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عِنَايَةٌ بِأَحْكَامِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَتَأْثِيرِهَا فِي طَبِيعَةِ الْبَدَنِ وَانْفِعَالِ الطَّبِيعَةِ عَنْهَا كَمَا تَنْفَعِلُ هِيَ كَثِيرًا عَنْ الطَّبِيعَةِ وَنَحْنُ نُشِيرُ إِلَيْهِ إِشَارَةً فَنَقُولُ النَّفْسُ إِذَا حَصَلَ لَهَا مَا يَشْغَلُهَا مِنْ مَحْبُوبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ مَخُوفٍ اشْتَغَلَتْ بِهِ عَنْ طَلَبِ الْغِذَاءِ وَالشَّرَابِ فَلَا تُحِسُّ بِجُوعٍ وَلَا عَطَشٍ بَلْ وَلَا حَرٍّ وَلَا بَرْدٍ بَلْ تَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ الْإِحْسَاسِ الْمُؤْلِمِ الشَّدِيدِ الْأَلَمِ فَلَا تُحِسُّ بِهِ وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ وَإِذَا اشْتَغَلَتْ النَّفْسُ بِمَا دَهَمَهَا وَوَرَدَ عَلَيْهَا لَمْ تُحِسَّ بِأَلَمِ الْجُوعِ فَإِنْ كَانَ الْوَارِدُ مُفْرِحًا قَوِيَّ التَّفْرِيحِ قَامَ لَهَا مَقَامَ الْغِذَاءِ فَشَبِعَتْ بِهِ وَانْتَعَشَتْ قُوَاهَا وَتَضَاعَفَتْ وَجَرَتْ الدَّمَوِيَّةُ فِي الْجَسَدِ حَتَّى تَظْهَرَ فِي سَطْحِهِ فَيُشْرِقُ وَجْهُهُ وَتَظْهَرُ دَمَوِيَّتُهُ فَإِنَّ الْفَرَحَ يُوجِبُ انْبِسَاطَ دَمِ الْقَلْبِ فَيَنْبَعِثُ فِي الْعُرُوقِ فَتَمْتَلِئُ بِهِ فَلَا تَطْلُبُ الْأَعْضَاءُ حَظَّهَا مِنْ الْغِذَاءِ الْمُعْتَادِ لِاشْتِغَالِهَا بِمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهَا وَإِلَى الطَّبِيعَةِ مِنْهُ وَالطَّبِيعَةُ إِذَا ظَفِرَتْ بِمَا تُحِبُّ آثَرَتْهُ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ الْوَارِدُ مُؤْلِمًا أَوْ مُحْزِنًا أَوْ مَخُوفًا اشْتَغَلَتْ بِمُحَارَبَتِهِ وَمُقَاوَمَتِهِ وَمُدَافَعَتِهِ عَنْ طَلَبِ الْغِذَاءِ فَهِيَ فِي حَالِ حَرْبِهَا فِي شُغْلٍ عَنْ طَلَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنْ ظَفِرَتْ فِي هَذَا الْحَرْبِ انْتَعَشَتْ قُوَاهَا وَأَخْلَفَتْ عَلَيْهَا نَظِيرَ مَا فَاتَهَا مِنْ قُوَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَإِنْ كَانَتْ مَغْلُوبَةً مَقْهُورَةً انْحَطَّتْ قُوَاهَا بِحَسَبِ مَا حَصَلَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هَذَا الْعَدُوِّ سِجَالًا فَالْقُوَّةُ تَظْهَرُ تَارَةً وَتَخْتَفِي أُخْرَى وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَرْبُ بَيْنَهُمَا عَلَى مِثَالِ الْحَرْبِ الْخَارِجِ بَيْنَ الْعَدُوَّيْنِ الْمُتَقَاتِلَيْنِ وَالنَّصْرُ لِلْغَالِبِ وَالْمَغْلُوبِ إِمَّا قَتِيلٌ وَإِمَّا جَرِيحٌ وَإِمَّا أَسِيرٌ . فَالْمَرِيضُ لَهُ مَدَدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يُغَذِّيهِ بِهِ زَائِدًا عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَغْذِيَتِهِ بِالدَّمِ وَهَذَا الْمَدَدُ بِحَسَبِ ضَعْفِهِ وَانْكِسَارِهِ وَانْطِرَاحِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا

يُوجِبُ لَهُ قُرْبًا مِنْ رَبِّهِ فَإِنّ الْعَبْدَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ [ص ٨٦] رَبِّهِ إذَا انْكَسَرَ قَلْبُهُ وَرَحْمَةُ رَبِّهِ عِنْدَئِذٍ قَرِيبَةٌ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ وَلِيّا لَهُ حَصَلَ لَهُ مِنْ الْأَغْذِيَةِ الْقَلْبِيّةِ مَا تَقْوَى بِهِ قُوَى طَبِيعَتِهِ وَتَنْتَعِشُ بِهِ قُوَاهُ أَعْظَمَ مِنْ قُوّتِهَا وَانْتِعَاشِهَا بِالْأَغْذِيَةِ الْبَدَنِيّةِ وَكُلّمَا قَوِيَ إيمَانُهُ وَحُبّهُ لِرَبّهِ وَأُنْسُهُ بِهِ وَفَرَحُهُ بِهِ وَقَوِيَ يَقِينُهُ بِرَبّهِ وَاشْتَدّ شَوْقُهُ إلَيْهِ وَرِضَاهُ بِهِ وَعَنْهُ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الْقُوّةِ مَا لَا يُعَبّرُ عَنْهُ وَلَا يُدْرِكُهُ وَصْفُ طَبِيبٍ وَلَا يَنَالُهُ عِلْمُهُ . وَمَنْ غَلُظَ طَبْعُهُ وَكَثُفَتْ نَفْسُهُ عَنْ فَهْمِ هَذَا وَالتّصْدِيقِ بِهِ فَلْيَنْظُرْ حَالَ كَثِيرٍ مِنْ عُشّاقِ الصّوَرِ الّذِينَ قَدْ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِحُبّ مَا يَعْشَقُونَهُ مِنْ صُورَةٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ وَقَدْ شَاهَدَ النّاسُ مِنْ هَذَا عَجَائِبَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ .

[وِصَالُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّوْمِ]

وَقَدْ ثَبَتَ فِي " الصّحِيحِ " : عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يُوَاصِلُ فِي الصّيَامِ الْأَيّامَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَنْهَى أَصْحَابَهُ عَنْ الْوِصَالِ وَيَقُولُ لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إنّي أَظَلّ يُطْعِمُنِي رَبّي وَيَسْقِينِي وَمَعْلُومٌ أَنّ هَذَا الطّعَامَ وَالشّرَابَ لَيْسَ هُوَ الطّعَامَ الّذِي يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ بِفَمِهِ وَإِلّا لَمْ يَكُنْ مُوَاصِلًا وَلَمْ يَتَحَقّقْ الْفَرْقُ بَلْ لَمْ يَكُنْ صَائِمًا فَإِنّهُ قَالَ أَظَلّ يُطْعِمُنِي رَبّي وَيَسْقِينِي " وَأَيْضًا فَإِنّهُ فَرّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي نَفْسِ الْوِصَالِ وَأَنّهُ يَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ فَلَوْ كَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِفَمِهِ لَمْ يَقُلْ لَسْت كَهَيْئَتِكُمْ وَإِنّمَا فَهِمَ هَذَا مِنْ الْحَدِيثِ مَنْ قَلّ نَصِيبُهُ مِنْ غِذَاءِ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ وَتَأْثِيرُهُ فِي الْقُوّةِ وَإِنْعَاشِهَا وَاغْتِذَائِهَا بِهِ فَوْقَ تَأْثِيرِ الْغِذَاءِ الْجُسْمَانِيّ وَاَللّهُ الْمُوَفّقُ . [ص ٨٧]

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٨٧)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْعُذْرَةِ وَفِي الْعِلَاجِ بِالسّعُوطِ

ثَبَتَ عَنْهُ فِي " الصّحِيحَيْنِ " أَنّهُ قَالَ خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيّ وَلَا تُعَذّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِالْغَمْزِ مِنْ الْعُذْرَةِ " وَفِي " السّنَنِ " و " الْمُسْنَدِ " عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا صَبِيّ يُسِيلُ مَنْخَرَاهُ دَمًا فَقَالَ مَا هَذَا ؟ " . فَقَالُوا : بِهِ الْعُذْرَةُ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ فَقَالَ " وَيْلَكُنّ لَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنّ أَيّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَ وَلَدَهَا عُذْرَةٌ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ فَلْتَأْخُذْ قُسْطًا هِنْدِيّا فَلْتَحُكّهُ بِمَاءٍ ثُمّ تُسْعِطْهُ إيّاهُ فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا فَصُنِعَ ذَلِكَ بِالصّبِيّ فَبَرَأَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْعُذْرَةُ تَهَيّجٌ فِي الْحَلْقِ مِنْ الدّمِ فَإِذَا عُولِجَ مِنْهُ قِيلَ قَدْ عُذِرَ بِهِ فَهُوَ مَعْذُورٌ انْتَهَى . وَقِيلَ الْعُذْرَةُ قُرْحَةٌ تَخْرُجُ فِيمَا بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْحَلْقِ وَتَعْرِضُ لِلصّبْيَانِ غَالِبًا .

[عِلَاجُ الْعُذْرَةِ بِسَعُوطِ الْقُسْطِ]

وَأَمّا نَفْعُ السّعُوطِ مِنْهَا بِالْقُسْطِ الْمَحْكُوكِ فَلِأَنّ الْعُذْرَةَ مَادّتُهَا دَمٌ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْبَلْغَمُ لَكِنّ تَوَلّدَهُ فِي أَبْدَانِ الصّبْيَانِ أَكْثَرُ وَفِي الْقُسْطِ تَجْفِيفٌ يَشُدّ اللّهَاةَ وَيَرْفَعُهَا إلَى مَكَانِهَا وَقَدْ يَكُونُ نَفْعُهُ فِي هَذَا الدّاءِ بِالْخَاصّيّةِ وَقَدْ يَنْفَعُ فِي الْأَدْوَاءِ الْحَارّةِ وَالْأَدْوِيَةِ الْحَارّةِ بِالذّاتِ تَارَةً وَبِالْعَرْضِ أُخْرَى . وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ " الْقَانُونِ " فِي مُعَالَجَةِ سُقُوطِ اللّهَاةِ الْقُسْطَ مَعَ الشّبّ الْيَمَانِيّ وَبِزْرِ الْمَرْوِ . [ص ٨٨] الْعُودُ الْهِنْدِيّ وَهُوَ الْأَبْيَضُ مِنْهُ وَهُوَ حُلْوٌ وَفِيهِ مَنَافِعُ عَدِيدَةٌ وَكَانُوا يُعَالِجُونَ أَوْلَادَهُمْ بِغَمْزِ اللّهَاةِ وَبِالْعِلَاقِ وَهُوَ شَيْءٌ يُعَلّقُونَهُ عَلَى الصّبْيَانِ فَنَهَاهُمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ ذَلِكَ وَأَرْشَدَهُمْ إلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لِلْأَطْفَالِ وَأَسْهَلُ عَلَيْهِمْ . وَالسّعُوطُ مَا يُصَبّ فِي الْأَنْفِ وَقَدْ يَكُونُ بِأَدْوِيَةٍ مُفْرَدَةٍ وَمُرَكّبَةٍ

تُدَقّ وَتُنْخَلُ وَتُعْجَنُ وَتُجَفّفُ ثُمّ تُحَلّ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَيُسْعَطُ بِهَا فِي أَنْفِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ مَا يَرْفَعُهُمَا لِتَنْخَفِضَ رَأْسُهُ فَيَتَمَكّنُ السّعُوطُ مِنْ الْوُصُولِ إلَى دِمَاغِهِ وَيَسْتَخْرِجُ مَا فِيهِ مِنْ الدّاءِ بِالْعُطَاسِ وَقَدْ مَدَحَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ التّدَاوِي بِالسّعُوطِ فِيمَا يُحْتَاجُ إلَيْهِ فِيهِ . وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَعَطَ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٨٨)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْمَفْئُودِ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ عَنْ سَعْدٍ قَالَ مَرِضْت مَرَضًا فَأَتَانِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعُودُنِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيّ حَتّى وَجَدْت بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي وَقَالَ لِي : " إنّكَ رَجُلٌ مَفْئُودٌ فَأْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ مِنْ ثَقِيفٍ فَإِنّهُ رَجُلٌ يَتَطَبّبُ فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنّ بِنَوَاهُنّ ثُمّ لِيَلُدّكَ بِهِنّ " الْمَفْئُودُ الّذِي أُصِيبَ فُؤَادُهُ فَهُوَ يَشْتَكِيهِ كَالْمَبْطُونِ الّذِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ . [ص ٨٩] أَحَدِ جَانِبَيْ الْفَمِ .

[عِلَاجُ الْمَفْئُودِ بِالتّمْرِ]

وَفِي التّمْرِ خَاصّيّةٌ عَجِيبَةٌ لِهَذَا الدّاءِ وَلَا سِيّمَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ وَلَا سِيّمَا الْعَجْوَةَ مِنْهُ . وَفِي كَوْنِهَا سَبْعًا خَاصّيّةٌ أُخْرَى تُدْرَكُ بِالْوَحْيِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ تَصَبّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنْ تَمْرِ الْعَالِيَةِ لَمْ يَضُرّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمّ وَلَا سِحْرٌ وَفِي لَفْظٍ مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ يَضُرّهُ سَمّ حَتّى يُمْسِيَ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٩٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي دَفْعِ ضَرَرِ الْأَغْذِيَةِ وَالْفَاكِهَةِ وَإِصْلَاحِهَا بِمَا يَدْفَعُ ضَرَرَهَا وَيُقَوّي نَفْعَهَا

ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْكُلُ الرّطَبَ بِالْقِثّاءِ وَالرّطَبُ حَارّ رَطْبٌ فِي الثّانِيَةِ يُقَوّي الْمَعِدَةَ الْبَارِدَةَ وَيُوَافِقُهَا وَيَزِيدُ فِي [ص ٩٤] وَمُضِرّ بِالْأَسْنَانِ وَالْقِثّاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ فِي الثّانِيَةِ مُسَكّنٌ لِلْعَطَشِ مُنْعِشٌ لِلْقُوَى بِشَمّهِ لِمَا فِيهِ مِنْ الْعِطْرِيّةِ مُطْفِئٌ لِحَرَارَةِ الْمَعِدَةِ الْمُلْتَهِبَةِ وَإِذَا جُفّفَ بِزْرُهُ وَدُقّ وَاسْتُحْلِبَ بِالْمَاءِ وَشُرِبَ سَكّنَ الْعَطَشَ وَأَدَرّ الْبَوْلَ وَنَفَعَ مِنْ وَجَعِ الْمَثَانَةِ . وَإِذَا دُقّ وَنُخِلَ وَدُلِكَ بِهِ الْأَسْنَانُ جَلَاهَا وَإِذَا دُقّ وَرَقُهُ وَعُمِلَ مِنْهُ ضِمَادٌ مَعَ الميبختج نَفَعَ مِنْ عَضّةِ الْكَلْبِ الْكَلِبِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا حَارّ وَهَذَا بَارِدٌ وَفِي كُلّ مِنْهُمَا صَلَاحُ الْآخَرِ وَإِزَالَةٌ لِأَكْثَرِ ضَرَرِهِ وَمُقَاوَمَةُ كُلّ كَيْفِيّةٍ بِضِدّهَا وَدَفْعِ سَوْرَتِهَا بِالْأُخْرَى وَهَذَا أَصْلُ الْعِلَاجِ كُلّهِ وَهُوَ أَصْلٌ فِي حِفْظِ الصّحّةِ بَلْ عِلْمُ الطّبّ كُلّهُ يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا . وَفِي اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ وَأَمْثَالِهِ فِي الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ إصْلَاحٌ لَهَا وَتَعْدِيلٌ وَدَفْعٌ لِمَا فِيهَا مِنْ الْكَيْفِيّاتِ الْمُضِرّةِ لِمَا يُقَابِلُهَا وَفِي ذَلِكَ عَوْنٌ عَلَى صِحّةِ الْبَدَنِ وَقُوّتِهِ وَخَصْبِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : سَمّنُونِي بِكُلّ شَيْءٍ فَلَمْ أَسْمَنْ فَسَمّنُونِي بِالْقِثّاءِ وَالرّطَبِ فَسَمِنْت . وَبِالْجُمْلَةِ فَدَفْعُ ضَرَرِ الْبَارِدِ بِالْحَارّ وَالْحَارّ بِالْبَارِدِ وَالرّطَبِ بِالْيَابِسِ وَالْيَابِسِ بِالرّطَبِ وَتَعْدِيلُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ مِنْ أَبْلَغِ أَنْوَاعِ الْعِلَاجَاتِ وَحِفْظِ الصّحّةِ وَنَظِيرُ هَذَا مَا تَقَدّمَ مِنْ أَمْرِهِ بِالسّنَا وَالسّنّوتِ وَهُوَ الْعَسَلُ الّذِي فِيهِ شَيْءٌ مِنْ السّمْنِ يَصْلُحُ بِهِ السّنَا

وَيُعْدِلُهُ فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِعِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَبِمَصَالِحِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٩٤)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْحِمْيَةِ
الدّوَاءُ كُلّهُ شَيْئَانِ حِمْيَةٌ وَحِفْظُ صِحّةٍ . فَإِذَا وَقَعَ التّخْلِيطُ اُحْتِيجَ إلَى [ص ٩٥] الطّبّ كُلّهِ عَلَى هَذِهِ الْقَوَاعِدِ الثّلَاثَةِ . وَالْحِمْيَةُ : حِمْيَتَانِ حِمْيَةٌ عَمّا يَجْلِبُ الْمَرَضَ وَحِمْيَةٌ عَمّا يَزِيدُهُ فَيَقِفُ عَلَى حَالِهِ فَالْأَوّلُ حِمْيَةُ الْأَصِحّاءِ . وَالثّانِيَةُ حِمْيَةُ الْمَرْضَى فَإِنّ الْمَرِيضَ إذَا احْتَمَى وَقَفَ مَرَضُهُ عَنْ التّزَايُدِ وَأَخَذَتْ الْقُوَى فِي دَفْعِهِ . وَالْأَصْلُ فِي الْحِمْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمّمُوا صَعِيدًا طَيّبًا } [النّسَاءِ ٤٣ الْمَائِدَةِ ٦] فَحَمَا الْمَرِيضَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ لِأَنّهُ يَضُرّهُ . وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " وَغَيْرِهِ عَنْ أُمّ الْمُنْذِرِ بِنْتِ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيّةِ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَعَهُ عَلِيّ وَعَلِيّ نَاقِهٌ مِنْ مَرَضٍ وَلَنَا دَوَالِي مُعَلّقَةٌ فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَامَ عَلِيّ يَأْكُلُ مِنْهَا فَطَفِقَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لِعَلِيّ : " إنّك نَاقِهٌ " حَتّى كَفّ . قَالَتْ وَصَنَعْتُ شَعِيرًا وَسِلْقًا فَجِئْت بِهِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعَلِيّ : " مِنْ هَذَا أَصِبْ فَإِنّهُ أَنْفَعُ لَكَ " وَفِي لَفْظٍ فَقَالَ " مِنْ هَذَا فَأَصِبْ فَإِنّهُ أَوْفَقُ لَكَ " وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " أَيْضًا عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ فَقَالَ اُدْنُ فَكُلْ فَأَخَذْتُ تَمْرًا فَأَكَلْت فَقَالَ أَتَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ ؟ فَقُلْت : يَا رَسُولَ اللّهِ أَمْضَغُ مِنْ النّاحِيَةِ الْأُخْرَى فَتَبَسّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفِي حَدِيثٍ مَحْفُوظٍ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ اللّهَ إذَا أَحَبّ عَبْدًا حَمَاهُ مِنْ الدّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ عَنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَفِي لَفْظٍ إنّ اللّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ الدّنْيَا [ص ٩٦] الْحِمْيَةُ رَأْسُ الدّوَاءُ وَالْمَعِدَةُ بَيْتُ الدّاءِ وَعَوّدُوا كُلّ جِسْمٍ مَا اعْتَادَ فَهَذَا الْحَدِيثُ إنّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ طَبِيبِ الْعَرَبِ وَلَا يَصِحّ رَفْعُهُ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمّةِ الْحَدِيثِ . وَيُذْكَرُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ الْمَعِدَةَ حَوْضُ الْبَدَنِ وَالْعُرُوقُ إلَيْهَا وَارِدَةٌ فَإِذَا صَحّتْ الْمَعِدَةُ صَدَرَتْ الْعُرُوقُ بِالصّحّةِ وَإِذَا سَقِمَتْ الْمَعِدَةُ صَدَرَتْ الْعُرُوقُ بِالسّقَمِ وَقَالَ الْحَارِثُ رَأْسُ الطّبّ الْحِمْيَةُ وَالْحِمْيَةُ عِنْدَهُمْ لِلصّحِيحِ فِي الْمَضَرّةِ بِمَنْزِلَةِ التّخْلِيطِ لِلْمَرِيضِ وَالنّاقِهِ وَأَنْفَعُ مَا تَكُونُ الْحِمْيَةُ لِلنّاقِهِ مِنْ الْمَرَضِ فَإِنّ طَبِيعَتَهُ لَمْ تَرْجِعْ بَعْدُ إلَى قُوّتِهَا وَالْقُوّةُ الْهَاضِمَةُ ضَعِيفَةٌ وَالطّبِيعَةُ قَابِلَةٌ وَالْأَعْضَاءُ مُسْتَعِدّةٌ فَتَخْلِيطُهُ يُوجِبُ انْتِكَاسَهَا وَهُوَ أَصْعَبُ مِنْ ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ . وَاعْلَمْ أَنّ فِي مَنْعِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعَلِيّ مِنْ الْأَكْلِ مِنْ الدّوَالِي وَهُوَ نَاقِهٌ أَحْسَنُ التّدْبِيرِ فَإِنّ الدّوَالِيَ أَقْنَاءٌ مِنْ الرّطَبِ تُعَلّقُ فِي الْبَيْتِ لِلْأَكْلِ بِمَنْزِلَةِ عَنَاقِيدِ الْعِنَبِ وَالْفَاكِهَةِ تَضُرّ بِالنّاقِهِ مِنْ الْمَرَضِ لِسُرْعَةِ اسْتِحَالَتِهَا وَضَعْفِ الطّبِيعَةِ عَنْ دَفْعِهَا فَإِنّهَا لَمْ تَتَمَكّنْ بَعْدُ مِنْ قُوّتِهَا وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِدَفْعِ آثَارِ الْعِلّةِ وَإِزَالَتِهَا مِنْ الْبَدَنِ . وَفِي الرّطَبِ خَاصّةً نَوْعُ ثِقَلٍ عَلَى الْمَعِدَةِ فَتَشْتَغِلُ بِمُعَالَجَتِهِ وَإِصْلَاحِهِ عَمّا هِيَ بِصَدَدِهِ مِنْ إزَالَةِ بَقِيّةِ الْمَرَضِ وَآثَارِهِ فَإِمّا أَنْ تَقِفَ تِلْكَ الْبَقِيّةُ وَإِمّا [ص ٩٧] وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ السّلْقَ وَالشّعِيرَ أَمَرَهُ أَنْ يُصِيبَ مِنْهُ فَإِنّهُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَغْذِيَةِ لِلنّاقِهِ فَإِنّ فِي مَاءِ الشّعِيرِ مِنْ التّبْرِيدِ وَالتّغْذِيَةِ وَالتّلْطِيفِ وَالتّلْيِينِ وَتَقْوِيَةِ الطّبِيعَةِ مَا هُوَ أَصْلَحُ لِلنّاقِهِ

وَلَا سِيّمَا إذَا طُبِخَ بِأُصُولِ السّلْقِ فَهَذَا مِنْ أَوْفَقِ الْغِذَاءِ لِمَنْ فِي مَعِدَتِهِ ضَعْفٌ وَلَا يَتَوَلّدُ عَنْهُ مِنْ الْأَخْلَاطِ مَا يُخَافُ مِنْهُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : حَمَا عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مَرِيضًا لَهُ حَتّى إنّهُ مِنْ شِدّةِ مَا حَمَاهُ كَانَ يَمُصّ النّوَى . وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحِمْيَةُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ قَبْلَ الدّاءِ فَتَمْنَعُ حُصُولَهُ وَإِذَا حَصَلَ فَتَمْنَعُ تَزَايُدَهُ وَانْتِشَارَهُ .

فَصْلٌ [لَا حَرَجَ فِي تَنَاوُلِ الْإِنْسَانِ مَا يَشْتَهِيهِ عَنْ جُوعٍ صَادِقٍ وَكَانَ فِيهِ ضَرَرٌ مَا]

وَمِمّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنّ كَثِيرًا مِمّا يُحْمَى عَنْهُ الْعَلِيلُ وَالنّاقِهُ وَالصّحِيحُ إذَا اشْتَدّتْ الشّهْوَةُ إلَيْهِ وَمَالَتْ إلَيْهِ الطّبِيعَةُ فَتَنَاوَلَ مِنْهُ الشّيْءَ الْيَسِيرَ الّذِي لَا تَعْجِزُ الطّبِيعَةُ عَنْ هَضْمِهِ لَمْ يَضُرّهُ تَنَاوُلُهُ بَلْ رُبّمَا انْتَفَعَ بِهِ فَإِنّ الطّبِيعَةَ وَالْمَعِدَةَ تَتَلَقّيَانِهِ بِالْقَبُولِ وَالْمَحَبّةِ فَيُصْلِحَانِ مَا يُخْشَى مِنْ ضَرَرِهِ وَقَدْ يَكُونُ أَنْفَعَ مِنْ تَنَاوُلِ مَا تَكْرَهُهُ الطّبِيعَةُ وَتَدْفَعُهُ مِنْ الدّوَاءِ وَلِهَذَا أَقَرّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صُهَيْبًا وَهُوَ أَرْمَدُ عَلَى تَنَاوُلِ التّمَرَاتِ الْيَسِيرَةِ وَعَلِمَ أَنّهَا لَا تَضُرّهُ وَمِنْ هَذَا مَا يُرْوَى عَنْ عَلِيّ أَنّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ أَرْمَدُ وَبَيْنَ يَدَيْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَمْرٌ يَأْكُلُهُ فَقَالَ يَا عَلِيّ تَشْتَهِيهِ؟ وَرَمَى إلَيْهِ بِتَمْرَةٍ ثُمّ بِأُخْرَى حَتّى رَمَى إلَيْهِ سَبْعًا ثُمّ قَالَ " حَسْبُكَ يَا عَلِيّ " . وَمِنْ هَذَا مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَادَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ مَا تَشْتَهِي ؟ فَقَالَ أَشْتَهِي خُبْزَ بُرّ . وَفِي لَفْظٍ أَشْتَهِي كَعْكًا فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ خُبْزُ بُرّ فَلْيَبْعَثْ إلَى أَخِيهِ ثُمّ قَالَ إذَا اشْتَهَى مَرِيضُ أَحَدِكُمْ شَيْئًا فَلْيُطْعِمْهُ [ص ٩٨] فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ سِرّ طِبّيّ لَطِيفٌ فَإِنّ الْمَرِيضَ إذَا تَنَاوَلَ مَا يَشْتَهِيهِ عَنْ جُوعٍ صَادِقٍ طَبِيعِيّ وَكَانَ فِيهِ ضَرَرٌ مَا كَانَ أَنْفَعَ وَأَقَلّ ضَرَرًا مِمّا لَا يَشْتَهِيهِ وَإِنْ كَانَ نَافِعًا فِي نَفْسِهِ فَإِنّ صِدْقَ شَهْوَتِهِ وَمَحَبّةَ الطّبِيعَةِ يَدْفَعُ ضَرَرَهُ وَبُغْضَ الطّبِيعَةِ وَكَرَاهَتَهَا لِلنّافِعِ قَدْ يَجْلِبُ لَهَا مِنْهُ ضَرَرًا . وَبِالْجُمْلَةِ فَاللّذِيذُ الْمُشْتَهَى تُقْبِلُ الطّبِيعَةُ عَلَيْهِ بِعِنَايَةٍ فَتَهْضِمُهُ عَلَى أَحْمَدِ الْوُجُوهِ سِيّمَا عِنْدَ انْبِعَاثِ النّفْسِ إلَيْهِ بِصِدْقِ الشّهْوَةِ وَصِحّةِ الْقُوّةِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٩٨)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الرّمَدِ بِالسّكُونِ وَالدّعَةِ وَتَرْكِ الْحَرَكَةِ وَالْحِمْيَةِ مِمّا يَهِيجُ الرّمَدَ

وَقَدْ تَقَدّمَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَمَا صُهَيْبًا مِنْ التّمْرِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَكْلَهُ وَهُوَ أَرْمَدُ وَحَمَا عَلِيّا مِنْ الرّطَبِ لَمّا أَصَابَهُ الرّمَدُ . وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ " الطّبّ النّبَوِيّ " : أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا رَمِدَتْ عَيْنُ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ لَمْ يَأْتِهَا حَتّى تَبْرَأَ عَيْنُهَا

[حَقِيقَةُ الرّمَدِ]

الرّمَدُ وَرَمٌ حَارّ يَعْرِضُ فِي الطّبَقَةِ الْمُلْتَحِمَةِ مِنْ الْعَيْنِ وَهُوَ بَيَاضُهَا الظّاهِرُ وَسَبَبُهُ انْصِبَابُ أَحَدِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ أَوْ رِيحٌ حَارّةٌ تَكْثُرُ كَمّيّتُهَا فِي الرّأْسِ وَالْبَدَنِ فَيَنْبَعِثُ مِنْهَا قِسْطٌ إلَى جَوْهَرِ الْعَيْنِ أَوْ ضَرْبَةٌ تُصِيبُ الْعَيْنَ فَتُرْسِلُ الطّبِيعَةُ إلَيْهَا مِنْ الدّمِ وَالرّوحِ مِقْدَارًا كَثِيرًا تَرُومُ بِذَلِكَ شِفَاءَهَا مِمّا عَرَضَ لَهَا وَلِأَجْلِ ذَلِكَ يَرِمُ الْعُضْوُ الْمَضْرُوبُ وَالْقِيَاسُ يُوجِبُ ضِدّهُ . [ص ٩٩] وَاعْلَمْ أَنّهُ كَمَا يَرْتَفِعُ مِنْ الْأَرْضِ إلَى الْجَوّ بُخَارَانِ أَحَدُهُمَا : حَارّ يَابِسٌ وَالْآخَرُ حَارّ رَطْبٌ فَيَنْعَقِدَانِ سَحَابًا مُتَرَاكِمًا وَيَمْنَعَانِ أَبْصَارَنَا مِنْ إدْرَاكِ السّمَاءِ فَكَذَلِكَ يَرْتَفِعُ مِنْ قَعْرِ الْمَعِدَةِ إلَى مُنْتَهَاهَا مِثْلُ ذَلِكَ فَيَمْنَعَانِ النّظَرَ وَيَتَوَلّدُ

عَنْهُمَا عِلَلٌ شَتَّى فَإِنْ قَوِيَتْ الطَّبِيعَةُ عَلَى ذَلِكَ وَدَفَعَتْهُ إِلَى الْخَيَاشِيمِ أَحْدَثَ الزُّكَامَ وَإِنْ دَفَعَتْهُ إِلَى اللَّهَاةِ وَالْمَنْخِرَيْنِ أَحْدَثَ الْخُنَاقَ وَإِنْ دَفَعَتْهُ إِلَى الْجَنْبِ أَحْدَثَ الشَّوْصَةَ وَإِنْ دَفَعَتْهُ إِلَى الصَّدْرِ أَحْدَثَ النَّزْلَةَ وَإِنْ انْحَدَرَ إِلَى الْقَلْبِ أَحْدَثَ الْخَبْطَةَ وَإِنْ دَفَعَتْهُ إِلَى الْعَيْنِ أَحْدَثَ رَمَدًا وَإِنْ انْحَدَرَ إِلَى الْجَوْفِ أَحْدَثَ السَّيَلَانَ وَإِنْ دَفَعَتْهُ إِلَى مَنَازِلِ الدِّمَاغِ أَحْدَثَ النِّسْيَانَ وَإِنْ تَرَطَّبَتْ أَوْعِيَةُ الدِّمَاغِ مِنْهُ وَامْتَلَأَتْ بِهِ عُرُوقُهُ أَحْدَثَ النَّوْمَ الشَّدِيدَ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ رَطْبًا وَالسَّهَرُ يَابِسًا . وَإِنْ طَلَبَ الْبُخَارُ النُّفُوذَ مِنْ الرَّأْسِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَعْقَبَهُ الصُّدَاعُ وَالسَّهَرُ وَإِنْ مَالَ الْبُخَارُ إِلَى أَحَدِ شِقَّيْ الرَّأْسِ أَعْقَبَهُ الشَّقِيقَةُ وَإِنْ مَلَكَ قِمَّةَ الرَّأْسِ وَوَسَطَ الْهَامَةِ أَعْقَبَهُ دَاءُ الْبَيْضَةِ وَإِنْ بَرُدَ مِنْهُ حِجَابُ الدِّمَاغِ أَوْ سَخُنَ أَوْ تَرَطَّبَ وَهَاجَتْ مِنْهُ أَرْيَاحٌ أَحْدَثَ الْعُطَاسَ وَإِنْ أَهَاجَ الرُّطُوبَةَ الْبَلْغَمِيَّةَ فِيهِ حَتَّى غَلَبَ الْحَارُّ الْغَرِيزِيّ أَحْدَثَ الْإِغْمَاءَ وَالسُّكَاتَ وَإِنْ أَهَاجَ الْمِرَّةَ السَّوْدَاءَ حَتَّى أَظْلَمَ هَوَاءُ الدِّمَاغِ أَحْدَثَ الْوَسْوَاسَ وَإِنْ فَاضَ ذَلِكَ إِلَى مَجَارِي الْعَصَبِ أَحْدَثَ الصَّرَعَ الطَّبِيعِيّ وَإِنْ تَرَطَّبَتْ مَجَامِعُ عَصَبِ الرَّأْسِ وَفَاضَ ذَلِكَ فِي مَجَارِيهِ أَعْقَبَهُ الْفَالِجُ وَإِنْ كَانَ الْبُخَارُ مِنْ مِرَّةٍ صَفْرَاءَ مُلْتَهِبَةٍ مَحْمِيَّةٍ لِلدِّمَاغِ أَحْدَثَ الْبِرْسَامَ فَإِنْ شَرِكَهُ الصَّدْرُ فِي ذَلِكَ كَانَ سِرْسَامًا فَافْهَمْ هَذَا الْفَصْلَ .

[عِلَّةُ الِامْتِنَاعِ عَنْ الْجِمَاعِ حَالَ الرَّمَدِ]

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَخْلَاطَ الْبَدَنِ وَالرَّأْسِ تَكُونُ مُتَحَرِّكَةً هَائِجَةً فِي حَالِ الرَّمَدِ وَالْجِمَاعُ مِمَّا يَزِيدُ حَرَكَتَهَا وَثَوَرَانَهَا فَإِنَّهُ حَرَكَةٌ كُلِّيَّةٌ لِلْبَدَنِ وَالرُّوحِ وَالطَّبِيعَةِ . فَأَمَّا الْبَدَنُ فَيَسْخُنُ بِالْحَرَكَةِ لَا مَحَالَةَ وَالنَّفْسُ تَشْتَدُّ حَرَكَتُهَا طَلَبًا لِلَّذَّةِ وَاسْتِكْمَالِهَا [ص ١٠٠] أَوَّلَ تَعَلُّقِ الرُّوحِ مِنْ الْبَدَنِ بِالْقَلْبِ وَمِنْهُ يَنْشَأُ الرُّوحُ وَتَنْبَثُّ فِي الْأَعْضَاءِ . وَأَمَّا حَرَكَةُ الطَّبِيعَةِ فَلِأَجْلِ أَنْ تُرْسِلَ مَا يَجِبُ إِرْسَالُهُ مِنْ الْمَنِيِّ عَلَى الْمِقْدَارِ الَّذِي يَجِبُ إِرْسَالُهُ . وَبِالْجُمْلَةِ فَالْجِمَاعُ حَرَكَةٌ كُلِّيَّةٌ عَامَّةٌ يَتَحَرَّكُ فِيهَا الْبَدَنُ وَقُوَاهُ وَطَبِيعَتُهُ وَأَخْلَاطُهُ وَالرُّوحُ وَالنَّفْسُ فَكُلُّ حَرَكَةٍ فَهِيَ مُثِيرَةٌ لِلْأَخْلَاطِ مُرَقِّقَةٌ لَهَا تُوجِبُ دَفْعَهَا وَسَيَلَانَهَا إِلَى الْأَعْضَاءِ الضَّعِيفَةِ وَالْعَيْنُ فِي حَالِ رَمَدِهَا أَضْعَفُ مَا تَكُونُ فَأَضَرُّ مَا عَلَيْهَا حَرَكَةُ الْجِمَاعِ . قَالَ بُقْرَاطُ فِي كِتَابِ " الْفُصُولِ " : وَقَدْ يَدُلُّ رُكُوبُ السُّفُنِ أَنَّ الْحَرَكَةَ تُثَوِّرُ الْأَبْدَانَ . هَذَا مَعَ أَنَّ فِي الرَّمَدِ مَنَافِعَ كَثِيرَةً مِنْهَا مَا يَسْتَدْعِيهِ مِنْ الْحِمْيَةِ وَالِاسْتِفْرَاغِ وَتَنْقِيَةِ الرَّأْسِ وَالْبَدَنِ مِنْ فَضَلَاتِهِمَا وَعُفُونَاتِهِمَا وَالْكَفَّ عَمَّا يُؤْذِي النَّفْسَ وَالْبَدَنَ مِنْ الْغَضَبِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ وَالْحَرَكَاتِ الْعَنِيفَةِ وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ . وَفِي أَثَرٍ سَلَفِيٍّ لَا تَكْرَهُوا الرَّمَدَ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ عُرُوقَ الْعَمَى . وَمِنْ أَسْبَابِ عِلَاجِهِ مُلَازَمَةُ السُّكُونِ وَالرَّاحَةِ وَتَرْكُ مَسِّ الْعَيْنِ وَالِاشْتِغَالُ بِهَا فَإِنَّ أَضْدَادَ ذَلِكَ يُوجِبُ انْصِبَابَ الْمَوَادِّ إِلَيْهَا . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ مَثَلُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مَثَلُ الْعَيْنِ وَدَوَاءُ الْعَيْنِ تَرْكُ مَسِّهَا . وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ عِلَاجُ الرَّمَدِ تَقْطِيرُ الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي الْعَيْنِ وَهُوَ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ لِلرَّمَدِ الْحَارِّ فَإِنَّ الْمَاءَ دَوَاءٌ بَارِدٌ يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى إطْفَاءِ حَرَارَةِ الرَّمَدِ إذَا كَانَ حَارًّا وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِامْرَأَتِهِ زَيْنَبَ وَقَدْ اشْتَكَتْ عَيْنُهَا : لَوْ فَعَلْتِ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خَيْرًا لَكِ وَأَجْدَرَ أَنْ تُشْفِيَ تَنْضَحِينَ فِي عَيْنِك الْمَاءَ ثُمَّ تَقُولِينَ أَذْهِبْ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُك شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا وَهَذَا مِمَّا تَقَدَّمَ مِرَارًا أَنَّهُ خَاصٌّ بِبَعْضِ الْبِلَادِ وَبَعْضِ أَوْجَاعِ الْعَيْنِ فَلَا يُجْعَلُ كَلَامُ النُّبُوَّةِ الْجُزْئِيُّ الْخَاصُّ كُلِّيًّا عَامًّا وَلَا الْكُلِّيُّ الْعَامُّ [ص ١٠١] أَعْلَمُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْخَدَرَانِ الْكُلّيّ الّذِي يَجْمُدُ مَعَهُ الْبَدَنُ
ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي " غَرِيبِ الْحَدِيثِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُثْمَانَ النّهْدِيّ أَنّ قَوْمًا مَرّوا بِشَجَرَةٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا فَكَأَنّمَا مَرّتْ بِهِمْ رِيحٌ فَأَجْمَدَتْهُمْ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَرّسُوا الْمَاءَ فِي الشّنَانِ وَصُبّوا عَلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ ثُمّ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : قَرّسُوا : يَعْنِي بَرّدُوا . وَقَوْلُ النّاسِ قَدْ قَرَسَ الْبَرْدُ إنّمَا هُوَ مِنْ هَذَا بِالسّينِ لَيْسَ بِالصّادِ . وَالشّنَانُ الْأَسْقِيَةُ وَالْقِرَبُ الْخُلْقَانِ يُقَالُ لِلسّقَاءِ شَنّ وَلِلْقِرْبَةِ شَنّةٌ . وَإِنّمَا ذَكَرَ الشّنَانَ دُونَ الْجُدُدِ لِأَنّهَا أَشَدّ تَبْرِيدًا لِلْمَاءِ . وَقَوْلُهُ " بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ " يَعْنِي أَذَانَ الْفَجْرِ وَالْإِقَامَةَ فَسَمّى الْإِقَامَةَ أَذَانًا انْتَهَى كَلَامُهُ . قَالَ بَعْضُ الْأَطِبّاءِ وَهَذَا الْعِلَاجُ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَفْضَلِ عِلَاجِ هَذَا الدّاءِ إذَا كَانَ وُقُوعُهُ بِالْحِجَازِ وَهِيَ بِلَادٌ حَارّةٌ يَابِسَةٌ وَالْحَارّ الْغَرِيزِيّ ضَعِيفٌ فِي بَوَاطِنِ سُكّانِهَا وَصَبّ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَيْهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمَذْكُورِ - وَهُوَ أَبْرَدُ أَوْقَاتِ الْيَوْمِ - يُوجِبُ جَمْعَ الْحَارّ الْغَرِيزِيّ الْمُنْتَشِرِ فِي الْبَدَنِ الْحَامِلِ لِجَمِيعِ قُوَاهُ فَيُقَوّي الْقُوّةَ الدّافِعَةَ وَيَجْتَمِعُ مِنْ أَقْطَارِ الْبَدَنِ إلَى بَاطِنِهِ الّذِي هُوَ مَحَلّ ذَاكَ الدّاءِ وَيَسْتَظْهِرُ بِبَاقِي الْقُوَى عَلَى دَفْعِ الْمَرَضِ الْمَذْكُورِ فَيَدْفَعُهُ بِإِذْنِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَلَوْ أَنّ بُقْرَاطَ أَوْ جَالِينُوس أَوْ غَيْرَهُمَا وَصَفَ هَذَا الدّوَاءَ لِهَذَا الدّاءِ لَخَضَعَتْ لَهُ الْأَطِبّاءُ وَعَجِبُوا مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَتِهِ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي إصْلَاحِ الطّعَامِ الّذِي يَقَعُ فِيهِ الذّبَابُ وَإِرْشَادِهِ إلَى دَفْعِ مَضَرّاتِ السّمُومِ بِأَضْدَادِهَا
فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ إذَا وَقَعَ الذّبَابُ فِي إنَاءِ أَحَدِكُمْ فَامْقُلُوهُ فَإِنّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الْآخَرِ [ص ١٠٢] وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ أَحَدُ جَنَاحَيْ الذّبَابِ سَمّ وَالْآخَرُ شِفَاءٌ فَإِذَا وَقَعَ فِي الطّعَامِ فَامْقُلُوهُ فَإِنّهُ يُقَدّمُ السّمّ وَيُؤَخّرُ الشّفَاءَ

[إذَا مَاتَ الذّبَابُ فِي مَائِعٍ لَا يُنَجّسُهُ]
هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَمْرَانِ أَمْرٌ فِقْهِيّ وَأَمْرٌ طِبّيّ فَأَمّا الْفِقْهِيّ فَهُوَ دَلِيلٌ ظَاهِرُ الدّلَالَةِ جِدّا عَلَى أَنّ الذّبَابَ إذَا مَاتَ فِي مَاءٍ أَوْ مَائِعٍ فَإِنّهُ لَا يُنَجّسُهُ وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ وَلَا يُعْرَفُ فِي السّلَفِ مُخَالِفٌ فِي ذَلِكَ . وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ بِمَقْلِهِ وَهُوَ غَمْسُهُ فِي الطّعَامِ وَمَعْلُومٌ أَنّهُ يَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا سِيّمَا إذَا كَانَ الطّعَامُ حَارّا . فَلَوْ كَانَ يُنَجّسُهُ لَكَانَ أَمْرًا بِإِفْسَادِ الطّعَامِ وَهُوَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا أَمَرَ بِإِصْلَاحِهِ ثُمّ عُدّيَ هَذَا الْحُكْمُ إلَى كُلّ مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ كَالنّحْلَةِ وَالزّنْبُورِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ إذْ الْحُكْمُ يَعُمّ بِعُمُومِ عِلّتِهِ وَيَنْتَفِي لِانْتِفَاءِ سَبَبِهِ فَلَمّا كَانَ سَبَبُ التّنْجِيسِ هُوَ الدّمَ الْمُحْتَقِنَ فِي الْحَيَوَانِ بِمَوْتِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مَفْقُودًا فِيمَا لَا دَمَ لَهُ سَائِلٌ انْتَفَى الْحُكْمُ بِالتّنْجِيسِ لِانْتِفَاءِ عِلّتِهِ . ثُمّ قَالَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِنَجَاسَةِ عَظْمِ الْمَيْتَةِ إذَا كَانَ هَذَا ثَابِتًا فِي الْحَيَوَانِ الْكَامِلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ الرّطُوبَاتِ وَالْفَضَلَاتِ وَعَدَمِ الصّلَابَةِ فَثُبُوتُهُ فِي الْعَظْمِ الّذِي هُوَ أَبْعَدُ عَنْ الرّطُوبَاتِ وَالْفَضَلَاتِ وَاحْتِقَانِ الدّمِ أَوْلَى وَهَذَا فِي غَايَةِ الْقُوّةِ فَالْمَصِيرُ إلَيْهِ أَوْلَى . وَأَوّلُ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ فِي الْإِسْلَامِ أَنّهُ تَكَلّمَ بِهَذِهِ اللّفْظَةِ فَقَالَ مَا لَا

نَفْسَ لَهُ [ص ١٠٣] سَائِلَةٌ إبْرَاهِيمُ النّخَعِيّ وَعَنْهُ تَلَقّاهَا الْفُقَهَاءُ - وَالنّفْسُ فِي اللّغَةِ يُعَبّرُ بِهَا عَنْ الدّمِ وَمِنْهُ نَفَسَتْ الْمَرْأَةُ - بِفَتْحِ النّونِ - إذَا حَاضَتْ وَنُفِسَتْ - بِضَمّهَا - إذَا وَلَدَتْ .

[فَائِدَةُ غَمْسِ الذّبَابِ]

وَأَمّا الْمَعْنَى الطّبّيّ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : مَعْنَى اُمْقُلُوهُ اغْمِسُوهُ لِيَخْرُجَ الشّفَاءُ مِنْهُ كَمَا خَرَجَ الدّاءُ يُقَالُ لِلرّجُلَيْنِ هُمَا يَتَمَاقَلَانِ إذَا تَغَاطّا فِي الْمَاءِ . وَاعْلَمْ أَنّ فِي الذّبَابِ عِنْدَهُمْ قُوّةً سَمّيّةً يَدُلّ عَلَيْهَا الْوَرَمُ وَالْحَكّةُ الْعَارِضَةُ عَنْ لَسْعِهِ وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ السّلَاحِ فَإِذَا سَقَطَ فِيمَا يُؤْذِيهِ اتّقَاهُ بِسِلَاحِهِ فَأَمَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُقَابِلَ تِلْكَ السّمّيّةَ بِمَا أَوْدَعَهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ فِي جَنَاحِهِ الْآخَرِ مِنْ الشّفَاءِ فَيُغْمَسُ كُلّهُ فِي الْمَاءِ وَالطّعَامِ فَيُقَابِلُ الْمَادّةَ السّمّيّةَ الْمَادّةُ النّافِعَةُ فَيَزُولُ ضَرَرُهَا وَهَذَا طِبّ لَا يَهْتَدِي إلَيْهِ كِبَارُ الْأَطِبّاءِ وَأَئِمّتُهُمْ بَلْ هُوَ خَارِجٌ مِنْ مِشْكَاةِ النّبُوّةِ وَمَعَ هَذَا فَالطّبِيبُ الْعَالِمُ الْعَارِفُ الْمُوَفّقُ يَخْضَعُ لِهَذَا الْعِلَاجِ وَيُقِرّ لِمَنْ جَاءَ بِهِ بِأَنّهُ أَكْمَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَنّهُ مُؤَيّدٌ بِوَحْيٍ إلَهِيّ خَارِجٍ عَنْ الْقُوَى الْبَشَرِيّةِ . وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْأَطِبّاءِ أَنّ لَسْعَ الزّنْبُورِ وَالْعَقْرَبِ إذَا دُلِكَ مَوْضِعُهُ بِالذّبَابِ نَفَعَ مِنْهُ نَفْعًا بَيّنًا وَسَكّنَهُ وَمَا ذَاكَ إلّا لِلْمَادّةِ الّتِي فِيهِ مِنْ الشّفَاءِ وَإِذَا دُلِكَ بِهِ الْوَرَمُ الّذِي يَخْرُجُ فِي شَعْرِ الْعَيْنِ الْمُسَمّى شَعْرَةً بَعْدَ قَطْعِ رُءُوسِ الذّبَابِ أَبْرَأَهُ زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْبَثْرَةِ

ذَكَرَ ابْنُ السّنّيّ فِي كِتَابِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ خَرَجَ فِي أُصْبُعِي بَثْرَةٌ فَقَالَ " عِنْدَكِ ذَرِيرَةٌ ؟ قُلْت : نَعَمْ . قَالَ " ضَعِيهَا عَلَيْهَا " وَقُولِي : اللّهُمّ مُصَغّرَ الْكَبِيرِ وَمُكَبّرَ الصّغِيرِ صَغّرْ مَا بِي [ص ١٠٤] الذّرِيرَةُ دَوَاءٌ هِنْدِيّ يُتّخَذُ مِنْ قَصَبِ الذّرِيرَةِ وَهِيَ حَارّةٌ يَابِسَةٌ تَنْفَعُ مِنْ أَوْرَامِ الْمَعِدَةِ وَالْكَبِدِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَتُقَوّي الْقَلْبَ لِطِيبِهَا وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا قَالَتْ طَيّبْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِيَدِي بِذَرِيرَةٍ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ لِلْحِلّ وَالْإِحْرَامِ . وَالْبَثْرَةُ خُرّاجٌ صَغِيرٌ يَكُونُ عَنْ مَادّةٍ حَارّةٍ تَدْفَعُهَا الطّبِيعَةُ فَتَسْتَرِقُ مَكَانًا مِنْ الْجَسَدِ تَخْرُجُ مِنْهُ فَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إلَى مَا يُنْضِجُهَا وَيُخْرِجُهَا وَالذّرِيرَةُ أَحَدُ مَا يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ فَإِنّ فِيهَا إنْضَاجًا وَإِخْرَاجًا مَعَ طِيبِ رَائِحَتِهَا مَعَ أَنّ فِيهَا تَبْرِيدًا لِلنّارِيّةِ الّتِي فِي تِلْكَ الْمَادّةِ وَكَذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ " الْقَانُونِ " : إنّهُ لَا أَفْضَلَ لِحَرْقِ النّارِ مِنْ الذّرِيرَةِ بِدُهْنِ الْوَرْدِ وَالْخَلّ .

. زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْأَوْرَامِ وَالْخُرّجَاتِ الّتِي تَبْرَأُ بِالْبَطّ وَالْبَزْلِ

يُذْكَرُ عَنْ عَلِيّ أَنّهُ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ بِظَهْرِهِ [ص ١٠٥] فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ بِهَذِهِ مِدّةٌ . قَالَ بُطّوا عَنْهُ قَالَ عَلِيّ : فَمَا بَرِحْتُ حَتّى بُطّتْ وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَاهِدٌ وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ طَبِيبًا أَنْ يَبُطّ بَطْنَ رَجُلٍ أَجْوَى الْبَطْنِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللّهِ هَلْ يَنْفَعُ الطّبّ ؟ قَالَ الّذِي أَنْزَلَ الدّاءَ أَنْزَلَ الشّفَاءَ فِيمَا شَاءَ الْوَرَمُ مَادّةٌ فِي حَجْمِ الْعُضْوِ لِفَضْلِ مَادّةٍ غَيْرِ طَبِيعِيّةٍ تَنْصَبّ إلَيْهِ وَيُوجَدُ فِي أَجْنَاسِ الْأَمْرَاضِ كُلّهَا وَالْمَوَادّ

الّتِي تَكَوّنَ عَنْهَا مِنْ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ وَالمَائِيّةِ وَالرّيحِ وَإِذَا اجْتَمَعَ الْوَرَمُ سُمّيَ خُرّاجًا وَكُلّ وَرَمٍ حَارّ يُؤَوّلُ أَمْرُهُ إلَى أَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ إمّا تَحَلّلٍ وَإِمّا جَمْعِ مِدّةٍ وَإِمّا اسْتِحَالَةٍ إلَى الصّلَابَةِ . فَإِنْ كَانَتْ الْقُوّةُ قَوِيّةً اسْتَوْلَتْ عَلَى مَادّةِ الْوَرَمِ وَحَلّلَتْهُ وَهِيَ أَصْلَحُ الْحَالَاتِ الّتِي يُؤَوّلُ حَالُ الْوَرَمِ إلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ دُونَ ذَلِكَ أَنْضَجَتْ الْمَادّةَ وَأَحَالَتْهَا مِدّةً بَيْضَاءَ وَفَتَحَتْ لَهَا مَكَانًا أَسَالَتْهَا مِنْهُ . وَإِنْ نَقَصَتْ عَنْ ذَلِكَ أَحَالَتْ الْمَادّةَ مِدّةً غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةِ النّضْجِ وَعَجَزَتْ عَنْ فَتْحِ مَكَانٍ فِي الْعُضْوِ تَدْفَعُهَا مِنْهُ فَيُخَافُ عَلَى الْعُضْوِ الْفَسَادُ بِطُولِ لُبْثِهَا فِيهِ فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إلَى إعَانَةِ الطّبِيبِ بِالْبَطّ أَوْ غَيْرِهِ لِإِخْرَاجِ تِلْكَ الْمَادّةِ الرّدِيئَةِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعُضْوِ . وَفِي الْبَطّ فَائِدَتَانِ إحْدَاهُمَا : إخْرَاجُ الْمَادّةِ الرّدِيئَةِ الْمُفْسِدَةِ . وَالثّانِيَةُ مَنْعُ اجْتِمَاعِ مَادّةٍ أُخْرَى إلَيْهَا تُقَوّيهَا . وَأَمّا قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الثّانِي : إنّهُ أَمَرَ طَبِيبًا أَنْ يَبُطّ بَطْنَ رَجُلٍ أَجْوَى [ص ١٠٦] فَالْجَوَى يُقَالُ عَلَى مَعَانٍ مِنْهَا : الْمَاءُ الْمُنْتِنُ الّذِي يَكُونُ فِي الْبَطْنِ يَحْدُثُ عَنْهُ الِاسْتِسْقَاءُ . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْأَطِبّاءُ فِي بَزْلِهِ لِخُرُوجِ هَذِهِ الْمَادّةِ فَمَنَعَتْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لِخَطَرِهِ وَبُعْدِ السّلَامَةِ مَعَهُ وَجَوّزَتْهُ طَائِفَةٌ أُخْرَى وَقَالَتْ لَا عِلَاجَ لَهُ سِوَاهُ وَهَذَا عِنْدَهُمْ إنّمَا هُوَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ الزّقّيّ فَإِنّهُ كَمَا تَقَدّمَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ طَبْلِيّ وَهُوَ الّذِي يَنْتَفِخُ مَعَهُ الْبَطْنُ بِمَادّةٍ رِيحِيّةٍ إذَا ضَرَبْت عَلَيْهِ سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَصَوْتِ الطّبْلِ وَلَحْمِيّ وَهُوَ الّذِي يَرْبُو مَعَهُ لَحْمُ جَمِيعِ الْبَدَنِ بِمَادّةٍ بَلْغَمِيّةٍ تَفْشُو مَعَ الدّمِ فِي الْأَعْضَاءِ وَهُوَ أَصْعَبُ مِنْ الْأَوّلِ وَزِقّيّ وَهُوَ الّذِي يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي الْبَطْنِ الْأَسْفَلِ مَادّةٌ رَدِيئَةٌ يُسْمَعُ لَهَا عِنْدَ الْحَرَكَةِ خَضْخَضَةٌ كَخَضْخَضَةِ الْمَاءِ فِي الزّقّ وَهُوَ أَرْدَأُ أَنْوَاعِهِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ مِنْ الْأَطِبّاءِ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أَرْدَأُ أَنْوَاعِهِ اللّحْمِيّ لِعُمُومِ الْآفَةِ بِهِ . وَمِنْ جُمْلَةِ عِلَاجِ الزّقّيّ إخْرَاجُ ذَلِكَ بِالْبَزْلِ وَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ فَصْدِ الْعُرُوقِ لِإِخْرَاجِ الدّمِ الْفَاسِدِ لَكِنّهُ خَطَرٌ كَمَا تَقَدّمَ وَإِنْ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ بَزْلِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠٦)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْمَرْضَى بِتَطْيِيبِ نُفُوسِهِمْ وَتَقْوِيَةِ قُلُوبِهِمْ
رَوَى ابْنُ مَاجَهْ " فِي سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ فَإِنّ ذَلِكَ لَا يَرُدّ شَيْئًا وَهُوَ يُطَيّبُ نَفْسَ الْمَرِيضِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ شَرِيفٌ جِدّا مِنْ أَشْرَفِ أَنْوَاعِ الْعِلَاجِ وَهُوَ الْإِرْشَادُ [ص ١٠٧] تَقْوَى بِهِ الطّبِيعَةُ وَتَنْتَعِشُ بِهِ الْقُوّةُ وَيَنْبَعِثُ بِهِ الْحَارّ الْغَرِيزِيّ فَيَتَسَاعَدُ عَلَى دَفْعِ الْعِلّةِ أَوْ تَخْفِيفِهَا الّذِي هُوَ غَايَةُ تَأْثِيرِ الطّبِيبِ . وَتَفْرِيحُ نَفْسِ الْمَرِيضِ وَتَطْيِيبُ قَلْبِهِ وَإِدْخَالُ مَا يَسُرّهُ عَلَيْهِ لَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي شِفَاءِ عِلّتِهِ وَخِفّتِهَا فَإِنّ الْأَرْوَاحَ وَالْقُوَى تَقْوَى بِذَلِكَ فَتُسَاعِدُ الطّبِيعَةَ عَلَى دَفْعِ الْمُؤْذِي وَقَدْ شَاهَدَ النّاسُ كَثِيرًا مِنْ الْمَرْضَى تَنْتَعِشُ قُوَاهُ بِعِيَادَةِ مَنْ يُحِبّونَهُ وَيُعَظّمُونَهُ وَرُؤْيَتِهِمْ لَهُمْ وَلُطْفِهِمْ بِهِمْ وَمُكَالَمَتِهِمْ إيّاهُمْ وَهَذَا أَحَدُ فَوَائِدِ عِيَادَةِ الْمَرْضَى الّتِي تَتَعَلّقُ بِهِمْ فَإِنّ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ الْفَوَائِدِ نَوْعٌ يَرْجِعُ إلَى الْمَرِيضِ وَنَوْعٌ يَعُودُ عَلَى الْعَائِدِ وَنَوْعٌ يَعُودُ عَلَى أَهْلِ الْمَرِيضِ وَنَوْعٌ يَعُودُ عَلَى الْعَامّةِ . وَقَدْ تَقَدّمَ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّهُ كَانَ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَنْ شَكْوَاهُ وَكَيْفَ يَجِدُهُ وَيَسْأَلُهُ عَمّا يَشْتَهِيهِ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَرُبّمَا وَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَيَصِفُ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ فِي عِلّتِهِ وَرُبّمَا تَوَضّأَ وَصَبّ

عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ وَضُوئِهِ وَرُبّمَا كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللّهُ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ اللّطْفِ وَحُسْنِ الْعِلَاجِ وَالتّدْبِيرِ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠٧)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْأَبْدَانِ بِمَا اعْتَادَتْهُ مِنْ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ دُونَ مَا لَمْ تَعْتَدْهُ
هَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْعِلَاجِ وَأَنْفَعُ شَيْءٍ فِيهِ وَإِذَا أَخْطَأَهُ الطّبِيبُ أَضَرّ الْمَرِيضَ مِنْ حَيْثُ يَظُنّ أَنّهُ يَنْفَعُهُ وَلَا يَعْدِلُ عَنْهُ إلَى مَا يَجِدُهُ مِنْ الْأَدْوِيَةِ فِي كُتُبِ الطّبّ إلّا طَبِيبٌ جَاهِلٌ فَإِنّ مُلَاءَمَةَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ لِلْأَبْدَانِ بِحَسَبِ [ص ١٠٨] وَالْأَكّارُونَ وَغَيْرُهُمْ لَا يَنْجَعُ فِيهِمْ شَرَابُ اللّينُوفَرِ وَالْوَرْدُ الطّرِيّ وَلَا الْمَغْلِيّ وَلَا يُؤَثّرُ فِي طِبَاعِهِمْ شَيْئًا بَلْ عَامّةُ أَدْوِيَةِ أَهْلِ الْحَضَرِ وَأَهْلِ الرّفَاهِيَةِ لَا تُجْدِي عَلَيْهِمْ وَالتّجْرِبَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ وَمَنْ تَأَمّلَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ الْعِلَاجِ النّبَوِيّ رَآهُ كُلّهُ مُوَافِقًا لِعَادَةِ الْعَلِيلِ وَأَرْضِهِ وَمَا نَشَأَ عَلَيْهِ . فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْعِلَاجِ يَجِبُ الِاعْتِنَاءُ بِهِ وَقَدْ صَرّحَ بِهِ أَفَاضِلُ أَهْلِ الطّبّ حَتّى قَالَ طَبِيبُ الْعَرَبِ بَلْ أَطَبّهُمْ الْحَارِثُ بْنُ كَلَدَةَ وَكَانَ فِيهِمْ كَابُقْرَاطَ فِي قَوْمِهِ الْحِمْيَةُ رَأْسُ الدّوَاءِ وَالْمَعِدَةُ بَيْتُ الدّاءِ وَعَوّدُوا كُلّ بَدَنٍ مَا اعْتَادَ . وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ الْأَزْمُ دَوَاءٌ وَالْأَزْمُ الْإِمْسَاكُ عَنْ الْأَكْلِ يَعْنِي بِهِ الْجُوعَ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ فِي شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ الِامْتِلَائِيّةِ كُلّهَا بِحَيْثُ إنّهُ أَفْضَلُ فِي عِلَاجِهَا مِنْ الْمُسْتَفْرِغَاتِ إذَا لَمْ يَخَفْ مِنْ كَثْرَةِ الِامْتِلَاءِ وَهَيَجَانِ الْأَخْلَاطِ وَحِدّتِهَا أَوْ غَلَيَانِهَا . وَقَوْلُهُ الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدّاءِ . الْمَعِدَةُ عُضْوٌ عَصَبِيّ مُجَوّفٌ كَالْقَرْعَةِ فِي شَكْلِهَا مُرَكّبٌ مِنْ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ مُؤَلّفَةٍ مِنْ شَظَايَا دَقِيقَةٍ عَصَبِيّةٍ تُسَمّى اللّيفَ وَيُحِيطُ بِهَا لَحْمٌ وَلِيفٌ إحْدَى الطّبَقَاتِ بِالطّولِ وَالْأُخْرَى بِالْعَرْضِ وَالثّالِثَةُ بِالْوَرْبِ وَفَمُ الْمَعِدَةِ أَكْثَرُ عَصَبًا وَقَعْرُهَا أَكْثَرُ لَحْمًا وَفِي بَاطِنِهَا خَمْلٌ وَهِيَ مَحْصُورَةٌ فِي وَسَطِ الْبَطْنِ وَأَمْيَلُ إلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ قَلِيلًا خُلِقَتْ عَلَى هَذِهِ الصّفَةِ لِحِكْمَةٍ لَطِيفَةٍ مِنْ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ وَهِيَ بَيْتُ الدّاءِ وَكَانَتْ مَحَلّا لِلْهَضْمِ الْأَوّلِ وَفِيهَا يَنْضَجُ الْغِذَاءُ وَيَنْحَدِرُ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ إلَى الْكَبِدِ وَالْأَمْعَاءِ وَيَتَخَلّفُ مِنْهُ فِيهَا فَضَلَاتٌ قَدْ عَجَزَتْ الْقُوّةُ الْهَاضِمَةُ عَنْ تَمَامِ هَضْمِهَا إمّا لِكَثْرَةِ الْغِذَاءِ أَوْ لِرَدَاءَتِهِ أَوْ لِسُوءِ تَرْتِيبٍ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَوْ لِمَجْمُوعِ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ بَعْضُهَا مِمّا لَا يَتَخَلّصُ الْإِنْسَانُ مِنْهُ غَالِبًا فَتَكُونُ الْمَعِدَةُ بَيْتَ الدّاءِ لِذَلِكَ وَكَأَنّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إلَى الْحَثّ عَلَى تَقْلِيلِ الْغِذَاءِ وَمَنْعِ النّفْسِ مِنْ اتّبَاعِ الشّهَوَاتِ وَالتّحَرّزِ عَنْ الْفَضَلَاتِ . وَأَمّا الْعَادَةُ فَلِأَنّهَا كَالطّبِيعَةِ لِلْإِنْسَانِ وَلِذَلِكَ يُقَالُ الْعَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ وَهِيَ [ص ١٠٩] عَظِيمَةٌ فِي الْبَدَنِ حَتّى إنّ أَمْرًا وَاحِدًا إذَا قِيسَ إلَى أَبْدَانٍ مُخْتَلِفَةِ الْعَادَاتِ كَانَ مُخْتَلِفَ النّسْبَةِ إلَيْهَا . وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَبْدَانُ مُتّفِقَةً فِي الْوُجُوهِ الْأُخْرَى مِثَالُ ذَلِكَ أَبْدَانٌ ثَلَاثَةٌ حَارّةُ الْمِزَاجِ فِي سِنّ الشّبَابِ
أَحَدُهَا : عُودُ تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْحَارّةِ .
وَالثّانِي : عُودُ تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْبَارِدَةِ .
وَالثّالِثُ عُودُ تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَوَسّطَةِ .
فَإِنّ الْأَوّلَ مَتَى تَنَاوَلَ عَسَلًا لَمْ يَضُرّ بِهِ وَالثّانِي : مَتَى تَنَاوَلَهُ أَضَرّ بِهِ وَالثّالِثُ يَضُرّ بِهِ قَلِيلًا فَالْعَادَةُ رُكْنٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ الصّحّةِ وَمُعَالَجَةِ الْأَمْرَاضِ وَلِذَلِكَ جَاءَ الْعِلَاجُ النّبَوِيّ بِإِجْرَاءِ كُلّ بَدَنٍ عَلَى عَادَتِهِ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٠٩)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي تَغْذِيَةِ الْمَرِيضِ بِأَلْطَفِ مَا اعْتَادَهُ مِنْ الْأَغْذِيَةِ
فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا كَانَتْ إذَا مَاتَ الْمَيّتُ مِنْ أَهْلِهَا وَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النّسَاءُ ثُمّ تَفَرّقْنَ إلَى أَهْلِهِنّ أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ وَصُنِعَتْ ثَرِيدًا ثُمّ صُبّتْ التّلْبِينَةُ عَلَيْهِ ثُمّ قَالَتْ كُلُوا مِنْهَا فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ التّلْبِينَةُ مَجَمّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ وَفِي " السّنَنِ " مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْكُمْ بِالْبَغِيضِ النّافِعِ التّلْبِينِ قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ لَمْ تَزَلْ الْبُرْمَةُ عَلَى النّارِ حَتّى يَنْتَهِيَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ . يَعْنِي يَبْرَأُ أَوْ يَمُوتُ . وَعَنْهَا : كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا قِيلَ لَهُ إنّ فُلَانًا وَجِعٌ لَا يَطْعَمُ الطّعَامَ قَالَ [ص ١١٠] عَلَيْكُمْ بِالتّلْبِينَةِ فَحَسّوهُ إيّاهَا وَيَقُولُ وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّهَا تَغْسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ كَمَا تَغْسِلُ إحْدَاكُنّ وَجْهَهَا مِنْ الْوَسَخِ

[التّلْبِينُ وَفَوَائِدُهُ]

التّلْبِينُ هُوَ الْحِسَاءُ الرّقِيقُ الّذِي هُوَ فِي قِوَامِ اللّبَنِ وَمِنْهُ اُشْتُقّ اسْمُهُ قَالَ الْهَرَوِيّ سُمّيَتْ تَلْبِينَةً لِشَبَهِهَا بِاللّبَنِ لِبَيَاضِهَا وَرِقّتِهَا وَهَذَا الْغِذَاءُ هُوَ النّافِعُ لِلْعَلِيلِ وَهُوَ الرّقِيقُ النّضِيجُ لَا الْغَلِيظُ النّيءُ وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ فَضْلَ التّلْبِينَةِ فَاعْرِفْ فَضْلَ مَاءِ الشّعِيرِ بَلْ هِيَ مَاءُ الشّعِيرِ لَهُمْ فَإِنّهَا حِسَاءٌ مُتّخَذٌ مِنْ دَقِيقِ الشّعِيرِ بِنُخَالَتِهِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَاءِ الشّعِيرِ أَنّهُ يُطْبَخُ صِحَاحًا وَالتّلْبِينَةُ تُطْبَخُ مِنْهُ مَطْحُونًا وَهِيَ أَنْفَعُ مِنْهُ لِخُرُوجِ خَاصّيّةِ الشّعِيرِ بِالطّحْنِ وَقَدْ تَقَدّمَ أَنّ لِلْعَادَاتِ تَأْثِيرًا فِي الِانْتِفَاعِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ وَكَانَتْ عَادَةُ الْقَوْمِ أَنْ يَتّخِذُوا مَاءَ الشّعِيرِ مِنْهُ مَطْحُونًا لَا صِحَاحًا وَهُوَ أَكْثَرُ تَغْذِيَةً وَأَقْوَى فِعْلًا وَأَعْظَمُ جَلَاءً وَإِنّمَا اتّخَذَهُ أَطِبّاءُ الْمُدُنِ مِنْهُ صِحَاحًا لِيَكُونَ أَرَقّ وَأَلْطَفَ فَلَا يَثْقُلُ عَلَى طَبِيعَةِ الْمَرِيضِ وَهَذَا بِحَسَبِ طَبَائِعِ أَهْلِ الْمُدُنِ وَرَخَاوَتِهَا وَثِقَلِ مَاءِ الشّعِيرِ الْمَطْحُونِ عَلَيْهَا . وَالْمَقْصُودُ أَنّ مَاءَ الشّعِيرِ مَطْبُوخًا صِحَاحًا يَنْفُذُ سَرِيعًا وَيَجْلُو جَلَاءً ظَاهِرًا وَيُغَذّي غِذَاءً لَطِيفًا . وَإِذَا شُرِبَ حَارّا كَانَ جَلَاؤُهُ أَقْوَى وَنُفُوذُهُ أَسْرَعَ وَإِنْمَاؤُهُ لِلْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيّةِ أَكْثَرَ وَتَلْمِيسُهُ لِسُطُوحِ الْمَعِدَةِ أَوْفَقَ .

[عِلّةُ ذَهَابِ التّلْبِينَةِ بِبَعْضِ الْحُزْنِ]

وَقَوْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهَا : مَجَمّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ يُرْوَى بِوَجْهَيْنِ . بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْجِيمِ وَبِضَمّ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْجِيمِ وَالْأَوّلُ أَشْهَرُ وَمَعْنَاهُ أَنّهَا مُرِيحَةٌ لَهُ أَيْ تُرِيحُهُ وَتُسَكّنُهُ مِنْ الْإِجْمَامِ وَهُوَ الرّاحَةُ . وَقَوْلُهُ " تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ " هَذَا - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - لِأَنّ الْغَمّ وَالْحُزْنَ يُبَرّدَانِ الْمِزَاجَ وَيُضْعِفَانِ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيّةَ لِمَيْلِ الرّوحِ الْحَامِلِ لَهَا إلَى جِهَةِ الْقَلْبِ الّذِي هُوَ مَنْشَؤُهَا وَهَذَا الْحِسَاءُ يُقَوّي الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيّةَ بِزِيَادَتِهِ فِي مَادّتِهَا فَتُزِيلُ أَكْثَرَ مَا عَرَضَ لَهُ مِنْ الْغَمّ وَالْحُزْنِ . وَقَدْ يُقَالُ - وَهُوَ أَقْرَبُ - إنّهَا تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ بِخَاصّيّةٍ فِيهَا مِنْ [ص ١١١] أَعْلَمُ . وَقَدْ يُقَالُ إنّ قُوَى الْحَزِينِ تَضْعُفُ بِاسْتِيلَاءِ الْيُبْسِ عَلَى أَعْضَائِهِ وَعَلَى مَعِدَتِهِ خَاصّةً لِتَقْلِيلِ الْغِذَاءِ وَهَذَا الْحِسَاءُ يُرَطّبُهَا وَيُقَوّيهَا وَيُغَذّيهَا وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ بِفُؤَادِ الْمَرِيضِ لَكِنّ الْمَرِيضَ كَثِيرًا مَا يَجْتَمِعُ فِي مَعِدَتِهِ خَلْطٌ مَرَارِيّ أَوْ بَلْغَمِيّ أَوْ صَدِيدِيّ وَهَذَا الْحِسَاءُ يَجْلُو ذَلِكَ عَنْ الْمَعِدَةِ وَيَسْرُوهُ وَيَحْدُرُهُ وَيُمَيّعُهُ وَيُعَدّلُ كَيْفِيّتَهُ وَيَكْسِرُ سَوْرَتَهُ فَيُرِيحُهَا وَلَا سِيّمَا لِمَنْ عَادَتُهُ

الِاغْتِذَاءُ بِخُبْزِ الشّعِيرِ وَهِيَ عَادَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إذْ ذَاكَ وَكَانَ هُوَ غَالِبَ قُوتِهِمْ وَكَانَتْ الْحِنْطَةُ عَزِيزَةً عِنْدَهُمْ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١١١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ السّمّ الّذِي أَصَابَهُ بِخَيْبَرَ مِنْ الْيَهُود
ذَكَرَ عَبْدُ الرّزّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزّهْرِيّ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ : أَنّ امْرَأَةً يَهُودِيّةً أَهْدَتْ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَاةً مَصْلِيّةً بِخَيْبَرَ فَقَالَ مَا هَذِهِ ؟ قَالَتْ هَدِيّةٌ وَحَذِرَتْ أَنْ تَقُولَ مِنْ الصّدَقَةِ فَلَا يَأْكُلُ مِنْهَا فَأَكَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَكَلَ الصّحَابَةُ ثُمّ
قَالَ أَمْسِكُوا ثُمّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ هَلْ سَمَمْتِ هَذِهِ الشّاةَ ؟ قَالَتْ مَنْ أَخْبَرَك بِهَذَا ؟ قَالَ هَذَا الْعَظْمُ لِسَاقِهَا وَهُوَ فِي يَدِهِ ؟ قَالَتْ نَعَمْ . قَالَ لِمَ ؟ قَالَتْ أَرَدْتُ إنْ كُنْت كَاذِبًا أَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْك النّاسُ وَإِنْ كُنْت نَبِيّا لَمْ يَضُرّك قَالَ فَاحْتَجَمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَةً عَلَى الْكَاهِلِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْتَجِمُوا فَاحْتَجَمُوا فَمَاتَ بَعْضُهُمْ [ص ١١٢] وَاحْتَجَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى كَاهِلِهِ مِنْ أَجْلِ الّذِي أَكَلَ مِنْ الشّاةِ حَجَمَهُ أَبُو هِنْدٍ بِالْقَرْنِ وَالشّفْرَةِ وَهُوَ مَوْلًى لِبَنِي بَيَاضَةَ مِنْ الْأَنْصَارِ وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتّى كَانَ وَجَعُهُ الّذِي تُوُفّيَ فِيهِ فَقَالَ مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنْ الْأَكْلَةِ الّتِي أَكَلْتُ مِنْ الشّاةِ يَوْمَ خَيْبَرَ حَتّى كَانَ هَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ الْأَبْهَرِ مِنّي فَتُوُفّيَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَهِيدًا قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ .
[يُعَالَجُ السّمّ بِالِاسْتِفْرَاغَاتِ وَبِالْأَدْوِيَةِ الْمُبْطِلَةِ لِفِعْلِ السّمّ]
مُعَالَجَةُ السّمّ تَكُونُ بِالِاسْتِفْرَاغَاتِ وَبِالْأَدْوِيَةِ الّتِي تُعَارِضُ فِعْلَ السّمّ وَتُبْطِلُهُ إمّا بِكَيْفِيّاتِهَا وَإِمّا بِخَوَاصّهَا فَمَنْ عَدِمَ الدّوَاءَ فَلْيُبَادِرْ إلَى الِاسْتِفْرَاغِ الْكُلّيّ وَأَنْفَعُهُ الْحِجَامَةُ وَلَا سِيّمَا إذَا كَانَ الْبَلَدُ حَارّا وَالزّمَانُ حَارّا فَإِنّ الْقُوّةَ [ص ١١٣] السّمّيّةَ تَسْرِي إلَى الدّمِ فَتَنْبَعِثُ فِي الْعُرُوقِ وَالْمَجَارِي حَتّى تَصِلَ إلَى الْقَلْبِ فَيَكُونُ الْهَلَاكُ فَالدّمُ هُوَ الْمَنْفَذُ الْمُوَصّلُ لِلسّمّ إلَى الْقَلْبِ وَالْأَعْضَاءِ فَإِذَا بَادَرَ الْمَسْمُومُ وَأَخْرَجَ الدّمَ خَرَجَتْ مَعَهُ تِلْكَ الْكَيْفِيّةُ السّمّيّةُ الّتِي خَالَطَتْهُ فَإِنْ كَانَ اسْتِفْرَاغًا تَامّا لَمْ يَضُرّهُ السّمّ بَلْ إمّا أَنْ يَذْهَبَ وَإِمّا أَنْ يَضْعُفَ فَتَقْوَى عَلَيْهِ الطّبِيعَةُ فَتُبْطِلُ فِعْلَهُ أَوْ تُضْعِفُهُ .
[اسْتِشْهَادُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالسّمّ]
وَلَمّا احْتَجَمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ احْتَجَمَ فِي الْكَاهِلِ وَهُوَ أَقْرَبُ الْمَوَاضِعِ الّتِي يُمْكِنُ فِيهَا الْحِجَامَةُ إلَى الْقَلْبِ فَخَرَجَتْ الْمَادّةُ السّمّيّةُ مَعَ الدّمِ لَا خُرُوجًا كُلّيّا بَلْ بَقِيَ أَثَرُهَا مَعَ ضَعْفِهِ لِمَا يُرِيدُ اللّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْفَضْلِ كُلّهَا لَهُ فَلَمّا أَرَادَ اللّهُ إكْرَامَهُ بِالشّهَادَةِ ظَهَرَ تَأْثِيرُ ذَلِكَ الْأَثَرِ الْكَامِنِ مِنْ السّمّ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَظَهَرَ سِرّ قَوْلِهِ تَعَالَى لِأَعْدَائِهِ مِنْ الْيَهُودِ : { أَفَكُلّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [الْبَقَرَةِ ٨٧] فَجَاءَ بِلَفْظِ كَذّبْتُمْ بِالْمَاضِي الّذِي قَدْ وَقَعَ مِنْهُ وَتَحَقّقَ وَجَاءَ بِلَفْظِ " تَقْتُلُونَ " بِالْمُسْتَقْبَلِ الّذِي يَتَوَقّعُونَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١١٣)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ السّحْرِ

الَّذِي سَحَرَتْهُ الْيَهُودُ بِهِ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ وَقَالُوا : لَا يَجُوزُ هَذَا عَلَيْهِ وَظَنُّوهُ نَقْصًا وَعَيْبًا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ مَا كَانَ يَعْتَرِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ وَهُوَ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَإِصَابَتُهُ بِهِ كَإِصَابَتِهِ بِالسُّمِّ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا وَقَدْ ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ سُحِرَ [ص ١١٤] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي نِسَاءَهُ وَلَمْ يَأْتِهِنَّ وَذَلِكَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : وَالسِّحْرُ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَعَارِضٌ مِنَ الْعِلَلِ يَجُوزُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ مِمَّا لَا يُنْكَرُ وَلَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِ وَأَمَّا كَوْنُهُ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ فَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ دَاخِلَةً فِي شَيْءٍ مِنْ صِدْقِهِ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى عِصْمَتِهِ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَا يَجُوزُ طُرُوُّهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ الَّتِي لَمْ يُبْعَثْ لِسَبَبِهَا وَلَا فُضِّلَ مِنْ أَجْلِهَا وَهُوَ فِيهَا عُرْضَةٌ لِلْآفَاتِ كَسَائِرِ الْبَشَرِ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنَّهُ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ثُمَّ يَنْجَلِي عَنْهُ كَمَا كَانَ .

[عِلَاجُ السِّحْرِ]

وَالْمَقْصُودُ ذِكْرُ هَدْيِهِ فِي عِلَاجِ هَذَا الْمَرَضِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ فِيهِ نَوْعَانِ

[اسْتِخْرَاجُ السِّحْرِ وَإِبْطَالُهُ]

أَحَدُهُمَا - وَهُوَ أَبْلَغُهُمَا - اسْتِخْرَاجُهُ وَإِبْطَالُهُ كَمَا صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ فَدَلَّ عَلَيْهِ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ بِئْرٍ فَكَانَ فِي مُشْطٍ وَمَشَّاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ فَلَمَّا اسْتَخْرَجَهُ ذَهَبَ مَا بِهِ حَتَّى كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ مَا يُعَالَجُ بِهِ الْمَطْبُوبُ وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ إِزَالَةِ الْمَادَّةِ الْخَبِيثَةِ وَقَلْعِهَا مِنَ الْجَسَدِ بِالِاسْتِفْرَاغِ .

[الِاسْتِفْرَاغُ فِي الْمَحَلِّ الَّذِي يَصِلُ إليه أَذَى السِّحْرِ]

وَالنَّوْعُ الثَّانِي : الِاسْتِفْرَاغُ فِي الْمَحَلِّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ أَذَى السِّحْرِ فَإِنَّ لِلسِّحْرِ تَأْثِيرًا فِي الطَّبِيعَةِ وَهَيَجَانَ أَخْلَاطِهَا وَتَشْوِيشَ مِزَاجِهَا فَإِذَا ظَهَرَ أَثَرُهُ فِي [ص ١١٥] وَأَمْكَنَ اسْتِفْرَاغُ الْمَادَّةِ الرَّدِيئَةِ مِنْ ذَلِكَ الْعُضْوِ نَفَعَ جِدًّا . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ " غَرِيبِ الْحَدِيثِ " لَهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ عَلَى رَأْسِهِ بِقَرْنٍ حِينَ طُبَّ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : مَعْنَى طُبَّ أَيْ سُحِرَ . وَقَدْ أَشْكَلَ هَذَا عَلَى مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ وَقَالَ مَا لِلْحِجَامَةِ وَالسِّحْرِ وَمَا الرَّابِطَةُ بَيْنَ هَذَا الدَّاءِ وَهَذَا الدَّوَاءِ وَلَوْ وَجَدَ هَذَا الْقَائِلُ أَبُقْرَاطَ أَوْ ابْنَ سِينَا أَوْ غَيْرَهُمَا قَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ لَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ وَقَالَ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ مَنْ لَا يُشَكُّ فِي مَعْرِفَتِهِ وَفَضْلِهِ . فَاعْلَمْ أَنَّ مَادَّةَ السِّحْرِ الَّذِي أُصِيبَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَتْ إِلَى رَأْسِهِ إِلَى إِحْدَى قُوَاهُ الَّتِي فِيهِ بِحَيْثُ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ وَهَذَا تَصَرُّفٌ مِنَ السَّاحِرِ فِي الطَّبِيعَةِ وَالْمَادَّةِ الدَّمَوِيَّةِ بِحَيْثُ غَلَبَتْ تِلْكَ الْمَادَّةُ عَلَى الْبَطْنِ الْمُقَدَّمِ مِنْهُ فَغَيَّرَتْ مِزَاجَهُ عَنْ طَبِيعَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ . وَالسِّحْرُ هُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ وَانْفِعَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ عَنْهَا وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ وَلَا سِيَّمَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي انْتَهَى السِّحْرُ إِلَيْهِ وَاسْتِعْمَالُ الْحِجَامَةِ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي تَضَرَّرَتْ أَفْعَالُهُ بِالسِّحْرِ مِنْ أَنْفَعِ الْمُعَالَجَةِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ عَلَى الْقَانُونِ الَّذِي يَنْبَغِي . قَالَ أَبُقْرَاطُ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَفْرَغَ يَجِبُ أَنْ تُسْتَفْرَغَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي هِيَ إِلَيْهَا أَمْيَلُ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَصْلُحُ لِاسْتِفْرَاغِهَا . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا

أُصِيبَ بِهَذَا الدّاءِ وَكَانَ يُخَيّلُ إلَيْهِ أَنّهُ فَعَلَ الشّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ ظَنّ أَنّ ذَلِكَ عَنْ مَادّةٍ دَمَوِيّةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَالَتْ إلَى جِهَةِ الدّمَاغِ وَغَلَبَتْ عَلَى الْبَطْنِ الْمُقَدّمِ مِنْهُ فَأَزَالَتْ مِزَاجَهُ عَنْ الْحَالَةِ [ص ١١٦] وَكَانَ اسْتِعْمَالُ الْحِجَامَةِ إذْ ذَاكَ مِنْ أَبْلَغِ الْأَدْوِيَةِ وَأَنْفَعِ الْمُعَالَجَةِ فَاحْتَجَمَ وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إلَيْهِ أَنّ ذَلِكَ مِنْ السّحْرِ فَلَمّا جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنْ اللّهِ تَعَالَى وَأَخْبَرَهُ أَنّهُ قَدْ سُحِرَ عَدَلَ إلَى الْعِلَاجِ الْحَقِيقِيّ وَهُوَ اسْتِخْرَاجُ السّحْرِ وَإِبْطَالُهُ فَسَأَلَ اللّهَ سُبْحَانَهُ فَدَلّهُ عَلَى مَكَانِهِ فَاسْتَخْرَجَهُ فَقَامَ كَأَنّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ وَكَانَ غَايَةُ هَذَا السّحْرِ فِيهِ إنّمَا هُوَ فِي جَسَدِهِ وَظَاهِرِ جَوَارِحِهِ لَا عَلَى عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَعْتَقِدُ صِحّةَ مَا يُخَيّلُ إلَيْهِ مِنْ إتْيَانِ النّسَاءِ بَلْ يَعْلَمُ أَنّهُ خَيَالٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَمِثْلُ هَذَا قَدْ يَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [عِلَاجُ السّحْرِ بِالْأَذْكَارِ وَالْآيَاتِ]

وَمِنْ أَنْفَعِ عِلَاجَاتِ السّحْرِ الْأَدْوِيَةُ الْإِلَهِيّةُ بَلْ هِيَ أَدْوِيَتُهُ النّافِعَةُ بِالذّاتِ فَإِنّهُ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ السّفْلِيّةِ وَدَفْعُ تَأْثِيرِهَا يَكُونُ بِمَا يُعَارِضُهَا وَيُقَاوِمُهَا مِنْ الْأَذْكَارِ وَالْآيَاتِ وَالدّعَوَاتِ الّتِي تُبْطِلُ فِعْلَهَا وَتَأْثِيرَهَا وَكُلّمَا كَانَتْ أَقْوَى وَأَشَدّ كَانَتْ أَبْلَغَ فِي النّشْرَةِ وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْتِقَاءِ جَيْشَيْنِ مَعَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُدّتُهُ وَسِلَاحُهُ فَأَيّهُمَا غَلَبَ الْآخَرَ قَهَرَهُ وَكَانَ الْحُكْمُ لَهُ فَالْقَلْبُ إذَا كَانَ مُمْتَلِئًا مِنْ اللّهِ مَغْمُورًا بِذِكْرِهِ وَلَهُ مِنْ التّوَجّهَاتِ وَالدّعَوَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَالتّعَوّذَاتِ وِرْدٌ لَا يُخِلّ بِهِ يُطَابِقُ فِيهِ قَلْبُهُ لِسَانَهُ كَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الّتِي تَمْنَعُ إصَابَةَ السّحْرِ لَهُ وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِلَاجَاتِ لَهُ بَعْدَ مَا يُصِيبُهُ . وَعِنْدَ السّحَرَةِ أَنّ سِحْرَهُمْ إنّمَا يَتِمّ تَأْثِيرُهُ فِي الْقُلُوبِ الضّعِيفَةِ الْمُنْفَعِلَةِ وَالنّفُوسِ الشّهْوَانِيّةِ الّتِي هِيَ مُعَلّقَةٌ بِالسّفْلِيّاتِ وَلِهَذَا فَإِنّ غَالِبَ مَا يُؤَثّرُ فِي النّسَاءِ وَالصّبْيَانِ وَالْجُهّالِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي وَمَنْ ضَعُفَ حَظّهُ مِنْ الدّينِ [ص ١١٧] وَبِالْجُمْلَةِ فَسُلْطَانُ تَأْثِيرِهِ فِي الْقُلُوبِ الضّعِيفَةِ الْمُنْفَعِلَةِ الّتِي يَكُونُ مَيْلُهَا إلَى السّفْلِيّاتِ قَالُوا : وَالْمَسْحُورُ هُوَ الّذِي يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنّا نَجِدُ قَلْبَهُ مُتَعَلّقًا بِشَيْءٍ كَثِيرِ الِالْتِفَاتِ إلَيْهِ فَيَتَسَلّطُ عَلَى قَلْبِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ الْمَيْلِ وَالِالْتِفَاتِ وَالْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ إنّمَا تَتَسَلّطُ عَلَى أَرْوَاحٍ تَلْقَاهَا مُسْتَعِدّةً لِتَسَلّطِهَا عَلَيْهَا بِمَيْلِهَا إلَى مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ وَبِفَرَاغِهَا مِنْ الْقُوّةِ الْإِلَهِيّةِ وَعَدَمِ أَخْذِهَا لِلْعُدّةِ الّتِي تُحَارِبُهَا بِهَا فَتَجِدُهَا فَارِغَةً لَا عُدّةَ مَعَهَا وَفِيهَا مَيْلٌ إلَى مَا يُنَاسِبُهَا فَتَتَسَلّطُ عَلَيْهَا وَيَتَمَكّنُ تَأْثِيرُهَا فِيهَا بِالسّحْرِ وَغَيْرِهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٣٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي التّحَرّزِ مِنْ الْأَدْوَاءِ الْمُعْدِيَةِ بِطَبْعِهَا وَإِرْشَادِهِ الْأَصِحّاءَ إلَى مُجَانَبَةِ أَهْلِهَا

ثَبَتَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّهُ كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إلَيْهِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ [ص ١٣٥] وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي " صَحِيحِهِ " تَعْلِيقًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ فِرّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرّ مِنْ الْأَسَدِ وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَا تُدِيمُوا النّظَرَ إلَى الْمَجْذُومِينَ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُورِدَنّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحّ وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَلّمْ الْمَجْذُومَ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قِيدَ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ [ص ١٣٦]

[مَا هُوَ الْجُذَامُ]
الْجُذَامُ عِلّةٌ رَدِيئَةٌ تَحْدُثُ مِنْ انْتِشَارِ الْمُرّةِ السّوْدَاءِ فِي الْبَدَنِ كُلّهِ فَيَفْسُدُ مِزَاجُ الْأَعْضَاءِ وَهَيْئَتُهَا وَشَكْلُهَا وَرُبّمَا فَسَدَ فِي آخِرِهِ اتّصَالُهَا حَتّى تَتَأَكّلَ الْأَعْضَاءُ وَتَسْقُطَ وَيُسَمّى دَاءَ الْأَسَدِ .
[سَبَبُ تَسْمِيَةِ الْجُذَامِ بِدَاءِ الْأَسَدِ]
وَفِي هَذِهِ التّسْمِيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِلْأَطِبّاءِ أَحَدُهَا : أَنّهَا لِكَثْرَةِ مَا تَعْتَرِي الْأَسَدَ . وَالثّانِي : لِأَنّ هَذِهِ الْعِلّةَ تُجَهّمُ وَجْهَ صَاحِبِهَا وَتَجْعَلُهُ فِي سَحْنَةِ الْأَسَدِ . وَالثّالِثُ أَنّهُ يَفْتَرِسُ مَنْ يَقْرَبُهُ أَوْ يَدْنُو مِنْهُ بِدَائِهِ افْتِرَاسَ الْأَسَدِ .
[عِلّةُ الِابْتِعَادِ عَنْ الْمَجْذُومِ وَالْمَسْلُولِ]
وَهَذِهِ الْعِلّةُ عِنْدَ الْأَطِبّاءِ مِنْ الْعِلَلِ الْمُعْدِيَةِ الْمُتَوَارَثَةِ وَمُقَارِبُ الْمَجْذُومِ وَصَاحِبُ السّلّ يَسْقَمُ بِرَائِحَتِهِ فَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِكَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى الْأُمّةِ وَنُصْحِهِ لَهُمْ نَهَاهُمْ عَنْ الْأَسْبَابِ الّتِي تُعَرّضُهُمْ لِوُصُولِ الْعَيْبِ وَالْفَسَادِ إلَى أَجْسَامِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَلَا رَيْبَ أَنّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْبَدَنِ تَهَيّؤٌ وَاسْتِعْدَادٌ كَامِنٌ لِقَبُولِ هَذَا الدّاءِ وَقَدْ تَكُونُ الطّبِيعَةُ سَرِيعَةَ الِانْفِعَالِ قَابِلَةً لِلِاكْتِسَابِ مِنْ أَبْدَانِ مَنْ تُجَاوِرُهُ وَتُخَالِطُهُ فَإِنّهَا نَقّالَةٌ وَقَدْ يَكُونُ خَوْفُهَا مِنْ ذَلِكَ وَوَهْمُهَا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ إصَابَةِ تِلْكَ الْعِلّةِ لَهَا فَإِنّ الْوَهْمَ فَعّالٌ مُسْتَوْلٍ عَلَى الْقُوَى وَالطّبَائِعِ وَقَدْ تَصِلُ رَائِحَةُ الْعَلِيلِ إلَى الصّحِيحِ فَتُسْقِمُهُ وَهَذَا مُعَايَنٌ فِي بَعْضِ الْأَمْرَاضِ وَالرّائِحَةُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْعَدْوَى وَمَعَ هَذَا كُلّهِ فَلَا بُدّ مِنْ وُجُودِ اسْتِعْدَادِ الْبَدَنِ وَقَبُولِهِ لِذَلِكَ الدّاءِ وَقَدْ [ص ١٣٧] تَزَوّجَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ امْرَأَةً فَلَمّا أَرَادَ الدّخُولَ بِهَا وَجَدَ بِكَشْحِهَا بَيَاضًا فَقَالَ الحقِي بِأَهْلِكِ
[التّوْفِيقُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ السّابِقَةِ وَبَيْنَ نَفْيِ الْعَدْوَى وَالْأَكْلِ مَعَ الْمَجْذُومِ]
وَقَدْ ظَنّ طَائِفَةٌ مِنْ النّاسِ أَنّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مُعَارَضَةٌ بِأَحَادِيثَ أُخَرَ تُبْطِلُهَا وَتُنَاقِضُهَا فَمِنْهَا : مَا رَوَاهُ التّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخَذَ بِيَدِ رَجُلٍ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ وَقَالَ كُلْ بِسْمِ اللّهِ ثِقَةً بِاَللّهِ وَتَوَكّلًا عَلَيْهِ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ . وَبِمَا ثَبَتَ فِي " الصّحِيحِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ . وَنَحْنُ نَقُولُ لَا تَعَارُضَ بِحَمْدِ اللّهِ بَيْنَ أَحَادِيثِهِ الصّحِيحَةِ . فَإِذَا وَقَعَ التّعَارُضُ فَإِمّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ غَلِطَ فِيهِ بَعْضُ الرّوَاةِ مَعَ كَوْنِهِ ثِقَةً ثَبْتًا فَالثّقَةُ يَغْلَطُ أَوْ يَكُونُ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ نَاسِخًا لِلْآخَرِ إذَا كَانَ مِمّا يَقْبَلُ النّسْخَ أَوْ يَكُونُ التّعَارُضُ فِي فَهْمِ السّامِعِ لَا فِي نَفْسِ كَلَامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَا بُدّ مِنْ وَجْهٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثّلَاثَةِ . وَأَمّا حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ صَرِيحَانِ مُتَنَاقِضَانِ مِنْ كُلّ وَجْهٍ لَيْسَ أَحَدُهُمَا نَاسِخًا لِلْآخَرِ فَهَذَا لَا يُوجَدُ أَصْلًا وَمَعَاذَ اللّهِ أَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِ الصّادِقِ الْمَصْدُوقِ الّذِي لَا يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ إلّا الْحَقّ وَالْآفَةُ مِنْ التّقْصِيرِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَنْقُولِ وَالتّمْيِيزِ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَمَعْلُولِهِ أَوْ مِنْ الْقُصُورِ فِي فَهْمِ مُرَادِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ [ص ١٣٨] كَلَامِهِ عَلَى غَيْرِ مَا عَنَاهُ بِهِ أَوْ مِنْهُمَا مَعًا وَمِنْ هَا هُنَا وَقَعَ مِنْ الِاخْتِلَافِ وَالْفَسَادِ مَا وَقَعَ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .
[التّوْفِيقُ بَيْنَهَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ قُتَيْبَةَ]
قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ " اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ " لَهُ حِكَايَةً عَنْ أَعْدَاءِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ قَالُوا : حَدِيثَانِ مُتَنَاقِضَانِ رَوَيْتُمْ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ

وَقِيلَ لَهُ إنّ النّقْبَةَ تَقَعُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ فَيَجْرَبُ لِذَلِكَ الْإِبِلُ . قَالَ فَمَا أَعْدَى الْأَوّلَ ثُمّ رَوَيْتُمْ لَا يُورِدُ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحٍ وَفِرّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَك مِنْ الْأَسَدِ وَأَتَاهُ رَجُلٌ مَجْذُومٌ لِيُبَايِعَهُ بَيْعَةَ الْإِسْلَامِ فَأَرْسَلَ إلَيْهِ الْبَيْعَةَ وَأَمَرَهُ بِالِانْصِرَافِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ وَقَالَ الشّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدّارِ وَالدّابّةِ قَالُوا : وَهَذَا كُلّهُ مُخْتَلِفٌ لَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا . قَالَ أَبُو مُحَمّدٍ وَنَحْنُ نَقُولُ إنّهُ لَيْسَ فِي هَذَا اخْتِلَافٌ وَلِكُلّ مَعْنًى مِنْهَا [ص ١٣٩] زَالَ الِاخْتِلَافُ . وَالْعَدْوَى جِنْسَانِ أَحَدُهُمَا : عَدْوَى الْجُذَامِ فَإِنّ الْمَجْذُومَ تَشْتَدّ رَائِحَتُهُ حَتّى يُسْقِمَ مَنْ أَطَالَ مُجَالَسَتَهُ وَمُحَادَثَتَهُ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ تَحْتَ الْمَجْذُومِ فَتُضَاجِعُهُ فِي شِعَارٍ وَاحِدٍ فَيُوصِلُ إلَيْهَا الْأَذَى وَرُبّمَا جُذِمَتْ وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ يَنْزِعُونَ فِي الْكِبَرِ إلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ بِهِ سِلّ وَدِقّ وَنُقْبٌ . وَالْأَطِبّاءُ تَأْمُرُ أَنْ لَا يُجَالِسَ الْمَسْلُولَ وَلَا الْمَجْذُومَ وَلَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ مَعْنَى الْعَدْوَى وَإِنّمَا يُرِيدُونَ بِهِ مَعْنَى تَغَيّرِ الرّائِحَةِ وَأَنّهَا قَدْ تُسْقِمُ مَنْ أَطَالَ اشْتِمَامَهَا وَالْأَطِبّاءُ أَبْعَدُ النّاسِ عَنْ الْإِيمَانِ بِيُمْنٍ وَشُؤْمٍ وَكَذَلِكَ النّقْبَةُ تَكُونُ بِالْبَعِيرِ - وَهُوَ جَرَبٌ رَطْبٌ - فَإِذَا خَالَطَ الْإِبِلَ أَوْ حَاكّهَا وَأَوَى فِي مَبَارِكِهَا وَصَلَ إلَيْهَا بِالْمَاءِ الّذِي يَسِيلُ مِنْهُ وَبِالنّطَفِ نَحْوَ مَا بِهِ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الّذِي قَالَ فِيهِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُورَدُ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحّ كَرِهَ أَنْ يُخَالِطَ الْمَعْيُوهَ الصّحِيحُ لِئَلّا يَنَالَهُ مِنْ نَطَفِهِ وَحِكّتِهِ نَحْوُ مِمّا بِهِ . قَالَ وَأَمّا الْجِنْسُ الْآخَرُ مِنْ الْعَدْوَى فَهُوَ الطّاعُونُ يَنْزِلُ بِبَلَدٍ فَيَخْرُجُ مِنْهُ خَوْفَ الْعَدْوَى وَقَدْ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا وَقَعَ بِبَلَدٍ وَأَنْتُمْ بِهِ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهُ وَإِذَا كَانَ بِبَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوهُ . يُرِيدُ بِقَوْلِهِ لَا تَخْرُجُوا مِنْ الْبَلَدِ إذَا كَانَ فِيهِ كَأَنّكُمْ تَظُنّونَ أَنّ الْفِرَارَ مِنْ قَدَرِ اللّهِ يُنْجِيكُمْ مِنْ اللّهِ وَيُرِيدُ إذَا كَانَ بِبَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوهُ أَيْ مَقَامُكُمْ فِي الْمَوْضِعِ الّذِي لَا طَاعُونَ فِيهِ أَسْكَنُ لِقُلُوبِكُمْ وَأَطْيَبُ لِعَيْشِكُمْ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ تُعْرَفُ بِالشّؤْمِ أَوْ الدّارُ فَيَنَالُ الرّجُلَ مَكْرُوهٌ أَوْ جَائِحَةٌ فَيَقُولُ أَعْدَتْنِي بِشُؤْمِهَا فَهَذَا هُوَ الْعَدْوَى الّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا عَدْوَى وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ الْأَمْرُ بِاجْتِنَابِ الْمَجْذُومِ وَالْفِرَارِ مِنْهُ عَلَى الِاسْتِحْبَابِ وَالِاخْتِيَارِ وَالْإِرْشَادِ وَأَمّا الْأَكْلُ مَعَهُ فَفَعَلَهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ وَأَنّ هَذَا لَيْسَ بِحَرَامٍ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ الْخِطَابُ بِهَذَيْنِ الْخِطَابَيْنِ جُزْئِيّ لَا كُلّيّ فَكُلّ [ص ١٤٠] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَا يَلِيقُ بِحَالِهِ فَبَعْضُ النّاسِ يَكُونُ قَوِيّ الْإِيمَانِ قَوِيّ التّوَكّلِ تَدْفَعُ قُوّةُ تَوَكّلِهِ قُوّةَ الْعَدْوَى كَمَا تَدْفَعُ قُوّةُ الطّبِيعَةِ قُوّةَ الْعِلّةِ فَتُبْطِلُهَا وَبَعْضُ النّاسِ لَا يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ فَخَاطَبَهُ بِالِاحْتِيَاطِ وَالْأَخْذِ بِالتّحَفّظِ وَكَذَلِكَ هُوَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَعَلَ الْحَالَتَيْنِ مَعًا لِتَقْتَدِيَ بِهِ الْأُمّةُ فِيهِمَا فَيَأْخُذُ مَنْ قَوِيَ مِنْ أُمّتِهِ بِطَرِيقَةِ التّوَكّلِ وَالْقُوّةِ وَالثّقَةِ بِاللّهِ وَيَأْخُذُ مَنْ ضَعُفَ مِنْهُمْ بِطَرِيقَةِ التّحَفّظِ وَالِاحْتِيَاطِ وَهُمَا طَرِيقَانِ صَحِيحَانِ . أَحَدُهُمَا : لِلْمُؤْمِنِ الْقَوِيّ وَالْآخَرُ لِلْمُؤْمِنِ الضّعِيفِ فَتَكُونُ لِكُلّ وَاحِدٍ مِنْ الطّائِفَتَيْنِ حُجّةٌ وَقُدْوَةٌ بِحَسَبِ حَالِهِمْ وَمَا يُنَاسِبُهُمْ وَهَذَا كَمَا أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَوَى وَأَثْنَى عَلَى تَارِكِ الْكَيّ وَقَرَنَ تَرْكَهُ بِالتّوَكّلِ وَتَرْكِ الطّيَرَةِ وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ لَطِيفَةٌ حَسَنَةٌ جِدّا مَنْ أَعْطَاهَا حَقّهَا وَرُزِقَ فِقْهَ نَفْسِهِ فِيهَا أَزَالَتْ عَنْهُ تَعَارُضًا كَثِيرًا يَظُنّهُ بِالسّنّةِ الصّحِيحَةِ . وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى إلَى أَنّ الْأَمْرَ بِالْفِرَارِ مِنْهُ وَمُجَانَبَتِهِ لِأَمْرٍ طَبِيعِيّ وَهُوَ انْتِقَالُ الدّاءِ مِنْهُ بِوَاسِطَةِ الْمُلَامَسَةِ وَالْمُخَالَطَةِ وَالرّائِحَةِ إلَى الصّحِيحِ وَهَذَا يَكُونُ مَعَ تَكْرِيرِ الْمُخَالَطَةِ وَالْمُلَامَسَةِ لَهُ وَأَمّا أَكْلُهُ مَعَهُ مِقْدَارًا يَسِيرًا مِنْ الزّمَانِ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ وَلَا تَحْصُلُ الْعَدْوَى مِنْ مَرّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ فَنَهَى سَدّا

لِلذّرِيعَةِ وَحِمَايَـةِ لِلصّـحّةِ وَخَالَطَـهُ مُخَالَطَـةً مَـا لِلْحَاجَـةِ وَالْمَصْلَحَةِ فَلَـا تَعَـارُضَ بَـيْنَ الْأَمْرَيْنِ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَجْذُومُ الّذِي أَكَلَ مَعَهُ بِـهِ مِنْ الْجُذَامِ أَمْرٌ يَسِيرٌ لَـا يُعْدِي مِثْلُـهُ وَلَـيْسَ الْجَذْمَى كُلّهُمْ سَوَاءً وَلَـا الْعَدْوَى حَاصِلَةٌ مِنْ جَمِيعِهِمْ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ لَا تَضُرّ مُخَالَطَتُهُ وَلَا تَعْدِي وَهُوَ مَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ شَـيْءٌ يَسِيرٌ ثُمّ وَقَفَ وَاسْتَمَرّ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يُعْدِ بَقِيّةَ جِسْمِهِ فَهُوَ أَنْ لَا يُعْدِيَ غَيْرَهُ أَوْلَـى وَأَحْرَى . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : إنّ الْجَاهِلِيّةَ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنّ الْأَمْرَاضَ الْمُعْدِيَـةَ تُعْدِي بِطَبْعِهَا مِنْ غَيْرِ إضَافَةٍ إلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ فَأَبْطَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتِقَادَهُمْ ذَلِكَ وَأَكَلَ مَعَ الْمَجْذُومِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الّذِي يُمْرِضُ وَيَشْفِي وَنَهَى عَنْ الْقُرْبِ مِنْـهُ [ص ١٤١] جَعَلَهَا اللّهُ مُفْضِيَةً إلَى مُسَبّبَاتِهَا فَفِي نَهْيِهِ إثْبَاتُ الْأَسْبَابِ وَفِي فِعْلِهِ بَيَانُ أَنّهَا لَا تَسْتَقِلّ بِشَيْءٍ بَلْ الرّبّ سُبْحَانَهُ إنْ شَاءَ سَلَبَهَا قُوَاهَا فَلَا تُؤَثّرُ شَيْئًا وَإِنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَيْهَا قُوَاهَا فَأَثّرَتْ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِيهَا النّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فَيُنْظَرُ فِي تَارِيخِهَا فَإِنْ عُلِمَ الْمُتَأَخّرُ مِنْهَا حُكِمَ بِأَنّهُ النّاسِخُ وَإِلّا تَوَقّفْنَا فِيهَا . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ بَعْضُهَا مَحْفُوظٌ وَبَعْضُهَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَتَكَلّمَتْ فِي حَدِيثِ لَـا عَدْوَى وَقَالَتْ قَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْوِيهِ أَوّلًا ثُمّ شَكّ فِيهِ فَتَرَكَهُ وَرَاجَعُوهُ فِيهِ وَقَالُوا : سَمِعْنَاك تُحَدّثُ بِهِ فَأَبَى أَنْ يُحَدّثَ بِهِ . قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَمْ نَسَخَ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ الْآخَرَ ؟ وَأَمّا حَدِيثُ جَابِرٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ فَحَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ وَلَـا يَصِحّ وَغَايَـةُ مَا قَالَ فِيهِ التّرْمِذِيّ : إنّهُ غَرِيبٌ لَمْ يُصَحّحْهُ وَلَمْ يُحَسّنْهُ . وَقَدْ قَالَ شُعْبَةُ وَغَيْرُهُ اتّقُوا هَذِهِ الْغَرَائِبَ . قَالَ التّرْمِذِيّ : وَيُرْوَى هَذَا مِنْ فِعْلِ عُمَرَ وَهُوَ أَثْبَتُ فَهَذَا شَأْنُ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ اللّذَيْنِ عُورِضَ بِهِمَا أَحَادِيثُ النّهْيِ أَحَدُهُمَا : رَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ التّحْدِيثِ بِـهِ وَأَنْكَرَهُ وَالثّانِي : لَا يَصِحّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاللّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ أَشْبَعْنَا الْكَلَامَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِ " الْمِفْتَاحِ " بِأَطْوَلَ مِنْ هَذَا وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٤٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْقَمْلِ الّذِي فِي الرّأْسِ وَإِزَالَتِهِ

فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ كَانَ بِـي أَذًى مِنْ رَأْسِـي فَحُمِلْتُ إلَـى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي فَقَالَ مَا كُنْت أَرَى الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى وَفِي رِوَايَةٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَحْلِقَ رَأْسَهُ وَأَنْ يُطْعِمَ فَرَقًا بَيْنَ سِتّةٍ أَوْ يُهْدِيَ شَاةً أَوْ يَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ [ص ١٤٦] وَالثّانِي مِنْ خَلْطٍ رَدِيءٍ عَفِنٍ تَدْفَعُهُ الطّبِيعَةُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللّحْمِ فَيَتَعَفّنُ بِالرّطُوبَةِ الدّمَوِيّةِ فِي الْبَشَرَةِ بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنْ الْمَسَامّ فَيَكُونُ مِنْهُ الْقَمْلُ وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ الْعِلَلِ وَالْأَسْقَامِ وَبِسَبَبِ الْأَوْسَاخِ وَإِنّمَا كَانَ فِي رُءُوسِ الصّبْيَانِ أَكْثَرَ لِكَثْرَةِ رُطُوبَاتِهِمْ وَتَعَاطِيهِمْ الْأَسْبَابَ الّتِي تُوَلّدُ الْقَمْلَ وَلِذَلِكَ حَلَقَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رُءُوسَ بَنِي جَعْفَرٍ .

[عِلَاجُهُ بِالْحَلْقِ ثُمّ بِالطّلْيِ بِالْأَدْوِيَةِ]

وَمِنْ أَكْبَرِ عِلَاجِهِ حَلْقُ الرّأْسِ لِتَنْفَتِحَ مَسَامّ الْأَبْخِرَةِ فَتَتَصَاعَدُ الْأَبْخِرَةُ الرّدِيئَةُ فَتُضْعِفُ مَادّةَ الْخَلْطِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُطْلَى الرّأْسُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْأَدْوِيَةِ الّتِي تَقْتُلُ الْقَمْلَ وَتَمْنَعُ تَوَلّدَهُ .

[أَنْوَاعُ حَلْقِ الرّأْسِ]

وَحَلْقُ الرَّأْسِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ أَحَدُهَا : نُسُكٌ وَقُرْبَةٌ . وَالثَّانِي : بِدْعَةٌ وَشِرْكٌ وَالثَّالِثُ حَاجَةٌ وَدَوَاءٌ فَالْأَوَّلُ الْحَلْقُ فِي أَحَدِ النُّسُكَيْنِ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ . وَالثَّانِي : حَلْقُ الرَّأْسِ لِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا يَحْلِقُهَا الْمُرِيدُونَ لِشُيُوخِهِمْ فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ أَنَا حَلَقْتُ رَأْسِي لِفُلَانٍ وَأَنْتَ حَلَقْته لِفُلَانٍ وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَنْ يَقُولَ سَجَدْتُ لِفُلَانٍ فَإِنَّ حَلْقَ الرَّأْسِ خُضُوعٌ وَعُبُودِيَّةٌ وَذُلٌّ وَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ حَتَّى إنَّهُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِهِ لَا يَتِمّ إلَّا بِهِ فَإِنَّهُ وَضْعُ النَّوَاصِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا خُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ وَتَذَلُّلًا لِعِزَّتِهِ وَهُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ وَلِهَذَا كَانَتْ الْعَرَبُ إذَا أَرَادَتْ إذْلَالَ الْأَسِيرِ مِنْهُمْ وَعِتْقَهُ حَلَقُوا رَأْسَهُ وَأَطْلَقُوهُ فَجَاءَ شُيُوخُ الضَّلَالِ وَالْمُزَاحِمُونَ لِلرُّبُوبِيَّةِ الَّذِينَ أَسَاسُ مَشْيَخَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ فَأَرَادُوا مِنْ مُرِيدِيهِمْ أَنْ يَتَعَبَّدُوا لَهُمْ فَزَيَّنُوا لَهُمْ حَلْقَ رُءُوسِهِمْ لَهُمْ كَمَا زَيَّنُوا لَهُمْ السُّجُودَ لَهُمْ وَسَمَّوْهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ وَقَالُوا : هُوَ وَضْعُ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْ الشَّيْخِ وَلَعَمْرُ اللَّهِ إنّ السُّجُودَ لِلَّهِ هُوَ وَضْعُ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ وَزَيَّنُوا لَهُمْ أَنْ [ص ١٤٧] اتِّخَاذُهُمْ أَرْبَابًا وَآلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آلَ عِمْرَانَ ٧٩ - ٨٠] .

[التَّحْذِيرُ مِنْ الرُّكُوعِ وَالِانْحِنَاءِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَكَذَا الْقِيَامُ عَلَى رُءُوسِ الْأَكَابِرِ وَهُمْ جُلُوسٌ]

وَأَشْرَفُ الْعُبُودِيَّةِ عُبُودِيَّةُ الصَّلَاةِ وَقَدْ تَقَاسَمَهَا الشُّيُوخُ وَالْمُتَشَبِّهُونَ بِالْعُلَمَاءِ وَالْجَبَابِرَةُ فَأَخَذَ الشُّيُوخُ مِنْهَا أَشْرَفَ مَا فِيهَا وَهُوَ السُّجُودُ وَأَخَذَ الْمُتَشَبِّهُونَ بِالْعُلَمَاءِ مِنْهَا الرُّكُوعَ فَإِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا رَكَعَ لَهُ كَمَا يَرْكَعُ الْمُصَلِّي لِرَبِّهِ سَوَاءً وَأَخَذَ الْجَبَابِرَةُ مِنْهُمْ الْقِيَامَ فَيَقُومُ الْأَحْرَارُ وَالْعَبِيدُ عَلَى رُءُوسِهِمْ عُبُودِيَّةً لَهُمْ وَهُمْ جُلُوسٌ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ فَتَعَاطِيهَا . مُخَالَفَةٌ صَرِيحَةٌ لَهُ فَنَهَى عَنْ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَقَالَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ وَأَنْكَرَ عَلَى مُعَاذٍ لَمَّا سَجَدَ لَهُ وَقَالَ " مَهْ " [ص ١٤٨] مُرَاغَمَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ فَإِذَا جَوَّزَ هَذَا الْمُشْرِكُ هَذَا النَّوْعَ لِلْبَشَرِ فَقَدْ جَوَّزَ الْعُبُودِيَّةَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ الرَّجُلُ يَلْقَى أَخَاهُ أَيَنْحَنِي لَهُ ؟ قَالَ " لَا " . قِيلَ أَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ قَالَ " لَا " . قِيلَ أَيُصَافِحُهُ ؟ قَالَ " نَعَمْ "

[أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ إذَا صَلَّى جَالِسًا أَنْ يُصَلُّوا جُلُوسًا لِئَلَّا يَقُومُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُو جالسٌ]

وَأَيْضًا : فَالِانْحِنَاءُ عِنْدَ التَّحِيَّةِ سُجُودٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا } [الْبَقَرَةُ ٥٨] أَيْ مُنْحَنِينَ وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ الدُّخُولُ عَلَى الْجِبَاهِ وَصَحّ عَنْهُ النَّهْيُ عَنْ الْقِيَامِ وَهُوَ جَالِسٌ كَمَا تُعَظِّمُ الْأَعَاجِمُ بَعْضَهَا بَعْضًا حَتَّى مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ وَأَمَرَهُمْ إذَا صَلَّى جَالِسًا أَنْ يُصَلُّوا جُلُوسًا وَهُمْ أَصِحَّاءُ لَا عُذْرَ لَهُمْ لِئَلَّا يَقُومُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَنَّ قِيَامَهُمْ لِلَّهِ فَكَيْفَ إذَا كَانَ الْقِيَامُ تَعْظِيمًا وَعُبُودِيَّةً لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ النُّفُوسَ الْجَاهِلَةَ الضَّالَّةَ أَسْقَطَتْ عُبُودِيَّةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَشْرَكَتْ فِيهَا مَنْ تُعَظِّمُهُ مِنْ الْخَلْقِ فَسَجَدَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَرَكَعَتْ لَهُ وَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيَامَ الصَّلَاةِ وَحَلَفَتْ بِغَيْرِهِ وَنَذَرَتْ لِغَيْرِهِ وَحَلَقَتْ لِغَيْرِهِ وَذَبَحَتْ لِغَيْرِهِ وَطَافَتْ لِغَيْرِ بَيْتِهِ وَعَظَّمَتْهُ بِالْحُبّ

وَالْخَوْفِ وَالرّجَاءِ وَالطّاعَةِ كَمَا يُعَظّمُ الْخَالِقُ بَلْ أَشَدّ وَسَوّتْ مَنْ تَعْبُدُهُ مِنْ الْمَخْلُوقِينَ بِرَبّ الْعَالَمِينَ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُضَادّونَ لِدَعْوَةِ الرّسُلِ وَهُمْ الّذِينَ بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ وَهُمْ الّذِينَ يَقُولُونَ - وَهُمْ فِي النّارِ مَعَ آلِهَتِهِمْ يَخْتَصِمُونَ - { تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ الْعَالَمِينَ } [ص ١٤٩] قَالَ فِيهِمْ { وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْدَادًا يُحِبّونَهُمْ كَحُبّ اللّهِ وَالّذِينَ آمَنُوا أَشَدّ حُبّا لِلّهِ } [الْبَقَرَةُ ١٦٥] وَهَذَا كُلّهُ مِنْ الشّرْكِ وَاَللّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . فَهَذَا فَصْلٌ مُعْتَرَضٌ فِي هَدْيِهِ فِي حَلْقِ الرّأْسِ وَلَعَلّهُ أَهَمّ مِمّا قُصِدَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاَللّهُ الْمُوَفّقُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٤٩)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعِلَاجِ بِالْأَدْوِيَةِ الرّوحَانِيّةِ الْإِلَهِيّةِ الْمُفْرَدَةِ وَالْمُرَكّبَةِ مِنْهَا وَمِنْ الْأَدْوِيَةِ الطّبِيعِيّةِ

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْمُصَابِ بِالْعَيْنِ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَيْنُ حَقّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ

وَفِي " صَحِيحِهِ " أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَخّصَ فِي الرّقْيَةِ مِنْ الْحُمَةِ وَالْعَيْنِ وَالنّمْلَةِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَيْنُ حَقّ

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضّأُ ثُمّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ

[ص ١٥٠] الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَمَرَنِي النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَوْ أَمَرَ أَنْ نَسْتَرْقِيَ مِنْ الْعَيْنِ وَذَكَرَ التّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزّرَقِيّ أَنّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ بَنِي جَعْفَرٍ تُصِيبُهُمْ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ ؟ فَقَالَ " نَعَمْ فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ الْقَضَاءَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَرَوَى مَالِكٌ رَحِمَهُ اللّهُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ فَقَالَ وَاَللّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبّأَةٍ قَالَ فَلُبِطَ سَهْلٌ فَأَتَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَامِرًا فَتَغَيّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ " عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ أَلَا بَرّكْتَ اغْتَسِلْ لَهُ " فَغَسَلَ لَهُ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إزَارِهِ فِي قَدَحٍ ثُمّ صَبّ عَلَيْهِ فَرَاحَ مَعَ النّاسِ وَرَوَى مَالِكٌ رَحِمَهُ اللّهُ أَيْضًا عَنْ مُحَمّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ هَذَا الْحَدِيثَ وَقَالَ فِيهِ إنّ الْعَيْنَ حَقّ تَوَضّأْ لَهُ فَتَوَضّأَ لَهُ وَذَكَرَ عَبْدُ الرّزّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا الْعَيْنُ حَقّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اُسْتُغْسِلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ [ص ١٥١] قَالَ الزّهْرِيّ : يُؤْمَرُ الرّجُلُ الْعَائِنُ بِقَدَحٍ فَيُدْخِلُ كَفّهُ فِيهِ فَيَتَمَضْمَضُ ثُمّ يَمُجّهُ فِي الْقَدَحِ وَيَغْسِلُ وَجْهَهُ فِي الْقَدَحِ ثُمّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُسْرَى فَيَصُبّ عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى فِي الْقَدَحِ ثُمّ يُدْخِلُ يَدَهُ الْيُمْنَى فَيَصُبّ عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى ثُمّ يَغْسِلُ دَاخِلَةَ إزَارِهِ وَلَا يُوضَعُ الْقَدَحُ فِي الْأَرْضِ ثُمّ يُصَبّ عَلَى رَأْسِ الرّجُلِ الّذِي تُصِيبُهُ الْعَيْنُ مِنْ خَلْفِهِ صَبّةً وَاحِدَةً .

وَالْعَيْنُ عَيْنَانِ عَيْنٌ إنْسِيّةٌ وَعَيْنٌ جِنّيّةٌ فَقَدْ صَحّ عَنْ أُمّ سَلَمَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنّ بِهَا النّظْرَةَ قَالَ

الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الْفَرّاءُ : وَقَوْلُهُ سَفْعَةً أَيْ نَظْرَةٌ يَعْنِي : مِنْ الْجِنّ يَقُولُ بِهَا عَيْنٌ أَصَابَتْهَا مِنْ نَظَرِ الْجِنّ أَنْفَذُ مِنْ أَسِنّةِ الرّمَاحِ . وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ يَرْفَعُهُ إنّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ
[ص ١٥٢] أَبِي سَعِيدٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَتَعَوّذُ مِنْ الْجَانّ وَمِنْ عَيْنِ الْإِنْسَانِ
[قَوْلُ مَنْ أَبْطَلَ الْإِصَابَةَ بِالْعَيْنِ]
فَأَبْطَلَتْ طَائِفَةٌ مِمّنْ قَلّ نَصِيبُهُمْ مِنْ السّمْعِ وَالْعَقْلِ أَمْرَ الْعَيْنِ وَقَالُوا : إنّمَا ذَلِكَ أَوْهَامٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَجْهَلِ النّاسِ بِالسّمْعِ وَالْعَقْلِ وَمِنْ أَغْلَظِهِمْ حِجَابًا وَأَكْثَفِهِمْ طِبَاعًا وَأَبْعَدِهِمْ مَعْرِفَةً عَنْ الْأَرْوَاحِ وَالنّفُوسِ . وَصِفَاتِهَا وَأَفْعَالِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَعُقَلَاءُ الْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ لَا تَدْفَعُ أَمْرَ الْعَيْنِ وَلَا تُنْكِرُهُ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ وَجِهَةِ تَأْثِيرِ الْعَيْنِ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ إنّ الْعَائِنَ إذَا تَكَيّفَتْ نَفْسُهُ بِالْكَيْفِيّةِ الرّدِيئَةِ انْبَعَثَ مِنْ عَيْنِهِ قُوّةٌ سُمّيّةٌ تَتّصِلُ بِالْمَعِينِ فَيَتَضَرّرُ . قَالُوا : وَلَا يُسْتَنْكَرُ هَذَا كَمَا لَا يُسْتَنْكَرُ انْبِعَاثُ قُوّةٍ سُمّيّةٍ مِنْ الْأَفْعَى تَتّصِلُ بِالْإِنْسَانِ فَيَهْلِكُ وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ اُشْتُهِرَ عَنْ نَوْعٍ مِنْ الْأَفَاعِي أَنّهَا إذَا وَقَعَ بَصَرُهَا عَلَى الْإِنْسَانِ هَلَكَ فَكَذَلِكَ الْعَائِنُ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : لَا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَنْبَعِثَ مِنْ عَيْنِ بَعْضِ النّاسِ جَوَاهِرُ لَطِيفَةٌ غَيْرُ مَرْئِيّةٍ فَتَتّصِلُ بِالْمَعِينِ وَتَتَخَلّلُ مَسَامّ جِسْمِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ الضّرَرُ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : قَدْ أَجْرَى اللّهُ الْعَادَةَ بِخَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنْ الضّرَرِ عِنْدَ مُقَابَلَةِ عَيْنِ الْعَائِنِ لِمَنْ يَعِينُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ قُوّةٌ وَلَا سَبَبٌ وَلَا تَأْثِيرٌ أَصْلًا وَهَذَا مَذْهَبُ مُنْكِرِي الْأَسْبَابِ وَالْقُوَى وَالتّأْثِيرَاتِ فِي الْعَالَمِ وَهَؤُلَاءِ قَدْ سَدّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَابَ الْعِلَلِ وَالتّأْثِيرَاتِ وَالْأَسْبَابِ وَخَالَفُوا الْعُقَلَاءَ أَجْمَعِينَ .
[الرّدّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْإِصَابَةَ بِالْعَيْنِ]
وَلَا رَيْبَ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ قُوًى وَطَبَائِعَ مُخْتَلِفَةً [ص ١٥٣] وَجَعَلَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا خَوَاصّ وَكَيْفِيّاتٍ مُؤَثّرَةً وَلَا يُمْكِنُ لِعَاقِلٍ إنْكَارُ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ فَإِنّهُ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مَحْسُوسٌ وَأَنْتَ تَرَى الْوَجْهَ كَيْفَ يَحْمَرّ حُمْرَةً شَدِيدَةً إذَا نَظَرَ إلَيْهِ مِنْ يَحْتَشِمُهُ وَيَسْتَحِي مِنْهُ وَيَصْفَرّ صُفْرَةً شَدِيدَةً عِنْدَ نَظَرِ مَنْ يَخَافُهُ إلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدَ النّاسُ مَنْ يَسْقَمُ مِنْ النّظَرِ وَتَضْعُفُ قُوَاهُ وَهَذَا كُلّهُ بِوَاسِطَةِ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ وَلِشِدّةِ ارْتِبَاطِهَا بِالْعَيْنِ يُنْسَبُ الْفِعْلُ إلَيْهَا وَلَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلَةَ وَإِنّمَا التّأْثِيرُ لِلرّوحِ وَالْأَرْوَاحُ مُخْتَلِفَةٌ فِي طَبَائِعِهَا وَقُوَاهَا وَكَيْفِيّاتِهَا وَخَوَاصّهَا فَرُوحُ الْحَاسِدِ مُؤْذِيَةٌ لِلْمَحْسُودِ أَذًى بَيّنًا وَلِهَذَا أَمَرَ اللّهُ - سُبْحَانَهُ - رَسُولَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنْ شَرّهِ وَتَأْثِيرُ الْحَاسِدِ فِي أَذَى الْمَحْسُودِ أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ إلّا مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيّةِ وَهُوَ أَصْلُ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ فَإِنّ النّفْسَ الْخَبِيثَةَ الْحَاسِدَةَ تَتَكَيّفُ بِكَيْفِيّةٍ خَبِيثَةٍ وَتُقَابِلُ الْمَحْسُودَ فَتُؤَثّرُ فِيهِ بِتِلْكَ الْخَاصّيّةِ وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِهَذَا الْأَفْعَى فَإِنّ السّمّ كَامِنٌ فِيهَا بِالْقُوّةِ فَإِذَا قَابَلَتْ عَدُوّهَا انْبَعَثَتْ مِنْهَا قُوّةٌ غَضَبِيّةٌ وَتَكَيّفَتْ بِكَيْفِيّةٍ خَبِيثَةٍ مُؤْذِيَةٍ فَمِنْهَا مَا تَشْتَدّ كَيْفِيّتُهَا وَتَقْوَى حَتّى تُؤَثّرَ فِي إسْقَاطِ الْجَنِينِ وَمِنْهَا مَا تُؤَثّرُ فِي طَمْسِ الْبَصَرِ كَمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَبْتَرِ وَذِي الطّفْيَتَيْنِ مِنْ الْحَيّاتِ إنّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الْحَبَلَ
[الْحَاسِدُ أَعَمّ مِنْ الْعَائِنِ]
وَمِنْهَا مَا تُؤَثّرُ فِي الْإِنْسَانِ كَيْفِيّتُهَا بِمُجَرّدِ الرّؤْيَةِ مِنْ غَيْرِ اتّصَالٍ بِهِ لِشِدّةِ خُبْثِ تِلْكَ النّفْسِ وَكَيْفِيّتِهَا الْخَبِيثَةِ الْمُؤَثّرَةِ وَالتّأْثِيرُ غَيْرُ مَوْقُوفٍ عَلَى الِاتّصَالَاتِ الْجِسْمِيّةِ كَمَا

يَظُنّهُ مَنْ قَلّ عِلْمُهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالطّبِيعَةِ وَالشّرِيعَةِ بَلْ التّأْثِيرُ يَكُونُ تَارَةً بِالِاتّصَالِ وَتَارَةً بِالْمُقَابَلَةِ وَتَارَةً بِالرّؤْيَةِ وَتَارَةً بِتَوَجّهِ الرّوحِ نَحْوَ مَنْ يُؤَثّرُ فِيهِ وَتَارَةً بِالْأَدْعِيَةِ وَالرّقَى وَالتّعَوّذَاتِ وَتَارَةً بِالْوَهْمِ وَالتّخَيّلِ وَنَفْسُ الْعَائِنِ لَا يَتَوَقّفُ [ص ١٥٤] أَعْمَى فَيُوصَفُ لَهُ الشّيْءُ فَتُؤَثّرُ نَفْسُهُ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَرَهُ وَكَثِيرٌ مِنْ الْعَائِنِينَ يُؤَثّرُ فِي الْمَعِينِ بِالْوَصْفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيّهِ { وَإِنْ يَكَادُ الّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمّا سَمِعُوا الذّكْرَ } [الْقَلَمُ ٥١] . وَقَالَ { قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرّ النّفّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } فَكُلّ عَائِنٍ حَاسِدٌ وَلَيْسَ كُلّ حَاسِدٍ عَائِنًا فَلَمّا كَانَ الْحَاسِدُ أَعَمّ مِنْ الْعَائِنِ كَانَتْ الِاسْتِعَاذَةُ مِنْهُ اسْتِعَاذَةً مِنْ الْعَائِنِ وَهِيَ سِهَامٌ تَخْرُجُ مِنْ نَفْسِ الْحَاسِدِ وَالْعَائِنِ نَحْوَ الْمَحْسُودِ وَالْمَعِينِ تُصِيبُهُ تَارَةً وَتُخْطِئُهُ تَارَةً فَإِنْ صَادَفَتْهُ مَكْشُوفًا لَا وِقَايَةَ عَلَيْهِ أَثّرَتْ فِيهِ وَلَا بُدّ وَإِنْ صَادَفَتْهُ حَذِرًا شَاكِيَ السّلَاحِ لَا مَنْفَذَ فِيهِ لِلسّهَامِ لَمْ تُؤَثّرْ فِيهِ وَرُبّمَا رُدّتْ السّهَامُ عَلَى صَاحِبِهَا وَهَذَا بِمَثَابَةِ الرّمْيِ الْحِسّيّ سَوَاءً فَهَذَا مِنْ النّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ وَذَاكَ مِنْ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ . وَأَصْلُهُ مِنْ إعْجَابِ الْعَائِنِ بِالشّيْءِ ثُمّ تَتْبَعُهُ كَيْفِيّةُ نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ ثُمّ تَسْتَعِينُ عَلَى تَنْفِيذِ سُمّهَا بِنَظْرَةٍ إلَى الْمَعِينِ وَقَدْ يَعِينُ الرّجُلُ نَفْسَهُ وَقَدْ يَعِينُ بِغَيْرِ إرَادَتِهِ بَلْ بِطَبْعِهِ وَهَذَا أَرْدَأُ مَا يَكُونُ مِنْ النّوْعِ الْإِنْسَانِيّ وَقَدْ قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْفُقَهَاءِ إنّ مَنْ عُرِفَ بِذَلِكَ حَبَسَهُ الْإِمَامُ وَأَجْرَى لَهُ مَا يُنْفِقُ عَلَيْهِ إلَى الْمَوْتِ وَهَذَا هُوَ الصّوَابُ قَطْعًا .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٦٠)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعِلَاجِ الْعَامّ لِكُلّ شَكْوَى بِالرّقْيَةِ الْإِلَهِيّةِ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " : مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا أَوْ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ رَبّنَا اللّهُ الّذِي فِي السّمَاءِ تَقَدّسَ اسْمُك أَمْرُكَ فِي السّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبّ الطّيّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِك وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللّهِ . [ص ١٦١] صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ أَنّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السّلَامُ - أَتَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا مُحَمّدُ اشْتَكَيْتَ ؟ فَقَالَ " نَعَمْ " فَقَالَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السّلَامُ - بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرّ كُلّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيك . فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَقُولُونَ فِي الْحَدِيثِ الّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ : لَا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ وَالْحُمَةُ ذَوَاتُ السّمُومِ كُلّهَا .

[التّوْفِيقُ بَيْنَ جَوَازِ الرّقْيَةِ لِكُلّ شَكْوَى وَبَيْنَ " لَا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ "]

فَالْجَوَابُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يُرِدْ بِهِ نَفْيَ جَوَازِ الرّقْيَةِ فِي غَيْرِهَا بَلْ الْمُرَادُ بِهِ لَا رُقْيَةَ أَوْلَى وَأَنْفَعُ مِنْهَا فِي الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ وَيَدُلّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْحَدِيثِ فَإِنّ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ قَالَ لَهُ لَمّا أَصَابَتْهُ الْعَيْنُ أَوَ فِي الرّقَى خَيْرٌ ؟ فَقَالَ لَا رُقْيَةَ إلّا فِي نَفْسٍ أَوْ حُمَةٍ وَيَدُلّ عَلَيْهِ سَائِرُ أَحَادِيثِ الرّقَى الْعَامّةِ وَالْخَاصّةِ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ يَرْقَأُ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْهُ أَيْضًا : رَخّصَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّقْيَةِ مِنْ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ وَالنّمْلَةِ [ص ١٦٢]

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رُقْيَةِ اللّدِيغِ بِالْفَاتِحَةِ
أَخْرَجَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ ا نْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتّى نَزَلُوا عَلَى حَيّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيّدُ ذَلِكَ الْحَيّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرّهْطَ الّذِينَ نَزَلُوا لَعَلّهُمْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا : يَا أَيّهَا الرّهْطُ إنّ سَيّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاَللّهِ إنّي لَأَرْقِي وَلَكِنْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ حَتّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ فَكَأَنّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ اقْتَسِمُوا فَقَالَ الّذِي رَقَى : لَا تَفْعَلُوا حَتّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ " وَمَا يُدْرِيكَ أَنّهَا رُقْيَةٌ ؟ " ثُمّ قَالَ قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ عَلِيّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ خَيْرُ الدّوَاءِ الْقُرْآنُ

[فَائِدَةُ الرّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَبِخَاصّةٍ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ]

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنّ بَعْضَ الْكَلَامِ لَهُ خَوَاصّ وَمَنَافِعُ مُجَرّبَةٌ فَمَا الظّنّ بِكَلَامِ رَبّ الْعَالَمِينَ الّذِي فَضْلُهُ عَلَى كُلّ كَلَامٍ كَفَضْلِ اللّهِ عَلَى خَلْقِهِ الّذِي هُوَ الشّفَاءُ [ص ١٦٣] الْهَادِي وَالرّحْمَةُ الْعَامّةُ الّذِي لَوْ أُنْزِلَ عَلَى جَبَلٍ لَتَصَدّعَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ . قَالَ تَعَالَى : { وَنُنَزّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الْإِسْرَاءُ : ٨٢] و " مِنْ " هَا هُنَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتّبْعِيضِ هَذَا أَصَحّ الْقَوْلَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الْفَتْحُ ٢٩] وَكُلّهُمْ مِنْ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ فَمَا الظّنّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ الّتِي لَمْ يُنْزَلْ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي التّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزّبُورِ مِثْلُهَا الْمُتَضَمّنَةِ لِجَمِيعِ مَعَانِي كُتُبِ اللّهِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى ذِكْرِ أُصُولِ أَسْمَاءِ الرّبّ - تَعَالَى - وَمَجَامِعِهَا و هِيَ اللّهُ وَالرّبّ وَالرّحْمَنُ وَإِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَذِكْرِ التّوْحِيدَيْنِ تَوْحِيدِ الرّبُوبِيّةِ وَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيّةِ وَذِكْرِ الِافْتِقَارِ إلَى الرّبّ سُبْحَانَهُ فِي طَلَبِ الْإِعَانَةِ وَطَلَبِ الْهِدَايَةِ وَتَخْصِيصِهِ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ وَذِكْرِ أَفْضَلِ الدّعَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَنْفَعِهِ وَأَفْرَضِهِ وَمَا الْعِبَادُ أَحْوَجُ شَيْءٍ إلَيْهِ وَهُوَ الْهِدَايَةُ إلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُتَضَمّنِ كَمَالَ مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ - بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ إلَى الْمَمَاتِ وَيَتَضَمّنُ ذِكْرَ أَصْنَافِ الْخَلَائِقِ وَانْقِسَامَهُمْ إلَى مُنْعَمٍ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ الْحَقّ وَالْعَمَلِ بِهِ وَمَحَبّتِهِ وَإِيثَارِهِ وَمَغْضُوبٍ عَلَيْهِ بِعُدُولِهِ عَنْ الْحَقّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ لَهُ وَضَالّ بِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ لَهُ . وَهَؤُلَاءِ أَقْسَامُ الْخَلِيقَةِ مَعَ تَضَمّنِهَا لِإِثْبَاتِ الْقَدَرِ وَالشّرْعِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصّفَاتِ وَالْمَعَادِ وَالنّبُوّاتِ وَتَزْكِيَةِ النّفُوسِ وَإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ وَذِكْرِ عَدْلِ اللّهِ وَإِحْسَانِهِ وَالرّدّ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْبَاطِلِ كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا الْكَبِيرِ " مَدَارِجِ السّالِكِينَ " فِي شَرْحِهَا . وَحَقِيقٌ بِسُورَةٍ هَذَا بَعْضُ شَأْنِهَا أَنْ يُسْتَشْفَى بِهَا مِنْ الْأَدْوَاءِ وَيُرْقَى بِهَا اللّدِيغُ . وَبِالْجُمْلَةِ فَمَا تَضَمّنَتْهُ الْفَاتِحَةُ مِنْ إخْلَاصِ الْعُبُودِيّةِ وَالثّنَاءِ عَلَى اللّهِ وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ كُلّهِ إلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ وَالتّوَكّلِ عَلَيْهِ وَسُؤَالِهِ مَجَامِعَ

النِّعَمِ كُلِّهَا وَهِيَ الْهِدَايَةُ الَّتِي تَجْلِبُ النِّعَمَ وَتَدْفَعُ النِّقَمَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوِيَةِ الشَّافِيَةِ الْكَافِيَةِ .
[ص ١٦٤]
[قِرَاءَةُ الْمُصَنِّفِ الْفَاتِحَةَ عَلَى مَاءِ زَمْزَمَ وَذَلِكَ عِنْدَ سَقَمِهِ فِي مَكَّةَ]
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ مَوْضِعَ الرُّقْيَةِ مِنْهَا : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ مِنْ أَقْوَى أَجْزَاءِ هَذَا الدَّوَاءِ فَإِنَّ فِيهِمَا مِنْ عُمُومِ التَّفْوِيضِ وَالتَّوَكُّلِ وَالِالْتِجَاءِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالِافْتِقَارِ وَالطَّلَبِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ أَعْلَى الْغَايَاتِ وَهِيَ عِبَادَةُ الرَّبِّ وَحْدَهُ وَأَشْرَفُ الْوَسَائِلِ وَهِيَ الِاسْتِعَانَةُ بِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا وَلَقَدْ مَرَّ بِي وَقْتٌ بِمَكَّةَ سَقِمْتُ فِيهِ وَفَقَدْتُ الطَّبِيبَ وَالدَّوَاءَ فَكُنْتُ أَتَعَالَجُ بِهَا آخُذُ شَرْبَةً مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَقْرَؤُهَا عَلَيْهَا مِرَارًا ثُمَّ أَشْرَبُهُ فَوَجَدْتُ بِذَلِكَ الْبُرْءَ التَّامَّ ثُمَّ صِرْتُ أَعْتَمِدُ ذَلِكَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْجَاعِ فَأَنْتَفِعُ بِهَا غَايَةَ الِانْتِفَاعِ .
فَصْلٌ [نَفْسُ الرَّاقِي تَفْعَلُ فِي نَفْسِ الْمَرْقِيِّ فَتَدْفَعُ عَنْهُ الْمَرَضَ بِإِذْنِ اللَّهِ]
وَفِي تَأْثِيرِ الرُّقَى بِالْفَاتِحَةِ وَغَيْرِهَا فِي عِلَاجِ ذَوَاتِ السُّمُومِ سِرٌّ بَدِيعٌ فَإِنَّ ذَوَاتَ السُّمُومِ أَثَّرَتْ بِكَيْفِيَّاتِ نُفُوسِهَا الْخَبِيثَةِ كَمَا تَقَدَّمَ وَسِلَاحُهَا حُمَاتُهَا الَّتِي تَلْدَغُ بِهَا وَهِيَ لَا تَلْدَغُ حَتَّى تَغْضَبَ فَإِذَا غَضِبَتْ ثَارَ فِيهَا السُّمُّ فَتَقْذِفُهُ بِآلَتِهَا وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً وَلِكُلِّ شَيْءٍ ضِدًّا وَنَفْسُ الرَّاقِي تَفْعَلُ فِي نَفْسِ الْمَرْقِيِّ فَيَقَعُ بَيْنَ نَفْسَيْهِمَا فِعْلٌ وَانْفِعَالٌ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ فَتَقْوَى نَفْسُ الرَّاقِي وَقُوَّتُهُ بِالرُّقْيَةِ عَلَى ذَلِكَ الدَّاءِ فَيَدْفَعُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَدَارُ تَأْثِيرِ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ عَلَى الْفِعْلِ وَالِانْفِعَالِ وَهُوَ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ الطَّبِيعِيَّيْنِ يَقَعُ بَيْنَ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ الرُّوحَانِيَّيْنِ وَالرُّوحَانِيِّ وَالطَّبِيعِيِّ وَفِي النَّفْثِ وَالتَّفْلِ اسْتِعَانَةٌ بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ وَالْهَوَاءِ وَالنَّفَسِ الْمُبَاشِرِ لِلرُّقْيَةِ وَالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ فَإِنَّ الرُّقْيَةَ تَخْرُجُ مِنْ قَلْبِ الرَّاقِي وَفَمِهِ فَإِذَا صَاحَبَهَا شَيْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ بَاطِنِهِ مِنَ الرِّيقِ وَالْهَوَاءِ وَالنَّفَسِ كَانَتْ أَتَمَّ تَأْثِيرًا وَأَقْوَى فِعْلًا وَنُفُوذًا وَيَحْصُلُ بِالِازْدِوَاجِ بَيْنَهُمَا كَيْفِيَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْكَيْفِيَّةِ الْحَادِثَةِ عِنْدَ تَرْكِيبِ الْأَدْوِيَةِ .
[النَّفْثُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الْمَرَضِ]
وَبِالْجُمْلَةِ فَنَفْسُ الرَّاقِي تُقَابِلُ تِلْكَ النُّفُوسَ الْخَبِيثَةَ وَتَزِيدُ بِكَيْفِيَّةِ نَفْسِهِ [ص ١٦٥] كَانَتْ كَيْفِيَّةُ نَفْسِ الرَّاقِي أَقْوَى كَانَتِ الرُّقْيَةُ أَتَمَّ وَاسْتِعَانَتُهُ بِنَفْثِهِ كَاسْتِعَانَةِ تِلْكَ النُّفُوسِ الرَّدِيئَةِ بِلَسْعِهَا . وَفِي النَّفْثِ سِرٌّ آخَرُ فَإِنَّهُ مِمَّا تَسْتَعِينُ بِهِ الْأَرْوَاحُ الطَّيِّبَةُ وَالْخَبِيثَةُ وَلِهَذَا تَفْعَلُهُ السَّحَرَةُ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ . قَالَ تَعَالَى : { وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَكَيَّفُ بِكَيْفِيَّةِ الْغَضَبِ وَالْمُحَارَبَةِ وَتُرْسِلُ أَنْفَاسَهَا سِهَامًا لَهَا وَتَمُدُّهَا بِالنَّفْثِ وَالتَّفْلِ الَّذِي مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ مُصَاحِبٌ لِكَيْفِيَّةٍ مُؤَثِّرَةٍ وَالسَّوَاحِرُ تَسْتَعِينُ بِالنَّفْثِ اسْتِعَانَةً بَيِّنَةً وَإِنْ لَمْ تَتَّصِلْ بِجِسْمِ الْمَسْحُورِ بَلْ تَنْفُثُ عَلَى الْعُقْدَةِ وَتَعْقِدُهَا وَتَتَكَلَّمُ بِالسِّحْرِ فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْمَسْحُورِ بِتَوَسُّطِ الْأَرْوَاحِ السُّفْلِيَّةِ الْخَبِيثَةِ فَتُقَابِلُهَا الرُّوحُ الزَّكِيَّةُ الطَّيِّبَةُ بِكَيْفِيَّةِ الدَّفْعِ وَالتَّكَلُّمِ بِالرُّقْيَةِ وَتَسْتَعِينُ بِالنَّفْثِ فَأَيُّهُمَا قَوِيَ كَانَ الْحُكْمُ لَهُ وَمُقَابَلَةُ الْأَرْوَاحِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَمُحَارَبَتُهَا وَآلَتُهَا مِنْ جِنْسِ مُقَابَلَةِ الْأَجْسَامِ وَمُحَارَبَتُهَا وَآلَتِهَا سَوَاءٌ بَلِ الْأَصْلُ فِي الْمُحَارَبَةِ وَالتَّقَابُلِ لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ آلَتُهَا وَجُنْدُهَا وَلَكِنْ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحِسُّ لَا يَشْعُرُ بِتَأْثِيرَاتِ الْأَرْوَاحِ وَأَفْعَالِهَا وَانْفِعَالَاتِهَا لِاسْتِيلَاءِ سُلْطَانِ الْحِسِّ عَلَيْهِ وَبُعْدِهِ مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَأَحْكَامِهَا وَأَفْعَالِهَا . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا كَانَتْ قَوِيَّةً

وَتَكَيّفَتْ بِمَعَانِي الْفَاتِحَةِ وَاسْتَعَانَتْ بِالتّفْثِ وَالتّفْلِ قَابَلَتْ ذَلِكَ الْأَثَرَ الّذِي حَصَلَ مِنْ النّفُوسِ الْخَبِيثَةِ فَأَزَالَتْهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٦٥)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ لَدْغَةِ الْعَقْرَبِ بِالرّقْيَةِ
رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي " مُسْنَدِهِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي إذْ سَجَدَ فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فِي أُصْبُعِهِ فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ " لَعَنَ اللّهُ الْعَقْرَبَ مَا تَدَعُ نَبِيّا وَلَا غَيْرَهُ قَالَ ثُمّ دَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَمِلْحٌ فَجَعَلَ يَضَعُ مَوْضِعَ اللّدْغَةِ فِي الْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوّذَتَيْنِ حَتّى سَكَنَتْ
[ص ١٦٦]
[مَا لِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ مِنْ الْفَائِدَةِ فِي عِلَاجِ اللّدْغَةِ]
فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعِلَاجُ بِالدّوَاءِ الْمُرَكّبِ مِنْ الْأَمْرَيْنِ الطّبِيعِيّ وَالْإِلَهِيّ فَإِنّ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مِنْ كَمَالِ التّوْحِيدِ الْعِلْمِيّ الِاعْتِقَادِيّ وَإِثْبَاتِ الأَحَدِيّةِ لِلّهِ الْمُسْتَلْزِمَةِ نَفْيَ كُلّ شَرِكَةٍ عَنْهُ وَإِثْبَاتَ الصّمَدِيّةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِإِثْبَاتِ كُلّ كَمَالٍ لَهُ مَعَ كَوْنِ الْخَلَائِقِ تَصْمُدُ إلَيْهِ فِي حَوَائِجِهَا أَيْ تَقْصِدُهُ الْخَلِيقَةُ وَتَتَوَجّهُ إلَيْهِ عَلَوِيّهَا وَسُفْلِيّهَا وَنَفْيَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَالْكُفْءِ عَنْهُ الْمُتَضَمّنِ لِنَفْيِ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ وَالنّظِيرِ وَالْمُمَاثِلُ مِمّا اخْتَصّتْ بِهِ وَصَارَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَفِي اسْمِهِ الصّمَدِ إثْبَاتُ كُلّ الْكَمَالِ وَفِي نَفْيِ الْكُفْءِ التّنْزِيهُ عَنْ الشّبِيهِ وَالْمِثَالِ . وَفِي الْأَحَدِ نَفْيُ كُلّ شَرِيكٍ لِذِي الْجَلَالِ وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثّلَاثَةُ هِيَ مَجَامِعُ التّوْحِيدِ .
[مَا لِلْمُعَوّذَتَيْنِ مِنْ الْفَائِدَةِ فِي عِلَاجِ اللّدْغَةِ]
وَفِي الْمُعَوّذَتَيْنِ الِاسْتِعَاذَةُ مِنْ كُلّ مَكْرُوهٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا فَإِنّ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ تَعُمّ كُلّ شَرّ يُسْتَعَاذُ مِنْهُ سَوَاءٌ كَانَ فِي الْأَجْسَامِ أَوْ الْأَرْوَاحِ وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرّ الْغَاسِقِ وَهُوَ اللّيْلُ وَآيَتُهُ وَهُوَ الْقَمَرُ إذَا غَابَ تَتَضَمّنُ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرّ مَا يَنْتَشِرُ فِيهِ مِنْ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ الّتِي كَانَ نُورُ النّهَارِ يَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الِانْتِشَارِ فَلَمّا أَظْلَمَ اللّيْلُ عَلَيْهَا وَغَابَ الْقَمَرُ انْتَشَرَتْ وَعَاثَتْ . وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرّ النّفّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ تَتَضَمّنُ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرّ السّوَاحِرِ وَسِحْرِهِنّ . وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرّ الْحَاسِدِ تَتَضَمّنُ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ النّفُوسِ الْخَبِيثَةِ الْمُؤْذِيَةِ بِحَسَدِهَا وَنَظَرِهَا . وَالسّورَةُ الثّانِيَةُ تَتَضَمّنُ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنّ فَقَدْ [ص ١٦٧] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ بِقِرَاءَتِهِمَا عَقِبَ كُلّ صَلَاةٍ ذَكَرَهُ التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفِي هَذَا سِرّ عَظِيمٌ فِي اسْتِدْفَاعِ الشّرُورِ مِنْ الصّلَاةِ إلَى الصّلَاةِ . وَقَالَ مَا تَعَوّذَ الْمُتَعَوّذُونَ بِمِثْلِهِمَا . وَقَدْ ذُكِرَ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُحِرَ فِي إحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةٍ وَأَنّ جِبْرِيلَ نَزَلَ عَلَيْهِ بِهِمَا فَجَعَلَ كُلّمَا قَرَأَ آيَةً مِنْهُمَا انْحَلّتْ عُقْدَةٌ حَتّى انْحَلّتْ الْعُقَدُ كُلّهَا وَكَأَنّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ .
[الْفَائِدَةُ فِي الْمِلْحِ فِي عِلَاجِ اللّدْغَةِ]
وَأَمّا الْعِلَاجُ الطّبِيعِيّ فِيهِ فَإِنّ فِي الْمِلْحِ نَفْعًا لِكَثِيرٍ مِنْ السّمُومِ وَلَا سِيّمَا لَدْغَةُ الْعَقْرَبِ قَالَ صَاحِبُ " الْقَانُونِ " : يُضَمّدُ بِهِ مَعَ بَزْرِ الْكَتّانِ لِلَسْعِ الْعَقْرَبِ وَذَكَرَهُ غَيْرُهُ أَيْضًا . وَفِي الْمِلْحِ مِنْ الْقُوّةِ الْجَاذِبَةِ الْمُحَلّلَةِ مَا يَجْذِبُ السّمُومَ وَيُحَلّلُهَا وَلَمّا كَانَ فِي لَسْعِهَا قُوّةٌ نَارِيّةٌ تَحْتَاجُ إلَى تَبْرِيدٍ وَجَذْبٍ وَإِخْرَاجٍ جَمَعَ بَيْنَ الْمَاءِ الْمُبَرّدِ لِنَارِ اللّسْعَةِ وَالْمِلْحِ الّذِي

فِيهِ جَذْبٌ وَإِخْرَاجٌ وَهَذَا أَتَمّ مَا يَكُونُ مِنْ الْعِلَاجِ وَأَيْسَرُهُ وَأَسْهَلُهُ وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنّ عِلَاجَ هَذَا الدّاءِ بِالتّبْرِيدِ وَالْجَذْبِ وَالْإِخْرَاجِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ فَقَالَ " أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرّك وَاعْلَمْ أَنّ الْأَدْوِيَةَ الطّبِيعِيّةَ الْإِلَهِيّةَ تَنْفَعُ مِنْ الدّاءِ بَعْدَ حُصُولِهِ وَتَمْنَعُ مِنْ وُقُوعِهِ وَإِنْ وَقَعَ لَمْ يَقَعْ وُقُوعًا مُضِرّا وَإِنْ كَانَ مُؤْذِيًا وَالْأَدْوِيَةُ الطّبِيعِيّةُ إنّمَا تَنْفَعُ بَعْدَ حُصُولِ الدّاءِ فَالتّعَوّذَاتُ وَالْأَذْكَارُ إمّا أَنْ تَمْنَعَ وُقُوعَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ وَإِمّا أَنْ تَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ كَمَالِ تَأْثِيرِهَا بِحَسَبِ كَمَالِ التّعَوّذِ وَقُوّتِهِ وَضَعْفِهِ فَالرّقَى [ص ١٦٨] الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَوَى إلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفّيْهِ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوّذَتَيْنِ . ثُمّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدُهُ مِنْ جَسَدِهِ وَكَمَا فِي حَدِيثِ عُوذَةِ أَبِي الدّرْدَاءِ الْمَرْفُوعِ اللّهُمّ أَنْتَ رَبّي لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكّلْتُ وَأَنْتَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَقَدْ تَقَدّمَ وَفِيهِ مَنْ قَالَهَا أَوّلَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهَا آخِرَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتّى يُصْبِحَ . وَكَمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " : مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ وَكَمَا فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرّهُ شَيْءٌ حَتّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ وَكَمَا فِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ فِي السّفَرِ يَقُولُ بِاللّيْلِ " يَا أَرْضُ رَبّي وَرَبّكِ اللّهُ أَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ شَرّكِ وَشَرّ مَا فِيك وَشَرّ مَا يَدُبّ عَلَيْك أَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ أَسَدٍ وأَسْوَدٍ وَمِنْ الْحَيّةِ وَالْعَقْرَبِ وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ [ص ١٦٩] الثّانِي : فَكَمَا تَقَدّمَ مِنْ الرّقْيَةِ بِالْفَاتِحَةِ وَالرّقْيَةِ لِلْعَقْرَبِ وَغَيْرِهَا مِمّا يَأْتِي .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٦٩)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رُقْيَةِ النّمْلَةِ

قَدْ تَقَدّمَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ الّذِي فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَخّصَ فِي الرّقْيَةِ مِنْ الْحُمَةِ وَالْعَيْنِ وَالنّمْلَةِ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ الشّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللّهِ دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ " أَلَا تُعَلّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النّمْلَةِ كَمَا عَلّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ النّمْلَةُ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبَيْنِ وَهُوَ دَاءٌ مَعْرُوفٌ وَسُمّيَ نَمْلَةً لِأَنّ صَاحِبَهُ يُحِسّ فِي مَكَانِهِ كَأَنّ نَمْلَةً تَدِبّ عَلَيْهِ وَتَعَضّهُ وَأَصْنَافُهَا ثَلَاثَةٌ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ كَانَ الْمَجُوسُ يَزْعُمُونَ أَنّ وَلَدَ الرّجُلِ مِنْ أُخْتِهِ إذَا خُطّ عَلَى النّمْلَةِ شُفِيَ صَاحِبُهَا وَمِنْهُ قَوْلُ الشّاعِرِ وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ عُرْفٍ لِمَعْشَرٍ كِرَامٍ وَأَنّا لَا نَخُطّ عَلَى النّمْلِ

وَرَوَى الْخَلّالُ أَنّ الشّفَاءَ بِنْتَ عَبْدِ اللّهِ كَانَتْ تَرْقِي فِي الْجَاهِلِيّةِ مِنْ النّمْلَةِ فَلَمّا هَاجَرَتْ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَتْ قَدْ بَايَعَتْهُ بِمَكّةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي كُنْت أَرْقِي فِي الْجَاهِلِيّةِ مِنْ النّمْلَةِ وَإِنّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْك فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ بِسْمِ اللّهِ ضَلّتْ حَتّى تَعُودَ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَلَا تَضُرّ أَحَدًا اللّهُمّ اكْشِفْ الْبَأْسَ رَبّ النّاسِ قَالَ تَرْقِي بِهَا عَلَى عُودٍ سَبْعَ مَرّاتٍ وَتَقْصِدُ مَكَانًا نَظِيفًا [ص ١٧٠]

[جَوَازُ تَعْلِيمِ النّسَاءِ الْكِتَابَةَ]

وَتَدْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ بِخَلّ خَمْرٍ حَاذِقٍ وَتَطْلِيهِ عَلَى النّمْلَةِ . وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَعْلِيمِ النّسَاءِ الْكِتَابَةَ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٧٠)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رُقْيَةِ الْحَيّةِ
قَدْ تَقَدّمَ قَوْلُهُ لَا رُقْيَةَ إلّا فِي عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ الْحُمَةُ بِضَمّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِهَا . وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ : رَخّصَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّقْيَةِ مِنْ الْحَيّةِ وَالْعَقْرَبِ . وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزّهْرِيّ قَالَ لَدَغَ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَيّةٌ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " هَلْ مِنْ رَاقٍ ؟ " فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ آلَ حَزْمٍ كَانُوا يَرْقُونَ رُقْيَةَ الْحَيّةِ فَلَمّا نَهَيْتَ عَنْ الرّقَى تَرَكُوهَا فَقَالَ " اُدْعُوا عِمَارَةَ بْنَ حَزْمٍ " فَدَعَوْهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ رُقَاهُ فَقَالَ " لَا بَأْسَ بِهَا " فَأَذِنَ لَهُ فِيهَا فَرَقَاهُ
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٧٠)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رُقْيَةِ الْقَرْحَةِ وَالْجُرْحِ
أَخْرَجَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ قَالَ بِأُصْبُعِهِ هَكَذَا وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبّابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمّ رَفَعَهَا وَقَالَ " بِسْمِ اللّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبّنَا [ص ١٧١]
[عِلّةُ اسْتِعْمَالِ التّرَابِ فِي هَذِهِ الرّقْيَةِ]
هَذَا مِنْ الْعِلَاجِ الْمُيَسّرِ النّافِعِ الْمُرَكّبِ وَهِيَ مُعَالَجَةٌ لَطِيفَةٌ يُعَالَجُ بِهَا الْقُرُوحُ وَالْجِرَاحَاتُ الطّرِيّةُ لَا سِيّمَا عِنْدَ عَدَمِ غَيْرِهَا مِنْ الْأَدْوِيَةِ إذْ كَانَتْ مَوْجُودَةً بِكُلّ أَرْضٍ وَقَدْ عُلِمَ أَنّ طَبِيعَةَ التّرَابِ الْخَالِصِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مُجَفّفَةٌ لِرُطُوبَاتِ الْقُرُوحِ وَالْجِرَاحَاتِ الّتِي تَمْنَعُ الطّبِيعَةُ مِنْ جَوْدَةِ فِعْلِهَا وَسُرْعَةِ انْدِمَالِهَا لَا سِيّمَا فِي الْبِلَادِ الْحَارّةِ وَأَصْحَابِ الْأَمْزِجَةِ الْحَارّةِ فَإِنّ الْقُرُوحَ وَالْجِرَاحَاتِ يَتْبَعُهَا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ سُوءُ مِزَاجٍ حَارّ فَيَجْتَمِعُ حَرَارَةُ الْبَلَدِ وَالْمِزَاجُ وَالْجِرَاحُ وَطَبِيعَةُ التّرَابِ الْخَالِصِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ أَشَدّ مِنْ بُرُودَةِ جَمِيعِ الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ الْبَارِدَةِ فَتُقَابِلُ بُرُودَةَ التّرَابِ حَرَارَةُ الْمَرَضِ لَا سِيّمَا إنْ كَانَ التّرَابُ قَدْ غُسِلَ وَجُفّفَ وَيَتْبَعُهَا أَيْضًا كَثْرَةُ الرّطُوبَاتِ الرّدِيئَةِ وَالسّيَلَانُ وَالتّرَابُ مُجَفّفٌ لَهَا مُزِيلٌ لِشِدّةِ يُبْسِهِ وَتَجْفِيفِهِ لِلرّطُوبَةِ الرّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ مِنْ بَرْئِهَا وَيَحْصُلُ بِهِ - مَعَ ذَلِكَ - تَعْدِيلُ مِزَاجِ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ وَمَتَى اعْتَدَلَ مِزَاجُ الْعُضْوِ قَوِيَتْ قُوَاهُ الْمُدَبّرَةُ وَدَفَعَتْ عَنْهُ الْأَلَمَ بِإِذْنِ اللّهِ .
[كَيْفِيّةُ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الرّقْيَةِ]
وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنّهُ يَأْخُذُ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَى أُصْبُعِهِ السّبّابَةِ ثُمّ يَضَعُهَا عَلَى التّرَابِ فَيَعْلَقُ بِهَا مِنْهُ شَيْءٌ فَيَمْسَحُ بِهِ عَلَى الْجُرْحِ وَيَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ لِمَا فِيهِ مِنْ بَرَكَةِ ذِكْرِ اسْمِ اللّهِ وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إلَيْهِ وَالتّوَكّلِ عَلَيْهِ فَيَنْضَمّ أَحَدُ الْعِلَاجَيْنِ إلَى الْآخَرِ فَيَقْوَى التّأْثِيرُ .
[هَلْ الْمَقْصُودُ بِاسْتِعْمَالِ التّرَابِ تُرْبَةُ جَمِيعِ الْأَرْضِ أَوْ أَرْضُ الْمَدِينَةِ]
وَهَلْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ " تُرْبَةُ أَرْضِنَا " جَمِيعُ الْأَرْضِ أَوْ أَرْضُ الْمَدِينَةِ خَاصّةً ؟ فِيهِ قَوْلَانِ وَلَا رَيْبَ أَنّ مِنْ التّرْبَةِ مَا تَكُونُ فِيهِ خَاصّيّةٌ يَنْفَعُ بِخَاصّيّتِهِ مِنْ أَدْوَاءٍ كَثِيرَةٍ [ص ١٧٢] قَالَ جَالِينُوسُ : رَأَيْت بِالْإِسْكَنْدَرِيّةِ مَطْحُولِينَ وَمُسْتَسْقِينَ كَثِيرًا يَسْتَعْمِلُونَ طِينَ

مِصْرَ وَيَطْلُونَ بِهِ عَلَى سُوقِهِمْ وَأَفْخَاذِهِمْ وَسَوَاعِدِهِمْ وَظُهُورِهِمْ وَأَضْلَاعِهِمْ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ مَنْفَعَةً بَيِّنَةً . قَالَ وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ فَقَدْ يَنْفَعُ هَذَا الطِّلَاءُ لِلْأَوْرَامِ الْعَفِنَةِ وَالْمُتَرَهِّلَةِ الرِّخْوَةِ قَالَ وَإِنِّي لَأَعْرِفُ قَوْمًا تَرَهَّلَتْ أَبْدَانُهُمْ كُلُّهَا مِنْ كَثْرَةِ اسْتِفْرَاغِ الدَّمِ مِنْ أَسْفَلِ انْتَفَعُوا بِهَذَا الطِّينِ نَفْعًا بَيِّنًا وَقَوْمًا آخَرِينَ شَفَوْا بِهِ أَوْجَاعًا مُزْمِنَةً كَانَتْ مُتَمَكِّنَةً فِي بَعْضِ الْأَعْضَاءِ تَمَكُّنًا شَدِيدًا فَبَرَأَتْ وَذَهَبَتْ أَصْلًا . وَقَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمَسِيحِيِّ قُوَّةُ الطِّينِ الْمَجْلُوبِ مِنْ كُنُوسَ - وَهِيَ جَزِيرَةُ المصطكى - قُوَّةٌ تَجْلُو وَتَغْسِلُ وَتُنْبِتُ اللَّحْمَ فِي الْقُرُوحِ وَتَخْتِمُ الْقُرُوحَ . انْتَهَى . وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي هَذِهِ التُّرُبَاتِ فَمَا الظَّنُّ بِأَطْيَبِ تُرْبَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَأَبْرَكِهَا وَقَدْ خَالَطَتْ رِيقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَارَنَتْ رُقْيَتَهُ بِاسْمِ رَبِّهِ وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ قُوَى الرُّقْيَةِ وَتَأْثِيرَهَا بِحَسَبِ الرَّاقِي وَانْفِعَالِ الْمَرْقِيِّ عَنْ رُقْيَتِهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ طَبِيبٌ فَاضِلٌ عَاقِلٌ مُسْلِمٌ فَإِنْ انْتَفَى أَحَدُ الْأَوْصَافِ فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٧٢)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلَاجِ الْوَجَعِ بِالرُّقْيَةِ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّهُ شَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ فَفِي هَذَا الْعِلَاجِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِ وَالِاسْتِعَاذَةِ بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ الْأَلَمِ مَا يُذْهِبُ بِهِ وَتَكْرَارُهُ لِيَكُونَ أَنْجَعَ وَأَبْلَغَ كَتَكْرَارِ الدَّوَاءِ لِإِخْرَاجِ الْمَادَّةِ وَفِي السَّبْعِ خَاصِّيَّةٌ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا وَفِي [ص ١٧٣] الصَّحِيحَيْنِ " : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ " اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُك شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا فَفِي هَذِهِ الرُّقْيَةِ تَوَسُّلٌ إِلَى اللَّهِ بِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ بِالشِّفَاءِ وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الشَّافِي وَأَنَّهُ لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ فَتَضَمَّنَتْ التَّوَسُّلَ إِلَيْهِ بِتَوْحِيدِهِ وَإِحْسَانِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٧٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلَاجِ حَرِّ الْمُصِيبَةِ وَحُزْنِهَا

قَالَ تَعَالَى : { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [الْبَقَرَةُ ١٥٥] . وَفِي " الْمُسْنَدِ " عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَجَارَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا

[إذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِأَنَّهُ لِلَّهِ وَأَنَّ مَصِيرَهُ إِلَيْهِ تَسَلَّى عَنْ مُصِيبَتِهِ]

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ أَبْلَغِ عِلَاجِ الْمُصَابِ وَأَنْفَعِهِ لَهُ فِي عَاجِلَتِهِ وَآجِلَتِهِ فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ إِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِمَعْرِفَتِهِمَا تَسَلَّى عَنْ مُصِيبَتِهِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْعَبْدَ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ مِلْكٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقِيقَةً وَقَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ الْعَبْدِ عَارِيَةً فَإِذَا أَخَذَهُ مِنْهُ فَهُوَ كَالْمُعِيرِ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنْ الْمُسْتَعِيرِ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَحْفُوفٌ بِعَدَمَيْنِ عَدَمٍ قَبْلَهُ وَعَدَمٍ بَعْدَهُ وَمِلْكُ الْعَبْدِ لَهُ مُتْعَةٌ مُعَارَةٌ فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي أَوْجَدَهُ عَنْ عَدَمِهِ حَتَّى يَكُونَ مِلْكُهُ حَقِيقَةً وَلَا هُوَ [ص ١٧٤] وَالثَّانِي : أَنَّ مَصِيرَ الْعَبْدِ وَمَرْجِعَهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقِّ

وَلَا بُدّ أَنْ يُخَلّفَ الدّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَجِيءَ رَبّهُ فَرْدًا كَمَا خَلَقَهُ أَوّلَ مَرّةٍ بِلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسّيّئَاتِ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ بِدَايَةَ الْعَبْدِ وَمَا خُوّلَهُ وَنِهَايَتَهُ فَكَيْفَ يَفْرَحُ بِمَوْجُودٍ أَوْ يَأْسَى عَلَى مَفْقُودٍ فَفِكْرُهُ فِي مَبْدَئِهِ وَمَعَادِهِ مِنْ أَعْظَمِ عِلَاجِ هَذَا الدّاءِ وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ . قَالَ تَعَالَى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لَا يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [الْحَدِيدُ ٢٢] .

[ذِكْرُ بَعْضِ الْعِلَاجَاتِ مِنْهَا النّظَرُ إلَى مَا أَبْقَى اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ النّعَمِ]

وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَنْظُرَ إلَى مَا أُصِيبَ بِهِ فَيَجِدُ رَبّهُ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِ مِثْلَهُ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ وَادّخَرَ لَهُ - إنْ صَبَرَ وَرَضِيَ - مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ فَوَاتِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَنّهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا أَعْظَمَ مِمّا هِيَ .

[التّأَسّي بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ وَذِكْرُ قِصَصٍ فِي ذَلِكَ]

وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يُطْفِئَ نَارَ مُصِيبَتِهِ بِبَرْدِ التّأَسّي بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ وَلِيَعْلَمَ أَنّهُ فِي كُلّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ وَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً فَهَلْ يَرَى إلّا مِحْنَةً ؟ ثُمّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إلّا حَسْرَةً ؟ وَأَنّهُ لَوْ فَتّشَ الْعَالَمَ لَمْ يَرَ فِيهِمْ إلّا مُبْتَلًى إمّا بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ وَأَنّ شُرُورَ الدّنْيَا أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلّ زَائِلٍ إنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا وَإِنْ سَرّتْ يَوْمًا سَاءَتْ دَهْرًا وَإِنْ مَتّعَتْ قَلِيلًا [ص ١٧٥] خِيرَةً إلّا مَلَأَتْهَا عَبْرَةً وَلَا سَرّتْهُ بِيَوْمِ سُرُورٍ إلّا خَبّأَتْ لَهُ يَوْمَ شُرُورٍ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - لِكُلّ فَرْحَةٍ تَرْحَةٌ وَمَا مُلِئَ بَيْتٌ فَرَحًا إلّا مُلِئَ تَرَحًا وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : مَا كَانَ ضَحِكٌ قَطّ إلّا كَانَ مِنْ بَعْدِهِ بُكَاءٌ وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ النّعْمَانِ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَنَحْنُ مِنْ أَعَزّ النّاسِ وَأَشَدّهِمْ مُلْكًا ثُمّ لَمْ تَغِبْ الشّمْسُ حَتّى رَأَيْتُنَا وَنَحْنُ أَقَلّ النّاسِ وَأَنّهُ حَقّ عَلَى اللّهِ أَلّا يَمْلَأَ دَارًا خِيرَةً إلّا مَلَأَهَا عَبْرَةً . وَسَأَلَهَا رَجُلٌ أَنْ تُحَدّثَهُ عَنْ أَمْرِهَا فَقَالَتْ أَصْبَحْنَا ذَا صَبَاحٍ وَمَا فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إلّا يَرْجُونَا ثُمّ أَمْسَيْنَا وَمَا فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إلّا يَرْحَمُنَا وَبَكَتْ أُخْتُهَا حُرْقَةُ بِنْتُ النّعْمَانِ يَوْمًا وَهِيَ فِي عِزّهَا فَقِيلَ لَهَا : مَا يُبْكِيك لَعَلّ أَحَدًا آذَاك ؟ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ رَأَيْتُ غَضَارَةً فِي أَهْلِي وَقَلّمَا امْتَلَأَتْ دَارٌ سُرُورًا إلّا امْتَلَأَتْ حُزْنًا . قَالَ إسْحَاقُ بْنُ طَلْحَةَ : دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ عَبَرَاتِ الْمُلُوكِ ؟ فَقَالَتْ مَا نَحْنُ فِيهِ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِمّا كُنّا فِيهِ الْأَمْسَ إنّا نَجِدُ فِي الْكُتُبِ أَنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَعِيشُونَ فِي خِيرَةٍ إلّا سَيُعْقَبُونَ بَعْدَهَا عِبْرَةً وَأَنّ الدّهْرَ لَمْ يَظْهَرْ لِقَوْمٍ بِيَوْمٍ يُحِبّونَهُ إلّا بَطَنَ لَهُمْ بِيَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ ثُمّ قَالَتْ

فَبَيْنَا نَسُوسُ النّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصّفُ

فَأُفّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرّفُ

[ص ١٧٦]

[الْجَزَعُ يُضَاعِفُ الْمَرَضَ]

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنّ الْجَزَعَ لَا يَرُدّهَا بَلْ يُضَاعِفُهَا وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ تَزَايُدِ الْمَرَضِ .

[فَوْتُ ثَوَابِ الصّبْرِ أَعْظَمُ مِنْ الْمُصِيبَةِ]

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنّ فَوْتَ ثَوَابِ الصّبْرِ وَالتّسْلِيمِ وَهُوَ الصّلَاةُ وَالرّحْمَةُ وَالْهِدَايَةُ الّتِي ضَمِنَهَا اللّهُ عَلَى الصّبْرِ وَالِاسْتِرْجَاعِ أَعْظَمُ مِنْ الْمُصِيبَةِ فِي الْحَقِيقَةِ .

[الْجَزَعُ يُشْمِتُ الْأَعْدَاءَ]
وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنّ الْجَزَعَ يُشْمِتُ عَدُوّهُ وَيَسُوءُ صَدِيقَهُ وَيُغْضِبُ رَبّهُ وَيَسُرّ شَيْطَانَهُ وَيُحْبِطُ أَجْرَهُ وَيُضْعِفُ نَفْسَهُ وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أَنْضَى شَيْطَانَهُ وَرَدّهُ خَاسِئًا وَأَرْضَى رَبّهُ وَسَرّ صَدِيقَهُ وَسَاءَ عَدُوّهُ وَحَمَلَ عَنْ إخْوَانِهِ وَعَزّاهُمْ هُوَ قَبْلَ أَنْ يُعَزّوهُ فَهَذَا هُوَ الثّبَاتُ وَالْكَمَالُ الْأَعْظَمُ لَا لَطْمُ الْخُدُودِ وَشَقّ الْجُيُوبِ وَالدّعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالثّبُورِ وَالسّخْطُ عَلَى الْمَقْدُورِ .
[لَذّةَ الصّبْرِ وَمِنْهَا بَيْتُ الْحَمْدِ]
وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ مَا يُعْقِبُهُ الصّبْرُ وَالِاحْتِسَابُ مِنْ اللّذّةِ وَالْمَسَرّةِ أَضْعَافُ مَا كَانَ يَحْصُلُ لَهُ بِبَقَاءِ مَا أُصِيبَ بِهِ لَوْ بَقِيَ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِ مِنْ ذَلِكَ بَيْتُ الْحَمْدِ الّذِي يُبْنَى لَهُ فِي الْجَنّةِ عَلَى حَمْدِهِ لِرَبّهِ وَاسْتِرْجَاعِهِ فَلْيَنْظُرْ أَيّ الْمُصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ ؟ : مُصِيبَةُ الْعَاجِلَةِ أَوْ مُصِيبَةُ فَوَاتِ بَيْتِ الْحَمْدِ فِي جَنّةِ الْخُلْدِ . وَفِي التّرْمِذِيّ مَرْفُوعًا : يَوَدّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ فِي الدّنْيَا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ وَقَالَ بَعْضُ السّلَفِ لَوْلَا مَصَائِبُ الدّنْيَا لَوَرَدْنَا الْقِيَامَ مَفَالِيسَ .
[تَرْوِيحُ الْقَلْبِ بِرَجَاءِ الْخَلَفِ مِنْ اللّهِ]
وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يُرَوّحَ قَلْبَهُ بِرُوحِ رَجَاءِ الْخَلَفِ مِنْ اللّهِ فَإِنّهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ عِوَضٌ إلّا اللّهُ فَمَا مِنْهُ عِوَضٌ كَمَا قِيلَ [ص ١٧٧] مِنْ كُلّ شَيْءٍ إذَا ضَيّعْتَهُ عِوَضٌ وَمَا مِنْ اللّهِ إنْ ضَيّعْتَهُ عِوَضُ
[الْحَظّ مِنْ الْمُصِيبَةِ مَا تُحْدِثُهُ لَهُ]
وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ حَظّهُ مِنْ الْمُصِيبَةِ مَا تُحْدِثُهُ لَهُ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخْطُ فَحَظّك مِنْهَا مَا أَحْدَثَتْهُ لَك فَاخْتَرْ خَيْرَ الْحُظُوظِ أَوْ شَرّهَا فَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ سُخْطًا وَكُفْرًا كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْهَالِكِينَ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ جَزَعًا وَتَفْرِيطًا فِي تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرّمٍ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْمُفَرّطِينَ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ شِكَايَةً وَعَدَمَ صَبْرٍ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْمَغْبُونِينَ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ اعْتِرَاضًا عَلَى اللّهِ وَقَدْحًا فِي حِكْمَتِهِ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ الزّنْدَقَةِ أَوْ وَلَجَهُ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ صَبْرًا وَثَبَاتًا لِلّهِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الصّابِرِينَ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ الرّضَى عَنْ اللّهِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الرّاضِينَ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ الْحَمْدَ وَالشّكْرَ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الشّاكِرِينَ وَكَانَ تَحْتَ لِوَاءِ الْحَمْدِ مَعَ الْحَمّادِينَ وَإِنْ أَحْدَثَتْ لَهُ مَحَبّةً وَاشْتِيَاقًا إلَى لِقَاءِ رَبّهِ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الْمُحِبّينَ الْمُخْلِصِينَ . وَفِي مُسْنَدِ " الْإِمَامِ أَحْمَدَ " وَالتّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ يَرْفَعُهُ إنّ اللّهَ إذَا أَحَبّ قَوْمًا ا بْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخْطُ زَادَ أَحْمَدُ : وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّهُ وَإِنْ بَلَغَ فِي الْجَزَعِ غَايَتَهُ فَآخِرُ أَمْرِهِ إلَى صَبْرِ الِاضْطِرَارِ وَهُوَ غَيْرُ مَحْمُودٍ وَلَا مُثَابٍ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعَاقِلُ يَفْعَلُ فِي أَوّلِ يَوْمٍ مِنْ الْمُصِيبَةِ مَا يَفْعَلُهُ الْجَاهِلُ بَعْدَ أَيّامٍ وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ صَبْرَ الْكِرَامِ سَلَا سَلْوَ الْبَهَائِمِ . وَفِي " الصّحِيحِ " مَرْفُوعًا : الصّبْرُ عِنْدَ الصّدْمَةِ الْأُولَى وَقَالَ [ص ١٧٨] الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : إنّك إنْ صَبَرْت إيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَإِلّا سَلَوْتَ سُلُوّ الْبَهَائِمِ
[أَنْفَعُ الْأَدْوِيَةِ مُوَافَقَةُ اللّهِ فِيمَا أَحَبّهُ]
وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ أَنْفَعَ الْأَدْوِيَةِ لَهُ مُوَافَقَةُ رَبّهِ وَإِلَهِهِ فِيمَا أَحَبّهُ وَرَضِيَهُ لَهُ وَأَنّ خَاصّيّةَ الْمَحَبّةِ وَسِرّهَا مُوَافَقَةُ الْمَحْبُوبِ فَمَنْ ادّعَى مَحَبّةَ مَحْبُوبٍ ثُمّ سَخِطَ مَا يُحِبّهُ

وَأَحَبّ مَا يَسْخَطُهُ فَقَدْ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِكَذِبِهِ وَتَمَقّتَ إلَى مَحْبُوبِهِ . وَقَالَ أَبُو الدّرْدَاءِ : إنّ اللّهَ إذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبّ أَنْ يُرْضَى بِهِ وَكَانَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ يَقُولُ فِي عِلّتِهِ أَحَبّهُ إلَيّ أَحَبّهُ إلَيْهِ وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ . وَهَذَا دَوَاءٌ وَعِلَاجٌ لَا يَعْمَلُ إلّا مَعَ الْمُحِبّينَ وَلَا يُمْكِنُ كُلّ أَحَدٍ أَنْ يَتَعَالَجَ بِهِ .

[لَذّةُ التّمَتّعِ بِثَوَابِ اللّهِ أَعْظَمُ مِنْ لَذّةِ التّمَتّعِ بِمَا أُصِيبَ بِهِ]

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يُوَازِنَ بَيْنَ أَعْظَمِ اللّذّتَيْنِ وَالْمُتْعَتَيْنِ وَأَدْوَمِهِمَا : لَذّةِ تَمَتّعِهِ بِمَا أُصِيبَ بِهِ وَلَذّةِ تَمَتّعِهِ بِثَوَابِ اللّهِ لَهُ فَإِنْ ظَهَرَ لَهُ الرّجْحَانُ فَآثَرَ الرّاجِحَ فَلْيَحْمَدْ اللّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَإِنْ آثَرَ الْمَرْجُوحَ مِنْ كُلّ وَجْهٍ فَلْيَعْلَمْ أَنّ مُصِيبَتَهُ فِي عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَدِينِهِ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِهِ الّتِي أُصِيبَ بِهَا فِي دُنْيَاهُ .

[ابْتِلَاءُ اللّهِ الْعَبْدَ لِامْتِحَانِ صَبْرِهِ]

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنّ الّذِي ابْتَلَاهُ بِهَا أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرّاحِمِينَ وَأَنّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلْ إلَيْهِ الْبَلَاءَ لِيُهْلِكَهُ بِهِ وَلَا لِيُعَذّبَهُ بِهِ وَلَا لِيَجْتَاحَهُ وَإِنّمَا افْتَقَدَهُ بِهِ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَإِيمَانَهُ وَلِيَسْمَعَ تَضَرّعَهُ وَابْتِهَالَهُ وَلِيَرَاهُ طَرِيحًا بِبَابِهِ لَائِذًا بِجَنَابِهِ مَكْسُورَ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ رَافِعًا قِصَصَ الشّكْوَى إلَيْهِ . قَالَ الشّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ : يَا بُنَيّ إنّ الْمُصِيبَةَ مَا جَاءَتْ لِتُهْلِكَك وَإِنّمَا جَاءَتْ لِتَمْتَحِنَ صَبْرَك وَإِيمَانَك يَا بُنَيّ الْقَدَرُ سَبُعٌ وَالسّبُعُ لَا يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ الْمُصِيبَةَ كِيرُ الْعَبْدِ الّذِي يُسْبَكُ بِهِ حَاصِلُهُ فَإِمّا أَنْ يَخْرُجَ [ص ١٧٩] أَحْمَرَ وَإِمّا أَنْ يَخْرُجَ خَبَثًا كُلّهُ كَمَا قِيلَ سَبَكْنَاهُ وَنَحْسِبُهُ لُجَيْنًا فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْهُ هَذَا الْكِيرُ فِي الدّنْيَا فَبَيْنَ يَدَيْهِ الْكِيرُ الْأَعْظَمُ فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنّ إدْخَالَهُ كِيرَ الدّنْيَا وَمَسْبَكَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْكِيرِ وَالْمَسْبَكِ وَأَنّهُ لَا بُدّ مِنْ أَحَدِ الْكِيرَيْنِ فَلْيَعْلَمْ قَدْرَ نِعْمَةِ اللّهِ عَلَيْهِ فِي الْكِيرِ الْعَاجِلِ .

[الْمُصِيبَةُ كَاسِرَةٌ لِدَاءِ الْكِبْرِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ]

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّهُ لَوْلَا مِحَنُ الدّنْيَا وَمَصَائِبُهَا لَأَصَابَ الْعَبْدَ - مِنْ أَدْوَاءِ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْفَرْعَنَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ - مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا فَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرّاحِمِينَ أَنْ يَتَفَقّدَهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ أَدْوِيَةِ الْمَصَائِبِ تَكُونُ حَمِيّةً لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ وَحِفْظًا لِصِحّةِ عُبُودِيّتِهِ وَاسْتِفْرَاغًا لِلْمَوَادّ الْفَاسِدَةِ الرّدِيئَةِ الْمُهْلِكَةِ مِنْهُ فَسُبْحَانَ مَنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ وَيَبْتَلِي بِنَعْمَائِهِ كَمَا قِيلَ قَدْ يُنْعِمُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنّعَمِ

فَلَوْلَا أَنّهُ - سُبْحَانَهُ - يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ لَطَغَوْا وَبَغَوْا وَعَتَوْا وَاَللّهُ - سُبْحَانَهُ - إذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَقَاهُ دَوَاءً مِنْ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ يَسْتَفْرِغُ بِهِ مِنْ الْأَدْوَاءِ الْمُهْلِكَةِ حَتّى إذَا هَذّبَهُ وَنَقّاهُ وَصَفّاهُ أَهّلَهُ لِأَشْرَفِ مَرَاتِبِ الدّنْيَا وَهِيَ عُبُودِيّتُهُ وَأَرْفَعِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَهُوَ رُؤْيَتُهُ وَقُرْبُهُ .

[مَرَارَةُ الدّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ]

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنّ مَرَارَةَ الدّنْيَا هِيَ بِعَيْنِهَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ يَقْلِبُهَا اللّهُ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ وَحَلَاوَةَ الدّنْيَا بِعَيْنِهَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ وَلَأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَرَارَةٍ مُنْقَطِعَةٍ إلَى حَلَاوَةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْك هَذَا فَانْظُرْ إلَى قَوْلِ الصّادِقِ الْمَصْدُوقِ حُفّتْ الْجَنّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفّتْ النّارُ بِالشّهَوَاتِ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَفَاوَتَتْ عُقُولُ الْخَلَائِقِ

وَظَهَرَتْ حَقَائِقُ الرِّجَالِ فَأَكْثَرُهُمْ [ص ١٨٠] آثَرَ الْحَلَاوَةَ الْمُنْقَطِعَةَ عَلَى الْحَلَاوَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ وَلَمْ يَحْتَمِلْ مَرَارَةَ سَاعَةٍ لِحَلَاوَةِ الْأَبَدِ وَلَا ذُلَّ سَاعَةٍ لِعِزِّ الْأَبَدِ وَلَا مِحْنَةَ سَاعَةٍ لِعَافِيَةِ الْأَبَدِ فَإِنَّ الْحَاضِرَ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ وَالْمُنْتَظَرَ غَيْبٌ وَالْإِيمَانُ ضَعِيفٌ وَسُلْطَانُ الشَّهْوَةِ حَاكِمٌ فَتَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ إِيثَارُ الْعَاجِلَةِ وَرَفْضُ الْآخِرَةِ وَهَذَا حَالُ النَّظَرِ الْوَاقِعِ عَلَى ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَأَوَائِلِهَا وَمَبَادِئِهَا وَأَمَّا النَّظَرُ الثَّاقِبُ الَّذِي يَخْرِقُ حُجُبَ الْعَاجِلَةِ وَيُجَاوِزُهُ إِلَى الْعَوَاقِبِ وَالْغَايَاتِ فَلَهُ شَأْنٌ آخَرُ . فَادْعُ نَفْسَكَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْفَوْزِ الْأَكْبَرِ وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الْبِطَالَةِ وَالْإِضَاعَةِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعِقَابِ وَالْحَسَرَاتِ الدَّائِمَةِ ثُمَّ اخْتَرْ أَيَّ الْقِسْمَيْنِ أَلْيَقَ بِكَ وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يَصْبُو إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ وَمَا هُوَ الْأَوْلَى بِهِ وَلَا تَسْتَطِلْ هَذَا الْعِلَاجَ فَشِدَّةُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ مِنَ الطَّبِيبِ وَالْعَلِيلِ دَعَتْ إِلَى بَسْطِهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

١ـ قال صلى الله عليه وسلم: ((إنما الحمى ـ أو شدة الحمى ـ من فَيْح جَهَنَّمَ؛ فَأَبرِدُوهَا بالماء)) [ق].

٢ـ وقال: ((إذا حُمَّ أحدكم فليسنَّ(١) عليه الماء البارد ثلاث ليال من السَّحر)).

٣ـ وكان إذا حُمَّ دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل.

وَذُكِرَتْ الحُمى عنده ذات مرة، فسبها رجل، فقال: ((لا تسبها؛ فإنها تنفي الذنوب كما تنفي النارُ خبثَ الحديد)) [صحيح ابن ماجه].

٤ـ وأتاه رجل فقال: إن أخي يشتكي بطنه ـ وفي رواية: استطلق بطنه ـ فقال: ((اسقه عسلاً)) [ق]، وكان يشربه بالماء على الريق.

٥ـ واشتكى قوم اجتووا المدينة من داء الاستسقاء، فقال: ((لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها)) ففعلوا وصحوا [ق].

والجوى: داء من أدواء الجوف، والاستسقاء: مرض يسبب انتفاخ البطن.

٦ـ ولما جرح في أحد أخذت فاطمة قطعة حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقته بالجرح؛ فاستمسك الدم.

وبعث إلى أبي بن كعب طبيبًا فقطع له عِرْقًا وكواه عليه. وقال: ((الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي)) [خ]، وقال: ((وما أحب أن أكتوي)) [ق]. إشارة إلى أن يؤخر الأخذ به حتى تدفع الضرورة إليه، لما فيه من استعجال الألم الشديد.

٧ـ وَاحْتَجَمَ صلى الله عليه وسلم وأعطى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ، وقال: ((إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين)) [صحيح الجامع]، وقال: ((خير ما تداويتم به الحجامة)) [ق]. واحتجم وهو مُحْرِمٌ في رأسه لصداع، واحتجم في وركه من وثء(١) كان به.

وكان يحتجم ثلاثًا: واحدة على كَاهِلِهِ واثنتين على الأخدعين(٢).

واحتكم على الكاهل ثلاثًا لَمَّا أَكَلَ من الشَّاة المسمومة، وأمر أصحابه بالحجامة.

٨ـ وما شكى إليه أحد وجعًا في رأسه إلا قال له: ((احتجم))، ولا شكى إليه وجعًا في رجليه إلا قال له: ((اختضب بالحناء)) [صحيح أبي داود].

٩- وفي سنن الترمذي عن سلمى أم رافع خادمة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: وكان لا يصيبه قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء [صحيح ابن ماجه].
١٠- وقال: ((دواء عرق النسا ألية شاة تشرب على الريق في كل يوم جزء)) [صحيح ابن ماجه].
وعرق النسا: وجع يبتدئ من مفصل الورك، وينزل من خلف على الفخذ.
١١- وقال في علاج يبس الطبع واحتياجه إلى ما يمشيه ويلينه: ((عليكم بالسنا والسنوت؛ فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام)) وهو الموت [صحيح ابن ماجه].
والسنا: نبت حجازي. أما السنوت: ففيه أقوال كثيرة؛ منها: أنه العسل، أو العسل الذي يكون في زقاق السمن.
١٢- وقال: ((خير أكحالكم الإثمد: يجلو البصر، وينبت الشعر)) [صحيح أبي داود].
والإثمد: هو الكحل الأسود.
١٣- وقال: ((من تَصَبَّحَ بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْرٌ)) [ق].
١٤- وقال: ((لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم)) [صحيح الترمذي].
١٥- وحمى صهيبًا من التَّمر، وأنكر عليه أكْلَهُ وهو أرمد، وأقَرَّه على تمرات يسيره، وحمى عليًّا من الرُّطب لما أصابه الرَّمد.
١٦- وقال: ((إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه؛ فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء)) [خ].
١٧- وقال: ((التلبينة مَجَمَّةٌ لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن)) [ق].
والتلبينة حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته.
١٨- وقال: ((عليكم بهذه الحبة السوداء؛ فإن فيها شفاء من كل داء إلا السَّام)) [ق].
١٩- وقال: ((فِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد)) [خ]، وقال: ((لا يوردن ممرض على مصح)) [ق].
٢٠- وكان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: ((ارجع فقد بايعناك)) [م].
....
(١) في الأصل: ((فليرش)) والمثبت من كتب السنة، و((السنَّ)): صب الماء.
(١) الوثء: وجع يصيب العضو من غير كسر.
(٢) الأخدع: عرق في جانب العنق، والكاهل: ما بين الكتفين من الظهر

٢٨. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم فِي الْعِلَاجِ بِالأَدْوِيَةِ الإِلَهِيَّةِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٨٥)
فَصْلٌ فِي بَيَانِ جِهَةِ تَأْثِيرِ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ فِي هَذِهِ الْأَمْرَاضِ
خَلَقَ اللّهُ - سُبْحَانَهُ - ابْنَ آدَمَ وَأَعْضَاءَهُ وَجَعَلَ لِكُلّ عُضْوٍ مِنْهَا كَمَالًا إذَا فَقَدَهُ أَحَسّ بِالْأَلَمِ وَجَعَلَ لِمَلِكِهَا وَهُوَ الْقَلْبُ كَمَالًا إذَا فَقَدَهُ حَضَرَتْهُ أَسْقَامُهُ وَآلَامُهُ مِنْ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ . فَإِذَا فَقَدَتْ الْعَيْنُ مَا خُلِقَتْ لَهُ مِنْ قُوّةِ الْإِبْصَارِ وَفَقَدَتْ الْأُذُنُ مَا خُلِقَتْ لَهُ مِنْ قُوّةِ السّمْعِ وَاللّسَانُ مَا خُلِقَ لَهُ مِنْ قُوّةِ الْكَلَامِ فَقَدَتْ كَمَالَهَا .

[وَظِيفَةُ الْقَلْبِ]
وَالْقَلْبُ خُلِقَ لِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالسُّرُورِ بِهِ وَالِابْتِهَاجِ بِحُبِّهِ وَالرِّضَى عَنْهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْحُبِّ فِيهِ وَالْبُغْضِ فِيهِ وَالْمُوَالَاةِ فِيهِ وَالْمُعَادَاةِ فِيهِ وَدَوَامِ ذِكْرِهِ وَأَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَأَرْجَى عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَأَجَلَّ فِي قَلْبِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ وَلَا سُرُورَ وَلَا لَذَّةَ بَلْ وَلَا حَيَاةَ إِلَّا بِذَلِكَ وَهَذَا لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْغِذَاءِ وَالصِّحَّةِ وَالْحَيَاةِ فَإِذَا فَقَدَ غِذَاءَهُ وَصِحَّتَهُ وَحَيَاتَهُ فَالْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالْأَحْزَانُ مُسَارِعَةٌ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَيْهِ وَرَهْنٌ مُقِيمٌ عَلَيْهِ .
[أَمْرَاضُ الْقَلْبِ]
وَمِنْ أَعْظَمِ أَدْوَائِهِ الشِّرْكُ وَالذُّنُوبُ وَالْغَفْلَةُ وَالِاسْتِهَانَةُ بِمَحَابِّهِ وَمَرَاضِيهِ وَتَرْكُ التَّفْوِيضِ إِلَيْهِ وَقِلَّةُ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَالرُّكُونُ إِلَى مَا سِوَاهُ وَالسُّخْطُ بِمَقْدُورِهِ وَالشَّكُّ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ .
[عِلَاجَاتُ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ]
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ أَمْرَاضَ الْقَلْبِ وَجَدْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَأَمْثَالَهَا هِيَ أَسْبَابُهَا لَا [ص ١٨٦] الْمُضَادَّةِ لِهَذِهِ الْأَدْوَاءِ فَإِنَّ الْمَرَضَ يُزَالُ بِالضِّدِّ وَالصِّحَّةُ تُحْفَظُ بِالْمِثْلِ فَصِحَّتُهُ تُحْفَظُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ النَّبَوِيَّةِ وَأَمْرَاضُهُ بِأَضْدَادِهَا .
[فَوَائِدُ التَّوْحِيدِ فَوَائِدُ التَّوْبَةِ]
فَالتَّوْحِيدُ يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ بَابَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ وَاللَّذَّةِ وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ وَالتَّوْبَةُ اسْتِفْرَاغٌ لِلْأَخْلَاطِ وَالْمَوَادِّ الْفَاسِدَةِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ أَسْقَامِهِ وَحَمِيَّةٌ لَهُ مِنَ التَّخْلِيطِ فَهِيَ تُغْلِقُ عَنْهُ بَابَ الشُّرُورِ فَيُفْتَحُ لَهُ بَابُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَيُغْلَقُ بَابُ الشُّرُورِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ . قَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الطِّبِّ : مَنْ أَرَادَ عَافِيَةَ الْجِسْمِ فَلْيُقَلِّلْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَنْ أَرَادَ عَافِيَةَ الْقَلْبِ فَلْيَتْرُكْ الْآثَامَ . وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ : رَاحَةُ الْجِسْمِ فِي قِلَّةِ الطَّعَامِ وَرَاحَةُ الرُّوحِ فِي قِلَّةِ الْآثَامِ وَرَاحَةُ اللِّسَانِ فِي قِلَّةِ الْكَلَامِ .
وَالذُّنُوبُ لِلْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ السُّمُومِ إِنْ لَمْ تُهْلِكْهُ أَضْعَفَتْهُ وَلَا بُدَّ وَإِذَا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُقَاوَمَةِ الْأَمْرَاضِ قَالَ طَبِيبُ الْقُلُوبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ .

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ
وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَا ةُ الْقُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

[الْهَوَى أَكْبَرُ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُخَالَفَتِهِ]
فَالْهَوَى أَكْبَرُ أَدْوَائِهَا وَمُخَالَفَتُهُ أَعْظَمُ أَدْوِيَتِهَا وَالنَّفْسُ فِي الْأَصْلِ خُلِقَتْ جَاهِلَةً ظَالِمَةً فَهِيَ لِجَهْلِهَا تَظُنُّ شِفَاءَهَا فِي اتِّبَاعِ هَوَاهَا وَإِنَّمَا فِيهِ تَلَفُهَا وَعَطَبُهَا وَلِظُلْمِهَا لَا تَقْبَلُ مِنَ الطَّبِيبِ النَّاصِحِ بَلْ تَضَعُ الدَّاءَ مَوْضِعَ الدَّوَاءِ فَتَعْتَمِدُهُ وَتَضَعُ الدَّوَاءَ مَوْضِعَ الدَّاءِ فَتَجْتَنِبُهُ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ إِيثَارِهَا لِلدَّاءِ وَاجْتِنَابِهَا لِلدَّوَاءِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تُعْيِي الْأَطِبَّاءَ وَيَتَعَذَّرُ مَعَهَا الشِّفَاءُ . وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى أَنَّهَا تُرَكِّبُ ذَلِكَ عَلَى الْقَدَرِ فَتُبْرِئُ نَفْسَهَا وَتَلُومُ رَبَّهَا بِلِسَانِ الْحَالِ دَائِمًا وَيَقْوَى اللَّوْمُ حَتَّى يُصَرِّحَ بِهِ اللِّسَانُ . [ص ١٨٧]
[حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ مُشْتَمِلٌ عَلَى تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَصِفَتَيْ الْعَظَمَةِ وَالْحِلْمِ]

وَإِذَا وَصَلَ الْعَلِيلُ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ فَلَا يَطْمَعُ فِي بُرْئِهِ إِلَّا أَنْ تَتَدَارَكَهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَيُحْيِيهِ حَيَاةً جَدِيدَةً وَيَرْزُقُهُ طَرِيقَةً حَمِيدَةً فَلِهَذَا كَانَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ مُشْتَمِلًا عَلَى تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَوَصْفِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْعَظَمَةِ وَالْحِلْمِ وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مُسْتَلْزِمَتَانِ لِكَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّجَاوُزِ وَوَصْفِهِ بِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ وَالْعَرْشِ الَّذِي هُوَ سَقْفُ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَعْظَمُهَا وَالرُّبُوبِيَّةُ التَّامَّةُ تَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَهُ وَأَنَّهُ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ وَالْحُبُّ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْإِجْلَالُ وَالطَّاعَةُ إِلَّا لَهُ . وَعَظَمَتُهُ الْمُطْلَقَةُ تَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ وَسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وَتَمْثِيلٍ عَنْهُ . وَحِلْمُهُ يَسْتَلْزِمُ كَمَالَ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ . فَعِلْمُ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَتُهُ بِذَلِكَ تُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَإِجْلَالَهُ وَتَوْحِيدَهُ فَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ الِابْتِهَاجِ وَاللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ أَلَمَ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَأَنْتَ تَجِدُ الْمَرِيضَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مَا يَسُرُّهُ وَيُفْرِحُهُ وَيُقَوِّي نَفْسَهُ كَيْفَ تَقْوَى الطَّبِيعَةُ عَلَى دَفْعِ الْمَرَضِ الْحِسِّيِّ فَحُصُولُ هَذَا الشِّفَاءِ لِلْقَلْبِ أَوْلَى وَأَحْرَى . ثُمَّ إِذَا قَابَلْتَ بَيْنَ ضِيقِ الْكَرْبِ وَسَعَةِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا دُعَاءُ الْكَرْبِ وَجَدْتَه فِي غَايَةِ الْمُنَاسَبَةِ لِتَفْرِيجِ هَذَا الضِّيقِ وَخُرُوجِ الْقَلْبِ مِنْهُ إِلَى سَعَةِ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ وَهَذِهِ الْأُمُورُ إِنَّمَا يُصَدِّقُ بِهَا مَنْ أَشْرَقَتْ فِيهِ أَنْوَارُهَا وَبَاشَرَ قَلْبُهُ حَقَائِقَهَا .

[فَوَائِدُ صِفَتَيْ الْحَيِّ الْقَيُّومِ]

" وَفِي تَأْثِيرِ قَوْلِهِ يَا حَيِّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِك أَسْتَغِيث فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ مُنَاسِبَةٌ بَدِيعَةٌ فَإِنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا وَصِفَةُ الْقَيُّومِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ وَلِهَذَا كَانَ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى : هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَالْحَيَاةُ التَّامَّةُ تُضَادُّ جَمِيعَ الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ وَلِهَذَا لَمَّا كَمُلَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهُمْ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ وَلَا حَزَنٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ . وَنُقْصَانُ الْحَيَاةِ تَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ وَتُنَافِي الْقَيُّومِيَّةَ [ص ١٨٨] الْقَيُّومِيَّةِ لِكَمَالِ الْحَيَاةِ فَالْحَيُّ الْمُطْلَقُ التَّامُّ الْحَيَاةِ لَا تَفُوتُهُ صِفَةُ الْكَمَالِ الْبَتَّةَ وَالْقَيُّومُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُمْكِنٌ الْبَتَّةَ فَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ الْقَيُّومِيَّةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِزَالَةِ مَا يُضَادُّ الْحَيَاةَ وَيَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ .

[تَوَسُّلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ لِجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ]

وَنَظِيرُ هَذَا تَوَسُّلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ لِجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ أَنْ يَهْدِيَهُ لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ فَإِنَّ حَيَاةَ الْقَلْبِ بِالْهِدَايَةِ وَقَدْ وَكَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَؤُلَاءِ الْأَمْلَاكَ الثَّلَاثَة بِالْحَيَاةِ فَجِبْرِيلُ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَمِيكَائِيلُ بِالْقَطْرِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ الْأَبْدَانِ وَالْحَيَوَانِ وَإِسْرَافِيلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْعَالَمِ وَعَوْدِ الْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَادِهَا فَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِرُبُوبِيَّةِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْعَظِيمَةِ الْمُوَكَّلَةِ بِالْحَيَاةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ لِاسْمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ تَأْثِيرًا خَاصًّا فِي إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ وَكَشْفِ الْكُرُبَاتِ وَفِي " السُّنَنِ " و " صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ " مَرْفُوعًا : اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [الْبَقَرَةُ ١٦٣] وَفَاتِحَةُ آلِ عِمْرَانَ { الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } قَالَ التِّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَفِي " السُّنَنِ " و " صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ " أَيْضًا : مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا دَعَا [ص ١٨٩] فَقَالَ اللَّهُمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا

قَيّومُ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَقَدْ دَعَا اللّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الّذِي إذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَلِهَذَا كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا اجْتَهَدَ فِي الدّعَاءِ قَالَ يَا حَيّ يَا قَيّومُ .

[مَا فِي اللّهُمّ رَحْمَتَك أَرْجُو . . و اللّهُ رَبّي . .]

" وَفِي قَوْلِهِ اللّهُمّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلّهُ لَا إلَهَ إلّا أَنْت مِنْ تَحْقِيقِ الرّجَاءِ لِمَنْ الْخَيْرُ كُلّهُ بِيَدَيْهِ وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إلَيْهِ وَالتّضَرّعُ إلَيْهِ أَنْ يَتَوَلّى إصْلَاحَ شَأْنِهِ وَلَا يَكِلَهُ إلَى نَفْسِهِ وَالتّوَسّلُ إلَيْهِ بِتَوْحِيدِهِ مِمّا لَهُ تَأْثِيرٌ قَوِيّ فِي دَفْعِ هَذَا الدّاءِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ اللّهُ رَبّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

[مَا فِي اللّهُمّ إنّي عَبْدُك ابْنُ عَبْدِك مِنْ الْفَوَائِدِ]

وَأَمّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ : اللّهُمّ إنّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ فَفِيهِ مِنْ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيّةِ وَأَسْرَارِ الْعُبُودِيّةِ مَا لَا يَتّسِعُ لَهُ كِتَابٌ فَإِنّهُ يَتَضَمّنُ الِاعْتِرَافَ بِعُبُودِيّتِهِ وَعُبُودِيّةِ آبَائِهِ وَأُمّهَاتِهِ وَأَنّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ يُصَرّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ فَلَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ دُونَهُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرّا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا لِأَنّ مَنْ نَاصِيَتُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ فَلَيْسَ إلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ بَلْ هُوَ عَانٍ فِي قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ تَحْتَ سُلْطَانِ قَهْرِهِ .

[إثْبَاتُ الْقَدَرِ وَالْعَدْلِ لِلّهِ فِي مَاضٍ فِيّ حُكْمُك . .]

وَقَوْلُهُ مَاضٍ فِيّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيّ قَضَاؤُكَ مُتَضَمّنٌ لِأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ التّوْحِيدِ . أَحَدُهُمَا : إثْبَاتُ الْقَدَرِ وَأَنّ أَحْكَامَ الرّبّ تَعَالَى نَافِذَةٌ فِي عَبْدِهِ مَاضِيَةٌ فِيهِ لَا انْفِكَاكَ لَهُ عَنْهَا وَلَا حِيلَةَ لَهُ فِي دَفْعِهَا .

[أَسْأَلُك بِكُلّ اسْمٍ هُوَ لَك . .]

وَالثّانِي : أَنّهُ - سُبْحَانَهُ - عَدْلٌ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ غَيْرُ ظَالِمٍ لِعَبْدِهِ بَلْ لَا [ص ١٩٠] فَقِيرٌ إلَيْهِ وَمَنْ هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ فَلَا تَخْرُجُ ذَرّةٌ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ عَنْ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ كَمَا لَمْ تَخْرُجْ عَنْ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَحِكْمَتُهُ نَافِذَةٌ حَيْثُ نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ وَقُدْرَتُهُ وَلِهَذَا قَالَ نَبِيّ اللّهِ هُودٌ صَلّى اللّهُ عَلَى نَبِيّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ خَوّفَهُ قَوْمُهُ بِآلِهَتِهِمْ { إِنّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أَنّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمّ لَا تُنْظِرُونِي إِنّي تَوَكّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبّي وَرَبّكُمْ مَا مِنْ دَابّةٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنّ رَبّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هُود : ٥٤ - ٥٧] أَيْ مَعَ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ آخِذًا بِنَوَاصِي خَلْقِهِ وَتَصْرِيفِهِمْ كَمَا يَشَاءُ فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا يَتَصَرّفُ فِيهِمْ إلّا بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالرّحْمَةِ . فَقَوْلُهُ مَاضٍ فِيّ حُكْمُك مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ({ مَا مِنْ دَابّةٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } وَقَوْلُهُ عَدْلٌ فِيّ قَضَاؤُك مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ { إِنّ رَبّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ثُمّ تَوَسّلَ إلَى رَبّهِ بِأَسْمَائِهِ الّتِي سَمّى بِهَا نَفْسَهُ مَا عَلِمَ الْعِبَادُ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا . وَمِنْهَا : مَا اسْتَأْثَرَهُ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ مَلَكًا مُقَرّبًا وَلَا نَبِيّا مُرْسَلًا وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ أَعْظَمُ الْوَسَائِلِ وَأَحَبّهَا إلَى اللّهِ وَأَقْرَبُهَا تَحْصِيلًا لِلْمَطْلُوبِ . "

[أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي . .]

ثُمّ سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ لِقَلْبِهِ كَالرّبِيعِ الّذِي يَرْتَعُ فِيهِ الْحَيَوَانُ وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ شِفَاءَ هَمّهِ وَغَمّهِ فَيَكُونَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الدّوَاءِ الّذِي يَسْتَأْصِلُ الدّاءَ وَيُعِيدُ الْبَدَنَ إلَى صِحّتِهِ وَاعْتِدَالِهِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ لِحُزْنِهِ كَالْجَلَاءِ الّذِي يَجْلُو الطّبُوعَ وَالْأَصْدِيَةَ

وَغَيْرَهَا فَأَحْرَى بِهَذَا العِلَاجِ إِذَا صَدَقَ العَلِيلُ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ دَاءَهُ وَيُعْقِبَهُ شِفَاءً تَامًّا وَصِحَّةً وَعَافِيَةً وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ .

[دَعْوَةُ ذِي النُّونِ]

وَأَمَّا دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فَإِنَّ فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ لِلرَّبِّ تَعَالَى وَاعْتِرَافِ الْعَبْدِ بِظُلْمِهِ وَذَنْبِهِ مَا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَدْوِيَةِ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَأَبْلَغِ الْوَسَائِلِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ فَإِنَّ التَّوْحِيدَ وَالتَّنْزِيهَ يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالِ اللَّهِ وَسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَتَمْثِيلٍ عَنْهُ . وَالِاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ [ص ١٩١] إِيمَانَ الْعَبْدِ بِالشَّرْعِ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَيُوجِبُ انْكِسَارَهُ وَرُجُوعَهُ إِلَى اللَّهِ وَاسْتِقَالَتَهُ عَثْرَتَهُ وَالِاعْتِرَافَ بِعُبُودِيَّتِهِ وَافْتِقَارَهُ إِلَى رَبِّهِ فَهَا هُنَا أَرْبَعَةُ أُمُورٍ قَدْ وَقَعَ التَّوَسُّلُ بِهَا : التَّوْحِيدُ وَالتَّنْزِيهُ وَالْعُبُودِيَّةُ وَالِاعْتِرَافُ .

[اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِك مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ . .]

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ فَقَدْ تَضَمَّنَ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ كُلُّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قَرِينَانِ مُزْدَوَجَانِ فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ أَخَوَانِ وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ أَخَوَانِ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ أَخَوَانِ وَضَلَعُ الدَّيْنِ وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ أَخَوَانِ فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْمُؤْلِمَ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَمْرًا مَاضِيًا فَيُوجِبُ لَهُ الْحُزْنَ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُتَوَقَّعًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوْجَبَ الْهَمَّ وَتَخَلُّفُ الْعَبْدِ عَنْ مَصَالِحِهِ وَتَفْوِيتُهَا عَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ وَهُوَ الْعَجْزُ أَوْ مِنْ عَدَمِ الْإِرَادَةِ وَهُوَ الْكَسَلُ وَحَبْسُ خَيْرِهِ وَنَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَنِي جِنْسِهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَنْعَ نَفْعَهُ بِبَدَنِهِ فَهُوَ الْجُبْنُ أَوْ بِمَالِهِ فَهُوَ الْبُخْلُ وَقَهْرُ النَّاسِ لَهُ إِمَّا بِحَقٍّ فَهُوَ ضَلَعُ الدَّيْنِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَهُوَ غَلَبَةُ الرِّجَالِ فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَمَّا تَأْثِيرُ الِاسْتِغْفَارِ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالضِّيقِ فَلَمَّا اشْتَرَكَ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَهْلُ الْمِلَلِ وَعُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالْفَسَادَ تُوجِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْخَوْفَ وَالْحُزْنَ وَضِيقَ الصَّدْرِ وَأَمْرَاضَ الْقَلْبِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَهَا إِذَا قَضَوْا مِنْهَا أَوْطَارَهُمْ وَسَئِمَتْهَا نُفُوسُهُمْ ارْتَكَبُوهَا دَفْعًا لِمَا يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ الضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْفُسُوقِ

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ

وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

[التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ]

وَإِذَا كَانَ هَذَا تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ فِي الْقُلُوبِ فَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ . [ص ١٩٢]

[الصَّلَاةُ وَتَأْثِيرُهَا فِي تَفْرِيحِ الْقَلْبِ]

وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَشَأْنُهَا فِي تَفْرِيحِ الْقَلْبِ وَتَقْوِيَتِهِ وَشَرْحِهِ وَابْتِهَاجِهِ وَلَذَّتِهِ أَكْبَرُ شَأْنٍ وَفِيهَا مِنْ اتِّصَالِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ بِاللَّهِ وَقُرْبِهِ وَالتَّنَعُّمِ بِذِكْرِهِ وَالِابْتِهَاجِ بِمُنَاجَاتِهِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَآلَاتِهِ فِي عُبُودِيَّتِهِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ عُضْوٍ حَظَّهُ مِنْهَا وَاشْتِغَالِهِ عَنْ التَّعَلُّقِ بِالْخَلْقِ وَمُلَابَسَتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَانْجِذَابِ قُوَى قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ إِلَى رَبِّهِ وَفَاطِرِهِ وَرَاحَتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ حَالَةَ الصَّلَاةِ مَا صَارَتْ بِهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ وَالْمُفَرِّحَاتِ وَالْأَغْذِيَةِ الَّتِي لَا تُلَائِمُ إِلَّا الْقُلُوبَ الصَّحِيحَةَ . وَأَمَّا الْقُلُوبُ الْعَلِيلَةُ فَهِيَ كَالْأَبْدَانِ لَا تُنَاسِبُهَا إِلَّا الْأَغْذِيَةُ الْفَاضِلَةُ . فَالصَّلَاةُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى تَحْصِيلِ مَصَالِحِ

الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَدَفْعِ مَفَاسِدِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ مُنْهَاةٌ عَنْ الْإِثْمِ وَدَافِعَةٌ لِأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ وَمُطْرِدَةٌ لِلدّاءِ عَنْ الْجَسَدِ وَمُنَوّرَةٌ لِلْقَلْبِ وَمُبَيّضَةٌ لِلْوَجْهِ وَمُنَشّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ وَالنّفْسِ وَجَالِبَةٌ لِلرّزْقِ وَدَافِعَةٌ لِلظّلْمِ وَنَاصِرَةٌ لِلْمَظْلُومِ وَقَامِعَةٌ لِأَخْلَاطِ الشّهَوَاتِ وَحَافِظَةٌ لِلنّعْمَةِ وَدَافِعَةٌ لِلنّقْمَةِ وَمُنْزِلَةٌ لِلرّحْمَةِ وَكَاشِفَةٌ لِلْغُمّةِ وَنَافِعَةٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَوْجَاعِ الْبَطْنِ . وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَآنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا نَائِمٌ أَشْكُو مِنْ وَجَعِ بَطْنِي فَقَالَ لِي : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشِكَمَتْ دَرْدْ ؟ " قَالَ قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ " قُمْ فَصَلّ فَإِنّ فِي الصّلَاةِ شِفَاءً وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنّهُ هُوَ الّذِي قَالَ ذَلِكَ لِمُجَاهِدٍ وَهُوَ أَشْبَهُ . وَمَعْنَى هَذِهِ اللّفْظَةِ بِالْفَارِسِيّ أَيُوجِعُك بَطْنُك ؟ .

[الرّدّ عَلَى الْأَطِبّاءِ الْمُنْكِرِينَ لِفَائِدَةِ الصّلَاةِ فِي الْعِلَاجِ]

فَإِنْ لَمْ يَنْشَرِحْ صَدْرُ زِنْدِيقِ الْأَطِبّاءِ بِهَذَا الْعِلَاجِ فَيُخَاطَبُ بِصِنَاعَةِ الطّبّ وَيُقَالُ لَهُ الصّلَاةُ رِيَاضَةُ النّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا إذْ كَانَتْ تَشْتَمِلُ عَلَى حَرَكَاتٍ وَأَوْضَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ الِانْتِصَابِ وَالرّكُوعِ وَالسّجُودِ وَالتّوَرّكِ وَالِانْتِقَالَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَوْضَاعِ الّتِي يَتَحَرّكُ مَعَهَا أَكْثَرُ الْمَفَاصِلِ وَيَنْغَمِزُ مَعَهَا أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ [ص ١٩٣] وَالْأَمْعَاءِ وَسَائِرِ آلَاتِ النّفْسِ وَالْغِذَاءِ فَمَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الْحَرَكَاتِ تَقْوِيَةٌ وَتَحْلِيلٌ لِلْمَوَادّ وَلَا سِيّمَا بِوَاسِطَةِ قُوّةِ النّفْسِ وَانْشِرَاحِهَا فِي الصّلَاةِ فَتَقْوَى الطّبِيعَةُ فَيَنْدَفِعُ الْأَلَمُ وَلَكِنْ دَاءُ الزّنْدَقَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَمّا جَاءَتْ بِهِ الرّسُلُ وَالتّعَوّضِ عَنْهُ بِالْإِلْحَادِ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إلّا نَارٌ تَلَظّى لَا يَصْلَاهَا إلّا الْأَشْقَى الّذِي كَذّبَ وَتَوَلّى .

[تَأْثِيرُ الْجِهَادِ فِي دَفْعِ الْهَمّ]

وَأَمّا تَأْثِيرُ الْجِهَادِ فِي دَفْعِ الْهَمّ وَالْغَمّ فَأَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْوِجْدَانِ فَإِنّ النّفْسَ مَتَى تَرَكَتْ صَائِلَ الْبَاطِلِ وَصَوْلَتَهُ وَاسْتِيلَاءَهُ اشْتَدّ هَمّهَا وَغَمّهَا وَكَرْبُهَا وَخَوْفُهَا فَإِذَا جَاهَدَتْهُ لِلّهِ أَبْدَلَ اللّهُ ذَلِكَ الْهَمّ وَالْحُزْنَ فَرَحًا وَنَشَاطًا وَقُوّةً كَمَا قَالَ تَعَالَى : { قَاتِلُوهُمْ يُعَذّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ } [التّوْبَة : ١٤ ١٥] فَلَا شَيْءَ أَذْهَبُ لِجَوَى الْقَلْبِ وَغَمّهِ وَهَمّهِ وَحُزْنِهِ مِنْ الْجِهَادِ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ .

[تَأْثِيرُ الْحَوْقَلَةِ فِي دَفْعِ الْهَمّ]

وَأَمّا تَأْثِيرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاللّهِ فِي دَفْعِ هَذَا الدّاءِ فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التّفْوِيضِ وَالتّبَرّي مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوّةِ إلّا بِهِ وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلّهِ لَهُ وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَعُمُومُ ذَلِكَ لِكُلّ تَحَوّلٍ مِنْ حَالٍ إلَى حَالٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيّ وَالسّفْلِيّ وَالْقُوّةِ عَلَى ذَلِكَ التّحَوّلِ وَأَنّ ذَلِكَ كُلّهُ بِاَللّهِ وَحْدَهُ فَلَا يَقُومُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْءٌ . وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ إنّهُ مَا يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنْ السّمَاءِ وَلَا يَصْعَدُ إلَيْهَا إلّا بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاللّهِ وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الشّيْطَانِ وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْفَزَعِ وَالْأَرَقِ الْمَانِعِ مِنْ النّوْمِ

رَوَى التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ شَكَى خَالِدٌ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَنَامُ اللّيْلَ مِنْ الْأَرَقِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَوَيْتَ إلَى فِرَاشِك فَقُلْ : اللّهُمّ رَبّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَمَا أَظَلّتْ وَرَبّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقَلّتْ وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضَلّتْ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرّ خَلْقِك كُلّهِم جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ

عَلَيّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَبْغِيَ عَلَيّ عَزّ جَارُك وَجَلّ ثَنَاؤُك وَلَا إلَهَ غَيْرُكَ [ص ١٩٤] وَفِيهِ أَيْضًا : عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُعَلّمُهُمْ مِنْ الْفَزَعِ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبّ أَنْ يَحْضُرُونِ قَالَ وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو يُعَلّمُهُنّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ . وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَخْفَى مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْعُوذَةِ لِعِلَاجِ هَذَا الدّاءِ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٩٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ دَاءِ الْحَرِيقِ وَإِطْفَائِهِ

يُذْكَرُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا رَأَيْتُمْ الْحَرِيقَ فَكَبّرُوا فَإِنّ التّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ لَمّا كَانَ الْحَرِيقُ سَبَبُهُ النّارُ وَهِيَ مَادّةُ الشّيْطَانِ الّتِي خُلِقَ مِنْهَا وَكَانَ فِيهِ مِنْ الْفَسَادِ الْعَامّ مَا يُنَاسِبُ الشّيْطَانَ بِمَادّتِهِ وَفِعْلِهِ كَانَ لِلشّيْطَانِ إعَانَةٌ عَلَيْهِ وَتَنْفِيذٌ لَهُ وَكَانَتْ النّارُ تَطْلُبُ بِطَبْعِهَا الْعُلُوّ وَالْفَسَادَ وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ وَهُمَا الْعُلُوّ فِي الْأَرْضِ وَالْفَسَادُ هُمَا هَدْيُ الشّيْطَانِ وَإِلَيْهِمَا يَدْعُو وَبِهِمَا يُهْلِكُ بَنِي آدَمَ فَالنّارُ وَالشّيْطَانُ كُلّ مِنْهُمَا يُرِيدُ الْعُلُوّ فِي [ص ١٩٥] عَزّ وَجَلّ - تَقْمَعُ الشّيْطَانَ وَفِعْلَهُ .

[أَثَرُ التّكْبِيرِ فِي إخْمَادِ النّارِ مَادّةِ الشّيْطَانِ]

وَلِهَذَا كَانَ تَكْبِيرُ اللّهِ - عَزّ وَجَلّ - لَهُ أَثَرٌ فِي إطْفَاءِ الْحَرِيقِ فَإِنّ كِبْرِيَاءَ اللّهِ - عَزّ وَجَلّ - لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ فَإِذَا كَبّرَ الْمُسْلِمُ رَبّهُ أَثّرَ تَكْبِيرُهُ فِي خُمُودِ النّارِ وَخُمُودِ الشّيْطَانِ الّتِي هِيَ مَادّتُهُ فَيُطْفِئُ الْحَرِيقَ وَقَدْ جَرّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا هَذَا فَوَجَدْنَاهُ كَذَلِكَ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

....

١ـ كان يتعوذ من الجان، ومن عين الإنسان، وأمر بالرقية من العين، وقال: ((العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل)) [م].

٢ـ ورأى جارية في وجهها سفعة فقال: ((استرقوا لها؛ فإن بها النظرة)) [ق].

والسفعة؛ أي: النظرة من الجن.

٣ـ وقال لبعض أصحابه لما رقى اللديغ بالفاتحة فبرأ: ((وما يدريك أنها رقية)) [ق].

٤ـ وجاءه رجل فقال: لدغتني عقرب البارحة، فقال: ((أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك)) [م].

٥ـ وكان إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، وضع سبابته على الأرض، ثم رفعها وقال: ((بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا يشفى سقيمنا، بإذن ربنا)) [ق].

٦ـ وشكى له بعض صحابته وجعًا، فقال له: ((ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)) [م].

٧ـ وكان يُعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: ((اللهم رب الناس أذهب الباس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا)) [ق].

وكان إذا دخل على المريض يقول: ((لا بأس، طهور إن شاء الله)) [خ].

٢٩. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الطِّبِّ وَالتَّدَاوِي وَعِيَادَةِ المَرضَى

فَصْلٌ الطّبّ النّبَوِيّ
[ص ٥] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمُغَازِي وَالسّيَرِ وَالْبُعُوثِ وَالسّرَايَا وَالرّسَائِلِ وَالْكُتُبِ الّتِي كَتَبَ بِهَا إلَى الْمُلُوكِ وَنُوّابِهِمْ .
وَنَحْنُ نُتْبِعُ ذَلِكَ بِذِكْرِ فُصُولٍ نَافِعَةٍ فِي هَدْيِهِ فِي الطّبّ الّذِي تَطَبّبَ بِهِ وَوَصَفَهُ لِغَيْرِهِ وَنُبَيّنُ مَا فِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ الّتِي تَعْجِزُ عُقُولُ أَكْثَرِ الْأَطِبّاءِ عَنْ الْوُصُولِ إلَيْهَا وَأَنّ نِسْبَةَ طِبّهِمْ إلَيْهَا كَنِسْبَةِ طِبّ الْعَجَائِزِ إلَى طِبّهِمْ فَنَقُولُ وَبِاَللّهِ الْمُسْتَعَانُ وَمِنْهُ نَسْتَمِدّ الْحَوْلَ وَالْقُوّةَ .
[الْمَرَضُ نَوْعَانِ]
الْمَرَضُ نَوْعَانِ مَرَضُ الْقُلُوبِ وَمَرَضُ الْأَبْدَانِ وَهُمَا مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ .
[نَوْعَا مَرَضِ الْقَلْبِ]
وَمَرَضُ الْقُلُوبِ نَوْعَانِ مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَكّ وَمَرَضُ شَهْوَةٍ وَغَيّ وَكِلَاهُمَا فِي الْقُرْآنِ . قَالَ تَعَالَى فِي مَرَضِ الشّبْهَةِ { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضًا } [الْبَقَرَةُ ١٠] وَقَالَ تَعَالَى : { وَلِيَقُولَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلًا } [الْمُدّثّرُ ٣١] وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقّ مَنْ دُعِيَ إلَى تَحْكِيمِ الْقُرْآنِ وَالسّنّةِ فَأَبَى وَأَعْرَضَ { وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ } [النّورُ ٤٨ و ٤٩] فَهَذَا مَرَضُ الشّبُهَاتِ وَالشّكُوكِ . [ص ٦] فَقَالَ تَعَالَى : { يَا نِسَاءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مِنَ النّسَاءِ إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } [الْأَحْزَابُ ٣٢] . فَهَذَا مَرَضُ شَهْوَةِ الزّنَى وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
فَصْلٌ [مَرَضُ الْأَبْدَانِ]
وَأَمّا مَرَضُ الْأَبْدَانِ فَقَالَ تَعَالَى : { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ } [النّورُ ٦١] وَذَكَرَ مَرَضَ الْبَدَنِ فِي الْحَجّ وَالصّوْمِ وَالْوُضُوءِ لِسِرّ بَدِيعٍ يُبَيّنُ لَك عَظَمَةَ الْقُرْآنِ وَالِاسْتِغْنَاءَ بِهِ لِمَنْ فَهِمَهُ وَعَقَلَهُ عَنْ سِوَاهُ وَذَلِكَ أَنّ قَوَاعِدَ طِبّ الْأَبْدَانِ ثَلَاثَةٌ حِفْظُ الصّحّةِ وَالْحِمْيَةُ عَنْ الْمُؤْذِي وَاسْتِفْرَاغُ الْمَوَادّ الْفَاسِدَةِ فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْأُصُولَ الثّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الثّلَاثَةِ . فَقَالَ فِي آيَةِ الصّوْمِ { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ } [الْبَقَرَةُ ١٨٤] فَأَبَاحَ الْفِطْرَ لِلْمَرِيضِ لِعُذْرِ الْمَرَضِ وَلِلْمُسَافِرِ طَلَبًا لِحِفْظِ صِحّتِهِ وَقُوّتِهِ لِئَلّا يُذْهِبَهَا الصّوْمُ فِي السّفَرِ لِاجْتِمَاعِ شِدّةِ الْحَرَكَةِ وَمَا يُوجِبُهُ مِنْ التّحْلِيلِ وَعَدَمِ الْغِذَاءِ الّذِي يُخْلِفُ مَا تَحَلّلَ فَتَخُورُ الْقُوّةُ وَتَضْعُفُ فَأَبَاحَ لِلْمُسَافِرِ الْفِطْرَ حِفْظًا لِصِحّتِهِ وَقُوّتِهِ عَمّا يُضْعِفُهَا . وَقَالَ فِي آيَةِ الْحَجّ { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ } [الْبَقَرَةُ ١٩٦] فَأَبَاحَ لِلْمَرِيضِ وَمَنْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ مِنْ قَمْلٍ أَوْ حِكّةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا أَنْ يَحْلِقَ رَأْسَهُ فِي الْإِحْرَامِ اسْتِفْرَاغًا لِمَادّةِ الْأَبْخِرَةِ الرّدِيئَةِ الّتِي أَوْجَبَتْ لَهُ الْأَذَى فِي رَأْسِهِ بِاحْتِقَانِهَا تَحْتَ الشّعَرِ فَإِذَا حَلَقَ رَأْسَهُ تَفَتّحَتْ الْمَسَامّ فَخَرَجَتْ تِلْكَ الْأَبْخِرَةُ مِنْهَا فَهَذَا الِاسْتِفْرَاغُ يُقَاسُ عَلَيْهِ كُلّ اسْتِفْرَاغٍ يُؤْذِي انْحِبَاسُهُ . وَالْأَشْيَاءُ الّتِي يُؤْذِي انْحِبَاسُهَا وَمُدَافَعَتُهَا عَشَرَةٌ الدّمُ إذَا هَاجَ وَالْمَنِيّ إذَا تَبَيّغَ وَالْبَوْلُ وَالْغَائِطُ وَالرّيحُ

وَالقَيْءُ وَالعُطَاسُ وَالنَّوْمُ وَالجُوعُ [ص ٧] أَدْنَاهَا وَهُوَ البُخَارُ المُحْتَقَنُ فِي الرَّأْسِ عَلَى اسْتِفْرَاغِ مَا هُوَ أَصْعَبُ مِنْهُ كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ القُرْآنِ التَّنْبِيهُ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى .

[الْحِمْيَةُ]

وَأَمَّا الْحِمْيَةُ : فَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ الوُضُوءِ { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا } [النِّسَاءُ ٤٣] فَأَبَاحَ لِلْمَرِيضِ العُدُولَ عَنْ المَاءِ إِلَى التُّرَابِ حِمْيَةً لَهُ أَنْ يُصِيبَ جَسَدَهُ مَا يُؤْذِيهِ وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى الحِمْيَةِ عَنْ كُلِّ مُؤْذٍ لَهُ مِنْ دَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ فَقَدْ أَرْشَدَ - سُبْحَانَهُ - عِبَادَهُ إِلَى أُصُولِ الطِّبِّ وَمَجَامِعِ قَوَاعِدِهِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَدْيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَنُبَيِّنُ أَنَّ هَدْيَهُ فِيهِ أَكْمَلُ هَدْيٍ .

[طِبُّ القُلُوبِ]

فَأَمَّا طِبُّ القُلُوبِ فَمُسَلَّمٌ إِلَى الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَلَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِهِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ صَلَاحَ القُلُوبِ أَنْ تَكُونَ عَارِفَةً بِرَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَنْ تَكُونَ مُؤْثِرَةً لِمَرْضَاتِهِ وَمَحَابِّهِ مُتَجَنِّبَةً لِمَنَاهِيهِ وَمَسَاخِطِهِ وَلَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ البَتَّةَ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَلَقِّيهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرُّسُلِ وَمَا يُظَنُّ مِنْ حُصُولِ صِحَّةِ القَلْبِ بِدُونِ اتِّبَاعِهِمْ فَغَلَطٌ مِمَّنْ يَظُنُّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا ذَلِكَ حَيَاةُ نَفْسِهِ البَهِيمِيَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَصِحَّتُهَا وَقُوَّتُهَا وَحَيَاةُ قَلْبِهِ وَصِحَّتُهُ وَقُوَّتُهُ عَنْ ذَلِكَ بِمَعْزِلٍ وَمَنْ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فَلْيَبْكِ عَلَى حَيَاةِ قَلْبِهِ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَعَلَى نُورِهِ فَإِنَّهُ مُنْغَمِسٌ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ .

فَصْلٌ

[طِبُّ الْأَبْدَانِ]

وَأَمَّا طِبُّ الْأَبْدَانِ فَإِنَّهُ نَوْعَانِ

نَوْعٌ قَدْ فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الحَيَوَانَ نَاطِقَهُ وَبَهِيمَهُ فَهَذَا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُعَالَجَةِ طَبِيبٍ كَطِبِّ الجُوعِ وَالعَطَشِ وَالبَرْدِ وَالتَّعَبِ بِأَضْدَادِهَا وَمَا يُزِيلُهَا .

[ص ٨] وَالثَّانِي : مَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ وَتَأَمُّلٍ كَدَفْعِ الْأَمْرَاضِ المُتَشَابِهَةِ الحَادِثَةِ فِي المِزَاجِ بِحَيْثُ يَخْرُجُ بِهَا عَنْ الِاعْتِدَالِ إِمَّا إِلَى حَرَارَةٍ أَوْ بُرُودَةٍ أَوْ يُبُوسَةٍ أَوْ رُطُوبَةٍ أَوْ مَا يَتَرَكَّبُ مِنْ اثْنَيْنِ مِنْهَا وَهِيَ نَوْعَانِ إِمَّا مَادِّيَّةٌ وَإِمَّا كَيْفِيَّةٌ أَعْنِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِانْصِبَابِ مَادَّةٍ أَوْ بِحُدُوثِ كَيْفِيَّةٍ وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ أَمْرَاضَ الكَيْفِيَّةِ تَكُونُ بَعْدَ زَوَالِ المَوَادِّ الَّتِي أَوْجَبَتْهَا فَتَزُولُ مَوَادُّهَا وَيَبْقَى أَثَرُهَا كَيْفِيَّةً فِي المِزَاجِ . وَأَمْرَاضُ المَادَّةِ أَسْبَابُهَا مَعَهَا تَمُدُّهَا وَإِذَا كَانَ سَبَبُ المَرَضِ مَعَهُ فَالنَّظَرُ فِي السَّبَبِ يَنْبَغِي أَنْ يَقَعَ أَوَّلًا ثُمَّ فِي المَرَضِ ثَانِيًا ثُمَّ فِي الدَّوَاءِ ثَالِثًا . أَوْ الْأَمْرَاضُ الْآلِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي تُخْرِجُ العُضْوَ عَنْ هَيْئَتِهِ إِمَّا فِي شَكْلٍ أَوْ تَجْوِيفٍ أَوْ مَجْرًى أَوْ خُشُونَةٍ أَوْ مَلَاسَةٍ أَوْ عَدَدٍ أَوْ عِظَمٍ أَوْ وَضْعٍ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ إِذَا تَأَلَّفَتْ وَكَانَ مِنْهَا البَدَنُ سُمِّيَ تَأَلُّفُهَا اتِّصَالًا وَالخُرُوجُ عَنْ الِاعْتِدَالِ فِيهِ يُسَمَّى تَفَرُّقَ الِاتِّصَالِ أَوْ الْأَمْرَاضُ العَامَّةُ الَّتِي تَعُمُّ المُتَشَابِهَةَ وَالْآلِيَّةَ .

وَالْأَمْرَاضُ المُتَشَابِهَةُ هِيَ الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا المِزَاجُ عَنْ الِاعْتِدَالِ وَهَذَا الخُرُوجُ يُسَمَّى مَرَضًا بَعْدَ أَنْ يَضُرَّ بِالفِعْلِ إِضْرَارًا مَحْسُوسًا . وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَضْرُبٍ أَرْبَعَةٌ بَسِيطَةٌ وَأَرْبَعَةٌ مُرَكَّبَةٌ

فَالْبَسِيطَةُ البَارِدُ وَالحَارُّ وَالرَّطْبُ وَاليَابِسُ .

وَالْمُرَكّبَةُ الْحَارّ الرّطْبُ وَالْحَارّ الْيَابِسُ وَالْبَارِدُ الرّطْبُ وَالْبَارِدُ الْيَابِسُ .
وَهِيَ إمّا أَنْ تَكُونَ بِانْصِبَابِ مَادّةٍ أَوْ بِغَيْرِ انْصِبَابِ مَادّةٍ وَإِنْ لَمْ يَضُرّ الْمَرَضُ بِالْفِعْلِ يُسَمّى خُرُوجًا عَنْ الِاعْتِدَالِ صِحّةً .
[أَحْوَالُ الْبَدَنِ]
وَلِلْبَدَنِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ حَالٌ طَبِيعِيّةٌ وَحَالٌ خَارِجَةٌ عَنْ الطّبِيعِيّةِ وَحَالٌ مُتَوَسّطَةٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ . فَالْأُولَى : بِهَا يَكُونُ الْبَدَنُ صَحِيحًا وَالثّانِيَةُ بِهَا يَكُونُ مَرِيضًا . وَالْحَالُ الثّالِثَةُ هِيَ مُتَوَسّطَةٌ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ فَإِنّ الضّدّ لَا يَنْتَقِلُ إلَى ضِدّهِ إلّا بِمُتَوَسّطٍ وَسَبَبُ خُرُوجِ الْبَدَنِ عَنْ طَبِيعَتِهِ إمّا مِنْ دَاخِلِهِ لِأَنّهُ مُرَكّبٌ مِنْ الْحَارّ وَالْبَارِدِ وَالرّطْبِ وَالْيَابِسِ وَإِمّا مِنْ خَارِجٍ فَلِأَنّ مَا يَلْقَاهُ قَدْ يَكُونُ مُوَافِقًا [ص ٩] فَسَادٍ فِي الْعُضْوِ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ ضَعْفٍ فِي الْقُوَى أَوْ الْأَرْوَاحِ الْحَامِلَةِ لَهَا وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إلَى زِيَادَةِ مَا الِاعْتِدَالُ فِي عَدَمِ زِيَادَتِهِ أَوْ نُقْصَانُ مَا الِاعْتِدَالُ فِي عَدَمِ نُقْصَانِهِ أَوْ تَفَرّق مَا الِاعْتِدَالُ فِي اتّصَالِهِ أَوْ اتّصَالُ مَا الِاعْتِدَالُ فِي تَفَرّقِهِ أَوْ امْتِدَادُ مَا الِاعْتِدَالُ فِي انْقِبَاضِهِ أَوْ خُرُوجُ ذِي وَضْعٍ وَشَكْلٍ عَنْ وَضْعِهِ وَشَكْلِهِ بِحَيْثُ يُخْرِجُهُ عَنْ اعْتِدَالِهِ .
[وَظِيفَةُ الطّبِيبِ]
فَالطّبِيبُ هُوَ الّذِي يُفَرّقُ مَا يَضُرّ بِالْإِنْسَانِ جَمْعُهُ أَوْ يَجْمَعُ فِيهِ مَا يَضُرّهُ تَفَرّقُهُ أَوْ يَنْقُصُ مِنْهُ مَا يَضُرّهُ زِيَادَتُهُ أَوْ يَزِيدُ فِيهِ مَا يَضُرّهُ نَقْصُهُ فَيَجْلِبُ الصّحّةَ الْمَفْقُودَةَ أَوْ يَحْفَظُهَا بِالشّكْلِ وَالشّبَهِ وَيَدْفَعُ الْعِلّةَ الْمَوْجُودَةَ بِالضّدّ وَالنّقِيضِ وَيُخْرِجُهَا أَوْ يَدْفَعُهَا بِمَا يَمْنَعُ مِنْ حُصُولِهَا بِالْحِمْيَةِ وَسَتَرَى هَذَا كُلّهُ فِي هَدْيِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَافِيًا كَافِيًا بِحَوْلِ اللّهِ وَقُوّتِهِ وَفَضْلِهِ وَمَعُونَتِهِ .
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٢١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْإِرْشَادِ إلَى مُعَالَجَةِ أَحْذَقِ الطّبِيبَيْنِ
ذَكَرَ مَالِكٌ فِي " مُوَطّئِهِ " : عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنّ رَجُلًا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصَابَهُ جُرْحٌ فَاحْتَقَنَ الْجُرْحُ الدّمَ وَأَنّ الرّجُلَ دَعَا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي أَنْمَارٍ فَنَظَرَا إلَيْهِ فَزَعَمَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهُمَا : " أَيّكُمَا أَطَبّ ؟ فَقَالَ أَوَ فِي الطّبّ خَيْرٌ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ فَقَالَ أَنْزَلَ الدّوَاءَ الّذِي أَنْزَلَ الدّاءَ
[يَنْبَغِي الِاسْتِعَانَةُ فِي كُلّ عِلْمٍ وَصِنَاعَةٍ بِأَحْذَقِ مَنْ فِيهَا فَالْأَحْذَقِ]
فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنّهُ يَنْبَغِي الِاسْتِعَانَةُ فِي كُلّ عِلْمٍ وَصِنَاعَةٍ بِأَحْذَقِ مَنْ فِيهَا فَالْأَحْذَقِ فَإِنّهُ إلَى الْإِصَابَةِ أَقْرَبُ . وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْتَفْتِي أَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ بِالْأَعْلَمِ فَالْأَعْلَمِ لِأَنّهُ أَقْرَبُ إصَابَةً مِمّنْ هُوَ دُونَهُ . وَكَذَلِكَ مَنْ خَفِيَتْ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ فَإِنّهُ يُقَلّدُ أَعْلَمَ مَنْ يَجِدُهُ وَعَلَى هَذَا فَطَرَ اللّهُ عِبَادَهُ كَمَا أَنّ الْمُسَافِرَ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ إنّمَا سُكُونُ نَفْسِهِ وَطُمَأْنِينَتُهُ إلَى [ص ١٢٢] وَقَوْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْزَلَ الدّوَاءَ الّذِي أَنْزَلَ الدّاءَ قَدْ جَاءَ مِثْلُهُ عَنْهُ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَقَالَ " أَرْسِلُوا إلَى طَبِيبٍ " فَقَالَ قَائِلٌ وَأَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ " نَعَمْ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إلّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ مَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ دَاءٍ إلّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً وَقَدْ تَقَدّمَ هَذَا الْحَدِيثُ وَغَيْرُهُ .
[مَعْنَى أَنْزَلَ الدّاءَ وَالدّوَاءَ]

" وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى أَنْزَلَ الدّاءُ وَالدّوَاءُ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ إنْزَالُهُ إعْلَامُ الْعِبَادِ بِهِ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخْبَرَ بِعُمُومِ الْإِنْزَالِ لِكُلّ دَاءٍ وَدَوَائِهِ وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَلِهَذَا قَالَ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ إنْزَالُهُمَا : خَلْقُهُمَا وَوَضْعُهُمَا فِي الْأَرْضِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ إنّ اللّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إلّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً وَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ مِنْ الّذِي قَبْلَهُ فَلَفْظَةُ الْإِنْزَالِ أَخَصّ مِنْ لَفْظَةِ الْخَلْقِ وَالْوَضْعِ فَلَا يَنْبَغِي إسْقَاطُ خُصُوصِيّةِ اللّفْظَةِ بِلَا مُوجِبٍ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ إنْزَالُهُمَا بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكّلِينَ بِمُبَاشَرَةِ الْخَلْقِ مِنْ دَاءٍ وَدَوَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنّ الْمَلَائِكَةَ مُوَكّلَةٌ بِأَمْرِ هَذَا الْعَالَمِ وَأَمْرِ النّوْعِ الْإِنْسَانِيّ مِنْ حِينِ سُقُوطِهِ فِي رَحِمِ أُمّهِ إلَى حِينِ مَوْتِهِ فَإِنْزَالُ الدّاءِ وَالدّوَاءِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا أَقْرَبُ مِنْ الْوَجْهَيْنِ قَبْلَهُ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ إنّ عَامّةَ الْأَدْوَاءِ وَالْأَدْوِيَةِ هِيَ بِوَاسِطَةِ إنْزَالِ الْغَيْثِ مِنْ السّمَاءِ الّذِي تَتَوَلّدُ بِهِ الْأَغْذِيَةُ وَالْأَقْوَاتُ وَالْأَدْوِيَةُ وَالْأَدْوَاءُ وَآلَاتُ ذَلِكَ كُلّهِ وَأَسْبَابُهُ وَمُكَمّلَاتُهُ وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ الْمَعَادِنِ الْعُلْوِيّةِ فَهِيَ تَنْزِلُ مِنْ الْجِبَالِ وَمَا [ص ١٢٣] كَانَ مِنْهَا مِنْ الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَالثّمَارِ فَدَاخِلٌ فِي اللّفْظِ عَلَى طَرِيقِ التّغْلِيبِ وَالِاكْتِفَاءِ عَنْ الْفِعْلَيْنِ بِفِعْلٍ وَاحِدٍ يَتَضَمّنُهُمَا وَهُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ بَلْ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأُمَمِ كَقَوْلِ الشّاعِرِ

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا
حَتّى غَدَتْ هَمّالَةً عَيْنَاهَا

وَقَوْلِ الْآخَرِ

مُتَقَلّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا

وَقَوْلِ الْآخَرِ

إذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا
وَزَجّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالعُيونَا

وَهَذَا أَحْسَنُ مِمّا قَبْلَهُ مِنْ الْوُجُوهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

[كَمَا يَبْتَلِي اللّهُ عِبَادَهُ فَإِنّهُ يُيَسّرُ لَهُمْ مَا يُضَادّهُ]

وَهَذَا مِنْ تَمَامِ حِكْمَةِ الرّبّ عَزّ وَجَلّ وَتَمَامِ رُبُوبِيّتِهِ فَإِنّهُ كَمَا ابْتَلَى عِبَادَهُ بِالْأَدْوَاءِ أَعَانَهُمْ عَلَيْهَا بِمَا يَسّرَهُ لَهُمْ مِنْ الْأَدْوِيَةِ وَكَمَا ابْتَلَاهُمْ بِالذّنُوبِ أَعَانَهُمْ عَلَيْهَا بِالتّوْبَةِ وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ وَالْمَصَائِبِ الْمُكَفّرَةِ وَكَمَا ابْتَلَاهُمْ بِالْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنْ الشّيَاطِينِ أَعَانَهُمْ عَلَيْهَا بِجُنْدٍ مِنْ الْأَرْوَاحِ الطّيّبَةِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ . وَكَمَا ابْتَلَاهُمْ بِالشّهَوَاتِ أَعَانَهُمْ عَلَى قَضَائِهَا بِمَا يَسّرَهُ لَهُمْ شَرْعًا وَقَدَرًا مِنْ الْمُشْتَهَيَاتِ اللّذِيذَةِ النّافِعَةِ فَمَا ابْتَلَاهُمْ سُبْحَانَهُ بِشَيْءٍ إلّا أَعْطَاهُمْ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ [ص ١٢٤]

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي تَضْمِينِ مَنْ طَبّ النّاسَ وَهُوَ جَاهِلٌ بِالطّبّ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالنّسَائِيّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ تَطَبّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ الطّبّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ هَذَا الْحَدِيثُ يَتَعَلّقُ بِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ أَمْرٌ لُغَوِيّ وَأَمْرٌ فِقْهِيّ وَأَمْرٌ طِبّيّ .

[مَعْنَى الطّبّ لُغَةً]

فَأَمّا اللّغَوِيّ فَالطّبّ بِكَسْرِ الطّاءِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يُقَالُ عَلَى مَعَانٍ . مِنْهَا الْإِصْلَاحُ يُقَالُ طَبّبْتُهُ إذَا أَصْلَحْتَه . وَيُقَالُ لَهُ طِبّ بِالْأُمُورِ . أَيْ لُطْفٌ وَسِيَاسَةٌ . قَالَ الشّاعِرُ

وَإِذَا تَغَيّرَ مِنْ تَمِيمٍ أَمْرُهَا
كُنْت الطّبِيبَ لَهَا بِرَأْيٍ ثَاقِبِ
وَمِنْهَا : الْحِذْقُ . قَالَ الْجَوْهَرِيّ : كُلّ حَاذِقٍ طَبِيبٌ عِنْدَ الْعَرَبِ قَالَ أَبُو عَبِيدٍ : أَصْلُ الطّبّ : الْحِذْقُ بِالْأَشْيَاءِ وَالْمَهَارَةُ بِهَا . يُقَالُ لِلرّجُلِ طِبّ وَطَبِيبٌ إذَا كَانَ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ عِلَاجِ الْمَرِيضِ . وَقَالَ غَيْرُهُ رَجُلٌ طَبِيبٌ أَيْ حَاذِقٌ سُمّيَ طَبِيبًا لِحِذْقِهِ وَفِطْنَتِهِ . قَالَ عَلْقَمَةُ
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنّسَاءِ فَإِنّنِي
خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النّسَاءِ طَبِيبٌ
إذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلّ مَالُهُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدّهِنّ نَصِيبُ
[ص ١٢٥] وَقَالَ عَنْتَرَةُ :
إنْ تُغْدِ فِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنّنِي
طِبّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْئِمِ
أَيْ إنْ تُرْخِي عَنّي قِنَاعَك وَتَسْتُرِي وَجْهَك رَغْبَةً عَنّي فَإِنّي خَبِيرٌ حَاذِقٌ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الّذِي قَدْ لَبِسَ لَأْمَةَ حَرْبِهِ . وَمِنْهَا : الْعَادَةُ يُقَالُ لَيْسَ ذَاكَ بِطِبّي أَيْ عَادَتِي قَالَ فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ : [ص ١٢٦]
فَمَا إنْ طِبّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ
مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبّي :
وَمَا التّيهُ طِبّي فِيهِمْ غَيْرَ أَنّنِي
بَغِيضٌ إلَيّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ
وَمِنْهَا : السّحْرُ يُقَالُ رَجُلٌ مَطْبُوبٌ أَيْ مَسْحُورٌ وَفِي " الصّحِيحِ " فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ لَمّا سَحَرَتْ يَهُودُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَلَسَ الْمَلَكَانِ عِنْدَ رَأْسِهِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : مَا بَالُ الرّجُلِ ؟ قَالَ الْآخَرُ مَطْبُوبٌ . قَالَ مَنْ طَبّهُ ؟ قَالَ فُلَانٌ الْيَهُودِيّ . قَالَ أَبُو عَبِيدٍ : إنّمَا قَالُوا لِلْمَسْحُورِ مَطْبُوبٌ لِأَنّهُمْ كَنّوْا بِالطّبّ عَنْ السّحْرِ كَمَا كَنّوْا عَنْ اللّدِيغِ فَقَالُوا : سَلِيمٌ تَفَاؤُلًا بِالسّلَامَةِ وَكَمَا كَنّوْا بِالْمَفَازَةِ عَنْ الْفَلَاةِ الْمُهْلِكَةِ الّتِي لَا مَاءَ فِيهَا فَقَالُوا : مَفَازَةً تَفَاؤُلًا بِالْفَوْزِ مِنْ الْهَلَاكِ . وَيُقَالُ الطّبّ لِنَفْسِ الدّاءِ . قَالَ ابْنُ أَبِي الْأَسْلَتِ :
أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ حَسّا نَ عَنّي
أَسِحْرٌ كَانَ طِبّكَ أَمْ جُنُونٌ
وَأَمّا قَوْلُ الْحَمَاسِيّ :
فَإِنْ كُنْتَ مَطْبُوبًا فَلَا زِلْتَ هَكَذَا
وَإِنْ كُنْتَ مَسْحُورًا فَلَا بَرِئَ السّحْرُ
[ص ١٢٧] أَرَادَ بِالْمَطْبُوبِ الّذِي قَدْ سُحِرَ وَأَرَادَ بِالْمَسْحُورِ الْعَلِيلُ بِالْمَرَضِ . قَالَ الْجَوْهَرِيّ : وَيُقَالُ لِلْعَلِيلِ مَسْحُورٌ . وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ . وَمَعْنَاهُ إنْ كَانَ هَذَا الّذِي قَدْ عَرَانِي مِنْك وَمِنْ حُبّك أَسْأَلُ اللّهَ دَوَامَهُ وَلَا أُرِيدُ زَوَالَهُ سَوَاءٌ كَانَ سِحْرًا أَوْ مَرَضًا . وَالطّبّ : مُثَلّثُ الطّاءِ فَالْمَفْتُوحُ الطّاءِ هُوَ الْعَالِمُ بِالْأُمُورِ وَكَذَلِكَ الطّبِيبُ يُقَالُ لَهُ طِبّ أَيْضًا .

وَالطِّبّ : بِكَسْرِ الطَّاءِ فِعْلُ الطَّبِيبِ وَالطَّبّ بِضَمّ الطَّاءِ اسْمُ مَوْضِعٍ قَالَهُ ابْنُ السّيّدِ وَأَنْشَدَ
فَقُلْتُ هَلْ انْهَلْتُمْ بِطُبّ رِكَابِكُمْ
بِجَائِزَةِ الْمَاءِ الّتِي طَابَ طِينُهَا
وَقَوْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ تَطَبّبَ وَلَمْ يَقُلْ مَنْ طَبّ لِأَنّ لَفْظَ التّفَعّلِ يَدُلّ عَلَى تَكَلّفِ الشّيْءِ وَالدّخُولِ فِيهِ بِعُسْرٍ وَكُلْفَةٍ وَأَنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ كَتَحَلّمَ وَتَشَجّعَ وَتَصَبّرَ وَنَظَائِرِهَا وَكَذَلِكَ بَنَوْا تَكَلّفَ عَلَى هَذَا الْوَزْنِ قَالَ الشّاعِرُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ وَمَنْ تَقَيّسَا
[إيجَابُ الضّمَانِ عَلَى الطّبِيبِ الْجَاهِلِ]
وَأَمّا الْأَمْرُ الشّرْعِيّ فَإِيجَابُ الضّمَانِ عَلَى الطّبِيبِ الْجَاهِلِ فَإِذَا تَعَاطَى عِلْمَ الطّبّ وَعَمَلَهُ وَلَمْ يَتَقَدّمْ لَهُ بِهِ مَعْرِفَةٌ فَقَدْ هَجَمَ بِجَهْلِهِ عَلَى إتْلَافِ الْأَنْفُسِ وَأَقْدَمَ بِالتّهَوّرِ عَلَى مَا لَمْ يَعْلَمْهُ فَيَكُونُ قَدْ غَرّرَ بِالْعَلِيلِ فَيَلْزَمُهُ الضّمَانُ لِذَلِكَ [ص ١٢٨] قَالَ الْخَطّابِي : لَا أَعْلَمُ خِلَافًا فِي أَنّ الْمُعَالِجَ إذَا تَعَدّى فَتَلِفَ الْمَرِيضُ كَانَ ضَامِنًا وَالْمُتَعَاطِي عِلْمًا أَوْ عَمَلًا لَا يَعْرِفُهُ مُتَعَدّ فَإِذَا تَوَلّدَ مِنْ فِعْلِهِ التّلَفُ ضَمِنَ الدّيَةَ وَسَقَطَ عَنْهُ الْقَوَدُ لِأَنّهُ لَا يَسْتَبِدّ بِذَلِكَ بِدُونِ إذْنِ الْمَرِيضِ وَجِنَايَةُ الْمُتَطَبّبِ فِي قَوْلِ عَامّةِ الْفُقَهَاءِ عَلَى عَاقِلَتِهِ .
[أَقْسَامُ الْأَطِبّاءِ مِنْ جِهَةِ إتْلَافِ الْأَعْضَاءِ وَذِكْرُ الْقِسْمِ الْأَوّلِ]
قُلْت : الْأَقْسَامُ خَمْسَةٌ أَحَدُهَا : طَبِيبٌ حَاذِقٌ أَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا وَلَمْ تَجْنِ يَدُهُ فَتَوَلّدَ مِنْ فِعْلِهِ الْمَأْذُونِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الشّارِعِ وَمِنْ جِهَةِ مَنْ يَطِبّهُ تَلَفُ الْعُضْوِ أَوْ النّفْسِ أَوْ ذَهَابُ صِفَةٍ فَهَذَا لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ اتّفَاقًا فَإِنّهَا سِرَايَةُ مَأْذُونٍ فِيهِ وَهَذَا كَمَا إذَا خَتَنَ الصّبِيّ فِي وَقْتٍ وَسِنّهُ قَابِلٌ لِلْخِتَانِ وَأَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا فَتَلِفَ الْعُضْوُ أَوْ الصّبِيّ لَمْ يَضْمَنْ وَكَذَلِكَ إذَا بَطّ مِنْ عَاقِلٍ أَوْ غَيْرِهِ مَا يَنْبَغِي بَطّهُ فِي وَقْتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الّذِي يَنْبَغِي فَتَلِفَ بِهِ لَمْ يَضْمَنْ وَهَكَذَا سِرَايَةُ كُلّ مَأْذُونٍ فِيهِ لَمْ يَتَعَدّ الْفَاعِلُ فِي سَبَبِهَا كَسِرَايَةِ الْحَدّ بِالِاتّفَاقِ . وَسِرَايَةِ الْقِصَاصِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ فِي إيجَابِهِ الضّمَانَ بِهَا وَسِرَايَةِ التّعْزِيرِ وَضَرْبِ الرّجُلِ امْرَأَتَهُ وَالْمُعَلّمِ الصّبِيّ وَالْمُسْتَأْجِرِ الدّابّةَ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ وَالشّافِعِيّ فِي إيجَابِهِمَا الضّمَانَ فِي ذَلِكَ وَاسْتَثْنَى الشّافِعِيّ ضَرْبَ الدّابّةِ .
وَقَاعِدَةُ الْبَابِ إجْمَاعًا وَنِزَاعًا : أَنّ سِرَايَةَ الْجِنَايَةِ مَضْمُونَةٌ بِالِاتّفَاقِ وَسِرَايَةُ الْوَاجِبِ مُهْدَرَةٌ بِالِاتّفَاقِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَفِيهِ النّزَاعُ . فَأَبُو حَنِيفَةَ أَوْجَبَ ضَمَانَهُ مُطْلَقًا وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ أَهْدَرَا ضَمَانَهُ وَفَرّقَ الشّافِعِيّ بَيْنَ الْمُقَدّرِ فَأَهْدَرَ ضَمَانَهُ وَبَيْنَ غَيْرِ الْمُقَدّرِ فَأَوْجَبَ ضَمَانَهُ . فَأَبُو حَنِيفَةَ نَظَرَ إلَى أَنّ الْإِذْنَ فِي الْفِعْلِ إنّمَا وَقَعَ مَشْرُوطًا بِالسّلَامَةِ وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ نَظَرَا إلَى أَنّ الْإِذْنَ أَسْقَطَ الضّمَانَ وَالشّافِعِيّ نَظَرَ إلَى أَنّ الْمُقَدّرَ لَا يُمْكِنُ النّقْصَانُ مِنْهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ النّصّ وَأَمّا غَيْرُ الْمُقَدّرِ كَالتّعْزِيرَاتِ وَالتّأْدِيبَاتِ فَاجْتِهَادِيّةٌ فَإِذَا تَلِفَ بِهَا ضَمِنَ لِأَنّهُ فِي مَظِنّةِ الْعُدْوَانِ . [ص ١٢٩]
فَصْلٌ [الْقِسْمُ الثّانِي]
الْقِسْمُ الثّانِي : مُطَبّبٌ جَاهِلٌ بَاشَرَتْ يَدُهُ مَنْ يَطِبّهُ فَتَلِفَ بِهِ فَهَذَا إنْ عَلِمَ الْمَجْنِيّ عَلَيْهِ أَنّهُ جَاهِلٌ لَا عِلْمَ لَهُ وَأَذِنَ لَهُ فِي طِبّهِ لَمْ يَضْمَنْ وَلَا تُخَالِفُ هَذِهِ الصّورَةُ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ فَإِنّ السّيَاقَ وَقُوّةَ الْكَلَامِ يَدُلّ عَلَى أَنّهُ غَرّ الْعَلِيلَ وَأَوْهَمَهُ أَنّهُ طَبِيبٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنْ ظَنّ الْمَرِيضُ أَنّهُ طَبِيبٌ وَأَذِنَ لَهُ فِي طِبّهِ لِأَجْلِ مَعْرِفَتِهِ ضَمِنَ الطّبِيبُ مَا جَنَتْ يَدُهُ

وَكَذَلِكَ إنْ وَصَفَ لَهُ دَوَاءً يَسْتَعْمِلُهُ وَالْعَلِيلُ يَظُنّ أَنّهُ وَصَفَهُ لِمَعْرِفَتِهِ وَحِذْقِهِ فَتَلِفَ بِهِ ضَمِنَهُ وَالْحَدِيثُ ظَاهِرٌ فِيهِ أَوْ صَرِيحٌ .

فَصْلٌ [الْقِسْمُ الثّالِثُ]

الْقِسْمُ الثّالِثُ طَبِيبٌ حَاذِقٌ أُذِنَ لَهُ وَأَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا لَكِنّهُ أَخْطَأَتْ يَدُهُ وَتَعَدّتْ إلَى عُضْوٍ صَحِيحٍ فَأَتْلَفَهُ مِثْلَ أَنْ سَبَقَتْ يَدُ الْخَاتِنِ إلَى الْكَمَرَةِ فَهَذَا يَضْمَنُ لِأَنّهَا جِنَايَةُ خَطَأٍ ثُمّ إنْ كَانَتْ الثّلُثَ فَمَا زَادَ فَهُوَ عَلَى عَاقِلَتِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَاقِلَةٌ فَهَلْ تَكُونُ الدّيَةُ فِي مَالِهِ أَوْ فِي بَيْتِ الْمَالِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ . وَقِيلَ إنْ كَانَ الطّبِيبُ ذِمّيّا فَفِي مَالِهِ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَفِيهِ الرّوَايَتَانِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْتُ مَالٍ أَوْ تَعَذّرَ تَحْمِيلُهُ فَهَلْ تَسْقُطُ الدّيَةُ أَوْ تَجِبُ فِي مَالِ الْجَانِي ؟ فِيهِ وَجْهَانِ أَشْهَرُهُمَا : سُقُوطُهَا .

فَصْلٌ [الْقِسْمُ الرّابِعُ]

الْقِسْمُ الرّابِعُ الطّبِيبُ الْحَاذِقُ الْمَاهِرُ بِصِنَاعَتِهِ اجْتَهَدَ فَوَصَفَ لِلْمَرِيضِ دَوَاءً فَأَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ فَقَتَلَهُ فَهَذَا يُخَرّجُ عَلَى رِوَايَتَيْنِ إحْدَاهُمَا : أَنّ دِيَةَ الْمَرِيضِ فِي بَيْتِ الْمَالِ . وَالثّانِيَةُ أَنّهَا عَلَى عَاقِلَةِ الطّبِيبِ وَقَدْ نَصّ عَلَيْهِمَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي خَطَأِ الْإِمَامِ وَالْحَاكِمِ .

[ص ١٣٠]

فصل [الْقِسْمُ الْخَامِسُ]

الْقِسْمُ الْخَامِسُ طَبِيبٌ حَاذِقٌ أَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا فَقَطَعَ سِلْعَةً مِنْ رَجُلٍ أَوْ صَبِيّ أَوْ مَجْنُونٍ بِغَيْرِ إذْنِهِ أَوْ إذْنِ وَلِيّهِ أَوْ خَتَنَ صَبِيّا بِغَيْرِ إذْنِ وَلِيّهِ فَتَلِفَ فَقَالَ أَصْحَابُنَا : يَضْمَنُ لِأَنّهُ تَوَلّدَ مِنْ فِعْلٍ غَيْرِ مَأْذُونٍ فِيهِ وَإِنْ أَذِنَ لَهُ الْبَالِغُ أَوْ وَلِيّ الصّبِيّ وَالْمَجْنُونِ لَمْ يَضْمَنْ وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَضْمَنَ مُطْلَقًا لِأَنّهُ مُحْسِنٌ وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ . وَأَيْضًا فَإِنّهُ إنْ كَانَ مُتَعَدّيًا فَلَا أَثَرَ لِإِذْنِ الْوَلِيّ فِي إسْقَاطِ الضّمَانِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَدّيًا فَلَا وَجْهَ لِضَمَانِهِ . فَإِنْ قُلْت : هُوَ مُتَعَدّ عِنْدَ عَدَمِ الْإِذْنِ غَيْرُ مُتَعَدّ عِنْدَ الْإِذْنِ قُلْت : الْعُدْوَانُ وَعَدَمُهُ إنّمَا يَرْجِعُ إلَى فِعْلِهِ هُوَ فَلَا أَثَرَ لِلْإِذْنِ وَعَدَمِهِ فِيهِ وَهَذَا مَوْضِعُ نَظَرٍ .

فَصْلٌ أَقْسَامُ الْأَطِبّاءِ الْمَذْكُورَةُ سَابِقًا تَتَنَاوَلُ الطّبّ عَمَلًا أَوْ قَوْلًا إنْسَانًا أَوْ حَيَوَانًا وَاسْمَ كُلّ مِنْهُمْ

وَالطّبِيبُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَتَنَاوَلُ مَنْ يَطِبّ بِوَصْفِهِ وَقَوْلِهِ وَهُوَ الّذِي يُخَصّ بِاسْمِ الطّبَائِعِيّ وَبِمِرْوَدِهِ وَهُوَ الْكَحّالُ وَبِمِبْضَعِهِ وَمَرَاهِمِهِ وَهُوَ الْجَرَائِحِيّ وَبِمُوسَاهُ وَهُوَ الْخَاتِنُ وَبِرِيشَتِهِ وَهُوَ الْفَاصِدُ وَبِمَحَاجِمِهِ وَمِشْرَطِهِ وَهُوَ الْحَجّامُ وَبِخَلْعِهِ وَوَصْلِهِ وَرِبَاطِهِ وَهُوَ الْمُجَبّرُ وَبِمِكْوَاتِهِ وَنَارِهِ وَهُوَ الْكَوّاءُ وَبِقِرْبَتِهِ وَهُوَ الْحَاقِنُ وَسَوَاءٌ كَانَ طِبّهُ لِحَيَوَانٍ بَهِيمٍ أَوْ إنْسَانٍ فَاسْمُ الطّبِيبِ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى هَؤُلَاءِ كُلّهِمْ كَمَا تَقَدّمَ وَتَخْصِيصُ النّاسِ لَهُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْأَطِبّاءِ عُرْفٌ حَادِثٌ كَتَخْصِيصِ لَفْظِ الدّابّةِ بِمَا يَخُصّهَا بِهِ كُلّ قَوْمٍ .

فَصْلٌ [مَا يُرَاعِيهِ الطّبِيبُ الْحَاذِقُ مِنْ الْأُمُورِ]

وَالطّبِيبُ الْحَاذِقُ هُوَ الّذِي يُرَاعِي فِي عِلَاجِهِ عِشْرِينَ أَمْرًا : أَحَدُهَا : النّظَرُ فِي نَوْعِ الْمَرَضِ مِنْ أَيّ الْأَمْرَاضِ هُوَ ؟ [ص ١٣١] الثّانِي : النّظَرُ فِي سَبَبِهِ مِنْ أَيّ شَيْءٍ حَدَثَ وَالْعِلّةُ الْفَاعِلَةُ الّتِي كَانَتْ سَبَبَ حُدُوثِهِ مَا هِيَ ؟ . الثّالِثُ قُوّةُ الْمَرِيضِ وَهَلْ هِيَ مُقَاوِمَةٌ لِلْمَرَضِ أَوْ أَضْعَفُ مِنْهُ ؟ فَإِنْ كَانَتْ مُقَاوِمَةً لِلْمَرَضِ مُسْتَظْهِرَةً عَلَيْهِ تَرَكَهَا وَالْمَرَضَ وَلَمْ يُحَرّكْ بِالدّوَاءِ سَاكِنًا . الرّابِعُ مِزَاجُ الْبَدَنِ الطّبِيعِيّ مَا هُوَ ؟ الْخَامِسُ

الْمِزَاجُ الْحَادِثُ عَلَى غَيْرِ الْمُجْرَى الطَّبِيعِيِّ . السَّادِسُ سِنُّ الْمَرِيضِ . السَّابِعُ عَادَتُهُ . الثَّامِنُ الْوَقْتُ الْحَاضِرُ مِنْ فُصُولِ السَّنَةِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ . التَّاسِعُ بَلَدُ الْمَرِيضِ وَتُرْبَتُهُ . الْعَاشِرُ حَالُ الْهَوَاءِ فِي وَقْتِ الْمَرَضِ . الْحَادِيَ عَشَرَ النَّظَرُ فِي الدَّوَاءِ الْمُضَادِّ لِتِلْكَ الْعِلَّةِ . الثَّانِيَ عَشَرَ النَّظَرُ فِي قُوَّةِ الدَّوَاءِ وَدَرَجَتِهِ وَالْمُوَازَنَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُوَّةِ الْمَرِيضِ .

[أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ إِزَالَةَ الْعِلَّةِ عَلَى وَجْهٍ يَأْمَنُ مَعَهُ حُدُوثَ أَصْعَبِ مِنْهَا]

الثَّالِثَ عَشَرَ أَلَّا يَكُونَ كُلُّ قَصْدِهِ إِزَالَةَ تِلْكَ الْعِلَّةِ فَقَطْ بَلْ إِزَالَتُهَا عَلَى وَجْهٍ يَأْمَنُ مَعَهُ حُدُوثَ أَصْعَبِ مِنْهَا فَمَتَى كَانَ إِزَالَتُهَا لَا يَأْمَنُ مَعَهَا حُدُوثَ عِلَّةٍ أُخْرَى أَصْعَبَ مِنْهَا أَبْقَاهَا عَلَى حَالِهَا وَتَلْطِيفِهَا هُوَ الْوَاجِبُ وَهَذَا كَمَرَضِ أَفْوَاهِ الْعُرُوقِ فَإِنَّهُ مَتَى عُولِجَ بِقَطْعِهِ وَحَبْسِهِ خِيفَ حُدُوثُ مَا هُوَ أَصْعَبُ مِنْهُ .

[أَنْ يُعَالِجَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ]

الرَّابِعَ عَشَرَ أَنْ يُعَالِجَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ فَلَا يَنْتَقِلُ مِنَ الْعِلَاجِ بِالْغِذَاءِ إِلَى الدَّوَاءِ إِلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِهِ وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى الدَّوَاءِ الْمُرَكَّبِ إِلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِ الدَّوَاءِ الْبَسِيطِ فَمِنْ حِذْقِ الطَّبِيبِ عِلَاجُهُ بِالْأَغْذِيَةِ بَدَلَ الْأَدْوِيَةِ وَبِالْأَدْوِيَةِ الْبَسِيطَةِ بَدَلَ الْمُرَكَّبَةِ . الْخَامِسَ عَشَرَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعِلَّةِ هَلْ هِيَ مِمَّا يُمْكِنُ عِلَاجُهَا أَوْ لَا ؟ فَإِنْ [ص ١٣٢] يُفِيدُ شَيْئًا . وَإِنْ أَمْكَنَ عِلَاجُهَا نَظَرَ هَلْ يُمْكِنُ زَوَالُهَا أَمْ لَا ؟ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ زَوَالُهَا نَظَرَ هَلْ يُمْكِنُ تَخْفِيفُهَا وَتَقْلِيلُهَا أَمْ لَا ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَقْلِيلُهَا وَرَأَى أَنَّ غَايَةَ الْإِمْكَانِ إِيقَافُهَا وَقَطْعُ زِيَادَتِهَا قَصَدَ بِالْعِلَاجِ ذَلِكَ وَأَعَانَ الْقُوَّةَ وَأَضْعَفَ الْمَادَّةَ . السَّادِسَ عَشَرَ أَلَّا يَتَعَرَّضَ لِلْخَلْطِ قَبْلَ نُضْجِهِ بِاسْتِفْرَاغٍ بَلْ يَقْصِدُ إِنْضَاجَهُ فَإِذَا تَمَّ نُضْجُهُ بَادَرَ إِلَى اسْتِفْرَاغِهِ .

[أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبْرَةٌ بِاعْتِلَالِ الْقُلُوبِ]

السَّابِعَ عَشَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبْرَةٌ بِاعْتِلَالِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَأَدْوِيَتِهَا وَذَلِكَ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي عِلَاجِ الْأَبْدَانِ فَإِنَّ انْفِعَالَ الْبَدَنِ وَطَبِيعَتَهُ عَنِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ أَمْرٌ مَشْهُودٌ وَالطَّبِيبُ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِأَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَعِلَاجِهِمَا كَانَ هُوَ الطَّبِيبَ الْكَامِلَ وَالَّذِي لَا خِبْرَةَ لَهُ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ حَاذِقًا فِي عِلَاجِ الطَّبِيعَةِ وَأَحْوَالِ الْبَدَنِ نِصْفُ طَبِيبٍ . وَكُلُّ طَبِيبٍ لَا يُدَاوِي الْعَلِيلَ بِتَفَقُّدِ قَلْبِهِ وَصَلَاحِهِ وَتَقْوِيَةِ رُوحِهِ وَقُوَاهُ بِالصَّدَقَةِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ بَلْ مُتَطَبِّبٌ قَاصِرٌ . وَمِنْ أَعْظَمِ عِلَاجَاتِ الْمَرَضِ فِعْلُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ وَالِابْتِهَالُ إِلَى اللَّهِ وَالتَّوْبَةُ وَلِهَذِهِ الْأُمُورِ تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الْعِلَلِ وَحُصُولِ الشِّفَاءِ أَعْظَمُ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَلَكِنْ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ وَقَبُولِهَا وَعَقِيدَتِهَا فِي ذَلِكَ وَنَفْعِهِ . الثَّامِنَ عَشَرَ التَّلَطُّفُ بِالْمَرِيضِ وَالرِّفْقُ بِهِ كَالتَّلَطُّفِ بِالصَّبِيِّ . التَّاسِعَ عَشَرَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ أَنْوَاعَ الْعِلَاجَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالْعِلَاجَ بِالتَّخْيِيلِ فَإِنَّ لِحُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ فِي التَّخْيِيلِ أُمُورًا عَجِيبَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الدَّوَاءُ فَالطَّبِيبُ الْحَاذِقُ يَسْتَعِينُ عَلَى الْمَرَضِ بِكُلِّ مُعِينٍ . الْعِشْرُونَ - وَهُوَ مِلَاكُ أَمْرِ الطَّبِيبِ - أَنْ يَجْعَلَ عِلَاجَهُ وَتَدْبِيرَهُ دَائِرًا عَلَى سِتَّةِ أَرْكَانٍ حِفْظُ الصِّحَّةِ الْمَوْجُودَةِ وَرَدُّ الصِّحَّةِ الْمَفْقُودَةِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ [ص ١٣٣] أَدْنَى الْمَفْسَدَتَيْنِ لِإِزَالَةِ أَعْظَمِهِمَا وَتَفْوِيتِ أَدْنَى الْمَصْلَحَتَيْنِ لِتَحْصِيلِ أَعْظَمِهِمَا فَعَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ السِّتَّةِ مَدَارُ الْعِلَاجِ وَكُلُّ طَبِيبٍ لَا تَكُونُ هَذِهِ أُخِيَّتَهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [مُرَاعَاةُ الطَّبِيبِ لِأَحْوَالِ الْمَرَضِ]

وَلَمّا كَانَ لِلمَرَضِ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ ابْتِدَاءٌ وَصُعُودٌ وَانْتِهَاءٌ وَانْحِطَاطٌ تَعَيّنَ عَلَى الطّبِيبِ مُرَاعَاةُ كُلّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمَرَضِ بِمَا يُنَاسِبُهَا وَيَلِيقُ بِهَا وَيَسْتَعْمِلُ فِي كُلّ حَالٍ مَا يَجِبُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا . فَإِذَا رَأَى فِي ابْتِدَاءِ الْمَرَضِ أَنّ الطّبِيعَةَ مُحْتَاجَةٌ إلَى مَا يُحَرّكُ الْفَضَلَاتِ وَيَسْتَفْرِغُهَا لِنُضْجِهَا بَادَرَ إلَيْهِ فَإِنْ فَاتَهُ تَحْرِيكُ الطّبِيعَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْمَرَضِ لِعَائِقٍ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِضَعْفِ الْقُوّةِ وَعَدَمِ احْتِمَالِهَا لِلِاسْتِفْرَاغِ أَوْ لِبُرُودَةِ الْفَصْلِ أَوْ لِتَفْرِيطٍ وَقَعَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَ كُلّ الْحَذَرِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي صُعُودِ الْمَرَضِ لِأَنّهُ إنْ فَعَلَهُ تَحَيّرَتْ الطّبِيعَةُ لِاشْتِغَالِهَا بِالدّوَاءِ وَتَخَلّتْ عَنْ تَدْبِيرِ الْمَرَضِ وَمُقَاوَمَتِهِ بِالْكُلّيّةِ وَمِثَالُهُ أَنْ يَجِيءَ إلَى فَارِسٍ مَشْغُولٍ بِمُوَاقَعَةِ عَدُوّهِ فَيَشْغَلُهُ عَنْهُ بِأَمْرٍ آخَرَ وَلَكِنّ الْوَاجِبَ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُعِينَ الطّبِيعَةَ عَلَى حِفْظِ الْقُوّةِ مَا أَمْكَنَهُ . فَإِذَا انْتَهَى الْمَرَضُ وَوَقَفَ وَسَكَنَ أَخَذَ فِي اسْتِفْرَاغِهِ وَاسْتِئْصَالِ أَسْبَابِهِ فَإِذَا أَخَذَ فِي الِانْحِطَاطِ كَانَ أَوْلَى بِذَلِكَ . وَمِثَالُ هَذَا مِثَالُ الْعَدُوّ إذَا انْتَهَتْ قُوّتُهُ وَفَرَغَ سِلَاحُهُ كَانَ أَخْذُهُ سَهْلًا فَإِذَا وَلّى وَأَخَذَ فِي الْهَرَبِ كَانَ أَسْهَلَ أَخْذًا وَحِدّتُهُ وَشَوْكَتُهُ إنّمَا هِيَ فِي ابْتِدَائِهِ وَحَالِ اسْتِفْرَاغِهِ وَسِعَةِ قُوّتِهِ فَهَكَذَا الدّاءُ وَالدّوَاءُ سَوَاءٌ .

فَصْلٌ [مِنْ حِذْقِ الطّبِيبِ التّدْبِيرُ بِالْأَسْهَلِ]

وَمِنْ حِذْقِ الطّبِيبِ أَنّهُ حَيْثُ أَمْكَنَ التّدْبِيرُ بِالْأَسْهَلِ فَلَا يَعْدِلُ إلَى [ص ١٣٤] يَخَافَ فَوْتَ الْقُوّةِ حِينَئِذٍ فَيَجِبُ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالْأَقْوَى وَلَا يُقِيمَ فِي الْمُعَالَجَةِ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ فَتَأْلَفُهَا الطّبِيعَةُ وَيَقِلّ انْفِعَالُهَا عَنْهُ وَلَا تَجْسُرُ عَلَى الْأَدْوِيَةِ الْقَوِيّةِ فِي الْفُصُولِ الْقَوِيّةِ وَقَدْ تَقَدّمَ أَنّهُ إذَا أَمْكَنَهُ الْعِلَاجُ بِالْغِذَاءِ فَلَا يُعَالِجُ بِالدّوَاءِ وَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ أَحَارّ هُوَ أَمْ بَارِدٌ ؟ فَلَا يُقْدِمُ حَتّى يَتَبَيّنَ لَهُ وَلَا يُجَرّبُهُ بِمَا يَخَافُ عَاقِبَتَهُ وَلَا بَأْسَ بِتَجْرِبَتِهِ بِمَا لَا يَضُرّ أَثَرُهُ .

[مَا يَفْعَلُهُ الطّبِيبُ إذَا اجْتَمَعَتْ أَمْرَاضٌ]

وَإِذَا اجْتَمَعَتْ أَمْرَاضٌ بَدَأَ بِمَا تَخُصّهُ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ إحْدَاهَا : أَنْ يَكُونَ بُرْءُ الْآخَرِ مَوْقُوفًا عَلَى بُرْئِهِ كَالْوَرَمِ وَالْقَرْحَةِ فَإِنّهُ يَبْدَأُ بِالْوَرَمِ . الثّانِيَةُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهَا سَبَبًا لِلْآخَرِ كَالسّدّةِ وَالْحُمّى الْعَفِنَةِ فَإِنّهُ يَبْدَأُ بِإِزَالَةِ السّبَبِ . الثّالِثَةُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَهَمّ مِنْ الْآخَرِ كَالْحَادّ وَالْمُزْمِنِ فَيَبْدَأُ بِالْحَادّ وَمَعَ هَذَا فَلَا يَغْفُلُ عَنْ الْآخَرِ . وَإِذَا اجْتَمَعَ الْمَرَضُ وَالْعَرَضُ بَدَأَ بِالْمَرَضِ إلّا أَنْ يَكُونَ الْعَرَضُ أَقْوَى كَالْقُولَنْجِ فَيُسَكّنُ الْوَجَعَ أَوّلًا ثُمّ يُعَالِجُ السّدّةَ وَإِذَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَعْتَاضَ عَنْ الْمُعَالَجَةِ بِالِاسْتِفْرَاغِ بِالْجُوعِ أَوْ الصّوْمِ أَوْ النّوْمِ لَمْ يَسْتَفْرِغْهُ وَكُلّ صِحّةٍ أَرَادَ حِفْظَهَا حَفِظَهَا بِالْمِثْلِ أَوْ الشّبَهِ وَإِنْ أَرَادَ نَقْلَهَا إلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا نَقَلَهَا بِالضّدّ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي التّحَرّزِ مِنْ الْأَدْوَاءِ الْمُعْدِيَةِ بِطَبْعِهَا وَإِرْشَادِهِ الْأَصِحّاءَ إلَى مُجَانَبَةِ أَهْلِهَا

ثَبَتَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّهُ كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إلَيْهِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ [ص ١٣٥] وَرَوَى الْبُخَارِيُ فِي " صَحِيحِهِ " تَعْلِيقًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ فِرّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرّ مِنْ الْأَسَدِ وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَا تُدِيمُوا النّظَرَ إلَى الْمَجْذُومِينَ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا

يُورِدَنّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَلّمْ الْمَجْذُومَ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قِيدَ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ [ص ١٣٦]

[مَا هُوَ الْجُذَامُ]

الْجُذَامُ عِلّةٌ رَدِيئَةٌ تَحْدُثُ مِنْ انْتِشَارِ الْمُرّةِ السّوْدَاءِ فِي الْبَدَنِ كُلّهِ فَيَفْسُدُ مِزَاجُ الْأَعْضَاءِ وَهَيْئَتُهَا وَشَكْلُهَا وَرُبّمَا فَسَدَ فِي آخِرِهِ اتّصَالُهَا حَتّى تَتَأَكّلَ الْأَعْضَاءُ وَتَسْقُطَ وَيُسَمّى دَاءَ الْأَسَدِ .

[سَبَبُ تَسْمِيَةِ الْجُذَامِ بِدَاءِ الْأَسَدِ]

وَفِي هَذِهِ التّسْمِيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِلْأَطِبّاءِ أَحَدُهَا : أَنّهَا لِكَثْرَةِ مَا تَعْتَرِي الْأَسَدَ . وَالثّانِي : لِأَنّ هَذِهِ الْعِلّةَ تُجَهّمُ وَجْهَ صَاحِبِهَا وَتَجْعَلُهُ فِي سَحْنَةِ الْأَسَدِ . وَالثّالِثُ أَنّهُ يَفْتَرِسُ مَنْ يَقْرَبُهُ أَوْ يَدْنُو مِنْهُ بِدَائِهِ افْتِرَاسَ الْأَسَدِ .

[عِلّةُ الِابْتِعَادِ عَنْ الْمَجْذُومِ وَالْمَسْلُولِ]

وَهَذِهِ الْعِلّةُ عِنْدَ الْأَطِبّاءِ مِنْ الْعِلَلِ الْمُعْدِيَةِ الْمُتَوَارِثَةِ وَمُقَارِبُ الْمَجْذُومِ وَصَاحِبُ السّلّ يَسْقَمُ بِرَائِحَتِهِ فَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِكَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى الْأُمّةِ وَنُصْحِهِ لَهُمْ نَهَاهُمْ عَنْ الْأَسْبَابِ الّتِي تُعَرّضُهُمْ لِوُصُولِ الْعَيْبِ وَالْفَسَادِ إلَى أَجْسَامِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَلَا رَيْبَ أَنّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْبَدَنِ تَهَيّؤٌ وَاسْتِعْدَادٌ كَامِنٌ لِقَبُولِ هَذَا الدّاءِ وَقَدْ تَكُونُ الطّبِيعَةُ سَرِيعَةَ الِانْفِعَالِ قَابِلَةً لِلِاكْتِسَابِ مِنْ أَبْدَانِ مَنْ تُجَاوِرُهُ وَتُخَالِطُهُ فَإِنّهَا نَقّالَةٌ وَقَدْ يَكُونُ خَوْفُهَا مِنْ ذَلِكَ وَوَهْمُهَا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ إصَابَةِ تِلْكَ الْعِلّةِ لَهَا فَإِنّ الْوَهْمَ فَعّالٌ مُسْتَوْلٍ عَلَى الْقُوَى وَالطّبَائِعِ وَقَدْ تَصِلُ رَائِحَةُ الْعَلِيلِ إلَى الصّحِيحِ فَتُسْقِمُهُ وَهَذَا مُعَايَنٌ فِي بَعْضِ الْأَمْرَاضِ وَالرّائِحَةُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْعَدْوَى وَمَعَ هَذَا كُلّهِ فَلَا بُدّ مِنْ وُجُودِ اسْتِعْدَادِ الْبَدَنِ وَقَبُولِهِ لِذَلِكَ الدّاءِ وَقَدْ [ص ١٣٧] تَزَوّجَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ امْرَأَةً فَلَمّا أَرَادَ الدّخُولَ بِهَا وَجَدَ بِكَشْحِهَا بَيَاضًا فَقَالَ الْحَقِي بِأَهْلِكِ

[التّوْفِيقُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ السّابِقَةِ وَبَيْنَ نَفْيِ الْعَدْوَى وَالْأَكْلِ مَعَ الْمَجْذُومِ]

وَقَدْ ظَنّ طَائِفَةٌ مِنْ النّاسِ أَنّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مُعَارَضَةٌ بِأَحَادِيثَ أُخَرَ تُبْطِلُهَا وَتُنَاقِضُهَا فَمِنْهَا : مَا رَوَاهُ التّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخَذَ بِيَدِ رَجُلٍ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ وَقَالَ كُلْ بِسْمِ اللّهِ ثِقَةً بِاللّهِ وَتَوَكّلًا عَلَيْهِ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ . وَبِمَا ثَبَتَ فِي " الصّحِيحِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ . وَنَحْنُ نَقُولُ لَا تَعَارُضَ بِحَمْدِ اللّهِ بَيْنَ أَحَادِيثِهِ الصّحِيحَةِ . فَإِذَا وَقَعَ التّعَارُضُ فَإِمّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ غَلِطَ فِيهِ بَعْضُ الرّوَاةِ مَعَ كَوْنِهِ ثِقَةً ثَبْتًا فَالثّقَةُ يَغْلَطُ أَوْ يَكُونُ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ نَاسِخًا لِلْآخَرِ إذَا كَانَ مِمّا يَقْبَلُ النّسْخَ أَوْ يَكُونُ التّعَارُضُ فِي فَهْمِ السّامِعِ لَا فِي نَفْسِ كَلَامِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَا بُدّ مِنْ وَجْهٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثّلَاثَةِ . وَأَمّا حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ صَرِيحَانِ مُتَنَاقِضَانِ مِنْ كُلّ وَجْهٍ لَيْسَ أَحَدُهُمَا نَاسِخًا لِلْآخَرِ فَهَذَا لَا يُوجَدُ أَصْلًا وَمَعَاذَ اللّهِ أَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِ الصّادِقِ الْمَصْدُوقِ الّذِي لَا يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ إلّا الْحَقّ وَالْآفَةُ مِنْ التّقْصِيرِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَنْقُولِ وَالتّمْيِيزِ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَمَعْلُولِهِ أَوْ مِنْ الْقُصُورِ فِي فَهْمِ مُرَادِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ [ص ١٣٨] كَلَامِهِ عَلَى غَيْرِ مَا عَنَاهُ بِهِ أَوْ مِنْهُمَا مَعًا وَمِنْ هَا هُنَا وَقَعَ مِنْ الِاخْتِلَافِ وَالْفَسَادِ مَا وَقَعَ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

[التّوْفِيقُ بَيْنَهَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ قُتَيْبَةَ]

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ " اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ " لَهُ حِكَايَةً عَنْ أَعْدَاءِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ قَالُوا : حَدِيثَانِ مُتَنَاقِضَانِ رَوَيْتُمْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَقِيلَ لَهُ إنَّ النُّقْبَةَ تَقَعُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ فَيَجْرَبُ لِذَلِكَ الْإِبِلُ . قَالَ فَمَا أَعْدَى الْأَوَّلَ ثُمَّ رَوَيْتُمْ لَا يُورِدُ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحٍّ وَفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَك مِنْ الْأَسَدِ وَأَتَاهُ رَجُلٌ مَجْذُومٌ لِيُبَايِعَهُ بَيْعَةَ الْإِسْلَامِ فَأَرْسَلَ إلَيْهِ الْبَيْعَةَ وَأَمَرَهُ بِالِانْصِرَافِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ وَقَالَ الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ قَالُوا : وَهَذَا كُلُّهُ مُخْتَلِفٌ لَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ نَقُولُ إنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا اخْتِلَافٌ وَلِكُلِّ مَعْنًى مِنْهَا [ص ١٣٩] زَالَ الِاخْتِلَافُ . وَالْعَدْوَى جِنْسَانِ أَحَدُهُمَا : عَدْوَى الْجُذَامِ فَإِنَّ الْمَجْذُومَ تَشْتَدُّ رَائِحَتُهُ حَتَّى يُسْقِمَ مَنْ أَطَالَ مُجَالَسَتَهُ وَمُحَادَثَتَهُ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ تَحْتَ الْمَجْذُومِ فَتُضَاجِعُهُ فِي شِعَارٍ وَاحِدٍ فَيُوصِلُ إلَيْهَا الْأَذَى وَرُبَّمَا جُذِمَتْ وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ يَنْزِعُونَ فِي الْكِبَرِ إلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ بِهِ سِلٌّ وَدِقٌّ وَنُقْبٌ . وَالْأَطِبَّاءُ تَأْمُرُ أَنْ لَا يُجَالِسَ الْمَسْلُولَ وَلَا الْمَجْذُومَ وَلَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ مَعْنَى الْعَدْوَى وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ مَعْنَى تَغَيُّرِ الرَّائِحَةِ وَأَنَّهَا قَدْ تُسْقِمُ مَنْ أَطَالَ اشْتِمَامَهَا وَالْأَطِبَّاءُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ الْإِيمَانِ بِيُمْنٍ وَشُؤْمٍ وَكَذَلِكَ النُّقْبَةُ تَكُونُ بِالْبَعِيرِ - وَهُوَ جَرَبٌ رَطْبٌ - فَإِذَا خَالَطَ الْإِبِلَ أَوْ حَاكَهَا وَأَوَى فِي مَبَارِكِهَا وَصَلَ إلَيْهَا بِالْمَاءِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ وَبِالنَّطَفِ نَحْوَ مَا بِهِ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُورِدُ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحٍّ كَرِهَ أَنْ يُخَالِطَ الْمَعْيُوهَ الصَّحِيحُ لِئَلَّا يَنَالَهُ مِنْ نَطَفِهِ وَحِكَّتِهِ نَحْوُ مِمَّا بِهِ . قَالَ وَأَمَّا الْجِنْسُ الْآخَرُ مِنْ الْعَدْوَى فَهُوَ الطَّاعُونُ يَنْزِلُ بِبَلَدٍ فَيَخْرُجُ مِنْهُ خَوْفَ الْعَدْوَى وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا وَقَعَ بِبَلَدٍ وَأَنْتُمْ بِهِ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهُ وَإِذَا كَانَ بِبَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوهُ . يُرِيدُ بِقَوْلِهِ لَا تَخْرُجُوا مِنْ الْبَلَدِ إذَا كَانَ فِيهِ كَأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْفِرَارَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ يُنْجِيكُمْ مِنْ اللَّهِ وَيُرِيدُ إذَا كَانَ بِبَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوهُ أَيْ مَقَامُكُمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا طَاعُونَ فِيهِ أَسْكَنُ لِقُلُوبِكُمْ وَأَطْيَبُ لِعَيْشِكُمْ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ تُعْرَفُ بِالشُّؤْمِ أَوْ الدَّارُ فَيَنَالُ الرَّجُلَ مَكْرُوهٌ أَوْ جَائِحَةٌ فَيَقُولُ أَعْدَتْنِي بِشُؤْمِهَا فَهَذَا هُوَ الْعَدْوَى الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدْوَى وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ الْأَمْرُ بِاجْتِنَابِ الْمَجْذُومِ وَالْفِرَارِ مِنْهُ عَلَى الِاسْتِحْبَابِ وَالِاخْتِيَارِ وَالْإِرْشَادِ وَأَمَّا الْأَكْلُ مَعَهُ فَفَعَلَهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ وَأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِحَرَامٍ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ الْخِطَابُ بِهَذَيْنِ الْخِطَابَيْنِ جُزْئِيٌّ لَا كُلِّيٌّ فَكُلٌّ [ص ١٤٠] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَلِيقُ بِحَالِهِ فَبَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ قَوِيَّ الْإِيمَانِ قَوِيَّ التَّوَكُّلِ تَدْفَعُ قُوَّةُ تَوَكُّلِهِ قُوَّةَ الْعَدْوَى كَمَا تَدْفَعُ قُوَّةُ الطَّبِيعَةِ قُوَّةَ الْعِلَّةِ فَتُبْطِلُهَا وَبَعْضُ النَّاسِ لَا يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ فَخَاطَبَهُ بِالِاحْتِيَاطِ وَالْأَخْذِ بِالتَّحَفُّظِ وَكَذَلِكَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ الْحَالَتَيْنِ مَعًا لِتَقْتَدِيَ بِهِ الْأُمَّةُ فِيهِمَا فَيَأْخُذُ مَنْ قَوِيَ مِنْ أُمَّتِهِ بِطَرِيقَةِ التَّوَكُّلِ وَالْقُوَّةِ وَالثِّقَةِ بِاَللَّهِ وَيَأْخُذُ مَنْ ضَعُفَ مِنْهُمْ بِطَرِيقَةِ التَّحَفُّظِ وَالِاحْتِيَاطِ وَهُمَا طَرِيقَانِ صَحِيحَانِ . أَحَدُهُمَا : لِلْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ وَالْآخَرُ لِلْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ فَتَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الطَّائِفَتَيْنِ حُجَّةٌ وَقُدْوَةٌ بِحَسَبِ حَالِهِمْ وَمَا يُنَاسِبُهُمْ وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَوَى وَأَثْنَى عَلَى تَارِكِ الْكَيِّ وَقَرَنَ تَرْكَهُ بِالتَّوَكُّلِ وَتَرْكِ الطِّيَرَةِ وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ لَطِيفَةٌ حَسَنَةٌ جِدًّا مَنْ أَعْطَاهَا حَقَّهَا وَرُزِقَ فِقْهَ نَفْسِهِ فِيهَا أَزَالَتْ عَنْهُ تَعَارُضًا كَثِيرًا يَظُنُّهُ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ . وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى إلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْفِرَارِ مِنْهُ وَمُجَانَبَتِهِ لِأَمْرٍ طَبِيعِيٍّ وَهُوَ انْتِقَالُ الدَّاءِ مِنْهُ بِوَاسِطَةِ الْمُلَامَسَةِ وَالْمُخَالَطَةِ وَالرَّائِحَةِ إلَى الصَّحِيحِ وَهَذَا يَكُونُ مَعَ

تَكْرِيرِ الْمُخَالَطَةِ وَالْمُلَامَسَةِ لَهُ وَأَمّا أَكْلُهُ مَعَهُ مِقْدَارًا يَسِيرًا مِنْ الزّمَانِ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ وَلَا تَحْصُلُ الْعَدْوَى مِنْ مَرّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ فَنَهَى سَدّا لِلذّرِيعَةِ وَحِمَايَةً لِلصّحّةِ وَخَالَطَهُ مُخَالَطَةً مَا لِلْحَاجَةِ وَالْمَصْلَحَةِ فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَجْذُومُ الّذِي أَكَلَ مَعَهُ بِهِ مِنْ الْجُذَامِ أَمْرٌ يَسِيرٌ لَا يُعْدِي مِثْلُهُ وَلَيْسَ الْجَذْمَى كُلّهُمْ سَوَاءً وَلَا الْعَدْوَى حَاصِلَةٌ مِنْ جَمِيعِهِمْ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ لَا تَضُرّ مُخَالَطَتُهُ وَلَا تَعْدِي وَهُوَ مَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ثُمّ وَقَفَ وَاسْتَمَرّ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يُعْدِ بَقِيّةَ جِسْمِهِ فَهُوَ أَنْ لَا يُعْدِيَ غَيْرَهُ أَوْلَى وَأَحْرَى . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : إنّ الْجَاهِلِيّةَ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنّ الْأَمْرَاضَ الْمُعْدِيَةَ تُعْدِي بِطَبْعِهَا مِنْ غَيْرِ إضَافَةٍ إلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ فَأَبْطَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْتِقَادَهُمْ ذَلِكَ وَأَكَلَ مَعَ الْمَجْذُومِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الّذِي يُمْرِضُ وَيَشْفِي وَنَهَى عَنْ الْقُرْبِ مِنْهُ [ص ١٤١] جَعَلَهَا اللّهُ مُفْضِيَةً إلَى مُسَبّبَاتِهَا فَفِي نَهْيِهِ إثْبَاتُ الْأَسْبَابِ وَفِي فِعْلِهِ بَيَانُ أَنّهَا لَا تَسْتَقِلّ بِشَيْءٍ بَلْ الرّبّ سُبْحَانَهُ إنْ شَاءَ سَلَبَهَا قُوَاهَا فَلَا تُؤَثّرُ شَيْئًا وَإِنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَيْهَا قُوَاهَا فَأَثّرَتْ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِيهَا النّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فَيَنْظُرُ فِي تَارِيخِهَا فَإِنْ عُلِمَ الْمُتَأَخّرُ مِنْهَا حُكِمَ بِأَنّهُ النّاسِخُ وَإِلّا تَوَقّفْنَا فِيهَا . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى : بَلْ بَعْضُهَا مَحْفُوظٌ وَبَعْضُهَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَتَكَلّمَتْ فِي حَدِيثِ لَا عَدْوَى وَقَالَتْ قَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْوِيهِ أَوّلًا ثُمّ شَكّ فِيهِ فَتَرَكَهُ وَرَاجَعُوهُ فِيهِ وَقَالُوا : سَمِعْنَاك تُحَدّثُ بِهِ فَأَبَى أَنْ يُحَدّثَ بِهِ . قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَمْ نَسَخَ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ الْآخَرَ ؟ وَأَمّا حَدِيثُ جَابِرٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ فَحَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ وَلَا يَصِحّ وَغَايَةُ مَا قَالَ فِيهِ التّرْمِذِيّ : إنّهُ غَرِيبٌ لَمْ يُصَحّحْهُ وَلَمْ يُحَسّنْهُ . وَقَدْ قَالَ شُعْبَةُ وَغَيْرُهُ اتّقُوا هَذِهِ الْغَرَائِبَ . قَالَ التّرْمِذِيّ : وَيُرْوَى هَذَا مِنْ فِعْلِ عُمَرَ وَهُوَ أَثْبَتُ فَهَذَا شَأْنُ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ اللّذَيْنِ عُورِضَ بِهِمَا أَحَادِيثُ النّهْيِ أَحَدُهُمَا : رَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ التّحْدِيثِ بِهِ وَأَنْكَرَهُ وَالثّانِي : لَا يَصِحّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاَللّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ أَشْبَعْنَا الْكَلَامَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِ " الْمِفْتَاحِ " بِأَطْوَلَ مِنْ هَذَا وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمَنْعِ مِنْ التّدَاوِي بِالْمُحَرّمَاتِ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدّرْدَاءِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ اللّهَ أَنْزَلَ الدّاءَ وَالدّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِالْمُحَرّمِ . [ص ١٤٢] وَذَكَرَ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ : إنّ اللّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرّمَ عَلَيْكُمْ وَفِي " السّنَنِ " : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الدّوَاءِ الْخَبِيثِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ طَارِقِ بْنِ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيّ أَنّهُ سَأَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا فَقَالَ إنّمَا أَصْنَعُهَا لِلدّوَاءِ فَقَالَ إنّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنّهُ دَاءٌ وَفِي " السّنَنِ " أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُئِلَ عَنْ الْخَمْرِ يُجْعَلُ فِي الدّوَاءِ فَقَالَ " إنّهَا دَاءٌ وَلَيْسَتْ بِالدّوَاءِ [ص ١٤٣] أَبُو دَاوُدَ وَالتّرْمِذِيّ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ طَارِقِ بْنِ سُوَيْدٍ الْحَضْرَمِيّ قَالَ قُلْت : يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ بِأَرْضِنَا أَعْنَابًا نَعْتَصِرُهَا فَنَشْرَبُ مِنْهَا قَالَ " لَا " فَرَاجَعْته قُلْتُ إنّا نَسْتَشْفِي لِلْمَرِيضِ قَالَ إنّ ذَلِكَ لَيْسَ بِشِفَاءٍ وَلَكِنّهُ دَاءٌ وَفِي " سُنَنِ

النّسَائِيّ أنّ طَبِيبًا ذَكَرَ ضِفْدَعًا فِي دَوَاءٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنَهَاهُ عَنْ قَتْلِهَا وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ مَنْ تَدَاوَى بِالْخَمْرِ فَلَا شَفَاهُ اللّهُ
[بَيَانُ قُبْحِ الْمُعَالَجَةِ بِالْمُحَرّمَاتِ عَقْلًا]
الْمُعَالَجَةُ بِالْمُحَرّمَاتِ قَبِيحَةٌ عَقْلًا وَشَرْعًا أَمّا الشّرْعُ فَمَا ذَكَرْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَغَيْرِهَا وَأَمّا الْعَقْلُ فَهُوَ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ إنّمَا حَرّمَهُ لِخُبْثِهِ فَإِنّهُ لَمْ يُحَرّمْ عَلَى هَذِهِ الْأُمّةِ طَيّبًا عُقُوبَةً لَهَا كَمَا حَرّمَهُ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ بِقَوْلِهِ { فَبِظُلْمٍ مِنَ الّذِينَ هَادُوا حَرّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيّبَاتٍ أُحِلّتْ لَهُمْ } [النّسَاء : ١٦٠] ؛ وَإِنّمَا حَرّمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمّةِ مَا حَرّمَ لِخُبْثِهِ وَتَحْرِيمُهُ لَهُ حَمِيّةً لَهُمْ وَصِيَانَةً عَنْ تَنَاوُلِهِ فَلَا يُنَاسِبُ أَنْ يُطْلَبَ بِهِ الشّفَاءُ مِنْ الْأَسْقَامِ وَالْعِلَلِ فَإِنّهُ وَإِنْ أَثّرَ فِي إزَالَتِهَا لَكِنّهُ يُعْقِبُ سَقَمًا أَعْظَمَ مِنْهُ فِي الْقَلْبِ بِقُوّةِ الْخُبْثِ الّذِي فِيهِ فَيَكُونُ الْمُدَاوَى بِهِ قَدْ سَعَى فِي إزَالَةِ سُقْمِ الْبَدَنِ بِسُقْمِ الْقَلْبِ . [ص ١٤٤] اتّخَاذِهِ دَوَاءً حَضّ عَلَى التّرْغِيبِ فِيهِ وَمُلَابَسَتِهِ وَهَذَا ضِدّ مَقْصُودِ الشّارِعِ وَأَيْضًا فَإِنّهُ دَاءٌ كَمَا نَصّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الشّرِيعَةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتّخَذَ دَوَاءً . وَأَيْضًا فَإِنّهُ يُكْسِبُ الطّبِيعَةَ وَالرّوحَ صِفَةَ الْخُبْثِ لِأَنّ الطّبِيعَةَ تَنْفَعِلُ عَنْ كَيْفِيّةِ الدّوَاءِ انْفِعَالًا بَيّنًا فَإِذَا كَانَتْ كَيْفِيّتُهُ خَبِيثَةً اكْتَسَبَتْ الطّبِيعَةُ مِنْهُ خُبْثًا فَكَيْفَ إذَا كَانَ خَبِيثًا فِي ذَاتِهِ وَلِهَذَا حَرّمَ اللّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ الْأَغْذِيَةَ وَالْأَشْرِبَةَ وَالْمَلَابِسَ الْخَبِيثَةَ لِمَا تُكْسِبُ النّفْسَ مِنْ هَيْئَةِ الْخُبْثِ وَصِفَتِهِ .
[التّدَاوِي بِهِ ذَرِيعَةٌ إلَى تَعَاطِيهِ]
وَأَيْضًا فَإِنّ فِي إبَاحَةِ التّدَاوِي بِهِ وَلَا سِيّمَا إذَا كَانَتْ النّفُوسُ تَمِيلُ إلَيْهِ ذَرِيعَةً إلَى تَنَاوُلِهِ لِلشّهْوَةِ وَاللّذّةِ لَا سِيّمَا إذَا عَرَفَتْ النّفُوسُ أَنّهُ نَافِعٌ لَهَا مُزِيلٌ لِأَسْقَامِهَا جَالِبٌ لِشِفَائِهَا فَهَذَا أَحَبّ شَيْءٍ إلَيْهَا وَالشّارِعُ سَدّ الذّرِيعَةَ إلَى تَنَاوُلِهِ بِكُلّ مُمْكِنٍ وَلَا رَيْبَ أَنّ بَيْنَ سَدّ الذّرِيعَةِ إلَى تَنَاوُلِهِ وَفَتْحِ الذّرِيعَةِ إلَى تَنَاوُلِهِ تَنَاقُضًا و تَعَارُضًا . وَأَيْضًا فَإِنّ فِي هَذَا الدّوَاءِ الْمُحَرّمِ مِنْ الْأَدْوَاءِ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا يُظَنّ فِيهِ مِنْ الشّفَاءِ وَلْنَفْرِضْ الْكَلَامَ فِي أُمّ الْخَبَائِثِ الّتِي مَا جَعَلَ اللّهُ لَنَا فِيهَا شِفَاءً قَطّ فَإِنّهَا شَدِيدَةُ الْمَضَرّةِ بِالدّمَاغِ الّذِي هُوَ مَرْكَزُ الْعَقْلِ عِنْدَ الْأَطِبّاءِ وَكَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلّمِينَ . قَالَ أَبِقْرَاطُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ فِي الْأَمْرَاضِ الْحَادّةِ ضَرَرُ الْخَمْرَةِ بِالرّأْسِ شَدِيدٌ . لِأَنّهُ يُسَرّعُ الِارْتِفَاعَ إلَيْهِ . وَيَرْتَفِعُ بِارْتِفَاعِهِ الْأَخْلَاطُ الّتِي تَعْلُو فِي الْبَدَنِ وَهُوَ كَذَلِكَ يَضُرّ بِالذّهْنِ . وَقَالَ صَاحِبُ " الْكَامِلِ " : إنّ خَاصّيّةَ الشّرَابِ الْإِضْرَارُ بِالدّمَاغِ وَالْعَصَبِ . وَأَمّا غَيْرُهُ مِنْ الْأَدْوِيَةِ الْمُحَرّمَةِ فَنَوْعَانِ أَحَدُهُمَا : تَعَافُهُ النّفْسُ وَلَا تَنْبَعِثُ لِمُسَاعَدَتِهِ الطّبِيعَةُ عَلَى دَفْعِ الْمَرَضِ بِهِ كَالسّمُومِ وَلُحُومِ الْأَفَاعِي وَغَيْرِهَا مِنْ الْمُسْتَقْذَرَاتِ فَيَبْقَى كَلًّا عَلَى الطّبِيعَةِ مُثْقِلًا لَهَا فَيَصِيرُ حِينَئِذٍ دَاءً لَا دَوَاءً . [ص ١٤٥] وَالثّانِي : مَا لَا تَعَافُهُ النّفْسُ كَالشّرَابِ الّذِي تَسْتَعْمِلُهُ الْحَوَامِلُ مَثَلًا فَهَذَا ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ وَالْعَقْلُ يَقْضِي بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ فَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ مُطَابِقٌ لِلشّرْعِ فِي ذَلِكَ . وَهَا هُنَا سِرّ لَطِيفٌ فِي كَوْنِ الْمُحَرّمَاتِ لَا يُسْتَشْفَى بِهَا فَإِنّ شَرْطَ الشّفَاءِ بِالدّوَاءِ تَلَقّيه بِالْقَبُولِ وَاعْتِقَادُ مَنْفَعَتِهِ وَمَا جَعَلَ اللّهُ فِيهِ مِنْ بَرَكَةِ الشّفَاءِ فَإِنّ النّافِعَ هُوَ الْمُبَارَكُ وَأَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ أَبْرَكُهَا وَالْمُبَارَكُ مِنْ النّاسِ أَيْنَمَا كَانَ هُوَ الّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ حَيْثُ حَلّ وَمَعْلُومٌ أَنّ اعْتِقَادَ الْمُسْلِمِ تَحْرِيمَ هَذِهِ الْعَيْنِ مِمّا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اعْتِقَادِ بَرَكَتِهَا وَمَنْفَعَتِهَا وَبَيْنَ حُسْنِ ظَنّهِ بِهَا وَتَلَقّي طَبْعِهِ لَهَا بِالْقَبُولِ بَلْ كُلّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ إيمَانًا كَانَ أَكْرَهَ لَهَا وَأَسْوَأَ اعْتِقَادًا فِيهَا وَطَبْعُهُ

أَكْرَهَ شَيْءٍ لَهَا فَإِذَا تَنَاوَلَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ كَانَتْ دَاءً لَهُ لَا دَوَاءً إلّا أَنْ يَزُولَ اعْتِقَادُ الْخُبْثِ فِيهَا وَسُوءُ الظّنّ وَالْكَرَاهَةُ لَهَا بِالْمَحَبّةِ وَهَذَا يُنَافِي الْإِيمَانَ فَلَا يَتَنَاوَلُهَا الْمُؤْمِنُ قَطّ إلّا عَلَى وَجْهِ دَاءٍ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٧٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِيَادَةِ الْمَرْضَى

كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعُودُ مَنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَادَ غُلَامًا كَانَ يَخْدِمُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعَادَ عَمّهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ الْيَهُودِيّ وَلَمْ يُسْلِمْ عَمّهُ . وَكَانَ يَدْنُو مِنْ الْمَرِيضِ وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَيَقُولُ كَيْفَ تَجِدُك ؟ وَذَكَرَ أَنّهُ كَانَ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَمّا يَشْتَهِيهِ فَيَقُولُ هَلْ تَشْتَهِي شَيْئًا ؟ فَإِنْ اشْتَهَى شَيْئًا وَعَلِمَ أَنّهُ لَا يَضُرّهُ أَمَرَ لَهُ بِهِ . [ص ٤٧٦] وَكَانَ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى عَلَى الْمَرِيضِ وَيَقُولُ اللّهُمّ رَبّ النّاسِ أَذْهِبْ الْبَأْسَ وَاشْفِهِ أَنْتَ الشّافِي لَا شِفَاءَ إلّا شِفَاؤُك شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا وَكَانَ يَقُولُ امْسَحْ الْبَأْسَ رَبّ النّاسِ بِيَدِكَ الشّفَاءُ لَا كَاشِفَ لَهُ إلّا أَنْت وَكَانَ يَدْعُو لِلْمَرِيضِ ثَلَاثًا كَمَا قَالَهُ لِسَعْدٍ : اللّهُمّ اشْفِ سَعْدًا اللّهُمّ اشْفِ سَعْدًا اللّهُمّ اشْفِ سَعْدًا وَكَانَ إذَا دَخَلَ عَلَى الْمَرِيضِ يَقُولُ لَهُ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللّهُ

[الرّقْيَةُ وَالِاسْتِرْقَاءُ]

وَرُبّمَا كَانَ يَقُولُ كَفّارَةٌ وَطَهُور وَكَانَ يَرْقِي مَنْ بِهِ قُرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ أَوْ شَكْوَى فَيَضَعُ سَبّابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمّ يَرْفَعُهَا وَيَقُولُ بِسْمِ اللّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبّنَا هَذَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " وَهُوَ يُبْطِلُ اللّفْظَةَ الّتِي جَاءَتْ فِي حَدِيثِ السّبْعِينَ أَلْفًا الّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَأَنّهُمْ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ . فَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ " لَا يَرْقُونَ " غَلَطٌ مِنْ الرّاوِي سَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ ذَلِكَ . قَالَ وَإِنّمَا الْحَدِيثُ " هُمْ الّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ " . قُلْت : وَذَلِكَ لِأَنّ هَؤُلَاءِ دَخَلُوا الْجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ [ص ٤٧٧] قَالَ { وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ } فَلِكَمَالِ تَوَكّلِهِمْ عَلَى رَبّهِمْ وَسُكُونِهِمْ إلَيْهِ وَثِقَتِهِمْ بِهِ وَرِضَاهُمْ عَنْهُ وَإِنْزَالِ حَوَائِجِهِمْ بِهِ لَا يَسْأَلُونَ النّاسَ شَيْئًا لَا رُقْيَةً وَلَا غَيْرَهَا وَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ طِيَرَةٌ تَصُدّهُمْ عَمّا يَقْصِدُونَهُ فَإِنّ الطّيَرَةَ تُنْقِصُ التّوْحِيدَ وَتُضْعِفُهُ . قَالَ وَالرّاقِي مُتَصَدّقٌ مُحْسِنٌ وَالْمُسْتَرْقِي سَائِلٌ وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَقَى وَلَمْ يَسْتَرْقِ وَقَالَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَدِيثِ الّذِي فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا أَوَى إلَى فِرَاشِهِ جَمَعَ كَفّيْهِ ثُمّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ { قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ النّاسِ } وَيَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ وَيَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ مَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَمّا اشْتَكَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ فَالْجَوَابُ أَنّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ رُوِيَ بِثَلَاثَةِ أَلْفَاظٍ . أَحَدُهَا : هَذَا .

وَالثّانِي : أَنّهُ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالثّالِثُ قَالَتْ كُنْت أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا وَفِي لَفْظٍ رَابِعٍ كَانَ إذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوّذَاتِ وَيَنْفُثُ وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ يُفَسّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَضَعْفُهُ وَوَجَعُهُ يَمْنَعُهُ مِنْ إمْرَارِ يَدِهِ عَلَى جَسَدِهِ كُلّهِ . فَكَانَ يَأْمُرُ عَائِشَةَ أَنْ تُمِرّ يَدَهُ عَلَى جَسَدِهِ بَعْدَ نَفْثِهِ هُوَ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ الِاسْتِرْقَاءِ

فِي شَيْءٍ [ص ٤٧٨] كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَرْقِيَهُ وَإِنّمَا ذَكَرَتْ الْمَسْحَ بِيَدِهِ بَعْدَ النّفْثِ عَلَى جَسَدِهِ ثُمّ قَالَتْ كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ أَيْ أَنْ أَمْسَحَ جَسَدَهُ بِيَدِهِ كَمَا كَانَ هُوَ يَفْعَلُ . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ أَنْ يَخُصّ يَوْمًا مِنْ الْأَيّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَلَا وَقْتًا مِنْ الْأَوْقَاتِ بَلْ شَرَعَ لِأُمّتِهِ عِيَادَةَ الْمَرْضَى لَيْلًا وَنَهَارًا وَفِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ . وَفِي " الْمُسْنَدِ " عَنْهُ إذَا عَادَ الرّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى فِي خُرْفَةِ الْجَنّةِ حَتّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرّحْمَةُ فَإِنْ كَانَ غَدْوَةً صَلّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتّى يُمْسِيَ وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتّى يُصْبِحَ وَفِي لَفْظٍ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا إلّا بَعَثَ اللّهُ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلّونَ عَلَيْهِ أَيّ سَاعَةٍ مِنْ النّهَارِ كَانَتْ حَتّى يُمْسِيَ وَأَيّ سَاعَةٍ مِنْ اللّيْلِ كَانَتْ حَتّى يُصْبِحَ وَكَانَ يَعُودُ مِنْ الرّمَدِ وَغَيْرِهِ وَكَانَ أَحْيَانًا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَةِ الْمَرِيضِ ثُمّ يَمْسَحُ صَدْرَهُ وَبَطْنَهُ وَيَقُولُ اللّهُمّ اشْفِهِ وَكَانَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ أَيْضًا . وَكَانَ إذَا يَئِسَ مِنْ الْمَرِيضِ قَالَ إنّا لِلّهِ وَإِنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ [ص ٤٧٩]

١ـ كان من هديه فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه.

٢ـ وقال: ((ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)) [خ]، وقال: ((يا عباد الله تداووا)) [صحيح الترمذي].

٣ـ وكان علاجه للمرض ثلاثة أنواع: أحدها: بالأدوية الطبيعية، والثاني: بالأدوية الإلهية، والثالث: بالمركب من الأمرين.

٤ـ ونهى عن التداوي بالخمر، ونهى عن التداوي بالخبيث.

٤ـ وكان يعود من مرض من أصحابه، وعاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمَّه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي ولم يسلم عمُّه.

٥ـ وكان يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله.

٦ـ ولم يكن من هديه أن يخص يومًا من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتًا من الأوقات، وشرع لأمته عيادة المرضى ليلاً ونهارًا وفي سائر الأو

٣٠. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٩٨)

فَصْلٌ [هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ]

فَأَمّا الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَبْسُ النّفْسِ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ الْأَغْذِيَةِ لَا يَتَعَدّاهُ إلَى مَا سِوَاهُ فَإِنّ ذَلِكَ يَضُرّ بِالطّبِيعَةِ جِدّا وَقَدْ يَتَعَذّرُ عَلَيْهَا أَحْيَانًا فَإِنْ لَمْ يَتَنَاوَلْ غَيْرَهُ ضَعُفَ أَوْ هَلَكَ وَإِنْ تَنَاوَلَ غَيْرَهُ لَمْ تَقْبَلْهُ الطّبِيعَةُ وَاسْتَضَرّ بِهِ فَقَصْرَهَا عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ دَائِمًا - وَلَوْ أَنّهُ أَفْضَلُ الْأَغْذِيَةِ - خَطَرٌ مُضِرّ . [ص ١٩٩] كَانَ يَأْكُلُ مَا جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِأَكْلِهِ مِنْ اللّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْخُبْزِ وَالتّمْرِ وَغَيْرِهِ مِمّا ذَكَرْنَاهُ فِي هَدْيِهِ فِي الْمَأْكُولِ فَعَلَيْك بِمُرَاجَعَتِهِ هُنَاكَ .

[تَعْدِيلُ الطّعَامِ بِضِدّهِ]

وَإِذَا كَانَ فِي أَحَدِ الطّعَامَيْنِ كَيْفِيّةٌ تَحْتَاجُ إلَى كَسْرٍ وَتَعْدِيلٍ كَسَرَهَا وَعَدَلَهَا بِضِدّهَا إنْ أَمْكَنَ كَتَعْدِيلِ حَرَارَةِ الرّطَبِ بِالْبِطّيخِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ تَنَاوَلَهُ عَلَى حَاجَةٍ وَدَاعِيَةٍ مِنْ النّفْسِ مِنْ غَيْرِ إسْرَافٍ فَلَا تَتَضَرّرُ بِهِ الطّبِيعَةُ .

[تَرْكُ مَا تَعَافُهُ النّفْسُ]

وَكَانَ إذَا عَافَتْ نَفْسُهُ الطّعَامَ لَمْ يَأْكُلْهُ وَلَمْ يَحْمِلْهَا إيّاهُ عَلَى كُرْهٍ وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ الصّحّةِ فَمَتَى أَكَلَ الْإِنْسَانُ مَا تَعَافُهُ نَفْسُهُ وَلَا يَشْتَهِيهِ كَانَ تَضَرّرُهُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ انْتِفَاعِهِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا عَابَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَعَامًا قَطّ إنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلّا تَرَكَهُ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ وَلَمّا قُدّمَ إلَيْهِ الضّبّ الْمَشْوِيّ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ فَقِيلَ لَهُ أَهُوَ حَرَامٌ ؟ قَالَ لَا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ فَرَاعَى عَادَتَهُ وَشَهْوَتَهُ فَلَمّا لَمْ يَكُنْ يَعْتَادُ أَكْلَهُ بِأَرْضِهِ وَكَانَتْ نَفْسُهُ لَا تَشْتَهِيهِ أَمْسَكَ عَنْهُ وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَكْلِهِ مَنْ يَشْتَهِيهِ وَمَنْ عَادَتُهُ أَكْلُهُ .

[مَحَبّتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلذّرَاعِ]

وَكَانَ يُحِبّ اللّحْمَ وَأَحَبّهُ إلَيْهِ الذّرَاعُ وَمُقَدّمُ الشّاةِ وَلِذَلِكَ سُمّ فِيهِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : أُتِيَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إلَيْهِ الذّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ

[أَكْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلرّقَبَةِ]

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ عَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزّبَيْرِ أَنّهَا ذَبَحَتْ فِي بَيْتِهَا شَاةً [ص ٢٠٠] فَأَرْسَلَ إلَيْهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَطْعِمِينَا مِنْ شَاتِكُمْ فَقَالَتْ لِلرّسُولِ مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إلّا الرّقَبَةُ وَإِنّي لَأَسْتَحْيِيَ أَنْ أُرْسِلَ بِهَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَرَجَعَ الرّسُولُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ ارْجِعْ إلَيْهَا فَقُلْ لَهَا : أَرْسِلِي بِهَا فَإِنّهَا هَادِيَةُ الشّاةِ وَأَقْرَبُ إلَى الْخَيْرِ وَأَبْعَدُهَا مِنْ الْأَذَى وَلَا رَيْبَ أَنّ أَخَفّ لَحْمِ الشّاةِ لَحْمُ الرّقَبَةِ وَلَحْمُ الذّرَاعِ وَالْعَضُدِ وَهُوَ أَخَفّ عَلَى الْمَعِدَةِ وَأَسْرَعُ انْهِضَامًا وَفِي هَذَا مُرَاعَاةُ الْأَغْذِيَةِ الّتِي تَجْمَعُ ثَلَاثَةَ أَوْصَافٍ . أَحَدُهَا : كَثْرَةُ نَفْعِهَا وَتَأْثِيرِهَا فِي الْقُوَى . الثّانِي : خِفّتُهَا عَلَى الْمَعِدَةِ وَعَدَمُ ثِقَلِهَا عَلَيْهَا . الثّالِثُ سُرْعَةُ هَضْمِهَا وَهَذَا أَفْضَلُ مَا يَكُونُ مِنْ الْغِذَاءِ وَالتّغَذّي بِالْيَسِيرِ مِنْ هَذَا أَنْفَعُ مِنْ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ .

[مَحَبّتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْحَلْوَاءِ وَالْعَسَلِ وَبَيَانُ أَنّهُمَا مَعَ اللّحْمِ أَفْضَلُ الْأَغْذِيَة]

وَكَانَ يُحِبّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ وَهَذِهِ الثّلَاثَةُ - أَعْنِي اللّحْمَ وَالْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ - مِنْ أَفْضَلِ الْأَغْذِيَةِ وَأَنْفَعِهَا لِلْبَدَنِ وَالْكَبِدِ وَالْأَعْضَاءِ وَلِلِاغْتِذَاءِ بِهَا نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ الصّحّةِ وَالْقُوّةِ وَلَا يَنْفِرُ مِنْهَا إلّا مَنْ بِهِ عِلّةٌ وَآفَةٌ .

[يُؤْدِمُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خُبْزَ الشّعِيرِ بِاللّحْمِ وَالْبِطّيخِ وَالتّمْرِ وَالْخَلّ وَفَوَائِدُ ذَلِكَ]

وَكَانَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ مَأْدُومًا مَا وَجَدَ لَهُ إدَامًا فَتَارَةً يَأْدِمُهُ بِاللّحْمِ وَيَقُولُ هُوَ سَيّدُ طَعَامِ أَهْلِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ . وَتَارَةً بِالْبِطّيخِ وَتَارَةً بِالتّمْرِ فَإِنّهُ وَضَعَ تَمْرَةً عَلَى كِسْرَةِ شَعِيرٍ وَقَالَ هَذَا إدَامُ هَذِهِ وَفِي هَذَا مِنْ تَدْبِيرِ الْغِذَاءِ أَنّ خُبْزَ الشّعِيرِ بَارِدٌ يَابِسٌ وَالتّمْرَ حَارّ رَطْبٌ عَلَى أَصَحّ الْقَوْلَيْنِ فَأَدْمُ [ص ٢٠١] كَأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَتَارَةً بِالْخَلّ وَيَقُولُ نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَل وَهَذَا ثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِحَسَبِ مُقْتَضَى الْحَالِ الْحَاضِرِ لَا تَفْضِيلٌ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ كَمَا يَظُنّ الْجُهّالُ وَسَبَبُ الْحَدِيثِ أَنّهُ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمًا فَقَدّمُوا لَهُ خُبْزًا فَقَالَ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ إدَامٍ ؟ " قَالُوا : مَا عِنْدَنَا إلّا خَلّ فَقَالَ " نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلّ وَالْمَقْصُودُ أَنّ أَكْلَ الْخُبْزِ مَأْدُومًا مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الصّحّةِ بِخِلَافِ الِاقْتِصَارِ عَلَى أَحَدِهِمَا وَحْدَهُ . وَسُمّيَ الْأُدْمُ أُدْمًا : لِإِصْلَاحِهِ الْخُبْزَ وَجَعْلِهِ مُلَائِمًا لِحِفْظِ الصّحّةِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي إبَاحَتِهِ لِلْخَاطِبِ النّظَرَ إنّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَهُمَا أَيْ أَقْرَبُ إلَى الِالْتِئَامِ وَالْمُوَافَقَةِ فَإِنّ الزّوْجَ يَدْخُلُ عَلَى بَصِيرَةٍ فَلَا يَنْدَمُ .

[أَكْلُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْفَاكِهَةَ]

وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَةِ بَلَدِهِ عِنْدَ مَجِيئِهَا وَلَا يَحْتَمِي عَنْهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ حِفْظِ الصّحّةِ فَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ فِي كُلّ بَلْدَةٍ مِنْ الْفَاكِهَةِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ أَهْلُهَا فِي وَقْتِهِ فَيَكُونُ تَنَاوُلُهُ مِنْ أَسْبَابِ صِحّتِهِمْ وَعَافِيَتِهِمْ وَيُغْنِي عَنْ كَثِيرٍ مِنْ الْأَدْوِيَةِ وَقَلّ مَنْ احْتَمَى عَنْ فَاكِهَةِ بَلَدِهِ خَشْيَةَ السّقَمِ إلّا وَهُوَ مِنْ أَسْقَمِ النّاسِ جِسْمًا وَأَبْعَدِهِمْ مِنْ الصّحّةِ وَالْقُوّةِ . وَمَا فِي تِلْكَ الْفَاكِهَةِ مِنْ الرّطُوبَاتِ فَحَرَارَةُ الْفَصْلِ وَالْأَرْضِ وَحَرَارَةُ الْمَعِدَةِ تُنْضِجُهَا وَتَدْفَعُ شَرّهَا إذَا لَمْ يُسْرِفْ فِي تَنَاوُلِهَا وَلَمْ يُحَمّلْ مِنْهَا الطّبِيعَةَ فَوْقَ مَا تَحْتَمِلُهُ وَلَمْ يُفْسِدْ بِهَا الْغِذَاءَ قَبْلَ هَضْمِهِ وَلَا أَفْسَدَهَا بِشُرْبِ الْمَاءِ عَلَيْهَا وَتَنَاوُلِ الْغِذَاءِ بَعْدَ التّحَلّي مِنْهَا فَإِنّ الْقُولَنْجَ كَثِيرًا مَا يَحْدُثُ عِنْدَ ذَلِكَ فَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي فِي الْوَقْتِ الّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْوَجْهِ الّذِي يَنْبَغِي كَانَتْ لَهُ دَوَاءً نَافِعًا . [ص ٢٠٢]

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٤٢)

فَصْلٌ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الطّعَامِ

وَكَذَلِكَ كَانَ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسِيرَتُهُ فِي الطّعَامِ لَا يَرُدّ مَوْجُودًا وَلَا يَتَكَلّفُ مَفْقُودًا فَمَا قُرّبَ إلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ الطّيّبَاتِ إلّا أَكَلَهُ إلّا أَنْ تَعَافَهُ نَفْسُهُ فَيَتْرُكَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمٍ وَمَا عَابَ طَعَامًا قَطّ إنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلّا تَرَكَهُ كَمَا تَرَكَ أَكْلَ الضّبّ لَمّا لَمْ يَعْتَدْهُ وَلَمْ يُحَرّمْهُ عَلَى الْأُمّةِ بَلْ أُكِلَ عَلَى مَائِدَتِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ . وَأَكَلَ الْحَلْوَى وَالْعَسَلَ وَكَانَ يُحِبّهُمَا وَأَكَلَ لَحْمَ الْجَزُورِ وَالضّأْنِ وَالدّجَاجِ وَلَحْمَ الْحُبَارَى وَلَحْمَ حِمَارِ الْوَحْشِ وَالْأَرْنَبِ وَطَعَامَ الْبَحْرِ وَأَكَلَ الشّوَاءَ وَأَكَلَ الرّطَبَ وَالتّمْرَ وَشَرِبَ اللّبَنَ خَالِصًا وَمَشُوبًا وَالسّوِيقَ وَالْعَسَلَ بِالْمَاءِ وَشَرِبَ نَقِيعَ التّمْرِ وَأَكَلَ الْخَزِيرَةَ وَهِيَ حِسَاءٌ يُتّخَذُ مِنْ اللّبَنِ وَالدّقِيقِ وَأَكَلَ الْقِثّاءَ بِالرّطَبِ وَأَكَلَ الْأَقِطَ وَأَكَلَ التّمْرَ بِالْخُبْزِ وَأَكَلَ الْخُبْزَ بِالْخَلّ وَأَكَلَ الثّرِيدَ وَهُوَ الْخُبْزُ بِاللّحْمِ وَأَكَلَ الْخُبْزَ بِالْإِهَالَةِ وَهِيَ الْوَدَكُ وَهُوَ الشّحْمُ الْمُذَابُ وَأَكَلَ مِنْ الْكَبِدِ الْمَشْوِيّةِ وَأَكَلَ الْقَدِيدَ وَأَكَلَ الدّبّاءَ الْمَطْبُوخَةَ وَكَانَ يُحِبّهَا وَأَكَلَ الْمَسْلُوقَةَ وَأَكَلَ الثّرِيدَ بِالسّمْنِ وَأَكَلَ الْجُبْنَ وَأَكَلَ الْخُبْزَ بِالزّيْتِ وَأَكَلَ الْبِطّيخَ بِالرّطَبِ وَأَكَلَ التّمْرَ بِالزّبْدِ وَكَانَ يُحِبّهُ . وَلَمْ يَكُنْ يَرُدّ طَيّبًا وَلَا يَتَكَلّفُهُ بَلْ كَانَ هَدْيُهُ أَكْلُ مَا تَيَسّرَ فَإِنْ أَعْوَزَهُ صَبَرَ حَتّى إنّهُ لَيَرْبِطُ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنْ الْجُوعِ وَيُرَى الْهِلَالُ وَالْهِلَالُ وَالْهِلَالُ وَلَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ . وَكَانَ مُعْظَمُ مَطْعَمِهِ يُوضَعُ عَلَى الْأَرْضِ فِي السّفْرَةِ وَهِيَ كَانَتْ مَائِدَتَهُ وَكَانَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثّلَاثِ وَيَلْعَقُهَا إذَا فَرَغَ وَهُوَ أَشْرَفُ مَا يَكُونُ مِنْ الْأَكْلَةِ فَإِنّ الْمُتَكَبّرَ يَأْكُلُ بِأُصْبُعٍ وَاحِدَةٍ وَالْجَشِعَ الْحَرِيصَ يَأْكُلُ بِالْخَمْسِ وَيَدْفَعُ بِالرّاحَةِ [ص ١٤٣] وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مُتّكِئًا وَالِاتّكَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ أَحَدُهَا : الِاتّكَاءُ عَلَى الْجَنْبِ وَالثّانِي : التّرَبّعُ وَالثّالِثُ الِاتّكَاءُ عَلَى إحْدَى يَدَيْهِ وَأَكْلُهُ بِالْأُخْرَى وَالثّلَاثُ مَذْمُومَةٌ . وَكَانَ يُسَمّي اللّهَ تَعَالَى عَلَى أَوّلِ طَعَامِهِ وَيَحْمَدُهُ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ عِنْدَ انْقِضَائِهِ الْحَمْدُ لِلّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيّ وَلَا مُوَدّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبّنَا . وَرُبّمَا قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ مَنّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكُلّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَ مِنْ الطّعَامِ وَسَقَى مِنْ الشّرَابِ وَكَسَا مِنْ الْعُرْيِ وَهَدَى مِنْ الضّلَالَةِ وَبَصّرَ مِنْ الْعَمَى وَفَضّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا الْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ . وَرُبّمَا قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى . وَكَانَ إذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ لَعِقَ أَصَابِعَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَنَادِيلُ يَمْسَحُونَ بِهَا أَيْدِيَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَادَتُهُمْ غَسْلَ أَيْدِيهِمْ كُلّمَا أَكَلُوا . وَكَانَ أَكْثَرُ شُرْبِهِ قَاعِدًا بَلْ زَجَرَ عَنْ الشّرْبِ قَائِمًا وَشَرِبَ مَرّةً

قَائِمًا [ص ١٤٤] فَقِيلَ هَذَا نَسْخٌ لِنَهْيِهِ وَقِيلَ بَلْ فَعَلَهُ لِبَيَانِ جَوَازِ الْأَمْرَيْنِ وَالَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهَا وَاقِعَةُ عَيْنٍ شَرِبَ فِيهَا قَائِمًا لِعُذْرٍ وَسِيَاقُ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْتَقُونَ مِنْهَا فَأَخَذَ الدَّلْوَ وَشَرِبَ قَائِمًا . وَالصَّحِيحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ النَّهْيُ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا وَجَوَازُهُ لِعُذْرٍ يَمْنَعُ مِنَ الْقُعُودِ وَبِهَذَا تُجْمَعُ أَحَادِيثُ الْبَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ إِذَا شَرِبَ نَاوَلَ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَإِنْ كَانَ مَنْ عَلَى يَسَارِهِ أَكْبَرَ مِنْهُ [ص ١٤٥] .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢٠٥)

فَصْلٌ [هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّرَابِ]

[شُرْبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَسَلَ الْمَمْزُوجَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ وَفَوَائِدُهُ]

وَأَمَّا هَدْيُهُ فِي الشَّرَابِ فَمِنْ أَكْمَلِ هَدْيٍ يُحْفَظُ بِهِ الصِّحَّةُ فَإِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْعَسَلَ الْمَمْزُوجَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ وَفِي هَذَا مِنْ حِفْظِ الصِّحَّةِ مَا لَا يَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا أَفَاضِلُ الْأَطِبَّاءِ فَإِنَّ شُرْبَهُ وَلَعْقَهُ عَلَى الرِّيقِ يُذِيبُ الْبَلْغَمَ وَيَغْسِلُ خَمْلَ الْمَعِدَةِ وَيَجْلُو لُزُوجَتَهَا وَيَدْفَعُ عَنْهَا الْفَضَلَاتِ [ص ٢٠٦] أَنْفَعُ لِلْمَعِدَةِ مِنْ كُلِّ حُلْوٍ دَخَلَهَا وَإِنَّمَا يَضُرُّ بِالْعَرَضِ لِصَاحِبِ الصَّفْرَاءِ لِحِدَّتِهِ وَحِدَّةِ الصَّفْرَاءِ فَرُبَّمَا هَيَّجَهَا وَدَفْعُ مَضَرَّتِهِ لَهُمْ بِالْخَلِّ فَيَعُودُ حِينَئِذٍ لَهُمْ نَافِعًا جِدًّا وَشُرْبُهُ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْرِبَةِ الْمُتَّخَذَةِ مِنَ السُّكَّرِ أَوْ أَكْثَرِهَا وَلَا سِيَّمَا لِمَنْ لَمْ يَعْتَدْ هَذِهِ الْأَشْرِبَةَ وَلَا أَلِفَهَا طَبْعُهُ فَإِنَّهُ إِذَا شَرِبَهَا لَا تُلَائِمُهُ مُلَاءَمَةَ الْعَسَلِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَالْمُحَكَّمُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ أُصُولًا وَتَبْنِي أُصُولًا .

وَأَمَّا الشَّرَابُ إِذَا جُمِعَ وَصْفَيِ الْحَلَاوَةُ وَالْبُرُودَةُ فَمِنْ أَنْفَعِ شَيْءٍ لِلْبَدَنِ وَمِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ حِفْظِ الصِّحَّةِ وَلِلْأَرْوَاحِ وَالْقُوَى وَالْكَبِدِ وَالْقَلْبِ عِشْقٌ شَدِيدٌ لَهُ وَاسْتِمْدَادٌ مِنْهُ وَإِذَا كَانَ فِيهِ الْوَصْفَانِ حَصَلَتْ بِهِ التَّغْذِيَةُ وَتَنْفِيذُ الطَّعَامِ إِلَى الْأَعْضَاءِ وَإِيصَالُهُ إِلَيْهَا أَتَمَّ تَنْفِيذٍ .

[مَنَافِعُ الْمَاءِ الْبَارِدِ]

وَالْمَاءُ الْبَارِدُ رَطْبٌ يَقْمَعُ الْحَرَارَةَ وَيَحْفَظُ عَلَى الْبَدَنِ رُطُوبَاتِهِ الْأَصْلِيَّةَ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ بَدَلَ مَا تَحَلَّلَ مِنْهَا وَيُرَقِّقُ الْغِذَاءَ وَيُنْفِذُهُ فِي الْعُرُوقِ .

[هَلْ الْمَاءُ الْبَارِدُ يُغَذِّي الْبَدَنَ]

وَاخْتَلَفَ الْأَطِبَّاءُ هَلْ يُغَذِّي الْبَدَنَ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ فَأَثْبَتَتْ طَائِفَةٌ التَّغْذِيَةَ بِهِ بِنَاءً عَلَى مَا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ النُّمُوِّ وَالزِّيَادَةِ وَالْقُوَّةِ فِي الْبَدَنِ بِهِ وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . قَالُوا : وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا : النُّمُوُّ وَالِاغْتِذَاءُ وَالِاعْتِدَالُ وَفِي النَّبَاتِ قُوَّةُ حِسٍّ تُنَاسِبُهُ وَلِهَذَا كَانَ غِذَاءُ النَّبَاتِ بِالْمَاءِ فَمَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَيَوَانِ بِهِ نَوْعُ غِذَاءٍ وَأَنْ يَكُونَ جُزْءًا مِنْ غِذَائِهِ التَّامِّ . قَالُوا : وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ قُوَّةَ الْغِذَاءِ وَمُعْظَمَهُ فِي الطَّعَامِ وَإِنَّمَا أَنْكَرْنَا أَنْ لَا يَكُونَ لِلْمَاءِ تَغْذِيَةٌ الْبَتَّةَ . قَالُوا : وَأَيْضًا الطَّعَامُ إِنَّمَا يُغَذِّي بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَائِيَّةِ وَلَوْلَاهَا لَمَا حَصَلَتْ بِهِ التَّغْذِيَةُ . [ص ٢٠٧] قَالُوا : وَلِأَنَّ الْمَاءَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى مَادَّةِ الشَّيْءِ حَصَلَتْ بِهِ التَّغْذِيَةُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ مَادَّتَهُ الْأَصْلِيَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الْأَنْبِيَاءِ ٣٠] فَكَيْفَ نُنْكِرُ حُصُولَ التَّغْذِيَةِ بِمَا هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؟ . قَالُوا : وَقَدْ رَأَيْنَا الْعَطْشَانَ إِذَا حَصَلَ لَهُ الرِّيُّ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ تَرَاجَعَتْ إِلَيْهِ قُوَاهُ وَنَشَاطُهُ وَحَرَكَتُهُ وَصَبَرَ عَنِ الطَّعَامِ وَانْتَفَعَ بِالْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنْهُ وَرَأَيْنَا الْعَطْشَانَ لَا يَنْتَفِعُ بِالْقَدْرِ الْكَثِيرِ مِنَ الطَّعَامِ وَلَا يَجِدُ بِهِ الْقُوَّةَ وَالِاغْتِذَاءَ وَنَحْنُ لَا

نُنْكِرُ أَنّ الْمَاءَ يُنْفِذُ الْغِذَاءَ إلَى أَجْزَاءِ الْبَدَنِ وَإِلَى جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ وَأَنّهُ لَا يَتِمّ أَمْرُ الْغِذَاءِ إلّا بِهِ وَإِنّمَا نُنْكِرُ عَلَى مَنْ سَلَبَ قُوّةَ التّغْذِيَةِ عَنْهُ الْبَتّةَ وَيَكَادُ قَوْلُهُ عِنْدَنَا يَدْخُلُ فِي إنْكَارِ الْأُمُورِ الْوِجْدَانِيّةِ .

[مَنْ أَنْكَرَ حُصُولَ التّغْذِيَةِ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ]

وَأَنْكَرَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى حُصُولَ التّغْذِيَةِ بِهِ وَاحْتَجّتْ بِأُمُورٍ يَرْجِعُ حَاصِلُهَا إلَى عَدَمِ الِاكْتِفَاءِ بِهِ وَأَنّهُ لَا يَقُومُ مَقَامَ الطّعَامِ وَأَنّهُ لَا يَزِيدُ فِي نُمُوّ الْأَعْضَاءِ وَلَا يُخَلّفُ عَلَيْهَا بَدَلَ مَا حَلّلَتْهُ الْحَرَارَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمّا لَا يُنْكِرُهُ أَصْحَابُ التّغْذِيَةِ فَإِنّهُمْ يَجْعَلُونَ تَغْذِيَتَهُ بِحَسَبِ جَوْهَرِهِ وَلَطَافَتِهِ وَرِقّتِهِ وَتَغْذِيَةُ كُلّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ وَقَدْ شُوهِدَ الْهَوَاءُ الرّطْبُ الْبَارِدُ اللّيّنُ اللّذِيذُ يُغَذّي بِحَسَبِهِ وَالرّائِحَةُ الطّيّبَةُ تُغَذّي نَوْعًا مِنْ الْغِذَاءِ فَتَغْذِيَةُ الْمَاءِ أَظْهَرُ وَأَظْهَرُ . وَالْمَقْصُودُ أَنّهُ إذَا كَانَ بَارِدًا وَخَالَطَهُ مَا يُحَلّيهِ كَالْعَسَلِ أَوْ الزّبِيبِ أَوْ التّمْرِ أَوْ السّكّرِ كَانَ مِنْ أَنْفَعِ مَا يَدْخُلُ الْبَدَنَ وَحَفِظَ عَلَيْهِ صِحّتَهُ فَلِهَذَا كَانَ أَحَبّ الشّرَابِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْبَارِدَ الْحُلْوَ . وَالْمَاءُ الْفَاتِرُ يَنْفُخُ وَيَفْعَلُ ضِدّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

[مَنَافِعُ الْمَاءِ الْبَائِتِ]

وَلَمّا كَانَ الْمَاءُ الْبَائِتُ أَنْفَعَ مِنْ الّذِي يُشْرَبُ وَقْتَ اسْتِقَائِهِ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ دَخَلَ إلَى حَائِطِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التّيْهَانِ [ص ٢٠٨] هَلْ مِنْ مَاءٍ بَاتَ فِي شَنّةٍ ؟ " فَأَتَاهُ بِهِ فَشَرِبَ مِنْهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيّ وَلَفْظُهُ إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ فِي شَنّةٍ وَإِلّا كَرَعْنَا . وَالْمَاءُ الْبَائِتُ بِمَنْزِلَةِ الْعَجِينِ الْخَمِيرِ وَاَلّذِي شُرِبَ لِوَقْتِهِ بِمَنْزِلَةِ الْفَطِيرِ وَأَيْضًا فَإِنّ الْأَجْزَاءَ التّرَابِيّةَ وَالْأَرْضِيّةَ تُفَارِقُهُ إذَا بَاتَ وَقَدْ ذُكِرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ وَيُخْتَارُ الْبَائِتُ مِنْهُ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُسْتَقَى لَهُ الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ بِئْرِ السّقْيَا .

[الْمَاءُ الّذِي فِي الْقِرَبِ وَالشّنَانِ أَلَذّ مِنْ الّذِي فِي آنِيَةِ الْفَخّارِ وَالْأَحْجَارِ وَغَيْرِهِمَا]

وَالْمَاءُ الّذِي فِي الْقِرَبِ وَالشّنَانِ أَلَذّ مِنْ الّذِي يَكُونُ فِي آنِيَةِ الْفَخّارِ وَالْأَحْجَارِ وَغَيْرِهِمَا وَلَا سِيّمَا أَسْقِيَةُ الْأُدُمِ وَلِهَذَا الْتَمَسَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَاءً بَاتَ فِي شَنّةٍ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ الْأَوَانِي وَفِي الْمَاءِ إذَا وُضِعَ فِي الشّنَانِ وَقِرَبِ الْأُدُمِ خَاصّةٌ لَطِيفَةٌ لِمَا فِيهَا مِنْ الْمَسَامّ الْمُنْفَتِحَةِ الّتِي يَرْشَحُ مِنْهَا الْمَاءُ وَلِهَذَا كَانَ الْمَاءُ فِي الْفَخّارِ الّذِي يَرْشَحُ أَلَذّ مِنْهُ وَأَبْرَدَ فِي الّذِي لَا يَرْشَحُ فَصَلَاةُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى أَكْمَلِ الْخَلْقِ وَأَشْرَفِهِمْ نَفْسًا وَأَفْضَلِهِمْ هَدْيًا فِي كُلّ شَيْءٍ لَقَدْ دَلّ أُمّتَهُ عَلَى أَفْضَلِ الْأُمُورِ وَأَنْفَعِهَا لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَالدّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

[مَعْنَى الْحُلْوَ الْبَارِدَ]

قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ أَحَبّ الشّرَابِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْحُلْوَ الْبَارِدَ . وَهَذَا يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْمَاءَ الْعَذْبَ كَمِيَاهِ الْعُيُونِ وَالْآبَارِ [ص ٢٠٩] كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْمَاءَ الْمَمْزُوجَ بِالْعَسَلِ أَوْ الّذِي نُقِعَ فِيهِ التّمْرُ أَوْ الزّبِيبُ . وَقَدْ يُقَالُ - وَهُوَ الْأَظْهَرُ - يَعُمّهُمَا جَمِيعًا .

[مَعْنَى الْكَرْعِ وَبَيَانُ الِاخْتِلَافِ فِيهِ]

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصّحِيحِ إنْ كَانَ عِنْدَك مَاءٌ بَاتَ فِي شَنّ وَإِلّا كَرَعْنَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْكَرْعِ وَهُوَ الشّرْبُ بِالْفَمِ مِنْ الْحَوْضِ وَالْمِقْرَاةِ وَنَحْوِهَا وَهَذِهِ - وَاَللّهُ أَعْلَمُ - وَاقِعَةُ عَيْنٍ دَعَتْ الْحَاجَةُ فِيهَا إلَى الْكَرْعِ بِالْفَمِ أَوْ قَالَهُ مُبَيّنًا لِجَوَازِهِ فَإِنّ مِنْ النّاسِ مَنْ

يَكْرَهُهُ وَالْأَطِبّاءُ تَكَادُ تُحَرّمُهُ وَيَقُولُونَ إنّهُ يَضُرّ بِالْمَعِدَةِ وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ لَا أَدْرِي مَا حَالُهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَانَا أَنْ نَشْرَبَ عَلَى بُطُونِنَا وَهُوَ الْكَرْعُ وَنَهَانَا أَنْ نَغْتَرِفَ بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ وَقَالَ لَا يَلَغْ أَحَدُكُمْ كَمَا يَلَغُ الْكَلْبُ وَلَا يَشْرَبْ بِاللّيْلِ مِنْ إنَاءٍ حَتّى يَخْتَبِرَهُ إلّا أَنْ يَكُونَ مُخَمّرًا . وَحَدِيثُ الْبُخَارِيّ أَصَحّ مِنْ هَذَا وَإِنْ صَحّ فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا إذْ لَعَلّ الشّرْبَ بِالْيَدِ لَمْ يَكُنْ يُمْكِنُ حِينَئِذٍ فَقَالَ وَإِلّا كَرَعْنَا وَالشّرْبُ بِالْفَمِ إنّمَا يَضُرّ إذَا انْكَبّ الشّارِبُ عَلَى وَجْهِهِ وَبَطْنِهِ كَالّذِي يَشْرَبُ مِنْ النّهْرِ وَالْغَدِيرِ فَأَمّا إذَا شَرِبَ مُنْتَصِبًا بِفَمِهِ مِنْ حَوْضٍ مُرْتَفِعٍ وَنَحْوِهِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَشْرَبَ بِيَدِهِ أَوْ بِفَمِهِ .

فَصْلٌ [بَيَانُ الِاخْتِلَافِ فِي جَوَازِ الشّرْبِ قَائِمًا]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ الشّرْبُ قَاعِدًا هَذَا كَانَ هَدْيَهُ الْمُعْتَادَ وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ [ص ٢١٠] نَهَى عَنْ الشّرْبِ قَائِمًا وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ أَمَرَ الّذِي شَرِبَ قَائِمًا أَنْ يَسْتَقِيئَ وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ شَرِبَ قَائِمًا . قَالَتْ طَائِفَةٌ هَذَا نَاسِخٌ لِلنّهْيِ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ بَلْ مُبَيّنٌ أَنّ النّهْيَ لَيْسَ لِلتّحْرِيمِ بَلْ لِلْإِرْشَادِ وَتَرْكِ الْأَوْلَى وَقَالَتْ طَائِفَةٌ لَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا أَصْلًا فَإِنّهُ إنّمَا شَرِبَ قَائِمًا لِلْحَاجَةِ فَإِنّهُ جَاءَ إلَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْتَقُونَ مِنْهَا فَاسْتَقَى فَنَاوَلُوهُ الدّلْوَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ وَهَذَا كَانَ مَوْضِعَ حَاجَةٍ .

[آفَاتُ الشّرْبِ قَائِمًا]

وَلِلشّرْبِ قَائِمًا آفَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا : أَنّهُ لَا يَحْصُلُ بِهِ الرّيّ التّامّ وَلَا يَسْتَقِرّ فِي الْمَعِدَةِ حَتّى يَقْسِمَهُ الْكَبِدُ عَلَى الْأَعْضَاءِ وَيَنْزِلَ بِسُرْعَةٍ وَحِدّةٍ إلَى الْمَعِدَةِ فَيُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُبْرِدَ حَرَارَتَهَا وَيُشَوّشَهَا وَيُسْرِعَ النّفُوذَ إلَى أَسْفَلِ الْبَدَنِ بِغَيْرِ تَدْرِيجٍ وَكُلّ هَذَا يَضُرّ بِالشّارِبِ وَأَمّا إذَا فَعَلَهُ نَادِرًا أَوْ لِحَاجَةٍ لَمْ يَضُرّهُ وَلَا يُعْتَرَضُ بِالْعَوَائِدِ عَلَى هَذَا فَإِنّ الْعَوَائِدَ طَبَائِعُ ثَوَانٍ وَلَهَا أَحْكَامٌ أُخْرَى وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْخَارِجِ عَنْ الْقِيَاسِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ .

فَصْلٌ [تَنَفّسُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الشّرْبِ ثَلَاثًا]

وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَنَفّسُ فِي الشّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ إنّهُ أَرْوَى وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ . الشّرَابُ فِي لِسَانِ الشّارِعِ وَحَمَلَةِ الشّرْعِ هُوَ الْمَاءُ وَمَعْنَى تَنَفّسِهِ فِي الشّرَابِ إبَانَتُهُ الْقَدَحَ عَنْ فِيهِ وَتَنَفّسُهُ خَارِجَهُ ثُمّ يَعُودُ إلَى الشّرَابِ كَمَا جَاءَ مُصَرّحًا بِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ إذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفّسْ فِي الْقَدَحِ وَلَكِنْ لِيُبِنْ الْإِنَاءَ عَنْ فِيهِ . [ص ٢١١]

[فَوَائِدُ تَكْرَارِ الشّرْبِ]

وَفِي هَذَا الشّرْبِ حِكَمٌ جَمّةٌ وَفَوَائِدُ مُهِمّةٌ وَقَدْ نَبّهَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى مَجَامِعِهَا بِقَوْلِهِ إنّهُ أَرْوَى وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ فَأَرْوَى : أَشَدّ رِيّا وَأَبْلَغُهُ وَأَنْفَعُهُ وَأَبْرَأُ أَفْعَلُ مِنْ الْبُرْءِ وَهُوَ الشّفَاءُ أَيْ يُبْرِئُ مِنْ شِدّةِ الْعَطَشِ وَدَائِهِ لِتَرَدّدِهِ عَلَى الْمَعِدَةِ الْمُلْتَهِبَةِ دُفُعَاتٍ فَتُسَكّنُ الدّفْعَةُ الثّانِيَةُ مَا عَجَزَتْ الْأُولَى عَنْ تَسْكِينِهِ وَالثّالِثَةُ مَا عَجَزَتْ الثّانِيَةُ عَنْهُ وَأَيْضًا فَإِنّهُ أَسْلَمُ لِحَرَارَةِ الْمَعِدَةِ وَأَبْقَى عَلَيْهَا مِنْ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهَا الْبَارِدُ وَهْلَةً وَاحِدَةً وَنَهْلَةً وَاحِدَةً . وَأَيْضًا فَإِنّهُ لَا يَرْوِي لِمُصَادَفَتِهِ لِحَرَارَةِ الْعَطَشِ لَحْظَةً ثُمّ يُقْلِعُ عَنْهَا وَلَمّا تُكْسَرْ سَوْرَتُهَا وَحِدّتُهَا وَإِنْ انْكَسَرَتْ لَمْ تَبْطُلْ بِالْكُلّيّةِ بِخِلَافِ كَسْرِهَا عَلَى التّمَهّلِ وَالتّدْرِيجِ . وَأَيْضًا فَإِنّهُ أَسْلَمُ عَاقِبَةً وَآمَنُ غَائِلَةً مِنْ تَنَاوُلِ جَمِيعِ مَا يُرْوِي دُفْعَةً وَاحِدَةً فَإِنّهُ يُخَافُ مِنْهُ أَنْ يُطْفِئَ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيّةَ بِشِدّةِ بَرْدِهِ وَكَثْرَةِ كَمّيّتِهِ أَوْ يُضْعِفَهَا فَيُؤَدّي

ذَلِكَ إلَى فَسَادِ مِزَاجِ الْمَعِدَةِ وَالْكَبِدِ وَإِلَى أَمْرَاضٍ رَدِيئَةٍ خُصُوصًا فِي سُكّانِ الْبِلَادِ الْحَارّةِ كَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَنَحْوِهِمَا أَوْ فِي الْأَزْمِنَةِ الْحَارّةِ كَشِدّةِ الصّيْفِ فَإِنّ الشّرْبَ وَهْلَةً وَاحِدَةً مَخُوفٌ عَلَيْهِمْ جِدّا فَإِنّ الْحَارّ الْغَرِيزِيّ ضَعِيفٌ فِي بَوَاطِنِ أَهْلِهَا وَفِي تِلْكَ الْأَزْمِنَةِ الْحَارّةِ . [ص ٢١٢]

[مَعْنَى أَمْرَأُ]

وَقَوْلُهُ " وَأَمْرَأُ هُوَ أَفْعَلُ مِنْ مَرِيءِ الطّعَامِ وَالشّرَابِ فِي بَدَنِهِ إذَا دَخَلَهُ وَخَالَطَهُ بِسُهُولَةٍ وَلَذّةٍ وَنَفْعٍ . وَمِنْهُ { فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا } [النّسَاءِ ٤] هَنِيئًا فِي عَاقِبَتِهِ مَرِيئًا فِي مَذَاقِهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنّهُ أَسْرَعُ انْحِدَارًا عَنْ الْمَرِيءِ لِسُهُولَتِهِ وَخِفّتِهِ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الْكَثِيرِ فَإِنّهُ لَا يَسْهُلُ عَلَى الْمَرِيءِ انْحِدَارُهُ .

[آفَاتُ الشّرْبِ نَهْلَةً وَاحِدَةً]

وَمِنْ آفَاتِ الشّرْبِ نَهْلَةً وَاحِدَةً أَنّهُ يُخَافُ مِنْهُ الشّرَقُ بِأَنْ يَنْسَدّ مَجْرَى الشّرَابِ لِكَثْرَةِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ فَيَغَصّ بِهِ فَإِذَا تَنَفّسَ رُوَيْدًا ثُمّ شَرِبَ أَمِنَ مِنْ ذَلِكَ .

[فَوَائِدُ تَكْرَارِ الشّرْبِ]

وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنّ الشّارِبَ إذَا شَرِبَ أَوّلَ مَرّةٍ تَصَاعَدَ الْبُخَارُ الدّخَانِيّ الْحَارّ الّذِي كَانَ عَلَى الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ لِوُرُودِ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَيْهِ فَأَخْرَجَتْهُ الطّبِيعَةُ عَنْهَا فَإِذَا شَرِبَ مَرّةً وَاحِدَةً اتّفَقَ نُزُولُ الْمَاءِ الْبَارِدِ وَصُعُودُ الْبُخَارِ فَيَتَدَافَعَانِ وَيَتَعَالَجَانِ وَمِنْ ذَلِكَ يَحْدُثُ الشّرَقُ وَالْغُصّةُ وَلَا يَتَهَنّأُ الشّارِبُ بِالْمَاءِ وَلَا يُمْرِئْهُ وَلَا يَتِمّ رِيّهُ . وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَالْبَيْهَقِيّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمُصّ الْمَاءَ مَصّا وَلَا يَعُبّ عَبّا فَإِنّهُ مِنْ الْكُبَادِ .

[وُرُودُ الْمَاءِ عَلَى الْكَبِدِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُؤْلِمُهَا]

وَالْكُبَادُ - بِضَمّ الْكَافِ وَتَخْفِيفِ الْبَاءِ - هُوَ وَجَعُ الْكَبِدِ وَقَدْ عُلِمَ بِالتّجْرِبَةِ أَنّ وُرُودَ الْمَاءِ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى الْكَبِدِ يُؤْلِمُهَا وَيُضْعِفُ حَرَارَتَهَا وَسَبَبُ ذَلِكَ الْمُضَادّةُ الّتِي بَيْنَ حَرَارَتِهَا وَبَيْنَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا مِنْ كَيْفِيّةِ الْمَبْرُودِ وَكَمّيّتِهِ . وَلَوْ وَرَدَ بِالتّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا لَمْ يُضَادّ حَرَارَتَهَا وَلَمْ يُضْعِفْهَا وَهَذَا مِثَالُهُ صَبّ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الْقِدْرِ وَهِيَ تَفُورُ لَا يَضُرّهَا صَبّهُ قَلِيلًا قَلِيلًا . وَقَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تَشْرَبُوا نَفَسًا وَاحِدًا كَشُرْبِ الْبَعِيرِ وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ وَسَمّوا إذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ وَاحْمَدُوا إذَا أَنْتُمْ فَرَغْتُمْ [ص ٢١٣]

[فَوَائِدُ التّسْمِيَةِ]

وَلِلتّسْمِيَةِ فِي أَوّلِ الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَحَمْدِ اللّهِ فِي آخِرِهِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي نَفْعِهِ وَاسْتِمْرَائِهِ وَدَفْعِ مَضَرّتِهِ .

[كَمَالُ الطّعَامِ فِي التّسْمِيَةِ وَالْحَمْدِ وَتَكْثِيرِ الْأَيْدِي وَأَنْ يَكُونَ حَلَالًا]

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إذَا جَمَعَ الطّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كَمُلَ إذَا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ فِي أَوّلِهِ وَحُمِدَ اللّهُ فِي آخِرِهِ وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي وَكَانَ مِنْ حِلّ .

فَصْلٌ [تَغْطِيَةُ الْإِنَاءِ وَإِيكَاءُ السّقَاءِ]

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ غَطّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السّقَاءَ فَإِنّ فِي السّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ إلّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الدّاءِ .

وَهَذَا مِمّا لَا تَنَالُهُ عُلُومُ الْأَطِبّاءِ وَمَعَارِفُهُمْ وَقَدْ عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ عُقَلَاءُ النّاسِ بِالتّجْرِبَةِ . قَالَ اللّيْثُ بْنُ سَعْدٍ أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ الْأَعَاجِمُ عِنْدَنَا يَتّقُونَ تِلْكَ اللّيْلَةَ فِي السّنَةِ فِي كَانُونَ الْأَوّلِ مِنْهَا . وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ أَمَرَ بِتَخْمِيرِ الْإِنَاءِ وَلَوْ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ عُودًا . وَفِي عَرْضِ [ص ٢١٤] الْعُودِ عَلَيْهِ مِنْ الْحِكْمَةِ أَنّهُ لَا يَنْسَى تَخْمِيرَهُ بَلْ يَعْتَادُهُ حَتّى بِالْعُودِ وَفِيهِ أَنّهُ رُبّمَا أَرَادَ الدّبِيبُ أَنْ يَسْقُطَ فِيهِ فَيَمُرّ عَلَى الْعُودِ فَيَكُونُ الْعُودُ جِسْرًا لَهُ يَمْنَعُهُ مِنْ السّقُوطِ فِيهِ . وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ أَمَرَ عِنْدَ إيكَاءِ الْإِنَاءِ بِذِكْرِ اسْمِ اللّهِ فَإِنّ ذِكْرَ اسْمِ اللّهِ عِنْدَ تَخْمِيرِ الْإِنَاءِ يَطْرُدُ عَنْهُ الشّيْطَانَ وَإِيكَاؤُهُ يَطْرُدُ عَنْهُ الْهَوَامّ وَلِذَلِكَ أَمَرَ بِذِكْرِ اسْمِ اللّهِ فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ لِهَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ .

[النّهْيُ عَنْ الشّرْبِ مِنْ فَمِ السّقَاءِ وَالْآدَابُ الْمُتَرَتّبَةُ عَلَيْهِ]

وَرَوَى الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ الشّرْبِ مِنْ فِي السّقَاءِ . وَفِي هَذَا آدَابٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا : أَنّ تَرَدّدَ أَنْفَاسِ الشّارِبِ فِيهِ يُكْسِبُهُ زُهُومَةً وَرَائِحَةً كَرِيهَةً يُعَافُ لِأَجْلِهَا . وَمِنْهَا : أَنّهُ رُبّمَا غَلَبَ الدّاخِلُ إلَى جَوْفِهِ مِنْ الْمَاءِ فَتَضَرّرَ بِهِ . وَمِنْهَا : أَنّهُ رُبّمَا كَانَ فِيهِ حَيَوَانٌ لَا يَشْعُرُ بِهِ فَيُؤْذِيهِ . وَمِنْهَا : أَنّ الْمَاءَ رُبّمَا كَانَ فِيهِ قَذَاةٌ أَوْ غَيْرُهَا لَا يَرَاهَا عِنْدَ الشّرْبِ فَتَلِجُ جَوْفَهُ . وَمِنْهَا : أَنّ الشّرْبَ كَذَلِكَ يَمْلَأُ الْبَطْنَ مِنْ الْهَوَاءِ فَيَضِيقُ عَنْ أَخْذِ حَظّهِ مِنْ الْمَاءِ أَوْ يُزَاحِمُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْحِكَمِ .

[ضَعْفُ حَدِيثِ الشّرْبِ مِنْ فَمِ الْإِدَاوَةِ]

فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِمَا فِي " جَامِعِ التّرْمِذِيّ " : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعَا بِإِدَاوَةٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ اخْنِثْ فَمَ الْإِدَاوَةِ ثُمّ شَرِبَ مِنْهَا مِنْ فِيهَا ؟ قُلْنَا : [ص ٢١٥] وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِيّ يُضَعّفُ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ وَلَا أَدْرِي سَمِعَ مِنْ عِيسَى أَوْ لَا انْتَهَى . يُرِيدُ عِيسَى بْنَ عَبْدِ اللّهِ الذِي رَوَاهُ عَنْهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ .

فَصْلٌ [النّهْيُ عَنْ الشّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ وَبَيَانُ مَفَاسِدِهِ]

وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الشّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ وَأَنْ يَنْفُخَ فِي الشّرَابِ وَهَذَا مِنْ الْآدَابِ الّتِي تَتِمّ بِهَا مَصْلَحَةُ الشّارِبِ فَإِنّ الشّرْبَ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ فِيهِ عِدّةُ مَفَاسِدَ أَحَدُهَا : أَنّ مَا يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مِنْ قَذَى أَوْ غَيْرِهِ يَجْتَمِعُ إلَى الثّلْمَةِ بِخِلَافِ الْجَانِبِ الصّحِيحِ . الثّانِي : أَنّهُ رُبّمَا شَوّشَ عَلَى الشّارِبِ وَلَمْ يَتَمَكّنْ مِنْ حُسْنِ الشّرْبِ مِنْ الثّلْمَةِ . الثّالِثُ أَنّ الْوَسَخَ وَالزّهُومَةَ تَجْتَمِعُ فِي الثّلْمَةِ وَلَا يَصِلُ إلَيْهَا الْغَسْلُ كَمَا يَصِلُ إلَى الْجَانِبِ الصّحِيحِ . الرّابِعُ أَنّ الثّلْمَةَ مَحَلّ الْعَيْبِ فِي الْقَدَحِ وَهِيَ أَرْدَأُ مَكَانٍ فِيهِ فَيَنْبَغِي تَجَنّبُهُ وَقَصْدُ الْجَانِبِ الصّحِيحِ فَإِنّ الرّدِيءَ مِنْ كُلّ شَيْءٍ لَا خَيْرَ فِيهِ وَرَأَى بَعْضُ السّلَفِ رَجُلًا يَشْتَرِي حَاجَةً رَدِيئَةً فَقَالَ لَا تَفْعَلْ أَمَا عَلِمْتَ أَنّ اللّهَ نَزَعَ الْبَرَكَةَ مِنْ كُلّ رَدِيءٍ . [ص ٢١٦] كَانَ فِي الثّلْمَةِ شَقّ أَوْ تَحْدِيدٌ يَجْرَحُ فَمَ الشّارِبِ وَلِغَيْرِ هَذِهِ مِنْ الْمَفَاسِدِ .

[مَفَاسِدُ النّفْخِ فِي الشّرَابِ]

وَأَمّا النّفْخُ فِي الشّرَابِ فَإِنّهُ يُكْسِبُهُ مِنْ فَمِ النّافِخِ رَائِحَةً كَرِيهَةً يُعَافُ لِأَجْلِهَا وَلَا سِيّمَا إنْ كَانَ مُتَغَيّرَ الْفَمِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَأَنْفَاسُ النّافِخِ تُخَالِطُهُ وَلِهَذَا جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْنَ النّهْيِ عَنْ التّنَفّسِ فِي الْإِنَاءِ وَالنّفْخِ فِيهِ فِي الْحَدِيثِ الّذِي رَوَاهُ التّرْمِذِيّ

وَصَحّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُتَنَفّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ .
[كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَنَفّسُ فِي الشّرْبِ وَلَا يَتَنَفّسُ فِي الْإِنَاءِ]
فَإِنْ قِيلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَتَنَفّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا ؟ قِيلَ نُقَابِلُهُ بِالْقَبُولِ وَالتّسْلِيمِ وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَوّلِ فَإِنّ مَعْنَاهُ أَنّهُ كَانَ يَتَنَفّسُ فِي شُرْبِهِ ثَلَاثًا وَذَكَرَ الْإِنَاءَ لِأَنّهُ آلَةُ الشّرْبِ وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصّحِيحِ أَنّ إبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَاتَ فِي الثّدْيِ أَيْ فِي مُدّةِ الرّضَاعِ .
فَصْلٌ [شُرْبُ اللّبَنِ خَالِصًا وَمَشُوبًا بِالْمَاءِ وَمَنَافِعُهُ]
وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَشْرَبُ اللّبَنَ خَالِصًا تَارَةً وَمَشُوبًا بِالْمَاءِ أُخْرَى . وَفِي شُرْبِ اللّبَنِ الْحُلْوِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْحَارّةِ خَالِصًا وَمَشُوبًا نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ الصّحّةِ وَتَرْطِيبِ الْبَدَنِ وَرِيّ الْكَبِدِ وَلَا سِيّمَا اللّبَنَ الّذِي تَرْعَى دَوَابّهُ الشّيحَ وَالْقَيْصُومَ وَالْخُزَامَى [ص ٢١٧] أَشْبَهَهَا فَإِنّ لَبَنَهَا غِذَاءٌ مَعَ الْأَغْذِيَةِ وَشَرَابٌ مَعَ الْأَشْرِبَةِ وَدَوَاءٌ مَعَ الْأَدْوِيَةِ وَفِي " جَامِعِ التّرْمِذِيّ " عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ اللّهُمّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ اللّهُمّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ فَإِنّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ إلّا اللّبَنُ . قَالَ التّرْمِذِيّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .
فَصْلٌ [الِانْتِبَاذُ فِي الْمَاءِ]
وَثَبَتَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُنْبَذُ لَهُ أَوّلَ اللّيْلِ وَيَشْرَبُهُ إذَا أَصْبَحَ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَاللّيْلَةَ الّتِي تَجِيءُ وَالْغَدَ وَاللّيْلَةَ الْأُخْرَى وَالْغَدَ إلَى الْعَصْرِ فَإِنْ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ سَقَاهُ الْخَادِمَ أَوْ أَمَرَ بِهِ فَصُبّ . وَهَذَا النّبِيذُ هُوَ مَا يُطْرَحُ فِيهِ تَمْرٌ يُحَلّيهِ وَهُوَ يَدْخُلُ فِي الْغِذَاءِ وَالشّرَابِ وَلَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي زِيَادَةِ الْقُوّةِ وَحِفْظِ الصّحّةِ وَلَمْ يَكُنْ يَشْرَبُهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ خَوْفًا مِنْ تَغَيّرِهِ إلَى الْإِسْكَارِ .
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الطَّعَامِ:
١ـ كان لا يرد موجودًا ولا يتكلف مفقودًا، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أَكَلَهُ إلا أن تعافه نفسه؛ فيتركه من غير تحريم، ولا يحمل نفسه عليه على كُرْهٍ، وما عاب طَعَامًا قَطُّ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، كما ترك أكل الضَّبِّ لمّا لم يعتده.
٢ـ وكان يأكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حتى إنه ليربط على بطنه الْحَجَرَ من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار.
٣ـ ولم يكن من هديه حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى ما سواه.
٤ـ وأَكَل الحلوى وَالْعَسَلَ، وكان يحبهما، وَأَكَلَ لحم الْجَزُور، والضأن، والدجاج، ولحم الْحُبَّارَى، ولحم حمار الوحش، والأرنب، وطعام البحر، وأَكَلَ الشِّواء، وأكل الرُّطَبَ والتَّمرَ، وأكل الثَّرِيدَ؛ وهو: الخبز باللحم، وأكل الخبز بالزيت، وأكل القثاء بالرطب، وأكل الدُّباء المطبوخة وكان يحبها، وأكل القديد، وأكل التَّمر بالزبد.
٥ـ وكان يحب اللحم، وأحبه إليه الذراع ومقدم الشاة.
٦ـ وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها.
٧ـ وكان معظم مطعمه يوضع على الأرض في السفرة.

٧ـ وكان يأمر بالأكل باليمين، وينهى عن الأكل بالشمال، ويقول: ((إن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله)) [م].
٨ـ وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ.
٩ـ وكان لا يأكل متكئًا ـ والاتكاء على ثلاثة أنواع؛ أحدها: الاتكاء على الجنب، والثاني: التربع، والثالث: الاتكاء على إحدى يديه وأكله بالأخرى، والثلاث مذمومة ـ، وكان يأكل وهو مُقْعٍ، ـ والإقعاء: أن يجلس على أليتيه ناصبًا ساقيه ـ وقال: ((إنما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد)) [السلسلة الصحيحة].
١٠ـ وكان إذا وضع يده في الطعام قال: ((بسم الله))، ويأمر الآكل بالتسمية، وقال: ((إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله؛ فليقل: بسم الله في أوَّلِهِ وآخره)). [صحيح الترمذي].
١١ـ وقال: ((إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه)) [م].
١٢ـ وكان يتحدث على طعامه، ويكرر على أضيافه عرض الأكل عليهم مرارًا؛ كما يفعله أهلُ الكَرَمِ.
١٣ـ وكان إذا رُفِعَ الطعام من بين يديه يقول: ((الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مَكْفيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولا مُستغنىً عنه ربُّنا)) [خ].
١٤ـ وكان يقول: ((الحمد لله الذي أطعم وأسقى وسوَّغه وجعل له مخرجًا)) [صحيح أبي داود].
١٥ـ وقال: من أكل طعامًا فقال: ((الحمد لله الذي أطعمني هذا من غير حول مني ولا قوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه)). [صحيح الترمذي].
١٦ـ وكان إذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم، ويقول: ((أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وَصَلَّتْ عليكم الملائكة)) [صحيح أبي داود].
١٧ـ وكان يدعو لمن يضيف المساكين ويثني عليهم.
١٨ـ وكان لا يأنف من مؤاكلة أحدٍ صغيرًا كان أو كبيرًا، حرًّا أو عبدًا، أعرابيًّا أو مهاجرًا.
١٨ـ وكان إذا قُرِّب إليه طعامٌ وهو صائم، قال: ((إني صائم)) [ق]، وَأَمَرَ من قُرِّبَ إليه الطعام وهو صائم أن يصلي؛ أي: يدعو لمن قدمه، وإن كان مفطرًا أن يأكل منه.
١٩ـ وكان إذا دُعِيَ لطعام وتبعه أحدٌ أعلمَ به رَبَّ المنزل، وقال: ((إن هذا تَبِعَنَا؛ فإن شئت تأذن له، وإن شئت رجع)) [خ].
٢٠ـ وأمر من شَكَوْا إليه أنهم لا يشبعون أن يجتمعوا على طعامهم ولا يتفرقوا، وأن يذكروا اسم الله عليه يُبارك لهم فيه.
٢١ـ وقال: ((ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنٍ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان لا بد فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لِشَرَابِه، وثلث لِنَفَسِهِ)) [صحيح ابن ماجه].
٢٢ـ ودخل منزله ليلة، فالتمس طعامًا فلم يجده، فقال: ((اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني)).
* هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الشَّرَابِ:
١ـ كان هديه في الشراب من أكمل هدي يحفظ به الصحة، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد. وكان يشرب اللبن خالصًا تارة، ومشوبًا بالماء أخرى، ويقول: ((اللهم

بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيئًا يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن)) [صحيح الترمذي].
٢- ولم يكن من هديه أن يشرب على طعامه، وكان ينبذ له أول الليل ويشربه إذا أصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد والليلة الأخرى، والغد إلى العصر؛ فإن بقي منه شيء سقاه الخادم أو أمر به فصُبَّ.
(والنبيذ: هو ما يطرح فيه تَمْرٌ يُحَلِّيهِ. ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفًا من تغيره إلى الإسكار).
٣- وكان من هديه المعتاد الشرب قاعدًا، وزجر عن الشرب قائمًا، وشرب مرة قائمًا، فقيل: لعذر، وقيل: نسخ لنهيه، وقيل: لجواز الأمر منه والنهي للكراهة.
٤- وكان يتنفس في الشراب ثلاثًا، ويقول: ((إنه أروى وأمرأ، وأبرأ)) [م]، (ومعنى تنفسه في الشراب: إبانته القدح عن فيه وتنفسه خارجه كما جاء في قوله: ((إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في القدح ولكن ليُبِن الإناء عن فيه)) [صحيح ابن ماجه]، ونهى أن يُشرب من ثلمة القدح، ومن فيِّ السقاء. (والثلمة: الفرجة والشق).
٥- وكان يسمي إذا شرب ويحمد الله إذا فرغ وقال: ((إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة يحمده عليها، ويشرب الشَّربة يحمده عليها)) [م].
٦- وكان يُسْتَعْذَب له الماء (وهو الطيب الذي لا ملوحة فيه) ويختار الْبَائِتَ منه.
٧- وكان إذا شرب ناول من على يمينه وإن كان مَنْ على يساره أكبر منه.
٨- وأمر بتخمير الإناء (أي تغطيته)، وإيكائه ولو أن يعرض عليه عودًا، وأن يذكر اسم الله عند ذلك. (والإيكاء: ربط فتحة الوعاء وشدُّها)

٣١. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْسَّفَرِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٤٤)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرِهِ وَعِبَادَتِهِ فِيهِ
كَانَتْ أَسْفَارُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَسْفَارٍ سَفَرُهُ لِهِجْرَتِهِ وَسَفَرُهُ لِلْجِهَادِ وَهُوَ أَكْثَرُهَا وَسَفَرُهُ لِلْعُمْرَةِ وَسَفَرُهُ لِلْحَجّ . [ص ٤٤٥] وَكَانَ إذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيّتُهُنّ خَرَجَ سَهْمُهَا سَافَرَ بِهَا مَعَهُ وَلَمّا حَجّ سَافَرَ بِهِنّ جَمِيعًا . وَكَانَ إذَا سَافَرَ خَرَجَ مِنْ أَوّلِ النّهَارِ وَكَانَ يَسْتَحِبّ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَدَعَا اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لِأُمّتِهِ فِي بُكُورِهَا وَكَانَ إذَا بَعَثَ سَرِيّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوّلِ النّهَارِ وَأَمَرَ الْمُسَافِرِينَ إذَا كَانُوا ثَلَاثَةً أَنْ يُؤَمّرُوا أَحَدَهُمْ وَنَهَى أَنْ يُسَافِرَ الرّجُلُ وَحْدَه وَأَخْبَرَ أَنّ الرّاكِبَ شَيْطَانٌ وَالرّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثّلَاثَةُ رَكْبٌ وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ حِينَ يَنْهَضُ لِلسّفَرِ اللّهُمّ إلَيْك تَوَجّهْت وَبِكَ اعْتَصَمْتُ اللّهُمّ اكْفِنِي مَا أَهَمّنِي وَمَا لَا أَهْتَمّ بِهِ اللّهُمّ زَوّدْنِي التّقْوَى وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَجّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجّهْتُ [ص ٤٤٦] وَكَانَ إذَا قُدّمَتْ إلَيْهِ دَابّتُهُ لِيَرْكَبَهَا يَقُولُ بِسْمِ اللّهِ حِينَ يَضَعُ رِجْلَهُ فِي الرّكَابِ وَإِذَا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي سَخّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنّا إلَى رَبّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ثُمّ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ ثُمّ يَقُولُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ ثُمّ يَقُولُ سُبْحَانَكَ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أَنْتَ وَكَانَ يَقُولُ (اللّهُمّ إنّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرّ وَالتّقْوَى وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللّهُمّ هَوّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنّا بُعْدَهُ اللّهُمّ أَنْتَ الصّاحِبُ فِي السّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللّهُمّ إنّي

أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنّ وَزَادَ فِيهِنّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبّنَا حَامِدُونَ وَكَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إذَا عَلَوْا الثّنَايَا كَبّرُوا وَإِذَا هَبَطُوا الْأَوْدِيَةَ سَبّحُوا . وَكَانَ إذَا أَشْرَفَ عَلَى قَرْيَةٍ يُرِيدُ دُخُولَهَا يَقُولُ اللّهُمّ رَبّ السّمَوَاتِ السّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبّ الْأَرَضِينَ السّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبّ الرّيَاحِ وَمَا ذَرّيْنَ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهَا وَشَرّ أَهْلِهَا وَشَرّ مَا فِيهَا [ص ٤٤٧] وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ . وَخَيْرِ مَا جَمَعْتَ فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهَا وَشَرّ مَا جَمَعْتَ فِيهَا اللّهُمّ ارْزُقْنَا جَنَاهَا وَأَعِذْنَا مِنْ وَبَاهَا وَحَبّبْنَا إلَى أَهْلِهَا وَحَبّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إلَيْنَا

[مَبْحَثٌ فِي قَصْرِ الصّلَاةِ]

وَكَانَ يَقْصُرُ الرّبَاعِيّةَ فَيُصَلّيهَا رَكْعَتَيْنِ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مُسَافِرًا إلَى أَنْ يَرْجِعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ أَتَمّ الرّبَاعِيّةَ فِي سَفَرِهِ أَلْبَتّةَ وَأَمّا حَدِيثُ عَائِشَةَ : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْصُرُ فِي السّفَرِ وَيُتِمّ وَيُفْطِرُ وَيَصُومُ فَلَا يَصِحّ . وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ هُوَ كَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْتَهَى وَقَدْ رُوِيَ كَانَ يَقْصُرُ وَتُتِمّ الْأَوّلُ بِالْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ وَالثّانِي بِالتّاءِ الْمُثَنّاةِ مِنْ فَوْقٍ وَكَذَلِكَ يُفْطِرُ وَتَصُومُ أَيْ تَأْخُذُ هِيَ بِالْعَزِيمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيّةَ : وَهَذَا بَاطِلٌ مَا كَانَتْ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ [ص ٤٤٨] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ فَتُصَلّيَ خِلَافَ صَلَاتِهِمْ كَيْفَ وَالصّحِيحُ عَنْهَا أَنّهَا قَالَتْ إنّ اللّهَ فَرَضَ الصّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمّا هَاجَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرّتْ صَلَاةُ السّفَرِ فَكَيْفَ يُظَنّ بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُصَلّيَ بِخِلَافِ صَلَاةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ . قُلْت : وَقَدْ أَتَمّتْ عَائِشَةُ بَعْدَ مَوْتِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ وَغَيْرُهُ إنّهَا تَأَوّلَتْ كَمَا تَأَوّلَ عُثْمَانُ وَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْصُرُ دَائِمًا فَرَكّبَ بَعْضُ الرّوَاةِ مِنْ الْحَدِيثَيْنِ حَدِيثًا وَقَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْصُرُ وَتُتِمّ هِيَ فَغَلِطَ بَعْضُ الرّوَاةِ فَقَالَ كَانَ يَقْصُرُ وَيُتِمّ أَيْ هُوَ . وَالتّأْوِيلُ الّذِي تَأَوّلَتْهُ قَدْ اُخْتُلِفَ فِيهِ فَقِيلَ ظَنّتْ أَنّ الْقَصْرَ مَشْرُوطٌ بِالْخَوْفِ فِي السّفَرِ فَإِذَا زَالَ الْخَوْفُ زَالَ سَبَبُ الْقَصْرِ وَهَذَا التّأْوِيلُ غَيْرُ صَحِيحٍ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَافَرَ آمِنًا وَكَانَ يَقْصُرُ الصّلَاةَ وَالْآيَةُ قَدْ أَشْكَلَتْ عَلَى عُمَرَ وَعَلَى غَيْرِهِ فَسَأَلَ عَنْهَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَجَابَهُ بِالشّفَاءِ وَأَنّ هَذَا صَدَقَةٌ مِنْ اللّهِ وَشَرْعٌ شَرَعَهُ لِلْأُمّةِ وَكَانَ هَذَا بَيَانَ أَنّ حُكْمَ الْمَفْهُومِ غَيْرُ مُرَادٍ [ص ٤٤٩] يُقَالُ إنّ الْآيَةَ اقْتَضَتْ قَصْرًا يَتَنَاوَلُ قَصْرَ الْأَرْكَانِ بِالتّخْفِيفِ وَقَصْرَ الْعَدَدِ بِنُقْصَانِ رَكْعَتَيْنِ وَقُيّدَ ذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ الضّرْبِ فِي الْأَرْضِ وَالْخَوْفِ فَإِذَا وُجِدَ الْأَمْرَانِ أُبِيحَ الْقَصْرَانِ فَيُصَلّونَ صَلَاةَ الْخَوْفِ مَقْصُورَةً عَدَدَهَا وَأَرْكَانَهَا وَإِنْ انْتَفَى الْأَمْرَانِ فَكَانُوا آمِنِينَ مُقِيمِينَ انْتَفَى الْقَصْرَانِ فَيُصَلّونَ صَلَاةً تَامّةً كَامِلَةً وَإِنْ وُجِدَ أَحَدُ السّبَبَيْنِ تَرَتّبَ عَلَيْهِ قَصْرُهُ وَحْدَهُ فَإِذَا وُجِدَ الْخَوْفُ وَالْإِقَامَةُ قُصِرَتْ الْأَرْكَانُ وَاسْتُوْفِيَ الْعَدَدُ وَهَذَا نَوْعُ قَصْرٍ وَلَيْسَ بِالْقَصْرِ الْمُطْلَقِ فِي الْآيَةِ فَإِنْ وُجِدَ السّفَرُ وَالْأَمْنُ قُصِرَ الْعَدَدُ وَاسْتُوْفِيَ الْأَرْكَانُ وَسُمّيَتْ صَلَاةَ أَمْنٍ وَهَذَا نَوْعُ قَصْرٍ وَلَيْسَ بِالْقَصْرِ الْمُطْلَقِ وَقَدْ تُسَمّى هَذِهِ الصّلَاةُ مَقْصُورَةً بِاعْتِبَارِ نُقْصَانِ الْعَدَدِ وَقَدْ تُسَمّى تَامّةً بِاعْتِبَارِ إتْمَامِ أَرْكَانِهَا وَأَنّهَا لَمْ

تَدْخُلُ فِي قَصْرِ الْآيَةِ وَالْأَوَّلُ اصْطِلَاحُ كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالثَّانِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ الصَّحَابَةِ كَعَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا قَالَتْ عَائِشَةُ : فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى الْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَلَاةَ السَّفَرِ عِنْدَهَا غَيْرُ مَقْصُورَةٍ مِنْ أَرْبَعٍ وَإِنَّمَا هِيَ مَفْرُوضَةٌ كَذَلِكَ وَأَنَّ فَرْضَ الْمُسَافِرِ رَكْعَتَانِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً مُتَّفَقٌ عَلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ وَالْجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ وَالْعِيدِ رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى [ص ٤٥٠] عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُنَا نَقْصُرُ وَقَدْ أَمِنَّا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ بِهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ حَدِيثَيْهِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَجَابَهُ بِأَنَّ هَذِهِ صَدَقَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَدِينُهُ الْيُسْرُ السَّمْحُ عَلِمَ عُمَرُ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ الْآيَةِ قَصْرَ الْعَدَدِ كَمَا فَهِمَهُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَقَالَ صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ . وَعَلَى هَذَا فَلَا دِلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى أَنَّ قَصْرَ الْعَدَدِ مُبَاحٌ مَنْفِيٌّ عَنْهُ الْجُنَاحُ فَإِنْ شَاءَ الْمُصَلِّي فَعَلَهُ وَإِنْ شَاءَ أَتَمَّ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاظِبُ فِي أَسْفَارِهِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يُرَبِّعْ قَطُّ إلَّا شَيْئًا فَعَلَهُ فِي بَعْضِ صَلَاةِ الْخَوْفِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ هُنَاكَ وَنُبَيِّنُ مَا فِيهِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَالَ أَنَسٌ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ صَلَّى بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَالَ إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ فَلَيْتَ حَظِّي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ [ص ٤٥١] ابْنُ مَسْعُودٍ لِيَسْتَرْجِعَ مِنْ فِعْلِ عُثْمَانَ أَحَدَ الْجَائِزَيْنِ الْمُخَيَّرِ بَيْنَهُمَا بَلْ الْأَوْلَى عَلَى قَوْلٍ وَإِنَّمَا اسْتَرْجَعَ لِمَا شَاهَدَهُ مِنْ مُدَاوَمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ عَلَى صَلَاةِ رَكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ . وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ فِي السَّفَرِ لَا يَزِيدُ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ . يَعْنِي فِي صَدْرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَإِلَّا فَعُثْمَانُ قَدْ أَتَمَّ فِي آخِرِ خِلَافَتِهِ وَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أُنْكِرَتْ عَلَيْهِ . وَقَدْ خَرَجَ لِفِعْلِهِ تَأْوِيلَاتٌ أَحَدُهَا : أَنَّ الْأَعْرَابَ كَانُوا قَدْ حَجُّوا تِلْكَ السَّنَةِ فَأَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ أَنَّ فَرْضَ الصَّلَاةِ أَرْبَعٌ لِئَلَّا يَتَوَهَّمُوا أَنَّهَا رَكْعَتَانِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَحْرَى بِذَلِكَ فِي حَجِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ وَالْعَهْدُ بِالصَّلَاةِ قَرِيبٌ وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُرَبِّعْ بِهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . التَّأْوِيلُ الثَّانِي : أَنَّهُ كَانَ إمَامًا لِلنَّاسِ وَالْإِمَامُ حَيْثُ نَزَلَ فَهُوَ عَمَلُهُ وَمَحَلُّ وِلَايَتِهِ فَكَأَنَّهُ وَطَنُهُ وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّ إمَامَ الْخَلَائِقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ وَكَانَ هُوَ الْإِمَامَ الْمُطْلَقَ وَلَمْ يُرَبِّعْ . التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ أَنَّ مِنًى كَانَتْ قَدْ بُنِيَتْ وَصَارَتْ قَرْيَةً كَثُرَ فِيهَا الْمَسَاكِنُ فِي عَهْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ كَانَتْ فَضَاءً وَلِهَذَا قِيلَ [ص ٤٥٢] بِمِنًى بَيْتًا يُظِلُّكَ مِنْ الْحَرِّ ؟ فَقَالَ لَا . مِنًى مُنَاخُ

مَنْ سَبَقَ فَتَأَوَّلَ عُثْمَانُ أَنَّ الْقَصْرَ إنَّمَا يَكُونُ فِي حَالِ السَّفَرِ . وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ . التَّأْوِيلُ الرَّابِعُ أَنَّهُ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِيمُ الْمُهَاجِرُ بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِ ثَلَاثًا فَسَمَّاهُ مُقِيمًا وَالْمُقِيمُ غَيْرُ مُسَافِرٍ وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّ هَذِهِ إقَامَةٌ مُقَيَّدَةٌ فِي أَثْنَاءِ السَّفَرِ لَيْسَتْ بِالْإِقَامَةِ الَّتِي هِيَ قَسِيمُ السَّفَرِ وَقَدْ أَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ وَأَقَامَ بِمِنًى بَعْدَ نُسُكِهِ أَيَّامَ الْجِمَارِ الثَّلَاثِ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ . التَّأْوِيلُ الْخَامِسُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِقَامَةِ وَالِاسْتِيطَانِ بِمِنًى وَاِتِّخَاذِهَا دَارَ الْخِلَافَةِ فَلِهَذَا أَتَمَّ ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ يَرْجِعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَيْضًا مِمَّا لَا يَقْوَى فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَقَدْ مَنَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ الْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ بَعْدَ نُسُكِهِمْ وَرَخَّصَ لَهُمْ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ فَلَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ لِيُقِيمَ بِهَا وَقَدْ مَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا رَخَّصَ فِيهَا ثَلَاثًا وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوهَا لِلَّهِ وَمَا تُرِكَ لِلَّهِ فَإِنَّهُ لَا يُعَادُ فِيهِ وَلَا يُسْتَرْجَعُ وَلِهَذَا مَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شِرَاءِ الْمُتَصَدِّقِ لِصَدَقَتِهِ وَقَالَ لِعُمَرَ : لَا تَشْتَرِهَا وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ [ص ٤٥٣] فَجَعَلَهُ عَائِدًا فِي صَدَقَتِهِ مَعَ أَخْذِهَا بِالثَّمَنِ . التَّأْوِيلُ السَّادِسُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَأَهَّلَ بِمِنًى وَالْمُسَافِرُ إذَا أَقَامَ فِي مَوْضِعٍ وَتَزَوَّجَ فِيهِ أَوْ كَانَ لَهُ بِهِ زَوْجَةٌ أَتَمَّ وَيُرْوَى فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَرَوَى عِكْرِمَةُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي ذُبَابٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ صَلَّى عُثْمَانُ بِأَهْلِ مِنًى أَرْبَعًا وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَمَّا قَدِمْتُ تَأَهَّلْت بِهَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إذَا تَأَهَّلَ الرَّجُلُ بِبَلْدَةٍ فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِهَا صَلَاةَ مُقِيمٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي " مُسْنَدِهِ " وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ فِي " مُسْنَدِهِ " أَيْضًا وَقَدْ أَعَلَّهُ الْبَيْهَقِيُّ بِانْقِطَاعِهِ وَتَضْعِيفِهِ عِكْرِمَةَ بْنِ إبْرَاهِيمَ . قَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ تَيْمِيَّةَ : وَيُمْكِنُ الْمُطَالَبَةُ بِسَبَبِ الضَّعْفِ فَإِنَّ الْبُخَارِيَّ ذَكَرَهُ فِي " تَارِيخِهِ " وَلَمْ يَطْعَنْ فِيهِ وَعَادَتُهُ ذِكْرُ الْجَرْحِ وَالْمَجْرُوحِينَ وَقَدْ نَصَّ أَحْمَدُ وَابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَهُ أَنَّ الْمُسَافِرَ إذَا تَزَوَّجَ لَزِمَهُ الْإِتْمَامُ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَصْحَابِهِمَا وَهَذَا أَحْسَنُ مَا اُعْتُذِرَ بِهِ عَنْ عُثْمَانَ . وَقَدْ اُعْتُذِرَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَيْثُ نَزَلَتْ كَانَ وَطَنَهَا وَهُوَ أَيْضًا اعْتِذَارٌ ضَعِيفٌ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَأُمُومَةُ أَزْوَاجِهِ فَرْعٌ عَنْ أُبُوَّتِهِ وَلَمْ يَكُنْ يُتِمُّ لِهَذَا السَّبَبِ . وَقَدْ رَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهَا كَانَتْ تُصَلِّي فِي السَّفَرِ أَرْبَعًا فَقُلْت لَهَا : لَوْ صَلَّيْتِ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَتْ يَا ابْنَ أُخْتِي إنَّهُ لَا يَشُقُّ عَلَيَّ [ص ٤٥٤] قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَوْ كَانَ فَرْضُ الْمُسَافِرِ رَكْعَتَيْنِ لَمَا أَتَمَّهَا عُثْمَانُ وَلَا عَائِشَةُ وَلَا ابْنُ مَسْعُودٍ وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُتِمَّهَا مُسَافِرٌ مَعَ مُقِيمٍ وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ : كُلُّ ذَلِكَ قَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَمَّ وَقَصَرَ ثُمَّ رُوِيَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُلُّ ذَلِكَ فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصَرَ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ وَأَتَمَّ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ عَطَاءٍ وَأَصَحُّ إسْنَادٍ فِيهِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْحَارِثِيُّ عَنْ الدَّارَقُطْنِيِّ عَنْ الْمَحَامِلِيِّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوَّابٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْصُرُ فِي الصَّلَاةِ وَيُتِمُّ وَيُفْطِرُ وَيَصُومُ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : وَهَذَا إسْنَادٌ صَحِيحٌ . ثُمَّ سَاقَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيِّ عَنْ عَبَّاسٍ الدَّوْرِيِّ أَنْبَأَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ حَدَّثَنِي

عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا اعْتَمَرَتْ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى مَكّةَ حَتّى إذَا قَدِمَتْ مَكّةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي قَصَرْتَ وَأَتْمَمْتُ وَصُمْتُ وَأَفْطَرْتَ . قَالَ أَحْسَنْتِ يَا عَائِشَةُ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ هَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ عَلَى عَائِشَةَ وَلَمْ تَكُنْ عَائِشَةُ لِتُصَلّيَ بِخِلَافِ صَلَاةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَائِرِ الصّحَابَةِ وَهِيَ تُشَاهِدُهُمْ يَقْصُرُونَ ثُمّ تُتِمّ هِيَ وَحْدَهَا بِلَا مُوجِبٍ . كَيْفَ وَهِيَ الْقَائِلَةُ [ص ٤٥٥] فُرِضَتْ الصّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرّتْ صَلَاةُ السّفَرِ فَكَيْفَ يُظَنّ أَنّهَا تَزِيدُ عَلَى مَا فَرَضَ اللّهُ وَتُخَالِفُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابَهُ . قَالَ الزّهْرِيّ لِعُرْوَةَ لَمّا حَدّثَهُ عَنْهَا بِذَلِكَ فَمَا شَأْنُهَا كَانَتْ تُتِمّ الصّلَاةَ ؟ فَقَالَ تَأَوّلَتْ كَمَا تَأَوّلَ عُثْمَانُ . فَإِذَا كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ حَسّنَ فِعْلَهَا وَأَقَرّهَا عَلَيْهِ فَمَا لِلتّأْوِيلِ حِينَئِذٍ وَجْهٌ وَلَا يَصِحّ أَنْ يُضَافَ إتْمَامُهَا إلَى التّأْوِيلِ عَلَى هَذَا التّقْدِيرِ وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ فِي السّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ . أَفَيُظَنّ بِعَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ مُخَالَفَتُهُمْ وَهِيَ تَرَاهُمْ يَقْصُرُونَ ؟ وَأَمّا بَعْدَ مَوْتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِنّهَا أَتَمّتْ كَمَا أَتَمّ عُثْمَانُ وَكِلَاهُمَا تَأَوّلَ تَأْوِيلًا وَالْحُجّةُ فِي رِوَايَتِهِمْ لَا فِي تَأْوِيلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مَعَ مُخَالَفَةِ غَيْرِهِ لَهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ قَالَ أُمَيّةُ بْنُ خَالِدٍ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ إنّا نَجِدُ صَلَاةَ الْحَضَرِ وَصَلَاةَ الْخَوْفِ فِي الْقُرْآنِ وَلَا نَجِدُ صَلَاةَ السّفَرِ فِي الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ يَا أَخِي إنّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمّدًا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا فَإِنّمَا نَفْعَلُ كَمَا رَأَيْنَا مُحَمّدًا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَفْعَلُ وَقَدْ قَالَ أَنَسٌ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَكّةَ فَكَانَ يُصَلّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتّى رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : صَحِبْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَكَانَ لَا يَزِيدُ فِي السّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَهَذِهِ كُلّهَا أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ . [ص ٤٥٦]

١ـ كان يستحب الخروج للسفر أول النهار، وفي يوم الخميس.

٢ـ وكان يكره للمسافر وحده أن يسير بالليل، ويكره السفر للواحد.

٣ـ وأمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمِّروا أحدهم.

٤ـ وكان إذا ركب راحلته كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون))، ثم يقول: ((اللهم إني أسألك في سفري هذا البِرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطْوِ عنَّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا)) [م]، وكان إذا رجع من السَّفر زاد: ((آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون)) [صحيح الترمذي].

٥ـ وكان إذا علا الثنايا كَبَّرَ، وإذا هبط الأودية سَبَّحَ، وقال له رجل: إني أريد سفرًا، قال: ((أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف)) [صحيح الترمذي].

٦ـ وكان إذا بدا له الفجر في السَّفر قال: ((سَمِعَ سامع بحمد الله وحُسن بلائه علينا، رَبَّنا صاحبنا وأفضل علينا عائذًا بالله من النار)) [م].

٧ـ وكان إذا ودَّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم: ((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك)) [صحيح الترمذي].

٨ـ وقال: ((إذا نزل أحدكم منزلاً، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه)) [م].
٩ـ وكان يأمر المسافر إذا قضى نهمته من سفر أن يُعجِّل الرجوع إلى أهله.
١٠ـ وكان ينهى المرأة أن تسافر بغير مَحْرَم، ولو مسافة بريد، وينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.
١١ـ ومنع من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة، وقال: ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)) [صحيح أبي داود].
١٢ـ وقال: ((من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله)) [صحيح أبي داود].
١٣ـ وكان سفره أربعة أسفار: سفر للهجرة، وسفر للجهاد ـ وهو أكثرها ـ؛ وسفر للعمرة، وسفر للحج.
١٤ـ وقال: ((لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)) [صحيح أبي داود].
١٥ـ وكان يقصر الرباعية في سفره، فيصليها ركعتين من حين يخرج إلى أن يرجع، وكان يقتصر على الفرض ما عدا الوتر وسنة الفجر.
١٦ـ ولم يحد لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر.
١٧ـ ولم يكن من هديه الجمع راكبًا في سفره، ولا الجمع حال نزوله، وإنما كان الجمع إذا جدَّ به السير، وإذا سار عقيب الصلاة، وكان إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما، فإن زالت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب، وكان إذا أعجله السير أخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء في وقت العشاء.
١٨ـ وكان يصلي التطوع بالليل والنهار على راحلته في السفر قِبَلَ أي وجه توجهت به، فيركع ويسجد عليها إيماء، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه.
١٩ـ وسافر في رمضان وأفطر وَخَيَّر الصحابة بين الأمرين.
٢٠ـ وكان يلبس الخفاف في السفر دائمًا أو أغلب أحواله لحاجة الرجلين إلى ما يقيهما من الحر والبرد.
٢١ـ ونهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً إذا طالت غيبته عنهم.
٢٢ـ وقال: ((لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس)) [م].
٢٣ـ وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، وكان يُلَقَّى بالولدان من أهل بيته.
٢٤ـ وكان يعتنق القادم من سفره، ويقبله إذا كان من أهله.

٣٢. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في النَّوْمِ وَالاِسْتيقاظِ والرُؤْى

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢١٩)

فَصْلٌ فِي تَدْبِيرِهِ لِأَمْرِ النّوْمِ وَالْيَقَظَةِ

مَنْ تَدَبّرَ نَوْمَهُ وَيَقَظَتَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَدَهُ أَعْدَلَ نَوْمٍ وَأَنْفَعَهُ لِلْبَدَنِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى فَإِنّهُ كَانَ يَنَامُ أَوّلَ اللّيْلِ وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوّلِ النّصْفِ الثّانِي فَيَقُومُ وَيَسْتَاكُ وَيَتَوَضّأُ وَيُصَلّي مَا كَتَبَ اللّهُ لَهُ فَيَأْخُذُ الْبَدَنُ وَالْأَعْضَاءُ وَالْقُوَى حَظّهَا مِنْ النّوْمِ وَالرّاحَةِ وَحَظّهَا مِنْ الرّيَاضَةِ مَعَ وُفُورِ الْأَجْرِ وَهَذَا غَايَةُ صَلَاحِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالدّنْيَا

وَالْآخِرَةِ . وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنْ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إلَيْهِ وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنْ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إلَيْهِ مِنْهُ وَكَانَ يَفْعَلُهُ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ فَيَنَامُ إذَا دَعَتْهُ الْحَاجَةُ إلَى النَّوْمِ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ذَاكِرًا اللَّهَ حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ غَيْرَ مُمْتَلِئِ الْبَدَنِ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا مُبَاشِرٍ بِجَنْبِهِ الْأَرْضَ وَلَا مُتَّخِذٍ لِلْفُرُشِ الْمُرْتَفِعَةِ بَلْ لَهُ ضِجَاعٌ مَنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ وَكَانَ يَضْطَجِعُ عَلَى الْوِسَادَةِ وَيَضَعُ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ أَحْيَانًا . [ص ٢٢٠]

[نَوْعَا النَّوْمِ]

[النَّوْمُ الطَّبِيعِيّ]

وَنَحْنُ نَذْكُرُ فَصْلًا فِي النَّوْمِ وَالنَّافِعِ مِنْهُ وَالضَّارّ فَنَقُولُ النَّوْمُ حَالَةٌ لِلْبَدَنِ يَتْبَعُهَا غَوْرُ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ وَالْقُوَى إلَى بَاطِنِ الْبَدَنِ لِطَلَبِ الرَّاحَةِ وَهُوَ نَوْعَانِ طَبِيعِيّ وَغَيْرُ طَبِيعِيّ . فَالطَّبِيعِيّ إمْسَاكُ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ عَنْ أَفْعَالِهَا وَهِيَ قُوَى الْحِسّ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ وَمَتَى أَمْسَكَتْ هَذِهِ الْقُوَى عَنْ تَحْرِيكِ الْبَدَنِ اسْتَرْخَى وَاجْتَمَعَتْ الرّطُوبَاتُ وَالْأَبْخِرَةُ الّتِي كَانَتْ تَتَحَلّلُ وَتَتَفَرّقُ بِالْحَرَكَاتِ وَالْيَقَظَةِ فِي الدّمَاغِ الّذِي هُوَ مَبْدَأُ هَذِهِ الْقُوَى فَيَتَخَدّرُ وَيَسْتَرْخِي وَذَلِكَ النّوْمُ الطّبِيعِيّ .

[النّوْمُ غَيْرُ الطّبِيعِيّ]

وَأَمّا النّوْمُ غَيْرُ الطّبِيعِيّ فَيَكُونُ لِعَرَضٍ أَوْ مَرَضٍ وَذَلِكَ بِأَنْ تَسْتَوْلِيَ الرّطُوبَاتُ عَلَى الدّمَاغِ اسْتِيلَاءً لَا تَقْدِرُ الْيَقَظَةُ عَلَى تَفْرِيقِهَا أَوْ تَصْعَدُ أَبْخِرَةٌ رَطْبَةٌ كَثِيرَةٌ كَمَا يَكُونُ عَقِيبَ الِامْتِلَاءِ مِنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ فَتُثْقِلُ الدّمَاغَ وَتُرْخِيهِ فَيَتَخَدّرُ وَيَقَعُ إمْسَاكُ الْقُوَى النّفْسَانِيّةِ عَنْ أَفْعَالِهَا فَيَكُونُ النّوْمُ .

[فَائِدَتَا النّوْمِ]

وَلِلنّوْمِ فَائِدَتَانِ جَلِيلَتَانِ إحْدَاهُمَا : سُكُونُ الْجَوَارِحِ وَرَاحَتُهَا مِمّا يَعْرِضُ لَهَا مِنْ التّعَبِ فَيُرِيحُ الْحَوَاسّ مِنْ نَصَبِ الْيَقَظَةِ وَيُزِيلُ الْإِعْيَاءَ وَالْكَلَالَ . وَالثّانِيَةُ هَضْمُ الْغِذَاءِ وَنُضْجُ الْأَخْلَاطِ لِأَنّ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيّةَ فِي وَقْتِ النّوْمِ تَغُورُ إلَى بَاطِنِ الْبَدَنِ فَتُعِينُ عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا يَبْرُدُ ظَاهِرُهُ وَيَحْتَاجُ النّائِمُ إلَى فَضْلِ دِثَارٍ .

[أَنْفَعُ كَيْفِيّاتِ النّوْمِ]

وَأَنْفَعُ النّوْمِ أَنْ يَنَامَ عَلَى الشّقّ الْأَيْمَنِ لِيَسْتَقِرّ الطّعَامُ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ فِي الْمَعِدَةِ اسْتِقْرَارًا حَسَنًا فَإِنّ الْمَعِدَةَ أَمْيَلُ إلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ قَلِيلًا ثُمّ يَتَحَوّلُ إلَى الشّقّ الْأَيْسَرِ قَلِيلًا لِيُسْرِعَ الْهَضْمَ بِذَلِكَ لِاسْتِمَالَةِ الْمَعِدَةِ عَلَى الْكَبِدِ ثُمّ يَسْتَقِرّ نَوْمُهُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ لِيَكُونَ الْغِذَاءُ أَسْرَعَ انْحِدَارًا عَنْ الْمَعِدَةِ فَيَكُونُ النّوْمُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ بُدَاءَةَ نَوْمِهِ وَنِهَايَتَهُ وَكَثْرَةُ النّوْمِ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مُضِرّ بِالْقَلْبِ بِسَبَبِ مَيْلِ الْأَعْضَاءِ إلَيْهِ فَتَنْصَبّ إلَيْهِ الْمَوَادّ .

[أَرْدَأُ نَوْعِيّاتِ النّوْمِ]

وَأَرْدَأُ النّوْمِ النّوْمُ عَلَى الظّهْرِ وَلَا يَضُرّ الِاسْتِلْقَاءُ عَلَيْهِ لِلرّاحَةِ مِنْ غَيْرِ [ص ٢٢١] سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ مَرّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى رَجُلٍ نَائِمٍ فِي الْمَسْجِدِ مُنْبَطِحٍ عَلَى وَجْهِهِ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ قُمْ أَوْ اُقْعُدْ فَإِنّهَا نَوْمَةٌ جَهَنّمِيّةٌ قَالَ إبُقْرَاطُ فِي كِتَابِ " التّقْدِمَةِ " : وَأَمّا نَوْمُ الْمَرِيضِ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عَادَتَهُ فِي صِحّتِهِ جَرَتْ بِذَلِكَ يَدُلّ عَلَى اخْتِلَاطِ عَقْلٍ وَعَلَى أَلَمٍ فِي نَوَاحِي الْبَطْنِ قَالَ الشّرّاحُ لِكِتَابِهِ لِأَنّهُ خَالَفَ الْعَادَةَ الْجَيّدَةَ إلَى هَيْئَةٍ رَدِيئَةٍ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ .

[مَنَافِعُ النّوْمِ الْمُعْتَدِلِ]
وَالنّوْمُ الْمُعْتَدِلُ مُمَكّنٌ لِلْقُوَى الطّبِيعِيّةِ مِنْ أَفْعَالِهَا مُرِيحٌ لِلْقُوّةِ النّفْسَانِيّةِ مُكْثِرٌ مِنْ جَوْهَرِ حَامِلِهَا حَتّى إنّهُ رُبّمَا عَادَ بِرَخَائِهِ مَانِعًا مِنْ تَحَلّلِ الْأَرْوَاحِ .
[مَفَاسِدُ نَوْمِ النّهَارِ وَبِخَاصّةٍ آخِرُهُ]
وَنَوْمُ النّهَارِ رَدِيءٌ يُورِثُ الْأَمْرَاضَ الرّطُوبِيّةَ وَالنّوَازِلَ وَيُفْسِدُ اللّوْنَ وَيُورِثُ الطّحَالَ وَيُرْخِي الْعَصَبَ وَيُكْسِلُ وَيُضْعِفُ الشّهْوَةَ إلّا فِي الصّيْفِ وَقْتَ الْهَاجِرَةِ وَأَرْدَؤُهُ نَوْمُ أَوّلِ النّهَارِ وَأَرْدَأُ مِنْهُ النّوْمُ آخِرَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ وَرَأَى عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ ابْنًا لَهُ نَائِمًا نَوْمَةَ الصّبْحَةِ فَقَالَ لَهُ قُمْ أَتَنَامُ فِي السّاعَةِ الّتِي تُقَسّمُ فِيهَا الْأَرْزَاق ؟ وَقِيلَ نَوْمُ النّهَارِ ثَلَاثَةٌ خُلُقٌ وَحُرَقٌ وَحُمْقٌ . فَالْخُلُقُ نَوْمَةُ الْهَاجِرَةِ وَهِيَ خُلُقُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَالْحُرَقُ نَوْمَةُ الضّحَى تَشْغَلُ عَنْ أَمْرِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَالْحُمْقُ نَوْمَةُ الْعَصْرِ . قَالَ بَعْضُ السّلَفِ مَنْ نَامَ بَعْدَ [ص ٢٢٢] يَلُومَن إلّا نَفْسَهُ . وَقَالَ الشّاعِرُ
أَلَا إنّ نَوْمَاتِ الضّحَى تُورِثُ الْفَتَى
خَبَالًا وَنَوْمَاتُ الْعُصَيْرِ جُنُونُ
[مَفَاسِدُ نَوْمِ الصّبْحَةِ]
وَنَوْمُ الصّبْحَةِ يَمْنَعُ الرّزْقَ لِأَنّ ذَلِكَ وَقْتٌ تَطْلُبُ فِيهِ الْخَلِيقَةُ أَرْزَاقَهَا وَهُوَ وَقْتُ قِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ فَنَوْمُهُ حِرْمَانٌ إلّا لِعَارِضٍ أَوْ ضَرُورَةٍ وَهُوَ مُضِرّ جِدّا بِالْبَدَنِ لِإِرْخَائِهِ الْبَدَنَ وَإِفْسَادِهِ لِلْفَضَلَاتِ الّتِي يَنْبَغِي تَحْلِيلُهَا بِالرّيَاضَةِ فَيُحْدِثُ تَكَسّرًا وَعِيّا وَضَعْفًا . وَإِنْ كَانَ قَبْلَ التّبَرّزِ وَالْحَرَكَةِ وَالرّيَاضَةِ وَإِشْغَالِ الْمَعِدَةِ بِشَيْءٍ فَذَلِكَ الدّاءُ الْعُضَالُ الْمُوَلّدُ لِأَنْوَاعٍ مِنْ الْأَدْوَاءِ .
[مَفَاسِدُ النّوْمِ فِي الشّمْسِ أَوْ بَعْضِهِ فِي الشّمْسِ]
وَالنّوْمُ فِي الشّمْسِ يُثِيرُ الدّاءَ الدّفِينَ وَنَوْمُ الْإِنْسَانِ بَعْضَهُ فِي الشّمْسِ وَبَعْضَهُ فِي الظّلّ رَدِيءٌ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الشّمْسِ فَقَلَصَ عَنْهُ الظّلّ فَصَارَ بَعْضُهُ فِي الشّمْسِ وَبَعْضُهُ فِي الظّلّ فَلْيَقُمْ وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى أَنْ يَقْعُدَ الرّجُلُ بَيْنَ الظّلّ وَالشّمْسِ وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى مَنْعِ النّوْمِ بَيْنَهُمَا . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ إذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضّأْ وُضُوءَك لِلصّلَاةِ ثُمّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقّكَ الْأَيْمَنِ ثُمّ قُلْ اللّهُمّ إنّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْك وَوَجّهْتُ وَجْهِي إلَيْك وَفَوّضْتُ أَمْرِي إلَيْك وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْك رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْك لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْك إلّا إلَيْك آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الّذِي أَنْزَلْت وَنَبِيّكَ الّذِي أَرْسَلْت وَاجْعَلْهُنّ آخِرَ كَلَامِك فَإِنْ مُتّ مِنْ لَيْلَتِك مُتّ عَلَى الْفِطْرَةِ [ص ٢٢٣] وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " عَنْ عَائِشَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا صَلّى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ - يَعْنِي سُنّتَهَا - اضْطَجَعَ عَلَى شِقّهِ الْأَيْمَنِ
[الْحِكْمَةُ مِنْ النّوْمِ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ]
وَقَدْ قِيلَ إنّ الْحِكْمَةَ فِي النّوْمِ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ أَنْ لَا يَسْتَغْرِقَ النّائِمُ فِي نَوْمِهِ لِأَنّ الْقَلْبَ فِيهِ مَيْلٌ إلَى جِهَةِ الْيَسَارِ فَإِذَا نَامَ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ طَلَبَ الْقَلْبُ مُسْتَقَرّهُ مِنْ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ وَذَلِكَ يَمْنَعُ مِنْ اسْتِقْرَارِ النّائِمِ وَاسْتِثْقَالِهِ فِي نَوْمِهِ بِخِلَافِ قَرَارِهِ فِي

النَّوْمِ عَلَى الْيَسَارِ فَإِنَّهُ مُسْتَقَرُّهُ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ الدَّعَةُ التَّامَّةُ فَيَسْتَغْرِقُ الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ وَيَسْتَثْقِلُ فَيَفُوتُهُ مَصَالِحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

[فَوَائِدُ الدّعَاءِ قَبْلَ النّوْمِ]

وَلَمّا كَانَ النّائِمُ بِمَنْزِلَةِ الْمَيّتِ وَالنّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ - وَلِهَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَى الْحَيّ الّذِي لَا يَمُوتُ وَأَهْلُ الْجَنّةِ لَا يَنَامُونَ فِيهَا - كَانَ النّائِمُ مُحْتَاجًا إلَى مَنْ يَحْرُسُ نَفْسَهُ وَيَحْفَظُهَا مِمّا يَعْرِضُ لَهَا مِنْ الْآفَاتِ وَيَحْرُسُ بَدَنَهُ أَيْضًا مِنْ طَوَارِقِ الْآفَاتِ وَكَانَ رَبّهُ وَفَاطِرُهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَوَلّيَ لِذَلِكَ وَحْدَهُ . عَلّمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّائِمَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَاتِ التّفْوِيضِ وَالِالْتِجَاءِ وَالرّغْبَةِ وَالرّهْبَةِ لِيَسْتَدْعِيَ بِهَا كَمَالَ حِفْظِ اللّهِ لَهُ وَحِرَاسَتِهِ لِنَفْسِهِ وَبَدَنِهِ وَأَرْشَدَهُ مَعَ ذَلِكَ إلَى أَنْ يَسْتَذْكِرَ الْإِيمَانَ وَيَنَامَ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَ التّكَلّمَ بِهِ آخِرَ كَلَامِهِ فَإِنّهُ رُبّمَا تَوَفّاهُ اللّهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ الْجَنّةَ فَتَضَمّنَ هَذَا الْهَدْيُ فِي الْمَنَامِ مَصَالِحَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالرّوحِ فِي النّوْمِ وَالْيَقَظَةِ وَالدّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَصَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ نَالَتْ بِهِ أُمّتُهُ كُلّ خَيْرٍ . [ص ٢٢٤] أَسْلَمْت نَفْسِي إلَيْك أَيْ جَعَلْتهَا مُسَلّمَةً لَك تَسْلِيمَ الْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ نَفْسَهُ إلَى سَيّدِهِ وَمَالِكِهِ . وَتَوْجِيهُ وَجْهِهِ إلَيْهِ يَتَضَمّنُ إقْبَالَهُ بِالْكُلّيّةِ عَلَى رَبّهِ وَإِخْلَاصَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ لَهُ وَإِقْرَارَهُ بِالْخُضُوعِ وَالذّلّ وَالِانْقِيَادِ قَالَ تَعَالَى : { فَإِنْ حَاجّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتّبَعَنِ } [سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ الْآيَةِ ٢٠] . وَذَكَرَ الْوَجْهَ إذْ هُوَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَمَجْمَعُ الْحَوَاسّ وَأَيْضًا فَفِيهِ مَعْنَى التّوَجّهِ وَالْقَصْدِ مِنْ قَوْلِهِ

أَسْتَغْفِرُ اللّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ

رَبّ الْعِبَادِ إلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إلَيْهِ رَدّهُ إلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ وَذَلِكَ يُوجِبُ سُكُونَ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتَهُ وَالرّضَى بِمَا يَقْضِيهِ وَيَخْتَارُهُ لَهُ مِمّا يُحِبّهُ وَيَرْضَاهُ وَالتّفْوِيضُ مِنْ أَشْرَفِ مَقَامَاتِ الْعُبُودِيّةِ وَلَا عِلّةَ فِيهِ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ الْخَاصّةِ خِلَافًا لِزَاعِمِي خِلَافِ ذَلِكَ . وَإِلْجَاءُ الظّهْرِ إلَيْهِ سُبْحَانَهُ يَتَضَمّنُ قُوّةَ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَالثّقَةَ بِهِ وَالسّكُونَ إلَيْهِ وَالتّوَكّلَ عَلَيْهِ فَإِنّ مَنْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ لَمْ يَخَفْ السّقُوطَ . وَلَمّا كَانَ لِلْقَلْبِ قُوّتَانِ قُوّةُ الطّلَبِ وَهِيَ الرّغْبَةُ وَقُوّةُ الْهَرَبِ وَهِيَ الرّهْبَةُ وَكَانَ الْعَبْدُ طَالِبًا لِمَصَالِحِهِ هَارِبًا مِنْ مَضَارّهِ جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ فِي هَذَا التّفْوِيضِ وَالتّوَجّهِ فَقَالَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْك ثُمّ أَثْنَى عَلَى رَبّهِ بِأَنّهُ لَا مَلْجَأَ لِلْعَبْدِ سِوَاهُ وَلَا مَنْجَا لَهُ مِنْهُ غَيْرُهُ فَهُوَ الّذِي يَلْجَأُ إلَيْهِ الْعَبْدُ لِيُنَجّيَهُ مِنْ نَفْسِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِك وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِك وَأَعُوذُ بِكَ مِنْك فَهُوَ سُبْحَانَهُ الّذِي يُعِيذُ عَبْدَهُ وَيُنَجّيهِ مِنْ بَأْسِهِ الّذِي هُوَ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ [ص ٢٢٥] الْإِعَانَةُ وَمِنْهُ مَا يَطْلُبُ النّجَاةَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ الِالْتِجَاءُ فِي النّجَاةِ فَهُوَ الّذِي يُلْجَأُ إلَيْهِ فِي أَنْ يُنْجِيَ مِمّا مِنْهُ وَيُسْتَعَاذُ بِهِ مِمّا مِنْهُ فَهُوَ رَبّ كُلّ شَيْءٍ وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إلّا بِمَشِيئَتِهِ { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ } [سُورَةِ الْأَنْعَامِ الْآيَةِ ١٧] { قُلْ مَنْ ذَا الّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً } [سُورَةِ الْأَحْزَابِ الْآيَةِ ١٧] ثُمّ خَتَمَ الدّعَاءَ بِالْإِقْرَارِ بِالْإِيمَانِ بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ الّذِي هُوَ مَلَاكُ النّجَاةِ وَالْفَوْزِ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَهَذَا هَدْيُهُ فِي نَوْمِهِ .

لَوْ لَمْ يَقُلْ إنّي رَسُولٌ لَكَا نَ شَاهِدٌ فِي هَدْيِهِ يَنْطِقُ

فَصْلٌ [هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْيَقَظَةِ]

وَأَمّا هَدْيُهُ فِي يَقَظَتِهِ فَكَانَ يَسْتَيْقِظُ إذَا صَاحَ الصّارِخُ وَهُوَ الدّيكُ فَيَحْمَدُ اللّهَ تَعَالَى وَيُكَبّرُهُ وَيُهَلّلُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمّ يَسْتَاكُ ثُمّ يَقُومُ إلَى وُضُوئِهِ ثُمّ يَقِفُ لِلصّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْ رَبّهِ مُنَاجِيًا لَهُ بِكَلَامِهِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ رَاجِيًا لَهُ رَاغِبًا رَاهِبًا فَأَيّ حِفْظٍ لِصِحّةِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالرّوحِ وَالْقُوَى وَلِنَعِيمِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَوْقَ هَذَا .
زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٤١٩)
فَصْلٌ فِيمَا يَقُولُهُ مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُهُ
صَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الرّؤْيَا الصّالِحَةُ مِنْ اللّهِ وَالْحُلُمُ مِنْ الشّيْطَانِ ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا يَكْرَهُ مِنْهَا شَيْئًا ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَتَعَوّذْ بِاَللّهِ مِنْ الشّيْطَانِ فَإِنّهَا لَا تَضُرّهُ وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا . وَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيَسْتَبْشِرْ وَلَا يُخْبِرْ بِهَا إلّا مَنْ يُحِبّ وَ أَمَرَ مَنْ رَأَى مَا يَكْرَهُهُ أَنْ يَتَحَوّلَ عَنْ جَنْبِهِ الّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلّيَ فَأَمَرَهُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ أَنْ يَنْفُثَ عَنْ يَسَارِهِ وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِاَللّهِ مِنْ الشّيْطَانِ وَأَنْ لَا يُخْبِرَ بِهَا أَحَدًا ، وَأَنْ يَتَحَوّلَ عَنْ جَنْبِهِ الّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَأَنْ يَقُومَ يُصَلّي ، وَمَتَى فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ تَضُرّهُ الرّؤْيَا الْمَكْرُوهَةُ بَلْ هَذَا يَدْفَعُ شَرّهَا . وَقَالَ الرّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبّرْ ، فَإِذَا عُبّرَتْ وَقَعَتْ وَلَا يَقُصّهَا إلّا عَلَى وَادّ أَوْ ذِي رَأْيٍ [ص ٤٢٠] وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ إذَا قُصّتْ عَلَيْهِ الرّؤْيَا ، قَالَ اللّهُمّ إنْ كَانَ خَيْرًا فَلَنَا ، وَإِنْ كَانَ شَرّا ، فَلِعَدُوّنَا وَيُذْكَرُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ رُؤْيَا ، فَلْيَقُلْ لِمَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ خَيْرًا وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ لِلرّائِي قَبْلَ أَنْ يَعْبُرَهَا لَهُ خَيْرًا رَأَيْتَ ، ثُمّ يَعْبُرُهَا . وَذَكَرَ عَبْدُ الرّزّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَيّوبَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ إذَا أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ رُؤْيَا ، قَالَ إنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ يَكُونُ كَذَا وَكَذَا
١ـ كان ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة، وكان فراشه أدمًا حشوه ليف، وكذا وسادته.
٢ـ ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه.
٣ـ وكان ينام أول الليل ويقوم آخره، وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين.
٤ـ وكان إذا عرَّس بليل اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه.
٥ـ وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ، وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه.
٦ـ وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: ((باسمك اللهم أحيا وأموت)) [خ]، وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، وكان يقرأ فيهما: المعوذتين والإخلاص، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. [خ].
٧ـ وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده تحت خَدِّه الأيمن، ثم يقول: ((اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك)) [صحيح أبي داود]. وقال لبعض أصحابه: ((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت،

وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن آخر كلامك، فإن مِتَّ من ليلتك مِتَّ على الفطرة)) [ق].

٨ـ وكان إذا قام من الليل قال: ((اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) [م].

٩ـ وكان إذا انتبه من نومه قال: ((الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور))، ويتسوك، وربما قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران، [ق].

١٠ـ وكان يستيقظ إذا صاح الصارخ - وهو الديك -؛ فيحمد الله ويكبره ويهلله ويدعوه.

هَدْيُهُ □

١١ـ وقال: ((الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئًا، فلينفث عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من الشيطان؛ فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا، وإن رأى رؤيا حسنة، فليستبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب)) [ق]، وأمر من رأى ما يكره أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يصلي.

٣٣. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في النِّكَاح والْمُعَاشَرَةَ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٤١٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَذْكَارِ النّكَاحِ

ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ عَلّمَهُمْ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ الْحَمْدُ لِلّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَلَا مُضِلّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمّ يَقْرَأُ الْآيَاتِ الثّلَاثَ { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنّ إلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عِمْرَانَ ١٠٢] ، { يَا أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النّسَاءِ ١] { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الْأَحْزَابِ ٧٠ - ٧١] . [ص ٤١٦] قَالَ شُعْبَةُ : قُلْت لِأَبِي إسْحَاقَ هَذِهِ فِي خُطْبَةِ النّكَاحِ أَوْ فِي غَيْرِهَا ؟ قَالَ فِي كُلّ حَاجَةٍ . وَقَالَ إذَا أَفَادَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ خَادِمًا ، أَوْ دَابّةً فَلْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا ، وَلْيَدْعُ اللّهَ بِالْبَرَكَةِ وَيُسَمّي اللّهَ عَزّ وَجَلّ وَلْيَقُلْ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُك خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهَا وَشَرّ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ وَكَانَ يَقُولُ لِلْمُتَزَوّجِ بَارَكَ اللّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْك وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ . [ص ٤١٧] وَقَالَ لَوْ أَنّ أَحَدَكُمْ إذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ ، قَالَ بِسْمِ اللّهِ اللّهُمّ جَنّبْنَا الشّيْطَانَ وَجَنّبْ الشّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَإِنّهُ إنْ يُقَدّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢٢٨)

فَصْلٌ هَدْيُهُ [صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْجِمَاعِ]

[مَقَاصِدُ الْجِمَاعِ]

وَأَمّا الْجِمَاعُ وَالْبَاهُ فَكَانَ هَدْيُهُ فِيهِ أَكْمَلَ هَدْيٍ يُحْفَظُ بِهِ الصّحّةُ وَتَتِمّ بِهِ اللّذّةُ وَسُرُورُ النّفْسِ وَيَحْصُلُ بِهِ مَقَاصِدُهُ الّتِي وُضِعَ لِأَجْلِهَا فَإِنّ الْجِمَاعَ وُضِعَ فِي الْأَصْلِ لِثَلَاثَةِ أُمُورٍ هِيَ مَقَاصِدُهُ الْأَصْلِيّةُ أَحَدُهَا : حِفْظُ النّسْلِ وَدَوَامُ النّوْعِ إلَى أَنْ تَتَكَامَلَ الْعُدّةُ الّتِي قَدّرَ اللّهُ بُرُوزَهَا إلَى هَذَا الْعَالَمِ . الثّانِي . إخْرَاجُ الْمَاءِ الّذِي يَضُرّ احْتِبَاسُهُ وَاحْتِقَانُهُ بِجُمْلَةِ الْبَدَنِ . الثّالِثُ قَضَاءُ الْوَطَرِ وَنَيْلُ اللّذّةِ وَالتّمَتّعُ بِالنّعْمَةِ وَهَذِهِ وَحْدَهَا هِيَ الْفَائِدَةُ الّتِي فِي الْجَنّةِ إذْ لَا تَنَاسُلَ هُنَاكَ وَلَا احْتِقَانَ يَسْتَفْرِغُهُ الْإِنْزَالُ .
[الْجِمَاعُ مِنْ أَسْبَابِ الصّحّةِ]
وَفُضَلَاءُ الْأَطِبّاءِ يَرَوْنَ أَنّ الْجِمَاعَ مِنْ أَحَدِ أَسْبَابِ حِفْظِ الصّحّةِ . قَالَ جالينوس : الْغَالِبُ عَلَى جَوْهَرِ الْمَنِيّ النّارُ وَالْهَوَاءُ وَمِزَاجُهُ حَارّ رَطْبٌ لِأَنّ كَوْنَهُ مِنْ الدّمِ الصّافِي الّذِي تَغْتَذِي بِهِ الْأَعْضَاءُ الْأَصْلِيّةُ وَإِذَا ثَبَتَ فَضْلُ الْمَنِيّ فَاعْلَمْ أَنّهُ لَا يَنْبَغِي إخْرَاجُهُ إلّا فِي طَلَبِ النّسْلِ أَوْ إخْرَاجُ الْمُحْتَقِنِ مِنْهُ فَإِنّهُ إذَا دَامَ احْتِقَانُهُ أَحْدَثَ أَمْرَاضًا رَدِيئَةً مِنْهَا : الْوَسْوَاسُ وَالْجُنُونُ وَالصّرَعُ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَقَدْ يُبْرِئُ اسْتِعْمَالُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ كَثِيرًا فَإِنّهُ إذَا طَالَ احْتِبَاسُهُ فَسَدَ وَاسْتَحَالَ إلَى كَيْفِيّةٍ سُمّيّةٍ تُوجِبُ أَمْرَاضًا رَدِيئَةً كَمَا ذَكَرْنَا وَلِذَلِكَ تَدْفَعُهُ الطّبِيعَةُ بِالِاحْتِلَامِ إذَا كَثُرَ عِنْدَهَا مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ . وَقَالَ بَعْضُ السّلَفِ يَنْبَغِي لِلرّجُلِ أَنْ يَتَعَاهَدَ مِنْ نَفْسِهِ ثَلَاثًا : أَنْ لَا يَدَعَ الْمَشْيَ فَإِنْ احْتَاجَ إلَيْهِ يَوْمًا قَدَرَ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَدَعَ الْأَكْلَ فَإِنّ أَمْعَاءَهُ تَضِيقُ وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَدَعَ الْجِمَاعَ فَإِنّ الْبِئْرَ إذَا لَمْ تُنْزَحْ ذَهَبَ مَاؤُهَا . وَقَالَ مُحَمّدُ بْنُ زَكَرِيّا : مَنْ تَرَكَ الْجِمَاعَ مُدّةً طَوِيلَةً ضَعُفَتْ قُوَى أَعْصَابِهِ وَانْسَدّتْ مَجَارِيهَا وَتَقَلّصَ ذَكَرُهُ . قَالَ وَرَأَيْتُ جَمَاعَةً تَرَكُوهُ لِنَوْعٍ مِنْ التّقَشّفِ فَبَرُدَتْ [ص ٢٢٩]
[مَنَافِعُهُ]
[مَحَبّتُهُ لَهُ]
وَمِنْ مَنَافِعِهِ غَضّ الْبَصَرِ وَكَفّ النّفْسِ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْعِفّةِ عَنْ الْحَرَامِ وَتَحْصِيلُ ذَلِكَ لِلْمَرْأَةِ فَهُوَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَيَنْفَعُ الْمَرْأَةَ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَعَاهَدُهُ وَيُحِبّهُ وَيَقُولُ حُبّبَ إلَيّ مِنْ دُنْيَاكُمْ : النّسَاءُ وَالطّيبُ وَفِي كِتَابِ " الزّهْدِ " لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ زِيَادَةٌ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَصْبِرُ عَنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَلَا أَصْبِرُ عَنْهُنّ
[الْحَثّ عَلَى الزّوَاجِ]
وَحَثّ عَلَى التّزْوِيجِ أُمّتَهُ فَقَالَ تَزَوّجُوا فَإِنّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ . وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ : خَيْرُ هَذِهِ الْأُمّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً وَقَالَ إنّي أَتَزَوّجُ النّسَاءَ وَأَنَامُ وَأَقُومُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي . وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الشّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ فَإِنّهُ أَغَضّ لِلْبَصَرِ وَأَحْفَظُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصّوْمِ فَإِنّهُ لَهُ وِجَاءٌ [ص ٢٣٠]
وَلَمّا تَزَوّجَ جَابِرٌ ثَيّبًا قَالَ لَهُ هَلّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " : مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللّهَ طَاهِرًا مُطَهّرًا فَلْيَتَزَوّجْ الْحَرَائِرَ وَفِي " سُنَنِهِ " أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ يَرْفَعُهُ قَالَ لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابّيْنِ مِثْلَ النّكَاحِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الدّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدّنْيَا الْمَرْأَةُ الصّالِحَةُ . وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُحَرّضُ أُمّتَهُ عَلَى نِكَاحِ الْأَبْكَارِ الْحِسَانِ وَذَوَاتِ الدّينِ

وَفِي " سُنَنِ النّسَائِيّ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيّ النّسَاءِ خَيْرٌ ؟ [ص ٢٣١] قَالَ الّتِي تَسُرّهُ إذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْهُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ

[الْحَثّ عَلَى نِكَاحِ الْوَلُودِ]

وَكَانَ يُحِثّ عَلَى نِكَاحِ الْوَلُودِ وَيَكْرَهُ الْمَرْأَةَ الّتِي لَا تَلِدُ كَمَا فِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنّ رَجُلًا جَاءَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ إنّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوّجُهَا ؟ قَالَ " لَا " ثُمّ أَتَاهُ الثّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمّ أَتَاهُ الثّالِثَةَ فَقَالَ تَزَوّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْهُ مَرْفُوعًا : أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : النّكَاحُ وَالسّوَاكُ وَالتّعَطّرُ وَالْحِنّاءُ رُوِيَ فِي " الْجَامِعِ " بِالنّونِ وَالْيَاءِ وَسَمِعْت أَبَا الْحَجّاجِ الْحَافِظَ يَقُولُ الصّوَابُ أَنّهُ الْخِتَانُ وَسَقَطَتْ النّونُ مِنْ الْحَاشِيَةِ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْمَحَامِلِيّ عَنْ شَيْخِ أَبِي عِيسَى التّرْمِذِيّ .

[أُمُورٌ تَتَعَلّقُ بِمَا قَبْلَ الْجِمَاعِ]

وَمِمّا يَنْبَغِي تَقْدِيمُهُ عَلَى الْجِمَاعِ مُلَاعَبَةُ الْمَرْأَةِ وَتَقْبِيلُهَا وَمَصّ [ص ٢٣٢] وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُلَاعِبُ أَهْلَهُ وَيُقَبّلُهَا . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُقَبّلُ عَائِشَةَ وَيَمُصّ لِسَانَهَا . وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْمُوَاقَعَةِ قَبْلَ الْمُلَاعَبَةِ .

[الْغُسْلُ مِنْ الْجِمَاعِ]

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رُبّمَا جَامَعَ نِسَاءَهُ كُلّهُنّ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ وَرُبّمَا اغْتَسَلَ عِنْدَ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنّ فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ أَنَسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَافَ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ فَاغْتَسَلَ عِنْدَ كُلّ امْرَأَةٍ مِنْهُنّ غُسْلًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ لَوْ اغْتَسَلْت غُسْلًا وَاحِدًا فَقَالَ هَذَا أَزْكَى وَأَطْهَرُ وَأَطْيَبُ وَشُرِعَ لِلْمُجَامِعِ إذَا أَرَادَ الْعَوْدَ قَبْلَ الْغَسْلِ الْوُضُوءُ بَيْنَ الْجِمَاعَيْنِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضّأْ

[مَنَافِعُ الْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ بَعْدَ الْوَطْءِ]

وَفِي الْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ بَعْدَ الْوَطْءِ مِنْ النّشَاطِ وَطِيبِ النّفْسِ وَإِخْلَافِ بَعْضِ مَا تَحَلّلَ بِالْجِمَاعِ وَكَمَالِ الطّهْرِ وَالنّظَافَةِ وَاجْتِمَاعِ الْحَارّ الْغَرِيزِيّ إلَى [ص ٢٣٣] دَاخِلِ الْبَدَنِ بَعْدَ انْتِشَارِهِ بِالْجِمَاعِ وَحُصُولِ النّظَافَةِ الّتِي يُحِبّهَا اللّهُ وَيَبْغَضُ خِلَافَهَا مَا هُوَ مِنْ أَحْسَنِ التّدْبِيرِ فِي الْجِمَاعِ وَحِفْظِ الصّحّةِ وَالْقُوَى فِيهِ .

فَصْلٌ وَقْتُهُ

وَأَنْفَعُ الْجِمَاعِ : مَا حَصَلَ بَعْدَ الْهَضْمِ وَعِنْدَ اعْتِدَالِ الْبَدَنِ فِي حَرّهِ وَبَرْدِهِ وَيُبُوسَتِهِ وَرُطُوبَتِهِ وَخَلَائِهِ وَامْتِلَائِهِ . وَضَرَرُهُ عِنْدَ امْتِلَاءِ الْبَدَنِ أَسْهَلُ وَأَقَلّ مِنْ ضَرَرِهِ عِنْدَ خُلُوّهِ وَكَذَلِكَ ضَرَرُهُ عِنْدَ كَثْرَةِ الرّطُوبَةِ أَقَلّ مِنْهُ عِنْدَ الْيُبُوسَةِ وَعِنْدَ حَرَارَتِهِ أَقَلّ مِنْهُ عِنْدَ بُرُودَتِهِ وَإِنّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُجَامِعَ إذَا اشْتَدّتْ الشّهْوَةُ وَحَصَلَ الِانْتِشَارُ التّامّ الّذِي لَيْسَ

عَنْ تَكَلُّفٍ وَلَا فِكْرٍ فِي صُورَةٍ وَلَا نَظَرٍ مُتَتَابِعٍ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدْعِيَ شَهْوَةَ الْجِمَاعِ وَيَتَكَلَّفَهَا وَيَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا وَلْيُبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا هَاجَتْ بِهِ كَثْرَةُ الْمَنِيِّ وَاشْتَدَّ شَبَقُهُ

[التَّحْذِيرُ مِنْ جِمَاعِ الْعَجُوزِ وَالصَّغِيرَةِ]

وَلْيَحْذَرْ جِمَاعَ الْعَجُوزِ وَالصَّغِيرَةِ الَّتِي لَا يُوطَأُ مِثْلُهَا وَالَّتِي لَا شَهْوَةَ لَهَا وَالْمَرِيضَةِ وَالْقَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ وَالْبَغِيضَةِ فَوَطْءُ هَؤُلَاءِ يُوهِنُ الْقُوَى وَيُضْعِفُ الْجِمَاعَ بِالْخَاصِّيَّةِ .

[جِمَاعُ الثَّيِّبِ]

وَغَلِطَ مَنْ قَالَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ إِنَّ جِمَاعَ الثَّيِّبِ أَنْفَعُ مِنْ جِمَاعِ الْبِكْرِ وَأَحْفَظُ لِلصِّحَّةِ وَهَذَا مِنَ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ حَتَّى رُبَّمَا حَذَّرَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ عُقَلَاءُ النَّاسِ وَلِمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الطَّبِيعَةُ وَالشَّرِيعَةُ .

[أَسْبَابُ التَّرْغِيبِ بِالْبِكْرِ]

وَفِي جِمَاعِ الْبِكْرِ مِنَ الْخَاصِّيَّةِ وَكَمَالِ التَّعَلُّقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُجَامِعِهَا وَامْتِلَاءِ قَلْبِهَا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَدَمِ تَقْسِيمِ هَوَاهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مَا لَيْسَ لِلثَّيِّبِ . وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرٍ هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ أَنَّهُنَّ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أَحَدٌ قَبْلَ مَنْ جُعِلْنَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِشَجَرَةٍ قَدْ أُرْتِعَ فِيهَا وَشَجَرَةٍ لَمْ يُرْتَعْ فِيهَا فَفِي أَيِّهِمَا كُنْت تُرْتِعُ بَعِيرَك ؟ قَالَ فِي الَّتِي لَمْ يُرْتَعْ فِيهَا [ص ٢٣٤] وَجِمَاعُ الْمَرْأَةِ الْمَحْبُوبَةِ فِي النَّفْسِ يَقِلُّ إِضْعَافُهُ لِلْبَدَنِ مَعَ كَثْرَةِ اسْتِفْرَاغِهِ لِلْمَنِيِّ وَجِمَاعُ الْبَغِيضَةِ يُحِلُّ الْبَدَنَ وَيُوهِنُ الْقُوَى مَعَ قِلَّةِ اسْتِفْرَاغِهِ وَجِمَاعُ الْحَائِضِ حَرَامٌ طَبْعًا وَشَرْعًا فَإِنَّهُ مُضِرٌّ جِدًّا وَالْأَطِبَّاءُ قَاطِبَةً تُحَذِّرُ مِنْهُ .

[أَحْسَنُ أَشْكَالِهِ]

وَأَحْسَنُ أَشْكَالِ الْجِمَاعِ أَنْ يَعْلُوَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ مُسْتَفْرِشًا لَهَا بَعْدَ الْمُلَاعَبَةِ وَالْقُبْلَةِ وَبِهَذَا سُمِّيَتْ الْمَرْأَةُ فِرَاشًا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَهَذَا مِنْ تَمَامِ قَوَّامِيَّةِ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ } [النِّسَاءِ ٣٤] وَكَمَا قِيلَ

إِذَا رُمْتُهَا كَانَتْ فِرَاشًا يُقِلُّنِي

وَعِنْدَ فَرَاغِي خَادِمٌ يَتَمَلَّقُ

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ } [الْبَقَرَةِ ١٨٧] وَأَكْمَلُ اللِّبَاسِ وَأَسْبَغُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَإِنَّ فِرَاشَ الرَّجُلِ لِبَاسٌ لَهُ وَكَذَلِكَ لِحَافُ الْمَرْأَةِ لِبَاسٌ لَهَا فَهَذَا الشَّكْلُ الْفَاضِلُ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَبِهِ يَحْسُنُ مَوْقِعُ اسْتِعَارَةِ اللِّبَاسِ مِنْ كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لِلْآخَرِ . وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّهَا تَنْعَطِفُ عَلَيْهِ أَحْيَانًا فَتَكُونُ عَلَيْهِ كَاللِّبَاسِ قَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا

تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا

[أَرْدَأُ أَشْكَالِهِ]

وَأَرْدَأُ أَشْكَالِهِ أَنْ تَعْلُوَهُ الْمَرْأَةُ وَيُجَامِعَهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ خِلَافُ الشَّكْلِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ بَلْ نَوْعَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَفِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَنَّ الْمَنِيَّ يَتَعَسَّرُ خُرُوجُهُ كُلُّهُ فَرُبَّمَا بَقِيَ فِي الْعُضْوِ مِنْهُ فَيَتَعَفَّنُ وَيَفْسُدُ فَيَضُرُّ وَأَيْضًا : فَرُبَّمَا سَالَ إِلَى

الذّكَرِ رُطُوبَاتٌ مِنْ الْفَرْجِ وَأَيْضًا فَإِنّ الرّحِمَ لَـا [ص ٢٣٥] كَانَتْ فَاعِلَةٌ خَالَفَتْ مُقْتَضَى الطّبْعِ وَالشّرْعِ . وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ إنّمَا يَأْتُونَ النّسَاءَ عَلَى جُنُوبِهِنّ عَلَى حَرْفٍ وَيَقُولُونَ هُوَ أَيْسَرُ لِلْمَرْأَةِ . وَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ تَشْرَحُ النّسَاءَ عَلَى أَقْفَائِهِنّ فَعَابَتْ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ } [الْبَقَرَةِ ٢٢٣] . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ إذَا أَتَى الرّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ } وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ إنْ شَاءَ مُجَبّيَةً وَإِنْ شَاءَ غَيْرَ مُجَبّيَةٍ غَيْرَ أَنّ ذَلِكَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ " وَالْمُجَبّيَةُ الْمُنْكَبّةُ عَلَى وَجْهِهَا وَالصّمَامُ الْوَاحِدُ الْفَرْجُ وَهُوَ مَوْضِعُ الْحَرْثِ وَالْوَلَدِ .

١- صح عنه أنه قال: ((حَبب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة))، [صحيح النسائي]، وقال: ((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج)) [ق]، وقال: ((تزوَّجوا الوَدُودَ الوَلُودَ)) [صحيح أبي داود].

٢- وكانت سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة، وحسن الخلق، وكان يقول: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)) [صحيح الترمذي].

٣- وكان إذا هويت إحداهن شيئًا لا محذور فيه تابعها عليه، وكان يُسَرِّب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان يتكئ في حجرها ويقرأ القرآن، ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضًا، وكان يأمرها فتتزر ثم يباشرها.

٤- وكان إذا صلى العصر دار على نسائه؛ فدنا منهن واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النَّوبة فَخَصَّهَا بالليل.

٥- وكان يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة، وكان ربما مَدَّ يده إلى بعض نسائه في حضرة باقيهن.

٦- وكان يأتي أهله آخر الليل وأوله، وإذا جامع أول الليل فكان ربما اغتسل ونام، وربما توضأ ونام، وكان قد أُعطي قوة ثلاثينَ في الجماع وغيره، وقال: ((ملعون من أتى المرأة في دبرها)) [صحيح أبي داود]، وقال: ((لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا؛ فإنه إن يُقدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره شيطان أبدًا)) [ق].

٧- وقال: ((إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادمًا أو دابة فليأخذ بناصيتها وليَدْعُ اللّه بالبركة ويسمي الله عز وجل، وليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جُبلَتْ عليه، وأعوذ بك من شَرِّهَا وَشَرِّ ما جُبِلَتْ عليه)) [صحيح أبي داود].

٨- وكان يقول للمتزوج: ((بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما على خير)) [صحيح أبي داود].

٩- وكان إذا أراد سفرًا أَقْرَعَ بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، ولم يقض للبواقي شيئًا.

١٠- ولم يكن من هديه الاعتناءُ بالمساكن وتشييدها وَتَعْلِيَتِهَا وزخرفتِها وتوسيعها.

١١- وطلَّق صلى الله عليه وسلم وراجع، وآلى إيلاء مؤقتًا بشهر، ولم يظاهر أبدًا

٣٤. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في السَّلَامِ والِاسْتِئْذَانِ

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي السّلَامِ وَالِاسْتِئْذَانِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ
ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ أَفْضَلَ الْإِسْلَامِ وَخَيْرَهُ إطْعَامُ الطّعَامِ وَأَنْ تَقْرَأَ السّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِف . وَفِيهِمَا أَنّ آدَمَ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ لَمّا خَلَقَهُ اللّهُ قَالَ لَهُ اذْهَبْ إلَى أُولَئِكَ النّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فَسَلّمْ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمِعْ مَا يُحَيّونَكَ بِهِ فَإِنّهَا تَحِيّتُكَ وَتَحِيّةُ ذُرّيّتِكَ فَقَالَ السّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا : السّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّهِ فَزَادُوهُ " وَرَحْمَةُ اللّهِ . وَفِيهِمَا أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ بِإِفْشَاءِ السّلَامِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنّهُمْ إذَا أَفْشَوْا السّلَامَ بَيْنَهُمْ تَحَابّوا ، وَأَنّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّى يُؤْمِنُوا ، وَلَا يُؤْمِنُونَ حَتّى يَتَحَابّوا . وَقَالَ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " قَالَ عَمّارٌ ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ [ص ٣٧٢]
[فَضَائِلُ الْإِنْصَافِ]
وَقَدْ تَضَمّنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أُصُولَ الْخَيْرِ وَفُرُوعَهُ فَإِنّ الْإِنْصَافَ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَدَاءَ حُقُوقِ اللّهِ كَامِلَةً مُوَفّرَةً وَأَدَاءِ حُقُوقِ النّاسِ كَذَلِكَ وَأَنْ لَا يُطَالِبَهُمْ بِمَا لَيْسَ لَهُ وَلَا يُحَمّلَهُمْ فَوْقَ وُسْعِهِمْ وَيُعَامِلَهُمْ بِمَا يُحِبّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ وَيُعْفِيَهُمْ مِمّا يُحِبّ أَنْ يُعْفُوهُ مِنْهُ وَيَحْكُمَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهَا ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا إنْصَافُهُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ فَلَا يَدّعِي لَهَا مَا لَيْسَ لَهَا ، وَلَا يُخْبِثُهَا بِتَدْنِيسِهِ لَهَا ، وَتَصْغِيرِهِ إيّاهَا ، وَتَحْقِيرِهَا بِمَعَاصِي اللّهِ وَيُنَمّيهَا وَيُكَبّرُهَا وَيَرْفَعُهَا بِطَاعَةِ اللّه وَتَوْحِيدِهِ وَحُبّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَالتّوَكّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ وَمُحَابّهِ عَلَى مَرَاضِي الْخَلْقِ وَمُحَابّهِمْ وَلَا يَكُونُ بِهَا مَعَ الْخَلْقِ وَلَا مَعَ اللّهِ بَلْ يَعْزِلُهَا مِنْ الْبَيْنِ كَمَا عَزَلَهَا اللّهُ وَيَكُونُ بِاَللّهِ لَا بِنَفْسِهِ فِي حُبّهِ وَبُغْضِهِ وَعَطَائِهِ وَمَنْعِهِ وَكَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ فَيُنْجِي نَفْسَهُ مِنْ الْبَيْنِ وَلَا يَرَى لَهَا مَكَانَةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا ، فَيَكُونُ مِمّنْ ذَمّهُمْ اللّهُ بِقَوْلِهِ { اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ } [الْأَنْعَامُ ١٣٥] فَالْعَبْدُ الْمَحْضُ لَيْسَ لَهُ مَكَانَةٌ يَعْمَلُ عَلَيْهَا ، فَإِنّهُ مُسْتَحَقّ الْمَنَافِعِ وَالْأَعْمَالِ لِسَيّدِهِ وَنَفْسُهُ مِلْكٌ لِسَيّدِهِ فَهُوَ عَامِلٌ عَلَى أَنْ يُؤَدّيَ إلَى سَيّدِهِ [ص ٣٧٣] مَكَانَةٌ أَصْلًا ، بَلْ قَدْ كُوتِبَ عَلَى حُقُوقٍ مُنَجّمَةٍ كُلّمَا أَدّى نَجْمًا حَلّ عَلَيْهِ نَجْمٌ آخَرُ وَلَا يَزَالُ الْمُكَاتَبُ عَبْدًا مَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ نُجُومِ الْكِتَابَةِ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ إنْصَافَهُ مِنْ نَفْسِهِ يُوجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةَ رَبّهِ وَحَقّهُ عَلَيْهِ وَمَعْرِفَةَ نَفْسِهِ وَمَا خُلِقَتْ لَهُ وَأَنْ لَا يُزَاحِمَ بِهَا مَالِكَهَا ، وَفَاطِرَهَا وَيَدّعِي لَهَا الْمَلَكَةَ وَالِاسْتِحْقَاقَ وَيُزَاحِمُ مُرَادَ سَيّدِهِ وَيَدْفَعَهُ بِمُرَادِهِ هُوَ أَوْ يُقَدّمُهُ وَيُؤْثِرَهُ عَلَيْهِ أَوْ يَقْسِمُ إرَادَتَهُ بَيْنَ مُرَادِ سَيّدِهِ وَمُرَادِهِ وَهِيَ قِسْمَةٌ ضِيزَى ، مِثْلَ قِسْمَةِ الّذِينَ قَالُوا : { هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الْأَنْعَامُ ١٣٦] . [ص ٣٧٤] فَكَيْفَ يَطْلُبُ الْإِنْصَافَ مِمّنْ وَصْفُهُ الظّلْمُ وَالْجَهْلُ ؟ وَكَيْفَ يُنْصِفُ الْخَلْقَ مَنْ لَمْ يُنْصِفْ الْخَالِقَ ؟ كَمَا فِي أَثَرٍ إلَهِيّ يَقُولُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ ابْنَ آدَمَ مَا أَنْصَفْتَنِي ، خَيْرِي إلَيْكَ نَازِلٌ وَشَرّكَ إلَيّ صَاعِدٌ كَمْ أَتَحَبّبُ إلَيْكَ بِالنّعَمِ وَأَنَا غَنِيّ عَنْكَ وَكَمْ تَتَبَغّضُ إلَيّ بِالْمَعَاصِي وَأَنْتَ فَقِيرٌ إلَيّ وَلَا يَزَالُ الْمَلَكُ الْكَرِيمُ يَعْرُجُ إلَيّ مِنْكَ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ .
وَفِي أَثَرٍ آخَرَ ابْنَ آدَمَ مَا أَنْصَفْتَنِي ، خَلَقْتُكَ وَتَعْبُدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُكَ وَتَشْكُرُ سِوَايَ . ثُمّ

كَيْفَ يُنْصِفُ غَيْرَهُ مَنْ لَمْ يُنْصِفْ نَفْسَهُ وَظَلَمَهَا أَقْبَحَ الظُّلْمِ وَسَعَى فِي ضَرَرِهَا أَعْظَمَ السَّعْيِ وَمَنَعَهَا أَعْظَمَ لَذَّاتِهَا مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يُعْطِيهَا إيَّاهَا ، فَأَتْعَبَهَا كُلَّ التَّعَبِ وَأَشْقَاهَا كُلَّ الشَّقَاءِ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يُرِيحُهَا وَيُسْعِدُهَا ، وَجَدَّ كُلَّ الْجِدِّ فِي حِرْمَانِهَا حَظَّهَا مِنْ اللَّهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُنِيلُهَا حُظُوظَهَا ، وَدَسَّاهَا كُلَّ التَّدْسِيَةِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُكَبِّرُهَا وَيُنَمِّيهَا ، وَحَقَّرَهَا كُلَّ التَّحْقِيرِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُعَظِّمُهَا ، فَكَيْفَ يُرْجَى الْإِنْصَافُ مِمَّنْ هَذَا إنْصَافُهُ لِنَفْسِهِ ؟ إذَا كَانَ هَذَا فِعْلَ الْعَبْدِ بِنَفْسِهِ فَمَاذَا تَرَاهُ بِالْأَجَانِبِ يَفْعَلُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ قَوْلَ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِك ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالِمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ كَلَامٌ جَامِعٌ لِأُصُولِ الْخَيْرِ وَفُرُوعِهِ .

[بَذْلُ السَّلَامِ]

وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالِمِ يَتَضَمَّنُ تَوَاضُعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَتَكَبَّرُ عَلَى أَحَدٍ ، بَلْ يَبْذُلُ السَّلَامَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَمَنْ يَعْرِفُهُ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَالْمُتَكَبِّرُ [ص ٣٧٥] فَكَيْفَ يَبْذُلُ السَّلَامَ لِكُلِّ أَحَدٍ .

[الْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ]

وَأَمَّا الْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ فَلَا يَصْدُرُ إلَّا عَنْ قُوَّةِ ثِقَةٍ بِاَللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهُ مَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ قُوَّةِ يَقِينٍ وَتَوَكُّلٍ وَرَحْمَةٍ وَزُهْدٍ فِي الدُّنْيَا ، وَسَخَاءِ نَفْسٍ بِهَا ، وَوُثُوقٍ بِوَعْدِ مَنْ وَعَدَهُ ١ـ كان من هَديه السلام عند المجيء إلى القوم، والسلام عند الانصراف عنهم، وأمر بإفشاء السلام.

٢ـ وقال: ((يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير)) [ق].

٣ـ وكان يبدأ من لقيه بالسلام، وإذا سَلَّمَ عليه أحدٌ رَدَّ عليه مثلها أو أحسن على الفور إلا لعذر؛ مثل: الصلاة أو قضاء الحاجة.

٤ـ وكان يقول في الابتداء: ((السلام عليكم ورحمة الله))، ويكره أن يقول المبتدئ: عليك السلام، وكان يرد على المُسَلِّمِ: ((وعليك السلام)) بالواو.

٥ـ وكان من هَديه انتهاء السلام إلى وبركاته.

٦ـ وكان من هَديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد أن يسلم ثلاثًا.

٧ـ وكان من هَديه أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد ثم يجيء فيسلم على القوم.

٨ـ ولم يكن يرد السلام بيده ولا برأسه ولا بإصبعه إلا في الصلاة؛ فإنه رد فيها بالإشارة.

٩ـ ومر بصبيان فسلم عليهم، ومر بنسوة فسلَّم عليهن [صحيح الترمذي]، وكان الصحابة ينصرفون من الجمعة فيمرون على عجوز في طريقهم، فيسلمون عليها(١).

١٠ـ وكان يُحَمِّل السلام للغائب ويتحمل السلام، وإذا بلغه أحدٌ السلام عن غيره أن يرد عليه وعلى المبلِّغ.

١١ـ وكان يترك السلام ابتداءً وَرَدًّا على من أحدث حتى يتوب.

١٢- وكان لا يبتدئ اليهود والنصارى بالسلام، وإذا سلموا عليه رد بـ: ((وعليكم))، وَمَرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فسلم عليهم [م]، وكتب إلى هرقل وغيره: ((والسلام على من اتبع الهدى)) [صحيح الترمذي].
١٣- وقيل له: الرجل يلقى أخاه أينحني له؟ قال: ((لا))، قيل: أيلتزمه ويقبله؟ قال: ((لا))، قيل: أيصافحه؟ قال: ((نعم)) [صحيح الترمذي].
١٤- ولم يكن ليفجأ أهله بغتة يتخونهم، ولكن كان يدخل على أهله على علم منهم بدخوله، وكان يسلم عليهم، وكان إذا دخل بدأ بالسؤال، أو سأل عنهم.
١٥- وكان إذا دخل على أهله بالليل سَلَّمَ تسليمًا يُسمع اليقظان ولا يُوقظ النائم [م].
١٦- وكان من هَدْيُهُ أن المستأذن إذا قيل له: من أنت؟ يقول: فلان بن فلان، أو يذكر كنيته أو لقبه، ولا يقول: أنا.
١٧- وكان إذا استأذن يستأذن ثلاثًا؛ فإن لم يؤذن له ينصرف.
١٨- وكان يعلم أصحابه التسليم قبل الاستئذان.
٢٠- وكان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من رُكْنِهِ الأيمنِ أو الأيسر.
وقال: ((إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)) [ق].
....
(١) قال ابن القيم في الزاد: هذا هو الصواب في مسألة السلام على النساء؛ يسلم على العجوز وذوات المحارم دون غيرهن.
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ، وَتَكْذِيبًا بِوَعْدِ مَنْ يَعِدُهُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ .

٣٥. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في كلامهِ وَسُكُوتهِ، وفي اخْتِيار الألْفاظِ وَالأسْمَاءِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٧٥)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي كَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ وَضَحِكِهِ وَبُكَائِهِ
كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَفْصَحَ خَلْقِ اللّهِ وَأَعْذَبَهُمْ كَلَامًا وَأَسْرَعَهُمْ أَدَاءً وَأَحْلَاهُمْ مَنْطِقًا حَتّى إنّ كَلَامَهُ لَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ وَيَسْبِي الْأَرْوَاحَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ . وَكَانَ إذَا تَكَلّمَ تَكَلّمَ بِكَلَامٍ مُفَصّلٍ مُبَيّنٍ يَعُدّهُ الْعَادّ لَيْسَ بِهَذّ مُسْرِعٍ لَا يُحْفَظُ وَلَا مُنْقَطِعٍ تخللُه السّكَتَاتُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْكَلَامِ بَلْ هَدْيُهُ فِيهِ أَكْمَلُ الْهَدْيِ قَالَتْ عَائِشَةُ مَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنْ كَانَ يَتَكَلّمُ بِكَلَامٍ بَيّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إلَيْهِ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُعِيدُ الْكَلَامَ ثَلَاثًا لِيُعْقَلَ عَنْهُ وَكَانَ إذَا سَلّمَ سَلّمَ ثَلَاثًا . وَكَانَ طَوِيلَ السّكُوتِ لَا يَتَكَلّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ وَيَتَكَلّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَامِ فَصْلٌ لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ وَكَانَ لَا يَتَكَلّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ وَلَا يَتَكَلّمُ إلّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ وَإِذَا كَرِهَ الشّيْءَ عُرِفَ فِي وَجْهِهِ وَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحّشًا وَلَا صَخّابًا . وَكَانَ جُلّ ضَحِكِهِ التّبَسّمُ بَلْ كُلّهُ التّبَسّمُ فَكَانَ نِهَايَةُ ضَحِكِهِ أَنْ تَبْدُوَ نَوَاجِذُهُ . وَكَانَ يَضْحَكُ مِمّا يَضْحَكُ مِنْهُ وَهُوَ مِمّا يُتَعَجّبُ مِنْ مِثْلِهِ وَيُسْتَغْرَبُ وُقُوعُهُ وَيُسْتَنْدَرُ . أَسْبَابُ الضّحِكِ وَلِلضّحِكِ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ هَذَا أَحَدُهَا . وَالثّانِي : ضَحِكُ الْفَرَحِ وَهُوَ أَنْ [ص ١٧٦] أَغْضَبَهُ وَعَدَمِ اكْتِرَاثِهِ بِهِ .
[بُكَاؤُهُ]

صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَمّا بُكَاؤُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ كَمَا لَمْ يَكُنْ ضَحِكُهُ بِقَهْقَهَةٍ وَلَكِنْ كَانَتْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتّى تُهْمَلَا وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ . وَكَانَ بُكَاؤُهُ تَارَةً رَحْمَةً لِلْمَيّتِ وَتَارَةً خَوْفًا عَلَى أُمّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهَا وَتَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَهُوَ بُكَاءُ اشْتِيَاقٍ وَمَحَبّةٍ وَإِجْلَالٍ مُصَاحِبٌ لِلْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ . وَلَمّا مَاتَ ابْنُهُ إبْرَاهِيمُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى رَحْمَةً لَهُ وَقَالَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إلّا مَا يُرْضِي رَبّنَا وَإِنّا بِكَ يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ وَبَكَى لَمّا شَاهَدَ إحْدَى بَنَاتِهِ وَنَفْسُهَا تَفِيضُ وَبَكَى لَمّا قَرَأَ عَلَيْهِ ابْنُ مَسْعُودٍ سُورَةَ (النّسَاءِ وَانْتَهَى فِيهَا إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النّسَاءُ ٤١] وَبَكَى لَمّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَبَكَى لَمّا كَسَفَتْ الشّمْسُ وَصَلّى صَلَاةَ الْكُسُوفِ وَجَعَلَ يَبْكِي فِي صَلَاتِهِ وَجَعَلَ يَنْفُخُ وَيَقُولُ رَبّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلّا تُعَذّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ [ص ١٧٧] وَكَانَ يَبْكِي أَحْيَانًا فِي صَلَاةِ اللّيْلِ .

[أَنْوَاعُ الْبُكَاءِ]

وَالْبُكَاءُ أَنْوَاعٌ . أَحَدُهَا : بُكَاءُ الرّحْمَةِ وَالرّقّةِ . وَالثّانِي : بُكَاءُ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ . وَالثّالِثُ بُكَاءُ الْمَحَبّةِ وَالشّوْقِ . وَالرّابِعُ بُكَاءُ الْفَرَحِ وَالسّرُورِ . وَالْخَامِسُ بُكَاءُ الْجَزَعِ مِنْ وُرُودِ الْمُؤْلِمِ وَعَدَمِ احْتِمَالِهِ . وَالسّادِسُ بُكَاءُ الْحُزْنِ .

[الْفَرْقُ بَيْنَ بُكَاءِ الْحُزْنِ وَبُكَاءِ الْخَوْفِ]

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُكَاءِ الْخَوْفِ أَنّ بُكَاءَ الْحُزْنِ يَكُونُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ أَوْ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ وَبُكَاءُ الْخَوْفِ يَكُونُ لِمَا يُتَوَقّعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ ذَلِكَ وَالْفَرْقُ بَيْنَ بُكَاءِ السّرُورِ وَالْفَرَحِ وَبُكَاءِ الْحُزْنِ أَنّ دَمْعَةَ السّرُورِ بَارِدَةٌ وَالْقَلْبُ فَرْحَانُ وَدَمْعَةُ الْحُزْنِ حَارّةٌ وَالْقَلْبُ حَزِينٌ وَلِهَذَا يُقَالُ لِمَا يُفْرَحُ بِهِ هُوَ قُرّةُ عَيْنٍ وَأَقَرّ اللّهُ بِهِ عَيْنَهُ وَلِمَا يُحْزِنُ هُوَ سَخِينَةُ الْعَيْنِ وَأَسْخَنَ اللّهُ عَيْنَهُ بِهِ . وَالسّابِعُ بُكَاءُ الْخَوَرِ وَالضّعْفِ . [ص ١٧٨] أَقْسَى النّاسِ قَلْبًا . وَالتّاسِعُ الْبُكَاءُ الْمُسْتَعَارُ وَالْمُسْتَأْجَرُ عَلَيْهِ كَبُكَاءِ النّائِحَةِ بِالْأُجْرَةِ فَإِنّهَا كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ : تَبِيعُ عَبْرَتَهَا وَتَبْكِي شَجْوَ غَيْرِهَا وَالْعَاشِرُ بُكَاءُ الْمُوَافَقَةِ وَهُوَ أَنْ يَرَى الرّجُلُ النّاسَ يَبْكُونَ لِأَمْرٍ وَرَدَ عَلَيْهِمْ فَيَبْكِي مَعَهُمْ وَلَا يَدْرِي لِأَيّ شَيْءٍ يَبْكُونَ وَلَكِنْ يَرَاهُمْ يَبْكُونَ فَيَبْكِي .

[هَيْئَاتُ الْبُكَاءِ]

وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دَمْعًا بِلَا صَوْتٍ فَهُوَ بُكًى مَقْصُورٌ وَمَا كَانَ مَعَهُ صَوْتٌ فَهُوَ بُكَاءٌ مَمْدُودٌ عَلَى بِنَاءِ الْأَصْوَاتِ . وَقَالَ الشّاعِرُ

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقّ لَهَا بُكَاهَا

وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

وَمَا كَانَ مِنْهُ مُسْتَدْعًى مُتَكَلّفًا فَهُوَ التّبَاكِي وَهُوَ نَوْعَانِ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ فَالْمَحْمُودُ أَنْ يُسْتَجْلَبَ لِرِقّةِ الْقَلْبِ وَلِخَشْيَةِ اللّهِ لَا لِلرّيَاءِ وَالسّمْعَةِ . وَالْمَذْمُومُ أَنْ يُجْتَلَبَ لِأَجْلِ الْخَلْقِ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ رَآهُ يَبْكِي هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي شَأْنِ أَسَارَى بَدْرٍ : أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيك يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْت وَإِنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْت لِبُكَائِكُمَا وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السّلَفِ ابْكُوا مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا .

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي خُطْبَتِهِ
[ص ١٧٩] خَطَبَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْمِنْبَرِ وَعَلَى الْبَعِيرِ وَعَلَى النّاقَةِ . وَكَانَ إذَا خَطَبَ احْمَرّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدّ غَضَبُهُ حَتّى كَأَنّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبّحَكُمْ وَمَسّاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيُقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السّبّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمّا بَعْدُ فَإِنّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللّه وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمّدٍ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَشَرّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكَانَ لَا يَخْطُبُ خُطْبَةً إلّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللّهِ . وَأَمّا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ إنّهُ يَفْتَتِحُ خُطْبَةَ الِاسْتِسْقَاءِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَخُطْبَةَ الْعِيدَيْنِ بِالتّكْبِيرِ فَلَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ سُنّةٌ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْبَتّةَ وَسُنّتُهُ تَقْتَضِي خِلَافَهُ وَهُوَ افْتِتَاحُ جَمِيعِ الْخُطَبِ ب الْحَمْدِ لِلّهِ وَهُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الثّلَاثَةِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ وَهُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِنَا قَدّسَ اللّهُ سِرّهُ . وَكَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا وَفِي مَرَاسِيلِ عَطَاءٍ وَغَيْرِهِ أَنّهُ كَانَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى النّاسِ ثُمّ قَالَ السّلَامُ عَلَيْكُمْ قَالَ الشّعْبِيّ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ . وَكَانَ يَخْتِمُ خُطْبَتَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَكَانَ كَثِيرًا يَخْطُبُ [ص ١٨٠] صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أُمّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ قَالَتْ : مَا أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إلّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَؤُهَا كُلّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إذَا خَطَبَ النّاسَ وَذَكَرَ أَبُو دَاود عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنّ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ إذَا تَشَهّدَ قَالَ : الْحَمْدُ لِلّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَلَا مُضِلّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ السّاعَةِ مَنْ يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنّهُ لَا يَضُرّ إلّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرّ اللّهَ شَيْئًا وَقَالَ أَبُو [ص ١٨١] يُونُسَ أَنّهُ سَأَلَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ تَشَهّدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا إلّا أَنّهُ قَالَ : وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَبَلَغَنَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقُولُ إذَا خَطَبَ : كُلّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ وَلَا يُعَجّلُ اللّهُ لِعَجَلَةِ أَحَدٍ وَلَا يُخِفّ لِأَمْرِ النّاسِ مَا شَاءَ اللّهُ لَا مَا شَاءَ النّاسُ يُرِيدُ اللّهُ شَيْئًا وَيُرِيدُ النّاسُ شَيْئًا مَا شَاءَ اللّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النّاسُ وَلَا مُبْعِدَ لِمَا قَرّبَ اللّهُ وَلَا مُقَرّبَ لِمَا بَعّدَ اللّهُ وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إلّا بِإِذْنِ اللّه وَكَانَ مَدَارُ خُطَبِهِ عَلَى حَمْدِ اللّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ بِآلَائِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَمَحَامِدِهِ وَتَعْلِيمِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَذِكْرِ الْجَنّةِ وَالنّارِ وَالْمَعَادِ وَالْأَمْرِ بِتَقْوَى اللّهِ وَتَبْيِينِ مَوَارِدِ غَضَبِهِ وَمَوَاقِعِ رِضَاهُ فَعَلَى هَذَا كَانَ مَدَارُ خُطَبِهِ . وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطَبِهِ : أَيّهَا النّاسُ إنّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا - أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا - كُلّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدّدُوا وَأَبْشِرُوا وَكَانَ يَخْطُبُ فِي كُلّ وَقْتٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَاجَةُ الْمُخَاطَبِينَ وَمَصْلَحَتُهُمْ وَلَمْ [ص ١٨٢] وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ كُلّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَاوِيشٌ يَخْرُجُ بَيْنَ يَدَيْهِ إذَا خَرَجَ مِنْ حُجْرَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ يَلْبَسُ لِبَاسَ الْخُطَبَاءِ الْيَوْمَ لَا طُرْحَةً وَلَا زِيقًا وَاسِعًا .
[صِفَةُ مِنْبَرِهِ] صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ
وَكَانَ مِنْبَرُهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ فَإِذَا اسْتَوَى عَلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ النّاسَ أَخَذَ الْمُؤَذّنُ فِي الْأَذَانِ فَقَطْ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ فَإِذَا أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِشَيْءٍ الْبَتّةَ لَا مُؤَذّنٌ وَلَا غَيْرُهُ .
[التّوَكّؤُ عَلَى الْعَصَا]

وَكَانَ إذَا قَامَ يَخْطُبُ أَخَذَ عَصًا فَتَوَكّأَ عَلَيْهَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ كَذَا ذَكَرَهُ عَنْهُ أَبُو دَاود عَنْ ابْنِ شِهَابٍ . وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الثّلَاثَةُ بَعْدَهُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَكَانَ أَحْيَانًا يَتَوَكّأُ عَلَى قَوْسٍ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنّهُ تَوَكّأَ عَلَى سَيْفٍ وَكَثِيرٌ مِنْ الْجَهَلَةِ [ص ١٨٣] كَانَ يَمْسِكُ السّيْفَ عَلَى الْمِنْبَرِ إشَارَةً إلَى أَنّ الدّينَ إنّمَا قَامَ بِالسّيْفِ وَهَذَا جَهْلٌ قَبِيحٌ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّ الْمَحْفُوظَ أَنّهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَوَكّأَ عَلَى الْعَصَا وَعَلَى الْقَوْسِ . الثّانِي : أَنّ الدّينَ إنّمَا قَامَ بِالْوَحْيِ وَأَمّا السّيْفُ فَلِمَحْقِ أَهْلِ الضّلَالِ وَالشّرْكِ وَمَدِينَةُ النّبِيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّتِي كَانَ يَخْطُبُ فِيهَا إنّمَا فُتِحَتْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ تُفْتَحْ بِالسّيْفِ . وَكَانَ إذَا عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ عَارِضٌ اشْتَغَلَ بِهِ ثُمّ رَجَعَ إلَى خُطْبَتِهِ وَكَانَ يَخْطُبُ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْنِ أَحْمَرَيْنِ فَقَطَعَ كَلَامَهُ فَنَزَلَ فَحَمَلَهُمَا ثُمّ عَادَ إلَى مِنْبَرِهِ ثُمّ قَالَ صَدَقَ اللّهُ الْعَظِيمُ { إنّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } [الْأَنْفَالُ ٢٨] رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتّى قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا وَجَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيّ وَهُوَ يَخْطُبُ فَجَلَسَ فَقَالَ لَهُ : قُمْ يَا سُلَيْكُ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوّزْ فِيهِما ثُمّ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ إذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَلْيَتَجوّزْ فِيهِمَا [ص ١٨٤]

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٢٠)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حِفْظِ الْمَنْطِقِ وَاخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ

كَانَ يَتَخَيّرُ فِي خِطَابِهِ وَيَخْتَارُ لِأُمّتِهِ أَحْسَنَ الْأَلْفَاظِ وَأَجْمَلَهَا ، وَأَلْطَفَهَا ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفُحْشِ فَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحّشًا وَلَا [ص ٣٢١] وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ اللّفْظُ الشّرِيفُ الْمَصُونُ فِي حَقّ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ وَأَنْ يُسْتَعْمَلَ اللّفْظُ الْمَهِينُ الْمَكْرُوهُ فِي حَقّ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ .

[كَرَاهَةُ اسْتِعْمَالِ اللّفْظِ الشّرِيفِ فِي حَقّ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ]

فَمِنْ الْأَوّلِ مَنْعُهُ أَنْ يُقَالَ لِلْمُنَافِقِ " يَا سَيّدَنَا " وَقَالَ فَإِنّهُ إنْ يَكُ سَيّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبّكُمْ عَزّ وَجَلّ وَمَنْعُهُ أَنْ تُسَمّى شَجَرَةُ الْعِنَبِ كَرْمًا ، وَمَنْعُهُ تَسْمِيَةَ أَبِي جَهْلٍ بِأَبِي الْحَكَمِ وَكَذَلِكَ تَغْيِيرُهُ لِاسْمِ أَبِي الْحَكَمِ مِنْ الصّحَابَةِ بِأَبِي شُرَيْحٍ وَقَالَ إنّ اللّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ وَمِنْ ذَلِكَ نَهْيُهُ لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَقُولَ لِسَيّدِهِ أَوْ لِسَيّدَتِهِ رَبّي وَرَبّتِي ، وَلِلسّيّدِ أَنْ يَقُولَ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي ، وَلَكِنْ يَقُولُ الْمَالِكُ فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَيَقُولُ الْمَمْلُوكُ سَيّدِي وَسَيّدَتِي ، وَقَالَ لِمَنْ ادّعَى أَنّهُ طَبِيبٌ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ ، وَطَبِيبُهَا الّذِي خَلَقَهَا وَالْجَاهِلُونَ يُسَمّونَ الْكَافِرَ الّذِي لَهُ عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْ الطّبِيعَةِ حَكِيمًا ، وَهُوَ مِنْ أَسْفَهِ الْخَلْقِ . [ص ٣٢٢] قَالَ مَنْ يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللّهُ ثُمّ مَا شَاءَ فُلَانٌ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا شَاءَ اللّهُ وَشِئْتَ فَقَال : أَجَعَلْتَنِي لِلّهِ نِدّا ؟ قُلْ مَا شَاءَ اللّهُ وَحْدَه وَفِي مَعْنَى هَذَا الشّرْكِ الْمَنْهِيّ عَنْهُ قَوْلُ مَنْ لَا يَتَوَقّى الشّرْكَ أَنَا بِاَللّهِ وَبِكَ وَأَنَا فِي حَسْبِ اللّهِ وَحَسْبِكَ وَمَا لِي إلّا اللّهُ وَأَنْتَ وَأَنَا مُتَوَكّلٌ عَلَى اللّهِ وَعَلَيْك ، وَهَذَا مِنْ اللّهِ وَمِنْك ، وَاَللّهُ لِي فِي السّمَاءِ وَأَنْت لِي فِي الْأَرْضِ وَوَاَللّهِ وَحَيَاتِك ، وَأَمْثَالُ هَذَا مِنْ الْأَلْفَاظِ الّتِي يَجْعَلُ فِيهَا قَائِلُهَا الْمَخْلُوقَ نِدّا لِلْخَالِقِ وَهِيَ أَشَدّ مَنْعًا وَقُبْحًا مِنْ قَوْلِهِ مَا شَاءَ اللّهُ وَشِئْتَ . فَأَمّا إذَا قَالَ أَنَا بِاَللّهِ ثُمّ بِك ، وَمَا شَاءَ اللّهُ ثُمّ شِئْت ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ

الثَّلَاثَةِ لَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إلَّا بِاَللَّهِ ثُمَّ بِك وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ الْإِذْنُ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ . [ص ٣٢٣]

فَصْلٌ [كَرَاهَةُ إطْلَاقِ أَلْفَاظِ الذَّمِّ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا]

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي وَهُوَ أَنْ تُطْلَقَ أَلْفَاظُ الذَّمِّ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، فَمِثْلُ نَهْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ وَقَالَ إنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ فَيَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فِي هَذَا ثَلَاثُ مَفَاسِدَ عَظِيمَةٌ . إحْدَاهَا : سَبُّهُ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَبَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلْقٌ مُسَخَّرٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ مُذَلَّلٌ لِتَسْخِيرِهِ فَسَابُّهُ أَوْلَى بِالذَّمِّ وَالسَّبِّ مِنْهُ . الثَّانِيَةُ أَنَّ سَبَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلشِّرْكِ فَإِنَّهُ إنَّمَا سَبَّهُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ظَالِمٌ قَدْ ضَرَّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرَرَ وَأَعْطَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَطَاءَ وَرَفَعَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الرِّفْعَةَ وَحَرَمَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْحِرْمَانَ وَهُوَ عِنْدَ شَاتِمِيهِ مِنْ أَظْلَمِ الظَّلَمَةِ وَأَشْعَارُ هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ الْخَوَنَةِ فِي سَبِّهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا . وَكَثِيرٌ مِنْ الْجُهَّالِ يُصَرِّحُ بِلَعْنِهِ وَتَقْبِيحِهِ . [ص ٣٢٤] الثَّالِثَةُ أَنَّ السَّبَّ مِنْهُمْ إنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ فِيهَا أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَإِذَا وَقَعَتْ أَهْوَاؤُهُمْ حَمِدُوا الدَّهْرَ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ . وَفِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَرَبُّ الدَّهْرِ تَعَالَى هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ ، وَالدَّهْرُ لَيْسَ لَهُ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ فَمَسَبَّتُهُمْ لِلدَّهْرِ مَسَبَّةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِهَذَا كَانَتْ مُؤْذِيَةً لِلرَّبِّ تَعَالَى ، كَمَا فِي " الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ فَسَابُّ الدَّهْرِ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا . إمَّا سَبُّهُ لِلَّهِ أَوْ الشِّرْكُ بِهِ فَإِنَّهُ إذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِك وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ . وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ فَيَقُولُ بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ وَلَكِنْ لِيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ إنَّ الْعَبْدَ إذَا لَعَنَ الشَّيْطَانَ يَقُولُ : إنَّك لَتَلْعَنُ مُلْعَنًا وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ أَخْزَى اللَّهُ الشَّيْطَانَ وَقَبَّحَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يُفْرِحُهُ وَيَقُولُ عَلِمَ ابْنُ آدَمَ أَنِّي قَدْ نِلْته بِقُوَّتِي ، وَذَلِك مِمَّا يُعِينُهُ عَلَى إغْوَائِهِ وَلَا يُفِيدُهُ شَيْئًا ، فَأَرْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَسَّهُ شَيْءٌ مِنْ الشَّيْطَانِ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيَذْكُرَ اسْمَهُ وَيَسْتَعِيذَ بِاَللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ وَأَغْيَظُ لِلشَّيْطَانِ . [ص ٣٢٥]

فَصْلٌ

مِنْ ذَلِكَ " نَهْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ خَبُثَتْ نَفْسِي ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي " وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ أَيْ غَثَتْ نَفْسِي ، وَسَاءَ خُلُقُهَا ، فَكَرِهَ لَهُمْ لَفْظَ الْخُبْثِ لِمَا فِيهِ مِنْ الْقُبْحِ وَالشَّنَاعَةِ وَأَرْشَدَهُمْ إلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ وَهِجْرَانِ الْقَبِيحِ وَإِبْدَالِ اللَّفْظِ الْمَكْرُوهِ بِأَحْسَنَ مِنْهُ .

[النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ " لَوْ أَنِّي فَعَلْت كَذَا] "

وَمِنْ ذَلِكَ نَهْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَمْرِ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَ إنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ وَأَرْشَدَهُ إلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ لَوْ كُنْتُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، لَمْ يَفُتْنِي مَا

فَاتَنِي ، أَوْ لَمْ أَقَعْ فِيمَا وَقَعْتُ فِيهِ كَلَامٌ لَا يُجْدِي عَلَيْهِ فَائِدَةً الْبَتَّةَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقْبِلٍ لِمَا اسْتَدْبَرَ مِنْ أَمْرِهِ وَغَيْرُ مُسْتَقِيلٍ عَثْرَتَهُ ب " لَوْ " وَفِي ضِمْنِ " لَوْ " ادِّعَاءُ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَمَا قَدَّرَهُ فِي نَفْسِهِ لَكَانَ غَيْرَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَقَدَّرَهُ وَشَاءَهُ فَإِنَّ مَا وَقَعَ مِمَّا يَتَمَنَّى خِلَافَهُ إِنَّمَا وَقَعَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَإِذَا قَالَ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا ، لَكَانَ خِلَافُ مَا وَقَعَ فَهُوَ مُحَالٌ إِذْ خِلَافُ الْمُقَدَّرِ الْمَقْضِيِّ مُحَالٌ فَقَدْ تَضَمَّنَ كَلَامُهُ كَذِبًا وَجَهْلًا وَمُحَالًا ، وَإِنْ سَلِمَ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْقَدَرِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ مُعَارَضَتِهِ بِقَوْلِهِ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا ، لَدَفَعْتُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ . [ص ٣٢٦] فَإِنْ قِيلَ لَيْسَ فِي هَذَا رَدٌّ لِلْقَدَرِ وَلَا جَحْدٌ لَهُ إِذْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الَّتِي تَمَنَّاهَا أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ فَهُوَ يَقُولُ لَوْ وُفِّقْتُ لِهَذَا الْقَدَرِ لَانْدَفَعَ بِهِ عَنِّي ذَلِكَ الْقَدَرُ فَإِنَّ الْقَدَرَ يُدْفَعُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ كَمَا يُدْفَعُ قَدَرُ الْمَرَضِ بِالدَّوَاءِ وَقَدَرُ الذُّنُوبِ بِالتَّوْبَةِ وَقَدَرُ الْعَدُوِّ بِالْجِهَادِ فَكِلَاهُمَا مِنَ الْقَدَرِ . قِيلَ هَذَا حَقٌّ ، وَلَكِنْ هَذَا يَنْفَعُ قَبْلَ وُقُوعِ الْقَدَرِ الْمَكْرُوهِ وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى دَفْعِهِ أَوْ تَخْفِيفِهِ بِقَدَرٍ آخَرَ فَهُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْ قَوْلِهِ لَوْ كُنْتُ فَعَلْته ، بَلْ وَظِيفَتُهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يَسْتَقْبِلَ فِعْلَهُ الَّذِي يُدْفَعُ بِهِ أَوْ يُخَفِّفُ أَثَرُ مَا وَقَعَ وَلَا يَتَمَنَّى مَا لَا مَطْمَعَ فِي وُقُوعِهِ فَإِنَّهُ عَجْزٌ مَحْضٌ وَاللَّهُ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَيُحِبُّ الْكَيْسَ وَيَأْمُرُ بِهِ وَالْكَيْسُ هُوَ مُبَاشَرَةُ الْأَسْبَابِ الَّتِي رَبَطَ اللَّهُ بِهَا مُسَبَّبَاتِهَا النَّافِعَةَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ فَهَذِهِ تَفْتَحُ عَمَلَ الْخَيْرِ وَأَمَّا الْعَجْزُ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ إِذَا عَجَزَ عَمَّا يَنْفَعُهُ وَصَارَ إِلَى الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ بِقَوْلِهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَوْ فَعَلْتُ كَذَا ، يَفْتَحُ عَلَيْهِ عَمَلَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّ بَابَهُ الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ وَلِهَذَا اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا ، وَهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ وَيَصْدُرُ عَنْهُمَا الْهَمُّ ، وَالْحَزَنُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ وَضَلَعُ الدَّيْنِ وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ فَمَصْدَرُهَا كُلِّهَا عَنِ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَعُنْوَانُهَا " لَوْ " فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ " لَوْ " تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ فَالْمُتَمَنِّي مِنْ أَعْجَزِ النَّاسِ وَأَفْلَسِهِمْ فَإِنَّ التَّمَنِّيَ رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ وَالْعَجْزَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . وَأَصْلُ الْمَعَاصِي كُلِّهَا الْعَجْزُ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَعْجِزُ عَنْ أَسْبَابِ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُبْعِدُهُ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فَيَقَعُ فِي الْمَعَاصِي ، فَجَمَعَ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ فِي اسْتِعَاذَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُصُولَ الشَّرِّ وَفُرُوعَهُ وَمَبَادِيهِ وَغَايَاتِهِ وَمَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى ثَمَانِي خِصَالٍ كُلُّ خَصْلَتَيْنِ مِنْهَا قَرِينَتَانِ فَقَالَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَهُمَا قَرِينَانِ فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْوَارِدَ [ص ٣٢٧] يَكُونُ سَبَبُهُ أَمْرًا مَاضِيًا ، فَهُوَ يُحْدِثُ الْحُزْنَ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَوَقُّعَ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ فَهُوَ يُحْدِثُ الْهَمَّ وَكِلَاهُمَا مِنَ الْعَجْزِ فَإِنَّ مَا مَضَى لَا يُدْفَعُ بِالْحُزْنِ بَلْ بِالرِّضَى ، وَالْحَمْدِ وَالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَقَوْلِ الْعَبْدِ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ . وَمَا يُسْتَقْبَلُ لَا يُدْفَعُ أَيْضًا بِالْهَمِّ بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ فَلَا يَعْجِزُ عَنْهُ وَإِمَّا أَنْ لَا تَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ فَلَا يَجْزَعُ مِنْهُ وَيَلْبَسُ لَهُ لِبَاسَهُ وَيَأْخُذُ لَهُ عُدَّتَهُ وَيَتَأَهَّبُ لَهُ أُهْبَتَهُ اللَّائِقَةَ بِهِ وَيَسْتَجِنُّ بِجُنَّةٍ حَصِينَةٍ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ تَعَالَى ، وَالِاسْتِسْلَامِ لَهُ وَالرِّضَى بِهِ رَبًّا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَرْضَى بِهِ رَبًّا فِيمَا يُحِبُّ دُونَ مَا يَكْرَهُ فَإِذَا كَانَ هَكَذَا ، لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ فَلَا يَرْضَاهُ الرَّبُّ لَهُ عَبْدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ لَا يَنْفَعَانِ الْعَبْدَ الْبَتَّةَ بَلْ مَضَرَّتُهُمَا أَكْثَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِمَا ، فَإِنَّهُمَا يُضْعِفَانِ الْعَزْمَ وَيُوهِنَانِ الْقَلْبَ وَيَحُولَانِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الِاجْتِهَادِ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَقْطَعَانِ عَلَيْهِ طَرِيقَ السَّيْرِ أَوْ يُنَكِّسَانِهِ إِلَى وَرَاءٍ أَوْ يَعُوقَانِهِ وَيَقِفَانِهِ أَوْ يَحْجُبَانِهِ عَنِ الْعِلْمِ الَّذِي

كُلَّمَا رَآهُ شَمَّرَ إِلَيْهِ وَجَدَّ فِي سَيْرِهِ فَهُمَا حِمْلٌ ثَقِيلٌ عَلَى ظَهْرِ السَّائِرِ بَلْ إِنْ عَاقَهُ الْهَمّ وَالْحُزْنُ عَنْ شَهَوَاتِهِ وَإِرَادَاتِهِ الَّتِي تَضُرُّهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ انْتَفَعَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ أَنْ سَلَّطَ هَذَيْنِ الْجُنْدَيْنِ عَلَى الْقُلُوبِ الْمُعْرِضَةِ عَنْهُ الْفَارِغَةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ [ص ٣٢٨] أُرِيدَ بِهَا الْخَيْرُ كَانَ حَظُّهَا مِنْ سِجْنِ الْجَحِيمِ فِي مَعَادِهَا ، وَلَا تَزَالُ فِي هَذَا السِّجْنِ حَتَّى تَتَخَلَّصَ إِلَى فَضَاءِ التَّوْحِيدِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَالْأُنْسِ بِهِ وَجَعْلِ مَحَبَّتِهِ فِي مَحِلِّ دَبِيبِ خَوَاطِرِ الْقَلْبِ وَوَسَاوِسِهِ بِحَيْثُ يَكُونُ ذِكْرُهُ تَعَالَى وَحُبُّهُ وَخَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ وَالْفَرَحُ بِهِ وَالِابْتِهَاجُ بِذِكْرِهِ هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْقَلْبِ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الَّذِي مَتَى فَقَدَهُ فَقَدَ قُوتَهُ الَّذِي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ وَلَا بَقَاءَ لَهُ بِدُونِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى خَلَاصِ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الْآلَامِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَمْرَاضِهِ وَأَفْسَدُهَا لَهُ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا بَلَاغَ إِلَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ لَا يُوصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ وَلَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ وَلَا يَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَّا هُوَ وَإِذَا أَرَادَ عَبْدَهُ لِأَمْرٍ هَيَّأَهُ لَهُ فَمِنْهُ الْإِيجَادُ وَمِنْهُ الْإِعْدَامُ وَمِنْهُ الْإِمْدَادُ وَإِذَا أَقَامَهُ فِي مَقَامٍ أَيِّ مَقَامٍ كَانَ فَبِحَمْدِهِ أَقَامَهُ فِيهِ وَبِحِكْمَتِهِ أَقَامَهُ فِيهِ وَلَا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُ وَلَا يَصْلُحُ لَهُ سِوَاهُ وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ وَلَا يَمْنَعُ عَبْدَهُ حَقًّا هُوَ لِلْعَبْدِ فَيَكُونُ بِمَنْعِهِ ظَالِمًا لَهُ بَلْ إِنَّمَا مَنَعَهُ لِيَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِمَحَابِّهِ لِيَعْبُدَهُ وَلِيَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَيَتَذَلَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتَمَلَّقَهُ وَيُعْطِي فَقْرُهُ إِلَيْهِ حَقَّهُ بِحَيْثُ يَشْهَدُ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فَاقَةً تَامَّةً إِلَيْهِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَنْفَاسِ وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْهُ الْعَبْدُ فَلَمْ يَمْنَعْ الرَّبُّ عَبْدَهُ مَا الْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ بُخْلًا مِنْهُ وَلَا نَقْصًا مِنْ خَزَائِنِهِ وَلَا اسْتِئْثَارًا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ حَقٌّ لِلْعَبْدِ بَلْ مَنَعَهُ لِيَرُدَّهُ إِلَيْهِ وَلِيُعِزَّهُ بِالتَّذَلُّلِ لَهُ وَلِيُغْنِيَهُ بِالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ وَلِيَجْبُرَهُ بِالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِيُذِيقَهُ بِمَرَارَةِ الْمَنْعِ حَلَاوَةَ الْخُضُوعِ لَهُ وَلَذَّةَ الْفَقْرِ إِلَيْهِ وَلِيُلْبِسَهُ خِلْعَةَ الْعُبُودِيَّةِ وَيُوَلِّيهِ بِعَزْلِهِ أَشْرَفَ الْوِلَايَاتِ وَلِيُشْهِدَهُ حِكْمَتَهُ فِي قُدْرَتِهِ وَرَحْمَتَهُ فِي عِزَّتِهِ وَبِرَّهُ وَلُطْفَهُ فِي قَهْرِهِ . وَأَنَّ مَنْعَهُ عَطَاءٌ وَعَزْلَهُ تَوْلِيَةٌ . وَعُقُوبَتَهُ تَأْدِيبٌ وَامْتِحَانَهُ مَحَبَّةٌ وَعَطِيَّةٌ وَتَسْلِيطَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ سَائِقٌ يَسُوقُهُ بِهِ إِلَيْهِ . [ص ٣٢٩] وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ غَيْرُ مَا أُقِيمَ فِيهِ وَحِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ أَقَامَاهُ فِي مَقَامِهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ سِوَاهُ وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَتَخَطَّاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ مَوَاقِعَ عَطَائِهِ وَفَضْلِهِ وَ { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } [الْأَنْعَامُ ٥٣] فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَوَاقِعِ الْفَضْلِ وَمَحَالِّ التَّخْصِيصِ وَمَحَالِّ الْحِرْمَانِ فَبِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ أَعْطَى ، وَبِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ حَرَمَ فَمَنْ رَدَّهُ الْمَنْعُ إِلَى الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ وَتَمَلُّقِهِ انْقَلَبَ الْمَنْعُ فِي حَقِّهِ عَطَاءً وَمَنْ شَغَلَهُ عَطَاؤُهُ وَقَطَعَهُ عَنْهُ انْقَلَبَ الْعَطَاءُ فِي حَقِّهِ مَنْعًا ، فَكُلُّ مَا شَغَلَ الْعَبْدَ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ مَشْئُومٌ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَا رَدَّهُ إِلَيْهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ بِهِ وَالرَّبُّ تَعَالَى يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَفْعَلَ وَلَا يَقَعُ الْفِعْلُ حَتَّى يُرِيدَ سُبْحَانَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنَّا الِاسْتِقَامَةَ دَائِمًا ، وَاتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَنَا أَنَّ هَذَا الْمُرَادَ لَا يَقَعُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ إِعَانَتَنَا عَلَيْهَا وَمُشِيئَتَهُ لَنَا ، فَهُمَا إِرَادَتَانِ إِرَادَةٌ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَفْعَلَ وَإِرَادَةٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْفِعْلِ إِلَّا بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ وَلَا يَمْلِكُ مِنْهَا شَيْئًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التَّكْوِيرُ ٢٩] فَإِنْ كَانَ مَعَ الْعَبْدِ رُوحٌ أُخْرَى ، نِسْبَتُهَا إِلَى رُوحِهِ كَنِسْبَةِ رُوحِهِ إِلَى بَدَنِهِ يَسْتَدْعِي بِهَا إِرَادَةَ اللَّهِ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ فَاعِلًا ، وَإِلَّا فَمَحَلُّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْعَطَاءِ وَلَيْسَ مَعَهُ

إنَـاءٌ يُوضَـعُ فِيـهِ العَطَـاءُ فَمَـنْ جَـاءَ بِغَيْـرِ إنَـاءٍ رَجَـعَ بِالْحِرْمَـانِ وَلَـا يَلُـومَنّ إلّـا نَفْسَـهُ .
وَالمَقْصُودُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَعَاذَ مِنْ الهَمّ وَالحَزَنِ وَهُمَا قَرِينَانِ وَمِنْ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَهُمَا قَرِينَانِ فَإِنْ تَخَلّفَ كَمَالُ العَبْدِ وَصَلَاحُهُ عَنْهُ إمّا أَنْ يَكُونَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ فَهُوَ عَجْزٌ أَوْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَيْهِ لَكِنْ لَا يُرِيدُ فَهُوَ كَسَلٌ وَيَنْشَأُ عَنْ هَاتَيْنِ الصّفَتَيْنِ فَوَاتُ كُلّ خَيْرٍ وَحُصُولُ كُلّ شَرّ وَمِنْ ذَلِكَ الشّرّ تَعْطِيلُهُ عَنْ النّفْعِ بِبَدَنِهِ وَهُوَ الْجُبْنُ وَعَنْ النّفْعِ بِمَالِهِ وَهُوَ البُخْلُ ثُمّ يَنْشَأُ لَهُ بِذَلِكَ غَلَبَتَانِ . غَلَبَةٌ بِحَقّ وَهِيَ غَلَبَةُ الدّيْنِ وَغَلَبَةٌ بِبَاطِلٍ وَهِيَ غَلَبَةُ الرّجَالِ وَكُلّ هَذِهِ المَفَاسِدِ ثَمَرَةُ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصّحِيحِ لِلرّجُلِ الّذِي [ص ٣٣٠] قَضَى عَلَيْهِ فَقَالَ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ فَقَالَ : إنّ اللّهَ يَلُومُ عَلَى العَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلِ فَهَذَا قَالَ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ بَعْدَ عَجْزِهِ عَنْ الكَيْسِ الّذِي لَوْ قَامَ بِهِ لَقُضِيَ لَهُ عَلَى خَصْمِهِ فَلَوْ فَعَلَ الْأَسْبَابَ الّتِي يَكُونُ بِهَا كَيّسًا ، ثُمّ غُلِبَ فَقَالَ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ لَكَانَتْ الكَلِمَةُ قَدْ وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا ، كَمَا أَنّ إبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ ، لَمّا فَعَلَ الْأَسْبَابَ الْمَأْمُورَ بِهَا ، وَلَمْ يَعْجِزْ بِتَرْكِهَا ، وَلَا بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا ، ثُمّ غَلَبَهُ عَدُوّهُ وَأَلْقَوْهُ فِي النّارِ قَالَ فِي تِلْكَ الحَالِ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلِ فَوَقَعَتْ الكَلِمَةُ مَوْقِعَهَا ، وَاسْتَقَرّتْ فِي مَظَانّهَا ، فَأَثّرَتْ أَثَرَهَا ، وَتَرَتّبَ عَلَيْهَا مُقْتَضَاهَا .

[التّوَكّلُ]

وَكَذَلِكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ أُحُدٍ لَمّا قِيلَ لَهُمْ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنْ أُحُدٍ : إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَتَجَهّزُوا وَخَرَجُوا لِلِقَاءِ عَدُوّهِمْ وَأَعْطَوْهُمْ الكَيْسَ مِنْ نُفُوسِهِمْ ثُمّ قَالُوا : { حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ } فَأَثّرَتْ الكَلِمَةُ أَثَرَهَا ، وَاقْتَضَتْ مُوجَبَهَا ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : { وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطّلَاقُ ٢] فَجَعَلَ التّوَكّلَ بَعْدَ التّقْوَى الّذِي هُوَ قِيَامُ الْأَسْبَابِ المَأْمُورِ بِهَا ، فَحِينَئِذٍ إنْ تَوَكّلَ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَكَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ { وَاتّقُوا اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ المُؤْمِنُونَ } [المَائِدَةُ ١١] فَالتّوَكّلُ وَالحَسْبُ بِدُونِ قِيَامِ [ص ٣٣١] كَانَ مَشُوبًا بِنَوْعٍ مِنْ التّوَكّلِ فَهُوَ تَوَكّلُ عَجْزٍ فَلَا يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ تَوَكّلَهُ عَجْزًا ، وَلَا يَجْعَلَ عَجْزَهُ تَوَكّلًا ، بَلْ يَجْعَلُ تَوَكّلَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ المَأْمُورِ بِهَا الّتِي لَا يَتِمّ المَقْصُودُ إلّا بِهَا كُلّهَا . وَمِنْ هَاهُنَا غَلِطَ طَائِفَتَانِ مِنْ النّاسِ إحْدَاهُمَا : زَعَمَتْ أَنّ التّوَكّلَ وَحْدَهُ سَبَبٌ مُسْتَقِلّ كَافٍ فِي حُصُولِ المُرَادِ فَعُطّلَتْ لَهُ الْأَسْبَابُ الّتِي اقْتَضَتْهَا حِكْمَةُ اللّهِ المُوصِلَةُ إلَى مُسَبّبَاتِهَا ، فَوَقَعُوا فِي نَوْعِ تَفْرِيطٍ وَعَجْزٍ بِحَسَبِ مَا عَطّلُوا مِنْ الْأَسْبَابِ وَضَعُفَ تَوَكّلُهُمْ مِنْ حَيْثُ ظَنّوا قُوّتَهُ بِانْفِرَادِهِ عَنْ الْأَسْبَابِ فَجَمَعُوا الهَمّ كُلّهُ وَصَيّرُوهُ هَمّا وَاحِدًا ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ قُوّةٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ فَفِيهِ ضَعْفٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، فَكُلّمَا قَوِيَ جَانِبُ التّوَكّلِ بِإِفْرَادِهِ أَضْعَفَهُ التّفْرِيطُ فِي السّبَبِ الّذِي هُوَ مَحَلّ التّوَكّلِ فَإِنّ التّوَكّلَ مَحَلّهُ الْأَسْبَابُ وَكَمَالُهُ بِالتّوَكّلِ عَلَى اللّهِ فِيهَا ، وَهَذَا كَتَوَكّلِ الحَرّاثِ الّذِي شَقّ الْأَرْضَ وَأَلْقَى فِيهَا البَذْرَ فَتَوَكّلَ عَلَى اللّهِ فِي زَرْعِهِ وَإِنْبَاتِهِ فَهَذَا قَدْ أَعْطَى التّوَكّلَ حَقّهُ وَلَمْ يَضْعُفْ تَوَكّلُهُ بِتَعْطِيلِ الْأَرْضِ وَتَخْلِيَتِهَا بُورًا ، وَكَذَلِكَ تَوَكّلُ المُسَافِرِ فِي قَطْعِ المَسَافَةِ مَعَ جِدّهِ فِي السّيْرِ وَتَوَكّلُ الْأَكْيَاسِ مِنْ النّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللّهِ وَالفَوْزِ بِثَوَابِهِ مَعَ اجْتِهَادِهِمْ فِي طَاعَتِهِ فَهَذَا هُوَ التّوَكّلُ الّذِي يَتَرَتّبُ عَلَيْهِ أَثَرُهُ وَيَكُونُ اللّهُ حَسْبَ مَنْ قَامَ بِهِ . وَأَمّا تَوَكّلُ العَجْزِ

وَالتّفْرِيطِ فَلَا يَتَرَتّبُ عَلَيْهِ أَثَرُهُ وَلَيْسَ اللّهُ حَسْبَ صَاحِبِهِ فَإِنّ اللّهَ إنّمَا يَكُون حَسْبَ الْمُتَوَكّلِ عَلَيْهِ إذَا اتّقَاهُ وَتَقْوَاهُ فِعْلُ الْأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا ، لَا إضَاعَتُهَا . وَالطّائِفَةُ الثّانِيَةُ الّتِي قَامَتْ بِالْأَسْبَابِ وَرَأَتْ ارْتِبَاطَ الْمُسَبّبَاتِ بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا ، وَأَعْرَضَتْ عَنْ جَانِبِ التّوَكّلِ وَهَذِهِ الطّائِفَةُ وَإِنْ نَالَتْ بِمَا فَعَلَتْهُ مِنْ الْأَسْبَابِ مَا نَالَتْهُ فَلَيْسَ لَهَا قُوّةُ أَصْحَابِ التّوَكّلِ وَلَا عَوْنُ اللّهِ لَهُمْ وَكِفَايَتُهُ إيّاهُمْ وَدِفَاعُهُ عَنْهُمْ بَلْ هِيَ مَخْذُولَةٌ عَاجِزَةٌ بِحَسَبِ مَا فَاتَهَا مِنْ التّوَكّلِ . فَالْقُوّةُ كُلّ الْقُوّةِ فِي التّوَكّلِ عَلَى اللّهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السّلَفِ مَنْ سَرّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النّاسِ فَلْيَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَالْقُوّةُ مَضْمُونَةٌ لِلْمُتَوَكّلِ وَالْكِفَايَةُ وَالْحَسْبُ وَالدّفْعُ عَنْهُ وَإِنّمَا يَنْقُصُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَنْقُصُ مِنْ التّقْوَى وَالتّوَكّلِ وَإِلّا [ص ٣٣٢] بُدّ أَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ كُلّ مَا ضَاقَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ اللّهُ حَسْبَه وَكَافِيَهُ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْشَدَ الْعَبْدَ إلَى مَا فِيهِ غَايَةُ كَمَالِهِ وَنَيْلُ مَطْلُوبِهِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ وَيَبْذُلَ فِيهِ جَهْدَهُ وَحِينَئِذٍ يَنْفَعُهُ التّحَسّبُ وَقَوْلُ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل بِخِلَافِ مَنْ عَجَزَ وَفَرّطَ حَتّى فَاتَتْهُ مَصْلَحَتُهُ ثُمّ قَالَ حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَإِنّ اللّهَ يَلُومُهُ وَلَا يَكُونُ فِي هَذَا الْحَالِ حَسْبَه ، فَإِنّمَا هُوَ حَسْبُ مَنْ اتّقَاهُ وَتَوَكّلَ عَلَيْهِ .

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٦٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي جُلُوسِهِ وَاتّكَائِهِ

كَانَ يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْحَصِيرِ وَالْبِسَاطِ وَقَالَتْ قَيْلَةُ بِنْتُ مَخْرَمَةَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ قَالَتْ فَلَمّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَالْمُتَخَشّعِ فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ . وَلَمّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَدِيّ بْنُ حَاتِمٍ دَعَاهُ إلَى مَنْزِلِهِ فَأَلْقَتْ إلَيْهِ الْجَارِيَةُ وِسَادَةً يَجْلِسُ عَلَيْهَا فَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدِيّ وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ . قَالَ عَدِيّ : فَعَرَفْتُ أَنّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ وَكَانَ يَسْتَلْقِي أَحْيَانًا وَرُبّمَا وَضَعَ إحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَكَانَ يَتّكِئُ عَلَى الْوِسَادَةِ وَرُبّمَا اتّكَأَ عَلَى يَسَارِهِ وَرُبّمَا اتّكَأَ عَلَى يَمِينِهِ . وَكَانَ إذَا احْتَاجَ فِي خُرُوجِهِ تَوَكّأَ .

١ـ كان صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق وأعذبهم كلامًا وأسرعهم أداءً وأحلاهم منطقًا.

٢ـ وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابَهُ.

٣ـ وكان يتكلم بجوامع الكلم، وبكلام مفصلٍ يَعُدُّهُ الْعَادُّ، ليس بهَذٍّ مسرع لا يحفظ، ولا منقطع تخلله السكتات.

٤ـ وكان يتخير في خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاءِ وَالْفُحْش.

٥ـ وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف في حق من ليس كذلك، وأن يستعمل اللفظ المكروه في حق من ليس من أهله، فمنع أن يقال للمنافق: سيد، ومنع تسمية أبي جهل: بأبي الحكم، وأن يقال للسلطان: ملك الملوك أو خليفة الله.

٦ـ ونهى عن سب الدهر، وقال: ((إن الله هو الدهر)) [ق].

٧ـ وأرشد من مسه شيء من الشيطان أن يقول: باسم الله، ولا يلعنه أو يسبه ولا يقول: تعس الشيطان، ونحو ذلك.

٨- وكان يستحب الاسم الحسن، وأمر إذا أبردوا إليه بريدًا أن يكون حسن الاسم، حسن الوجه، وكان يأخذ المعاني من أسمائها، ويربط بين الاسم والمسمى.
٩- وقال: ((أحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب ومرة)) [م].
١٠- وغير اسم ((عاصية))، وقال: ((أنت جميلة))، وغير اسم ((أصرم)): بـ((زرعة))، ولما قدم المدينة واسمها ((يثرب)) غيره: بـ((طيبة)).
١١- وكان يكني أصحابه، وربما كنى الصغير، وكنى بعض نسائه.
١٢- وكان من هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم تكنية من له ولد، ومن لا ولد له، وقال: ((تسموا باسمي، ولا تكنُّوا بكنيتي)) [ق].
١٣- ونهى أن يهجر اسم العشاء ويغلب عليها اسم العتمة، ونهى عن تسمية العنب كَرْمًا، وقال: ((الكَرْمُ: قلبُ المؤمن)) [ق]، ونهى أن يقال: مطرنا بنوء كذا و: ما شاء الله وشئت، وأن يحلف بغير الله، ومن الإكثار من الحلف، وأن يقول في حلفه: هو يهودي ونحوه إن فعل كذا، وأن يقول السيد لمملوكه: عبدي وأمتي، وأن يقول الرجل: خبثت نفسي، أو تعس الشيطان، وعن قول: اللهم اغفر لي إن شئت.
١٤- ونهى عن سب الدهر، وعن سبِّ الريح، وَسَبِّ الحمى، وَسَبِّ الديك، ومن الدعاء بدعوى الجاهلية؛ كالدعاء إلى القبائل والعصبية لها، ومثل ذلك التعصب للمذهب، والطريقة والمشايخ.

٣٦. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في مَشْيِهِ وَجُلُوسِهِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٦١)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مَشْيِهِ وَحْدَهُ وَمَعَ أَصْحَابِهِ
كَانَ إذَا مَشَى تَكَفّأَ تَكَفّؤًا وَكَانَ أَسْرَعَ النّاسِ مِشْيَةً وَأَحْسَنَهَا وَأَسْكَنَهَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَأَنّ الشّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَأَنّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ وَإِنّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ وَقَالَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا مَشَى تَكَفّأَ تَكَفّؤًا كَأَنّمَا يَنْحَطّ مِنْ صَبَبٍ وَقَالَ مَرّةً إذَا مَشَى تَقَلّع قُلْت : وَالتّقَلّعُ الِارْتِفَاعُ مِنْ الْأَرْضِ بِجُمْلَتِهِ كَحَالِ الْمُنْحَطّ مِنْ الصّبَبِ وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعَزْمِ وَالْهِمّةِ وَالشّجَاعَةِ وَهِيَ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ وَأَرْوَاحُهَا لِلْأَعْضَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنْ مِشْيَةِ الْهَوَجِ وَالْمَهَانَةِ وَالتّمَاوُتِ فَإِنّ الْمَاشِيَ إمّا أَنْ يَتَمَاوَتَ فِي مَشْيِهِ وَيَمْشِيَ قِطْعَةً وَاحِدَةً كَأَنّهُ خَشَبَةٌ مَحْمُولَةٌ وَهِيَ مِشْيَةٌ مَذْمُومَةٌ قَبِيحَةٌ وَإِمّا أَنْ يَمْشِيَ بِانْزِعَاجٍ وَاضْطِرَابٍ مَشْيَ الْجَمَلِ الْأَهْوَجِ وَهِيَ مِشْيَةٌ مَذْمُومَةٌ أَيْضًا وَهِيَ دَالّةٌ عَلَى خِفّةِ عَقْلِ صَاحِبِهَا وَلَا سِيّمَا إنْ كَانَ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ حَالَ مَشْيِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَإِمّا أَنْ يَمْشِيَ هَوْنًا وَهِيَ مِشْيَةُ عِبَادِ الرّحْمَنِ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ { وَعِبَادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } [الْفُرْقَانُ : ٦٣] قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السّلَفِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ تَكَبّرٍ وَلَا تَمَاوُتٍ وَهِيَ مِشْيَةُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِنّهُ مَعَ هَذِهِ الْمِشْيَةِ كَانَ كَأَنّمَا يَنْحَطّ مِنْ صَبَبٍ وَكَأَنّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ حَتّى كَانَ الْمَاشِي مَعَهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ

وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَمْرَيْنِ أَنّ مِشْيَتَهُ لَمْ تَكُنْ مِشْيَةً بِتَمَاوُتٍ وَلَا بِمَهَانَةٍ بَلْ مِشْيَةُ أَعْدَلَ الْمَشْيَاتِ .

[أَنْوَاعُ الْمَشْيِ]

وَالْمِشْيَاتُ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ هَذِهِ الثّلَاثَةُ مِنْهَا وَالرّابِعُ السّعْيُ . وَالْخَامِسُ الرّمَلُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخُطَى وَيُسَمّى : الْخَبَبَ وَفِي الصّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ [ص ١٦٣] خَبّ فِي طَوَافِهِ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا السّادِسُ النّسَلَانُ وَهُوَ الْعَدْوُ الْخَفِيفُ الّذِي لَا يُزْعِجُ الْمَاشِيَ وَلَا يُكْرِثُهُ . وَفِي بَعْضِ الْمَسَانِيدِ أَنّ الْمُشَاةَ شَكَوْا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمَشْيِ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ اسْتَعِينُوا بِالنّسَلَانِ وَالسّابِعُ الْخَوْزَلَى وَهِيَ مِشْيَةُ التّمَايُلِ وَهِيَ مِشْيَةٌ يُقَالُ إنّ فِيهَا تَكَسّرًا وَتَخَنّثًا . وَالثّامِنُ الْقَهْقَرَى وَهِيَ الْمِشْيَةُ إلَى وَرَاءٍ . وَالتّاسِعُ الْجَمَزَى وَهِيَ مِشْيَةٌ يَثِبُ فِيهَا الْمَاشِي وَثْبًا . وَالْعَاشِرُ مِشْيَةُ التّبَخْتُرِ وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعُجْبِ وَالتّكَبّرِ وَهِيَ الّتِي خَسَفَ اللّهُ سُبْحَانَهُ بِصَاحِبِهَا لَمّا نَظَرَ فِي عِطْفَيْهِ وَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَأَعْدَلُ هَذِهِ الْمِشْيَاتِ مِشْيَةُ الْهَوْنِ وَالتّكَفّؤِ .

[مَشْيُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ]

وَأَمّا مَشْيُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَهُمْ وَيَقُولُ دَعُوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ وَكَانَ يَسُوقُ أَصْحَابَهُ . وَكَانَ يَمْشِي حَافِيًا وَمُنْتَعِلًا وَكَانَ يُمَاشِي أَصْحَابَهُ فُرَادَى وَجَمَاعَةً وَمَشَى فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ مَرّةً فَدَمِيَتْ أُصْبُعُهُ وَسَالَ مِنْهَا الدّمُ فَقَالَ

هَلْ أَنْتَ إلّا أُصْبُعٌ دَمِيَتْ
وَفِي سَبِيلِ اللّهِ مَا لَقِيت

وَكَانَ فِي السّفَرِ سَاقَةُ أَصْحَابِهِ يُزْجِي الضّعِيفَ وَيُرْدِفُهُ وَيَدْعُو لَهُمْ .

١- كان إذا مشى تَكَفَّأ تَكَفُّؤًا؛ كأنما ينحط من صبب، وكان أسرعَ الناس مشيةً وأحسنها وأسكنها.

٢- وكان يمشي حافيًا ومتنعلاً.

٣- وكان يركب الإبل والخيل، والبغال والحمير، وركب الفرس مسرجة تارة، وعريًا تارة، وكان يُرْدِفُ خلفه وأمامه.

٤- وكان يجلس على الأرض وعلى الحصير وعلى البساط.

٥- وكان يَتَّكِئُ على الوسادة، وربما اتَّكَأَ على يساره، وربما اتَّكَأَ على يمينه.

٦- وكان يجلس القرفصاء، وكان يستلقي أحيانًا، وربما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان إذا احتاج تَوَكَّأ على بعض أصحابه من الضَّعف.

٧- ونهى أن يقعد الرجلُ بين الظل والشمس.

٨- وكره لأهل المجلس أن يخلوَ مجلسُهم من ذكر الله، وقال: ((من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ..)) والترة: الحسرة. [صحيح أبي داود].

٩- وقال: ((من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك)) [صحيح الترمذي].

٣٧. هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم في الْفِطْرَةِ وَاللِّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ وَالزِّينَةِ

فَصْلٌ فِي مَلَابِسِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ
كَانَتْ لَهُ عِمَامَةٌ تُسَمّى : السّحَابَ كَسَاهَا عَلِيّا وَكَانَ يَلْبَسُهَا وَيَلْبَسُ تَحْتَهَا الْقَلَنْسُوَةَ . وَكَانَ يَلْبَسُ الْقَلَنْسُوَةَ بِغَيْرِ عِمَامَةٍ وَيَلْبَسُ الْعِمَامَةَ بِغَيْرِ قَلَنْسُوَةٍ . وَكَانَ إذَا اعْتَمّ أَرْخَى عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَفِي مُسْلِمٍ أَيْضًا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَخَلَ مَكّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ : ذُؤَابَةً فَدَلّ عَلَى أَنّ الذّؤَابَةَ لَمْ يَكُنْ [ص ١٣١] دَائِمًا بَيْنَ كَتِفَيْهِ . وَقَدْ يُقَالُ إنّهُ دَخَلَ مَكّةَ وَعَلَيْهِ أُهْبَةُ الْقِتَالِ وَالْمِغْفَرُ عَلَى رَأْسِهِ فَلَبِسَ فِي كُلّ مَوْطِنٍ مَا يُنَاسِبُهُ . وَكَانَ شَيْخُنَا أَبُو الْعَبّاسِ ابْنُ تَيْمِيّةَ قَدّسَ اللّهُ رُوحَهُ فِي الْجَنّةِ يَذْكُرُ فِي سَبَبِ الذّؤَابَةِ شَيْئًا بَدِيعًا وَهُوَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا اتّخَذَهَا صَبِيحَةَ الْمَنَامِ الّذِي رَآهُ فِي الْمَدِينَةِ لَمّا رَأَى رَبّ الْعِزّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ يَا مُحَمّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ . . . الْحَدِيثُ وَهُوَ فِي التّرْمِذِيّ وَسُئِلَ عَنْهُ الْبُخَارِيّ فَقَالَ [ص ١٣٢] قَالَ فَمِنْ تِلْكَ الْحَالِ أَرْخَى الذّؤَابَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَهَذَا مِنْ الْعِلْمِ الّذِي تُنْكِرُهُ أَلْسِنَةُ الْجُهّالِ وَقُلُوبُهُمْ وَلَمْ أَرَ هَذِهِ الْفَائِدَةَ فِي إثْبَاتِ الذّؤَابَةِ لِغَيْرِهِ . وَلَبِسَ الْقَمِيصَ وَكَانَ أَحَبّ الثّيَابِ إلَيْهِ وَكَانَ كُمّهُ إلَى الرّسْغِ وَلَبِسَ الْجُبّةَ وَالْفَرّوجَ وَهُوَ شِبْهُ الْقَبَاءِ وَالْفَرَجِيّةِ وَلَبِسَ الْقَبَاءَ أَيْضًا وَلَبِسَ فِي السّفَرِ جُبّةً ضَيّقَةَ الْكُمّيْنِ وَلَبِسَ الْإِزَارَ وَالرّدَاءَ . قَالَ الْوَاقِدِيّ : كَانَ رِدَاؤُهُ وَبُرْدُهُ طُولَ سِتّةِ أَذْرُعٍ فِي ثَلَاثَةٍ وَشِبْرٍ وَإِزَارُهُ مِنْ نَسْجِ عُمَانَ طُولَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ وَشِبْرٍ فِي عَرْضِ ذِرَاعَيْنِ وَشِبْرٍ .
[النّهْيُ عَنْ لُبْسِ الْأَحْمَرِ]
وَلُبْسِ حُلّةٍ حَمْرَاءَ وَالْحُلّةُ إزَارٌ وَرِدَاءٌ وَلَا تَكُونُ الْحُلّةُ إلّا اسْمًا لِلثّوْبَيْنِ مَعًا وَغَلِطَ مَنْ ظَنّ أَنّهَا كَانَتْ حَمْرَاءَ بَحْتًا لَا يُخَالِطُهَا غَيْرُهُ وَإِنّمَا الْحُلّةُ الْحَمْرَاءُ بُرْدَانِ يَمَانِيّانِ مَنْسُوجَانِ بِخُطُوطٍ حُمْرٍ مَعَ الْأَسْوَدِ كَسَائِرِ الْبُرُودِ الْيَمَنِيّةِ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِهَذَا الِاسْمِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهَا مِنْ الْخُطُوطِ الْحُمْرِ وَإِلّا فَالْأَحْمَرُ الْبَحْتُ مَنْهِيّ عَنْهُ أَشَدّ النّهْيِ فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيّ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ الْمَيَاثِرِ الْحُمْرِ وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأَى [ص ١٣٣] فَقَالَ مَا هَذِهِ الرّيْطَةُ الّتِي عَلَيْكَ ؟ فَعَرَفْتُ مَا كَرِهَ فَأَتَيْتُ أَهْلِي وَهُمْ يَسْجُرُونَ تَنّورًا لَهُمْ فَقَذَفْتهَا فِيهِ ثُمّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْغَدِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللّهِ مَا فَعَلَتْ الرّيْطَةُ ؟ فَأَخْبَرْته فَقَالَ هَلّا كَسَوْتَهَا بَعْضَ أَهْلِك فَإِنّهُ لَا بَأْسَ بِهَا لِلنّسَاءِ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ رَأَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ . فَقَالَ إنّ هَذِهِ مِنْ لِبَاسِ الْكُفّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا وَفِي صَحِيحِهِ أَيْضًا عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ نَهَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ لِبَاسِ الْمُعَصْفَرِ وَمَعْلُومٌ أَنّ ذَلِكَ إنّمَا يُصْبَغُ صَبْغًا أَحْمَرَ . وَفِي بَعْضِ السّنَنِ أَنّهُمْ كَانُوا مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرٍ فَرَأَى عَلَى رَوَاحِلِهِمْ أَكْسِيَةً فِيهَا خُطُوطٌ حَمْرَاءُ فَقَالَ أَلَا أَرَى هَذِهِ الْحُمْرَةَ قَدْ عَلَتْكُمْ فَقُمْنَا سِرَاعًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى نَفَرَ بَعْضُ إبِلِنَا فَأَخَذْنَا الْأَكْسِيَةَ فَنَزَعْنَاهَا عَنْهَا . رَوَاهُ أَبُو دَاوُد . وَفِي جَوَازِ لُبْسِ الْأَحْمَرِ مِنْ الثّيَابِ وَالْجُوخِ وَغَيْرِهَا نَظَرٌ . وَأَمّا كَرَاهَتُهُ [ص ١٣٤]

فَشَدِيدَةٌ جِدًّا فَكَيْفَ يُظَنّ بِالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ لَبِسَ الْأَحْمَرَ الْقَانِيَ كَلّا لَقَدْ أَعَاذَهُ اللّهُ مِنْهُ وَإِنّمَا وَقَعَتْ الشّبْهَةُ مِنْ لَفْظِ الْحُلّةِ الْحَمْرَاءِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَلَبِسَ الْخَمِيصَةَ الْمُعْلَمَةَ وَالسّاذَجَةَ وَلَبِسَ ثَوْبًا أَسْوَدَ وَلَبِسَ الْفَرْوَةَ الْمَكْفُوفَةَ بِالسّنْدُسِ . وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد بِإِسْنَادِهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنّ مَلِكَ الرّومِ أَهْدَى لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُسْتَقَةً مِنْ سُنْدُسٍ فَلَبِسَهَا فَكَأَنّي أَنْظُرُ إلَى يَدَيْهِ تَذَبْذَبَانِ . قَالَ الْأَصْمَعِيّ : الْمَسَاتِقُ فِرَاءٌ طِوَالُ الْأَكْمَامِ . قَالَ الْخَطّابِيّ : يُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمُسْتَقَةُ مُكَفّفَةً بِالسّنْدُسِ لِأَنّ نَفْسَ الْفَرْوَةِ لَا تَكُونُ سُنْدُسًا .
فَصْلٌ وَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ
وَالظّاهِرُ أَنّهُ إنّمَا اشْتَرَاهَا لِيَلْبَسَهَا وَقَدْ رُوِيَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ أَنّهُ لَبِسَ السّرَاوِيلَ وَكَانُوا يَلْبَسُونَ السّرَاوِيلَاتِ بِإِذْنِهِ . وَلَبِسَ الْخُفّيْنِ وَلَبِسَ النّعْلَ الّذِي يُسَمّى التّاسُومَةَ . وَلَبِسَ الْخَاتَمَ وَاخْتَلَفَتْ الْأَحَادِيثُ هَلْ كَانَ فِي يُمْنَاهُ أَوْ يُسْرَاهُ وَكُلّهَا صَحِيحَةُ السّنَدِ . وَلَبِسَ الْبَيْضَةَ الّتِي تُسَمّى : الْخُوذَةَ وَلَبِسَ الدّرْعَ الّتِي تُسَمّى : الزّرَدِيّةَ وَظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ الدّرْعَيْنِ . [ص ١٣٥] صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ هَذِهِ جُبّةُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْرَجَتْ جُبّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ . وَفَرْجَاهَا مَكْفُوفَانِ بِالدّيبَاجِ فَقَالَتْ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتّى قُبِضَتْ فَلَمّا قُبِضَتْ قَبَضْتهَا وَكَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا وَكَانَ لَهُ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ وَكِسَاءٌ أَسْوَدُ وَكِسَاءٌ أَحْمَرُ مُلَبّدٌ وَكِسَاءٌ مِنْ شَعْرٍ وَكَانَ قَمِيصُهُ مِنْ قُطْنٍ وَكَانَ قَصِيرَ الطّولِ قَصِيرَ الْكُمّيْنِ وَأَمّا هَذِهِ الْأَكْمَامُ الْوَاسِعَةُ الطّوَالُ الّتِي هِيَ كَالْأَخْرَاجِ فَلَمْ يَلْبَسْهَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الْبَتّةَ وَهِيَ مُخَالِفَةٌ لِسُنّتِهِ وَفِي جَوَازِهَا نَظَرٌ فَإِنّهَا مِنْ جِنْسِ الْخُيَلَاءِ . وَكَانَ أَحَبّ الثّيَابِ إلَيْهِ الْقَمِيصُ وَالْحِبَرَةُ وَهِيَ ضَرْبٌ مِنْ الْبُرُودِ فِيهِ حُمْرَةٌ . وَكَانَ أَحَبّ الْأَلْوَانِ إلَيْهِ الْبَيَاضُ وَقَالَ هِيَ مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ فَالْبَسُوهَا وَكَفّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ وَفِي الصّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا أَخْرَجَتْ كِسَاءً مُلَبّدًا وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ قُبِضَ رُوحُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي هَذَيْنِ . [ص ١٣٦] وَنَهَى عَنْ التّخَتّمِ بِالذّهَبِ ثُمّ اتّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضّةٍ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي دَاوُد أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَى عَنْ أَشْيَاءَ وَذَكَرَ مِنْهَا : وَنَهَى عَنْ لُبُوسِ الْخَاتَمِ إلّا لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا أَدْرِي مَا حَالُ الْحَدِيثِ وَلَا وَجْهُهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ يَجْعَلُ فَصّ خَاتَمِهِ مِمّا يَلِي بَاطِنَ كَفّهِ . وَذَكَرَ التّرْمِذِيّ أَنّهُ كَانَ إذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ نَزَعَ خَاتَمَهُ وَصَحّحَهُ وَأَنْكَرَهُ أَبُو دَاوُد .
[الْإِشَارَةُ إلَى كَرَاهَةِ لُبْسِ الطّيْلَسَانِ]
وَأَمّا الطّيْلَسَانُ فَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنّهُ لَبِسَهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ ذَكَرَ الدّجّالَ فَقَالَ يَخْرُجُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ عَلَيْهِمْ الطّيَالِسَةُ وَرَأَى أَنَسٌ جَمَاعَةً [ص ١٣٧] فَقَالَ مَا أَشْبَهَهُمْ بِيَهُودِ خَيْبَرَ . وَمِنْ هَاهُنَا كَرِهَ لُبْسَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ السّلَفِ وَالْخَلَفِ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُد وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ مَنْ تَشَبّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْسَ مِنّا مَنْ تَشَبّهَ بِقَوْمٍ غَيْرِنَا وَأَمّا مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْهِجْرَةِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَاءَ إلَى أَبِي بَكْرٍ مُتَقَنّعًا بِالْهَاجِرَةِ فَإِنّمَا فَعَلَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تِلْكَ السّاعَةَ لِيَخْتَفِيَ

بِذَلِكَ فَفَعَلَهُ لِلْحَاجَةِ وَلَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ التَّقَنُّعُ وَقَدْ ذَكَرَ أَنَسٌ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ الْقِنَاعَ وَهَذَا إنَّمَا كَانَ يَفْعَلُهُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - لِلْحَاجَةِ مِنْ الْحَرّ وَنَحْوِهِ وَأَيْضًا لَيْسَ التَّقَنُّعُ مِنْ التَّطَيْلُسِ .

فَصْلٌ [غَالِبُ لُبْسِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ الْقُطْنُ]

وَكَانَ غَالِبُ مَا يَلْبَسُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَا نُسِجَ مِنْ الْقُطْنِ وَرُبّمَا لَبِسُوا مَا نُسِجَ مِنْ الصّوفِ وَالْكَتّانِ وَذَكَرَ الشّيْخُ أَبُو إسْحَاقَ الْأَصْبَهَانِيّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ أَيّوبَ قَالَ دَخَلَ الصّلْتُ بْنُ رَاشِدٍ عَلَى مُحَمّدِ بْنِ سِيرِينَ وَعَلَيْهِ جُبّةُ صُوفٍ وَإِزَارُ صُوفٍ وَعِمَامَةُ صُوفٍ فَاشْمَأَزّ مِنْهُ مُحَمّدٌ وَقَالَ أَظُنّ أَنّ أَقْوَامًا يَلْبَسُونَ الصّوفَ وَيَقُولُونَ قَدْ لَبِسَهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَقَدْ حَدّثَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ لَبِسَ الْكَتّانَ وَالصّوفَ وَالْقُطْنَ وَسُنّةُ نَبِيّنَا أَحَقّ أَنْ تُتّبَعَ . وَمَقْصُودُ ابْنِ سِيرِينَ بِهَذَا أَنّ أَقْوَامًا يَرَوْنَ أَنّ لُبْسَ الصّوفِ دَائِمًا أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ فَيَتَحَرّوْنَهُ [ص ١٣٨] أَنْفُسَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ وَكَذَلِكَ يَتَحَرّوْنَ زِيّا وَاحِدًا مِنْ الْمَلَابِسِ وَيَتَحَرّوْنَ رُسُومًا وَأَوْضَاعًا وَهَيْئَاتٍ يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَنْهَا مُنْكَرًا وَلَيْسَ الْمُنْكَرُ إلّا التّقَيّدُ بِهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَنْهَا .

[السّنّةُ لُبْسُ مَا تَيَسّرَ]

وَالصّوَابُ أَنّ أَفْضَلَ الطّرُقِ طَرِيقُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّتِي سَنّهَا وَأَمَرَ بِهَا وَرَغّبَ فِيهَا وَدَاوَمَ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنّ هَدْيَهُ فِي اللّبَاسِ أَنْ يَلْبَسَ مَا تَيَسّرَ مِنْ اللّبَاسِ مِنْ الصّوفِ تَارَةً وَالْقُطْنِ تَارَةً وَالْكَتّانِ تَارَةً .

[لبس البرد]

وَلُبْسُ الْبُرُودِ الْيَمَانِيّةِ وَالْبُرْدِ الْأَخْضَرِ وَلُبْسُ الْجُبّةِ وَالْقَبَاءِ وَالْقَمِيصِ وَالسّرَاوِيلِ وَالْإِزَارِ وَالرّدَاءِ وَالْخُفّ وَالنّعْلِ وَأَرْخَى الذّؤَابَةَ مِنْ خَلْفِهِ تَارَةً وَتَرَكَهَا تَارَةً . وَكَانَ يَتَلَحّى بِالْعِمَامَةِ تَحْتَ الْحَنَكِ . وَكَانَ إذَا اسْتَجَدّ ثَوْبًا سَمّاهُ بِاسْمِهِ وَقَالَ اللّهُمّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ الرّدَاءَ أَوْ الْعِمَامَةَ أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهِ وَشَرّ مَا صُنِعَ لَهُ وَكَانَ إذَا لَبِسَ قَمِيصَهُ بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ . وَلَبِسَ الشّعْرَ الْأَسْوَدَ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ [ص ١٣٩] وَفِي الصّحِيحَيْنِ عَنْ قَتَادَةَ قُلْنَا لِأَنَسٍ أَيّ اللّبَاسِ كَانَ أَحَبّ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قَالَ الْحِبَرَةُ . وَالْحِبَرَةُ بُرْدٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ . فَإِنّ غَالِبَ لِبَاسِهِمْ كَانَ مِنْ نَسْجِ الْيَمَنِ لِأَنّهَا قَرِيبَةٌ مِنْهُمْ وَرُبّمَا لَبِسُوا مَا يُجْلَبُ مِنْ الشّامِ وَمِصْرَ كَالْقَبَاطِيّ الْمَنْسُوجَةِ مِنْ الْكَتّانِ الّتِي كَانَتْ تَنْسِجُهَا الْقِبْطُ . وَفِي سُنَنِ النّسَائِيّ عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا جَعَلَتْ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بُرْدَةً مِنْ صُوفٍ فَلَبِسَهَا فَلَمّا عَرِقَ فَوَجَدَ رِيحَ الصّوفِ طَرَحَهَا وَكَانَ يُحِبّ الرّيحَ الطّيّبَ . وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ الْحُلَلِ وَفِي سُنَنِ النّسَائِيّ عَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ . وَالْبُرْدُ الْأَخْضَرُ هُوَ الّذِي فِيهِ خُطُوطٌ خُضْرٌ وَهُوَ [ص ١٤٠] سَوَاءٌ فَمَنْ فَهِمَ مِنْ الْحُلّةِ الْحَمْرَاءِ الْأَحْمَرَ الْبَحْتَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ إنّ الْبُرْدَ الْأَخْضَرَ كَانَ أَخْضَرَ بَحْتًا وَهَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ .

[مِخَدّتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

[الرّدّ عَلَى مَنْ يَمْتَنِعُونَ عَمّا أَبَاحَ اللّهُ]
[النّهْيَ عَنْ لِبَاسِ الشّهْرَةِ سَوَاءٌ لِلْفَخْرِ أَوْ لِلتّزَهّدِ]
وَكَانَتْ مِخَدّتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَالّذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَمّا أَبَاحَ اللّهُ مِنْ الْمَلَابِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَنَاكِحِ تَزَهّدًا وَتَعَبّدًا بِإِزَائِهِمْ طَائِفَةٌ قَابَلُوهُمْ فَلَا يَلْبَسُونَ إلّا أَشْرَفَ الثّيَابِ وَلَا يَأْكُلُونَ إلّا أَلْيَنَ الطّعَامِ فَلَا يَرَوْنَ لُبْسَ الْخَشِنِ وَلَا أَكْلَهُ تَكَبّرًا وَتَجَبّرًا وَكِلَا الطّائِفَتَيْنِ هَدْيُهُ مُخَالِفٌ لِهَدْيِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السّلَفِ كَانُوا يَكْرَهُونَ الشّهْرَتَيْنِ مِنْ الثّيَابِ الْعَالِي وَالْمُنْخَفِضُ وَفِي السّنَنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ يَرْفَعُهُ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلّةٍ ثُمّ تَلَهّبُ فِيهِ النّارُ وَهَذَا لِأَنّهُ قَصَدَ بِهِ الِاخْتِيَالَ وَالْفَخْرَ فَعَاقَبَهُ اللّهُ بِنَقِيضِ ذَلِكَ فَأَذَلّهُ كَمَا عَاقَبَ مَنْ أَطَالَ ثِيَابَهُ خُيَلَاءَ بِأَنْ خَسَفَ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَفِي الصّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ جَرّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللّهُ إلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي [ص ١٤١] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ مَنْ جَرّ شَيْئًا مِنْهَا خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللّهُ إلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي السّنَنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَيْضًا قَالَ مَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْإِزَارِ فَهُوَ فِي الْقَمِيصِ وَكَذَلِكَ لُبْسُ الدّنِيءِ مِنْ الثّيَابِ يُذَمّ فِي مَوْضِعٍ وَيُحْمَدُ فِي مَوْضِعٍ فَيُذَمّ إذَا كَانَ شُهْرَةً وَخُيَلَاءَ وَيُمْدَحُ إذَا كَانَ تَوَاضُعًا وَاسْتِكَانَةً كَمَا أَنّ لُبْسَ الرّفِيعِ مِنْ الثّيَابِ يُذَمّ إذَا كَانَ تَكَبّرًا وَفَخْرًا وَخُيَلَاءَ وَيُمْدَحُ إذَا كَانَ تَجَمّلًا وَإِظْهَارًا لِنِعْمَةِ اللّهِ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَدْخُلُ الْجَنّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ وَلَا يَدْخُلُ النّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي أُحِبّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا وَنَعْلِي حَسَنَةً أَفَمِنْ الْكِبْرِ ذَاكَ ؟ فَقَالَ لَا إنّ اللّهَ جَمِيلٌ يُحِبّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقّ وَغَمْطُ النّاس [ص ١٤٢]
زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢٥٦)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حِفْظِ الصّحّةِ بِالطّيبِ
لَمّا كَانَتْ الرّائِحَةُ الطّيّبَةُ غِذَاءَ الرّوحِ وَالرّوحُ مَطِيّةُ الْقُوَى وَالْقُوَى تَزْدَادُ بِالطّيبِ وَهُوَ يَنْفَعُ الدّمَاغَ وَالْقَلْبَ وَسَائِرَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنِيّةِ وَيُفَرّحُ الْقَلْبَ وَيَسُرّ النّفْسَ وَيَبْسُطُ الرّوحَ وَهُوَ أَصْدَقُ شَيْءٍ لِلرّوحِ وَأَشَدّهُ مُلَاءَمَةً لَهَا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الرّوحِ الطّيّبَةِ نِسْبَةٌ قَرِيبَةٌ . كَانَ أَحَدَ الْمَحْبُوبِينَ مِنْ الدّنْيَا إلَى أَطْيَبِ الطّيّبِينَ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ . وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ لَا يَرُدّ الطّيبَ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدّهُ . فَإِنّهُ طَيّبُ الرّيحِ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ وَفِي " سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ " وَالنّسَائِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرُدّهُ فَإِنّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ طَيّبُ الرّائِحَةِ وَفِي " مُسْنَدِ الْبَزّارِ " : عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إنّ اللّهَ طَيّبٌ يُحِبّ الطّيبَ نَظِيفٌ يُحِبّ النّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبّ الْجُودَ فَنَظّفُوا أَفْنَاءَكُمْ وَسَاحَاتِكُمْ وَلَا تَشَبّهُوا بِالْيَهُودِ يَجْمَعُونَ الْأَكْبّ فِي دُورِهِمِ الْأَكْبّ الزّبَالَةُ . [ص ٢٥٧] وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ لَهُ سِكّةٌ يَتَطَيّبُ مِنْهَا وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ إنّ لِلّهِ حَقّا عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلّ سَبْعَةِ أَيّامٍ وَإِنْ كَانَ لَهُ طِيبٌ أَنْ يَمَسّ

مِنْهُ وَفِي الطّيبِ مِنْ الْخَاصّيّةِ أَنّ الْمَلَائِكَةَ تُحِبّهُ وَالشّيَاطِينَ تَنْفِرُ عَنْهُ وَأَحَبّ شَيْءٍ إلَى الشّيَاطِينِ الرّائِحَةُ الْمُنْتِنَةُ الْكَرِيهَةُ فَالْأَرْوَاحُ الطّيّبَةُ تُحِبّ الرّائِحَةَ الطّيّبَةَ وَالْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ تُحِبّ الرّائِحَةَ الْخَبِيثَةَ وَكُلّ رُوحٍ تَمِيلُ إلَى مَا يُنَاسِبُهَا فَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطّيّبَاتُ لِلطّيّبِينَ وَالطّيّبُونَ لِلطّيّبَاتِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي النّسَاءِ وَالرّجَالِ فَإِنّهُ يَتَنَاوَلُ الْأَعْمَالَ وَالْأَقْوَالَ وَالْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ وَالْمَلَابِسَ وَالرّوَائِحَ إمّا بِعُمُومِ لَفْظِهِ أَوْ بِعُمُومِ مَعْنَاهُ .

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢٥٧)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حِفْظِ صِحّةِ الْعَيْنِ

[حِفْظُ صِحّةِ الْعَيْنِ بِالِاكْتِحَالِ]

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ النّعْمَانِ بْنِ مَعْبَدِ بْنِ هَوْذَةَ الْأَنْصَارِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ بِالْإِثْمِدِ الْمُرَوّحِ عِنْدَ النّوْمِ وَقَالَ لِيَتّقِهِ الصّائِمُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْمُرَوّحُ الْمُطَيّبُ بِالْمِسْكِ . [ص ٢٥٨] وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " وَغَيْرِهِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا ثَلَاثًا فِي كُلّ عَيْنٍ وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا اكْتَحَلَ يَجْعَلُ فِي الْيُمْنَى ثَلَاثًا يَبْتَدِئُ بِهَا وَيَخْتِمُ بِهَا وَفِي الْيُسْرَى ثِنْتَيْنِ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ اكْتَحَلَ فَلْيُوتِرْ فَهَلْ الْوِتْرُ بِالنّسْبَةِ إلَى الْعَيْنَيْنِ كِلْتَيْهِمَا فَيَكُونُ فِي هَذِهِ ثَلَاثٌ وَفِي هَذِهِ ثِنْتَانِ وَالْيُمْنَى أَوْلَى بِالِابْتِدَاءِ وَالتّفْضِيلِ أَوْ هُوَ بِالنّسْبَةِ إلَى كُلّ عَيْنٍ فَيَكُونُ فِي هَذِهِ ثَلَاثٌ وَفِي هَذِهِ ثَلَاثٌ وَهُمَا قَوْلَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ . [ص ٢٥٩]

[فَوَائِدُ الْكُحْلِ لِلْعَيْنِ]

وَفِي الْكُحْلِ حِفْظٌ لِصِحّةِ الْعَيْنِ وَتَقْوِيَةٌ لِلنّورِ الْبَاصِرِ وَجَلَاءٌ لَهَا وَتَلْطِيفٌ لِلْمَادّةِ الرّدِيئَةِ وَاسْتِخْرَاجٌ لَهَا مَعَ الزّينَةِ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِهِ وَلَهُ عِنْدَ النّوْمِ مَزِيدُ فَضْلٍ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْكُحْلِ وَسُكُونِهَا عَقِيبَهُ عَنْ الْحَرَكَةِ الْمُضِرّةِ بِهَا وَخِدْمَةِ الطّبِيعَةِ لَهَا وَلِلْإِثْمِدِ مِنْ ذَلِكَ خَاصّيّةٌ . وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ يَرْفَعُهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ فَإِنّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشّعْرَ وَفِي " كِتَابِ أَبِي نُعَيْمٍ " : فَإِنّهُ مَنْبَتَةٌ لِلشّعْرِ مَذْهَبَةٌ لِلْقَذَى مَصْفَاةٌ لِلْبَصَرِ وَفِي " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " أَيْضًا : عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا - يَرْفَعُهُ خَيْرُ أَكْحَالِكُمْ الْإِثْمِدُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشّعْرَ [ص ٢٦٠]

....

١ـ كان صلى الله عليه وسلم يكثر التَّطَيُّبَ ويحب الطيب، ولا يَرُدُّهُ، وكان أحب الطيب إليه المسك.

٢ـ وكان يحب السواك، وكان يستاك مفطرًا وصائمًا، ويستاك عند الانتباه من النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة وعند دخول المنزل.

٣ـ وقال: ((خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر)) [صحيح ابن ماجه (١١٥٧/٢)].

٤ـ وكان يرجِّل(١) نفسه تارة، وترجِّله عائشة تارة، وكان هَدْيُهُ في حلق رأسه تركه كله أو أخذه كلَّه.

٥- ولم يُحْفَظْ عنه حلق رأسه إلا في نُسُكٍ، وكان شَعْرُهُ فوق الجمة، ودون الوفرة، وكانت جُمَّتُهُ(٢) تَضْرِبُ شحمة أذنيه.
٦- ونهى عن الْقَزْعِ.
٧- وقال: ((خالفوا المشركين، ووفروا اللحى وأحفوا الشارب)) [ق].
٨- وكان يلبس ما تيسر من اللباس: من الصوف تارةً، والقطن تارةً، والكتان تارةً، وكان أحب اللباس إليه القميص.
٩- ولبس البرود اليمانية، والبرد الأخضر، ولبس الجبة والقَباء والسراويل والإزار والرِّداء، والخفَّ والنَّعل والعمامة.
١٠- وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك، وأرخى الذؤابة من خلفه تارةً وتركها تارةً.
١١- ولبس الأسود، ولبس حُلَّةً حمراء والحلة(٣): إزار ورداء.
١٢- ولبس خاتمًا من فِضَةٍ، وكان يجعل فصه مما يلي باطن كَفِّهِ.
١٣- وكان إذا اسْتَجَد ثوبًا سَمَّاهُ باسمه، وقال: ((اللهم أنت كسوتني هذا القميص أو الرداء أو العمامة، أسألك خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شَرِّهِ وَشَرِّ ما صُنع له)). [صحيح أبي داود].
١٤- وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه.
١٥- وكان يعجبهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وطهوره وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ.
١٦- وكان هَدْيُهُ صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فِيهِ، وَغَضّ به صوتَه.
١٧- وكان صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياء من العذراء في خدرها.
١٨- وكان يَضْحَكُ مما يُضْحَكُ منه، وكان جُلَّ ضَحِكِهِ التبسمُ، فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذُه، وكان بكاؤه من جنس ضَحِكِهِ، لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه قهقهةً، ولكن كانت عيناه تدمع ويسمع لصدره أزيزٌ.

....

(١) الترجيل: هو تسريح الرأس واللحية وتنظيفه وتحسينه. والممدود منه ما كان من غير إكثار ومبالغة حيث نهى صلى الله عليه وسلم عن الترجّل إلا غبًا أي: وقتًا دون وقت.
(٢) الجمة: ما وصل من شعر الرأس إلى المنكبين.
(٣) وهي بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود

٣٨. هدي الحبيب في الممازحة

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٥٤)

فَصْلٌ هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعُقُودِ

وَبَاعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاشْتَرَى وَكَانَ شِرَاؤُهُ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللّهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ بَيْعِهِ وَكَذَلِكَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ لَا يَكَادُ يُحْفَظُ عَنْهُ الْبَيْعُ إلّا فِي قَضَايَا يَسِيرَةٍ أَكْثَرُهَا لِغَيْرِهِ كَبَيْعِهِ الْقَدَحَ وَالْحِلْسَ فِيمَنْ يَزِيدُ وَبَيْعِهِ يَعْقُوبَ الْمُدَبّرَ غُلَامَ أَبِي مَذْكُورٍ وَبَيْعِهِ عَبْدًا أَسْوَدَ بِعَبْدَيْنِ . وَأَمّا شِرَاؤُهُ فَكَثِيرٌ وَآجَرَ وَاسْتَأْجَرَ وَاسْتِئْجَارُهُ أَكْثَرُ مِنْ إيجَارِهِ وَإِنّمَا يُحْفَظُ عَنْهُ أَنّهُ أَجّرَ نَفْسَهُ قَبْلَ النّبُوّةِ فِي رِعَايَةِ الْغَنَمِ وَأَجّرَ نَفْسَهُ مِنْ خَدِيجَةَ فِي سَفَرِهِ بِمَالِهَا إلَى الشّامِ وَإِنْ كَانَ الْعَقْدُ مُضَارَبَةً فَالْمُضَارِبُ أَمِينٌ وَأَجِيرٌ

وَوَكِيلٌ وَشَرِيكٌ [ص ١٥٥] ظَهَرَ فِيهِ الرِّبْحُ . وَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ الرَّبِيعِ بْنِ بَدْرٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ آجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ مِنْ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ سَفْرَتَيْنِ إِلَى جُرَشَ كُلَّ سَفْرَةٍ بِقَلُوصٍ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ . قَالَ فِي النِّهَايَةِ : جُرَشُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ مَخَالِيفِ الْيَمَنِ وَهُوَ بِفَتْحِهِمَا بَلَدٌ بِالشَّامِ . قُلت : إِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ فَإِنَّمَا هُوَ الْمَفْتُوحُ الَّذِي بِالشَّامِ وَلَا يَصِحُّ فَإِنَّ الرَّبِيعَ بْنَ بَدْرٍ هَذَا هُوَ عُلَيْلَةُ ضَعَّفَهُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ . قَالَ النَّسَائِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَالْأَزْدِيُّ مَتْرُوكٌ وَكَأَنَّ الْحَاكِمَ ظَنَّهُ الرَّبِيعَ بْنَ بَدْرٍ مَوْلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ . وَشَارَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ شَرِيكُهُ قَالَ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ أَمَا كُنْتَ شَرِيكِي ؟ فَنِعْمَ الشَّرِيكُ كُنْتَ لَا تُدَارِي وَلَا تُمَارِي . وَتُدَارِئُ بِالْهَمْزَةِ مِنْ الْمُدَارَأَةِ وَهِيَ مُدَافَعَةُ الْحَقِّ فَإِنْ تُرِكَ هَمْزُهَا صَارَتْ مِنْ الْمُدَارَاةِ وَهِيَ الْمُدَافَعَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . وَوَكَّلَ وَتَوَكَّلَ وَكَانَ تَوْكِيلُهُ أَكْثَرَ مِنْ تَوَكُّلِهِ . وَأَهْدَى وَقَبِلَ الْهَدِيَّةَ وَأَثَابَ عَلَيْهَا وَوَهَبَ وَاتَّهَبَ [ص ١٥٦] فَقَالَ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَقَدْ وَقَعَ فِي سَهْمِهِ جَارِيَةٌ : هَبْهَا لِي فَوَهَبَهَا لَهُ فَفَادَى بِهَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أُسَارَى مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَدَانَ بِرَهْنٍ وَبِغَيْرِ رَهْنٍ وَاسْتَعَارَ وَاشْتَرَى بِالثَّمَنِ الْحَالِّ وَالْمُؤَجَّلِ .

[الضَّمَان]

وَضَمِنَ ضَمَانًا خَاصًّا عَلَى رَبِّهِ عَلَى أَعْمَالٍ مَنْ عَمِلَهَا كَانَ مَضْمُونًا لَهُ بِالْجَنَّةِ وَضَمَانًا عَامًّا لِدُيُونِ مَنْ تُوُفِّيَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَدَعْ وَفَاءً أَنَّهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يُوفِيهَا وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هَذَا الْحُكْمَ عَامٌّ لِلْأَئِمَّةِ بَعْدَهُ فَالسُّلْطَانُ ضَامِنٌ لِدُيُونِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا لَمْ يُخْلِفُوا وَفَاءً فَإِنَّهَا عَلَيْهِ يُوَفِّيهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَقَالُوا : كَمَا يَرِثُهُ إِذَا مَاتَ وَلَمْ يَدَعْ وَارِثًا فَكَذَلِكَ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنَهُ إِذَا مَاتَ وَلَمْ يَدَعْ وَفَاءً وَكَذَلِكَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِ . وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضًا كَانَتْ لَهُ جَعَلَهَا صَدَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَشَفَّعَ وَشُفِّعَ إِلَيْهِ وَرَدَّتْ بَرِيرَةُ شَفَاعَتَهُ فِي مُرَاجَعَتِهَا مُغِيثًا فَلَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهَا وَلَا عَتَبَ وَهُوَ الْأُسْوَةُ وَالْقُدْوَةُ وَحَلَفَ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعًا وَأَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْحَلِفِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فَقَالَ [ص ١٥٧] { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } [يُونُسُ ٥٣] وَقَالَ تَعَالَى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } [سَبَأٌ ٣] وَقَالَ تَعَالَى : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } التَّغَابُنُ ٧] وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي يُذَاكِرُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُد الظَّاهِرِيَّ وَلَا يُسَمِّيهِ بِالْفَقِيهِ فَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ يَوْمًا هُوَ وَخَصْمٌ لَهُ فَتَوَجَّهَتْ الْيَمِينُ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ دَاوُد فَتَهَيَّأَ لِلْحَلِفِ فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ أَوَتَحْلِفُ وَمِثْلُك يَحْلِفُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ الْحَلِفِ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْحَلِفِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ أَيْنَ ذَلِكَ ؟ فَسَرَدَهَا لَهُ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهُ جِدًّا وَدَعَاهُ بِالْفَقِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

[الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْيَمِينِ]

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَثْنِي فِي يَمِينِهِ تَارَةً وَيُكَفِّرُهَا تَارَةً وَيَمْضِي فِيهَا تَارَةً وَالِاسْتِثْنَاءُ يَمْنَعُ عَقْدَ الْيَمِينِ وَالْكَفَّارَةُ تُحِلُّهَا بَعْدَ عَقْدِهَا وَلِهَذَا سَمَّاهَا اللَّهُ تَحِلَّةً .

[الْمِزَاحُ]

وَكَانَ يُمَازِحُ وَيَقُولُ فِي مِزَاحِهِ الْحَقّ وَيُورّي وَلَا يَقُولُ فِي تَوْرِيَتِهِ إلّا الْحَقّ مِثْلَ أَنْ يُرِيدَ جِهَةً يَقْصِدُهَا فَيَسْأَلُ عَنْ غَيْرِهَا كَيْفَ طَرِيقُهَا ؟ وَكَيْفَ مِيَاهُهَا وَمَسْلَكُهَا ؟ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ . وَكَانَ يُشِيرُ وَيَسْتَشِيرُ . وَكَانَ يَعُودُ الْمَرِيضَ وَيَشْهَدُ الْجِنَازَةَ وَيُجِيبُ الدّعْوَةَ وَيَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالضّعِيفِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَسَمِعَ مَدِيحَ الشّعْرِ وَأَثَابَ عَلَيْهِ وَلَكِنْ مَا قِيلَ فِيهِ مِنْ الْمَدِيحِ فَهُوَ جُزْءٌ يَسِيرٌ جِدّا مِنْ مَحَامِدِهِ وَأَثَابَ عَلَى الْحَقّ . وَأَمّا مَدْحُ غَيْرِهِ مِنْ النّاسِ فَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِالْكَذِبِ فَلِذَلِكَ أَمَرَ أَنْ يُحْثَى فِي وُجُوهِ الْمَدّاحِينَ التّرَابُ [ص ١٥٨]

....

هدي الحبيب في الممازحة

أكرم كساب*

أسوة حسنة حتى في الممازحة:

جمَّل الله حياتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وهديه صلى الله عليه وسلم خير هدي، وفعله صلى الله عليه وسلم خير فعل، حتى في مزاحه ترك لنا أثره الطيب، نقتفيه ونقتدي به، وهنا يأتي السؤال: كيف كان هديه صلى الله عليه وسلم في الممازحة؟ هل كان يضاحك ويمازح؟ هل كان يداعب ويلاعب أو يبتسم ويمازح؟

لقد كان صلى الله عليه وسلم يربي بالضحكة، ويهذب بالابتسامة، ويُقوّم بالمزحة، ويدعو بالطرفة، فلضحكاته منافع، ولابتساماته مقاصد، ومن ممازحته عِبر، ولطُرَفه حِكَم وعظات.

فهذا علي رضي الله عنه حين دب خلاف بينه وبين فاطمة -رضي الله عنهما- يصالحه النبي صلى الله عليه وسلم بالمزاح، يحكي لنا سهل بن سعد قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل (وقت القيلولة) عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب".(١) فكان أبو تراب أحب الألفاظ إلى علي رضي الله عنه .

وهذا أسيد بن حضير يمازحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحدِّث القوم ويضحكهم فيطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصبعه في خاصرته، فقال: أوجعتني، فقال: أصبرني(٢). قال: اصطبر، قال: إن عليك قميصًا وليس علي قميص، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه(٣). قال: إنما أردت هذا يا رسول الله"(٤).

وعن عبد الحميد بن صيفي من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وهو يأكل تمرًا، فأقبلت آكل من التمر وبعيني رمد فقال: أتأكل التمر وبك رمد؟ فقلت: إنما آكل على شقي الصحيح ليس به رمد، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٥).

ولما علم عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف من المزاح، ولا يغضب منه، بدأ رسول الله بالمزاح، يقول عوف: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قُبة من أدمٍ، فسلمت، فردّ وقال: "ادخل". فقلت: أكلّي يا رسول الله؟ قال: "كلك"، فدخلت(٦). وإنما مزح عوف بن مالك بقوله: أكلّي يا رسول الله؟ لأن القبة كانت صغيرة.

ولما رأى النبي رجلاً ذا بشرة حمراء مازحه قائلا: أنت أبو الورد، يقول أبو الورد قال: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآني رجلاً أحمر، فقال: "أنت أبو الورد"(٧).

ومنهم رجل اسمه زاهر، يقول أنس رضي الله عنه: إن رجلاً من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام، كان يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الهدية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أراد أن يخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه، قال: فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي صلى الله عليه وسلم جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتري هذا العبد؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدًا، قال: لكنك عند الله لست بكاسد، أو قال صلى الله عليه وسلم: بل أنت عند الله غالٍ"(٨).

المصطفى يمازح النساء والأطفال:

وكما رأيناه صلى الله عليه وسلم يمازح الرجال رأيناه يمازح النساء، وهذا من باب اهتمامه ورفقه بهن صلى الله عليه وسلم . انظر إليه صلى الله عليه وسلم وهو يلاطف عائشة -رضي الله عنها- ويمازحها، وهو يسابقها مرتين فتسبقه في الأولى ويسبقها في الثانية، فيقول لها: هذه بتلك، والحديث عن عائشة قالت: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت؛ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول:هذه بتلك"(٩).

وانظر إليه وهو يمكنها من النظر إلى أهل الحبشة يلعبون بحرابهم، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين كتفه اليسرى وعينيه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو"(١٠).

ومن مداعبته صلى الله عليه وسلم مع النساء، ما حكت عائشة -رضي الله عنها- أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : "إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن ذلك كذلك؛ إن الله إذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكارا"(١١).

وتأتيه أخرى فتقول: يا رسول الله، إن زوجي يدعوك، فيقول: ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض، فقال صلى الله عليه وسلم : بلى إن بعينه بياضًا، فقالت: لا والله، فقال: ما من أحد إلا بعينه بياض"(١٢).
وما كانت مداعبته صلى الله عليه وسلم ولا مزاحه للكبار دون الصغار، إنما هو للصغير كما هو للكبير، وللنساء كما هو للرجال. يقول أنس رضي الله عنه: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير"(١٣). ويداعب أنسا رضي الله عنه ويقول له: "يا ذا الأذنين"(١٤).
ويرسل النبي صلى الله عليه وسلم أنسًا رضي الله عنه يومًا.. ولنترك أنسًا رضي الله عنه يقص علينا الخبر: يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك. فقال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١٥).
ويُخرج لسانه للحسن والحسين صغارًا مداعبًا إياهما رضي الله عنهما، ويطأ ظهره لولديه الحسن والحسين ليركبا، ويدخل عليه أحد أصحابه فيقول: "نعم المركب ركبتما، فيقول: ونعم الفارسان هما"(١٦).
وفي رواية عند الطبراني: عن أبي هريرة قال: سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بكفيه جميعًا، حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: حُزُقَّة حُزُقَّة ارَقَّ عين بَقَّة، فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له: افتح فاك، قال: ثم قبله، ثم قال: اللهم أحبه، فإني أحبه(١٧).
وتأمل حاله صلى الله عليه وسلم وهو يرى الحسن يصارع الحسين، فيجلس ويشاهد ويشجع.. عن جابر عن أبي جعفر قال: اصطرع الحسن والحسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو حسين، فقالت فاطمة: كأنه أحب إليك؟ قال: لا، ولكن جبريل يقول هو حسين".(١٨)
وهذا عبد الله بن الحارث يقص علينا مشهدًا عجيبًا فيقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله، وكثيرًا بني العباس ثم يقول: "من سبق إليّ فله كذا وكذا"، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم (١٩).
وها هو صلى الله عليه وسلم يمازح يتيمة كانت عند أم سلمة، لكنها لا تفهم مقصوده صلى الله عليه وسلم فتحزن، ومن ذلك حديث أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم - وهي أم أنس- يتيمة، فرأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليتيمة، فقال: آنت هيه؟ لقد كبرت لا كبر سنك، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبي الله -صلى الله عليه وسلم- أن لا يكبر سني أبدًا، أو قالت: قرني، فخرجت أم سليم متعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي

الله، أدعوت على يتيمتي؟ قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت أن لا تكبر سنها، أو أن لا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أم سليم، أما تعلمين شرطي على ربي؟ إني اشترطت على ربي فقلت: "إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها طهورا وزكاة وقربة يقربه بها يوم القيامة"(٢٠).

منهج نبوي في المزاح:

إن العبادة الدائمة أو الذكر المتواصل أمل تهفو إليه النفوس الكبار، وتحوم حوله همم العظام، بيد أن النفس البشرية جبلت على الملل إن استمرت على أمر ثابت أو عمل متواصل، حتى ولو كان عبادة الله عز وجل، وفي الحديث: "خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى(٢١) تملوا"(٢٢).

والمتأمل للأحاديث السابقة والمواقف المتقدمة يدرك هدي النبي صلى الله عليه وسلم في المداعبة والمزاح والترويح عن النفس حتى لا تمل، وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم صراحة للصديق رضي الله عنه حين دخل الصديق يوم العيد فوجد جاريتين تغنيان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فانتهرهما، فقال صلى الله عليه وسلم: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام العيد"(٢٣). وفي رواية: "حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة"(٢٤).

والذي يظهر من هذا كله: أن المزاح ليس محرمًا شرعًا، ولا ممنوعًا عُرْفا، وكذلك الضحك؛ إنما الممنوع الإكثار الذي تضيع معه الحقوق، ويُخرج به من الصدق إلى الكذب، ولله در أنس حين وصف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "كان رسول الله من أفكه الناس"(٢٥).

ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "لا تكثر من الضحك" فقد منع من الإكثار، ولم يمنع أصل الضحك؛ بل هو في حديث أبي ذر المتقدم قال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا"، فهو صلى الله عليه وسلم لم يمنع الضحك، إنما دعا إلى التقليل منه.

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجًا عن الفطر السوية في فعل من أفعاله، أو قول من أقواله، ولقد صدق الأعرابي حين سئل عن سبب إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال: ما أمر بشيء واستقبحه العقل، ولا نهى عن شيء واستحسنه العقل.

ويحاول البعض أن يمنع الضحك بحجة هموم الدعوة، وهم الدين، بيد أن هذه حجة واهية، فلم يكن هناك، ولن يكون، من هو أكثر اهتماما بالدعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هناك من تعددت لديه الواجبات كما تعددت لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد كان -بأبي هو وأمي- إمامًا للناس، ومعلمًا للخلق، ومفقها للدين، وحاكمًا بين الناس، وقاضيًا بينهم، ومجيشًا للجيوش، وباعثًا للسرايا، كما كان أبا رحيمًا، وزوجًا بارًا، وأخًا ودودًا، وصديقًا وفيًّا، ومع هذا كله فقد كان صلى الله عليه وسلم ضحاكًا بسامًا، وتؤكد ذلك السيدة عائشة فتقول حين سألتها عمرة قالت: سألت عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت؟ قالت: ألين الناس، بسامًا ضحاكا"(٢٦).

وفي رواية عند الترمذي في العلل: عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته؟ فقالت: كان ألين الناس وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم، إلا أنه كان ضحّاكًا بسّامًا". ويقول أبو أمامة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أضحك الناس، وأطيبهم نفسا"(٢٧).
وقد يظهر التعارض بين الأحاديث فيزيله قول الإمام السيوطي: "كان من أضحك الناس" لا ينافيه خبر "أنه كان لا يضحك إلا تبسما"؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، فمن أخبر به أخبر عن أكثر أحواله، ولم يعرج على ذلك لندوره، أو كل راوٍ روى بحسب ما شاهد، فالاختلاف باختلاف المواطن والأزمان، وقد يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتى تبدو نواجذه، وكان أخرى لا يضحك إلا تبسمًا(٢٨).
بل لقد كانت بعض المواقف تأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المآخذ حتى يضحك ويستعلي به الضحك -ولكن ذلك على سبيل الندرة- فعن أبي أمامة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه: هل أصبح أحد منكم اليوم صائمًا؟ فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم قال: هل عاد أحد منكم اليوم مريضًا؟ فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم قال: هل تصدق أحد منكم اليوم صدقة؟ فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استعلى به الضحك، ثم قال: والذي نفسي بيده، ما جمعهن في يوم واحد إلا مؤمن، وإلا دخل بهن الجنة"(٢٩).
ولربما ضحك صلى الله عليه وسلم من حدث عامًا كاملاً؛ فعن أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجرًا إلى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان فقال: أطعمني، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، وكان نعيمان رجلا مضحاكًا مزاحًا، فقال: لأغيظنك، فذهب إلى أناس جلبوا ظهرًا(٣٠)، فقال: ابتاعوا(٣١) مني غلامًا عربيًا فارهًا، وهو ذو لسان، ولعله يقول: أنا حر، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي، فقالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص(٣٢)، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال للقوم: دونكم هو هذا.
فجاء القوم فقالوا: قد اشتريناك، قال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر. فقالوا: قد أخبرنا خبرك، وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه، فضحك منها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا"(٣٣).
بيد أن هذا لم يكن هو الحال الدائم أو الصفة الملازمة، وهذا ما يؤكده حديث جابر حيث قال: "كان لا ينبعث في الضحك"(٣٤). وكان لا ينبعث في الضحك أي لا يسترسل فيه.
ولله در صاحب كتاب "تأويل مختلف الحديث" حين قال: "فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق الطلاقة والهشاشة والدماثة إلى القطوب والعبوس والزماتة أخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح صلى الله عليه وسلم ليمزحوا، ووقف على أصحاب الدركلة(٣٥) وهم يلعبون فقال: "خذوا يا

بني أرفدة؛ ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة"(٣٦). يريد ما يكون في العرسات لإعلان النكاح، وفي المآدب لإظهار السرور.
وقد درج الصالحون والأخيار على أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبسم والطلاقة والمزاح بالكلام المجانب للقدح والشتم والكذب، فكان علي رضي الله عنه يكثر الدعابة.

---

* باحث مصري في العلوم الشرعية، مقيم في قطر. ويمكنكم التواصل معه أو مراسلتنا بمشاركاتكم وآرائكم على بريد الصفحة: alhabib@iolteam.com.

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الصلاة رقم (٤٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).
(٢) مَكِّني من القصاص.
(٣) ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٠٠)، وذكره الألباني في صحيح أبي داود (٤١٨١).
(٧) رواه الطبراني في الكبير، وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه جبارة بن المغلس، وثقه ابن نمير ونسبه غير واحد إلى الكذب (٨/ ٥٦).
(٨) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في الشمائل المحمدية (٢٠٤).
(٩) رواه أحمد (٢٤١١٩ ، ٢٤١١٨) وقال محققو المسند: إسناده صحيح، ورواه أبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٠) عن عائشة، وصححه الألباني في "إرواء الغليل" برقم (١٥٠٢).
(١٠) متفق عليه- رواه البخاري في العيدين (٤٩٣٨)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).
(١١) رواه الترمذي في الشمائل وعبد بن حميد وغيرهم، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، وذكره الألباني في غاية المرام برقم (٣٧٥).
(١٢) رواه ابن أبي الدنيا، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه الزبير بن بكار في كتاب "الفكاهة"، ورواه ابن الدنيا من حديث عبيدة بن سهم مع اختلاف.
(١٣) رواه البخاري في الأدب برقم (٦١٢٩)، ومسلم في الآداب رقم (٣١٥٠).
(١٤) رواه الترمذي وأبو داود، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٠٩).
(١٥) رواه مسلم في الفضائل رقم (٢٣١٠).
(١٦) رواه الحاكم (١٧٠/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا. وأخرجه أبو يعلى عن ابن عمر. وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. ورواه البزار بسند ضعيف (١٨١/٩).
(١٧) رواه الطبراني في الكبير (٤٩/٣). قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح (١٧٦/٩). وذكره الألباني في ضعيف الأدب (٤٠).

(١٨) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٨).
(١٩) رواه مسلم في البر والصلة، رقم (٢٦٠٣).
(٢٠) رواه مسلم، كتاب البر والصلة.
(٢١) حتى هنا بمعنى الواو أي (وتملوا).
(٢٢) رواه البخاري في الصوم رقم (١٩٧٠)، ورواه مسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٥)، وهذا لفظ البخاري.
(٢٣) رواه البخاري في العيدين رقم (٩٤٩)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).
(٢٤) رواه أحمد (٢٤٨٥٥، ٢٥٩٦٢) عن عائشة، وقال محققو المسند: حديث قوي، وهذا سند حسن.
(٢٥) رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٦/٢٦٣)، وفي "المعجم الصغير" (١١٢/٢) من حديث أنس بن مالك، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٨).
(٢٦) رواه إسحاق بن راهويه. وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٨٦).
(٢٧) رواه الطبراني، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٧).
(٢٨) الجامع الصغير، السيوطي، ط دار طائر العلم، جدة، ص ٢٣٥.
(٢٩) رواه البيهقي في الكبرى والطبراني في الكبير. وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبيد الله بن زحر وفيه كلام، وقد وثق (٣/ ١٦٣).
(٣٠) إبلاً عليها متاع.
(٣١) تشتروا.
(٣٢) القلوص من الإبل: الشابة، أو الباقية على السير.
(٣٣) سبق تخريجه.
(٣٤) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٤٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٥٦)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٥٠٩).
(٣٥) الدِّرْكِلةُ بكسر الدال والكاف لعبة للعجم، وضرب من الرقص أيضا.
(٣٦) سبق تخريجه.

٣٩. من هدي النبوة

د/ خالد سعد النجار

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
(ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون)(١)

أمتع وجدانك بروائع من كلمات سيد المرسلين، فأنت بالروح لا بالجسد إنسان، وترجم هذا الخير واقعًا عمليًا في حياتك لتنال مثوبة رب العالمين، وتحس بروعة هذا الدين، وتفتخر بأنك من أتباع خاتم النبيين، لا من أتباع الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا... إن في العمل بهذا المنهج النبوي راحة للنفس لا تدانيها راحة، ومتعة للوجدان والضمير لا يستطيع أن يصفها لك أحد بكلمات مهما أوتي من فصاحة وبلاغة إلا بقوله: من ذاق عرف.

قال المناوي (ارحموا ترحموا) لأن الرحمة من صفات الحق التي شمل بها عباده، فلذا كانت أعلاماً اتصف بها البشر، فندب إليها الشارع في كل شيء حتى في قتال الكفار والذبح وإقامة الحجج وغير ذلك (واغفروا يغفر لكم) لأنه سبحانه وتعالى يحب أسمائه وصفاته التي منها الرحمة والعفو ويحب من خلقه من تخلق بها (ويل لأقماع القول) أي شدة هلكة لمن لا يعي أوامر الشرع ولم يتأدب بآدابه، والأقماع بفتح الهمزة جمع قمع بكسر القاف وفتح الميم وتسكن، الإناء الذي يجعل في رأس الظرف ليملأ بالمائع، شبه استماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها، فكأنه يمر عليها مجتازاً كما يمر الشراب في القمع، كذلك قال الزمخشري: من المجاز ويل لأقماع القول وهم الذين يستمعون ولا يعون(ويل للمصرين) على الذنوب أي العازمين على المداومة عليها(الذين يصرون على ما فعلوا) يقيمون عليها فلم يتوبوا ولم يستغفروا(وهم يعلمون) حال أي يصرون في حال علمهم بأن ما فعلوه معصية، أو يعلمون بأن الإصرار أعظم من الذنب أو يعلمون بأنه يعاقب على الذنب(٢)

فقوله صلى الله عليه وسلم:(ارحموا ترحموا) لأن الجزاء من جنس العمل، فلتكن الرحمة سجيتك والرفق خلقك، أما تحب أن يرحمك الله، قال صلى الله عليه وسلم:(ارحم من في الأرض، يرحمك من في السماء)(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم:(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)(٤) وقال صلى الله عليه وسلم:(من رحم ولو ذبيحة عصفور، رحمه الله يوم القيامة)(٥) وقال صلى الله عليه وسلم:(الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) زاد أحمد والترمذي والحاكم:(والرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله)(٦) أي الراحمون لمن في الأرض من آدمي وحيوان لم يؤمر بقتله بالشفقة والإحسان والمؤاساة والشفاعة وكف الظلم ثم بالتوجع والتوجه إلى اللّه والالتجاء إليه والدعاء بإصلاح الحال ولكل مقام مقال، قال البوني: فإن كان لك شوق إلى رحمة من اللّه، فكن رحيماً لنفسك ولغيرك ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك ورفع غضبك، فأقرب الناس من رحمة اللّه أرحمهم لخلقه، فكل ما يفعله من خير دق أو جل فهو صادر عن صفة الرحمة.(٧)

وقوله صلى الله عليه وسلم:(واغفروا يغفر لكم) هذا كقوله تعالى:(وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) النور ٢٢ قال الشنقيطي: فيه الأمر من الله للمؤمنين إذا أساء إليهم بعض إخوانهم المسلمين أن يعفوا عن إساءتهم ويصفحوا، وأصل العفو: من عفت الرياح الأثر إذا طمسته، والمعنى: فليطمسوا آثار الإساءة بحلمهم وتجاوزهم والصفح، قال بعض أهل العلم: مشتق من صفحة العنق، أي أعرضوا عن مكافأة إساءتهم حتى كأنكم تولونها بصفحة العنق، معرضين عنها:(ألا تحبون أن يغفر الله لكم) دليل على لأن العفو والصفح عن المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل.(٨)

وقوله صلى الله عليه وسلم:(ويل لأقماع القول) أي الذين لا يعون أوامر الشرع ولا يتأدبون بآدابه، قال جل ذكره:(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف ١٧٩ والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون وفي الحياة، والذين يغفلون عما يمر بهم من الأحداث والغير فلا يرون فيها يد الله... أولئك كالأنعام بل هم أضل..فللأنعام استعدادات فطرية تهديها، أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة والأذن الملتقطة، فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا، إذا مروا بالحياة غافلين لا تلتقط قلوبهم معانيها وغاياتها، ولا تلتقط أعينهم مشاهدها ودلالاتها، ولا تلتقط آذانهم إيقاعاتها وإيحاءاتها... فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية..ثم هم يكونون من ذرء جهنم!(٩)، وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ، وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ) الأنفال ٢٠-٢٢ جعلهم تعالى من جنس البهائم لصرفهم جوارحهم عما خلقت له، ثم جعلهم شرها لأنهم عاندوا بعد الفهم، وكابروا بعد العقل، وفي ذكرهم في معرض التشبيه بهذا الأسلوب غاية في الذم

وقوله صلى الله عليه وسلم:(ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون) وهؤلاء الأشرار على النقيض من أهل الخير الذين قال تعالى فيهم:(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) آل عمران ١٣٥ -١٣٦ والفاحشة أبشع الذنوب وأكبرها، ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهوون إليها من رحمة الله، ولا تجعلهم في ذيل القافلة.. قافلة المؤمنين.. إنما ترتفع بهم إلى أعلى مرتبة... مرتبة المتقين.. على شرط واحد، شرط يكشف عن طبيعة هذا الدين ووجهته..أن يذكروا الله فيستغفروا لذنوبهم، وألا يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أنه الخطيئة، وألا يتبجحوا بالمعصية في غير تحرج ولا حياء.. وبعبارة أخرى أن يكونوا في إطار العبودية لله، والاستسلام له في النهاية، فيظلوا في كنف الله وفي محيط عفوه ورحمته وفضله.

والإسلام لا يدعو بهذا إلى الترخص، ولا يمجد العاثر الهابط، ولا يهتف له بجمال المستنقع! كما تهتف [الواقعية] إنما هو يقيل عثرة الضعف، ليستجيش في النفس الإنسانية الرجاء، كما يستجيش فيها الحياء! فالمغفرة من الله ــ ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ ــ تخجل ولا تطمع، وتثير الاستغفار ولا تثير الاستهتار، فأما الذين يستهترون ويصرون فهم هنالك خارج الأسوار، موصدة في وجوههم الأسوار!(١٠)

الهوامش

(١) رواه أحمد في مسنده ٢/١٦٥، ٢١٩، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٣٨٠، والبيهقي في شعب الإيمان(صحيح) انظر حديث رقم: ٨٩٧ في صحيح الجامع ــ السيوطي / الألباني، والسلسلة الصحيحة للألباني رقم ٤٨٢
(٢) فيض القدير للمناوي ٢/٧٤٥(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن جرير والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود وأبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٩٠٩(٤) رواه الطبراني في الكبير عن جرير وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٥) رواه الطبراني عن أبي أمامة(حسن) انظر حديث رقم: ٦٢٦١ في صحيح الجامع.(٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عمرو(صحيح) انظر حديث رقم: ٣٥٢٢ في صحيح الجامع(٧) فيض القدير للمناوي ٢/٤٥٢(٨) أضواء البيان ـــ سورة النور ج ٥ بتصرف(٩) في ظلال القرآن ـــ سيد قطب ص ١٤٠١(١٠) الظلال ص ٤٧٧ بتصرف.

٤٠. مائة سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم

سنن النوم

١- النوم على وضوء: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للبراء بن عازب رضي الله عنه : ((إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن...)) الحديث. [متفق عليه:٦٣١١-٦٨٨٢] .

٢- قراءة سورة الإخلاص ، والمعوذتين قبل النوم: عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما: ((قل هو الله أحد)) و ((قل أعوذ برب الفلق)) و ((قل أعوذ برب الناس)) ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات. [رواه البخاري: ٥٠١٧]

٣- التكبير والتسبيح عند المنام : عن علي رضي الله عنه ، أن ! رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال حين طلبت منه فاطمة - رضي الله عنها - خادمًا: ((ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم ؟ إذا أويتما إلى فراشكما ، أو أخذتما مضاجعكما ، فكبرا أربعًا وثلاثين ، وسبحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين. فهذا خير لكما من خادم)) [متفق عليه: ٦٣١٨ ، ٦٩١٥]

٤- الدعاء حين الاستيقاظ أثناء النوم : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا ، استُجيب له ، فإنْ توضأ وصلى قُبلت صلاته)) [رواه البخاري: ١١٥٤].

٥- الدعاء عند الاستيقاظ من النوم بالدعاء الوارد : ((الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا ، وإليه النشور)) [رواه البخاري من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : ٦٣١٢].

سنن الوضوء والصلاة

٦ـ المضمضة والاستنشاق من غرفة واحدة: عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تمضمض ، واستنشق من كف واحدة)) [رواه مسلم: ٥٥٥] .
٧ـ الوضوء قبل الغُسل : عن عائشة رضي الله عنها ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم : ((كان إذا اغتسل من الجنابة ، بدأ فغسل يديه ، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة ، ثم يُدخل أصابعه في الماء ، فيخلل بها أصول الشعر ، ثم يَصُب على رأسه ثلاث غُرف بيديه ، ثم يُفيض الماء على جلده كله)) [رواه البخاري :٢٤٨].
٨ـ التشهد بعد الوضوء: عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أنَّ لا! إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله إلاَّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء)) [رواه مسلم: ٥٥٣].
٩ـ الاقتصاد في الماء: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ، ويتوضأ بالـمُد)) [متفق عليه: ٢٠١-٧٣٧].
١٠ـ صلاة ركعتين بعد الوضوء: قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يُحَدِّثُ فيهما نفسه ، غُفر له ما تقدم من ذنبه)) [متفق عليه من حديث حُمران مولى عثمان رضي الله عنهما:١٥٩ـ ٥٣٩] .
١١ـ الترديد مع المؤذن ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا! عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ، صلى الله عليه بها عشرًا ... الحديث)) [رواه مسلم: ٨٤٩].
ثم يقول بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته) رواه البخاري. من قال ذلك حلت له شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .
١٢ـ الإكثار من السواك: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((لولا أنْ أشق على أمتي ، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)) [متفق عليه:٨٨٧ ـ ٥٨٩].
كما أن من السنة، السواك عند الاستيقاظ من النوم ، وعند الوضوء ، وعند تغير رائحة الفم ، وعند قراءة القرآن ، وعند دخول المنزل.
١٣ـ التبكير إلى المسجد : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((... ولو يعلمون ما في التهجير (التبكير) لاستبقوا إليه ... الحديث)) [متفق عليه: ٦١٥-٩٨١] .
١٤ـ الذهاب إلى المسجد ماشيا: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات)) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط)) [رواه مسلم: ٥٨٧].

١٥ـ إتيان الصلاة بسكينة ووقار: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، وأتوها تمشون ، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا)) [متفق عليه: ٩٠٨ ـ ١٣٥٩] .
١٦ـ الدعاء عند دخول المسجد ، و الخروج منه : عن أبي حُميد الساعدي ، أو عن أبي أُسيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فلي قل: اللهم إني أسألك من فضلك)) [رواه مسلم: ١٦٥٢].
١٧ـ الصلاة إلى سترة : عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليُصَلِّ ، ولا يبال مَنْ مر وراء ذلك)) [رواه مسلم: ١١١١].

- السترة هي: ما يجعله المصلي أمامه حين الصلاة ، مثل: الجدار ، أو العمود ، أو غيره. ومؤخرة الرحل: ارتفاع ثُلثي ذراع تقريبا.

١٨ـ الإقعاء بين السجدتين: عن أبي الزبير أنه سمع طاووسا يقول: قلنا لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في الإقعاء على القدمين ، فقال : ((هي السنة)) ، فقلنا له: إنا لنراه جفاء بالرجل ، فقال ابن عباس: ((بل هي سنة نبيك صلى الله عليه وسلم)) [رواه مسلم: ١١٩٨] .

- الإقعاء هو: نصب القدمين والجلوس على العقبين ، ويكون ذلك حين الجلوس بين السجدتين.

١٩ـ التورك في التشهد الثاني: عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جلس في الركعة الآخرة ، قدم رجله اليسرى ، ونصب الأخرى ، وقعد على مقعدته)) [رواه البخاري: ٨٢٨] .
٢٠ـ الإكثار من الدعاء قبل التسليم: عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ((كنا إذا كنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ،إلى أن قال: ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو)) [رواه البخاري: ٨٣٥] .
٢١ـ أداء السنن الرواتب : عن أم حبيبة رضي الله عنها ، أنها سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول(ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة ، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة)) [رواه مسلم: ١٦٩٦].

- السنن الرواتب: عددها اثنتا عشرة ركعة، في اليوم والليلة ! : أربع ركعات قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء ، وركعتان قبل الفجر.

٢٢ـ صلاة الضحى : عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ((يصبح على كل سلامى (أي: مفصل) من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)) [رواه مسلم: ١٦٧١] .

• وأفضل وقتها حين ارتفاع النهار، واشتداد حرارة الشمس ، ويخرج وقتها بقيام قائم الظهيرة، وأقلها ركعتان ، ولا حدَّ لأكثرها.
٢٣- قيام الليل : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئل : أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة، فقال: ((أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة ، الصلاة في جوف الليل)) [رواه مسلم: ٢٧٥٦] .
٢٤- صلاة الوتر: عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا)) [متفق عليه:٩٩٨ - ١٧٥٥].
٢٥- الصلاة في النعلين إذا تحققت طهارتهما: سُئل أنس بن مالك رضي الله عنه : أكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي في نعليه؟ قال: ((نعم)) [رواه البخاري: ٣٨٦] .
٢٦- الصلاة في مسجد قباء: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: ((كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأتي قباء راكبًا وماشيًا)) زاد ابن نمير: حدثنا عبيدالله،عن نافع: ((فيصلي فيه ركعتين)) [متفق عليه: ١١٩٤، ٣٣٩٠]
٢٧- أداء صلاة النافلة في البيت : عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته ، ف! إن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا)) [رواه مسلم: ١٨٢٢] .
٢٨- صلاة الاستخارة: عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: ((كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن)) [رواه البخاري: ١١٦٢].
• وصفتها كما ورد في الحديث السابق: أن يصلي المرء ركعتين ، ثم يقول : ((اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمي حاجته) خير لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ، فاقدره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ، و معاشي ، وعاقبة أمري ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به)) .
٢٩- الجلوس في المصلى بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه : (أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنا) [رواه مسلم: ١٥٢٦] .
٣٠- الاغتسال يوم الجمعة : عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)) [متفق عليه: ٨٧٧ - ١٩٥١] .
٣١- التبكير إلى صلاة الجمعة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا كان يوم الجمعة ، وقفت الملائكة على باب المسجد ، يكتبون الأول فالأول ، ومثل المُهَجِّر (أي: المبكر) كمثل الذي يهدي بدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كبشاً ، ثم دجاجة، ثم بيضة ، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ، ويستمعون الذكر)) [متفق عليه: ٩٢٩ - ١٩٦٤] .

٣٢- تحري ساعة الإجابة يوم الجمعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذَكَرَ يوم الجمعة فقال: ! ((فيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلي ، يسأل الله تعالى شيئا ، إلا أعطاه إياه)) وأشار بيده يقللها. [متفق عليه: ٩٣٥ ـ ١٩٦٩].
٣٣- الذهاب إلى مصلى العيد من طريق، والعودة من طريق آخر: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كان يوم عيد خالف الطريق)) [رواه البخاري: ٩٨٦].
٣٤- الصلاة على الجنازة: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان)) قيل: وما القيراطان؟ قال: ((مثل الجبلين العظيمين)) [رواه مسلم: ٢١٨٩] .
٣٥- زيارة المقابر: عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ... الحديث)) [رواه مسلم: ٢٢٦٠].

- ملحوظة: النساء محرم عليهن زيارة المقابر كما أفتى بذلك الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ وجمع من العلماء.

سنن الصيام

٣٦- السحور: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تسحروا ؛ فإن في السحور بركة)) [متفق عليه: ١٩٢٣ ـ ٢٥٤٩].
٣٧- تعجيل الفطر ، وذلك إذا تحقق غروب الشمس : عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)) [متفق عليه: ١٩٥٧ ـ ٢٥٥٤].
٣٨- قيام رمضان : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ((من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه)) [متفق عليه: ٣٧-١٧٧٩]
٣٩- الاعتكاف في رمضان ، وخاصة في العشر الأواخر منه: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتكف العشر الآواخر من رمضان)) [رواه البخاري: ٢٠٢٥] .
٤٠- صوم ستة أيام من شوال: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((من صام رمضان ، ثم أتبعه ستًا من شوال ،كان كصيام الدهر)) [رواه مسلم: ٢٧٥٨]
٤١- صوم ثلاثة أيام من كل شهر: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: ((أوصاني خليلي بثلاث ، لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر)) [متفق عليه: ١١٧٨-١٦٧٢].

٤٢ـ صوم يوم عرفة: عن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن ! يكفر السنة التي قبلة، والسنة التي بعده)) [رواه مسلم: ٣٧٤٦] .
٤٣ـ صوم يوم عاشوراء: عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((صيام يوم عاشوراء ، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)) [رواه مسلم: ٣٧٤٦].

سنن السفر

٤٤ـ اختيار أمير في السفر: عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)) [رواه أبو داود: ٢٦٠٨] .
٤٥ـ التكبير عند الصعود والتسبيح عند النزول: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كنا إذا صعدنا كبرنا ، وإذا نزلنا سبحنا)) [رواه البخاري: ٢٩٩٤] .

- يكون التكبير عند صعود المرتفعات ، والتسبيح عند النزول وانحدار الطريق.

٤٦ـ الدعاء حين نزول منزل : عن خولة بنت حكيم ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء ، حتى يرتحل من منزله ذلك)) [رواه مسلم: ٦٨٧٨] .
٤٧ـ البدء بالمسجد إذا قدم من السفر: عن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه)) [متفق عليه: ٤٤٣-١٦٥٩] .

سنن اللباس و الطعام

٤٨ـ الدعاء عند لبس ثوب جديد: عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا استجد ثوبا سماه باسمه : إما قميصا ، أو عمامة، ثم يقول: ((اللهم لك الحمد ، أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره ، وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له)) [رواه أبو داود: ٤٠٢٠].
٤٩ـ لبس النعل باليمين : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ، وإذا خلع فليبدأ بالشمال، ولينعلهما جميعًا، أو ليخلعهما جميعًا)) [متفق عليه:٥٨٥٥ ـ ٥٤٩٥].
٥٠ـ التسمية عند الأكل: عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت في حجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي: ((يا غلام سم الله ، وكل بيمينك، وكل مما يليك)) [متفق عليه: ٥٣٧٦ ـ ٥٢٦٩] .
٥١ـ حمد الله بعد الأكل والشرب: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)) [رواه مسلم: ٦٩٣٢] .

٥٢- الجلوس عند الشرب : عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا)) [رواه مسلم: ٥٢٧٥] .
٥٣- المضمضة من اللبن: عن ابن عباس رضي الله عنه ،أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرب لبنًا فمضمض، وقال: ((إن له دسمًا)) [متفق عليه:٧٩٨-٥٦٠٩].
٥٤- عدم عيب الطعام: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: ((ما عاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طعامًا قط ، كان إذا اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه)) [متفق عليه:٥٤٠٩ ـ ٥٣٨٠]
٥٥- الأكل بثلاثة أصابع: عن كعب بن مال ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأكل بثلاث أصابع ، ويلعق يده قبل أن يمسحها)) [رواه مسلم: ٥٢٩٧ !]
٥٦- الشرب والاستشفاء من ماء زمزم: عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ماء زمزم: ((إنها مباركة ، إنها طعام طُعم)) [رواه مسلم: ٦٣٥٩] زاد الطيالسي: ((وشفاء سُقم))
٥٧- الأكل يوم عيد الفطر قبل الذهاب للمصلى: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : ((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات)) وفي رواية: ((ويأكلهن وترًا)) [رواه البخاري: ٩٥٣]

الذكر والدعاء
٥٨- الإكثار من قراءة القرآن : عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه !)) [رواه مسلم: ١٨٧٤].
٥٩- تحسين الصوت بقراءة القرآن: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((ما أَذِنَ الله لشيء ما أَذِنَ لنبي حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به)) [متفق عليه:٥٠٢٤ ـ ١٨٤٧].
٦٠- ذكر الله على كل حال: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يذكر الله على كل أحيانه)) [رواه مسلم: ٨٢٦] .
٦١- التسبيح : عن جويرية رضي الله عنها ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من عندها بُكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أنْ أضحى ، وهي جالسة ، فقال: ((ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها ؟)) قالت: نعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لقد قُلتُ بعدك أربَعَ كلماتٍ ، ثلاث مراتٍ ، لو وُزِنَت بما قلتِ مُنذ اليوم لَوَزَنتهُن: سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه، ورضا نفس! هِ ، وزنة عرشهِ ، ومِدادَ كلماته)) [رواه مسلم: ٢٧٢٦]
٦٢- تشميت العاطس: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إذا عطس أحدُكُم فليقل: الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله. فإذا قال له: يرحمك الله ، فليقل: يهديكم اللهُ ويُصْلِحُ بالكم)) [رواه البخاري: ٦٢٢٤]

٦٣- الدعاء للمريض: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على رجل يعوده ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((لا بأس طهور ، إن شاء الله)) [رواه البخاري: ٥٦٦٢]
٦٤- وضع اليد على موضع الألم ، مع الدعاء: عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، أنه شكا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعًا، يجده في جسده مُنذ أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ضع يدك! على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله ، ثلاثًا ، وقل سبع مرات: أعوذُ بالله وقدرتهِ من شَر ما أجد وأُحَاذر)) [رواه مسلم: ٥٧٣٧]
٦٥- الدعاء عند سماع صياح الديك ، والتعوذ عند سماع نهيق الحمار: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت مَلَكًا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطانًا)) [متفق عليه:٣٣٠٣ - ٦٩٢٠] .
٦٦- الدعاء عند نزول المطر: عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا رأى المطر قال: ((اللهم صيبًا نافعًا)) [رواه البخاري: ١٠٣٢] .
٦٧- ذكر الله عند دخول المنزل : عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله ـ عز وجل ـ عند دخوله ، وعند ! طعامه، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء)) [رواه مسلم: ٥٢٦٢].
٦٨- ذكر الله في المجلس: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ، ولم يُصَلوا على نبيهم،إلا كان عليهم تِرَة (أي: حسرة) فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم)) [رواه الترمذي: ٣٣٨٠] .
٦٩- الدعاء عند دخول الخلاء: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل (أي: أراد دخول) الخلاء قال: ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) [متفق عليه: ٦٣٢٢-٨٣١]
٧٠- الدعاء عندما تعصف الريح: عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ قال! ت: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا عصفت الريح قال: ((اللهم إني أ سألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أُرسلت به)) [رواه مسلم: ٢٠٨٥]
٧١- الدعاء للمسلمين بظهر الغيب: عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال المَلَكُ المُوَكَّلُ به: آمين ، ولك بمثل)) [رواه مسلم: ٦٩٢٨].
٧٢- الدعاء عند المصيبة: عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت ، سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله:

إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجُرني في مُصيبتي وأخلِف لي خيرًا منها ـ إلا أخلف الله له خيرًا منها)) [رواه مسلم: ٢١٢٦]
٧٣ـ إفشاء السلام: عن البَراءِ بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: ((أمَرنا النبي ـ صلى ! الله عليه وسلم ـ بسبع ، ونهانا عن سَبع: أمرنا بعِيادة المريض، ... وإفشَاء السلام ،... الحديث)) [متفق عليه: ٥١٧٥ ـ ٥٣٨٨] .

سنن متنوعة
٧٤ـ طلب العلم: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة)) [رواه مسلم: ٦٨٥٣] .
٧٥ـ الاستئذان قبل الدخول ثلاثاً: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الاستئذان ثلاثٌ، فإن أُذن لك، و إلا فارجع)) [متفق عليه:٦٢٤٥ـ ٥٦٣٣].
٧٦ـ تحنيك المولود : عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: ((وُلد لي غلام ، فأتيت به النبي ـ صلى الله عليه! وسلم ـ فسماه إبراهيم ، فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ... الحديث)) [متفق عليه: ٥٤٦٧ ـ ٥٦١٥]
• التحنيك: هو مضغ طعام حلو ، وتحريكه في فم المولود ، والأفضل أن يكون التحنيك بالتمر.
٧٧ـ العقيقة عن المولود: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ((أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نعق عن الجارية شاة ، وعن الغلام شاتين)) [رواه أحمد: ٢٥٧٦٤] .
٧٨ـ كشف بعض البدن ليصيبه المطر: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: أصابنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطر . قال: فحسر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ثوبه حتى أصابه من المطر ، فقلنا: يا رسول الله! لم صنعت هذا؟ قال: ((لأنه حديث عهد بربه)) [رواه مسلم: ٢٠٨٣] .
• حسر عن ثوبه أي: كشف بعض بدنه.
٧٩ـ عيادة المريض: عن ثوبان ، مولى رسول الله صلى الله عليه وس! لم ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((من عاد مريضا ، لم يزل في خُرفَة الجنة)) قيل : يا رسول الله! وما خُرفة الجنة؟ قال: ((جناها)) [رواه مسلم: ٦٥٥٤] .
٨٠ـ التبسم: عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)) [رواه مسلم: ٦٦٩٠] .
٨١ـ التزاور في الله : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا (أي: أقعده على الطريق يرقبه) فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا ، غير أني أحببته في الله عز

وجل ، قال: فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)) [رواه مسلم: ٦٥٤٩].

٨٢- إعلام الرجل أخيه أنه يحبه : عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ، أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إذا أحب أحدكم أخاه ، فليُعْلِمه أنه يحبه)) [رواه أحمد: ١٦٣٠٣] .

٨٣- رد التثاؤب: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال: ها ، ضحك الشيطان)) [متفق عليه:٣٢٨٩ ـ ٧٤٩٠].

٨٤- إحسان الظن بالناس: عن أبي هـريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إياكم والظن، فإنَّ الظن أكذب الحديث)) [متفق عليه: ٦٥٣٦-٦٠٦٧] .

٨٥- معاونة الأهل في أعمال المنزل: عن الأسود قال: سَألتُ عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصنع في بيته؟ قالت: ((كان يكون في مهنة أهله (أي: خدمتهم) ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)) [رواه البخاري: ٦٧٦] .

٨٦- سُنن الفطرة: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان ، والاستحداد (حلق شعر العانة) ، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب)) [متفق عليه: ٥٨٨٩ ـ ٥٩٧] .

٨٧- كفالة اليتيم: عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)) . و قال بإصبعيه السبابة والوسطى.[رواه البخاري: ٦٠٠٥] .

٨٨- تجنب الغضب: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني ، قال: ((لا تغضب)) . فردد مرارًا ، قال: ((لا تغضب)) [رواه البخاري: ٦١١٦] .

٨٩ ـ البكاء من خشية الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ... وذكر منهم : ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)) [متفق عليه: ٦٦٠-١٠٣١].

٩٠- الصدقة الجارية: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)) [رواه مسلم: ٤٢٢٣]

٩١- بناء المساجد: عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم أكثرتم وإني سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((من بنى مسجدًا ـ قال بُكير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله ـ بنى الله له مثله في الجنة)) [متفق عليه: ٤٥٠ـ ٥٣٣]

٩٢- السماحة في البيع والشراء: عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع ، و إذا اشترى ، وإذا اقتضى)) [رواه البخاري: ٢٠٧٦]
٩٣- إزالة الأذى عن الطريق: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((بينما رجل يمشي بطريق ، وجد غُصن شوك على الطريق ، فأخره ، فشكر الله له ، فغفر له)) [رواه مسلم: ٤٩٤٠]
٩٤- الصدقة : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فَلُوة حتى تكون مثل الجبل)) [متفق عليه: ١٤١٠-١٠١٤]

٩٥- الإكثار من الأعمال الصالحة في عشر ذي الحجة: عن بن عباس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: ((ما العمل في أيام أفضل منها في هذه (يعني أيام العشر))) قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ((ولا الجهاد ، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء)) [رواه البخاري: ٩٦٩]
٩٦- قتل الوزغ : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قتل وزغا في أول ضربة كتبت له مئة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك ، وفي الثالثة دون ذلك)) [رواه مسلم ٨٥٤٧]
٩٧- النهي عن أن يُحَدِّث المرء بكل ما سمع: عن حفص بن عاصم ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كفى بالمرء إثمًا أن يُحَدِّث بكل ما سمع)) [رواه مسلم: ٧]
٩٨- احتساب النفقة على الأهل: عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة ، ! وهو يحتسبُها، كانت له صدقة)) [رواه مسلم: ٢٣٢٢]
٩٩- الرَّمَل في الطواف: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا طاف الطواف الأول، خبَّ (أي: رَمَلَ) ثلاثا ومشى أربعًا ... الحديث)) [متفق عليه :١٦٤٤ـ ٣٠٤٨]
- الرَّمَل: هو الإسراع بالمشي مع مقاربة الخطى. ويكون في الأشواط الثلاثة من الطواف الذي يأتي به المسلم أول ما يقدم إلى مكة ، سواء كان حاجًا أو معتمرًا.
١٠٠- المداومة على العمل الصالح وإن قل: عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((أدوَمها وإن قلَّ)) [متفق عليه:٦٤٦٥ـ ١٨٢٨]
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وآله وصحبه أجمعين.

٤١. من وصايا الرسول الكريم

إعداد/ محمد توفيق
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:

ورد عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بعض الوصايا الجامعة المانعة عظيمة القدر والفائدة التي لا غنى لمسلم عنها في حياته اليومية وأحواله العامة والخاصة، وبين يديك بعض الوصايا مع اعتراف العجز عن الإحاطة بكل وصاياه صلى الله عليه وسلم:

١. وصايا سبع جامعة من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أمرني خليلي بسبع:

١. أمرني بحب المساكين والدنو منهم.

٢. وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي.

٣. وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت.

٤. وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا.

٥. وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مُرًّا.

٦. وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم.

٧. وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش.

٢. الوصية بزيارة القبور والاعتبار بالموتى:

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله أوصاه فقال له: "زُر القبور تذكر الآخرة، واغسل الموتى، فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة".

٣. وصايا سبع بليغة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصاني ربي بسبع أوصيكم بها:

١. أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية.

٢. والعدل في الرضا والغضب.

٣. والقصد في الغنى والفقر.

٤. وأن أعفو عمّن ظلمني.

٥. وأعطي من حرمني.

٦. وأصل من قطعني.

٧. وأن يكون: صمتي فكرًا، ونُطقي ذكرًا، ونظري عِبَرًا".

٤. خمس وصايا نافعات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعلّم من يعمل بهن؟" فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعدّ خمسًا فقال:"

١. اتّقِ المحارم تكن أعبد الناس.

٢. وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.

٣. وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا.

٤. وأحبَّ للناس ما تُحبّ لنفسك تكن مسلمًا.

٥. ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب".

٥. الوصية بذكر الله بعد الصلاة:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله أخذ بيده وقال: "يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: "أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".
٦. من حقوق المسلم على المسلم:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ مسلم من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه".
٧. وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف".
٨. مقدمات دخول الجنة:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني فأنبئني عن كل شيء؟ فقال:" كل شيء خُلق من ماء" قال: قلت يا رسول الله أنبئني عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنّة؟ قال: "أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقُم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام".
٩. ثلاث وصايا من النبي صلى الله عليه لأبي هريرة رضي الله عنه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت:
١. صوم ثلاثة أيام من كل شهر.
٢. وصلاة الضحى.
٣. ونوم على وتر".
١٠. الوصية بالإحسان في ذبح الحيوان:
عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليُحدّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته".
١١. النهي عن الإسراف والخيلاء:
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله : "كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة".
١٢. ستة أمور يضمن بها الجنة
عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة:
١. اصدقوا إذا حدّثتم.
٢. وأوفوا إذا وعدتم.

٣. وأدّوا إذا اؤتمنتم.
٤. واحفظوا فروجكم.
٥. وغضوا أبصاركم.
٦. وكُفّوا أيديكم".
١٣. اغتنم خمسًا قبل خمس:
قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: اغتنم خمسًا قبل خمس:
١. شبابك قبل هرمك.
٢. وصحتك قبل سقمك.
٣. وغناك قبل فقرك.
٤. وفراغك قبل شغلك.
٥. وحياتك قبل موتك".
١٤. كن في الدنيا كأنك غريب:
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".
١٥. من وصاياه في السفر:
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "السّفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه، وشرابه، ونومه فإذا قضى نهمته فليعجّل إلى أهله".
١٦. من أذكار الصباح والمساء:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيّوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".
١٧. من صفات المؤمن:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى اله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".
١٨. في ذم الظلم والشُّح:
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّحّ، فإن الشُّحّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم".
١٩. النهي عن الدعاء على النفس والأولاد والمال:
عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم".

٢٠. اجتنبوا السبع الموبقات:
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا: يا رسول الله وما هُنّ؟ قال:
١. الشرك بالله.
٢. والسحر.
٣. وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق.
٤. وأكل الربا.
٥. وأكل مال اليتيم.
٦. والتولي يوم الزحف.
٧. وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات".
٢١. إعاذة من استعاذ بالله:
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".
٢٢. في فضل يوم الجمعة:
عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خُلِق آدم وفيه قُبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ".
٢٣. عشر وصايا من النبي لمعاذ
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:
أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات فقال:
١. لا تُشرك بالله وإن قُتلت وحُرقت.
٢. ولا تعُقنّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك.
٣. ولا تتركنّ صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمّدًا فقد برئت منه ذمة الله.
٤. ولا تشربنّ خمرًا فإنه رأس كل فاحشة.
٥. وإياك والمعصية فإن بالمعصية حلّ سخط الله.
٦. وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس.
٧. وإن أصاب الناس موت فاثبت.
٨. وأنفق على أهلك من طولك.
٩. ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا.
١٠. وخِفهم في الله".
....
هذه الوصايا ملخص ما جاء في كتاب بعنوان وصايا الرسول (ثلاثون وصية من وصايا الرسول) للشيخ الجليل محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى.
٤٢. خطيب العالم

د.سلمان بن فهد العودة

في الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا؛ فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتَكُمْ، لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟).

قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.

قَالَ: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ!).

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الخطبة أيضاً: (يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا). رواه مسلم هكذا كانت أشهر خطب النبي صلى الله عليه وسلم، وبها انتقلت الدعوة من السر إلى العلن، كانت تبليغاً وإنذاراً وتبشيراً بكلمات قلائل، ووقت يسير، ولم تأخذ هذه الخطبة وقتاً طويلاً ولا شرحاً مملاً، ولا سجعاً متكلفاً مما تنوء به بعض الخطب.

بهذه الخطبة أوجز النبي - صلى الله عليه وسلم - كلامه، وأوتي في كل حديثه جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، ومع أهمية هذه الخطبة وتاريخيتها ودورها في فجر هذا الدين الإسلامي؛ فإنها لم تتشعب في التفاصيل، ولم تسهب في الشرح، فهي خطبة عظيمة لعظم المعنى الذي تحمله، والألفاظ التي عبّرت عن هذا المعنى، وجزالة الحرف، وصدق اللهجة، وشرف الموقف.

ومثل ذلك كانت خطبه صلى الله عليه وسلم، ولقد تعجبت يوم اطلعت على كتب السنة المعروفة؛ كالصحيحين، والسنن وغيرها، فلم أجد تلك الخطب الطويلة، والأحاديث المسهبة، وما يمكن وصفه بالطول تجد أن له متعلقاً بقصة أو معركة، فخطبته - صلى الله عليه وسلم - كلمات معدودة، لكنها تمتاز بخصائص نموذجية عالية مثل (الشمولية) في المعالجة للموضوعات المختلفة في شتى شؤون الحياة والعلم والدعوة، والسياسة والفقه، والعسكرية والإيمان؛ فهي ليست وعظاً محضاً مجرداً، بل يمتزج فيها الترغيب بالترهيب، والقصة بالعبرة، والحدث بالتحليل، والماضي بالحاضر بالمستقبل، وقضايا الإيمان واليقين بمسائل التشريع والتوجيه والتربية.

في لغة سهلة قريبة يفهمها الجميع، ولم تكن خطاباً خاصاً موجهاً للنخبة أو العلية، ولا لشريحة معينة؛ فالصغار والبسطاء والعامة مخاطبون بشكل مباشر، ولهم أهميتهم وقدرهم في خطاب لا تستهلكه الأحداث عن التوجيه والتربية العامة، كما لا يغيب عنها طرفة عين، كيف؟ وهو الصانع الرئيس لأهم الأحداث عليه السلام، والمشارك الأساس للناس في همومهم ومعايشة أدق التفاصيل في حياتهم.

ومن أعمق الملاحظات في وصف خطبه - صلى الله عليه وسلم - القول بأنها لغة (حوارية)؛ ممتلئة بكل أشكال تفاعل الناس والتفاعل معهم، والكثير الكثير من خطبه تجد أن أحداً يقوم فيسأل، وآخر يقوم فيستشكل، وثالث يشكو، ورابع يحكي..

وفي الصحيحين - فقط - من ذلك شيء عجيب، مثل حديث أنس، حينما كان صلى الله عليه وسلم يخطب، فدخل رجل فقال: يا رسول الله ألا تستسقي لنا؟!

فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقاهم الله، ثم في الجمعة القادمة دخل رجل؛ فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يمسكه عنا (أي: المطر).

ففعل صلى الله عليه وسلم، فأمسكه الله.

وفي خطبة عيد الأضحى، قام أبو برزة فقال: يا رسول الله إني ذبحت عناقاً.. إلخ وما أكثر الذين يقومون أو يدخلون من باب مسجده؛ فيسألونه وهو يخطب.

ومن ألطف هذا التفاعل نزوله - صلى الله عليه وسلم - من منبره وقد أَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - رضي الله عنهما - عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا، فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ اللَّهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ} رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ). ثم أكمل خطبته. كما عند أهل السنن وأحمد.

وهو صلى الله عليه وسلم بدوره كان يسأل ويوجّه، ويقيّم الذين لم يؤدوا تحية المسجد، ليعلم الناس أن هذه الخطب النبوية الشريفة تعايش واقع الناس، وتفهمه، وتوجهه إلى أرشد سبيل وأقوم نهج، بأسلوب علمي وعملي، دون أن تلحقه آفات التجريد والتنظير التي شغل بها بعض المعاصرين، أو سيئات التحزب والتصعيد التي فتن بها آخرون، وطريق الاعتدال هو بين الغياب عن هموم الناس وأحداثهم وبين أن تستهلكه مجموعة من الأحداث التي تفقده توازنه وتماسكه.

وأذكر لمّا دخل النظام البعثي الكويت صليت الجمعة مع أحد الخطباء، وكان الناس ينتظرون توجيهه حول الحدث والتعليق عليه، لكن فوجئت وفوجئ المستمعون بأنه كان يتحدث عن عذاب القبر، ولا أحد يقلل من قيمة الحديث عن ذلك، ولكن الموقف كان يستدعي نوعاً من الكلام المختلف، يتطلب شيئاً من التوعية والإضاءة للناس، فلو تكلم عن الإيمان أو التوكل أو الصبر أو أي شيء قريب من ذلك يمكن ربطه بالحدث؛ لكان أقرب إلى عقول الناس وحديثهم.

إن على من يريد توجيه الناس وإصلاحهم وبث الوعي الإيجابي ودعوتهم للإسلام أن يطالب نفسه باستخدام لهجة يفهمها الناس ويعرفونها، واستعمال أسلوب يتعاطى مع حسهم قبل أن يصف الناس بقلة الفهم وانحطاط الوعي والإدراك، وقبل أن يصفهم بالبعد عن الدين والعلم. إن اللغة السهلة القريبة الرقيقة هي جسر التواصل بين الخطباء والناس؛ فتأهيل الخطيب بفقه عام لأحوال الناس ولغتهم بُنْيةٌ أساسية لتحقيق فهم الناس للخطبة أولاً، وتفاعلهم واستجابتهم لها ثانياً، وهذا التأهيل أو قريب منه هو الذي اعترف به قوم صالح لنبيهم صالح عليه السلام، حين قالوا عنه: {يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} (سورة هود:٦٢)، لقد كان (مَرْجُوًّا) لأنهم يعرفونه، وعاش معهم لحظات الوجود أولاً بأول، فكان خطابه محرجاً للجميع؛ لأنه جاء بالحق والدين والإيمان في واقع يعرفه جيداً، ولأناس هم قومه الذين عرفهم وعرفوه فكان (مَرْجُوًّا) فيهم.

ورسولنا - صلى الله عليه وسلم - خير من أثبت في خطبته معنى الاهتمام بمخاطبة الناس، حتى إنه كان يفرق صلى الله عليه وسلم بين فئات المجتمع، ويدرك الفروق، وفي الصحيحين قصة خطبته للنساء، ووعظه لهن، وتفاعل النساء وأسئلتهن له صلى الله عليه وسلم، فالنساء تقوم، فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستفسر وتستوضح في جو من التفاهم بديع.
وحتى منبره - صلى الله عليه وسلم - كان أرفع من الناس قليلاً، ليكون أقرب لشد انتباه الناس، واسترعاء اهتمامهم.
وكذا صوته صلى الله عليه وسلم، فلم يكن على وتيرة واحدة، فالطريقة الواحدة تبعث الملل، فكان يرفع صوته ويخفضه، ولذا كانت خطبة الجمعة خطبتين، بينهما جلسة قصداً لتيسير فهم الخطبة، والاستجابة لها.
ويقول جابر: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب يرفع صوته ويخفضه، ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه؛ كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم. رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما.
وبالطبع فهذه ليست كل أحواله في خطبه، فهي تختلف في احتياجها لمثل هذا الشعور، فالموضوع والحدث يفرض أحياناً نوعاً من الاهتمام يختلف عن موضوع وحدث آخر.
لكن؛ بهذه الأوصاف جميعاً تدرك دقة المتابعة، ورقي الإحساس النبوي في الخطبة، وترى في الوقت ذاته غفلة بعض الخطباء عن هذه المعاني والأوصاف، وترى بُعدهم عن الهدي النبوي، فتشاهد إما طولاً مفرطاً، أو لغة رديئة، أو بعداً عن هموم الناس ومشاعرهم، أو ركاكة في التعبير، أو انفعالاً يبتعد عن سبيل الاعتدال الذي هو سمة هذه الأمة حين تُخاطب الناس، لتكون شهيدة عليهم، ومبلغة لرسالة الدين والحق، على خطى نبيها محمد صلى الله عليه وسلم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (سورة البقرة: ١٤٣).

٤٣. هدي النبي صلى الله عليه وسلم في سفره وترحاله

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٤٤)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرِهِ وَعِبَادَتِهِ فِيهِ
كَانَتْ أَسْفَارُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَسْفَارٍ سَفَرُهُ لِهِجْرَتِهِ وَسَفَرُهُ لِلْجِهَادِ وَهُوَ أَكْثَرُهَا وَسَفَرُهُ لِلْعُمْرَةِ وَسَفَرُهُ لِلْحَجّ . [ص ٤٤٥] وَكَانَ إذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيّتُهُنّ خَرَجَ سَهْمُهَا سَافَرَ بِهَا مَعَهُ وَلَمّا حَجّ سَافَرَ بِهِنّ جَمِيعًا . وَكَانَ إذَا سَافَرَ خَرَجَ مِنْ أَوّلِ النّهَارِ وَكَانَ يَسْتَحِبّ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَدَعَا اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لِأُمّتِهِ فِي بُكُورِهَا وَكَانَ إذَا بَعَثَ سَرِيّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوّلِ النّهَارِ وَأَمَرَ الْمُسَافِرِينَ إذَا كَانُوا ثَلَاثَةً أَنْ يُؤَمّرُوا أَحَدَهُمْ وَنَهَى أَنْ يُسَافِرَ الرّجُلُ وَحْدَه وَأَخْبَرَ أَنّ الرّاكِبَ شَيْطَانٌ وَالرّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثّلَاثَةُ رَكْبٌ وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ حِينَ يَنْهَضُ لِلسّفَرِ اللّهُمّ إلَيْك تَوَجّهْت وَبِكَ اعْتَصَمْت اللّهُمّ اكْفِنِي مَا أَهَمّنِي وَمَا لَا أَهْتَمّ بِهِ اللّهُمّ زَوّدْنِي التّقْوَى وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَجّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجّهْتُ [ص ٤٤٦] وَكَانَ إذَا قُدِمَتْ إلَيْهِ دَابّتُهُ لِيَرْكَبَهَا يَقُولُ بِسْمِ اللّهِ حِينَ يَضَعُ رِجْلَهُ فِي الرّكَابِ وَإِذَا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي سَخّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنّا إلَى رَبّنَا

لَمُنْقَلِبُونَ ثُمّ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ ثُمّ يَقُولُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ ثُمّ يَقُولُ سُبْحَانَكَ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أَنْتَ وَكَانَ يَقُولُ (اللّهُمّ إنّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرّ وَالتّقْوَى وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللّهُمّ هَوّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنّا بُعْدَهُ اللّهُمّ أَنْتَ الصّاحِبُ فِي السّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنّ وَزَادَ فِيهِنّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبّنَا حَامِدُونَ وَكَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إذَا عَلَوْا الثّنَايَا كَبّرُوا وَإِذَا هَبَطُوا الْأَوْدِيَةَ سَبّحُوا . وَكَانَ إذَا أَشْرَفَ عَلَى قَرْيَةٍ يُرِيدُ دُخُولَهَا يَقُولُ اللّهُمّ رَبّ السّمَوَاتِ السّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبّ الْأَرَضِينَ السّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبّ الرّيَاحِ وَمَا ذَرّيْنَ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهَا وَشَرّ أَهْلِهَا وَشَرّ مَا فِيهَا [ص ٤٤٧] وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ . وَخَيْرِ مَا جَمَعْتَ فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهَا وَشَرّ مَا جَمَعْتَ فِيهَا اللّهُمّ ارْزُقْنَا جَنَاهَا وَأَعِذْنَا مِنْ وَبَاهَا وَحَبّبْنَا إلَى أَهْلِهَا وَحَبّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إلَيْنَا

[مَبْحَثٌ فِي قَصْرِ الصّلَاةِ]

وَكَانَ يَقْصُرُ الرّبَاعِيّةَ فَيُصَلّيهَا رَكْعَتَيْنِ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مُسَافِرًا إلَى أَنْ يَرْجِعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ أَتَمّ الرّبَاعِيّةَ فِي سَفَرِهِ أَلْبَتّةَ وَأَمّا حَدِيثُ عَائِشَةَ : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْصُرُ فِي السّفَرِ وَيُتِمّ وَيُفْطِرُ وَيَصُومُ فَلَا يَصِحّ . وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ هُوَ كَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْتَهَى وَقَدْ رُوِيَ كَانَ يَقْصُرُ وَتُتِمّ الْأَوّلُ بِالْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ وَالثّانِي بِالتّاءِ الْمُثَنّاةِ مِنْ فَوْقٍ وَكَذَلِكَ يُفْطِرُ وَتَصُومُ أَيْ تَأْخُذُ هِيَ بِالْعَزِيمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيّةَ : وَهَذَا بَاطِلٌ مَا كَانَتْ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ [ص ٤٤٨] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ فَتُصَلّيَ خِلَافَ صَلَاتِهِمْ كَيْفَ وَالصّحِيحُ عَنْهَا أَنّهَا قَالَتْ إنّ اللّهَ فَرَضَ الصّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمّا هَاجَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرّتْ صَلَاةُ السّفَرِ فَكَيْفَ يُظَنّ بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُصَلّيَ بِخِلَافِ صَلَاةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ . قُلْت : وَقَدْ أَتَمّتْ عَائِشَةُ بَعْدَ مَوْتِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ وَغَيْرُهُ إنّهَا تَأَوّلَتْ كَمَا تَأَوّلَ عُثْمَانُ وَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْصُرُ دَائِمًا فَرَكّبَ بَعْضُ الرّوَاةِ مِنْ الْحَدِيثَيْنِ حَدِيثًا وَقَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْصُرُ وَتُتِمّ هِيَ فَغَلِطَ بَعْضُ الرّوَاةِ فَقَالَ كَانَ يَقْصُرُ وَيُتِمّ أَيْ هُوَ . وَالتّأْوِيلُ الّذِي تَأَوّلَتْهُ قَدْ اُخْتُلِفَ فِيهِ فَقِيلَ ظَنّتْ أَنّ الْقَصْرَ مَشْرُوطٌ بِالْخَوْفِ فِي السّفَرِ فَإِذَا زَالَ الْخَوْفُ زَالَ سَبَبُ الْقَصْرِ وَهَذَا التّأْوِيلُ غَيْرُ صَحِيحٍ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَافَرَ آمِنًا وَكَانَ يَقْصُرُ الصّلَاةَ وَالْآيَةُ قَدْ أَشْكَلَتْ عَلَى عُمَرَ وَعَلَى غَيْرِهِ فَسَأَلَ عَنْهَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَجَابَهُ بِالشّفَاءِ وَأَنّ هَذَا صَدَقَةٌ مِنْ اللّهِ وَشَرْعٌ شَرَعَهُ لِلْأُمّةِ وَكَانَ هَذَا بَيَانَ أَنّ حُكْمَ الْمَفْهُومِ غَيْرُ مُرَادٍ [ص ٤٤٩] يُقَالُ إنّ الْآيَةَ اقْتَضَتْ قَصْرًا يَتَنَاوَلُ قَصْرَ الْأَرْكَانِ بِالتّخْفِيفِ وَقَصْرَ الْعَدَدِ بِنُقْصَانِ رَكْعَتَيْنِ وَقُيّدَ ذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ الضّرْبِ فِي الْأَرْضِ وَالْخَوْفِ فَإِذَا وُجِدَ الْأَمْرَانِ أُبِيحَ الْقَصْرَانِ فَيُصَلّونَ صَلَاةَ الْخَوْفِ مَقْصُورَةً عَدَدَهَا وَأَرْكَانَهَا وَإِنْ انْتَفَى الْأَمْرَانِ فَكَانُوا آمِنِينَ مُقِيمِينَ انْتَفَى الْقَصْرَانِ فَيُصَلّونَ صَلَاةً تَامّةً كَامِلَةً وَإِنْ وُجِدَ أَحَدُ السّبَبَيْنِ تَرَتّبَ عَلَيْهِ

قَصْرُهُ وَحْدَهُ فَإِذَا وُجِدَ الْخَوْفُ وَالْإِقَامَةُ قُصِرَتْ الْأَرْكَانُ وَاسْتُوْفِيَ الْعَدَدُ وَهَذَا نَوْعُ قَصْرٍ وَلَيْسَ بِالْقَصْرِ الْمُطْلَقِ فِي الْآيَةِ فَإِنْ وُجِدَ السَّفَرُ وَالْأَمْنُ قُصِرَ الْعَدَدُ وَاسْتُوْفِيَ الْأَرْكَانُ وَسُمِّيَتْ صَلَاةَ أَمْنٍ وَهَذَا نَوْعُ قَصْرٍ وَلَيْسَ بِالْقَصْرِ الْمُطْلَقِ وَقَدْ تُسَمَّى هَذِهِ الصَّلَاةُ مَقْصُورَةً بِاعْتِبَارِ نُقْصَانِ الْعَدَدِ وَقَدْ تُسَمَّى تَامَّةً بِاعْتِبَارِ إتْمَامِ أَرْكَانِهَا وَأَنَّهَا لَمْ تَدْخُلْ فِي قَصْرِ الْآيَةِ وَالْأَوَّلُ اصْطِلَاحُ كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالثَّانِي يَدُلّ عَلَيْهِ كَلَامُ الصَّحَابَةِ كَعَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا قَالَتْ عَائِشَةُ : فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى الْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ فَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ صَلَاةَ السَّفَرِ عِنْدَهَا غَيْرُ مَقْصُورَةٍ مِنْ أَرْبَعٍ وَإِنَّمَا هِيَ مَفْرُوضَةٌ كَذَلِكَ وَأَنَّ فَرْضَ الْمُسَافِرِ رَكْعَتَانِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً مُتَّفَقٌ عَلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ وَالْجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ وَالْعِيدِ رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى [ص ٤٥٠] عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُنَا نَقْصُرُ وَقَدْ أَمِنَّا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ بِهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ حَدِيثَيْهِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَجَابَهُ بِأَنَّ هَذِهِ صَدَقَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَدِينُهُ الْيُسْرُ السَّمْحُ عَلِمَ عُمَرُ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ الْآيَةِ قَصْرَ الْعَدَدِ كَمَا فَهِمَهُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَقَالَ صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ . وَعَلَى هَذَا فَلَا دِلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى أَنَّ قَصْرَ الْعَدَدِ مُبَاحٌ مَنْفِيٌّ عَنْهُ الْجُنَاحُ فَإِنْ شَاءَ الْمُصَلِّي فَعَلَهُ وَإِنْ شَاءَ أَتَمَّ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاظِبُ فِي أَسْفَارِهِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يُرَبِّعْ قَطُّ إلَّا شَيْئًا فَعَلَهُ فِي بَعْضِ صَلَاةِ الْخَوْفِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ هُنَاكَ وَنُبَيِّنُ مَا فِيهِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَالَ أَنَسٌ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ صَلَّى بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَالَ إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ فَلَيْتَ حَظِّي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ [ص ٤٥١] ابْنُ مَسْعُودٍ لِيَسْتَرْجِعَ مِنْ فِعْلِ عُثْمَانَ أَحَدَ الْجَائِزَيْنِ الْمُخَيَّرِ بَيْنَهُمَا بَلْ الْأَوْلَى عَلَى قَوْلٍ وَإِنَّمَا اسْتَرْجَعَ لِمَا شَاهَدَهُ مِنْ مُدَاوَمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ عَلَى صَلَاةِ رَكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ . وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ فِي السَّفَرِ لَا يَزِيدُ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ . يَعْنِي فِي صَدْرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَإِلَّا فَعُثْمَانُ قَدْ أَتَمَّ فِي آخِرِ خِلَافَتِهِ وَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أُنْكِرَتْ عَلَيْهِ . وَقَدْ خَرَجَ لِفِعْلِهِ تَأْوِيلَاتٌ أَحَدُهَا : أَنَّ الْأَعْرَابَ كَانُوا قَدْ حَجُّوا تِلْكَ السَّنَةِ فَأَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ أَنَّ فَرْضَ الصَّلَاةِ أَرْبَعٌ لِئَلَّا يَتَوَهَّمُوا أَنَّهَا رَكْعَتَانِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَحْرَى بِذَلِكَ فِي حَجِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ وَالْعَهْدُ بِالصَّلَاةِ قَرِيبٌ وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُرَبِّعْ بِهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . التَّأْوِيلُ الثَّانِي : أَنَّهُ كَانَ إمَامًا لِلنَّاسِ وَالْإِمَامُ حَيْثُ نَزَلَ فَهُوَ عَمَلُهُ وَمَحَلُّ وِلَايَتِهِ فَكَأَنَّهُ وَطَنُهُ وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّ إمَامَ

الْخَلَائِقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ وَكَانَ هُوَ الْإِمَامَ الْمُطْلَقَ وَلَمْ يُرَبِّعْ . التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ أَنَّ مِنًى كَانَتْ قَدْ بُنِيَتْ وَصَارَتْ قَرْيَةً كَثُرَ فِيهَا الْمَسَاكِنُ فِي عَهْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ كَانَتْ فَضَاءً وَلِهَذَا قِيلَ [ص ٤٥٢] بِمِنًى بَيْتًا يُظِلُّكَ مِنْ الْحَرِّ ؟ فَقَالَ لَا . مِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ فَتَأَوَّلَ عُثْمَانُ أَنَّ الْقَصْرَ إنَّمَا يَكُونُ فِي حَالِ السَّفَرِ . وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ . التَّأْوِيلُ الرَّابِعُ أَنَّهُ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِيمُ الْمُهَاجِرُ بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِ ثَلَاثًا فَسَمَّاهُ مُقِيمًا وَالْمُقِيمُ غَيْرُ مُسَافِرٍ وَرُدَّ هَذَا التَّأْوِيلُ بِأَنَّ هَذِهِ إقَامَةٌ مُقَيَّدَةٌ فِي أَثْنَاءِ السَّفَرِ لَيْسَتْ بِالْإِقَامَةِ الَّتِي هِيَ قَسِيمُ السَّفَرِ وَقَدْ أَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ وَأَقَامَ بِمِنًى بَعْدَ نُسُكِهِ أَيَّامَ الْجِمَارِ الثَّلَاثِ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ . التَّأْوِيلُ الْخَامِسُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِقَامَةِ وَالِاسْتِيطَانِ بِمِنًى وَاتِّخَاذِهَا دَارَ الْخِلَافَةِ فَلِهَذَا أَتَمَّ ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ يَرْجِعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَيْضًا مِمَّا لَا يَقْوَى فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَقَدْ مَنَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ الْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ بَعْدَ نُسُكِهِمْ وَرَخَّصَ لَهُمْ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ فَلَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ لِيُقِيمَ بِهَا وَقَدْ مَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا رَخَّصَ فِيهَا ثَلَاثًا وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوهَا لِلَّهِ وَمَا تُرِكَ لِلَّهِ فَإِنَّهُ لَا يُعَادُ فِيهِ وَلَا يُسْتَرْجَعُ وَلِهَذَا مَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شِرَاءِ الْمُتَصَدِّقِ لِصَدَقَتِهِ وَقَالَ لِعُمَرَ : لَا تَشْتَرِهَا وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ [ص ٤٥٣] فَجَعَلَهُ عَائِدًا فِي صَدَقَتِهِ مَعَ أَخْذِهَا بِالثَّمَنِ . التَّأْوِيلُ السَّادِسُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَأَهَّلَ بِمِنًى وَالْمُسَافِرُ إذَا أَقَامَ فِي مَوْضِعٍ وَتَزَوَّجَ فِيهِ أَوْ كَانَ لَهُ بِهِ زَوْجَةٌ أَتَمَّ وَيُرْوَى فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَرَوَى عِكْرِمَةُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي ذُبَابٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ صَلَّى عُثْمَانُ بِأَهْلِ مِنًى أَرْبَعًا وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَمَّا قَدِمْتُ تَأَهَّلْت بِهَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إذَا تَأَهَّلَ الرَّجُلُ بِبَلْدَةٍ فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِهَا صَلَاةَ مُقِيمٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي " مُسْنَدِهِ " وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ فِي " مُسْنَدِهِ " أَيْضًا وَقَدْ أَعَلَّهُ الْبَيْهَقِيُّ بِانْقِطَاعِهِ وَتَضْعِيفِهِ عِكْرِمَةَ بْنِ إبْرَاهِيمَ . قَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ تَيْمِيَّةَ : وَيُمْكِنُ الْمُطَالَبَةُ بِسَبَبِ الضَّعْفِ فَإِنَّ الْبُخَارِيَّ ذَكَرَهُ فِي " تَارِيخِهِ " وَلَمْ يَطْعَنْ فِيهِ وَعَادَتُهُ ذِكْرُ الْجَرْحِ وَالْمَجْرُوحِينَ وَقَدْ نَصَّ أَحْمَدُ وَابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَهُ أَنَّ الْمُسَافِرَ إذَا تَزَوَّجَ لَزِمَهُ الْإِتْمَامُ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَصْحَابِهِمَا وَهَذَا أَحْسَنُ مَا اُعْتُذِرَ بِهِ عَنْ عُثْمَانَ . وَقَدْ اُعْتُذِرَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَيْثُ نَزَلَتْ كَانَ وَطَنَهَا وَهُوَ أَيْضًا اعْتِذَارٌ ضَعِيفٌ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَأُمُومَةُ أَزْوَاجِهِ فَرْعٌ عَنْ أُبُوَّتِهِ وَلَمْ يَكُنْ يُتِمُّ لِهَذَا السَّبَبِ . وَقَدْ رَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهَا كَانَتْ تُصَلِّي فِي السَّفَرِ أَرْبَعًا فَقُلْت لَهَا : لَوْ صَلَّيْتِ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَتْ يَا ابْنَ أُخْتِي إنَّهُ لَا يَشُقُّ عَلَيَّ [ص ٤٥٤] قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَوْ كَانَ فَرْضُ الْمُسَافِرِ رَكْعَتَيْنِ لَمَا أَتَمَّهَا عُثْمَانُ وَلَا عَائِشَةُ وَلَا ابْنُ مَسْعُودٍ وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُتِمَّهَا مُسَافِرٌ مَعَ مُقِيمٍ وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ : كُلُّ ذَلِكَ قَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَمَّ وَقَصَرَ ثُمَّ رُوِيَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُلُّ ذَلِكَ فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصَرَ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ وَأَتَمَّ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ عَطَاءٍ وَأَصَحُّ إسْنَادٍ فِيهِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْحَارِثِيُّ

عَنْ الدّارَقُطْنِيّ عَنْ الْمَحَامِلِيّ حَدّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمّدِ بْنِ ثَوّابٍ حَدّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقْصِرُ فِي الصّلَاةِ وَيُتِمّ وَيُفْطِرُ وَيَصُومُ قَالَ الدّارَقُطْنِيّ : وَهَذَا إسْنَادٌ صَحِيحٌ . ثُمّ سَاقَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ النّيْسَابُورِيّ عَنْ عَبّاسٍ الدّوْرِيّ أَنْبَأَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ حَدّثَنِي عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا اعْتَمَرَتْ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى مَكّةَ حَتّى إذَا قَدِمَتْ مَكّةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي قَصَرْتَ وَأَتْمَمْتُ وَصُمْتُ وَأَفْطَرْتَ . قَالَ أَحْسَنْتِ يَا عَائِشَةُ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيّةَ يَقُولُ هَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ عَلَى عَائِشَةَ وَلَمْ تَكُنْ عَائِشَةُ لِتُصَلّيَ بِخِلَافِ صَلَاةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَائِرِ الصّحَابَةِ وَهِيَ تُشَاهِدُهُمْ يَقْصُرُونَ ثُمّ تُتِمّ هِيَ وَحْدَهَا بِلَا مُوجِبٍ . كَيْفَ وَهِيَ الْقَائِلَةُ [ص ٤٥٥] فُرِضَتْ الصّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرّتْ صَلَاةُ السّفَرِ فَكَيْفَ يُظَنّ أَنّهَا تَزِيدُ عَلَى مَا فَرَضَ اللّهُ وَتُخَالِفُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابَهُ . قَالَ الزّهْرِيّ لِعُرْوَةَ لَمّا حَدّثَهُ عَنْهَا بِذَلِكَ فَمَا شَأْنُهَا كَانَتْ تُتِمّ الصّلَاةَ ؟ فَقَالَ تَأَوّلَتْ كَمَا تَأَوّلَ عُثْمَانُ . فَإِذَا كَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ حَسّنَ فِعْلَهَا وَأَقَرّهَا عَلَيْهِ فَمَا لِلتّأْوِيلِ حِينَئِذٍ وَجْهٌ وَلَا يَصِحّ أَنْ يُضَافَ إتْمَامُهَا إلَى التّأْوِيلِ عَلَى هَذَا التّقْدِيرِ وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ فِي السّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ . أَفَيُظَنّ بِعَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ مُخَالَفَتُهُمْ وَهِيَ تَرَاهُمْ يَقْصُرُونَ ؟ وَأَمّا بَعْدَ مَوْتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِنّهَا أَتَمّتْ كَمَا أَتَمّ عُثْمَانُ وَكِلَاهُمَا تَأَوّلَ تَأْوِيلًا وَالْحُجّةُ فِي رِوَايَتِهِمْ لَا فِي تَأْوِيلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مَعَ مُخَالَفَةِ غَيْرِهِ لَهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ قَالَ أُمَيّةُ بْنُ خَالِدٍ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ إنّا نَجِدُ صَلَاةَ الْحَضَرِ وَصَلَاةَ الْخَوْفِ فِي الْقُرْآنِ وَلَا نَجِدُ صَلَاةَ السّفَرِ فِي الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ يَا أَخِي إنّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمّدًا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا فَإِنّمَا نَفْعَلُ كَمَا رَأَيْنَا مُحَمّدًا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَفْعَلُ وَقَدْ قَالَ أَنَسٌ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَكّةَ فَكَانَ يُصَلّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتّى رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : صَحِبْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَكَانَ لَا يَزِيدُ فِي السّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَهَذِهِ كُلّهَا أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ . [ص ٤٥٦]

....

(الشبكة الإسلامية)

يمنح السفر الإنسان لحظة يبتعد فيها عن مجريات العمل ومتاعب الحياة اليومية، ولذا قال الشافعي رحمه الله:-

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج همٍ واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

ومن المعلوم أن السياحة في الأرض والتأمل في عجائب الدنيا عند السفر مما يزيد العبد المؤمن معرفة بالله جل وعلا، ويقيناً بأن لهذا الكون رباً ومدبراً يستحق العبادة وحده دون ما سواه، قال تعالى: {وفي الأرض آيات للموقنين} (الذاريات:٢٠)، ويعتبر السفر من جملة حاجات الإنسان التي جاءت الشريعة بتنظيمها، فينبغي لمن أراد السفر أن يحافظ على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، الذي جاءت السنة ببيانه:-

فقد كانت أسفاره صلى الله عليه وسلم دائرة بين أربعة أسفار: سفر لهجرته، وسفر للجهاد، وسفر للعمرة وسفر للحج.
وكان عليه الصلاة السلام قبل أن يخرج يودع أهله وأصحابه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا فيقول: (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك) رواه الترمذي، وكان يوصيهم بتقوى الله في كل حين.
وكان صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالجماعة في السفر، وينهى عن الوحدة، فقال صلى الله عليه وسلم: (لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليلٍ وحده) رواه البخاري، فعلى المسافر أن يصطحب معه رفيقاً يكون له عوناً على سفره، يرغبه في الخير ويبعده عن الشر، إن نسي ذكره، وإن تعب شد من أزره.
وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا خرجوا لسفر أن يجعلوا عليهم أميراً، حتى يكون رأيهم واحداً، ولا يقع بينهم الاختلاف، وكل ذلك حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على لزوم الجماعة وتجنب أسباب الفرقة.
وكان يستحب – صلى الله عليه وسلم - الخروج يوم الخميس في أول النهار، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: " لقلّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس" رواه البخاري، وكان عليه السلام يدعو الله تبارك وتعالى أن يبارك لأمته في بكورها.
وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة من الأذكار والأدعية للمسافر:-
منها أنه إذا ركب على دابته، واستقر عليها قال: (الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم يقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) رواه أبو داود ثم يقول: (اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في المال والأهل) رواه مسلم.
ومما ورد عنه من الأذكار أثناء المسير أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا علا شرفاً – وهو المكان المرتفع- كبَّر الله تعالى، وإذا هبط وادياً سبح الله تعالى، ففي حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا) رواه البخاري.
ومن جملة الأدعية في هذا الشأن، أنه صلى الله عليه وسلم إذا دخل قرية أو شارف على دخولها، قال:- (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها) رواه النسائي ، وكان إذا نزل منزلاً قال: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) رواه مسلم.
وكان إذا قضى حاجته من سفره، ورجع إلى أهله، ذكر دعاء السفر السابق، وزاد: (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) رواه البخاري .
وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في السفر أخذه بما رخصه الله له، ومن ذلك قصر الصلاة الرباعية ركعتين، والفطر إذا شق عليه الصوم، والمسح على الخفين

مدة ثلاث أيام بلياليهن، ولم يحفظ عنه أنه صلى في أسفاره السنن الرواتب، إلا سنة الفجر والوتر، فإنه لم يكن يدعهما في حضر ولا سفر.
ومن جملة ما نهى عنه – صلى الله عليه وسلم- في السفر: اصطحاب الكلب والجرس، وفي هذا جاء قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس) رواه مسلم.
ومما نهى عنه عليه الصلاة والسلام سفر المرأة بدون محرم، لما يترتب عليه من حصول الفتنة والأذية لها، فقد قال – صلى الله عليه وسلم: (لا تسافر امرأة إلا ومعها محرم) رواه البخاري.
وكذلك نهى – صلى الله عليه وسلم – أن يطرق المسافر أهله ليلاً، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (إذا طال أحدكم الغيبة ، فلا يطرق أهله ليلاً) رواه البخاري، وعنه أيضاً أنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم) رواه البخاري .
فالزم هدي نبيك صلى الله عليه وسلم في حياتك كلها، تنعم بالسعادة في الدنيا والآخرة

٤٤-هديه صلى الله عليه وسلم في خصال الفطرة

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٦٧)
فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الفِطْرَةِ وَتَوَابِعِهَا
قَدْ سَبَقَ الْخِلَافُ هَلْ وُلِدَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَخْتُونًا أَوْ خَتَنَتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ شُقّ صَدْرُهُ لِأَوّلِ مَرّةٍ أَوْ خَتَنَهُ جَدّهُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ ؟ وَكَانَ يُعْجِبُهُ التّيَمّنُ فِي تَنَعّلِهِ وَتَرَجّلِهِ وَطُهُورِهِ وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ وَكَانَتْ يَمِينُهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَطُهُورِهِ وَيَسَارُهُ لِخَلَائِهِ وَنَحْوِهِ مِنْ إزَالَةِ الْأَذَى . وَكَانَ هَدْيُهُ فِي حَلْقِ الرّأْسِ تَرْكَهُ كُلّهُ أَوْ أَخْذَهُ كُلّهُ وَلَمْ يَكُنْ يَحْلِقُ بَعْضَهُ وَيَدَعُ بَعْضَهُ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ حَلْقُهُ إلّا فِي نُسُكٍ . وَكَانَ يُحِبّ السّوَاكَ وَكَانَ يَسْتَاكُ مُفْطِرًا وَصَائِمًا وَيَسْتَاكُ عِنْدَ الِانْتِبَاهِ مِنْ النّوْمِ وَعِنْدَ الْوُضُوءِ وَعِنْدَ الصّلَاةِ وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ وَكَانَ يَسْتَاكُ بِعُودِ الْأَرَاكِ . وَكَانَ يُكْثِرُ التّطَيّبَ وَيُحِبّ الطّيبَ وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَطّلِي بِالنّورَةِ [ص ١٦٨] وَكَانَ أَوّلًا يَسْدُلُ شَعْرَهُ ثُمّ فَرَقَهُ وَالْفَرْقُ أَنْ يَجْعَلَ شَعْرَهُ فِرْقَتَيْنِ كُلّ فِرْقَةٍ ذُؤَابَةً وَالسّدْلُ أَنْ يَسْدُلَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَلَا يَجْعَلَهُ فِرْقَتَيْنِ . وَلَمْ يَدْخُلْ حَمّامًا قَطّ وَلَعَلّهُ مَا رَآهُ بِعَيْنِهِ وَلَمْ يَصِحّ فِي الْحَمّامِ حَدِيثٌ [ص ١٦٩] وَكَانَ لَهُ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلّ لَيْلَةٍ ثَلَاثًا عِنْدَ النّوْمِ فِي كُلّ عَيْنٍ . وَاخْتَلَفَ الصّحَابَةُ فِي خِضَابِهِ فَقَالَ أَنَسٌ : لَمْ يَخْضِبْ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : خَضَبَ وَقَدْ رَوَى حَمّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ شَعْرَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَخْضُوبًا قَالَ حَمّادٌ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ مُحَمّدِ بْنِ عَقِيلٍ قَالَ رَأَيْت شَعْرَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَخْضُوبًا وَقَالَتْ طَائِفَةٌ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِمّا يُكْثِرُ الطّيبَ قَدْ احْمَرّ شَعْرُهُ فَكَانَ يُظَنّ مَخْضُوبًا . وَلَمْ يَخْضِبْ . وَقَالَ أَبُو رِمْثَةَ : أَتَيْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَعَ ابْنٍ لِي فَقَالَ : أَهَذَا ابْنُكَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ فَقَالَ لَا تَجْنِي عَلَيْهِ وَلَا يَجْنِي عَلَيْكَ قَالَ وَرَأَيْت الشّيْبَ أَحْمَرَ . قَالَ التّرْمِذِيّ : هَذَا أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَفْسَرُهُ لِأَنّ الرّوَايَاتِ الصّحِيحَةَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَبْلُغْ الشّيْبَ . قَالَ حَمّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ : قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ

سَمُرَةَ : أَكَانَ فِي رَأْسِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَيْبٌ ؟ قَالَ لَمْ يَكُنْ فِي رَأْسِهِ شَيْبٌ إلّا شَعَرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ إذَا ادّهَنَ وَارَاهُنّ الدّهْنُ قَالَ أَنَسٌ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُكْثِرُ دُهْنَ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَيُكْثِرُ الْقِنَاعَ كَأَنّ ثَوْبَهُ ثَوْبُ زَيّاتٍ [ص ١٧٠] وكَانَ يُحِبّ التّرَجّلَ وكَانَ يُرَجّلُ نَفْسَهُ تَارَةً وَتُرَجّلُهُ عَائِشَةُ تَارَةً . وكَانَ شَعْرُهُ فَوْقَ الْجُمّةِ وَدُونَ الْوَفْرَةِ وكَانَتْ جُمّتُهُ تَضْرِبُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ وَإِذَا طَالَ جَعَلَهُ غَدَائِرَ أَرْبَعًا قَالَتْ أُمّ هَانِئٍ قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ قَدْمَةً وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ وَالْغَدَائِرُ الضّفَائِرُ وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَرُدّ الطّيبَ وَثَبَتَ عَنْهُ فِي حَدِيثِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنّهُ قَالَ مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدّهُ فَإِنّهُ طَيّبُ الرّائِحَةِ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ هَذَا لَفْظُ الْحَدِيثِ وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرُدّهُ وَلَيْسَ بِمَعْنَاهُ فَإِنّ الرّيْحَانَ لَا تَكْثُرُ الْمِنّةُ بِأَخْذِهِ وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِالتّسَامُحِ فِي بَذْلِهِ بِخِلَافِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْغَالِيَةِ وَنَحْوِهَا وَلَكِنّ الّذِي ثَبَتَ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ عَزْرَة بْنِ ثَابِتٍ عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَرُدّ الطّيبَ [ص ١٧١] ابْنِ عُمَرَ يَرْفَعُهُ ثَلَاثٌ لَا تُرَدّ : الْوَسَائِدُ وَالدّهْنُ وَاللّبَنُ فَحَدِيثٌ مَعْلُولٌ رَوَاهُ التّرْمِذِيّ وَذَكَرَ عِلّتَهُ وَلَا أَحْفَظُ الْآنَ مَا قِيلَ فِيهِ إلّا أَنّهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ جُنْدُبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَمِنْ مَرَاسِيلِ أَبِي عُثْمَانَ النّهْدِيّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا أُعْطِيَ أَحَدُكُمْ الرّيْحَانَ فَلَا يَرُدّهُ فَإِنّهُ خَرَجَ مِنْ الْجَنّةِ وكَانَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُكّةٌ يَتَطَيّبُ مِنْهَا وكَانَ أَحَبّ الطّيبِ إلَيْهِ الْمِسْكَ وكَانَ يُعْجِبُهُ الْفَاغِيَةُ قِيلَ وَهِيَ نُورُ الْحِنّاءِ.

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٧١)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي قَصّ الشّارِبِ

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرّ : رَوَى الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَقُصّ شَارِبَه وَيُذْكَرُ أَنّ إبْرَاهِيمَ كَانَ يَقُصّ شَارِبَه وَوَقَفَهُ طَائِفَةٌ عَلَى ابْنِ عَبّاسٍ . وَرَوَى التّرْمِذِيّ مِنْ [ص ١٧٢] أَرْقَمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنّا وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُصّوا الشّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ وَفِي الصّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَوَفّرُوا اللّحَى وَأَحْفُوا الشّوَارِبَ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ وَقّتَ لَنَا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي قَصّ الشّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ أَلّا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَاخْتَلَفَ السّلَفُ فِي قَصّ الشّارِبِ وَحَلْقِهِ أَيّهُمَا أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ مَالِكٌ فِي مُوَطّئِهِ يُؤْخَذُ مِنْ الشّارِبِ حَتّى تَبْدُوَ أَطْرَافُ الشّفَةِ وَهُوَ الْإِطَارُ وَلَا يَجُزّهُ فَيُمَثّلَ بِنَفْسِهِ . وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ عَنْ مَالِكٍ قَالَ يُحْفِي الشّارِبَ وَيُعْفِي اللّحَى وَلَيْسَ إحْفَاءُ الشّارِبِ حَلْقَهُ وَأَرَى أَنْ يُؤَدّبَ مَنْ حَلَقَ شَارِبَهُ وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْهُ إحْفَاءُ الشّارِبِ وَحَلْقُهُ عِنْدِي مُثْلَةٌ قَالَ مَالِكٌ وَتَفْسِيرُ حَدِيثِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي إحْفَاءِ الشّارِبِ إنّمَا هُوَ الْإِطَارُ وكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ أَعْلَاهُ . [ص ١٧٣] وَقَالَ أَشْهَدُ فِي حَلْقِ الشّارِبِ أَنّهُ بِدْعَةٌ وَأَرَى أَنْ يُوجَعَ ضَرْبًا مَنْ فَعَلَهُ قَالَ مَالِكٌ وكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ إذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ نَفَخَ فَجَعَلَ رِجْلَهُ بِرِدَائِهِ وَهُوَ يَفْتِلُ شَارِبَهُ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : السّنّةُ فِي الشّارِبِ الْإِطَارُ وَقَالَ

الطّحَاوِيّ : وَلَمْ أَجِدْ عَنْ الشّافِعِيّ شَيْئًا مَنْصُوصًا فِي هَذَا وَأَصْحَابُهُ الّذِينَ رَأَيْنَا الْمُزَنِيّ وَالرّبِيعُ كَانَا يُحْفِيَانِ شَوَارِبَهُمَا وَيَدُلّ ذَلِكَ عَلَى أَنّهُمَا أَخَذَاهُ عَنْ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ قَالَ وَأَمّا أَبُو حَنِيفَةَ وَزُفَرُ وَأَبُو يُوسُفَ وَمُحَمّدٌ فَكَانَ مَذْهَبُهُمْ فِي شَعْرِ الرّأْسِ وَالشّوَارِبِ أَنّ الْإِحْفَاءَ أَفْضَلُ مِنْ التّقْصِيرِ وَذَكَرَ ابْنُ خُوَيز مَنْدَادٍ الْمَالِكِيّ عَنْ الشّافِعِيّ أَنّ مَذْهَبَهُ فِي حَلْقِ الشّارِبِ كَمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عُمَرَ . وَأَمّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَقَالَ الْأَثْرَمُ : رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يُحْفِي شَارِبَهُ شَدِيدًا وَسَمِعْته يُسْأَلُ عَنْ السّنّةِ فِي إحْفَاءِ الشّارِبِ ؟ فَقَالَ يُحْفِي كَمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحْفُوا الشّوَارِبَ وَقَالَ حَنْبَلٌ قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللّهِ تَرَى الرّجُلَ يَأْخُذُ شَارِبَهُ أَوْ يُحْفِيهِ ؟ أَمْ كَيْفَ يَأْخُذُهُ ؟ قَالَ إنْ أَحْفَاهُ فَلَا بَأْسَ وَإِنْ أَخَذَهُ قَصّا فَلَا بَأْسَ . وَقَالَ أَبُو مُحَمّدِ بْنُ قُدامة الْمَقْدِسِيّ فِي الْمُغْنِي : وَهُوَ مُخَيّرٌ بَيْنَ أَنْ يُحْفِيَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَقُصّهُ مِنْ غَيْرِ إحْفَاءٍ . قَالَ الطّحَاوِيّ : وَرَوَى الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخَذَ مِنْ شَارِبِهِ عَلَى سِوَاكٍ وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَهُ إحْفَاءٌ . وَاحْتَجّ مَنْ لَمْ يَرَ إحْفَاءَهُ بِحَدِيثَيْ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ الْمَرْفُوعَيْنِ عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَة فَذَكَرَ مِنْهَا قَصّ الشّارِبِ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمُتّفَق عَلَيْهِ الْفِطْرَةُ خَمْس [ص ١٧٤] وَذَكَرَ مِنْهَا قَصّ الشّارِبِ . وَاحْتَجّ الْمُحْفُونَ بِأَحَادِيثِ الْأَمْرِ بِالْإِحْفَاءِ وَهِيَ صَحِيحَةٌ وَبِحَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَجُزّ شَارِبَهُ قَالَ الطّحَاوِيّ : وَهَذَا الْأَغْلَبُ فِيهِ الْإِحْفَاءُ وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ . وَرَوَى الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ جُزّوا الشّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللّحَى قَالَ وَهَذَا يَحْتَمِلُ الْإِحْفَاءَ أَيْضًا وَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي أُسَيْدٍ وَرَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنّهُمْ كَانُوا يُحْفُونَ شَوَارِبَهُمْ . وَقَالَ إبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمّدِ بْنِ حَاطِبٍ : رَأَيْت ابْنَ عُمَرَ يُحْفِي شَارِبَهُ كَأَنّهُ يَنْتِفُهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ حَتّى يُرَى بَيَاضُ الْجِلْدِ . قَالَ الطّحَاوِيّ : وَلَمّا كَانَ التّقْصِيرُ مَسْنُونًا عِنْدَ الْجَمِيعِ كَانَ الْحَلْقُ فِيهِ أَفْضَلَ قِيَاسًا عَلَى الرّأْسِ وَقَدْ دَعَا النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْمُحَلّقِينَ [ص ١٧٥] وَاحِدَةً فَجَعَلَ حَلْقَ الرّأْسِ أَفْضَلَ مِنْ تَقْصِيرِهِ فَكَذَلِكَ الشّارِبُ .

٤٥- هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّكُوبِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ١٥٣)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّكُوبِ

رَكِبَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ وَرَكِبَ الْفَرَسَ مُسْرَجَةً تَارَةً وَعَرِيّا أُخْرَى وَكَانَ يُجْرِيهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ وَهُوَ الْأَكْثَرُ وَرُبّمَا أَرْدَفَ خَلْفَهُ عَلَى الْبَعِيرِ وَرُبّمَا أَرْدَفَ خَلْفَهُ وَأَرْكَبَ أَمَامَهُ وَكَانُوا ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ وَأَرْدَفَ الرّجَالَ وَأَرْدَفَ بَعْضَ نِسَائِهِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَرَاكِبِهِ الْخَيْلُ وَالْإِبِلُ . وَأَمّا الْبِغَالُ فَالْمَعْرُوفُ أَنّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا بَغْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَهْدَاهَا لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَلَمْ تَكُنْ الْبِغَالُ مَشْهُورَةً بِأَرْضِ الْعَرَبِ بَلْ لَمّا أُهْدِيَتْ لَهُ الْبَغْلَةُ قِيلَ أَلَا نُنَزّي الْخَيْلَ عَلَى الْحُمُرِ ؟ فَقَالَ إنّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

٤٦-هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سُجُودِ السّهْوِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٢٧٦)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سُجُودِ السّهْوِ

ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي [ص ٢٧٧] وَكَانَ سَهْوُهُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى أُمَّتِهِ وَإِكْمَالِ دِينِهِمْ لِيَقْتَدُوا بِهِ فِيمَا يَشْرَعُهُ لَهُمْ عِنْدَ السَّهْوِ وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الْمُنْقَطِعِ الَّذِي فِي " الْمُوَطَّأِ " : إِنَّمَا أَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ

[الْمَوَاضِعُ الَّتِي سَجَدَ فِيهَا لِلسَّهْوِ]

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْسَى فَيَتَرَتَّبُ عَلَى سَهْوِهِ أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ تَجْرِي عَلَى سَهْوِ أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اثْنَتَيْنِ فِي الرُّبَاعِيَّةِ وَلَمْ يَجْلِسْ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ السَّلَامِ ثُمَّ سَلَّمَ فَأُخِذَ مِنْ هَذَا قَاعِدَةً أَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ أَجْزَاءِ الصَّلَاةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِأَرْكَانٍ سَهْوًا سَجَدَ لَهُ قَبْلَ السَّلَامِ وَأُخِذَ مِنْ بَعْضِ طُرُقِهِ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ ذَلِكَ وَشَرَعَ فِي رُكْنٍ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْمَتْرُوكِ لِأَنَّهُ لَمَّا قَامَ سَبَّحُوا فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ قُومُوا . وَاخْتُلِفَ عَنْهُ فِي مَحَلِّ هَذَا السُّجُودِ فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مِنَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَلَمْ يَجْلِسْ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَفِي رِوَايَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا : يُكَبِّرُ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ [ص ٢٧٨] الْمُسْنَدِ " مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ عَنِ الْمَسْعُودِيِّ عَنْ زِيَادِ بْنِ عَلَاقَةَ قَالَ صَلَّى بِنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَلَمَّا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَامَ وَلَمْ يَجْلِسْ فَسَبَّحَ بِهِ مَنْ خَلْفَهُ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ قُومُوا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ سَلَّمَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا صَنَعَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ . وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ فَقَامَ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ فَلَمْ يَجْلِسْ وَمَضَى عَلَى قِيَامِهِ فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ وَهُوَ جَالِسٌ فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُكُمْ آنِفًا تَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ لِكَيْمَا أَجْلِسَ لَكِنِ السُّنَّةُ الَّذِي صَنَعْتُ وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ أَوْلَى لِثَلَاثَةِ وُجُوهٍ . أَحَدُهَا : أَنَّهُ أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ . الثَّانِي : أَنَّهُ أَصْرَحُ مِنْهُ فَإِنَّ قَوْلَ الْمُغِيرَةِ وَهَكَذَا صَنَعَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُوزُ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى جَمِيعِ مَا فَعَلَ الْمُغِيرَةِ وَيَكُونُ قَدْ سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا [ص ٢٧٩] بُحَيْنَةَ مَا شَاهَدَهُ وَحَكَى الْمُغِيرَةُ مَا شَاهَدَهُ فَيَكُونُ كِلَا الْأَمْرَيْنِ جَائِزًا وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمُغِيرَةُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ وَلَمْ يَرْجِعْ ثُمَّ سَجَدَ لِلسَّهْوِ . الثَّالِثُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ لَعَلَّهُ نَسِيَ السُّجُودَ قَبْلَ السَّلَامِ وَسَجَدَهُ بَعْدَهُ وَهَذِهِ صِفَةُ السَّهْوِ وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي السُّجُودِ قَبْلَ السَّلَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ

وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشِيِّ إِمَّا الظُّهْرُ وَإِمَّا الْعَصْرُ ثُمَّ تَكَلَّمَ ثُمَّ أَتَمَّهَا ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ السَّلَامِ وَالْكَلَامِ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمْ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ تَشَهَّدَ ثُمَّ سَلَّمَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ غَرِيبٌ . [ص ٢٨٠] وَصَلَّى يَوْمًا فَسَلَّمَ وَانْصَرَفَ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكْعَةٌ فَأَدْرَكَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَالَ نَسِيتَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكْعَةً فَرَجَعَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ رَكْعَةً ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَصَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا فَقِيلَ لَهُ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : صَلَّيْتَ خَمْسًا فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَمَا سلّم مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَصَلَّى الْعَصْرَ ثَلَاثًا

ثُمّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَذَكَرَهُ النّاسُ فَخَرَجَ فَصَلّى بِهِمْ رَكْعَةً ثُمّ سَلّمَ ثُمّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمّ سَلّمَ فَهَذَا مَجْمُوعُ مَا حُفِظَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ سَهْوِهِ فِي الصّلَاةِ وَهُوَ خَمْسَةُ مَوَاضِعَ وَقَدْ تَضَمّنَ سُجُودُهُ فِي بَعْضِهِ قَبْلَ السّلَامِ وَفِي بَعْضِهِ بَعْدَهُ . فَقَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ كُلّهُ قَبْلَ السّلَامِ . [ص ٢٨١] وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ كُلّهُ بَعْدَ السّلَامِ . وَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللّهُ كُلّ سَهْوٍ كَانَ نُقْصَانًا فِي الصّلَاةِ فَإِنّ سُجُودَهُ قَبْلَ السّلَامِ وَكُلّ سَهْوٍ كَانَ زِيَادَةً فِي الصّلَاةِ فَإِنّ سُجُودَهُ بَعْدَ السّلَامِ وَإِذَا اجْتَمَعَ سَهْوَانِ زِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ فَالسّجُودُ لَهُمَا قَبْلَ السّلَامِ . قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرّ : هَذَا مَذْهَبُهُ لَا خِلَافَ عَنْهُ فِيهِ وَلَوْ سَجَدَ أَحَدٌ عِنْدَهُ لِسَهْوِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَجَعَلَ السّجُودَ كُلّهُ بَعْدَ السّلَامِ أَوْ كُلّهُ قَبْلَ السّلَامِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شَيْءٌ لِأَنّهُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ قَضَاءِ الْقَاضِي بِاجْتِهَادِهِ لِاخْتِلَافِ الْآثَارِ الْمَرْفُوعَةِ وَالسّلَفِ مِنْ هَذِهِ الْأُمّةِ فِي ذَلِكَ . وَأَمّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ فَقَالَ الْأَثْرَمُ : سَمِعْت أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَسْأَلُ عَنْ سُجُودِ السّهْوِ قَبْلَ السّلَامِ أَمْ بَعْدَهُ ؟ فَقَالَ فِي مَوَاضِعَ قَبْلَ السّلَامِ وَفِي مَوَاضِعَ بَعْدَهُ كَمَا صَنَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ سَلّمَ مِنْ اثْنَتَيْنِ ثُمّ سَجَدَ بَعْدَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصّةِ ذِي الْيَدَيْنِ . وَمَنْ سَلّمَ مِنْ ثَلَاثٍ سَجَدَ أَيْضًا بَعْدَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ . وَفِي التّحَرّي يَسْجُدُ بَعْدَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَفِي الْقِيَامِ مِنْ اثْنَتَيْنِ يَسْجُدُ قَبْلَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ بُحَيْنَةَ وَفِي الشّكّ يَبْنِي عَلَى الْيَقِينِ وَيَسْجُدُ قَبْلَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَحَدِيثِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . [ص ٢٨٢] قَالَ الْأَثْرَمُ : فَقُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَمَا كَانَ سِوَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ؟ قَالَ يَسْجُدُ فِيهَا كُلّهَا قَبْلَ السّلَامِ لِأَنّهُ يُتِمّ مَا نَقَصَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ وَلَوْلَا مَا رُوِيَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَرَأَيْتُ السّجُودَ كُلّهُ قَبْلَ السّلَامِ لِأَنّهُ مِنْ شَأْنِ الصّلَاةِ فَيَقْضِيهِ قَبْلَ السّلَامِ وَلَكِنْ أَقُولُ كُلّ مَا رُوِيَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ سَجَدَ فِيهِ بَعْدَ السّلَامِ فَإِنّهُ يَسْجُدُ فِيهِ بَعْدَ السّلَامِ وَسَائِرُ السّهْوِ يَسْجُدُ فِيهِ قَبْلَ السّلَامِ . وَقَالَ دَاوُد بْنُ عَلِيّ : لَا يَسْجُدُ أَحَدٌ لِلسّهْوِ إلّا فِي الْخَمْسَةِ الْمَوَاضِعِ الّتِي سَجَدَ فِيهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . انْتَهَى . وَأَمّا الشّكّ فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَلْ أَمَرَ فِيهِ بِالْبِنَاءِ عَلَى الْيَقِينِ وَإِسْقَاطِ الشّكّ وَالسّجُودِ قَبْلَ السّلَامِ . فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الشّكّ عَلَى وَجْهَيْنِ الْيَقِينُ وَالتّحَرّي فَمَنْ رَجَعَ إلَى الْيَقِينِ أَلْغَى الشّكّ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْ السّهْوِ قَبْلَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَإِذَا رَجَعَ إلَى التّحَرّي وَهُوَ أَكْثَرُ الْوَهْمِ سَجَدَ سَجْدَتَيْ السّهْوِ بَعْدَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ الّذِي يَرْوِيهِ مَنْصُورٌ . انْتَهَى . وَأَمّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ فَهُوَ إذَا شَكّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلّى أَثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا فَلْيَطْرَحْ الشّكّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ ثُمّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلّمَ وَأَمّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فَهُوَ إذَا شَكّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرّ الصّوَابَ ثُمّ لِيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ مُتّفَقٌ عَلَيْهِمَا . وَفِي لَفْظِ " الصّحِيحَيْنِ " : ثُمّ يُسَلّمُ ثُمّ يَسْجُدَ سَجْدَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ الّذِي قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَإِذَا رَجَعَ إلَى التّحَرّي سَجَدَ بَعْدَ السّلَامِ . وَالْفَرْقُ عِنْدَهُ بَيْنَ التّحَرّي وَالْيَقِينِ أَنّ الْمُصَلّيَ إذَا كَانَ إمَامًا بَنَى عَلَى غَالِبِ ظَنّهِ وَأَكْثَرِ وَهْمِهِ وَهَذَا هُوَ التّحَرّي فَيَسْجُدُ لَهُ بَعْدَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَإِنْ كَانَ مُنْفَرِدًا بَنَى عَلَى الْيَقِينِ وَسَجَدَ قَبْلَ السّلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَكْثَرِ أَصْحَابِهِ فِي تَحْصِيلِ ظَاهِرِ مَذْهَبِهِ . وَعَنْهُ رِوَايَتَانِ [ص ٢٨٣] مَذْهَبُ الشّافِعِيّ وَمَالِكٍ وَالْأُخْرَى : عَلَى غَالِبِ ظَنّهِ مُطْلَقًا وَظَاهِرُ نُصُوصِهِ إنّمَا يَدُلّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الشّكّ وَبَيْنَ الظّنّ الْغَالِبِ الْقَوِيّ

فَمَعَ الشّكّ يَبْنِي عَلَى الْيَقِينِ وَمَعَ أَكْثَرِ الْوَهْمِ أَوْ الظّنّ الْغَالِبِ يَتَحَرّى وَعَلَى هَذَا مَدَارُ أَجْوِبَتِهِ . وَعَلَى الْحَالَيْنِ حَمْلُ الْحَدِيثَيْنِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ فِي الشّكّ إذَا كَانَ أَوّلَ مَا عَرَضَ لَهُ اسْتَأْنَفَ الصّلَاةَ فَإِنْ عَرَضَ لَهُ كَثِيرًا فَإِنْ كَانَ لَهُ ظَنّ غَالِبٌ بَنَى عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ظَنّ بَنَى عَلَى الْيَقِينِ .

٤٧-هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَلَاةِ الضّحَى

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٣٣٠)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَلَاةِ الضّحَى

[مَنْ رَوَى تَرْكَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِعْلَهَا]

رَوَى الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي سُبْحَةَ الضّحَى وَإِنّي لَأُسَبّحُهَا وَرَوَى أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ [ص ٣٣١] مُوَرّقٍ الْعِجْلِيّ قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ أَتُصَلّي الضّحَى ؟ قَالَ لَا قُلْتُ فَعُمَرُ ؟ قَالَ لَا قُلْتُ فَأَبُو بَكْرٍ ؟ قَالَ لَا . قُلت : فَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قَالَ لَا . إخَالُه وَذُكِرَ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ مَا حَدّثَنَا أَحَدٌ أَنّهُ رَأَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي الضّحَى غَيْرَ أُمّ هَانِئٍ فَإِنّهَا قَالَتْ إنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكّةَ فَاغْتَسَلَ وَصَلّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ فَلَمْ أَرَ صَلَاةً قَطّ أَخَفّ مِنْهَا غَيْرَ أَنّهُ يُتِمّ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ سَأَلْت عَائِشَةَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي الضّحَى ؟ قَالَتْ لَا إلّا أَنْ يَجِيءَ مِنْ مَغِيبِهِ . قُلْتُ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرُنُ بَيْنَ السّوَرِ ؟ قَالَتْ مِنْ الْمُفَصّلِ

[مَنْ رَوَى صَلَاةَ النّبِيّ لَهَا وَعَدَدَ رَكَعَاتِهَا]

وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي الضّحَى أَرْبَعًا وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللّهُ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ أُمّ هَانِئٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى يَوْمَ الْفَتْحِ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ وَذَلِكَ ضُحًى وَقَالَ الْحَاكِمُ فِي " الْمُسْتَدْرَكِ " : حَدّثَنَا الْأَصَمّ حَدّثَنَا الصّغَانِيّ حَدّثَنَا ابْنُ [ص ٣٣٢] أَبِي مَرْيَمَ حَدّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ حَدّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ بَكْرِ بْنِ الْأَشَجّ عَنْ الضّحّاكِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى فِي سَفَرٍ سُبْحَةَ الضّحَى صَلّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ فَلَمّا انْصَرَفَ قَالَ إنّي صَلّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ فَسَأَلْتُ رَبّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً سَأَلْتُهُ أَلّا يَقْتُلَ أُمّتِي بِالسّنِينَ فَفَعَلَ وَسَأَلْتُهُ أَلّا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوّا فَفَعَلَ وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا فَأَبَى عَلَيّ قَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ . قُلْت : الضّحّاكُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ هَذَا يُنْظَرُ مَنْ هُوَ وَمَا حَالُهُ ؟ وَقَالَ الْحَاكِمُ : فِي كِتَابِ " فَضْلِ الضّحَى " : حَدّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْفَقِيهُ أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ يَحْيَى حَدّثَنَا مُحَمّدُ بْنُ صَالِحٍ الدّولَابِيّ حَدّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ يِسَافٍ عَنْ زَاذَانَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الضّحَى ثُمّ قَالَ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَتُبْ عَلَيّ إنّكَ أَنْتَ التّوّابُ الرّحِيمُ الْغَفُورُ حَتّى قَالَهَا مِائَةَ مَرّةٍ حَدّثَنَا أَبُو الْعَبّاسِ الْأَصَمّ حَدّثَنَا أَسَدُ بْنُ عَاصِمٍ حَدّثَنَا الْحُصَيْنُ بْنُ حَفْصٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عُمَرَ بْنَ ذَرّ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلّى الضّحَى رَكْعَتَيْنِ وَأَرْبَعًا وَسِتّا وَثَمَانِيًا وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعُمَرِيّ حَدّثَتْنَا عَائِشَةُ بِنْتُ سَعْدٍ عَنْ أُمّ ذَرّةَ قَالَتْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُصَلِّي الضُّحَى وَتَقُولُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي إلَّا أَرْبَعَ [ص ٣٣٣] وَقَالَ الْحَاكِمُ أَيْضًا : أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيّ حَدَّثَنَا أَبُو قِلَابَةَ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ ابْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةَ الضُّحَى . قَالَ الْحَاكِمُ أَيْضًا : حَدَّثَنَا إسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُدَيِّ بْنِ كَامِلٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيّ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الضُّحَى سِتَّ رَكَعَاتٍ ثُمَّ رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ إسْحَاقَ بْنِ بَشِيرٍ الْمَحَامِلِيّ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مُوسَى عَنْ جَابِرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ صُبْحٍ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتَا : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةَ الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا .

وَقَالَ الْحَاكِمُ : أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيّ حَدَّثَنَا أَبُو قِلَابَةَ الرَّقَاشِيّ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إسْحَاقَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضُمْرَةَ [ص ٣٣٤] عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى وَبِهِ إلَى أَبِي الْوَلِيدِ . حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَبْدِيّ عَنْ ابْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الضُّحَى قَالَ الْحَاكِمُ : وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيّ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَبُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى وَعِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيّ وَنُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ الْغَطَفَانِيّ وَأَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمِنْ النِّسَاءِ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَأُمِّ هَانِئٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ كُلُّهِمْ شَهِدُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّيهَا .

وَذَكَرَ الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ وَأَنَسٍ وَعَائِشَةَ وَجَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى سِتَّ رَكَعَاتٍ

[بَيَانُ أَدِلَّةِ مَنْ رَجَّحَ الْفِعْلَ عَلَى التَّرْكِ مَعَ بَيَانِ الْعَدَدِ]

فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى طُرُقٍ مِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ رِوَايَةَ الْفِعْلِ عَلَى التَّرْكِ بِأَنَّهَا مُثْبِتَةٌ تَتَضَمَّنُ زِيَادَةَ عِلْمٍ خَفِيَتْ عَلَى النَّافِي . قَالُوا : وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَذْهَبَ عِلْمُ مِثْلِ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ وَيُوجَدُ عِنْدَ الْأَقَلِّ . قَالُوا : [ص ٣٣٥] عَائِشَةُ وَأَنَسٌ وَجَابِرٌ وَأُمّ هَانِئٍ وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ صَلَّاهَا . قَالُوا : وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْوَصِيَّةِ بِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَمَدْحِ فَاعِلِهَا وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيْ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " نَحْوُهُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ . وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ أَبِي ذَرٍّ يَرْفَعُهُ قَالَ يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ رَكْعَتَيْ الضُّحَى لَا يَقُولُ إلَّا خَيْرًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ

كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وَفِي التِّرْمِذِيِّ و " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ حَافَظَ عَلَى سُبْحَةِ الضُّحَى غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ [ص ٣٣٦] وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَالسُّنَنِ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَعْجِزَنَّ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي ذَرٍّ . وَفِي " جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ " و " سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ " عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ فِي الْجَنَّةِ وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ فَقَالَ أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ " . وَقَوْلُهُ تَرْمَضُ الْفِصَالُ أَيْ يَشْتَدُّ حَرُّ النَّهَارِ فَتَجِدُ الْفِصَالُ حَرَارَةَ الرَّمْضَاءِ . وَفِي " الصَّحِيحِ " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الضُّحَى فِي بَيْتِ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ [ص ٣٣٧]

٤٨-هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٣٥١)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِسَجْدَةٍ كَبَّرَ وَسَجَدَ وَرُبَّمَا قَالَ فِي سُجُودِهِ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَرُبَّمَا قَالَ اللَّهُمَّ احْطُطْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا وَاكْتُبْ لِي بِهَا أَجْرًا وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُد ذَكَرَهُمَا أَهْلُ السُّنَنِ . وَلَمْ يُذْكَرْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ لِلرَّفْعِ مِنْ هَذَا السُّجُودِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ [ص ٣٥٢] أَحْمَدُ وَالشَّافِعِيُّ السَّلَامَ فِيهِ فَالْمَنْصُوصُ عَنْ الشَّافِعِيِّ : إِنَّهُ لَا تَشَهُّدَ فِيهِ وَلَا تَسْلِيمَ وَقَالَ أَحْمَدُ : أَمَّا التَّسْلِيمُ فَلَا أَدْرِي مَا هُوَ وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي غَيْرُهُ . وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَجَدَ فِي (الم تَنْزِيلُ) وَفِي (ص) وَفِي (النَّجْمِ) وَفِي { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ } وَفِي { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } وَذَكَرَ أَبُو دَاوُد عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَجْدَةً مِنْهَا ثَلَاثٌ فِي الْمُفَصَّلِ وَفِي سُورَةِ الْحَجِّ سَجْدَتَانِ وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ سَجَدْت مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَجْدَةً لَيْسَ فِيهَا مِنَ الْمُفَصَّلِ شَيْءٌ (الْأَعْرَافُ) وَ (الرَّعْدُ) وَ (النَّحْلُ) وَ (بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ (مَرْيَمُ) وَ (الْحَجِّ) وَ (سَجْدَةُ الْفُرْقَانِ) وَ (النَّمْلُ) وَ (السَّجْدَةُ) وَ (ص وَ (سَجْدَةُ الْحَوَامِيمِ) فَقَالَ أَبُو دَاوُد : رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَجْدَةً وَإِسْنَادُهُ وَاهٍ . وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْجُدْ فِي الْمُفَصَّلِ مُنْذُ تَحَوَّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ فِي إِسْنَادِهِ أَبُو قُدَامَةَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ لَا يُحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَبُو قُدامة مُضْطَرِبُ الْحَدِيثِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : ضَعِيفٌ وَقَالَ النَّسَائِيُّ : صَدُوقٌ عِنْدَهُ [ص ٣٥٣] وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيُّ : كَانَ شَيْخًا صَالِحًا مِمَّنْ كَثُرَ وَهْمُهُ . وَعَلَّلَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ بِمَطَرٍ الْوَرَّاقِ وَقَالَ كَانَ يُشْبِهُهُ فِي سُوءِ الْحِفْظِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى وَعِيبَ عَلَى مُسْلِمٍ إِخْرَاجُ حَدِيثِهِ . انْتَهَى كَلَامُهُ . وَلَا عَيْبَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي إِخْرَاجِ حَدِيثِهِ لِأَنَّهُ يَنْتَقِي مِنْ أَحَادِيثِ هَذَا الضَّرْبِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَفِظَهُ كَمَا

يَطْرَحُ مِنْ أَحَادِيثِ الثّقَةِ مَا يَعْلَمُ أَنّهُ غَلِطَ فِيهِ فَغَلِطَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَنْ اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ إخْرَاجَ جَمِيعِ حَدِيثِ الثّقَةِ وَمَنْ ضَعّفَ جَمِيعَ حَدِيثِ سَيّئِ الْحِفْظِ فَالْأُولَى : طَرِيقَةُ الْحَاكِمِ وَأَمْثَالِهِ وَالثّانِيَةُ طَرِيقَةُ أَبِي مُحَمّدِ بْنِ حَزْمٍ وَأَشْكَالِهِ وَطَرِيقَةُ مُسْلِمٍ هِيَ طَرِيقَةُ أَئِمّةِ هَذَا الشّأْنِ وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ . وَقَدْ صَحّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّهُ سَجَدَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ } وَفِي { إذَا السّمَاءُ انْشَقّتْ } وَهُوَ إنّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ مَقْدَمِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ بِسِتّ سِنِينَ أَوْ سَبْعٍ فَلَوْ تَعَارَضَ الْحَدِيثَانِ مِنْ كُلّ وَجْهٍ وَتَقَاوَمَا فِي الصّحّةِ لَتَعَيّنَ تَقْدِيمُ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لِأَنّهُ مُثْبِتٌ مَعَهُ زِيَادَةَ عِلْمٍ خَفِيَتْ عَلَى ابْنِ عَبّاسٍ فَكَيْفَ وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي غَايَةِ الصّحّةِ مُتّفَقٌ عَلَى صِحّتِهِ وَحَدِيثُ ابْنِ عَبّاسٍ فِيهِ مِنْ الضّعْفِ مَا فِيهِ وَاَللّهُ أَعْلَمُ.

٤٩ - هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرِهِ الِاقْتِصَارُ عَلَى الْفَرْضِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٤٥٦)

فَصْلٌ [كَانَ يَقْتَصِرُ فِي سَفَرِهِ عَلَى الْفَرْضِ وَالْوِتْرِ وَسُنّةِ الْفَجْرِ مِنْ الرّوَاتِبِ]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرِهِ الِاقْتِصَارُ عَلَى الْفَرْضِ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنّهُ صَلّى سُنّةَ الصّلَاةِ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا إلّا مَا كَانَ مِنْ الْوِتْرِ وَسُنّةِ الْفَجْرِ فَإِنّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَهُمَا حَضَرًا وَلَا سَفَرًا . قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ صَحِبْتُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمْ أَرَهُ يُسَبّحُ فِي السّفَرِ وَقَالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الْأَحْزَابُ ٢١] وَمُرَادُهُ بِالتّسْبِيحِ السّنّةُ الرّاتِبَةُ وَإِلّا فَقَدْ صَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يُسَبّحُ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ . وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي فِي السّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجّهَتْ يُومِئُ إيمَاءَ صَلَاةِ اللّيْلِ إلّا الْفَرَائِضَ وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ. قَالَ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللّهُ وَثَبَتَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ يَتَنَفّلُ لَيْلًا وَهُوَ يَقْصُرُ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " : عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ أَنّهُ رَأَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّي السّبْحَةَ بِاللّيْلِ فِي السّفَرِ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ فَهَذَا قِيَامُ اللّيْلِ . وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللّهُ عَنْ التّطَوّعِ فِي السّفَرِ ؟ فَقَالَ أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِالتّطَوّعِ فِي السّفَرِ بَأْسٌ وَرُوِيَ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُسَافِرُونَ فَيَتَطَوّعُونَ قَبْلَ الْمَكْتُوبَةِ وَبَعْدَهَا وَرُوِيَ هَذَا عَنْ [ص ٤٥٧] عُمَرَ وَعَلِيّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَأَنَسٍ وَابْنِ عَبّاسٍ وَأَبِي ذَرّ . وَأَمّا ابْنُ عُمَرَ فَكَانَ لَا يَتَطَوّعُ قَبْلَ الْفَرِيضَةِ وَلَا بَعْدَهَا إلّا مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ مَعَ الْوِتْرِ وَهَذَا هُوَ الظّاهِرُ مِنْ هَدْيِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ كَانَ لَا يُصَلّي قَبْلَ الْفَرِيضَةِ الْمَقْصُورَةِ وَلَا بَعْدَهَا شَيْئًا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُ مِنْ التّطَوّعِ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا فَهُوَ كَالتّطَوّعِ الْمُطْلَقِ لَا أَنّهُ سُنّةٌ رَاتِبَةٌ لِلصّلَاةِ كَسُنّةِ صَلَاةِ الْإِقَامَةِ وَيُؤَيّدُ هَذَا أَنّ الرّبَاعِيّةَ قَدْ خُفّفَتْ إلَى رَكْعَتَيْنِ تَخْفِيفًا عَلَى الْمُسَافِرِ فَكَيْفَ يُجْعَلُ لَهَا سُنّةٌ رَاتِبَةٌ يُحَافِظُ عَلَيْهَا وَقَدْ خَفّفَ الْفَرْضَ إلَى رَكْعَتَيْنِ فَلَوْلَا قَصْدُ التّخْفِيفِ عَلَى الْمُسَافِرِ وَإِلّا كَانَ الْإِتْمَامُ أَوْلَى بِهِ وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ : لَوْ كُنْت مُسَبّحًا لَأَتْمَمْت وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ صَلّى يَوْمَ الْفَتْحِ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ ضُحًى وَهُوَ إذْ ذَاكَ مُسَافِرٌ . وَأَمّا مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتّرْمِذِيّ فِي السّنَنِ مِنْ حَدِيثِ اللّيْثِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ أَبِي بُسْرَةَ الْغِفَارِيّ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ سَافَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَفَرًا فَلَمْ أَرَهُ تَرَكَ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ زَيْغِ

الشّمْسِ قَبْلَ الظّهْرِ قَالَ التّرْمِذِيّ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ . قَالَ وَسَأَلْت مُحَمّدًا عَنْهُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ إلّا مِنْ حَدِيثِ اللّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَلَمْ يَعْرِفْ اسْمُ أَبِي بُسْرَةَ وَرَآهُ حَسَنًا . وَبُسْرَةُ : بِالْبَاءِ الْمُوَحّدَةِ الْمَضْمُومَةِ وَسُكُونِ السّينِ الْمُهْمَلَةِ . وَأَمّا حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا فَرَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " وَلَكِنّهُ لَيْسَ بِصَرِيحٍ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ فِي السّفَرِ وَلَعَلّهَا أَخْبَرَتْ عَنْ أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ وَهُوَ الْإِقَامَةُ وَالرّجَالُ أَعْلَمُ بِسَفَرِهِ مِنْ النّسَاءِ وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ عُمَرَ أَنّهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ [ص ٤٥٨] ابْنُ عُمَرَ يُصَلّي قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا شَيْئًا . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [صَلَاتُهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَلَاةُ التّطَوّعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجّهَتْ بِهِ وَكَانَ يُومِئُ إيمَاءً بِرَأْسِهِ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَسُجُودُهُ أَخْفَضُ مِنْ رُكُوعِهِ وَرَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنّهُ كَانَ يَسْتَقْبِلُ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الِافْتِتَاحِ ثُمّ يُصَلّي سَائِرَ الصّلَاةِ حَيْثُ تَوَجّهَتْ بِهِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ وَسَائِرُ مَنْ وَصَفَ صَلَاتَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَطْلَقُوا أَنّهُ كَانَ يُصَلّي عَلَيْهَا قِبَلَ أَيّ جِهَةٍ تَوَجّهَتْ بِهِ وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ وَلَا غَيْرَهَا كَعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ وَأَحَادِيثُهُمْ أَصَحّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ هَذَا وَاَللّهُ أَعْلَمُ . وَصَلّى عَلَى الرّاحِلَةِ وَعَلَى الْحِمَارِ إنْ صَحّ عَنْهُ وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ . وَصَلّى الْفَرْضَ بِهِمْ عَلَى الرّوَاحِلِ لِأَجْلِ الْمَطَرِ وَالطّينِ إنْ صَحّ الْخَبَرُ بِذَلِكَ وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتّرْمِذِيّ وَالنّسَائِيّ أَنّهُ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ انْتَهَى إلَى مَضِيقٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَالسّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالْبِلّةُ مِنْ أَسْفَلَ [ص ٤٥٩] فَأَمَرَ الْمُؤَذّنَ فَأَذّنَ وَأَقَامَ ثُمّ تَقَدّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَلّى بِهِمْ يُومِئُ إيمَاءً فَجَعَلَ السّجُودَ أَخْفَضَ مِنْ الرّكُوعِ . قَالَ الترمذي حَدِيثٌ غَرِيبٌ تفرد بِهِ عُمَرُ بْنُ الرّمّاحِ وثبت ذلك عن أَنَسٍ من فِعْلِهِ

٥٠ - هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ

زاد المعاد - (ج ١ / ص ٥٠٧)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ

كَانَ إذَا زَارَ قُبُورَ أَصْحَابِهِ يَزُورُهَا لِلدّعَاءِ لَهُمْ وَالتّرَحّمِ عَلَيْهِمْ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَهَذِهِ هِيَ الزّيَارَةُ الّتِي سَنّهَا لِأُمّتِهِ وَشَرَعَهَا لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا إذَا زَارُوهَا : السّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنّا إنْ شَاءَ اللّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ نَسْأَلُ اللّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ . وَكَانَ هَدْيُهُ أَنْ يَقُولَ وَيَفْعَلَ عِنْدَ زِيَارَتِهَا مِنْ جِنْسِ مَا يَقُولُهُ عِنْدَ الصّلَاةِ عَلَى الْمَيّتِ مِنْ الدّعَاءِ وَالتّرَحّمِ وَالِاسْتِغْفَارِ . فَأَبَى الْمُشْرِكُونَ إلّا دُعَاءَ الْمَيّتِ وَالْإِشْرَاكَ بِهِ وَالْإِقْسَامَ عَلَى اللّهِ بِهِ وَسُؤَالَهُ الْحَوَائِجَ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتّوَجّهَ إلَيْهِ بِعَكْسِ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَإِنّهُ هَدْيُ تَوْحِيدٍ وَإِحْسَانٍ إلَى الْمَيّتِ وَهَدْيُ هَؤُلَاءِ شِرْكٌ وَإِسَاءَةٌ إلَى نُفُوسِهِمْ وَإِلَى الْمَيّتِ وَهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ إمّا أَنْ يَدْعُوَا الْمَيّتَ أَوْ يَدْعُوَا بِهِ أَوْ عِنْدَهُ وَيَرَوْنَ الدّعَاءَ عِنْدَهُ أَوْجَبَ وَأَوْلَى مِنْ الدّعَاءِ فِي الْمَسَاجِدِ [ص ٥٠٨] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ تَبَيّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ

٥١ - أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدُورِ وَحُصُولِهَا عَلَى الْكَمَالِ لَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

فَصْلٌ فِي أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدُورِ وَحُصُولِهَا عَلَى الْكَمَالِ لَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ
فَأَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ التّوْحِيدُ وَعَلَى حَسَبِ كَمَالِهِ وَقُوّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ . قَالَ اللّهُ تَعَالَى : { أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبّهِ } [الزّمَرُ ٢٢] . وَقَالَ تَعَالَى : { فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقًا حَرَجًا كَأَنّمَا يَصّعّدُ فِي السّمَاءِ } [الْأَنْعَامُ ١٢٥] [ص ٢٣] فَالْهُدَى وَالتّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ وَالشّرْكُ وَالضّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصّدْرِ وَانْحِرَاجِهِ وَمِنْهَا : النّورُ الّذِي يَقْذِفُهُ اللّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ فَإِنّهُ يَشْرَحُ الصّدْرَ وَيُوَسّعُهُ وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ . فَإِذَا فُقِدَ هَذَا النّورُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ ضَاقَ وَحَرِجَ وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ . وَقَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ فِي " جَامِعِهِ " عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إذَا دَخَلَ النّورُ الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ . قَالُوا : وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ الْإِنَابَةُ إلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ فَيُصِيبُ الْعَبْدَ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِحَسْبِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا النّورِ وَكَذَلِكَ النّورُ الْحِسّيّ وَالظّلْمَةُ الْحِسّيّةُ هَذِهِ تَشْرَحُ الصّدْرَ وَهَذِهِ تُضَيّقُهُ . وَمِنْهَا : الْعِلْمُ فَإِنّهُ يَشْرَحُ الصّدْرَ وَيُوَسّعُهُ حَتّى يَكُونَ أَوْسَعَ مِنْ الدّنْيَا وَالْجَهْلُ يُورِثُهُ الضّيقَ وَالْحَصْرُ وَالْحَبْسُ فَكُلّمَا اتّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتّسَعَ وَلَيْسَ هَذَا لِكُلّ عِلْمٍ بَلْ لِلْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ الرّسُولِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ الْعِلْمُ النّافِعُ فَأَهْلُهُ أَشْرَحُ النّاسِ صَدْرًا وَأَوْسَعُهُمْ قُلُوبًا وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشًا . وَمِنْهَا : الْإِنَابَةُ إلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَحَبّتُهُ بِكُلّ الْقَلْبِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالتّنَعّمُ بِعِبَادَتِهِ فَلَا شَيْءَ أَشْرَحُ لِصَدْرِ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ . حَتّى إنّهُ لَيَقُولُ أَحْيَانًا : إنْ [ص ٢٤] كُنْتُ فِي الْجَنّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنّي إذًا فِي عَيْشٍ طَيّبٍ وَلِلْمَحَبّةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصّدْرِ وَطِيبِ النّفْسِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ لَا يَعْرِفُهُ إلّا مَنْ لَهُ حِسّ بِهِ وَكُلّمَا كَانَتْ الْمَحَبّةُ أَقْوَى وَأَشَدّ كَانَ الصّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ وَلَا يَضِيقُ إلّا عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَطّالِينَ الْفَارِغِينَ مِنْ هَذَا الشّأْنِ فَرُؤْيَتُهُمْ قَذَى عَيْنِهِ وَمُخَالَطَتُهُمْ حُمّى رُوحِهِ . وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصّدْرِ الْإِعْرَاضُ عَنْ اللّهِ تَعَالَى وَتَعَلّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ وَمَحَبّةُ سِوَاهُ فَإِنّ مَنْ أَحَبّ شَيْئًا غَيْرَ اللّهِ عُذّبَ بِهِ وَسُجِنَ قَلْبُهُ فِي مَحَبّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْهُ وَلَا أَكْسَفَ بَالًا وَلَا أَنْكَدُ عَيْشًا وَلَا أَتْعَبُ قَلْبًا فَهُمَا مَحَبّتَانِ مَحَبّةٌ هِيَ جَنّةُ الدّنْيَا وَسُرُورُ النّفْسِ وَلَذّةُ الْقَلْبِ وَنَعِيمُ الرّوحِ وَغِذَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا بَلْ حَيَاتُهَا وَقُرّةُ عَيْنِهَا وَهِيَ مَحَبّةُ اللّهِ وَحْدَهُ بِكُلّ الْقَلْبِ وَانْجِذَابُ قُوَى الْمَيْلِ وَالْإِرَادَةُ وَالْمَحَبّةُ كُلّهَا إلَيْهِ . وَمَحَبّةٌ هِيَ عَذَابُ الرّوحِ وَغَمّ النّفْسِ وَسِجْنُ الْقَلْبِ وَضِيقُ الصّدْرِ وَهِيَ سَبَبُ الْأَلَمِ وَالنّكَدِ وَالْعَنَاءِ وَهِيَ مَحَبّةُ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ . وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلّ حَالٍ وَفِي كُلّ مَوْطِنٍ فَلِلذّكْرِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصّدْرِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ وَلِلْغَفْلَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي ضِيقِهِ وَحَبْسِهِ وَعَذَابِهِ . وَمِنْهَا : الْإِحْسَانُ إلَى الْخَلْقِ وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنْ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالنّفْعِ بِالْبَدَنِ وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ فَإِنّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النّاسِ صَدْرًا وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا وَالْبَخِيلُ الّذِي لَيْسَ فِيهِ إحْسَانٌ أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا وَأَعْظَمُهُمْ همّا وَغَمّا . وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّحِيحِ مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ

كُلّمَا هَمّ الْمُتَصَدّقُ بِصَدَقَةٍ اتّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ حَتّى يَجُرّ ثِيَابَهُ وَيُعْفِي أَثَرَهُ وَكُلّمَا هَمّ الْبَخِيلُ بِالصّدَقَةِ لَزِمَتْ كُلّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتّسِعْ عَلَيْهِ فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدّقِ وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ [ص ٢٥] وَمِنْهَا الشّجَاعَةُ فَإِنّ الشّجَاعَ مُنْشَرِحُ الصّدْرِ وَاسِعُ الْبِطَانِ مُتّسِعُ الْقَلْبِ وَالْجَبَانُ أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا وَأَحْصَرُهُمْ قَلْبًا لَا فَرْحَةَ لَهُ وَلَا سُرُورٌ وَلَا لَذّةٌ لَهُ وَلَا نَعِيمٌ إلّا مِنْ جِنْسِ مَا لِلْحَيَوَانِ الْبَهِيمِيّ وَأَمّا سُرُورُ الرّوحِ وَلَذّتُهَا وَنَعِيمُهَا وَابْتِهَاجُهَا فَمُحَرّمٌ عَلَى كُلّ جَبَانٍ كَمَا هُوَ مُحَرّمٌ عَلَى كُلّ بَخِيلٍ وَعَلَى كُلّ مُعْرِضٍ عَنْ اللّهِ سُبْحَانَهُ غَافِلٍ عَنْ ذِكْرِهِ جَاهِلٍ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَدِينِهِ مُتَعَلّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ .

وَإِنّ هَذَا النّعِيمَ وَالسّرُورَ يَصِيرُ فِي الْقَبْرِ رِيَاضًا وَجَنّةً وَذَلِكَ الضّيقُ وَالْحَصْرُ يَنْقَلِبُ فِي الْقَبْرِ عَذَابًا وَسِجْنًا . فَحَالُ الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ كَحَالِ الْقَلْبِ فِي الصّدْرِ نَعِيمًا وَعَذَابًا وَسِجْنًا وَانْطِلَاقًا وَلَا عِبْرَةَ بِانْشِرَاحِ صَدْرِ هَذَا لِعَارِضٍ وَلَا بِضِيقِ صَدْرِ هَذَا لِعَارِضٍ فَإِنّ الْعَوَارِضَ تَزُولُ بِزَوَالِ أَسْبَابِهَا وَإِنّمَا الْمُعَوّلُ عَلَى الصّفَةِ الّتِي قَامَتْ بِالْقَلْبِ تُوجِبُ انْشِرَاحَهُ وَحَبْسَهُ فَهِيَ الْمِيزَانُ وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ . وَمِنْهَا بَلْ مِنْ أَعْظَمِهَا : إخْرَاجُ دَغَلِ الْقَلْبِ مِنْ الصّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الّتِي [ص ٢٦] يَكُونَ لَهُ مَادّتَانِ تَعْتَوِرَانِ عَلَى قَلْبِهِ وَهُوَ لِلْمَادّةِ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِ مِنْهُمَا . وَمِنْهَا : تَرْكُ فُضُولِ النّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالِاسْتِمَاعِ وَالْمُخَالَطَةِ وَالْأَكْلِ وَالنّوْمِ فَإِنّ هَذِهِ الْفُضُولَ تَسْتَحِيلُ آلَامًا وَغُمُومًا وَهُمُومًا فِي الْقَلْبِ تَحْصُرُهُ وَتَحْبِسُهُ وَتُضَيّقُهُ وَيَتَعَذّبُ بِهَا بَلْ غَالِبُ عَذَابِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهَا فَلَا إلَهَ إلّا اللّهُ مَا أَضْيَقَ صَدْرَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلّ آفَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ بِسَهْمٍ وَمَا أَنْكَدَ عَيْشَهُ وَمَا أَسْوَأَ حَالِهِ وَمَا أَشَدّ حَصْرِ قَلْبِهِ وَلَا إلَهَ إلّا اللّهُ مَا أَنْعَمَ عَيْشَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلّ خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ بِسَهْمٍ وَكَانَتْ هِمّتُهُ دَائِرَةً عَلَيْهَا حَائِمَةً حَوْلَهَا فَلِهَذَا نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : { إنّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } [الِانْفِطَارُ ١٣] وَلِذَلِكَ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَإِنّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ } [الِانْفِطَارُ ١٤] وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ لَا يُحْصِيهَا إلّا اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . وَالْمَقْصُودُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ أَكْمَلَ الْخَلْقِ فِي كُلّ صِفَةٍ يَحْصُلُ بِهَا انْشِرَاحُ الصّدْرِ وَاتّسَاعُ الْقَلْبِ وَقُرّةُ الْعَيْنِ وَحَيَاةُ الرّوحِ فَهُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي هَذَا الشّرْحِ وَالْحَيَاةِ وَقُرّةِ الْعَيْنِ مَعَ مَا خُصّ بِهِ مِنْ الشّرْحِ الْحِسّيّ وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ مُتَابَعَةً لَهُ أَكْمَلُهُمْ انْشِرَاحًا وَلَذّةً وَقُرّةَ عَيْنٍ وَعَلَى حَسَبِ مُتَابَعَتِهِ يَنَالُ الْعَبْدُ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ وَقُرّةِ عَيْنِهِ وَلَذّةِ رُوحِهِ مَا يَنَالُ فَهُوَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ذُرْوَةِ الْكَمَالِ مِنْ شَرْحِ الصّدْرِ وَرَفْعِ الذّكْرِ وَوَضْعِ الْوِزْرِ وَلِأَتْبَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ بِحَسْبِ نَصِيبِهِمْ مِنْ اتّبَاعِهِ وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ . وَهَكَذَا لِأَتْبَاعِهِ نَصِيبٌ مِنْ حِفْظِ اللّهِ لَهُمْ وَعِصْمَتِهِ إيّاهُمْ وَدِفَاعِهِ عَنْهُمْ وَإِعْزَازِهِ لَهُمْ وَنَصْرِهِ لَهُمْ بِحَسْبِ نَصِيبِهِمْ مِنْ الْمُتَابَعَةِ فَمُسْتَقِلّ وَمُسْتَكْثِرٌ . فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللّهَ . وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنّ إلّا نَفْسَهُ

٥٢-هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الِاعْتِكَافِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٨٢)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الِاعْتِكَافِ

[مَقْصُودُ الِاعْتِكَافِ عُكُوفُ الْقَلْبِ إلَى اللّهِ]

لَمّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَيْرِهِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى ، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيّتِهِ عَلَى اللّهِ وَلَمّ شَعَثِهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلّيّةِ عَلَى اللّهِ تَعَالَى ، فَإِنّ شَعَثَ الْقَلْبِ لَا يَلُمّهُ إلّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ فُضُولُ الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ وَفُضُولُ الْكَلَامِ وَفُضُولُ الْمَنَامِ مِمّا يَزِيدُهُ شَعَثًا ، وَيُشَتّتُهُ فِي كُلّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَيْرِهِ إلَى اللّهِ تَعَالَى ، أَوْ يُضْعِفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنْ الصّوْمِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَيَسْتَفْرِغُ مِنْ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشّهَوَاتِ الْمَعُوقَةِ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ إلَى اللّهِ تَعَالَى ، وَشَرْعِهِ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بَهْ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَلَا يَضُرّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ

وَشَرَعَ لَهُمْ الِاعْتِكَافَ الّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللّهِ تَعَالَى ، وَجَمْعِيّتُهُ عَلَيْهِ وَالْخَلْوَةُ بِهِ وَالِانْقِطَاعُ عَنْ الِاشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ وَالِاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبّهُ وَالْإِقْبَالُ [ص ٨٣] بَدَلَهَا ، وَيَصِيرُ الْهَمّ كُلّهُ بِهِ وَالْخَطَرَاتُ كُلّهَا بِذِكْرِهِ وَالتّفَكّرِ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يُقَرّبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أُنْسُهُ بِاللّهِ بَدَلًا عَنْ أُنْسِهِ بِالْخَلْقِ فَيَعُدّهُ بِذَلِكَ لِأُنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا أَنِيسَ لَهُ وَلَا مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ فَهَذَا مَقْصُودُ الِاعْتِكَافِ الْأَعْظَمِ

[تَرْجِيحُ الْمُصَنّفِ أَنّ الصّوْمَ شَرْطٌ لِلِاعْتِكَافِ]

وَلَمّا كَانَ هَذَا الْمَقْصُودُ إنّمَا يَتِمّ مَعَ الصّوْمِ شُرِعَ الِاعْتِكَافُ فِي أَفْضَلِ أَيّامِ الصّوْمِ وَهُوَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ اعْتَكَفَ مُفْطِرًا قَطّ ، بَلْ قَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ : لَا اعْتِكَافَ إلّا بِصَوْمٍ وَلَمْ يَذْكُرْ اللّهُ سُبْحَانَهُ الِاعْتِكَافَ إلّا مَعَ الصّوْمِ وَلَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا مَعَ الصّوْمِ . فَالْقَوْلُ الرّاجِحُ فِي الدّلِيلِ الّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ السّلَفِ أَنّ الصّوْمَ شَرْطٌ فِي الِاعْتِكَافِ وَهُوَ الّذِي كَانَ يُرَجّحُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبّاسِ ابْنُ تَيْمِيّةَ . وَأَمّا الْكَلَامُ فَإِنّهُ شُرِعَ لِلْأُمّةِ حَبْسُ اللّسَانِ عَنْ كُلّ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ . وَأَمّا فُضُولُ الْمَنَامِ فَإِنّهُ شُرِعَ لَهُمْ مِنْ قِيَامِ اللّيْلِ مَا هُوَ مِنْ أَفْضَلِ السّهَرِ وَأَحْمَدِهِ عَاقِبَةً وَهُوَ السّهَرُ الْمُتَوَسّطُ الّذِي يَنْفَعُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ وَلَا يَعُوقُ عَنْ مَصْلَحَةِ الْعَبْدِ وَمَدَارُ رِيَاضَةِ أَرْبَابِ الرّيَاضَاتِ وَالسّلُوكِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ [ص ٨٤] وَأَسْعَدُهُمْ بِهَا مَنْ سَلَكَ فِيهَا الْمِنْهَاجَ النّبَوِيّ الْمُحَمّدِيّ وَلَمْ يَنْحَرِفْ انْحِرَافَ الْغَالِينَ وَلَا قَصّرَ تَقْصِيرَ الْمُفَرّطِينَ وَقَدْ ذَكَرْنَا هَدْيَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ وَكَلَامِهِ فَلْنَذْكُرْ هَدْيَهُ فِي اعْتِكَافِهِ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتّى تَوَفّاهُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ وَتَرَكَهُ مَرّةً فَقَضَاهُ فِي شَوّالٍ . وَاعْتَكَفَ مَرّةً فِي الْعَشْرِ الْأَوّلِ ثُمّ الْأَوْسَطِ ثُمّ الْعَشْرِ الْأَخِيرِ يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمّ تَبَيّنَ لَهُ أَنّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ فَدَاوَمَ عَلَى اعْتِكَافِهِ حَتّى لَحِقَ بِرَبّهِ عَزّ وَجَلّ . وَكَانَ يَأْمُرُ بِخِبَاءٍ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَخْلُو فِيهِ بِرَبّهِ عَزّ وَجَلّ . وَكَانَ إذَا أَرَادَ الِاعْتِكَافَ صَلّى الْفَجْرَ ثُمّ دَخَلَهُ فَأَمَرَ بِهِ مَرّةً فَضُرِبَ فَأَمَرَ أَزْوَاجَهُ بِأَخْبِيَتِهِنّ فَضُرِبَتْ فَلَمّا صَلّى الْفَجْرَ نَظَرَ فَرَأَى تِلْكَ الْأَخْبِيَةَ فَأَمَرَ بِخِبَائِهِ فَقُوّضَ ، وَتَرَكَ الِاعْتِكَافَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأَوّلِ مِنْ شَوّالٍ . وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلّ سَنَةٍ عَشَرَةَ أَيّامٍ فَلَمّا كَانَ فِي الْعَامِ الّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ يُعَارِضُهُ جِبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ كُلّ سَنَةٍ مَرّةً فَلَمّا كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ [ص ٨٥] وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَيْضًا فِي كُلّ سَنَةٍ مَرّةً فَعَرَضَ عَلَيْهِ تِلْكَ السّنَةِ مَرّتَيْنِ . وَكَانَ إذَا اعْتَكَفَ دَخَلَ قُبّتَهُ وَحْدَهُ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ

فِي حَالِ اعْتِكَافِهِ إلّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ ، وَكَانَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ إلَى بَيْتِ عَائِشَةَ فَتُرَجّلُهُ وَتَغْسِلُهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ حَائِضٌ وَكَانَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ . فَإِذَا قَامَتْ تَذْهَبُ قَامَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا ، وَلَمْ يُبَاشِرْ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ لَا بِقُبْلَةٍ وَلَا غَيْرِهَا ، وَكَانَ إذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ وَوُضِعَ لَهُ سَرِيرُهُ فِي مُعْتَكَفِهِ ، وَكَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ مَرّ بِالْمَرِيضِ وَهُوَ عَلَى طَرِيقِهِ فَلَا يَعْرُجُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ . وَاعْتَكَفَ مَرّةً فِي قُبّةٍ تُرْكِيّةٍ ، وَجَعَلَ عَلَى سُدّتِهَا حَصِيرًا ، كُلّ [ص ٨٦] اتّخَاذِ الْمُعْتَكِفِ مَوْضِعَ عِشْرَةٍ وَمَجْلَبَةٍ لِلزّائِرِينَ وَأَخْذِهِمْ بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَهُمْ فَهَذَا لَوْنٌ وَالِاعْتِكَافُ النّبَوِيّ لَوْنٌ . وَاَللّهُ الْمُوَفّقُ .

٥٣-هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعَقِيقَةِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٢٩٦)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعَقِيقَةِ

فِي " الْمُوَطّأِ " أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُئِلَ عَنْ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ لَا أُحِبّ الْعُقُوقَ كَأَنّهُ كَرِهَ الِاسْمَ ذَكَرَهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرّ : وَأَحْسَنُ أَسَانِيدِهِ مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الرّزّاقِ : أَنْبَأَ دَاوُد بْنُ قَيْسٍ ، قَالَ [ص ٢٩٧] عَمْرَو بْنَ شُعَيْبٍ يُحَدّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ لَا أُحِبّ الْعُقُوقَ وَكَأَنّهُ كَرِهَ الِاسْمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ يَنْسُكُ أَحَدُنَا عَنْ وَلَدِهِ ؟ فَقَالَ مَنْ أَحَبّ مِنْكُمْ أَنْ يَنْسُكَ عَنْ وَلَدِهِ فَلْيَفْعَلْ عَنْ الْغُلَامِ شَاتَانِ وَعَنْ الْجَارِيَةِ شَاةٌ وصح عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا عَنْ الْغُلَامِ شَاتَانِ وَعَنْ الْجَارِيَةِ شَاةٌ

[مَعْنَى كُلّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ]

" وَقَالَ كُلّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السّابِعِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مَعْنَاهُ أَنّهُ مَحْبُوسٌ عَنْ الشّفَاعَةِ فِي أَبَوَيْهِ وَالرّهْنُ فِي اللّغَةِ الْحَبْسُ قَالَ تَعَالَى : { كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [الْمُدّثّرُ ٣٨] وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنّهُ رَهِينَةٌ فِي نَفْسِهِ مَمْنُوعٌ مَحْبُوسٌ عَنْ خَيْرٍ يُرَادُ بِهِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ حُبِسَ بِتَرْكِ أَبَوَيْهِ الْعَقِيقَةَ عَمّا يَنَالُهُ مَنْ عَقّ عَنْهُ أَبَوَاهُ وَقَدْ يَفُوتُ الْوَلَدَ خَيْرٌ بِسَبَبِ تَفْرِيطِ الْأَبَوَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَسْبِهِ كَمَا أَنّهُ عِنْدَ الْجِمَاعِ إذَا سَمّى أَبُوهُ لَمْ يَضُرّ الشّيْطَانُ وَلَدَهُ وَإِذَا تَرَكَ التّسْمِيَةَ لَمْ يَحْصُلْ لِلْوَلَدِ هَذَا الْحِفْظُ . وَأَيْضًا فَإِنّ هَذَا إنّمَا يَدُلّ عَلَى أَنّهَا لَازِمَةٌ لَا بُدّ مِنْهَا ، فَشَبّهَ لُزُومَهَا وَعَدَمَ [ص ٢٩٨] كَاللّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيّ ، وَأَهْلِ الظّاهِرِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

[هَلْ التّدْمِيَةُ مِنْ الْعَقِيقَةِ صَحِيحَةٌ أَوْ غَلَطٌ ؟]

فَإِنْ قِيلَ فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ فِي رِوَايَةِ هَمّامٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ " وَيُدَمّى " قَالَ هَمّامٌ سُئِلَ قَتَادَةُ عَنْ قَوْلِهِ و " يُدَمّى " كَيْفَ يَصْنَعُ بِالدّمِ ؟ فَقَالَ إذَا ذُبِحَتْ الْعَقِيقَةُ أُخِذَتْ مِنْهَا صُوفَةٌ وَاسْتُقْبِلَتْ بِهَا أَوْدَاجُهَا ، ثُمّ تُوضَعُ عَلَى يَافُوخِ الصّبِيّ حَتّى تَسِيلَ عَلَى رَأْسِهِ مِثْلَ الْخَيْطِ ثُمّ يُغْسَلُ رَأْسُهُ بَعْدُ وَيُحْلَقُ قِيلَ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي ذَلِكَ فَمِنْ قَائِلٍ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ وَلَا يَصِحّ سَمَاعُهُ عَنْهُ وَمِنْ قَائِلٍ سَمَاعُ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ حَدِيثَ الْعَقِيقَةِ هَذَا صَحِيحٌ صَحّحَهُ التّرْمِذِيّ وَغَيْرُهُ وَقَدْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشّهِيدِ قَالَ قَالَ لِي مُحَمّدُ بْنُ سِيرِينَ : اذْهَبْ فَسَلْ الْحَسَنَ مِمّنْ سَمِعَ

حَدِيثَ الْعَقِيقَةِ ؟ فَسَأَلَهُ فَقَالَ سَمِعْته مِنْ سَمُرَةَ . ثُمّ اُخْتُلِفَ فِي التّدْمِيَةِ بَعْدُ هَلْ هِيَ صَحِيحَةٌ أَوْ غَلَطٌ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ . فَقَالَ أَبُو دَاوُد فِي " سُنَنِهِ " : هِيَ وَهْمٌ مِنْ هَمّامِ بْنِ يَحْيَى . وَقَوْلُهُ وَيُدَمّى ، إنّمَا هُوَ " وَيُسَمّى " وَقَالَ غَيْرُهُ كَانَ فِي لِسَانِ هَمّامٍ لُثْغَةٌ فَقَالَ " وَيُدَمّى " وَإِنّمَا أَرَادَ أَنْ يُسَمّى ، وَهَذَا لَا يَصِحّ ، فَإِنّ هَمّامًا وَإِنْ كَانَ وَهْم فِي اللّفْظِ وَلَمْ يُقِمْهُ لِسَانُهُ فَقَدْ حَكَى عَنْ قَتَادَةَ صِفَةَ التّدْمِيَةِ وَأَنّهُ سُئِلَ عَنْهَا فَأَجَابَ بِذَلِكَ وَهَذَا لَا تَحْتَمِلُهُ اللّثْغَةُ بِوَجْهٍ . فَإِنْ كَانَ لَفْظُ التّدْمِيَةِ هُنَا وَهْمًا ، فَهُوَ مِنْ قَتَادَةَ ، أَوْ مِنْ الْحَسَنِ وَاَلّذِينَ أَثْبَتُوا لَفْظَ التّدْمِيَةِ قَالُوا : إنّهُ مِنْ سُنّةِ الْعَقِيقَةِ وَهَذَا مَرْوِيّ عَنْ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ ، وَاَلّذِينَ مَنَعُوا التّدْمِيَةَ كَمَالِكٍ ، وَالشّافِعِيّ ، وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ ، قَالُوا : " وَيُدَمّى " غَلَطٌ وَإِنّمَا هُوَ " وَيُسَمّى " قَالُوا : وَهَذَا كَانَ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْجَاهِلِيّةِ فَأَبْطَلَهُ الْإِسْلَامُ بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد ، عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ قَالَ كُنّا فِي الْجَاهِلِيّةِ إذَا وُلِدَ لِأَحَدِنَا غُلَامٌ ذَبَحَ شَاةً وَلَطّخَ رَأْسَهُ بِدَمِهَا ، فَلَمّا جَاءَ اللّهُ بِالْإِسْلَامِ كُنّا نَذْبَحُ شَاةً وَنَحْلِقُ رَأْسَهُ وَنُلَطّخُهُ بِزَعْفَرَانٍ [ص ٢٩٩] قَالُوا : وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي إسْنَادِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ، وَلَا يُحْتَجّ بِهِ فَإِذَا انْضَافَ إلَى قَوْلِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى وَالدّمُ أَذًى ، فَكَيْفَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يُلَطّخُوهُ بِالْأَذَى ؟ قَالُوا : وَمَعْلُومٌ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَقّ عَنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بِكَبْشٍ كَبْشٍ وَلَمْ يُدَمّهِمَا ، وَلَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ هَدْيِهِ وَهَدْيِ أَصْحَابِهِ قَالُوا : وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سُنّتِهِ تَنْجِيسُ رَأْسِ الْمَوْلُودِ وَأَيْنَ لِهَذَا شَاهِدٌ وَنَظِيرٌ فِي سُنّتِهِ وَإِنّمَا يَلِيقُ هَذَا بِأَهْلِ الْجَاهِلِيّةِ .

٥٤- هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ وَخِتَانِهِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٠٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ وَخِتَانِهِ

قَدْ تَقَدّمَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ فِي الْعَقِيقَةِ تُذْبَحُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُسَمّى قَالَ الْمَيْمُونِيّ : تَذَاكَرْنَا لِكَمْ يُسَمّى الصّبِيّ ؟ قَالَ لَنَا أَبُو عَبْدِ اللّهِ يُرْوَى عَنْ أَنَسٍ أَنّهُ يُسْمَى لِثَلَاثَةٍ وَأَمّا سَمُرَةُ فَقَالَ يُسَمّى فِي الْيَوْمِ السّابِعِ . فَأَمّا الْخِتَانُ فَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ : كَانُوا لَا يَخْتِنُونَ الْغُلَامَ حَتّى يُدْرِكَ . قَالَ الْمَيْمُونِيّ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ كَانَ الْحَسَنُ يَكْرَهُ أَنْ يُخْتَنَ الصّبِيّ يَوْمَ سَابِعِهِ وَقَالَ حَنْبَلٌ إنّ أَبَا عَبْدِ اللّهِ قَالَ وَإِنْ خُتِنَ يَوْمَ السّابِعِ فَلَا بَأْسَ وَإِنّمَا كَرِهَ الْحَسَنُ ذَلِكَ لِئَلّا يَتَشَبّهَ بِالْيَهُودِ وَلَيْسَ فِي هَذَا شَيْءٌ . قَالَ مَكْحُولٌ : خَتَنَ إبْرَاهِيمُ ابْنَهُ إسْحَاقَ لِسَبْعَةِ أَيّامٍ وَخَتَنَ إسْمَاعِيلَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ذَكَرَهُ الْخَلّالُ . قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيّةَ : فَصَارَ خِتَانُ إسْحَاقَ سُنّةً فِي وَلَدِهِ وَخِتَانُ إسْمَاعِيلَ سُنّةً فِي وَلَدِهِ وَقَدْ تَقَدّمَ الْخِلَافُ فِي خِتَانِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَتَى كَانَ ذَلِكَ . [ص ٣٠٥]

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٠٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْكُنَى

ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إنّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللّهِ رَجُلٌ تَسَمّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ لَا مَلِكَ إلّا اللّهُ وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ أَحَبّ الْأَسْمَاءِ إلَى اللّهِ عَبْدُ اللّهِ وَعَبْدُ الرّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمّامٌ وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرّةُ وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ قَالَ لَا تُسَمّيَن غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنّكَ تَقُولُ أَثَمّتَ هُوَ ؟ فَلَا يَكُونُ فَيُقَالُ لَا [ص ٣٠٦] وَثَبَتَ عَنْهُ أَنّهُ غَيّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ أَنْتِ جَمِيلَةُ وَكَانَ اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرّةَ فَغَيّرَهُ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِ جُوَيْرِيَةَ . وَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ فَقَالَ لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ . وَغَيَّرَ اسْمَ أَصْرَمَ بِزُرْعَةَ وَغَيَّرَ اسْمَ أَبِي الْحَكَمِ بِأَبِي شُرَيْحٍ وَغَيَّرَ اسْمَ حَزْنٍ جَدِّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَجَعَلَهُ سَهْلًا فَأَبَى ، وَقَالَ " السَّهْلُ يُوطَأُ وَيُمْتَهَنُ " . قَالَ أَبُو دَاوُد : وَغَيَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَ الْعَاصِ وَعَزِيزٍ وَعَتْلَةَ وَشَيْطَانٍ وَالْحَكَمِ وَغُرَابٍ وَحُبَابٍ وَشِهَابٍ ، فَسَمَّاهُ هِشَامًا ، وَسَمَّى حَرْبًا سِلْمًا ، وَسَمَّى الْمُضْطَجِعَ الْمُنْبَعِثَ وَأَرْضًا عَفِرَةً سَمَّاهَا خَضِرَةً ، وَشِعْبُ الضَّلَالَةِ سَمَّاهُ شِعْبَ الْهُدَى ، وَبَنُو الزِّنْيَةِ سَمَّاهُمْ بَنِي الرِّشْدَةِ ، وَسَمَّى بَنِي مُغْوِيَةَ بَنِي رِشْدَةَ [ص ٣٠٧]

٥٥- هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الِاسْتِئْذَانِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٩١)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الِاسْتِئْذَانِ

وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَفْقَأَ عَيْنَ الَّذِي نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجْرَتِهِ [ص ٣٩٢] وَقَالَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَحَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مَنْ اطَّلَعَ عَلَى قَوْمٍ فِي بَيْتِهِمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ ، فَفَقَئُوا عَيْنَهُ فَلَا دِيَةَ لَهُ وَلَا قِصَاصَ

[التَّسْلِيمُ قَبْلَ الِاسْتِئْذَانِ]

وَصَحَّ عَنْهُ التَّسْلِيمُ قَبْلَ الِاسْتِئْذَانِ فِعْلًا وَتَعْلِيمًا ، وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ أَأَلِجُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ اُخْرُجْ إِلَى هَذَا ، فَعَلِّمْهُ الِاسْتِئْذَانَ " . فَقَالَ لَهُ قُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي مَشْرُبَتِهِ مُؤْلِيًا مِنْ نِسَائِهِ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيَدْخُلُ عُمَرُ ؟ [ص ٣٩٣] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَلَدَةَ بْنِ حَنْبَلٍ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ ارْجِعْ فَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ ؟ وَفِي هَذِهِ السُّنَنِ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ وَيُقَدِّمُ الِاسْتِئْذَانُ عَلَى السَّلَامِ وَرَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ إِنْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى صَاحِبِ الْمَنْزِلِ قَبْلَ دُخُولِهِ بَدَأَ بِالسَّلَامِ وَإِنْ لَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ بَدَأَ بِالِاسْتِئْذَانِ وَالْقَوْلَانِ مُخَالِفَانِ لِلسُّنَّةِ .

[الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثًا]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنَ ثَلَاثًا وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ انْصَرَفَ وَهُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ يَقُولُ إِنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا ، زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ وَرَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ يُعِيدُهُ بِلَفْظٍ آخَرَ وَالْقَوْلَانِ مُخَالِفَانِ لِلسُّنَّةِ .

فَصْلٌ [ذِكْرُ الْمُسْتَأْذِنِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ أَنَّ الْمُسْتَأْذِنَ إِذَا قِيلَ لَهُ مَنْ أَنْتَ ؟ يَقُول : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أَوْ يَذْكُرُ كُنْيَتَهُ أَوْ لَقَبَهُ وَلَا يَقُولُ أَنَا ، كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ لَمَّا اسْتَفْتَحَ بَابَ السَّمَاءِ فَسَأَلُوهُ مَنْ ؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ . وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءٍ . وَكَذَلِكَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " لَمَّا جَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبُسْتَانِ وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فاسْتَأْذَنَ فقَالَ مَنْ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمّ جَاءَ عُمَرُ ، فاسْتَأْذَنَ فقَالَ مَنْ ؟ قَالَ عُمَرُ ثُمّ عُثْمَانُ كَذَلِك [ص ٣٩٤] الصّحِيحَيْنِ " ، عَنْ جَابِرٍ ، أَتَيْتُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ " مَنْ ذَا ؟ " فَقُلْت : أَنَا ، فقَالَ " أَنَا أَنَا " ، كَأَنّهُ كَرِهَهَا وَلَمّا اسْتَأْذَنَتْ أُمّ هَانِئٍ ، قَالَ لَهَا : " مَنْ هَذِهِ ؟ " قَالَتْ أُمّ هَانِئٍ فَلَمْ يَكْرَهْ ذِكْرَهَا الْكُنْيَةَ وَكَذَلِكَ لَمّا قَالَ لِأَبِي ذَرّ : " مَنْ هَذَا ؟ " قَالَ أَبُو ذَر وَكَذَلِكَ لَمّا قَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ " مَنْ هَذَا ؟ " قَالَ أَبُو قَتَادَةَ

٥٦- هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَذْكَارِ الْعُطَاسِ

زاد المعاد - (ج ٢ / ص ٣٩٧)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَذْكَارِ الْعُطَاسِ

ثَبَتَ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ اللّهَ يُحِبّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التّثَاؤُبَ ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللّهَ كَانَ حَقّا عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللّهُ ، وَأَمّا التّثَاؤُبُ فَإِنّمَا هُوَ مِنْ الشّيْطَانِ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنّ أَحَدَكُمْ إذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشّيْطَانُ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ . وَثَبَتَ عَنْهُ فِي " صَحِيحِهِ " : إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللّهُ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللّهُ ، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ وَفِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ أَنَسٍ : أَنّهُ عَطَسَ عِنْدَهُ رَجُلَانِ فَشَمّتَ أَحَدَهُمَا ، وَلَمْ يُشَمّتْ الْآخَرَ فَقَال الّذِي لَمْ يُشَمّتْهُ عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمّتَّهُ وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمّتْنِي ، فَقَالَ هَذَا حَمِدَ اللّهَ وَأَنْتَ لَمْ تَحْمَدْ اللّهَ [ص ٣٩٨] وَثَبَتَ عَنْهُ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " : إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهَ فَشَمّتُوهُ ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدْ اللّهَ فَلَا تُشَمّتُوهُ وَثَبَتَ عَنْهُ فِي " صَحِيحِهِ " : مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ حَقّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتّ : إذَا لَقِيته ، فَسَلّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ وَحَمِدَ اللّهَ فَشَمّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى كُلّ حَالٍ وَلْيَقُلْ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللّهُ ، وَلْيَقُلْ هُوَ يَهْدِيكُمْ اللّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُم وَرَوَى التّرْمِذِيّ ، أَنّ رَجُلًا عَطَسَ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ وَالسّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ . فَقَال ابْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلّهِ وَالسّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَيْسَ هَكَذَا عَلّمَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَكِنْ عَلّمَنَا أَنْ نَقُولَ الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى كُلّ حَال [ص ٣٩٩] وَذَكَرَ مَالِكٌ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ " كَانَ إذَا عَطَسَ فَقِيلَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللّه ، قَالَ يَرْحَمُنَا اللّهُ وَإِيّاكُمْ وَيَغْفِرُ لَنَا وَلَكُم

[حُكْمُ التّشْمِيتِ]

فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ الْمَبْدُوءِ بِهِ أَنّ التّشْمِيتَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلّ مَنْ سَمِعَ الْعَاطِسَ يَحْمَدُ اللّهَ وَلَا يُجْزِئُ تَشْمِيتُ الْوَاحِدِ عَنْهُمْ وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ وَاخْتَارَهُ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيّ الْمَالِكِيّانِ ، وَلَا دَافِعَ لَهُ .

[لَيْسَ مَحَلّ السّلَامِ عِنْدَ الْعُطَاسِ]

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ : أَنّ رَجُلًا عَطَسَ عِنْدَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ السّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَلَيْكَ السّلَامُ وَعَلَى أُمّكَ " ثُمّ قَالَ " إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَحْمَدْ اللّهَ " قَالَ فَذَكَرَ بَعْضَ الْمَحَامِدِ وَلْيَقُلْ لَهُ مَنْ عِنْدَهُ يَرْحَمُكَ اللّهُ ، وَلْيَرُدّ - يَعْنِي عَلَيْهِمْ - يَغْفِرُ اللّهُ لَنَا وَلَكُم وَفِي السّلَامِ عَلَى أُمّ هَذَا الْمُسَلّمِ نُكْتَةٌ لَطِيفَةٌ

وَهِيَ إِشْعَارُهُ بِأَنّ سَلَامَهُ قَدْ وَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ اللّائِقِ بِهِ كَمَا وَقَعَ هَذَا السّلَامُ عَلَى أُمّهِ فَكَمَا أَنّ سَلَامَهُ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ كَذَلِكَ سَلَامُهُ هُوَ .

[مَعَانِي كَلِمَةِ أَمّي]

وَنُكْتَةٌ أُخْرَى أَلْطَفُ مِنْهَا ، وَهِيَ تَذْكِيرُهُ بِأُمّهِ وَنَسَبِهِ إلَيْهَا ، فَكَأَنّهُ أُمّيّ مَحْضٌ [ص ٤٠٠] أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِي الْأُمّيّ أَنّهُ الْبَاقِي عَلَى نِسْبَتِهِ إلَى الْأُمّ . وَأَمّا النّبِيّ الْأُمّيّ : فَهُوَ الّذِي لَا يُحسِنُ الْكِتَابَةَ وَلَا يَقْرَأُ الْكِتَابَ . وَأَمّا الْأُمّيّ الّذِي لَا تَصِحّ الصّلَاةُ خَلْفَهُ فَهُوَ الّذِي لَا يُصَحّحُ الْفَاتِحَةَ وَلَوْ كَانَ عَالِمًا بِعُلُومٍ كَثِيرَةٍ . وَنَظِيرُ ذِكْرِ الْأُمّ هَاهُنَا ذِكْرُ هَنِ الْأَبِ لِمَنْ تَعَزّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيّةِ فَيُقَالُ لَهُ اعضُضْ هَنَ أَبِيكَ وَكَانَ ذِكْرُ هَنِ الْأَبِ هَاهُنَا أَحْسَنَ تَذْكِيرًا لِهَذَا الْمُتَكَبّرِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ بِالْعُضْوِ الّذِي خَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ هَنُ أَبِيهِ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَدّى طَوْرَهُ كَمَا أَنّ ذِكْرَ الْأُمّ هَاهُنَا أَحْسَنُ تَذْكِيرًا لَهُ بِأَنّهُ بَاقٍ عَلَى أُمّيّتِهِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِ رَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

[عِلّةُ الْحَمْدِ بَعْدَ الْعُطَاسِ]

[مَعْنَى التّشْمِيتِ]

وَلَمّا كَانَ الْعَاطِسُ قَدْ حَصَلَتْ لَهُ بِالْعُطَاسِ نِعْمَةٌ وَمَنْفَعَةٌ بِخُرُوجِ الْأَبْخِرَةِ الْمُحْتَقِنَةِ فِي دِمَاغِهِ الّتِي لَوْ بَقِيَتْ فِيهِ أَحْدَثَتْ لَهُ أَدْوَاءً عَسِرَةً شُرِعَ لَهُ حَمْدُ اللّهِ عَلَى هَذِهِ النّعْمَةِ مَعَ بَقَاءِ أَعْضَائِهِ عَلَى الْتِئَامِهَا وَهَيْئَتِهَا بَعْدَ هَذِهِ الزّلْزَلَةِ الّتِي هِيَ لِلْبَدَنِ كَزَلْزَلَةِ الْأَرْضِ لَهَا ، وَلِهَذَا يُقَالُ سَمّتَهُ وَشَمّتَهُ بِالسّينِ وَالشّينِ فَقِيلَ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ . قَالَ وَكُلّ دَاعٍ بِخَيْرٍ فَهُوَ مُشَمّتٌ وَمُسَمّتٌ . وَقِيلَ بِالْمُهْمَلَةِ دُعَاءٌ لَهُ بِحُسْنِ السّمْتِ وَبِعَوْدِهِ إلَى حَالَتِهِ مِنْ السّكُونِ وَالدّعَةِ فَإِنّ الْعُطَاسَ يُحْدِثُ فِي الْأَعْضَاءِ حَرَكَةً وَانْزِعَاجًا . وَبِالْمُعْجَمَةِ دُعَاءٌ لَهُ بِأَنْ يَصْرِفَ اللّهُ عَنْهُ مَا يُشَمّتُ بِهِ أَعْدَاءَهُ فَشَمّتَهُ إذَا أَزَالَ عَنْهُ الشّمَاتَةَ " ك " قَرّدَ الْبَعِيرَ إذَا أَزَالَ [ص ٤٠١] وَقِيلَ هُوَ دُعَاءٌ لَهُ بِثَبَاتِهِ عَلَى قَوَائِمِهِ فِي طَاعَةِ اللّهِ مَأْخُوذٌ مِنْ الشّوَامِتِ وَهِيَ الْقَوَائِمُ . وَقِيلَ هُوَ تَشْمِيتٌ لَهُ بِالشّيْطَانِ لِإِغَاظَتِهِ بِحَمْدِ اللّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْعُطَاسِ وَمَا حَصَلَ لَهُ بِهِ مِنْ مُحَابّ اللّهِ فَإِنّ اللّهَ يُحِبّهُ فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللّهَ وَحَمِدَهُ سَاءَ ذَلِكَ الشّيْطَانُ مِنْ وُجُوهٍ مِنْهَا : نَفْسُ الْعُطَاسِ الّذِي يُحِبّهُ اللّهُ وَحَمْدُ اللّهِ عَلَيْهِ وَدُعَاءُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بِالرّحْمَةِ وَدُعَاؤُهُ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَإِصْلَاحُ الْبَالِ وَذَلِك كُلّهُ غَائِظٌ لِلشّيْطَانِ مُحْزِنٌ لَهُ فَتَشْمِيتُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْظِ عَدُوّهِ وَحُزْنِهِ وَكَآبَتِهِ فَسُمّيَ الدّعَاءُ لَهُ بِالرّحْمَةِ تَشْمِيتًا لَهُ لِمَا فِي ضِمْنِهِ مِنْ شَمَاتَتِهِ بِعَدُوّهِ وَهَذَا مَعْنًى لَطِيفٌ إذَا تَنَبّهَ لَهُ الْعَاطِسُ وَالْمُشَمّتُ انْتَفَعَا بِهِ وَعَظُمَتْ عِنْدَهُمَا مَنْفَعَةُ نِعْمَةِ الْعُطَاسِ فِي الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وَتَبَيّنَ السّرّ فِي مَحَبّةِ اللّهِ لَهُ فَلِلّهِ الْحَمْدُ الّذِي هُوَ أَهْلُهُ كَمَا يَنْبَغِي لِكَرِيمِ وَجْهِهِ وَعِزّ جَلَالِهِ .

فَصْلٌ [آدَابُ الْعُطَاسِ]

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْعُطَاسِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتّرْمِذِيّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ وَخَفَضَ أَوْ غَضّ بَهْ صَوْتَه قَالَ التّرْمِذِيّ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّ التّثَاؤُبَ الشّدِيدَ وَالْعَطْسَةَ الشّدِيدَةَ مِنْ الشّيْطَانِ وَيُذْكَرُ عَنْهُ إنّ اللّهَ يَكْرَهُ رَفْعَ الصّوْتِ بِالتّثَاؤُبِ وَالْعُطَاسِ [ص ٤٠٢]

[مَتَى يُقْطَعُ التّشْمِيتُ]

وَصَحّ عَنْهُ إنّهُ عَطَسَ عِنْدَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ " يَرْحَمُكَ اللّهُ " . ثُمّ عَطَسَ أُخْرَى ، فَقَالَ الرّجُلُ مَزْكُومٌ . هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ أَنّهُ قَالَ فِي الْمَرّةِ الثّانِيَةِ وَأَمّا التّرْمِذِيّ : فَقَالَ فِيهِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ : عَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا شَاهِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " يَرْحَمُكَ اللّهُ " ، ثُمّ عَطَسَ الثّانِيَةَ وَالثّالِثَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " هَذَا رَجُلٌ مَزْكُومٌ . قَالَ التّرْمِذِيّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ شَمّتْ أَخَاكَ ثَلَاثًا ، فَمَا زَادَ ، فَهُوَ زُكَامٌ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ سَعِيدٍ قَالَ لَا أَعْلَمُهُ إلّا أَنّهُ رَفَعَ الْحَدِيثَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَعْنَاهُ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْتَهَى . وَمُوسَى بْنُ قَيْسٍ هَذَا الّذِي رَفَعَهُ هُوَ الْحَضْرَمِيّ الْكُوفِيّ يُعْرَفُ بِعُصْفُورِ الْجَنّةِ . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : ثِقَةٌ . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرّازِيّ : لَا بَأْسَ بِهِ . وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزّرَقِيّ ، عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ تُشَمّتُ الْعَاطِسَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ شِئْتَ فَشَمّتْهُ وَإِنْ شِئْتَ فَكُفّ وَلَكِنْ لَهُ عِلّتَانِ إحْدَاهُمَا : إرْسَالُهُ فَإِنّ عُبَيْدًا هَذَا لَيْسَتْ لَهُ صُحْبَةٌ وَالثّانِيَةُ أَنّ فِيهِ أَبَا خَالِدٍ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الرّحْمَنِ الدّالَانِيّ ، وَقَدْ تُكُلّمَ فِيهِ . [ص ٤٠٣] أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيُشَمّتْهُ جَلِيسُهُ فَإِنْ زَادَ عَلَى الثّلَاثَةِ فَهُوَ مَزْكُومٌ وَلَا تُشَمّتْهُ بَعْدَ الثّلَاثِ وَهَذَا الْحَدِيثُ هُوَ حَدِيثُ أَبِي دَاوُدَ الّذِي قَالَ فِيهِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ . فَإِنْ قِيلَ إذَا كَانَ بِهِ زُكَامٌ فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يُدْعَى لَهُ مِمّنْ لَا عِلّةَ بِهِ ؟ قِيلَ يُدْعَى لَهُ كَمَا يُدْعَى لِلْمَرِيضِ وَمَنْ بِهِ دَاءٌ وَوَجَعٌ . وَأَمّا سُنّةُ الْعُطَاسِ الّذِي يُحِبّهُ اللّهُ وَهُوَ نِعْمَةٌ وَيَدُلّ عَلَى خِفّةِ الْبَدَنِ وَخُرُوجِ الْأَبْخِرَةِ الْمُحْتَقِنَةِ فَإِنّمَا يَكُونُ إلَى تَمَامِ الثّلَاثِ وَمَا زَادَ عَلَيْهَا يُدْعَى لِصَاحِبِهِ بِالْعَافِيَةِ . وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الرّجُلُ مَزْكُومٌ تَنْبِيهٌ عَلَى الدّعَاءِ لَهُ بِالْعَافِيَةِ لِأَنّ الزّكْمَةَ عِلّةٌ وَفِيهِ اعْتِذَارٌ مِنْ تَرْكِ تَشْمِيتِهِ بَعْدَ الثّلَاثِ وَفِيهِ تَنْبِيهٌ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْعِلّةِ لِيَتَدَارَكَهَا وَلَا يُهْمِلُهَا ، فَيَصْعُبُ أَمْرُهَا ، فَكَلَامُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كُلّهُ حِكْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعِلْمٌ وَهُدًى .

[هَلْ التّشْمِيتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ حَمْدَ الْعَاطِسِ] ؟

وَقَدْ اخْتَلَفَ النّاسُ فِي مَسْأَلَتَيْنِ إحْدَاهُمَا : أَنّ الْعَاطِسَ إذَا حَمِدَ اللّهَ فَسَمِعَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ دُونَ بَعْضٍ هَلْ يُسَنّ لِمَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ تَشْمِيتُهُ ؟ فِيهِ قَوْلَانِ وَالْأَظْهَرُ أَنّهُ يُشَمّتُهُ إذَا تَحَقّقَ أَنّهُ حَمِدَ اللّهَ وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ سَمَاعَ الْمُشَمّتِ لِلْحَمْدِ وَإِنّمَا الْمَقْصُودُ نَفْسُ حَمْدِهِ فَمَتَى تَحَقّقَ تَرَتّبَ عَلَيْهِ التّشْمِيتُ كَمَا لَوْ كَانَ الْمُشَمّتُ أَخْرَسَ وَرَأَى حَرَكَةَ شَفَتَيْهِ بِالْحَمْدِ . وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ فَإِنْ حَمِدَ اللّهَ فَشَمّتُوهُ هَذَا هُوَ الصّوَابُ .

[هَلْ يُسْتَحَبّ تَذْكِيرُ الْعَاطِسِ بِالْحَمْدِ]

الثّانِيَةُ إذَا تَرَكَ الْحَمْدَ فَهَلْ يُسْتَحَبّ لِمَنْ حَضَرَهُ أَنْ يُذَكّرَهُ الْحَمْدَ ؟ قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ : لَا يُذَكّرُهُ قَالَ وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ فَاعِلِهِ . وَقَالَ النّوَوِيّ : أَخْطَأَ مَنْ زَعَمَ [ص ٤٠٤] إبْرَاهِيمَ النّخَعِيّ . قَالَ وَهُوَ مِنْ بَابِ النّصِيحَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتّعَاوُنِ عَلَى الْبِرّ وَالتّقْوَى ، وَظَاهِرُ السّنّةِ يُقَوّي قَوْلَ ابْنِ الْعَرَبِيّ لِأَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يُشَمّتْ الّذِي عَطَسَ وَلَمْ يَحْمَدْ اللّهَ وَلَمْ يُذَكّرْهُ وَهَذَا تَعْزِيرٌ لَهُ وَحِرْمَانٌ لِبَرَكَةِ الدّعَاءِ لَمّا حَرَمَ نَفْسَهُ

بَرَكَةَ الْحَمْدِ فَنَسِيَ اللّهَ فَصَرَفَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْسِنَتَهُمْ عَنْ تَشْمِيتِهِ وَالدّعَاءِ لَهُ وَلَوْ كَانَ تَذْكِيرُهُ سُنّةً لَكَانَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَوْلَى بِفِعْلِهَا وَتَعْلِيمِهَا ، وَالْإِعَانَةِ عَلَيْهَا .

فَصْلٌ [الرّدّ عَلَى مَنْ عَطَسَ مِنْ الْيَهُودِ]

وَصَحّ عَنْهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ الْيَهُودَ كَانُوا يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَهُ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ يَرْحَمُكُمْ اللّهُ فَكَانَ يَقُولُ يَهْدِيكُمْ اللّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ

٥٧-هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْجِهَادِ وَالْمَغَازِي وَالسّرَايَا وَالْبُعُوثِ

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْجِهَادِ وَالْمَغَازِي وَالسّرَايَا وَالْبُعُوثِ

[ص ٥] كَانَ الْجِهَادُ ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَقُبّتَهُ وَمَنَازِلُ أَهْلِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنّةِ كَمَا لَهُمْ الرّفْعَةُ فِي الدّنْيَا فَهُمْ الْأَعْلَوْنَ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الذّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَنْوَاعِهِ كُلّهَا فَجَاهَدَ فِي اللّهِ حَقّ جِهَادِهِ بِالْقَلْبِ وَالْجِنَانِ وَالدّعْوَةِ وَالْبَيَانِ وَالسّيْفِ وَالسّنَانِ وَكَانَتْ سَاعَاتُهُ مَوْقُوفَةً عَلَى الْجِهَادِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ . وَلِهَذَا كَانَ أَرْفَعَ الْعَالَمِينَ ذِكْرًا وَأَعْظَمَهُمْ عِنْدَ اللّهِ قَدْرًا .

[كَانَ الْجِهَادُ فِي أَوّلِ الْإِسْلَامِ بِتَبْلِيغِ الْحُجّةِ]

وَأَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى بِالْجِهَادِ مِنْ حِينِ بَعْثِهِ وَقَالَ { وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [الْفُرْقَانُ : ٥٢] فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكّيّةٌ أَمَرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفّارِ بِالْحُجّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إنّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجّةِ وَإِلّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيّهَا النّبِيّ جَاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [التّوْبَةُ ٧٣] فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفّارِ وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصّ الْأُمّةِ وَوَرَثَةُ الرّسُلِ وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمْ الْأَقَلّينَ عَدَدًا فَهُمْ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللّهِ قَدْرًا . وَلَمّا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقّ مَعَ شِدّةِ الْمُعَارِضِ مِثْلَ أَنْ تَتَكَلّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَذَاهُ كَانَ لِلرّسُلِ - صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مِنْ ذَلِكَ الْحَظّ الْأَوْفَرِ وَكَانَ لِنَبِيّنَا - صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ الْجِهَادِ وَأَتَمّهُ .

[جِهَادُ أَعْدَاءِ اللّهِ فَرْعٌ عَلَى جِهَادِ النّفْسِ]

وَلَمّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللّهِ فِي الْخَارِجِ فَرْعًا عَلَى جِهَادِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ فِي ذَاتِ [ص ٦] قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللّهُ عَنْهُ كَانَ جِهَادُ النّفْسِ مُقَدّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوّ فِي الْخَارِجِ وَأَصْلًا لَهُ فَإِنّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوّلًا لِتَفْعَلَ مَا أُمِرَتْ بِهِ وَتَتْرُكَ مَا نُهِيت عَنْهُ وَيُحَارِبُهَا فِي اللّهِ لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوّهِ فِي الْخَارِجِ فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوّهِ وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ وَعَدُوّهُ الّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ مُتَسَلّطٌ عَلَيْهِ لَمْ يُجَاهِدْهُ وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي اللّهِ بَلْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إلَى عَدُوّهِ حَتّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ .

[هُنَاكَ جِهَادٌ ثَالِثٌ هُوَ جِهَادُ الشّيْطَانِ]

فَهَذَانِ عَدُوّانِ قَدْ امْتُحِنَ الْعَبْدُ بِجِهَادِهِمَا وَبَيْنَهُمَا عَدُوّ ثَالِثٌ لَا يُمْكِنُهُ جِهَادُهُمَا إلّا بِجِهَادِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا يُثَبّطُ الْعَبْدَ عَنْ جِهَادِهِمَا وَيَخْذُلُهُ وَيُرْجِفُ بِهِ وَلَا يَزَالُ يُخَيّلُ لَهُ مَا فِي جِهَادِهِمَا مِنْ الْمَشَاقّ وَتَرْكِ الْحُظُوظِ وَفَوْتِ اللّذّاتِ وَالْمُشْتَهَيَاتِ وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ

يُجَاهِدَ دَيْنِكَ الْعَدُوَّيْنِ إلَّا بِجِهَادِهِ فَكَانَ جِهَادُهُ هُوَ الْأَصْلُ لِجِهَادِهِمَا وَهُوَ الشَّيْطَانُ قَالَ تَعَالَى : { إنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فَاطِرٌ ٦] وَالْأَمْرُ بِاتِّخَاذِهِ عَدُوًّا تَنْبِيهٌ عَلَى اسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِي مُحَارَبَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ كَأَنَّهُ عَدُوٌّ لَا يَفْتُرُ وَلَا يُقَصِّرُ عَنْ مُحَارَبَةِ الْعَبْدِ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

[جِهَادُ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ الثَّلَاثَةِ لِيَمْتَحِنَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ]

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَعْدَاءٍ أُمِرَ الْعَبْدُ بِمُحَارَبَتِهَا وَجِهَادِهَا وَقَدْ بُلِيَ بِمُحَارَبَتِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِ امْتِحَانًا مِنْ اللَّهِ لَهُ وَابْتِلَاءً فَأَعْطَى اللَّهُ الْعَبْدَ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا لِهَذَا الْجِهَادِ وَأَعْطَى أَعْدَاءَهُ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا وَبَلَا أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخَرِ وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً لِيَبْلُوَ أَخْبَارَهُمْ وَيَمْتَحِنَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَتَوَلَّى رُسُلَهُ مِمَّنْ يَتَوَلَّى الشَّيْطَانَ وَحِزْبَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الْفُرْقَانُ : ٢٠] [ص ٧] وَقَالَ تَعَالَى { ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } [مُحَمَّدٌ ٤] وَقَالَ تَعَالَى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } [مُحَمَّدٌ ٣١] فَأَعْطَى عِبَادَهُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْعُقُولَ وَالْقُوَى وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَأَمَدَّهُمْ بِمَلَائِكَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ { أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا } [الْأَنْفَالُ ١٢] وَأَمَرَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ بِمَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعَوْنِ لَهُمْ عَلَى حَرْبِ عَدُوِّهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ إنْ امْتَثَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ لَمْ يَزَالُوا مَنْصُورِينَ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ وَأَنَّهُ إنْ سَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ فَلِتَرْكِهِمْ بَعْضَ مَا أُمِرُوا بِهِ وَلِمَعْصِيَتِهِمْ لَهُ ثُمَّ لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ وَلَمْ يُقَنِّطْهُمْ بَلْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا أَمْرَهُمْ وَيُدَاوُوا جِرَاحَهُمْ وَيَعُودُوا إلَى مُنَاهَضَةِ عَدُوِّهِمْ فَيَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِ وَيُظْفِرُهُمْ بِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ وَمَعَ الْمُحْسِنِينَ وَمَعَ الصَّابِرِينَ وَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بَلْ بِدِفَاعِهِ عَنْهُمْ انْتَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَلَوْلَا دِفَاعُهُ عَنْهُمْ لَتَخَطَّفَهُمْ عَدُوُّهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ . وَهَذِهِ الْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَعَلَى قَدْرِهِ فَإِنْ قَوِيَ الْإِيمَانُ قَوِيَتْ الْمُدَافَعَةُ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ .

[مَعْنَى وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]

وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ كَمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وَكَمَا أَنَّ حَقَّ تُقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ فَحَقُّ جِهَادِهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِيُسْلِمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ لِلَّهِ فَيَكُونُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَبِاَللَّهِ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا بِنَفْسِهِ وَيُجَاهِدُ شَيْطَانَهُ بِتَكْذِيبِ وَعْدِهِ وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ وَارْتِكَابِ نَهْيِهِ فَإِنَّهُ يَعِدُ الْأَمَانِيَّ وَيُمَنِّي الْغُرُورَ وَيَعِدُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَيَنْهَى عَنْ التُّقَى وَالْهُدَى وَالْعِفَّةِ وَالصَّبْرِ [ص ٨] الْإِيمَانِ كُلِّهَا فَجَاهِدْهُ بِتَكْذِيبِ وَعْدِهِ وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ فَيَنْشَأُ لَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِهَادَيْنِ قُوَّةٌ وَسُلْطَانٌ وَعُدَّةٌ يُجَاهِدُ بِهَا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي الْخَارِجِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَمَالِهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي حَقِّ الْجِهَادِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ فِيهِ وَأَلَّا يَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ : اعْمَلُوا لِلَّهِ حَقَّ عَمَلِهِ وَاعْبُدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : هُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى . وَلَمْ يُصِبْ مَنْ قَالَ إنَّ الْآيَتَيْنِ مَنْسُوخَتَانِ لِظَنِّهِ أَنَّهُمَا تَضَمَّنَتَا الْأَمْرَ بِمَا لَا يُطَاقُ وَحَقُّ تُقَاتِهِ وَحَقُّ جِهَادِهِ هُوَ مَا يُطِيقُهُ كُلُّ عَبْدٍ فِي نَفْسِهِ وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ فِي

الْقُدْرَةِ وَالْعَجْزِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ . فَحَقّ التّقْوَى وَحَقّ الْجِهَادِ بِالنّسْبَةِ إلَى الْقَادِرِ الْمُتَمَكّنِ الْعَالِمِ شَيْءٌ وَبِالنّسْبَةِ إلَى الْعَاجِزِ الْجَاهِلِ الضّعِيفِ شَيْءٌ وَتَأَمّلْ كَيْفَ عَقّبَ الْأَمْرَ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ } [الْحَجّ ٧٨] وَالْحَرَجُ الضّيقُ بَلْ جَعَلَهُ وَاسِعًا يَسَعُ كُلّ أَحَدٍ كَمَا جَعَلَ رِزْقَهُ يَسَعُ كُلّ حَيّ وَكَلّفَ الْعَبْدَ بِمَا يَسَعُهُ الْعَبْدُ وَرَزَقَ الْعَبْدَ مَا يَسَعُ الْعَبْدَ فَهُوَ يَسَعُ تَكْلِيفَهُ وَيَسَعُهُ رِزْقُهُ وَمَا جَعَلَ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ بِوَجْهِ مَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيّةِ السّمْحَةِ أَيْ بِالْمِلّةِ فَهِيَ حَنِيفِيّةٌ فِي التّوْحِيدِ سَمْحَةٌ فِي الْعَمَلِ . وَقَدْ وَسّعَ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ غَايَةَ التّوْسِعَةِ فِي دِينِهِ وَرِزْقِهِ وَعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَبَسَطَ عَلَيْهِمْ التّوْبَةَ مَا دَامَتْ الرّوحُ فِي الْجَسَدِ وَفَتَحَ لَهُمْ بَابًا لَهَا لَا يُغْلِقُهُ عَنْهُمْ إلَى أَنْ تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَجَعَلَ لِكُلّ سَيّئَةٍ كَفّارَةً تُكَفّرُهَا مِنْ تَوْبَةٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ حَسَنَةٍ مَاحِيَةٍ أَوْ مُصِيبَةٍ مُكَفّرَةٍ وَجَعَلَ بِكُلّ مَا حَرّمَ عَلَيْهِمْ عِوَضًا مِنْ الْحَلَالِ أَنْفَعَ لَهُمْ مِنْهُ وَأَطْيَبَ وَأَلَذّ فَيَقُومُ مَقَامَهُ لِيَسْتَغْنِيَ الْعَبْدُ [ص ٩] وَجَعَلَ لِكُلّ عُسْرٍ يَمْتَحِنُهُمْ بِهِ يُسْرًا قَبْلَهُ وَيُسْرًا بَعْدَهُ " فَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ " فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ مَعَ عِبَادِهِ فَكَيْفَ يُكَلّفُهُمْ مَا لَا يَسَعُهُمْ فَضْلًا عَمّا لَا يُطِيقُونَهُ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ .

فَصْلٌ [مَرَاتِبِ الْجِهَادِ]

إذَا عُرِفَ هَذَا فَالْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ جِهَادُ النّفْسِ وَجِهَادُ الشّيْطَانِ وَجِهَادُ الْكُفّارِ وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ . مَرَاتِبُ جِهَادِ النّفْسِ فَجِهَادُ النّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا : إحْدَاهَا : أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ الّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إلّا بِهِ وَمَتَى فَاتَهَا عَلِمَهُ شَقِيَتْ فِي الدّارَيْنِ . الثّانِيَةُ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَإِلّا فَمُجَرّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إنْ لَمْ يَضُرّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا . الثّالِثَةُ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدّعْوَةِ إلَيْهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ وَإِلّا كَانَ مِنْ الّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ الْهُدَى وَالْبَيّنَاتِ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللّهِ . الرّابِعَةُ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصّبْرِ عَلَى مَشَاقّ الدّعْوَةِ إلَى اللّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ وَيَتَحَمّلُ ذَلِكَ كُلّهُ لِلّهِ . فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنْ الرّبّانِيّينَ فَإِنّ السّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقّ أَنْ يُسَمّى رَبّانِيّا حَتّى يَعْرِفَ الْحَقّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلّمَهُ فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السّمَاوَاتِ .

فَصْلٌ [مَرَاتِبُ جِهَادِ الشّيْطَانِ]

[ص ١٠] الشّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ إحْدَاهُمَا : جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إلَى الْعَبْدِ مِنْ الشّبُهَاتِ وَالشّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ . الثّانِيَةُ جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إلَيْهِ مِنْ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشّهَوَاتِ فَالْجِهَادُ الْأَوّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ وَالثّانِي يَكُونُ بَعْدَهُ الصّبْرُ . قَالَ تَعَالَى : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } [السّجْدَةُ ٢٤] فَأَخْبَرَ أَنّ إمَامَةَ الدّينِ إنّمَا تُنَالُ بِالصّبْرِ وَالْيَقِينِ فَالصّبْرُ يَدْفَعُ الشّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشّكُوكَ وَالشّبُهَاتِ .

فَصْلٌ [مَرَاتِبُ جِهَادِ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ]

وَأَمّا جِهَادُ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ بِالْقَلْبِ وَاللّسَانِ وَالْمَالِ وَالنّفْسِ وَجِهَادُ الْكُفّارِ أَخُصّ بِالْيَدِ وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخُصّ بِاللّسَانِ .

فَصْلٌ [جِهَادُ أَرْبَابِ الظّلْمِ وَالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ]

وَأَمّا جِهَادُ أَرْبَابِ الظّلْمِ وَالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ فَثَلَاثُ مَرَاتِبَ الْأُولَى : بِالْيَدِ إذَا قَدَرَ فَإِنْ عَجَزَ انْتَقَلَ إلَى اللّسَانِ فَإِنْ عَجَزَ جَاهَدَ بِقَلْبِهِ فَهَذِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَرْتَبَةً مِنْ الْجِهَادِ وَ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ النّفَاقِ

فَصْلٌ [شَرْطُ الْجِهَادِ]

وَلَا يَتِمّ الْجِهَادُ إلّا بِالْهِجْرَةِ وَلَا الْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ إلّا بِالْإِيمَانِ وَالرّاجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ هُمْ الّذِينَ قَامُوا بِهَذِهِ الثّلَاثَةِ . قَالَ تَعَالَى : { إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَالّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الْبَقَرَةُ ٢١٨] وَكَمَا أَنّ الْإِيمَانَ فَرْضٌ عَلَى كُلّ أَحَدٍ فَفَرْضٌ عَلَيْهِ هِجْرَتَانِ فِي كُلّ وَقْتٍ [ص ١١] عَزّ وَجَلّ بِالتّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْإِنَابَةِ وَالتّوَكّلِ وَالْخَوْفِ وَالرّجَاءِ وَالْمَحَبّةِ وَالتّوْبَةِ وَهِجْرَةٌ إلَى رَسُولِهِ بِالْمُتَابَعَةِ وَالِانْقِيَادِ لِأَمْرِهِ وَالتّصْدِيقِ بِخَبَرِهِ وَتَقْدِيمِ أَمْرِهِ وَخَبَرِهِ عَلَى أَمْرِ غَيْرِهِ وَخَبَرِهِ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ وَفَرَضَ عَلَيْهِ جِهَادَ نَفْسِهِ فِي ذَاتِ اللّهِ وَجِهَادَ شَيْطَانِهِ فَهَذَا كُلّهُ فَرْضُ عَيْنٍ لَا يَنُوبُ فِيهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ . وَأَمّا جِهَادُ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَقَدْ يُكْتَفَى فِيهِ بِبَعْضِ الْأُمّةِ إذَا حَصَلَ مِنْهُمْ مَقْصُودُ الْجِهَادِ .

فَصْلٌ [أَكْمَلُ الْخَلْقِ مَنْ كَمّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَأَكْمَلُهُمْ مُحَمّدٌ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللّهِ مَنْ كَمّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ كُلّهَا وَالْخَلْقُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللّهِ تَفَاوُتُهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْجِهَادِ وَلِهَذَا كَانَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللّهِ خَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فَإِنّهُ كَمّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَجَاهَدَ فِي اللّهِ حَقّ جِهَادِهِ وَشَرَعَ فِي الْجِهَادِ مِنْ حِينَ بُعِثَ إلَى أَنْ تَوَفّاهُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ فَإِنّهُ لَمّا نَزَلَ عَلَيْهِ { يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبّكَ فَكَبّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهّرْ } [الْمُدّثّرُ ١ - ٤] شَمّرَ عَنْ سَاقِ الدّعْوَةِ وَقَامَ فِي ذَاتِ اللّهِ أَتَمّ قِيَامٍ وَدَعَا إلَى اللّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرّا وَجِهَارًا وَلَمّا نَزَلَ عَلَيْهِ { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ } [الْحِجْرُ : ٩٤] فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللّهِ لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ فَدَعَا إلَى اللّهِ الصّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالْحُرّ وَالْعَبْدَ وَالذّكَرَ وَالْأُنْثَى وَالْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ وَالْجِنّ وَالْإِنْسَ . وَلَمّا صَدَعَ بِأَمْرِ اللّهِ وَصَرّحَ لِقَوْمِهِ بِالدّعْوَةِ وَنَادَاهُمْ بِسَبّ آلِهَتِهِمْ وَعَيّبَ دِينَهُمْ [ص ١٢] وَنَالُوهُ وَنَالُوهُمْ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَهَذِهِ سُنّةُ اللّهِ عَزّ وَجَلّ فِي خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { مَا يُقَالُ لَكَ إِلّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } [فُصّلَتْ ٤٣] وَقَالَ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنّ } [الْأَنْعَامُ ١١٢] وَقَالَ { كَذَلِكَ مَا أَتَى الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ } [الذّارِيَاتُ ٥٢- ٥٣] فَعَزّى سُبْحَانَهُ نَبِيّهُ بِذَلِكَ وَأَنّ لَهُ أُسْوَةً بِمَنْ تَقَدّمَهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ وَعَزّى أَتْبَاعَهُ بِقَوْلِهِ { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنّةَ وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلَا إِنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ } [الْبَقَرَةُ ٢١٤] وَقَوْلُهُ { الم أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنّ اللّهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ السّيّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللّهِ فَإِنّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنّ اللّهَ لَغَنِيّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَنُكَفّرَنّ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أَحْسَنَ الّذِي

كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } [الْعَنْكَبُوتُ ١ - ١١] [ص ١٣]

[ذِكْرُ الِابْتِلَاءِ فِي أَوَّلِ الدَّعْوَةِ]

فَلْيَتَأَمَّلْ الْعَبْدُ سِيَاقَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْعِبَرِ وَكُنُوزِ الْحِكَمِ فَإِنَّ النَّاسَ إذَا أُرْسِلَ إلَيْهِمْ الرُّسُلُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ آمَنَّا وَإِمَّا أَلَّا يَقُولَ ذَلِكَ بَلْ يَسْتَمِرَّ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَالْكُفْرِ فَمَنْ قَالَ آمَنَّا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ وَابْتَلَاهُ وَفَتَنَهُ وَالْفِتْنَةُ الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنْ الْكَاذِبِ وَمَنْ لَمْ يَقُلْ آمَنَّا فَلَا يَحْسِبُ أَنَّهُ يُعْجِزُ اللَّهَ وَيَفُوتُهُ وَيَسْبِقُهُ فَإِنَّهُ إنَّمَا يَطْوِي الْمَرَاحِلَ فِي يَدَيْهِ . وَكَيْفَ يَفِرُّ الْمَرْءُ عَنْهُ بِذَنْبِهِ إذَا كَانَ تُطْوَى فِي يَدَيْهِ الْمَرَاحِلُ

فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَأَطَاعَهُمْ عَادَاهُ أَعْدَاؤُهُمْ وَآذَوْهُ فَابْتُلِيَ بِمَا يُؤْلِمُهُ وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ وَلَمْ يُطِعْهُمْ عُوقِبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَحَصَلَ لَهُ مَا يُؤْلِمُهُ وَكَانَ هَذَا الْمُؤْلِمُ لَهُ أَعْظَمَ أَلَمًا وَأَدْوَمَ مِنْ أَلَمِ اتِّبَاعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الْأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ آمَنَتْ أَوْ رَغِبَتْ عَنْ الْإِيمَانِ لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَحْصُلُ لَهُ الْأَلَمُ فِي الدُّنْيَا ابْتِدَاءً ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْمُعْرِضُ عَنْ الْإِيمَانِ تَحْصُلُ لَهُ اللَّذَّةُ ابْتِدَاءً ثُمَّ يَصِيرُ إلَى الْأَلَمِ الدَّائِمِ . وَسُئِلَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى ؟ فَقَالَ لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى وَاَللَّهُ تَعَالَى ابْتَلَى أُولِي الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ فَلَا يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنْ الْأَلَمِ الْبَتَّةَ وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتُ أَهْلُ الْآلَامِ فِي الْعُقُولِ فَأَعْقَلُهُمْ مَنْ بَاعَ أَلَمًا مُسْتَمِرًّا عَظِيمًا بِأَلَمٍ مُنْقَطِعٍ يَسِيرٍ وَأَشْقَاهُمْ مَنْ بَاعَ الْأَلَمَ الْمُنْقَطِعَ الْيَسِيرَ بِالْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَخْتَارُ الْعَاقِلُ هَذَا ؟ قِيلَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا النَّقْدُ وَالنَّسِيئَةُ . و النَّفْسُ مُوَكَّلَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ

[مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا]

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } [الْقِيَامَةُ ٢٠] { إنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا } [الدَّهْرُ ٢٧] وَهَذَا يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَعِيشَ مَعَ النَّاسِ وَالنَّاسُ لَهُمْ إرَادَاتٌ وَتَصَوُّرَاتٌ فَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهَا فَإِنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ آذَوْهُ وَعَذَّبُوهُ وَإِنْ [ص ١٤] حَصَلَ لَهُ الْأَذَى وَالْعَذَابُ تَارَةً مِنْهُمْ وَتَارَةً مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَنْ عِنْدَهُ دِينٌ وَتُقًى حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ فُجَّارٍ ظَلَمَةٍ وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ فُجُورِهِمْ وَظُلْمِهِمْ إلَّا بِمُوَافَقَتِهِ لَهُمْ أَوْ سُكُوتِهِ عَنْهُمْ فَإِنْ وَافَقَهُمْ أَوْ سَكَتَ عَنْهُمْ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ فِي الِابْتِدَاءِ ثُمَّ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِ بِالْإِهَانَةِ وَالْأَذَى أَضْعَافَ مَا كَانَ يَخَافُهُ ابْتِدَاءً لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفَهُمْ وَإِنْ سَلِمَ مِنْهُمْ فَلَا بُدَّ أَنْ يُهَانَ وَيُعَاقَبَ عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي الْأَخْذِ بِمَا قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لِمُعَاوِيَةَ : مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ رَأَى هَذَا كَثِيرًا فِيمَنْ يُعِينُ الرُّؤَسَاءَ عَلَى أَغْرَاضِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَفِيمَنْ يُعِينُ أَهْلَ الْبِدَعِ عَلَى بِدَعِهِمْ هَرَبًا مِنْ عُقُوبَتِهِمْ فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ وَوَقَاهُ شَرَّ نَفْسِهِ امْتَنَعَ مِنْ الْمُوَافَقَةِ عَلَى فِعْلِ الْمُحَرَّمِ وَصَبَرَ عَلَى عِدْوَانِهِمْ ثُمَّ تَكُونُ لَهُ

الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ كَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ اُبْتُلِيَ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَصَالِحِي الْوُلَاةِ وَالتُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ .

[تَعْزِيَةُ اللَّهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنّ الْحَيَاةَ الدّنْيَا قَصِيرَةٌ]

وَلَمّا كَانَ الْأَلَمُ لَا مَحِيصَ مِنْهُ الْبَتّةَ عَزّى اللّهُ - سُبْحَانَهُ - مَنْ اخْتَارَ الْأَلَمَ الْيَسِيرَ الْمُنْقَطِعَ عَلَى الْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرّ بِقَوْلِهِ { مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللّهِ فَإِنّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الْعَنْكَبُوتُ ٥] فَضَرَبَ لِمُدّةِ هَذَا الْأَلَمِ أَجَلًا لَا بُدّ أَنْ يَأْتِيَ وَهُوَ يَوْمُ لِقَائِهِ فَيَلْتَذّ الْعَبْدُ أَعْظَمَ اللّذّةِ بِمَا تَحَمّلَ [ص ١٥] أَجْلِهِ وَفِي مَرْضَاتِهِ وَتَكُونُ لَذّتُهُ وَسُرُورُهُ وَابْتِهَاجُهُ بِقَدْرِ مَا تَحَمّلَ مِنْ الْأَلَمِ فِي اللّهِ وَلِلّهِ وَأَكّدَ هَذَا الْعَزَاءَ وَالتّسْلِيَةَ بِرَجَاءِ لِقَائِهِ لِيَحْمِلَ الْعَبْدُ اشْتِيَاقُهُ إلَى لِقَاءِ رَبّهِ وَوَلِيّهِ عَلَى تَحَمّلِ مَشَقّةِ الْأَلَمِ الْعَاجِلِ بَلْ رُبّمَا غَيّبَهُ الشّوْقُ إلَى لِقَائِهِ عَنْ شُهُودِ الْأَلَمِ وَالْإِحْسَاس بِهِ وَلِهَذَا سَأَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَبّهُ الشّوْقَ إلَى لِقَائِهِ فَقَالَ فِي الدّعَاءِ الّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبّانَ : اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي إذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفّنِي إذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ وَأَسْأَلُك كَلِمَةَ الْحَقّ فِي الْغَضَبِ وَالرّضَى وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَأَسْأَلُكَ قُرّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذّةَ النّظَرِ إلَى وَجْهِك وَأَسْأَلُكَ الشّوْقَ إلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرّاءَ مُضِرّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلّةٍ اللّهُمّ زَيّنّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ فَالشّوْقُ يَحْمِلُ الْمُشْتَاقَ عَلَى الْجِدّ فِي السّيْرِ إلَى مَحْبُوبِهِ وَيُقَرّبُ عَلَيْهِ الطّرِيقَ وَيَطْوِي لَهُ الْبَعِيدَ وَيُهَوّنُ عَلَيْهِ الْآلَامَ وَالْمَشَاقّ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللّهُ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ وَلَكِنْ لِهَذِهِ النّعْمَةِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ هُمَا السّبَبُ الّذِي تُنَالُ بِهِ وَاَللّهُ سُبْحَانَهُ سَمِيعٌ لِتِلْكَ الْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَصْلُحُ لِهَذِهِ النّعْمَةِ وَيَشْكُرُهَا وَيَعْرِفُ قَدْرَهَا وَيُحِبّ الْمُنْعِمَ عَلَيْهِ [ص ١٦] قَالَ تَعَالَى : { وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ } [الْأَنْعَامُ ٥٣] فَإِذَا فَاتَتْ الْعَبْدَ نَعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ رَبّهِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى نَفْسِهِ

{ أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ }

[مَنْ جَاهَدَ فَإِنّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ]

ثُمّ عَزّاهُمْ تَعَالَى بِعَزَاءٍ آخَرَ وَهُوَ أَنّ جِهَادَهُمْ فِيهِ إنّمَا هُوَ لِأَنْفُسِهِمْ وَثَمَرَتُهُ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَأَنّهُ غَنِيّ عَنْ الْعَالَمِينَ وَمَصْلَحَةُ هَذَا الْجِهَادِ تَرْجِعُ إلَيْهِمْ لَا إلَيْهِ سُبْحَانَهُ ثُمّ أَخْبَرَ أَنّهُ يُدْخِلُهُمْ بِجِهَادِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ فِي زُمْرَةِ الصّالِحِينَ .

[مَعْنَى فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذَابِ اللّهِ]

ثُمّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِ الدّاخِلِ فِي الْإِيمَانِ بِلَا بَصِيرَةٍ وَأَنّهُ إذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ لَهُ كَعَذَابِ اللّهِ وَهِيَ أَذَاهُمْ لَهُ وَنَيْلُهُمْ إيّاهُ بِالْمَكْرُوهِ وَالْأَلَمِ الّذِي لَا بُدّ أَنْ يَنَالَهُ الرّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِمّنْ خَالَفَهُمْ جَعَلَ ذَلِكَ فِي فِرَارِهِ مِنْهُمْ وَتَرْكِهِ السّبَبَ الّذِي نَالَهُ كَعَذَابِ اللّهِ الّذِي فَرّ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ فَالْمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيرَتِهِمْ فَرّوا مِنْ أَلَمِ عَذَابِ اللّهِ إلَى الْإِيمَانِ وَتَحَمّلُوا مَا فِيهِ مِنْ الْأَلَمِ الزّائِلِ الْمُفَارِقِ عَنْ قَرِيبٍ وَهَذَا لِضَعْفِ بَصِيرَتِهِ فَرّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرّسُلِ إلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ فَفَرّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إلَى أَلَمِ عَذَابِ اللّهِ فَجَعَلَ أَلَمَ فِتْنَةِ النّاسِ فِي الْفِرَارِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ أَلَمِ عَذَابِ اللّهِ وَغُبِنَ كُلّ الْغَبْنِ إذْ اسْتَجَارَ مِنْ الرّمْضَاءِ بِالنّارِ وَفَرّ مِنْ أَلَمِ سَاعَةٍ إلَى أَلَمِ الْأَبَدِ وَإِذَا نَصَرَ اللّهُ جُنْدَهُ

وَأَوْلِيَاءَهُ قَالَ إنّي كُنْتُ مَعَكُمْ وَاَللّهُ عَلِيمٌ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنْ النّفَاقِ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنّهُ لَا بُدّ أَنْ يَمْتَحِنَ النّفُوسَ وَيَبْتَلِيَهَا فَيُظْهِرُ بِالِامْتِحَانِ طَيّبَهَا مِنْ خَبِيثِهَا وَمَنْ يَصْلُحُ لِمُوَالَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَمَنْ لَا يَصْلُحُ وَلِيُمَحّصَ النّفُوسَ الّتِي تَصْلُحُ لَهُ وَيُخَلّصَهَا بِكِيرِ الِامْتِحَانِ كَالذّهَبِ الّذِي لَا يَخْلُصُ وَلَا يَصْفُو مِنْ غِشّهِ إلّا بِالِامْتِحَانِ إذْ النّفْسُ فِي الْأَصْلِ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ وَقَدْ حَصَلَ لَهَا بِالْجَهْلِ وَالظّلْمِ مِنْ الْخُبْثِ مَا يَحْتَاجُ خُرُوجُهُ إلَى السّبْكِ وَالتّصْفِيَةِ فَإِنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الدّارِ وَإِلّا فَفِي كِيرِ جَهَنّمَ فَإِذَا هُذّبَ الْعَبْدُ وَنُقّيَ أُذِنَ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنّةِ . [ص ١٧]

٥٨- هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حِفْظِ الصّحّةِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ١٩٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حِفْظِ الصّحّةِ

[قِوَامُ الْبَدَنِ عَلَى الْحَرَارَةِ وَالرّطُوبَةِ]

لَمّا كَانَ اعْتِدَالُ الْبَدَنِ وَصِحّتُهُ وَبَقَاؤُهُ إنّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ الرّطُوبَةِ الْمُقَاوِمَةِ لِلْحَرَارَةِ فَالرّطُوبَةُ مَادّتُهُ وَالْحَرَارَةُ تُنْضِجُهَا وَتَدْفَعُ فَضَلَاتِهَا وَتُصْلِحُهَا وَتُلَطّفُهَا وَإِلّا أَفْسَدَتْ الْبَدَنَ وَلَمْ يُمْكِنْ قِيَامُهُ وَكَذَلِكَ الرّطُوبَةُ هِيَ غِذَاءُ الْحَرَارَةِ فَلَوْلَا الرّطُوبَةُ لَأَحْرَقَتْ الْبَدَنَ وَأَيْبَسَتْهُ وَأَفْسَدَتْهُ فَقِوَامُ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبَتِهَا وَقِوَامُ الْبَدَنِ بِهِمَا جَمِيعًا وَكُلّ مِنْهُمَا مَادّةٌ لِلْأُخْرَى فَالْحَرَارَةُ مَادّةٌ لِلرّطُوبَةِ تَحْفَظُهَا وَتَمْنَعُهَا مِنْ الْفَسَادِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَالرّطُوبَةُ مَادّةٌ لِلْحَرَارَةِ تَغْذُوهَا وَتَحْمِلُهَا وَمَتَى مَالَتْ إحْدَاهُمَا إلَى الزّيَادَةِ عَلَى الْأُخْرَى حَصَلَ لِمِزَاجِ الْبَدَنِ الِانْحِرَافُ بِحَسَبِ ذَلِكَ فَالْحَرَارَةُ دَائِمًا تُحَلّلُ الرّطُوبَةَ فَيَحْتَاجُ الْبَدَنُ إلَى مَا بِهِ يُخْلَفُ عَلَيْهِ مَا حَلّلَتْهُ الْحَرَارَةُ - لِضَرُورَةِ بَقَائِهِ - وَهُوَ الطّعَامُ وَالشّرَابُ وَمَتَى زَادَ عَلَى مِقْدَارِ التّحَلّلِ ضَعُفَتْ الْحَرَارَةُ عَنْ تَحْلِيلِ فَضَلَاتِهِ فَاسْتَحَالَتْ مَوَادّ رَدِيئَةٍ فَعَاثَتْ فِي الْبَدَنِ وَأَفْسَدَتْ فَحَصَلَتْ الْأَمْرَاضُ الْمُتَنَوّعَةُ بِحَسَبِ تَنَوّعِ مَوَادّهَا وَقَبُولِ الْأَعْضَاءِ وَاسْتِعْدَادِهَا وَهَذَا كُلّهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } [الْأَعْرَافِ ٣١] فَأَرْشَدَ عِبَادَهُ إلَى إدْخَالِ مَا يُقِيمُ الْبَدَنَ مِنْ الطّعَامِ وَالشّرَابِ عِوَضَ مَا تَحَلّلَ مِنْهُ وَأَنْ يَكُونَ بِقَدْرِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَدَنُ فِي الْكَمّيّةِ وَالْكَيْفِيّةِ فَمَتَى جَاوَزَ ذَلِكَ كَانَ إسْرَافًا وَكِلَاهُمَا مَانِعٌ مِنْ الصّحّةِ جَالِبٌ لِلْمَرَضِ أَعْنِي عَدَمَ الْأَكْلِ وَالشّرْبِ أَوْ الْإِسْرَافَ فِيهِ . [ص ١٩٦] دَائِمًا فِي التّحَلّلِ وَالِاسْتِخْلَافِ وَكُلّمَا كَثُرَ التّحَلّلُ ضَعُفَتْ الْحَرَارَةُ لِفَنَاءِ مَادّتِهَا فَإِنّ كَثْرَةَ التّحَلّلِ تُفْنِي الرّطُوبَةَ وَهِيَ مَادّةُ الْحَرَارَةِ وَإِذَا ضَعُفَتْ الْحَرَارَةُ ضَعُفَ الْهَضْمُ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتّى تَفْنَى الرّطُوبَةُ وَتَنْطَفِئَ الْحَرَارَةُ جُمْلَةً فَيَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْأَجَلَ الّذِي كَتَبَ اللّهُ لَهُ أَنْ يَصِلَ إلَيْهِ .

[غَايَةُ عِلَاجِ الْإِنْسَانِ الِاعْتِدَالُ بَيْنَ الْحَرَارَةِ وَالرّطُوبَةِ]

فَغَايَةُ عِلَاجِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ حِرَاسَةُ الْبَدَنِ إلَى أَنْ يَصِلَ إلَى هَذِهِ الْحَالَةِ لَا أَنّهُ يَسْتَلْزِمُ بَقَاءَ الْحَرَارَةِ وَالرّطُوبَةِ اللّتَيْنِ بَقَاءُ الشّبَابِ وَالصّحّةِ وَالْقُوّةِ بِهِمَا فَإِنّ هَذَا مِمّا لَمْ يَحْصُلْ لِبَشَرٍ فِي هَذِهِ الدّارِ وَإِنّمَا غَايَةُ الطّبِيبِ أَنْ يَحْمِيَ الرّطُوبَةَ عَنْ مُفْسِدَاتِهَا مِنْ الْعُفُونَةِ وَغَيْرِهِ وَيَحْمِيَ الْحَرَارَةَ عَنْ مُضْعِفَاتِهَا وَيَعْدِلَ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ فِي التّدْبِيرِ الّذِي بِهِ قَامَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ كَمَا أَنّ بِهِ قَامَتْ السّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَسَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ إنّمَا قِوَامُهَا بِالْعَدْلِ وَمَنْ تَأَمّلَ هَدْيَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَدَهُ أَفْضَلَ هَدْيٍ يُمْكِنُ حِفْظُ الصّحّةِ بِهِ فَإِنّ حِفْظَهَا مَوْقُوفٌ عَلَى حُسْنِ تَدْبِيرِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ

وَالْهَوَاءِ وَالنّوْمِ وَالْيَقَظَةِ وَالْحَرَكَةِ وَالسّكُونِ وَالْمَنْكَحِ وَالِاسْتِفْرَاغِ وَالِاحْتِبَاسِ فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَدِلِ الْمُوَافِقِ الْمُلَائِمِ لِلْبَدَنِ وَالْبَلَدِ وَالسّنّ وَالْعَادَةِ كَانَ أَقْرَبَ إلَى دَوَامِ الصّحّةِ أَوْ غَلَبَتِهَا إلَى انْقِضَاءِ الْأَجَلِ .

[الصّحّةُ مِنْ أَجَلّ النّعَمِ وَذِكْرُ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ]

وَلَمّا كَانَتْ الصّحّةُ وَالْعَافِيَةُ مِنْ أَجَلّ نِعَمِ اللّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَأَجْزَلِ عَطَايَاهُ وَأَوْفَرِ مِنَحِهِ بَلْ الْعَافِيَةُ الْمُطْلَقَةُ أَجَلّ النّعَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَحَقِيقٌ لِمَنْ رُزِقَ حَظّا مِنْ التّوْفِيقِ مُرَاعَاتُهَا وَحِفْظُهَا وَحِمَايَتُهَا عَمّا يُضَادّهَا وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيّ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النّاسِ : الصّحّةُ وَالْفَرَاغُ وَفِي التّرْمِذِيّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيّ قَالَ قَالَ [ص ١٩٧] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدّنْيَا وَفِي التّرْمِذِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ أَوّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ النّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَلَمْ نُصِحّ لَكَ جِسْمَك وَنَرْوِك مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ وَمِنْ هَا هُنَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ السّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { ثُمّ لَتُسْأَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ } [التّكَاثُرِ ٨] قَالَ عَنْ الصّحّةِ . وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لِلْعَبّاسِ يَا عَبّاسُ يَا عَمّ رَسُولِ اللّهِ سَلْ اللّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ سَلُوا اللّهَ الْيَقِينَ وَالْمُعَافَاةَ فَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنْ الْعَافِيَةِ فَجَمَعَ بَيْنَ عَافِيَتَيْ الدّينِ وَالدّنْيَا وَلَا يَتِمّ صَلَاحُ الْعَبْدِ فِي الدّارَيْنِ إلّا بِالْيَقِينِ وَالْعَافِيَةِ فَالْيَقِينُ يَدْفَعُ عَنْهُ عُقُوبَاتِ الْآخِرَةِ وَالْعَافِيَةُ تَدْفَعُ عَنْهُ أَمْرَاضَ الدّنْيَا فِي قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ . وَفِي " سُنَنِ النّسَائِيّ " مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ [ص ١٩٨] سَلُوا اللّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ يَقِينٍ خَيْرًا مِنْ مُعَافَاةٍ وَهَذِهِ الثّلَاثَةُ تَتَضَمّنُ إزَالَةَ الشّرُورِ الْمَاضِيَةِ بِالْعَفْوِ وَالْحَاضِرَةِ بِالْعَافِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ بِالْمُعَافَاةِ فَإِنّهَا تَتَضَمّنُ الْمُدَاوَمَةَ وَالِاسْتِمْرَارَ عَلَى الْعَافِيَةِ . وَفِي التّرْمِذِيّ مَرْفُوعًا : مَا سُئِلَ اللّهُ شَيْئًا أَحَبّ إلَيْهِ مِنْ الْعَافِيَةِ وَقَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى : عَنْ أَبِي الدّرْدَاءِ قُلْت : يَا رَسُولَ اللّهِ لَأَنْ أُعَافَى فَأَشْكُرَ أَحَبّ إلَيّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَسُولُ اللّهِ يُحِبّ مَعَكَ الْعَافِيَةَ وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ أَعْرَابِيّا جَاءَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَهُ مَا أَسْأَلُ اللّهَ بَعْدَ الصّلَوَاتِ الْخَمْسِ ؟ فَقَالَ سَلْ اللّهَ الْعَافِيَةَ " فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ فِي الثّالِثَةِ سَلْ اللّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ

[هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مُرَاعَاةِ أُمُورِ الصّحّةِ]

وَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ الْعَافِيَةِ وَالصّحّةِ فَنَذْكُرُ مِنْ هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مُرَاعَاةِ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا يَتَبَيّنُ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ أَنّهُ أَكْمَلُ هَدْيٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَنَالُ بِهِ حِفْظَ صِحّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وَحَيَاةِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التّكْلَانُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاَللّهِ .

٥٩ -هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّيَاضَةِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢٢٥)

فَصْلٌ [هَدْيُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الرّيَاضَةِ]

وَأَمّا تَدْبِيرُ الْحَرَكَةِ وَالسّكُونِ وَهُوَ الرّيَاضَةُ فَنَذْكُرُ مِنْهَا فَصْلًا يُعْلَمُ مِنْهُ مُطَابَقَةُ هَدْيِهِ فِي ذَلِكَ لِأَكْمَلِ أَنْوَاعِهِ وَأَحْمَدِهَا وَأَصْوَبِهَا فَنَقُولُ

[السّبَبُ الْمُوجِبُ لِلرّيَاضَةِ]

مِنْ الْمَعْلُومِ افْتِقَارُ الْبَدَنِ فِي بَقَائِهِ إلَى الْغِذَاءِ وَالشّرَابِ وَلَا يَصِيرُ الْغِذَاءُ بِجُمْلَتِهِ جُزْءًا مِنْ الْبَدَنِ بَلْ لَا بُدّ أَنْ يَبْقَى مِنْهُ عِنْدَ كُلّ هَضْمٍ بَقِيّةٌ مَا إذَا كَثُرَتْ عَلَى مَمَرّ الزّمَانِ اجْتَمَعَ مِنْهَا شَيْءٌ لَهُ كَمّيّةٌ وَكَيْفِيّةٌ فَيَضُرّ بِكَمّيّتِهِ بِأَنْ يَسُدّ وَيُثْقِلَ الْبَدَنَ وَيُوجِبَ أَمْرَاضَ الِاحْتِبَاسِ وَإِنْ اسْتَفْرَغَ تَأَذّى الْبَدَنُ بِالْأَدْوِيَةِ لِأَنّ أَكْثَرَهَا سُمّيّةٌ وَلَا تَخْلُو مِنْ إخْرَاجِ الصّالِحِ الْمُنْتَفَعِ بِهِ وَيَضُرّ بِكَيْفِيّتِهِ بِأَنْ يُسَخّنَ بِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَفَنِ أَوْ يُبَرّدَ بِنَفْسِهِ أَوْ يُضْعِفَ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيّةَ عَنْ إنْضَاجِهِ .

[فَوَائِدُ الرّيَاضَةِ]

وَسُدَدُ الْفَضَلَاتِ لَا مَحَالَةَ ضَارّةٌ تُرِكَتْ أَوْ اُسْتُفْرِغَتْ وَالْحَرَكَةُ أَقْوَى [ص ٢٢٦] طُولِ الزّمَانِ وَتُعَوّدُ الْبَدَنَ الْخِفّةَ وَالنّشَاطَ وَتَجْعَلُهُ قَابِلًا لِلْغِذَاءِ وَتُصَلّبُ الْمَفَاصِلَ وَتُقَوّي الْأَوْتَارَ وَالرّبَاطَاتِ وَتُؤَمّنُ جَمِيعَ الْأَمْرَاضِ الْمَادّيّةِ وَأَكْثَرَ الْأَمْرَاضِ الْمِزَاجِيّةِ إذَا اُسْتُعْمِلَ الْقَدْرُ الْمُعْتَدِلُ مِنْهَا فِي وَقْتِهِ وَكَانَ بَاقِي التّدْبِيرِ صَوَابًا .

[وَقْتُهَا وَأَنْوَاعُهَا]

وَوَقْتُ الرّيَاضَةِ بَعْدَ انْحِدَارِ الْغِذَاءِ وَكَمَالِ الْهَضْمِ وَالرّيَاضَةُ الْمُعْتَدِلَةُ هِيَ الّتِي تَحْمَرّ فِيهَا الْبَشَرَةُ وَتَرْبُو وَيَتَنَدّى بِهَا الْبَدَنُ وَأَمّا الّتِي يَلْزَمُهَا سَيَلَانُ الْعَرَقِ فَمُفْرِطَةٌ وَأَيّ عُضْوٍ كَثُرَتْ رِيَاضَتُهُ قَوِيَ وَخُصُوصًا عَلَى نَوْعِ تِلْكَ الرّيَاضَةِ بَلْ كُلّ قُوّةٍ فَهَذَا شَأْنُهَا فَإِنّ مَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْ الْحِفْظِ قَوِيَتْ حَافِظَتُهُ وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْ الْفِكْرِ قَوِيَتْ قُوّتُهُ الْمُفَكّرَةُ وَلِكُلّ عُضْوٍ رِيَاضَةٌ تَخُصّهُ فَلِلصّدْرِ الْقِرَاءَةُ فَلْيَبْتَدِئْ فِيهَا مِنْ الْخُفْيَةِ إلَى الْجَهْرِ بِتَدْرِيجٍ وَرِيَاضَةُ السّمْعِ بِسَمْعِ الْأَصْوَاتِ وَالْكَلَامِ بِالتّدْرِيجِ فَيَنْتَقِلُ مِنْ الْأَخَفّ إلَى الْأَثْقَلِ وَكَذَلِكَ رِيَاضَةُ اللّسَانِ فِي الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ رِيَاضَةُ الْبَصَرِ وَكَذَلِكَ رِيَاضَةُ الْمَشْيِ بِالتّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَأَمّا رُكُوبُ الْخَيْلِ وَرَمْيُ النّشّابِ وَالصّرَاعُ وَالْمُسَابَقَةُ عَلَى الْأَقْدَامِ فَرِيَاضَةٌ لِلْبَدَنِ كُلّهِ وَهِيَ قَالِعَةٌ لِأَمْرَاضٍ مُزْمِنَةٍ كَالْجُذَامِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَالْقُولَنْجِ .

[رِيَاضَةُ النّفُوسِ]

وَرِيَاضَةُ النّفُوسِ بِالتّعَلّمِ وَالتّأَدّبِ وَالْفَرَحِ وَالسّرُورِ وَالصّبْرِ وَالثّبَاتِ وَالْإِقْدَامِ وَالسّمَاحَةِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمّا تَرْتَاضُ بِهِ النّفُوسُ وَمِنْ أَعْظَمِ رِيَاضَتِهَا : الصّبْرُ وَالْحُبّ وَالشّجَاعَةُ وَالْإِحْسَانُ فَلَا تَزَالُ تَرْتَاضُ بِذَلِكَ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتّى تَصِيرَ لَهَا هَذِهِ الصّفَاتُ هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً وَمَلَكَاتٍ ثَابِتَةً . وَأَنْتَ إذَا تَأَمّلْتَ هَدْيَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ذَلِكَ وَجَدْتَهُ أَكْمَلَ هَدْيٍ حَافِظٍ لِلصّحّةِ وَالْقُوَى وَنَافِعٍ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ .

[فَائِدَةُ الصّلَاةِ]

وَلَا رَيْبَ أَنّ الصّلَاةَ نَفْسَهَا فِيهَا مِنْ حِفْظِ صِحّةِ الْبَدَنِ وَإِذَابَةِ أَخْلَاطِهِ وَفَضَلَاتِهِ مَا هُوَ مِنْ أَنْفَعِ شَيْءٍ لَهُ سِوَى مَا فِيهَا مِنْ حِفْظِ صِحّةِ الْإِيمَانِ وَسَعَادَةِ [ص ٢٢٧] أَنْفَعِ أَسْبَابِ حِفْظِ الصّحّةِ وَمِنْ أَمْنَعِ الْأُمُورِ لِكَثِيرِ مِنْ الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ وَمِنْ أَنْشَطِ شَيْءٍ لِلْبَدَنِ وَالرّوحِ وَالْقَلْبِ كَمَا فِي " الصّحِيحَيْنِ " عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ يَعْقِدُ الشّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى كُلّ عُقْدَةٍ عَلَيْك لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ هُوَ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللّهَ انْحَلّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضّأَ انْحَلّتْ عُقْدَةٌ

ثَانِيَةٌ فَإِنْ صَلّى انْحَلّتْ عُقَدُهُ كُلّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيّبَ النّفْسِ وَإِلّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النّفْسِ كَسْلَانَ

[فَائِدَةُ الصّوْمِ]

وَفِي الصّوْمِ الشّرْعِيّ مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الصّحّةِ وَرِيَاضَةِ الْبَدَنِ وَالنّفْسِ مَا لَا يَدْفَعُهُ صَحِيحُ الْفِطْرَةِ .

[فَائِدَةُ الْجِهَادِ]

وَأَمّا الْجِهَادُ وَمَا فِيهِ مِنْ الْحَرَكَاتِ الْكُلّيّةِ الّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْقُوّةِ وَحِفْظِ الصّحّةِ وَصَلَابَةِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَدَفْعِ فَضَلَاتِهِمَا وَزَوَالِ الْهَمّ وَالْغَمّ وَالْحُزْنِ فَأَمْرٌ إنّمَا يَعْرِفُهُ مَنْ لَهُ مِنْهُ نَصِيبٌ .

[رِيَاضَاتٌ أُخْرَى]

وَكَذَلِكَ الْحَجّ وَفِعْلُ الْمَنَاسِكِ وَكَذَلِكَ الْمُسَابَقَةُ عَلَى الْخَيْلِ وَبِالنّصَالِ وَالْمَشْيُ فِي الْحَوَائِجِ وَإِلَى الْإِخْوَانِ وَقَضَاءُ حُقُوقِهِمْ وَعِيَادَةُ مَرْضَاهُمْ وَتَشْيِيعُ جَنَائِزِهِمْ وَالْمَشْيُ إلَى الْمَسَاجِدِ لِلْجُمُعَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ وَحَرَكَةُ الْوُضُوءِ وَالِاغْتِسَالِ وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَهَذَا أَقَلّ مَا فِيهِ الرّيَاضَةُ الْمُعِينَةُ عَلَى حِفْظِ الصّحّةِ وَدَفْعِ الْفَضَلَاتِ وَأَمّا مَا شُرِعَ لَهُ مِنْ التّوَصّلِ بِهِ إلَى خَيْرَاتِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَدَفْعِ شُرُورِهِمَا فَأَمْرٌ وَرَاءَ ذَلِكَ .فَعَلِمْتَ أَنّ هَدْيَهُ فَوْقَ كُلّ هَدْيٍ فِي طِبّ الْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ وَحِفْظِ صِحّتِهَا وَدَفْعِ أَسْقَامِهِمَا وَلَا مَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ لِمَنْ قَدْ أَحْضَرَ رُشْدَهُ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . [ص ٢٢٨]

٦٠ -هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْعِشْقِ

زاد المعاد - (ج ٤ / ص ٢٤٤)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عِلَاجِ الْعِشْقِ

هَذَا مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ الْأَمْرَاضِ فِي ذَاتِهِ وَأَسْبَابِهِ وَعِلَاجِهِ وَإِذَا تَمَكّنَ وَاسْتَحْكَمَ عَزّ عَلَى الْأَطِبّاءِ دَوَاؤُهُ وَأَعْيَا الْعَلِيلَ دَاؤُهُ وَإِنّمَا حَكَاهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ طَائِفَتَيْنِ مِنْ النّاسِ مِنْ النّسَاءِ وَعُشّاقِ الصّبْيَانِ الْمُرْدَانِ فَحَكَاهُ عَنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ فِي شَأْنِ يُوسُفَ وَحَكَاهُ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ فَقَالَ تَعَالَى إخْبَارًا عَنْهُمْ لَمّا جَاءَتْ الْمَلَائِكَةُ لُوطًا : { وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتّقُوا اللّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الْحِجْرِ : ٦٨ :٧٣] .

[سَبَبُ طَلَاقِ زَيْدٍ لِزَيْنَبَ]

وَأَمّا مَا زَعَمَهُ بَعْضُ مَنْ لَمْ يُقَدّرْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَقّ قَدْرِهِ أَنّهُ اُبْتُلِيَ بِهِ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَأَنّهُ رَآهَا فَقَالَ سُبْحَانَ مُقَلّبَ الْقُلُوبِ وَأَخَذَتْ بِقَلْبِهِ وَجَعَلَ يَقُول لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ : أَمْسِكْهَا حَتّى أَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْهِ { وَإِذْ تَقُولُ لِلّذِي أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النّاسَ وَاللّهُ أَحَقّ أَنْ تَخْشَاهُ } [الْأَحْزَابِ ٣٧] فَظَنّ هَذَا الزّاعِمُ أَنّ ذَلِكَ فِي شَأْنِ الْعِشْقِ [ص ٢٤٥] وَصَنّفَ بَعْضُهُمْ كِتَابًا فِي الْعِشْقِ وَذَكَرَ فِيهِ عِشْقَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ وَهَذَا مِنْ جَهْلِ هَذَا الْقَائِلِ بِالْقُرْآنِ وَبِالرّسُلِ وَتَحْمِيلِهِ كَلَامَ اللّهِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ وَنِسْبَتِهِ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَا بَرّأَهُ اللّهُ مِنْهُ فَإِنّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ كَانَتْ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ تَبَنّاهُ وَكَانَ

يُدْعَى زَيْدَ بْنَ مُحَمّدٍ وَكَانَتْ زَيْنَبُ فِيهَا شَمَمٌ وَتَرَفّعَ عَلَيْهِ فَشَاوَرَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي طَلَاقِهَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ { أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهَ } وَأَخْفَى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَتَزَوّجَهَا إنْ طَلّقَهَا زَيْدٌ وَكَانَ يَخْشَى مِنْ قَالَةِ النّاسِ أَنّهُ تَزَوّجَ امْرَأَةَ ابْنِهِ لِأَنّ زَيْدًا كَانَ يُدْعَى ابْنَهُ فَهَذَا هُوَ الّذِي أَخْفَاهُ فِي نَفْسِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْخَشْيَةُ مِنْ النّاسِ الّتِي وَقَعَتْ لَهُ وَلِهَذَا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ يُعَدّدُ فِيهَا نِعَمَهُ عَلَيْهِ لَا يُعَاتِبُهُ فِيهَا وَأَعْلَمَهُ أَنّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْشَى النّاسَ فِيمَا أَحَلّ اللّهُ لَهُ وَأَنّ اللّهَ أَحَقّ أَنْ يَخْشَاهُ فَلَا يَتَحَرّجُ مَا أَحَلّهُ لَهُ لِأَجْلِ قَوْلِ النّاسِ ثُمّ أَخْبَرَهُ أَنّهُ سُبْحَانَهُ زَوّجَهُ إيّاهَا بَعْدَ قَضَاءِ زَيْدٍ وَطَرَهُ مِنْهَا لِتَقْتَدِيَ أُمّتُهُ بِهِ فِي ذَلِكَ وَيَتَزَوّجَ الرّجُلُ بِامْرَأَةِ ابْنِهِ مِنْ التّبَنّي لَا امْرَأَةِ ابْنِهِ لِصُلْبِهِ وَلِهَذَا قَالَ فِي آيَةِ التّحْرِيمِ { وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ } [النّسَاءِ ٢٣] [ص ٢٤٦] وَقَالَ فِي هَذِهِ السّورَةِ { مَا كَانَ مُحَمّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ } [الْأَحْزَابِ ٤٠] وَقَالَ فِي أَوّلِهَا : { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ } [الْأَحْزَابِ ٤] فَتَأَمّلْ هَذَا الذّبّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدَفْعَ طَعْنِ الطّاعِنِينَ عَنْهُ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ . نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُحِبّ نِسَاءَهُ وَكَانَ أَحَبّهُنّ إلَيْهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا وَلَمْ تَكُنْ تَبْلُغُ مَحَبّتُهُ لَهَا وَلَا لِأَحَدٍ سِوَى رَبّهِ نِهَايَةَ الْحُبّ بَلْ صَحّ أَنّهُ قَالَ لَوْ كُنْتُ مُتّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَفِي لَفْظٍ وَإِنّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرّحْمَنِ

فَصْلٌ [الْإِخْلَاصُ سَبَبٌ لِدَفْعِ الْعِشْقِ]

وَعِشْقُ الصّوَرِ إنّمَا تُبْتَلَى بِهِ الْقُلُوبُ الْفَارِغَةُ مِنْ مَحَبّةِ اللّهِ تَعَالَى الْمُعْرِضَةُ عَنْهُ الْمُتَعَوّضَةُ بِغَيْرِهِ عَنْهُ فَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبّةِ اللّهِ وَالشّوْقِ إلَى لِقَائِهِ دَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُ مَرَضَ عِشْقِ الصّوَرِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقّ يُوسُفَ { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إنّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } [يُوسُفَ ٢٤] فَدَلّ عَلَى أَنّ الْإِخْلَاصَ سَبَبٌ لِدَفْعِ الْعِشْقِ وَمَا يَتَرَتّبُ عَلَيْهِ مِنْ السّوءِ وَالْفَحْشَاءِ الّتِي هِيَ ثَمَرَتُهُ وَنَتِيجَتُهُ فَصَرْفُ الْمُسَبّبِ صَرْفٌ لِسَبَبِهِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السّلَفِ الْعِشْقُ حَرَكَةُ قَلْبٍ فَارِغٍ يَعْنِي فَارِغًا مِمّا سِوَى مَعْشُوقِهِ . قَالَ تَعَالَى : { وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ مُوسَى فَارِغًا إنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ } [الْقَصَصِ ١١] أَيْ فَارِغًا مِنْ كُلّ شَيْءٍ إلّا مِنْ مُوسَى لِفَرْطِ مَحَبّتِهَا لَهُ وَتَعَلّقِ قَلْبِهَا بِهِ . [ص ٢٤٧]

[عِلّةُ الْعِشْقِ]

وَالْعِشْقُ مُرَكّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ اسْتِحْسَانٍ لِلْمَعْشُوقِ وَطَمَعٍ فِي الْوُصُولِ إلَيْهِ فَمَتَى انْتَفَى أَحَدُهُمَا انْتَفَى الْعِشْقُ وَقَدْ أَعْيَتْ عِلّةُ الْعِشْقِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ الْعُقَلَاءِ وَتَكَلّمَ فِيهَا بَعْضُهُمْ بِكَلَامٍ يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ إلَى الصّوَابِ . فَنَقُولُ قَدْ اسْتَقَرّتْ حِكْمَةُ اللّهِ - عَزّ وَجَلّ - فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ عَلَى وُقُوعِ التّنَاسُبِ وَالتّآلُفِ بَيْنَ الْأَشْبَاهِ وَانْجِذَابِ الشّيْءِ إلَى مُوَافِقِهِ وَمُجَانِسِهِ بِالطّبْعِ وَهُرُوبِهِ مِنْ مُخَالِفِهِ وَنُفْرَتِهِ عَنْهُ بِالطّبْعِ فَسِرّ التّمَازُجِ وَالِاتّصَالِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيّ وَالسّفْلِيّ إنّمَا هُوَ التّنَاسُبُ وَالتّشَاكُلُ وَالتّوَافُقُ وَسِرّ التّبَايُنِ وَالِانْفِصَالِ إنّمَا هُوَ بِعَدَمِ التّشَاكُلِ وَالتّنَاسُبِ وَعَلَى ذَلِكَ قَامَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فَالْمِثْلُ إلَى مِثْلِهِ مَائِلٌ وَإِلَيْهِ صَائِرٌ وَالضّدّ عَنْ ضِدّهِ هَارِبٌ وَعَنْهُ نَافِرٌ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إلَيْهَا } [الْأَعْرَافِ ١٨٩] فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ عِلّةَ سُكُونِ الرّجُلِ إلَى امْرَأَتِهِ كَوْنَهَا مِنْ جِنْسِهِ وَجَوْهَرِهِ فَعِلّةُ السّكُونِ الْمَذْكُورِ - وَهُوَ

الْحُبِّ - كَوْنُهَا مِنْهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ بِحُسْنِ الصُّورَةِ وَلَا الْمُوَافَقَةِ فِي الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ وَلَا فِي الْخُلُقِ وَالْهَدْيِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَيْضًا مِنْ أَسْبَابِ السُّكُونِ وَالْمَحَبَّةِ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحِ " عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَف وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " وَغَيْرِهِ فِي سَبَبِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ امْرَأَةً بِمَكَّةَ كَانَتْ تُضْحِكُ النَّاسَ فَجَاءَتْ إلَى الْمَدِينَةِ فَنَزَلَتْ عَلَى امْرَأَةٍ تُضْحِكُ النَّاسَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ الْحَدِيثَ . [ص ٢٤٨] وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ شَرِيعَتُهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ حُكْمَ الشَّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ فَلَا تُفَرِّقُ شَرِيعَتُهُ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ أَبَدًا وَلَا تَجْمَعُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ وَمَنْ ظَنَّ خِلَافَ ذَلِكَ فَإِمَّا لِقِلَّةِ عِلْمِهِ بِالشَّرِيعَةِ وَإِمَّا لِتَقْصِيرِهِ فِي مَعْرِفَةِ التَّمَاثُلِ وَالِاخْتِلَافِ وَإِمَّا لِنِسْبَتِهِ إلَى شَرِيعَتِهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا بَلْ يَكُونُ مِنْ آرَاءِ الرِّجَالِ فَبِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ ظَهَرَ خَلْقُهُ وَشَرْعُهُ وَبِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ قَامَ الْخَلْقُ وَالشَّرْعُ وَهُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَيْنِ .
وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ ثَابِتٌ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ تَعَالَى : { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } [الصَّافَّاتِ ٢٢] . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْدَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَزْوَاجُهُمْ أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُم وَقَالَ تَعَالَى : { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } [التَّكْوِيرِ ٧] أَيْ قَرَنَ كُلَّ صَاحِبِ عَمَلٍ بِشَكْلِهِ وَنَظِيرِهِ فَقَرَنَ بَيْنَ الْمُتَحَابَّيْنِ فِي اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ وَقَرَنَ بَيْنَ الْمُتَحَابَّيْنِ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ فِي الْجَحِيمِ فَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ شَاءَ أَوْ أَبَى وَفِي " مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ " وَغَيْرِهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحِبّ الْمَرْءُ قَوْمًا إلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ [ص ٢٤٩]

[أَنْوَاعُ الْمَحَبَّةِ]

وَالْمَحَبَّةُ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَأَفْضَلُهَا وَأَجَلُّهَا : الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَتَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَمِنْهَا مَحَبَّةُ الِاتِّفَاقِ فِي طَرِيقَةٍ أَوْ دِينٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ نِحْلَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ مُرَادٍ مَا . وَمِنْهَا : مَحَبَّةٌ لِنَيْلِ غَرَضٍ مِنْ الْمَحْبُوبِ إمَّا مِنْ جَاهِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ أَوْ مِنْ تَعْلِيمِهِ وَإِرْشَادِهِ أَوْ قَضَاءِ وَطَرٍ مِنْهُ وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ الْعَرَضِيَّةُ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ مُوجِبِهَا فَإِنَّ مَنْ وَدَّك لِأَمْرٍ وَلَّى عَنْك عِنْدَ انْقِضَائِهِ . وَأَمَّا مَحَبَّةُ الْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ فَمَحَبَّةٌ لَازِمَةٌ لَا تَزُولُ إلَّا لِعَارِضٍ يُزِيلُهَا وَمَحَبَّةُ الْعِشْقِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ فَإِنَّهَا اسْتِحْسَانٌ رُوحَانِيٌّ وَامْتِزَاجٌ نَفْسَانِيٌّ وَلَا يَعْرِضُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ مِنْ الْوَسْوَاسِ وَالنُّحُولِ وَشَغْلِ الْبَالِ وَالتَّلَفِ مَا يَعْرِضُ مِنْ الْعِشْقِ .

[سَبَبُ كَوْنِ الْعِشْقِ أَحْيَانًا مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ]

فَإِنْ قِيلَ فَإِذَا كَانَ سَبَبُ الْعِشْقِ مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ الِاتِّصَالِ وَالتَّنَاسُبِ الرُّوحَانِيِّ فَمَا بَالُهُ لَا يَكُونُ دَائِمًا مِنْ الطَّرَفَيْنِ بَلْ تَجِدُهُ كَثِيرًا مِنْ طَرَفِ الْعَاشِقِ وَحْدَهُ فَلَوْ كَانَ سَبَبُهُ الِاتِّصَالَ النَّفْسِيَّ وَالِامْتِزَاجَ الرُّوحَانِيَّ لَكَانَتْ الْمَحَبَّةُ مُشْتَرَكَةً بَيْنَهُمَا . فَالْجَوَابُ أَنَّ السَّبَبَ قَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُسَبَّبِهِ لِفَوَاتِ شَرْطٍ أَوْ لِوُجُودِ مَانِعٍ وَتَخَلُّفُ الْمَحَبَّةِ مِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ الْأَوَّلُ عِلَّةٌ فِي الْمَحَبَّةِ وَأَنَّهَا مَحَبَّةٌ عَرَضِيَّةٌ لَا ذَاتِيَّةٌ وَلَا يَجِبُ الِاشْتِرَاكُ فِي الْمَحَبَّةِ الْعَرَضِيَّةِ بَلْ قَدْ يَلْزَمُهَا نُفْرَةٌ مِنْ الْمَحْبُوبِ . الثَّانِي : مَانِعٌ يَقُومُ بِالْمُحِبِّ يَمْنَعُ مَحَبَّةَ مَحْبُوبِهِ لَهُ إمَّا فِي خُلُقِهِ أَوْ فِي خَلْقِهِ أَوْ هَدْيِهِ أَوْ فِعْلِهِ أَوْ

هَيْئَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . [ص ٢٥٠] الثَّالِثُ مَانِعٌ يَقُومُ بِالْمَحْبُوبِ يَمْنَعُ مُشَارَكَتَهُ لِلْمُحِبِّ فِي مَحَبَّتِهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ الْمَانِعِ لَقَامَ بِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ لِمُحِبِّهِ مِثْلُ مَا قَامَ بِالْآخَرِ فَإِذَا انْتَفَتْ هَذِهِ الْمَوَانِعُ وَكَانَتْ الْمَحَبَّةُ ذَاتِيَّةً فَلَا يَكُونُ قَطُّ إِلَّا مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَلَوْلَا مَانِعُ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْمُعَادَاةِ فِي الْكُفَّارِ لَكَانَتْ الرُّسُلُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلَمَّا زَالَ هَذَا الْمَانِعُ مِنْ قُلُوبِ أَتْبَاعِهِمْ كَانَتْ مَحَبَّتُهُمْ لَهُمْ فَوْقَ مَحَبَّةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ .

فَصْلٌ [عِلَاجُ الْعِشْقِ بِالزَّوَاجِ بِالْمَعْشُوقِ]

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشْقَ لَمَّا كَانَ مَرَضًا مِنَ الْأَمْرَاضِ كَانَ قَابِلًا لِلْعِلَاجِ وَلَهُ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلَاجِ فَإِنْ كَانَ مِمَّا لِلْعَاشِقِ سَبِيلٌ إِلَى وَصْلِ مَحْبُوبِهِ شَرْعًا وَقَدْرًا فَهُوَ عِلَاجُهُ كَمَا ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " . مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ فَدَلَّ الْمُحِبَّ عَلَى عِلَاجَيْنِ أَصْلِيٍّ وَبَدَلِيٍّ . وَأَمَرَهُ بِالْأَصْلِيِّ وَهُوَ الْعِلَاجُ الَّذِي وُضِعَ لِهَذَا الدَّاءِ فَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ عَقِيبَ إِحْلَالِ النِّسَاءِ حَرَائِرِهِنَّ وَإِمَائِهِنَّ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِقَوْلِهِ { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } [النِّسَاءِ ٢٨] . فَذِكْرُ تَخْفِيفِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَإِخْبَارِهِ عَنْ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ عَنْ احْتِمَالِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - خَفَّفَ عَنْهُ أَمْرَهَا بِمَا أَبَاحَهُ لَهُ مِنْ أَطَايِبِ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ وَأَبَاحَ لَهُ مَا شَاءَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ ثُمَّ أَبَاحَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِالْإِمَاءِ إِنْ احْتَاجَ [ص ٢٥١]

فَصْلٌ [وَمِنْ عِلَاجِ العشقِ إِشْعَارُ النَّفْسِ الْيَأْسَ مِنْهُ إِنْ كَانَ الْوِصَالُ مُتَعَذِّرًا قَدْرًا وَشَرْعًا]

وَإِنْ كَانَ لَا سَبِيلَ لِلْعَاشِقِ إِلَى وِصَالِ مَعْشُوقِهِ قَدْرًا أَوْ شَرْعًا أَوْ هُوَ مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ وَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ فَمِنْ عِلَاجِهِ إِشْعَارُ نَفْسِهِ الْيَأْسَ مِنْهُ فَإِنَّ النَّفْسَ مَتَى يَئِسَتْ مِنَ الشَّيْءِ اسْتَرَاحَتْ مِنْهُ وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَزَلْ مَرَضُ الْعِشْقِ مَعَ الْيَأْسِ فَقَدْ انْحَرَفَ الطَّبْعُ انْحِرَافًا شَدِيدًا فَيَنْتَقِلُ إِلَى عِلَاجٍ آخَرَ وَهُوَ عِلَاجُ عَقْلِهِ بِأَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِمَا لَا مَطْمَعَ فِي حُصُولِهِ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ وَصَاحِبُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْشَقُ الشَّمْسَ وَرُوحُهُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالصُّعُودِ إِلَيْهَا وَالدَّوَرَانِ مَعَهَا فِي فَلَكِهَا وَهَذَا مَعْدُودٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ فِي زُمْرَةِ الْمَجَانِينِ .

[إِنْ كَانَ الْوِصَالُ مُتَعَذِّرًا شَرْعًا فَعِلَاجُهُ إِنْزَالُهُ مَنْزِلَةَ الْمُتَعَذِّرِ قَدْرًا وَذِكْرُ عِلَاجَاتٍ أُخْرَى]

وَإِنْ كَانَ الْوِصَالُ مُتَعَذِّرًا شَرْعًا لَا قَدْرًا فَعِلَاجُهُ بِأَنْ يُنْزِلَهُ مَنْزِلَةَ الْمُتَعَذِّرِ قَدْرًا إِذْ مَا لَمْ يَأْذَنْ فِيهِ اللَّهُ فَعِلَاجُ الْعَبْدِ وَنَجَاتُهُ مَوْقُوفٌ عَلَى اجْتِنَابِهِ فَلْيُشْعِرْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مَعْدُومٌ مُمْتَنِعٌ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ الْمُحَالَاتِ فَإِنْ لَمْ تُجِبْهُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ فَلْيَتْرُكْهُ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ إِمَّا خَشْيَةٍ وَإِمَّا فَوَاتِ مَحْبُوبٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ وَخَيْرٌ لَهُ مِنْهُ وَأَدْوَمُ لَذَّةً وَسُرُورًا فَإِنَّ الْعَاقِلَ مَتَى وَازَنَ بَيْنَ نَيْلِ مَحْبُوبٍ سَرِيعِ الزَّوَالِ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ أَعْظَمَ مِنْهُ وَأَدْوَمَ وَأَنْفَعَ وَأَلَذَّ أَوْ بِالْعَكْسِ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ فَلَا تَبِعْ لَذَّةَ الْأَبَدِ الَّتِي لَا خَطَرَ لَهَا بِلَذَّةِ

سَاعَةٍ تَنْقَلِبُ آلَامًا وَحَقِيقَتُهَا أَنّهَا أَحْلَامُ نَائِمٍ أَوْ خَيَالٌ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَتَذْهَبُ اللّذّةُ وَتَبْقَى التّبِعَةُ وَتَزُولُ الشّهْوَةُ وَتَبْقَى الشّقْوَةُ . الثّانِي : حُصُولُ مَكْرُوهٍ أَشَقّ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْمَحْبُوبِ بَلْ يَجْتَمِعُ لَهُ الْأَمْرَانِ أَعْنِي : فَوَاتَ مَا هُوَ أَحَبّ إلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَحْبُوبِ وَحُصُولَ مَا هُوَ أَكْرَهُ إلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْمَحْبُوبِ فَإِذَا تَيَقّنَ أَنّ فِي إعْطَاءِ النّفْسِ حَظّهَا مِنْ هَذَا الْمَحْبُوبِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُهُ وَرَأَى أَنّ صَبْرَهُ عَلَى فَوْتِهِ أَسْهَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَيْهِمَا بِكَثِيرٍ فَعَقْلُهُ وَدِينُهُ وَمُرُوءَتُهُ وَإِنْسَانِيّتُهُ تَأْمُرُهُ بِاحْتِمَالِ الضّرَرِ [ص ٢٥٢] وَهَوَاهُ وَظُلْمُهُ وَطَيْشُهُ وَخِفّتُهُ يَأْمُرُهُ بِإِيثَارِ هَذَا الْمَحْبُوبِ الْعَاجِلِ بِمَا فِيهِ جَالِبًا عَلَيْهِ مَا جَلَبَ وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللّهُ . فَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ نَفْسُهُ هَذَا الدّوَاءَ وَلَمْ تُطَاوِعْهُ لِهَذِهِ الْمُعَالَجَةِ فَلْيَنْظُرْ مَا تَجْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ الشّهْوَةُ مِنْ مَفَاسِدِ عَاجِلَتِهِ وَمَا تَمْنَعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا فَإِنّهَا أَجْلَبُ شَيْءٍ لِمَفَاسِدِ الدّنْيَا وَأَعْظَمُ شَيْءٍ تَعْطِيلًا لِمَصَالِحِهَا فَإِنّهَا تَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رُشْدِهِ الّذِي هُوَ مِلَاكُ أَمْرِهِ وَقِوَامُ مَصَالِحِهِ . فَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ نَفْسُهُ هَذَا الدّوَاءَ فَلْيَتَذَكّرْ قَبَائِحَ الْمَحْبُوبِ وَمَا يَدْعُوهُ إلَى النّفْرَةِ عَنْهُ فَإِنّهُ إنْ طَلَبَهَا وَتَأَمّلَهَا وَجَدَهَا أَضْعَافَ مَحَاسِنِهِ الّتِي تَدْعُو إلَى حُبّهِ وَلْيَسْأَلْ جِيرَانَهُ عَمّا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنّهَا الْمَحَاسِنُ كَمَا هِيَ دَاعِيَةُ الْحُبّ وَالْإِرَادَةِ فَالْمَسَاوِئُ دَاعِيَةُ الْبُغْضِ وَالنّفْرَةِ فَلْيُوَازِنْ بَيْنَ الدّاعِيَيْنِ وَلْيُحِبّ أَسْبَقَهُمَا وَأَقْرَبَهُمَا مِنْهَا بَابًا وَلَا يَكُنْ مِمّنْ غَرّهُ لَوْنُ جَمَالٍ عَلَى جِسْمٍ أَبْرَصَ مَجْذُومٍ وَلْيُجَاوِزْ بَصَرُهُ حُسْنَ الصّورَةِ إلَى قُبْحِ الْفِعْلِ وَلْيَعْبُرْ مِنْ حُسْنِ الْمَنْظَرِ وَالْجِسْمِ إلَى قُبْحِ الْمَخْبَرِ وَالْقَلْبِ . فَإِنْ عَجَزَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةُ كُلّهَا لَمْ يَبْقَ لَهُ إلّا صِدْقُ اللّجَأِ إلَى مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إذَا دَعَاهُ وَلْيَطْرَحْ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَابِهِ مُسْتَغِيثًا بِهِ مُتَضَرّعًا مُتَذَلّلًا مُسْتَكِينًا فَمَتَى وُفّقَ لِذَلِكَ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التّوْفِيقِ فَلْيَعِفّ وَلْيَكْتُمْ وَلَا يُشَبّبْ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ وَلَا يَفْضَحْهُ بَيْنَ النّاسِ وَيُعَرّضْهُ لِلْأَذَى فَإِنّهُ يَكُونُ ظَالِمًا مُعْتَدِيًا .

٦١- هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَقْضِيَةِ وَالْأَنْكِحَةِ وَالْبُيُوعِ

زاد المعاد - (ج ٥ / ص ٥)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَقْضِيَةِ وَالْأَنْكِحَةِ وَالْبُيُوعِ

[ص ٥] كَانَتْ أَقْضِيَتُهُ الْخَاصّةُ تَشْرِيعًا عَامّا وَإِنّمَا الْغَرَضُ ذِكْرُ هَدْيِهِ فِي الْحُكُومَاتِ الْجُزْئِيّةِ الّتِي فَصَلَ بِهَا بَيْنَ الْخُصُومِ وَكَيْفَ كَانَ هَدْيُهُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النّاسِ وَنَذْكُرُ مَعَ ذَلِكَ قَضَايَا مِنْ أَحْكَامِهِ الْكُلّيّةِ .

****

الفهرس العام :

فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه وحقوقه (٣)

الباب الثالث-حقوقه صلى الله عليه وسلم

١. حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب نصرته والتحذير من الغلو فيه

هشام برغش

الحمد لله الذي أنزل علينا خير كتبه، وأرسل إلينا خير رسله، وجعلنا خير أمة أرسلت للناس { لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين }. فأرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله وجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وجعل طاعته من طاعته واتباعه دليل محبته، وأمر الأمة بتوقيره وإجلاله، وجعل ذلك دليل الإيمان والتقوى، وجعل حقه آكد من حق النفس والمال والولد فقال عز وجل: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد بلغت محبته ومكانته عليه الصلاة والسلام في قلوب أصحابه الغاية القصوى من المحبة والمنزلة التي تجوز لبشر، وقد شهد بهذه الحقيقة المشركون أنفسهم.

فهذا أبو سفيان، وقد كان مشركا يسأل زيد بن الدثنة وقد أتوا به ليقتلوه: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي!! فقال أبو سفيان للملأ من حوله: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا!!

وفي غزوة أحد حين انكشف المسلمون وتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لخطر شديد وقد أحاط به المشركون يريدون قتله عليه الصلاة والسلام حتى شجت جبهته الشريفة وأصيبت رباعيته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته في هذه اللحظات العصيبة لم يكن أحد من أصحابه الكرام يفكر إلا في شيء واحد ألا يصل إليه عليه الصلاة والسلام أذى، فأحاطوا به بأجسادهم يصدون بها عنه الرماح وضربات السيوف.

روى ابن حبان في صحيحه عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصديق لما كان يوم أحد: انصرف الناس كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكنت أول من فاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه فقلت: كن طلحة فداك أبي وأمي. كن طلحة فداك أبي وأمي. فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا طلحة بن يديه صريعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((دونكم أخاكم فقد أوجب)).

وقد رمي النبي صلى الله عليه وسلم في وجنته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في وجنته فذهبت لأنزعهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة: ناشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني قال: فأخذ بفيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم بفيه، فندرت ثنية أبي عبيدة قال أبو بكر: ثم ذهبت لآخذ الآخر فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى استله ندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دونكم أخاكم فقد أوجب)) قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضع عشر ضربة.

فلما انتهت المعركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء أم في الأموات)) فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال له: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأموات أنت أم في الأحياء؟ قال: أنا في الأموات فأبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبينا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذر لكم عند الله إن خلص لنبيكم وفيكم عين تطرف .. والأمثلة غير ذلك كثير.
ولكن بالرغم من كل هذه المحبة والإجلال والمكانة العظيمة له عليه الصلاة والسلام في قلوب صحابته الكرام فإنهم لم ينزلوه فوق منزلته صلى الله عليه وسلم ولم ينسبوا إليه شيئا من خصائص الألوهية .. كما يفعل كثير من الناس اليوم، قادهم إلى ذلك الغلو الذي حذرهم منه عليه الصلاة والسلام فقال: ((إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه]. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله)).

وهذه مسألة من المسائل العظيمة زلت فيها أقدام كثير من الناس فينبغي على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته التي لا يجوز صرفها لغيره وبين حقوق خلقه كحق النبي صلى الله عليه وسلم، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه وعبده لا يجوز هذه المنزلة وهو سيد ولد آدم والشافع لهم يوم الحشر بإذن الله كما قال تعالى: قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين وقال صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد)) فكون الرسول بشرا لا ينقص من قدره ولا يجعلنا نرفض الاقتداء به كما قال المشركون: أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر بل إن بشريته هي التي تجعل منه القدوة التي نقتدي بها والأسوة التي نتأساها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كما أمر وتحمل في سبيل ذلك صنوف الأذى

والإضطهاد وكابد المشقات حتى نصره الله وبلغ دينه، وله في ذلك بكل مسلم أجر، وله على كل مسلم حق.

فما هو حق الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته؟ أهو إطراؤه وقد نهى عنه؟ أم هو المدائح وفيها من الغلو الشيء الكثير؟ أم هو صرف شيء من العبادة إليه كالاستشفاع والإغاثة ودعائه من دون الله؟

والجواب أنها ليست شيئا من ذلك بل هذا يناقض أمره صلى الله عليه وسلم وقد نهى عنه أشد النهي إذن، ما هي حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته؟ يمكن أن نجمل هذه الحقوق في أربعة أمور:
الأول: تصديقه والإيمان به واتباع سنته وطاعته.
الثاني: محبته صلى الله عليه وسلم ومحبة سنته ومحبة ما يحبه.
الثالث: توقيره وتعزيره.
الرابع: الصلاة والسلام عليه.
ونعرض لهذه الأمور بشيء من التفصيل:
الأمر الأول: وهو تصديقه عليه الصلاة والسلام والإيمان به واتباع سنته وطاعته :
وهذا هو معنى شهادة أن محمدا رسول الله قال تعالى: ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيراً وقد أمر الله عباده بطاعة نبيه فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)).

وقد أمر الله عباده المؤمنين باتباعه صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته، وجعل ذلك شرط محبته عز وجل ودليلها فقال: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقال: فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ، ولا يتحقق إيمان أحد حتى يقبل حكمه ويسلم لقضائه ويرضى بأمره فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً .
وحذر من مخالفته والخروج عن أمره فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أو تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً .

الأمر الثاني وهو محبته صلى الله عليه وسلم:
قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الشيخان: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) وأخرجا عن أنس أيضا: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن

يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر بعد إذ نجاه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)) وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه)) فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((الآن يا عمر)).
وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ((ما أعددت لها؟)) قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال: ((أنت مع من أحببت)).

ولمحبته صلى الله عليه وسلم علامات منها الاقتداء به وإيثار شرعه وتقديمه على أهواء النفس وذكره بالصلاة عليه كما شرع ومحبة أصحابه وما يحبه صلى الله عليه وسلم.
الأمر الثالث: وهو تعزيره وتوقيره وتعظيم أمره صلى الله عليه وسلم:
فقد قال تعالى: إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً وروى الإمام مسلم عن عمرو بن العاص قال: (وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه).
وخير تعظيم لرسول الله تعظيم سنته وهديه عليه الصلاة والسلام وتعظيم أمره ونهيه وعدم تقديم رأي أحد مهما كان على رأيه، لا كما يفعل كثير من الناس اليوم فتقول لهم: قال الرسول .. فيقولون لك: إن الشيخ الفلاني يقول كذا أو الأستاذ فلان يقول كذا أو أخبار اليوم تقول كذا.
وقد أنكر ابن عباس على قوم يقول لهم: قال الله، وقال الرسول، فيقولون: قال أبو بكر وعمر، وحذرهم من أن يحل عليهم عذاب من الله.
وكذلك ما يفعله كثير من العوام وغيرهم ممن ينتسبون إلى الدعوة من السخرية بسنته عليه الصلاة والسلام وممن يحرص عليها في ملبسه وهيئته ومختلف أموره فيسخرون منهم، بل ذلك من أمور الكفر التي اتصف بها المنافقون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وتعزيره: الذب عن عرضه إذا تعرض له سفيه وبذل لأجل ذلك الغالي والنفيس ؛ وهذا مقتضى محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وقدره ، وهو واجب على كل مسلم ، ولايتصور أن يوجد مسلم يحب الرسول صلى الله عليه وسلم بحق وصدق ثم لايهب لنصرته والذب عن عرضه الشريف.
وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يبذلون مهجهم وأرواحهم دون الشوكة تصيب قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم فكيف بما فوق ذلك وأعظم؟!!!

يقولُ شيخُ الإسلامِ :"التعزيرُ: هو اسمٌ جامعٌ لنصرهِ وتأييدهِ ومَنْعُهُ منْ كُلِّ ما يؤذِيهِ، والتوقيرُ : اسمٌ جامعٌ لكُلِّ مافيهِ سكينةٌ وطمأنينةٌ منْ الإجلالِ والإكرامِ ، وأنْ يُعاملَ منَ التَّشريفِ والتَّكريمِ والتَّعظيمِ بِما يَصونهُ عنْ كُلِّ ما يُخْرِجُهُ عنْ حَدِّ الوقارِ " اهـ.
وأمَّا سَابُّهُ ومُؤْذِيهُ والمُستهزِيءُ بهِ فهو في أحطِّ منزلةٍ وأخَسِّ مرتبةٍ ، فإنْ كانَ مسلماً فإنَّهُ يُصبِحُ مُرتداً بإجماعِ أهلِ العلمِ ، ويُقتلُ كذلكَ بالإجماعِ ولا يُعلمُ لهُ مُخالفٌ بينَ علماءِ المسلمينَ ، وإنْ كانَ معاهَداً أو ذِمِّياً أو مستأمناً فإنَّ عهدهُ مُنتقِضٌ ويستحقُ أنْ تُضربَ عُنُقُهُ بالسَّيفِ انتصاراً لرسولِ الإسلامِ ونَبِيِّ الأنامِ .

كيفَ لا وربُّنا جلَّ في عُلاه يقولُ : { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً } [الأحزاب٥٧]، ويقول سبحانه : { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة : ٦١]،واللهُ يقولُ : { وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ } [التوبة١٢].
و قد تكفَّلَ اللهُ سبحانهُ بصيانةِ عرضِ النَّبِيِّ والانتقامِ لهُ فقالَ(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [الحجر : ٩٤ و ٩٥].
وفي" الصحيحين" عنْ أبي هريرة قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : " ألا ترونَ كيف يَصْرِفُ الله عنِّي شَتْمَ قريشٍ ولعنَهم، يشتمون مُذَمَّمَاً، ويلعنون مُذَمَّمَاً، وأنا مُحَمَّدٌ!".واللهُ سبحانهُ بيَّنَ أنَّ مُبْغِضَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هو الأقطعُ الخاسرُ الذَّليلُ، فقالَ جلَّ شأنهُ { إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبترُ } .
ومنْ أوجهِ الكفايةِ أنَّ يُكْرِمَ اللهُ ويُنْعِمَ على بعضِ عبادهِ بالذَّوْدِ والدِّفاعِ عنْ نبيهِ بكُلِّ مايستطيعُ وهي مرتبةٌ عظيمةٌ وشرفٌ كبيرٌ لكُلِّ منْ تصدِّى للدِّفاعِ عنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فاللهُمَّ شَرِّفْنَا بالدِّفاعِ عنْ نبيكَ الكريمِ صلى الله عليه وسلم

الأمر الرابع من حقوقه عليه الصلاة والسلام هي الصلاة عليه:
لقوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما والصلاة من الله ثناؤه على أنبيائه، والصلاة من الملائكة الاستغفار، ومن الناس الدعاء والتعظيم والتكريم.
والصلاة عليه من أعظم الذكر روى الإمام أحمد بن عامر بن ربيعة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أو ليكثر)) وروى الترمذي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة)) وتتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع وأعمال منها:-
١- إذا ورد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لقوله: ((البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي)) وقال عليه الصلاة والسلام: ((رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة)).

٢- الصلاة عليه في المجالس لقوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة: ((ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)).
٣- الصلاة عليه عند سماع المؤذن لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه مسلم وغيره: ((إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإن من صلى علي صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)).
٤- الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه وعند المرور بالمساجد فكان عليه الصلاة والسلام إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال: ((اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك)) وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال: ((اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك)) ولقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم. رواه إسماعيل القاضي في كتاب الصلاة.
٥- الصلاة عليه في التشهد الأخير، وهو ركن من أركان الصلاة أو واجب، وأما الصلاة عليه في التشهد الأول فهي مستحبة.
٦- الصلاة عليه في صلاة الجنائز.
٧- وتستحب الصلاة عليه عند ختم الدعاء لقول عمر: الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك.
٨- يوم الجمعة يستحب فيه الإكثار من الصلاة عليه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من أفضل أيامكم يوم الجمعة، ففيه خلق آدم وفيه قبض، فيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي)) قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت – يعني وقد بليت – قال: ((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)) [رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة].
فعلينا معاشر المسلمين أن ننتبه من نومة الجهل وأن نعظم ربنا بامتثال أمره واجتناب نهيه وإخلاص العبادة له وتعظيم نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به في تعظيم الله والإخلاص له والاقتداء به في كل ما جاء به وألا نفعل شيئاً يشعر بعدم التعظيم والاحترام كرفع الأصوات قرب قبره صلى الله عليه وسلم، نسأل الله عز وجل أن يشفعه فينا، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واسقنا من يديه الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا وصل اللهم وبارك على نبينا محمد كما صليت وباركت على سيدنا لإبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

٢. حُقُوقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم حقوق على أمته وهي كثيرة، منها:
أولا: الإيمان الصادق به صلّى الله عليه وسلّم، وتصديقه فيما أتى به: قال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [سورة التغابن]. وقال تعالى: {فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ} [سورة الأعراف]. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة الحديد]. وقال تعالى: {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [سورة الفتح]. وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ)) رواه مسلم.

والإيمان به صلّى الله عليه وسلّم هو: تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان، ثم تطبيق ذلك العمل بما جاء به؛ تمَّ الإيمان به صلّى الله عليه وسلّم.

ثانيًا: وجوب طاعته صلّى الله عليه وسلّم، والحذر من معصيته: فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ} [سورة الأنفال]. وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...} [سورة الحشر]. وقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة النور]. وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [سورة النساء].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ)) رواه البخاري ومسلم. وعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: ((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)) رواه البخاري.

ثالثًا: اتباعه صلّى الله عليه وسلّم، واتخاذه قدوة في جميع الأمور، والاقتداء بهديه: قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة آل عمران]. وقال تعالى: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [سورة الأعراف]. فيجب السير على هديه والتزام سنته، والحذر من مخالفته، قال صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)) رواه البخاري ومسلم.

رابعًا: محبته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الأهل والولد، والوالد، والناس أجمعين: قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [سورة التوبة]. وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) رواه البخاري ومسلم.

وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة:

وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا أَعْدَدْتَ لَهَا)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: ((فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)) رواه البخاري ومسلم.

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)) فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:'فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الآنَ يَا عُمَرُ)) رواه البخاري.
وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ؛ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)) رواه البخاري ومسلم.
ولاشك أن من وفّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاقّ في رضى الله عز وجل، ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظْهر حُبَّهُ *** هذا لعمري في القياس بديعُ

لو كان حُبَّكَ صادقاً لأطعته *** إن المُحبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ

وعلامات محبته صلّى الله عليه وسلّم تظهر في الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً.
ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)) رواه مسلم. والنصيحة لرسوله صلّى الله عليه وسلّم: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة.
خامسًا: احترامه، وتوقيره، ونصرته: كما قال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ...} [سورة الفتح]. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة الحجرات]. وقال تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا...} [سورة النور]. وحرمة النبي صلّى الله عليه وسلّم بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها.
سادسًا:الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم: قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [سورة الأحزاب]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)) رواه مسلم.
وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ)) رواه أبوداود وأحمد. وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)) رواه الترمذي وأحمد.

وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)) رواه الترمذي وأحمد.
وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)) رواه الترمذي وأحمد.
من مواطن الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم:
وللصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه لله في كتابه 'جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام' واحداً وأربعين موطناً، منها على سبيل المثال:
الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه.

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم إلا هذا الحديث لكفى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ)) رواه النسائي وأحمد.
سابعًا: وجوب التحاكم إليه، والرضي بحكمه صلّى الله عليه وسلّم: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [سورة النساء]. {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [سورة النساء]. ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده صلّى الله عليه وسلّم.
ثامنًا: إنزاله مكانته صلّى الله عليه وسلّم بلا غلو ولا تقصير: فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ...} [سورة الأنعام]. وقال تعالى: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [سورة الأعراف]. وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [سورة الجن].
وقد مات صلّى الله عليه وسلّم كغيره من الأنبياء، ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيام {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [سورة الزمر]. وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا

شريك له {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [سورة الأنعام]. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.
من كتاب:' وداع الرسول لأمته دروس، وصايا، وعبرٌ، وعظات '
للشيخ/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني

٣. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (معناها ـ صيغها ـ أوقاتها ـ فوائدها)

الموجز البديع في الصلاة والسلام على الحبيب الشفيع
أحمد بن عبد العزيز الحمدان

قَالَ اللهُ تَعَالَى:
{إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيْماً}
وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:
((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا)).

بسم الله الرحمن الرحيم
الْحَمْدُ للهِ وَحْدَه، وَالصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلاَنِ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِه.
أَمَّا بَعْدُ:
فَإِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِه: أَنْ فَطَرَهُمْ عَلَى الاعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ لأَهْلِ الفَضْلِ.
وَإِنَّ أَعْظَمَ مَنْ نَدِيْنُ لَهُ بِالفَضْلِ وَالمِنَّةِ – بَعْدَ اللهِ تَعَالَى –: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ فَهُوَ سَيِّدُ الخَلْقِ الَّذِي أَخْرَجَنَا اللهُ بِهِ مِنْ الضَّلاَلَةِ إِلَى الهُدَى، وَبَصَّرَنَا بِهِ مِنْ العَمَى؛ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّه، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِه، فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء، وَصَلَّى عَلَيْهِ صَلاَةً تَمْلأُ أَقْطَارَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء، وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً.
وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ شُكْرِ فَضْلِه، وَأَدَاءِ حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم: الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْه، فَهُمَا مِنْ أَجَلِّ القُرُبَات، وَأَفْضَلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَات، المُقَرِّبَةِ إِلَى رَبِّ الأَرْضِ السَّمَاوَات.
لِذَا اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي وَضْعِ مُوجَزٍ يَكُونُ تَذْكِرَةً لِي وَلِمَنْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ إِخْوَانِي؛ فِيْهِ مَعْنَى الصَّلاَةِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم، وَفَضْلُهَا، وَالمَوَاطِنُ وَالأَزْمِنَةُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيْهَا، وَشَيْءٌ مِنْ فَوَائِدِهَا.
وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ بِالقَبُولِ الحَسَن. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِه.

* معنى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:
قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُه:
{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.
بَيَّنَ تَعَالَى – فِي الآيَةِ - أَنَّهُ يُثْنِي عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ مَلاَئِكَتِهِ المُقَرَّبِيْن، وَمَلاَئِكَتُهُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم وَيَدْعُونَ لَه، فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

صَلُّوا أَنْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَسَلِّمُوا تَسْلِيْماً، لأَنَّكُمْ أَحَقُّ بِذَلِكَ، لِمَا نَالَكُمْ بِبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَقَدْ عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ:

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْك، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)).

قَولُهُ ((اللَّهُمَّ)) أَيْ: يَا الله.

وَقَولُهُ ((صَلِّ)):

ـ الصَّلاَةُ مِنْ اللهِ: ثَنَاؤُهُ سبحانه وتعالى عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَلأ الأَعْلَى، وَرَفْعُهُ لِذِكْرِه.

ـ وَالصَّلاَةُ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ: سُؤَالُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعْلِي ذِكْرَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَيُثْنِي عَلَيْه.

ـ وَالصَّلاَةُ مِنْ الْعَبْدِ الْمُصَلِّي: ثَنَاءٌ مِنْ الْمُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَسُؤَالُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم في الْمَلأ الأَعْلَى.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مُبَيِّناً مَعْنَى الصَّلاَة -:

صَلاَةُ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَة، وَصَلاَةُ الْمَلاَئِكَةِ الدُّعَاء.

وَقَولُهُ ((مُحَمَّدٍ)) مَبْنِيٌّ عَلَى زِنَةِ ((مُفَعَّلٍ)) مِثْل: مُعَظَّمٍ وَمُبَجَّل، وَهُوَ بِنَاءٌ مَوضُوعٌ لِلتَّكْثِيْر. لِذَا فَمُحَمَّدٌ: هُوَ الَّذِي كَثُرَ حَمْدُ الْحَامِدِيْنَ لَهُ وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَدَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

وَقَولُهُ ((وَآلِ مُحَمَّدٍ)) هُمْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنّ، وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِب.

وَاخْتَارَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ العِلمِ أَنَّ ((آلَ مُحَمَّدٍ)) أَتْبَاعُهُ إِلَى يَومِ القِيَامَة؛ وَمِمَّنْ اخْتَارَه:

جَابِرٌ رضي الله عنه وَالثَّورِيُّ، وَبَعْضُ أَصْحَابِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَالنَّوَوِيُّ، وَالأَزْهَرِيُّ – رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى -.

وَالصَّلاَةُ عَلَى آلِهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم وَتَوَابِعُهَا، لأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ صلى الله عليه وسلم، وَيَزِيْدُهُ اللهُ بِهَا شَرَفاً. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً.

وَقَولُهُ ((آلِ إِبْرَاهِيْم)) مَعْلُومٌ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم هُوَ خَيْرُ آلِ إِبْرَاهِيْم.

فَعِنْدَمَا يَسْأَلُ الْمُصَلِّي رَبَّهُ عز وجل أَنْ يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، يَكُونُ قَدْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَوَّلاً، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثَانِياً مَعَ آلِ إِبْرَاهِيْمَ لأَنَّهُ دَاخِلٌ مَعَهُم، فَتَكُونُ الصَّلاَةُ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيْمَ أَفْضَلَ لأَنَّهَا تَضَمَّنَتْ الصَّلاَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَم.

وَهَذَا سِرُّ كَونِ الصَّلاَةِ الإِبْرَاهِيْمِيَّةِ أَفْضَلَ صِيَغِ الصَّلَوَاتِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، لِكَونِهَا تَضَمَّنَتْ فَضلَ الصَّلاَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَفَضْلَ

الصَّلاَةِ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَذُرِّيَتِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، لِتَكُونَ كُلُّهَا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.
وَقَوْلُهُ ((وَبَارِك)) طَلَبُ مِثْلِ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لإِبْرَاهِيْمَ وَآلِهِ، لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَآلِه، وَأَنْ يَدُومَ هَذَا الْخَيْرُ وَيَتَضَاعَف.
وَالحَمِيْدُ هُوَ الَّذِي لَهُ مِنْ صِفَاتِ وَأَسْبَابِ الحَمْدِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَحْمُوداً فِي نَفْسِه. وَالمَجِيْدُ هَوَ المُسْتَلزِمُ لِلعَظَمَةِ وَالجَلاَل، وَالحَمْدُ وَالمَجْدُ إِلَيْهِمَا يَرْجِعُ الكَمَالُ كُلُّه، فَنَاسَبَ أَنْ يُخْتَمَ بِهِمَا طَلَباً لِزِيَادَةِ الكَمَالِ فِي حَمْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَتَمْجِيْدِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالى.

* أفضل صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:
أَفْضَلُ الصِّيَغِ مَا عَلَّمَنَاهُ صلى الله عليه وسلم:
(١) فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْك، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)).
(٢) وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه: أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْك ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِه، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِه، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)).
(٣) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَحْسِنُوا الصَّلاَةَ عَلَيْه، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْه، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ:فَعَلِّمْنَا، قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِين، وَإِمَامِ الْمُتَّقِين، وَخَاتَمِ النَّبِيِّين؛ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِك، إِمَامِ الْخَيْر، وَقَائِدِ الْخَيْر، وَرَسُولِ الرَّحْمَة.
اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُون. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد.
(٤) وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم.

* المواطن والأزمان التي تشرع فيها الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:
شَرَعَ اللهُ لَنَا الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُطلَقاً، وَشَرَعَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِك، وَأَكَّدَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ وَالأَزْمَان؛ فَمِنْهَا:
(١) الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم مُطْلَقاً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُم)).

وَعَنْ عَمَار بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلاَئِقِ كُلِّهَا، فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي إِذَا مِتُّ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يُصَلِّي عَلَيَّ صَلاَةً إِلاَّ سَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيْه، قَالَ: يَا مُحَمَّد ! صَلَّى عَلَيْكَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيُصَلِّي الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْراً)) صلى الله عليه وسلم.

(٢) كُلَّمَا ذُكِرَ صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ)) صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)) صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيّ، خَطِيءَ طَرِيْقَ الْجَنَّة)) صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيّ)) صلى الله عليه وسلم.

(٣) عِنْدَ كِتَابَةِ اسْمِهِ صلى الله عليه وسلم:

وَهُوَ كَسَابِقِه، وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ رضي الله عنهم إِذَا كَتَبُوا اسْمَهُ صلى الله عليه وسلم في كُتُبِهِمْ أَثْبَتُوا الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم كِتَابَةً، وَلَوْ تَكَرَّرَتْ، وَلَوْ كَثُرَت، وَلاَ يَرْمُزُونَ لَهَا بِالرُّمُوز.

وَلِشَيْخِنَا سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيْزِ بْنِ بَازٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – رِسَالَةٌ في النَّهي عَنْ كِتَابَةِ الرُّمُوز؛ مِثْل: ((ص)) و ((صلعم)) بَدَلاً مِنْ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ نَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِهَا حَتَّى كَانَتْ سَبَباً في اخْتِفَاءِ الرُّمُوزِ مِنْ الصُّحُفِ وَالكُتُب، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْراً.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَيْمُونِي: رَأَيْتُ الشَّيْخَ الْحَسَنَ بْنَ عُيَيْنَة - في الْمَنَامِ - بَعْدَ مَوتِه، وَكَأَنَّ عَلَى أَصَابِعِ يَدَيْهِ شَيْءٌ مَكْتُوبٌ بِلونِ الذَّهَب، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ: يَا أُسْتَاذ ! أَرَى عَلَى أَصَابِعِكَ شَيْئاً مَلِيْحاً مَكْتُوباً، مَا هُو؟ قَالَ: يَا بُنَيّ ! هَذَا لِكِتَابَتِي ((صلى الله عليه وسلم)) في حَدِيْثِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

(٤) إِذَا أَصْبَحَ الْمُسْلِمُ وَإِذَا أَمْسَى:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِيْنَ يُصْبِحُ عَشْراً، وَحِيْنَ يُمْسِي عَشْراً؛ أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي)).

(٥) كُلَّمَا جَلَسَ الْمُسْلِمُ مَجْلِساً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

((مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّة لِلثَّوَاب)).

وَعَنْهُ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيه، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةَ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُم)) تِرَة: نَدَامَة.
وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ عز وجل، وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيْفَة)).
(٦) في يَومِ الْجُمُعَة:
وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:
((أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاَةِ في كُلِّ يَومِ جُمُعَة، فَإِنَّ صَلاَةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ في كُلِّ يَومِ جُمُعَة، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَة)).
(٧) بَعْدَ سَمَاعِ الأَذَان:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا: مِثْلَ مَا يَقُول، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَة، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّة، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّه، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَة؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَة)).
(٨) عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْه:
وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِك)).
(٩) فِي آخِرِ التَّشَهُّدِ الَّذِي يَعْقُبُهُ سَلاَم:
قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا أَرَى أَنَّ صَلاَةً لِي تَمَّتْ حَتَّى أُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.
وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لاَ تَكُونُ صَلاَةٌ إِلاَّ بِقِرَاءَةٍ وَتَشَهُّدٍ وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.
وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاه، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلاَتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْك ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ؛ فَقُولُوا)) وَذَكَرَ الصَّلاَةَ الإِبْرَاهِيْمِيَّة.
(١٠) في كُلِّ خُطْبَة:
قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: رَفَعَ اللهُ ذِكْرَه، فَلاَ يُذْكَرُ إِلاَّ ذُكِرَ مَعَه. وَكَانَتْ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْخُطَبِ – فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم - أَمْراً مَشْهُوراً مَعْرُوفاً.
وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كُنَّا بِالْخَيْفِ، وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَةَ رضي الله عنه، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَدَعَا بِدَعَوَاتٍ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى بِنَا.
(١١) في قُنُوتِ الوِتْر:

عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ فِي الوِتْرِ، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْت، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْت، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْت، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْت، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْك، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْت، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْت. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّد)) صلى الله عليه وسلم.

وَلَمَّا جَمَعَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ رضي الله عنه النَّاسَ في صَلاَةِ التَّرَاوِيْح، كَانُوا يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ في قُنُوتِهم، ثُمَّ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِيْن، ثُمَّ يُكَبِّرُونَ وَيَسْجُدُون.

(١٢) إِذَا مَرَّ ذِكْرُهُ صلى الله عليه وسلم في صَلاَةِ نَافِلَة:

قَالَ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: إِذَا مَرَّ بِالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلْيَقِفْ، وَلْيُصَلِّ عَلَيْهِ في التَّطَوع.

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: إِنْ كَانَ في نَفْلٍ صَلَّى عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم.

(١٣) بَيْنَ التَّكْبِيْرَاتِ الزَّوَائِدِ في صَلاَةِ الْعِيْد:

خَرَجَ الوَلِيْدُ بْنُ عُقْبَةَ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى وَحُذَيْفَةَ رضي الله عنهم، فَقَالَ: كَيْفَ التَّكْبِيْرُ في العِيْد ؟ قَالَ عَبْدُ الله: تَبْدَأُ، فَتُكَبِّرُ تَكْبِيْرَةً تَفْتَتِحُ بِهَا الصَّلاَة، وَتَحْمَدُ رَبَّك وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ تَدْعُو وَتُكَبِّر. فَقَالاَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَن.

(١٤) إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ السُّنَّةَ فِي صَلاَةِ الْجَنَازَةِ: أَنْ يَقْرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يُخْلِصُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمَيِّت.

(١٥) في حِلَقِ الذِّكْر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ للهِ سَيَّارَةً مِنْ الْمَلاَئِكَة، إِذَا مَرُّوا بِحِلَقِ الذِّكْر، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْعُدُوا ! فَإِذَا دَعَا الْقَوْمُ أَمَّنُوا عَلَى دُعَائِهِم، فَإِذَا صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم صَلُّوا مَعَهُمْ حَتَّى يَفْرَغُوا، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: طُوبَى لِهَؤُلاَءِ يَرْجِعُونَ مَغْفُوراً لَهُم)).

(١٦) حَالَ الدُّعَاء في قِيَامِ اللَّيْل:

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْك، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي ؟ فَقَالَ: ((مَا شِئْت)) قُلْتُ: الرُّبُع ؟ قَالَ: ((مَا شِئْت، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَك))

قُلْتُ: النِّصْف ؟ قَالَ: ((مَا شِئْت، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَك)) قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْن ؟ قَالَ: ((مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)) قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا ؟ قَالَ: ((إِذًا تُكْفَى هَمَّك، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُك)). وَفِي رِوَايَةٍ: ((إِذاً يَكْفِيْكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِك)).

قَوْلُهُ ((أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا)) أَيْ أَصْرِفُ جَمِيعَ زَمَنِ دُعَائِي لِنَفْسِي صَلاَةً عَلَيْك.

((تُكْفَى هَمَّك)) تُعْطَى مَرَامَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

(١٧) في أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَآخِرِهِ وَفِي أَثْنَائِه:

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ، لَمْ يُمَجِّدْ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: ((عَجِلَ هَذَا)) ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيْدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْه، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاء)).

وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يُصَلِّي، فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَه، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((ادْعُ تُجَب، وَسَلْ تُعْطَ)).

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ صلى الله عليه وسلم.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: إِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ حَاجَةً فَابْدَأْ بِالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ اُدْعُ بِمَا شِئْتَ، ثُمَّ اِخْتِمْ بِالصَّلاَةِ عَلَيْه، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِكَرَمِهِ يَقْبَلُ الصَّلاَتَيْنِ، وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَدَعَ مَا بَيْنَهُمَا.

(١٨) عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صلى الله عليه وسلم:

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ وَقَفَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَزُورُهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ يَمَسُّ الْقَبْرَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّة – رَحِمَهُ الله -: ثُمَّ يَأْتِي قَبْرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَسْتَقْبِلَ جِدَارَ الْقَبْرِ، وَلاَ يَمَسَّه، وَلاَ يُقَبِّلَه، وَيَقِفَ مُتَبَاعِداً كَمَا يَقِفُ لَوْ ظَهَرَ في حَيَاتِه، بِخُشُوعٍ وَسُكُون، مُنَكِّسَ الرَّأْس، غَاضَّ البَصَر، مُسْتَحْضِراً بِقَلْبِهِ جَلاَلَةَ مَوْقِفِه، ثُمَّ يَقُول: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَخِيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِه، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَقَائِدَ الغُرِّ المُحَجَّلِين، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالاَتِ رَبِّك، وَنَصَحتَ لأُمَّتِك، وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَة، وَعَبَدتَ اللهَ حَتَّى أَتَاكَ اليَقِين، فَجَزَاكَ اللهُ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيَّاً وَرَسُولاً عَنْ أُمَّتِه. اللَّهُمَّ آتِهِ الوَسِيْلَةَ وَالفَضِيْلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدتَهُ يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُون. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيْد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيْد، اللَّهُمَّ احشُرنَا فِي زُمْرَتِه، وَتَوَفَّنَا عَلَى سُنَّتِه، وَأَوْرِدنَا حَوضَه، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ مَشْرَباً رَوِّياً لاَ نَظْمَأُ بَعدَهُ أَبَداً.

ثُمَّ يَأْتِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَيَقُول: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عُمَرَ الفَارُوق، السَّلاَمُ عَلَيْكُمَا يَا صَاحِبَي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَضَجِيْعَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، جَزَاكُمَا اللهُ عَنْ صُحبَةِ نَبِيِّكُمَا وَعَنْ الإِسْلاَمِ خَيْراً، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار.

(١٩) بَعْدَ التَّلْبِيَة:

لأَنَّ التَّلْبِيَةَ مِنْ تَوَابِعِ الدُّعَاء، قَالَ القَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

كَانَ يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ – إِذَا فَرَغَ مِنْ تَلْبِيَتِهِ– أَنْ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

(٢٠) في الطَّوَاف:

كَـانَ ابْـنُ عُمَـرَ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَـا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْـتَلِمَ الْحَجَـرَ؛ قَـالَ: اللَّهُـمَّ إِيْمَانـاً بِـكَ، وَتَصْدِيْقاً بِكِتَابِكَ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّبَاعاً لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

(٢١) عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ:

قَالَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ رضـي الله عنـه: يَبْدَأُ بِالصَّفَا، فَيَقُومَ عَلَيْهَا، وَيَسْتَقْبِلَ البَيْتِ فَيُكَبِّر سَبْعَ تَكْبِيْرَات، بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيْرَتَيْنِ حَمْدُ اللهِ عز وجل وَثَنَـاءٌ عَلَيْه، وَصَـلاَةٌ عَلَـى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْأَلَةٌ لِنَفْسِهِ، وَعَلَى الْمَرْوَةِ مِثْلُ ذَلِك.

* فوائد الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لِلصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَوَائِدُ عَظِيْمَةٌ؛ فَمِنْهَا، وَقَدْ مَرَّتْ بَعْضُ أَدِلَّتِهَا:

(١) امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَأَمْرِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

(٢) صَلاَةُ وَسَلاَمُ اللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ عَلَى الْمُصَلِّي: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنـه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيْلُ آنِفاً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد ! مِنْ صَلَّى عَلَيْكَ مَرَّةً كَتَبَ اللهُ لَـهُ عَشْرَ حَسَنَات، وَمَحَا عَنْـهُ عَشْرَ سَيئَات، وَرَفَعَ لَـهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَات، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ عَشْرَ مَرَّات)).

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنـه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِه، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى البِشْرَ فِي وَجْهِك، فَقَالَ: ((إِنَّـهُ أَتَـانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ لاَ يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ - مِنْ أُمَّتِكَ - إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا)).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنـه: قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا)).

(٣) أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَالإِيْمَانَ بِه، وَالإِيْمَانَ بِرَسُولِهِ وَرِسَالَتِه، فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ الإِيْمَانَ كُلَّه، لِذَا كَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَال.

(٤) أَنَّهَا سَبَبٌ لِهِدَايَةِ الْمُصَلِّي وَحَيَاةِ قَلْبِه.

(٥) أَنَّهَا سَبَبٌ لِزِيَادَةِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِلْعَبْد.

(٦) أَنَّهَا سَبَبٌ لِزِيَادَةِ مَحَبَّةِ العَبْدِ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

(٧) أَنَّهَا سَبَبٌ قُربِ العَبْدِ مِنْ رَبِّهِ يَومَ القِيَامَة.

(٨) أَنَّهَا سَبَبٌ قُربِ العَبْدِ مِنْ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

(٩) أَنَّهَا أَدَاءٌ لِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم.

(١٠) أَنَّهَا دَلِيْلُ إِيْثَارِ العَبْدِ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى نَفْسِهِ حِيْنَ قَدَّمَ الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى طَلَبِ حَاجَاتِه، فَيُكَافِئُهُ اللهُ تَعَالَى بِغُفْرَانِ ذُنُوبِه، وَكِفَايَتِهِ هُمُومَه، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَل.

(١١) أَنَّهَا سَبَبٌ مَغْفِرَةِ الذُّنُوب.

(١٢) أَنَّهَا سَبَبٌ كَفَايَةِ اللهِ عَبْدَهُ مَا أَهَمَّه.

(١٣) أَنَّهَا سَبَبٌ إِجَابَةِ الدُّعَاء.

(١٤) أَنَّهَا سَبَبٌ نَيْلِ شَفَاعَتِهِ صلى الله عليه وسلم.

(١٥) أَنَّهَا زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ لِلْمُصَلِّي.

(١٦) أنَّهَا تَطْيِيْبٌ لِلْمَجَالِسِ.
(١٧) أنَّهَا تَنْفِي عَنْ العَبْدِ صِفَةَ البُخْلِ.
(١٨) أنَّهَا تَنْفِي عَنْ العَبْدِ صِفَةَ الْجَفَاءِ.
(١٩) أنَّهَا سَبَبٌ في أنْ لاَ تَكُونَ الْمَجَالِسُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً عَلَى أصْحَابِهَا يومَ القِيَامَةِ.
(٢٠) أنَّهَا تُنْجِي صَاحِبَهَا مِنْ أنْ تَكُونَ مَجَالِسُهُ أنْتَنَ مِنْ جِيْفَةٍ.
(٢١) أنَّهَا نَجَاةٌ لِصَاحِبِهَا مِنْ أنْ تَتَحَقَّقَ عَلَيْهِ دَعْوَةُ جِبْرِيْلَ عليه السلام وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في أنْ يُذَلّ.
(٢٢) أنَّهَا نَجَاةٌ لِصَاحِبِهَا مِنْ أنْ تَتَحَقَّقَ عَلَيْهِ دَعْوَةُ جِبْرِيْلَ عليه السلام وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في أنْ يُبْعِدَهُ الله.
(٢٣) أنَّهَا نَجَاةٌ لَهُ مِنْ أنْ يُخْطِيءَ طَرِيْقَ الْجَنَّةِ.
(٢٤) أنَّهَا سَبَبٌ لِتَبْلِيْغِ الْمَلاَئِكَةِ اسْمَ الْمُصَلِّي وَالْمُسَلِّمِ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.
(٢٥) أنَّهَا سَبَبٌ لِنَيْلِ الْمُصَلِّي رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى.
(٢٦) أنَّهَا سَبَبٌ لِرَدِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَى مَنْ يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ.
(٢٧) أنَّهَا سَبَبٌ لِنَشْرِ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَنْ العَبْدِ في الْمَلأ الأعْلَى.
(٢٨) أنَّهَا سَبَبٌ لِلْبَرَكَةِ في ذَاتِ الْمُصَلِّي، وَعَمَلِهِ، وَعُمُرِه، وَمَصَالِحِهِ.
(٢٩) أنَّهَا سَبَبٌ لِتَثْبِيْتِ قَدَمِ العَبْدِ عَلَى الصِّرَاطِ وَالْجَوَازِ عَلَيْهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحْبُو أحْيَاناً وَيَتَعَلَّقُ أحْيَاناً، فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمِيْهِ، وَأَنْقَذَتْه)).
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ أجْمَعِينَ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِين. آمين.

٤. من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته: "نصرته"

د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه

وهو واجب على جميع المسلمين: ذكورًا وإناثًا، علماء وولاة أمر وعوامًا، قولاً وفعلاً، كل بحسب قدرته واستطاعته، أدناها بالقلب، ثم باللسان، ثم باليد؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:
-(من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).
وأي منكر أعظم من العدوان على مقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟!
فهو فرض على الكفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الآخرين، مع وجوب إنكار القلب في كل حال، سواء تعيّن الذبّ والنصرة أو لم يتعيّن على آحاد المؤمنين؛ لأن الإنكار القلبي علامة الإيمان.
والدليل على وجوب نصرته، قوله تعالى:
- {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. فعلّق الفلاح بالنصرة؛ فمن لم ينصره فليس من المفلحين.

- {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ..}؛ فنصرة المؤمنين واجبة، والنبي أوجب.
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }. ونصرة النبي من نصرة الله تعالى.
- وقوله صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، فهذا في حق المؤمنين، وفي حق النبي أعظم.
ووقت النصرة: وجود الظلم والعدوان على مقام النبي، صلى الله عليه وسلم، في ذاته، أو أخلاقه، أو دينه.
فمتى وجِد هذا النوع من الظلم والعدوان: وجب على المؤمنين الذبّ عنه، صلى الله عليه وسلم.
ولا يحل لهم أن يسكتوا أو يخضعوا ويرضوا..!!
فإن فعلوا ذلك؛ دلّ على خلل في إيمانهم، وضعف في ولائهم لله ورسوله، صلى الله عليه وسلم؛ فلا يرضى بالطعن في النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا منافق أو كافر، أما المؤمن فيغضب ويتمعّر وجهه لأدنى من ذلك، لأذى يلقاه عوام المسلمين؛ لما بينه وبينهم من أخوة الإيمان؛ فأي عدوان على رأس المؤمنين وقائدهم ومقدمهم فهو عليه أشد وأنكى.
بل حاله كحال "خبيب بن عدي" لمّا أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه، فقال له أبو سفيان:
" أنشدك الله يا خبيب! أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه، وأنك في أهلك"؟.
فقال خبيب: "والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإني جالس في أهلي".
فقال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا".

وسبب وجوب نصرة النبي، صلى الله عليه وسلم، أمران:

- الأول: منّته على أمته.
إذ هداهم الله تعالى به؛ فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ولولا فضل الله عليهم به لكان الناس في ضلالة وعمى، ولأصابهم من عذاب الآخرة..
وإذا كان الإنسان يحفظ جميلاً صنعه إنسان إليه: بتفريج كربة، أو وقاية من فتنة، أو محنة، أو منع مصيبة. يبقى عمره لا ينسى جميله.. يترصد، ويترقب متى يقدر على المكافأة والمجازاة بالمثل، وهذا كله في أمور الدنيا، بل في بعضها، وجزء منها، فكيف بمن كان له الجميل على الناس في:
- فتح أبواب السعادة لهم في الدنيا والآخرة.
- وتفريج كرباتهم وهمومهم بالإيمان.
- وبيان مواطن الرحمة والخير والقرب من الله تعالى.

- وإزالة ما بينهم من العداوة والشحناء والتباغض، وزرع الألفة بين قلوبهم، وعطف بعضهم على بعض.
- وإرشادهم إلى أحسن الدساتير والقوانين التي بها يسيّرون شئونهم الدنيوية.
- وإقرار العدل، ونفي الظلم ومنع أسبابه.
- وزادهم أن كان سببًا في نيلهم عظيم الثواب وجزيل الأجر في الآخرة، فما مؤمن يدخل الجنة، لينعم فيها النعيم الذي لا ينتهي، إلا وللنبي، صلى الله عليه وسلم، منّة عليه في ذلك.
فهل أحد من البشر أعظم منه منّة على العالمين؟!!
ولذا قال تعالى ممتنًا على عباده بهذا النبي:
- { لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}.
- وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، للأنصار: (ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ).

- الثاني: أن الطعن في صاحب الشريعة طعن في الشريعة ذاتها:
والذبّ عن الشريعة واجب على كل مسلم بما يستطيع.
فهذا الذي يطعن في النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يكن ليطعن فيه لولا الشريعة التي حملها وبلّغها من عند الله تعالى، فلو كان شخصًا كسائر الناس لم يتوجّه إليه بالطعن، فما طعن فيه إلا كاره وباغض لهذا الدين؛ فنصرته إذن من نصرة الله تعالى ونصرة دينه، ليس نصرة لذاته، قال تعالى:
- { وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.
الحاجة إلى نصرة النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذا الوقت:
الحاجة متجددة؛ لتجدد الطعونات، فانتقاص النبي، صلى الله عليه وسلم، أمر قديم قِدم الإسلام، اضطلع به فريقان هما: الكافرون، والمنافقون.
اتفقا على العداوة والطعن؛ لأن دعوة الإسلام تقضي على أحلامهم وطموحهم في العلو في الأرض بغير الحق، والإفساد واتباع الهوى وعبادة الذات والمصالح الشخصية، فالإسلام يريد أن تكون الكلمة العليا في الأرض لله تعالى، والناس سواسية، لا يفضلون إلا بالتقوى، مهما تباينت أجناسهم وألوانهم ومراتبهم، والكل يجب أن يخضع لحكم الله تعالى، لا فرق بين شريف أو وضيع.
وهذه الأمور لا تعجب الفريقان؛ فلذا يعادون الإسلام، والرسول الذي جاء به وبلّغه.
فأما الكافرون فعداوتهم ظاهرة، وعداوة المنافقين مبطنة، تظهر في مواقف: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}.

الكافرون قالوا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: شاعر، مجنون، كاهن، ساحر، يعلمه بشر، قال تعالى:
- {فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}.
- { كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ }.
- { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ }.
أما المنافقون فقالوا في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقبح القول، كقول مقدمهم عبد الله بن أبي ابن سلول، كما جاء في القرآن الكريم، سورة المنافقون:
- {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ }.
هذان الصنفان موجودان في كل زمان، وأهدافهم هي الأهداف نفسها، ودوافعهم هي الدوافع نفسها، فكلما شعروا بخطر الإسلام على طموحاتهم في العلو والفساد أظهروا الطعن والسب والشتم بالشريعة وصاحبها.
فالعدو الكافر المحارب اليوم يمثله الصهاينة أو الأصولية الإنجيلية، التي تقود العالم إلى خططها المهلكة، فهي التي خططت لقيام دولة إسرائيل في فلسطين؛ بزعم أن المسيح عيسى عليه السلام لن يعود إلا بعد اجتماع اليهود في فلسطين، وقيام دولة إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، ولذا هم ماضون في هذه المهمة، وهم الذين يريدون حكم العالم، تحت دعوى العولمة، وحرب الإرهاب والخارجين عن القانون الدولي..!
وليس ثمة أحد يقف في طريقهم في تنفيذ تلك الخطط الإجرامية إلا حملة الإسلام وأتباع محمد، صلى الله عليه وسلم؛ ومن هنا سبب حنقهم وطعنهم في هذا النبي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، بقصد تشويه صورة الإسلام؛ لإضعافه والتنفير منه، فهم يرددون اليوم ما قاله أجدادهم المستشرقون من قبل من أنه:
- سفاك للدماء، إرهابي، لم ينتشر دينه إلا بالقتل والسيف.. شهواني همه النساء.. لا يعترف بالآخر..
وغير ذلك، وغير مستغرب أن يقولوا ذلك وأكثر من ذلك؛ فقد كفروا وباعوا أنفسهم للشيطان.
وسائل النصرة:
وفي هذا الحال واجب على الأمة أن يهبوا لنصرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودينه، كل بحسب قدرته واستطاعته، ووسائل النصرة تكون من طريقين:
- الأول: بعرض سيرته، صلى الله عليه وسلم.
- الثاني: بدفع الشبهات والطعونات حوله.
الأول: عرض سيرته، صلى الله عليه وسلم.
وذلك من خلال كل الوسائل المتاحة، بالمقالة، والمطوية، والنشرة، والكتاب الصغير، والكبير، والبرامج المرئية والمسموعة، ومن خلال المدارس، والمساجد، والبيوت، والمحافل.
وعلى وسائل الإعلام الإسلامية: أن تُعنى بهذه القضية؛ فتعطيها قدرًا يتلاءم مع كونها إسلامية، ولا يليق بها أن تهمل حقوق النبي، صلى الله عليه وسلم، ونصرته في وقت ينتقص فيه من مقامه..!!

وأضعف الإيمان أن تخصص له، صلى الله عليه وسلم، من البرامج وقتًا كسائر البرامج الأخرى؛ حتى يقف الصغير والكبير على تفاصيل سيرته وسنته، صلى الله عليه وسلم، فهذا الرجل أعظم رجل في التاريخ، وهو منا، ونحن منه، وقد فزنا به، وشرفنا بالنسبة إليه، فلا يليق بنا أن نجهل تاريخه وسيرته؛ فلا نعرف منها إلا القليل، ثم يجب التركيز حين عرض سيرته على الجانب الأهم، وهو حقيقة دعوته:
١- أنها جاءت رحمة للبشرية: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }.
٢- أنها جاءت للسلام والأمن: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }.
٣- أنها جاءت لإسعاد البشرية، لا لشقائها، كما يروج لذلك الكافرون والمنافقون: { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.
٤- جاءت لإخراج الناس من ظلمات البغي والظلم إلى نور العدل والإحسان: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }، وكما قال ربعي ابن عامر لرستم قائد الفرس، لما سأله عن سبب مجيئهم: "إن الله ابتعثنا لإخراج العباد، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".
فقد جاء النبي، صلى الله عليه وسلم، بهذا الإسلام لتحصيل كل خير، ولمنع كل شر.
ويدل على صدق هذا: دخول الناس في الإسلام أفواجًا، ودخول كثير منهم بدون قتال، بل بالدعوة وحدها، فلولا صدق تلك المبادئ لم ينتشر الإسلام، ولم يدخل الناس فيه أفواجا، بل لو صح ادعاء أعداء الإسلام لما بقي للإسلام قائمة، ولرفضه حتى أهله، لكن الأمر عكس ذلك، فكل يوم يدخل الناس في هذا الدين عن رضا.
الثاني: دفع الشبهات والطعونات حول النبي، صلى الله عليه سلم.
كافة ما يثار حوله، صلى الله عليه وسلم، من شبهات هي قديمة، وكل السباب والشتائم والطعونات قد أجيب عنها إجابات شافية؛ لمّا طرحها المستشرقون.
والمطلوب إعادة صياغتها بأساليب ملائمة ميسرة؛ لحفظ عوام المسلمين من الانجراف خلف تلك الشبهات.
ثم إن مما ينبغي التنبه له في هذا المقام:
أن بعض ما يطرحه هؤلاء الطاعنون قاصدين تشويه صورة الإسلام، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم، هي في عرف وحكم الشريعة: حق، وصدق، وعدل.؟
كقولهم عن الإسلام:
- أنه دين لا يصحح الأديان الأخرى، ويتعالى عليها، فلا يعترف بالمساواة بينها وبين الإسلام.
وهذا عندهم من الطعونات، وهو عند المسلمين من الحقائق، ومما دله عليه كلام ربهم سبحانه وتعالى:
- { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }.
- { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }.
- { وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }.
- وقال صلى الله عليه وسلم: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه).

نعم من أصول الإسلام، أنه يعلو ولا يعلى عليه..
فهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، ولم يرتضِ لهم غيره..
وهو الذي يقبله ولا يقبل غيره، حتى لو كانت اليهودية والنصرانية..
فهو شامل خاتم باقٍ إلى قيام الساعة..
فلو كان ثمة شريعة من الشرائع السابقة صحيحة باقية دون تحريف إلى اليوم لكان الإسلام أحسن منها، وعلى أتباعها تركها واتباع الإسلام؛ لأنه الناسخ لجميع الشرائع السابقة..
فكيف الحال إذا كانت محرّفة مبدّلة، قد تبرأ الله منها، وحكم بضلال أتباعها؟!
فالإسلام هو الدين الصحيح، ولا دين صحيح غيره؛ فاليهودية محرّفة والنصرانية كذلك، دع عنك ما سواهما، والإسلام خاتم لجميع ما سبق، للناس كافة، فلا دين غيره يقبل الله به.
وعلى المسلمين أن يعلموا هذا ويتمسكوا به، وليس لهم خيار غيره، إن أرادوا البقاء مسلمين.
فإذا جاءهم من يجعل هذه الخاصية للإسلام طعنًا وذمًا، فهذا دينه هو..!!
وليس لنا أن ندفع تهمة بإلغاء أصل من أصول الإسلام، كما يفعل البعض حينما يزعم أن النصرانية واليهودية والإسلام في مرتبة سواء لا فرق بينها، يريد أن يذبّ عن الإسلام، فهذا من أبطل الباطل، فالدفاع عن الحق لا يكون بإحقاق الباطل بل بإبطاله، ودفاعنا عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما يكون بتقرير الدين كما جاء به دون تحريف، لا بتحريف ما جاء به فذلك ليس دفاعًا، بل خدمة تُقدم للطاعنين فيه، وليس شيء أفرح لقلوبهم: من أن يقرّ لهم المسلمون بصحة دينهم الباطل بخبر الله تعالى.

٥. كتاب "التأدب مع الرسول في ضوء الكتاب والسنة" [الجزء الأول]

بسم الله الرحمن الرحيم

التأدب مع رسول الله في ضوء الكتاب والسنة

تأليف/ حسن نور حسن

شكر وتقدير:
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.
وبعد.. فإن شكر النعمة أمر واجب لمعطيها ولمن كان سببًا لها لقوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤].
ومن هذا المنطلق، أشكر الله تعالى على ما أسداه إليّ من نعم وفضل وبخاصة نعمة التوفيق والانتساب لجامعة أم القرى العريقة لأنهل من مواردها الصافية وبخاصة في مجال دراسة علوم القرآن والحديث.

وبعد شكر الله تعالى أتوجه بالشكر لعباده الخيرين القائمين على أمر كلية الدعوة وأصول الدين وعلى رأسهم سعادة عميد الكلية وسعادة وكيله وسعادة رئيس قسم الكتاب والسنة.
ولا يفوتني أن أوجه الشكر لسعادة الأستاذ الدكتور أحمد أحمد علوش على ما بذله معي في هذه الرسالة من نصح خالص وتوجيه سديد وإرشاد مستمر، وتشجيع صادق.
كما أني أشكر الأخ الفاضل الذي سعى إلى طبع هذه الرسالة والله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء.
وأخيرًا وليس آخرًا أشكر للقائمين على إدارة دار المجتمع بجدة التي تولت طبع هذه الرسالة.
وختامًا أشكر لكل من ساعدني ولو بالدعاء والأماني الطيبة وجزى الله الجميع خيرًا والله الموفق.
المؤلف

المقدّمــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.
وبعد: فإنّ كل مسلم مخلص يجد نفسه مرتبطًا برسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الفضل في إيصال الإسلام إلى الناس كافة فهو الذي بواسطته جاء الوحي بشقيه القرآن والسنة إلى البشر أجمعين، يأخذون منهما منهج السعادة في الدنيا والآخرة.
وقد أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بفضله ومنّه الخير لي إذ جعلني من طلاب العلم الذين يدرسون العلوم الشرعية، وبالأخص علوم القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين هما مصدرا الإسلام الأساسيان.
وهذه نعمة من نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّـهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل:١٨].
وأشكر الله على ذلك آملاً في المزيد.
{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم:٧].
وقد ازداد هذا الخير بأن مكّنني الله من الاستمرار في نفس التخصص في مرحلة الدراسات العليا؛ حيث قبلت بالدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى فرع الكتاب والسنة في بلد الله الحرام الذي تهوى إليه أفئدة المؤمنين من أنحاء المعمورة تحقيقًا لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام كما حكى لنا القرآن الكريم: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم:٣٧].
وهذه نعمة أخرى أحمد الله سبحانه وتعالى عليها وأشكره وأنا راض سعيد، حيث ازدادت صلتي بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحققت أمنيتي بالاستمرار في هذا الطريق الحبيب.
ولمّا حان موعد كتابة رسالة الماجستير لم أجد أفضل من أن أعيش مع صاحب الرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله أسوة وقدوة للمؤمنين ليقتدوا به. حيث يقول سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:٢١].
وقد عشت مع هذا الأمل ووفقني الله لاختيار موضوع: (التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء الكتاب والسنة) عساي أن أوضح هذا الجانب الهام الذي يحتاج إليه البشر عمومًا والمسلمون على وجه الخصوص.
وأهمية كل دراسة ترتبط بموضوعها، وبذلك يأخذ موضوعي هذا أهمية كبرى لتعلقه بأسلوب التعامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وتعاليمه حيًا وميتا.
فلقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق للناس جميعًا، يدعوهم للهدى، ويوجههم للخير، ويحرص على تحقيق المصلحة يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ:٢٨].
ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب:٤٥٤٦].
ويقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى:٥٢].
ويقول تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:١٢٨].
ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فضل على أمته، فلقد بلغهم الوحي ونصحهم وأتم لهم الدين وكمل لهم الرسالة وأدى الأمانة المكلف بها من قبل الله على أتم وجه بشهادة الصحابة في حجة الوداع حينما قال لهم أثناء خطبته بوادي عرنة يوم عرفة قال: (وأنتم مسؤولون عنّى فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها[١] إلى الناس: اللهم أشهد اللهم أشهد) ثلاث مرات[٢].
وقد منّ الله على المؤمنين ببعثه صلى الله عليه وسلم فيهم معلمًا ومزكيًا ورسولاً يأخذهم إلى طريق الفوز والنجاة.
يقول تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [آل عمران:١٦٤].
يقول بعض المفسرين: (اعلم أنّ بعثة الرسول إحسان من الله إلى الخلق، ثم أنّها لمّا كان الانتفاع بالرسول أكثر كان وجه الإنعام في بعثه الرسل أكثر. وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانت مشتملة على الأمرين:
أحدهما: المنافع الحاصلة من أصل البعثة.

الثاني: المنافع الحاصلة بسبب ما فيه من الخصال التي ما كانت موجودة في غيره.
أما المنفعة بسبب أصل البعثة فهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:١٦٥].
وأمّا المنافع الحاصلة بسبب ما كان في محمد صلى الله عليه وسلم من الصفات فأمور ذكرها الله تعالى في هذه الآية)[٣].
والخصال التي تشير إليها هذه الآية هي: أنّه صلى الله عليه وسلم من أنفسهم لا من غيرهم من الأجناس الأخرى من الأمم ولا من المخلوقات الأخرى كالملائكة وأنّه يبلغ إليهم الوحي ويزكيهم من كل مخلفات الجاهلية من عبادة الأصنام والأوثان ويعلمهم القرآن والسنة مع أنهم كانوا قومًا أميين كما تشير إليه آية أخرى وهي قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الجمعة:٢].
وكما منّ الله تعالى على المؤمنين ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيهم، وجههم إلى ضرورة التأدّب معه وذلك يتم بعدة وجوه تشير إليها الآيات التالية: يقول تعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧].
ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات:١].
ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات:٢].
ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦].
ويقول تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور:٦٣].
ومجمل الآيات يوضح مسؤولية المسلم إزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية الطاعة العملية والاعتقاد القلبي والسلوك الخلقي والكيفية التي يجب على المسلم أن يتعامل بها مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع شرعه حيًّا وميّتا. وعلى الجملة أهمية الموضوع تنحصر فيما يلي:
أولاً: أنّ المسلم يجد نفسه مرتبطًا برسول الله صلى الله عليه وسلم بذكره آناء الليل وأطراف النهار، فهو يشهد له بالرسالة في كلمة التوحيد وفي التشهد وفي الأذان ويصلي عليه في الصلوات المكررة كل يوم ويراه في كل عبادة، وحياة المؤمن كلها عبادة وحيث أنّ الأمر كذلك فهو في حاجة إلى أن يعرف مقام رسول الله بحق حتى يتأدب معه بطريقة مشروعة وبمنهج مثاب عليه.
ثانيًا: هنالك من الناس من يغفل عن التأدب مع رسول الله ـ عن جهل أو عن تقصير ـ ويحتاج هذا الأمر إلى بيان كيفية التأدب مع رسول الله لكي يلتزم المقصر باقتناع ويصحو الغافل بعلم.
ثالثًا: وهناك فريق من المسلمين يغالون في التأدّب مع الرسول ويتصورون المغالاة دينًا، ولذا وجب أن يحدد الأدب المشروع بدليله الصحيح لتبطل المغالاة، ويستقيم الناس على الحق والصواب.

رابعًا: ظهرت بعض مذاهب منحرفة تدعي حب الرسول والتوجه إليه بأدب، وتخترع في سبيل ذلك شرائع وعقائد بقصد تشويه تعاليم الإسلام الصحيحة، وصرف المسلمين عن حقيقة الإسلام وتطبيقاته، وهذا أمر يحتاج إلى التصدي بالعلم وبالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ليتبين الرشد من الغي ويحيا من يحيا عن بيّنة، ويضل من يضل عن بينة كذلك.
خامسًا: الأدب مع الرسول بصورة عامة من القضايا التي يحتاج إليها كل مسلم في كل عصر ومصر، ولذا فإن جمعه في مؤلف واحد يوضح الطريق وييسر الاستفادة أمر يستحق الاهتمام وخاصة في عصرنا الحاضر المليء بالنظريات الهدامة.
ولتحقيق تلك الأهداف التي أشرت إليها اتبعت منهجًا علميًا يعتمد على الأسس التالية:
(أ) قسّمت الموضوع إلى أبواب وفصول ومباحث حسب ما تتطلبه الدراسية وعلى ضوء التسلسل العلمي السليم.
(ب) في كل مبحث أبيّن المراد منه ثم أوضّح آراء العلماء فيه.
(ج) أورد أدلة كل فريق من العلماء في المسائل المختلف فيها مع توجيه الأدلة نحو الرأي التي سيقت له كما ذكر العلماء أنفسهم.
(د) أعقد مناقشة بين الأدلة وذلك بمواجهة أدلة كل فريق بأدلة معارضيه.
(هـ) انتهي من المسألة ببيان الرأي الراجح مع بيان وجه الترجيح.
وقد اعتمدت على القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى عديد من المصادر والمراجع الأصلية التي لها صلة بالموضوع ككتب التفسير وكتب السنة وشروحها وكتب السيرة والمغازي وكتب الشمائل والخصائص وكتب العقيدة والفرق، وكتب الفقه وأصوله، وغيرها من الكتب.
(و) بالنسبة لآيات القرآن وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فسوف أجعلها في قوسين، واحد في بدايتها وآخر في نهايتها مع وضع نقاط في البداية إذا كان النص جزءًا ممّا قبله، وأمّا إذا كان ما بعده جزءًا منه فسوف أضع النقاط في آخر الكلام لبيان أنّ النص لم ينقل بأكمله، وأمّا إذا حذفت بعض النص من الوسط فسوف أضع النقط في الوسط للعلة نفسها بشرط أن يكون الحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.
وبالنسبة للنصوص المقتبسة من غير القرآن الكريم والسنة النبوية فسوف أحصرها بعلامات الاقتباس "" هكذا مع وضع النقاط في مواطن الحذف التي أشرت إليها.
وكل هذا في النصوص التي لم أتعرض لها بالتصرف، وأمّا إذا أحلتها إلى أسلوبي الخاص فسوف أكتفي بالإشارة إلى مصدرها أو مرجعها في الهامش مع الذكر أني تصرفت فيها تحقيقا للأمانة العلمية.
وسوف أقوم أيضًا بعزو كل نص مقتبس إلى موضعه الأصلي وفق المنهج الآتي:
أولاً: النصوص القرآنية: أشير في الهامش إلى اسم السورة ورقم الآية.
ثانيًا: أما النصوص النبوية فسوف أقوم بعزوها إلى مصادرها الأصلية مكتفيًا بمصدر واحد إذا لم يكن هناك ما يقتضي ذكر أكثر من مصدر مع الإشارة إلى اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة في الهامش.

وبالنسبة لدرجة الحديث، فسوف أذكر من نص من الأئمة على ذلك صحة وضعفًا إذا كان في غير الصحيحين لاتفاق الأمة على قبول ما ورد فيهما مرفوعًا مسندًا.
ومن ناحية أسانيد الأحاديث فلا أتطرق إلى رجالها إلا ما ورد في الباب الثالث من هذه الرسالة وخاصة أسانيد الأحاديث من طرف الخصم المرجوح مع الاكتفاء بذكر الرجل المجروح من قبل أئمة هذا الشأن لا كل الرجال في السند لحصول الغرض بواحد أو اثنين منهم في مقام التضعيف والرد بعكس ما هو مطلوب في مقام التصحيح والقبول إذ أن وجود رجل واحد في السند يكفي لرد قبول الاحتجاج بالحديث وليس العكس كما هو معلوم.
من ناحية النصوص المقتبسة من كتب المعاجم والقواميس فأذكر المادة أحيانًا مع الإشارة إلى اسم الكتاب والجزء والصفحة.
من ناحية النصوص المقتبسة من المراجع والمصادر غير ما ذكرت فسوف أقوم بعزوها إلى مرجعها مع الإشارة إلى الاسم المتعارف عليه للكتاب والجزء والصفحة في الهامش وأؤخر اسم الكتاب كاملاً في ثبت المراجع مع ذكر الطبعة وتاريخها ودار النشر ومكانها إن أمكن.
بالنسبة لمؤلفي المصادر والمراجع فلا أتطرق إلى الترجمة لكل واحد بل أكتفي بذكر اسمه المشهور مع كتابه في أول وروده وأؤخر ذكر اسمه الكامل مع كتابه في ثبت المراجع إذا كان المؤلف من المشهورين أو المعاصرين، وأمّا غيرهم فسوف أضيف إلى ذلك ترجمة موجزة لهم أذكر فيها أسماءهم كاملة وتاريخ ولادتهم ووفاتهم كلما أمكن ذلك.
هذا هو المنهج الذي اتبعته مع النصوص الواردة في هذا البحث، وقد جاء مشتملاً على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.
ففي المقدمة: تحدثت عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له، والمنهج الذي اتبعت في بحثه، وأهم المشاكل التي واجهتني وخطة البحث بإجمال.
وأما في التمهيد: فقد تحدثت فيه عن تعريف الأدب في اللغة وفي الاصطلاح وضرورة الالتزام بالتأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة.
وفي الباب الأول: تحدثت فيه عن أسباب قيام الأمة بالأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذكرت فيه نسبه الطاهر وتربيته وأهم صفاته قبل النبوة وبعد النبوة ومواقفه من المشركين المعاندين لرسالته من احتمال الأذى وعدم خضوعه لمغرياتهم، وإكمال الدين على يديه.
وفي الباب الثاني: وهو أهم الأبواب فقد تحدثت فيه عن أنواع الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قسّمتها إلى ثلاثة أنواع:
النوع الأول: الأدب القلبي ـ وهو ما كان محله القلب كالإيمان بنبوته ـ صلى الله عليه وسلم ومحبته.
النوع الثاني: الأدب القولي ـ وهو ما كان محله اللسان ـ مثل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

النوع الثالث: الأدب العملي ـ وهو ما كان محله الجوارح غير اللسان ـ مثل اتباعه صلى الله عليه وسلم وتنفيذ أمره.
وفي الباب الثالث: فقد تحدثت فيه عمّا ينافي التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان يقصد فاعله التأدب بعينه عن جهل أو تأويل أو غير ذلك مثل الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم وشد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم دون مسجده وغيرها من البدع الأخرى التي تصحب ذلك أو تفعل في مسجده صلى الله عليه وسلم.
وفي الخاتمة: فقد ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث.
ولا شك أنّ عملاً كهذا يتطلب جهدًا كبيرًا لإنجازه حتى يخرج إلى حيز الوجود في أكمل صورته.
وقد بذلت جهدًا متواصلاً تجاه هذا البحث مع أنّي لاقيت صعوبات كثيرة وأهمها ما هو متعلق بمراجع الموضوع من بحث وتنقيب في الكتب المطبوعة وغير المطبوعة ومن تنسيق وترتيب واستنباط وغير ذلك. وأخيرًا: أسجل هنا أهم الصعوبات التي واجهتني:
(أ) لم أجد من تكلم عن هذا الموضوع في مؤلف واحد مما كلفني مراجعة بطون الكتب التي لها صلة بهذا الموضوع من قريب ومن بعيد ككتب التفسير وكتب الحديث وشروحها وكتب السيرة والمغازي وكتب الشمائل وغير ذلك من مطبوع ومخطوط.
(ب) الذين تطرقوا إلى موضوع من مواضيع هذه الرسالة ينقسمون إلى فئتين:
الفئة الأولى: تذكر النصوص الواردة في المسألة من القرآن والسنة سردًا دون تعليق.
وأما الفئة الثانية: فهي على نقيض ذلك إذ تخصص كتابًا كاملاً لموضوع من مواضيع رسالتي وتتكلم عنه بالتفصيل، وحينئذٍ أجد صعوبة في استخلاص المعلومات التي تتمشى مع حجم رسالتي وخاصة المبحث الذي خصصت لتلك المسألة إذ أنّ كتابًا واحدًا من تلك المؤلفات يوازي ما في هذه الرسالة أو أكثر، فما بال المبحث الذي هو جزء من فصل ضمن باب من رسالة مكونة من عدة أبواب.
(ج) بعض المراجع لهذا الموضوع ما زالت مخطوطة ولم أتمكن من الوصول إليها، ولذلك اضطررت إلى اقتباس بعض النصوص المعزوة إلى تلك المخطوطات من مراجع فرعية.
(د) بعض المراجع التي رجعت إليها واقتبست منها يعزو أصحابها بعض النصوص التي لها علاقة وثيقة بالموضوع إلى شخص غير مشهور ويذكرون كنيته أو نسبته إلى قبيلة، أو بلد دون المؤلف أو الاسم الكامل للشخص والقرن الذي عاش فيه مع أنّ هذه النسبة أو الكنية مشتركة بين عدة أشخاص عاشوا قبل صاحب ذلك المرجع أو من أقرانه، وحينئذ أجد صعوبة في الوصول إلى الشخص المقصود منهم.

التمهيـد

يحتاج موضوع بحثي هذا (التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم) إلى بيان بعض المسائل التي تبيّن المراد منه حتى تكون الدراسة محددة من ناحية الموضوع ومن ناحية الهدف معًا.
وهذه المسائل هي:
١ بيان المراد بالتأدّب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢ ضرورة الالتزام في التأدّب معه صلى الله عليه وسلم بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.
وسوف أتناول بحث هاتين النقطتين فيما يلي:
١ بيان المراد بالتأدّب مع الرسول صلى الله عليه وسلم:
التأدب مصدر من الفعل الخماسي (تأدّب) بتشديد الدال، وله معان متعددة يشترك فيها مع كلمة الأدب مع الزيادة بسبب ما فيه من تضعيف. ولذا حسن أن أبدأ ببيان معنى الأدب أولاً، وبعدها أبيّن معنى التأدّب مع ملاحظة الفرق بين الصيغتين.
أ الأدب في اللغة:
يقول ابن فارس[٤]: (الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه، فالأدْب أن تجمع الناس إلى طعامك، ومن هذا القياس، الأدب أيضًا لأنّه مجمع على استحسانه...)[٥].
ولهذا قال ابن منظور[٦]: (أصل الأدب الدعاء)[٧].
هذا أصل كلمة الأدب، وأمّا عن اشتقاقها، فيقول الجواليقي[٨]: (واشتقاقه من شيئين يجوز أن يكون من الأدب وهو العجب، ومن الأدب مصدر قولك: أدب فلان القوم يؤدبهم أدبًا بالكسر إذا دعاهم... ثم قال: فإذا كانت من الأدب الذي هو العجب فكأنّه الشيء الذي يعجب منه لحسنه ولأنّ صاحبه هو الرجل الذي يعجب منه لفضله، وإذا كان من الأدب الذي هو العجب فكأنه الشيء الذي يدعو الناس إلى المحامد والفضل وينهاهم عن المقابح والجهل)[٩].
وأمّا عن استعمالاتها فيقول الشيخ أحمد رضا: (الأدب: ملكة تقصى من قامت به عن كل ما يشينه، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان من فضيلة من الفضائل: حسن الخلق، فعل المكارم، الظرف، حسن التناول، وهذا كله أدب النفس. والأدب: درس العلوم العربية مولد، وهذا أدب الدرس)[١٠].
ولهذا قال الجوهري[١١]: (الأدب: أدب النفس والدرس، تقول منه: أدب الرجل بالضم فهو أديب وأدّبته فتأدّب)[١٢].
ومعنى ذلك أنّ لكلمة الأدب استعمالين: حسن الخلق ودرس العلوم العربية.
وهذا ما عبّر عنه ابن هذيل [١٣] بالأدب الطبيعي والأدب الكسبي، حيث قال:
فالطبيعي: ما يفطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة السنية والاتصاف بالصفات المرضية مثل الحلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وغير ذلك من الصفات الحميدة.
والكسبي: فهو ما يكتسبه الإنسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر، وهو عبارة عن ستة أشياء: الكتاب والسنة والنحو، واللغة والشعر، وأيام الناس)[١٤].

والاستعمال الأول هو الشائع ولهذا قال الجواليقي: (والأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم مثل ترك السفه، وبذل المجهود وحسن اللقاء)[١٥].

وأمّا الاستعمال الثاني: فهو اصطلاح مولد جاء بعد الإسلام.

يقول الجواليقي: (واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أنّ يسمّوا العالم بالنحو والشعر وعلوم العربية أديبًا، ويسمون هذه العلوم أدبًا. وذلك كلام مولد، لأنّ هذه العلوم حدثت في الإسلام).

وخلاصة القول أنّ كلمة الأدب كانت تطلق عند العرب على الأخلاق الحسنة، وأمّا بعد الإسلام فقد أطلق بجانب ذلك على الكلام الحسن والجيد من الأقوال سواء كان نثرًا أو شعرًا.

والاستعمال الأول هو الذي يتمشى مع مقامنا هذا.

ولهذا نقول: إنّ كلمة الأدب في بحثي هذا تعني الأخلاق الحسنة والاتصاف بالصفات الحميدة.

وعلى ضوء معنى الأدب المذكور يمكن فهم المراد من التأدّب لأنّهما من أصل واحد، ويشتركان في معانٍ كثيرة مع ملاحظة ما بين الصيغتين تركيبًا ومعنى؛ لأنّ الأولى من المجرد، والثانية من المزيد. لأنّه يقال: إنّ الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى غالبًا.

وكلمة تأدّب وزنها تفعّل، في الميزان الصرفي، وهي تأتي لعدة معان ولكن المعنى الذي يتمشى مع مقامنا هذا هو أنّها مطاوع أدّب على وزن (فعّل) لأنّه يقال: أدّبته فتأدّب أي تلقى الأدب، والتأدّب مصدرها. وعلى هذا فمعنى التأدّب: المبالغة في التخلق بالصفات الحسنة والمكارم الجميلة.

ب الأدب في اصطلاح الشرع:

وكلمة الأدب في اصطلاح الشرع لا تخرج عن المعنى اللغوي الذي أشرنا إليه آنفًا.

ولهذا قال الجرجاني[١٦]: (الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، وأدب القاضي، وهو ما ندب إليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل)[١٧].

ويقول صاحب البحر الرائق[١٨]: (كتاب أدب القاضي: أي ما ينبغي للقاضي أن يفعله وما ينبغي أن ينتهي عنه، والأولى التعبير بالملكة؛ لأنها الصفة الراسخة للنفس فما لم يكن كذلك لا يكون أدبًا كما لا يخفى)[١٩].

وكلمة الأدب في التعريفين السابقين تعني الاتصاف بالأخلاق الجميلة، والاحتراز عما يقابلها من سفاسف الأمور.

وهذا هو المعنى المتبادر من إطلاقها إلاّ أنّها قد تطلق على المظهر الخارجي للخلق.

يقول محمد جمال الدين رفعت في التفريق بين الأدب والخلق: (فكلمة الآداب تعني السلوك كما تعني الأسلوب الذي يسير عليه الإنسان في تصرفاته الشخصية أو حين يتعامل مع الناس.. أمّا كلمة الأخلاق فتطلق لغة على الطبع والسجية والعادة بل وعلى غريزة الإنسان العاقلة)[٢٠].

وخلاصة القول، أنّ كلمة الأدب تعني المظهر الخارجي للأخلاق الجميلة أو السلوك الذي ينبغي أن يراعي الشخص مع غيره.
ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل)[٢١].
وأما كلمة التأدّب في عنوان رسالتنا فنقصد بها ـ استنتاجًا مما سبق من معنى كلمة الأدب ـ ما ينبني أن يفعله المسلم تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبًا وإيجابًا مما يدخل في حقوقه على الأمة من احترام وتقدير وطاعة وأتباع وغير ذلك والاحتراز مما يخالف ذلك من مخالفة ورفع الصوت وغيرها.
يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (فرأس الأدب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه)[٢٢].
٢ ضرورة الالتزام في التأدب بما جاء في القرآن والسنة:
إن هذا الدين الذي لا يقبل عند الله سواه له أصلان هما الكتاب والسنة النبوية الثابتة.
يقول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٨٥].
وهذان المصدران هما القرآن الكريم والسنة النبوية.
يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء:٥٩].
والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله هو الرد إليه في حال حياته وإلى سنته في حال وفاته كما قال المفسرون.
كما أنّهما المصدران اللذان تركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنا بالتمسك بهما لئلا نضل بقوله صلى الله عليه وسلم:
(تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)[٢٣].
وعلى هذا الأساس فهذا الدين غني عن الزيادة والإضافة أيًا كان نوعها، بعدما أكمله الله سبحانه وتعالى كما تشير آية المائدة وهي قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣].
وقد لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد نزول هذه الآية بأشهر.
وبناء على هذا، عندما نتعامل أو نتأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب أن نلتزم بما جاء في القرآن وفي السنة النبوية الثابتة دون أن نختلق من تلقاء أنفسنا أمورًا لم تثبت عن الشارع بقصد حسن النية ثم التقرب بها إلى الله راجيًا منه الثواب والمغفرة؛ لأنّ الأمور التي يتقرب بها المسلم إلى الله لا بد أن تجتمع فيها أربعة شروط:
١ أن تكون مشروعة بنص من الكتاب أو السنة الثابتة أو باجتهاد معتمد عليه.

٢ أن تقع في الحدود المقرر لها من الزمان والمكان.
٣ أن تقع بالكيفية التي أمر بها الشارع.
٤ الإخلاص في القربى إلى الله تعالى.
وإذا انتفى شرط من هذه الشروط فلا تعتبر قربة بل تكون بدعة حينئذ.
ونحن نرى اليوم أناسًا يغالون في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدح يرفعونه إلى مرتبة الألوهية أو يصفونه بصفات لا تليق إلا بالله أو يطلبون طلبات لا دخل له في حصولها أثناء حياته فضلاً عن بعد مماته صلى الله عليه وسلم.
وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الغلو بقوله: (لا تطروني [٢٤] كما أطرت النصارى ابن مريم فإنّما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله)[٢٥].
وعندما نرفض الغلو في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعني بالضرورة أن نقصر في توقيره وتعظيمه وحبه ولكن نعني أن نلتزم بما هو مشروع في حقه صلى الله عليه وسلم دون إفراط أو تفريط بعيدين عن الغلو والتقصير لنتصف بالوسطية التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة:١٤٣].
ومعنى الوسطية هنا الخيار والأجود ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات[٢٦].
ومع هذا فلا نضطر بالضرورة عندما نرد على المغالين إلى أن نصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات قد وصفه بها الشارع دون أن نبيّن معناها من جميع الجهات.
مثال ذلك: أن نقول أن الرسول بشر ونجتهد في إثباتها مستدلين بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الكهف:١١٠].
والمثلية يقصد بها هنا أنه يعتريه ما يعتري الإنسان من جوع وظمأ ومرض غير منفر وغير ذلك ولكن هو بشر يوحى إليه كما تدل عليه بقية الآية.
{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...} [الكهف:١١٠].
لأنّ المثلية قد يفهم منها أنّه كآحاد الناس إذا لم نبيّن القصد من ذلك...
وغالبًا عندما يريد شخص أن يصحّح انحرافاً معينًا ويجتهد في تصحيحه قد يقع في انحراف آخر مضاد للأول دون أن يشعر بذلك.
يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (إن استحضار انحراف معين أو نقص معين والاستغراق في دفعه... منهج شديد الخطر، وله معقباته في إنشاء انحراف جديد لدفع انحراف قديم، والانحراف انحراف على كل حال[٢٧]. ثم ضرب مثلاً لذلك قائلاً: (يتّعمد بعض الصليبيين والصهيونيين مثلاً أن يتهم الإسلام بأنّه دين السيف، وأنّه انتشر بحد السيف فيقوم منّا مدافعون عن الإسلام يدفعون عنه هذا الاتهام، وبينما هم مشتطون في حماسة (الدفاع) يسقطون قيمة (الجهاد) في الإسلام، ويضيقون نطاقه ويعتذرون عن كل حركة من حركاته بأنّها كانت لمجرد (الدفاع)! بمعناه الاصطلاحي الحاضر الضيق! وينسون أنّ للإسلام بوصفه المنهج الإلهي الأخير للبشرية حقه الأصيل في أن يقيم (نظامه) الخاص في الأرض لتستمتع البشرية كلها بخيرات هذا النظام بحرية العقيدة التي اختارها حيث (لا إكراه في الدين) من ناحية العقيدة أمّا إقامة (النظام الإسلامي) ليظلل البشرية كلها ممن يعتنقون عقيدة الإسلام

وممن لا يعتنقوها فتقتضي الجهاد لإنشاء هذا النظام وصيانته، وترك الناس أحرارًا في عقائدهم الخاصة في نطاقه، ولا يتم ذلك إلاّ بإقامة سلطان خير وقانون خير ونظام يحسب حسابه كل من يفكر في الاعتداء على حرية الدعوة وحرية الاعتقاد في الأرض)[٢٨].
وهكذا شأن بعض الذين يردون على المغالين في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يصفونه بالبشرية دون أن يصفوه بالرسالة؛ ويجتهدون في إثبات ذلك الجانب دون قصد إلى تقليل قيمة الرسول صلى الله عليه وسلم بل إلى نفي غلو هؤلاء المغالين عنه إلا أن المغالين بدورهم يأخذون عبارات هؤلاء التي ظاهرها الجفاء ومن ثم يكيلون لهم شتائم عدة ويصفونهم بأنهم جفاة وأنّه نزع من قلوبهم حب الرسول صلى الله عليه وسلم بينما حبّه هو الاتباع لما جاء به صلى الله عليه وسلم.
{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ...} [آل عمران:٣١].
وعلى هذا يجب على المسلم الغيور على دينه أن يلتزم بما شرعه الله سبحانه وتعالى حين يرد على غيره، وحين يصحح انحرافًا معينًا حق لا يقع في انحراف آخر مقابل تصحيح انحراف قديم.
ويجب على المسلم ـ أيضًا ـ أن يلتزم بصورة دقيقة بكل ما ثبتت مشروعيته في كل حياته بصورة عامة، وبما يتصل بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لأنّ ذلك حق وهو الصراط المستقيم.

الباب الأول
أسباب قيام الأمة بالأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب فضل كبير على أمته لأنه صلى الله عليه وسلم بواسطته وصل إلينا الوحي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين هما مصدرا الشريعة الإسلامية وأساس الدين كله.
ووصول الوحي إلى الناس لم يتم بسهولة ويسر، وإنّما تم بجهود متواصلة وصبر كبير وتحمّل لمشقات متنوعة من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.
وقد تحمّل عليه الصلاة والسلام هذه كلها حتى تحقق منهج الله سبحانه وتعالى في الأرض وكمل الدين وتمّت النعمة.
يقول تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣].
وبتمام النعمة قامت الأمة وتحقق وعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالاستخلاف والتمكين في الأرض.

قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور:٥٥].

وتقديرًا لهذه النعمة التي أنعم الله بها على المؤمنين عليهم أن يشكروا الله ويعرفوا حق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.

ولا يتم الشكر والعرفان إلاّ بالتأدب معه صلى الله عليه وسلم حيًّا وميّتًا، سرًا وجهرًا، في المنشط والمكره.

وهناك من الأسباب الأخرى ما يدفع إلى ضرورة التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ككرم محتذه، ورفعة نسبه، واتصافه بالأخلاق الكريمة وتمتعه بالصفات النبيلة طوال حياته عليه الصلاة والسلام. ومنها أيضًا ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من صفات ساعدت على نشر الدين، وتبليغ الأمانة.

وفي هذا الباب سوف أتكلم عن الأسباب التي من أجلها كان التأدّب معه صلى الله عليه وسلم وهي في مجملها ترجع إلى أمرين:

أولهما: ما يرجع إلى ذاته صلى الله عليه وسلم من ناحية عراقة الأصل، وكرم الخلق في تبليغ الله تعالى.

ثانيهما: ما يرجع إلى عمله صلى الله عليه وسلم وحرصه على هداية الناس وإسعادهم بمنهج الله تعالى.

وقد عقدت لكل من الأمرين فصلاً مستقلاً: ولذلك اشتمل الباب على الفصلين التاليين:

الفصل الأول: نسبه وصفاته صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: عمله صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة وحرصه على هداية الناس.

وسيأتي تفصيل ذلك فيما يلي بمشيئة الله تعالى.

الفصل الأول

نسبه صلى الله عليه وسلم ونشأته وصفاته

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم عليه السلام وأهبطه هو وزوجه إلى الأرض لم يترك الناس سدى يتصرفون برؤية عقولهم واتجاهاتهم لأن عقل البشر مهما كانت قدرته قاصر عن إدراك الطريق المستقيم ومعرفة الحق بصورة تامة، وإن أدرك بعض الجوانب بالفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ولكي تستقيم الفطرة وتكمل نحو الأفضل كانت تأتي هداية الله سبحانه وتعالى للناس متتابعة على ألسنة الرسل عليهم السلام فكلما انحرفت البشرية عن طريق الله القويم جاءها مبعوث من الله سبحانه وتعالى لهدايتها، ودعوتها.

يقول الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر:٢٤].

فكل أمة جاءها رسول من بينها مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا مضيئًا ينير الطريق. ويهدي للتي هي أقوم. وبذلك تقوم الحجةعلى الناس.

يقول تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:١٦٥].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أنّه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى للمعتذر عذر)[٢٩].

ومما يؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرّم الفواحش، وليس أحد أحب إيه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل)[٣٠].

وكانت الرسل قبل رسولنا صلى الله عليه وسلم يأتون أقوامهم خاصة ليكون التبليغ مناسبًا للناس، وليدينوا الله بشريعة يستطيعون القيام بتكاليفها. وقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة رحمة لهم.

يقول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [سبأ:٢٨].

ويقول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧].

وبذلك بعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس جميعًا وختم الله به الرسل وقضى باستمرار رسالته إلى يوم القيامة. وأصبح الرسول صلى الله عليه وسلم اللبنة الأخيرة في البناء العظيم الذي يمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبناته. كما أخبر صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأجمله إلا موقع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[٣١].

واختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للرسالة كانت بمشيئة الله تعالى الذي خلق الناس جميعًا، وهو العليم بذواتهم وخصائص كل منهم يقول الله تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ} [القصص:٦٨] ويقول الله تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام:١٢٤].

يقول الآلوسي في تفسير هذه الآية: (إنّ منصب الرسالة ليس مما ينال مما يزعمون من كثرة المال والولد وتعاضد الأسباب وإنما ينال بفضائل نفسانية ونفس قدسية أفاضها الله تعالى بمحض الكرم والجود على من كمل استمداده. ونص بعضهم على أنه تابع للاستعداد الذاتي وهو لا يستلزم الإيجاب الذي يقول به الفلاسفة لأنه سبحانه إن شاء أعطى وإن شاء أمسك، وإن استعد المحل)[٣٢]. ومن ثم اختار الله للدعوة الإسلامية التي ختم الله بها كل الرسالات المكان الملائم واختار لحملها خير أمة أخرجت للناس كما اختار رجلها المتميز وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات جعلته خير من يتلقى الوحي ويبلغه للناس ويتحمل في سبيل ذلك كل اضطهاد وعنت كما هي سنة الله مع كل رسالاته ورسله[٣٣].

وقبل اختيار الرسول للتبليغ صنعه الله، وهيأه، وكفل الله له التنشئة السليمة حتى يكون أهلاً للرسالة والتبليغ، ومن المعلوم أن اصطفاء الله للرسل يتم على مرحلتين، مرحلة

تهيئـة، ومرحلـة تكليـف وإبـلاغ. ولـولا أن النبـوة اصـطفاء وإحسـان لقلنـا أن الرسـل بصفاتهم يستحقونها كسبًا لكنّ جمهور المسلمين أجمعوا علـى أن الرسـالة لا تكتسـب فـلا بـد أن يخلـق الله لهـا اسـتعدادًا خاصـًا عنـد صـاحبها بحيـث يجعلـه أهـلاً لحملهـا وإبلاغها. وبعد ذلك يصطفيه للرسالة[٣٤].

وفي هذا الفصل سوف أتحدث فيه عن مرحلـة تهيئـة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم لحمل الرسالة الخاتمة وإبلاغها إلى الناس كافة.

ولذا سيأتي مكونًا من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عراقة أصله.

المبحث الثاني: نشأته وتربيته.

المبحث الثالث: اتصافه بصفات طيبة وأخلاق فاضلة.

وذلك فيما يلي:

المبحث الأول
عراقة أصله

يذكر علماء الوراثـة أنّ الشـخص يتـأثر بنسبه سـواء مـن ناحيـة الجسـم والبنيـة أو مـن ناحية الذكاء والعقل أو من ناحية الفكر والعقيدة.

يقول د. محمد بيصار: (ولا تكون الوراثة عاملاً هامًا في نقل الصفات الحسية فحسب وإنمـا كـذلك عـن طريقهـا تنتقـل الصـفات الأدبيـة كالأمزجـة والميـول والغرائـز، والصـفات العقليـة كالذكاء والبلادة وحسـن تقدير الأمـور أو سـوء أو شـدة الانتبـاه أو ضـعفه إلـى غيـر ذلـك مـن صـفات يكـون لهـا الأثـر الأقـوى فـي تكـوين أخـلاق المـرء وتكييفها وطبعها بطابع معيّن خيرًا كان ذلك الطابع أو شرًا حسنًا أو قبيحًا).

ويؤيد هذا علم القيافة. الذي أقره الرسول صلى الله عليه وسلم فعن عائشة رضي الله عنهـا: أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم دخـل عليهـا سـرورًا تبـرق أسـارير وجهـه فقال: (ألم تسمعي ما قـال المـدلجي لزيـد وأسـامة ورأى أقدامهما فقـال: إنّ بعـض هـذا الأقدام من بعض)[٣٥].

يدل عليه قولـه تعـالى حاكيًـا عن نبـي الله نـوح عليـه السـلام: {وَقَـالَ نُـوحٌ رَبِّ لا تَـذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح:٢٦٢٧].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي فاجرًا في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرتـه بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا)[٣٦].

ويدخل في هذا المفهوم قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة [٣٧] فـأبواه يهودانـه أو ينصـرانه أو يمجسـانه كمـا تنـتج البهيمـة بهيمـة جمعـاء، هـل تحسون فيهـا مـن جدعاء"[٣٨]. يقـول أبـو هريـرة راوي الحـديث: واقـرأوا إن شـئتم: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم:٣٠] [٣٩].

وبهذا يثبت أنّ الولد يتأثر بأبويه من ناحية الجسم والبنية، ومن ناحية العقل والذكاء، ومن ناحية الفكر والعقيدة، قليلاً أو كثيرًا، سلبًا أو إيجابًا، وذلك بإرادة الله وقدرته. إذا عرف هذا ننظر إلى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدى تأثره به.
يقول الأستاذ الدكتور/ أحمد غلوش: (هيأت عناية الله تعالى سلسلة ممتازة من الآباء والأجداد للنبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ منها عن طريق الوراثة كثيرًا من الخلق والطبائع)[٤٠].
وقد وردت في هذا المضمار نصوص كثيرة تدل على أنّ نسب النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل الناس نسبًا.
من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) [٤١].
وقد أشار النووي رحمه الله إلى أنّ بني هاشم أفضل العرب لا يدانيهم في الأفضلية إلاّ بنو المطلب مستدلاً بهذا الحديث[٤٢].
ويقول المباركفوري عند شرحه لهذا الحديث: قوله: (إن الله اصطفى) أي اختار. يقال استصفاه واصطفاه، إذا اختاره وأخذ صفوته والصفوة من كل شيء خالصه وخياره)[٤٣].
ومن ذلك أيضًا ما أخرجه الترمذي عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني من خير القبيلة ثم خص البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا) [٤٤].

أي: أصلاً إذا جئت من طيب إلى طيب إلى صلب عبد الله بنكاح لا سفاح[٤٥].
ومما يدل على أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كانت له مكانة عند قومه من جهة النسب شهادة أعدائه كما ورد في قصة أبي سفيان وهو مشرك ومن ألد أعداء صاحب الرسالة آنذاك مع هرقل ملك الروم عندما وجه إليه أسئلة عديدة تتعلق بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من بينها: (كيف نسبه فيكم؟ قال أي أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. ثم قال هرقل في آخر القصة: سألتك عن نسبه فذكرت أنّه فيكم ذو نسب فكذلك تبعث الرسل في أنساب قومها)[٤٦].
يقول النووي: (أي في أفضل أنسابهم)[٤٧]. ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء على لسان مفوض مشركي قريش عتبة ابن أبي ربيعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عند افتتاح كلامه مع الرسول: (يا ابن أخي إنّك منّا حيث قد علمت من السطة [٤٨] في العشيرة والمكانة في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم...) [٤٩].
وهاتان القصتان تشهدان بما للرسول صلى الله عليه وسلم من المكانة في النسب عند قومه لإقرار أعدائه وأعداء رسالته حيث لم يستطيعوا أن يخفوا هذه الحقيقة مع أنهم كانوا يتهمونه بتهم باطلة، مرة بالسحر، ومرة بالجنون، ومرة بالشعر والكهانة. ومع هذا لم ينقل إلينا عن أحدهم تهمة واحدة يقدحون بها الرسول صلى الله عليه وسلم من

جهة النسب، كما أن النصوص الأخرى التي أوردناها تدل على أن العرب أفضل الناس من ناحية النسب وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم من أفضلها نسبًا، وأن هذه سنة الله في اختيار رسله جميعًا كما جاء في قول هرقل السابق.

يقول الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: (الظاهر أن إخبار هرقل بذلك بالجزم كان على العلم المقرر في الكتب السالفة)[٥٠].

والحكمة في ذلك كما قال النووي رحمه الله أنه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له لأن الناس يأنفون من الانقياد إلى رجل وضيع من جهة وكذلك الوضيع لا تسول نفسه له قيادة الناس عن جهة أخرى[٥١].

ولهذا كان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأثير على نفسه من ناحية وعلى قومه من ناحية أخرى، كما ذكر غير واحد من العلماء.

يقول د. محمد قلعت في هذا المقام: (هذا النسب له أثره في رسول الله وكان له أثر فيمن يبلغهم رسول الله شريعة الله، أمّا أثره في رسول الله فقد شب عليه الصلاة والسلام مرفوع الرأس رغم يتمه لا يعرف الذل ولا الخنوع. جريئًا في إعلان رأيه، تملأ الثقة نفسه، أما أثره فيمن دعاهم رسول الله إلى الإيمان والانضواء تحت راية الإسلام فإن أكبر شخصية في العرب لا تجد غضاضة من الانضواء تحت راية الإسلام، وقبول محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وحاكمًا لأنهم يعترفون بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم من أعرق بيوت قريش نسبًا)[٥٢].

وهذه حقيقة ثابتة لا جدال فيها وإن كان هناك من يعارضه من قومه لكن ليس هذا من جهة نسبه ولا رفضًا لشخصيته وإنما كان رفضًا موجهًا لرسالته صلى الله عليه وسلم.

وصدق الله إذ يقول: {فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣].

وممَا يؤيد ذلك ما جاء على لسان أبي جهل عدو الله وعدو رسوله إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا نكذبك ولكنّ نكذب الذي جئت به) [٥٣] فأنزل الله عز وجل: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣].

أي إن رفض قريش كان موجهًا للدعوة التي دعاهم إليها الرسول صلى الله عليه وسلم لا لشخصيته كما يفيد منطوق قول أبي جهل السابق. ولهذا ورد أنهم عرضوا عليه الجاه والسيادة والملك وجمع الأموال والمغريات الأخرى مقابل ترك هذه الدعوة كلية أو جزءًا منها كحل وسط [٥٤] ولكنهم لم ينجحوا فيها لأن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم كان ثابتًا. وعرض هذه الأمور عليه يدل على سمو مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة النسب عند قومه قريش الذين كانوا يأنفون أن يخضعوا للوضيع مهما كان الأمر وخاصة إذا جاء بأمر يخالف عاداتهم وتقاليدهم مثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين الحنيف والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والأوثان وما كان سائدًا في مجتمع مكة من عادات وتقاليد جاهلية.

المبحث الثاني

نشأته وتربيته

كما هو معروف في كتب السيرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل يتيمًا حيث مات أبوه وهو في بطن أمّه، وماتت أمّه وهو ابن ست سنوات، ولهذا لم يتنعم بحنين الأبوين، وقد كفله جده عبد المطلب حتى مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنوات[٥٥].
وبعد وفاة جده عبد المطلب كفله عمّه أبو طالب الذي بذل كل ما في وسعه في رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم في زمن طفولته وشبابه، وكذلك بعد البعثة حيث دافع عنه تعصبًا وحمية مع أنه لم يؤمن به حتى فارق الحياة. يقول الغزالي: (فالمجتمع العربي الأول كان يقوم على العصبيات القبلية الحادة، التي تفنى القبيلة كلها دفاعًا عن كرامتها الخاصة وكرامة من يمت إليها بالصلة، وقد ظل الإسلام حينًا من الدهر يعيش في حمى هذه التقاليد المرعية حتى استغنى بنفسه كما تستغني الشجرة عمّا يحملها بعدما تغلظ وتستوي)[٥٦].
وقد كان أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً حيًا لهذه العصبيات لقيامه بالدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أنّه جوزي وهو كافر بما جاء به من عند الله بتخفيف العذاب عنه يوم القيامة مقابل دفاعه عنه لما ثبت في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنّه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "نعم هو في ضحضاح [٥٧] من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"[٥٨]، وفي رواية أخرى: "وجدته غمرات [٥٩] من النار فأخرجته إلى ضحضاح"[٦٠].
ولقد مرّ الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بمراحل عديدة، واجه حياة كدح صعبة وشاقة حيث أنه أصبح يتيمًا فقيرًا إلى أن أغناه الله فاتجه إلى الانعزال والعبادة في غار حراء.
فلقد كان عليه الصلاة والسلام في صباه يشتغل برعاية الغنم كما هو سنة الأنبياء، لأنّه ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط، وهو عليه الصلاة والسلام القائل: "ما بعث الله نبيًا إلا ورعى الغنم"، فقال له أصحابه رضي الله عنهم: وأنت؟ فقال:، "نعم كنت أرعاها على قراريط [٦١] لأهل مكة" [٦٢]. وهذا الحديث إنّما يدل على أنّه صلى الله عليه وسلم كان يعتمد على نفسه في فترة مبكرة من عمره.
وبجانب رعايته للغنم كان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى الشام مع عمّه أبي طالب للتجارة.
أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: (خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلمّا أشرفوا على الراهب هبط فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب...) [٦٣].
هذا ما ورد في فترة صباه، وأمّا بعد بلوغه، فقد ورد أيضًا أنّه كان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى الشام للتجارة بأموال خديجة رضي الله عنها قبل اقترانه بها.

يقول ابن إسحاق: (وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء وتجعله لهم وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام[٦٤].

فقام صلى الله عليه وسلم بواجبه في التجارة خير قيام حتى كانت سببًا في زواجه إياها إثر رجوعه من ذلك السفر بعدما عرضت نفسها عليه بناء على ما رأته فيه من صدق وأمانة، وما سمعته من ميسرة في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم من خير طوال مرافقته له في تلك الرحلة الميمونة.

يقول ابن كثير في السيرة: (فلمّا أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عم إنّي قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه، فلمّا قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره لأعمامه فخرج معه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام[٦٥]. وبعد اقترانه صلى الله عليه وسلم بخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها استغنى بمالها عن الكسب والضرب في الأرض لأنّه لم يرد في كتب السيرة أنّه زاول نشاطًا اقتصاديًا بعد ذلك بل ورد أنّه كان يذهب إلى غار حراء ليتعبد فيه فترة يرجع بعدها إلى خديجة ليتزود بمثلها حتى جاءه الملك بأول آيات من القرآن وهي صدر العلق من قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق:١] إلى قوله تعالى: {عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:٥].

عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: (أول ما بدئ رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك [٦٦] فقال: إقرأ.. إلى قوله: {عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:٥].

وهذه هي المراحل التي مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وقد أشار القرآن الكريم إليها في آيات من سورة الضحى وهي قوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} [الضحى:٦٨].

قال قتادة في هذه الآيات: (كانت هذه هي منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله عز وجل)[٦٧].

وقد ذكر أكثر المفسرين هذه المراحل التي مرّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم عند تفسيرهم هذه الآيات من سورة الضحى إلاّ أنهم يذكرون في كل مرحلة عدة أقوال محتملة ومعان متقاربة لا يتسع لذكرها هذا المقام لأن القصد هنا ليس ذكر أقوال المفسرين قاطبة وإنّما ذكر ما يشير إلى هذه المراحل.

وقد لخّص الشهيد سيد قطب معنى هذه الآيات فيقول: (لقد ولدت يتيمًا فآواك إليه وعطف عليك القلوب.. ولقد كنت فقيرًا فأغنى الله نفسك بالقناعة كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك خديجة رضي الله عنها عن أن تحس الفقر أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء. ثم لقد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد منحرفة السلوك والأوضاع فلم تطمئن روحك إليها ولكنّك لم تكن تجد لك طريقًا واضحًا مطمئنًا لا فيما عند الجاهلية ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى الذين حرّفوا وبدّلوا وانحرفوا وتاهوا ثم هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك وبالمنهج الذي يصلك به)[٦٨].
ويفهم من تفسير سيد قطب للآيات الثلاث من سورة الضحى كغيره من المفسرين أن المراحل الثلاثة ليست على ترتيب الآيات من المصحف حيث أنّ مرحلة الإغناء مقدمة على مرحلة الهداية.
يقول الدكتور محمد عزت دروزة ملخصًا ما ذكره المفسرون في هذا الصدد: (إن الآية تحتوي إشارة إلى حادث تيهان وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في طفولته أو في إحدى رحلاته ورووا في ذلك روايات كما قالوا أنّها تعني أنّه كان غافلاً عن الشريعة التي لا تتقرر إلا بالوحي الرباني أو أنّه كان حائرًا في أسلوب العبادة لله ونفوا عنه أي حال أن يكون ضالاً أي مندمجًا في العقائد والتقاليد الشركية والنفس لا تطمئن إلى رواية تيهان النبي صلى الله عليه وسلم مضمونًا وسندًا بل إنّها ليست متسقة مع ما تضمنته الآية من منّ الله على النبي صلى الله عليه وسلم بأعظم أفضاله عليه، وتفسير ضال بحائر يحمل معنى الآية على أنه المقصود الحيرة في الطريق التي يجب أن يسار فيها إلى الله وعبادته على أفضل وجه. وهو المعنى الذي نراه)[٦٩].
والحكمة في تلك المراحل التي مرّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم هو أنّ الله سبحانه وتعالى كان يدربه حتى يكون مهيأ ومؤهلاً لحمل عبء الرسالة الخاتمة وإبلاغها إلى الناس المنغمسين في بحر من الفساد في كل ناحية من نواحي الحياة حتى يصدق عليهم قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم:٤١].
يقول صاحب كتاب "دراسة في السيرة" مشيرًا إلى الحكمة من تلك المراحل:
"ومن مرارة اليتم ووحشية العزلة وانقطاع معين العطف والحنان قبس الرسول صلى الله عليه وسلم الصلابة والاستقلال والقدرة على التحمل... وبالفقر والحرمان تربى ونما بعيدًا عن ترف الغنى وميوعة الدلال.. وعبر رحلته إلى الشام في رعاية عمّه فتح الرسول صلى الله عليه وسلم عينيه ووعيه تجاه العالم الذي يتجاوز حدود الصحراء وسكونها إلى حيث المجتمعات المدنية التي تضطرب نشاطًا وقلقًا... وفي رحلته الثانية إلى الشام مسؤولاً عن تجارة للسيدة خديجة تعلّم الرسول الكثير الكثير عمّق في حسّه معطيات المرحلة الأولى وزاد عليها إدراكًا أكثر لما يحدث في أطراف عالمه العربي من علاقات بين الغالب والمغلوب... كما علمه الانشقاق الأخلاقي عن الوضع المكي القدرة على مجابهة الأحداث[٧٠].

المبحث الثالث
سمو صفاته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه:

نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم في بيئة وثنية يعبد أهلها الأصنام والأوثان، ويستعبد القوي منهم الضعيف حتى أصبح الظلم شيئًا معروفًا كما تنبئ به أشعارهم المأثورة كقول زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم[٧١]

إضافة إلى ما كانوا عليه من فساد في العادات والسلوك مثل وأد البنات خوفًا من العار والفقر، وأكل أموال اليتامى بحجة أنهم ضعفاء لا يستطيعون حمل السلاح والدفاع عن القبيلة، وأكل الربا واستحلاله راضين بذلك حتى اشتهر فيهم تعريف البيع به كما حكى لنا القرآن الكريم: {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} [البقرة:٢٧٥].

وقد وصف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة أثناء الهجرة الثانية إلى الحبشة أحوال المجتمع المكي آنذاك وصفًا دقيقًا فقال:

"أيها الملك، كنّا أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسبي الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وأمانته وعفافه، فدعا إلى توحيد الله وأن لا نشرك به شيئًا ونخلع ما كنّا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل أموال اليتيم..."[٧٢].

هكذا كانت حالة المجتمع المكي آنذاك ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برعاية من الله لم يتأثر ببيئته مع اشتراكه في بعض الأعمال مع قومه لأنّها كانت أعمالاً لا تخدش نبله أو لا تسيء إلى سمعته، وأخلاقه الطيبة.

نذكر في هذا الصدد ما روي من الأعمال التي اشترك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه.

فلقد اشترك الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في حلف الفضول الذي وقع بين بطون من قريش لرد المظالم إلى أهلها. يروي ابن هشام بسنده عن ابن إسحاق قال[٧٣]: "تداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدعان لشرفه وسنه... فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا في مكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول"[٧٤].

ويقول ابن كثير رحمه الله بعد إيراده ذلك الحلف: "وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب"[٧٥].

وعلى هذا فكان اشتراكه صلى الله عليه وسلم في ذلك الحلف أمرًا ذا أهمية كبيرة لأنّ ردّ المظالم إلى أهلها أمر هام وقد جاء به الإسلام فيما بعد ولهذا أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك الحلف بعد البعثة، لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفًا ما أحب لي به حمر النعم ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت"[٧٦].

ومن الأعمال التي اشترك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه قبل البعثة، حرب الفِجار التي وقعت وعمره صلى الله عليه وسلم عشرون سنة كما ذكر ابن إسحاق صاحب السيرة[٧٧].
وسبب ذلك الحرب [٧٨] كما ذكر ابن هشام في سيرته أنّ عروة الرحال بن عتبة من هوازن أجار لطيمة [٧٩] للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بني ضمرة: أتجيرها في كنانة؟ قال: نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض لطلب غفلته حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي حرب الفجار[٨٠].
وكانت دوره صلى الله عليه وسلم في تلك الحرب أن يرد على أعمامه نبل عدوهم إذا رموهم بها؛ لأنّه روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: "كنت أنبل على أعمامي"[٨١].
وفي اشتراكه صلى الله عليه وسلم في تلك الحرب ما يبرره وهو أنّ القتال لم يكن جائزًا في الأشهر الحرم زمن الجاهلية حتى أنّهم إذا أرادوا القتال في الأشهر الحرم أخّروها إلى شهر آخر لكي يستحلوا فيها القتال كما بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن معيبًا عليهم: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} [التوبة:٣٧].
وعلى هذا فما دامت تلك الحرب دفاعًا عن انتهاك حرمة الأشهر الحرم فلا بأس في اشتراكه صلى الله عليه وسلم فيها.
وقد أقر الله ذلك في قوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة:٣٦].
ومن الأعمال التي اشترك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه قبل البعثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة حين بناء قريش لها بعد ما اختلفت بطونها في ذلك حيث كانت كل قبيلة تريد أن تنفرد بمزية وضع الحجر الأسود في مكانه وكادوا أن يقتتلوا لولا مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمه فيهم حكمًا يرضى كل الأطراف المتنازعة على ذلك.
عن عبد الله بن السائب قال: كنت فيمن بنى البيت وأخذت حجرًا فسويته ووضعته إلى جنب البيت.. وأن قريشًا اختلفوا في الحجر حيث أرادوا أن يضعوه حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف فقال: اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذا الأمين وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين، فقالوا: يا محمد قد رضينا بك فدعا بثوب فبسطه ووضع الحجر فيه ثم قال لهذا البطن، ولهذا البطن، غير أنّه سمى بطونًا: "ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب" ففعلوا ثم رفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده[٨٢].
واشتراكه صلى الله عليه وسلم في هذا العمل يظهر مدى فطانته ورجاحة عقله حيث حل المشكلة بسهولة ويسر بعدما كادت أن تؤدي إلى إسالة الدماء والحرب كما أنّه يدل على مكانته صلى الله عليه وسلم عند قومه بحيث إنّهم رضوا بحكمه دون تردد.
هذه هي أهم الأعمال التي وردت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اشترك فيها قبل البعثة مع قومه، وكلها كما ذكرت سابقًا من أعالي الأمور ومن مكارم الأخلاق التي

من شأنها أن ترفع مكانته وشأنه وبخاصة إذا علم أن بيئته قد عم فيها الفساد وانتشرت فيها الرذائل التي عصمه الله سبحانه وتعالى منها وأبعده عنها لينشأ خاليًا من الدنايا والشوائب.
يؤيد ذلك ما رواه أبو نعيم بسنده عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون بها إلا مرتين الدهر كلتاهما يعصمني الله عز وجل منها، قلت ليلة لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها: أنظر غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال: نعم، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وضرب دفوف وزمرًا فقلت ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة المرجل من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسَّ الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مسّ الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فوالله ما هممت بعدهما بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته"[٨٣].
وهذا الحديث دليل واضح على بعده صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن أمور الجاهلية التي كانت سائدة آنذاك في المجتمع المكي ومن حوله بعناية من الله سبحانه وتعالى وبجانب ذلك كان صلى الله عليه وسلم متصفًا بصفات فاضلة وأخلاق حميدة أقر له بها المؤيدون والمعاندون على السواء.
وقد أوجزت لنا خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها صفاته وأخلاقه بقولها بعد فزعه إليها من شدة بدء الوحي: "كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا فوالله إنك تصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل [٨٤] وتكسب المعدوم [٨٥] وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.."[٨٦].
وخديجة رضي الله عنها أقرب شخصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تصفه بهذه الصفات بناء على تجربة دقيقة وممارسة طويلة ابتداء من ائتمانها له أن يتاجر في مالها ثم اقترانها به ومعاشرته فترة تبلغ خمس عشرة سنة.
وهذه شهادة من جانب أحد المؤمنين بدعوته صلى الله عليه وسلم وهى شهادة حق وصدق أقر بها وبحقيقتها من لم يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بدعوته.
من ذلك ما أخرجه الشيخان بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف "يا صباحاه"، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ "قالوا: ما جربنا عليكَ كذبًا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" قال أبو لهب: تبًا لك ما جمعتنا إلا لهذا ثم قام: فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد:١][٨٧].
ففي قولهم: ما جربنا عليك كذبًا دليل واضح على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالصدق التام قبل الرسالة بشهادة أعدائه الذين وقفوا في وجه نشر الدعوة الإسلامية.

وهذه الشهادة قد صدرت من مجموع المشركين ومثلها صدرت من أفرادهم، وقد قالها أبو سفيان رضي الله عنه وهو مشرك عند هرقل ملك الروم الذي وجه إليه عدة أسئلة تتعلق بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم من بينها قول هرقل: "فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ "قلت: لا، ثم قال هرقل: في آخر القصة لأبي سفيان:

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فعرفت أنّه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب ويكذب على الله"[٨٨].

تلك شهادة الخصوم والمؤمنين تنطق صريحة في أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكذب أبدًا قبل البعثة، بل كان صادقًا دائمًا.

والصدق أساس الفضائل الأخلاقية وعنوان الإنسانية الكريمة، وقد انطبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضل الله تعالى.

وكما اتصف صلى الله عليه وسلم بالصدق اتصف بكل مكارم الأخلاق ومنها الأمانة.

وخير ما يدل على ذلك قصة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة أثناء تجديد بنائها حينما اختلفت قريش في ذلك حيث أتفقوا على تحكيم أول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين فقالوا: "قد دخل الأمين، فقالوا يا محمد رضينا بك"[٨٩].

وهذه شهادة صدرت من مجموع المشركين وإن لم يكن بينه وبينهم عداوة حين نطقوا بذلك القول لأنّ ذلك كان قبل البعثة إلا أنّها تشهد على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالأمانة حتى أصبحت لقبًا له.

وعلى هذا نجزم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان متصفًا بصفات فاضلة وأخلاق حميدة قبل البعثة اعترف بها أعداؤه وآمن بها أصحابه مع شيوع الظلم والعدوان وسوء الأخلاق في المجتمع المكي يومذاك. وذلك بفضل الله وعنايته ورعايته.

وأمّا بعد البعثة فقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن كما ورد في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث قالت: "... فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[٩٠].

وهذه الأخلاق الكريمة كانت سببًا في تقريب قلوب أصحابه رضوان الله عليهم له ولولا اتصافه بها لما تمكن من تأثير دعوته عليهم وخاصة في أيامها الأولى في مكة.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى تأثير اتصافه صلى الله عليه وسلم بالأخلاق الفاضلة على أصحابه رضوان الله عليهم بقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} [آل عمران:١٥٩].

وكما أن الأخلاق الفاضلة لها تأثير كبير على الأصحاب كذلك أيضًا لها تأثير كبير على الأعداء كما يدل عليه قوله تعالى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:٣٤٣٥].

وقد شهد الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:٤].

الهوامش:

[١] ينكتها بتاء مثناة من فوق في رواية مسلم والصواب ينكبها بباء موحدة كما قال القاضي عياض ومعناه يقلبها ويرددها إلى الناس مشيرًا إليهم من نكب كنانته إذا قلبها. وهكذا في شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٤/٨)، ويشهد له رواية أبي داود وابن ماجة حيث وردت فيها بالباء الموحدة. انظر سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٥/٢)، وسنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠٢٥/٢).
[٢] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
[٣] التفسير الكبير للأمام فخر الدين الرازي (٧٨/٩).
[٤] هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة (٣٩٥هـ). انظر ترجمته في بغية الدعاة للسيوطي (٣٥٢/١).
[٥] معجم مقاييس اللغة (٧٤٨٥/١).
[٦] هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل المتوفى سنة (٧١١هـ). انظر ترجمته في بنية الوعاة (٢٤٨/١).
[٧] لسان العرب (٢٠٦/١).
[٨] هو أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفى سنة (٤٦٥هـ)، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في بغية الوعاة (٣٠٨/٢).
[٩] شرح أدب الكتب للجواليقي (١٣).
[١٠] معجم متن اللغة (١٥٣/١).
[١١] هو إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة (٣٩٣هـ)، وقيل: في حدود الأربعمائة. انظر ترجمته في بغية الوعاة (٤٤٦٤٤٧/١).
[١٢] الصحاح: (٨٦/١).
[١٣] أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، من أعيان القرن الثامن.
[١٤] عين الأدب: (٩٥).
[١٥] شرح أدب الكاتب: (١٣).
[١٦] هو علي بن محمد الشريف الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦هـ). انظر ترجمته في بغية الوعاة (١٩٦/٢، ١٩٧).
[١٧] كتاب التعريفات: (١٤).
[١٨] هو الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم المتوفى سنة (٩٦٩هـ).
[١٩] البحر الرائق شرح كنز الدقائق: (٣٧٧/٦).
[٢٠] آداب المجتمع في الإسلام: (٩١٠).
[٢١] مدارج السالكين: (٣٨١/٢).
[٢٢] مدارج السالكين: (٣٨٧/٢).

[٢٣] رواه الإمام مالك بلاغًا في الموطأ (٨٩٩/٢) وقال الألباني في تعليقاته على مشكاة المصابيح (٦٦/١) له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الحاكم.
[٢٤] من الإطراء: وهو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٢٣/٣).
[٢٥] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها.) (٢٥٦/٢).
[٢٦] انظر تفسير ابن كثير (١٩٠/١).
[٢٧] خصائص التصور الإسلامي (ص:٢٥).
[٢٨] المصدر السابق (ص:٢٦).
[٢٩] تفسير القرآن العظيم (٥٨٨/١).
[٣٠] البخاري كتاب التفسير باب قوله: (ولا تقربوا الفواحش) (١٢٩/٣). ومسلم كتاب التوبة باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش (٢١١٤/٤) واللفظ لمسلم.
[٣١] البخاري كتاب المناقب باب خاتم النبيون (٢٧٠/٢).
[٣٢] روح المعاني (٢١٢٢/٨).
[٣٣] انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها للدكتور أحمد غلوش (ص:١١٤).
[٣٤] انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها للدكتور أحمد غلوش (ص:١١٤).
[٣٥] العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع (ص:٢٤٠) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (٢٧٢/٢)
[٣٦] تفسير ابن كثير (٤٢٧/٤).
[٣٧] على الفطرة: على معرفة الله فلست واحدًا أحدًا إلا ويقر بأن له صانعًا وإن سمّاه بغير اسمه أو عبد غيره. غريب الحديث لابن الجوزي (١٩٩/٢).
[٣٨] جدعاء: أي مقطوعة الأطراف. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٤٧/١).
[٣٩] صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى: (كل مولود على الفطرة وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٧/٤).
[٤٠] الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص:١١٤).
[٤١] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم (١٧٨٢/٤) والترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل النبى صلى الله عليه وسلم (٢٤٥/٥).
[٤٢] شرح النووي على صحيح مسلم (٣٦/١٥).
[٤٣] تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (٧٤/١٠).
[٤٤] أخرجه الترمذي في سننه في أبواب المناقب باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم انظر (٢٤٤/٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
[٤٥] انظر: تحفة الأحوذي (٧٦/١٠).
[٤٦] صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨/١)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ليدعوه إلى الإسلام (١٣٩٤/٣) واللفظ للبخاري.

[٤٧] شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٥/١٢).
[٤٨] السطة: أي عن أوساطهم حسبًا ونسبًا.
[٤٩] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩١/٤)، وحسّن الألباني هذه القصة في تعليقه على فقه السيرة للغزالي. انظر هامش (ص:١١٣).
[٥٠] فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٦/١).
[٥١] شرح النووي على صحيح مسلم (٣٥/١٢).
[٥٢] التفسير السياسي للسيرة (ص:١١١٢).
[٥٣] أخرجه الحاكم في مستدركه (٣١٥/٢) وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قال الذهبي: ما أخرجاه لناجية، وقال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير (٢٥/٥): (وهذا صحيح فإن الشيخين لم يخرجا لناجية بن كعب الأسدي ولكنه تابعي ثقة والحديث صحيح وإن لم يكن على شرطهما).
[٥٤] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٩١/٤).
[٥٥] انظر سيرة ابن هشام: (١٦٧/١) وما بعدها.
[٥٦] فقه السيرة: (ص:٥٨).
[٥٧] ضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض، غريب الحديث لابن الجوزي (٦/٢).
[٥٨] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١٩٥/١).
[٥٩] غمرات: أي المواضع التي تكثر فيها النار. واحدتها غمرة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٨٣/٣، ٣٨٤).
[٦٠] صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب شفاعة الني صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١٩٥/١).
[٦١] قراريط: مفردها قيراط وهو جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشر في أكثر البلاد وأهل الشام يجعلونه جزءًا من أربعة وعشرين. والياء فيه بدل الراء فإن أصله من قراط، النهاية في غريب الحديث (٤٢/٤).
[٦٢] أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط: (٣٢٣٣/٢).
[٦٣] سنن الترمذي، أبواب المناقب باب ما جاء في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم (٢٥٠/٥)، وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه).
[٦٤] سيرة ابن هشام: (١٧١١٧٢/١).
[٦٥] السيرة النبوية: (٢٦٣/١).
[٦٦] أخرجه البخاري في صحيحه: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/١).
[٦٧] تفسير ابن كثير: (٥٢٣/٤).
[٦٨] في ظلال القرآن: (٣٩٢٧/٦).
[٦٩] سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: (٣٢/١).
[٧٠] دراسة ني السيرة للدكتور عماد الدين خليل (ص:٤٧٤٩) مع تصرف يسير.

[٧١] في ديوانه: (ص:٨٨).
[٧٢] الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربّاني (٢٢٦/٢٠) كلاهما لأحمد البنا "وقال البنا عقب هذا الحديث: "الحديث صحيح ورواه ابن هشام في سيرته بطوله عن ابن إسحاق، وأورده الهيثمي وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع".
[٧٣] سيرة ابن هشام: (١٢٢١٢٣/١).
[٧٤] سمي هذا الحلف بالفضول إما نسبة إلى الأشخاص المتحالفين الثلاث الذين سمى كل واحد منهم بالفضل أو إما السبب الذي من أجله تحالفوا وهو أن ترد الفضول على أهلها. السيرة النبوية لابن كثير (٢٥٨٢٦١/١) مع التصرف.
[٧٥] السيرة النبوية (٢٥٩/١).
[٧٦] انظر سيرة ابن هشام (١٢٣١٢٤/١).
[٧٧] المصدر السابق (١٧٠/١).
[٧٨] في حرب الفجار التي وقعت بين قريش ومن معه من كنانة وبين قيس عيلان. انظر سيرة ابن هشام (١٦٨/١).
[٧٩] اللطيم تحمل العطر والبزّ غير الميرة. النهاية في غريب الحديث (٢٥١/٤).
[٨٠] انظر سيرة ابن هشام (١٦٩/١) بتصرف.
[٨١] انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢٥٦/١).
[٨٢] أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٥٨/١) وقال: صحيح على شرط مسلم وله شاهد صحيح على شرطه ووافقه الذهبي.
[٨٣] دلائل النبوة لأبي نعيم (ص:٥٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٦/٨) رواه البزار ورجاله ثقات.
[٨٤] الكل: العيال والثقل. غريب الحديث لابن الجوزي (٢٩٣/٢).
[٨٥] وتكسب المعدوم يقال: فلان يكسب المعدوم إذا كان مجذودًا محظوظًا أي يكسب ما يحرمه غيره، وقيل أرادت أي خديجة رضي الله عنها تكسب الشيء المعدوم الذي لا يجدونه مما يحتاجون إليه، وقيل أرادت بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه. النياية في غريب الحديث (١٩١١٩٢/٣).
[٨٦] صحيح البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق (٢١٨/٣).
[٨٧] صحيح البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة: (تبت يدا أبي لهب وتب) (٢٢٢/٣). وصحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١٩٤/١).
[٨٨] جزء من الحديث الطويل المتفق عليه؛ انظر صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨/١)، وصحيح مسلم في كتاب الجهاد باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٤/٣)(١٣٩٥هـ)، واللفظ له.
[٨٩] جزء من الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٥٨/١). وقد تقدم تخريجه في (ص:٧٣).

[٩٠] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥١٣/١).

٦. كتاب "التأدب مع الرسول في ضوء الكتاب والسنة" [الجزء الثاني]

الفصل الثاني

عمله صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة وحرصه على هداية الناس

إن نزول الوحي الإلهي للناس يحتاج إلى رسول يتلقاه ويبلغه للمدعوين، ولذلك اختار الله رسله عليهم السلام قادرين على تحمل المسؤولية مهيئين بفضل الله للقيام بواجب الدعوة خير قيام.

ومن هنا كان إرسال الرسل مسقطًا لحجة الناس بأن الدعوة لم تبلغهم.

يقول الله تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:١٦٥].

وعمل الرسل مع الدعوة يحتاج إلى جهد كبير وصبر واضح، ومثابرة شاقة بالإضافة إلى تحمل أذى القوم وعنتهم وعدوانهم القولي والفعلي على الرسول والذين معه.

وتلك سنة عامة مع كل الرسل وسائر الدعوات من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الرسل السابقة عليهم الصلاة والسلام وبين ما لقوا من أقوامهم من أذى وتعنت أو قتل أو تشريد، ولكن لا يتسع المقام لأن أسرد كل قصصهم إلاّ أنّي أذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة على وجه الإجمال.

فمن الكتاب قوله تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ} [الأنعام:٣٤].

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية: "ويستطرد من تطييب خاطر الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان الأسباب الحقيقية لموقف المكذبين منه ومن دعوته، ومن آيات الله الناطقة بصدقه وصدق ما جاء به... يستطرد من هذا إلى تذكيره بما وقع لإخوانه الرسل قبله، وقد جاءه من أخبارهم في هذا القرآن ثم ما كان منهم من الصبر والمضي في الطريق حتى جاءهم نصر الله ليقرر أنّ هذه سنة الدعوات التي لا تبديل ولا يغير منها اقتراحات المقترحين كما أنها لا تستعجل مهما ينزل بالدعاة من الأذى والتكذيب والضيق"[١].

وأما السنة فمنها ما جاء على لسان ورقة بن نوفل حينما ذهبت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بالرسول صلى الله عليه وسلم إليه بعد فزع الرسول من رؤية الملك جبريل عليه السلام في بداية الوحي كما رواه البخاري عن عائشة رضى الله عنها: وفيه:.. فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك؟ فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟! فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس[٢] الذي نزّل الله على موسى يا ليتني فيها جذعًا[٣] ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمخرجيّ هم" قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن

يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ثم لم ينشب[٤] ورقة أن توفي وفتر الوحي"[٥].

وهذا الحديث نص صريح في الموضوع الذي نحن بصدده إذ أنّه يعطينا صورة واضحة عن معاداة الأمم السابقة لرسلهم من غير استثناء رسول واحد من الرسل عليهم السلام ابتداء من نبي الله نوح عليه السلام وانتهاء بخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كما هي سنة الله تعالى في إرسال الرسل.

وما دامت سنة الله في كل دعوة من دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام أن تواجه الابتلاء والاختبار فلا بد لدعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن تواجه أيضًا ذلك من قبل المعاندين من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم.

وفي هذا الفصل أتحدث عن ما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أعداء الدعوة الإسلامية وكيف قاومهم ومدى ما تحمل من المتاعب في سبيل نشر الدعوة الإسلامية مع مراعاة ظروف ذلك الزمان.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحمل مشاق نشر الدعوة.

المبحث الثاني: الصبر على الأذى والعدوان من قبل الخصوم.

المبحث الثالث: إكمال الله تعالى الدين على يده صلى الله عليه وسلم.

وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول
تحمل مشاق نشر الدعوة

من المعلوم أنّ الإسلام بدأ غريبًا كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء)[٦].

وتلك الغربة قد زالت بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة الإسلامية في مراحلها الخمسة وتحمله المشاق في سبيل إنجاحها.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تلك المراحل الخمس وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: النبوة.

المرحلة الثانية: إنذار عشيرته الأقربين.

المرحلة الثالثة: إنذار قومه.

المرحلة الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة.

المرحلة الخامسة: إنذار جميع من بلغته الدعوة من الجن والإنس إلى آخر الدهر[٧].

ويمكن تقسيم هذه المراحل التي أشرتها آنفًا إلى مرحلتين: المرحلة المكية، والمرحلة المدنية أي بعد الهجرة.

أولاً: المرحلة المكية:

وهذه المرحلة هي أصعب المرحلتين لقلة المؤمنين بالرسول صلى الله عليه وسلم وضعفهم وقوة المعادين له وكثرتهم، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان على ثقة بالله سبحانه وتعالى في أن يتم هذا الأمر فلم يتزحزح عن طريق الحق قيد شبر طيلة المدة التي كان يدعو الناس إلى الله.
وفي السنوات الثلاث الأولى من هذه المرحلة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسر دعوته ولا يدعو الناس إلا فرادى، ويأمر من آمن به أن لا يظهر إسلامه خوفًا على نفسه.
ويؤيد هذا ما أخرجه الحاكم عن عمر بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وهو يومئذ مستخف فقلت أنت ما أنت؟ قال: "أنا نبي" قلت: وما نبي؟ قال: "رسول الله" قلت: أرسلك الله؟ قال: "نعم" قلت: بم أرسلك؟ قال: "بأن تعبدوا الله وتكسروا الأوثان وتصلوا الرحم" قلت: نعما أرسلت فمن تبعك على هذا؟ قال: "حر وعبد" يعني أبا بكر وبلالاً، فكان عمر بن عبسة يقول: لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام فأسلمت فقلت: أتبعك يا رسول الله؟ قال: "لا، ولكن الحق بأرض قومك فإذا ظهرت فأتني"[٨].
ويشير ابن القيم رحمه الله إلى هذه المرحلة قائلاً:
"وأقام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك[٩] ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه وتعالى مستخفيًا ثم نزل عليه: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر:٩٤]. فأعلن صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين"[١٠].
ولا يخفى ما لهذه الفترة من مشقة نفسية بالنسبة لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على السواء بحيث أنّهم كانوا لا يقدرون أن ينطقوا بالحق الذي آمنوا به أمام الناس فضلاً عن دعوة الناس إليه جهرًا خائفين على أنفسهم لأنّه من المحتمل وأد الدعوة في مهدها إذا أعلنوها آنذاك إمّا بقتل صاحبها أو معتنقيها أو افتتانهم عن دينهم والفتنة أشد من القتل.
إضافة إلى ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم يعاني مشقة أخرى ينفرد بها عن أصحابه وهي شدة تلقي الوحي وخاصة في أيامه الأولى التي لم يتعوده بعد حتى أنّه كان يفزع من رؤية الملك جبريل عليه السلام أمين الوحي.
ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر:١].. إلى قوله: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر:٥] فحمى الوحي وتتابع)[١١].
وَمن شدائد الوحي أيضًا ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من حفظه وقراءته حتى إنه كان يسابق الملك في القراءة إلى أن نزل قوله تعالى: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة:١٦١٧].
يقول ابن عباس رضي الله عنه ما في هاتين الآيتين المذكورتين: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله تعالى: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة:١٦١٧] فكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه"[١٢].
يقول ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين: "هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنّه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه"[١٣].
وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنّه كان يعاني من الوحي شدة طوال فترة بعثته غير أنّه تعود وتحمل دون رعب وفزع منه ومن الملك بخلاف ما كان يعاني وقت بدايته.
ويؤيد هذا ما روته عائشة رضي الله عنها أنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أحيانًا يأتيني مثل صلصلة[١٤] الجرس وهو أشده عليَّ حتى يفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا"[١٥].
وأما بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة إلى الله فقد ازدادت الشدة عليه وعلى المؤمنين بسبب معاداة قومه دعوته وإيذائه هو وأصحابه بكل ما أوتي لهم من قوة حسيًّا ومعنويًا.
ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بذل أقصى جهده في إبلاغ الدعوة إلى الناس وهو لا يخاف لومة لائم مهما كانت قوته وسلطته وتحمل المشاق في سبيل إنجاحها.
وقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ قومه في هذه المرحلة طرقًا شتى وهي إمّا أن يطلب الناس إلى التجمع ليبلغ رسالة ربّه أو أن يذهب إلى أماكن تجمعهم كالمواسم والأسواق، أو أن يذهب إلى مواطنهم ومكان إقامتهم..
وأذكر هنا ما يؤيد ذلك من النصوص الصحيحة:
الطريقة الأولى: تجمع الناس لدعوتهم: ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا فاجتمعوا إليه فقال: "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أفكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبًا. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" قال أبو لهب: تبًا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟[١٦]
وهذا الحديث يدل على مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم إبلاغ الدعوة إلى قومه بحيث وقف على جبل الصفا في الصباح الباكر قائلاً بأعلى صوته: يا صباحاه لينبه هؤلاء حتى يجتمعوا له ومن ثم يبلغهم ما كلف به من قبل الله سبحانه وتعالى كما أنّه يدل على ما عانى الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه من الاستهزاء والاستكبار والإعراض عنه والدعاء عليه وخاصة من أقرب شخص إليه وهو عمه أبو لهب الخاسر.
ولا يخفى ما لهذه الواقعة من المشقة إذ أنها تؤدي إلى اليأس بالنسبة لصاحب الرسالة وللمؤمنين من هؤلاء لولا لطف الله وعنايته المستمرين عليهم وكذلك إخبار الله تعالى

عن الأمم السابقة وموقفهم من الرسل عليهم الصلاة والسلام من تكذيب وتعنت تسلية له صلى الله عليه وسلم ولأصحابه.
الطريقة الثانية: وهي الذهاب إلى أماكن تجمعهم كالمواسم: ومما يدل على ذلك ما أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: "هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي" فأتاه رجل من همدان فقال: أنا فقال: "وهل عند قومك منعة؟" قال: نعم وسأله من أين هو؟ فقال: من همدان ثم إن الرجل الهمداني خشي أن يحفزه قومه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: آتي قومي فأخبرهم ثم ألقاك من عام قابل قال: نعم، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب)[١٧].
وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على ما قام به مشركو قريش في وقف الدعوة الإسلامية حتى اضطر صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أن يبحث عن قوم آخرين يوجه إليهم الدعوة التي كلف بتبليغها.
وفي ترك وطنه مشقة كبرى لا يشعرها إلا من مارس ذلك بالفعل لأنّه يقال ليس الخبر كالمعاينة مع الالتفات إلى الأسباب الداعية إلى ذلك وهي ما لقي من مشركي قريش من الأذى حسيًا كان أو معنويًا.
ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: "لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[١٨] إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب[١٩] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٢٠]. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا"[٢١].
من هذه النصوص التي نقلتها آنفًا يتبين لنا مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر الدعوة الإسلامية واستفادته من كل فرصة متاحة في إبلاغ الدعوة إلى قومه وتحمله المشاق في سبيل ذلك من سفر وترحال مع مراعاة وسائل النقل المتاحة له في ذلك الزمان إضافة إلى ما يلقاه من أعدائه المشركين الذين بذلوا كل الجهد واستعملوا كل الوسائل المتاحة لهم بإيقاف الدعوة الإسلامية.
ثانيًا: المرحلة المدنية:
بعدما أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالهجرة إلى المدينة ووصلوا هناك نشأت الدولة الإسلامية الأولى قائدها الرسول صلى الله عليه وسلم ودستورها القرآن الكريم.
وقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله طرقًا أخرى غير الذي ذكرت في المرحلة السابقة حسب ما يقتضيه المقام.

من تلك الطرق إرسال الرسل ينوبون عنه ويعلمون الدين الأقوام الذين أرسل إليهم مثل اليمن.
ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "إنّك ستأتي قومًا من أهل الكتاب فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنّه ليس بينه وبين الله حجاب"[٢٢].
ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري بسنده عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم جده أبا موسى ومعاذ إلى اليمن فقال: "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا"[٢٣].
من تلك الطرق التي سلك الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة إلى الله إرسال الرسائل إلى ملوك الأمم في ذلك الزمان مثل هرقل عظيم الروم وكسرى ملك الفرس وغيرهم.
وقد أخرج الإمام مسلم عن أنس: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي[٢٤] وإلى كل جبار. يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم[٢٥].
وأذكر هنا رسالة واحدة من تلك الرسائل إلى ملوك الكفار آنذاك كنموذج يشهد لما نحن بصدده. والرسالة التي نختارها لهذا المقام هي التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم ونصها كما يرويها الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الآتي: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[٢٦].
{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤][٢٧].
وبجانب هاتين الطريقتين في الفترة المدنية فقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم مسلكًا آخر في نشر الدعوة الإسلامية، وهو مسلك الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته تنفيذًا لأمر الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:٣٩].
ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة...)[٢٨].
وقد نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر بواسطة إرسال سرايا وبواسطة غزوات اشترك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى أنّه جرح في بعضها مثل غزوة أحد.

ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى جهد كبير وصبر على الأذى وثبات في المعركة وتحمل مشقة السفر والترحال إلى مكان العدو الذي يبعد عن المدينة عاصمة الدولة في أكثر الأوقات مع مراعاة الظروف في ذلك الزمان ووسائل النقل المتاحة له صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضوان الله عليهم.

وبالإضافة إلى ذلك هناك معارضة داخلية وهي المتمثلة في اليهود وأعوانهم المنافقين الذين وقفوا في وجه نشر الدعوة الإسلامية بكل ما لديهم من قوة من غدر وتشكيك وتثبيط المؤمنين عن القتال وموالاة المشركين والتآلب مع أعداء الإسلام بغية القضاء على الإسلام ومعتنقيه.

ولا يتسع هذا المقام لأن أذكر بالتفصيل كل المؤامرات التي قام بها كلا المعسكرين اليهود والمنافقين في سبيل إيقاف نشر الدعوة الإسلامية إلى الآفاق إلا أن الحقيقة التي لا بد من ذكرها هي أنهم كانوا حجر عثرة على طريق الدعوة إلى الله طوال الفترة المدنية.

وأذكر هنا على سبيل الإجمال بعض جرائم معسكري اليهود والمنافقين:

أولاً: أهم جرائم اليهود:

(أ) الكفر بآيات الله كما يدل عليه قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} [آل عمران:٧٠].

(ب) تضليل الناس كما يدل عليه قوله تعالى: {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ} [آل عمران:٦٩].

(ج) تلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق كما يدل عليه قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران:٧١].

(د) تحريف الكلم عن مواضعه كما يدل عليه قوله تعالى: {مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ} [النساء:٤٦].

(هـ) الحسد على صاحب الرسالة وعلى المؤمنين كما يدل عليه قوله تعالى: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة:١٠٥].

وأما جرائم المنافقين فهي الآتي:

(أ) تثبيط همم المسلمين عن القتال كما يدل عليه قوله تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ} [التوبة:٨١].

(ب) السعي في التفريق بين المؤمنين كما يدل عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة:١٠٧].

(ج) القدح في أعراض المسلمين كما يدل عليه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور:١١].

(د) مظاهرة أعداء الله كما يدل عليه قوله تعالى: {بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء:١٣٨١٣٩].

وبفضل الله سبحانه وتعالى فقد تغلب الرسول صلى الله عليه وسلم على هذين الفريقين اليهود والمنافقين.

أما اليهود فقد قضى عليهم بواسطة إجلاء فريق منهم وهم بنو النضير وغيرهم وبقتل رجال الفريق الآخر وسبي نسائهم وذريتهم وأموالهم كما هو معروف في كتب السيرة.

ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (حاربت قريظة والنضير فأجلي بني النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نسائهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا وأسلموا، وأجلي يهود المدينة كلهم، بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة "[٢٩].

وأمّا بالنسبة للمنافقين فقد اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهاد معهم باللسان دون السنان والغلظة عليهم لإظهارهم الإسلام دون الاعتقاد به حقيقة.

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة:٧٣].

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية: "وقد اختلف في الجهاد والغلظة على المنافقين، أتكون بالسيف.. أم تكون في المعاملة والمواجهة وكشف خبيئاتهم للأنظار.. والذي وقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين"[٣٠].

وهذه الأمور التي ذكرتها كلها تدل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر الدعوة الإسلامية طيلة ثلاثة وعشرين عامًا في مكة والمدينة.

المبحث الثاني

الصبر على الأذى في سبيل الدعوة

لقي النبي صلى الله عليه وسلم صنوفًا من الأذى من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وغيرهم محاولين إيقاف الدعوة أو إضعافها على الأقل.

وسوف أتحدث في هذا المبحث عما لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الأعداء وأثر ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وأقتصر هنا على بيان موقف المشركين لأنّ اليهود والمنافقين قد ظهر أذاهم للرسول صلى الله عليه وسلم بعدما قويت شوكة الإسلام وقامت دولته في المدينة بعد الهجرة على يدي رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

وقد سلك المشركون من قريش سبلاً شتى في إضعاف الدعوة الإسلامية وإيقافها ومحاولة وأدها في مهدها بعد ظهورها في مكة وذلك بإيذاء صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام وبمنع الناس من الإيمان به وبالتحذير منه تارة وبتعذيب المؤمنين تارة أخرى.

ولقد اتخذ العدوان الجاهلي على رسول الله وأصحابه صورًا شتى وألوانًا عديدة.

ومنه ما كان يتمثل في الدعايات الكلامية الموجهة إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى التهجم على الوحي بقسميه القرآن الكريم والسنة النبوية.
فلقد وجه كفار قريش اتهامات باطلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث وصفوه بالجنون وبالسحر، وإنشاء الشعر مع إيمانهم وتيقنهم بأنه صلى الله عليه وسلم بريء من كل هذا.
وممَّا يؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. فقال: لم؟ قال: ليعطوكه، وإنك آتيت محمدًا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أنّي من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنّك كاره له. قال: وماذا أقول؟، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي ولا أعلم برجز ولا بقصيدة منّي ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا والله إنّ قوله الذي يقول لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة[٣١] وإنه لمثمر أعلاه مغدق[٣٢] أسفله، وإنه ليعلوا وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، ففكر، فلمّا فكر قال: هذا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر:١١][٣٣].
هكذا كان شأنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنهم يقرّون الحق في ضميرهم دون النطق به، بل ينكرونه ويجحدونه مصداقًا لقوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل:١٤]، ومصداقًا لقوله تعالى أيضًا:
{فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣].
وقد صور الله تعالى بعض أقاويلهم في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى حاكيًا عن أقوالهم حيث قالوا: {يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} [الحجر:٦].
وقالوا: {هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص:٤].
وقالوا: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا} [الإسراء:٤٧].
وقالوا: {وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات:٣٦].
وقالوا: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ} [ص:٧].
وقالوا: {مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ} [الدخان:١٤].
وأمّا تهجمهم على القرآن فكثير أذكر طرفًا منه على سبيل المثال لا الحصر كما يحكي ربّنا عنهم.
من ذلك قولهم: {أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفرقان:٥].
ومنها قولهم: {لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت:٢٦].
ومنها قولهم: {إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} [المدثر:٢٤].
ومنها قولهم: {لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} [الفرقان:٣٢].
ومنها قولهم: {لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف:٣١].
وكان هذا دأب كل قوم مع رسولهم كما يدل عليه قوله تعالى حاكيًا عن موقف الأمم السابقة من رسلهم: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الذِينَ مِن قبلِهم مِن رَسُولٍ إلا قَالُوا سَاحِرٍ أو مَجنُونٌ * أتَوَاصَوا بهِ بَل هُم قومٌ طَاغُونَ}.

يقول الشوكاني عند تفسيره هاتين الآيتين: "في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أنّ هذا شأن الأمم المتقدمة وأنّ ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله ووصفه بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم"[٣٤].
ويقول الشهيد سيد قطب في هذا الصدد: " فهي جبلة واحدة وطبيعة واحدة للمكذبين وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون"[٣٥].
وهذه الاتهامات التي ذكرتها يعتبر قطرة من بحر بالنسبة لما وجه إلى صاحب الرسالة ورسالته من اتهامات وافتراءات إلا أنها تدل دلالة واضحة على تعنت هؤلاء المشركين وموقفهم المتزمت تجاه الدعوة وصاحبها صلى الله عليه وسلم طيلة المدة التي أقام المصطفى بين أظهرهم.
وقد رد الله سبحانه وتعالى عن رسوله وعن دينه هذه التهم في كثير من الآيات: منها قوله تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم:٢].
ومنها قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس:٦٩].
ومنها قوله تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:٢٤].
ومنها قوله تعالى: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} [الحاقة:٤١٤٢].
ومن العدوان الذي قام به المشركون أيضًا ما كان يتمثل في إيذائه صلى الله عليه وسلم جسديًا بغية أن يعدل عن دعوته كلية أو جزءًا منها.
من ذلك إيذاؤه صلى الله عليه وسلم بالخنق بواسطة ثوبه كما فعل عقبة بن أبي معيط. يدل على ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن عمرو بن العاص لما سأله عروة بن الزبير عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفع عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ} [غافر:٢٨][٣٦].
ومن ذلك إلقاء القاذورات عليه صلى الله عليه وسلم كما فعل عقبة بن معيط أيضًا.
أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة ابن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم عليك بالملأ من قريش أبا جهل بن هشام بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي بن خلف"[٣٧] "شعبة الشاك" فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر إلا أمية أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر"[٣٨].
ومن ذلك أيضًا المقاطعة العامة التي فرضت عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين من أقربائه وغير المؤمنين الذي وقفوا بجانبه تعصبًا وحميّة.

وقد ذكر أصحاب السير هذه المقاطعة العامة ومن بينهم الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه السيرة النبوية يروي ذلك تعليقًا عن ابن إسحاق صاحب المغازي قال: " فلما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا أصابوا منه أمنًا وقرارًا، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام يفشوا في القبائل فاجتمعوا وأتمروا على أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا يناكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم"[٣٩].

ويقول ابن إسحاق أيضًا: " فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا، حتى جهدوا ولم يصل إليهم بشيء إلا يسرًا مستخفيًا من أراد صلتهم من قريش "[٤٠].

وقد ظل الحصار مفروضًا عليهم في تلك المدة حين كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع[٤١].

ومن ذلك محاولة إغرائه صلى الله عليه وسلم بواسطة ما عرضوا عليه من مغريات مادية عساه أن يجنح لبعضها حسب ما تقتضي عقولهم وأهواؤهم وحسب ما تقتضي الموازين الأرضية.

يروى أنّ عتبة بن ربيعة وكان سيدًا قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فيعطيه أيها شاء ويكف عنّا وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون، فقالوا يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل يا أبا الوليد أسمع" قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم، قال: "فاستمع مني" قال: أفعل، فقرأ صلى الله عليه وسلم صدر سورة فصلت إلى السجدة منها ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك"[٤٢].

ومن إيذائهم أيضًا التآمر على قتله صلى الله عليه وسلم.

ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف [٤٣] لو قد رأينا

محمدًا لقمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هؤلاء الملأ من قومك قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك[٤٤].
وقد أشار القرآن إلى تلك الحادثة بقوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال:٣٠].
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواجههم بالصبر على أذاهم والثبات على مبدئه طيلة الفترة المكية إيمانًا بأنّ الله عز وجل سوف ينصره وينصر دينه وإن تأثر بإيذائهم له صلى الله عليه وسلم تأثرًا حتى نبهه الله سبحانه تعالى بذلك في عدة مواضع من القرآن على سبيل التسلية والتوجيه.
يقول تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنْ السَّاجِدِينَ} [الحجر:٩٧٩٨].
ويقول الله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود:١٢].
ويقول تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف:٦].
ويقول تعالى: {...فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر:٨].

المبحث الثالث
تكميل الدين وإتمام النعمة

لقد جعل الله سبحانه وتعالى نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين.
يقول تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب:٤٠].
ويقول صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين"[٤٥].
وقال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي"[٤٦].
فهذه النصوص من القرآن والسنة كلها تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإن ادّعى المدعون النبوة قديمًا وحديثًا.
يقول ابن كثير عند تفسيره الآية السابقة: "فهذه الآية نص في أنّه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإنّ كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم"[٤٧].

وعلى هذا فإن رسالته ختمت بها الرسالات السابقة كلها ومن ثم لا يقبل الله أن يدين أحد بسواها بعد نزولها لنسخها ما قبلها سواء كان يدين برسالة سماوية سابقة كاليهودية والنصرانية أو لا كعبدة الأوثان والأصنام. يقول تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران:٨٥].
ويقول صلى الله عليه وسلم مؤكدًا ذلك: "لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلاّ أن يتبعني"[٤٨].
وقوله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[٤٩].
يؤيد هذا قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران:٨١].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية التي نحن بصددها: "ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه"[٥٠].
ويروى مثل هذا القول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥١].
وقد تميزت رسالته صلى الله عليه وسلم بأمور ثلاثة تفوق بها على الرسالات التي قبلها وتؤهلها لأن تكون خاتمة:
أولاً: العموم: بمعنى أن رسالة الإسلام ليست محددة بزمن من الأزمان ولا بمكان من الأمكنة ولا بأمة دون الأمم منذ نزولها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [سبأ:٢٨].
ويقول تعالى أيضًا: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧].
ويقول تعالى أيضًا آمرًا إعلان هذا الأمر: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:١٥٨] وهذه النصوص كلها تدل على عمومية رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهي من إحدى خصائصه كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... ثم ذكر من بينها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة"[٥٢].
ويؤيد خصوصية الرسالات السابقة قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر:٢٤].
ثانيًا: الحفظ: حيث تكفل الله بحفظها باقية كما نزلت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها دون تغيير شيء منها بالنقص منها أو الزيادة عليها.
يقول تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩] وهذا أمر مشاهد اليوم لا ينكره أحد بحيث لم يتغير منها شيء بعد أربعة عشر قرنًا وستبقى كذلك إلى

حين يشاء الله تعالى، بخلاف الكتب السابقة التي تعرضت للتحريف والتبديل من قبل أصحابها كالتوراة والإنجيل.
ثالثًا: الكمال والتمام: ولقد أكملها سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣].
وقد نزلت هذه الآية في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم كما ورد في الحديث الصحيح.
روى البخاري بسنده عن طارق بن شهاب قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا فقال عمر: "إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة، وإنا والله بعرفة"[٥٣].
ومن هنا أقول إنّ هذه الآية نزلت بعد جهاد طويل دام ثلاثة وعشرين سنة وفي وقت أظهر الله دينه وفي حجة الوداع الذي لم يحج فيه مشرك لما ورد في الصحيح.
روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان"[٥٤].
وكان ذلك في العام التاسع من الهجرة. ولهذا لم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك.
كما أني أقول أيضًا: إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبلغ الأمة ما كلف به دون كتمان شيء تنفيذًا لأمر الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة:٦٧].
وتقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في هذا الصدد: "من حدثك أنّ محمدًا قد كتم شيئًا مما أنزل عليه، فقد كذب، والله يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} [المائدة:٦٧][٥٥][٥٦].
وقد شهد له بذلك جموع من أصحابه رضوان الله عليهم في حجة الوداع حينما قال لهم أثناء خطبته بوادي عرنة في يوم عرفة: ".. أنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: "نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت" فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها[٥٧] إلى الناس: "اللهم أشهد اللهم أشهد، ثلاث مرات.. "[٥٨].
ولا يخفى أن مثل هذا الأمر يتطلب جهدًا وتحملاً للمشقة كما أنّه يتطلب الصبر على الأذى والثبات أمام المغريات.
وقد تحمل صلى الله عليه وسلم مشقة كبيرة في سبيل نشر الدعوة وإبلاغها إلى الناس كما أنه تحمل أذى المشركين والمنافقين واليهود ومن في حكمهم بالصبر تارة وبالجهاد معهم تارة أخرى طيلة ربع قرن من الزمن تقريبًا.
وقد ذكر محمد رشيد رضا خلاصة عمله صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة حيث قال: "أقام صلى الله عليه وسلم في مكة بعد بدء التبليغ عشر سنين، يدعو إلى أصول الإيمان وكليات الدين، من التوحيد الخالص، والعمل الصالح، وتزكية النفس بتطهيرها من أدران الرذائل، وتحليتها بأحاسن الأخلاق وعقائل الفضائل، واستعمال نعم الله تعالى من بدنية وعقلية، وسماوية وأرضية، فيما تظهر به حكمه ونشاهد آياته

في الخلق، وتتسع بها العلوم التي يعرف بها الحق وتكثر موارد الرزق، صابرًا مع السابقين من المؤمنين، على الاضطهاد والأذى من المشركين، على أنهم عرضوا عليه الملك والمال والدثر، على أن يترك هذا الأمر، ولو كان لطلب الرياسة لآثر على الضعف والفقر، ثم دخل الإسلام بالهجرة في عهد الحرية، وتكونت له قوة العصبية، وجاء الوحي فيه مفصلاً لما أجمل في السور المكية من الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وفيه فرضت الزكاة والحج والصيام، وكانت الصلاة فرضت بمكة في أول الإسلام وبينت السنة النبوية جميع فروع العبادات، وكل ما يحتاج إليه من النصوص والقواعد السياسية وأنواع المعاملات، فبذلك كله أكمل الله الدين وأتم نعمته على المؤمنين وقد تربى على ذلك الألوف من المهاجرين والأنصار".

وهذه الأمور التي ذكرها تمت كلها في فترة وجيزة للغاية لا تتجاوز ربع قرن من الزمن بل أقل من ذلك. بحيث تقتضي هنا الإعجاب والتقدير معًا لمن قام بها وحققها في واقع الحياة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضل من الله سبحانه وتعالى:

يقول أبو الحسن الندوي معربًا إعجابه بذلك: "لقد كان الانقلاب[٥٩] الذي أحدثه صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشر، وقد كان هذا الانقلاب غريبًا في كل شيء، كان غريبًا في سرعته، وكان غريبًا في عمقه، وكان غريبًا في سمعته وشموله، وكان غريبًا في وضوحه وقربه إلى الفهم. فلم يكن غامضًا ككثير من الحوادث الخارقة للعادة ولم يكن لغزًا من الألغاز "[٦٠].

وقد نتج عن عمله صلى الله عليه وسلم الأمور التالية:

١- القضاء على الوثنية وإحلال محلها الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢- القضاء على الرذائل الجاهلية وأقام مقامها الفضائل ومكارم الأخلاق.

٣- إقامة الدين الحق الذي يصل بالإنسان إلى أقصى ما قدر له.

٤- إحداث انقلاب[٦١] وتغيير شامل للأوضاع ونظام الحياة الذي درج عليه أهل الجاهلية.

٥- توحيد الأمة العربية تحت راية القرآن في فترة وجيزة[٦٢].

يقول سيد سابق بعد ذكره النقاط السابقة: "هذه هي الأعمال التي تمثل نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في مهمته وهي كما تبدو كلها أمور كبيرة وإقامتها بل إقامة واحد منها من الخطورة بمكان وأنّه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد في بعض هذه الأعمال فضلاً عن توفر النجاح في كل ناحية من هذه النواحي"[٦٣].

وعلى هذا فعلى المسلم أن يتأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم تقديرًا لما قام به من أعمال جليلة في سبيل وصول الإسلام إلى الناس في زمانه وإلى الذين من بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها ولما أثر عنه صلى الله عليه وسلم من صفات حميدة من ناحية الخلقية والخلقية والتي بينتها في الفصل الأول من هذا الباب مع ما أنعم الله عليه من النبوة والرسالة التي ختم الله بها الرسالات كلها.

الهوامش:
[١] في ظلال القرآن (١٠٧٧/٢).
[٢] الناموس: صاحب سر الملك، وقيل صاحب سر الخير، وأراد به جبريل عليه السلام لأنّ الله تعالى خصّه بالوحي والغيب اللذين لا طلع عليهما غيره. النهاية في غريب الحديث (١١٩/٥).
[٣] يا ليتني كنت جذعًا: أي يا ليتني كنت شابًا عند ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها. وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان شابًا فتيًا. النهاية في غريب الحديث (٢٥٠/١).
[٤] لم ينشب: من نشب. يقال نشب في الشيء إذا وقع فيما لا مخلص له منه، ولم ينشب أن فعل كذا أي لم يلبث، وحقيقته لم يتملق بشيء غيره ولا اشتعل بسواه. وهنا لم يلبث حتى مات. النهاية في غريب الحديث (٥٢/٥).
[٥] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧/١).
[٦] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا (١٣٠/١).
[٧] انظر: زاد المعاد (٨٦/١).
[٨] مستدرك الحاكم (٦١٧/٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
[٩] بعد بدء نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم.
[١٠] زاد المعاد (٨٦/١).
[١١] صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧/١).
[١٢] صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧/١).
[١٣] تفسير القرآن العظيم: (٤٤٩/٤).
[١٤] الصلصة: صوت الحديد إذا حرك. انظر النهاية في غريب الحديث (٤٦/٣).
[١٥] صحيح البخاري، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/١).
[١٦] صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة (تبت يدا أبي لهب وتب) (٢٢٢/٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١٩٤/١) واللفظ للبخاري.
[١٧] مستدرك الحاكم (٦١٢٦١٣/٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٦) رواه أحمد ورجاله ثقات.
[١٨] يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف صلى الله عليه وسلم على العقبة التي بمنى داعيًا الناس إلى الإسلام.

[١٩] قرن الثعالب: قرن المنازل ميقات أهل نجد النهاية في غريب الحديث (٥٤/٤).
[٢٠] الأخشبين الجبلان المطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر وهو جبل مشرف على قيقعان والأخشب كل جبل غليظ الحجارة. النهاية في غريب الحديث (٣٢/٢).
[٢١] صحيح البخاري، في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٢١٤/٢)، وصحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين (١٤٢٠/٣)، واللفظ لمسلم.
[٢٢] صحيح البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذًا إلى اليمن (٧٢٧٣/٣).
[٢٣] صحيح البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذًا إلى اليمن (٧٢٧٣/٣).
[٢٤] لقب لكل من ملك الحبشة.
[٢٥] صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار ودعوتهم إلى الله عز وجل.
[٢٦] الأرسيون: هم الخدم والخول وقيل هم الأكارون النهاية في غريب الحديث (٣٨/١).
[٢٧] صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩/١). وصحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٦/٣) واللفظ لمسلم.
[٢٨] صحيح البخاري في كتاب الإيمان، باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم (١٣/١)، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حق يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥٣/١) واللفظ لمسلم.
[٢٩] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بنى النضير (١٥/٣).
[٣٠] في ظلال القرآن: (١٦٧٧/٣).
[٣١] طلاوة: رونقًا وحسنًا، وقد تفتح الطاء. النهاية في غريب الحديث (١٣٧/٣).
[٣٢] مغدق: من غدق، والغدق بفتح الدال المطر الكبير القطر، يقول: أغدق المطر يغدق إغداقًا فهو مغدق. النهاية في غريب الحديث (٣٤٥/٣).
[٣٣] مستدرك الحاكم (٥٠٧/٢) وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
[٣٤] تفسير فتح القدير (٩١٩٢/٥).
[٣٥] في ظلال القرآن الكريم: (٣٣٨٦/٦).
[٣٦] كتاب المناقب باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة (٣٢١/٢).
[٣٧] والصحيح أمية لأن أبي قد قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد كما هو مشهور في كتب السيرة. انظر زاد المعاد (١٩٩/٣).
[٣٨] صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة (٣٢١/٢).

[٣٩] السيرة النبوية: (٤٧٤٨/٢).
[٤٠] المصدر السابق: (٥٠/٢).
[٤١] انظر المصدر السابق: (٤٧/٢).
[٤٢] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩١/٤) ويروي البنوي هذه القصة في تفسيره (١٠٧/٦) عن جابر رضي الله عنه وحسن الألباني سندها في تعليقاته على فقه السيرة للغزالي. انظر هامش (ص:١١٣) من فقه السيرة.
[٤٣] الخمسة أسماء لآلهة المشركين.
[٤٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٠٣/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٨/٨) رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وقال الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٢٧٦٣/٤) كلا الإسنادين صحيح.
[٤٥] صحيح البخاري كتاب المناقب، باب خاتم النبيين (٣٧٠/٢).
[٤٦] صحيح البخاري كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (٨٦/٣).
[٤٧] تفسير القرآن العظيم: (٤٩٣/٣).
[٤٨] رواه الدارمي (١١٥١١٦/١) وحسنه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٦٣/١).
[٤٩] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٣٤/١).
[٥٠] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٨/١).
[٥١] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٨/١).
[٥٢] صحيح البخاري، كتاب التيمم (٧٠/١).
[٥٣] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (اليوم أكملت لكم دينكم) (١٢٣/٣).
[٥٤] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج) (١٣٤/٣).
[٥٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (١٢٥/٣).
[٥٦] قال القاضي عياض: كذا الرواية فيه بالتاء المثناة فوق وهو بعيد المعنى، قيل صوابه ينكبها. ومعناه ويرددها إلى الناس مثيرًا إليهم، ومنه نكب كنانته إذا قلبها. شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٤/٨) وانظر مقدمة هذا البحث.
[٥٧] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٩٠/٢).
[٥٨] ذكرى المولد النبوي (ص:٤١٤٢).
[٥٩] الانقلاب مصطلح حديث يستعمل للخير والشر معًا وخاصة للشر في هذا العصر لذلك من الأفضل والأولى وصف الإسلام بالتغيير الكلي أو الإصلاح الجذري.
[٦٠] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص:٨٨٨٩).
[٦١] انظر هامش رقم (٢) في الصفحة السابقة.
[٦٢] العقائد الإسلامية (ص:٢٠٠٢٠١) مع التصرف.
[٦٣] المصدر السابق (ص:٢٠١).

٧. كتاب "التأدب مع الرسول في ضوء الكتاب والسنة" [الجزء الثالث]

الباب الثاني

أنواع الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم

الأدب مفهوم يتعلق بأعمال الإنسان بصورة عامة، وأنواع الأعمال تبعًا للتقسيم الواقعي لا تتعدى ثلاثة أنواع لأنها إمّا أن يكون مصدرها القلب وهي الأعمال القلبية كالحب والألفة والسرور، وإمّا أن يكون مصدرها اللسان وهي الأقوال والألفاظ، وإمّا أن يكون مصدرها الجوارح وهي الحركة والمشي وهكذا.

والأدب متصل بهذه الأنواع الثلاثة، ولذلك كان على المسلم أن يلتزم بكل منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره ولا بد من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم، ولا بد من اتباعه وطاعته واتخاذه أسوة وقدوة.

وقد عقدت هذا الباب للحديث عن أنواع الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك جاء في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأدب القلبي.

الفصل الثاني: الأدب القولي.

الفصل الثالث: الأدب العملي.

وسوف أبحثها بعون الله بنفس الترتيب فيما يلي:

الفصل الأول

الأدب القلبي

الأدب القلبي هو ما كان مصدره القلب مثل التصديق، والحب، والإخلاص وهكذا..

والآداب القلبية لها شأن عظيم تبعًا لأهمية مصدرها، لأنّ القلب سيد أعضاء الجسد يقودها ويوجهها، ويصبغها بصبغته ومحتواه.

لقوله صلى الله عليه وسلم: "...ألا إن في الجسد مضغة [١] فإذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "[٢].

ولهذا يعتبر القلب طاقة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

فهو أساس الأعمال الظاهرة لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها أو لدنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[٣].

وبه يكون قبول الأعمال عند الله تعالى لقوله سبحانه: {لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} [البقرة:٢٢٥].

وهو محل الإيمان لقوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات:٧].

ولقوله تعالى: {كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة:٢٢].

وهو أيضًا محل الهداية لقوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:١١]. كما أنّه محل للتقوى. لقوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج:٣٢].
والقلب كما يوجه صاحبه للإيمان والهداية إذا استقام على الفطرة، وتدبر آيات الله واستفاد منها، يوجه صاحبه كذلك إلى المعصية والضلال إن بعد عن فطرته. وانشغل بالهوى والشهوات وحينئذ يكون مصدر الكفر لقوله تعالى: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [البقرة:٩٣].
ومحل الشك والريب لقوله تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} [التوبة:٤٥].
ومحل التعصب وحمية الجاهلية لقوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح:٢٦].
يقول النيسابوري: "القلب صالح لأن يميل إلى الإيمان وصالح لأن يميل إلى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيه، إذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب إثبات الصانع فإن كانت داعية الكفر فهو الخذلان والإزاغة والصد والختم والطبع والريبة وغيرها مما ورد في القرآن، وإن كانت داعية الإيمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها"[٤]. ثم استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء"[٥].
ومن هنا قيل سمي القلب قلبًا لتقلبه وتغايره.
وعلى هذا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ربّه عز وجل أن يثبت قلبه على طاعته قائلاً: "اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك"[٦].
وفي هذا الفصل سوف نتحدث عن الآداب التي محلها القلب وسيأتي مكونًا من مبحثين هما:
المبحث الأول: الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم.
المبحث الثاني: محبته صلى الله عليه وسلم.
وذلك فيما يلي:

المبحث الأول
الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم

من الآداب القلبية المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم بل هو رأس الآداب كلها لأن الإيمان به صلى الله عليه وسلم ركن من أركان العقيدة وأساس من أسس الدين وأما غيره من الآداب فتابعة له بحيث إذا اختل هذا الركن يختل معه الآداب الأخرى.
وعلى هذا، فأول ما يطلب من الأنام تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان به صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان بالله عز وجل بل إنهما متلازمان لقوله تعالى: {إِنَّ

الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً *أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا *وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء:١٥٠١٥٢].

ولأهمية الإيمان به صلى الله عليه وسلم جعلت الكلام عنه في صدارة الباب المتعلق بالآداب مع رسول صلى الله عليه وسلم.

وسوف نتطرق في هذا المبحث إلى المسائل المتعلقة بهذا الموضوع وهي على النحو التالي:

١ـ تعريف الإيمان لغة واصطلاحًا.
٢ـ حكم الإيمان به صلى الله عليه وسلم.
٣ـ أصناف الناس في الإيمان به صلى الله عليه وسلم.
٤ـ ثمرة الإيمان به صلى الله عليه وسلم.

وسوف أبحثها بمشيئة الله وفق هذا الترتيب.

١ـ تعريف الإيمان: يعد التعريف اللغوي مدخلاً للتعريف الاصطلاحي ولذلك سأبدأ بتعريف الإيمان لغة وبعده أعرّفه بما قال علماء الاصطلاح. وذلك فيما يلي:

(أ) تعريف الإيمان في اللغة: يقول الأزهري[٧]: "الإيمان: مصدر آمن يؤمن إيمانًا، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أنّ الإيمان معناه التصديق"[٨].

ويقول ابن فارس[٩]: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان"[١٠].

ويقول الفيروزأبادي [١١] في مادة (آمن): " آمن به إيمانًا صدقه "[١٢].

ويقول ابن منظور [١٣] في مادة (آمن): " والإيمان بمعنى التصديق، وضده التكذيب، ويقال آمن به قوم وكذبه قوم"[١٤]. أي: صدقه بعضهم دون بعض.

وهذه التعاريف التي نقلتها عن أهل اللغة تدور حول معنى واحد وهو التصديق ومنه قوله تعالى حكاية عن قول إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم يعقوب عليه السلام.

{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف:١٧] أي بمصدق لنا.

يقول الأزهري بعد ذكر الآية السابقة: " لم يختلف أهل التفسير أنّ معناه وما أنت بمصدق لنا "[١٥].

ولهذا نقول: اتفق أهل التفسير مع أهل اللغة على أنّ الإيمان في اللغة هو التصديق.

(ب) الإيمان في الشرع: الإيمان عند جمهور أهل السنة هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، أي عقد وقول وعمل.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى حكاية عن أقوال السلف في تفسير الإيمان: " فتارة يقولون: قول وعمل.

وتارة يقولون: قول وعمل ونية.

وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح "[١٦].

وكل هذه الأقوال المنقولة عن السلف والمتعلقة في تفسير الإيمان تؤول إلى معنى واحد وإن اختلفت ألفاظها كمًّا وكيفًا كما وضح ذلك شيخ الإسلام حيث قال: " إن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أنّ لفظ القول لا يفهم منه إلاّ القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأمّا العمل فقد لا يفهم منه فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلاّ باتباع السنة "[١٧].

وإذا نظرنا إلى التعاريف الاصطلاحية التي ذكرناها لتفسير الإيمان نجد أنه لا يوجد تعريف خال عن عمل القلب أو ما يفيد معناه.

ولهذا السبب تكلمت عن الإيمان بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الفصل الذي عقدته للأدب القلبي وإن كان يشمل الأعمال الظاهرة على قول أهل السنة إلا أنّ النية عمود الأعمال الظاهرة وأساسها وبها الثواب والعقاب وإن لم يصاحبها عمل أحيانًا، والنية محلها القلب كما هو معلوم.

يقول ابن القيم رحمه الله: " الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حقن الدماء وعصم به الأموال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له، إلاّ إذا تعذر بعجز وإكراه أو ضعف وإكراه "[١٨].

هذا هو تعريف الإيمان بصورة عامة، وأمّا تعريف الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم فهو الإقرار بنبوته صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا والتسليم له بما جاء به صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلاً عند العلم به.

يقول القاضي عياض: " والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق بنبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك بشهادة اللسان بأنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان، تم الإيمان به عليه الصلاة والسلام والتصديق له صلى الله عليه وسلم[١٩].

ومن هذا يتبيّن أنّ الإيمان به صلى الله عليه وسلم يستلزم ثلاثة أمور هي:

١ـ الإيمان به صلى الله عليه وسلم باطنًا جازمًا بذلك دون شك.

٢ـ شهادة اللسان بذلك إظهارًا لما في قلبه ما لم يكن صاحبه عاجزًا عن ذلك.

٣ـ العمل بمقتضى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم دون اعتراض أو ترك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله، فمن شهد أنّه رسول الله شهد أنّه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى، فإنّ هذا حقيقة الشهادة بالرسالة.. وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام لا يحتاج إلى دليل، وهو الإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو نفس ما جاء به القرآن وجاءت به السنة "[٢٠].

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: " والإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علمًا والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد به

محبة وْخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان "[٢١].
هذا هو الإيمان المعتد به عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، وأمّا إذا فقد أمر من الأمور الثلاثة التي ذكرناها فلكل حكمه الخاص كما سوف نبينه عند كلامنا عن أصناف الناس في الإيمان به صلى الله عليه وسلم.
حكم الإيمان به صلى الله عليه وسلم: الإيمان به صلى الله عليه وسلم واجب على كل مكلف بلغته الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح، والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن وفي السنة.
أمّا أدلة القرآن الكريم فإنّها تنقسم إلى قسمين: قسم يشهد له ولغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقسم يشهد له صلى الله عليه وسلم خاصة.
أمّا ما يشهد له ولغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمنه قوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة:٢٨٥] وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء:١٤٩١٥٠].
وأمّا ما يشهد له صلى الله عليه وسلم خاصة فكثيرة: منها قوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف:١٥٨].
ومنها قوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [التغابن:٨].
ومنها قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [الفتح:١٣].
وأمّا أدلة السنة فإنها تنقسم إلى قسمين على نمط أدلة القرآن الكريم ولذلك ترى في السنة ما يشهد لرسول الله ولغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما يشهد له صلى الله عليه وسلم خاصة.
أمّا ما يشهد له ولغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا: فمنه إجابة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام بعد ما سأله عن الإيمان حيث قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث"[٢٢].
وأمّا ما يشهد له صلى الله عليه وسلم فكثيرة منها ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله "[٢٣].
ومنها ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار "[٢٤].

والنصوص السابقة تفيد وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه:
الأول: الأمر بالإيمان به صلى الله عليه وسلم كما يفيده قوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} [الأعراف:١٥٨].
وقوله تعالى أيضًا: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا} [التغابن:٨].
الثاني: تسمية من لم يؤمن به كافرًا كما يفيد قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النساء:١٥٠١٥١].
الثالث: الوعيد لمن لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم بإدخال العذاب.
كما يدل عليه قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [الفتح:١٣].
الرابع: الأمر بقتال من لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله"[٢٥].
الحاصل أنّ الإيمان به صلى الله عليه وسلم يستلزم الإيمان بالرسل السابقين جميعًا عليهم الصلاة والسلام وأنّ الكفر بأحد منهم كفر بهم جميعًا كما يدل عليه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النساء:١٥٠١٥١].
وكل هذه الأمور التي استنبطت من الأدلة السابقة في القرآن وفي السنة تدل على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم لورود الأمر به والأمر يقتضي الوجوب ما لم يعارض ولا معارض له هنا، ولورود الوعيد على عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أنّ الوعيد لا يتأتى إلاّ على ترك أمر واجب أو فعل محرم، ووصف من لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم بالكفر، ولا يوصف بالكفر إلا من ترك واجبًا متعمدًا، ولورود الأمر بقتال من لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم ولا يقاتل إلا على ترك واجب.
٣ـ أصناف الناس في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أصناف: الأول: صنف آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا وعمل بمقتضى ذلك.
الثاني: صنف آمن به صلى الله عليه وسلم ظاهرًا دون الباطن.
الثالث: من آمن به صلى الله عليه وسلم ولم يظهر ما يؤيد ذلك أو يخالفه.
أما الصنف الأول فهو المسلم الذي يقبل الله إيمانه ويجازيه عليه في الدنيا والآخرة، وأمّا الصنف الثاني فهو المنافق الذي لا يقبل إيمانه عند الله، وأمّا عند الناس فيقبل بناء على ما أظهره لنا كالنطق بالشهادتين إذ أنّه لا سبيل لأحد إلى معرفة ما في قلبه إلاّ الله ومن ثم يحقن دمه ويعصم ماله وذريته ويجري عليه ما يجري على المسلمين في الظاهر بالنسبة للأمور الدنيوية في معاشه وعند موته، أمّا في الآخرة فسوف يجد جزاءه العادل عند الله تعالى.

يقول القاضي عياض: " وأمّا الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق، فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمة إذ لم يكن معهم إيمان، وألحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار، وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأعمال وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل الله للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك [٢٦] وقال: "... هلا شققت قلبه... "[٢٧].

وأمّا الصنف الثالث فقد فصّل القاضي عياض رحمه الله في شأنه حيث قال بعد ذكر الصنفين السابقين: "بقيت حالتان أخريان بين هذين الصنفين: إحداهما: أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل أن يتسع الوقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه، فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة، ورآه بعضهم مؤمنًا موجبًا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم: "... يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" [٢٨] فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره. وهذا هو الصحيح في هذا الوجه.

الثانية: أن يصدق بقلبه ويطول مهلة، وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد بها في عمره مرة، فهذا اختلف فيه أيضًا، فقيل: هو مؤمن لأنّه مصدق، والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخل، وقيل: ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان، إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح)[٢٩].

٤ـ ثمرة الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم: إذا أطلق الإيمان في لسان الشرع فإنّه يفيد الإيمان بالله ورسوله وما يتبع ذلك من شعب الإيمان لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} [النور:٦٢]. قال الإمام الشافعي رحمه الله في تأويل هذه الآية: "جعل الله كمال الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله فلو آمن عبد بالله ولم يؤمن بَرسوله لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدًا حتى يؤمن برسوله معه "[٣٠].

وثمرة الإيمان كثيرة نذكر طرقًا منها:

١ـ الاستخلاف والتمكين في الأرض والاستقرار فيها كما يقول تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور:٥٥].

٢ـ البشرى في الدنيا والآخرة. كما يدل عليه قوله تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس:٦٢٦٤].

والمراد بالبشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة، وأما في الآخرة فهي الجنة[٣١].

٣ـ الهداية إلى الصراط المستقيم، كما يدل عليه قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج:٥٤].

٤- الحياة الطيبة والجزاء الحسن. كما يفيد قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل:٩٧].
٥- النصر في الدنيا وفي الآخرة. كما يدل عليه قوله تعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ} [غافر:٥١].
وقوله تعالى أيضًا: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم:٤٧].
٦- قبول الأعمال. كما يدل عليه قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ} [الأنبياء:٩٤].
٧- دخول الجنة. كما يدل عليه قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} [التوبة:٧٢].
وهذه أهم الثمرات الحاصلة بالإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك من شعب الإيمان الأخرى الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق..."[٣٢].

المبحث الثاني
محبته صلى الله عليه وسلم

من الآداب القلبية محبته صلى الله عليه وسلم وهي من الأمور الخفية التي لا يطلع عليها إلاّ الله سبحانه وتعالى ويمكن معرفتها بالعلامات الظاهرة مثل الاتباع والطاعة. ولهذا قال تعالى في شأن من ادعى محبة الله اختبارًا لهم: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ} [آل عمران:٣١].
ويفهم من هذه الآية أنّ محبة العبد لله تستلزم اتباعه باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الرسول يستلزم محبة الله للعبد.
ومحبته صلى الله عليه وسلم من موجبات الإيمان بل من الإيمان نفسه كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدًا حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[٣٣].
وفي هذا الحديث جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسام المحبة التي تكون بين الناس وهي ثلاثة:
١- محبة إجلال وإعظام كمحبة الولد والده.
٢- محبة إشفاق ورحمة كمحبة الوالد ولده.
٣- محبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس.
ومحبته صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله كما يفيد أفعل التفضيل في قوله: " أحب إليه ".
وفي هذا المبحث سوف نتحدث عن المسائل المتعلقة بهذا الموضوع وهي على النحو التالي:
١- معنى المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ـ أنواعها.
٣ـ علاماتها.
٤ـ ثمرتها.
٥ـ صور من حب السلف للرسول صلى الله عليه وسلم.
وسوف أبحثها إن شاء الله تعالى وفق هذا الترتيب.
١ـ معنى المحبة: ذكر العلماء في أصل اشتقاق المحبة عدة أقوال. وإني هنا أذكر أهم ما قيل فيها: يقول الفيروزأبادي: "وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء:
أحدها: الصفاء والبياض ومنه قيل: حبب الأسنان لبياضها ونضارتها.
الثاني: العلو والظهور ومنه حبب الماء وحبابه وهو ما يعلو من النفخات عند المطر وحبب الكأس منه.
الثالث: اللزوم والثبات ومنه حب البعير وأحب إذا برك ولم يقم.
الرابع: اللباب والخلوص ومنه حبة القلب للبه وداخله، ومنه الحبة الواحدة الحبوب إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه.
الخامس: الإمساك والحفظ ومنه حبب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه. وفيه معنى الثبوت.
ثم قال: ولا ريب أنّ هذه الخمسة من لوازم المحبة[٣٤].
هذه أصل اشتقاق المحبة، وأمّا معناها اللغوي فيقول الفيروزأبادي في مادة (الحب): " الحب: الوداد كالحباب والحب بكسرها والمحبة والحباب بالضم "[٣٥].
ويقول ابن منظور في مادة "حبب " ما يلي: "الحب نقيض البغض، والحب الوداد والمحبة وكذلك الحب بالكسر"[٣٦].
وهذا هو المعنى اللغوي للمحبة وهو يدور حول الود أو نقيض الكراهية والبغض.
وأمّا علماء الاصطلاح فقد ذهبوا إلى أنّ لفظها يدل عليها وتحديد معناها بألفاظ أخرى لا يحقق الغرض من أتضاحها.
ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلاّ خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة "[٣٧].
وبذلك فمن الصعب أن نجد لها حداً جامعًا، ومع ذلك فإنّي أحاول أن أجليها بذكر آراء العلماء فيها.
يقول القاضي عياض مبينًا ذلك: "اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنّها اختلاف أحوال، فقال سفيان[٣٨]: المحبة اتباع الرسول كأنه التفت إلى قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:٣١] وقال بعضهم: محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته، وقال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب، وقال آخر: إيثار المحبوب وقال بعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب، وقال بعضهم: المحبة مواطأة القلب لمراد الرب بحب ما أحب ويكره ما كره، وقال آخر: المحبة ميل القلب إلى موافق له، ثم قال: وأكثر

العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها، وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان "[٣٩].
وكذلك الراغب الأصفهاني حدّها بتعريف مماثل لقول الأخير قائلاً: " المحبة ميل النفس إلى ما تراه أو تظنّه خيرًا، وذلك ضربان أحدهما: طبيعي وذلك في الإنسان والحيوان وقيل قد يكون بين الجمادات كالألفة بين الحديد وحجر المغناطيس.
والثاني: اختياري وذلك يختص به الإنسان "[٤٠].
والذي يهمنا في هذا المقام المحبة الاختيارية التي بين الناس وهي لا تكون إلاّ لأسباب مثل اللذة والنفع والفضل. وسيأتي تفصيلها عند حديثي عن أنواع المحبة وأقسامها.
وأما المحبة التي أقرها الشرع فتكون في ثلاثة: محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة المؤمنين.
يقول أبو عبد الله المحاسبي: "والمحبة في ثلاثة أشياء لا يسمى محبًا لله عز وجل إلاّ بها:
١- محبة المؤمنين في الله عز وجل.
٢- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لله عز وجل.
٣- محبة الله عز وجل في إيثار الطاعة على المعصية "[٤١].
وعلى هذا فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي ميل القلب المؤمن إليه مودة لسبب من الأسباب الموجبة على ذلك لله عز وجل ثم الانتفاع برسالته والفضل الذي أوثر عنه مثل مكارم الأخلاق والاتصاف بصفات حميدة.
٢- أنواع المحبة: قسّم العلماء المحبة إلى عدة أنواع: فمنهم من قسّمها إلى طبيعية واختيارية، ومنهم من قسّمها إلى حسيّة ومعنوية، ومنهم من قسّمها حسب الأسباب الموجبة لها مثل اللذة والنفع والفضل، ومنهم من قسّمها بحسب الرتب والدرجات.
وقد قسّم الراغب الأصفهاني المحبة إلى قسمين حيث قال:
أحدهما: طبيعي وذلك في الإنسان والحيوان، وقيل: قد يكون بين الجمادات كألفة بين الحديد وحجر المغناطيس.
الثاني: اختياري وذلك يختص به الإنسان فأما ما يكون بين الحيوانين فألفة، وهذا الثاني أربعة أضرب:
الأول: للشهوة وأكثر ما يكون ذلك بين الأحداث.
والثاني: للمنفعة ومن جهة ما يكون بين التجار وأرباب الصناعات المهنية.
والثالث: ما يكون مركبًا من ضربين كمن يحب آخر للنفع وذلك يحبه للشهوة.
والرابع للفضيلة كمحبة المتعلم للعالم. ثم قال: وهذه المحبة أي الأخيرة باقية على مرور الأوقات وهي المستثناة بقوله تعالى: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٦٧]، وأمّا الضروب الأخر فقد تطول مدتها وتقصر بحسب دوام أسبابها "[٤٢].
وقال الراغب الأصفهاني أيضًا في مكان آخر: وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا} [الإنسان:٨] ومحبة

النفع كمحبة شيء ينتفع به ومنه {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} [الصف:١٣]، ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم"[٤٣].
وهذه الأنواع التي نقلناها مبنية غالبًا على الأسباب الموجبة للمحبة الاختيارية سواء كانت حسية أو معنوية وخاصة التقسيم الأخير وهو الذي يتمشى مع هذا المقام الذي نحن بصدده.
وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى هذه الأقسام الثلاثة المسببة للمحبة حيث قال: "وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته إمّا لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له، أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واحترام النفوس أو يكون حبه إيّاه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها "[٤٤].
ثم ذكر بعد ذلك أنّ هذه الأنواع المسببة للمحبة كلها مجتمعة في شخصيته صلى الله عليه وسلم على أتم وجه حيث قال: "فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت أنّه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة. فقد تميّز بجمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن، كما تميّز بإحسانه وإنعامه على أمته. وقد ذكر الله تعالى في أوصافه رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليم واستنقاذهم من النار وأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، ويتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم، فأي إحسان أجلّ قدرًا وأعظم خطرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعمّ منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربّهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمدي فقد استبان لك أنّه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعًا... إلى أن قال: فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفًا أو أستنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحة ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب، وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال كلها على غاية مراقب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل "[٤٥].
٣- علامات محبته صلى الله عليه وسلم: المحبة من الأمور القلبية التي لا يطلع عليها أحد إلاّ من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ولذلك جعل الله لها دليلاً عمليًا وعلامات كثيرة.
ونذكر هنا طرفًا من علاماتها: منها الإيثار أي إيثار النبي صلى الله عليه وسلم على النفس كما يدل عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:٩].
والآية وإن كانت عامة في إيثار المهاجرين إلا أنه صلى الله عليه وسلم هو رئيس المهاجرين وقائدهم، وهو المحبوب الأول من الخلق أساسًا، وأمّا غيره فتبع له بحسب قربهم إليه صلى الله عليه وسلم ومتابعتهم إيّاه.
ومنها: بغض من أبغض الله ورسوله مهما كانت صلته ورتبته لقوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة:٢٢].
يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "قيل في قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ} [المجادلة:٢٢]: نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر {أَوْ أَبْنَاءَهُمْ} [المجادلة:٢٢]: في الصديق همّ يومئذ ابنه عبد الرحمن {أَوْ إِخْوَانَهُمْ} [المجادلة:٢٢]: في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، {أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة:٢٢]: في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا.."[٤٦].
وهؤلاء قاموا بقتل أقرب أقربائهم في معركة بدر لأن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يقتضي قتل من حاد الله ورسوله وبغض من أبغض الله ورسوله.
ومنها: حب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عكس الصورة السابقة لقوله صلى الله عليه وسلم: "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي فمن أحبم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أنْ يأخذه"[٤٧].
٤ـ ثمرة محبته صلى الله عليه وسلم: وثمرة محبته صلى الله عليه وسلم كثيرة ولكن نذكر هنا أهمها وشواهدها: من ذلك: أنّ محبته صلى الله عليه وسلم تؤدي إلى مرافقته في الجنة.
ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك قال: "بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجين من المسجد فلقينا رجلاً عند سدة [٤٨] المسجد فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أعددت لها؟" قال: فكأن الرجل استكان ثم قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنّي أحب الله ورسوله، قال: "فأنت مع من أحببت"[٤٩].
ومن ثمرة محبته صلى الله عليه وسلم أنّها من الخصال الموجبة لحلاوة الإيمان لقوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"[٥٠].
ومن ثمرة محبته صلى الله عليه وسلم مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إنّك لأحبّ إليّ من نفسي وإنّك لأحب إليّ من ولدي وإنّي لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتك عرفت إنّك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإنّي إذا دخلت خشيت أن لا أراك فأنزل الله

تعالى[٥١]: {وَمَنْ يُطِعْ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩].
ومن ثمرة محبته صلى الله عليه وسلم إتمام إيمان من اتصف بها لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين"[٥٢].
٥- صور من حب السلف للرسول صلى الله عليه وسلم: هناك صور متعددة من حب السلف للرسول صلى الله عليه وسلم نذكر طرفًا منها في هذا المقام وخاصة ما روي في حب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين للرسول صلى الله عليه وسلم: من ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لمّا فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لي ألفين وخمسمائة فقلت له: يا أبت لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهدًا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدًا غاب عنه أبي قال: صدقت يا بني، ولكنّي أشهد لأبوه كان أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ولهو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك "[٥٣].
ومنها ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " أنَّ خياطًا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يتتبع الدباء [٥٤] من حوالي القصعة قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ "[٥٥].
ومنها ما روي أنّه لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك لضرب عنقه وإنّك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحبّ أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإنّي جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا "[٥٦].
ومنها ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك أن أعرابيًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أعددت لها؟" قال: حب الله ورسوله، قال: "أنت مع من أحببت"[٥٧].
ومنها ما روي أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها فأخبروها بذلك فقالت: ما فعل الله برسول الله؟ قالوا: بحمد الله كما تحبين.
قالت: أرونيه حتى أنظره، فلما رأت قالت: كل مصيبة بعدك جلل [٥٨] "[٥٩].

الفصل الثاني
الأدب القولي

التأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم متعدد الجوانب متنوع الصور، وقد تحدثت عن التأدّب القلبي في الفصل السابق وأتبعه بعون الله تعالى بالحديث عن التأدّب القولي.
ونقصد بالتأدّب القولي ما كان متلفظًا به وهو عمل اللسان.

والآداب سواء كانت قلبية أو قولية أو فعلية مترابطة إلاّ أن التقسيم منهجي للتوضيح والدراسة لأنّ من استقام قلبه استقام لسانه واستقامت جوراحه.
والأدب اللساني له أهميته لأنّ اللسان هو دليل القلب وهو الوسيلة الرئيسية التي تساعد الإنسان على الاتصال بالآخرين وبواسطته تتضح معالم شخصية صاحبه، وبه تقوم الدعوة ويتم البلاغ.
ولهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربّه عز وجل حل العقدة من لسانه حتى يقوم بتبليغ الدعوة على وجهها خير قيام، وذلك حين كلفه ربّه بالرسالة وأمره بدعوة فرعون وقومه يقول تعالى: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه:٢٧٢٨].

كما أنه عليه الصلاة والسلام طلب من ربّه أن يرسل معه أخاه هارون عليه الصلاة والسلام لفصاحة لسانه ووضوح بيانه يقول تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي} [القصص:٣٤].
يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى، وإنّما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار، فهذا هو التصديق المفيد "[٦٠].
والبيان ميزة الإنسان عن سائر المخلوقات، وبه يستطيع الإنسان أن يعبر عن مراده بأسلوب واضح وبطريقة مفهومة.
وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الميزة على وجه الامتنان فقال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن:١٤].
يقول الفخر الرازي في تفسيره: "لم يقل وعلمه البيان لأنه لو عطفه عليه لكان مغايرًا له، أمّا إذا ترك الحرف العاطف صار قوله: {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن:٤] كالتفسير لقوله: {خَلَقَ الإِنسَانَ} [الرحمن:٣] كأنه إنما يكون خالقًا للإنسان إذ علمه البيان، وذلك يرجع إلى الكلام المشهور من أنّ ماهية الإنسان هو الحيوان الناطق "[٦١].
ولهذا اعتبر اللسان نصف الإنسان لأنّه يقال: المرء بأصغريه قلبه ولسانه.
يقول زهير بن أبي سلمى مشيرًا إلى ذلك:
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلاّ صورة اللحم والدم[٦٢]
واللسان مع أهميته مثل آلة ذات حدين حيث يستعمل للخير كالصدق في القول والإرشاد والتعليم والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن الحق، كما أنه يستعمل للشر من إيذاء الناس بالشتم أو بالنميمة والدفاع عن الباطل ومساندته لأن البيان قوة مؤثرة في تحريك النفوس وتوجيه الناس.
يقول صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرًا"[٦٣].
ويقول ابن حبان البستي معلقًا على هذا الحديث: "وشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا البيان بالسحر إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته، والفصيح الذرب اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه، فالأنفس تكون إليه تائقة والأعين إليه رامقة "[٦٤].
ولذا كان مجال اللسان واسعًا سواء في الخير أو في الشر.

يقول الفخر الرازي مبينًا ذلك: "ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق معلوم أو موهوم إلاّ واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله الضمير يعبر عنه بحق أو باطل، وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإنّ العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات والحروف، واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذلك سائر الأعضاء بخلاف اللسان فإنّه رحب الميدان ليس له نهاية ولا حد له فله في الخير مجال رحب وله في الشر بحر سحب.. "[٦٥].

وفي هذا الفصل نبين مجاله في التأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم من حيث مخاطبته صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه وما يتبع ذلك.

لذا يتكون هذا الفصل من مبحثين:

المبحث الأول: مخاطبته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول
مخاطبته صلى الله عليه وسلم

الخطاب توجيه الكلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه السؤال أو الجواب أو المحادثة، وقد تكون نداء مباشرًا له عليه الصلاة والسلام أثناء حياته.

ولذلك تضمن هذا المبحث دراسة مسألتين:

الأولى: غض الصوت وقت مخاطبته صلى الله عليه وسلم.

الثانية: استخدام النداء اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم.

وذلك فيما يلي:

١ـ غض الصوت وقت مخاطبته صلى الله عليه وسلم: من المعلوم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو المصدر الوحيد الذي يتلقى عنه المسلمون تعاليم الله سبحانه وتعالى سواء كان قرآنًا أو سنة أو حديثًا قدسيًا، لذلك يجب عليهم أن يتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم أثناء كلامه معهم أو كلامهم معه، وذلك بخفض الصوت وترك الجهر العالي كما يكون بين الإنسان وصديقه لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذا أدب ثان أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته)[٦٦].

والأدب هنا يحصل بمجانبة أمرين اثنين: أولاهما: رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم أخذًا من النهي الوارد في قوله: {لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات:٢].

ثانيهما: الجهر بالقول له صلى الله عليه وسلم كالجهر بعضهم بعضًا أخذًا من النهي الوارد في قوله تعالى: {وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات:٢].
وقد فرّق المفسرون بين النهيين الواردين في الآية حيث قالوا: إن الأول يتعلق برفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم أثناء كلامه معهم. وأمّا الثاني يتعلق بالجهر له صلى الله عليه وسلم وقت صمته.
ومنهم من يقول: إنّ النهي الأول يتعلق وقت خطابه معهم أو خطابهم معه أو صمته، وأن الثاني يتعلق بندائه صلى الله عليه وسلم باسمه المجرد أو بكنيته، مثل: يا محمد، يا أبا القاسم.
وأكثر المفسرين ذهبوا إلى القول الأول الذي مفاده أنّ النهي الأول يتعلق وقت خطابه صلى الله عليه وسلم معهم، وأمّا الثاني فيتعلق وقت خطابهم معه، وصمته، وهو الأرجح لأنّ النهي عن النداء غير اللائق به صلى الله عليه وسلم ورد في آية أخرى بعد هذه الآية بآية واحدة وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} [الحجرات:٤].
وقد أجمل النيسابوري رحمه الله ما ورد في التفريق بين هذين النهيين قائلاً: "والجمهور على أنّ بين النهيين فرقًا ثم اختلفوا فقيل: الأول: فيما إذا نطق ونطقتم أو أنصت ونطقوا في أثناء كلامه فنهوا أن يكون جهرهم باهر الجهر.
والثاني: فيما إذا سكت ونطقوا ونهوا عن جهر مقيد بما اعتادوه فيما بينهم وهو الخالي عن مراعاة أبهة النبوة.
وقيل: النهي الأول أعم مما إذا نطق ونطقوا أو أنصت ونطقوا والمراد بالنهي الثاني أن لا يتمادى وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضكم لبعض فلا يقال: يا أحمد يا محمد يا أبا القاسم، ولكن يا نبي الله يا رسول الله "[٦٧].
نستنتج من النهيين السابقين وجوب غض الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم ولزوم الأدب في مخاطبته سواء كان ذلك أثناء كلامه أو صمته لأنّ رفع الصوت والجهر عنده يؤدي إلى سوء الأدب معه وقلة الاحتشام منه ومجانبة توقيره ومعاملته معاملة الأقران بعضهم لبعض ومن ثم يترتب إحباط عمل المؤمن والعياذ بالله وهو لا يشعر.
يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية: والأدب الثاني هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب وتوقيرهم له في قلوبهم توقيرًا ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، ويميز شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، ويميز مجلسه فيهم، والله يدعوهم إلى ذلك النداء الحبيب ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب[٦٨].
والتحذير الرهيب هو إحباط العمل الصالح بدون شعور صاحبه أخذًا من قوله تعالى: {أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢] بمعنى أنّ عمل المؤمن يحبط بالذنوب والمعاصي دون الشرك لأن الآية خطاب للمؤمنين بدليل ابتدائها بالنداء الموجه للمؤمنين.
وعلى هذا استشكل المفسرون في توجيه هذه الآية التي ظاهرها يفيد بطلان العمل الصالح بالذنوب والمعاصي مع أن القاعدة هي أن الأعمال لا تبطل إلا بالشرك بدليل

قوله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر:٦٥]. ومن ثم اختلفت آراؤهم:
فمنهم: من يقول إن الذنوب تحبط العمل الصالح ومن ثم يكفر صاحبها.
ومنهم من يقول: إن الإحباط يقصد به نقص المنزلة دون إحباط أصلها.
ومنهم من يقول: إن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم تحبط العمل الصالح وإن كان لا يكفر صاحبها.

وممّن قال بالقول الأول شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: "ومن ذلك أنّه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالقول كما يجهر الرجل للرجل، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل، فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر لأنّ العمل لا يحبط إلا به"[٦٩].

وممّن قال بالقول الثاني أبو سليمان الدمشقي: حيث ذهب إلى أن معنى الإحباط هاهنا نقص المنزلة لا لإسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر" [٧٠] وممّن قال بالقول الثالث ابن جزي الكلبي: وهذا الإحباط، لأن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والتقصير في توقيره يحبط الحسنات، وإن فعله مؤمن لعظيم ما وقع فيه من ذلك"[٧١].

ومع الاختلاف الموجود بين هذه الآراء فإنها مجمعة على أن الذنوب تؤثر في العمل الصالح وتنقصه غير أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنّه يترتب على ذلك أمر آخر وهو الكفر أخذًا من ظاهر الآية.

وأحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ما ذكره ابن المنير رحمه الله حيث يقول: " والقاعدة المختارة أنّ إيذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق، فورد النهي عمّا هو مظنّة لأذى النبي صلى الله عليه وسلم سواء وجد هذا المعنى أو لا حماية للذريعة وحسمًا للمادة، ثم لما كان هذا المنهي عنه هو رفع الصوت منقسمًا إلى ما يبلغ ذلك المبلغ أولاً، ولا دليل عليه يميز أحد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقًا وخوف أن يقع فيما هو محبط للعمل وهو البالغ حد الإيذاء إذ لا دليل ظاهر يميزه، وإن كان فلا يتفق تمييزه في كثير من الأحيان، وإلى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الإشارة بقوله سبحانه[٧٢].
{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢]

ومن هذا الكلام الذي نقلناه عن ابن المنير يتبيّن لنا أن النهي في الآية يحتمل ما يؤدي إلى الكفر وهو ما يترتب عليه إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو الاستخفاف به ويحتمل ما دون ذلك، فإن كان الأول فلا غبار أنّ من فعل هذا يكفر ومن ثم يحبط عمله وعليه يتنزل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية السابق، وإن كان الثاني فأقل ما يقال فيه: أنّ صاحبه يأثم إثمًا كبيرًا قد يؤدي إلى منزلق خطير دون أن يترتب عليه كفر، إلا أن عمله ينقص أو يحبط وعليه يتنزل قولا أبي سليمان الدمشقي وابن جزي الكلبي لأن الحسنات يذهبن السيئات لقوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود:١١٤] وكذلك العكس أي أنّ الذنوب تحبط العمل أو تنقصه ولكن هنا بدون علم صاحبه أو حسه.

وهذا على غرار قوله تعالى في قضية الإفك: {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور:١٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه إليه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم"[٧٣].
وقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده كما ورد في الآثار.
منها قول أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك ألا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل"[٧٤].
ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير رضي الله عنه قال: " فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه "[٧٥].
وهذان النموذجان من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يمثلان سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين الذين شاهدوا التنزيل وتأدّبوا بآدابه ووقفوا عند حدوده ينفذون أوامره ويتركون نواهيه دون إبطاء أو تأخير.
وفي هذا المقام يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: " فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وذلك التحذير الرهيب، وهكذا تأدبوا في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم ولكنّ هذا المترلق الخافي عليهم كان أخوف عليهم فخافوه واتقوه "[٧٦].
ولأجل هذا الامتثال السريع من قبل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مدحهم الله سبحانه وتعالى بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات:٣].
هكذا كان الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم وأمّا بعد مماته فكذلك يجب على المسلم أن يتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يرفع صوته عند سماع أحاديثه صلى الله عليه وسلم لأن حرمته ميتًا كحرمته حيًا سواء بسواء وأن أحاديثه تقوم مقامه.
يقول ابن العربي رحمه الله: "حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته حيًا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا} [الأعراف:٢٠٤] وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله الحرمة مثل ما للقرآن إلاّ معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه. والله أعلم "[٧٧].
ويراعى هذا الأدب وهو عدم رفع الصوت أيضًا في مسجده صلى الله عليه وسلم لما أخرجه البخاري بسنده عنْ السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما، قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧٨].

هذا في المسجد وكذلك الحال عند قبره صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عند تفسيره هذه الآية: " ومعلوم أنّ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في أيام حياته وبه تعلم أنّ ما جرت به العادة من اجتماع الناس قرب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في صخب ولغط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا كله لا يجوز ولا يليق وإقرارهم عليه من المنكر "[٧٩].

وممّا سبق ذكره يتبين لنا أنّ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته في حياته على الوجه الذي شرحناه آنفًا وأنه يجب التأدب معه في الصوت بعد وفاته كما كان الحال وقت حياته للآية الكريمة التي نحن بصددها لأنّ حكمها يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا ينقطع بموته صلى الله عليه وسلم.

كما أنّ هذا الأدب المستفاد من الآية يكون مع العلماء لأنهم ورثة الأنبياء وكذلك مع الأبوين وغيرهما لمن له فضل على الإنسان المسلم.

يقول الجصاص في هذا المقام: " وهذه الآيات وإن كانت نازلة في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإيجاب الفرق بينه وبين الأمة فيه فإنه تأديب لنا فيمن يلزمنا تعظيمه من والد وعالم وناسك وقائم بأمر الدين وذي سن وصلاح ونحو ذلك إذ تعظيمه بهذا الضرب من التعظيم في ترك رفع الصوت عليه وترك الجهر عليه والتمييز بينه وبين غيره ممن ليس في مثل حاله "[٨٠].

قلت: لا شك أنّ هؤلاء الأشخاص يأخذون هذا الحكم وينبغي التأدب معهم وتوقيرهم بالشكل اللائق بهم مع مراعاة الفرق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّ مقامه أرفع من هؤلاء جميعًا وهو صلى الله عليه وسلم المعنى بالآية أصلاً وهؤلاء تبعًا وليس الفرع كالأصل وإن اشتركا في أمور، والله تعالى يقول: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب:٦] بل ينبغي أن يحترم العبد النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سيده.

يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "إن هذا أفاد أنّه لا ينبغي أن يتكلم المؤمن عند النبي صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لأن العبد داخل تحت قوله: {كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات:٢]. لأنه للعموم فلا ينبغي أن يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد وإلا لكان قد جهر له كما يجهر بعضهم لبعض.. ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب:٦]. والسيد ليس أولى عند عبده من نفسه حتى لو كان في مخمصة ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم... وأن الحكمة تقتضي ذلك كما أن العضو الرئيسي أولى بالرعاية من غيره، لأنّ عند خلل القلب مثلاً لا يبقى لليدين والرجلين استقامة، فلو حفظ الإنسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو أيضًا بخلاف العبد والسيد "[٨١].

٢ـ النداء اللائق به صلى الله عليه وسلم: النداء لون من ألوان الخطاب إلا أنه يتميز عنه بتوجيهه إلى شخص المنادى مباشرة، الأمر الذي يجعل له أثرًا عند من ينادي عليه.

وفي مجال التأدّب مع الرسول صلى الله عليه وسلم جاء التنبيه في القرآن الكريم على ضرورة عدم مناداته بطريقة جافة ومزعجة بل لا بد من مراعاة مقامه وقدره وبالأخص عندما يكون في بيته مع نسائه وأولاده.
يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات:٤٥].
عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد إن حمدي زين وإنّ ذمي شين، فقال: فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} [الحجرات:٤][٨٢].
ويقول ابن كثير: "وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد "[٨٣].
وقد ذكر المفسّرون عدّة أسباب لنزول هذه الآية التي نحن بصددها ولكنّ الذي يهمنا في هذا المقام هو ما يستفاد من الآية سواء نزلت في الأقرع بن حابس رضي الله عنه أو في غيره لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
وقد تضمنت الآية أمرين:
أولهما: عدم إزعاج الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت خلوته في بيته مع نسائه بالنداء غير اللائق به.
وثانيهما: الإرشاد إلى ما ينبغي أن يفعل في هذه الحالة وهو الانتظار إلى أن يحين وقت خروجه.
يقول ابن كثير في تفسيره هذه الآية: " ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال: {أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} [الحجرات:٤]. ثم أرشد إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل: {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [الحجرات:٥] أي: لكان في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة "[٨٤].
وهذا لا يعني أنه لا يجوز مناداته صلى الله عليه وسلم بتاتًا، وإنما المحظور مناداته في وقت خلوته مع نسائه في بيته كما في هذه الحالة، وكذلك مناداته بصوت مرتفع خال من الاحترام والتقدير بل ينبغي أن ينادي له بصوت منخفض وبصيغة معينة تتناسب مع قدره وعظمته ووقاره مثل: يا رسول الله، يا نبي الله، لا مجرد اسمه مثل: يا محمد، ويا أحمد، ويا أبا القاسم. كما يفعل بعضهم لبعض.
وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور:٦٣].
وهذه الآية تشير إلى أحد المعاني الآتية:
الأول: أنه نهي عن التعرض لإسخاطه صلى الله عليه وسلم لأنه إذا دعا على شخص فدعوته مستجابة.
الثاني: أنهم أمروا أن يقولوا: يا رسول الله ونهوا أن يقولوا: يا محمد وما يساويها.
الثالث: أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخر إذا دعاهم[٨٥]. وقد ذكر أكثر المفسرين هذه التأويلات مع ترجيح واحد منها والسكوت عن المعنيين الآخرين إلا أن ابن عطية [٨٦] رد معنى الأول حيث قال: " ولفظ الآية يدفع هذا المعنى "[٨٧].

وهناك من ذكر التأويلات الثلاثة دون ترجيح إيذانًا بأن الآية تحتمل المعاني الثلاثة.
وقد أيّد كل مفسّر ما ذهب إليه بترجيحات مقبولة ونذكر بعضها هنا.
فمن الذين رجحوا التأويل الثاني الفخر الرازي بعد إيراده التأويل المذكور حيث قال: "والذي يدل على هذا عقب هذا[٨٨]: {فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} [النور:٦٣] وذهب إلى ذلك أيضًا أبو حيان الأندلسي حيث قال بعد إيراده هذا التأويل: " وهذا موافق لمساق الآية ونظمها "[٨٩].
وأمّا من الذين رجحوا القول الثالث فمنهم الإمام ابن كثير رحمه الله حيث قال: " وهذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا} [البقرة:١٠٤] إلى آخر الآية.
وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات:٢].
إلى قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ} [الحجرات:٤] إلى آخر الآية، ثم قال: فهذا كله من باب الأدب في مخاطبته صلى الله عليه وسلم والكلام معه كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته "[٩٠].
يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي بعد ذكره الأقوال الثلاثة: " وهذه الوجوه الثلاثة وإن كان كل واحد منها صحيحًا حسب الألفاظ القرآنية، ولكن الوجه الأول [٩١] هو أقرب إلى نظم الآية عندنا وهو الذي يؤيده قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} [النور:٦٣] بعد هذه الآية[٩٢].
والذي ينبغي في هذا المقام عدم ترجيح أحد الأقوال على آخر ما دامت ألفاظ الآية تحتمل المعاني المذكورة كلها ولا تعارض بينها وخاصة إذا كان هناك مرجحات مباشرة وغير مباشرة لكل من القولين اللذين أخذ بهما المفسرون.
وأحسن ما قيل في معنى هذه الآية التي نحن بصددها قول ابن قيم الجوزية رحمه الله والذي يقول فيه: " إنّ المصدر هنا لم يضف إضافته إلى فاعل ولا مفعول وإنما أضيف إضافة الأسماء المحضة، ويكون المعنى لا تجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضًا، وعلى هذا فيعم الأمرين معًا ويكون النهي عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم بعضًا وعن تأخير إجابته صلى الله عليه وسلم، وعلى كل تقدير أمر الله سبحانه بأن يتميز عن غيره في خطابه ودعائه إياهم، قيامًا للأمة بما يجب عليهم من تعظيمه وإجلاله "[٩٣].
وخلاصة القول: إن الغرض الذي من أجله أوردنا هذه الآية هو بيان ما يجب على المسلم أن يتحلى به في ندائه صلى الله عليه وسلم حيث يخفض صوته ويتخير ألفاظ التقدير والتعظيم لندائه بيا رسول الله، ويا نبي الله، يا خير خلق الله. ويدع هذه النداءات السوقية في لفظها وكيفيتها مثل: يا محمد، ويا أحمد، أو كنيته مثل: يا أبا القاسم كما كانوا يفعلونه من قبل، بل بندائه صلى الله عليه وسلم نداء يتناسب مع مقامه ومكانته مثل: يا رسول الله ويا نبي الله اقتداء بما في القرآن من نداء الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم بحيث أنّ الله سبحانه وتعالى لم يناد رسوله في القرآن

بمجرد اسمه ولو مرة واحدة وإنما ناداه بصفة النبوة والرسالة وغيرهما من الصفات الثابتة له في القرآن.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند كلامه عن حقوق الرسول الزائدة على مجرد التصديق [٩٤] والإيمان:
"ومن ذلك حضّه في المخاطبة بما يليق به فقال: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور:٦٣] فنهى أن يقولوا يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم ولكن يقولوا، يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه مما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء فلم يناد باسمه في القرآن قط بل يقول: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [الأحزاب:٢٨].
و{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} [المائدة:٦٧].
و{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً} [المزمل:١٢].
و{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر:١].
مع أنه سبحانه قد قال: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة:٣٥].
{يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود:٤٦].
{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [هود:٧٦].
{يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} [الأعراف:١٤٤].
{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ} [ص:٢٦].
{يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ} [المائدة:١١٠].
وعلى هذا دلت الآية التي نحن بصددها الغرض الذي من أجله أوردناها وهو الذي يهمنا هنا لاحتمالها احتمالاً قويًا أو المتبادر إلى الفهم كما ذكر ابن القيم رحمه الله ولوجود مرجحات غير مجاورة ترجح هذا المعنى كما ذكر ابن كثير في تفسيره، ومرجحًا آخر متقدم ومجاور لهذه الآية يرجح هذا المعنى وهو قوله تعالى: {وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} [النور:٦٢] كما أفاد الشهيد سيد قطب في تفسيره المسمى في ظلال القرآن إذ أن مناسبة الآية لما بعدها ليست أولى من مناسبتها لما قبلها إن وجدت وهنا وجدت.
يقول الشهيد سيد قطب: "ويلتفت إلى ضرورة توقير الرسول صلى الله عليه وسلم عند الاستئذان وفي كل الأحوال فلا يدعى باسمه يا محمد أو كنيته يا أبا القاسم كما يدعو المسلمون بعضهم بعضًا إنما يدعى بتشريف الله له وتكريمه يا نبي الله، يا رسول الله "[٩٥].

المبحث الثاني
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

شرع الله تعالى الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦].

وقد شمل موضوع الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم حيزًا واسعًا في فكر العلماء وحياة المسلمين مما جعلني أعقد هذا المبحث للوصول إلى الحق فيه.
والأمر هنا يحتاج إلى بيان عدد من النقاط المتصلة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي:

١- مفهوم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لغة واصطلاحًا.
٢- حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
٣- صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
٤- مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
٥- ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وسوف تأتي هذه المسائل وفق الترتيب المذكور فما يلي:
تعريف الصلاة لغة واصطلاحًا: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصلاة المفروضة التي هي الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم، ولذلك كان تعريفها ضروريًا لتتضح حقيقتها المرادة من هذا المبحث.
وكما هو منهجي فإني أبدأ بالتعريف اللغوي وبعده يكون التعريف الاصطلاحي.
تعريف الصلاة لغة: يقول الجوهري: " الصلاة: الدعاء "[٩٦].
ويقول الفيروزآبادي: " الصلاة: الدعاء والرحمة الاستغفار "[٩٧].
ويقول صاحب مصباح المنير[٩٨]: " الصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة "[٩٩].
وإذا نظرنا إلى التعريفات السابقة للصلاة في اللغة نرى أن لها عدة معان، فى الدعاء وبمعنى التعظيم وبمعنى الرحمة وبمعنى البركة.
وأمّا الصلاة في الاصطلاح الشرعي: فلا تخرج عن معاني اللغة المذكورة إذا قيدت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي فمعناها باق على ما كان عليه في الاستعمال اللغوي.
وعلى هذا فلم يذكر العلماء تعريفًا لها عند كلامهم عن هذا الموضوع وإنّما جلّ كلامهم ينصب على التفريق بين صلاة الله وصلاة المخلوقين، ولكن نحاول هنا أن نذكر تعريفًا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من خلال كلامهم. يقول الفيروزآبادي: " والصلاة حسن الثناء من الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم.... "[١٠٠].
ويقول الجرجاني بعد تعريفه الصلاة المكتوبة: " والصلاة أيضًا طلب التعظيم بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة "[١٠١].
والصلاة في تعريف الفيروزآبادي السابق يتضمن جانبًا واحدًا وهو إذا كانت الصلاة من الله عز وجل وأما جانب المخلوقين فلم يتعرض له ولهذا كان هذا التعريف ناقصًا.
وأما تعريف الجرجاني السابق فمعناه طلب التعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الطلب يمكن أن يكون طلب أمر وطلب دعاء.
وإذا كان الطلب أمرًا فيستقيم في حق الله تعالى، وأما إذا كان دعاءً فيستقيم في حق المخلوقين دون الله عز وجل لأن الدعاء طلب الإعانة من الغير وهذا محال على الله سبحانه وتعالى.

ويلاحظ أن قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦]. يدل على أن الله سبحانه وتعالى، والملائكة يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم بحيث جمع الله صلاته وصلاة الملائكة في فعل واحد وبصيغة الأخبار وأمر المؤمنين بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

ولهذا فرّق العلماء بين معنى صلاة الله على النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى صلاة المخلوقين حتى يستقيم معنى الصلاة في حق الله عز وجل وحق ملائكته وحق المؤمنين.

ولإزالة هذا الإشكال ذكر العلماء أقوالاً عدة في بيان المعنى المراد من الصلاة على اختلاف فاعلها.

يقول أبو العالية: " صلاة الله عز وجل ثناؤه عليه وصلاة الملائكة عليه الدعاء "[١٠٢].

ويقول الضحاك: " صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء "[١٠٣].

ويقول الضحاك أيضًا: " صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء "[١٠٤].

وإذا نظرنا إلى الأقوال السابقة الواردة في معنى الصلاة نرى أن الصلاة من الله على النبي صلى الله عليه وسلم هي الثناء والرحمة والمغفرة، وأمّا الصلاة من الملائكة فله معنى واحد وهو الدعاء إلا أن هذه الأقوال لا تسلم عن مقال ومآخذ إذ يترتب عليها وجود معنيين على الأقل في فعل واحد وفي استعمال واحد مع أنه أسند إلى الاثنين معًا.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله القولين الأخيرين من الأقوال السابقة في معنى الصلاة من جانب الله تعالى وجانب الملائكة وضعفهما وأسهب في ذلك حيث ذكر خمسة عشر وجهًا تدل على ضعفهما. ومن أحسن ما ضعفهما به قوله: "إن الله سبحانه وتعالى فرّق بين صلاته على عباده ورحمته فقال: {وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة:١٥٥١٥٧]. فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى تغايرهما. هذا أصل العطف، وإن الله سبحانه فرّق بين صلاته وصلاة ملائكته وجمعهما في فعل واحد فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...} [الأحزاب:٥٦]. وهذه الصلاة لا يجوز أن تكون هي الرحمة وإنّما هي ثناؤه سبحانه وثناء ملائكته عليه، ولا يقال الصلاة لفظ مشترك ويجوز أن يستعمل في معنييه معًا لأنّ في ذلك محاذير متعددة"[١٠٥].

ومن هنا نجزم بأنّ صلاة الله وصلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم في الآية التي نحن بصددها لها معنى واحد وهو الثناء عليه، وأمّا صلاتنا نحن عليه صلى الله عليه وسلم فهي طلب المزيد من الثناء من الله عز وجل طلب دعاء لا طلب أمر.

يقول الحليمي رحمه الله: " فيدل على أنَّ قولنا: اللهم صل على محمد صلاة منّا عليه إنّا لا نملك إيصال ما يعظم به أمره ويعلو به قدره إليه وإنّما ذلك على الله تعالى فيصح أن صلاتنا عليه الدعاء له بذلك وابتغاؤه من الله عز وجل "[١٠٦].

وقد أيد ابن القيم هذا الرأي القائل بأنّ صلاتنا هي طلب المزيد من الثناء من الله عز وجل حيث قال: "الصلاة المأمور بها فيها هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه فهي تتضمن الخبر والطلب وسمى هذا السؤال والدعاء منّا نحن صلاة عليه لوجهين:
أحدهما: أنّه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.
الوجه الثاني: أن ذلك سمي منّا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به وضد هذا في لعنة أعدائه الشائنين لما جاء به فإنها تضاف إلى الله وتضاف إلى العبد كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ} [البقرة:١٥٩]. فلعنة الله لهم تتضمن مقته وإبعاده وبغضه لهم ولعنة العبد تتضمن سؤال الله تعالى أن يفعل ذلك بمن هو أهل اللعنة"[١٠٧].
وعلى هذا فمعنى صلاة الله عز وجل وصلاة الملائكة على النبي صلى الله عليه وسلم الثناء، وأمّا في حق المؤمنين في طلب ذلك الثناء من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم.
حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر السخاوي عن شيخه [١٠٨] في حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عشرة أقوال:
القول الأول: إنها مستحبة.
الثاني: إنها واجبة في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الأجزاء مرة.
الثالث: أنّها تجب في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد.
الرابع: تجب في القعود مرة آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحليل.
الخامس: تجب في التشهد فقط.
السادس: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل.
السابع: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.
الثامن: تجب كلما ذكر صلى الله عليه وسلم.
التاسع: تجب في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارًا.
العاشر: تجب في كل دعاء[١٠٩].
هذه عشرة أقوال في حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولكنّها في الحقيقة والواقع قولان: أولهما: أنّها مستحبة.
ثانيهما: أنّها واجبة ولكن الذين يقولون بوجوبها اختلفوا في عدد المرات وفي المواطن التي تجب فيها حتى بلغت أقوالهم تسعة أقوال إلا أنّ أغلب هذه الأقوال متعلقة بالمواطن التي تجب الصلاة فيها.
وأصح ما قيل في حكمها أنّها تجب في الجملة بدون تقييد بعدد أو وقت مع مراعاة المواطن التي يتأكد وجوبها أو استحبابها.
يقول صاحب بهجة المحافل[١١٠]: "وأما حكمها فهي واجبة إجماعًا للآية الكريمة [١١١] لكنّه غير محدد بوقت ولا عدد"[١١٢].

وهذا الإجماع الذي ادعاه فيه نظر لأنّ من العلماء من يقول باستحبابها مطلقًا إلاّ إذا حملنا الاستحباب بما زاد على المرة الواحدة.
يقول السخاوي: "وقد أول بعض العلماء هذا القول بما زاد على المرة الواحدة وهو متعين والله أعلم "[١١٣].
صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم صيغ كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم يروونها عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد بعضها صحيحة وبعضها حسنة وبعضها ضعيفة أو يلفقونها مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صيغ الصلاة أو يؤلفونها من عندهم.
وهنا نكتفي بذكر الصيغ الصحيحة لأنّ الغرض يتم بها وأمّا غيرها من الصيغ الضعيفة أو الملفقة فلا يتم بها بل نص بعض العلماء على عدم جوازها لعدم ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية السند أو بالكيفية الملفقة.
وعلى هذا فلابد للمسلم أن يلتزم بالصيغ المأثورة الصحيحة أو الحسنة.
وقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني سبع صيغ صحيحة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[١١٤].
ونذكر هذه الصيغ كما وردت في كتابه " صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وبنفس الترتيب.
الصيغة الأولى: عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان يقول: "اللهم صلّ على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل أبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد"[١١٥].
الصيغة الثانية: عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[١١٦].
الصيغة الثالثة: عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: قل: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد"[١١٧].
الصيغة الرابعة: عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس عبادة فقال بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد"[١١٨].
الصيغة الخامسة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: "اللهم صلّ على محمد عبدك

ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم"[١١٩].
الصيغة السادسة: عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنّهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا: "اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد"[١٢٠].
الصيغة السابعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد"[١٢١].
هذه هي صيغ الصلاة التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بعد ما سألوا عنها والتي وردت بأسانيد صحيحة كما بيّنّا، ولهذا ذهب بعض العلماء على التزامها دون تغيير أو تلفيق لأنّها أفضل الكيفيات في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يقول السخاوي: "استدل بتعليمه صلى الله عليه وسلم لأصحابه كيفية الصلاة عليه بعد سؤالهم عنها أنّها أفضل الكيفيات؛ لأنّه لا يختار لنفسه إلا الأشرف والأفضل، ويترتب على ذلك لو حلف أن يصلي عليه أفضل الصلوات فطريق البر أن يأتي بذلك "[١٢٢].
ومع ورود هذه الصيغ الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد أجاز بعض العلماء الصلاة عليه بلفظ جميل: يقول الفاكهي[١٢٣]: "ونقل ابن مندة عن جمع من الصحابة وغيرهم أنّ من رزقه الله بيانًا شافيًا عن المعاني الصحيحة بالألفاظ الفصيحة فأبان عن الشرف النبوي كان كمن سلك السنن السنية "[١٢٤].
وجاء في كتاب حسن التوسل: "والصلاة بلفظ صلى الله عليه وسلم أمر حسن متضمن للبلاغة والإيجاز الموفي بالمقصود على أكمل وجه[١٢٥] ولذا تواطأ المؤلفون وغيرهم من العلماء المتقدمين والمتأخرين على التزامها"[١٢٦].
وأمّا التلفيق بين صيغ الصلاة فقد استحسنه بعض العلماء وكرهه بعضهم.
ومن الذين استحسنوه الإمام النووي رحمه الله حيث يقول: "وينبغي أن يجمع ما في الأحاديث الصحيحة فيقول: "اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد"[١٢٧].
ومع هذا فقد فاته شيء، ولعلها توازي قدر ما زاده وتزيد عليه كما ذكر السخاوي عن شيخه ابن حجر العسقلاني مثل قوله: عبدك ورسولك ومثل قوله في العالمين في الأولى ومثل قوله: " اللهم صلّ وبارك لأنهما ثبتا معًا وغير ذلك "[١٢٨].
وأما الذين كرهوا التلفيق بين صيغ الصلاة فمنهم ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: "ولبعض المتأخرين في بعض هذه الأدعية والأذكار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقولها ويعلمها بألفاظ متنوعة ورويت بألفاظ متنوعة طريقة محدثة بأن جمع تلك الألفاظ واستحب ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها مثال الحديث الذي في الصحيحين

[١٢٩] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه سأل رسول الله: علّمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: " اللهم إنّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا... " قد روي كثيرًا وروي كبيرًا فيقول هذا القائل يستحب أن يقول كثيرًا كبيرًا وكذلك إذا روي: " اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد " وروي " اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته " وأمثال ذلك. وهذه طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين وطرد هذه الطريقة أن يذكر التشهد بجميع هذه الألفاظ المأثورة وأن يقال الاستفتاح بجميع الألفاظ المأثورة. وهذا مع أنّه مخالف لعمل المسلمين لم يستحبه أحد من أئمتهم، بل عملوا بخلافه فهو بدعة في الشريعة، فاسد في العقل، ثم قال: إذ قال هذا تارة على آل محمد وتارة على أزواجه وذريته كان حسنًا... "[١٣٠].
وتبعه في ذلك تلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله حيث يقول: " إنّ هذه الطريقة أي طريقة التلفيق بين جمع صيغ الصلاة طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين وأنّ صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع الاستفتاحات وأن يستشهد بجميع التشهدات وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه. وهذا باطل فإنه خلاف عمل الناس ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين "[١٣١].
والرأي الأخير هو الأصح لأن هذه الصيغ تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية وأنه علّم أصحابه بهذه الكيفية، بعد ما سألوه عنها ولأن التلفيق يترتب عنه صيغة مصطنعة مؤتلفة لم يقل بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعلينا الاتباع لا الابتداع.
هذا ما يتعلق بصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قولاً. وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كتابة فقد اصطلح المؤلفون على كتابة عبارة " صلى الله عليه وسلم " بعد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.
ولذلك يكره أن يقتصر على الصلاة دون السلام أو السلام دون الصلاة كما أنه يكره أن يرمز إليهما بحرفين أو نحو ذلك مثل صعم أو "صلعم" أو "ص" أو "صلم" وما شابه ذلك.
يقول ابن كثير رحمه الله تعالى نقلاً عن ابن الصلاح: " وليحافظ على الثناء على الله عز وجل والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن تكرر فلا يسأم فإن فيه خيرًا كثيرًا. بحيث يكتب الصلاة والتسليم كاملة لا رمزًا ولا يقتصر على قوله "عليه السلام" يعني وليكتب "صلى الله عليه وسلم" واضحة كاملة[١٣٢].
ومستند الجمع بين الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بهما معًا في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦]. ومعنى السلام فقيل السلام الذي هو اسم من أسماء الله عليك وتأويله لا خلوت من الخيرات والبركات وسلمت من المكاره والآفات....
ويحتمل أن يكون بمعنى السلام أي ليكن قضاء الله عليك السلام وهو السلامة كالمقام والمقامة... أي يسلمك الله من الملام والنقائص...
ويحتمل أن يكون بمعنى المسالمة له والانقياد[١٣٣].

وأما حكم السلام عليه صلى الله عليه وسلم فتابع لحكم الصلاة عليه لأمر الوارد بهما معًا في الآية السابقة.
وأما صيغة السلام عليه فهي "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته الواردة في التشهد" كما هو الظاهر[١٣٤].
وأما مواطنها المتفق عليها فهي في التشهد وعند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي.
وأما ثوابها فتشترك الصلاة في كثير من ذلك.
مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر العلماء مواطن كثيرة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من ذكر أربعين موطنًا كابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في جلاء الأفهام [١٣٥]، وكذلك السخاوي في القول البديع [١٣٦] نحو عدد المواطن التي ذكرها ابن القيم. ومنهم من ذكر اثنين وثلاثين موطنًا كصاحب بهجة المحافل[١٣٧].
ونذكر هنا أهم ما صح من هذه المواطن وخاصة المرفوع من ذلك.
الموطن الأول: في الصلوات عامة بعد التشهد لحديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصلّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجل هذا، ثم دعاه فقال له ولغيره: "إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتمجيد اللّه والثناء عليه ثم يصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء"[١٣٨].
وهذا الحديث يدل في منطوقه على أنّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الصلاة.
الموطن الثاني: صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية: لحديث الزهري قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب قال: "إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت متى يفرغ ولا يقرأ إلا مرّة واحدة ثم يسلم في نفسه "[١٣٩].
الموطن الثالث: عقب إجابة المؤذن: لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا سمع المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ فإنّ من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنَّها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي"[١٤٠].

وهذه الصلاة ينبغي أن يقولها القائل سرًّا لا جهرًا خلافًا لما يفعله الناس وخاصة المؤذنون من الجهر بالآية[١٤١] ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ ناصر الدين الألباني: " ومن العجيب أن ترى بعض المتهاونين بهذه السنن أشد الناس تعصبًا وتمسكًا ببدعة جهر المؤذن بالصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم عقب الأذان مع كونه بدعة اتفاقًا، فإن كانوا يفعلون ذلك حبًّا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهلا اتبعوه في هذه السنة [١٤٢] وتركوا تلك البدعة "[١٤٣].

الموطن الرابع: طوال يوم الجمعة: لحديث أوس بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ "، فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: "يقول بليت؟ قال: إن الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء "[١٤٤].

الموطن الخامس: في كل مجلس: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا عليه قال: " ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا عليه فيه إلاّ كان عليهم حسرة يوم القيامة "[١٤٥].

الموطن السادس: كلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم: لقوله صلى الله عليه وسلم: " البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ.. "[١٤٦]. ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر العلماء ثوابًا كثيرًا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من ذكر ما يقارب أربعين ثوابًا كابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام [١٤٧]، والسخاوي في القول البديع[١٤٨].

وهذا الثواب المذكور منه ما يستند إلى دليل صحيح، ومنه ما يستند إلى أدلةٍ ضعيفة، كما أنّ بعضًا منه يدخل في بعض الآخر.
وأذكر هنا أهم ما ذكره العلماء:
أولها: كتابة عشر حسنات لمن صلّى عليه صلى الله عليه وسلم صلاة واحدة لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "... من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرًا "[١٤٩].
ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من صلّى عليَّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشرًا "[١٥٠].
ثانيها: محو عشر سيئات عمن صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم لحديث عبد الرحمن بن عمرو قال: "من صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات... "[١٥١].
ثالثها: رفع عشر درجات لمن صلى عليه صلى الله عليه وسلم لحديث عبد الرحمن بن عمرو قال: "من صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات"[١٥٢].
رابعها: مغفرة الذنب كله لمن صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في ثلثي الليل فيقول: "جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه " وقال أبيّ: يا رسول الله إنّي أصلّي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي؟ [١٥٣] قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: الشطر قال: أفأجعل لك شطر صلاتي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الثلثان أكثر، قال: أفأجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن يغفر لك ذنبك كله "[١٥٤].
خامسها: القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"[١٥٥].
سادسها: أن من صلّى عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره ينجو من أن يوصف بالبخل لحديث علي رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ"[١٥٦].
سابعها: أنّه من صلى عليه لا يخطئ أبواب الجنة لحديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ينسى الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة"[١٥٧].
وهذان الحديثان الأخيران يدلان على الثواب بدليل المخالفة.
ثامنها: أنها سبب لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.
لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليَّ فإن من صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها مترلة في الجنة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلّت له شفاعتي"[١٥٨].

الهوامش:
[١] المضغة: القطعة من اللحم، قدر ما يمضغ، وجمعها مضغ، وهنا تعني القلب، لأنه قطعة لحم من الجسد. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٣٩/٤).
[٢] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه (١٩٢٠/١).
[٣] صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/١).
[٤] غرائب القرآن، (١٣١١٣٢/٣).
[٥] صحيح مسلم، كتاب القدر، بات تصريف الله القلب كيف شاء (٢٠٤٥/٤).
[٦] صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله القلب كيف شاء (٢٠٤٥/٤).
[٧] هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٩٢٣٧٠هـ).
[٨] تهذيب اللغة مادة أمن (٥١٣/١٥).
[٩] تقدمت ترجمته في (ص:٢٥).
[١٠] معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١).
[١١] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ). انظر ترجمته في بغية الوعاة (٢٧٣٢٧٥/٢).
[١٢] القاموس المحيط (١٩٩/٤).
[١٣] تقدمت ترجمته في (ص:٢٥).

[١٤] لسان العرب (٢١/١٣).
[١٥] تهذيب اللغة، (٥١٤/١٥).
[١٦] الإيمان (١٤٦).
[١٧] المصدر السابق: (١٤٦١٤٧).
[١٨] الفوائد: (٨٥).
[١٩] الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض (٥٣٩/٢).
[٢٠] القاعدة المراكشية: (٢٤٢٥).
[٢١] الفوائد (١٠٧).
[٢٢] البخاري في كتاب الأيمان في باب سؤال جبريل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (١٨/١).
[٢٣] البخاري في كتاب الإيمان، باب: (فأن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (١٣/١). واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. (٥٣/١).
[٢٤] مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٣٤٨).
[٢٥] تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.
[٢٦] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٥٤٠/٢).
[٢٧] جزء من حديث أسامة، وتمامه: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا في الخرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقال: لا إله إلاّ الله وقتلته؟" قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟" فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أنّي أسلمت يومئذ. انظر صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلاّ الله (٥٦/١).
[٢٨] الحديث في صحيح البخاري، في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان (١٣/١) بلفظ: "يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان".
[٢٩] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٥٤١/٢).
[٣٠] موسوعة سماحة الإسلام لمحمد صادق عرجون (٨٢/١).
[٣١] انظر تفسير ابن كثير (٤٢٢/٢).
[٣٢] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٦٣/١).
[٣٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (١٢/١).
[٣٤] بصائر ذوي التمييز: (٤١٦٤١٧/٢).
[٣٥] القاموس المحيط: (٥٢/١).
[٣٦] لسان العرب: (٢٨٩/١).

[٣٧] مدارج السالكين: (١٠/٣).
[٣٨] يحتمل أنّه ابن عيينة أو الثوري كما ذكر الخفاجي في شرح الشفا (٣٧١/٣).
[٣٩] الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٥٧٨٥٧٩/٢).
[٤٠] الذريعة إلى مكارم الشريعة: (١٩٠).
[٤١] رسالة المسترشدين: (١٧٧١٧٩).
[٤٢] الذريعة إلى مكارم الشريعة: (١٩٠).
[٤٣] مفردات في غريب القرآن: (١٠٥).
[٤٤] الشفا: (٥٧٩/٢).
[٤٥] الشفا: (٥٨٠٥٨١/٢).
[٤٦] تفسير القرآن العظيم: (٣٢٩/٤).
[٤٧] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٥٨/٥) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
[٤٨] سدة المسجد: يعني الظلال التي حوله. النهاية في غريب الحديث: (٣٥٣/٢).
[٤٩] صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب (٢٠٣٣/٤).
[٥٠] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٢/١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١) واللفظ له.
[٥١] مجمع الزوائد (٧/٧) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران الغامدي وهو ثقة.
[٥٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (١٢/١).
[٥٣] مستدرك الحاكم (٥٥٩/٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
[٥٤] الدباء: القرع واحدتها دباءة. النهاية في غريب الحديث (٩٦/٢).
[٥٥] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية (٢٩١/٣).
[٥٦] انظر سيرة ابن هشام: (٩٥/٣).
[٥٧] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب (٢٠٣٢/٤).
[٥٨] جلل: هين يسير، والجلل من الأضداد، يكون للحقير والعظيم. النهاية في غريب الحديث (٢٨٩/١٠).
[٥٩] انظر سيرة ابن هشام (٤٣/٣).
[٦٠] تفسير الفخر الرازي: (٢٤٩/٢٤).
[٦١] تفسير الفخر الرازي: (٤٦/٢٢).
[٦٢] في ديوانه: (٨٩).
[٦٣] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من البيان سحرا (٢١/٤).
[٦٤] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (٢١٩).

[٦٥] تفسير الفحر الرازي: (٤٧/٢٢).
[٦٦] تفسير القرآن العظيم: (٢٠٥/٤).
[٦٧] تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٥٧/٢٦).
[٦٨] في ظلال القرآن: (٣٣٣٩/٦).
[٦٩] الصارم المسلول على شاتم الرشول (ص:٤٢٣).
[٧٠] زاد المسير (٤٥٧/٨).
[٧١] التسهيل (١٠٤/٤).
[٧٢] الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال الذي بهامش الكشاني (٥٥٦/٣).
[٧٣] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفد اللسان (١٢٦/٤).
[٧٤] الحاكم في مستدركه (٤٦٢/٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
[٧٥] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحجرات (١٩١/٣).
[٧٦] في ظلال القرآن: (٣٣٣٩/٦).
[٧٧] أحكام القرآن لابن العربي: (١٧٠٢/٤ ١٧٠٣).
[٧٨] صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد (٩٣/١).
[٧٩] أضواء البيان: (٦١٧/٧).
[٨٠] أحكام القرآن للجصاص (٣٩٨/٣).
[٨١] تفسير الفخر الرازي: (١١٣/٢٨).
[٨٢] الدر المنثور بالتفسير بالمأثور للسيوطي، (٥٥٢/٧)، وقال السيوطي: رواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند صحيح.
[٨٣] تفسير القرآن العظيم: (٢٠٨/٤).
[٨٤] تفسير القرآن العظيم: (٢٠٨/٤).
[٨٥] انظر زاد المسير (٦٨/٦).
[٨٦] هو عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية المتوفى سنة (٥٤١هـ) انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي (٢٦٠٢٦١/١).
[٨٧] انظر البحر المحيط: (٤٧٦/٦).
[٨٨] تفسير الفخر الرازي (٤٠/٢٤).
[٨٩] البحر المحيط: (٤٧٦/٦).
[٩٠] تفسير القرآن العظيم: (٣٠٦٣٠٧/٣).
[٩١] الثاني عندنا.
[٩٢] تفسير سورة النور (ص:٢٣١).
[٩٣] جلاء الأفهام: (ص:٢٣٥).
[٩٤] الصارم المسلول (ص:٤٢٢٤٢٣) بتصرف.
[٩٥] في ظلال القرآن: (٢٥٣٥/٤).
[٩٦] الصحاح (٢٤٠٢/٦).
[٩٧] القاموس المحيط (٣٣٥/٤).
[٩٨] وتأتي ترجمته في (ص:٢٦١).

[٩٩] مصباح المنير (٣٧١/١).
[١٠٠] القاموس المحيط: (٣٧١/١).
[١٠١] كتاب التعريفات: (١٣٩).
[١٠٢] انظر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص:٨٠) للقاضي إسماعيل الجهضمي.
[١٠٣] انظر المصدر السابق: (٨٠٨١).
[١٠٤] انظر المصدر السابق: (٨٠٨١).
[١٠٥] جلاء الأفهام: (ص:٨٣).
[١٠٦] المنهاج في شعب الإيمان: (١٣٤/٢).
[١٠٧] جلاء الأفهام: (ص:٨٦).
[١٠٨] يقصد به الحافظ ابن حجر العسقلاني كما صرح به السخاوي نفسه في آخر القول البديع (ص:٢٦٤).
[١٠٩] انظر القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع (ص:١٤) وما بعدها.
[١١٠] هو عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري.
[١١١] وهي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦].
[١١٢] بهجة المحافل وبغية الأماثل (٤١٦/٢).
[١١٣] القول البديع (ص:١٤).
[١١٤] صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص:١٤٦) وما بعدها، وانظر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتحقيق الألباني هامش (ص:٥٤).
[١١٥] أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٧٤/٣)، وذكر السخاوي هذه الرواية في القول البديع (ص:٤٢)، وصحيح الألباني هذه الرواية بعد عزوه إلى الإمام أحمد والطحاوي في صفة صلاة النبي (ص:١٤٧).
[١١٦] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي.) (١٧٨/٣)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (٣٠٥/١).
[١١٧] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٢/١)، والنسائي في سننه (١٩٠/١) وقد ذكر ابن القيم هذه الرواية في جلاء الأفهام (ص:٩) والسخاوي في القول البديع (ص:٣٤) بألفاظ متقاربة، وصحح الألباني هذه الرواية في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص:١٤٧) بعد عزوها إلى الإمام أحمد والنسائي وغيرهما.
[١١٨] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (٣٠٥/١).
[١١٩] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي.) (١٧٨/٣).
[١٢٠] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء باب يزفون القسلان في المشي (٢٣٩/٢)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (٣٠٦/١).

[١٢١] أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٧٥/٣)، وقد ذكر ابن القيم في جلاء الأفهام (ص:١٣) هذه الصيغة وصححها، وكذلك السخاوي في القول البديع (ص:٤٠) وصححها، والألباني في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص:١٤٨)، وصححها بعد عزوها إلى الطحاوي وغيره.
[١٢٢] القول البديع (ص:٤٧).
[١٢٣] حسن التوسل: (ص:١٩٦).
[١٢٤] حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (ص:١٩٦).
[١٢٥] ففيه نظر، لأنها لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية، والأكمل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم لا غير وخاصة في الأمور الدينية. وهذا الاعتراض يرد أيضًا على قول الفاكهي السابق المبني على نقل ابن مندة عن جمع من الصحابة وغيرهم.
[١٢٦] هو عبد الله بن أحمد الفاكهي المتوفي سنة (٩٧٢هـ). انظر ترجمته في الأعلام (١٩٣/٤).
[١٢٧] المجموع شرح المهذب (٤٤٧/٣).
[١٢٨] انظر القول البديع (ص:٦١٦٢).
[١٢٩] الحديث في صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام (١٥١/١)، وفي صحيح مسلم، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٠٧٨/٤).
[١٣٠] مجموع الفتاوى (١٦١١٦٢/١).
[١٣١] جلاء الأفهام: (ص:١٩٠).
[١٣٢] انظر الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (ص:١٣٥١٣٦).
[١٣٣] القول البديع: (٦٧٦٨).
[١٣٤] انظر المصدر السابق: (٦٦).
[١٣٥] انظر (ص:١٩٣) وما بعدها.
[١٣٦] انظر (ص:١٧٠) وما بعدها.
[١٣٧] انظر بهجة المحافل. (٤١٦٤١٧/٢).
[١٣٨] رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨/٦)، وحسنه الألباني، في تعليقاته على كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انظر هامش (ص:٨٦).
[١٣٩] أخرجه الحاكم في مستدركه (٣٦٠/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
[١٤٠] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة (٢٨٨/١).
[١٤١] وهي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦].
[١٤٢] وهي أن يقولوا مثل ما يقول المؤذن ثم يصلّوا على النبي صلى الله عليه وسلم سرًا.

[١٤٣] انظر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي هامش (ص:٥٠).
[١٤٤] الحاكم في مستدركه (٢٧٨/١) وصححه ووافقه الذهبي.
[١٤٥] رواه الحاكم في مستدركه (٤٩٢/١).
[١٤٦] أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٤٩/١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
[١٤٧] انظر (ص:٢٦٢) وما بعدها.
[١٤٨] انظر (ص:١٥١) وما بعدها.
[١٤٩] صحيح مسلم، (٢٨٨٢٨٩/١) وقد تقدم في (ص:٢٠٩).
[١٥٠] رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص:٢٦)، وصحح الألباني إسناد هذا الحديث في تعليقاته على الكتاب المذكور. انظر هامش (ص:٢٦).
[١٥١] رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص:٣٨). وقال الألباني في تعليقاته على الكتاب المذكور إسناده ضعيف، لكن له شاهد مرفوع عن أنس، أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح. انظر هامش (ص:٢٨)، قلت: رواية أنس التي أشار إليها هي بلفظ: "من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات". سنن النسائي في كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠/٣).
[١٥٢] الحديث هو نفس الحديث الذي قبله.
[١٥٣] صلاتي هنا تعني دعائي.
[١٥٤] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢٩٣٠) وقال الألباني: حديث جيد. انظر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هامش (ص:٣٠).
[١٥٥] رواه الترمذي في سننه، أبواب التطوع، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٣٠٢/٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب.
[١٥٦] أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٤٩/١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
[١٥٧] رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢٩٤/١)، وقال الألباني والحديث يرتقي إلى درجة الحسن على أقل الدرجات. انظر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هامش (٤٥).
[١٥٨] صحيح مسلم (٢٨٨٢٨٩/١) وقد تقدم في (ص:٢٠٩)، وفي (ص:٢١١) أيضًا.

٨. كتاب "التأدب مع الرسول في ضوء الكتاب والسنة" [الجزء الرابع]

لفصل الثالث

الأدب العملي

في بداية هذا الباب قسمت الأدب إلى ثلاثة أنواع وذكرت في الفصلين السابقين نوعين منها وهما الأدب القلبي والأدب القولي، وفي هذا الفصل سوف أتحدث عن

النوع الثالث والأخير وهو الأدب الفعلي والعملي، ونقصد بالأدب العملي الأدب الذي يتعلق بالجوارح، ويكون عمليًا محسوسًا. وبذا يتكون هذا الفصل من مبحثين:
المبحث الأول: الطاعة والاتباع.
المبحث الثاني: مجالسته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول
الطاعة والاتباع

وردت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم مرّات كثيرة بصيغ مختلفة، حيث جاءت أمرًا بطاعته ونهيًا عن مخالفته، وإخبارًا بأن طاعته صلى الله عليه وسلم يترتب عليها ثوابًا عظيم في الدنيا والآخرة.
والصيغ التي تدل على أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة على الأمة هي صيغتا الأمر بطاعته والنهي عن مخالفته أو ما يجري مجراهما من تحذير عن مخالفته أو توعد بعقاب لمن يخالف.
وأمّا الصيغة الأولى وهي الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد وردت في القرآن الكريم مقترنة بطاعة الله مع تكرير الفعل "أطيعوا" مرة مع الله، ومرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم.
يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء:٥٩].
ومرة بعدم تكرير الفعل مثل قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال:١].
ولكل من التعبيرين مدلول خاص كما ذكر المفسرون قائلين: إذا كان الفعل أطيعوا متكررًا يفيد على أن للرسول صلى الله عليه وسلم نوع استقلال من الطاعة مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء:٥٩].
يقول الألوسي رحمه الله في تفسيره هذه الآية: "وأعاد الفعل وإن كانت طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله تعالى اعتناء بشأنه عليه الصلاة والسلام وقطعًا لتوهم أنه لا يحب امتثال ما ليس في القرآن وإيذانًا بأن له صلى الله عليه وسلم استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره من البشر ومن ثم لم يعد في قوله سبحانه: {وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩] إيذانًا بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول صلى الله عليه وسلم[١].
وقد حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا المفهوم الخاطئ وهو الاكتفاء بما جاء في القرآن دون الرجوع إلى السنة المبينة للقرآن الكريم بقوله صلى الله عليه وسلم.

"لا ألفين أحدًا متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه"[٢].
وفي رواية المقدام زيادة: "ألا وإن ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله"[٣].
وأمّا إذا كانت الفعل غير متكرر مثل قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال:١]. فيفيد أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طاعة الله تعالى.
يقول الألوسي رحمه الله في تفسيره هذه الآية: "وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى أولاً وآخرًا لتعظيم شأنه وإظهار شرفه والإيذان بأن طاعته عليه الصلاة والسلام طاعة الله تعالى، وقال غير واحد أنّ الجمع بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أولاً لأن اختصاص الله تعالى بالأمر والرسول صلى الله عليه وسلم بالامتثال"[٤].
ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} [الأنفال:٢٠]. حيث أفرد الضمير وأعيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون الله عز وجل بعد الأمر بطاعتهما معًا لأنّ الضمير يرجع إلى أقرب المذكور كما هو معروف في علم النحو للإشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الوسيلة بين الله وبين خلقه في تبليغ مراد الله تعالى وبيانه، وأنّ طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله على غرار قوله تعالى: {مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:٨٠].
يقول الألوسي رحمه الله: "وأعيد الضمير إليه عليه الصلاة والسلام لأنّ المقصود طاعته صلى الله عليه وسلم وذكر طاعة الله توطئة لطاعته وهي مستلزمة لطاعة الله تعالى لأنّه مبلغ عنه فكان الراجع إليه كالراجع إلى الله تعالى"[٥].
ومن هذه النماذج التي ذكرناها سابقًا في موضوع طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يتبين لنا أنّ طاعته صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مسلم في كل أمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر ثبت بالقرآن أو بالسنة لأنّ طاعته طاعة الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى: {مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:٨٠] ولأنه صلى الله عليه وسلم لا يتكلم عن الهوى وإنما عن وحي من الله سبحانه وتعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:٣٤].
ويدخل في مفهوم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه لأنّ مدلول الاتباع والطاعة يكاد يكون واحدًا حيث أنها من المترادفات وشأن المترادفات أن يكون معناها واحدًا مع وجود فروق طفيفة مثل كلمتي قعد وجلس حيث أن الأولى من الاضطجاع والثانية من القيام مع أنّ مدلولهما واحد.
وهكذا شأن كل المترادفات، وأما كلمتي الاتباع والطاعة، فقد ذكر أبو هلال العسكري عند كلامه عن الفرق بين العبادة والطاعة أنّ مدلول الاتباع والطاعة واحد فقال: "والطاعة الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك وتكون للخالق والمخلوق والعبادة لا تكون إلا للخالق، والطاعة في

مجاز اللغة تكون اتباع المدعو والداعي إلى ما دعاه إليه وإن لم يقصد التبع كالإنسان يكون مطيعًا للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه ولكنّه اتبع دعاءه وإرادته "[٦].

وكلام أبي هلال العسكري يفيد أن الاتباع والطاعة يؤديان معنى واحدًا تجوزًا كما أنّهما يكونان عن قصد وعن غير قصد، وحديثي هنا يدور حول الاتباع والطاعة التي يكون عن قصد وإرادة من صاحبها مع نيّة صالحة لأنّ المنافق هو الذي يظهر اتباع الرسول ويبطن مخالفته، وعلى هذا نفى الله سبحانه وتعالى عنهم سمة الإيمان في قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور:٤٧].

ومع أن الاتباع والطاعة معناهما واحد كما ذكرنا إلاّ أننا نذكر هنا النصوص التي وردت بصيغة الاتباع أو ما يجري مجراها.

وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة التي تأمرنا تارة باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتارة باتباع طريقة الله التي هي طريقته وتارة باتباع القرآن.

من الآيات التي تدل على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ} [آل عمران:٣١].

وقوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف:١٥٨].

وأمّا ما يدل على وجوب اتباع طريقة الله التي هي طريقته فمنه قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام:١٥٣].

وقد ورد في السنة ما يبين معنى هذه الآية وهي ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله هو ابن مسعود[٧] قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيمًا وخط عن يمينه وشماله خطوطًا ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه ثم قرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام:١٥٣].

وأمّا ما يدل على وجوب اتباع القرآن فمنه قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام:١٥٥][٨].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: " فيه الدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة "[٩].

ومجموع هذه النصوص من القرآن والسنة التي أوردناها في موضوع الاتباع كلما تفيد على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كانت تتعلق باتباع سبيل الله أو اتباع القرآن لأن اتباع سبيل الله اتباع سبيله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الداعي إلى ذلك.

قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي} [يوسف:١٠٨].

وكذلك فاتباع القرآن هو اتباعه صلى الله عليه وسلم لأنّه هو المبلغ عن الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة:٦٧].
هذا ما يتعلق بموضوع وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه الواردة بصيغة الأمر، وأمّا الآن فسوف نتحدث عن وجوب الانتهاء عن مخالفته صلى الله عليه وسلم وهي طريقة أخرى لوجوب اتباعه لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده وكذلك العكس.
وقد ورد في هذا المعنى آيات كثيرة: منها قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣].
ومنها قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا} [الأحزاب:٣٦].
ومنها قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧].
ومجموع هذه الآيات التي أوردناها تدل على حرمة مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم.
ومن هذا المعنى أي مخالفة أمره التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:١].
وقد ذكر المفسرون عدة أسباب لنزول هذه الآية التي تبين المعاني المختلفة للتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الأوجه التي يحصل بها التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم.
منها كما ذكر ابن العربي: أنّ قومًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية.
ومنها نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.
ومنها لا تفتاتوا على الله ورسوله في أمر حتى يقضي الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.
ومنها أنها نزلت في قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح.
ومنها لا تقدموا أعمال الطاعة على وقتها[١٠].
قال القاضي: "هذه الأقوال كلها صحيحة تدخل تحت العموم فالله أعلم بما كان السبب المثير للآية ولعلها نزلت دون سبب"[١١].
وقال أيضًا: "هذه الآية أصل في ترك التعرض لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وإيجاب اتباعه والاقتداء به "[١٢].
نعم، هذه الوجوه المذكورة في أسباب نزول الآية محتملة وكلها تفسر الآية من زاوية معينة، كما أنّها تحتمل وجوهًا أخرى لم يذكرها ومجمل معناها هو وجوب الانتهاء عن التقدم بين يدي الله ورسوله في كل أمر من الأمور حتى يقضي الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في حال حياته، وأمّا بعد مماته فمعناها وجوب الانتهاء عن التقدم بين يدي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل أمر من الأمور الدنيوية والأخروية.

يقول ابن القيم رحمه الله: "ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمره وينهي ويأذن كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات:١].
وهذا باق إلى يوم القيامة لم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند كل ذي عقل سليم "[١٣].
وممّا يدخل في هذا المعنى أي التقدم بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم تقديم القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية في هذا العصر حتى لو لم يصرّح واضعو هذه القوانين أو الذين استوردوها أنها أفضل من الشريعة الإسلامية أو لا، لأن مجرد إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحياة البشرية ووضع القوانين الوضعية مكانها وإجبار الناس على التحاكم إليها والتوعد لمن يخالفها بالعقاب الشديد وإن خالفت الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة كما هو مشاهد في واقعنا اليوم، وكذلك إذا وافقت الشريعة الإسلامية لاختلاف مصدر تلقيهما لأن هذه مصدرها هو الله سبحانه وتعالى وبواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك مصدرها الطاغوت وهوى النفس الأمارة بالسوء وإن زعم أصحابها أنهم يؤمنون بالله ورسوله مئات المرات.
وكيف يكون لهم إيمان بعد قوله تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥].
وقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ} [المائدة:٤٤].
يقول الشنقيطي في تفسيره الآية التي نحن بصددها: "وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ويدخل دخولاً أوليًا تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله لأنه لا حرام إلاّ ما حرمه الله ولا حلال إلا ما حلله الله ولا شرع إلا ما شرعه الله "[١٤].
ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠].
"ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهداف والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم "جنكيز خان" الذي وضع لهم "الياسق" وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بيئته شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم في سواه في قليل ولا كثير"[١٥].
ثواب الاتباع والطاعة: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه يترتب عليها ثواب كثير في الدنيا والآخرة.
وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك نذكر طرفًا منها.

من ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة له {مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:٨٠].
كما أنه سبحانه وتعالى جعل طاعته شرطًا للهداية: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور:٥٤].
وجعل طاعة الرسول أيضًا شرطًا لدخول الجنة.
{وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [النساء:١٣].
كما أنها تؤدي إلى مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة.
يقول تعالى: {وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩]. كما أنه يترتب عليها الفوز العظيم في الدارين.
يقول تعالى: {وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧١].
ويقول الله تعالى أيضًا: {وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ} [النور:٥٢] كما أنها تكون سببًا لرحمة الله لقوله تعالى: {وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ} [التوبة:٧١].
سلوك السلف في الاتباع: تعد الجماعة الأولى التي تلقت الدين وأخذته من رسول الله مباشرة خير من قام بما شرع لها من طاعة واتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[١٦].
وإنّي هنا أحاول إبراز بعض الصور التطبيقية للطاعة والاتباع لتكون أمثلة توضح ما شرع للمسلمين في هذا الجانب الهام. وسأجعل هذه الأمثلة مرتبة على النحو التالي:
أولاً: سلوكهم في الاتباع وهم جماعة: أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منّا ذلك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدًا منهم "[١٧].
وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على مدى إسراع الصحابة رضوان الله عليهم في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم باذلين في ذلك أقصى الجهد.
ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني اتخذت خاتمًا من ذهب فنبذه وقال: إنّي لن ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم"[١٨].
وهذا الحديث أيضًا يدل دلالة واضحة على مدى إسراع الصحابة رضوان الله عنهم في اتباع فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ولو لم يأمرهم بفعل ذلك الفعل وبدون أن يسألوا العلة في ذلك أو أنّ ذلك خاص به صلى الله عليه وسلم أو يعم الأمة جميعًا.
ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة

فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة "[١٩].
وفي هذا الحديث يدل دلالة واضحة على مدى استجابة الصحابة لأوامر الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أثناء الصلاة دون تردد أو إبطاء وبدون استفسار أو تأخير.
ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته، فلمّا كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلمّا قضى الفجر أقبل على الناس ثم قال: "أمّا بعد فإنّه لم يخف عليّ مكانكم ولكنّي خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها"، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك[٢٠].
وهذا الحديث أيضًا يدل على أنّ الصحابة رضوان الله عنهم كانوا يحرصون على الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم في كل فعل من أفعاله إذا لم يكن هناك خصوصية حتى ولو لم يأمرهم بذلك الفعل.
وهذه النصوص التي ذكرناها نموذج لاستجابة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بفعله وتنفيذ أمره جماعة، ولكن هناك نصوص أخرى كثيرة تدل على ذلك يصعب حصرها في هذا المقام.
ثانيًا: ما يفيد أيضًا سلوك السلف في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فرادى: من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه "أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إنّي أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك"[٢١].
وهذا الحديث يدل دلالة واضحة أنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرح بأنّ تقبيله للحجر الأسود هو مجرد التأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم مع إيمانه ويقينه أنّه لا يضر ولا ينفع لذاته.
ومن ذلك ما أخرجه البخاري أيضًا في صحيحه عن مروان بن الحكم قال: "شهدت عثمان وعليًا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة [٢٢] وأن يجمع بينهما فلمّا رأى علي أهل بهما لبيك بعمرة وحجة قال: ما كنت لأدع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد"[٢٣].
وهذا يدل على أنّ الصحابة رضي الله عنهم يقدمون سنة النبي صلى الله عليه وسلم على أي قول صدر من غيره مهما كانت رتبته كما فعل علي رضى الله عنه مع عثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا الأمر الذي اختلفت وجهة نظرهما لأنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن كان أميرًا للمؤمنين آنذاك إلا أن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق كل شيء.
ومن ذلك أيضًا ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن وبرة قال: كنت جالسًا عند ابن عمر فجاءه رجل فقال: أيصلح لي أن أطوف بالبيت قبل أن آتي الموقف؟ فقال: نعم. فقال: فإن ابن عباس يقول: لا تطف بالبيت حتى تأتي الموقف فقال ابن عمر: فقد

حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت قبل أن يأتي الموقف [٢٤]، فبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن نأخذ أم بقول ابن عباس أن كنت صادقًا[٢٥].

وهذه أيضًا حادثة أخرى اختلفت فيها وجهة نظر الصحابة رضي الله عنهم ومضمونها يؤكد حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ثبتت وترك قول أي أحد من الناس مهما كانت رتبته إذا كان ذلك القول يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا أنكر ابن عمر رضي الله عنهما على السائل حينما ذكر فتوى ابن عباس رضي الله عنه بعد إخباره ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام، ورحم الله الإمام مالك حينما قال: "ما من قول أحد إلا ويؤخذ قوله ويترك إلا صاحب ذلك القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه القاعدة هي الفيصل في هذا الموضوع.

وأما المراجعات التي وقعت بينه صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة رضوان الله عليهم في بعض الأمور أثناء حياته فلا يعتبر قدحًا في اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّ هذه المراجعات كانت مجرد استفسار لبعض الأمور التي لم يتضح لهم الغرض منها أو التبست عليهم أو لم يستسيغوها في أول الأمر ظنًّا منهم أنّهم لا يقدرون على تحملها غيرة للرسول صلى الله عليه وسلم وللإسلام لا للاستهزاء أو الانتقاص من توقير الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف ما كان يفعله المنافقون لعنهم الله تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وبرسالته والانتقاص من توقيره صلى الله عليه وسلم متسترين تحت ما أظهروا من الإسلام.

وقد قسّم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المراجعات للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقسام حيث قال:

"وبالجملة فالكلمات في هذا الباب ثلاثة أقسام: أحدهما: ما هو كفر مثل قوله: إنَّ هذه القسمة ما أريد بها وجه الله.

الثاني: ما هو ذنب ومعصية يخاف على صاحبه أن يحبط عمله، مثل رفع الصوت فوق صوته، ومثل مراجعة من راجعه عام الحديبية بعد ثباته على الصلح [٢٦]، ومجادلة من جادله يوم بدر بعد ما تبيّن له الحق [٢٧]، وهذا كله يدخل في المخالفة عن أمره.

الثالث: ما ليس من ذلك بل يحمد عليه صاحبه أو لا يحمد كقول عمر: ما بالنا نقصر الصلاة وقد آمنا [٢٨]؟ وكقول عائشة: ألم يقل الله: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} [مريم:٧١]، وكمراجعة الحباب في منزل بدر[٢٩].

ونحو ذلك ممّا فيه سؤال عن إشكال ليتبين لهم، أو عرض لمصلحة قد يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم"[٣٠].

المقالة الأولى: من هذه الأقسام لم تصدر عن الصحابة رضوان الله عليهم وإنّما صدرت عن بعض المنافقين الذين كانوا مع الصحابة ظاهرًا لا باطنًا لأنّ هذه المقالة هي عين ما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه كقوله تعالى: {وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} [التوبة:٥٨].

وأما المقالة الثانية: فقد صدرت من بعض الصحابة رضوان الله عليهم عن غفلة أو اجتهاد أو عن عجلة إلا أنهم لم يصرّوا على خطأهم وإنما تنازلوا عن رأيهم الذي رأوه إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمانًا منهم ويقينا أنّ ما ذهب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصواب.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فهذه أمور صدرت عن شهوة وعجلة لا عن شك في الدين"[٣١].
وأما المقالة الأخيرة: فقد صدرت من الصحابة أيضًا رضوان الله عليهم ولكنّها لا تعتبر ذنبًا ولا معصية أو مخالفة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنّما الاستفسار عن دين الله عز وجل وطلب المزيد من التفقه إيمانًا منهم بأنّ مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي التبيين لقوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٤٤] كما أنّها صدرت منهم لأجل الإشارة لبعض الأمور إذا كان المقام يتطلب المشورة لأن الله تعالى يقول: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران:١٥٩].
يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وكانت المراجعة المشهورة منهم لا تعدو إمّا لتكميل نظره صلى الله عليه وسلم في ذلك إن كان من الأمور السياسية التي للاجتهاد فيها مساغ، أو ليتبين لهم وجه ذلك إذا ذكر، ويزدادوا علمًا وإيمانًا، وينفتح لهم طريق التفقه فيه"[٣٢].

المبحث الثاني
في مجالسته صلى الله عليه وسلم

ذكرنا في المبحث الأول من هذا الفصل جانبًا من جوانب الأدب العملي وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه. وأمّا في هذا المبحث فسوف نتناول جانبًا آخر من جوانب الأدب العملي وهو الأدب المتعلق بمجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما ينبغي للمسلم أن يفعل نحو مقام النبوة، أثناء حضوره عنده صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك في بيته أو في الأماكن العامة مع أنّ بعض هذه الآداب لا تتأتى إلا في حال حياته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم.
وننظر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم من زاويتين:
الزاوية الأولى: في حال وجوده في بيته مع نسائه.
الزاوية الثانية: في حالة وجوده في الأماكن العامة.
الزاوية الأولى: وهي حالة وجوده صلى الله عليه وسلم في بيته مع نسائه: في هذه الحالة ينبغي أو يجب على المسلم تجاه مقام النبوة عدم إزعاجه سواء في الحضور عنده بغير إذن أو الجلوس في بيته فترة من الزمن والانشغال بالحديث بعد انتهاء الغرض الذي من أجله أذن له لما يترتب عليه من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في حين أنه لا يقدر أن ينبه على من تصدر عنه هذه الأفعال حياء منه كما تشير إليه

الفقرة الأولى من آية الحجاب، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ} [الأحزاب:٥٣].

من هذه الفقرة من الآية الكريمة يتبين لنا عدة أمور مرغوب عنها في المجتمع الإسلامي وخاصة في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي: دخول البيوت بغير إذن والتطفل أو انتظار نضج الطعام والمكث في البيوت بعد انتهاء الغرض الذي من أجله أذن لهم.

وهذه الأمور التي ذكرنا هي أمور ينبغي أن يطهر من المجتمع الإسلامي في ذلك الحين وإلى الأبد لأنها من الأمور المتبقية من العادات الجاهلية التي لا تتمشى مع روح الإسلام السامية.

قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: "وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك فمنعهم من الدخول إلاّ بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار الطعام"[٣٣] وخلاصة القول: الآية تشير إلى أنّه يجب على المسلم أن لا يتطفل على النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يحضر عند نضج الطعام فيشارك فيه لأنه ربما أعد الطعام لأناس معدودين وأنّ زيادة العدد قد تضر صاحب البيت وتحمله على تقديم شيء زائد ربما لا تكون في حوزته وأما إذا أذن للطعام فعلى المسلم أن لا يأتي قبل نضج الطعام بل في وقت مناسب لأن أهل البيت مشغولون بإعداد الطعام وقد يحمل الحضور قبل نضج الطعام على الإسراع في إعداد الطعام كما هو المألوف، وكذلك إذا حضر في الوقت المناسب فعليه أن يخرج من البيت بعد الطعام لا أن يمكث فترة للحديث والاستئناس مع غيره لأنَّ ذلك يؤدي إلى مضايقات لأهل البيت والاستماع إلى ما يجري في البيت من كلام أو إلى النظر إلى ما لا ينبغي أن ينظر قصدًا أو بغير قصد ولا سيما إذا كان هناك منافقون.

وأمر واحد من هذه الأمور المذكورة ممّا يتأذى به صاحب كل بيت عادة فما بال إذا كانت مجتمعة مع أنّه لا يقدر أن يفصح بها حياء منه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الرهط الذين تخلفوا في البيت بعد الطعام عشية بناءه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها كما يظهر من بعض الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت، صنع طعامًا دعا إليه القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب:٥٣]. فضرب الحجاب وقام القوم "[٣٤].
وفي رواية أخرى: " وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء "[٣٥].
ومن هنا نقول: إنّ الله سبحانه وتعالى قد أعطى اهتمامًا كبيرًا حال وجود النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مع نسائه، أخذًا من هذه الآية وغيرها من الآيات الأخرى التي جاءت لمناسبات شتى.
من ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات:٤٥].
وقد فصلنا القول في ذلك عند الكلام عن مناداته صلى الله عليه وسلم في الفصل السابق الذي عقدنا للأدب القولي وإن كانت متصلة بالآداب المتعلقة ببيت النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد بسبب نزولها إلا أننا تحدثنا هناك حسب ما يقتضي التقسيم المنهجي لأنها تتعلق بالآداب القولية وهنا الآداب العملية.
وعلى هذا فنكتفي بالإشارة إلى موضعها وإن كانت الآداب كلها مترابطة سواء كانت قلبية أو قولية أو عملية إلا أننا قسمناها إلى ذلك للتوضيح والدراسة.
وقبل أن أنتقل إلى الفقرة الأخيرة من الآية والتي تتعلق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا بد من الإشارة إلى فقرة تتوسط بين الفقرة الأولى المتعلقة في حياته صلى الله عليه وسلم والفقرة الأخيرة التي تتعلق بعد وفاته وهي الفقرة التي تشير إلى وجوب سؤال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب أخذًا من قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [الأحزاب:٥٣] لأن سؤالهن قد تكون في حياته صلى الله عليه وسلم وقد تكون بعد وفاته وإنَّ سؤالهن بعد وفاته أولى وخاصة فيما يتعلق بأمور الدين لأنّ جزءًا كبيرًا من الأحكام الشرعية قد وصلنا عن طريقهن.
وهذا الحكم وإن كان يعم النسوة كلهن لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا أن تخصيص الآية بنسائه صلى الله عليه وسلم له مزيته بحيث يتأكد هذا الحكم في جانبهن لارتباطهن بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم خير خلق الله الذي يتأذى بذلك الفعل كما يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الجزئية: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} [الأحزاب:٥٣].
وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المزية لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في آية أخرى وهي قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا} [الأحزاب:٣٢].
ونأتي إلى الفقرة الأخيرة من آية الحجاب: بينما الفقرة الأولى من هذه الآية تتعلق ببيت النبي ونسائه وقت حياته صلى الله عليه وسلم هذه الفقرة الأخيرة أيضًا تتعلق ببيت النبي ونسائه ولكن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بحيث تنهي المؤمنين نهيًا قاطعًا عن الزواج بإحدى زوجاته بعده على التأبيد كما يدل عليه قوله تعالى: {وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} [الأحزاب:٥٣].

وكيف يتزوج أحد من المسلمين إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن وصفهن الله تعالى بأمهات المؤمنين بقوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب:٦].
يقول الدكتور حسن باجودة في تأملاته: "وبما أن حديث الآية الكريمة في الجزئية السابقة قد صرّح بأنه لا يصح للمؤمنين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا فإنّ الجزئية الكريمة التالية تصرّح بأنه لا يصح أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتًا عن طريق زواج إحدى زوجاته. فقد خص ربّ العزة المصطفى صلى الله عليه وسلم في حياته الزوجية بالعديد من الخصائص التي من بينها هذه الخصيصة وهي، أنّه لا يحل لأحد أن يتزوج إحدى زوجاته لأنهن أمهات المؤمنين كما صرحت بذلك هذه السورة. وكيف يتزوج المرء أمه. لأن منزلة الأمومة لهن رضوان الله عليهن أجمعين بالنسبة لرجال الأمة مستمرة إلى أن يلحقن كلهن بالرفيق الأعلى"[٣٦].
وقد عد المفسرون هذه الآية من الآيات التي تتحدث عن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًا وميتًا.
يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: "وسمي نكاحهن بعده عظيمًا عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمته حيًّا وميتًا، وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده "[٣٧].
وهذه الآداب التي ذكرناها في هذه الزاوية المتعلقة ببيت النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت وردت في حقه صلى الله عليه وسلم وقت حياته يلتزم المسلمون فيما بينهم أثناء حياته صلى الله عليه وسلم وبعد مماته لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا ما خص به صلى الله عليه وسلم من عدم الاقتران بإحدى زوجاته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مع أن هذا الحكم لا يمكن تطبيقه بعد لحوقهن بالرفيق الأعلى، وأما وقت حياتهن فكان ملتزمًا به من قبل الموجودين وقتئذ.
الزاوية الثانية: في حالة وجوده في الأماكن العامة: كانت الزاوية السابقة تتعلق بحالة وجوده صلى الله عليه وسلم مع نسائه في بيته وما ينبغي المسلم أن يتجنب عنه من إيذائه صلى الله عليه وسلم من دخول بيته بغير إذن أو عدم الانصراف بعد انتهاء الغرض الذي من أجله أذن له والأمور الأخرى التي فصلناها فأما في هذه الزاوية، فسوف نتحدث عن الأمور التي ينبغي للمسلم أن يرعى تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حالة وجوده في الأماكن العامة وفي ملأ من الناس. وهذه الحالة العامة تتطلب عدم الخروج من مجلسه إلا بإذن بل البقاء معه إلا لضرورة قصوى وخاصة إذا كان هناك أمر مهم يتطلب المشاورة والاستعانة بأهل الرأي مثل أوقات الحرب والشدة على عكس ما كان مطلوبًا في حالة وجوده مع نسائه في بيته صلى الله عليه وسلم لأنه يقال لكل مقام مقال ولكل مقال مقام، وهنا اختلفت المقالتان لاختلاف المقامين.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مراعاة مقام النبوة في حالة وجوده في ملأ من الناس في القرآن الكريم وشهد لمن يلتزم مراعاة ذلك الجانب الإيمان بالله ورسوله في أسلوب حصر كأنهم هم المؤمنون وحدهم كما يشير إليه قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور:٦٢]

ويتبين من نص الآية الكريمة الآداب التي ينبغي أن يراعى بها في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستئذان إذا نوى أحد أن يخرج منه وإن كان ذلك خلاف الأولى لتذييل الآية بطلب الاستغفار من الرسول لمن يستأذن مع تفويض للرسول صلى الله عليه وسلم قبول الاستئذان وعدمه لمن يشاء تقديرًا للموقف والملابسات المحيطة به.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية: "ومع هذا يشير إلى مغالبة الضرورة وعدم الانصراف هو الأولى وأن الاستئذان والذهاب فيها تقصير أو قصور يقتضي استغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمعتذرين: {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور:٦٢]. وبذلك يقيد ضمير المؤمن فلا يَستأذن وله مندوحة لقهر العذر الذي يدفع به الاستئذان"[٣٨].

ويدخل تحت هذا المفهوم أي الاستئذان من الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج من مجلسه وقت خطبته صلى الله عليه وسلم وإن كان هناك خلاف حول معنى الأمر الجامع في الآية الكريمة، هل هو في الحرب خاصة أم يعم جميع الاجتماعات الأخرى كالجمعة والعيدين؟ وقد ذهب الإمام ابن العربي إلى القول بأنّ الأمر الجامع مخصوص في الحرب مؤيدًا ما ذهب إليه بأدلة نوردها هنا:

يقول ابن العربي رحمه الله: "وقد روى أشهب ويحيى بن بكير وعبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنّ هذه الآية إنّما كانت في حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وكذلك قال محمد بن إسحاق.

والذي بيّن ذلك أنّ الآية مخصوص في الحرب أمران صحيحان:

أما أحدهما: فهو قوله تعالى في الآية الأخرى: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا} [النور:٦٣] وذلك أن المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون عن الجماعة ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر الله جميعهم بألاّ يخرج أحد حتى يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك يتبين إيمانه.

وأما الثاني: فهو قوله تعالى: {لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} [النور:٦٢]. فأي إذن في الحدث والإمام يخطب. وليس للإمام خيار في منعه ولا إيقافه وقد قال: {فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} [النور:٦٢].

فيبين ذلك أنه مخصوص في الحرب التي يؤثر فيها التفرق "[٣٩].

وهناك فريق آخر من العلماء الذين ذهبوا إلى أنّ الأمر الجامع يعم جميع الاجتماعات من حرب وصلاة جمعة وصلاة العيدين وغيرها من الأمور الأخرى التي تقتضي اجتماع المسلمين مع قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن هؤلاء الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى حيث يقول في تفسير هذه الآية: "وهذا أيضًا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلاّ بعد استئذانه ومشاورته، وأنّ من يفعل ذلك فإنّه من المؤمنين الكاملين "[٤٠].
ويقول الإمام القرطبي رحمه الله بعد إيراده قول الإمام ابن العربي: " القول بالعموم أولى وأرفع وأحسن وأعلى "[٤١].
وممّا يرجح القول الثاني وهو أنّ الأمر الجامع يعم كل الاجتماعات قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة:١١].
يظهر من سياق هذه الآية أن بعض الصحابة أو جلهم خرجوا من عند رسول الله وهو قائم يخطب لأمور دنيوية بحتة وهي التجارة بحيث آثروا التجارة القادمة إلى المدينة على استماع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا نبههم الله سبحانه وتعالى على أن البقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم بخلاف ما صدر عنهم الذي لا يليق لمقام النبوة.
يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى: " وتشير إلى حادث معين حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبهم في المسجد للجمعة حين حضرت قافلة من قوافلهم التجارية، فما أعلن نبأ قدومها حتى انفض المستمعون منصرفين إلى التجارة واللهو الذي كانت القافلة تحاط به على عادة الجاهلية، من ضرب بالدفوف وحداء وهيصة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا فيما عدا اثني عشر من الراسخين فيهم أبو بكر وعمر بقوا يستمعون كما تذكر الروايات[٤٢].
والرواية التي تحدد العدد هي ما أخرجه البخاري رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال[٤٣]: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فثار الناس إلاّ اثني عشر رجلاً فأنزل الله: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا} [الجمعة:١١].
وخلاصة القول أنّ الآيتين اللتين ذكرناهما في هذه الزاوية ترشدان المسلمين إلى الآداب التي تجب على المسلم أن يتحلى بها في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء قلنا أنّ الأمر الجامع خاص بالحرب أو أنّه يعم كل الاجتماعات، أو أنّ الآية الأولى تتعلق بالحرب بينما الآية الثانية تتعلق بالخطبة وما يجري مجراها.
وهذه الآداب محلها في حال حياته صلى الله عليه وسلم وأمّا بعد مماته فتنتقل إلى ما بعده من الخلفاء الراشدين ومن في حكمهم.
يقول القرطبي رحمه الله: " وظاهر الآية يقضي أن يستأذن أمير الأمرة الذي هو في مقعد النبوة، فإنّه ربما كان له رأي في حبس ذلك الرجل لأمر من أمور الدين"[٤٤].

الهوامش:

[١] روح المعاني: (٦٥/٥).
[٢] أخرجه الحاكم في مستدركه (١٠٨/١) وقال: "هو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.
[٣] أخرجه الحاكم في مستدركه (١٠٩/١) وصححه.
[٤] روح المعاني: (١٦٤/٩).
[٥] روح المعاني: (١٨٨/٩).
[٦] الفروق في اللغة (ص:٢١٥).
[٧] كما صرح ابن كثير عند تفسير هذه الآية. انظر تفسيره (١٩٠/٢).
[٨] مستدرك الحاكم (١٣٩/٢)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
[٩] ابن كثير: (١٩٢/٢).
[١٠] أحكام القرآن (١٧٠٠/٤) مع التصرف.
[١١] المصدر السابق (١٧٠١/٤).
[١٢] المصدر السابق (١٧٠١١٧٠٢/٤).
[١٣] مدارج السالكين: (٣٨٩/٢).
[١٤] أضواء البيان (٦١٤/٧).
[١٥] تفسير القرآن العظيم: (٦٧/٢).
[١٦] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١٩٦٣/٤).
[١٧] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (٣٤/٣).
[١٨] صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٠/٤).
[١٩] البخاري في كتاب التراويح، باب فضل من قام رمضان (٣٤٣/١).
[٢٠] صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (٣٧٥/١).
[٢١] صحيح البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (٢٧٨/١).
[٢٢] يعني التمتع في الحج وهو نوع من أنواع الحج الثلاثة المعروفة.
[٢٣] صحيح البخاري في كتاب الحج في باب التمتع والإقران والإفراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي (٢٧٢٢٧٣/١).
[٢٤] يعني عرفة.
[٢٥] صحيح مسلم في كتاب الحج، باب ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة، من الطواف والسعي (٩٠٥/٢).
[٢٦] مثل قصة عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وفيها: جاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ فقال: (بلى) قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: (يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا)، فرجع متغيظًا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطاب، إنه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يضيعه الله أبدًا ". انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (إذ يبايعوك تحت الشجرة) (١٩٠/٣).
[٢٧] يشير إلى قوله تعالى: (يجادلونك في الحق بعدما تبين). سورة الأنفال: آية (٦).
[٢٨] احتجاجًا بقوله تعالى: (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم.) سورة النساء، آية ١٠١. أجاب صلى الله عليه وسلم عن ذلك: (صدقة تصدق الله بها عليكم) انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧٨/١).
[٢٩] حيث أشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يغير المكان الذي نزل فيه أولاً إلى مكان آخر أحسن بالنسبة للأهمية الحربية ووافقه على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم كما في كتب السيرة. انظر السيرة النبوية لابن كثير (٤٠٢/٢).
[٣٠] الصارم المسلول: (ص:١١٩).
[٣١] الصارم المسلول: (ص:١٩٧).
[٣٢] الصارم المسلول: (ص:١٩١).
[٣٣] تفسير القرطبي: (٢٢٥/١٤).
[٣٤] صحيح البخاري، كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) (١٧٦١٧٧/٣).
[٣٥] صحيح البخاري، كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) (١٧٦١٧٧/٣).
[٣٦] تأملات في سورة الأحزاب (ص:٤٦٠٤٦١) مع التصرف.
[٣٧] تفسير الكشاف: (٢٧٢/٣).
[٣٨] في ظلال القران: (٢٥٣٤/٤).
[٣٩] أحكام القرآن: (١٣٩٨/٣).
[٤٠] تفسير ابن كثير: (٣٠٦/٣).
[٤١] تفسير القرطبي: (٣٢١/١٢).
[٤٢] في ظلال القرآن: (٣٥٦٣/٦).
[٤٣] صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الجمعة (٢٠٢/٣).
[٤٤] تفسير القرطبي: (٣٢٠/١٣).

٩. كتاب "التأدب مع الرسول في ضوء الكتاب والسنة" [الجزء الخامس]

الباب الثالث

البدع الملحقة بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم

غالى بعض الناس في حبّهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعوّدوا القيام ببعض الأعمال التي لم يرد بها دليل شرعي، كما استغل بعض المنافقين حب المسلمين لرسولهم وأدخلوا عليهم ما لا يجوز ولا يصح اعتمادًا على دليل واه، أو تأويل غير صحيح.

ومن هنا ظهرت بدع في مجال التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن تعرف لتترك ويتخلص منها المؤمنون الصادقون.
وقد اتبعت في دراسة هذا الموضوع عرض الآراء الواردة في كل مسألة مع ذكر أدلتها ومناقشتها جلاء للحق وبيانًا للصواب.
وقد قسّمتها إلى بدع ألحقت بمولده صلى الله عليه وسلم، وأخرى ألحقت بزيارة مسجده صلى الله عليه وسلم، وثالثة بزيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم، وتناولت هذه البدع بالدراسة بعد تعريف مفصل للبدعة لغة واصطلاحًا.
ولذا جاء هذا الباب مشتملاً على أربعة فصول هي:
الفصل الأول: تعريف البدعة لغة واصطلاحًا.
الفصل الثاني: البدع الملحقة بمولده صلى الله عليه وسلم.
الفصل الثالث: البدع الملحقة بمسجده صلى الله عليه وسلم.
الفصل الرابع: البدع الملحقة بزيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم.
وذلك فيما يلي بنفس الترتيب.

الفصل الأول
تعريف البدعة لغة واصطلاحًا

أولاً: تعريف البدعة لغة:

يقول صاحب معجم مقاييس اللغة[١]: "الباء والدال والعين أصلان أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال. فالأول قولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً إذا ابتدائه لا عن مثال والله بديع السماوات والأرض[٢] والعرب تقول: ابتدع فلان الركيّ إذا استنبطه وفلان بدع في هذا الأمر. قال الله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ} [الأحقاف:٩] أي ما كنت أول "[٣].
ويقول صاحب مصباح المنير[٤]: "أبدعت الشيء وأبدعته: استخرجته وأحدثته ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة وهي اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة... وفلان بدع في الأمر أي هو أول من فعله. فيكون اسم فاعل بمعنى مبتدع والبديع فعيل من هذا فكأن معناه هو منفرد بذلك من بين نظائره، وفيه معنى التعجب، ومنه قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ} [الأحقاف:٩] أي ما كنت أول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع بل أرسل الله تعالى الرسل قبلي مبشرين ومنذرين فأنا على هداهم..[٥].
ويقول ابن منظور: " بدع الشيء يبدعه بدعًا، وابتدعه: أنشأه وبدأه ويبدع الشيء الذي يكون أولاً وفي التنزيل: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ} [الأحقاف:٩] أي ما كنت أول من أرسل قد أرسل قبلي رسل كثير..

وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها وهو البديع الأول قبل كل شيء ومنه قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} [البقرة: ١١٧] أي خالقها ومبدعها فهو سبحانه المخترع لها لا عن مثال سابق "[٦].

ونستنتج من هذه التعريفات اللغوية السابقة لكلمة البدعة ومشتقاتها أمرين اثنين:

أ) أنّ معناها يدور حول الاختراع والإحداث والابتداء والإنشاء وكلها معان متقاربة كما ترى.

ب) أنّ البدعة اللغوية تشمل المحدث المذموم والحسن لأن الأمر المخترع قد يترتب عليه مصلحة فيكون حسنًا، وقد يترتب عليه مفسدة فيكون مذمومًا.

ثانيًا: تعريف البدعة في اصطلاح أهل الشرع:

اختلفت أنظار العلماء في تحديد معنى البدعة. فمنهم من حددها بـ "ما أحدث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أطلقها على ما أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين وفي غيره من العادات.

ويمثل الفريق الأول ابن رجب الحنبلي[٧] والشاطبي[٨] والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم. بينما يمثل الفريق الآخر العز بن عبد السلام [٩] والنووي وغيرهما.

وسوف أفصل تعريف كل فريق لنصل إلى التعريف المختار.

تعريف البدعة عند الفريق الأول: يقول ابن رجب الحنبلي في تعريف البدعة: "والمراد بالبدعة: "ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أمّا ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا وإن كان بدعة لغة"[١٠].

وعرّف الشاطبي البدعة بتعريفين: الأول: هو أن البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[١١].

والثاني: هو أنّ البدعة طريقة في الدين تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالشرعية "[١٢].

ويقول الحافظ ابن حجر في تعريف البدعة: " ما أحدث وليس له أصل في الشرع يسمى في عرف الشرع بدعة. وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة "[١٣].

يظهر لنا مما تقدم أن تعريفات هذا الفريق تقيد البدعة بأمور ثلاثة:

أ) الإحداث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب) أن يقصد بها التقرب إلى الله.

ج) أن لا يدل عليها دليل شرعي.

وعلى هذا تكون البدعة اللغوية أعم لاشتمالها على ما أحدث في الدين وفي غيره بينما البدعة الشرعية لا تشمل إلا ما أحدث في الدين على وجه التقرب إلى الله مع عدم وجود الدليل الشرعي. ومن ثم فلا تكون البدعة في نظر هذا الفريق إلا مذمومة شرعًا بخلاف البدعة اللغوية ولا تدخل في العادات التي ليس لها شائبة التعبد.

يقول الشاطبي: " ثبت في الأصول الشرعية أنّه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد، لأنّ ما لم يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد

بالتعبدي، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي، فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدي، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجارات والجنايات كلها عادي، لأن أحكامها معقولة المعنى ولا بد فيها من التعبد، إذ هي مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها..
وإذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد، فإن جاء الابتداع في الأمور العادية من ذلك الوجه صح دخوله في العاديات كالعبادات وإلاّ فلا[١٤].
ويقول ابن حجر العسقلاني: "فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودًا أو مذمومًا وكذا القول في المحدثة، والأمر المحدث "[١٥].
تعريف البدعة عند الفريق الثاني: يقول العز بن عبد السلام: "البدعة: هي فعل ما لم يعهد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي منقسمة إلى بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريقة في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المباحات فهي مباحة [١٦] ثم ضرب أمثلة لكل نوع منها وهي على النحو التالي:
والبدعة الواجبة مثل الاشتغال بالنحو، والبدعة المحرمة مثل الاشتغال بمذهب القدرية والجبرية، والبدعة المندوبة مثل جمع الناس في صلاة التراويح، والبدعة المكروهة مثل زخرفة المساجد، والبدعة المباحة مثل المصافحة عقب الصبح والعصر[١٧].
ويقول النووي رحمه الله تعالى: "والبدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة "[١٨].
وهذا الفريق يقيّد تعريف البدعة بقيد واحد وهو إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا فإن البدعة عندهم ليست مذمومة كلها، بل منها ما هو واجب يلزم فعله، ومنها ما هو حرام يلزم تركه، وما هو وسط بين هذا وذاك. حيث إنها تخضع للأحكام الشرعية الخمسة من وجوب، وحرام، ومندوب، ومكروه، ومباح، ومندوب.
وعلى هذا فإنّ البدعة عندهم تساوي البدعة اللغوية لأنها تشمل الحدث المذموم والحسن بخلاف الفريق الأول الذي يرى انحصارها في الحدث المذموم ومن ثم فإن النسبة بين الفريقين عموم وخصوص مطلق.
أدلة الفريقين: يستدل كلا الفريقين بأدلة تؤيد ما ذهب إليه ونذكر هنا طرفًا من أدلة كلا الفريقين مع بيان وجهة الاستدلال لكل منهما.
أولاً: أدلة الفريق الأول: هذا الفريق يستدل بالنصوص التي يفيد منطوقها ذم البدعة على وجه العموم.
١ـ من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "فإنّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة "[١٩].

أنّ قوله صلى الله عليه وسلم: " كل بدعة ضلالة " عام يفيد أن البدعة مذمومة كلها بغير استثناء نوع منها ولم يرد ما يخصص ذلك العموم، ولذلك فليس هناك بدعة حسنة بل كلها مذمومة شرعًا.

٢- ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٢٠] أي: مردود.
ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو: أنّ الإحداث في الدين أمر مردود مهما كان ذلك الإحداث صغيرًا أو كبيرًا لأنّ الإحداث في الدين بدعة، ومن ثم فلا يوجد بدعة حسنة.
٣- ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمر وإن عبد حبشي فإنّه من يعش منكم ير اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنّها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"[٢١].
ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذر من المحدثات ووصفها بأنّها بدعة كما وصف البدعة بأنّها ضلالة على وجه العموم، وهذا يقتضي أنّه ليس هناك بدعة حسنة وأخرى قبيحة بل كلها قبيحة.
ثانيًا: أدلة الفريق الثاني: يستدل هذا الفريق بأدلة نوجزها فيما يلي:
١- قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح بعد ما جمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه: "نعمت البدعة"[٢٢].
ووجه الاستدلال بهذا القول هو أن عمر رضي الله عنه قد سمى صلاة التراويح بدعة مع إقراره بل بأمره ذلك.
وهذا يدل على أنه يقصد بها البدعة الحسنة لا القبيحة ومن ثمّ فإن البدعة تنقسم إلى حسنة وقبيحة.
٢- قوله صلى الله عليه وسلم: "من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فيعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة وعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء"[٢٣].
ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أنه إذا أحدث أحد شيئًا حسنًا يثاب عليه وأنّه غير مذموم وكذلك العكس وبالتالي هناك اختراع حسن وأخرى غير حسن ومن ثم البدعة تنقسم إلى حسنة وقبيحة.
٣- قول ابن مسعود رضي الله عنه: "فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ"[٢٤].
ووجه الاستدلال بهذا الأثر هو أنّه ما فعل المسلمون واستحسنوه لا يكون مذمومًا بشرط أن لا يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع. وعلى هذا فلا يعتبر البدعة كلها قبيحة بل منها ما هو حسن.
وخلاصة القول: أنّ طريقة الفريق الأول مبنية على ثلاثة أمور:

١ـ البدعة حقيقة فيما لم يفعل في الصدر الأول ولم يكن له أصل من أصول الشرع ومجاز في غير ذلك.
٢ـ أنّ جميع ما ورد في ذم البدع من نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة" [٢٥] باق على عمومه.
٣ـ القول بأنّ البدع لا تدخل إلاّ في العاديات التي لا بد فيها من التعبد.
وأمّا طريقة الفريق الثاني فهي مبنية على أمور ثلاثة أيضًا:
١ـ أنّ البدعة حقيقة فيما لم يفعل في الصدر الأول كان له أصل من أصول الشرع أم لا.
٢ـ أنّ جميع ما ورد في البدع من نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن كل بدعة ضلالة" [٢٦] عام مخصوص.
٣ـ القول بأن جميع المخترعات من العاديات ولو لم يلحقها شائبة تعبد تلحق بالبدع وتصير كالعبادات المخترعة)[٢٧].
مناقشة الأدلة والترجيح: نبدأ بمناقشة أدلة الفريق الثاني ثم نتبعها بأدلة الفريق الأول:
أولاً: استدلالهم بقول عمر رضي الله عنه: "نعمت البدعة "، ليس بدليل لهم لعدة أمور:
١ـ أن صلاة التراويح جماعة ليست بدعة شرعية بل صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته جماعة عدة ليالي ثم بعد ذلك تركها مخافة أن تفرض عليهم ثم لا يطيقوها. ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون: الصلاة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: "أما بعد فإنّه لم يخف عليّ مكانكم ولكنّي خشيت أن تفترض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها" [٢٨] وفي رواية وذلك في رمضان.
وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم ترك صلاة التراويح جماعة مخافة أن تفرض عليهم وقد زال ذلك الخوف بموته صلى الله عليه وسلم فلا مانع أن يرجع الأمر كله إلى ما كان عليه وهو أن يصلى بها جماعة.
٢ـ أنّ صلاة التراويح جماعة تدخل في ضمن سنة الخلفاء الراشدين، وبالتالي فهي سنة سنّها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم "... وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين... "[٢٩].
٣ـ إن عمر رضي الله عنه أمر ذلك بمرأى ومسمع من الصحابة رضوان الله عليهم ولم ينقل من عارض ذلك.

وعلى هذا فلا يكون قول عمر رضي الله عنه دليلاً لهذا الفريق ولكن يبقى لماذا سمى عمر هذا الفعل بدعة؟ وقد أوّل العلماء هذا القول بعدة تأويلات وأحسنها هو أن يقصد بها البدعة اللغوية لاشتمالها البدعة السيئة والبدعة الحسنة.

يقول ابن تيمية رحمه الله في هذا المقام: "ما سمي بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم إمّا أن يقال ليس ببدعة في الدين وإن كان يسمى بدعة في اللغة كما قال عمر: نعمت البدعة، وإما أن يقال هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح كما يبقى عداها على مقتضى العموم كسائر عمومات الكتاب والسنة"[٣٠].

ويقول أيضًا: "أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة أي صلاة التراويح جماعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أنّ البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق، وأمّا البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي"[٣١].

ثانيًا: استدلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها.... ".

ليس بدليل لهم لأن معناه هو من أحيا سنة من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فله ثوابها وثواب من اتبعه بها كما يدل عليه سبب حديث جرير بن عبد الله حيث قال: "جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصرف[٣٢] فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه قال: ثم إنّ رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء"[٣٣].

وهذا يدل على أن الغرض من ذلك إحياء ما ثبت في الإسلام، وهنا الصدقة وليس ابتداع شيء لا أصل له في الشريعة الإسلامية.

وهناك حديث آخر يفسر هذا الحديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا سنّة من سنن قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا"[٣٤].

ثالثًا: وأمّا قول ابن مسعود رضي الله عنه: "فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن "[٣٥] فهو أثر موقوف على ابن مسعود وليس بحجة، وأما على فرض حجته فليس المراد جنس المسلمين الصادق بالمجتهد وغيره لاقتضائه أن كل ما رآه آحاد المسلمين حسنًا فهو حسن، وكذلك العكس، كما أنه يقتضي كون العمل الواحد حسنًا عند البعض الآخر لا يصح التقرب به إلى الله تعالى قبيحًا عند البعض الآخر لا يصح التقرب به إليه، وهو باطل[٣٦].

وعلى هذا يحمل معنى هذا الأثر على ما اجتمعت عليه الأمة لعصمتها من الإجماع على ضلال، والإجماع حجة لاستناده إلى دليل شرعي، وعلى هذا فلا يوجد دليل

واحد يدل إلى ما ذهبوا إليه وأنّ الأمثلة التي ذكروها للبدعة الحسنة والقبيحة تدخل تحت ما يناسبها من القواعد الشرعية.
وأما أدلة الفريق الأول: فهي مقبولة ومسلمة من ناحية ثبوتها ومن ناحية الاستدلال معًا، وبالتالي فلا تحتاج إلى مناقشة.
وعلى هذا نرجّح ما ذهب إليه الفريق الأول وهو أن البدعة لا تكون إلاّ مذمومة لعموم النصوص التي وردت في ذم البدعة شرعًا ولعدم وجود ما يخصص ذلك، وبالتالي ليست مقسمة إلى حسنة وقبيحة.
يقول الإمام الشاطبي رحمه الله مؤيدًا ذلك: "إنّه قد ثبت في الأصول العلمية أنّ كل قاعدة كلية أو دليل شرعي كلي إذا تكررت في مواضع كثيرة وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فروعية، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص مع تكرارها، وإعادة تقررها فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها من العموم كقوله تعالى: {ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى} [النجم:٣٨٣٩] وما أشبه ذلك... فما نحن بصدده من هذا القبيل. إذ جاء في الأحاديث المتعددة والمتكررة في أوقات شتى وبحسب الأحوال المختلفة أنّ كل بدعة ضلالة وأنّ كل محدثة بدعة وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على أنّ البدع مذمومة ولم يأت في آية ولا حديث تقييد ولا تخصيص ولا ما يفهم خلاف ظاهر الكلية فيها، فدل ذلك دلالة واضحة على أنّها على عمومها وإجمالها"[٣٧] وأمّا البدع المنقسمة إلى حسنة وقبيحة فهي البدعة اللغوية المتعلقة بالاختراعات وبأمور المعاش ووسائله ومقاصده [٣٨]، فما كان ضارًا فنترك، وما كان نافعًا فنفعل ونستعمل.
وكل هذه أمور تدخل تحت ما فرضّه لنا الشارع بقوله صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلم بأمور دنياكم... "[٣٩].
هذا ما يتعلق بالبدعة الحقيقة وأما البدعة الإضافية فهي كما ذكر الشاطبي رحمه الله التي لها شائبتان: إحداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة، والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية. فلما كان العمل الذي له شائبتان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية "البدعة الإضافية" أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى دليل.
والفرق بينهما من جهة المعنى، أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العاديات المحضة[٤٠].
ومثال ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الأذان جهرًا مع أن الشارع طلب منا ذلك سرًا بقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ، فإن من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا..."[٤١].
والبدعة تدخل من جهة الكيفية لا من جهة أصل مشروعية ذلك، ومن ثم تأخذ حكم البدعة الحقيقية بحسب قربها لها أو بعدها منها.

يقول الشاطبي رحمه الله: "فقلما تختص أي البدعة الحقيقية بحكم دون الإضافية بل هما معًا يشتركان في أكثر الأحكام إلا أن الإضافية على ضربين: أحدهما: يقرب من الحقيقة حتى تكاد البدعة تعد حقيقية.
والآخر: يبعد منها حتى يكاد يعد سنة محضة[٤٢].

الفصل الثاني
البدع الملحقة بمولده صلى الله عليه وسلم

يقصد بالمولد تلك الاحتفالات التي تقام في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، وهو اليوم الذي ولد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم على أرجح الأقوال.
ولذا كان الاحتفال المذكور، أحياء لذكراه عليه الصلاة والسلام وإظهارًا للفرح بمولد نبي الثقلين كما يقول المحتفلون.
وفي ذلك اليوم يقرأ المحتفلون أورادًا كثيرة ويتذاكرون سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنّهم يقومون بجانب ذلك بأعمال كثيرة مثل الذبح وإعداد الطعام للمجتمعين وللتوزيع على الفقراء حتى أصبح ذلك اليوم يوم أكل وشرب مثل يومي العيد الفطر والأضحى أو أكثر.
وقد يتوسع بعضهم في ذلك الاحتفال حتى أنه يقام من بداية شهر ربيع الأول ويستمر إلى اليوم الثاني عشر أو إلى نهاية الشهر أو يقام في كل يوم الاثنين أو يوم الجمعة من كل أسبوع.
يقول الشيخ علي محفوظ: "الموالد هي الاجتماعات التي تقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء والأصل فيها أن يتحرى الوقت الذي ولد فيه من يقصد بعمل المولد وقد يتوسع فيها حتى تتكرر في العام الواحد"[٤٣].
ونتحدث في هذا الفصل عن ذلك اليوم وما يفعل فيه من الأعمال مع عرض كافة الآراء بأدلتها ومناقشتها بموضوعية وحياد كاملين ليظهر الحق بدليله ويزهق الباطل بمزاعمه وأوهامه وليعيش الناس مع الإسلام عن بينة ووضوح.
وسوف يتكون هذا الفصل من مبحثين:
المبحث الأول: تحديد وقت الاحتفال بالمولد ونشأته.
المبحث الثاني: حكم الاحتفال بالمولد.

المبحث الأول
تحديد وقت الاحتفال بالمولد ونشأته

تحديد وقت الاحتفال بالمولد مرتبط بتحديد الوقت الذي ولد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنّ ذلك الاحتفال يقصد به إحياء ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم كما قلنا آنفًا.

ومعنى ذلك أنّ ذلك الاحتفال يخضع للاختلاف الوارد في تحديد وقت ولادته صلى الله عليه وسلم ولكن الذي لا جدال فيه أنّه ولد في يوم الاثنين للحديث الصحيح الذي ورد في هذا الشأن وأمّا ما عدا ذلك فمختلف فيه.
أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين فقال: "فيه ولدت وفيه أنزل عليّ"[٤٤].
وقد ذكر ابن كثير رحمه الله الخلاف الوارد في ذلك في كتابه السيرة النبوية قائلاً:
"أنّ ذلك كان في شهر ربيع الأول، فقيل لليلتين خلتا منه.. وقيل لثمان خلون فيه. وقيل لعشر خلون منه.. وقيل لاثنتي عشر خلت منه.."[٤٥].
ولأجل هذا الخلاف كان الملك المظفر صاحب إربل [٤٦] يحتفل بالمولد الشريف مرة في ثامن شهر ربيع الأول ومرة في الثاني عشر منه [٤٧] ولكن المشهور هو أنّه ولد في يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وهو الراجح.
يقول ابن كثير بعد نقله هذا القول: "وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم"[٤٨].
وأمّا ما ذكر من أنّه ولد في رمضان أو في يوم الجمعة وفي غيرهما فغير صحيح كما ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى.
وأمّا نشأة الاحتفال بالمولد الشريف فمختلف فيه أيضًا بين العلماء، فمنهم من يقول إنّ الاحتفال بدأ في القاهرة أيام الدولة الفاطمية، ومنهم من يقول إنّ ذلك قد أحدثه الملك مظفر صاحب إربل بإربل في آخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع.
الأقوال التي تؤيد القول الأول: يقول المقريزي: " كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين رضي الله عنه ومولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومولد الخليفة الحاضر"[٤٩].
ويقول القلقشندي عند كلامه عن جلسات الخلفاء الفاطميين: "الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارًا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف وتعبأ ثلاثمائة صينية نحاس فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق في أرباب الرسوم كقاضي القضاة وداعي الدعاة وقراءة الحضرة... "[٥٠].
ويفهم من كلام المقريزي وكلام القلقشندي أنّ الفاطميين كانوا يعملون الاحتفال بالمولد النبوي وغير ذلك من الموالد وإن لم يصرحا بأنّهم أول من أحدث ذلك ولكن صرح في ذلك حسن السندوبي في كتابه تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي قائلاً: "لقد دلني البحث والتنقيب والتحري والاستقصاء على أن الفاطميين هم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف وجعلوه من الأعياد العامة في كل أمة من الأمم الإسلامية كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية التي عدّت من مواسمها، وكذلك صرفوا الكثير من اهتمامهم إلى إحياء ما يكون معروفًا من المواسم والأعياد قبل الإسلام"[٥١].

وممن ذهب إلى القول الثاني السيوطي حيث يقول: "أول من أحدث فعل ذلك الاحتفال بالمولد صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين بن علي بن بكتكين أحد ملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة"[٥٢].
وتبعه في ذلك محمد رشيد رضا صاحب المنار حيث يقول: "إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة، والمشهور أنّ المحدث لها هو أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني الجنس الملقب بالملك العظيم مظفر الدين صاحب إربل أحدثها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس فإن السلطان صلاح الدين ولاّه على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٠ هـ "[٥٣].
وهذان القولان هما المشهوران في الموضوع الذي نحن بصدده ولم أقف على أقوال أخر تتعلق بهذا الموضوع.
وقد ذهب بعض العلماء إلى التوفيق بين الرأيين: يقول الشيخ علي محفوظ: "أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد الإمام علي رضي الله عنه ومولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهما ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعدما كاد الناس ينسونها، وأول من أحدث المولد النبوي بمدينة إربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع، وقد استمر العمل بالمولد إلى يومنا هذا وتوسع الناس فيها وابتدعوا بكل ما تهواه أنفسهم وتوحيه شياطين الإنس والجن"[٥٤].
وذهب إلى ذلك أيضًا الدكتور عزت عطية حيث يقول: "وأول من أحدثه بالقاهرة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٢هـ ودام الاحتفال به إلى أن أبطله أمير الجيوش بدر الدين الجمالي سنة ٤٨٨هـ في عهد المستعلي بالله، ولمّا ولي الخلافة الآمر بأحكام الله ابن المستعلي أعاد الاحتفال في سنة ٤٩٥هـ وأول من أحدث هذا الاحتفال بإربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السادس أو السابع[٥٥]. ويفهم من كلامهما أنّ الابتداء نسبي بحيث أن الفاطميين هم أول من أحدث ذلك الاحتفال بالنسبة لمدينة القاهرة، وأما بالنسبة لإربل فصاحب إربل الملك المظفر هو أول من أحدث فيها ولكن أرجح الأقوال هو الأول الذي يقول بأنّ الفاطميين هم الذين أحدثوا ذلك ولم يسبقهم أحد في ذلك بل انتشرت من عندهم إلى البلاد الإسلامية.
والذي يؤيد ذلك أنّ الدولة الفاطمية قد سقطت قبل وجود الملك المظفر صاحب إربل وبالتحديد سنة ٥٦٧ هـ [٥٦] وكذلك صاحب إربل نفسه لم يبتدع ذلك الاحتفال بالمولد بل اقتدى بالشيخ عمر الملا[٥٧].
يقول أبو شامة: "وكان أول من فعل ذلك أي الاحتفال بالمولد الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحمهم الله تعالى[٥٨].
وخلاصة القول أنّ الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن معروفًا في القرون الثلاثة الأولى التي شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهلها بالخيرية بقوله: "خير الناس قرني في ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..."[٥٩].

وإنّما بدأ ذلك في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري على يد أحد ملوك الفاطميين وهو المعز لدين الله.
والغرض من ابتداع الاحتفال بالمولد النبوي هو جذب قلوب العامة إلى الدولة الفاطمية الجديدة في مصر كما جزم غير واحد.
يقول السندوني: " ولمّا استقر له الحكم أي المعز لدين الله أخذ يفكر في الوسائل الكفيلة باستمالة القلوب، وامتلاك النفوس، واستثارة العواطف حتى تألف الأمة المصرية تصرفات هذه الحكومة الجديدة وترضى عن سياستها في إدارة البلاد، ولمّا كانت الميول العامة لطبقات الأمة المصرية متجهة إلى حب آل بيت الرسول مع الاعتدال في التشيع لهم... رأى المعز لدين الله أنّ أقرب الأسباب للوصول إلى أغراضه من هذا الميل العام الالتجاء إلى الأمور التي تمت بصلة إلى المظهر الديني، فهداه تفكيره إلى أن يقرر إقامة مواسم حافلة وأعياد شاملة في مواعيد مقررة وكان من أولها وأجلّها وأفضلها الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف"[٦٠].
وبجانب هذه المناسبات والأعياد الدينية فقد كان الخلفاء الفاطميون يشتركون في الاحتفالات التي تقام للأعياد الأخرى مثل عيد الميلاد عند الأقباط في مصر وغيرها من الأعياد والمواسم للغرض نفسه حتى ينالوا رضاء أهل الملل المختلفة القاطنين في مصر.
يقول د. حسن إبراهيم حسن وصاحبه في كتابهما "المعز لدين الله": "وكان الفاطميون يتخذون هذه الأعياد وسيلة لجذب الرعايا إليهم، لذلك شارك المعز القبط في الاحتفال بعيد الميلاد وغيرها"[٦١].
ومن هنا نقول إنّ إحداث الاحتفال بالمولد النبوي من قبل الخلفاء الفاطميين كان لغرض سياسي بحت دون النظر إلى دوافع دينية أو اعتبارات أخرى بل الغرض الوحيد هو كسب احترام رعايا المسلمين في مصر كما كانوا يعملون مع رعايا غير المسلمين هناك بحيث يشتركون معهم في احتفالاتهم التي ليست لها صلة بالدين.
وهذه سمة عامة الخلفاء الفاطميين منذ أن نشأت دولتهم في مصر عام ٣٥٧هـ إلى أن سقطت في سنة ٥٦٧٠هـ وإن كان فيهم من أبطل الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من الموالد فترة مثل الأفضل أمير الجيوش في سنة ٤٨٨هـ ولكن أعيد الاحتفال في عهد الآمر بأحكام الله في سنة ٤٩٥ هـ وبعد ذلك استمر إلى يومنا هذا. وقد أصبح ذلك اليوم في بعض البلاد عيدًا رسميًا حيث تعطل المصالح الحكومية والشركات والمؤسسات وتقفل المدارس وتقام حفلات هائلة وتعمل إنارة الطرقات وتزيينها.
والأغرب من ذلك كله أن بعض الحكومات التي تدور في فلك المعسكر الشيوعي الملحد الذي لا يعترف بوجود الله تجعل ذلك اليوم عيدًا رسميًا مثل الأعياد الوطنية في عصرنا الحاضر لكسب تأييد رعايا المسلمين فقط دون النظر إلى دوافع دينية لأنّ الدين عندهم أفيون الشعب بناء على مبدئهم القائل: الغاية تبرر الوسيلة.
وعلى هذا فغرضهم يتفق مع غرض الدولة الفاطمية في مصر التي أحدثت ذلك الاحتفال وإن اختلفت الأزمنة وبعدت الأمكنة.

المبحث الثاني

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

ذكرنا في المبحث السابق أن الاحتفال بالمولد النبوي في أقدم الأقوال قد بدأ في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري.
ومعنى ذلك أنّ الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن معروفًا في القرون الفاضلة الثلاثة المشهود لأهلها بالخيرية.
ومع هذا فقد جوز بعض العلماء الاحتفال بالمولد النبوي، بل ذهبوا إلى استحسان الشرع له مستدلين بأدلة نوردها قريبًا ولكن هناك فريقًا آخر من العلماء ذهبوا إلى عدم جوازه ورأوا أنّه بدعة محدثة يرفضها الشرع ويأباها، ولهم على ذلك أدلة أخرى.
ومحل النزاع بين الفريقين هو إذا كان ذلك الاحتفال خاليًا ممّا يصحبه عادة من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وغيرها من الأمور المنهية عنها شرعًا وأما إذا صحبته شيء من ذلك فهم مجمعون على عدم جوازه لتلك العلة عند الفريق الأول.
وأمّا عند الفريق الثاني، فالعلة عندهم هي إحداثه وبدعيته حتى وإن خلا من المنهيات المصاحبة عادة. وبالتالي فمن باب أولى أن يقولوا بعدم جوازه إذا صاحبته الأمور المنهية عنها شرعًا.
ونذكر هنا آراء كل من الفريقين مع الأدلة التي يستدلون بها ووجهة استدلالهم بها.
أولاً: الفريق الأول: هذا الفريق هو الذي ذهب إلى جواز الاحتفال بالمولد النبوي بل إلى استحسانه بشرط خلوه من المنكرات مثل الطرب والرقص واختلاط الرجال والنساء.
ومن علماء هذا الفريق ابن ناصر الدين الدمشقي [٦٢] وابن الجزري [٦٣] وابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهم.
وقد استدل كل منهم بما رأى من دليل ومن أهمها:
١ـ رأي ابن ناصر الدين: يقول ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه، مورد الصادي في مولد الهادي: "ثويبة أول من أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمه وهي مولاة أبي لهب عمه أعتقها سرورًا بميلاد خير الثقلين فلهذا صح أنّه يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين ثم أنشد:

إذا كان هذا كافرًا جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائمًا يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسرورًا ومات موحدا[٦٤]

٣ـ رأي ابن الجزري: يقول ابن الجزري في هذا المقام: (وقد روي أنّ أبا لهب بعد موته رؤي في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلاّ أنّه يخفف عنّي كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي ماء بقدر هذا، وأشار إلى ثغرة إبهامه وأنّ ذلك بإعتاقي ثويبة عندما بشرتني بولادة محمد صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له، ثم قال: إذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فما بال المسلم الموحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسر

بمولده ويبذل ما تتصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري إنّما جزاؤه من الله الكريم يدخله بفضله جنات النعيم)[٦٥].

ويلاحظ أن ابن ناصر الدين وابن الجزري استدلا بدليل واحد هو ما روي أن أبا لهب رؤي في النوم بعد موته وذكر بعد سؤال حاله أنّه يخفف عنهْ العذاب في كل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة بعد ما بشرته بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم سرورًا بذلك ومن ثم يجعلون ذلك دليلاً على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي لأنّ الكافر وهو أبو لهب يثاب على سروره بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يخفف عنه العذاب في كل يوم الاثنين، فمن باب أولى أن يثاب المسلم إذا احتفل بالمولد النبوي والثواب لا يكون إلاّ على عمل مشروع فدل ذلك أن الاحتفال بالمولد النبوي عمل مشروع في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول. من كل عام.

٣- رأي ابن حجر العسقلاني: يقول ابن حجر العسقلاني: (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا، قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ثابت في الصحيحين من أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فرعون ونجّى موسى فنحن نصومه شكرًا لله تعالى، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى أي يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله)[٦٦].

ووجه استدلال الحافظ بهذا الحديث أنّ النعمة تقابل بالشكر، فكما نقابل يوم نجاة موسى عليه السلام بالصوم فلا مانع من أن نقابل يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم بلون من ألوان العبادة كالصيام والصدقة والتلاوة وهكذا.

رأي السيوطي: ينقل السيوطي رأي ابن حجر مع دليله ثم يقول: (وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه "أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة " [٦٧] مع أنّه قد ورد أن جدّه عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه. لذلك فيستحب لنا أيضًا إظهارًا للشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام. ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات)[٦٨].

وتوجيه هذا الدليل يقوم على أن الشكر على النعمة يجوز تكراره، فكما كرر النبي صلى الله عليه وسلم العقيقة عن نفسه يجوز أن يكرر المسلمون الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم شكرًا لله على مولد رسولهم الكريم.

ونضيف إلى هذا دليلاً آخر استدل به بعضهم وهو ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "فيه ولدت وفيه أنزل عليّ" [٦٩] ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو ما دام أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد خصّص عبادة في هذا اليوم شكرًا لله على نعمة إيجاده صلى الله عليه وسلم فكذلك يجوز لنا أن نحتفل في هذا اليوم إظهارًا للسرور بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وشكرًا لله على هذه النعمة لأنّه كما قابل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه النعمة بالصوم فلا مانع أن نقابل هذه النعمة بألوان من العبادة كالصدقة والتلاوة وغيرها.
والآراء المذكورة تمثل رأي فريق واسع، إلاّ أنّي اكتفيت بما ذكرت لأنّه يصور واقع هذا الفريق قديمًا وحديثًا وكلهم يعتمدون على هذه الأدلة أو بعضها.
ومجمل الآراء يقوم على أن الاحتفال بالمولد النبوي في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام عمل مشروع.
وقبل أن نتكلم عن أدلة هذا الفريق من ناحية صحتها أو ضعفها، ومقدار قربها أو بعدها عما سيقت له نذكر رأي الفريق الثاني والأدلة التي يستدل بها من جانبه.
ثانيًا: الفريق الثاني: ذهب هذا الفريق إلى عدم جواز الاحتفال بالمولد النبوي سواء صاحبته المنكرات أم لا.
وجمهور العلماء على هذا الرأي ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن الحاج [٧٠] والفاكهاني [٧١]، ومن أهم آرائهم ما يلي:
١ـ رأي شيخ الإسلام ابن تيمية: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المقام: (ما يحدثه بعض الناس من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا بدعة لأنّ هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له، وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيرًا محضًا، أو راجحًا، لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منّا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال متابعته وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك، بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)[٧٢].
وملخص هذا الرأي أنّ الاحتفال بالمولد أمر غير مشروع ومن ثم فهو بدعة لأنّ السلف الصالح لم يحتفلوا به مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه حيث كانت الفطرة سليمة، والحرص على التدين أصيل، ولا يسعنا إلا ما وسعهم، وعلينا أن نتبع لا أن نبتدع. ولله در القائل: لن يصلح هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.
٢ـ رأي ابن الحاج: يقول ابن الحاج بعد أن تكلم عن المفاسد المصاحبة للاحتفال بالمولد كالطرب وغيرها: (وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع فإن خلا منه وعمل طعامًا فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط، إذ أنّ ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضيين، واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد من مخالفة ما كانوا عليه، لأنهم أشد الناس اتباعًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له ولسنته صلى الله

عليه وسلم ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك ولم ينقل عن أحد منهم أنّه نوى المولد، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم)[٧٣].
وهذا الرأي يقوم على ما قام به رأي ابن تيمية تمامًا وهو بدعية الاحتفال بالمولد لأنّ السلف لم يحتفلوا به ولا يسعنا إلاّ ما وسعهم.
٣ـ رأي الفاكهاني: يقول الفاكهاني رحمه الله: (لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكّالون بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا إمّا أن يكون واجبًا أو مندوبًا أو مباحًا أو مكروهًا أو محرمًا، وليس بواجب إجماعًا ولا مندوبًا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن به الشرع ولا يفعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت، ولا جائزًا أن يكون مباحًا، لأن الابتداع في الدين ليس مباحًا بإجماع المسلمين، فلم يبق إلاّ أن يكون مكروهًا أو محرمًا)[٧٤].
وملخص هذا الرأي يقوم على أنّ الاحتفال بالمولد قد أحدثه البطالون والأكالون ومن ثم فهو بدعة لعدم ورود ما يدل على مشروعيته من كتاب ولا سنة صحيحة. ولهذا لا يكون واجبًا ولا مندوبًا ولا مباحًا وإنما يكون حكمه إمّا مكروهًا أو حرامًا.
هذه مجمل ما قيل في هذا الموضوع وهو الاحتفال بالمولد النبوي، وكما نرى أنّ كل فريق من الفريقين يستدل بأدلة تؤيد رأيه.
وقبل أن نصل إلى حكم الاحتفال بالمولد، لا بد من مناقشة الأدلة والنظر فيها لنرى مدى صحتها أو ضعفها ومدى قربها أو بعدها لما استدل بها له.
مناقشة الأدلة: ونبدأ بأدلة الفريق الأول:
١ـ استدلالهم بأن أبا لهب قد رؤي في النوم وإخباره بأنّه يخفف عنه العذاب في كل يوم الاثنين جزاء إعتاقه ثويبة عند ما بشرته بميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وسروره بذلك.
قبل أن نرفض الاستدلال بمثل هذا النص الوارد عن رؤيا منامية نذكر سند الحديث ومتنه لأنّه خير ما يساعدنا في الرفض.
قال البخاري رحمه الله تعالى: (حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال أخبرني عروة بن الزبير قال: "وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة[٧٥].
قال: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أنّي سقيت في هذه بعتاقي ثويبة"[٧٦].
وهذا الحديث لم يسلم عن مقال لا من ناحية السند ولا من ناحية المتن والاستشهاد به مردود لعدة أسباب:
أ) إمّا من ناحية السند فهو حديث مرسل أرسله عروة كما هو واضح.
ب) وإمّا من ناحية المتن فهو مخالف لما دلّ عليه القرآن حيث يقول الله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان:٢٣].

وقد ذكر علماء التفسير في معنى الآية أنّ الكافر إذا فعل عمل خير لا يثاب عليه لفقده الإيمان الذي هو أساس قبول الأعمال كلها ومن ثم عمله يكون كالهباء المنثور[٧٧].
ولذلك بانت معارضة الحديث للآية.
وأخيرًا فإنّ مثل هذا النص مع فرض صحته ومع تصوّر عدم معارضته للقرآن الكريم لا يفيد حكمًا شرعيًا لأنّه تصوير لرؤيا منامية رآها كافر وهو العباس بن عبد المطلب الذي لم يسلم بعد وقت الرؤيا، ورؤيا الناس عمومًا ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تفيد حكمًا شرعيًا، ومن باب أولى إذا كانت رؤية الكفار.
وأمّا ما ثبت [٧٨] في حق أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم من تخفيف العذاب عنه في النار مع كفره وبقائه في الشرك حتى فارق الحياة فمخصوص ولا يتعدى إلى غيره.
وهذا الحديث لا يصح للأمور التي ذكرناها، ومن ثم لا تقوم به الحجة.
وإذا كان كذلك فلننظر الأدلة الأخرى التي يستدلون بها:
استدلالهم بالحديث المتعلق بصيام يوم عاشوراء على جواز الاحتفال بالمولد قياسًا على ذلك لعلة حصول النعمة فيهما فمردود لأن إظهار الشكر فيهما على طرفي نقيض، وذلك أن يوم عاشوراء يوم صوم، وأن الاحتفال بالمولد يوم أكل وشرب، ولو عمل في يوم المولد من جنس ما يعمل في يوم عاشوراء وهو الصيام لكان أقرب وإن كان هذا لا يخرجه عن البدعة لعدم مشروعيته في ذلك اليوم الموافق الثاني عشر من ربيع الأول، ولأنّ مثل هذه الأعمال التي يتقرب بها إلى الله لا تثبت بالقياس كما يقال: أنّ الأصل في العادات أن لا يشرع فيها إلا ما يشرعه الله وأن الأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله.
ولهذا لا يمكن الاستدلال بهذا الحديث مع ثبوته لعدم مطابقته هذا المقام الذي نحن بصدده.
استدلالهم بالحديث الذي أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عق عن نفسه بعد النبوة فهو حديث لا يستدل به، وسند الحديث ونصّه هو الآتي: قال البيهقي رحمه الله: (أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله أنبأنا حاجب بن أحمد بن سفيان الطوسي، ثنا محمد بن حماد الايبردي ثنا عبد الرزاق، أنبأنا عبد الله بن محرر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد عقّ عن نفسه بعد النبوة "[٧٩]. ففي إسناد هذا الحديث رجل قد جرحه غير واحد من النقاد وهو عبد الله بن محرر.

ونذكر هنا أقوال العلماء فيه: يقول البخاري: (عبد الله بن المحرر عن قتادة، متروك الحديث [٨٠]، وهنا عن قتادة.
يقول النسائي: (عبد الله بن محرر يروي عن قتادة متروك الحديث)[٨١].
ويقول ابن أبي حاتم عن أبيه: (عبد الله بن محرر متروك)[٨٢].
ويقول ابن حبان: (كان من خيار عباد الله، ممن يكذب ولا يعلم ويقلب الإسناد ولا يفهم)[٨٣].

ويقول البيهقي عن عبد الرزاق [٨٤] قال: (إنّما تركوا عبد الله بن محرر لأجل هذا الحديث[٨٥].

من هذه الأقوال التي أوردتها يتبين لنا أنّ هذا الحديث لا يصح سنده لوجود راوٍ متروك في سنده ومن ثم لا يمكن الاستدلال به في هذا المقام.

هذا من ناحية السند، وأمّا من ناحية المتن فلا يمكن أن يستدل به أيضًا لما نحن بصدده وهو الاحتفال بالمولد وإنّما غاية ما يستدل به عليه مشروعية العقيقة بعد البلوغ أن فرضنا صحته، وهيهات أن يصح.

٤ـ استدلالهم بصيامه صلى الله عليه وسلم في كل يوم الاثنين معللاً بأنّه اليوم الذي ولد فيه واليوم الذي أنزل عليه فمردود لأن صيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام وإنما كان في يوم الاثنين من كل أسبوع وفي كل شهر من شهور السنة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فعلينا أن نشكر الله بمثل ما شكره به صلى الله عليه وسلم وهو الصيام مع مراعاة الوقت الذي شرع فيه لا أن نحتفل ونأكل ونشرب.

من هذه المناقشة يتبيّن لنا أنّ ما ذهب إليه هذا الفريق وهو جواز الاحتفال بالمولد النبوي واستحبابه غير صحيح، لاستدلالهم بأدلة بعضها واهٍ وبعضها غير مطابق لما استدل به عليه كما ذكرنا وإن كانت ثابتة.

وأمّا أدلة الفريق الثاني: فيدور استدلالهم على ضرورة الاتباع لما كان عليه السلف الصالح فهم خير من نقل دين الله إلينا كما أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنّه لم ينقل أحد منهم جواز الاحتفال بالمولد النبوي ولا خطر في بالهم يومًا ما مع حبّهم واحترامهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل نقل عنهم الاختلاف في وقت ولادته، وهذا يدل على أنّ السلف الصالح كانوا لا يرون تخصيص يوم ولادته بعبادة معينة أو إقامة احتفال.

وعلى هذا فإنّ الاحتفال بالمولد يدخل في ضمن البدع المنهي عنها في كثير من الأحاديث.

منها قوله صلى الله عليه وسلم: ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[٨٦].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٨٧].

ومن هنا نقول إنّ رأي الفريق الثاني هو الراجح لأنّه مبني على الاتباع وترك الابتداع.

ولا يفهم من هذا أنّ ترك الاحتفال بالمولد النبوي جفوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإهمال لحبه كما يقول الجهال لأنّ الاتباع الدقيق هو الحب الحقيقي ويكون مستمرًا طول الحياة في كل يوم وليلة ولا يختص بيوم من السنة دون غيره من الأيام كما يفعله المحتفلون المبتدعون. وبالإضافة إلى ذلك فإن الابتداع يعتبر زيادة في الدين خارجة عنه بعد أن أكمله الله تعالى بنزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣] وبالتالي يقف المبتدع موقف المستدرك على الشارع سبحانه وتعالى وعلى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله عز وجل.

وهذا سوء الأدب بعينه مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وإن لم يقصد بذلك وحسنت نيته لأنّ حسن النية لا يحلل حرامًا ولا يحرم حلالاً كما أنها لا يكون مبررًا لزيادة في دين الله أو النقصان منه لأنّ المرجع في كل ما يتعلق بأمر الدين هو كتاب الإله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعلى المسلم أن يراعي ذلك الجانب حتى لا يقع في منزلق لا يحمد عقباه وأن ينظر ما يتقرب به إلى الله قبل أن يقدم عليه فيعرف سنده من الكتاب والسنة عملاً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:١].

الفصل الثالث
البدع الملحقة بمسجده صلى الله عليه وسلم

من المعلوم أنّ المسجد النبوي الشريف هو أول مسجد بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد وصوله إياها مهاجرًا وله فضائل كثيرة يشترك فيها معه المسجد الحرام والمسجد الأقصى وأخرى خاصة به، ولكنّ الناس ابتدعوا أمورًا يفعلونها في المسجد النبوي تقربًا إلى الله تعالى في ظنهم وتأدبًا مع الرسول صلى الله عليه وسلم كما يزعمون بناء على أدلة واهية لا تثبت بمثلها الأحكام أو على استحسان منهم دون الرجوع إلى أدلة الشرع من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وكثير من هذه المبتدعات من وضع أعداء الإسلام الذين يقصدون تشويه الحق، وصرف المسلمين عن التدين الصادق الذي يجعل التوجه كله لله عبودية واستقامة. وبذلك يتوصلون إلى صرف الناس إلى الانغماس في اللهو والبدع بلا فائدة.

وبجانب فعلهم هذه المنكرات في المسجد النبوي الشريف فإن المبتدعين يرمون من ينهاهم عن هذه الأفعال بأنه لا يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقيامه بواجبه الذي كلف به من قبل الله سبحانه وتعالى وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح الذي هو لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وهذا ما سوف نبينه في هذا الفصل الذي يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: فضائل المسجد النبوي.

المبحث الثاني: ما يفعله الجهّال من البدع في مسجده صلى الله عليه وسلم.

وذلك فيما يلي:

المبحث الأول
فضائل المسجد النبوي

للمسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فضائل كثيرة منها ما يشترك فيها مع المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى، ومنها ما هو خاص به.
أمّا الفضائل المشتركة: فمنها مشروعية شد الرحال إليه لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى"[٨٨].
وهذه فضيلة مشتركة بين المساجد الثلاثة كما يفيد منطوق الحديث ولا تتعدى هذه الفضيلة إلى غير هذه الثلاثة المنصوصة في الحديث كما جزم بذلك العلماء.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره هذا الحديث: " فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف من الأعمال الصالحة، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال إليه"[٨٩].
ومن تلك الفضائل مضاعفة ثواب الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام"[٩٠].
هذه الفضيلة ثابتة للمسجد النبوي الشريف بنص الحديث، لكنّ استشكل العلماء حول المراد من هذا الاستثناء، هل هو أن الصلاة في المسجد النبوي أفضل من الصلاة في المسجد الحرام بدون الألف أم أنّ الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي الشريف.
وممن قال بالقول الأول: الإمام مالك وطائفة من العلماء: وأمّا الإمام الشافعي وجماهير العلماء، فقد ذهبوا إلى الثاني.
يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى عند شرحه هذا الحديث: "اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم في مكة والمدينة أيتهما أفضل، ومذهب الشافعي وجماهير العلماء أنّ مكة أفضل من المدينة وأنّ مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة، وعكسه مالك وطائفة.
فعند الشافعي والجمهور معناه إلاّ المسجد الحرام فإنّ الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجدي، وعند مالك وموافقيه إلا المسجد الحرام فإنّ الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف"[٩١].
وكلا التأويلين محتمل إذا لم نجد من الخارج ما يرجح أحدهما من الآخر كما أنّ هناك تأويلاً ثالثًا محتملاً وهو أنّ الصلاة فيهما سواء.

وقد ذكر ابن حزم الظاهري التأويل الثالث عند ذكره هذا الحديث حيث قال: "تأوّلوا أن الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الألف، وقلنا نحن: بل هذا الاستثناء أنّ الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد المدينة، ثم قال: فكلا التأويلين محتمل نعم وتأويل ثالث وهو المسجد الحرام فإنّ الصلاة في كليهما سواء ولا يجوز المصير إلى أحد هذه التأويلات دون الآخر إلاّ بنص آخر وبطل أن يكون في هذا الخبر بيان فضل المدينة على مكة"[٩٢].

ممّا سبق يتضح لنا أن التأويلات الثلاثة محتملة ولكن تأويل الجمهور هو الأصح لثبوت ما يرجح ذلك وهو الحديث الذي في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا"[٩٣].

ومن العلماء من صحّح هذا الحديث ومنهم من حسّنه فمن الأولين ابن حزم الظاهري حيث قال: "حديث ابن الزبير صحيح فارتفع الإشكال"[٩٤].

ومن الفريق الثاني النووي حيث قال: "حديث حسن رواه أحمد بن حنبل في مسنده"[٩٥].

وسواء قلنا أنّ هذا الحديث الذي نحن بصدده صحيح أو حسن فلا يخرج من دائرة الاحتجاج به والغرض الذي من أجله أوردناه وهو ثبوت أفضلية مسجد مكة على مسجد المدينة وكذلك مضاعفة ثواب الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم وهو ما يهمنا في هذا المقام، وإن اشترك في ذلك المسجد الحرام وزاد عليه.

ومن تلك الفضائل كونه حرمًا مثل المسجد الحرام لدخوله في حدود حرم المدينة المنورة التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنّ إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاهها[٩٦] ولا يصاد صيدها[٩٧].

وبقوله صلى الله عليه وسلم: "المدينة حرم ما بين عير إلى ثور... "[٩٨].

هذان الحديثان يحددان لنا حدود حرم المدينة المنورة بحيث أنّ الحديث الأول يحدد الحرم من ناحية العرض وأنه يقع ما بين لابتي المدينة وهما الحرتان الوبرة والواقم أولاهما تقع في غرب المدينة وثانيهما تقع في شرق المدينة.

يقول الدكتور/محمد حسن هيكل: "تحد هذه الحرة وهي الواقم المدينة من الشرق وتحدها حرة الوبرة بن الغرب"[٩٩].

وأما الحديث الثاني فيحد لنا حرم المدينة المنورة من جهة الطول بحيث يقع الحرم ما بين عير إلى ثور وهما أي عير وثور جبلان يقع أولاهما جنوب المدينة وثانيهما يقع في شمال المدينة.

يقول عبد القدوس الأنصاري: "عير وثور اسما جبلين من جبال المدينة أولهما عظيم شامخ يقع بجنوبي المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريبًا بسير الأقدام غير المستعجل، وثانيهما أحمر صغير يقع شمال أحد، ويحدان حرم المدينة جنوبًا وشمالا"[١٠٠].

وعلى هذا فيدخل جبل أحد في حدود حرم المدينة المنورة.

يقول صاحب[١٠١] حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل عند تحديده حرم المدينة: "وحرمها من عير بفتح العين المهملة إلى ثور طولا، وثور جبل صغير خلف أحد وعرضا ما بين لابتيها، واللابتان الحرتان السود"[١٠٢].
وخلاصة القول أن حرم المدينة المنورة تحده من الشرق الواقم ومن الغرب الوبرة ومن الجنوب جبل يسمى عيرًا ومن الشمال جبل يسمى ثور وهو غير ثور الذي بمكة على الأصح خلافًا لمن نفى ذلك عن المدينة كأبي عبيد القاسم بن سلام ومن تبعه في ذلك كالزمخشري حيث قال: "هما جبلان بالمدينة وقيل لا يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورًا وإنما ثور بمكة ولعل الحديث ما بين عير إلى أحد"[١٠٣].
وهذا وهم منهم كما جزم غير واحد من العلماء.
يقول الفيروزآبادي: "ثور جبل بالمدينة ومنه الحديث الصحيح:
"المدينة حرم ما بين عير إلى ثور" [١٠٤]، وأمّا قول أبي عبيد القاسم بن سلام وغيره من أكابر الأعلام أنّ هذا تصحيف والصواب إلى أحد لأنّ ثورًا إنما هو بمكة فغير جيّد"[١٠٥].
هذا ما يتعلق بالفضائل المشتركة بين المسجد النبوي الشريف وبين المسجد الحرام أو المسجد الأقصى. وأمّا الفضيلة الهامة التي يختص بها المسجد النبوي فهي الروضة التي بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم حيث وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها روضة من رياض الجنة في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الله بن زيد المازني أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"[١٠٦].
وفي رواية: "ما بين قبري ومنبري"[١٠٧].
والرواية الثانية: لا تصح وإنما هي رواية بالمعنى كما جزم ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره هذا الحديث حيث قال: "هذا هو الثابت الصحيح ولكنّ بعضهم رووه بالمعنى فقال: "قبري" وهو صلى الله عليه وسلم حين قال هذا القول لم يكن قد قبر صلى الله عليه وسلم. ولهذا لم يحتج بهذا أحد من الصحابة حينما تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان نصًا في محل النزاع ولكن دفن في حجرة عائشة في الموضع الذي مات فيه بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه"[١٠٨].
وعلى هذا لا نحتاج إلى تكلف في الجمع بين الروايتين كما فعل الطحاوي في مشكل الآثار بل وعده من علامات النبوة قائلاً: "في هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة"[١٠٩].
على أكثر ما في هذه الآثار وعلى ما في سواه منها: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة" [١١٠] فكان تصحيحها يجب به أن يكون بيته هو قبره وكون ذلك علامة من علامات النبوة جليلة المقدار لأنّ الله عز وجل قد أخفى على كل نفس سواه الأرض التي يموت بها لقوله عز وجل: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان:٣٤] فأعلمه الموضع الذي يموت فيه والموضع الذي فيه قبره حتى علم بذلك في حياته وحتى أعلمه من أعلمه من أمته فهذه منزلة لا منزلة فوقها زادها الله شرفًا وخيرًا"[١١١].

وخلاصة القول: أن هذه الفضيلة ثابتة لا يشترك فيها غيره من المساجد ولكنّ العلماء اختلفوا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "روضة من رياض الجنة"[١١٢].
هل هذه البقعة بعينها من الجنة أم أن العمل فيها يؤدي إلى دخول الجنة؟.
يقول القاضي عياض رحمه الله تعالى: "قوله: "روضة من رياض الجنة" [١١٣] يحتمل معنيين:
أحدهما: أنه موجب لذلك وأنَّ الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب.
الثاني: أنّ تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها"[١١٤].
والمعنى الأول هو الأولى وهو المعنى الذي أيده ابن حزم وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني. يقول ابن حزم رحمه الله: "وهذا الحديث ليس على ما يظنه أهل الجهل من أنّ تلك الروضة قطعة منقطعة من الجنة، هذا كذب وباطل لأنّ الله يقول في الجنة: {إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى} [طه:١١٨١١٩]. فهذه صفة الجنة بلا شك، وليست هذه صفة الروضة، ورسول الله لا يقول إلا الحق، فصح أن تكون تلك الروضة من الجنة إنما هو لفضلها وأن الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة"[١١٥].
ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "إنه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون تشبيهًا بغير أداة، أو المعنى أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة فيكون مجازًا"[١١٦].

المبحث الثاني
ما يفعله الجهال من البدع في مسجده صلى الله عليه وسلم

كثير من الناس يفعلون أمورًا منكرة لا أساس لها من الدين عند زيارتهم المسجد النبوي الشريف وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويحتجون على أعمالهم تلك بالاستحسان العقلي أو بأدلة واهية باطلة.
وفي هذا المبحث سنذكر بمشيئة الله تعالى أهم تلك البدع التي تقع في مسجده صلى الله عليه وسلم مبينين بدعيتها تذكيرًا لهؤلاء الجهال ومن في حكمهم حتى لا يقعوا فيها بعد البيان ولإقامة الحجة عليهم أمام الله تعالى: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} [الأنفال:٤٢].
من تلك البدع التزام الزوار الإقامة في المدينة المنورة أسبوعًا أو ثمانية أيام حتى يتمكنوا من الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم أربعين صلاة لكي يكتب لهم البراءة من النار والنجاة من العذاب والبراءة من النفاق محتجين بالحديث الآتي:
قال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن موسى حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن نبيط بن عمرو عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا يفوته صلاة كتبت به براءة من النار ونجاة من النار وبرئ من النفاق"[١١٧].

واستدلالهم بهذا الحديث مأخوذ من ظاهره فهو يفيد أن من صلى أربعين صلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرأ من النار والنفاق ونجا منهما، وهم بهذا الحديث يتمسكون ببدعتهم هذه، وهذا استدلال صحيح لو كان الحديث مما يحتج به.

وقد تكلم العلماء عن هذا الحديث حيث قال العلماء القدماء في صحته ما يلي: قال المنذري: "رواه أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني في الأوسط وهو عند الترمذي بغير هذا اللفظ"[١١٨].

وقال الهيثمي: "روى الترمذي بعضه، ورواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات"[١١٩].

هذه أقوال العلماء القدماء في هذا الحديث ولكن محمد ناصر الدين الألباني قد ضعّف هذا الحديث بسبب وجود راو مجهول في سنده وهو نبيط بن عمرو: قال الألباني: "وهذا سند أي سند هذا الحديث الذي نحن بصدده ضعيف، نبيط هذا لا يعرف إلا في هذا الحديث، وقد ذكره ابن حبان في الثقات على قاعدته توثيق المجهولين، وهو عمدة الهيثمي في قوله في المجمع ٨/٤: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات وأمّا قول المنذري في الترغيب (١٣٦/٢) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني في الأوسط فوهم واضح لأن نبيط هذا ليس من رواة الصحيح ولا روى له أحد من بقية الستة"[١٢٠].

وقد تتبعت نبيط هذا في كتاب الجرح والتعديل وكتب التراجم الأخرى فلم أجد من ترجم له إلا ابن حبان في الثقات [١٢١] والحافظ ابن حجر العسقلاني في تعجيل المنفعة [١٢٢] الذي اكتفى بقوله: ذكره ابن حبان في الثقات.

وعلى هذا نقول: إن سند هذا الحديث ضعيف لوجود راوٍ مجهول كما بينا وهو نبيط بن عمرو، ومن ثم لا يمكن الاحتجاج به في هذا المقام.

وإذا كان كذلك فيكون التزام الزوار الإقامة في المدينة بثمانية أيام بدعة لغرض الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم أربعين صلاة حتى يبرأوا من النفاق ومن العذاب.

والبدعة تأتي من ناحية تحديد الأيام وعدد الصلوات ومن ناحية الثواب المترتب على ذلك لا من ناحية مجرد الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بل ثبت أن ثواب الصلاة فيه يضاعف كما بينا في المبحث السابق عند حديثنا عن الفضائل الثابتة لمسجده صلى الله عليه وسلم.

ومن تلك البدع الخروج من المسجد النبوي الشريف القهقرى تأدبًا معه وتوقيرًا له وإيمانًا منهم أنّ الخروج العادي يترتب عليه الإدبار عن المسجد وهو سوء أدب عندهم حسب عقولهم بينما هذا سوء أدب لأن هذا الفعل غير مشروع ولأنه يترتب عليه أن يفعلوا هذا الفعل مع شيوخهم وكبرائهم سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، ولأن الشرع لا يثبت بالرأي ولا باستحسان المستحسنين.

ولله در الإمام علي رضي الله عنه حيث قال: "لو كان الدين بالرأي لمسح أسفل القدم أولى من ظهرها"[١٢٣].

يقول ابن الحاج في هذا المقام: "وليحذر ما يفعله بعضهم من هذه البدعة وهو أنّهم إذا خرجوا من مكة يخرجون من المسجد القهقرى وكذلك يفعلون في مسجد النبي صلى

الله عليه وسلم حين وداعهم له عليه الصلاة والسلام ويزعمون أن ذلك من باب الأدب. وذلك من البدع المكروهة التي لا أصل لها في الشرع الشريف ولم يفعلها أحد من السلف رضي الله عنهم وهم أشد الناس حرصًا على اتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم أدت هذه البدعة التي أحدثوها وعللوها إلى أن صاروا يفعلونها مع مشائخهم ومع كبرائهم وعند المقابر التي يحترمونها ويعظمون أهلها ويزعمون أن ذلك من باب الأدب"[١٢٤].

ومن تلك البدع رفع الصوت بالصلاة والسلام في المسجد النبوي الشريف لأن ذلك يؤدي إلى سوء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع المسجد وإن كان هذا الحكم يتعدى إلى غيره من المساجد إلا أنه يتأكد في هذا المسجد لمكانته عند الله وعند المسلمين.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمنع أن يرفع الأصوات في المسجد النبوي الشريف بل كان يتوعد على من يفعل ذلك بالعقاب الشديد.

والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن السائب بن يزيد قال: "كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٢٥].

هذا الحديث يدل على أن رفع الصوت ممنوع في مسجده صلى الله عليه وسلم لأنّ ذلك ينافي الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عموم النهي عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢].

ومنها أكل التمر الصيحاني في الروضة الشريفة [١٢٦] تبركًا بها لزعمهم أنّه صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التمر الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والعجوة خير منه والأحاديث إنما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك كما جاء في الصحيح: "من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر"[١٢٧].

ولم يجئ عنه في الصيحاني شيء، وقول بعض الناس أنّه صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم جهل منه، بل إنما سمي بذلك ليبسه فإنه يقال تصوح التمر إذا يبس"[١٢٨].

ومن ذلك وقوف بعضهم أمام القبر بغاية الخشوع واضعًا يمينه على يساره كما يفعل في الصلاة.

ومنها استقبال القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة[١٢٩].

ومنها قصد الصلاة تجاه القبر[١٣٠].

ومنها زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قبل الصلاة في مسجده.

ومنها تخصيص ليلة سبع وعشرين من رمضان بموعظة التي يلقيها إمام المسجد النبوي للاعتقاد أنها ليلة القدر.

ومنها قراءة دعاء ختم القرآن في آخر ليلة من رمضان جماعة.
ومنها الأذان الأول في يوم الجمعة في المسجد النبوي قبل صعود الإمام على المنبر بزمن يسير جدًا لأن عثمان بن عفان رضي الله عنه فعل ذلك قبل الأذان الثاني بزمن كاف لاستعداد أهل البلد لحضور الخطبة.
وهذه مجمل البدع التي تفعل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جهل أو استحسان من بعض الناس حسب ما تسول لهم أنفسهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة.
وما ذكرنا من البدع في هذا المبحث يعتبر نموذجًا لما يفعل في المسجد النبوي وليس للحصر لأن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك.

الهوامش:
[١] تقدمت ترجمته في (ص:٢٥).
[٢] إشارة إلى قوله تعالى: (بديع السموات والأرض) سورة البقرة، آية (١١٧) وسورة الأنعام، آية (١٠١).
[٣] معجم مقاييس اللغة (٢٠٩/١) مادة (بديع).
[٤] هو أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفي سنة (٧٧٠هـ) انظر ترجمته في بغية الوعاة (٣٨٩/١).
[٥] مصباح المنير: ٤٤/١ مادة (بدع).
[٦] لسان العرب: ٦/٨ مادة (بدع).
[٧] هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي.
[٨] هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي المتوفي سنة (٧٩٠هـ) انظر ترجمته في الإعلام (١٤٤/٤).
[٩] هو عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم شيخ الإسلام المتوفي سنة (٦٦٠هـ) بمصر. انظر ترجمته في الإعلام (١٤٤/٤).
[١٠] جامع العلوم والحكم (ص:١٦٠).
[١١] الاعتصام: (٣٧/١).
[١٢] الاعتصام: (٣٧/١).
[١٣] فتح الباري: (٢٥٣/٣).
[١٤] الاعتصام: (٧٩٠٨٠٠/٢).
[١٥] فتح الباري: (٢٥٣/١٣).
[١٦] قواعد الأحكام في مصالح الأنام: (٢٠٤/٢).
[١٧] انظر المصدر السابق (٢٠٤٢٠٥/٢).
[١٨] تهذيب الأسماء واللغات (٢٢/٢).
[١٩] صحيح مسلم كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢).
[٢٠] صحيح مسلم كتاب الأقضية، باب رد الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٢/٣).

[٢١] أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (١٥٠/٤)، وقال هذا حديث حسن صحيح.
[٢٢] والحديث كما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الرحمن قال: "خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون. يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي صلاته الرجل، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر: نعمت البدعة هذه ". صحيح البخاري (٣٤٢/١)، كتاب التراويح، باب فضل من قام رمضان.
[٢٣] صحيح مسلم كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٠٥٩/٤).
[٢٤] رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٩/١).
[٢٥] صحيح مسلم كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٣).
[٢٦] صحيح مسلم كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٣).
[٢٧] انظر تهذيب الفروق (٢٢٩/٤).
[٢٨] صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان (٣٤٣/١).
[٢٩] رواه الترمذي في سنة، في كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (١٥٠/٤).
[٣٠] مجموع الفتاوي (٣٧١/١٠).
[٣١] اقتضاء الصراط المستقيم (ص:٣٧٦).
[٣٢] صحيح مسلم كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٠٥٩/٤).
[٣٣] الصرف بالكسر الخالص من كل شيء. انظر النهاية (٢٤/٣).
[٣٤] أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (١٥١١٥٠/٤) وقال: هذا حديث حسن.
[٣٥] رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٩/١).
[٣٦] الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص:١٢٨).
[٣٧] الاعتصام (١٤١١٤٢/١).
[٣٨] انظر إصلاح المساجد من البدع والعوائد، لجمال الدين القاسمي (ص:١٦).
[٣٩] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي (١٨٣٦/٤).
[٤٠] انظر: الاعتصام للشاطبي (٢٨٦٢٨٧/١).
[٤١] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة (٢٨٨/١).
[٤٢] انظر الاعتصام (٢٨٧/١).
[٤٣] الإبداع في مضار الابتداع: (ص:٢٥٠٢٥١).

[٤٤] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة، وعاشوراء والاثنين والخميس (٨٢٠/٢).
[٤٥] السيرة النبوية (١٩٩/٦).
[٤٦] هو الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري ين زين الدين بن تبكتكين المتوفى سنة (٦٣٠هـ). له ترجمة في البداية والنهاية (١٣٦/١٣).
[٤٧] انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٣٧/١).
[٤٨] السيرة النبوية (١٩٩٢٠٠/١).
[٤٩] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤٩٠/١)، مع التصرف.
[٥٠] صبح الأعشي في صناعة الإنشاء (٤٩٨/١٣).
[٥١] تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي (ص:٦٢) وما بعدها.
[٥٢] الحاوي للفتاوي: (١٨٩/١).
[٥٣] ذكرى المولد النبوي (ص:أ).
[٥٤] الإبداع في مضار الابتداع (ص:٢٥١).
[٥٥] البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها (ص:٤٨١).
[٥٦] انظر كتاب ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر الدكتور/عبد المنعم ماجد (ص:٤٨٧).
[٥٧] هو الشيخ عمر بن محمد الملا له ترجمة في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٣١٠/٨).
[٥٨] الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص:١٦).
[٥٩] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١٩٦٣/٤).
[٦٠] تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي (ص:٦٣).
[٦١] المعز لدين الله (ص:٢٨٥) وما بعدها.
[٦٢] هو محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الدمشقي شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة (٨٤٢هـ) انظر ترجمته في لحظ الألحاظ لتقي الدين محمد بن فهد المكي (ص:٣١٧).
[٦٣] هو محمد بن محمد بن علي أبو الخير شمس الدين الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ) انظر ترجمته في مفتاح السعادة لأحمد المصطفى طامش كبري زادة (٥٥/٢).
[٦٤] مورد الصادي في مولد الهادي، ورقة (١٤).
[٦٥] عرف التعريف بالمولد الشريف، ورقة (١٤٣).
[٦٦] الحاوي للفتاوي للسيوطي (١٩٦/١).
[٦٧] السنن الكبري: (٣٠٠/٩).
[٦٨] الحاوي الفتاوي: (١٩٦/١).
[٦٩] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس (٨٢٠/٢).

[٧٠] هو محمد بن عبد الله بن محمد المبدري المعروف بابن الحاج المتوفي سنة (٦٤١هـ) انظر ترجمته في الأعلام للزركلى (١١٠/٧).
[٧١] هو عمر بن أبي اليمن بن سالم اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني المتوفي سنة (٧٣٤هـ). انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون (٨٠٨٢/٢).
[٧٢] اقتضاء الصراط المستقيم: ص (٢٥٤٢٩٥).
[٧٣] المدخل (١٠/٢).
[٧٤] الحاوي للفتاوي: (١٩٠١٩١/١).
[٧٥] أي بشر حال، والحيبة والحوبة: الهم والحزن، والحيبة أيضًا الحاجة والمسكنة، النياية في غريب الحديث (٤٦٦/١).
[٧٦] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب (وأمهاتهم اللاتي أرضعنكم) يحرم من الرضاعة ما حرم من النسب (٢٤٣/٣).
[٧٧] انظر تفسير القرطبي: (٢١٢٢/١٣).
[٧٨] إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الأمام مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "نعم في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١٥٥/١).
[٧٩] السنن الكبرى: (٣٠٠/٥).
[٨٠] الضعفاء الصغير: (ص:٦٧).
[٨١] الضعفاء والمتروكين: (ص:٦٣).
[٨٢] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.
[٨٣] المجروحين: (٢٣/٢).
[٨٤] هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف.
[٨٥] السنن الكبرى: (٣٠٠/٩).
[٨٦] صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٥٢/٢).
[٨٧] صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة. محدثات الأمور (١٣٤٣/٣).
[٨٨] صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٢٠٦/١) واللفظ للبخاري. وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (١٠١٤/٢).
[٨٩] اقتضاء الصراط المستقيم (٤٣٠).
[٩٠] صحيح البخاري في أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٢٠٦/١) واللفظ للبخاري. وصحيح مسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (١٠١٢/٢).
[٩١] صحيح مسلم بشرح النووي (١٦٣/٩).
[٩٢] المحلى (٢٨٤/٧).
[٩٣] مسند أحمد (٥/٤).

[٩٤] المحلى (٢٩٠/٧).
[٩٥] صحيح مسلم بشرح النووي (١٦٤/٩).
[٩٦] عضاة: كل شجر عظيم له شوك. انظر النهاية في غريب الحديث (٢٥٥/٣).
[٩٧] صحيح مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة (٩٩٢/٢).
[٩٨] صحيح مسلم كتاب الحج، باب فضل المدينة (٩٩٥/٢).
[٩٩] في منزل الوحي (ص:٥٨٢).
[١٠٠] آثار المدينة (٢٠٩).
[١٠١] تقدمت ترجمته في (ص:٢٠٤).
[١٠٢] حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (ص:٢٢٣).
[١٠٣] الفائق (٤٢٩/٣).
[١٠٤] مسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة (٩٩٥/٢).
[١٠٥] القاموس المحيط مادة ثور (٣٩٨/١).
[١٠٦] صحيح البخاري أبواب التطوع فضل ما بين القبر والمنبر ص (٢٠٧/١).
[١٠٧] صحيح مسلم في كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (١٠١٠/٢).
[١٠٨] القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة (ص:٧٤).
[١٠٩] مشكل الآثار (٧٢/٤).
[١١٠] تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.
[١١١] مشكل الآثار: (٧٢/٤).
[١١٢] جزء من الحديث المتفق عليه الذي تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.
[١١٣] جزء من الحديث المتفق عليه الذي تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.
[١١٤] الشفا (٦٨٣/٢).
[١١٥] المحلى: (٢٨٣٢٨٥/٧) مع التصرف.
[١١٦] فتح الباري: (١٠٠/٤).
[١١٧] المسند: (١٥٥/٣).
[١١٨] الترغيب والترهيب: (١٣٦/٢).
[١١٩] مجمع الزوائد: (٨/٤٤).
[١٢٠] سلسلة الأحاديث الضعيفة م (٣٦٦/١).
[١٢١] انظر الثقات: (٤٨٣/٥).
[١٢٢] تعجيل المنفعة: (٤٢١).
[١٢٣] رواه الدارمي في سننه (١٨١/١) بلفظ: لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتموني فعلت لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما.
[١٢٤] المدخل: (٢٣٨/٤).
[١٢٥] صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد (٩٣/١).
[١٢٦] الباعث على إنكار البدع (ص:٧٠).

[١٢٧] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب العجوة (٣٠١/٣). وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة (١٦١٨/٣)، واللفظ للبخاري.
[١٢٨] مجموعة الرسائل الكبرى: (٤١٣/٢).
[١٢٩] المصدر السابق: (٣٩٠/٢).
١٣٠] حجة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني (ص:١٤٠).

١٠. كتاب "التأدب مع الرسول في ضوء الكتاب والسنة" [الجزء السادس والأخير]

الفصل الرابع
البدع الملحقة بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

قبر النبي صلى الله عليه وسلم ملحق بمسجده الشريف وزيارة القبر سنة مشروعة لمن كان في المدينة وضواحيها كزيارة سائر القبور للاتعاظ والعبرة والدعاء للميت وتذكر ما كان وما سيكون بإذن الله تعالى.
وقد ألحق أهل البدع مخترعات لا أصل لها وهم يزورون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ظانين أن ذلك حب له عليه الصلاة والسلام وتعظيم وتوقير مثل التبرك والتمسح بقبره والدعاء عنده معتقدين أن ذلك أولى من الدعاء في المساجد.
ونتحدث في هذا الفصل عن البدع الملحقة بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وسوف يأتي هذا الفصل مكونًا من المباحث التالية:
المبحث الأول: بيان معنى الزيارة وأنواعها وحدود مشروعيتها.
المبحث الثاني: حكم السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول
الزيارة أنواعها وأغراضها

الزيارة في اللغة: القصد وهي مصدر زار.
يقول صاحب مصباح المنير: زار يزور زيارة وزورا قصده.. والمزار يكون مصدرًا وموضع الزيارة، هذا في اللغة، وأمّا الزيارة في العرف: فهي قصد المزور إكرامًا له واستئناسًا به[١].
يقول الخفاجي: والزيارة تختص بمجيء بعض الأحياء لبعض مودة ومحبة، هذا أصل معناها لغة واستعمالها في القبر للأموات لإعطائهم حكم الأحياء وصار حقيقة عرفية لشيوعها فيها[٢].
وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: {أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ} [التكاثر:١٢].
ومعناها أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال من التفاخر وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لأن الميت قد صار إلى قبره كما يصير الزائر إلى الموضع الذي يزوره [٣]
ويقول ابن كثير في تفسيره: "والصحيح أنّ المراد بقوله: (زُرْتُم المَقَابِرَ) أي صرتم

إليها ودفنتم" [٤] ثم استشهد عما جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابي يعوده قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله" قال: قلت: طهور كلا بل هي حمى تفور وتثور على شيخ كبير تزيره القبور، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فنعم إذًا"[٥].
وعلى ذلك فمعنى الزيارة اصطلاحًا هو الانتقال من مكان إلى مكان آخر لغرض ما وغالبًا تضاف إلى القبور فيكون معناها إتيان القبور لغرض السلام على الأموات والدعاء لهم والاتعاظ بهم.
أنواع الزيارة: تتنوع الزيارة إلى نوعين وهما:
النوع الأول: هو زيارة الأحياء للأموات.
النوع الثاني: زيارة الأحياء بعضهم لبعض مودة ومحبة وعبادة.
أما النوع الأول وهو زيارة الأحياء للأموات فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:
١- زيارة شرعية .
٢- زيارة بدعية.
٣- زيارة شركية.
وبيانها كالآتي:
١- الزيارة الشرعية: وهي التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة بها بعد أن نهى عنها كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"[٦].
وقد شرعت هذه الزيارة للرجال اتفاقًا لأجل حكم سامية وأغراض نافعة تعود المزور وللزائر معًا كما دلت عليه السنة النبوية إذ أنها بالنسبة للميت تكون بمنزلة الصلاة عليه حيث يقال فيها من جنس ما يقال في الصلاة عليه من الدعاء والترحم والاستغفار وبالنسبة للزائر تكون عظة وعبرة وتذكرة للآخرة.
وسوف أجمل الأغراض التي من أجلها شرعت الزيارة فيما يلي:
أولاً: الاتعاظ والاعتبار بمعنى أن يتذكر الزائر أن مصيره الموت مثل المزور فيتدارك أمره كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "...فزوروا القبور فإنها تذكر الموت..."[٧].
وهذا لا فرق بين قبر فيه كافر وبين قبر فيه مسلم؛ لأن الاعتبار والاتعاظ يحصل بالميت المقبور سواء كان كافرًا أم مسلمًا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: ".... واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي". أي قبر أمه صلى الله عليه وسلم بينما لم يؤذن له أن يستغفر لها لأنها ماتت على الشرك في أيام الجاهلية.
والاستغفار لأهل الشرك ممنوع بقوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة:١١٣].
ثانيًا: الدعاء للأموات والسلام عليهم عسى الله أن يقبل لهم ذلك فينتفعوا به، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارته مقابر البقيع حيث كان يقول: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين... اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد[٨])[٩].

وهذا الغرض خاص بمقابر المسلمين عابدهم وعاصيهم لأن كلاً منهم ينتفع بذلك الدعاء والسلام.
٢ـ الزيارة البدعية: وهي التي لا يقتصر فاعلها على أداء ما هو مشروع بل يضيف إليها أمورًا منكرة في الشريعة الإسلامية دون أن يترتب عليها أمور شركية.
ونذكر هنا أهمها أو أكثرها شيوعًا في هذا العصر.
من تلك الزيارة البدعية التبرك والتمسح بالقبر سواء كان المقبور نبيًا أو وليًا أو غير ذلك لعدم ورود ما يدل على ذلك من الشارع.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا المقام: (وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل بمقام إبراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن وقال: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة:١٢٥]. فإذا كان هذا بالسنة المتواترة وباتفاق الأئمة لا يشرع تقبيله بالفم ولا مسحه باليد فغيره من مقامات الأنبياء وغيرهم أولى أن لا يشرع تقبيلها بالفم ولا مسحها باليد[١٠].
ومن الزيارة البدعية: السفر إلى القبور لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى"[١١].
وزيارة القبور ليست من الأماكن التي شرع السفر إليها قربة لخروجها من منطوق الحديث الذي نحن بصدده.
ومنها الدعاء عند القبر أو القبور رجاء الإجابة لعدم ورود ما يدل على ذلك كما ذكر الشيخ محمد بشير السهسواني: "إن ظن أحد أن الدعاء عند القبر مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه. فهو من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة الدين وإن كان كثيرًا من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان ترياق مجرب"[١٢].
ومنها القراءة عند القبور سواء كان المقروء قرآنًا أو غيره لعدم ورود ما يدل على ذلك. ويؤيد هذا ما أورده نعمان بن المفسر الألوسي في كتابه الآيات البينات في عدم سماع الأموات حيث ذكر أن القراءة على القبر ذات خلاف، وقال الإمام يعني أبا حنيفة: تكره لأن أهلها جيفة ولم يصح فيها شيء عنده[١٣].
ويقول الألباني في تعليقه على هذا القول: "وهذا التعليل الثاني هو المعتمد"[١٤].
وأما ما ورد في هذا المقام من الأحاديث مثل حديث: "من دخل المقابر فقرأ سورة "يس" خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد ما فيها حسنات" فموضوع وكذلك حديث: "من مر بالمقابر فقرأ: (قل هو الله أحد) أحد عشر مرة"[١٥].
وهذه الأمور التي ذكرناها هنا تعتبر ذريعة إلى الشرك أو تفضي إليه في المآل كما هو مشاهد في وقتنا الحاضر. ويؤيد هذا بما أورده محمد بشير السهسواني في كتابه صيانة الإنسان حيث أن الشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوه أولاً إلى الدعاء عنده فيدعو العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر فيظن الجاهل أن للقبر تأثيرًا، فإذا وقع ما يريده الشيطان من الإنسان من استحسان

الدعاء عند القبور وأنه أرجح من دعائه في بيته ومسجده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله[١٦].
٣ـ الزيارة الشركية: وهي التي يترتب عنها الإشراك بالله وهي كثيرة ولها صور مختلفة ومن أهمها:
الذبح للمقبور لدخول ذلك في معنى ما أهل لغير الله تعالى.
يقول الشوكاني رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة:١٧٣] ما ذكر عليه اسم غير الله كاللات والعزى إذا كان الذابح وثنيًا والنار إذا كان الذابح مجوسيًا... لا خلاف في تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهل لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن"[١٧].
ومن السنة ما يؤيد هذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله......"[١٨].
يقول النووي رحمه الله تعالى عند شرحه هذا الحديث: "وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا كما نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرًا. فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا"[١٩].
ومن الزيارة الشركية دعاء الأموات وسؤال المقبور تفريج الكربات مما لا يقدر عليه الأحياء من البشر فضلاً عن الأموات لأن سؤال المحلوف لا بد أن تجتمع فيه ثلاثة شروط:
١ـ القدرة على التصرف بمعنى أن يكون المدعو قادرًا على التصرف فيعطي ويمنع. فالعاجز عن التصرف لا ينفع نفسه فضلاً عن أن ينفع غيره.
٢ـ السمع أي بأن يكون المدعو سامعًا للنداء ومدركًا للخطاب.
٣ـ الملك أي بأن يكون المدعو مالكًا لما يطلبه السائل إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه. وشرط واحد من تلك الشروط لا ينطبق على الأموات كما ترى.
يقول الألوسي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: {دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [يونس:٢٢]. فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره في تلك الحال، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر، دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر وإلياس ومنهم من يتضرع إلى شيخ من مشائخ الأمة ولا ترى أحدًا منهم يخص مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال، أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال فبالله عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلاً، وأي الداعيين أقوم فيه وإلى الله المشتكى من زمن عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة واتخذت الاستعانة بغير الله للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف"[٢٠].
ولذلك أقول: إن مشركي هذا الزمان يفوقون مشركي العرب زمن البعثة بأمرين:

١ـ أن مشركي العرب في زمن البعثة كانوا يخلصون الدعاء لله سبحانه وتعالى في وقت الشدة وإنما يشركون في زمن الرخاء كما دلت عليه الآية السابقة بينما مشركو هذا الزمان يدعون غير الله في وقت الشدة وفي وقت الرخاء كما هو معلوم.
٢ـ إن مشركي العرب في زمن البعثة كانوا يدعون الملائكة والصالحين والحجر الذي لا ذنب له وأما مشركي هذا الزمان فهم يدعون أناسًا ماتوا ولم يكونوا صالحين بل فيهم من يجهر بالفسق ومن لا يصلي أبدًا.
ومما يدخل في هذا المعنى أي دعاء الأموات الاستغاثة والاستعانة بهم كما يدل عليه قول الألوسي السابق لأن الاستغاثة فيها طلب وسؤال المقبور وكذلك الاستعانة.
وعلى هذا فعلى المسلم أن يقتصر في مجال الزيارة على ما هو مشروع فقط دون الإضافات البدعية والشركية التي لم يأذن بها الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم.
وأما النوع الثاني: وهو زيارة الأحياء بعضهم البعض مودة ومحبة وعيادة فمشروعة أيضًا إذا لم تصحبها أغراض فاسدة لورود أحاديث ثابتة تدل على ذلك: من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال: "قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها"[٢١].
ومنها ما أخرجه الإمام مسلم أيضًا في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصده الله له على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ [٢٢] قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك لما أحببته فيه"[٢٣].
ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنّ غلامًا ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعيده، فقال: "أسلم تسلم"[٢٤].
يتبين لنا من هذه الأحاديث أن زيارة الأحياء بعضهم لبعض مشروعة أيضًا وأن الغرض منها أمران: الأول: محبة الزائر للمزور ومودته كما يدل عليه حديث أبي هريرة الآنف الذكر.
وهذا الغرض يخص المسلمين لأنهم وحدهم هم الذين يحبون في الله عز وجل، وأما غيرهم فيحبون لأغراض دنيوية بحتة، وأما في الآخرة فبينهم عداوة كما يدل عليه قوله تعالى: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٦٧].
الثاني: عيادة المريض سواء كان مسلمًا أو كافرًا كما يدل عليه حديث أنس السابق.

وهذا الغرض يعم المسلم والكافر كما يدل عليه منطوق ذلك الحديث.

هذه هي الأغراض المشروعة لزيارة الأحياء بعضهم لبعض التي لا يجوز غيرها مثل الطلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والاستعانة بهم وغيرها من الأمور الأخرى التي ذكرناها سابقًا عند كلامنا عن زيارة القبور وأغراضها إلا ما كان في مقدور البشر عقلاً وشرعًا لأن الأحياء لهم نوع من السمع ونوع من الملك ونوع من القدرة.

وبهذا تنطبق عليهم الشروط الثلاثة التي تبيح سؤال المخلوق بشرط أن يكون ذلك في حدود الشرع وفي مقدور البشر لا أن يسند إليهم أو يسألهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى مثل جلب المنفعة وسد المضرة بدون أخذ الأسباب فيترتب عليه الشرك والعياذ بالله.

المبحث الثاني

حكم السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

ذكرنا في المبحث السابق أن زيارة القبور مشروعة عمومًا إذا لم تصحبها أمور مشروعة سواء كانت الزيارة إلى قبر نبي أو أتباعه وغيرهم كالكفار، وأمّا في هذا المبحث فسوف نتكلم فيه عن حكم السفر إلى المزارات وخاصة السفر لزيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى بمعنى إذا منعنا من السفر لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم فمن باب أولى نمنع من السفر إلى زيارة قبر من دونه مهما كانت رتبته.

وقد اختلف العلماء في حكم السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من يقول بجواز ذلك بل يجعلونه من الأمور المستحبة، ومنهم من يقول بعدم جوازه ويعدونه من الأمور المحرمة. ولكل من الفريقين أدلتهم: أولاً: القائلون بالجواز: هذا الفريق استدل بأدلة من الكتاب والسنة: أما أدلة الكتاب فقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:٦٤].

ووجه الاستدلال بهذه الآية كما يقول السبكي: "دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن ورد في حال الحياة فهي رتبة له صلى الله عليه وسلم لا تنقطع بموته تعظيمًا له"[٢٥].

ويقول أيضًا: "والمجيء صادق على المجيء من قرب ومن بعد بسفر وغير سفر ولا يقال (إن جاءوك) مطلق والمطلق لا دلالة له على كل فرد وإن كان صالحًا لها لأنّا نقول هو في سياق الشرط فيعم، فمن حصل منه الوصف المذكور وجد الله توابًا رحيمًا"[٢٦].

وأما من السنة فقد ذكروا أدلة كثيرة نذكر منها ما هو نص في هذا الموضوع: أولاً: ما أخرجه الدارقطني بسنده قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أنبأنا أبو الربيع بن أبي داود عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي"[٢٧].

ثانيًا: ما أخرجه ابن عدي في الكامل قال: حدثنا علي بن إسحاق حدثنا محمد بن النعمان بن شبل حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني"[٢٨].
هذان الحديثان اللذان أوردناهما في هذا المقام هما نصان في الموضوع الذي نحن بصدده ولم أجد غيرهما من الأحاديث ما يكون نصًا في الموضوع وإنما هناك أحاديث أخرى تدل على مطلق زيارة النبي صلى الله عليه وسلم.
ولا نتكلم في هذا المكان إلا على ما يكون نصًا في الموضوع.
وهذان الحديثان يحتاجان إلى النظر فيهما من ناحية السند صحة وضعفًا لكي تتبين حجيتهما فيما استدل له بهما ولكن قبل أن نتطرق إلى ذلك نذكر أدلة القائلين بالمنع ثم نناقش أدلة الفريقين معًا.
ثانيًا: أدلة القائلين بالمنع: هذا الفريق استدل بالأدلة التالية:
(أ) ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى"[٢٩].
(ب) ما أخرجه الإمام مالك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: لقيت بصرة [٣٠] بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تعمل المطي إلاّ إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيليا أو بيت المقدس يشك"[٣١].
ووجه الاستدلال بهذين الحديثين من وجهة نظر هذا الفريق هو أن الشارع قد نهى عن السفر إلى أي مكان للعبادة غير المساجد الثلاثة المستثناة في أسلوب حصر بمعنى أن السفر إلى أي مكان للعبادة محصور في المساجد الثلاثة. وعلى هذا فالسفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدخل في النهي العام لعدم ورود ما يخرجه عن ذلك ولأنّ الصحابة قد فهموا ذلك كما يدل عليه قول أبي بصرة الغفاري في الحديث الثاني ومن ثم يعدون ذلك أنّه من البدع المحرمة.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المقام: "إذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر إليها حتى مسجد قباء الذي يستحب لمن كان بالمدينة أن يذهب إليه لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنّه كان يأتي قباء كل سبت راكبًا وماشيًا" [٣٢] إلى أن قال مؤكدًا ذلك: وروى الترمذي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته فأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلاّ الصلاة فيه كان له كعمرة" [٣٣]، وكذلك ينهى عن السفر إلى الطور المذكور في القرآن فمن باب أولى أن ينهى عن السفر إلى غيرها من الأمكنة"[٣٤].
ويقول شيخ الإسلام أيضًا في مكان آخر: "قال بعض العلماء: قوله: "من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء.." تنبيه على أنه لا يشرع قصده بشد الرحال بل إنما يأتيه الرجل في بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه ثم يأتيه فيقصده كما يقصد الرجل مسجد

مصره دون المساجد التي يسافر إليها، وأمّا المساجد الثلاثة فقد اتفق العلماء على استحباب إتيانها للصلاة ونحوها"[٣٥].
ويقول محيي الدين البركوي: "السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر بها رسول ربّ العالمين، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك قربة. وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة، ومعلوم أن أحدًا لا يسافر إليها إلاّ لذلك"[٣٦].
ويقول ناصر الدين الألباني في هذا المقام: "المستثنى منه في هذا الحديث ليس هو المساجد فقط كما يظن كثيرون بل هو كل مكان يقصد للتقرب إلى الله فيه سواء كان مسجدًا أو قبرًا أو غير ذلك بدليل ما رواه أبو هريرة قال في حديث له: فلقيت بصرة [٣٧] بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد.. الحديث"[٣٨]. فهدا دليل على أنّ الصحابة فهموا الحديث على عمومه ويؤيده أنه لم ينقل عن أحد منهم أنّه شد الرحل لزيارة قبر ما"[٣٩].
هذه مجمل ما ورد في هذا الشأن من قبل الفريقين المجوزين السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والمانعين لها، ولكن هذه الأدلة تحتاج إلى مناقشة حتى يتبين الصواب من الخطأ ومن ثم يمكن لنا أن نرجح ما نراه صوابًا أو أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية السمحاء التي ختم الله سبحانه وتعالى بها كل الرسالات بواسطة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم دون تعصب إلى فئة من الفريقين.
مناقشة الأدلة: إذا نظرنا إلى الأدلة السابقة التي استدل بها كل فريق من الفريقين نجد أنّ كل فريق يستدل بأدلة تتناقض مع أدلة الفريق الآخر مع أنّ الحق في هذا الموضوع الذي نحن بصدده لا بد أن يكون بجانب فريق واحد لأنّ الحق لا يتعدد ولا يكون لصالح الفريقين المتناقضين في آن واحد لأنّ ذلك من المستحيلات.
نناقش أولاً أدلة القائلين بجواز السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونبدأ بالآية الكريمة التي استدلوا بها وهي قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:٦٤].
قبل أن نصل إلى القول بأن الآية تصلح للاستدلال لما نحن بصدده أو عدم صلاحيتها نذكر أقوال المفسرين سلفًا وخلفًا ومعاصرين في تفسيرها ومن ثم يتبين صلاحيتها لما استدل بها له.
يقول أبو جعفر الطبري رحمه الله: يعني بذلك جل ثناؤه، ولو أنّ هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين[٤٠] الذي إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدودًا.
إذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها... جاءوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم وسأل الله رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، وذلك هو معنى قوله: {فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ}

[النساء:٦٤] وأمّا قوله: {لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:٦٤] يقول رجعًا لهم مما يكرهون إلى ما يحبون: (رحيمًا) بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه"[٤١].
ويقول ابن كثير رحمه الله: "يرشد تعالى العصاة المنيبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال: {لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء:٦٤].
ويقول ابن الجوزي رحمه الله: وقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} [النساء:٦٤] يرجع إلى المتحاكمين اللذين سبق ذكرهما. قال ابن عباس: ظلموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول: {جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ} [النساء:٦٤] من صنيعهم"[٤٢].
ويقول الشوكاني رحمه الله: "{ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} [النساء:٦٤] بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك {جَاءُوكَ} [النساء:٦٤] متوسلين إليك منتصلين عن جناياتهم ومخالفتهم (فاستغفروا الله) لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعًا فاستغفرت لهم"[٤٣].
ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "... والذين يتناولهم هذا النص ابتداء كان لديهم فرصة استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد انقضت فرصتها، وبقي باب الله مفتوحًا لا يغلق، ووعده قائم لا ينقضي، فمن أراد فليقدم، ومن عزم فليتقدم"[٤٤].
من هذه الأقوال التي ذكرناها في هذا المقام يتبين لنا أن المفسرين سلفًا وخلفًا، ومعاصرين فهموا أنّ الآية وردت في قوم معينين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تتعدى إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لأنّ حياته البرزخية مخالفة تمامًا لحياته في الدنيا ولا يأخذان حكمًا واحدًا[٤٥].
يقول ناصر الدين الألباني: "... فحياة الأنبياء بعد الموت حياة برزخية، ولنبينا صلى الله عليه وسلم فيها من الخصائص ما ليس لغيره... ولكن لا يجوز التوسع في ذلك بالأقيسة والأهواء"[٤٦].
وعلى هذا لا يمكن الاستدلال بها لما نحن بصدده، وكذلك لا يقال أنّ المجيء إلى قبر الرجل مثل المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعًا ولا عرفًا.
يقول محمد بن بشير السهسواني في كتابه صيانة الإنسان: "والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعًا ولا عرفًا، فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل، ولا يفهم منه أصلاً أمر زائد على هذا "[٤٧].
وأما توبة الله ورحمته المذكورتان في الآية التي نحن بصددها فلا يمكن أن ينالهما أحد بعد موته صلى الله عليه وسلم، لأنّ محلهما وقت حياته صلى الله عليه وسلم كما يظهر من أقوال المفسرين السابقة الذكر.
يقول صاحب كتاب صيانة الإنسان: "فإن الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته هي المذكورة في الآية وإنما هي المجيء إليه صلى الله عليه وسلم في الحياة بعد الظلم واستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم، واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في الحياة بعد الظلم، وفي زيارة القبر لا يوجد واحد من هذا"[٤٨].

وخلاصة القول أن هذه الآية لا يمكن أن يستدل بها للموضوع الذي نحن بصدده للأمور التي بيناها سابقًا لأنّ حكمها منحصر في حال حياته صلى الله عليه وسلم ولا يتعدى إلى ما بعد وفاته.
وإذا بطل استدلالهم بالآية الكريمة فلننظر إلى ما يستدلون به من السنة لنرى مدى صلاحيتها للاستدلال الذي ذهبوا إليه.
الحديث الأول: قال الدارقطني: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا أبو الربيع ابن أبي داود عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي"[٤٩].
ففي إسناد هذا الحديث راويان ضعيفان وهما حفص بن أبي داود ويقال حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار القاري فقد جرحه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، ونذكر هنا طرفًا من أقوالهم تجاه هذا الشخص الذي نحن بصدده. قال البخاري رحمه الله: "تركوه"[٥٠].
وقال أيضًا: "سكتوا عنه"[٥١].
وقال ابن حبان: "كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع"[٥٢].
وقال أبو حاتم الرازي: "لا يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث"[٥٣].
وقال الذهبي: "ثبت في القراءة والحروف، واه في الحديث"[٥٤].
وأما الشخص الثاني وهو ليث بن أبي سليم فقد ضعفه غير واحد من أئمة هذا الشأن.
ونذكر هنا طرفًا من أقوالهم تجاهه: قال الإمام أحمد بن حنبل: " ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث"[٥٥].
وقال النسائي: " ليث بن أبي سليم ضعيف "[٥٦].
وقال ابن حبان: "اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات بما ليس في أحاديثهم، كل ذلك كان منه في اختلاطه"[٥٧].
وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "صدوق اختلط أخيرًا ولم يتميز حديثه فترك"[٥٨].
من هذه الأقوال يتبين لنا أن هذا الحديث ضعيف وآفته وجود شخصين ضعيفين في إسناده ومن ثم لا يمكن أن يحتج به في هذا المقام لخروجه من دائرة الاحتجاج.
الحديث الثاني: قال ابن عدي: حدثنا علي بن إسحاق ثنا محمد بن النعمان بن شبل حدثني جدي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني"[٥٩].
ففي إسناد هذا الحديث شخصان ضعيفان وهما النعمان بن شبل وحفيده محمد بن محمد بن النعمان بن شبل.
وأما الأول وهو النعمان بن شبل فقد جرحه غير واحد من أئمة هذا الشأن.
ونذكر هنا طرفًا من أقوالهم تجاه هذا الشخص: قال ابن حبان: " يأتي عن الثقات بالطامات وعن الأثبات بالمقلوب "[٦٠].
وقال ابن عدي: "لم أر في حديثه حديثًا قد جاوز الحد "[٦١].

وقال أيضًا: " ثنا صالح بن أحمد بن أبي مقاتل ثنا عمران بن موسى ثنا النعمان بن شبل وكان ثقة "[٦٢].
وقال أيضًا: "سمعت إبراهيم بن محمد بن عيسى يقول: سمعت موسى بن هارون الحمال يقول: النعمان بن شبل البصري كان متهمًا "[٦٣].
وقال الذهبي في ترجمة محمد بن محمد بن النعمان بن شبل: "وأنا رأيت له عن جده النعمان بن شبل عن مالك، فما أعتقده لقي مالكًا "[٦٤].
وأما الشخص الثاني وهو محمد بن محمد بن النعمان بن شبل فقد جرحه غير واحد من النقاد.
ونذكر هنا طرفًا من أقوالهم تجاهه: قال الذهبي: "روى عنه أبو روق الهزاني، قد طعن فيه الدارقطني واتهمه"[٦٥].
وقال أيضًا: "شيخ أبي روق، طعن فيه الدارقطني واتهمه، وأنا فقد رأيت له عن جده عن مالك، فما أعتقد لقي مالكًا"[٦٦].
وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "روى عنه أبو روق الهزاني وقد طعن فيه الدارقطني"[٦٧].
وقال أيضًا: "متروك" [٦٨] من هذه الأقوال التي أوردناها في هذا المقام يتبين لنا أن هذا الحديث ضعيف لوجود شخصين ضعيفين ومن ثم لا يمكن أن يستدل به لما نحن بصدده لخروجه من دائرة الاحتجاج. إضافة إلى ذلك أن ابن الجوزي قد أورد هذا الحديث في الموضوعات[٦٩].
وخلاصة القول أنّ هذا الفريق ليس لهم أدلة صحيحة تدل على ما ذهبوا إليه من تجويز السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا من الكتاب ولا من السنة كما يظهر من مناقشة أدلتهم بل لم يرد حديث صحيح في زيارة قبره لا من قريب ولا من بعيد كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى أحد في ذلك شيئًا لا أهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسند كالإمام أحمد وغيره، وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره. وأجلّ حديث روي في ذلك ما رواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم بل الأحاديث المروية في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم مكذوبة وموضوعة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في زيارة القبور مطلقاَ بعد أن كان قد نهى عنها"[٧٠].
ولهذا نرجّح ما ذهب إليه الفريق الآخر من منع شد الرحال إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لعدم مشروعيتها لا في الكتاب ولا في السنة بل أنها داخلة في عموم النهي عن شد الرحال إلى أي مكان للعبادة إلاّ المساجد الثلاثة مع أنّه لم يثبت ما يخصص ذلك العموم.
ولا يفهم من هذا أنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير مشروعة كما يقول المرجفون وإنّما هي مشروعة لمن كان في المدينة وضواحيها وإن لم يرد بها نص صحيح بها خاصة لدخولها دخولاً أوليًا في ترخيصه صلى الله عليه وسلم زيارة القبور مطلقًا بشرط أن لا يترتب عنها شد الرحال، وأما إن ترتب عنها شد الرحال فالأدلة الثابتة ناطقة بالمنع لأن الفاصل بين الزيارة الشرعية والزيارة البديلة هو شدّ

الرحال إذا اقتصر على الفعل المشروع من دعاء للأموات والسلام عليهم والاستغفار لهم.

الخاتمــة:

لقد تم بعون الله تعالى وتوفيقه هذا البحث المتواضع مع أنّـي أعترف أنّه لا يخلو من نقص بشري الذي هو سمة البشر لأنّ الكمال لله وحده وأنّ العصمة لمن عصمه الله من نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. وعلى هذا ينطبق على بحثنا هذا ما قيل قديمًا أنّه لا يكتب إنسان كتابًا إلاّ قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هنا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على البشر.

ومع أنّ البحث كله يعتبر نتائج فإنّي أسجل أهمّ النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث:

١ـ أن الله سبحانه وتعالى اختار نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم لحمل الرسالة الخاتمة ليبلغه للناس كافة بعد إعداده إعدادًا يؤهله لحملها.

٢ـ أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد مارس الدعوة سرًا وجهرًا وأدّى الأمانة على أكمل وجه طوال فترة البعثة.

٣ـ أنّ الابتلاء سنّة من سنن الله في طريق الدعاة لا ينفك منها أحد من الرسل ومن سلك طريقهم، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد مر بذلك الابتلاء ونجح فيه بفضل الله ومنّه.

٤ـ أنّ الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد طبقها في واقع الحياة طوال فترة البعثة ومن ثمّ فإنّ الدين الإسلامي غني عن الإضافات والزيادات والتغييرات مهما كان شكلها.

٥ـ أنّ الزيادة في الدين يعتبر استدراكًا على الشارع وسوء أدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم.

٦ـ أنّ مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله عظيمة ومن ثم فقد أوجب الله على المسلمين أن يتأدّبوا معه صلى الله عليه وسلم حيًّا وميّتًا بأنواع من الآداب التي تليق بمكانته من توقير وتعظيم.

٧ـ أنّ تأدّب المسلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم يؤدي إلى الالتزام بضوابط الشريعة في كل ناحية من نواحي الحياة وبالتالي يفوز في الدارين.

٨ـ أنّ تأدّب المسلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم يؤدي إلى استحضار سيرته والمنهج الذي رسمه طوال ثلاث وعشرين سنة وبالتالي يؤدي إلى القيام بالإسلام قولاً وعملاً، وتطبيقه تطبيقًا شاملاً لكليات الإسلام وجزئياته.

٩ـ أنّ التأدّب مع الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل تحته الدين كله، لأنّ التأدّب معه يؤدي بالضرورة إلى التأدّب مع شرعه والالتزام بما جاء به صلى الله عليه وسلم من وحي سواء كان قرآنًا أو سنة.

١٠ـ أن التأدب معه صلى الله عليه وسلم وسط بين الغلو والتقصير وأنّ العاطفة والمحبة لا يصلحان أن يكونا مصدرًا للتأدب معه دون الرجوع إلى الكتاب والسنة والالتزام بهما في هذا المجال.
١١ـ أن كثيرًا من الأمور التي تفعل حبًّا له صلى الله عليه وسلم مصدرها أدلّة واهية أو منامات أو استحسان بعض العلماء أو قياس مع الفارق أو تأويلات باطلة أو أغراض دنيوية بحتة.
١٢ـ أن ما عليه الأكثرية لا يؤدي بالضرورة إلى أنّه حق، بل إنّ الحق ما ثبت في القرآن أو في السنة أو فيهما معًا وليس للأكثرية وزن ما دامت لا تستند إلى أدلّة صحيحة.
١٣ـ أن كثيرًا من البدع قد انتشرت وخاصة في مجال التأدّب مع الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب سكوت أهل العلم عن إنكارها وبيان حقيقتها حتى انقلب الأمر رأسًا على عقب وأصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا.
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين...

قائمة المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع غير القرآن الكريم على حروف المعجم.

(أ)
١) آثار المدينة لعبد القدوس الأنصاري الطبعة الثالثة (١٣٩٣هـ١٩٧٣م)، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٢) آداب المجتمع في الإسلام لمحمد جمال الدين رفعت الناشر: إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
٣) الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٤) أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبيد الله المعروف بابن العربي بتحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧ م. دار إحياء الكتب العربية.
٥) أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٦) إصلاح المساجد من البدع والعوائد لمحمد جمال الدين القاسمي خرج أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ١٩٧٩م).
٨) الاعتصام للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م. بيروت، لبنان.
٩) الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي الطبعة الثالثة.
١٠) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية. بتحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م مطبعة السنة المحمدية.
١١) الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات للعلامة نعمان بن محمود الألوسي بتحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ المكتب الإسلامي.
١٢) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية بتصحيح وتعليق د. محمد خليل هراس دار الطباعة المحمدية مصر.
١٣) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير مع شرح وتعليق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولاده بالقاهرة.

(ب)

١٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة دار الأصفهاني وشركاه بجدة.
١٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن نجيم الحنفي الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
١٦) البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الطبعة الثانية ١٩٧٧ م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
١٧) البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها للدكتور عزت علي عيد عطية دار الكتب الحديثة ١٣٩١هـ ١٩٧١ م القاهرة.
١٨) بشائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمحمد بن محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٣ هـ القاهرة.
١٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٠) بهجة المحافل وبغية الأماثل: للإمام عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

(ت)

٢١) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي لحسن السندوني مطبعة الاستقامة ١٩٤٨ م.

٢٢) التـاريخ الصـغير لأبـي عبـد الله محمـد بـن إسـماعيل البخـاري. بتحقيـق محمود إبراهيم زايد الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م دار الوعي بحلب.
٢٣) التـاريخ الكبيـر لأبـي عبد الله محمـد بـن إسـماعيل البخـاري دار الكتـب العلمية بيروت لبنان.
٢٤) تأملات في سورة الأحزاب للدكتور حسن محمد باجودة مطـابع الصـفا ١٤٠٣ هـ مكة المكرمة.
٢٥) تحفـة الأحـوذي شـرح جـامع الترمـذي للحـافظ أبـي العلـى محمـد عبـد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بمراجعة وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م دار الفكر للنشر والتوزيع.
٢٦) الترغيب والترهيب لزكـي الـدين عبد العظيم بـن عبـد القـوي المنـذري. مكتبة الإرشاد.
٢٧) التسهيل في علوم التنزيل للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبـي بتحقيـق محمـد عبـد المـنعم اليونسـي، وإبـراهيم عطـوة عـوض دار الكتـب الحديثة.
٢٨) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الناشر: دار الكتب العربية بيروت، لبنان.
٢٩) التعريفـات للعلامـة علـي بـن محمـد الشـريف الجرجـاني مكتبـة لبنـان ١٩٦٩م لبنان.
٣٠) تفسير البحـر المحيط لمحمد بـن يوسـف الشـهير بـأبي حيـان الأندلسـي. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣١) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخـازن. لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٣٢) تفسـير سـورة النـور لأبـي الأعلـى المـودودي تعريـب محمـد عاصـم الحداد، دار الفكر.
٣٣) التفسير السياسي للسيرة للدكتور محمد قلعت جي دار السلام للطباعـة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، بيروت/حلب.
٣٤) تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثيـر لأبـي الفداء إسماعيل بن كثير دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٥) تفسير الكبيـر للإمـام الفخـر الـرازي الطبعـة الثانيـة الناشـر: دار الكتـب العلمية، طهران.
٣٦) تقريب التهذيب للحافظ أبي الفضل أحمد بن علـي بـن حجـر العسـقلاني بتحقيـق وتعليـق عبـد الوهـاب عبـد اللطيـف الطبعـة الثانيـة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
٣٧) تهـذيب الأسـماء واللغـات للإمـام أبـي زكريـا يحيـى بـن شـرف النـووي. المطبعة المنيرة.

٣٨) تهذيب الفروق المطبوع بهامش الفروق للشيخ محمد علي بن الشيخ الحسين دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٩) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري بتحقيق عبد السلام محمد هارون ومراجعة محمد علي النجار دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.
(ث)
٤٠) الثقات للإمام الحافظ محمد بن حبان البستي الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند.
(ج)
٤١) جامع بيان العلم وفضله للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري دار الفكر بيروت لبنان.
٤٢) جامع البيان في أحكام القرآن المعروف بتفسير الطبري. تحقيق محمود محمد شاكر ومراجعة أحمد محمد شاكر مطبعة المعارف بمصر.
٤٣) جامع العلوم والحكم لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي دار الفكر بيروت لبنان.
٤٤) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي الطبعة الثانية.
٤٥) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام للإمام ابن قيم الجوزية بتحقيق الشيخ طه يوسف شاهين.
(ح)
٤٦) الهاوي للفتاوي لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٤٧) حجة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد ناصر الدين الألباني الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م المكتب الإسلامي.
٤٨) حسن التوسل في زيارة أفضل الرسل لعبد الله بن أحمد الفاكهي. وهو بهامش كتاب إتحاف الأشراف للشبراوي المطبعة الأدبية ١٣١٩هـ القاهرة.
(خ)
٤٩) خصائص التصور الإسلامي للشهيد سيد قطب دار القرآن الكريم ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. بيروت دمشق.
(د)
٥٠) دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م طبعة مؤسسة الرسالة دار النفائس بيروت لبنان.
٥١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
٥٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها للدكتور أحمد أحمد غلوش. طبعة دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

٥٣) دلائل النبوة: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. طبعة عالم الكتب.
٥٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب بتحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور دار التراث للطباعة والنشر القاهرة.
٥٥) ديوان زهير بن أبي سلمى بتحقيق وشرح كرم البستاني دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.
٥٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة للشيخ أبي القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.
٥٧) ذكرى المولد النبوي خلاصة السيرة النبوية وحقيقة الدعوة الإسلامية لمحمد رشيد رضا الطبعة الأولى ١٣٣٥ هـ مطبعة المنار بمصر.
(ر)
٥٨) رسالة المسترشدين لأبي عبد الله الحارث بن راشد المحاسبي. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ١٩٧١ م مكتب المطبوعات الإسلامية بيروت لبنان.
٥٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للعلامة أبي الفضل محمود الألوسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
٦٠) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للحافظ محمد بن حبان البستي. بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي دار الكتب العلمية ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م بيروت.
٦١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لشمس الدين ابن قيم الجوزية. مكتبة الجامعة القاهرة.
(ز)
٦٢) زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت لبنان.
٦٣) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية بتحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه عبد القادر الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦٤) زيارة القبور الشركية والشرعية للإمام الحجة محيي الدين محمد البركوي مؤسسة النور للطباعة والتجليد الرياض.
(س)
٦٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة لمحمد ناصر الدين الألباني الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ المكتب الإسلامي بيروت دمشق.
٦٦) سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. بتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٧هـ ١٩٥٣م.
٦٧) سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني بمراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار إحياء السنة النبوية.

٦٨) سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م دار الفكر بيروت.
٦٩) سنن الدارقطني للحافظ علي بن عمر الدارقطني. وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق أبادي شركة الطباعة الفنية المتحدة.
٧٠) سنن الدارمي للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. دار الفكر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م القاهرة.
٧١) السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. وبذيله الجوهر النقي لعلاء الدين المعروف بابن التركماني.
٧٢) سنن النسائي للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي مع شرح السيوطي وحاشية السندي الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ١٩٣٠م المطبعة المصرية بالأزهر.
٧٣) سيرة ابن هشام لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري. بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد مطبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة.
٧٤) سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد عزت دروزة الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م مطبعة عيسى الحلبي.
٧٥) السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير بتحقيق مصطفى عبد الواحد الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م دار الفكر بيروت لبنان.
(ش)
٧٦) شرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي. مكتبة القدس ١٣٥٠هـ القاهرة.
٧٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي بتحقيق علي محمد البجاوي دار الكتب العربي بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٧٨) شفاء السقام للشيخ علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
(ص)
٧٩) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية. بتحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر.
٨٠) صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي مطابع كوستاسوماس وشركاه.
٨١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م دار العلم للملايين بيروت.
٨٢) صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. ومعه حاشية السندي دار المعرفة للنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٨٣) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري بتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
٨٤) صحيح مسلم بشرح النووي للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي دار الفكر للنشر والتوزيع ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٨٥) صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد ناصر الدين الألباني الطبعة الحادية عشر ١٤٠٣هـ ١٩٨١م المكتب الإسلامي بيروت لبنان.
٨٦) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للعلامة محمد بشير السهسواني الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ المطبعة السلفية ومكتبتها مصر.
(ض)
٨٧) الضعفاء الصغير للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. بتحقيق محمود بن إبراهيم زايد الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ دار الوعي بحلب.
٨٨) الضعفاء والمتروكون للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني. بتحقيق ودراسة موفق بن عبد الله بن عبد القادر الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مكتبة المعارف الرياض.
٨٩) الضعفاء والمتروكون للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن بن أحمد بن شعيب النسائي بتحقيق محمود إبراهيم زايد دار الوعي حلب.
(ط)
٩٠) طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي أحمد الداودي بتحقيق علي محمد عمر الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م مطبعة الاستقلال الكبرى.
٩١) ظهور دولة الفاطميين وسقوطهما في مصر للدكتور عبد المنعم ماجد الطبعة الثانية ١٩٧٦م دار المعارف بمصر.
(ع)
٩٢) عرف التعريف بالمولد الشريف لشمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري مخطوط بمكتبة الحرم الشريف ضمن مجاميع ٤٧٣/٦ سيرة نبوية وصورة منه في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
٩٣) العقائد الإسلامية دار الكتب الحديثة ١٣٨٧هـ ١٩٨٧م القاهرة.
٩٤) العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع للدكتور محمد بيصار الطبعة الرابعة ١٩٧٣م دار الكتاب اللبناني بيروت.
٩٥) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختيار وتحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.
٩٦) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن هذيل الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ ١٩٣٨م مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
(غ)

٩٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري بتحقيق إبراهيم عطوة عوض الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ١٩٦٢م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٩٨) غريب الحديث لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بتعليق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(ف)

٩٩) الفائق في غريب الحديث لجار الله محمود بن عمر الزمخشري. بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية طبعة عيسى البابي الحلبي.

١٠٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بتحقيق وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد لأحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي الطبعة الأولى طبعة الإخوان المسلمون القاهرة.

١٠٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٠٣) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان.

١٠٤) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م المكتب الإسلامي بيروت.

١٠٥) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. طبع على نفقة أمير قطر.

١٠٦) الفوائد لشمس الدين ابن قيم الجوزية الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٠٧) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م دار الشروق بيروت.

١٠٨) في منزل الوحي لمحمد حسن هيكل الطبعة الخامسة دار المعارف بمصر.

(ق)

١٠٩) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية. المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٤هـ القاهرة.

١١٠) القاعدة المراكشية لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق د. ناصر بن سعيد الرشيد والأستاذ رضا نعسان معطي الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض.

١١١) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي. المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان.

١١٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م القاهرة.
١١٣) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م مطبعة الأنصار بيروت.
(ك)
١١٤) الكامل في ضعفاء الرجال للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
١١٥) الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري. مع كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال. للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري دار الفكر بيروت لبنان.
(ل)
١١٦) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي مطبعة التوفيق ١٣٤٧هـ. دمشق.
١١٧) لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري دار صادر ودار بيروت ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.
١١٨) لسان الميزان الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧١م منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
(م)
١١٩) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن علي الندوي. الطبعة السادسة ١٩٦٥م ١٣٨٥هـ دار الكتاب العربي بيروت.
١٢٠) المجروحون عن المحدثين والضعفاء والمتروكين للأمام محمد بن حبان البستي. بتحقيق محمود إبراهيم زايد الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ دار الوعى بحلب.
١٢١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الطبعة الثانية ١٩٦٧م دار الكتب العربية بيروت.
١٢٢) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. مطبعة الإمام بالقلعة مصر.
١٢٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية مكتبة المعارف الرباط المغرب.
١٢٤) مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية. مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده مصر.
١٢٥) المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري. بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.

١٢٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية بتحقيق محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م بيروت لبنان.

١٢٧) المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات لأبي عبد الله محمد ابن محمد العبدري المعروف بابن الحاج مكتبة مصطفى الحلبي ١٣٨٠هـ مصر.

١٢٨) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ليوسف بن عزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند.

١٢٩) المستدرك على الصحيحين الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري. مع ذيله تلخيص المستدرك للذهبي دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٣٠) المسند للإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب من كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي.

١٣١) مسند الإمام أحمد مع شرح الشيخ أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.

١٣٢) مشكاة المصابيح الشيخ ولي الله محمد بن الخطيب العمري التبريزي بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ ١٩٦١م منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

١٣٣) مشكل الآثار للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي دار صادر بيروت لبنان.

١٣٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. بتصحيح مصطفى السقا مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٣٥) معجم متن اللغة الشيخ أحمد رضا دار مكتبة الحياة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م بيروت لبنان.

١٣٦) المعز لدين الله الدكتورين/حسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف الطبعة الثانية ١٩٦٣م مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

١٣٧) المغني في الضعفاء الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بتحقيق وتعليق د. نور الدين عتر الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ١٩٧١م الناشر: دار المعارف بحلب.

١٣٨) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند.

١٣٩) مفردات في غريب القرآن الشيخ أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني بتحقيق محمد سعيد الكيلاني الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ ١٩٦١م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٤٠) المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي بتحقيق حلمي محمد فودة الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
١٤١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي مؤسسة الحلبي وشركاه للتوزيع والنشر القاهرة.
١٤٢) مورد الصادي في مولد الهادي لشمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي مخطوط بمكتبة الحرم الشريف ضمن مجاميع ٢٧٣/١ وصورة منه في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
١٤٣) الموسوعة في سماحة الإسلام لمحمد صادق عرجون الناشر: مؤسسة سجل العرب. القاهرة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
١٤٤) الموضوعات للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. بتحقيق وتقديم عبد الرحمن محمد عثمان الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
١٤٥) الموطأ للإمام مالك بن أنس بتصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ٩٣٧٠هـ ١٩٥١م.
١٤٦) ميزن الاعتدال للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بتحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م دار إحياء الكتب العربية.
١٤٧) (ن)
١٤٨) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري دار الفكر.
١٤٩) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الجزري المعروف بابن الأثير بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
(و)
١٥٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان بتحقيق د. إحسان عباس دار صادر بيروت لبنان.

الهوامش:

[١] مصباح المنير (٢٧٩/١).

[٢] نسيم الرياض في شرح الشفا (٥١٠،٥١١/٣).

[٣] انظر تفسير فتح القدير للشوكاني (٤٤٨/٥).

[٤] تفسير القرآن العظيم (٥٤٥/٤).

[٥] انظر صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة الأعراب (٤/٤).

[٦] صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٦٧٣/٣).

[٧] صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٦٧١/٢) كالذي قبله.
[٨] الغرقد: هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك. والغرقدة واحدة ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة بقيع الغرقدة لأنه كان فيه غرقد وقطع. النهاية (٣٦٢/٣).
[٩] صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقول عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٦٦٩/٢).
[١٠] اقتضاء الصراط المستقيم: (٤٢٧).
[١١] أخرجه البخاري في صحيحه، في أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (٢٠٦/١).
[١٢] صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: (٢٠٤).
[١٣] انظر الآيات البينات في عدم سماع الأموات: (٩٤).
[١٤] انظر الآيات البينات في عدم سماع الأموات: (٩٤)، تعليقة رقم (٣).
[١٥] المصدر السابق، (ص:٩٣) تعليقة رقم (٣).
[١٦] انظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص:٢٠٥).
[١٧] تفسير فتح القدير (١٧٠/١).
[١٨] صحيح مسلم، كتاب الأضاحي والذبائح، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (١٥٦٢/٣).
[١٩] شرح النووي على صحيح مسلم (١٤١/١٣).
[٢٠] روح المعالي (٩٨/١١).
[٢١] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، فضائل أم أيمن: (١٩٠٧/٤).
[٢٢] تربها: أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.
[٢٣] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله (١٩٨٨/٤).
[٢٤] صحيح البخاري، كتاب المرض، باب عيادة المشرك (٤/٤).
[٢٥] شفاء السقام (ص:٨٠٨١).
[٢٦] المرجع السابق (ص:١٠٠).
[٢٧] سنن الدارقطني (٢٧٨/٢).
[٢٨] الكامل لابن عدي (٢٤٨/٧).
[٢٩] صحيح البخاري، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (٢٠٦/١). وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (١٠١٤/٢) واللفظ للبخاري.
[٣٠] الصحيح لقيت أبا بصرة الغفاري.
[٣١] الموطأ: (١٠٩/١).
[٣٢] صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة، باب من أتى مسجد قباء كل سبت (٢٠٦/١)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته (١٠١٦/٢).
[٣٣] الحديث في سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة. في سيد قباء (٢٠٤/١) بلفظ: "الصلاة في مسجد قباء كعمرة".

[٣٤] مجموع الرسائل الكبرى (٥٩/٢) بتصرف.
[٣٥] اقتضاء الصراط المستقيم (ص:٤٣٢).
[٣٦] زيارة القبور الشركية والشرعية (ص:٢٢).
[٣٧] والصحيح فلقيت أبا بصرة الغفاري.
[٣٨] الموطأ: (١٠٩/١).
[٣٩] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: (٥٩/١).
[٤٠] يقصد الآيتين (٦٠٦١) من سورة النساء.
[٤١] جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري (٥١٧/٨).
[٤٢] زاد المسير (٢٢٣/٢).
[٤٣] فتح القدير (٤٨٣/١).
[٤٤] في ظلال القرآن (٦٩٦/٢).
[٤٥] وأما حكاية العتبي التي يوردها بعض المفسرين في تفسير هذه الآية فهي قصة لا يثبت بها حكم شرعي لأنها مترددة بين أن يكون مصدرها رؤيا منامية والرؤيا المنامية لا تصلح أن تكون دليلاً شرعيًا لاستثناء رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين أن يكون مصدرها نداء مجهول سمع من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وروى بسند مرسل لا تقوم به الحجة أيضًا. انظر نص القصة في تفسير ابن كثير (٥٢/١) وتفسير القرطبي (٢٦٧/٥).
[٤٦] الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص:٧٩) هامش رقم (٢).
[٤٧] صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٢٤).
[٤٨] المصدر السابق (ص:٣١).
[٤٩] سنن الدارقطني (٢٧٨/٢).
[٥٠] التاريخ الكبير (٣٦٣/٢).
[٥١] التاريخ الكبير (٣٦٣/٢).
[٥٢] التاريخ الصغير (٢٥٦/٢).
[٥٣] المجروحين (٢٥٥/١).
[٥٤] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٧٤/٣).
[٥٥] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٧٩/٧).
[٥٦] الضعفاء والمتروكين (ص:٩).
[٥٧] المجروحون (٢٣١/٢).
[٥٨] تقريب التهذيب (١٣٨/٢).
[٥٩] الكامل لابن عدي (٢٤٨٠/٧).
[٦٠] المجروحين (٧٣/٣).
[٦١] الكامل لابن عدي (٢٤٨٠/٧).
[٦٢] الكامل لابن عدي (٢٤٨٠/٧).
[٦٣] الكامل لابن عدي (٢٤٨٠/٧).
[٦٤] المغني في الضعفاء (٦٢٩/٢).
[٦٥] ميزان الاعتدال (٢٦/٤).

[٦٦] المغني في الضعفاء (٦٢٩/٢).
[٦٧] لسان الميزان (٣٥٨/٥).
[٦٨] تقريب التهذيب (٢٠٥/٢).
[٦٩] كتاب الموضوعات (٢١٧/٢).
[٧٠] اقتضاء الصراط المستقيم (٤٠٠ ٤٠١).

١١. التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم من غير تأويل

د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه

مقدمة: عادت جذعا

إن ما حدث أخيرًا أحيا كثيرا من القضايا المتعلقة بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم، كادت أن تغيب، فتموت بين الحوادث المتداخلة، من: حروب، واحتلال، وكوارث، وأموال وتجارات مهلية: أسهم، وملاهي.. وفتن وشهوات مفسدة، وغفلة عن الله تعالى والدار الآخرة!!.

لقد تسبب المسيئون في يقظة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيامها بدينها، واعتزازها بنبيها، وتعاليمه. فهمت حقيقة الصراع بين الإيمان والكفر، والولاء والبراء، وأدركت معاني الآيات:

- {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط}.
- {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}
- {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق}.

أدركت علو الإسلام على كل الأديان، وأنه الدين الحق وحده، وأن ما عداه باطل، لا يدانيه بحال.

هذه الأصول التي أراد لها الكافرون المحاربون لدين الله تعالى، أن تتوارى، وتندثر. تعاونهم فئة من الأمة، رضيت لنفسها أن تكون ضد نبيها، وقرآنها، ودينها، وأمتها..؟!!.

غير أن هذا الحدث، وما تبعها من حركة المسلمين، الممتلئة إيمانا، وتصديقا، ومحبة: أخرسهم، وحطم قدرا كبيرا من آمالهم، وقد كانوا قطعوا شوطًا في إعادة صياغة الإسلام، في صورة تختفي منها قضية الولاء والبراء، وعلو الإسلام، فجاء هذا الحدث فأعادها جذعا، فصار لزاما عليهم أن يبدءوا هذا التحريف والخلط من جديد، وبأسلوب آخر، وبجهد وحيلة أكبر، لإصلاح ما أفسده عليهم أولئك الذين يتكلمون بحقيقة ما في ضميرهم، وما تكنه قلوبهم، لعلهم يقدرون على تغيير عقيدة المسلم..!!.

وأنى لهم ذلك، والمسلمون اليوم أكثر فهما وإدراكا لحقيقة الولاء والبراء، بما رأوه من عدوانهم وعدواتهم للإسلام والمسلمين، بالحرب، والاحتلال، والتدمير، والنهب والحصار..؟!!. فما لم يفهموه على أيدي علمائهم، ومن كلام ربهم: فهموه من ظلم وعدوان الكافر.
ومن الحقائق التي عادت جذعا اليوم: الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أدلة التصديق:
الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم يتضمن أمرين:
- الأول: تصديقه في رسالته ونبوته؛ أي كونه رسولا نبيا.
- الثاني: تصديقه فيما أخبر به، وأمر به؛ أي قبول خبره وأمره.
وهو فرض على كل: إنسان، عاقل، بالغ، ذكر أو أنثى، حر أو عبد، ولا يصح الإسلام إلا به.
فالإسلام لا بد فيه من خضوع وانقياد، ولا يكون ذلك إلا بالتصديق. فمن كذب النبي ولم يصدق به في خبره، وفي أمره: لم يخضع له، ولم ينقد. ومن ثم لا يكون مسلما، فمن أنواع الكفر: كفر التكذيب (وهو ضد التصديق)، والإعراض (هو ضد الخضوع والانقياد).
وأدلة هذا الوجوب: شرعية، ومنطقية عقلية.
فالأدلة الشرعية، منها قوله تعالى:
الدليل الأول: {فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا}.
فهذا نص صريح في وجوب الإيمان برسوليته صلى الله عليه وسلم: {ورسوله}.
وبرسالته: {والنور الذي أنزلنا}، لا شيء يصرفه عن الوجوب إلى الاستحباب.
الدليل الثاني: {ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرًا}.
وهذا النص عكس السابق، هناك أمر، وهنا وعيد لمن لم يؤمن، وفي كليهما قرن بين الإيمان بالله ورسوله، لكن هنا توعد من لم يؤمن بهما بالكفر والسعير، ومفهوم المخالفة: أن من آمن بهما نجى من الكفر والسعير.
الدليل الثالث: {فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين * والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون}.
ودلالة الآية: أن أظلم الظلم: الكذب على الله تعالى بنسبة الولد إليه والصاحبة، ونحو ذلك، وكذا التكذيب بما جاء من عنده من صدق؛ أي تكذيب الوحي الذي جاء به الرسول الأمين. فهؤلاء ظالمون، كافرون، مثواهم جهنم. وضدهم المتقون، وهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالصدق، وهو القرآن، والمؤمنون المصدقون له فيما جاء به. فهذا نص صريح في كفر من كذب برسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

في أي شيء يصدّق؟
إن مبنى تصديقه فيما أخبر، يقوم على الإقرار له صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فمن أقر له بالرسالة، وجب عليه تصديقه مطلقا.
أما الإقرار بأنه رسول من عند الله مع رد خبره وأمره الثابت، فهو تناقض وكفر.

والأخبار الواردة عنه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أنحاء:
١- ثابت يقينا، قد تلقته الأمة بالقبول، مثل ما في الصحيحين عموما.
٢- باطل يقينا، كالموضوعات والأحاديث الضعيفة غير المنجبرة.
٣- ما بين ذلك، للعلماء فيها نظر واختلاف.
فأما الباطل، فرده وتكذيبه هو الواجب الذي لا ينبغي غيره؛ لأنه كذب على صاحب الشريعة.
وأما المختلف فيه، فلا إثم على من رده فلم يقبله، اعتمادا على بحث ونظر أدى إلى تضعيفه ورده، أو ثقة في قول عالم، من علماء الحديث والجرح والتعديل، رده بعلم ودراية.
لكن الشأن في الثابت يقينا، فلا يجوز رده ولا تكذيبه، فمن فعل ذلك فهو مكذب بالنبي غير مصدق له، أو مصدق لكنه معاند، ومن أنواع الكفر: العناد.
ووصف الثابت يقينا: هو ما أجمع أهل العلم بالحديث والجرح والتعديل، من أهل السنة والجماعة، على تلقيه بالقبول والتصحيح، والإجماع من الحجج الشرعية، التي لا يخالف فيها أحد من أهل العلم، لقوله تعالى:
- {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}.
وفي هذا رد على من رفض قبول تصحيح أهل العلم بالحديث، بدعوى أنهم بشر يخطئون، فليست الحجة في آحادهم، بل في مجموعهم، ومجموعهم لا يجتمع على ضلالة، كما دلت الآية.
ومن أمثلة هذا الثابت بيقين:
١- جملة ما في صحيح البخاري ومسلم، دون جميع أفرادها، حيث انتقد بعض أحاديثهما، من جمع من المحدثين الثقات، المعروفين بالسنة والعدالة، لكن لا يصح أن يكون ذلك سببا في الطعن في شيء فيهما.
٢- الآثار المتواترة، وهي التي رواها الجمع الكثير عن الجمع الكثير، العشرة فما فوق، حيث يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب.
٣- أصول الآثار التي استقر اعتقاد أهل السنة والجماعة عليها، في أبواب الاعتقاد والشريعة.
وفرق بين الذي يرد الحديث باجتهاد في التصحيح والتضعيف، نظرا منه واجتهادا في تطبيق قواعد الجرح والتعديل، وبين الراد له بدون قاعدة، بل بالهوى والمزاج، فهذا قد يرد جميع الحديث، فلا يقبل ولا واحدا منه، إلا ما لاءمه ووافق ميولاته، فهذا مكذب غير مصدق؛ لأنه إن كان مصدقا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن يصدق أن دينه محفوظ بمصادره، وهي الكتاب والسنة، لكن رده للسنة يتضمن إنكار أن يكون دينه محفوظا، وهذا فيه إنكار للرسالة من أصلها.

تأويل في معنى التكذيب.
والتكذيب كما يكون برد ما ثبت ردا صريحا، فكذلك يكون بتأويل الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تأويلا يخرجه عن معناه، ويبطل دلالته بالكلية، بقصد وتعمد.

وهو مسلك يتبعه المنافقون الذين يلقبون بالباطنية، وهم: القرامطة، والإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، وطوائف من الصوفية، الذين يزعمون أن للشريعة ظاهرا وباطنا، فظاهرها للعوام، وباطنها للخواص، ويجعلون المعاني الباطنة مخالفة تماما لدلالات النصوص.
وهي أيضا: طريقة جماعة من المعاصرين، من أصحاب الفكر الحديث، المدعين التزام الإسلام وتعظيمه، لكن بتأويل الشريعة، تأويلاً يعطل: دلالتها، ومعانيها، وأحكامها. فما من حُكم ولا خبر لا يوافق أهواءهم، إلا ردوه وأولوه بما يتوافق مع أهوائهم، وركبوا لأجل ذلك طرق التحريف:
- فهذا النص والحكم كان لزمن ولظرف خاص، ولا ينفع في هذا العصر؛ لأن الظرف تغير.
- وهذا النص له تفسيرات أخرى في اللغة.
- وهذا النص يتعارض مع الحرية، والحرية من أسس الإسلام، فلا بد من تأويله.
- وفي هذه الأحاديث لسنا ملزمين بالأخذ بتصحيح بشر يخطئون.

وهكذا ما تركوا أمرا ولا خبرا، إلا ردوه معتمدين أهواءهم، مستدلين بكلام بعض العلماء مبتورًا، أو مسيئين الفهم، أو قاصدين إساءة الفهم، فما حالهم إلا حال المكذب، وما فعلهم إلا فعل المكذب.
فلا ريب أن هذا كفر، كفر التكذيب الصريح، بل هو أخبث، إذ يوهم أن صاحبه معظم للشريعة، عامل بها، بينما هو محرف لها، معطل لأصولها وحقائقها، وهذا النوع من التكذيب المبطن الخفي لأخبار النبي صلى الله عليه وسلم يشتهر وينتعش في حالتين:
- في حال غلبة الشريعة وهيمنتها، فيخاف أولئك المحرفون من إظهار تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم علنا وجهارا، فليجئون إلى طريقة الشريعة الباطنة.
- وفي حال غلبة التدين على الناس، حيث تعتمد فئة هذا الأسلوب لإضلال الناس عن دينهم وصرفهم عنه، فيفعلون هذا بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما فعل بولس بشريعة عيسى عليه السلام.

أصول التصديق.
من أهم هذه الأصول:
اعتقاد هيمنة شريعته على سائر الشرائع، كما قال تعالى:
- {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه}.
- {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين}.

وهذا الأصل ينضوي تحته ما يلي:
١- تصديقه أنه خاتم الأنبياء والرسل.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما}. قال ابن كثير(التفسير ٤٢٣/٦):
"هذه الآية نص على أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة".
فلو ادعى مدع أنه نبي فهو كاذب، والكذابون كثير، وهم على صنفين:
- الصنف الأول: من يدعي النبوة صراحة، فيتسمى بها، كمسيلمة والأسود العنسي.
- الثاني: من ادعى مقاما كمقام النبوة، ولو سماه بمقام الولاية، أو غير ذلك، يزعم فيه أنه يتلقى وحيا كوحي الأنبياء، ولو لم يسمه وحيا، بل: إلهاما، وكشفا، وفراسة. وهو كاذب، إذ النبوة اسم ومقام، يتلقى فيه الوحي من الله تعالى، ولا يكون لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع الأمة.
فكل من ادعاه فقد افترى كذبا، سواء ادعى الاسم، أو ادعى الحقيقة والمضمون.

٢- تصديقه أنه أرسل للناس كافة.
ويشهد لهذا آيات في القرآن، كقوله تعالى:
- {وما أرسلنا إلا كافة للناس بشيرا نذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.
- {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا}.
- {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}.
فرسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة لجميع البشر، بل والجن، كما هو ثابت من أخبار الجن في القرآن في سورة الجن، وآخر الأحقاف، وليست خاصة، وهي ميزة تفرد بها عن سائر الأنبياء، وبذلك لا يسع أحدا من العالمين أن يخرج عن شريعته، أو يرفض دعوته، أو يدعي أنها لا تلزمه.
٣- تصديقه أن من لم يتبعه ولم يؤمن به فهو من أهل النار، سواء كان يهويا أو نصرانيا أو غير ذلك.
ويشهد لهذا أدلة كثيرة، كقوله تعالى:
- {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.
- وقال: {وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد}.
- وقال عليه الصلاة والسلام: (والله لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار).
٤- تصديقه أن شريعته التي أتى بها هي أحسن الشرائع، وأن دين الإسلام هو أحسن الأديان وأعلاها، وأن اليهودية والنصرانية لا تساويها بحال.
ويشهد لهذا أدلة كثيرة منها:
- قال تعالى: {ولا تهنوا لا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}.
- وقال صلى الله عليه وسلم: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه).

٥- تصديقه في أن دينه شامل لكل أوجه الحياة ونشاطاتها، صغيرها وكبيرها، فلا يخرج عنه.
ويشهد لهذا قوله تعالى:
{قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}.
فهذه القضايا من الأصول التي يجب تصديقها، والإيمان بها، والحاجة إلى التذكير بها في الوقت ماسة، لكثرة من يدخل في نفوس الناس الريب فيها، ومن يريد تعطليها ومحوها، وليعلم أن محوها محو للإسلام من أصله، فلا إسلام إلا بعلو في الأرض، فهو دين الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، قال تعالى:
{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}.

تصديق مطلق:
هذا وإن من التصديق التصديق المطلق، ولو لم تدرك الحكمة، فإن من صدق أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ائتمنه على الشريعة، فهو مأمون، لا يكذب ولا يفتري، والله تعالى شهد له بهذا، فإذا كان كذلك وجب تصديقه من غير تردد، ولو لم تتبد له الحكمة، هذا حال المؤمنين:
- {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون}.
- {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا}.
- {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}.
لما أسري برسول الله عاد فأخبر قومه فكذبوه وارتد كثير ممن أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له: "هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أن قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة".
فقال لهم أبو بكر: " والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه".
فسمي يومئذ الصديق.. "تهذيب السيرة" ص

١٢. آداب زيارة المسجد النبوي

بقلم / أحمد بن عبد العزيز الحمدان
* مقدمة:
اعلم - أخي الكريم - أنَّ زيارة مسجد رسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، وزوجاته أمهات المؤمنين – سنة مستحبة بإجماع علماء الإسلام الأعلام، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ثلاثة مساجد لا تُشد الرِّحال إلاَّ إليها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".
وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحبة طوال العام، وليست مخصوصة
بوقت، ولكن لمَّا كان الأيسر والأرفق لمن أتى الديار المقدسة لحجٍّ أو عمرة أن يزوره،
ويصعب عليه تخصيصه بزيارة فهؤلاء يستحب لهم ألا يفوتوا الفرصة على أنفسهم، بل
يبادروا إلى زيارة مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإنَّه أعظم لأجرهم، ويدركون
بالزيارة مالا يدركه غيرهم.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام".
فإذا وصلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخله بأدب وسكينة، وتجنب رفع الصوت فيه، مقدماً رجلك اليمنى عند دخولك، مصلياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وصل في الروضة الشريفة ما يسر الله لك، فإنَّ الروضة لها شرف وفضل،
قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة".
ثم اذهب لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبري صاحبيه أبي بكر الصديق،
وعمر الفاروق رضي الله عنهما، وقف أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريف،
بأدب وخفض صوت، فإنَّ التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب حياً وميتاً؛ وقل:((السلام عليك -يا رسول الله- ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله،السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين.
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.
أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنك بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت
في الله حق جهاده، فجزاك الله عنَّا أفضل الجزاء، وصلى عليك صلاة تملأ أقطار الأرض
والسماء وسلَّم تسليماً كثيراً)).
ثم خذ ذات اليمين قليلاً لتكون تجاه قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسلم عليه، وسل الله تعالى له الرضوان.

ثم خذ ذات اليمين قليلاً لتكون تجاه قبر عمر الفارق رضي الله عنه وسلم عليه،
وسل الله تعالى له الرضوان.
واحذر ما يفعله بعض الجهلة من محاولة مسح الشبك الذي وضع حماية للحجرة الشريفة،
أو استقبال القبر الشريف حال الدعاء، أو الوقوف أمام القبر كهيئة المصلي، فإنَّ هذا من
الأمور التي لم يشرعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي بدع محدثة.
وتستحب زيارة البقيع، وفيه قبور كثير من الصحابة والتابعين والصالحين رضي الله عنهم،
وزيارة قبور شهداء أحد رضي الله عنهم.
ويستحب لمن زارهم أن يقف عند مقابرهم؛ ويقول - كما علَّمنا رسول الهدى - صلى الله
عليه وسلم: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا -إن شاء الله- بكم
لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)).
ثم احرص - بارك الله فيك - على أن تتطهر في مقر إقامتك، ثم تذهب لزيارة مسجد قباء،
والصلاة فيه، فإنَّه مما حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيارته، والصلاة فيه،
حيث جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة". وصلى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١٣. أروع قصص الحب

شائع محمد الغبيشي

الحديث عن العظماء يأخذ بمجامع القلوب و تشرأب إليه أعناق أولي النهى تزدان بسيرهم المجالس و تعطر بأخبارهم الأندية و يتوق إلى معرفة سيرهم أصحاب الهمم و عشاق المعالي فما بالكم إخوتي إذا كان الحديث عن إمام العظماء و أشرف الشرفاء و سيد النبلاء ما بالكم إذا كان الحديث عن البدر يسري بضوئه متعة للسامرين و دليلاً للحائرين بل هو الشمس تهدي نورها وجه الأرض فيتلألأ ضياء و نوراً

ولد الهدى فالكائنات ضياء *** وفم الزمان تبسم و ثناء
الروح و الملأ الملائك حوله *** للدين و الدنيا به بشراء
و الوحي يقطر سلسلاً من سلسل *** و اللوح و القلم البديع رواء
يوم يتيه على الزمان صباحه *** و مساءه بمحمد وضاء
بك بشر الله السماء فزينت *** و تضوعت مسكاً بك الغبراء
يا من له الأخلاق ما تهو العلا *** منها و ما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائل *** يغرى بهن و يولع الكرماء

حديثنا عن الشمس التي أشرقت فعمت بنورها الكون كله و لكن البون بينها وبين شمسنا شاسع جداً فشمسنا تغرب و شمسه صلى الله عليه و سلم تبقى منيرة إلى قيام الساعة قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً *وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً)الأحزاب٤٦
وقال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) المائدة١٥
قال الإمام الطبري رحمه الله : [{ من الله نور } يعني بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به...] تفسير الطبري ج٤صـ١٠٥ـ
عن عرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اني عبد الله وخاتم النبيين فذكر فيه إن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت منه قصور الشام) قال: شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره قال جابر رضي الله عنه : (رأيت رسول الله في ليلة أضحيان ـ أي ليلة مضيئة لا غيم فيها ـ فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى القمر و عليه حلة حمراء فإذا هو أحسن عندي من القمر) رواه الترمذي
عن أنس بن مالك قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) رواه الترمذي و قال الألباني: صحيح
حديثنا أيها الكرام عن السراج المنير الذي امتن الله به علينا فأنار القلوب بعد ظلمتها و أحياها بعد مواتها و هداها بعد ضلالتها و أسعدها بعد شِقوتها فكان صلى الله عليه و سلم الصباح بعد ليل طويل مظلم بهيم :

بزغ الصباح بنور وجهك بعدما *** غشت البرية ظلمة سوداء
فتفتقت بالنور أركان الدجى *** و سعى على الكون الفسيح ضياء
و مضى السلام على البسيطة صافياً *** تروى به الفيحاء و الجرداء
حتى صفت للكون أعظم شرعة *** فاضت بجود سخائها الأنحاء
يا سيد الثقلين يا نبع الهدى *** يا خير من سعدت به الأرجاء

حديثنا عن الرحمة المهداة و النعمة المسداة كنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله به قال تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣)
حديثا عن أروع قصص الحب و لكن من المُحب ؟ و من المحبوب ؟ و ما نوع الحب ؟
أما المُحب فالشجر و الحجر و والجبل و السهل و الحيوان و الطير ، و الحديث عن حب البشر له فشيء آخر و حديث آخر ما بالكم بحب أعين اكتحلت بالنظر إلى وجهه الكريم و آذان تلذذت بسماح حديثه ما بالكم بحب من جالسه و عاشره صلى الله عليه و سلم لا شك أنه حبٌ لم يُشهد مثله على وجه البسيطة.

أما المحبوب فهو خير من مشى على الأرض و خير من طلعت عليه الشمس بل هو شمس الدنيا و ضياؤها بهجتها و سرورها ريقه دواء و نفثه شفاء و عرقه أطيب الطيب أجمل البشر و أبهى من الدرر يأسر القلوب و يجتذب الأفئدة متعة النظر و شفاء البصر إذا تكلم أساخت له لقلوب قبل الأسماع فلا تسل عما يحصل لها من السعادة و الإمتاع كم شفى قلباً ملتاعاً و كم هدى من أوشك على الهلاك و الضياع .
قال ابن الجوزي رحمه الله في وصفه : [من تحركت لعظمته السواكن فحن إليه الجذع ، و كلمه الذئب ، و سبح في كفه الحصى ، و تزلزل له الجبل كلٌ كنى عن شوقه بلسانه يا جملة الجمال ، يا كل الكمال ، أنت واسطة العقد و زينة الدهر تزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر ، و البحر على القطر و السماء على الأرض .
أنت صدرهم و بدرهم و عليك يدور أمرهم ، أنت قطب فلكهم ، و عين كتبهم و واسطة قلادتهم ، و نقش فصهم و بيت قصدهم .
ليلة المعراج ظنت الملائكة أن الآيات تختص بالسماء فإذا آية الأرض قد علت .
ليس العجب ارتفاع صعودهم لأنهم ذوو أجنحة ، إنما العجب لارتفاع جسم طبعه الهبوط بلا جناح جسداني ...] .
المحبوب هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم .
أما نوع الحب فيكفي أنه حب أنطق الحجر و حرك الشجر و أبكى الجذع و أسكب دمع البعير فما بالك بإنسان له جنان يفيض بالحب و الحنان ؟
فهيا أخي المبارك نتجول في بستان المحبة نختار من قصص الحب أروعها و نقتطف باقة عطرة من ذلك البستان الذي مُلئ بأجمل الأزهار و أعبقها :
القصة الأولى : الجذع يحن :
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت) رواه البخاري
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال إن شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها) رواه البخاري
و زاد في سنن الدارمي بسند صحيح قال : (أما و الذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله صلى الله عليه و سلم) فأمر به فدفن .

كيف ترقى رقيك الأولياء *** يا سماء ما طاولتها سماء
إنما مثلوا صفاتك للناس *** كما مثّلَ النجومَ الماءُ
حن جذع إليك و هو جماد *** فعجيب أن يجمد الأحياء

كان الحسن رحمه الله يقول : يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .

عن عمرو بن سواد عن الشافعي رحمه الله : ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى . قال: أعطي محمداً حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك .

يحن الجذع من شوق إليك **** و يذرف دمعه حزناً عليك
و يجهش بالبكاء و بالنحيب **** لفقد حديثكم و كذا يديك
فمالي لا يحن إليك قلبي **** و حلمي أن أقبل مقلتيك
و أن ألقاك في يوم المعاد **** و ينعم ناظري من وجنتيك
فداك قرابتي و جميع مالي **** و أبذل مهجتي دوماً فداك
تدوم سعادتي و نعيم روحي **** إذا بذلت حياتي في رضاك
حبيب القلب عذر لا تلمني **** فحبي لا يحق في سماك
ذنوبي أقعدتني عن علو **** و أطمح أن أقرب من علاك
لعل محبتي تسمو بروحي **** فتجبر ما تصدع من هواك

القصة الثانية : الحمامة تشتكي :

عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال : (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما قال فجاءت الحمرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تصيح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من فجع هذه بفرخيها؟!! قال فقلنا نحن قال: فردوهما) رواه أبو داود والحاكم و قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

جاءت إليك حمامة مشتاقة *** تشكو إليك بقلب صب واجف
من أخبر الورقاء أن مقامكم *** حرم و أنك منزل للخائف

القصة الثالثة : الجمل يبكي :

عن عبد بن جعفر قال : (أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حايش نخل فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح له فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه وسراته فسكن فقال من رب هذا الجمل؟! فجاء شاب من الأنصار فقال أنا فقال: ألا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكاك إليّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه) رواه الإمام أحمد قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله تعالى عنه قال: ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه قال فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (أين صاحب هذا البعير؟!) فجاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (بعنيه) قال : بل نهبه لك وإنه لأهل بيت مآلهم معيشة غيره قال : (أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه) قال: ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال : (هي شجرة استأذنت ربها في أن

تسلم على رسول الله فأذن لها) قال ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره ثم قال: (اخرج إني محمد رسول الله) قال ثم سرنا فلما رجعنا من مسيرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك) . قال الهيثمي :رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح و صححه الألباني.

القصة الثالثة : الحجر و الشجر يسلم من فرط الحب :

عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لا أعرف حجر بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) رواه مسلم و الترمذي و الإمام أحمد

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله.

القصة الرابعة : الطعام و الحجر يسبح :

روى علقمة عن عبد الله قال إنكم تعدون الآيات عذابا وإنا كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة لقد كنا نأكل الطعام مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام قال وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم حي على الوضوء المبارك والبركة من السماء حتى توضأنا كلنا)رواه الترمذي و قال: هذا حديث حسن صحيح

عن أبي ذر رضي الله عنه قال :" إني لشاهد عند رسول الله في حلقة وفي يده حصى فسبحن في يده وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فسمع تسبيحهن من في الحلقة ". أخرجه الطبراني في الأوسط مجمع البحرين، والبزار وإسناد الطبراني صحيح رجاله ثقات .

لئن سبحت صم لجبال مجيبه *** لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصُمَّ لانت بكفه *** و إن الحصا في كفه ليسبِّح
وإن كان موسى أنبع الماء من العصا *** فمن كفه قد أصبح الماء يطفح

القصة الخامسة : الحجر والشجر يسجد :

عن ابن عباس قال : جاء رجل من بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يداوي ويعالج فقال : يا محمد إنك تقول أشياء هل لك أن أداويك ؟ قال : فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله ثم قال : (هل لك أن أريك آية؟!) وعنده نخل وشجر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عذقا منها فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع رأسه ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه صلى الله عليه وسلم فقام بين يديه ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ارجع إلى مكانك) فقال العامري : والله لا أكذبك بشيء تقوله أبدا ثم قال : يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشيء) رواه ابن حبان و قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

و في قصة رحلته صلى الله إلى الشام التي رواها الترمذي و صححها الألباني قال الراهب : (هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش ما

علمك ؟ فقال : إنكم حيث أشرفتم منم العقبة لم يبق شجر و لا حجر إلا خر ساجدا و لا يسجدون إلا لنبي و إني لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ...الحديث
أكرم بَخَلَق نبي زانه خُلُق *** بالحق مشتملٍ بالبشر مُتّسم
كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ *** والبحر في كرم والدهر في هِمَمِ
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة *** تمشي إليه على ساقٍ بلا قدمِ
ياربّ أزكى صلاةٍ منك دائمة *** على النبي بمنهَلًّ ومنسجمِ
ما رنّحت عذبات البان ريح صبا *** وأطربت نغمات الآي من أُمم
القصة السادسة : الجبل يهتز فرحاً برسول الله صلى الله .
عن أنس رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه و سلم جبل أحد و معه أبو بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم فرجف بهم الجبل ، فقال : (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) رواه البخاري
قال بعض الدعاة و إنما اهتز فرحاً و طرباً و شوقاً للقاء رسول صلى الله عليه و سلم و صحبه
لا تلوموا أُحداً لاضطراب *** إذ علاه فالوجد داءُ
أُحد لا يلام فهو محبٌ *** ولكم أطرب المحب لقاءُ
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال : (هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها) رواه البخاري
السابعة: الشجر يطيع النبي ويسارع إلى إجابته ويستأذن في السلام عليه:
وعن يعلى بن مرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً ، فقال انطلق إلى هاتين الشجرتين ، فقل إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لكما أن تجتمعا ، فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقيا جميعاً ، فقضى رسول الله حاجته من ورائها ثم قال : انطلق فقل لهما : لتعد كل واحدة إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت ذلك لهما ، فعادت كل واحدة إلى مكانها ، و أتته امرأة ، فقالت إن ابني هذا به لمم ـ مس من الجن ـ منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (أدنيه) فأدنته منه فتفل في فيه، وقال: اخرج عدو الله أنا رسول الله ثم قال لها رسول الله إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ، فلما رجع رسول الله استقبلته و معها كبشان و أقط و سمن ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: خذ هذا الكبش واتخذ منه ما أردت، قالت والذي أكرمك ما رأينا شيئاً منذ فارقتنا ، ثم أتاه بعير ، فقام بين يديه ، فرأى عيناه تدمعان ، فعث إلى أصحابه ، فقال : ما لبعيركم هذا؟! البعير يشكوكم؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما كبر و ذهب عمله تواعدنا عليه لننحره غداً فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لا تنحروه ، و اجعلوه في الإبل يكون معها) صححه الحاكم و وافق الذهبي و صححه الأرناؤط .
و عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : (أين تريد) قال إلى أهلي قال :(هل لك في خير ؟) قال : ما هو ؟ قال (تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له و أن محمداً عبده و رسوله) قال : من شاهدٌ على ما تقول ؟ قال (هذه الشجرة) فدعاها رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى جاءت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها و رجع الأعرابي فقال إن يبايعوني آتك بهم و إلا رجعت إليك فكنت معك) رواه الدارمي .

القصة الثامنة : الأسد يودع مولى رسول الله :

عن محمد بن المنكدر : أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل إلي يريدني فقلت : يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم فطأطأ رأسه و أقبل إلي فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة و وضعني على الطريق و همهم فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به) رواه الحاكم و قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه
و وافقه الذهبي

فتأمل أخي إلى تعظيم هذا المخلوق وتوقيره و محبته لرسول الله فما إن سمع أسم رسول الله حتى طأطأ رأسه و بدل من أن يهم بمولاه دله على الطريق و ودعه .

نماذج من حب البشر :

القصة الأولى : أبو بكر الصديق

عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) رواه البخاري

القصة الثانية : الصديق يبكي فرحاً :

قالت عائشة رضي الله عنها : (فرأيت أبا بكر يبكي و ما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح)

القصة الثالثة : خشيت ألا أراك

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي و إنك لأحب إلي من ولدي و إني لأكون في البيت فأذكرك فما اصبر حتى أتي فأنظر إليك و إذا ذكرت موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين و أني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه و سلم شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلم بهذه الآية : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) (النساء:٦٩) قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران و هو ثقة .

القصة الرابعة : أسألك مرافقتك في الجنة :

عن ربية بن كعب رضي الله عنه : (كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتيته بوضوئه ، و حاجته ، فقال لي : (سل) فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال :(أو غير ذلك)

قلت : هو ذاك قال : (فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم .

القصة الخامسة : كل مصيبة بعد جلل

روى ابن جرير الطبري في التاريخ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان . هو بحمد الله كما تحبين قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . تريد صغيرة .

القصة السادسة : لا أرضى أن يشاك بشوكة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤا إلى فدفد وأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدا قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن في هؤلاء لأسوة يريد القتلى فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعه بدر فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته فأخذ ابنا لي وأنا غافلة حين أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال تخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب ذروني أركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لو لا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها اللهم أحصهم عددا

ولست أبالي حين أقتل مسلما *** على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله بن الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم وما

أصيبوا وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا " . أخرجه البخاري و النسائي و أبو داود

و في بعض الروايات : فقال له أبو سفيان (أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرني إني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه)

القصة السابعة: الصديق يتمنى سرعة اللحاق:

عن عائشة رضي اله عنها قالت : إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال : (أي يوم هذا ؟) قالوا يوم الاثنين قال : (فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام و الليالي إليّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه و سلم) رواه أحمد و صححه أحمد شاكر .

القصة الثامنة : لا يخلص إلى رسول صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) كيف تجدك ؟ قال فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت يا سعد إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني كيف يجدك ؟ فقال وعلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السلام قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة . وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول (صلى الله عليه وسلم) وفيكم عين تطرف ، وفاضت روحه من وقته) رواه البخاري، ٨٤٤، ومسلم ٣٤٠٨.

القصة التاسعة : غداً ألقى الأحبة

عندما احتضر بلال رضي الله عنه قالت امرأته: واحزناه فقال: (بل وا طرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه) فمزج مرارة الموت بحلاوة الشوق إليه صلى الله عليه و سلم

القصة العاشرة : أطيب الطيب

عن أنس رضي الله عنه: دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندها (أي من القيلولة) فعرق وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب ". رواه مسلم .

القصة الحادية عشرة : ابن الزبير يشرب الدم

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه فقال له: (لا تمسك النار إلا تحلة القسم، وويل لك من الناس، وويل للناس منك). وفي رواية: أنه قال له: (يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد) فلما بعُد عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلما رجع قال: (ما صنعت بالدم؟) قال: إني شربته لأزداد به علماً وإيماناً، وليكون شيء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم

في جسدي، وجسدي أولى به من الأرض فقال: (ابشر لا تمسك النار أبداً، وويل لك من الناس وويل للناس منك) رواه الحاكم و الطبراني وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم

القصة الثانية عشرة : نحري دون نحرك

كان أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يحمي رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة أحد و يرمي بين يديه ، و يقول (بأبي أنت و أمي يا رسول الله لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك) رواه البخاري

و عن قيس بن أبي حازم قال : (رأيت يد طلحة شلاء ، وقى بها النبي صلى الله عليه و سلم يوم أحد) رواه البخاري.

القصة الثالثة عشرة : آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك

روى ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني علي ابن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد؟! قال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير] رواه ابن إسحاق و قال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني ورجاله ثقات.

القصة الرابعة عشرة : وما كنت أطيق أن أملأ عيني

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (... وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ...) رواه مسلم

القصة الخامسة عشرة: رضينا برسول الله قسما وحظا

عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد؟! قال يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي وما أنا قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل قال ألا تجيبونني يا معشر الأنصار قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم

فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم في رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقنا) رواه الإمام أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن

فتأمل أخي المبارك إلى فرح الأنصار بفوزهم برسول الله قسماً تأمل إلى بكاء الفرح و هم يقولون بقلوبهم قبل ألسنتهم (رضينا برسول الله قسما وحظا)

طفح السرور علي حتى أنني *** من كثر ما قد سرني أبكاني

القصة السادسة عشرة: عشر إليهم يحن قلبي

عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : [ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا و هو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلى أصحابه من المهاجرين و الأنصار يسميهم و يقول : هم أصلي و فصلي و إليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم]

القصة السابعة عشرة: البكاء عند ذكر النبي صلى الله عليه و سلم :

قال إسحاق التجيبي : كان أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم و بكوا

وقال مالك ـ وقد سئل عن أيوب السختياني : [ما حدثتكم عن أحد إلا و أيوب أفضل منه:

وقال : وحج حجتين فكنت أرمقه و لا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم بكى حتى أرحمه] .

وقال مصعب بن عبد الله : [كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم يتغير لونه و ينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون و لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه] . الشفا ج٢صـ٣٢

القصة الثامنة عشرة: أعطني عينيك أقبلها

قال ثابت البناني لأنس بن مالك رضي الله عنه : أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أقبلها .

حُق له أن يُحب

لماذا كل هذا الحب ؟ سؤال يطرح و يكرر فإنه حب لم يشهد الكون علويه و سفليه مثله .

رجل كل شيء في الكون يحبه السماء بمن فيها و الأرض بمن عليها كل يحبه و يشتاق إليه فما أعظمه من رجل و ما أجله من نبي و أعزه من رسول صلى الله عليه و سلم .

كأن الثريا علقت في جبينه *** وفي جيده الشِّعرى وفي وجهه القمرُ
عليه جلال المجد لو أن وجهه *** أضاء بليلٍ هلَّل البدو والحضرُ

لقد نال صلى الله عليه و سلم كل هذا الحب و هو قليل في حقه لأنه جمع خصال و صفات لم ولن تجتمع في غيره من بني البشر و لعلي ألمح في السطور القادمة إلى بعض ذلك مع عجزي عن ذكر عُشر المعشار من عظيم ما حباه الله إياه من جميل الصفات و كريم الخصال صلوات ربي و سلامه عليه .

أولاً : عظم بركته و خيره صلى الله عليه و سلم على جميع المخلوقات :

فقد كان مولده صلى الله عليه و سلم بشارة خير و نور و بكرة و ضياء للكون بأسره فقد رأت أمه حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام ، و جاء صلى الله عليه و سلم بالدين الذي إذا أقيم واقعاً في الحياة صبت السماء بركاتها و أخرجت الأرض خيراتها (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) الأعراف٩٦

فما أعظم بركاته عليه الصلاة و السلام بركات ينعم بها الطير و الحيوان و الدواب و النبات و الإنسان . فأقل ما تهبه هذه المخلوقات لهذا النبي صلى الله عليه و سلم الحب الصادق فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

ثانياً : عظيم رحمته صلى الله عليه و سلم بجميع المخلوقات :

يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء١٠٧ و قال تعالى : ({فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ)آل عمران١٥٩

يقول سيد رحمه الله [فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ؛ فجعلته صلى الله عليه و سلم رحيما بهم ، لينا معهم . ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ، ولا تجمعت حوله المشاعر . فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . . في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ؛ ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء . . وهكذا كان قلب رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم وهكذا كانت حياته مع الناس . ما غضب لنفسه قط . ولا ضاق صدره بضعفهم البشري . ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية . ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم . وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ؛ نتيجة لما أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيبة] الظلال ج١.

و قد عمت رحمته و شمل إحسانه صلى الله عليه و سلم كل شيء الطير و الحيوان والنمل و الشجر و الإنسان ألم يقل صلى الله عليه و سلم : (إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح . وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) رواه ابن ماجه و صححه الألباني رحمه الله

ألم يقل صلى الله عليه و سلم (في كل ذات كبد رطب أجر) رواه مسلم ألم يوصي صلى الله عليه و سلم بالبهائم فقال : (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ...) رواه أبو داود

و رأى صلى الله عليه و سلم قرية من النمل قد حرقت قال : (من حرق هذه ؟) فقلنا نحن قال : (إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا رب النار) رواه أبو داود و أحمد .
ألم يقل صلى الله عليه و سلم : (إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها)
قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح
ألم يقل: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود و صححه الألباني.
فما أعظم رحمته صلى الله عليه و سلم فقد كان أرحم بنا من الآباء و الأمهات و صدق من قال:

و إذا رحمت فأنت أم أو أبٌ *** هذان في الدنيا هم الرحماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى *** و فعلت ما لم تفعل الأنواء

و صدق صلى الله عليه و سلم حين قال : (إنما أنا رحمة مهداة) رواه الحاكم و صححه .
ثالثاً :عظيم حرصه على هداية أمته :
وقال تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) التوبة ١٢٨
قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى :[هذه المنة التي امتن الله بها على عباده هي اكبر النعم بل اجلها وهي الإمتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة وعصمهم به من التهلكة] ا.هـ
وروى مسلم عن ابن عمرو: أن رسول الله تلا هذه الآية: (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) و (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم).
فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله فأتاه جبريل فسأله، فأخبره بما قال: وهو أعلم، فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد فقال: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك).
وروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي شاملة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً).
لقد وصل به الأمر صلى الله عليه و سلم إلى أن استولت عليه الحسرة و كاد يقتل نفسه حرصاً على أمته حتى عاتبه ربه فقال تعالى : (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) الكهف٦ و قال عز وجل : (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)الشعراء٣
و قال سبحانه : (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فاطر٨
و تأمل في عظيم شفقته بأمته حين يضرب هذا المثل عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن

فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها) رواه البخاري
قال القاضي عياض رحمه الله : [أما إحسانه و أنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم و رحمته لهم و هدايته إياهم و شفقته عليهم و استنقاذهم به من النار و أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم و رحمة للعالمين و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا و يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يهديهم إلى صراط مستقيم
فأي إحسان أجل قدرا و أعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين ؟ و أي إفضال أعم منفعة و أكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية و منقذهم من العماية و داعيهم إلى الفلاح و وسيلتهم إلى ربهم و شفيعهم و المتكلم عنهم و الشاهد لهم و الموجب لهم البقاء الدائم و النعيم السرمد
فقد استبان لك أنه صلى الله عليه و سلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار و عادة و جبلة بما ذكرناه آنفا لأفاضته الإحسان و عمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع ـ فمن منحه ما لا يبيد من النعيم و وقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب
و إذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته ـ فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب و أولى بالميل] الشفا ج٢ صـ٢٤
ثالثاً : عظم تضحيته و شدة الأذى الذي لحقه في سبيل تبليغ الدين :
عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت : للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) رواه البخاري
و عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودعت على من : صنع ذلك وقال :(اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و عقبة بن أبي معيط و أمية بن خلف أو أبي بن خلف ـ شك شعبة ـ قال : فلقد رأيتهم يوم بدر وألقوا في بئر غير أن أمية تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر) رواه ابن حبان

رابعاً : كمال نصحه للأمة.
لقد كان صلى الله عليه وسلم صادق النصح لأمته صلى الله عليه و سلم أفنى عمره دعوة و نصحاً و بيان و بلاغاً فنصح أعظم النصح و بلغ غاية البلاغ من قال الله له : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنذِرْ) يقول سيد معلقاً على قوله تعالى (قُم) في سورة المزمل :[إنها دعوة السماء ، وصوت الكبير المتعال . . قم... قم .. . قم للأمر العظيم الذي ينتظرك ، والعبء الثقيل المهيأ لك ...قم للجهد والنصب والكد والتعب . قم فقد مضى وقت النوم والراحة . . قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد . .
وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه صلى الله عليه وسلم من دفء الفراش ، في البيت الهادئ والحضن الدافئ . لتدفع به في الخضم ، بين الزعازع والأنواء ، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء .
إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا ، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا . فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير . . فماله والنوم ؟ وماله والراحة ؟ وماله والفراش الدافئ ، والعيش الهادئ ؟ والمتاع المريح ؟!
ولقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الأمر وقدره ، فقال لخديجة - رضي الله عنها - وهي تدعوه أن يطمئن وينام: " مضى عهد النوم يا خديجة " ! أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق !] الظلال ج٦ ص٣٧٤٤
بل بلغ به الأمر أن يعجز عن الصلاة قائما فعن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة : (... أكان يصلي جالسا قالت بعد ما حطمه الناس) رواه أحمد و قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .
فما أعظم المنة بمبعثه عليه الصلاة و السلام و صدق الله : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) آل عمران ١٦٤، وقال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) آل عمران١٦٤
خامساً : عظيم أخلاقه
قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم٤ .
و عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم و وافقه الذهبي .
قال الإمام السعدي رحمه الله عند قوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، [عائشة -رضي الله عنها-] لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ } [الآية]، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، [والآيات] الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى

الله عليه وسلم سهلًا لينا، قريبًا من النـاس، مجيبًـا لـدعوة من دعـاه، قاضـيًا لحاجـة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمـه، ولا يـرده خائبًـا، وإذا أراد أصـحابه منـه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد بـه دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليـه فـي مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منـه من جفوة، بـل يحسن إلـي عشيره غايـة الإحسـان، ويحتملـه غايـة الاحتمـال صـلى الله عليه وسلم].

و قال ابن القيم رحمـه الله : [وممـا يحمـد عليـه مـا جبلـه الله عليـه مـن مكـارم الأخـلاق وكرائم الشيم فـإن مـن نظـر فـي أخلاقـه وشـيمه علـم أنهـا خيـر أخـلاق الخلـق وأكـرم شمائل الخلق فإنه كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا وأحلمهم وأجـودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالا وأعظمهم عفوا ومغفرة وكان لا يزيده شدة الجهل عليـه إلا حلما

كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضـي الله عنهمـا أنـه قـال فـي صفة رسول الله فـي التـوراة : (محمـد عبـدي ورسـولي سميته المتوكـل لـيس بفـظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضـه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولـوا لا إلـه إلا الله وأفتح بـه أعينـا عميـا وآذانـا صـما وقلوبا غلفا)

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم ودنيـاهم وأفصـح خلـق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد وأصبرهم في مواطن الصبر وأصدقهم فـي مـواطن اللقـاء وأوفـاهم بالعهـد والذمـة وأعظمهـم مكافـأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعا و أعظمهم إيثـارا علـى نفسـه وأشـد الخلـق ذبـا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل الخلق لرحمه فهو أحق بقول القائل :

برد على الأدنى ومرحمة ... وعلى الأعادي مارنٌ جلد]

سادساً : جمال خلقته عليه الصلاة و السلام :

النفوس مجبولة على حب كل جميل و قد كان صلى الله عليه و سلم أجمل الناس خلقاً و لـذا فقد أحبـه النـاس حبـاً عظيمـاً فقد جمـع بين جمـال الخلقـة و الخلـق عليـه أفضـل الصلاة و السلام

فتأمل أخي المبارك في وصف أصـحابه لـه عن أنس قـال: كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريـرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكة ولا عنبـرة أطيـب مـن رائحـة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم) رواه مسـلم و معنـى (أزهـر اللـون) هـو الأبيض المستنير وهو أحسن الألوان

عن البراء قال : ما رأيت أحدا أحسن في حلـة حمـراء مـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم وجمته تضرب منكبيه) رواه النسائي وصححه الألباني

عن كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه) رواه البخاري
عن أبي جحيفة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة . وزاد فيه عون عن أبيه عن أبي جحيفة قال كان يمر من ورائها المرأة وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك) رواه البخاري
عن البراء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) رواه البخاري
عن علي قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شثن الكفين والقدمين ضخم الرأس ضخم الكراديس طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما انحط من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله) رواه الترمذي و صححه الألباني
عن ابن عمر : ما رأيت أحدا أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أضوأ وأوضأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الدارمي بسند صحيح .

فهو الذي تم معناه وصورته *** ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النِّسمِ
أكرم بخلق نبي زانه خلقٌ *** بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف *** والبحر في كرم والدهر في هِمَمِ

إن نبياً بهذه الصفة و هذه المثابة حق له أن يُحب و أن تتعلق به القلوب و تحن إليه الأفئدة و تحلم برؤيته و تجعل هدفها الأعظم الورود على حوضه وعبور الصراط بمعيته (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)التحريم٨

حكم محبة الرسول:

محبة النبي صلى الله عليه و سلم واجبة على كل مسلم و مسلمة قال تعالى (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) التوبة٢٤. وفي حديث البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: ((فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)). وروى البخاري عن عبد الله بن هشام: كنا مع النبي وهو آخذ بيده عمر فقال عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: ((لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال عمر: فإنه الآن، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: الآن يا عمر)).

مظاهر محبته للرسول صلى الله عليه و سلم :

١- طاعته : قال تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) النساء٦٥ . و قال تعالى :(لَيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النور٦٣. و

قال تعالى :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً) الأحزاب٣٦

٢- الاقتداء و التأسي به و المتابعة له

قال تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) الأحزاب٢١

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : [هذه الاية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله]

قال ابن القيم رحمه الله : [أعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين تبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه] .إعلام الموقعين ج٤ ص٤٦٨

و قال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران٣١

فيجب على المحب الصادق أن يبادر إلى متابعة حبيبه و التأسي بسنته و الشعور بالفخر و العزة و العلو و الرفعة و أنت تتأسى بخير البشر عليه الصلاة و السلام

و مما زادني شرفاً و فخراً *** و كدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي *** و أن سيرت أحمد لي نبياً

إن من أعظم ما تعاني منه أمة الإسلام اليوم تغيب هدي النبي صلى الله عليه و سلم و سيرته و أخلاقه و آدابه عن أجيالها فعاش الجيل بعيداً عن هدي خير المرسلين فتاه في ظلمات الشبهات و الشهوات و غرق في بحارها و هو في أمس الحاجة إلى من يقتبس له جذوة من السراج النبوي تنير له طريق الحق و تبدد ظلمات الباطل فيجد الدواء الناجع لكل ما يعانيه من هموم و غموم و قلق و حيرة و تخبط و انحراف .

فهل نعيد عرض السيرة النبوية العطرة على أجيالنا ؟ و هل نتمثلها واقعاً حياً مشاهداً تراه الأجيال ماثلاً أمامها فتدرك أنه المخرج من شقوتها ؟

٣- تعظيم النبي وتوقيره :

قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الأعراف١٥٧

قال تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات٢

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) الفتح ٩

قال السعدي رحمه الله :[{وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} أي: تعزروا الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : و التعزير :[اسم جامع لنصره و تأييده و منعه من كل ما يؤذيه و التوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة و طمأنينة من الإجلال و الإكرام و أن يعامل من التشريف و التكريم و التعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار] الواسطة بين الله و خلقه صـ٢٠٨

قل القاضي عياض :[كان محمد بن المنكدر إذا ذكره صلى الله عليه و سلم بكى حتى يرحمه الجالسون. وكان ابن مهدي إذا قرأ حديث النبي أمر الحاضرين بالسكوت.

و لقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه و سلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم و قد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم

و لقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه و سلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع

و لقد رأيت الزهري ـ و كان من أهنأ الناس و أقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه و سلم فكأنه ما عرفك و لا عرفته

و لقد كنت آتي صفوان بن سليم و كان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه و يتركوه

و لما كثر على مالك الناس قيل له : لو جعلت مستمليا يسمعهم ؟ فقال : قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي } و حرمته حيا و ميتا سواء] الشفا ج٢ صـ٣٢

٤ ـ الصلاة و السلام عليه صلى الله عليه و سلم

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (الأحزاب:٥٦)

قال السعدي رحمه الله : [{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } اقتداء باللّه وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيمًا له صلى اللّه عليه وسلم، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: "اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة]

عن أبي هريرة : (: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) رواه مسلم

قال ابن عبد السلام :[ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه] الفتح

تأمل أخي المبارك عظم الثواب الذي يحصل عليه من صلى على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ابن القيم رحمه الله : [فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور فأي خير لم يحصل لهم

وأي شر لم يندفع عنهم ؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله وبالله التوفيق] الوابل الصيب
٥ ـ كثرة تذكره وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه وسؤال الله اللحاق به على الإيمان وأن يجمع بينه وبين حبيبه في مستقر رحمته
وقد أخبر صلى الله عليه و سلم بأنه سيوجد في هذه الأمة من يودّ رؤيته بكل ما يملكون فأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (من أشد أمتي لي حبا، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)
وروى أحمد عن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه و سلم : ((يقدم عليكم غداً أقوام هم أرق قلوباً للإسلام منكم)) قال : فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنو من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون:
غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه
فلما أن قدموا تصافحوا فكانوا هم أول من أحدث المصافحة.
تأمل أخي المبارك فيما سبق من شوق الصحابة الكرام و السلف الصالح لرسول الله و تأمل قول هذا الصحابي : (يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي و إنك لأحب إلي من ولدي و إني لأكون في البيت فأذكرك فما اصبر حتى آتي فأنظر إليك و إذا ذكرت موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين و أني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ...)
لقد كان شوق السلف الصالح لنبيهم عليه الصلاة و السلام عظيما يحلمون بلقياه حتى لو كان السبيل إلى ذلك الموت حتى قال بلال رضي الله عنه : (بل وا طرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه)
وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عبد الله بن أبي زكريا كان يقول لو خيرت بين أن أعمر مائة سنة في طاعة الله أو أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض شوقا إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الصالحين من عباده
عن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت. رواه الإمام أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير يعمر بن بشر وهو ثقة.
أخي المبارك، سائل نفسك ما مقدار شوقي لرسول الله و تذكر أن رسول الله يشتاق إليك قال صلى الله عليه و سلم : (وددت أن قد رأينا إخواننا) قالوا : ألسنا إخوانك ؟ قال : (أنتم أصحابي، وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني) رواه مسلم.
أخي هل يحملك الشوق إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم وهل تحدث نفسك برؤيته هل أقبلت على سنته واقتفيت آثاره طمع في الظفر بالورود على حوضه وشوق لرؤيته هل تردد ما قاله هذا المشتاق:
نسينا في ودادك كل غال *** فأنت اليوم أغلى ما لدينا
نلام على محبتكم ويكفي *** لنا شرف نلام وما علينا
ولما نلقكم لكن شوقاً *** يذكرنا فكيف إذا التقينا

تسلى الناس بالدنيا وإنّا *** لعمر الله بعدك ما سلونا
٦ـ محبة قرابته وآل بيته وأزواجه:
قال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) الأحزاب٦
وروى مسلم عن زيد بن أرقم مرفوعاً: ((ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)).
قال شيخ الإسلام رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة ـ أنهم ـ ... يحبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم (١) غدير خم : (أذكركم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال : (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي) وقال : (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده أول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) الواسطية.
٧ـ محبة صحابته
قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة١٠٠.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : [ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) . ويقولون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) الواسطية.
٨ـ محبة سنته والداعين إليها و العمل بها :
عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه أبو داود و صححه الألباني رحمه الله.

عن نافع عن بن عمر أنه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول لعل خفا يقع على خف يعني خف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم.
عن عمر قال: من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هدي عمرو بن الأسود. رواه أحمد بإسناد جيد
قال الإمام أحمد : [ما كتبت حديثاً إلا و قد عملت به حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت]
و قال رحمه الله : [إن استطعت ألا تحك شعرة إلا بأثر] وقال : [إني لأرى الرجل يحي شيئاً من السنة فأفرح به] قال الزهري : الاعتصام بالسنة نجاة.
ثمرات المحبة
١/ الفوز بمحبة الله
قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)
قال ابن كثير رحمه الله :[هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله] .
قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}
قال ابن القيم : [لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرفة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل : لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} (آل عمران : ٣١) فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه]
٢/ حلاوة الإيمان و السعادة و الهناء :
عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) رواه البخاري
قال شيخ الإسلام : [فالثواب على ما جاء به الرسول والنصرة لمن نصره والسعادة لمن اتبعه وصلوات الله وملائكته على المؤمنين به والمعلمين للناس دينه والحق يدور معه حيثما دار وأعلم الخلق بالحق وأتبعهم له أعملهم بسنته وأتبعهم لها]منهاج السنة ج٥ ٢٣٣
يقول ابن القيم رحمه الله : [لا سبيل إلى السعادة و الفلاح في الدنيا و الآخرة إلا على أيدي الرسل و لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم و لا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال و الأقوال و الأخلاق ليس إلا هديهم و ما جاؤوا به فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه و العين إلى نورها و الروح إلى حياتها فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة فحال العبد عند مفارقة قلبه

لما جاء به الرسل كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي و ما لجرح بميت إيلام.
وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم]٠زاد المعاد ج١ ص٦٨
٣/ مغفرة الذنوب وذهاب الهموم
عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : (يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه) قال أبي قلت يا رسول الله: إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال: (ما شئت) قال قلت الربع قال: (ما شئت فإن زدت فهو خير لك) قلت النصف قال : (ما شئت فإن زدت فهو خير لك) قال قلت فالثلثين قال : (ما شئت فإن زدت فهو خير لك) قلت أجعل لك صلاتي كلها قال : (إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك) رواه الترمذي و حسنه الألباني
٤/ الرحمة و النور في الدنيا و الآخرة :
قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)الحديد٢٨
٤/ مرافقة الأنبياء و المرسلين و الصديقن و الشهداء :
قال تعالى : {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً }النساء٦٩
٥/ الشفاعة يوم القيامة :
عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة)رواه البخاري .
٦/ صلاة الله على العبد عشراً
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) رواه مسلم
٧/ ورود الحوض
عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي ؟ فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى) رواه البخاري
عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بين حوضي كما بين أيلة ومضر آنيته أكثر أو قال مثل عدد نجوم السماء ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن

وأبرد من الثلج وأطيب من المسك من شرب منه لم يظمأ بعده) قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح

٨/ نضارة الوجه

قال صلى الله عليه وسلم :(نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع) رواه أحمد والترمذي
قال الخطابي : معناه الدعاء له بالنضارة و هي النعيم و البهجة ... و قال السيوطي رحمه الله : قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر : (أي ألبسه الله نضرة ً وحسناً وخلوص لون وزينة وجمالاً، أوصله لنضرة الجنة نعيماً ونضارةً قال تعالى: (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً): (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) (المطففين:٢٤)
قال ابن القيم رحمه الله : (فإن النضرة البهجة و الحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان و ابتهاج الباطن به و فرح القلب و سروره و التلذاذه به فتظهر هذه البهجة و السرور و الفرحة نضارة على الوجه و لهذا يجمع له سبحانه بين البهجة و السرور و النضرة) مفتاح دار السعادة صـ٨٩ـ
قال المباركفوري رحمه الله : نضر الله أمرأ : المعنى خصه الله بالبهجة و السرور لما رزق بعلمه و معرفته من القدر و المنزلة بين الناس في الدنيا و نعّمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء و النعمة تحفة الأحوذي صـ ٢٠٢٥ـــ
قال الشيخ ابن عثيمين : المراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للإنسان إذا سمع حديثاً عن رسول الله فبلغه أن يحسن الله وجهه يوم القيامة . شرح رياض ج ٤ صـ ٥١٧
و تمام ذلك أن يفوز بالنظر إلى وجه لله عز وجل فينال من النضارة و النعيم ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، فطوبى لك أيها الداعية يوم أن تكون ممن قال الله عنهم : (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) (المطففين:٢٤) و قال سبحانه (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة:٢٣)
قال السعدي رحمه الله : [{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم] تيسير الكريم الرحمن صـ ٨٩٩ـ٩٠٠
أسأل الله الكريم الجواد البر الرحيم بمنه و كرمه و جوده و إحسانه أن يرزقنا محبه رسوله صلى الله عليه و سلم و تباع سنته و أن يحشرنا في زمرته و أن يجعل محبتنا له أعظم من حبنا لأنفسنا و أبائنا و أمهاتنا و زوجاتنا و ذرياتنا و أموالنا و أن يعمر ظاهرنا و باطننا بمتابعة سنته و صلى الله و سلم على نبينا محمد .

محبكم : شائع محمد الغبيشي
مشرف تربوي بإدارة التربية و التعليم بمحافظة القنفذة
shaei١٤١٦@hotmail.com

١٤. السابق هنا هو المسبوق!!

الكاتب: د.عبد المعطي الدالاتي

التعصب للأشخاص ذميم ، والتحزّب مرض يصيب العقل ، فيقزّم الإنسان، ويقتل فيه روح الإبداع والتجديد ..

وليس من شأن المسلم الحر أن يدور حول الأشخاص ..
بل إن كعبته التي يطوف حولها هي المبادئ وصادق الأفكار..
والمسلم يجلّ علماء الإسلام ويستغفر لهم ولكل المسلمين ..
ولكنه لا يُسلّم عقله لأحد من العلماء أو الدعاة أو الصالحين..
ولا يسلّمه إلا للمعصوم عليه الصلاة والسلام ..
ليقود المعصومُ هذا العقلَ إلى مراشده ..
كل تقليد تقزيم وجمود ، إلا تقليد السنة ففيه كل التجديد!
وأنا أعجب من مسلم ينتسب إلى أحد غير الرسول،
فيعرف نفسه مثلا:
الشافعي مذهباً ، والأشعري عقيدة ، والرفاعي طريقة ، والعربي نسبًا، و.. !
ويحك وماذا أبقيت لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؟!
وبأي وجه ستلاقي الحبيب ، تطلب منه شفاعة وشربة ماء؟!
ويحك لا تزال تقول: أنا حنفي ..
ولا أسمعك تقول : "حنيفاً مسلمًا"!
رحم الله علماء الإسلام ، ما أرادوا هذا ..
أرادوها مدارس علم وفهم ، لا مذاهب هوى وتعصب ..
فها هو المربي عبد القادر الجيلاني يقول:
"لا أريد من الخلق سوى محمد"..
وكما قال ابن حزم: "كل إنسان، سوى المبشَّرين، تُرجى له الجنة، ويُخشى عليه من النار"..

***

وفي عودة الرسول وأصحابه من غزوة الغابة التي لمع فيها
نجم العدّاء الأول سلمة بن الأكوع ..
أردف رسول الله عليه الصلاة والسلام سلمة خلفه ،
ولما لاحت معالم المدينة ،اقترب عدّاء أنصاري من سلمة ،
وتحداه قائلا:
من يسابق ؟!
لم يرد سلمة ..
الأنصاري : من يسابق ؟
سلمة : أما تُكرم كريماً ، ولا تهاب شريفاً؟!
الأنصاري: لا.. إلا رسولَ الله..!
سلمة : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلأسابق الرجل!!
فأذِنَ له الرسول ..

ترجّل سلمة ، وبعد هنيهة ، إذا به يضرب بين كتفي الأنصاري، قائلا:
سبقتك والله ..
فضحك الأنصاري وقال : إن أظن!
قرأت القصة في المسند المبارك،
وعلى هامشها تركت هذه الكلمات:
"إن السابق هنا، هو المسبوق!..
غفر الله لسلمة..
لو كنت مكانه لما ترجّلت عن ناقة رسول الله لمسابقة أحد أبدا!"
قلت : الحديث صحيح وهذا نصه مع شرح غريبه :
مستخرج أبي عوانة - (ج ١٣ / ص ٣٣٧)
٥٤٨٦ - حدثنا أبو داود الحراني ، قثنا أبو حذيفة ، قثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعناه في أصل شجرة ، وبايعته في أول الناس ، فلما كان في وسط من الناس ، قال : « بايعني يا سلمة » ، فقلت : يا نبي الله قد والله بايعتك في أول الناس ، قال : « وأيضا » ، قال : فبايعته ، فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزل ليس معي جنة (١) استجن بها فأعطاني درقة (٢) ، أو قال : جحفة ، فلقيني عمي عامر ، وهو أعزل ، فسألنيها فأعطيته إياها ، فلما كان في آخر الناس ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا تبايعني يا سلمة ؟ » ، فقلت : يا نبي الله قد والله بايعتك في أول الناس وفي وسطهم ، فقال : « وأيضا » ، فبايعته ، ثم قال : « يا سلمة أين الجحفة أو الدرقة التي أعطيتك ؟ » ، فقلت : يا نبي الله سألنيها عمي عامر وهو أعزل فأعطيته إياها وآثرته بها ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « إنك كالذي قال الأول : اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي » ، قال : ثم إن المشركين من أهل مكة واسونا الصلح حتى مشى بعضهم إلى بعض واصطلحنا ، قال : وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله ، وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله ، وكنت آكل من طعامه وأحسن فرسه وأسقيه وأخدمه ، فأتيت شجرة فكسحت (٣) شوكها واضطجعت فيها ، فأتاني أربعة من المشركين فجعلوا يقعون (٤) في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأبغضتهم (٥) ، قال : وعلقوا أسلحتهم ووضعوا ثيابهم في الشجرة واضطجعوا في ظلها ، فأتيت شجرة أخرى فكسحت شوكها فاضطجعت تحتها فما عدا أخذوا ينامون فإذا مناد من أسفل الوادي : يا معشر المهاجرين قتل ابن زنيم ، قال : فخرجت أشتد بسيفي ، حتى وقفت على رءوسهم وهم مضطجعون ، فقلت : والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يرفع رجل منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ، فلما أخذت سلاحهم ، فجعلته ضغثا (٦) في يدي ، ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء عمي هو وأصحاب له بسبعين رجلا منهم مكرز رجل من العبلات من قريش يقود به عمي مجفف (٧) على فرس فلما نظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « دعوهم يكون بدء الفجور (٨) وثناه (٩) منهم ، فخلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله : وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم (١٠) ، قال

: ثم رجعنا إلى المدينة ، وبيننا وبين بني لحيان ، أو بني ذكوان ، رأس من المشركين جبل ، قال : فاستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رقى في هذا الجبل ، قال : وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد قط (١١) يخصه إلا استشهد ، قال : فرقيته (١٢) تلك الليلة مرتين أو ثلاثة ، قال : ثم قدمنا المدينة فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم بظهره إلى الغابة يندبه ، فخرجت أنا ورباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت معي بفرس لطلحة بن عبيد الله أنديه فلما كان عند الصبح إذا عبد الرحمن بن عيينة بن بدر الفزاري قد أغار على سرح (١٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرده ، فذهب به ، وقتل راعيه ، فقلت : يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه ، فقعد رباح على الفرس وقمت على أكمة ، ووجهت وجهي قبل المدينة ثم ناديت ثلاث دعوات : يا صباحاه ثم أتبعت القوم فجعلت أرشقهم بالنبل وأرتجز (١٤) أرميهم ، وأقول : أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع وأعقر (١٥) بهم حتى ألحق رجلا منهم راكبا على رحله فأصك (١٦) رجله بسهم حتى نفذ في كتفه ، فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال فما زلت أعقر بهم وأرتجز ، فإذا رجل على فرس ، فجثمت إلى شجرة فنثرت نبلي ثم عقرت به ، ولا يقدم علي ، قال : فما زال ذلك شأني وشأنهم حتى ما تركت شيئا من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استنقذته ، وجعلته وراء ظهري ، قال : وطرحوا أكثر من ثلاثين بردة (١٧) وثلاثين رمحا كل ذلك يستخفون مني ، وأجعل عليه آراما حتى لا يخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على أصحابه حتى إذا امتد الضحى الأكبر ، قال : ودخلوا المضيق علوت الجبل ، وجعلت أرديهم (١٨) بالحجارة إذا عيينة بن بدر قد جاء مددا للمشركين فنزلوا يتضحون فأشرف على جبل فأقعد عليه ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ ، قالوا : هذا لقينا منه البرح (١٩) فوالله إن فارقنا بغلس (٢٠) حتى استنقذ كل شيء في أيدينا ، فقال عيينة : لولا أن هذا يرى وراءه طلبا ، لتركتكم ليقم إليه معي منكم ، فقام أربعة فسندوا إلي في الجبل فلما أسمعتهم الصوت ، قلت لهم : أتعرفوني ؟ ، قالوا : ومن أنت ؟ ، قلت : أنا ابن الأكوع والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني ، فقال أحدهم : إني أظن ، فوالله ما برحت مقعدي ذاك حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون (٢١) الشجر فإذا أولهم الأخرم الأسدي وإذا على إثره (٢٢) أبو قتادة ، وإذا على إثر (٢٣) أبي قتادة المقداد بن الأسود الكندي ، وولوا (٢٤) مدبرين ، فأعرض الأخرم الأسدي فآخذ بعنان (٢٥) فرسه ، فقلت : يا أخرم أنذرهم فإن القوم قليل خبيث ، ولا آمنهم أن يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة ، قال : والتقى هو وعبد الرحمن ، فاختلفا ضربتين فقتله ، وعقر عبد الرحمن فرسه ، وتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم ، ويلحقه أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفا طعنتين ، فقتله أبو قتادة وعقر بأبي قتادة فرسه ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ، قال : وخرج المشركون لا يلوون (٢٦) على شيء قال : فوالذي كرم وجه محمد صلى الله عليه

وسلم إني بطلب الخيل والركاب والرجال الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ما أرى غبارهم ، قال : فعرضوا الشعب (٢٧) فيه ماء يقال له ذو قرد يريدون أن يشربوا منه وهم عطاش ، قال : فنظروا إلي أعدو (٢٨) وراءهم ، قال : فحلأتهم ، فما ذاقوا منه قطرة وهم عطاش حتى سندوا في ثنية (٢٩) ، يقال له نير ، قال : وألحق رجلا من آخرهم عند الثنية فأصطكه بسهم في نغص كتفه ، فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال : واثكل (٣٠) أمي أكوعيا بكرة (٣١) ؟ ، فقلت : نعم ، أي عدو نفسه ، قال : فأدرك فرسين على العقبة فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدته على الماء الذي حلأتهم (٣٢) عنه ذو قرد ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة من أصحابه قد نزلوا الماء ، وأخذوا الإبل والبرد وكل شيء خلفت ورائي وإذا بلال قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحر (٣٣) جزورا (٣٤) من الإبل الذي عديت لهم ، وإذا هو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سنامها وكبدها ، قال : وجاء عمي عامر بسطيحة (٣٥) فيها مذقة من لبن وسطيحة أخرى فيها ماء ، فتوضأت ثم صليت وشربت ، فقلت : يا رسول الله خلني فلأنتخب من القوم مائة رجل فآخذ على المشركين بالعشرة فلا يبقى منهم رجل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجذه في ضوء النار ، فقال : » أكنت فاعلا يا سلمة ؟ « ، قلت : نعم والذي كرم وجهك ، فقال : » إنهم الآن ليقرون بأرض غطفان « ، قال : فما برحنا (٣٦) حتى جاء رجل من غطفان فقال : نحر لهم فلان الغطفاني جزورا فلما كشط جلدها رأوا غبارا ، فقالوا : هذا غبار القوم فما خافوها وولى القوم ، فلما أصبحنا أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم (٣٧) الفارس والراجل (٣٨) جميعا ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة « ، قال : ثم أردفني (٣٩) نبي الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى المدينة على ناقته العضباء (٤٠) فلما كان بيننا وبين المدينة ضحوة ، وفينا رجل من الأنصار لا يسبق عدوا ، قال : هل من مسابق إلى المدينة ، ألا من مسابق فأعادها مرارا وأنا ساكت ، ثم قلت له : ما تكرم كريما ولا تهاب شريفا ، فقال : لا إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله ذرني (٤١) بأبي أنت وأمي لأسابق الرجل ، قال : » إن شئت « ، فقلت : اذهب إليك فخرج يشتد وأطفر عن الناقة ، ثم أعدو فربطت عليه شرفا (٤٢) أو شرفين ، فسألته ما ربطت ؟ ، فقال : استبقيت نفسي ثم إني عدوت عدوتي حتى ألحقه وأصك بين كتفيه ، فقلت : سبقتك والله ، قال : فنظر إلي فضحك ، وقال : إني أظن ، قال : حتى ورد المدينة فما لبثنا إلا ثلاث ليال ، حتى خرجنا إلى خيبر ، فجعل عمي عامر يرتجز (٤٣) بالقوم ، وهو يسوق بهم ، وهو يقول : والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكينة علينا إن الذين كفروا بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من هذا ؟ « ، فقلت : عمي عامر يا نبي الله ، فقال : » غفر لك ربك « ، فقال عمر وهو في أول القوم : يا نبي الله لوما متعتنا بعامر ، وما استغفر لإنسان قط يخصه إلا استشهد ، فلما قدمنا خيبر خرج مرحب يخطر بسيفه يقول : قد علمت خيبر أني مرحب شاك (٤٤) السلاح بطل مجرب إذا

الحروب أقبلت تلهب فبرز عامر فقال : قد علمت خيبر أني عامر شاك السلاح بطل مغامر فاختلفا (٤٥) ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس (٤٦) عامر وذهب عامر يسفل (٤٧) له ، فرجع سيفه على نفسه ، فكانت فيه نفسه ، قال : فما مررت على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهم يقولون : بطل عمل عامر ، قتل نفسه ، فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم أبكي ، فقلت : أبطل عمل عامر ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من قال ذلك ؟ « ، فقلت : نفر من أصحابك ، فقال : » كذب من قال ذلك ؟ بل له أجره مرتين « ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله « ، فدنا لها الناس ، قال : فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب فجئت به أقوده وهو أرمد فبزق (٤٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ (٤٩) ، وأعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه ، ويقول : قد علمت خيبر أني مرحب شاك السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب ، فقال علي بن أبي طالب : أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره أوفيهم بالصاع (٥٠) كيل السندره (٥١) ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه

---

(١) جنة : وقاية وحماية
(٢) الدرقة : الترس إذا كان من جلد ليس فيه خشب ولا عصب
(٣) الكسح : الكنس
(٤) وَقَعْت بفُلان : إذا لُمْتَه ووقعْت فيه، إذا عِبْتَهُ وَذَممْتَه
(٥) البغض : عكس الحب وهو الكُرْهُ والمقت
(٦) الضغث : الحزمة
(٧) مجفف : عليه مثل الدرع ليقيه أذى المعركة
(٨) الفجور : اسم جامع لكل شر ، أي الميل إلى الفساد والانطلاق إلى المعاصي
(٩) الثني : تكرار الأمر وإعادته مرتين
(١٠) سورة : الفتح آية رقم : ٢٤
(١١) قط : بمعنى أبدا ، وفيما مضى من الزمان
(١٢) رقاه : عَوَّذه
(١٣) السرح : الماشية
(١٤) الرَّجز : بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه، يكون كلُّ مصراع منه مفردا، وتسمى قصائده أراجيز واحدها أُرجوزةٌ، فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشِّعر. ويُسَمَّى قائلُه راجزاً، كما يُسمى قائلُ بُحُورِ الشِّعرِ شاعراً
(١٥) عقر به : قتل مركوبه وجعله يمشي على رجليه
(١٦) صك : ضرب ولطم
(١٧) البُرْدُ والبُرْدة : الشَّمْلَةُ المخطَّطة، وقيل كِساء أسود مُرَبَّع فيه صورٌ
(١٨) أرديهم : أرميهم
(١٩) البرح : الشدة
(٢٠) الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح

(٢١) التخلل : التحرك والتنقل بين شيئين
(٢٢) إثر الشيء وأثره : بعده وخلفه
(٢٣) على إثر كذا : بعده
(٢٤) وَلّى الشيءُ وتَولّى : إذا ذَهَب هاربا ومُدْبراً، وتَولّى عنه، إذا أعْرَض
(٢٥) العِنان : هو اللجام الذي تقاد به الدابة
(٢٦) يلوي : يميل ويعطف
(٢٧) الشعب : الطريق في الجبل أو الانفراج بين الجبلين
(٢٨) أعدو : أجري مسرعا
(٢٩) الثَّنِيَّة : الثنية في الجَبَل كالعَقَبة فيه، وقيل هُو الطَّريق العالي فيه، وقيل أعلى المَسِيل في رأسه
(٣٠) وا ثكل : أسلوب ندبة يدل على الدعاء بالموت والفقد
(٣١) البكرة : من البكور وهو أول النهار
(٣٢) حلأ : منع وطرد وصد
(٣٣) النحر : الذبح
(٣٤) الجَزُور : البَعِير ذكرا كان أو أنثى، إلا أنَّ اللَّفْظة مُؤنثة، تقول الجَزُورُ، وَإن أردْت ذكَرا، والجمْع جُزُرٌ وجَزَائر
(٣٥) السطيحة : إناء من جلود سطح بعضها على بعض يحفظ الماء به
(٣٦) برح المكان : زال عنه وغادره
(٣٧) السهم : النصيب
(٣٨) الراجل : السائر على قدميه
(٣٩) أردفه : حمله خلفه
(٤٠) العضباء : الناقة المشقوقة الأذن ، واسم ناقة النبي
(٤١) ذرني : اتركني
(٤٢) الشرف : المكان المرتفع
(٤٣) الرجز : إنشاد الشعر وهو بحر من بحوره عند العروضيين
(٤٤) شاكي السلاح : تام السلاح ، وهي من الشوكة بمعنى القوة
(٤٥) اختلف : تبادل
(٤٦) الترس : الدرع الذي يحمي المقاتل ويتقي به ضربات العدو
(٤٧) سفل له : ضربه من أسفله
(٤٨) بزق : بصق
(٤٩) بَرَأ أو بَرِئ : شفي من المرض
(٥٠) الصاع : مكيال المدينة تقدر به الحبوب وسعته أربعة أمداد ، والمد هو ما يملأ الكفين
(٥١) السّنْدرة : مكْيال واسعٌ

١٥. الموجز البديع في الصلاة والسلام على الحبيب الشفيع

بقلم / أحمد بن عبد العزيز الحمدان

قَالَ اللهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيْماً).
وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا)).
بسم الله الرحمن الرحيم
الْحَمْدُ للهِ وَحْدَه، وَالصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلاَنِ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِه. أَمَّا بَعْد:
فَإِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِه: أَنْ فَطَرَهُمْ عَلَى الاعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ لأَهْلِ الفَضْلْ.
وَإِنَّ أَعْظَمَ مَنْ نَدِيْنُ لَهُ بِالفَضْلِ وَالْمِنَّةِ – بَعْدَ اللهِ تَعَالَى –: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ فَهُوَ سَيِّدُ الخَلَق الَّذِي أَخْرَجَنَا اللهُ بِهِ مِنْ الضَّلاَلَةِ إِلَى الهُدَى، وَبَصَّرَنَا بِهِ مِنْ العَمَى؛ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّه، وَجَاهَدَ في اللهِ حَقَّ جِهَادِه، فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء، وَصَلَّى عَلَيْهِ صَلاَةً تَمْلأُ أَقْطَارَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء، وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً.
وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ شُكْرِ فَضْلِه، وَأَدَاءِ حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم: الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْه، فَهُمَا مِنْ أَجَلِّ القُرُبَات، وَأَفْضَلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَات، الْمُقَرِّبَةِ إِلَى رَبِّ الأَرْضِ َالسَّمَاوَات.
لِذَا اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى في وَضْعِ مُوجَزٍ يَكُونُ تَذْكِرَةً لِي وَلِمَنْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ إِخْوَانِي؛ فِيهِ مَعْنَى الصَّلاَةِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم، وَفَضْلُهَا، وَالمَوَاطِنُ وَالأَزْمِنَةُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيْهَا، وَشَيْءٌ مِنْ فَوَائِدِهَا.
وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ بِالقَبُولِ الحَسَن. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَآلِهِ وَصَحْبِه.
* معنى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:
قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُه:(إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا).
بَيَّنَ تَعَالَى – في الآيَةِ - أَنَّهُ يُثْنِي عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ مَلاَئِكَتِهِ الْمُقَرَّبِيْن، وَمَلاَئِكَتُهُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم وَيَدْعُونَ لَه، فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا أَنْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَسَلِّمُوا تَسْلِيْماً، لأَنَّكُمْ أَحَقُّ بِذَلِكَ، لِمَا نَالَكُمْ بِبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة.
- وَقَدْ عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْه:
فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْك، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم:((فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)).
قَولُهُ((اللَّهُمَّ)) أَيْ: يَا الله.
- وَقَولُهُ((صَلِّ)) الصَّلاَةُ مِنْ اللهِ: ثَنَاؤُهُ سبحانه وتعالى عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم في المَلأ الأَعْلَى، وَرَفْعُهُ لِذِكْرِه.
- وَالصَّلاَةُ مِنْ المَلاَئِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ: سُؤَالُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعْلِي ذِكْرَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَيُثْنِي عَلَيْه.

ـ وَالصَّلاَةُ مِنْ الْعَبْدِ الْمُصَلِّي: ثَنَاءٌ مِنْ الْمُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَسُؤَالُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم في الْمَلأ الأَعْلَى.
قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مُبَيِّناً مَعْنَى الصَّلاَة ـ: صَلاَةُ اللَّـهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَة، وَصَلاَةُ الْمَلاَئِكَةِ الدُّعَاء.
وَقَولُهُ((مُحَمَّدٍ)) مَبْنِيٌّ عَلَى زِنَـةِ((مُفَعَّلٍ)) مِثْلِ: مُعَظَّمٍ وَمُبَجَّل، وَهُوَ بِنَـاءٌ مَوضُـوعٌ لِلتَّكْثِيْر.
لِذَا فَمُحَمَّدٌ: هُوَ الَّذِي كَثُرَ حَمْدُ الْحَامِدِيْنَ لَهُ وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَدَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.
وَقَولُهُ((وَآلِ مُحَمَّدٍ)) هُمْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنّ، وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِب.
وَاخْتَارَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ((آلَ مُحَمَّدٍ)) أَتْبَاعُـهُ إِلَى يَومِ القِيَامَـة؛ وَمِمَّنْ اخْتَـارَه: جَـابِرٌ رضـي الله عنـه وَالثَّـورِيُّ، وَبَعْـضُ أَصْـحَابِ الإمَـامِ الشَّـافِعِيِّ، وَالنَّـوَوِيُّ، وَالأَزْهَرِيُّ – رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى.
وَالصَّلاَةُ عَلَى آلِهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم وَتَوَابِعُهَا، لأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ صلى الله عليه وسلم، وَيَزِيْدُهُ اللهُ بِهَا شَرَفاً. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً.
وَقَولُـهُ((آلِ إِبْـرَاهِيْم)) مَعْلُـومٌ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـداً صـلى الله عليـه وسـلم هُـوَ خَيْـرُ آلِ إِبْرَاهِيْم.
فَعِنْدَمَا يَسْأَلُ الْمُصَلِّي رَبَّهُ عز وجل أَنْ يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، يَكُونُ قَدْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَوَّلاً، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثَانِياً مَعَ آلِ إِبْرَاهِيْمَ لأَنَّـهُ دَاخِلٌ مَعَهُم، فَتَكُونُ الصَّلاَةُ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيْمَ أَفْضَلَ لأَنَّهَا تَضَمَّنَتْ الصَّلاَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَم.
وَهَذَا سِرُّ كَونِ الصَّلاَةِ الإِبْرَاهِيْمِيَّةِ أَفْضَلَ صِيَغِ الصَّلَوَاتِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، لِكَونِهَا تَضَمَّنَتْ فَضلَ الصَّلاَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَفَضْلَ الصَّلاَةِ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَذُرِّيَتِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، لِتَكُونَ كُلُّهَا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.
وَقَولُهُ((وَبَارِك)) طَلَبُ مِثْلِ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لإِبْرَاهِيْمَ وَآلِهِ، لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَآلِه، وَأَنْ يَدُومَ هَذَا الْخَيْرُ وَيَتَضَاعَف.
وَالْحَمِيْدُ هُوَ الَّذِي لَهُ مِنْ صِفَاتِ وَأَسْبَابِ الْحَمْدِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَحْمُوداً في نَفْسِه.
وَالْمَجِيْدُ هَوَ الْمُسْتَلْزِمُ لِلعَظَمَـةِ وَالجَلاَل، وَالحَمْدُ وَالمَجْدُ إِلَيْهِمَـا يَرْجِـعُ الْكَمَـالُ كُلُّـه، فَنَاسَبَ أَنْ يُخْتَمَ بِهِمَا طَلَباً لِزِيَادَةِ الْكَمَالِ في حَمْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَتَمْجِيْدِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.
* أفضل صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:
ـ أَفْضَلُ الصِّيَغِ مَا عَلَّمَنَاهُ صلى الله عليه وسلم:
فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنـه، قَالَ: قُلْنَـا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْك، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم:((فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ

بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)).

- وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه: أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْك؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِه، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِه، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)).

- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَحْسِنُوا الصَّلاَةَ عَلَيْه، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْه، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ:فَعَلِّمْنَا، قَالَ: قُولُوا:اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِين، وَإِمَامِ الْمُتَّقِين، وَخَاتَمِ النَّبِيِّين؛ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِك، إِمَامِ الْخَيْر، وَقَائِدِ الْخَيْر، وَرَسُولِ الرَّحْمَة. اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُون. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد.

- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم.

* المواطن والأزمان التي تشرع فيها الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

شَرَعَ اللهُ لَنَا الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُطلقاً، وَشَرَعَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِك، وَأَكَّدَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ وَالأَزْمَان؛ فَمِنْهَا:

- الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم مُطْلَقاً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُم)).

وَعَنْ عَمَار بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلاَئِقِ كُلِّهَا، فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي إِذَا مِتُّ إِلَى يَومِ الْقِيَامَة، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يُصَلِّي عَلَيَّ صَلاَةً إِلاَّ سَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيْه، قَالَ: يَا مُحَمَّد! صَلَّى عَلَيْكَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيُصَلِّي الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْراً)) صلى الله عليه وسلم.

- كُلَّمَا ذُكِرَ صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيّ)) صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)) صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم:((مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيّ، خَطِىءَ طَرِيْقَ الْجَنَّة)) صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيّ)) صلى الله عليه وسلم.

- عِنْدَ كِتَابَةِ اسْمِهِ صلى الله عليه وسلم:

وَهُوَ كَسَابِقِه، وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ رضي الله عنهم إِذَا كَتَبُوا اسْمَهُ صلى الله عليه وسلم في كُتُبِهِمْ أَثْبَتُوا الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم كِتَابَةً، وَلَوْ تَكَرَّرَتْ، وَلَوْ كَثُرَت، وَلاَ يَرْمُزُونَ لَهَا بِالرُّمُوز.

وَلِشَيْخِنَا سَمَاحَةِ الشَّيْخ عَبْدِ العَزِيْزِ بْنِ بَازٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – رِسَالَةٌ في النَّهي عَنْ كِتَابَةِ الرُّمُوز؛ مِثْل:((ص)) و((صلعم)) بَدَلاً مِنْ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ نَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِهَا حَتَّى كَانَتْ سَبَباً في اخْتِفَاءِ الرُّمُوزِ مِنْ الصُّحُفِ وَالكُتُب، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْراً.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَيْمُونِي: رَأَيْتُ الشَّيْخَ الْحَسَنَ بْنَ عُيَيْنَة - في الْمَنَامِ - بَعْدَ مَوتِه، وَكَأَنَّ عَلَى أَصَابِعِ يَدَيْهِ شَيْءٌ مَكْتُوبٌ بِلَونِ الذَّهَب، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ: يَا أُسْتَاذ! أَرَى عَلَى أَصَابِعِكَ شَيْئاً مَلِيْحاً مَكْتُوباً، مَا هُو؟ قَالَ: يَا بُنَيّ! هَذَا لِكِتَابَتِي((صلى الله عليه وسلم)) في حَدِيْثِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

- إِذَا أَصْبَحَ الْمُسْلِمُ وَإِذَا أَمْسَى:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِيْنَ يُصْبِحُ عَشْراً، وَحِيْنَ يُمْسِي عَشْراً؛ أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي)).

- كُلَّمَا جَلَسَ الْمُسْلِمُ مَجْلِساً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَاب)).

وَعَنْهُ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيه، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَة، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُم)) تِرَة: نَدَامَة.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:((مَا اجْتَمَعَ قَومٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ عز وجل، وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيْفَة)).

- في يَومِ الْجُمُعَة:

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاَةِ في كُلِّ يَومِ جُمُعَة، فَإِنَّ صَلاَةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ في كُلِّ يَومِ جُمُعَة، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَة)).

- بَعْدَ سَمَاعِ الأَذَان:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:((إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا: مِثْلَ مَا يَقُول، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَة، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّة، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّه، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَة؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَة)).

- عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْه:

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِك)).

- فِي آخِرِ التَّشَهُّدِ الَّذِي يَعْقُبُهُ سَلاَم:

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا أَرَى أَنَّ صَلاَةً لِي تَمَّتْ حَتَّى أُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لاَ تَكُونُ صَلاَةٌ إِلاَّ بِقِرَاءَةٍ وَتَشَهُّدٍ وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاه، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلاَتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْك؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم:((إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ؛ فَقُولُوا)) وَذَكَرَ الصَّلاَةَ الإِبْرَاهِيْمِيَّة.

- في كُلِّ خُطْبَة:

قَالَ اللهُ تَعَالَى [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: رَفَعَ اللهُ ذِكْرَه، فَلاَ يُذْكَرُ إِلاَّ ذُكِرَ مَعَه.

وَكَانَتْ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْخُطَبِ – فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم - أَمْراً مَشْهُوراً مَعْرُوفاً.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كُنَّا بِالْخَيْفِ، وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَة رضي الله عنه، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَدَعَا بِدَعَوَاتٍ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى بِنَا.

- في قُنُوتِ الوِتْر:

عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ فِي الْوِتْر، قَالَ:((قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْت، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْت، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْت، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْت، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْك، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْت، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْت. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّد)) صلى الله عليه وسلم.

وَلَمَّا جَمَعَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ رضي الله عنه النَّاسَ في صَلاَةِ التَّرَاوِيْح، كَانُوا يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ في قُنُوتِهم، ثُمَّ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِيْن، ثُمَّ يُكَبِّرُونَ وَيَسْجُدُون.

- إِذَا مَرَّ ذِكْرُهُ صلى الله عليه وسلم في صَلاَةٍ نَافِلَة:

قَالَ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: إِذَا مَرَّ بِالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلْيَقِفْ، وَلْيُصَلِّ عَلَيْهِ في التَّطَوع.

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: إِنْ كَانَ فِي نَفْلٍ صَلَّى عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم.

- بَيْنَ التَّكْبِيْرَاتِ الزَّوَائِدِ في صَلاَةِ الْعِيْد:

خَرَجَ الوَلِيْدُ بْنُ عُقْبَةَ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى وَحُذَيْفَة رضي الله عنهم، فَقَالَ: كَيْفَ التَّكْبِيْرُ في العِيْد؟ قَالَ عَبْدُ الله: تَبْدَأُ، فَتُكَبِّرُ تَكْبِيْرَةً تَفْتَتِحُ بِهَا الصَّلاَة، وَتَحْمَدُ رَبَّك

وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ تَدْعُو وَتُكَبِّر. فَقَالاَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَن.
- إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَة:
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ السُّنَّةَ فِي صَلاَةِ الْجَنَازَةِ: أَنْ يَقْرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يُخْلِصُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمَيِّت.
- في حِلَقِ الذِّكْر:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ للهِ سَيَّارَةً مِنْ الْمَلاَئِكَة، إِذَا مَرُّوا بِحِلَقِ الذِّكْر، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْعُدُوا! فَإِذَا دَعَا القَوْمُ أَمَّنُوا عَلَى دُعَائِهِم، فَإِذَا صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم صَلُّوا مَعَهُمْ حَتَّى يَفْرَغُوا، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: طُوبَى لِهَؤُلاَءِ يَرْجِعُونَ مَغْفُوراً لَهُم)).
- حَالَ الدُّعَاء في قِيَامِ اللَّيْل:
عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْك، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ:((مَا شِئْت)) قُلْتُ: الرُّبُع؟ قَالَ:((مَا شِئْت، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَك)) قُلْتُ: النِّصْف؟ قَالَ:((مَا شِئْت، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَك)) قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْن؟ قَالَ:((مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)) قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ:((إِذًا تُكْفَى هَمَّك، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُك)). وَفِي رِوَايَةٍ:((إِذاً يَكْفِيْكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِك)).
قَوْلُهُ((أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا)) أَيْ أَصْرِفُ جَمِيعَ زَمَنِ دُعَائِي لِنَفْسِي صَلاَةً عَلَيْك.((تُكْفَى هَمَّك)) تُعْطَى مَرَامَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة.
- في أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَآخِرِهِ وَفِي أَثْنَائِه:
عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِه، لَمْ يُمَجِّدْ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم:((عَجِلَ هَذَا)) ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ:((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيْدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْه، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاء)).
وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يُصَلِّي، فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَه، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((ادْعُ تُجَب، وَسَلْ تُعْط)).
وَعَنْ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض لاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ صلى الله عليه وسلم.
وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: إِذَا سَأَلْت اللَّهَ حَاجَةً فَابْدَأْ بِالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ ادْعُ بِمَا شِئْت، ثُمَّ اخْتِمْ بِالصَّلاَةِ عَلَيْه، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِكَرَمِهِ يَقْبَلُ الصَّلاَتَيْن، وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَدَعَ مَا بَيْنَهُمَا.
- عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صلى الله عليه وسلم:
كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ وَقَفَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَزُورُهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ يَمَسُّ الْقَبْر.
قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْن تَيْمِيَّة – رَحِمَهُ الله -: ثُمَّ يَأْتِي قَبْرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَسْتَقْبِلَ جِدَارَ الْقَبْر، وَلاَ يَمَسَّه، وَلاَ يُقَبِّلَه، وَيَقِفَ مُتَبَاعِداً كَمَا يَقِفُ لَوْ ظَهَرَ فِي حَيَاتِه،

بِخُشُوعٍ وَسُكُونٍ، مُنَكِّسَ الرَّأسِ، غَاضَّ البَصَرِ، مُسْتَحْضِراً بِقَلْبِهِ جَلاَلَةَ مَوْقِفِه، ثُمَّ يَقُول: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَخِيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِه، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَقَائِدَ الغُرِّ المُحَجَّلِين، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالاَتِ رَبِّك، وَنَصَحتَ لأُمَّتِك، وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوعِظَةِ الْحَسَنَة، وَعَبَدتَ اللهَ حَتَّى أَتَاكَ اليَقِين، فَجَزَاكَ اللهُ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيَّاً وَرَسُولاً عَنْ أُمَّتِه. اللَّهُمَّ آتِهِ الوَسِيْلَةَ وَالفَضِيْلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدتَهُ يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُون. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيْد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيْد، اللَّهُمَّ احشُرنَا فِي زُمْرَتِه، وَتَوَفَّنَا عَلَى سُنَّتِه، وَأَوْرِدنَا حَوضَه، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ مَشْرَباً رَوِّياً لاَ نَظْمَأُ بَعدَهُ أَبَداً.

ثُمَّ يَأْتِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَيَقُول: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عُمَرَ الفَارُوق، السَّلاَمُ عَلَيْكُمَا يَا صَاحِبَي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَضَجِيْعَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، جَزَاكُمَا اللهُ عَنْ صُحبَةِ نَبِيِّكُمَا وَعَنْ الإِسْلاَمِ خَيْراً، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار.

- بَعْدَ التَّلْبِيَةِ:

لأَنَّ التَّلْبِيَةَ مِنْ تَوَابِعِ الدُّعَاء، قَالَ القَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: كَانَ يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ – إِذَا فَرَغَ مِنْ تَلْبِيَتِهِ– أَنْ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

- فِي الطَّوَافِ:

كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ؛ قَالَ: اللَّهُمَّ إِيْمَاناً بِكَ، وَتَصْدِيْقاً بِكِتَابِكَ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّبَاعاً لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

- عَلَى الصَّفَا وَالمَرْوَةِ:

قَالَ أَمِيْرُ الْمُؤمِنِيْنَ عُمَرُ رضي الله عنه: يَبْدَأُ بِالصَّفَا، فَيَقُومَ عَلَيْهَا، وَيَسْتَقْبِلَ البَيْتِ فَيُكَبِّر سَبْعَ تَكْبِيْرَات، بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيْرَتَيْنِ حَمْدُ اللهِ عز وجل وَثَنَاءٌ عَلَيْه، وَصَلاَةٌ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْأَلَةٌ لِنَفْسِه، وَعَلَى المَرْوَةِ مِثْلُ ذَلِك.

* فوائد الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لِلصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَوَائِدُ عَظِيْمَةٌ؛ فَمِنْهَا، وَقَدْ مَرَّتْ بَعْضُ أَدِلَّتِهَا:

- امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَأَمْرِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

- صَلاَةُ وَسَلاَمُ اللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ عَلَى المُصَلِّي:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيْلُ آنِفاً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد! مِنْ صَلَّى عَلَيْكَ مَرَّةً كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَات، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِئَات، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَات، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ عَشْرَ مَرَّات)).

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِه، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبِشْرَ فِي وَجْهِك، فَقَالَ:((إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ لاَ يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ - مِنْ أُمَّتِكَ - إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا)).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا)).
- أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَالإِيْمَانَ به، وَالإِيْمَانَ بِرَسُولِهِ وَرِسَالَتِه، فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ الإِيْمَانَ كُلَّه، لِذَا كَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَال.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِهِدَايَةِ الْمُصَلِّي وَحَيَاةِ قَلْبِه.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِزِيَادَةِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِلْعَبْد.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِزِيَادَةِ مَحَبَّةِ العَبْدِ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.
- أَنَّهَا سَبَبُ قُربِ العَبْدِ مِنْ رَبِّهِ يَومَ القِيَامَة.
- أَنَّهَا سَبَبُ قُربِ العَبْدِ مِنْ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.
- أَنَّهَا أَدَاءٌ لِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم.
- أَنَّهَا دَلِيْلُ إِيْثَارِ العَبْدِ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى نَفْسِهِ حِيْنَ قَدَّمَ الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى طَلَبِ حَاجَاتِه، فَيُكَافِئُهُ اللهُ تَعَالَى بِغُفْرَانِ ذُنُوبِه، وَكِفَايَتِهِ هُمُومَه، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَل.
- أَنَّهَا سَبَبُ مَغْفِرَةِ الذُّنُوب.
- أَنَّهَا سَبَبُ كَفَايَةِ اللهِ عَبْدَهُ مَا أَهَمَّه.
- أَنَّهَا سَبَبُ إِجَابَةِ الدُّعَاء.
- أَنَّهَا سَبَبُ نَيْلِ شَفَاعَتِهِ صلى الله عليه وسلم.
- أَنَّهَا زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ لِلْمُصَلِّي.
- أَنَّهَا تَطْيِيبٌ لِلْمَجَالِس.
- أَنَّهَا تَنْفِي عَنْ العَبْدِ صِفَةَ البُخْل.
- أَنَّهَا تَنْفِي عَنْ العَبْدِ صِفَةَ الْجَفَاء.
- أَنَّهَا سَبَبٌ فِي أَنْ لاَ تَكُونَ الْمَجَالِسُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً عَلَى أَصْحَابِهَا يَومَ القِيَامَة.
- أَنَّهَا تُنْجِي صَاحِبَهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ مَجَالِسُهُ أَنْتَنَ مِنْ جِيْفَة.
- أَنَّهَا نَجَاةٌ لِصَاحِبِهَا مِنْ أَنْ تَتَحَقَّقَ عَلَيْهِ دَعْوَةُ جِبْرِيْلَ عليه السلام وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في أَنْ يُذَلّ.
- أَنَّهَا نَجَاةٌ لِصَاحِبِهَا مِنْ أَنْ تَتَحَقَّقَ عَلَيْهِ دَعْوَةُ جِبْرِيْلَ عليه السلام وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في أَنْ يُبْعِدَهُ الله.
- أَنَّهَا نَجَاةٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ طَرِيْقَ الْجَنَّة.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَبْلِيْغِ الْمَلاَئِكَةِ اسْمَ الْمُصَلِّي وَالْمُسَلِّمِ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَيْلِ الْمُصَلِّي رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِرَدِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ عَلَى مَنْ يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَيْه.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَشْرِ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَنْ العَبْدِ في الْمَلأَ الأَعْلَى.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِلْبَرَكَةِ فِي ذَاتِ الْمُصَلِّي، وَعَمَلِه، وَعُمُرِه، وَمَصَالِحِه.
- أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَثْبِيْتِ قَدَمِ العَبْدِ عَلَى الصِّرَاطِ وَالْجَوَازِ عَلَيْه. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَاناً وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَاناً، فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمِيْه، وَأَنْقَذَتْه)).

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِين. آمِين.

١٦. دلائل محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

دلائل محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
بين السنة والبدعة
أحمد بن عبد الرحمن الصويان

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.
* قال الله تعالى: ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين))[التوبة:٢٤].
قال القاضي عياض في شرح الآية: (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها -صلى الله عليه وسلم- ، إذ قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى: ((فتربصوا حتى يأتي الله بأمره))، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله) (١).
* وقال الله تعالى: ((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم))[الأحزاب: ٦].
* وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".(٢).
* وقال أيضاً: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده". (٣).
* وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك"، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر".(٤).
آثار محبته -صلى الله عليه وسلم-:
المحبة عمل قلبي اعتقادي تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله ومن علامات ذلك:
أولاً/ تعزير النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيره:
قال الله تعالى: ((إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً))[الفتح:٩].
ذكر ابن تيمية أن التعزير: (اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه). والتوقير: (اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار). (٥).
وتوقير النبي -صلى الله عليه وسلم- له دلائل عديدة، منها:

١ - عدم رفع الصوت فوق صوته:
قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون))[الحجرات: ٢].
وعن السائب بن يزيد قــال: كنــت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما مــن أهــل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٦).
٢ -الصلاة عليه:
قال الله تعالى: ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً))[الأحزاب: ٥٧].
قال ابن عباس: يصلون: يُبرّكون (٧).
وفي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب، لهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ" (٨).
وقال: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ " (٩).
ثانياً/ الـذ ب عنه وعن سنته:
إن الـذب عــن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله تعالى: ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأمــوالهم يبتغــون فضــلاً مــن الله ورضــواناً وينصــرون الله ورســوله أولئــك هــم الصادقون))[الحشر: ٨].
ولقد سطر الصحـابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفدائـه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يــوم أحــد لما انكشف المسلمون: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنــع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النـضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه) (١٠).
ومــن الذب عن سنته -صلى الله عليه وسلم-:
حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال المـبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، وقد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنضارة لمن حمل هــذا اللــواء بقوله: "نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مُبلّغ أوعى من سامع " (١١).
والتهاون في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الذب عن سنته وشريعته، من الخــذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

ثالثاً/ تصديقه فيما أخبر:
من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلامته من الكذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالى: ((والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))[النجم: ١٤].
والجفاء كل الجفاء، بل الكفر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله: ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين))[يونس: ٣٧-٣٩].
ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليلة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: "بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما". (١٢).
رابعاً اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه:
الأصل في أفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقواله أنها للاتباع والتأسي، قال الله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً))[الأحزاب: ٢١].
قال ابن كثير: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل) (١٣).
وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) [الحشر: ٧].
وجعل الله عز وجل طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من طاعته سبحانه، فقال: ((من يطع الرسول فقد أطاع الله))[النساء: ٨٠].
وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) [النساء: ٥٩].
وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا

عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ". (١٤).
وقال -صلى الله عليه وسلم-: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (١٥).
وقال: "لتأخذوا عني مناسككم" (١٦).
فطاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهذا قال الله عز وجل: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))[ال عمران: ٣١].
فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه *** ذاك لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن أحب مطيع

خامساً /التحاكم إلى سنته وشريعته:
إن التحاكم إلى سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال الله تعالى: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً))[النساء: ٦٥].
وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنفاق الإعراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، قال الله تعالى: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)) [النساء: ٦٠،٦١].
الغلو في محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:
انحرف بعض الناس عن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغيروا وبدلوا، وغلوا في محبتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم، الذي قال الله عز وجل فيه: ((وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))[الأنعام: ١٥٣].
وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على حماية جناب التوحيد، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها:
* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله" (١٧).
* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أني أنهاكم عن ذلك يحذر ما صنعوا"(١٨).

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "جعلتني لله عدلاً، بل قل ما شاء الله وحده".(١٩).
* وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل". (٢٠).

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ".(٢١).
حقيقة المولد النبوي:
ظهرت هذه الفكرة في عصر الدولة العبيدية الباطنية، إظهاراً منهم لدعوى محبة النبي-صلى الله عليه وسلم-، ثم انتشرت في كثير من دول العالم الإسلامي، إلى يومنا هذا فأصبح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عيداً مشهوداً عند كثير من المبتدعة يجتمعون فيه لإنشاد المدائح النبوية والأوراد الصوفية، وإقامة الحفلات والرقصات، وقد يقترن بذلك بعض الشركيات من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- والاستغاثة به، وقد يحدث الاختلاط بين الرجال والنساء والاستماع إلى الملاهي.
إن تحويل الإسلام إلى طقوس وثنية من الأهازيج الشعرية والطبول والمزامير والتمايل والرقص، وبالتالي الانحراف به عن صفائه ونقائه، هو من قبيل جعله إلى العبث والخرافة أقرب منه إلى الدين الحق.
وحينما تكون هذه العقلية الساذجة المنحرفة حاكمة للعالم الإسلامي يكون رد الفعل الرئيس لدخول خيول نابليون إلى الأزهر الشريف هو اجتماع الشيوخ للتبرك بقراءة حديث النبي-صلى الله عليه وسلم- من صحيح البخاري! وكلما ازدادت الدائرة على المسلمين ازدادت الدروشة، وتمايلت الرؤوس وبحت الأصوات بالأناشيد والأوراد والمدائح النبوية.
إن الاحتفال بالمولد النبوي أصبح عند بعض الناس من العامة والخاصة الآية الرئيسة لمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأذكر أنني كنت قبل سنوات في بلد إسلامي في أوائل شهر ربيع الأول، والناس منهمكون في التجهيز والإعداد لليوم الثاني عشر، تحدثت مع أحد كبار الأساتذة الجامعيين عن هذه البدعة، وبعد أن بح صوتي بذكر الأدلة والشواهد، قال لي: هذا صحيح، ولكن هذا سيدنا النبي!! عندها تذكرت قول غلاة الصوفية: (من أراد التحقيق فليترك العقل والشرع)! (٢٢)، وصدق ابن تيمية حينما قال عن غلاتهم: (كلما كان الشيخ أحمق وأجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم).(٢٣).
ومن المفارقات التي تدعو إلى التأمل، أن بعض الناس قد يعصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلاً ونهاراً، ويتهاون في تعظيم أوامره، فضلاً عن الالتزام بسنته، ومع ذلك فهو يحتفي بيوم المولد، ويوالي فيه ويعادي، وكأن غاية الحب عنده هو

إحياء هذا اليوم بالمدائح والأوراد، وبعد ذلك ليفعل ما يشاء...؟! يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: (من تتبع التاريخ يعلـم أن أشد المؤمنين حباً واتباعاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- أقلهم غلواً فيه ولاسيما أصحابه رضي الله عنهم ومن يليهم من خير القرون، وأن أضعفهم إيماناً وأقلهم اتباعاً له هم أشد غلواً في القول وابتداعاً في العمل).

وليس عجيباً أن يحظى هذا اليوم باحتفاء رسمي من الحكومات العلمانية وتسخر له كافة الإمكانات الرسمية، وتجري تغطية فعالياته من جميع وسائل الإعلام، لأنها تعلم يقيناً أن غاية هؤلاء الدراويش لا تتجاوز الأوراد والمدائح حتى إن النذور والقرابين التي ترمى على القبور والأضرحة والمزارات أصبحت مصدر دخل رئيس لوزارات الأوقاف والسياحة، ولهذا كان حافظ إبراهيم يقول متهكماً:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف يرزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة
قامت على أحجارها الصلوات؟!(٢٤)

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل نصرة دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، ولا يوجد بين محبي الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكان للعجزة النائحين، وما أجمل قول أنس بن النضر رضي الله عنه لما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه«(٢٥).

============

هوامش:

(١)الشفا بتعريف أحوال المصطفى ١٨/٢.
(٢)أخرجه البخاري ٥٨/١، ومسلم ٦٧/١.
(٣)أخرجه البخاري ٥٨/١.
(٤)أخرجه البخاري ٥٢٣/١١.
(٥)الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٢٢.
(٦)أخرجه البخاري ٥٦٠/١.
(٧)أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به ٥٣٢/٨.
(٨)أخرجه أحمد ٢٠١، والترمذي ٥٥١/٥.
(٩)أخرجه أحمد ٢٥٤/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٢٠، والترمذي ٥٥٠/٥.
(١٠)أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٤/٧.
(١١)أخرجه أحمد ٤٣٧/١، والترمذي ٣٤/٥، وابن ماجة ٨٥/١.
(١٢)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: ١٥٢/٦ و ١٨/٧ و ٤٢.
(١٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٥/٣.

(١٤)أخرجه أحمد ١٢٦،١٢٧/٤، وأبو داود ١٣/٥-١٥، والترمذي ٤٤/٥، وابن ماجة ١٦/١.
(١٥)أخرجه البخاري ١١١/٢ و ٤٣٨/١٠.
(١٦)أخرجه مسلم ٩٤٣/٢.
(١٧)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها ٤٧٨/٦.
(١٨)أخرجه البخاري ١٤٠/٨، ومسلم ٣٧٧/١.
(١٩)أخرجه أحمد ٢١٤/١ و ٢٨٣ و ٣٤٧.
(٢٠)أخرجه أحمد ١٥٣/٣ و ٢٤١.
(٢١)أخرجه مسلم ١٣٤٤/٣.
(٢٢) مجموع الفتاوى ٢٤٣/١١.
(٢٣) مجموع الفتاوى ١٧٤/٢.
(٢٤)الديوان، ج١، ص ٣١٨.
(٢٥)أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٥/٧ ومسلم ١٥١٢/٣.
* من تعليقاته على كتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» للسهسواني.
مجلة البيان

١٧. والله لا أكلّمك أبدًا

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

تحدثت في مقال سابق بعنوان:

عقول للبيع أو للتأجير... لعدم التّفرّغ!!

واليوم سوف أتحدّث عن نوعية أخرى من عقول بعض بني آدم

وذلك أن من الناس من يَزِن الأمور بعقله، سواء فيما للعقل فيه مجال للنظر أو ليس له فيه مجال.

في يوم من الأيام سُئلت عن حُكم إسبال الثياب للرجال، فبيّنت الحكم.

وذكرت أن الإسبال على نوعين:

إن كان مُجرّد إسبال فهو كبيرة من كبائر الذنوب، وقد تُوعّد المسبل بوعيد شديد كما في صحيح مسلم.

وإن كان للخيلاء فإنه بالإضافة إلى كونه كبيرة من كبائر الذنوب، فإن الله لا ينظر إلى صاحبه يوم القيامة.

وذكرت الأدلة، وكلام بعض أهل العلم في التفريق بينهما وفق قواعد أصول الفقه.

وهو هنا:

http://www.almeshkat.net/index.php?pg=fatawa&ref=٤١١

وكان السائل سأل لحاجة في نفسه! وظن أنني أوافقه فيما يذهب إليه!

فلما رآني خالفته تغيّر وجهه

ثم بلغني فيما بعد أنه قال لبعض جلسائه: إيش هذا؟! يُعذبني الله على خِرقة؟!

فهذا منطق أعوج!

وهذا قياس بالعقل السقيم وليس السليم!

يا هذا!

هل يُعذّب الله المشرك لأجل أنه طاف حول شجرة أو حول حجر؟!
هل يُعذّب الله من ذبح دجاجة لغير الله بقصد التقرّب؟!
وهل... وهل..؟
وعلى هذا قِس.
ما هكذا تُورد الإبل.
وما هكذا تُورد النصوص.
إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم لم يكونوا يغضبون ذلك الغضب الشديد إلا عندما تُعارَض السنة بأقوال الرجال أو بالآراء، وإن كانت تلك الأقوال من أقوال كبار الصحابة رضي الله عنهم.
وما ذلك إلا لتعظيمهم لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم ولسنّته عليه الصلاة والسلام
فقد رأى عبد الله بن المغفل رجلاً من أصحابه يخذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره أو قال: ينهى عن الخذف، فإنه لا يُصطاد به الصيد، ولا يُنكأ به العدو، ولكنه يكسر السن، ويفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره أو ينهى عن الخذف، ثم أراك تخذف، لا أكلمك كلمة كذا وكذا. رواه البخاري ومسلم.
وفي رواية لمسلم: أن قريبًا لعبد الله بن مغفل خذف، فنهاه، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف، وقال: إنها لا تصيد صيدًا، ولا تنكأ عدوًا، ولكنها تكسر السن، وتفقأ العين. قال: فعاد، فقال: أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه، ثم تخذف، لا أكلمك أبدًا.
نعم. لا يرضون بمعارضة قول سيّدهم وقدوتهم، بل ويشتدّون على المخالِف
فهذا عمران بن حصين كان في رهط وفيهم بشير بن كعب فحدّث عمران يومئذ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحياء خير كله". قال: أو قال: الحياء كله خير، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينة ووقارًا لله، ومنه ضعف! فغضب عمران حتى احمرّتا عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتُعارض فيه. فأعاد عمران الحديث، فأعاد بشير، فغضب عمران قال أبو السوار العدوي: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به. رواه البخاري ومسلم.
ولما قال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها. قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن.
قال الراوي: فأقبل عليه عبد الله فسبّه سبّاً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: والله لنمنعهن. رواه البخاري ومسلم.
وفي رواية: فضرب في صدره، وقال: أحدِّثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: لا!
وبلغوا من الامتثال أجمله وأحسنه وأكمله
روى البخاري عن نافع عن ابن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟

قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟
قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.
وروي أن عمر رضي الله عنه جَلَدَ رجلين سبّحا بعد العصر. أي صليا.
ورأى سعيد بن المسيب رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يُكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟!
قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة. رواه البيهقي في الكبرى.
وبلغ من شدّة تمسُّك سلف الأمة بسُنّةِ نبيِّها مبلغاً استفاضت معه أقوالُهم.
واتّفقت كلمة العلماء أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة المتبوعة على ردِّ قولِهم إذا خالف الحديث.
قال الإمام أبو حنيفة: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي.
وقال أيضًا: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه.
وقال أيضًا: إذا قلت قولاً يُخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي.
وقال الإمام مالك: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكلّ ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.
وقال أيضًا: ليس أحدٌ بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم.
وأما الإمام الشافعي فقال: أجمع المسلمون على أن من استبان له سُنةٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحِلّ له أن يدعها لقول أحد.
وقال أيضًا: إذا وجدتم في كتابي خلاف سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت.
وقال الإمام أحمد: من ردّ حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلَكَة.
وقال أيضًا: لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابهِ فخُذ به.
قال الحميدي: روى الشافعي يوماً حديثاً، فقلت: أتأخذ به؟
فقال: رأيتني خرجت من كنيسة، أو عليَّ زُنّار حتى إذا سمعتُ عن رسول صلى الله عليه وسلم حديثاً لا أقول به؟!
وهذا كله يدلّ على تعظيمهم لأقوال نبيِّهم صلى الله عليه وسلم، ويدلّ على تأدّبهم مع إمامهم عليه الصلاة والسلام، وعلى شدّة محبته صلى الله عليه وسلم.
إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم لا تنبت إلا على ساق المتابعة والاقتداء
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى:
(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)
هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: مَنْ عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد. ولهذا قال: (إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ)

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِبّ إنما الشأن أن تُحَبّ. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال:(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ) ا هـ.
وقال الإمام الطحاوي:
ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام.
قال ابن أبي العز: أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه. روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامع نافع. ا هـ.
فمن أحبّ سيد ولد آدم فليُعظّم أقواله وسُننه أكثر من تعظيمه لقول مَن سواه من البشر.
أما دعوى محبته مع مُخالفته أو مع تقديم قول غيره على قوله فهذه دعاوى و" لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه " كما في الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام.
وليدع: (ما اقتنعت – ما يُعقل – ما يدخل مزاجي!) ليدع هذه الكلمات وأمثالها عند الكوكب، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما لمن سأله عن استلام الحجر، فقال ابن عمر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويُقبِّله. فقال: أرأيت إن زُحمت؟ أرأيت إن غُلبت؟
فقال ابن عمر: اجعل أرأيت باليمن! رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويُقبِّله. رواه البخاري.
وقال لمن سأله عن قيام الليل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة. فقال السائل: أرأيت إن غلبتني عيني؟ أرأيت إن نمت؟ قال: اجعل أرأيت عند ذلك النجم. رواه ابن ماجه.
هكذا فلتُعظّم السنة، وليُربّى عليها الأولاد والأتباع

١٨. حقيقة محبة النبي صلى الله عليه وسلم

د : أبو صهيب الرهواني
على إثر الاعتداء على رسولنا العظيم ثارت مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تعبر عن سخطها ورفضها لهذا السلوك العدواني الظالم وهي ثورة ناتجة في أساسها عن حب المسلمين لنبيهم الكريم وهو شيء محمود إلا أن هذا الحب عند تمحيصه والتأمل في حقيقته يتبين أنه لا يرقى إلى المستوى المطلوب وهو ما سنحاول بيانه من خلال هذه الصفحات التالية :
أولاً: وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم :
لكن دعونا في البداية نبين أن محبة النبي ليست كسائر أنواع المحبة لأي شخص، نعم إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم عبادة عظيمة نعبد بها الله عز و جل وقربة نتقرب بها من خلالها إليه و أصل عظيم من أصول الدين ودعامة أساسية من دعائم الإيمان كما قال تعالى {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ،وكما قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين". [البخاري]
وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه، واللّه لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال صلى اللّه عليه وسلم: "لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال: يا رسول اللّه واللّه لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال صلى اللّه عليه وسلم: "الآن يا عمر".
إذن فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ليست أمرا ثانويا أو أمرا مخير فيه إن شاء المرء أحبه وإن شاء لم يحبه بل هي واجب على كل مسلم وهي من صميم الإيمان ولابد لهذا الحب أن يكون أقوى من أي حب ولو كان حب المرء لنفسه.
ثانيا: بواعث محبة النبي صلى الله عليه وسلم:
١- موافقة مراد الله تعالى في محبته:
لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أحب الخلق إلى الله تعالى فقد اتخذه خليلا وأثنى عليه ما لم يثن على غيره كان لزاما على كل مسلم أن يحب ما يحب الله وذلك من تمام محبته سبحانه
٢- مقتضى الإيمان:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا أن من مقتضى الإيمان حب النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله وتوقيره "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين". [البخاري]
٣- مميزات النبي صلى الله عليه وسلم:
فرسول الله صلى الله عليه وسلم أ شرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس وأعظم الناس في كل شيء وهذه كلها دواعي لأن يكون صلى الله عليه وسلم أحب الناس .
٤- شدة محبته لأمته وشفقته عليها ورحمته بها:
كما وصفه ربه {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}؛ ولذلك أرجأ استجابة دعوته شفاعة لأمته غدا يوم القيامة
٥- بذل جهده الكبير في دعوة أمته:
وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.
ثالثا: دلائل محبته صلى الله عليه وسلم ومظاهر تعظيمه:
١- تقديم النبي صلى الله عليه وسلم على كل أحد:
قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم}، وقال سبحانه {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين}
فعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقدم عليه أي شيء مهما كان شأنه.
٢- سلوك الأدب معه صلى الله عليه وسلم:
ويتحقق بالأمور التالية:
* الثناء عليه والصلاة والسلام عليه لقوله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}.

* التأدب عند ذكره بأن لا يذكره مجرد الاسم، بل مقرونًا بالنبوة أو الرسالة كما قال تعالى {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} قال سعيد بن جبير ومجاهد: المعنى: قولوا: يا رسول الله، في رفق ولين، ولا تقولوا: يا محمد.. بتجهم. وقال قتادة: أمرهم أن يشرّفوه ويفخموه.
* الأدب في مسجده وكذا عند قبره وترك اللغط ورفع الصوت.
* توقير حديثه والتأدب عند سماعه وعند دراسته كما كن يفعل سلف الأمة وعلماءها في إجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكان مالك إذا أراد أن يجلس (أي للتحديث) توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، وتطيّب، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله.
و كان سعيد بن المسيب وهو مريض يقول "أقعدوني فإني أعظم أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع".
٣: تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به:
وهذا من أصول الإيمان وركائزه ومن الشواهد في هذا الباب ما ناله أبو بكر من لقب الصديق فعن عروة، عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: لما أسري بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدّ ناس. فمن كان آمنوا به وصدقوه وسمعوا بذلك إلى أبي بكر -رضي الله تعالى عنه-، فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوَقال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.
قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح.
قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
٤ : اتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته والاهتداء بهديه:
فطاعة الرسول هي المثال الحي والصادق لمحبته ولهذا قال تعالى {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم}.
والاقتداء به صلى الله عليه وسلم من أكبر العلامات على حبه؛ قال تعالى {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}.
فالمؤمن الذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يقلده في كل شيء في العبادة وفي الأخلاق وفي السلوك وفي المعاملات وفي الآداب كما كان شأن الصحابة الكرام فعن نافع قال لو نظرت إلى ابن عمر في اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت هذا مجنون ومما يروى عنه في هذا الباب.
٥. الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم:
إن الدفاع عن رسول الله ونصرته علامة من علامات المحبة والإجلال .
وقد سطر الصحابة أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الدفاع رسول الله وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره .كما قال تعالى " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون"
والدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أنواع نذكر منها :

١- نصرة دعوته ورسالته بكل ما يملك المرء من مال ونفس ....
٢- الدفاع عن سنته صلى الله عليه وسلم :بحفظها وتنقيحها وحمايتها ورد الشبهات عنها .
٣- نشر سنته صلى الله عليه وسلم وتبليغها خاصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بذلك في أحاديث كثيرة كقوله "فليبلغ الشاهد الغائب " وقوله "بلغوا عني ولو آية"
رابعًا: حال الصحابة في محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم:
لقد أحب الصحابة الكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا ليس له نظير وصل إلى درجة أن افتدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم وآباءهم:
نماذج مختلفة:
* من الشباب : علي ابن أبي طالب ونومه في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أن أراد المشركون قتله
وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : كان والله أحب إلينا من أموالنا واولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
* من الرجال : قصة قتل زيد بن الدثنة ،. قال ابن إسحاق : اجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ قال : (٤/ ١٢٦) والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمدٍ محمدا
* أخرج الطبراني وحسنه عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...} الآية".
* من النساء: أخرج ابن إسحاق: عن سعد بن أبي وقاص قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين.
قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.
قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.
خامسا :جزاء محبة النبي
روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:
أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَتَى السَّاعَةُ ؟

قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ "قَالَ: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ. قالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء ما فرحوا به. فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ول نستطيع أن نعمل كعمله فإذا كنا معه فحسبنا.

١٩. منهج أهل السنة في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم

لربنا تبارك وتعالى أرفع القدر وأعظم الشأن؛ فله العظمة الكاملة التي تتجلى في ذاته وصفاته وأفعاله، في خلقه وأمره، في الآفاق والأنفس، أنَّى نظرت في خلقه رأيت ما يبهر العقول ويزيد الإيمان، ومهما تلوت من آي كتابه العظيم وقفت على دلائل عظمته، وأدلة قَدْره سبحانه. خضعت لعظمة ربي عز وجل المخلوقات، وذلت لجبروته الأرض والسماوات، واشتد نكيره تعالى على من أخل بتعظيمه، فقال سبحانه: {ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:٦٧]. فحقٌ على من عرف قدر الله وأراد تعظيمه أن يعظم ما عظمه - تعالى - قياماً بحقه من التوحيد والعبادة، وقياماً بحق كتابه وحق رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

وغير خاف على مسلم صادق في إسلامه تلك المنزلة الرفيعة التي حباها ربنا تعالى لصفوة خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله حبيبنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإلى شيء من جوانب تلك العظمة، وهدي السابقين والتابعين لهم بإحسان في تعظيمه -صلى الله عليه وسلم-... ذلك الحديث الذي تنشرح له صدور المؤمنين الصادقين، وتتطلع إليه نفوسهم، ويتمنون أن لو اكتحلت أعينهم برؤية حبيبهم صلى الله عليه وسلم؛ وتشنفت آذانهم بسماع صوته.

المراد بالتعظيم:

قال الله تعالى: {إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً} [الفتح:٨،٩]. فذكر تعالى: حقاً مشتركاً بينه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الإيمان، وحقاً خاصاً به تعالى وهو التسبيح، وحقاً خاصاً بنبيه صلى الله عليه وسلم وهو التعزير والتوقير.

وحاصل ما قيل في معناهما أن: التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. وهذه المعاني هي المراد بلفظ التعظيم عند إطلاقه، فإن معناه في اللغة: التبجيل، يقال: لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من التعزير والتوقير. والتعظيم أعلى منزلة من المحبة، لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظماً، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه، فإنها تدعوه إلى تعظيمه. والرجل يعظم لما يتمتع به من الصفات العلية، ولما يحصل من الخير بسببه، أما المحبة فلا تحصل إلا بوصول خير من المحبوب إلى من يحبه.

مع المصطفى صلى الله عليه وسلم سيرة وخُلقاً:

لقد حبا الله تبارك وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم من الخصائص القوية والصفات العلية والأخلاق الرضية ما كان داعياً لكل مسلم أن يجله ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد كان لأهل السنة والجماعة قدم صدق في العناية بجمع خصائصه، وإبراز فضائله والإشادة بمحاسنه، فلم يخل كتاب من كتب السنة كالصحاح والسنن وغيرها من كتب مخصصة لم يخل من ذكر مآثره، كما أُفردت كتب مستقلة للحديث عنه وعن سيرته.

وقد اختار الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اسم (محمد) المشتمل على الحمد والثناء؛ فهو صلى الله عليه وسلم محمود عند الله تعالى، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام ومحمود عند أهل الأرض كلهم، وإن كفر به بعضهم؛ لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجحد؛ فصدق عليه وصفه نفسه حين قال: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد، تحته آدم فمن دونه ». وقد أغاث الله تعالى به البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والجهل والخرافة، فكشف به الظلمة، وأذهب الغمة، وأصلح الأمة، وصار هو الإمام المطلق في الهدى لأول بني آدم وآخرهم، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وكثَّر به بعد القلة، وأعزَّ به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة. عرّف الناسَ ربَّهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف، لا إلى من قبله، ولا إلى من بعده، بل كفاهم، وشفاهم، وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب: {أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: ٥١]، وعرفهم الطريق الموصلة إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع صلى الله عليه وسلم حسناً إلا أمر به، ولا قبيحاً إلا نهى عنه. وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشكلاً إلا بينه وشرحه، حتى هدى به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأي بشر أحق بأن يُحب؟ جزاه الله عن أمته أفضل الجزاء.

وقد وصف النبيَّ صلى الله عليه وسلم عدد من أزواجه وأصحابه كخديجة وعائشة، وأنس، وابن عباس، وعلي، وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم، ولما كان المقصود الإشارة إلى ذلك دون الاستقصاء آثرت نقل كلام ابن القيم الجامع لأوصافه، تحاشياً للإطالة وكثرة التخاريج.

قال ابن القيم: (ومما يحمد عليه صلى الله عليه وسلم ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه صلى الله عليه وسلم علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق، فإنه صلى الله عليه وسلم كان أعظم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً، كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله صلى الله

عليه وسلم في التوراة: (محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً).

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبداً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذبَّاً عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه، فهو أحق بقول القائل: بَرْدٌ على الأدنى ومرحمةٌ وعلى الأعادي مارنٌ جَلْدُ بواعث تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم: يدعو المسلم إلى ذلك أمور عدة، منها:

١- تعظيم العظيم سبحانه وتعالى، لأنه عظم نبيه صلى الله عليه وسلم؛ حيث أقسم بحياته في قوله: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢]. كما أثنى عليه فقال: {وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، وقال: {ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٤]، فلا يُذكر بشر في الدنيا ويثنى عليه كما يُذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويثنى عليه.

٢- أن من شرط إيمان العبد أن يعظم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الغرض من بعثته صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً} [الفتح: ٨، ٩]، قال ابن القيم: (وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له؛ فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم). بل الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله).

٣- ما ميزه الله تعالى به - مما سبق ذكره - من شرف النسب، وكرم الحسب، وصفاء النشأة، وأكمل الصفات والأخلاق والأفعال.

٤- ما تحمله صلى الله عليه وسلم من مشاق نشر الدعوة، وأذى المشركين بالقول والفعل حتى أتم الله به الدين وأكمل به النعمة. مع الصحابة في تعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم له في حياته: نال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين شرف لقاء النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لهم النصيب الأوفى من توقيره وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم، ولن يدركهم من بعدهم، ثم شاركوا الأمة في تعظيمه بعد موته صلى الله عليه وسلم. كان شأنهم في توقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال:(أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن

رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخمَّ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له).!

وقد وُصف الصحابة حال جلوسهم واستماعهم للنبي صلى الله عليه وسلم بوصف عجيب جاء في أحاديث عدة، منها قول أبي سعيد الخدري: وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه:(وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه).

ولما زار أبو سفيان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها في المدينة، ودخل عليها بيتها، ذهب ليجلس على فراش رسول الله؛ فطوته، فقال: يا بنية! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت:(هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه). ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك:(إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير).

ولما نزل قول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير:(فما كان عمر يُسمِع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه)، وكان ثابت بن قيس جهوري الصوت يرفع صوته عند النبي صلى الله عليه وسلم فجلس في بيته منكساً رأسه يرى أنه من أهل النار بسبب ذلك، حتى بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة.

وللمحدثين نصيب:

للمحدثين رحمهم الله ورضي عنهم منهج رصين ورصيد ثري وإسهام قوي في إجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوقير مجلس الحديث، والتحفز لاستباق العمل به، تعظيماً له وهذه بعض الشواهد: حدث عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فكان مما قال: وما سمعته قط يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة، فنظرت إليه وقد حل إزاره وانتفخت أوداجه، واغرورقت عيناه، فقال:(أو نحو ذلك أو دون، أو قريباً من ذلك، أو شبه ذلك). وجعفر بن محمد، ومالك بن أنس، والأعمش، بل قد صار ذلك مستحباً عندهم، وكرهوا خلافه. قال ضرار بن مرة:(كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على غير وضوء). قال إسحاق: فرأيت الأعمش إذا أراد أن يتحدث وهو على غير وضوء تيمم. وكان مالك يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويأخذ زينته للتحديث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن أبي الزناد: كان سعيد بن المسيب - وهو مريض - يقول:(أقعدوني؛ فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع). ومرّ مالك بن أنس على أبي خازم وهو يحدث فجازه، وقال:(إني لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا قائم). وكان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك، فإذا جاء

الحديث خشع. وقال سعيد بن عامر:(كنا عند هشام الدستوائي فضحك رجل منا فقال له هشام الدستوائي: تضحك وأنت تطلب الحديث؟!)..

كيف نعظم النبي صلى الله عليه وسلم؟

إن الأمر بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه يعني أن ذلك عبادة لله عز وجل وقربة إليه سبحانه والعبادة التي أرادها الله تعالى ويرضاها من العبد هي ما ابتغي به وجهه، وكان على الصفة التي شرعها في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم. فأما الإخلاص في الأعمال وابتغاء وجه الله فيها فهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى. وأما متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فهي مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله، ولازم من لوازمها؛ إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً:(طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع).

وهذا كمال التعظيم، وغاية التوقير. وأي تعظيم أو توقير للنبي صلى الله عليه وسلم لدى من شك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه وعبد الله من غير طريقه؟! ولذا اشتد نكير الله تعالى على من سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها، فقال:{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١]. وقال صلى الله عليه وسلم:«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي مردود عليه.

ثم العبادة محلها القلب واللسان والجوارح:

ويتحقق تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالقلب بتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين؛ إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك، ثم إنه لا توقير ولا تعظيم بلا محبة. وإنما يزرع هذه المحبة معرفته لقدره ومحاسنه صلى الله عليه وسلم. وإذا استقرت تلك المحبة الصادقة في القلب كان لها لوازم هي في حقيقتها مظاهر للتعظيم ودلائل عليه، ومن صور ذلك التعظيم: الثناء عليه صلى الله عليه وسلم بما هو أهله، وأبلغ ذلك ما أثنى عليه ربه عز وجل به، وما أثنى هو على نفسه به، وأفضل ذلك: الصلاة والسلام عليه؛ لأمر الله عز وجل وتوكيده:{إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [الأحزاب: ٥٦]، وهذا إخبار من الله تعالى: (بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا)، وصلاة المؤمنين عليه هي الدعاء طلباً للمزيد من الثناء عليه. والصلاة عليه مشروعة في عبادات كثيرة كالتشهد والخطبة وصلاة الجنازة وبعد الأذان وعند الدعاء وغيرها من المواطن. وأفضل صيغها: ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قالوا: أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وغير خاف عليك ما في الصلاة عليه من الفوائد والثمرات من كونها سبباً لحصول الحسنات، ومحو السيئات، وإجابة الدعوات، وحصول الشفاعة، وصلاة الله على

العبد، ودوام محبة النبي صلى الله عليه وسلم وزيادتها، والنجاة من البخل. ومن تعظيمه: التأدب عند ذكره صلى الله عليه وسلم بأن لا يذكر باسمه مجرداً، بل يوصف بالنبوة أو الرسالة، وهذا كما كان أدباً للصحابة رضي الله عنهم في ندائه فهو أدب لهم ولغيرهم عند ذكره، فلا يقل: محمد، ولكن: نبي الله، أو الرسول، ونحو ذلك. وهذه خصيصة له في خطاب الله في كتابه الكريم دون إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يخاطبه تعالى قط باسمه مجرداً، وحين قال: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب: ٤٠] قال بعدها: {ولَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}. يجيء التوجيه إلى هذا الأدب في قوله تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً} [النور: ٦٣].

ومنه: الإكثار من ذكره، والتشوق لرؤيته، وتعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته، وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها، وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله، وما كان من أمور دعوته وسيرته وغزواته، والتمدح بذلك شعراً ونثراً.

وأسعد الناس حظاً بذلك: المحدثون والمشتغلون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. والشرط في ذلك: كونه في حدود المشروع، وسطاً بين الجفاء وبين الغلو والإطراء. استشعار هيبته صلى الله عليه وسلم ولجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكراً لحقه من التوقير والتعزير، ومعترفاً به ومذعناً له، فالقلب ملك الأعضاء، وهي جند له وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم مستقراً في القلب مسطوراً فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة.

وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لماله من الحق والتكريم. وبرهان التعظيم الصادق هو تعظيم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة المتضمنة في الكتاب والسنة كما فهمها سلف الأمة، وذلك باتباعها والتزامها قلباً وقالباً، وتحكيمها في كل مناحي الحياة وشؤونها الخاصة والعامة؛ ومحال أن يتم الإيمان بدون ذلك: {ويَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وبِالرَّسُولِ وأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ومَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور:٤٧]..

فإن هذا هو مقتضى التعظيم الحقيقي والتوقير الصادق؛ إذ العبرة بالحقائق لا بالمظاهر والأشكال الجوفاء، ولذا قدم الله عز وجل هذا الأدب العظيم على سائر الآداب الواجبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنهى عن التقدم بين يديه بأمر دون أمره أو قول دون قوله، بل يكونون تبعاً لأمره منقادين له مجتنبين نهيه، فقال في أول سورة الحجرات: {يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:١]. ومن التقدم بين يديه: تقديم القوانين والتشريعات البشرية على شريعته، أو تفضيل حكم غيره على حكمه أو مساواته به، أو التزام منهج مخالف لهديه وسنته: {فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء:٦٥].

وأسعد الناس حظاً بسنته وأقربهم إلى الشرب من حوضه: أهل السنة والجماعة، فهم من أحيوا سنته واتبعوا شريعته وهديه. ومن توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم توقيره في آله، ومنهم أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين ورعاية وصيته بهم بمعرفة فضلهم ومنزلتهم وشرفهم بقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على إيمانهم، وبحفظ حقوقهم والقيام بها، فهم أشرف آل على وجه الأرض، وأزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات، قال الله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: ٣٣]، وقد أوجب الله الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد في الصلاة.
ومنه: توقيره في سائر صحبه رضي الله عنهم جميعاً فإنهم خيرة الناس بعد الأنبياء، وخيرة الله لصحبة نبيه، وهم حماة المصطفى صلى الله عليه وسلم والأمناء على دينه وسنته وأمته، وذلك بمعرفة فضلهم، ورعاية حقوقهم، فإن الطعن فيهم أو تنقُّصهم عنوان الزندقة. ومنه: الأدب في مسجده، وكذا عند قبره، وترك اللغط ورفع الصوت، ولذا أنكر عمر رضي الله عنه على من رفع صوته فيه. فقال للرجلين:(ترفعان أصواتكما في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم؟! لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً).
ومن تعظيمه: حفظ حرمة بلده المدينة النبوية؛ فإنها مهاجره، ودار نصرته، وبلد أنصاره، ومحل إقامة دينه، ومدفنه، وفيها مسجده خير المساجد بعد المسجد الحرام. والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها، وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها، وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم فيتأكد فيها العمل الصالح وتعظم فيها السيئة؛ لشرف المكان.
صور من البخس:
بعد هذه الجولة الماتعة مع حق عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يسوغ أبداً لمنتسب إلى السنة أن يجفو في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فيخل بما يجب له من الإجلال والتوقير والتعظيم. ومن صور الإخلال: التقصير في معرفته أو معرفة سيرته وهديه أو فهم سنته أو الإخلال في تطبيقها غلواً أو جفاء. ومنها: إساءة العمل والتقصير في الصالحات، وخاصة ممن ينتسب لآل بيته الكرام. ومن العجيب مع تأكد هذا الحق العظيم أن يقع التعرض بسوء للمؤمنين الصادقين من آل البيت! وأعجب منه سب صحابته والنيل من أزواجه الطاهرات! وأكبر منها الإساءة إلى ذات النبي صلى الله عليه وسلم، والجرأة على نقده ولمز شريعته في ديار المسلمين!! ثم أين هو من دين النبي صلى الله عليه وسلم من يستبدل شريعته بقوانين البشر، أو يهزأ من هديه، أو يتعالى على سنته؟!
وبعد: يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم! هل عظَّم نبيكم وحبيبكم صلى الله عليه وسلم من حلف به مع أنه صلى الله عليه وسلم يقول:«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، ويقول:«من حلف بغير الله فقد أشرك»؟! وهل عظَّمه من توسل بذاته مع أن الصحابة توسلوا بدعائه لا بذاته، كما في حديث عمر حين طلب من العباس الدعاء والاستسقاء والنبي صلى الله عليه وسلم عندهم في قبره؟! وهل عظَّمه من

توجه إليه طالباً منه الشفاعة مع أن الله عز وجل بين للأمة أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه تعالى ورضاه، وأمر من أراد الشفاعة بطلبها بطاعته؟! وهل عظمه من استغاث به مع أنه بشر لا يملك من أمره شيئا؟! أليس هذا تنكراً لمحبته وتعدياً لشرعه وعصياناً لأمره؟ حيث قال:«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»؟!

وهل من تعظيمه الابتداع في دينه، والزيادة في شريعته من التمسح بحجرته أو الاحتفال بمولده بعد اتفاقنا على نصحه لأمته ودلالتها على كل حسن؟! فأي حسن في عمل احتفالات ساعات أو أيام ثم التقصير والإهمال في سائر العام؟! وأي حسن في الاحتفال بزمن توفي فيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؟! وأي حسن في مشابهة دين النصارى المفتونين بالاحتفالات؟! وأي حسن في التعدي على فقه الفاروق حين أرَّخ بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم رمز انتصار دينه، ولم يؤرخ بمولده ووفاته، تقديماً للحقائق والمعاني على الطقوس والأشكال؟! وأي حسن في تجديد دين الدولة العبيدية الباطنية الحاقدة التي ابتدعت ذلك الاحتفال؟! وأي حسن في عمل لم يشرعه الحبيب صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله أنصاره وحماة دينه وحملة رسالته رضي الله عنهم؟ أليسوا أصدق الناس حباً له؟! أليس فقه الراشدين وفهمهم وسنتهم مما أوصاكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم قائلا: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ؟! أليس فعل المولد مخالفة لأمره: وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة؟!

فأي تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الموالد التي صارت ركباً للمدعين، وحجة للبطالين؟! ألا ترون المولد بعد هذا تقصيراً في حق حبيبنا صلى الله عليه وسلم وظلماً له؟! اللهم اجعلنا من المعظمين رسولنا -صلى الله عليه وسلم- حق التعظيم المتبعين شرعه، السائرين على دربه، المهتدين بهديه، اللهم أحينا على سنته، ولا تحرمنا من مرافقته في الجنة.. آمين.

٢٠. حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين

الشيخ/ صلاح الدين علي بن عبد الموجود

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن من أعظم الحقوق على المسلمين كافة وأهل العلم خاصة بيان فضل نبيهم صلى الله عليه وسلم وعظيم قدره عند الله تبارك وتعالى وعند أصحابه الذين اتبعوه وعاشوا معه ورأوه، وكيف ترجم هذا الجيل هذه المحبة إلى واقع وسلوك!! فما أحوج المسلمون اليوم أن يعرفوا حق نبيهم صلى الله عليه وسلم عليهم حتى يحبوه كما أحبه ذلك الجيل ويتبعوه كما اتبعه ذلك الجيل.

وإن شئت أن ترى بعض المكانة عند الصحابة رضي الله عنهم فتأمل هذا الوصف الذي رآه عروة ابن مسعود الثقفي سيد من سادات قريش، وهم من أشد خلق الله عداوة له حينما جاء يفاوض النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية (ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ قَالَ فَوَ اللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا

أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ) [رواه البخاري].

ولا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من فهم، بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم، و خصوصه إياه بفضائل و محاسن و مناقب لا تنضبط لزمام، و تنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة و الأقلام.

فمنها ما صرح به الله تعالى في كتابه، و نبه به على جليل نصابه، و أثنى عليه من أخلاقه و آدابه، و حض العباد على التزامه، و تقلد إيجابه، فكان جل جلاله هو الذي تفضل و أولى، ثم طهر و زكى، ثم مدح بذلك و أثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً و عوداً، و الحمد أولى و أخرى.

ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال و الجلال، و تخصيصه بالمحاسن الجميلة و الأخلاق الحميدة، و المذاهب الكريمة، و الفضائل العديدة، و تأييده بالمعجزات الباهرة، و البراهين الواضحة، و الكرامات البينة التي شاهدها من عاصره و رآها من أدركه، و علمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم ذلك إلينا، و فاضت أنواره علينا.

فاعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم، الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال و الكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة و ضرورة الحياة الدنيا، و مكتسب ديني، و هو ما يحمد فاعله، و يقرب إلى الله تعالى زلفى.

فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار و لا اكتساب، مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته، و جمال صورته، و قوة عقله، و صحة فهمه، و فصاحة لسانه، و قوة حواسه و أعضائه، و اعتدال حركاته، و شرف نسبه، و عزة قومه، وكرم أرضه، و يلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه، من غذائه و نومه، و ملبسه و مسكنه، و منكحه، و ما له و جاهه.

و قد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى و معونة البدن على سلوك طريقها، و كانت على حدود الضرورة و قوانين الشريعة.

و أما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية، و الآداب الشرعية: من الدين و العلم، و الحلم، و الصبر، و الشكر، و المروءة، و الزهد، و التواضع، و العفو، والعفة، و الجود، و الشجاعة، و الحياء، والصمت، و التؤدة، و الوقار، و الرحمة، و حسن الأدب و المعاشرة، و أخواتها، و هي التي جمعها حسن الخلق.

و قد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة و أصل الجبلة لبعض الناس وقد يختلف الناس بعضهم عن بعض في هذه ولكن أن تجمع لشخص واحد فهذا من عظيم الفضل لهذا النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد أخذ سبحانه العهد على جميع الأنبياء أن أدركوه أن يتبعوه ويخبروا بذلك قومهم.

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران٨١]

وبين سبحانه وتعالى أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمانا لهم مما حرفه أحبارهم وعلماؤهم فقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} [المائدة١٥]

وامتن على البشرية كافة أن بعث رسولا منهم وليس ملكا حتى لا تيأس النفس وتعجز عن العبادة إذ لا طاقة لبشر بمتابعة عبادة مما تقوم بها الملائكة قال تعالى: {وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ(٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ(٩)} [الأنعام ٨ - ٩]

وقال تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} [الفرقان٧]

فكان من فضل الله ورحمته لإقامة الحجة كاملة على خلقه وعباده أن بعث فيهم رسولا يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون وينام كما ينامون.

قال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة١٢٨]

{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران١٦٤]

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الجمعة٢]

{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} [البقرة١٥١]

قال جعفر ابن محمد: علم الله عجز خلقه عن طاعته، فعرفهم ذلك، لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينهم و بينه مخلوقاً من جنسهم في الصورة، و ألبسه من نعمته الرأفة و الرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً، وجعل طاعته من طاعته، فقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ} [النساء٨٠]

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران١٥٩]

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء١٠٧]

قال أبو بكر بن طاهر: زين الله تعالى محمداً صلى الله عليه و سلم بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة، و جميع شمائله و صفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، و الواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله يقول: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، فكانت حياته رحمة، و مماته رحمة.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً(٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً(٤٦)} [الأحزاب ٤٥ - ٤٦].

جمع الله تعالى في هذه الآية لنبيه صلى الله عليه وسلم ما آثره به على باقي الخلق، و جملة من أوصاف المدح، فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه صلى الله عليه و سلم، ومبشراً لأهل طاعته، ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته، و سراجاً منيراً يهتدى به للحق.

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ(٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(٨)} [الشرح]

قال القاضي عياض: هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه، و شريف منزلته عنده، وكرامته عليه، بأن شرح قلبه للإيمان والهداية، و وسعه لوعى العلم، وحمل الحكمة، ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه، وبغضه لسيرها، وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله، وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم، و تنويهه بعظيم مكانه، و جليل رتبته، و رفعه و ذكره، و قرانه مع اسمه اسمه.

ولقد كان أهل الكتاب يتناقلون صفته تابع عن تابع ورغم إخفائهم الكثير إلا أن الله سبحانه وتعالى أظهر ما أخفوه.

عن عطاء ابن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أجل، و الله ! إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، و حرزاً للأميين، أنت عبدي و رسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ و لا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، و لكن يعفو و يغفر، و لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، و يفتح به أعينا عمياً، و آذاناً صماً، و قلوباً غلفاً.

ولقد كان من عظيم محبة الله تعالى لنبيه بعد رفعه وعلو شأنه الملاطفة في العتاب رحمة به وفضلا وكرما قال تعالى: {عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} [التوبة٤٣]

قال عون بن عبد الله: أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب.

و لو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه، ثم قال له: لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب.

و في هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب.

وكانت معية الله مع نبيه بالحفظ لا تفارقه.

قال تعالى: {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً} [الإسراء٧٤]

عاتب الله تعالى الأنبياء عليهم السلام بعد الزلات، وعاتب نبيّنا عليه السلام قبل وقوعه، ليكون بذلك أشد انتهاءً ومحافظة لشرائط المحبة، وهذه غاية العناية.

ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه، ففي أثناء عتبه براءته، وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته.

قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام٣٣]

قال علي رضي الله عنه: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك و لكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ} [الآية]

ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ، من تسليته تعالى له عليه السلام، و إلطافه به في القول، بأن قرر عنده أنه صادق عندهم، و أنهم غير مكذبين له، معترفون بصدقه قولاً و اعتقادًا، و قد كانوا يسمونه ـ قبل النبوة ـ الأمين، فدفع بهذا التقرير ما قد يتألم به من وصفهم له بسمة الكذب، ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين.

ثم عزّاه و آنسه بما ذكره عمن قبله، و وعده النصر بقوله تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ} [الأنعام٣٤]

وقد أقسم تعالى بتحقيق قدره فقال تعالى: {وَالضُّحَى(١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى(٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى(٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى(٦) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى(٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى(٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(١١)} [الضحى]

قال القاضي عياض: تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له، وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة و جوه:

الأول: القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى: {وَالضُّحَى(١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢)}. أي و رب الضحى، و هذا من أعظم درجات المبرة.

الثاني: بيان مكانته عنده و حظوته لديه بقوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}، أي ما تركك و ما أبغضك. و قيل: ما أهملك بعد أن اصطفاك.

الثالث: قوله تعالى: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى(٤)}، قال ابن إسحاق: أي مالك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا.

و قال سهل: أي ما ذخرت لك من الشفاعة و المقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع: قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى(٥)}

و هذه آية جامعة لوجوه الكرامة، و أنواع السعادة، و شتات الإنعام في الدارين. و الزيادة.

قال ابن إسحاق: يرضيه بالنصر والتمكين في الدنيا، و الثواب في الآخرة.

و قيل: يعطيه الحوض و الشفاعة.

الخامس: ما عدده تعالى عليه من نعمه، و قرره من آلائه قبله في بقية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال له، فأغناه بما آتاه، وهدى بك ضالاً، و أغنى بك عائلاً، و آوى بك يتيماً ـ ذكره بهذه المنن، و أنه لم يهمله في حال صغره و عيلته و يتمه و قبل معرفته به، و لا ودعه ولا قلاه، فكيف بعد اختصاصه و اصطفائه !

السادس: أمره بإظهار نعمته عليه و شكر ما شرفه بنشره و إشادة ذكره بقوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(١١)}، فإن من شكر النعمة الحديث بها، و هذا خاص له، عام لأمته.
وهذه بعض شمائله صلى الله عليه وسلم:
(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا) [رواه مسلم].
(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا) [رواه البخاري ومسلم].
(عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ) [رواه البخاري ومسلم].
(عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا -تَعْنِي قَصِيرَةً- فَقَالَ: "لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ" قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: "مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا) [رواه أبو داود].
ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بما يكره بل كان يعرض به صلى الله عليه وسلم.
(عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ") [رواه البخاري].
(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ) [رواه البخاري].
(عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ) [رواه البخاري].
(عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا آكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا) [رواه مسلم].
والذي ينظر إلى حياته الخاصة يرى التواضع التام وعدم الانشغال الزائد بالدنيا.
(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ) [رواه البخاري ومسلم].
وكذلك رحمته بنسائه ومعونته إياهم.

(سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا قَالَتْ نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ) [رواه أحمد].

وكذلك شدة محبته لأصحابه رضي الله عنهم والشهود بالفضل لهم.

(عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ وَقَالَ إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لَا فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا) [رواه البخاري].

(وَعَنْ جَرِيرٍ قَالَ مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا) [رواه البخاري ومسلم].

وحتى مع خادمه كان رمزا للأسوة والقدوة.

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا) [رواه البخاري ومسلم].

فمهما كتب الكاتب وأفهم الخطيب فلن يف أحد بحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم!!

ولكن هل من بداية؟!! والبداية لا تكون إلا بعلم وعمل... وقد أطلق المولى سبحانه وتعالى المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} [الأحزاب٢١]

فنسأل الله أن يجعلنا منهم- اللهم آمين.

٢١. محبة النبي صلى الله عليه وسلم*

الحديث عن محبته عليه الصلاة والسلام متعة عظيمة! أما الألسنة فتترطب بذكره والصلاة عليه، وأما الآذان فتتشنف بسماع سيرته وهديه وحديثه، وأما العقول فتخضع لما ثبت من الحكم والسنة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام، وأما الجوارح والأعضاء فتنتفع وتتمتع بموافقة هديه وفعله وحاله صلى الله عليه وسلم.

أولاً: مفهوم المحبة:

المحبة كما قال ابن القيم: "المحبة لا تُحَدُّ -أي لا يذكر لها تعريف- إذ هي أمر ينبعث بنفس يصعب التعبير عنه".

ثم المحبة لها جوانب، منها: محبة الاستلذاذ بالإدراك، كحب الصور الجميلة والمناظر والأطعمة والأشربة.. تلك محبة فطرية، أو تكون محبة بإدراك العقل، وتلك المحبة المعنوية التي تكون لمحبة الخصال الشريفة، والأخلاق الفاضلة، والمواقف الحسنة، وهناك محبة لمن أحسن إليك ولمن قدم لك معروفًا، فتنبعث المحبة حينئذ

لتكون ضربًا من ضروب الحمد والشكر، فينبعث الثناء بعد ذلك ترجمة لها وتوضيحًا لمعانيها.

قال النووي رحمه الله في كلمة جميلة: وهذه المعاني كلها موجودة في النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال الجلال، وأنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياه إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد من الجحيم.. فإن نظرت إلى وصف هيئته صلى الله عليه وسلم فجمال ما بعده جمال، وإن نظرت إلى أخلاقه وخلاله فكمال ما بعده كمال، وإن نظرت إلى إحسانه وفضله على الناس جميعًا وعلى المسلمين خصوصًا فوفاء ما بعده وفاء.

فمن هنا: تعظم محبته صلى الله عليه وسلم ويستولي في المحبة على كل صورها وأعظم مراتبها، وأعلى درجاتها، فهو صلى الله عليه وسلم الحري بأن تنبعث محبة القلوب والنفوس له في كل لحظة، وفي كل تقلبات حياتنا؛ ولذلك ينبغي أن ندرك عظمة هذه المحبة، وهنا وقفة نتمم بها هذا:

فنحن نتعلق ونرتبط برسول الله صلى الله عليه وسلم من جوانب شتى: في جانب العقل معرفة وعلمًا، نقرأ ونحفظ سيرته وحديثه وهديه وسنته، والواجب منها والمندوب منها ونحو ذلك. ومحبة بالقلب، وهي عاطفة مشبوبة، ومشاعر جياشة، ومحبة متدفقة، وميل عاصف تتعلق به النفس والقلب برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما فيه من المعاني الحسية والمعنوية.

ثم محبة بالجوارح تترجم فيها المحبة إلى الاتباع لسنته وفعله عليه الصلاة والسلام، فلا يمكن أن نقول إن المحبة اتباع فحسب! فأين مشاعر القلب؟ ولا يصلح أن نقول إنها الحب والعاطفة الجياشة، فأين صدق الاتباع؟ ولا ينفع هذا وهذا! فأين المعرفة والعلم التي يؤسس بها من فقه سيرته وهديه وأحواله عليه الصلاة والسلام؛ لذا فنحن نرتبط في هذه المحبة بالقلب والنفس، وبالعقل والفكر، وبسائر الجوارح والأحوال والأعمال، فتكمل حينئذ المحبة؛ لتكون هي المحبة الصادقة الخالصة الحقيقية العملية الباطنية، فتكتمل من كل جوانبها؛ لنؤدي بعض حق رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا.

ثانيًا: حكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

هي واجبة على كل مسلم قطعًا، والأدلة على ثبوت وجوبها كثيرة، ومن ذلك قول الله سبحانه الذي جمع في آية واحدة كل محبوبات الدنيا، وكل متعلقات القلوب، وكل مطامع النفوس ووضعها في كفةٍ، وحب الله، وحب رسوله في كفةٍ: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (التوبة: ٢٤).

قال القاضي عياض رحمه الله: "فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}، ثم فسّقهم بتمام الآية فقال: {وَاللَّهُ لا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله عز وجل. فهذه آية عظيمة تبين أهمية ووجوب هذه المحبة.
ويأتينا دليل عظيم وبليغ في قول الحق: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...} (الأحزاب: ٦).
وبين ابن القيم الدلالة على وجوب المحبة في هذه الآية من وجوهٍ كثيرة ضمنها أمرين:
الأول: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه: لأن الأولوية أصلها الحب ونَفْسُ العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أولى به منها، أي أولى به من نفسه وأحب إليه من نفسه، فبذلك يحصل له اسم الإيمان، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.
وأما الجانب الثاني: ألا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً: بل الحكم على نفسه لرسول صلى الله عليه وسلم، يحكم عليه أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف إلا ما تصرف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو أولى به من نفسه، أي بما جاء به عن الله عز وجل، وبلغهم من آياته وأقامه ونشره من سنته صلى الله عليه وسلم.
وقوله سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...} (آل عمران: ٣١).
من الأدلة العظيمة الشاهدة على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ لا نزاع في أن محبة الله واجبة، وأن اتباع النبي ومحبته طريق إلى محبة الله. والآيات أكثر من أن تحصر في هذا المقام.
وأما أحاديثه صلى الله عليه وسلم فصريحة في الدلالة على وجوب هذه المحبة، ومن ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" رواه البخاري ومسلم.
وكذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقد كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ". فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْآنَ يَا عُمَرُ" رواه البخاري.
وقول عمر الأول بمقتضى الأصل الطبعي في الإنسان أن أحب شيء إليه نفسه، فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بالمصطلح الإيماني أقرّ عمر بأنه بالمعنى الإيماني يفضل النبي، ويحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه، فقال له حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْآنَ يَا عُمَرُ".
ثم إن حبّ الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار -كما ذكر الخطابي-؛ ولذلك عمر جوابه الأول ذكر الطبع، ثم بعد ذلك ذكر الاختيار الذي هو مقتضى الإيمان.
ومن هنا ذكر العلماء أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم على ضربين:
أحدهما: فرض، وهو المحبة التي تقتضي الإيمان بنبوته، وبعثته، وتلقي ما جاء به بالمحبة والقبول، والرضا والتسليم.

ودرجة ثانية هي: محبة مندوبة، وهي تقصي أحواله ومتابعة سنته، والحرص على التزام أقواله وأفعاله قدر المستطاع والجهد والطاقة.
ومن الأدلة كذلك: قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" رواه مسلم.
ومن الأدلة كذلك: حديث جميل رائع، قال فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ" رواه مسلم.
فكلنا محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبة وجوبٍ، ومحبة اختيارٍ وتعظيمٍ له عليه الصلاة والسلام، وأمر هذا الوجوب لا يحتاج لأدلة، فلعلنا ندرك عظمة هذا الوجوب عندما ندرك هذه النصوص الواضحة في أن محبته ينبغي أن تكون أعظم من محبة النفس التي بين جنبيك، وأنفاسك التي تتردد، وقلبك الذي يخفق، فضلاً عن محبة الزوج والأبناء، أو الأمهات والآباء، فما أعظم هذه المحبة التي هي أعظم محبة لمخلوقٍ من بني آدم في الدنيا، وفي الخليقة كلها، وهي التي استحقها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ووجبت على كل مؤمن بالله سبحانه.
ثالثًا: لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
هذا السؤال لنهيِّج القلوب والمشاعر لهذه المحبة، ولنؤكدها، ولنحرص على غرسها في سويداء القلوب والنفوس حتى تتحرك بها المشاعر، وتنصبغ بها الحياة، وتكون هي السمت والصبغة التي يكون عليها المسلم في سائر أحواله بإذن الله تعالى.
أولاً: نحبه؛ لأنه حبيب الله، ومن أحب الله أحب كل ما أحبه الله، وأعظم محبوب من الخلق لله هو رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ" رواه مسلم. يعني نفسه صلى الله عليه وسلم، والخلة هي أعلى درجات المحبة.
ثانيًا: لأن الله أظهر لنا كمال رأفته وعظيم رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته: فنحن نحب الإنسان متى وجدناه بنا رحيمًا، وعلينا شفيقًا، ولنفعنا مبادرًا، ولعوننا مجتهدًا.. فنحبه من أعماق قلوبنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو في هذا الباب أعظم مَنْ رحمنا، ورأف بنا، وإن كان بيننا وبينه هذه القرون المتطاولة، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (سورة التوبة: ١٢٨).
ولو أردنا أمثلةً لذلك طال بنا المقام، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما كان يقول: "لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي...". وكم من الأحاديث الذي ورد فيها رقته ورحمته بأمته...
كما في حديث مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: [ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا

أحْفَظْهَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ] رواه البخاري ومسلم.
بل كان إذا سمع بكاء الصبي يخفف من صلاته رأفةً وشفقةً على قلب أمه به، وذلك من كمال رحمته وشفقته عليه الصلاة والسلام.
ومن ذلك: كمال نصحه لأمته، وعنايته بتعليمهم، حتى قيل للصحابة: "قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ" رواه مسلم. أي: حتى قضاء الحاجة.
علّم أمته كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام لا يدع فرصة إلا ويعلمهم، ولا يدع فرصةً إلا ويقول: "لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ" رواه البخاري ومسلم. حتى جئنا إلى أيامنا هذه وإلى ما بعدها، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا نراه في يقظته ومنامه، بل نحن نعرف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من سيرته أكثر مما نعرف عن أنفسنا. رُصدت حياته صلى الله عليه وسلم، ورصد لنا وصفه وشعره؛ كم شعرة بيضاء في لحيته، كل ذلك في وصفٍ دقيقٍ بليغٍ، حتى كأن كل شيءٍ في حياته ورد في وضح النهار، وفي رابعة الشمس كما يقولون.
ثالثًا: من دواعي محبته صلى الله عليه وسلم: خصائصه وخصاله العظيمة، ويكفينا في ذلك قول الله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [سورة القلم: ٤]. واجتمع فيه ما تفرق من وجوه الفضائل والأخلاق والمحاسن في الخلق كلهم، فكان هو مجتمع المحاسن عليه الصلاة والسلام، وحسبنا ذلك في هذه الدواعي، وإلا فالأمر كثير، فإن الذين مالت قلوبهم، وملئت حبًّا لرسول الله عليه الصلاة والسلام من أصحابه، إنما سبى قلوبهم، واستمال أنفسهم بما كان عليه من الخلق وحسن المعاملة، وكمال الرحمة، وعظيم الشفقة، وحسن القول إلى غير ذلك مما هو معلوم من شمائله عليه الصلاة والسلام.
رابعًا: مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم وعلاماتها:
فلكل شيءٍ دليل، ولكل ادعاءٍ برهان، ومن هنا نذكر بعض هذه المعالم العظيمة المهمة من مظاهر وعلامات محبته صلى الله عليه وسلم:
ومن أولها: محبته باتباعه، والأخذ بسنته صلى الله عليه وسلم: وكما قال ابن الجوزي مستشهدًا بقول مجنون ليلى:

إذا قيل للمجنون ليلى تريد   أم الدنيا وما في طواياها؟
لقال غبار من تراب نعالها   أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

قال ابن الجوزي: "وهذا مذهب المحبين بلا خلاف، فكل محب يكون أدنى شيء من محبوبه أعظم إليه من كل شيء في دنياه، فكان أدنى شيء من الله، ومن رسوله أعظم وأحب إلى كل مؤمن من كل شيء في دنياه".
قال ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم": "فمن أحب الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكره الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحب الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دلّ ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة".

ثانيًا: الإكثار من ذكره صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه:
فمن أحب إنسانًا أكثر ذكره، وأكثر ذكر محاسنه، فينبغي أن نعطر مجالسنا في كل وقتٍ وحينٍ بذكر مآثر النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته وأحواله وشمائله، وهذا الذكر هو الذي يهيج هذه المحبة ويبعثها، وكثرة الصلاة عليه والسلام تترك هذا المعنى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [سورة الأحزاب: ٥٦].
وفي حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ". قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: "مَا شِئْتَ"، قَالَ: قُلْتُ الرُّبُعَ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: "مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قَالَ: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: "إذن تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ" رواه الترمذي وأحمد.
قال الشراح: كان أُبّي يقصد أن له وردا من الدعاء دائم، فكان يصلي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كم أجعل لك من ذلك؟ قال زد حتى لو كان الحمد والثناء والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فإنه وإن قلّ الدعاء يكون فيه ما وعد به النبي صلى الله عليه وسلم: "إذن تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ".
ثالثًا: تمني رؤيته والشوق إليه: وتلك بعض مشاعر المحبة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ] رواه مسلم.
وهذا بلال -رضي الله عنه- ذهب إلى بلاد الشام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: لم أطق أن أبقى في المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان إذا أراد أن يؤذن وجاء إلى: "أشهد أن محمدًا رسول الله" تخنقه عَبْرته، فيبكي، فمضى إلى الشام وذهب مع المجاهدين، ورجع بعد سنوات، ثم دخل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحان وقت الأذان، فأذن بلال، فبكى، وأبكى الصحابة بعد انقطاعٍ طويل غاب فيه صوت مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتذكروا بلالاً وأذانه، وتذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكان بلال -رضي الله عنه- عند وفاته تبكي زوجته بجواره، فيقول: "لا تبكي.. غدًا نلقى الأحبة.. محمدا وصحبه".. فكان يشتاق للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو واحد من المبشرين بالجنة كما ثبت ذلك في الحديث. وهكذا روي عن حذيفة بن اليمان، وعن عمار بن ياسر -رضي الله عنهم أجمعين كلهم- روى أو ذكر القاضي عياض في الشفاء أنهم قالوا: "غدًا نلقى الأحبة.. محمدًا وصحبه".
رابعًا: محبة الكتاب الذي أنزل عليه والذي بلّغه لأمته: وهو معجزته الخالدة إلى قيام الساعة، كلام الله وكتابه العظيم الذي فيه الهدى والنور، فمن أحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحب القرآن، والتعلق به.
خامسًا: الأسباب الجالبة لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم:
١- تعظيم محبة الله تعالى.

٢- قراءة سيرته صلى الله عليه وسلم: اقرءوا السيرة، وعلموها أبناءكم. قال السلف: "كانوا يعلموننا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعلموننا الآية من القرآن".
٣- تذكر الأجر العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم.
٤- تولّي الصحابة رضوان الله عليهم، والإكثار من ذكر سيرتهم.
٥- تعظيم السنة النبوية: حتى إذا قيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون منك ما كان من الصحابة.. يقول الراوي كانوا إذا قيل: قال النبي صلى الله عليه وسلم: اشرأبت الأعناق، وشخصت الأبصار، وأصغت الأسماع.. لا انصراف ولا التفات ولا تحرك، بل احترام وإجلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
٦- إجلال المحبين للسنة والعاملين بها: كل محدّثٍ، وكل عاملٍ بسنة، وكل ملتزمٍ للسنة نحبه؛ لأنه يذكرنا برسول الله صلى الله عليه وسلم.
٧- الذبّ عن السنة والدفاع عنها.
سادسًا: ثمار المحبة:
هذه المحبة في الدنيا عون على الطاعة، والإكثار من العبادة، وخفة ذلك على النفس، وإقبال الروح على مزيدٍ من الطاعات.. وأما في الآخرة فحسب المحبة أن تكون نجاته من النار، ولحوقًا برسول الله صلى الله عليه وسلم كما قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" رواه البخاري ومسلم.
سابعًا: محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء:
هذه المحبة التي قلناها ما بال بعضنا يفسدها بغلو يخرج عن حد الاعتدال، أو جفاءٍ يبتعد فيه المسلم عن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعظيم محبته عليه الصلاة والسلام؟
الغلو خرج به قوم إلى صورٍ كثيرة لا تخفى عليكم من حيث الواقع، ولكني أذكرها من حيث المنهج والمبدأ.
من يجعل المدح مدخلاً لذكر ما هو خاص مستحق لله لا يجوز أن يشاركه فيه غيره، ولا أن يوصف به غيره، ولو كان هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يُدعى لرسول الله عليه الصلاة والسلام ما هو من حق الله وخصائص الله سبحانه، وهذا يأباه النبي صلى الله عليه وسلم!.
وقد علّمه للناس في وقته وفي زمانه، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ] بعضهم يقولون هذه الألفاظ تعبيرًا عن المشاعر، ولا نقصد بها عين الألفاظ! نقول: هل أنتم أعلم أو أحكم من رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ لِمَ لم يترك التنبيه على الألفاظ إذا كانت ليست مؤثرة في النفس، والفكر والعقل!!.
وضرب آخر من الغلو وهو: الإتيان بالمخالفات عملية وفعلية لسنة وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: بادعاء للمحبة، أو في أوقات وأفعال وأحوالٍ تُدعى فيه محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالاجتماع لمحبته مع وجود الاختلاط، أو وجود ما هو مذموم من الغناء، أو بادعاء أمورٍ غيبية من حلول روحه، أو من تجسد روحه،

أو من رؤيته، ونحو ذلك.. وهذه الأمور التي لا تثبت، وهذا الادعاء ليس له دليل، وليس له حجة.
ثم أمر ثالث أيضًا في هذا الغلو وهو: الادعاء والاختراع لأمورٍ وأقوال وأحوال لم تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
النبي عليه الصلاة والسلام علمنا الصلاة عليه، ووردت لنا في أحاديثه صيغ كثيرةٍ من الصلوات، ولكن أن نخصص صلوات معينة، لا بد أن تحفظ، وأن تذكر بعددٍ من المرات، من أين لنا هذا؟ ومن أين لنا أن نوجب على الناس، أو أن نسنّ لهم، أو أن نشرّع لهم ما لم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلامه أوثق وأقوى، وهو الذي أوتي جوامع الكلم عليه الصلاة والسلام.
ونجد كذلك هناك ادعاءات كثيرة فيما يتعلق بالأقوال والأحاديث، بعضها ضعيف، وبعضها موضوع، وبعضها لا يثبت، ومع ذلك كل هذا يقال، وينسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بادعاء الرغبة في المحبة أو التحليل، وهذا كله خارج عن حد الاعتدال.
وأما الجفاء: فكذلك إن كنا ننكر الغلو ونحذر منه فكذلك الجفاء، ومن صور الجفاء ترك زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، أو ترك السلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وترك التعلق بسنته.
ومن الجفاء: ردّ الأحاديث الصحيحة بموجب مقتضيات عقولهم، يقول لك: نعم هذا حديث لكن هذا لا يعقل، وهذا لا يصلح في هذا الزمان!. هذا كله ضربٌ من المخاطر العظيمة في شأن المحبة، بل في شأن الإيمان بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.
العدول عن سيرته.. عدم الهيبة والتعظيم والإجلال عند ذكره أو ذكر حديثه. لماذا لا نعظم الرسول صلى الله عليه وسلم؟ لماذا لا نثير هذه السيرة لتكون المحبة أعظم في القلوب؟
من أعظم الهجر والجفاء لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم: الابتداع، كل مبتدعٍ يتلبس بدعةً يخالف فيها سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو ضرب من الجفاء، كأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له افعل كذا، وهو يفعل غيره ونقيضه! وهذا أمرٌ عظيمٌ جدًّا.
من أهم الأمور في الجفاء: ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.
وكذلك: عدم معرفة قدر الصحابة وذمهم: كيف تدعي حبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تذمّ أصحابه الذين كانوا عن يمينه وعن يساره، الذين فدوه بأرواحهم وجعلوا صدورهم دروعًا تتلقى السهام؛ ليذودوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؟
كيف يمكن لأحدٍ أن يدعي المحبة وهو يذمّ أو يتهم أو يشنع على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين؟!.
من الجفاء: عدم العناية بالسيرة النبوية، وعدم معرفة الخصائص والخصال: خصال النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه عظيمة جدًّا، أكثرها لا يعرفها الناس، ولا يعرفون أحاديثه الثابتة، ولا المعجزات المادية، ومن المهم أن نذكرها.
أسأل الله تعالى أن يعظم محبة رسوله في قلوبنا، وأن يجعل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم عندنا من محبة أنفسنا، وأن يجعل محبة رسول الله صلى الله

عليه وسلم طمأنينة قلوبنا، وانشراح صدورنا، وأن يجعل محبته عونًا لنا على طاعة الله عز وجل، وحسن الصلة به.

** من محاضرة: "محبة النبي صلى الله عليه وسلم" للشيخ علي بن عمر بادحدح، أستاذ مشارك بجامعة الملك عبد العزيز- السعودية.

٢٢. كيف أرسخ حب النبي صلى الله عليه وسلم في قلب ولدي؟!

خالد السيد رُوشه

السؤال

كيف أرسخ محبة الرسول-صلى الله عليه وسلم- في طفلي؟

الإجابة

الحقيقة أن حب النبي _صلى الله عليه وسلم_ هو أصل من أصول هذا الدين ومبدأ من مبادئه لا يستقيم إيمان إنسان بدونه ولا يسع مسلم أن يتجاوزه ولا يصح لمسلم أن يكون متردداً فيه فهي مرتبطة بمحبة الله _سبحانه وتعالى_ إذ إنه – صلى الله عليه وسلم – مبعوثه ورسوله ومصطفاه ومجتباه..

وسؤالك هذا من أهم الأسئلة التي ينبغي على أولياء الأمور والوالدين أن يسألوه وأن يتقنوا فن تطبيقه، وأن يبذلوا جهدهم في الوصول إلى ترسيخ محبة النبي _صلى الله عليه وسلم_ في قلب أبنائهم أجمعين.

ولبيان الإجابة عن هذا السؤال يهمنا الوقوف عند عدة نقاط هامة:

أولاً: مكانة حب النبي _صلى الله عليه وسلم_ في التشريع الإسلامي الشريف:

فقد روى البخاري عن أنس _رضي الله عنه_ أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

وروى البخاري أيضاً عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده...".

وفي الصحيح عن عبد الله بن هشام: كنا مع النبي وهو آخذ بيد عمر، فقال عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال عمر: فإنه الآن، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: الآن يا عمر".

وفي الصحيحين عن أنس _رضي الله عنه_ قال جاء رجل إلى النبي _صلى الله عليه وسلم_ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "وماذا أعددت لها" قال: ما أعدت لها كثير عمل إلا أنني أحب الله ورسوله، قال النبي _صلى الله عليه وسلم_: " المرء مع من أحب" يقول أنس: فما فرحنا بشي كفرحنا بقول النبي _صلى الله عليه وسلم_: " المرء مع من أحب" ثم قال: وأنا أحب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وأبا بكر وعمر، وأرجوا الله أن أحشر معهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

وقد اقترن حبه _صلى الله عليه وسلم_ بحب الله _تعالى_ في الكثير من الآيات القرآنية، منها قوله _تعالى_: " قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم

وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشَون كسادَها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من اللهِ ورسولهِ وجهادٍ في سبيله فتربَّصوا حتى يأتي اللهُ بأمره واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين"، وقوله:" قُل إن كنتم تحبون اللهَ فاتَّبعوني يحبِبكُم اللهُ ".
ثانيًا: كيف نقدم النبي _صلى الله عليه وسلم_ لأبنائنا ونعرفهم به؟
ينبغي على الوالدين تقديم النبي _صلى الله عليه وسلم وشخصيته إلى الأبناء مراعين الاعتبارات الآتية:
١- الحرص على بيان شخصية النبي _صلى الله عليه وسلم_ كما بينها القرآن الكريم في قوله _تعالى_: " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً " فهو المبشر وهو المنذر وهو السراج المنير والمصباح الوضاء الذي به هدى الله العالمين وأخرجهم من الظلمات إلى النور.
٢- الحرص على بيان جوانب القدوة من شخصيته _صلى الله عليه وسلم_ وشخصيته كلها قدوة، والتأكيد على أنه هو النموذج المرتجى والمثال المأمول لكل من أراد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.
٣- لابد من أن نجيب لأبنائنا على سؤال: لماذا يجب علينا أن نحب النبي _صلى الله عليه وسلم_ ونصل إلى عقولهم بإقناعهم بأن كل عاقل حكيم صالح مؤمن ذكي يجب أن يحب النبي _صلى الله عليه وسلم_ لأنه الذات البشرية التي تسببت في هداية العالمين إلى الهدى والحق والنور والإيمان بفضل الله الحميد المجيد.
٤- التأكيد على فضائله _صلى الله عليه وسلم_ ومكانته عند ربه _سبحانه_ ومكانته بين الأنبياء وفضله يوم القيامة ومكانة شفاعته ومقامه في الجنة _صلى الله عليه وسلم_ والتأكيد على بيان معنى قوله في الصحيحين من حديث أبى هريرة أنه _صلى الله عليه وسلم_ قال: "فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم "فهو البليغ الفصيح" ونُصرت بالرعب وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون"
٥ –تبيين بشارة الأنبياء السابقين به _صلى الله عليه وسلم_ وحبهم له واستقبالهم إياه في الإسراء والمعراج، وأنه هو النبي الخاتم لهم، وأن شريعته هي الناسخة لشريعتهم والجامعة لفضائلها والشاملة لكل خير وهدى جاء في رسالتهم _صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين_
٦ – التأكيد على بيان معنى الاتباع ومعنى الابتداع بأسلوب مبسط وتكرار ذلك المعنى.
ثالثًا: بعض الوسائل التي يمكن اتخاذها لترسيخ حب النبي _صلى الله عليه وسلم_ في نفوس أبنائنا:
١ – حكاية معجزاته _صلى الله عليه وسلم_.
٢- حكاية أخلاقه العظيمة ونصرته للمظلومين وعطفه على الفقراء ووصيته باليتيم.
٣- حكاية أخبار رقته _صلى الله عليه وسلم_ ورحمته وبكائه وبأنه هو النبي الوحيد الذي ادَّخر دعوته المستجابة ليوم القيامة كي يشفع بها لأمته، كما جاء في صحيح مسلم:"لكل نبي دعوة مجابة، وكل نبي قد تعجل دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"، وهو الذي طالما دعا ربه قائلاً: "يا رب أمتي ، يا رب

أمتي" ، وهو الذي سيقف عند الصراط يوم القيامة يدعو لأمته وهم يجتازونه،قائلاً: " يا رب سلّم ، يا رب سلّم" وأنه بكى شوقًا إلينا حين كان يجلس مع أصحابه، فسألوه عن سبب بكاءه، فقال لهم : "اشتقت إلى إخواني"، قالوا :"ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟!" قال لهم:"لا"،إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني"!! كما ورد في بعض الآثار التي حسنها بعض العلماء.

٤- بيان كيف كان يحبه أصحابه _رضوان الله عليهم_ ويضحون في سبيله وحكاية القصص في ذلك.

٥- تحفيظ الأولاد أحاديث النبي _صلى الله عليه وسلم_ وتعليمهم سنته، وبيان كيف أنها تحفظ الإنسان من شياطين الإنس والجن.

٦ – فعل الوالدين العملي وطريقتهم التطبيقية في الاقتداء بالنبي _صلى الله عليه وسلم_ والحرص على سنته هي مؤثر من أكبر مؤثرات تربية الأبناء على ذلك، يقول صاحب كتاب (التربية الإسلامية): " إن من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل أيضاً تخيل منهج معين، ولكن هذا الكتاب وذلك المنهج يظل ما بهما حبراً على ورق، ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك ، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه، وتصرفاته، ومشاعره، وأفكاره مبادئ ذلك المنهج ومعانيه، وعندئذٍ فقط يتحول إلى حقيقة ".

رابعاً: ملاحظات هامه أثناء التطبيق:

١- الحرص على الّإقناع باستخدام المناقشة والسؤال والاستفسار وعدم الاعتماد على أسلوب التلقين وحده.

٢- يراعى استخدام أساليب التشويق في حكاية سيرة النبي _صلى الله عليه وسلم_ كما يراعى استخدام الثواب والهدية ومثاله في حالة التكليف بحفظ الأحاديث أو شيء من السنة.

٣- التركيز على كيفية إرضاء النبي _صلى الله عليه وسلم_ وثواب ذاك الإرضاء ولقاء النبي _صلى الله عليه وسلم_ يوم القيامة على الحوض والتفريق دائماً في حس الولد بين من يرحب بهم النبي وبين من يقال لهم سحقاً سحقاً.

٤- مساعدة الأطفال في الإنتاج الإبداعي فيما يخص حب النبي _صلى الله عليه وسلم_ مثل كتابة الشعر في ذلك والقصة والخطبة والمقالات وتشجيع المسابقات والمنافسات المختلفة في موضوع حب النبي _صلى الله عليه وسلم_.

المصدر: موقع المسلم

٢٣. تعليم الأطفال حب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل بيته

بسم الله الرحمن الرحيم

====================

أطفالنا وحب الرسول صلى الله عليه وسلم

د.أماني زكريا الرمادي

================

تمهيد:

===

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يليق بجلاله وكماله،حمداً على قدر حبه لرسوله الأمين، حمداً يوازي عطاءه للمؤمنين... والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين: خاتم النبيين،وإمام المرسلين،وقائد الغُر المُحجَّلين؛ سيدنا محمد، وآله وصحبه،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،وبعد.

فقد فتُرت علاقة المسلمين - بمرور الزمن،وتتابع الفتن- برسولهم صلى الله تعالى عليه وسلم،حتى اقتصرت- في معظم الأحيان- على الصلاة عليه عند ذكره،أو سماع من يذكره؛أو "التغني به في ليلة مولده أو ذكرى الهجرة أو ليلة الإسراء"(١)... دون أن تكون بين المسلمين وبينه تلك الرابطة القوية التي أرادها الله سبحانه لهم من خلال حبه صلى الله عليه وسلم،والتأسي به في أخلاقه وأفعاله.

وإذا كان المسلمون في عصرنا الحالي - خاصة الشباب منهم- يدَّعون أنهم يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم،فإن أفعال بعضهم تؤكد عكس ذلك؛ ربما لأنهم لا يعرفون كيف يحبونه!!

وفي خضم الحياة المعاصرة نجد الأمور قد اختلطت، والشرور قد سادت،وأصبح النشء والشباب يرددون :"نحن لا نجد القدوة الصالحة" ...وبدلاً من أن يبحثوا عنها نراهم قد اتخذوا المشاهير من المفكرين أ و الممثلين السينمائيين، أواللاعبين ،أو المطربين قدوة ومثلاً ... وما نراهم إلا استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!!!

من هنا كانت الحاجة ملحة لأن نعيد إلى أذهاننا وأذهان أبناءنا من الأطفال والشباب الصورة الصحيحة للقدوة الصالحة ،والشخصية التي تستحق أن تُتبع وأن يُحتذى بها. وفي السطور القليلة القادمة نرى محاولة لإعادة الصورة الواضحة للقدوة المثالية التي تستحق أن تتبع،وتأصيل ذلك منذ الطفولة حتى نبني أجيالاً من الشباب الصالحين الذين يمكن أن يكونوا هم أنفسهم قدوة لغيرهم.

ولا تخفي كاتبة هذه السطور أنها تمنت- أثناء قراءتها لإعداد هذا المقال- أن يوفقها المولى سبحانه لتتصف ببعض صفاته صلى الله عليه وسلم ... وهي الآن تتمنى ذلك أيضاً لكل من يقرؤه ، وعلى الله قصد السبيل،ومنه وحده التوفيق...والحمد لله رب العالمين.

د.أماني زكريا الرمادي

١- ما هو حب الرسول صلى الله عليه وسلم؟

"إن المقصود بحبه ليس فقط العاطفة المجردة، وإنما موافقة أفعالنا لما يحبه صلى الله عليه وسلم ،وكُره ما يكرهه، وعمل ما يجعله يفرح بنا يوم القيامة...ثم التحرق شوقاً للقياه، مع احتساب أننا لا نحبه إلا لله ، وفي الله ،وبالله" (٢)

وخلاصة حبنا له أن يكون- صلى الله عليه وسلم- أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا ؛ فقد روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده" ، فلما قال له عمر: "لأنت يا رسول الله أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي،قال له صلى الله عليه وسلم:"لا، والذي نفسي بيده،حتى أكون أحب إليك من نفسك"، فلما قال له عمر:"فإنك الآن أحب إلي من نفسي يا رسول الله" ،قال له:" الآن يا عمر" !!

٢- لماذا يجب أن نحب الرسول صلى الله عليه وسلم؟؟؟

أ-لأن حبه صلى الله عليه وسلم من أساسيات إسلامنا، بل أن الإيمان بالله تعالى لا يكتمل إلا بهذا الحب!!! وقد اقترن حبه صلى الله عليه وسلم بحب الله تعالى في الكثير من الآيات القرآنية،منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:
" قُل إن كان آباؤكم، وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم ،وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشَون كسادَها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من اللهِ ورسولهِ،وجهادٍ في سبيلِه، فتربَّصوا حتى يأتي اللهُ بأمرِه،واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين" ، و" قُل إن كنتم تحبون اللهَ فاتَّبعوني يحبِبكم اللهُ "
ب- لأنه حبيب الله الذي أقسم بحياته قائلاً:" لَعَمرُك إنَّهُم لَفي سَكْرَتِهم يَعمَهون"
والذي اقترن اسمه صلى الله عليه وسلم باسمه تعالى:
* مرات عديدة في القرآن الكريم ،
*و في الشهادة التي لا ندخل في الإسلام إلا
* وفي الأذان الذي يُرفع خمس مرات في كل يوم وليلة
كما نرى الله تعالى قد فرض علينا تحيته صلى الله عليه وسلم بعد تحيته سبحانه في التشهد في كل صلاة........ فأي شرف بعد هذا الشرف؟!!!
ج- لأنه حبيب الرحمن الذي قرَّبه إليه دون كل المخلوقات ليلة المعراج،وفضَّله حتى على جبريل عليه السلام،"كما خصه - صلى الله عليه وسلم- بخصائص لم تكن لأحد سواه،منها: الوسيلة، والكوثر، والحوض،والمقام المحمود"(٣)...ومن الطبيعي أن يحب المرء حبيب حبيبه،فإذا كنا نحب الله عز وجل،فما أحرانا بأن نحب حبيبه!!!
د-لأن حبه- صلى الله عليه وسلم- ييسر احترامه، واتباع سنته ،وطاعة أوامره ،واجتناب نواهيه... فتكون النتيجة هي الفوز في الدنيا والآخرة.
هـ-لأن(الله تبارك وتعالى قد اختاره من بين الناس لتأدية هذه الرسالة العظيمة،فيجب أن نعلم أنه اختار خير الأخيار،لأنه سبحانه أعلم بمن يعطيه أمانة الرسالة ،ومادام اصطفاه من بين كل الناس لهذه المهمة العظيمة،فمن واجبنا نحن أن نصطفيه بالمحبة من بين الناس جميعاً)(٤)
هـ- لأنه صلى الله عليه وسلم النبي الوحيد الذي ادَّخر دعوته المستجابة ليوم القيامة كي يشفع بها لأمته،كما جاء في صحيح مسلم:"لكل نبى دعوة مجابة، وكل نبى قد تعجل دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتي يوم القيامة"
،وهو الذي طالما دعا ربه قائلاً:"يارب أمتي ، يارب أمتي" ،وهو الذي سيقف عند الصراط يوم القيامة يدعو لأمته وهم يجتازونه،قائلاً:" يارب سلِّم،يارب سلِّم"
و- لأنه بكى شوقا إلينا حين كان يجلس مع أصحابه ، فسألوه عن سبب بكاءه، فقال لهم :"إشتقت إلى إخواني"،قالوا :"ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟!" قال لهم:"لا"،إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني"!!
ز-لأن المرء مع مَن أحب يوم القيامة"كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم،فإذا أحببناه حقاً صرنا جيرانه- إن شاء الله- في الفردوس الأعلى مهما قصرت أعمالنا،فقد روى أنس بن مالك أن أعرابياً جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال:"يا رسول الله ،متى الساعة"،قال له:

" وما أعددت لها؟"،قال :"حب الله ورسوله"،قال:"فإنك مع مَن أحببت"!!
و-لأن الخالق- وهو أعلم بخلقه- وصفه بأنه " لعلى خلُق عظيم" ،وبأنه:
" عزيز عليه ماعَنِتُّم،حريص عليكم ،بالمؤمنين رءوف رحيم" ؛ كما قال هو عن نفسه:" لقد أدَّبني ربي فأحسن تأديبي" ،ولقد ضرب - صلى الله عليه وسلم أروع الأمثال بخُلُقه هذا ،فأحبه،ووثق به كل من عاشره من المؤمنين والكفار على السواء، فنشأ وهو معروف بينهم باسم"الصادق الأمين" ...أفلا نحبه نحن؟!!!
ح- لأن الله تعالى شبَّهَه بالنور -الذي يخرجنا من ظلمات الكفر والضلال، ويرشدنا إلى ما يصلحنا في ديننا ودنيانا- في قوله سبحانه:"قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين"(٥) فالإسلام لم يأت إلينا على طبق من ذهب،وإنما وصل إلينا بفضل الله تعالى ،ثم جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وصبره وملاقاته الصعاب"(٦) ...فما من باب إلا وطرقه الكفار ليثنوه عن عزمه،ويمنعوه من تبليغ الرسالة؛ فقد حاولوا فتنته، بإعطاءه المال حتى يكون أكثرهم مالاً،وبجعله ملكا وسيداً عليهم، وبتزويجه أجمل نساء العرب،فكان رده عليهم-حين وسَّطوا عمه أبي طالب-"والله يا عم ، لو وضعوا القمر في يميني،والشمس في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته ،حتى يُظهره الله ،أو أهلك دونه"
ثم هم هؤلاء يحاولون بأسلوب آخر وهو التعذيب الجسدي والمعنوي،(ففي الطائف أمروا صبيانهم ،وعبيدهم برميه بالحجارة،فرموه حتى سال الدم من قدميه،وفي غزوة أُحُد شُقت شفته،وكُسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم،وفي مكة وضعوا على ظهره روث جزور،وقاطعوه وأصحابه حتى كادوا يهلكون جوعاً،وفي غزوة الخندق جاع حتى ربط الحجر على بطنه صلى الله عليه وسلم...ولكنه لم يتوقف عن دعوته، بل واصل معتصماً بربه،متوكلاً عليه) (٧)
ز- لأن حبه يجعله يُسَرُّ بنا عندما نراه يوم القيامة عند الحوض فيسقينا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.
ح- لأنه هو اللبنة التي اكتمل بها بناء الأنبياء الذي أقامه الله جل وعلا، كما أخبر بذلك أبو هريرة وجاء في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((إن َمثَلى ومَثَل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))
٣- لماذا هو خير قدوة؟
أ- لأن الله تعالى- وهو أعلم بنا وبه- قال في كتابه العزيز:"لقد كان لكُم في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لمَن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر"(فلا يعرف قدر رسول اللـه إلا اللـه. وإن قدره عند اللـه لعظيم! وإن كرامته صلى الله عليه وسلم عند اللـه لكبيرة! فقد علِم الله سبحانه أن منهج الإسلام يحتاج إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته،فيحوِّله إلى واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك بعثه صلى الله عليه وسلم- بعد أن وضع في شخصيته الصورة الكاملة للمنهج- ليترجم هذا المنهج ويكون خير قدوة للبشرية جمعاء)(٨)

(فهو المصطفى وهو المجتبى... فلقد اصطفى اللـه من البشرية الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولى العزم واصطفى من أولى العزم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم اصطفاه ففضله على جميع خلقه... شرح لـه صدره ،ورفع له ذكره ،ووضع عنه وزره، وزكّاه في كل شيء :

زكاه في عقله فقال سبحانه: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى [النجم: ٢].
زكاه في صدقه فقال سبحانه: وَمَا يَنطِقُ عَن الهوىَ [النجم: ٣].
زكاه في صدره فقال سبحانه: ألم نَشْرح لَكَ صَدْرَكَ [الشرح: ١].
زكاه في فؤاده فقال سبحانه: مَاكَذَبَ الفُؤادُ مَارَأىَ [النجم: ١١].
زكاه في ذكره فقال سبحانه: وَرَفعنَا لَكَ ذكْرَكَ [الشرح: ٤].
زكاه في طهره فقال سبحانه: وَوَضعنَا عَنكَ وزْرَكَ [الشرح :٢].
زكاه فى علمه فقال سبحانه: عَلَّمَهُ شَدَيدٌ القُوىَ [النجم: ٥]..
زكاه فى حلمه فقال سبحانه: بِالمؤمِنينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة :١٢٨].
زكاه كله فقال سبحانه: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤].
فهو- صلى الله عليه وسلم- رجل الساعة، نبى الملحمة، صاحب المقام المحمود- الذى وعده اللـه به دون جميع الأنبياء- في قوله :
وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا [الإسراء-٧٩].
فهذا هو المقام المحمود كما فى حديث مسلم من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع ")(٩)
ب-لأنه إمام الأنبياء الذي صلى بهم في المسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج ، أفنستنكف نحن عن أن نتخذه إماما وقدوة؟!!!
ج-لأنه فُضِّل على الأنبياء - كما جاء في الصحيحين - من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: "فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم (فهو البليغ الفصيح) ونُصرت بالرعب - وفى لفظ البخارى ((مسيرة شهر)) - وأُحلت لى الغنائم، وجُعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بى النبيون)"
د- لأن الله عصمه، وأرشد خطاه ، وسدد رميته، وجعله "لا ينطق عن الهوى"
هـ- لأنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، يفرح ويحزن ،يجوع ويعطش،يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يصوم ويفطر ،يمرض،ويتألم، ويصح جسده؛ يتزوج وينجب،ويفقد أولاده، ويفقد زوجاته، ويقيم ويسافر...فهو (النبي الوحيد الذي نستطيع أن نقتدي به في كل نواحي حياته لأن حياته كانت كالكتاب المفتوح)(١٠)
(فقد جسَّد حياتنا كلها بالمثل الأعلى...فهو مثلنا الأعلى في المعاملات الاجتماعية،مع الزوجة والأولاد و الأرحام،ثم المجتمع الإسلامي،وهو مَثلنا الأعلى في الأخلاق الفاضلة،وَمثلنا الأعلى في الدعوة إلى الله تعالى والصبر عليها،فهو النور الذي نهتدي به في طريقنا)(١١)

و-(لأنه صلى الله عليه وسلم كان قدوة صالحة في حسن رعايته لأصحابه، وتَفَقُّده لهم ،وسؤاله عنهم، ومراقبة أحوالهم، ومحاذرة مقصريهم، وتشجيع محسنهم، والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وتأديب الصغار منهم، وتعليم الجهلة فيهم)(١٢) بألطف وأرق الوسائل وأحكمها.

٤- لماذا يجب أن نحببه إلى أطفالنا ؟

أ-لأن مرحلة الطفولة المبكرة هي أهم المراحل في بناء شخصية الإنسان،فإذا أردنا تربية نشء مسلم يحب الله ورسوله، فلنبدأ معه منذ البداية، حين يكون حريصا على إرضاء والديه، مطيعاً ، سهل الانقياد.

ب-لأن الطفل (إذا استأنس بهذا الحب منذ الصغر ، سهل عليه قبوله عند الكبر، فنشأة الصغير على شيء تجعله متطبِّعاً به،والعكس صحيح...فمَن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيراً)(١٣)

ج- لأن أطفالنا إن لم يحبوه - صلى الله عليه وسلم - فلن يقتدوا به مهما بذلنا معهم من جهد

د-لأن حبهم له سوف يعود عليهم بالخير والبركة والتوفيق في شتى أمور حياتهم،وهو ما يرجوه كل أب وأم.

هـ - "لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز "قُل إن كنتم تحبون اللهَ فاتَّبعوني يُحبِبكُم اللهُ ويغفر لكم ذنوبَكم"،فمحبته صلى الله عليه وسلم تجلب حب الله في الدنيا ومغفرته في الآخرة،فأي كرامة تلك؟!"(١٤)وهل يتمنى الوالد لولده أفضل من ذلك؟!!!

و- لأن الجنة هي مستقر من أحبه ؛ومن ثم أطاعه ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"كلكم يدخل الجنة إلا مَن أبى،قالوا:"ومَن يأبى يا رسول الله؟"،قال مَن أطاعني دخل الجنة،ومَن عصاني فقد أبى "؛ فهل يتمنى الوالد لولده بعد حب الله والمغفرة إلا الجنة؟!!!

ز- لأن أطفالنا هم الرعية التي استرعانا الله إياها ؛ومن ثم فإن (الله سبحانه سوف يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده - كما يؤكد الإمام بن القيم- فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ،وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة،وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم بسبب إهمال الآباء لهم وتركهم دون أن يعلموهم فرائض الدين وسننه،فأضاعوهم صغاراً،فلم ينتفعوا بهم كباراً"(١٥)

٥- كيف نعلم أبناءنا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أولاً: بالقدوة الصالحة

إن أول خطوة لتعليمهم ذلك الحب هو أن يحبه الوالدان أولاً، فالطفل كجهاز الرادار الذي يلتقط كل ما يدور حوله،فإن صدق الوالدان في حبهما لرسول الله ،أحبه الطفل بالتبعية، ودون أي جهد أو مشقة من الوالدين،لأنه سيرى ذلك الحب في عيونهم ،ونبرة صوتهم حين يتحدثون عنه،وفي صلاتهم عليه دائما - حين يرد ذكره،ودون أن يرد- وفي شوقهما لزيارته،وفي مراعاتهم لحرمة وجودهم بالمدينة المنورة حين يزورونها،وفي أتباعهم لسنته،قائلين دائما: نحن نحب ذلك لأن رسول الله كان يحبه،ونحن نفعل ذلك لأن رسول الله كان يفعله،ونحن لا نفعل ذلك لأن الرسول نهى عنه أو تركه،ونحن نفعل الطاعات إرضاءً لله سبحانه ،ثم طمعاً في مرافقة ا لرسول

في الجنة...وهكذا يشرب الطفل حب النبي صلى الله عليه وسلم دون أن نبذل جهداً مباشراً لتعليمه ذلك الحب! فالقدوة هي أيسر وأقصر السبل للتأثير على الطفل، ويؤكد ذلك الشيخ محمد قطب بقوله:"إن من السهل تأليف كتاب في التربية،ومن السهل أيضاً تخيل منهج معين ،ولكن هذا الكتاب وذلك المنهج يظل ما بهما حبراً على ورق،ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك ،وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه، وتصرفاته،ومشاعره، وأفكاره مبادىء ذلك المنهج ومعانيه،وعندئذٍ فقط يتحول إلى حقيقة"(١٦)...إذ من غير المعقول أن نطالب أبناءنا بأشياء لا نستطيع نحن أن نفعلها،ومن غير الطبيعي أن نأمرهم بشيء ونفعل عكسه...وقد استنكر البارىء الأعظم ذلك في قوله تعالى:"أتأمرون الناسَ بالبِر وتنسون أنفسَكم وأنتم تتلون الكتابَ ،أفلا تعقلون؟!"(البقرة-٤٤)،وفي قوله جل شأنه:"يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟! كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"

(فإذا اقتدوا بنا تحولوا - بفضل الله - من عبء علينا إلى عون لنا)(١٧)

ثانياً: بالتعامل مع كل مرحلة عمرية بما يناسبها:

أ- مرحلة ما بعد الميلاد حتى الثانية من العمر:

تلعب القدوة في هذه المرحلة أفضل أدوارها،حين يسمع الطفل والديه يصليان على النبي عند ذكره،أو سماع من يذكره ، وحين يجلسان معا يومي ا لخميس والجمعة-مثلاً- يصليان عليه ،فيتعود ذلك، ويألفه منذ نعومة أظفاره...مما يمهد لحبه له صلى الله عليه وسلم حين يكبر.

كما يمكن أن نردد أمامه مثل هذه الأناشيد حتى يحفظها :

محمد نبينا
أمُّهُ آمِنة
أبوه عبد الله
مات ما رآه
....

"هذا بن عبد الله
أخلاقه القرآن
والرحمة المهداة
عمت على الأكوان"(١٨)

ب- مرحلة ما بين الثالثة والسادسة:

يكون الطفل في هذه المرحلة شغوفاً بالاستماع للقصص،لذا فمن المفيد أن نعرِّفه ببساطة وتشويق برسول الله صلى الله عليه وسلم،فهو الشخص الذي أرسله الله تعالى ليهدينا ويعرفنا الفرق بين الخير والشر،فمن اختار الخير فله الجنة ومن اختار الشر فله النار والعياذ بالله،ونحكي له عن عبد الله،وآمنة والدي الرسول الكريم،و قصة ولادته صلى الله عليه وسلم ،وقصة حليمة معه،ونشأته يتيماً(حين كان أترابه يلوذون بآبائهم ويمرحون بين أيديهم كطيور الحديقة بينما كان هو يقلّب وجهه في السماء ...لم يقل قط" يا أبي" لأنه لم يكن له أب يدعوه ،ولكنه قال كثيراً ،ودائماً:" يا ربي"!!! "(١٩)

ومن المهم أن نناقش الطفل ونطلب رأيه فيما يسمعه من أحداث مع توضيح ما غمض عليه منها.
ويستحب أن نحفّظه الآيتين الأخيرتين من سورتي "التوبة"،و"الفتح"التي تتحدث عن فضائله صلى الله عليه وسلم؛ مع شرح معانيها على قدر فهمه.
كما يمكن تحفيظه كل أسبوع أحد الأحاديث الشريفة القصيرة،مع توضيح معناها ببساطة،من هذه الأحاديث مثلاً :
" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"
"إن الله جميل يحب الجمال"
"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً ان يتقنه"
"خيركم من تعلّم القرآن وعلمه"
"إماطة الأذى عن الطريق صدقة"
"لا يدخل الجنة نمّام"
"من لم يشكر الناس، لم يشكر الله "
"ليس مِنَّا مَن لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا"
" ا لمسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده"
"الكلمة الطيبة صدقة"
"لا تغضب، ولك الجنة"
"تَبسُّمك في وجه أخيك صدقة"
"الراحمون يرحمهم الرحمن""
"من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"
"خير الناس أنفعهم للناس"
"الدين ا لنصيحة"
"الجنة تحت أقدام الأمهات"
"تهادوا تحابُّوا"
"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"
"جُعلت قرة عيني في الصلاة"
"الحياء من الإيمان"
" آية المنافق ثلاث :إذا حدَّث كذب وإذا وعد اخلف ،وإذا اؤتمن خان"
ج- مرحلة ما بين السابعة والعاشرة:
في هذه المرحلة يمكننا أن نحكي لهم مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال،وحبه لهم ، ورحمته بهم،واحترامه لهم،وملاطفته ومداعبته لهم...وهي مواقف كثيرة فيما يلي نذكر بعضها،مع ملاحظة أن البنت سوف تفضل حكاياته مع البنات،والعكس؛ولكن في جميع الأحوال يجب أن يعرفونها كلها؛ فالقصص تحدث آثاراً عميقة في نفوس الأطفال وتجعلهم مستعدين لتقليد أبطالها.
أ- موقفه مع حفيديه الحسن والحسين،حيث كان صلى الله عليه وسلم يحبهما ويلاعبهما ويحنو عليهما،وفيما يلي بعض المواقف لهما مع خير جد)(٢٠)

*"عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال:"خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً،فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم،فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلى،فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها،قال أبي فرفعت

رأسي وإذا الصبي على ظهر الرسول الكريم،وهو ساجد،فرجعت إلى سجودي؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة،قال الناس:" يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يُوحى إليك،فقال :"كل ذلك لم يكن،ولكن ابني ارتحلني ،فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته"!!!

*عن عبد الله بن بريدة،عن أبيه،قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران،فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما،ووضعهما بين يديه،ثم قال:"صدق الله<إنما أموالُكم وأولادُكم فتنة>،فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ،فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما"

***روى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:" قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده "الأقرع بن حابس التميمي "جالس، فقال الأقرع:"إن لي عشرة من الولد، ماقبَّلت منهم أحداً"،فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ثم قال:"مَن لا يَرحم لا يُرحم"، وروت عائشة رضي الله عنها أن أعرابي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال:"أتقبِّلون صبيانكم؟! فما نقبِّلهم"،فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:"أو أملِك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟"

****وكان صلى الله عليه وسلم يتواضع للأولاد عامة، ولأولاده خاصة،فكان يحمل الحسن رضي الله عنه على كتفه الشريفة، ويضاحكه ويقبله، ويريه أنه يريد أن يمسك به وهو يلعب ،فيفر الحسن هنا وهناك ،ثم يمسكه النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يضع في فمه الشريف قليلاً من الماء البارد ،ويمجه في وجه الحسن ،فيضحك، وكان صلى الله عليه وسلم يُخرج لسانه للحسين،فإذا رآه أخذ يضحك

***** ومن تمام حبه لهما وحرصه على مصلحتهما أنه كان يؤدبهما بلطف مع بيان السبب ،فقد روي أبو هريرة قائلا:"أخذ الحسن بن علي رضي الله تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"كخ ،كخ،إرم بها،أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة ؟"

ب- و موقفه مع أخ أصغر لأنس بن مالك،وكان يُدعى "أباعمير"، حين علم أنه اشترى عصفوراً،وكان شديد الفرح به ،فكان-صلى الله عليه وسلم- يداعبه كلما رآه قائلاً:"يا أبا عمير مافعل النغير؟" - والنغير صيغة لتصغير "النُغَّر"،وهو العصفور الصغير- وذات مرة كان صلى الله عليه وسلم يمشي في السوق فرآه يبكي، فسأله عن السبب ،فقال له:"مات النغير يا رسول الله"،فظل صلى الله عليه وسلم يداعبه، ويحادثه ،ويلاعبه حتى ضحك،فمر الصحابة بهما فسألا الرسول صلى الله عليه وسلم عما أجلسه معه، فقال لهم:"مات النغير ،فجلست أواسي أبا عمير"!!!

ج- رحمتـه صـلى الله عليـه وسـلم (لبكـاء الصـبي فـي الصـلاة، حتـى أنـه كـان يخففها،فعن أنس رضي الله عنه قال:" ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم،وإن كان ليسمع بكاء الصبي ،فيخفف عنه مخافة أن تُفتن أمه"،ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بنفسه،فيقول:"إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها،فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكاءه")(٢١)

هـ -" إصطحابه صلى الله عليه وسلم الأطفال للصلاة و مسحه خدودهم ، رحمة وإعجاباً وتشجيعاً لهم،فعن جابر بن أبي سمرة رضي الله عنه قال:"صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى- أي الظهر- ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحداً واحداً،قال: "وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها صلى الله عليه وسلم من جونة عطار"!!(٢٢)

ز-إعطاؤه صلى الله عليه وسلم الهدايا للأطفال،" فقد روى مسلم عن أبي هريرة قال:" كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه قال:" اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدِّنا"، ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر!!!

و- صلاته صلى الله عليه وسلم وهو يحملهم، فقد ثبت في الصحيحين عن "قتادة " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ،وهي لأبي العاص بن الربيع،فإذا قام حملها،وإذا سجد وضعها،فلما سلَّم حملها .

ز - إحترامه-صلى الله عليه وسلم- للأطفال ، ودعوته لعدم الكذب عليهم، فقد كان(الصغار يحضرون مجالس العلم والذكر معه،حتى كان أحد الغلمان ذات يوم يجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم،وعلى يساره الأشياخ،فلما أتى النبي بشراب شرب منه ،ثم قال للغلام:"أتأذن لي ان أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام:" لا يا رسول الله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً،فأعطاه له النبي صلى الله عليه وسلم)!! (٢٣)

وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه ،قال:"دعتني أمي ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت ها تعال أعطك"،فقال لها صلى الله عليه وسلم:" ما أردت أن تعطيه؟" قالت "أعطيه تمرا" ، فقال لها أما أنك لو لم تعطِه شيئا كُتبت عليك كذبة"

ح- وصيته صلى الله عليه وسلم بالبنات-حيث كان العرب يئدونهن في الجاهلية- قائلاً:" من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن، وضرائهن،وسرائهن دخل الجنة" فقال رجل :"و ثنتان يا رسول الله؟" قال:" و ثنتان"،فقال آخر:" وواحدة؟" قال: "وواحدة")(٢٤)

ز- حرصه صلى الله عليه وسلم على إرشادهم إلى الصواب وتصحيح مفاهيمهم وأخطائهم بالحكمة،وبصورة عملية لاستئصال الخطأ من جذوره ؛ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أن أحد أصحابه- صلى الله عليه وسلم- وكان مولى من أهل فارس قال : "شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة أُحد فضربت رجلاً من المشركين فقلت:"خذها مني وأنا الغلام الفارسي،فالتفت إليَّ النبي وقال:"هلا قلت خذها مني وأنا الغلام الأنصاري؟"

وهذا عبد الله بن عمر حين لم يكن يقوم الليل،فقال أمامه الرسول صلى الله عليه وسلم:"نِعم الرجل عبد الله، لوكان يصلي من الليل! فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا"

ح- تعليمه صلى الله عليه وسلم لهم حفظ الأسرار،"فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال:"أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه ،فأسر إليَّ حديثا لا أحدث به أحداً من الناس" (٢٥)

ط- رفقه بخادمه "أنس بن مالك" رضي الله عنه،حيث كان يناديه ب"يا بُني" أو" يا أُنيس"-وهي صيغة تصغير للتدليل- يقول أنس:" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين،والله ما قال لي أف، ولا لِم صنعت ؟ ولا ألا صنعت؟"(٢٦)

ك- (عقده صلى الله عليه وسلم المسابقات بين الأطفال لينشِّط عقولهم ،وينمِّي مواهبهم ويرفع همَّتهم، ويعزِّز طاقاتهم المخبوءة، فقد تصارع "سمرة"، و"رافع" رضي الله عنهما أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرادا الاشتراك في جهاد الأعداء فردهما رسول الله لصغر سنهما،فزكى الصحابة "سمرة" لأنه يحسن الرمي، فأجازه صلى الله عليه وسلم، فقال "رافع" أنه يصارعه- أي أنه أقوى منه- رغم أنه لا يحسن الرمي،فطلب الرسول الكريم منه أن يصارعه، فدخلا معًا مباراة للمصارعة فصرعه رافع، فأجازهما رسول الله صلى الله عليه وسلم!!

ل- رحمته- صلى الله عليه وسلم- بالحيوان،ومن الأمثلة على ذلك:

* قصته مع الغزالة، فقد روي عن أنس بن مالك انه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظبية فشدوها على عمود فسطاط فقالت: يا رسول الله إني أُخذت ولي خشفان(رضيعان) فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم فقال: "أين صاحب هذه؟" فقال القوم: نحن يا رسول الله"، قال: "خلُّوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم"، فقالوا من لنا بذلك؟ قال "أنا" فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراها منهم وأطلقها.

**وقصته مع (الجمل الذي رآه صلى الله عليه وسلم حين دخل بستاناً لرجل من الأنصار،فإذا فيه جمل فما إن رأى النبي صلى الله عليه وسلم حتى حنَّ وذرفت عيناه فأتاه الرسول الكريم فمسح ذفراه فسكت،،فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:"من رب هذاالجمل؟"

فقال فتى من الأنصار:" أنا يا رسول الله ، فقال له:" ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي أملكك الله إياها؟! فإنه شكا إلي انك تجيعه وتدئبه"(٢٧)

***وهذا جمل آخر(كانت تركبه السيدة عائشة رضي الله عنها لتروِّضه،فجعلت تذهب به وتجيء ، فأتعبته، فقال لها صلى الله عليه وسلم:" عليك بالرفق يا عائشة")(٢٨)

...وهكذا إلى آخر الحكايات المروية عنه صلى الله عليه وسلم المتاحة بكتب السيرة المعروفة،مما يناسب هذه المرحلة العمرية.

وإذا استطعنا أن نصحب طفلنا معنا لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد التمهيد له عن آداب المسجد - وخاصة المسجد النبوي والمسجد الحرام- وبعد أن نوضح له أ ن الله تعالى يرد عليه روحه حين نصلي عليه، ليرد علينا السلام؛ونوضح له أننا حين ندعو ونحن بجوا رالقبر الشريف يجب أن نكون متوجهين للقبلة ،فالمسلم لا يدعو إلا الله،ولا يرجو سواه.
كما نعرِّفه فضل الروضة الشريفة، ثم نحرص على أن نصحبه ليقضي بها ماشاء الله له.... فنحن نتكلف الكثير من أجل تعليم أولادنا- لضمان مستقبلهم الدنيوي- والترفيه عنهم،وكسوتهم... إلخ وفي رأي كاتبة هذه السطور أن هذه الزيارة لا تقل أهمية عن كل ذلك ؛ فهي تعلّمه وترفع من معنوياته، وتزيده قربا من الله و رسوله ،ومن ثمَّ تؤمن له مستقبله في الآخرة عن شاء الله!
وقد ثبت بالتجربة أن هذه الزيارة إذا كانت في المراحل الأولى من عمر الطفل ، فإنها تكون أشد تأثيراً وثباتاً في نفس الطفل، بل وأكثر معونة له على الشيطان،وعلى الالتزام بتعاليم الدين في بقية عمره؛هذا إن أحسن الوالدان التصرف معه أثناء هذه الرحلة المباركة، وساعداه على أن يعود منها بذكريات سعيدة بالنسبة له كطفل.
وإذا أوضحنا له أن هذه الزيارة مكافأة له على نجاحه مثلاً، أو لحسن خُلُقه، أو غير ذلك كان التأثير أبلغ،وكان ذلك أعون له على مواصلة ما كافأناه من أجله.

ومما يعين أيضاً على حبه صلى الله عليه وسلم أن نكافئ الطفل على صلاته على النبي عشر مرات- مثلا - قبل النوم، وبعد الصلاة ،وعندما يشعر بضيق أو حزن...حتى يتعود ذلك.
ثالثاً:مرحلة ما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة:
يمكن في هذه المرحلة أن نحكي له - بطريقة غير مباشر ة - عن أخلاق وطباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أي أثناء اجتماع الأسرة للطعام أو اجتماعها للتنزه في نهاية الأسبوع ، أو نقوم بتشغيل شريط يحكي عنه في السيارة أثناء الذهاب للنزهة ،مثل شريط"حب النبي صلى الله عليه وسلم للأستاذ "عمرو خالد" مثلاً-أو نهديهم كتباً تتحدث عنه صلى الله عليه وسلم بأسلوب قصصي شيق،مثل: "إنسانيات محمد" لخالد محمد خالد،و"أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم" لنجوى حسين عبد العزيز،و" معجزات النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال " لمحمد حمزة السعداوي".

ومما يمكن أن نحكي لهم في هذه المرحلة:
أ- أدب السلوك المحمدي:

كان صلى الله عليه وسلم يجيد آداب الصحبة والسلوك،(فكان إذا مشى مع صحابه يسوقهم أمامه فلا يتقدمهم،ويبدأ من لقيه بالسلام،وكان إذا تكلم يتكلم بجوامع الكلم،كلامه فصل ، لا فضول ولا تقصير،أي على قدر الحاجة،وكان يقول:"من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه"،وكان يقول:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمت"،وكان طويل السكوت ، دائم الفِكر،دمث الخُلُق،ليس بالجافي ولا المُهين،يعظِّم النعمة وإن قلَّت، لا تُغضبه الدنيا وما كان لها،فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد،وكان لا ينتصر لنفسه أبداً، و إذا غضب أعرض وأشاح ،وإذا فرح غض طرفه،كل ضحكه التبسم،وكان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم،وإذا ذكروا طعاماً أو شراباً ذكره معهم،كان لا يعيب طعاما يقدم إليه أبداً،وإنما إذا أعجبه أكل منه وإن لم يعجبه تركه...وهو القائل:"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً،و"إن مِن أحبكم إليَّ وأقربهم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً "،وسُئل –صلى الله عليه وسلم عن البر فقال"حسن الخلق"،وسُئل أي الأعمال أفضل،فقال:" حسن الخلق")(٢٩)

(وكان صلى الله عليه وسلم يحرص أشد الحرص على أن يسود الود والألفة بين المسلمين،فكان يوصيهم- فيما يوصيهم- بقوله:

"إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث ،فإن ذلك يُحزنه"

وقوله:"لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه... ولكن توسعوا،وتفسحوا يفسح الله لكم"

وقوله:" لا يحل لرجل أن يجلس بين اثنين إلا بإذنهما"

وقوله :" يُسلِّم الراكب على الماشي والماشي على القاعد،والقليل على الكثير،والصغير على الكبير"

ويحدثنا "كلوة بن الحنبل"فيقول:" بعثني صفوان بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهَدِيَّة فدخلت عليه، ولم استأذن ولم أسلم ، فقال لي الرسول:"إرجع فقل:" السلام عليكم ،أأدخل؟")(٣٠)

ثم يتجلى سمو خُلُقه وحسن أدبه في حفاظه الشديد على كرامة الكائن البشري -الذي كرَّمه المولى سبحانه- ومراعاته الذكية لمشاعر الناس وأحاسيسهم،ومما يدل على ذلك :أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يواجه أحداً بأخطاءه وإنما كان يقول:

" ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا .." تاركاً الفاعل الحقيقي يحس بذنبه ويعرف خطأه دون أن يعرف الآخرون عنه شيئا.

ويحكي (معاوية بن الحكم قائلاً : "بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: (يرحمك الله) فرماني القوم بأبصارهم.

فقلت: واثكل أمياه،ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون أفخاذهم.

فلما رأيت أنهم يصمتونني سكت".

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه... فو الله ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس... إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن..!") رواه مسلم(٣١)

وعلى الرغم من كل ذلك ؛فقد كان دائماً يدعو ربه قائلاً:" اللهم كما حسَّنتَ خَلقي فحسِّن خُلُقي"!!!

ب- الكرم المحمدي:

(كان الكرم المحمدي مضرب الأمثال،فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلاً وهو يجد ما يعطيه،فقد سأله رجل حُلة كان يلبسها،فدخل بيته فخلعها ،ثم خرج بها في يده وأعطاها إياه،وسأله رجل فأعطاه غنماً بين جبلين،فلم يكن الرجل مصدقاً ،فأسرع بها وهو ينظر خلفه خشية أن يرجع النبي الكريم في قوله،ثم ذهب إلى قومه فقال لهم:" يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر!"...وحسبنا في الاستدلال على كرمه صلى الله عليه وسلم حديث بن عباس الذي رواه البخاري :"قال بن عباس حين سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في في شهر رمضان،حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ،فكان صلى الله عليه وسل أجود من الريح المُرسلة" .

وفيما يلي بعض الأمثلة العجيبة على جوده وكرمه:

*أعطى الرسول الكريم العباس رضي الله تعالى عنه من الذهب ما لم يُطِق حمله.

**وأعطى معوذ بن عفراء ملء كفيه حُليا وذهباً لما جاءه بهدية من رُطب وقِثَّاء.

***جاءه رجل فسأله، فقال له ما عندي شيء ولكن إبتع علي(أي اشتر ما تحتاجه على حسابي وأنا أسدده عنك إن شاء الله) فإذا جاءنا شيء قضيناه"!!) (٣٢)

ج- الحلم المحمدي:

(كان الحلم - وهو ضبط النفس حتى لا يظهر منها ما يكره قولاً أو فعلا عند الغضب- فيه صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال،ولعل ذلك يظهر فيما يلي من الأمثلة:

*لمَّا شُجَّت وجنتاه صلى الله عليه وسلم وكُسرت رباعيته(السِنَّتان الأماميتان بالفك) يوم أُحد رفع يديه إلى السماء،فظن الصحابة أنه سيدعو على الكفار،ولكنه قال:" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" !!!

**ولما جذبه أعرابي برداءه جذبة شديدة حتى أثرت في صفحة عنقه صلى الله عليه وسلم، وقال الأعرابي :" إحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ،فإنك لاتحمل لي من مالك ومال أبيك"،حلُمَ عليه صلى الله عليه وسلم ولم يزد أن قال:" المال مال الله وأنا عبده ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي" فقال الأعرابي:"لا"، فقال النبي :"لم؟" قال لأنك لا تكافيء السيئة بالسيئة"،فضحك صلى الله عليه وسلم،ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى آخر تمر!!!

***لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ضرب خادماً ولا امرأة قط ، بهذا أخبرت عائشة رضي الله عنه ، فقالت:" ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظُلمها قط،ما لم تكن حُرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يُجاهد في سبيل الله،وما ضرب خادماً قط ولا امرأة.

ج- العفو المحمدي:

(كان العفو- وهو ترك المؤاخذة ،عند القدرة على الأخذ من المسيء - من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم،وقد أمره به المولى تبارك وتعالى حين تنزل جبريل بالآية الكريمة:"خُذ العفوَ وَأمُر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين" فسأله صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية،فقال له:" حتى أسال العليم الحكيم"،ثم أتاه فقال :" يا محمد إن الله يأمرك ان تصل من قطعك،و وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك"

وقد امتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه،فنراه:

(ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً- فإن كان إثماً كان ابعد الناس عنه،كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها.

ويتجسد عفوه حين تصدى له "غورث بن الحارث" ليفتك به صلى الله عليه وسلم والرسول مطّرح تحت شجرة وحده قائلاً(نائماً في وقت القيلولة)، وأصحابه قائلون أيضاً، وذلك في غزوة، فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا و غورث قائم على رأسه، والسيف مسلطاً في يده،وهو يقول:" ما يمنعك مني؟" فقال صلى الله عليه وسلم:"الله"!! فسقط السيف من يد غورث ،فأخذه النبي الكريم وقال:" من يمنعك مني؟" قال غورث:" كُن خير آخِذ" ،فتركه وعفا عنه،فعاد إلى قومه فقال:" جئتكم من عند خير الناس!"

ولما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالات قريش - الذين طالما كذَّبوه ، و أهانوه ،وعذبوا أصحابه وشردوهم- جالسين مطأطئي الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتح فيهم،فإذا به يقول لهم:" يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا:" أخ كريم ، وابن أخ كريم"،قال:" إذهبوا فأنتم الطلقاء!!!" فعفا عنهم بعد أن ارتكبوا من الجرائم في حقه وحق أصحابه ما لا يُحصى عدده!!!

ولما تآمر عليه المنافقون ليقتلوه وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة ، وعلم بهم وقيل له فيهم،عفا عنهم وقال:" لا يُتحدَّث أن محمداً يقتل أصحابه!!!)(٣٣)

وحين كان الكفار ينادونه ب" مذمم" بدلاً من "محمد"، وغضب أصحابه صلى الله عليه وسلم...كان يقول لهم:" دعوهم فإنما يشتمون" مذمماً"، وأنا "محمد"!!! (٣٤)

د- الشجاعة المحمدية:

(كان صلى الله عليه وسلم شجاع القلب والعقل معاً،فشجاعة القلب هي عدم الخوف مما يُخاف منه عادةً،والإقدام على دفع ما يُخاف منه بقوة وحزم،أما شجاعة العقل فهي المُضي فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمر،متى ظهر أنه الحق...فكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس على الإطلاق!

،ومن أدلة ذلك أن الله تعالى كلفه بأن يقاتل وحده في قوله:" فقاتِل في سبيلِ اللهِ لا تُكلَّفُ إلا نفسك،وحرِّض المؤمنين"(النساء- ٨٤)،ومن بعض أدلة ومظاهر شجاعته صلى الله عليه وسلم ما يلي:

شهادة الشجعان الأبطال له بذلك،فقد قال علي بن أبي طالب ، وكان فارسا مغواراً من أبطال الرجال وشجعانهم :" كنا إذا حمي البأس (اشتدت المعركة)واحمرت

الحُدُق(جمع حدقة وهي بياض العين) نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم أي نتقي الضرب والطعان"!!!

وهذا موقفه البطولي الخارق للعادة يوم أُحد حيث ذهل عن أنفسهم الشجعان،ووقف محمد صلى الله عليه و سلم كالجبل الأشم حتى لاذ به أصحابه والتفوا حوله وقاتلوا حتى انجلت المعركة بعد قتال مرير وهزيمة نكراء حلت بالقوم من جراء مخالفتهم لكلامه صلى الله عليه وسلم ،

وفي حُنين حين انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو من جراء الكمائن التي نصبها وأوقعهم فيها، وهم لا يدرون... بقي وحده صلى الله عليه وسلم في الميدان يطاول ويصاول وهو على بغلته يقول:" أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب" ومازال في المعركة يقول:" إليَّ عباد الله ! إليَّ عباد الله" حتى أفاء أصحابه إليه وعاودوا الكرة على العدو فهزموهم في ساعة .

هذه بعض دلائل شجاعته القلبية ، أما شواهد شجاعته العقلية،فنكتفي فيها بشاهد واحد ،فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد،وهو موقفه من تعنُّت "سهيل بن عمرو" وهو يملي وثيقة صلح الحديبية ،حين تنازل صلى الله عليه وسلم عن العبارة" بسم الله" إلى" باسمك اللهم"،وعن عبارة"محمد رسول الله" إلى " محمد بن عبد الله" ،وقد استشاط أصحابه صلى الله عليه وسلم غيظا،وبلغ بهم الغضب حداً لا مزيد عليه، وهو صابر ثابت حتى انتهت وكانت بعد أيام فتحاً مبينا؛ فضرب صلى الله عليه وسلم بذلك أروع مثل في الشجاعة وبعد النظر وأصالة وإصابة الرأي) (٣٥)

هـ- الصبر المحمدي :

(كان الصبر- وهو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها،وعن معصية الله تعالى حتى لا تقربها،وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تجزع له ولا تسخط عليه- هو خُلق محمد صلى الله عليه وسلم،فقد صبر وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثاً وعشرين سنة،فلم يجزع يوماً، ولم يتخلَّ عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها،وباستعراض المواقف التالية تتجلى لنا حقيقة الصبر المحمدي الذي هو فيه أسوة كل مؤمن ومؤمنة في معترك الحياة:

صبره صلى الله عليه وسلم على أذى قريش طوال فترة بقاءه بينهم بمكة ،فقد ضربوه وألقوا روث الجزور على ظهره ، وسبوه واتهموه بالجنون مرة وبأنه ساحر مرة ،وبأنه كاهن مرة، وبأنه شاعر مرة ،وعذبوا أصحابه وحاصروه معهم ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالإعدام وبعثوا رجالهم لتنفيذ الحكم إلا أن الله عز وجل سلَّمه وعصم دمه.

و صبره صلى الله عليه وسلم عام الحزن حين ماتت خديجة الزوجة الحنون التي صدقته حين كذبه الناس، وآوته حين طرده الناس، وأعطته حين حرمه الناس، وواسته حين اتهمه الناس...وصبره حين مات العم الحاني الحامي المدافع عنه ،فلم توهن هذه الرزايا من قدرته وقابل ذلك بصبر لم يعرف له في تاريخ الأبطال مثيل و لا نظير.

وصبره في كافة حروبه في بدر وفي أحد وفي الخندق وفي الفتح وفي حنين وفي الطائف حين حاربته البلدة كلها ،وفي تبوك فلم يجبن ولم ينهزم ولم يفشل ولم يمل، حتى خاض حروبا عدة وقاد سرايا عديدة ،فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات !!! فأي صبر أعظم من هذا الصبر؟!!

و صبره صلى الله عليه وسلم على الجوع الشديد،فقد مات صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز الشعير مرتين في يوم واحد قط!!!وهو الذي لو أراد أن يملك الدنيا لملكها ولكنه آثر الآخرة ونعيمها)(٣٦)

الرحمة المحمدية

كان صلى الله عليه وسلم يرحم الناس(رحمة الأقوياء الباذلين وليست رحمة الضعفاء البائسين،وكان يمارسها ممارسة مؤمن بها، متمضخ بعطرها، مخلوق من عجينتها)(٣٧) حتى أن ربه قال عن رحمته صلى الله عليه وسلم لسائر الخلق"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"،وقال عن رحمته للمؤمنين خاصة:" بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم"

وحين أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة فخرج إلى الطائف،وقف أهلها في صفين يرمونه بالحجارة ،فدميت قدماه الشريفتان ، وشكا إلى الله تعالى ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ...فنزل جبريل عليه السلام ، (وقال يا محمد:" لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين "جبلين بمكة" لفعلت" ، فقال له رسول الرحمة والتسامح:" لا ، لعل الله يخرج من بين ظهرانيهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا" ، و قد صحت نظرة الرحمة والحلم المحمدية ، ودخل الناس في هذه الأماكن وغيرها في دين الله أفواجا !!!

وكان صلى الله عليه وسلم رحيماً حتى في مقاتلته لأعداء دينه،فقد كان يوصي جيشه المقاتل بألا يضرب إلا من يضربه أو يرفع عليه السلاح ، وكان يقول" لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخا ولا تحرقوا نخيلا ولا زرعا، كما كان يحرص على عدم التمثيل بهم أو المبالغة في إهانتهم،فيقول:"إجتنبوا الوجوه ولا تضربوها"!!)(٣٨)

(وورد في البخاري مما رواه أنس رضي الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يخدم الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما مرض،عاده الرسول الكريم فقعد على رأسه وقال له :" أسلِم " فنظر إلى أبيه و هو عنده،فقال:"أطع أبا القاسم"، فأسلم الغلام، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول:" الحمد لله الذي أنقذه من النار"!!)(٣٩)

وكان صلى الله عليه وسلم يوصي بالضعفاء رحمة بهم، فنراه يوصي باليتامى قائلا:" خير البيوت بيت فيه يتيم مُكرَم"؛ وبالنساء قائلاً:

" إستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خُلقن من ضلع أعوج"؛وبما ملكت الأيمان،(فنجد آخر كلماته صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة:

" الصلاة، وما ملكت أيمانكم،حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه!!!) (٤٠)

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته(أنه كان يتلو قول الله تعالى في إبراهيم:" رب إنَّهُنَّ أضْلَلْن كثيراً من الناس فَمَن تَبِعني فإنَّه مِنِّي ومَن عصاني فإنك غفورٌ رحيم"

،وقول عيسى:" إن تعذِّبهُم فإنَّهم عبادُك وإن تغفرلهم فإنك أنتَ العزيزُ الحكيم" فرفع يديه قائلاً:" اللهم أمتي أمتي" وبكى،فقال الله عز وجل-وهو أعلم-:" يا جبريل إذهب إلى محمد فسله:" ما يبكيك؟" فاتاه جبريل فسأله ،فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى:" يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له:" إنا سنرضيك في أمتك ولن نسوؤك")(٤١)

الوفاء المحمدي

(كان وفاؤه صلى الله عليه وسلم باهراً،فقد كان وفياً لربه،ووفياً لحاضنته،ووفياً لزوجاته،ووفياً لأصحابه، ووفياً لسائر الكائنات.

فقد سألته السيدة عائشة يوماً حين كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه لماذا يجهد نفسه بهذا الشكل وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،فكان رده صلى الله عليه وسلم:" أفلا أكون عبداً شكورا"؟!!!!

(وذات يوم زارته بالمدينة سيدة عجوز فخفَّ عليه الصلاة والسلام للقائها في حفاوة بالغة، وغبطة حافلة، وأسرع فجاء ببردته النفيسة وبسطها على الأرض لتجلس عليها العجوز؛ وبعد انصرافها سألته عائشة رضي الله عنها عن سر حفاوته بها فقال:" إنها كانت تزورنا أيام خديجة"!!!

وبين غرفته بالمسجد ومكان المنبر حيث كان يؤم المسلمين في الصلاة بضع خطوات ..كان يقطعها كل يوم عند كل صلاة ولقد أحب هذه الأمتار من الأرض لأنها كانت ممشاه إلى الله، وإلى قرة عينه الصلاة، ولقد أخذه الحب لها والوفاء حتى أكرمها وأجلَّها وقال:" ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة"!!!)(٤٢)

ومن أحلى الأوقات لرواية هذه القصص لأطفالنا عنه صلى الله عليه وسلم ، وأكثرها تأثيراً في النفس هو وقت ما قبل النوم ، حين تنطفىء الأنوار - أو تكون خافتة- ويكون الطفل مهيئاً للاستماع والتخيل، ومن ثم التفكير فيما يسمع.

فإن لم يستطع الوالدان أن يصحبوا أطفالهم في هذه الروضة المحمدية ليتنسموا عبق الرياحين و الأزهار، ويقتطفوا من أطايب الثمار ، فيمكنهما أن يسمعا معهم- بالسيارة- وهم في الطريق إلى النزهة الأسبوعية مثلاً أشرطة "الأخلاق " للأستاذ عمرو خالد التي تتكلم- بأسلوب واضح يفهمه الكبار والصغار- عن شتى الأخلاق الإسلامية ،ومظاهر كل خُلق لدي الرسول الكريم.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تعليم أخلاق الرسول الكريم لأطفالنا قد يخلق لهم مشكلة وهي أنهم سيواجَهون في المجتمع بمن يتصرفون بعكس هذه الأخلاق،فيرون أقرانهم يكذبون، ويغشون، ويتكبرون، ويتنابزون بالألقاب، ويغضبون لأتفه الأسباب... بل والأسوأ من ذلك أن هؤلاء الأقران قد يتعاملون معهم على أنهم ضعفاء أو أغبياء لتمسكهم بهذه الأخلاق!!! مما يسبب لهم إحباطا واضطراباً وعدم ثقة فيما تعلموه من والديهم ...وقد يتسبب هذا-أحياناً- في أن يندم الوالدان على تربية أولادهم على الأخلاق في زمن لا يقدِّر الأخلاق... لكن كاتبة السطور تحذِّر من هذا الإحساس المدمِّر،وذلك المدخل من مداخل الشيطان على المؤمن، وتؤكد أن ما فعله الوالدان هو الصحيح ، والدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :" أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً" فإذا كنا قد علَّمناهم الأخلاق ابتغاء مرضاة الله

تعالى، فلابد من أن نوقن في أنه سبحانه سيجعل لهم فرجا و مخرجا؛ وأن النصر في النهاية سيكون- بإذن الله - حليفهم ،إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

كما ينبغي أن نعلم أطفالنا أن يقول كل منهم لنفسه حين يرى تلك النماذج المؤسفة لسوء الخلق:" أنا على حق"، "إنهم هم المخطئون"،" واجبي أن أتمسك بأخلاقي حتى يفعلوا مثلي يومًا ما- كما فعل رسول الله حين كان هو المسلم الوحيد على وجه الأرض- وإن لم يفعلوا أكون من الفائزين بالجنة إن شاء الله !"
وينبغي أن نساعدهم على اختيار الأصدقاء الذين يشاركونهم هذه الأخلاق،فإن ذلك يعينهم ،ويشعرهم أنهم ليسوا بغرباء في المجتمع.
ولا ننسى الدعاء لهم دائماً:" اللهم اهد أولادي وأولاد المسلمين لصالح الأعمال والخلاق والأهواء،فإنه لا يهديهم لأحسنها إلا أنت ،واصرف عنهم سيئها ،فإنه لا يصرف عنهم سيئها إلا أنت"
"اللهم كما حسَّنت خَلقهم ،فحسِّن خُلُقهم"
مرحلة مابين الرابعة عشرة والسادسة عشرة:
من المُجدي في هذه المرحلة أن يقوم الوالدان بعقد المسابقات في الإجازة الصيفية بين الأولاد وأقرانهم من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء بالمدرسة أو النادي لعمل أبحاث صغيرة عن سيرته صلى الله عليه وسلم ، بحيث تشمل موضوعاتها مثلا:
حالة البشرية قبل مولده صلىالله عليه وسلم
حادثة الفيل
عبد الله ، وآمنة
مولده صلى الله عليه سلم وقصته مع حليمة
طفولته صلى الله عليه وسلم وصباه
فترة شبابه وزواجه من خديجة رضي الله عنها
علاقته صلى الله عليه وسلم بزوجاته رضوان الله عليهن
علاقته صلى الله عليه وسلم ببناته وخاصة فاطمة
علاقته صلى الله عليه وسلم بأصحابه وحبه لهم وحبهم له.
معجزاته صلى الله عليه وسلم قبل وبعد نزول الوحي

فهذه الطريقة تجعل ما يقرءون،و يكتبون أكثر ثباتاً في عقولهم،وقلوبهم ؛لأنهم سيبذلون الجهد في البحث عن تلك المعلومات، وتجميعها، وترتيبها، ثم كتابتها و صياغتها بشكل جيد.
وينبغي مكافأة من قاموا بإعداد أبحاث جيدة بهدايا نعرف مسبقا أنهم يحبونها.
كما يمكن إهداء الطفل أو مكافاته بكتب مثل:
" معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل صدق نبوته" للشيخ إبراهيم جلهوم والشيخ محمد حماد، و " محمد صلى الله عليه وسلم " لعبد الحميد جودة االسحار.
٦- كيف نقيس حبنا للنبي صلى الله عليه وسلم؟

ينبغي لأبناءنا - في هذه المرحلة- أن يعرفوا أن حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى برهان ،فلا يكفي أن يقولوا أنهم يحبونه وإنما ينبغي أن يظهر ذلك في أفعالهم وتصرفاتهم؛،وفيما يلي بعض الأسئلة التي يمكن أن تساعدهم على قياس مدى حبهم للرسول الكريم:

١- هل تصلي عليه كثيراً؟

إن المحب لا يفتر عن ذكر حبيبه والدعاء له،(وكما يقول الإمام بن القيم " إن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه،واستولى على جميع قلبه،وإذا أعرض عن ذكره واستحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه")(٤٣)

٢- هل قرأت سيرته؟

إن المحب ليشتاق إلى معرفة نشأة حبيبه، وتطورات حياته وأخباره.

٣- هل عرفت هديه؟

إن المحب يكون شغوفاً لمعرفة أفكار ومعتقدات وأقوال حبيبه(ولعل هذا يتحقق بقراءة كتب الأحاديث المبسطة مثل" رياض الصالحين")

٤- هل تتبع سنته(الواجب منها والمستحب)؟

إن المحب يكون مولعاً بتقليد حبيبه(ولعل هذا يتحقق بالتعرف على سنته من خلال كتابي "فقه السنة"،و"منهاج المسلم")

٥- هل زرت مدينته؟

إن المحب ليشتاق إلى ديار حبيبه، والمشي فوق خطواته.

٦-هل تحب آل بيته الكرام وأصحابه وأتباعه رضوان الله تعالى عليهم؟

إن المحب يحب أحباب حبيبه.

٧- هل تحدثت عنه مع غيرك ممن لا يعرفون عنه شيئا؟

إن المحب يود دائماً لو ظل يتحدث عن حبيبه مع كل الناس.

٨- هل ترضى بحكمه فيما شجر بينك وبين غيرك من خلافات؟

إن المحب ليرضى بحكم حبيبه في شتى الأحوال،فما بالك إذا كان الحبيب هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى؟ !

؛فإذا كانت إجاباتهم كلها ب"نعم"،فهم يحبونه بالفعل،أما إن كانت الإجابة على بعض الأسئلة ب"لا" فهم محتاجون إلى أن يراجعوا أنفسهم ، وإعادة النظر في طريقة حبهم له صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت إجاباتهم كلها ب"نعم" وشعروا برغبة شديدة في رؤيته صلى الله عليه وسلم في الدنيا،فيمكن أن نروي لهم هذه القصة اللطيفة؛مع توضيح أن رؤيته- بشكل عام- فضلٌ من الله، وعطيَّة يهبها لمن يشاء من عباده المؤمنين:

(جاء تلميذ إلى أستاذه وقال:" علمت أنك ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤياك" ،فقال الأستاذ:" فماذا تريد يا بني؟" قال :" علّمني كيف أراه"،فإني في شوق إلى رؤياه،فقال له:" فأنت مدعو لتناول العشاء معي هذه الليلة لأعلمك كيف تراه صلى الله عليه وسلم"

وذهب التلميذ لأستاذه الذي أكثر له من الملح في الطعام، ومنع عنه الماء،فطلب التلميذ الماء ،فمنعه الأستاذ ،بل أصر على أن يزيده من الطعام،ثم قال له:" نَم وإذا استيقظت قبل الفجر فسأعلمك كيف ترى النبي صلى الله عليه وسلم"،فبات التلميذ يتلوى من شدة العطش والظمأ، فقال له أستاذه حين استيقظ:"أي بني قبل أن أعلمك كيف تراه أسألك:"هل رأيت الليلة شيئا؟" قال :" نعم"،قال له" ما رأيت؟" ،فقال:" رأيت الأمطار تمطر،والأنهار تجري والبحار تسير" فقال الأستاذ:" صدقت نيتك فصدقت رؤيتك ،ولو صدقت محبتك لرأيت رسول الله!!!")(٤٤)

ومن الأمور بالغة الأهمية أن نوضح لهم الفرق بين أن نحبه صلى الله عليه وسلم وبين أن نغالي ونتعدى الحد،فمن أراد أن يُرضي الله بحب النبي صلى الله عليه وسلم فعليه أن يحبه كما أراد الله ورسوله، وليس كما يوافق هواه !!!

(ومن منطلق أن حبه صلى الله عليه وسلم عبادة،فإن العبادة يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى ،كما يجب أن تكون على طريقة رسول الله ، وإذا خرجت عن هذين الشرطين،صارت بدعة،ومن ثم فهي مردودة على صاحبها،فقد قال تعالى" اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم وأتممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلامَ دينا"،فقد تم الدين ولم يترك شيئاً لم يتحدث عنه،وما ارتضاه الله تعالى لنا لا ينبغي أن نغيره،فقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أشد حباً له ، ولكنهم لم يكونوا يفعلون محرماً من أجله صلى الله عليه وسلم؛ فكانوا لا يقومون إليه حين يأتيهم،كما يقوم الأعاجم الكفار لملوكهم ؛ وكانوا لا يبالغون في إطراءه حين نهاهم عن ذلك قائلاً :" لا تُطْروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم،فإنما أنا عبدٌ لله ، قولوا: "عبد الله ورسوله"

وحين جاءه صلى الله عليه وسلم رجل فراجعه في بعض الكلام،فقال:

" ما شاء الله وشئت"،فقال له:" أجعلتَني مع الله نداً؟ " بل قل:" ما شاء الله "

فلا ينبغي أن نُغضب الله سواء بالمغالاة في مدحه- صلى الله عليه وسلم- بان نرفعه فوق قدره ، أو بمجافاته صلى الله عليه وسلم بالعقل أو القلب... ولكن علينا بالوسطية، وهي التزام السنة)(٤٥)،(٤٦)

ومن ثم فعلينا أن نعلم أطفالنا مثلاً أنه لا يجوز الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم،أو الاستجارة به بعد وفاته،لأنه لا يملك لنا شيئا، كما لا ينبغي أن نفعل كما يفعل البعض عند قبره الشريف من رفع الصوت لأن الله تعالى يقول:" لا ترفعوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبي ولا تجهروا له بالقول كجهرِ بعضكم لبعض أن تحبَط أعمالُكم وأنتم لا تشعرون"(الحجرات-٢)، ولا ينبغي أن ندعو أمام قبره ونحن ننظر إلى القبر،والصحيح أن ندعو ونحن متوجهون للقبلة ،أما المباح من القول ونحن ننظر للقبر ،فالسلام عليه والإكثار من الصلاة عليه.

كما ينبغي أن نتحدث معه عن بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي شاعت بين الناس،مثل" من حج ولم يزرنى فقد جفاني" و "من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى "و" رأيت ليلة أُسري بي مكتوباً على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله..."

من تجارب الأمهات:

*كانت الأم تحكي لطفلها منذ نعومة أظفاره سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان خَلقه وخُلقه،ولما بلغ العاشرة من عمره أكرمه الله تعالى بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم، ولما عاد قال لها :" إني أحب الرسول جداً وأتمنى رؤيته،ومقابلته في الجنة ؛ ولكني لا أحبه أن يكون ملتحياً؛ فأنا أفضله بدون لحية! فكان على الأم أن تتصرف بلباقة فقالت له:" أنا متأكدة يا بني أنك حين تراه ستحبه أكثر بكثير،سواء كان ملتحياً أم لا"،ولكنه أصر قائلاً:"لا، أنا أحبه بدون اللحية"،فقالت له الأم :" هل تعلم لماذا كان يربي الرسول لحيته؟" قال "لا"،فقالت له:" لأن اليهود كانوا يحلقون اللحية،ويعفون الشارب، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يخالفهم...أم أنك كنت تفضل أن نتشبه بهؤلاء القوم؟!" فرد على الفور:" لا، لا يصح أن نتشبه بهم أبداً" وانتهى الحوار، ولم يعد يتكلم في هذا الموضوع أبداً.
**وكانت أم أخرى تعاني من أن أصحاب ابنها من الجيران والزملاء لا يلتزمون بالأخلاق التي ربته عليها،مما تسبب له في إحباط وعدم ثقة في تلك الأخلاق؛ لأنه لا يريد أن يشذ عن أصدقاءه وزملاءه،فقررت الأم أن تدعو مجموعة من هؤلاء الأصحاب في الإجازة الصيفية ليلعبوا معه بمختلف الألعاب التي لديه ، وفي نهاية الجلسة كانت تقدم لهم بعض الفطائر والعصائر أو المرطبات وتجلس معهم لتحكي قصصاً عن خُلُق معين من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم مع توضيح فائدة الالتزام بهذا الخُلُق ، وكانوا هم يقاطعونها أحياناً ليكملوا حديثها،فكانت تتركهم يتكلمون- لأن ذلك يسعدهم- ثم تكمل حديثها؛ وكانت تكتفي بالحديث عن خُلُق واحد في كل مرة ...حتى شعرت في نهاية الإجازة بتطور ملحوظ في سلوكياتهم جميعاً،وفي طريقة حديثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
*** وكانت أم ثالثة تحكي لأطفالها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، وطباعه،و كيف كان يفكر، وكيف كان يحل شتى أنواع المشكلات،حتى اطمأنت أنهم قد فهموا ذلك جيداً،فصارت بعد ذلك كلما مر أحدهم بمشكلة جمعتهم وسألت:" تُرى كيف كان سيحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟"
ثم تكافىء من يقدِّم الحل الصحيح...فكانت بذلك تعلمهم كيف يطبقون هَديَه صلى الله عليه وسلم في حياتهم بطريقة عملية متجددة، حتى يعتادوا ذلك في الكِبَر ،ويعتادوا أيضا مشاركة بعضهم البعض في حل مشكلاتهم.
وختاماً، فما هذه العجالة-التي أرجو أن ينفع الله تعالى بها- إلا نقطة بداية يمكن أن ينطلق منها الوالدان والمربون ليعينوا أبناءهم على محبته صلى الله عليه وسلم-بعد التأكد من صحة ما يقولون- كما يمكن اتباع نفس الطريقة لغرس محبة صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم- في قلوب أطفالنا؛ وبالله التوفيق،وعليه التُكلان،والحمد لله رب العالمين.
******

المصادر
=================

١- فضيلة الشيخ محمد حسان. الشفاعة:خطبة مكتوبة،ومتاحة على موقع www.alminbar.com

٢- فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد. لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ درس مسجل على موقع
www.islamway.com
٣ - سعيد عبد العظيم.خير الكلام في الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإسكندرية: دارالإيمان،٢٠٠١ ، ص ٥
٤-علاء داود. كيف نعلم أبناءنا حب الرسول؟ مقال في باب"حواء وآدم"،على موقع
ص١ (www.islam-online.net
٥- تفسير الجلالين؛ وفضيلة الشيخ عبد الله النوري في كتابه " سألوني في التفسير"، منشورات ذات السلاسل، ص ١١٦ ،الكويت،١٩٨٦
٦- الداعية الإسلامي الأستاذ عمرو خالد . الرسول صلى الله عليه وسلم : محاضرة على موقعه
ضمن سلسلة"دروس أخرى"www.forislam.com
٧- علاء داود.كيف نعلم أبناءنا...، والأستاذ عمرو خالد. الرسول صلى الله عليه وسلم.
٨- خيرية صابر.الأم قدوة متحركة في أرجاء البيت،مقالة على الموقع:
http://islamweb.net/pls/iweb/misc١.article=١٢٦٩٥A=g&thelan
٩- فضيلة الشيخ محمد حسان.الشفاعة.
١٠ –الداعية الإسلامي الأستاذ عمرو خالد .محبة النبي، شريط من إنتاج شركة النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع بالقاهرة .تليفون ٧٦٠٤٧٧٣
١١-علاء داود ، كيف نعلم أبناءنا.
١٢-محمد سعيد مرسي- فن تربية الأولاد في الإسلام،القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية،١٩٩٨- ص٤٧
١٣-فضيلة الشيخ إبراهيم الدويش. توجيهات وأفكار في تربية الصغار: مقالة متاحة على الموقع
www.islammemo.com/lessons
١٤- محبة الرسول صلىالله عليه وسلم مقالة متاحة على موقع:
www.islamweb.net ،ص٣
١٥- سعيد عبد العظيم،خير الكلام.. ص٥
١٦-خيرية صابر، الأم قدوة...
١٧ - أ. د. عبد الغني عبود.طفلك هبة الله لك.- القاهرة: سفير،١٩٩٧ .
١٨-من شريط كاسيت أركان الإسلام إنتاج شركة"سفير"،والكلمات للشاعر صلاح عفيفي)
١٩-خالد محمد خالد . إنسانيات محمد،القاهرة، دار المعارف١٩٩٨ ،ص١٤
٢٠- المصدر السابق،ص٣٣٨،وص٣٣-١٦
٢١-المصدر السابق ،ص ٥٧
٢٢-محمد سعيد مرسي . فن تربية الأولاد.. ص٤٨
٢٣-المصدر السابق- ص٥٩
٢٤-المصدر السابق-ص٣٧

٢٥ ـ المصدر السابق ـص ٥٠ـ٥١
٢٦ – المصدر السابق،ص٦٩.
٢٧ـالمصدر السابق،ص٥٩
٢٨ـالمصدر السابق،ص٦٤
٢٩ـ نفس المصدر السابق والصفحة.
٣٠ـ أبو بكر جابر الجزائري.هذا الحبيب محمد رسول الله صلىالله عليه وسلم يا محب.المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم،٢٠٠٠ م ، ص ٣٣٩
٣١ـمقالة منشورة في باب:" لطائف" ؛ علىموقع فور إسلام www.forislam.com
٣٢ـأبو بكر الجزائري.هذا الحبيب محمد ،ص٣٤٠ـ٣٤١
٣٣ـالمصدر السابق ،ص٣٤١ـ٣٤٢
٣٤ـالمصدر السابق،ص٣٤٢ـ٣٤٣
٣٥ـ الداعية الإسلامي الأستاذ عمرو خالد.محمد صلىالله عليه وسلم .
٣٦ـ خالد محمد خالد.إنسانيات محمد،ص١٥
٣٧ـالمصدر السابق، ص ١٢٦ـ١٢٧
٣٨ـالمصدر السابق،ص١١٩
٣٩ـمحمد سعيد مرسي.فن تربية الأولاد.ص٤٠٢
٤٠ـ أبو الحسن الندوي- سيرة خاتم النبيين للأطفال، القاهرة- دار الكلمة١٩٩٨،
٤١ـ د. خالد أبو شادي. وا شوقاه رسول الله ،القاهرة: دار الراية،٢٠٠٢ م ،ص ١٣ .
٤٢ـ خالد محمد خالد، إنسانيات محمد، ص ١٠٨ـ١٠٩
٤٣ـ د.خالد أبو شادي، واشوقاه...ص١٣
٤٤ـ المصدر السابق،ص١٨
٤٥ـفضيلة الشيخ محمد صالح المنجد .لماذا نحب...
٤٦ـفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي . أسماء الله الحسنى : محاضرات متاحة على قرص مضغوط من إنتاج شركة أريب: درس إسم الله "البديع"

....

بناء شخصية الطفل في ميزان الشريعة

اهتمت الشريعة الإسلامية بالمرحلة التي تسبق مجيء الولد إلى هذه الدنيا، وذلك انطلاقاً من أن يكون الزواج مبنياً على أسس وقواعد مضبوطة، مثال ذلك قول الرسول [: >تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم<(١)

وأثناء الزواج اعتبرت الشريعة غالبية الأمور التي يقوم فيها الزوج تجاه زوجته، والأمور التي تقوم بها الزوجة تجاه زوجها نوعاً من أنواع العبادة، يثاب عليها الإنسان، دليل ذلك قول الرسول [: >إنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة، فإنك تؤجر حتى اللقمة التي تضعها فم امرأتك<(٢)

ولذلك لا تعتبر الشريعة الزواج فقط من أجل إشباع الرغبة الجنسية، بل تعتبر الزواج ذا أهداف راقية، كإعفاف النفس، واستمرار ذرية الإنسان، وإنشاء الجيل المسلم،

مصداق ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من قول الرسول [: >وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا: بلى، قال: فكذلك لو ضوعها في الحلال كان له فيها أجر<•

وبعد الزوج لابد للزوج والزوجة من التحلي ببعض الصفات التي تناسب المربي الناجح، منها: الرحمة، والرفق، والحلم والأناة، والمرونة واليسر، والاعتدال والوسطية، مثال ذلك ما رواه أبو أمامة]: أن امرأة أتت النبي [ومعها ولدان، فأعطاها ثلاث تمرات فأعطت كل واحد منهما تمرة تمرة، ثم إن أحد الصبيين بكى، فشقت الثالثة، فأعطت كل واحد منهما النصف، فقال رسول الله [-: >والدات حاملات رحيمات بأولادهن، لولا ما يصنعون بأزواجهن دخل مصلياتهن الجنة<(٣)•

كذلك فإن الشريعة تواكب الإنسان أثناء ولادته، وأثناء رضاعه، وذلك بهدف توجيهه نحو الخير، مثال ذلك: الأذان والإقامة في أذنيه بعد الولادة، الدعاء والتحنيك، حلق شعره، العقيقة، والتسمية، وما الى هنالك•

> اهتمام الشريعة الإسلامية ببناء شخصية الطفل:

تدل الوقائع بلا ريب على أهمية بناء وتكوين الشخصية التي سيكون لها الأثر الفعال في حياة الأفراد والجماعات، ويكون ذلك واضحاً في التركيز على مرحلة الطفولة، مصداق ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة] قال: قال رسول الله [: >ما من مولود يولد إلا يولد الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فهيا من جدعاء<؟

ومن أهم المجالات التي اهتمت بها الشريعة ما يلي:

أ- الاهتمام بالجانب العقدي: حيث اعتبرت الشريعة الإسلامية زرع التوحيد في نفس الطفل شيئاً مهماً جداً، دليل ذلك قول أبي أمية: >كان رسول الله [يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا}(سورة الإسراء:١١١}(٤)•

ثم انتقلت الشريعة إلى غرس حب الله ورسوله في نفسية الطفل، وذلك ليتحصن الطفل من كل ما يعترضه من مشاكل ومصاعب، دليل ذلك ما أخرجه الطبراني عن علي] أن النبي [قال: >أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن<•

واهتمت الشريعة أيضاً بتربية الأطفال على التضحية والفداء من أجل العقيدة، مثال ذلك حكاية أهل الأخدود، والتي ورد ذكرها في سورة البروج•

وهذا ما كان عليه حال الرعيل الأول من هذه الأمة، حيث كانت الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد، وكن يفرحن باستشهادهن، وكان الأطفال يتبارون ويتسابقون في الخروج للجهاد وقتل الطغاة، ومثال ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص] قال: رد رسول الله [عمير بن أبي وقاص عن مخرجه إلى بدر واستصغره، فبكى عمير، فأجازه، قال سعد: فعقدت عليه حمالة سيفة، وقال: ولقد شهدت بدراً، وما في وجهي إلا شعرة واحدة أمسحها بيدي!(٥)•

ب- الاهتمام الكبير بأمور العبادات: ذلك لأن العقيدة لا تثبت ولا تنمو في القلوب إلا إذا سقيت بماء العبادة، ولذلك قال تعالى: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى}(سورة طه: ١٣٢)•
وليس الطفل مكلفاً بالعبادات، إنما هي مرحلة تمهيدية يتعود فيها الطفل على الصلاة وعلى ارتياد المسجد، وعلى سماع الآذان والإقامة، وعلى حضور الجمع والجماعة••
مصداق ذلك ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله [: >مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع<(٦)•
ورضي الله عن ابن مسعود عندما قال ناصحاً: حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعودوهم الخير، فإن الخير عادة•
ج- التأكيد على حسن بنيته الجسمية والصحية: وذلك من خلال إعطائه الفرصة السانحة للعب والرياضة والمسابقات ونحو ذلك، مصداق ذلك قول عمر رضي الله عنه: علموا أولادكم السباحة والرماية وأن يثبوا على الخيل وثباً•
كذلك فقد ركزت الشريعة على عدة أسس صحية تعود بالنفع على الطفل عندما يكبر، مثل التعود على سنة السواك، وتقليم الأظافر، واتباع السنن النبوية في الأكل والشرب والنوم ونحو ذلك، دليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي [وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوي؟ فقال: >نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحدٍ هو الهرم<•
د- التركيز على الآداب والأخلاق: وخاصة مع الوالدين، والعلماء، والكبار في السن، والصغار، والأخوة، والجيران، ونحو ذلك•
دليل ذلك ما أخرجه الترمذي عن سعيد بن العاص أن رسول الله [قال: >ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن<•
وفي السنة النبوية آداب معينة تختص بالطعام، وبالمظهر، وباللباس، وبالإنصاف وما إلى هنالك•
والشريعة الإسلامية ركزت على بناء الطفل بناءً اجتماعياً، بحيث يستطيع التكيف مع الكبار والصغار ونحو ذلك، ولايكون ذلك إلا إذا اصطحبه أبوه معه إلى مجالس الكبار، وإلى اختياره للأصحاب والأصدقاء•
وكذلك فقد ركزت على الجانب التعليمي والتفكري للطفل، وذلك من خلال غرس حب العلم في نفسه، والتركيز على جانب العودة الى مجالس العلم المنضبطة بالضوابط الشرعية والبعيدة عن الغلو والتطرف•
أجل! لقد جرب العالم الأنظمة الوضعية في مجال التربية، ثم عاد بخفي حنين، ولابد من العودة الى ما جاء به القرآن الكريم، والرسول الأسوة، وعسى أن يصلح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها، مصداق ذلك قوله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً}(سورة الأحزاب: ٢١)•
والحمد لله رب العالمين

هوامش
١- صحيح الجامع الصغير: رقمه (٢٩٢٨)•
٢- مسند الإمام أحمد: ١/١٧٢ •
٣- مستدرك الحاكم: ٤/١٧٤ •
=============
تربية الأبناء في الإسلام   عدد القراء : ٤٥٠   .
ان من اكبر واجبات الاباء والمربين العمل على ربط ابنائهم باصول الايمان، من الحقائق الايمانية، والامور الطيبة، كالايمان بالله تعالى والايمان بالملائكة والايمان بالكتب السماوية والايمان بالرسل واليوم الاخر والبعث والحساب والجنة والنار وسائر الغيبيات.
ومن اكبر واجباتهم تعويد اولادهم اركان الاسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج.. وكذلك تعليمهم مبادئ الشريعة وتعاليم الاسلام، من عقيدة وعبادة واخلاق واحكام.. وما كل ذلك الا ليبقى الولد مرتبطاً بالاسلام عقيدة وعبادة.. متصلا به منهاجاً ونظاماً- فلا يقبل سوى الاسلام ديناً ولا يرضى سوى القرآن إماماً وسوى الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وقائداً.
واليك اهم الارشادات النبوية الشريفة
* الفتح على الولد بتعليمه التوحيد (لا اله الا الله).
عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (افتحوا على صبيانكم اول كلمة بلا اله الا الله).
لتكون كلمة التوحيد وعقيدة الايمان اول ما يقرع سمع الصبي. واول ما ينطق به لسانه فتستقر بعد ذلك في فؤاده..
* أمره بالعبادة وهو في السابعة
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم :(مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع).
* تعريفه أحكام الحلال والحرام
حيث يعتاد الولد منذ نشأته على الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه عن ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم (اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا اولادكم بامتثال الاوامر واجتناب النواهي فذلك وقاية لهم ولكم من النار).
*تربيته على تلاوة القرآن وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته.
روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ادبوا اولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن.. فان حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله مع انبيائه واصفيائه).
*كما وينبغي تعليمهم غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة ومآثر القادة الافذاذ ومعارك الاسلام حتى يقتدوا بسير الاولين عزة وجهاداً وبطولة ويتمسكوا بالقرآن الكريم تلاوة وفهماً ومنهاجاً.
يقول سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه (كنا نعلم اولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن.

ويروى ان الفضل بن زيد رأى فتى من الاعراب فاعجب بمنظره فسأل امه عنه فقالت: اذا اتم خمس سنوات اسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه وعلمته الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه ولقن ماثر ابائه واجداده.. فلما بلغ الحلم حملته على اعناق الخيل..فتمرس وتفرس ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي واصغى الى صوت الصارخ..

*ارشادهم الى الايمان بالله تعالى وبالتامل والتفكر في خلقه.. حتى يصلوا معهم الى الايمان عن اقتناع وحجة وبرهان. فلا يستطيع دعاة الالحاد ان يؤثروا على عقولهم الناضجة ولا يستطيع احد ان يضعف نفسياتهم المؤمنة.

وعليهم ان يزرعوا في نفوسهم التقوى والخشوع لله. حتى تفتح بصائرهم على قدرة الله ومعجزاته في خلقه.. وعليهم ان يغرسوا فيهم روح المراقبة لله في كل احوالهم وذلك بتعويد الاولاد ان الله مطلع عليهم يعلم سرهم وجهرهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور.. حتى يتعلموا الاخلاص لله.. ويشعرون ان الله سبحانه وتعالى لا يقبل منهم عملاً الا اذا قصد به وجه الله.. وان يبتعدوا عن خلق مذموم.. فعليهم ان لا يحقدوا ولا يحسدوا ولا يغتابوا او يقبلوا على الشهوات الباطلة.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده امامك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف.

===============

كيف نربي أبناءنا تربية صالحة

حمد حسن رقيط

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (رواه مسلم).

وعن الحاطبي قال: سمعت ابن عمر يقول لرجل: "أدب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدبته؟

وماذا علمته؟ وإنه لمسؤول عن برك وطواعيته لك " رواه البيهقي.

الإهداء

إلى أمي وأبي اللذان ربياني صغيراً فأحسنا تربيتي وإلى أبنائنا وقرة أعيننا الذين نحب لهم طريق الهدى والرشاد.

وإلى الأمهات والآباء الذين يرجون لأبنائهم الخير والصلاح.

وإلى المربين الذين يتحملون مسؤولية التربية وأمانة التوجيه.

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد: فإن الجواب على هذا السؤال وما يتفرع منه له أهمية بالغة في ميدان التربية والتعليم فتربية الأبناء تربية صالحة هي الأساس المتين في إعداد الفرد الصالح والأسرة السليمة والمجتمع الفاضل.

وتربية الأبناء اليوم تتعرض لمخاطر كثيرة: منها تقصير الأبوين المكلفين قبل غيرهما في تربية أبنائهما. ومنها قصور التعليم الحالي الذي أغفل جوانب مهمة في تربية الأولاد ولم يحط الإحاطة الشاملة التي تلبي حاجة الإنسان الروحية والفكرية والخلقية والجسدية. ومنها ترك المجال أمام دعاة الغزو الفكري والأخلاقي لبث سمومهم وترويج أفكارهم ليعملوا على هدم أخلاق الناشئين وتحطيم قيم أبناء الجيل.

ومنها: تقليد بعض المربين للمناهج الغربية والأخذ بكل نظرياتها من غير تمحيص ولا تحقيق في الوقت الذي أثبتت دراسات المحققين والنقاد قصور المناهج الغربية وتناقضها وخوائها الروحي وحاجتها الماسة إلى الإصلاح والتعديل.

ومنها: الغفلة عن مصادر المنهج الإسلامي في التربية والذي يولي تربية الأولاد أهمية بالغة- ويمتاز عن غيره من النظريات بالشمول والتوازن والواقعية ووحدة التلقي.

هذه الأسباب وغيرها أدت ولا تزال تؤدي دورها في إضاعة عقول أبنائنا وإبعادهم عن قيمهم وأخلاقهم.

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

إن البعد عن مصادر ثقافتنا وهجر أساليب تربيتنا والانسياق وراء النظريات المستوردة سيورث أبناءنا ضعف الإرادة وفراغ العقل وخواء الروح...

إن العودة إلى معين التربية الإسلامية وعودة الأبوين والأسرة لتولي مسؤوليتهما تجاه أبنائهم وعودة المربين المسلمين للأخذ بأساليب التربية الإسلامية الصحيحة التي تعني بتربية النفوس عنايتها بتربية العقول والأجسام هو الطريق الصحيح الذي يصنع الجيل الصاعد والمجتمع الفاضل والأمة الخيرة.

كيف نربي أبناءنا تربية صالحة سؤال يهم كل الآباء والمربين ولابد من الإجابة عليه مسترشدين بتوجيهات الإسلام وهديه وما كتبه العلماء وذكره أهل الاختصاص في التربية والتعليم كيف نربي أبناءنا تربية صالحة؟ سؤال يضع الآباء والمربين عند مسؤوليتهم الكبرى التي ألزمهم الإسلام بها في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}.

التربية في المفهوم الإسلامي

ما معنى التربية في المفهوم الإسلامي، وما علاقتها بتربية الأولاد؟

التربية في أحسن معانيها كما يقول البيضاوي في تفسيره مأخوذة من الرب وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا وقد وصف الله تعالى نفسه بالرب للمبالغة.

ويقول الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات:

الرب في الأصل: التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام. ومن معاني التربية تنمية قوى الإنسان الدينية والفكرية والخلقية تنمية متسقة متوازنة".

وعلى هذا الأساس تكون التربية في مجال تنشئة الأولاد عملية بناء ورعاية وإصلاح شيئا فشيئا حتى التمام أي المضي مع النشء بالتدرج من الولادة حتى سن البلوغ، والتربية بهذا المعنى فريضة إسلامية في أعناق جميع الآباء والأمهات والمعلمين لغرس الإيمان وتحقيق شريعة الله وهي مسؤولية وأمانة لا يجوز التخلي عنها قال الله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.

دور الآباء والأمهات في تربية الأبناء:

يحمل الإسلام الوالدين مسؤولية تربية الأبناء بالدرجة الأولى ويخصهما قبل غيرهما بهذا الواجب قال الله تعالى حاضا الوالدين على تربية الأبناء{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} قال: "علموا أنفسكم وأهليكم الخير" رواه الحاكم في مستدركه.

قال المفسرون في الآية: قوا أنفسكم أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه وقال مقاتل: أن يؤدب المسلم نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

وقد أكد الإمام ابن القيم هذه المسؤولية فقال رحمه الله: قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على ابنه حقا فللابن على أبيه حق فكما قال الله تعالى: {)وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً } قال تعالى: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} قال علي بن أبي طالب: "علموهم وأدبوهم " وقال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى} قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اعدلوا بين أولادكم " (رواه البخاري).

مسؤولية الآباء نحو تربية أبنائهم

قال الإمام ابن القيم وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم قال الله تعالى:{وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً}.

ثم يقول: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا".

والسؤال الذي يفرض نفسه: من المسؤول عن انحراف الأبناء؟ يحمل الإسلام الأبوين ومن يقوم مقامهما مسؤولية انحراف الأبناء ومن الأدلة القوية على ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ " ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه:{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }.

ومن تمام مسؤولية الأبوين عن تربية أبنائهما محاسبتهما على التقصير في حقهما فقد روى النسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته" وفي الحديث المتفق عليه "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الإمام راع ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته".
هذه مسؤولية الآباء والأمهات نحو أبنائهم والتي لا يمكن أن تعوض بغيرهم وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن غالب انحراف الناشئين يرجع إلى انحراف المربي والقيم على التربية وصدق القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه

فالحذر الحذر من ترك الأبناء لتربية الخادمات والحذر كل الحذر من ترك المحاضن الأجنبية والمدارس التبشيرية تحتضن أبناءنا وتربيهم وفق مناهجها فإن علماء التربية يؤكدون أن أكثر من ٩٠% من تربية الطفل إنما تتشكل من خلال التربية والبيئة التي يعيش فيها الطفل.

صفات المربي

ما هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها المربون من أمهات وآباء ومعلمين؟
هناك صفات أساسية تلزم كل مرب يباشر التربية والتعليم لأبنائه أو لغيرهم. من ذلك:
١- الحلم والأناة: وهما من الصفات التي يحبهما الله ولهما تأثير تربوي كبير، أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد قيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة ".
٢- الرفق واللين:أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه ".
٣- الرحمة: صفة من صفات المربي الناجح وهي من الوالدين لأبنائهما أخص ورحمة الأولاد من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي نموا قويا سويا فإذا فقد الأولاد المحبة نشئوا منحرفين في المجتمع لا يتعاونون مع أفراده ولا يندمجون في وسطه. روى الإمام البخاري في صحيحه عن قتادة قال: "خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها" وفي صحيح البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً" فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:" من لا يرحم لا يُرحم ".
٤- ومن صفات المربي الناجح أما كان أو أبا أو من يقوم مقامهما البعد عن الغضب لما له من آثار سلبية في العملية التربوية فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن رجلا

طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوصيه فقال له: "لا تغضب " ثلاث مرات يكررها عليه.
٥- ومن ذلك المرونة ولين الجانب والأخذ بالتيسير الذي أباحه الشرع ففي الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اله عليه وسلم: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل ".
٦- الأخذ بأيسر الأمرين ما لم يكن إثما لما ورد في الحديث المتفق عليه "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى". وأيسر الأمرين يكون في الأمور المباحة والمشروعة، فيتخير المربي في تعامله مع أبنائه وطلابه أحسن الأساليب وأفضل الأوقات وأحسن الألفاظ والعبارات وأرق التوجيهات ليصل إلى عقولهم بأقل جهد وأقصر طريق.
من صفات المربي الناجح
١- ومن صفات المربي الناجح الاعتدال والتوسط في التوجيه والتربية والتعامل لأن الغلو والتطرف والتشدد لا مكان له في دين الإسلام ففي الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قط أشد من غضب يومئذ فقال: يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة).
٢- ومن صفات المربي: القصد في الموعظة وتقليل الكلام وعدم الإطالة وأدرك الصحابة رضي الله عنهم هذه الصفة من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين ففي الحديث المتفق عليه عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس مرة فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا".
٣- ومن صفات المربي الناجح القدوة الحسنة وعدم مخالفة الفعل للقول قال الله تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وسلم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}.
هذه أهم الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها المربي المسلم وما حازها أحد من المربين إلا كان قدوة حسنة يبني الرجال ويصنع الأبطال.
وها هي أمثلة حية من اهتمام السلف الصالح بأبنائهم: لقد كان المثل الأعلى للسلف الصالح رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما" رواه الترمذي.
وفي حديث مسلم "عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم- أي يدعو لهم بالبركة ويحنكهم ومنهم من بال في حجره فإذا استحيا آباؤهم من ذلك وهموا أن يأخذوا الطفل من حجره قال لهم: لا تزرموا الصبي بوله " أي لا تقطعوا عليه بوله.
وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على تربية البنات خاصة فقال:"ما من مسلم يكون له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه- أو صحبهما- إلا أدخلتاه الجنة" رواه ابن ماجه وغيره. وقد أدرك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الاهتمام بالأبناء فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نهى الناس عن أمر دعا أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا وإنما ينظر الناس إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقع الناس وإن هبتم هاب الناس وإنه والله لا ينفع أحد منكم في شيء نهيت الناس عنه إلا أضعف له العقوبة لمكانه مني ".
قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. [يقصد بذلك أنه يكثر من الدعاء لولده في الصلاة].
وقال أحد الصالحين: "يا بني إني لأستكثر من الصلاة لأجلك " وكان سهل التستري يتعهد ولده وهو في صلبه فيباشر إلى العمل الصالح رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح فيقول إني لأعهد الميثاق الذي أخذه الله تعالى علي في عالم الذر وإني لأرعى أولادي من هذا الوقت إلى أن أخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور".
هكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم يتعهدون أبناءهم رجاء أن يكونوا طائعين لله وخير خلف لهم.
رأي العلماء في تربية الأولاد
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "سماهم الله تعالى- أبرارا" إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}- لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا".
ويقول الإمام الغزالي رحمه الله: "إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش فيه ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة مربيه والقيم عليه ".
ويقول الأستاذ محمد نور سويد صاحب كتاب منهج التربية النبوية للطفل "حرص الإسلام على الأسرة وشدد عنايته بها لتكون المحضن الهادئ المستقر للطفل ولتكون موطن التأثير الأكبر في مجال التربية".
ويقول الأستاذ محمد قطب في كتابه منهج التربية الإسلامية: "وإذا كان البيت والشارع والمدرسة والمجتمع هي ركائز التربية الأساسية فإن البيت هو المؤثر الأول وهو أقوى هذه الركائز جميعا لأنه يتسلم الطفل من أول مرحلة ولأن الزمن

الذي يقضيه الطفل في البيت أكبر من أي زمن آخر ولأن الوالدين أكثر الناس تأثيرا في الطفل ".
ويقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي صاحب كتاب أصول التربية الإسلامية: "لا تحقيق لشريعة الله إلا بتربية النفس والجيل والمجتمع على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده ومن هنا كانت التربية الإسلامية فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده ويؤديها المربون للناشئين وكان الويل لمن يخون هذه الأمانة أو ينحرف بها عن هدفها أو يسيء تفسيرها أو يغير محتواها".
ويقول الشيخ محمد بن جميل زينو في كتابه نداء إلى المربين والمربيات "إن مهمة المربي عظيمة جداً وعمله من أشرف الأعمال إذا أتقنه وأخلص لله تعالى فيه وربى الطلاب التربية الإسلامية الصحيحة والمربي والمربية يشمل المدرس والمدرسة والمعلم والمعلمة ويشمل الأب والأم وكل من يرعى الأولاد.
وهكذا يجمع العلماء على ضرورة تربية الأولاد تربية صحيحة قوامها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن من يقوم بهذه المهمة إنما يقوم بعمل عظيم هو امتداد لمهمة الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشر وتعليمهم. والطفل كما يقولون صحيفة بيضاء نقية في أيدي أبويه ومن يربيه فإذا نقشوا فيه صالحا نشأ صالحا وإن نقشوا فيه شيئا فاسدا نشأ على السوء والفساد. فإذا أدرك الآباء والمربون هذه الأمانة وحملوها بصدق وإخلاص فلتبشر الأمة بالنصر القريب عملا بقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.
حقوق الولد على والديه
ما هي الحقوق المشروعة للولد على والديه؟ وما علاقة هذه الحقوق بالتربية؟ عدد العلماء كثيرا من هذه الحقوق وأهمها عشرون حقاً:
الحق الأول: اختيار الزوجة الصالحة لأنها مضنة الولد الصالح والسعي للزواج من ذات الدين لتكون أما مربية تقية طاهرة عفيفة تعين أبناءها على التربية الصالحة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " ورغب الإسلام في المرأة الولود الودود فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم ". ومن هنا يرى علماء التربية أن دور الأم في تربية الطفل يسبق دور الأب وذلك لكثرة ملازمتها للطفل منذ تكوينه جنينا في بطنها حتى يكبر. وصدق الشاعر حافظ إبراهيم إذ يقول:
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الحق الثاني: إتباع السنة في المعاشرة الزوجية وطلب الولد الصالح.
وذلك بذكر الأدعية التي تحصن المولود وهو نطفة من الشيطان الرجيم عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري. "أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر أن يكون بينهما في ذلك وقضى ولد لم يضره شيطان أبداً". وهذا جانب من جوانب التربية الروحية المبكرة للطفل قبل ولادته.

وفي طلب الولد الصالح يعلمنا الله سبحانه وتعالى هذا الدعاء {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ}.
الحق الثالث: إتباع السنة في استقبال المولود من رفع الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى وتحنيكه بالتمر والدعاء له وحلق رأسه و العقيقة عنه وتسميته بأحب الأسماء وختانه.. وذلك للأدلة التالية:
روى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان ".
- وعن التحنيك بالتمر والدعاء له جاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي".
وعن استحباب الحلق والتصدق بوزنه فضة ما رواه الإمام مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر رأس حسين وحسن وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنة ذلك فضة".
سنن المولود والحكم التربوية
ومن سنن المولود العقيقة روى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عن الغلام شاتان متكافئتان وعن الجارية شاة".
ومن ذلك تحسين اسم المولود وتكنيته لما روى أصحاب السنن عن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه ".
وفي الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ".
ومن ذلك استحباب التكنية جاء في الصحيحين من حديث أنسى رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له (أبا عمير) وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه يقول له: "يا أبا عمير ما فعل النغير". ومن ذلك سنة الختان جاء في الصحيحين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الفطرة خمس: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط " ويفضل الختان أن يكون في الأسبوع الأول لما رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام ".
- ولهذه السنن والأعمال المتعلقة بالمولود حكم وفوائد تربوية فرفع الآذان والإقامة في أذن المولود إشعار له بالشهادة والتوحيد والإسلام الذي هو دين الفطرة ودين آبائه وأجداده.. وفيه طرد للشيطان الذي يتربص بالإنسان منذ ولادته لإفساده.
- وفي الدعاء للمولود طلب الصلاح والخير له ليبقى هذا الصلاح نافعاً له ولوالديه لقوله عليه الصلاة والسلام "وولد صالح يدعو له ".

- وفي تحنيك المولود بالتمر إشارة إلى أهمية التمر كغذاء رئيسي للتنشئة السليمة وفيه تقوية لعضلات فم المولود ليقوم بالرضاعة على أحسن وجه.
- وفي حلق رأسه تقوية له وفتح لمسام رأسه وتقوية لحاسة البصر والشم والسمع.
- وفي التصدق بشعر رأسه فضة إشارة إلى ضرورة التكافل الاجتماعي والتراحم بين المسلمين والقضاء على أسباب الفقر والحاجة.
- وفي حكمة العقيقة فوائد منها التقرب إلى الله وشكره على نعمة الولد.
- إظهار الفرح والسرور بتكاثر نسل المسلمين.
- إظهار روح المحبة والتراحم بين المسلمين.
- دفع مصارع السوء والمصائب لأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
وفي تسمية المولود بأحب الأسماء إليه وتكنيته ما ينمي فيه شعور التكريم والاحترام وينمي فيه قوة الشخصية لاستشعاره أنه بلغ مرتبة الكبار وفيه أيضاً ملاطفته وإدخال السرور عليه بمناداته بأحب الأسماء إليه. وفي حكمة الختان يتخلص المرء من المفرزات الدهنية والتفسخات ويقلل من خطر الإصابة بالسرطان وسلس البول والتهيجات الجنسية وغير ذلك من الحكم.
من الحقوق المشروعة للولد
الحق الرابع: الرضا بقسمة الله من الذكور والإناث وعدم تسخط البنات لقول الله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} ولتكريم الأنثى في الإسلام جعل الله سبحانه وتعالى اسمها مقدماً على اسم الذكر فقال تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم عنايته بالمرأة منذ الولادة فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين- وضم أصابعه " وفي ذلك من التربية والتوجيه لاقتلاع العادات الجاهلية ما لا يخفى.
الحق الخامس: أن يختار له مرضعة صالحة إن فقد أمه.
وأفضل الرضاعة ما كانت حولين كاملين لقول الله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}.
ولقد أثبتت البحوث العلمية والصحية أن فترة عامين ضرورية لينمو الطفل نموا طبيعيا سليما من الوجهتين الصحية والنفسية.
وأكد الطبيب ابن سيناء أهمية الرضاعة الطبيعية بقوله: "إنه يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه فإن في إلقامه ثدي أمه عظيم النفع جدا في دفع ما يؤذيه ".
الحق السادس: أن تحضن الأم ابنها وخاصة مرحلة المهد والطفولة المبكرة ولا تتركه للخادمات والمربيات وذلك لأن الأم مع رضاعة وليدها بالحليب ترضعه العطف والحنان الذي لا يملكه غيرها، ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في إرجاع موسى إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن قال الله تعالى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ} ويرى العلماء أن الطفل يحس بالأمن كلما ألصقته الأم إلى صدرها.

الحق السابع: أن يعلمه والداه كتاب الله عز وجل ثم ما يلزم من العلوم الضرورية الدينية والدنيوية.. وقد أخرج الطبراني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه والوالدان اللذان يهتمان بتعليم أولادهما القرآن لهما الثواب العظيم أخرج أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ القرآن وعمل به ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس.

ولا شك أن تربية الأطفال على القرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم من شأنه أن يوسع مداركهم ويزودهم بالحكمة والهداية والنور قال الله تعالى:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} وقد أدرك المسلمون السابقون أهمية التربية على القرآن فتسابقوا في هذا الميدان وتنافسوا، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر ويقول سهل التستري فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين.

أبناؤنا والحقوق المشروعة

الحق الثامن: ألا يرزقه إلا طيباً من الكسب الحلال لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه " رواه الترمذي. وما يغذى به الأولاد ينبغي أن يكون حلالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص "أطب مطعمك تجب دعوتك ".

فيعود الطفل على أكل الحلال وكسب الحلال وإنفاق الحلال حتى ينشأ على التوسط والاعتدال بعيدا عن الإسراف والتقتير.

الحق التاسع: أن يعلمه الصلاة ويعوده عليها لقول الله تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}. وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع " فيؤمر الصبي بالصلاة في سن السابعة وهي بداية مرحلة التعليم التي نبه إليها الإسلام ويؤخذ بالنصح والتوجيه إذا قصر في صلاته حتى سن العاشرة فإن تهاون في هذه المرحلة جاز لوالده استخدام الضرب تأديباً له على ما فرط في جنب الله.

ويشجع الطفل في هذه السن على صلاة الجماعة وحضور صلاة الجمعة والعيدين ومن أنجح الوسائل في تحبيب الأطفال لصلاة الجماعة اصطحاب الأب لأبنائه وأخذهم معه لأداء صلاة الجماعة في المسجد.

من أمثلة ذلك ما كان من فعله صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب حينما دعاه إلى الإسلام وعمره لم يتجاوز العاشرة فأسلم ولازمه في الخروج إلى الصلاة مستخفياً في شعاب مكة حتى عن أهله وأبيه.

الحق العاشر: أن يدربه على الصوم:

وهذا من العمل المستحب إذ يرى جمهور العلماء أنه لا يجب على من دون سن البلوغ ولكن يستحب للتمرين.. أخرج البخاري ومسلم عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان صائماً فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه فكنا نصومه بعد ذلك ونصوم صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن- أي الصوف- فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار" قال الحافظ ابن حجر معلقاً: وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام كما تقدم. والصوم من الوجهة التربوية يغرس في النفس البشرية حقيقة الإخلاص لله تعالى ومراقبته في السر وتقوية الإرادة وكبح جماح الشهوات ويؤمر به الأطفال عند طاقتهم منذ السابعة وبالتدريج.

من حقوق الأبناء في التربية

الحق الحادي عشر: تربية البنات على الحجاب:

تعود البنت على لبس الحجاب منذ الطفولة ليكون لها شرفاً وحفظاً ويرى العلماء أن تعود البنت على لبس الحجاب في سن السابعة قياساً على حديث الأمر بالصلاة. ومن فوائد الحجاب للبنت صيانتها والحفاظ، على عفتها وشرفها ويدخل في دائرة الحجاب إبعاد البنت عن الاختلاط بالأجانب.. قال الله تعالى:{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

ومن أسف لما أهمل الحجاب وسمح بالاختلاط بين الجنسين وقع ما حذر منه الإسلام من هتك الأعراض وضياع الشرف وانتشار الفساد والوقوع في الحرام.

ويخاطب الله المؤمنات جميعاً فيقول: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ} وينهى الله المؤمنات عن التبرج {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}.

الحق الثاني عشر: أن يعلم الأطفال آداب الاستئذان في الدخول وقد جاء هذا التوجيه في القرآن الكريم بأسلوب تربوي متدرج فطلب من الأطفال وهم صغار أن يستأذنوا في ثلاث أوقات مهمة:

١- من قبل صلاة الفجر ٢- ووقت الظهيرة عند القيلولة ٣- وبعد صلاة العشاء. فإذا بلغ الأولاد سن البلوغ وجب عليهم الاستئذان في البيت للدخول على والديهم في كل وقت قال الله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} وفي تربية الأولاد على هذه الآداب تعويد لهم على غض البصر عن العورات وحفظ لهم من أسباب الإثارات التي قد تسبب لهم بعض الأضرار النفسية والاجتماعية والخلقية.

من حقوق الأبناء في الإسلام

الحق الثالث عشر: أن يعدل الوالدان بين أولادهم:

فلا يفضل أحد على أحد ولا يميز الذكور على الإناث، والعدل بين الأولاد مطلوب في جميع الحالات سواء كان في العطاء أو في المحبة والقبلة أو في تقديم الهدايا والهبات والوصية أو في المعاملة فإنه يلزم الوالدين معاملة أولادهم بالعدل والمساواة.

روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له أنثى فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده- يعني الذكور عليها- أدخله الله الجنة".

وبهذا العدل يستقيم أمر الأسرة وتنشأ المحبة بين الجميع وتغرس الثقة بين أفراد الأسرة فلا مكان للأحقاد والبغضاء عندئذ وفي الحديث المتفق عليه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ".

الحق الرابع عشر: تخير الصحبة الصالحة لهم لأن الصاحب ساحب والقرين بالمقارن يقتدي. وقد حث الإسلام على صحبة الصالحين والأخيار وحذر من صحبة الأشرار وفي الحديث الصحيح: "لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ".

وفي تخير الأصحاب الصالحين للأبناء حماية لهم من الوقوع في الانحراف والبعد بهم عن مزالق السوء ومهاوي الردى. ولقد أحسن من قال:

واختر من الأصحاب كل مرشد　　　إن القرين بالقرين يقتدي
فصحبة الأخيار للقلب دواء　　　تزيد للقلب نشاطاً وقوى
وصحبة الأشرار داء وعمى　　　تزيد للقلب السقيم سقماً

الحق الخامس عشر: توفير أسباب اللهو واللعب المفيد من سباحة ورماية وركوب الخيل وما جرى مجراهم في النفع جاء في سنن الترمذي عن ابن جرير بسنده عن علي رضي الله عنه قال: ما جمع النبي صلى الله عليه وسلم أبويه إلا لسعد قال: ارم فداك أبي وأمي أيها الغلام الحزور" وفي صحيح الجامع عن أبي العالية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بفتية يرمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً" ولهذا الجانب أهمية بالغة في التربية فهو يكسب الأطفال الثقة بأنفسهم فيشبوا على تعلم مهارات كثيرة تكون أساساً لكثير من الأنشطة الحياتية إذا كبروا. وهناك فائدة أخرى مهمة في توفير الوالدين والمربين الألعاب بين يدي الأطفال وهي تفريغ طاقاتهم المكبوتة وتوجيهها الوجهة الصحيحة وصرفهم عن اللهو الحرام والسلوك الخاطئ.

واجب الآباء نحو الأبناء

الحق السادس عشر: أن يعوله حتى سن الرشد:

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله هل لي في بني أبي سلمة أجر إن أنفقت عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا- أي يتفرقون في طلب القوت هكذا وهكذا- إنما هم بني فقال: نعم لك أجر ما أنفقت " رواه البخاري ومسلم.
ولا يخفى ما في ذاك من فوائد تربوية إذ فيه حسن إعداد الأطفال ليتجاوبوا مع التربية في سن الصغر فلا ينشغلوا عن ذلك بطعامهم وشرابهم. ومن أجل ذلك قال العلماء: ويلزم الوالدين إن كانا أغنياء أن ينفقا على أولادهما حتى ما بعد الرشد إن كانوا فقراء.
الحق السابع عشر: من حق الأولاد على والديهم الرحمة وما يتفرع عنها من حب وحنان وعطف.
روى أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوماً إذ قال الخادم: إن فاطمة وعلياً رضي الله عنهما بالسدة قالت: فقال لي قومي فتنحي عن أهل بيتي قالت: قمت فتنحيت في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق علياً وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال: "اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي " قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله فقال وأنت".
وفي الحديث فوائد تربوية عظيمة منها:
ضرب المثل الحسن في معاملة الأب لأولاده وأحفاده وزوج بنته ومنها أن الرحمة مع أفراد الأسرة ولا سيما الصغار مصدر سدادة وسرور.
ومنها: أن العطف على الصغار يولد فيهم حب آبائهم والسير على منهاجهم وطريقتهم ويجنبهم مخاطر العقوق والتمرد.
ومنها: الحرص بين أفراد الأسرة على التهادي ودعاء رب الأسرة لأهله وأولاده وأحفاده بالخير وسؤال الجنة لهم وإعاذتهم من النار.
ومنها أن تقبيل الأطفال له أثر فعال في تحريك مشاعرهم وتسكين غضبهم وهو دليل رحمة ومحبة للطفل ودليل تواضع من المربي معهم.
الحق الثامن عشر: من حق الأولاد التأديب:
روى البخاري في التاريخ والبيهقي عن أيوب بن موسى القرشي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما نحل والد ولداً نحلاً أفضل من أدب حسن " ونحل أعطى. وروى الطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين ". ومن هنا قال العلماء: إذا بلغ الولد ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه.
روى البيهقي عن الحاطبي قال: سمعت ابن عمر يقول لرجل: "أدب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته؟ وإنه لمسؤول عن برك وطواعيته لك ".
من صور تأديب الأولاد
من واجب الآباء والأمهات والمربين تعليم الأطفال منذ الصغر النطق بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله " وإفهامهم معناها عندما يكبرون: لا معبود بحق إلا

الله قال الإمام ابن القيم رحمه الله في أحكام المولود: فإذا كان وقت نطقهم أي الأطفال فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا".

ومن أساليب التأديب غرس محبة الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وتعويدهم أن يسألوا الله وحده ويستعينوا به وحده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عمه: "وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " حديث حسن صحيح رواه الترمذي ".

ومن تأديب الأولاد تعويدهم على الصدق قولاً وعملاً بأن لا نكذب عليهم ولو مازحين وإذا وعدناهم فلنوف بوعدنا لما ورد في صحيح البخاري ومسلم من تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من الكذب: "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان ".

ومن صور التأديب غرس العقيدة الصحيحة في الله وأسمائه وصفاته والتأكيد على قضية الإيمان والتوحيد والتحذير من الشرك لأنه الظلم العظيم.

ومن معاني التأديب غرس عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره وغرس عقيدة اليوم الآخر وما فيه من حساب وصراط وجنة ونار روى الترمذي في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه وقد كان غلاماً صغيراً. قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ".

ومن وسائل التأديب: تعويد الأطفال على الآداب الاجتماعية كآداب الطعام والشراب وآداب السلام وآداب المجلس وآداب العطاس والتثاؤب وآداب النوم والآداب مع الوالدين والأخوة والآداب مع الجيران.

- ومن أدب البنين والبنات تحذيرهم من تشبه البنات بالرجال وتشبه الأولاد بالنساء سواء كان في الملبس أو في الحركة فإن ذلك من الاسترجال المنافي للأنوثة عند الفتيات ومن الميوعة والتخنث المنافي للرجولة عند الأولاد.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ".

الأولاد والحقوق المشروعة

الحق التاسع عشر: تعليم الولد أحكام المراهق والبلوغ فيعلم الولد هذه الأحكام أو ما يسمى بالثقافة الجنسية سواء كان الولد ذكراً أم أنثى فيعرف الصبي إذا بلغ الحلم وهو السن الذي يتراوح ما بين ١٢ إلى ١٥ سنة أنه إذا نزل منه مني ذو دفق وشهوة فقد أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً يجب عليه ما يجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف ويجب على الأم أن تصارح ابنتها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت

احتلاماً ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف.
روى الإمام أحمد والنسائي عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقال: ليس عليها غسل حتى تنزل كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل".
ويعلم الولد أن نزول المني على سبيل الدفق والشهوة يوجب الغسل وتعلم الفتاة أن انقطاع مدة الحيض والنفاس يوجب الغسل على المرأة ويعلم كل منهما فرائض الغسل وسننه وكيفيته.
وجانب التربية الجنسية جانب مهم يكمل صورة التربية الشاملة التي دعا إليها الإسلام والتي تستوعب الإنسان في كل جزئياته.
الحق العشرون: أن يبحث الوالدان لولدهما عن الزوجة الصالحة ولبنتهما عن الزوج الصالح وينفقا على زواجهما إن كانا غنيين وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على زواج الشباب في سن مبكرة فقال في الحديث الصحيح: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".رواه البخاري
وينصح الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله الآباء في كتابه القيم تربية الأولاد في الإسلام فيقول:" إن كنت ميسوراً أيها الأب من الناحية المادية فينبغي أن تساهم مساهمة فعالة في تسهيل أسباب الزواج لولدك لتنقذه من الهواجس النفسية والتأملات الجنسية التي تسيطر على عقله وتفكيره وتقف عائقاً في طريق غايته أو تعلمه وتنقذه أيضاً من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحته ويسيء إلى سمعته ولا يأتي هذا إلا بتيسير أسباب الزواج من ناحية وإمداده بالنفقة من ناحية أخرى وكل تهاون أو تقصير في هذه السبيل يعوض ولدك الشاب إلى أوخم النتائج وأخطر العواقب".
والواقع أن عدداً كبيراً من الشباب أصبح يعاني من مشكلات كثيرة وعلى رأسها المشكلة الجنسية نتيجة للجهل بأحكام البلوغ والأخذ بفكرة الزواج المتأخر التي وفدت إلى مجتمعاتنا.
الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وعلاجها
كثيراً ما يشتكي بعض الآباء والأمهات من جنوح أبنائهم ووقوعهم في المعاصي والدنايا وميلهم إلى الانحراف وعدم طاعة الوالدين والتمرد على القيم والأخلاق ورفض العادات الحسنة التي كان عليها آباؤهم.
والواقع أن هناك أسباباً تدفع أمثال هؤلاء الأبناء للانحراف ومن أهم ذلك:
١- الفقر الذي يخيم على بعض البيوت إذ تدفع حاجة الأولاد الذين لا يجدون ما عليه أقرانهم وأصدقاؤهم من نعمة وغنى فيلجأون إلى البحث عن احتياجاتهم من خارج البيت إما عن طريق السرقة أو صحبة الأشرار فيقعون في طريق الانحراف.
والإسلام بتشريعه العادل قد عالج هذه المشكلة ووضع من التشريعات ما يؤمن لكل فرد الحد الأدنى من مسكن ومطعم وكساء ورسم للمجتمع الإسلامي مناهج عملية للقضاء على الفقر نهائيا كتأمين سبل العمل لكل مواطن وإعطاء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز وسن قوانين للتعويض العائلي لكل أب له أسرة وأولاد وأمر

برعاية اليتامى والأرامل والشيوخ بشكل يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية ويبعدهم عن أسباب الانحراف والتفكير فيه.
٢- إهمال النفقة على الأولاد أو التقتير عليهم وهذا من شأنه أن يدفع بالأولاد إلى استكمال هذا النقص لمحاكاة الآخرين فيلجأون إلى أسهل الطرق في تحصيل مرادهم وهو العدوان على غيرهم وارتكاب الجرائم والمخالفات في سبيل ذلك وهذا ما يسمى بجنوح الأولاد.
والإسلام بأسلوبه الحكيم قد حذر أشد التحذير من تضييع الرجل من يعول لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " في الحديث الذي رواه أبو داود.
٣- النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات أمام الأولاد ولا شك أن هذا الأمر مذموم شرعا وعقلا وعرفا والفتنة نائمة تستيقظ بالإشاعة والإذاعة وفي الحديث الشريف: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع " (رواه أبو داود) وقد نبه الإسلام إلى خطورة إشاعة مقالة السوء فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.
٤- حالات الطلاق وما يصاحبها من ضياع الحقوق إذ أن الطلاق لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة وإذا توفرت الأسباب الداعية إليه وقد أساء البعض استخدام حق الطلاق حتى كثرت حالات المطلقات من النساء الأمر الذي يؤدي إلى تشرد الأبناء ووقوعهم في أوحال الرذيلة والجريمة.
والإسلام بمنهجه المتميز والفريد قد دعا إلى حسن العلاقة الزوجية وجعل المعاملة الحسنة السبيل الأمثل لاستقرار الأسرة وسعادتها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خَيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " رواه ابن ماجه والحاكم.
من أسباب انحراف الأولاد
١- الفراغ الذي يتحكم في الأطفال والمراهقين وهو سبب مهم في زيغ الأبناء وانحرافهم والطفل من طبيعته يحب اللهو واللعب فإذا لم تهيأ له فرصة اللهو المباح واللعب البريء فإنه في الغالب سيبحث عن بدائل أخرى وربما لا يجد هذه البدائل إلا عند رفقاء السوء الذين سيقعون به حتماً إلى الانحراف والفساد.
والإسلام قد وجه إلى معالجة هذا الأمر في حياة الناشئين والناس فقال عليه الصلاة والسلام: "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك " رواه الحاكم والبيهقي.
٢- الخلطة الفاسدة ورفقاء السوء وهو عامل خطير في هدم أخلاق الناشئين وإفسادهم ويتحمل الوالدان المسؤولية الكبرى في ترك أبنائهم يصاحبون رفقاء الشر إذ من مسؤولية الأبوين اختيار الرفقة الصالحة لأبنائهم ليكتسبوا منهم كل خلق كريم وأدب رفيع. قال الله تعالى: محذراً من رفقاء السوء: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}.
وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تشتري منه أو تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا منتنة".

٣- ومن أسباب انحراف الأولاد سوء معاملة الأبوين للولد فينال منهما القسوة والتحقير والازدراء والسخرية ولهذه المعاملة الأثر السيئ على نفسية الولد وعلى سلوكه وتصرفاته مما قد ينشأ عنده ردود فعل تكون عواقبها وخيمة.
والإسلام بمنهجه الحكيم يدعو المربين ولا سيما الآباء والأمهات إلى أن يتحلوا بالأخلاق العالية والمعاملة الحسنة التي تفيض بالرحمة والشفقة والحنان حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية وبالتالي حتى يشعروا بكرامتهم واحترامهم عند آبائهم.
وقد وجه الإسلام إلى حسن المعاملة مع كل الناس ولا سيما الأقربين فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}.
وقال سبحانه وتعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً} وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام: "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" من حسن معاملة الأولاد مخاطبتهم بأطيب الكلام وملاطفتهم في الحديث. ومن حسن معاملتهم غرس الثقة في نفوسهم وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن رغباتهم وطموحاتهم وإشعارهم بأهميتهم كأعضاء صالحين في دائرة الأسرة والمجتمع.
الحذر من إهمال تربية الأولاد
لإهمال تربية الأولاد عواقب وخيمة تتحدث عنه الأخبار ويتذاكرها الناس ومن أحسن القصص الواعظة في هذا الباب القصة التالية:
جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (أي القراءة). قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك. أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي وقد سماني جعلاً (أي خنفساً) ولم يعلمني من الكتابة حرفا واحدا. فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك " ولعل من أخطر ما يواجه الأولاد ويسبب في انحرافهم مشاهدتهم لأفلام الجنس والجريمة تلك الأفلام التي تقود إلى الميوعة والانحلال ويتحمل الوالدان المسؤولية التامة تجاه انحراف أبنائهم في هذا السبيل إذا لولا موافقة الأبوين وتيسيرهما لسبل هذه المشاهدات لما أقدم الأولاد على هذا الفعل المهدم للأخلاق والإسلام بمبادئه التربوية يضع أمام الآباء والمربين والمسؤولين المنهج القويم في توجيه الأبناء وتربيتهم.
ويكفي في الدلالة على هذه المسؤولية قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: "الرجل راع في بيت أهله ومسؤول عن رعيته ".
ومن مظاهر الإهمال في تربية الأولاد تخلي الأبوين عن تربية أولادهما إما غفلة منهما أو انصرافا عن هذه المسؤولية أو إهمالا لهذه الأمانة.
ولهذا الإهمال نتائج خطيرة منها: إتاحة الفرصة لرفقاء السوء أن يصطادوا الأبناء المهملين من قبل آبائهم. ومنها سرعة انجذاب الأولاد لداعي الفساد ومنها شيوخ الجريمة في المجتمع ومن أجل ذلك كانت توجيهات الإسلام حاسمة وصريحة في هذا

الميدان قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.
وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه: "أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم ".
فإلى الآباء والأمهات والمربين بادروا في الاهتمام بتربية أبنائكم واسعوا في إصلاحهم ما استطعتم فإن أعظم ما تتوجه إليه الجهود وتنفق فيه الأموال إصلاح الأبناء.
من الأخطاء الشائعة في تربية الأولاد
هناك أخطاء وممارسات شائعة في تربية البنين والبنات تقع أحياناً عن جهل وأحيانا عن غفلة وأحيانا عن عمد وإصرار ولهذه الممارسات الخاطئة آثار سلبية على استقامة الأبناء وصلاحهم من ذلك:
- تحقير الولد وتعنيفه على أي خطأ يقع فيه بصورة تشعره بالنقص والمهانة والصواب هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ.
- إذا أراد المربي زجر الولد وتأنيبه ينبغي ألا يكون ذلك أمام رفقائه وإنما ينصحه منفرداً عن زملائه.
- الدلال الزائد والتعلق المفرط بالولد وخاصة من الأم يؤدي إلى نتائج خطيرة على نفس الولد وتصرفاته وقد يكون من آثاره زيادة الخجل والانطواء وكثرة الخوف وضعف الثقة بالنفس والاتجاه نحو الميوعة والتخلف عن ا لأقران.
- فكرة استصغار الطفل وإهمال تربيته في الصغر فكرة باطلة والصواب أن تبدأ التربية ويبدأ التوجيه منذ الصغر من بداية الفطام حيث يبدأ التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح.
- من مظاهر التربية الخاطئة عند الأم عدم السماح لولدها بمزاولة الأعمال التي أصبح قادرا عليها اعتقادا منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للولد ولهذا السلوك آثار سلبية على الولد.. من هذه الآثار فقدان روح المشاركة مع الأسرة في صناعة الحياة وخدمات البيت ومنها الاعتماد على الغير وفقدان الثقة بالنفس ومنها تعود الكسل والتواكل.
- ومن مظاهر التربية الخاطئة أن لا تترك الأم وليدها يغيب عن ناظريها لحظة واحدة مخافة أن يصاب بسوء وهذا من الحب الزائد الذي يضر بشخصية الولد ولا ينفعه.
- ومن الأخطاء تفضيل بعض الأولاد على بعض سواء كان في العطاء أو المعاملة أو المحبة والمطلوب العدل بين الأولاد وترك المفاضلة.
- ومن ذلك احتقار الأولاد وإسكاتهم إذا تكلموا والسخرية بهم وبحديثهم مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه كثير الخجل أمام الناس وفي المواقف الحرجة.
- ومن الأخطاء الشائعة فعل المنكرات أمام الأولاد كشرب الدخان أو سماع الأغاني أو مشاهدة الأفلام الساقطة مما يجعل من الوالدين والمربين قدوة سيئة.
ما أهمية الحب في تربية الأولاد

حب الأبوين لأبنائهما عاطفة فطرية لا بد من إظهارها في العملية التربوية وبما أن الأطفال الصغار تغلب عليهم العاطفة لزم فيمن يتصدر لتربيتهم من الآباء والمربين أن يراعوا هذا الجانب ويغرسوا مفهوم الحب بينهم وبين أبنائهم وطلابهم وأن يكون هذا الحب عاطفة متبادلة بين الفريقين فإن الحب يثمر الحب كما يقولون وإذا وجد الحب تمت عملية التربية بسهولة "لأن المحب لمن يحب مطيع " ولهذه الحكمة أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بمعاملة الناس بالحب والشفقة واللين {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} فالمربي الغليظ القاسي يبغضه الأطفال ويبغضون معه كل فكرة وعلم وأخلاق ولا يقبلون منه أي نصح وتوجيه لفظاظته وشدته.
ولكي لا يخرج الحب عن حد الاعتدال والتوازن ويميل إلى الإفراط والدلال لا بد للمربي من الوقوف عند هذه الضوابط:
الضابط الأول: الالتزام بشرع الله القاضي بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.
الضابط الثاني: ألا يكون حب الولد مانعاً للخير أو صاداً عن سبيل الله وذلك فيما نبه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم "إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة" والمعنى أن الولد والحرص عليه يصرف والديه عن الجود والكرم والإنفاق في أعمال الخير ويقصران المال للنفقة عليه ويحول الولد أحيانا بين الوالدين وصفة الشجاعة والإقدام فيبعث فيهما روح الخوف والبقاء على رعايته.. وكذلك يفعل الولد فيساهم في تجهيل والديه يصرفهما عن طلب العلم وإنشغالهما بشؤونه ويبعث الولد أيضا مشاعر الأسى والحزن عند والديه لضر يصيبه.. والمطلوب هو التوازن في المحبة وإيثار محبة الله ورسوله في حالة التعارض.
الضابط الثالث: الصبر على وفاة الطفل واحتسابه عند الله تعالى من غير جزع ولا عويل ولا صياح وقد جاء في الصحيح فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة".

كيف نربي أبناءنا تربية صحية؟
الصحة وسيلة من وسائل القوة التي دعا إليها الإسلام لأن "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير" (رواه مسلم) كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك. وقال أيضا: "إن لجسدك عليك حقا" (رواه البخاري). والتربية الصحية المستوحاة من منهج الإسلام زاخرة بالتوجهات الحكيمة والنصائح المفيدة وحسبنا أن نشير إلى أهم السلوكيات والعادات الصحية التي ينبغي أن ينشأ عليها الأولاد:
من ذلك:

- تعويدهم سنة السواك: لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" وقد أثبت الطب الحديث مفعول السواك واحتوائه على كيميائية طبيعية تفيد الأسنان وتقوي اللثة بشكل فعال ولا مانع من إضافة الفرشاة الحديثة مع المعجون.. وعلى المربي أن ينبه ولده أو تلميذه إلى الطريقة المثلى لاستعمال السواك فلا يستعمله داخل المسجد ولا في مجالس العلم ولا في وجوه الناس وإنما يستعمله في المواضع المسنونة عند الوضوء وهو المعنى المقصود في الحديث الشريف "عند كل صلاة"- وعند تغير رائحة الفم- وعند دخول البيت والقدوم من السفر- ووقت الحاجة إليه.

- تعويدهم تقليم الأظفار والاهتمام بالنظافة وذلك من خلال المحافظة على الوضوء والاغتسال ورعاية السنن الإسلامية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "خمس من الفطرة" وذكر منها وتقليم الأظفار".

- غرس الآداب النبوية فيهم: فيعودهم آباؤهم ومربوهم على الاعتدال في الطعام لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ".

- ويعودهم على آداب الشراب وهو التنفس خارج الإناء ثلاثا لما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان يتنفس إذا شرب ثلاثا" وزاد الترمذي: "إنه أروأ وأبرأ وأمرأ".

- ويعودهم النوم على الشق الأيمن وقد روى البخاري ومسلم وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة "إذا أتيت مضجعه فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن " ويذكرهم الأدعية الواردة في ذلك من آية الكرسي والمعوذات.

- تعويدهم النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر:

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم "إياكم والسمر بعد هدأة الليل فإنكم لا تدرون ما يأتي الله من خلقه " وقد جاء في كتاب زاد المعاد لابن القيم قول ابن عباس عندما رأى ابنا له نائما نومة الصبحة فقال له: "قم أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق ".

البرنامج الصحي للأولاد

من الأسباب الواقية لصحة الأولاد:

- تعويدهم على سلوك الرياضة وتمارين الأعضاء ولا سيما السباحة والرمي وركوب الخيل والمصارعة وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجري مسابقات الجري بين الأطفال لقبولهم في دخول الجيش وملاقاة العدو.

- ومن الأسباب الواقية تعويذهم من العين والسحر والجان جاء في كتاب و الأذكار للنووي "باب ما يعوذ به الصبيان وغيرهم: وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين "أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة" فيقول: "إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق " قال العلماء: الهامة هي كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها وأما العين اللامة هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء.

- ومن ذلك إبعاد الأولاد عن الأمراض المعدية لأن تأثر الصغار الأصحاء بالمرضى يكون أكثر من غيرهم وفي الصحيحين "لا يوردن ممرض على مصح ".
- ومن ذلك تعويد الأولاد على التقشف وعدم الإغراق في التنعم وقد جاء الحث على ذلك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ونصائح الصحابة رضي الله عنهم.
يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: "إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ".
ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم " وقد ثبت طبيا أن الترف والتنعم سبيلان إلى فساد الجسم وإحاطته بمختلف الأمراض.
- وقاية الأولاد من أسباب الحوادث والكوارث: فيوصى الأطباء بعدم رمي الأدوية الفائضة عن الحاجة وعدم تركها في متناول الأطفال وأخذ الحيطة والحذر من مصادر الخطر على الأولاد كالسموم الخاصة بالحشرات والمواد القابلة للاشتعال والأواني الخاصة بغلي الماء والألعاب النارية وأدوات الكهرباء وأسلاكها والآلات الحادة والأجهزة الكهربائية. ويمكن أن تندرج هذه النصائح وغيرها في القاعدة الذهبية التي دعا إليها الإسلام "لا ضرر ولا ضرار".
- ومن توجيهات الصحة والسلامة في الإسلام مداواة الأولاد عند المرض لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد "لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله عز وجل ".
- ومما يلحق بالمداواة ويدخل في مسؤولية الوالدين والمربين وقاية الأطفال من الأمراض المعدية والسارية منذ الأيام الأولى لولادتهم وأهم الأمراض الخطيرة التي ينبغي تحصين الأولاد منها:
مرض السل- الجدري- الدفتريا- السعال الديكي- والتيتانوس- الحصبة- شلل الأطفال- التيفوئيد عند الحاجة. وذلك وفق الجدول الزمني لمراكز الصحة المختصة.
كيف نحصن أبناءنا من الانحرافات الخلقية؟
من أخطر الانحرافات الخلقية عند المراهقين والشباب وقوعهم في رذيلة الزنا واللواط وقد أجمع الفقهاء على حرمة هاتين الفاحشتين تحريما قطعيا وذلك للأدلة الشرعية الصريحة من الكتاب والسنة. أما دليل الكتاب فيما يتعلق بحرمة الزنا فلقول الله تعالى: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}.
ومن السنة: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " وفيما يتعلق بحرمة اللواط يقول الله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}.
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم: "ملعون من عمِل عمل قوم لوط ملعون من عمِل عمل قوم لوط ملعون من عمِل عمل قوم لوط " ولخطورة هذه الجرائم في الإسلام فقد جاءت عقوبة الزنى مائة جلدة مع التغريب للزاني غير المحصن أما الزاني المحصن فعقوبته الرجم حتى الموت.
أما عقوبة اللوطي فقد أجمع العلماء على أن اللواط زنى واختلفوا في تحديد العقوبة فجمهور الفقهاء والمجتهدين ذهبوا إلى قتل الفاعل والمفعول به ويرى آخرون أن حد

الفاعل هو حد الزنى، وحكمة الإسلام ظاهرة في اتخاذ هذا الموقف المتشدد من هاتين الفاحشتين.
فالزنى واللواط لهما أضرار صحية وجسمية ونفسية واجتماعية من ذلك: يسبب الزنى واللواط مرض الزهري ومرض السيلان والأمراض المعدية الفتاكة ويؤدي الزنى إلى اختلاط الأنساب وكثرة أبناء الحرام وضياع النسل وفصم أواصر الزوجية وتفكك وحدة الأسرة والانطلاق في حمأة الرذيلة والفساد وقتل الشهامة والمروءة وفقدان الرجولة والكرامة.
وعلاج ظاهرة الزنى واللواط إنما تتم من خلال التربية الصحيحة التي تقوم على أساس الإيمان والأخلاق وتيسير سبل الزواج المبكر للشباب والبعد بهم عن مهيجات الشهوة من تبرج واختلاط.

حكم اللعب بالميسر واليانصيب:
ويدخل من ضمن المحرمات اللعب بالميسر واليانصيب لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}.
فقد نهى الله عن لعب الميسر وما شابهه من اليانصيب لأنه يؤدي للقمار والحكمة في تحريم هذا النوع من اللهو لأنه يؤدي إلى إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن سبيل الله وعن الصلاة كما يورث الشجار بين اللاعبين. وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أشد تحذير فقال: "من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه " (رواه أبو داود).
الأولاد.. والعادات الخاطئة
من الأمراض المتفشية عند بعض الأولاد البالغين والمراهقين ظاهرة العادة السرية.. وهي سلوك خاطئ ومضر وأكثر ما تنتشر هذه العادة في الوسط المليء بالفتن والاختلاط والتبرج وخروج النساء سافرات في الطرقات والمنتزهات وأماكن العمل وتساهم المجلات الخليعة والأفلام الهابطة والقصص الغرامية في إثارة الشباب وتهييج الناحية الجنسية لديهم مما يلجئهم إلى إشباع شهواتهم عن طريق الحرام أو العادة السرية. ولخطورة استعمال العادة السرية فقد أكد العلماء والأطباء أنها تسبب أضرارا جسمية وجنسية وعقلية على صحة الإنسان.
من الأضرار الجسمية: إنهاك في القوى- ونحول في الجسم وارتعاش بالأطراف وخفقان بالقلب- وضعف بالبصر والذاكرة وإخلال بالجهاز الهضمي وإصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي إلى السل في أغلب الأحيان وقد تؤثر على الدورة الدموية في الجسم وتسبب فقر الدم. ومن الأمراض الجنسية مرض العنة وهو عدم قدرة الشباب على الزواج. ومن الأمراض النفسية والعقلية: الذهول والنسيان وضعف الإرادة وضعف الذاكرة والميل إلى العزلة وكثرة الخجل والشعور بالخوف والكسل والكآبة والحزن والتفكير بارتكاب الجرائم والانتحار.

وقد استدل العلماء على حرمة ممارسة العادة السرية بقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} فيدخل في عموم هذه الآية {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} كل تفريغ للشهوة عن غير طريق الزواج وملك اليمين كالزنى واللواط والاستمناء باليد (العادة السرية)، والعلاج الناجح في استئصال هذه الظاهرة هو الشروع في الزواج المبكر وتيسير أسبابه فإن لم يتيسر مبكرا فيوجه الأبناء إلى صوم النفل للحديث المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أي قاطع للشهوة).

ومن تمام العلاج إبعاد الأولاد عن المثيرات الجنسية وملء فراغهم بما ينفع وإيجاد الصحبة الصالحة لهم والحرص على ممارسة الأنشطة الثقافية والرياضية وتوجيههم لرحلات الحج والعمرة وتشجيعهم على ممارسة الهوايات النافعة.

تحصين الأبناء من خطر المخدرات

ظاهرة انتشار المسكرات والمخدرات بين الصغار والشباب والكبار ظاهرة خطيرة تنذر بشر كبير وهي تنتشر في الوسط الذي لا يهتم بالدين ولا بالأخلاق الإسلامية وأكثر من يتعرض لها الأولاد المشردون والعاقون لآبائهم وأمهاتهم والمبتلون برفقة السوء والذين فقدوا الرقابة والإشراف من أهليهم.

والمتعاطون للمخدرات والمسكرات واقعون في الإثم والمعصية لأن خطر هذه السموم على النفس والمجتمع واضح وبين وكل ما من شأنه الضرر بصحة الإنسان كان محرما في دين الله.. وقد أثبت الطب ضرر هذه السموم فهي: تسبب الجنون والأمراض العصبية والمعوية والمعدية وتشل حدة الفكر والذهن وتحدث آلاما في الجهاز الهضمي وتفقد الشهية في الطعام وتسبب سوء التغذية والهزل والخمول والضعف الجنسي وتؤدي إلى تصلب الأنسجة والشرايين فضلا عن الخسائر المادية التي يترتب عليها إفلاس المدمنين وخراب بيوتهم.

والدليل على حرمة هذه السموم من خمر ومخدرات بمختلف أنواعها ومسمياتها قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}. وأما السنة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم في تحريم الخمر في الحديث الذي رواه أبو داود "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه".

وتحريم كل أنواع المخدرات يندرج في عموم قول الله تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}.

وفي السنة ما رواه الإمام أحمد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر".

والمنهج السليم للتخلص من ظاهرة انتشار المسكرات والمخدرات إنما يكون بمنع تداول هذه السموم وتجفيف أوكار بيعها وسن القوانين الصارمة للمخالفين وتوقيع العقوبات الزاجرة لمرتكبيها وتوجيه الأولاد لاستغلال أوقاتهم فيما يعود عليهم بالنفع وتربيتهم التربية الصالحة القائمة على الدين والأخلاق لينالوا الحصانة التامة من هذه السموم.

ما يهم الآباء والمربين

س: هل يجوز للأم اصطحاب رضيعها إلى المسجد؟

ج: يجوز للام أن تحمل رضيعها للذهاب إلى المسجد وتصلي في جماعة إذا رغبت وأذن لها زوجها حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف صلاته ويسرع فيها رأفة ورحمة بالصغير مخافة أن تفتن أمه بالصلاة وهي تسمع بكاءه، ورد في صحيح البخاري ومسلم: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه ".

س: متى تغلب مصلحة الإسلام على حب الولد؟

ج: مع أهمية العاطفة المتأججة نحو الأولاد من حب وعطف ورحمة إلا أن هذه المشاعر ينبغي ألا تطغى على الجهاد في سبيل الله وتبليغ دعوة الله في الأرض لأن مصلحة الإسلام فوق كل المصالح والاعتبارات وقد روى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين ".

س: ما هو ثواب الصابر على موت ولده؟

ب: على المسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره وأن لله ما أعطى ولله ما أخذ وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم مخاطبا النساء: "ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار فقالت: امرأة واثنان؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: واثنان " فمن صبر واحتسب كان ثوابه الجنة وكان ولده المتوفى حجابا له من النار".

س: ما حكم ختان الولد؟

ج: الختان رأس الفطرة وشعار الإسلام وهو واجب على الذكور ومن لم يبادر إليه في إسلامه ولم يقم على تنفيذه قبل بلوغه فإنه يكون آثما مرتكبا المعصية لكون الختان شعارا من شعائر الإسلام وبه يتميز المؤمن عن الكافر وبسببه يتمتع المختتن بصحة جيدة ويتحرر من كثير من الأمراض الفتاكة.

س: ما حكم ختان البنت؟

ج: أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون على أن الختان مستحب للأنثى وليس بواجب وحجتهم في ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما شرع لأمة الإسلام الختان كان يخص الرجال دون الإناث ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام أمر امرأة بالاختتان إلا ما ورد على سبيل الاستحباب فيما رواه الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء".

ما يهم الأبناء من أحكام

س: كيف تغتسل الفتاة؟

ج: على الأم والمربية أن تعلم فتاتها أحكام الغسل من الحيض والجنابة لتكون على علم بأمور دينها فقد لوحظ جهل بعض الفتيات والفتيان بأمور الاغتسال من الجنابة وقد تستمر الفتاة زمنا طويلا فلا تعرف شيئا من هذه الأحكام وكذلك الفتى يقع في الجنابة ولا يعرف كيف يغتسل.. وإذا فقد الماء كيف يتصرف.

أولا: أحكام غسل الفتاة من الحيض والجنابة:

١- أن تنوي الغسل بالقلب دون النطق بالنية.

٢- أن تذكر اسم الله بقولها بسم الله ثم تغسل اليدين ثلاثاً بالماء.

٣- أن تتوضأ وضوءاً كاملاً.

٤- أن تصب الماء على رأسها وليس شرطاً أن تنقض رأسها إن كان مشدوداً وإن كان النقض هو الأفضل والأحوط..

٥- غسل سائر البدن بدءا بالجهة اليمنى.

س: وكيف يغتسل الفتى من الجنابة؟

ج: هي نفس شروط الغسل للفتاة مع ملاحظة أن ينثر الرجل شعره إن كانت له ظفائر ويخلل شعر رأسه ولحيته بالماء. وإذا لم يجد من يجب عليه الغسل الماء لبعده أو خاف زيادة المرض باستعمال الماء أو ما وجد ما يسخن به الماء في البرد وخاف عدوا أو عطشا فله أن يتيمم.

وطريقة التيمم ضربتان على كل طاهر من جنس الأرض كالرمل والحجر والتراب ضربة لمسح وجهه وضربة ليديه مع مرفقيه لما ورد في صحيح الحاكم "التيمم ضربتان: ضربة للوجه وضربة للذراعين إلى المرفقين ".

س: ما حكم الشرع في التدخين؟

ج: أثبت الطب أن الدخان يخدر العقل ويفتر الجسم وأنه يضر بالصحة فيورث السل وسرطان الرئة

ويضعف الذاكرة ويقلل الشهية ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ويضيق التنفس ويهيج الأعصاب ويحدث انحطاطا عاما في الجسم ويميع الخلق ويعود على الكسل والاسترخاء فضلا عن إضاعة المال. لهذه الأضرار وغيرها فإن شرب الدخان حرام وقد أجمع الفقهاء والمجتهدين أن ما يؤدي إلى الضرر ويوقع في المهالك فاجتنابه واجب وفعله حرام لعموم قول الله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} ولا يشك أحد من الناس أن الدخان يدخل في دائرة الخبائث لما اشتمل عليه من الأضرار والرائحة الكريهة والله سبحانه وتعالى جعل من مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم : "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ".

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر" أي مخدر والدخان يخدر العقل ويفتر الجسم كما ذكر.

الأبناء والعقوبات الهادفة

العقوبة في مفهوم التربية الإسلامية عقوبة هادفة وموجهه فليس المقصود منها الانتقام من المخطئ أو إلحاق الضرر به أو إقامة الحد عليه كما أنها ليست هي الوسيلة الوحيدة في تقويم اعوجاج الأبناء.. العقوبة وسيلة واحدة من وسائل التربية الإسلامية المتعددة وهي تستهدف خير الأبناء وصلاحهم وتكون مشفوعة بالرحمة

والشفقة ومنضبطة بضوابط مشروعة لا تنفصل عنها وهي في حالة التطبيق تأخذ شكل التدرج والبدء بالعقوبة الأخف فالأشد. ومن هذه العقوبات:
١- النصح والإرشاد والتنبيه وقد مارس الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب تجاه أحد الأبناء المخالفين فقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم غلاما تطيش يده في الطعام فقال له يعلمه طريقة الأكل: "يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك " متفق عليه.
٢- الإعراض: جاء في صحيح الجامع "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة".
٣- التعبيس: قد يفيد بعض النفوس فيردعها عن أخطائها.
٤- الزجر: ومثاله زجر الرسول صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما بقوله:" كخ كخ أرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" (رواه مسلم).
الكف عن العمل: فقد طلب الرسول المربي صلى الله عليه وسلم من الشخص الذي تجشأ في حضرته قائلا له: "كف عنا جشاءك " "صحيح الجامع ".
- الهجر: إذا احتاج إليه المربي كأن يترك الولد الصلاة أو تصدر منه بعض الكلمات المخلة بالآداب وأكثر الهجر ثلاثة أيام لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الوارد في صحيح الجامع "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث".
- التوبيخ وهو عبارة عن شدة في القول يفعله المربي لمن لا يقبل النصح.
تعليق العصا يستحب للمربي أباً كان أو مدرسا أن يعلق السوط على الجدار ليراه الأولاد فينزجروا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما ورد في صحيح الجامع "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم ".
قال العلماء لم يرد به الضرب لأنه لم يأمر بذلك أحدا وإنما أراد لا ترفع أدبك عنهم.
ولتنويع هذه الأساليب في العقوبة حكمة تتناسب مع اختلاف النفوس وتنوعها فنفس ينفع معها النصح ولا يجدي معها الزجر وأخرى يردعها الزجر ولا تقبل الهجر ونفس لا تنصاع للحق وترعوي عن الشر إلا بالتخويف والترهيب والضرب.. وهكذا الناس مشارب مختلفة.. وكل ميسر لما خلق له.

عقوبة الضرب بين المؤيدين و المعارضين
التربويون على اختلاف شديد في مسألة عقوبة الضرب فهم بين الإفراط والتفريط بين المانعين للضرب والمعارضين له وبين الآخذين به على الإطلاق. والمنهج التربوي الإسلامي وسط بين هؤلاء وهؤلاء فهو لا يقر ضرب الأولاد إلا في حدود ضيقة وبضوابط معلومة ويعطي المربي حق استخدام هذا الأسلوب عندما لا يغني غيره من الأساليب. قال علماء التربية في الإسلام: يجوز للمربي أن يضرب ضربا خفيفا إذ لم تنفع الوسائل الأخرى وذلك بعد سن العاشرة إذ لا ضرب للطفل قبل العاشرة قياسا على الحديث الصحيح الذي رواه البزار "علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع ".
وللضرب في الإسلام ضوابط من ذلك:
١- استنفاذ الوسائل التربوية قبله من نصح وتوجيه وتعبيس وزجر وهجر وتوبيخ.

٢- أن يكون الضرب مساويا للعقوبة.
٣- أن لا يزيد المربي في ضربه عن عشر ضربات.
لما ورد في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله ".
٤- ويجب في السوط كما يقول العلماء:
أ- أن يكون معتدل الحجم فيكون بين القضيب والعصا.
ب- وأن يكون معتدل الرطوبة فلا يكون رطباً يشق الجلد لثقله ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم لخفته.
ج- ولا يتعين لذلك نوع بل يجوز بسوط وبعود وخشبة ونعل وطرف ثوب بعد فتله حتى يشتد.
٥- وقال العلماء في طريقة الضرب:
أ- أن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد.
ب- أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول.
ج- أن يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه فلا يرفعه أكثر من ذلك لئلا يعظم ألمه.
٦- أن يتقي المربي والأب ضرب الوجه والفرج والرأس والمقتل. وفي الحديث الذي رواه أبو داود "إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه ".
وأجمع أهل العلم أن أفضل مكان للضرب اليدان والرجلان.
٧- أن يتجنب الغضب عند الضرب للحديث الذي رواه الجماعة "لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان ".
٨- أوصى العلماء عند الضرب بالابتعاد عن بذاءة اللسان في السب والشتم وتقبيح الولد كقول من يقول يا قرد- يا كلب.
٩- وعلى المربي أن يطيل النظر في شأن الولد قبل الإقدام على الضرب فلعل حالة التقصير والعناد عنده ناشئة من مرض عضوي أو مرض نفسي أو خطأ غير متعمد أو لعله واقع تحت تأثير سحر أو مس أو حسد أو عين.. ولكل حالة من هذه ما يناسبها من علاج.
كيف نغرس قيمة الوقت عند أبنائنا؟
كثيرا ما يتكلم المربون والمدرسون عن قيمة الوقت وأنه كالسيف إن لم تقطعه قطعك وأن الوقت هو الحياة. وأن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة. ولكن قلما يهتدي الأبناء والمنصوحون إلى الطريقة المثلى في حفظ الأوقات والانتفاع بالساعات.. وإنك ترى بعض الناس تمر بهم الساعات والأيام والسنون وهم هم إن لم ينقصوا لم يزيدوا ولم يزدادوا علما ولم يؤسسوا مجدا ولم ينالوا خيرا ولم يحققوا فخرا.
وأول توجيه ينبغي أن يغرسه المربي في نفوس طلابه وأبنائه الاهتمام بقيمة الوقت والغيرة على فواته أو تضييعه لأن المضيع لوقته مضيع لحياته كلها وفي الحديث الشريف: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: منها: "وعن عمره

فيما أفناه " (رواه الترمذي).. وأنه ما من يوم تشرق فيه الشمس إلا وينادى أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم الوعيد.
وثاني توجيه لحفظ الأوقات التذكير بسيرة العظماء والنبلاء والعلماء الذين ما بلغوا ذرى المجد والرفعة إلا باستغلال أوقاتهم والحرص على عدم تضييعها، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي ". وقال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما".
وقال الحسن البصري رحمه الله: "أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم ".
وقال الإمام الشافعي رحمه الله "نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل. وثالث توجيه للأبناء في حفظ أوقاتهم يأتي من حفظ العبادات فالمسلم يصلي الصلاة لوقتها لقوله تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً} أي فرضا مكتوبا وموقوتا بأوقات محددة. وبالمحافظة على الصلاة لوقتها يغرس المسلم في نفسه بنفسه حب الحفاظ على الوقت.
ورابع توجيه للأبناء في حفظ أوقاتهم واستثمارها فيما يعود بالنفع عليهم إشغالهم بالطاعات والأعمال الصالحة كحفظ القرآن وحفظ الأحاديث الشريفة وحضور مجالس العلم والتسامي بالطاعات من صلاة وصيام والاهتمام بتربية الجسم بممارسة الرياضة المفيدة. ويجمع ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك. وحياتك قبل موتك ".
من وصايا الصالحين في تربية الأبناء
وصية لقمان لابنه:
قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} أي احذر الشرك في عبادة الله كدعاء الأموات أو الغائبين أو اعتقاد النفع والضر في أحد المخلوقين. ثم يقول الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} وفي هذه الوصية يقرن الله سبحانه وتعالى يين عبادته وحده وبين البر بالوالدين لعظم حقهما ولكبير فضلهما فالأم حملت ولدها بمشقة والأب تكفل بالإنفاق فاستحقا من الولد الشكر لله ولوالديه ثم يحذر لقمان الحكيم ابنه من الظلم فيقول: "يا بني إنها إن تكن مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير" قال ابن كثير أي أن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل احضرها الله تعالى يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ويجازي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.
ثم يأمره بالصلاة التي هي عمود الدين "يا بني أقم الصلاة" أي أدها بأركانها وواجباتها بخشوع ثم يأمره بالدعوة وهداية الناس {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} بلطف ولين بدون شدة ولما كان من طبيعة الدعوة حصول المشاق

والتعرض للأذى والإعراض أوصاه بالصبر على دعوة الناس {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.
ثم أخذ ينصحه بمجموعة من الفضائل والأخلاق:
"ولا تصعر خدك للناس " قال ابن كثير لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم.
{وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً} أي خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك فيبغضك الله.
{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} أي مختال عجب في نفسه فخور على غيره.
{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي امش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين وبين. لأن خير الأمور الوسط.
{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" قال مجاهد إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه ومع هذا هو بغيض إلى الله وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم. إن وصية لقمان الحكيم لابنه هي وصية كل أب غيور على أبنائه لما تحمله من توجيهات كريمة وآداب راقية.
أهم التوصيات المتعلقة بتربية الأولاد
يؤكد علماء الدين والتربية والسلوك بضرورة الأخذ بهذه التوصيات التي تمثل الأساس في العملية التربوية لدى الأولاد وبقدر الأخذ بهذه التوصيات تأتي نتائج التربية وأهم هذه التوصيات:
١- للقدوة الحسنة أثر كبير في نفس الطفل "فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ".
٢- للمنزل والأسرة الأثر البالغ في حياة الطفل فينبغي أن يحاط بكل ما يغرس في نفسه روح الدين والفضيلة.
٣- قيام المرأة بتربية أطفالها وقيامها على خدمة زوجها يعدل جهاد الرجل في المعركة وصلاة الجمعة في المساجد.
٤- الأبوان مفطوران على محبة الولد فلا يحرم الولد منها ومن أهم مظاهر المحبة: الرحمة بالولد والشفقة عليه والاهتمام بأمره.
٥- على المسلم أن يتقي الله في أولاده جميعا فيسوي بينهم في الحقوق ويعاملهم على سواء ويعدل بينهم وليحذر من كراهية البنات فإنها جاهلية بغيضة حرمها الإسلام.
٦- للإسلام طريقته الخاصة في إصلاح الولد وتربيته فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب وإذا عجز عن جميع الوسائل الإصلاحية ملاطفة ووعظا وزجرا وهجرا فلا بأس بعد هذا أن يلجأ إلى الضرب غير المبرح.
٧- يحرص الإسلام على نفسية الطفل حرصا شديدا فيطلب من الأبوين تسمية أبنائهم بالأسماء الحسنة حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم.
٨- من مسؤولية الآباء والمربين ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة الغراء.

وحينما تكون تربية الطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية مجردة من التوجيه الديني والصلة بالله عز وجل فإن الطفل يترعرع على الفسوق والانحلال والانحراف.
٩- الصحبة الصالحة وسيلة فاعلة من وسائل تربية الأولاد لأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس والقرين بالمقارن يقتدي فعلى الأبوين اختيار الرفقاء الصالحين لأبنائهم.
١٠- في غيبة التربية الإسلامية والتهذيب الأخلاقي تنشأ النفس البشرية لدى الأطفال وفق الأهواء والرغبات والأمزجة.
فمن كان مزاجه من النوع الهادي عاش في الحياة غافلا بليدا حيا كميت وموجودا كمفقود.
ومن كان يغلب على نفسه الجانب "البهيمي " جرى وراء الشهوات والملذات يطلبها بكل وسيلة.
ومن كان مزاجه من النوع العصبي جعل همه العلو في الأرض والاستكبار على الناس. وإن كان يغلب عليه الجانب الشيطاني دبر المكائد وفرق بين الأحبة ولا يصلح ذلك كله إلا التربية على الإيمان والأخلاق.
١١- التربية الإيمانية للأولاد بمثابة الأساس للبناء والتربية الأخلاقية هي ثمرة من ثمرات التربية الإيمانية الراسخة. وقد أجمع علماء التربية على أن حياة الترف والنعيم والانغماس في الشهوات والملذات من أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة وتحطيم الشخصية وتمييع الخلق وقتل الرجولة ونشر الأمراض والقضاء على فضيلة الشرف والعفاف.
١٢- من واجب الآباء والأمهات العناية بأجسام الأولاد والنفقة عليهم بسخاء وأخذهم بالقواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم والتحرز من الأمراض السارية والمعدية ومعالجة الأمراض بالتداوي والعمل بمبدأ لا ضرر ولا ضرار.
وتعويد الأولاد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية وحملهم على حياة التقشف والخشونة وإبعادهم عن حياة الترف والميوعة وأن ينمي المربي فيهم الجرأة الأدبية والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية.
١٣- البعد بالأولاد عن الفراغ والخلوة لأن الفراغ يشغل النفس بالباطل والخلوة تجلب الهواجس وتستقبل خواطر الشيطان.
١٤- الأصل في تربية الأبناء اللين وحسن المعاملة فإن احتاج الأمر إلى عقوبة جاز استخدامها بشرط ألا تكون ناشئة عن سورة جهل أو ثورة غضب وألا يلجأ إليها إلا في أضيق الحدود وألا يؤدب الولد على خطأ ارتكبه للمرة الأولى وألا يؤدبه على خطأ أحدث له ألما وألا يكون أمام الآخرين.
ومن أنواع العقوبة العقاب النفسي كقطع المديح أو إشعار الولد بعدم الرضا أو توبيخه أو غير ذلك ومنها العقاب البدني الذي يؤلمه ولا يضره.
١٥- من الضروري أن يرسم الأبوان منهاجا ثقافيا تربويا لأبنائهم منذ الصغر والطفولة يلقنونهم الآيات والمفاهيم الإسلامية كالشهادتين وشيء من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة أهله وأصحابه على شكل قصص وموضوعات مختصرة.

١٦- ومما يعين الأولاد على التربية تعويدهم على ذكر الله والتعلق به كالتسمية عند البدء بالطعام والشراب والحمد لله عند الانتهاء منهما والاستعانة به عند وصول الشدائد والشكر له عند قضاء الحوائج وحصول الخير والحرص على تعليمهم الصلاة واصطحابهم إلى المساجد وتعليمهم تلاوة القرآن الكريم وتعريفهم بالمناسبات الإسلامية. كليلة القدر والبعثة النبوية وتاريخ المعارك الإسلامية.
١٧- على الأبوين أن يحذرا سلوك التفريق في التعامل بين الأبناء فإن ذلك كثيرا ما يدفعهم إلى الكراهية فيما بينهم وإلى النفور من الأبوين.
١٨- الحذر من سلوك الانطواء والعزلة في جو العائلة عن الأهل والجيران والمجتمع فإن ذلك يترك أثره السلبي في حياة الأبناء أما إذا وجد الأبناء آباءهم يعيشون علاقات طيبة مع الأرحام والأقارب والجيران والأصدقاء كالزيارات وتبادل الهدايا والضيافة والاهتمام بحوائجهم فإنهم يتلقون هذه الأخلاق والعادات الحسنة ويتأثرون بها.
١٩- على الأبوين أن يحرصا على تربية الطفل على مفهوم الاعتذار والتوبة إذا أخطأ وأساء فيطلب منه أن يقول: (اعتذر أو عفواً أو استغفر الله.. إلخ) مع توجيهه وإرشاده.
٢٠- التركيز على تعليم الأولاد الأخلاق المتعلقة بالغير كالعناية بحسن المظهر وآداب التحية والحديث والمجلس واحترام الآخرين والصدق في القول وترك الضحك الكثير والمزاح الكثير.
٢١- توجيه الأولاد لاستثمار أوقات الفراغ والمساهمة في الأعمال العامة التي تضم أقرانهم كالألعاب الرياضية والتدريب على الخط والنجارة.
٢٢- تحبيب العلم إليهم وتوسيع أفق تفكيرهم في المستقبل وتوجيههم توجيها صحيحا في هذا المجال.
٢٣- إبعادهم عن أصدقاء السوء وتوجيههم لاختيار الأصدقاء الصالحين الذين يستفاد منهم ومراقبة سلوكهم وإسداء النصائح لهم عندما تظهر عليهم بعض الآثار غير السليمة.
٢٤- تعريفهم مفهوم الحلال والحرام وتدريبهم على الالتزام به.
٢٥- محاولة نقل التجارب الاجتماعية النافعة لهم من خلال الحديث العائلي وسرد الحكم والقصص التاريخية وتحذيرهم من الأخطاء والأخطار.
٢٦- أن يحرص الأبوان على تكوين علاقة طيبة بينهما فإن عدم الانسجام والخلاف أو التصرفات غير السليمة بين الأبوين في البيت تنعكس على سلوك الأطفال والأبناء فالأب الذي لا يحترم الأم أو الأم التي لا تحترم الأب أو ما يحصل بينهما من مشاجرة أو حالة من السخط وعدم الرضا أو جو الكآبة والكراهية كل ذلك ينعكس سلبا على الأبناء ويؤثر تأثيرا مخربا في سلوكهم وأخلاقهم وحالاتهم النفسية كما أن علاقة الأبوين بالأبناء وأسلوب التعامل معهم يترك أثره الحسن أو السيئ في نفوسهم وعلاقتهم المستقبلية بالأبوين وعلاقتهم بالمجتمع.
فالطفل الذي لا يشعر بالحب والحنان والرعاية من أبويه قد ينشأ طفلا غير سوي عدواني السلوك والنزعة وربما ساقه ذلك التعامل إلى التشرد والكراهية أو أصيب بعقد نفسية سلبية.

وسوء المعاملة مع الطفل المراهق وعدم احترام شخصيته قد يقوده إلى الإساءة إلى والديه وإلى الآخرين وتتكون لديه عقدة النقص.
٢٧- من الخطأ تحقير الولد وتعنيفه على أي تصرف خاطئ بصورة تشعره بالنقص والمهانة.. والصواب هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ.
٢٨- إذا أراد المربي زجر الولد وتأنيبه ينبغي ألا يكون ذلك أمام رفقائه وإنما ينصحه منفردا عن زملائه.
٢٩- الدلال الزائد والتعلق المفرط بالولد وخاصة من الأم يؤدي إلى نتائج خطيرة على نفس الولد وتصرفاته وقد يكون من آثاره زيادة الخجل والانطواء نحو الميوعة والتخلف عن الأقران.
٣٠- فكرة استصغار الطفل وإهمال تربيته في الصغر فكرة باطلة والصواب أن تبدأ التربية ويبدأ التوجيه منذ الصغر من بداية الفطام حيث يبدأ التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح.
٣١- على الأبوين أن لا يستهينا بسن المراهقة لدى أبنائهما فإن لهذه السن خصوصية من المعاملة ومن هذه الخصوصية: القرب منهم ومراقبتهم بعناية وإشغالهم بشيء من المباح وإبعادهم عن أسباب الانحراف والصبر على بعض تصرفاتهم.
٣٢- إذا بلغ الناشئ سن الزواج وأظهر رغبة فيه فينبغي أن يختار له أبواه الزوجة الصالحة.. وإذا بلغت البنت سن النكاح واشتهت الرجال فينبغي أن يختار لها أبوها الزوج الصالح ولا ينتظر من يأتيها من الخاطبين فقد يغفل عنها الخاطب الصالح ويخطبها غير الصالح.
٣٣- وعلى الوالدين أن يرشدا أولادهم بعد الزواج إلى الخير ولا يتدخلا في شؤونهم الزوجية الخاصة وأن لا تضعف رابطة الأبوة بعد الزواج

٢٤. محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الجفاة والغلاة

عدنان أمامة

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإسلام، وشرط من شروط صحة الإيمان، قال الله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة: ٢٤)
فلا يجوز أن يكون حب أي عرض من أعراض الدنيا مقدماً على محبة الله ورسوله، والرسول صلى الله عليه وسلم ينفي الإيمان عمن لم يجعل محبته مقدمة على محبة الأهل والمال والولد فيقول: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". أخرجه البخاري/١٥. وحين قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي. أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال عندها عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"الآن يا عمر". البخاري/ ٦٦٣٢. وحين سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" كيف

كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآباؤنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ".
وحيث إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة لله وقربة يتقرب بها المسلم إلى ربه فلا بد فيها من تحقيق شروط قبول العبادة وهي:
١- الإخلاص فيها لله سبحانه وتعالى وابتغاء وجهه.
٢- ثم متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والالتزام بسنته وهديه وأن يعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع. عملاً بقوله تعالى:(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً). والعمل الصالح هو العمل الموافق للسنة والعمل الخالي من الشرك هو العمل الخالص لله سبحانه والبريء من الرياء والسمعة.
ولقد ضل في باب محبة النبي صلى الله عليه وسلم طائفتان كبيرتان من الطوائف المنتسبة للإسلام، طائفة الجفاة، وقد مثلها في الماضي المعتزلة الذين قدموا عقولهم على نصوص الوحي وحاكموا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أقيستهم وأهوائهم، فما وافقها قبلوه وما خالفها ردوه - بحجة أنه خبر آحاد مع أن أغلب أحكام الشريعة إنما جاءت من طريق الآحاد - أو تأولوه وحرفوا دلالته إلى ما يوافق رأيهم ومذهبهم، وقد وصل الغلو بأحد رؤوسهم وأئمتهم عمر بن عبيد أن قال عن حديث الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يأتيه الملك فيؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.... قال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله ابن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا".
وقد ورثت فلسفة المعتزلة ومهجها في أيامنا هذه من نعتوا أنفسهم بالحداثيين والعصرانيين والمتورين الذين بهرتهم الحضارة الغربية وعلمانيتها المتحللة من الدين والمعادية له فآلوا على أنفسهم أن يبرزوا الإسلام بصورةٍ موافقة للفكر الغربي العلماني واضطروا لتحقيق غرضهم أن يضعوا قواعد و يؤصلوا أصولاً للتعامل مع نصوص الشرع لم تخطر ببال الأولين تسبب عنها إسقاط مئات الأحاديث المتعلقة بسير الحياة اليومية للإنسان في أكله وشربه ولبسه وتجارته وعلاقته بالآخرين بزعم أنها أحاديث خاصة بالبيئة العربية التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لها صفة الشمول والثبات وفهموا الإسلام على أنه جملة من القيم والمثل العليا وقوانين الحق والعدل التي يشكلها الإنسان حسب ما يتناسب مع عصره وبيئته، والآيات والأحاديث المتعلقة بالأمور التفصيلية ليست ملزمة للمسلم بل هي للاستئناس يأخذ منها المسلم ما يحقق مصلحته ويترك ما يعارضها، وهناك جفاة لا يصل جفاؤهم إلى هذا الحدّ إلا أنهم لا يتهيبون من ردّ الحديث الصحيح إذا عارض مذهبهم أو خالف توجهاتهم الفكرية متجاهلين خطورة هذا المسلك ومتناسين تحذيرات السلف من هذا التوجه من مثل قول الإمام أحمد رحمه الله:"من ردّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة". وقول الإمام البربهاري:" الرجل يطعن على

الآثار، أو يرد الآثار أو يريد الآثار فاتهمه على الإسلام و لا تشك أنه صاحب هوى مبتدع".
ويقابل الجفاة الذين تقدم الحديث عنهم طوائف الغلاة وما أكثرهم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والذين أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم تنبيء أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عندهم مجرد عاطفة متعلقة بالوجدان تفرغ على شكل احتفالات وقصائد وأناشيد دون أن تلزم أصحابها بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباع هديه وسنته والدفاع عن دينه وتحكيم شرعه.
وقد وصل الغلو عند كثير من هؤلاء إلى مناقضة كتاب الله سبحانه ومخالفة صريح أمره وخبره والوقوع في الشرك الأكبر والعياذ بالله.
فرغم الآيات القاطعة والأحاديث الصريحة التي تنهى عن الغلو في الدين ورفع النبي صلى الله عليه وسلم فوق منزلته التي أنزله الله إياها مثل قوله تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}. وقوله عليه الصلاة والسلام:(لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله). إلا أن طوائف من الأمة أبوا إلا أن يقعوا فيما وقعت فيه النصارى. فزعم بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بشراً بل هو نور خلقه الله من نور وجهه وقالوا إن قوله تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم ....} قد قرأها الناس قراءةً خاطئةً وإن القراءة الصحيحة لها قل إن ما أنا بشر مثلكم، فهي تؤكد على نفي بشرية النبي صلى الله عليه وسلم.
وعليه نسمع في بعض الأناشيد قولهم رب خلقت طه من نور ، ويزعم هؤلاء أن أول الكائنات على الإطلاق هي روح محمد و منها صدرت سائر المخلوقات وهذا ما يعبرون عنه بالحقيقة المحمدية وبقولهم إنه صلى الله عليه وسلم إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود وأنه مظهر لصفات الله، وكم سمعنا من مؤذن يقول يا أول خلق الله وخاتم رسل الله مع أن هذا مناقض لصريح قوله صلى الله عليه وسلم: " أول ما خلق الله القلم".
ومن المغالاة المرفوضة زعم البعض أن الكون ما خلق إلا من أجل محمد صلى الله عليه وسلم وينسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حديثاً مكذوباً يقول:" لولاك ما خلقت الأفلاك". مع مناقضته لصريح قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.
ومن غلوهم ومبالغاتهم الباطلة زعمهم أن يوم مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر وأن روحه تحضر الموالد ولذلك يقومون عندما يصل قارئ السيرة إلى لحظة ولادته وأنه حي حياة كاملة وأنه يكلم الأولياء وهذا يناقض العقل والنقل المؤكد لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.
ومن مبالغاتهم الممجوجة زعمهم أن نعل النبي صلى الله عليه وسلم على رؤوس الكائنات قال شاعرهم:
على رأس هذا الكون نعل محمد *** سمت فجميع الخلق تحت ظلاله
لدى الطور موسى نودي اخلع *** وأحمد إلى العرش لم يؤمر بخلع نعاله

ما قيمة هذا الكلام وما دليله من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
ومن المغالاة المناقضة للقرآن الكريم زعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب وفي هذا يقول البوصيري:

وإن من جودك الدنيا وضرتها *** ومن علومك علم اللوح والقلم

ومن غلوهم زعمهم أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة والأصل في كل رحمة تحل بالوجود ورتبوا على ذلك اللجوء إليه صلى الله عليه وسلم لكشف الكربات واستنزال الرحمات:

يقوي البكري في لاميته!

ما أرسل الرحمن أو يرسل *** من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه *** من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى *** عبده نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها *** يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به به من كل ما تشتكي *** فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به من كل ما ترتجي *** فإنه المأمل والمعقل
يا أكرم الخلق على ربه *** وخير من فيهم يسأل
كم مسني الكرب و كم مرة *** فرجت كرباً بعضه يُذهل
فبالذي خصك بين الورى *** برتبة عنه العلى تنزل
عجل بإذهاب الذي اشتكى *** فإن توقفت فمن الذي أسأل

وشرعوا لمن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستجير به ويرجوه ويتضرع خاشعاً بين يديه فقالوا: الأدب أن يأتي الإنسان لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتوب من الذنوب والخطايا ثم يقول يا رسول قد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وأتيت بجهلي وخطئي وزراً كبيراً ووفدت إليك مستجيراً.

وهكذا نرى أن الغلو فيه عليه الصلاة والسلام والانسياق خلف العواطف الجياشة دون الانضباط بالضوابط الشرعية قد أوقع شرائح واسعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الشرك الأكبر والعياذ بالله حيث خلعوا عليه صلى الله عليه وسلم الكثير من صفات الرب سبحانه وتعالى بزعم حبه وتوقيره وهل وقع النصارى فيما وقعوا فيه في عيسى عليه السلام إلا بزعم حبه وتقديره.

وليس لأحد نجاة إلا بسلوك منهج الوسطية الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية

٢٥. لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

محمد شعبان أبو قرن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:
محمد صلى الله عليه وسلم.. لولاه لهلكنا ومتنا على الكفر واستحققنا الخلود في النار.. به عرفنا طريق الله، وبه عرفنا مكائد الشيطان، شوقنَا إلى الجنة، ما من طيب إلا وأرشدنا إليه، وما من خبيث إلا ونهانا عنه، ومن حقه علينا أن نحبه، لأنه:
يحشر المرء مع من أحب

جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعة ؟! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أعددت لها؟ ". قال: إني أحب الله ورسوله. قال: " أنت مع من أحببت ".

بهذا الحب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحوض فتشرب الشربة المباركة الهنيئة التي لا ظمأ بعدها أبداً.

أبشر بها يا ثوبان

قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ما غير لونك؟! ". قال: يا رسول الله.. ما بي ضر ولا وجع غير أنى إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وأنى إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل لا أراك أبداً، فأنزل الله عز وجل قوله: " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ".

رحم الله ثوبان.. حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الشاعر:

الحزن يحرقه والليل يقلقه**** والصبر يسكته والحب ينطقه

ويستر الحال عمن ليس ******يعذره وكيف يستره والدمع يسبقه

الرحمة المهداة

قال عز وجل: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ".

لولاه لنزل العذاب بالأمة.. لولاه لاستحققنا الخلود في النار.. لولاه لضعنا.

قال ابن القيم في جلاء الأفهام:

" إن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته:

- أما أتباعه: فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

- وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم، لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب الله عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم.

- وأما المعاهدون له: فعاشوا فى الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

- وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراة وغيرها.

- وأما الأمم النائية عنه: فإن الله عز وجل رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العاملين النفع برسالته ".

لطيفة

قال الحسن بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه قال فيه: " بالمؤمنين رؤوف رحيم "، وقال في نفسه: "إن الله بالناس لرؤوف رحيم ".

اصـــبر لكل مصيـبة وتجلد**** واعلم بأن المرء غير مخلد

واصبر كما صبر الكرام فإنها***** نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تبلى بها****** فاذكر مصابك بالنبي محمد
الجماد أحبه.. وأنت؟!
لما فقده الجذع الذي كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح كما يصيح الصبي ، فنزل إليه فاعتنقه ، فجعل يهذي كما يهذي الصبي الذي يسكن عند بكائه، فقال صلى الله عليه وسلم: " لو لم أعتنقه لحنّ إلى يوم القيامة ".
كان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.
ما أشد حبه لنا!!
تلا النبي صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام: " رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه منى ومن عصاني فإنك غفور رحيم".
وقول عيسى عليه السلام: " إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم "، فرفع يديه وقال: " اللهم أمتي.. أمتي ". وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما قال، فأخبر جبريل ربه وهو أعلم، فقال الله عز وجل: يا جبريل.. اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.
حتى لا تكون فاسقاً
قال صلى الله عليه وسلم في سورة التوبة، _التي سميت بالفاضحة والمبعثرة لأنها فضحت المنافقين وبعثرت جمعهم _: " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجاهد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ".
قال القاضي عياض:
" فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرع الله من كان ماله وولده وأهله أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله: " فتربصوا حتى يأتي الله بأمره "، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن أضل ولم يهده الله.
كمال الإيمان في محبته
قال صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ".
قد تمر علينا هذه الكلمات مروراً عابراً لكنها لم تكن كذلك مع رجل من أمثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي قال: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شئ إلا من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك "، فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الآن يا عمر ".
قال الخطابي: " فمعناه أن تصدق في حبي حتى تفنى نفسك في طاعتي، وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك ".

آخذ بحجزنا عن النار
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثلى كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ".
ما أشد حب رسولنا لنا، ولأنه يحبنا خاف علينا من كل ما يؤذينا، وهل أذى مثل النار؟! ولما كان الله عز وجل قد أراه النار حقيقة كانت موعظته أبلغ وخوفه علينا أشد، ففي الحديث: " وعرضت على النار فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاني ".
وفى رواية أحمد: " إن النار أدنيت منى حتى نفخت حرها عن وجهي ".
ولذلك كان من الطبيعي أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول: " صبحكم ومساكم ".
ولأنه لم يرنا مع شدة حبه لنا وخوفه علينا كان يود أن يرانا فيحذرنا بنفسه، لتكون العظة أبلغ وأنجح، قال صلى الله عليه وسلم: " وددت أنى لقيت إخواني الذين آمنوا ولم يروني ".
ولم يكتف بذلك بل لشدة حبه لنا اشتد إلحاحه لنا في أن نأخذ وقايتنا وجنتنا من النار.
حجاب.. واثنان.. وثلاثة
١. حجاب الصدقة: لقوله صلى الله عليه وسلم: " اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ولو بشق تمرة ".
٢. حجاب الذكر: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: " خذوا جنتكم من النار.. قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات ".صحيح الجامع، وحسنه ابن حجر في الفتح.
٣. حجاب تربية البنات: لقوله صلى الله عليه وسلم: " ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كن له ستراً من النار ".
ولى كل مؤمن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلى قضاؤه ".
أعميت عيني عن الدنيا وزينتها*** فأنت والروح شئ غير مفترق
إذا ذكرتك وافى مقلتي أرق *****من أول الليل حتى مطلع الفلق
وما تطابقت الأجفان عن سنة***** إلا وإنك بين الجفن والحدق
ما أشرف مقامه!!
ولو وزنت به عرب وعجم	جعلت فداه ما بلغوه وزناً
إذا ذكر الخليل فذا حبيب	عليه الله في القرآن أثنى
وإن ذكروا نجى الطور فاذكر	نجى العرش مفتقراً لتغنى
وإن الله كلم ذاك وحياً	وكلم ذا مخاطبة وأثنى
ولو قابلت لفظة لن تراني	لـ"ما كذب الفؤاد" فهمت معنى
فموسى خر مغشياً عليه	وأحمد لم يكن ليزيغ ذهناً
وإن ذكروا سليمانًا بملك	فحاز به الكنوز وقد عرضنا

فبطحا مكة ذهباً أباها يبيد الملك واللذات تفنى
وإن يك درع داود لبوساً يقيه من اتّقاء البأس حصنا
فدرع محمد القرآن لما تلا: "والله يعصمك" اطمأنا
وأغرق قومه في الأرض نوح بدعوةٍ: لا تذر أحداً فأفنى
ودعوة أحمد: رب اهد قومي فهم لا يعلمون كما علمنا
وكل المرسلين يقول: نفسي وأحمد: أمتي إنساً وجنا
وكل الأنبياء بدور هدي وأنت الشمس أكملهم وأهدى

لكي تذوق حلاوة الإيمان

لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما... ".

وهذه مكافأة يمنحها الله عز وجل لكل من آثر الله ورسوله على هواه.. فيحس أن للإيمان حلاوة تتضاءل معه كل اللذات الأرضية، ولأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، فكلما ازداد العبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حباً كلما ازداد له ذكراً، ولأحاديثه ترديداً، ولسنته اتباعاً، ومع هذا كل تزداد حلاوة الإيمان.

وثيقة حبه.. وقعها بالدم

- ففي الطائف وقف المشركون له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه.

- ومع بنى عامر بن صعصعة: يعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليهم الإسلام ويطلب النصرة، فيجيبونه إلى طلبه، وبينما هو معهم إذ أتاهم بيحرة بن فراس القشيري، فأثناهم عن إجابتهم له ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قم فالحق بقومك، فو الله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك، فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى ناقة فركبها، فغمزها بيحرة فألقت النبي صلى الله عليه وسلم من على ظهرها.

تصور حالته صلى الله عليه وسلم وقد قرب على الخمسين من عمره، ويسقط من ظهر الناقة ويتلوى من شدة الألم على الأرض، والارتفاع ليس بسيطاً، إنه يسقط على بطنه من ارتفاع مترين ونصف.

- بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ".

- وغير ذلك: يوضع سلا جزور على كتفيه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، وينثر سفيه سفهاء قريش على رأسه التراب، ويتفل شقي من الأشقياء في وجهه صلى الله عليه وسلم..

صبر صلى الله عليه وسلم على ذلك كله لأنه يحبنا.. أوذي وضرب وعذب.. اتهم بالسحر والكهانة والجنون.. قتلوا أصحابه.. بل وحاولوا قتله.. وصبر على كل ذلك كي يستنقذنا من العذاب ويهدينا من الضلال ويعتق رقابنا من النار..

وبعد كل هذا البذل والتعب ؟! نهجر سنته، ونقتدي بغيره، ونستبدل هدى غيره بهديه!!.

يا ويحنا.. وقد أحبنا وضحى من أجلنا لينقذنا، ودعانا إلى حبه، لا لننفعه في شئ بل لننفع أنفسنا فأين حياؤنا منه؟! وحبنا له؟! بأي وجه سنلقاه على الحوض؟! بأي عمل نرتجي شفاعته صلى الله عليه وسلم؟! -بأبي هو وأمي- بأي طاعة نأمل مقابلته في الفردوس؟!.

٢٦. ١- كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [مقدمة وتعريفات مهمة]

تأليف

د. محمد بن خليفة التميمي

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا.

أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد ربه حتى أتاه اليقين من ربه، صلى عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد: فما من بناء إلا وله أصل وأساس يقوم عليه، وإن أساس بناء دين الإسلام يقوم على أصلين هما:

أ- عبادة الله وحده لا شريك له.

٢- الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا حقيقة قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فمن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين.

ومن أجل ذلك فإن من المتعين على كل مسلم أن يعرف ما يدل عليه كل واحد من هذين الأصلين وما يشتمل عليه من أمور وأحكام، معرفة تخرجه من حد الجهل على أقل الدرجات، وأن يلتزم بذلك اعتقادا وقولا وعملا لينال بذلك الفوز والسعادة في الحياة الدنيا وبعد الممات.

وهذه الرسالة موضوعها الأصل الثاني من أصلي هذا الدين وقد سميتها:

"حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة"

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أهميته بالدرجة الأولى فهو كما أسلفت يُعنى بأحد أصلي الدين "شهادة أن محمدا رسول الله"
فمن المهم والمفيد أن تبحث جوانب هذا الأصل وتعرف وتعرض وفق ما جاءت بذلك نصوص القرآن والسنة ووفق ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عنهم أجمعين.
وبخاصة أننا نعيش في زمان قد حاد فيه كثير من الناس عن جادة الصواب في هذا الأصل واضطربوا اضطرابا شديدا.
فتجلية الأمر وتوضيح الصواب وبيان الحق في هذا الأصل من الواجبات المتعينة على طلبة العلم في هذا الزمان، نظرا لعدم توفر كتاب بعينه يكون شاملا لجميع جوانب هذا الموضوع وتطمئن له النفس من جهة سلامة ما احتواه يمكن إحالة عامة الناس عليه.
فرأيت أن من الرأي القويم أن أكتب في هذا الموضوع لأجمع فيه ما تفرق وأرتب ما تشتت، وأشرح ما يحتاج إلى شرح، وذلك وفق ما كان عليه منهج سلفنا الصالح من الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ونقل كلام الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين رضي الله عنهم أجمعين.
فأرجو أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع على الوجه المطلوب، كما وفقت في حسن الاختيار أولا.
عملي في هذا الكتاب:
ويتلخص عملي في النقاط التالية:
١- جمعت المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار مروية عن سلف الأمة، ونقول وأقوال للمتقدمين، والمتأخرين مما له صلة بالموضوع.
٢- قسمت ما جمعت على أبواب الرسالة وفصولها ومباحثها ومطالبها ومسائلها ونقاطها، فرتبت ما تشتت وجمعت ما تفرق واختصرت وانتقيت مما توسع فيه حسب ما يقتضيه المقام وتدعو إليه الحاجة.
٣- جعلت الآيات القرآنية بين قوسين هكذا { } وأشرت في الحاشية إلى رقم تلك الآية والسورة التي وردت فيها.
٤- جعلت الأحاديث النبوية بين فاصلتين مزدوجتين " " مع تخريج كل حديث أوردته حسب ما يقتضيه المقام، وفي حالة ورود الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك عن عزوه إلى غيرهما.
٥- عزوت الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين إلى مصادرها بحسب ما وقفت عليه منها.
٦- شرحت بعض الكلمات الغريبة معتمدا في ذلك على كتب غريب الحديث وشروحه والمعاجم اللغوية.
٧- وثقت النقول والأقوال والآراء من المصادر والمراجع التي نقلتها منها وذلك بذكر الجزء والصفحة، وما تصرفت فيه أشرت، إلى ذلك بعبارة "بتصرف" في أغلب الأحيان.
٨- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة عند أول موضع يرد فيه ذكر العلم.

٩- وضعت فهارس للأمور التالية:
١- فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة.
٣- فهرس للآثار على ترتيب أصحابها.
٤- فهرس للكلمات الغريبة والمواطن والفرق.
٥- فهرس للأعلام المترجم لهم.
٦- فهرس للمصادر والمراجع.
٧- فهرس لموضوعات الرسالة.

وبعد: فهذا جهد المقل وأستسمح القارئ الكريم عذرا إذا ما وجد في عملي هذا تقصيرا، فهذا جهد بشر، والمرء يستحضر في هذا المقام قول القائل: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"[١] وفي الختام: أتوجه بالشكر إلى الله تعالى الذي سهل لي أمر إعداد هذه الرسالة بفضل منه وتوفيق، وأسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه وأن ينفعنا بما علمنا إنه على كل شيء قدير.

ومن ثم أشكر فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري المشرف على هذه الرسالة على بذله من جهد وعون وتوجيه في إعدادها فجزاه الله خيرا، وكذلك كل من بذل المساعدة لي في إنجازها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالدين القيم، والملة الحنيفية، وجعله على شريعة من الأمر، أمر باتباعها، وأمره بأن يقول {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}[٢] صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

وبعد: فإن الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثا قال تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ}[٣].

بل خلقهم لغاية ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من موضع فقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.[٤]

وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.[٥]

وقال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[٦]

فالحكمة من خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. فهذه هي الحكمة من خلقهم أولا وبعثهم ثانيا. ولذلك لم يتركهم هملا، بل أرسل إليهم رسله، فكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم، بحيث يبعث في كل أمة رسولا ليقيم هداه وحجته كما قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[٧]، وقال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ}[٨]، وقال تعالى {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا}[٩]، وقال تعالى {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيما}[١٠] فالرسل هم الواسطة بين الله عز وجل ودون خلقه في تبليغ أمره ونهيه وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم.
وإن الله تبارك وتعالى جعل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وأرسله للناس أجمعين، وأكمل له ولأمته الدين، وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل، فأحيا به ما درس من معالم الإيمان، وقمع به أهل الشرك والكفر من عبدة الأوثان والنيران والصلبان، وأذل به كفار أهل الكتاب، وأهل الشرك والارتياب، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه.
فالله سبحانه وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم للناس رحمة وأنعم به نعمة يا لها من نعمة: قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[١١]
وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً}[١٢] وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإرساله أعظم نعمة أنعم الله به على عباده.
فقد جمع الله لهذه الأمة بخاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين ما فرقه في غيرهم من الفضائل، وزادهم من فضله أنواع الفواضل، بل أتاهم كفلين من رحمته، كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[١٣].
وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما أجلكم- في أجل من خلا من الأمم- ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟، ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: نحن أكثر عملا وأقل عطاء، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أعطه من شئت"[١٤] .
"وقد خص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء

والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجا- أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين- كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله[١٥] من جميع الأجناس، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطا عدلا خيارا، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام، فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، فأخرجهم بذلك من الظلمات إلى النور فحصل لهم ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والآخرة.

فلقد هدى الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين به عموما، ولأولي العلم منهم خصوصا من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علما وعملا- الخالصة من كل شوب- إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما فللّه الحمد والمنة كما يحب ربنا ويرضى"[١٦].

فهو المبعوث بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فكمل الله به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء، فبين عن طريقه صلى الله عليه وسلم الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقين من الفجار، فهو المبعوث رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين. ولقد نوه الله عز وجل في كتابه الكريم بهذه النعمة العظمى التي امتن بها على هذه الأمة في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [١٧]

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [١٨]

وقال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} [١٩]

وقال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [٢٠]

وإنما كان إرساله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أعظم منة امتن بها على عباده لأن في ذلك تخليص من وفقه الله وهداه منهم من العذاب السرمدي، وذلك بسبب الإيمان بالله ورسوله والابتعاد عن كل ما يوجب دخول النار والخلود فيها.

ولذلك فإن الناس أحوج ما يكونون إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والأخذ بما جاء به من الدين فهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب بل ومن نفس الهواء الذي يتنفسونه، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى، لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[٢١] أي كذب به وتولى عن طاعته، فهم محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته والأخذ بما جاء به والالتزام بذلك في كل مكان وزمان ليلا ونهارا، سفرا وحضرا سرا وعلانية.

ولما كانت منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه بهذه المرتبة وكانت حاجة الناس إليه بهذه الدرجة، فقد أوجب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات تنظم العلاقة التي تربطهم به تنظيفا دقيقا لا لبس فيه ولا اشتباه.

وهذه الحقوق منها ما يتصل بجانب الرسالة التي بعث بها، ومنها ما يتعلق بخاصة شخص الرسول صلى الله عليه وسلم تفضيلا وتكريما من الله له.

وقد وردت في شأن تلك الحقوق نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وضَّحت وفصَّلت وبيَّنت جوانب تلك الحقوق.

وهذه الحقوق في جملتها هي الأصل الثاني من أصلي الدين كما يدل عليه قولنا "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله".

ولذا فقد كان لزاما على كل من ينطق بهذه الشهادة، ويدين الله بهذا الدين أن يحيط بتلك الحقوق معرفة، ويلتزم بها اعتقادا وقولا وعملا، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يحصل إيمان العبد إلا به.

ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق فتراهم لذلك على طرفي نقيض هذا المقام:

- فإما مقصر عن القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنا ولا يلقي لها بالا.

- وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود. فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه، جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعا.

ولما كانت هذه الحقوق هي من جملة هذا الدين الذي تعبدنا الله به، فكان لا بد فيها من توفر شرطي القبول:

أ- الإخلاص.

٢- الصواب (الاتباع).

كما قال تعالى {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}[٢٢]

فقد أحببت أن أوضح تلك الحقوق النبوية وفق ما جاءت بذلك النصوص الشرعية، وما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها، عسى أن يكون في هذا البيان والتوضيح تعليم للجاهل، وتذكير للغافل، وتحذير وردع للمبتدع، ومدارسة للعارف.

فأسأل الله عز وجل التوفيق والرشاد وأن يرزقنا التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والسير على هديه والتأسي به، وأن يشرح لذلك صدورنا وينير قلوبنا إنه جواد كريم وعلى كل شيء قدير.

الباب الأول: وجوب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وطاعته واتباع سنته.
الفصل الأول: وجوب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم.
المبحث الأول: تعريف الإيمان وبيان معنى شهادة أن محمدا رسول الله.
المطلب الأول: تعريف الإيمان عموما.

أ- المعنى اللغوي لكلمة "آمن":
الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن
أ- ويرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه: التصديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري[٢٣]: "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق"[٢٤].
واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}[٢٥] فقالوا معناه ما أنت بمصدق لنا[٢٦].
٢- أما علماء السلف[٢٧] فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما:
أ- بمعنى صدق به وذلك إذا عدي بالباء كما في قوله تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ...}الآية[٢٨] أي صدق الرسول[٢٩].
ب- وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}، وقوله تعالى {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ}[٣٠].
وقد اعترض السلف على حصر أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا: "إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار[٣١] والطمأنينة أيضا"[٣٢] واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية:
أولا: إن الترداف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه، يوضحها الجدول التالي
الإيمان
التصديق
- إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك.
- إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي: الأمن، والتصديق، والأمانة.
- إن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب، فلا يقال لمن قال طلعت الشمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب.

- إن لفظ الإيمان ضده الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط بل هو أعم منه، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يسمى كفرا كما لو قال شخص: أنا أعلم أنك صادق،ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، فهذا كفر أعظم.
- أما كلمة "صدق" فلا تتعدى باللام فلا يقال "صدق له" إنما يقال "صدق به" فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه.
- أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة.
- أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب، فمن قال السماء فوقنا، قيل له: صدقت.
- أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط.
وبهذا يتبين عدم الترداف التام بين اللفظين، وأن الإيمان ليس التصديق فقط[٣٣] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط.
ثانيا: من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر.
فالخبر: يستوجب تصديق الخبر.
والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه: الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به.
فإذا قوبل الخبر بالتصديق، والأمر بالانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو "الطمأنينة والإقرار" فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. فلو فُسِّر الإيمان بالتصديق فقط، كما قال أهل اللغة، فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر، لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر.
ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصار كافرا، قال تعالى: {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[٣٤] فسماه الله كافرا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمرالله له بالسجود لآدم.
لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط:
وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون.
ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هُدوا لما هُدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولا في القلب، وعملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته- وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره- فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا، لأن الكفر أعم من التكذيب، فالكفر يكون تكذيبا وجهلا، ويكون استكبارا وظلما، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب،

ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالا وهو "الجهل" ألا ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي، ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق.
ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبزا وأمرا، فإنه يحتاج إلى مقام ثان، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله، فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره. "وأشهد أن محمدا رسول الله" تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله.
فبمجموع هاتين الشمهادتين يتم الإقرار.
فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين- وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول- ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول، ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس"[٣٥].
ثالثا: ما استدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} هو التصديق غير مسلم.
إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها بـ "أقررت" أقرب من تفسيرها بـ " صدقت " وذلك لأن لفظ "آمن" متى عُدّي باللام يكون بمعنى "أقر" وليس بمعنى "صدق"، إذ لا يكون بمعنى صدق الا إذا عُدّي بالباء أوبنفسه.
ب- المعنى الشرعي للإيمان:
تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:
أ- فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.
٢- وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.
٣- وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة [٣٦].
٤- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٣٧].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣٨] بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول: "وكل هذا صحيح"[٣٩] وعلل ذلك بقوله[٤٠]:
"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".
وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.
وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.
وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.
ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.
كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة[٤١] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل[٤٢].

وأما من عرفه بقوله هو قول و عمل ونية، فمقصوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.
وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك[٤٣].
وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة، فقد زاد لفظة "واتباع سنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة[٤٤].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد سئل سهل بن عبد الله التستري[٤٥] عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.
لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر.
وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.
وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة[٤٦].
وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق[٤٧] ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.
ج- دلالة اسم الإيمان:
تتحدد دلالة اسم "الإيمان" بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ "الإيمان" إما أن يستعمل:
أ - مطلقا: أي يذكر مطلقا عن لفظ "العمل" و"الإسلام".
ب - أو مقيدا: فتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام.
فإذا استعمل مطلقا: "فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة- من الصحابة والتابعين وتابعيهم- الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات- فرضها ونفلها- في مسماه"[٤٨].
ويلاحظ هنا أن لفظ "الإيمان" على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ "العبادة" والعبادة كما هو معروف هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.
ومن استعمال الشارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة[٤٩] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[٥٠].
فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإسلام. ومن هذا الاستعمال أيضا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس[٥١] رضي الله عنهما: أن وفد عبد القيس[٥٢] لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: "أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم خمس... " الحديث[٥٣].

فلفظ الإيمان استعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور.
وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[٥٤]، وقوله {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[٥٥].
وفول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره "[٥٦].
فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: {وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ}[٥٧]، وقوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الآية[٥٨].
وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل"[٥٩].
قلت: إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، وقوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.
والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور الظاهرية، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية.
"فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما، ودخوله فيه تضمنا أظهر، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس"[٦٠].
خلاصة القول:
إن اسم الإيمان إذا أفرد: تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب.
وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل.
وإذا اقترن العمل مع الإيمان: فهو من باب عطف الخاص على العام[٦١] كما في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}.

المطلب الثاني: تعريف الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
"الإيمان بالرسول: هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته".[٦٢]
وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن بيان هذه الأمور مطلوبة عند الإيمان به بالنبي صلى الله عليه وسلم.
قال العلماء:
أ- أما تصديقه صلى الله عليه وسلم فيتعلق به أمران عظيمان:

أحدهما: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم[٦٣].
ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:
١- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.
٢- الإيمان بكونه خاتم النبين ورسالته خاتمة الرسالات.
٣- الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.
٤- الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.
٥- الإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم.
٦- الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم. وسيأتي تفصيل الأمور الخمسة المتقدمة بأدلتها في المباحث اللاحقة من هذا الفصل بإذن الله تعالى.
أما الحقوق الأخرى الواجبة له فسيأتي تفصيلها في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالى.
الثاني: "تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل أحد"[٦٤].
فيجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما أخبر به عن الله عز وجل، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل، قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}[٦٥].
قال شارح العقيدة الطحاوية: "يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا همللا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية"[٦٦].
ب- طاعته واتباع شريعته: إن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به صلى الله عليه وسلم.
وهي تعني: الانقياد له صلى الله عليه وسلم وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالا لقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[٦٧]. فيجب على الخلق اتباع شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله وأن معصيته معصية لله لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ.
وسيأتي بيان هذه المسألة في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " يجب على الخلق الإقرار[٦٨] بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة"[٦٩].

المطلب الثالث: معنى شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أ- معناها:
"معنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع"[٧٠].
وهذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، كما أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور. ويلاحظ أننا عرّفنا الشهادة والإيمان به بتعريف واحد، وهذا الأمر يصح في حالة الإفراد كما سبق وأن ذكرت في لفظ الإسلام والإيمان، أما في حالة الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه، ويجب تحقيق هذه الشهادة معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة[٧١].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الإيمان بالرسول فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[٧٢].
ب- شروط الشهادتين:
بعد ذكر معنى "شهادة أن محمدا رسول الله " ناسب المقام أن نشير ههنا إلى شروط هذه الشهادة بشقيها، لأننا في زمان يجهل فيه كثير من الناس هذه الشروط، إذ يعتقد كثير منهم لجهلهم أن التلفظ وحده يكفي لتحقيق الشهادة ويستغنون بهذا عن العمل بالمقتضى المترتب على هذه الشهادة.
وتصويبا لهذا الخطأ وإزالة لهذا الجهل أقول: إنه من المعلوم أن العبد لا يدخل في دين الإسلام إلا بعد الإتيان بالشهادتين "شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".
قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [٧٣]
وقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"[٧٤].
ومن المعلوم كذلك أن جميع الدين داخل في الشهادتين إذ مضمونهما أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ونطيعه فيما جاء به عن ربه سبحانه وتعالى، والدين كله داخل في هذا.
ولهاتين الشهادتين شروط لا بد من توفرها فيهما، إذ لا يمكن لقائلهما أن ينتفع بهما إلا بعد اجتماعها فيهما، وهذه الشروط مطلوبة في كلا الشهادتين، وذلك لما بينهما من التلازم، فالعبد لا يدخل في الدين إلا بهما معا.
وهي سبعة شروط:
الشرط الأول: العلم:
إذ العلم بالشيء شرط عند الشهادة به ويشهد لذلك قوله تعالى: {إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [٧٥].

ومن الأدلة على وجوب العلم بالشهادة قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ}[٧٦]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"[٧٧]. والعلم المراد به هنا هو معرفة معنى الشهادتين ومقتضاهما واللوازم المترتبة على ذلك.
فلا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله.
ومقتضاها ولازمها: نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به[٧٨].
ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: الإقرار والاعتراف للرسول صلى الله عليه وسلم أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة[٧٩].
ومقتضاها ولازمها: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع.
الشرط الثاني: اليقين:
أي استيقان القلب بالشهادتين، وذلك بأن يعتقدهما اعتقادا جازما لا يصاحبه شك أو ارتياب، لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}[٨٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينا بها قلبه فبشره بالجنة" الحديث[٨١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة"[٨٢].
الشرط الثالث: الإخلاص:
"وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك"[٨٣].
قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} الآية[٨٤]. وقال تعالى: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[٨٥] "أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له".
وقال قتادة[٨٦] في قوله تبارك وتعالى: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} شهادة أن لا إله إلا الله "[٨٧].
وعن عتبان بن مالك[٨٨] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"[٨٩].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه"[٩٠].
الشرط الرابع: "الصدق فيها المنافي للكذب. وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه"[٩١].
قال تعالى: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[٩٢]، "أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة"[٩٣].

وعن أنس بن مالك[٩٤] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - ومعاذ[٩٥] رديفه على الرحل- قال: "يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: "يا معاذ" قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا. قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار" الحديث[٩٦].

الشرط الخامس: المحبة:

"لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت علييه ولأهلها والعاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك"[٩٧].

قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[٩٨]، ففي الآية دليل على وجوب محبة الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب[٩٩].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} الآية[١٠٠].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه} الآية[١٠١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"[١٠٢].

الشرط السادس: الانقياد:

أي الانقياد والاستسلام ظاهرا وباطنا لأوامر الله وما أنزله من الشرع على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}[١٠٣]

ففي هذه الآية: "يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه، ولهذا قال: {وَهُوَ مُحْسِنٌ}، أي في عمله: باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه {وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}"[١٠٤].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً}[١٠٥]. والآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً[١٠٦]}[١٠٧]

الشرط السابع: القبول:

أي قبول الشهادتين والالتزام بمقتضياتها ولوازمها.

قال تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[١٠٨]، وقال تعالى في شأن من لم يقبلها: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ، وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ}[١٠٩].

وعن أبي موسى الأشعري[١١٠] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية[١١١] قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب[١١٢] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[١١٣] لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[١١٤].

فهذه هي شروط الشهادتين يجب على المسلم تحقيقها والإتيان بها على الوجه المطلوب حتى يكون من أهلها.

ج- مراتب الشهادة:

إذا علم العبد معنى الشهادتين وشروطهما فينبغي له أن يكون على علم بأن للشهادة مراتب يتدرج عليها الشاهد مرتبة بعد مرتبة حتى يتم له تحقيق الشهادة على الوجه المطلوب.

ومراتب الشهادة أربع هي[١١٥]:

- المرتبة الأولى: العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته، فلا بد للشاهد أن يعلم ويعرف معنى الشهادتين وإلا كان الشاهد شاهدا بما لا علم له به قال تعالى: {إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[١١٦].
- المرتبة الثانية: تكلمه بالشهادتين وإن لم يُعلِم بها غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها.

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: {وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[١١٧] فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

- المرتبة الثالثة: أن يُعلِم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له ومرتبة الإعلام والإخبار نوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل.

وهذا شأن كل مُعلِم لغيره بأمر، تارة يعلمه به بالقول وتارة بفعل ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} الآية[١١٨] فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه[١١٩].

- المرتبة الرابعة: أن يلتزم بمضمونها ويأتمر به.

ومجرد الشهادة لا يستلزم هذه المرتبة، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه، فإنه سبحانه وتعالى شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}[١٢٠].

وقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً}الآية[١٢١].

والقرآن كله شاهد بذلك.
وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية فقال تعالى {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١٢٢] فشهادته سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع وهي: علمه بذلك، وتكلمه، وإخباره لخلقه، وإلزامهم وأمرهم به[١٢٣].

المطلب الرابع: نواقض الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
إن مما ينبغي معرفته بعد توضيح معنى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وتبيين شروط الشهادة ومراتبها أن تعرف نواقض هذا الأمر ومبطلاته حتى يحترز المسلم من الوقوع فيها، فعن حذيفة بن اليمان[١٢٤] رضي الله عنه قال: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني..." الحديث[١٢٥].
وعن عمر بن الخطاب[١٢٦] رضي الله عنه: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"[١٢٧].
ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أعظم هذه الأمة إيمانا لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي".
ولمعرفة نواقض الإيمان به صلى الله عليه وسلم نقول:
لما كان الإيمان به صلى الله عليه وسلم يعني تصديقه وتصديق ما جاء به صلى الله عليه وسلم، والانقياد له، فإن الطعن في أحد هذين الأمرين ينافي الإيمان ويناقضه فالنواقض على هذا الاعتبار يمكن تقسيمها إلى قسمين:
القسم الأول: الطعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم.
القسم الثاني: الطعن فيما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما هو معلوم من الدين بالضرورة، إما بإنكاره أو بانتقاصه.

القسم الأول: الطعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم:
ومما يدخل تحت هذا القسم نسبة أي شيء للرسول عليه الصلاة والسلام مما يتنافى مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده، فيكفر كل من طعن في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أو أمانته أو عفته أو صلاح عقله ونحو ذلك.
كما يكفر من سب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كفرا، وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهُجر[١٢٨] ومنكر من القول وزور، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو تنقصه ببعض العوارض البشرية الجائزة المعهودة لديه"[١٢٩].

فالساب إن كان مسلما فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.
وإن كان ذميا فإنه يقتل أيضا في مذهب مالك[١٣٠] وأهل المدينة وهو مذهب أحمد[١٣١] وفقهاء الحديث وهو المنصوص عن الشافعي[١٣٢] نفسه كما حكاه غير واحد"[١٣٣].
وهذا الحكم على الساب والمستهزئ، يستوي فيه الجاد والهازل بدليل قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}[١٣٤].
وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، (فالسب المقصود بطريق الأولى)، وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم جادا أو هازلا فقد كفر.
وقد رُوي عن رجال من أهل العلم منهم ابن عمر[١٣٥] ومحمد بن كعب[١٣٦] وزيد ابن أسلم[١٣٧] وقتادة- دخل حديث بعضهم في بعض- أنه قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: "ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء، فقال له عوف ابن مالك[١٣٨]: كذبت ولكنك رجل منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق.
قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة[١٣٩] ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة لتنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون" ما يلتفت إليه، ولا يزيده عليه"[١٤٠].
فهؤلاء لما تنقصوا النبي صلى الله عليه وسلم حيث عابوه والعلماء من أصحابه واستهانوا بخبره أخبر الله أنهم كفروا بذلك وإن قالوه، استهزاء فكيف بما هو أغلظ من ذلك؟[١٤١].
ومن الأدلة على كفر الطاعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً}[١٤٢].
واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا[١٤٣].
وفي هذه الآية قرن الله بين أذى النبي صلى الله عليه وسلم وأذاه كما قرن في آيات أخر بين طاعته وطاعة نبيه، وفى هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن أذى الرسول فقد أذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور[١٤٤].

ومن الأدلة الواردة في السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[١٤٥] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لكعب بن الأشرف[١٤٦] فإنه قد آذى الله ورسوله"، فقام محمد بن مسلمة[١٤٧] فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟، قال: "نعم..." الحديث[١٤٨]. فعلم من هذا الحديث أن من آذى الله ورسوله كان حقه أن يقتل كما قتل كعب بن الأشرف والأدلة من الكتاب والسنة على هذه المسألة كثيرة ولا مجال لاستيعابها هنا.

- الإجماع: وقد أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه، وكذلك حكى غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.

وقال الإمام إسحاق بن راهوية[١٤٩] أحد الأئمة الأعلام: "أجمع المسلمون على أن من سب الله، أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل إليه".

وقال الخطابي[١٥٠]: "لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله". وقال محمد بن سحنون[١٥١]: أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر"[١٥٢].

ومن المعلوم أن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به عدة حقوق:

١- حق الله سبحانه:

من حيث كفر برسوله، وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة، ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

٢- وتعلق حق جميع المؤمنين:

من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم به، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بواسطته وسفارته فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

٣- وتعلق حق رسول الله صلى الله عليه وسلم به:

من حيث خصوص نفسه، فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة، فإن هتك عرضه وعلو قدره قد يكون أعظم عنده من قتله، فإن قتله لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح في ذلك، بخلاف الوقيعة في عرضه فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة ..."[١٥٣].

وبهذا يعلم أن السب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في غيره من الأمور كالكفر والمحاربة.

وبما تقدم ذكره من الأدلة يتضح انتقاض إيمان من طعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بسب أو استهزاء أو انتقاص سواء كان في ذلك جادا أو هازلا.
ويستثنى من ذلك المكره بدليل قوله تعالى: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}[١٥٤] فالآية نزلت في عمار بن ياسر[١٥٥] حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية، وروى أن مما قاله أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير، قال: "كيف تجد قلبك؟" قال: مطمئنا بالإيمان، فقال: "إن عادوا فعد" وفي ذلك أنزل الله: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يأبى، كما كان بلال[١٥٦] رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل..."[١٥٧].

القسم الثاني: من نواقض الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم:
الطعن فيما أخبر به الرسول لا- مما هو معلوم من الدين بالضرورة- إما بإنكاره أو انتقاصه.
فإذا اجتمعت الشروط التالية في المنكر وهي:
أ- أن يكون ذلك الأمر المنغص من الأمور التي أجمعت عليها الأمة وأن يكون من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة: أي أن يكون علمه منتشرا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان، وعموم رسالته[١٥٨].
ب- أن لا يكون المنكر حديث عهد بالإسلام لا يعرف حدوده فهذا إذا أنكر شيئا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة جهلا به فانه لا يكفر[١٥٩].
ج- أن لا يكون المُنكِر مكرها على ذلك، فإن المكره له حكم آخر كما قدمنا ذلك.
والمُنكِر في هذه الحالة يحكم بكفره وانتقاض إيمانه. والمنتقص لأمور الدين إذا كان غير مكره فإنه يكفر سواء كان جادا في ذلك أم هازلا.
والأمثلة على هذا القسم كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال ما يختص بجانب الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم.
أولا: "أن يعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه وأن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون القانون الوضعي على حكم الشرع ويصفون الشريعة الإسلامية بالقصور والرجعية وعدم مسايرة التطور، وهذا من أعظم المناقضة لشهادة أن محمدا رسول الله.
ثانيا: من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به فهو كافر"[١٦٠].
ثالثا: اعتقاد الإنسان أنه يسعه الخروج عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم.
ولهذا الأمر صورتان:
• الأولى: أن لا يرى وجوب تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا وجوب طاعته فيما أمر به وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عظيم القدر

علما وعملا وأنه يجوز تصديقه وطاعته ولكنه يقول إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته وهذا هو قول الفلاسفة والصابئة[١٦١] وهذا القول لا ريب في كفر صاحبه "فمن نواقض الإسلام أن يعتقد الإنسان عدم كفر المشركين ويرى صحة مذهبهم، أو يشك في كفرهم"[١٦٢].

وهذا القول هو الذي ينادي به في وقتنا الحاضر من يدعون إلى وحدة الأديان ويروج لهم في ذلك الماسونية[١٦٣] اليهودية[١٦٤].

- الثانية: من يرى طلب العلم بالله من غير خبره، أو العمل لله من غير أمره، وهؤلاء وإن كانوا يعتقدون أنه يجب تصديق الرسول أو تجب طاعته، لكنهم في سلوكهم العلمي والعملي غير سالكين هذا المسلك بل يسلكون مسلكا آخر إما من جهة القياس والنظر، وإما من جهة الذوق والوجدان، وإما من جهة التقليد، وما جاء عن الرسول إما أن يعرضوا عنه وإما أن يردوه إلى ما سلكوه.

وإضافة إلى هذه النواقض فإن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ينتقض أيضا بالنواقض العامة الأخرى للإسلام وهي:

١- الشرك في عبادة الله تعالى:

قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[١٦٥] وقال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[١٦٦]، وقال تعالى: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[١٦٧]، وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[١٦٨].

٢- أن يجعل بينه وبين الله وسائط:

يدعوهم ويسألهم الشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويتوكل عليهم فهذا كافر بالإجماع[١٦٩].

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ}[١٧٠]

وقال تعالى: {يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ، يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ}[١٧١]، وقال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً}[١٧٢].

٣- السحر:

ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر[١٧٣] بدليل قوله تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}[١٧٤].

٤- "مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين"[١٧٥]:

والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[١٧٦] وهذا من أعظم النواقض التي وقع فيها سواد الناس اليوم في الأرض وهم بعد ذلك يحسبون على الإسلام ويتسمون بأسماء إسلامية، فلقد صرنا في عصر يُستحى فيه أن يقال للكافر يا كافر.

ومظاهرة المشركين أخذت صورا شتى فمن الميل القلبي إلى انتحال مذاهبهم الإلحادية إلى مجاراتهم في تشريعاتهم، إلى كشف عورات المسلمين لهم، إلى كل صغير وكبير في حياتهم..."[١٧٧]

٥- الإعراض عن دين الله تعالى:

لا يتعلمه ولا يعمل به[١٧٨] والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [١٧٩].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرا، وأكثر ما يكون وقوعا فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه[١٨٠]، ومعرفة المسلم لهذه الأمور تجعله على بصيرة من أمره، وتكسبه وتزيده معرفة لأمور عقيدته، فبضدها تتميز الأشياء.

---

[١] هذه العبارة للعماد الأصفهاني، وقد أوردها طه عبد الرؤوف في مقدمة تحقيقه لكتاب إعلام الموقعين (ص م).

[٢] الآية (١٠٨) من سورة يوسف

[٣] الآية (١١٥) من سورة المؤمنون

[٤] الآية (٢) من سورة الملك

[٥] الآية (٧) من سورة هود

[٦] الآية (٥٦) من سورة الذاريات

[٧] الآية (٣٦) من سورة النحل.

[٨] الآية (٢٤) من سورة فاطر.

[٩] الآية (٤) من سورة المؤمنون

[١٠] الآية (٦٥) من سورة النساء.

[١١] الآية (٥٧) من سورة الأنبياء.

[١٢] الآية (٢٨) من سورة ابراهيم.

[١٣] الآيات (٢٨- ٢٩) من سورة الحديد

[١٤] أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. فتح الباري (٦/ ٤٩٥- ٤٩٦) ح ٣٤٥٩.

[١٥] انظر في هذا الموضوع وأدلته: المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الثالث.

[١٦] اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣)

[١٧] الآية (١٦٤) من سورة آل عمران.

[١٨] الآيات (٢-٣-٤) من سورة الجمعة.

[١٩]الآيتان (١٥١-١٥٢) من سورة البقرة.

[٢٠] الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

[٢١] الآيات (١٤- ١٥- ١٦) من سورة الليل.
[٢٢] الآية (١٠) من سورة الكهف.

[٢٣] هو: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور أحد الأئمة في اللغة والأدب ولد سنة ٢٨٢هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ وهو صاحب كتاب تهذيب اللغة. انظر الأعلام للزركلي (٣١١/٥).
[٢٤] تهذيب اللغة (٥١٣/٥).
[٢٥] الآية (٧) من سورة يوسف.
[٢٦] لسان العرب لابن منظور، مادة آمن (٢٣/١٣).
[٢٧] شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٤٣).
[٢٨] الآية (٢٨٥) من سورة البقرة.
[٢٩] تفسير القرطبى (٣/ ٤٢٥).
[٣٠] الآية (٦) من سورة العنكبوت.
[٣١] الإقرار: متضمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد. مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨- ٦٣٩).
[٣٢] الصارم المسلول لابن تيمية (ص٥١٩).
[٣٣] انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٨٠ - ٣٨١).
[٣٤] الآية (٤) من سورة البقرة.
[٣٥] الصارم المسلول (ص ٥١٩- ٥٢٠) بتصرف.
[٣٦] هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الايمان. انظر (ص ١٦٢).
[٣٧] مجمرع الفتاوى (٦٤٢/٧).
[٣٨] هو شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد ابن تيمية النميرى، الحرّاني الدمشقي، ولد سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١هـ) بحران، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة
(٧٢٨ هـ) بدمشق، اشتهر رحمه الله بالعلم والزهد والورع والعبادة والجهاد والدفاع عن عقيدة السلف وقد ألف في سيرته المؤلفات الكثيرة.
انظر: "كتاب الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية" تأليف مرعي بن يوسف الحنبلي.
[٣٩] كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٦٢).
[٤٠] كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان (ص ١٦٢- ١٦٣).
[٤١] المرجئة هم الذين أرجئوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.
[٤٢] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:
ا- فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعًا.

٢- وقيل: بل مسماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.
٣- وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.
٤- وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين"
كتاب الإيمان (ص ١٦٢).
[٤٣] كتاب الإيمان (ص ١٦٣).
[٤٤] كتاب الإيمان (ص ١٦٣).
[٤٥] هو: سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد ولد سنة (٢٠٠ هـ) وتوفي سنة (٢٨٣ هـ)، عامة كلامه في تصفية الأعمال من المعائب، وأسند الحديث وأسند عنه.
شذرات الذهب (٣/ ١٨٢)، والأعلام (١٤٣/٣).
[٤٦] كتاب الإيمان (ص ١٦٣).
[٤٧] الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:
أ- المرجئة بطوائفهم الخمس:
ا- الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أى المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.
٢- الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله.
٣- الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.
٤- الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.
٥- مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان. وهو قول الكلابية. وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان.
ب- الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل ولكنهم يكفرون من أخل بشيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفى الآخرة خالد في النار.
ج- المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.
انظر تفاصيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السابع من مجموع الفتاوى، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٣- ٣٩٢) وكتاب النبوات (ص ١٩٩).
[٤٨] مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).
[٤٩] أبو هريرة بن عامر واختلف في اسمه إلى عدة أقوال: منها أنه عبد الرحمن، وهو دوسي أسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله إليه، وكان من أحفظ الصحابة رضي الله عنهم، توفي عام ٥٧ هـ. أسد الغابة (٢/ ١٦٧).
[٥٠] أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الدين.

انظر: فتح الباري (٥١/١) ح ٩ وأخرجه مسلم - واللفظ له - كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/ ٤٦).
[٥١] عبد الله بن عباس بن عبد المطب الهاشمي- ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات في الشعب أثناء الحصار، وكان رضي الله عنه ترجمان القرآن وحبر الأمة لعلمه وفهمه، توفي سنة ٨٤هـ.
الإصابة (٦/ ١٦٧- ١٧٣).
[٥٢] هي قبيلة كبيرة كانوا يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفْصى- بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن أعمى- ابن دُعمِيّ- بضم ثم سكون المهملة وكسر الميم بعدها تحتانية ثقيلة- ابن جَديلة -بالجيم وزن كبيرة- ابن أسد بن ربيعة بن نزار.
انظر: فتح الباري (٨٥/٨).
[٥٣] أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري (١٢٩/١) ح ٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (٣٥/١ - ٣٦).
[٥٤] الآية (٧٧) من سورة البقرة وغيرها.
[٥٥] الآية (٦٣) من سورة يونس.
[٥٦] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (٢٩/١). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل بلفظ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث".
انظر: فتح الباري (١/ ١١٤)، ح ٥٠.
[٥٧] الآية (٩٨) من سورة البقرة.
[٥٨] الآية (٧) من سورة الأحزاب.
[٥٩]
[٦٠] مجموع الفتاوى (٦٤٧/٧ - ٦٤٨).
[٦١] قال شارح الطحاوية: "اعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:
١- أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} الآية (١) من سورة الأنعام، وقال تعالى: {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} الآية (٣) من سورة آل عمران، وهذا هو الغالب.
٢- ويليه: أن يكون منهما تلازم، كقوله تعالى: {وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} الآية (٤٢) من سورة البقرة، وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} الآية (٩٢) من سورة المائدة.
٣- الثالث: عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} الآية (٢٣٨) من سورة البقرة، وقال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} الآية (٢٣٨) من سورة البقرة وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ} الآية (٧) من سورة الأحزاب، وفي مثل هذا وجهان: أحدهما:

أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكورا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ "الفقراء والمساكين" ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.
٤- الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} الآية (٣) من سورة غافر. شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٧- ٣٨٨).
[٦٢] كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٩٢).
[٦٣] مجموع الفتاوى (١٥/٩١).
[٦٤] مجموع الفتاوى (١٥/ ٩١).
[٦٥] الآية (٣،٤) من سورة النجم.
[٦٦] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٦).
[٦٧] الآية (٧) من سورة الحشر.
[٦٨] يقول ابن تيمية في بيان معنى الإقرار: "إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد".
مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨، ٦٣٩).
[٦٩] مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٤).
[٧٠] الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٩) ضمن مجموعة الرسائل المفيدة.
[٧١] زاد المعاد (١/ ٣٤).
[٧٢] مجموع الفتاوى (٨/ ٦٣٨، ٦٣٩).
[٧٣] الآية (١٥) من سورة الحجرات.
[٧٤] أخرجه البخارى في صحيحه، كناب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (١٣/٢٥٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٣٨).
[٧٥] الآية (٨٦) من سورة الزخرف.
[٧٦] الآية (١٩) من سورة محمد.
[٧٧] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار. انظر (١/ ٤١).
[٧٨] تيسير العزيز الحميد (ص ٥٨).
[٧٩] دليل المسلم في الاعتقاد للشيخ عبد الله خياط (ص ٤٥).
[٨٠] الآية (١٥) من سورة الحجرات.
[٨١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٤٤).
[٨٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٤١- ٤٢).
[٨٣] معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (١/ ٣٨٢).

[٨٤] الآية (٥) من سورة البينة.
[٨٥] الآية (٣) من سورة الزمر.
[٨٦] قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، ولد سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ ثقة ثبت، مفسر حافظ ضرير أكمه. قال عنه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة.
انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١) وتذكرة الحفاظ (١١٥/١)
[٨٧] تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥).
[٨٨] عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي، صحابي من البدريين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر، مات في خلافة معاوية وقد كبر.
الإصابة (٢/ ٤٤٥) رقم ٥٣١٨.
[٨٩] أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، انظر: فتح الباري (١/ ٥١٩) ح ٤٢٥، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٢/ ١٢٦).
[٩٠] أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، انظر: فتح الباري (١١/ ٤١٨) ح ٦٥٧٠.
[٩١] معارج القبول (١/ ٣٨١).
[٩٢] الآيات (١/ ٣) من سورة العنكبوت.
[٩٣] تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٤).
[٩٤] أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو حمزة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه، وأحد المكثرين من الرواية عنه، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة توفي سنة ٩٣ هـ.
[٩٥] معاذ بن جبل الأنصاري: أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وقد شهد بعد ذلك المشاهد كلها، كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام، توفي سنة ١٧ هـ في طاعون عمواس بالشام. الإصابة (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧) رقم ٨٠٣٩.
[٩٦] أخرجه البخاري في صحيحها واللفظ له، كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا. انظر فتح الباري (١/ ٢٢٦) ح ١٢٨.
وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٤٣/١).
[٩٧] معارج القبول (١/ ٣٨٣).
[٩٨] الآية (٢٣٤) من سورة التوبة.
[٩٩] تفسير القرطبي (٩٥/٨)
[١٠٠] الآية (١٦٥) من سورة البقرة.
[١٠١] الآية (٥٤) من سورة المائدة.
[١٠٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. انظر: فتح الباري (١/ ٧٢) ح ٢١. وأخرجه

مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، واللفظ له. انظر: (١/ ٤٨).
[١٠٣] الآية (٢٢) من سورة لقمان.
[١٠٤] تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٠).
[١٠٥] الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.
[١٠٦] الآية (٦٥) من سورة النساء.
[١٠٧] تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٠).
[١٠٨] الآية (٢٨٥) من سورة البقرة.
[١٠٩] الآيات (٣٥- ٣٦) من سورة الصافات.
[١١٠] واسم أبي موسى: عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر من قحطان، صحابي أسلم بمكة ثم رجع إلى اليمن وقدم مع الأشعريين وكان حسن الصوت بالقرآن، وكان من الشجعان الولاة الفاتحين، توفى بالكوفة سنة ٤٤ هـ، وقيل غير ذلك. الإصابة (٢/ ٣٥١) رقم ٤٨٩٩.
[١١١] هي مستنقع الماء في الجبال والصخور. فتح الباري (١/ ١٧٦).
[١١٢] هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء. فتح الباري (١/ ١٧٦).
[١١٣] بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية اللمساء التي لا تنبت. فتح الباري (١/ ١٧٧).
[١١٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم: باب فضل من علِم وعلَّم واللفظ له.انظر فتح الباري (١/ ١٧٥) ح ٧٩. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم. انظر: (٧/ ٦٣).
[١١٥] انظر: كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان من (ص ٣٨ إلى ص ٤٠) بتصرف.
[١١٦] الآية (٨٦) من سورة الزخرف.
[١١٧] الآية (١٩) من سورة الزخرف.
[١١٨] الآية (١٧) من سورة التوبة.
[١١٩] الكواشف الجلية (٣٩- ٤٠) بتصرف.
[١٢٠] الآية (٢٣) من سورة الإسراء.
[١٢١] الآية (٣١) من سورة التوبة.
[١٢٢] الآية (١٨) من سورة آل عمران.
[١٢٣] الكواشف الجلية (ص ٤٠) بتصرف.
[١٢٤] حذيفة بن اليمان العبسي، شهد أحدا وكان من كبار الصحابة وصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفى عام ٣٦هـ الإصابة (١/ ٣١٦، ٣١٧)، ت رقم ١٦٤٧.
[١٢٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن: باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟،

انظر: فتح الباري (٣/ ٣٥) ح ٧٠٨٤. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر. انظر: (٦/ ٢٠).
[١٢٦] عمر بن الخطاب بن نفيل: ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، كان إسلامه فتحا على المسلمين، شهد المشاهد كلها، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض، ولي الخلافة بعد الصديق واستشهد سنة ٢٣ هـ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي. الإصابة (٢/ ٥١١، ٥١١) رقم ٥٧٣٨.
[١٢٧] تيسير العزيز الحميد (ص ٩٠).
[١٢٨] الهجر بالضم: القبيح من الكلام. لسان العرب (٥/ ٢٥٣).
[١٢٩] الشفا للقاضي عياض (٢/ ٩٣٢) بتحقيق علي محمد البجاوي.
[١٣٠] مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وأحد أئمة أهل السنة المشهورين، وإليه تنسب المالكية له مؤلفات عدة على رأسها (الموطأ) الكتاب المشهور، ولد بالمدينة، وتوفى بها عام ١٧٩ هـ. الديباج المذهب (١/ ٨٢- ١٣٥) والبداية (١٠/ ١٧٤).
[١٣١] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور في الفقه والحديث ونصرة الإسلام، إمام أهل السنة والجماعة أعز الله به السنة وقمع به البدعة وفضائله أكثر من أن تحصر توفي سنة ٢٤١ هـ تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢) وطبقات الحنابلة (٤/١).
[١٣٢] محمد بن إدريس الشافعي الإمام المشهور أحد الأئمة الأربعة، ولد بغزة بفلسطين ثم سافرت به أمه إلى مكة، كان ذكيا فطنا برع في الأدب واللغة ثم أقبل على الحديث والفقه وله مصنفات عدة من أشهرها: الأم والرسالة، توفي بمصر سنة٢٠٤ هـ. تاريخ بغداد (٢/ ٥٦) والتذكرة (٣٦٧).
[١٣٣] الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤ و ٨) بتصرف.
وقد تعرض شيخ الإسلام لهذه المسائل مفصلة في هذا الكتاب فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.
[١٣٤] الآيتان (٦٥، ٦٦) من سورة التوبة.
[١٣٥] عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولد بعد البعثة بثلاث سنوات وهاجر وهو ابن عشر سنين، وقد كان من أشد الصحابة تتبعا للسنة ومن أكثرهم عبادة مع زهد وورع توفي عام ٨٤ هـ.
الإصابة (٢/ ٣٣٨- ٣٤١) ت رقم ٤٨٣٤.
[١٣٦] هو محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني، كان أبوه من سبي قريظة، ثقة، عالم، ولد سنة أربعين على الصحيح، ومات سنة ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك. وقال عنه ابن حبان: كان من أفاضل أهل المدينة علما وفقها. تهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠، ٤٢٢).
[١٣٧] زيد بن أسلم المدني الفقيه: كان عالما بالتفسير وكان له حلقة بالمسجد النبوي توفي عام ١٣٦ هـ تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٥).

[١٣٨] عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني، صحابي جليل، شهد مؤتة، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ وشهد فتح الشام، توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام.
تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٨)، والبداية (٨/ ٣٤٦).
[١٣٩] النِّسْعة بكسر فسكون: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير. لسان العرب (٣٥٢/٨).
[١٤٠] تفسبر ابن كثير (٢/ ٣٦٧).
[١٤١] الصارم المسلول (ص٣١ - ٣٣).
[١٤٢] الآية (٥٧) من سورة الأحزاب.
[١٤٣] الصارم المسلول (ص ٤١).
[١٤٤] الصارم المسلول (ص ٤٠- ٤١) بتصرف.
[١٤٥] جابر بن عبد الله الأنصارى: شهد العقبة الثانية وهو صغير وشهد المشاهد كلها بعد أحد، وكان من المكثرين الحفاظ. للسنّة، توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك.
الإصابة (١/ ٢١٤) ت رقم ١٠٢٦.
[١٤٦] كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية وكان سيدا في أخواله اليهود. أدرك الاسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والتشبب بنسائهم. خرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم، وعاد إلى المدينة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فانطق إليه نفر من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه. تاريخ الطبري (٣/ ٢).
[١٤٧] محمد بن مسلمة الأنصاري، من فضلاء الصحابة شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك فإنه تخلف بإذن النبي صلى الله عليه وسلم له أن يقيم في المدينة، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وقيل غير ذلك. الإصابة (٣/ ٣٦٣، ٣٦٤) رقم (٨ ٧٨).
[١٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه- واللفظ له - كتاب المغازي باب قتل كعب بن الأشرف. انظر: فتح الباري (٧/ ٣٣٦) ح ٤٠٣٧، وأخرجه في مواضع أخر. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد: باب قتل كعب بن الأشرف. انظر: (١٨٤/٥).
[١٤٩] إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهوية المروزي قال عنه الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة المسلمين وعَلَما من أعلام الدين اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد توفي سنة ٢٣٨ هـ. تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥).
[١٥٠] أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين المكثرين، له من المصنفات معالم السنن وشرح البخاري وغير ذلك، توفي بمدينة بست سنة ٣٨٨ هـ. البداية: (١١/ ٣٢٤).
[١٥١] محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخى، أبو عبد الله فقيه مالكي، مناظر كثير التصانيف، توفي سنة ٢٥٦هـ. الوافي بالوفيات: (٨٦/٣) والأعلام (٢٠٤/٦، ٢٠٥).
[١٥٢] الصارم المسلول (ص ٣- ٤).

[١٥٣] الصارم المسلول (ص ٢٩٣- ٢٩٤).
[١٥٤] الآية (١٠٦) من سورة النحل.
[١٥٥] عمار بن ياسر حليف بني مخزوم من السابقين الأولين هو وأبوه وأمه، هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، قتل بصفين سنة ٣٧ هـ. الإصابة (٢/٥٠٥، ٥٠٦) رقم: ٥٧٠٦.
[١٥٦] بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحد السابقين إلى الإسلام الذين عذبوا بمكة، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة: فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقول لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيقول وهو على ذلك أَحَدٌ أَحَدٌ، فمرَّ به أبو بكر فاشتراه منه وأعتقه، ومناقبه كثيرة، شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، مات بالشام سنة عشرين. الإصابة (١/ ١٦٩) رقم ٧٣٦.
[١٥٧] تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٧، ٥٨٨) بتصرف.
[١٥٨] انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ٢٠٥).
[١٥٩] انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ٢٠٥).
[١٦٠] الجامع الفريد: رسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٨٢).
[١٦١] مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٩).
[١٦٢] الجامع الفريد (ص ٢٨٢).
[١٦٣] الماسونية: عبارة فرنسية معناها البناؤون الأحرار، والماسونية حركة يهودية سرية تعمل تحت ستار التآخي بين الأديان وهدفها الرئيسي السيطرة على العالم عن طريق أصحاب الجاه والنفوذ في بقاع العالم، وذلك بواسطة المحافل التي تقيمها في بقاع كثيرة من العالم.
انظر: "كتاب الماسونية ذلك العالم المجهول"، لصابر طعيمة.
[١٦٤] كتاب الولاء والبراء (ص ٣٤٤).
[١٦٥] الآية (٤٨) من سورة النساء.
[١٦٦] الآية (٦٥) من سورة الزمر.
[١٦٧] الآية (٨٨) من سورة الأنعام.
[١٦٨] الآية (٧٢) من سورة المائدة.
[١٦٩] الجامع الفريد (ص ٢٨٢).
[١٧٠]الآية (١٩٤) من سورة الأعراف.
[١٧١] الآيتان (١٢- ١٣) من سورة الحج.
[١٧٢] الآية (١٨) من سورة الجن.
[١٧٣] الجامع الفريد (ص ٢٨٢). والمراد بالصرف: التفريق بين الزوجين. والعطف: الجمع بينهما.
[١٧٤] الآية (١٠٢) من سورة البقرة.
[١٧٥] الجامع الفريد (ص ٣٨٣).

[١٧٦] الآية (٥١) من سورة المائدة.
[١٧٧] كتاب الولاء والبراء في الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني (ص ٨٣) بتصرف بسيط.
[١٧٨] الجامع الفريد (ص ٢٨٤).
[١٧٩] الآية (٢٢) من سورة السجدة.
[١٨٠] الجامع الفريد (ص ٣٨٤).

٢٧. ٢- كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [مسائل في النبوات]

المبحث الثاني: وجوب الإيمان بنبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم
المطلب الأول: معنى النبوة والرسالة
جمع الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يين النبوة والرسالة قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[١]
أ- معنى النبي لغة وشرعا:
النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي)[٢]
١- فإذا كاظما مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.
٢- وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو، لأن (النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع).
٣- أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز، فيكون معناها الطريق إلى الله عز وجل لأن معنى "النبي" الطريق.
ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.
أما النبوة في اصطلاح الشرع: " فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد"[٣].
أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:
- فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع[٤] ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه.
- فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[٥].
- ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين[٦] وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}[٧] يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير[٨] وكذلك مما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي..." الحديث[٩].

" أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"[١٠].
وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً}[١١].
وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً، وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}[١٢]
ب- معنى الرسول لغة وشرعا:
الرسول لغة: إما مأخوذ من الرِّسل.
والرِّسل: هو الانبعاث على تؤدة. يقال: ناقة رسله: أي سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا. ولفظ الرسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث. فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق. وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أي منبعثة.
ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.
فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث[١٣].
وإما مأخوذ من الرَّسْل وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رَسْلا أي متتابعة، ويقال جاءوا أرْسَالاً: أي متتابعين.
ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه[١٤].
ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى.
ولفظ الرسول تارة يقال للقول المُتَحَمَّل كقول الشاعر:
ألا بلِّغ أبا حفص رسولاً
وتارة لمُتَحَمِّل القول والرسالة[١٥].
والرسول في الشرع: عرف بعدة تعريفات:
فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه[١٦].
ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.
وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[١٧].
ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره أي إلى قوم كافرين.

أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.
وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.
وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبيا مكلما، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط[١٨].
وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال.
أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وإن وضحت في الكلام على معنى النبي.وكذا الأمر بالنسبة للقول للثاني فليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة كما تقدم ذكر ذلك.

المطلب الثاني: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم:
أ-الأدلة من القرآن:
أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين – الإنس والجن – الذين أدركتهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.
كما أكد الله وجوب الإيمان بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:
قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ، وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[١٩]، وقال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[٢٠].
وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً}[٢١]، وقال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}[٢٢]، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[٢٣]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}[٢٤]. والإيمان به صلى الله عليه وسلم واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه صلى الله عليه وسلم مع حق الله تعالى في القرآن الكريم.
أما الحق الثاني له:
فهو طاعته قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٢٥]، وسيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا الباب.
والحق الثالث هو:

محبتـه قـال تعـالى: {قُـلْ إِنْ كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُـمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّـهِ وَرَسُـولِهِ وَجِهَـادٍ فِـي سَـبِيلِهِ فَتَرَبَّصُـوا حَتَّـى يَـأْتِيَ اللَّـهُ بِـأَمْرِهِ وَاللَّـهُ لا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْفَاسِقِينَ}[٢٦]، وسيأتي بيانه في الباب الثاني.

"كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه"[٢٧].

وقال تعالى في حق من لم يؤمن: {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً}[٢٨].

وبما تقدم من آيات يعلم وجوب الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان بـه لأنـه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان أول أركان الإسلام "شهادة أن لا إلـه إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".

ب- الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

وردت في السنة أحاديث كثيرة جدا تدل على وجوب الإيمان به صلى الله عليـه وسـلم على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته، سواء كانوا أهل كتاب، أم ليسوا بأهل كتاب، ويستوي في ذلك عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، فلا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد لله بغير ما جاء بـه. لأن الله لا يقبل من أحد عملا يخالف شرع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قـال تعـالى: {وَمَـنْ يَبْتَـغِ غَيْـرَ الإِسْـلامِ دِينـاً فَلَـنْ يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِـي الـآخِرَةِ مِـنَ الْخَاسِرِينَ}[٢٩] وسأورد ههنا بعضا من تلك الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[٣٠].

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"[٣١].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[٣٢].

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...." الحديث[٣٣].

٥- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله فقال:

"إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في

فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[٣٤].
وهذه الأحاديث وغيرها تؤكد وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وكذلك طاعته، ويكون ذلك بأن يحل ما أحل الله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله، ويوجب ما أوجبه الله ورسوله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويكره ما كرهه الله ورسوله. وقد تقدم معنى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم في المبحث الأول فليرجع إليه.

ج-دليل الإجماع:
أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمدا صلى الله عليه وسلم من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم[٣٥]، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه وبينه الرسول أيضا في الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب، فإن الله تعالى أنزل عليه الكتاب والحكمة، ولم يبتدع المسلمون شيئا من ذلك من تلقاء أنفسهم[٣٦].

المطلب الثالث: دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم
أيد الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدلائل، والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء[٣٧] ومنها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي، وكذلك هي متنوعة فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به ومنها ما كان وقت ولادته كقصة الفيل والعجائب التي حدثت عام مولده الدالة على نبوته، ومنها ما كان عند مبعثه كالقرآن الكريم وانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.
ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كالقرآن الكريم، وما أخبر به من المغيبات كعلامات الساعة، وما يحدث بعده. ولقد ألف عدد من العلماء مؤلفات في هذا الشأن جمعوا فيها تلك الدلائل والمعجزات[٣٨].
وإن من أعظم دعائم الإيمان معرفة المسلم لهذه الدلائل وأخذ العظة والعبرة منها وذلك بتدبر ما فيها من حكم وآيات دلت على صدق رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم.
والمقام هنا لا يستوعب إيراد هذه الدلائل والمعجزات، ولكني سأشير إلى بعض هذه الدلائل إشارات سريعة على سبيل المثال:
أ- القرآن الكريم:
هو أعظم الآيات والبراهين والدلائل والمعجزات التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس من آية أبدع ولا أروع منه.

فهو المعجزة الخالدة التي أعطاها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لتكون خالدة كخلود رسالته، ومشمهودة لكل من أتى بعد زمانه ليعم الانتفاع بها ولتقوم بها الحجة على أهل كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد تعهد الله بحفظه وبقائه فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[٣٩] فكان في هذا الحفظ دوامه وبقاؤه إلى قيام الساعة.ولقد ميز الله نبيه بهذه المعجزة عن سائر إخوانه من الأنبياء كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحي أوحاه الله إليّ، فأرجو أني أكثرهم تابعًا يوم القيامة"[٤٠].

وفى تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بالذكر هنا دون المعجزات الأخرى التي أعطيها- والتي تزيد على الألف- إشارة إلى عظم هذه المعجزة ومكانتها حتى أنه أصبح غيرها بالنسبة إليها كلا شيء لشيء.

ولقد تضمنت هذه المعجزة وجوها متعددة من الإعجاز، فالقرآن الكريم معجز بلغته وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار وقصص، ومغيبات، وعلوم، فهو معجز من جميع الوجوه، ولقد تحدى الله قوم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم فهم يعرفون حروفه ومعانيه، إضافة إلى أنه نزل في أوان وزمان بلغت فيه قريش ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان، فلقد كان فيهم أولوا الأحلام والنهى والأفهام والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد.

فالتحدي كان لهم بأمر يعرفون طريقه ولهم بجنسه عهد بل إنهم نبغوا فيه وبلغوا فيه ذروته.

ولذلك فقد توهم كفار قريش في بداية أمرهم أن باستطاعتهم الإتيان بمثله وقدروا أن في وسعهم معارضته فقالوا: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ}[٤١].

فجاءهم التحدي من الله على ثلاث مراحل هي:

- المرحلة الأولى:

التحدي بالإتيان بمثل القرآن وذلك كما جاء في قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}[٤٢].

- المرحلة الثانية:

تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله حيث قال تبارك وتعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٤٣].

- المرحلة الثالثة:

حيث تحداهم تبارك وتعالى بالإتيان بسورة واحدة فقال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٤٤]، فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب فقد كانوا حريصين على تكذيبه وإبطاله بكل طريق ولكن مع هذا كله فقد عجزوا عن ذلك.

ولقد أخبر الله بعجزهم عند تحديه إياهم بالإتيان بسورة من مثله فقال تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[٤٥].
ولما عجزوا عن الإتيان بما تحداهم به قطع الله طمعهم على أن يأتوا بمثله فقال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}[٤٦].
وبعد مرحلة قطع الطمع أنزل الله فواتح السور كـ {الم، الر، المر} وغيرها تقريعا وتوبيخا للكفار، مخبرا لهم أن ما تحداهم به مكون من حروف هي حروف العربية التي يتحدثون بها والتي بلغوا ذروتها فهم أفصح العرب، والقرآن نزل بلغة العرب، ولقد جرت سنة الله بأن يعطي كل رسول من المعجزات ما يناسب ما اشتهر به قومه، فلقد أعطى موسى العصا لاشتهار من أرسل إليهم بالسحر وما يتعلق به، وأعطى عيسى معجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى لاشتهار قومه بالطب وهكذا، فأعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن لما اشتهرت به قريش من الفصاحة والبيان.
فهذا ما كان من أمر التحدي الذي تحدى الله به أهل مكة وغيرهم من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وسأعرض لذكر بعض جوانب هذا الإعجاز القرآني الذي عجز الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن من جهتها وهى ما يلي:
أولاً:
تحداهم بفصاحة القرآن وعلو أسلوبه، وأحكامه، ودقة تعبيره، ولذا تكلف بعض سفهاء الأحلام منهم أن يأتوا بسور خيل لهم أنها على نمطه وشاكلته، فأضحكوا على أنفسهم العقلاء، وأما ذووا العقل والرأي منهم فأسلموا أنفسهم إلى العجز وأيقنوا من قرارة نفوسهم أنه الحق وأنه من عند الله لا من كلام البشر ولكن أكثرهم يجهلون فأبوا إلا الكفر أنفة واستكبارا.
ثانيا:
تحداهم بتشريعه الكامل الموافق لمقتضى العقل والفطرة، الهادي جميع البشر إلى سواء السبيل من جوانب الحياة كلها عقيدة وعبادة واقتصادا وسياسة وأدبا وأخلاقا مع بقاءه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه في جميع جوانب الحياة إلى يوم القيامة.
ثالثا:
تحداهم بما تضمنه القرآن من الأخبار الغيبية التفصيلية المسهبة، وبوقوف الرسول صلى الله عليه وسلم من إخوانه المرسلين السابقين موت المصدق لهم المبين لتحريف أقوامهم شرائعهم، المعلن لخزاياهم وفضائحهم في خروجهم على أنبيائهم بيان الواثق بنفسه المؤمن بما أوحي إليه من ربه، وهو أمي عاش في أمة أمية، ومن أمته أهل الكتاب الذين فضحهم بسوء صنيعهم مع رسلهم وفى شرائعهم ومع ذلك لاذوا بالصمت ولم يردوا عليه ما اتهمهم به تبرئة لأنفسهم ودفعا للنقيصة والعار عنها، فكان ذلك إيذانا بأنه رسول الله الصادق الأمين وأن ما جاء به إنما هو وحي من رب العالمين[٤٧].
ولقد تضمن القرآن الكريم جوانب أخرى من الإعجاز فنحن في زمان انتشر فيه سلطان العلم المادي وتباهى الإنسان بمعرفته لكثير من الأمور التي خفيت عمن قبله

من الأجيال، ولكن كثيرا من هذه الأمور التي يدعي الإنسان اكتشافها ومعرفتها، نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها وبينها فعلى سبيل المثال تكوين الإنسان في بطن أمه تحدثت عنه آيات كثيرة من القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان بينما لم يتعرف علماء الطب على ذلك إلا في زمن متأخر وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الأمور الأخرى كتكوين الأرض وعلوم البحار وعلوم الحيوان وشتى أنواع العلوم الأخرى، وقد اهتم عدد من العلماء المسلمين بهذا الشأن فأنشؤوا ما يسمى "بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن" لبيان سبق القرآن في توضيح كثير من أمور العلم التي يدعي كثير من العلماء الماديين أنها لم تعرف إلا في هذا الزمان.

وهذا كله شاهد بأن كتاب الله العزيز يبقى المعجزة الخالدة التي لا تنتهي عجائبها، قال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً}[٤٨]

فالقرآن يبقى معجزا في عصر العلم كما كان معجزا في عصر الفصاحة والبلاغة.

ومن الآيات الحسية التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم زمن بعثته:

ب- انشقاق القمر:

قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}[٤٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر"[٥٠].

وعن عبد الله بن مسعود[٥١] رضي الله عنه قال: "انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم شقين، فقال: "اشهدوا"[٥٢].

ج- نبع الماء بين أصابعه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء[٥٣] فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس كم كنتم؟، قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة"[٥٤] وقد روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود[٥٥].

د- إشباع العدد الكثير من الطعام القليل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قال أبو طلحة[٥٦] لأم سليم[٥٧]: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟، قالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي، ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آرسلك أبو طلحة؟"، فقلت: نعم. قال: بطعام؟، قلت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: "قوموا"، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلمي يا أم سليم ما عندك"، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء أن يقول. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأكل القوم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا"[٥٨].
وأحاديث تكثير الطعام القليل تعددت، وتكررت في مواطن متعددة ورويت عن بضعة عشر من الصحابة، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يُعد بعدهم، وأكثر هذه الأحاديث مروية في الصحيح وأكثرها في قصص مشهورة، ومجامع مشهورة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها[٥٩].
هـ- ما أطلع عليه من الغيوب وما سيكون في المستقبل:
"والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع"[٦٠] ومنها على سبيل المثال حديث حذيفة ابن اليمان قال: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه"[٦١].
وبعد فهذا جزء يسير جدا من دلائل نبوته المعنوية والحسية وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم، أيد الله بها نبيه ليقيم الحجة على الخلق فيحيا من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.
فيجب على كل مسلم أن يتدبر في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ويطَّلع عليها، فإن فيها عظة وعبرة وتزيد من إيمان المرء ويقينه بنبوة خاتم المرسلين وإمامهم، الذي أعطاه الله من الآيات والبراهين ما لم يعط أحدا من الأنبياء قبله.

المبحث الثالث: وجوب الإيمان بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم
تمهيد
إن من الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بجميع ما جاء به، ومما جاء به صلى الله عليه وسلم الإخبار بعموم رسالته للإنس والجن بجميع أجناسهم وأشكالهم وألوانهم ومللهم ولغاتهم. لذا فإنه يجب أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأنه أوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأنه لا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته ولا أن يدين لله بغير ما جاء به "ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله"[٦٢] قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[٦٣]. وعموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعالميتها هي إحدى الخصائص التي انفرد بها

صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء قبله، إذ كان النبي إنما يعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا إلى من يبلغهم أمر الله عز وجل، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهو المبعوث رحمة للعالمين، فعمت رسالته جميع المكلفين إنسهم وجنهم، كما صحبت كذلك الزمان في مسيرته، فإذا انتهى جيل من الناس فإن الجيل الذي يليه مخاطب ومكلف بها.

والإيمان بعموم الرسالة وعالميتها هو الذي يدين به كل مسلم يؤمن بالله ورسوله، فهذا ما جاءت به آيات الكتاب الكريم ونصوص السنة الثابتة، فهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمعت عليها الأمة.

المطلب الأول: الأدلة من القرآن على عموم رسالته

وردت آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تثبت عموم دعوته وعالمية رسالته صلى الله عليه وسلم ومن سمة هذه الآيات أنها اتصفت بتنوع العبارة مع اتحاد في المضمون الذي هو الدلالة على عموم الرسالة وعالميتها.

وسوف نعرض لهذه الآيات بحسب اتحادها في السياق.

أ- الآيات التي ورد فيها لفظ "الناس" منها:

قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا} [٦٤].

وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاس} [٦٥].

وقوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً} [٦٦].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً} [٦٧].

وقوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِم} [٦٨].

وقوله تعالى: {هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ} [٦٩].

وقوله تعالى: { الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [٧٠].

والشاهد من هذه الآيات أنها بينت شمول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للناس[٧١] جميعا. قال صاحب اللسان: "الناس قد يكون من الإنس ومن الجن"[٧٢].

فلفظ الناس يطلق على الجن والإنس كما في قوله تعالى: {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس} [٧٣] فسمى الله الجن في هذا الموضع ناسا كما سماهم في موضع آخر رجالا، فقال: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [٧٤] فجعل الجن رجالا وكذلك جعل منهم ناسا[٧٥]. وهناك رأي آخر يقول إن لفظ الناس دخل فيه الجن تغليبا[٧٦].

والذي أراه أن الآيات تفسر بالمعنى الشامل للإنس والجن إذ لا مخصص للعموم هنا. وكنموذج لتفسير ما أوردته من آيات في هذا الشأن أذكر ما قاله بعض علماء التفسير في بيان قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}، قال أبو جعفر

الطبري[٧٧] في تفسيرها: "قل يا محمد للناس كلهم {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مرسلا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، لكنها إلى جميعكم"[٧٨].
وقال ابن كثير[٧٩]: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ} يا محمد {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة"[٨٠].
ب- الآيات التي ورد فيها لفظ "العالمين": ومنها
قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[٨١].
وقوله تعالى: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}[٨٢].
وقوله تعالى: {وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}[٨٣].

وقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}[٨٤].
وقوله تعالى: {وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}[٨٥].
وقوله تعالى: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، إِن هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}[٨٦].
والمراد بالعالمين هنا هم الإنس والجن إذ هم المكلفون.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: "العالمون الجن والإنس، دليله قوله تعالى: {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} ولم يكن نذيرا للبهائم"[٨٧].
ج- الآيات التي ورد فيها لفظتا "كافة" و"جميعا" وهي:
قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}[٨٨]. وقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}[٨٩].
وهناك ثلاث عبارات هي: "الناس" و"كافة" و"جميعا" دلت جميعها على العموم.
د- الآية التي ورد فيها لفظ "ومن بلغ":
قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}[٩٠]، فالشاهد من الآية هو قوله تعالى: {لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} فلفظ (من) في قوله {وَمَنْ بَلَغَ} من صيغ العموم، فالآية نص في عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى الآية أن الله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه إن الله أوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة، أو يا معشر العرب ومن بلغه هذا القرآن سواء كان عربيا أو عجميا وسواء كان موجودا الآن، أم سيأتي بعد إلى أن تقوم الساعة، وهذا هو الذى ذكره أهل التفسير عند هذه الآية[٩١].
هـ- الآيات التي ورد فيها خطاب الجن ومنها:
قوله تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً}[٩٢] إلى آخر الآيات التي نزلت في شأن دعوة الجن إلى الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وسميت هذه السورة بسورة الجن.
وقوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ

مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [٩٣] والآيات نزلت في جن نصيبين[٩٤] عندما سمعوا القرآن، فآمن به من آمن منهم ثم ولوا إلى قومهم منذرين، ثم أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام بشعب معروف بمكة، والأحاديث بذلك كثيرة مشهورة في الصحيح والسنن والمسند وكتب التفسير والفقه وغيرها[٩٥].

وكذلك فإن سورة الرحمن هي خطاب للثقلين الإنس والجن معا.

و- الآيات التي وردت في دعوة أهل الكتاب:

ومنها: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [٩٦].

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [٩٧].

وبالجملة فإن في القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام[٩٨].

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على عموم رسالته

الأدلة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وعالميتها كثيرة جدا في السنة النبوية سواء من الناحية القولية أو الناحية العملية وسنعرض هنا لكلتا الناحيتين بإذن الله.

أ- السنة القولية:

أ- عن أبي الدرداء[٩٩] رضي الله عنه قال: "كانت بين أبي بكر[١٠٠] وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما صاحبكم هذا فقد غامر"[١٠١].

قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله، لأنا كنت أظلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟، إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت"[١٠٢].

٢- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[١٠٣].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"[١٠٤]

٤- وعن أبي ذر[١٠٥] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوتيت خمسا لم يؤتهن نبي قبلي، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وبعثت إلى الأحمر والأسود"[١٠٦].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار"[١٠٧].

وذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى[١٠٨].

٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار"[١٠٩].

ب- السنة العملية:

إن المتأمل في سيرته ودعوته صلى الله عليه وسلم يعلم حرصه صلى الله عليه وسلم على نشر الرسالة وإبلاغها لجميع المكلفين، فقد دعا صلى الله عليه وسلم الإنس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، سواء كانوا أهل كتاب أم ليسوا بأهل كتاب، كما دعا الجن كذلك فآمن له من آمن منهم وبايعوه على الإسلام.

ولقد صدع النبي صلى الله عليه وسلم بعالمية الرسالة وعمومها في أوائل دعوته عندما انتقل من المرحلة السرية في الدعوة إلى المرحلة الجهرية حيث قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا"[١١٠].

وإن المتأمل للآيات القرآنية التي نصت على عموم رسالته وعالميتها يجد أن جلها كان مكي النزول، وهذا يؤكد أن عالمية الرسالة مقررة منذ بداية الوحى. ومن المعلوم أن طريقة الدعوة كانت تتبع أسلوب التدرج في التبليغ وهذا التدرج لم يكن ينافي شمول الدعوة لكل المكلفين، لأن المرحلية كانت ضرورية لدعوته صلى الله عليه وسلم، ولقد دلت السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم اتبع أسلوب التدرج في إبلاغ الرسالة، فأول ما بدأ به هو الدعوة السرية لهذا الدين فآمن له من آمن.

ثم انتقل إلى الدعوة الجهرية ونهج فيها كذلك أسلوب التدرج فبدأ بأهل مكة عندما نزل عليه قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}[١١١] فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام.

ثم بعد ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس في مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله.

ثم ذهب إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم لم يجيبوه لذلك، ثم عاد إلى مكة وأخذ يعرض دعوته على القبائل في الموسم إلى أن التقى بالخزرج وهم من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأسلم النجاشي من قبلهم وكان على النصرانية.

ومن هنا كانت بداية المرحلة الجديدة في الدعوة فبعد تمكن الإسلام بالمدينة، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها فاتسع بذلك نطاق الدعوة حتى شمل أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بالمدينة حواليها حينئذ، كما تنوعت كذلك أساليب الدعوة إلى هذا الدين فشرع الجهاد في سبيل الله واتسعت رقعة الدعوة فشملت قبائل العرب ومن كان في جزيرة العرب من أهل الكتاب كيهود المدينة وخيبر ونصارى نجران واليمن وغيرهم، واستمر التدرج إلى أن كان عام الحديبية ومهادنة قريش فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت إلى جميع الطوائف يدعوهم إلى الإسلام.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[١١٢].

ثم جاءت بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بغزو النصارى فأرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة فقاتلوا النصارى بمؤتة من أرض الكرك[١١٣] ثم غزاهم بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه ولم يأذن بالتخلف لأحد، وغزا في عشرة آلاف في غزوة تبوك وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى عربهم وعجمهم، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه.

ثم بعد ذلك جهز جيشا بقيادة أسامة بن زيد[١١٤] ولكنه صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى قبل أن يخرج الجيش، فأوصى وهو في سكرات الموت بإرسال هذا الجيش فقال: "أنفذوا بعث أسامة".

ولقد سار أصحابه رضوان الله عليهم من بعده على نهجه واستنوا بسنته حتى فتح الله عليهم بلاد فارس والروم وغيرها فانتشر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا.

والشاهد من هذا كله أن سيرته صلى الله عليه وسلم هي مثال تطبيقي عملي على شمول دعوته وعالمية رسالته التي من أجلها كرس النبي صلى الله عليه وسلم حياته لكي ينشرها ويبلغها للناس كافة، لتقوم بذلك الحجة على الناس أجمعين.

وما ذكرته ههنا ليس إلا إشارات سريعة فمن أراد الاستزادة فعليه بكتب الحديث والسيرة ففيها الغنية بإذن الله.

المطلب الثالث: دليل الإجماع على عموم رسالته.

إن الإجماع منعقد من أئمة المسلمين وعامتهم على أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الأمم ـ أهل الكتاب وغير أهل الكتاب[١١٥] ـ فإن الذي يدين به المسلمون هو أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث رسولا إلى الثقلين الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله، مستحق للجهاد، وهو مما أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه، وبينه النبي أيضا في سننه.

وهذا الإجماع تواترت في نقله كتب أهل العلم وهو منقول عندهم نقلا متواترا يعلمونه بالضرورة. وكتب التوحيد السنة مليئة بهذا.
وبما تقدم إيراده من الأدلة والنصوص يعلم ثبوت عموم رسالته وشمولها كما يعلم كذلك انتفاء كل دعوى تخالف هذا الأمر أو تطعن فيه كدعوى أنه رسول للعرب خاصة، أو دعوى أن رسالته ليست ناسخة لما قبلها من الرسالات وأنه يسع الناس التدين بما جاء في قبله من الرسالات.
فنصوص القرآن والسنة والإجماع ترد هذه الدعاوى وتفندها وتبطلها. وبالنسبة إلى ما تعلق به أصحاب هذه الأقوال من شبه ظنوها أدلة لهم، فإنما مردها إلى سوء فهمهم وجهلهم بمعاني النصوص التي أوردوها وكما قيل:
وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[١١٦]
ولا يتسع المجال هنا لإيراد تلك الشبه وتفنيدها[١١٧] كما أن معرفة الحق تغني وكما قيل: بضدها تتميز الأشياء.
وإن الواجب على كل مسلم اعتقاد عموم رسالته وشموليتها وعالميتها لجميع المكلفين وإنه لا يسع أحدا الخروج عنها أو أن يدين لله بغيرها.
كما أنه لا يسع المسلم أن يجهل مثل هذا الأمر لأنه من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ومن الواجب عليه كذلك أن يرد على كل من يطعن في هذا الأمر أو يشكك فيه سواء ممن ينتسبون إلى الإسلام أو من غيرهم، وبالخصوص أننا أصبحنا في زمان ظهرت فيه الدعوة إلى وحدة الأديان وتقاربها بدعوى أنها جميعا تدعو إلى عبادة إله واحد وأن مصدرها واحد إلى غير ذلك من الأمور التي يروج لها أصحاب هذه الدعوة والتي لا تنطلي إلا على ساذج لا يعي الأمور الضرورية من دينه.

المبحث الرابع: وجوب الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين.
تمهيد
من الخصائص التي خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم ورسالته جعله خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات، فانفرد صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فأصبح ختم النبوة من خصائصة صلى الله عليه وسلم.
ولذا فإن من حقه صلى الله عليه وسلم على كل من يؤمن له، أن يعتقد بهذا الأمر، يؤمن به " لثبوته بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، بل هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر المسلم بجهلها ولمزيد من البيان لهذه الخاصية والحق الواجب له صلى الله عليه وسلم، سوف أتحدث في هذا المبحث عن الجوانب التالية:

المطلب الأول: معنى ختم النبوة:
أ- معنى الختم في اللغة:
الختم في اللغة ورد لعدة معان هي:
١- الطبع:

قال صاحب المحكم: "ختمه، يختمه، ختما: طبعه"[١١٨]
وقد ذكر هذا صاحب اللسان[١١٩] والقاموس المحيط[١٢٠].
وفى تاج العروس: "معنى ختم وطبع واحد في اللغة"[١٢١].
٢- تغطية الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء:
قال صاحب المحكم: "والختم على القلب ألا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع. ومعنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال عز وجل: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[١٢٢]"[١٢٣]، وذكر هذا صاحب اللسان[١٢٤] وصاحب تاج العروس[١٢٥].
٣- آخر الشيء ونهايته:
قال صاحب المحكم: "وختم الشيء يختمه: ختما بلغ آخره، وخاتم كل شيء: عاقبته وآخرته، وختام كل مشروب آخره، وفرض التنزيل {خِتَامُهُ مِسْكٌ}[١٢٦] أي آخره، وختام القوم وخاتمهم آخرهم... وفي التنزيل {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[١٢٧] أي آخرهم"[١٢٨].
وقال صاحب المفردات في معرض كلامه عن الصور التي يرد بها لفظ الختم: "وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل: ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره ... إلى أن قال: "وخاتم النبيين لأنه ختم النبوة، أي تممها بمجيئه صلى الله عليه وسلم"[١٢٩]. وقال صاحب القاموس: "والخاتم من كل، شيء: عاقبته وآخرته، وآخر القوم كالخاتم"[١٣٠].
"هذه هي المعاني اللغوية لفعل "الختم" واسم فاعله "خاتم" كما أوردها أعلام اللغة في مصنفاتهم عن العرب، وهي مع تعددها وتعدد ألفاظها المعبرة عنها والتي هي: الطبع على الشيء وإنهاؤه وتغطيته وآخر القوم وعاقبة الأمر، هي مع ذلك كله تتمشى مع دلالة قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} على أن النبوة قد طبع عليها فلا تفتح، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه آخر الأنبياء وشرعه آخر الشرائع وعاقبتها"[١٣١].

ب- معنى ختم النبوة:
تقدم معرفة معنى الختم في اللغة، وتقدم أيضا معرفة معنى النبوة في المبحث الثاني من هذا الفصل.
"فإذا ما ركبا في جملة واحدة هي "ختم النبوة" فإنه يكون معناها "انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء"[١٣٢].

المطلب الثاني: الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة.
أ- آية الختم:
قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.
والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثا فلا نبي بعده ولا رسول.
وقد سبق الربط بين دلالة الآية والمعنى اللغوي لكلمة "ختم".

وتتميما للفائدة سأعرض بعض ما ذكره علماء التفسير عند تفسير هذه الآية.
قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة[١٣٣] ولا أبا أحد من رجالكم، الذين لم يلده محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء"[١٣٤].
وقال ابن كثير رحمه الله: "فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل رسول نبي ولا ينعكس، بذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم... إلى أن قال: فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له.
وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل"[١٣٥]
وأقوال المفسرين عموما متفقة على أن المراد من الآية هو ختم النبوة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء مبعثا، ولم ينقل عن أحد من أهل التفسير خلاف ذلك.
وقد تعرض أهل التفسير للقراءات الواردة في قوله "خاتم" من هذه الآية فذكروا أن فيها قراءتين:
الأولى: قراءة الكسر "خاتِم":
وهي الأشهر عند أهل اللغة والتفسير الذين أجمعوا أن قراءة الكسر هي قراءة الجمهور وعامة قراء الأمصار[١٣٦] وعلى هذه القراءة "وخاتم النبيين" يكون المعنى أنه: "ختم النبيين" لأنه ختم به النبيون فهو خاتمهم.
الثانية: قراءة الفتح "خاتَم"
وهي الأقل استعمالا بين القراء ولهذا فإن المفسرين لا يعزونها إلا إلى أفراد القراء كعاصم[١٣٧] وابن عامر[١٣٨] وغيرهما.
فعلى هذه القراءة "وخاتم النبيين" يكون المعنى أي آخر النبيين مبعثا فبه انتهت النبوة.
وبالرغم من ورود القرائتين في الآية إلا أن المفسرين لا يرون أن في ذلك تأثيرا على المعنى وهو انقطاع النبوة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
ب- الآيات الدالة ضمنًا على ختم النبوة:
في القرآن الكريم آيات كثيرة دلت ضمنا على ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
ومن هذه الآيات آيات عموم الرسالة وعالميتها والتي تقدم ذكرها في المبحث الثالث، حيث إن عموم الرسالة من الناحيتين الزمانية والمكانية يدل على كونها خاتمة الرسالات، لأن البشرية على هذا الحال لا تحتاج إلى دين جديد مادام هذا الدين قد

خاطبهم جميعا على اختلاف أجناسهم وأماكنهم وأزمانهم. ومن الأدلة كذلك الإخبار بإكمال هذا الدين وإتمامه:
قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}[١٣٩] فالآية تؤكد أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها، لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم رضيه له ربها، لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم رضيه له ولأمته دينا يعبدون الله به إلى يوم القيامة[١٤٠].
قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن..."[١٤١].

المطلب الثالث: الأدلة من السنة على ختم النبوة:
إلى جانب ما ورد نـي القرآن من أدلة على كون النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ورسالته هي خاتمة الرسالات، فقد ورد في السنة كذلك أحاديث كثيرة أكدت هذا الأمر وبينته ونبهت عليه.
وقد وردت هذه الأحاديث بعبارات متعددة متنوعة لكنها جميعا أكدت على مدلول واحد، هو انقطاع الوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم وختم النبوة به. وقد بلغ بعض هذه الأحاديث حد التواتر، كما أنها في جملتها متواترة تواترا قطعيا. ونظرا لتنوع ألفاظ تلك الأحاديث واختلاف صورها في الدلالة على هذا المعنى وتأكيده، فإن من المناسب أن أعرضها لك على النحو التالي:
أ- الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ومنها:
أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس[١٤٢] منها نهسة ثم قال "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟"، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه صلى الله عليه وسلم، فذكر صلى الله عليه وسلم أنهم يقولون: "أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك ..." الحديث[١٤٣].
٢- عن ثوبان[١٤٤] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[١٤٥] وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[١٤٦] وإن ربي قال لي يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل

من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق".
قال ابن عيسى: "ظاهرين" ثم اتفقا "لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"[١٤٧].
والشاهد من هذا الحديث هو قوله: "وأنا خاتم النبيين أن لا نبي بعدي" فهذا نص في كونه صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء.
٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر"[١٤٨].
ب- الأحاديث التي ورد فيها ضربه صلى الله عليه وسلم الأمثال لختم النبوة ومنها:
أ- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة". متفق عليه[١٤٩]، وعند مسلم بزيادة لفظ: "فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء".
٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟، قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[١٥٠].
ج- الأحاديث التي ورد فيها تصريحه صلى الله عليه وسلم بانقطاع النبوة وأنه لا نبي بعده ومنها:
أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون..." الحديث[١٥١].
٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له"[١٥٢].
٣- وعن سعد بن أبي وقاص[١٥٣] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليا[١٥٤] فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي"[١٥٥].
د- الأحاديث التي ورد فيها تحذيره صلى الله عليه وسلم من المتنبئين بعده ومنها:
ا- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله..."[١٥٦].
٢- عن جابر بن سمرة[١٥٧] رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم"[١٥٨].

د- الحديث الذي ورد فيه التصريح بأنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد وأن أمته آخر الأمم.
ا- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "صلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وإن مسجده آخر المساجد..."
قال عبد الله بن إبراهيم قارظ[١٥٩] أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد"[١٦٠].
و- دلالة بعض أسمائه صلى الله عليه وسلم على كونه خاتم الأنبياء:
عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى لي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"[١٦١].
والأحاديث في مسألة ختم النبوة كثيرة لا يتسع المقام هنا لإيرادها جميعها، وقد جمع هذه الأحاديث صاحب كتاب "عقيدة ختم النبوة" فمن أراد الزيادة فليرجع إليه[١٦٢].

المطلب الرابع: ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم في تأكيد عقيدة ختم النبوة:
لقد كان موقف الصحابة رضوان الله عليهم تجاه هذا الأمر متمثلا في الأمور التالية:
أ- روايتهم للأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن والتي بلغت حد التواتر على تنوع عبارات تلك الأحاديث واختلاف المناسبات التي قيلت فيها، وهذا مما يدل على اعتقادهم لهذا الأمر وحرصهم على إبلاغه لهذه الأمة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه خالف هذا الأمر، ولو كانت هناك أدنى شبهة عن أحد منهم لنقلت لنا "وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الختم سبعة وثلاثين صحابيا"[١٦٣]
ب- إجماع الصحابة على قتال المتنبئين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد سير أبو بكر رضي الله عنه الجيوش - والتي كان معظم جندها من الصحابة رضوان الله عليهم - وذلك لقتال مسيلمة الكذاب[١٦٤] وطليحة الأسدي [١٦٥]اللذين ادعيا النبوة.
ج- ما ورد من الأقوال المأثورة عنهم والتي تضمنت التأكيد على ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الأقوال: ما رُوي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم..."[١٦٦].
وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.
قال في تفسيرها: "إن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا"[١٦٧]
وعن ابن أبي أوفى[١٦٨] رضي الله عنه لما سئل عن إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"مات صغيرا، ولو قضى أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي عاش ابنه ولكن لا نبي بعده"[١٦٩].
وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان إبراهيم - يعني ابن النبي صلى الله عليه وسلم - قد ملأ الأرض، ولو بقي لكان نبيا ولكن لم يبق إلا نبيكم آخر الأنبياء"[١٧٠].

المطلب الخامس: إجماع الأمة
تلقت الأمة النصوص الواردة في الكتاب والسنة بشأن ختم النبوة بالقبول التام فحصل بهذا إجماعها على كون النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي ولا رسول بعده، ورسالته هي خاتمة الرسالات وآخرها.
وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من العلماء، أذكر على سبيل المثال قول بعض منهم:
قال ابن عطية[١٧١] في معرض كلامه على آية الختم: "وهذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم"[١٧٢].
وقال القاضي عياض[١٧٣]: "أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة لله للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص"[١٧٤].
قال الألوسي[١٧٥]: "وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر"[١٧٦].
ولقد تكلم علماء الأمة على تقرير هذه المسألة وأقوالهم محفوظة في ذلك، فإن شئت فارجع إلى كتب التفسير عند تفسير قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، وارجع كذلك إلى كتب العقيدة فقل أن يخلو كتاب من الحديث في هذا الأمر وتقريره بما ورد في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ومن بعدهم من علماء الأمة.
وبما تقدم من أدلة على تقرير ختم النبوة فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يؤمن بهذا الأمر ويعتقده.

المبحث الخامس: وجوب الإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها:
من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدا، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}.
وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيا من الله، وتبليغا من رسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات في حجة الوداع، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة.

وهي شهادة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله الله خاتم النبيين، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم صلى الله عليه وسلم ليكمل لهم دينهم، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم.

ووجه الدلالة من الآية على ذلك "أن الله أخبر في هذه الآية بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده"[١٧٧].

وما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك في نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟".

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات..." الحديث[١٧٨].

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته رضوان الله عليهم وكانوا في ذلك الموقف نحوا من أربعين ألفا[١٧٩].

ولقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[١٨٠]، وقال تعالى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[١٨١]، وقال تعالى: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[١٨٢]، وقال تعالى: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ}[١٨٣].

وهذا الأمر والحث من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم على البلاغ لشرع الله والدين الذي أوحاه إليه نابع من كون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطة ما شرعه من دين يدين العباد له به، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع الله وأوامره ونواهيه إلا طريقه بها فهو المبلغ عن الله تعالى، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"[١٨٤] وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل.

ومما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الأنبياء بلاغا فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية أمته، وقد قال تعالى في حقه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[١٨٥]

وسيرته صلى الله عليه وسلم كلها دليل على مدى حرصه على إبلاغ رسالة ربه والتفاني في إبلاغها دون أن تأخذه في الله لومة لائم. وهو صلى الله عليه وسلم أحق الناس بالوصف الوارد في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً}[١٨٦] "فقد امتدح الله تبارك وتعالى في هذه الآية الذين يبلغون رسالته إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ولا يخافون أحدا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد إبلاغ رسالات الله، وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب وإلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع"[١٨٧].
ولقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بكل ما يلزم لتبليغ وحي الله وشرعه، فأعطاه العصمة في التبليغ فقال تعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[١٨٨]، فهذه الآية دليل واضح على عصمته صلى الله عليه وسلم في كل أمر بلغه عن ربه تبارك وتعالى، كما أنها شهادة وتزكية من الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على سلامة شرعه الذي أوحاه إليه من كل ما ينقص منه.
وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله"[١٨٩] وبالإضافة إلى عصمته في أمر التبليغ فقد عصمه الله كذلك من الناس حتى يتم له أمر إبلاغ هذا الدين وإكماله قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس} فاقترن تعهد الله بعصمة رسوله من قتل الناس وإيذائهم له مع الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه، وفى هذا الاقتران دليل جلي على أن عصمة الله تعالى وحفظه ونصره وتأييده على أعدائه قد صاحبت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تم له إبلاغ هذا الدين ونشره بين الناس.
ومع عصمة الله لنبيه في التبليغ، وعصمته من الناس، فكذلك عصم الله كتابه الذي أنزله إليه ليكون محفوظا من كل تحريف أو تغيير قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[١٩٠].
كما تعهد كذلك بحفظ هذا الدين وإبقاء طائفة في كل زمان من الأزمنة تنصر هذا الدين وتحفظه وتبلغه، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله"[١٩١]. وفي هذه الأمور ضمان لاستمرار هذا الدين وإبلاغه لكل أهل زمان، لأنه شامل لكل الناس في كل وقت إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.
وقد أخبر صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة بأنه قد أبلغ أمور الرسالة وأوضحها لأمته، وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"[١٩٢] وهذا هو الحق فقد بلغ وحي ربه وصدع بأمره، ونهض بأعباء الرسالة كما أراد الله منه، فأدى الأمانة ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده، وما ترك لأمته من شيء يقربهم إلى الجنة إلا وقد دلهم عليه ورغبهم فيه، ولا من شيء يبعدهم عن النار إلا وقد حذرهم به وحذرهم منه، وبين لهم كل ما فيه صلاح دينهم ودنياهم

وآخرتهم فهذه هي مهمته ورسالته {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}، وقد أتم عليه الصلاة والسلام ما أوكل إليه على أتم وجه وأكمله فأبان الطريق ودل على صراط الله المستقيم وترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولقد شهد الصحابة رضوان الله عليهم بهذا. فهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، وكانوا ملازمين له في كل أحواله وحركاته فهم أعلم بما كان. وسأورد بعض ما ورد عنهم في هذا الشأن.

فقد سئل سلمان الفارسي[١٩٣] رضي الله عنه فقيل له"أقد أعلمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة؟

فقال: "أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع[١٩٤] أو بعظم"[١٩٥]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "لقد تركنا محمدا صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما"[١٩٦].

وعن عائشة[١٩٧] رضي الله عنها قالت: "من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب، والله يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}"[١٩٨]. وفى رواية "من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}"[١٩٩]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}[٢٠٠]"[٢٠١].

فمن حقه صلى الله عليه وسلم على أمته أن يقروا له بفضله وصدقه وأمانته في تبليغ رسالة ربه التي ائتمنه عليها، وكلفه أن يقوم بها فلا يكون إيمان للمرء إذا لم يقر للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قد بلغ الرسالة أعظم ما يكون التبليغ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام واحتمل في سبيلها أشق ما يحتمله البشر، ومن أنكر شيئا من ذلك أو شك في صدقه فهو كافر مارق عن الإسلام مكذب لله ولرسوله.

المبحث الخامس: وجوب الإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم.

تمهيد:

تقدم في المبحث السابق الحديث عن وجوب الإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها، وأشرت إلى أن هذا البلاغ قد اقترن بعصمة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في كل ما يبلغه عن ربه عز وجل.

ولقد رأيت أن أفرد هذا المبحث في الحديث عن عصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب وفي الجوانب الأخرى التي عصم فيها باعتبار أن أمر الإيمان بعصمته من الأمور الداخلة في الحقوق الواجبة له والتي يجب على الأمة الإيمان له بها.

وقد ضمنت هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العصمة:
المعنى اللغوي:
العصمة وردت في اللغة لعدة معان منها:
ا- المنع:
قال صاحب اللسان: "العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عَصَمَه، يَعْصِمِه، عَصْمًا: منعه ووقاه"[٢٠٢].
٢- الحفظ:
قال صاحب اللسان: "والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية"[٢٠٣]
٣- القلادة:
قال صاحب اللسان: "العصمة القلادة"[٢٠٤]، وكذا في القاموس المحيط[٢٠٥].
٤- الحبل:
قال الزجّاج[٢٠٦]: "أصل العصمة: الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه"[٢٠٧].
٥- السبب:
قال الطبري: "وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته: عاصم ومنه قول الشاعر:
إلى المرء قيس أطيل السرى وآخذ من كل حي عصم[٢٠٨]
يعنى بالعصم: الأسباب، أسباب الذمة والأمان"[٢٠٩].
قلت: إذا أمعنت النظر في هذه المعاني وجدتها جميعا ترجع إلى المعنى الأول الذي هو "المنع" فالحفظ منع للشيء من الوقوع في المكروه أو المحظور، والقلادة تمنع سقوط الخرز منها، والحبل يمنع من السقوط والتردي، والسبب يمنع صاحبه عما يكره.
المعنى الشرعي:
أما عصمة النبي صلى الله عليه وسلم فقد عرفت بعدة تعريفات ولعل من أحسنها وأسلمها ما ذكره صاحب كتاب نسيم الرياض بأنها "لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء"[٢١٠].

المطلب الثاني: الجوانب التي عصم فيها النبي صلى الله عليه وسلم:
أ- العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة:
وهذه العصمة هي التي عليها المناط، فبها يحصل المقصود من البعثة فتبليغ شرع الله إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم فهم الواسطة بين الله وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم، فبطريقهم يهتدي البشر ويرشدون إلى دين الله إذ هم المبلغون عن الله أمره ونهيه وشرعه.
ولذلك فقد أوجب الله العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب حتى تصل الرسالة إلى العباد كاملة تامة غير منقوصة ولا محرفة، وبذلك تقوم الحجة على العباد.
ولقد دلت نصوص القرآن والسنة على عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب، وانعقد إجماع الأمة على ذلك.
فمن القرآن:

ا- قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}، فالآية نص في عصمة لسانه صلى الله عليه وسلم من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما بلغه للناس من شرع الله.

٢- وقوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}[٢١١]، فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه.

ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الجنس كما يزعم الكافرون فيما حكاه الله عنهم {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً}[٢١٢] - وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك- لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات، وحيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقع له شيء من ذلك فلم يهلكه الله ولم يعذبه، فهو على هذا لم يتقول على الله ما لم يقله ولم يفتر شيئا من عند نفسه، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلغه عن ربه عز وجل.

قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات: "والمعنى في هذا بل هو صادق راشد لأن الله عز وجل مقر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات"[٢١٣].

٣- وقوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً، وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً، إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً}[٢١٤]. وهذه الآيات دالة على عصمة الله وتثبيته لنبيه صلى الله عليه وسلم في تبليغ ما أوحى إليه، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها "فقد أخبر تعالى عن تأييده لرسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها"[٢١٥].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

أ- حديث طلحة بن عبيدالله[٢١٦] وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم:

"ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله"[٢١٧] والحديث نص على عصمته صلى الله عليه وسلم من الكذب فيما يخبر به عن الله.

٢- حديث عبد الله بن عمرو[٢١٨] رضي الله عنهما قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق"[٢١٩].
٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إني لا أقول إلا حقا"، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله. قال: "إني لا أقول إلا حقا"[٢٢٠].
دليل الإجماع:
نقل غير واحد من العلماء إجماع الأمة واتفاقها على عصمته صلى الله عليه وسلم في تبليغ ما أوحي إليه من ربه عز وجل.
قال القاضي عياض: "وأجمعت الأمة في ما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا"[٢٢١].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه ..... والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[٢٢٢]
ب- العصمة من الكفر والشرك:
الحديث عن عصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب ذو شقين هما:
- الأول: عصمته قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم.
- الثاني: عصمته بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم.
أما الشق الأول: وهو عصمته من الشرك والكفر قبل بعثته ونزول الوحي إليه كلها فقد دلت النصوص الثابتة على أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم منذ نشأته من الكفر والشرك فلم يعهد عنه صلى الله عليه وسلم أنه سجد لصنم أو استلمه أو إلى غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه. فقد فطره الله على معرفته والاتجاه إليه وحده وهذا هو المعلوم من سيرته. فمن النصوص التي يستدل بها على هذا الأمر ما يلي:
-حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره[٢٢٣] - فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره"[٢٢٤].
فالحديث نص على إخراج جبريل لحظ الشيطان منه صلى الله عليه وسلم وتطهيره لقلبه فلا يقدر الشيطان على إغوائه إذ لا سبيل له عليه. وهذا دليل على تنزيهه من الشرك منذ صغره صلى الله عليه وسلم.
-وعن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمسه، فقال زيد:

فطفت فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظرما يكون فمسحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تنه؟، قال زيد: فوالذى هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه"[٢٢٥].
وهذا الحديث نص في بعده صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان التي كان عليها أهل مكة فنهيه لزيد - الذي كان ابنه بالتبني في ذلك الحين - يؤكد نفرته صلى الله عليه وسلم من تلك الأوثان التي كان يعكف عليها أهل مكة.
ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحضر مع أهل سكة ما يقيمونه من أعياد لأصنامهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثتني أم أيمن[٢٢٦] قالت:. كان ببوانة صنم يحضره قريش يوما في السنة، وكان أبو طالب[٢٢٧] يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن: إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب، آلهتنا وجعلن يقلن يا محمد: ما تريد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم فىيزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوبا فزعا فقلن عماته: ما دهاك؟ قال:
"إني أخشى أن يكون بي لمم"، فقلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت؟ قال: "إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه" فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبئ"[٢٢٨].
كما عصم صلى الله عليه وسلم من الحلف بأسماء تلك الأصنام التي كان يعبدها قومه ويحلفون بها تعظيما لها فقد جاء في قصة بحيرى الراهب[٢٢٩] أنه استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى حينما لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي لما رأى فيه علامات النبوة فقال بحيرى للنبي صلى الله عليه وسلم: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا قط"[٢٣٠].
والنصوص في مثل هذا كثيرة وقد عني بجمعها من ألف في دلائل النبوة مثل الحافظ أبي نعيم الأصبهاني[٢٣١] فقد عقد فصلا في كتابه دلائل النبوة بعنوان:
"ذكر ما خصه الله عز وجل به من العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية ..." وقد أورد تحت هذا العنوان العديد من الأحاديث والشواهد في هذا الشأن[٢٣٢].
وكذلك فعل البيهقي[٢٣٣] في دلائل النبوة أيضا فعقد عنوانا لهذا الموضوع فقال:
"باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها، لما يريده به من كرامته برسالته حتى يبعث رسولا"[٢٣٤].
ومثلهما السيوطي في الخصائص الكبرى[٢٣٥] حيث قال: "باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بحفظ الله إياه في شبابه عما كان فيه أهل الجاهلية"[٢٣٦].
الإجماع:

نقل الجرجاني[٢٣٧] إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعد حيث قال: "وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم في ذلك"[٢٣٨].
وهذا هو الحق فالله سبحانه وتعالى قد نزه نبيه صلى الله عليه وسلم عن الكفر والشرك وعصمه من الوقوع فيهما وذلك داخل في باب إعداده لتحمل الرسالة، ومثل ذلك صيانة الله لنسبه الذى تناسل منه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما"[٢٣٩].
وكل ذلك حتى لايبقى لمنتقص حجة يتعلق بها لتنفير الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المعلوم أن كفار قريش كانوا حريصين أشد الحرص على تجريح النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بما ينقص من قدره ويحط من شأنه لتنفير الناس منه وصدهم عن دعوته فلقد رموه واتهموه بالسحر والجنون وغير ذلك من النقائص ولكن لم يكن الشرك والكفر من ضمن ما رموه به فسكوتهم عن ذلك دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل، وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة كما حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: {مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}[٢٤٠].
وبهذا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على دين قومه من عبادة الأصنام وتعظيمها، فقد عصمه الله من ذلك فلم يجعل لكفار قريش طريقا عليه فلذلك لجؤوا إلى تلفيق التهم الباطلة المتناقضة كاتهامه بالسحر تارة وبالجنون تارة وبالكهانة تارة أخرى.
وإذا كان الله قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما هو دون الشرك من الأمور المنكرة التي كان عليها أهل الجاهلية ففي ذلك دليل على أن عصمته من أمور الشرك من باب أولى.
فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة، قال فحله فجعله على منكبه فسقط مغشيا عليه فماروئي بعد ذلك عريانا صلى الله عليه وسلم"[٢٤١].
إزالة ما يوهم عدم إيمان نبينا وضلاله قبل بعثته:
وردت بعض النصوص التي قد يتوهم منها البعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على كفر وضلال قبل بعثته، وسوف أعرض لهذه النصوص وأبين التوجيه الصحيح لها بما يبين الحق ويصحح الفهم ويزيل ما يقع من الوهم إن شاء الله.
أ- فمن تلك النصوص قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ}[٢٤٢].
فقد يتوهم البعض أن هذه الآية تعني انتفاء معرفة النبي للإيمان بالكلية قبل بعثته بمعنى أنه لم يكن مؤمنا.

والجواب على ذلك أن هذه الفهم خاطئ لأن الإيمان في قوله {وَلا الإِيمَانُ} مصدر بمعنى المفعول فيكون المعنى المراد: أي ما يجب الإيمان به من الفرائض والأحكام الشرعية التي كلف بها علما وعملا، فالمنفي هو الإيمان التفصيلي لا الإجمالي.
فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي إليه مبغضا للشرك وعبادة الأصنام ومتجها إلى الله وحده كما سبق الاستدلال على ذلك، فلما نزلت عليه الفرائض والأحكام الشرعية التي لم يكن يدري بها قبل الوحي آمن بها وطبقها. فهذا هو المعنى الصحيح للآية، كما ذكر ذلك علماء التفسير عند تفسيرها قال ابن كثير: "{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ} على التفصيل الذي شرع لك في القرآن"[٢٤٣].
وقال الشوكاني[٢٤٤]: "ومعنى {وَلا الإِيمَانُ} أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها"[٢٤٥].
ب- ومن النصوص كذلك قول الله تعالى {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}[٢٤٦] فقد يتوهم البعض أن الآية تعني أن نبينا كان على ضلال قبل مبعثه وهذا فهم خاطئ وباطل ترده النصوص التي سبق إيرادها والتي نصت على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان.
وقد أشار إلى بطلان هذا اللهم القرطبي عند تفسيره لهذه الآية حيث قال:
"فأما الشرك فلا يظن به"[٢٤٧].
وأما المعنى الصحيح لهذه الآية فقد أشار العلماء إلى عدة معان صحيحة لهذه الآية تشترك جميعها في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن ينسب إليه شيء من الشرك أو الكفر قبل بعثته، ومن تلك المعاني ما يلي:
١- أن يفسر الضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله تعالى: {لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}[٢٤٨]، وكما في قوله تعالى {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[٢٤٩] والمعنى أنه وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة[٢٥٠].
٢- وقال بعضهم معنى (ضالا) لم تكن تدري ما القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام، وهو بمعنى قوله تعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ} وعلى هذا التفسير يكون المعنى: أي وجدك ضالا عن شريعتك التي أوحاها إليك لا تعرفها قبل الوحي إليك، فهداك إليها[٢٥١].
٣- وقال بعضهم معنى الآية أي وجدك في قوم ضلال فهداهم الله بك[٢٥٢].
٤- وقال بعضهم الضلال بمعنى الطلب أي وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها[٢٥٣] كما في قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}[٢٥٤].
ولقد أورد العلماء عددا من المعاني لهذه الآية منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي وهي معان كلها حسان[٢٥٥].
ج- ومن النصوص كذلك قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[٢٥٦].

فليس المقصود بالغفلة هنا الشرك والغواية إنما المقصود منها الغفلة عن قصة يوسف مع الله وإخوته كما يوضح ذلك سياق الآية. فهذه القصة وأمثالها لا تعلم إلا من الوحي فلهذا لا يلحقه نقص بسببها.
وهذا هو ما ذكره علماء التفسير عند هذه الآية.
قال القرطبي: "أي من الغافلين عما عرفناكه"[٢٥٧]. وقال الشوكاني: "والمعنى أنك من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عن هذه القصة"[٢٥٨].
د- ومن تلك النصوص ما رواه عثمان بن أبي شيبة[٢٥٩] بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين من خلفه وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا حتى نقوم خلفه، فقال الآخر: كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام، فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم"[٢٦٠].
والمنكر من هذا الحديث قوله عن الملك: "عهده باستلام الأصنام" والجواب عن هذا الحديث ذو شقين هما:
أولا: الكلام على سند الحديث:
تكلم العلماء على سند الحديث وأوردوا عللا منها:
١- أن عثمان بن أبي شيبة لم يتابع عليه[٢٦١].
ولكن الذهبي[٢٦٢] أجاب عن هذا بقوله: "عثمان لا يحتاج إلى متابع ولا ينكر له أن ينفرد بأحاديث لسعة ما روى، وقد يغلط، وقد اعتمده الشيخان في صحيحيهما..." [٢٦٣].
٢- قال الدارقطني[٢٦٤]: "يقال إن عثمان بن أبي شيبة وهم في إسناده، وغيره يرويه عن جرير[٢٦٥] عن سفيان بن عبد الله[٢٦٦] بن محمد بن زياد بن جدير مرسلا وهو الصواب[٢٦٧].
ومن كلام الدارقطني نتبين لنا علتان:
أ- أن الحديث مرسل وليس متصلا.
ب- جعله لسفيان الثوري[٢٦٨] مكان سفيان بن عبد الله وهذا وهم في السند فسفيان بن عبد الله مجهول، وأما الثوري فهو ثقة[٢٦٩].
٣- أن في سند عثمان بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن عقيل[٢٧٠] وهو ضعيف عند القوم[٢٧١].
وبهذا يتبين ضعف إسناد الحديث.
ثانيا: الكلام على متن الحديث
بالإضافة إلى ضعف هذا الحديث الذي لا تقوم به حجة فإن ظاهر اللفظ وهو قوله إنما عهده باستلام الأصنام يخالف ما عرف عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه لم يكن على شيء مما كان عليه أهل مكة من الشرك وذلك منذ ولادته إلى أن بعثه الله رسولا نبيا ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه. ولقد سبق إيراد الأدلة على ذلك فليرجع إليها.
وقد ذكر بعض العلماء: أن ظاهر الحديث ليس مرادا، فليس المقصود أنه باشر الاستلام، وإنما المقصود أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم[٢٧٢].

الشق الثاني: عصمته صلى الله عليه وسلم من الكفر والشرك بعد النبوة:
بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك ما هم فيه من الكفر والشرك.
ولقد كان صلى الله عليه وسلم في تطبيق ما أمر به هو المثل الأعلى الذي يحتذى به.
قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[٢٧٣].
فهو منزه عن كل ضلال وغواية كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}[٢٧٤] فهذه شهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ولا غاو، بل هو صلوات الله وسلامه عليه في غاية من الاستقامة والاعتدال والسداد والهداية.

وإجماع الأمة منعقد على ذلك قال الرازي[٢٧٥]: "واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة"[٢٧٦].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه"[٢٧٧].
وقال الآمدي[٢٧٨]: "فما كان منها كفرا فلا نعرف خلافا بين أهل الشرائع في عصمتهم عنه"[٢٧٩].
ولم يخالف هذا الإجماع إلا من لا يعتد بخلافهم[٢٨٠].
والمعلوم من خلال سيرته صلى الله عليه وسلم أنه كان حربا على الكفر والشرك على
اختلاف صوره وألوانه، فلم يدع طريقا أو سبيلا لهدم الشرك والكفر إلا وقد سلكه مستخدما في ذلك لسانه وسنانه، وهذا كله يؤكد عصمته صلى الله عليه وسلم من الكفر والشرك وهذا أمر مشتهر وأعظم من أن يحتاج إلى دليل يؤكده.
ج- عصمته من الكذب في غير الوحي والتبليغ.
من المعروف عن سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته، وحري به صلى الله عليه وسلم أن يكون كذلك فقد اختاره الله لحمل الأمانة العظمى التي هي أداء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة، فكان لابد من إعداده لهذه المهمة، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم وقد جمع الله له خصال الخير كلها، فلم يكن يدعى إلا بالأمين، ومن الأدلة التي يستدل بها على اتصافه بالصدق قبل بعثته ما يلي:
ا- قول خديجة بنت خويلد[٢٨١] رضي الله عنها حينما أتاها النبي صلى الله عليه وسلم خائفا بعد أن لقيه جبريل في غار حراء وقال لها: "إني قد خشيت على نفسي"، فقالت له: "كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"[٢٨٢].

٢- إجماع قرييش على الإقرار بصدقه حينما جمعها ليصدع بالدعوة جهرا فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [٢٨٣] صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: "يا بني فهريا بني عدي" - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب[٢٨٤] وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي". قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقا.
قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... " الحديث[٢٨٥]
فالشاهد من الحديث قولهم "ما جربنا عليك إلا صدقا" فالنبي صلى الله عليه وسلم انتزع منهم هذه الشهادة الجماعية بصدقه وانتفاء الكذب عنه، لعلمه بما قد سيقع من تكذيبهم له عند إخبارهم بأمر الرسالة.
٣- على تكذيب قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوة النبوة إلا أن أحدا منهم لم يجرؤ على وصفه بالكذب في سواها فقد قال أبو جهل[٢٨٦] للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به[٢٨٧] فأنزل الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [٢٨٨].
وكذلك عندما سأل الأخنس بن شريق[٢٨٩] أبا جهل بعد ما خلا به يوم بدر فقال: "يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليمر ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك، والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟"[٢٩٠].
٤- ومما يستدل به كذلك جواب أبي سفيان[٢٩١] لهرقل[٢٩٢] عندما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هادن فيها أبا سفيان وكفار قريش، فكان مما سأله عنه: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟
فقال أبو سفيان: لا
فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[٢٩٣].
وبعد فهذه نماذج على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته من الكذب قبل بعثته.
وكذا الحال بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فهذه أخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستوفاة تفاصيلها لم يرد في شيء منها تداركه صلى الله عليه وسلم لخبر صدر منه رجوعا عن كذبة كذبها، أو اعترافا بخلف في خبر أخبر به ولو وقع شيء من ذلك لنقل إلينا.
ومن المعلوم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله والثقة بجميع إخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت دون توقف أو تردد في شيء منها أو استثبات عن حاله تلك هل وقع فيها سهوا أم لا"[٢٩٤].
وهذا كله يؤكد عصمته صلى الله عليه وسلم من الكذب بأي حال من الأحوال.
قال القاضي عياض: "وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من

عمد أو سهو، أو صحة أو مرض، أو رضا أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم.

هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب، فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره.

وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته، وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم، كقوله: "إني حاملك على ولد الناقة"[٢٩٥]، وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها: "أهو الذي بعينه بياض"[٢٩٦] وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة، وكل إنسان بعينه بياض، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إني أمزح ولا أقول إلا حقا"[٢٩٧].

د- عصمته صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي دون الشرك:

جبل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على كل خلق فاضل كريم قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[٢٩٨] فخلقه بأكرم السجايا، وجميل الأخلاق، وحسن الطوية وصفات الخير جميعها، كما نزهه عن كل ما يحط من قدره وينقص من منزلته، قال تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}، فهو صلى الله عليه وسلم منزه من كل ضلال وغواية، وقد كان من صيانة الله وحفظه له أن حماه من أقذار الجاهلية قبل مبعثه ونزول الوحي إليه، فهو معصوم عن كل ما يحط من قدره ويدق في شخصه ومما ورد في هذا الشأن من الأحاديث ما يلي:

- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه[٢٩٩]: يا ابن أخي لو حللت إزارك، فجعلته على منكبك دون الحجارة، قال: فحله على منكبه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد عريانا صلى الله عليه وسلم"[٣٠٠].

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله منهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، فدخلت حتى إذا جئت أول دار مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير قلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟، قلت: ما فعلت شيئا، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟، قلت: لا شيء ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته"[٣٠١].

وعن علي رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل عبدت وثنا قط؟، قال: "لا".

قالوا: فهل شربت خمرا قط؟

قال: "لا ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان"[٣٠٢].
فهذا عن عصمته قبل مبعثه فما بالك بعد مبعثه والأمر لا يتعلق بنفسه فقط بل يتعداه لغيره بكونه هو القدوة ومعلم الناس وهاديهم ومرشدهم بل إن كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله يعد تشريعا تأخذ به أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأمر عصمته صلى الله عليه وسلم من الكبائر أمر دلت عليه النصوص من القرآن والسنة ويكفي المسلم أن يقرأ في ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} فهذه تزكية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم توجب سلامته من كل ما يحط من منزلته ويقدح في نبوته بما في ذلك الكبائر.
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له" الحديث[٣٠٣] ومما يندرج تحت هذه الخشية والتقوى، بُعده عن كل ما يسخط الرب عز وجل ومن ضمن ما يسخطه ارتكاب الكبائر، فهو صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عنها لكمال لخشيته وتقواه لربه عزوجل، فلقد زكاه الله وطهر نفسه ولم يجعل للشيطان عليه من سبيل، وقد تقدم إيراد الحديث الذي جاء فيه أن جبريل شق قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير فاستخرج منه علقة وقال: هذا حظ الشيطان منك[٣٠٤].

المطلب الثالث: مسألة وقوع الخطأ منه:
تقدم ذكر الأمور التي عصم فيها صلى الله عليه وسلم وبقي أن نعلم هل يقع الخطأ منه في غير ما تقدم؟، والجواب على هذا: أن القول الذي عليه أكثر علماء الإسلام[٣٠٥] والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة أن الخطأ يقع منه صلى الله عليه وسلم في غير ما تقدم ذكره ولكنهم يعتقدون الأمور التالية:
١- أن الله لا يقره على هذا الخطأ الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم بل يوجهه الله للحق وقد يحصل له العتاب على ذلك.
٢- أن الخطأ يقع منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاجتهاد من غير أن يتعمده ولذلك لا تسمى "معصية" فهذه العبارة تعد إساءة أدب معه صلى الله عليه وسلم ولا يصح إطلاقها في حقه صلى الله عليه وسلم.
٣- أن ما يقع منه من هذا القبيل ليس مما يقدح في حقه أو ينقص من منزلته وقدره، ولقد سبق بيان الأمور التي عصم فيها صلى الله عليه وسلم وتلك الأمور هي التي في حالة وقوعها تقدح في حقه ومنزلته، وقد عصم فيها.
٤- أن التوبة حاصلة منه عن هذا الخطأ، وهذا مما يرفع من قدره ويعلي منزلته[٣٠٦] كما أن الله قد وعده بالمغفرة بقوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}[٣٠٧].
وأما النصوص التي يستدل بها على هذا القول فمنها:
قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}[٣٠٨]. فهذه الآيات نزلت عتابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم[٣٠٩] فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء

قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم[٣١٠] وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}[٣١١].

وكذلك قوله تعالى {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٣١٢].

وقوله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}[٣١٣].

قال قتادة: "ثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما، إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم يكن له أن يمضي شيئا إلا بوحي، وأخذه من الأسارى الفدية، فعاتبه الله كما تسمعون"[٣١٤].

وأما ما يقع من الخطأ منه في جانب الأمور الدنيوية فمن الأدلة على ذلك حديث رافع بن خديج[٣١٥] رضي الله عنه قال: "قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل، يقولون: يلقحون النخل، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا. فتركوه، فنقصت قال: فذكروا ذلك له، فقال: "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر"[٣١٦].

وفى رواية أنس: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[٣١٧]، وفى رواية طلحة: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لا أكذب على الله عز وجل"[٣١٨]، وكما حكى ابن اسحاق[٣١٩] أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر[٣٢٠]: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، قال: فإنه ليس بمنزل، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب، فنشرب ولا يشربون، فقال: "أشرت بالرأي"، وفعل ما قاله[٣٢١].

قال القاضي عياض: "فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها، يجوز عليه فيه ما ذكرنا[٣٢٢] إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها، وجعلها همه وشغل نفسه بها، والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، ولكن هذا[٣٢٣] إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة"[٣٢٤].

وكذلك الأمر بالنسبة لأحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم، ومعرفة المحق من المبطل، وعلم المصلح من المفسد، فهذه أمور اجتهادية يجتهد فيها برأيه فقد قال

صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحوما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار"[٣٢٥].

قال القاضي عياض: "وتجرى أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد، ويمين الحالف، ومراعاة الأشبه، ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك"[٣٢٦].

فاقتضت حكمته تعالى أن لا يكون معصوما في هذا الجانب وذلك حتى تقتدي به الأمة من بعده في النظر في القضايا والأحكام على ما كان يقضي به بين الناس، لأنه قد استوى في ذلك هو وغيره من الناس.

وكذا الأمور بالنسبة لما يقع عليه من الأسقام والأمراض فهو صلى الله عليه وسلم بشر من البشر يقع عليه مثل ما يقع على غيره من البشر.

وهذا هو الحق الذي دلت وأرشدت عليه النصوص الثابتة في القرآن والسنة. وهذا هو القول الوسط بين أهل الإفراط وأهل التفريط في هذه المسألة. فمن قال بالعصمة المطلقة وهم الرافضة[٣٢٧] وبعض المعتزلة[٣٢٨] وبعض المتأخرين[٣٢٩] فهؤلاء قد خالفوا نصوص القرآن والسنة وتعسفوا في دفعها وتأويلها بتأويلات هي من جنس تأويلات الجهمية[٣٣٠] والباطنية[٣٣١] ومن تدبر تلك التأويلات تبين له فسادها وعرف أنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه[٣٣٢].

وأما من نفى عنه العصمة من الذنوب وأجاز عليه الإقدام على الكبائر والصغائر وهم الكرامية[٣٣٣] والأزارقة[٣٣٤] والفضيلية[٣٣٥] وغيرهم[٣٣٦] فهؤلاء قوم فرطوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم، فذكروا عنه ما دل القرآن والسنة على براءته منه، وأضافوا إليه ذنوبا نزهه الله منها فقولهم هذا مخالف للقرآن والسنة وواضح البطلان.

---

[١] الآية (٤٠) من سورة الأحزاب.

[٢] انظر: لسان العرب مادة "نبأ" (١/١٦٢- ١٦٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٤، ٣٨٥).

[٣] شعب الإيمان للبيهقي، الباب الثاني من شعب الإيمان (ص ٢٧٥) رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بتحقيق فالح بن ثاني.

[٤] المصدر السابق (ص ٢٧٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧).

[٥] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥/ ٧٣٥).

[٦] كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٥٥).

[٧] الآية (٥٢) من سورة الحج.

[٨] أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

[٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل. انظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٥) ح ٣٤٥٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦/ ١٧).
[١٠] النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٢١).
[١١] الآية (٣٤) من سورة غافر.
[١٢] الآيتان (١٦٣- ١٦٤) من سورة النساء.
[١٣] المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم حسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص ١٩٥) مادة "رسل".
[١٤] المصدر السابق (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).
[١٥] المصدر السابق (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).
[١٦] شعب الإيمان للبيهقي (ص ٢٧٥- ٢٧٦) بتحقيق فلاح بن ثاني، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧).
[١٧] أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).
[١٨] النبوات (ص ٢٥٥- ٢٥٦).
[١٩] الآيتان (٧-٨) من سورة الحديد.
[٢٠] الآية (٨) من سورة التغابن.
[٢١] الآية (١٣٦) من سورة النساء.
[٢٢] الآية (٩) من سورة الفتح.
[٢٣] الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.
[٢٤] الآية (١٥) من سورة الحجرات.
[٢٥] الآية (١٣٢) من سورة آل عمران.
[٢٦] الآية (٢٤) من سورة التوبة.
[٢٧] الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٣٨) بتصرف.
[٢٨] الآية (١٣) من سورة الفتح.
[٢٩] الآية (٨٥) من سورة آل عمران.
[٣٠] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٣٩).
[٣١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}، انظر: فتح الباري (١/ ٧٥) ح ٢٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، انظر (١/ ٣٩).
[٣٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/ ٩٣).
[٣٣] تقدم تخريجه (ص ٣١).
[٣٤] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (١/ ٣٥)، وأخرجه بنحوه البخاري في صحيحه،

كتاب التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. انظر: فتح الباري (١/ ٣٤٧) ح ٧٣٧٢.
[٣٥] إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية. انظر: (٢/ ٩٩).
[٣٦] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١٢٦).
[٣٧] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٠).
[٣٨] من تلك المؤلفات: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة لقوام السنة الأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي، والخصائص الكبرى للسيوطي.
[٣٩] الآية (٩) ش سورة الحجر.
[٤٠] أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت بجوامع الكلم" واللفظ له، انظر فتح الباري (٣/ ٢٤٧) ح ٧٢٧٤. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته. انظر (١/ ٩٢، ٩٣).
[٤١] الآية (٣١) من سورة الانفال.
[٤٢] الآيتان (٣٣- ٣٤) من سورة الطور.
[٤٣] الآية (١٣) من سورة هود.
[٤٤] الآية (٢٣) من سورة البقرة.
[٤٥] الآية (٢٤) من سورة البقرة.
[٤٦] الآية (٨) من سررة الاسراء.
[٤٧] انظر مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع (ص ٢٧- ٢٨) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء.
[٤٨] الآية (٨٩) من سورة الإسراء.
[٤٩] الآيتان (١، ٢) من سورة القمر.
[٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر. انظر: فتح الباري (٦/ ٦٣١) ح ٣٦٣٧
[٥١] عبد الله بن مسعود الهذلي، أسلم قديما، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة وكان من فقهاء الصحابة، توفي عام ٣٢ هـ بالمدينة.
الإصابة: (٣٦٠/١، ٣٦٢) رقم ٤٩٥٤.
[٥٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر. انظر: فتح الباري (٦/ ٦٣١) ح ٣٦٣٦.
[٥٣] الزوراء: موضع بالمدينة عند سوقها في ذلك الوقت. وفاء الوفاء (٤/ ١٢٢٩).

[٥٤] أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام. انظر: فتح الباري (٥٨٠/٦) ح ٣٥٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ٤٩).
فائدة: قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٨٥): "حديث نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق. وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين. وعن ابن أبي ليلى والد عبد الرحمن عند الطبراني". انتهى كلامه.
[٥٥] الشفا (٤٠٢/١).
[٥٦] أبو طلحة: اسمه زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري النجاري الخزرجي، مشهور بكنيته، شهد العقبة ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد، توفي عام ٣١ هـ وقيل ٣٤ هـ.
الإصابة (١/ ٥٤٩) ت رقم ٢٩٠٥.
[٥٧] أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية وهى أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل غير ذلك. أسلمت مع السابقين من الأنصار، ولها مواقف مشهودة تدل على فضلها ومكانتها.
الإصابة (٤/ ٤٤١، ٤٤٢) ت رقم ١٣٢١.
[٥٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب، علامات النبوة في الإسلام. انظر فتح الباري (٦/ ٥٨٦) ح ٣٥٧٨.

[٥٩] الشفا (١/ ٤١٩) بتصرف.
[٦٠] الشفا (١/ ٤٧٠) وقد ذكر طرفا من هذه الأحاديث فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.
[٦١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن: باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٨/ ١٧٢).
[٦٢] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤٢٢).
[٦٣] الآية (٨٥) من سورة آل عمران.
[٦٤] الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.
[٦٥] الآية (٢٨) من سورة سبأ.
[٦٦] الآية (٧٩) من سورة النساء.
[٦٧] الآية (١٧٤) من سورة النساء.
[٦٨] الآية (٢) من سورة يونس.
[٦٩] الآية (٥٢) من سورة إبراهيم.
[٧٠] الآية (١) من سورة إبراهيم.
[٧١] لفظ "الناس" فيه وجهان: أحدهما: أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وإنما واحده "إنسان" وواحدته "إنسانة"، والوجه الآخر: أن يكون أصله "أناس" أسقطت

الهمزة منها لكثرة الكلام بها تخفيفا، ثم أدخلت الألف واللام المعرفتان، فأدغمت اللام التي دخلت مع الألف فيها للتعريف في النون. انظر: تفسير الطبري (١/ ١١٦).
[٧٢] لسان العرب (٦/ ٢٤٤) مادة نوس.
[٧٣] الآيتان (٥- ٦) من سورة الناس.
[٧٤] الآية (٦) من سورة الجن.
[٧٥] تفسيرالطرى (٣٥٦/٣٠).
[٧٦] تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥).
[٧٧] هو محمد بن جرير الطبري، المؤرخ المفسر الإمام، كان مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، روى الكثير عن الجم الغفير، صنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير توفي سنة ٣١٠ هـ. البداية (١/ ١٤٥- ١٤٧).
[٧٨] تفسير الطبري (٩/ ٨٦).
[٧٩] هو إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي، حافظ مؤرخ فقيه ولد سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ وهو صاحب كتاب تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية. شذرات الذهب (٢٣١/١)، والأعلام (١/ ٣٢٠).
[٨٠] تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٤- ٢٥٥).
[٨١] الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.
[٨٢] الآية (٩٠) من سورة الأنعام.
[٨٣] الآية (١٠٤) من سورة يوسف.
[٨٤] الآية (١) من سورة الفرقان.
[٨٥] الآية (٥٢) من سورة القلم.
[٨٦] الآيتان (٢٦، ٢٧) من سورة التكوير.
[٨٧] تفسير القرطبي (١/ ١٣٨).
[٨٨] الآية (٢٨) من سورة سبأ.
[٨٩] الآية (٥٨) من سورة الأعراف.
[٩٠] الآية (١٩) من سورة الأنعام.
[٩١] انظر على سبيل المثال، تفسير الطبري (٧/ ١٦٢، ١٦٣) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٢٦).
[٩٢] الآيتان (١، ٢) من سورة الجن.
[٩٣] الآيات (٢٩- ٣٠- ٣١) من سورة الأحقاف.
[٩٤] مدينة تقع في تركيا بالقرب من الحدود السورية. أطلس العالم (ص ٥٢).
[٩٥] كتاب النبوات لابن تيمية (ص ٣٩٦).
[٩٦] الآية (٢٠) من سورة آل عمران.
[٩٧] الآية (١٩) من سورة المائدة
[٩٨] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١١٢).
[٩٩] واسم أبي الدرداء كما قيل عويمر بن عامر، ولعل كنيته هي اسمه، أنصاري أسلم يوم بدر وشهد المشاهد بعدها، وكان أحد الحكماء العلماء الفضلاء توفي في عهد عثمان.

الاستيعاب (٤/ ٥٩- ٦٠).
[١٠٠] واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر: ولد بعد الفيل بسنتين وسنة أشهر، صحب النبي صلى الله عليه وسلم سنين قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طوال إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفى المشاهد كلها إلى أن مات، وولي الخلافة من بعده فكان أول الخلفاء الراشدين، ومناقبه كثيرة رضي الله عنه توفي سنة ١٣ هـ. الإصابة (٢/ ٣٣٣ - ٣٣٦) رقم ٤٨١٧.
[١٠١] غامر: أي خاصم غيره، ومعناه: دخل في غمرة الخصومة، وهي معظمها والمغامر الذي يرمي بنفسه في الأمور المهلكة. النهاية: (٣/ ٣٨٤).
[١٠٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب تفسير قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}. انظر: فتح الباري (٨/ ٣٠٣) ح ٤٦٤٠، وأخرجه أيضا في كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذا خليلا". انظر: فتح الباري (٧/ ١٨) ح ٣٦٦١.
[١٠٣] أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب التيمم واللفظ له. انظر فتح الباري (١/ ٤٣٥- ٤٣٦) ح ٣٣٥، وكذلك ٤٣٨- ٣١٢٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٢/ ٦٣).
[١٠٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٢/ ٦٤).
[١٠٥] أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب ابن جنادة بن السكن، وكان من السابقين إلى الإسلام، توفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها. الإصابة (٤/ ٦٣- ٦٥) ت رقم ٣٨٤.
[١٠٦] أخرجه أحمد في مسنده (١٤٥/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رجاله رجال الصحيح" (٨/ ٢٥٩)، وأخرجه أيضا من طرق أخر عن ابن عباس (١/ ٢٥٠) وأبي أمامة (٥/ ٢٤٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٩): "رجال أحمد- أي في هذا الحديث- ثقات"، وجد عمروبن شعيب (٢/٢٢).وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٧): "رجاله ثقات"، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح" (١٣/ ١٦)- المسند بتحقيقه.
[١٠٧] تقدم تخريجه. انظر (ص ٧١).
[١٠٨] انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٨٨).
[١٠٩] أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٦- ٣٩٨).
[١١٠] الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٦١).
[١١١] الآية (٢١٤) من سورة الشعراء.
[١١٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم الى الله عز وجل (٥/ ١٦٦).
[١١٣] تقع حاليا في الأردن.
[١١٤] أسامة بن زيد بن حارثة، الحب بن الحب، ولد في الإسلام، صحابي جليل، توفي سنة أربع وخمسين هجرية. الإصابة (١/ ٤٦).
[١١٥] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١٢٤).

[١١٦] ديوان أبي الطيب المتنبي (ص ٢٣٢)
[١١٧] لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع: انظر كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١٢٨) وما بعدها.
[١١٨] المحكم لابن سيده (٥/ ٢٦) بتحقيق إبراهيم الأبياري.
[١١٩] لسان العرب (١٢/ ١٦٣).
[١٢٠] القاموس المحيط (٢/ ١٥) بترتيب الزاوي.
[١٢١] تاريخ العروس للزبيدى (٨/ ٢٦٦).
[١٢٢] الآية (٢٤) من سورة محمد.
[١٢٣] المحكم (٥/ ٢٦).
[١٢٤] لسان العرب (١٢/ ١٦٣).
[١٢٥] تاج العروس (٨/ ٢٦٦).
[١٢٦] الآية (٢٦) من سورة المطففين.
[١٢٧] الآية (٤٠) من سورة الأحزاب.
[١٢٨] المحكم (٥/ ٢٦).
[١٢٩] المفردات (ص ١٤٢-١٤٣).
[١٣٠] القاموس (٢/ ١٥) بترتيب الزاوى.
[١٣١] كتاب عقيدة ختم النبوة للدكتور أحمد بن سعد الغامدي (ص ١٣)
[١٣٢] المصدر السابق (ص ١٦).
[١٣٣] زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، تبناه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت الآية {ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ} شهد بدرا وما بعدها واستشهد في غزوة مؤتة. الإصابة (١/ ٥٤٥- ٥٤٦).
[١٣٤] تفسير الطبري (٢٢/ ١٦).
[١٣٥] تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٤).
[١٣٦] تفسير الطبري (٢٢/ ١٦)، وتفسير البغوي (٦/ ٥٦٥) وتفسير القرطبي (١٤/ ١٩٦).
[١٣٧] عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي، أحد القراء السبعة، توفي سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل غير ذلك. تهذيب التهذيب (٥/٣٨- ٤٠).
[١٣٨] عبد الله بن عامر اليحصبي، أحد القراء السبعة، كان قاضي مشق في أيام الوليد بن عبد الملك وإمام مسجد دمشق وتوفي بها سنة ثماني عشرة ومائة. تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٤، ٢٧٥).
[١٣٩] الآية (٣) من سورة المائدة.
[١٤٠] كتاب عقيدة ختم النبوة (ص ٢٧- ٢٨).
[١٤١] تفسير ابن كثير (٢/ ١٢).
[١٤٢] النهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان، والنهش الأخذ بجميعها. النهاية (٥/ ١٣٦).

[١٤٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً}. انظر فتح الباري (٣٩٥/٨، ٣٩٦) ح ٤٧١٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب أدنى الجنة منزلة فيها (١/ ١٢٧).
[١٤٤] ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي مشهور اشتراه ثم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمه إلى أن مات. ثم تحول إلى الرملة ثم حمص، ومات بها سنة ٥٤ هـ. الإصابة (٢٠٥/١) رقم ٩٦٧
[١٤٥] أي الذهب والفضة. النهاية (١/ ٤٣٨).
[١٤٦] أي مجتمعهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم. النهاية (١/ ١٧٢).
[١٤٧] أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٢/ ٤٥٠، ٤٥٢) ح ٤٢٥٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) وابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن (٢/ ١٣٠٤)، وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه إلى قوله "يسبي بعضهم بعضا" كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة (٨/ ١٧١)،
وكذلك أخرج مسلم آخره من قول "لا تزال طائفة من أمتي...." كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين... الخ"(٦/ ٥٢)، وأخرج الترمذي في السنن بعضه من قوله "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي - إلى قوله - لا نبي بعدي" كتاب الفتن :باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤/ ٤٩٨، ٤٩٩) ح ٢٢١٨، وقال هذا حديث حسن صحيح.

[١٤٨] أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٢٧) وقد اعتبره صاحب المشكاة من قسم الحسان وارتضاه الألباني المحقق (٣/ ١٢٨).
[١٤٩] البخاري في صحيحه، كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (٦/ ٥٥٨) ح ٣٥٣٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (٧/ ٦٥).
[١٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم واللفظ له. انظر: فتح الباري (٦/ ٥٥٨) ح ٣٥٣٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (٧/ ٦٤).
[١٥١] تقدم تخريجه (ص ٦٤).
[١٥٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة: باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢/ ٤٨).
[١٥٣] سعد بن أبي وقاص واسم أبيه مالك بن أهيب وكان سابع من أسلم، وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، وأحد العشرة، وكان مجاب الدعوة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله توفي سنة ٥٤ هـ. الإصابة (٣٠/٢- ٣٢) رقم ٣١٩٤.
[١٥٤] علي بن أبي طالب ولد قبل البعثة بعشر سنين تربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها ماعدا غزوة تبوك، حيث استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة، وهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين ومناقبه

كثيرة، قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم عام ٤٠ هـ. الإصابة (٥٠١/٢- ٥٠٣) رقم ٥٦٩٠.
[١٥٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي: باب غزوة تبوك، انظر فتح الباري (٨/ ١١٢) ح ٤٤١٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧/ ١٢٠).
[١٥٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن واللفظ له. انظر: فتح الباري (١٣/ ٨١، ٨٢) ح ٧١٢١، وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه، كتاب الفتن: باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (١٧٠/٨)
[١٥٧] جابر بن سمرة بن جنادة العامري له ولأبيه صحبة، وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص، توفي سنة ٧٤ هـ. الإصابة (١/ ٢١٣) رقم ١٠١٨.
[١٥٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش (٤/٦).
[١٥٩] ويقال إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الكناني وهما واحد، روى عن جابر بن عبد الله وأبي هريرة وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب (١/ ١٣٤).
[١٦٠] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤/ ١٢٤، ١٢٥).
[١٦١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: فتح الباري (٦/ ٥٥٤) ح ٣٥٣٢، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل: باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، واللفظ له (٧/ ٨٩).
[١٦٢] وهي رسالة ماجستير مطبوعة.
[١٦٣] عقيدة ختم النبوة (ص ٥٥).
[١٦٤] هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير الكذاب، ادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في أواخر سنة عشر وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر رضي الله عنه، انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قوي فقتل مسيلمة الكذاب. البداية (٥/ ٤٩- ٥٢، ٦/ ٣٢٣- ٣٢٧) والأعلام (٧/ ٢٢٦).
[١٦٥] طليحة بن خويلد الأسدي، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد من بني أسد سنة ٩ هـ، وأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة، وادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. سير إليه أبو بكر خالد بن الوليد، فانهزم طليحة وفر إلى الشام ثم أسلم وحسن بلاؤه في الفتوح، واستشهد في نهاوند سنة ٢١ هـ. الإصابة (٢/ ٢٢٦) رقم ٤٢٩٠، والأعلام (٢٣٠/٣).
[١٦٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كناب الشهادات، باب الشهداء العدول.انظر: فتح الباري (٥/ ٢٥١) ح ٢٦٤١.
[١٦٧] معالم التنزيل للبغوي (٦/ ٥٦٥).
[١٦٨] هو: عبد الله بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد الأسلمي له ولأبيه صحبة، شهد الحديبية، وروى أحاديث شهيرة نزل الكوفة، ومات بها سنة ثمانين. الإصابة (٢/ ٢٧١) رقم ٤٥٥٥.

[١٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب: باب من سمى بأسماء الأنبياء.
انظر: فتح الباري (٥٧٧/١٠).
[١٧٠] أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣٣).
[١٧١] واسمه عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي مفسر فقيه، عارف بالأحكام والحديث، توفي سنة ٥٤١ هـ. طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٥)
والأعلام (٢٨٢/٣).
[١٧٢] تفسيرالقرطبي (١٤/ ١٩٦).
[١٧٣] عياض بن موسى بن عياض السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، توفي عام ٥٤٤ هـ. الأعلام (٤/ ٩٩).
[١٧٤] الشفا (١٠٧١/٢).
[١٧٥] محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسر محدث، أديب وهو صاحب كتاب روح المعاني، توفي سنة ١٢٧٠ هـ، الأعلام (٧/ ١٧٦).
[١٧٦] روح المعاني (٢٢/ ٣٢، ٣٩).
[١٧٧] مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٥، ١٥٦) بتصرف.
[١٧٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ٤١).
[١٧٩] تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).
[١٨٠] الآية (٦٧) من سورة المائدة.
[١٨١] الآية (٨٢) من سورة النحل.
[١٨٢] الآية (٥٤) من سورة النور، و الآية (١٨) من سورة العنكبوت.
[١٨٣] الآية (٤٨) من سورة الشورى.
[١٨٤] زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٦٩).
[١٨٥] الآية (١٢٨) من سورة التوبة.
[١٨٦] الآية (٣٩) من سورة الأحزاب.
[١٨٧] تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٢) بتصرف.
[١٨٨] الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم.
[١٨٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا (٧/ ٩٥).
[١٩٠] الآية (٩) من سورة الحجر.
[١٩١] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب قوله من: "لا تزال طائفة من أمتي..." (٥٢/٦، ٥٣).
[١٩٢] أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧) ح ٤٩، وابن ماجة في السنن، المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٦) ح ٤٣، والحاكم في المستدرك (٩٦/١) وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٢٧٠).
"حديث صحيح".

[١٩٣] سلمان أبو عبد الله الفارسي أصله من رامهرمز وقيل من أصبهان سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فتغرب بحثا عنه وتسبب ذلك إلى وقوعه في الرق ومنّ الله عليه بالإسلام. أول مشاهده الخندق، وكان رضي الله عنه خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا، توفي عام ٣٥ هـ. الإصابة (٢/٦٠، ٦١) رقم ٣٣٥٧.
[١٩٤] الرجيع: القذرة والروث، سمي رجيعا لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعاما أو علفا. النهاية (٢/ ٢٠٣).
[١٩٥] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة: باب الاستطابة (١/ ١٥٤).
[١٩٦] أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٥٣).
[١٩٧] هي الصديقة أم المؤمنين واسمها عائشة بنت أبي بكر الصديق ولدت بعد البعثة بأربع سنوات أو خمس وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع وكانت رضي الله عنها من أعلم الصحابة وأفقههم، وكانت أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم، توفيت عام ٥٨هـ. الإصابة (٤/ ٣٤٨- ٣٥٠) رقم ٧٠٤٠.
[١٩٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب تفسير قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} ، انظر فتح الباري (٨/ ٢٧٥) ح ٤٦١٢.
[١٩٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}، انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٠٣) ح ٧٥٣١.
[٢٠٠] الآية (٣٧) من سورة الأحزاب.
[٢٠١] أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٣).
[٢٠٢] لسان العرب (١٢/ ٤٠٣) مادة عصم.
[٢٠٣] لسان العرب (١٢/ ٤٠٤).
[٢٠٤] المصدر السابق (١٢/ ٤٠٥).
[٢٠٥] (٤/١٥٢، ١٥٣).
[٢٠٦] الزجّاج - بفتح الزاي والجيم المشددة - أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي كان عالما أديبا ديِّنا صنف كتابا في معاني القرآن، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، توفي في بغداد سنة ٣١١ هـ. وفيات الأعيان (١/ ٣٢).
[٢٠٧] لسان العرب (١٢/ ٤٠٥).
[٢٠٨] ديوان الأعشى (ص ٣٧) بشرح الدكتور محمد حسين.
[٢٠٩] تفسير الطبري (٤/ ٢٦).
[٢١٠] نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض (٤/ ٣٩).
[٢١١] الآيات (٤٤ إلى ٤٧) من سورة الحاقة.
[٢١٢] الآية (٢٤) من سورة الشورى.
[٢١٣] تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٧).
[٢١٤] الآيات (٧٣، ٧٤، ٧٥) من سورة الإسراء.
[٢١٥] تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣).

[٢١٦] طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية السابقين للإسلام، توفي سنة ست وثلاثين من الهجرة. الإصابة (٢/ ٢٢٠، ٢٢٢).
[٢١٧] تقدم تخريجه (ص ١٢٢).
[٢١٨] عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه وكان رضي الله عنه فاضلا، حافظا عالما، توفي بالشام سنة ٦٥ هـ وقيل غير ذلك. الإصابة (٢/ ٣٤٣- ٣٤٤).
[٢١٩] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم: باب في كتاب العلم (٤/ ٦٠) خ ٣٦٤٦، والحاكم في المستدرك (١/١٠٤، ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي.
[٢٢٠] أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٤٠، ٣٦٠). والترمذي في سننه، كتاب البر والصلاة: باب مما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) ح ١٩٩٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح
[٢٢١] الشفا (٢/ ٧٤٦).
[٢٢٢] مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٩، ٢٩٠).
[٢٢٣] أي مرضعته.
[٢٢٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ١٠١، ١٠٢).
[٢٢٥] أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٦- ٢١٧) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٥). وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤) بتحقيق عبد المعطي قلعجي. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٨). وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥١، ١٥٢).
[٢٢٦] أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وحاضنته واسمها بركة بنت ثعلبة، وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة. الإصابة (٤/ ٤١٥، ٤١٦).
[٢٢٧] أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، شقيق أبيه كفل النبي صلى الله عليه وسلم وذب عنه ونصره بعد بعثته ولم يمت على الإسلام. الإصابة (٤/ ١١٥، ١١٨).
[٢٢٨] أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٤). وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥١) وعزاه إلى ابن سعد وأبي نعيم وابن عساكر.
[٢٢٩] راهب من رهبان النصارى يقال إنه كان من عبد القيس وكان اسمه: جرجيس.
البداية (٢/ ٢٨٦).
[٢٣٠] أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٢٥- ١٢٨)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦، ٢٧) بتحقيق عبد المعطي قلعجي. وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٤٢، ١٤٤) وعزاه للبيهقي.

[٢٣١] أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني وأبو نعيم. حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات بأصبهان عام ٤٣٠ هـ من مؤلفاته: حلية الأولياء ودلائل النبوة. الأعلام (١/ ١٥٧).
[٢٣٢] انظر (ص ١٤٣- ١٤٧).
[٢٣٣] أحمد بن الحسين البيهقي، صاحب التصانيف المشهورة ومنها: السنن الكبرى، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ. تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٢) والأعلام (١١٦/١)
[٢٣٤] انظر (٢/ ٣٠، ٤٢).
[٢٣٥] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حافظ مؤرخ أديب له نحو (٦٠٠ مصنف) ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ. الأعلام (٣/ ٣٠١- ٣٠٢).
[٢٣٦] انظر: (١/ ١٤٨، ١٥٢).
[٢٣٧] هو: علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٨١٦ هـ له كتاب التعريفات، وشرح المواقف وغيرهما. الأعلام (٥/ ٧).
[٢٣٨] شرح المواقف (ص ١٣٤).
[٢٣٩] أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٢٤) من عدة طرق والحديث له شواهد متعددة أوردها السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٦٣، ٦٦).
[٢٤٠] الآية (١٤٢) من سورة البقرة.
[٢٤١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة: باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها. انظر فتح الباري (١/ ٤٧٤) ح ٣٦٤ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض: باب الاعتناء بحفظ العورة (١/ ١٨٤).
[٢٤٢] الآية (٥٢) من سورة الشورى.
[٢٤٣] تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٢).
[٢٤٤] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبارعلماء اليمن له (١١٤ مؤلفا) ولد سنة ١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ. الأعلام: (٦/ ٢٩٨).
[٢٤٥] فتح القدير (٤/ ٥٣٠).
[٢٤٦] الآية (٧) من سورة الضحى.
[٢٤٧] تفسيرالقرطبي (٢٠/ ٩٩).
[٢٤٨] الآية (٥٢) من سورة طه.
[٢٤٩] الآية (٣) من سورة يوسف.
[٢٥٠] تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٦) وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
[٢٥١] انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٢٣) وتفسير القرطبي (٢٠/ ٩٦، ٩٧)، وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
[٢٥٢] انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٧) وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
[٢٥٣] انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٧) وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
[٢٥٤] الآية (١٤٤) من سورة البقرة.
[٢٥٥] انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٧) بتصرف.
[٢٥٦] الآية (٣) من سورة يوسف.

[٢٥٧] تفسير القرطبي (٩/ ١٢٠).
[٢٥٨] فتح القدير (٣/٤).
[٢٥٩] هو: عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، من حفاظ الحديث، وله من المصنفات: المسند، والتفسير، ولد سنة ١٥٦ هـ وتوفي سنة ٢٣٩ هـ. تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٢).
[٢٦٠]أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٤٤٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٨٦)
وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والعقيلي في الضعفاء، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥). وأورده الذهبي في الميزان (٣/ ٣٥) وأورده ابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٥٣) وأورده ابن كثير في التاريخ (٢/ ٢٨٨) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥٢).
[٢٦١]العلل المنناهية لابن الجوزي (١/ ١٦٧).
[٢٦٢] محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق له تصانيف كثيرة كبيرة تقارب المئة، منها: سير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ وغيرها، ولد سنة ٦٧٣ هـ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ. الأعلام (٥/ ٣٢٦).
[٢٦٣] ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥).
[٢٦٤] علي بن عمر الدارقطني الشافعي إمام عصره في الحديث، ولد سنة ٣٠٦ هـ وتوفي سنة ٣٨٥ هوله كتاب " السنن" و "العلل". الأعلام (٤/ ٣١٤).
[٢٦٥] جرير بن عبد الحميد الضبي نزيل الري وقاضيها ثقة صحيح الكتاب مات سنة ثمان وثمانين ومائة. تهذيب التهذيب (٢/ ٧٥).
[٢٦٦] سفيان بن عبد الله بن زياد بن جدير: مجهول، لسان الميزان (٣/ ٥٣).
[٢٦٧] العلل المتناهية (١/١٦٧).
[٢٦٨] سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة، مات سنة إحدى وستين ومائة. تهذيب التهذيب (١١١/٤).
[٢٦٩] لسان الميزان (٥٣/٣) بتصرف.
[٢٧٠] عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، كان خيرا فاضلا موصوفا بالعبادة، ولكن لم يكن متقنا في الحديث فضعفوه. تهذيب التهذيب (١٣/٦ – ١٦).
[٢٧١] العلل المتناهية (١/١٦٧).
[٢٧٢] ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥)، وتاريخ بغداد (١١/ ٢٨٦).
[٢٧٣] الآيات (١٦٢، ١٦٣) من سورة الأنعام.
[٢٧٤] الآية (٢) من سورة النجم.
[٢٧٥] هو محمد بن عمر الرازي الملقب بالفخر الرازي، ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ. الأعلام (٤/ ٣١٣).
[٢٧٦] عصمة الأنبياء (ص ١٨).
[٢٧٧] منهاج السنة النبوية (١/ ١٣٠).

[٢٧٨] علي بن محمد بن سالم التغلبي أبو الحسن سيف الدين الآمدي، أصولي باحث، ولد سنة ٥٥١ هـ وتوفي سنة ٦٣١ هـ، من أشهر مؤلفاته: الإحكام في أصول الأحكام. الأعلام (٤/ ٣٣٢).
[٢٧٩] الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٢٨).
[٢٨٠] الذين خالفوا في هذه المسألة هم:
أ الأزارقة: وهم فرقة من فرق الخوارج وقد نقل عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته. انظر الإحكام في أصول الأحكام (١٢٨/١)، والمواقف للإيجي (٣٥٨، ٣٥٩).
ب- والفضيلية: رهم من فرق الخوارج ويقولون بجواز الكفر على الأنبياء من جهة كونهم يعتقدون جواز صدور الذنوب عن الأنبياء وكل ذنب هو كفر - على حسب اعتقادهم - فمن هذا الباب جوزوا صدور الكفر عنهم.
انظر: عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨) والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٢٨). ج- الرافضة: فقد جوزوا على الأنبياء إظهار الكفر على سبيل التقية عند خوف الهلاك، بل نقل عنهم أنهم أوجبوه. ويعللون ذلك بقولهم: إن إظهار الإسلام إن كان مفضيا إلى القتل كان إلقاء للنفس في التهلكة، وإلقاء النفس في التهلكة حرام لقوله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} الآية ١٩٥ من سورة البقرة، وإذا كان إظهار الإسلام حراما كان إظهار الكفر واجبا. انظر: عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨).
د- ذكر ابن حزم في كتابه الفصل (٢/٤): "أنه رأى في كتاب أبي جعفر السمناني قاضي الموصل صاحب الباقلاني أنه كان يقول: كل ذنب دق أو جل فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب في التبليغ فقط، قال: وجائز عليهم أن يكفروا".
[٢٨١] خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأول من صدقت ببعثته مطلقا، توفيت بعد خروج بني هاشم من الشعب.
الإصابة (٢٧٣/٤ - ٢٧٦).
[٢٨٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير. انظر: فتح الباري (٨/ ٧١٥) ح ٤٩٥٣.
[٢٨٣] الآية (٢١٤) من سورة الشعراء.
[٢٨٤] اسمه عبد العزى بن عبد المطب وكنيته أبو عتبة وهو أحد أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم، كان كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له ولدينه. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٤).
[٢٨٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير: باب {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}، انظر: فتح الباري (١٨/ ٥٠١) ح ٤٧٧٠، واللفظ له.
[٢٨٦] اسمه عمرو بن هشام، وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر. ابن الأثير (١/ ٢٣- ٤٧).
[٢٨٧] انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٨٢).
[٢٨٨] الآية (٣٣) من سورة الأنعام.

[٢٨٩] الأخنس بن شريق الثقفي، كان من المؤلفة، وشهد حنينا، ومات في أول خلافة عمر. الإصابة (١/ ٣٩- ٤٠).
[٢٩٠] أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٢)، وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٣٠).
[٢٩١] اسمه صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي، مشهور باسمه وكنيته، أسلم عام الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة، توفي في آخر خلافة عثمان.
الإصابة (٢/ ١٧٢، ١٧٣).
[٢٩٢] هرقل هو ملك الروم، وهرقل اسمه- وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف- ولقبه قيصر، كما يلقب ملك الفرس كسرى ونحوه. فتح الباري (١/ ٣٣).
[٢٩٣] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي. انظر: فتح الباري (١/ ٣١) ح ٧.
[٢٩٤] الشفا (٧٦٨/٢ – ٧٦٩).
[٢٩٥] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح (٥/ ٢٧٠- ٢٧١) ح ٤٩٩٨، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) ح ١٩٨٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
[٢٩٦] عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا. انظر: مناهل الصفا (ص ٢٣٣) ح رقم ١٢٧٠.
[٢٩٧] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤٠)، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير عن ابن عمر كما في المجمع (٨/ ٨٩)، وقال الهيثمي: "وفيه من لم أعرفه" والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في المجمع (٩/ ١٧) وقال الهيثمي: إسناده حسن.وانظر: الشفا (٢/ ٨٧٧، ٨٧٨).
[٢٩٨] الآية (٤) من سورة القلم.
[٢٩٩] العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين يقال إنه أسلم وكتم إسلامه، هاجر إلى المدينة فبل الفتح بقليل، وشهد الفتح وثبت يوم حنين، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. الإصابة (٢٦٣/٢).
[٣٠٠] تقدم تخريجه (ص ١٣٩).
[٣٠١] أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٣/٢، ٣٤)، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١٤٩/١، ١٥٠)، وعزاه لابن راهويه في مسنده وابن إسحاق والبزار والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر وقال: قال ابن حجر: إسناده حسن متصل ورجاله ثقات. وأورده ابن كثير في البداية (٢/ ٢٨٧).
[٣٠٢] أورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥٠) وعزاه لأبي نعيم وابن عساكر.

[٣٠٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح. انظر: فتح الباري (٩/ ١٠٤) ح ٥٠٦٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه. (٤/ ١٢٨).
[٣٠٤] انظر تخريجه (ص ١٥١).
[٣٠٥] مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).
[٣٠٦] المرجع السابق (١٠/ ٢٩٣).
[٣٠٧] الآية (٢) من سورة الفتح.
[٣٠٨] الآيات (١، ٢، ٣) من سورة عبس.
[٣٠٩] تفسيرالقرطبي (١٩/ ٢١٢).
[٣١٠] ابن أم مكتوم اختلف في اسمه فقيل: عمرو وقيل: عبد الله، وعمرو أكثر، وهو ابن قيس بن زائدة القرشي، أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأولين، قيل: استشهد بالقادسية وقيل مات بالمدينة. الإصابة (٢/ ٥١٦- ٥١٧).
[٣١١] تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٠).
[٣١٢] الآيتان (٦٧، ٦٨) من سورة الأنفال.
[٣١٣] الآية (٤٣) من سورة التوبة.
[٣١٤] تفسير القرطبي (٨/ ١٥٤، ١٥٥).
[٣١٥] رافع بن خديج بن رانع الأنصاري الأوسي، عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فاستصغره وأجازه يوم أحد فخرج بها وشهد ما بعدها، مات في زمن معاوية. الإصابة (١/ ٤٨٣، ٤٨٤).
[٣١٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي (٧/ ٩٥).
[٣١٧] أخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ٩٥).
[٣١٨] أخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ٩٥).
[٣١٩] محمد بن إسحاق بن يسار المدني المطلبي، مولاهم، نزيل العراق، إمام المغازي، مات سنة ١٥٠ هـ. تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨).
[٣٢٠] الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي، شهد بدرا، مات في خلافة عمر. الإصابة (٣٠٢/١).
[٣٢١] الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٧١، ٨٧٢) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١- ٣٥)، وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ٨٠) لابن اسحاق والبيهقي عن عروة والزهري وجماعة.
[٣٢٢] أي من وقوع الخطأ.
[٣٢٣] أي الخطأ.
[٣٢٤] الشفا (٢/ ٨٧٢، ٨٧٣).
[٣٢٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب من أقام البينة مع اليمين. انظر: فتح الباري (٥/ ٢٨٨) ح ٢٦٨٠. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية: باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، واللفظ له (٥/ ١٢٨، ١٢٩).
[٣٢٦] الشفا (٢/ ٨٧٥).

[٣٢٧] الرافضة: عبارة تطلق على الشيعة الغلاة وهم عدة فرق من أشهرها الإمامية الاثنا عشرية، ولهم مخالفات كثيرة في الاعتقاد من أشهرها: مسائل الإمامة، والصحابة، والغلو في آل البيت وأصل تسميتهم بالرافضة مأخوذ من قول زيد بن علي بن الحسين عندما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، فرفضه جماعة من أتباعه فقال: رفضتموني فسموا رافضة.
مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨، ٨٩، ١٤٤)، والملل والنحل، (١/ ١٧٣- ١٧٤).
[٣٢٨] أتباع واصل بن العطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، ولهم مخالفات كثيرة في
مسائل الاعتقاد، منها أنهم يقولون بنفي الصفات، والمنزلة بين المنزلتين. ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤) والفرق بين الفرق (٢٠، ٢١)، والملل والنحل (١/ ٤٩).٠
[٣٢٩] مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٠).
[٣٣٠] الجهمية فرقة من الفرق التي ظهرت في بداية القرن الثاني وانتحلت مذهب الجهم بن صفوان في مسائله المدونة في كتب المقالات ومن أشهرها نفي الأسماء والصفات والقول بالجبر، وفناء الجنة والنار. الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص ٦٥). تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص ٥٩، ٦٠).
[٣٣١] عبارة تطلق على عدة فرق من أشهرها: الإسماعيلية، القرامطة، والنصيرية، وهم الذين يجعلون لكل ظاهر من الكتاب باطنا ولكل تنزيل تأويلا. الملل والنحل (١/ ٤٢٦- ٤٤٧) والفرق بين الفرق (ص ١٦٩).
[٣٣٢] مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١١- ٣١٤) بتصرف.
[٣٣٣] أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، لهم عدد من المخالفات في مسائل العقيدة، منها: التشبيه في الصفات، والإرجاء في الإيمان. الملل والنحل (١/ ١٨٠، ١٩٣)، والفرق بين الفرق (٣٠، ١٣٧).
[٣٣٤] إحدى فرق الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق، كانت أكثر فرق الخوارج عددا وأشدهم شوكة. الفرق بين الفرق (ص ٨٣).
[٣٣٥] من الخوارج، ذكرهم الأشعري في المقالات (ص ١١٨).
[٣٣٦] الفصل (٤/ ٢)، وعصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٢٨).

٢٨. ٣- كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [وجوب طاعة النبي ولزوم السنة]

الفصل الثاني
وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
ولزوم سنته والمحافظة عليها
تمهيد:
"فرض الله على جميع الخلق الإيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم وطاعته واتباعه وإيجاب ما أوجبه وتحريم ما حرمه وشرع ما شرعه. وبه فرق الله بين الهدى، والضلال، والرشاد، والغي، والحق، والباطل، والمعروف، والمنكر. وهو الذي شهد

الله له بأنه يدعو إليه بإذنه، ويهدي إلى صراط مستقيم وأنه على صراط مستقيم. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً}[١].
وقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٢].
وقال تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٣] وهو الذي جعل الرب طاعته طاعة له في مثل قوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[٤].
وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}[٥].
وهو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته، وبه يمتحنون في القبور، قال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}[٦].
وهو الذي أخذ الله له الميثاق على النبيين وأمرهم أن يأخذوا على أممهم الميثاق أنه إذا جاءهم أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه.
وهو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار.
قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}[٧].
والوعد بسعادة الدنيا والآخرة والوعيد بشقاء الدنيا والآخرة معلق بطاعته. فطاعته هي الصراط المستقيم وهي حبل الله المتين، وهي العروة الوثقى وأصحابها هم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون. والمخالفون له هم أعداء الله حزب إبليس اللعين.
قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً}[٨].
وقال تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً}[٩].
وقال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[١٠]
وقال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[١١].
وقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[١٢].
وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}[١٣].
وجميع الرسل أخبروا أن الله أمر بطاعتهم كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّه}[١٤].

فهم يأمرون بعبادة الله وحده وخشيته وحده وتقواه وحده، ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[١٥].
وقال نوح عليه السلام: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}[١٦].
وقال في سورة الشعراء: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[١٧].
وكذلك قال هود وصالح وشعيب ولوط[١٨].
والناس محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته في كل مكان، وزمان، ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، سرا وعلانية، جماعة وفرادى، وهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب بل من النفس، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى، لاَ يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[١٩] أي كذب به وتولى عن طاعته كما قال في موضع آخر: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[٢٠]. وقال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً}[٢١]. وقال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً}[٢٢]. وقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ}[٢٣]. والله تعالى قد سماه سراجا منيرا، وسمى الشمس سراجا وهاجا والناس إلى هذا السراج المنير أحوج منهم إلى السراج الوهاج، فإنهم محتاجون إليه سرا وعلانية، ليلا ونهارا، بخلاف الوهاج، وهو أنفع لهم فإنه منير ليس فيه أذى بخلاف الوهاج فإنه ينفع تارة ويضر أخرى"[٢٤].
ولما كانت حاجة الناس إلى الرسول بهذه الدرجة فقد أوجب الله سبحانه وتعالى على العباد طاعة الرسل واتباعهم فقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}[٢٥] فهذا الإلزام ناشئ من ضرورة العباد وحاجتهم للرسالة إذ لابد لهم منها، بل إن حاجتهم إليها فوق، حاجتهم إلى كل شيء، "فالرسالة ضرورية في إصلاح العباد في معاشهم ومعادهم، فكما أنه لا صلاح لهم في آخرتهم إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح لهم في معاشهم ودنياهم إلا باتباع الرسالة.
والإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين: حراسة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره.
والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنا.
وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم، فإن الحمار والجمل يميز بين الشعير والتراب، وإنما المراد بالشرع التمييز بين الأفعال التي تنفع فاعلها والأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده، كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والتصدق والإحسان، والأمانة والعفة، والشجاعة والحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى المماليك والجار، وأداء الحقوق وإخلاص العمل لله والتوكل عليه، والاستعانة به والرضا بمواقع القدر به، والتسليم لحكمه والانقياد لأمره، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وخشيته في الغيب والشهادة، والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه، واحتساب الثواب عنده، وتصديقه وتصديق رسله في كل ما

أخبروا به وطاعتهم في كل ما أمروا به، مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته.

فلولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ودون لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة البهائم بل أشر حالا منها.

فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسْوَءُ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم"[٢٦]. والرسل هم وسائط يين الله وبين خلقه في أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده، يبلغونهم شرع ربهم ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم، وقد جعلهم الله {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}[٢٧].

وقد بعث الرسل جميعا بأصول ثلاثة هي:

ا- الدعوة إلى الله.

٢- إرشاد العباد وتعريفهم بالطريق الموصل إلى الله.

٣- بيان حال العباد في معادهم.

فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله ويكرهه.

والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار والثواب والعقاب. فعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر بل السعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل، فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة [٢٨]. ومن أجل ذلك فإن الله خص بالفلاح من اتبع رسم له ونصره فقال تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٢٩] أي لا مفلح إلا هم، كما قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٣٠]، فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون بما أنزل إلى رسوله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة بالهدى والفلاح قال تعالى: {الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٣١] فعلم بذلك أن الهدى والفلاح دائر على الرسالة وجودا وعدما.

كما جعل الله سعادة العباد ونجاتهم في يوم المعاد متعلقة بطاعته وطاعة رسوله وجعل شقاءهم وهلاكهم متعلقا بمعصيته ومعصية رسوله، قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}[٣٢].

وخاتم المرسلين وسيدهم وأكرمهم على ربه- نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله رحمة للعالمين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[٣٣]، وأرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بصيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة، وفتح برسالته أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء، فبين عن طريقه صلى الله عليه وسلم الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقين من الفجار، فهو المبعوث رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين.
وقد أوجب الله وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه وأوصاه باتباع شرعه ونهجه والسير على هداه وجعل طريقه هي الطريق الوحيد الموصلة إليه وسد باقي الطرق فلم يفتح لأحد طريقا غير طريقه، وسمى تلك الطرق سبلا تضل عن سبيله فقال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[٣٤].
ولذلك فإن الخير كل الخير في اتباعه والاقتداء به، والشر كل الشر في مخالفته والبعدعن شرعه وماجاء به.
والأدلة على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم ولزوم سنته واتباع شريعته كثيرة وهذا ما سأتطرق إليه في هذا الفصل بإذن الله تعالى والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: الأدلة على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: الأدلة من القرآن على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعًا"[٣٥].
وقال الآجري[٣٦]: "فرض على الخلق طاعته صلى الله عليه وسلم في نيف وثلاثين موضعا من كتابه عز وجل"[٣٧].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد أمر الله بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه"[٣٨].
قلت: إن الآيات الواردة في الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه والاقتداء به جاءت في مواطن متعددة من القرآن الكريم. واتصفت تلك الآيات بتنوع أساليبها وتعدد صيغها مع اتحادها جميعها في الأمر بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وطاعته في جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله عز وجل، وسوف أعرض لهذه الآيات بعد تقسيمها على حسب ما اتحدت به في السياق على النحو التالي:

أ- الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم ومن تلك الآيات قوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[٣٩].

وهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئا واحدا، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجا في الأمر بطاعته سبحانه، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن تلك الآيات الواردة بهذه الصيغة:

١- قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[٤٠].

٢- وقوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٤١].

٣- وقوله تعالى:. {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٤٢].

٤- وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}[٤٣].

٥- وقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[٤٤].

٦- وقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}[٤٥].

٧- وقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً}[٤٦].

وفي آيات أخر يأمر الله سبحانه بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم مع إعادة الفعل، وفي ذلك إشارة إلى أن ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه وإن لم يكن مأمورا به بعينه في كلام الله الذي هو القرآن، فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بأمره سبحانه، ومن هذه الآيات:

ا- قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[٤٧].

٢- وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}[٤٨].

٣- وقوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[٤٩].

٤- وقوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[٥٠].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}[٥١].

ويقول ابن القيم[٥٢] عند هذه الآية: "أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه[٥٣]. ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا بل حذف الفعل وجعل

طاعتهم في ضمن طاعة الرسول، إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"[٥٤] وقال: "إنما الطاعة في المعروف"[٥٥]، وقال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[٥٦].

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها: "إنهم لو دخلوها لما خرجوا منها" مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم، وظنا أن ذلك واجب عليهم، ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يرده الأمر صلى الله عليه وسلم وما قد علم من دينه إرادة خلافه، فقصروا في الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبيت وتبين هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا؟، فما الظن بمن أطاع غيره في صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله"[٥٧].

وأما قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[٥٨] فقد أخبر تعالى في هذه الآية أن الهداية في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا في غيرها، فإنه معلق بالشرط فينتفي بانتفائه، وليس هذا من باب دلالة المفهوم، كما يغلط فيه كثير من الناس ويظن أنه محتاج في تقرير الدلالة منه لا تقرير كون المفهوم حجة.

بل هذا من الأحكام التي ترتبت على شروط وعلقت فلا وجود لها بدون شروطها، إذ ما علق على الشرط فهو عدم عند عدمه، وإلا لم يكن شرطا له وإذا ثبت هذا: فالآية نص في انتفاء الهداية عند عدم طاعته. وقوله: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ} الفعل للمخاطبين وأصله فإن تتولوا، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا، والمعنى: أنه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها، وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم.

روي عن الزهري[٥٩] أنه قال: "من الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم".

فإن تركتم أنتم ما حملتم من الإيمان والطاعة فعليكم لا عليه. فإنه لم يحمل إيمانكم وإنما حمل تبليغكم، وإنما حمل أداء الرسالة إليكم.

{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ} ليس عليه هداهم وتوفيقهم"[٦٠]

ب- الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه:

جاء الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والتأسي به في مواطن متعددة من كتابه العزيز.

أ- قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٦١].

٢- وقال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[٦٢].

٣- وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[٦٣].
٤- وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}[٦٤].

وهذه الآيات تضمنت توجيهات عظيمة يجب على المسلم تدبرها ففي الآية الأولى جعل الله الاتباع سبيلا إلى نيل حبه ووسيلة إلى تحقيق رضاه وحصول غفرانه، إذ باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل حب الله تعالى ورضاه ومثوبته، فالخير كل الخير في اتباعه والشر كل الشر في مخالفته والابتعاد عن سنته.

فالاتباع هو دليل المحبة وبرهانها، وبتحققه تكون المحبة التي هي إحدى ثمراته كما قال تعالى: {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} كما أن من ثمراته غفران الذنوب كما جاء في هذه الآية نفسها: {ويغفر لكم ذنوبكم}.

وهذه المنزلة والمكانة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو في الحقيقة اتباع لله، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند الله عز وجل فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغه للعباد، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله ولم يأت بشيء من عند نفسه قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} الآية[٦٥]، وقال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ} الآية[٦٦].

وفى الآية الأخرى وهي قوله تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} جاء الأمر بالاتباع عقب الأمر بالإيمان تأكيدا على وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فإن الاتباع داخل في الإيمان ولكن أفرد بالذكر هنا تنبيها على أهميته وعظم منزلته.

وأما قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}، فهذه الآية أوجبت الاتباع المطلق للنبي صلى الله عليه وسلم، فما أمر به من شيء فإن علينا فعله وما نهى عن شيء فإن علينا تركه واجتنابه، فهو لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر.

وفى هذا الاتباع والانقياد حياتنا وفلاحنا كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[٦٧].

فهنا أمر من الله تعالى للمؤمنين جميعا بأن يستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمرهم به ونهاهم عنه، ففي ذلك الحياة النافعة الطيبة وهذه الحياة إنما تحصل بالاستجابة لما جاء به الرسول أمرا ونهيا وأما من لم تحصل منه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، "إذ الحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهرا وباطنا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول"[٦٨].

ولقد أعقب هذا الأمر بالاستجابة تحذير من ترك الاستجابة له أو تثاقل وتباطؤ عنها فقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} والمعنى : "أنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته"[٦٩].

وأما قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} فقد جعل الله تبارك وتعالى من رسوله الأسوة والقدوة ليحتذي به الخلق في أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله..."[٧٠].

ج- الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له:

قال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[٧١].

وفي هذه الآية أقسم سبحانه بأجل مقسم به - وهو نفسه عز وجل - على أنه لا يثبت لهم إيمان ولا يكونون من أهله، حتى يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع موارد النزاع وفي جميع أبواب الدين فإن لفظة "ما" من صيغ العموم. ولم يقتصر الأمر على مجرد التحاكم بل ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجا - وهو الضيق والحصر - من حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح، ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فإن هذا مناف للإيمان، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضا وانشراح صدر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى: {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} فذكر الفعل مؤكدا بمصدره القائم ذكره مرتين، وهو التسليم والخضوع له والانقياد لما حكم به طوعا ورضا، وتسليما لا قهرا ومصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرها، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ويعلم بأنه أولى به من نفسه، وأبر به منها وأقدر على تخليصها، كما قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}[٧٢].

فمتى علم العبد هذا من الرسول صلى الله عليه وسلم واستسلم له، وسلم إليه انقادت له كل علة في قلبه ورأى أن لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد.

وتأمل تأكيده سبحانه لهذا المعنى المذكور في الآية بوجوه عديدة من التأكيد:

أولها: تصديرها بتضمن المقسم عليه للنفي وهو قوله {لاَ يُؤْمِنُونَ} وهذا منهج معروف في كلام العرب، إذا أقسموا على شيء منفي صدروا جملة القسم بأداة نفي مثل هذه الآية.

وثانيها: تأكيده بنفس المقسم.

وثالثها: إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته، وهو سبحانه يقسم بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة.

ورابعها: تأكيده بانتفاء الحرج وهو وجود التسليم.

وخامسها: تأكيد الفعل بالمصدر، وما هذا التأكيد إلا لشدة الحاجة إلى هذا

الأمر العظيم، وإنه مما يعتنى به ويقرر في نفوس العباد بما هو من أبلغ أنواع التقرير[٧٣].
وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال: {ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة..."[٧٤].
وهذه الآية ينبغي لكل مسلم أن يعرض نفسه عليها.
وفى هذا يقول ابن القيم: "ومتى أراد العبد أن يعلم هذا[٧٥] فلينظر في حاله ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [٧٦].
فسبحان الله كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص بودهم أن لو لم ترد؟ وكم من حرارة في أكبادهم منها؟ وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها؟ ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر"[٧٧].
وقال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٧٨].
وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً} [٧٩]، وكلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لما حكم به الله تعالى وحكم به رسوله صلى الله عليه وسلم، فليس في ذلك اختيار، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله.
ومن الملاحظ في كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ففي الآية الأولى {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ...}.
وفي الثانية {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ}، وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه فاسم الإيمان يشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نسبوا إليه ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للامتثال لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم نصب عينيه فيسمع ويطيع، ويؤمن بأنه لا اختيار له في ذلك ولا رأي، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب.
فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله التي تعني طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع.
ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين الصادقين، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين المظهرين خلاف ما يبطنون.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم.
حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنتة والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل.
وأحاديثه صلى الله عليه وسلم في هذا المجال أعطت للأمه توجيهات عظيمة متى ما ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى.
وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عبارتها وتعدد أساليبها واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدا وتوضيحا وبيانا، بحيث إنها لم تدع مجالا لمتأول يأولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عبارتها وتعدد أساليبها اتحدت جميعها في مضمون واحد هو التأكيد على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم واتباع ما جاء به والترغيب في ذلك إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معصيته وبيان الوعيد الشديد في ذلك.
والخطاب في تلك الأحاديث شامل لكل من كان في عصره صلى الله عليه وسلم ومن سيأتي بعده إلى يوم القيامة.
وسأشير ههنا إلى طرف من تلك الأحاديث مع بيان ما فيها من توجيهات وإرشادات تنير الطريق للسالكين الراغبين بالفوز برضى الله وجنات النعيم.
أ- كون طاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم سببا لدخول الجنة، ومخالفته ومعصيته سببا لدخول النار.
أولا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟، قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"[٨٠].
ثانيا: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله..." الحديث[٨١].
ثالثا: وعن أبي سعيد الخدري[٨٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد[٨٣] البعير. قال: يا رسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[٨٤].
قال ابن حبان[٨٥]: "طاعة الرسول هي الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئا في دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والخترعات الداحضة ..."[٨٦]
وهذه الأحاديث الثلاثة تؤكد وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامتثال ما جاء به وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.
وتؤكد كذلك على أن هذه الطاعة هي مفتاح الجنة وسبيل النجاة الوحيد التي متى ما سلكها الإنسان فاز برضى الله وجنته ونجى من سخطه وعذابه. فعلى المسلم أن يسلك هذه الطريق - أي طاعة النبي صلى الله عليه وسلم – وألا يحيد عنها يمينا أو شمالا فهذه الطاعة هي صراط الله المستقيم الذي أمر الله باتباعه لقوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [٨٧].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[٨٨].
وهذه الأحاديث تبين صفة أتباع الأنبياء فهم يطيعون أنبيائهم ويأخذون بسنتهم ويأتمرون بأمرهم ولا يحيدون عن ذلك ولا يخالفونه إلى ما سواه. وأما المخالفون لهم فمنهم الذين ابتدعوا أمورا في الدين لم تشرع لهم وأخذوا يتعبدون الله بها وهم المشار إليهم بقوله: "ويفعلون مالا يؤمرون"، وأمثال هؤلاء يتحدثون عن الطاعة والاتباع ولكن بالقول دون العمل، فهم يقولون مالا يفعلون وهذا الوصف ينطبق تماما على أهل البدع المخالفين لشرع نبي هذه الأمة.
فإن الناظر في أحوال هؤلاء يجدهم متمسكين أشد التمسك بأمور ليست من سنة المصطفى ولا من هديه إذ ليس لهم عليها دليل من الكتاب أو السنة، بينما تجدهم أكثر الناس بعدا عن هدي المصطفى وما جاء به عن ربه، ومع ذلك كله فهم كثيرا ما يتحدثون عن اتباع الرسول والاقتداء به.

ولكن هذا الحديث عن السنة والاتباع لا يتجاوز ألسنتهم، فهم أبعد الناس عن ذلك فصدق على هؤلاء قوله صلى الله عليه وسلم: "يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون".
فانظر أخي المسلم في أحوال الصوفية وعباد القبور والأضرحة وغيرهم من أهل البدع فهل تجد أبلغ من وصفهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم هذا: "يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون".
فالحذر كل الحذر من سبل أهل البدع والأهواء وكن على بصيرة من أمر دينك ولا تغرنك مظاهرهم وطراوة ألسنتهم فكم من إنسان خدعوه بذلك فروجوا عليه بدعتهم، ولكن أمرهم لا يروج إلا على خفافيش الأبصار وكل جاهل بسنة نبيه، من لا يفرق بين ما هو من الدين وما ليس من الدين.
وأما العالم بدينه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المتمسك بها فهو على دراية ويقين بحال هؤلاء فلا تنطلي عليه أباطيلهم وأكاذيبهم وما يستندون إليه من المنامات التي جعلوها مصدرا للتشريع والابتداع في دين الإسلام.
وصاحب السنة يعلم كذلك عاقبة بدعهم فيطبق عليهم بذلك قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} [٨٩].
وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٩٠].

فتلك هي النتيجة الحتمية لكل بدعة، فالله تعالى قد جعل للعمل المقبول شرطين أحدهما: الإخلاص وثانيهما: الاتباع، قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}[٩١].

فقوله {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً} أي ما كان موافقا لشرع الله، {وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل فلابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٩٢].

ب- ضربه صلى الله عليه وسلم الأمثال في الحث على طاعته.

أولا: عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثلي ومثل ما

بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: ياقوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء. فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا[٩٣] فانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به. ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق"[٩٤].

ثانيا: وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "جاءت الملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، قال: فاضربوا له مثلان فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس"[٩٥].

ثالثا: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلي

ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهن[٩٦] ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها"[٩٧].

فهذه ثلاثة أحاديث اشتمل كل حديث منها على مثل معين، والأمثال كما هو معلوم توضع لتقريب المعنى وتوضيحه في ذهن السامع ليكون أسهل في فهم المعنى وأبلغ في ترسخه في ذهنه.

ففي المثل الذي جاء في الحديث الأول ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه مثلا بالنذير الذي جاء لقومه يحذرهم من أن أعداءهم في طريقهم إليهم بعد أن رأى جيشهم على مقربة منهم وطلب منهم أن ينجوا بأنفسهم قبل أن يهلكهم عدوهم ويفنيهم.

وضرب لأمته مثلا بقوم ذلك الرجل الذين انقسموا إلى قسمين فكان منهم من صدقه وأطاعه فساروا من الليل فنجوا بأنفسهم من فتك عدوهم وكان منهم من لم يصدقه فبقوا في منازلهم فصبحهم عدوهم فقضى عليهم. فالنبي صلى الله عليه وسلم هو

النذير لهذه الأمة كما قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}[٩٨]، فقد أرسله الله تعالى {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}[٩٩]، لينذرهم عذاب ربهم الذي توعد به المخالفين منهم، وبين لهم شرع ربهم وما أمرهم به من قواعد وأحكام.
فمن أطاعه واتبع النور الذي جاء به والتزم شريعته فقد نجا من عذاب الله. ومن عصاه وخالفه ولم يتبع ما جاء به فقد استحق بذلك عذاب الله فله جهنم يصلاها مذموما مدحورا.
وهذا المثل يمثل جانب الإنذار والوعيد وهو جانب من جوانب الرسالة وأما الجانب الثاني وهو جانب البشارة - إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر الله عنه بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً}[١٠٠].
وأما جانب البشارة فهذا ما تحدث عنه الحديث الثاني وهو حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه فالمثل يتحدث عن ثلاثة أمور دار ومأدبة وداعي وقد جاء تأويل هذا المثل في الحديث نفسه فالداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم والدار هي الجنة فمن أطاعه صلى الله عليه وسلم واتبع ما جاء به فقد أجاب الدعوة واستحق دخول الجنة والتمتع في نعيمها. وأما من عصى النبي صلى الله عليه وسلم وخالفه ولم يستجب لما جاء به فذلك الذي لم يستجب لدعوته فحرم من الدخول في الدار التي هي الجنة وحرم من الأكل من المأدبة التي هي النعيم الدائم في الجنة.
وأما الحديث الثالث: فالمثل المضروب فيه يصور مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على حماية الأمة من الوقوع فيما يسخط الرب تبارك وتعالى ويوجب عقابه وأليم عذابه، فهو صلى الله عليه وسلم الموصوف بقوله تعالى: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[١٠١].
والشاهد من الحديث قوله: "أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها" ومما لا شك فيه أن اقتحام الناس للنار ناتج عن مخالفتهم لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم ووقوعهم فيما نهى وحذر منه فبهذا يكون هلاكهم وعذابهم.
والمتأمل لهذه الأحاديث الثلاثة وما ضرب فيها من أمثال يدرك - إن كان له قلب وسمع سَلِيمان - ما في هذه الأحاديث من الحث على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه والأجر العظيم المترتب على ذلك، كما يدرك عظم العقوبة والخسارة المترتبة على عصيانه ومخالفته وعدم الانقياد له.
والسؤال الذي يفرض نفسه ههنا هو التالي:
هل أنت ممن أطاع البشير النذير صلى الله عليه وسلم؟
وهل أنت ممن أجاب الداعي صلى الله عليه وسلم؟
وهل أنت ممن استجاب لتحذيره صلى الله عليه وسلم فحمى نفسه من نار جهنم؟
وقبل أن تعجل بالإجابة انظر إلى أعمالك وأقوالك هل هي وفق شريعته وما جاء به صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فههنا يكمن الجواب.
فيا سعادة من أطاعه واتبعه.
ويا خزي وندامة من خالفه وعصى أمره، والله تعالى يقول: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}[١٠٢]، وقال تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا}[١٠٣].

ج- حثه صلى الله عليه وسلم لأمته على التمسك بسنته وتحذيره من مخالفتها.
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا.
وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.
وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[١٠٤].
وحديث أنس هذا يعد قاعدة جليلة من قواعد التأسي والاتباع وذلك لما حواه من توجيهات هامة جدا في هذا الشأن منها:
أ- أن الابتداع في الدين أمر مردود وغير مقبول بل يعد من الرغبة عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والخروج عن شريعته، ومن أجل ذلك فليس لأحد كائنا من كان سوى النبي صلى الله عليه وسلم حتى وإن كان من أصحابه - أن يشرع في هذا الدين أو يدخل فيه أمرا حتى وإن كان ذلك بدافع التقرب إلى الله. فأولئك النفر من الصحابة رضوان الله عليهم دفعهم حب التقرب إلى الله إلى أن قالوا ما قالوه من الأمور التي تعد من الرهبانية، ولما كان قولهم ذلك يعد مخالفة لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الحنيفية السمحة وجههم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصواب وحذرهم من أن يحيدوا
عن سنته ويرغبوا عنها بقوله "فمن رغب عن سنتي فليس مني" والمراد أن من ترك طريقتي وأخذ طريقة غيري فليس مني.
ومن هذا الحديث يعلم أن كل أمر ليس من سنته صلى الله عليه وسلم والشرع الذي جاء به فهو أمر مبتدع مردود على صاحبه إضافة الى اعتبار فاعله راغبا عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
٢- حثه صلى الله عليه وسلم على التمسك بما هو عليه وهى الحنيفية السمحة فهذا ما دل عليه قوله: "لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء".
فالإسلام دين الفطرة ونبينا صلى الله عليه وسلم حرص بقوله هذا على سد باب التشديد المتمثل في الرهبانية فلا رهبانية في الإسلام، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الرهبانية لم تكتب علينا"[١٠٥] فعلى هذا فهي أمر مخالف لسنته وهديه صلى الله عليه وسلم. وعن العرباض بن سارية[١٠٦] رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"[١٠٧].

فوصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولأمته من بعدهم هي أن يتمسكوا بما سنه من أحكام وتشريعات أشد التمسك وأن يحذروا الابتداع في الدين وحكم على تلك المحدثات بالضلال والانحراف عن الطريق الذي رسمه.
وقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ركيزتين أساسيتين في هذا الدين هما: ١ـ الاتباع. ٢ـ ترك الابتداع.
ولقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هذه الوصية النبوية وعملوا بها، فلم يحيدوا عن سنته صلى الله عليه وسلم، بل عملوا بها ونقلوها للأمة المحمدية من بعدهم كما سمعوها منه صلى الله عليه وسلم وكذلك فقد كانوا أشد الناس تمسكا بسنته، وأشدهم محاربة للابتداع، في الدين، وقد كان في هذا صلاحهم وفلاحهم ونجاتهم ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها.
ومن المؤسف أن كثيرا من المسلمين في وقتنا الحاضر قد اختلت عندهم كلا الركيزتين فتركوا الاتباع والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبحت السنة عندهم أمرا مستغربا مستنكرا لجهلهم بها وبعدهم عنها واستبدلوا بذلك البدع التي لا أصل لها ولا دليل عليها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فاتخذوها دينا يدينون به فانعكست بذلك الموازين لديهم فأصبحوا يرون الحق باطلا والباطل حقا، والمعروف منكرا والمنكر معروفا، وما ذلك إلا لكونهم لم يعرفوا من الإسلام إلا اسمه ولا من الدين إلا رسمه بسبب ما هم عليه من قلة العلم وعدم معرفتهم بالسنة.
فأين هؤلاء من وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن يتبعوا ولا يبتدعوا.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"[١٠٨].
والشاهد من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءفأتوا منه ما استطعتم ".
وهذا التوجيه النبوي الكريم مماثل لما سبق في الأحاديث السابقة من الحث على لزوم السنة والتأكيد على اتباعها والأخذ بها إلا أنه يضيف أمرا هاما وهو أن الطاعة في جانب المأمورات تجب في حدود الاستطاعة والطاقة، وهذا من اليسر الذي امتازت به الرسالة المحمدية قال تعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}[١٠٩].
ففي جانب الأوامر علينا السمع والطاعة في حدود ما نطيق ونستطيع، أما في جانب النواهي فيجب التسليم المطلق دون قيد أو شرط.
فبهذه الإضافة يتحدد معلم من معالم الطاعة يجب على المسلم أن يدركه ويعي مضمونه.
د- بيانه لمواقف الناس من الأخذ بدعوته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم.
عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله منها الناس، فشربوا منها، وسقوا، وزرعوا. وأصاب طائفة منها أخرى إنما

هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به فعَلِم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[١١٠].

وفى هذا الحديث قسم النبي صلى الله عليه وسلم الناس - فيما يتصل بدعوته - إلى ثلاثة أقسام. وشبه صلى الله عليه وسلم العلم الذي جاء به بالغيث لأن كلا منهما سبب الحياة، فالغيث سبب حياة الأبدان، والعلم سبب حياة القلوب.

وشبه القلوب بالأودية كما في قوله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}[١١١].

وكما أن الأراضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث:

إحداها: أرض زكية قابلة للشراب والنبات، فإذا أصابها الغيث ارتوت، ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج.

فذلك مثل القلب الزكي الذكي، فهو يقبل العلم بذكائه، فيثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بزكائه، فهو قابل للعلم، مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه.

والثانية: أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه، فهذه تنفع الناس لورودها والسقي منها والازدراع.

وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذي يحفظه كما سمعه، فلا تصرف فيه، ولا استنبط، بل للحفظ المجرد فهو يؤدي كما سمع، وهو من القسم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقيه"[١١٢].

فالأول: كمثل الغني التاجر الخبير بوجوه المكاسب والتجارات فهو يكسب بماله ما شاء.

والثاني: مثل الغني الذي لا خبرة له بوجوه الربح والمكسب، ولكنه حافظ لما لا يحسن التصرف والتقلب فيه.

والأرض الثالثة: أرض قاع، وهو المستوي الذي لا يقبل النبات، ولا يمسك ماء، فلو أصابها من المطر ما أصابها لم تنتفع منه بشيء.

فهذا مثل القلب الذي لا يقبل العلم والفقه والدراية، وإنما هو بمنزلة الأرض البور التي لا تنبت ولا تحفظ، وهو مثل الفقير الذي لا مال له ولا يحسن يمسك مالا.

- فالأول: عالم معلم، وداع إلى الله على بصيرة، فهذا من ورثة الرسل.
- والثاني: حافظ مؤد لما سمعه، فهذا يحمل لغيره ما يتجر به المحمول إليه ويستثمر.
- والثالث: لا هذا ولا هذا، فهو الذي لم يقبل هدى الله ولم يرفع به رأسا

فاستوعب هذا الحديث أقسام الخلق في الدعوة النبوية ومنازلهم.

منها قسمان: قسم سعيد، وقسم شقي"[١١٣]

المطلب الثالث: دليل الإجماع على وجوب طاعته:

الإجماع من الأمة منعقد على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في جميع ما جاء به من ربه عز وجل، وذلك لثبوت الأمر بهذا في كتاب الله وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم، بل إن الأمر بوجوب طاعته صلى الله عليه وسلم يعد من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر إنسان بجهلها.
وقد حكى الشافعي رحمه الله تعالى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، على أن من استبانت له سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد.
ولم يسترب أحد من أئمة الإسلام في صحة ما قاله الشافعي فإن الحجة الواجب اتباعها على الخلق كافة إنما هو قول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى[١١٤].
وقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في اعتبار السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وذلك بعد المصدر الأول الذي هو القرآن الكريم[١١٥].
والمقصود بالسنة هنا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته. فالصحابة والتابعون وتابعوهم ومن سار على نهجهم يؤمنون بهذا الأصل الذي هو سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويوجبون العمل والاحتجاج بها، ويعتبرونها مصدرا مستقلا في التشريع، فلا يجب عرض ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم على القرآن، بل يجب اتباعه وطاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن
ولقد كان من مظاهر ذلك الإجماع الاعتناء بسنته وحفظها ونقلها، وتعليمها في كل عصر من العصور.
فلقد اعتُني بالسنة فنقلها الخلف عن السلف، وحافظوا عليها، ووضعوا لها القواعد التي اعتنت بسلامتها سندا ومتنا.
والنقول عن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم في وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم واتباع ما جاء به وتعظيمهم لسنته والعمل بها كثيرة جدا.
ومن تلك النقول ما يلي:
أ- الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:
- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فقال له عمر رضي الله عنه: كيف تقاتلهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها". فقال أبو بكر الصديق: أليست الزكاة من حقها؟، والله لو منعوني عناقا[١١٦] كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. فقال عمر رضي الله عنه: فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"[١١٧].
فهذه الحادثة تمثل مدى تمسك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصه على تطبيق شرعه في وقت ارتد فيه أكثر العرب في جزيرة العرب، ولم يبق على الإسلام سوى أهل المدينة ومكة والطائف، ولقد تابع الصحابة أبا بكر في موقفه ذلك فقاتلوا أهل الردة بما فيهم مانعي الزكاة فكان موقفهم ذلك أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها.

وقد جاءت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها: ليس لك في كتاب الله شيء، ولا أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لك بشيء وسأسأل الناس. ثم سأل رضي الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة السدس فقضى لها بذلك[١١٨].

وفي هذا دليل على: تمسك الصديق بسنة المصطفى والعمل بها، وقال رضي الله عنه: "لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ"[١١٩].

وعن ابن سيرين[١٢٠] قال: "لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر رضي الله عنه، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر رضي الله عنه وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلا، ولا في السنة أثرا فاجتهد برأيه، ثم قال هذا رأي فإن كان صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله"[١٢١].

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ورد عنه أنه كان يقول: "إن أصدق القيل قيل الله، ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة...."[١٢٢]

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الشعبي[١٢٣] عن شريح[١٢٤] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد من قبلك فاختر أي الأمرين شئت: إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرا لك"[١٢٥].

وروى البخاري بسنده عن أبي وائل[١٢٦] قال: جلست إلى شيبة في هذا المسجد، قال: جلس إلي عمر في مجلسك هذا فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاءإلا قسمتها بين المسلمين. قلت: ما أنت بفاعل. قال: لم؟ قلت: لم يفعله صاحباك. قال: هما المرءان يقتدى بهما"[١٢٧].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لعمر ألا تستخلف؟، قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأثنوا عليه، فقال: راغب وراهب[١٢٨] وددت أني نجوت منها كفافا لا لي ولا علي لا أتحملها حيا وميتا"[١٢٩].

وجاء في رواية لمسلم قال عبد الله: فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وأنه غير مستخلف"[١٣٠].

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمها على سنة أبي بكر مع أن العمل بها جائز عنده.

ولما قبل رضي الله عنه الحجر الأسود قال: "أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك"[١٣١].

- عثمان بن عفان[١٣٢] رضي الله عنه:

عن زينب بنت كعب بن عجرة[١٣٣] أن الفريعة بنت مالك بن سنان[١٣٤] وهي أخت أبي سعيد الخدري، أخبرتها: "أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة، وأن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه. قالت: فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يترك لي مسكنا يملكه ولا نفقة. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم". قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة (أو في المسجد) ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أمر لي فنوديت له، فقال: "كيف قلت؟"، قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي. قال: "امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله". قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا. قالت: فلما كان عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته وقضى به"[١٣٥].

والشاهد من هذا الحديث أن عثمان لما أشكل عليه حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها، أرسل إلى الفريعة بنت مالك يسألها فأخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله. فقضى عثمان رضي الله عنه بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لما بلغه أن عثمان رضي الله عنه ينهى عن متعة الحج، أهل علي رضي الله عنه بالعمرة والحج جميعا وقال: "ما كنت لأدع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد"[١٣٦]. وعنه رضي الله عنه أنه قال: "ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ما استطعت"[١٣٧].

- أبي بن كعب رضي الله عنه[١٣٨]:

روي عنه أنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة، فتحات عنها ورقها، إلا حط الله خطاياه كما تحات من الشجرة ورقها، فإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على منهج الأنبياء وسنتهم"[١٣٩].

- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

روي عنه أنه قال: "من أحدث رأيا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل"[١٤٠].

وعنه رضي الله عنه قال: "عليك بتقوى الله والاستقامة واتبع ولا تبتدع"[١٤١]

- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

روي عنه رضي الله عنه أنه قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"[١٤٢]، وعنه أنه قال: "إنا نقتدي ولا نبتدئ ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"[١٤٣]. وعنه رضي الله عنه أنه قال: "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"[١٤٤].

- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

فعن سالم بن عبد الله[١٤٥] أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها".
فقال بلال بن عبد الله[١٤٦]: والله لنمنعهن. قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط. وقال: أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول والله لنمنعهن[١٤٧].

- حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: "يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا"[١٤٨].

قال ابن حجر: "فقوله: "يا معشر القراء" المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العباد. وقوله: "استقيموا" أي اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله فعلا وتركا. وقوله "سبقتم" بفتح أوله كما جزم به ابن التين وحكى غيره ضمه والأول المعتمد، والمراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير لأن من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حسا وحكما. وقوله "فإن أخذتم يمينا وشمالا" أي خالفتم الأمر المذكور. وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}"[١٤٩].

ب- من أقوال التابعين ومن بعدهم:

- عمر بن عبد العزيز[١٥٠] رحمه الله تعالى:

فمما نقل عنه أنه كتب عامل له يسأله عن الأهواء؟، فكتب إليه: "أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة..."[١٥١]

وروي عنه أنه قال: "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، من عمل بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"[١٥٢].

- محمد بن مسلم الزهري[١٥٣]:

روي عنه أنه قال: "كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضا سريعا، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله"[١٥٤].

- مجاهد بن جبر[١٥٥]:

روي عنه أنه قال عند تفسير قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} الآية. قال الرد إلى الله: الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول: الرد إلى السنة"[١٥٦].
- أبو العالية[١٥٧]:
روي عنه أنه قال: "تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينا أو شمالا، وعليكم بسنة نبيكم، وما كان عليه أصحابه"[١٥٨].
- أيوب السختياني[١٥٩]:
روي عنه أنه قال: "إذا حُدث الرجل بسنة فقال: دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال"[١٦٠].
ج- الأئمة الأربعة:
- أبو حنيفة النعمان[١٦١]:
روي عنه قوله رحمه الله: "إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين،
وإذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم"[١٦٢]
وروي عنه قوله: "آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم، وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم..."[١٦٣].
- مالك بن أنس (إمام دار الهجرة):
قال رحمه الله تعالى: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، لأن الله يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا"[١٦٤].
وكان رحمه الله كثيرا ما يقول:
وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع[١٦٥]
ومن قوله كذلك: "قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نتبع الرأي"[١٦٦].
وجاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة فقال له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، فقال الرجل: أرأيت، فقال مالك: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[١٦٧]
- محمد بن إدريس الشافعي:
ورد عنه أنه قال: "الحجة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتفاق الأئمة"[١٦٨]، وقال: "ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها"[١٦٩]
وروى رحمه الله يوما حديثا فقال له رجل: أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟، فقال: متى ما رويت عن رسول الله حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب"[١٧٠].

وروي عنه أنه قال: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت"[١٧١].
وروي عنه أنه قال: "آمنت بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله"[١٧٢].
- أحمد بن حنبل (إمام أهل السنة):
ورد عنه قوله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.
والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى"[١٧٣].
وقال أيضا: "الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم هو بعد مع التابعين مخير"[١٧٤].
وما أوردته من آثار وأقوال عن السلف ههنا إنما هو عبارة عن نماذج لما ورد عنهم في هذا الشأن[١٧٥].
ويتضح من خلال تلك النصوص إجماع سلف الأمة وأئمتها على وجوب الأخذ بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والتمسك بها في كل الجوانب واتباع ما جاء به صلى الله عليه وسلم اعتقادا وقولا وعملا. والتحذير من مخالفة السنة والابتداع فيها وتقديم الهوى والرأي عليها.

المبحث الثاني: منهج السلف في اتباعه وطاعته صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: منهجهم في الاتباع.
بعث الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة الجامعة الخاتمة ألا وهي رسالة الإسلام التي ارتضاها عز وجل لتكون دينا ومنهاجا، يسير عليه الجن والإنس في حياتهم الدنيا حتى يتم لهم صلاح معاشهم الذي هم فيه، ومعادهم الذي سيصيرون إليه.
ولقد شاء تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الرسالة مصدرين للتلقي هما:
١- القرآن الكريم. ٢- السنة النبوية.
فالقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام وهو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام.
والسنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لعمومه ومقيدة لإطلاقه وشارحة لأحكامه وأهدافه.
قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [١٧٦].
وقال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [١٧٧].

فالرسول صلى الله عليه وسلم كما خص بالوحي المتلو وهو القرآن الكريم كذلك خص بالوحي غير المتلو وهو السنة التي لا مندوحة عن اتباعها.
قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}. وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[١٧٨]. وبناء على ذلك فإن القرآن والسنة هما المنهلان العظيمان اللذان تستقي منهما الأمة المسلمة عقيدتها وشريعتها وكل ما فيه صلاح شؤونها في دنياها وآخرتها وهما المنهاج والنبراس الذي سار عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، في طاعتهم واتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لاعتقادهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء بهذين الأصلين وحيا من عند الله عز وجل، كما أنه أمر باتباعهما والأخذ بما فيهما اعتقادا وقولا وعملا. قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}، فهم من هذا المنطلق التزموا وتمسكوا بالقرآن والسنة وتلقوهما بالقبول والتسليم والإيمان والتعظيم فأحلوا حلالهما وحرموا حرامهما واتخذوا منهما منهجا لجميع شؤونهم وأحوالهم يرجعون إليه امتثالا لنداء الله حيث قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.
قال ابن القيم: "إن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته"[١٧٩].
ومن هذين الأصلين - الكتاب والسنة - استقى السلف المسلك القويم والمنهج السليم الذي ساروا عليه في طاعتهم واتباعهم لرسولهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المنهج يمكن تلخيصه في النقاط الرئيسية التالية:
أولا: اتباع القرآن الكريم:
فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحيا بواسطة جبريل عليه السلام، والذي تولى الله سبحانه وتعالى حفظه بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[١٨٠].
كما جعله نظاما ومنهجا يهتدي به عباده المؤمنون كما قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ}[١٨١].
ولقد اعتنى السلف بكتاب الله عز وجل فحفظوه في صدورهم ومصاحفهم وصاروا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وينفذون أحكامه وشرائعه جيلا بعد جيل في جميع جوانب حياتهم الفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من الأمور الدنيوية والأخروية.
كما تفرغ عبر القرون ثلة من خيارهم لدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، والاعتبار بدعوته وقصصه، ووعظه وإرشاداته وأمثاله.
وهذا الموقف من السلف الصالح يمثل مظهرا من مظاهر التأسي والاقتداء بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، كما يعد تطبيقا عمليا لما أوصى به عليه الصلاة

والسلام أمته حيث قال: "تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله..."[١٨٢]
ثانيا: اتباع سنته صلى الله عليه وسلم والعمل بها:
فلقد أوجب الله على العباد طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباعه وقد تقدم إيراد الأدلة على ذلك[١٨٣].
ولقد عمل السلف بما أوجبه الله تعالى فأخذوا بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وعملوا بها أمرا ونهيا وخبرا، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته هي المصدر الثاني بعد كتاب الله عز وجل الذي تستقي منه الأمة أحكامها وتشريعاتها في شتى شؤون حياتها.
ويعتقد السلف أن للسنة استقلاليتها في تشريع الأحكام وهي كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، فالأحكام التي سكت القرآن عن بيان حكمها وورد في السنة بيانها، فإن السلف يعملون بهذه الأحكام ويأخذون بها، ولا يرون أن هناك تعارضا البتة بين الأصلين.
كما يعتقد السلف أن علاقة السنة بالمصدر الأول الذي هو القرآن تسير وفق الأوجه الثلاثة التالية:
١- أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لشرائطها وأركانها.
٢- أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له، وذلك مثل الأحاديث التي فصلت أحكام وهيئات الصلاة والصيام والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودا.
٣- أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن على إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وأحكام الشفعة وغير ذلك.
فالسنة الصحيحة لا تخرج عن هذه الضوابط، كما أنها لا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله التي أمر الله بها على جهة الاستقلال فقال تعالى : {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} فهذه الطاعة المأمورون بها هي طاعة مختصة به صلى الله عليه وسلم[١٨٤]، ويجب علينا العمل بها.
فالسلف يؤمنون "بأن الله سبحانه نصَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم منصب المبلغ المبين عنه، فكل ما شرعه للأمة فهو بيان منه عن الله أن هذا شرعه ودينه، ولا فرق يين ما يبلغه عنه من كلامه المتلو ومن وحيه الذي هو نظير كلامه في وجوب الاتباع، ومخالفة هذا كمخالفة هذا.
فعلى سبيل المثال فإن الله أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان، ثم جاء البيان عن رسوله صلى الله عليه وسلم بمقادير ذلك وصفاته وشروطه، فوجب على الأمة قبوله، إذ هو تفصيل لما أمر الله به، كما يجب علينا

قبول الأصل المفصل، وهكذا أمر الله سبحانه بطاعته وطاعة رسوله، فإذا أمر الرسول بأمر، كان تفصيلا وبيانا للطاعة المأمور بها، وكان فرض قبوله كفرض قبول الأصل المفصل، ولا فرق بينهما، والبيان من النبي صلى الله عليه وسلم على أقسام:

أحدها: بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفيا.

الثاني: بيان معناه وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك كما بين أن الظلم المذكور في قوله {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}[١٨٥] هو الشرك وأن الحساب اليسير هو العرض وأن الخيط الأبيض والأسود هما بياض الليل وسواد النهار.

الثالث: بيانه بالفعل كما بين أوقات الصلاة للسائل بفعله.

الرابع: بيان ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن فنزل القرآن ببيانها، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره.

الخامس: بيان ما سئل عنه بالوحي وإن لم يكن قرآنا، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بالخلوق فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويغسل أثر الخلوق.

السادس: بيانه للأحكام بالسنة ابتداءً من غير سؤال، كما حرم عليهم لحوم الحمر، والمتعة، وصيد المدينة، ونكاح المرأة على عمتها وخالتها وأمثال ذلك.

السابع: بيانه للأمة جواز الشيء بفعله هو له، وعدم نهيهم عن التأسي به.

الثامن: بيان جواز الشيء بإقراره لهم على فعله وهو يشاهده، أو يعلمهم يفعلونه.

التاسع: بيانه إباحة الشيء عفوا بالسكوت عن تحريمه وإن لم يأذن فيه نطقا.

العاشر: أن يحكم القرآن بإيجاب شيء أو تحريمه أو إباحته ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وقيود وأوقات مخصوصة وأحوال وأوصاف، فيحيل الرب سبحانه وتعالى على رسوله في بيانها كقوله تعالى: {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ}[١٨٦] فالحل موقوف على شروط النكاح وانتفاء موانعه وحضور وقته وأهلية المحل"[١٨٧].

ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية السنة ومكانتها ودورها في التشريع انطلقت أفعال السلف مترجمة لهذا التصور فكان من تلك الأفعال أن اعتنى السلف بالسنة فتضافرت جهود العلماء من لدن الصحابة والتابعين على حفظ السنة والعناية بها وصيانتها فحظيت منذ ذلك الحين بسياج من الحماية منقطع النظير، وقد اتبع الصحابة في ذلك كل سبيل يحفظ للسنة نورها وصفاءها، وكان من ذلك التحري والتثبت في روايتها خشية الوقوع في الخطأ وخوفا من أن يتسرب إليها التصحيف والتحريف، بل إن بعضهم فضل الإقلال من الرواية. قال ابن قتيبة[١٨٨]: "كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر الحكم لا شاهد له عليه، وكان يأمرهم بأن يقلوا من الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي. وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر والزبير[١٨٩] وأبي عبيدة[١٩٠] والعباس بن عبد المطلب يقلون الرواية عنه بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[١٩١] وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة"[١٩٢].

ولقد تبعهم من بعدهم من التابعين ومن بعدهم على ذلك.

وكما احتاط السلف في التحديث احتاطوا وتثبتوا كذلك في قبول الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الذهبى: "كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب[١٩٣] أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: لا أجد لك في كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس فقام المغيرة وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس. فقال: هل معك غيرك؟، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه".
واستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في إملاص المرأة[١٩٤]، فقال المغيرة بن شعبة[١٩٥]: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد أو أمة.
فقال عمر: ائتني بمن يشهد معك. قال فشهد له محمد بن مسلمة[١٩٦].
وحدث لعمر مثل هذه الحادثة مع كثير من الصحابة منهم أبي بن كعب وأبو موسى وفي رواية: قال عمر لأبي موسى: "أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٩٧].
وعن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف لي صدقته..."[١٩٨]
وهذا التثبت من الصحابة رضوان الله عليهم كان الحامل لهم عليه هو ألا يسترسل الناس في رواية الحديث ويتساهلوا فيه من غير تحر وتثبت كاف فيقعوا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث شعروا أو لم يشعروا، ويدلك على ذلك قول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: "أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم".
وهذه الشواهد عن ثلاثة من الخلفاء الراشدين تترجم حرصهم وجهودهم في المحافظة على السنة بأن لا يشوبها ما ليس منها.
وقد تتابعت الجهود من الصحابة ومن جاء بعدهم على حفظ السنة وحمايتها إلى أن قعدت القواعد ووضعت الضوابط التي يعرف بها قوة الحديث أو وهنه وكان من تلك الضوابط علم إسناد الحديث فقد اعتني بهذا الجانب منذ وقت مبكر، واهتم به العلماء حتى جعلوه من الدين قال عبد الله بن المبارك[١٩٩]: "الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"، وقال: "بيننا وبين القوم قوائم" يعني الإسناد[٢٠٠].
ولقد اشتغل علماء الحديث بنقد الرواة وبيان حالهم ومن تقبل روايته ومن لا تقبل من خلال دراسة الراوي سيرة وتاريخا ومعتقدا وسلوكا، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم، وقد قيل ليحي بن سعيد القطان[٢٠١]: " أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟، فقال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لِمَ لَمْ تذُبَّ الكذب عن حديثي"[٢٠٢].
وهذه لمحة وإشارة لما بذله السلف من جهود في حفظ السنة والذب عنها لتبقى منهلا صافيا تستقي منه الأمة أمور دينها ودنياها وآخرتها حتى يتحقق لها اتباع رسولها

محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمر الله بالاقتداء به والسير على نهجه والطاعة له في كل ماجاء به صلى الله عليه وسلم.
ثالثا: ثم يلي الكتاب والسنة: فيما يجب التسليم له من أصول ما كان في معناهما بدليل جامع والمراد بذلك الإجماع والقياس الجلي الذي لا يصادم النص الشرعي.
قال الشافعي: "الحجة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتفاق الأئمة".
وقال أيضا: "والعلم طبقات:
الأولى: الكتاب والسنة الثابتة ثم الإجماع فيما ليس في كتاب ولا سنة.
الثالثة: أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة.
الرابعة: اختلاف الصحابة.
الخامسة: القياس"[٢٠٣].

المطلب الثاني: محاربة السلف لما يناقض الاتباع:
من الأمور التي سار عليها السلف في طاعتهم واتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وجعلوها منهجا لهم في الاتباع محاربتهم لذلك الثالوث الخطير المتمثل في البدعة والتقليد، والرأي.
فالسلف يعدون ذلك الثالوث مرضا خطيرا متى استشرى وانتشر في الأمة فإنه يفتك بعقيدتها وما هي عليه من الاتباع والسنة.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن"[٢٠٤].
وعن جابر بن زيد[٢٠٥] أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال: "يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت"[٢٠٦].
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر"[٢٠٧].
وهذه النصوص الثلاثة المنقولة عن ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تصور عظم خطر تلك الأمور على الأمة كما تصور حرصهم على تحذير الأمة من خطرها وشرها الذي يهدد عقيدتهم وماهم عليه من الاتباع والسنة.
أ- محاربتهم للبدعة:
فأول تلك الأمور وأشدها خطرا على الأمة "البدعة" فالابتداع في الدين قد حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"
وقال: "فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[٢٠٨].
كما بين حكم البدعة بقوله: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[٢٠٩] ومع وقفة تأمل لما ورد في هذه الأحاديث نلمس الأمور التالية:
ففي الحديث الأول والثاني وصف صلى الله عليه وسلم البدعة بكونها ضلالة وانحرافا عن الطريق والصراط المستقيم الذي رسمه صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة

والذي أوجب الله علينا اتباعه فيه. فالبدعة في الدين طريق غواية وضلال يجب الحذر منه والبعد عنه وهي إضافة إلى ذلك فإنها مخالفة لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومحاربة لما جاء به من الهدى والنور إذ الوقوع في هذا المزلق الخطر الذي هو "البدعة" يترتب عليه أمور خطيرة منها الطعن في الدين لأن لسان حال المبتدع يقول إن الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها، لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها.
وإضافة إلى ذلك فإن المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقا خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك. فالمبتدع بحاله تلك يزعم أن ثم طرقا أخر وليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لا يعلم الشارع وأحاط بما لم يحط به وهذا هو بعينه الضلال المبين الذي وصف النبي صلى الله عليه وسلم البدعة به حين قال: "وكل بدعة ضلالة"[٢١٠].
ومع هذا وذاك فقد تجعل البدعة مع مرور الزمن ونتيجة لانتشارها بين الناس من الدين، فتصبح سنة يستنون بها وبخاصة العوام منهم الذين اعتادوا على التقليد والأخذ بكل ما هو منتشر بين الناس. بينما في الوقت نفسه تصبح السنن لغرابتها والجهل بها بدعا وهذا هو الحال في كل زمان ومكان انتشرت وعمت فيه البدع وقل فيه العلماء بأمور السنة.
وأما الحديث الثالث وهو قوله صلى الله عليه وسلم:"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" فهو حكم صريح على كل أمر محدث مبتدع في الدين وليس له أصل في الشرع بالرد وعدم القبول ولاشك أن هذا الحكم بتر لكل ما هو مبتدع في دين الله وشرعه، وإسقاط له. إضافة إلى كونه حماية لشرع الله من كل ما يخل به.
ولقد اتخذ السلف من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن قواعد ساروا عليها في سبيل محافظتهم على السنة وصيانتها من شوائب البدع وشرورها. وإن المتأمل للنصوص الورادة عنهم في هذا الخصوص يلمس مدى حرصهم وتطبيقهم للتوجيهات النبوية التي تلقوها عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم.
فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"[٢١١].
وعنه أنه رأى أناسا يسبحون بالحصا فقال: "على الله تحصون لقد سبقتم أصحاب محمد علما أو لقد أحدثتم بدعة ظلما"[٢١٢].
وعنه أنه قال: "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة". وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: "أخوف ما أخاف على الناس اثنتان أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون، وأن يضلوا وهم لا يشعرون".
قال سفيان: هو صاحب البدعة[٢١٣].
وكان حذيفة رضي الله عنه يدخل المسجد فيقف على الخلق فيقول: "يا معشر القراء اسلكوا الطريق فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا".

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدا أحب إلى الشيطان هلاكا مني. فقيل: كيف؟، فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه"[٢١٤].
وعنه رضي الله عنه أنه قال: "عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع"[٢١٥].
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "أوشك قائل من الناس يقول: قد قرأت القرآن ولا أرى الناس يتبعوني، ما هم متبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدُع فإن كل ما ابتدُع ضلالة"[٢١٦].
وعنه أنه قال: "أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع ألا وإن رفعه ذهاب أهله، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع وعليكم بأمركم العتيق"[٢١٧].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة"[٢١٨].
وعن الحسن البصري[٢١٩] قال: "صاحب البدعة لا يزداد اجتهادا صياما وصلاة إلا ازداد من الله بعدا"[٢٢٠].
وعنه قال: "لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك"[٢٢١].
وعن أيوب السختياني أنه كان يقول: "ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا"[٢٢٢].
وعن سفيان الثوري قال: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره. وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله في النار. وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه"[٢٢٣].
وقال: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها"[٢٢٤].
وعن أبي قلابة[٢٢٥] أنه قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"[٢٢٦].
وبعد: فما نقلته ههنا يعد جزءا يسيرا جدا مما ورد عن السلف من نصوص في الحث على ترك الابتداع في الدين والتحذير من مخاطره ومغبة الإقدام عليه وموقفهم من أهله، فلقد اشتد نكير السلف على البدعة وأصحابها والمجال هنا لا يتسع للاستفاضة في هذا الموضوع، وبما ذكر يحصل المقصود.
ب- محاربتهم للتقليد:
وأما الأمر الثاني من الأمور التي تشكل خطورة على الاتباع والسنة في رأي السلف فهو "التقليد" والفرق بينه وبين الاتباع أن التقليد: هو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه.
وأما الاتباع: فهو ما ثبت عليه الحجة.
فكل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده. وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه.
والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع[٢٢٧].

والتقليد الممنوع على ثلاثة أشكال:

- أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء أو المشايخ.
- الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.
- الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد.

ولقد حارب السلف هذا النوع من التقليد وذموه واعتبروه مزلقا خطيرا يحرف المسلم وينحيه عن المنبع الذي يستمد منه دينه، ويجعله عرضة لكل بدعة، ومنقادا لكل شبهة، وتبعا لكل ناعق وإضافة إلى ذلك فإن التقليد له صلة وثيقة بالبدعة فالبدعة تؤخذ في غالب الأمر تقليدا لشيخ يعظم أو والد يحترم أو مجتمع تقدس فيه عاداته، ولذلك كان التقليد والابتداع سببين رئيسيين في ضلال الأمم وانحرافها عن منهج أنبيائهم.

وقد حكى الله في كتابه العزيز عن بني إسرائيل أنهم سألوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها من الأصنام مقلدين في ذلك من مرّوا عليهم من عباد الأصنام قال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٢٢٨]، كما ذكر سبحانه أن ما وقع فيه اليهود والنصارى من الكفر بقول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله إنما هو نتيجة التقليد لمن قبلهم من الوثنيين قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[٢٢٩].

كما ذم سبحانه صنيع اليهود والنصارى مع علمائهم حيث قلدوهم في جميع ما يقولون، فأحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ}[٢٣٠].

كما ذم سبحانه وتعالى من امتنع عن قبول الحق تقليدا للآباء فقال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ}[٢٣١].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجلا فكفر، وقلد آخر فأذنب، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة، لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت الآثام فيه"[٢٣٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لا أخاف على أمتي من بعدي إلا من أعمال ثلاثة"، قالوا: وما هي يارسول الله؟، قال: "أخاف عليهم زلة العالم، ومن حكم جائر، ومن هوى متبع"[٢٣٣]، ومن المعلوم أن الخوف من زلة العالم تقليده فيها، إذ لولا التقليد لما يخف من زلة العالم على غيره.

قال ابن القيم: "والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد، وأن العالم قد يزل ولابد إذ ليس بمعصوم، فلا يجوز قبول كل ما

يقوله وينزل قوله منزلة قول المعصوم، فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض، وحرموه، وذموا أهله، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم، فإنهم يقلدون العالم فيما زل فيه وفيما لم يزل فيه، وليس لهم تمييز بين ذلك، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد فيحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويشرعون ما لم يشرع، ولابد لهم من ذلك إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه، فالخطأ واقع منه ولابد"[٢٣٤].

قال الشعبي: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "يفسد الزمان ثلاثة: أئمة مضلون، وجدال منافق بالقرآن، والقرآن حق، وزلة عالم"[٢٣٥]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ويل للأتباع من عثرات العالم". قيل: وكيف ذاك يا أبا العباس؟، قال: "يقول العالم من قبل رأيه، ثم يسمع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيدع ما كان عليه" وفي لفظ: "فيلقى من هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فيخبره فيرجع ويقضي الأتباع بما حكم"[٢٣٦].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر"[٢٣٧].

قال ابن القيم: "والفرق بين تجريد متابعة المعصوم صلى الله عليه وسلم وإهدارأقوال العلماء وإلغائها: أن تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنا من كان. بل تنظر في صحة الحديث أولا. فإذا صح لك نظرت في معناه ثانيا، فإذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب، ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيها بل لابد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله بل اذهب إلى النص ولا تضعف واعلم أنه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل إليك. هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها بشبهة أنه أعلم بها منك، فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك أيضا فهلا وافقته إن كنت صادقا؟.

فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها، وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فإنهم كلهم أمروا بذلك فمتبعهم حقا من امتثل ما أوصوا به لا من خالفهم، فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا بها ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم.

ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه.

فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلد به ولذلك سمي تقليدا. بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول إلى سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل إلى الدليل الأول فإذا وصل استغنى بدلالته على الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى.

قال الشافعي: "أجمع الناس على أن من استبانت له سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد"[٢٣٨].

ج- محاربتهم للرأي الباطل:

وأما الأمر الثالث من الأمور التي يرى السلف أنها تناقض الاتباع وتضاده فهو "الرأي".

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا ينزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون"[٢٣٩]، والمقصود به هو الرأي الباطل الذي ليس من الدين، لأن الرأي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- رأي باطل بلا ريب.
٢- رأي صحيح.
٣- رأي هو موضع الاشتباه.

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به، وسوغوا القول به. وذموا الباطل ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله.

والقسم الثالث: سوغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بد، ولم يلزموا أحدا العمل به، ولم يحرموا مخالفته ولا جعلوا مخالفته مخالفا للدين، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورده، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه[٢٤٠].

والحديث ههنا يتناول الرأي الباطل فقط وهو على أنواع:

أحدها: الرأي المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

الثاني: هو الكلام في الدين بالخرص والظن، مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها، فإن من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما يفرق بينهما في الحكم، من غير نظر إلى النصوص والآثار، فقد وقع في الرأي المذموم الباطل.

النوع الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية[٢٤١] ومن ضاهاهم، حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة، فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلا، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب، والنوع الثاني بالتحريف والتأويل، فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده، وأنكروا مباينته للعالم، واستواءه على عرشه وعلوه على المخلوقات، وعموم قدرته على كل شيء، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن والإنس عن تعلق قدرته

ومشيئته وتكوينه لها، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وحرفوا لأجلها النصوص عن مواضعها وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد الذي حقيقته أنه زبالة الأذهان ونخالة الأفكار وعفارة[٢٤٢] الآراء ووساوس الصدور فملؤوا به الأوراق سوادا والقلوب شكوكا، والعالم فسادا.
وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى وأحيي بها من ضلالة؟ وكم هدم بها من معقل للإيمان، وعمر بها من دين الشيطان؟ وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل بل هم شر من الحمر، وهم الذين يقولون يوم القيامة {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[٢٤٣].
النوع الرابع: الرأي الذي أحدثت به البدع، وغيرت به السنن وعم به البلاء، وتولى عليه الصغير وهرم فيه الكبير.
فهذه الأنواع الأربعة من الرأي الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه لإخراجه من الدين[٢٤٤].
ومما ورد عن السلف في ذم الرأي الذي من هذا القبيل ما يلي:
عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم"[٢٤٥].
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "اتقوا الرأي في دينكم"[٢٤٦].
وروي عنه كذلك قوله: "أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم"[٢٤٧].
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه"[٢٤٨].
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال بعد ذلك برأيه فلا أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته"[٢٤٩].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لا يأتي عليكم عام إلا هو شر من الذي قبله، أما إني لا أقول أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم"[٢٥٠].
ومما ورد كذلك من الآثار عن التابعين ما يلي:
قول الشعبي: "ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذوه، وما كان رأيهم فاطرحوه في الحش"[٢٥١].
وعن ابن شهاب الزهري قال: "دعوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي"[٢٥٢].
وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس: "أنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢٥٣].

فهذه الأقوال عن أولئك الأئمة من الصحابة والتابعين أجمعت على إخراج الرأي عن العلم وذمه والتحذير منه والنهي عن الفتيا به، فرضي الله عن أئمة الإسلام وجزاهم عن نصيحتهم خيرا، ولقد سلك سبيلهم أهل العلم والدين من أتباعهم.

المبحث الثالث: التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم من خالفه.

تمهيد:

"من المعلوم لكل من عنده مسكة من عقل أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ}[٢٥٤] وكما قال: {أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً}[٢٥٥] أي مهملا هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب.

والغاية التي خلق من أجلها الجن والإنس هي التي أخبر الحق تبارك وتعالى عنها بقوله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا والثواب أو العقاب في الآخرة.

وإذا تمهد هذا فإنه يعلم مدى حاجتهم وضرورتهم إلى الشريعة وأحكامها، إذ بواسطها يتعرف على مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية.

والناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، إذ ليس للعالم صلاح بدون ذلك البته"[٢٥٦]

ولذلك فرض الله على الإنس والجن طاعة من أرسل من الرسل وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّـهِ} فالطاعة بذلك متحتمة على من شملتهم دعوة الرسل.

وقد بعث الله نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً} وبذلك عمت دعوته كل الأمم سواء كانوا في زمانه أو في الأزمان التالية من بعده وذلك على اختلاف تلك الأمم في ألوانها وأجناسها ولغاتها وشرائعها بما فيهم أهل الكتاب - اليهود والنصارى - ، فترتب على عموم الرسالة أن نسخت الشرائع السابقة لشريعته صلى الله عليه وسلم فلم يبق من طريق يوصل إلى عبادة الله ورضوانه سوى طريق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم فلا حجة لأحد دون حجته ولا يستقيم لعاقل سبيل سوى واضح محجته.

وقد جمعت سنته صلى الله عليه وسلم تحت حكمتها كل معنى حكيم فلا يسمع بعد بيانها خلاف مخالف ولا قول مختلق، ومن تبع سنته فهو على نور من ربه، وبصيرة من أمره، والمائل عن شرعه، واقع في ظلمته مرتبك في حيرته ومرتكس في ضلاله وشقاوته.

ولذلك كان لزاما على الجن والإنس أن يستجيبوا له صلى الله عليه وسلم ويتبعوا شريعته ظاهرا وباطنا.

وقد وعد الله المستجيب منهم أن يدخله جنته ويسبغ عليه رضاه ومحبته. وتوعد المخالف منهم بأن يذيقه أليم عقابه ويلقيه في جهنم ليعلم بذلك كيف يكون مصيره وعاقبته.

وإن آيات القرآن ونصوص السنة في هذا الشأن كثيرة جدا، وقد تقدم إيراد الأدلة الواردة في وجوب طاعته واتباعه.
وفي هذا المبحث سأتناول بإذن الله الأدلة الواردة في حكم مخالفته صلى الله عليه وسلم والبعد عن سنته والعقوبات الدنيوية والأخروية المترتبة على تلك المخالفات على تنوع صورها وأشكالها سواء كانت إعراضا وكفرا، أو بدعة، أو معصية، أو غير ذلك.
وعسى أن يكون فيما سيعرض من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تذكرة وعظة، وخاصة أننا نعيش في زمان نحتاج فيه إلى التمعن في هذه النصوص وتدبرها لكثرة ما يقع من الإعراض والمخالفة لشرع النبي صلى الله عليه وسلم ونهجه عند كثير من الناس.

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم من خالفه:
ورد التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم في مواطن عدة من القرآن الكريم، وقد جاء التحذير مصحوبا بالوعيد الشديد لذلك المخالف العاصي ومن تلك المواطن: قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٢٥٧].
وقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}[٢٥٨].
وقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً}[٢٥٩].
وقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً}[٢٦٠].
وقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}[٢٦١].
وقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٢٦٢].
وقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ}[٢٦٣].
وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}[٢٦٤].
وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ}[٢٦٥].
وإن المتأمل في هذه الآيات يرى ما تضمنته من الوعيد الشديد والعقاب الأليم لمن خالف منهج الرسول وطريقته وشرعه وحاد كلما جاء به فقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} تحمل هذه الآية الوعيد الشديد لمن خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، ومعناها: "أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا" {أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك"[٢٦٦].

هذا من جهة العقوبة الدنيوية كما فسر ابن كثير الآية بذلك.
أما على صعيد العقوبة الأخروية فاقرأ الآية الأخرى وهي قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}، وعلى هذا فإن المخالف العاصي متوعد بالعقوبتين الدنيوية والأخروية، إضافة إلى وصفه بالضلال البين الواضح بقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً}، وفي هذا الوصف والجزاء للمخالف حكم بخروجه عن دائرة الإيمان.
كما أن كل من أعرض عن حكم الرسول ولم ينقد له ولم يرض به إلا إذا كان موافقا لهواه فهو محكوم عليه بالنفاق بنص القرآن الكريم.
قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً}[٢٦٧].
وقال تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٢٦٨].
وهذه الآيات بينت موقف كلا الطرفين- الطرف الأول أهل الإيمان الحقيقي والطرف الثاني أهل النفاق المظهرون للإسلام المخفون للكفر- من التحاكم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن سمة المنافقين أنهم لا يتحاكمون لشرع الله إلا إذا كان الحق في صفهم وحكم الشرع لصالحهم، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فلا ترى منهم سوى الإعراض عن شرع الله المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
أما أهل الإيمان الذين ترسخ في قلوبهم الإيمان بشرع الله اعتقادا بالقلب وقولا باللسان وعملا بالجوارح فإن من صفاتهم وعلاماتهم تحاكمهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحوالهم وشؤونهم مع الرضى والتسليم لذلك الحكم سواء كان لهم أم عليهم.
ولذلك فقد جاء وصف أهل الإيمان بالفلاح فقال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} بينما وصف أهل النفاق بالظلم حيث قال تعالى: {بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.
فيجب على المسلم أن يحذر من الوقوع في هذا العمل الخطير الذي من شأنه أن يوقع صاحبه في مثل هذه الصفات، ويعرضه لتلك العقوبات التي تحدثت بها آيات القرآن الواردة في هذا الشأن.
وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}[٢٦٩]:."قوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح، وقوله {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا فإنه

قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك...

ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له كما قال تعالى {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ} [٢٧٠]، وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [٢٧١]، وقوله: {وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [٢٧٢].

وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة"[٢٧٣].

ولقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز عددا من قضايا المخالفة وعلى رأسها التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فهذا الداء من أعظم المخاطر وبخاصة في زماننا هذا الذي طرح فيه كثير ممن ينتمون إلى الإسلام كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، واعتاضوا عنهما بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولا على الشريعة حتى جعلوا لتلك القوانين محاكم تحمى بقوة السلطان وأجبروا الناس على التحاكم إليها. والحكم بغير ما أنزل الله هو من أعظم أسباب المقت والحرمان وأكبر موجبات العقوبة والخذلان، كيف لا وهو شرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم واتخاذ لدين الله هزوا ولهوا ولعبا وتبديلا لنعمة الله إلى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت حساب.

وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [٢٧٤].

وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [٢٧٥].

وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [٢٧٦].

وقال تعالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [٢٧٧]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَار، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [٢٧٨].

وقال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّه} [٢٧٩].

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً} [٢٨٠].

قال ابن القيم: "قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم انحرف عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معا، ولو لم يكن في القرآن

المجيد من الزجر عن اتباع القوانين البشرية غير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اللبيب، فكيف والقرآن الكريم كله يدعو إلى تحكيم ما أنزل الله، وعدم تحكيم ما عداه[٢٨١].

وبما تقدم من آيات يعلم المسلم خطورة مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والإعراض عن سنته ومنهجه والشرع الذي جاء به من عند ربه.

فالآيات السابقة وما كان على منوالها فيها خطاب لكل معرض عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه وشرعه الذي جاء به، وهي بما تضمنته من الوعيد الشديد بمثابة الإنذار لكل من كان على هذه الحال لكي يكون على بينة من أمره فيعلم على أي ذنب قد أقدم ولأي جرم قد ارتكب {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ}[٢٨٢] وذلك قبل أن يكون من أولئك الذين يتحسرون ويعضون أيديهم ندما في يوم القيامة {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً}[٢٨٣].

ومعلوم أن كل من ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه قائل لهذه المقالة لا محالة. فنعوذ بالله ممن هذه حاله ويوم القيامة تكون نار جهنم مآله وقراره.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على التحذير من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم
وحكم من خالفه:

جاءت السنة بمثل ما جاء به القرآن الكريم، فالأحاديث متوافرة، ومتعددة في هذا الشأن، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الإعراض عن سنته والبعد عنها أو الانتقاص من قدرها ومكانتها أو مخالفتها.

وهذا التحذير منه صلى الله عليه وسلم والوارد في عبارات متنوعة وأساليب متعددة - كما سيمر عليك - يصور مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على حماية أمته وصيانتهم من الوقوع في هذا المزلق الخطير، ولا غرابة في ذلك فهو الموصوف بقوله تعالى: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

ومما ورد في تصوير مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته وتحذيره لهم من الوقوع في مخالفته قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه "مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها – قال - فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها".

وهذا الحديث إضافة إلى كونه يصور مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته فهو يبين كذلك أن سبيل النجاة والفلاح إنما هو باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ بها، وأن كل مخالف ومجانب لهذه السنة فهو يلقي بنفسه إلى التهلكة وذلك بسبب
بعده ومخالفته لشرع المصطفى ونهجه الذي جاء به.

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين لأمته سبيل النجاة والفلاح وحثهم على سلوكه والسير عليه، كما حذرهم من سبل الهلاك والضلال وبين لهم ماضيها من الخسران والتعاسة الدنيوية والأخروية قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وهذه الوصية عامة لكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد ختم الله الآية بقوله {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. والتقوى حقيقتها: "العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا، أمرا ونهيا فالمتقي يفعل ما أمره الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده".

وقال طلق بن حبيب[٢٨٤]: "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله"[٢٨٥]. وطاعة الله تتحقق بطاعة رسوله والسير على نهجه وسلوك سبيله قال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}.

وفي الحديث: "فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله".

ولذلك فإنه لم يبق للإنسان إلا أن يختار أي الطريقين يسلك قال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}[٢٨٦] وليتحمل بعد ذلك مسؤولية ما قدم من عمل كما قال تعالى: {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}[٢٨٧]، وقال تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى}[٢٨٨]

وإن المسلم الواعي العارف لأمور دينه يعلم أن الخير كل الخير في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته والسير على هديه، وأن الشر كل الشر في البعد عن سنته ومخالفته. ولذا تراه حريصا على سنة المصطفى متمسكا بها في كل أحواله وفي الوقت نفسه يحذر أشد الحذر من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والبعد عن سبيله ومنهجه. ومثل هذا الاعتقاد يجب على كل مسلم أن يعتقده ويطبقه في أقواله وأعماله ليسعد وينجو في دنياه وآخرته.

ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين لا يولي هذا الجانب اهتمامه وعنايته بل تراه على النقيض من ذلك حتى إن بعضهم ليس له من الإسلام إلا اسمه فقط ذلك لأن أقواله وأفعاله مناقضة للشرع ولا تمت إليه بصلة، وتراه كذلك راغبا عن سنة المصطفي متحاكما في أكثر شؤونه وأحواله إلى غير الكتاب والسنة. ومن كانت هذه صفاته فالإسلام منه براء وهو بريء من الإسلام فقد قال صلى الله عليه وسلم: "من رغب عن سنتي فليس مني"

ولقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنف من الناس وحذر منهم فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الضر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: "نعم". قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: "نعم وفيه دخن"، قلت: وما دخنه؟، قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر .." الحديث. فالشاهد من الحديث قوله صلى الله

عليه وسلم: "قوم يهدون بغير هديي" فالنبي صلى الله عليه وسلم ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة أو جعلهما فرعا لذلك الأصل الذي ابتدعه وأمثال هؤلاء كثيرون فكم من شخص ينتمي للإسلام جعل من الفلاسفة حكما على كل شيء حتى على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكم من شخص نبذ شرع الله وراء ظهره وتحاكم إلى القوانين الوضعية المستوردة من بلاد الكفر والإلحاد. وكم من شخص جعل الهوى وشهوات النفس دينا يدين به فإذا جاءه أمر الشارع أخذ منه ما وافق هواه ورأيه وأعرض عما عداه. وكم من فئة وطائفة في زماننا الحاضر ينطق عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا. والذي ينبغي على كل أحد أن يعلمه هو أنه بمقدار اتباع المرء لسنة المصطفي صلى الله عليه وسلم، يكون فلاحه ونجاته، فالأقوال والأعمال يتوقف قبولها أو ردها على حسب موافقتها لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فما وافق سنة النبي صلى الله عليه وسلم قبل، وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم:
"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد".
وإن المعرض عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والمخالف لها معرض للعقوبة في الدنيا والآخرة وذلك بحسب ما يقع منه من إعراض.
فعن سلمة بن الأكوع[٢٨٩] رضي الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله. فقال: "كل بيمينك"، قال: "لا أستطيع"، قال: "لا استطعت" ما منعه إلا الكبر، قال فما رفعها إلى فيه"[٢٩٠]، فهذه عقوبة دنيوية لهذا الشخص الذي عصى أمر النبي صلى الله عليه وسلم.
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قرأ النبي صلى الله عليه وسلم "النجم" فسجد، فما بقي أحد إلا سجد، إلا رجل رأيته أخذ كفا من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: "هذا يكفيني، فلقد رأيته بعد قتل كافرا بالله"[٢٩١] وهذا الرجل هو أمية بن خلف[٢٩٢] وقد قتل ببدر كافرا.
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم"[٢٩٣].
والشاهد من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري"، وعنه رضي الله عنه قال: "أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم"[٢٩٤]. فهذا بعض ما ورد في السنة في العقوبات الدنيوية.

أما على صعيد العقوبات الأخروية فالأمر أشد وأعظم فالآخرة هي دار الجزاء والثواب والعقاب.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا. فقالوا: أوَلسنا إخوانك يا رسول الله؟، قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم[٢٩٥] على الحوض. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله؟، فقال: أرأيت لو أن رجلا له خيل غر[٢٩٦] محجلة[٢٩٧] بين ظهري خيل دُهُم بُهُم[٢٩٨] ألا يعرف خيله؟. قالوا: بلى يارسول الله، قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا"[٢٩٩].
فتلك عقوبة من حاد عن شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم ومال عنه واستبدل به غيره. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا[٣٠٠].
قال النووي: " أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[٣٠١]، فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بهلاك كل من بالغ في التعمق في أمور الشرع وغلا فيها وتكلف في أمور لم ترد عن الشارع الكريم ولم تكن من مقصوده.
وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ".
والشواهد من القرآن والسنة وكلام السلف الصالح في هذا الشأن كثيرة ولا تكاد تحصى.
والقصد هنا بيان أن التولي عما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الشرع من أكبر الذنوب، وهو سبب لانصباب المصائب وتتابع النوائب، فإن الجزاء من جنس العمل ومن تولى عن حكم الله وحكم رسوله تولى الله ورسوله عنه، ومن تولى الله ورسوله عنه فهيهات أن يفلح ويعز بل يتركه الله أذل وأحقر ما يكون قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ}[٣٠٢]. وليحذر المسلم من مخالفة الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه عز وجل، فإن في المخالفة عين الهلاك والخسران كما قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[٣٠٣].

---

[١] الآيتان (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب.
[٢] الآية (٥٢) من سورة الشورى.
[٣] الآية (٤٣) من سورة الزخرف.
[٤] الآية (٨٠) من سورة النساء.

[٥] الآية (٦٤) من سورة النساء.
[٦] الآية (٦) من سورة الأعراف.
[٧] الآيات (١٣، ١٤) من سورة النساء.
[٨] الآيات (٢٧، ٢٨، ٢٩) من سورة الفرقان.
[٩] الآيات (٦٦، ٦٧، ٦٨) من سورة الاحزاب.
[١٠] الآية (٣٢) من سورة آل عمران.
[١١] الآية (٦٥) من سورة النساء.
[١٢] الآية (٦٣) من سورة النور.
[١٣] الآية (٦٩) من سورة النساء.
[١٤] الآية (٦٤) من سورة النساء.
[١٥] الآية (٥٢) من سورة النور.
[١٦] الآية (٣) من سورة نوح.
[١٧] الآية (١٠٨) من سورة الشعراء.
[١٨] انظر الآيات (١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩) من سورة الشعراء.
[١٩] الآية (١٤، ١٥، ١٦) من سورة الليل.
[٢٠] الآية (٣١، ٣٢) من سورة القيامة.
[٢١] الآية (١٥، ١٦) من سورة المزمل.
[٢٢] الآية (٤١) من سورة النساء.
[٢٣] الآية (٤٢) من سورة النساء.
[٢٤] الرد على الأخنائي (ص ١٨٠- ١٨٣).
[٢٥] الآية (٦٤) من سورة النساء.
[٢٦] مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩، ١٠٠) بتصرف.
[٢٧] الآية (١٦٥) من سورة النساء.
[٢٨] مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦) بتصرف.
[٢٩] الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.
[٣٠] الآية (١٠٤) من سورة آل عمران.
[٣١] الآية (١ إلى ٥) من سورة البقرة.
[٣٢] الآية (١٣، ١٤) من سورة النساء.
[٣٣] الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.
[٣٤] الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.
[٣٥] الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٦).
[٣٦] محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري، فقيه شافعي، محدث، توفي سنة ٣٦٠ هـ بمكة وله مصنفات كثيرة منها: كتاب الشريعة. الأعلام (٦/ ٩٧).
[٣٧] الشريعة (ص ٤٩).
[٣٨] مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠٣).
[٣٩] الآية (٨٠) من سورة النساء.
[٤٠] الآية (٣٢) من سورة آل عمران.

[٤١] الآية (١٣٢) من سورة آل عمران.
[٤٢] الآية (١٣) من سورة النساء.
[٤٣] الآية (٢٠) من سورة الأنفال.
[٤٤] الآية (٥٢) من سورة النور.
[٤٥] الآية (٧١) من سورة الأحزاب.
[٤٦] الآية (١٧) من سورة الفتح.
[٤٧] الآية (٩٢) من سورة المائدة.
[٤٨] الآية (٣٣) من سورة محمد.
[٤٩] الآية (٥٤) من سورة النور.
[٥٠] الآية (١٢) من سورة التغابن.
[٥١] الآية (٥٩) من سورة النساء.
[٥٢] محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي المشهور بابن القيم، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، تفنن في علوم الإسلام، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وله مؤلفات كثيرة في الدفاع عن العقيدة والسنة. توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٩٣، ٩٧).
[٥٣] كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه..." الحديث. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٥/ ١٠) ح ٤٦٠٤
[٥٤] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦/ ١٥)
[٥٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد. انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٣٣) ح ٧٢٥٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية. انظر (٦/ ١٥).
[٥٦] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦/ ١٢). وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية. فتح الباري (١٣/ ١٢١، ١٢٢) ح ٧١٤٤.
[٥٧] إعلام الموقعين (١/ ٤٨، ٤٩).
[٥٨] الآية (٥٤) من سورة النور.
[٥٩] محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة ١٢٥ هـ وقيل قبل ذلك. تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٢).
[٦٠] الرسالة التبوكية (ص ٣٧، ٣٨).
[٦١] الآية (٣١) من سورة آل عمران.
[٦٢] الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.
[٦٣] الآية (٧) من سورة الحشر.
[٦٤] الآية (٢١) من سورة الأحزاب.

[٦٥] الآية (١١٠) من سورة الكهف، والآية (٦) من سورة فصلت.
[٦٦] الآية (٨٥) من سورة البقرة.
[٦٧] الآية (٢٤) من سورة الأنفال.
[٦٨] الفوائد لابن القيم (ص ٨٨) بتصرف.
[٦٩] المصدر السابق (ص ٩٥).
[٧٠] تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٤).
[٧١] الآية (٦٥) من سورة النساء.
[٧٢] الآية (٦) من سورة الأحزاب.
[٧٣] الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٢٥، ٢٦).
[٧٤] تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).
[٧٥] أي قبوله لحكم الرسول والتسليم له.
[٧٦] الآية (١٤، ١٥) من سورة القيامة.
[٧٧] الرسالة التبوكية (ص ٢٥).
[٧٨] الآية (٥١) من سورة النور.
[٧٩] الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.
[٨٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٤٩) ح ٧٢٨٥.
[٨١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام: باب قول الله تعالى {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}، انظر: فتح الباري (١٣/ ١١١) ح ٧١٣٧. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦/ ١٣).
[٨٢] سعد بن مالك بن سنان الأنصاري أبو سعيد الخدري، شهد الغزوات بعد أحد وكان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك. الإصابة (٢/ ٣٢، ٣٣).
[٨٣] يقال: شرد البعير، يشرد، شُرودا، وشِرادا: إذا نفر وذهب في الأرض. النهاية (٢/ ٤٥٧).
[٨٤] أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ١٥٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٠)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وله شاهد من طريق أبي هريرة بنحوه أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي. وله شاهد آخر من طريق أبي أمامة بنحوه. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.
[٨٥] محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم البستي، الإمام الحافظ الثبت الحجة، كان من أوعية العلم، ولد سنة ٢٧٠ هـ وتوفي سنة ٣٥٤ هـ. ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٦).
[٨٦] صحيح ابن حبان (١/ ١٥٣).
[٨٧] الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

[٨٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٥٠، ٥١).
[٨٩] الآيتان (١٠٣، ١٠٤) من سورة الكهف.
[٩٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على جور. فتح الباري (٥/ ٣٠١) ح ٢٦٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة (٥/ ١٣٢).
[٩١] الآية (١١٠) من سورة الكهف.
[٩٢] تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٨).
[٩٣] أي ساروا بالليل. النهاية (٢/ ١٢٩).
[٩٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم، انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٥٠) ح ٧٢٨٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته. انظر: (٧/ ٦٣).
[٩٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري(١٣/ ٢٤٩) ح ٧٢٨١.
[٩٦] بفتح التحتانية والزاي وضم العين المهملة: أي يدفعهن. فتح الباري (١٣/ ٣١٨).
[٩٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق: باب الانتهاء عن المعاصي. انظر فتح الباري (١١/ ٣١٦) خ ٦٤٨٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته... (٧/ ٦٤).
[٩٨] الآية (٤٩) من سورة الحج.
[٩٩] الآية (١) من سورة الفرتان.
[١٠٠] الآية (٢٨) من سورة سبأ.
[١٠١] الآية (١٢٨) من سورة التوبة.
[١٠٢] الآية (٢٧) من سورة الفرقان.
[١٠٣] الآية (٦٦) من سورة الأحزاب.
[١٠٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح. انظر: فتح الباري (٩/ ١٠٤) ح ٥٦٣ واللفظ له. ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... انظر: (٤/ ١٢٨).
[١٠٥] أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٦/ ٢٢٦).
[١٠٦] العرباض بن سارية السلمي أبو نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفة، مات سنة خمس وسبعين للهجرة وقيل قبل ذلك. الإصابة (٢/ ٤٦٦).
[١٠٧] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦، ١٢٧). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٣، ١٥) ح ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥/ ٤٤) ح ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه، في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٦). وابن حبان في صحيحه (١/ ١٣٩) والحاكم في

المستدرك (١/ ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (٤٦، ٤٧)، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة (١/ ٤٤، ٤٥) وقال الألباني: سنده صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع، انظر: مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) ح ١٦٥.
[١٠٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٥١) ح ٧٢٨٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب فرض الحج مرة في العمر (٤/ ١٠٢).
[١٠٩] الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.
[١١٠] تقدم تخريجه ص ٤٥
[١١١] الآية (١٧) من سورة الرعد.
[١١٢] أخرجه ابن ماجة في السنن (٢/ ١٨٨)، كتاب المناسك: باب الخطبة يوم النحر. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٧)، وقال: "وفي الباب عن جماعة من الصحابة"، وقد جمع طرق هذا الحديث الشيخ عبد المحسن العباد في كتاب سماه "دراسة حديث: نضر الله امرءا سمع مقالتي... رواية ودراية" وذكر أن الحديث صحيح وبلغ حد التواتر.
[١١٣] الرسالة التبوكية (ص ٥٥، ٥٦).
[١١٤] الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٣٧).
[١١٥] مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٩).
[١١٦] العناق هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. النهاية (٣/ ٣١١).
[١١٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة، انظر: فتح الباري (٣/ ٢٦٢) ح ١٣٩٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٢٨).
[١١٨] أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الفرائض: باب ميراث الجدة (ص ٣٤٦) رقم ١٠٨٧، وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الفرائض: باب ما جاء في ميراث الجدة (٣/ ٣١٦، ٣١٧) ح ٢٨٩٤، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الفرائض: باب ما جاء في ميراث الجدة (٤/ ٤١٩، ٤٢٠) ح ٢١٠٠، ٢١٠١، وأخرجه ابن ماجه في السنن، أبواب الفرائض، باب ميراث الجدة (٢/ ١٢٠) ح ٢٧٥٦.
[١١٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس: باب فرض الخمس فتح الباري (٦/ ١٩٧) ح ٣٠٩٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نورث وما تركنا صدقة" (٥/ ١٥٥).
[١٢٠] محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم، مولى أنس بن مالك، تابعي جليل كان إمام وقته، مات سنة ١١٠ هـ. تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤، ٢١٧).
[١٢١] إعلام الموقعين (١/ ٥٤).
[١٢٢] السنة للالكائي (١/ ٨٤) ح ١٠٠، والبدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٤).
[١٢٣] عامر بن شراحيل الشعبي: أهله من حمير اليمن، قال فيه مكحول: "ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية من الشعبي وقد تولى القضاء في عهد عمر بن عبد

العزيزعلى الكوفة، توفي سنة ١٠٥ هـ وقيل قبل ذلك. تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥-٦٩).
[١٢٤] شريح بن الحارث بن قيس الكندي، القاضي،، مخضرم، ثقة، استقضاه عمر. مات قبل الثمانين أوبعدها. تهذيب التهذيب (٤/ ٣٢٦، ٣٢٨).
[١٢٥] أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٦٠)، وأورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٤٦) وعزاه للبيهقي والدارمي.
[١٢٦] شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. قال ابن معين: "ثقة لا يسأل عن مثله" مات سنة ٨٢ هـ. تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦١، ٣٦٣).
[١٢٧] أخرجه في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٤٩) ح ١٢٧٥.
[١٢٨] قال ابن حجر: "قال ابن بطال: يحتمل أمرين: أحدهما: أن الذين أثنوا عليه إما راغب في حسن رأيي فيه وتقريري له، وإما راهب من إظهار ما يضره من كراهته. أو المعنى راغب فيما عندي وراهب مني. أو المراد الناس راغب في الخلافة وراهب منها، فإن وليت الراغب فيها خشيت أن لا يعان عليها، وان وليت الراهب منها خشيت أن لا يقوم بها.
وذكر القاضي عياض توجيها آخر: أنهما وصفان لعمر أي راغب فيما عند الله، وراهب من عقابه فلا أعول على ثنائكم وذلك يشغلني عن العناية بالاستخلاف عليكم فتح الباري (٣/ ٢٠٧).
[١٢٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام: باب الاستخلاف واللفظ له. انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٥٥، ٢٥٦). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الاستخلاف وتركه (٦/٤، ٥).
[١٣٠] أخرجه في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (٦/ ٥)
[١٣١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج: باب الرمل في الحج والعمرة، واللفظ له. انظر: فتح الباري (٣/ ٤٧١) ح ١٦٠٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٤/ ٦٧).
[١٣٢] عثمان بن عفان، ولد بعد الفيل بست سنين، أسلم على يد الصديق، وقد تزوج بنتي رسرل الله صلى الله عليه وسلم: رقية وأم كلثوم ولذلك سمي ذا النورين، وقد ولي الخلافة سنة ٢٤ هـ، وقعت في عهده الفتنة فقتل رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ. تهذيب التهذيب (٧/ ١٣٩، ١٤٢).
[١٣٣] زينب بنت كعب بن عجرة صحابية تزوجها أبو سعيد الخدري. الإصابة (٤/ ٣١٢).
[١٣٤] الفريعة بنت مالك بن سنان الخدرية، صحابية جليلة وقصتها مذكورة في الحديث الذي معنا. الإصابة (٤/ ٣٧٥).
[١٣٥] أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٥٩١) في الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطلاق، باب في المتوفى عنها تنتقل (٢/ ٧٢٣، ٧٢٤) ح ٢٣٠٠، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطلاق:

باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح (٣/ ٥٠٨) ح ١٢٠٤، وأخرجه النسائي، في السنن الصغرى: كتاب الطلاق باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل (٦/ ١٩٩).
[١٣٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج: باب التمتع والقران والإفراد بالحج... انظر فتح الباري (٣/ ٤٢١)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب جواز التمتع (٤/ ٤٦).
[١٣٧] أورده القاضي عياض في الشفا (٢/ ٥٥٦).
[١٣٨] أبي بن كعب الأنصاري، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرا فما بعدها سيد القراء وهو أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٢٢ هـ. الإصابة (١/ ٣١- ٣٢).
[١٣٩] أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٢١، ٢٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٢- ٢٥٣).
[١٤٠] أخرجه الدارمي في سننه، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١/ ٥٧) وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، باب تغيير البدع (ص ٣٨). وأورده الشاطبي في الاعتصام (١/ ٨١).
[١٤١] أخرجه الدارمي في سننه، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١/ ٥٣).
[١٤٢] أخرجه الدارمي في سننه، باب في كراهة أخذ الرأي (١/ ٦٩)، وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، باب ما يكون من بدعة (ص ١٠)، وأخرجه اللالكائي في السنة (١/ ٨٦) ح ١٠٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨١): رجاله رجال الصحيح.
[١٤٣] أخرجه اللالكائى في السنة (١/ ٨٦) ح ١٠٦.
[١٤٤] أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣) وقال على شرطهما وأقره الذهبي، واللالكائى في السنة (١/ ٥٥) ح ١٤، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١١) وابن عبد البر في جامعه (٢/ ٢٣٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٨) رجاله ثقات.
[١٤٥] سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أحد فقهاء المدينة السبعة ومن أفاضل التابعين، مات سنة ١٠٦ هـ. تهذيب التهذب (٣/ ٤٣٧، ٤٣٨).
[١٤٦] بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين وعده يحي القطان في فقهاء أهل المدينة. تهذيب التهذيب (١/ ٥٥٤).
[١٤٧] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة: باب خروج النساء إلى المساجد (٢/ ٣٢).
[١٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء انظر: فتح الباري (٣/ ٣٥٠)
[١٤٩] فتح الباري (١٣/ ٢٥٧) باختصار يسير.

[١٥٠] عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي الصالح عده بعضهم خامس الخلفاء، ولي الخلافة عام ٩٩ هـ، وتوفي عام ١٠١ هـ، وله أخبار في العدل والزهد كثيرة. تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨).
[١٥١] الشريعة للآجري (ص ٤٨)، وكتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٣٠)، وكتاب الاعتصام للشاطبي (١/ ٥٠)، وجامع بيان العلم وفضله (ص ٢١).
[١٥٢] الشريعة للآجري (ص ٤٨)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٢)، والاعتصام للشاطبي (١/ ٨٧).
[١٥٣] تابعي من أهل المدينة، أول من دون الحديث وهو من كبار الحفاظ الفقهاء، لقي بعض الصحابة قال مالك: "بقي ابن شهاب وما له في الدنيا نظير"، توفي عام ١٢٤ هـ.
التذكرة (١٠٨)، والبداية (٩/ ٣٤٥).
[١٥٤] أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٤٥) باب اتباع السنة.
[١٥٥] هو مجاهد بن جبر المكي تابعي إمام في التفسير، مات في السجود عام ١٠٤ هـ وقيل ١٠٣ هـ. التذكرة (٩٢)، والتهذيب (١٠/ ٤٢).
[١٥٦] أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٥٠٥).
[١٥٧] أبو العالية رُفيع - بضم الراء مصغرا - بن مهران الرياحي - مولى امرأة من بني رياح، قال أبو بكر ابن أبي داود: "ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية"، توفي عام ١٣ هـ. التذكرة (٦١)، والطبقات (٧/ ١١٢)، واللباب (٢/ ٤٦).
[١٥٨] أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٣٢)، وأورده الشاطبي في الاعتصام (١/ ٨٥)
[١٥٩] هو: أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختيانى - بفتح السين - نسبة إلى عمل السختيان وبيعه - وهي الجلود الضأنية - قال ابن سعد: "كان أيوب ثقة ثبتا في الحديث جامعا عدلا ورعا كثير العلم حجة"، توفي سنة ١٣١ هـ. انظر: الطبقات (٧/ ٢٤٦)، واللباب (٢/ ١٠٨)
[١٦٠] أورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٣٥) وعزاه للبيهقي.
[١٦١] أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي، أحد الأئمة الأربعة وإليه ينتسب الأحناف ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٥٠ هـ. البداية (١٠/ ١٠٧).
[١٦٢] المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ١١١) بتحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
[١٦٣] المدخل إلى السنن (ص ٢٠٤).
[١٦٤] الإعتصام للشاطبي (١/ ٤٩).
[١٦٥] الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٥).
[١٦٦] المصدر السابق (١/ ١٠٥).
[١٦٧] المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٠١).
[١٦٨] رسالة التقليد لابن القيم (ص ٨٣).
[١٦٩] الشفا (٢/ ٥٥٨).

[١٧٠] المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٠٥) رقم ٢٥٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٠٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٥٠)، وأورده السيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص ٤٩، ٥٠).
[١٧١] أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٥٠)، والمدخل إلى السنن (ص ٢٠٥)، والحلية (٩/ ١٠٧).
[١٧٢] مجموع الفتاوى (٤/ ٢).
[١٧٣] السنة للالكائي (١/ ١٥٦).
[١٧٤] إيقاظ همم أولي الأبصار (ص ١١٣).
[١٧٥] من أراد الاستزادة من أقوال السلف في هذا الشأن فعليه بالكتب التالية:
أ- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي.
ب- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي.
ج- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي.
د- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي
[١٧٦] الآية (٤٤) من سورة النحل.
[١٧٧] الآية (٦٤) من سورة النحل.
[١٧٨] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٠) ح ٤٦٠٤ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٣).
[١٧٩] إعلام الموقعين (١/ ٤٩، ٥٥).
[١٨٠] الآية (٩) من سورة الحجر.
[١٨١] الآية (٢) من سورة البقرة.
[١٨٢] تفدم تخريجه ص ١٢٠
[١٨٣] انظر: المبحث الأول من هذا الفصل.
[١٨٤] إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٧، ٣٠٨).
[١٨٥] الآية (٨٢) من سورة الأنعام.
[١٨٦] الآية (٢٤) من سورة النساء.
[١٨٧] أعلام الموقعين (٢/ ٣١٤، ٣١٥).
[١٨٨] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية، توفي سنة ٢٧٦ هـ. لسان الميزان (٣/ ٣٥٧- ٣٥٩).
[١٨٩] الزبير بن العوام: من أول من أسلم بمكة، كان يسميه رسول الله صلى الله عليه وسلم "حواريه" لمحبته له، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ٣٦ هـ. الإصابة (١/ ٥٢٦- ٥٢٨).
[١٩٠] أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح، أمين هذه الأمة، وأحد العشرة السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها، توفي سنة ١٨ هـ. الإصابة (٢/ ٢٤٣- ٢٤٥).

[١٩١] سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، شهد أحدا والمشاهد بعدها وكان من فضلاء الصحابة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة توفي بالمدينة سنة خمسين وقيل بعد ذلك. الإصابة (٢/ ٤٤).
[١٩٢] كتاب تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينورى (ص ٣٠).
[١٩٣] قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، تابعي ثقة، ولد عام الفتح، وكان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم، مات سنة ٨٦ هـ وقيل غير ذلك. تهذيب التهذيب (٨/ ٣٤٦، ٣٤٧).
[١٩٤] هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة. النهاية (٤/ ٣٥٦).
[١٩٥] المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صحابي جليل، أسلم قبل عمرة الحديبية، وشهدها وبيعة الرضوان، وكان من دهاة العرب. مات سنة خمسين عند الأكثر. الإصابة (٣/ ٤٣٣، ٤٣٤).
[١٩٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب دية الجنين (٥/ ١١١، ١١٢).
[١٩٧] أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٤).
[١٩٨] أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢)، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في أن الصلاة كفارة (١/ ٤٤٦) ح ١٣٩٥.
[١٩٩] عبد الله بن المبارك المروزي، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، كان ثقة، مأمونا، حجة، كثير الحديث، مات سنة ١٨١ هـ. تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢- ٣٨٩).
[٢٠٠] السنة ومكانتها في التشريع الإ سلامي للدكتور مصطفى السباعي (ص ٩٢).
[٢٠١] يحي بن سعيد بن فروخ القطان، من حفاظ الحديث، ثقة حجة من أقران مالك وشعبة، مات سنة ١٩٨هـ. تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٦- ٥ ٢٢).
[٢٠٢] السنة ومكانتها (ص ٩٣).
[٢٠٣] أعلام الموقعين (٢/ ٢٤٨).
[٢٠٤] البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٣٩).
[٢٠٥] جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء البصري، تابعي، ثقة، كان من أعلم الناس بكتاب الله، مات سنة ٩٣ هـ وقيل بعدها. تهذيب التهذيب (٢/ ٣٨).
[٢٠٦] أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٥٩).
[٢٠٧] إعلام الموتعين (٢/ ١٩٥).
[٢٠٨] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣/ ١١). وأخرجه البخاري موقوفا، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٤٩) ح ٧٢٧٧.
[٢٠٩] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٥/ ١٣٢) وفي رواية: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وهذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. فتح الباري (٥/ ٣٠١) ح ٢٦٩٧.
[٢١٠] الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٩٩) بتصرف.
[٢١١] أخرجه محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١٠).

[٢١٢] البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ١١).
[٢١٣] الإبداع في مضار الابتداع (ص ٩٦).
[٢١٤] أخرجه اللالكائي في السنة (١/ ٥٥) ح ١٢.
[٢١٥] أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٢٥).
[٢١٦] أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٢٥).
[٢١٧] المصدر السابق (ص ٢٥).
[٢١٨] أخرجه اللالكائي في السنة (١/ ٩٢) ح ٢٢٦.
[٢١٩] الحسن بن يسار البصري، ولد في عهد عمر، كان جامعا، عالما، رفيعا، ثقة، مأمونا، عابدا، ناسكا كبير العلم فصيحا توفي سنة ١١٠ هـ. الطبقات لابن سعد (٧/ ١٥٦).
[٢٢٠] البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٧).
[٢٢١] المصدر السابق (ص ٤٧).
[٢٢٢] البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٧).
[٢٢٣] المصدر السابق (ص ٤٧).
[٢٢٤] مجموع الفتاوى (١١/ ٤٧٢).
[٢٢٥] أبو قلابة: عبد الله بن زيد الجرمي أحد الأعلام قال أيوب السختياني: "كان والله من الفقهاء ذوي الألباب"، توفي سنة ١٠٤ هـ وقيل غير ذلك. تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٤، ٢٢٦).
[٢٢٦] البدع والنهي عنها (ص ٤٨).
[٢٢٧] إعلام الموقعين (٢/ ١٩٧).
[٢٢٨] الآيتان (١٣٨، ١٣٩) من سورة الأعراف.
[٢٢٩] الآية (٣٠) من سورة التوبة.
[٢٣٠] الآية (٣١) من سورة التوبة.
[٢٣١] الآيتان (٢٣، ٢٤) من سورة الزخرف.
[٢٣٢] إعلام الموقعين (٢/ ١٩١).
[٢٣٣] أخرجه الدارمي في سننه، المقدمة باب ٢٣.
[٢٣٤] إعلام الموقعين (٢/ ١٩٢).
[٢٣٥] المصدر السابق (٢/ ١٩٣).
[٢٣٦] المصدر السابق
[٢٣٧] إعلام الموقعين (٢/ ١٩٥).
[٢٣٨] الروح لابن القيم (٢/ ٧٦٨، ٧٦٩).
[٢٣٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام: باب ما يذكر من ذم الرأي. فتح الباري (١٣/ ٢٨٢) ح ٧٣٠٧.
[٢٤٠] إعلام الموقعين (١/ ٦٧). وقد تناول ابن القيم في هذا الكتاب القول بالتفصيل عن أنواع الرأي فمن أراد التوسع والاستفادة فليرجع إليه.
[٢٤١] سموا بذلك لقولهم في القدر، وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالا، فأثبتوا خالقا مع الله. الملل والنحل (١/ ٥٤)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٥٦)

[٢٤٢] العفارة: الخبث والشيطنة. النهاية (٣/ ٢٦٢).
[٢٤٣] الآية (١٠) من سورة الملك.
[٢٤٤] إعلام الموقعين (١/ ٦٧- ٦٩).
[٢٤٥] المصدر السابق (١/ ٥٤).
[٢٤٦] إعلام الموقعين (١/ ٥٥).
[٢٤٧] المصدر السابق (١/ ٥٥).
[٢٤٨] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب كيف المسح (١/ ١١٤، ١١٥) ح ١٦٢ وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٥٨).
[٢٤٩] إعلام الموقعين (١/ ٥٨، ٥٩).
[٢٥٠] أخرجه الدارمي في السنن، المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه (١/ ٦٥). وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٥٧).
[٢٥١] إعلام الموقعين (١/ ٧٣).
[٢٥٢] المصدر السابق (١/ ٧٤).
[٢٥٣] المصدر السابق (١/ ٧٤).
[٢٥٤] الآية (١١٥) من سورة المؤمنون.
[٢٥٥] الآية (٣٦) من سورة القيامة.
[٢٥٦] كتاب تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن، تأليف الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني الأسعردي مطرع ضمن الرسائل المنبرية (١/ ١٤٠، ١٤١) بتصرف.
[٢٥٧] الآية (٦٣) من سورة النور.
[٢٥٨]الآية (١٤) من سورة النساء.
[٢٥٩] لآية (٣٦) من سورة الأحزاب.
[٢٦٠] الآية (٢٣) من سورة الجن.
[٢٦١] الآية (١١٥) من سورة النساء.
[٢٦٢] الآية (١٣) من سورة الأنفال.
[٢٦٣] الآية (٦٣) من سورة التوبة.
[٢٦٤] الآية (٥) من سورة المجادلة.
[٢٦٥] الآية (٢٠) من سورة المجادلة.
[٢٦٦] تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٧).
[٢٦٧] الآيتان (٦٠، ٦١) من سورة النساء.
[٢٦٨] الآيات (٥٨- ٥١) من سورة النور.
[٢٦٩] الآية (١١٥) من سورة النساء.
[٢٧٠] الآية (٤٤) من سورة القلم.
[٢٧١] الآية (٥) من سورة الصف.
[٢٧٢] الآية (١١٠) من سورة الأنعام.
[٢٧٣] تفسير ابن كثير (١/ ٥٥٤، ٥٥٥).
[٢٧٤] الآية (٤٤) من سورة المائدة.

[٢٧٥] الآية (٤٥) من سورة المائدة.
[٢٧٦] الآية (٤٧) من سورة المائدة.
[٢٧٧] الآية (٧٠) من سورة الأنعام.
[٢٧٨] الآية (٢٨، ٢٩) من سورة إبراهيم.
[٢٧٩] الآية (٢١) من سورة الشورى.
[٢٨٠] الآية (٦٠) من سورة النساء.
[٢٨١] تيسير العزيز الحميد (ص ٤٩٣).
[٢٨٢] الآية (٤٢) من سورة الأنفال.
[٢٨٣] الآيات (٢٧، ٢٨، ٢٩) من سورة الفرقان.
[٢٨٤] الآية (١٥٣) مى سورة الأنعام.
[٢٨٥] طلق بن حبيب العنزي البصري، تابعي ثقة كان أعبد أهل زمانه قتله الحجاج مع سعيد بن جبير. تهذيب التهذيب (٥/ ٣١- ٣٢).
[٢٨٦] الآية (٣) من سورة الإنسان.
[٢٨٧] الآيتان (١٤، ١٥) من سورة القيامة.
[٢٨٨] الآيات (٣٩، ٤٠، ٤١) من سورة النجم.
[٢٨٩] سلمة بن عمرو بن الأكوع، صحابي جليل أول مشاهده الحديبية، وكان من الشجعان ويسبق الفرس عدوا، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين على الصحيح. الإصابة (٢/ ٦٥).
[٢٩٠] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (٦/ ١٠٩).
[٢٩١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار: باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة. انظر فتح الباري (٧/ ١٦٥). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة (٢/ ٨٨).
[٢٩٢] فتح الباري (٨/ ٦١٤).
[٢٩٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٥٠/ ٩٢) وقد جود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٣).
[٢٩٤] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب العقوبات (٢/ ١٣٣٢، ١٣٣٣) ح ٤٠١٩
[٢٩٥] فرطهم: أي متقدمهم إليه. يقال فرط يفرط، فهو فارط وفرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية. النهاية (٣/ ٤٣٤).
[٢٩٦] الغر: جمع الأغر، من الغرة بياض الوجه، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة. النهاية (٣/ ٣٥٤).
[٢٩٧] الحجل في صفة الخيل هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد، ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين. النهاية (١/ ٣٤٦).
[٢٩٨] دُهُم: أي سود. النهاية (٢/ ١٤٥، ١٤٦)، بُهُم: جمع بهيم وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه. النهاية (١/ ١٦٧).

[٢٩٩] أخرجـه مسلم فـي صـحيحه، كتـاب الطـهـارةك بـاب اسـتحباب إطالـة الغـرة والتحجيل في الوضوء (١/ ١٥٠، ١٥١).
[٣٠٠] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم: باب هلك المتنطعون (٨/ ٥٩).
[٣٠١] شرح النووي لمسلم (١٦/ ٢٢٠).
[٣٠٢] الآية (٢٠) من سورة المجادلة.
[٣٠٣] الآية (١٢٤) من سورة طه.

٢٩. ٤ـ كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [معنى المحبة]

الباب الثاني: وجوب محبته صلى الله عليه وسلم
الفصل الأول: المعنى الصحيح لمحبته صلى الله عليه وسلم والأدلة على وجوبها

المبحث الأول: المعنى الصحيح لمحبته صلى الله عليه وسلم:
المطلب الأول: تعريف المحبة:
أحببت قبل الشروع في بيان المعنى الصحيح لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم أن أتطرق للمعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة المحبة، وذلك بهدف التعريف بهذه الكلمة وبيان مدلولها:
أـ أصل اشتقاق المحبة:
قال صاحب لسان العرب: "المحبة: اسم للحب"[١]، ويرى ابن القيم أن مادة كلمة "حب" تدور في اللغة على خمسة أشياء:
أحدها: الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها "حبب الأسنان"
الثاني: العلو والظهور، ومنه "حبب الماء وحبابه" وهو ما يعلوه عند المطر الشديد، وحبب الكأس منه.
الثالث: اللزوم والثبات، ومنه، حب البعير وأحب، إذا برك ولم يقم.
قال الشاعر:
حلت عليه بالفلاة ضربا ضرب بعير السوء إذ أحبَّا
الرابع: اللب، ومنه: حبة القلب، للبه وداخله.
ومنه: الحبة لواحدة الحبوب، إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه.
الخامس: الحفظ والإمساك، ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا.
ثم قال رحمه الله: ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة:
١ـ فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب.
٢ـ وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد.
٣ـ وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه.
٤ـ ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده، وهو قلبه.
٥ـ ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه.

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة[٢].
ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة: "الحاء" التي هي من أقصى الحلق.
و"الباء" الشفوية التي هي نهايته.
فللحاء الابتداء، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه.
وقالوا في فعلها: حَبّهُ وأحَبّهُ.
ثم اقتصروا على اسم الفاعل من "أحب" فقالوا: "مُحِبٌّ" ولم يقولوا "حاب".
واقتصروا على اسم المفعول من "حب" فقالوا: "محبوب" ولم يقولوا "مُحَب" إلا قليلا كما قال الشاعر:
ولقد نزلت فلا تظني غيره   مني بمنزلة المُحَب المكرم[٣]
وأعطوا "الحب" حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها، مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها.
وأعطوا "الحِب" وهو المحبوب: حركة الكسر لخفتها عن الضمة وخفة المحبوب، وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم...
فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة، وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات[٤].
ب- الحد الاصطلاحي للمحبة:
قال ابن حجر[٥]: "وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد، وإنما يعرفها من قامت به وجدانا ولا يمكن التعبير عنها"[٦]
وقال ابن القيم: "لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها. ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة"[٧].
قلت: وهذا الذي ذكره ابن القيم وابن حجر هو الذي تطمئن له النفس فالمحبة أمر شعوري وجداني يتعرف عليه بواسطة الأمور الستة التي أشار إليها ابن القيم، وذلك لكون هذه الأمور هي العناصر التي يمكن أن يعبر عن المحبة من طريقها.
ولذلك فلا داعي لذكر تعريفات العلماء لها فحدها وجودها، والحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى

المطلب الثاني: أقسام المحبة:
أ- أقسام المحبة من حيث العموم:
تنقسم المحبة من حيث العموم إلى قسمين:
١- مشتركة.   ٢- خاصة.
القسم الأول: المحبة المشتركة.
وهي ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء ونحو ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.
الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم.
الثالث: محبة أنس وألف، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر، لبعضهم بعضا، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضا. فهذه الأنواع الثلاثة، التي تصلح للخلق، بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل، وكان يحب نساءه، وعائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه.
القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله.
ومتى أحب العبد بها غيره، كان شركا لا يغفره الله، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره.
فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا[٨] بل يجب إفراد الله بهذه المحبة الخاصة التي هي توحيد الإلهية، بل الخلق والأمر والثواب والعقاب، إنما نشأ عن المحبة ولأجلها، فهي الحق الذي خلقت به السموات والأرض، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي وهي سر التأله، وتوحيدها هو شهادة أن لا إله إلا الله، وليس كما يزعم المنكرون، أن الإله هو الرب الخالق، فإن الشضركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا الله ولا خالق سواه، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية الذي هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله الذي تألهه القلوب حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة.
وإله بمعنى مألوه، أي: محبوب معبود، وأصله من التأله وهو التعبد الذي هو آخر مراتب المحبة، فالمحبة حقيقة العبودية[٩] وسيأتي مزيد تفصيل لهذا القسم.
ب- أقسام المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها:
تنقسم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها إلى قسمين:
١- نافعة محمودة. ٢- مذمومة ضارة.
القسم الأول: المحبة النافعة
وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة وهي ثلاثة أنواع:
أ- محبة الله.
ب- محبة في الله.
ج- محبة ما يعين على طاعة الله واجتناب معصيته.
فيحب الله تعالى حبا لا يشاركه فيه أحد، ويكون الله عز وجل هو المحبوب المراد الذي لا يحب لذاته ولا يراد لذاته إلا هو، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو محبوبه ومراده وغاية مطلوبه. وتكون هذه المحبة مستلزمة لما يتبعها من عبادته تعالى وخضوعه له، وتعظيمه عز وجل.
والمحبة في الله: بأن يحب المؤمنين لا يحبهم إلا لله ويكون هواه تبعا لحب الله تعالى ورضاه، فلا يحب إلا ما يحب الله تعالى.
ومحبة ما يعين على طاعة الله أنواع كثيرة تندرج فيها جميع العبادات.
القسم الثاني: المحبة الضارة

وهي المحبة المذمومة التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء. وهي ثلاثة أنواع أيضا:

١- المحبة مع الله.
٢- محبة ما يبغضه الله.
٣- محبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

فمن النوع الأول: محبة المشركين آلهتهم كحب الله.
ومن النوع الثاني: محبة الفواحش والمنكرات التي يبغضها الله.
ومن النوع الثالث: عشق النساء الذي يزيد عن حده حتى يضيع الأوامر ويدخل في النواهي، وفي مقدمة ذلك عشق الفاسقات والعاهرات والولدان. فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق.
فأصل المحاب المحمودة محبة الله تعالى بل وأصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآخران تبع لها.
كما أن المحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها[١٠].
فأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها وقالوا: هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ}[١١].
ففرق بين محبة الله أصلا، والمحبة له تبعا، والمحبة معه شركا، وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك[١٢].

المطلب الثالث: حقيقة المحبة الشرعية:
المقصود بالمحبة الشرعية: محبة الله سبحانه وتعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وكل ما يدخل في فلكها ويدور مع محورها.
فهذه المحبة من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله، بل ومن أوجب العبادات المناطة بقلب المؤمن، ذلك لأنه لابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إليه مما سواهما.
فهي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة: إما محبة محمودة، أو عن محبة مذمومة.
فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة لا يكون عملا صالحا عند الله، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه. كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"[١٣].

فإخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أهل الإيمان،
وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه[١٤].
فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها إله سواه، والإله ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك.
والله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به[١٥].
فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[١٦]، وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}[١٧]، وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودا، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودا، ولهذا قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ}[١٨]
فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادا، وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله، فالذين آمنوا أشد حبا لله منهم لله ولأوثانهم لأن المؤمنين أعلم بالله، والحب يتبع العلم، ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}[١٩].
واسم المحبة فيه إطلاق وعموم فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين، وان كان ذلك من محبة الله، وإن كانا المحبة التي لله لا يستحقها غيره.
ولهذا جاءت محبة الله سبحانه وتعالى مقرونة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له، ونحو ذلك. فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى.
وكما أن محبته هي أصل الدين، فكذلك كمال الدين يكون بكمالها ونقصه بنقصها[٢٠] وكمال هذه المحبة هو بالعبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب سبحانه وتعالى فالحق الذي خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له، ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب، ولأجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار[٢١].
قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[٢٢]
وقال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[٢٣]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[٢٤].

فأخبر سبحانه في هذه الآيات أن خلق العالم والموت والحياة وتزين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أحسن عملا، فيكون عمله موافقا لمحاب الرب تعالى، فيوافق الغاية التي خلق هو لها وخلق لأجلها العالم وهي عبوديته المتضمنة لمحبته وطاعته، وهي العمل الأحسن وهو مواقع محبته ورضاه، وقدر سبحانه مقادير تخالفها بحكمته في تقديرها، وامتحن خلقه بين أمره وقدره ليبلوهم أيهم أحسن عملا.

فانقسم الخلق في هذا الابتلاء فريقين:

الفريق الأول: داروا مع أوامره ومحابه، ووقفوا حيث وقف بهم الأمر، وتحركوا حيث حركهم الأمر، واستعملوا الأمر في القدر، وركبوا سفينة الأمر في بحر القدر، وحكموا الأمر على القدر، ونازعوا القدر بالقدر امتثالا لأمره واتباعا لمرضاته فهؤلاء هم الناجون.

والفريق الثاني: عارضوا بين الأمر والقدر، وبين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه، فهؤلاء هم المفرطون[٢٥].

وحقيقة المحبة: حركة نفس المحب إلى محبوبه، فالمحبة حركة بلا سكون[٢٦] فالحب يوجب حركة النفس وشدة طلبها، والنفس خلقت متحركة بالطبع كحركة النار، فالحب حركتها الطبيعية، فكل من أجل شيئا من الأشياء وجد في حبه لذة وروحا، فإذا خلا عن الحب مطلقا تعطلت النفس عن حركتها وثقلت وكسلت وفارقها خفة النشاط، ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس هما وغما وحزنا، ليس لهم فرح ولا سرور، بخلاف أرباب النشاط والجد في العمل أي عمل كان، فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته كان التذاذهم بحبه ونشاطهم فيه أقوى.

وإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به، والأنس بقربه، والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف بالإيمان الذي يمنع من دخولها[٢٧].

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه فليس لقلب العبد صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله، فلا يحب إلا لله.

كما في الحديث الصحيح: "ثلاث من كن فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[٢٨]، فأخبر أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه، ومحبة الرسول هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبة الله، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها، وتصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه - وهو الكفر - بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد.

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان الله أحب إليه من نفسه فالحديث دل على أن حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله، وهذه الحلاوة لا تحصل إلا بثلاثة أمور:

١- تكميل هذه المحبة. ٢- تفريعها. ٣- دفع ضدها.

١- "فتكميلها": أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢- و"تفريعها": أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣- و"دفع ضدها" أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار[٢٩] وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثيل لمن تعلقت به.

وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا وهذا لا نظير له في محبة المخلوق كائنا من كان.

ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركا شركا لا يغفره الله كما قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} والصحيح أن معنى الآية: والذين آمنوا أشد حبا لله من أهل الأنداد لأندادهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته[٣٠].

وكثير من الناس يدعي محبة الله تعالى من غير تحقيق لموجباتها قال بعض السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية[٣١] {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}[٣٢] وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله، وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه، فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته، وإن تنوعت الصفات.

فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب، وليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين.

وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين لله المحبين له، وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به، وترك ما نهى عنه، فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدع، فإن البدع ليست مما دعا إليه الرسول ولا يحبها الله، فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله، فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر[٣٣].

فمحبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضي فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفاضلون في هذا تفاضلا عظيما، فمن كان أعظم نصيبا من ذلك كان أعظم درجة عند الله.

ومن كان أقل نصيبا كان ذلك سببا في نزول درجته ومنزلته، وأما من كان غير متبع لسبيل النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون محبا لله سبحانه وتعالى[٣٤]؟، ومعلوم أنه لا يتم الإيمان والمحبة لله إلا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر[٣٥].

فلابد لمحب الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [٣٦] فهذا حب المؤمن لله.

وقد قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [٣٧] فأخبر أن من كانت محبوباته أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد.

وقال في الذين يحبهم ويحبونه {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} [٣٨].

فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله، والجهاد في سبيله لقوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [٣٩]

وقال تعالى: {تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [٤٠]، وقال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [٤١].

فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده[٤٢].

وثبات المحبة إنما يكون بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله وأقواله وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانه يكون نقصانها.

وهذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معا، ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن في أن تحب الله، بل الشأن في أن يحبك الله، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا، وصدقته خبرا، وأطعته أمرا، وأجبته دعوة، وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن، وارجع من حيث شئت فالتمس نورا فلست على شيء[٤٣].

ومحبة الله ورسوله على درجتين:

واجبة، وهي درجة المقتصدين. ومستحبة، وهي درجة السابقين.
فالأولى: تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بحيث لا يحب شيئا يبغضه، كما قال تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ} وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى، وبغض ما حرمه الله تعالى، وذلك واجب، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه الله، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها وذلك مستلزم لبغضها التام.
فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}[٤٤]. وقال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ}[٤٥]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ}[٤٦].
وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه. فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضي بغض ما أبغضه الله ورسوله، كما في سائر أنواع المحبة، فإنها توجب بغض الضد ..."[٤٧].

المطلب الرابع: المعنى الصحيح لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وانقسام الناس فيها:
اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب لنبينا صلى الله عليه وسلم على القلب واللسان والجوارح حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه. وحرم سبحانه لحرمة رسوله - مما يباح أن يفعل مع غيره - أمورا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته.
فمن تلك الحقوق حقه صلى الله عليه وسلم بأن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دلت على ذلك الأدلة من القرآن والسنة[٤٨] والتي سيأتي ذكرها.
"فحب النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم واجبات الدين"[٤٩].
فهذه المحبة الواجبة له صلى الله عليه وسلم هي من محبة الله، فهي حب لله وفي الله، ذلك لأن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله، والله يحب نبيه وخليله صلى الله عليه وسلم، فوجب بذلك محبته حقا، فهي متفرعة عن محبة الله وتابعة لها واقتران ذكرها مع محبة الله في القرآن والسنة إنما هو للتنبيه على أهميتها وعظم منزلتها.
وبمقتضى هذه المحبة يجب موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه وكره ما يكرهه، أي بتحقيق المتابعة له فيحب بقلبه ما أحب الرسول، ويكره ما كرهه الرسول، ويرضى بما يرضى الرسول، ويسخط ما يسخط الرسول، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض.
وقد انقسم الناس في فهمهم لهذه المحبة إلى ثلاثة أقسام هي:
- القسم الأول: أهل الإفراط.
- القسم الثاني: أهل التفريط.
- القسم الثالث: الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط.

أما أصحاب القسم الأول: فهم الذين بالغوا في محبته بابتداعهم أمورا لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ظنا منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها.
ومن تلك الأمور احتفالهم بمولده، ومبالغتهم في مدحه وإيصاله إلى أمور لا تنبغي إلا لله تعالى ومن ذلك قول قائلهم:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي   فضلا وإلا فقل يا زلة القدم[٥٠]

وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فإذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم لأن "من" للتبعيض، فماذا للخالق جل وعلا؟
إضافة إلى صرف بعض أنواع العبادة له كالدعاء والتوسل والاستشفاع والحلف به والطواف والتمسح بالحجرة التي فيها قبره صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من البدعيَّات والشركيَّات التي تفعل بدعوى المحبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أمور لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا بإجلالهم وتقديرهم ومحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإضافة إلى ذلك فإن ما يقوم به هؤلاء هي أمور مخالفة لما جاء به الشارع، بل هي أمور قد حذر الشارع من فعلها، ولقد صار حظ أكثر أصحاب هذا القسم منه صلى الله عليه وسلم مدحه بالأشعار والقصائد المقترنة بالغلو والإطراء الزائد الذي حذر منه الشارع الكريم، مع عصيانهم له في كثير من أمره ونهيه، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات الله عليه وسلامه[٥١].
فيا ترى أي محبة هذه التي يخالف أصحابها شرع نبيهم، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، فكرهوا ما أحب الله ورسوله، وأحبوا ما كرهه الله ورسوله. فكيف تكون لهؤلاء محبة وهم قد ابتدعوا ما ابتدعوه من أمور لم تشرع في الدين، ونعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبرأ ممن ابتدع في هذا الدين فقال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".
والذي يجب على أمثال هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول وتعظيمه إنما تكون بتصديقه فيما أخبر به عن الله، وطاعته فيما أمر به، ومتابعته، ومحبته وموالاته، لا بالتكذيب بما أرسل به، والإشراك به والغلو فيه، فهذا لا يعدو كونه كفرا به، وطعنا فيما جاء به ومعاداة له[٥٢].

كما يجب عليهم أن يفرقوا بين الحقوق التي يختص بها الله وحده ويبين الحقوق التي له ولرسله، والحقوق التي يختص بها الرسول، فقد ميز سبحانه بين ذلك في مثل قوله {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [٥٣]، فالتعزير والتوقير للرسول والتسبيح بكرة وأصيلا لله، وكما قال: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}، فالطاعة لله ولرسوله، والخشية والتقوى لله وحده وكما يقول المرسلون: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} [٥٤].

فعلى هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تنال بدعائه والاستغاثة به، فتلك أمور صرفها لغير الله يعد شركا مع الله فالله وحده هو الذي يدعى ويستغاث به فهو رب العالمين، وخالق كل شيء، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو القريب الذي يجيب الداع إذا دعاه وهو سميع الدعاء سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وسيأتي بإذن الله مزيد تفصيل لما وقع فيه أصحاب هذا القسم من الغلو في حقه، وذلك في الباب الرابع الذي عقدته للكلام عن الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم.

أما أصحاب القسم الثاني فهم أهل التفريط الذين قصروا في تحقيق هذا المقام فلم يراعوا حقه صلى الله عليه وسلم في وجوب تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال. كما لم يراعوا ماله من حقوق أخرى كتعزيره وتوقيره وإجلاله وطاعته واتباع سنته والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك من الحقوق العظيمة الواجبة له.

والسبب في ذلك يعود إلى إحدى الأمور التالية أو إليها جميعا وهي:

أولا: إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وعن اتباع شرعه بسبب ما هم عليه من المعاصي، وإسرافهم في تقديم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي.

ثانيا: اعتقاد الكثير أن مجرد التصديق يكفي في تحقيق الإيمان، وأن هذا هو القدر الواجب عليهم، ولذا تراهم يكتفون بالتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، دون تحقيق المتابعة له، وهذا هو حال أهل الإرجاء الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو تصديق القلب وإقرار اللسان وما أكثرهم في زماننا هذا.

ثالثا: جهل الكثير منهم بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له صلى الله عليه وسلم، والتي من ضمنها محبته صلى الله عليه وسلم فكثير من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ليس لهم من الإسلام إلا اسمه وليس لهم من الدين إلا رسمه.

فالواجب على هؤلاء أن يعودوا إلى رشدهم وأن يقلعوا عن غيهم، وما هم عليه من المعاصي والذنوب التي هي سبب نقصان إيمانهم وضعف محبتهم وبعدهم عما يقربهم إلى الله تعالى.

كما يجب عليهم أن يعلموا أن مجرد التصديق لا يسمى إيمانا بل الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان، فليس لأحد أن يخرج العمل عن مسمى الإيمان فلذلك يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يطيع الله ورسوله ويتبع ما أنزل الله من الشرع على رسوله صلى الله عليه وسلم، فبذلك يحصل الإيمان، فإن الاتباع هو ميزان الإيمان فبحسب اتباع المرء يكون إيمانه، فمتى ما قوي اتباعه قوي إيمانه والعكس بالعكس.

كما يجب عليهم معرفة أمور دينهم وبخاصة الواجب منها والتي من ضمنها معرفة ما للمصطفى صلى الله عليه وسلم من الحقوق الواجبة فلقد ذم الله تبارك وتعالى أولئك النفر الذين لم يعرفوا ما للنبي صلى الله عليه وسلم من حق في عدم رفع الصوت عند مخاطبته أو مناداته ووصفهم الله بأنهم لا يعقلون قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} [٥٥]، وفي السورة نفسها أثنى على الذين عرفوا

حق المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[٥٦]، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}[٥٧]. وليعلم هؤلاء أنه لا يتحقق لهم إيمان ولا محبة إلا باتباعهم للمصطفى صلى الله عليه وسلم واقتدائهم بسنته والسير على نهجه وهداه.

أما القسم الثالث: فهم الذين توسطوا بين الطرفين السابقين أهل الإفراط وأهل التفريط. فأصحاب هذا القسم هم السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكما وقاموا بمقتضاها اعتقادا وقولا وعملا. فأحبوا النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق امتثالا لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فجعلوه أولى بهم من أنفسهم تصديقا لقوله تعالى {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}[٥٨]، وأيقنوا بوجوب أن يوقى بالأنفس والأموال طاعة لقوله تعالى {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ}[٥٩]. وقاموا بمقتضى هذه المحبة اعتقادا وقولا وعملا بحسب ما أو جب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من حقوق على القلب واللسان والجوارح من غير إفراط ولا تفريط. فآمنوا وصدقوا بنبوته ورسالته وما جاء به من ربه عز وجل. وقاموا- بحسب استطاعتهم- بما يلزم من طاعته والانقياد لأمره والتأسي بفعله والاقتداء بسنته إلى غير ذلك مما يعد من لوازم الإيمان برسالته. قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[٦٠] وامتثلوا لما أمر به سبحانه وتعالى من حقوق زائدة على مجرد التصديق بنبوّته وما يدخل في لوازم رسالته.

فمن ذلك امتثالهم لأمره سبحانه بالصلاة عليه والتسليم قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[٦١]. وما أمر به سبحانه من تعزيره وتوقيره قال تعالى: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ}. فتعزيره يكون بنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه صلى الله عليه وسلم.

وتوقيره: يكون بإجلاله وإكرامه وأن يعامل بالتشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[٦٢].

ويدخل في ذلك مخاطبته بما يليق قال تعالى:{لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً}[٦٣].

وحرمة التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرمة رفع الصوت فوق صوته وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[٦٤].

فقاموا بهذه الأمور امتثالا وطاعة لأمر الله تبارك وتعالى وأدوا ما فرض عليهم من الحقوق الأخرى التي يطول ذكرها والتي هي مذكورة في ثنايا هذا البحث. وهم مع قيامهم بهذه الأمور لم يتجاوزوا ما أمروا به فلم يغالوا ولم يبالغوا كما فعل أهل

الإفراط الذين وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأمور لا تنبغي لغير الله كعلم الغيب، وصرفوا لـه أمورا لا يجوز صرفها لغير الله كدعائه والسجود لـه والاستغاثة بـه والطواف بقبره.
بل هم مؤمنون بأن ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من النبوة والرسالة والرفعة وعظم القدر وشرف المنزلة، كل ذلك لا يوجب خروجه عن بشريته وعبوديته لله قال تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً} [٦٥].
واعتقدوا أنه ليس من المحبة في شيء الغلو في حقه وقدره ووصفه بأمور قد اختص الله بها وحده، بل علموا أن في هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة ومناقضة لما أمر به سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوله لأمته: {قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [٦٦].
وقال تعالى: {قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [٦٧].
فكل غلو في حقه صلى الله عليه وسلم ليس من محبته في شيء بل يعد مخالفة لما أمر به فيجب الابتعاد عن ذلك والحذر من عقوبته قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} كما يعد مشاقة للرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [٦٨]، ولذا فإنه يجب الحذر من حال الغلاة الذين غلوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بما ابتدعوه من الأمور التي لم يشرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله، بل حذر الله ورسوله منها.
وقد يظن البعض بأن السير على منهج أهل التوسط فيه انتقاص من قدر النبي صلى الله عليه وسلم وغمط لحقه، والأمر على عكس ما يظنون فالذي يعتقده السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين أن الحق الواجب أن يثنى على النبي صلى الله عليه وسلم بما هو أهل له من الخصائص الثابتة له التي خصه الله بها والفضائل العظيمة التي شرفه بها والصفات الحقيقية والخلقية التي كان عليها وذلك للتعرف وتعريف الناس بفضله ومكانته وعظيم قدره عند الله وعند خلقه حتى يتأسى ويقتدى به في أقواله وأفعاله فهو الأسوة والقدوة عليه أفضل الصلاة والتسليم قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} [٦٩].
فمن صميم المحبة له صلى الله عليه وسلم الاشتغال بمعرفة سيرته بقصد التأسي والاقتداء بما كان عليه من كريم الخصال ومحاسن الأفعال والأقوال. وكذا معرفة شمائله ودلائل نبوته التي تعمق إيمان المسلم بصدق نبوته وتزيد في محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم. ولقد اهتم السلف بهذه الجوانب وأولوها رعايتهم واهتمامهم فاعتنوا بتأليف المؤلفات التي أوضحت هذه الجوانب وأبرزتها فقد ألفت لهذا الغرض كتب الشمائل التي اعتنت بذكر صفاته وأحواله في عباداته وخلقه وهديه ومعاملاته[٧٠]، كما ألفت كتب الدلائل التي اعتنت بدلائل وعلامات نبوته صلى الله عليه وسلم[٧١].

هذا بالإضافة إلى ما كتب في الفضائل والخصائص التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم. كما اعتنوا بأصل هذه الجوانب جميعها ألا وهو سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد ألفت لهذا الغرض المؤلفات التي اعتنت بحياته منذ ولادته إلى وفاته وضمت في جوانب ذلك الحديث عن نشأته وبعثته وما حدث له من الأمور قبل الهجرة وبعدها وما كان من أمر دعوته وغزواته وسراياه وما يتعلق بهذه الجوانب وغيرها مما هو داخل في سيرته[٧٢]. فقد دونت هذه الجوانب جميعها وخدمت بقصد أن يتأسى الناس به صلى الله عليه وسلم وأن يتعرفوا على كمال ذاته صلى الله عليه وسلم وما تميز به من صفات، وتفرد به من أخلاق لتزيد تلك المعرفة من محبتهم له وتنميتها في قلوبهم ولتبعث في نفوسهم تعظيمه وإجلاله.

وبهذا يعلم أن أهل التوسط لم ينتقصوا من قدره صلى الله عليه وسلم بل حفظوا وحافظوا على كل ما من شأنه أن يضمن استمرارية محبة الأمة وتعظيمها له.

فهذه حال أهل التوسط وهذا هو منهجهم فمن أراد أن يسير على النهج القويم ويسلك الصراط المستقيم فعليه بسبيل أهل الإيمان وطريقهم ألا وهو الكتاب والسنة فذاك طريق الحق، والحق أحق أن يتبع.

وهذا منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، فقد كانت محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم تحكمها قواعد الكتاب والسنة، فما أمر به الشارع ائتمروا به وما نهى عنه الشارع انتهوا عنه، ولم يحكموا في هذه المحبة عواطفهم وأهواءهم كما فعل أهل الإفراط الذين زلت بهم أقدامهم بسبب غلوهم في حقه ذاك الغلو الذي دفعهم إليه تحكيم أهوائهم، وهو غلو ما أنزل الله به من سلطان بل إن نصوص الشرع تنص على تحريمه، وإنه ليصدق وصف أهل الإفراط بقوله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [٧٣].

فخلاصة القول في هذا الجانب أن المفهوم الصحيح لمحبته صلى الله عليه وسلم يتمثل في ذلك المفهوم الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم. ذلك المفهوم المستمد من آيات القرآن ونصوص السنة والذي لم يخرج عنهما قيد أنملة.

وما ذكرته ههنا عن هذا المفهوم الصحيح على سبيل الإجمال، وتفصيل ذلك مستوفى بين دفتي هذا البحث فمنه ما سبق بيانه ومنه ما سيأتي تفصيله ونسأل الله الإعانة على ذلك.

المبحث الثاني: الأدلة على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الأدلة من القرآن على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم.

لما كانت محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان[٧٤].

ولما كانت هذه المحبة من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به. ولما كانت هذه المحبة هي إحدى الحقوق الواجبة للنبي صلى الله عليه وسلم على أمته، فقد جعل

الله هذه المحبة فوق محبة الإنسان لنفسه وأهله وماله والناس أجمعين. كما نص على ذلك في كتابه الله العزيز:
أولا: قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[٧٥].
فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة[٧٦].
قال القاضي عياض: "كفى بهذه الآية حضا وتنبيها ودلالة وحجة على لزوم محبته، ووجوب فرضها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}
ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[٧٧].
والمتأمل لهذه الآية يجد أن الأمر فيها لم يقتصر على وجود أصل المحبة لله ورسوله، بل لابد مع ذلك أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وهذه المحبة لله تقتضي تحقيق العبودية له لأن العبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمره ومحبته ورضاه كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[٧٨] وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخالي عن الذل والذل الخالي عن الحب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وهي وإن كانت منفعتها للعبد والله غني عنها فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها [٧٩]
وأما محبة الرسول فتقتضي تحقيق المتابعة له صلى الله عليه وسلم وموافقته في حب المحبوبات وبغض المكروهات. ومحبته صلى الله عليه وسلم متفرعة عن محبة الله تعالى وتابعة لها. فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة.
فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ}[٨٠]، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها "أهل الأهواء"[٨١]
والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك، ولكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث حمار[٨٢] الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقيم عليه الحد فلما كثر ذلك منه لعنه رجل، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم: "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله"[٨٣] وفيه دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه، وإن كان مذنبا، إذا كان يحب الله ورسوله[٨٤].

ثانيا: ومن الآيات التي يستدل بها على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}[٨٥] فالآية دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمورا منها: أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم إلى العبد من نفسه، لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان.

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا، بل الحكم على نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها.

ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصيبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والمحبة لها والرضا بها والتحاكم إليها، وعرض ما قاله الرسول عليها، فإن وافقها قبله، وإن خالفها التمس وجوه الحيل وبالغ في رده ليا وإعراضا[٨٦]

ولذلك فإنه ينبغي على كل مسلم أن يعلم أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم ليست مجرد دعوى تتحقق بتلفظ اللسان فقط - كما يظن كثير من الناس - بل لابد لهذه الدعوى من البرهان الذي يثبت صدقها، وبرهان المحبة تحقيق الأولوية في شتى صورها وأشكالها فبحسب ذلك التحقيق تتحدد درجة المحبة وتتعين. وليعلم أنه لا يتم للعبد مقام الإيمان حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أجل إليه من نفسه فضلا عن ابنه وأبيه. فإذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه؟.

ثالثا: ومما يستدل به كذلك على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ}[٨٧]. ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن الآية قد تضمنت وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مما يدخل في محبة الله محبة ما يحبه الله، والله يحب نبيه وخليله صلى الله عليه وسلم فمن أجل ذلك وجبت علينا محبته. ومن المعلوم أن أصل حب أهل الإيمان هو حب الله، ومن أحب الله أحب من يحبه الله، وكل ما يحب سواه فمحبته تكون تبعا لمحبة الله، إذ ليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى.

فالرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله، وكذا الأنبياء والصالحون وسائر الأعمال الصالحة تحب جميعا لأنها مما يحب الله.

وبهذا يعلم تعين محبة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوبها ولزومها.

هذا وقد جاء ذكر محبة الرسول مقترنا بمحبة الله في قوله تعالى: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .."

وفي مواطن أخرى متعددة من السنة كما سيأتي.

وهذا الاقتران يدلل على مدى الصلة الوثيقة يين محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن كانت محبة الرسول داخلة ضمن محبة الله تعالى أصلا، لكن إفرادها بالذكر مع أنها ضمن محبة الله فيه إشارة إلى عظم قدرها وإشعار بأهميتها ومكانتها.
رابعا: ومن الأدلة قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٨٨].
ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، والإيمان به لابد فيه من تحقق شروطه التي منها محبة النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده"[٨٩].
فمحبته صلى الله عليه وسلم شرط في الإيمان الذي لا يتحقق الاتباع إلا بوجوده. ومن جهة أخرى فإن محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات، واتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه. وهو سبحانه أعظم شيء بغضا لمن لم يتبع رسوله. فمن كان صادقا في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.
فتأمل هذا التلازم بين محبة الله تعالى ومحبة نبيه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم.
تضافرت الأدلة من السنة على تأكيد وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار هذه المحبة من صميم الدين فلا يتم لأحد إيمان إلا بتحقيقها. بل إنه لا يكتفي بوجود أصلها فقط، إذ لابد مع ذلك من تقديم محبته بعد محبة الله على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين.

ومما يدل على وجوب تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على محبة النفس.
أولا: ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر"[٩٠].
فالحديث نص على وجوب تقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة النفس.
وأما الدليل على وجوب تقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين:
ثانيا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده".
ثالثا: وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم

حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[٩١].
"فالمراد من قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم" أي: لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته، ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين، بل لا يحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه أيضا، كما تقدم في حديث عمر رضي الله عنه. فمن لم يكن كذلك، فهو من أصحاب الكبائر إذا لم يكن كافرا، فإنه لا يعهد في لسان الشرع نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته، فأما إذا كان الفعل مستحبا في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب، ولو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله، لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، بل ولا أبو بكر ولا عمر، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه، لجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل.
وعلى هذا فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق، وإن أراد نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
وأكثر الناس يدعي أن الرسول أحب إليه مما ذكر، فلا بد حينئذ من تصديق ذلك بالعمل والمتابعة له، وإلا فالمدعي كاذب.
فإن القرآن بين أن المحبة التي في القلب تستلزم العمل الظاهر بحبها كما قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}، وقال تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} إلى قوله: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٩٢]، فنفي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله سمعوا وأطاعوا.
فتبين أن هذا من لوازم الإيمان والمحبة، ولكن كل مسلم لابد أن يكون محبا بقدر ما معه من الإسلام، كما أن كل مؤمن لابد أن يكون مسلما وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنا، وإن لم يكن مؤمنا الإيمان المطلق، لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين، فإن الاستسلام لله ومحبته لا يتوقف على هذا الإيمان الخاص.
وهذا الفرق يجده الإنسان من نفسه ويعرفه من غيره، فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا في الإسلام، والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، وهم مسلمون ومعهم مطلق الإيمان، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين، ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفارا ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحق لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال.
وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق"[٩٣].

رابعا: وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن، يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

وفي هذا الحديث أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. والمتأمل في هذه الأمور الثلاثة يرى أنها تتبع كمال محبة العبد لله[٩٤] لأن محبة الله تكمل بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ذلك لأن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها: بأن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهة الإلقاء في النار[٩٥]. والشاهد من الحديث معنا قوله: "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما". فمن المعلوم أن كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة، غير أن الناس يتفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى وهم الذين جعلوا محبة الله ورسوله مقدمة على ما سواهما. ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في أكثر الأوقات.

ومنهم من هو بين هذين الأمرين.

فالحظ الأوفى هو بتحقيق هذه المرتبة من المحبة وهي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما". وذلك بأن يتوجه بكليته نحو هذه الغاية فيحب ما أحب الله ورسوله ويكره ما كرهه الله ورسوله، فيمتثل للأوامر ويجتنب النواهي ولا يتلقى شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان.

وأما قوله: "وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" ففيه دلالة واضحة على أن حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما.

وفي الحديث "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان"[٩٦]. ومتى كان حب المرء وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها[٩٧].

خامسا: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟، قال: "وما أعددت للساعة؟"، قال: حب الله ورسوله. قال: "فإنك مع من أحببت".

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنك مع من أحببت". قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم"[٩٨].
سادسا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله"[٩٩].
سابعا: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي"[١٠٠].
ثامنا: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه".
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورت لها[١٠١] رجاء أن أدعى لها. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها... " الحديث[١٠٢].
وعن سهل بن سعد[١٠٣] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر:
"لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله".
قال: فبات الناس يدوكون[١٠٤] ليلتهم: أيهم يعطاها؟، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: "أين علي بن أبي طالب؟" فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: "فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية ...." الحديث[١٠٥].

المطلب الثالث: ما جاء عن الصحابة في شأن محبته صلى الله عليه وسلم:
إن مما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه صلى الله عليه وسلم كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم فبالتالي كان حبهم له صلى الله عليه وسلم أشد وأكبر.
وإن المتأمل لما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من كلام في هذا الخصوص يلمس صدق تلك المحبة وعظمها في نفوسهم.
فعن عمرو بن العاص[١٠٦] رضي الله عنه قال: "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه"[١٠٧].
وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: "كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ"[١٠٨].
وقد سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك - زيد بن الدثنة[١٠٩]رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه - وكان قد أسر يوم الرجيع -[١١٠] أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب

عنقه وإنك في أهلك؟، قال: "والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي".
فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا[١١١].
وعن الشعبي قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت وبكى الأنصاري. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبكاك؟"، قال: ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك.
فلم يخبره النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً}[١١٢]، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أبشر"[١١٣].
وقال سعد بن معاذ[١١٤] رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: "يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كان الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك"، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير[١١٥].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد جاض[١١٦] أهل المدينة جيضة وقالوا: قتل محمد، حتى كثرت الصوارخ[١١٧] في ناحية المدينة. فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت[١١٨] بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولا فلما مرت على أحدهم قالت: من هذا؟، قالوا : أبوك أخوك زوجك ابنك. تقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، يقولون: أمامك حتى دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب[١١٩].
وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك[١٢٠] جلل"[١٢١].
ولقد حكم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم فقالوا: "هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخضناه، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك"[١٢٢].
وما هذا الإيثار الذي تضمنته هذه الكلمات إلا تعبيرا عما تكنه نفوسهم من المحبة له صلى الله عليه وسلم واسمع إلى قول قيس بن صرمة الأنصاري[١٢٣] إذ يقول:
ثوى في قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى حبيبا مؤاتيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه   فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واتقرت به النوى   وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا   وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم   جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره   وأن رسول الله أصبح هاديا[١٢٤]

---

[١] (١/ ٢٩٠)

[٢] زاد ابن القيم في كتابه روضة المحبين (ص ١٧، ١٨) على هذه المعاني الخمسة مايلي: "وقيل: بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب، ومنه سمي القرط حبا لقلقه في الأذن واضطرابه. وقيل بل هي مأخوذة من الحب الذي هو إناء واسع فيمتلئ به بحيث لا يسع لغيره، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه، وقيل: مأخوذة من الحب وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع من جرة أو غيرها فسمي الحب بذلك لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال، كما تتحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها.

[٣] البيت لعنترة بن شداد.

[٤] مدارج السالكين (٣/ ٩- ١١).

[٥] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- صاحب كتاب فتح الباري- من أئمة العلم والتاريخ، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ، وتوفي بها سنة ٨٥٢ هـ، وله مؤلفات كثيرة. الأعلام (١/ ١٧٨)

[٦] فتح الباري (١٠/ ٤٦٣).

[٧] مدارج السالكين (٣/ ٩).

[٨] تيسير العزيز الحميد (ص ٤١١).

[٩] تيسير العزيز الحميد (ص ٤١٢).

[١٠] إغاثة اللهفان (٢/ ١٤٠، ١٤١)، وجامع الرسائل (٢/ ٢٠٢).

[١١] الآية (١٦٥) من سورة البقرة.

[١٢] روضة المحبين (٢٩٣).

[١٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد: باب من أشرك في عمله غير الله (٨/ ٢٢٣).

[١٤] مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨، ٤٩).

[١٥] مجموع الفتاوى (١١/ ٥٢٣، ٥٢٤).

[١٦] الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

[١٧] الآية (٢١) من سورة البقرة.

[١٨] الآية (١٦٥) من سورة البقرة.

[١٩] الآية (٢٩) من سورة الزمر.

[٢٠] مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦، ٥٧).

[٢١] روضة المحبين (ص ٥٩).
[٢٢] الآية (٢) من سورة الملك.
[٢٣] الآية (٧) من سورة الكهف.
[٢٤] الآية (٧) من سورة هود.
[٢٥] روضة المحبين (٦٠، ٦١).
[٢٦] روضة المحبين (ص ٥٩).
[٢٧] روضة المحبين (ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨) بتصرف.
[٢٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمان، فتح الباري (١/ ٦٠) ح ١٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٤٨).
[٢٩] مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦).
[٣٠] روضة المحبين (١٩٩، ٢٠٠).
[٣١] مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١٥).
[٣٢] الآية (٣١) من سورة آل عمران.
[٣٣] مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦٠).
[٣٤] مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١٦).
[٣٥] مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦٦).
[٣٦] الآية (١٥) من سورة الحجرات.
[٣٧] الآية (٢٤) من سورة التوبة.
[٣٨] الآية (٥٤) من سورة المائدة.
[٣٩] الآية (٢٢) من سورة المجادلة.
[٤٠] الآية (٨٠، ٨١) من سورة المائدة.
[٤١] الآية (٤) من سورة الممتحنة.
[٤٢] مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦١).
[٤٣] مدارج السالكين (٣/ ٣٧).
[٤٤] الآية (٢٨) من سورة محمد.
[٤٥] الآيتان (١٢٤، ١٢٥) من سورة التوبة.
[٤٦] الآيتان (٣٦) من سورة التوبة.
[٤٧] قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٩١، ٩٢).
[٤٨] الصارم المسلول (ص ٤٢٠، ٤٢١) بتصرف يسير.
[٤٩] الرد على الأخنائي (ص ٢٣١).
[٥٠] ديوان البوصيري (ص ٢٣٨).
[٥١] تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٦).
[٥٢] الرد على الأخنائي (ص ٢٤، ٢٥) بتصرف.
[٥٣] الآية (٩) من سورة الفتح.
[٥٤] الآية (٣) من سورة نوح.
[٥٥] الآية (٤) من سورة الحجرات.

[٥٦] الآية (٣) من سورة الحجرات.
[٥٧] الآية (٩) من سورة الزمر.
[٥٨] الآية (٦) من سورة الأحزاب.
[٥٩] الآية (١٢٠) من سورة التوبة.
[٦٠] الآية (٧) من سورة الحشر.
[٦١] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٦٢] الصارم المسلول (ص ٤٢٢).
[٦٣] الآية (٦٣) من سورة النور.
[٦٤] الآيات (١، ٢، ٣) من سورة الحجرات.
[٦٥] الآية (٩٣) من سورة الإسراء.
[٦٦] الآية (٦٥) من سورة النمل.
[٦٧] الآية (١٨٨) من سورة الأعراف.
[٦٨] الآية (١١٥) من سورة النساء.
[٦٩] الآية (٢١) من سورة الأحزاب.
[٧٠] من تلك الكتب: كتاب الشمائل للترمذي، كتاب الشمائل لابن كثير.
[٧١] منها: كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي.
[٧٢] ومن أشمل الكتب التي تحدثت عن سيرته صلى الله عليه وسلم كتاب السيرة لابن كثير.
[٧٣] الآية (٥٠) من سورة القصص.
[٧٤] مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٨، ٤٩).
[٧٥] الآية (٢٤) من سورة التوبة.
[٧٦] تفسير القرطبي (٨/ ٩٥) بتصرف.
[٧٧] الشفا (٢/ ٥٦٣).
[٧٨] الآية (٥٦) من سورة الذاريات.
[٧٩] التحفة العراقية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٤، ١٣) مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية (بتصرف يسير).
[٨٠] الآية (٥٠) من سورة القصص.
[٨١] جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٦٦) بتصرف يسير.
[٨٢] هذا لقبه واسمه النعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري، وقيل إن القصة وقعت لابنه عبد الله. فتح الباري (١٢/ ٧٧)، والإصابة (٣/ ٥٤٠، ٥٤١).
[٨٣] أخرجه في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة. انظر: فتح الباري (١٢/ ٧٥).
[٨٤] كتاب قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢، ٧٣) بتحقيق محمد رشاد سالم.
[٨٥] الآية (٦) من سورة الأحزاب.
[٨٦] الرسالة التبوكية (ص ٢٩، ٣٠) بتصرف يسير.
[٨٧] الآية (١٦٥) من سورة البقرة.

[٨٨] الآية (٣١) من سورة آل عمران.
[٨٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان. انظر: فتح الباري (١/ ٥٨) ح ١٤.
[٩٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (١١/ ٥٢٣) ح ٦٦٣٢.
[٩١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، واللفظ له. انظر: فتح الباري (١/ ٥٨) ح ١٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان (١/ ٤٨).
[٩٢] الآية (٥١) من سورة النور.
[٩٣] تيسير العزيز الحميد (٤١٥، ٤١٧).
[٩٤] المقصود كمال المحبة الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة وليس المراد الكمال المستحب.
[٩٥] مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦).
[٩٦] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥/ ٢٢٩).
[٩٧] جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦، ٣٦٧) بتصرف.
[٩٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب: باب المرء مع من أحب، انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٥٧) ح ٦١٧١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصله: باب المرء مع من أحب (٨/ ٤٢) واللفظ له.
[٩٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وماله. انظر: (٨/ ١٤٨).
[١٠٠] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب: باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٦٦٤) ح ٣٧٨٩، وقال الترمذي حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٤٩، ١٥٠) وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١١). والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٦٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٤١) ح ١٠٦٦٤.
[١٠١] "تساورت لها": أي رفعت لها شخصي. النهاية (٢/ ٤٢٠).
[١٠٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧/ ١٢١).
[١٠٣] سهل بن سعد الساعدي الأنصاري من مشاهير الصحابة، مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة سنة. وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، مات سنة إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك. الإصابة (٢/ ٨٧).
[١٠٤] أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه. النهاية (٢/ ١٤٥).
[١٠٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي: باب غزوة خيبر انظر: فتح الباري (٧/ ٤٧٦) ح ٤٢١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧/ ١٢١).

[١٠٦] هو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي أسلم قبل الفتح، أحد دهاة العرب في الإسلام، وأحد القادة الفاتحين، فتح مصر وكان أميرا عليها، توفي سنة ٤٣ هـ. الإصابة (٣/ ٢- ٣).
[١٠٧] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجره (١/ ٧٨).
[١٠٨] الشفا (٢/ ٥٦٨).
[١٠٩] زيد بن الدثنة - بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون - ابن معاوية الأنصاري البياضي، شهد بدرا وأحدا، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بالتنعيم. الإصابة (١/ ٥٤٨).
[١١٠] الرجيع: بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث، وسمي بذلك لاستحالته، والمراد هنا: اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بالقرب منه. فتح الباري (٧/ ٣٧٩).
[١١١] البداية لابن كثير (٤/ ٦٥)، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٢٦) في أمر خبيب.
[١١٢] الآيتان (٩، ٧٠) من سورة النساء.
[١١٣] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ص ١٣) بتحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية. وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر. انظر (٢/ ١٨٢). والحديث له شاهد آخر من حديث عائشة مرفوعا بنحوه، أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٦). وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧): "رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة، وله شاهد آخر من حديث ابن عباس مرفوعا بنحوه، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٨٦) ح رقم ١٢٥٥٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وله شاهد من طريق آخر عن سعيد بن جبير مرسلا. أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٦٣). وطرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا. والله أعلم.
[١١٤] سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، سيد الأوس، صحابي جليل، شهد بدرا، ورمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا ثم مات، وذلك سنة خمس من الهجرة. الإصابة (٢/ ٣٥).
[١١٥] أورده ابن هشام في السيرة (٢/ ١٩٢) وعزاه لابن إسحاق، وأورده ابن كثير في البداية (٣/ ٢٦٨)
[١١٦] يقال: جاض في القتال: إذا فر. وجاض عن الحق: عدل.
وأصل الجيض: الميل عن الشيء، ويروى بالحاء والصاد المهملتين النهاية (١/ ٣٢٤).
[١١٧] جمع صارخ: وهو المصوت يعلمه بأمر حادث يستعين به عليه أو ينعي له ميتا. النهاية (٣/ ٢١).
[١١٨] أي أخبرت بمقتل أبيها، وابنها، وزوجها، وأخيها.

[١١٩] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.
[١٢٠] جلل: أي هينة ويسيره، والكلمة من الأضداد تكون للحقير والعظيم النهاية (١/ ٢٨٩).
[١٢١] رواه ابن هشام في السيرة (٣/ ٤٣). وعنه أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٤٧) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٠٢) بنحوه.
[١٢٢] روضة المحبين (ص ٢٧٧).
[١٢٣] قياس بن صرمة، وقيل صرمة بن قيس، وقيل قيس بن مالك بن صرمة وقيل غير ذلك، الأوسي الأنصاري، أدرك الإسلام شيخا كبيرا فأسلم، وقد قال هذه الأبيات حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. الإصابة (٢/ ١٧٦- ١٧٧)
[١٢٤] روضة المحبين (ص ٢٧٧).

٣٠. ٥- كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [علامات وفضل محبته]

الفصل الثاني:علامات محبته صلى الله عليه وسلم و الثواب المترتب عليها
المبحث الأول: علامات محبته صلى الله عليه وسلم:
تمهيد:
سن الشارع الكريم علامات ودلائل لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم، شرعت ليتسنى من خلالها معرفة من يصدق في دعوى محبته للمصطفى صلى الله عليه وسلم، فكل دعوى لابد لها من برهان، يدل على صدقها قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [١].
ومن أجل ذلك فإن على كل مسلم أن يكون على علم بتلك الدلائل والعلامات، وأن يعمل بها ويحققها، وأن لا يرغب عنها أو يستبدل بها أمورا أخرى مبتدعة لم يرد فيها دليل من الشرع.
فبتلك العلامات والدلائل تظهر حقيقة المحبة، فمتى ما كان التحقيق لتلك العلامات أكبر كانت درجة المحبة أرفع وأعظم والعكس بالعكس.
ولذلك تجد أن الصادق في محبته للنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي تظهر عليه تلك العلامات والدلائل وتراه يسعى جاهدا إلى تحقيقها حتى ينال بذلك منزلة عظيمة من منازل الإيمان.
ومن أهم تلك العلامات ما يلي:
المطلب الأول: من علامات محبته اتباعه والأخذ بسنته صلى الله عليه وسلم.
فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء آثاره واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمنشط والمكره، هو أول علامات محبته صلى الله عليه وسلم، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر عليه هذه العلامة فيكون متبعا للرسول صلى

ظاهرا وباطنا ومؤثرا لموافقته في مراده بحيث يكون فعله وقوله تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غوش لأحد فافعل"، ثم قال لي: "يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة"[٢].
فالمحب للرسول صلى الله عليه وسلم هو من حرص على التمسك بسنته وإحيائها وذلك باستعمال السنة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الأقوال والأفعال، وتقديم ذلك على هوى النفس وملذاتها كما قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا}[٣].
فإحياء السنة واتباع المصطفى دليل محبته كما هو دليل محبة الله عز وجل، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} فهذه الآية نزلت عندما ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية.
وعلى هذا فإن محبة الله ورسوله تقتضي فعل المحبوبات وترك المكروهات، ولا يتصور أن يكون الشخص محبا لله ورسوله وهو معرض عن اتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
ومن أجل ذلك فإن الناس يتفاضلون في درجات محبتهم تفاضلا عظيما، فمن كان منهم أعظم نصيبا في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته فهو أعظم درجة عند الله، ومن نقصت درجة اتباعه فلا شك أن ذلك سيؤثر على المحبة ويضعف درجتها.
وهذا لا يعني أن المخالفة لشيء من السنة ينافي المحبة منافاة كلية، فالمخالفة إذا لم تصل إلى درجة الكفر فهي تنقص من المحبة ولكن لا تخرج صاحبها عن دائرتها والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي لعن شارب الخمر وقال ما أكثر ما يؤتى به، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله". فدل الحديث على أن وقوع المخالفة حتى وإن كانت كبيرة من الكبائر لا يعني ذلك انتفاء وجود محبة الله ورسوله في ذلك الشخص المخالف. والواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه.
فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا.
والواجب عليه كذلك أن يكره ما كرهه الله ورسوله كراهة توجب الكف عما حرم عليه منه.
فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كره تنزيها كان ذلك فضلا[٤].
"فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى ما يرضي الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض.

فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة"[٥].

المطلب الثاني: من علامات محبته الإكثار من ذكره صلى الله عليه وسلم.
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم الإكثار من ذكره صلى الله عليه وسلم، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره، ودوام الذكر سبب لدوام المحبة وزيادتها ونمائها.
وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في ضمن تعداده للفوائد والثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "أنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه. وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه"[٦].
والمقصود بالذكر هنا الذكر المشروع وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر الله تعالى الوارد في قوله {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [٧].

وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا" الحديث[٨].
وعن أبي بن كعب قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟، قال: "ما شئت". قلت: الربع؟، قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير". قلت: النصف؟، قال: "ما شئت، و إن زدت فهو خير". قلت: الثلثين؟، قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير". قال: أجعل لك صلاتي كلها. قال: "إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك"[٩].
قال ابن القيم: "سئل شيخنا أبو العباس بن تيمية رضي الله عنه عن تفسير هذا الحديث فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي صلى الله عليه وسلم: "هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه فقال: إن زدت فهو خير لك، فقال له: النصف، فقال إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها: أي أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك، لأن من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله بها عشرا، ومن صلى الله عليه كفاه همه وكفر له ذنبه هذا معنى كلامه"[١٠].
والشاهد من الحديث أن من محبته صلى الله عليه وسلم مداومة الصلاة والسلام عليه والثناء عليه بما هو أهل له من الأوصاف والخصال الحميدة التي وصف بها صلى

الله عليه وسلم. وفي الحديث الآخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي"[١١].
فذكره شُرع لإظهار محبته واحترامه وتوقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات محبته، ولقد ورد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كان كثير من التابعين من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه[١٢].
ويدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك، ليزدادوا إيمانا ومحبة له صلى الله عليه وسلم ولكي يتأسوا به. ولا محظور في التمدح بذلك نثرًا وشعرًا مادام أن ذلك في حدود المشروع الذي أمر به الشارع الكريم.
نصوص القرآن والسنة، كأن يتجاوز به حدود بشريته فيصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله عز وجل كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي صلى الله عليه وسلم.
وكذلك فإن من الأمور المنهي عنها الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص، وهذا الذكر البدعي هو الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظنا منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حقيقة فعله يعد محادة لله ورسوله فقد تبرأ صلى الله عليه وسلم ممن أحدث في الدين حيث قال: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد".
وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في الباب الرابع بإذن الله.

المطلب الثالث: من علامات محبته صلى الله عليه وسلم تمني رؤيته والشوق إلى لقائه.
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة رؤيته والشوق إلى لقائه وتمني ذلك ولو كان ذلك مقابل بذل المال والأهل. وهذه العلامة نص عليها قوله صلى الله عليه وسلم: "من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله"[١٣]. فهو صلى الله عليه وسلم وصف أهل هذه العلامة من أمته التي ستأتي من بعده بأنهم من أشد الناس محبة له صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمنية قدرها حق قدرها أهل الإيمان الذين ترسخت في قلوبهم محبة النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنهم من شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم أن جالت في خواطرهم وأحاسيسهم هذه الأمنية العظيمة حتى إن الواحد منهم لا يبالي أن يدفع ثمنا لهذه الأمنية العزيزة على نفسه ما عنده من الأهل والمال ليرى النبي صلى الله عليه وسلم، ولسان حالهم ومقالهم يقول مع ذلك كله ما أعظم الأمنية وما أرخص الثمن.
فهذه علامة من علامات محبته يتصف بها أهل الإيمان الصادق الراسخ الذين آمنوا بوجوب تقديم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة الولد والوالد والناس

أجمعين بل على كل أمر من أمور الدنيا ومظاهرها فيا لها من نفوس سمت وسما بها إيمانها لمثل هذا المطلب وهذه الأمنية العزيزة على قلب كل مؤمن عرف قدر النبي صلى الله عليه وسلم وحقه وعظيم منزلته.

فجدير بهذه النفوس أن تنال شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لها بأنها أشد القلوب محبة له

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم لا يراني، ثم لإن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله"[١٤].

ولقد كانت هذه السمة وهي الشوق إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ورؤيته موجودة في الصحابة رضوان الله عليهم ويشهد لذلك ما جاء في حديث الأشعريين أنهم عند قدومهم إلى المدينة كانوا يرتجزون فيقولون:

غدا نلقى الأحبة محمد وحزبه[١٥]

وروي أن بلالا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، نادت امرأته واحزناه. فقال: واطرباه، غدا ألقى الأحبة محمد وحزبه[١٦].

وقد روي مثل ذلك عن حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهم أجمعين[١٧].

المطلب الرابع: من علامات محبته صلى الله عليه وسلم النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فمن علامات محبته صلى الله عليه وسلم: المناصحة لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال تعالى: {وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [١٨].

قال القرطبي[١٩]: "قوله تعالى: {إِذَا نَصَحُوا} النصح: إخلاص العمل من الغش ومنه التوبة النصوح... ونصح الشيء: إذا خلص ونصح له القول: أي أخلصه له"[٢٠].

وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال نصحت العسل: إذا خلصته من الشمع. ويقال: نصحته، ونصحت له[٢١].

قال الخطابي: "النصاحة: إخلاص العمل. والناصح: الخالص من كل شيء، ويقال: نصحت العسل إذا صفيتها"[٢٢].

وعن تميم الداري[٢٣] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدين النصيحة". قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٢٤].

فقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الدين النصيحة" يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل المشهور وسمى ذلك كله دينا. فالنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا[٢٥].

قال الإمام محمد بن نصر المروزي[٢٦]: "قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة: هو عناية القلب للمنصوح له من كان.
وهي على وجهين: أحدهما: فرض. والآخر: نافلة.
فالنصيحة المفترضة لله: هي شدة العناية من الناصح، باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرم الله.
وأما النصيحة التي هي نافلة: فهي إيثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض له أمران: أحدهما: لنفسه، والآخر: لربه. فيبدأ بما كان لربه، ويؤخر ما كان لنفسه. فهذه جملة تفسير النصيحة له الفرض منه والنافلة. فالفرض منها: مجانبة نهيه، وإقامة فرضه بجميع جوارحه، ما كان مطيعا له.
فإن عجز عن القيام بفرضه لآفة حلت به من مرض، أو حبس، أو غير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلة المانعة له قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل} [٢٧] فسماهم محسنين بنصيحتهم لله بقلوبهم، لما منعوا من الجهاد بأنفسهم.
وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات، ولا يرفع عنه النصح لله لو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل شيء بشيء من جوارحه بلسان وغيره غير أن عقله ثابت، لم يسقط عنه النصح لله بقلبه، وكذلك النصح لله ولرسوله فيما أوجبه على الناس من أمر ربه.
ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى معصية العاصي، ويحب طاعة من أطاع الله ورسوله.
وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض: فبذل المجهود بإيثار الله على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون في الناصح فضلا عن غيره، لأن الناصح إذا اجتهد لمن ينصحه لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته. فكذلك الناصح لربه. ومن تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله، غير محقق للنصح بالكمال"[٢٨].
قال القاضي عياض: "نصيحة الله تعالى: صحة الاعتقاد له بالوحدانية، ووصفه بما هو أهله، وتنزيهه عما لا يجوز عليه، والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه، والإخلاص في عبادته[٢٩].
وقال الخطابي: " معنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته"[٣٠].
وقال أبو عمرو بن الصلاح[٣١]: "النصيحة لله تعالى: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصفه الإخلاص، والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وما ضاهى ذلك، والدعاء إلى ذلك والحث عليه"[٣٢].
وأما النصيحة لكتاب الله: فقال عنها محمد بن نصر المروزي: " وأما النصيحة لكتاب الله: فشدة حبه، وتعظيم قدره - إذ هو كلام الخالق - وشدة الرغبة في فهمه، ثم

شدة العناية في تدبره، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم له بعد ما يفهمه.
وكذلك الناصح من القلب، يتفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه، ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه.
فكذلك الناصح لكتاب الله يُعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه"[٣٣].
وقال القاضي عياض: "والنصيحة لكتابه الإيمان به، والعمل بما فيه وتحسين تلاوته، والتخشع عنده، والتعظيم له، وتفهمه، والتفقه فيه، والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين"[٣٤].
وقال أبو عمرو بن الصلاح: " والنصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه، وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته، والدعاء إليه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه"[٣٥].
وقال النووي[٣٦]: "وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخضوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنها تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته"[٣٧].
وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال الإمام أحمد: "من مفروضات القلوب النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم"[٣٨]
وقال محمد بن نصر المروزي: " وأما النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم في حياته: فبذل المجهود في طاعته، ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده، والمسارعة إلى محبته. وأما بعد وفاته: فالعناية بطلب سنته، والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره، ولزوم القيام به، وشدة الغضب والإعراض عن من يدين بخلاف سنته والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا، وإن كان متدينا بها. وحب من كان منه بسبيل من قرابة، أو صهر، أو هجرة، أو نصرة أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الإسلام، والتشبه به في زيه ولباسه "[٣٩].
وقال القاضي عياض "قال أبو بكر الآجري وغيره: النصح له يقتضي نصحين: نصحًا في حياته، ونصحًا بعد مماته.
ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه، معاداة من عاداه، والسمع والطاعة له، وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى: {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}[٤٠].
وقال تعالى: {وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}[٤١].
وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته: فالتزام التوقير والإجلال، وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته، والتفقه في شريعته، ومحبة آل بيته وأصحابه، ومجانبة من

رغب عن سنته وانحرف عنها، وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته، والبحث عن تعريف أخلاقه وسيره وآدابه، والصبر على ذلك[٤٢].
وقال أبو عمرو بن الصلاح: "والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم الإيمان به وبما جاء به، وتوقيره وتبجيله، والتمسك بطاعته وإحياء سنته وانتشار علومه ونشرها، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ووالاها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ونحوذلك "[٤٣].
وقال النووي: "أما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قرئتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك"[٤٤].
وقال القرطبي: "والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: التصديق بنبوته، والتزام طاعته في أمره ونهيه، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وتوقيره، ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه، وتعظيم سنته، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها، والتخلق بأخلاقه الكريمة "[٤٥].
وأما النصح لأئمة المسلمين: فقال عنه محمد بن نصر المروزي "فحب صلاحهم ورشادهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله "[٤٦].
وقال القاضي عياض: "وأما النصح لأئمة المسلمين: فطاعتهم في الحق، ومعونتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه، وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين، وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم"[٤٧].
وقال أبو عمرو بن الصلاح: "والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك"[٤٨].
وقال القرطبي: " والنصح للأئمة المسلمين ترك الخروج عليهم، وإرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوا من أمور المسلمين، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم "[٤٩].
وقال النووي: " قال الخطابي: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور"[٥٠].

وأما النصيحة لعامة المسلمين: فيقول عنها محمد بن نصر المروزي: "وأما النصيحة للمسلمين: فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك في دنياه -كرخص أسعارهم- وإن كان في ذلك ربح ما يبيع من تجارته، وكذلك جميع ما يضرهم عامة يحب صلاحهم وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم"[٥١].
وقال أبو عمرو بن الصلاح: "والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك"[٥٢].
وقال القاضي عياض: "والنصح لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم، ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم، وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع إليهم"[٥٣].
وقال القرطبي: "والنصح للعامة: ترك معاداتهم، وإرشادهم وحب الصالحين منهم، والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم. وفي الحديث الصحيح "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٥٤] [٥٥].
وعن جرير بن عبد الله[٥٦] قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني "فيما استطعت والنصح لكل مسلم"[٥٧].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حق المؤمن على المؤمن ست". قيل: وما هن يا رسول الله؟
قال: " إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"[٥٨].

المطلب الخامس: من علامات محبته صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن الكريم
من علامات محبته صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن الكريم الناطق بشريعته، والمداومة على تلاوته، وفهم معانيه، وكذلك تعلم سنته صلى الله عليه وسلم وتعليمها ومحبة أهلها.
قال القاضي عياض: "ومنها -أي من علامات محبته- أن يحب القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم، وهدى به واهتدى، تخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها: "إن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[٥٩].
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه "[٦٠].
وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٦١].
وقال صلى الله عليه وسلم: "كتاب الله عز وجل هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة"[٦٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: "كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل"[٦٣].
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله"[٦٤].
وقد سبق عند ذكر النصيحة "لكتاب الله" ذكر أقوال العلماء فيما يجب على المسلم تجاه كتاب الله فليرجع إليه.
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يحب سنته ويقف عند حدودها[٦٥] وهذا ما سبق بيانه في الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة.

الطلب السادس: من علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة من أحبهم النبي صلى الله عليه وسلم

إن من علامات محبته صلى الله عليه وسلم والتي يجب على المؤمن الأخذ بها، محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئًا أحب من يحبه[٦٦].
فإن من محبة الله وطاعته: محبة رسوله وطاعته.
ومن محبة رسوله وطاعته: محبة من حب الرسول، وطاعة من أمر الرسول بطاعته[٦٧].
أ- قال البيهقي: "ودخل في جملة محبته صلى الله عليه وسلم حب آله[٦٨].
وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول صلى الله عليه وسلم[٦٩].
فعن زيد بن أرقم[٧٠] رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى "خما" بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين:
أوليهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به "فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: "وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي". فقيل لزيد: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قيل: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قيل: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[٧١].
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لما أنزل عليه {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[٧٢]. سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كيف يصلون عليه فقال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد "[٧٣]. فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حق له ولآله دون سائر الأمة[٧٤].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "ارقبوا[٧٥] محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته"[٧٦].
وعنه أيضا أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي"[٧٧].
"فآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٧٨].
"فالصلاة على آله هي من تمام الصلاة عليه وتوابعها، لأن ذلك مما تقر به عينه، ويزيده الله به شرفا وعلوًا، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا"[٧٩].
"وكذلك علينا احترامهم وإكرامهم والإحسان إليهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا.
ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين"[٨٠].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٨١] "وآل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين حرمت عليهم الصدقة[٨٢] هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء".
والأحاديث في فضائلهم ومناقبهم كثيرة جدًا، وهي مبسوطة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها من كتب الحديث.
ب- وكذلك فإن من أصول أهل السنة أنهم يتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويحفظون لهن فضلهن، وحقوقهن. فقد أبانهن الله من نساء العالمين في الفضيلة فقال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ}[٨٣]. وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}[٨٤][٨٥].
وجعل حرمة الزوجية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم باقية ما بقين فقال تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً}[٨٦] فعلينا من حفظ حقوقهن بعد ذهابهن الصلاة عليهن مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
فعن أبي حميد الساعدي[٨٧] رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[٨٨].
فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن[٨٩]. وكذلك الاستغفار لهن، وذكر مدائحهن، وفضائلهن وحسن الثناء عليهن، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأكثر، وذلك لمكانتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة[٩٠].
وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم هن من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة:
١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[٩١].
٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها[٩٢].

٣- سودة بنت زمعة رضي الله عنها[٩٣].
٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها[٩٤].
٥- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما[٩٥].
٦- أم سلمة رضي الله عنها[٩٦].
٧- زينب بنت جحش رضي الله عنها[٩٧].
٨- زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها[٩٨].
٩- جويرية بنت الحارث رضي الله عند[٩٩].
١٠- صفية بنت حيي رضي الله عنها[١٠٠].
١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[١٠١].

فهؤلاء جملة من دخل لهن من النساء وهن إحدى عشرة.

ج- ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين:

قال البيهقي: "ويدخل في جملة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب أصحابه؟ لأن الله عز وجل أثنى عليهم ومدحهم فقال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}[١٠٢].

وقال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}[١٠٣].

وقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}[١٠٤].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[١٠٥].

فإذا أنزلوا هذه المنزلة استحقوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه[١٠٦].

فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[١٠٧].

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف و نصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام.

وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الأمة، فقد بلغوا عن رسول الله ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى بقاع الأرض: وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وذبوا عن هذا

الدين بسنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعًا.
وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة كشهادة النبي صلى الله عليه وسلم.
فعن عمران بن حصين [١٠٨] رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" قال عمران: لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنين أو ثلاثة ... الحديث[١٠٩] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ..." الحديث[١١٠].
ومما يدل على عظم فضل الصحبة وجلالة شأنها ما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[١١١] فهذا الحديث يدل على أن شأن الصحبة لا يعدله شيء.
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم"[١١٢].
ولقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد عقد البخاري ومسلم في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم.
وعن معتقد السلف نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو زرعة الرازي [١١٣]: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق. وذلك أن الرسول حق والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة. وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة"[١١٤].
وقال الخطب البغدادي[١١٥]: "عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك:
قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[١١٦].
وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[١١٧].
وهذا اللفظ وإن كان عامًا فالمراد به الخاص وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم.
وقوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}[١١٨].
وقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}[١١٩].
وقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[١٢٠].
وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[١٢١].

وقوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [١٢٢].
في آيات يكثر إيرادها، ويطول تعدادها.
ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك،، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم ....
وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...
على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.
وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[١٢٣].
وقال ابن حجر: "اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة "[١٢٤].
وقال صاحب العقيدة الطحاوية: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من بغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإحسان، وبغضهم كفر وطغيان"[١٢٥]
وقال البيهقي: "وإذا ظهر أن حب الصحابة من الإيمان فحبهم أن يعتقد فضائلهم ويعترف لهم بها ويعرف لكل ذي حق منهم حقه، ولكل ذي عنا في الإسلام عناه ولكل ذي منزلة عند الرسول صلى الله عليه وسلم مزلته، وينشر محاسنهم
ويدعو بالخير لهم ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم ولا يتتبع زلاتهم وهفواتهم ولا يتعمد تهجين أحد منهم ببث ما لا يحسن عنه، ويسكت عما لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه فيما كان بينهم وبالله التوفيق "[١٢٦].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [١٢٧].
وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه".
ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع: من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل، على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر -وكانوا ثلاثمائة

وبضعة عشر-: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[١٢٨] وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة[١٢٩] كما أخبر به صلى الله عليه وسلم، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.
ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كالعشرة وغيرهم من الصحابة.
ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم، كما دلت، عليه الآثار وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعه... ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم"[١٣٠].
وبعد: فهذه نماذج من أقوال السلف ومعتقدهم تجاه الصحابة رضوان الله عليهم تبين مدى اعترافهم بفضلهم ومراتبهم ومنازلهم التي وردت بها نصوص القرآن والسنة، فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، نحبهم ونحفظ لهم فضلهم ونحترم لهم تلك المنزلة التي أنزلوا اياها، ونرجوا أن يحشرنا الله معهم وأن يجمعنا بهم في الجنة على سرر متقابلين.

المطلب السابع: من علامات محبته صلى الله عليه وسلم بغض من أبغض الله ورسوله
ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته، وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته[١٣١]
قال تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [١٣٢]
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله. فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه - وإن ظلمه - فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية.
قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[١٣٣]
فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم.
فالمؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك.
والكافر تحب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك.
فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب والإكرام والثواب لأوليائه. ويكون البغي والإهانة والعقاب لأعدائه. وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة. استحق الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير. واستحق المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فيجتمع في

الشخص الواحد موجبات الإكرام والخيانة، فيجتمع له من هذا وهذا: كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة[١٣٤].
فالناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

- الصنف الأول: من يحب جملة:

وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علما وعملا واعتقادا، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره وانتهي عما نهي الله عنه ورسوله، وأحب في الله، ووالى في الله وأبغض في الله، وعادى في الله وقدم قول رسول الله لا على قول كل أحد كائنا من كان.

- الصنف الثاني: من يحب من وجه ويبغض من وجه.

وهو المسلم الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا.
فيحب ويوالي على قدر ما معه من الخير، ولا يبغض أكثر مما يصلح وإذا أردت الدليل على ذلك: فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة والذي كان يشرب الخمر، فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله "[١٣٥].

- الصنف الثالث: من يبغض جملة.

وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنه كله بقضاء الله وقدره، وأنكر البعث بعد الموت، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك الله في عبادته أحدا من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعا من أنواع العبادة: كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية و الرغبة والرهبة والتعلق.
أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها"[١٣٦].
فعلى هذا التقسيم تتضح صورة الحب والبغض، والولاء والبراء.
فيوالي ويحب المؤمن المستقيم على دينه ولاء وحبا كاملين.
ويتبرء ويعادي الكفرة والملحدين والمشركين، والمرتدين ويعادون عداوة وبغضا كاملين.
وأما من خلط عملا صالحا وآخر سيئا فيوالي بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادى بحسب ما هو عليه من الشر.

المطلب الثامن: من علامات محبته صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا
إن من علامات محبة النبي فالزهد في الدنيا والصبر على شدائدها، وعدم الركون إلى زخرفها وملذاتها. وذلك افتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعا لما كان عليه. فلقد كان من صفاته صلى الله عليه وسلم زهده في أمور الدنيا وحبه للكفاف من العيش وإيثاره الآخرة على الأولى.

فهو القائل صلى الله عليه وسلم: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"[١٣٧].
وهو القائل: "مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف[١٣٨] فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[١٣٩].
والزهد المقصود هنا هو الزهد الشرعي لا الزهد البدعي.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الزهد: هو عما لا ينفع. إما لانتفاء نفعه. أو لكونه مرجوحا، لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه. فالزهد من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه. فالواجبات والمستحبات لا يصلح فيها الزهد. وكذا المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق. أما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد وكذا المباحات "[١٤٠]. " والفرق بين الزهد والورع: أن الزهد: ترك مالا ينفع في الآخرة.
وأما الورع: فهو ترك ما يخشى ضرره في الآخرة"[١٤١]
"والقلب المعلق بالشهوات لا يصلح له زهد ولا ورع"[١٤٢]
والزهد أنواع:
١- زهد في الحرام وهو فرض عين.
٢- زهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة.
فإن قويت التحق بالواجب.
وإن ضعفت كان مستحبا.
٣- زهد في الفضول: وهو الزهد فيما لا يغني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.
٤- زهد في الناس أي فيما عندهم.
٥- زهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وهذا أصعب الأنواع وأشقها.
٦- زهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه.
وأفضل الزهد: إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ[١٤٣].
والزهد الشرعي ينقسم باعتبار حكمه إلى قسمين:
القسم الأول منه: ما هو فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام. القسم الثاني منه: ما هو مستحب وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه.

مفهوم الزهد في الدنيا:
ليس المراد بالزهد في الدنيا تخليتها من اليد وإخراجها، وقعوده صفرا. وإنما المراد إخراجها من القلب بالكلية بحيث لا يلتفت الزاهد إليها ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانا في يده.
فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك.
وهذا كحال سيد ولد آدم لا حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، فلم يزده ذاك إلا زهدا فيها.

وكحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهدهم المثل مع أن خزائن الأموال تحت أيديهم.
والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:
١- أحدها: علم العبد أنها ظل زائل، وخيال زائر، وأنها كما قال تعالى فيها: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً}[١٤٤] ونحوها من الآيات.
وسماها سبحانه {مَتَاعُ الْغُرُورِ}[١٤٥] ونهي عن الاغترار بها وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها، وحذرنا مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها.
٢- الثاني: علمه أن وراءها دارا أعظم منها قدرا وأجل خطرا، وهي دار البقاء، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.
٣- الثالث: معرفته بأن زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها.
وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها.
فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه، وبقي حرصه وتعبه وكده ضائعا والعاقل لا يرضى، لنفسه بذلك.
فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها ويثبت قدمه في مقامه"[١٤٦].

الزهد البدعي:
وهو الذي عليه حال كثير من المتصوفة الذين تركوا الكسب والاكتساب ولم يأخذوا بالأسباب، وانقطعوا انقطاعا تاما عن الوسائل المشروعة لتحصيل الرزق. فأصبحوا بذلك عالة على الناس يتكففونهم ويعيشون على صدقاتهم وزكاتهم وأوقافهم، وصاروا عضوا أشل في مجتمعاتهم، فأوقعوا أنفسهم في محاذير كثيرة منها:
١- دخولهم في الرهبانية التي نهى الشارع الحكيم عنها.
٢- مخالفتهم لأوامر الله لعباده بالسعي في الأرض وطلب الرزق الحلال
٣- وقوعهم في مسألة الناس مع قدرتهم على طلب الرزق فاستحقوا بذلك الوعيد الشديد الوارد في هذا الشأن.
فالواجب على المسلم الحذر من مشابهة هؤلاء في أحوالهم فالزهد المشروع إنما هو قلة الرغبة في الموجود لا قلة الرغبة في المفقود. وعلامة قلة الرغبة في الموجود إنفاقه في سبيل الله. فخلاصة القول: إنه من المعلوم أن كل دعوى لابد لها من دليل عليها، ليثبت صدقها ويؤكدها ويبرهن عليها.
قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٤٧]
وكذا الحال في دعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لابد لمدعي هذه المحبة من علامات وأدلة تؤكد دعواه وتبرهن صدق ما قاله. وما تقدم من علامات وأدلة تعد أبرز وأهم العلامات التي تدلل وتبرهن على صحة تلك الدعوى.
وعلى العموم فكل عمل يعمله المسلم مما حث الشارع على فعله يعد ذلك دليلا على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، شريطة تحري الإخلاص في ذلك العمل وإرادة وجه الله تعالى به.

وعلى هذا الأساس فإنه بقدر التزام المسلم بعلامات المحبة وحرصه على تطبيقها تتحدد درجة محبته للنبي صلى الله عليه وسلم ودرجة إيمانه كذلك.
فمحبته همسا هي جزء من أجزاء الإيمان، والإيمان كما هو معلوم يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي. فتزداد المحبة بمقدار الالتزام بتلك العلامات. وتنقص بمقدار البعد عنها.

المطلب التاسع: التحذير من علامات المحبة البدعية
يظن البعض من الناس أن له الحق في التعبير عن محبته للنبي صلى الله عليه وسلم بما يراه ويستحسنه من الأمور، من غير أن يراعي في ذلك قواعد الشرع وأصوله وهذا الصنف من الناس تراه منساقا مع عواطفه جاعلا لها حق التشريع في هذا الدين. فتراه يغلو في حق النبي صلى الله عليه وسلم حتى كمل به إلى بعض مراتب الألوهية. وتراه يبتدع في دين الله أمورا تصل إلى حد العظائم. وتراه يقدم على الشركيات والكفريات. وكل ذلك بدعوى، محبة النبي صلى الله عليه وسلم ولقد حكم الله عز وجل بالضلال على هذا الصنف فقال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ}[١٤٨].
فالمتبعون لعواطفهم وأهوائهم المحكمون لها، لابد وأن يكونوا نابذين لهدي الله المتمثل في الكتاب والسنة، واللذين يشتملان على قواعد هذا الدين وأصوله والتي من ضمنها تحريم الابتداع في الدين والإحداث فيه، وتحريم الغلو بشتى مظاهره وأشكاله، وتحريم الشرك بمختلف صوره وألوانه.
ولذلك حكم الله بضلالهم وغوايتهم وبعداهم عن الصراط المستقيم. فحري بأمثال هؤلاء أن يقلعوا عن غيهم، وأن يتحكموا في عواطفهم كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.
فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الدين، وتحقيقها يكون عن طريق ما شرع في هذا الدين، لا عن طريق البدع وما تهواه النفوس فالبدع قد حذرنا نبينا صلى الله عليه وسلم منها بقوله: "إياكم ومحدثات الأمور" وهذا الحديث يعني في هذا المقام أن ليس لأحد الحق في التعبير عن محبة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بما جاء به النبي لا فعلى المسلم أن يدرك هذا الأمر وليحذر من سبل أهل الضلال والانحراف.
قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}[١٤٩].
وإن الناظر في أحوال أولئك المفتونين بالبدع تحت دعوى محبة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنهم قد رغبوا في تلك الأمور المبتدعة لأنها أمور لا مشقة فيها على النفس فجعلوها بدلا مما يجب عليهم من الأعمال والطاعات التي تشق على نفوسهم الضعيفة المريضة، فالمحبة عند هؤلاء تنحصر في مظاهر التعظيم اللساني المليء بالغلو والشرك والمقترن بالاجتماع على موائد الطعام والذي لا يخلو في بعض الأحيان من المنكرات والمحرمات.
ويحق للمرء أن يتساءل أي محبة هذه التي تجيز لهؤلاء أن يبتدعوا في دين الله بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل؟ لاشك أن فعل هذه الأمور يناقض المحبة ويضادها جملة

وتفصيلا، ولا عذر لفاعلها فيما أقدم عليه وإن كان فعل ذلك بحسن نية، فحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين، فلقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية، فمازالوا على حالهم تلك حتى صارت أديانهم على غير ما جاءت به رسلهم.

ومما يؤسف له أن كثيرا من الناس يتمسك بتلك البدع تقليدا لمشائخه أو عشيرته أو أهل بلده. إلى غير ذلك من العصبيات الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي أعمت بصائر الكثير منهم وأضلتهم عن سبيل الله.

ولقد كان من الحري بهؤلاء أن يقتدوا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين كانوا أشد الأمة محبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأشدهم تعظيما له وكانوا أحرص الناس على الخير ممن جاء بعدهم، والذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في هذا السبيل. فلقد كان من سنن الصحابة رضوان الله عليهم حرصهم على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم يؤمنون بأن منشأ محبته وثباتها قوتها إنما يكون بمتابعته صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وسلوكه وتصرفاته.

كما أنهم يؤمنون بأن الابتداع في الدين يضاد تلك المحبة وينافيها ولذلك لم يعهد عنهم أنهم ابتدعوا أشياء من عند أنفسهم لإظهار محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم كما ابتدع المتأخرون ما ابتدعوه من البدع تحت ستار المحبة والتعظيم له صلى الله عليه وسلم. فإذا كان هذا هو شأن الصحابة فيما أثر عنهم من الآثار وهم المشهود لهم بأنهم أشد الأمة وأفضلها محبة وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم، أفلا يسع من جاء بعدهم ما وسعهم، فيتركوا تلك الأمور المبتدعة التي أحدثت من بعدهم، والتي لم يأذن بها الله ولم تكن من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم،من ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن لم يتسع له ما اتسع للصحابة رضي الله عنهم، فلا وسع الله عليه في الدنيا ولا في الآخرة.

فعن قتادة قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[١٥٠].

المبحث الثاني: ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على تمهيد ومطلبين:

تمهيد

يؤمن المسلم أنه بفعله للطاعات وسائر العبادات يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله ورجاء ما عنده من الثواب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة.

ذلك لأن كل عمل صالح مشروع له ثمرة، فالله سبحانه كريم يجود على أهل طاعته وعبادته، ويمن عليهم بفضله في فيضاعف لهم درجات أعمالهم. قال تعالى: {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[١٥١].

وقال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}[١٥٢].

وقال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا}[١٥٣].
والمحبة من أفضل أعمال العباد وأحبها إلى الله عز وجل، فبها يذوق العبد حلاوة الإيمان كما في الحديث "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"[١٥٤].
وبها يستكمل الإيمان كما في الحديث: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان"[١٥٥].
وهي من أفضل الإيمان كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان؟
قال: "أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله في الله وتعمل لسانك في ذكر الله..."[١٥٦]. فهذه الأحاديث تبين اكتساب المحبة لهذه الدرجة الرفيعة من الدين فمن أعظم الواجبات على المؤمن محبة الله ومحبة ما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وما يحبه من الأشخاص كالأنبياء والملائكة وصالحي بني آدم وموالاتهم، وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. مع وجوب تقديم محبة الله تعالى على جميع المحاب وإيثار مرضاته على حظوظ النفس.
ولقد دلت النصوص على عظم ثواب المحبة ومدى نفع ثمرتها.
والحديث هنا عن ثمرة المحبة يتناول محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لما بين الأمرين من التلازم.
فمحبة الله لا تتم إلا بمحبة ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه.
ولا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا بإتباع ما أمر به واجتناب ما نهي عنه، فصار من لوازم محبته سبحانه وتعالى محبة رسوله صلى الله عليه وسلم وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن الله محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[١٥٧].
وورد مثل ذلك في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ..." الحديث.
ومما تجدر الإشارة إليه كذلك أن كلا من الحب، والإيمان والتصديق هي حقوق مشتركة بين الله ورسوله. فالله سبحانه وتعالى كما أوجب الإيمان به على خلقه أوجب كذلك عليهم الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}.
تال تعالى: {...أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}
وكذا الحال بالنسبة للتصديق قال تعالى: {قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ}[١٥٨]
وقد نظم ابن القيم رحمه الله هذا في نونيته حيث قال:
والحب والإيمان والتصديق لا ... يختص بل حقان مشتركان[١٥٩]
وثمار محبة الله ورسوله منها ما هو دنيوي، ومنها ما هو أخروي. وسنعرض لكلا النوعين ليعلم المسلم عظم فضل الله على عباده المحبين له و لرسوله.
المطلب الأول: ثمار المحبة في الحياة الدنيا

من أعظم ثمار المحبة في هذه الحياة الدنيا هو ما تورثه في الجوارح من فعل للطاعات والقربات مما يرضي الله عز وجل ويكسب محبته.
فمتى ما تمكنت المحبة من القلب واستغرق بها واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضا الرب وطاعته، وصارت النفس مطمئنة حينئذ بإيرادة مولاها عن مرادها وهواها، فمن أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه.
وهذا هو معنى الحديث الإلهي "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها"الحديث[١٦٠].
فالمحبة الصادقة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها ذكره[١٦١].
فالمحبة تملأ القلب ذلا لله وتكسبه معرفة وخشية وخوفا وحياء من الله تبارك وتعالى، لتثمر بذلك طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وخشيته في السر والعلانية، وثمار الطاعة لا تعد ولا تحصى وأعظمها: محبة الله للعبد وهذا أشرف مقصود وأرفع درجة وأعظم مقام يناله العبد.ثوابا وثمرة لمحبته لله عز وجل.
وقد يظن البعض أن الغاية هي أن تحب لله، ولكن الأمر خلاف ذلك، فالغاية أن يحبك الله عز وجل وليست الغاية أن تحب الله عز وجل، فالمؤمن يسعى لهذه الغاية ويتمنى تحققها والفوز بها قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}[١٦٢].
فالآية هنا إشارة إلى ثمرة المحبة {يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} قال ابن القيم عند هذه الآية "فجعل سبحانه متابعة رسوله سببا لمحبتهم له، وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله، فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله"[١٦٣].

وقد وصف الله سبحانه نفسه في كتابه العزيز بأنه يحب عباده المؤمنين، ويحبونه، وأخبر أنهم أشد حبا لله {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ}[١٦٤]. ووصف نفسه بأنه الودود {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}[١٦٥] والودود هو الحبيب، والود خالص الحب، فهو يود عباده المؤمنين ويودونه[١٦٦].
وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً}[١٦٧] قال بعض السلف في تفسيرها يحبهم ويحببهم إلى عباده[١٦٨].
فالفوز بمحبة الله فيه الخير كله فعن أنس بين مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترقا عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى، ولئن سألني لأعطنه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه"[١٦٩].

فتأمل كمال الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لما كره العبد مساخط ربه، وكمال الموافقة كيف اقتضى موافقته في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته مما استعاذ به، كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما أرى ربك إلا يسارع في هواك"[١٧٠].

وتأمل "الباء" في قوله "فبي يسمع وبي، يبصر وبي يبطش وبي يمشي" كيف تجدها مبينة لمعنى قوله "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به... الخ " فإن سمع سمع بالله، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، وهذا تحقيق قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}[١٧١] وقوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[١٧٢] وقوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}[١٧٣]

وتأمل كذلك كيف جعل محبته لعبده متعلقة بأداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل بعدها لا غير، وفي هذا تعزية لمدعي محبته بدون ذلك أنه ليس من أهلها، وإنما معه الأماني الباطلة والدعاوي الكاذبة[١٧٤].

ومما يناله العبد كذلك من محبة الله له محبة من في السماء له ووضع القبول له في أهل الأرض.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض "[١٧٥].

وفي لفظ لمسلم: "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه " قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض... " الحديث[١٧٦].

وفي لفظ آخر لمسلم عن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه. فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز.

قال: وما ذاك؟

قلت: لما له من الحب في قلوب الناس.

فقال: إني سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الحديث[١٧٧]

المطلب الثاني: ثواب المحبة في الآخرة

أما على صعيد الثواب الأخروي فمن أعظم ما ورد في ذلك تلك البشارة التي وردت على لسان النبي كلها والتي استبشر لها الصحابة رضوان الله عليهم ولم يفرحوا بشيء بعد الإسلام أشد من فرحهم بها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "وما أعددت للساعة؟ "

قال: حب الله ورسوله. قال: "فإنك مع من أحببت".

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم "فإنك مع من أحببت ".

قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[١٧٨].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المرء مع من أحب"[١٧٩].
ولاشك أن هذه البشرى عامة للأمة جميعها بمعنى أن من تحققت فيه محبة الله ورسوله فهو مستحق لتلك البشرى، ولكن مما يجدر التنبيه عليه ههنا مرة أخرى أنه لا يكفي مجرد دعوى محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم باللسان فقط بل لابد من تحقيق المتابعة له، وكل ما يوصل إلى تحقيق المحبة، فمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة لابد أن يصاحبها اجتهاد ممن يطلبها، وإن كان ليس من شرط ذلك الاجتهاد في الطاعة أن يصل إلى درجة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم ومما يشهد لهذا ويؤكده ما ورد في حديث ربيعة بن كعب الأسلمي[١٨٠] أنه قال: كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: "سل".
فقلت: يارسول الله أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: " أو غير ذلك؟ ". قلت: هو ذاك. قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود"[١٨١].
فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابي الذي سأل مرافقته في الجنة أن يكثر من صلاة النافلة، وفي هذا دليل على أن العمل مطلوب ممن أراد أن يصل إلى هذه الأمنية العظيمة وأن مجرد تمني القلب وقول اللسان لا يكفي لتحقيق ذلك.
ومما يؤكد أن نوال شرف مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة متعلق باتباع شريعته وطاعته، قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} [١٨٢] ومن الثواب الأخروي الذي يناله المحب لله ولرسوله هو غفران الذنوب وهذا ما دل عليه قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [١٨٣]
فأخبر سبحانه في هذه الآية عن مغفرته لذنوب الذين حققوا محبته ومحبة نبيه على الوجه المطلوب منهم، وهذه منة امتن الله بها على أهل محبته، إذ وعدهم إن هم اتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم وأطاعوه أنه يجزيهم على فعلهم ذلك، ويكرمهم بشرف محبته لهم ويتوج ذلك الشرف العظيم والمنزلة العالية بأن يمحو عنهم خطاياهم ويكفر عنهم سيئاتهم التي اكتسبوها.
ولاشك أن حصول هذين الأمرين أي "المحبة" و "المغفرة" هما غاية ما يتمنى المؤمن الفوز به، فأي فوز أعظم وأكبر من الفوز برضى الله وغفرانه.
فرضى الله هو سبيل كل نعيم دائم مقيم، وغفرانه هو الأمان من كل عذاب أليم. ومن ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم ما ورد في ثواب ذكره الذي هو أحد علامات ودلائل محبته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى علي واحد ة صلى الله عليه عشرا"[١٨٤] والصلاة معناها هنا الثناء، فهي ثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا والجزاء من جنس العمل، فمن اثنى على رسول الله صلى الله عليه

وسلم جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه[١٨٥]. فهذه ثمرة من ثمرات الذكر الذي هو علامة من علامات المحبة.
ومما ورد كذلك حديث أبي بن كعب قال: قلت: يارسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟
قال: "ما شئت". قلت: الربع؟
قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير". قلت: النصف؟
قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير". قلت: الثلثين؟
قال: "ما شئت وإن زدت فهو خير".
قال: أجعل لك صلاتي كلها.
قال: "إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك"[١٨٦].
والعبارة الأخيرة هي موطن الشاهد ههنا، فهذا من الثواب الحاصل من المحبة لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، "وكما أن الذكر من نتائج الحب، فالحب أيضا من نتائج الذكر، فكل منهما وشمر الآخر، وزرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة[١٨٧].
وقد سبق بيان معنى الحديث[١٨٨].
وعلى العموم فإن ثواب كل طاعة من الطاعات إنما هو في الحقيقة ثمرة للمحبة وذلك لأن المحبة أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين.

---

[١] الآية (١١١) من سورة البقرة.
[٢] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/ ٤٦) ح ٢٦٧٨ وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه.
[٣] الآية (٢٤) من سورة التوبة.
[٤] جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٥).
[٥] جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦).
[٦] جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (ص ٢٤٨).
[٧] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة (٢/ ٤).

[٩] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٣٦). وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب صفة يوم القيامة، باب ٢٣، (٤/ ٦٣٦، ٦٣٧) ح ٢٤٥٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٨) ح ١٤، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٦).

والحديث في إسناده "عبد الله بن محمد بن عقيل" قال ابن القيم: عبد الله بن محمد بن عقيل احتج به الأئمة الكبار كالحميدي وأحمد، وإسحاق، وعلي بن المديني، والترمذي وغيرهم، والترمذي يصحح هذه الترجمة تارة ويحسنها تارة. جلاء الأفهام (ص ٦٦) وقال الألباني في الصحيحة (٩٥٤): "إسناده حسن من أجل الخلاف المعروف في ابن عقيل".

[١٠] جلاء الأفهام (ص ٣٢).

[١١] أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠١). وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف رجل" وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب (٥/ ٥٥١) ح ٣٥٤٦، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٣). وأخرجه ابن حبان في صحيحه انظر موارد الظمآن رقم (٣٨٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٣٩/ ٢) وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧٧) حديث صحيح.

[١٢] الشفا (٢/ ٥٧٣).

[١٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وماله (٨/ ١٤٥).

[١٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب فضل النظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتمنيه (٧/ ٩٦).

[١٥] أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٠٥، ١٥٥) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٥١).

[١٦] الشفا (٢/ ٥٦٩).

[١٧] المصدر السابق (٢/ ٥٦٩، ٥٧٣).

[١٨] الآية (٩١) من سورة التوبة.

[١٩] محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، من كبار المفسرين وهو صاحب التفسير المشهور الذي يعرف "تفسير القرطبي" واسمه "الجامع لأحكام القرآن" توفي رحمه الله سنة ٦٧١ هـ. طبقات المفسرين (٢/ ٦٩- ٧٠).

[٢٠] تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٧).

[٢١] النهاية في غريب الحديث (٥/ ٦٣)، وجامع العلوم والحكم (ص ٧٤).

[٢٢] غريب الحديث للخطابي (٢/ ٢٢٨).

[٢٣] تميم بن أوس بن حارثة الداري، صحابي مشهور، كان نصرانيا ثم قدم المدينة فأسلم وذلك سنة تسع من الهجرة، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم، مات بالشام. الإصابة (١/ ١٨٦).

[٢٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٥٣).

[٢٥] جامع العلوم والحكم (ص ٧٤- ٧٦).

[٢٦] محمد بن نصر المروزي، أبو عبد الله، إمام في الفقه والحديث كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام، ولد سنة ٢٠٢ هـ، وتوفي سنة ٢٩٤ هـ.

تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٠١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٩).
[٢٧] الآية (٩١) من سورة التوبة.
[٢٨] تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٩١- ٦٩٢).
[٢٩] الشفا (٢/ ٥٨٣).
[٣٠] جامع العلوم والحكم (ص ٧٤).
[٣١] واسمه: عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان الكردي أبو عمرو، أحد أئمة المسلمين علما ودينا، ولد سنة ٥٥٧ هـ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ. الأعلام (٤/ ٢٠٧- ٢٠٨).
[٣٢] جامع العلوم والحكم (ص ٧٦).
[٣٣] تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٩٣).
[٣٤] الشفا (٢/ ٥٨٣).
[٣٥] جامع العلوم والحكم (ص ٧٦).
[٣٦] يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي علامة في الفقه والحديث، وله مصنفات كثيرة، توفي سنة ٦٧٦ هـ الأعلام (٨/ ١٤٩).
[٣٧] شرح صحيح مسلم (٢/٨).
[٣٨] تعظيم قدر الصلاة (٦٩٣/٢).
[٣٩] الآية (٢٣) من سورة الأحزاب.
[٤٠] الآية (٨) من سورة الحشر.
[٤١] الشفا (٥٨٤/٢-٥٨٥).
[٤٢] الشفا (٥٨٤/٢).
[٤٣] جامع العلوم والحكم (ص ٧٦).
[٤٤] شرح النووي (٣٨/٢).
[٤٥] تفسير القرطبي (٢٢٧/٨).
[٤٦] تعظيم قدر الصلاة (٦٩٣/٢- ٦٩٤).
[٤٧] الشفا (٥٨٥/٢).
[٤٨] جامع العلوم والحكم (ص ٧٦).
[٤٩] تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٧).
[٥٠] شرح النووي (٢/ ٣٨- ٣٩).
[٥١] تعظم قدر الصلاة (٢/ ٦٩٤).
[٥٢] جامع العلوم والحكم (ص ٧٦).
[٥٣] الشفا (٢/ ٥٨٦).
[٥٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم فتح الباري (١٠/ ٤٣٨) ح ٦٠١١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
[٥٥] تفسير القرطبي (٢٢٧/٨).
[٥٦] جرير بن عبد الله البجلي، صحابي جليل، اختلف في وقت إسلامه وكان له بلاء حسن في الفتوحات، مات سنة ٥١هـ، وقيل ٥٤هـ الإصابة (٢٣٣/١-٢٣٤).

[٥٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف بايع الإمام الناس. فتح الباري (٣/ ١٩٣) ح ٧٢٠٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٤/١).

[٥٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب حق المسلم على المسلم رد السلام (٣/٧).

[٥٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل (١٦٨/٢-١٧٠).

[٦٠] الشفا (٥٧٦/٢).

[٦١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. فتح الباري (٩/ ٧٤) ح ٥٠٢٧

[٦٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٢٣/٧).

[٦٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٢٣/٧).

[٦٤] أخرجه البيهقي في الأدب (ص ٥٢٢)، وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ١٨٦) للبيهقى في الآداب وابن الضريس في فضائل القرآن.

[٦٥] الشفا (٥٧٦/٢).

[٦٦] الشفا (٥٧٣/٢).

[٦٧] حقوق آل البيت (ص ١٩).

[٦٨] شعب الإيمان للبيهقي (٢٨٢/١).

[٦٩] مجموع الفتاوى (٤٠٧/٣).

[٧٠] زيد بن أرقم بن زيد، صحابي جليل، لم يشهد بدرًا ولا أحدًا لصغر سنه، وأول مشاهده الخندق وقيل المريسيع، مات بالكوفة سنة ست وستين، وقيل ثمان وستين. الإصابة (٥٤٢/١).

[٧١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل على بر؟ لي طالب رضي الله عنه (/ ١٢٢، ١٢٣).

[٧٢] الآية (٦) من سورة الأحزاب.

[٧٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فتح الباري (١/ ١٥٢) ح ٦٣٥٧. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١٦/٢).

[٧٤] جلاء الأفهام (ص ١٧٤).

[٧٥] أرقبوا: المراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم فلا تسيئوا إليهم. فتح الباري (٧٩/٧).

[٧٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كناب الصحابة، باب مناقب قرابة الرسول كله صلى الله عليه وسلم.
فتح الباري (٧٨/٧) ح ٣٧١٣.

[٧٧] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم. فتح الباري (٧/٧٧، ٧٨) ح ٣٧١٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نورث وما تركناه صدقة" (٥/١٥٥، ١٥٦).
[٧٨] مجموع الفتاوى (٣/٤٠٧).
[٧٩] جلاء الأفهام (ص ١٧٥).
[٨٠] تفسير ابن كثير (٤/١١٣).
[٨١] مجموع الفتاوى (٣/٤٠٧).
[٨٢] قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "واختلف في آل النبي صلى الله عليه وسلم على أربعة أقوال:
القول الأول: هم الذين حرمت عليهم الصدقة. وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:
أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه.
والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة وهذا مذهب أبى حنيفة، والرواية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.
والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى بني غالب، ويدخل فيهم بنو المطب، وبنو أمية، وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك حكاه صاحب "الجراهر" عنه وحكاه اللخمي في "التبصرة" عن أصبغ، ولم يحكه عن أشهب.
وهذا القول في الآل أعني -أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي.
القول الثاني: أن آل النبي صلى الله عليه وسلم هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في التمهيد.
القول الثالث: أن آله صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله، ذكره البيهقي عنه، ورواه عن سفيان الثوري وغيره، واختاره بعض أصحاب الشافعي. حكاه عنه أبو الطب الطبري في تعليقه، ورجحه الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم واختاره الأزهري.
القول الرابع: أن آله صلى الله عليه وسلم هم الأتقياء من أمته حكاه حسين والراغب وجماعة.
ثم ذكر رحمه الله حجج هذه الأقوال ويين ما فيها من الصحيح والضعيف إلى أن قال: "والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثانى. أما القول الثالث والرابع فضعيفان". جلاء الأفهام (ص ١٦٤- ١٧٧).
[٨٣] الآية (٣٢) من سورة الأحزاب.
[٨٤] الآية (٦) من سورة الأحزاب.
[٨٥] مجموع الفتاوى (٣/١٥٤) وتفسير القرطبي (١/ ١٢٣، ١٧٧).
[٨٦] الآية (٣) من سورة الأحزاب.

[٨٧] أبو حميد الساعدي، اختلف في اسمه فقيل عبد الر- ومن بن سعد وقيل غير ذلك، لحالي مشهور، شهد أحذا وما بعدها، وتوفر، في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد. الإصابة ٤١/ ٤٧).
[٨٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم. فتح الباري (١/ ١٦٩) ح ٦٣٦٠ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١٧/٢).
[٨٩] جلاء الأفهام (ص ٢٠٠)
[٩٠] شعب الإيمان للبيهقي (٢٨٢/١- ٢٨٤).
[٩١] وهي أولهن، وقد تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة، وهر ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته فكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح ومن خصائصها رضي الله عنها:
١- أنه لم يتزوج عليها غيرها.
٢- أن أولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية.
٣- أنها خير نساء الأمة. جلاء الأفهام (ص ١٨٠).
[٩٢] تزوجها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل لثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة.
ومن خصائصها رضي الله عنها:
١- أنها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك ؟ قال: "عائشة" قيل ومن الرجال؟ قال: "أبوها" متفق عليه (خ/٤٣٥٨) (م/٢٣٨٤).
٢- أنه لم يتزوج بكرا غيرها. جلاء الأفهام (ص ١٨٢- ١٨٥).
[٩٣] سودة بنت زمعة بن قيس. تزوجها بعد خديجة، وكبرت عنده وأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها: أنها آثرت حرمها لعائشة تقربًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحبًا له. جلاء الأفهام (ص ١٨٢).
[٩٤] حفصة بنت عمر بن الحطاب، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد عائشة، وقيل إنها ولدت قبل المبعث بخمسة سنين، وكانت قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عند حصن بن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة. وكانت رضي الله عنها صوامة قرامة.
الإصابة (٣٦٢/٤، ٣٦٠) وجلاء الأفهام (ص ١٨٥).
[٩٥] واسمها رملة بنت صخر بن حرب، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي. وهي التي أكرمت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة، وقالت: إنك مشرك، ومنعته من الجلوس عليه. الإصابة (٢٩٨/٤- ٣٠٠).

[٩٦] واسمها هند بنت أبي أمية، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وتوفيت سنة اثنتين وستين ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا، وقيل: بل ميمونة.
الإصابة (٤٠٧/٤ - ٤٠٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٥-١٩٧).
[٩٧] زينب بنت جحش: وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطب، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها فزوجها الله إياه من فوق سبع سموات وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته" توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع. الإصابة (٣٠٧/٤- ٣٠٨).
[٩٨] زينب بنت خزيمة الهلالية، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت قبله عند عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد، وكانت تسمى أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة ثم توفيت رضى الله عنها. الإصابة (٤/ ٣٠٩-٣١٠) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨).
[٩٩] جويرية بنت الحارث المصطلقية، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة وتوفيت سنة ست وخمسين، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من بركتها على قومها. الإصابة (٢٥٧/٤- ٢٥٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨).
[١٠٠] صفية بنت حيي من ذرية هارون بن عمران، أخي موسى، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع، فإنها سبيت من خيبر، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل سنة خمسين.
من خصائصها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعتقها وجعل عتقها صداقها، وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "إنك لابنة نبي وإن عمك لبي وإنك تحت نبي".
الإصابة (٣٣٧/٤- ٣٣٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨- ١٩٩).
[١٠١] ميمونة بنت الحارث الهلالهية تزوجها بسرف، وبنى بها بسرف، وماتت بسرف، وهي علي سبعة أميال من مكة، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، وتوفيت سنة ثلاث وستين، وهي خالة عبد الله بن عياس رضي الله عنهما، وهي خالة خالد بن الوليد أيضا. الإصابة (٣٩٧/٤- ٣٩٩) وجلاء الأفهام (ص ١٩٩).
[١٠٢] الآية (٩) من سورة الفتح.
[١٠٣] الآية (٨) من سورة الفتح.
[١٠٤] الآية (١٠٠) من سورة التوبة.
[١٠٥] الآية (٤) من سورة الأنفال.
[١٠٦] شعب الإيمان للبيهقي (٢٨٧/١).
[١٠٧] الآية (١٠) من سورة الحشر.

[١٠٨] عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، صحابي جليل، أسلم عام خيبر وغزا عدة غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين من الهجرة. الإصابة (/ ٢٧).
[١٠٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كناب الشهادات، باب لا يشهد على جور إذا أشهد.
فتح الباري (/ ٢٥٨- ٢٥٩) ح ٢٦٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين بلونهم (١٨٣/٧- ١٨٤).
[١١٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على جور إذا أشهد.
فتح الباري (٢٥٩/٥) ح ٢٦٥٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١٨٤/٧- ١٨٥).
[١١١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذا خليلاً". فتح الباري (١/٧ ٢) ح ٣٦٧٣، وأخرجه مسلم في صحيحه من حدث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (١٨٨/٧)
[١١٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان. انظر: فتح الباري (١١٣/٧) ح ٣٧٨٤ واللفظ له. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته ... (٦٥/١).
[١١٣] هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي، أبو زرعة من أئمة حفاظ الحديث، ذكر أنه يحفظ مائة ألف حديث، توفي سنة (٦٤ هـ). تهذيب التهذيب (٣٠/٧- ٣٤).
[١١٤] الكفاية في علم الرواية (ص ٩٧).
[١١٥] أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين وصاحب مصنفات من أشهرها تاريخ بغداد، توفي سنة (٤٦٣ هـ). الأعلام (١٧٢/١).
[١١٦] الآية (١١٠) من سورة آل عمران.
[١١٧] الآية (١٤٣) من سورة البقرة.
[١١٨] الآية (١٧) من سورة الفتح.
[١١٩] الآية (١٠٠) من سورة التوبة.
[١٢٠] الآيات (١٠، ١١، ١٢) من سورة الواقعة.
[١٢١] الآية (٦٤) من سورة الأنفال.
[١٢٢] الآيتان (٨، ٩) من سورة الحشر.
[١٢٣] الكفاية في علم الرواية (ص ٩٣- ٩٦).
[١٢٤] الإصابة (١/ ١٧).
[١٢٥] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٢٨).
[١٢٦] شعب الإيمان للبيهقي (ص ٢٩٧).
[١٢٧] الآية (١٠) من سورة الحشر.

[١٢٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا. فتح الباري (٧/٣٠٤-٣٠٥) ح ٣٩٨٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر (/ ١٦٨- ١٦٩).
[١٢٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (١٦٩/٧).
[١٣٠] مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢- ١٥٣).
[١٣١] الشفا (٥٧٥/٢).
[١٣٢] الآية (٢٢) من سورة المجادلة.
[١٣٣] الآيتان (٩، ١٠) من سورة الحجرات.
[١٣٤] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٨-٢٠٩).
[١٣٥] تقدم تخريجه ص ٣٠٣.
[١٣٦] إرشاد الطالب لابن سحمان (ص ١٩).
[١٣٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". فتح الباري (٢٣٣/١١) ح ٦٤١٦.
[١٣٨] يوم صائف: أي حار. القاموس (١٧٠/٣).
[١٣٩] أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (١/ ٢٨٦- ٢٨٨) ح ٦٤، وأخرجه عنه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٤١) وفي الزهد (٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٩-٣١٠) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٦/١٠) بعد عزوه لأحمد رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب وهو ثقة. وقال محقق كتاب الزهد لوكيع: "والحديث مع ماله من الشواهد يرتقي إلى درجة الصحة". الزهد لوكيع (٢٨٨/١).
[١٤٠] مجموع الفتاوى (٠/ ٦١٥) بتصرف.
[١٤١] الفوائد لابن القيم (١١٨).
[١٤٢] الفوائد لابن القيم (١١٨).
[١٤٣] الفرائد لابن القيم (ص ١١٨).
[١٤٤] الآية (٢٠) من سورة الحديد.
[١٤٥] الآية (١٨٥) من سورة آل عمران.
[١٤٦] طريق الهجرتين (٤٥٣- ٤٥٦) بتصرف.
[١٤٧] الآية (١١١) من سورة البقرة.
[١٤٨] الآية (٥٠) من سورة القصص.
[١٤٩] الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.
[١٥٠] جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٩).
[١٥١] الآية (٣٨) من سورة النور.
[١٥٢] الآية (٢٤) من سورة التوبة.
[١٥٣] الآية (٨٤) من سورة القصص.
[١٥٤] تقدم تخريجه ص ٤٣.
[١٥٥] تقدم تخريجه ص ٣١١.

[١٥٦] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٧).
[١٥٧] الآية (٢٤) من سورة التوبة.
[١٥٨] الآية (٢٢) من سورة الأحزاب.
[١٥٩] شرح النونية لابن عيسى (٢/ ٣٤٧) وتكميلا للفائدة: فإن الحق الذي يختص الله به على عباده دون سواه هو: عبادته بأمره لا بهوى النفس، وذلك كالحج والصلاة والذبح والنذر واليمين والتوبة والتوكل والإنابة والرجاء ونحوها من العبادات فهي حق لله لا يشاركه فيه غيره.

وأما الحق الذي يختص بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو التعزير والتوقير كما في قوله تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} الآية (٩) من سورة الفتح.
انظر: شرح النونية لابن عيسى (٢/ ٣٤٨).
[١٦٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع. فتح الباري (١١/ ٣٤٠- ٣٤١) ح ٦٥٠٢.
[١٦١] روضة المحبين (ص ٤٠٩).
[١٦٢] الآية (٩) من سورة آل عمران.
[١٦٣] روضة المحبين ص (٢٦٦).
[١٦٤] الآية (١٦٥) من صورة البقرة.
[١٦٥] الآية (١٤) من سورة البروج.
[١٦٦] روضة المحبين (٤٠٩).
[١٦٧] الآية (٩٦) من سورة مريم.
[١٦٨] روضة المحبين ص (٤١٢).
[١٦٩] تقدم تخريجه (ص ٣٧٤)
[١٧٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب باب (٧). فتح الباري (٨/ ٥٢٤- ٥٢٥) ح ٤٧٨٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب القسم بين الزوجات (٤/ ١٧٤).
[١٧١] الآية (١٢٨) من سورة النحل.
[١٧٢] الآية (٦٩) من سورة العنكبوت.
[١٧٣] الآية (١٩) من سورة الأنفال.
[١٧٤] روضة المحبين (ص ٤١١).
[١٧٥] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب المقة (المحبة) من الله تعالى.
انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٦١) ح ٦٠٤٠
[١٧٦] أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده (٨/ ٤٠، ٤١).
[١٧٧] أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده (٨/ ٤١).
[١٧٨] تقدم تخريجه (ص ٣١٢).
[١٧٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله.

انظر:/ فتح الباري (١٠/ ٥٥٧) ح ٦١٦٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب المرء مع من أحب (٨/ ٤٣) واللفظ له.
[١٨٠] ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، صحابي، كان من أهل الصفة مات سنة ثلاث وستين من الهجرة. الإصابة (١/ ٤٩٨)
[١٨١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه (٢/ ٥٢).
[١٨٢] الآية (٦٩) من سورة النساء.
[١٨٣]الآية (٩) من سورة آل عمران.
[١٨٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (٢/ ١٧).
[١٨٥] جلاء الأفهام (ص ٧٩).
[١٨٦] تقدم تخريجه (ص ٣٢٧).
[١٨٧] روضة المحبين (ص ٢٦٥).
[١٨٨] انظر (ص ٣٢٧).

٣١. ٦- كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [توقيره وتعظيمه]

الباب الثالث: وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه
صلى الله عليه وسلم
وفيه ثلاثة فصول:
الفصل الأول: بيان عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل.
ويشتمل على: تمهيد، وثلاثة مباحث:
المبحث الأول: بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا.
تمهيد:
إن من الأهمية بمكان- قبل الشروع في توضيح الحق الواجب للنبي صلى الله عليه وسلم في شأن تعظيمه وتوقيره- عقد هذا الفصل في بيان عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل وذلك لاستعراض- جملة طيبة من المكارم والخصائص التي امتن الله بها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تدلل على تشريف الله عز و جل وتكريمه لنبيه صلى الله عليه وسلم، وتظهر تفضيل الله له على العالمين من الجن والناس أجمعين، بل والملائكة المقربين.
فلابد لكل مسلم صادق في إسلامه من أن يتعرف على تلك الخصائص والفضائل، إذ إن هذه المعرفة تنير القلوب وتبصرها وتزيدها إيمانا وحبا وتعظيما للنبي المصطفي صلى الله عليه وسلم.
ولهذه الزيادة- ولا شك- ثمرتها في شحذ الهمم ودفعها لاتباعه والإقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء أثره، ولزوم هديه.

والمتأمل في آيات الكتاب العزيز ونصوص السنة النبوية الصحيحة يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعظم قدره عند ربه عز وجل، فقد حباه الله وامتن عليه وأكرمه بخصائص في الدنيا والآخرة دلت على علو قدره، ورفعة مكانته، وسمو منزلته عند الخالق تبارك وتعالى.
فقد قال تعالى في محكم التنزيل {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} [١] ففي هذه الآية يمتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بما أسبغ عليه من الفضائل التي هي المناقب والمراتب التي أعطاه الله إياها وميزه بها عن بقية أنبيائه ورسله وسائر خلقه.
فالله سبحانه فضل بعض الرسل على بعض فقال تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} [٢].
فكان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفر من هذا الفضل فقد خصه الله وميزه بخصائص ومناقب دنيوية وأخروية فضل بها على سائر الأنبياء ومن سواهم من البشر. وسأتعرض لبعض هذه الخصائص على وجه الاختصار وذلك حتى يتبين للقارئ عظم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل.

المبحث الأول: بيان بعض الخصائص التي خص الله، بها نبيه صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا

١- أخذ العهد له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

من الأمور التي تدل على عظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه ما أخذه الله من العهد له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنهه لو بعث صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه. قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [٣]
وقد روي عن علي بن أبي طالب وابن-عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قولهما: "ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه" [٤].
فهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس [٥].
ولهذا فقد كان عند أهل الكتاب علم تام به صلى الله عليه وسلم وبمبعثه ومكان بعثته ومهاجره، كما ورد وصفه في كتبهم حتى إنهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [٦]
وقال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ} [٧]

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حينما سئل عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، فأنت ت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى، يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح، به أعينا عميا، وآذانا صما وقلوبا غلفا..." [٨]

٢- أنه صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تبعًا:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" [٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة" [١٠].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد" [١١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عرضت علي الأم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، ولكن أنظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب..." الحديث [١٢].

وفي هذا الأمر فضل عظيم وخصيصة كبيرة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالله تعالى يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها فقد قال صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا" الحديث [١٣].

فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء مما يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إليه إلا وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة، ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نفع شطر أهل الجتة فقد ثبت في الحديث أن أمته شطر أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة " الحديث [١٤].

فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد نفع شطر أهل الجنة، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءا من أجزاء الشطر، كانت منزلته في القرب على قدر منزلته في النفع، فما من عارف من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافا إلى معارفه صلى الله عليه وسلم، وما من ذي حال من أمته إلا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجره على- حاله مضموما إلى أحواله صلى الله عليه وسلم، وما من ذى مقال يتقرب به إلى الله عز و جل إلا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجر ذلك القول مضموما إلى مقالته وتبليغ رسالته، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر

ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا ولـه صلى الله عليه وسلم مثل أجر عاملـه مضموما إلى أجره على أعماله، وما من درجة علية، ومرتبة سنية، نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مئل أجرها مضموما إلى درجته صلى الله عليه وسلم مرتبته، ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى أو سن سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا صلى الله عليه وسلم لأنه دل عليه، وأرشد إليه.

ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي صلى الله عليه وسلم إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام، ولم يبك حسدا كما يتوهمه بعض الجهال، وانما بكا أسفا على ما فاته من مثل مرتبته [١٥].

ففي قصة المعراج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا وفيه "... ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة... فلما خلصت فإذا موسى، قال (جبريل) هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى.

قيل له: ما يبكيك؟ قال أبكى لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي..." الحديث [١٦].

٣- أن قرنه صلى الله عليه وسلم خير قرون بني آدم كما أنه خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه صلى الله عليه وسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه" [١٧].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..." الحديث [١٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال: "القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث" [١٩]

والأحاديث في هذا الأمر كثيرة:

٤- أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو حي صحيح يمشي على الأرض. قال الله تعالى {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً} [٢٠]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه- الذي في الشفاعة- وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "... فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك..." [٢١].

وفي حديث أنس رضي الله عنه- الذي في الشفاعة أيضا وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "ولكن ائتوا محمدا عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..." [٢٢].

قال العز بن عبد السلام [٢٣]: "ولم ينقل أنه أخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك بل الظاهر أنه لم يخبرهم، لأن كل واحد. منهم إذا طلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: "نفسي نفسي" ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم

يوجل منها في ذلك المقام واذا استشفعت الحلائق بالنبي صلىالله عليه وسلم في ذلك المقام قال: "أنا لها" [٢٤].
٥- أن الله رفع له ذكره، قال تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [٢٥]
فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خطبة، وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع.
٦- أن الله أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [٢٦] والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها، وأن حياته صلى الله عليه وسلم لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ولم يثبت هذا لغيره صلى الله عليه وسلم [٢٧].
٧- أن الله وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه ممائه وأسنى أوصافه فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيّ...} [٢٨] و{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} [٢٩] وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلا منهم نودي باسمه فقال تعالى: {يَا آدَمُ اسْكُنْ} [٣٠] {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ} [٣١] {يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ} [٣٢] {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ} [٣٣] {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ} [٣٤] {يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا} [٣٥] {يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ} [٣٦] {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ} [٣٧] {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ} [٣٨].
ولا يخفي على أحد أن السيد إذا دعي أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، دل ذلك على أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم. وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه " [٣٩]
٨- أن الله أمر الأمة بأن لا ينادونه باسمه بل ينادونه: يا رسول الله يا نبي الله فقال الله تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [٤٠]
قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير [٤١] عند تفسيرها، كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم؟ فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يقولوا يا نبي الله يارسول الله" [٤٢].
٩- أن الله نهي الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم ولا يجهروا له بالقول - كما هو الحال بين الناس- حتى لا تحبط أعمالهم فقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [٤٣] الآيات.
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس [٤٤] فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه

وسلم فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل، النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى [٤٥]: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: إنك ليست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة" [٤٦].
وقال ابن الزبير [٤٧]: "ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه" [٤٨]
١٠- أن الله أمر الأمة بأنهم إذا أرادوا أن يناجوه صلى الله عليه وسلم بأن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، ثم نسخ ذلك، وأمرهم بالطاعة فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [٤٩]
١١- ما وهبه الله له من المعجزات التي تميزت على معجزات من قبله من الأنبياء. فمعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم الباقي إلى يوم الدين، الذي لا تنضب معانيه، ولا تفنى عجائبه، ولا تنقطع فوائده، وهو المحفوظ بحفظ الله له- من التغيير والتبديل والتحريف- فيه دواء وشفاء، ومواعظ وأحكام، فيه خبر من سبقنا، وأحوال من بعدنا، وهو حبل الله المتين، من آمن به واتبعه رشد ومن تركه وضل عنه غوى وهلك، وخاب وخسر. فهو المعجزة الخالده الباقية ما بقى الإنسان في هذه الدنيا، بينما تصرمت وانقرضت معجزات من قبله من الأنبياء.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر،وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" [٥٠].
وكذلك فقد وجد في معجزاته ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره كتفجير الماء بين أصابعه [٥١] فهو أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء، وكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام [٥٢].
وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه مع بقاء عينه في مقرها ورسول الله صلى الله عيه وسلم رد العين بعد أن سالت على الخد ففيه معجزة من وجهين:
إحداهما: التئامها بعد سيلانها والأخرى: رد البصر إليها بعد فقده منها [٥٣]. فعن عاصم بن عمر بن قتادة [٥٤] عن أبيه [٥٥] عن جده قتادة [٥٦] أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لا فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يدرى أي عينيه أصيبت" [٥٧] (١).
والأمثلة في هذا الباب كثيرة وقد تطرق إليها من كتب في الدلائل والخصائص [٥٨].
قال الشافعي رحمه الله تعالى: "ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم" [٥٩]
وقال السيوطي: "قال العلماء ما أوتى نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا صلى الله عليه وسلم نظيرها أو أعظم منها" [٦٠].

المبحث الثاني: بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم في الآخرة

١- أنه سيد ولد آدم يوم القيامة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" [٦١].

قال العز بن عبد السلام: "السيد من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة.

وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات. وإنما قال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم" لتعرف أمته منزلته من ربه عز وجل" [٦٢].

وسيادة النبي صلى الله عليه وسلم للناس يوم القيامة تظهر واضحة جلية بما سيناله من الشرف العظيم يوم القيامة وعلى رأس ذلك الشرف شفاعته في أهل الموقف واختصاصه بذلك من بين الأنبياء والرسل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرفعت إليه الذراع وكانت تعجبه- فنهس منا نهسة وقال: "أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بمن يجمع الله الأولي ن والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقرل بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟

ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟.

فيقول: ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدا شكورا، أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضبه بعده مثله، نفسي نفسي، ائتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيأتوني، فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع، وسل تعطه" [٦٣].

٢- واشتمل الحديث كذلك على خصيصة أخرى تدل على تخصيصه وتفضيله لا وهي كونه أول شافع وأول مشفع فهذا أمر خص الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم إذ جعله الشفيع يوم المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق جاها عند الله، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته" [٦٤].
كما أنه أول من يشفع في دخول الجنة فعن، أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا" [٦٥].
٣- أن الله جعل لواء الحمد بيد النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:
فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناس معي، حتى آتي باب الجنة، فأستفتح فيقال من هذا فأقول محمد، فيقال مرحبا بمحمد فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا أنظر إليه" [٦٦].
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" [٦٧].فهذه الخصيصة وغيرها من الخصائص تدل على علو مرتبته خاص وعلو منزلته إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب [٦٨].
٤- أنه أول من يجيز على الصراط وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها. وهذه الأمور مما خص به النبي صلى الله عليه وسلم عن باقي الأنبياء السابقين. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل قال: "أن ناسا قالوا يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟..." الحديث.
وفيه "ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته؟ " [٦٩] لحديث (٢).
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة" [٧٠].
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك" [٧١].

المبحث الثالث: بيان بعض الخصائص التي خص الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم

اختصت هذه الأمة بخصائص وفضائل، فلقد أكرم الله هذه الأمة بنعم جليلة ومنح عظيمة، هي في أصلها إكرام كل من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، ولو لم تتبعه لما أعطت هذه الكرامات وتلك الميزات.
فلقد جعل الله تعالى هذه الأمة خير الأمم، واصطفاها من جميع الخلق لتكون أمة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، واجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة.

قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [٧٢].
وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} [٧٣].
وقال تعالى: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [٧٤].
وعن معاوية بن حيدة القشيري [٧٥] رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال: "إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله" وفي لفظ "أنتم أفخرها وأكرمها على الله عز وجل" [٧٦].
وروى الأمام أحمد نحوه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [٧٧].
ومن فضل الله على هذه الأمة أنهم مع كونهم أقل عملا ممن قبلهم، فهم أكثر أجرا كما جاء في الحديث الصحيح.
فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا له نصف النهار، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا، فأبوا وتركوا، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا، حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهم: أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور" [٧٨].
قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم، وأن ذلك ليس منوطا بكثرة العمل وقلته، بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى.
وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير، هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها، وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه من تمر، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلا ونهارا صباحا ومساء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين.
فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [٧٩].
ومما أكرمت به هذه الأمة كذلك أنهم مع كونهم آخر الأم زمانا فهم الأولون يوم القيامة.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا" [٨٠].
فهذه الأمة هم أول من يقضى لهم يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح "... نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق" [٨١].
ومما خص الله تعالى به هذه الأمة يوم القيامة أنها تكون مع نبيها صلى الله عليه وسلم أول من يجتاز الصراط من الأم، كما في الحديث الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه "... ويضرب الصراط دروس ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ٠٠٠" [٨٢].
وكذلك فإن هذه الأمة هم أول من يدخل الجنة من الأمم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة " [٨٣]
ومما خص الله به هذه الأمة أن جعل الزمرة الأولى منها- وهي التي تدخل الجنة من غير حساب ولا عذاب- تدخل الجنة من الباب الأيمن من أبواب الجنة.
فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه- حديث الشفاعة الطويل وفيه "فأقول يارب أمتي أمتي، فيقال: يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا، حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب..." [٨٤] الحديث.
فهذه الخصائص والفضائل وغيرها كثير إنما هي شواهد وبراهين على تفضيل الله تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى. ماله من منزلة عظيمة ودرجة رفيعة عنده تبارك وتعالى.
ومن هذه الخصائص يعلم المسلم عظيم قد نبينا صلى الله عليه وسلم ورفعة مكانته عند الله عز وجل، ومما لاشك فيه أن هذا العلم وهذه المعرفة ستثمربإذن الله في القلب المؤمن بالله ورسوله، فيزداد تعظيما وتوقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم، وحرصا على اتباعه واقتفاء أثره والسير على سنته.
فحري بالمسلم الذي تتوق نفسه وتتطلع لأن يكون في عداد أمة المصطفى الذين يقودهم صلى الله عليه وسلم إلى الجنة بعد أن يجتاز بهم الصراط، أن يحقق الأمور التي يستحق بها هذا الفضل العظيم والمرتبة العالية.
فبالإيمان والاتباع والمحبة والتعظيم والبعد عما يضاد هذه الأمور يستحق الإنسان أن يكون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
أما من لم يتبع ويسلك سبيل النبي صلى الله عليه وسلم بل غير بدل فهو محروم من هذا الفضل وذاك الشرف الذي تحدثت عنه تلك النصوص.
فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يارب أصحابي

فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم غيروا وبدلوا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا لمن غير وبدل" [٨٥].

الفصل الثاني: وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم على أمته في حياته وبعد مماته.
ويشتمل على أربعة مباحث:
المبحث الأول: معنى التعزير والتوقير والتعظيم.
قال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [٨٦].
وقال تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٨٧].

أ- أما التعزير في اللغة:
فيقول صاحب معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة: "عزر" العين والزاء. والراء: كلمتان
أحدهما: التعظيم والنصر. والكلمة الأخرى: جنس من الضرب. فالأولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}
والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحد" [٨٨].
وفي النهاية في غريب الحديث "أصل التعزير: المنع والرد.فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه.ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب، يقال عزرته، وعزرته. فهو من الأضداد" [٨٩].
وجاء في تهذيب اللغة: "عزر" قال الله عز وجل: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}
جاء في التفسير في قوله تعالى {وَتُعَزِّرُوهُ} أي لتنصروه بالسيف {وَعَزَّرْتُمُوهُمْ} عظمتموهم. وقيل: نصرتموهم.
واللفظة تستعمل لعدة معان هي:
١. التعزير: النصر باللسان والسيف.
٢. التعزير: التوقير.
٣. التعزير: التأديب دون الحد.
٤. التعزير: التوقيف على الفرائض والأحكام" [٩٠].
وأما عن المعنى الشرعي المراد هنا:
فعن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَعَزَّرُوهُ} يقول: "حموه ووقروه" [٩١].
وعن مجاهد قال: "عزروه: سددوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه" [٩٢].
وعن قتادة في قوله: {وَتُعَزِّرُوهُ} قال ينصروه" [٩٣].
وقال ابن جرر الطبري: {وَعَزَّرُوهُ} "وقروه وعظموه وحموه من الناس" [٩٤]
وقال أيضا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال" [٩٥] (٦).

وقال شيخ الإسلام: "التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه" [٩٦].

ب- وأما عن التوقير في اللغة:
ففي معجم مقاييس اللغة: "وقر" الواو. والقاف. والراء: أصل يدل على ثقل في الشيء... ومنه الوقار: الحلم والرزانه" [٩٧].
وجاء في تهذيب اللغة "وقر الرجل من الوقار، يقر، فهو وقور. ووقرت الرجل: إذا عظمته ومنه قوله عز وجل {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [٩٨]
وفي لسان العرب: "وقر الرجل: بجله، والتوقير: التعظيم والترزين" [٩٩]
وأما المعنى الشرعي المراد هنا:
فقال ابن عباس: {وَتُوَقِّرُوهُ} يعني التعظيم" [١٠٠].
وقال قتادة: {وَتُوَقِّرُوهُ} أمر الله بتسويده وتفخيمه" [١٠١].
وقال أيضا:" {وَتُوَقِّرُوهُ} أي ليعظموه" [١٠٢].
وقال ابن جرير الطبري: "فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم" [١٠٣].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار" [١٠٤]
قال ابن كثير: "التوقير: هو الإحترام والإجلال والإعظام" [١٠٥].

ج- وأما التعظيم في اللغة:
ففي لسان العرب "التعظيم: التبجيل: يقال لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها" [١٠٦].
ولفظ "التعظيم" لا يرد في خطاب الشارع كما ورد لفظ "التعزير" و"التوقير" لكن العلماء استعملوه في كلامهم عند هذه المسألة وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي "التعزير" و"التوقير".

المبحث الثاني: وجوب توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم والأدلة على ذلك.
إن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة [١٠٧] بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة. ذلك لأنه ليس كل محب معظما، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه.
والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم. والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.
فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة [١٠٨].
فمن حق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على

لوازم الرسالة [١٠٩] وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [١١٠].
وقال تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [١١١].
فأبان أن حق الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته أن يكون معزرا موقرا مهيبا.
وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم [١١٢].
وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه صلى الله عليه وسلم يعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به.
قال الحليمي [١١٣]: "فمعلوم أن حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن. ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار. ووعدنا باتباعه الجنة. فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة. فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه" [١١٤].
ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه صلى الله عليه وسلم وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي:
١- قوله تعالى: {لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً} [١١٥] "ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع" [١١٦].
وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال: "أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد، في تجهم" [١١٧] (٣).
وعن قتادة قال: "أمرهم أن يفخموه ويشرفوه" [١١٨] (٤)
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيرها "خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يانبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} [١١٩] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ} [١٢٠] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} [١٢١] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} [١٢٢] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} [١٢٣] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [١٢٤] {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [١٢٥] {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ} [١٢٦] {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} [١٢٧] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ} [١٢٨].

مع أنه سبحانه قال: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ} [١٢٩] {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} [١٣٠] {يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [١٣١] {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [١٣٢] {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} [١٣٣] {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ} [١٣٤] {يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ} [١٣٥] [١٣٦].

وقال رحمه الله: "وإذا كنا في باب العبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه. فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى حيث قال: {لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً} [١٣٧] فلا تقول يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضا بل نقول: يا رسول الله، يا نبي الله. والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: {يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [١٣٨] {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ} [١٣٩] {يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} [١٤٠] {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [١٤١]

ولما خاطبه صلى الله عليه وسلم قال {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} [١٤٢] {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [١٤٣] {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [١٤٤] {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} [١٤٥] {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [١٤٦] فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه لما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [١٤٧] وقال {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً} [١٤٨] وقال {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [١٤٩] وقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} [١٥٠]

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل" [١٥١]

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [١٥٢]

فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي:

أولا: أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}

قال ابن كثير في معناها: "أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن "بم تحكم؟ " قال:بكتاب الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم "فإن لم تجد؟ "قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال صلى الله عليه وسلم: "فإن لم تجد؟ "قال رضي الله عنه: أجتهد رأي، فضرب في صدره وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١٥٣] .
فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله" [١٥٤].
وقال الحليمي عند تعليقه على هذه الآية: "والمعنى لا تقدموا قولا أو فعلا بين يدي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بما يراه فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله عز وجل إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه، {وَاتَّقُوا اللَّهَ! أي احذروا عقابه بتقديمكم بين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم، أو تأتونه اقتداء به واتباعا له، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو يجزيكم بما سمعه ويعلمه منكم" [١٥٥].
ولقد تأدب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدلي به، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي صلى الله عليه وسلم.
حتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه وهم يعلمونه حق العلم، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم. خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله. ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم- سأل في حجة الوداع "أي شهر هذا؟".. قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس ذو الحجة؟" قلنا: بلى. قال: "فأي بلد هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه، قال: "أليس البلدة؟" قلنا بلى. قال "فأي يوم هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: "أليس يوم النحر؟" قلنا بلى ..." الحديث [١٥٦].
فهذه صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى التي انتهى إليها الصحابة بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى تقوى الله السميع العليم.
ثانيا: أنه حرم رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وهذا من باب الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث والخطاب ومن التوقير الذي يجب له، ذلك التوقير الذي ينعكس على نبرات أصوات الصحابة ليتميز بذلك شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم

ويميز مجلسه فيهم فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [١٥٧].
قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
فعن ابن أبي مليكة [١٥٨] قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس [١٥٩] رضي الله عنه أخي بن مجاشع وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع [١٦٠] لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي، قال: مما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ} الآية.
قال ابن الزبير [١٦١] رضي الله عنه: "فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر" [١٦٢]
فقد نهي الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا [١٦٣].
وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائما.
ثم نهي عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: {وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} كما قال {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً}
وقوله عز وجل {أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض" [١٦٤].
ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [١٦٥].
وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات قوله: "أعاد النداء عليهم- أي في قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك هممهم

لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم.
وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه، وارتداعا بما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير.
والمراد بقوله: {لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم، حتى تكون ميزته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف، لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم.
وبقوله {وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ} أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليهم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرب من الهمس الذي لا يضاهي الجهر، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم، عاملين بقوله عز شأنه {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} وليس الغرض من رفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء، ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير.
ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب، أو مجادلة معاند، أو إرهاب عدو أو ما أشبهه، فلم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مقيد بصفة أعلى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم، وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة، وجلالة مقدارها، وانحطاط
سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها" [١٦٦]
"ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار رفعة قدره المنيف، وسمو منزلته صلى الله عليه وسلم فوق كل منزلة أحد من الخلق، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه، والإصغاء إلى حديثه، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه الله تعالى من توقيره صلى الله عليه وسلم توقيرا يجلي رفيع قدره، وعظيم مقامه، ويظهر تشريف الله تعالى له بما ميزه به على سائر الخلق، وقد اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في حياته" [١٦٧].
ثالثا: أن الله تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه فقال {أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ } أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة [١٦٨] فكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق

بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لهم ما يجب عليهم وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة [١٦٩].
قال الحليمي "في هذه الآية يسلى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما أخبره من أن الذين يصيحون خارج منزله ولا يصبرون حتى يخرج إليهم إنما حملهم على ذاك جهلهم وقلة عقلهم وأكثرهم لا يهتدون إلى ما يلزمهم من تعظيمك في حال مخاطبتك" [١٧٠].
٣- وقال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} [١٧١]
قال الحليمي: "فأعلمهم أن نفس الرسول صلى الله عليه وسلم أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عمالا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر، أو طول طريق، أو عوز ماء، أو قلة زاد، بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه، وفي هذا أعظم البيان لمن عقل، وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره [١٧٢].
٤- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [١٧٣].
فنهاهم سبحانه وتعالى عن أن يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسع في الانبساط والإسترسال كما يعامل من لا يهاب ولا يتقى، فيدخل بيته بغير إذنه إذا دعاهم إلى طعام لم ينضج، وأحاطوا به منتظرين إدراكه وإذا حضر الطعام ودخلوا وطعموا لزموا مجالسهم مستأنسين بالمحادثة، وأخبرهم أن ذلك منهي عنه، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تأذى منه ويستحى أن يكلمهم، كما أدبهم فيما ينبغي عليهم تجاه معاملتهم مع أزواجه صلى الله عليه وسلم وهذا كله مما يدل على ماله صلى الله عليه وسلم من التعظيم والاحترام.
٥- وقد جاء بعد هذه الآيات الأمر بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [١٧٤].
ووجه إيصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما كان من الواجب على المكلفين تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم برفع الأذى عنه وإظهار شرفه وكرامته فذكر الله تعالى القسم الأول- أي رفع الأذى- في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} [١٧٥] إلى آخرها وذكر القسم الثاني- أي إظهار شرفه وكرامته- في هذه الآية الثانية، وبدأ بالأول لأن دفع المفاسد أهم.
وأيضا لما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى تعظيمه صلى الله عليه وسلم بتعلم سلوك طريق الأدب معه في أشياء كثيرة تتعلق بحياته وموته إظهارا لشرفه وتعظيما له، عقبه بما يدل على أنه تعالى أيضا معظم لشأنه أيضا، وكذلك ملائكته المقربون حملة العرش وحفظته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وفيه بيان لمنقبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم فإن الملك قد يأمربإكرام شخص ولا يكون عنده بمكان فأزيل هذا التوهم وبين أنه أكرم الخلق على ربه تعالى.
وأيضا لما أرشد الله المؤمنين إلى الحال التي يجب أن يكونوا عليها مع نبيه صلى الله عليه وسلم من التعظيم والتوقير- ولهم معه حالتان:
١- حالة الخلوة: والواجب هناك عدم إزعاجه- بين ذلك بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} [١٧٦].
٢- وحالة الملأ: والواجب هناك إظهار التعظيم، بين ذلك بقوله {صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [١٧٧].
وأيضا لما أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان في بيوته، وعدم النظر إلى وجوه زوجاته، وغير ذلك من الآداب إكراما وتبجيلا، كمل سبحانه بيان حرمته بقوله {صَلُّوا عَلَيْهِ}.
وأيضا لما بين الأدب معه في حال الخلوة، وكان حاله في الملأ نوعين، لأنه يكون أعلى وأسفل، فبين أنه في الأعلى محترم في غاية الاحترام، ثم بين ما يجب على الملأ الأسفل من ذلك التعظيم بقوله {صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [١٧٨]
٦- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} [١٧٩]
فالله تعالى من تعظيمه لنبيه صلى الله عليه وسلم حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من آذى النبي صلى الله عليه وسلم اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير. بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق غيره.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي صلى الله عليه وسلم "ودلالتها من وجوه:
أحدها: أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصا عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم. بين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئا واحدا فقال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [١٨٠] وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [١٨١] في مواضع متعددة، وقال تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} [١٨٢] فوحد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء الله إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء لله، وقال أيضا {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [١٨٣] وقال أيضا: {يَسْأَلونَكَ عَنِ الأنْفَالِ قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [١٨٤]
وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئا واحدا، فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

[١٨٥] وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [١٨٦] وقال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [١٨٧] وقال: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [١٨٨].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانا وإثما مبينا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا تثبت في حقه..." [١٨٩]

ومما يوضح ذلك أن سب النبي صلى الله عليه وسلم قد تعلق به عدة حقوق:

أ- حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسِل، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

ب- وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأم، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

ج- وتعلق به حق رسول الله كلها من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة [١٩٠].

٧- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [١٩١].

قال بعض المفسرين: هي لغة كانت في الأنصار، نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له، لأن معناها ارعنا نرعك، فنهوا عن قولها، إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم، بل حقه أن يرعى على كل حال.

وقيل: كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة [١٩٢] فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة، ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا [١٩٣]

٨- وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً} [١٩٤].
ففي هذه الآية حرم الله على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده لأن ذلك يؤذيه وجعله عظيما عند الله تعظيما لحرمته صلى الله عليه وسلم، فحرم تعالى على الأمة ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضا، وذلك تمييزا لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لشأنه. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس: لو قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة [١٩٥].
ولو أن أحدا أقدم على هذا الأمر فنكح أزواجه أو سراريه لكانت عقوبته في الشرع هي القتل جزاء له بما انتهك من حرمته والدليل على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أنسى بن مالك رضي الله عنه "أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركي [١٩٦] يتبرد فيها، فقال له علي أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه لمجبوب ما له ذكر" [١٩٧]
قال ابن تيمية رحمه الله: "فهذا الرجل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه لما قد استحل من حرمته، ولم يأمر بإقامة حد الزنا، لأن إقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة، بل إن كان محصنا رجم، وان كان غير محصن جلد، ولا يقام عليه الحد إلا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر، فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصنا أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمته... فلما تبين أنه كان مجبوبا علم أن المفسدة مأمونة منه..." [١٩٨]
وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد أوجب الله على الأمة احترام أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام [١٩٩].
فقال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [٢٠٠] ففي هذه الآية رفع الله مقام أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبوأهن منزلة عالية، وهي منزلة الأمومة لجميع المؤمنين، وفي ذلك من الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعا.
وهذه المنزلة لأمهات المؤمنين هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي صلى الله عليه وسلم.
٩- وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [٢٠١].
ففي هاتين الآيتين الكريمتين منهج تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمنين في جميع أمورهم التي تربطهم به صلى الله عليه

وسلم نبيا ورسولا، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، وخلع عليه جلابيب حرصه عليهم، وعزة عنتهم عليه، وخصه باسمين من أسمائه الحسنى، فجعله رؤوفا رحيما بالمؤمنين، وهذا تعظيم لم يكن قط لغيره صلى الله عليه وسلم لأنه تعظيم يرتبط بأصل الإيمان برسالته وهدايته.

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات: "أراد الله عز وجل أن يريهم عظيم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه، إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين، ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [٢٠٢] وضمنه شيئا آخر، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصدق بصحة الإيمان وعرض بالمنافقين وتسللهم لواذا" [٢٠٣].

وبهذه النصوص يتبين للمسلم أن حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لأمر إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم، فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن. ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته وتوعدنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة.

فحق علينا إذا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه، فبهذا نكون من المفلحين {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٢٠٤] فالآية بينت أن الفلاح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف أن التعزير هنا التعظيم [٢٠٥] فلقد سجل الله في هذه الآية الفلاح بأسلوب الحصر للذين تأدبوا بهذا الأدب القرآني الرفيع.

وكما قال تعالى في الإنافة بمقامه الأشرف، وبيان حقه على كل مؤمن ومؤمنة {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [٢٠٦].

وقد ذهب علماء السلف إلى أن الضمير في قوله جل شأنه {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه: تعظموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومجالسته.

قال ابن تيمية: "فالتسبيح لله وحده، والتعزير والتوقير للرسول، والإيمان بالله ورسوله" [٢٠٧].

فهذه الآيات وغيرها نزلت لتبين مقام شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند ربه، مما يوجب على المؤمنين برسالته أن يكونوا في مخاطباتهم معه على سنن الإجلال والتعظيم.

المبحث الثالث: تعظيم الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته

من المعلوم المتقرر أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أعرف الأمة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم.
وبناء على هذا العلم وهذه المعرفة، فقد كان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم أشد وأكبر من غيرهم.
وقد أوردت كتب السنة والتفسير وغيرها صورا متعددة من ذلك التعظيم والتوقير الذي كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي صلى الله عليه وسلم.
ومن أبلغ ما قيل في وصف هذا التعظيم ما قاله عروة بن مسعود [٢٠٨] حين وجهته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقا، ولا ينتخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له.
فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا، والله إن انتخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له..." [٢٠٩]
فهذه صورة لما كان عليه حال الصحابة وما كان من شأنهم في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره والتبرك بآثاره.
ولما نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [٢١٠]. ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه [٢١١] وقال البيهقي: إن هذه الآية "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري كان إذا جالس النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته إذا تكلم، فلما نزلت هذه الآية انطلق مهموما حزينا فمكث في بيته أياما مخافة أن يكون قد حبط عمله.
وكان سعد بن عبادة [٢١٢] جاره، فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "اذهب فأخبر ثابت بن قيس أنك لم تُعْنَ بهذه الآية ولست من أهل النار بل أنت من أهل الجنة فاخرج إلينا فتعاهدنا "ففرح ثابت بذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصره النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مرحبا برجل يزعم أنه من أهل النار بل غيرك من أهل النار وأنت من أهل الجنة. فكان بعد ذلك إذا جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخفض صوته حتى ما يكاد أن يسمع الذي يليه فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [٢١٣] فقتل يوم اليمامة" [٢١٤].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت {لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} قال أبو بكر رضي الله عنه لا أكلت إلا كأخي السرار حتى ألقي الله عز وجل" [٢١٥].

وعن أسامة بن شريك [٢١٦] رضي الله عنه قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير " الحديث [٢١٧].
وعن البراء بن عازب [٢١٨] (٦) رضي الله عنهما قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير..." الحديث [٢١٩].
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال: "إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض" ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ إحداهما وثنى بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير " الحديث [٢٢٠].
فالشاهد من الآثار الثلاثة المتقدمة قولهم "كأن على رؤوسهم الطير" فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم توقيرا وإجلالا له صلوات الله وسلامه عليه، فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام وعن بريدة بن الحصيب [٢٢١] رضي الله عنه قال: "كنا إذا قعدنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نرفع رؤوسنا إليه إعظاما له" [٢٢٢]
وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منة إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه" [٢٢٣].
وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله لا كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما" [٢٢٤].
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، قال: فقمت وتوضأت أصلي خلفه فأخذ بيده فجعلني حذاءه فخنست [٢٢٥] فقمت خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست فقمت خلفه، فانصرف رسول الله فقال: " مالي كلما جعلتك حذائي خنست؟".

قال: فقلت له: لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله.
قال: فدعا الله أن يزيدني فهما وعلما" [٢٢٦].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير" [٢٢٧].
وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرعون بابه بالأظافير" [٢٢٨].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام، قمنا حتى نراه، وقد دخل بعض بيوت أزواجه..." الحديث [٢٢٩].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما كان يوم بدر فذكر الحديث في الأسارى وذكر قول عمر في قتلهم فقال ابن مسعود قلت: يارسول الله إلا سهل بن بيضاء [٢٣٠] فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم بدر أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسل إلا سهل بن بيضاء" [٢٣١].
وعن أبي رمثة [٢٣٢] قال: قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وعليه ثوبان أخضران فقلت لابني هذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابني يرتعد هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم" [٢٣٣].
وعن أبي جري جابر بن سليم [٢٣٤] قال: "رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم " الحديث [٢٣٥].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل" [٢٣٦].
وعن أنسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة [٢٣٧] أول من أخذ من شعره" [٢٣٨].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى إناء إلا غمس يده فيها فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها" [٢٣٩].
ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد في عقد صلح الحديبية ويزيد في المدة، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت لي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟
فقالت: هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشة..." [٢٤٠] فأكرمت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجل عليه رجل مشرك.
ولما قدم أبو سفيان مكة بعد ذلك قالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال": لا والله قد أبي علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك عليهم أطوع منهم له..." [٢٤١]".
ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول [٢٤٢] لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال رسول الله لا: "ادعوا لي عبد الله بن أبي [٢٤٣] فدعاه، فقال: ألا ترى ما يقول أبوك؟ قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟
قال: يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.
فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل أما والله قد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتينهما به.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا". فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله ابن أبي على بابها بالسيف لأبيه، ثم قال: أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبدا إلا بإذن من الله ورسوله.
فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، يا للخزرج ابني يمنعني بيتى
فقال: والله لا تأويه أبدا إلا بإذن منه.
فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه. فقال: "اذهبوا إليه، فقولوا له خله ومسكنه، فأتوه فقال: أما إذا جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم فنعم" [٢٤٤].
وفي رواية عند الترمذي: "فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل" [٢٤٥].
وبعد. فهذا غيض من فيض مما ورد في تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وفي الحقيقة فإن كل مواقفهم تشهد لهم بتعظيمه واحترامه وتوقيره.
فلقد كانوا يعظمونه في ذاته فيتبركون بآثاره كفضل وضوئه، والأخذ من شعره، ودلك أجسامهم بنخامته، وغير ذلك مما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم [٢٤٦]، وهذا خاص في حقه صلى الله عليه وسلم.
كما كانوا يعظمونه في سلوكهم وتصرفاتهم معه صلى الله عليه وسلم فما كانوا ينادونه إلا بـ" يا نبي الله، يا رسول الله" كما كانوا يسارعون في إجابته ويعاجلون في طاعته، تحقيقا لقوله تعالى {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً}
وكان صلى الله عليه وسلم عندهم معززا موقرا مهابا ولم يكونوا يعاملونه بالاسترسال والمباسطة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضا. وكانوا يخفضون أصواتهم عنده صلى الله عليه وسلم حتى ما يكاد أحدهم يسمع الذي يليه امتثالا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ...} الآية.
فقد أدبهم الله مع نبيهم في الحدي والخطاب حتى يميز شخص رسول الله بينهم، ويميز مجلسه فيهم.
وبذلك امتدحهم سبحانه وتعالى بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}.
كما أنهم لم يكونوا ليتقدموا يين يديه بالكلام حتى يأذن لهم وذلك طاعة لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} - حتى كان النبي- صلى الله عليه وسلم يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه، وهم يعلمونه حق العلم، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم الله ورسوله أعلم خشية أن يكون قولهم تقدما بين يدي الله ورسوله.
وإذا جلسوا بين يديه صلى الله عليه وسلم أعطوا هذا المجلس الشريف حقه من التعظيم والإجلال والتكريم حتى لكأنما على رؤوسهم الطير وذلك لما هم عليه من السكينة والأدب الشرعي الذي أدبهم الله به ورسوله صلوات الله وسلامه عليه. وكانوا

لا يحدون إليه النظر تعظيما ومهابة له صلى الله عليه وسلم وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره فلا يقول شيئا إلا صدروا عنه وأطاعوه فيه وبادروا إلى امتثاله وتنفيذه والعمل به.
وكيف لا يكون الأمر كذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كل شيء في حياتهم، فقد كان معلمهم ومربيهم وقائدهم وقدوتهم، ومصلحهم في الدنيا والشهيد عليهم في الآخرة، وكان يعنى بهم أكثر من عنايتهم بأنفسهم، يهتم بما يصلحهم أكثر من اهتمامهم بمصالحهم، ويرى أنه بما حمله الله من أمانة تكوينهم ورعاية شؤونهم والسهر على مصالحهم، أولى بهم من أنفسهم، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله عز وجل: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} الآية.
ولذلك فقد كان من البداهة بمكان أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم، وأن يكون هو الآمر الناهي، والسيد المطاع الذي لا رد له أمر ولا يخالف له رأي {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}.
ولقد توالت الآيات الكريمة التي تعلم الصحابة رضوان الله عليهم آداب السلوك معه، وتبين مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي اختاره لحمل الرسالة، وما ينبغي أن يعطى من الإجلال والتكريم.
وكلما حدث إخلال وتقصير في جانب توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم فإن آيات القرآن تنزل مبينة لذلك الخلل والتقصير الذي وقع ومنبهة على خطورته ومحذرة من عواقب التمادي فيه كما في قوله تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً الآية وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ...} الآية.
وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}.
وغير ذلك من الآيات التي نزلت في هذا الشأن، وإن شئت فاقرأ أسباب نزول تلك الآيات في كتب التفسير والحديث.
ومن ثم فإن المخاطبين بهذه الآيات من الصحابة انتهوا إلى العمل بها وذلك طاعة لأمر الله وتعظيما لحق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي قررته تلك الآيات وأرشدت إليه. وكما كان هذا هو الحال في جانب الطاعة، فكذلك الحال في جانب الحذر من مخالفته ومعصيته.
فالصحابة الذين عرفوا واشتهر عنهم طاعته صلى الله عليه وسلم هم الذين اشتهر عنهم بعدهم عن معصيته ومخالفته وذلك لعلمهم بما في ذلك من المحادة والمحاربة له ولشرعه صلى الله عليه وسلم وما يترتب على ذلك من العقوبة الشديدة قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ} [٢٤٧]، وقال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا} [٢٤٨]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [٢٤٩] ولقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب أصحابه أغلى وأعز عليهم من كل شيء حتى من نفوسهم وأهليهم وما سوى ذلك، فقد كانوا يفتدونه بأرواحهم ويبذلون في سبيل نصرته كل ما يملكون من غالي ورخيص فقد حثهم الله على ذلك بقوله {مَا كَانَ لأَهْلِ

الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} [٢٥٠]

كما أنهم يعادون من يحارب الله ورسوله مهما كانت صلتهم وثيقة به حتى وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، ومواقفهم في ذلك كثيرة ومشتهرة

وقد تقدم ذكر موقف أم حبيبة رضي الله عنها مع أبيها أبو سفيان وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول مع أبيه عبد الله بن أبي.

وبالجملة فإن مجتمع الصحابة كان مجتمع الأمة المثالية التي تمثلت حقيقة واقعة في فترة من فترات التاريخ، ولقد كان الصحابة قبل الإسلام يعيشون في مجتمع اشتهر بغلظته وقساوة طبعه وبعده عن كثير من الآداب والسلوكيات فمن الله عليهم بالإسلام وهداهم له، واختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتوالت توجيهات القرآن الكريم والتربية النبوية الحكيمة عليهم، فهذبت وشذبت ووجهت ودفعت حتى ظهر ذلك المجتمع الذي له أدبه مع الله وأدبه مع رسوله صلى الله عليه وسلم، وأدبه مع نفسه، وأدبه مع غيره أدبه، في هواجس ضميره، وفي حركات جوارحه، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه، وله نظمه التي تكفل صيانته، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب، وتنبثق منه، وتتسق معه.

فما ظنك في مجتمع اختاره الله لصحبة نبيه وتولاه بعنايته ورعايته، وتعاهدهم رسوله بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته حتى سما وعلا وبلغ تلك الدرجة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم

المبحث الرابع: تعظيم الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته. ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد:

سبق وأن تقرر- بما تقدم من أدلة وبراهين- وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيره وتوقيره.

وعلمنا كذلك ما كان من حال الصحابة رضوان الله عليهم تجاه هذا الواجب الذي فرضه الله على الأمة في حق نبيه صلى الله عليه وسلم، وما كان منهم من تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، حينما كان بين ظهرانيهم يعايشهم ويعايشونه.

والسؤال الذي يفرض نفسه في مثل هذا المقام هو: كيف يتحقق لهذه الأمة تعظيم نبيها صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وما هي الأمور التي يشرع فعلها والقيام بها لتحقيق ما أمر الله به في هذا الجانب من جوانب الإيمان والدين؟

وقبل أن أشرع في تفاصيل جواب هذا السؤال وإيضاح جوانبه أود أن أذكر بأن هذا التعظيم والتوقير الواجب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من أمور الدين المشروعة بأدلة القرآن والسنة، وبذلك فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من عنده لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، أو ليس له أول فيهما.

فالقاعدة الشرعية المبنية على قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" تقول إن أي أمر محدث في هذا الدين مما لم يشرعه النبي

صلى الله عليه وسلم هو أمر مردود على فاعله كائنا من كان، وهو بدعة، وكل بدعة ضلالة. وهذه القاعدة الشرعية هي الميزان الذي يعرض عليه ما يقوم به الناس من أقوال وأفعال في هذا الجانب- أي جانب تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم - بل وفي كل جانب من جوانب الدين.

وإذا كانت العبادة هي الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فمما لا شك فيه أن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور التي يحبها الله، وقد ارتضاها لعباده حين أمرهم بذلك.

فإذا كان تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور التعبدية التي تعبد الله بها عباده، فالعبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالعبادة مبنية على أصلين هما:

الأصل الأول: إخلاص العبادة للهه وحده لا شريك له، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} [٢٥١] (١).

الأصل الثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا نعبده بالأهواء والبدع، قال الله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً} [٢٥٢] وقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [٢٥٣] فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم من واجب أو مستحب، وليس لنا أن نعبده بالأمور المبتدعة [٢٥٤].

وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

وعلى هذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله، وتحريمه، بالحلال مما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، فليس لأحد كائنا من كان أن يشرع في هذا الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قدمت لكلامي بهذه العبارات نظرا لما أحدثه الناس في هذا الجانب من بدع تحت دعوى تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم، مما ليس له أصل في الدين وما أنزل الله به من سلطان.

ومن العجيب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ومتابعته، وهذا شأن اللعين لابد وأن يمزج الحق بالباطل ليروج على أشباه الأنعام أتباع كل ناعق، الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

ولقد كان حري بهؤلاء الذين ابتدعوا تلك البدع، وكذلك الذين أخذوا بها من بعدهم، أن يلتزموا بما ورد به أمر الشارع من أمور في جانب تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، ففيها الغنية والنجاة، وبالتمسك بها والسير عليها يحصل الأجر العظيم بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: تعظيم النبي كلبا محله القلب واللسان والجواب

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الإنس والجن، على حين فترة من الرسل، فهدى به لأقوم طريق وأوضح سبيل،

وبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأرشد به من الغي، وفتح به أعينا عميا وآذانا صما، وقلوبا غلفا، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عباد أوثان، وعباد صلبان، وعباد نيران، وعباد كواكب، ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من الله، وحيران لا يعرف ربا يعبده، ولا بماذا يعبده، والناس يهل بعضهم بعضا من استحسن شيئا دعا إليه وقاتل من خالفه، وليس في الأرض موضح قدم مشرق بنور الرسالة، "وقد نظر الله سبحانه إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا على آثار دين صحيح" [٢٥٥] فأغاث الله به البلاد والعباد وكشف به تلك الظلم وأحيا به الخليقة بعد الموت.

فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد ربه حتى أتاه اليقين.

ففرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق أهل الجنة وطريق أهل النار، وبين أوليائه وأعدائه، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله.

فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبدأ وأعاد، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [٢٥٦].

وعرف الأمة الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع حسنا إلا أمرهم به، ولا قبيحا إلا نهى عنه كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم" [٢٥٧].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: "لقد تركنا محمدا وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما" [٢٥٨].

وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه ولم يدع بابا من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه ولا مشكلا إلا بينه وشرحه، حتى هدى الله به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فهو الرحمة المهداة للعالمين قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [٢٥٩] فجزاه الله عن أمته أفضل الجزاء.

ولقد جبله الله على مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه صلى الله عليه وسلم علم أنها خير أخلاق، فإنه صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالا، وأعظمهم عفوا ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه قال في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة

"محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، حتى يقولوا لا إله إلا الله" [٢٦٠].
وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعا، وأعظمهم إيثارا على نفسه، وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه.
وكان أجود الناس صدرا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم ير قبله ولابعده مثله صلى الله عليه وسلم.
وقد خصه الله بصفتين خص بهما أهل الصدق والإخلاص وهما الإجلال والمحبة، فقد ألقى عليه هيبة منه ومحبة، فكان كل من يراه يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيما وإجلالا، وإن كان عدوا له، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة، والهيبة والتعظيم من غير محبة- كما يكون الظالم القادر- نقص أيضا، والكمال أن تجتمع المحبة والود والتعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات الكمال التي يستحق أن يعظم لأجلها ويحب لأجلها [٢٦١].
ولقد جمع الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه، وامتثال ما قرره في مفهومه ومنطوقه، والصلاة عليه والتسليم ونشر شريعته بالعلم والتعليم، وجعل الطرق مسدودة عن جنته، إلا من سلك طريقه واعترف بمحبته، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فياسعد من وفق لذلك ويأويح من قصر عن هذه المسالك [٢٦٢] (٢).
وما هذه المحبة والمهابة التي جعلها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم إلا تبع لمحبته سبحانه وإجلاله.
ذلك لأن كل محبة وتعظيم للبشر إنما هي تبع لمحبة الله وتعظيمه فمحبة الرسول وتعظيمه إنما هي من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فأمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له فهي من موجبات محبة الله وتعظيمه، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل في صدره من رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر أصحابه رضي الله عنهم.
فإذا كان هذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه مكانته التي بوأه الله إياها، فحرى بهذه الأمة أن تعرف له قدره وتعظم من شأنه وذلك بموجب ما شرعه الله وأمر به، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به.

وهذا التعظيم والتوقير الواجب له صلى الله عليه وسلم على كل فرد من أفراد هذه الأمة محله القلب واللسان والجوارح.
أما تعظيم القلب: فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبدا رسولا، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، والتي من لوازمها الإكثار من ذكره الذي هو سبب لدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها.
وكذلك فإن من تعظيم القلب استشعاره لهيبة النبي صلى الله عليه وسلم وجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرا لحقه من التوقير والتعزير، ومعترفا به ومذعنا له.
فالقلب ملك الأعضاء وهي له جند وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم مستقرا في القلب مسطورا فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتما لا محالة، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.
أما تعظيم اللسان: فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير. ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [٢٦٣] وهذا من تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره. قال الحليمي: "معنى الصلاة على النبي علما تعظيمه، فمعنى قولنا: "اللهم صل على محمد" عظم محمدا، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى {صَلُّوا عَلَيْهِ} أدعوا ربكم بالصلاة عليه" [٢٦٤].
فالصلاة منا عليه صلى الله عليه وسلم تتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله [٢٦٥] وإرادة من الله تعالى أن يعلي ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا [٢٦٦] وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الباب بإذن الله تعالى.
ومن تعظيم اللسان كذلك أن نتأدب عند ذكره بألسنتنا وذلك بأن نقرن ذكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة مع الرسالة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم.
قال تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً} [٢٦٧] فأمر سبحانه أن لا يدعى رسوله بما يدعو الناس بعضهم بعضا بل يقال: يارسول الله يانبي الله ولا يقال يامحمد وقد كان الصحابة لا يخاطبونه إلا بـ"يارسول الله، يا نبي الله".

وإذا كان هذا في حياته فهكذا في مغيبه لا ينبغي أن يجعل ذكره من جنس ما يذكر به غيره، بل يجب أن يقرن ذكره بالنبوة أو الرسالة وأن يدعى له بأشرف دعاء وهو

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم [٢٦٨]. فهذا من التعظيم الواجب له صلى الله عليه وسلم وفي الحديث "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ" [٢٦٩].
وفي الحديث الآخر "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ" [٢٧٠].
ومن تعظيم اللسان تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله، وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته والتمدح بذلك شعرا ونثرا، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور.
وأما وتعظيم الجوارح له صلى الله عليه وسلم: فهو العمل بشريعته، والتأسي بسنته، والأخذ بأوامره ظاهرا وباطنا، والتمسك بها والحرص عليها، وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها، والرضا بحكمه والتسليم له، والسعي في إظهار دينه، ونصر ما جاء به، وتبليغ رسالته للناس ودعوتهم للإيمان به والذب عن سنته والدفاع عنها وتعلمها وتعليمها وخدمتها، والموالاة والمعاداة والحب والبغض لأجله، وجهاد من خالفه.
والاجتناب عما نهي عنه وزجر، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه الزلل والتقصير.
فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعل لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة في حياة المسلمين، فقد أوجب علينا طاعته وحرم علينا معصيته وجعله الآمر الناهي والسيد المطاع الذي لا يرد له أمر، ولا يخالف له رأي فمن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، فليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه. قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [٢٧١].
وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [٢٧٢].
وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [٢٧٣].
وقال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [٢٧٤].
وقال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٢٧٥].
فهذه الآيات وغيرها تبين كظم أمر اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في حياة المؤمنين، وأنه هو البرهان العملي على صدق الإيمان والمحبة والتعظيم لله تعالى ولنبيه صلى الله عليه وسلم فالطاعة والاتباع هما سمة المؤمنين الصادقين وسبيلهم الدائم، ذلك لأن الإيمان (هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما، والتصديق به عقدا والإقرار به نطقا، والانقياد له محبة وخضوعا، والعمل به ظاهرا وباطنا وتنفيذه والدعوة إليه حسب الإمكان.
وكماله الحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده معبوده.
والطريق إليه تجريد متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى غير الله) [٢٧٦].

وبالجملة فإن التعظيم النافع هو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهي عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإنما تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن الله وطاعتهم فيما أمروا به ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم" [٢٧٧] فالاتباع هو المحك الذي يميز من خلاله مدى صدق مدعي التعظيم في دعواه تلك. إذ كيف يعقل أو يتخيل أن يدعي شخص تعظيم النبي وتوقيره وهو لا يلتزم بما جاء به من أمر أو نهي، ولا يقيم وزنا ولا اعتبارا لما جاء به.

ولقد جعل الله الإتباع هو برهان محبته سبحانه حيث قال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [٢٧٨].

وجعله كذلك شرطا للإيمان الذي يعد تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم جزءا منه، قال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [٢٧٩]

فالاتباع صفة من صفات أهل الإيمان كما قال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٢٨٠]، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [٢٨١].

فهل الموقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من تمسك بسنته واعتصم بها وسار على نهجه واقتفى أثره.

فأتباع كل نبي ومحبوه ومعظموه هم الذين أخذوا بسنته واقتدوا بأمره كما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" [٢٨٢].

فالنبي صلى الله عليه وسلم بين لنا صفة أتباع الأنبياء بأنهم هم الذين عظموا أمرهم وأخذوا بسنتهم وعملوا بأوامرهم.

وأما من عداهم فهم ليسوا بأتباع لهم وإنما هم أناس يستحقون المجاهدة ويستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: "يقولون مالا يفعلون"؟ أن مجرد الدعوى القولية المجردة عن الفعل الذي أمر به الشارع لا تغني صاحبها شيئا.

ويستفاد من قوله "ويفعلون مالا يؤمرون" أن الأفعال المبتدعة التي لم يأمر بها الشارع هي كذلك لا تنفع صاحبها ولا تغني عنه من الله شيئا.

وهذا الوصف ينطق تماما على أصحاب البدع المقيمين للموالد وغيرها من البدع، زاعمين أنهم ما فعلوا تلك الأمور إلا محبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما لشأنه، فهم فعلوا ما لم يؤمروا به، وأفعالهم وأحوالهم لا تطابق أقوالهم، ولو بحثنا عن وصف نصف به هؤلاء لم نجد أبلغ من هذا الوصف "يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون".

وليتهم قاموا بما أوجب الله عليهم وشرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم وأجدى. ولكنهم أناس أوقعوا أنفسهم في محاذير متعددة منها:
١- أنهم فعلوا ما لم يؤمروا به وهم معترفون بأن تلك الموالد والأمور التي تفعل فيها لم يشرعها الله في كتابه ولم يشرعها رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها أحد من أصحابه رضوان الله عليهم.
٢- أنهم خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أمرهم بالاتباع وترك الابتداع فقد قال صلى الله عليه وسلم "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [٢٨٣] والله تعالى يقول: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [٢٨٤]
٣- أنهم رغبوا عن سنن المصطفى ورضوا بما أملته عليهم أهواؤهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "فمن رغب عن سنتي فليس مني" [٢٨٥].
فالإحداث في شريعته صلى الله عليه وسلم يعد رغبة عن سنته وهذا ما دلت عليه القصة الواردة في الحديث السابق.
٤- أنهم بفعلهم للمولد وغيره من البدع لم يعظموا الرسول صلى الله عليه وسلم إنما اتهموه بأنه لم يدلهم على هذا الخير الذي جاءوا به، وفي هذا يقول الإمام مالك: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، لأن الله يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا".
والأمر الذي ينبغي معرفته أن النصوص قد دلت على أنه بقدر ما يكون المرء متبعا لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومتمسكا بها بقدر ما يكون معظما وموقرا له والعكس بالعكس.
"هذا وإن كثيرا من الناس يعظمون الرسول ويعتقدون أنه من أفضل الناس، ولكن يقولون إنه لا يجب عليهم اتباعه وطاعته بل لهم طريق إلى الله تغنيهم عنه. وقد يقولون إن طريقهم أفضل من طريقه كما يعتقد كثير من اليهود والنصارى أنه كان مبعوثا إلى الأميين لا إليهم فهم يعظمونه ظاهرا وباطنا لكن يقولون لا يجب علينا اتباعه وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.
وكذلك كثير ممن يظهر الإسلام يثبتون نبوته على رأي الفلاسفة، وأنه كان صاحب قوة قدسية، وقد يفضلونه على جميع الخلق، ومع هذا لا يقرون بما جاء به ولا يوجبون على أنفسهم اتباعه ظاهرا وباطنا، ويقولون هو رسول إلى العامة أو إلى الجميع في الشرائع الظاهرة دون الحقائق الباطنة والحقائق العقلية كما يقول مثل هذا كثير ممن يظهر الإسلام" [٢٨٦].
فمثل هذا الصنف لا ينفعه هذا التعظيم لافتقاره للاتباع الذي هو لب التعظيم وجوهره.

المطلب الثاني: توقير النبي صلى الله عليه وسلم في آله وأزواجه أمهات المؤمنين
إن من توقير النبي صلى الله عليه وسلم ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه توقير آله وذريته وأزواجه، كما حض عليه صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضوان الله عليهم.
١- فآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [٢٨٧].
وقال تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [٢٨٨].
وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففي الحديث عن كعب بن عجرة [٢٨٩] رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" [٢٩٠].
فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين، وذلك سبب لرحمة الله تعالى لهم بهذا النسب.
كما تجب محبتهم لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، ولأن محبتهم من محبة رسول الله،كما. وأن نتولاهم ونحفظ فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدير خم: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي..." الحديث [٢٩١].
قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين" [٢٩٢].
وقال ابن تيمية رحمه الله: "ولا ريب أن لآل محمد صلى الله عليه وسلم حقا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر بطون قريش، كما أن قريشا يستحقون من المحبة والموالاة مالا يستحقه غير قريش من القبائل، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر أجناس بني آدم، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره [٢٩٣].
والنصوص دلت على هذا القول، كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم" [٢٩٤].
وكقوله في الحديث الصحيح: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" [٢٩٥] وأمثال ذلك" [٢٩٦] وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته" [٢٩٧] فأهل البيت يتولاهم جميع المؤمنين ويحبونهم لا كما يزعم الروافض أنهم المخصوصون بحب أهل البيت وحدهم أن غيرهم هم الذين ظلموهم، فالحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلما لا نظير له فهم الذين خذلوهم وغروهم،

وتسببوا في رد كثير من روايات أهل البيت بسبب ما اشتهر عن أولئك الروافض من الكذب على آل البيت.
وإضافة إلى ذلك فإن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت مع أن الصالحين من أهل البيت الذين تبغضهم الروافض وتذمهم أكثر عددا من الذين يتظاهرون بحبهم.
٢- أما زوجات النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهن أجمعين فيجب علينا أن نحفظ لهن حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام، والإعظام، والمكانة التي جعل الله لهن. فلقد رفع الله مقامهن وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين وهي منزلة الأمومة، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [٢٩٨].
قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: "شرف الله تعالى أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن، بخلاف الأمهات" [٢٩٩].
وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة وتلك المكانة وهن اللآتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما نزلت آيتا التخيير قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً} [٣٠٠].
وبعد اختيارهن رضي الله تعالى عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كرمهن الله تبارك وتعالى وكافأهن على اختيارهن أحسن تكريم وأعظم مكافأة. فكان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبانهن منهن فقال: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ} [٣٠١] يعني في الفضل والشرف، وذلك لما منحهن الله من صحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن [٣٠٢].
ولقد تضمنت سورة الأحزاب كثيرا من الأمور التي أكرم الله بها أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مجازاة لهن على حسن صنيعهن في اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة والمقام هنا لا يسمح بالتوسع في ذكر هذه الأمور، وإنما المقصود تبيين مالهن من مكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم. فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة، وذلك بأن نتولاهن، وأن نثني عليهن بما ورد من فضائلهن وما كان لهن من دور في مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان له منها المنزلة العالية. والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" [٣٠٣] [٣٠٤].

فمن الواجب أن ننشر هذه الفضائل ونعلمها، وبخاصة لنسائنا حتى يكون لهن في ذلك الأسوة والقدوة.

المطلب الثالث: توقيره صلى الله عليه وسلم في أصحابه رضوان الله عليهم

ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة، وضلال الشيعة والمبتدعين، القادحة في أحد منهم، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان دينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب الخارج، إذ هم أهل لذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص [٣٠٥] عليه أمر، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك [٣٠٦].

فهم أناس قد اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسماع حديثه من فمه الشريف وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه وتبليغ ما بعث الله به رسوله من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها. فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا.

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون بعدهم أبد الآبدين.

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ووعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [٣٠٧] وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم، ورضاهم عنه فقال: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [٣٠٨] ثم بشرهم بما أعدلهم فقال: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

وقال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [٣٠٩] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم والاستغفار لهم فقال: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} [٣١٠] وأمره بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم، وتنبيها لمن بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام فقال: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [٣١١].

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غل للذين آمنوا فقال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [٣١٢].

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ونهى عن النيل منهم فقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" [٣١٣] كما شهدها بكونهم خير أمته التي هي خير الأمم فقال صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني" [٣١٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: "خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم" [٣١٥] فهذه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضل أولئك الأخيار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وشرفهم بحمل رسالته من بعده والدعوة إلى سبيله ونصرة دينه. فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله صلى الله عليه وسلم قال النووي: "الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به" [٣١٦]

وقال ابن حجر: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة" [٣١٧].

وعن أبي زرعة قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة" [٣١٨].

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسط بين الإفراط والتفريط فليسوا من المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى مالا يليق إلا بالله أو برسله. وليسوا من المفرطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الغلاة والجفاة.

ويحبونهم جميعا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف فلا يرفعونهم إلى مالا يستحقون، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم، وقلوبهم عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، وليسوا معصومين، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ولهم من الله المغفرة والرضوان.

وكتب أهل السنة مليئة ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق هؤلاء الصفوة المختارة من البشر لصحبة خير البشر صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين [٣١٩].

المطلب الرابع: حفظ حرمة المدينة النبوية

إن من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم المدينة النبوية [٣٢٠] التي هي دار المصطفى ومهاجره، فقد اختارها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قرارا، وجعل أهلها شيعة له وأنصارا. وهي التي، انتشر منها دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها.

وهي التي ورد في فضلها وتعظيم شأنها وتحريمها وفضل بعض البقاع فيها الكثير من الأحاديث الثابتة الصحيحة والتي أورد بعضا منها ههنا على سبيل المثال لا الحصر.

فعن سفيان بن أبي زهير [٣٢١] رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون [٣٢٢] فيتحملون بأملهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون" [٣٢٣].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم [٣٢٤] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها تمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة" [٣٢٥].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها" وقال: "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كانت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة" [٣٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه قال ثم يدعو أصغر وليد له فيعطه ذلك الثمر" [٣٢٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف" [٣٢٨].

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها" [٣٢٩].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء" [٣٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام" [٣٣١]. وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي" [٣٣٢].

والأحاديث في فضل المدينة كثيرة ومتنوعة، ولقد أفرد البخاري في صحيحه كتابا لفضائل المدينة، وكذا مسلم في صحيحه قد أورد في آخر كتاب الحج العديد من الأحاديث الواردة في شأن المدينة، وكذا الحال عند أصحاب السنن والمسانيد.

والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم. فإنها من المواطن التي عمرت بالوحي والتنزيل، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتشر، فهي مشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات.

فحري بمن أكرمه الله بالإقامة فيها أن يتزود فيها من الأعمال الصالحة التي تنفعه بعد الموت، وأن يحذر من الوقوع فيها بما يسخط الله عز وجل. وفيما سبق ذكره من الأحاديث خير شاهد على فضل سكناها والترغيب في الإكثار من العمل الصالح فيها، والتحذير من الإساءة والمعصية والإفساد فيها.

---

[١] الآية (١١٣) من سورة النساء.

[٢] الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

[٣] الآية (٨١) من سورة آل عمران.

[٤] أخرجهما ابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٣٢) وأوردهما ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٧٨).

[٥] تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

[٦] الآية (١٤٦) من سورة البقرة.

[٧] الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق. انظر: فتح الباري (٤/ ٣٤٢) ح ٢١٢٥

[٩] تقدم تخريجه ص ٧٤

[١٠] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة" ١/١٣٠

[١١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا" (/١٣٠).

[١٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره فتح الباري (١٠/ ١٥٥) ح ٥٧٠٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٣٨).

[١٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة. انظر (٦٢/٨)

[١٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الحشر. فتح الباري (١١/ ٣٧٨) ح ٦٥٢٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١/١٣٨-١٣٩)
[١٥] بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٤٤، ٤٦).
[١٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، انظر: فتح الباري (٧/ ٢٠١- ٢٠٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات ١١/ ١٠٤)
[١٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (٦/ ٥٦٦) ح ٣٥٥٧
[١٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. انظر: فتح الباري (٦/ ٢٥٩) ح ٢٦٥٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧/ ١٨٤).
[١٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧/ ١٨٦)
[٢٠] الآيات (١، ٢، ٣) من سورة الفتح.
[٢١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قول الله عز وجل: {ذُرِّيَّة مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً}. انظر: فتح الباري (٨/ ٣٩٥) ح ٤٧١٢، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٢٧، ١٢٨).
[٢٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/١٣٣-١٣٤).
[٢٣] عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد وله مؤلفات توفي سنة ٦٦٠هـ. الأعلام (٤/٢١).
[٢٤] بداية السول (ص ٣٥- ٣٦).
[٢٥] الآية (٤) من سورة الشرح.
[٢٦] الآية ٧٢١) من سورة الحجر.
[٢٧] بداية السرل (ص ٣٧).
[٢٨] الآيات (٦٤، ٦٥، ٧٠) من سورة الأنفال ومواضع أخرى.
[٢٩] الآية (٤١، ٦٧) من سورة المائدة
[٣٠] الآية (٣٥) من سورة البقرة.
[٣١] الآية (١١٠) من سورة المائدة
[٣٢] الآية (٣٠) من سورة القصص
[٣٣] الآية (٤٨) من سورة هود.
[٣٤] الآية (٢٦) من سورة ص.
[٣٥] الآية (١٠٥) من سورة الصافات
[٣٦] الآية (٨١) من سورة هود.
[٣٧] الآية (٧) من سورة مريم.

[٣٨]الآية (١٢) من سورة مريم.
[٣٩] (١٠) غاية السول (ص ٣٨).
[٤٠] الآية (٦٣) من سورة النور.
[٤١] سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، تابعي، أخذ العلم من ابن عباس وابن عمر، ثقة، ثبت، فقيه، إمام حجة، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين. تهذيب التهذيب (٤/ ١١- ١٤)
[٤٢] تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٦).
[٤٣] الآية (٢) من سورة الحجرات.
[٤٤] هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي،، خطيب الأنصار شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، شهد أحدا وما بعدها، قتل يوم اليمامة. الإصابة (١/ ١٩٧).
[٤٥] موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، قاضي البصرة.، تابعي، ثقة قليل الحديث.
[٤٦] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب "لا ترفعوا أصواتهم فوق صوت النبي". انظر فتح الباري (٨/ ٥٩٠) ٤٨٤٦
[٤٧] هو عبد الله بن الزبير بن العوام، ولد عام الهجرة، وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له، وكان أول مولود في الإسلام بالمدينة وكان شهما فصيحا، رقد بويع له بالخلافة بعد موت-يزيد بن معاوية فبقى ثمان سنوات حتى قتل في أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين للهجرة. الإصابة (٢/ ٣٠١-- ٣٠٣).
[٤٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسبر، باب "لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي". فتح الباري (٨/ ٥٩٠) ح ٤٨٤٥
[٤٩] الآيتان (١٢، ١٣) من سورة المجادلة.
[٥٠] تقدم تخريجه ص ٧٤
[٥١] تقدم تخريجه ص ٨٠.
[٥٢] بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٤١).
[٥٣] المصدر السابق (ص ٤١- ٤٢)
[٥٤] عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري، تابعي ثقة، كثير الحديث، وكان له علم بالمغازي والسيرة، توفي سنة عشرين ومائة تهذيب التهذيب (٥/ ٥٣- ٣٤).
[٥٥] عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري، روى عن أبيه وله صحبة تهذيب التهذيب (٤٨٩/٧)
[٥٦] قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي ثم الظفري الأنصاري، صحابي جليل شهد بدرا وما بعدها ومات في خلافة عمر فصلى عليه ونزل في قبره وعاش خمسا وستين سنة. الإصابة ٣١/ ٢١٧- ٢١٨).
[٥٧] أخرجه أبو نعيم في دلائل النبرة (ص ٤١٨) وأخرجه البيهقي في دلائل النبرة أيضا (٣/ ٢٥١- ٢٥٢). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٧، ٢٩٨) وعزاه لأبى يعلى وقال في إسناده يحى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف وقال الألباني

في حاشية كتاب بداية السول (ص ٤٢) ولكنه عند أبي نعيم من طريقين آخرين فهو يتقوى بهما". والحديث أورده ابن كثير في البداية (٤/ ٣٣، ٣٤). والسيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٣٥٩) وعزاه لابن سعد والبيهقي وأبي نعيم.

[٥٨] انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص ٥١٢- ٥٥٠) ودلائل النبوة للبيهقي الجزء السادس، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/ ٣٠٤- ٣١٤).

[٥٩] آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٨٣).

[٦٠] الخصائص الكبرى (٢/ ٣٠٤).

[٦١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق (٧/ ٥٩).

[٦٢] بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٣٤).

[٦٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب، قول الله عز وجل {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} انظر فتح الباري (٦/ ٣٧١) ح ٣٣٤٠ واللفظ له. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٢٧، ١٢٨).

[٦٤] مجموع الفتاوى (١/ ١٤٥).

[٦٥] أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان، باب في أول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الحنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا" (١/ ١٣٠).

[٦٦] أخرجه الحاكم في مستدركه(/ ٣٠) وصححه وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[٦٧] أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣). وأخرجه الترمذى في سننه، كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٥٨٧) ح ٣٦١٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب في الشفاعة (٢/ ١٤٤٠) ح ٤٣٠٨.

[٦٨] غاية السول (ص ٣٥).

[٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الآذان، باب فضل السجود، انظر فتح الباري (٢/ ٢٩٢، ٢٩٣) ح ٨٠٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١١٣).

[٧٠] أخرجهما مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة" (١/ ١٣٠)

[٧١] أخرجهما مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة" (١/ ١٣٠)

[٧٢] الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

[٧٣] الآية (١٤٣) من سورة البقرة.

[٧٤] الآية (٧٨) من سورة الحج.

[٧٥] معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري، له وفادة وصحبة، وقال البخاري "سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي بخرسان. الإصابة (٣/ ٤١٢).

[٧٦] أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨) (٥/ ٣- ٥) والترمذي في سننه، كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران (٥/ ٢٢٦) ح ٣٥٠١ وقال: هذا حديث

حسن. وأخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم انظر (٢/ ١٤٣٣) والحاكم قي المستدرك (٨٤/٤) وصححه ووافقه الذهبي. والدارمي في السنن (٢/ ٢٢١) ح ٢٧٦٣، وحسنه الألباني في المشكاة (٦٢٨٥).

[٧٧] المسند (٦١/٣).

[٧٨] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإجارة باب الإجارة من العصر إلى الليل. انظر: فتح الباري (٤٤٧/٤، ٤٤٨) ح٢٢٧١.

[٧٩] الآيتان (٢٨ ٢٩) من سورة الحديد.

[٨٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة واللفظ له. انظر: فتح الباري (٢/ ٣٥٤) ح ٨٧٦ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣/ ٦).

[٨١] أخرجه مسل!م في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣/ ٧).

[٨٢] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. انظر (١١٣/١)

[٨٣] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٦/٣)

[٨٤] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٢٧- ١٢٩).

[٨٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض. فتح الباري (١١/ ٤٦٣) ح ٦٥٧٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١/ ١٥٠- ١٥١).

[٨٦] الآية (٩) من سورة الفتح.

[٨٧] الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

[٨٨] مقاييس اللغة (٤/ ٣١١).

[٨٩] النهاية (٣/ ٢٢٨).

[٩٠] تهذيب اللغة (٢/ ١٢٩- ١٣٠) بتصرف.

[٩١] تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

[٩٢] تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

[٩٣] تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).

[٩٤] تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

[٩٥] تفسير الطري (٢٦/ ٧٥)

[٩٦] الصارم المسلول (ص ٤٢٢).

[٩٧] معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٣٢)

[٩٨] تهذيب اللغة (٩/ ٢٨٠)

[٩٩] لسان العرب (٥/ ٢٩١).

[١٠٠] تفسير الطبري (٢٦/ ٧٤).

[١٠١] تفسير الطبري (٢٦/ ٧٤).

[١٠٢] تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).
[١٠٣] تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).
[١٠٤] الصارم المسلول (ص٤٢٢)
[١٠٥] تفسير ابن كثير (١٨٥/٤)
[١٠٦] لسان العرب (٤١٠/١٢-٤١١)
[١٠٧] انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٤) الشعبة الخامسة عشرة. وكذلك الجامع في شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٠٠) الشعبة الخامسة عشرة.
[١٠٨] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٤).
[١٠٩] المعنى المقصود هنا: أنه يجوز أن يبعث الله رسولا ولا يوجب له هذا الحق بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة.
[١١٠] الآية (٩) من سورة الفتح.
[١١١] الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.
[١١٢] المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٥) "بتصرف".
[١١٣] الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجانى، فقيه شافعي، قاضي، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، توفي في بخارى سنة ٤٠٣هـ وله كتاب المنهاج في شعب الإيمان.
الأعلام (٢/ ٢٣٥).
[١١٤] المنهاج في شعب الإيمان (١٢٤- ١٢٥) والجامع لشعب الإيمان (٣٠٢-٣٠٣).
[١١٥] الآية (٦٣) من سورة النور.
[١١٦] تفسير الطبري (١٧٧/١٨).
[١١٧] تفسير الطبري (١٧٧/١٨).
[١١٨] تفسير الطبري (١٧٧/١٨).
[١١٩] الآية (٢٨) من سورة الأحزاب.
[١٢٠] الآية (٥٠) من سورة الأحزاب.
[١٢١] الآية (١) من سورة الأحزاب.
[١٢٢] الآية (٤٥) من سورة الأحزاب
[١٢٣] الآية (١) من سورة الطلاق.
[١٢٤] الآية (١) من سورة التحريم.
[١٢٥] الآية (٦٧) من سورة المائدة.
[١٢٦] الآيتان (١، ٢) من سورة المزمل
[١٢٧] الآيتان (١، ٢) من سورة المدثر
[١٢٨] الآية (٦٤) من سورة الأنفال
[١٢٩] الآية (٣٥) من سورة البقرة
[١٣٠] الآية (٣٣) من سورة البقرة
[١٣١] الآية (٤٦) من سورة هود
[١٣٢] الآية (٧٦) من سورة هود

[١٣٣] الآية (١٤٤) من سورة الأعراف
[١٣٤] الآية (٢٦) من سورة ص.
[١٣٥] الآية (١١٠) من سورة المائدة
[١٣٦] الصارم المسلول (ص ٤٢٢- ٤٢٣)
[١٣٧] الآية (٦٣) من سورة النور
[١٣٨] الآية (٣٥) من سورة البقرة
[١٣٩] الآية (٤٨) من سورة هود
[١٤٠] الآيتان (١١، ١٢) من سورة طه
[١٤١] الآية (٥٥) من سورة آل عمران
[١٤٢] الآية (٦٤) من سورة الأنفال
[١٤٣] الآية (٤١) من سورة المائدة
[١٤٤] الآية (٦٧) من سورة المائدة
[١٤٥] الآية (١) من سورة المزمل
[١٤٦] الآية (١) من سورة المدثر
[١٤٧] الآية (٤٠) من سورة الأحزاب
[١٤٨] الآية (٢٩) من سورة الفتح
[١٤٩] الآية (١٤٤) من سورة آل عمران
[١٥٠] الآية (٢) من سورة محمد
[١٥١] درء تعارض العقل والنقل (٢٩٧/١، ٢٩٨)
[١٥٢] الآيات من (١ إلى ٥) من سورة الحجرات
[١٥٣] أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢).وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٤/ ١٨) ح ٣٥٩٢. والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب القاضي كيف يقضي (٦١٦/٣) ح ١٣٢٧. وابن ماجة في سننه، المقدمة، باب اجتناب الرأي والقياس بنحوه (١/ ٢١).
[١٥٤] تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥).
[١٥٥] المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٧)
[١٥٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع واللفظ له. انظر فتح الباري (٨/ ١٠٨) ح ٤٤٠٦
[١٥٧] الآية (٢) من سورة الحجرات
[١٥٨] عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي، تابعي ثقة، كان قاضيا لابن الزبير ومؤذنا له. مات سنة (١٧هـ) وقيل (١٨هـ) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٠٦- ٣٠٧)
[١٥٩] الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام وشارك في الفتوحات، وقيل إنه قتل في اليرموك في عشرة من بنيه الإصابة (١/ ٧٢- ٧٣)

[١٦٠] نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي الحافظ المكي، كان من أثبت الناس، روى عن ابن أبي مليكة وغيره، مات سنة تسع وستين ومائة. تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠١)
[١٦١] هو: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وقد تقدم ترجمته
[١٦٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات.
انظر: فتح الباري (٨/ ٥٩٠) خ ٤٨٤٥
[١٦٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد.
انظر: فتح الباري (١/ ٥٦٠) خ ٤٧٠.
[١٦٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.فتح الباري (١ ١/ ٣٠٨) ح ٦٤٧٨
[١٦٥] تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥- ٢٠٦)
[١٦٦] الكشاف (٣/ ٥٥٤، ٥٥٥)
[١٦٧] كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون (٤/ ٣٣٣)
[١٦٨] تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٨)
[١٦٩] في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٣٤٠) بتصرف يسير
[١٧٠] المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٨)
[١٧١] الآية (١٢٠) من سورة التوبة
[١٧٢] المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٦)
[١٧٣] الآية (٥٣) من سورة الأحزاب
[١٧٤] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب
[١٧٥] الآية (٥٣) من سورة الأحزاب
[١٧٦] الآية (٥٣) من سورة الأحزاب
[١٧٧] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب
[١٧٨] الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر (ص ١٩- ٢٠)
[١٧٩] الآيتان (٥٧-٥٨) من سورة الأحزاب
[١٨٠] الآية (٢٤) من سورة التوبة
[١٨١] الآية (١٣٢) من سورة آل عمران
[١٨٢] الآية (٦٢) من سورة التوبة
[١٨٣] الآية (١٠) من سورة الفتح
[١٨٤] الآية (١) من سورة الأنفال
[١٨٥] الآية (١٣) من سورة الأنفال
[١٨٦] الآية (٢٠) من سورة المجادلة
[١٨٧] الآية (٦٣) من سورة التوبة
[١٨٨] الآية (١٤) من سورة النساء وآيات أخر
[١٨٩] الصارم المسلول (ص ٤٠- ٤١)
[١٩٠] الصارم المسلول (ص٣٩٣-٣٩٤)
[١٩١] الآية (١٠٤) من سورة البقرة

[١٩٢] الخفة والحماقة
[١٩٣] الشفا (٢/ ٥٩١)
[١٩٤] الآية (٥٣) من سورة الأحزاب
[١٩٥] الصارم المسلول (ص ٥٩)
[١٩٦] الركي: جنس للركية، وهي البئر، وجمعها ركايا. النهاية (٢/ ٢٦١)
[١٩٧] صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة (٨/ ١١٩)
[١٩٨] الصارم المسلول (ص ٥٩- ٦٠)
[١٩٩] المصدر السابق (ص ٤٣٣)
[٢٠٠] الآية (٦) من سورة الأحزاب
[٢٠١] الآيتان (٦٢، ٦٣) من سورة النور
[٢٠٢] الآية (٦٢) من سورة النور
[٢٠٣] الكشاف (٣/ ٧٨) بتصرف يسير
[٢٠٤] الآية (١٥٧) من سورة الأعراف
[٢٠٥] شعب الإيمان للبيهقي، شعبة التعظيم (١/ ٣٠٢، ٣٠٣)
[٢٠٦] الآيتان (٨، ٩) من سورة الفتح
[٢٠٧] بغية المرتاد (ص ٥٠٤)
[٢٠٨] عروة بن مسعود الثقفي، كان أحد الأكابر في قومه، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية، اتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف فأسلم، واستأذنه أن يرجع إلى قومه، فأذن له فرجع فدعاهم، فرماه أحدهم بسهم وهو يؤذن في السحر فقتله. الإصابة (٢/ ٤٧٠- ٤٧١)
[٢٠٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط. انظر: فتح الباري (٥/ ٣٢٩، ٣٣١)
[٢١٠] الآية (٢) من سورة الحجرات
[٢١١] تقدم تخريجه (ص ٤٣٢)
[٢١٢] سعد بن عبادة الأنصاري، شهد الخزرج، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وكان مشهورا بالجود وكان معه راية الأنصار، توفي سنة خمسة عشرة وقيل سنة ست عشرة من الهجرة بالشام. الإصابة (٢/ ٢٧- ٢٨)
[٢١٣] الآية (٣) من سورة الحجرات
[٢١٤] شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣١٣)
[٢١٥] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٢) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، شعبة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم (١/ ٣١٧). وأخرجه كذلك في المدخل إلى السنن الكبرى، باب توقير العالم والعلم ص (٣٧٩) ح ٦٥٣. وأورده السيوطي في الدر المنثور(٧/ ٥٤٨) وعزاه لعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في الشعب

[٢١٦] أسامة بن شريك الثعلبي من بني ثعلبة، له صحبة، وروى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة، وابن حبان والحاكم. الإصابة (١/ ٤٦- ٤٧)
[٢١٧] أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (٤/ ١٩٢- ١٩٣) ح ٣٨٥٥، وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٨)
[٢١٨] البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي، له ولأبيه محبة استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد أحدا وما بعدها ترفي سنة اثنتين وسبعين. الإصابة (١/ ١٤٦- ١٤٧)
[٢١٩] أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧). وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر (١/ ٤٩٤) ح ١٥٤٩
[٢٢٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله.انظر فتح الباري (٦/ ٤٨، ٤٩) ح ٢٨٤٢
[٢٢١] بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، قيل إنه أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر، وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة، وأخباره كثيرة ومناقبه مشهورة، مات سنة ثلاث وستين. الإصابة (١/ ١٥٠)
[٢٢٢] أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، باب توقير العالم والعلم (ص ٣٨١) ح ٦٥٨
[٢٢٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ٧٨)
[٢٢٤] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما (٥/ ٦١٢) ح ٣٦٦٨، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية، وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية
[٢٢٥] خنست: أي انقبضت وتأخرت. النهاية (٢/ ٨٣)
[٢٢٦] أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٣٠). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٤) وقال: حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب شعبة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٢٠، ٣٢١) ح ١٢٩
[٢٢٧] رواه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٤٢١). والبيهقي في شعب الإيمان، باب شعبة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٣٨) خ ١٣٤
[٢٢٨] أخرب الحاكم في معرفة علوم الحديث النوع الخامس (ص ١٩). وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٣٨١).
وقال السخاوي في فتح المغيث (١/ ١١٧) الحديث أخرجه الحاكم في علومه وكذا في الأمالي كما عزاه إليهما البيهقي في المدخل حيث أخرجه عن راو.
ورواه أبو نعيم في المستخرج على علوم الحديث له (أي الحاكم) عن راو آخر كلاهما عن أحمد ابن عمرو (كذا) الزيبقي عن زكريا بن يحبس المنقري، عن الأصمعي، عن كيسان مولى هشام ابن حسان، وفي رواية أبي نعيم عن هشام بن حسان.

وفي رواية الآخرين عن محمد بن حسان زاد البيهقي "وهو أخو هشام بن حسان وهر حسن الحديث" انتهي قول السخاوي

[٢٢٩] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ١٣٣، ١٣٤) ح ٤٧٧٣، وأخرجه النسائي في سننه، في القسامة، باب القود، من الجندة (٨/ ٣٣، ٣٤). وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٤٠١) ح ٧١٧

[٢٣٠] سهل بن بيضاء القرشي، وبيضاء أمه واسمها دعد واسم أبيه وهب بن ربيعة بن هلال القرشي، كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، أسلم بمكة فكتم إسلامه فأخرجته قريشا إلى بدر فأسر يومئذ فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلى بمكة فأطلق ومات بالمدينة. الإصابة (٢/ ٨٤)

[٢٣١] أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٣). وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال (٤/ ٣٣٥) ح ٥٠٨٠ وقال: حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٧) ح ١٠٢٥٨ بنحوه. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١- ٢٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٢٥) ح ١٣٠

[٢٣٢] أبو رمثة (بكسر أوله وسكون الميم ثم مثلثة) التيمي اختلف في اسمه فقيل: رفاعة بن يثربي، ويقال عكسه، ويقال عمارة بن يثربي، وقيل غير ذلك، له صحبة، ومات بأفريقية.الإصابة: (٤/ ٧١) وتقريب التهذيب (٤٠٦)

[٢٣٣] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٦- ٢٢٧- ٢٢٨) بعدة طرق عن لقيط بن إياد عن أبي رمثة به. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في الخضرة (٣٣٤/٤) ح ٤٠٦٥، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء عن الثوب الأخضر (٥/ ١١٩) ح ٢٨١٢. وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب لبس الخضر من الثياب (٨/ ٢٠٤)، وأخرجه البيهقي في شعب الأيمان (١/ ٣٤٢) وفي دلائل النبوة (١/ ٢٣٧)

[٢٣٤] أبو جري (بالتصغير) الهجيمي واسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر، وقال البخاري الأول أصح، له صحبة، وهو من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم. تهذيب التهذيب (١٢/ ٥٤)

[٢٣٥] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار (٤/ ٣٤٤) ح ٤٠٨٤ واللفظ له. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا وقال حسن صحيح (٥/ ٧١، ٧٢) ح ٢٧٢١

[٢٣٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به (٧/ ٧٩)

[٢٣٧] اسمه زيد بن سهل وقد تقدم ترجمته

[٢٣٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان. انظر: فتح الباري (٣/ ٢٣٧) ح ١٧١.

[٢٣٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به (٧/ ٧٩).

[٢٤٠] أورده ابن كثير في البداية (٤/ ٢٨٠) من طريق ابن اسحاق، وابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٩٩، ٣٠٠).
[٢٤١] البداية لابن كثير (٤/ ٢٨٢).
[٢٤٢] عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة، طبقات ابن سعد (٢/ ٣/ ٩٠).
[٢٤٣] عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك، وهو ابن عبد الله بن أبي رأس المنافقين الذي تقدمت ترجمته. وكان اسم عبد الله بن عبد الله "الحباب" فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو صحابي جليل، شهد بدرا وما بعدها، واستشهد باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة.الإصابة (٢/ ٣٢٧، ٣٢٨).
[٢٤٤] أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١١٤، ١١٥) تفسير سورة المنافقرن الآية (٨)
[٢٤٥] سنن الترمذي (٥/ ٤١٨) ح ٣٣١٥ كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المنافقين. وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٧٢/٤) وعزاه للحميدي في مسنده وأورده ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦٥٢).
[٢٤٦] قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه تيسير العزيز الحميد (ص ١٥٣، ١٥٤): ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، والتبرك بعرقهم ونحر ذلك، وقد أكثر في ذلك أبو زكريا النوري في
"شرح مسلم" في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئا مع النبي صلى الله عليه وسلم وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ صريح لوجوه منها:
١- عدم المقاربة فضلا عن المساواة للنبي صلى الله عليه وسلم في الفضل والبركة.
٢- ومنها عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين اثنى الله عليهم ورسوله، أو أئمة التابعين، أو من شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك، أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.
٣- ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره.
٤- ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي صلى اللهعليه وسلم بالجنة، وكذلك التابعون هل فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم، فدل أن ذلك مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم.
٥- ومنها أن فعل هذا مع غيره شيء لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكبر والرياء، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم" انتهي.

[٢٤٧] الآية (٢٠) من سورة المجادلة.
[٢٤٨] الآية (٦٣) من سورة التوبة.
[٢٤٩] الآية (٥) من سورة المجادلة.
[٢٥٠] الآية (١٢٠) من سورة التوبة.
[٢٥١] الآية (٥) من سورة البينة.
[٢٥٢] الآيتان (١٨- ١٩) من سورة الجاثية.
[٢٥٣] الآية (٢١) من سورة الشورى.
[٢٥٤] مجموع الفتاوى (١/٨٠) بتصرف.
[٢٥٥] هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٨/ ١٥٩) ولفظها في مسلم "وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب..." الحديث.
[٢٥٦] الآية (٥١) من سورة العنكبوت.
[٢٥٧] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦/١٨).
[٢٥٨] تقدم تخريجه ص ١٢٤.
[٢٥٩] الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.
[٢٦٠] تقدم تخريجه ص ٣٩٦.
[٢٦١] جلاء الأفهام (ص ٨٩، ٩٤) بتصرف
[٢٦٢] القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ص ١١) بتصرف.
[٢٦٣] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٢٦٤] المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٣٤) بتصرف يسير.
[٢٦٥] جلاء الأفهام (ص ٧٨).
[٢٦٦] جلاء الأفهام (ص ٧٩).
[٢٦٧] الآية (٦٣) من سورة النور.
[٢٦٨] جلاء الأفهام (ص ٨٠) بتصرف.
[٢٦٩] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله صلى الله عليه وسل "رغم أنف رجل" (٥/٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٨٧). وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٨- ٩- ١٠) ح ١٥- ١٦ - ١٧- ١٨- ١٩، وقال الألباني في تعليقه عليه: "حديث صحيح بشواهده".وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٩).
[٢٧٠] تقدم تخريجه ص ٣٢٨.
[٢٧١] الآية (٧) من سورة الحشر.
[٢٧٢] الآية (٨٠) من سورة النساء.
[٢٧٣] الآية (١٣٢) من سورة آل عمران.
[٢٧٤] الآية (٦٥) من سورة النساء.

[٢٧٥] الآية (٥١) من سورة النور.
[٢٧٦] منزلة السنة في التشريع الإسلامي (ص ٤ - ٥) وعزاه لابن القيم ولم أقف عليه في كتبه.
[٢٧٧] كتاب الرد على الأخنائي (ص ٢٤، ٢٥).
[٢٧٨] الآية (٣١) من سورة آل عمران
[٢٧٩] الآية (٦٥) من سورة النساء.
[٢٨٠] الآية (٥١) من سورة النور.
[٢٨١] الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.
[٢٨٢] تقدم تخريجه ص ١٨٨
[٢٨٣] تقدم تخريجه ص ١٩٠
[٢٨٤] الآية (٧) من سورة الحشر.
[٢٨٥] تقدم تخريجه ص ١٩٥
[٢٨٦] الرد على الأخنائي (ص ٣٧).
[٢٨٧] الآية (٤١) من سورة الأنفال.
[٢٨٨] الآية (٧) من سورة الحشر.
[٢٨٩] كعب بن عجرة بن أمية البلوي ويقال القضاعي، حليف لأنصار، صحابي مشهور، مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون سنة. الإصابة (٣/ ٢٨١، ٢٨٢).
[٢٩٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} انظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد. انظر: (٢/ ١٦).
[٢٩١] تقدم تخريجه ص ٣٤٥.
[٢٩٢] تفسير ابن كثير (٤/ ١١٣).
[٢٩٣] هذا من تفضيل الجملة على الجملة وهو لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد فالعرب في الأجناس، وقريش فيها ثم هاشم في قريش، مظنة أن يكون فيهم من الخير أعظم مما يوجد في، غيرهم، ولهذا كان في بنى هاشم النبي صلى الله عليهم وسلم الذي لا يماثله أحد في قريش فضلا عن وجوده في سائر العرب وغير العرب، وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب وغير العرب، وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس. فلابد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول. وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء، والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم. فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في الإيمان

والتقوى، فضلا عمن هو أعظم إيمانا وتقوى، فكلا القولين خطأ وهما متقابلان، بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة وفضيلة لأجل المظنة والسبب.
والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية.
فالأول: يفضل به لأنه سبب وعلامة، ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد.
والثاني: يفضل به لأنه الحقيقة والغاية، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله، والثواب من الله يقع على هذا، لأن الحقيقة قد وجدت، فلم يعلق الحكم بالمظنة، ولأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه، فلا يستدل بالأسباب والعلامات
فالاعتبار العام هو التقوى كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} الآية (١٣) من سورة الحجرات. فكل من كان أتقى كان أفضل مطلقا، وإذا تساوى اثنان في التقوى استويا في الفضل سراء كانا أو أحدهما عربيين أو أعجميين، أو قرشيين أو هاشميين أو كان أحدهما من صنف والآخر من صنف، وإن قدر أن أحدهما له من سبب الفضيلة ومظنتها ما ليس للآخر، فإذا كان ذلك قد أتى بحقيقة الفضيلة كان أفضل ممن لم يأت بحقيقتها، وإن كان أقدر على الإتيان بها، فالعالم خير من الجاهل، وإن كان الجاهل أقدر على تحصيل العلم.
انظر: منهاج السنة (٤/ ٦٠٢- ٦٠٣- ٦٠٤- ٦٠٨) بتصرف

[٢٩٤] أخرب مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ٥٨).

[٢٩٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} فتح الباري (٦/ ٣٨٧) ح ٣٣٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة (٨/ ٤١، ٤٢) واللفظ له.

[٢٩٦] منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٩٩).

[٢٩٧] تقدم تخريجه ص ٣٤٥.

[٢٩٨] الآية (٦) من سورة الأحزاب.

[٢٩٩] تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٣).

[٣٠٠] الآيتان (٢٨، ٢٩) من سورة الأحزاب.

[٣٠١] الآية (٣٢) من سورة الأحزاب.

[٣٠٢] تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٧) بتصرف.

[٣٠٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها. فتح الباري (١٠٦/٧) ح ٣٧٧٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها (٧/ ١٣٨).

[٣٠٤] مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤).

[٣٠٥] لا يغمص: لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره. النهاية (٣/ ٣٨٦).

[٣٠٦] الشفا (٢/ ٦١١، ٦١٢).

[٣٠٧] الآية (٢٩) من سورة الفتح.

[٣٠٨] الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

[٣٠٩] الآية (١٨) من سورة الفتح.

[٣١٠] الآية (١٥٩) من سورة آل عمران.
[٣١١] الآية (١٥٩) من سورة آل عمران.
[٣١٢] الآية (١٠) من سورة الحشر.
[٣١٣] تقدم تخريجه ص ٣٥٣.
[٣١٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. انظر: فتح الباري (٥/ ٢٥٩) ح ٢٦٥٢. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم. انظر (٧/ ١٥٨).
[٣١٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (٧/ ٣) ح ٣٦٥٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٧/ ١٨٥).
[٣١٦] تدريب الراوي (٢/ ٢١٤)
[٣١٧] الإصابة (١/ ١٧).
[٣١٨] كتاب الكفاية (ص ٩٧) للخطب البغدادي.
[٣١٩]عقيدة أهل السنة والأثر في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم (ص ٢٤- ٢٥) تأليف الشيخ عبد المحسن العباد، مقالة طبعت في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني، السنة الرابعة.
[٣٢٠] ذكر ذلك: البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (١٣٠/٢)، والقاضي عياض في الشفا (٦١٩/٢)
[٣٢١] سفيان بن أبي زهير الأزدي، من أزد شنوءة (بفتح المعجمة وبضم النون وبعد الواو همزة) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. يعد في أهل المدينة. الإصابة (٢/ ٥٢).
[٣٢٢] يقال بسست الناقة وأبسستها إذا سقتها وزجرتها وقلت لها بس بس بكسر الباء وفتحها. النهاية (١/ ١٢٧).
[٣٢٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة "واللفظ له". انظر: فتح الباري (٤/ ٩٠) ح ١٨٧٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (٤/ ١٢٢).
[٣٢٤] عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني، صحابي شهير اختلف في شهوده بدرا، وشهد أحدا وغيرها، وشارك مع وحشي في قتل مسيلمة، يقال قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين. الإصابة (٢/ ٣٠٥).
[٣٢٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم ومده. فتح الباري (٤/ ٣٤٦) ح ٢١٢٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة "واللفظ له" (٤/ ١١٢).
[٣٢٦] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٣).
[٣٢٧] أخرجه بهذا اللفظ،مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٦، ١١٧).

[٣٢٨] أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٦).

[٣٢٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة. انظر: فتح الباري (٤/ ٩٣) ح ١٨٧٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا (١/ ٩٠- ٩١).

[٣٣٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، انظر: فتح الباري (٤/ ٩٤) ح ١٨٧٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله (٤/ ١٢٢).

[٣٣١] أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. انظر: فتح الباري (٦٣/٣) ح ١١٩٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤/ ١٢٤).

[٣٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب ١٢. انظر: فتح الباري (٤/ ٩٩) ح ١٨٨٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤/ ١٢٣).

٣٢. ٧- كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [الصلاة على النبي]

الفصل الثالث: الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد:

سبق الحديث في الفصل الثاني، من هذا الباب عن بعض الأمور التي يتعين على هذه الأمة أداؤها والقيام بها في باب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيره وتوقيره. وفي هذا الفصل نتناول جانبا مهما من جوانب توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم، وذلك هو الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم.

فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [١] فهذه الآية فيها من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته.

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم محبة له وأداء لحقه وتعظيما لقدره، والمواظبة عليها من باب أداء شكره صلى الله عليه وسلم، وشكره واجب لعظمة الإنعام به، فقد جعله الله سببا لنجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب.

وليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله- لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا- إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه صلى الله عليه وسلم، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به، وقضاء لحق من حقوق لصطفى صلى الله عليه وسلم التي أوجبها الله علينا فحق على هذه الأمة أن تعظم قدر نبيها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها صلى الله عليه وسلم من الحق عليها. وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع،، من أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب "جلاء الأفهام" في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم، بل هو أشهرها وأحسنها.

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديل في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي [٢] المتوفى سنة ٩٠٢هـ وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة [٣].

المبحث الأول: معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى اللغوي للفظة "الصلاة".

قال الخليل بن أحمد [٤]: "الصلاة: ألفها واو لأن جماعتها الصلوات ولأن التثنية صلوان" [٥].

ومادة (ص. ل. و) وردت في اللغة لمعان منها:

١- ((الصلاة)):

وهو وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس. وقيل: ما انحدر من الوركين [٦]. قال الخليل بن أحمد: " والصلاه، وسط الظَّهْر لكل ذي أربع وللناس وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها قال:

كأن صلا جهيزة حين قامت**** حباب الماء يتبع الحبابا

وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: صلى، وجاء مصليا لأن رأسه يتلو الصلا بين يديه" [٧].

وقال الأزهري: "وقال أهل اللغة في الصلاة: إنها من الصلوين، وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها، وأول مواصل الفخذين من الإنسان فكأنهما في الحقيقة مكتنفا العصعص... وأما المصلى الذي يلي السابق فهو مأخوذ من الصلوين لا محالة، وهما مكتنفا ذنب الفرس، فكأنه يأتي ورأسه في ذلك المكان" [٨]. وقد قيل إن اشتقاق الصلاة الشرعية هو من هذا.

قال الحليمي: "وقيل للصلاة المعهودة صلاة لما فيها من حني الصلا وهو وسط الظهر" [٩].

٢- "الصلى" بالقصر وهي النار:

قال الخليل بن أحمد: "والصلا: النار، وصلى الكافر نارا فهو يصلاها أي قاسى حرها وشدتها، وصليت اللحم صليا: شويته، وإذا ألقيته في النار قلت: أصليته أصليه إصلاء، وصليته، تصلية" [١٠].
وفي معجم مقاييس اللغة: "صلى: الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما: النار وما أشبهها من الحمى... فقولهم: صليت العود بالنار، والصلى صلى النار. واصطليت بالنار. والصلاء: ما يصطلى به وما يذكى به النار ويوقد وقال:
فجعل العود واليلنجوج والرذ*** صلاء لها على الكانون [١١]
قال الفيروز أبادي [١٢]:
"وقيل اشتقاق لفظة الصلاة من الصلى بالقصر وهي النار من صليت العصا إذا قومتها بالنار فالمصلي كأنما يسعى لتعديل باطنه وظاهره كمن يحاول تقويم العود بالنار" [١٣].
٣- "الصلاة" الملازمة:
قال الأزهري: "قال الزجاج الأصل في الصلاة اللزوم يقال: قد صلى واصطلى إذا لزم، ومن هذا من يصلى في النار: أي يلزم النار فالصلاة لزوم ما فرض الله، والصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه" [١٤].
وقال الفيروز أبادي "وقيل الصلاة الملازمة، ومنه قوله {تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً} [١٥] {سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ} [١٦] ومنه سمي ثاني أفراس الحلبة مصليا" [١٧].
٤- ((الصلاة)) الدعاء:
حاء في معجم مقاييس اللغة "صلى: الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما: النار وما أشبهها من الحمى- وقد تقدم ذكره- والآخر جنس من العبادة...
وأما الثاني: فالصلاة وهي الدعاء، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرا فليأكل وإن كان صائما فليصل" [١٨] أي فليدع لهم بالخير والبركة.
قال الأعشى [١٩]:
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا*** يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي*** نوما فإن لجنب المرء مضطجعا [٢٠]
وقال في صفة الخمر:
وقابلها الريح في دنها*** وصلى على دنها وارتسم [٢١] [٢٢]
"أي دعا لها ألا تحمض وتفسد" [٢٣].
وأورد هذا المعنى أيضا الأزهري في تهذيب اللغة [٢٤].
وقال ابن القيم "وأصل هذه اللفظة يرجع إلى معنيين: أحدهما: الدعاء والتبريك. والثاني: العبادة. فمن الأول قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [٢٥]. وقوله تعالى في حق المنافقين: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [٢٦] وقول النبي صلى الله عليه وسم: "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان صائما فليصل" فسر بهما. قيل: فليدع لهم بالبركة. وقيل: يصلي عندهم بدل أكله. وقيل إن الصلاة في اللغة معناها الدعاء.

والدعاء نوعان: دعاء عبادة. ودعاء مسألة. والعابد داع كما أن السائل داع، وبهما فسر قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [٢٧]. قيل: أطيعوني أثبكم. وقيل: سلوني أعطكم. وفسر بهما قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [٢٨]".

ثم قال رحمه الله تعالى: "والصواب: أن الدعاء يعم النوعين، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه [٢٩]، فمن استعماله في دعاء العبادة قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} [٣٠] وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [٣١].

وقوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ} [٣٢] والصحيح من القولين لولا أنكم تدعونه وتعبدونه أي: شيء يعبأه بكم لولا عبادتكم إياه فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل. وقال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً} [٣٣]، وقال تعالى إخبارا عن أنبيائه ورسله: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً} [٣٤].

وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى، ودعوى الخلاف في مسمى الدعاء.

وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية، هل هو منقول عن موضعه في اللغة فيكون حقيقة شرعية أو مجازا شرعيا.

فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها في اللغة وهو الدعاء، والدعاء، دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والمصلي من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فهو في صلاة حقيقة لا مجازا ولا منقولة، لكن خص اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة كسائر الألفاظ التي يخصها أهل اللغة والعرف ببعض مسماها كالدابة والرأس ونحوهما، فهذا غاية تخصيص اللفظ وقصره على بعض موضوعه، ولهذا لا يوجب نقلا ولا خروجا عن موضوعه الأصلي والله أعلم. انتهي [٣٥].

المطلب الثاني: المعني الشرعي لصلاة الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم

لما كانت الصلاة التي أمرت بها هذه الأمة على النبي صلى الله عليه وسلم تعني الطلب من الله ما أخبر به من صلاته عليه. إذ المصلي يقول: "اللهم صل على محمد ... الخ" فالأمر هنا يتطلب شرح معنى صلاة الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم: "وأما صلاة الله سبحانه فنوعان: عامة وخاصة.

فالنوع الأول: الصلاة العامة وهي صلاته على عباده المؤمنين:

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ} [٣٦]

ومنه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آحاد المؤمنين كقوله: "اللهم صل على آل أبي أوفى" [٣٧].

النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله وخصوصا على خاتمهم وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم [٣٨].

واختلفت الناس في معنى الصلاة منه سبحانه على أقوال:

القول الأول: إنها رحمته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى صلاة الرب الرحمة [٣٩] وروى إسماعيل القاضي [٤٠] بسنده عن الضحاك [٤١] قال: "صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء" [٤٢].
وقال المبرد [٤٣] "أصل الصلاة الرحمة فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة" [٤٤].
قال ابن القيم: "وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين" [٤٥].
القول الثاني: إن صلاة الله مغفرته.
فقد روى إسماعيل القاضي بسنده عن الضحاك: "هو الذي يصلي عليكم" قال: "صلاة الله مغفرته، وصلاة الملائكة الدعاء" [٤٦].
وأورد ابن حجر في الفتح: عن مقاتل بن حيان [٤٧] قال: "صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار" [٤٨]
قال ابن القيم: "وهذا القول هو من جنس الذي قبله" [٤٩].
القول الثالث: أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته.
فإذا قلنا اللهم صل على محمد فإنما نريد اللهم عظم محمدا في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين والشهود [٥٠]. قال أبو العالية [٥١]: "صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة" [٥٢]. وعن الربيع بن أنس [٥٣] قال: "صلاة الله عليه ثناؤه عند ملائكته" [٥٤] وقال الخليل بن أحمد: "صلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه: حسن ثنائة عليهم وحسن ذكره لهم" [٥٥].
وقال ابن القيم رحمه الله: "الصلاة المأمور بها في هذه الآية هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه. فهي تتضمن الخبر والطلب وسمى هذا السؤال منا والدعاء صلاة عليه لوجهين:
أحدهما: أنه يتضمن ئناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.
والوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه. فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقربيه، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به" [٥٦].
وزاد الحافظ ابن حجر: أن صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة. فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم.
وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء.
ونقل عياض عن بكر القشيري [٥٧] قال: "الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة وتكرمة، وعلى من دون النبي رحمة، وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} وقال قبل ذلك في السورة المذكورة {هُوَ الَّذِي

يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ} ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره، والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ماليس في غيرها" [٥٨].
وقد ضعف ابن القيم رحمه الله تفسير الصلاة بالرحمة والاستغفار وذكر في تضعيفهما عدة أوجه منها:
١- أن الله سبحانه فرق بين صلاته على عباده ورحمته فقال: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [٥٩] فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهما، وهذا أصل العطف، وأما قولهم:
وألفى قولها كذبا ومينا
فهو شاذ نادر لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين أخص من الكذب
٢- أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وأما رحمته فوسعت كل شيء، فليست الصلاة مرادفة للرحمة لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمواتها ومقصودها، وهذا كثيرا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن، والرسول لا يفسر اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك، والشك جزء مسمى الريب وتفسير المغفرة بالستر، وهو جزء مه مسمى المغفرة، وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان، وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك، كثيرة.
٣- أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلا والمعروف عند العرب من معناها إنما هو الدعاء والتبريك والثناء، ولا تعرف العرب قط "صلى عليه" بمعنى "رحمه" فالواجب حمل اللفظ على معناه المتعارف في اللغة.
٤- أنه يسوغ بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله أن يرحمه فيقول: اللهم ارحمني كما علم النبي صلى الله عليه وسلم الداعي أن يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني" فلما حفظها قال أما هذا فقد ملأ يديه من الخير" [٦٠]. ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول: "اللهم صل علي" بل الداعي بهذا يكون معتديا في دعائه والله لا يحب المعتدين، بخلاف سؤاله الرحمة فإن الله يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته فعلم أنه ليس معناهما واحدا.
٥- أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة كقوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [٦١] وقوله: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [٦٢] وقوله {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} [٦٣] وقوله: {إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [٦٤] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الله أرحم بعباده من هذه بولدها" [٦٥]. وقوله: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" [٦٦]
فمواضع استعمال الرحمة في حق الله وفي حق العباد لا يحسن أن تقع الصلاة في كثير منها، بل في أكثرها، فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة والله أعلم.
٦- أنه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال: "اللهم ارحم محمدا وآل محمد" وليس الأمر كذلك [٦٧]. وزاد السخاوي:

٧- أن الصحابة فهموا المغايرة بين الصلاة والرحمة، فلذلك سألوا عن كيفية الصلاة مع ما تقدم من ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام [٦٨].

وأولى الأقوال بالصواب ما تقدم عن أبي العالية "أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه".

فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء لنبيه صلى الله عليه وسلم.

فصلاتنا عليه: إنما هي ثناء عليه صلى الله عليه وسلم وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا.

المبحث الثاني: الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكيفيتها ومواطنها وفضلها

المطلب الأول: الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

١- من القرآن:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [٦٩].

وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب [٧٠] والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها [٧١].

وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر الله فيها عددا من حقوق نبيه صلى الله عليه وسلم وما خصه به دون أمته، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه وتعظيمه وتبجيله.

ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن، وخلوتهم بهن.

ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه [٧٢]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا" [٧٣].

"فهذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته" [٧٤]

(وفيها تنبيه على كمال الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره، فقوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيّ} أي يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له صلى الله عليه وسلم ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم" [٧٥].
قال الحليمي: "وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق " [٧٦].
ب- من السنة النبوية:
ورد في شأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.
وقد روى هذه الأحاديث ما جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا.
وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبين طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا.
وسيأتي ذكر بعض هذه الأحاديث في مواضعها المناسبة في المطلب القادم وذلك تلافيا للتكرار والإعادة.

المطلب الثاني: كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ورد في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عدد من الأحاديث منها:

١- حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه:
فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: "إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" متفق عليه [٧٧].
والمراد بالسلام في قوله: "قد علمنا كيف نسلم عليك" السلام الذي في التشهد وهو قول "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" [٧٨].

٢- حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه:
عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على

محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" متفق عليه [٧٩].

٣- حديث أبي سعيد الخدري [٨٠] رضي الله عنه
عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يارسول الله، هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم" [٨١].

٤- حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري [٨٢] رضي الله عنه
عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد [٨٣] أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم" [٨٤].

٥- حديث طلحة بن عبيد الله:
عن طلحة بن عبيد الله قال: قلت يارسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: "قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد" [٨٥].
والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها، ومن أجل ذلك فإن المرء قد يسأل بأي هذه الألفاظ يدعو؟
قال ابن القيم: " لقد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة، وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة، ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها، فرأى أنه يستحب للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته، وارحم محمدا وآل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" وكذلك في البركة والرحمة.
وعلل ذلك بقوله: حتى يصيب ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فيما شك فيه الراوي وليجتمع له ألفاظ الأدعية الأخر فيما اختلفت ألفاظها.
ونازعه في ذلك آخرون وقال: هذا ضعيف من وجوه:
أحدها: أن هذه الطريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين.
الثاني: أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع الاستفتاحات، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات، وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه، وهذا باطل قطعا فإنه خلاف عمل الناس، ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة، وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين.

الثالث: أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها. قالوا: ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة ولا خارجها إذا قرأ قراءة عبادة وتدبر، وإنما يفعل ذلك القراء أحيانا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات، وإحاطته بها واستحضاره إياها، والتمكن من استحضارها عند طلبها، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تال وقارئ، ومع هذا ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه، بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء، وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك.

وكذلك الداعي إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة بلفظ هذا الحديث، ومرة بلفظ الآخر، وكذلك إذا تشهد، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود، وإن شاء بتشهد ابن عباس، وإن شاء بتشهد ابن عمر، وإن شاء بتشهد عائشة رضي الله عنهم أجمعين ولا يستحب له أحد أن يجمع بين ذلك كله. وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي رحمه الله تعالى على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب الصحيح والسنن وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" [٨٦]. فجوز النبي صلى الله عليه وسلم القراءة بكل حرف من تلك الأحرف، وأخبر أنه "شافي كافي" ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع كما كان الصحابة يفعلون.

الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع بين تلك الألفاظ الختلفة في آن واحد، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة كألفاظ الاستفتاح والتشهد، وأذكار الركوع والسجود وغيرها، فاتباعه صلى الله عليه وسلم يقتضي أن لا يجمع بينها، بل يقال هذا مرة وهذا مرة.

وإما أن يكون الراوي قد شك في أي الألفاظ قال، فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيرا بينهما، ولم يشرع له الجمع، فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آن واحد على مقصود الداعي بالإبطال لأنه قصد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ففعل ما لم يفعله قطعا.

ومثال ما يترجح فيه أحد الألفاظ حديث الاستخارة فإن الراوي شك هل قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري" أو قال: "وعاجل أمري وآجله" [٨٧] بدل "وعاقبة أمري" والصحيح اللفظ الأول وهو قوله "وعاقبة أمري" لأن عاجل الأمر وآجله هو مضمون قوله "ديني ومعاشي وعاقبة أمري" فيكون الجمع بين المعاش وعاجل الأمر وآجله تكرارا، بخلاف ذكر المعاش والعاقبة، فإنه لا تكرار فيه، فإن المعاش هو عاجل الأمر والعاقبة أجله.

ومن ذلك ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال" رواه مسلم [٨٨].

واختلف فيه فقال بعض الرواة "من أول سورة الكهف".

وقال بعضهم "من آخرها" وكلاهما في الصحيح لكن الترجيح لمن قال: "من أول سورة الكهف" لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان [٨٩] في قصة الدجال "فإذا رأيتموه فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف" [٩٠] ولم يختلف في ذلك، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى من آخرها لم يحفظه.

الخامس: أن المقصود إنما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود، فلا يجمع بين العبارات المتعددة.

السادس: أن أحد اللفظين بدل عن الآخر، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معا كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها إبدال والله أعلم [٩١]

المطلب الثالث: مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

تتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن إما وجوبا وإما استحبابا مؤكدا [٩٢] ومن هذه المواطن ما يلي:

الموطن الأول: في الصلاة في آخر التشهد:

وهو أهمها وآكدها، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته [٩٣] (٢) واختلفوا في وجوبه فيها.

فقالت طائفة: ليس بواجب فيها وهذا قول أبي حنيفة ومالك ورواية عن الإمام أحمد، وهو قول أكثر أهل العلم [٩٤].

وقالت طائفة: بوجوب ذلك وهو قول الشافعي ورواية عن الإمام أحمد والظاهر أنها آخر قوليه [٩٥] وهي المعتمدة في المذهب [٩٦] وبهذا القول قال جمع من الصحابة والتابعين وأرباب المذاهب، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو مسعود، والشعبي، ومقاتل بن حيان، وأبو جعفر محمد بن على بن الحسين [٩٧] واسحاق بن راهويه [٩٨].

ولكل واحد من الفريقين أدلته، وهي مبسوطة في كتب الفقه.

وقد جمعها ابن القيم في كتابه القيم جلاء الأفهام [٩٩] فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فليرجع إليه [١٠٠].

وأما ما يتعلق بأدلة مشروعيتها في هذا الموطن فهي بعينها الأدلة التي تقدم ذكرها في المطلب السابق عند الحديث عن كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

الموطن الثاني: الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول:

قال ابن القيم: "وهذا قد اختلف فيه

القول الأول: قال الشافعي في "الأم": "يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول [١٠١] وهذا هو المشهور من مذهبه وهو الجديد، ولكنه يستحب وليس بواجب.

القول الثاني: قال الشافعي في القديم: " لا يزيد على التشهد" وهذه رواية المزني [١٠٢] عنه، وبهذا قال أحمد وأبو حنيفة ومالك وغيرهم.

واحتج لقول الشافعي بما رواه الدارقطني بسنده عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد التحيات الطيبات الزاكيات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم " [١٠٣].

وروى الدارقطني أيضا من حديث عمرو بن شمر عن جابر عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بريدة إذا صليت في صلاتك فلا تتركن الصلاة علي فيها، فإنها زكاة الصلاة" [١٠٤].

قالوا: وهذا يعم الجلوس الأول والآخر.

واحتج له أيضا بأن الله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسوله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه حيث شرع التسليم عليه شرعت الصلاة عليه، ولهذا سأله أصحابه عن كيفية الصلاة عليه، وقالوا "قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟" فدل على أن الصلاة عليه مقرونة بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن المصلي يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرع له أن يصلي عليه.

قالوا: ولأنه مكان شرع فيه التشهد والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم فشرع فيه الصلاة عليه كالتشهد الأخير.

قالوا: ولأن التشهد الأول محل يستحب فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فاستحب فيه الصلاة عليه، لأنه أكمل في ذكره.

قالوا: ولأن في حديث محمد بن إسحاق: كيف نصلي عليك إذا نحن جلسنا في صلاتنا؟ [١٠٥].

وقال الآخرون: ليس التشهد الأول بمحل لذلك، وهو القديم من قولي الشافعي رحمه الله تعالى، وهو الذي صححه كثير من أصحابه لم لأن التشهد الأول تخفيفه مشروع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيه كأنه على الرضف [١٠٦] [١٠٧]. ولم يثبت عنه أنه كان يفعل ذلك فيه، ولا علّمه للأمة، ولا يعرف أن أحدا من الصحابة استحبه، ولأن مشروعية ذلك لو كانت كما ذكرتم من الأمر لكانت واجبة في المحل كما في الأخير، لتناول الأمر لهما، ولأنه لو كانت الصلاة مستحبة في هذا الموضع، لاستحب فيه الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرد نفسه دون آله بالأمر بالصلاة عليه، بل أمرهم بالصلاة عليه وعلى آله في الصلاة وغيرها.

ولأنه لو كانت الصلاة عليه في هذه المواضع مشروعة لشرع فيها ذكر إبراهيم وآل إبراهيم، لأنها هي صفة الصلاة المأمور بها، ولأنها لو شرعت في هذه المواضع لشرع فيها الدعاء بعدها لحديث فضالة، ولم يكن فرق بين التشهد الأول والأخير.

قالوا: وأما ما استدللتم به من الأحاديث فمع ضعفها لا تدل، لأن المراد بالتشهد فيها هو الأخير دون الأول بما ذكرناه من الأدلة [١٠٨] (١).

الموطن الثالث من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: آخر القنوت

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "استحبه الشافعي ومن وافقه واحتج لذلك بما رواه النسائي بسنده عن الحسن بن علي [١٠٩] قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات في الوتر قال: "قل اللهم اهدني فيمن هديت، وبارك لي فيما أعطت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت [١١٠] وصلى الله على النبي" [١١١] وهذا إنما هو في قنوت الوتر، وإنما نقل إلى قنوت الفجر قياسا كما نقل أصل هذا الدعاء إلى قنوت الفجر.

وهو مستحب في قنوت رمضان فعن عروة بن الزبير [١١٢] أن عبد الرحمن بن عبد القاري [١١٣] وكان في عهد عمر بن الخطاب مع عبد الله بن الأرقم [١١٤] على بيت المال، قال: إن عمر خرج ليلة في رمضان، فخرج معه عبد الرحمن بن عبد القارى فطاف في المسجد، وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر رضي الله عنه، والله إني لأظن لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد يكون أمثل، ثم عزم عمر على ذلك وأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان، فخرج عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله، وقال: كانوا يلعنون الكفرة في النصف يقولون: اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالف بين كلمتهم، وألق في قلوبهم الرعب، وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق. ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو للمسلمين ما استطاع من خير، ثم يستغفر للمؤمنين، قال: فكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفار، وصلاته على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره للمؤمنين، ومسألته: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد [١١٥] ونرجو رحمتك، ونخاف عذابك إن عذابك الجد لمن عاديت ملحق، ثم يكبر ويهوي ساجدا [١١٦].

وروى إسماعيل بن إسحاق بسنده عن قتادة، عن عبد الله بن الحارث [١١٧]أن أبا حليمة- معاذا- [١١٨] كان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت [١١٩] [١٢٠].

الموطن الرابع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية:

لا خلاف في مشروعيتها فيها، واختلف في توقف صحة الصلاة عليها. فقال الشافعي، وأحمد في المشهور من مذهبهما: إنها واجبة في الصلاة، لا تصح إلا بها، ورواه البيهقي عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة. وقال مالك وأبو حنيفة: تستحب وليست بواجبة، وهو وجه لأصحاب الشافعي. والدليل على مشروعيتها في صلاة الجنازة، ما روى الشافعي بسنده عن الزهري، قال أخبرني أمامة بن سهل، أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء

منهن ثم يسلم سرا في نفسه [١٢١]. وروى إسماعيل بن إسحاق في كتاب "الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم" بسنده عن الزهري قال سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف [١٢٢] يحدث سعيد بن المسيب [١٢٣] قال: إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة، ثم يسلم في نفسه [١٢٤]

وأبو أمامة هذا صحابي صغير، وقد رواه عن صحابي آخر كما ذكره الشافعي.

وقال صاحب "المغني" [١٢٥] يروى عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر، ثم قرأ وجهر وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعا لصاحبه فأحسن ثم انصرف، وقال: هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة.

وفي الموطأ برواية يحى بن يحى الليثي [١٢٦] حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري [١٢٧] عن أبيه [١٢٨] أنه سأل أبا هريرة كيف نصلي على الجنازة؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا لعمر الله أخبرك، أتبعها من أهلها، فإذا وضعت كبرت وحمدت الله تعالى، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أقول: "اللهم إنه عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده" [١٢٩].

إذا تقرر هذا فالمستحب أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم في الجنازة كما يصلى عليه في التشهد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه. وفي مسائل " عبد الله بن أحمد "عن أبيه قال: يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويصلى على الملائكة المقربين.

قال القاضي: يقول: اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك والمرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين، إنك على كل شيء قدير [١٣٠].

الموطن الخامس من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: في الخطب كخطبة الجمعة والعيدين، والاستسقاء، وغيرها:

وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطة

قال الشافعي وأحمد في المشمهور من مذهبهما: لا تصح الخطة إلا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو حنيفة ومالك: تصح بدونها، وهو وجه في مذهب أحمد واحتج لوجوبها في الخطة بقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ صَدْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [١٣١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "رفع الله ذكره، فلا يذكر إلا ذكر معه. وفي هذا الدليل نظر، لأن ذكره صلى الله عليه وسلم مع ذكر ربه هو الشهادة له بالرسالة إذا شهد لمرسله بالوحدانية، وهذا هو الواجب في الخطبة قطعا بل هو ركنها الأعظم، وقد روى أبو داود، وأحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل خطة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء" [١٣٢] واليد الجذماء:

المقطوعة، فمن أوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطة دون التشهد فقوله في غاية الضعف.
وقد روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن قتادة {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله [١٣٣].
وعن الضحاك {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} قال إذا ذكرت ذكرت معي ولا يجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك [١٣٤] معي.
وعن مجاهد {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} قال: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله [١٣٥].
فهذا هو المراد من الآية، وكيف لا يجب التشهد الذي هو عقد الإسلام في الخطبة، وهو أفضل كلماتها وتجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها.
والدليل على مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة [١٣٦] قال: كان أبي [١٣٧] من شرط علي، وكان تحت المنبر، فحدثني: أنه صعد المنبر- يعني عليا- رضي الله عنه فحمد الله وأثني عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر، وقال يجعل الله الخير حيث شاء [١٣٨].
قال ابن القيم: "وقد كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطب أمرا مشهورا معروفا عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.
أما وجوبها فيعتمد دليلا يجب المصير إليه وإلى مثله [١٣٩].

الموطن السادس من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة
لما روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي" [١٤٠].

الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: عند الدعاء:
والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد [١٤١] رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاة لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجل هذا" ثم دعاه، فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بما شاء" [١٤٢].
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عند قال: "إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم" [١٤٣].

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: عند دخول المسجد وعند الخروج منه

لما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله لمج!ا قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم" [١٤٤].

وعن فاطمة بنت الحسين [١٤٥] عن جدتها فاطمة الكبرى [١٤٦] قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، وقال: "رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال: "رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك" [١٤٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد مأثور عنه صلى الله عليه وسلم وعن غير واحد من الصحابة والتابعين" [١٤٨].

وقال القاضي عياض: "ومن مواطن الصلاة والسلام عند دخول المسجد" وذكرا عددا من الآثار عن بعض الأئمة [١٤٩].

الموطن التاسع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: على الصفا والمروة

لما روى إسماعيل بن إسحاق القاضي بسنده عن نافع [١٥٠] أن عمر رضي الله عنه كان يكبر على الصفا ثلاثا، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدر، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو ويطل القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة نحو ذلك [١٥١].

وعن وهب بن الأجدع [١٥٢] قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس بمكة يقول إذا قدم الرجل منكم حاجا فليطف بالبيت سبعا وليصل عند المقام ركعتين ثم يستلم الحجر الأسود، ثم يبدأ بالصفا، فيقوم عليها ويستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد الله عز وجل وثناء عليه عزوجل، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومسألة لنفسه وعلى المروة مثل ذلك [١٥٣].

الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: عند اجتماع القوم قبل تفرقهم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم إلا كان مجلسهم عليهم ترة [١٥٤] يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أخذهم" [١٥٥].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "ما جلس قوم مجلسا لم يصل فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كانت عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة" [١٥٦].

وعن جابرأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا من غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح جيفة" [١٥٧].

الموطن الحادي عشر: من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره
قال ابن القيم: "وقد اختلفت في وجوبها كلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم فقال أبو جعفر الطحاوي [١٥٨] وأبو عبيد الله الحليمي: تجب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر اسمه. وقال غيرهما إن ذلك مستحب، وليس بفرض يأثم تاركه. ثم اختلفوا: فقالت فرقة: تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة، لأن الأمر مطلق لا يقتضي تكرارا، والماهية تحصل بمرة، وهذا محكي عن أبي حنيفة ومالك، والثوري، والأوزاعي [١٥٩].
قال القاضي عياض وابن عبد البر: وهو قول جمهور الأمة.
وقالت فرقة: بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير كما تقدم، وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه، وغيرهما.
وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب، وهذا قول ابن جرير وطائفة، وادعى ابن جرير فيه الإجماع، وهذا على أصله فإنه إذا رأي الأكثرين على قول، جعله إجماعا يجب اتباعه.
واحتج الموجبون بحجج:
الحجة الأولى: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة" [١٦٠].
ورغم أنفه: دعاء عليه وذم له، وتارك المستحب لا يذم ولا يدعى عليهز.
الحجة الثانية: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه صعد المنبر فقال: "آمين، آمين، آمين، فقيل له يارسول الله، ما كنت تصنع هذا؟ فقال: "قال لي جبريل رغم أنف عبد دخل عليه رمضان ولم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنفه عبد أدرك أبويه أو أحدهما الكبر لم يدخل الجنة، فقلت: آمين ثم قال: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين" [١٦١]
الحجة الثالثة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ذكرت عنده فليصل علي، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا" [١٦٢]. وهذا إسناد صحيح والأمر ظاهره الوجوب.
الحجة الرابعة: حديث الحسين بن علي [١٦٣] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي" [١٦٤] .
وعن عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد أو قعد أبو ذر- فذكر حديثا طويلا- وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي" [١٦٥].
قالوا: فإذا ثبت أنه بخيل فوجه الدلالة به من وجهين:
أحدها: أن البخل اسم ذم، وتارك المستحب لا يستحق اسم الذم قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} [١٦٦] فقرن البخل

بالاختيال والفخر، والآمر بالبخل، وذم على المجموع، فدل على أن البخل صفة ذم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وأي داء أدوأ من البخل" [١٦٧].
الثاني: أن البخيل هو مانع ما وجب عليه، فمن أدى الواجب عليه كله لم يسم بخيلا، وإنما البخيل مانع ما يستحق عليه إعطاؤه وبذله.
الحجة الخامسة: أن الله سبحانه وتعالى أمر بالصلاة والتسليم عليه، والأمر المطلق للتكرار، ولا يمكن أن يقال: التكرار هو كل وقت، فإن الأوامر المكررة إنما تتكرر في أوقات خاصة، أو عند شروط وأسباب تقتضي تكرارها، وليس وقت أولى من وقت، فتكرار المأمور بتكرار ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أولى لما تقدم من النصوص، فهنا ثلاث مقدمات:
الأولى: أن الصلاة مأمور بها أمرا مطلقا، وهذه معلومة.
المقدمة الثانية: أن الأمر المطلق يقتضي التكرار، وهذا مختلف فيه فنفاه طائفة من الفقهاء والأصوليين. وأثبته طائفة. وفرقت طائفة يين الأمر المطلق والمعلق على شرط أو وقت، فأثبتت التكرار في المعلق دون المطلق. والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد والشافعي، وغيرهما.
ورجحت هذه الطائفة التكرار بأن عامة أوامر الشرع على التكرار كقوله تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [١٦٨] وقوله {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ} [١٦٩] وقوله تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [١٧٠] وقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} [١٧١] وقوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [١٧٢] وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ} [١٧٣] وقوله تعالى: {وَخَافُونِ} [١٧٤].
وقوله: {وَاخْشَوْنِي} [١٧٥]، وقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ} [١٧٦]، وقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} [١٧٧].
وذلك في القرآن أكثر من أن يحصر، وإذا كات أوامر الله ورسوله على التكرار حيث وردت إلا في النادر، علم أن هذا عرف خطاب الله ورسوله للأمة، والأمر وإن لم يكن في لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار ولا فور فلا ريب أنه في عرف خطاب الشارع للتكرار، فلا يحمل كلامه إلا على عرفه والمألوف من خطابه، وإن لم يكن ذلك مفهوما من أصل الوضع في اللغة، وهذا كما قلنا: ان الأمر يقتضي الوجوب، والنهي يقتضي الفساد، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع وإن كان لا تعرض لصحة المنهي ولا لفساده في أصل موضوع اللغة، وكذا خطاب الشارع لواحد من الأمة يقتضي معرفة الخاص أن يكون اللفظ متناولا له ولأمثاله، وإن كان موضوع اللفظ لغة لا يقتضي ذلك، فإن هذا لغة صاحب الشرع وعرفه في مصادر كلامه وموارده، وهذا معلوم بالاضطرار من دينه قبل أن يعلم صحة القياس واعتباره وشروطه، وهكذا الفرق يين اقتضاء اللفظ وعدم اقتضائه لغة، وبين اقتضائه في عرف الشارع وعادة خطابه.
المقدمة الثالثة: أنه إذا تكرر المأمور به، فإنه لا يتكرر إلا بسبب أو وقت، وأولى الأسباب المقتضية لتكراره ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم، لإخباره برغم أوف من ذكر عنده فلم يصل عليه، وللإسجال عليه بالبخل وإعطائه اسمه.

قالوا: ومما يؤيد ذلك أن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه عقب إخباره لهم بأنه وملائكته يصلون عليه، لم يكن مرة وانقطعت. بل في صلاة متكررة، ولهذا ذكرها مبينا بها فضله وشرفه وعلو منزلته عنده، ثم أمر المؤمنين بها، فتكرارها في حقهم أحق وآكد لأجل الأمر.

قالوا: ولأن الله أكد السلام بالمصدر الذي هو التسليم، وهذا يقتضي المبالغة والزيادة في كميته، وذلك بالتكرار.

قالوا: ولأن لفظ الفعل المأمور به يدل على التكثير وهو "صلى وسلم" فإن "فعَّل" المشدد، يدل على تكرار الفعل، كقولك كسّر الخبرز وقطَّع اللحم، وعلّم الخير، وشدّد في كذا، ونحوه.

قالوا: ولأن الأمر بالصلاة عليه في مقابل إحسانه إلى الأمة، وتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وما حصل لهم ببركته من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة مثل هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيا لحقه ولا مؤديا لنعمته، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم.

قالوا: ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلا، لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم، وحصل له به هذا الخير الجسيم، ثم يذكر عنده ولا يثني عليه ولا يبالغ في حمده ومدحه وتمجيده، ويبدي ذلك ويعيده، ويعتذر من التقصير في القياع بشكره وحقه، عده الناس بخيلا لئيما كفورا فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة، ونجا من شر الدنيا والآخرة، الذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمته وإحسانه، فضلا عن أن تقوم بشكره، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثنى عليه، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ، فلا أقل من أن يصلى عليه مرة إذا ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم.

قالوا: ولهذا دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم برغم أنفه، وهو أن يلصق أنفه بالرغام وهو التراب، لأنه لما ذكر عنده فلم يصل عليه استحق أن يذله الله ويلصق أنفه بالتراب.

قالوا: ولأن الله سبحانه نهى الأمة أن يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضا، فلا يسمونه إذا خاطبوه باسمه، كما يسمى بعضهم بعضا بل يدعونه برسول الله ونبي الله، وهذا من تمام تعزيره وتوقيره وتعظيمه، فهكذا ينبغي أن يخص باقتران اسمه بالصلاة عليه، ليكون ذلك فرقا بينه وبين ذكر غيره، كما كان الأمر بدعائه بالرسول والنبي فرقا بينه ويين خطاب غيره، فلو كان عند ذكره لا تجب الصلاة عليه كان ذكره كذكر غيره في ذلك، هذا على أحد التفسيرين في الآية، وأما على التفسير الآخر وهو أن المعنى لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا الإجابة بالاعتذار والعلل التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن بادروا إليه إذا دعاكم بسرعة الإجابة ومعاجلة الطاعة حتى لم يجعل اشتغالهم بالصلاة عذرا لهم في التخلف عن إجابته والمبادرة إلى طاعته فإذا لم تكن الصلاة التي فيها شغل عذرا

يستباح بها تأخير إجابته فكيف ما دونها من الأسباب والأعذار؟ فعلى هذا يكون المصدر مضافا إلى الفاعل، وعلى القول الأول يكون مضافا إلى المفعول.
وقد يقال- وهو أحسن من القولين- إن المصدر هنا لم يضف إضافته إلى فاعل ولا مفعول، وإنما أضيف إضافة الأسماء المحضة، ويكون المعنى: لا تجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضا، وعلى هذا فيعم الأمرين معا، ويكون النهي عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم بعضا، وعن تأخير إجابته صلى الله عليه وسلم، وعلى كل تقدير فكما أمر الله سبحانه أن يميز في خطابه ودعائهم إياه قياما للأمة بما يجب عليه من تعظيمه وإجلاله فتمييزه بالصلاة عليه عند ذكر اسمه من تمام هذا المقصود.
قالوا: وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم "أن من ذكر عنده فلم يصل عليه خطىء طريق الجنة" [١٧٨] فلولا أن الصلاة عليه واجبة عند ذكره لم يكن تاركها مخطئا لطريق الجنة. قالوا: وأيضا فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده فلم يصل عليه فقد جفاه، ولا يجوز لمسلم جفاؤه صلى الله عليه وسلم.
فالدليل على المقدمة الأولى: ما روي عن قتادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي" [١٧٩]
ولو تركنا وهذا المرسل وحده لم نحتج به، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلا وشحيحا، والدعاء عليه بالرغم، وهذا من مرجبات جفائه.
والدليل على المقدمة الثانية: أن جفاءه مناف لكمال حبه، وتقديم محبته على النفس والأهل والمال، وأنه أولى بالمؤمن من نفسه فإن العبد لا يؤمن حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ومن ولده ووالده والناس أجمعين، كما ثبت عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب ألي من كل شيء إلا من نفسي، قال: "لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك" قال: فوالله لأنت الآن أحب إلي من نفسي، قال: "الآن يا عمر" [١٨٠] وثبت عنه في الصحيح أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" [١٨١] فذكر هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم، كمحبة الوالد، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال، كمحبة الناس بعضهم بعضا، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول صلى الله عليه وسلم عنده أشد من هذه المحاب كلها.
ومعلوم أن جفاءه صلى الله عليه وسلم ينافي ذلك
قالوا: فلما كانت محبته فرضا، وكانت توابعها من الإجلال والتعظيم والتوقير والطاعة والتقديم على النفس، وإيثاره بنفسه بحيث يقي نفسه فرضا، كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذكر من لوازم هذه الأحبية وتمامها.
قالوا: وإذا ثبت بهذه الوجوه وغيوها وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على من ذكر عنده، فوجوبها على الذاكر نفسه أولى، ونظير هذا أن سامع السجدة إذا أمر بالسجود إما وجوبا أو استحبابا، فوجوبها على التالي أولى، والله أعلم.
قال نفاة الوجوب: الدليل على قولنا من وجوه:

أحدها: أن من المعلوم الذي لا ريب فيه أن السلف الصالح الذين هم القدوة لم يكن أحدهم كلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقرن الصلاة عليه باسمه، وهذا في خطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يذكر فإنهم كانوا يقولون يارسول الله، مقتصرين على ذلك وربما كان يقول أحدهم "صلى الله عليك" وهذا في الأحاديث ظاهر كثير، فلو كانت الصلاة عليه واجبة عند ذكره لأنكر عليهم تركها.

الثاني: أن الصلاة عليه لو كانت واجبة كلما ذكر لكان هذا من أظهر الواجبات، ولبينه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بيانا يقطع العذر وتقوم به الحجة.

الثالث: أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم هذا القول، ولا يعرف أحد منهم قال به، وأكثر الفقهاء – بل قد حكى الإجماع - على أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليست من فروض الصلاة، وقد نسب القول بوجوبها إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع السابق، فكيف تحب خارج الصلاة.

الرابع: أنه لو وجبت الصلاة عليه عند ذكره دائما، لوجب على المؤذن أن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، وهذا لا يشرع له في الأذان على أن يجب عليه.

الخامس: أنه كان يجب على من سمع النداء وأجابه أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم، اقتصاره على قوله "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" فإن هذا مثل ما قال المؤذن.

السادس: أن التشهد الأول ينتهي عند قوله "وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" اتفاقا، واختلف هل يشرع أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله فيه، على ثلاثة أقوال:

- أحدها: لا يشرع ذلك إلا في الأخير.
- والثاني: يشرع.
- والثالث: تشرع الصلاة عليه خاصة دون آله، ولم يقل أحد بوجوبها في الأول عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

السابع: أن المسلم إذا دخل في الإسلام بتلفظه بالشهادتين لم يحتج أن يقول أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثامن: أن الخطب في الجمع والأعياد وغيرهما لا يحتاج أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الشهد، ولو كانت الصلاة واجبة عليه عند ذكره لوجب عليه أن يقرنها بالشهادة، ولا يقال تكفي الصلاة عليه في الخطبة فإن تلك الصلاة لا تنعطف على ذكر اسمه عند الشهادة، ولا سيما مع طول الفصل، والموجبون يقولون: تجب الصلاة عليه كلما ذكر ومعلوم أن ذكره ثانيا غير ذكره أولا.

التاسع: أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب على القارئ كلما مر ذكر اسمه أن يصلي عليه، ويقطع لذلك قراءته ليؤدي هذا الواجب، وسواء كان في الصلاة أو خارجها، فإن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا تبطل الصلاة، وهي واجب قد تعين فلزم أداؤه، ومعلوم أن ذلك لو كان واجبا لكان الصحابة والتابعون أقوم به وأسرع إلى أدائه وترك إهماله.

العاشر: أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب الثناء على الله عز وجل كلما ذكر اسمه، فكان يجب على من ذكر اسم الله أن يقرنه بقوله: "سبحانه وتعالى" أو "عز

وجل" أو "تبارك وتعالى" أو "جلت عظمته" أو "تعالى جده" ونحو ذلك، بل كان ذلك أولى وأحرى فإن تعظيم الرسول وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ومحبته وطاعته، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول صلى الله عليه وسلم دون مرسله، بل انما يثبت ذلك له تبعا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله، ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة لله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومبايعته مبايعة لله {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [١٨٢] ومحبته محبة لله قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [١٨٣]، وتعظيمه تعظيم للهه، ونصرته نصرة لله، فإنه رسوله وعبده الداعي إليه وإلى طاعته ومحبته وإجلاله، وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له، فكيف يقال تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه، وهي ثناء وتعظيم كما تقدم، ولا يجب الثناء والتعظيم للخالق سبحانه وتعالى كلما ذكر اسمه؟ هذا محال من القول.

الحادي عشرة: لو جلس إنسان ليس له هجيرى [١٨٤] إلا قوله: محمد رسول الله، أو اللهم صل على محمد، وبشر كثير يسمعونه، فإن قلتم تجب على كل أولئك السامعين أن يكون هجيراهم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، ولو طال المجلس ما طال، كان ذلك حرجا ومشقة وتركا لقراءة قارئهم، ودراسة دارسهم، وكلام صاحب الحاجة منهم، ومذاكرته في العلم، وتعليمه القرآن وغيره، وإن قلتم لا تحب عليهم الصلاة عليه في هذه الحال، نقضتم مذهبكم، وإن قلتم: تجب عليه مرة أو أكثر، كان تحكما بلا دليل مع أنه مبطل لقولكم.

الثاني عشر: أن الشهادة له بالرسالة أفرض وأوجب من الصلاة عليه بلا ريب، ومعلوم أنه لا يدخل في الإسلام إلا بها، فإذا كانت لا تجب كلما ذكر اسمه، فكيف تحب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه، وليصر من الواجبات بعد كلمة الاخلاص أفرض من الشهادة له بالرسالة، فمتى أقر له بوجوبها عند ذكر اسمه تذكر العبد الإيمان وموجبات هذه الشهادة فكان يجب على كل من ذكر اسمه أن يقول محمد رسول الله، ووجوب ذلك أظهر بكثير من وجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه.

ولكل فرقة من هاتين الفرقتين أجوبة عن حجج الفرقة المنازعة لها، بعضها ضعيف جدا وبعضها محتمل، وبعضها قوي، ويظهر ذلك لمن تأمل حجج الفريقين، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب" [١٨٥].

الموطن الثاني عشر: من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة

فعن أوس بن أوس [١٨٦] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فاكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي".

قالوا: يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟- يعني وقد بليت- فقال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" [١٨٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا هي مصيخة [١٨٨] يوم الجمعة، من حين تصبح

حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة، إلا الجن والانس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله شيئا إلا أعطاه الله إياه" [١٨٩].
قال ابن القيم: "فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس، دال على مثل معناه" [١٩٠].
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "قال رسول صلى الله عليه وسلم: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لا يصلي عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها" قال: قلت بعد الموت؟ قال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" فنبي الله حي يرزق" [١٩١].
وعن أبي أمامة [١٩٢] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتى تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم صلاة كان أقربهم مني منزلة" [١٩٣].
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه أتاني جبريل آنفا من ربه عز وجل فقال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا" [١٩٤]. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض علي" [١٩٥].
قال ابن القيم: "هذان وإن كانا ضعيفين فيصلحان للاستشهاد" [١٩٦]
وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة" [١٩٧] وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة. وعن زيد بن وهب [١٩٨] قال: قال لي ابن مسعود رضي الله عنه: "يا زيد بن وهب لا تدع- إذا كان يوم الجمعة- أن تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة تقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي" [١٩٩].
وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة، فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته" [٢٠٠].
وفي مراسيل الحسن [٢٠١] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنها تعرض علي" [٢٠٢].
وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب: "أن انشروا العلم يوم الجمعة فإن غائلة العلم النسيان، وأكثروا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة" [٢٠٣].
وهناك مواطن أخرى غير ما ذكرنا ذكرها ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام [٢٠٤] وكذلك السخاوي في كتابه القول البديع، والفيروز أبادي في الصلات والبشر ممن أراد الاستزادة فليرجع إليها، وحسبي أني أشرت لأشهرها.

المطلب الرابع: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
قال ابن القيم: "إن طلب الصلاة من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته" [٢٠٥] يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى على واحدة صلى عليه عشرا" رواه مسلم [٢٠٦].
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة" رواه مسلم [٢٠٧].
وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: "يارسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: "ما شئت". قلت: الربع؟ قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير. قلت: النصف؟ قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير". قلت: الثلثين؟ قال: "ما شئت وإن زدت فهو خير".قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: "إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك" [٢٠٨]
وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي [٢٠٩] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا" فقام إليه رجل فقال: يارسول الله أجعل نصف دعائي لك؟ قال: "إن شئت" قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال: "إن شئت" قال: ألا أجعل دعائي كله؟ قال: "إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة" [٢١٠]
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا" [٢١١].
وفي رواية "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات" [٢١٢].
وفي رواية "من صلّى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات" [٢١٣].
وفي رواية: " خرج النبي صلى الله عليه وسلم يتبرز، فلم يجد أحدا يتبعه فهرع عمر فاتبعه بمطهرة- يعني إداوة- فوجده ساجدا في شربة، فتنحى عمر فجلس وراءه حتى رفع رأسه قال: فقال: "أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا، ورفعه عشر درجات" [٢١٤].
وأخرج هذا الحديث عن عمر بن الخطاب قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم يتبرز، فاتبعته بإداوة، فوجدته قد فرغ، ووجدته ساجدا لله في شربة، فتنحيت عنه فلما فرغ، رفع رأسه فقال: "أحسنت يا عمر حين تنحيت عني إن جبريل أتاني فقال: من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات" [٢١٥].
وعن عبد الرحمن بن عوف [٢١٦] قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فأطال السجود قال: "أتاني جبريل قال: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرا" [٢١٧].
وفي رواية " كان لا يفارق فيء النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار خمسة نفر من أصحابه أو أربعة لما ينوبه من حوائجه قال: فجئت فوجدته قد خرج فتبعته، فدخل

حائطا من حيطان الأسواف [٢١٨] فصلى فسجد سجدة أطال فيها، فحزن وبكيت فقلت: لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض الله روحه، قال: فرفع رأسه، وتراءيت له، فدعاني، فقال: مالك؟ قلت: يا رسول الله سجدت سجدة أطلت فيها فحزنت، وبكيت، وقلت: لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض الله روحه.
قال: "هذه سجدة سجدتها شكرا لربي فيما آتاني في أمتي، من صلى علي صلاة كتب الله له عشر حسنات" [٢١٩].
وفي رواية "إني سجدت هذه السجدة شكرا لله عز وجل في أبلاني في أمتي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا" [٢٢٠].
وعن أبي طلحة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم يوما يعرفون البشر في وجهه فقالوا: إنا نعرف الآن في وجهك البشر يا رسول الله. قال: أجل أتاني الآن آت من ربي فأخبرني أنه لن يصلي علي أحد من أمتي إلا ردها الله عليه عشر أمثالها" [٢٢١].
وفي رواية "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما والبشر يرى في وجهه فقالوا: يا رسول الله إنا نرى في وجهك بشرا لم نكن نراه، قال: أجل إنه أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرا" [٢٢٢].
وفي رواية "أصبح رسول لله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر. قال: أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها" [٢٢٣].
وعن أبي بردة بن نيار [٢٢٤] قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم "من صلى علي من أمتي صلاة مخلصا من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر دارجات، كتب له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات" [٢٢٥].
وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله لجمحا: عجل هذا"
ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلي علي، ثم يدعو بما شاء" [٢٢٦].
وفي رواية: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجلت أيها المصلي" ثم علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ادع تجب وسل تعط" [٢٢٧].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة" [٢٢٨]

فالمتأمل في هذه الأحاديث يعرف عظم فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم جلاء الأفهام عددا من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أنتقى منها ما يلي:
الفائدة الأولى: امتثال أمر الله تعالى.
الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.
الثالثة: موافقة ملائكته فيها.
الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
الخامسة: أنه يرفع عشر درجات.
السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.
السابعة: أنه يمحي عنه عشر سيئات.
الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.
التاسعة: أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.
العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.
الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.
الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.
الثالثة عشرة: أنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك. فقلب المؤمن توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة ودوام الذكر سبب لدوام المحبة، فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك، لا حياة له إلا به...
الرابعة عشرة: أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببا لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلى عليه صلى الله عليه وسلم.
الخامسة عشرة: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره، استولت محبته على قلبه، حتى لألقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولاشك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبا مسطورا في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه صلى الله عليه وسلم.
ولهذا كانا صلاة أهل العلم- العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه، خلاف صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم.

وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطوبة له من الله.
وهكذا ذكر الله سبحانه، كلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أجل كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين، وهذا أمر إنما يعلم بالخبر لا بالحبر وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبه جميع قلبه ويثني عليه بها ويمجده بها، وبين من يذكرها إما إمارة وإما لفظا، لا يدري ما معناه، ولا يطابق فيه قلبه لسانه، كما أنه فرق يين بكاء النائحة وبكاء الثكلى.
فذكره وذكر ما جاء به، وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله هو حياة الوجود وروحه، كما قيل:
روح المجالس ذكره وحديثه*** وهدى لكل ملدد حيران
وإذا أخل بذكره في مجلس*** فأولئك الأموات في الحيان
السادسة عشرة: أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنده، كما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم "إن صلاتكم معروضة علي" وكفى بالعبد نبلا أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
السابعة عشرة: أن الصلاة عليه لا أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله لا علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علما ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.
الثامنة عشرة: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله، فالمصلي عليه صلى الله عليه وسلم قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله، كما عرفنا ربنا أسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا رضا أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال.
التاسعة عشرة: أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:
أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته، وما ينوبه في الليل والنهار فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.
الثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه.
وإيثار ذكره، ورفعه، ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه، فالمصلي عليه صلى الله عليه وسلم قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله، وآثر ذلك على طلبه وحوائجه ومحابه هو، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه هون وقد آثر الله ومحابه على سواه، والجزاء من جنس العمل، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره.

واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب والمنزلة عندهم، فإنهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته إليه، وكلما سألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشريفه، علت منزلتهم عنده، وازداد قربهم منه، وحظوا به لديه، لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشريف والتكريم لمحبوبهم، فأحبهم إليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه إنعامه وإحسانه، وهذا أمر مشاهد بالحس، ولا تكون منزلة هؤلاء ومنزلة من سأل المطاع حوائجه هو – وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والإنعام عليه – واحدة.

فكيف بأعظم محب وأله لأكرم محبوب وأحقه بمحبه ربه له.؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه إلا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفا [٢٢٩].

وكما وردت أحاديث تذم تارك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة" [٢٣٠] وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي" [٢٣١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة" [٢٣٢].

---

[١] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.

[٢] محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب، وصنف زهاء مئتي كتاب، توفي بالمدينة. الأعلام (٦/ ١٩٤).

[٣] انظر: القول البديع (ص ٢٥٨- ٢٥٩).

[٤] الخليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ومن أشهر كتبه كتاب العين، ترفي سنة ١٧٠هـ بالبصرة. الأعلام (٢/ ٣١٤).

[٥] كتاب العين (٧/ ١٥٣).

[٦] الصلات والبشر (ص ٦).

[٧] كتاب العين (٧/ ١٥٣).

[٨] تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٧).

[٩] المنهاج (٢/ ١٣٣).

[١٠] كتاب العين (٧/ ١٥٤).

[١١] معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠).

[١٢] محمد بن يعقوب بن محمد بن الفيروز أبادي، من أئمة اللغة والأدب وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، توفي سنة ٨١٧ هـ في زبيد باليمن وأشهر مؤلفاته القاموس المحيط.
الأعلام (٧/ ١٤٦- ١٤٧).
[١٣] الصلات والبشر (ص ٥- ٦)
[١٤] تهذيب اللغة (٢ ١/ ٢٣٨).
[١٥] الآية (٤) من سورة الغاشية.
[١٦] الآية (٣) من سورة المسد.
[١٧] الصلاة والبشر (ص ٦).
[١٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (١٥٣/٤).
[١٩] اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات أدرك الإسلام ورحل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليؤمن به، ولكن قريشا صرفته بمئة من الإبل. الأعلام (٧/ ٣٤١).
[٢٠] ديوان الأعشى (٧٣).
[٢١] المصدر السابق (٢٩).
[٢٢] معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠).
[٢٣] تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٧).
[٢٤] (١٢/ ١٣٦).
[٢٥] الآية (١٠٣) من سورة التوبة.
[٢٦] الآية (٨٤) من سورة التوبة.
[٢٧] الآية (٦٠) من سورة غافر.
[٢٨] الآية (١٨٦) من سورة البقرة.
[٢٩] الألفاظ على أربعة أقسام:
ا- الألفاظ المترادفة: وهي ما اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها مثل: الليث، الأسد، الغضنفر ألفاظ مختلفة ولكنها جميعها دلت على معنى واحد وهو الحيوان المعروف.
٢- الألفاظ المشتركة: وهي ما اتحدت ألفاظها واحتلفت معانيها مثل: العين: تطلق على العين الباصرة، والعين الجارية، والجاسوس.
٣- الألفاظ المتباينة: ما اختلفت ألفاظها ومعانيها.مثل: السماء والأرض- الجدار والسقف.
٤- الألفاظ المتواطئة: ما اتفقت ألفاظها ومعانيها.
فإذا كان المعنى متساويا في الجميع فهو التواطؤ المطلق ومثاله: "الرجل": لزيد وعمرو.
وإذا كان المعنى متفاضلا فهو التواطؤ المشكك ومثاله "النور"، للشمس والسراج.
التحفة المهدية (١/ ٢٠٩).
[٣٠] الآية (٢٢) من سورة سبأ.

[٣١] الآية (٢٠) من سورة النحل.
[٣٢] الآية (٧٧) من سورة الفرقان.
[٣٣] الآيتان (٥٥، ٥٦) من سورة الأعراف.
[٣٤] الآية (٩٠) من سورة الأنبياء.
[٣٥] جلاء الأفهام (ص ٧٣- ٧٤).
[٣٦] الآية (٤٣) من سورة الأحزاب.
[٣٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة. فتح الباري (٣/ ٣٦١) ح ١٤٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٣/ ١٢١).
[٣٨] جلاء الأفهام (ص ٧٤).
[٣٩] فتح الباري (١١/ ١٥٦).
[٤٠] إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي فقيه على مذهب الإمام مالك، جليل التصانيف، من بيت علم وفضل توفر، سنة ٢٨٢ هـ. الأعلام (١/ ٣١٠).
[٤١] الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد. الخراساني، مفسر ولم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ترفي سنة ١٠٥ هـ. تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣- ٤٥٤)
[٤٢] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٠)
[٤٣] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، توفي ببغداد سنة ٢٨٦ هـ. الأعلام (٧/ ١٤٤).
[٤٤] فتح الباري (١١/ ١٥٦) وجلاء الأفهام (ص ٧٥).
[٤٥] جلاء الأفهام (ص ٧٥).
[٤٦] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤١)
[٤٧] مقاتل بن حيان النبطي (بفتح النون والموحدة) أبو بسطام البلخي، صدوق، وكان ناسكا فاضلا خرج له الجماعة إلا البخاري، مات بكابل قبيل الخمسين ومائة. تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٧- ٢٧٩).
[٤٨] ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٥٥- ١٥٦).
[٤٩] جلاء الأفهام (ص ٧٥).
[٥٠] المنهاج (٢/ ١٣٤).
[٥١] رفيع (بالتصغير) بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم، البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر، ثقة، توفي سنة تسعين وقيل بعد ذلك. تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٤- ٢٨٦).
[٥٢] ذكره تعليقا البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...} الآية. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٢).

[٥٣] الروح بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني روى عن أنس بن مالـك وأبـي العاليـة والحسـن البصـري وغيـرهم، مـات فـي خلافـة أبـي جعفـر المنصور.تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨- ٢٣٩).
[٥٤] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٠) القول البديع (ص ١٩). وأورده ابن حجر في الفتح وعزاه لابن أبي حاتم. فتح الباري (٥٣٣/٨).
[٥٥] العين (٧/ ١٥٤).
[٥٦] جلاء الأفهام (ص ٧٨).
[٥٧] بكر بن محمد بن العلاء القشيري، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة، انتقل إلى مصر قبل سنة (٣٣٠ هـ) وتوفي بها سنة ٣٤٤هـ. الأعلام (٢/ ٦٩).
[٥٨] فتح الباري (١١/ ١٥٦)
[٥٩] الآيات (١٥٥ إلى ١٥٧) من سورة البقرة.
[٦٠] أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٥٣).
[٦١] الآية (١٥٦) من سورة الأعراف.
[٦٢] الآية (٥٦) من سورة الأعراف.
[٦٣] الآية (٤٣) من سورة الأحزاب.
[٦٤] الآية (١١٧) من سورة التوبة.
[٦٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب رحمة الولد. فتح الباري (١٠/ ٤٦٧) ح ٥٩٩٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٨/ ٩٧).
[٦٦] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤/ ٣٢٣- ٣٢٤) ح ١٩٢٤، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
[٦٧] جلاء الأفهام (ص ٧٥- ٨٢) بتصرف.
[٦٨] القول البديع (ص ٢٠).
[٦٩] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٧٠] المنهاج للحليمي (٢/ ١٤٣).
[٧١] القول البديع (ص ٢١).
[٧٢] جلاء الأفهام (ص ١٧٤- ١٧٥).
[٧٣] تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٧).
[٧٤] تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٢) بتصرف
[٧٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (١٢٠/٦-١٢١).
[٧٦] المنهاج للحليمي (٢/ ١٣١).
[٧٧] تقدم تخريجه (ص ٤٨٠).
[٧٨] فتح الباري (١١/ ١٥٥).
[٧٩] تقدم تخريجه (ص ٣٤٨).

[٨٠] واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها، وشهد هو ما بعدها، كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا، مات بعد الستين من الهجرة. الإصابة (٢/ ٣٢- ٣٣).
[٨١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انظر: فتح الباري (١١/ ١٥٢) ح ٦٣٥٨
[٨٢] عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته شهد العقبة، والمشاهد كلها، مات بعد سنة أربعين للهجرة. الإصابة (٢/ ٤٨٣- ٤٨٤).
[٨٣] بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري البدري شهد العقبة وشهد بدرا والمشاهد بعدها، استشهد بعين التمر مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة.الإصابة (١/ ١٦٢) والاستيعاب (١/ ١٥٥- ١٥٦).
[٨٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمد التشهد (١٧/٢).
[٨٥] أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٢). وأخرجه النسائي في السنن، كتاب السهو، باب كيف الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ٤٨) وإسناده حسن.
[٨٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. فتح الباري (٩ / ٢٣) ح ٤٩٩٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٢/ ٢٠٢).
[٨٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، فتح الباري (٣/ ٤٨) ح ١١٦٢ وقد جاءت رواية البخاري على الشك الذي ذكره ابن القيم.
[٨٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٢/ ١٩٩) وذكر مسلم أيضا هذا الاختلاف فقال قال شعبة من آخر الكهف، وقال "همام من أول الكهف كما قال هشام
[٨٩] النواس في سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي له ولأبيه صحبة وحديثه عند مسلم فى صحيحه الإصابة (٣/ ٥٤٦).
[٩٠] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (١٩٦/٨-١٩٧)
[٩١] جلاء الأفهام (١٧٧- ١٧٩) بتصرف.
[٩٢] جلاء الأفهام ص (٢٥١).
[٩٣] جلاء الأفهام ص (٢٥١).
[٩٤] مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٨) والمغني (١/ ٥٤٢) وجلاء الأفهام ص(٢٥١)
[٩٥] مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٨) والمغني (١/ ٥٤٢) وجلاء الأفهام ص(٢٥١)
[٩٦] المغني (٥٤١/١).
[٩٧] محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، من فقهاء أهل المدينة من التابعين، توفي سنة أربع عشرة ومائة. تهذيب التهذيب (٣٥٠/٩-٣٥٢).
[٩٨] المغني (١/ ٥٤٢) جلاء الأفهام (٢٥٣- ٢٥٥) والقول البديع (١٨٠- ١٨٣).

[٩٩] انظر جلاء الأفهام (ص ٢٥١- ٢٧٦).
[١٠٠] صرفت النظر عن إيراد أدلة كل فريق نظرا:
ا- كثرة الأدلة والاعتراضات الواردة في هذه المسألة.
٢- كون المسألة تتعلق بالنواحي الفقهية فهذا مما يتعارض مع منهجية البحث الذي يتناول النواحي العقدية.
[١٠١] الأم للشافعي (١/ ١١٧).
[١٠٢] إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، صاحب الإمام الشافعي، كان زاهدا عالما مجتهدا قوي الحجة، توفي سنة ٢٦٤ هـ. الأعلام (١/ ٣٢٩).
[١٠٣] أخرجه الدارقطنى فى السنن، كتاب الصلاة، باب صفة التشهد ووجوبه واختلاف الروايات فيه (١/ ٣٥١) وإسناده ضعيف جدا لأن فيه خارجة بن مصعب: متروك، وموسى بن عبيدة: ضعيف.
[١٠٤] أخرجه الدارقطنى في السنن، كتاب الصلاة، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد (١/ ٣٥٥) وإسناده ضعيف فيه عبد المهيمن بن عباس لا يحتج به.
[١٠٥] أخرجه أحمد في المسند (١١٩/٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٨).
[١٠٦] الرضف: الحجارة المحماة على النار، واحدتها: رضفة. النهاية (٢/ ٢٣١)
[١٠٧] أخرجه أحمد في المسند (٣٨٦/١، ٤١٠، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٦٠).وأخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الصلاة، باب تخفيف القعود (١/ ٦٠٦).ح ٩٩٥ وأخرجه الترمذي في السنن، أبواب الصلاة، باب ما جاء في مقدار القعود في الركعتين الأوليين (٢٠٢/٢) ح ٣٦٦. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. والعمل على هذا عند أهل العلم يختارون أن لا يطيل الرجل القعود في الركعتين الأوليين ولا يزيد على التشهد شيئا" انتهى كلامه.
[١٠٨] جلاء الأفهام (ص ٢٧٧- ٢٧٩).
[١٠٩] الحسن بن علي بن أب ي طالب، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته في الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه ثم تنازل عنها لمعاوية حقنا لدماء المسلمين، ومات سنة تسع وأربعين وقيل بعدها.الإصابة (١/ ٣٢٧- ٣٣٠).
[١١٠] الحديث إلى قوله "وتعاليت"، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر (٢/ ١٣٣-١٣٤). وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر (١/ ٣٢٨) ح ٤٦٤. وأخرجه ابن ماجه في السنن، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر (١/ ٢١٣) ح ١١٦٧، وقال الحافظ ابن حجر: الحديث-حسن صحيح. التلخيص (ص ٩٤- ٩٥).
[١١١] أخرجه النسائي في السنن (٣/ ٢٤٨) وقد انفرد النسائي بهذه الزيادة "وصلى الله على النبي"، وروايته ضعيفة، قال الحافظ ابن حجر هذه الزيادة في هذا السند غريبة لا تثبت وإن سنده لا يخلو إما من راو مجهول، أو انقطاع في السند.

[١١٢] عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني، تابعي ثقة فقيه مشهور، ولد في أوائل خلافة الفاروق، وتوفي سنة أربع وتسعين على الصحيح. تهذيب التهذيب (٨/ ١٨٠- ١٨٥).

[١١٣] عبد الرحمن بن عبد من غير إضافة القارئ بتشديد الياء من ولد القارة ابن الديش، ذكره العجلي في ثقات التابعين واختلف قول الواقدي فيه قال تارة له صحبة، وتارة تابعي، مات سنة ثمان وثمانين تقريب التهذيب (٢٠٦).

[١١٤] عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوق بن وهب القرشي الزهري، صحابي أسلم يوم الفتح، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وكان على بيت المال أيام عمر، وتوفي في خلافة عثمان. الإصابة (٢/ ٢٦٥).

[١١٥] وإليك نسعى ونحفد أي نسرع في العمل والخدمة. النهاية (١/ ٤٠٦).

[١١٦] أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٢٣٩- ٢٤٠) والبيهقي في السنن (٤/ ٣٩) ورجاله كلهم ثقات.

[١١٧] عبد الله بن الحارث الأنصاري أبو الوليد البصري، ثقة من رجال الشيخين. تهذيب التهذيب (٥/ ١٨١- ١٨٢).

[١١٨] معاذ بن الحارث الأنصاري النجاري أبو حليمة ويقال أبو الحارث المدني القاري، قال ابن عبد البر شهد الخندق، ويقال لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ست سنين، وهو الذي أقامه عمر فيمن أقام في رمضان ليصلي التراويح، يقال إنه قتل يوم الحرة. تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٨- ١٨٩).

[١١٩] فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٥) رقم ١٠٧، قال الألباني: "إسناده موقوف صحيح، وأبو حليمة معاذ هو أبن الحارث الأنصاري القاري قال ابن أبي حاتم: (٤/ ١/ ٢٤٦) "وهو الذي أقامه عمر يصلي بهم في. شهر رمضان صلاة التراويح وعبد الله بن الحارث هو أبو الوليد البصري ثقة من رجال الشيخين، ورواه ابن نصر في "قيام الليل" (ص ١٣٦) بلفظ "كان يقوم في القنوت في رمضان يدعو ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويستسقي الغيث".

[١٢٠] جلاء الأفهام (ص ٢٧٩- ٢٨١).

[١٢١] الأم (١/ ٢٣٩- ٢٤٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٩).

[١٢٢] أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري، ولد في حياة النبي علما وسمي باسم جده لأمه أسعد بن زرارة وكني بكنيته، وكان من أكابر الأنصار وعلمائهم، توفي سنة مائة للهجرة. تهذبب التهذيب (١/ ٢٦٣- ٢٦٤).

[١٢٣] سعيد بن المسيب بن حزن الخزومي القرشي، وسيد التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة، وكان زاهدا ورعا يعيش من كسب يده توفي سنة ٩٤ هـ. تهذيب التهذيب (٤/ ٨٤- ٨٨).

[١٢٤] فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٩) رقم ٩٤. و قال الألباني في تعليقه على هذا الكتاب: اسناده صحيح، وأبو أمامة هذا صحابي صغير كما قال ابن القيم، وقد رواه عن جماعة من الصحابة، فقال يونس عن ابن شهاب، قال أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف- وكان من كبراء الأنصار وعلمائهم، وأبناء الذين شهدوا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أخبره رجال من أصحاب

رسول الله في الصلاة على الجنازة أن يكبر الامام ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الحديث نحوه وزاد: قال الزهري: حدثنا بذلك أبو أمامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر ذلك عليه. قال ابن شهاب: فذكرت الذي أخبرني أبو أمامة من السنة في الصلاة على الميت لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيمة يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا أبو امامة.
أخرجه الحاكم (١/ ٣٦٠) وعنه البيهقي (٤/ ٣٩، ٤٠) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، ورواه النسائي (١/ ٢٨١) من طريق الليث عن ابن شهاب به مختصرا " انتهي.

[١٢٥] (٢/ ٤٨٦).

[١٢٦] يحى بن يحى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي بالولاء، أبو محمد عالم الأندلس في عصره بربري الأصل، سمع الموطأ من مالك قال عنه الإمام مالك هذا عاقل أهل الأندلس، توفي بقرطبة سنة ٢٣٤ هـ. الأعلام (٨/ ١٧٦).

[١٢٧]سعيد بن كيسان المقبري أبو سعد المدني، ثقة جليل تغير قبل موته بأربع سنين، مات في حدود العشرين ومائة وقيل قبلها وقيل بعدها. تهذيب التهذيب (٤/ ٣٨- ٤٠).

[١٢٨] كيسان أبو سعيد المقبري مولى أم شريك، تابعي ثقة كثير الحديث توفي سنة مائة للهجرة. تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٣- ٤٥٤)

[١٢٩] الموطأ (ص ١٥١- ١٥٢) ح ٥٣٥، وأخرجه إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٩) ح ٩٣. وقال الألباني المحقق عند تعليقه عليه: إسناده موقوف صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه البيهقي في السق (٤/ ٤٠).

[١٣٠] جلاء الأفهام (ص ٢٨١- ٢٨٤).

[١٣١] الآيات (١- ٤) من سورة الشرح.

[١٣٢] أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٢، ٣٤٣). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الخطبة (٥/ ١٧٣) ح ٤٨٤١ وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (٣/ ٤١٤) ح ١١٠٦ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

[١٣٣] تفسيرالطبري (٣٠/ ٢٣٥).

[١٣٤] أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد (٦/ ٣٦٣)

[١٣٥] أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٢٣٥).

[١٣٦] عون بن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي الكوفي، ثقة من الرابعة، مات سنة ست عشرة ومائة. تهذبب التهذيب (١٧٠/٨).

[١٣٧] واسمه وهب بن عبد الله السرائي (بضم المهملة) ويقال اسم أبيه وهب أيضا، أبو جحيفة مشهور بكنيته، ويقال له وهب الخير، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر عمره وحفظ عنه ثم صحب عليا بعده وولاه شرطة الكوفة. مات سنة أربع رستين. الإصابة (٣/ ٦٠٦).

[١٣٨] المسند (١٠٦/١).

[١٣٩] جلاء الأفهام (ص ٢٨٦).
[١٤٠] تقدم تخريجه ص ٣٢٦
[١٤١] فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، صحابي جليل أسلم قديما ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا فما بعدها وشهد فتح مصر والشام قبلها، مات في خلافة معاوية. الأصابة (٣/ ٢٥١).
[١٤٢] أخرجه الامام أحمد في المسند (٦/ ١٧).، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ١٦٢) ح ١٤٨١، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب ادع تجب (٥/ ٥١٧) ح ٣٤٧٣، ٣٤٧٥ وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في سننه (٣/ ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٢) وصححه ووافقه الذهبي.
[١٤٣] أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٣٥٦). وقال أحمد شاكر بهامشه: "هذا موقوف بحكم المرفوع" وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ١٥٠، ١٥١). وقال: حسن- الصحيحة ٢٠٣٥.
[١٤٤] صحيح ابن خزيمة (٤٥٢) وابن حبان (٣٢١) موارد.
[١٤٥] فاطمة بنت الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمية المدنية روت عن أبيها وأخيها زين العابدين وغيرهم، وزوجها هو ابن عمها الحسن بن الحسن بن على، وتزوجها بعده عبد الله بن عمرو بن عثمان. وذكرها ابن حبان في الثقات، وقال: ماتت وقد قاربت التسعين. تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٢- ٤٤٣).
[١٤٦] فاطمة الزهراء بنت رسرل الله صلى الله عليه وسلم، أم الحسنين سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في السنة الثانية للهجرة، وماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل. تقريب التهذيب (ص ٤٧١).
[١٤٧] أخرجه بهذا اللفظ: الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٧٢). والترمذي في السنن أبواب الصلاة باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد (٢/ ١٢٧، ١٢٨) ح ٣١٤، وقال الترمذي: "وفي الباب عن أبي حميد، وأبي أسيد، وأبي هريرة ، وقال: "حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى، وإنما عاشت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أشهرا". وأخرجه بلفظ: "إذا دخل المسجد يقول "بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج قال "بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفم لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك". الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٨٣). وابن ماجه في السنن، أبواب المساجد، الدعاء عند دخول المسجد (١/ ١٣٩) ح ٧٥٥ وله شاهد من حديث أبي حميد وأبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ا صلى الله عليه وسلم ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (١/ ٣١٧، ٣١٨) ح ٤٦٥ وهو عند مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب ما يقول إذا دخل

المسجد (٢/ ١٥٥) بلفظ إذا دخل المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم افتح لي أبواب فضلك وهو عند أحمد بهذا اللفظ (٥/ ٤٢٥). وهو عند النسائي بهذا اللفظ أيضا، انظر السنن كتاب المساجد باب القول عند دخول المسجد والخروج منه (٢/ ٥٣) وفي سنن ابن ماجه، أبواب المساجد، باب الدعاء عند دخول المسجد (١/ ١٣٩) ح ٧٥٦، قال رسول صلى الله عليه وسلم: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم" أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب المساجد، باب الدعاء عند دخول المسجد (١/ ١٣١) ح ٧٥٧، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا دخل المسجد ح ٩٠ وفيه: فليقل: اللهم باعدني من الشيطان بدل قوله: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم. وأخرجه من طريق آخر عن أبي هريرة ولم يذكر فيه السلام ح ٩١، ٩٢ وتعرض النسائي هنا لاختلاف ألفاظ الحديث فليراجع.
والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٥٢). وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٧) كتاب الصلاة ولفظه عند الحاكم إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨).

[١٤٨] الرد على الأخنائي (ص ١٤٧).

[١٤٩] الشفا (٢/ ٦٣٧).

[١٥٠] نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبد الله المدني، ثقة ثبت فقيه مشهور قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمره مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك. تهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٢- ٤١٤).

[١٥١] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٦- ٣٧) ح ٨٧. وقال الألباني في تعليقه عليه: "إسناده موقوف منقطع فإن نافعا لم يدرك عمر، ولكن في إجلاء الأفهام نقلا عن المصنف أن ابن عمر فإن صح هذا فيكون قد سقط من نسختنا لفظة (ابن) ويكون السند حينئذ متصلا صحيحا، وهذا مما أستبعده، والله أعلم، انتهي كلامه.

[١٥٢] وهب بن الأجدع الهمداني الخارفي الكرفي، تابعي ثقة، روي عن عمر وعلي وعنه هلال بن سياف والشعبي، وكان قليل الحديث. تهذيب التهذيب (١/ ١٥٨).

[١٥٣] أخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٤) ح ٨١ وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٢٩٢- ٢٩٣) وعزاه لجعفر بن عون وأبي ذر الهروي. وأورده السخاوي في القول البديع

(ص ٢٠٩) وعـزاه للبيهقـي وإسـماعيل القاضـي وأبـي ذر الهـروي وقـال- أي السخاوي- اسناده قوي

[١٥٤] "ترة": النقص، وقيل التبعة. النهاية (١/ ١٨٩)

[١٥٥] أخرجـه الإمـام أحمـد فـي المسـند (٢/ ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤) وأخرجـه الترمذي في السنن، كتاب الدعاء، باب في القوم يجلسون لا يذكرون الله (٥/ ١ ٦ ٤) ح ٣٣٨٠ وقال حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٥٩) ح ٤٤٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦) وقال هذا حديث صحيح الأسناد ولـم يخرجـاه وصـالح لـيس بالسـاقط وتعقبـه الـذهبي بقولـه صـالح ضـعيف. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٢٢).

[١٥٦] أخرجـه النسـائي فـي عمـل اليـوم والليلـة (ص ٣١٤) ح ٤١٠ وأخرجـه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٢٢) ح ٥٥

وقال الألباني في تعليقه عليه: إسناده صحيح موقوف ولكنه في حكم المرفرع.

[١٥٧] أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١١.

[١٥٨] أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، وهو أحد الثقات الأثبات الحفاظ، توفي سنة ٣٢١ ص. الأعلام (١/ ٢٠٦).

[١٥٩] عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أهله من سبي السند استقر بدمشق وهو من شيوخ الإسلام كان عابدا مجاهدا، قال عنه الحاكم: الأوزاعي إمام عصره عموما وإمـام أهـل الشـام خصوصـا، تـوفي ببيـروت عـام ١٥٧ ص. البدايـة والنهايـة (١٠/ ١١٥- ١٢٠).

[١٦٠] أخرجه الترمذي في سننه، كتـاب الـدعوات، بـاب قـول النبـي صـلى الله عليه وسلم: رغم أنف رجل" (٥/ ٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وقال: "وهـذا حـديث حسـن غريـب مـن هـذا الرجـه. وأخرجـه الحـاكم فـي المسـتدرك (١/ ٥٤٩) وصـححه ووافقـه الـذهبي. وأخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي على (ص ٩) ح ١٦ وقال الألباني في تعليقه عليه إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

[١٦١] أخرجـه إسـماعيل بـن إسـحاق القاضـي فـي كتابـه فضـل الصـلاة علـى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم (ص ٩) ح ١٨ وقـال الألبـاني فـي تعليقـه عليـه إسـناده حسـن. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٨٧) والحديث روي كذلك من طرق أخرى عن كل من:

ا- كعب بن عجرة رضي الله عنه:

أخرجه إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٥) ح ١٩. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٣، ١٥٤) وصححه ووافقه الذهبي.

٢- أنس بن مالك رضي الله عنه:

قـال السـخاوي فـي القـول البـديع (ص ١٤٨) أخرجـه ابـن أبـي شـيبة والبـزار فـي مسنديهما.

٣- مالك بن الحويرث رضي الله عنه:
أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٨٦) موارد، وقال السخاوي (ص ١٤٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه وثقاته معا، والطبراني ورجاله ثقات لكن فيهم عمران بن أبان الراسطي وهو وإن وثقه ابن حبان وأخرج حديثه هذا في صحيحه فقد ضعفه غير واحد.
٤- جابر بن عبد الله رضي الله عنه:
أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٥). وقال السخاري في كتابه القول البديع (ص ١٤٨): رواه البخاري في الأدب المفرد والطبري في تهذيبه والدارقطي في الأفراد وهو حديث حسن ونحوه من وجه آخر عند الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة، وأشار إليه الترمذي في جامعه بقوله وفي الباب عن جابر وقد أخرجه النسائي وساقه الضياء في المختارة من طريق الطيالسي وقال هذا عندي على شرط مسلم. انتهي وفي ذلك نظر والله أعلم. ٥- جابر بن سمرة:
قال السخاوي: أخرجه الدارقطني في الأفراد والبزار في مسنده، والطبراني في الكبير والدقيقي في أماليه. وللحديث طرق أخرى ذكرها السخاوي في القول البديع (ص ١٤٧- ١٥١) ولا يتسع المجال هنا لذكرها. قال ابن القيم (ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المتعددة تفيد الصحة، جلاء الأفهام (ص ٢٩٥).
[١٦٢] أخرجه النسائبي في اليوم والليلة رقم (٦١) وابن السني (٣٨٣) وإسناده صحيح. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٣).
[١٦٣] الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسرن سنة. الاصابة (١/ ١ ٣٣- ٣٣٤).
[١٦٤] أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠١). والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل (٥/ ٥٥١) ح ٣٥٤٦ وقال: حديث حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة (٥٥). وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٨) مرارد. والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٥) ح ٣٣.
[١٦٥] أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي (ص ١٦) رقم ٣٧ وقال الألباني في تعليقه عليه: حديث صحيح بشاهده المتقدم والآتي بعده، ورجال إسناده ثقات لولا الرجل الذي لم يسم. وقد رواه ابن أبي عاصم في "كتاب الصلاة" من طريتى أخرى عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي ذر، فأحد الطريقين يقوى الآخر.
[١٦٦] الآيتان (٢٣- ٢٤) من سورة الحديد.
[١٦٧] أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٩٦) عن جابر رضي الذ عنه والإمام أحمد في المسند (٣٠٧/٣).
[١٦٨] الآية (٧) من سورة الحديد.
[١٦٩] الآية (٢٠٨) من سورة البقرة.
[١٧٠] الآية (٥٩) من سورة النساء.

[١٧١] الآية (١٩٤) من سورة البقرة.
[١٧٢] الآية (٤٣) من سورة البقرة.
[١٧٣] الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران.
[١٧٤] الآية (١٧٥) من سورة آل عمران.
[١٧٥] الآية (١٥٠) من سورة البقرة.
[١٧٦] الآية (٧٨) من سورة الحج.
[١٧٧] الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.
[١٧٨] أخرجه ابن ماجة في السنن، أبواب إقامة الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١/ ١٦٤) ح ٨٩٥ وقال الألباني حسن صحيح (صحيح ابن ماجة ١/ ١٥٠). وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٧- ١٨) ح ٤١- ٤٢- ٤٣- ٤٤. وقال الألباني في تعليقه عليه: "إسناده مرسل صحيح، والحديث له طرق وإن كانت لا تخلو من ضعف فبعضها يقوي بعضا فالحديث وتقي بها إلى درجة الحسن على أقل الدرجات" انتهي كلامه. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٨) مرسلا عن محمد بن الحنفية. وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٣٨) رقم ٢٨٨٧ موصولا عن الحسين بن علي من طريق بشر بن محمد الكندي وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوئد (١٠/ ١٦٤). وأخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤١٩) عن أبي هريرة.
[١٧٩] أورده ابن القيم وعزاه لسعيد بن الأعرابي " جلاء الأفهام (ص ٣٠١) وأورده السخاوي في القول البديع (ص ١٥٢) وقال أخرجه النميري من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في جامعه ورواته ثقات.
[١٨٠] تقدم تخريجه ص ٣٠٧
[١٨١] تقدم تخريجه ص ٣٠٨
[١٨٢] الآية (١٠) من سورة الفتح.
[١٨٣] الآية (٣١) من سورة آل عمران.
[١٨٤] هجيرى: الدأب والشأن.
[١٨٥] جلاء الأفهام (ص ٢٩٤ الى ٣٠٥).
[١٨٦] أوس بن أوس الثقفي، صحابي، سكن الشام ومات بها. الأصابة (١/ ٩٢) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٨١).
[١٨٧] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٨) وأخرجه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي (ص ١١) رقم ٢٢. وأخرجه أبو داود في سننه (١/ ٦٣٥) كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ح ١٠٤٧. وأخرجه النسائي في السنن (٣/ ٩١) كتاب الجمعة، باب ذكر فضل الجمعة. وأخرجه ابن ماجة في سننه (١/ ١٩٥) أبواب إقامة الصلاة، باب فضل الجمعة ح ١٠٧١ وفي أبواب ما جاء في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٠٠) ح ١٦٣٧. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن حبان في صحيحه. انظر الوررارد (٥٥٠). قال ابن القيم: "وقد أعله بعض الحفاظ بأن حسينا الجعفي حدث به عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعت الصنعاني، عن

أوس بن أوس، قال ومن تأمل هذا الإسناد لم يشك في صحته، لثقة رواته وشهرتهم وقبول الأئمة أحاديثهم وعلته: أن حسينا الجعفي لم يسمع من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وإنما سمع من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، وعبد الرحمن بن يزيد ابن تميم لا يحتج به، فلما حدث به حبن الجعفي غلط في اسم الجد، فقال ابن جابر، وقد بين ذلك الحفاظ ونبهوا عليه.
فقال البخاري في التاريخ الكبير "(٥/ ١٣٦٥) عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي الشامى عن مكحول، سمع منه الوليد بن مسلم، عنده مناكير، ويقال: هو الذي روى عنه أبو أسامة وحسين الجعفي، وقالا: هو يزيد بن جابر، وغلطا في نسبه ونريد بن تميم أصح، وهو ضعيف الحديث. وقال الخطيب: روى الكوفيون أحاديث عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ووهموا في ذلك، والحمل عليهم في تلك الأحاديث. وقال موسى بن هارون الحافظ: روى أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وكان ذلك وهنا منه، وهو لم يلق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وإنما لقي عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، فظن أنه ابن جابر نفسه، وابن تميم ضعيف. وقد أشار غير واحد من الحفاظ إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة.
وجواب هذا التعليل من وجوه:
أحدها: أن حسينا الجعفي قد صرح بسماعه له من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال ابن حبان في صحيحه: حدثنا ابن خزيمة، حدثنا أبو كريب، حدثنا حسين بن علي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فصرح بالسماع منه.
وفولهم: إنه ظن أنه ابن جابر وإنما هو ابن تميم، فغلط في اسم جده بعيد، فإنه لم يكن يشببه على حسين هذا بهذا، مع نقده وعلمه بهما وسماعه منهما.
فإن قيل: فقد قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب "العلل" سمعت أبي يقول عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، لا أعلم أحدا من أهل العراق يحدث عنه، والذي عندي أن الذي يروي عنه أبو أسامة وحسين الجعفي واحد، وهو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم لأن أبا أسامة روى عن عبد الرحمن بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة خمسة أحاديث أو ستة أحاديث منكرة، لا يحتمل أن يحدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بمثله، ولا أعلم أحدا من أهل الشام روى عن ابن جابر من هذه الأحاديث شيئا. وأما حسين الجعفي فإنه يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث، عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة أنه قال: "أفضل الأيام يوم الجمعة، فيه الصعقة وفيه النفخة، وفيه كذا" وهو حديث منكر لا أعلم أحدا رواه غير حسين الجعفي، وأما عبد الرحمن بن-نريد بن تميم فهو ضعيف الحديث، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة، تم كلامه. قيل: وقد تكلم في سماع حسين الجعفي، وأبي أسامة من ابن جابر فأكثر أهل الحديث أنكروا سماع أبي أسامة منه. قال شيخنا (أبو الحجاج المزي) في التهذيب: قال ابن نمير- وذكر أبا أسامة- فقال: الذي-يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يرى أنه ليس بابن جابر المعروف، ذكر لي أنه رجل يسمى باسم ابن جابر، قال يعقوب: صدق، هو عبد الرحمن ابن فلان بن تميم، فدخل عليه أبو أسامة فكتب عنه هذه الأحاديث فروى عنه، وإنما هو إنسان يسمى بابن جابر. قال يعقوب: وكأني رأيت ابن نمير يتهم أبا أسامة أنه علم ذلك وعرف

ولكن تغافل عن ذلك قال: وقال لي ابن نمير أما ترى روايته لا تشبه سائر حديثه الصحاح الذي روى عنه أهل الشام وأصحابه؟ وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سكت محمد بن عبد الرحمن ابن أخي حسين الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فقال قدم الكوفة عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثم قدم عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بعد ذلك بدهر والذي يحدث عنه أبو أسامة ليس هو ابن جابر، بل هو ابن تميم وقال ابن داود سمع أبو أسامة من ابن المبارك عن ابن جابر وجميعا يحدثان عن مكحول، وابن جابر أيضا دمشقي، فلما قدم هذا قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد الدمشقي، وحدث عن مكحول، فظن أبو أسامة أنه ابن يزيد ابن جابر الذي روى عنه ابن المبارك وابن جابر ثقة مأمون يجمع حديثه، وابن تميم ضعيف.

وقال أبو داود: متروك الحديث، حدث عنه أبو أسامة وغلط في اسمه، وقال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الشامي وكل ما جاء عن أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد، فإنما هو ابن تميم.

وأما رواية حسين الجعفي عن ابن جابر، فقد ذكر شيخنا في التهذيب وقال: روى عنه حسين بن علي الحعفي، وأبو أسامة حماد بن أسامة إن كان محفوظا فجزم برواية حسين عن ابن جابر، وشك في رواية حماد فهذا ما ظهر في جواب هذا التعليل.

ثم بعد أن كتبت ذلك رأيت الدارقطني قد ذكر ذلك نصا فقال في كلامه على كتاب أبي حاتم في "الضعفاء" قوله: حسين الجعفي روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وأبو أسامة- وي عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم. فيغلط في اسم جده، تم كلامه.

وللحديث علة أخرى: وهي أن عبد الرحمن بن يزيد لم يذكر سماعه من أبي الأشعث. قال علي بن المديني؛: حدثنا الحسين بن علي بن الجعفي، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر سمعته يذكر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس... فذكره.

وقال إسماعيل بن إسحاق في كتابه (ص ١١) رقم ٢٢ حدثنا على بن عبد الله... فذكره. وليست هذه بعلة قادحة فإن للحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وأبي مسعود الأنصاري، وأنس بن مالك والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى كلام ابن القيم جلاء الأفهام (ص ٦٩- ٧١).

[١٨٨] مصيخة: أي مستمعة، مصغية.

[١٨٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة (٣/ ٦) وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة (٢/ ٣٥٩) ح ٤٨٨. وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب ذكر فضل يوم الجمعة (٣/ ٨٩). وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٠٨).

[١٩٠] جلاء الأفهام (ص ٧١).

[١٩١] أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب ما جاء في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٠٠) ١٦٣٨، وقال في الزوائد: هذا حديث صحيح، إلا أنه منقطع في موضعين لأن عبادة روايته عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلاء، وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة قاله البخاري. وقال السخاوي: أخرجه ابن ماجه ورجاله ثقات لكنه منقطع. وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظ: "أكثروا الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم

مشهود تشهده الملائكة ليس من عبد يصلي علي إلا بلغتني صلاته حيث كان" قلنا وبعد وفاتك قال: "وبعد وفاتي إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء". وقال العراقي إن إسناده لا يصح. القول البديع (ص ١٦٤).

[١٩٢] صدي (بالتصغير) ابن عجلان بن الحارث الباهلي، أبو أمامة صحابي مشهور يكنيه، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين. الأصابة (٢/ ١٧٥- ١٧٦).

[١٩٣] أخرجه البيهقي في السنن (٣/ ٢٤٩). وقال السخاوي: رواه البيهقي بسند حسن لا بأس به، إلا أن مكحولا قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة في قول الجمهور. وقد رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس له فأسقط منه ذكر مكحول وسنده ضعيف القول البديع (ص ١٦٤). وقال ابن القيم: ولكن لهذا الحديث علتان:

إحداهما: أن برد بن سنان قد تكلم فيه، وقد وثقه يحى بن معين وغيره.

العلة الثانية: أن مكحولا قد قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة والله أعلم. جلاء الأفهام (ص ٧٢- ٧٣).

[١٩٤] قال السخاوي: رواه الطبراني بسند لا بأس به في المتابعات، القول البديع (ص ١٦٢).

[١٩٥] أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٤٤) وسنده ضعيف، كما ذكر السخاوي فيه ثلاثة رواة ضعفاء هم: جبارة بن مغلس، وأبو إسحاق خازم، ويزيد الرقاشي. القول البديع (ص ١٦٢).

[١٩٦] جلاء الأفهام (ص ٧٣).

[١٩٧] الكامل لابن عدي (٣/ ١٠٣٩).

[١٩٨] زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي، رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبض وهو في الطريق، ثقة جليل، كثير الحديث، توفي سنة ست وتسعين وقيل قبلها. تهذيب التهذيب (٤٢٧/٣).

[١٩٩] جلاء الأفهام (ص ٧٣، ٧٤) والقول البديع (ص ١٥٩).

[٢٠٠] أورده السخاوي في القول البديع وقال: رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد والبيهقي في شعب الإيمان وحياة الأنبياء في قبورهم له، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة له، وفي سنده أبو رافع وهو إسماعيل بن رافع وثقه البخاري وقال يعقوب بن سفيان يصلح حديثه للشواهد والمتابعات لكن قد ضعفه النسائي ويحي بن معين وقيل إنه منكر الحديث (ص ١٦٤). وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١٠) وقال: وفيه إسماعيل بن رافع قال يعقوب بن سفيان: يصلح حديثه للشواهد والمتابعات.

[٢٠١] الحسن البصري وقد تقدم ترجمته ص ٢٦٩

[٢٠٢] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين انظر (ص ١٣) ح ٢٨، ح ٢٩، قال الألباني: حديث صحيح بشاهده عن أوس بن أوس.

[٢٠٣] أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١١) وعزاه لابن وضاح، والسخاوي في القول البديع (ص ١٩٩- ٢٠٠) وعزاه لابن وضاح وابن بشكوال.

[٢٠٤] من المواطن التي ذكرها ابن القيم غير ما تقدم ما يلي:

١- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند استلام الحجر الاسود.

٢- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره.
٣- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو غيرها.
٤- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا قام الرجل من نوم الليل.
٥- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب ختم القرآن.
٦- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند القيام من المجلس.
٧- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند المرور على المساجد ورؤيتها.
٨- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند الهم، والشدائد وطلب المغفرة.
٩- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم
١٠- الصلاة عليه في عند تبليغ العلم إلى الناس، والتذكير والقصص.
١١- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول النهار وآخره.
١٢- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه.
٣١- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند العطاس.
١٤- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الوضوء.
١٥-- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند دخول المنزل.
١٦- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله سبحانه وتعالى.
١٧- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الصلوات.
١٨- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند النوم.
١٩- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أثناء صلاة العيد.

[٢٠٥] بدائع الفوائد (٢/ ١٩٠).

[٢٠٦] تقدم تخريجه ص ٣٨١.

[٢٠٧] تقدم تخريجه ص ٣٢٦.

[٢٠٨] تقدم تخريجه.

[٢٠٩] يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي، أبو يوسف المدني، قاضي المدينة، ثقة قليل الحديث و مات في ولاية أبي جعفر. تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٥).

[٢١٠] أخرجه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٨٧) ح رقم ١٣ وقال: قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان: عمن أسنده؟ قال: لا أدري، وقال الألباني في تعليقه: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له الحديث الذي بعده- يعني الحديث الذي تقدم ذكره.

[٢١١] أخرجه النسائي في عمل أليوم والليلة (ص ١٦٥) ح رقم ٦١ باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وابن السني في، عمل أليوم والليلة (ص١٣٥، ١٣٦) ح رقم ٣٨٠

[٢١٢] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٢، ٢٦١). والبخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤، ٩٥) باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦) ح ٦٣ باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٩٥).

[٢١٣] أخرجه النسائي في السنن (٣/ ٥٠) باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥، ١٦٦) ح ٦٢، ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وكل من رواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات".
ورواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات" جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعفى الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس، وقد ذكر ابن القيم أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئا، لأن الحسن لاشك في سماعه من أنس، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضا هذا الحديث، فرواه ابن حبان في صحيحه موارد ٢٣٩٠ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) من حديث يونس بن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم، قال سمعت أنس بن مالك... نذكره. ولعل بريدا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس، فحدث به على الوجهين، فإنه قال: كنت أزامل الحسن بن محمد، فقال حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم". جلاء الأفهام (ص ٥٦).
[٢١٤] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤) ح ٤. وقال الألباني: إسناده ضعيف، ولكن المرفوع من الحديث صحيح له شواهد كثيرة.
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢١٥] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥) ح رقم ٥. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) عن أوس بن الحدثان عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره. وهذا الحديث والذي قبله هما من طريق سلمة بن وردان وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (٢/ ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ وسلمة بن وردان ضعيف بغير تهمة، فيصلح للاستشهاد به وللحديث شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن عرف.
[٢١٦] عبد الرحمن بن عوف الزهري، ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل دخول دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد رجال الشورى الستة، توفي سنة ٣١ ص وقيل سنة ٣٢ ص وهو الأشهر. الإصابة (٤٠٨/٢-٤١٠).
[٢١٧] أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥) ح ٧ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩١/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٧) (رراه أحمد ورجاله ثقات). وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٢) وقال هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
[٢١٨] الأسراف بالفتح آخره "فاء" موضع شامي البقيع. وفاء الوفاء (٤/ ١١٢٥).
[٢١٩] أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبوي صلى الله عليه وسلم (ص ٦- ٧) ح ١٠.

[٢٢٠] أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٦٤) وعزاه لابن أبي الدنيا والسخاوي في القول البديع (ص ١١٢) وعزاه لابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا.
[٢٢١] أخرجه اسماعيل القاضي فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ص ٣ ح رقم ١
[٢٢٢] أخرجه الأمام أحمد في المسند (٤/ ٣٠). وإسماعيل القاضي، في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣- ٤) ح ٢، والنسائي في السنن (٣/ ٤٤ و ٥٠) كتاب الصلاة، باب فضل التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، وباب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ ابن حجر (رواته ثقات) فتح الباري (١٦٧/١١) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩١) موارد.
[٢٢٣] أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٩).
قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ عن رواية أحمد هذه "وهذا إسناد ضعيف، لسوء حفظ أبي معشر، وإسحاق بن كعب مجهول الحال فهر إسناد لا بأس به في الشواهد والمتابعات" انتهي كلامه والحديث له شواهد متعددة سبق ذكر بعضها.
[٢٢٤] هانىء بن نيار بن عمرو البلوي أبو بردة بن نيار حليف الأنصار، خال البراء بن عازب مشهور بكنيته وقيل اسمه الحرث وقيل مالك والأول أشهر، صحابي جليل شهد بدرا وما بعدها، مات في أول خلافة معاوية. الإصابة (٣/ ٥٦٥) – (١٩/٤).
[٢٢٥] أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦، ١٦٧) ح رقم ٦٤، باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن حجر: رواته ثقات. فتح الباري (١١/ ١٦٧). وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٨٣، ٨٤) وعزاه للطبراني في المعجم الكبير وابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢٢٦] تقدم تخريجه (ص ٥٣٥).
[٢٢٧] سنن النسائي (٣/ ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال الألباني في صحيح سنن النسائي، صحيح الترمذي (٣٧٢٤)
[٢٢٨] أخرجه الترمذي في سننه (٢/ ٣٥٤) باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٤٨٤ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٨٩). وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام وعزاه كذلك إلى البزار والبغوي جلاء الأفهام (ص ٥٣). وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ١٦٧) وله شاهد عند البيهقي عن أبي أمامة بلفظ "صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة" ولا بأس بسنده انتهي كلامه.
[٢٢٩] جلاء الأفهام (ص ٣٣٥، ٣٤٤) بتصرف.
[٢٣٠] تقدم تخريجه ص ٤٧٢

[٢٣١] تقدم تخريجه ص ٣٢٨
[٢٣٢] تقدم تخريجه ص ٥٤٨

٣٣. ٩- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [النهي عن الغلو في حقه]

الفصل الثالث: الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:
تمهيد:
سبق الحديث في الفصل الثاني، من هذا الباب عن بعض الأمور التي يتعين على هذه الأمة أداؤها والقيام بها في باب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيره وتوقيره.
وفي هذا الفصل نتناول جانبا مهما من جوانب توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم، وذلك هو الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم.
فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[١] فهذه الآية فيها من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته.
ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم محبة له وأداء لحقه وتعظيما لقدره، والمواظبة عليها من باب أداء شكره صلى الله عليه وسلم، وشكره واجب لعظمة الإنعام به، فقد جعله الله سببا لنجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب.
وليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله- لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا- إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه صلى الله عليه وسلم، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به، وقضاء لحق من حقوق لصطفى صلى الله عليه وسلم التي أوجبها الله علينا فحق على هذه الأمة أن تعظم قدر نبيها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها صلى الله عليه وسلم من الحق عليها. وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع،، من أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب "جلاء الأفهام" في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم، بل هو أشهرها وأحسنها.

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديل في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي[٢] المتوفى سنة ٩٠٢هـ وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة[٣].

المبحث الأول: معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.وفيه مطلبان:
المطلب الأول: المعنى اللغوي للفظة "الصلاة".
قال الخليل بن أحمد[٤]: "الصلاة: ألفها واو لأن جماعتها الصلوات ولأن التثنية صلوان"[٥].
ومادة (ص. ل. و) وردت في اللغة لمعان منها:
١- ((الصلاة)):
وهو وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس. وقيل: ما انحدر من الوركين[٦]. قال الخليل بن أحمد: " والصلاه، وسط الظَّهْر لكل ذي أربع وللناس وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها قال:
كأن صلا جهيزة حين قامت**** حباب الماء يتبع الحبابا
وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: صلى، وجاء مصليا لأن رأسه يتلو الصلا بين يديه"[٧].
وقال الأزهري: "وقال أهل اللغة في الصلاة: إنها من الصلوين، وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها، وأول مواصل الفخذين من الإنسان فكأنهما في الحقيقة مكتنفا العصعص... وأما المصلى الذي يلي السابق فهو مأخوذ من الصلوين لا محالة، وهما مكتنفا ذنب الفرس، فكأنه يأتي ورأسه في ذلك المكان"[٨]. وقد قيل إن اشتقاق الصلاة الشرعية هو من هذا.
قال الحليمي: "وقيل للصلاة المعهودة صلاة لما فيها من حني الصلا وهو وسط الظهر"[٩].
٢- "الصلى" بالقصر وهي النار:
قال الخليل بن أحمد: "والصلا: النار، وصلى الكافر نارا فهو يصلاها أي قاسى حرها وشدتها، وصليت اللحم صليا: شويته، وإذا ألقيته في النار قلت: أصليته أصليه إصلاء، وصليته، تصلية"[١٠].
وفي معجم مقاييس اللغة: "صلى: الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما: النار وما أشبهها من الحمى... فقولهم: صليت العود بالنار، والصلى صلى النار. واصطليت بالنار. والصلاء: ما يصطلى به وما يذكى به النار ويوقد وقال:
فجعل العود واليلنجوج والرذ*** صلاء لها على الكانون[١١]
قال الفيروز أبادي[١٢]:
"وقيل اشتقاق لفظة الصلاة من الصلى بالقصر وهي النار من صليت العصا إذا قومتها بالنار فالمصلي كأنما يسعى لتعديل باطنه وظاهره كمن يحاول تقويم العود بالنار"[١٣].
٣- "الصلاة" الملازمة:

قال الأزهري: "قال الزجاج الأصل في الصلاة اللزوم يقال: قد صلى واصطلى إذا لزم، ومن هذا من يصلى في النار: أي يلزم النار فالصلاة لزوم ما فرض الله، والصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه"[١٤].
وقال الفيروز أبادي "وقيل الصلاة الملازمة، ومنه قوله {تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً}[١٥] {سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ}[١٦] ومنه سمي ثاني أفراس الحلبة مصليا"[١٧].
٤- ((الصلاة)) الدعاء:
حاء في معجم مقاييس اللغة "صلى: الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما: النار وما أشبهها من الحمى- وقد تقدم ذكره- والآخر جنس من العبادة...
وأما الثاني: فالصلاة وهي الدعاء، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرا فليأكل وإن كان صائما فليصل"[١٨] أي فليدع لهم بالخير والبركة.
قال الأعشى[١٩]:
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا*** يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي*** نوما فإن لجنب المرء مضطجعا[٢٠]
وقال في صفة الخمر:
وقابلها الريح في دنها*** وصلى على دنها وارتسم[٢١][٢٢]
"أي دعا لها ألا تحمض وتفسد"[٢٣].
وأورد هذا المعنى أيضا الأزهري في تهذيب اللغة[٢٤].
وقال ابن القيم "وأصل هذه اللفظة يرجع إلى معنيين: أحدهما: الدعاء والتبريك. والثاني: العبادة. فمن الأول قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}[٢٥]. وقوله تعالى في حق المنافقين: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ}[٢٦] وقول النبي صلى الله عليه وسم: "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان صائما فليصل" فسر بهما. قيل: فليدع لهم بالبركة. وقيل: يصلي عندهم بدل أكله. وقيل إن الصلاة في اللغة معناها الدعاء.
والدعاء نوعان: دعاء عبادة. ودعاء مسألة. والعابد داع كما أن السائل داع، وبهما فسر قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[٢٧]. قيل: أطيعوني أثبكم. وقيل: سلوني أعطكم. وفسر بهما قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[٢٨]".
ثم قال رحمه الله تعالى: "والصواب: أن الدعاء يعم النوعين، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه[٢٩]، فمن استعماله في دعاء العبادة قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}[٣٠] وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}[٣١].
وقوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ}[٣٢] والصحيح من القولين لولا أنكم تدعونه وتعبدونه أي: شيء يعبأه بكم لولا عبادتكم إياه فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل. وقال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً}[٣٣]، وقال تعالى إخبارا عن أنبيائه ورسله: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً}[٣٤].

وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى، ودعوى الخلاف في مسمى الدعاء.
وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية، هل هو منقول عن موضعه في اللغة فيكون حقيقة شرعية أو مجازا شرعيا.
فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها في اللغة وهو الدعاء، والدعاء، دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والمصلي من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فهو في صلاة حقيقة لا مجازا ولا منقولة، لكن خص اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة كسائر الألفاظ التي يخصها أهل اللغة والعرف ببعض مسماها كالدابة والرأس ونحوهما، فهذا غاية تخصيص اللفظ وقصره على بعض موضوعه، ولهذا لا يوجب نقلا ولا خروجا عن موضوعه الأصلي والله أعلم. انتهي[٣٥].

المطلب الثاني: المعني الشرعي لصلاة الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم
لما كانت الصلاة التي أمرت بها هذه الأمة على النبي صلى الله عليه وسلم تعني الطلب من الله ما أخبر به من صلاته عليه. إذ المصلي يقول: "اللهم صل على محمد ... الخ" فالأمر هنا يتطلب شرح معنى صلاة الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم: "وأما صلاة الله سبحانه فنوعان: عامة وخاصة.
فالنوع الأول: الصلاة العامة وهي صلاته على عباده المؤمنين:
قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ}[٣٦]
ومنه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آحاد المؤمنين كقوله: "اللهم صل على آل أبي أوفى"[٣٧].
النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله وخصوصا على خاتمهم وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم[٣٨].
واختلفت الناس في معنى الصلاة منه سبحانه على أقوال:
القول الأول: إنها رحمته.
فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى صلاة الرب الرحمة[٣٩] وروى إسماعيل القاضي[٤٠] بسنده عن الضحاك[٤١] قال: "صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء"[٤٢].
وقال المبرد[٤٣] "أصل الصلاة الرحمة فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة"[٤٤].
قال ابن القيم: "وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين"[٤٥].
القول الثاني: إن صلاة الله مغفرته.
فقد روى إسماعيل القاضي بسنده عن الضحاك: "هو الذي يصلي عليكم" قال: "صلاة الله مغفرته، وصلاة الملائكة الدعاء"[٤٦].
وأورد ابن حجر في الفتح: عن مقاتل بن حيان[٤٧] قال: "صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار"[٤٨]
قال ابن القيم: "وهذا القول هو من جنس الذي قبله"[٤٩].
القول الثالث: أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته.

فإذا قلنا اللهم صل على محمد فإنما نريد اللهم عظم محمدا في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين والشهود[٥٠]. قال أبو العالية[٥١]: "صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة"[٥٢]. وعن الربيع بن أنس[٥٣] قال: "صلاة الله عليه ثناؤه عند ملائكته"[٥٤] وقال الخليل بن أحمد: "صلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه: حسن ثنائة عليهم وحسن ذكره لهم"[٥٥].

وقال ابن القيم رحمه الله: "الصلاة المأمور بها في هذه الآية هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه. فهي تتضمن الخبر والطلب وسمى هذا السؤال منا والدعاء صلاة عليه لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه. فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به"[٥٦].

وزاد الحافظ ابن حجر: أن صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة. فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم.

وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء.

ونقل عياض عن بكر القشيري [٥٧] قال: "الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة وتكرمة، وعلى من دون النبي رحمة، وبهذا التقرير يظهر الفرق يين النبي صلى الله عليه وسلم ويين سائر المؤمنين حيث قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} وقال قبل ذلك في السورة المذكورة {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ} ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره، والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ماليس في غيرها"[٥٨].

وقد ضعف ابن القيم رحمه الله تفسير الصلاة بالرحمة والاستغفار وذكر في تضعيفهما عدة أوجه منها:

١- أن الله سبحانه فرق بين صلاته على عباده ورحمته فقال: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[٥٩] فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهما، وهذا أصل العطف، وأما قولهم:

وألفى قولها كذبا ومينا

فهو شاذ نادر لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين أخص من الكذب

٢- أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وأما رحمته فوسعت كل شيء، فليست الصلاة مرادفة للرحمة لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمراتها ومقصودها،

وهذا كثيرا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن، والرسول لا يفسر اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك، والشك جزء مسمى الريب وتفسير المغفرة بالستر، وهو جزء مه مسمى المغفرة، وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان، وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك، كثيرة.
٣- أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلا والمعروف عند العرب من معناها إنما هو الدعاء والتبريك والثناء، ولا تعرف العرب قط "صلى عليه" بمعنى "رحمه" فالواجب حمل اللفظ على معناه المتعارف في اللغة.
٤- أنه يسوغ بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله أن يرحمه فيقول: اللهم ارحمني كما علم النبي صلى الله عليه وسلم الداعي أن يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني" فلما حفظها قال أما هذا فقد ملأ يديه من الخير"[٦٠]. ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول: "اللهم صل علي" بل الداعي بهذا يكون معتديا في دعائه والله لا يحب المعتدين، بخلاف سؤاله الرحمة فإن الله يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته فعلم أنه ليس معناهما واحدا.
٥- أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة كقوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}[٦١] وقوله: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[٦٢] وقوله {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}[٦٣] وقوله: {إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[٦٤] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الله أرحم بعباده من هذه بولدها"[٦٥]. وقوله: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[٦٦]
فمواضع استعمال الرحمة في حق الله وفي حق العباد لا يحسن أن تقع الصلاة في كثير منها، بل في أكثرها، فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة والله أعلم.
٦- أنه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال: "اللهم ارحم محمدا وآل محمد" وليس الأمر كذلك[٦٧]. وزاد السخاوي:
٧- أن الصحابة فهموا المغايرة بين الصلاة والرحمة، فلذلك سألوا عن كيفية الصلاة مع ما تقدم من ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام[٦٨].
وأولى الأقوال بالصواب ما تقدم عن أبي العالية "أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه".
فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء لنبيه صلى الله عليه وسلم.
فصلاتنا عليه: إنما هي ثناء عليه صلى الله عليه وسلم وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا.
المبحث الثاني: الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكيفيتها ومواطنها وفضلها
المطلب الأول: الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
١- من القرآن:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[٦٩].
وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب[٧٠] والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها[٧١].
وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر الله فيها عددا من حقوق نبيه صلى الله عليه وسلم وما خصه به دون أمته، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه وتعظيمه وتبجيله.
ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن، وخلوتهم بهن.
ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه[٧٢]
قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا"[٧٣].
"فهذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته"[٧٤]
(وفيها تنبيه على كمال الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره، فقوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} أي يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له صلى الله عليه وسلم ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم"[٧٥].
قال الحليمي: "وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق "[٧٦].
ب- من السنة النبوية:
ورد في شأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.
وقد روى هذه الأحاديث ما جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا.

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبين طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا.
وسيأتي ذكر بعض هذه الأحاديث في مواضعها المناسبة في المطلب القادم وذلك تلافيا للتكرار والإعادة.
المطلب الثاني: كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ورد في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عدد من الأحاديث منها:
١- حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه:
فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: "إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" متفق عليه[٧٧].
والمراد بالسلام في قوله: "قد علمنا كيف نسلم عليك" السلام الذي في التشهد وهو قول "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"[٧٨].
٢- حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه:
عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" متفق عليه[٧٩].
٣- حديث أبي سعيد الخدري[٨٠] رضي الله عنه
عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يارسول الله، هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم"[٨١].
٤- حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري[٨٢] رضي الله عنه
عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد[٨٣] أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم"[٨٤].
٥- حديث طلحة بن عبيد الله:
عن طلحة بن عبيد الله قال: قلت يارسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: "قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد"[٨٥].
والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها، ومن أجل ذلك فإن المرء قد يسأل بأي هذه الألفاظ يدعو؟

قال ابن القيم: " لقد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة، وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة، ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها، فرأى أنه يستحب للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته، وارحم محمدا وآل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" وكذلك في البركة والرحمة.
وعلل ذلك بقوله: حتى يصيب ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فيما شك فيه الراوي وليجتمع له ألفاظ الأدعية الأخر فيما اختلفت ألفاظها.
ونازعه في ذلك آخرون وقال: هذا ضعيف من وجوه:
أحدها: أن هذه الطريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين.
الثاني: أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع الاستفتاحات، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات، وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه، وهذا باطل قطعا فإنه خلاف عمل الناس، ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة، وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين.
الثالث: أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها. قالوا: ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة ولا خارجها إذا قرأ قراءة عبادة وتدبر، وإنما يفعل ذلك القراء أحيانا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات، وإحاطته بها واستحضاره إياها، والتمكن من استحضارها عند طلبها، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تال وقارئ، ومع هذا ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه، بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء، وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك.
وكذلك الداعي إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة بلفظ هذا الحديث، ومرة بلفظ الآخر، وكذلك إذا تشهد، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود، وإن شاء بتشهد ابن عباس، وإن شاء بتشهد ابن عمر، وإن شاء بتشهد عائشة رضي الله عنهم أجمعين ولا يستحب له أحد أن يجمع بين ذلك كله. وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي رحمه الله تعالى على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب الصحيح والسنن وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"[٨٦]. فجوز النبي صلى الله عليه وسلم القراءة بكل حرف من تلك الأحرف، وأخبر أنه "شافي كافي" ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع كما كان الصحابة يفعلون.
الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع بين تلك الألفاظ الختلفة في آن واحد، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة كألفاظ الاستفتاح والتشهد، وأذكار الركوع والسجود وغيرها، فاتباعه صلى الله عليه وسلم يقتضي أن لا يجمع بينها، بل يقال هذا مرة وهذا مرة.
وإما أن يكون الراوي قد شك في أي الألفاظ قال، فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيرا بينهما، ولم يشرع له الجمع، فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في

آن واحد على مقصود الداعي بالإبطال لأنه قصد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ففعل ما لم يفعله قطعا.
ومثال ما يترجح فيه أحد الألفاظ حديث الاستخارة فإن الراوي شك هل قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري" أو قال: "وعاجل أمري وآجله"[٨٧] بدل "وعاقبة أمري" والصحيح اللفظ الأول وهو قوله "وعاقبة أمري" لأن عاجل الأمر وآجله هو مضمون قوله "ديني ومعاشي وعاقبة أمري" فيكون الجمع بين المعاش وعاجل الأمر وآجله تكرارا، بخلاف ذكر المعاش والعاقبة، فإنه لا تكرار فيه، فإن المعاش هو عاجل الأمر والعاقبة أجله.
ومن ذلك ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال" رواه مسلم[٨٨].
واختلف فيه فقال بعض الرواة "من أول سورة الكهف".
وقال بعضهم "من آخرها" وكلاهما في الصحيح لكن الترجيح لمن قال: "من أول سورة الكهف" لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان[٨٩] في قصة الدجال "فإذا رأيتموه فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف"[٩٠] ولم يختلف في ذلك، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى من آخرها لم يحفظه.
الخامس: أن المقصود إنما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود، فلا يجمع بين العبارات المتعددة.
السادس: أن أحد اللفظين بدل عن الآخر، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معا كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها إبدال والله أعلم[٩١]
المطلب الثالث: مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
تتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن إما وجوبا وإما استحبابا مؤكدا[٩٢] ومن هذه المواطن ما يلي:
الموطن الأول: في الصلاة في آخر التشهد:
وهو أهمها وآكدها، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته[٩٣] (٢) واختلفوا في وجوبه فيها.
فقالت طائفة: ليس بواجب فيها وهذا قول أبي حنيفة ومالك ورواية عن الإمام أحمد، وهو قول أكثر أهل العلم[٩٤].
وقالت طائفة: بوجوب ذلك وهو قول الشافعي ورواية عن الإمام أحمد والظاهر أنها آخر قوليه[٩٥] وهي المعتمدة في المذهب[٩٦] وبهذا القول قال جمع من الصحابة والتابعين وأرباب المذاهب، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو مسعود، والشعبي، ومقاتل بن حيان، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين[٩٧] واسحاق بن راهويه[٩٨].
ولكل واحد من الفريقين أدلته، وهي مبسوطة في كتب الفقه.
وقد جمعها ابن القيم في كتابه القيم جلاء الأفهام[٩٩] فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فليرجع إليه[١٠٠].

وأما ما يتعلق بأدلة مشروعيتها في هذا الموطن فهي بعينها الأدلة التي تقدم ذكرها في المطلب السابق عند الحديث عن كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
الموطن الثاني: الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول:
قال ابن القيم: "وهذا قد اختلف فيه
القول الأول: قال الشافعي في "الأم": "يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول[١٠١] وهذا هو المشهور من مذهبه وهو الجديد، ولكنه يستحب وليس بواجب.
القول الثاني: قال الشافعي في القديم: " لا يزيد على التشهد" وهذه رواية المزني[١٠٢] عنه، وبهذا قال أحمد وأبو حنيفة ومالك وغيرهم.
واحتج لقول الشافعي بما رواه الدارقطني بسنده عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد التحيات الطيبات الزاكيات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم "[١٠٣].
وروى الدارقطني أيضا من حديث عمرو بن شمر عن جابر عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بريدة إذا صليت في صلاتك فلا تتركن الصلاة علي فيها، فإنها زكاة الصلاة"[١٠٤].
قالوا: وهذا يعم الجلوس الأول والآخر.
واحتج له أيضا بأن الله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسوله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه حيث شرع التسليم عليه شرعت الصلاة عليه، ولهذا سأله أصحابه عن كيفية الصلاة عليه، وقالوا "قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟" فدل على أن الصلاة عليه مقرونة بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن المصلي يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرع له أن يصلي عليه.
قالوا: ولأنه مكان شرع فيه التشهد والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم فشرع فيه الصلاة عليه كالتشهد الأخير.
قالوا: ولأن التشهد الأول محل يستحب فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فاستحب فيه الصلاة عليه، لأنه أكمل في ذكره.
قالوا: ولأن في حديث محمد بن إسحاق: كيف نصلي عليك إذا نحن جلسنا في صلاتنا؟[١٠٥].
وقال الآخرون: ليس التشهد الأول بمحل لذلك، وهو القديم من قولي الشافعي رحمه الله تعالى، وهو الذي صححه كثير من أصحابه لم لأن التشهد الأول تخفيفه مشروع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيه كأنه على الرضف[١٠٦][١٠٧]. ولم يثبت عنه أنه كان يفعل ذلك فيه، ولا علّمه للأمة، ولا يعرف أن أحدا من الصحابة استحبه، ولأن مشروعية ذلك لو كانت كما ذكرتم من الأمر لكانت واجبة في المحل كما في الأخير، لتناول الأمر لهما، ولأنه لو كانت الصلاة مستحبة في هذا الموضع، لاستحب فيه الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم

يفرد نفسه دون آله بالأمر بالصلاة عليه، بل أمرهم بالصلاة عليه وعلى آله في الصلاة وغيرها.
ولأنه لو كانت الصلاة عليه في هذه المواضع مشروعة لشرع فيها ذكر إبراهيم وآل إبراهيم، لأنها هي صفة الصلاة المأمور بها، ولأنها لو شرعت في هذه المواضع لشرع فيها الدعاء بعدها لحديث فضالة، ولم يكن فرق بين التشهد الأول والأخير.
قالوا: وأما ما استدللتم به من الأحاديث فمع ضعفها لا تدل، لأن المراد بالتشهد فيها هو الأخير دون الأول بما ذكرناه من الأدلة[١٠٨] (١).
الموطن الثالث من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: آخر القنوت
قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "استحبه الشافعي ومن وافقه واحتج لذلك بما رواه النسائي بسنده عن الحسن بن علي[١٠٩] قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات في الوتر قال: "قل اللهم اهدني فيمن هديت، وبارك لي فيما أعطت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت[١١٠] وصلى الله على النبي"[١١١] وهذا إنما هو في قنوت الوتر، وإنما نقل إلى قنوت الفجر قياسا كما نقل أصل هذا الدعاء إلى قنوت الفجر.
وهو مستحب في قنوت رمضان فعن عروة بن الزبير[١١٢] أن عبد الرحمن بن عبد القاري[١١٣] وكان في عهد عمر بن الخطاب مع عبد الله بن الأرقم[١١٤] على بيت المال، قال: إن عمر خرج ليلة في رمضان، فخرج معه عبد الرحمن بن عبد القارى فطاف في المسجد، وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر رضي الله عنه، والله إني لأظن لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد يكون أمثل، ثم عزم عمر على ذلك وأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان، فخرج عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله، وقال: كانوا يلعنون الكفرة في النصف يقولون: اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالف بين كلمتهم، وألق في قلوبهم الرعب، وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق. ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو للمسلمين ما استطاع من خير، ثم يستغفر للمؤمنين، قال: فكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفار، وصلاته على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره للمؤمنين، ومسألته: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد[١١٥] ونرجو رحمتك، ونخاف عذابك إن عذابك الجد لمن عاديت ملحق، ثم يكبر ويهوي ساجدا[١١٦].
وروى إسماعيل بن إسحاق بسنده عن قتادة، عن عبد الله بن الحارث[١١٧]أن أبا حليمة- معاذا-[١١٨] كان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت[١١٩][١٢٠].
الموطن الرابع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية:

لا خلاف في مشروعيتها فيها، واختلف في توقف صحة الصلاة عليها. فقال الشافعي، وأحمد في المشهور من مذهبهما: إنها واجبة في الصلاة، لا تصح إلا بها، ورواه البيهقي عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة. وقال مالك وأبو حنيفة: تستحب وليست بواجبة، وهو وجه لأصحاب الشافعي. والدليل على مشروعيتها في صلاة الجنازة، ما روى الشافعي بسنده عن الزهري، قال أخبرني أمامة بن سهل، أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سرا في نفسه[١٢١]. وروى إسماعيل بن إسحاق في كتاب "الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم" بسنده عن الزهري قال سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف[١٢٢] يحدث سعيد بن المسيب[١٢٣] قال: إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة، ثم يسلم في نفسه[١٢٤]

وأبو أمامة هذا صحابي صغير، وقد رواه عن صحابي آخر كما ذكره الشافعي.

وقال صاحب "المغني"[١٢٥] يروى عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر، ثم قرأ وجهر وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعا لصاحبه فأحسن ثم انصرف، وقال: هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة.

وفي الموطأ برواية يحى بن يحى الليثي[١٢٦] حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري[١٢٧] عن أبيه[١٢٨] أنه سأل أبا هريرة كيف نصلي على الجنازة؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا لعمر الله أخبرك، أتبعها من أهلها، فإذا وضعت كبرت وحمدت الله تعالى، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أقول: "اللهم إنه عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده"[١٢٩].

إذا تقرر هذا فالمستحب أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم في الجنازة كما يصلى عليه في التشهد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه. وفي مسائل " عبد الله بن أحمد "عن أبيه قال: يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويصلى على الملائكة المقربين.

قال القاضي: يقول: اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك والمرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين، إنك على كل شيء قدير[١٣٠].

الموطن الخامس من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: في الخطب كخطبة الجمعة والعيدين، والاستسقاء، وغيرها:

وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطة

قال الشافعي وأحمد في المشمهور من مذهبهما: لا تصح الخطة إلا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو حنيفة ومالك: تصح بدونها، وهو وجه في مذهب أحمد واحتج لوجوبها في الخطة بقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ صَدْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}[١٣١]
قال ابن عباس رضي الله عنهما: "رفع الله ذكره، فلا يذكر إلا ذكر معه. وفي هذا الدليل نظر، لأن ذكره صلى الله عليه وسلم مع ذكر ربه هو الشهادة له بالرسالة إذا شهد لمرسله بالوحدانية، وهذا هو الواجب في الخطبة قطعا بل هو ركنها الأعظم، وقد روى أبو داود، وأحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل خطة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء"[١٣٢] واليد الجذماء: المقطوعة، فمن أوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطة دون التشهد فقوله في غاية الضعف.
وقد روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن قتادة {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله[١٣٣].
وعن الضحاك {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} قال إذا ذكرت ذكرت معي ولا يجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك[١٣٤] معي.
وعن مجاهد {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} قال: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله[١٣٥].
فهذا هو المراد من الآية، وكيف لا يجب التشهد الذي هو عقد الإسلام في الخطبة، وهو أفضل كلماتها وتجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها.
والدليل على مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة[١٣٦] قال: كان أبي[١٣٧] من شرط علي، وكان تحت المنبر، فحدثني: أنه صعد المنبر- يعني عليا- رضي الله عنه فحمد الله وأثني عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر، وقال يجعل الله الخير حيث شاء[١٣٨].
قال ابن القيم: "وقد كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطب أمرا مشهورا معروفا عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.
أما وجوبها فيعتمد دليلا يجب المصير إليه وإلى مثله[١٣٩].
الموطن السادس من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة
لما روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي"[١٤٠].
الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: عند الدعاء:
والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد[١٤١] رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاة لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله

عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجل هذا" ثم دعاه، فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بما شاء"[١٤٢].
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عند قال: "إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم"[١٤٣].
الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: عند دخول المسجد وعند الخروج منه
لما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله لمج!ا قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم"[١٤٤].
وعن فاطمة بنت الحسين[١٤٥] عن جدتها فاطمة الكبرى[١٤٦] قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، وقال: "رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال: "رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك"[١٤٧].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية "والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد مأثور عنه صلى الله عليه وسلم وعن غير واحد من الصحابة والتابعين"[١٤٨].
وقال القاضي عياض: "ومن مواطن الصلاة والسلام عند دخول المسجد" وذكرا عددا من الآثار عن بعض الأئمة[١٤٩].
الموطن التاسع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: على الصفا والمروة
لما روى إسماعيل بن إسحاق القاضي بسنده عن نافع[١٥٠] أن عمر رضي الله عنه كان يكبر على الصفا ثلاثا، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدر، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو ويطل القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة نحو ذلك[١٥١].
وعن وهب بن الأجدع[١٥٢] قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس بمكة يقول إذا قدم الرجل منكم حاجا فليطف بالبيت سبعا وليصل عند المقام ركعتين ثم يستلم الحجر الأسود، ثم يبدأ بالصفا، فيقوم عليها ويستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد الله عز وجل وثناء عليه عزوجل، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومسألة لنفسه وعلى المروة مثل ذلك[١٥٣].
الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: عند اجتماع القوم قبل تفرقهم:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم إلا كان مجلسهم عليهم ترة[١٥٤] يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أخذهم"[١٥٥].
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "ما جلس قوم مجلسا لم يصل فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كانت عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة"[١٥٦].

وعن جابرأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا من غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح جيفة"[١٥٧].

الموطن الحادي عشر: من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره

قال ابن القيم: "وقد اختلفت في وجوبها كلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم فقال أبو جعفر الطحاوي[١٥٨] وأبو عبيد الله الحليمي: تجب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر اسمه. وقال غيرهما إن ذلك مستحب، وليس بفرض يأثم تاركه. ثم اختلفوا: فقالت فرقة: تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة، لأن الأمر مطلق لا يقتضي تكرارا، والماهية تحصل بمرة، وهذا محكي عن أبي حنيفة ومالك، والثوري، والأوزاعي[١٥٩].

قال القاضي عياض وابن عبد البر: وهو قول جمهور الأمة.

وقالت فرقة: بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير كما تقدم، وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه، وغيرهما.

وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب، وهذا قول ابن جرير وطائفة، وادعى ابن جرير فيه الإجماع، وهذا على أصله فإنه إذا رأي الأكثرين على قول، جعله إجماعا يجب اتباعه.

واحتج الموجبون بحجج:

الحجة الأولى: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة"[١٦٠].

ورغم أنفه: دعاء عليه وذم له، وتارك المستحب لا يذم ولا يدعى عليهز.

الحجة الثانية: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه صعد المنبر فقال: "آمين، آمين، آمين، فقيل له يارسول الله، ما كنت تصنع هذا؟ فقال: "قال لي جبريل رغم أنف عبد دخل عليه رمضان ولم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنفه عبد أدرك أبويه أو أحدهما الكبر لم يدخل الجنة، فقلت: آمين ثم قال: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين"[١٦١]

الحجة الثالثة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ذكرت عنده فليصل علي، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا"[١٦٢]. وهذا إسناد صحيح والأمر ظاهره الوجوب.

الحجة الرابعة: حديث الحسين بن علي[١٦٣] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي"[١٦٤] .

وعن عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد أو قعد أبو ذر- فذكر حديثا طويلا- وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي"[١٦٥].

قالوا: فإذا ثبت أنه بخيل فوجه الدلالة به من وجهين:

أحدها: أن البخل اسم ذم، وتارك المستحب لا يستحق اسم الذم قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ}[١٦٦] فقرن البخل بالاختيال والفخر، والآمر بالبخل، وذم على المجموع، فدل على أن البخل صفة ذم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وأي داء أدوأ من البخل"[١٦٧].
الثاني: أن البخيل هو مانع ما وجب عليه، فمن أدى الواجب عليه كله لم يسم بخيلا، وإنما البخيل مانع ما يستحق عليه إعطاؤه وبذله.
الحجة الخامسة: أن الله سبحانه وتعالى أمر بالصلاة والتسليم عليه، والأمر المطلق للتكرار، ولا يمكن أن يقال: التكرار هو كل وقت، فإن الأوامر المكررة إنما تتكرر في أوقات خاصة، أو عند شروط وأسباب تقتضي تكرارها، وليس وقت أولى من وقت، فتكرار المأمور بتكرار ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أولى لما تقدم من النصوص، فهنا ثلاث مقدمات:
الأولى: أن الصلاة مأمور بها أمرا مطلقا، وهذه معلومة.
المقدمة الثانية: أن الأمر المطلق يقتضي التكرار، وهذا مختلف فيه فنفاه طائفة من الفقهاء والأصوليين. وأثبته طائفة. وفرقت طائفة يين الأمر المطلق والمعلق على شرط أو وقت، فأثبتت التكرار في المعلق دون المطلق. والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد والشافعي، وغيرهما.
ورجحت هذه الطائفة التكرار بأن عامة أوامر الشرع على التكرار كقوله تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}[١٦٨] وقوله {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ}[١٦٩] وقوله تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}[١٧٠] وقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ}[١٧١] وقوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}[١٧٢] وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}[١٧٣] وقوله تعالى: {وَخَافُونِ}[١٧٤].
وقوله: {وَاخْشَوْنِي}[١٧٥]، وقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ}[١٧٦]، وقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً}[١٧٧].
وذلك في القرآن أكثر من أن يحصر، وإذا كات أوامر الله ورسوله على التكرار حيث وردت إلا في النادر، علم أن هذا عرف خطاب الله ورسوله للأمة، والأمر وإن لم يكن في لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار ولا فور فلا ريب أنه في عرف خطاب الشارع للتكرار، فلا يحمل كلامه إلا على عرفه والمألوف من خطابه، وإن لم يكن ذلك مفهوما من أصل الوضع في اللغة، وهذا كما قلنا: ان الأمر يقتضي الوجوب، والنهي يقتضي الفساد، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع وإن كان لا تعرض لصحة المنهي ولا لفساده في أصل موضوع اللغة، وكذا خطاب الشارع لواحد من الأمة يقتضي معرفة الخاص أن يكون اللفظ متناولا له ولأمثاله، وإن كان موضوع اللفظ لغة لا يقتضي ذلك، فإن هذا لغة صاحب الشرع وعرفه في مصادر كلامه وموارده، وهذا معلوم بالاضطرار من دينه قبل أن يعلم صحة القياس واعتباره وشروطه، وهكذا الفرق يين اقتضاء اللفظ وعدم اقتضائه لغة، ويين اقتضائه في عرف الشارع وعادة خطابه.

المقدمة الثالثة: أنه إذا تكرر المأمور به، فإنه لا يتكرر إلا بسبب أو وقت، وأولى الأسباب المقتضية لتكراره ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم، لإخباره برغم أوف من ذكر عنده فلم يصل عليه، وللإسجال عليه بالبخل وإعطائه اسمه.
قالوا: ومما يؤيد ذلك أن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه عقب إخباره لهم بأنه وملائكته يصلون عليه، لم يكن مرة وانقطعت. بل في صلاة متكررة، ولهذا ذكرها مبينا بها فضله وشرفه وعلو منزلته عنده، ثم أمر المؤمنين بها، فتكرارها في حقهم أحق وآكد لأجل الأمر.
قالوا: ولأن الله أكد السلام بالمصدر الذي هو التسليم، وهذا يقتضي المبالغة والزيادة في كميته، وذلك بالتكرار.
قالوا: ولأن لفظ الفعل المأمور به يدل على التكثير وهو "صلى وسلم" فإن "فعَّل" المشدد، يدل على تكرار الفعل، كقولك كسّر الخبز وقطّع اللحم، وعلّم الخير، وشدّد في كذا، ونحوه.
قالوا: ولأن الأمر بالصلاة عليه في مقابل إحسانه إلى الأمة، وتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وما حصل لهم ببركته من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة مثل هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيا لحقه ولا مؤديا لنعمته، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم.
قالوا: ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلا، لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم، وحصل له به هذا الخير الجسيم، ثم يذكر عنده ولا يثني عليه ولا يبالغ في حمده ومدحه وتمجيده، ويبدي ذلك ويعيده، ويعتذر من التقصير في القياع بشكره وحقه، عده الناس بخيلا لئيما كفورا فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة، ونجا من شر الدنيا والآخرة، الذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمته وإحسانه، فضلا عن أن تقوم بشكره، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثنى عليه، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ، فلا أقل من أن يصلى عليه مرة إذا ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم.
قالوا: ولهذا دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم برغم أنفه، وهو أن يلصق أنفه بالرغام وهو التراب، لأنه لما ذكر عنده فلم يصل عليه استحق أن يذله الله ويلصق أنفه بالتراب.
قالوا: ولأن الله سبحانه نهى الأمة أن يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضا، فلا يسمونه إذا خاطبوه باسمه، كما يسمى بعضهم بعضا بل يدعونه برسول الله ونبي الله، وهذا من تمام تعزيره وتوقيره وتعظيمه، فهكذا ينبغي أن يخص باقتران اسمه بالصلاة عليه، ليكون ذلك فرقا بينه وبين ذكر غيره، كما كان الأمر بدعائه بالرسول والنبي فرقا بينه ويين خطاب غيره، فلو كان عند ذكره لا تجب الصلاة عليه كان ذكره كذكر غيره في ذلك، هذا على أحد التفسيرين في الآية، وأما على التفسير الآخر وهو أن المعنى لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا الإجابة بالاعتذار والعلل التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن بادروا إليه إذا

دعاكم بسرعة الإجابة ومعاجلة الطاعة حتى لم يجعل اشتغالهم بالصلاة عذرا لهم في التخلف عن إجابته والمبادرة إلى طاعته فإذا لم تكن الصلاة التي فيها شغل عذرا يستباح بها تأخير إجابته فكيف ما دونها من الأسباب والأعذار؟ فعلى هذا يكون المصدر مضافا إلى الفاعل، وعلى القول الأول يكون مضافا إلى المفعول.

وقد يقال- وهو أحسن من القولين- إن المصدر هنا لم يضف إضافته إلى فاعل ولا مفعول، وإنما أضيف إضافة الأسماء المحضة، ويكون المعنى: لا تجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضا، وعلى هذا فيعم الأمرين معا، ويكون النهي عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم بعضا، وعن تأخير إجابته صلى الله عليه وسلم، وعلى كل تقدير فكما أمر الله سبحانه أن يميز في خطابه ودعائهم إياه قياما للأمة بما يجب عليه من تعظيمه وإجلاله فتمييزه بالصلاة عليه عند ذكر اسمه من تمام هذا المقصود.

قالوا: وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم "أن من ذكر عنده فلم يصل عليه خطىء طريق الجنة"[١٧٨] فلولا أن الصلاة عليه واجبة عند ذكره لم يكن تاركها مخطئا لطريق الجنة. قالوا: وأيضا فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده فلم يصل عليه فقد جفاه، ولا يجوز لمسلم جفاؤه صلى الله عليه وسلم.

فالدليل على المقدمة الأولى: ما روي عن قتادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي"[١٧٩]

ولو تركنا وهذا المرسل وحده لم نحتج به، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلا وشحيحا، والدعاء عليه بالرغم، وهذا من مرجبات جفائه.

والدليل على المقدمة الثانية: أن جفاءه مناف لكمال حبه، وتقديم محبته على النفس والأهل والمال، وأنه أولى بالمؤمن من نفسه فإن العبد لا يؤمن حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ومن ولده ووالده والناس أجمعين، كما ثبت عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب ألي من كل شيء إلا من نفسي، قال: "لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك" قال: فوالله لأنت الآن أحب إلي من نفسي، قال: "الآن يا عمر"[١٨٠] وثبت عنه في الصحيح أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[١٨١] فذكر هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم، كمحبة الوالد، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال، كمحبة الناس بعضهم بعضا، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول صلى الله عليه وسلم عنده أشد من هذه المحاب كلها.

ومعلوم أن جفاءه صلى الله عليه وسلم ينافي ذلك

قالوا: فلما كانت محبته فرضا، وكانت توابعها من الإجلال والتعظيم والتوقير والطاعة والتقديم على النفس، وإيثاره بنفسه بحيث يقي نفسه فرضا، كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذكر من لوازم هذه الأحبية وتمامها.

قالوا: وإذا ثبت بهذه الوجوه وغيوها وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على من ذكر عنده، فوجوبها على الذاكر نفسه أولى، ونظير هذا أن سامع السجدة إذا أمر بالسجود إما وجوبا أو استحبابا، فوجوبها على التالي أولى، والله أعلم.
قال نفاة الوجوب: الدليل على قولنا من وجوه:
أحدها: أن من المعلوم الذي لا ريب فيه أن السلف الصالح الذين هم القدوة لم يكن أحدهم كلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقرن الصلاة عليه باسمه، وهذا في خطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يذكر فإنهم كانوا يقولون يارسول الله، مقتصرين على ذلك وربما كان يقول أحدهم "صلى الله عليك" وهذا في الأحاديث ظاهر كثير، فلو كانت الصلاة عليه واجبة عند ذكره لأنكر عليهم تركها.
الثاني: أن الصلاة عليه لو كانت واجبة كلما ذكر لكان هذا من أظهر الواجبات، ولبينه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بيانا يقطع العذر وتقوم به الحجة.
الثالث: أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم هذا القول، ولا يعرف أحد منهم قال به، وأكثر الفقهاء – بل قد حكى الإجماع - على أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليست من فروض الصلاة، وقد نسب القول بوجوبها إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع السابق، فكيف تحب خارج الصلاة.
الرابع: أنه لو وجبت الصلاة عليه عند ذكره دائما، لوجب على المؤذن أن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، وهذا لا يشرع له في الأذان على أن يجب عليه.
الخامس: أنه كان يجب على من سمع النداء وأجابه أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم، اقتصاره على قوله "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" فإن هذا مثل ما قال المؤذن.
السادس: أن التشهد الأول ينتهي عند قوله "وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" اتفاقا، واختلف هل يشرع أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله فيه، على ثلاثة أقوال:

- أحدها: لا يشرع ذلك إلا في الأخير.
- والثاني: يشرع.
- والثالث: تشرع الصلاة عليه خاصة دون آله، ولم يقل أحد بوجوبها في الأول عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

السابع: أن المسلم إذا دخل في الإسلام بتلفظه بالشهادتين لم يحتج أن يقول أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
الثامن: أن الخطب في الجمع والأعياد وغيرهما لا يحتاج أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الشهد، ولو كانت الصلاة واجبة عليه عند ذكره لوجب عليه أن يقرنها بالشهادة، ولا يقال تكفي الصلاة عليه في الخطبة فإن تلك الصلاة لا تنعطف على ذكر اسمه عند الشهادة، ولا سيما مع طول الفصل، والموجبون يقولون: تجب الصلاة عليه كلما ذكر ومعلوم أن ذكره ثانيا غير ذكره أولا.
التاسع: أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب على القارئ كلما مر ذكر اسمه أن يصلي عليه، ويقطع لذلك قراءته ليؤدي هذا الواجب، وسواء كان في الصلاة أو خارجها، فإن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا تبطل الصلاة، وهي واجب قد

تعين فلزم أداؤه، ومعلوم أن ذلك لو كان واجبا لكان الصحابة والتابعون أقوم به وأسرع إلى أدائه وترك إهماله.
العاشر: أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب الثناء على الله عز وجل كلما ذكر اسمه، فكان يجب على من ذكر اسم الله أن يقرنه بقوله: "سبحانه وتعالى" أو "عز وجل" أو "تبارك وتعالى" أو "جلت عظمته" أو "تعالى جده" ونحو ذلك، بل كان ذلك أولى وأحرى فإن تعظيم الرسول وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ومحبته وطاعته، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول صلى الله عليه وسلم دون مرسله، بل انما يثبت ذلك له تبعا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله، ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة لله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومبايعته مبايعة لله {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}[١٨٢] ومحبته محبة لله قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[١٨٣]، وتعظيمه تعظيم للهه، ونصرته نصرة لله، فإنه رسوله وعبده الداعي إليه وإلى طاعته ومحبته وإجلاله، وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له، فكيف يقال تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه، وهي ثناء وتعظيم كما تقدم، ولا يجب الثناء والتعظيم للخالق سبحانه وتعالى كلما ذكر اسمه؟ هذا محال من القول.
الحادي عشرة: لو جلس إنسان ليس له هجيرى[١٨٤] إلا قوله: محمد رسول الله، أو اللهم صل على محمد، وبشر كثير يسمعونه، فإن قلتم تجب على كل أولئك السامعين أن يكون هجيراهم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، ولو طال المجلس ما طال، كان ذلك حرجا ومشقة وتركا لقراءة قارئهم، ودراسة دارسهم، وكلام صاحب الحاجة منهم، ومذاكرته في العلم، وتعليمه القرآن وغيره، وإن قلتم لا تحب عليهم الصلاة عليه في هذه الحال، نقضتم مذهبكم، وإن قلتم: تجب عليه مرة أو أكثر، كان تحكما بلا دليل مع أنه مبطل لقولكم.
الثاني عشر: أن الشهادة له بالرسالة أفرض وأوجب من الصلاة عليه بلا ريب، ومعلوم أنه لا يدخل في الإسلام إلا بها، فإذا كانت لا تجب كلما ذكر اسمه، فكيف تحب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه، وليصر من الواجبات بعد كلمة الاخلاص أفرض من الشهادة له بالرسالة، فمتى أقر له بوجوبها عند ذكر اسمه تذكر العبد الإيمان وموجبات هذه الشهادة فكان يجب على كل من ذكر اسمه أن يقول محمد رسول الله، ووجوب ذلك أظهر بكثير من وجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه.
ولكل فرقة من هاتين الفرقتين أجوبة عن حجج الفرقة المنازعة لها، بعضها ضعيف جدا وبعضها محتمل، وبعضها قوي، ويظهر ذلك لمن تأمل حجج الفريقين، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب"[١٨٥].
الموطن الثاني عشر: من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
فعن أوس بن أوس[١٨٦] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فاكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي".
قالوا: يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟- يعني وقد بليت- فقال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"[١٨٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا هي مصيخة[١٨٨] يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة، إلا الجن والانس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله شيئا إلا أعطاه الله إياه"[١٨٩].

قال ابن القيم: "فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس، دال على مثل معناه"[١٩٠].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "قال رسول صلى الله عليه وسلم: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لا يصلي عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها" قال: قلت بعد الموت؟ قال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" فنبي الله حي يرزق"[١٩١].

وعن أبي أمامة[١٩٢] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم صلاة كان أقربهم مني منزلة"[١٩٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا الصلاة على يوم الجمعة، فإنه أتاني جبريل آنفا من ربه عز وجل فقال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا"[١٩٤]. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض علي"[١٩٥].

قال ابن القيم: "هذان وإن كانا ضعيفين فيصلحان للاستشهاد"[١٩٦]

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة"[١٩٧] وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة. وعن زيد بن وهب[١٩٨] قال: قال لي ابن مسعود رضي الله عنه: "يا زيد بن وهب لا تدع- إذا كان يوم الجمعة- أن تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة تقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي"[١٩٩].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة، فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته"[٢٠٠].

وفي مراسيل الحسن[٢٠١] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنها تعرض علي"[٢٠٢].

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب: "أن انشروا العلم يوم الجمعة فإن غائلة العلم النسيان، وأكثروا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة"[٢٠٣].

وهناك مواطن أخرى غير ما ذكرنا ذكرها ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام[٢٠٤]
وكذلك السخاوي في كتابه القول البديع، والفيروز أبادي في الصلات والبشر ممن أراد الاستزادة فليرجع إليها، وحسبي أني أشرت لأشهرها.

المطلب الرابع: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن القيم: "إن طلب الصلاة من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته"[٢٠٥] يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى على واحدة صلى عليه عشرا" رواه مسلم[٢٠٦].
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة" رواه مسلم[٢٠٧].
وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: "يارسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: "ما شئت". قلت: الربع؟ قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير. قلت: النصف؟ قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير". قلت: الثلثين؟ قال: "ما شئت وإن زدت فهو خير".قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: "إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك"[٢٠٨]
وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي[٢٠٩] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا" فقام إليه رجل فقال: يارسول الله أجعل نصف دعائي لك؟ قال: "إن شئت" قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال: "إن شئت" قال: ألا أجعل دعائي كله؟ قال: "إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة"[٢١٠]
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا"[٢١١].
وفي رواية "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات"[٢١٢].
وفي رواية "من صلّى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات"[٢١٣].
وفي رواية: " خرج النبي صلى الله عليه وسلم يتبرز، فلم يجد أحدا يتبعه فهرع عمر فاتبعه بمطهرة- يعني إداوة- فوجده ساجدا في شربة، فتنحى عمر فجلس وراءه حتى رفع رأسه قال: فقال: "أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا، ورفعه عشر درجات"[٢١٤].
وأخرج هذا الحديث عن عمر بن الخطاب قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم يتبرز، فاتبعته بإداوة، فوجدته قد فرغ، ووجدته ساجدا لله في شربة، فتنحيت عنه فلما فرغ، رفع رأسه فقال: "أحسنت يا عمر حين تنحيت عني إن جبريل أتاني فقال: من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات"[٢١٥].

وعن عبد الرحمن بن عوف[٢١٦] قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فأطال السجود قال: "أتاني جبريل قال: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرا"[٢١٧].

وفي رواية " كان لا يفارق فيء النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار خمسة نفر من أصحابه أو أربعة لما ينوبه من حوائجه قال: فجئت فوجدته قد خرج فتبعته، فدخل حائطا من حيطان الأسواف[٢١٨] فصلى فسجد سجدة أطال فيها، فحزن وبكيت فقلت: لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض الله روحه، قال: فرفع رأسه، وتراءيت له، فدعاني، فقال: مالك؟ قلت: يا رسول الله سجدت سجدة أطلت فيها فحزنت، وبكيت، وقلت: لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض الله روحه.

قال: "هذه سجدة سجدتها شكرا لربي فيما آتاني في أمتي، من صلى علي صلاة كتب الله له عشر حسنات"[٢١٩].

وفي رواية "إني سجدت هذه السجدة شكرا لله عز وجل في أبلاني في أمتي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا"[٢٢٠].

وعن أبي طلحة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم يوما يعرفون البشر في وجهه فقالوا: إنا نعرف الآن في وجهك البشر يا رسول الله. قال: أجل أتاني الآن آت من ربي فأخبرني أنه لن يصلي علي أحد من أمتي إلا ردها الله عليه عشر أمثالها"[٢٢١].

وفي رواية "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما والبشر يرى في وجهه فقالوا: يا رسول الله إنا نرى في وجهك بشرا لم نكن نراه، قال: أجل إنه أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرا"[٢٢٢].

وفي رواية "أصبح رسول لله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر. قال: أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها"[٢٢٣].

وعن أبي بردة بن نيار[٢٢٤] قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم "من صلى علي من أمتي صلاة مخلصا من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر دارجات، كتب له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات"[٢٢٥].

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله لجمحا: عجل هذا"

ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلي علي، ثم يدعو بما شاء"[٢٢٦].

وفي رواية: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجلت أيها المصلي" ثم علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع رسول الله

صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ادع تجب وسل تعط"[٢٢٧].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة"[٢٢٨]
فالمتأمل في هذه الأحاديث يعرف عظم فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم جلاء الأفهام عددا من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أنتقى منها ما يلي:
الفائدة الأولى: امتثال أمر الله تعالى.
الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.
الثالثة: موافقة ملائكته فيها.
الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
الخامسة: أنه يرفع عشر درجات.
السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.
السابعة: أنه يمحي عنه عشر سيئات.
الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.
التاسعة: أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.
العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.
الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.
الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.
الثالثة عشرة: أنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك. فقلب المؤمن توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة ودوام الذكر سبب لدوام المحبة، فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك، لا حياة له إلا به...
الرابعة عشرة: أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببا لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلى عليه صلى الله عليه وسلم.
الخامسة عشرة: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره، استولت محبته على قلبه، حتى لألقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولاشك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبا مسطورا في قلبه لا يزال

يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه صلى الله عليه وسلم.
ولهذا كانا صلاة أهل العلم- العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه، خلاف صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم.
وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطوبة له من الله.
وهكذا ذكر الله سبحانه، كلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أجل كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين، وهذا أمر إنما يعلم بالخبر لا بالحبر وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبه جميع قلبه ويثني عليه بها ويمجده بها، وبين من يذكرها إما إمارة وإما لفظا، لا يدري ما معناه، ولا يطابق فيه قلبه لسانه، كما أنه فرق يين بكاء النائحة وبكاء الثكلى.
فذكره وذكر ما جاء به، وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله هو حياة الوجود وروحه، كما قيل:
روح المجالس ذكره وحديثه*** وهدى لكل ملدد حيران
وإذا أخل بذكره في مجلس*** فأولئك الأموات في الحيان
السادسة عشرة: أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنده، كما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم "إن صلاتكم معروضة علي" وكفى بالعبد نبلا أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
السابعة عشرة: أن الصلاة عليه لا أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله لا علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علما ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.
الثامنة عشرة: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله، فالمصلي عليه صلى الله عليه وسلم قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله، كما عرفنا ربنا أسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا رضا أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال.
التاسعة عشرة: أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:
أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته، وما ينوبه في الليل والنهار فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.
الثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه.
وإيثار ذكره، ورفعه، ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه، فالمصلي عليه صلى الله عليه وسلم قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله، وآثر

ذلك على طلبه وحوائجه ومحابه هو، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه هون وقد آثر الله ومحابه على سواه، والجزاء من جنس العمل، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره.
واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب والمنزلة عندهم، فإنهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته إليه، وكلما سألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشريفه، علت منزلتهم عنده، وازداد قربهم منه، وحظوا به لديه، لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشريف والتكريم لمحبوبهم، فأحبهم إليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه إنعامه وإحسانه، وهذا أمر مشاهد بالحس، ولا تكون منزلة هؤلاء ومنزلة من سأل المطاع حوائجه هو – وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والإنعام عليه – واحدة.
فكيف بأعظم محب وأله لأكرم محبوب وأحقه بمحبه ربه له.؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه إلا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفا[٢٢٩].
وكما وردت أحاديث تذم تارك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة"[٢٣٠] وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي"[٢٣١].
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة"[٢٣٢].
....

[١] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٢] محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب، وصنف زهاء مئتي كتاب، توفي بالمدينة. الأعلام (٦/ ١٩٤).
[٣] انظر: القول البديع (ص ٢٥٨- ٢٥٩).
[٤] الخليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ومن أشهر كتبه كتاب العين، ترفي سنة ١٧٠هـ بالبصرة. الأعلام (٢/ ٣١٤).
[٥] كتاب العين (٧/ ١٥٣).
[٦] الصلات والبشر (ص ٦).
[٧] كتاب العين (٧/ ١٥٣).
[٨] تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٧).
[٩] المنهاج (٢/ ١٣٣).
[١٠] كتاب العين (٧/ ١٥٤).
[١١] معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠).

[١٢] محمد بن يعقوب بن محمد بن الفيروز أبادي، من أئمة اللغة والأدب وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، توفي سنة ٨١٧ هـ في زبيد باليمن وأشهر مؤلفاته القاموس المحيط.
الأعلام (٧/ ١٤٦- ١٤٧).
[١٣] الصلات والبشر (ص ٥- ٦)
[١٤] تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٨).
[١٥] الآية (٤) من سورة الغاشية.
[١٦] الآية (٣) من سورة المسد.
[١٧] الصلاة والبشر (ص ٦).
[١٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (١٥٣/٤).
[١٩] اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات أدرك الإسلام ورحل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليؤمن به، ولكن قريشا صرفته بمئة من الإبل. الأعلام (٧/ ٣٤١).
[٢٠] ديوان الأعشى (٧٣).
[٢١] المصدر السابق (٢٩).
[٢٢] معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠).
[٢٣] تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٧).
[٢٤] (١٢/ ١٣٦).
[٢٥] الآية (١٠٣) من سورة التوبة.
[٢٦] الآية (٨٤) من سورة التوبة.
[٢٧] الآية (٦٠) من سورة غافر.
[٢٨] الآية (١٨٦) من سورة البقرة.
[٢٩] الألفاظ على أربعة أقسام:
ا- الألفاظ المترادفة: وهي ما اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها مثل: الليث، الأسد، الغضنفر ألفاظ مختلفة ولكنها جميعها دلت على معنى واحد وهو الحيوان المعروف.
٢- الألفاظ المشتركة: وهي ما اتحدت ألفاظها واحتلفت معانيها مثل: العين: تطلق على العين الباصرة، والعين الجارية، والجاسوس.
٣- الألفاظ المتباينة: ما اختلفت ألفاظها ومعانيها.مثل: السماء والأرض- الجدار والسقف.
٤- الألفاظ المتواطئة: ما اتفقت ألفاظها ومعانيها.
فإذا كان المعنى متساويا في الجميع فهو التواطؤ المطلق ومثاله: "الرجل": لزيد وعمرو.
وإذا كان المعنى متفاضلا فهو التواطؤ المشكك ومثاله "النور"، للشمس والسراج.
التحفة المهدية (١/ ٢٠٩).
[٣٠] الآية (٢٢) من سورة سبأ.

[٣١] الآية (٢٠) من سورة النحل.
[٣٢] الآية (٧٧) من سورة الفرقان.
[٣٣] الآيتان (٥٥، ٥٦) من سورة الأعراف.
[٣٤] الآية (٩٠) من سورة الأنبياء.
[٣٥] جلاء الأفهام (ص ٧٣- ٧٤).
[٣٦] الآية (٤٣) من سورة الأحزاب.
[٣٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة. فتح الباري (٣/ ٣٦١) ح ١٤٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٣/ ١٢١).
[٣٨] جلاء الأفهام (ص ٧٤).
[٣٩] فتح الباري (١١/ ١٥٦).
[٤٠] إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي فقيه على مذهب الإمام مالك، جليل التصانيف، من بيت علم وفضل توفر، سنة ٢٨٢ هـ. الأعلام (١/ ٣١٠).
[٤١] الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد. الخراساني، مفسر ولم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ترفي سنة ١٠٥ هـ. تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣- ٤٥٤)
[٤٢] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٠)
[٤٣] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، توفي ببغداد سنة ٢٨٦ هـ. الأعلام (٧/ ١٤٤).
[٤٤] فتح الباري (١١/ ١٥٦) وجلاء الأفهام (ص ٧٥).
[٤٥] جلاء الأفهام (ص ٧٥).
[٤٦] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤١)
[٤٧] مقاتل بن حيان النبطي (بفتح النون والموحدة) أبو بسطام البلخي، صدوق، وكان ناسكا فاضلا خرج له الجماعة إلا البخاري، مات بكابل قبيل الخمسين ومائة. تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٧- ٢٧٩).
[٤٨] ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٥٥- ١٥٦).
[٤٩] جلاء الأفهام (ص ٧٥).
[٥٠] المنهاج (٢/ ١٣٤).
[٥١] رفيع (بالتصغير) بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم، البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر، ثقة، توفي سنة تسعين وقيل بعد ذلك. تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٤- ٢٨٦).
[٥٢] ذكره تعليقا البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...} الآية. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٢).

[٥٣] الروح بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وغيرهم، مات في خلافة أبي جعفر المنصور.تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨- ٢٣٩).
[٥٤] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٠) القول البديع (ص ١٩). وأورده ابن حجر في الفتح وعزاه لابن أبي حاتم. فتح الباري (٥٣٣/٨).
[٥٥] العين (٧/ ١٥٤).
[٥٦] جلاء الأفهام (ص ٧٨).
[٥٧] بكر بن محمد بن العلاء القشيري، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة، انتقل إلى مصر قبل سنة (٣٣٠ هـ) وتوفي بها سنة ٣٤٤هـ. الأعلام (٢/ ٦٩).
[٥٨] فتح الباري (١١/ ١٥٦)
[٥٩] الآيات (١٥٥ إلى ١٥٧) من سورة البقرة.
[٦٠] أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٥٣).
[٦١] الآية (١٥٦) من سورة الأعراف.
[٦٢] الآية (٥٦) من سورة الأعراف.
[٦٣] الآية (٤٣) من سورة الأحزاب.
[٦٤] الآية (١١٧) من سورة التوبة.
[٦٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب رحمة الولد. فتح الباري (١٠/ ٤٦٧) ح ٥٩٩٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٨/ ٩٧).
[٦٦] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤/ ٣٢٣- ٣٢٤) ح ١٩٢٤، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
[٦٧] جلاء الأفهام (ص ٧٥- ٨٢) بتصرف.
[٦٨] القول البديع (ص ٢٠).
[٦٩] الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.
[٧٠] المنهاج للحليمي (٢/ ١٤٣).
[٧١] القول البديع (ص ٢١).
[٧٢] جلاء الأفهام (ص ١٧٤- ١٧٥).
[٧٣] تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٧).
[٧٤] تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٢) بتصرف
[٧٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (١٢٠/٦-١٢١).
[٧٦] المنهاج للحليمي (٢/ ١٣١).
[٧٧] تقدم تخريجه (ص ٤٨٠).
[٧٨] فتح الباري (١١/ ١٥٥).
[٧٩] تقدم تخريجه (ص ٣٤٨).

[٨٠] واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها، وشهد هو ما بعدها، كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا، مات بعد الستين من الهجرة. الإصابة (٢/ ٣٢- ٣٣).
[٨١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انظر: فتح الباري (١١/ ١٥٢) ح ٦٣٥٨
[٨٢] عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته شهد العقبة، والمشاهد كلها، مات بعد سنة أربعين للهجرة. الإصابة (٢/ ٤٨٣- ٤٨٤).
[٨٣] بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري البدري شهد العقبة وشهد بدرا والمشاهد بعدها، استشهد بعين التمر مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة.الإصابة (١/ ١٦٢) والاستيعاب (١/ ١٥٥- ١٥٦).
[٨٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمد التشهد (١٧/٢).
[٨٥] أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٢). وأخرجه النسائي في السنن، كتاب السهو، باب كيف الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ٤٨) وإسناده حسن.
[٨٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. فتح الباري (٩ / ٢٣) ح ٤٩٩٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٢/ ٢٠٢).
[٨٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، فتح الباري (٣/ ٤٨) ح ١١٦٢ وقد جاءت رواية البخاري على الشك الذي ذكره ابن القيم.
[٨٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٢/ ١٩٩) وذكر مسلم أيضا هذا الاختلاف فقال قال شعبة من آخر الكهف، وقال "همام من أول الكهف كما قال هشام
[٨٩] النواس في سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي له ولأبيه صحبة وحديثه عند مسلم فى صحيحه الإصابة (٣/ ٥٤٦).
[٩٠] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (١٩٦/٨-١٩٧)
[٩١] جلاء الأفهام (١٧٧- ١٧٩) بتصرف.
[٩٢] جلاء الأفهام ص (٢٥١).
[٩٣] جلاء الأفهام ص (٢٥١).
[٩٤] مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٨) والمغني (١/ ٥٤٢) وجلاء الأفهام ص(٢٥١)
[٩٥] مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٨) والمغني (١/ ٥٤٢) وجلاء الأفهام ص(٢٥١)
[٩٦] المغني (٥٤١/١).
[٩٧] محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، من فقهاء أهل المدينة من التابعين، توفي سنة أربع عشرة ومائة. تهذيب التهذيب (٣٥٠/٩-٣٥٢).
[٩٨] المغني (١/ ٥٤٢) جلاء الأفهام (٢٥٣- ٢٥٥) والقول البديع (١٨٠- ١٨٣).

[٩٩] انظر جلاء الأفهام (ص ٢٥١- ٢٧٦).
[١٠٠] صرفت النظر عن إيراد أدلة كل فريق نظرا:
١- كثرة الأدلة والاعتراضات الواردة في هذه المسألة.
٢- كون المسألة تتعلق بالنواحي الفقهية فهذا مما يتعارض مع منهجية البحث الذي يتناول النواحي العقدية.
[١٠١] الأم للشافعي (١/ ١١٧).
[١٠٢] إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، صاحب الإمام الشافعي، كان زاهدا عالما مجتهدا قوي الحجة، توفي سنة ٢٦٤ هـ. الأعلام (١/ ٣٢٩).
[١٠٣] أخرجه الدارقطنى فى السنن، كتاب الصلاة، باب صفة التشهد ووجوبه واختلاف الروايات فيه (١/ ٣٥١) وإسناده ضعيف جدا لأن فيه خارجة بن مصعب: متروك، وموسى بن عبيدة: ضعيف.
[١٠٤] أخرجه الدارقطنى في السنن، كتاب الصلاة، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد (١/ ٣٥٥) وإسناده ضعيف فيه عبد المهيمن بن عباس لا يحتج به.
[١٠٥] أخرجه أحمد في المسند (١١٩/٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٨).
[١٠٦] الرضف: الحجارة المحماة على النار، واحدتها: رضفة. النهاية (٢/ ٢٣١)
[١٠٧] أخرجه أحمد في المسند (٣٨٦/١، ٤١٠، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٦٠).وأخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الصلاة، باب تخفيف القعود (١/ ٦٠٦).ح ٩٩٥ وأخرجه الترمذي في السنن، أبواب الصلاة، باب ما جاء في مقدار القعود في الركعتين الأولبين (٢٠٢/٢) ح ٣٦٦. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. والعمل على هذا عند أهل العلم يختارون أن لا يطيل الرجل القعود في الركعتين الأوليين ولا يزيد على التشهد شيئا" انتهى كلامه.
[١٠٨] جلاء الأفهام (ص ٢٧٧- ٢٧٩).
[١٠٩] الحسن بن علي بن أب ي طالب، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته في الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه ثم تنازل عنها لمعاوية حقنا لدماء المسلمين، ومات سنة تسع وأربعين وقيل بعدها.الإصابة (١/ ٣٢٧- ٣٣٠).
[١١٠] الحديث إلى قوله "وتعاليت"، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر (٢/ ١٣٣-١٣٤). وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر (١/ ٣٢٨) ح ٤٦٤. وأخرجه ابن ماجه في السنن، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر (١/ ٢١٣) ح ١١٦٧، وقال الحافظ ابن حجر: الحديث-حسن صحيح. التلخيص (ص ٩٤- ٩٥).
[١١١] أخرجه النسائي في السنن (٣/ ٢٤٨) وقد انفرد النسائي بهذه الزيادة "وصلى الله على النبي"، وروايته ضعيفة، قال الحافظ ابن حجر هذه الزيادة في هذا السند غريبة لا تثبت وإن سنده لا يخلو إما من راو مجهول، أو انقطاع في السند.

[١١٢] عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني، تابعي ثقة فقيه مشهور، ولد في أوائل خلافة الفاروق، وتوفي سنة أربع وتسعين على الصحيح. تهذيب التهذيب (٨/ ١٨٠- ١٨٥).

[١١٣] عبد الرحمن بن عبد من غير إضافة القارئ بتشديد الياء من ولد القارة ابن الديش، ذكره العجلي في ثقات التابعين واختلف قول الواقدي فيه قال تارة له صحبة، وتارة تابعي، مات سنة ثمان وثمانين تقريب التهذيب (٢٠٦).

[١١٤] عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوق بن وهب القرشي الزهري، صحابي أسلم يوم الفتح، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وكان على بيت المال أيام عمر، وتوفي في خلافة عثمان. الإصابة (٢/ ٢٦٥).

[١١٥] وإليك نسعى ونحفد أي نسرع في العمل والخدمة. النهاية (١/ ٤٠٦).

[١١٦] أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٢٣٩- ٢٤٠) والبيهقي في السنن (٤/ ٣٩) ورجاله كلهم ثقات.

[١١٧] عبد الله بن الحارث الأنصاري أبو الوليد البصري، ثقة من رجال الشيخين. تهذيب التهذيب (٥/ ١٨١- ١٨٢).

[١١٨] معاذ بن الحارث الأنصاري النجاري أبو حليمة ويقال أبو الحارث المدني القاري، قال ابن عبد البر شهد الخندق، ويقال لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ست سنين، وهو الذي أقامه عمر فيمن أقام في رمضان ليصلي التراويح، يقال إنه قتل يوم الحرة. تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٨- ١٨٩).

[١١٩] فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٥) رقم ١٠٧، قال الألباني: "إسناده موقوف صحيح، وأبو حليمة معاذ هو أبن الحارث الأنصاري القاري قال ابن أبي حاتم: (٤/ ١/ ٢٤٦) "وهو الذي أقامه عمر يصلي بهم في. شهر رمضان صلاة التراويح وعبد الله بن الحارث هو أبو الوليد البصري ثقة من رجال الشيخين. ورواه ابن نصر في "قيام الليل" (ص ١٣٦) بلفظ "كان يقوم في القنوت في رمضان يدعو ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويستسقي الغيث".

[١٢٠] جلاء الأفهام (ص ٢٧٩- ٢٨١).

[١٢١] الأم (١/ ٢٣٩- ٢٤٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٩).

[١٢٢] أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري، ولد في حياة النبي علما وسمي باسم جده لأمه أسعد بن زرارة وكني بكنيته، وكان من أكابر الأنصار وعلمائهم، توفي سنة مائة للهجرة. تهذيب التهذيب (١/ ٢٦٣- ٢٦٤).

[١٢٣] سعيد بن المسيب بن حزن الخزومي القرشي، وسيد التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة، وكان زاهدا ورعا يعيش من كسب يده توفي سنة ٩٤ هـ. تهذيب التهذيب (٤/ ٨٤- ٨٨).

[١٢٤] فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٩) رقم ٩٤. و قال الألباني في تعليقه على هذا الكتاب: اسناده صحيح، وأبو أمامة هذا صحابي صغير كما قال ابن القيم، وقد رواه عن جماعة من الصحابة، فقال يونس عن ابن شهاب، قال أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف- وكان من كبراء الأنصار وعلمائهم، وأبناء الذين شهدوا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أخبره رجال من أصحاب

رسول الله في الصلاة على الجنازة أن يكبر الامام ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الحديث نحوه وزاد: قال الزهري: حدثنا بذلك أبو أمامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر ذلك عليه. قال ابن شهاب: فذكرت الذي أخبرني أبو أمامة من السنة في الصلاة على الميت لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيمة يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا أبو أمامة.
أخرجه الحاكم (١/ ٣٦٠) وعنه البيهقي (٤/ ٣٩، ٤٠) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، ورواه النسائي (١/ ٢٨١) من طريق الليث عن ابن شهاب به مختصرا " انتهي.
[١٢٥] (٢/ ٤٨٦).
[١٢٦] يحى بن يحى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي بالولاء، أبو محمد عالم الأندلس في عصره بربري الأصل، سمع الموطأ من مالك قال عنه الإمام مالك هذا عاقل أهل الأندلس، توفي بقرطبة سنة ٢٣٤ هـ. الأعلام (٨/ ١٧٦).
[١٢٧]سعيد بن كيسان المقبري أبو سعد المدني، ثقة جليل تغير قبل موته بأربع سنين، مات في حدود العشرين ومائة وقيل قبلها وقيل بعدها. تهذيب التهذيب (٤/ ٣٨- ٤٠).
[١٢٨] كيسان أبو سعيد المقبري مولى أم شريك، تابعي ثقة كثير الحديث توفي سنة مائة للهجرة. تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٣- ٤٥٤)
[١٢٩] الموطأ (ص ١٥١- ١٥٢) ح ٥٣٥، وأخرجه إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٩) ح ٩٣. وقال الألباني المحقق عند تعليقه عليه: إسناده موقوف صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه البيهقي في السق (٤/ ٤٠).
[١٣٠] جلاء الأفهام (ص ٢٨١- ٢٨٤).
[١٣١] الآيات (١- ٤) من سورة الشرح.
[١٣٢] أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٢، ٣٤٣). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الخطبة (٥/ ١٧٣) ح ٤٨٤١ وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (٣/ ٤١٤) ح ١١٠٦ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.
[١٣٣] تفسير الطبري (٣٠/ ٢٣٥).
[١٣٤] أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد (٦/ ٣٦٣)
[١٣٥] أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٢٣٥).
[١٣٦] عون بن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي الكوفي، ثقة من الرابعة، مات سنة ست عشرة ومائة. تهذيب التهذيب (١٧٠/٨).
[١٣٧] واسمه وهب بن عبد الله السرائي (بضم المهملة) ويقال اسم أبيه وهب أيضا، أبو جحيفة مشهور بكنيته، ويقال له وهب الخير، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر عمره وحفظ عنه ثم صحب عليا بعده وولاه شرطة الكوفة. مات سنة أربع رستين. الإصابة (٣/ ٦٠٦).
[١٣٨] المسند (١٠٦/١).

[١٣٩] جلاء الأفهام (ص ٢٨٦).
[١٤٠] تقدم تخريجه ص ٣٢٦
[١٤١] فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، صحابي جليل أسلم قديما ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا فما بعدها وشهد فتح مصر والشام قبلها، مات في خلافة معاوية. الإصابة (٣/ ٢٥١).
[١٤٢] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٧).، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ١٦٢) ح ١٤٨١ ، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب ادع تجب (٥/ ٥١٧) ح ٣٤٧٣، ٣٤٧٥ وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في سننه (٣/ ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٢) وصححه ووافقه الذهبي.
[١٤٣] أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٣٥٦). وقال أحمد شاكر بهامشه: "هذا موقوف بحكم المرفوع" وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ١٥٠، ١٥١). وقال: حسن- الصحيحة ٢٠٣٥.
[١٤٤] صحيح ابن خزيمة (٤٥٢) وابن حبان (٣٢١) موارد.
[١٤٥] فاطمة بنت الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمية المدنية روت عن أبيها وأخيها زين العابدين وغيرهم، وزوجها هو ابن عمها الحسن بن الحسن بن على، وتزوجها بعده عبد الله بن عمرو بن عثمان. وذكرها ابن حبان في الثقات، وقال: ماتت وقد قاربت التسعين. تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٢- ٤٤٣).
[١٤٦] فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم الحسنين سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في السنة الثانية للهجرة، وماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل. تقريب التهذيب (ص ٤٧١).
[١٤٧] أخرجه بهذا اللفظ: الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٧٢). والترمذي في السنن أبواب الصلاة باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد (٢/ ١٢٧، ١٢٨) ح ٣١٤، وقال الترمذي: "وفي الباب عن أبي حميد، وأبي أسيد، وأبي هريرة ، وقال: "حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى، وإنما عاشت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أشهرا". وأخرجه بلفظ: "إذا دخل المسجد يقول "بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج قال "بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك". الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٨٣). وابن ماجه في السنن، أبواب المساجد، الدعاء عند دخول المسجد (١/ ١٣٩) ح ٧٥٥ وله شاهد من حديث أبي حميد وأبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ا صلى الله عليه وسلم ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (١/ ٣١٧، ٣١٨) ح ٤٦٥ وهو عند مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب ما يقول إذا دخل

المسجد (٢/ ١٥٥) بلفظ إذا دخل المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم افتح لي أبواب فضلك وهو عند أحمد بهذا اللفظ (٥/ ٤٢٥). وهو عند النسائي بهذا اللفظ أيضا، انظر السنن كتاب المساجد باب القول عند دخول المسجد والخروج منه (٢/ ٥٣) وفي سنن ابن ماجه، أبواب المساجد، باب الدعاء عند دخول المسجد (١/ ١٣٩) ح ٧٥٦، قال رسول صلى الله عليه وسلم: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم" أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب المساجد، باب الدعاء عند دخول المسجد (١/ ١٣١) ح ٧٥٧، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا دخل المسجد ح ٩٠ وفيه: فليقل: اللهم باعدني من الشيطان بدل قوله: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم. وأخرجه من طريق آخر عن أبي هريرة ولم يذكر فيه السلام ح ٩١، ٩٢ وتعرض النسائي هنا لاختلاف ألفاظ الحديث فليراجع.
والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٥٢). وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٧) كتاب الصلاة ولفظه عند الحاكم إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨).

[١٤٨] الرد على الأخنائي (ص ١٤٧).

[١٤٩] الشفا (٢/ ٦٣٧).

[١٥٠] نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبد الله المدني، ثقة ثبت فقيه مشهور قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمره مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك. تهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٢- ٤١٤).

[١٥١] كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٦- ٣٧) ح ٨٧. وقال الألباني في تعليقه عليه: "إسناده موقوف منقطع فإن نافعا لم يدرك عمر، ولكن في إجلاء الأفهام نقلا عن المصنف أن ابن عمر فإن صح هذا فيكون قد سقط من نسختنا لفظة (ابن) ويكون السند حينئذ متصلا صحيحا، وهذا مما أستبعده، والله أعلم، انتهي كلامه.

[١٥٢] وهب بن الأجدع الهمداني الخارفي الكرفي، تابعي ثقة، روي عن عمر وعلي وعنه هلال بن سياف والشعبي، وكان قليل الحديث. تهذيب التهذيب (١/ ١٥٨).

[١٥٣] أخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣٤) ح ٨١ وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٢٩٢- ٢٩٣) وعزاه لجعفر بن عون وأبي ذر الهروي. وأورده السخاوي في القول البديع

(ص ٢٠٩) وعزاه للبيهقي وإسماعيل القاضي وأبي ذر الهروي وقال- أي السخاوي- اسناده قوي

[١٥٤] "ترة": النقص، وقيل التبعة. النهاية (١/ ١٨٩)

[١٥٥] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤) وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الدعاء، باب في القوم يجلسون لا يذكرون الله (٥/ ٤٦١) ح ٣٣٨٠ وقال حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٥٩) ح ٤٤٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦) وقال هذا حديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه وصالح ليس بالساقط وتعقبه الذهبي بقوله صالح ضعيف. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٢٢).

[١٥٦] أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١٠ وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٢٢) ح ٥٥

وقال الألباني في تعليقه عليه: إسناده صحيح موقوف ولكنه في حكم المرفرع.

[١٥٧] أخرجه النساثي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١١.

[١٥٨] أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، وهو أحد الثقات الأثبات الحفاظ، توفي سنة ٣٢١ ص. الأعلام (١/ ٢٠٦).

[١٥٩] عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أهله من سبي السند استقر بدمشق وهو من شيوخ الإسلام كان عابدا مجاهدا، قال عنه الحاكم: الأوزاعي إمام عصره عموما وإمام أهل الشام خصوصا، توفي ببيروت عام ١٥٧ ص. البداية والنهاية (١٠/ ١١٥- ١٢٠).

[١٦٠] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رغم أنف رجل" (٥/ ٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وقال: "وهذا حديث حسن غريب من هذا الرجه. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي على (ص ٩) ح ١٦ وقال الألباني في تعليقه عليه إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

[١٦١] أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٩) ح ١٨ وقال الألباني في تعليقه عليه إسناده حسن. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٨٧) والحديث روي كذلك من طرق أخرى عن كل من:

ا- كعب بن عجرة رضي الله عنه:

أخرجه إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٥) ح ١٩. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٣، ١٥٤) وصححه ووافقه الذهبي.

٢- أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال السخاوي في القول البديع (ص ١٤٨) أخرجه ابن أبي شيبة والبزار في مسنديهما.

٣- مالك بن الحويرث رضي الله عنه:
أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٨٦) موارد، وقال السخاوي (ص ١٤٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه وثقاته معا، والطبراني ورجاله ثقات لكن فيهم عمران بن أبان الراسطي وهو وإن وثقه ابن حبان وأخرج حديثه هذا في صحيحه فقد ضعفه غير واحد.
٤- جابر بن عبد الله رضي الله عنه:
أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٥). وقال السخاري في كتابه القول البديع (ص ١٤٨): رواه البخاري في الأدب المفرد والطبري في تهذيبه والدارقطي في الأفراد وهو حديث حسن ونحوه من وجه آخر عند الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة، وأشار إليه الترمذي في جامعه بقوله وفي الباب عن جابر وقد أخرجه النسائي وساقه الضياء في المختارة من طريق الطيالسي وقال هذا عندي على شرط مسلم. انتهي وفي ذلك نظر والله أعلم. ٥- جابر بن سمرة:
قال السخاوي: أخرجه الدارقطني في الأفراد والبزار في مسنده، والطبراني في الكبير والدقيقي في أماليه. وللحديث طرق أخرى ذكرها السخاوي في القول البديع (ص ١٤٧- ١٥١) ولا يتسع المجال هنا لذكرها. قال ابن القيم (ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المتعددة تفيد الصحة، جلاء الأفهام (ص ٢٩٥).
[١٦٢] أخرجه النسائبي في اليوم والليلة رقم (٦١) وابن السني (٣٨٣) وإسناده صحيح. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٣).
[١٦٣] الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسرن سنة. الاصابة (١/ ١ ٣٣- ٣٣٤).
[١٦٤] أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠١). والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل (٥/ ٥٥١) ح ٣٥٤٦ وقال: حديث حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة (٥٥). وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٨) موارد. والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٥) ح ٣٣.
[١٦٥] أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي (ص ١٦) رقم ٣٧ وقال الألباني في تعليقه عليه: حديث صحيح بشاهده المتقدم والآتي بعده، ورجال إسناده ثقات لولا الرجل الذي لم يسم. وقد رواه ابن أبي عاصم في "كتاب الصلاة" من طريتى أخرى عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي ذر، فأحد الطريقين يقوى الآخر.
[١٦٦] الآيتان (٢٣- ٢٤) من سورة الحديد.
[١٦٧] أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٩٦) عن جابر رضي الذ عنه والإمام أحمد في المسند (٣/٣٠٧).
[١٦٨] الآية (٧) من سورة الحديد.
[١٦٩] الآية (٢٠٨) من سورة البقرة.
[١٧٠] الآية (٥٩) من سورة النساء.

[١٧١] الآية (١٩٤) من سورة البقرة.
[١٧٢] الآية (٤٣) من سورة البقرة.
[١٧٣] الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران.
[١٧٤] الآية (١٧٥) من سورة آل عمران.
[١٧٥] الآية (١٥٠) من سورة البقرة.
[١٧٦] الآية (٧٨) من سورة الحج.
[١٧٧] الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.
[١٧٨] أخرجه ابن ماجة في السنن، أبواب إقامة الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١/ ١٦٤) ح ٨٩٥ وقال الألباني حسن صحيح (صحيح ابن ماجة ١/ ١٥٠). وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٧- ١٨) ح ٤١- ٤٢- ٤٣- ٤٤. وقال الألباني في تعليقه عليه: "إسناده مرسل صحيح، والحديث له طرق وإن كانت لا تخلو من ضعف فبعضها يقوي بعضا فالحديث وتقي بها إلى درجة الحسن على أقل الدرجات" انتهي كلامه. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٨) مرسلا عن محمد بن الحنفية. وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٣٨) رقم ٢٨٨٧ موصولا عن الحسين بن علي من طريق بشر بن محمد الكندي وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٤). وأخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤١٩) عن أبي هريرة.
[١٧٩] أورده ابن القيم وعزاه لسعيد بن الأعرابي " جلاء الأفهام (ص ٣٠١) وأورده السخاوي في القول البديع (ص ١٥٢) وقال أخرجه النميري من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في جامعه ورواته ثقات.
[١٨٠] تقدم تخريجه ص ٣٠٧
[١٨١] تقدم تخريجه ص ٣٠٨
[١٨٢] الآية (١٠) من سورة الفتح.
[١٨٣] الآية (٣١) من سورة آل عمران.
[١٨٤] هجيرى: الدأب والشأن.
[١٨٥] جلاء الأفهام (ص ٢٩٤ الى ٣٠٥).
[١٨٦] أوس بن أوس الثقفي، صحابي، سكن الشام ومات بها. الأصابة (١/ ٩٢) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٨١).
[١٨٧] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٨) وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي (ص ١١) رقم ٢٢. وأخرجه أبو داود في سننه (١/ ٦٣٥) كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ح ١٠٤٧. وأخرجه النسائي في السنن (٣/ ٩١) كتاب الجمعة، باب ذكر فضل الجمعة. وأخرجه ابن ماجة في سننه (١/ ١٩٥) أبواب إقامة الصلاة، باب فضل الجمعة ح ١٠٧١ وفي أبواب ما جاء في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٠٠) ح ١٦٣٧. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن حبان في صحيحه. انظر الموارد (٥٥٠). قال ابن القيم: "وقد أعله بعض الحفاظ بأن حسينا الجعفي حدث به عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعت الصنعاني، عن

أوس بن أوس، قال ومن تأمل هذا الإسناد لم يشك في صحته، لثقة رواته وشهرتهم وقبول الأئمة أحاديثهم وعلته: أن حسينا الجعفي لم يسمع من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وإنما سمع من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، وعبد الرحمن بن يزيد ابن تميم لا يحتج به، فلما حدث به حبن الجعفي غلط في اسم الجد، فقال ابن جابر، وقد بين ذلك الحفاظ ونبهوا عليه.

فقال البخاري في التاريخ الكبير "(٥/ ١٣٦٥) عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي الشامى عن مكحول، سمع منه الوليد بن مسلم، عنده مناكير، ويقال: هو الذي روى عنه أبو أسامة وحسين الجعفي، وقالا: هو يزيد بن جابر، وغلطا في نسبه ونريد بن تميم أصح، وهو ضعيف الحديث. وقال الخطيب: روى الكوفيون أحاديث عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ووهموا في ذلك، والحمل عليهم في تلك الأحاديث. وقال موسى بن هارون الحافظ: روى أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وكان ذلك وهنا منه، وهو لم يلق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وإنما لقي عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، فظن أنه ابن جابر نفسه، وابن تميم ضعيف. وقد أشار غير واحد من الحفاظ إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة.

وجواب هذا التعليل من وجوه:

أحدها: أن حسينا الجعفي قد صرح بسماعه له من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال ابن حبان في صحيحه: حدثنا ابن خزيمة، حدثنا أبو كريب، حدثنا حسين بن علي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فصرح بالسماع منه.

وقولهم: إنه ظن أنه ابن جابر وإنما هو ابن تميم، فغلط في اسم جده بعيد، فإنه لم يكن يشببه على حسين هذا بهذا، مع نقده وعلمه بهما وسماعه منهما.

فإن قيل: فقد قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب "العلل" سمعت أبي يقول عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، لا أعلم أحدا من أهل العراق يحدث عنه، والذي عندي أن الذي يروي عنه أبو أسامة وحسين الجعفي واحد، وهو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم لأن أبا أسامة روى عن عبد الرحمن بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة خمسة أحاديث أو ستة أحاديث منكرة، لا يحتمل أن يحدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بمثله، ولا أعلم أحدا من أهل الشام روى عن ابن جابر من هذه الأحاديث شيئا. وأما حسين الجعفي فإنه يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث، عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة أنه قال: "أفضل الأيام يوم الجمعة، فيه الصعقة وفيه النفخة، وفيه كذا" وهو حديث منكر لا أعلم أحدا رواه غير حسين الجعفي، وأما عبد الرحمن بن-نريد بن تميم فهو ضعيف الحديث، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة، تم كلامه. قيل: وقد تكلم في سماع حسين الجعفي، وأبي أسامة من ابن جابر فأكثر أهل الحديث أنكروا سماع أبي أسامة منه. قال شيخنا (أبو الحجاج المزي) في التهذيب: قال ابن نمير- وذكر أبا أسامة- فقال: الذي-يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يرى أنه ليس بابن جابر المعروف، ذكر لي أنه رجل يسمى باسم ابن جابر، قال يعقوب: صدق، هو عبد الرحمن ابن فلان بن تميم، فدخل عليه أبو أسامة فكتب عنه هذه الأحاديث فروى عنه، وإنما هو إنسان يسمى بابن جابر. قال يعقوب: وكأني رأيت ابن نمير يتهم أبا أسامة أنه علم ذلك وعرف

ولكن تغافل عن ذلك قال: وقال لي ابن نمير أما ترى روايته لا تشبه سائر حديثه الصحاح الذي روى عنه أهل الشام وأصحابه؟ وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سكت محمد بن عبد الرحمن ابن أخي حسين الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فقال قدم الكوفة عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثم قدم عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بعد ذلك بدهر والذي يحدث عنه أبو أسامة ليس هو ابن جابر، بل هو ابن تميم وقال ابن داود سمع أبو أسامة من ابن المبارك عن ابن جابر وجميعا يحدثان عن مكحول، وابن جابر أيضا دمشقي، فلما قدم هذا قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد الدمشقي، وحدث عن مكحول، فظن أبو أسامة أنه ابن يزيد ابن جابر الذي روى عنه ابن المبارك وابن جابر ثقة مأمون يجمع حديثه، وابن تميم ضعيف.

وقال أبو داود: متروك الحديث، حدث عنه أبو أسامة وغلط في اسمه، وقال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الشامي وكل ما جاء عن أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد، فإنما هو ابن تميم.

وأما رواية حسين الجعفي عن ابن جابر، فقد ذكر شيخنا في التهذيب وقال: روى عنه حسين بن علي الجعفي، وأبو أسامة حماد بن أسامة إن كان محفوظا فجزم برواية حسين عن ابن جابر، وشك في رواية حماد فهذا ما ظهر في جواب هذا التعليل.

ثم بعد أن كتبت ذلك رأيت الدارقطني قد ذكر ذلك نصا فقال في كلامه على كتاب أبي حاتم في "الضعفاء" قوله: حسين الجعفي روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وأبو أسامة- روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم. فيغلط في اسم جده، تم كلامه.

وللحديث علة أخرى: وهي أن عبد الرحمن بن يزيد لم يذكر سماعه من أبي الأشعث.

قال علي بن المديني،: حدثنا الحسين بن علي بن الجعفي، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر سمعته يذكر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس... فذكره.

وقال إسماعيل بن إسحاق في كتابه (ص ١١) رقم ٢٢ حدثنا على بن عبد الله... فذكره. وليست هذه بعلة قادحة فإن للحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وأبي مسعود الأنصاري، وأنس بن مالك والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى كلام ابن القيم جلاء الأفهام (ص ٦٩- ٧١).

[١٨٨] مصيخة: أي مستمعة، مصغية.

[١٨٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة (٣/ ٦) وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة (٢/ ٣٥٩) ح ٤٨٨. وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب ذكر فضل يوم الجمعة (٣/ ٨٩). وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٠٨).

[١٩٠] جلاء الأفهام (ص ٧١).

[١٩١] أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب ما جاء في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٠٠) ١٦٣٨، وقال في الزوائد: هذا حديث صحيح، إلا أنه منقطع في موضعين لأن عبادة روايته عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلاء، وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة قاله البخاري. وقال السخاوي: أخرجه ابن ماجه ورجاله ثقات لكنه منقطع. وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظ: "أكثروا الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم

مشهود تشهده الملائكة ليس من عبد يصلي علي إلا بلغتني صلاته حيث كان" قلنا وبعد وفاتك قال: "وبعد وفاتي إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء". وقال العراقي إن إسناده لا يصح. القول البديع (ص ١٦٤).

[١٩٢] صدي (بالتصغير) ابن عجلان بن الحارث الباهلي، أبو أمامة صحابي مشهور يكنيه، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين. الأصابة (٢/ ١٧٥- ١٧٦).

[١٩٣] أخرجه البيهقي في السنن (٣/ ٢٤٩). وقال السخاوي: رواه البيهقي بسند حسن لا بأس به، إلا أن مكحولا قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة في قول الجمهور. وقد رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس له فأسقط منه ذكر مكحول وسنده ضعيف القول البديع (ص ١٦٤). وقال ابن القيم: ولكن لهذا الحديث علتان:

إحداهما: أن برد بن سنان قد تكلم فيه، وقد وثقه يحى بن معين وغيره.

العلة الثانية: أن مكحولا قد قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة والله أعلم. جلاء الأفهام (ص ٧٢- ٧٣).

[١٩٤] قال السخاوي: رواه الطبراني بسند لا بأس به في المتابعات، القول البديع (ص ١٦٢).

[١٩٥] أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٤٤) وسنده ضعيف، كما ذكر السخاوي فيه ثلاثة رواة ضعفاء هم: جبارة بن مغلس، وأبو إسحاق خازم، ويزيد الرقاشي. القول البديع (ص ١٦٢).

[١٩٦] جلاء الأفهام (ص ٧٣).

[١٩٧] الكامل لابن عدي (٣/ ١٠٣٩).

[١٩٨] زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي، رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبض وهو في الطريق، ثقة جليل، كثير الحديث، توفي سنة ست وتسعين وقيل قبلها. تهذيب التهذيب (٤٢٧/٣).

[١٩٩] جلاء الأفهام (ص ٧٣، ٧٤) والقول البديع (ص ١٥٩).

[٢٠٠] أورده السخاوي في القول البديع وقال: رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد والبيهقي في شعب الإيمان وحياة الأنبياء في قبورهم له، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة له، وفي سنده أبو رافع وهو إسماعيل بن رافع وثقه البخاري وقال يعقوب بن سفيان يصلح حديثه للشواهد والمتابعات لكن قد ضعفه النسائي ويحي بن معين وقيل إنه منكر الحديث (ص ١٦٤). وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١٠) وقال: وفيه إسماعيل بن رافع قال يعقوب بن سفيان: يصلح حديثه للشواهد والمتابعات.

[٢٠١] الحسن البصري وقد تقدم ترجمته ص ٢٦٩

[٢٠٢] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين انظر (ص ١٣) ح ٢٨، ح ٢٩، قال الألباني: حديث صحيح بشاهده عن أوس بن أوس.

[٢٠٣] أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١١) وعزاه لابن وضاح، والسخاوي في القول البديع (ص ١٩٩- ٢٠٠) وعزاه لابن وضاح وابن بشكوال.

[٢٠٤] من المواطن التي ذكرها ابن القيم غير ما تقدم ما يلي:

١- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند استلام الحجر الاسود.

٢- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره.
٣- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو غيرها.
٤- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا قام الرجل من نوم الليل.
٥- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب ختم القرآن.
٦- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند القيام من المجلس.
٧- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند المرور على المساجد ورؤيتها.
٨- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند الهم، والشدائد وطلب المغفرة.
٩- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم
١٠- الصلاة عليه في عند تبليغ العلم إلى الناس، والتذكير والقصص.
١١- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول النهار وآخره.
١٢- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه.
١٣- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند العطاس.
١٤- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الوضوء.
١٥-- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند دخول المنزل.
١٦- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله سبحانه وتعالى.
١٧- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الصلوات.
١٨- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند النوم.
١٩- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أثناء صلاة العيد.

[٢٠٥] بدائع الفوائد (٢/ ١٩٠).

[٢٠٦] تقدم تخريجه ص ٣٨١.

[٢٠٧] تقدم تخريجه ص ٣٢٦.

[٢٠٨] تقدم تخريجه.

[٢٠٩] يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي، أبو يوسف المدني، قاضي المدينة، ثقة قليل الحديث و مات في ولاية أبي جعفر. تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٥).

[٢١٠] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٨٧) ح رقم ١٣ وقال: قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان: عمن أسنده؟ قال: لا أدري، وقال الألباني في تعليقه: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له الحديث الذي بعده- يعني الحديث الذي تقدم ذكره.

[٢١١] أخرجه النسائي في عمل أليوم والليلة (ص ١٦٥) ح رقم ٦١ باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وابن السني في، عمل أليوم والليلة (ص١٣٥، ١٣٦) ح رقم ٣٨٠

[٢١٢] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٢، ٢٦١). والبخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤، ٩٥) باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦) ح ٦٣ باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٩٥).

[٢١٣] أخرجه النسائي في السنن (٣/ ٥٠) باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥، ١٦٦) ح ٦٢، ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وكل من رواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات".
ورواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات" جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعفى الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس، وقد ذكر ابن القيم أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئا، لأن الحسن لاشك في سماعه من أنس، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضا هذا الحديث، فرواه ابن حبان في صحيحه موارد ٢٣٩٠ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) من حديث يونس بن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم، قال سمعت أنس بن مالك... نذكره. ولعل بريدا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس، فحدث به على الوجهين، فإنه قال: كنت أزامل الحسن بن محمد، فقال حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم". جلاء الأفهام (ص ٥٦).
[٢١٤] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤) ح ٤. وقال الألباني: إسناده ضعيف، ولكن المرفوع من الحديث صحيح له شواهد كثيرة.
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢١٥] أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥) ح رقم ٥. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) عن أوس بن الحدثان عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره. وهذا الحديث والذي قبله هما من طريق سلمة بن وردان وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (٢/ ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ وسلمة بن وردان ضعيف بغير تهمة، فيصلح للاستشهاد به وللحديث شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن عرف.
[٢١٦] عبد الرحمن بن عوف الزهري، ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل دخول دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد رجال الشورى الستة، توفي سنة ٣١ ص وقيل سنة ٣٢ ص وهو الأشهر. الإصابة (٤٠٨/٢-٤١٠).
[٢١٧] أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥) ح ٧ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩١/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٧) (رواه أحمد ورجاله ثقات). وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٢) وقال هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
[٢١٨] الأسراف بالفتح آخره "فاء" موضع شامي البقيع. وفاء الوفاء (٤/ ١١٢٥).
[٢١٩] أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبوي صلى الله عليه وسلم (ص ٦- ٧) ح ١٠.

[٢٢٠] أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٦٤) وعزاه لابن أبي الدنيا والسخاوي في القول البديع (ص ١١٢) وعزاه لابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا.
[٢٢١] أخرجه إسماعيل القاضي فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ص ٣ ح رقم ١
[٢٢٢] أخرجه الأمام أحمد في المسند (٤/ ٣٠). وإسماعيل القاضي، في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٣- ٤) ح ٢، والنسائي في السنن (٣/ ٤٤ و ٥٠) كتاب الصلاة، باب فضل التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، وباب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ ابن حجر (رواته ثقات) فتح الباري (١٦٧/١١) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩١) موارد.
[٢٢٣] أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٩).
قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ عن رواية أحمد هذه "وهذا إسناد ضعيف، لسوء حفظ أبي معشر، وإسحاق بن كعب مجهول الحال فهر إسناد لا بأس به في الشواهد والمتابعات" انتهي كلامه والحديث له شواهد متعددة سبق ذكر بعضها.
[٢٢٤] هانيء بن نيار بن عمرو البلوي أبو بردة بن نيار حليف الأنصار، خال البراء بن عازب مشهور بكنيته وقيل اسمه الحرث وقيل مالك والأول أشهر، صحابي جليل شهد بدرا وما بعدها، مات في أول خلافة معاوية. الإصابة (٣/ ٥٦٥) – (١٩/٤).
[٢٢٥] أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦، ١٦٧) ح رقم ٦٤، باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن حجر: رواته ثقات. فتح الباري (١١/ ١٦٧). وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٨٣، ٨٤) وعزاه للطبراني في المعجم الكبير وابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
[٢٢٦] تقدم تخريجه (ص ٥٣٥).
[٢٢٧] سنن النسائي (٣/ ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال الألباني في صحيح سنن النسائي، صحيح الترمذي (٣٧٢٤)
[٢٢٨] أخرجه الترمذي في سننه (٢/ ٣٥٤) باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٤٨٤ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٨٩). وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام وعزاه كذلك إلى البزار والبغوي جلاء الأفهام (ص ٥٣). وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ١٦٧) وله شاهد عند البيهقي عن أبي أمامة بلفظ "صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة" ولا بأس بسنده انتهي كلامه.
[٢٢٩] جلاء الأفهام (ص ٣٣٥، ٣٤٤) بتصرف.
[٢٣٠] تقدم تخريجه ص ٤٧٢

[٢٣١] تقدم تخريجه ص ٣٢٨
[٢٣٢] تقدم تخريجه ص ٥٤٨

٣٤. ١١- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة [الشفاعة - الاستغاثة به - أمور مبتدعة]

المطلب الثاني: الكلام على مسألة الشفاعة

أ- أما الشفاعة فمعناها في اللغة:

قال صاحب اللسان: "شفع لي يشفع، شفاعة، وتشفع: طلب.

وروي عن المبرد وثعلب [١] أنهما قالا في قوله تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [٢] قالا: الشفاعة الدعاء ههنا.

والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.

وشفع إليه: في معنى طلب إليه.

والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب.

يقال: تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه.

واسم الطالب: شفيع.

واستضفعته إلى فلان: أي سألته أن يشفع لي إليه.

وتشفعت إليه في فلان: فشفعني فيه تشفيعًا" [٣].

ويتضح من النقل السابق ما يلي:

١- أن معنى الشفاعة في اللغة: الدعاء والطلب.

٢- أن الشفاعة لها أركان أربعة:

١- الطلب ٢- المشفع فيه أي صاحب الحاجة، ٣- الشافع أو الشفيع، ٤- المشفوع إليه.

وهذه الأركان الأربعة مذكورة في كلام صاحب اللسان حيث قال:

"الشفاعة، كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها للغير" فهناك:

١- شفيع، ٢- ملك، ٣- حاجة، ٤- وغير.

٣- أن الشفاعة في لغة العرب لابد فيها من طلب الشافع للسائل، فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه.

قال صاحب اللسان: "الشافع الطالب لغيره، واسم الطالب: شفيع. وهذا لا يكون إلا بوجود الشافع وحضوره. وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة ليس هذا استشفاعا في اللغة".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كثير من العامة يقولون لمن توسل في دعائه بنبي أو غيره: قد تشفع به. من غير أن يكون المتشفع به شفع له ولا دعا له، بل قد يكون غائبا لم يسمع كلام ولا شفع له. وهذا ليس هو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء الأمة بل ولا هو لغة العرب. فان الاستشفاع: طلب الشفاعة. والشافع: هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه. وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة بل وقد لا يعلم بسؤاله، فليس هذا

استشفاعا لا في اللغة ولا في كلام من يدري ما يقول. نعم هذا سؤال به، ودعاؤه، ليس هو استشفاعا به" [٤].

فالشفاعة في لغة العرب ولغة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، لابد فيها من "طلب الشافع" وهذا لا يكون إلا بوجوده وحضوره.

وأما توسل الشخص في دعائه بنبي أو غيره، وتسمية بعض المبتدعة لهذا استشفاعا أي سؤالا بالشافع، وصاروا يقولون: استشفع به فيشفعك، أي يجيب سؤالك به، فهذا من تغيير معنى الشفاعة في اللغة والشرع، وأصحابه أرادوا أن يغيروا اللغة كما غيروا الشريعة.

ب- معنى الشفاعة في خطاب الشارع:

معنى الشفاعة في استعمال الشارع هو الدعاء كما ورد في وضع اللغة فمما ورد في ذلك مما رواه أبو هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته على الجنازة: "اللهم أنت ربها وأنت خالقها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفرلها" [٥].

وعن أنس وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه" [٦].

هذا وقد جاءت النصوص الشرعية بذكر نوعين من الشفاعة:

النوع الأول: الشفاعة المنفية.

النوع الثاني: الشفاعة المثبتة.

أما النوع الأول: أي الشفاعة المنفية.

فإنه لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [٧].

وقال تعالى: {اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [٨].

فقد نفي الله هذه الشفاكة رنزه نفسه عنها، ونفي أن يكون للخلق من دونه من ولي أو شفيع كما قال تعالى {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [٩].

وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} [١٠].

وهذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته" [١١].

وأصحاب هذه الشفاعة المنفية جعلوا وسائط بين الله وبين خلقه -كالحجاب الذي لن الملك ورعيته- بحيث يكون أولئك الوسائط هم الذين يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فهم يعتقدون أن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك: يسألون الملوك حوائج الناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبه من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج.

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه: فهو مشرك، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادًا وفي القرآن الكريم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع المجال لذكره ههنا.
ومعلوم أن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس، يكونون على أحد وجوه ثلاثة:
١- إما لإخبارهم من أحوال الناس مما لا يعرفونه.
أو أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه.
٢- وإما أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته، والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج.
فإذا خاطب الملك من ينصحه، ويعظمه، أو من يدل عليه، بحيث يكون يرجوه أو يخافه: تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه.
وكل هذه الأمور ممتنعة في حق الله تعالى.
فمن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر.
بل هو سبحانه يعلم السر وأخفي، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير.
قال تعالى: {إِنَّ اللَّـهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ} [١٢] وقال تعالى: {وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّـهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ} [١٣]. والله سبحانه ليس له ظهير، ولا ولي من الذل.
قال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّـهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [١٤].
وقال تعالى {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً} [١٥].
وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه، وربه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك.
والله تعالى ليس له شريك في الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.
وهو سبحانه رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.
وهو سبحانه لا يرجو أحدا ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني قال تعالى: {أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} [١٦].
فالمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند ملوكهم.

قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [١٧].

وقال تعالى {فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [١٨].

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [١٩] [٢٠]

فالمشرك يقصد فيما يشرك به:

١- أن يشفع له عند الله.

٢- أن يتقرب بعبادته إلى الله.

وهذا بعينه هو ما يوجد عند عباد القبور نعوذ بالله من حالهم.

وأما الشفاعة المثبتة: فهي الشفاعة الشرعية المخالفة لما عليه المشركون.

وهي التي أخبر الله تعالى أنها لا تنفع إلا بشرطين:

- الأول: إذنه سبحانه للشافع أن يشفع.
- الثاني: رضاه سبحانه عن المشفوع له.

قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [٢١].

وقال تعالى: {لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [٢٢].

وقال تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} [٢٣].

وقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً} [٢٤].

وهذه الشفاعة منها ما هو في الدنيا. ومنها ما هو في يوم القيامة. والشفاعة كما سبق وأن ذكرنا هي: الدعاء.

ولا يرب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك.

فمشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى.

ولقد كان الصحابة يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه، وهذا من الشفاعة في الدنيا.

وفي يوم القيامة يطلب الناس الشفاعة من الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء، وله شفاعات يختص بها.

ولكن لابد في هذه الشفاعة من الشرطين السابقين أي إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له.

فالداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله في ذلك، فلا يشفع شفاعة نهي عنها: كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [٢٥].

وقال تعالى في حق المنافقين {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [٢٦].

وقال تعالى {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [٢٧].
وشرط الرضي غير متحقق في المشفوع له مع أن الشافع هنا هو خير الخلق وأعظمهم قدرا عند الله تعالى. وقد قال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [٢٨] أي المعتدين في الدعاء.
ومن الاعتداء في الدعاء: أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل: أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم، أو مغفرة المشركين ونحو ذلك، أو يسأله ما فيه معصية الله كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان.
فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة: شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان.
والأنبياء لو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه، فإنهم معصومون أن يقروا على ذلك.
كما قال نوح {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [٢٩] قال تعالى {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [٣٠].
{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [٣١].
وكل داع شافع، دعا الله سبحانه وشفع: فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته، فهو الذي يجيب الدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى.
وإذا كان كذلك: فالالتفات إلى الأسباب بالكلية شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل.
والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء.
فالدعاء للغير، ينتفع به الداعي، والمدعو له، وإن كان الداعي دون المدعو في الدرجة والمنزلة.
فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له.
فمن قال لغيره أدع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى. فهو نبه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه لكونه دعا إليه. وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل" [٣٢].
وعند النظر في نصوص الشرع الواردة في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نجد أن هناك شفاعة أخروية له في يوم القيامة، وشفاعة دنيوية في حياته.
أما الشفاعة الأخروية: فقد أجمع المسلمون على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة.

ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واستفاضت به السنن من أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر من أمته ويشفع لعموم الخلق.
فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد، وشفاعات فيها وغيره من الأنبياء والصالحين سواء، ولكن ما له فيها أفضل مما لغيره، فإنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيح أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده.
أما الشفاعة الدنيوية (التي كانت في حياته)، فقد أجمع أهل العلم على أن
الصحابة كانوا يستشفعون به ويتوسلون به في حياته بحضرته. كما ثبت في أحاديث الاستسقاء، وهذا الاستشفاع هو طلب للدعاء منه، فإنه كان يدعو للمستشفع والناس يدعون معه، كما جاء في الحديث الثابت في الاستسقاء أن المسلمين لما أجدبوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه أعرابي فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: "اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا" [٣٣].
فهذا يبين أن معنى الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم هو استشفاع بدعائه وشفاعته. وهذا ما فهمه الصحابة وعملوا به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فعمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" [٣٤]. وكذلك معاوية بن أبي سفيان -لما أجدب الناس بالشام- استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي [٣٥] فقال: "اللهم إنا نستشفع ونتوسل بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك "فرفع يديه ودعا، ودعا الناس حتى سقوا" [٣٦].
فهم لم يستسقوا ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد.
فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.
وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا ويستشفعوا به ويقولوا في دعائهم في الصحراء بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بالمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به، فيقولون نسألك أو نقسم عليك أو نستشفع عليك أو نستشفع بنبيك أو جاه نبيك، ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس.
ولكنهم لم ينقل عنهم أنهم توسلوا أو استشفعوا بمثل هذه العبارات فهذا يؤكد ويبرهن على أن التوسل بالذات في حضور الشخص أو مغيبة أو بعد موته أمر لم يشرعه لهم الشارع ولم يكن معروفا عندهم.

المطلب الثالث: الكلام على مسألة الاستغاثة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الاستغاثة: طلب الإغاثة والتخليص من الكربة والشدة. والنبي صلى الله عليه وسلم في حياته يجوز أن يستغاث به، فيطلب منه أن ينصر المظلوم، ويطعم الجائع، ويسقى الظمآن، ويخلص الأسرى، ويقضي الدين عن المدين، ويبين الدين، ويزيح شبهات المعارضين ويجب السائلين ونحو ذلك.

ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الناس عملاً، وأعظمهم حرصًا على البر والتقوى، بل كل خير في الوجود فهو معين عليه بل له مثل أجر كل عامل خير من أمته فإنه هو الذي دعا إلى ذلك "من دعا إلى الهدى كان له مثل أجور من تبعه من غير أن يتقص من أجورهم شيئا" [٣٧] [٣٨].

واستغاثة الصحابة به في القحط، إنما به استغاثوا به ليدعو لهم كما يستغيث الناس به يوم القيامة ليشفع لهم.

والاستغاثة بالمخلوق ليدعو للعبد أو ليعينه بما يقدر عليه ليس بممنوع منه. وإنما الممنوع أن يستغاث به فيما لا يقدر عليه، وأن يقسم على الله به ولاسيما إذا كان المخلوق ميتًا أو غائبًا فلا يجوز أن يستغاث به فيما يقدر عليه حيًا، ولا فيما لا يقدر عليه.

(وأما قول من يقول إن الاستغاثة به بعد موته ثابتة ثبوتها في حياته فهو كلام باطل قطعا لأنه يلزم من ذلك أن يطلب منه أن يخرج إلى الغزوات ويقيم الحدود ويعود المريض فاعلاً ذلك ببدنه كما كان يفعل ذلك في حياته فهل يقول هذا إنسان؟ أو يحتاج رد هذا إلى برهان" [٣٩].

فليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجبًا ولا مستحب كما ليس ذلك على غيره من الناس، بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق، فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل ما كان يؤمر به في حال الحياة من واجب ومستحب.

ولا يستطع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثةً ولا نصرًا ولا إعانة ولا استسقوا بقبره ولا استنصروا به كما كانوا يطلبون ذلك منه في حياته" [٤٠].

ويفهم من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيها تفصيل. فهناك استغاثة جائزة مشروعة وهي:

١- إما بالطلب منه في حياته فيما يقدر عليه وهذه لم ينازع فيها أحد.

٢- وإما بالطلب منه في عرصات يوم القيامة أن يشفع لهم وهذه ما دلت عليه النصوص الثابتة.

وهناك استغاثة غير مشروعة بل هي شركية وهي عائدة إلى شيئين:

١- الاستغاثة به بعد موته.

٢- أن يطلب منه ما لا يقدر عليه.

وكلا الأمرين يجتمعان فيمن استغاث به بعد موته.

ومن تلفظ بهذه العبارة من المبتدعة فهو يريد بها أحد أمرين إما أن يطلب الإغاثة من الرسول نفسه لاعتقاده أن له تصرفا في هذه الأمور وقدرة على تحصيلها وهذا هو اعتقاد كثير من العوام وهو ما يدل عليه استعمال الكلمة في لغة العرب.

وإما أن يكون مراده بهذه العبارة الطلب من الله بواسطة الرسول أي أنه متوسل به إلى الله تعالى وهذا المعني يأباه استعمال العرب لهذه اللفظة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة فقد أخطأ فالمستغاث به هو المسئول.
وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب به إلى المسئول [٤١].
(والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاسغاثة به.
وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال، فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة، لم يتمكن من مداواة أصحابها، وإزالة شبهاتهم، فوقع لي أن سبب هذا الضلال والاشتباه عليهم أنهم عرفوا أين يقال سألت الله بكذا كما في الحديث "اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان" [٤٢].
ورأى أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما يتعد السؤال كقوله {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ} [٤٣].
وقوله {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [٤٤].
فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله، سألت بفلان.
والمتوسل إلى الله بغائب أو ميت تارة يقول: أتوسل إليك بفلان، وتارة يقول أسألك بفلان.
فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة فإما أن يقول أستغيثك بفلان، أو أستغيث إليك بفلان.
ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب.
وأصل الشبهة على هذا التقدير، أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثا مدعوًا مسؤلاً مطلوبًا منه.
فإذا قيل توسلت به، أو سألت به، أو توجهت به فهي الاستغاثة كما تقول كتبت بالقلم.
وهم يقولون استغيثه به من الإغاثة كما يقولون استغثت الله واستغثت به من الغوث، فالله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه.
وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤلاً مطلوبًا منه.
وأما إذا قالوا استغثت به من الإغاثة فقد يكون مسؤلاً وقد لا يكون مسؤلاً.
وكذلك استنصرته، واستنصرت به، فإن المستنصر يكون مسؤلاً مطلوبًا.
وأما المستنصر به فقد يكون مسؤلاً وقد لا يكون مسؤلاً. فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.
وقول القائل: استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الإغاثة لا بمعنى توسلت به.
فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله" [٤٥].
فإذا كان معنى الاستغاثة هو الطلب منه، فما الدليل على أن الطلب منه ميتًا كالطلب منه حيًا.
ولا يمكن لأحد أن يذكر دليلا شرعيًا على أن سؤال الموتى من الأنبياء والصالحين وغيرهم مشروع. بل الأدلة على تحريم ذلك كثيرة جدًا، فهذه الاستغاثة وتوجه القلب إلى المسئول بالسؤال والإنابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "سؤال الميت والغائب نبيًا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، لا استحبه أحد من أئمة المسلمين.
وهذا مما يعلم بالاضطرار من المسلمين أن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به نازلة أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك أو اقضي حاجتي، كما يقول بعض هؤلاء المشركين، لمن يدعونهم من الموتى والغائبين.
ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلا ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء ولا الصلاة عندها.
وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف.
وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال: قبر فلان الترياق المجرب، وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره، وقول بعض الشيوخ لمريده: إذا كانت لك حاجة فاستغث بي، أو قال: استغث عند قبري، ونحو ذلك فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم.
وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته، وربما قضى بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه، أو أنه ملك تصور على صورته، وأن هذا من كراماته فيزداد به شركا وفيه مغالاة، ولا يعلم أنا هذا من جنس ما تفعله الشياطين بعباد الأوثان، حيث تتراءى أحيانا لمن تعبدها وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وتقضي لهم بعض الطلبات.
لكن هذه الأمور كلها محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة.
وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الإسلام والسفر إليها محدث في الإسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة، بل ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعالوا قالت عائشة رضي الله عنها: "لولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدًا" [٤٦].
وثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا ا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" [٤٧].
ولما أجدبوا في خلافة عمر رضي الله عنه استسقى عمر بالعباس وقال: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك نبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" [٤٨].
فلم يذهبوا إلى القبور، ولا توسلوا بميت ولا غائب، بل توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان توسلهم به توسلهم بدعائه كالإمام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، فهذا لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز.
فكيف يقول القائل للميت أنا أستغيث بك، وأستجير بك وأنا في حسبك وسل لي الله ونحو ذلك، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة ولو قدر أنَّ لما يفعلونه تأثيرا، فليس هو من الأسباب المشروعة، ولا له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير الله تعالى، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب ميت من تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجه كما تفعل شياطين الأصنام بعبادها، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يعرف هذا" [٤٩].
وقال أيضا: "وسؤال الخلق هو في الأصل محرم لأن فيه أنواع الظلم الثلاثة:
١- الظلم في حق الله بالشرك.
٢- الظلم للمسؤول، فإن فيه إيذاء له.
٣- وظلم الإنسان نفسه لما فيه من تعبيدها لغير الله.
وقد ألح من ذلك من سؤال الحي ما دل الشرع على إباحته وأما سؤال الميت والغائب فلم يأذن الله به قط.
ومن عدل عما أمر به الرسول من عبادة الله وحده والتوكل عليه والرغبة إليه وطاعته فيما أمر به من الإحسان والخير الذي ينتفع به هو وهم وغيره من المخلوقين، فإن العبد كلما عمل بما أمرت به الرسل كان لهم مثل أجره وحصل له هو من الخير من إجابة دعائه ونفعه وغير ذلك.
فمن عدل عن هذه الرحمة والخير وسعادة الدنيا والآخرة إلى أن يفعل ما لم تأمر به الرسل بل اتخذهم أربابا يسألهم ويستغيث بهم في مماتهم ومغيبهم وغير ذلك كان مثله مثل النصارى فإن المسيح قال لهم: {عْبُدُوا اللَّـهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} [٥٠] وقال {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ} [٥١].
فلو امتثلوا أمره كانوا مطعين لرسل الله موحدين لله، ونالوا بذلك السعادة من الله تعالى في الدنيا والآخرة.
ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، يستغيثون بهم، وكذبوا بالرسول الذي بشر به، وحرفوا التوراة التي صدق بها، فظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح، وكان هذا من جهلهم وضلالهم" [٥٢].
فخلاصة القول: إن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وسؤاله والاستغاثة به وغير ذلك مما يفعل عند قبره أو بعيدًا عنه هو من الدين الذي لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين [٥٣].
وأما ما يحتج به أهل البدع الذين يفعلون مثل هذه الأمور ويدعون الناس إليها فشبههم لا تخرج عن أحد الأمور التالية:
١- إما آيات وأحاديث صحيحة يتأولونها ويتعسفون في تفسيرها حتى توافق ما جاءوا به من الباطل مع أنه ليس فيهات دلالة على ما يزعمون ويدعون.

٢- وإما أحاديث واهية أو موضوعة لا يحتج بها ولا يعتمد عليها بل هي مخالفة لأهم قواعد هذا الدين المبنية على الآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة.
وهذا الصنف هو أغلب بضاعتهم، بل وأكثر ما يستدلون به عند عرض بدعههم، إما جهلا منهم بحكم هذه الأحاديث، أو لعلمهم بأن هذا النوع من الأدلة هو مما يسهل ترويج باطلهم عند العوام الذين لا يستطيعون أن يميزوا لون الصحيح والضعيف من الأحاديث.
٣- وإما بحكايات مكذوبة منسوبة لبعض أئمة هذا الدين الذين لهم في نفوس الناس منزلة ومكانة.
وتلك الحكايات مروية بأسانيد مظلمة عن رجال مجهولين وهي مردودة بما اشتهر عن أولئك الأئمة من أقوال ذكرت في كتبهم أو رويت عن طريق تلاميذهم بأسانيد صحيحة تؤكد زيف تلك، الحكايات المنسوبة إليهم وتبرهن على بطلانها.
٤- أو بمنامات لا تخلو من أحد أمرين إما كذب صاحبها أو تلبيس الشياطين عليه، ويشهد لهذا ويؤكده مخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله.
ويا سبحان الله كيف يتصور أن يترك ا، وسلم شرع الله من أجل أحلام ومنامات.
٥- أو أقوال من تكلم في الدين بلا علم، وليس معه فيما يقول ويدعى دليل شرعي، ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.
٦- أو بحجج هي من جهة الرأي والذوق هي أوهن من بيوت العنكبوت ولا يخفى ضعفها وفسادها ومخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله إلا على الجهلة وأصحاب الهوى أتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عمن لا يحتج بقوله إما أن يكون كذبا عليه وإما أن يكون غلطا منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعل النصارى" [٥٤].
والمقام هنا لا يتسع لعرض تلك الشبه والرد عليها، فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فعليه بمظان ذلك في كتب علماء السلف [٥٥].

المبحث الثالث: حكم ما يفعل عند حجرته التي دفن فيها من الأمور المبتدعة
ومن ذلك سؤاله الاستغفار والشفاعة والتوسل والاستغاثة والسجود إلى حجرته والطواف بها والتمسح بالجدران المحيطة بها وإلصاق البطن بها.
وجميع هذه الأمور وما شاكلها هي أمور مبتدعة أحدثها بعض المتأخرين ولم يفعلها أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هي منهي عنها.
وقد سبق بيان حكم دعائه واستغاثته والاستشفاع والتوسل به وأما السجود للحجرة والطواف بها فهو محرم أو كفر.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وزاد بعض جهال العامة ما هو محرم أو كفر بإجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك" [٥٦].

"فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم شيء يطاف به، ولا فيه ما يتمسح به، ولا ما يقبل.
بل ليس في الأرض مكان يطاف به إلا الكعبة، ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة" [٥٧].
وقال أيضا: "وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا غير ذلك. وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستسلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم. وقد قيل إنه يقبل وهو ضعيف. وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله، كجوانب البيت، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم، والصخرة والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين [٥٨].
فالطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله بحال [٥٩] ولا يفعل في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما يفعل في سائر المساجد [٦٠]. وكذا الحال بالنسبة للسجود للحجرة، فلقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود له في حياته.
فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: قدم معاذ اليمن أو قال الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فرأى في نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يعظم فلما قدم قال يا رسول الله رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فرأيت في نفسي أنك أحق أن تعظم. فقال: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ... " الحديث.
وفي رواية: "فقلت لأي شيء تصنعون هذا؟ قالوا هذا كان تحية الأنبياء قبلنا. فقلت: نحن أحق أن نصنع هذا بنبينا.
فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم إن الله عز وجل أبدلنا خيرًا من ذلك السلام تحية أهل الجنة" [٦١].
وعن قيس بن سعد [٦٢] قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم
فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك.
قال: "أرأيت لو مررت بقبري أكنت نسجد له؟" قال: قلت: لا. قال: "فلا تفعلوا، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق" [٦٣].
فتأمل وجوب الصحابي عندما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟ فقال: لا فالسجود حق لله تعالى، وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب" [٦٤].
ونبينا صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرك دقه وجله وحقيرة وكبيره فالسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى.
وكذا الحال بالنسبة للتمسح بالجدران المحيطة بالحجرة وإلصاق البطن بها فليس شيء من هذا من الدين الذي بعث الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم باتفاق المسلمين.

ومن اعتقد أن هذا من الدين وفعله وجب أن ينهى عنه، ولم يستحب هذا أحد من الأئمة الأربعة، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. والأجر والثواب إنما يكون على الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة هي ما أوجبه الشارع أو استحبه، وهذه الأمور من جملة ما نهي عنه من أسباب الشرك ودواعيه وأجزائه [٦٥] وقد قال صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد" [٦٦] وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تتخذوا قبري عيدا" [٦٧].
فالتمسح بالقبر -أي قبر كان- وتقبيله وتمريغ الخد عليه منهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء؛ ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هذا شرك" [٦٨].
فإن كان هذا حكم من تمسح بالقبر فمن تمسح بالجدران المحيطة من باب أولى.

المبحث الرابع: حكم الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تنازع الناس هل يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة. فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا تنعقد اليمين، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث. فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت" [٦٩].
وفي رواية: " ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله " [٧٠]. وقال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" [٧١]. وفي رواية: "فقد كفر".
وعن أحمد بن حنبل رواية: أنه يحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه يجب الإيمان به خصوصًا، ويجب ذكره في الشهادتين والأذان فلإيمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره، واختار هذا طائفة من أصحاب الإمام أحمد كالقاضي أبي يعلى [٧٢] وغيره خصوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم.
وقال ابن عقيل [٧٣]: بل هذا كونه نبيًا وطرد ذلك في سائر الأنبياء.
والصواب: قول الجمهور وأنه لا تنعقد اليمين بمخلوق لا بنبي ولا غيره، بل ينهى عن الحلف به. وإيجاب الكفارة بالحف بمخلوق وإن كان نبيًا قول ضعيف في الغاية مخالف للأصول والنصوص. فالذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق، لا نبي ولا غير نبي، ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ. والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم. وروي عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر: لئن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أحلف بغير الله صادقًا [٧٤] وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أـتظم من الكذب [٧٥].

المبحث الخامس: حكم الاحتفال بمولده وفيه مطلبان:
المطلب الأول: حكم فعل المولد

إن من جملة ما نهي النبي صلى الله عليه وسلم أمته عنه، وحذرهم منه:
١- الابتداع في الدين.
٢- التشبه باليهود والنصارى.
والمقيم للمولد والمشارك فيه واقع في المحظورين معا.
فإقامة المولد من الأمور المحدثة المبتدعة التي لم يشرعها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، ولم يفعله أصحابه من بعده بل ولا أهل القرون المفضلة.
فما ظنك بعمل لم يأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بفعله، ولا حث عليه ولا رغب فيه، وهو المشهود له بأنه ما ترك أمر خير إلا وحث الأمة عليه ورغبهم فيه.
وما ظنك بعمل لم يفعله سلف الأمة، "ولو كان خيرًا محضًا، أو راجحًا لكانوا رضوان الله عليهم أحق منا به، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعطشا له منا، وهم على الخير أحرص" [٧٦].
وما أحسن أن يستشهد المرء هنا بقول الإمام مالك رحمه الله تعالى "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [٧٧] فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا" [٧٨].
وقال أيضا: "قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نتبع الرأي" [٧٩].
هذا وإن أصل الاحتفال بالمولد يرجع إلى العبيدين [٨٠] الذين يتسمون (بالفاطميين) فهم أول من أحدث هذه البدعة في الأمة وما كانت الموالد تعرف في دولة سلام قبل هؤلاء.
فقد جاء في كتاب الخطط المسمى كتاب المواعظ والاعتبار والآثار تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم ...).
قال: " كان للخلفاء في طول السنة أعيادًا ومواسم:
رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم" [٨١].
فكانت الموالد من الآثار التي خلفها هؤلاء العبيديون الباطنيون مع غيرها من البدع والمنكرات التي ما أنزل الله بها من سلطان.
قد حمل راية هذه البدعة من بعدهم المتصوفة، الذين وجدوا في إحياء هذه البدعة متنفسًا لنشر باطلهم وبدعهم، وما الطقوس التي تعمل أثناء إقامة المولد إلا أكبر شاهد على حمل الصوفية لراية هذه البدعة
فقد وجدوا في هذه البدعة مرتعًا خصبًا لنشر غلوهم ورقصهم وطقوسهم وشطحهم وذلك تحت ستار ما يدعونه من محبة النبي صلى الله عليه وسلم {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [٨٢].
وقد كان أول تأكد رسمي ناله المتصوفة لإحياء هذه البدعة على يد الملك المظفر ملك إربل، الذي كان يحتفل بالمولد احتفالا هائلاً ينفق فيه ثلاثمائة ألف دينار، ويعمل فيه للصوفية سماعًا من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم [٨٣].

وقد استمرت هذه الاحتفالات بهذه البدعة إلى زماننا هذا وحسبك ببدعة أنشأها ملاحدة باطنيون معروفون بالبدع والمنكرات، وتولاها من بعدهم متصوفة ضالون مضلون لم يتركوا شيئا من باطلهم وبدعهم إلا وأدخلوه فيما يسمى بالمولد النبوي.
ولا عجب في اتفاق الطائفتين على هذا الأمر فهم يجمعهم مشرب واحد إذ الكل يزعم أن الشريعة لها ظاهر وباطن.
فمما لا شك فيه أن فعل ما يسمى بالمولد بدعة من البدع التي لا أساس لها في القرآن ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح وهي بالإضافة إلى ذلك لا تحقق المراد من حب الرسول صلى الله عليه وسلم فتحقيق محبته وتعظيمه كما سبق وأن بينا، هو في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد في ذلك بالقلب واليد واللسان، فهذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.
ويضاف إلى كون فعل هذا الأمر من البدع التي نهى الشارع عنها ما فيه كذلك من مضاهاة ومشابهة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيدا وذلك بإيقاد الشموع وصنع الطعام وارتكاب المحرمات وفعل الموبقات من شرب للخمور وفعل الفواحش وغير ذلك من المهازل والقبائح، وفي هذا يقول بعضهم معللا مشروعية الاحتفال بفعل المولد "إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر" [٨٤].
ونسى هذا القائل أو تناسى تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من مشابهة اليهود والنصارى فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم" [٨٥].
قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟
قال: "فمن" [٨٦] أي فمن هم غير أولئك.

المطلب الثاني: بيان ما يفعل في الموالد من الغلو والمنكرات
لقد اتخذ أصحاب الطرق الصوفية من المولد ستارا لترويج باطلهم ونشر بدعتهم عند الجهلة من عوام الناس.
فهم باسم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يقيمون مثل هذه الاحتفلات، وبذكر شيء من سيرته يفتتحونها، ولكن سرعان ما يظهر الباطل وتتجلي الغشاوة فيرى صاحب البصيرة ألوانًا وأشكالاً من الغلو والبدع المنكرة تظهر من خلال ما يتلفظ به من أقوال، وما ينشد فيه من أشعار، وما يقام من حركات وأفعال، مبدية بذلك الوجه الحقيقي والهدف الرئيسي من إقامة مثل هذه الموالد.
ومن عجيب حال هؤلاء أنهم سموا كل اجتماعاتهم التي تقام فيها هذه الأباطيل مولدا مع أن التسمية لا تساعدهم على هذا الإطلاق، وما ذاك إلا أنهم عرفوا أن رواج باطلهم لا يتحقق إلا تحت هدا الستار ليروج أمرهم على خفافيش الأبصار إتباع كل ناعق.
فمن البدع والمنكرات التي تقام في هذه الموالد -وما أكثرها- ما يحصل من الغلو في حق النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال القصائد التي يطلقون عليها اسم

المدائح النبوية، والتي لا تخلوا من ألفاظ الغلو في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والتجاوز عما حدده الشارع مما يليق بمقامه الكريم من الإجلال والتقدير.
فالمتأمل لتلك القصائد يجدها مرصوفة بعبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم هو المتصرف في هذا الكون وجعله أول الموجودات والقطب الذي تدور عليه الأفلاك، وجعله الغاية التي من أجلها هذا الكون إلى غير ذلك الافتراءات والأباطيل التي شحنت بها تلك القصائد.
وهذه مقتطفات من بردة البوصيري [٨٧] تمثل جانبا من مظاهر الغلو التي يتردد في عبارات ما يسمونه بالمدائح النبوية:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من   لولاه لم تخرج الدنيا إلى العدم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم
وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفا من البحر أو رشفا من الديم
لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتئم
أقسمت بالقمر المنشق أن له   من قلبه نسبة مبرورة القسم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غني الدارين من يده   إلا استلمت الندى من خير مستلم
يا خير من يمم العافون ساحته   سعيا وفوق متون الأينق الرسم
خدمته بمديح استقيل به   ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض   من النبي ولا حبلى بمنصرم
فإن لي ذمة منه بتسميتى   محمدا وهو أوفى الخلق بالذم
إن لم تكن في معادى آخذا بيدي   فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه   أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه   وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغني منه يدا تربت   إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتهاومن علومك علم اللوح والقلم [٨٨].

فتأمل هذه الأبيات وما فيها من غلو وإطراء ومظاهر شركية تجاوز فيها الشاعر كل الحدود.
حيث جعل الرسول عليه الصلاة والسلام هو الغاية في خلق الدنيا وعلة وجودها "وجعله بمنزلة الإله فهو يغني ويفقر ويغفر الذنوب ويقيل العثرات وهو الملاذ والملجأ في الدنيا والآخر بل انتهى به الأمر إلى أن جعل تصريف الكون كله بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم" [٨٩].
فماذا أبقى للخالق عز وجل وخاصة عند قوله:
فإن من جودك الدنيا وضرتهاومن علومك علم اللوح والقلم
"فإذا كانت الدنيا وضرتها من جود الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض علومه علم اللوح والقلم، لأن "من" للتبغيض، فماذا للخالق جل وعلا" [٩٠].

فهذا هو بعينه الغلو والإطراء الذي حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته منه.
وبالإضافة إلى ألفاظ الشرك وعبارات الغلو التي تحملها جل القصائد والمدائح "فإن الاحتفال عادة ما يختتم بدعوات تحمل ألفاظ التوسلات المنكرة والكلمات الشركية المحرمة، لأن جل الحاضرين عوام أو غلاة في حب التوسلات الباطلة التي نهى عنها الشارع" [٩١].
أضف إلى ذلك ما يدعونه من أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر هذه الموالد إما بجسده كما يدعيه بعضهم أو بروحه كما يدعيه البعض الآخر منهم، وسوف أتعرض لهذه النقطة في المبحث القادم بإذن الله.
هذا فيما يتعلق بما يحصل في هذه الموالد من غلو في حق صلى الله عليه وسلم.
ويضاف إلى هذا الأمر ما قد يحصل في بعض الموالد من منكرات وبدع أخرى كالرقص الصوفي، والذكر البدعي، وضرب الدفوف، والتزمير بالمزامير [٩٢].
وقد يحصل فيها اختلاط الرجال بالنساء وشيء من الفجور وشرب الخمور ولكن لا يطرد لا في كل البلاد ولا في كل الموالد [٩٣].
فنعوذ بالله من حال أهل الزيغ والضلال.
المبحث السادس: حكم القول بحضوره في مجالس المحتفلين ورؤيته بالعين الباصرة
إن من يتأمل في كلام الصوفية فيما يتعلق بشأن غلوهم في حق النبي صلى الله عليه وسلم بما في ذلك التوسل والاستشفاع والاستغاثة وطلب تفريج الكروب ومغفرة الذنوب وغير ذلك مما تقدم الإشارة إليه يجد أن محور دعواهم يقوم على دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه [٩٤] وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي، كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما في ببت الملائكة -مع كونهم أحياء بأجسادهم- فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك [٩٥].
والصوفية ليسوا على رأي واحد في هذا ا الأمر بل هم مختلفون مضطربون وفي حالهم هذا يتذكر المرء قول الله تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} [٩٦].
فهم مختلفون في حقيقة المرئي:
فقال بعضهم المرئي ذات المصطفى بجسمه وروحه كما تقدم في النقل السابق.
وبعضهم يقول ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه، بل مثالا له، وصار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه.
وقالوا: والآلة تارة تكون حقيقة، وتارة تكون خيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه في الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه، بل هو مثال له على التحقيق.
وفصل بعضهم فقال: رؤية [٩٧] النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك له على الحقيقة. ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال [٩٨].
وقال بعضهم: ومنهم من يرى روحه في اليقظة متشكلة بصورته الشريفة.

ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته صلى الله عليه وسلم [٩٩].
وأعجب من ذلك كله ما ذكر عن بعضهم من أنه رأى السماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وزعم من زعم أن السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلاة والسلام في زمن واحد في أقطار متباعدة ينحل به، ولا يحتاج معه إلى ما أشار إليه بعضهم وقد سئل عن ذلك فأنشد

كالشمس في كبد السماء وضوؤها   يغشى البلاد مشارقا ومغاربا [١٠٠]

فانظر إلى هذا الغلو عندهم، نعوذ بالله من حال أهل الزيغ والضلال.
ويحسن قبل الشروع في تفنيد هذا الباطل وكان فساده أن أشير إلى الوجه الآخر لهذه الدعوى.
فهذه الطائفة لم تكن لتدعى هذه الدعوى إلا لما فيها من المكاسب والأهداف والغايات التي يتحصلون عليها كل من وراء ذلك.
فمنهم من يستغل هذه الدعوى ليحصل على إجازة من الرسول صلى الله عليه وسلم للطريقة التي ابتدعها والأذكار والأوراد التي اخترعها لتصبح بعد ذلك شرعا لأتباعه.
ومنهم من يستغل ذلك لإيهام الناس بأن ذلك من كراماته ليحظى لديهم بالمنزلة والمكانة إلى غير ذلك من الغايات والمأرب.
هذا وإن لموضوع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم جوانب متعددة بخصنا منها ما يتعلق بعنوان المبحث وهو دعوى رؤيته يقظة بعيني الرأس.
فهذه الدعوى مخالفة للشرع والعقل.
أما من جهة الشرع فليس هناك دليل شرعي يثبت حصول ذلك وغاية ما دلت عليه النصوص إمكانية الرؤيا المنامية، فحملها أهل الباطل على الرؤية البصرية، ومما يؤكد فساد هذا التأويل للرؤيا واقع القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية من المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلم ينقل عن أحد من أهل هذه القرون الثلاثة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته.
مع أنه قد حدثت في أزمانهم حوادث كان الحاجة إلى ظهوره شديدة جدا لو كان ذلك ممكنا.
فالصحابة قد وقع بينهم اختلاف في عدد من المسائل الدينية والدنيوية وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ولم يبلغنا أنا أحدا منهم ادعى أنه رأى في اليقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه ما أخذ، وكذا لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره.
"وقد قال ابن عبد البر لمن ظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد كلم بعض الناس بعد وفاته عند حجرته.
فقال له ابن عبد البر: ويحك هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟ فهل من هؤلاء من سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأجابه؟

وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم، وهذه بنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابه؟ [١٠١].
وأما من جهة العقل فلما يترتب على هذه الدعوى من اللوازم الباطلة فليزم منها:
١- أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء فيكون من يزوره في ذلك الوقت يزور مجرد القبر ويسلم على الغائب.
٢- أن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه.
٣- أن يكون الشخص الذي رآه يقظة له حكم الصحابة رضوان الله عليهم.
٤- أن يكون الكلام الذي تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم تشريعًا جديدًا لهذه الأمة وهذا لاشك فيه، طعن في كمال هذا الدين وكونه عرضة للتبديل والتغيير.
وهذه الجهالات لا يلتزم بها من كان له أدنى مسكة عقل.
ومن ظن أن جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم المودع في المدينة خرج من القبر وحضر في المكان الذي رآه فيه فهذا جهل لا جهل يشبهه.
فقد يراه في وقت واحد ألف شخص في ألف مكان على صور مختلفة. فكيف يتصور هذا في شخص واحد؟" [١٠٢].
هذا وأن الذي يعتقده علماء السلف هو أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية الله أعلم بكيفيتها، وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم، وأن هذه الأجساد لا تخرج من القبور حتى يبعث الله الخلائق كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم "فإن الناس يصعقون فأكون أول من تنشق عنه الأرض" [١٠٣].
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر" الحديث [١٠٤].
فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس. بل هو منعم في قبره وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة.
والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة

جريا على عادة الباحثين في ذكر النتائج التي توصلوا إليها في نهاية أبحاثهم ونظرا لأهمية ذلك في الرسائل العلمية فإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي بما يلي:
١- هذه الحقوق المذكورة في ثنايا هذه الرسالة تشكل بمجموعها أحد أصلي الدين، وهي معني "شهادة أن محمدا رسول الله".
٢- هذه الحقوق لا يدخل فيها ما هو حق خالص لله عز وجل من أمور الألوهية أو الربوية.
فما كان حقا لله عز وجل فلا يجوز صرفه لغير الله لا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لغيره، وهذا ما أكدته نصوص القرآن والسنة.
٣- أن أمور هذا الدين لا تقوم على التحلي والتمني والدعاوى الزائفة وإنما تقوم على الاعتقاد الصحيح الذي يصدقه قول اللسان وعمل الجوارح.

٤- أن النصوص من آيات وأحاديث وآثار قد وضحت ما يجب على هذه الأمة في هذا الجانب فقد أرشدت ودلت وبينت وفصلت وهذا هو الشأن في جميع جوانب هذا الدين، فقد أكمل الله عز وجل لنا هذا الدين، وقد بلغ رسوله صلى الله عليه وسلم ما أوحي إليه من رب العالمين البلاغ المبين.

فلسنا في حاجة بعد ذلك إلى من يزيد على هذه الحقوق أو ينقص منها، وإنما علينا أن نتبع ونقتدي ولا نبتدع.
٥- أن على الأمة أن تعرف ما أوصى الله عليها من حقوق تجاه نبيها صلى الله عليه وسلم فذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به.
وعلى المسلم بذل الوسع في تعلم هذه الحقوق وتعليمها ونشرها بين الناس.
٦- وجوب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به، لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ولذلك كان أول أركان الإسلام "شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".
٧- أن برهان الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ومحبته وتعظيمه يرتكز على محور الاتباع والتأسي، ولذلك كان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم أشد الناس حرصا على ذلك.
٨- خص الله عز وجل نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بحقوق مما يزيد على لوازم الرسالة تفضلا من الله عز وجل وتكريما فعلينا حفظ تلك الحقوق والقيام بها.
٩- على الأمة أن تحفظ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في خاصة نفسه وفي آله وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وفي كل ما له صلة بأمر هذا الدين.
١٠- على المسلم أن يحذر أشد الحذر من مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.
١١- الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم لا يزيد إلا بعدا عن شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولا يحقق لصاحبه محبة ولا تعظيمًا.

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن التأسي والاقتداء والثبات على الحق، وأن يحشرنا في زمرة نبيه صلى الله عليه وسلم إنه جواد كريم وعلى كل شيء قدير.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- الإبداع في مضار الابتداع: للشيخ الأستاذ علي محفوظ (ت ١٣٦١هـ) ط دار المعرفة بيروت.
٢- الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي، سيف الدين على بن محمد دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٣- آداب الشافعي ومناقبه: للرازي أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) دار الكتب ا لعلمية، بيروت.
٤- الأدب المفرد: للبخاري محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت.
٥- إرشاد الطالب: للشيخ سليمان بن سحمان، مطبعة المنار، مصر الطبعة الأولى ١٣٤٥ هـ.
٦- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: لابن عبد البر، أبو عمر يرسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) الناشر: دار الكتاب العربي.
٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين على بن أحمد بن الأثير الجزري ط دار الشعب- القاهرة ١٣٩٠ هـ.
٨- الأصول الثلاثة وأدلتها: لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) مطبعة الكيلاني.
٩- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار الكتاب العربي، بيروت
١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى (ت ١٣٩٣هـ) ط عالم الكتب، بيروت.
١١- أطلس العلم: لعدد من الأساتذة- الناشر مكتبة لبنان.
١٢- الاعتصام: للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ.
١٣- الأعلام: لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين، بيروت، لبنان الطبعة السادسة ١٩٨٤ م.
١٤- أعلام الموقعين: لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزبة (ت ٧٥١هـ) مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ.
١٥- إغاثة اللهفان لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) دار المعرفة بيروت، لبنان.
١٦- كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لابن تيمية، أبو العباسي تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) مطابع المجد التجارية.

١٧- الأم: للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ١١٠٤هـ) مطبعة كتاب الشعب.
١٨- الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف لأبي بكر بن جابر الجزائري مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٢هـ.
١٩- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية: ليوسف بن إسماعيل النبهاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
٢٠- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة: لشيخ الإسلام ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الثاني) ط إدارة الطباعة المنيرية، الناشر محمد أمين دمج، بيروت ١٩٧٠ م.

٢١- كتاب الإيمان: لابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨ هـ) ط المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.
٢٢- بداية السول في تفضيل الرسول: للعلامة العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ
٢٣- البداية والنهاية: لابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ.
٢٤- البدع والنهي عنها: للإمام محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي دار الرائد العربي بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٢٥- بدائع الفوائد: لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) دار الكتاب العربي بيروت.
٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي محمد بن عبد الرازق ط المطبعة الخيرية مصر الطبعة الأولى.
٢٧- تاريخ البغدادى أبو بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣ هـ) ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٨- تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي الدمشقي مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
٢٩- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): للطبري محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ م.
٣٠- التاريخ الكبير: للبخاري محمد بن إسماعيل (ت٢٥٠١هـ) دار الكتب العلمية المصورة على نسخة حيدر آباد.
٣١- التيجانية: لعلي بن محمد الدخيل الله الناشر دار طيبة الرياض.
٣٢- تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن: للأسعردي، إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الأول) ط إدارة الطباعة المنيرية.
٣٣- تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
٣٤- التحفة العراقية في الأعمال القلبية: لشيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ضن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الرابع) ط (دارة الطباعة المنيرية. الناشر محمد أمين دمج، بيروت ١٩٧٠ م.
٣٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) بتحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطف الناشر دار الكتب الحديثة، القاهرة مصر. ط الثانية ١٣٨٥ هـ.
٣٦- تذكرة الحفاظ: للذهبي، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨هـ) دار إحياء التراث العربي- طبعة مصورة عن مطبعة دائرة المعارف بالهند.
٣٧- تعظيم قدر الصلاة: لمحمد بن نصر المروزى (ت ٣٩٤ هـ) ط دار الأرقم للطباعة والنشر، استانبول تركيا الناشر مكتبة الدار المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٨- تفسير ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) ط دار المعرفة، بيروت، لبنان عام ١٤٠٢هـ.
٣٩- تفسير البغوى "معالم التنزيل": للبغوى الحسن بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) ط مطبع المنار ط الأولى.
٤٠- تفسير الطري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" الطري: أبر جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ط شركة ومكتبة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر الطبعة الثالثة.
٤١- تفسبر القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ) ط دار إحياء التراث العربي.
٤٢- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط الدار العلمية للطباعة والنشر دلهي الهند.
٤٣- تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار: للدكتور صالح بن سعد السحيمي، الناشر دار ابن حزم للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٤٤- تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق: لمحمد أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية.
٤٥- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني طبعة مصورة من طبعة دائرة المعارف بالهند.
٤٦- تهذيب اللغة: للأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة (تحقيق عبد السلام هارون).
٤٧- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: لأحمد بن إبراهيم بن عيسى- بتحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي.
٤٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) الناشر المكتبة السلفية.
٤٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
٥٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي روايته وحمله: لأبي عمر يوسف بن عبد البر النصري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، ط دار الكتب العلمية، ط دار الفكر بيروت.
٥١- الجامع لشعب الأيمان: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) رسالة ماجستير بتحقيق فلاح بن ثاني بن شامان تتضمن أول الكتاب إلى نهاية الشعبة السابعة. وقسم آخر بتحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل وتتضمن الباب الرابع عشر إلى نهاية الثامن عشر.
٥٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: لابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ط دار المعرفة بيروت.
٥٣- الجامع الفريد: ويحتوى على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية ط مطبعة المدينة، الرياض.

٥٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام: لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) تحقيق محي الدين مستو. دار ابن كثير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. ونسخة أخرى ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام ابن تيمية- ط مطابع المجد.
٥٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
٥٧- حقوق آل البيت: لشيخ الإسلام ابن تيمية- ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٥ هـ) الناشر دار الكتاب العربي.
٥٩- الخصائص الكبرى كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط: دار الكنب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٥ هـ
٦٠- درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام ابن تيمية- بتحقيق محمد رشاد سالم ط مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى.
٦١- كتاب دراسة حديث نضر الله امرأ: للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.
٦٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط دار المعرفة.
٦٣- دلائل النبوة: للحافظ ابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ط بدون.
٦٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: للبيهقي: أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) بتحقيق د/ عبد المعطي قلعجى، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
٦٥- ديوان الأعشى: ط القاهرة، عام ١٩٥٠ م.
٦٦- ديوان أبي الطيب المتنبي: ط. دار صادر، بيروت.
٦٧- ديوان البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد بتحقيق سيد كيلاني ط مطبعة الحلبي القاهرة (١٩٩٣ م).
٦٨- الرد على الأخنائي: لشيخ الإسلام ابن تيمية ط الدار العلمية للطاعة والنشر، دلهي، الهند.
٦٩- الرد على الزنادقة والجهمية: للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ط المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٩٣هـ.
٧٠- رسالة التقليد: لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) بتحقيق محمد عفيفي ط المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٧١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي أبي الفضل شهاب الدين محمد البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٢- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء: لابن القيم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) بتحقيق د/ بسام على سلامة العموش الناشر دار ابن تيمية للنشر الطبعة الأولى.
٧٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: لابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٧٤- رياض الصالحين: للنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ط مؤسسة الرسالة.
٧٥- زاد المعاد في هدى خير العباد: لابن القيم الجوزية- بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان- الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦هـ.
٧٦- زاد المهاجر إلى ربه الرسالة التبوكية لابن القيم الجوزية- الناشر مكتبة المدني ومطبعتها.
٧٧- الزهد: لعبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٧٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط المكتب ط الإسلامي.
٧٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط المكتب الإسلامي.
٨٠- السنن: لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) بتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد نشر وتوزيع دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
٨١- السنن: للترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) بتحقيق أحمد شاكر ط دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
٨٢- السنن: للنسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر (٣٥٣ هـ) دار الكتب ا لعلمية، بيروت.
٨٣- السنن: لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥ هـ) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء التراث العربي ونسخة أخرى بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي ط شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٨٤- السنن: للدارقطي علي بن عمر الدارقطي (ت ٣٨٥ هـ) من مطبوعات السيد عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٦ هـ بالمدينة المنورة.
٨٥- سنن الدارمي: للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٨٦- السنن الكبرى: للبيهقي أحمد بن الحسين بن على (ت ٤٥٨هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد.

٨٧- السنة: للحافظ أبي بكر عمرو بن عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ) بتحقيق ناصر الدين الألباني ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٨٨- السيرة النبوية: لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ) بتحفيق طه عبد الرؤوف سعد ط شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة.
٨٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي، أبي، الفلاح عبد الحي بن العماد(ت ١٠٨٩ هـ) دار إحياء الكتاب العربي، بيروت.
٩٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت ٤١٨ هـ) بتحقيق د/ أحمد بن سعد الغامدي، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع.
٩١- شرح العقيدة الأصفهانية: لشيخ الإسلام ابن تيمية الناشر دار الكتب الإسلامية مصر.
٩٢- شرح العقيدة الطحاوية ط المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة.
٩٣- شرح النحوي لصحيح مسلم: للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ) الناشر دار الفكر للطاعة والنشر.
٩٤- الشفا بتعريف. حقوق المصطفى: للقاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عباس اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) بتحقيق على محمد البجاوي الناشر دار الكتاب العربي ١٤٠٤ هـ.
٩٥- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: لمرعى بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ) بتحقيق نجم عبد الرحمن خلف الناشر دار الفرقان، ومؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٥٤ هـ.
٩٦- الشريعة: للآجري أبي بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ) بتحقيق محمد حامد الفقي الناشر حديث أكادمي، باكستان ط الأولى ١٤٥٣ هـ.
٩٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول: لشيخ الإسلام ابن تيمية ط مطابع الحرس الوطني.
٩٨- صحيح الجامع الصغير وزياداته: للألباني محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي.
٩٩- صحيح ابن خزيمة: للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) بتحقيق الدكتور محمد مصطفى عظمى المكتب الإسلامي.
١٠٠- صحيح مسلم "الجامع الصحيح" للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) دار المعرفة بيروت لبنان.
١٠١- صيد الخاطر: لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) المكتبة العلمية، بيروت.
١٠٢- طبقات الحنابلة: للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى تصحيح محمد حامد الفقي ط السنة المحمدية، القاهرة.
١٠٣- الطبقات الكبرى: لابن سعد محمد بن عبد الله بن سعد البصري (ت٢٣٠هـ) دار صادر بيروت.

١٠٤- طبقات المفسرين للداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت٩٤٥هـ) الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين: للإمام ابن القيم الجوزية دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
١٠٦- عصمة الأنبياء: للرازي محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦ كل) الناشر دار المطبوعات الحديثة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٠٧- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية: لأحمد بن سعد الغامدي الناشر دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ.
١٠٨- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) بتحقيق إرشاد الحق الأثري الناشر إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد باكستان.
١٠٩- عمل اليوم والليلة: للنسائي أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) بتحقيق د/ فاروق حمادة الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطعة الثانية.
١١٠- عمل اليوم والليلة: لابن السني: أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري (ت٣٦٤هـ) بتحقيق سالم بن أحمد السلفي الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ط الأولى ١٤٠٨هـ.
١١١- كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدى ط وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية.
١١٢- غاية الأماني في الرد على النبهاني: الألوسي محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ) دار إحياء السنة النبرية.
١١٣- غريب الحديث: للخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ) بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ط دار الفكر دمشق ١٤٠٢هـ.
١١٤- فتح الباري: لابن حجر العسقلاني: محمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢هـ) ط دار الفكر.
١١٥- فتح القدير: الشوكاني محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي- الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.
١١٦- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. للسخاوي محمد بن عبد الرحمن بتحقيق عبد الرحمن عثمان المكتبة السلفية بالمدينة المنررة.
١١٧- الفرق بين الفرق: عبد القاهر طاهر البغدادي- تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد نشر دار ا لمعرفة، بيروت، لبنان.
١١٨- الفصل في الملل والأهواء والنقل: لابن حزم الظاهري، أبي محمد على بن أحمد (ت ٤٥٦هـ) الناشر مكتبة الخانجي بمصر.
١١٩- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: للإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢ كل) بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني- منشورات المكتب الإسلامي بدمشق الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.
١٢٠- الفوائد: لابن القيم الجوزية ط دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢١- الفوئد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: للشوكاني محمد بن على (ت ١٢٥٠هـ) تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٢٢- في ظلال القرآن: لسيد قطب ط دار العلم.
١٢٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق د/ ربيع بن هادى عمير المدخلي الناشر: مكتبة لينة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ
١٢٤- قاعدة في المحبة: لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق د/ محمد رشاد سالم الناشر مكتبة التراث الإسلا مي.
١٢٥- القاموس المحيط: للفيروزآبادي ط عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.
١٢٦- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٢ هـ) الناشر دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
١٢٧- الكامل في التاريخ: لابن الأثير: على بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ) ط دار صادر، بيروت ١٣٨٥ هـ.
١٢٨- الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدى: عبد الله بن عدى الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) دار الفكر للطاع والنشر، بيروت، الطعة الأولى ١٣٠٣ هـ
١٢٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٥ هـ.
١٣٠- الكفاية في علم الرواية: للخطب: أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطب (ت ٤٦٣هـ) الناشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية.
١٣١- الكواشف الجلية عن معاني الواسطة: لعبد العزيز بن محمد السلمان مطابع المجد التجارية الطبعة العاشرة.
١٣٢- لسان العرب: لابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ط دار صادر، بيروت.
١٣٣- لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني أحمد بن حجر (٨٥٢هـ) طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف بالهند مؤسسة الأعلمي للمطوعات، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.
١٣٤- اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ.
١٣٥- الماسونية ذلك العالم المجهول: صابر طعيمة دار الجيل، ببروت، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٦ هـ.
١٣٦- مجلة البحوث الإسلامية: العدد التاسع.
١٣٧- مجلة الجامعة الإسلامية: العدد الثاني السنة الرابعة.
١٣٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) دار الكتاب، بيروت الطعة الثانية.
١٣٩- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تبمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ط دار العربية، بيروت.

١٤٠- كتاب: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة: تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون ط دار القلم، دمشق.
١٤١- مدارج السالكين: لابن القيم الجوزية بتحقيق محمد حامد الفقي ط الكتاب العربي، بيروت لبنان ١٩٧٢ م.
١٤٢- المدخل إلى السنن الكبرى: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين، (ت ٤٥٨ هـ) بتحقيق د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
١٤٣- المستدرك على الصحيحين: للحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٥٥ هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد.
١٤٤- المسند: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ط دار صادر بيروت.
١٤٥- مشكاة المصابيح: للتبريزى محمد بن عبد الله الخطيب تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٩هـ.
١٤٦- معارج القبول: للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ط المطبعة السلفية ومكتبتها.
١٤٧- المعجم الكبير: للطبراني: أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٥هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي الدار العربية، بغداد ط الأولى.
١٤٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي الناشر المكتبة الإسلامية استانبول تركيا.
١٤٩- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: أحمد. بن فارس بتحقق عبد السلام هارون ط مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية.
١٥٠- معرفة علوم الحديث: لاحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٥٥ هـ) المكتب التجاري للطاعة والتوزيع والنشر، بيروت.
١٥١- المغني: لابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ) الناشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٤٠٥ هـ.
١٥٢- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ط مطابع الرشيد، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.
١٥٣- المفردات في غريب القرآن: لحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ط دار المعرفة بيروت.
١٥٤- مقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري: على بن إسماعيل (ت ٣٢٤ هـ) ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٥٥- الملل والنحل: للشهرستاني محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) تحقيق محمد سيد الكيلاني ط مصطفى الحلبي.
١٥٦- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) بتحقيق سمير القاضي الناشر مؤسسة الكتب الثقافية.
١٥٧- منزلة السنة في التشريع الإسلامي: للدكتور محمد أمان بن على الجامي مطابع الجامعة الإسلامية الطبعة الثالثة.
١٥٨- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٥٩- المنهـاج فـي شـعب الإيمـان: للحليمـي أبـي عبـد الله الحسـين بـن الحسـن (ت ٤٠٣هـ) بتحقيق حلمي محمد فوده- دار الفكر.
١٦٠- منـهج القرآن فـي الدعوة إلـى الإيمـان: للدكتور علـى بـن محمـد ناصـر فقيهـي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٦١- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: للهيثمـي علـى بـن أبـي بكـر بتحقيـق محمـد عبد الرزاق حمزة الناشر دار الكتب العلمية بيروت.
١٦٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف "بخطط المقريزي" لتقـي الدين أبي العباس أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ) الناشـر: مكتبـة الثقافـة الدينيـة القاهرة الطبعة الثانية.
١٦٣- الموطـأ بروايـة يحيـى بـن يحيـى الليثـي: للإمـام مالـك بـن أنـس الأصـبحي (ت ١٧٩ هـ) دار النفائس الطبعة العاشرة ١٤٠٧هـ.
١٦٤- ميزان الاعتدال: للذهبي محمد بن أحمد بن عثمـان (ت ٧٤٨هـ) بتحقيـق علـى البجاوى دار المعرفة، بيروت.
١٦٥- كتاب النبوات: لشيخ الإسلام ابن تيمية ط دار الكتب بيروت.
١٦٦- نسيم الريـاض فـي شـرح شـفاء القاضـي عيـاض: للخفـاجي أحمـد شـهاب الـدين الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٦٧- النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير: مجد الدين أبـي السـعادات المبـارك بـن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) بتحقيـق طـاهر أحمـد الـزاوي ومحمـود محمـد الطنـاحي الناشر المكتبة العلمية بيروت.
١٦٨- هذه هـي الصـرفية: لعبـد الـرحمن الوكيـل دار الكتـب العلميـة، بيـروت، لبنـان، الطبعة الرابعة.
١٦٩- الوافي بالوفيات: للصفدي طبع سنة ١٣٨١هـ.
١٧٠- وفـاء الوفـا بأخبـار دار المصـطفى: للسـهمودي علـى بـن أحمـد (ت ٩١١هــ) بتحقيـق محمـد محيـى الـدين عبـد الحميـد الناشـر دار إحيـاء التـراث العربـي، بيـروت، الطبعة الرابعة.
١٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان أبي العباس شمس الـدين أحمـد بن محمد (ت ٦٨١هـ) بتحقيق د/ إحسان عباس دار صـادر بيروت.
١٧٢- الـولاء والبـراء فـي الإسـلام: لمحمـد بـن سـعيد بـن سـالم القحطـاني الناشـر دار طيبة.

[١] واسمه أحمد بن يحيى بن زيـد الشيباني بـالولاء، أبـو العبـاس المعـروف بثعلـب، إمـام الكـوفيين فـي النحـو واللغـة، كـان راويـة للشـعر، ثقـة حجـة، مـات ببغـداد سـنة ٢٩١هـ.
الأعلام (٢٦٧/١).

[٢] الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
[٣] لسان العرب (٨/ ١٨٤) مادة شفع.
[٤] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥١- ١٥٢).
[٥] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤٥، ٣٦٣).
[٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه: (٥٢/٣، ٥٣).
[٧] الآية (١٨) من سورة يونس.
[٨] الآية (٣) من سورة الزمر.
[٩] الآيتان (٤٣، ٤٤) من سورة الزمر.
[١٠] الآية (٤) من سورة السجدة.
[١١] مجموع الفتاوى (١/ ١١٨).
[١٢] الآية (٥) من سورة آل عمران.
[١٣] الآية (٣٨) من سورة إبراهيم.
[١٤] الآية (٢٢) من سورة سبأ.
[١٥] الآية (١١١) من سورة الإسراء.
[١٦] الآية (٦٦) من سورة يونس.
[١٧] الآية (١٨) من سورة يونس.
[١٨] الآية (٢٨) من سورة الأحقاف.
[١٩] الآية (٣) من سورة الزمر.
[٢٠] مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦- ١٢٩) بتصرف.
[٢١] الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
[٢٢] الآية (٢٦) من سورة النجم.
[٢٣] الآية (٢٨) من سورة الأنبياء.
[٢٤] الآية (١٠٩) من سورة طه.
[٢٥] الآية (١١٣) من سورة التوبة.
[٢٦] الآية (٦) من سورة المنافقون.
[٢٧] الآية (٨٠) من سورة التوبة.
[٢٨] الآية (٥٥) من سورة الأعراف.
[٢٩] الآية (٤٥) من سورة هود.
[٣٠] الآية (٤٦) من سورة هود.
[٣١] الآية (٤٧) من سورة هود.
[٣٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨/ ٨٦).
[٣٣] تقدم تخريجه ص ٧٣٧
[٣٤] تقدم تخريجه ص ٧٣٧

[٣٥] يزيد بن الاسود الجرشي أبو الأسود، من سادة التابعين أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من العباد الخشن وقصته مع معاوية تدل على فضله وصلاحه، توفي سنة ٧١ هـ.
الإصابة (٦٣٤/٣) وسبر أعلام النبلاء (٤/ ١٣٦- ١٣٧).
[٣٦] أورده ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٣٤) وقال: "أخرجه أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح" وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣٧/٤) وابن كثير في البداية (٨/ ٣٢٤).
[٣٧] تقدم تخريجه ص ٤٤٥.
[٣٨] الرد على البكري (ص ٨٨) بتصرف.
[٣٩] الرد على البكري (ص ٩٠).
[٤٠] الرد على البكري (٩٠، ٩١) بتصرف.
[٤١] الرد على البكري (٢٦١، ٢٦٢).
[٤٢] أخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (٣/ ٥٢).
[٤٣] الآية (٩) من سورة الأنفال.
[٤٤] الآية (١٥) من سورة القصص.
[٤٥] الرد على البكري (ص ٨٠- ٨٢).
[٤٦] تقدم تخريجه ص ٥٨٨
[٤٧] تقدم تخريجه ص ٥٨٩
[٤٨] تقدم تخريجه ص ٧٣٧
[٤٩] الرد على البكري (ص ٢٣١- ٢٣٣) بتصرف يسير.
[٥٠] الآية (٧٢) من سورة المائدة.
[٥١] الآية (٦) من سورة الصف.
[٥٢] الرد على البكري (ص ١٠٣).
[٥٣] مجموع الفتاوى ١١/ ١٥٩) بتصرف.
[٥٤] الرد على البكري (ص ٣٥٢).
[٥٥] انظر:
أ- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية.
ب- الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية.
ج- الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية.
د- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسواني.
هـ- الصواعق المرسلة الشهابية للشبح سليمان بن سحمان.
و- غاية الأماني في الرد على النبهاني للشيخ محمود شكري الألوسي.
[٥٦] الرد على البكري (ص ٢١٥).
[٥٧] مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠).
[٥٨] مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢١).
[٥٩] مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١).
[٦٠] مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٥٠).

[٦١] تقدم تخريجه ص ٦٨٦.
[٦٢] قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، شهد المشاهد مع رسول صلى الله عليه وسلم وكان أحد الفضلاء الجلة من دهاة العرب، مات في آخر خلافة معاوية بالمدينة. الإصابة (٣/ ٢٣٩).
[٦٣] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة (٢/ ٦٠٤، ٦٠٥) ح ٢١٤٠
[٦٤] مجموع الفتاوى (٢٧/ ٩٣).
[٦٥] مجموع الفتاوى (١٥٨، ١٠١) بتصرف.
[٦٦] تقدم تخريجه ص ٥٩١.
[٦٧] تقدم تخريجه ص ٥٨٠
[٦٨] الجامع الفريد (ص ٤٤٤).
[٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم حديث (٦٦٦٤٦) انظر فتح الباري (١١/ ٥٣٠). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥/ ٨٠).
[٧٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية. انظر فتح الباري (٧/ ٤٨ ١) ح ٣٨٣٦ واللفظ له. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥/ ٨١).
[٧١] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤، ٨٦، ٢٥ ١). وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال: حديث حسن (٤/ ١١٠)، ح ١٥٣٥، وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهة الحلف بالآباء (٣/ ٥٧٠) ح ١ ٣٢٥ وأخرجه ابن حبان كما في الموارد (ص ٢٨٦) ح ١١٧٧
والحاكم في المستدرك (١/ ١٨) كتاب الأيمان (٢٧٩/٤) كتاب الأيمان والنذور وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافق الذهبي".
[٧٢] هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء،؟ أبو يعلى عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، ومن كبار الحنابلة ولد سنة ٣٨٠ هـ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ.
الأعلام (٩٩/٦ - ١٠٠).
[٧٣] هو: على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، ولد سنة ٤٣١ هـ وتوفي سنة ٥١٣ هـ. الأعلام (٤/ ٣١٣).
[٧٤] أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨/ ٤٦٩).
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٧) وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وهو في الطبراني (٢٠٥/٩ ٢) ح ٨٩٠٢
[٧٥] انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٨٤- ٨٦) ومجموع الفتاوى (٣٤٩/٢٧) والرد على الأخنائي (١٠٦، ١٠٧).
[٧٦] اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٩٥).
[٧٧] الآية (٣) من سورة المائدة.

[٧٨] تقدم تخريجه.
[٧٩] تقدم تخريجه ص ٢٤٧.
[٨٠] العبيديون ص م أبناء عبيد الله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح اليهودي قامت دولتهم في مصر (٣٦٢- ٥٦٤ هـ) وكانوا من أجرأ الناس على استحداث البدع والمنكر كتاب ولا سنة. انظر كتاب قصة نسب الفاطميين للدكتور عبد الحليم عويس، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٦٧).
[٨١] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/٤٩٠).
[٨٢] الآية (٧٩) من سورة البقرة.
[٨٣] البداية لابن كثير (١٣/ ١٣٧).
[٨٤] التبر المسبوك للسخاوي (ص ١٤).
[٨٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم". انظر: فتح الباري (٣ ١/٣٠٥) ح ٧٣٢٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٥٧/٨).
[٨٦] هو: محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، شاعر صوفي غال، له عدد من القصائد في المدائح النبوية، وقد عرف عنه قلة علمه، وسلاطة لسانه، وتكففه للناس وقد ذكر محقق ديوانه عددا من الخصال التي تدل على حقيقة الرجل وقدره.
انظر: مقدمة ديوان البوصيري بتحقيق محمد سيد كيلاني.
[٨٧] هو: محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، شاعر صوفي غال، له عدد من القصائد في المدائح النبوية، وقد عرف عنه قلة علمه، وسلاطة لسانه، وتكففه للناس وقد ذكر محقق ديوانه عددا من الخصال التي تدل على حقيقة الرجل وقدره.
انظر: مقدمة ديوان البوصيري بتحقيق محمد سيد كيلاني.
[٨٨] ديوان البوصيري (ص ٢٤٠- ٢٤٨) وهذه الأبيات منتقاة من قصيدته المعروفة بالبردة..
[٨٩] تنبيه أولى الأبصار (ص ٢٤٩).
[٩٠] منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان (ص ١٦٣).
[٩١] الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإحجاف (ص ٣١).
[٩٢] الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإحجاف (ص ٢٨).
[٩٣] الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإحجاف (ص ٢٨).
[٩٤] لا يقصد هؤلاء بالحياة هنا الحياة البرزخية وهذا يتضح من سياق العبارات التالية لهذه العبارة، فهم يرون أن النبي صلى اله عليه وسلم يخرج من قبره وله التصرف الملكوت العلوي والسفلي.
[٩٥] غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٥٢).
[٩٦] الآية (٨٢) من سورة النساء.
[٩٧] لا يقصدون هنا الرؤيا المنامية وإنما يقصدون رؤية اليقظة فهم يقولون: إن رؤيته أكثر ما تقع بالقلب ثم يترقى الحال إلى أن يرى بالبصر على ما زعموا.
[٩٨] غاية الأماني (١/٥١).

[٩٩] التيجانية (ص ١٢٧).
[١٠٠] غاية الأماني (٥٢/١).
[١٠١]مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٠٧).
[١٠٢] صيد الخاطر (ص ٤٢٩).
[١٠٣] أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي. انظر: فتح الباري (٧٠/٥).
[١٠٤] تقدم تخريجه (ص ٤٥٧).

٣٥. من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة والسلام عليه

٣٦. شأنُ النبي صلى الله عليه وسلم عند المسلمين: [حديث صلح الحديبية]

٣٧. محبة النبيً صلى الله عليه وسلم وتعظيمه

بقلم /فهد عبد الله الحبيشي
alfhdabd@maktoob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

لقد صدق ربي حين قال: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} (البقرة١٢٠)

ففي حين يحاول بعض العلمانيين أن يشككوا بمصداقية القرآن والنبوات والغيبيات والآخرة والقدر وكل ما هو إسلامي، حاولوا التشكيك في هذه الآية قصدًا منهم لضرب الإسلام في كتابه ثم تثبت الأيام خطأ ما قالوه وما روجوا لها وضاعت تفاهاتهم وذهبت أدراج الرياح حين قام ثلة ممن امتلأت قلوبهم حقدًا وحنقًا على خير خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بعملهم الشائن والذي يستنكره كل ذي لب فضلاً عمن يكن لهذا النبي الكريم كل تعظيم وتبجيل واحترام، نعم لقد صدق الله وكذب هؤلاء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن([١]).

وعلى النقيض من أولئك حاول آخرون تزوير حقائق الدين بالدعاوى العريضة الباطلة وجعلوا من المخلوق شريكًا للخالق وناقضوا أصل ما جاء به الرسل وأصلت له الكتب السماوية فادعوا في النبي صلى الله عليه وسلم الخالقية سواء صرحوا بهذا أم أتوا بمعناه مما ستراه في هذه الرسالة، وهم بهذا لم يأتوا بجديد إذ قد سبقهم سابقون، فهاهم اليهود يدعون في عزير أنه ابن الله ويدعي النصارى أن المسيح ابن الله، كذبوا جميعًا فما هؤلاء إلا عبيده له سبحانه.

لقد وقف الناس في شأن الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على طرفين: الجحود والغلو وكلا القولين منبوذان ذميمان تردهما الحقائق القرآنية والنبوية والتاريخية والواقعية، ودين الله وسط بين الغالي والجافي، وهذه الوسطية في شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو ما تتحدث عنه هذه الرسالة مبينة ما يتعلق بها من جوانب مهمة ينبغي أن يتنبه لها المسلم وأن يتذكرها دومًا، محذرة من الغلو الذي وقع فيه البعض جهلًا أو تجاهلًا، كما أبغي من كل من طالع هذه الرسالة أن يدعو لي في ظهر الغيب والله المستعان.

تمهيـد

تعريف المحبة لغة واصطلاحًا

المحبة لغة:-

ذهب ابن القيم إلى أن مادة كلمة حب تدور في اللغة على خمسة أشياء هي:-

١. الصفاء والبياض ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حبب الأسنان.
٢. العلو و الظهور ومنه "حبب الماء وحبابه" وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.
٣. اللزوم و الثبات و منه حب البعير وأحب إذا برك و لم يقم.
٤. اللب ومنه حبه القلب للبه وداخله.
٥. الحفظ والإمساك و منه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضًا.

ثم قال: ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة فإنها صفاء المودة وهيجان إرادة القلب للمحبوب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزومًا لا تفارقه ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه ولاجتماع عزماته وإرداته وهمومه على محبوبه([٢])

المحبة اصطلاحًا:

قال ابن حجر: وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانًا ولا يمكن التعبير عنها([٣]) ونحو هذا قال ابن القيم: لاتحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة([٤]).

المبحث الأول :وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الواجبات في الدين ومن أعظم الحقوق الواجبة علينا تجاهه صلى الله عليه وسلم على هذا دل القران والسنة من هذه الأدلة:

١- قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(التوبة٢٤)دلت هذه الآية على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فقط بل يجب أن تكن هذه المحبة مقدمه على كل محبوب([٥]) كالأب والابن والأخ...الخ

قال القاضي عياض: "كفى بهذه الآية حظًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على لزوم محبته ووجوب فرضها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرع تعالى من كان ماله

وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى: (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"([٦])
٢- ثبت في البخاري من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شي إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال له: عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر"([٧])
٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: "فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"([٨]).
٤- عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"([٩]).
٥- عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" ([١٠])
٦- عن أنس بن مالك قال:جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله قال: "فإنك مع من أحببت".
قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: فإنك مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم([١١])
هذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وعظمها في الدين ولهذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد الناس حبًا له صلى الله عليه وسلم فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه([١٢])
وسئل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الضمأ([١٣]).
والمطالع في كتب السير يجد صورا كثيرة رائعة تدل على مدى حب الصحابة له صلى الله عليه وسلم وإيثارهم له وتقديم أرواحهم رخيصة فداء له صلى الله عليه وسلم.
أما الناس بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد انقسموا في محبته إلى ثلاثة أقسام:
١- أهل إفراط
٢- أهل تفريط.
٣- الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط.

فأهل الإفراط منهم الذين بالغوا في محبته صلى الله عليه وسلم بابتداعهم أمورًا لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ظنا منهم أن فعل هذه الأمور علامة المحبة وبرهانها كالاحتفال بمولده والمبالغة في مدحه لدرجة إشراكه في صفات خاصة لله عز وجل كما سأذكر نماذج منه لاحقًا، وهؤلاء ينبغي أن يعلموا أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون بالغلو فيه بل بتصديقه فيما اخبر به عن الله، وطاعته فيما أمر به ومتابعته ومحبته وموالاته.

أما أهل التفريط وهم المقصرون في حق النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقدموا حبه على حب النفس والأهل و المال والولد ولم يعزروه ويوقروه ويتبعوا سنته والسبب في ذلك يعود إلى:

١- جهل الكثير منهم بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له صلى الله عليه وسلم والتي من ضمنها محبته فهؤلاء يجب عليهم أن يتعلموا أمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له صلى الله عليه وسلم.

٢- إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وعن اتباع شرعه بسبب ما هم عليه من المعاصي وإسرافهم على أنفسهم وتقديمهم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي.

فالواجب على هؤلاء الإقلاع عن الذنوب والمعاصي التي هي سبب نقصان إيمانهم وضعف محبتهم وبعدهم عما يقربهم إلى الله تعالى.

وأما الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط فهؤلاء هم السلف الصالحين من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكماً وقاموا بمقتضاها اعتقادًا وقولاً وعملاً فأحبوا النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فجعلوه أولى بهم تصديقًا لقوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقاموا بمقتضى هذه المحبة فآمنوا وصدقوا بنبوته ورسالته وما جاء به عن ربه عز وجل، واعتقدوا أنه ليس من المحبة فيء شيء الغلو في حقه وقدره ووصفه بأمور اختص الله بها وحده بل علموا أن في هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة ومناقضة لما أخبر به سبحانه وتعالى([١٤]).

أقسام محبته:-

وهنا يذكر ابن رجب أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم على درجتين:

أحداهما: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديق في كل ما أخبر به وطاعته فيما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة فهذا القدر لابد منه ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الإقتداء بسنته وأخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته، وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة([١٥]).

وفي فتح الباري عن بعض العلماء أنه قال: محبة الله على قسمين فرض وندب،

فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن مناهيه والرضا بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية أو تستمر الغفلة فيقع، كذلك محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على قسمين كما تقدم، ويزداد: ألا يتلقى شيئًا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضاه ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها([١٦]).

بواعث محبة النبي صلى الله عليه وسلم:-

يدعو المسلم إلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم أمور عدة منها:-

١- موافقة مراد الله عز و جل في محبته لنبيه وتعظيمه له فقد أقسم بحياته تعظيما له في قوله (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) كما أثنى عليه فقال:(وانك لعلى خلق عظيم)(القلم٤) وقال: (ورفعنا لك ذكرك).

قال ابن القيم: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعا لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له فهي محبه لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم – وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ([١٧])

٢- أن محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم من شرط إيمان العبد بل الأمر كما قال ابن تيمية: "إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله وسقوط ذلك سقوط الدين كله"([١٨]).

٣- ما ميزه الله تعالى به من شرف النسب وكرم الحسب وصفاء النشأة وكمال الصفات والأخلاق والأفعال.

٤- شدة محبته صلى الله عليه وسلم لأمته وشفقته عليها ورحمته بها قال الله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(التوبة١٢٥) وكم كان يسأل الله تعالى الخير لأمته ويفرح بفضل الله عليها وكم تحمل من مشاق نشر الدعوة وأذى المشركين بالقول والفعل حتى أتم الله به الدين وأكمل به النعمة([١٩]).

علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم:-

اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعياً([٢٠]) ولا يوافق قوله فعله، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرج عن هذا الإطار، ولا شك أن لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم علامات ودلائل تدل على حقيقة صدق هذه المحبة، ولهذا كان لزاماً على المسلم أن يعرفها ليحققها ويعمل بها وأهم هذه العلامات ما يلي:-

١- الإقتداء به صلى الله عليه وسلم واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف عندما حد لنا من أحكام شريعته ومحبته صلى الله عليه وسلم من مهماتها وهذه أعظمها([٢١]) فعن أنس بن مالك قال: قال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة([٢٢]).
وتأمل قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي الشأن في أن الله يحبكم، لا في أنكم تحبونه وهذا لا ينالونه إلا بإتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم ([٢٣]) قال المحاسبي: وعلامة محبة العبد لله عز و جل اتباع مرضاة الله، والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان، ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه([٢٤])
وقال غيره: من الزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه و قال أبو إسحاق الرقي: علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم.
وقال غيره: لا يظهر على أحد شئ من نور الإيمان إلا بإتباع السنة ومجانبة البدعة([٢٥])
٢- أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى([٢٦]) قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(النساء٦٥) فسلب الإيمان عمن وجد في صدره حرجًا من قضائه و لم يسلم له.
٣- وهي داخله فيما قبلها :إيثار ما شرعه وحض عليه على هدى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(الحشر٩) وإسخاط العبد في رضا الله تعالى([٢٧])
٤- كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره([٢٨]) و لبعضهم : المحبة دوام ذكر المحبوب([٢٩]) قال ابن القيم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: إنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتها و تضاعفها، و ذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لان العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه و استولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره و إحضاره، و إحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، ولا شئ أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره و إحضار محاسنه، فإذا قوى هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، و تكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه([٣٠]).
و ذكره صلى الله عليه وسلم يكون بالصلاة عليه وبهذا يعلم فضيلة الحديث و أهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرًا ([٣١])و صح في السنة قوله صلى الله عليه وسلم:البخيل من ذكرت عنده فلم يصلي على([٣٢]).
وقد شرع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لإظهار محبته واحترامه وتوقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم و هذا من علامات محبته، ولقد ورد أن الصحابة رضوان الله

عليهم كانوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كان كثير من التابعين من يفعل ذلك محبة له و شوقًا إليه([٣٣]).
و يدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات و الأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات و الدلائل و ذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه و تعريف الناس وتذكيرهم بذلك ليزدادوا إيمانًا ومحبه له صلى الله عليه وسلم ولكي يتأسوا به، ولا محظور في التمدح بذلك نثرًا وشعرًا مادام ذلك في حدود المشروع الذي أمر به الشارع الكريم([٣٤]).
٥- نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، ومن وجدها استلذ الطاعات و تحمل المشاق في الدين، واثر ذلك على أغراض الدنيا الفانية([٣٥]).
٦- كثرة الشوق إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه([٣٦])، أما في حياته صلى الله عليه وسلم فمعروف وأما بعد موته فبأن يشتاق إلى لقائه في الآخرة ويشاهد ذاته الكريم صلى الله عليه وسلم ([٣٧]).
و قد نص النبي صلى الله عليه وسلم على هذه العلامة فقال: "من أشد أمتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله و ماله"([٣٨]).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي محمد في يده ليأتيني على أحدكم يوم لا يراني ثم لأن يراني معهم أحب إليه من أهله و ماله"([٣٩]).
ومن الأمثلة التطبيقية لهذه العلامة أن الأشعريين عند قدومهم المدينة كانوا يرتجزون: غدًا نلقى الأحبة... محمدًا و حزبه([٤٠])
و روي إن بلالاً و حذيفة بن اليمان و عمار بن ياسر كانوا يقولون لما حضرتهم الوفاة: غدًا ألقى الأحبة محمدًا و حزبه([٤١])
٧- حب القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم ، وهدى به واهتدى و تخلق به حتى قالت عائشة: رضي الله عنها: إن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن([٤٢]) أي كان دأبه صلى الله عليه وسلم التمسك به والتأدب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الأخلاق فجعلت عائشة رضي الله عنها القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به، وأنه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها([٤٣]).
وتمثيل حب القران بكثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها عند أهل الأداء، و ليس المراد مطلق القراءة كذا قال الخفاجي([٤٤]) و الصواب أن كثرة تلاوته تدل على حب القرآن و الشغف به، و قد صح أن من يتعتع في قراءته له أجران فلا وجه لقصر محب القرآن على المقرئين فقط، وإضافة إلى كثرة تلاوته ودوام قرأته، العمل بما فيه من أحكام و مواعظ، و تفهمه أي طلب فهمه في مواعظه و قصصه ووعده ووعيده و بيان أحوال أنبيائه وأوليائه و عاقبة أعدائه([٤٥]) وكذا التقيد بفهم معانيه([٤٦]).
هذا والسنة مليئة بالحث على تعلم القران وإتباعه، فصح عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القران وعلمه"([٤٧]).

و صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة"([٤٨]).
و لهذا إذا أردت إن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله و رسوله فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإنه من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحب شئ إليه كما قيل:
إن كنت تزعم حبي... فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيـ... ـه من لذيذ خطابي
و يروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله([٤٩]).
٨- محبة سنته صلى الله عليه وسلم، والذي يشمل: طريقه وهديه بالإقتداء به قولاً وفعلاً، وأحاديثه فيقف عند حدودها، وهي أوامرها ونواهيها([٥٠]) وأن يكثر من قراءتها فإن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمه من كلام الله تعالى أو من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه([٥١]) قال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القران وعلامة حب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة([٥٢])
٩- محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيتة وحمايته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبغض من يبغضهم وسبهم، فمن أحب سيئاً أحب من يحب([٥٣]) فعن زيد بن رقمه رضي الله عنة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً بما يدعي ((ضمًا)) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال: "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به،فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي،أذكركم الله في أهل بيتي"([٥٤]).
ومن آل بيته أزواجه صلى الله عليه وسلم قال البهيقي: ويدخل في جمله حب النبي صلى الله عليه وسلم حب أصحابه؛ لأن الله عز وجل أثنى عليهم ومدحهم فقال: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ...} (الفتح٢٩) وغيرها من الآيات([٥٥]) وصح في السنة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغضهم([٥٦])
١٠- بغض من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينة واستثقاله كل أمر يخالف شريعته([٥٧]) قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }المجادلة٢٢
وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته، وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي: لو شئت لأتيتك برأسه –يعني أباه- "([٥٨]).
١١- شفقته على الأمة بأن يحبهم ويتلطف بهم ويرقق قلبه عليهم ونصحه لهم في أمرهم ونهيهم وموعظتهم وبيان ما يصلحهم من أمورهم وسعيه في مصالحهم الدينية والدنيوية بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم ورفع المضار عنهم بدفع المظالم وإزالة مضايقتهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا"([٥٩]).
ثواب محبته:
لقد صحت أحاديث تبين عظم ثواب محبة النبي صلى الله عليه وسلم منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله، قال: فإنك مع من أحببت.
قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم فإنك مع من أحببت.. قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.([٦٠])
ففي هذا الحديث بشارة عظيمة للسائل ولكل من أحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.
وليس المراد بالمعية هنا المساواة في المنزلة وعلو الرتبة وإنما المراد أنه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وإن كانت مراتبهم متفاوته([٦١]).
ونحو الحديث السابق جاء عن عبد الله بن مسعود: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب"([٦٢]).
ومعلوم أن المحبة القلبية لابد أن تنعكس على الجوارح ويكون لها الأثر الواقعي الذي يدل على تلك الصفة الإيمانية، فدعوى المحبة القلبية دون برهان واقعي يجسد معانيها ويدل عليها تبقى دعوى، إذ إن المحبة تعني الاتباع والمتابعة له صلى الله عليه وسلم والاجتهاد في الطاعة لكي يصل إلى مرتبة عالية في الجنة والتي يتيسر لها من خلالها معيته صلى الله عليه وسلم ومما يدل على هذا حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال:كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود([٦٣])
ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى: " {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً}(النساء٦٩).

ومما يدخل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم ثواب كل طاعة من الطاعات ذلك لأنها في الحقيقة ثمرة للمحبة لأن المحبة أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين([٦٤]).

المبحث الثاني: وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم

إن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله شعبة عظيمة من شعب الإيمان وهذه الشعبة غير شعبة المحبة بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة ذلك لأنه ليس كل محب معظمًا ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة([٦٥]).

وفي تعظيمه صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه: (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) أي تعظموه وتفخموه، وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه([٦٦])، فأوجب سبحانه تعزيره وتوقيره وإلزام إكرامه وتعظيمه([٦٧])، وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف أن التعزير هاهنا التعظيم([٦٨]) فقال تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(الأعراف١٥٧) وفي القرآن ما يبين بعضًا من مظاهر تعظيمه منها:

١- قوله تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً}(النور٦٣) أي لا تغلظوا له بالخطاب أو رفع الصوت ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض أو تجعلوا دعوته إياكم كالدعاء من بعضكم لبعض في التساهل في بعض الأحوال عن الإجابة أو الرجوع بغير استئذان ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به نحو يا رسول الله، يا نبي الله([٦٩])، وقال سعيد بن جبير ومجاهد: المعنى قولوا يا رسول الله في رفق ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم وقال قتادة: أمرهم أن يشرفوه ويفخموه([٧٠]).

٢- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ () يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ()إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ()وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{(الحجرات١:٥) لقد بين الله سبحانه في هذه الآيات جملة آداب مع النبي صلى الله عليه وسلم وهي:

أ- حرمة المسارعة ومسابقته صلى الله عليه وسلم قولًا أو فعلاً.

ب-حرمة رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم.

ت-حرمة الغلظة له بالخطاب ومناداته باسمه.

ث-ذم الله سبحانه الذين ينادونه من وراء حجرات نسائه إذ هو منافي للأدب معه صلى الله عليه وسلم وبين لهم أن يصبروا حتى يخرج إليهم.

٣- قال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ}(التوبة١٢٠) قال الحليمي: "فأعلمهم أن نفس

الرسول صلى الله عليه وسلم أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عما لا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر أو طول طريق أو عوز ماء أو قلة زاد بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه وفي هذا أعظم البيان لمن عقل وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره"([٧١]).
٤- قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً()وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً}(الأحزاب٥٧،٥٨) فالله تعالى من تعظيمه لنبيه حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين أذاه وأذى المؤمنين فأوجب على من آذى النبي صلى الله عليه وسلم اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق غيره([٧٢]).
هذا وتذكر لنا كتب الآثار نماذج رائعة لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من خير الناس صحابة رسول الله منها ما جاء عن عمرو بن العاص السابق الذكر والذي فيه "وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت".
ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يتوضأ إلا ابتدر الصحابة وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يمدون إليه النظر تعظيما له([٧٣]).
تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم محله القلب واللسان والجوارح:
أما تعظيم القلب فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبدًا رسولاً من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين والتي من لوازمها الإكثار من ذكره وتعظيم القلب له صلى الله عليه وسلم واستشعاره لهيبته وجلالة قدره وعظيم شأنه.
وأما تعظيم اللسان فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم كما أمر الله تعالى حين قال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} (الأحزاب٥٦) ذلك أن معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد عظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: (صلوا عليه) ادعوا ربكم بالصلاة عليه"([٧٤]).
ومن تعظيم اللسان ألا نذكره باسمه فقط بل لابد من زيادة ذكر النبوة والرسالة والصلاة والسلام عليه لقوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا).
ومن تعظيم اللسان تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه وذكر صفاته وأخلاقه

وخلاله وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته والتمدح بذلك شعرًا ونثرًا بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أجازه الشرع بعيدا عن مظاهر البدعة والغلو والإطراء المحظور.
وأما تعظيم الجوارح له صلى الله عليه وسلم فهو العمل بشريعته والتأسي بسنته ظاهرًا وباطنًا والتمسك بها والحرص عليها وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها والسعي في إظهار دينه ونصر ما جاء به والاجتناب عما نهى عنه([٧٥]).
المبحث الثالث: النهي عن الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم
الغلو في اللغة: هو مجاوزة الحد.
وشرعًا: مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل([٧٦]).
وقد نهى عز وجل عن الغلو فقال: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ}(النساء١٧١) وقال: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ}(المائدة٧٧).
قال ابن القيم: " ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله"([٧٧]).
وعن بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"([٧٨]).
وهذا التحذير من الغلو عام في جميع أنواع الغلو فيشمل الاعتقادات والأعمال كما قال شيخ الإسلام، ولهذا كانت الوسطية مما تميز به هذا الدين عن غيره من الأديان التي دخلها التحريف فسار بعضها مشرقا وبعضه الآخر مغربًا، ونرى بجلاء هذا التوسط والاعتدال في جوانب شتى منها عقيدة الإيمان بالأنبياء، فاليهود كذبوا الرسل وعذبوهم وقتلوهم، والنصارى غالوا فيهم لدرجة رفع بعضهم إلى مرتبة الإلهية، ولهذا حذر الله من هذا الغلو ونسبه إلى أهل الكتاب كما في الآيات السابقة.
ولخطر الغلو في الأنبياء وخاصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد امتلأ القرآن ببيان بشريته صلى الله عليه وسلم وعبوديته لخالقه سبحانه، فقال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي)(الكهف١١٠) وذكره سبحانه بصفة العبودية في عدة آيات فقال: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)(الإسراء١) وقال: (فأوحى إلى عبده ما أوحى)(النجم١٠).
وبين سبحانه أن الرسل لا يملكون شيئا من خصائص الألوهية والربوبية فقال سبحانه: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ}(الأنعام٥٠) وقال تعالى: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }(الأعراف١٨٨) وقال سبحانه: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}(آل عمران١٢٨) وبين سبحانه كفر من يرفع النبيين فوق مقامهم قال تعالى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ

وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} (آل عمران٨٠) أي كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيراً والنصارى عيسى.
ووصف الأنبياء بما سبق لا يعني البتة الانتقاص من قدرهم أو مكانته بل لهم المقام الرفيع والمكانة السامية كيف لا وهم مبلغوا دين الله إلى البشر والدعاة الأول إلى الإيمان، يقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} (النساء١٥٠) فحكم سبحانه بكفر من يرفع النبيين فوق قدرهم بحيث يضفي عليهم صفات اختص بها الله سبحانه كما حكم بكفر من كذب بنبي واحد إذ الكفر بواحد "كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض"([٧٩]).
وفي النهي عن الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم صح عنه أنه قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله"([٨٠]).
وصح عنه أيضا قوله: "لا تتخذوا قبري عيدًا"([٨١]).
وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلتني لله عدلا –أي ندا- بل ما شاء الله وحده "([٨٢]).
نماذج من الغلو:
رغم النهي الوارد في القرآن والسنة عن الغلو فيه بما يجعله ندا لله أو إضفاء صفات أو بعض صفات الألوهية عليه صلى الله عليه وسلم رغم ذلك فقد وجد من لم يفقه ذلك كله، ورفضه قولًا وعملًا، ولم يكتف بهذا بل جادل وناظر وألف حاضر في سبيل بث هذه الروح والرؤية المنحرفة التي لا تمت إلى شريعة الإسلام الحقة النقية بأدنى صلة، وقد تنوعت أساليب الغلو وأخذت أشكالا عقدية عدة ورغم أنها بدأت بذرات وأفكار متناثرة هنا وهناك إلا أن فترة الجمود والتقليد والتي خيم ظلامها على الأمة في الأعصر المتأخرة كانت كفيلة بأن ترعى تلك البذرة بالري كي تنمو وتزداد مع مرور الأيام، فكان لا يأتي عصر إلا وقد زادت البدعة بدعًا والظلام حلوكًا، وكان كل من يريد أن يجعل لنفسه موطئ قدم في هذا الفكر البدعي أضاف بدعًا، لتغدو هذه البدع ككرة الثلج المتدحرجة التي تبدأ أول الجبل صغيرة خفيفة لتصل نهايته ضخمة كبيرة، وإنك لتقرأ لبعض هؤلاء الغلاة فتجد العجب لدرجة أنك ربما لا تستطيع المواصلة لما تجد من ضلالات هي أقرب إلى الحماقات ومضادة الشرع، وليصبح هذا الغلو مجالا للمزايدات فكل من أراد تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب ظنه زاد على غيره وكل من أراد أن يصل إلى مرتبة الولاية والمعرفة اللدنية سحب من الصفات الإلهية وألقاها على رسول الله، وفي النهاية لا يصبح لهذا الغلو حدود يقف عنده، وبموجبه يزال الحاجز بين الخالق والمخلوق، أو أن يصبح الله عز وجل خالقا بلا خلق فليس له الأمر والنهي وكل متعلقات الألوهية والربوبية كما سيظهر هذا مما يأتي.
لغد غدا الغلو فلسفة ليس فقط في جانبه الكلامي بل والصوفي كذلك، ولم يسلم من هذه الفلسفة خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدون حياء من البعض يتبنى مناهج فلسفية مغايرة تمام المغايرة لشرعه صلى الله عليه وسلم ولما جاء به لينزلها

بعد ذلك عليه صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم أن هناك تيارات عقدية اغترفت من العلوم والمعتقدات الفلسفية الآسنة والتي تنوعت بين إغريقية وفارسية وهندية وتمثلت في مدارس شتى مشائية وغنوصية وإشراقية وأفلوطنية محدثة وصاغتها صياغة توحي بإسلاميتها حيث استبدلت الأسماء الأجنبية بأخرى إسلامية، وسمت بعض تلك الجهالات بأسماء عربية لتخفي الأسماء الحقيقية وليبدو لمن لا يعلم أن ما قيل نابع من القرآن والسنة والحقيقة أن الأمر ليس كذلك.

وهنا أسوق هنا بعض الأمثلة على الغلو الممقوت والذي يتعارض مع الشرع الحنيف مهما حاول قائلوه أن يأسلموه فالماء والنار لا يجتمعان:

١- الحقيقة المحمدية:

يقول النبهاني وهو من المنظرين لهذا الفكر الغريب عن الأمة مبينا معنى هذا المصطلح الغريب عن عقيدة الأمة والذي ظهر متأخرًا تأثرًا بالفكر الوافد يقول: "اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها...ثم ابجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات"([٨٣]).

معنى هذا أن الله سبحانه خلق محمدًا صلى الله عليه وسلم من نوره، وأنه خلقه قبل آدم بل قبل خلق العوالم جميعًا، بل إن الأشياء جميعها خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم وهذه دعاوى باطلة لا دليل عليها لا من قرآن ولا من سنة وما احتج به قائلوا هذه الكلام من أحاديث كلها موضوعة كحديث "كنت نبيًا وآدم ولا آدم ولا ماء ولا طين" وحديث "إنه كان نورًا حول العرش فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور" وغيرها من الأحاديث الموضوعة والمنكرة سندًا ومتنًا، ومن المعلوم أن الاستدلال لا يكون إلا بالأحاديث الصحيحة والتي بذل حفاظ الإسلام جهودًا جبارة في بيانها وتنقيتها، ولكن هؤلاء لجئوا إلا هذه الموضوعات لأنهم لم يجدوا دليلاً يؤيد رأيهم من القرآن أو صحيح السنة، كما أن منهج هؤلاء الاستدلال بالمتواتر فيما يتعلق بالعقديات وقد أقام أسلافهم الدنيا وأقعدوها في قبول صحيح أحاديث الآحاد في هذا المجال وتفريقهم بين الأصول والفروع العقدية في هذا المجال غير مقبول، وإذا بهم يدعمون بدعًا مخالفة للنصوص الثابتة مثل قوله سبحانه: (سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) وقوله سبحانه: (قل ما كنت بدعا من الرسل).

٢- زعم بعضهم أن الدنيا خلقت من أجل النبي صلى الله عليه وسلم ويقول أحد هؤلاء تعبيرًا عن هذه العقيدة:

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر... ولا نجوم ولا لوح ولا قلم([٨٤])

وعندما يطالب هؤلاء بالدليل الصحيح الصريح الخالي عن المعارضة يحتجون بحديث موضوع وهو: "لولاك ما خلقت الأفلاك" فهل يصح هذا دليلا في دين الله، كيف يستدل بحديث مكذوب من يريد رضا الله عز وجل دنيا وأخرى، كيف يستحق هذا القائل محبة الله ومغفرته وجنته وهو يكذب عليه ويعارض قوله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) لقد بين الله سبحانه في هذه الآية أنه ما خلق الجن والإنس جميعًا بما فيهم رسوله صلى الله عليه وسلم إلا لعبادته وحده ثم يأتي هؤلاء ويحرفون

مسار العقيدة الإسلامية والتي هي توحيده سبحانه ليصبح سبب خلق المخلوقات جميعا إنما هو لكي يرسل رسول الله إليهم!!! وهم انتحوا هذا الضلال ليضيعوا معنى التوحيد وليعبدوا الناس لأهوائهم وشهواتهم وقبورهم وليدخلوا من هذه البدعة الكثير والكثير من البدع، ولست أدري كيف مررت هذه العقيدة على بعض المسلمين وكأنهم لم يقرؤوا الآية السابقة ربما كان للجهل المطبق دوره الفعال.

٣- وصف بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم واستغاثتهم به بما لا يجوز إلا لله سبحانه والأمثلة على هذا كثيرة في كلامهم منها قول أحدهم:

ألا بأبي من كان ملكا وسيدا... وآدم بين الماء والطين واقف
إذا رام أمرا لا يكون خلافه... وليس لذاك الأمر في الكون صارف([٨٥])

وقال آخر:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصير يا عمدتي يا مجيري... يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي.. عند ربي واعطف وجد بالرضاء
أنت غوثي وملجئي وغياثي... وجلا كربتي وأنت غنائي([٨٦])

وقال آخر:

يا رسول الله إني ضعيف... فاشفني أنت مقعد للشفاء([٨٧])

وقال النبهاني:

سيدي أبا البتول أغثني... أنت أدرى بما حواه الضمير([٨٨])!!!

ويقول صاحب البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به... سواك عند حلول الحادث العمم

ويقول آخر: "إن مفاتيح الكون كلها في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مالك الكل وإنه النائب الأكبر للقادر وهو الذي يملك كلمة كن"([٨٩])

وقال أيضًا : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبرئ من السقم والآلام والكاشف عن الأمة كل خطب، وهو المحيي وهو الدافع للمعضلات والنافع للخلق والرافع للرتب وهو الحافظ والناصر وهو دافع البلاء وهو الذي برد على الخليل النار وهو الذي يهب ويعطي وحكمه نافذ وأمره جار في الكونين"([٩٠]) فماذا أبقى لله؟!!!

إن المقالات الشركية التي تنحو هذا المنحى كثيرة([٩١]) وهي من مخلفات عصور الانحطاط، مع أن القرآن قد رد هذه المزاعم جميعها وقد أوردنا سابقًا بعضًا من البيان القرآني والنبوي لعقيدة الإسلام والداعية إلى توحيده سبحانه، ونزيد هنا آيات لها تعلق بما قال هؤلاء فنقول:

لقد بين الله سبحانه في القرآن أنه :

هو الذي ينجي من كل كرب فقال: {قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ }الأنعام٦٤

وأن النعم كلها منه سبحانه فقال: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} النحل٥٣

وأنه هو كاشف الضر فقال: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ}الأنعام١٧
وأن كل ما سوى الله لا يملك مثقال ذرة فقال: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ}سبأ٢٢) وأمر نبيه أن يبين أن الإضرار والإرشاد بيد الله وحده {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً () قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً}(الجن٢٢،٢١) والمعنى كما يقول ابن كثير: " أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أي لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه"([٩٢]).
ويلاحظ بجلاء من الآيات مقدار التشنيع والتقريع والتوبيخ لمن يدعو مع الله غيره ويرجوه، ولمن دعا الله في الضراء والكرب فلما نجاه مما هو فيه إذا به يشرك مع الله غيره، فكيف بالله عليك من يدعو غير الله في كلتا الحالتين الضراء والسراء أليس أتعس حالًا.
كما بين سبحانه بأنه القادر وحده والمالك وحده والمجيب دعوة المطر وكاشف السوء وأن من يضفي هذه الصفات على غيره سبحانه يكون مشركا ويكون قد اتخذ إلها من دون الله يقول سبحانه: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}(النمل٦٢)
وصدق ربي فقليلا ما يتذكر هؤلاء أن الله هو الخالق البارئ الذي بيده مقاليد السموات والأرض وأن الأمر كله له (قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)(آل عمران ١٥٤) {وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(هود١٢٣).
إن من يغلو بالباطل في حق النبي صلى الله عليه وسلم لهو ممن يعارض ويضاد شرعه، فلا يحسبن أنه بعمله هذا يحسن صنعا، بل هو جرأة عظيمة في القول على الله بالباطل وزيغ عن الطريق، وهو لا يقل فداحة عن أولئك الذين يتنقصون من قدره صلى الله عليه وسلم ممن كان بعضهم أبناء لهذا الفكر أو قريبين منه أو ممن تأثروا بالثقافات الوافدة ألا فاليعلموا جميعًا أنهم قد سلكوا الطريق الخطأ وأنهم سيدركون الحق عما قريب ولكن أخشى أن يكون بعد فوات الأوان.
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
....
[١]) البخاري ٢٦٦٩/٦، ومسلم ٢٠٥٤/٤
[٢]) انظر لسان العرب.
[٣]) الفتح ٤٦٣/١٠
[٤]) انظر مدارج السالكين ٩/٣
[٥]) انظر تفسير القرطبي ٩٥/٨
[٦]) الشفاء للقاضي عياض
[٧]) البخاري ٥٢٣/١١ مع الفتح

[٨])) البخاري ٥٨/١ مع الفتح
[٩])) البخاري ٥٨/١ مع الفتح ومسلم ٤٨/١
[١٠])) البخاري ٧٢/١ مع الفتح ومسلم ٤٢/٨
[١١])) مسلم ١٤٥/٨
[١٢])) مسلم ١٤٥/٨
[١٣])) الشفاء
[١٤])) انظر هذه الأقسام في حقوق النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد التميمي
[١٥])) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ٣٥،٣٤
[١٦])) فتح الباري ٦١/١
[١٧])) جلاء الأفهام ٢٩٧
[١٨])) انظر الصارم المسلول ٧٢
[١٩])) انظر حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال ٧٢
[٢٠])) الشفاء ٢٤/٢
[٢١])) المواهب اللدنية مع الشرح ١١٧/٩
[٢٢])) الترمذي٤٦/٥
[٢٣])) المواهب اللدنية ١٢٠/٩ مع شرح الزرقاني
[٢٤])) المصدر السابق
[٢٥])) المصدر السابق ١٢١/٩
[٢٦])) المصدر السابق ١٢٤/٩
[٢٧])) الشفاء ٢٤/٢
[٢٨])) المصدر السابق ٢٥/٢
[٢٩])) المواهب ١٣٢/٩
[٣٠])) جلاء الأفهام ٢٤٨
[٣١])) انظر نسيم الرياض للخفاجي ٣٦١/٣
[٣٢])) أخرجه الترمذي ٥٥١/٥ وصححه، كما صححه ابن حبان ١٨٩/٣ والحاكم ٥٤٩/١ ووافقه الذهبي
[٣٣])) الشفاء
[٣٤])) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ٣٢٨/١
[٣٥])) المواهب ١٢٩/٩
[٣٦])) الشفاء ٢٠/٢
[٣٧])) انظر نسيم الرياض ٣٦١/٣
[٣٨])) مسلم ١٤٥/٨
[٣٩])) مسلم ٩٦/٧
[٤٠])) أحمد ١٠٥/٣ وانظر الشفاء ٢٥/٢
[٤١])) انظر الشفاء
[٤٢])) مسلم ١٦٨/٢
[٤٣])) نسيم الرياض ٣٦٨/٣

[٤٤])) المصدر السابق
[٤٥])) شرح الشفاء للقاري بهامش نسيم الرياض ٣٦٨/٣
[٤٦])) نسيم الرياض ٣٦٩/٣
[٤٧])) أخرجه البخاري ١٩١٩/٤
[٤٨])) أخرجه مسلم ١٨٧٣/٤
[٤٩])) المواهب ١٤٢/٩،١٤٣
[٥٠])) انظر المصدر السابق ١٤٦/٩، والشفاء ٢٨/٢، وشرحه للقاري والخفاجي ٣٦٩/٣
[٥١])) المواهب ١٤٦/٩،١٤٧
[٥٢])) الشفاء ٢٨/٢
[٥٣])) المرجع السابق ٢٦/٢
[٥٤])) مسلم ١٨٧٣/٤
[٥٥])) انظر شعب الإيمان ٢٨٧/١
[٥٦])) البخاري ١٤/١، ومسلم ٨٥/١
[٥٧])) الشفاء ٢٧/٢
[٥٨])) المرجع السابق ٢٧/٢،٢٨
[٥٩])) انظر الشفاء وشرحيه ٣٦٩/٣
[٦٠])) سبق تخريجه
[٦١])) انظر عمدة القاري ١٩٦/٢٢ ونسيم الرياض ٣٤٨/٣
[٦٢])) البخاري ٢٢٨٣/٥ ومسلم ٢٠٣٤/٤
[٦٣])) مسلم ٣٥٣/١
[٦٤])) انظر حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨٢/١
[٦٥])) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١٢٤/٢ نقلا عن المرجع السابق ٤٢٣/٢
[٦٦])) فتح القدير للشوكاني ٥٦/٥
[٦٧])) الشفاء ٣٤/٢
[٦٨])) انظر فتح القدير ٥٦/٥
[٦٩])) المرجع السابق
[٧٠])) انظر المنهاج في شعب الإيمان ١٢٥/٢ نقلا عن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ٤٢٤/٢
[٧١])) المنهاج في شعب الإيمان ١٢٨/٢ نقلا عن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ٤٣٦/٢
[٧٢])) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته٤٣٩/٢
[٧٣])) البخاري ٩٧٤/٢
[٧٤])) انظر المنهاج للحليمي ١٣٤/١
[٧٥])) انظر حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ٤٦٦/٢ وما بعدها
[٧٦])) المصدر السابق ٦٤٣/٢

([٧٧]) إغاثة اللهفان٢/٢٢٦
([٧٨]) سنن النسائي ٢٦٨/٥، وصححه ابن حبان١٨٣/٩
([٧٩]) تفسير ابن كثير ٣٤٢/١
([٨٠])البخاري ١٢٧١/٣
([٨١]) أبو داود ٦٢٢/١ وصححه الألباني
([٨٢]) المسند ٢١٤/١وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.
([٨٣]) الأنوار المحمدية ٩
([٨٤]) تنبيه الحذاق ٢٧ نقلا عن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ٧١٤/٢
([٨٥]) المواهب ٣/١
([٨٦]) شواهد الحق للنبهاني ٣٥٥ نقلا عن الشرك في القديم والحديث لمحمد زكريا ٨٩٣/٢
([٨٧]) المصدر السابق ٣٥٢
([٨٨]) المرجع السابق ٣٦٢
([٨٩]) الاستمداد على أجيال الارتداد للبريلوي ٣٢
([٩٠]) المرجع السابق ٣٥٢
([٩١]) انظر الكثير من هذه الشركيات في كتاب الشرك بين القديم والحديث ٨٩٣/٢ وما بعدها
[٩٢]) تفسير ابن كثير ٥٥٥/٤

٣٨. حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

فهد عبد الله

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وحمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فلا شك أن للنبي صلى الله عليه وسلم حقوقًا على أمته ومن هذه الحقوق الصلاة والسلام عليه، وكلامنا هنا سيدور حول هذا الموضوع مبينًا حكم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وصيغها ومواضعها وجمل مما له علاقة بما نحن فيه.

أولًا: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

قال علماء اللغة: الصلاة وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها"(١).

والصلاة في اللغة الدعاء.

قال ابن القيم: "وأصل هذه اللفظة في اللغة يرجع إلى معنيين:

أحدهما: الدعاء والتبريك.

والثاني: العبادة.

فمن الأول قوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)(التوبة ١٠٣) وقوله تعالى في حق المنافقين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)(التوبة ٨٤).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دعي أحدكم إلى الطعام فليجب فإن كان صائمًا فليصل"(٢) فسر بهما قيل: فليدع لهم بالبركة، وقيل: يصلي عندهم بدل أكله.
وقيل: إن الصلاة في اللغة معناها الدعاء،
والدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، والعابد داع كما أن السائل داع، وبهما فسر قوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)(غافر٦٠) قيل: أطيعوني أثبكم، وقيل سلوني أعطكم، وفسر بهما قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)(البقرة١٨٦).
والصواب أن الدعاء يعم النوعين، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه، فمن استعماله في دعاء العبادة قوله تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض)(سبأ٢٢) وقوله تعالى: (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون)(النحل٢٠) وقوله تعالى: (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) (الفرقان٧٧) .
والصحيح من القولين لولا أنكم تدعونه وتعبدونه أي: أي شيء يعبأ بكم لولا عبادتكم إياه، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل.
وقال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا)(الأعراف ٥٥،٥٦) وقال تعالى إخباراً عن أنبيائه ورسله: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً)(الأنبياء٩٠)وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى ودعوى الاختلاف في مسمى الدعاء وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية هل هو منقول عن موضعه في اللغة فيكون حقيقة شرعية أو مجازًا شرعيًا، فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها في اللغة وهو الدعاء، والدعاء دعاء عبادة ودعاء مسألة والمصلي من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة، فهو في صلاة حقيقية لا مجازاً ولا منقولة، لكن خص اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة كسائر الألفاظ التي يخصها أهل اللغة والعرف ببعض مسماها كالدابة والرأس ونحوهما، فهذا غايته تخصيص اللفظ وقصره على بعض موضوعه، ولهذا لا يوجب نقلاً ولا خروجاً عن موضوعه الأصلي والله أعلم"(٣).
وجاء لفظ الصلاة في الاصطلاح الشرعي على عدة معاني بحسب ما تقترن به وهي كما يلي:-
١- صلاة الله على رسوله رحمته له وحسن ثنائه عليه، ومنه قوله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبي يأأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).
٢- الصلاة من الملائكة دعاء واستغفار.
٣- ومن الله رحمة وبه سميت الصلاة، لما فيها من الدعاء والاستغفار وفي الحديث: "التحيات والصلوات" والصلوات معناها الترحم وقوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) أي يترحمون
٤- الصلاة بمعنى الدعاء، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطراً فليطعم وإن كان صائماً فليصل" فقوله "فليصل" يعني فليدع لأرباب الطعام بالبركة والخير والصائم إذا أكل عنده الطعام صلت عليه

الملائكة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة عشراً"(٤) وكل داع فهو مصل.
٥- والصلاة بمعنى الاستغفار كحديث سودة أنها قالت: يا رسول الله إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا؟
فقال لها: "إن الموت أشد مما تقدرين"(٥).
٦- وأما قوله تعالى: (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فمعنى الصلوات ههنا الثناء عليهم من الله تعالى.
وقال بعضهم:
١- الصلاة من الله رحمة.
٢- ومن المخلوقين الملائكة والإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح
٣- و الصلاة من الطير والهوام التسبيح(٦).
وقال ابن القيم: وأما صلاة الله سبحانه على عبده فنوعان: عامة وخاصة.
أما العامة فهي صلاته على عباده المؤمنين قال تعالى: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته)(الأحزاب٤٣) ومنه دعاء النبي بالصلاة على آحاد المؤمنين.
النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله خصوصا على خاتمهم وخيرهم محمد فاختلف الناس في معنى الصلاة منه سبحانه على أقوال:
أحدها: أنها رحمته فعن الضحاك قال: صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء.
وقال بض علماء اللغة: أصل الصلاة الرحمة، فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله، وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين.
والقول الثاني: أن صلاة الله مغفرته فعن الضحاك في قوله تعالى: (هو الذي يصلي عليكم) قال: صلاة الله مغفرته، وصلاة الملائكة الدعاء.
وهذا القول من جنس الذي قبله وهما ضعيفان؛ لأن الله سبحانه فرق بين صلاته على عباده ورحمته فقال تعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)(البقرة١٥٧) فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهم(٧)..
القول الثالث: أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته، قال أبو العالية: "صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند الملائكة"(٨).
قال ابن القيم: "الصلاة المأمور بها هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب، وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه لوجهين:
أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشادة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة لذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.
والوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به"(٩).
صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:-

وردت الصلاة على النبي بصيغ عدة وهي كما يلي:-
١- عن أبي مسعود(١٠) قال: أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله ونحن عنده فقال: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا؟
قال: فصمت رسول الله حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله.
فقال: "إذا أنتم صليتم علي فقولوا: "اللهم صل على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم"(١١).
٢- عن ابن أبي ليلى(١٢)قال لقيني كعب بن عجرة(١٣) فقال: ألا أهدي لك هدية: خرج علينا رسول الله فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك.
قال: "قولوا اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" (١٤).
٣- عن أبي حميد الساعدي(١٥) أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله: "قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" (١٦).
٤- أبي سعيد الخدري(١٧) رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟
قال: "قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم(١٨).
٥- عن طلحة بن عبيد الله(١٩) قال: قلت: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟
قال: "قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" قال ابن القيم إسناده صحيح(٢٠).
حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم:-
ورد الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا)(الأحزاب٥٦).
قال سهل بن عبد الله(٢١): الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك.
قال ابن كثير: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا"(٢٢).
قال الحليمي(٢٣): "وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا) فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل؛ إذ كانت الملائكة مع

انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق"(٢٤).

وقد اختلف الفقهاء في حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على أقوال أجملها فيما يلي:-

١- مستحبة.
٢- واجبة بغير حصر، لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة، وادعى بعض العلماء الإجماع عليه.
٣- تجب مرة في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد.
٤- تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحليل.
٥- يجب في التشهد.
٦- تجب في الصلاة من غير تعيين المحل.
٧- يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.
٨- يجب كلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من غيره، أو ذكره هو بنفسه
٩- في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا.
١٠- في كل دعاء(٢٥).

والراجح أنها تجب مرة واحدة في العمر، وكذلك في المواطن التي يجب الصلاة والسلام عليه فيها.

** ومن أدلة وجوبها ما يلي:

قال تعالى: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً] (الأحزاب ٥٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (٢٦) رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً" (٢٧)

وعن ابن مسعود t أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة "(٢٨)

وعن فضالة بنى عبيد(٢٩) قال: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجل هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ثم ليدع بما شاء"(٣٠)

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصلي علي"(٣١).

أما ابن القيم فقد عدد المواطن التي يجب أو يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي:-

١- في الصلاة في آخر التشهد، وهو أهمها وآكدها في الصلاة في آخر التشهد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته واختلفوا في وجوبه فيها فقالت: طائفة ليس بواجب فيها وهو قول أبي حنيفة، وقال الشافعي بوجوبه(٣٢).

٢- في التشهد الأول وهذا قد اختلف فيه فقال الشافعي رحمه الله في الأم: "يصلى على النبي في التشهد الأول"(٣٣) هذا هو المشهور من مذهبه وهو الجديد، لكنه

يستحب وليس بواجب، وقال في القديم لا يزيد على التشهد، وبهذا قال احمد أبو حنيفة ومالك وغيرهم(٣٤).
١- آخر القنوت استحبه الشافعي ومن وافقه(٣٥).
٢- الصلاة عليه في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية ولا خلاف في مشروعيتها فيها، واختلف في توقف صحة الصلاة عليها فقال الشافعي وأحمد في المشهور من مذهبهما إنها واجبة في الصلاة لا تصح إلا بها، وقال مالك وأبو حنيفة تستحب وليست بواجبة وهو وجه لأصحاب الشافعي(٣٦).
٣- الصلاة عليه في الخطبة، وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطبة، فقال الشافعي وأحمد في المشهور من مذهبهما لا تصح الخطبة إلا بالصلاة عليه، وقال أبو حنيفة ومالك تصح بدونها، وهو وجه في مذهب أحمد(٣٧)
٤- الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة"(٣٨).
٥- عند الدعاء لحديث فضالة عن عبيد وقول النبي فيه: "إذا دعا أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم يدعو بما شاء"(٣٩).
٦- عند دخول المسجد وعند الخروج منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم"(٤٠).
٧- عند اجتماع القوم قبل تفرقهم، قال صلى الله عليه وسلم : "ما جلس قوم مجلسًا، ثم تفرقوا ولم يذكروا الله، ولم يصلوا على النبي إلا كان عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وان شاء غفر لهم"(٤١).
٨- الصلاة عليه عند ذكره فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي"(٤٢)(٤٣).
ومواطن الصلاة فيها على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة ذكرها أهل العلم في كتبهم وسأجملها اختصاراً فيما يلي:
* على الصفا والمروة.
* عند الاجتماع في المجالس.
* عند الفراغ من التلبية.
* عند استلام الحجر الأسود في الطواف.
* عند إلقاء الدروس والمحاضرات والندوات.
* عقب ختم القرآن.
* عند القيام من المجلس.
* عند المرور على المساجد ورؤيتها.
* عند الهم والغم والشدائد.
* عند طلب المغفرة والرحمة من الله عز وجل.

* في أول النهار وآخره.
* عقب الذنب أو المعصية إذا أراد المذنب أو العاصي أن يكفر الله عنه.
* عند خطبة الرجل المرأة.
* عند دخول المنزل.
* كلما ذكر الله عز وجل.
* إذا نسي الشيء وأراد ذكره.
* عند النوم.
* عقب الصلوات.
* عند طنين الأذن.

كان هذا بعض ما ذكره أهل العلم من مواطن ذكره صلى الله عليه وسلم ، وإلاّ فذكره في كل وقت وحين فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من صلّى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً) (٤٤).

ثانيًا: السلام عليه صلى الله عليه وسلم:

اشتملت الآية السابقة الآمرة بالصلاة على التسليم عليه صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: (وسلموا تسليمًا).

وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أوجه:-

أحدها: السلامة من النقائص والآفات لك ومعك، أي مصاحبة وملازمة، فيكون السلام مصدراً بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة، والملام والملامة، ولما في السلام من الثناء عدى بعلى لاعتبار معنى القضاء أي قضى الله تعالى عليك السلام، لأن القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لبعده في هذا الوجه.

ثانيها: السلام مداوم على حفظك ورعايتك، ومتول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى، ومعناه على ما اختاره بعضهم من عدة أقوال: ذو السلامة من كل آفة ونقيصة ذاتا وصفة وفعلا.

وقيل: إذا أريد بالسلام ما هو من أسمائه تعالى فالمراد لا خلوت من الخير والبركة، وسلمت من كل مكروه؛ لأن اسم الله تعالى إذا ذكر على شيء أفاده ذلك، وقيل: الكلام على هذا التقدير على حذف المضاف أي حفظ الله تعالى عليك، والمراد الدعاء بالحفظ.

وثالثها: الانقياد عليك، على أن السلام من المسالمة، وعدم المخالفة والمراد الدعاء بأن يصير الله تعالى العباد منقادين مذعنين له عليه الصلاة والسلام ولشريعته(٤٥)

- صيغة السلام:-

وصيغة السلام على النبي صلى الله عليه وسلم هو قولنا في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وحكى ابن عبد البر(٤٦) احتمالاً آخر وهو أنه السلام الذي يعقبه التحلل، واستظهر الأول وهو كذلك (٤٧).

- حكم السلام عليه صلى الله عليه وسلم:-

قال العلماء الأصل في السلام عليه صلى الله عليه وسلم الندب، ولكن قد يرتقي إلى درجة الوجوب في مواضع:-

١- في التشهد الأخير.
٢- كلما ذكر ذهب إلى هذا بعض السلف.
٣- يجب بالنذر لأنه قربة(٤٨).
والحمد لله رب العالمين

----

(١) كتاب العين ١٥٣/٧
(٢) صحيح مسلم١٠٥٤/٢
(٣) جلاء الأفهام١٥٥
(٤) الأحاديث المختارة١٨٩/٨، وشعب الإيمان٢١١/٢
(٥) المعجم الكبير للطبراني٣٤/٢٤ تحقيق: حمدي السلفي،مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الثانية، ١٩٨٣م.
(٦) انظر لسان العرب ٤٦٥/١٤
(٧) المرجع السابق
(٨) انظر جلاء الافهام ١٦١
(٩) المرجع السابق
(١٠) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري مشهور بكنيته، اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدرا نزل الكوفة، وكان من أصحاب علي واستخلف مرة على الكوفة مات قبل سنة أربعين، مات بعد الأربعين. الإصابة٥٢٤/٤
(١١) صحيح البخاري١٢٣٢/٣ وصحيح مسلم ٣٠٥/١
(١٢) عبد الرحمن بن أبي ليلى ، مات سنة ثلاث وثمانين في وقعة الجماجم. طبقات الحفاظ ٢٦/١
(١٣) كعب بن عجرة بن أمية البلوي حليف الأنصار، قطعت يده في بعض المغازي، ثم سكن الكوفة قيل مات بالمدينة سنة إحدى وقيل ثنتين، وقيل ثلاث وخمسين وله خمس وقيل سبع وسبعون سنة. الإصابة٥٩٩/٥
(١٤) صحيح البخاري٣/ ١٢٣٣، وصحيح مسلم٣٠٥/١
(١٥) عبد الرحمن بن سعد ، شهد أحدا وما بعده، توفي في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد بن معاوية. الإصابة٩٤/٧
(١٦) صحيح البخاري ١٢٣٢/٣، وصحيح مسلم٣٠٦/١
(١٧) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري ، وهو مكثر من الحديث، كان من أفقه أحداث الصحابة، مات سنة ثلاث وستين.الإصابة ٧٨/٣
(١٨) صحيح البخاري ١٢٣٢/٣،
(١٩) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، أبو محمد أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب ، مات في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة. الإصابة٥٩٢/٣

(٢٠) سنن النسائي٤٨/٣،والسنن الكبرى للبيهقي٣٨٣/١، والمعجم الأوسط للطبراني١٨١/٢
(٢١) سهل بن عبد الله ابن يونس أبو محمد التستري الصوفي له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وليس بشيء بل الصواب موته في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومئتين ويقال عاش ثمانين سنة أو أكثر. سير أعلام النبلاء٣٣٠/١٣
(٢٢) تفسير القرآن العظيم٥٠٨/٣
(٢٣) هو أبو عبد الله الحسن بن الحسين بن محمد بن حليم المعروف بالحليمي منسوبا إلى جده كان شيخ الشافعية بما وراء النهر ومات سنة ست وأربعمائة، قيل في جمادى الآخر وقيل في ربيع الأول. طبقات الفقهاء٢٢١
(٢٤) المنهاج للحليمي ١٣١/٢ نقلا عن حقوق النبي للتميمي ٥١٦/٢
(٢٥) انظر القول البديع للسبكي ٢٢دار الكتب العلمية، بيروت،الأولى،١٩٨٩م
(٢٦)عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، كنيته أبو محمد، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا، مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ بن اثنتين وسبعين. الإصابة١٩٣/٤
(٢٧) صحيح مسلم ٢٨٨/١
(٢٨) سنن الترمذي ٣٥٤/٢، وصححه ابن حبان ١٩٢/٣
(٢٩)فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري الأوسي أبو محمد، أسلم قديما ولم يشهد بدرا وشهد أحدا فما بعدها ، مات سنة ثلاث وخمسين. الإصابة ٣٧١/٥
(٣٠) شعب الإيمان١٤٣/٣
(٣١) سنن الترمذي ٥٥١/٥ وصححه ابن حبان ١٤٠/٢
(٣٢) انظر الأم١٣٠/١ دار المعرفة، بيروت، الثانية ١٣٩٣هـ، وبداية المجتهد لابن رشد ٩٤/١ دار الفكر، بيروت.
(٣٣) انظر الأم١٣٠/١
(٣٤) انظر المغني لابن قدامة ٣٦٧/١ دار الفكر، بيروت، الأولى،١٤٠٥هـ.
(٣٥) انظر الأم٢٤٨/٧
(٣٦) انظر المغني ١٨١/٢،
(٣٧) انظر المرجع السابق ٧٥/٢
(٣٨) صحيح مسلم ٢٨٨/١
(٣٩) سنن الترمذي٥١٧/٥، صحيح ابن حبان٢٩٠/٥
(٤٠) سنن ابن ماجه٢٥٤/١، وصحيح ابن حبان٣٦٩/٥.
(٤١) سنن الترمذي٤٦١/٥، وصححه ابن حبان١٣٣/٣
(٤٢) السنن الكبرى١٩/٦ المستدرك٧٣٤/١، وصحيح ابن حبان١٨٨/٣
(٤٣) انظر جلاء الأفهام٣٦١ وما بعدها.
(٤٤) صحيح مسلم ٢٨٨/١، وانظر هذه المواطن في جلاء الأفهام.
(٤٥) انظر روح المعاني٧٩/٢٢، والجامع لأحكام القرآن٢٣٥/١٤ والقول البديع

(٤٦)يوسف بن عمر بن عبد البر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الحافظ شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها. الديباج المذهب ٣٥٧
(٤٧)انظر روح المعاني٢٢/٧٩، والجامع لأحكام القرآن١٤/٢٣٥ والقول البديع ٦٥
(٤٨) القول البديع ٦٥

٣٩. برنامج عملي لمعرفة مكانة النبي في قلبك

برنامج عملي لمعرفة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبك
لا يخفى على مسلم مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام ويعلم كل مسلم أن أول ركن من أركان الإسلام يقتضي الإيمان برسالته والتصديق بنبوته.
كما يعلم جميع المسلمين أنه لا يصح إيمان عبد ما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين.
ومن أوجب واجباتنا أن نعظم نبينا عليه الصلاة والسلام ونرفع قدره وننزله المنزلة التي أنزله إياها ربه تبارك وتعالى...
وهذا البرنامج العملي إنما هو محاولة لمعرفة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من قلبك.. وعليك بالإجابة على الأسئلة المطروحة أمامك لتعرف مكانته صلى الله عليه وسلم في قلبك.

- هل تحب الاقتداء به في الملبس والهيئة؟
- هل تحب قراءة سيرته ومعرفة قصص بعثته؟
- إذا ترددت في أمر من الأمور فهل تبحث عن حكمه وأمره ونهيه لتعرف الحلال والحرام؟
- هل لديك استعداد لترك شيء من الأشياء التي تحبها طاعة للنبي صلى الله عليه وسلم؟
- هل تشتاق لرؤيته صلى الله عليه وسلم وتتمنى لو أنك رأيته وصحبته؟
- هل تغضب حينما تسمع أحداً يسبه أو يستهزئ بشيء من سنته؟ وتدافع عنه؟
- إذا كانت إجابتك بنعم فأنت محب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى خير نأمل أن تزداد منه.

وإذا كانت إجابتك بلا ! فأنت على خطر ويحب عليك أن تراجع نفسك وإيمانك.
أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وإياك من حزب نبيه الكريم وأن يحشرنا في زمرته آمين.. آمين.

٤٠. رسالة إلى الحبيب

د.خالد الطراولي**
هل نحن أهل لمحبته؟
من وراء اللحود، من وراء الحدود، بعيدا في الزمان والمكان، تفصلني عنك يا سيدي الكريم البحار والأخاديد، ولكن قلبي عنك ما انفصل.. أردت مناجاتك أردت مخاطبتك، مساررتك وأنت من أنت في مكانته، وأنا الفقير في أرض الله وتحت سمائه، أهنئ نفسي أم أعزيها؟ بماذا أبدأ شكواي وعن ماذا أحدثك.

تركت يا سيدي بلاد بلقيس واحدة، فصار لعقود طوال اليمن يمنين، وكاد لبنان أن يصبح لبنانين، والسودان في الطريق إلى سودانين، حتى "بلغ الإعجاز لدينا أن الواحد منا يستطيع أن يكون من نفس فرقة ناجية، ثم لا يلبث نصفه الأيمن أن يعلن انشقاقه على نصفه الأيسر"!!.

أذلة مستضعفين!

هل تعلم يا سيدي أننا أصبحنا كثرة حتى إنك تجد آثارنا في كل ناحية من هذه الأرض، لكننا لم يُجْدِ كمّنا، فالكيف قد انحسر وغاب..، أصبحنا أذلة مستضعفين، نمشي الهوينا، نحاذي الجدران على استحياء، حتى لا نوقظ الجيران أو نستثير غضبهم وويلاتهم...

وضعنا المشانق ومحاكم التفتيش لمن خالفنا الرأي من أبناء جلدتنا، من بين أحفادك، وكثرت جرائمنا، وانتزعنا الرأفة والرحمة من قلوبنا، حتى حفرنا المقابر الجماعية لأبناء وطننا، ورششنا المواد السامة على أطفالنا وعجائزنا، ونسينا ما تركته فينا... حتى قيل فينا: "إن امتيازنا الوحيد هو أننا شعب بإمكان أي مواطن فيه أن يكفّر جميع المواطنين، ويحجز الجنة التي عرضها السماوات والأرض له وحده"!!.

عن أبي هريرة أن أعرابيًا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فصلى، قال ابن عبدة ركعتين، ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد تحجرت واسعا"، ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد فأسرع الناس إليه فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: " إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلا من ماء أو قال ذنوبا من ماء". (صححه الألباني).

وأرهبنا الناس يا سيدي... حتى ضاقوا ذرعا بنا، ولولا أن دينك سمح معقول، وسهل الاستساغة والقبول، لنبذه الناس من حالنا، فقد فتناهم بضعفنا وفقرنا وتخلفنا، وكادوا يربطون دينك بسلوكنا وتصرفاتنا، ونسينا أننا أصحاب مشروع رحمة ورفق ولطف وإنسانية.. قيل لك يا رسول الله ادع على المشركين، فقلت: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً" رواه مسلم.

لعلك يا سيدي تسأل عن أحفاد حمزة وخالد وعلي والقعقاع وسعد وعقبة وطارق، لعلك تسأل عمن خلف ابن الخطاب وابن عبد العزيز في حكمهم وعدلهم وسؤددهم، إني لأستحي حياء العذراء عن إجابتك! هل أقول لك عجزت النساء أن يلدن أمثالهم؟ أم أقول لك عجزنا أن نكون أتباعهم؟ هل أقول ظلمنا الناس وما كنا لأنفسنا ظالمين؟ أم أقول لك... بأيد مرتعشة، وألسنة مضطربة... حتى لا تفهم قولي.. حتى لا أجرح مشاعرك.. حتى لا أبخس آمالك فينا.. حتى لا تقول عنا يوم نلقاك سحقا سحقا، فما هم أصحابي، ما هم أحبابي، ما هم من أمتي.. عذرا يا سيدي لن أجيب، لن أجيب، لن أجيب...

هذا حالنا يا سيدي ولكن بشائرك لم ننسها ولن ننساها، وهي آمالنا وأحلام يقظتنا، ودافعنا إلى النهوض والتوكل وعدم التواكل... "إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ أَوْ قَالَ إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي

مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ والأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ ولا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ".

حملت يا سيدي هموم الأمة وأردتها عالية بين الأمم، وتركتها وأنت راض عنها، فكان الأجداد وبنوا حضارة، ثم خلف الأحفاد وأضحوا أجلافا إلا من رحم ربك وهم قليل، يتذللون على موائد الغير ويأكلون الفتات ويعيشون مع الأموات. كان مشروعك مشروع أمة سهرت عليه الليالي، كنت منتصبا بالليل قائما بالنهار.

ما أنصفناك..!

عذرًا يا سيدي فقد أنصفك الغير وما أنصفك قومك، وهذا ملاذي وخلاصي؛ فاسمع يا سيدي هذه الكلمات على حياء من تقصيري وجهلي لعلها أن تزيد أملي وتنزع إحباطي وتفتح عيني على عظمتك ورحمتك...

فهذا الإنكليزي "برناردشو" يُحيي ذكراك وهو من غير ملتك، اعتبارا لشأنك واحتراما لمشروعك: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدا خلود الأبد، وإني أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة"!!.

وهذا الأمريكي "مايكل هارت" يجعلك الأول بين العظام في التاريخ وقد غفلنا عن عظمتك وتجاهلنا مركزك ومكانتك: "إن اختياري محمدا ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي"!!!.

وهذا الفرنسي "لا مرتين" لا يهضمك حقك ولعله قد هضمناه لما تنكرنا لإرثك واستحيينا من حمله عاليا بين الأمم: "إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد"!!!.

ولم يسع رجلاً في سماحته كـ"غاندي" إلا أن يبادلك لطفه وتقديره، وقد تناسينا سلوكك ويومك وليلك ورفقك وزهدك: "لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته".

وهذا الروسي "تولستوي" يتنبأ لك ولمشروعك بالسيادة رغم هناتنا وضعفنا وكأننا قد استبدلنا الله وجعل شرف الحمل لغيرنا: "يكفي محمدا فخرا أنه خلّص أمة ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة"!!!.

عذرًا يا سيدي على الإطالة، أعلم أني لم أطيب خاطرك ولكن هذا حالي وحال أمتك. ورغم المطبات والأزقة، رغم المنافي والأخاديد؛ فما زلت متفائلًا بأن إرهاصات النهوض قد غلبت وداعات المثوى الأخير، وأن المارد قد تمدد، والرماد قد تمرد، والأفق قد تلبد، والضمير قد تنهد، والسيد قد تسيد، وإن الصبح لقريب...!.

....

** كاتب تونسي مقيم بباريس،

٤١-الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم

أ.د جاد المولى عبد العزيز جاد- أستاذ بطب المنصورة
elmawla@hotmail.com

الله وملائكته يصلون علي النبي صلى الله عليه وسلم:
{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}الأحزاب٥٦

الله وملائكته يصلون علي المؤمنين:
}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً{٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{٤٢} هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً{٤٣} الأحزاب.
}وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦} أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{١٥٧} البقرة.
" إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف" ابن حبان وأبو داود وابن ماجة والبيهقي.
" إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف" البيهقي.

معنى صلاة الله علي النبي صلى الله عليه وسلم وعلي المؤمنين:
- قال أبو العالية: صلاة الله علي النبي صلى الله عليه وسلم ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة علي النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء له. عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
- روي عن سفيان الثوري: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.
- عن عطاء بن أبي رباح: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل السماء وأهل الأرض. ابن كثير.
- عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه عز وجل: يا موسى سألوك هل يصلي ربك؟ فقل: نعم، أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} ابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه.

- إذا أضيفت الصلاة إلى الله تعالى فمعناها المدح والثناء والرحمة والبركة، وإذا أضيفت إلى الملائكة فمعناها الاستغفار وطلب الشفاعات، وإذا أضيفت إلى المؤمنين فالمراد الدعاء، فصلاة الله عز وجل إظهاره رحمته ومدحه وثناؤه، وصلاة الملائكة استغفارهم وسؤالهم الفضل والدرجة لمن يصلون عليه، وصلاة المؤمنين دعاؤهم ربهم بإنزال البركات والرحمة على من يصلون عليه.

- ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته فأي خير فاتهم وأي شر لم يدفع عنهم.

النبي صلى الله عليه وسلم يصلي علي المؤمنين:

قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} التوبة١٠٣

عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قال: " اللهم صل على آل فلان " فأتاه أبي بصدقة فقال: " اللهم صل على آل أبي أوفي" ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

عن جابر بن عبد الله قال: أتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأتي: يا رسول الله صل علي وعلى زوجي، فقال: " صلى الله عليك وعلى زوجك" ابن أبي شيبة.

عن حذيفة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابت ولده وولد ولده. أحمد.

وعن حذيفة أيضًا: إن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لتدرك الرجل وولده وولد ولده. أحمد.

معنى صلاة النبي علي المؤمنين:

- عن ابن عباس في قوله: " وصل عليهم" قال: استغفر لهم من ذنوبهم التي أصابوها، "إن صلاتك سكن لهم" قال: رحمة لهم، وقال أيضا: أمن لهم. ابن أبي حاتم وابن حبان.

- عن السدي في قوله: " وصل عليهم" يقول: ادع لهم " إن صلاتك سكن لهم" قال: استغفارك يسكن قلوبهم ويطمن لهم. ابن أبي حاتم وابن حبان.

فضل الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم:

١- لا تزال الملائكة تصلي علي الذي يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم:

عن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول: " من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر" أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه.

٢- الذين يصلون علي النبي صلى الله عليه وسلم هم أولى الناس به وبشفاعته يوم القيامة:

- " إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة" رواه الترمذي وابن حبان.

- " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة من الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة" مسلم وأبو داود والترمذي. ٣- الذي يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم يصلى الله عليه:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه، قال: فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: " ما لك يا عبد الرحمن؟ " قال:

فذكرت ذلك له، فقال: " إن جبريل عليه السلام قال لي ألا أبشرك؟ أن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه" (زاد في رواية: " فسجدت لله شكرًا") أحمد والحاكم.
" من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات" أحمد.
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد أحدًا يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا في مشربة (غرفة) فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: " أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدًا فتنحيت عني، إن جبريل أتاني فقال: من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات" الطبراني.
عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا: يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك؟ فقال: " إنه أتاني الملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا؟ قلت: بلى" أحمد وابن حبان.
عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا طيب النفس يرى في وجهه البشر، قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر، قال: " أجل، أتاني آت من ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها" أحمد والنسائي.
" إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة من الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة" مسلم وأبو داود والترمذي.
" من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا" مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان.
" من ذكرت عنده فليصل علي، ومن صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرًا " أحمد والنسائي وأبو داود والحاكم.
" من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه" حديث قدسي- أحمد والحاكم.
٤- الذي يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم تكثر حسناته وتمحى سيئاته وترفع درجاته:
" من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات" النسائي والطبراني والبزار.
٥- الذي يجعل صلاته كلها للنبي صلى الله عليه وسلم يكفيه الله همه ويغفر له ذنبه:

" سأل أبي بن كعب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أجعل لك من صلاتي؟ قال: " ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، فقلت: النصف؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا يُكفي همك ويغفر ذنبك" أحمد والترمذي والحاكم.
عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: " يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه " قال أبي قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: " ما شئت" قلت: الربع؟ قال: " ما شئت، فإن زدت فهو خير لك" قلت: فالنصف؟ قال: " ما شئت فإن زدت فهو خير لك" قلت: فالثلثين؟ قال: " ما شئت فان زدت فهو خير لك" قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: " إذن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك" الترمذي.
عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه" قال أبي بن كعب: فقلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: " ما شئت" قال: قلت الربع؟ قال: " ما شئت وإن زدت فهو خير لك" قال: فقلت فثلث؟ قال: " ما شئت فإن زدت فهو خير لك" قلت: النصف؟ قال: " ما شئت وإن زدت فهو خير لك" قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: " إذا يكفى همك ويغفر لك ذنبك" أحمد والترمذي والحاكم. (قوله أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي: معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك).
قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: " إذا يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك" أحمد.
٦- الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم زكاة للمصلي:
" صلوا علي فإنها زكاة لكم، وسلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو" أحمد.
" أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها له زكاة" البخاري وابن حبان.
٧- الصلاة والسلام علي النبي صلى الله عليه وسلم تبلغه مهما كان مكان المصلي والمسلم:
" إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام" النسائي وابن حبان.
" حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني" الطبراني.
" من صلى علي بلغتني صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات" الطبراني.
" ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام" أحمد وأبو داود.
" من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي" قالوا: يا رسول

الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ (يعني وقد بليت) قال: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" أحمد وابن حبان.
" أكثروا علي من الصلاة كل يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها" قيل وبعد الموت؟ قال: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام" ابن ماجه.
٨- الصلاة والسلام علي النبي صلى الله عليه وسلم تجعل الدعاء مقبول:
عن علي رضي الله عنه قال: " كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم " الطبراني- موقوفا ورفعه بعضهم.
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم " الترمذي.
عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عجل هذا" ثم دعاه فقال له أو لغيره: " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء" أبو داود والترمذي أحمد والنسائي والحاكم.(وفي رواية: فليبدأ بتحميد ربه عز وجل).
عن عبد الله بن مسعود قال: كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " سل تعطه، سل تعطه" الترمذي.
٩- الذي يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم يشهد له بالشهادة ويشفع له:
" من قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم، شهدت له يوم القيامة بالشهادة وشفعت له" البخاري.
١٠- أكثر الناس صلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم أقربهم منه منزلة يوم القيامة:
" أكثروا علي من الصلاة في كل يوم الجمعة فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة" البيهقي.
١١- النجاة من أهوال يوم القيامة:
" إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي في دار الدنيا صلاة، إنه قد كان في الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك ليثيبهم عليه" الأصفهاني والديلمي.
١٢- البراءة من النفاق والبراءة من النار:
" من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة، ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار، وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء" الطبراني.
جزاء الغافل عن الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم
١- أبعده الله:

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فلما رقي عتبة قال: " آمين" ثم رقي أخرى فقال: " آمين" ثم رقي عتبة ثالثة فقال: " آمين" ثم قال: " أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، فقلت: آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله، فقلت: آمين، قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين" ابن حبان.
" احضروا المنبر" فحضرنا فلما ارتقى درجة قال: " آمين" فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: " آمين" فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: " آمين" فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، قال: " إن جبريل عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين" الحاكم.
عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصعد المنبر فقال: " آمين، آمين، آمين" فلما انصرف قيل: يا رسول الله رأيناك صنعت شيئا ما كنت تصنعه، فقال: " إن جبريل تبدى لي في أول درجة فقال: يا محمد من أدرك والديه فلم يدخلاه الجنة فأبعده الله ثم أبعده، فقلت: آمين، ثم قال لي في الدرجة الثانية: ومن أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله ثم أبعده، فقلت: آمين، ثم تبدى لي في الدرجة الثالثة فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله ثم أبعده، فقلت: آمين" البزار والطبراني.
عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: آمين، آمين، آمين" قيل: يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين، فقال: " إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين" ابن خزيمة وابن حبان.
٢- رغم أنفه:
" رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة" الترمذي والبخاري. (رغم أي لصق بالرغام وهو التراب ذلا وهوانا).
٣- يكون بخيلاً:
" البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي" (وفي رواية: ثم لم يصل علي) النسائي وابن حبان والحاكم والترمذي.
" إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي" الترمذي.
٤- يكون عليه حسرة يوم القيامة:
" ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" الترمذي والطبراني. (الترة هي النقص وقيل التبعة)

" ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب" البيهقي.
" أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس (وفي رواية: فطال مجلسهم) ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله عز وجل ويصلوا على نبيهم إلا كانت عليهم من الله عز وجل ترة، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" الطبراني.
" ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا قاموا عن أنتن جيفة" البيهقي والطيالسي والمناوي.
٥- يخطأ طريق الجنة:
" من نسي الصلاة عليّ أخطأ طريق الجنة" ابن ماجه والبيهقي.
" من نسى الصلاة عليّ أخطأ (خطئ) طريق الجنة" ابن ماجة.
" من ذكرت عنده فخطئ الصلاة على خطئ طريق الجنة" الطبراني.
كيفية الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم
عن كعب بن عجرة قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" متفق عليه. (ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)
قال ابن أبي ليلى: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة؟ فقال: " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" أخرجه الجماعة.
عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}الأحزاب٥٦ قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد" وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم. الترمذي.
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم" البخاري. (وفي رواية: كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم).
قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" النسائي وابن ماجة وأحمد.

عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم" أبو داود والترمذي والنسائي.
" من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد" أبو داود وابن مردويه والبيهقي.
مواطن الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم
١- كلما ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم :
" رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة" الترمذي والبخاري.
" البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي" (وفي رواية: ثم لم يصل علي) النسائي وابن حبان والحاكم والترمذي.
٢- مع أذكار الصباح والمساء:
" من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله، ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا- إلا كان حقا على الله أن يرضيه" أبو داود والترمذي وأحمد.
(وفي رواية: وبمحمد نبيا- فينبغي أن يجمع بينهما فيقال: وبمحمد نبيا ورسولا، وعند أحمد أنه يقول ذلك ثلاث مرات حين يمسي وحين يصبح)
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: " أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا (مسلما) وما كان من المشركين" وإذا أمسى قال مثل ذلك. النسائي وأحمد وابن حبان.
عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا إذا أصبح أحدنا أن يقول: " أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلي دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووعلي ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين" الطبراني.
٣- مع الدعاء:
عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عجل هذا" ثم دعاه فقال له أو لغيره: " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء" أبو داود والترمذي أحمد والنسائي والحاكم.(وفي رواية: فليبدأ بتحميد ربه عز وجل)

عن عبد الله بن مسعود قال: كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " سل تعطه، سل تعطه" الترمذي.
عن علي رضي الله عنه قال: " كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم " الطبراني- موقوفا ورفعه بعضهم.
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم " الترمذي.
٤- بعد الآذان:
" إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة" مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.
" من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا غفر الله له ذنوبه" مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داود.(وفي رواية: غفر له ذنبه، وفي أخرى: غفر الله له)
٥- عند دخول المسجد وعند الخروج منه:
عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك" أحمد والترمذي وابن ماجة.
٦- في التشهد:
عن عبد الله بن مسعود قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد وكفى بين كفيه كما يعلمني السورة من القران: " التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله" متفق عليه.
عن كعب بن عجرة قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" متفق عليه. (ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته).
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم" البخاري. (وفي رواية: كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم).

قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" النسائي وابن ماجة وأحمد.
٧- الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة:
فإن السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب وفي الثانية أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة يدعو للميت وفي الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.
- عن أبو أمامة قال: من السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويخلص الدعاء للجنازة وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ثم يسلم سرا في نفسه. النسائي.
ملحوظة: عن أبي أمامة أنه قال من السنة - وهذا من الصحابي في حكم المرفوع على الصحيح.
٨- الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة العيد:
عن علقمة أن عبد الله بن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد يوما فقال لهم: إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه؟ فقال عبد الله: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تركع. فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن. الأثرم في سننه والمغني لابن قدامة.
قال أبو عبد الله يكبر في الأولى سبعًا مع تكبيرة الإحرام ولا يعتد بتكبيرة الركوع لأن بينهما قراءة ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات ولا يعتد بتكبيرة النهوض ثم يقرأ في الثانية ثم يكبر ويركع. ويستفتح في أولها ويحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بين كل تكبيرتين وإن أحب قال: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلا وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، وإن أحب قال غير ذلك ويكبر في الثانية خمس تكبيرات سوى التكبيرة التي يقوم بها من السجود ويرفع يديه مع كل تكبيرة- المغني لابن قدامة. (يستفتح يعني يدعو بدعاء الاستفتاح عقيب التكبيرة الأولى).
٩- مع صلاة الحاجة:
" من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين، ثم يثني على الله تعالى، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يقدر" الترمذي والنسائي.

١٠- مع دعاء القنوت:
عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: " اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت" أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم. (وفي رواية: " وصلى الله على محمد" النسائي)
١١- يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة:
" أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لا يصلي علي فيه إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها" قلت: وبعد الموت؟ قال: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبي الله حي يرزق" أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني.
" من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصفقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي" قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ (يعني بليت) فقال: " إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم.
" أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه أتاني جبريل آنفا عن ربه عز وجل فقال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا" الطبراني.
١٢- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يوم الجمعة في الخطبتين:
- يجب على الخطيب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالأذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد.
١٣- الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم:
" ما منكم من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام" أبو داود.
" لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم" أبو داود.
" لا تجعلوا قبري عيدا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم" أحمد.
" صلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني" الطبراني.
" إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام" أحمد والنسائي.
عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} النساء٦٤، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه، فطاب من طيبهن القاع والأكم، نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه، فيه العفاف وفيه الجود

والكرم، ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: " يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. المغني لابن قدامة.
عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها أن تأتي القبر فتولي ظهرها القبلة وتستقبل وسطه وتقول: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فصلى الله عليك كثيرًا كما يحب ربنا ويرضى، اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت أحدًا من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم إنك قلت وقولك الحق: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} النساء٦٤ - وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبي ومستشفعًا بك إلى ربي، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين- ثم يدعو لوالديه ولإخوانه وللمسلمين أجمعين. المغني لابن قدامة.
١٤- يستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم:
عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال. الشافعي والدارقطني.
١٥- علي الصفا والمروة:
عن وهب بن الأجدع قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسألة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك. فضل الصلاة علي النبي- تحقيق الألباني.
١٦- عند طنين الأذن:
- يستحب الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم عند طنين الأذن إن صح الخبر في ذلك.
" إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير" ابن خزيمة.
١٧- عند التقاء الأخَوَان المتحابان:
" ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منهما وما تأخر" أبو يعلى.
الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد لنفسه بالرسالة

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّـهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّـهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} الأعراف١٥٨
عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعمر بن الخطاب معه فعرضت امرأة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك فدعته وكان ضرارا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما تقول امرأتك يا عبد الله؟" فقال الرجل: والذي أكرمك ما جف رأسي منها، فقالت امرأته: ما مرة واحدة في الشهر، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : " أتبغضيه؟" قالت: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ادنيا رأسيكما" فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال: " اللهم ألف بينهما، وحبب أحدهما إلى صاحبه" ثم مر رسول الله بسوق النمط ومعه عمر بن الخطاب فطلعت امرأة تحمل إدما على رأسها فلما رأت النبي طرحته وأقبلت فقبلت رجليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنت وزوجك؟" فقالت: والذي أكرمك ما طارف ولا تالد ولا ولد بأحب إلي منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أشهد أني رسول الله" فقال عمر: وأنا أشهد أنك رسول الله. البيهقي.
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان بالمدينة يهودي وكان يسلفني في تمري إلى الجذاذ- وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة- فجلست فخلا عاما فجاءني اليهودي عند الجذاذ ولم أجد منها شيئا، فجعلت أستنظره إلى قابل فيأبى، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه: " امشوا نستنظر لجابر من اليهودي" فجاءوني في نخلي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودي فيقول: أبا القاسم لا أنظره، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قام فطاف في النخل ثم جاءه فكلمه فأبى، فقمت فجئت بقليل رطب فوضعته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأكل ثم قال: " أين عريشك يا جابر؟" فأخبرته فقال: " افرش لي فيه" ففرشته فدخل فرقد ثم استيقظ فجئته بقبضة أخرى فأكل منها ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه، فقام في الرطاب في النخل الثانية ثم قال: " يا جابر جذ واقض" فوقف في الجذاذ فجذذت منها ما قضيته وفضل مثله، فخرجت حتى جئت النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال: " أشهد أني رسول الله" البخاري (استنظره: اطلب منه أن ينظرني إلى قابل أي عام آت، عريشك، العريش: ما يستظل به عند الجلوس تحته، وقيل البناء، أي أين المكان الذي اتخذته في بستانك لتستظل به، فقام في الرطاب في النخل الثانية أي المرة الثانية، وأقض أي اقض الدين الذي عليك يعني أوفه لليهودي، وفضل مثله أي مثل الدين، ويروى وفضل منه، قوله أشهد أني رسول الله إنما قال ذلك لأن فيه خرق العادة الظاهرة وهو دليل من أدلة النبوة وعلم من أعلامها حيث قضى بالقليل الذي لم يكن يفي بدينه تمام الدين وفضل منه مثله).
عن أبي هريرة: أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما لا يكاد يفارقه ولا يعرف له كبير عمل، وكان الآخر لا يكاد يرى ولا يعرف له كبير عمل، فقال الذي لا يكاد يفارقه: يا رسول الله بأبي وأمي ذهب المصلون بالأجر، بأجر الصلاة، والصائمون بأجر الصيام، فذكر أعمال الخير فقال: " ويحك ماذا عندك؟" قال: لا والذي بعثك بالحق إلا حب الله ورسوله، قال: " لك ما احتسبت وأنت مع من أحببت"

قال: وأما الآخر فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه: " هل علمتم أن الله قد أدخل فلانا الجنة؟" فعجب القوم أنه كان لا يكاد يرى، فقام بعضهم إلى أهله فسأل امرأته عن عمله، قالت: ما كان له كبير عمل إلا ما قد رأيتم غير أنه قد كانت له خصلة، قالوا: وما هي؟ قالت: ما كان يسمع المؤذن من ليل ولا نهار ولا على أي حال إلا كان يقول أشهد أن لا إله إلا الله مثل قوله أقر بها وأكفر من أباها، قالت: فإذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله قال: أشهد أن محمدًا رسول الله أقربها وأكفر من أبى، قال الرجل: دخل الجنة، فأقبل حتى إذا كان من النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه حيث يسمعه الصوت نادى النبي صلى الله عليه وسلم بأعلى صوته: أتيت أهل فلان فسألتهم عن عمله فأخبروني بكذا وكذا، قال الرجل: أشهد أنك رسول الله، قال: " وأنا أشهد أني رسول الله" الأصبهاني.
قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال: لكن رسول الله لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر فلقد رأيته وإنه لعلي بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أنا النبي لا كذب، أنا بن عبد المطلب" البخاري ومسلم وابن حبان والنسائي والترمذي.
القرآن والشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة
{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} الأحزاب٤٠
{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} الفتح٢٩
{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات٧
{إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } المنافقون١
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً } الأحزاب٤٥
{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } المائدة٦٧
{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } التوبة٣٣
{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً } الفتح٨
{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً } الفتح٢٨

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } الصف٩
{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } البقرة١١٩
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً } الأحزاب٤٥
{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ }فاطر ٢٤
{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً } الفتح٨
{مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً } النساء٧٩
}يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ {١} قُمْ فَأَنذِرْ {٢} المدثر.
{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ } البقرة١٥١
{كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} الرعد٣٠
{وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً} الإسراء١٠٥
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء١٠٧
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً } الفرقان٥٦
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } سبأ٢٨
{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً } المزمل١٥
الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة في الكتب السماوية وعلي لسان الأنبياء
{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } الصف٦
{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }الفتح٢٩
{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ }آل عمران٨١
{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الأعراف١٥٧
" قال موسى: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة، الآخرون في الخلق والسابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد،

قال: رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في قلوبهم يقرأونها فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، فألقى موسى عليه السلام الألواح وقال: رب فاجعلني من أمة أحمد" عبد بن حميد وابن حبان. (قال قتادة: وكان من قبلكم إنما يقرؤون كتابهم نظرًا فإذا رفعوها لم يحفظوا منه شيئا ولم يعوه وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قبلكم فالله خصكم بها وكرامة أكرمكم بها، وكان من قبلكم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها وإن ردت تركت فأكلتها السباع والطير وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم رحمة رحمكم بها وتخفيفا خفف به عنكم)

تعريف النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه

" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" مسلم وأبو داود.

" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" الترمذي وابن ماجة.

" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع، بيدي لواء الحمد تحتي آدم فمن دونه" أبو يعلى والطبراني وابن ماجة.

" أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر" الطبراني.

" أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك بحلق الجنة ولا فخر فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين ولآخرين علي الله ولا فخر" الدارمي.

" أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" مسلم والبخاري والنسائي والطبراني وأحمد.

أتي رجل النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فاستقبلته رعدة فقال البني صلى الله عليه وسلم "هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد" الطبراني والحاكم.

"خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلي أن ولني أبي وأمي" الطبراني.

" إن الله عز وجل خلق السموات سبعا فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سماواته من شاء من خلقه وخلق الخلق فاختار نم الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قرشيا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا من خيار إلي خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم" الطبراني.
" إن الله خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم فرقهم فرقتين فجعلني من الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا" ابن أبي شيبة.
" إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع" ابن حبان.
أحوال المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه، ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.
خرج بلال رضي الله عنه يوماً بوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بالناس يتدبرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ومن لم يصب أخذ من بلل يد صاحبه، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقام الناس وجعلوا يتمسحون بيده، فكانت لهم أبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك.
لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه فقال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا نضرب عنقه وأنك الآن في أهلك، فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً.
لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كانت لي قبلك، قال صلى الله عليه وسلم : " ادخل" فدخل أبو بكر فجعل يتلمس بيديه كلما رأى جحراً أخذ بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم.
لما كان يوم أحد وقد انهزم عنه الناس وقف أبو طلحة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم يحميه بترس له، فأشرف النبي يريد أن ينظر إلى القوم فقال له أبو طلحة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ،لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.
في أحد أيضاً كان شماس بن عثمان المخزومي رضي الله عنه لا يتلفت رسول الله يميناً ولا شمالاً إلا رآه أمامه يزود عنه بسيفه، حتى غشي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترس بنفسه دونه حتى استشهد رحمه الله . وترس عنه أبو دجانة أيضاً بنفسه فجعل النبل يقع في ظهره وهو منحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كثر فيه النبل.

روي أن امرأة من لأنصار(من بني دينار) قتل أبوها وزوجها وأخوها يوم أحد ، فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: خيراً هو بحمد الله كما تحبين، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك تهون .
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً للرسول صلى الله عليه وسلم - وهو آخذ بيده -: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شئ إلا نفسي، فقال: " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الآن يا عمر".
كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له، قليل الصبر عنه، أتاه يوماً وقد تغير لونه، والحزن باد على وجهه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما غير لونك؟" فقال: يا رسول الله ما بي مرض أو وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك.
كان أسيد بن حضير رضي الله عنه يوماً يحدث القوم ويضحكهم ، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمزه بيده الشريفة في خاصرته استحسانًا لما قال، فقال أسيد: أوجعتني!!..فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: " اقتص" فقال: يا رسول الله عليك قميص ولم يكن علي قميص، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فقام أسيد واحتضنه وجعل يقبله وهو يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردت هذا.
لما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب الأنصاري، كان يصنع له العشاء وينتظر حتى يفرغ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه هو وزوجته، متيممين موضع يده ابتغاء بركته صلى الله عليه وسلم.
كان أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه شديد الحب والحرص على رسول الله ، فحين رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر ومعه أم المؤمنين صفية، رضي الله عنها وقد كانت يهودية أسرت ثم أعتقها الرسول صلى الله عليه وسلم وتزوجها فبات أبو أيوب تلك الليلة كلها متوشحًا سيفه يحرس الرسول ويطوف بقبته خوفاً منها (أي أم المؤمنين).
بعد أن ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، أبى بلال أن يؤذن لأحد بعده، وقد توسل المسلمون إليه مرة أن يؤذن لهم، فلم يكن ينطق أشهد أن محمداً رسول الله حتى يختفي صوته تحت وقع أساه، وتغلبه دموعه وعبراته، وقد بكى الصحابة يومها كما لم يبكوا من قبل.
أصاب خالد بن الوليد رضي الله عنه في حجة الوداع شعرات من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلها في قلنسوة له وأصبحت هذه القلنسوة لا تفارقه أينما ذهب.
كانت أم سليم رضي الله عنها ترقب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينام، ويعرق على بساط لها فتسرع لجمع قطرات هذا العرق الشريف، فتمزجه في طيبها، تبتغي بذلك بركته صلى الله عليه وسلم.
روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" البخاري.
من علامات محبته النبي صلى الله عليه وسلم

١- الإقتداء به والتخلق بأخلاقه وحب سنته والعمل علي تطبيقها.
٢- حب آل بيته وصحابته .
٢- نصرة دين الله بالقول والفعل.
٣- كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.
٤- كثرة الشوق إلى لقاءه.
٥- العمل على إحياء سنته و قراءة سيرته وأحاديثه والاهتداء بها.
٦- الدعوة إلي الله علي بصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة مهتدين بسنته.
نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب رسوله وحب عمل صالح يقربنا إليه تعالى.
أ.د جاد المولى عبد العزيز جاد- أستاذ بطب المنصورة

٤٢- شأنُ النبي عند المسلمين: [حديث صلح الحديبية]

د/ السيد العربى بن كمال

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.......وبعد:

* أخرج البخاري في كتاب الشروط من حديث:عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ..{وهي بئر سمي المكان بها، وقيل شجرة حدباء صغرت وسمي المكان بها. وقال المحب الطبري. الحديبية قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم}.. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ..{في رواية: حتى إذا كانوا بغدير الأشطاط قريبا من عسفان.. وهو جانب الوادي}.. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ..{وهو موضع بين مكة والمدينة}.. فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَ اللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ..{القترة الغبار الأسو}.. فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ حَلْ حَلْ..{كلمة تقال للناقة للزجر إذا تركت السير}.. فَأَلَحَّتْ..{أي تمادت على عدم القيام }ْ فَقَالُوا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ..{والخلاء للإبل كالحران للخيل}.. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ..{أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.. ومناسبة ذكرها أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه مكة، لكن سبق في علم الله تعالى في الموضعين أنه سيدخل في الإسلام خلق منهم، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون، وكان بمكة في الحديبية جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب ناس منهم بغير عمد كما أشار إليه تعالى في قوله: (ولولا رجال مؤمنون) الآية..

وفي هذه القصة جواز التشبيه من الجهة العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة، لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرم مطلقا، أما من أهل الباطل فواضح،

وأما من أهل الحق فللمعني الذي تقدم ذكره.}.. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا..{قال الخطابي: معني تعظيم حرمات الله في هذه القصة ترك القتال في الحرم، والجنوح إلى المسالمة والكف عن إراقة الدماء.}.. ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ قَالَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ..{ في رواية فولى راجعا}.. حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ..{أي حفيرة فيها ماء مثمود أي قليل }يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا..{هو الأخذ قليلا قليلاً}.. فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ..{ أي لم يتركوه يلبث}.. حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ..{وفى رواية: أنه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال: دعوها ساعة. ثم أنهم ارتووا بعد ذلك}.. فَوَ اللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ..{ أي رجعوا رواء بعد وردهم. زاد ابن سعد " حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر "}..
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..{والعيبة: ما توضع فيه الثياب لحفظها أي أنهم موضع النصح له والأمانة على سره، كأنه شبه الصدر الذي هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع الثياب..وفى رواية: وكانت خُزاعة عَيبَة رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها لا يُخفون عليه شيئاً كان بمكة }.. مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ..{وتِهامة بالكسر هي مكة وما حولها}.. فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍ..{ذكر هذين لكون قريش الذين كانوا بمكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما}..نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ..{الأعداد بالفتح جمع عِد بالكسر والتشديد وهو الماء الذي لا انقطاع له}.. وَمَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ..{العوذ بالضم جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد أنهم خرجوا منهم بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام وليكون أدعى إلى عدم الفرار}..وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً..{ أي جعلت بيني وبينهم مدة يُترك الحرب بيننا وبينهم فيها}.. وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ..{وإنما ردد الأمر مع أنه جازم بأن الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك، على طريق التنزل مع الخصم وفرض الأمر على ما زعم الخصم }.. فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا..{ أي استراحوا}.. وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي..{ السالفة صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل}.. وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ".
فَقَالَ بُدَيْلٌ سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ قَالُوا بَلَى قَالَ أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ..{يعنى أنتم أهلى وأبائى وفيكم أبنائى}

قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَلْ تَتَّهِمُونِي قَالُوا لَا قَالَ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ..{ أي دعوتهم إلى نصركم}.. فَلَمَّا بَلَّحُوا..{ أي امتنعوا}..عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ..{ أي خصلة خير وصلاح وإنصاف} اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ قَالُوا ائْتِهِ فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ..{ أي أهلك أهله بالكلية}.. قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى..{والمعنى وإن تكن الغلبة لقريش لا آمنهم عليك مثلا-- والحاصل أن عروة ردد الأمر بين شيئين غير مستحسنين عادة وهو هلاك قومه إن غلب، وذهاب أصحابه إن غلب، لكن كل من الأمرين مستحسن شرعا كما قال تعالى: (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين)الآية}.. فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنْ النَّاس..{أى الأخلاط من أنواع شتى }.. خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ امْصُصْ بِبَظْرِ اللاتِ..{ في قول أبي بكر تخسيس للعدو وتكذيبهم..وإن كان مما يستفحش، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار }.. أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَد..{ أي نعمة..وهى انه كان قد تحمل بدية فأعانه أبو بكر فيها بعون حسن }..ٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ..{ أي لم أكافئك بها.. أي جازاه بعدم إجابته عن شتمه بيده التي كان أحسن إليه بها}..

قَالَ وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ..{وفى رواية: فكلما كلمه أخذ بلحيته".. وكانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، لكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضي لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفا}.. وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ..{ وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها}..وَقَالَ لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ..{ وفى رواية: قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة }َ فَقَالَ أَيْ غُدَرُ..{ مبالغة في وصفه بالغدر}.. أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ.. {أشار عروة بهذا إلى ما وقع للمغيرة قبل إسلامه، وذلك أنه خرج مع ثلاثة عشر نفرًا من ثقيف من بني مالك فغدر بهم وقتلهم وأخذ أموالهم، فتهايج الفريقان بنو مالك والأحلاف رهط المغيرة، فسعى عروة بن مسعود عم المغيرة حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفسا واصطلحوا}.. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ.. {أي لا أتعرض له لكونه أخذه غدرا-- ويستفاد منه أنه لا يحل أخذ أموال الكفار في حال الأمن غدرا لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة والأمانة تُؤَدى إلى أهلها مسلما كان أو كافرا، وأن أموال الكفار إنما تحِلُ بالمحاربة والمغالبة، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك المال في يده لإمكان أن يُسلم قومُه فيرُد إليهم أموالهم }.. ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ..{ أي يلحظ}.. أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا

وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ..{وفي رواية" ولا يسقط من شعره شيء إلا أخدوه "} وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ..{ أي يديمون}.. إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ..{ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا في ذلك إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، وكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحب إمامه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه ؟ بل هم أشد اغتباطًا به وبدينه وبنصره من القبائل التي يُراعي بعضُها بعضا بمجرد الرحِم}..

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ..{وذكر الثلاثة لكونهم كانوا أعظم ملوك ذلك الزمان}..وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا..{وفي رواية: وما أراكم إلا ستصيبكم قارعة، فانصرف هو ومن اتبعه إلى الطائف"}..

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ..{ أي أثيروها دفعة واحدة}.. فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ..{ وفي رواية: رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم }..قَالَ رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ..{وفي رواية: وغضب وقال: يا معشر قريش ما على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ؟ فقالوا: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى}.. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ.

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ سُهَيْلٌ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً..{ أي قهرا}..وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ.
فَقَالَ سُهَيْلٌ وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ..{ أي يمشي مشيا بطيئا بسبب القيد }..فِي قُيُودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ..{ " وكان سهيل أوثقه وسجنه حين أسلم، فخرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه " }..فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ قَالَ فَوَ اللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجِزْهُ لِي..{ أي أمض لي فعلي فيه فلا أرده إليك}..قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ قَالَ بَلَى فَافْعَلْ قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مِكْرَزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ..{ والمعنى إنه لم يجزه بأن يقره عند المسلمين بل ليكف العذاب عنه ليرجع إلى طواعية أبيه}..قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ..{ وفى رواية" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإنا لا نغدر، وإن الله جاعل لك فرجا ومخرجا " وفي رواية" فأوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فوثب عمر مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر، فإنما هم مشركون، وإنما دم أحدهم كدم كلب، قال ويدني قائمة السيف منه، يقول عمر: رجوت أن يأخذه مني فيضرب به أباه، فضن الرجل - أي بخل - بأبيه ونفذت القضية " }..
قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا..{وفى رواية: " قال عمر: لقد دخلني أمر عظيم، وراجعت النبي صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط "..وفى رواية" كان الصحابة لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون " }-- قَالَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا -- قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ..{ والمراد به التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذي يمسك بركب الفارس فلا يفارقه }..فَوَ اللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قُلْتُ أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ..{ وفي جواب أبي بكر لعمر بنظير ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم سواء دلالة على أنه كان أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى. }-- قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا..{ فى رواية" فقال عمر: اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني

أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي، وما ألوم عن الحق "وفى رواية: " وكان عمر يقول مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به " }ـــ
قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ..{ في رواية:" فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم بعضا، وأن يرجع عنهم عامهم هذا "... ولما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس كلم بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا في تلك المدة إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، يعني من صناديد قريش-- وكان في الصورة الظاهرة ضيما للمسلمين وفي الصورة الباطنة عزا لهم، فإن الناس لأجل الأمن الذي وقع بينهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير، وأسمع المسلمون المشركين القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية، وظهر من كان يخفي إسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وأقهروا من حيث أرادوا الغلبة }..قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ..{ قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ }..
فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ..{ قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة.}..فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ..{ وإنما جئن إليه بعد في أثناء المدة }..فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ حَتَّى بَلَغَ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ"..
فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ..{ وفى رواية:" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بصير إن هؤلاء القوم صالحونا على ما علمت، وإنا لا نغدر، فالحق بقومك. فقال: أتردني إلى المشركين يفتنوني عن ديني ويعذبونني؟ قال: اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك فرجا ومخرجا " وفي رواية " فقال له عمر: أنت رجل وهو رجل ومعك السيف "}..فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ..{ أي خمدت حواسه}..

وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُ لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ..{أي إن لم تردوه عني} ..فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيْلُ أُمِّهِ..{ وهي كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم} ..مِسْعَرَ حَرْبٍ..{ كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها } ..لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ..{وفى رواية: " فلقنها أبو بصير فانطلق"، وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين، ورمز إلى من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحقوا به، } ..فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ..{ أي ساحله } ..قَالَ وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ..{ أي من أبيه وأهله} .. فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ..{ وفي رواية:" وانفلت أبو جندل في سبعين راكبا مسلمين فلحقوا بأبي بصير فنزلوا قريبا من ذي المروة على طريق عير قريش فقطعوا مادتهم " } ..فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ فَوَ اللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ..{ في رواية "يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه وقالوا: ومن خرج منا إليك فهو لك حلال غير حرج " } .. فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:"وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ "-- وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَلَمْ يُقِرُّوا بِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ........[خ..ك..الشروط..٢٧٣٤].

** هذا وصلى اللهم على محمد وصحبه أجمعين....والحمد لله رب العالمين

جمعه ورتبه وكتبه الفقير

د/ السيد العربي بن كمال

فتح الباري لابن حجر - (ج ٨ / ص ٢٨٣)

قَوْله : (عَنْ الْمِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَان)

أَيْ اِبْن الْحَكَم

(قَالَا خَرَجَ)

هَذِهِ الرِّوَايَة بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَرْوَان مُرْسَلَة لِأَنَّهُ لَا صُحْبَة لَهُ ، وَأَمَّا الْمِسْوَر فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَيْضًا مُرْسَلَة لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُر الْقِصَّة ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّل الشُّرُوط مِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَة " أَنَّهُ سَمِعَ الْمِسْوَر وَمَرْوَان يُخْبِرَانِ عَنْ أَصْحَاب رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَذَكَرَ بَعْض هَذَا الْحَدِيث ، وَقَدْ سَمِعَ الْمِسْوَر وَمَرْوَان مِنْ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة شَهِدُوا هَذِهِ الْقِصَّة كَعُمَر وَعُثْمَان وَعَلِيّ وَالْمُغِيرَة وَأُمّ سَلَمَة وَسَهْل بْن حُنَيْفٍ وَغَيْرهمْ ، وَوَقَعَ فِي نَفْس هَذَا الْحَدِيث شَيْء يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ عَنْ عُمَر كَمَا سَيَأْتِي التَّنْبِيه عَلَيْهِ فِي مَكَانه ، وَقَدْ رَوَى أَبُو الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة هَذِهِ الْقِصَّة فَلَمْ يَذْكُر الْمِسْوَر وَلَا مَرْوَان لَكِنْ أَرْسَلَهَا ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي " مَغَازِي عُرْوَة بْن الزُّبَيْر "

أَخْرَجَهَا اِبْن عَائِذ فِي الْمَغَازِي لَهُ بِطُولِهَا ، وَأَخْرَجَهَا الْحَاكِم فِي " الْإِكْلِيل " مِنْ طَرِيق أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة أَيْضًا مُقَطَّعَة .

قَوْله : (زَمَن الْحُدَيْبِيَة)

تَقَدَّمَ ضَبْط الْحُدَيْبِيَة فِي الْحَجّ ، وَهِيَ بِئْر سُمِّيَ الْمَكَان بِهَا ، وَقِيلَ شَجَرَة حَدْبَاء صُغِّرَتْ وَسُمِّيَ الْمَكَان بِهَا . قَالَ الْمُحِبّ الطَّبَرِيُّ . الْحُدَيْبِيَة قَرْيَة قَرِيبَة مِنْ مَكَّة أَكْثَرهَا فِي الْحَرَم ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق فِي الْمَغَازِي عَنْ الزُّهْرِيِّ " خَرَجَ عَام الْحُدَيْبِيَة يُرِيد زِيَارَة الْبَيْت لَا يُرِيد قِتَالًا " وَوَقَعَ عِنْد اِبْن سَعْد " أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْم الِاثْنَيْنِ لِهِلَالِ ذِي الْقِعْدَة " زَادَ سُفْيَان عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي الرِّوَايَة الْآتِيَة فِي الْمَغَازِي وَكَذَا فِي رِوَايَة أَحْمَد عَنْ عَبْد الرَّزَّاق " فِي بِضْع عَشْرَة مِائَة ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَة قَلَّدَ الْهَدْي وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَة " وَرَوَى عَبْد الْعَزِيز الْإِمَامِيّ عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيث عِنْد اِبْن أَبِي شَيْبَة " خَرَجَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَلْف وَثَمَانمِائَةٍ ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَة يُدْعَى نَاجِيَة يَأْتِيه بِخَبَرِ قُرَيْش " كَذَا سَمَّاهُ نَاجِيَة ، وَالْمَعْرُوف أَنَّ نَاجِيَة اِسْم الَّذِي بَعَثَ مَعَهُ الْهَدْي كَمَا صَرَّحَ بِهِ اِبْن إِسْحَاق وَغَيْره ، وَأَمَّا الَّذِي بَعَثَهُ عَيْنًا لِخَبَرِ قُرَيْش فَاسْمه بُسْر بْن سُفْيَان كَذَا سَمَّاهُ اِبْن إِسْحَاق ، وَهُوَ بِضَمِّ الْمُوَحَّدَة وَسُكُون الْمُهْمَلَة عَلَى الصَّحِيح ، وَسَأَذْكُرُ الْخِلَاف فِي عَدَد أَهْل الْحُدَيْبِيَة فِي الْمَغَازِي إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى .

قَوْله : (حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيق)

اِخْتَصَرَ الْمُصَنِّف صَدْر هَذَا الْحَدِيث الطَّوِيل مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسُقْهُ بِطُولِهِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِع ، وَبَقِيَّته عِنْده فِي الْمَغَازِي مِنْ طَرِيق سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : " وَنَبَّأَنِيهِ مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيِّ : وَسَارَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنه فَقَالَ : إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَك الْأَحَابِيش ، وَهُمْ مُقَاتِلُوك وَصَادُّوك عَنْ الْبَيْت وَمَانِعُوك . فَقَالَ : أَشِيرُوا أَيّهَا النَّاس عَلَيَّ ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيل إِلَى عِيَالهمْ وَذَرَارِيّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْت ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ . قَالَ أَبُو بَكْر : يَا رَسُول اللَّه خَرَجْت عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْت لَا تُرِيد قَتْل أَحَد وَلَا حَرْب أَحَد ، تَوَجَّهَ لَهُ ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ . قَالَ : اِمْضُوا عَلَى اِسْم اللَّه " إِلَى هَاهُنَا سَاقَ الْبُخَارِيّ فِي الْمَغَازِي مِنْ هَذَا الْوَجْه ، وَزَادَ أَحْمَد عَنْ عَبْد الرَّزَّاق وَسَاقَهُ اِبْن حِبَّانَ مِنْ طَرِيقه قَالَ : " قَالَ مَعْمَر قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَة يَقُول : مَا رَأَيْت أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَر مُشَاوَرَة لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ا ه وَهَذَا الْقَدْر حَذَفَهُ الْبُخَارِيّ لِإِرْسَالِهِ لِأَنَّ الزُّهْرِيَّ لَمْ يَسْمَع مِنْ أَبِي هُرَيْرَة ، وَفِي رِوَايَة أَحْمَد الْمَذْكُورَة " حَتَّى إِذَا كَانُوا بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ قَرِيبًا مِنْ عُسْفَان " ا ه وَغَدِير بِفَتْحِ الْغَيْن الْمُعْجَمَة وَالْأَشْطَاط بِشِينٍ مُعْجَمَة وَطَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ جَمْع شَطّ وَهُوَ جَانِب الْوَادِي كَذَا جَزَمَ بِهِ صَاحِب " الْمَشَارِق " ، وَوَقَعَ فِي بَعْض نُسَخ أَبِي ذَرّ بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَة فِيهِمَا ، وَفِي رِوَايَة أَحْمَد أَيْضًا " أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيل إِلَى ذَرَارِيّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبهُمْ فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ ، وَإِنْ يَجِيئُوا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّه " وَنَحْوه لِابْنِ إِسْحَاق فِي رِوَايَته فِي الْمَغَازِي عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَالْمُرَاد أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِسْتَشَارَ أَصْحَابه هَلْ يُخَالِف الَّذِينَ نَصَرُوا قُرَيْشًا إِلَى مَوَاضِعهمْ فَيَسْبِي أَهْلهمْ ، فَإِنْ جَاءُوا إِلَى نَصْرهمْ

اِشْتَغَلُوا بِهِمْ وَانْفَرَدَ هُوَ وَأَصْحَابه بِقُرَيْشٍ ، وَذَلِكَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ : " تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّه " فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق بِتَرْكِ الْقِتَال وَالِاسْتِمْرَار عَلَى مَا خَرَجَ لَهُ مِنْ الْعُمْرَة حَتَّى يَكُون بَدْء الْقِتَال مِنْهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَى رَأْيه . وَزَادَ أَحْمَد فِي رِوَايَته " فَقَالَ أَبُو بَكْر : اللَّه وَرَسُوله أَعْلَم يَا نَبِيّ اللَّه ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ إِلَخْ " وَالْأَحَابِيش بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَة وَالْمُوَحَّدَة وَآخِره مُعْجَمَة وَاحِدهَا أَحْبُوش بِضَمَّتَيْنِ وَهُمْ بَنُو الْهَوْن بْن خُزَيْمَة بْن مُدْرِكَة وَبَنُو الْحَارِث بْن عَبْد مَنَاة بْن كِنَانَة وَبَنُو الْمُصْطَلِق مِنْ خُزَاعَة كَانُوا تَحَالَفُوا مَعَ قُرَيْش قِيلَ تَحْت جَبَل يُقَال لَهُ الْحَبَشِيّ أَسْفَل مَكَّة ، وَقِيلَ سُمُّوا بِذَلِكَ لِتَحَبُّشِهِمْ أَيْ تَجَمُّعهمْ وَالتَّحَبُّش التَّجَمُّع وَالْحُبَاشَة الْجَمَاعَة . وَرَوَى الْفَاكِهِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد الْعَزِيز بْن أَبِي ثَابِت أَنَّ اِبْتِدَاء حِلْفهمْ مَعَ قُرَيْش كَانَ عَلَى يَد قُصَيّ بْن كِلَاب ، وَاتَّفَقَ الرُّوَاة عَلَى قَوْله : " فَإِنْ يَأْتُونَا " مِنْ الْإِتْيَان إِلَّا اِبْن السَّكَن فَعِنْده " فَإِنْ بَاتُّونَا " بِمُوَحَّدَةٍ ثُمَّ مُثَنَّاة مُشَدَّدَة وَالْأَوَّل أَوْلَى ، وَيُؤَيِّدهُ رِوَايَة أَحْمَد بِلَفْظِ الْمَجِيء ، وَوَقَعَ عِنْد اِبْن سَعْد " وَبَلَغَ الْمُشْرِكِينَ خُرُوجه فَأَجْمَعَ رَأْيهمْ عَلَى صَدّه عَنْ مَكَّة وَعَسْكَرُوا بِبَلْدَحَ بِالْمُوَحَّدَةِ وَالْمُهْمَلَة بَيْنهمَا لَام سَاكِنَة ثُمَّ حَاء مُهْمَلَة مَوْضِع خَارِج مَكَّة " .

قَوْله : (قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ خَالِد بْن الْوَلِيد بِالْغَمِيمِ فِي خَيْل لِقُرَيْشٍ طَلِيعَة)

فِي رِوَايَة الْإِمَامِيّ " فَقَالَ لَهُ عَيْنه : هَذَا خَالِد بْن الْوَلِيد بِالْغَمِيمِ " وَالْغَمِيم بِفَتْحِ الْمُعْجَمَة وَحَكَى عِيَاض فِيهَا التَّصْغِير ، قَالَ الْمُحِبّ الطَّبَرِيُّ . يَظْهَر أَنَّ الْمُرَاد كُرَاع الْغَمِيم وَهُوَ مَوْضِع بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة ا ه ، وَسِيَاق الْحَدِيث ظَاهِر فِي أَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ الْحُدَيْبِيَة فَهُوَ غَيْر كُرَاع الْغَمِيم الَّذِي وَقَعَ ذِكْره فِي الصِّيَام وَهُوَ الَّذِي بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة ، وَأَمَّا الْغَمِيم هَذَا فَقَالَ اِبْن حَبِيب . هُوَ قَرِيب مِنْ مَكَان بَيْن رَابِغ وَالْجُحْفَة ، وَقَدْ وَقَعَ فِي شِعْر جَرِير وَالشَّمَّاخ بِصِيغَةِ التَّصْغِير وَاَللَّه أَعْلَم . وَبَيَّنَ اِبْن سَعْد أَنَّ خَالِدًا كَانَ فِي مِائَتَيْ فَارِس فِيهِمْ عِكْرِمَة بْن أَبِي جَهْل ، وَالطَّلِيعَة مُقَدِّمَة الْجَيْش .

قَوْله : (فَخُذُوا ذَات الْيَمِين)

أَيْ الطَّرِيق الَّتِي فِيهَا خَالِد وَأَصْحَابه .

قَوْله : (حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْش فَانْطَلَقَ يَرْكُض نَذِيرًا)

الْقَتَرَة بِفَتْحِ الْقَاف وَالْمُثَنَّاة الْغُبَار الْأَسْوَد .

قَوْله : (وَسَارَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يُخْرِجنَا عَلَى طَرِيق غَيْر طَرِيقهمْ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟ قَالَ : فَحَدَّثَنِي عَبْد اللَّه بْن أَبِي بَكْر بْن حَزْم أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُول اللَّه ، فَسَلَكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَعْرًا فَأَخْرَجُوا مِنْهَا بَعْد أَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ ، وَأَفْضَوْا إِلَى أَرْض سَهْلَة ، فَقَالَ لَهُمْ : اِسْتَغْفِرُوا اللَّه ، فَفَعَلُوا . فَقَالَ : وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَلْحِطَّةِ الَّتِي عَرَضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل فَامْتَنَعُوا " قَالَ اِبْن إِسْحَاق عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي حَدِيثه " فَقَالَ : اُسْلُكُوا ذَات الْيَمِين بَيْن ظَهْرَيْ الْحَمْض فِي طَرِيق تُخْرِجهُ عَلَى ثَنِيَّة الْمِرَار مَهْبِط الْحُدَيْبِيَة " ا ه . وَثَنِيَّة الْمِرَار بِكَسْرِ الْمِيم وَتَخْفِيف الرَّاء هِيَ طَرِيق فِي الْجَبَل تُشْرِف عَلَى الْحُدَيْبِيَة . وَزَعَمَ الدَّاوُدِيّ الشَّارِح أَنَّهَا الثَّنِيَّة الَّتِي أَسْفَل مَكَّة ، وَهُوَ وَهْم ، وَسُمِّيَ اِبْن سَعْد الَّذِي سَلَكَ بِهِمْ حَمْزَة بْن عَمْرو الْأَسْلَمِي ، وَفِي رِوَايَة أَبِي

الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة فَقَالَ " مَنْ رَجُل يَأْخُذ بِنَا عَنْ يَمِين الْمَحَجَّة نَحْو سَيْف الْبَحْر لَعَلَّنَا نَطْوِي مُسَلَّحَة الْقَوْم ، وَذَلِكَ مِنْ اللَّيْل ، فَنَزَلَ رَجُل عَنْ دَابَّته " فَذَكَرَ الْقِصَّة .

قَوْله : (بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَته ، فَقَالَ النَّاس : حَلْ حَلْ)

بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون اللَّام . كَلِمَة تُقَال لِلنَّاقَةِ إِذَا تَرَكَتْ السَّيْر ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : إِنْ قُلْت حَلْ وَاحِدَة فَالسُّكُون ، وَإِنْ أَعَدْتهَا نَوَّنْت فِي الْأُولَى وَسَكَّنْت فِي الثَّانِيَة ، وَحَكَى غَيْره السُّكُون فِيهِمَا وَالتَّنْوِين كَنَظِيرِهِ فِي بَخٍ بَخٍ ، يُقَال حَلْحَلْت فُلَانًا إِذَا أَزْعَجْته عَنْ مَوْضِعه .

قَوْله : (فَأَلَحَّتْ)

بِتَشْدِيدِ الْمُهْمَلَة أَيْ تَمَادَتْ عَلَى عَدَم الْقِيَام وَهُوَ مِنْ الْإِلْحَاح .

قَوْله : (خَلَأَتْ الْقَصْوَاء)

الْخَلَاء بِالْمُعْجَمَةِ وَالْمَدّ لِلْإِبِلِ كَالْحِرَانِ لِلْخَيْلِ ، وَقَالَ اِبْن قُتَيْبَة : لَا يَكُون الْخَلَاء إِلَّا لِلنُّوقِ خَاصَّة . وَقَالَ اِبْن فَارِس : لَا يُقَال لِلْجَمَلِ خَلَأَ لَكِنْ أَلَحَّ . وَالْقَصْوَاء بِفَتْحِ الْقَاف بَعْدهَا مُهْمَلَة وَمَدّ . اِسْم نَاقَة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيلَ كَانَ طَرَف أُذُنهَا مَقْطُوعًا ، وَالْقَصْو قَطْع طَرَف الْأُذُن يُقَال : بَعِير أَقْصَى وَنَاقَة قُصْوَى ، وَكَانَ الْقِيَاس أَنْ يَكُون بِالْقَصْرِ ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي بَعْض نُسَخ أَبِي ذَرّ ، وَزَعَمَ الدَّاوُدِيّ أَنَّهَا كَانَتْ لَا تُسْبَق فَقِيلَ لَهَا الْقَصْوَاء لِأَنَّهَا بَلَغَتْ مِنْ السَّبْق أَقْصَاهُ .

قَوْله : (وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ)

أَيْ بِعَادَةٍ ، قَالَ اِبْن بَطَّال وَغَيْره : فِي هَذَا الْفَصْل جَوَاز الِاسْتِتَار عَنْ طَلَائِع الْمُشْرِكِينَ وَمُفَاجَأَتهمْ بِالْجَيْشِ طَلَبًا لِغِرَّتِهِمْ ، وَجَوَاز السَّفَر وَحْده لِلْحَاجَةِ وَجَوَاز التَّنْكِيب عَنْ الطَّرِيق السَّهْلَة إِلَى الْوَعِرَة لِلْمَصْلَحَةِ ، وَجَوَاز الْحُكْم عَلَى الشَّيْء بِمَا عُرِفَ مِنْ عَادَته وَإِنْ جَازَ أَنْ يَطْرَأ عَلَيْهِ غَيْره ، فَإِذَا وَقَعَ مِنْ شَخْص هَفْوَة لَا يُعْهَد مِنْهُ مِثْلهَا لَا يُنْسَب إِلَيْهَا وَيُرَدّ عَلَى مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهَا ، وَمَعْذِرَة مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهَا مِمَّنْ لَا يَعْرِف صُورَة حَاله ، لِأَنَّ خَلَاء الْقَصْوَاء لَوْلَا خَارِق الْعَادَة لَكَانَ مَا ظَنَّهُ الصَّحَابَة صَحِيحًا وَلَمْ يُعَاتِبهُمْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ لِعُذْرِهِمْ فِي ظَنّهمْ ، قَالَ : وَفِيهِ جَوَاز التَّصَرُّف فِي مِلْك الْغَيْر بِالْمَصْلَحَةِ بِغَيْرِ إِذْنه الصَّرِيح إِذَا كَانَ سَبَقَ مِنْهُ مَا يَدُلّ عَلَى الرِّضَا بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا حَلْ حَلْ فَزَجَرُوهَا بِغَيْرِ إِذْن ، وَلَمْ يُعَاتِبهُمْ عَلَيْهِ .

قَوْله : (حَبَسَهَا حَابِس الْفِيل)

زَادَ إِسْحَاق فِي رِوَايَته " عَنْ مَكَّة " أَيْ حَبَسَهَا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَنْ دُخُول مَكَّة كَمَا حَبَسَ الْفِيل عَنْ دُخُولهَا . وَقِصَّة الْفِيل مَشْهُورَة سَتَأْتِي الْإِشَارَة إِلَيْهَا فِي مَكَانهَا ، وَمُنَاسَبَة ذِكْرهَا أَنَّ الصَّحَابَة لَوْ دَخَلُوا مَكَّة عَلَى تِلْكَ الصُّورَة وَصَدَّهُمْ قُرَيْش عَنْ ذَلِكَ لَوَقَعَ بَيْنهمْ قِتَال قَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْك الدِّمَاء وَنَهْب الْأَمْوَال كَمَا لَوْ قُدِّرَ دُخُول الْفِيل وَأَصْحَابه مَكَّة ، لَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْم اللَّه تَعَالَى فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَام خَلْق مِنْهُمْ ، وَيُسْتَخْرَج مِنْ أَصْلَابهمْ نَاس يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ ، وَكَانَ بِمَكَّة فِي الْحُدَيْبِيَة جَمْع كَثِير مُؤْمِنُونَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَال وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَان ، فَلَوْ طَرَقَ الصَّحَابَة مَكَّة لَمَا أَمِنَ أَنْ يُصَاب نَاس مِنْهُمْ بِغَيْرِ عَمْد كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي قَوْله : (وَلَوْلَا رِجَال مُؤْمِنُونَ) الْآيَة ، وَوَقَعَ لِلْمُهَلَّبِ اِسْتِبْعَاد جَوَاز هَذِهِ الْكَلِمَة وَهِيَ " حَابِس الْفِيل " عَلَى اللَّه تَعَالَى فَقَالَ : الْمُرَاد حَبَسَهَا أَمْر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ

يَجُوز إِطْلَاق ذَلِكَ فِي حَقّ اللَّه فَيُقَال حَبَسَهَا اللَّه حَابِس الْفِيل وَإِنَّمَا الَّذِي يُمْكِن أَنْ يَمْنَع تَسْمِيَته سُبْحَانه وَتَعَالَى حَابِس الْفِيل وَنَحْوه ، كَذَا أَجَابَ اِبْن الْمُنِير ، وَهُوَ مَبْنِيّ عَلَى الصَّحِيح مِنْ أَنَّ الْأَسْمَاء تَوْقِيفِيَّة . وَقَدْ تَوَسَّطَ الْغَزَالِيّ وَطَائِفَة فَقَالُوا : مَحَلّ الْمَنْع مَا لَمْ يَرِد نَصّ بِمَا يُشْتَقّ مِنْهُ ، شَرْط أَنْ لَا يَكُون ذَلِكَ الِاسْم الْمُشْتَقّ مُشْعِرًا بِنَقْصٍ ، فَيَجُوز تَسْمِيَته الْوَاقِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَات يَوْمئِذٍ فَقَدْ رَحِمْته) وَلَا يَجُوز تَسْمِيَته الْبِنَاء وَإِنْ وَرَدَ قَوْله تَعَالَى : (وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) .
وَفِي هَذِهِ الْقِصَّة جَوَاز التَّشْبِيه مِنْ الْجِهَة الْعَامَّة وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ الْجِهَة الْخَاصَّة ، لِأَنَّ أَصْحَاب الْفِيل كَانُوا عَلَى بَاطِل مَحْض وَأَصْحَاب هَذِهِ النَّاقَة كَانُوا عَلَى حَقّ مَحْض ، لَكِنْ جَاءَ التَّشْبِيه مِنْ جِهَة إِرَادَة اللَّه مَنْع الْحَرَم مُطْلَقًا ، أَمَّا مِنْ أَهْل الْبَاطِل فَوَاضِح ، وَأَمَّا مِنْ أَهْل الْحَقّ فَلِلْمَعْنَى الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْره . وَفِيهِ ضَرْب الْمَثَل وَاعْتِبَار مَنْ بَقِيَ بِمَنْ مَضَى ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَى تَعْظِيم حُرُمَات اللَّه فِي هَذِهِ الْقِصَّة تَرْك الْقِتَال فِي الْحَرَم ، وَالْجُنُوح إِلَى الْمُسَالَمَة وَالْكَفّ عَنْ إِرَاقَة الدِّمَاء . وَاسْتَدَلَّ بَعْضهمْ بِهَذِهِ الْقِصَّة لِمَنْ قَالَ مِنْ الصُّوفِيَّة : عَلَامَة الْإِذْن التَّيْسِير وَعَكْسه ، وَفِيهِ نَظَر .
قَوْله : (وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)
فِيهِ تَأْكِيد الْقَوْل بِالْيَمِينِ فَيَكُون أَدْعَى إِلَى الْقَبُول ، وَقَدْ حُفِظَ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلِف فِي أَكْثَر مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعًا قَالَهُ اِبْن الْقَيِّم فِي الْهَدْي .
قَوْله : (لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّة)
بِضَمِّ الْخَاء الْمُعْجَمَة أَيْ خَصْلَة
(يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَات اللَّه)
أَيْ مِنْ تَرْك الْقِتَال فِي الْحَرَم ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَة الرَّحِم " وَهِيَ مِنْ جُمْلَة حُرُمَات اللَّه ، وَقِيلَ الْمُرَاد بِالْحُرُمَاتِ حُرْمَة الْحَرَم وَالشَّهْر وَالْإِحْرَام ، قُلْت : وَفِي الثَّالِث نَظَر لِأَنَّهُمْ لَوْ عَظَّمُوا الْإِحْرَام مَا صَدُّوهُ .
قَوْله : (إِلَّا أَعْطَيْتهمْ إِيَّاهَا)
أَيْ أَجَبْتهمْ إِلَيْهَا ، قَالَ السُّهَيْلِيّ : لَمْ يَقَع فِي شَيْء مِنْ طُرُق الْحَدِيث أَنَّهُ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّه مَعَ أَنَّهُ مَأْمُور بِهَا فِي كُلّ حَالَة ، وَالْجَوَاب أَنَّهُ كَانَ أَمْرًا وَاجِبًا حَتْمًا فَلَا يَحْتَاج فِيهِ إِلَى الِاسْتِثْنَاء ، كَذَا قَالَ . وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْقِصَّة : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِد الْحَرَام إِنْ شَاءَ اللَّه آمِنِينَ) فَقَالَ : (إِنْ شَاءَ اللَّه) مَعَ تَحَقُّق وُقُوع ذَلِكَ تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا ، فَالْأَوْلَى أَنْ يُحْمَل عَلَى أَنَّ الِاسْتِثْنَاء سَقَطَ مِنْ الرَّاوِي أَوْ كَانَتْ الْقِصَّة قَبْل نُزُول الْأَمْر بِذَلِكَ ، وَلَا يُعَارِضهُ كَوْن الْكَهْف مَكِّيَّة إِذْ لَا مَانِع أَنْ يَتَأَخَّر نُزُول بَعْض السُّورَة .
قَوْله : (ثُمَّ زَجَرَهَا)
أَيْ النَّاقَة
(فَوَثَبَتْ)
أَيْ قَامَتْ .
قَوْله : (فَعَدَلَ عَنْهُمْ)
فِي رِوَايَة اِبْن سَعْد " فَوَلَّى رَاجِعًا " وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ لِلنَّاسِ اِنْزِلُوا . قَالُوا يَا رَسُول اللَّه مَا بِالْوَادِي مِنْ مَاء نَنْزِل عَلَيْهِ " .

قَوْله : (عَلَى ثَمَد)
بِفَتْحِ الْمُثَلَّثَة وَالْمِيم أَيْ حُفَيْرَة فِيهَا مَاء مَثْمُود أَيْ قَلِيل ، وَقَوْله : " قَلِيل الْمَاء " تَأْكِيد لِدَفْعِ تَوَهُّم أَنْ يُرَاد لُغَة مَنْ يَقُول إِنَّ الثَّمَد الْمَاء الْكَثِير ، وَقِيلَ الثَّمَد مَا يَظْهَر مِنْ الْمَاء فِي الشِّتَاء وَيَذْهَب فِي الصَّيْف .
قَوْله : (يَتَبَرَّضهُ النَّاس)
بِالْمُوَحَّدَةِ وَالتَّشْدِيد وَالضَّاد الْمُعْجَمَة هُوَ الْأَخْذ قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَالْبَرْض بِالْفَتْحِ وَالسُّكُون الْيَسِير مِنْ الْعَطَاء ، وَقَالَ صَاحِب الْعَيْن : هُوَ جَمْع الْمَاء بِالْكَفَّيْنِ ، وَذَكَرَ أَبُو الْأَسْوَد فِي رِوَايَته عَنْ عُرْوَة " وَسَبَقَتْ قُرَيْش إِلَى الْمَاء فَنَزَلُوا عَلَيْهِ ، وَنَزَلَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُدَيْبِيَة فِي حَرّ شَدِيد وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا بِئْر وَاحِدَة " فَذَكَرَ الْقِصَّة .
قَوْله : (فَلَمْ يُلْبِثهُ)
بِضَمِّ أَوَّله وَسُكُون اللَّام مِنْ الْإِلْبَاث ، وَقَالَ اِبْن التِّين : بِفَتْحِ اللَّام وَكَسْر الْمُوَحَّدَة الثَّقِيلَة أَيْ لَمْ يَتْرُكُوهُ يَلْبَث أَيْ يُقِيم .
قَوْله : (وَشُكِيَ)
بِضَمِّ أَوَّله عَلَى الْبِنَاء لِلْمَجْهُولِ .
قَوْله : (فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَته)
أَيْ أَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ جَعْبَته .
قَوْله : (ثُمَّ أَمَرَهُمْ)
فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق عَنْ بَعْض أَهْل الْعِلْم عَنْ رِجَال مِنْ أَسْلَمَ أَنَّ نَاجِيَة بْن جُنْدُب الَّذِي سَاقَ الْبُدْن هُوَ الَّذِي نَزَلَ بِالسَّهْمِ ، وَأَخْرَجَهُ اِبْن سَعْد مِنْ طَرِيق سَلَمَة بْن الْأَكْوَع ، وَفِي رِوَايَة نَاجِيَة بْن الْأَعْجَم ، قَالَ اِبْن إِسْحَاق " وَزَعَمَ بَعْض أَهْل الْعِلْم أَنَّهُ الْبَرَاء بْن عَازِب " وَرَوَى الْوَاقِدِيّ مِنْ طَرِيق خَالِد بْن عُبَادَة الْغِفَارِيّ قَالَ : " أَنَا الَّذِي نَزَلْت بِالسَّهْمِ " وَيُمْكِن الْجَمْع بِأَنَّهُمْ تَعَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ بِالْحَفْرِ وَغَيْره ، وَسَيَأْتِي فِي الْمَغَازِي مِنْ حَدِيث الْبَرَاء بْن عَازِب فِي قِصَّة الْحُدَيْبِيَة " أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْبِئْر ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ فَمَضْمَضَ وَدَعَا اللَّه ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ : دَعُوهَا سَاعَة . ثُمَّ إِنَّهُمْ اِرْتَوَوْا بَعْد ذَلِكَ " وَيُمْكِن الْجَمْع بِأَنْ يَكُون الْأَمْرَانِ مَعًا وَقَعَا . وَقَدْ رَوَى الْوَاقِدِيّ مِنْ طَرِيق أَوْس بْن خَوْلِيّ " أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فِي الدَّلْو ثُمَّ أَفْرَغَهُ فِيهَا وَانْتَزَعَ السَّهْم فَوَضَعَهُ فِيهَا " وَهَكَذَا ذَكَرَ أَبُو الْأَسْوَد فِي رِوَايَته عَنْ عُرْوَة " أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَضْمَضَ فِي دَلْو وَصَبَّهُ فِي الْبِئْر وَنَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَته فَأَلْقَاهُ فِيهَا وَدَعَا فَفَارَتْ " وَهَذِهِ الْقِصَّة غَيْر الْقِصَّة الْآتِيَة فِي الْمَغَازِي أَيْضًا مِنْ حَدِيث جَابِر قَالَ : " عَطِشَ النَّاس بِالْحُدَيْبِيَةِ وَبَيْن يَدَيْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْوَة فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَوَضَعَ يَده فِيهَا ، فَجَعَلَ الْمَاء يَفُور مِنْ بَيْن أَصَابِعه " الْحَدِيث ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْل قِصَّة الْبِئْر وَاَللَّه أَعْلَم . وَفِي هَذَا الْفَصْل مُعْجِزَات ظَاهِرَة ، وَفِيهِ بَرَكَة سِلَاحه وَمَا يُنْسَب إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَقَعَ نَبْع الْمَاء مِنْ بَيْن أَصَابِعه فِي عِدَّة مَوَاطِن غَيْر هَذِهِ ، وَسَيَأْتِي فِي أَوَّل غَزْوَة الْحُدَيْبِيَة حَدِيث زَيْد بْن خَالِد " أَنَّهُمْ أَصَابَهُمْ مَطَر بِالْحُدَيْبِيَةِ " الْحَدِيث ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ بَعْد الْقِصَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ وَاَللَّه أَعْلَم .
قَوْله : (يَجِيش)
بِفَتْحِ أَوَّله وَكَسْر الْجِيم وَآخِره مُعْجَمَة أَيْ يَفُور ،

وَقَوْله : (بِالرِّيّ)
بِكَسْرِ الرَّاء وَيَجُوز فَتْحهَا .
وَقَوْله : (صَدَرُوا عَنْهُ)
أَيْ رَجَعُوا رُوَاء بَعْد وِرْدهمْ . زَادَ اِبْن سَعْد " حَتَّى اِغْتَرَفُوا بِآنِيَتِهِمْ جُلُوسًا عَلَى شَفِير الْبِئْر " وَكَذَا فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة .
قَوْله : (فَبَيْنَمَا هُمْ)
فِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيّ " فَبَيْنَا هُمْ "
(كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْل)
بِالْمُوَحَّدَةِ وَالتَّصْغِير أَيْ اِبْن وَرْقَاء بِالْقَافِ وَالْمَدّ صَحَابِيّ مَشْهُور .
قَوْله : (فِي نَفَر مِنْ قَوْمه)
سَمَّى الْوَاقِدِيّ مِنْهُمْ عَمْرو بْن سَالِم وَخِرَاش بْن أُمَيَّة ، وَفِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " مِنْهُمْ خَارِجَة بْن كُرْز وَيَزِيد بْن أُمَيَّة " .
قَوْله : (وَكَانُوا عَيْبَة نُصْح)
الْعَيْبَة بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون التَّحْتَانِيَّة بَعْدهَا مُوَحَّدَة مَا تُوضَع فِيهِ الثِّيَاب لِحِفْظِهَا ، أَيْ أَنَّهُمْ مَوْضِع النُّصْح لَهُ وَالْأَمَانَة عَلَى سِرّه ، وَنُصْح بِضَمِّ النُّون وَحَكَى اِبْن التِّين فَتْحهَا كَأَنَّهُ شَبَّهَ الصَّدْر الَّذِي هُوَ مُسْتَوْدَع السِّرّ بِالْعَيْبَةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَوْدَع الثِّيَاب .
وَقَوْله : (مِنْ أَهْل تِهَامَة)
لِبَيَانِ الْجِنْس ، لِأَنَّ خُزَاعَة كَانُوا مِنْ جُمْلَة أَهْل تِهَامَة وَتِهَامَة بِكَسْرِ الْمُثَنَّاة هِيَ مَكَّة وَمَا حَوْلهَا ، وَأَصْلهَا مِنْ التَّهَم وَهُوَ شِدَّة الْحَرّ وَرُكُود الرِّيح وَزَادَ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته " وَكَانَتْ خُزَاعَة عَيْبَة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمهَا وَمُشْرِكهَا لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّة " وَوَقَعَ عِنْد الْوَاقِدِيّ " أَنَّ بُدَيْلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ غَزَوْت وَلَا سِلَاح مَعَك ، فَقَالَ : لَمْ نَجِئْ لِقِتَالٍ . فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْر ، فَقَالَ لَهُ بُدَيْل : أَنَا لَا أَتَّهِم وَلَا قَوْمِي ا ه " وَكَانَ الْأَصْل فِي مُوَالَاة خُزَاعَة لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بَنِي هَاشِم فِي الْجَاهِلِيَّة كَانُوا تَحَالَفُوا مَعَ خُزَاعَة فَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي الْإِسْلَام . وَفِيهِ جَوَاز اِسْتِنْصَاح بَعْض الْمُعَاهَدِينَ وَأَهْل الذِّمَّة إِذَا دَلَّتْ الْقَرَائِن عَلَى نُصْحهمْ وَشَهِدَتْ التَّجْرِبَة بِإِيثَارِهِمْ أَهْل الْإِسْلَام عَلَى غَيْرهمْ وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَهْل دِينهمْ ، وَيُسْتَفَاد مِنْهُ جَوَاز اِسْتِنْصَاح بَعْض مُلُوك الْعَدُوّ اِسْتِظْهَارًا عَلَى غَيْرهمْ ، وَلَا يُعَدّ ذَلِكَ مِنْ مُوَالَاة الْكُفَّار وَلَا مُوَادَّة أَعْدَاء اللَّه بَلْ مِنْ قَبِيل اِسْتِخْدَامهمْ وَتَقْلِيل شَوْكَة جَمْعهمْ وَإِنْكَاء بَعْضهمْ بِبَعْضٍ ، وَلَا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ جَوَاز الِاسْتِعَانَة بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْإِطْلَاق .
قَوْله : (فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْت كَعْب بْن لُؤَيّ وَعَامِر بْن لُؤَيّ)
إِنَّمَا اِقْتَصَرَ عَلَى ذِكْر هَذَيْنِ لِكَوْنِ قُرَيْش الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّة أَجْمَع تَرْجِع أَنْسَابهمْ إِلَيْهِمَا ، وَبَقِيَ مِنْ قُرَيْش بَنُو سَامَة بْن لُؤَيّ وَبَنُو عَوْف بْن لُؤَيّ وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّة مِنْهُمْ أَحَد ، وَكَذَلِكَ قُرَيْش الظَّوَاهِر الَّذِينَ مِنْهُمْ بَنُو تَيْم بْن غَالِب وَمُحَارِب بْن فِهْر . قَالَ هِشَام بْن الْكَلْبِيّ : بَنُو عَامِر بْن لُؤَيّ وَكَعْب بْن لُؤَيّ هُمَا الصَّرِيحَانِ لَا شَكَّ فِيهِمَا ، بِخِلَافِ سَامَة وَعَوْف أَيْ فَفِيهِمَا الْخُلْف . قَالَ وَهُمْ قُرَيْش الْبِطَاح ، أَيْ بِخِلَافِ قُرَيْش الظَّوَاهِر . وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح " وَجَمَعُوا لَك الْأَحَابِيش " بِحَاءٍ مُهْمَلَة وَمُوَحَّدَة ثُمَّ شِين مُعْجَمَة وَهُوَ مَأْخُوذ مِنْ التَّحَبُّش وَهُوَ التَّجَمُّع .

قَوْله : (نَزَلُوا أَعْدَاد مِيَاه الْحُدَيْبِيَة)
الْأَعْدَاد بِالْفَتْحِ جَمْع عِدّ بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيد وَهُوَ الْمَاء الَّذِي لَا اِنْقِطَاع لَهُ ، وَغَفَلَ الدَّاوُدِيّ فَقَالَ هُوَ مَوْضِع بِمَكَّة ، وَقَوْل بُدَيْل هَذَا يُشْعِر بِأَنَّهُ كَانَ بِالْحُدَيْبِيَةِ مِيَاه كَثِيرَة وَأَنَّ قُرَيْشًا سَبَقُوا إِلَى النُّزُول عَلَيْهَا فَلِهَذَا عَطِشَ الْمُسْلِمُونَ حَيْثُ نَزَلُوا عَلَى الثَّمَد الْمَذْكُور .
قَوْله : (وَمَعَهُمْ الْعُوذ الْمَطَافِيل)
الْعُوذ بِضَمِّ الْمُهْمَلَة وَسُكُون الْوَاو بَعْدهَا مُعْجَمَة جَمْع عَائِذ وَهِيَ النَّاقَة ذَات اللَّبَن ، وَالْمَطَافِيل الْأُمَّهَات اللَّاتِي مَعَهَا أَطْفَالهَا ، يُرِيد أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَهُمْ بِذَوَاتِ الْأَلْبَان مِنْ الْإِبِل لِيَتَزَوَّدُوا بِأَلْبَانِهَا وَلَا يَرْجِعُوا حَتَّى يَمْنَعُوهُ ، أَوْ كَنَّى بِذَلِكَ عَنْ النِّسَاء مَعَهُنَّ الْأَطْفَال ، وَالْمُرَاد أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْهُمْ بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادهمْ لِإِرَادَةِ طُول الْمَقَام وَلِيَكُونَ أَدْعَى إِلَى عَدَم الْفِرَار ، وَيَحْتَمِل إِرَادَة الْمَعْنَى الْأَعَمّ ، قَالَ اِبْن فَارِس . كُلّ أُنْثَى إِذَا وَضَعَتْ فَهِيَ إِلَى سَبْعَة أَيَّام عَائِذ وَالْجَمْع عُوذ كَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَعُوذ وَلَدهَا وَتَلْزَم الشُّغْل بِهِ ، وَقَالَ السُّهَيْلِيّ : سُمِّيَتْ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْوَلَد هُوَ الَّذِي يَعُوذ بِهَا لِأَنَّهَا تَعْطِف عَلَيْهِ بِالشَّفَقَةِ وَالْحُنُوّ ، كَمَا قَالُوا تِجَارَة رَابِحَة وَإِنْ كَانَتْ مَرْبُوحًا فِيهَا . وَوَقَعَ عِنْد اِبْن سَعْد " مِنْهُمْ الْعُوذ الْمَطَافِيل وَالنِّسَاء وَالصِّبْيَان " .
قَوْله : (نَهِكَتْهُمْ)
بِفَتْحِ أَوَّله وَكَسْر الْهَاء ، أَيْ أَبْلَغَتْ فِيهِمْ حَتَّى أَضْعَفَتْهُمْ ، إِمَّا أَضْعَفَتْ قُوَّتهمْ وَإِمَّا أَضْعَفَتْ أَمْوَالهمْ .
قَوْله : (مَادَدْتهمْ)
أَيْ جَعَلْت بَيْنِي وَبَيْنهمْ مُدَّة يُتْرَك الْحَرْب بَيْننَا وَبَيْنهمْ فِيهَا .
قَوْله : (وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْن النَّاس)
أَيْ مِنْ كُفَّار الْعَرَب وَغَيْرهمْ .
قَوْله : (فَإِنْ أَظْهَر فَإِنْ شَاءُوا)
هُوَ شَرْط بَعْد الشَّرْط وَالتَّقْدِير فَإِنْ ظَهَرَ غَيْرهمْ عَلَيَّ كَفَاهُمْ الْمَئُونَة ، وَإِنْ أَظْهَر أَنَا عَلَى غَيْرهمْ فَإِنْ شَاءُوا أَطَاعُونِي وَإِلَّا فَلَا تَنْقَضِي مُدَّة الصُّلْح إِلَّا وَقَدْ جَمُّوا ، أَيْ اِسْتَرَاحُوا ، وَهُوَ بِفَتْحِ الْجِيم وَتَشْدِيد الْمِيم الْمَضْمُومَة أَيْ قَوُوا . وَوَقَعَ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّة " وَإِنَّمَا رَدَّدَ الْأَمْر مَعَ أَنَّهُ جَازِم بِأَنَّ اللَّه تَعَالَى سَيَنْصُرُهُ وَيُظْهِرهُ لِوَعْدِ اللَّه تَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ ، عَلَى طَرِيق التَّنَزُّل مَعَ الْخَصْم وَفَرْض الْأَمْر عَلَى مَا زَعَمَ الْخَصْم ، وَلِهَذِهِ النُّكْتَة حَذَفَ الْقِسْم الْأَوَّل وَهُوَ التَّصْرِيح بِظُهُورِ غَيْره عَلَيْهِ ، لَكِنْ وَقَعَ التَّصْرِيح بِهِ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق وَلَفْظه " فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا " وَلِابْنِ عَائِذ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ الزُّهْرِيّ " فَإِنْ ظَهَرَ النَّاس عَلَيَّ فَذَلِكَ الَّذِي يَبْتَغُونَ " فَالظَّاهِر أَنَّ الْحَذْف وَقَعَ مِنْ بَعْض الرُّوَاة تَأَدُّبًا .
قَوْله : (حَتَّى تَنْفَرِد سَالِفَتِي)
السَّالِفَة بِالْمُهْمَلَةِ وَكَسْر اللَّام بَعْدهَا فَاء صَفْحَة الْعُنُق ، وَكَنَّى بِذَلِكَ عَنْ الْقَتْل لِأَنَّ الْقَتِيل تَنْفَرِد مُقَدِّمَة عُنُقه . وَقَالَ الدَّاوُدِيّ : الْمُرَاد الْمَوْت أَيْ حَتَّى أَمُوت وَأَبْقَى مُنْفَرِدًا فِي قَبْرِي . وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون أَرَادَ أَنَّهُ يُقَاتِل حَتَّى يَنْفَرِد وَحْده فِي مُقَاتَلَتهمْ . وَقَالَ اِبْن الْمُنِير : لَعَلَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبَّهَ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى ، أَيْ إِنَّ لِي مِنْ الْقُوَّة بِاللَّهِ

وَالْحَوْل بِهِ مَا يَقْتَضِي أَنْ أُقَاتِل عَنْ دِينه لَوْ اِنْفَرَدْت ، فَكَيْفَ لَا أُقَاتِل عَنْ دِينه مَعَ وُجُود الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَتهمْ وَنَفَاذ بَصَائِرهمْ فِي نَصْر دِين اللَّه تَعَالَى .
قَوْله : (وَلَيُنْفِذَنَّ)
بِضَمِّ أَوَّله وَكَسْر الْفَاء أَيْ لَيُمْضِيَنَّ
(اللَّه أَمْره)
فِي نَصْر دِينه . وَحَسُنَ الْإِتْيَان بِهَذَا الْجَزْم - بَعْد ذَلِكَ التَّرَدُّد - لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُورِدهُ إِلَّا عَلَى سَبِيل الْفَرْض . وَفِي هَذَا الْفَصْل النَّدْب إِلَى صِلَة الرَّحِم ، وَالْإِبْقَاء عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلهَا ، وَبَذْل النَّصِيحَة لِلْقَرَابَةِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْقُوَّة وَالثَّبَات فِي تَنْفِيذ حُكْم اللَّه وَتَبْلِيغ أَمْره .
قَوْله : (فَقَالَ بُدَيْل سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُول)
أَيْ فَأَذِنَ لَهُ .
قَوْله : (فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ)
سَمَّى الْوَاقِدِيّ مِنْهُمْ عِكْرِمَة بْن أَبِي جَهْل وَالْحَكَم بْن أَبِي الْعَاص .
قَوْله : (فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ)
زَادَ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته " فَقَالَ لَهُمْ بُدَيْل : إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّد ، إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ ، إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا . فَاتَّهَمُوهُ - أَيْ اِتَّهَمُوا بُدَيْلًا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ مَيْله إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا إِنْ كَانَ كَمَا تَقُول فَلَا يَدْخُلهَا عَلَيْنَا عَنْوَة " .
قَوْله : (فَقَامَ عُرْوَة)
فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة عِنْد الْحَاكِم فِي " الْإِكْلِيل " وَالْبَيْهَقِيِّ فِي " الدَّلَائِل " وَذَكَرَ ذَلِكَ اِبْن إِسْحَاق أَيْضًا مِنْ وَجْه آخَر " قَالُوا لَمَّا نَزَلَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَةِ أَحَبَّ أَنْ يَبْعَث رَجُلًا مِنْ أَصْحَابه إِلَى قُرَيْش يُعْلِمهُمْ بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَدِمَ مُعْتَمِرًا ، فَدَعَا عُمَر فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَا عَشِيرَة لَهُ بِمَكَّة ، فَدَعَا عُثْمَان فَأَرْسَلَهُ بِذَلِكَ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْلِم مَنْ بِمَكَّة مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ الْفَرَج قَرِيب ، فَأَعْلَمهُمْ عُثْمَان بِذَلِكَ ، فَحَمَلَهُ أَبَان بْن سَعِيد بْن الْعَاص عَلَى فَرَسه - فَذَكَرَ الْقِصَّة - فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : هَنِيئًا لِعُثْمَان ، خَلَصَ إِلَى الْبَيْت فَطَافَ بِهِ دُوننَا ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ ظَنِّي بِهِ أَنْ لَا يَطُوف حَتَّى نَطُوف مَعًا . فَكَانَ كَذَلِكَ . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ عُرْوَة بْن مَسْعُود " فَذَكَرَ الْقِصَّة . وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق أَنَّ مَجِيء عُرْوَة كَانَ قَبْل ذَلِكَ ، وَذَكَرَهَا مُوسَى بْن عُقْبَة فِي الْمَغَازِي عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَكَذَا أَبُو الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة قَبْل قِصَّة مَجِيء سُهَيْل بْن عَمْرو ، فَاَللَّه أَعْلَم .
قَوْله : (فَقَامَ عُرْوَة بْن مَسْعُود)
أَيْ اِبْن مُعَتِّب بِضَمِّ أَوَّله وَفَتْح الْمُهْمَلَة وَتَشْدِيد الْمُثَنَّاة الْمَكْسُورَة بَعْدهَا مُوَحَّدَة الثَّقَفِيّ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق عِنْد أَحْمَد عُرْوَة بْن عَمْرو بْن مَسْعُود ، وَالصَّوَاب الْأَوَّل وَهُوَ الَّذِي وَقَعَ فِي السِّيرَة .
قَوْله : (أَلَسْتُمْ بِالْوَلَدِ وَأَلَسْتُ بِالْوَالِدِ ؟ قَالُوا : بَلَى)
كَذَا لِأَبِي ذَرّ ، وَلِغَيْرِهِ بِالْعَكْسِ " أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ وَأَلَسْتُ بِالْوَلَدِ " وَهُوَ الصَّوَاب وَهُوَ الَّذِي فِي رِوَايَة أَحْمَد وَابْن إِسْحَاق وَغَيْرهمَا ، وَزَادَ اِبْن إِسْحَاق عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّ أُمّ عُرْوَة هِيَ سُبَيْعَة بِنْت عَبْد شَمْس بْن عَبْد مَنَافٍ ، فَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : " أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ " أَنَّكُمْ

حَيّ قَدْ وَلَدُونِي فِي الْجُمْلَة لِكَوْنِ أُمِّي مِنْكُمْ . وَجَرَى بَعْض الشُّرَّاح عَلَى مَا وَقَعَ فِي رِوَايَة أَبِي ذَرّ فَقَالَ : أَرَادَ بِقَوْلِهِ : " أَلَسْتُمْ بِالْوَلَدِ " أَيْ أَنْتُمْ عِنْدِي فِي الشَّفَقَة وَالنُّصْح بِمَنْزِلَةِ الْوَلَد ، قَالَ : وَلَعَلَّهُ كَانَ يُخَاطِب بِذَلِكَ قَوْمًا هُوَ أَسَنّ مِنْهُمْ .

قَوْله : (اِسْتَنْفَرْت أَهْل عُكَاظ)

بِضَمِّ الْمُهْمَلَة وَتَخْفِيف الْكَاف وَآخِره مُعْجَمَة أَيْ دَعَوْتهمْ إِلَى نَصْركُمْ .

قَوْله : (فَلَمَّا بَلَّحُوا)

بِالْمُوَحَّدَةِ وَتَشْدِيد اللَّام الْمَفْتُوحَتَيْنِ ثُمَّ مُهْمَلَة مَضْمُومَة أَيْ اِمْتَنَعُوا ، وَالتَّبَلُّح التَّمَنُّع مِنْ الْإِجَابَة ، وَبَلَّحَ الْغَرِيم إِذَا اِمْتَنَعَ مِنْ أَدَاء مَا عَلَيْهِ زَادَ اِبْن إِسْحَاق " فَقَالُوا صَدَقْت ، مَا أَنْتَ عِنْدنَا بِمُتَّهَمٍ " .

قَوْله : (قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ)

فِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيّ " لَكُمْ " .

(خُطَّة رُشْد)

بِضَمِّ الْخَاء الْمُعْجَمَة وَتَشْدِيد الْمُهْمَلَة ، وَالرُّشْد بِضَمِّ الرَّاء وَسُكُون الْمُعْجَمَة وَبِفَتْحِهِمَا ، أَيْ خَصْلَة خَيْر وَصَلَاح وَإِنْصَاف ، وَبَيَّنَ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته أَنَّ سَبَب تَقْدِيم عُرْوَة لِهَذَا الْكَلَام عِنْد قُرَيْش مَا رَآهُ مِنْ رَدّهمْ الْعَنِيف عَلَى مَنْ يَجِيء مِنْ عِنْد الْمُسْلِمِينَ .

قَوْله : (وَدَعُونِي آتِهِ)

بِالْمَدِّ ، وَهُوَ مَجْزُوم عَلَى جَوَاب الْأَمْر وَأَصْله أَئْتِهِ أَيْ أَجِيء إِلَيْهِ

(قَالُوا اِئْتِهِ)

بِأَلِفِ وَصْل بَعْدهَا هَمْزَة سَاكِنَة ثُمَّ مُثَنَّاة مَكْسُورَة ثُمَّ هَاء سَاكِنَة وَيَجُوز كَسْرهَا .

قَوْله : (نَحْوًا مِنْ قَوْله لِبُدَيْلٍ)

زَادَ اِبْن إِسْحَاق " وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيد حَرْبًا " .

قَوْله : (فَقَالَ عُرْوَة عِنْد ذَلِكَ)

أَيْ عِنْد قَوْله : لَأُقَاتِلَنهُمْ .

قَوْله : (اِجْتَاحَ)

بِجِيمٍ ثُمَّ مُهْمَلَة أَيْ أَهْلَكَ أَصْله بِالْكُلِّيَّةِ ، وَحَذَفَ الْجَزَاء مِنْ قَوْله : " وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى " تَأَدُّبًا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمَعْنَى وَإِنْ تَكُنْ الْغَلَبَة لِقُرَيْشٍ لَا آمَنهُمْ عَلَيْك مَثَلًا .

وَقَوْله : (فَإِنِّي وَاَللَّه لَا أَرَى وُجُوهًا إِلَخْ)

كَالتَّعْلِيلِ لِهَذَا الْقَدْر الْمَحْذُوف ، وَالْحَاصِل أَنَّ عُرْوَة رَدَّدَ الْأَمْر بَيْن شَيْئَيْنِ غَيْر مُسْتَحْسَنَيْنِ عَادَة وَهُوَ هَلَاك قَوْمه إِنْ غَلَبَ ، وَذَهَاب أَصْحَابه إِنْ غُلِبَ ، لَكِنْ كُلّ مِنْ الْأَمْرَيْنِ مُسْتَحْسَن شَرْعًا كَمَا قَالَ تَعَالَى : (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ) .

قَوْله : (أَشْوَابًا)

بِتَقْدِيمِ الْمُعْجَمَة عَلَى الْوَاو كَذَا لِلْأَكْثَرِ وَعَلَيْهَا اِقْتَصَرَ صَاحِب الْمَشَارِق ، وَوَقَعَ لِأَبِي ذَرّ عَنْ الْكُشْمِيهَنِيّ " أَوْشَابًا " بِتَقْدِيمِ الْوَاو ، وَالْأَشْوَاب الْأَخْلَاط مِنْ أَنْوَاع شَتَّى ، وَالْأَوْبَاش الْأَخْلَاط مِنْ السَّفَلَة ، فَالْأَوْبَاش أَخَصّ مِنْ الْأَشْوَاب .

قَوْله : (خَلِيقًا)
بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَة وَالْقَاف أَيْ حَقِيقًا وَزْنًا وَمَعْنًى ، وَيُقَال خَلِيق لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْع وَلِذَلِكَ وَقَعَ صِفَة لِأَشْوَابٍ .
قَوْله : (وَيَدَعُوك)
بِفَتْحِ الدَّال أَيْ يَتْرُكُوك ، فِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح عَنْ الزُّهْرِيِّ عِنْد مَنْ سَمَّيْته " وَكَأَنَّ بِهِمْ لَوْ قَدْ لَقِيت قُرَيْشًا قَدْ أَسْلَمُوك فَتُؤْخَذ أَسِيرًا فَأَيّ شَيْء أَشَدّ عَلَيْك مِنْ هَذَا " وَفِيهِ أَنَّ الْعَادَة جَرَتْ أَنَّ الْجُيُوش الْمُجَمَّعَة لَا يُؤْمَن عَلَيْهَا الْفِرَار بِخِلَافِ مَنْ كَانَ مِنْ قَبِيلَة وَاحِدَة فَإِنَّهُمْ يَأْنَفُونَ الْفِرَار فِي الْعَادَة . وَمَا دَرَى عُرْوَة أَنَّ مَوَدَّة الْإِسْلَام أَعْظَم مِنْ مَوَدَّة الْقَرَابَة ، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ مُبَالَغَة الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْظِيم النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَيَأْتِي .
قَوْله : (فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق)
زَادَ اِبْن إِسْحَاق " وَأَبُو بَكْر الصِّدِّيق خَلْف رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِد فَقَالَ " .
قَوْله : (اُمْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِي)
زَادَ اِبْن عَائِذ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ الزُّهْرِيِّ " وَهِيَ - أَيْ اللَّاتِي - طَاغِيَته الَّتِي يَعْبُد " أَيْ طَاغِيَة عُرْوَة . وَقَوْله اُمْصُصْ بِأَلِفِ وَصْل وَمُهْمَلَتَيْنِ الْأُولَى مَفْتُوحَة بِصِيغَةِ الْأَمْر ، وَحَكَى اِبْن التِّين عَنْ رِوَايَة الْقَابِسِيّ ضَمّ الصَّاد الْأُولَى وَخَطَّأَهَا ، وَالْبَظْر بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَة وَسُكُون الْمُعْجَمَة قِطْعَة تَبْقَى بَعْد الْخِتَان فِي فَرْج الْمَرْأَة ، وَاللَّاتِي اِسْم أَحَد الْأَصْنَام الَّتِي كَانَتْ قُرَيْش وَثَقِيف يَعْبُدُونَهَا ، وَكَانَتْ عَادَة الْعَرَب الشَّتْم بِذَلِكَ لَكِنْ بِلَفْظِ الْأُمّ فَأَرَادَ أَبُو بَكْر الْمُبَالَغَة فِي سَبّ عُرْوَة بِإِقَامَةِ مَنْ كَانَ يَعْبُد مَقَام أُمّه ، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَغْضَبَهُ بِهِ مِنْ نِسْبَة الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفِرَار ، وَفِيهِ جَوَاز النُّطْق بِمَا يُسْتَبْشَع مِنْ الْأَلْفَاظ لِإِرَادَةِ زَجْر مَنْ بَدَا مِنْهُ مَا يَسْتَحِقّ بِهِ ذَلِكَ . وَقَالَ اِبْن الْمُنِير : فِي قَوْل أَبِي بَكْر تَخْسِيس لِلْعَدُوِّ وَتَكْذِيبهمْ وَتَعْرِيض بِإِلْزَامِهِمْ مِنْ قَوْلهمْ إِنَّ اللَّاتِي بِنْت اللَّه ، تَعَالَى اللَّه عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ بِنْتًا لَكَانَ لَهَا مَا يَكُون لِلْإِنَاثِ .
قَوْله : (أَنَحْنُ نَفِرّ)
اِسْتِفْهَام إِنْكَار .
قَوْله : (مَنْ ذَا ؟ قَالُوا أَبُو بَكْر)
فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّد ؟ قَالَ : هَذَا اِبْن أَبِي قُحَافَة " .
قَوْله : (أَمَا)
هُوَ حَرْف اِسْتِفْتَاح ، وَقَوْله : " وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ " يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْقَسَم بِذَلِكَ كَانَ عَادَة لِلْعَرَبِ .
قَوْله : (لَوْلَا يَد)
أَيْ نِعْمَة ،
وَقَوْله : (لَمْ أَجْزِك بِهَا)
أَيْ لَمْ أُكَافِئك بِهَا ، زَادَ اِبْن إِسْحَاق " وَلَكِنَّ هَذِهِ بِهَا " أَيْ جَازَاهُ بِعَدَمِ إِجَابَته عَنْ شَتْمه بِيَدِهِ الَّتِي كَانَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِهَا ، وَبَيَّنَ عَبْد الْعَزِيز الْإِمَامِيّ عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيث

أَنَّ الْيَد الْمَذْكُورَة أَنَّ عُرْوَة كَانَ تَحَمَّلَ بِدِيَةٍ فَأَعَانَهُ أَبُو بَكْر فِيهَا بِعَوْنٍ حَسَن ، وَفِي رِوَايَة الْوَاقِدِيّ عَشْر قَلَائِص .
قَوْله : (قَائِم عَلَى رَأس النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ)
فِيهِ جَوَاز الْقِيَام عَلَى رَأس الْأَمِير بِالسَّيْفِ بِقَصْدِ الْحِرَاسَة وَنَحْوهَا مِنْ تَرْهِيب الْعَدُوّ ، وَلَا يُعَارِضهُ النَّهْي عَنْ الْقِيَام عَلَى رَأس الْجَالِس لِأَنَّ مَحَلّه مَا إِذَا كَانَ عَلَى وَجْه الْعَظَمَة وَالْكِبْر .
قَوْله : (فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ)
فِي رِوَايَة السَّرَخْسِيّ وَالْكُشْمِيهَنِيّ " فَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ " وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَجَعَلَ يَتَنَاوَل لِحْيَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُكَلِّمهُ " .
قَوْله : (وَالْمُغِيرَة بْن شُعْبَة قَائِم)
فِي مَغَازِي عُرْوَة بْن الزُّبَيْر رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْهُ " أَنَّ الْمُغِيرَة لَمَّا رَأَى عُرْوَة بْن مَسْعُود مُقْبِلًا لَبِسَ لَأْمَته وَجَعَلَ عَلَى رَأسه الْمِغْفَر لِيَسْتَخْفِيَ مِنْ عُرْوَة عَمّه " .
قَوْله : (بِنَعْلِ السَّيْف)
هُوَ مَا يَكُون أَسْفَل الْقِرَاب مِنْ فِضَّة أَوْ غَيْرهَا .
قَوْله : (أَخِّرْ)
فِعْل أَمْر مِنْ التَّأْخِير ، زَادَ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته " قَبْل أَنْ لَا تَصِل إِلَيْك " وَزَادَ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر " فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُشْرِكٍ أَنْ يَمَسّهُ " وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَيَقُول عُرْوَة : وَيْحك مَا أَفَظّك وَأَغْلَظك " وَكَانَتْ عَادَة الْعَرَب أَنْ يَتَنَاوَل الرَّجُل لِحْيَة مَنْ يُكَلِّمهُ وَلَا سِيَّمَا عِنْد الْمُلَاطَفَة وَفِي الْغَالِب إِنَّمَا يَصْنَع ذَلِكَ النَّظِير بِالنَّظِيرِ ، لَكِنْ كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغْضِي لِعُرْوَةَ عَنْ ذَلِكَ اِسْتِمَالَة لَهُ وَتَأْلِيفًا ، وَالْمُغِيرَة يَمْنَعهُ إِجْلَالًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمًا .
قَوْله : (فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ الْمُغِيرَة)
وَفِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " فَلَمَّا أَكْثَرَ الْمُغِيرَة مِمَّا يَقْرَع يَده غَضِبَ وَقَالَ : لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ آذَانِي مِنْ بَيْن أَصْحَابك ؟ وَاَللَّه لَا أَحْسَب فِيكُمْ أَلْأَم مِنْهُ وَلَا أَشَرّ مَنْزِلَة " وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَتَبَسَّمَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَة : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّد ؟ قَالَ : هَذَا اِبْن أَخِيك الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة " وَكَذَا أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي شَيْبَة مِنْ حَدِيث الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة نَفْسه بِإِسْنَادٍ صَحِيح ، وَأَخْرَجَهُ اِبْن حِبَّانَ .
قَوْله : (أَيْ غُدَر)
بِالْمُعْجَمَةِ بِوَزْنِ عُمَر مَعْدُول عَنْ غَادِر مُبَالَغَة فِي وَصْفه بِالْغَدْرِ .
قَوْله : (أَلَسْت أَسْعَى فِي غَدْرَتك)
أَيْ أَلَسْت أَسْعَى فِي دَفْع شَرّ غَدْرَتك ؟ وَفِي مَغَازِي عُرْوَة " وَاَللَّه مَا غَسَلْت يَدَيَّ مِنْ غَدْرَتك ، لَقَدْ أَوْرَثْتنَا الْعَدَاوَة فِي ثَقِيف " وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " وَهَلْ غَسَلْت سَوْأَتك إِلَّا بِالْأَمْسِ " قَالَ اِبْن هِشَام فِي السِّيرَة : أَشَارَ عُرْوَة بِهَذَا إِلَى مَا وَقَعَ لِلْمُغِيرَةِ قَبْل إِسْلَامه ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ ثَلَاثَة عَشَر نَفَرًا مِنْ ثَقِيف مِنْ بَنِي مَالِك فَغَدَرَ بِهِمْ وَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالهمْ ، فَتَهَايَجَ الْفَرِيقَانِ بَنُو مَالِك وَالْأَحْلَاف رَهْط الْمُغِيرَة فَسَعَى عُرْوَة بْن مَسْعُود عَمّ الْمُغِيرَة حَتَّى أَخَذُوا مِنْهُ دِيَة ثَلَاثَة عَشَر نَفْسًا وَاصْطَلَحُوا . وَفِي الْقِصَّة طُول . وَقَدْ سَاقَ اِبْن الْكَلْبِيّ وَالْوَاقِدِيّ الْقِصَّة ، وَحَاصِلهَا أَنَّهُمْ كَانُوا خَرَجُوا زَائِرِينَ

الْمُقَوْقِس بِمِصْرَ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ وَقَصَّرَ بِالْمُغِيرَةِ فَحَصَلَتْ لَهُ الْغَيْرَة مِنْهُمْ ، فَلَمَّا كَانُوا بِالطَّرِيقِ شَرِبُوا الْخَمْر ، فَلَمَّا سَكِرُوا وَنَامُوا وَثَبَ الْمُغِيرَة فَقَتَلَهُمْ وَلَحِقَ بِالْمَدِينَةِ فَأَسْلَمَ .
قَوْله : (أَمَّا الْإِسْلَام فَأَقْبَل)
بِلَفْظِ الْمُتَكَلِّم أَيْ أَقْبَلهُ .
قَوْله : (وَأَمَّا الْمَال فَلَسْت مِنْهُ فِي شَيْء)
أَيْ لَا أَتَعَرَّض لَهُ لِكَوْنِهِ أَخَذَهُ غَدْرًا . وَيُسْتَفَاد مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَحِلّ أَخْذ أَمْوَال الْكُفَّار فِي حَال الْأَمْن غَدْرًا لِأَنَّ الرُّفْقَة يُصْطَحَبُونَ عَلَى الْأَمَانَة وَالْأَمَانَة تُؤَدَّى إِلَى أَهْلهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ، وَأَنَّ أَمْوَال الْكُفَّار إِنَّمَا تَحِلّ بِالْمُحَارَبَةِ وَالْمُغَالَبَة ، وَلَعَلَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْمَال فِي يَده لِإِمْكَانِ أَنْ يُسْلِم قَوْمه فَيَرُدّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالهمْ ، وَيُسْتَفَاد مِنْ الْقِصَّة أَنَّ الْحَرْبِيّ إِذَا أَتْلَفَ مَال الْحَرْبِيّ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ضَمَان ، وَهَذَا أَحَد الْوَجْهَيْنِ لِلشَّافِعِيَّةِ .
قَوْله : (فَجَعَلَ يَرْمُق)
بِضَمِّ الْمِيم أَيْ يَلْحَظ .
قَوْله : (فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهه وَجِلْده)
زَادَ اِبْن إِسْحَاق " وَلَا يَسْقُط مِنْ شَعْره شَيْء إِلَّا أَخَذُوهُ "
وَقَوْله : " وَمَا يُحِدُّونَ "
بِضَمِّ أَوَّله وَكَسْر الْمُهْمَلَة أَيْ يُدِيمُونَ ، وَفِيهِ طَهَارَة النُّخَامَة وَالشَّعْر الْمُنْفَصِل وَالتَّبَرُّك بِفَضَلَاتِ الصَّالِحِينَ الطَّاهِرَة ، وَلَعَلَّ الصَّحَابَة فَعَلُوا ذَلِكَ بِحَضْرَةِ عُرْوَة وَبَالَغُوا فِي ذَلِكَ إِشَارَة مِنْهُمْ إِلَى الرَّدّ عَلَى مَا خَشِيَهُ مِنْ فِرَارهمْ ، وَكَأَنَّهُمْ قَالُوا بِلِسَانِ الْحَال : مَنْ يُحِبّ إِمَامه هَذِهِ الْمَحَبَّة وَيُعَظِّمهُ هَذَا التَّعْظِيم كَيْفَ يُظَنّ بِهِ أَنَّهُ يَفِرّ عَنْهُ وَيُسَلِّمهُ لِعَدُوِّهِ ؟ بَلْ هُمْ أَشَدّ اِغْتِبَاطًا بِهِ وَبِدِينِهِ وَبِنَصْرِهِ مِنْ الْقَبَائِل الَّتِي يُرَاعِي بَعْضهَا بَعْضًا بِمُجَرَّدِ الرَّحِم ، فَيُسْتَفَاد مِنْهُ جَوَاز التَّوَصُّل إِلَى الْمَقْصُود بِكُلِّ طَرِيق سَائِغ .
قَوْله : (وَوَفَدْت عَلَى قَيْصَر)
هُوَ مِنْ الْخَاصّ بَعْد الْعَامّ ، وَذَكَرَ الثَّلَاثَة لِكَوْنِهِمْ كَانُوا أَعْظَم مُلُوك ذَلِكَ الزَّمَان . وَفِي مُرْسَل عَلِيّ بْن زَيْد عِنْد اِبْن أَبِي شَيْبَة " فَقَالَ عُرْوَة : أَيْ قَوْم إِنِّي قَدْ رَأَيْت الْمُلُوك ، مَا رَأَيْت مِثْل مُحَمَّد ، وَمَا هُوَ بِمَلِكٍ ، وَلَكِنْ رَأَيْت الْهَدْي مَعْكُوفًا ، وَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا سَتُصِيبُكُمْ قَارِعَة ، فَانْصَرَفَ هُوَ وَمَنْ اِتَّبَعَهُ إِلَى الطَّائِف " وَفِي قِصَّة عُرْوَة بْن مَسْعُود مِنْ الْفَوَائِد مَا يَدُلّ عَلَى جَوْدَة عَقْله وَيَقَظَته ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَة مِنْ الْمُبَالَغَة فِي تَعْظِيم النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوْقِيره وَمُرَاعَاة أُمُوره وَرَدْع مَنْ جَفَا عَلَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْل وَالتَّبَرُّك بِآثَارِهِ .
قَوْله : (فَقَالَ رَجُل مِنْ بَنِي كِنَانَة)
فِي رِوَايَة الْإِمَامِيّ " فَقَامَ الْحُلَيْس " بِمُهْمَلَتَيْنِ مُصَغَّر ، وَسَمَّى اِبْن إِسْحَاق وَالزُّبَيْر بْن بَكَّار أَبَاهُ عَلْقَمَة ، وَهُوَ مِنْ بَنِي الْحَارِث بْن عَبْد مَنَاة بْن كِنَانَة وَكَانَ مِنْ رُءُوس الْأَحَابِيش ، وَهُمْ بَنُو الْحَارِث بْن عَبْد مَنَاة بْن كِنَانَة ، وَبَنُو الْمُصْطَلِق بْن خُزَاعَة ، وَالْقَارَّة وَهُمْ بَنُو الْهَوْن بْن خُزَيْمَة . وَفِي رِوَايَة الزُّبَيْر بْن بَكَّار " أَبَى اللَّه أَنْ تَحُجّ لَخْم وَجُذَام وَكِنْدَة وَحِمْيَر ، وَيُمْنَع اِبْن عَبْد الْمُطَّلِب " .
قَوْله : (فَابْعَثُوهَا لَهُ)

أَيْ أَثِيرُوهَا دَفْعَة وَاحِدَة ، وَزَادَ اِبْن إِسْحَاق " فَلَمَّا رَأَى الْهَدْي يَسِيل عَلَيْهِ مِنْ عَرْض الْوَادِي بِقَلَائِدِهِ قَدْ حُبِسَ عَنْ مَحِلّه رَجَعَ وَلَمْ يَصِلِ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَكِنْ فِي مَغَازِي عُرْوَة عَنْ الْحَاكِم " فَصَاحَ الْحُلَيْس فَقَالَ : هَلَكَتْ قُرَيْش وَرَبّ الْكَعْبَة ، إِنَّ الْقَوْم إِنَّمَا أَتَوْا عُمَّارًا ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَل يَا أَخَا بَنِي كِنَانَة فَأَعْلِمهمْ بِذَلِكَ " فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون خَاطَبَهُ عَلَى بُعْد .

قَوْله : (فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْت)

زَادَ اِبْن إِسْحَاق " وَغَضِبَ وَقَالَ : يَا مَعْشَر قُرَيْش مَا عَلَى هَذَا عَاقَدْنَاكُمْ ، أَيُصَدُّ عَنْ بَيْت اللَّه مَنْ جَاءَ مُعَظِّمًا لَهُ ؟ فَقَالُوا : كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْس حَتَّى نَأْخُذ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى " وَفِي هَذِهِ الْقِصَّة جَوَاز الْمُخَادَعَة فِي الْحَرْب وَإِظْهَار إِرَادَة الشَّيْء وَالْمَقْصُود غَيْره ، وَفِيهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُعَظِّمُونَ حُرُمَات الْإِحْرَام وَالْحَرَم ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَصُدّ عَنْ ذَلِكَ تَمَسُّكًا مِنْهُمْ بِبَقَايَا مِنْ دِين إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام .

قَوْله : (فَقَامَ رَجُل مِنْهُمْ يُقَال لَهُ مِكْرَز)

بِكَسْرِ الْمِيم وَسُكُون الْكَاف وَفَتْح الرَّاء بَعْدهَا زَاي اِبْن حَفْص ، زَادَ اِبْن إِسْحَاق " اِبْن الْأَخْيَف " وَهُوَ بِالْمُعْجَمَةِ ثُمَّ تَحْتَانِيَّة ثُمَّ الْفَاء ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِر بْن لُؤَيّ . وَوَقَعَ بِخَطِّ اِبْن عَبْدَة النَّسَّابَة بِفَتْحِ الْمِيم وَبِخَطِّ يُوسُف بْن خَلِيل الْحَافِظ بِضَمِّهَا وَكَسْر الرَّاء ، وَالْأَوَّل الْمُعْتَمَد .

قَوْله : (وَهُوَ رَجُل فَاجِر)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " غَادِر " وَهُوَ أَرْجَح ، فَإِنِّي مَازِلْت مُتَعَجِّبًا مِنْ وَصْفه بِالْفُجُورِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقَع مِنْهُ فِي قِصَّة الْحُدَيْبِيَة فُجُور ظَاهِر ، بَلْ فِيهَا مَا يُشْعِر بِخِلَافِ ذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي مِنْ كَلَامه فِي قِصَّة أَبِي جَنْدَل ، إِلَى أَنْ رَأَيْت فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيّ فِي غَزْوَة بَدْر أَنَّ عُتْبَة بْن رَبِيعَة قَالَ لِقُرَيْشٍ " كَيْفَ نَخْرُج مِنْ مَكَّة وَبَنُو كِنَانَة خَلْفَنَا لَا نَأْمَنهُمْ عَلَى ذَرَارِيّنَا ؟ قَالَ : وَذَلِكَ أَنَّ حَفْص بْن الْأَخْيَف يَعْنِي وَالِد مِكْرَز كَانَ لَهُ وَلَد وَضِيء فَقَتَلَهُ رَجُل مِنْ بَنِي بَكْر بْن عَبْد مَنَاة بْن كِنَانَة بِدَمٍ لَهُ كَانَ فِي قُرَيْش ، فَتَكَلَّمَتْ قُرَيْش فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ اِصْطَلَحُوا ، فَعَدَا مِكْرَز بْن حَفْص بَعْد ذَلِكَ عَلَى عَامِر بْن يَزِيد سَيِّد بَنِي بَكْر غِرَّة فَقَتَلَهُ ، فَنَفَرَتْ مِنْ ذَلِكَ كِنَانَة ، فَجَاءَتْ وَقْعَة بَدْر فِي أَثْنَاء ذَلِكَ ، وَكَانَ مِكْرَز مَعْرُوفًا بِالْغَدْرِ " وَذَكَرَ الْوَاقِدِيّ أَيْضًا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّت الْمُسْلِمِينَ بِالْحُدَيْبِيَةِ فَخَرَجَ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا فَأَخَذَهُمْ مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة وَهُوَ عَلَى الْحَرَس وَانْفَلَتَ مِنْهُمْ مِكْرَز ، فَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ .

قَوْله : (إِذْ جَاءَ سُهَيْل بْن عَمْرو)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَدَعَتْ قُرَيْش سُهَيْل بْن عَمْرو فَقَالُوا : اِذْهَبْ إِلَى هَذَا الرَّجُل فَصَالِحه ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ أَرَادَتْ قُرَيْش الصُّلْح حِين بَعَثَتْ هَذَا " .

قَوْله : (قَالَ مَعْمَر : فَأَخْبَرَنِي أَيُّوب عَنْ عِكْرِمَة أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْل إِلَخْ)

هَذَا مَوْصُول إِلَى مَعْمَر بِالْإِسْنَادِ الْمَذْكُور أَوَّلًا وَهُوَ مُرْسَل ، وَلَمْ أَقِف عَلَى مَنْ وَصَلَهُ بِذِكْرِ اِبْن عَبَّاس فِيهِ ، لَكِنْ لَهُ شَاهِد مَوْصُول عِنْد اِبْن أَبِي شَيْبَة مِنْ حَدِيث سَلَمَة بْن الْأَكْوَع قَالَ : " بَعَثَتْ قُرَيْش سُهَيْل بْن عَمْرو وَحُوَيْطِب بْن عَبْد الْعُزَّى إِلَى النَّبِيّ

صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَالِحُوهُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُهَيْلًا قَالَ : قَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ " وَلِلطَّبَرَانِيِّ نَحْوه مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن السَّائِب .

قَوْله : (قَالَ مَعْمَر قَالَ الزُّهْرِيُّ)

هُوَ مَوْصُول بِالْإِسْنَادِ الْأَوَّل إِلَى مَعْمَر ، وَهُوَ بَقِيَّة الْحَدِيث ، وَإِنَّمَا اِعْتَرَضَ حَدِيث عِكْرِمَة فِي أَثْنَائِهِ .

قَوْله : (فَقَالَ هَاتِ اُكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَلَمَّا اِنْتَهَى إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَى بَيْنهمَا الْقَوْل حَتَّى وَقَعَ بَيْنهمَا الصُّلْح عَلَى أَنْ تُوضَع الْحَرْب بَيْنهمَا عَشْر سِنِينَ وَأَنْ يَأْمَن النَّاس بَعْضهمْ بَعْضًا ، وَأَنْ يَرْجِع عَنْهُمْ عَامهمْ هَذَا " .

(تَنْبِيه) :

هَذَا الْقَدْر الَّذِي ذَكَرَهُ اِبْن إِسْحَاق أَنَّهُ مُدَّة الصُّلْح هُوَ الْمُعْتَمَد ، وَبِهِ جَزَمَ اِبْن سَعْد ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِم مِنْ حَدِيث عَلِيّ نَفْسه . وَوَقَعَ فِي مَغَازِي اِبْن عَائِذ فِي حَدِيث اِبْن عَبَّاس وَغَيْره أَنَّهُ كَانَ سَنَتَيْنِ ، وَكَذَا وَقَعَ عِنْد مُوسَى بْن عُقْبَة ، وَيُجْمَع بَيْنهمَا بِأَنَّ الَّذِي قَالَهُ اِبْن إِسْحَاق هِيَ الْمُدَّة الَّتِي وَقَعَ الصُّلْح عَلَيْهَا ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ اِبْن عَائِذ وَغَيْره هِيَ الْمُدَّة الَّتِي اِنْتَهَى أَمْر الصُّلْح فِيهَا حَتَّى وَقَعَ نَقْضه عَلَى يَد قُرَيْش كَمَا سَيَأْتِي بَيَانه فِي غَزْوَة الْفَتْح مِنْ الْمَغَازِي . وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي " كَامِل اِبْن عَدِيّ " وَ " مُسْتَدْرَك الْحَاكِم " وَ " الْأَوْسَط لِلطَّبَرَانِيِّ " مِنْ حَدِيث اِبْن عُمَر أَنَّ مُدَّة الصُّلْح كَانَتْ أَرْبَع سِنِينَ فَهُوَ مَعَ ضَعْف إِسْنَاده مُنْكَر مُخَالِف لِلصَّحِيحِ .

وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْمُدَّة الَّتِي تَجُوز الْمُهَادَنَة فِيهَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ : فَقِيلَ لَا تُجَاوِز عَشْر سِنِينَ عَلَى مَا فِي هَذَا الْحَدِيث وَهُوَ قَوْل الشَّافِعِيّ وَالْجُمْهُور . وَقِيلَ تَجُوز الزِّيَادَة ، وَقِيلَ لَا تُجَاوِز أَرْبَع سِنِينَ ، وَقِيلَ ثَلَاثًا ، وَقِيلَ سَنَتَيْنِ ، وَالْأَوَّل هُوَ الرَّاجِح وَاَللَّه أَعْلَم .

قَوْله : (فَدَعَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَاتِب)

هُوَ عَلِيّ بَيَّنَهُ إِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ فِي مُسْنَده مِنْ هَذَا الْوَجْه عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَكَذَا مَضَى فِي الصُّلْح مِنْ حَدِيث الْبَرَاء بْن عَازِب ، وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ عُمَر بْن شَبَّة مِنْ حَدِيث سَلَمَة بْن الْأَكْوَع فِيمَا يَتَعَلَّق بِهَذَا الْفَصْل مِنْ هَذِهِ الْقِصَّة . وَسَيَأْتِي الْكَلَام عَلَيْهِ مُسْتَوْفًى فِي الْمَغَازِي إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى ، وَأَخْرَجَ عُمَر بْن شَبَّة مِنْ طَرِيق عَمْرو بْن سُهَيْل بْن عَمْرو عَنْ أَبِيهِ " الْكِتَاب عِنْدنَا ، كَاتِبه مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة " اِنْتَهَى ، وَيُجْمَع بِأَنَّ أَصْل كِتَاب الصُّلْح بِخَطِّ عَلِيّ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيح ، وَنَسَخَ مِثْله مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة لِسُهَيْلِ بْن عَمْرو ، وَمِنْ الْأَوْهَام مَا ذَكَرَهُ عُمَر بْن شَبَّة بَعْد أَنْ حَكَى أَنَّ اِسْم كَاتِب الْكِتَاب بَيْن الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْش عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب مِنْ طُرُق ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيق أُخْرَى أَنَّ اِسْم الْكَاتِب مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة ثُمَّ قَالَ : " حَدَّثَنَا اِبْن عَائِشَة يَزِيد بْن عُبَيْد اللَّه بْن مُحَمَّد التَّيْمِيُّ قَالَ : كَانَ اِسْم هِشَام بْن عِكْرِمَة بَغِيضًا ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ الصَّحِيفَة فَشُلَّتْ يَده ، فَسَمَّاهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِشَامًا "

قُلْت : وَهُوَ غَلَط فَاحِش ، فَإِنَّ الصَّحِيفَة الَّتِي كَتَبَهَا هِشَام بْن عِكْرِمَة هِيَ الَّتِي اِتَّفَقَتْ عَلَيْهَا قُرَيْش لَمَّا حَصَرُوا بَنِي هَاشِم فِي الشِّعْب وَذَلِكَ بِمَكَّة قَبْل الْهِجْرَة ، وَالْقِصَّة مَشْهُورَة فِي السِّيرَة النَّبَوِيَّة ، فَتَوَهَّمَ عُمَر مِنْ شَبَّة أَنَّ الْمُرَاد بِالصَّحِيفَةِ هُنَا كِتَاب

الْقِصَّة الَّتِي وَقَعَتْ بِالْحُدَيْبِيَةِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ بَيْنهمَا نَحْو عَشْر سِنِينَ ، وَإِنَّمَا كَتَبْت ذَلِكَ هُنَا خَشْيَة أَنْ يَغْتَرّ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَة لَهُ فَيَعْتَقِدهُ اِخْتِلَافًا فِي اِسْم كَاتِب الْقِصَّة بِالْحُدَيْبِيَةِ وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيق .

قَوْله : (هَذَا مَا قَاضَى)

بِوَزْنِ فَاعَلَ مِنْ قَضَيْت الشَّيْء أَيْ فَصَلْت الْحُكْم فِيهِ ، وَفِيهِ جَوَاز كِتَابَة مِثْل ذَلِكَ فِي الْمُعَاقَدَات وَالرَّدّ عَلَى مَنْ مَنَعَهُ مُعْتَلًّا بِخَشْيَةِ أَنْ يَظُنّ فِيهَا أَنَّهَا نَافِيَة ، نَبَّهَ عَلَيْهِ الْخَطَّابِيُّ .

قَوْله : (لَا تَتَحَدَّث الْعَرَب أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَة)

بِضَمِّ الضَّاد وَسُكُون الْغَيْن الْمُعْجَمَتَيْنِ ثُمَّ طَاء مُهْمَلَة أَيْ قَهْرًا ، وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْنَا عَنْوَة " .

قَوْله : (فَقَالَ سُهَيْل : وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيك مِنَّا رَجُل - وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينك - إِلَّا رَدَدْته إِلَيْنَا)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْش بِغَيْرِ إِذْن وَلِيّه رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ يَتَّبِع مُحَمَّدًا لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ " ، وَهَذِهِ الرِّوَايَة تَعُمّ الرِّجَال وَالنِّسَاء ، وَكَذَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّل الشُّرُوط مِنْ رِوَايَة عُقَيْل عَنْ الزُّهْرِيِّ بِلَفْظِ " وَلَا يَأْتِيك مِنَّا أَحَد " وَسَيَأْتِي الْبَحْث فِي ذَلِكَ فِي كِتَاب النِّكَاح ، وَهَلْ دَخَلْنَ فِي هَذَا الصُّلْح ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ الْحُكْم فِيهِنَّ ، أَوْ لَمْ يَدْخُلْنَ إِلَّا بِطَرِيقِ الْعُمُوم فَخُصِّصْنَ ؟ وَزَادَ اِبْن إِسْحَاق فِي قِصَّة الصُّلْح بِهَذَا الْإِسْنَاد " وَعَلَى أَنَّ بَيْننَا عَيْبَة مَكْفُوفَة " أَيْ أَمْرًا مَطْوِيًّا فِي صُدُور سَلِيمَة ، وَهُوَ إِشَارَة إِلَى تَرْك الْمُؤَاخَذَة بِمَا تَقَدَّمَ بَيْنهمْ مِنْ أَسْبَاب الْحَرْب وَغَيْرهَا ، وَالْمُحَافَظَة عَلَى الْعَهْد الَّذِي وَقَعَ بَيْنهمْ . وَقَالَ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيثه " وَأَنَّهُ لَا إِسْلَال وَلَا إِغْلَال " أَيْ لَا سَرِقَة وَلَا خِيَانَة ، فَالْإِسْلَال مِنْ السَّلَّة وَهِيَ السَّرِقَة ، وَالْإِغْلَال الْخِيَانَة تَقُول أَغَلَّ الرَّجُل أَيْ خَانَ ، أَمَّا فِي الْغَنِيمَة فَيُقَال غَلَّ بِغَيْرِ أَلِف ، وَالْمُرَاد أَنْ يَأْمَن بَعْضهمْ مِنْ بَعْض فِي نُفُوسهمْ وَأَمْوَالهمْ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَقِيلَ الْإِسْلَال مِنْ سَلّ السُّيُوف وَالْإِغْلَال مِنْ لُبْس الدُّرُوع ، وَوَهَّاهُ أَبُو عُبَيْد ، قَالَ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيثه " وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُل فِي عَقْد مُحَمَّد وَعَهْده دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُل فِي عَقْد قُرَيْش وَعَهْدهمْ دَخَلَ فِيهِ ، فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَة فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْد مُحَمَّد وَعَهْده ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْر فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْد قُرَيْش وَعَهْدهمْ ، وَأَنَّك تَرْجِع عَنَّا عَامك هَذَا فَلَا تَدْخُل مَكَّة عَلَيْنَا ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَام قَابِل خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتهَا بِأَصْحَابِك فَأَقَمْت بِهَا ثَلَاثًا مَعَك سِلَاح الرَّاكِب : السُّيُوف فِي الْقُرُب ، وَلَا تَدْخُلهَا بِغَيْرِهِ " وَهَذِهِ الْقِصَّة سَيَأْتِي مِثْلهَا فِي حَدِيث الْبَرَاء بْن عَازِب فِي الْمَغَازِي ، قَالَ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيثه " فَبَيْنَمَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتُب الْكِتَاب هُوَ وَسُهَيْل بْن عُمَر وَإِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَل بْن سُهَيْل " فَذَكَرَ الْقِصَّة .

قَوْله : (قَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَان اللَّه ، كَيْفَ يُرَدّ)

؟ فِي رِوَايَة عُقَيْل الْمَاضِيَة أَوَّل الشُّرُوط " وَكَانَ فِيمَا اِشْتَرَطَ سُهَيْل بْن عَمْرو عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَأْتِيك مِنَّا أَحَد وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينك إِلَّا رَدَدْته إِلَيْنَا وَخَلَّيْت بَيْننَا وَبَيْنه . فَكَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامْتَعَضُوا مِنْهُ ، وَأَبَى سُهَيْل إِلَّا ذَلِكَ ، فَكَاتَبَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَرَدَّ يَوْمئِذٍ أَبَا جَنْدَل إِلَى أَبِيهِ سُهَيْل بْن عَمْرو ،

وَلَمْ يَأْتِهِ أحَد مِنْ الرِّجَال فِي تِلْكَ الْمُدَّة إِلَّا رَدَّهُ " وَقَائِل ذَلِكَ يُشْبِه أَنْ يَكُون هُوَ عُمَر لِمَا سَيَأْتِي ، وَسَمَّى الْوَاقِدِيّ مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا أُسَيْد بْن حُضَيْرٍ وَسَعْد بْن عُبَادَةَ ، وَسَيَأْتِي فِي الْمَغَازِي أَنَّ سَهْل بْن حُنَيْفٍ كَانَ مِمَّنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا . وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيث أَنَس بْن مَالِك " أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحَتْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدّهُ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ إِلَيْنَا ، فَقَالُوا : يَا رَسُول اللَّه أَنَكْتُبُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَده اللَّه ، وَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَيْنَا فَسَيَجْعَلُ اللَّه لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا " وَزَادَ أَبُو الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة هُنَا " وَلِابْنِ عَائِذ مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس نَحْوه " . فَلَمَّا لَانَ بَعْضهمْ لِبَعْضٍ فِي الصُّلْح عَلَى ذَلِكَ إِذْ رَمَى رَجُل مِنْ الْفَرِيقَيْنِ رَجُلًا مِنْ الْفَرِيق الْآخَر ، فَتَصَايَحَ الْفَرِيقَانِ ، وَارْتَهَنَ كُلّ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ مَنْ عِنْدهمْ ، فَارْتَهَنَ الْمُشْرِكُونَ عُثْمَان وَمَنْ أَتَاهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَارْتَهَنَ الْمُسْلِمُونَ سُهَيْل بْن عَمْرو وَمَنْ مَعَهُ ، وَدَعَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَيْعَة فَبَايَعُوهُ تَحْت الشَّجَرَة عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْعَبَهُمْ اللَّه ، فَأَرْسَلُوا مَنْ كَانَ مُرْتَهَنًا وَدَعَوْا إِلَى الْمُوَادَعَة ، وَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى : (وَهُوَ الَّذِي كَفّ أَيْدِيهمْ عَنْكُمْ) الْآيَة . وَسَيَأْتِي فِي غَزْوَة الْحُدَيْبِيَة بَيَان مَنْ أَخْرَجَ هَذِهِ الْقِصَّة مَوْصُولَة وَكَيْفِيَّة الْبَيْعَة عِنْد الشَّجَرَة وَالِاخْتِلَاف فِي عَدَد مَنْ بَايَعَ وَفِي سَبَب الْبَيْعَة إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى .

قَوْله : (فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَل)

بِالْجِيمِ وَالنُّون وَزْن جَعْفَر ، وَكَانَ اِسْمه الْعَاصِي فَتَرَكَهُ لَمَّا أَسْلَمَ ، وَلَهُ أَخ اِسْمه عَبْد اللَّه أَسْلَمَ أَيْضًا قَدِيمًا وَحَضَرَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بَدْرًا فَفَرَّ مِنْهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ كَانَ مَعَهُمْ بِالْحُدَيْبِيَةِ . وَوَهَمَ مَنْ جَعَلَهُمَا وَاحِدًا . وَقَدْ اُسْتُشْهِدَ عَبْد اللَّه بِالْيَمَامَةِ قَبْل أَبِي جَنْدَل بِمُدَّةٍ ، وَأَمَّا أَبُو جَنْدَل فَكَانَ حُبِسَ بِمَكَّة وَمُنِعَ مِنْ الْهِجْرَة وَعُذِّبَ بِسَبَبِ الْإِسْلَام كَمَا فِي حَدِيث الْبَاب . وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَإِنَّ الصَّحِيفَة لَتُكْتَب إِذْ طَلَعَ أَبُو جَنْدَل بْن سُهَيْل ، وَكَانَ أَبُوهُ حَبَسَهُ فَأَفْلَتَ " وَفِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " وَكَانَ سُهَيْل أَوْثَقَهُ وَسَجَنَهُ حِين أَسْلَمَ ، فَخَرَجَ مِنْ السِّجْن وَتَنَكَّبَ الطَّرِيق وَرَكِبَ الْجِبَال حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَفَرِحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَتَلَقَّوْهُ " .

قَوْله : (يَرْسُف)

بِفَتْحِ أَوَّله وَضَمّ الْمُهْمَلَة وَبِالْفَاءِ أَيْ يَمْشِي مَشْيًا بَطِيئًا بِسَبَبِ الْقَيْد .

قَوْله : (فَقَالَ سُهَيْل : هَذَا يَا مُحَمَّد أَوَّل مَنْ أُقَاضِيك عَلَيْهِ أَنْ تَرُدّهُ إِلَيَّ)

زَادَ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته : " فَقَامَ سُهَيْل بْن عَمْرو إِلَى أَبِي جَنْدَل فَضَرَبَ وَجْهه وَأَخَذَ يُلَبِّبهُ " .

قَوْله : (إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَاب)

أَيْ لَمْ نَفْرُغ مِنْ كِتَابَته .

قَوْله : (فَأَجِزْهُ لِي)

بِصِيغَةِ فِعْل الْأَمْر مِنْ الْإِجَازَة أَيْ أَمْضِ لِي فِعْلِي فِيهِ فَلَا أَرُدّهُ إِلَيْك ، أَوْ أَسْتَثْنِيه مِنْ الْقَضِيَّة . وَوَقَعَ فِي الْجَمْع لِلْحُمَيْدِيِّ " فَأَجِرْهُ " بِالرَّاءِ وَرَجَّحَ اِبْن الْجَوْزِيّ الزَّاي ، وَفِيهِ أَنَّ الِاعْتِبَار فِي الْعُقُود بِالْقَوْلِ وَلَوْ تَأَخَّرَتْ الْكِتَابَة وَالْإِشْهَاد ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَمْضَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُهَيْلٍ الْأَمْر فِي رَدّ اِبْنه إِلَيْهِ ، وَكَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ تَلَطَّفَ مَعَهُ بِقَوْلِهِ : " لَمْ نَقْضِ الْكِتَاب بَعْد " رَجَاء أَنْ يُجِيبهُ لِذَلِكَ وَلَا يُنْكِرهُ بَقِيَّة قُرَيْش لِكَوْنِهِ وَلَده ، فَلَمَّا أَصَرَّ عَلَى الِامْتِنَاع تَرَكَهُ لَهُ .
قَوْله : (قَالَ مِكْرَز بَلْ)
كَذَا لِلْأَكْثَرِ بِلَفْظِ الْإِضْرَاب ، وَلِلْكُشْمِيهَنِي " بَلَى " وَلَمْ يَذْكُر هُنَا مَا أَجَابَ بِهِ سُهَيْل مِكْرَزًا فِي ذَلِكَ ، قِيلَ فِي الَّذِي وَقَعَ مِنْ مِكْرَز فِي هَذِهِ الْقِصَّة إِشْكَال ، لِأَنَّهُ خِلَاف مَا وَصَفَهُ بِهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْفُجُور ، وَكَانَ مِنْ الظَّاهِر أَنْ يُسَاعِد سُهَيْلًا عَلَى أَبِي جَنْدَل فَكَيْف وَقَعَ مِنْهُ عَكْس ذَلِكَ ؟ وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْفُجُور حَقِيقَة ، وَلَا يَلْزَم أَنْ لَا يَقَع مِنْهُ شَيْء مِنْ الْبِرّ نَادِرًا ، أَوْ قَالَ ذَلِكَ نِفَاقًا وَفِي بَاطِنه خِلَافه ، أَوْ كَانَ سَمِعَ قَوْل النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ رَجُل فَاجِر فَأَرَادَ أَنْ يُظْهِر خِلَاف ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ جُمْلَة فُجُوره . وَزَعَمَ بَعْض الشُّرَّاح أَنَّ سُهَيْلًا لَمْ يُجِبْ سُؤَاله لِأَنَّ مِكْرَزًا لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ جُعِلَ لَهُ أَمْر عَقْد الصُّلْح بِخِلَافِ سُهَيْل ، وَفِيهِ نَظَر فَإِنَّ الْوَاقِدِيّ رَوَى أَنَّ مِكْرَزًا كَانَ مِمَّنْ جَاءَ فِي الصُّلْح مَعَ سُهَيْل ، وَكَانَ مَعَهُمَا حُوَيْطِب بْن عَبْد الْعُزَّى ، لَكِنْ ذَكَرَ فِي رِوَايَته مَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ إِجَازَة مِكْرَز لَمْ تَكُنْ فِي أَنْ لَا يَرُدّهُ إِلَى سُهَيْل بَلْ فِي تَأْمِينه مِنْ التَّعْذِيب وَنَحْو ذَلِكَ ، وَأَنَّ مِكْرَزًا وَحُوَيْطِبًا أَخَذَا أَبَا جَنْدَل فَأَدْخَلَاهُ فُسْطَاطًا وَكَفَّا أَبَاهُ عَنْهُ . وَفِي " مَغَازِي اِبْن عَائِذ " نَحْو ذَلِكَ كُلّه مِنْ رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة وَلَفْظه " فَقَالَ مِكْرَز بْن حَفْص وَكَانَ مِمَّنْ أَقْبَلَ مَعَ سُهَيْل بْن عَمْرو فِي اِلْتِمَاس الصُّلْح : أَنَا لَهُ جَار ، وَأَخَذَ قَيْده فَأَدْخَلَهُ فُسْطَاطًا " وَهَذَا لَوْ ثَبَتَ لَكَانَ أَقْوَى مِنْ الِاحْتِمَالَات الْأُوَل ، فَإِنَّهُ لَمْ يُجِزْهُ بِأَنْ يُقِرّهُ عِنْد الْمُسْلِمِينَ بَلْ لِيَكُفّ الْعَذَاب عَنْهُ لِيَرْجِع إِلَى طَوَاعِيَة أَبِيهِ ، فَمَا خَرَجَ بِذَلِكَ عَنْ الْفُجُور . لَكِنْ يُعَكِّر عَلَيْهِ قَوْله فِي رِوَايَة الصَّحِيح " فَقَالَ مِكْرَز : قَدْ أَجَزْنَاهُ لَك " يُخَاطِب النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .
قَوْله : (قَالَ أَبُو جَنْدَل أَيْ مَعْشَر الْمُسْلِمِينَ ، أُرَدّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ؟ إِلَخْ)
زَادَ اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَبَا جَنْدَل ، اِصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّا لَا نَغْدِر ، وَإِنَّ اللَّه جَاعِل لَك فَرَجًا وَمَخْرَجًا " وَفِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح " فَأَوْصَاهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ فَوَثَبَ عُمَر مَعَ أَبِي جَنْدَل يَمْشِي إِلَى جَنْبه وَيَقُول : اِصْبِرْ ، فَإِنَّمَا هُمْ مُشْرِكُونَ ، وَإِنَّمَا دَم أَحَدهمْ كَدَمِ كَلْب ، قَالَ وَيُدْنِي قَائِمَة السَّيْف مِنْهُ ، يَقُول عُمَر : رَجَوْت أَنْ يَأْخُذهُ مِنِّي فَيَضْرِب بِهِ أَبَاهُ ، فَضَنَّ الرَّجُل - أَيْ بَخِلَ - بِأَبِيهِ وَنَفَذَتْ الْقَضِيَّة " قَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَأَوَّلَ الْعُلَمَاء مَا وَقَعَ فِي قِصَّة أَبِي جَنْدَل عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدهمَا أَنَّ اللَّه قَدْ أَبَاحَ التَّقِيَّة لِلْمُسْلِمِ إِذَا خَافَ الْهَلَاك ، وَرَخَّصَ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّم بِالْكُفْرِ عَلَى إِضْمَار الْإِيمَان إِنْ لَمْ يُمْكِنهُ التَّوْرِيَة ، فَلَمْ يَكُنْ رَدّه إِلَيْهِمْ إِسْلَامًا لِأَبِي جَنْدَل إِلَى الْهَلَاك مَعَ وُجُوده السَّبِيل إِلَى الْخَلَاص مِنْ الْمَوْت بِالتَّقِيَّةِ . وَالْوَجْه الثَّانِي أَنَّهُ إِنَّمَا رَدَّهُ إِلَى أَبِيهِ ، وَالْغَالِب أَنَّ أَبَاهُ لَا يَبْلُغ بِهِ الْهَلَاك ، وَإِنْ عَذَّبَهُ أَوْ سَجَنَهُ فَلَهُ مَنْدُوحَة بِالتَّقِيَّةِ أَيْضًا ، وَأَمَّا مَا يَخَافهُ عَلَيْهِ مِنْ الْفِتْنَة فَإِنَّ ذَلِكَ اِمْتِحَان مِنْ اللَّه يَبْتَلِي بِهِ صَبْر عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ . وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء هَلْ يَجُوز الصُّلْح مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَنْ يُرَدّ إِلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ مُسْلِمًا مِنْ عِنْدهمْ إِلَى بِلَاد الْمُسْلِمِينَ أَمْ لَا ؟ فَقِيلَ : نَعَمْ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ قِصَّة أَبِي جَنْدَل وَأَبِي بَصِير ، وَقِيلَ لَا ، وَأَنَّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْقِصَّة مَنْسُوخ ، وَإِنَّ نَاسِخه حَدِيث " أَنَا بَرِيء مِنْ مُسْلِم بَيْن مُشْرِكِينَ " وَهُوَ قَوْل الْحَنَفِيَّة . وَعِنْد الشَّافِعِيَّة

تَفْصِيل بَيْن الْعَاقِل وَالْمَجْنُون وَالصَّبِيّ فَلَا يُرَدَّان . وَقَالَ بَعْض الشَّافِعِيَّة : ضَابِط جَوَاز الرَّدّ أَنْ يَكُون الْمُسْلِم بِحَيْثُ لَا تَجِب عَلَيْهِ الْهِجْرَة مِنْ دَار الْحَرْب وَاَللَّه أَعْلَم .
قَوْله : (قَالَ عُمَر بْن الْخَطَّاب : فَأَتَيْت نَبِيّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
هَذَا مِمَّا يُقَوِّي أَنَّ الَّذِي حَدَّثَ الْمِسْوَر وَمَرْوَان بِقِصَّةِ الْحُدَيْبِيَة هُوَ عُمَر ، وَكَذَا مَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا مِنْ قِصَّة عُمَر مَعَ أَبِي جَنْدَل .
قَوْله : (فَقُلْت : أَلَسْت نَبِيّ اللَّه حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى)
زَادَ الْوَاقِدِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد " قَالَ عُمَر : لَقَدْ دَخَلَنِي أَمْر عَظِيم ، وَرَاجَعْت النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَاجَعَة مَا رَاجَعْته مِثْلهَا قَطّ " وَفِي حَدِيث سُهَيْل بْن حُنَيْفٍ الْآتِي فِي الْجِزْيَة وَسُورَة الْفَتْح " فَقَالَ عُمَر : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِل ؟ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّة وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّار ؟ فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّة - بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَكَسْر النُّون وَتَشْدِيد التَّحْتَانِيَّة - فِي دِينِنَا ، وَنَرْجِع وَلَمْ يَحْكُم اللَّه بَيْنَنَا ؟ فَقَالَ : يَا اِبْن الْخَطَّاب ، إِنِّي رَسُول اللَّه ، وَلَنْ يُضَيِّعنِي اللَّه . فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا ، فَلَمْ يَصْبِر حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْر " ، وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّار مِنْ حَدِيث عُمَر نَفْسه مُخْتَصَرًا وَلَفْظه " فَقَالَ عُمَر : اِتَّهَمُوا الرَّأْي عَلَى الدِّين ، فَلَقَدْ رَأَيْتنِي أَرُدّ أَمْر رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيٍ ، وَمَا أَلُوم عَنْ الْحَقّ " وَفِيهِ : " قَالَ فَرَضِيَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَيْت ، حَتَّى قَالَ لِي : يَا عُمَر ، تَرَانِي رَضِيت وَتَأْبَى " .
قَوْله : (إِنِّي رَسُول اللَّه وَلَسْت أَعْصِيه)
ظَاهِر فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفْعَل مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا بِالْوَحْيِ .
قَوْله : (أَوَلَيْسَ كُنْت حَدَّثْتنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْت)
فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " كَانَ الصَّحَابَة لَا يَشُكُّونَ فِي الْفَتْح لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُول اللَّه ، فَلَمَّا رَأَوْا الصُّلْح دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَمْر عَظِيم حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ " وَعِنْد الْوَاقِدِيّ وَأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَأَى فِي مَنَامه قَبْل أَنْ يَعْتَمِر أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابه الْبَيْت ، فَلَمَّا رَأَوْا تَأْخِير ذَلِكَ شَقَّ عَلَيْهِمْ " وَيُسْتَفَاد مِنْ هَذَا الْفَصْل جَوَاز الْبَحْث فِي الْعِلْم حَتَّى يَظْهَر الْمَعْنَى ، وَأَنَّ الْكَلَام يُحْمَل عَلَى عُمُومه وَإِطْلَاقه حَتَّى تَظْهَر إِرَادَة التَّخْصِيص وَالتَّقْيِيد ، وَأَنَّ مَنْ حَلَفَ عَلَى فِعْل شَيْء وَلَمْ يَذْكُر مُدَّة مُعَيَّنَة لَمْ يَحْنَث حَتَّى تَنْقَضِي أَيَّام حَيَاته .
قَوْله : (فَأَتَيْت أَبَا بَكْر)
لَمْ يَذْكُر عُمَر أَنَّهُ رَاجَعَ أَحَدًا فِي ذَلِكَ بَعْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْر أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ، وَذَلِكَ لِجَلَالَةِ قَدْره وَسَعَة عِلْمه عِنْده ، وَفِي جَوَاب أَبِي بَكْر لِعُمَر بِنَظِيرِ مَا أَجَابَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاء دَلَالَة عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْمَلَ الصَّحَابَة وَأَعْرَفهمْ بِأَحْوَالِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمهُمْ بِأُمُورِ الدِّين وَأَشَدّهمْ مُوَافَقَة لِأَمْرِ اللَّه تَعَالَى . وَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيح فِي هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ اِسْتَنْكَرُوا الصُّلْح الْمَذْكُور وَكَانُوا عَلَى رَأْي عُمَر فِي ذَلِكَ ، وَظَهَرَ مِنْ هَذَا الْفَصْل أَنَّ الصِّدِّيق لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مُوَافِقًا لَهُمْ ، بَلْ كَانَ قَلْبه عَلَى قَلْب رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاء ، وَسَيَأْتِي فِي الْهِجْرَة أَنَّ اِبْن الدُّغُنَّة وَصَفَ أَبَا بَكْر الصِّدِّيق بِنَظِيرِ مَا وَصَفَتْ بِهِ خَدِيجَة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاء مِنْ كَوْنه يَصِل الرَّحِم وَيَحْمِل الْكَلّ وَيُعِين عَلَى نَوَائِب الْحَقّ وَغَيْر ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَتْ صِفَاتهمَا مُتَشَابِهَة مِنْ الِابْتِدَاء اِسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى

الِانْتِهَاء . وَقَوْل أَبِي بَكْر : " فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ " هُوَ بِفَتْحِ الْغَيْن الْمُعْجَمَة وَسُكُون الرَّاء بَعْدهَا زَاي ، وَهُوَ - أَيْ الْغَرْز - لِلْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الرِّكَاب لِلْفَرَسِ ، وَالْمُرَاد بِهِ التَّمَسُّك بِأَمْرِهِ وَتَرْك الْمُخَالَفَة لَهُ كَالَّذِي يُمْسِك بِرِكَابِ الْفَارِس فَلَا يُفَارِقهُ .

قَوْله : (قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَر : فَعَمِلْت لِذَلِكَ أَعْمَالًا)

هُوَ مَوْصُول إِلَى الزُّهْرِيِّ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُور وَهُوَ مُنْقَطِع بَيْن الزُّهْرِيِّ وَعُمَر ، قَالَ بَعْض الشُّرَّاح . قَوْله " أَعْمَالًا " أَيْ مِنْ الذَّهَاب وَالْمَجِيء وَالسُّؤَال وَالْجَوَاب ، وَلَمَّا يَكُنْ ذَلِكَ شَكًّا مِنْ عُمَر ، بَلْ طَلَبًا لِكَشْفِ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ ، وَحَثًّا عَلَى إِذْلَال الْكُفَّار ، لَمَّا عَرَفَ مِنْ قُوَّته فِي نُصْرَة الدِّين ا ه . وَتَفْسِير الْأَعْمَال بِمَا ذَكَرَ مَرْدُود ، بَلْ الْمُرَاد بِهِ الْأَعْمَال الصَّالِحَة لِيُكَفِّر عَنْهُ مَا مَضَى مِنْ التَّوَقُّف فِي الِامْتِثَال اِبْتِدَاء ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَر التَّصْرِيح بِمُرَادِهِ بِقَوْلِهِ : " أَعْمَالًا " : فَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " وَكَانَ عُمَر يَقُول مَا زِلْت أَتَصَدَّق وَأَصُوم وَأُصَلِّي وَأُعْتِق مِنْ الَّذِي صَنَعْت يَوْمئِذٍ مَخَافَة كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْت بِهِ " وَعِنْد الْوَاقِدِيّ مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس " قَالَ عُمَر : لَقَدْ أَعْتَقْت بِسَبَبِ ذَلِكَ رِقَابًا ، وَصُمْت دَهْرًا " . وَأَمَّا قَوْله : " وَلَمْ يَكُنْ شَكًّا " فَإِنْ أَرَادَ نَفْي الشَّكّ فِي الدِّين فَوَاضِح ، وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " أَنَّ أَبَا بَكْر لَمَّا قَالَ لَهُ : اِلْزَمْ غَرْزه فَإِنَّهُ رَسُول اللَّه ، قَالَ عُمَر وَأَنَا أَشْهَد أَنَّهُ رَسُول اللَّه " وَإِنْ أَرَادَ نَفْي الشَّكّ فِي وُجُود الْمَصْلَحَة وَعَدَمهَا فَمَرْدُود ، وَقَدْ قَالَ السُّهَيْلِيّ : هَذَا الشَّكّ هُوَ مَا لَا يَسْتَمِرّ صَاحِبه عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَاب الْوَسْوَسَة ، كَذَلِكَ قَالَ ، وَاَلَّذِي يَظْهَر أَنَّهُ تَوَقُّف مِنْهُ لِيَقِف عَلَى الْحِكْمَة فِي الْقِصَّة وَتَنْكَشِف عَنْهُ الشُّبْهَة ، وَنَظِيره قِصَّته فِي الصَّلَاة عَلَى عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأُولَى لَمْ يُطَابِق اِجْتِهَاده الْحُكْم بِخِلَافِ الثَّانِيَة ، وَهِيَ هَذِهِ الْقِصَّة ، وَإِنَّمَا عَمِلَ الْأَعْمَال الْمَذْكُورَة لِهَذِهِ ، وَإِلَّا فَجَمِيع مَا صَدَرَ مِنْهُ كَانَ مَعْذُورًا فِيهِ بَلْ هُوَ مَأْجُور لِأَنَّهُ مُجْتَهِد فِيهِ .

قَوْله : (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّة الْكِتَاب)

زَادَ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته " فَلَمَّا فَرَغَ الْكِتَاب أَشْهَدَ عَلَى الصُّلْح رِجَالًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَرِجَالًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْر وَعُمَر وَعَلِيّ وَعَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف وَسَعْد بْن أَبِي وَقَّاص وَمُحَمَّد بْن مَسْلَمَة وَعَبْد اللَّه بْن سُهَيْل بْن عَمْرو وَمِكْرَز بْن حَفْص وَهُوَ مُشْرِك " .

قَوْله : (قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اِحْلِقُوا)

فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ الْقَضِيَّة أَمَرَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَدْيِ فَسَاقَهُ الْمُسْلِمُونَ - يَعْنِي إِلَى جِهَة الْحَرَم - حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْش فَحَبَسُوهُ فَأَمَرَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّحْرِ " .

قَوْله : (فَوَاَللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُل)

قِيلَ كَأَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُون الْأَمْر بِذَلِكَ لِلنَّدْبِ ، أَوْ لِرَجَاءِ نُزُول الْوَحْي بِإِبْطَالِ الصُّلْح الْمَذْكُور ، أَوْ تَخْصِيصه بِالْإِذْنِ بِدُخُولِهِمْ مَكَّة ذَلِكَ الْعَام لِإِتْمَامِ نُسُكهمْ ، وَسَوَّغَ لَهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ زَمَان وُقُوع النَّسْخ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُونُوا أَلْهَتْهُمْ صُورَة الْحَال فَاسْتَغْرَقُوا فِي الْفِكْر لِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ الذُّلّ عِنْد أَنْفُسهمْ مِنْ ظُهُور قُوَّتهمَا وَاقْتِدَارهمْ فِي اِعْتِقَادهمْ عَلَى بُلُوغ غَرَضهمْ وَقَضَاء نُسُكهمْ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَة ، أَوْ أَخَّرُوا الِامْتِثَال لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْأَمْر الْمُطْلَق لَا يَقْتَضِي الْفَوْر ، وَيَحْتَمِل مَجْمُوع هَذِهِ الْأُمُور لِمَجْمُوعِهِمْ

كَمَا سَيَأْتِي مِنْ كَلَام أُمّ سَلَمَة ، وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّة لِمَنْ أَثْبَتَ أَنَّ الْأَمْر لِلْفَوْرِ ، وَلَا لِمَنْ نَفَاهُ ، وَلَا لِمَنْ قَالَ إِنَّ الْأَمْر لِلْوُجُوبِ لَا لِلنَّدْبِ ، لِمَا يُطْرَق الْقِصَّة مِنْ الِاحْتِمَال .

قَوْله : (فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاس)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ لَهَا أَلَا تَرَيْنَ إِلَى النَّاس ؟ إِنِّي آمُرهُمْ بِالْأَمْرِ فَلَا يَفْعَلُونَهُ " وَفِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح " فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمّ سَلَمَة فَقَالَ : هَلَكَ الْمُسْلِمُونَ ، أَمَرْتهمْ أَنْ يَحْلِقُوا وَيَنْحَرُوا فَلَمْ يَفْعَلُوا ، قَالَ فَجَلَّى اللَّه عَنْهُمْ يَوْمئِذٍ بِأُمِّ سَلَمَة " .

قَوْله : (قَالَتْ أُمّ سَلَمَة : يَا نَبِيّ اللَّه أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اُخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّم أَحَدًا مِنْهُمْ)

زَادَ اِبْن إِسْحَاق " قَالَتْ أُمّ سَلَمَة : يَا رَسُول اللَّه لَا تُكَلِّمهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ دَخَلَهُمْ أَمْر عَظِيم مِمَّا أَدْخَلْت عَلَى نَفْسك مِنْ الْمَشَقَّة فِي أَمْر الصُّلْح وَرُجُوعهمْ بِغَيْرِ فَتْح " ، وَيَحْتَمِل أَنَّهَا فَهِمَتْ عَنْ الصَّحَابَة أَنَّهُ اِحْتَمَلَ عِنْدهمْ أَنْ يَكُون النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِالتَّحَلُّلِ أَخْذًا بِالرُّخْصَةِ فِي حَقّهمْ وَأَنَّهُ هُوَ يَسْتَمِرّ عَلَى الْإِحْرَام أَخْذًا بِالْعَزِيمَةِ فِي حَقّ نَفْسه ، فَأَشَارَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّل لِيَنْتَفِيَ عَنْهُمْ هَذَا الِاحْتِمَال ، وَعَرَفَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوَاب مَا أَشَارَتْ بِهِ فَفَعَلَهُ فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَة ذَلِكَ بَادَرُوا إِلَى فِعْل مَا أَمَرَهُمْ بِهِ إِذْ لَمْ يَبْقَ بَعْد ذَلِكَ غَايَة تُنْتَظَر . وَفِيهِ فَضْل الْمَشُورَة ، وَأَنَّ الْفِعْل إِذَا اِنْضَمَّ إِلَى الْقَوْل كَانَ أَبْلَغَ مِنْ الْقَوْل الْمُجَرَّد ، وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّ الْفِعْل مُطْلَقًا أَبْلَغ مِنْ الْقَوْل ، وَجَوَاز مُشَاوَرَة الْمَرْأَة الْفَاضِلَة ، وَفَضْل أُمّ سَلَمَة وَوُفُور عَقْلهَا حَتَّى قَالَ إِمَام الْحَرَمَيْنِ : لَا نَعْلَم اِمْرَأَة أَشَارَتْ بِرَأْيٍ فَأَصَابَتْ إِلَّا أُمّ سَلَمَة . كَذَا قَالَ . وَقَدْ اِسْتَدْرَكَ بَعْضهمْ عَلَيْهِ بِنْت شُعَيْب فِي أَمْر مُوسَى . وَنَظِير هَذَا مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي غَزْوَة الْفَتْح كَمَا سَيَأْتِي هُنَاكَ مِنْ أَمْره لَهُمْ بِالْفِطْرِ فِي رَمَضَان ، فَلَمَّا اِسْتَمَرُّوا عَلَى الِامْتِنَاع تَنَاوَلَ الْقَدَح فَشَرِبَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ شَرِبَ شَرِبُوا .

قَوْله : (نَحَرَ بَدَنه)

فِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيّ " هَدْيه " زَادَ اِبْن إِسْحَاق عَنْ اِبْن أَبِي نُجَيْح عَنْ مُجَاهِد عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ كَانَ سَبْعِينَ بَدَنَة كَانَ فِيهَا جَمَل لِأَبِي جَهْل فِي رَأْسه بُرَّة مِنْ فِضَّة لِيَغِيظ بِهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ غَنِمَهُ مِنْهُ فِي غَزْوَة بَدْر .

قَوْله : (وَدَعَا حَالِقه فَحَلَقَهُ)

قَالَ اِبْن إِسْحَاق : " بَلَغَنِي أَنَّ الَّذِي حَلَقَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْم هُوَ خِرَاش - بِمُعْجَمَتَيْنِ - اِبْن أُمَيَّة بْن الْفَضْل الْخُزَاعِيّ قَالَ اِبْن إِسْحَاق : فَحَدَّثَنِي عَبْد اللَّه بْن أَبِي نُجَيْح عَنْ مُجَاهِد عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ : حَلَقَ رِجَال يَوْمئِذٍ وَقَصَّرَ آخَرُونَ ، فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَرْحَم اللَّه الْمُحَلِّقِينَ ، قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ - الْحَدِيث ، وَفِي آخِره - قَالُوا يَا رَسُول اللَّه لِمَ ظَاهَرْت لِلْمُحَلِّقِينَ دُون الْمُقَصِّرِينَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشُكُّوا " . قَالَ اِبْن إِسْحَاق قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثه : ثُمَّ اِنْصَرَفَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة وَنَزَلَتْ سُورَة الْفَتْح - فَذَكَرَ الْحَدِيث فِي تَفْسِيرهَا إِلَى أَنْ قَالَ - قَالَ الزُّهْرِيُّ فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَام فَتْح قَبْله كَانَ أَعْظَم مِنْ فَتْح الْحُدَيْبِيَة ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَال حَيْثُ اِلْتَقَى النَّاس ، وَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَة وَوَضَعَتْ الْحَرْب وَأَمِنَ النَّاس كَلَّمَ بَعْضهمْ بَعْضًا وَالْتَقَوْا وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيث وَالْمُنَازَعَة وَلَمْ يُكَلَّم أَحَد بِالْإِسْلَامِ يَعْقِل شَيْئًا فِي تِلْكَ الْمُدَّة إِلَّا دَخَلَ فِيهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْنِك السَّنَتَيْنِ مِثْل مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَام قَبْل ذَلِكَ أَوْ أَكْثَر ، يَعْنِي مِنْ صَنَادِيد قُرَيْش . وَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ مَصْلَحَة الصُّلْح الْمَذْكُور

غَيْر مَا ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ كَانَ مُقَدِّمَة بَيْن الْفَتْح الْأَعْظَم الَّذِي دَخَلَ النَّاس عَقِبه فِي دِين اللَّه أَفْوَاجًا ، وَكَانَتْ الْهُدْنَة مِفْتَاحًا لِذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ قِصَّة الْحُدَيْبِيَة مُقَدِّمَة لِلْفَتْحِ سُمِّيَتْ فَتْحًا كَمَا سَيَأْتِي فِي الْمَغَازِي ، فَإِنَّ الْفَتْح فِي اللُّغَة فَتْح الْمُغْلَق ، وَالصُّلْح كَانَ مُغْلَقًا حَتَّى فَتَحَهُ اللَّه ، وَكَانَ مِنْ أَسْبَاب فَتْحه صَدّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ الْبَيْت ، وَكَانَ فِي الصُّورَة الظَّاهِرَة ضَيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ وَفِي الصُّورَة الْبَاطِنَة عِزًّا لَهُمْ ، فَإِنَّ النَّاس لِأَجْلِ الْأَمْن الَّذِي وَقَعَ بَيْنهمْ اِخْتَلَطَ بَعْضهمْ بِبَعْضٍ مِنْ غَيْر نَكِير ، وَأَسْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآن ، وَنَاظَرُوهُمْ عَلَى الْإِسْلَام جَهْرَة آمِنِينَ ، وَكَانُوا قَبْل ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُونَ عِنْدهمْ بِذَلِكَ إِلَّا خُفْيَة ، وَظَهَرَ مَنْ كَانَ يُخْفِي إِسْلَامه فَذَلَّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْعِزَّة وَأُقْهِرُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْغَلَبَة .

قَوْله : (ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَة مُؤْمِنَات إِلَخْ)

ظَاهِره أَنَّهُنَّ جِئْنَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْحُدَيْبِيَةِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا جِئْنَ إِلَيْهِ بَعْد فِي أَثْنَاء الْمُدَّة ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّل الشُّرُوط مِنْ رِوَايَة عُقَيْل عَنْ الزُّهْرِيِّ مَا يَشْهَد لِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ : " وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَد مِنْ الرِّجَال إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّة وَلَوْ كَانَ مُسْلِمًا ، وَجَاءَ الْمُؤْمِنَات مُهَاجِرَات ، وَكَانَتْ أُمّ كُلْثُوم بِنْت عُقْبَة مِمَّنْ خَرَجَ ، وَيُقَال إِنَّهَا كَانَتْ تَحْت عَمْرو بْن الْعَاص ، وَسَمَّى مِنْ الْمُؤْمِنَات الْمَذْكُورَات أُمَيْمَة بِنْت بِشْر وَكَانَتْ تَحْت حَسَّان - وَيُقَال اِبْن دَحْدَاحَة - قَبْل أَنْ يُسْلِم فَتَزَوَّجَهَا سَهْل بْن حُنَيْفٍ فَوَلَدَتْ لَهُ اِبْنه عَبْد اللَّه بْن سَهْل ، ذَكَرَ ذَلِكَ اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب مُرْسَلًا ، وَالطَّبَرِيّ مِنْ طَرِيق اِبْن إِسْحَاق عَنْ الزُّهْرِيِّ . وَسُبَيْعَة بِنْت الْحَارِث الْأَسْلَمِيَّة وَكَانَتْ تَحْت مُسَافِر الْمَخْزُومِيّ وَيُقَال صَيْفِيّ بْن الرَّاهِب ، وَالْأَوَّل أَوْلَى فَقَدْ ذَكَرَ اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق مُقَاتِل بْن حَيَّان أَنَّ اِمْرَأَة صَيْفِيّ اِسْمهَا سَعِيدَة فَتَزَوَّجَهَا عُمَر . وَأُمّ الْحَكَم بِنْت أَبِي سُفْيَان كَانَتْ تَحْت عِيَاض بْن شَدَّاد فَارْتَدَّتْ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانه فِي آخِر الشُّرُوط . وَبِرْوَع بِنْت عُقْبَة كَانَتْ تَحْت شَمَّاس بْن عُثْمَان ، وَعَبْدَة بِنْت عَبْد الْعُزَّى بْن نَضْلَة كَانَتْ تَحْت عَمْرو بْن عَبْدِ وُدّ . قُلْت . لَكِنْ عَمْرو قُتِلَ بِالْخَنْدَقِ وَكَأَنَّهَا فَرَّتْ بَعْد قَتْله ، وَكَانَ مِنْ سُنَّة الْجَاهِلِيَّة أَنَّ مَنْ مَاتَ زَوْجهَا كَانَ أَهْله أَحَقّ بِهَا . وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ مِنْ النِّسَاء فِي تِلْكَ الْمُدَّة بِنْت حَمْزَة بْن عَبْد الْمُطَّلِب كَمَا سَيَأْتِي بَيَانه فِي عُمْرَة الْقَضِيَّة ، وَيَأْتِي تَفْصِيل ذَلِكَ فِي الْمَغَازِي ، وَشَرَحَ قِصَّة الِامْتِحَان فِي أَوَاخِر كِتَاب النِّكَاح فِي " بَاب نِكَاح مَنْ أَسْلَمَ مِنْ الْمُشْرِكَات " مَعَ بَقِيَّة فَوَائِده إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى .

قَوْله : (ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَة فَجَاءَهُ أَبُو بَصِير)

بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَة وَكَسْر الْمُهْمَلَة رَجُل مِنْ قُرَيْش هُوَ عُتْبَة بِضَمِّ الْمُهْمَلَة وَسُكُون الْمُثَنَّاة وَقِيلَ فِيهِ عُبَيْد بِمُوَحَّدَةٍ مُصَغَّر - وَهُوَ وَهْم - اِبْن أَسِيد بِفَتْحِ الْهَمْزَة عَلَى الصَّحِيح اِبْن جَارِيَة بِالْجِيمِ الثَّقَفِيّ حَلِيف بَنِي زُهْرَة سَمَّاهُ وَنَسَبَهُ اِبْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته ، وَعُرِفَ بِهَذَا أَنَّ قَوْله فِي حَدِيث الْبَاب " رَجُل مِنْ قُرَيْش " أَيْ بِالْحِلْفِ لِأَنَّ بَنِي زُهْرَة مِنْ قُرَيْش .

قَوْله : (فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبه رَجُلَيْنِ)

سَمَّاهُمَا اِبْن سَعْد فِي " الطَّبَقَات " فِي تَرْجَمَة أَبِي بَصِير خُنَيْس وَهُوَ بِمُعْجَمَةٍ وَنُون وَآخِره مُهْمَلَة مُصَغَّر اِبْن جَابِر وَمَوْلًى لَهُ يُقَال لَهُ كَوْثَر ، وَفِي الرِّوَايَة الْآتِيَة آخِر الْبَاب أَنَّ الْأَخْنَس بْن شُرَيْق هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِي طَلَبه ، زَادَ اِبْن إِسْحَاق " فَكَتَبَ

الْأَخْنَس بْن شُرَيْق وَالْأَزْهَر بْن عَبْد عَوْف إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا وَبَعَثَا بِهِ مَعَ مَوْلًى لَهُمَا وَرَجُل مِنْ بَنِي عَامِر اِسْتَأْجَرَاهُ بِبَكْرَيْنِ " ا ه . وَالْأَخْنَس مِنْ ثَقِيف رَهْط أَبِي بَصِير ، وَأَزْهَر مِنْ بَنِي زُهْرَة حُلَفَاء أَبِي بَصِير فَلِكُلّ مِنْهُمَا الْمُطَالَبَة بِرَدِّهِ ، وَيُسْتَفَاد مِنْهُ أَنَّ الْمُطَالَبَة بِالرَّدِّ تَخْتَصّ بِمَنْ كَانَ مِنْ عَشِيرَة الْمَطْلُوب بِالْأَصَالَةِ أَوْ الْحِلْف ، وَقِيلَ إِنَّ اِسْم أَحَد الرَّجُلَيْنِ مَرْثَد بْن حُمْرَان ، زَادَ الْوَاقِدِيّ فَقَدِمَا بَعْد أَبِي بَصِير بِثَلَاثَةِ أَيَّام .

قَوْله : (فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَبَا بَصِير إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْم صَالَحُونَا عَلَى مَا عَلِمْت ، وَإِنَّا لَا نَغْدِر ، فَالْحَقْ بِقَوْمِك . فَقَالَ : أَتَرُدُّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي عَنْ دِينِي وَيُعَذِّبُونَنِي ؟ قَالَ : اِصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنَّ اللَّه جَاعِل لَك فَرَجًا وَمَخْرَجًا " وَفِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح مِنْ الزِّيَادَة " فَقَالَ لَهُ عُمَر : أَنْتَ رَجُل وَهُوَ رَجُل وَمَعَك السَّيْف " وَهَذَا أَوْضَح فِي التَّعْرِيض بِقَتْلِهِ . وَاسْتَدَلَّ بَعْض الشَّافِعِيَّة بِهَذِهِ الْقِصَّة عَلَى جَوَاز دَفْع الْمَطْلُوب لِمَنْ لَيْسَ مِنْ عَشِيرَته إِذَا كَانَ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْهُ ، لِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ أَبَا بَصِير لِلْعَامِرِيِّ وَرَفِيقه وَلَمْ يَكُونَا مِنْ عَشِيرَته وَلَمْ يَكُونَا مِنْ رَهْطه ، لَكِنَّهُ أَمِنَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ كَانَ أَقْوَى مِنْهُمَا ، وَلِهَذَا آلَ الْأَمْر إِلَى أَنَّهُ قَتَلَ أَحَدهمَا وَأَرَادَ قَتْل الْآخَر . وَفِيمَا اِسْتَدَلَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ نَظَر ، لِأَنَّ الْعَامِرِيّ وَرَفِيقه إِنَّمَا كَانَا رَسُولَيْنِ ، وَلَوْ أَنَّ فِيهِمَا رِيبَة لَمَا أَرْسَلَهُمَا مَنْ هُوَ مِنْ عَشِيرَته . وَأَيْضًا فَقَبِيلَة قُرَيْش تَجْمَع الْجَمِيع لِأَنَّ بَنِي زُهْرَة وَبَنِي عَامِر جَمِيعًا مِنْ قُرَيْش وَأَبُو بَصِير كَانَ مِنْ حُلَفَاء بَنِي زُهْرَة كَمَا تَقَدَّمَ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح " جَاءَ أَبُو بَصِير مُسْلِمًا وَجَاءَ وَلِيّه خَلْفه فَقَالَ : يَا مُحَمَّد رُدَّهُ عَلَيَّ فَرَدَّهُ " وَيُجْمَع بِأَنَّ فِيهِ مَجَازًا وَالتَّقْدِير : جَاءَ رَسُول وَلِيّه ، وَرَسُول اِسْم جِنْس يَشْمَل الْوَاحِد فَصَاعِدًا ، أَوْ يُحْمَل عَلَى أَنَّ الْآخَر كَانَ رَفِيقًا لِلرَّسُولِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولًا بِالْأَصَالَةِ .

قَوْله : (فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْر لَهُمْ)

فِي رِوَايَة الْوَاقِدِيّ " فَلَمَّا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَة دَخَلَ أَبُو بَصِير الْمَسْجِد فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَجَلَسَ يَتَغَدَّى ، وَدَعَاهُمَا فَقَدَّمَ سُفْرَة لَهُمَا فَأَكَلُوا جَمِيعًا " .

قَوْله : (فَقَالَ أَبُو بَصِير لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " لِلْعَامِرِيِّ " وَفِي رِوَايَة اِبْن سَعْد " لِخُنَيْس بْن جَابِر " .

قَوْله : (فَاسْتَلَّهُ الْآخَر)

أَيْ صَاحِب السَّيْف أَخْرَجَهُ مِنْ غِمْده .

قَوْله : (فَأَمْكَنَهُ بِهِ) أَيْ بِيَدِهِ ، وَفِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيّ " فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ " .

قَوْله : (فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ)

بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَة وَالرَّاء أَيْ خَمَدَتْ حَوَاسّه ، وَهِيَ كِنَايَة عَنْ الْمَوْت ؛ لِأَنَّ الْمَيِّت تَسْكُن حَرَكَته ، وَأَصْل الْبَرَد السُّكُون ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ ، وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " فَعَلَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ " .

قَوْله : (وَفَرَّ الْآخَر)

فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " وَخَرَجَ الْمَوْلَى يَشْتَدّ " أَيْ هَرَبًا .

قَوْله :(ذُعْرًا)

أَيْ خَوْفًا ، وَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق فَزَعًا .
قَوْله : (قُتِلَ صَاحِبِي)
بِضَمِّ الْقَاف ، فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " قَتَلَ صَاحِبكُمْ صَاحِبِي " .
قَوْله : (وَإِنِّي لَمَقْتُول)
أَيْ إِنْ لَمْ تَرُدُّوهُ عَنِّي ، وَعِنْد الْوَاقِدِيّ " وَقَدْ أَفْلَتَ مِنْهُ وَلَمْ أَكَدْ " وَوَقَعَ فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " فَرَدَّهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمَا فَأَوْثَقَاهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيق نَامَا فَتَنَاوَلَ السَّيْف بِفِيهِ فَأَمَرَّهُ عَلَى الْإِسَار فَقَطَعَهُ وَضَرَبَ أَحَدهمَا بِالسَّيْفِ وَطَلَبَ الْآخَر فَهَرَبَ " وَالْأَوَّل أَصَحّ ، وَفِي رِوَايَة الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عِنْد اِبْن عَائِذ فِي الْمَغَازِي " وَجَمَزَ الْآخَر وَاتَّبَعَهُ أَبُو بَصِير حَتَّى دُفِعَ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابه وَهُوَ عَاضّ عَلَى أَسْفَل ثَوْبه وَقَدْ بَدَا طَرَف ذَكَره وَالْحَصَى يَطِير مِنْ تَحْت قَدَمَيْهِ مِنْ شِدَّة عَدْوه ، وَأَبُو بَصِير يَتْبَعهُ " .
قَوْله : (قَدْ وَاَللَّه أَوْفَى اللَّه ذِمَّتك)
أَيْ فَلَيْسَ عَلَيْك مِنْهُمْ عِقَاب فِيمَا صَنَعْت أَنَا ، زَادَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ " فَقَالَ أَبُو بَصِير : يَا رَسُول اللَّه عَرَفْت أَنِّي إِنْ قَدِمْت عَلَيْهِمْ فَتَنُونِي عَنْ دِينِي فَفَعَلْت مَا فَعَلْت وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنهمْ عَهْد وَلَا عَقْد " ا ه . وَفِيهِ أَنَّ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي يَجِيء مِنْ دَار الْحَرْب فِي زَمَن الْهُدْنَة قَتْلَ مَنْ جَاءَ فِي طَلَب رَدّه إِذَا شُرِطَ لَهُمْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكِر عَلَى أَبِي بَصِير قَتْله الْعَامِرِيَّ وَلَا أَمَرَ فِيهِ بِقَوَدٍ وَلَا دِيَة ، وَاَللَّه أَعْلَم .
قَوْله : (وَيْلُ أُمِّهِ)
بِضَمِّ اللَّام وَوَصْل الْهَمْزَة وَكَسْر الْمِيم الْمُشَدَّدَة ، وَهِيَ كَلِمَة ذَمّ تَقُولهَا الْعَرَب فِي الْمَدْح وَلَا يَقْصِدُونَ مَعْنَى مَا فِيهَا مِنْ الذَّمّ ، لِأَنَّ الْوَيْل الْهَلَاك فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ " لِأُمِّهِ الْوَيْل " قَالَ بَدِيع الزَّمَان فِي رِسَالَة لَهُ : وَالْعَرَب تُطْلِق " تَرِبَتْ يَمِينه " فِي الْأَمْر إِذَا أَهَمَّ وَيَقُولُونَ " وَيْلُ أُمِّهِ " وَلَا يَقْصِدُونَ الذَّمّ . وَالْوَيْل يُطْلَق عَلَى الْعَذَاب وَالْحَرْب وَالزَّجْر وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْء مِنْ ذَلِكَ فِي الْحَجّ فِي قَوْله لِلْأَعْرَابِيِّ " وَيْلك " . وَقَالَ الْفَرَّاء : أَصْل قَوْلهمْ وَيْلُ فُلَان وَيْ لِفُلَانٍ أَيْ فَكَثُرَ الِاسْتِعْمَال فَأَلْحَقُوا بِهَا اللَّام فَصَارَتْ كَأَنَّهَا مِنْهَا وَأَعْرَبُوهَا ، وَتَبِعَهُ اِبْن مَالِك إِلَّا أَنَّهُ قَالَ تَبَعًا لِلْخَلِيلِ : إِنَّ وَيْ كَلِمَة تَعَجُّب ، وَهِيَ مِنْ أَسْمَاء الْأَفْعَال وَاللَّام بَعْدهَا مَكْسُورَة وَيَجُوز ضَمّهَا إِتْبَاعًا لِلْهَمْزَةِ وَحُذِفَتْ الْهَمْزَة تَخْفِيفًا ، وَاَللَّه أَعْلَم .
قَوْله : (مِسْعَر حَرْب)
بِكَسْرِ الْمِيم وَسُكُون الْمُهْمَلَة وَفَتْح الْعَيْن الْمُهْمَلَة وَبِالنَّصْبِ عَلَى التَّمْيِيز ، وَأَصْله مِنْ مِسْعَر حَرْب ، أَيْ يُسْعِرهَا . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : كَأَنَّهُ يَصِفهُ بِالْإِقْدَامِ فِي الْحَرْب وَالتَّسْعِير لِنَارِهَا ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق " مِحَشّ " بِحَاءٍ مُهْمَلَة وَشِين مُعْجَمَة وَهُوَ بِمَعْنَى مِسْعَر ، وَهُوَ الْعُود الَّذِي يُحَرَّك بِهِ النَّار .
قَوْله : (لَوْ كَانَ لَهُ أَحَد)
أَيْ يَنْصُرهُ وَيُعَاضِدهُ وَيُنَاصِرهُ ، وَفِي رِوَايَة الْأَوْزَاعِيِّ " لَوْ كَانَ لَهُ رِجَال " فَلَقَّنَهَا أَبُو بَصِير فَانْطَلَقَ ، وَفِيهِ إِشَارَة إِلَيْهِ بِالْفِرَارِ لِئَلَّا يَرُدّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَرَمْز إِلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ ، قَالَ جُمْهُور الْعُلَمَاء مِنْ الشَّافِعِيَّة وَغَيْرهمْ : يَجُوز التَّعْرِيض بِذَلِكَ لَا التَّصْرِيح كَمَا فِي هَذِهِ الْقِصَّة وَاَللَّه أَعْلَم .

قَوْله : (حَتَّى أَتَى سِيف الْبَحْر)
بِكَسْرِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون التَّحْتَانِيَّة بَعْدهَا فَاء أَيْ سَاحِله ، وَعَيَّنَ اِبْن إِسْحَاق الْمَكَان فَقَالَ " حَتَّى نَزَلَ الْعِيص " وَهُوَ بِكَسْرِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون التَّحْتَانِيَّة بَعْدهَا مُهْمَلَة قَالَ : وَكَانَ طَرِيق أَهْل مَكَّة إِذَا قَصَدُوا الشَّام . قُلْت : وَهُوَ يُحَاذِي الْمَدِينَة إِلَى جِهَة السَّاحِل ، وَهُوَ قَرِيب مِنْ بِلَاد بَنِي سُلَيْمٍ .
قَوْله : (وَيَنْفَلِت مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَل)
أَيْ مِنْ أَبِيهِ وَأَهْله ، وَفِي تَعْبِيره بِالصِّيغَةِ الْمُسْتَقْبَلَة إِشَارَة إِلَى إِرَادَة مُشَاهَدَة الْحَال كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (اللَّه الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاح فَتُثِير سَحَابًا) وَفِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " وَانْفَلَتَ أَبُو جَنْدَل فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مُسْلِمِينَ فَلَحِقُوا بِأَبِي بَصِير فَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ ذِي الْمَرْوَة عَلَى طَرِيق عِير قُرَيْش فَقَطَعُوا مَادَّتهمْ " .
قَوْله : (حَتَّى اِجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَة)
أَيْ جَمَاعَة وَلَا وَاحِد لَهَا مِنْ لَفْظهَا ، وَهِيَ تُطْلَق عَلَى الْأَرْبَعِينَ فَمَا دُونهَا . وَهَذَا الْحَدِيث يَدُلّ عَلَى أَنَّهَا تُطْلَق عَلَى أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ ، فَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق أَنَّهُمْ بَلَغُوا نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ نَفْسًا ، وَفِي رِوَايَة أَبِي الْمَلِيح : بَلَغُوا أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، وَجَزَمَ عُرْوَة فِي الْمَغَازِي بِأَنَّهُمْ بَلَغُوا سَبْعِينَ ، وَزَعَمَ السُّهَيْلِيّ أَنَّهُمْ بَلَغُوا ثَلَثمِائَةِ رَجُل ، وَزَادَ عُرْوَة " فَلَحِقُوا بِأَبِي بَصِير وَكَرِهُوا أَنْ يَقْدَمُوا الْمَدِينَة فِي مُدَّة الْهُدْنَة خَشْيَة أَنْ يُعَادُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ " وَسَمَّى الْوَاقِدِيّ مِنْهُمْ الْوَلِيد بْن الْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة .
قَوْله : (مَا يَسْمَعُونَ بِعِير)
أَيْ بِخَبَرِ عِير بِالْمُهْمَلَةِ الْمَكْسُورَة أَيْ قَافِلَة .
قَوْله : (إِلَّا اِعْتَرَضُوا لَهَا)
أَيْ وَقَفُوا فِي طَرِيقهَا بِالْعَرْضِ ، وَهِيَ كِنَايَة عَنْ مَنْعهمْ لَهَا مِنْ السَّيْر .
قَوْله : (فَأَرْسَلَتْ قُرَيْش)
فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة " فَأَرْسَلُوا أَبَا سُفْيَان بْن حَرْب إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَث إِلَى أَبِي جَنْدَل وَمَنْ مَعَهُ وَقَالُوا : وَمَنْ خَرَجَ مِنَّا إِلَيْك فَهُوَ لَك حَلَال غَيْر حَرَج " .
قَوْله : (فَأَرْسَلَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ)
فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد الْمَذْكُورَة " فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ " وَفِي رِوَايَة مُوسَى بْن عُقْبَة عَنْ الزُّهْرِيّ " فَكَتَبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَصِير ، فَقَدِمَ كِتَابه وَأَبُو بَصِير يَمُوت ، فَمَاتَ وَكِتَاب رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَده ، فَدَفَنَهُ أَبُو جَنْدَل مَكَانه وَجَعَلَ عِنْد قَبْره مَسْجِدًا . قَالَ وَقَدِمَ أَبُو جَنْدَل وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَة فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى الشَّام مُجَاهِدًا فَاسْتُشْهِدَ فِي خِلَافَة عُمَر ، قَالَ فَعَلِمَ الَّذِينَ كَانُوا أَشَارُوا بِأَنْ لَا يُسَلِّم أَبَا جَنْدَل إِلَى أَبِيهِ أَنَّ طَاعَة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْر مِمَّا كَرِهُوا " وَفِي قِصَّة أَبِي بَصِير مِنْ الْفَوَائِد جَوَاز قَتْل الْمُشْرِك الْمُعْتَدِي غِيلَة ، وَلَا يُعَدّ مَا وَقَعَ مِنْ أَبِي بَصِير غَدْرًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي جُمْلَة مَنْ دَخَلَ فِي الْمُعَاقَدَة الَّتِي بَيْن النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْن قُرَيْش ، لِأَنَّهُ إِذْ ذَاكَ كَانَ مَحْبُوسًا بِمَكَّة ، لَكِنَّهُ لَمَّا خَشِيَ أَنَّ الْمُشْرِك يُعِيدهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ دَرَأَ عَنْ نَفْسه بِقَتْلِهِ ، وَدَافَعَ عَنْ دِينه بِذَلِكَ ، وَلَمْ يُنْكِر النَّبِيّ قَوْله ذَلِكَ . وَفِيهِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ مِثْل فِعْل أَبِي بَصِير لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ

قَوَد وَلَا دِيَة ، قَدْ وَقَعَ عِنْد اِبْن إِسْحَاق " أَنَّ سُهَيْل بْن عَمْرو لَمَّا بَلَغَهُ قَتْل الْعَامِرِيّ طَالَبَ بِدِيَتِهِ لِأَنَّهُ مِنْ رَهْطه ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَان : لَيْسَ عَلَى مُحَمَّد مُطَالَبَة بِذَلِكَ لِأَنَّهُ وَفَّى بِمَا عَلَيْهِ وَأَسْلَمَهُ لِرَسُولِكُمْ ، وَلَمْ يَقْتُلهُ بِأَمْرِهِ . وَلَا عَلَى آل أَبِي بَصِير أَيْضًا شَيْء لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى دِينهمْ " . وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرُدّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَّا بِطَلَبٍ مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا طَلَبُوا أَبَا بَصِير أَوَّل مَرَّة أَسْلَمَهُ لَهُمْ ، وَلَمَّا حَضَرَ إِلَيْهِ ثَانِيًا لَمْ يُرْسِلهُ لَهُمْ ، بَلْ لَوْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ وَهُوَ عِنْده لَأَرْسَلَهُ ، فَلَمَّا خَشِيَ أَبُو بَصِير مِنْ ذَلِكَ نَجَا بِنَفْسِهِ . وَفِيهِ أَنَّ شَرْط الرَّدّ أَنْ يَكُون الَّذِي حَضَرَ مِنْ دَار الشِّرْك بَاقِيًا فِي بَلَد الْإِمَام ، وَلَا يَتَنَاوَل مَنْ لَمْ يَكُنْ تَحْت يَد الْإِمَام وَلَا مُتَحَيِّزًا إِلَيْهِ . وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ بَعْض الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ بَعْض مُلُوك الْمُسْلِمِينَ مَثَلًا لَوْ هَادَنَ بَعْض مُلُوك الشِّرْك فَغَزَاهُمْ مَلِك آخَر مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلَهُمْ وَغَنِمَ أَمْوَالهمْ جَازَ لَهُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ عَهْد الَّذِي هَادَنَهُمْ لَمْ يَتَنَاوَل مَنْ لَمْ يُهَادِنهُمْ ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَحَلّ ذَلِكَ مَا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَرِينَة تَعْمِيم .

قَوْله : (فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى : وَهُوَ الَّذِي كَفّ أَيْدِيهمْ عَنْكُمْ)

كَذَا هُنَا ، ظَاهِره أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْن أَبِي بَصِير ، وَفِيهِ نَظَر ، وَالْمَشْهُور فِي سَبَب نُزُولهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِم مِنْ حَدِيث سَلَمَة بْن الْأَكْوَع وَمِنْ حَدِيث أَنَس بْن مَالِك أَيْضًا ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَد وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن مُغَفَّل بِإِسْنَادٍ صَحِيح أَنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ الْقَوْم الَّذِينَ أَرَادُوا مِنْ قُرَيْش أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِرَّة فَظَفِرُوا بِهِمْ ، فَعَفَا عَنْهُمْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَتْ الْآيَة . وَقِيلَ فِي نُزُولهَا غَيْر ذَلِكَ .

قَوْله : (مَعَرَّة الْعَرّ الْجَرَب)

يَعْنِي أَنَّ الْمَعَرَّة مُشْتَقَّة مِنْ الْعَرّ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَتَشْدِيد الرَّاء .

قَوْله : (تَزَيَّلُوا تَمَيَّزُوا ، حَمَيْت الْقَوْم مَنَعْتهمْ حِمَايَة إِلَخْ)

هَذَا الْقَدْر مِنْ تَفْسِير سُورَة الْفَتْح فِي الْمَجَاز لِأَبِي عُبَيْدَة وَهُوَ فِي رِوَايَة الْمُسْتَمْلِي وَحْده .

قَوْله : (قَالَ عُقَيْل عَنْ الزُّهْرِيِّ)

تَقَدَّمَ مَوْصُولًا بِتَمَامِهِ فِي أَوَّل الشُّرُوط ، وَأَرَادَ الْمُصَنِّف بِإِيرَادِهِ بَيَان مَا وَقَعَ فِي رِوَايَة مَعْمَر مِنْ الْإِدْرَاج .

قَوْله : (وَبَلَغَنَا)

هُوَ مَقُول الزُّهْرِيِّ ، وَصَلَهُ اِبْن مَرْدَوَيْهِ فِي تَفْسِيره مِنْ طَرِيق عُقَيْل .

وَقَوْله : (وَبَلَغَنَا أَنَّ أَبَا بَصِير إِلَخْ)

هُوَ مِنْ قَوْل الزُّهْرِيِّ أَيْضًا وَالْمُرَاد بِهِ أَنَّ قِصَّة أَبِي بَصِير فِي رِوَايَة عُقَيْل مِنْ مُرْسَل الزُّهْرِيِّ ، وَفِي رِوَايَة مَعْمَر مَوْصُولَة إِلَى الْمِسْوَر ، لَكِنْ قَدْ تَابَعَ مَعْمَرًا عَلَى وَصْلهَا اِبْن إِسْحَاق كَمَا تَقَدَّمَ ، وَتَابَعَ عُقَيْلًا الْأَوْزَاعِيُّ عَلَى إِرْسَالهَا . فَلَعَلَّ الزُّهْرِيَّ كَانَ يُرْسِلهَا تَارَة وَيُوصِلهَا أُخْرَى وَاَللَّه أَعْلَم . وَوَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَة الْأَخِيرَة مِنْ الزِّيَادَة " وَمَا نَعْلَم أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْمُهَاجِرَات اِرْتَدَّتْ بَعْد إِيمَانهَا " وَفِيهَا قَوْله : " أَنَّ أَبَا بَصِير بْن أَسِيد بِفَتْحِ الْهَمْزَة قَدِمَ مُؤْمِنًا " كَذَا لِلْأَكْثَرِ ، وَفِي رِوَايَة السَّرَخْسِيّ وَالْمُسْتَمْلِي " قَدِمَ مِنْ مِنًى " وَهُوَ تَصْحِيف .

قَوْله : (أَنَّ عُمَر طَلَّقَ اِمْرَأَتَيْنِ قَرِيبَة)

يَـأْتِي ضَـبْطهَا وَبَيَـان الْحُكْم فِـي ذَلِكَ فِـي كِتَـاب النِّكَـاح فِـي " بَـاب نِكَـاح مَـنْ أَسْلَمَ مِـنْ الْمُشْرِكَات " .
وَقَوْله : (فَلَمَّا أَبَى الْكُفَّار أَنْ يُقِرُّوا بِأَدَاءِ مَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَزْوَاجهمْ)
يُشِير إِلَى قَوْله تَعَالَى : (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَـا أَنْفَقُوا) وَقَدْ بَيَّنَـهُ عَبْد الرَّزَّاق فِـي رِوَايَتِـه عَـنْ مَعْمَـر عَـنْ الزُّهْـرِيِّ فَـذَكَرَ الْقِصَّـة وَفِيهَـا " لَمَّـا نَزَلَـتْ حَكَـمَ عَلَـى الْمُشْرِكِينَ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِذَا جَاءَتْهُمْ اِمْرَأَة مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرُدّ الصَّدَاق إِلَى زَوْجهَا ، قَالَ اللَّه تَعَالَى : (وَلَـا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِر) فَأَتَـاهُ الْمُؤْمِنُونَ فَأَقَرُّوا بِحُكْمِ اللَّـه ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا ، فَأَنْزَلَ اللَّـه : (وَإِنْ فَـاتَكُمْ شَـيْء مِنْ أَزْوَاجكُمْ إِلَـى الْكُفَّار فَعَاقَبْتُمْ) .
قَوْله : (وَالْعَقِب إِلَخْ)
بِفَتْحِ الْعَيْن الْمُهْمَلَة وَكَسْر الْقَاف .
قَوْله : (وَمَا نَعْلَم أَحَدًا مِنْ الْمُهَاجِرَات اِرْتَدَّتْ بَعْد إِيمَانهَا)
هُوَ كَلَام الزُّهْرِيِّ ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ الْإِشَارَة إِلَى أَنَّ الْعَاقِبَة الْمَذْكُورَة بِالنِّسْبَةِ إِلَـى الْجَانِبَيْنِ إِنَّمَا وَقَعَتْ فِي الْجَانِب الْوَاحِد ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِف أَحَدًا مِنْ الْمُؤْمِنَات فَرَّتْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِخِلَافِ عَكْسه ، وَقَدْ ذَكَرَ اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق الْحَسَن أَنَّ أُمّ الْحَكَم بِنْت أَبِي سُفْيَان اِرْتَدَّتْ وَفَرَّتْ مِنْ زَوْجهَا عِيَاض بْن شَدَّاد فَتَزَوَّجَهَا رَجُل مِنْ ثَقِيف وَلَمْ يَرْتَدّ مِنْ قُرَيْش غَيْرهَا وَلَكِنَّهَا أَسْلَمَتْ بَعْد ذَلِكَ مَـعَ ثَقِيف حِين أَسْلَمُوا ، فَإِنْ ثَبَـتَ ذَلِكَ فَيُجْمَع بَيْنه وَبَيْن قَوْل الزُّهْرِيِّ بِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ هَاجَرَتْ فِيمَـا قَبْل ذَلِكَ . وَفِـي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفَوَائِد غَيْر مَا تَقَدَّمَ أَشْيَاء تَتَعَلَّق بِالْمَنَاسِكِ : مِنْهَا أَنَّ ذَا الْحُلَيْفَة مِيقَات أَهْل الْمَدِينَة لِلْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِر ، وَأَنَّ تَقْلِيد الْهَدْي وَسَوْقه سُنَّة لِلْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِر فَرْضًا كَـانَ أَوْ سُنَّة ، وَأَنَّ الْإِشْعَار سُنَّة لَا مُثْلَة ، وَأَنَّ الْحَلْق أَفْضَل مِنْ التَّقْصِير ، وَأَنَّهُ نُسُك فِـي حَقّ الْمُعْتَمِر مَحْصُورًا كَانَ أَوْ غَيْر مَحْصُور ، وَأَنَّ الْمُحْصَر يَنْحَر هَدْيه حَيْثُ أُحْصِرَ وَلَوْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْحَرَم ، وَيُقَاتِل مَنْ صَدَّهُ عَنْ الْبَيْت ، وَأَنَّ الْأَوْلَى فِـي حَقّه تَـرْك الْمُقَاتَلَـة إِذَا وَجَدَ إِلَى الْمُسَالَمَة طَرِيقًا ، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا تَقَدَّمَ بَسْط أَكْثَره فِـي كِتَـاب الْحَجّ . وَفِيـهِ أَشْيَاء تَتَعَلَّق بِالْجِهَادِ : مِنْهَا جَوَاز سَبْي ذَرَارِيّ الْكُفَّار إِذَا اِنْفَرَدُوا عَنْ الْمُقَاتِلَة وَلَوْ كَانَ قَبْل الْقِتَال . وَفِيهِ الِاسْتِتَار عَنْ طَلَائِع الْمُشْرِكِينَ ، وَمُفَاجَأَتهمْ بِـالْجَيْشِ لِطَلَـبِ غِرَّتهمْ ، وَجَـوَاز التَّنَكُّـب عَـنْ الطَّرِيـق السَّـهْل إِلَـى الطَّرِيـق الْـوَعْر لِـدَفْعِ الْمَفْسَـدَة وَتَحْصِـيل الْمَصْلَحَة ، وَاسْتِحْبَاب تَقْدِيم الطَّلَائِع وَالْعُيُون بَيْن يَدَيْ الْجَيْش ، وَالْأَخْذ بِالْحَزْمِ فِي أَمْر الْعَدُوّ لِئَلَّا يَنَالُوا غِرَّة الْمُسْلِمِينَ ، وَجَوَاز الْخِدَاع فِـي الْحَـرْب ، وَالتَّعْرِيض بِـذَلِكَ مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَصَائِصه أَنَّهُ مَنْهِيّ عَنْ خَائِنَة الْأَعْيُن . وَفِـي الْحَدِيث أَيْضًا فَضْل الِاسْتِشَارَة لِاسْتِخْرَاج وَجْه الرَّأْي وَاسْتِطَابَة قُلُوب الْأَتْبَاع ، وَجَوَاز بَعْض الْمُسَامَحَة فِي أَمْر الدِّين ، وَاحْتِمَال الضَّيْم فِيهِ مَـا لَمْ يَكُنْ قَادِحًا فِـي أَصْله إِذَا تَعَيَّنَ ذَلِكَ طَرِيقًا لِلسَّلَامَةِ فِي الْحَال وَالصَّلَاح فِي الْمَآل سَوَاء كَانَ ذَلِكَ فِي حَال ضَعْف الْمُسْلِمِينَ أَوْ قُوَّتهمْ ، وَأَنَّ التَّابِع لَا يَلِيق بِهِ الِاعْتِرَاض عَلَى الْمَتْبُوع بِمُجَـرَّدِ مَـا يَظْهَر فِي الْحَال بَلْ عَلَيْهِ التَّسْلِيم ، لِأَنَّ الْمَتْبُوع أَعْرَف بِمَآلِ الْأُمُور غَالِبًـا بِكَثْـرَةِ التَّجْرِبَـة وَلَـا سِيَّمَا مَعَ مَنْ هُوَ مُؤَيَّد بِالْوَحْيِ . وَفِيهِ جَوَاز الِاعْتِمَاد عَلَى خَبَر الْكَافِر إِذَا قَامَتْ الْقَرِينَة عَلَـى صِدْقه ، قَالَـهُ الْخَطَّـابِيُّ مُسْتَدِلًّا بِـأَنَّ الْخُزَاعِيّ الَّذِي بَعَثَـهُ النَّبِيّ صَلَّـى اللَّـه عَلَيْـهِ

وَسَلَّمَ عَيْنًا لَهُ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ قُرَيْش كَانَ حِينَئِذٍ كَافِرًا ، وَإِنَّمَا اِخْتَارَهُ لِذَلِكَ مَعَ كُفْره لِيَكُونَ أَمْكَنَ لَهُ فِي الدُّخُول فِيهِمْ وَالِاخْتِلَاط بِهِمْ وَالِاطِّلَاع عَلَى أَسْرَارهمْ ، قَالَ : وَيُسْتَفَاد مِنْ ذَلِكَ جَوَاز قَبُول قَوْل الطَّبِيب الْكَافِر . قُلْت : وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْخُزَاعِيّ الْمَذْكُور كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَلَمْ يَشْتَهِر إِسْلَامه حِينَئِذٍ ، فَلَيْسَ مَا قَالَهُ دَلِيلًا عَلَى مَا اِدَّعَاهُ ، وَاَللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى أَعْلَم بِالصَّوَابِ .

زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٢٥٧)

فَصْلٌ [تَقْلِيدُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْهَدْيَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَعْثُهُ عَيْنًا لَهُ ابْنَ خُزَاعَةَ إلَى قُرَيْشٍ]

[اسْتِشَارَتُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَفْعَلُهُ]

[رُؤْيَتُهُمْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَفِرَارُهُ مِنْهُمْ]

[بِرَوْكِ الْقَصْوَاءِ]

[نُزُولُهُمْ بِالْحُدَيْبِيَةِ]

فَلَمّا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَلّدَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ حَتّى إذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ عُسْفَانَ أَتَاهُ عَيْنُهُ فَقَالَ إنّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيّ قَدْ جَمَعُوا لَك الْأَحَابِيشَ وَجَمَعُوا لَك جُمُوعًا وَهُمْ مُقَاتِلُوك وَصَادّوك عَنْ الْبَيْتِ وَمَانِعُوك وَاسْتَشَارَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إلَى ذَرَارِيّ هَؤُلَاءِ الّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ وَإِنْ يَجِيئُوا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللّهُ أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَدّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ إنّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَرُوحُوا إذًا فَرَاحُوا حَتّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطّرِيقِ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " إنّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً [ص ٢٥٨] شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتّى إذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ وَسَارَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى إذَا كَانَ بِالثّنِيّةِ الّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النّاسُ حَلْ حَلْ فَأَلَحّتْ فَقَالُوا : خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ثُمّ قَالَ وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطّةً يُعَظّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللّه إلّا أَعْطَيْتُهُمْ إيّاهَا ثُمّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ بِهِ فَعَدَلَ حَتّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءُ إنّمَا يَتَبَرّضُهُ النّاسُ تَبَرّضًا فَلَمْ يُلْبِثْهُ النّاسُ أَنْ نَزَحُوهُ فَشَكَوْا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَطَشَ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ قَالَ فَوَاَللّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرّيّ حَتّى صَدَرُوا عَنْهُ .

[إرْسَالُ عُثْمَانَ إلَى قُرَيْشٍ]

وَفَزِعَتْ قُرَيْشٌ لِنُزُولِهِ عَلَيْهِمْ فَأَحَبّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَبْعَثَ إلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ لِيَبْعَثَهُ إلَيْهِمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ لَيْسَ لِي بِمَكّةَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ يَغْضَبُ لِي إنْ أُوذِيت فَأَرْسِلْ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ فَإِنّ عَشِيرَتَهُ بِهَا وَإِنّهُ مُبَلّغٌ مَا أَرَدْت فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ فَأَرْسَلَهُ إلَى قُرَيْشٍ وَقَالَ أَخْبِرْهُمْ أَنّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالٍ وَإِنّمَا جِئْنَا عُمّارًا وَادْعُهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ وَأَمَرَهُ أَنْ

يَأْتِيَ رِجَالًا بِمَكّةَ مُؤْمِنِينَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمْ وَيُبَشّرُهُمْ بِالْفَتْحِ وَيُخْبِرَهُمْ أَنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ مُظْهِرٌ دِينَهُ بِمَكّةَ حَتّى لَا يُسْتَخْفَى فِيهَا بِالْإِيمَانِ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ فَمَرّ عَلَى قُرَيْشٍ بِبَلْدَحَ فَقَالُوا : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَقَالَ [ص ٢٥٩] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَدْعُوكُمْ إلَى اللّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ وَأُخْبِرُكُمْ أَنّا لَمَ نَأْتِ لِقِتَالٍ وَإِنّمَا جِئْنَا عُمّارًا فَقَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ فَانْفُذْ لِحَاجَتِك وَقَامَ إلَيْهِ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَرَحّبَ بِهِ وَأَسْرَجَ فَرَسَهُ فَحَمَلَ عُثْمَانَ عَلَى الْفَرَسِ وَأَجَارَهُ وَأَرْدَفَهُ أَبَانُ حَتّى جَاءَ مَكّةَ وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ عُثْمَانُ ؟ خَلَصَ عُثْمَانُ قَبْلَنَا إلَى الْبَيْتِ وَطَافَ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا أَظُنّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ وَنَحْنُ مَحْصُورُونَ " فَقَالُوا : وَمَا يَمْنَعُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ وَقَدْ خَلَصَ ؟ قَالَ " ذَاكَ ظَنّي بِهِ أَلّا يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ حَتّى نَطُوفَ مَعَهُ

[بَيْعَةُ الرّضْوَانِ]

وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمُشْرِكِينَ فِي أَمْرِ الصّلْحِ فَرَمَى رَجُلٌ مِنْ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ رَجُلًا مِنْ الْفَرِيقِ الْآخَرِ وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ وَتَرَامَوْا بِالنّبْلِ وَالْحِجَارَةِ وَصَاحَ الْفَرِيقَانِ كِلَاهُمَا وَارْتَهَنَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ بِمَنْ فِيهِمْ وَبَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ فَدَعَا إلَى الْبَيْعَةِ فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَبَايَعُوهُ عَلَى أَلّا يَفِرّوا فَأَخَذَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِيَدِ نَفْسِهِ وَقَالَ هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ

[رُجُوعُ عُثْمَانَ]

وَلَمّا تَمّتْ الْبَيْعَةُ رَجَعَ عُثْمَانُ فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ اشْتَفَيْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ مِنْ الطّوَافِ بِالْبَيْتِ فَقَالَ بِئْسَ مَا ظَنَنْتُمْ بِي وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ مَكَثْتُ بِهَا سَنَةً وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُقِيمٌ بِالْحُدَيْبِيَةِ مَا طُفْتُ بِهَا حَتّى يَطُوفَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَقَدْ دَعَتْنِي قُرَيْشٌ إلَى الطّوَافِ بِالْبَيْتِ فَأَبَيْت فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ أَعْلَمَنَا بِاَللّهِ وَأَحْسَنَنَا ظَنّا وَكَانَ عُمَرُ آخِذًا بِيَدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْبَيْعَةِ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ كُلّهُمْ إلّا الْجَدّ بْنَ قَيْسٍ [ص ٢٦٠] وَكَانَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ آخِذًا بِغُصْنِهَا يَرْفَعُهُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَ أَوّلَ مَنْ بَايَعَهُ أَبُو سِنَانٍ الْأَسَدِيّ وَبَايَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ثَلَاثَ مَرّاتٍ فِي أَوّلِ النّاسِ وَأَوْسَطِهِمْ وَآخِرِهِمْ .

[بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ]

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيّ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ فَقَالَ إنّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ مَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوك وَصَادّوك عَنْ الْبَيْتِ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضَرّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهمْ وَيُخَلّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النّاسِ وَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النّاسُ فَعَلُوا وَإِلّا فَقَدْ جَمّوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا إلّا الْقِتَالَ فَوَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لَيُنْفِذَنّ اللّهُ أَمْرَه

[إرْسَالُ عُرْوَةَ الثّقَفِيّ إلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

قَالَ بُدَيْلُ سَأُبَلّغُهُمْ مَا تَقُولُ فَانْطَلَقَ حَتّى أَتَى قُرَيْشًا فَقَالَ إنّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرّجُلِ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُحَدّثَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ . وَقَالَ ذَوُو الرّأْيِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَه قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . فَحَدّثَهُمْ بِمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثّقَفِيّ : إنّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ فَقَالُوا : ائْتِهِ فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلّمُهُ فَقَالَ لَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمّدٌ أَرَأَيْتَ لَوْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَك هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَك ؟ وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَوَاَللّهِ إنّي لَأَرَى وُجُوهًا وَأَرَى أَوْشَابًا مِنْ النّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرّوا وَيَدَعُوك فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ امْصُصْ بَظْرَ اللّاتِ أَنَحْنُ نَفِرّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ . قَالَ مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ . قَالَ أَمَا وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُك وَجَعَلَ يُكَلّمُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكُلّمَا [ص ٢٦١] أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عِنْدَ رَأْسِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَعَهُ السّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ إلَى لِحْيَةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السّيْفِ وَقَالَ أَخّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ وَقَالَ مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ . فَقَالَ أَيْ غُدَرُ أَوَلَسْت أَسْعَى فِي غَدْرَتِك ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمّ جَاءَ فَأَسْلَمَ . فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ

[إرْسَالُ مِكْرَزٍ إلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]

[رَدّ أَبِي جَنْدَلٍ إلَى الْمُشْرِكِينَ]

ثُمّ إنّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِعَيْنَيْهِ فَوَاَللّهِ مَا تَنَخّمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نُخَامَةً إلّا وَقَعَتْ فِي كَفّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلّكَ بِهَا جِلْدَهُ وَوَجْهَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدّونَ إلَيْهِ النّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمُ وَاَللّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنّجَاشِيّ وَاَللّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا يُعَظّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظّمُ أَصْحَابُ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا وَاَللّهِ إنْ تَنَخّمَ نُخَامَةً إلّا وَقَعَتْ فِي كَفّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وُضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدّونَ إلَيْهِ النّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ دَعُونِي آتِهِ فَقَالُوا : ائْتِهِ فَلَمّا أَشْرَفَ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذَا فُلَانٌ " وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبَعَثُوهَا لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوْمُ يُلَبّونَ فَلَمّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ " سُبْحَانَ اللّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدّوا عَنْ الْبَيْتِ فَرَجَعَ إلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلّدَتْ وَأُشْعِرَتْ وَمَا أَرَى أَنْ يُصَدّوا عَنْ الْبَيْتِ فَقَامَ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ دَعُونِي آتِهِ . فَقَالُوا : ائْتِهِ فَلَمّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذَا مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ فَجَعَلَ يُكَلّمُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَبَيْنَا هُوَ يُكَلّمُهُ إذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ سُهّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ فَقَالَ هَاتِ اُكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا الْكَاتِبَ فَقَالَ " اُكْتُبْ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ " . فَقَالَ [ص ٢٦٢] كُنْتَ تَكْتُبُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ

وَاَللّهِ لَا نَكْتُبُهَا إلّا بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اُكْتُبْ بِاسْمِك اللّهُمّ " ثُمّ قَالَ اُكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ فَقَالَ سُهَيْلٌ فَوَاَللّهِ لَوْ كُنّا نَعْلَمُ أَنّك رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاك وَلَكِنْ اُكْتُبْ مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّي رَسُولُ اللّهِ وَإِنْ كَذّبْتُمُونِي اُكْتُبْ مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّه فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى أَنْ تُخَلّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ " فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاَللّهِ لَا تَتَحَدّثُ الْعَرَبُ أَنّا أُخِذْنَا ضَغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ فَقَالَ سُهَيْلٌ عَلَى أَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِك إلّا رَدَدْتَهُ إلَيْنَا فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَانَ اللّهِ كَيْفَ يُرَدّ إلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا بَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ حَتّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمّدُ أَوّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدّهُ إلَيّ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " إنّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ فَقَالَ فَوَاَللّهِ إذًا لَا أُصَالِحُك عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " فَأَجِزْهُ لِي " قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَك . قَالَ " بَلَى فَافْعَلْ " قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . قَالَ مِكْرَزٌ بَلَى قَدْ أَجَزْنَاهُ فَقَالَ أَبُو جَنْدَلٍ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدّ إلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذّبَ فِي اللّهِ عَذَابًا شَدِيدًا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ : وَاَللّهِ مَا شَكَكْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إلّا يَوْمَئِذٍ فَأَتَيْتُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقُلْت يَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَلَسْت نَبِيّ اللّهِ حَقّا ؟ قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقّ وَعَدُوّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ بَلَى . فَقُلْتُ عَلَامَ نُعْطِيَ الدّنِيّةَ فِي دِينِنَا إذًا وَنَرْجِعُ وَلَمّا يَحْكُمُ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْدَائِنَا ؟ فَقَالَ إنّي رَسُولُ اللّهِ وَهُوَ نَاصِرِي وَلَسْتُ أَعْصِيهِ قُلْتُ أَوَلَسْت كُنْتَ تُحَدّثُنَا أَنّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ " بَلَى أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ " قُلْتُ لَا . قَالَ " فَإِنّكَ آتِيهِ وَمُطّوّفٌ بِهِ " . قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَدّ عَلَيّ أَبُو بَكْرٍ كَمَا رَدّ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَوَاءً وَزَادَ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ حَتّى تَمُوتَ فَوَاَللّهِ إنّهُ لَعَلَى [ص ٢٦٣] قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْت لِذَلِكَ أَعْمَالًا . فَلَمّا فَرَغَ مِنْ قَضِيّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمّ احْلِقُوا فَوَاَللّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ حَتّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ فَلَمّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النّاسِ فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَتُحِبّ ذَلِكَ ؟ اُخْرُجْ ثُمّ لَا تُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتّى تَنْحَرَ بُدْنَك وَتَدْعُوَ حَالِقَك فَيَحْلِقَكَ فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمّا رَأَى النّاسُ ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمّا ثُمّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا إذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنّ } حَتّى بَلَغَ { بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ } [الْمُمْتَحِنَةُ ١٠] فَطَلّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشّرْكِ فَتَزَوّجَ إحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ وَالْأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَفِي مَرْجِعِهِ أَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْهِ { إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخّرَ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللّهُ نَصْرًا عَزِيزًا } [الْفَتْحُ ٣١] فَقَالَ عُمَرُ أَوَفَتْحٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ الصّحَابَةُ هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَمَا لَنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { هُوَ الّذِي أَنْزَلَ السّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ } [الْفَتْحُ ٤]

[قِصّةُ أَبِي بَصِيرٍ]
وَلَمّا رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مُسْلِمًا فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ وَقَالُوا : الْعَهْدَ الّذِي جَعَلْت لَنَا فَدَفَعَهُ إلَى الرّجُلَيْنِ فَخَرَجَا بِهِ حَتّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرّجُلَيْنِ وَاَللّهِ إنّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا جَيّدًا فَاسْتَلّهُ الْآخَرُ فَقَالَ أَجَلْ وَاَللّهِ إنّهُ لَجَيّدٌ لَقَدْ جَرّبْتُ بِهِ ثُمّ جَرّبْت فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أَرِنِي أَنْظُرْ إلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ بِهِ حَتّى [ص ٢٦٤] بَرَدَ وَفَرّ الْآخَرُ يَعْدُو حَتّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ رَآهُ " لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا " فَلَمّا انْتَهَى إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ قُتِلَ وَاَللّهِ صَاحِبِي وَإِنّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ يَا نَبِيّ اللّهِ قَدْ وَاَللّهِ أَوْفَى اللّهُ ذِمّتَك قَدْ رَدَدْتنِي إلَيْهِمْ فَأَنْجَانِي اللّهُ مِنْهُمْ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " وَيْلُ أُمّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ " فَلَمّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنّهُ سَيَرُدّهُ إلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَلَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إلّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ فَوَاَللّهِ لَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ خَرَجَتْ إلَى الشّامِ إلّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تُنَاشِدُهُ اللّهَ وَالرّحِمَ لَمّا أَرْسَلَ إلَيْهِمْ فَمَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { وَهُوَ الّذِي كَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ } حَتّى بَلَغَ حَمِيّةَ الْجَاهِلِيّةِ [الْفَتْحُ ٢٤] وَكَانَتْ حَمِيّتُهُمْ أَنّهُمْ لَمْ يُقِرّوا أَنّهُ نَبِيّ اللّهِ وَلَمْ يُقِرّوا بِبِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ .
[فَوْرُ بِئْرِ الْحُدَيْبِيَةِ بِالْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]
قُلْتُ فِي " الصّحِيحِ " : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَوَضّأَ وَمَجّ فِي بِئْرِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ فَمِهِ فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ كَذَلِكَ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَسَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ فِي " الصّحِيحَيْنِ " . [ص ٢٦٥] وَقَالَ عُرْوَةُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنّهُ غَرَزَ فِيهَا سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ وَهُوَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " أَيْضًا . وَفِي مَغَازِي أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ تَوَضّأَ فِي الدّلْوِ وَمَضْمَضَ فَاهُ ثُمّ مَجّ فِيهِ وَأَمَرَ أَنْ يُصَبّ فِي الْبِئْرِ وَنَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ وَأَلْقَاهُ فِي الْبِئْرِ وَدَعَا اللّهَ تَعَالَى فَفَارَتْ بِالْمَاءِ حَتّى جَعَلُوا يَغْتَرِفُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى شَفّهَا فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَهَذَا أَشْبَهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .
[فَوْرُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ]
وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ " : عَنْ جَابِرٍ قَالَ عَطِشَ النّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضّأُ مِنْهَا إذْ جَهَشَ النّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ مَا عِنْدَنَا مَاءٌ نَشْرَبُ وَلَا مَا نَتَوَضّأُ إلّا مَا بَيْنَ يَدَيْك فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ أَمْثَالَ الْعُيُونِ فَشَرِبُوا وَتَوَضّئُوا وَكَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةٍ وَهَذِهِ غَيْرُ قِصّةِ الْبِئْرِ .
[هُطُولُ الْمَطَرِ]
وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَصَابَهُمْ لَيْلَةَ مَطَرٌ فَلَمّا صَلّى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّبْحَ قَالَ أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبّكُمْ اللّيْلَةَ ؟ " قَالُوا : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَب

فَصْلٌ [مَا جَرَى عَلَيْهِ الصّلْحُ]
[ص ٢٦٦] مَكّةَ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ وَأَنْ يَأْمَنَ النّاسُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُ ذَلِكَ حَتّى إذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ قَدِمَهَا وَخَلَوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكّةَ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَأَنْ لَا يَدْخُلَهَا إلّا بِسِلَاحِ الرّاكِبِ وَالسّيُوفِ فِي الْقِرَبِ وَأَنّ مَنْ أَتَانَا مِنْ أَصْحَابِكَ لَمْ نَرُدّهُ عَلَيْك وَمَنْ أَتَاكَ مِنْ أَصْحَابِنَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا وَأَنّ بَيْنَنَا وَبَيْنَك عَيْبَةً مَكْفُوفَةً وَأَنّهُ لَا إسْلَالَ وَلَا إغْلَالَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ نُعْطِيهِمْ هَذَا ؟ فَقَالَ مَنْ أَتَاهُمْ مِنّا فَأَبْعَدَهُ اللّهُ وَمَنْ أَتَانَا مِنْهُمْ فَرَدَدْنَاهُ إلَيْهِمْ جَعَلَ اللّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا
[فِدْيَةُ الْأَذَى لِمَنْ حَلَقَ رَأْسَهُ]
وَفِي قِصّةِ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْزَلَ اللّهُ - عَزّ وَجَلّ - فِدْيَةَ الْأَذَى لِمَنْ حَلَقَ رَأْسَهُ بِالصّيَامِ أَوْ الصّدَقَةِ أَوْ النّسُكِ فِي شَأْنِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ . وَفِيهَا دَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْمُحَلّقِينَ بِالْمَغْفِرَةِ ثَلَاثًا وَلِلْمُقَصّرِينَ مَرّةً . وَفِيهَا نَحَرُوا الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ . وَفِيهَا أَهْدَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي جُمْلَةِ هَدْيِهِ جَمَلًا كَانَ لِأَبِي جَهْلٍ كَانَ فِي أَنْفِهِ بُرّةٌ مِنْ فِضّةٍ لِيَغِيظَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ . وَفِيهَا أُنْزِلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ وَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَهْدِهِ وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَكَانَ فِي الشّرْطِ أَنّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ [ص ٢٦٧] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَخَلَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ .
[عَدَمُ رَدّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُمّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ إلَى الْمُشْرِكِينَ]
وَلَمّا رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ جَاءَهُ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ مِنْهُنّ أُمّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَهَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالشّرْطِ الّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يُرْجِعْهَا إلَيْهِمْ وَنَهَاهُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ هَذَا نَسْخٌ لِلشّرْطِ فِي النّسَاءِ . وَقِيلَ تَخْصِيصٌ لِلسّنّةِ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ عَزِيزٌ جِدّا . وَقِيلَ لَمْ يَقَعْ الشّرْطُ إلّا عَلَى الرّجَالِ خَاصّةً وَأَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُعَمّمُوهُ فِي الصّنْفَيْنِ فَأَبَى اللّهُ ذَلِكَ .
فَصْلٌ فِي بَعْضِ مَا فِي قِصّةِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ الْفَوَائِدِ الْفِقْهِيّةِ
فَمِنْهَا : اعْتِمَارُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَشْهُرِ الْحَجّ فَإِنّهُ خَرَجَ إلَيْهَا فِي ذِي الْقِعْدَةِ .
[الْإِحْرَامُ بِالْعُمْرَةِ مِنْ الْمِيقَاتِ أَفْضَلُ]
وَمِنْهَا : أَنّ الْإِحْرَامَ بِالْعُمْرَةِ مِنْ الْمِيقَاتِ أَفْضَلُ كَمَا أَنّ الْإِحْرَامَ بِالْحَجّ كَذَلِكَ فَإِنّهُ أَحْرَمَ بِهِمَا مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مِيلٌ أَوْ نَحْوُهُ وَأَمّا حَدِيثُ مَنْ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخّرَ وَفِي لَفْظٍ كَانَتْ كَفّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذّنُوبِ فَحَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ وَقَدْ اُضْطُرِبَ فِيهِ إسْنَادًا وَمَتْنًا اضْطِرَابًا شَدِيدًا . وَمِنْهَا : أَنّ سَوْقَ الْهَدْيِ مَسْنُونٌ فِي الْعُمْرَةِ الْمُفْرَدَةِ كَمَا هُوَ مَسْنُونٌ فِي الْقِرَانِ . وَمِنْهَا : أَنّ إشْعَارَ الْهَدْيِ سُنّةٌ لَا مُثْلَةٌ مَنْهِيّ عَنْهَا . [ص ٢٦٨]
[اسْتِحْبَابُ مُغَايَظَةِ أَعْدَاءِ اللّهِ]
وَمِنْهَا : اسْتِحْبَابُ مُغَايَظَةِ أَعْدَاءِ اللّهِ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَهْدَى فِي جُمْلَةِ هَدْيِهِ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ فِي أَنْفِهِ بُرّةٌ مِنْ فِضّةٍ يَغِيظُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ { وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ } [الْفَتْحُ ٢٩] وَقَالَ

عَزّ وَجَلّ { ذَلِكَ بِأَنّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوّ نَيْلًا إلّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إنّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [التّوْبَةُ ١٢٠] . وَمِنْهَا : أَنّ أَمِيرَ الْجَيْشِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَبْعَثَ الْعُيُونَ أَمَامَهُ نَحْوَ الْعَدُوّ .

[الِاسْتِعَانَةُ بِالْمُشْرِكِ]

وَمِنْهَا : أَنّ الِاسْتِعَانَةَ بِالْمُشْرِكِ الْمَأْمُونِ فِي الْجِهَادِ جَائِزَةٌ عِنْدَ الْحَاجَةِ لِأَنّ عَيْنَهُ الْخُزَاعِيّ كَانَ كَافِرًا إذْ ذَاكَ وَفِيهِ مِنْ الْمَصْلَحَةِ أَنّهُ أَقْرَبُ إلَى اخْتِلَاطِهِ بِالْعَدُوّ وَأَخْذِهِ أَخْبَارَهُمْ .

[اسْتِحْبَابُ الشّورَى]

وَمِنْهَا : اسْتِحْبَابُ مَشُورَةِ الْإِمَامِ رَعِيّتَهُ وَجَيْشَهُ اسْتِخْرَاجًا لِوَجْهِ الرّأْيِ وَاسْتِطَابَةً لِنُفُوسِهِمْ وَأَمْنًا لِعَتَبِهِمْ وَتَعَرّفًا لِمَصْلَحَةٍ يَخْتَصّ بِعِلْمِهَا بَعْضُهُمْ دُونَ بَعْضٍ وَامْتِثَالًا لِأَمْرِ الرّبّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } [آلِ عِمْرَانَ ١٥٩] وَقَدْ مَدَحَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ بِقَوْلِهِ { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } [الشّورَى : ٣٨] .

[رَدّ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ وَلَوْ نُسِبَ إلَى غَيْرِ الْمُكَلّفِ]

وَمِنْهَا : جَوَازُ سَبْيِ ذَرَارِيّ الْمُشْرِكِينَ إذَا انْفَرَدُوا عَنْ رِجَالِهِمْ قَبْلَ مُقَاتَلَةِ الرّجَالِ .
وَمِنْهَا : رَدّ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ وَلَوْ نُسِبَ إلَى غَيْرِ مُكَلّفٍ فَإِنّهُمْ لَمّا قَالُوا : خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ يَعْنِي حَرَنَتْ وَأَلَحّتْ فَلَمْ تَسِرْ وَالْخِلَاءُ فِي الْإِبِلِ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَالْمَدّ نَظِيرُ الْحِرَانِ فِي الْخَيْلِ فَلَمّا نَسَبُوا إلَى النّاقَةِ مَا لَيْسَ مِنْ خُلُقِهَا وَطَبْعِهَا رَدّهُ عَلَيْهِمْ وَقَالَ مَا خَلَأَتْ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُق ثُمّ أَخْبَرَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ سَبَبِ بُرُوكِهَا وَأَنّ الّذِي حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ مَكّة حَبَسَهَا لِلْحِكْمَةِ الْعَظِيمَةِ الّتِي ظَهَرَتْ بِسَبَبِ حَبْسِهَا وَمَا جَرَى بَعْدَهُ . [ص ٢٦٩] وَمِنْهَا : أَنّ تَسْمِيَةَ مَا يُلَابِسُهُ الرّجُلُ مِنْ مَرَاكِبِهِ وَنَحْوِهَا سُنّةٌ .

[اسْتِحْبَابُ الْحَلِفِ عَلَى الْخَبَرِ الدّينِيّ الّذِي يُرَادُ تَأْكِيدُهُ]

وَمِنْهَا : جَوَازُ الْحَلِفِ بَلْ اسْتِحْبَابُهُ عَلَى الْخَبَرِ الدّينِيّ الّذِي يُرِيدُ تَأْكِيدَهُ وَقَدْ حُفِظَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْحَلِفُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعًا وَأَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى بِالْحَلِفِ عَلَى تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فِي (سُورَةِ يُونُسَ) و (سَبَأٍ) و (التّغَابُنِ) .

إذَا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُغَاةُ وَالظّلَمَةُ أَمْرًا يُعَظّمُونَ فِيهِ حُرْمَةً مِنْ حُرُمَاتِ اللّهِ أُعِينُوا عَلَيْهِ

وَمِنْهَا : أَنّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُغَاةِ وَالظّلَمَةِ إذَا طَلَبُوا أَمْرًا يُعَظّمُونَ فِيهِ حُرْمَةً مِنْ حُرُمَاتِ اللّهِ تَعَالَى أُجِيبُوا إلَيْهِ وَأُعْطُوهُ وَأُعِينُوا عَلَيْهِ وَإِنْ مَنَعُوا غَيْرَهُ فَيُعَاوَنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ اللّهِ تَعَالَى لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ وَيُمْنَعُونَ مِمّا سِوَى ذَلِكَ فَكُلّ مَنْ الْتَمَسَ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى مَحْبُوبٍ لِلّهِ تَعَالَى مُرْضٍ لَهُ أُجِيبَ إلَى ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ مَا لَمْ يَتَرَتّبْ عَلَى إعَانَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ مَبْغُوضٌ لِلّهِ أَعْظَمَ مِنْهُ وَهَذَا مِنْ أَدَقّ الْمَوَاضِعِ وَأَصْعَبِهَا وَأَشَقّهَا عَلَى النّفُوسِ وَلِذَلِكَ ضَاقَ عَنْهُ مِنْ الصّحَابَةِ مَنْ ضَاقَ وَقَالَ عُمَرُ مَا قَالَ حَتّى عَمِلَ لَهُ أَعْمَالًا بَعْدَهُ وَالصّدّيقُ تَلَقّاهُ بِالرّضَى وَالتّسْلِيمِ حَتّى كَانَ قَلْبُهُ فِيهِ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَجَابَ عُمَرَ عَمّا سَأَلَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ بِعَيْنِ جَوَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَذَلِكَ يَدُلّ عَلَى

أَنّ الصّدّيقَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَفْضَلُ الصّحَابَةِ وَأَكْمَلُهُمْ وَأَعْرَفُهُمْ بِاَللّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَعْلَمُهُمْ بِدِينِهِ وَأَقْوَمُهُمْ بِمَحَابّهِ وَأَشَدّهُمْ مُوَافَقَةً لَهُ وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْأَلْ عُمَرَ عَمّا عَرَضَ لَهُ إلّا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَصِدّيقَهُ خَاصّةً دُونَ سَائِرِ أَصْحَابِهِ . [ص ٢٧٠] وَمِنْهَا : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَدَلَ ذَاتَ الْيَمِينِ إلَى الْحُدَيْبِيَةِ . قَالَ الشّافِعِيّ : بَعْضُهَا مِنْ الْحِلّ وَبَعْضُهَا مِنْ الْحَرَمِ .

[مُضَاعَفَةُ الصّلَاةِ بِمَكّةَ تَتَعَلّقُ بِجَمِيعِ الْحَرَمِ لَا يُخَصّ بِهَا الْمَسْجِدُ]

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي هَذِهِ الْقِصّةِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يُصَلّي فِي الْحَرَمِ وَهُوَ مُضْطَرِبٌ فِي الْحِلِ وَفِي هَذَا كَالدّلَالَةِ عَلَى أَنّ مُضَاعَفَةَ الصّلَاةِ بِمَكّةَ تَتَعَلّقُ بِجَمِيعِ الْحَرَمِ لَا يُخَصّ بِهَا الْمَسْجِدُ الّذِي هُوَ مَكَانُ الطّوَافِ وَأَنّ قَوْلَهُ صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ } [التّوْبَةُ ٢٨] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : { سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [الْإِسْرَاءُ : ١] وَكَانَ الْإِسْرَاءُ مِنْ بَيْتِ أُمّ هَانِئٍ . وَمِنْهَا : أَنّ مَنْ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ مَكّةَ فَإِنّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْحِلّ وَيُصَلّيَ فِي الْحَرَمِ وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَصْنَعُ . وَمِنْهَا : جَوَازُ ابْتِدَاءِ الْإِمَامِ بِطَلَبِ صُلْحِ الْعَدُوّ إذَا رَأَى الْمَصْلَحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ وَلَا يَتَوَقّفُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ الطّلَبِ مِنْهُمْ .

[سُنّيّةُ الْقِيَامِ بِالسّيْفِ عَلَى رَأْسِ الْقَائِدِ عِنْدَ قُدُومِ رُسُلِ الْعَدُوّ]

وَفِي قِيَامِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالسّيْفِ وَلَمْ يَكُنْ عَادَتَهُ أَنْ يُقَامَ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ سُنّةٌ يُقْتَدَى بِهَا عِنْدَ قُدُومِ رُسُلِ الْعَدُوّ مِنْ إظْهَارِ الْعِزّ وَالْفَخْرِ وَتَعْظِيمِ الْإِمَامِ وَطَاعَتِهِ وَوِقَايَتِهِ بِالنّفُوسِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَادَةُ الْجَارِيَةُ عِنْدَ قُدُومِ رُسُلِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ وَقُدُومِ رُسُلِ الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ هَذَا النّوْعِ الّذِي ذَمّهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَوْلِهِ مَنْ أَحَبّ أَنْ يَتَمَثّلَ لَهُ الرّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النّارِ كَمَا أَنّ الْفَخْرَ وَالْخُيَلَاءَ فِي الْحَرْبِ [ص ٢٧١]

[مَالُ الْمشْرِكِ الْمُعَاهَدِ مَعْصُومٌ]

وَفِي قَوْلِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْمُغِيرَةِ أَمّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنّ مَالَ الْمُشْرِكِ الْمُعَاهَدِ مَعْصُومٌ وَأَنّهُ لَا يُمْلَكُ بَلْ يُرَدّ عَلَيْهِ فَإِنّ الْمُغِيرَةَ كَانَ قَدْ صَحِبَهُمْ عَلَى الْأَمَانِ ثُمّ غَدَرَ بِهِمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ فَلَمْ يَتَعَرّضْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَا ذَبّ عَنْهَا وَلَا ضَمِنَهَا لَهُمْ لِأَنّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ إسْلَامِ الْمُغِيرَةِ .

[جَوَازُ التّصْرِيحِ بِاسْمِ الْعَوْرَةِ إذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ]

وَفِي قَوْلِ الصّدّيقِ لِعُرْوَةَ اُمْصُصْ بَظْرَ اللّاتِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التّصْرِيحِ بِاسْمِ الْعَوْرَةِ إذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ تَقْتَضِيهَا تِلْكَ الْحَالُ كَمَا أَذِنَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُصَرّحَ لِمَنْ ادّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ بِهَنِ أَبِيهِ وَيُقَالُ لَهُ اعْضَضْ أَيْرَ أَبِيك وَلَا يُكَنّى لَهُ فَلِكُلّ مَقَامٍ مَقَالٌ .

[احْتِمَالُ قِلّةِ أَدَبِ رَسُولِ الْكُفّارِ]

وَمِنْهَا : احْتِمَالُ قِلّةِ أَدَبِ رَسُولِ الْكُفّارِ وَجَهْلُهُ وَجَفْوَتُهُ وَلَا يُقَابَلُ عَلَى ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَصْلَحَةِ الْعَامّةِ وَلَمْ يُقَابِلْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُرْوَةَ عَلَى أَخْذِهِ بِلِحْيَتِهِ وَقْتَ خِطَابِهِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ عَادَةَ الْعَرَبِ لَكِنّ الْوَقَارَ وَالتّعْظِيمَ خِلَافُ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ لَمْ يُقَابِلْ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَيْ مُسَيْلِمَةَ حِينَ قَالَا : نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمَا وَمِنْهَا : طَهَارَةُ النُّخَامَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ رَأْسٍ أَوْ صَدْرٍ . وَمِنْهَا : طَهَارَةُ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ . وَمِنْهَا : اسْتِحْبَابُ التَّفَاؤُلِ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الطِّيَرَةِ الْمَكْرُوهَةِ لِقَوْلِهِ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلٌ " سُهِّلَ أَمْرُكُمْ " . [ص ٢٧٢]

[يُغْنِي فِي الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ إذَا عُرِفَ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ عَنْ ذِكْرِ الْجَدِّ]

وَمِنْهَا : أَنَّ الْمَشْهُودَ عَلَيْهِ إذَا عُرِفَ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ أَغْنَى ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ الْجَدِّ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَزِدْ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَنِعَ مِنْ سُهَيْلٍ بِذِكْرِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ خَاصَّةً وَاشْتِرَاطُ ذِكْرِ الْجَدِّ لَا أَصْلَ لَهُ وَلَمَّا اشْتَرَى الْعَدَّاءُ بْنُ خَالِدٍ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلَامَ فَكَتَبَ لَهُ هَذَا مَا اشْتَرَى الْعَدَّاءُ بْنُ خَالِدِ بْنِ هَوْذَةَ فَذَكَرَ جَدَّهُ فَهُوَ زِيَادَةُ بَيَانٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ جَائِزٌ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا تَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاطِهِ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي الشُّهْرَةِ بِحَيْثُ يُكْتَفَى بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ ذَكَرَ جَدَّهُ فَيُشْتَرَطُ ذِكْرُ الْجَدِّ عِنْدَ الِاشْتِرَاكِ فِي الِاسْمِ وَاسْمِ الْأَبِ وَعِنْدَ عَدَمِ الِاشْتِرَاكِ اُكْتُفِيَ بِذِكْرِ الِاسْمِ وَاسْمِ الْأَبِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْهَا : أَنَّ مُصَالَحَةَ الْمُشْرِكِينَ بِبَعْضِ مَا فِيهِ ضَيْمٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَائِزَةٌ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ وَدَفْعِ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ فَفِيهِ دَفْعُ أَعْلَى الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا . وَمِنْهَا : أَنَّ مَنْ حَلَفَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ أَوْ نَذَرَهُ أَوْ وَعَدَ غَيْرَهُ بِهِ وَلَمْ يُعَيِّنْ وَقْتًا لَا بِلَفْظِهِ وَلَا بِنِيَّتِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْفَوْرِ بَلْ عَلَى التَّرَاخِي . وَمِنْهَا : أَنَّ الْحِلَاقَ نُسُكٌ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ التَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ نُسُكٌ فِي الْعُمْرَةِ كَمَا هُوَ نُسُكٌ فِي الْحَجِّ وَأَنَّهُ نُسُكٌ فِي عُمْرَةِ الْمَحْصُورِ كَمَا هُوَ نُسُكٌ فِي عُمْرَةِ غَيْرِهِ .

[لَا يَجِبُ عَلَى الْمُحْصَرِ الْقَضَاءُ]

وَمِنْهَا : أَنَّ الْمُحْصَرَ يَنْحَرُ هَدْيَهُ حَيْثُ أُحْصِرَ مِنْ الْحِلِّ أَوْ الْحَرَمِ وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاعِدَ مَنْ يَنْحَرُهُ فِي الْحَرَمِ إذَا لَمْ يَصِلْ إلَيْهِ وَأَنَّهُ لَا يَتَحَلَّلُ حَتَّى [ص ٢٧٣] { وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ } [الْفَتْحُ ٢٥] . وَمِنْهَا : أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي نَحَرَ فِيهِ الْهَدْيَ كَانَ مِنْ الْحِلِّ لَا مِنْ الْحَرَمِ لِأَنَّ الْحَرَمَ كُلَّهُ مَحِلُّ الْهَدْيِ . وَمِنْهَا : أَنَّ الْمُحْصَرَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِالْحَلْقِ وَالنَّحْرِ وَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْقَضَاءِ وَالْعُمْرَةُ مِنْ الْعَامِ الْقَابِلِ لَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً وَلَا قَضَاءً عَنْ عُمْرَةِ الْإِحْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي عُمْرَةِ الْإِحْصَارِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ وَكَانُوا فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ دُونَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ عُمْرَةَ الْقَضِيَّةِ وَالْقَضَاءِ لِأَنَّهَا الْعُمْرَةُ الَّتِي قَاضَاهُمْ عَلَيْهَا فَأُضِيفَتْ الْعُمْرَةُ إلَى مَصْدَرِ فِعْلِهِ .

[الْأَمْرُ الْمُطْلَقُ عَلَى الْفَوْرِ]

وَمِنْهَا : أَنَّ الْأَمْرَ الْمُطْلَقَ عَلَى الْفَوْرِ وَإِلَّا لَمْ يَغْضَبْ لِتَأْخِيرِهِمْ الِامْتِثَالَ عَنْ وَقْتِ الْأَمْرِ وَقَدْ اُعْتُذِرَ عَنْ تَأْخِيرِهِمْ الِامْتِثَالَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْجُونَ النَّسْخَ فَأَخَّرُوا مُتَأَوِّلِينَ لِذَلِكَ وَهَذَا الِاعْتِذَارُ أَوْلَى أَنْ يُعْتَذَرَ عَنْهُ وَهُوَ بَاطِلٌ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ فَهِمَ مِنْهُمْ ذَلِكَ لَمْ يَشْتَدَّ غَضَبُهُ لِتَأْخِيرِ أَمْرِهِ وَيَقُولُ مَا لِي لَا أَغْضَبُ وَأَنَا آمُرُ بِالْأَمْرِ فَلَا أُتَّبَعُ وَإِنَّمَا كَانَ تَأْخِيرُهُمْ مِنْ السَّعْيِ الْمَغْفُورِ لَا الْمَشْكُورِ وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ وَأَوْجَبَ لَهُمْ الْجَنَّةَ .

[الْأَصْلُ مُشَارَكَةُ أُمَّتِهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَحْكَامِ إلَّا مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ]

وَمِنْهَا : أَنّ الْأَصْلَ مُشَارَكَةُ أُمّتِهِ لَهُ فِي الْأَحْكَامِ إلّا مَا خَصّهُ الدّلِيلُ وَلِذَلِكَ قَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ اُخْرُجْ وَلَا تُكَلّمْ أَحَدًا حَتّى تَحْلِقَ رَأْسَك وَتَنْحَرَ هَدْيَك وَعَلِمَتْ أَنّ النّاسَ سَيُتَابِعُونَهُ . فَإِنْ قِيلَ فَكَيْفَ فَعَلُوا ذَلِكَ اقْتِدَاءً بِفِعْلِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلُوهُ حِينَ أَمَرَهُمْ بِهِ ؟ قِيلَ هَذَا هُوَ السّبَبُ الّذِي لِأَجْلِهِ ظَنّ مَنْ ظَنّ أَنّهُمْ أَخّرُوا الِامْتِثَالَ طَمَعًا فِي النّسْخِ فَلَمّا فَعَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَلِكَ عَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنّهُ حُكْمٌ مُسْتَقِرّ غَيْرُ مَنْسُوخٍ وَقَدْ تَقَدّمَ فَسَادُ هَذَا الظّنّ وَلَكِنْ لَمّا تَغَيّظَ عَلَيْهِمْ وَخَرَجَ وَلَمْ يُكَلّمْهُمْ وَأَرَاهُمْ أَنّهُ بَادَرَ إلَى امْتِثَالِ مَا أُمِرَ بِهِ وَأَنّهُ لَمْ يُؤَخّرْ كَتَأْخِيرِهِمْ وَأَنّ اتّبَاعَهُمْ لَهُ وَطَاعَتَهُمْ تُوجِبُ اقْتِدَاءَهُمْ بِهِ بَادَرُوا حِينَئِذٍ إلَى الِاقْتِدَاءِ بِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ . [ص ٢٧٤] وَمِنْهَا : جَوَازُ صُلْحِ الْكُفّارِ عَلَى رَدّ مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَلّا يُرَدّ مَنْ ذَهَبَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إلَيْهِمْ هَذَا فِي غَيْرِ النّسَاءِ وَأَمّا النّسَاءُ فَلَا يَجُوزُ اشْتِرَاطُ رَدّهِنّ إلَى الْكُفّارِ وَهَذَا مَوْضِعُ النّسْخِ خَاصّةً فِي هَذَا الْعَقْدِ بِنَصّ الْقُرْآنِ وَلَا سَبِيلَ إلَى دَعْوَى النّسْخِ فِي غَيْرِهِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ .

[خُرُوجُ الْبُضْعِ مِنْ مِلْكِ الزّوْجِ مُتَقَوّمٌ]

وَمِنْهَا : أَنّ خُرُوجَ الْبُضْعِ مِنْ مِلْكِ الزّوْجِ مُتَقَوّمٌ وَلِذَلِكَ أَوْجَبَ اللّهُ سُبْحَانَهُ رَدّ الْمَهْرِ عَلَى مَنْ هَاجَرَتْ امْرَأَتُهُ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَعَلَى مَنْ ارْتَدّتْ امْرَأَتُهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إذَا اسْتَحَقّ الْكُفّارُ عَلَيْهِمْ رَدّ مُهُورِ مَنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَخْبَرَ أَنّ ذَلِكَ حُكْمُهُ الّذِي حَكَمَ بِهِ بَيْنَهُمْ ثُمّ لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ وَفِي إيجَابِهِ رَدّ مَا أَعْطَى الْأَزْوَاجُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَقَوّمِهِ بِالْمُسَمّى لَا بِمَهْرِ الْمِثْلِ . وَمِنْهَا : أَنّ رَدّ مَنْ جَاءَ مِنْ الْكُفّارِ إلَى الْإِمَامِ لَا يَتَنَاوَلُ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مُسْلِمًا إلَى غَيْرِ بَلَدِ الْإِمَامِ وَأَنّهُ إذَا جَاءَ إلَى بَلَدِ الْإِمَامِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ رَدّهُ بِدُونِ الطّلَبِ فَإِنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَرُدّ أَبَا بَصِيرٍ حِينَ جَاءَهُ وَلَا أَكْرَهَهُ عَلَى الرّجُوعِ وَلَكِنْ لَمّا جَاءُوا فِي طَلَبِهِ مَكّنَهُمْ مِنْ أَخْذِهِ وَلَمْ يُكْرِهْهُ عَلَى الرّجُوعِ . وَمِنْهَا أَنّ الْمُعَاهَدِينَ إذَا تَسَلّمُوهُ وَتَمَكّنُوا مِنْهُ فَقَتَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَضْمَنْهُ بِدِيَةٍ وَلَا قَوَدٍ وَلَمْ يَضْمَنْهُ الْإِمَامُ بَلْ يَكُونُ حُكْمُهُ فِي ذَلِكَ حُكْمَ قَتْلِهِ لَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ حَيْثُ لَا حُكْمَ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِمْ فَإِنّ أَبَا بَصِيرٍ قَتَلَ أَحَدَ الرّجُلَيْنِ الْمُعَاهَدَيْنِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ وَهِيَ مِنْ حُكْمِ الْمَدِينَةِ وَلَكِنْ كَانَ قَدْ تَسَلّمُوهُ وَفُصِلَ عَنْ يَدِ الْإِمَامِ وَحُكْمِهِ . وَمِنْهَا : أَنّ الْمُعَاهَدِينَ إذَا عَاهَدُوا الْإِمَامَ فَخَرَجَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ فَحَارَبَتْهُمْ وَغَنِمَتْ أَمْوَالَهُمْ وَلَمْ يَتَحَيّزُوا إلَى الْإِمَامِ لَمْ يَجِبْ عَلَى الْإِمَامِ دَفْعُهُمْ عَنْهُمْ وَمَنْعُهُمْ مِنْهُمْ وَسَوَاءٌ دَخَلُوا فِي عَقْدِ الْإِمَامِ وَعَهْدِهِ وَدِينِهِ أَوْ لَمْ يَدْخُلُوا وَالْعَهْدُ الّذِي كَانَ بَيْنَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُنْ عَهْدًا [ص ٢٧٥] أَبِي بَصِيرٍ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَهُمْ وَعَلَى هَذَا فَإِذَا كَانَ بَيْنَ بَعْضِ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ وَبَعْضِ أَهْلِ الذّمّةِ مِنْ النّصَارَى وَغَيْرِهِمْ عَهْدٌ جَازَ لِمَلِكٍ آخَرَ مِنْ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَغْزُوَهُمْ وَيَغْنَمَ أَمْوَالَهُمْ إذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ كَمَا أَفْتَى بِهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي نَصَارَى مَلَطْيَةَ وَسَبْيِهِمْ مُسْتَدِلّا بِقِصّةِ أَبِي بَصِيرٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ .

فَصْلٌ فِي الْإِشَارَةِ إلَى بَعْضِ الْحِكَمِ الّتِي تَضَمّنَتْهَا هَذِهِ الْهُدْنَةُ

وَهِيَ أَكْبَرُ وَأَجَلّ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا إلّا اللّهُ الّذِي أَحْكَمَ أَسْبَابَهَا فَوَقَعَتْ الْغَايَةُ عَلَى الْوَجْهِ الّذِي اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ .

[مُقَدّمَةٌ لِلْفَتْحِ]

فَمِنْهَا : أَنّهَا كَانَتْ مُقَدّمَةً بَيْنَ يَدَيْ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ الّذِي أَعَزّ اللّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَدَخَلَ النّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا فَكَانَتْ هَذِهِ الْهُدْنَةُ بَابًا لَهُ وَمِفْتَاحًا وَمُؤْذِنًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهَذِهِ عَادَةُ اللّهِ سُبْحَانَهُ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ الّتِي يَقْضِيهَا قَدَرًا وَشَرْعًا أَنْ يُوَطّئَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا مُقَدّمَاتٍ وَتَوْطِئَاتٍ تُؤْذِنُ بِهَا وَتَدُلّ عَلَيْهَا .

[هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفُتُوحِ]

وَمِنْهَا : أَنّ هَذِهِ الْهُدْنَةَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْفُتُوحِ فَإِنّ النّاسَ أَمِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ بِالْكُفّارِ وَبَادَءُوهُمْ بِالدّعْوَةِ وَأَسْمَعُوهُمْ الْقُرْآنَ وَنَاظَرُوهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ جَهْرَةً آمِنِينَ وَظَهَرَ مَنْ كَانَ مُخْتَفِيًا بِالْإِسْلَامِ وَدَخَلَ فِيهِ فِي مُدّةِ الْهُدْنَةِ مَنْ شَاءَ اللّهُ أَنْ يَدْخُلَ وَلِهَذَا سَمّاهُ اللّهُ فَتْحًا مُبِينًا . قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : قَضَيْنَا لَك قَضَاءً عَظِيمًا وَقَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ مَا قَضَى اللّهُ لَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ . وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنّ الْفَتْحَ - فِي اللّغَةِ - فَتْحُ الْمُغْلَقِ وَالصّلْحُ الّذِي حَصَلَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْحُدَيْبِيَةِ كَانَ مَسْدُودًا مُغْلَقًا حَتّى فَتَحَهُ اللّهُ وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ فَتْحِهِ صَدّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ عَنْ الْبَيْتِ وَكَانَ فِي الصّورَةِ الظّاهِرَةِ ضَيْمًا وَهَضْمًا لِلْمُسْلِمِينَ وَفِي الْبَاطِنِ عِزّا وَفَتْحًا وَنَصْرًا وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَنْظُرُ إلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالْعِزّ وَالنّصْرِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ رَقِيقٍ وَكَانَ يُعْطِي الْمُشْرِكِينَ كُلّ [ص ٢٧٦] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعْلَمُ مَا فِي ضِمْنِ هَذَا الْمَكْرُوهِ مِنْ مَحْبُوبٍ { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [الْبَقَرَةُ ٢١٦] .

وَرُبّمَا كَانَ مَكْرُوهُ النّفُوسِ إلَى
مَحْبُوبِهَا سَبَبًا مَا مِثْلُهُ سَبَبُ

فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى تِلْكَ الشّرُوطِ دُخُولَ وَاثِقٍ بِنَصْرِ اللّهِ لَهُ وَتَأْيِيدِهِ وَأَنّ الْعَاقِبَةَ لَهُ وَأَنّ تِلْكَ الشّرُوطَ وَاحْتِمَالَهَا هُوَ عَيْنُ النّصْرَةِ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْجُنْدِ الّذِي أَقَامَهُ الْمُشْتَرِطُونَ وَنَصَبُوهُ لِحَرْبِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَذَلّوا مِنْ حَيْثُ طَلَبُوا الْعِزّ وَقُهِرُوا مِنْ حَيْثُ أَظْهَرُوا الْقُدْرَةَ وَالْفَخْرَ وَالْغَلَبَةَ وَعَزّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ انْكَسَرُوا لِلّهِ وَاحْتَمَلُوا الضّيْمَ لَهُ وَفِيهِ فَدَارَ الدّوْرُ وَانْعَكَسَ الْأَمْرُ وَانْقَلَبَ الْعِزّ بِالْبَاطِلِ ذُلّا بِحَقّ وَانْقَلَبَتْ الْكَسْرَةُ لِلّهِ عِزّا بِاَللّهِ وَظَهَرَتْ حِكْمَةُ اللّهِ وَآيَاتُهُ وَتَصْدِيقُ وَعْدِهِ وَنُصْرَةُ رَسُولِهِ عَلَى أَتَمّ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا الّتِي لَا اقْتِرَاحَ لِلْعُقُولِ وَرَاءَهَا .

[زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِذْعَانِ]

وَمِنْهَا : مَا سَبّبَهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِذْعَانِ وَالِانْقِيَادِ عَلَى مَا أَحَبّوا وَكَرِهُوا وَمَا حَصَلَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ الرّضَى بِقَضَاءِ اللّهِ وَتَصْدِيقِ مَوْعُودِهِ وَانْتِظَارِ مَا وُعِدُوا بِهِ وَشُهُودِ مِنّةِ اللّهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ بِالسّكِينَةِ الّتِي أَنْزَلَهَا فِي قُلُوبِهِمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إلَيْهَا فِي تِلْكَ الْحَالِ الّتِي تُزَعْزِعُ لَهَا الْجِبَالُ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِ مَا اطْمَأَنّتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَقَوِيَتْ بِهِ نُفُوسُهُمْ وَازْدَادُوا بِهِ إيمَانًا . وَمِنْهَا : أَنّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ هَذَا الْحُكْمَ الّذِي حَكَمَ بِهِ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ سَبَبًا لِمَا ذَكَرَهُ مِنْ الْمَغْفِرَةِ لِرَسُولِهِ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخّرَ وَلِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَلِهِدَايَتِهِ الصّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَنَصْرِهِ النّصْرَ الْعَزِيزَ وَرِضَاهُ بِهِ وَدُخُولِهِ تَحْتَهُ وَانْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِهِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ الضّيْمِ وَإِعْطَاءِ مَا سَأَلُوهُ كَانَ مِنْ الْأَسْبَابِ الّتِي نَالَ بِهَا الرّسُولُ وَأَصْحَابُهُ ذَلِكَ وَلِهَذَا ذَكَرَهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ جَزَاءً وَغَايَةً وَإِنّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى فِعْلٍ قَامَ بِالرّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ حُكْمِهِ تَعَالَى

وَفَتْحِهِ . وَتَأَمّلْ كَيْفَ وَصَفَ - سُبْحَانَهُ - النّصْرَ بِأَنّهُ عَزِيزٌ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ ثُمّ ذَكَرَ [ص ٢٧٧] أَشَدّ الْقَلَقِ فَهِيَ أَحْوَجَ مَا كَانَتْ إلَى السّكِينَةِ فَازْدَادُوا بِهَا إيمَانًا إلَى إيمَانِهِمْ ثُمّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ بَيْعَتَهُمْ لِرَسُولِهِ وَأَكّدَهَا بِكَوْنِهَا بَيْعَةً لَهُ سُبْحَانَهُ وَأَنّ يَدَهُ تَعَالَى كَانَتْ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ إذْ كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَذَلِكَ وَهُوَ رَسُولُهُ وَنَبِيّهُ فَالْعَقْدُ مَعَهُ عَقْدٌ مَعَ مُرْسِلِهِ وَبَيْعَتُهُ بَيْعَتُهُ فَمَنْ بَايَعَهُ فَكَأَنّمَا بَايَعَ اللّهَ وَيَدُ اللّهِ فَوْقَ يَدِهِ وَإِذَا كَانَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينَ اللّهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبّلَهُ فَكَأَنّمَا صَافَحَ اللّهَ وَقَبّلَ يَمِينَهُ فَيَدُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - أَوْلَى بِهَذَا مِنْ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثُمّ أَخْبَرَ أَنّ نَاكِثَ هَذِهِ الْبَيْعَةِ إنّمَا يَعُودُ نَكْثُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنّ لِلْمُوفِي بِهَا أَجْرًا عَظِيمًا فَكُلّ مُؤْمِنٍ فَقَدْ بَايَعَ اللّهَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بَيْعَةً عَلَى الْإِسْلَامِ وَحُقُوقِهِ فَنَاكِثٌ وَمُوفٍ . ثُمّ ذَكَرَ حَالَ مَنْ تَخَلّفَ عَنْهُ مِنْ الْأَعْرَابِ وَظَنّهُمْ أَسْوَأَ الظّنّ بِاللّهِ أَنّهُ يَخْذُلُ رَسُولَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَجُنْدَهُ وَيُظْفِرُ بِهِمْ عَدُوّهُمْ فَلَنْ يَنْقَلِبُوا إلَى أَهْلِيهِمْ وَذَلِكَ مِنْ جَهْلِهِمْ بِاللّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ وَجَهْلِهِمْ بِرَسُولِهِ وَمَا هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُعَامِلَهُ بِهِ رَبّهُ وَمَوْلَاهُ . ثُمّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ رِضَاهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ بِدُخُولِهِمْ تَحْتَ الْبَيْعَةِ لِرَسُولِهِ وَأَنّهُ [ص ٢٧٨] وَكَمَالِ الِانْقِيَادِ وَالطّاعَةِ وَإِيثَارِ اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ فَأَنْزَلَ اللّهُ السّكِينَةَ وَالطّمَأْنِينَةَ وَالرّضَى فِي قُلُوبِهِمْ وَأَثَابَهُمْ عَلَى الرّضَى بِحُكْمِهِ وَالصّبْرِ لِأَمْرِهِ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ أَوّلُ الْفَتْحِ وَالْمَغَانِمِ فَتْحَ خَيْبَرَ وَمَغَانِمَهَا ثُمّ اسْتَمَرّتْ الْفُتُوحُ وَالْمَغَانِمُ إلَى انْقِضَاءِ الدّهْرِ .

[مَعْنَى فَعَجّلَ لَكُمْ هَذِهِ]

وَوَعَدَهُمْ سُبْحَانَهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَأَخْبَرَهُمْ أَنّهُ عَجّلَ لَهُمْ هَذِهِ الْغَنِيمَةَ وَفِيهَا قَوْلَانِ . أَحَدُهُمَا : أَنّهُ الصّلْحُ الّذِي جَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوّهِمْ وَالثّانِي : أَنّهَا فَتْحُ خَيْبَرَ وَغَنَائِمُهَا ثُمّ قَالَ { وَكَفّ أَيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ } [الْفَتْحُ ٢٠] فَقِيلَ أَيْدِيَ أَهْلِ مَكّةَ أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ وَقِيلَ أَيْدِيَ الْيَهُودِ حِينَ هَمّوا بِأَنْ يَغْتَالُوا مَنْ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ الصّحَابَةِ مِنْهَا . وَقِيلَ هُمْ أَهْلُ خَيْبَرَ وَحُلَفَاؤُهُمْ الّذِينَ أَرَادُوا نَصْرَهُمْ مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ . وَالصّحِيحُ تَنَاوُلُ الْآيَةِ لِلْجَمِيعِ . وَقَوْلُهُ { وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ } قِيلَ هَذِهِ الْفِعْلَةُ الّتِي فَعَلَهَا بِكُمْ وَهِيَ كَفّ أَيْدِي أَعْدَائِكُمْ عَنْكُمْ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فَإِنّهُمْ حِينَئِذٍ كَانَ أَهْلُ مَكّةَ وَمَنْ حَوْلَهَا وَأَهْلُ خَيْبَرَ وَمَنْ حَوْلَهَا وَأَسَدٌ وَغَطَفَانُ وَجُمْهُورُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ أَعْدَاءً لَهُمْ وَهُمْ بَيْنَهُمْ كَالشّامَةِ فَلَمْ يَصِلُوا إلَيْهِمْ بِسُوءٍ فَمِنْ آيَاتِ اللّهِ سُبْحَانَهُ كَفّ أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ عَنْهُمْ فَلَمْ يَصِلُوا إلَيْهِمْ بِسُوءٍ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَشِدّةِ عَدَاوَتِهِمْ وَتَوَلّي حِرَاسَتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ فِي مَشْهَدِهِمْ وَمَغِيبِهِمْ وَقِيلَ هِيَ فَتْحُ خَيْبَرَ جَعَلَهَا آيَةً لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَامَةً عَلَى مَا بَعْدَهَا مِنْ الْفُتُوحِ فَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ وَعَدَهُمْ مَغَانِمَ كَثِيرَةً وَفُتُوحًا عَظِيمَةً فَعَجّلَ لَهُمْ فَتْحَ خَيْبَرَ وَجَعَلَهَا آيَةً لِمَا بَعْدَهَا وَجَزَاءً لِصَبْرِهِمْ وَرِضَاهُمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَشُكْرَانًا وَلِهَذَا خَصّ بِهَا وَبِغَنَائِمِهَا مَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ . ثُمّ قَالَ { وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } فَجَمَعَ لَهُمْ إلَى النّصْرِ وَالظّفَرِ وَالْغَنَائِمِ وَالْهِدَايَةِ فَجَعَلَهُمْ مَهْدِيّينَ مَنْصُورِينَ غَانِمِينَ ثُمّ وَعَدَهُمْ مَغَانِمَ كَثِيرَةً وَفُتُوحًا أُخْرَى لَمْ يَكُونُوا ذَلِكَ الْوَقْتَ قَادِرِينَ عَلَيْهَا فَقِيلَ هِيَ مَكّةُ وَقِيلَ هِيَ فَارِسُ وَالرّومُ [ص ٢٧٩] وَقِيلَ الْفُتُوحُ الّتِي بَعْدَ خَيْبَرَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . ثُمّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنّ الْكُفّارَ لَوْ قَاتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ لَوَلّى الْكُفّارُ الْأَدْبَارَ غَيْرَ مَنْصُورِينَ وَأَنّ هَذِهِ سُنّتُهُ فِي عِبَادِهِ قَبْلَهُمْ وَلَا تَبْدِيلَ لِسُنّتِهِ .

فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ قَاتَلُوهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُوَلّوا الْأَدْبَارَ ؟ قِيلَ هَذَا وَعْدٌ مُعَلّقٌ بِشَرْطٍ مَذْكُورٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَهُوَ الصّبْرُ وَالتّقْوَى وَفَاتَ هَذَا الشّرْطُ يَوْمَ أُحُدٍ بِفَشَلِهِمْ الْمُنَافِي لِلصّبْرِ وَتَنَازُعِهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ الْمُنَافِي لِلتّقْوَى فَصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوّهِمْ وَلَمْ يَحْصُلْ الْوَعْدُ لِانْتِفَاءِ شَرْطِهِ . ثُمّ ذَكَرَ - سُبْحَانَهُ - أَنّهُ هُوَ الّذِي كَفّ أَيْدِيَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الْحِكَمِ الْبَالِغَةِ الّتِي مِنْهَا : أَنّهُ كَانَ فِيهِمْ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ قَدْ آمَنُوا وَهُمْ يَكْتُمُونَ إيمَانَهُمْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ الْمُسْلِمُونَ فَلَوْ سَلّطَكُمْ عَلَيْهِمْ لَأَصَبْتُمْ أُولَئِكَ بِمَعَرّةِ الْجَيْشِ وَكَانَ يُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرّةُ الْعُدْوَانِ وَالْإِيقَاعِ بِمَنْ لَا يَسْتَحِقّ الْإِيقَاعَ بِهِ وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ حُصُولَ الْمَعَرّةِ بِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُسْتَخْفِينَ بِهِمْ لِأَنّهَا مُوجَبُ الْمَعَرّةِ الْوَاقِعَةِ مِنْهُمْ بِهِمْ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنّهُمْ لَوْ زَايَلُوهُمْ وَتَمَيّزُوا مِنْهُمْ لَعَذّبَ أَعْدَاءَهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدّنْيَا إمّا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَإِمّا بِغَيْرِهِ وَلَكِنْ دَفَعَ عَنْهُمْ هَذَا الْعَذَابَ لِوُجُودِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ كَمَا كَانَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ وَرَسُولُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ . ثُمّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمّا جَعَلَهُ الْكُفّارُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَمِيّةِ الْجَاهِلِيّةِ الّتِي مَصْدَرُهَا الْجَهْلُ وَالظّلْمُ الّتِي لِأَجْلِهَا صَدّوا رَسُولَهُ وَعِبَادَهُ عَنْ بَيْتِهِ وَلَمْ يُقِرّوا بِبِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ وَلَمْ يُقِرّوا لِمُحَمّدٍ بِأَنّهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَعَ تَحَقّقِهِمْ صِدْقَهُ وَتَيَقّنِهِمْ صِحّةَ رِسَالَتِهِ بِالْبَرَاهِينِ الّتِي شَاهَدُوهَا وَسَمِعُوا بِهَا فِي مُدّةِ عِشْرِينَ سَنَةً وَأَضَافَ هَذَا الْجَعْلَ إلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ كَمَا يُضَافُ إلَيْهِمْ سَائِرُ أَفْعَالِهِمْ الّتِي هِيَ بِقُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ . ثُمّ أَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - أَنّهُ أَنْزَلَ فِي قَلْبِ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مِنْ السّكِينَةِ مَا هُوَ [ص ٢٨٠] حَمِيّةِ الْجَاهِلِيّةِ فَكَانَتْ السّكِينَةُ حَظّ رَسُولِهِ وَحِزْبِهِ وَحَمِيّةُ الْجَاهِلِيّةِ حَظّ الْمُشْرِكِينَ وَجُنْدِهِمْ ثُمّ أَلْزَمَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ كَلِمَةَ التّقْوَى وَهِيَ جِنْسٌ يَعُمّ كُلّ كَلِمَةٍ يُتّقَى اللّهُ بِهَا وَأَعْلَى نَوْعِهَا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَقَدْ فُسّرَتْ بِبِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الّتِي أَبَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَلْتَزِمَهَا فَأَلْزَمَهَا اللّهُ أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ وَإِنّمَا حَرَمَهَا أَعْدَاءَهُ صِيَانَةً لَهَا عَنْ غَيْرِ كُفْئِهَا وَأَلْزَمَهَا مَنْ هُوَ أَحَقّ بِهَا وَأَهْلُهَا فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا وَلَمْ يُضَيّعْهَا بِوَضْعِهَا فِي غَيْرِ أَهْلِهَا وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَحَالّ تَخْصِيصِهِ وَمَوَاضِعِهِ . ثُمّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنّهُ صَدَقَ رَسُولَهُ رُؤْيَاهُ فِي دُخُولِهِمْ الْمَسْجِدَ آمِنِينَ وَأَنّهُ سَيَكُونُ وَلَا بُدّ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ آنَ وَقْتُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْعَامِ وَاَللّهُ سُبْحَانَهُ عَلِمَ مِنْ مَصْلَحَةِ تَأْخِيرِهِ إلَى وَقْتِهِ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ أَحْبَبْتُمْ اسْتِعْجَالَ ذَلِكَ وَالرّبّ تَعَالَى يَعْلَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ التّأْخِيرِ وَحِكْمَتِهِ مَا لَمْ تَعْلَمُوهُ فَقَدّمَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا تَوْطِئَةً لَهُ وَتَمْهِيدًا . ثُمّ أَخْبَرَهُمْ بِأَنّهُ هُوَ الّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ فَقَدْ تَكَفّلَ اللّهُ لِهَذَا الْأَمْرِ بِالتّمَامِ وَالْإِظْهَارِ عَلَى جَمِيعِ أَدْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَفِي هَذَا تَقْوِيَةٌ لِقُلُوبِهِمْ وَبِشَارَةٌ لَهُمْ وَتَثْبِيتٌ وَأَنْ يَكُونُوا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ هَذَا الْوَعْدِ الّذِي لَا بُدّ أَنْ يُنْجِزَهُ فَلَا تَظُنّوا أَنّ مَا وَقَعَ مِنْ الْإِغْمَاضِ وَالْقَهْرِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ نُصْرَةً لِعَدُوّهِ وَلَا تَخَلّيًا عَنْ رَسُولِهِ وَدِينِهِ كَيْفَ وَقَدْ أَرْسَلَهُ بِدِينِهِ الْحَقّ وَوَعْدِهِ أَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى كُلّ دِينٍ سِوَاهُ . ثُمّ ذَكَرَ - سُبْحَانَهُ - رَسُولَهُ وَحِزْبَهُ الّذِينَ اخْتَارَهُمْ لَهُ وَمَدَحَهُمْ بِأَحْسَنِ الْمَدْحِ وَذَكَرَ صِفَاتِهِمْ فِي التّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فَكَانَ فِي هَذَا أَعْظَمُ الْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَنْ جَاءَ بِالتّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَأَنّ هَؤُلَاءِ هُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدّمَةِ بِهَذِهِ الصّفَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِيهِمْ لَا كَمَا يَقُولُ الْكُفّارُ عَنْهُمْ إنّهُمْ مُتَغَلّبُونَ طَالِبُو مُلْكٍ وَدُنْيَا وَلِهَذَا لَمّا رَآهُمْ نَصَارَى الشّامِ وَشَاهَدُوا هَدْيَهُمْ وَسِيرَتَهُمْ وَعَدْلَهُمْ وَعِلْمَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ وَزُهْدَهُمْ فِي الدّنْيَا

وَرَغْبَتَهُمْ فِي الْآخِرَةِ قَالُوا : مَا [ص ٢٨١] الْمَسِيحَ بِأَفْضَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى أَعْرَفَ بِالصَّحَابَةِ وَفَضْلِهِمْ مِنَ الرَّافِضَةِ أَعْدَائِهِمْ وَالرَّافِضَةُ تَصِفُهُمْ بِضِدِّ مَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا و : { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } [الْكَهْفُ ١٧] .

****

الفهرس العام

الباب الرابع-قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم

المدخل لهذه الشهادات

[شهادة العقل الغربي : الحواجز والقيمة]

لابدّ من الاعتراف – منذ البدء – بأن العقل الغربي، بسبب: من حيويته وتوقده، يمثل – عبر القرن الأخير على وجه الخصوص – مركز ثقل خطير في دائرة التصوّر والفكر والحياة. وبما أن "الدين" - ابتداء – يقدم برنامجًا للفكر وتصورًا للحياة، فإن تفحّص موقف هذا العقل من الدين، يعد ضرورة بالغة إذا ما أريد وضع اليد، بشكل محدّد، على المساحة التي احتلها، ويحتلها وسيحتلّها الدين في خارطة الوجود البشري.

هذه مسألة ذات طابع عام يتضمن مطلق الأديان. وبما أن العقل الغربي قد قال كلمته – أكثر من مرة – في الدين المسيحي الذي يعدّ – إلى حد كبير – القوة الدينية الوحيدة الموازية للإسلام، في الديمومة والانتشار، وبما أن هذا العقل قد أعلن أكثر من مرة، رفضه للنصرانية وانسلاخه عنها بسبب من نقاط الارتطام العديدة بينه وبينها، فإننا نريد أن نتفحّص هنا بعض ما يريد أن يقوله في الدين الآخر: الإسلام.

طبعًا، لقد عانى هذا العقل ولا يزال من حواجز الرؤية الموضوعية التي تمكنه من معاينة الإسلام عن كثب، والحكم عليه بالتجرد والعلمية التي ينادي بها هذا العقل ويتخذها منهج عمل له في التعامل مع الظاهر والموجودات أو كما يحاول أن يقنع نفسه على الأقل.

هذه الحواجز ذات الجذور العميقة والطبقات المتعددة، جعلته، عبر قرون متواصلة، يقول في الإسلام ما يرتطم – ابتداء – ببداهات الروح العلمية التي يؤمن بها ويلحّ عليها. وإننا لنتذكر هنا عبارتين للمستشرق البريطاني المعاصر (مونتغمري وات) يقول في إحداهما: "إذا حدث وإن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائمًا مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة" [محمد في مكة، ص٦]، ويقول في الأخرى: "إن موقف العلماء الغربيين كان غالبًا سيّئًا لما يبدو أنه يتضمنه من إنكار لمعتقدات الإسلام الفقهية. ولذا كانت الدراسات الغربية عن القرآن غير موفقة حتى من وجهة نظر أفضل العلماء" [محمد في مكة، ص٥٥–٥٦].

وبمقدور المرء أن يتابع سيلاً عرمًا من الكتابات والأقوال الغربية في الإسلام، تدفقت عبر أربعة قرون أو خمسة، فإنه غير واجد في معظم مساحاته إلا الكدر الذي يحجب نفاذ الرؤية إلى الأعماق.

هذه مسألة تكاد تكون معروفة للجميع، وليس من مهمة هذا البحث إلا أن يكتفي بالإشارة إليها لكي يمضي، مباشرة، على النقيض الذي يهمّه: رصد الأقوال والمعطيات الأكثر موضوعية، والأقرب إلى العلمية التي يعتمدها العقل الغربي،

وغير المسلم عمومًا، وهي أقوال ومعطيات أخذت تتزايد طردًا بمرور الوقت، وبخاصة في العقود الأخيرة، بسبب من قدرة العقل الغربي على كسر العديد من الحواجز التي كانت تصدّه عن التعامل العادل مع هذا الدين، وتمكنه من اجتيازها بصيغ تستحق التقدير والإعجاب. بل إن بعض الغربيين – وهذا أمر طبيعي – انتهى به الأمر إلى اعتناق الإسلام كما لو أنه اكتشف – بعد لأي – ما كان يبحث عنه، بالدهشة والفرح والإعجاب نفسها التي تتملك إنسانًا ما فقد وثيقة مستقبله وطموحه ثم هاهو ذا يعثر عليها أخيرًا.

مهما يكن من أمر فإن رصد معطيات كهذه – رغم عدم توازنها الكمي بطبيعة الحال مع التيار المضاد اللاعلمي واللاموضوعي – يمثل ضرورة على أكثر من مستوى، بعضها إنساني، وبعضها عقيدي، وبعضها الآخر أكاديمي صرف.

وهذه الضرورة، بمستوياتها تلك، هي التي تمنح القارئ، شرقيًا كان أم غربيًا، مسلمًا أم غير مسلم، مبررات عمل كهذا، وتلقي الضوء على دوافعه وأهدافه.

إنسانيًا، تجيء شهادات خصوم هذا الدين، بما يمتلكون من قدرات عقلية فذّة، وصيغ حضارية متقدمة، بمثابة سعي مخلص وجاد، غير متحيّز ولا ميّال، لحلّ أزمة الإنسان المعاصر، بإرشاده بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أن "الإسلام" هو خلاصه الوحيد، وأن مضلته ليست خطيئة أبدية، ولا طريقًا مسدودًا، بل أن بمقدوره في أية لحظة أن يحظى بخلاصه المنشود، بمجرد أن يفتح عقله وقلبه وأن يعرف، بدافع من عشق الحقّ وحده، ما يمكن أن يقدمه له هذا الدين.

عقيديًا، تجيء شهادات خصوم هذا الدين، لتأكيد وتعزيز ما سبق وإن قاله الإسلام نفسه، في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما عبر عنه من خلال معطيات أجيال من المسلمين، على مستوى العقيدة والشريعة والسلوك والتاريخ والحضارة، من أنه الدين الوحيد الحق، الدين الأخير الذي تنزّل لكي يكون على حجم الإنسان المتحضّر، المسؤول، وعلى حجم مطامحه بالتقدم، ورغبته الملحّة في التوحّد بين الوجود والمصير.

أكاديميًا، تجيء شهادات خصوم هذا الدين لكي تثبت "حقائق" يتحتم أن ترصد، وتوازن سيلاً من المعطيات اللاعلمية واللاموضوعية التي قيلت عن هذا الدين، وتردّ الأمر، أو بعضه، إلى نصابه الحق.

وهذه الدوافع، أو الأهداف الثلاثة، تقود – بالضرورة – إلى المحصّلة الأخيرة التي يبتغيها هذا العمل الأوليّ المتواضع: مخاطبة العقل الغربي، بالصيغ الأكثر إقناعًا وتأثيرًا، عن طريق الاستنتاجات نفسها التي توصل إليها هذا العقل وهو يتعامل مع الإسلام، بقدر طيب من الموضوعية، وإقناعه، أو محاولة إقناعه، بجدّية هذا الدين، وأحقيته في قيادة الإنسان، والحياة في صياغة الوجود البشري والتخطيط للمصير، بعد أن عجزت كافة المذاهب والإيديولوجيات والأديان عن تحقيق هذا الهدف، وأنه ليس ثمة غير الإسلام، بواقعيته، وشموليته، وتوازنه، وانسجامه مع الإنسان، من يقدر على أداء هذا الدور الخطير.

ومن أجل ألاّ يكون هذا التحليل مُجرّد تعميمات غير محددة، فإنه يتحتم قبل البدء بتقديم "الشهادات" أن نضع أيدينا – بالتركيز المطلوب – على الخصائص الأساسية

للإسلام، تلك التي كانت بمثابة نقاط إشعاع وتألق، جذبت أنظار الغربيين ودفعتهم إلى إصدار مقولاتهم تلك، وأن نضع أيدينا – كذلك على الخصائص الأساسية للبيئة الفكرية والنفسية، والحضارية عمومًا، التي تعطي الإنسان المعاصر بعض ما يريده، نعم ولكنها تمنع عنه الكثير مما يريده فيما يوازي حجمه كإنسان، ويلبي مطامحه كمخلوق أريد له أن يلعب دورًا أكبر بكثير، وأعلى بكثير، من هذا الذي يمارسه على مساحة العالم، حتى إذا ما أتيح له أن يلتقي بهذا الدين، وجهًا لوجه، أو من خلال مرايا الآخرين التي تنطبع عليها الملامح، أو بعضها، وعبر الجسور التي يقيمها هذا الرجل أو ذاك، فإنه سيعثر – ولا شك – على ما يدهشه ويعجبه، فتكون ردود الأفعال المتفاوتة، ويكون التعبير ذو الدرجات التي تبدأ "بقول" يقيّم هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام، و"شهادة" تبدي إعجابها بهذا الوجه أو ذاك من وجوه أنشطته ومعطياته ونسيجه المتفرّد، وتنتهي بمعانقة هذا الدين، والتسليم به، والانتماء إليه: عقيدة تحمل في بنيتها الصواب المطلق، وتحمل مع هذا الصواب القدرة الفذة المتجددة على مجابهة معضلات العصر، ومعايشة بيئته الصعبة، المضطربة التي يتخبط فيها الإنسان، لكنها ما تلبث أن تستجيب لنداءاته كافة، وتقوده، عبر طرق مستقيمة، كالصراط، إلى مبتغاه.

[الإسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية : دعوة للاختبار]

إن حقيقة "أن الإسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية" تحمل أهميتها هنا بقدر ما يتعلق الأمر بفئتين من غير المسلمين ظنت إحداهما أن رحلة الأديان توقفت عند السيد المسيح عليه السلام، وأخذت طابعها الأخير على يديه فليس ثمة بعده من نبوة، ولا بعد دينه من دين. وظنت الفئة الأخرى، أنه بعد المسيحية، كدين أخير، وبعد أن أثبتت عجزها عن قيادة الحياة، والإنسان، وملاحقة المتغيرات الفكرية والحضارية، وبعد أن أخفقت في الاستجابة للتحديات التاريخية المتجددة التي لا ينقطع سيلها، ترك الحبل على الغرب، ودُعي الإنسان، الذي لم تقدر النصرانية على أن تأخذ بيده حتى النهاية، دعي لكي يستجيش قدراته العقلية، وينقذ نفسه بنفسه، وفق برامج عمل مرحلية، تسلمه الواحدة منها للأخرى، معتقدًا أنه بهذا وحده قدير على ملء الفراغ، ومنح الإنسان القدرة على اجتياز رحلة الحياة على هدى وبيّنة.

وليس ثمة مجال للتأكيد هاهنا على إخفاق هذه المحاولات الوضعية المتواصلة، وبقاء الإنسان معلقًا من عنقه في فضاء مخيف، وليس ثمة من يمدّ يده إليه لكي يخلّصه ويهديه سواء السبيل، هذه المحاولات التي كان بعضها ينقض بعضًا، وكانت إحداها تضرب الأخرى لكي تدفع بها بعيدًا عن مركز القيادة والسلطان.

عشرات، بل مئات، من المحاولات، كانت الحياة نفسها محكّ اختبارها وكان فشلها – في نهاية الأمر – معيار عدم قدرتها على أداء الدور الذي أريد للأديان أن تؤديه لصالح الإنسان.

وهكذا فإن اعتبار الإسلام هو "الدين الأخير" يحمل أهميته البالغة، ليس فقط في دحض قناعات الفئتين الآنفتي الذكر، اللتين تشكلان المساحة الكبرى من البشرية، بل

باعتباره الدين الوحيد الذي يتحتم الانتماء إليه، والعقيدة المتفردة، من بين كل العقائد السماوية التي نسخها هذا الدين، أو الوضعية التي أثبتت نسبيتها وعدم قدرتها على أداء مهمتها في القيادة المتواصلة، الناجعة للإنسان والحياة. العقيدة القادرة في كل لحظة على تسلم مواقع القيادة، المستعدة في كل زمن ومكان لتأدية دورها المرسوم بعناية لصالح الإنسان، المستجيبة – أبدًا – للمتغيرات والتحديات.

ولم يكن الإسلام ليحمل هذه الصفة المتفردة، ولا ليصدر هذا الحكم الحاسم، باعتباره الدين الأخير الناسخ لما سبقه من أديان، والقادر – في الوقت نفسه على مواصلة الطريق حتى النهاية، دون أن يكون لديه ميزتان أساسيتان نريد أن نقف عندهما بعض الشيء. أولاهما عقيدة تتعلق بطبيعة الارتباط بين الإسلام وبين كافة الأديان السماوية التي سبقته، وثانيتهما حيوية تتعلق بطبيعة الارتباط بين الإسلام وبين كافة الأديان السماوية التي سبقته، وثانيتهما حيوية تتعلق بقدرة هذا الدين على قيادة الحياة البشرية، وتمكنه من تلبية حاجيات الإنسان، بغض النظر عن اختلاف الزمن والمكان، وتفاوت البيئات والأحوال.

إن اختبار هاتين الميزتين، ليس من قبل المسلمين أنفسهم الذين يسلّمون بهما تسليمًا قطعيًا، وإلا ما غدوا مسلمين ولا اقتنعوا بأحقية هذا الدين في الانتماء إليه، وإنما من قبل أولئك الذين يتحركون خارج دائرة الإسلام، ويحرصون، سلبًا أو إيجابًا، على تفحّص ميزات كهذه، لكي ينفوا أو يؤكدوا تلك المقولة التي تعتبر الإسلام دينًا أخيرًا، وهو في الوقت نفسه يملك ديمومته واستمراريته.

إن اختبار هاتين الميزتين (مما يدخل في سياق هذا الكتاب) والاقتناع بصدقهما وواقعيتهما، يمنح الإنسان غير المسلم قناعة كافية، من بين قناعات أخرى كثيرة، بأن دينًا كهذا يستحق "الشهادة" و"التقييم"، بل و"التقبّل" و"الانتماء"، وهذا هو ما تم بالفعل على نطاق ليس بمحدود كما سيتضح من متابعة معطيات الكتاب.

والحق أنه ليس أسهل على المرء من ممارسة اختبار كهذا، جرى ويجري على نطاق واسع، وذلك بمجرد الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو إمرار النظر في معطيات الإسلام العقيدية والتشريعية، أو متابعة جانب من صيرورته التاريخية والحضارية.

إن القرآن الكريم، والسنة بالتالي، لا يؤكدان فحسب "تصديق" الإسلام لكافة الأديان السماوية التي(١) سبقته، وهيمنته على روحها وجوهرها، وصهره معطياتها الأصيلة في كيان ديني متوحّد، ذي نسيج واحد،ولكنهما يتجاوزان ذلك ، بما يتضمنانه من حشود الصيغ والمفردات إلى تأكيد مشهود لحقيقة أن الإسلام هو خاتم الأديان السماوية جميعًا، وجوهرها وروحها، وأنه كآخر محطة في مسارها الطويل، سيحمل كل ما تكفّلت حمله من قيم وأهداف وخبرات، سعت جميعًا عبر أماكن وأزمان متفاوتة، لتأكيد أهميتها للإنسان، ولتنفيذها في واقع الحياة.

إن هذا الاحتواء المؤكد لخبرات ومعطيات الأديان السابقة في أصولها الصحيحة، دفع الكثير من الدارسين إلى ذلك الوهم المعروف وهو أن محمدًا صلى الله عليه وسلم، قد تعلم من تلك الأديان وأخذ عنها، والأمر ليس كذلك، فإن ما نقضه الإسلام نفسه من تحريفات تلك الأديان، التي ظن أصحابها ولا يزالون، أنها من صلب

أديانهم، وما طرده من أجسام غريبة – وثنية الأصول – في كيان هذه الأديان السماوية، يؤكد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم، لم يبعث لكي يتلقى فحسب، أو يرفض فحسب، ولا حتى لكي يمارس عملاً انتقائيًا إزاء مفردات الأديان السابقة، لكي يركّب منها دينًا جديدًا. وإنما المسألة على خلاف هذا كله، فيما يبدو واضحًا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، على أشد ما يكون الوضوح: تنزيل دين جديد، متميز، في طبيعة نسيجه، وفي المساحة التي سيتحرك عليها والأهداف التي دعي لتنفيذها، لكنه دين غير معزول عن تراث النبوات السابقة [قبل التحريف]، بل لقد كان يسعى منذ اللحظات الأولى إلى احتضان العناصر الإيجابية من ذلك التراث، وإغناء مكوناته بالجوانب المتألقة من تلك الخبرات، ولكنه – في الوقت نفسه – ما كان يتهادن أبدًا مع كل ما من شأنه أن يمس شخصيته المتميزة، ودعوته المتفردة للتوحيد المطلق، مما هو طارئ على الأديان السابقة، غريب عن نسيجها ذي الخيوط الواحدة الممتدة من السماء.

معنى هذا أن الإسلام ليس بدعًا من الأمر، وأن كل أبناء الأديان الأخرى مدعوون للانضواء إليه، لأنهم بهذا وحده سيكونون صادقين مع أنفسهم، ملبين مطالب الدين الذي ينتمون إليه. وأنهم بانتمائهم للدين الجديد سيعززون القيم الأصيلة لأديانهم السابقة، وسيمكنون لها في الأرض. إنهم بشكل من الأشكال، مدعوون لمغادرة قطاراتهم التي أنهكها المسير، ونفد وقودها، والتحول إلى قطار الإسلام ذي الوقود العجيب، والذي أريد له أن ينطلق لكي يلفّ العالم كلّه، وينقل الأجيال تلو الأجيال من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

إنه اختبار ليس صعب المنال، والنتيجة يتوخاها الممتحن المخلص كائنة هناك، في نسيج معطيات هذا الدين، منقوشة بوضوح متألّق في صفحات كتابه وكلمات رسوله عليه السلام.

ويقينًا فإنه بمجرد أن يتبيّن هذا اللقاء المرسوم بين الإسلام وبين أشقائه الذين سبقوه على الطريق، بمجرد أن يتضح هذا العناق في الروح، وفي الجوهر، بين الأديان السماوية جميعًا، وقد تبيّن هذا وذاك فعلاً، فإنه سيكون بمثابة واحد من الإغراءات الأشد إثارة، من الوعد المقنع، بأن الانتماء لهذا الدين ليس خيانة ولا هرطقة ولا مروقًا، ولكنه الصدق مع الله، والنفس، والضمير، والتوحد الأكثر حيوية وعطاء مع حركة الدين السماوي في هذا العالم.

ترى، كم من أولئك الذين عاينوا هذه المسألة، خرجوا لكي يقولوا للناس كلمة حق، أو يدلوا بشهادة تقييم لهذا الدين، وكم منهم، انتهوا أخيرًا إلى التحقق بالكلمة، والانتماء إلى دين هو بمثابة دعوة الحنيف واليهودي والنصراني، فضلاً عن الوثني والملحد؟

---

(١) انظر على سبيل المثال: سورة البقرة، آية ٤١، ٨٩، ٩١، ٩٧، ١٠١، آل عمران ٣، ٨١، النساء٤٧، المائدة ٤٨، فاطر ٣١، الأحقاف ١٢، ٣٠ يونس ٣٧، يوسف ١١١ .

[الخصائص الأساسية لهذا الدين]

فماذا عن الاختبار الثاني ؟ محاولة التأكد من قدرة هذا الدين الأبدية على الاستجابة لمطالب الإنسان، فردًا وجماعة، وعلى قيادته عبر الصراط إلى أهدافه المرتجاة ؟

سيكون من قبيل محاولة إثبات أن الشمس تطلع من الشرق، إذا قلنا بأن الإسلام جاء لكي يعالج كافة مناحي الحياة البشرية، الفردية والجماعية، والروحية، والمادية، والتربوية والتشريعية... إلى آخره، فهذه مسألة معروفة لا تحتاج إلى اختبار أو تأكيد، بمجرد أن يطّلع المرء على طبيعة هذا الدين، ويتفحص تركيبه، وبمجرد أن يعرف أنه ما جاء لكي يؤم الناس في الصلوات فحسب، بل لكي يقودهم في الحياة ويرشدهم، وفق برنامج عمل مرسوم، إلى ما يجب أن يفعلوه وما يجب ألا يفعلوه في مسائل الحياة جميعًا.

لكن ثمة "ميزات" تنبثق عن هذه النزعة الشمولية، وتمثل في الوقت نفسه مصدرها الأساسي، هي التي تجعل هذا الدين، من بين سائر الأديان والمذاهب السماوية والوضعية، بمثابة "الضرورة" الدائمة أو الحتمية الوحيدة للإنسان والجماعة البشرية إذا أراد، وأرادت، أن ترجع إلى فطرتها الأصيلة، وتستعيد توازنها المفقود، وتتجاوز تبعثرها وانشطارها وتعاستها.

وهذه الميزات هي التي تأكدت بمرور الوقت، وازدادت صلابة وتبلورًا عن طريق احتكاكها الدائم بالمعطيات الجانحة، سواء كانت وضعية أم دينية محرّفة، وهي التي يسوق اختبارها، ووضع اليد عليها من قبل غير المسلمين إلى تبيّن خصوصية هذا الدين، وتفرّده وقدرته على الاستجابة لمطالب الإنسان الملحّة والسير به صوب أهدافه المرتجاة.

فمن يستطيع – مثلاً – أن ينكر ما يتضمنه الإسلام من توازن بين كافة الثنائيات، ووفاق بينها، بينما هي في سائر الأديان والمذاهب الأخرى تصطرع وتتقاتل، وينفي بعضها بعضًا، أو يطغى على حساب الأخريات متفردًا بالسلطان ؟ إنه ما من دين أو مذهب – كالإسلام – قدر على لمّ هذه الثنائيات في صميم الكينونة الإنسانية، في تركيب الجماعة البشرية، في نسيج النشاط الحضاري، وتحويلها بالتناغم والتلاؤم إلى قوى توحّد ودفع وانسجام في مسيرة الإنسان. إنه اللقاء الموزون بين الظاهر والباطن، والحضور والغياب، والمادة والروح، والقدر والاختيار، والضرورة والجمال، والطبيعة وما وراء الطبيعة، والتراب والحركة، والوحدة والتنوع، والفردية والجماعية، والأخلاقية والمنفعية، والعدل والحرية، والوحي والتجريب، والدنيا والآخرة، والفناء والخلود... هذا اللقاء الذي يشكل بحق واحدًا من نقاط الجذب في الإسلام، ويدفع الكثيرين ممن يعاينونه ويختبرونه إلى الإعجاب والانبهار.

من يستطيع أن ينكر قدرة الإسلام على تلبية مطالب الإنسان أيًا كان موقعه في الزمان أو المكان، وأية كانت درجة رقيّه وتحضره ؟ إنه إذ يخاطب ويخطط لعناصر الديمومة والاستمرار في كيان الإنسان، ونسيج العلاقات الاجتماعية، تلك العناصر التي تعلو على المتغيرات، بل تعمل من خلالها، بحضورها الأبدي، وتتجاوز عوامل التعرية والتآكل التي تأتي بالغناء عن الكثير من القيم والخبرات الموقوتة، إنه إذ يفعل هذا فكأنه يتجاوز معضلة "المرحلية" التي أسرت ولا تزال الكثير من المذاهب

والأديان ورفعتها إلى الزوايا الضّيقة، فما لبثت حركة التاريخ أن تجاوزتها، أو أرغمتها على الانسحاب لأنها لم تكن تملك المرونة والانفتاح اللذين يمكناها من مواصلة التعامل مع الإنسان. لقد كان الإسلام، وسيظل، هو الأقدر من بين سائر المذاهب والممارسات، على تلبية حاجيات الإنسان وتطمين منازعه، وإننا بمجرد أن نتفحص سيل المنتمين إلى هذا الدين في القرن العشرين، وهم على ما هم عليه من تقدّم مشهود في السلّم الحضاري، جنبًا إلى جنب مع حشود المنتمين إليه في أماكن وأزمان شتى، وهم على ما هم عليه من تخلّف حضاري، يتبيّن لنا كم أن الإسلام قدير على تلبية مطالب الإنسان، دون أن يشكل انضواء الإنسان إليه أيّ ارتطام على الإطلاق بين حالته التاريخية أو الحضارية وبين الصيغ والخرائط التي يلزم الإسلام باعتمادها والاسترشاد بها عبر اجتيازه رحلة الحياة الدنيا.

ومن يستطيع أن ينكر أن الإسلام جاء لكي يهدي الإنسان ككيان بشري في كافة مكوناته وعلى قدر احتياجاته من غير زيادة أو نقصان، وأنه بينما جنحت المذاهب والنظريات صوب جانب فحسب من جوانب الكينونة البشرية: العقل، أو الروح، أو الغرائز، أو الجسد، أو الحسّ، أو الوجدان... إلى آخره، بينما عانت من التضخم والورم المرضي في هذا الجانب أو ذاك، وضمرت وغابت في جوانب أخرى، نجد الإسلام يتقدم بهندسته المعجزة لكي يتعامل مع الإنسان بمكوناته كافة، ولكي يكون حاضرًا عند كل صغيرة أو كبيرة في معاناته، أية كانت طبيعة هذه المعاناة عقلية أم روحية أم جسدية. وإذا كنا قبل قليل نتكلّم عن أن هذا الدين جاء لكي يكون رسالة السماء الأخيرة للأرض، فإنه سيكون من قبيل التناقض ألا يتضمن ميزة "التلاؤم" الكامل مع الإنسان، فإن الله سبحانه الذي هو أدرى بخلقه والذي يعرف من خلق، يعرف في الوقت نفسه المنهاج الذي يصلح للإنسان والذي يجيء موازيًا تمامًا لحجمه، ملائمًا تمامًا لدوره في الأرض؛ إن المؤمنين يعرفون هذا جيدًا، وهم يعيشونه صباح مساء، وعبر أربعة عشر قرنًا من الزمان كان المسلم وهو يتعامل مع دينه، مقتنعًا حتى النخاع بأنه واجد فيه الجواب على كل سؤال يطرحه، والحل لكل معضلة تجابهه، بل أنه واجد فيه التناسب الفدّ مع منازعه كإنسان، بحيث أن هذه العقيدة لم تنكمش يومًا تاركة إياه يتخبط في اجتهاداته الخاصة التي قد تخطئ وقد تصيب، ولم تتسع يومًا بأكثر مما يجب بحيث يعجز عن ملاحقة مطالبها وإدراك أبعادها الشاسعة، لقد كان المسلم يعرف دائمًا أن إحدى مزايا دينه هو هذا التلاؤم بينه وبين الإنسان، أما غير المسلمين فإنهم كثيرًا ما اختبروا هذا الجانب، فأكد لهم الاختبار صدق المقولة، وكان ذلك من بين عوامل وميزات أخرى، ما دفعهم إلى أن يقولوا كلمتهم فيه، بل أن يعلن بعضهم انتماءه إليه.

من يستطيع أن ينكر – كذلك – حركية هذا الدين، أو ديناميته الأبدية، قدرته على ملاحقة المتغيرات، استجابته للتحديات، حضوره الدائم في مواجهة الأحداث والخبرات؟ من يستطيع، رغم مرور الإسلام بفترات اختناق وتصلّب، طالت حينًا وقصرت أحيانًا، أن يقول بأنه ما استرجع قدرته على الفعل والحوار في أعقاب كل توقف، أو أنه فقد قدرته على الجدل إثر كل اختناق.

إن بمقدور المرء وهو يتفحّص هذا الدين أن يلمح في تركيبه خطين متوازيين كان وجودهما معًا بمثابة حماية لذاتية الإسلام، وتمكين له في الوقت نفسه من التحرك والانفتاح لكي يجابه سائر الحالات والمتغيرات ويستجيب لمختلف الخبرات والتحديات.
أما الخط الأول فيتمثل بعناصر الديمومة والثبات التي لا ينالها التغيير والتي تأبى على المتغيرات، بسبب من كونها حقائق أبدية تجابه حالات دائمة لا تخضع للتبدلات التاريخية والحضارية. وأما الخط الثاني فيتمثل بتلك الإمكانات المرنة التي منحها الإسلام أتباعه كي يجتهدوا أن يجابهوا بها المتغيرات ويستجيبوا للحالات المتجددة استنادًا إلى الأسس والعناصر الدائمة الثابتة. وهكذا يمضي الإسلام القرون تلو القرون وهو يحمل قدرته المزدوجة على حماية ذاته في مواجهة العالم، فيما لم تشهده أية عقيدة أو مذهب آخر، ويحمل مع هذه قدرته الأخرى على التكيف والملاءمة والاستجابة.
إن وحدة الدين والحياة ما تحققت يومًا ما كما تحققت في إطار هذا الدين، وإن ما قاله كبار الدارسين للإسلام من غير أبنائه يؤكد صموده للاختبار في هذا الجانب الحيوي وتفوقه فيه.
وثمة ميزات وملامح كثيرة أخرى سنلتقي بها عبر فصول الكتاب ولن يتسع لها المجال هاهنا، إذ هو على أية حال ليس مجال الحديث عن الإسلام من الداخل، وإنما هي إشارة فحسب إلى أن اختبار بعض هذه الميزات، من الخارج، أكّد، وسيظل يؤكد تفرّد هذا الدين وقدراته المتجددة التي ما لها من نفاد. ويزيد هذا الاختبار أهمية أنه لا الأديان المحرفة ولا المذاهب الوضعية قدرت على أن تلمّ دفعة واحدة هذه الميزات جميعًا. نعم إنها قد تألّقت في هذا الجانب أو ذاك، ونالت إعجاب الناس لهذه الميزة أو تلك، ثم إن هذا التألق والإعجاب ما غطى سوى مرحلة زمنية محددة فحسب، وما لبث أن انطفأ لكي يتحول الاتباع إلى ما يبهرهم ويقنعهم، إلى عقائد ومذاهب أخرى، أو أنهم علّقوا على الأقل إعجابهم وانبهارهم وفقدوا قناعاتهم بما كانوا قد انتموا إليه يومًا، كما يفعل الكثير من الغربيين اليوم ممّن كانوا نصارى أو ماركسيين في يوم من الأيام.
أما في الإسلام فإننا نجد حشدًا من الميزات، وقدرة في الوقت نفسه على تجاوز أسر الزمان والمكان، والامتداد الدائم، عبر الحالات والمتغيرات والتحديات، لكسب الإنسان، ومنحه القناعة بتفرد هذا الدين وتميّزه على المذاهب والنظريات، وهو يبدو واضحًا في قرننا العشرين هذا بسبب من الخيبة التي مني بها الإنسان وهو يتعامل مع هذه المذاهب والنظريات، الأمر الذي يقودنا إلى وقفة عاجلة عند الخصائص الأساسية للبيئة الفكرية والنفسية والحضارية التي يعيشها الإنسان المعاصر فتدفعه دفعة إلى البحث عن "البديل" أو الإعراب عن الإعجاب به أو بجانب منه على أقل تقدير.

[أزمة الإنسان والحضارة الغربية]

بإيجاز شديد، ومن خلال معاينة أو مطالعة سيل من المعطيات المعاصرة يستطيع المرء أن يضع يديه بسهولة على "الأزمة" التي يعانيها الفكر الغربي بجناحيه العلماني والمادي، والتي يعيشها الإنسان المعاصر، والتي تجابه الحضارة الغربية المتفوقة بنذر التعاسة، وتصيب جسدها الخاوي بالقروح.

وقد تبلورت هذه الأزمة، في جوانبها كافة، من خلال طبيعة الحياة الغربية المعاصرة، وحشود الشهادات التي أدلى بها ولا يزال عدد ليس بالقليل من مفكري الغرب وعلمائه وأدبائه وفلاسفته وفنانيه.

ورغم ما قد يبدو على هذه الشهادات – أحيانًا – من طابع ردّ الفعل الذي يتّسم بالمبالغة أو التهويل، لكنه ردّ فعل ملائم للأزمة التي تعانيها الحياة الغربيّة، وردّ الفعل كما هو معروف يجيء مساويًا للفعل في قوته مخالفًا إيّاه في الاتجاه.

ثم إن هؤلاء، الذين يقولون كلمتهم في الحضارة الغربية، ويدينونها، ليسوا أناسًا عاديين، إنهم – بلا ريب – زهرة الثقافة الغربية وطليعتها التي لا تعبّر عن نفسها فحسب، ولكن عن حشود المثقفين الذين يجتازون الممر الضيق نفسه ويكادون أن يختنقوا، بل عن جماهير الناس العاديين الذين سنلتقي بنماذج منهم في هذا الكتاب، والذين يحسون بالأزمة ولكنهم لا يستطيعون أن يعبروا عنها بالصيغ الأكثر نضجًا، بل ربما، كان تعبير بعضهم أقرب إلى المباشرة والبساطة والفجاجة، من خلال موجات من الموضات السلوكية المنحرفة، يعقب بعضها بعضًا، وهي في عمومها تمنح الدارس محصلة واحدة: الاحتجاج ضد الحياة الغربية المعاصرة، ورفضها.

وبمجرد إلقاء نظرة سريعة على أعمال معروفة من مثل (اللامُنتمي) و(سقوط الحضارة) لكولن ولسون، و(الساعة الخامسة والعشرون) لكونستانت جيور وجيو، و(الخمور الفكرية) لآرثر كوستلر و(الصرخة المختنقة) لسترايت و(الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس و(منعطف الاشتراكية الكبير) و(البديل) لروجيه جارودي و(عصر السريالية) لفاولي و(المذكرات) لكازانتزاكي و(الإنسان ذلك المجهول) لألكسيس كاريل و(حدود العلم) لسوليفان ومؤلفات كتاب (العبث واللامعقول) من مثل بكت وجان جينيه ويوشكو وبعض الكتاب الوجوديين وبخاصة كامي وغيرها كثير(١) يمكن أن نتلمس بوضوح حجم المعاناة التي تجابه الإنسان والحضارة الغربية بأجنحتها كافة فتسوق البعض إلى الرفض والانشقاق، والبعض الآخر إلى البحث عن البديل وتسوق فئة ثالثة إلى الإيمان بهذا الدين: الإسلام الذي رأوا فيه خلاصهم الوحيد.

إن انتماء رجل كليوبولد فايس، أو روجيه جارودي إلى الإسلام، وكلاهما يملك عقلاً كبيرًا، ويمثل باتساع ثقافته وعمقها، وبتنوع خبرته، حصيلة الثقافة الغربية العميقة وغنى خبراتها، يعني أن هذه الثقافة لم تجد في مكوناتها الخاصة بها، على ازدحامها وكثافتها، ما يمنح بعض العقول الكبيرة القناعة والتوازن واليقين. بالعكس، فإن هذا الغنى الثقافي يكشف أكثر فأكثر، ضرورة أن تكون هناك قاعدة أساسية تنبثق عنها هذه الثقافة عقيدة شاملة، بعبارة أخرى، فالثقافة وحدها لا تكفي، وهي تميل في الأغلب، إذا لم تستند إلى أرضية عقيدية أو رؤية شمولية مقنعة، لأن تتبعثر وتتشتّت، وتجرّ معها الإنسان إلى التبعثر والتشتت.

وإلـى جانـب هـذا، ومـن خـلال المعانـاة نفسـها بـرزت علـى السـاحة الغربيـة ظـاهرة (اللاإنتماء) التي حدثنا عنها الباحث البريطـاني كولن ولسون فـي كتابيـه المعروفين (اللامنتمي) و(سقوط الحضارة) فأطال الحديث. إن كبار المفكرين والفنانين والأدبـاء والفلاسفة هنـاك لـم يقدروا علـى التحقق الـذاتي فـي إطـار ثقـافتهم تلـك، بـل لـم يجـدوا أوليـات التـوازن، واليقين فـي خضـمّ هـذه الثقافـة المـتلاطم، الكـالح، العميـق. وكانـت مأساتهم تكمن في أنهم كانوا يعون هذا الانفصال المحزن بين الإنسـان فـردًا ومجتمعًا وبـين ثقافتـه وإن انـدفعت قيـادات هـذه الثقافـة وقواعـدها نحـو نـوع مـن الانـدماج أو النسيان – ربما – بسبب من تضـاؤل وعيها بانعدام التـوازن أو الـتلاؤم بـين الإنسـان الغربـي وبـين ثقافتـه، نجـد بالمقابـل ذلـك التّيـار المضـاد: حشـدٌ مـن المثقفـين الكبـار يتمردون على ثقافة بلغت بهم شوطًا من الطريق، وهم يريـدون أن يواصلوا الرحلـة صوب المصير فلا تقدر معطيـاتهم الثقافيـة علـى مـنحهم المزيـد. لقد "امتلكـوا العـالم" كما يقول كولن ولسون ثم "ماذا بعد؟".

إن الإنسـان بطبيعـة تركيبـه ذي النـزوع إلـى الماورائيـات يريـد أن يتجـاوز العـالم إلـى الكون، جدران المادية إلى الغيب، الطبيعة إلى ما وراءها، والسلطة إلـى الحريـة، إنـه يريد أن يكسر الأسوار، وينطلق بحثًا عن الإلـه المفقـود. بعبـارة أخـرى إنهـم يريـدون العقيدة التي تلبّـي نـزوعهم الطمـوح، وإن المـرء ليلمس بوضـوح هـذا التوجـه صـوب العقيدة الشمولية المتوازنـة فـي معظـم المؤلفـات الغربيـة التـي أشـرنا إلـى نمـاذج منهـا، والتي حاول أصحابها أن يعالجوا أزمـة الوجـود الثقـافي الغربـي علـى ضـوء المصير المقفل والدرب المسدود.

وإننا لنلمح على ضوء هذه الأزمة التي تعانيها الثقافة الغربية الدافع الذي جعل حشدًا من كبار المثقفين الغربيين، عبر الربع الثاني من هذا القرن علـى وجـه التقريـب، مـن مثل آرثر كوستلر واندريه جيد وريتشارد رايت واكناز سيلوني وستيفن بندر ولـويس فيشـر وبيكاسـو واراجـون وجـارودي وغيـرهم يلجـأون إلـى الماركسـية. إنـه لـم يكـن توجهًا حرًّا بمعنى الكلمة، ولكنه ارتماء المرهقين الباحثين عن الخـلاص بأيـة طريقـة ومن خلال أي برنـامج يمتلك رؤيـة عقيديـة شـاملة تأخذ بيد الإنسـان، حتـى ولـو كـان الذي يصوغها هو الشيطان.

لكن المشكلة التي سرعان ما تبدت لهؤلاء الـذين ارتمـوا فـي أحضـان الماركسية أنهـا هي الأخرى تمتح من البئر نفسه الذي يشكل ماؤه نسيج الثقافـة الغربيـة وينفـخ الحيـاة في عروقها.

الفلسفة الماديـة التـي تـرفض الغيـب والـروح، وتنكـر وجـود الله، وتقطـع الطريـق إلـى الجنة، وتحـارب وجـود الله.. إنهـا هـي الأخـرى تحجّـم الإنسـان، وتحصـره فـي النطـاق الضيّق، وتغلق الأبواب عليه لكي لا ينطلق صوب الآفاق الرحبة التي تتجـاوز حـدود المنظور والملموس وتتأبى على نداءات الجنس وصرخات الأمعاء.

وإذا كان ثمة فارق فإنه يكمن في امتلاك الماركسية النظرة الشمولية للعقيدة والفلسفة التي استهوت أولئك المثقفين، لكن الجوهر هو الجوهر والنسيج هو النسيج. فمـا ثمـة بد لهؤلاء من الارتداد، كرة أخرى، بحثًا عن حل أكثر قبولاً، وأقدر على تلبية طموح الإنسـان، بمـا أنـه "إنسـان" لا "حيـوان اجتمـاعي"، ولا مجـرد أداة ميكانيكيـة، أو رقـم

مضاف إلى الشمال أو اليمين. حلّ يمكّن المثقف الغربي من التحقق الذاتي الضائع، وإذا كانت الأكثرية القلقة لم تقدر لأسباب شتى، ليس هذا مجال تحليلها أو حتى الإشارة إليها، على أن تجد طريقها صوب الهدف، فإن إسلام عشرات الغربيين بل مئاتهم، إشارة مؤكدة على أن هناك من يقدر على الوصول وعلى أن رحلة البحث عن المصير الموازي لحجم الإنسان ستؤتي ثمارها بإذن الله.

إن الأزمة الغربية الراهنة، في جوانبها الفكرية والنفسية والحضارية، تأخذ أبعادًا شتى، ليس أقلها خطورة – إذن – ذلك الضمور والضحالة الروحية اللذان تعانيهما الحضارة المعاصرة بكافة مذاهبها ونظمها ومعطياتها، الضمور والضحالة اللذان يصلان حدّ الخواء، وانعدام أي بعد يمنح الإنسان المعاصر رؤية أوسع مدى، وتجربة أعمق غورًا، يتجاوز بهما سطحية حياته المادية ورتابة تجربته المباشرة، ويكسر جدران الحس القريب لكي يمدّ في تجربة "الإنسان" ويمنحها كثافة أشد، وتوغلاً أبعد، ومنظورًا لتكون الحياة والعالم والإنسان أكثر غنى، إنه خواء يستل اليقين بكل ما من شأنه أن يمنح الحياة البشرية تفردّها، وتألّقها، وتميزها عن سائر الحيوان، ويعطي أبناءها الفرصة للاستهداء بحشد من القيم، والضوابط والمناهج المرسومة، التي يتحركون على هديها إلى أهداف تليق بهم، وتخلّصهم من الفوضى والتخبّط والارتجال.

إن حضارة تفتقد اليقين الديني لن يكون بمقدورها أن تمنح الإنسان كل ما يري، وإن الإنسان إن لم يجد نفسه في بيئة تتعامل معه كإنسان، بكل مكوناته، وأشواقه، ومنازعه، فإنه سيتمرد – ولا ريب – على هذه البيئة، وينشق عليها، طال الوقت أم قصر.

---

(١) انظر المؤلفات التالية للمؤلف: (تهافت العلمانية)، (الأدب في مواجهة المادية)، (العلم في مواجهة المادية)، (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر)، (أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار).

[الأخطاء المنهجية للفكر الوضعي]

وثمة النظرة الأحادية للفكر الغربي الوضعي(١)، والمنهج ذو الوجه الواحد الذي طالما اعتمده هذا الفكر وتشبث به. إنه ملمح لا يقل خطورة عن الملمح السابق ومن ثم سنقف عنده بعض الشيء.

إن المرء كثيرًا ما يتساءل: لماذا يصرّ الفكر الوضعي عمومًا، والغربي بخاصة، على التشبث بجانب واحد من الفكرة ذات الجوانب العديدة ويقف عند مساحة محدودة منها بينما هنالك مساحات أخرى ؟ ولماذا يصرّ على تبسيط الظاهرة وحملها على أن تطلّ على الإنسان بوجه مسطح واحد بينما هنالك وجوه عدّة ؟ ولماذا يتشنّج على طبقة واحدة من الحقيقة بينما هي تتضمن طبقات وطبقات ؟

إن السبب قد يحمل بعدًا نفسيًا ذاتيًا صرفًا، فالمفكّر الوضعي الذي يكتشف جانبًا من الحقيقة، أو مساحة من الظاهرة، أو وجهًا ما من الفكرة، ليسعى للاعتقاد بأن ما

اكتشفه هو الجانب الوحيد للحقيقة، والمساحة الكلية للظاهرة، والوجه المتفرد للفكرة، ويبذل جهدًا متواصلاً لإقناع أتباعه بذلك ولشدة التكرار والإلحاح يتوهم هؤلاء بأن ما يقوله هو الحق وأن اكتشافه الفكري هو الصواب وأنه يتضمن أطراف الحقيقة أو الفكرة أو الظاهرة كافة.

إنها نوع من الرغبة في تعبيد الناس للمفكر، وكسب إعجابهم وانبهارهم من خلال أطروحاته الفكرية المعزّزة باستنتاجات ومعطيات متواصلة لتأكيد أنها الحق المطلق وأن ما وراءها الباطل والضلال. وهو يبني موقفه هذا، أو كسبه غير المشروع إذا صحّ التعبير، على ما قد يتضمنه العقل البشري من قصور وعدم قدرة على الإلمام بجوانب الحقيقة، وافتقاده النظرة الكلية التي تستشرف أطراف الظاهرة من كل مكان.

هذا العقل الذي يظل يعاني من نقصه هذا طالما هو لم يستهد بدين سماوي، ببرنامج عمل موضوعي يجيء من السماء ويمنح الإنسان والعقل الإنساني، بما يتضمنه من علم إلهي شامل، القدرة على تجاوز النظرة أحادية الجانب، والتوغل لإدراك جوانب الحقيقة ومساحاتها وطبقاتها جميعًا.

إن المفكر الوضعي يمارس هنا نشاطاً ضد المنهج، ضد الموضوعية والتجرد العلمي، وهذه الضدّية تجيء على حساب الحقيقة. نعم، قد يكسب المفكر الجولة وقد يلتف حوله المريدون والأتباع، وقد يُظنّ لفترة طويلة من الزمن أنه وضع يده على مفاتيح الحقيقة وأنه سبر غورها العميق، ولكن الخاسر في هذه اللعبة التي تكررت على الساحة الأوروبية عشرات القرون هو الحقيقة والإنسان الذي يتوخى معرفتها وإدراكها في نهاية الأمر.

ويقوم هذا النشاط الذي يمارسه المفكر ضد المنهج والموضوعية على محاولة توسيع مساحة "الاكتشاف" لجعله يلف الظاهرة كلها، فيمطّه بأي أسلوب لكي يحيط بالفكرة من جوانبها كافة، ويرغمه على التضخّم لكي يوازي الحقيقة طولاً وعرضًا وعمقًا.

والمشكلة أن هذا الاكتشاف الذي يحمل قيمته الكبيرة بحدّ ذاته، قد يغطي مساحة من الظاهرة، قد يفسّر جانبًا من الفكرة، قد ينشر شعاعًا على جهة محدودة من الحقيقة لكي يضيئها. ولكن تبقى دائمًا مساحات وجوانب أخرى من الظواهر والأفكار والحقائق لا يكفي الاكتشاف – إن على مستوى النوع أو على مستوى الكم – لتفسيرها وإضاءتها، لابد من اكتشافات أخرى وإضاءات متتالية، تأخذ طابع التتابع والتكامل، وتسلط على الحقائق والظواهر والأفكار من أطرافها جميعًا، ويسهم فيه خط طويل من المفكرين، وعقول متألقة لا يحصيها عدّ.. وعند ذلك قد تصل إلى تفسير هذه الظاهرة أو تلك وقد لا تصل أساسًا.

إن هذا يتم في ميدان العلوم النظرية (الصرفة) والتطبيقية (التقنية) ولهذا حققت هذه العلوم تلك الخطوات العملاقة، وقدّمت للإنسان خدمات جلى لا يستطيع أحد أن ينكر دورها الفعال في استمرار الحضارات وبخاصة الحضارة الغربية المعاصرة.

لكن العلوم الإنسانية شهدت صيغة أخرى في العمل، صيغة الانفراد، والذاتية، والادعاء، والتضخم. ولذا لم تستطع أن تقدم للإنسان عُشر معشار ما قدمته العلوم النظرية والتطبيقية، ولهذا – أيضًا – آلت إلى الفشل والسقوط الواحدة تلو الأخرى.

فعلى سبيل المثال، لماذا يصرّ عقل فذ (كهيغل) على جعل الجدل أو الديالكتيك أو التقابل المتضاد بين الحقائق والتجارب يقتصر على نطاق (الفكرة)؟ ولماذا يجيء (ماركس) و(انجلز) بعده لكي يديناه على أحادية نظرته، بل على وضعها المقلوب، لكنهما ما يلبثان أن يقعا في الخطأ نفسه فيتشنجان على نظرية الديالكتيك المادي، أي الجدل في نطاق المادة وحدها؟ إنهما يتهمان (هيغل) بأنه وضع فلسفة "تمشي على رأسها" لكنهما وهما يسعيان لتعديل الوضع الفلسفي، قدّما فلسفة تمشي على بطنها بحثًا عن الخبز وحده.

أما كان الأولى أن يتجاوز (هيغل) تشبثه بالفكرة، وأن يبعد (ماركس) و(انجلز) قليلاً عن الأرضية المادية، وأن يحاول الطرفان وضع صيغة للجدل أكثر شمولية تتضمن الفكري والمادي معًا؟ ثم لماذا يصرّ الطرفان على أن الجدل بين الأفكار أو الصيغ المادية يأخذ طابع التناقض والتضاد ويقود دومًا إلى الاصطراع؛ ألا يتحتم أن تضاف إليه صيغ أخرى للعلاقة تأخذ طابع (التبادل) بدلاً من التضاد؟ تبادل في الأخذ والعطاء دونما ضرورة تدفع لصراع محتوم، ودونما اطراح لبعض العناصر من هذا الجانب أو ذاك، بل بلورته وتبنّيه وإضافته للموحّد الجديد.. وغير (هيغل) و(ماركس) و(انجلز) كثيرون جدًا.

إن ثمة أسئلة كثيرة تخطر على بال الإنسان وهو يتعامل مع الفكر الوضعي ولئن لم تحظ بأي جواب، فإن هناك ما يشبه القناعة تبرز لكل ذي عينين: أن النظرة أحادية الجانب، تلك التي تأخذ بخناق هذا الفكر، إن هي إلا انعكاس لنوع من الادعاء والغرور، وربما الكذب، سواء شئنا أم أبينا، إن معظم المفكرين الغربيين كما يصفهم كتاب الله {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ} [سورة النجم، الآية ٢٣].

تلك هي أزمة الفكر الوضعي من جهة المفكر نفسه، أي من الزاوية التي يطل بها على العالم، والمنهج الذي يعتمده في التعامل مع الظواهر والحقائق والأشياء. ولكننا نريد أن نقف لحظات في الجهة الأخرى، جهة العقل الغربي المتلقي وهو يتعامل مع معطيات مفكريه: مذاهب ومدارس وعقائد ونظريات جهة المثقفين الغربيين وهم ينتمون إلى هذه المدرسة أو تلك، وإلى هذا المذهب أو النظرية أو ذاك.

فهاهنا أيضًا نجابه بعدد من الأخطاء المنهجيّة في طبيعة هذا التعامل، ويكمن أكبر هذه الأخطاء وأشدها وضوحًا في المشكلة نفسها التي يعاني منها المفكر واضع النظرية أو مصمّم المذهب، تلك هي – مرة أخرى – النظرة أحادية الجانب حيث يمارس المثقف ما يمكن اعتباره خداعًا وتضليلاً على حساب الحقيقة، أو ما يمكن اعتباره خطأ منهجيًا على أقل تقدير. إنه يصدّق فعلاً أن (الاكتشاف) الذي حققه هذا المفكر أو ذاك، ومطّه ونفخ فيه لكي يجعل منه نظرية أو مذهبًا، يفسر كل شيء، ويلقي ضوءه على كل معضلة أو مسألة غامضة في الوجود والعالم، يصدّق أن هذا الاكتشاف هو الحق المطلق، الرؤية المتفردة، الكشف النهائي للسنن والقوانين التي تحرك العالم وتفسر معطياته في الوقت ذاته. وهم، أي المثقفون، يدفعون أنفسهم إلى نوع من الاستسلام لهذا التصوّر، يصل بهم أحيانًا حدّ الوثنية والتعبّد، فيفقدوه القدرة على أي تفكير مستقل يخرج بهم عن دائرة المذهب الذي انتموا إليه، والمفكر أو

الفيلسوف الذي آمنوا به، بل أنهم يعتبرون آية محاولة لتجاوز أطروحات المذهب خروجًا على التعاليم المقدسة، وهرطقة يستحق صاحبها أشد العقاب.
وإذا كان المفكر الوضعي يتخذ موقف المعلم المطلق، أو صاحب الاكتشاف المقدس، لتحقيق حاجة ذاتية في تركيبه الخاص، فما الذي يجعل المثقف المتلقي، أو التابع، يتخذ موقف التسليم المطلق والانقياد الأعمى للفكرة أو الاكتشاف ويتشنج عليهما ويعتبرهما الحق الذي ليس وراءه سوى الضلال؟
قد يلعب البعد النفسي دوره هنا أيضًا، فإن الانتماء لمذهب ما والمبالغة في الاعتقاد بأنه الحق المطلق واليقين الكامل، يمنح الذات فرصة للتحقق والتوازن والامتلاء، ويشبع فيها حاجات كانت في كثير من الأحيان بمثابة الدافع القوي للسلوك البشري.
لكن هذا وحده لا يكفي. إنه – مرة أخرى – القصور العقلي، عدم قدرة الإنسان على بلوغ اليقين المطلق، أو رؤية الحقيقة كاملة طالما هو يرفض التلقي عن العلم الإلهي الشامل، ومن ثم يجد نفسه أسير التجزيئيّة والقصور، والرؤية ذات البعد الواحد. وهو من أجل تجاوز محنته، بل بسبب من اعتقاده بقدرته العقلية الفائقة، يندفع للتصديق بهذه النظرية أو تلك، والتسليم بهذا الكشف أو ذاك، لا لأنها بحد ذاتها تحمل الصواب المطلق، بل لأنه هو نفسه لا يملك المقاييس الموضوعية النهائية للحكم عليها ومن ثم فقد يمتلك القناعة الكافية، المناسبة مع قدراته المحدودة، في أن هذا الذي يطرحه مفكر أو فيلسوف ما هو إلا الصدق واليقين والحق، وأن الانتماء إليه يمنح الفكر معادلاته الموضوعية، وتوازنه، واستقراره.
إن المشكلة، مرة أخرى، تكمن في غياب الرؤية الدينية، انعدام المقاييس الموضوعية التي تنبثق عن العلم الإلهي الشامل. وهنا، في الساحة التي يتفرد فيها بالسلطان العقل ذو القدرات النسبية، يصبح الانتماء مجرد اجتهاد شخصي قد يخطئ وقد يصيب، وهو حتى إذا أصاب، فإنه لا يتحقق بالمعرفة الكلية اليقينية الشاملة، لأنه ليس بمقدور عقل بشري أن يبلغ شواطئها.
وهنا قد يسأل المرء: إذا حدث أن طرح مفكر ما كشفًا أو نظرية، تناقض في جوهرها كشف مفكر آخر أو نظريته، فمن يكون من أتباع كلا المفكرين على حق ومن يكون على ضلال؟
إن هذا التناقض الطولي بين مفكر وآخر يعملان في مجال واحد، من مثل التناقض بين (هيغل) و(ماركس) أو بين (دارون) وحفيده، أو بين (فرويد) وبعض تلامذته الذين انشقوا عليه، يكفي لوحده أن يهزّ قناعات الأتباع بكل الربوبيات والصنميات الفكرية، لكن هذا لا يحدث إلا نادرًا، لأن القصور الفكري وضياع المقاييس الشمولية، فضلاً عن الحاجات والدوافع النفسية في الاحتماء بهذه النظرية أو تلك والامتلاء بقناعاتها يمنع هذا المصير.
مهما يكن من أمر، فإن بعض المفكرين بسبب من تضخم إحساسهم بالقدرة على الكشف، وبأن كشفهم هذا قادر على الامتداد لتغطية جوانب الحقيقة كافة وتفسير كل شيء، بسبب من هذا يتجاوزون – أحيانًا – دوائر تخصصهم، ويوغلون في مجالات ودوائر أخرى للمعرفة قد لا يملكون من الأدوات والوسائل ما يمكنهم من أن يحققوا فيها ما حققوه هناك في حقل تخصصهم وإبداعهم. وإذا كان الدافع لهذا السلوك

واضحًا، فما الذي يدفع (الاتباع) إلى تقبل هذا الموقف واعتبار معطيات المفكر، حتى في مجالات تبعد عن تخصصه، بمثابة الحقيقة النهائية هي الأخرى؟
(إن هذا بالذات ما يحدث بالنسبة للماركسيين – على سبيل المثال – وهم يتعاملون مع اكتشافات (ماركس) في حقول الاقتصاد والفلسفة والتاريخ، فيرونها جميعًا بمثابة الأمور التي تتجاوز حدود الحقائق الاختبارية إلى نوع من القدسية التي يتحتّم ألا يمسّها أحد بأية صيغة من صيغ التساؤل والشك. فإذا كان (ماركس) في حقل الاقتصاد قدّم في دائرته كشوفًا ذات قيمة، فما الذي يحتم على أتباعه قبول كل معطياته وكشوفاته في مجالين آخرين قد لا يكون صاحب القول الفصل فيهما وهما الفلسفة والتاريخ ؟
إن الفلسفة التي تتعامل مع المادة لا يمكن أن تمنحنا قناعات كافية إن لم تبدأ من المختبر، وتنبثق عن أسس فيزيائية علمية كما يفعل رجال من أمثال (هايزنبرغ) و(اينشتاين) و(كاريل) وغيرهم. والبحث في التاريخ ما لم يستكمل تفاصيل وجزئيات كل عصر وبيئة لا يمكن أن يمنحنا نتائج نهائية.
وعلى ضوء هاتين البديهيتين يمكن أن نقيّم معطيات (ماركس) في هذين الحقلين، ونحن لازلنا نذكر عبارة الباحث الاقتصادي (أوسكار لانكه) وهو أحد أكبر أخصائيين في اقتصاد الدول النامية، فهو بعد أن يستعرض جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد مجتمعات ما قبل الرأسمالية، منذ عصر (ماركس) وحتى عصر (بورشييف) يقول ما معناه: "ولكن هذه الدراسات جميعها مفككة، لذلك فإن الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لما يخرج بعد إلى حيز الوجود باعتباره فرعًا منظمًا من فروع الاقتصاد السياسي". ولكن هل يكفي هذا كله لفك الارتباط الوثني بين الأتباع والأرباب وتجاوز تقاليد قرون طوال سادت الفكر الغربي ولا تزال؟.
قد يتساءل المثقف الغربي، ومن حقه أن يتساءل، هل معنى قبول الدين، والإسلام على وجه الخصوص، أن نتخلى – بمعنى من المعاني – عن بعض درجات سلّمنا الحضاري المتقدمة، أو أن نتجاوز "العلمية" التي تميّز هذه الحضارة، والتي هي منهجها وشعارها؟
بعبارة أخرى: هل يحتمّ خلاصنا الديني بالإسلام، أن نضحّي ببعض منجزاتنا العقلية، وخبراتنا الحضارية، من أجل هذا الخلاص ؟ وهل أنه لا مناص من الاختيار بين الاثنين: إما هذا أو ذاك؟
إن الجواب على هذا السؤال المشروع بجانبيه، أي ما يتعلق بالحضارة وما يخصّ العلم، يقتضي وقفة متأنية لكي نعرف ما الذي يقوله الإسلام بصددهما، ما الذي قدّمه أو نسجه؟ وما هي طبيعة منظوره للحضارة، ورؤيته للعلم؟ وهل ثمّة من تأشيرات سلبية على أنشطتهما، أم أنه اللقاء، والحضّ والعطاء؟ هل أنه الانفصال الذي اعتقدته العلمانية الأوروبية كردّ فعل للنصرانية التي وقفت بمواجهة التحضّر والعلم، بشكل أو بآخر، أم أنه التناغم والاتصال؟

لن يسمح هذا المدخل الموجز لتقديم الجواب ويكفي أن نتابع "الشهادات" التي تضمنها هذا الكتاب والتي لا تدع مجالاً للشك في أن الإسلام، بمعنى من المعاني، هو التحضّر والعلم معًا في إطار رؤية دينية تتميز بالشمولية والتوازن.

إنه يتحتّم علينا ألا ننساق وراء المقولة الخاطئة التي اصطنعتها العلمانية الأوروبية، والتي تتركز بعبارة "إما هذا أو ذاك"، أي إما الإيمان أو التحضّر، إما الدين وإما العلم، إما الله وإما الإنسان، وباختصار: إما السماء وإما الأرض.

فهاهنا، في نسيج التصوّر الإسلامي، متناسقًا مع سداه ولحمته، نلتقي الشعار الآخر الذي يتحتم على الغربيين أن يعرفوه جيدًا ويوقنوا به: هذا وذاك، الإيمان والتحضر، الدين والعلم، الله والإنسان، السماء والأرض.

إن الإسلام، بانفتاحه على العلم والتحضّر وتبنيّه لهما، كما سيتبين لنا، يجعل من مرور الزمن، وتراكم الخبرات العلمية والحضارية، سلاحًا بيده وليس ضده، كما فعلت النصرانية وبعض الأديان الأخرى، سيجعل منها عصًا، كتلك التي أمسك بها موسى عليه السلام، فضرب بها البحر ومضى بأتباعه صوب أهدافه المرتجاة.

وإنه من خلال المعطيات العلمية والحضارية ستتبين لكل ذي فكر مصداقية هذا الدين وأحقيته بالتفرّد والسلطان. فما قال به في عصر تنزّله البعيد، جاءت هذه المعطيات لكي تؤكده وتكشف عنه النقاب. وإن القرآن الكريم ليؤكد هذا البعد الزمني في آيتين: إحداهما قول الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [سورة يونس، الآية ٣٩، وسورة فصّلت، الآية ٥٣]. والثانية: قول الله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}. بعد الخبرة والتقدم، والزمن الذي يضيف بحساب الكم والنوع إلى نهر العلم والتحضّر.

إن الانتماء للإسلام يضع الإنسان في حالة تساوٍ وتآلف مع السنن الكونية، ويجنبه الارتطام بها، فيمنحه قوة أكبر على التقدم والاندفاع من خلال توافق طاقاته مع طاقات الكون ونواميسه. كما أن الانتماء للدين الذي يدعوه للكشف عن السنن والطاقات المذخورة في الكون والعالم، والإفادة منها يمنحه قدرات مضافة على التحضر والإبداع والتقدم جنبًا إلى جنب مع دعوته للكشف عن قوانين الحركة التاريخية واعتمادها لتنفيذ مهمته العمرانية في العالم والتعجيل بها.

إن الإسلام، في نهاية التحليل وبدايته كذلك، دعوة إلى التقدم والتحضّر بأي منظور ومن أية زاوية، وإن المنتمين إليهم يجدون فرصتهم الحقيقية لذلك، ليس من قبيل الادّعاء والغرور ولكن من خلال العقل والتحقّق اللذين يحرسهما الإيمان والتقوى ويدفعهما الإحسان إلى المزيد، كما سيتبين لنا من قراءة فصول هذا الكتاب.

---

(١) المقصود هنا المدلول اللغوي لا الاصطلاحي لكلمة (الوضعية).

(٢) محمد علي نصر الله: أضواء على نمط الإنتاج الآسيوي، مجلة آفاق عربية، سنة ٢، عدد ٦، ٧، ٨ .

(٣)

عالج المؤلف هذه المسألة في الكتب التالية التي يمكن الرجوع إليها لمتابعة التفاصيل: (مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم)، (حول إعادة تشكيل العقل المسلم)، (التفسير الإسلامي للتاريخ)، و(مؤشرات حول الحضارة الإسلامية).

الدكتور عماد الدين خليل في كتابه النفيس :

قالوا عن الإسلام

١. (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية

يقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية، في كتابه "تاريخ حياة محمد": "إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرًا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ"

٢. (مايكل هارت) في كتابه مائة رجل في التاريخ

ويقول (مايكل هارت) في كتابه "مائة رجل في التاريخ": "إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها".

٣. أرنولد

[١]

"... لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية [صلى الله عليه وسلم]، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي [صلى الله عليه وسلم] هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئًا عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يتخذوها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجئ في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها. وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك وكيف كان النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] يعد نموذجًا للداعي إلى الإسلام..."(١).

[٢]

"... من الخطأ أن نفترض أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] في المدينة قد طرح مهمة الداعي إلى الإسلام والمبلغ لتعاليمه، أو أنه عندما سيطر على جيش كبير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى اعتناق الدين..."(٢).
[٣]
".. إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي [صلى الله عليه وسلم] واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم، والسياسة التي أوحت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفًا لديهم، كما جعل صيته ذائعًا في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيدًا عظيمًا ورجلاً كريمًا. وكثيرًا ما كان يفد أحد أفراد القبيلة على النبي [صلى الله عليه وسلم] بالمدينة ثم يعود إلى قومه داعيًا إلى الإسلام جادًا في تحويل إخوانه إليه.."(٣).

----

(١) الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤ .
(٢) نفسه ، ص ٥٤ .
(٣) نفسه ، ص ٥٥ عن: Muir (Sir Wiliam): Life of Mahomet, PP. ١٠٧-٨ (London, ١٨٥٨,(١

٤. الأديب العالمي (ليف تولستوي)

ويقول الأديب العالمي (ليف تولستوي) الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية: يكفي محمدًا فخرًا أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعة محمدٍ ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة

٥. الأمير تشارلز

قال الأمير تشارلز: "يمكن للإسلام أن يعلمنا اليوم طريقة للفهم والعيش في عالم كانت فيه المسيحية هي الخاسرة عندما فقدته؛ ذلك أننا نجد في جوهر الإسلام محافظته على نظرة متكاملة إلى الكون، فهو يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلوم، وبين العقل والمادة" [لا سكوت بعد اليوم، ص٥٥].

٦. الانجليزي (برناردشو)

يقول الإنجليزي (برناردشو) في كتابه "محمد"، والذي أحرقته السلطة البريطانية: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال؛ فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).
إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمَّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم لوفق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

٧. البروفيسور (راما كريشنا راو)

يقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه "محمد النبيّ": "لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة.

فهناك محمد النبيّ، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي. كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا

٨. الدكتور (شبرك) النمساوي

ويقول الدكتور (شبرك) النمساوي: "إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها؛ إذ إنّه رغم أمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمته".

٩. العظماء مائة أولهم محمد

الرسول الأعظم:

نشر في أمريكا في الزمن الحاضر كتاب بعنوان "المائة" أو "الخالدون مائة" أو "القمم المائة" أو "أعظم مائة في التاريخ".

وقد ألف هذا الكتاب الجديد من نوعه عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ "مايكل هارت"، لقد قام بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر وقد ذكر لنا في هذا الكتاب أكثر مائة رجل تأثيرًا على البشرية منهم آزوس، أرسطو، بوذا، كونفوشيوس، هتلر، أفلاطون، ذرادشت. وهو لا يعطينا علامات محددة عن المائة من ناحية تأثيرهم على الناس ولكنه يقوم بتقييم درجة هذا التأثير ويصفهم بترتيب تفوقهم في هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة، وهو يوضح لنا أسبابه في ترتيب مرشحيه.

ونحن غير مطالبين بالموافقة على كلامه ولكننا لا يسعنا إلا أن نعجب بأمانة هذا الرجل ودقته في البحث .

وأكثر شيء يدعو للدهشة في تصنيفه المنتقى أنه وضع نبينا الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كرقم واحد أول المائة العظماء، وهو بذلك يؤكد ـ بدون علم أو قصد ـ شهادة الله تعالى في آخر تنزيل له للعالم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١].

عيسى (عليه السلام) رقم (٣) Jesus (P .B .U .H .) NO :

وقد أسعد المسلمين بالطبع تصنيف مايكل هارت لرسول الإسلام في المرتبة الأولى، ولكن هذا الاختيار صدم غير المسلمين وبخاصة اليهود والمسيحيين الذين اعتبروا ذلك إهانة! ماذا؟ المسيح (عليه السلام) في المرتبة الثالثة، وموسى (عليه السلام) في المرتبة الأربعين؟!!

وبالطبع فإن هذا بالنسبة إليهم شيء لا يمكن هضمه ولكن ماذا يقول مايكل هارت؟

دعونا نستمع لمناقشته: "حيث أنه يوجد تقريبًا مسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم(١) فإنه قد يبدو غريبًا أن يكون تصنيف محمد صلى الله عليه وسلم أعلى من المسيح عليه السلام.
وهناك سببين رئيسيين لهذا القرار:
أولاً: لعب محمد صلى الله عليه وسلم دورًا في ازدهار الإسلام يفوق في أهميته كثيرًا ما قام به المسيح عليه السلام في ازدهار المسيحية.
وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام كان مسؤولاً عن الخُلُق الأساسي والمبادئ والسلوكيات الأخلاقية للمسيحية "طالما اختلفت هذه المبادئ عن اليهودية"(٢)، فقد كان القديس بولس هو المطور الأصلي للاهوت المسيحي والناشر الرئيسي للمسيحية ومؤلف قسم كبير من العهد الجديد.

ومن ناحية أخرى نجد أن محمد صلى الله عليه وسلم هو المسئول عن العقيدة الإسلامية بجانب خلقه الأساسي ومبادئه الأخلاقية.
بالإضافة إلى ذلك فإنه لعب الدور الرئيسي في الدعوة إلى الدين الجديد وفي تأسيس التطبيق الديني للإسلام.
بولس مؤسس المسيحية Paul the Founder of Christianity
طبقاً لرأي هارت فإن شرف تأسيس المسيحية يجب تقسيمه بين المسيح عليه السلام والقديس بولس.
والأخير كما يعتقد هارت هو المؤسس الحقيقي للمسيحية. ولا أستطيع إخفاء موافقتي لهارت فمن مجموع الأسفار السبعة والعشرين للعهد الجديد نجد أن القديس بولس قد كتب أكثر من نصفها، وخلافًا لبولس فإن السيد المسيح لم يكتب كلمة واحدة في السبع والعشرين سفرًا.
ولو أنك وجدت ما يسمى (بإنجيل الأحرف الحمراء) فستجد أن كل كلمة زُعِمَ أن المسيح تفوه بها مكتوبة بالحبر الأحمر والباقي بالحبر الأسود العادي(٣).
ولا تندهش حينما تجد في هذا الذي يسمى الإنجيل (بشارة المسيح) أكثر من ٩٠ في المائة في السبع والعشرين سفرًا للعهد الجديد مطبوعة بالمداد (الحبر) الأسود.
هذا هو الاعتراف المسيحي النزيه على ما يسمونه الإنجيل، وفي أي مواجهة مع المبشرين المسيحيين ستجدهم يستشهدون مائة في المائة من بولس(٤).
لا أحد يتبع المسيح عليه السلام (No One follows Jesus (PBUH
قال يسوع عليه السلام: "إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي" [يوحنا: ١٤، ١٥].
وقال أيضًا: "فمن نقض هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السماوات" [متى: ٥ ـ ١٩].
وإذا سألت أي مسيحي كثير المجادلة: هل تحفظ هذه الشريعة والوصايا؟ يجيب: "لا"، فإن سألته بعدها: لماذا لا تفعل؟ سيجيبك بلا اختلاف إذا كان من مروجي الكتاب المقدس والناعقين به: "الشريعة سُمِّرت على الصليب"، وهو يعني بذلك أن الشريعة قد انتهت أو ألغيت ويضيف: "ونحن الآن نعيش تحت الرحمة والنعمة الإلهية".

وفـي كـل مـرة تستحث المسيحي بمـا قالـه سيده ومعلمـه "المسيح عليـه السـلام" فإنـه يواجهك بشيء من الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل كورينثوس، والرسالة إلـى أهـل غلاطية، والرسالة إلى أهل أفسس، والرسالة إلى أهل فيلبي ...إلخ.
فإذا سألته: مَن مؤلفها؟ فسيجيبك: بولس.. بولس.. بولس .
من هو سيدك؟ سيجيبك: "المسيح عليه السلام"، ولكنه دائمًا سيناقض سيده "المسيح عليه السلام" بالقديس بولس.
لن تجد مسيحياً متعلماً يناقش حقيقة أن المؤسس الحقيقي للمسيحية هو القديس بولس، ولذلك كان علـى مايكل هـارت ليكـون منصـفًا أن يصـنف "المسيح عليـه السـلام" فـي المرتبة الثالثة في كتابه.

لماذا تُغضب زبونك "عميلك" Why Provoke Your Customer؟
ما فعله مايكل هـارت بوضـع المسيح فـي المرتبـة الثالثـة يطـرح علينـا سـؤالاً خطيـرًا وهو" لماذا يقدم أمريكـي علـى نشـر كتـاب مـن ٥٧٢ صـفحة فـي أمريكـا ويقـوم ببيعـه بسعر (١٥) دولار للنسخة، وهو بـذلك يتجشـم عنـاء إثـارة غضـب قـراءه المحتملـين؟ من سيشتري كتابه؟ بالطبع لن يكونـوا الباكسـتانيين أو شـعب بـنجلاديش أو العـرب أو الأتراك اللهم إلا نسخ قليلة هنا وهناك. ولكن الغالبية العظمى من زبائنه سيكونـوا مـن الـ(٢٥٠) مليون مسيحي والـ(٦) مليون يهودي الذين يعيشون في أمريكا.
فلماذا إذن يغضب عملائه؟
ألم يسمع القول الشائع أن الزبون دائمًا على حق؟ بالطبع قد سمع ذلك فلمـاذا إذن هـذا الاختيار المتحدي؟
ولكنني قبل أن أغلق هذا الملف الخاص بـ"هارت" سأسمح له أن يقدم اعتذاره الأخير عن تهوره:
"إن اختياري لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليأتي في المرتبة الأولـى مـن قائمـة أكثـر أشخاص العالم تأثيرًا في البشرية قد يدهش بعض القراء وقد يعترض عليـه الـبعض، ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحًا بـارزًا علـى كـل مـن المسـتوى الديني والدنيوي".
[الخالدون مائة، مايكل هارت، ص٣٣].
تصنيف لأكثر الأشخاص تأثيراً في التاريخ
نيويورك شركة هارت للنشر سنة ١٩٧٨
من هم قادة التاريخ العظماء :Who Were History's Great Leaders
عدد "تايم" الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٩٧٤ Time, ١٥ July ١٩٧٤.
نشـرت مجلـة "تـايم" الشـهيرة العنـوان السـابق علـى غلافهـا الخـارجي وداخـل العـدد، كانت هناك مقالات كثيرة مثل: ما الذي يصنع القائد العظيم؟
من المؤهل على مدار التاريخ؟
وفـي هـذه المقـالات قامـت مجلـة "تـايم" بسـؤال مجموعـة مـن المـؤرخين والكتـاب والعسكريين ورجال الأعمال وآخرين من اختيارها. وقد أعطـى كـل مـنهم مرشـحيه

طبقًا لوجهة نظره بموضوعية على قدر الاستطاعة البشرية لكل منهم، ومعتمدًا في ذلك على إدراكه وتميزه وهواه وحكمه المسبق الشخصي.
ويقول "جيمس جافين James Gavin" الذي يوصف بأنه رجل في الجيش الأمريكي أحيل إلى التقاعد برتبة فريق:
"إنني أعتبر "محمد" و"المسيح عيسى"، وربما "لينين"، ومن المحتمل "ماو تسي تونج" من بين القادة الذين كان لهم أعظم تأثير على مر العصور. أما بالنسبة للقائد صاحب المؤهلات التي من الممكن الاستفادة منها إلى درجة بعيدة في الزمن الحاضر فإنني أختار "جون ف. كنيدي"". ولم يقل الجنرال أكثر من ذلك ولكن من الواجب علينا أن نجيبه فإن الأمر يحتاج شجاعة هائلة لكتابة اسم "محمد" قبل "المسيح" عليهما السلام، ومن المؤكد أن ذلك لم يكن زلة قلم.
"جولز ماسيرمان Jules Masserman" محلل نفسي أمريكي وأستاذ في جامعة شيكاغو يعطينا على عكس المشاركين الآخرين الأسس التي بنى عليها اختياره والأسباب التي جعلته يختار القائد الأعظم لجميع الأزمنة، إنه يريدنا أن نكتشف ما نبحث عنه حقًا في الرجل المطلوب؛ المؤهلات التي تجعله فريدًا، وقد نبحث عن أي مجموعة من المؤهلات كما في حالة مايكل هارت الذي كان يبحث عن الشخص الذي حقق أقوى تأثير.
يبحث "ماسيرمان" في التاريخ، ويقوم بالتحليل والتمحيص "لويس باستير"، "غاندي"، "كونفوشيوس"، "الإسكندر الأكبر"، "قيصر"، "هتلر"، "بوذا"، "المسيح"... إلى آخر الباقين حتى وصل أخيرًا إلى النتيجة التالية:
"لعل أعظم قائد كان على مر العصور هو "محمد" ـ صلى الله عليه وسلم ـ، الذي جمع الأعمال الثلاثة وقد فعل "موسى" نفس الشيء بدرجة أقل".
وليس لنا إلا أن نندهش من "ماسيرمان" لأنه كيهودي قد تنازل ليتفحص حتى "أدولف هتلر" العدو الرئيسي لشعبه فهو يعتبره قائدًا عظيمًا. فقد كان قوم "هتلر" ـ وهم الأمة الألمانية القوية المكونة من ٩٠ مليون نسمة ـ كانوا مستعدين أن يسيروا إلى قدرهم أو دمارهم بأمره. واحسرتاه لقد قادهم إلى الهلاك.
ولكن "هتلر" ليس هو مجال السؤال، إنما السؤال هو: لماذا يعلن "ماسيرمان" وهو يهودي أمريكي، وخادم مدفوع الأجر للحكومة بالتصريح لأبناء بلدته الذين يزيدون عن ٢٠٠ مليون منهم اليهودي والمسيحي: إنه لا "المسيح" ولا "موسى" ولكن "محمد" ـ عليهم السلام جميعًا ـ هو القائد الأعظم The Greatest Leader في جميع الأزمنة!؟
ويمكننا الآن وبعدالة أن نستنتج أن إله الرحمة الذي يعرف دائمًا الجهود المخلصة لعباده إنما فقط يوفي بوعده لمحمد صلى الله عليه وسلم رسوله المختار حين قال: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٤].
كأنما هي قوة خفية جعلت الأصدقاء والأعداء على السواء يقدموا إجلالهم غير المستجدي للرسول القوي المبعوث من عند الله، وكذلك فعل جنود الخالق القدير، حتى الشيطان نفسه دخل في خدمة الرسول كما فعل في عهد المسيح.

ويستشهد البروفيسور "ك. س. راماكرشنا راو" الفيلسوف الهندوسي في كتابه "محمد رسول الإسلام"(٥) برئيس الشيطان نفسه، نعم "أدولف هتلر" ليثبت العظمة المنفردة لمحمد صلى الله عليه وسلم.
ومثل "ماسيرمان" الذي قيم رسول الإسلام على ثلاث أسس ـ انظر ص٤٢ ـ ٤٧ ـ، فقد رأى البروفيسور "راماكرشنا راو" أيضًا في كتاب "هتلر" المسمى "كفاحي" جوهرة ذات ثلاثة وجوه، وامتيازًا نادرًا ذلك الذي وجد في بطلنا موضوع المناقشة.
فيستشهد بهتلر فيقول: "نادرًا ما يكون رجل النظريات العظيمة قائدًا عظيمًا، ولكن الداعية المؤثر هو أكثر احتمالاً لأن يملك هذه المتطلبات والمؤهلات؛ ولذلك فهو دائمًا ما يكون قائدًا عظيمًا؛ لأن القيادة أو الزعامة تعني القدرة على تحريك الجماهير البشرية. الموهبة في تصدير الأفكار لا تشترك في شيء مع القدرة على الزعامة".
ويستمر "هتلر" في كلامه: "... إن اتحاد القدرة على وضع النظريات والتنظيم والقيادة في رجل واحد هو أندر ظاهرة على وجه الأرض؛ ففي تلك الحالة تكون العظمة".

ويستنتج البروفيسور "راو" من ذلك فيقول في كلماته هو: "في شخص رسول الإسلام رأى العالم أندر ظاهرة على وجه الأرض متمثلة في إنسان من لحم ودم".
قبل أن يهاجم أي شخص البروفيسور(٦) ويتهمه بالتحيز الغير ضروري وبالرشوة دعوني أضيف أسماء الآخرين من المعجبين بمحمد صلى الله عليه وسلم.
١ـ "كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرأفة والطيبة بعينيها، والذين من حوله كانوا يشعرون بتأثيره ولم ينسوه أبدًا". "ديوان شاندشارمة"، باحث هندوسي، وذلك في كتابه "رسل الشرق" سنة ١٩٣٥، ص.١٢٢
٢ـ "لقد درست الرجل الرائع، وفي رأيي أنه يجب أن يدعى "منقذ البشرية"؛ فهو بعيد كل البعد من أن يدعى ضد المسيح". "جورج برنارد شو" في "الإسلام الصادق" ج١، سنة .١٩٣٦
٣ـ "من حسن الحظ إنه لأمر فريد على الإطلاق في التاريخ أن "محمد" مؤسس لثلاثة أشياء: الأمة والإمبراطورية والدين". "ر. بوزوورث، سميث" في كتاب "محمد والمحمدية"، سنة .١٩٤٦
٤ـ "لقد كان محمد الأكثر توفيقًا من بين جميع الشخصيات الدينية". دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١١.
دعونا الآن نسمع ما قاله بعض الشرقيين من غير المسلمين في هذا الموضوع.
أ ـ "كلما أدرس أكثر أكتشف أن قوة الإسلام لا تكمن في السيف" "ماهاتما غاندي" أبو الهند الحديثة في "الهند الفتاة".
ب ـ "إنهم نقاد "محمد" ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرون النار بدلاً من الضوء، والقبح بدلاً من الحسن، إنهم يشوهون ويصورون كل صفة جيدة كأنها رذيلة عظيمة. إن هذا يعكس فسادهم الشخصي، إن النقاد الذين تكسوهم الغشاوة لا يستطيعون أن يروا أن السيف الوحيد الذي استخدمه "محمد" كان سيف الرحمة والشفقة، الصداقة والمغفرة، إنه السيف الذي يقهر الأعداء ويطهر قلوبهم، إن سيفه كان أكثر حدة من السيف

المصنوع من الصلب". "بانديت جيانانـدرا ديف شـارمة شاسترى" في اجتماع بجوراكبور، الهند، سنة ١٩٢٨هـ.
ج ـ "لقد فضل الهجرة على محاربة قومه، ولكن عندما وصل الظلم والاضطهاد أبعد من نطاق الاحتمال حمل سيفه دفاعًا عن النفس، هؤلاء الذين يؤمنون أن الدين ممكن أن ينتشر بالقوة أغبياء لا يعلمون طرق الدين ولا طرق الحياة، إنهم فخورين بهذا الاعتقاد لأنهم بعيدون كل البعد عن الحقيقة". صحفي سيخى (٧) في "نـوان هندوستان" دلهي ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧.
د ـ "الشرق شرق والغرب غرب لن يلتقي الاثنين أبدًا؛ إن كل الذين لم يعمهم التحيز سوف يلتقون في الدفاع عن "محمد" ـ صلى الله عليه وسلم ـ". "روديارد كيبلينج".
هـ ـ "لقد كان القيصر والبابا في شخص واحد، لكنه كان بابا بدون خيلاء البابوات، والقيصر بدون حشود القياصرة، بدون جيش متأهب، بدون حاشية، بدون قلعة، بدون دخل ثابت. لو أن أي إنسان كان له الحق أن يدعي أنه حكم بالحق الإلهي فهو "محمد"؛ فقد كان يملك كل السلطات بدون أدواتها وبدون ما يدعمها". "ر. بوسوورث سميث"، "محمد والإسلام"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢.

....

(١) تُظهر آخر الإحصائيات أن عدد المسلمين في العالم ألف مليون مسلم، وعدد المسيحيين في العالم ألف ومائتي مليون مسيحي. "ديدات"
(٢) لا يعتبر ترتيب "محمد" الأول قدحًا في مكانة "عيسى" و"موسى"، لكن الله رفع بعض الناس فوق بعض درجات وبعض النبيين فوق بعض، و"محمد" خاتم النبيين والمرسلين هو أفضل الأنبياء على الإطلاق بدون الإنقاص من قدر الآخرين. "المترجم"
(٣) وقد رأيت بنفسي هذه الطبعة من الإنجيل التي يظنون أن لعيسى كلام بها ووضعت بالحبر الأحمر، وتجد كلمات قليلة به يظنون ـ وليس على سبيل اليقين ـ أن "عيسى" قالها؛ إذا يعتبر هذا اعتراف ضمني بتحريف الإنجيل. "المترجم"
(٤) "بولس" يجب ألا ينخدع فيه الناس فهو يهودي اندس بين النصارى ليلبس عليهم دينهم وليفسده عليهم، وكان صاحب نصيب الأسد في تأليف الكتاب المقدس وفي خرافاته، وهذه الحركة التي فعلها "بولس" ليست الأولى من نوعها في جانب اليهود؛ فهم يكيدون لجميع الأديان بخاصة الإسلام، وقد دخل في الإسلام رجل يهودي حاول أن يفعل مثل "بولس" يدعى "عبد الله" من سبأ، يهودي ماكر كان يضع أحاديث رسول الله، وكان آخر ما فعله هو وأتباعه السبئيين أنهم قالوا بألوهية "علي"، ولقد قام الإمام "علي" بحرق أحد أتباعه عندما قال له: أنت الله، فلما حرقه أخذ يصيح ويقول أيضاً: "إذن أنت الله فإنه لا يعذب بالنار إلا الله" ... ولقد فعل الإمام "علي" ذلك حتى يقطع جذور الفتنة الناشئة التي كان اليهودي "عبد الله بن سبأ" سببًا فيها. ولقد تدخل اليهود في تسيير حركة العالم بطريقة "بولس" هذا؛ فنجد أن "ماركس" و"لينين" اللذين لا يعترفان بالدين وأسسا الشيوعية يهود، "فرويد" صاحب الإباحية الجنسية يهودي، "دوركايم" يهودي. كل من كان له دور في هدم القيم والأخلاق وتدمير الدين وراءه اليهود. "المترجم"

(٥) "محمد رسول الإسلام" للمؤلف "راماكرشنا راو"، أحصل عليه من المركز الإسلامي للدعوة. "المؤلف"
وأضيف أنني قمت بفضل الله ومنته عليّ بعمل ترجمة لهذا الكتاب، وسوف تقوم إن شاء الله تعالى دار المختار الإسلامي بطبعه في القريب العاجل بإذن الله. "المترجم".
(٦) حسب آخر المعلومات التي وصلتني أن البروفيسور الهندي "رماكرشنا راو" مؤلف كتاب "محمد رسول الإسلام" هو مسيحي هندي يقدم شهادة حق لنبي الإسلام، فهو واحد من المنصفين الذين أنصفوا الرسول محمد ورسالته.
(٧) سيخي: ديانة هندية ترفض الوثنية والعزل الطبقي. "المؤلف"

١٠. الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل)

ويقول الفيلسوف الإنجليزي "توماس كارليل" الحائز على جائزة نوبل، يقول في كتابه "الأبطال": "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدّاع مزوِّر.
وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟!

١١. المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر)

يقول المستشرق الألماني "برتلي سانت هيلر" في كتابه "الشرقيون وعقائدهم": "كان محمد رئيسًا للدولة، وساهرًا على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبيُّ بين ظهرانيها، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية؛ وهما: العدالة والرحمة.

١٢. المستشرق الأمريكي (سنكس)

ويقول المستشرق الأمريكي "سنكس" في كتابه "ديانة العرب": "ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

١٣. المستشرق الكندي الدكتور (زويمر)

يقول المستشرق الكندي الدكتور "زويمر" في كتابه "الشرق وعاداته": "إن محمدًا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا، وبليغًا فصيحًا، وجريئًا مغوارًا، ومفكرًا عظيمًا، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء

١٤. ايفلين كوبولد

"... هذه هي مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقي في روعي صبره على المكاره واحتماله للأذى في سبيل الوحدانية الإلهية"(١).

[٢]

"كان العرب قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث هذه الأمة بعثًا جديدًا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالاً وآجالاً..."(٢).

[٣]

"... لعمري، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ روعة ما يستطيع لها تفسيرًا، وهي روعة تملأ النفس اضطرابًا وذهولاً ورجاءً وخوفًا وأملاً، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم.. إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية"(٣).

[٤]

"لقد استطاع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القيام بالمعجزات والعجائب، لمّا تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية، لقد وفّق إلى خلق العرب خلقًا جديدًا ونقلهم من الظلمات إلى النور"(٤).

[٥]

"مع أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه"(٥).

----

(١) البحث عن الله، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) نفسه، ص ٥١.

(٣) نفسه، ص ٥٢.

(٤) نفسه، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٥) نفسه، ص ٦٧.

١٥. كولد تسيهر

[١]

"... إن محمدًا قد بشر بمذهبه للمرة الأولى بحماس لم يفتر ولم تعوزه المثابرة، وبعقيدة ثابتة بأن هذا المذهب يحقق صالح الجماعة الخاصة، وقد كان في ذلك كله مظهرًا لإنكار الذات برغم سخرية الجمهور"(٢).

[٢]

"... الحق، أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية"(٣).

[٣]

"في هذا العصر نرى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستخدم حنكته المفكرة ورويته الدقيقة وتبصره العالمي، في مقاومة خصومه الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه"(٤).

----

(١) كولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) Y. Gldziher
تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست وليبزج وبرلين وليدن. ولما نبه ذكره عين أستاذًا محاضرًا في كلية العلوم بجامعة بودابست (١٨٧٣) ثم أستاذ كرسي (١٩٠٦). رحل إلى عدد من البلدان العربية وتضلع بالعربية على شيوخ الأزهر. انتخب عضوًا في عدد من المجامع العلمية وحضر عددًا من المؤتمرات الاستشراقية.
من آثاره: كتب سيلاً من المقالات والأبحاث في المجلات الآسيوية والغربية بأكثر من لغة. وكتاب "العقيدة والشريعة في الإسلام" باريس ١٩٢٠، و"درس في الإسلام" في جزئين كبيرين، كما حقق العديد من النصوص القديمة.
(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٢ ـ ١٣.
(٣) نفسه، ص ١٣.
(٤) نفسه، ص ٢١ ـ ٢٢.

١٦. اينين دينيه

[١]

"... هذه هي مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقي في روعي صبره على المكاره واحتماله للأذى في سبيل الوحدانية الإلهية"(١).

[٢]

"كان العرب قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث هذه الأمة بعثًا جديدًا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالاً وآجالاً..."(٢).

[٣]

"... لعمري، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ روعة ما يستطيع لها تفسيرًا، وهي روعة تملأ النفس اضطرابًا وذهولاً ورجاءً وخوفًا وأملاً، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم.. إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية"(٣).

[٤]

"لقد استطاع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القيام بالمعجزات والعجائب، لمّا تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية، لقد وفّق إلى خلق العرب خلقًا جديدًا ونقلهم من الظلمات إلى النور"(٤).

[٥]

"مع أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه"(٥).

----

(١) البحث عن الله، ص ٣٩ ـ ٤٠.
(٢) نفسه، ص ٥١.
(٣) نفسه، ص ٥٢.
(٤) نفسه، ص ٦٦ ـ ٦٧.
(٥) نفسه، ص ٦٧.

١٧. بارت

بارت(١)

[١]

"كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي ـصلى الله عليه وسلم ـ أدلة الله، ومشرعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشرًا به"(٢).

[٢]

"كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيثون فيها فسادًا. حتى أتى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس"(٣).

----

(١) رودي بارت Rudi, Part: عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦، وله كتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ١٥.
(٣) نفسه، ص ٢٠.

١٨. بروي

بروي(١)

"جاء محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة ـ

في دعوته - لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين، ونشر الدين الحنيف. وعندما قبض النبي العربي - صلى الله عليه وسلم - عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل.."(٢).

----

(١) إدوار بروي Edourd Perroy: باحث فرنسي معاصر، وأستاذ في السربون.
(٢) تاريخ الحضارات العام (٣ / ١١٢).

١٩. بلاشير

[١]
".. إن معجزة النبي - عليه الصلاة والسلام - الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلّف بالمهام الثقيلة العبء وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع؟ إن محمدًا - عليه الصلاة والسلام - لا يبدو في القرآن إطلاقًا منعمًا عليه بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجات هي حاجاتهم، وهو يصرّح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق فان: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} [الكهف: ١١٠]. وهو لم يتلق أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتخب ليكون منذرًا ومبشرًا للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن في قيمتها الإحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد - عليه الصلاة والسلام - رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعرًا، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فنّ ارتجال الشعر. وعندما قال عنه المكّيّون المشركون أنه شاعر، أو حين عرّضوا بأن مصدر الوحي جنّي معروف أزال الله عنه هذه التهمة: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ، لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس: ٦٩ - ٧٠]. وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر"(١).

[٢]
".. أما عن انتصار الإسلام فثمَّة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه.."(٢).

----

(١) تاريخ الأدب العربي (٢/ ١٤، ١٥).
(٢) نفسه (٢/٥٠).

٢٠. توينبي مؤرخ بريطاني معاصر

توينبي(١)

[١]

"لقد كرّس محمد - صلى الله عليه وسلم - حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية؛ وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم، وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراسي..."(٢).

[٢]

"... لقد أخذت سيرة الرسول العربي - صلى الله عليه وسلم - بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى عليين، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجّلتها السنة، مصدرًا للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددًا"(٣).

----

(١) آرنولد توينبي Arnold Toynbee: المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها - ولا ريب - مؤلفه الشهير "دراسة للتاريخ" الذي شرع يعمل فيه منذ عام ١٩٢١، وانتهى منه عام ١٩٦١، وهو يتكون من اثني عشر جزءًا عرض فيها "توينبي" لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر "سومر فيل" - تحت إشراف توينبي نفسه - مختصرًا في جزأين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدمًا عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء، وهو الذي اعتمدناه هنا.

(٢) مختصر دراسة للتاريخ (٣٨١/١٠).

(٣) نفسه (٣/ ٩٨).

٢١. جوتة الأديب الألماني

"جوتة" الأديب الألماني: "إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه "محمد"، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي "محمد" ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح "محمد" الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".

تلك بعض أقوال مشاهير العالم ، في "محمد" نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، فلماذا المزايدات التي تضر ولا تنفع ، وتهدم ولا تبني؟!.

٢٢. جورج حنا

جورج حنا

[١]

"... كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخرج من سويعات لقائه مع جبريل عليه السلام بآيات تنطق بالحكمة، داعيًا قومه إلى الرجوع عن غيّهم، والإيمان بالإله الواحد الكليّ القدرة، صابًا النقمة على الآلهة الصنمية، التي كان القوم يعبدونها فكان طبيعيًا أن يحقد عليه أشراف العرب ويضمروا له الشر، لما كان في دعوته من خطر على زعامتهم، وهي ما كانت قائمة إلا على التعبد للأصنام التي جاء هذا الرجل يدعو إلى تحطيمها. لكن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يهادن في بث دعوته، ولم يكن يسكت عن اضطهاد أشراف قريش له، بل كان يتحداهم، فيزدادون حقدًا عليه وتآمرًا على حياته. فلم تلبث دعوته حتى تحولت من دعوة سلمية إلى دعوة نضالية. إنه لم يرض بأن يحوّل خدّه الأيسر لمن يضربه على خدّه الأيمن، بل مشى في طريقه غير هيّاب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيف يحارب به من يحاربوه.
لقد آمن به نفر قليل في بداية الدعوة، وكان نصيب هذا النفر مثل نصيبه من الاضطهاد والتكفير، كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي انطلقت منها رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ"(١).

[٢]

"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة أكثر اطمئنانًا على نفسه وعلى أتباعه ورسالته مما كان في مكة، كانت يثرب مدينة العامة التابعة، لا مدينة الخاصة المتبوعة، والعامة دائمًا أقرب إلى اقتباس كلمة الحق من الخاصة، لاسيما إذا كانت كلمة الحق هذه تحررها من عبوديتها للخاصة"(٢).

[٣]

"محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ثائرًا عندما أبى أن يماشي أهل الصحراء في عبادة الأصنام وفي عاداتهم الهمجية وفي مجتمعهم البربري، فأضرمها حربًا لا هوادة فيها على جاهلية المشركين وأسيادهم وآلهتهم، فكفره قومه واضطهدوه وأضمروا له الموت، فهاجر تحت جنح الليل مع نفر من أتباعه، وما تخلى عن النضال في نشر دعوته، وما أحجم عن تجريد السيف من أجلها؛ فأخرج من جاهلية الصحراء عقيدة دينية واجتماعية تجمع بين مئات الملايين من البشر في أقطار المعمورة"(٣).

----

(١) قصة الإنسان، ص٧٦.
(٢) نفسه، ص٧٧.
(٣) نفسه، ص.٢٥٢

٢٣. دُرّاني

دُرّاني(١)

[١]

"أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام؛ فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره"(٢).

[٢]
".. وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة ـ التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون ـ أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد"(٣).

[٣]
".. تحمل ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة عشر عامًا كاملةً من المتاعب ـ في مكة ـ دون انقطاع، وثمانية سنوات ـ في المدينة ـ دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرضت عليه أمته أن تنصبه ملكًا عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء ؟ لابدّ أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه"(٤).

[٤]
"هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك، يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي مدخول غير مخلص أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟"(٥).

[٥]
"إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته؛ إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسموّ في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول

الله حقًا. هذا هو نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته؛ فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم"(٦).

----

(١) الدكتور م. ج. دُرّاني Dr. M. H. Durrani: سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.
(٢) رجال ونساء أسلموا (٤/ ٢٧ – ٢٨).
(٣) نفسه (٤/ ٢٨ – ٢٩).
(٤) نفسه (٤/ ٢٩ – ٣٠).
(٥) نفسه (٤/ ٣٠).
(٦) نفسه (٤/ ٣٠ – ٣١).

٢٤. رودنسن ـ فرانز روزنثال ـ جاك ريسلر ـ جورج سارتون

رودنسن

"... بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع".

فرانز روزنثال

[١]

"إن أفكار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي تلقاها وحيًا أو التي أدى إليها اجتهاده نشّطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت خطًا فاصلاً واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط...".

[٢]

"تبقى حقيقة، هي أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ؛ لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه"(٢).

جاك ريسلر

[١]

"القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال ، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روي عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث، والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن.." .

[٢]

".. كان لزامًا على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوّق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان".

جورج سارتون

[١]

"صدع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة نحو عام ٦١٠م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين ـ عليهم السلام ـ ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه، وكان زاهدًا وفقيهًا ومشرعًا ورجلاً عمليًا..." .

[٢]

"إنه لم يتح لنبي من قبل أن ينتصر انتصارًا تامًا كانتصار محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ..." .

[٣]

".. لم يكن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم"

٢٥. روم لاندو ـ لايتنر

روم لاندو

[١]

"... لم ينسب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أيّ يوم من الأيام إلى نفسه صفة ألوهية أو قوى أعجوبية؛ على العكس، لقد كان حريصًا على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لإبلاغ الوحي للناس".

[٢]

"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقيًّا بالفطرة، وكان من غير ريب مهيّأ لحمل رسالة الإسلام التي تلقاها. وبالإضافة إلى طبيعته الروحية، كان في سره وجهره رجلاً عمليًا عرف مواطن الضعف ومواطن القوة في الخلق العربي، وأدرك أن الإصلاحات الضرورية ينبغي أن تقدم إلى البدو الذين لا يعرفون انضباطًا وإلى المدنيين الوثنيين، وفي آن معًا، على نحو تدريجي. وفي الوقت نفسه كان محمد ـ

صلى الله عليه وسلم ـ يملك إيمانًا لا يلين بفكرة الإله الواحد، وعزمًا راسخًا على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت سائدة بين الوثنيين العرب".

[٣]

"كانت مهمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هائلة، كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية ـ وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي صلى الله عليه وسلم ـ أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأيّ ضرب من الخداع المتعمد.

ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق ـ ديني ـ متعمد استطاع أن يعمر طويلاً، والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب ـ في كل عام ـ أتباعًا جددًا. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً".

[٤]

"كانت مهمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسؤولاً عن اندلاع نار الحرب، على نحو موصول تقريبًا، بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية والأحقاد الصغيرة. كان عليه أن يعطي الناس قانونًا كليًا يستطيع حتى العرب المتمردون قبوله والإذعان له، وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والثأر الدموي لضروب من المظالم بعضها واقعي وبعضها متوهم. كان عليه أن يحلّ الإنسانية محل الوحشية، والنظام محل الفوضى، والعدالة محلة القوة الخالصة".

[٥]

"عندما توفي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام ٦٣٢م كان في نجاح الإسلام ما زكى إيمان خديجة ـ رضي الله عنها ـ بالوحي الذي تلقاه زوجها، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري"(٥).

لايتنر

[١]

"بقدر ما أعرف من دينيْ اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس اقتباسًا بل قد أوحي إليه به، ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة المقصد، وإيمان القلوب الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه قد أوحي إليه".

[٢]

"إن الديانة النصرانية التي ودّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح ـ عليه السلام ـ تخالف التعاليم السّرية التي أذاعها بولس والأغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى، ولقد كانت آمال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعًا، ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام".

[٣]

".. لما بلغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ السنة الخامسة والعشرين من العمر تزوج امرأة عمرها أربعون عامًا، وهذه تشابه امرأة عمرها خمسون عامًا في أوربا، وهي أول من آمن برسالته المقدسة، وبقيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ معه عشرين عامًا لم يتزوج عليها قط حتى ماتت ـ رضي الله عنها ـ. ولما بلغ من العمر خمسًا وخمسين سنة صار يتزوج الواحدة بعد الأخرى، لكن ليس من الاستقامة والصدق أن ننسب ما لا يليق لرجل عظيم صرف كل ذاك العمر بالطهارة والعفاف فلا ريب أن لزواجه بسن الكبر أسبابًا حقيقية غير التي يتشدق بها كتاب النصارى بهذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترى؟ ولا ريب هي شفقته على نساء أصحابه الذين قتلوا...".

[٤]

"... مرة، أوحى الله تعالى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحيًا شديد المؤاخذة لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنيًا من ذوي النفوذ، وقد نشر ذاك الوحي، فلو كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذاك الوحي من وجود".

[٥]

"... إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح ـ عليه السلام ـ احترامًا عظيمًا وذلك باحترامهم محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالحق الذي جاء به هو المسيحي الصادق".

٢٦. سانتيلانا

سانتيلانا(١)

[١]

"ما كان من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن تناول المجتمع العربي هدمًا من أصوله وجذوره وشاد صرحًا اجتماعيًا جديدًا.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة. إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gentes والموالاة والجماعات المتحالفة. من يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشئ روابطه كلها ومنها رابطة قرباه وأسرته، إلا إذا كانوا يعتنقون دينه ـإخوته في الإيمان ـ. فما داموا هم على دينهم القديم فإنه يقول لهم كما قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأهله: "لقد تقطعت بيننا الأسباب.."(٢).

[٢]
"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب"(٣).

----

(١) دافيد دي سانتيلانا (١٨٤٥ ـ ١٩٣١) David de Santillana: ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس لدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمدًا بذلك على قواعد الشريعة الإسلامية ومنسقًا إياهما بحسب القوانين الأوروبية. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة ١٩١٠ عين أستاذًا لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها، ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي.
من آثاره: "ترجمة وشرح الأحكام المالكية"، كتاب "الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي"...إلخ.
(٢) تراث الإسلام، إشراف سير توماس آرنولد، ص٤٠٥، ٤٠٦.
(٣) نفسه، ص ٤٠٦.

٢٧. عبد الله لويليام

عبد الله لويليام

[١]
"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الإحساس، وكان حائزًا لقوة إدراك عجيبة وذكاء مفرط وعواطف رقيقة شريفة، وكان على خلق عظيم وشيم مرضية مطبوعًا على الإحساس.."(١).

[٢]
"... إن بعض كتاب هذا العصر الحاضر كادوا أن يعرفوا بأن الطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان فسلموا بذكر كثير من صفات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ السامية وجليل أعماله الفاخرة.."(٢).

[٣]
"... ما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا ببركة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي علمهم الركوع والسجود لله وأبقى لهم دستورًا لن يضلوا بعده أبدًا وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم.."(٣).

[٤]
"لما شرف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الإنساني وترقيه في درجات المدنية أكمل ما يحتاجه البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع وأوصل الخلق إلى أقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة. ومن نظر بعين البصيرة في حال الأنام قبله عليه الصلاة والسلام وما كانوا عليه من الضلالة، ونظر في حالهم بعد

ذلك وما حصل لهم في عصره من الترقي العظيم رأى بين الحالين فرقًا عظيمًا كما بين الثريا والثرى"(٤).

[٥]

"... امتدت أنوار المدنية بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - في قليل من الزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب حتى إن وصول أتباعه في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدنية قد حيّر عقول أولي الألباب؛ وما السبب في ذلك إلا كون أوامره ونواهيه موافقة لموجب العقل ومطابقة لمقتضى الحكمة"(٥).

----

(١) العقيدة الإسلامية، ص٩٦ – ٩٧.

(٢) نفسه ، ص ١١٣ – ١١٤.

(٣) نفسه، ص ٣٨ عن لوزون في خطبته المذكورة .

(٤) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا، ص٢١، ٢٢.

(٥) نفسه، ص٢٢، ٢٣.

٢٨. غاندي

يقول "مهاتما غاندي" في حديث لجريدة "ينج إنديا": "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته؛ بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

٣٠. غوستاف لوبون

[١]

"جمع محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى. ومما لا ريب فيه أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيمًا.."(١).

[٢]

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد - صلى الله عليه وسلم - من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا - صلى الله عليه وسلم - مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله.."(٢).

[٣]

"استطاع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الخصوص.. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى.."(٣).

[٤]

"... لا شيء أصوب من جمع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ"(٤).

----

(١) دين الإسلام، ص١٦.
(٢) حضارة العرب، ص١١٥.
(٣) نفسه، ص١١٦.
(٤) نفسه، ص٣٩٣، ٣٩٤.

٣١. لوقا

لوقا(١)

[١]

".. ما كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل ـ عليهم السلام ـ، وهمة البطل، فكان حقًا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّي فيه الرجل"(٢).

[٢]

"لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضًا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشرًا كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترًا مكررًا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف: ١١٠]، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ} [الشورى: ٤٨]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها"(٣).

[٣]

"... رجل فرد هو لسان السماء، فوقه الله لا سواه، ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين، ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر؛ بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن

هذا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد؛ لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله". ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيمًا له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: "لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا"(٤).

[٤]

"ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلاً قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعًا أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.. ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض أي قولة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضلّ وما غوى.. وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين.."(٥).

[٥]

"أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من "أبي القاسم" ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئًا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟"(٦).

[٦]

"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفًا يعد في نقائصه. لم يكن ـ صلى الله عليه وسلم ـ معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به، لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع ـ رضي الله عنهن ـ..."(٧).

----

(١) د. نظمي لوقا Dr. N. Luka: مسيحي من مصر، يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًا، فإنه كثيرًا ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام، بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من

عمره، ألف عددًا من الكتب أبرزها "محمد الرسالة والرسول"، و"محمد في حياته الخاصة".

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص٢٨.

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص٨٥، ٨٦.

(٤) نفسه، ص١٧٩، ١٨٠.

(٥) نفسه، ص١٨٣ – ١٨٦.

(٦) محمد في حياته الخاصة، ص١٢.

(٧) نفسه، ص٣٩، ٤٠. ويمكن للقارئ أن يرجع للكتاب نفسه "محمد في حياته الخاصة"، فهو بمجمله يمكن أن يعدّ شهادة قيّمة على حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ العائلية الخاصة.

٣٢. فيليب حتي

فيليب حتي

[١]

"إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدّر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يضيف حدًا جديدًا ـ رابعًا ـ إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان "إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات"..."(١).

[٢]

"إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية ـ القائمة على الدم والقرابة ـ للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئًا جديدًا قام به النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ..."(٢).

[٣]

"في الكتاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة التي حققها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكامًا من زيف العلم..."(٣).

[٤]

"صفات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيمًا فقيرًا، فقد كان في قلبه دائمًا سعة لمؤاساة المحرومين في الحياة"(٤).

[٥]

"إذا نحن نظرنا إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحدًا

من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر"(٥).

----

(١) الإسلام منهج حياة، ص١٩، ٢٠.
(٢) نفسه، ص٥١.
(٣) نفسه، ص٥٤.
(٤) نفسه، ص٥٤.
(٥) نفسه، ص٥٦.

٣٣. كارلايل

كارلايل(١)

[١]

"... هل رأيتم قط أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا، إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذًا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيّلوه حقًا.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل.."(٢).

[٢]

"... إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتلق دروسًا على أستاذ أبدًا، وكانت صناعة الخطّ حديثة العهد آنذاك في بلاد العرب، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية. إنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسّر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره أنه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها؛ لأنه كان بنفسه غنيًا عن كل ذلك. ولم يقتبس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء ـ أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور ـ من كان بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبينه أدنى صلة وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء بين الطبيعة وبين أفكاره"(٣).

[٣]

"لوحظ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ صباه، أنه كان شابًا مفكرًا وقد سمّاه رفقاؤه الأمين ـ رجل الصدق والوفاء ـ؛ الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة. وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لبّ. وقد

رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريمًا برًّا رءوفًا تقيًا فاضلاً حرًا، رجلاً شديد الجدّ مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جمّ البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد، عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك، فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء"(٤).

[٤]
"... ومما يبطل دعوى القائلين أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن صادقًا في رسالته، أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة ـ مع خديجة رضي الله عنها ـ لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة، ولم يكن إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعًا وثار يريد أمرًا جليلاً وشأنًا عظيمًا"(٥).

[٥]
"... لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن القفار والفوات العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمة وحجى ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة، إذ ترى محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سرّ الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره، ولم يكن هنالك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكأنه لسان حال ذلك السرّ يناجيه: ها أنا ذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية. وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء.."(٦).

[٦]
"إني لأحب محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبراءة طبعه من الرأي والتصنّع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبرًا ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراده، يخاطب بقوله الحرّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة. وكان يعرف لنفسه قدرها، وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد.."(٧).

----

(١) توماس كارلايل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) Th. Carlyle: الكاتب الإنجليزي المعروف. من آثاره: "الأبطال" ١٩٤٠م، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، "الثورة الفرنسية"، ...إلخ.

(٢) الأبطال، ص٤٣.
(٣) نفسه، ص٥.
(٤) نفسه، ص٥٠، ٥١.
(٥) نفسه، ص٥١.
(٦) نفسه، ص٥١، ٥٢.
(٧) نفسه، ص.٦٤

٣٤. كلود كاهن

كاهن(١)

[١]

"اصطبغت شخصية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصبغة تاريخية قد لا تجدها عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى"(٢).

[٢]

"يبدو للمؤرخ المنصف أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقيًا وفكريًا، كما استطاع في الوقت نفسه أن يكيف رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها. وحتم علينا أن نلقى محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعواطف الإجلال والاحترام لما تحلى به من سمو الإلهام ومن قدرة على تذليل العقبات الإنسانية عامة والتغلب على مصاعبه الشخصية خاصة. وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئًا من الارتباك تبعًا لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدنيوية وألمحت إلى زوجاته التسع اللائي اتخذهن بعد وفاة خديجة ـ رضي الله عنه ـ. لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الأشراف وبعض الأفخاذ، ثم إن العقلية العربية تقرّ الإنسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقها الله"(٣).

[٣]

"... الحق أننا نتجاوز النقد العلمي الصحيح إذا نحن أنكرنا على كل حديث صحته أو قدمه، ولقد باشر العلماء بمثل هذا التمحيص منذ عهد بعيد فوجدوا أن التحريف أو التلفيق قد لا يعمّان على نسق واحد واستندوا في ذلك إلى بعض الأحاديث التي يمكن اعتبارها سابقة أو حجة يعتد بها. بمعنى أن الموقف النقدي مفروض على الباحث المنصف. وفقهاء المسلمين أنفسهم هم قدوة لنا في هذا المضمار لأنهم ـ على طريقتهم ـ قد التزموا بذلك الموقف منذ العصر الوسيط"(٤).

----

(١) كلود كاهن Cl. Cahen: ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرًا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس ١٩٣٨م، وأستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ ١٩٤٥م، وفي جامعة باريس.

من آثاره: عدد كبير من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة، وحقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عددًا من المؤلفات عن الحروب الصليبية.
(٢) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية (١/ ١٤).
(٣) نفسه (١/ ١٨).
(٤) نفسه (١/ ٩٥).

٣٥. هاملتون كب

هاملتون كب
[١]
"... اقتضى الأمر نشوء علم جديد غايته جمع الحديث ونقده وتصنيفه وتنسيقه والحصول في النهاية ـ بقدر الإمكان ـ على مجموعة متفق عليها يتقبلها الجميع. وقد استأثرت هذه المهمة بالكثير من طاقات الفقهاء والعلماء في القرن الثالث، ولكن القائمين عليها أحرزوا نجاحًا حتى أصبح حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتبر مرجعًا ثانيًا معتمدًا للفقه والعقيدة"(١).
[٢]
"... يكاد يكون من المؤكد أن الآراء التي تعبر عنها الأحاديث ـ التي تم جمعها في القرن الثالث ـ تمثل تعاليم القرآن ومبادئه الخلقية تمثيلاً صادقًا"(٢).
[٣]
"إن بدايات التاريخ العلمي بالعربية تقترن بدراسة سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودراسة أعماله، وعليه فإننا نجد مصدر هذه الدراسة في جمع الحديث النبوي وبخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكان موطن هذه الدراسة هو المدنية، ويفسر لنا ارتباط المغازي بالحديث، هذا الارتباط الذي ترك طابعًا لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد، ما طرأ من تغير هائل ظهر منذ هذه اللحظة في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد. ويمكننا أن نشعر لأول مرة بأننا نستند إلى أساس تاريخي قويم حتى وإن اعترفنا بوجود بعض العناصر المشكوك فيها في أخبار الفترتين، المدنية والمكية، من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ"(٣).
[٤]
"ومهما نقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي آثارها فإنا لا نوصف بالغلو. فقد كان إجلال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شعورًا طبيعيًا محتومًا في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومئ إليه شيء يتجاوز الإجلال. فإن العلاقات الشخصية من الإعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظل صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الوسائل التي أقرّتها الأمة لتستثير بهما مجددين في كل جيل"(٤).
[٥]
".. لولا الحديث لأصبح لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أقل تقدير صورة معممة ـ إن لم نقل بعيدة ـ في أصولها التاريخية والدينية. أما الحديث فقد صور وجوده الإنساني في مجموعة وفيرة من التفصيلات الحية المحسوسة، وبذلك قدم للمسلمين

حين ربط بين المسلمين وبين نبيهم بنفسه الروابط الذاتية الوثيقة التي كانت تصله بأصحابه الأولين، وهي روابط نمت على مر القرون وكانت أقوى من أن تصاب بالضعف. ولم يصبح شخص محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبدًا ذا صبغة مرسومة مقررة، ويكاد لا يكون من الغلو أن نقول إن حرارة ذلك الشعور الشخصي نحو الرسول الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت أبدًا أقوى عنصر حيوي في دين الجماهير الإسلامية أو كانت كذلك بين أهل السنة، على الأقل"(٥).
"... ما تزال الاحتفالات العائلية تختم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعًا معًا على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعًا وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ"(٦).

----

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص٢٠.
(٢) نفسه، ص٢١.
(٣) نفسه، ص١٤٧.
(٤) نفسه، ص٢٥٧.
(٥) نفسه، ص٢٥٧، ٢٥٨.
(٦) نفسه، ص٢٥٩.

٣٦. لورافيشيا فاغليري

لورافيشيا فاغليري

[١]

"... كانت حملة كبيرة على سوريا رهن الإعداد، عندما أسكت الموت إلى الأبد صوت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي كان قد أحدث هذه الهزة العميقة في تلك القلوب كلها، والذي كان مقدرًا له أن يستهوي عما قريب شعوبًا أخرى تقيم في مواطن أكثر إمعانًا في البعد. وكان في السنة الحادية عشرة من الهجرة"(١).

[٢]

"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتمسك دائمًا بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعًا الأناة دائمًا اعتقادًا منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور.. لقد عرف جيدًا أن الله لابد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري"(٢).

[٣]

"حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببعض التهم المفتراة، لقد نسوا أن محمدًا كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

على تهديد الكاذبين والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية، لو كان هو قبل ذلك ـ وحاشاه ـ رجلاً كاذبًا؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه، وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة، حثًا موصولاً؟ كيف استطاع أن يستهل صراعًا كان يبدو يائسًا؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في مكة، في نجاح قليل جدًا، وفي أحزان لا تحصى، إذا لم يكن مؤمنًا إيمانًا عميقًا بصدق رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق ؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان عميقًا وأكيدًا"(٣).

[٤]

"دعا الرسول العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرّفتين على أصفى عقيدة توحيدية، وارتضى أن يخوض صراعًا مكشوفًا مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى..."(٤).

[٥]

"... إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقودًا أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة [رضي الله عنها] التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج كرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء طريق جديد لانتشار الإسلام وباستثناء عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ليس غير، تزوج محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نسوة لم يكنّ لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلاً لا إلهًا. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضًا إلى الزواج من جديد؛ لأن الأولاد الذين أنجبتهم خديجة ـ رضي الله عنها ـ له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائمًا سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعًا، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفاوت مع أي منهن. لقد تصرف متأسّيًا بسنة الأنبياء القدامى ـ عليهم السلام ـ، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدًا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ العائلية؟"(٥).

----

(١) نفسه، ص٣٣.
(٢) نفسه، ص٧٣.
(٣) نفسه، ص٣٧، ٣٨.
(٤) نفسه، ص٤٣.
(٥) نفسه، ص٩٩، ١٠٠.

٣٧. لويس سيديو

[١]

"لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون، ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ."(١).

[٢]

"... لم يعد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه غير خاتم لأنبياء الله ـ عليهم السلام ـ وهو قد أعلن أن عيسى ابن مريم كان ذا موهبة في الاتيان بالمعجزات، مع أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجًا على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة!"(٢).

[٣]

"... إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثبت خلود الروح وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق. ومن مفاخر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أظهره قويًا أكثر مما أظهره أي مشرّع آخر.."(٣).

[٤]

"... ما أكثر ما عرض محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حياته للخطر انتصارًا لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أحد حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنيتاه، وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، ومن الحق أن عرف العالم كيف يحيي قوة إرادته ومتانة خلقه وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل ـ إلى آخر عمره ـ عما يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وشظف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض. وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ حليمًا معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودّون سؤاله، فيسحر كلماؤه بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضج من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلاً فلا ينمّ ما يقول على كبرياء أو استعلاء، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له. ودلّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنه سياسي محنّك..."(٤).

[٥]

"بدت في بلاد العرب أيام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرى على استقلالها والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتألفت أمة واحدة"(٥).

----

(١) قصة الحضارة (١٣/ ٢١، ٢٢).
(٢) نفسه (١٣/ ٣٨).
(٣) نفسه (١٣/ ٤٧).
(٤) نفسه (١٣/ ٥٩).
(٥) نفسه (١٣/ ١٦٧).

٣٨. هنري سيروي

هنري سيروي

[١]

"ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضًا المدنية والأدب"(١).

[٢]

"محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل. وقبل مماته أراد أن يظهر ضميره من كل هفوة أتاها فوقف على المنبر مخاطبًا: "أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحدًا فهاكم ظهري ليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه". فوقف رجل معلنًا أنه يدينه بثلاثة دراهم، فردّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلاً: "أن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خيرٌ من آخرته". ودفع للرجل دينه في التو. وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدوره كنبي يرينا بأن "رينان" كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثين الجهل والخرافات..."(٢).

[٣]

"إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منشئًا لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقرون بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر بمعنى أكيد العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم"(٣).

[٤]

"... إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد ـ لدى العرب ـ إلا لدى وصول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ"(٤).

----

(١) فلسفة الفكر الإسلامي، ص٨.
(٢) نفسه، ص١٧.
(٣) نفسه، ص٣١.
(٤) دفاع عن الإسلام، ص.٢٤

٣٩. ليوبولد فايس

[١]

"... إن العمل بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام. لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وأنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدْهِشُك أن يتقوض ذلك البناء، كأنه بيت من ورق؟"(١).

[٢]

"... إن السنة هي المثال الذي أقامه لنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أعماله وأقواله. إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حيًا وتفسيرًا لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذي قد بلّغ الوحي"(٢).

[٣]

"... إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدي الحديث على أنه نظام ما، فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعموا انتقادهم العاطفي الخالص بنتائج من البحث العلمي. وأنه من الصعب أن يفعل أحد ذلك؛ لأن الجامعين لكتب الحديث الأولى، وخصوصًا الإمامين البخاري ومسلمًا قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضًا أشد كثيرًا من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوربيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم"(٣).

[٤]

"... إن رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو أقسامًا، ليس حتى اليوم، إلا قضية ذوق، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثًا علميًا خالصًا من الأهواء.."(٤).

[٥]

"... إن العمل بالسنة يجعل كل شيء في حياتنا اليومية مبنيًا على الإقتداء بما فعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهكذا نكون دائمًا، إذا فعلنا أو تركنا ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله المماثلة لأعمالنا هذه وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طوال الحياة.."(٥).

----

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ص٨٧.
(٢) نفسه، ص٨٨.
(٣) نفسه، ص٩٢.
(٤) نفسه، ص٩٧.
(٥) نفسه، ص.١٠٩

٤٠. مارسيل بوازار

مارسيل بوازار

[١]

"سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه تبدو، حتى وإن عمد إلى تشويهها، علمية في الحدود التي تكشف فيها وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية.."(١).

[٢]

"لم يكن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق.."(٢).

[٣]

"منذ استقر النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها. ولما كان منظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام. وكما يظهر التاريخ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائدًا عظيم ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرًا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابدّ أن يكون محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله"(٣).

[٤]

"... لقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيًا لا مصلحًا اجتماعيًا. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر.."(٤).

[٥]

"... مما لا ريب فيه أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اعتبر، بل كان في الواقع، ثائرًا في النطاق الذي كان فيه كل نبي ثائرًا بوصفه نبيًا، أي بمحاولته تغيير المحيط الذي يعيش فيه..."(٥).

----

(١) إنسانية الإسلام، ص٤٠، ٤١.

(٢) نفسه، ص٤٢.

(٣) نفسه، ص٤٦.
(٤) نفسه، ص٦١.
(٥) نفسه، ص.٦٦

٤١. ماسيه

[١]
"بفضل إصلاحات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى ليعدّوا دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية".

[٢]
"... كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المشرّع الملهم والمحرك الأول للوحدة الدينية بين جميع الأقوام، وكان بسيطًا وحازمًا.."

٤٢. مونته

[١]
"إن طبيعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحًا دينيًا ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين. وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كبارًا جدًا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبخسوه حقه وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها".

[٢]
"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله".

[٣]
"... ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية".

[٤]
"لا مجال للشك في إخلاص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره..".

٤٣. نهرو

[١]
".. لربما خامرت هؤلاء الملوك والحكام الذين تسلموا كتب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدهشة من هذا الرجل البسيط الذي يدعوهم إلى الطاعة. ولكن إرسال هذه الكتب يعطينا صورة عن مقدار ثقة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه ورسالته.

وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزّة والمنعة وحوّلهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم.. وقد توفي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن جعل من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماسًا...".

٤٤. هارث

[١]
"إن اختياري لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء، ولكن في اعتقادي أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي".

[٢]
"لقد أسس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا...".

[٣]
"... من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح ـ عليه السلام ـ".

[٤]
"... إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يختلف عن المسيح بأنه كان زعيمًا دنيويًا فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال".

[٥]
"... إن هذا الاتحاد الفريد لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخول محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية".

٤٥. مونتغمري وات

[١]
"منذ أن قام كارليل بدراسته عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابه "الأبطال وعبادة البطل" أدرك الغرب أن هناك أسبابًا وجيهة للاقتناع بصدق محمد؛ إذ إن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيرًا عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع. فاتهام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه دجال Imposteur يثير من المشاكل أكثر مما يحلّ. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنًا قبوله. ولا يكفي، مع ذلك، في ذكر فضائل محمد أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه. وإذا أردنا أن نصحح

الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه. ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضًا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنًا وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه.."(١).

[٢]

"هناك ـ على العكس ـ أسباب قوية تؤكد صدق "محمد" ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين؛ لأن النقاش حول هذه المسألة يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافًا في التقدير حول الأخلاقية..."(٢).

[٣]

"... ليس توسع العرب شيئًا محتومًا أو آليًا وكذلك إنشاء الأمة الإسلامية. ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع، ولاستنفذت تلك القوى الجبارة في غارات على سوريا والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة، ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أُوتيها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأكمله؛ لقد أوتي أولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل، فكان للعالم العربي بفضله أو بفضل الوحي الذي ينزل عليه حسب رأي المسلمين، أساس فكري ـ إيديولوجي ـ حلت به الصعوبات الاجتماعية، وكان تكوين هذا الأساس الفكري يتطلب في نفسه الوقت حدسًا ينظر في الأسباب الأساسية للاضطراب الاجتماعي في ذلك العصر، والعبقرية الضرورية للتعبير عن هذا الحدس في صورة تستطيع إثارة العرب حتى أعمق كيانها. وكان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثانيًا رجل دولة حكيمًا، ولم يكن هدف البناء الأساسي الذي نجده في القرآن، سوى دعم التدابير السياسية الملموسة والمؤسسات الواقعية. ولقد ألححنا خلال هذا الكتاب غالبًا على استراتيجية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ السياسية البعيدة النظر على إصلاحاته الاجتماعية ولقد دلّ على بعد نظره في هذه المسائل الانتشار السريع الذي جعل من دولته الصغيرة إمبراطورية، وتطبيق المؤسسات الاجتماعية على الظروف المجاورة واستمرارها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. وكان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثالثًا رجل إدارة بارعًا، فكان ذا بصيرة رائعة في اختيار الرجال الذين يندبهم للمسائل الإدارية. إذ لن يكون للمؤسسات المتينة والسياسة الحكيمة أثر إذا كان التطبيق خاطئًا مترددًا. وكانت الدولة التي أسسها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند وفاته، مؤسسة مزدهرة تستطيع الصمود في وجه الصدمة التي أحدثها غياب مؤسسها، ثم إذا بها بعد فترة تتلاءم مع الوضع الجديد وتتسع بسرعة خارقة اتساعًا رائعًا"(٣).

[٤]

"كلما فكرنا في تاريخ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتاريخ أوائل الإسلام، تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصًا للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى

الظروف تمامًا. فلو لم يكن نبيًا ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهمًا في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام ، من جديد ، برجل هو أعظم رجال أبناء آدم"(٤).

----

(١) محمد في مكة، ص٩٤.
(٢) نفسه، ص٤٩٧، ٤٩٨.
(٣) نفسه، ص٥١٠، ٥١١.
(٤) نفسه، ص.٥١٢

٤٦. ولز

ولز(١)

[١]

"... هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقًا؟ ذلك أن من عرفوا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيمانًا به، وقد آمنت به خديجة ـ رضي الله عنها ـ كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في إخلاصه؛ كان يؤمن بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام إلا يؤمن بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وكذلك علي ـ رضي الله عنه ـ؛ فإنه خاطر بحياته من أجل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أحلك أيامه سوادًا..."(٢).

[٢]

"حجّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع من المدينة إلى مكة قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على شعبه موعظة عظيمة؛ إنّ أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها"(٣).

[٣]

"لقد منح العرب العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ(٤).

----

(١) هربرت جورج ولز (١٨٦٦ – ١٩٤٦م) H. G. Wells: الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨م، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل "آلة الزمن" و"الرجل الخفي"، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية من مثل "ميكافيللي الجديد" و"الزواج". ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فأنجز عام ١٩٢٠م

"معالم تاريخ الإنسانية" وأعقبه بـ"موجز تاريخ العالم"، وكان آخر كتاب أصدره هو "العقل في أقصى تواتراته" ١٩٤٤م. ولولز كتاب في السيرة الذاتية بعنوان: "تجربة في كتابة السيرة الذاتية".

(٢) معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٦٣٩).
(٣) نفسه (٣/ ٦٤٠، ٦٤١).
(٤) موجز تاريخ العالم، ص٢٠٠، ٢٠١.

٤٧. نصري سلهب

نصري سلهب

[١]

"في مكة أبصر النور طفل لم يمرّ ببال أمة _ ساعة ولادته ـ أنه سيكون أحمد أعظم الرجال في العالم بل في التاريخ، ولربما أعظمهم إطلاقًا.."(١).

[٢]

"هنا عظمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد استطاع ـ خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن ـ أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة"(٢).

[٣]

"... هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسي قواعد دولة، وأن يشرّع قوانين ويسنّ أنظمة، ويجود بالتفسير والاجتهادات، ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله، عالمًا قائمًا بنفسه"(٣).

[٤]

"تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات. تراثك مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس، كل سؤال له عندك جواب، كل مشكلة مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاً"(٤).

[٥]

".. لم يكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيمًا وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس. وكان له ما أراد"(٥).

----

(١) في خطى محمد، ص٤٢.
(٢) نفسه، ص١٩٦.
(٣) نفسه، ص٢٧٣، ٢٧٤.
(٤) نفسه، ص٣٩٦.
(٥) نفسه، ص.٤٠٩

٤٨. هنري دي فاستري

هنري دي فاستري

[١]

"إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر على الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علني أجد في هذا البحث دليلاً جديدًا على صدقه وأمانته المتفق تقريبًا عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي"(١).

[٢]

"ثبت إذن أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - لم يقرأ كتابًا مقدسًا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه.."(٢).

[٣]

"... ولقد نعلم أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - مرّ بمتاعب كثيرة وقاسى آلامًا نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمحّضت للدين ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكنًا من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه - صلى الله عليه وسلم - ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيّل وقوة الإدراك.. إلا أن يقول مرارًا ويعيد تكرارًا هذه الكلمات (الله أحد الله أحد). كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد.."(٣).

[٤]

"... لو رجعنا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبل المتكلمون من المسيحيين لأمكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين، ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل - عليه السلام - إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة لأن الصدق حاصل في كل حال"(٤).

[٥]

"لا يمكن أن ننكر على محمد - صلى الله عليه وسلم - في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلن يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني - الدور المدني - وما أوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغًا لا محل للزيادة فيه، وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحًا، وكان قنوعًا خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته، تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيرًا ولا حشما، وقد احتقر المال.."(٥).

----

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص٦.
(٢) نفسه، ص١٦.
(٣) نفسه، ص١٦، ١٧.

(٤) نفسه، ص٢١.
(٥) نفسه، ص٢٤.

٤٩. واشنجتون إيرفنج

واشنجتون إيرفنج

[١]

"كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله"(١).

[٢]

"كانت تصرفات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو"(٢).

[٣]

"لقي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجل نشر الإسلام كثيرًا من العناء، وبذل عدة تضحيات؛ فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحًا كبيرًا، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة"(٣).

[٤]

"برغم انتصارات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثيًا لأسرته"(٤).

[٥]

"كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيرًا ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال، وهو لم يخلف وراءه دينارًا أو درهمًا أو رقيقًا، وقد خيره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة"(٥).

----

(١) حياة محمد، ص٧٢.
(٢) حياة محمد، ص٧٢.
(٣) نفسه، ص٣٠٠.
(٤) نفسه، ص٣٠٢، ٣٠٣.
(٥) نفسه، ص٣٠٣.

٥٠. ول ديورانت

٥١. محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى.. ك. س. رامكرشنة راو

محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى
أحمد ديدات

الكتاب على صغره يعرض لكثير من الجوانب الهامة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة بأسلوب سهل يجمع بين وضوح الفكرة ودقة العبارة.

إنه بمثابة رحلة في أعماق التاريخ ومحاولة للكشف عن جوانب شخصية الرسول العظيمة واستخلاص العبرة من حياة محمد النبي صلى الله عليه وسلم والمثال الأسمى للعالمين.

محمد المثال الأسمى
رؤية فيلسوف هندوسي معاصر لنبي الإسلام
ك. س. رامكرشنة راو
أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور في الهند

محمد نبي الإسلام:

البدايات [١]:

ولد محمد وفقًا لما قرره المؤرخون المسلمون في صحراء الجزيرة العربية يوم العشرين من شهر إبريل في عام خمسمائة وواحد وسبعين بعد المسيح. واسمه يعني "المثنى عليه أو الممدوح أو المحمود حمدًا كثيرًا"[٢] وهو بالنسبة لي أعظم عقل مفكر أنجبته الجزيرة العربية على الإطلاق.

إنه أعظم بكثير من جميع الشعراء والملوك الذين عاشوا قبله أو جاءوا بعده في هذه الصحراء المعزولة ذات الرمال الحمراء.

وحينما ظهر محمد لم تكن الجزيرة العربية شيئًا مذكورًا، ومن هذه الصحراء التي لم تكن شيئًا مذكورًا استطاع محمد بروحه العظيمة أن ينشئ منها عالمًا جديدًا وحياة جديدة وثقافة جديدة وحضارة جديدة ومملكة جديدة امتدت من مراكش إلى شبه القارة الهندية، وأن يؤثر في فكر وحياة ثلاث قارات هي آسيا وإفريقية وأوروبا.

الحاجة إلى التفاهم:

عندما فكرت في الكتابة عن النبي محمد كنت مترددًا بعض الشيء لأنني سأكتب عن دين لا أعتنقه[٣] وإنه لأمر بالغ الحساسية أن يفعل المرء ذلك لأنه يوجد الكثير من الناس الذين يعتنقون ديانات متنوعة وينتمون إلى مذاهب فكرية وطوائف مختلفة حتى داخل الدين الواحد. وعلى الرغم من أن البعض يزعم أحيانًا أن الديانة مسألة شخصية تمامًا فإنه لا يمكن إغفال أن الدين يميل إلى الإحاطة بالكون بأسره ما نرى منه وما لا نرى أيضًا، وهو بطريقة ما يتخلل من حين إلى آخر قلوبنا وأنفسنا وعقولنا في مناطق الوعي وما دون الوعي subconscious واللاوعي unconscious منها، أو أي من تلك المناطق التي تشتمل عليها أو يفترض أنها تشتمل عليها. وتأخذ المسألة أهمية بالغة عندما نقتنع اقتناعًا راسخًا أن ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا رهن هذا الخيط الحريري اللين الدقيق المسمى بالدين، أما إذا كنا شديدي الحساسية فإن مركز الثقل يكون في الغالب دائما في حالة توتر قصوى . وبالنظر إلى المسألة من هذه الزاوية يتضح لنا أنه كلما قل الكلام عن ديانة الآخرين كلما كان ذلك أفضل.

ولندع أدياننا واعتقاداتنا مخفية ومغمورة في أعماق ثنايا قلوبنا الداخلية محصنة بأختام من شفاهنا لا تنكسر.

جماعية الإنسان:

ولكن يوجد جانب آخر لهذه المسألة؛ فالإنسان يعيش في المجتمع وترتبط حياتنا ـ شئنا أم أبينا وبطريقة مباشرة وغير مباشرة ـ بحياة الكثيرين، فنحن جميعًا نأكل من ثمرات تزرع في نفس الأرض ونشرب الماء من نفس النبع ونستنشق هواء نفس الجو، ومع تمسكنا الشديد بآرائنا الشخصية فإنه سيكون من المفيد ـ لا لغرض آخر سوى تشجيع الانضباط المناسب في البيئة المحيطة بنا ـ لو أننا عرفنا أيضًا بدرجة أو بأخرى كيف يفكر جارنا وما هي المنابع الأصلية لتصرفاته.

ومن زاوية الرؤية هذه تصبح محاولة المرء للتعرف على جميع أديان العالم شيئًا مرغوبًا فيه، وذلك بالروح الصحيحة، من أجل تشجيع التفاهم المتبادل والتقبل الأفضل لجيراننا على المدى القريب والبعيد.

كما أن أفكارنا ليست متناثرة ومبعثرة كما تبدو كذلك في الظاهر؛ فلقد تبلورت تلك الأفكار حول بضع أنوية في شكل أديان العالم الكبرى والعقائد الحية التي ترشد وتدفع حياة الملايين من سكان أرضنا هذه. وإذا كنا نفكر في أن نصبح في يوم من الأيام مواطنين للعالم الذي بين أيدينا فمن واجبنا أن نحاول ولو محاولة صغيرة التعرف على أديان العالم الكبرى ونظم الفلسفة التي تحكم البشرية.

النبي شخصية تاريخية[٤]:

وعلى الرغم من هذه الملاحظات التمهيدية فإن الأرض التي يجري عليها الصراع بين العقل والعاطفة في مجال الدين زلقة جدًا لدرجة أن المرء ليُذكّر باستمرار بالحمقى الذين يندفعون حيث تهاب الملائكة الاقتراب والأمر أيضًا معقد جدا لسبب آخر. فموضوع كتابي هو شرائع ديانة تاريخية ونبيها، وهو أيضًا شخصية تاريخية لدرجة أن ناقدًا عدوانيًا مثل السير "وليم موير" يقول متحدثًا عن القرآن الكريم: "لا يوجد في العالم على الأرجح كتابًا آخر بقي إثني عشر قرنًا[٥] بنص بمثل هذا النقاء". ويمكنني أن أضيف أن النبي محمد شخصية تاريخية[٦] أيضًا؛ فكل حادثة في حياته دونت بدقة بالغة وحتى أدق التفاصيل حفظت سليمة للمتأخرين، إن حياته وأعماله لم يكتنفهما الغموض ولم تكن محاطة بالأسرار. ولا يحتاج المرء إلى البحث المجهد عن المعلومات الدقيقة ولا الانطلاق في رحلات مرهقة لكي يفصل القشرة عن حبة الحق[٧].

إساءة عرض وتقديم الإسلام في الماضي:

إن عملي هذا مستتير لأن الأيام التي كان يساء فيها إلى حد بعيد عرض الإسلام وتقديمه بواسطة نقاده[٨] لأسباب سياسية وغير سياسية هي في إدبار وإلى زوال.

يقول الأستاذ بيفان Prof. Bevan في كتاب "كمبردج لتاريخ العصور الوسطى": "إن التقارير التي وصف فيها محمدًا والإسلام المنشورة في أوروبا قبل بداية القرن التاسع عشر يجب اعتبارها الآن مجرد فضول أدبي أو استثناءات أدبية Literary curiosities".

إن المشكلة التي أواجهها من أجل كتابة هذه الفقرة أصبحت أكثر سهولة من ذي قبل لأننا كنقاد ـ وبوجه عام ـ لم نعد نقتات الآن على مثل هذا النوع من التاريخ. ولسنا في حاجة إلى كثير من الوقت نمضيه في الإشارة إلى إساءاتنا في عرض الإسلام وتقديمه.
فمثلاً النظرية التي تقول بانتشار الإسلام بالسيف لم تعد تردد الآن بكثرة في أي دائرة تستحق الذكر. فمبدأ "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"[٩] هو مبدأ معروف ومشهور جدا في الإسلام.
يقول المؤرخ العالمي الشهير "جيبون"[١٠]: "إن شريعة خبيثة قد ألصقت بالمحمديين[١١] وهي واجب استئصال جميع الأديان بالسيف"[١٢].
ويقول المؤرخ البارز أن هذه التهمة الجاهلة والمتطرفة يدحضها القرآن كما يدحضها تاريخ الفتوحات الإسلامية وما اشتهر الفاتحون به من تسامح تجاه العبادة المسيحية معروف ومشروع.
إن أعظم نجاح في حياة محمد جاء نتيجة للقوة الأخلاقية فقط وبلا ضربة سيف واحدة.

الهوامش:
[١] انظر كتاب: "ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد (صلى الله عليه وسلم)" تأليف أحمد ديدات.
[٢] راجع فصل "من هو المعزى"؟
[٣] المؤلف يعتنق الهندوسية.
[٤] تاريخية يعني حقيقة من واقع التاريخ (المترجم).
[٥] لقد بقي القرآن حتى الآن أربعة عشر قرنًا نقيًا ومحفوظًا (المؤلف) وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تصديقًا لقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] المترجم.
[٦] تقول دائرة المعارف البريطانية عن محمد إنه "الأكثر تاريخية من بين جميع الشخصيات الدينية" (المؤلف).
[٧] يقصد المؤلف إنه من اليسير التمييز بين الغث والثمين مما روي عن محمد صلى الله عليه وسلم، أو نسب إليه من أحاديث وأخبار وقد وضعت في ذلك العلوم وصنفت فيه التصانيف (المترجم).
[٨] يقول توماس كارلايل (الكاتب والمؤرخ والفيلسوف الإنجليزي المشهور): "إن الأكاذيب التي أثارتها الحماسة الصادرة عن حسن نية حول هذا الرجل (أي محمد صلى الله عليه وسلم) لا تشين إلا أنفسنا". انظر كتاب "المسيح في الإسلام" تأليف أحمد ديدات، وهو من ترجمتنا ونشر عن دار المختار الإسلامي بالقاهرة.
[٩] من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.
[١٠] هو إدوارد جيبون (١٧٣٧ – ١٧٩٤ بعد المسيح) مؤرخ إنجليزي، يعتبر أعظم المؤرخين الإنجليز في عصره (المورد) (١٩٩٠).

[١١] المؤلف يقصد المسلمين، فكلمة "المحمديون" قد توحي بعبادتهم للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يوجد بين المسلمين من يتخذ هذا النبي الكريم إلهًا أو يعبده (المركز العالمي للدعوة الإسلامية) راجع ص ١٠ –١٢ من هذا الكتاب.
[١٢] هذه ليست شريعة الإسلام ولا القرآن ولا محمد صلى الله عليه وسلم. يقول الله تبارك وتعالى في القرآن: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]. قال خالد الزعفراني في مصحف القادسية المفسر مختصر تفسير الطبري: "{لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم} من جميع الملل". قلت: إذن فلم يأمر الله في القرآن ولا رسوله صلى الله عليه وسلم في السنة باستئصال من لا يؤمن بالإسلام من الملل الأخرى.
قارن ذلك بما جاء في الكتاب المقدس عن ما فعله يهود بني إسرائيل بسكان الأرض المقدسة "فلسطين" حين دخلوها مع يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام الذي يسمونه عندهم يشوع بن نون خادم موسى (يشوع ١ : ١).
"وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" (يشوع ٦ : ٢١).
حرموا كل ما في المدينة: أي حرموا سبي أهلها واستحيائهم والغنيمة أي جعلوا أهلها حرام عليهم سبيهم واستحياءهم وأخذ أنعامهم وقتلوهم جميعًا بحد السيف ولم يبقوا منهم أحدًا. راجع (ص ٤٦ ـ ٤٨) من كتاب "العرب وإسرائيل صراع أم مصالحة؟" تأليف أحمد ديدات، وهو من ترجمتنا ونشر مكتبة النور ـ القاهرة. والتعليقات رقم ١٨ و١٩ و٢٠ بالهامش ص ١٠٢ و١٠٣ من نفس الكتاب (المترجم).

٥٢. الرسول في عيونهم

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد...
بين يديك جلة من أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم)، ومع كونهم لم يرتدوا عباءة الإسلام فإنهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته قد فاضت بكم من الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري إلى أبعد حد مما جعلهم معجبون به إلى حد جعلهم يسطرون فيه الكتب ويذكرون شخصه في كل وقت. وهذا جزء من كل ما قالوا في عظيم شخصه وصفاته الجليلة.
١ـ مهاتما غاندي:
"أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".
٢ـ راما كريشنا راو:

"لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً".

٣- ساروجنى ندو شاعرة الهند:

"يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة، ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر".

٤- المفكر الفرنسي لامارتين:

"إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل (محمدًا (صلى الله عليه وسلم)) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.

لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجهًا بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).

هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم).

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟

٥- مونتجومري:

"إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته

المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدًا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد".

٦- بوسورث سميث:

"لقد كان محمد قائدًا سياسيًا وزعيمًا دينيًا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها".

٧- جيبون أوكلي:

"ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنًا من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يدًا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين".

٨- الدكتور زويمر:

"إن محمدًا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا وبليغًا فصيحًا وجريئًا مغوارًا، ومفكرًا عظيمًا، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء".

٩- سانت هيلر:

"كان محمد رئيسًا للدولة وساهرًا على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة".

١٠- إدوار مونته:

"عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظًا على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم".

١١- برنارد شو:
"إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).
إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها".
١٢- السير موير:
"إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم".
١٣- سنرستن الآسوجي:
"إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرًا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ".
١٤- المستر سنكس:
"ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة".
إلى أن قال:
"إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقيًا كبيرًا جدًا في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد - بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق - إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة".
١٥- آن بيزيت:
"من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم.
هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفيًا لها طيلة ستة وعشرين عامًا ثم

عندما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص.
فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سببًا إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية".
١٦ـ مايكل هارت:
"إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.
فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضًا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها".
١٧ـ تولستوي:
"يكفي محمدًا فخرًا أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعة محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة".
١٨ـ شبرك النمساوي:
"إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته".
لا يسعني إلا أن أقول بعد أن عرضت لبعض أقوال الغرب عن رسولنا الكريم يكفي شريعة الإسلام فخرًا وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها، واعتراف الأعداء بحيويتها وخلودها.

٥٣. المصطفى

"والكاظمين الغيظ"[١]:
كان العرب يتقاتلون لأربعين سنة بسبب حادث بسيط كاقتحام جمل يملكه ضيف إحدى القبائل داخل مراعي القبيلة الأخرى، وتقاتل كلا الجانبين حتى أن سبعين ألف نفس قد حصدت مما هدد بفناء القبيلتين. لمثل هؤلاء العرب الشرسين جاء نبي الإسلام ليعلمهم ضبط النفس والانضباط إلى حد إقامة الصلاة في ساحة القتال.
الحرب دفاعًا عن النفس[٢]:
بعد أن أخفقت تمامًا الجهود المتكررة الرامية إلى المصالحة وطرأت ظروف اضطرته إلى ساحة القتال اضطرارًا دفاعا عن النفس، بدل نبي الإسلام فن (استراتيجية) القتال بالكامل. إن إجمالي الخسائر في الأنفس في جميع الحروب التي

وقعت خلال حياته حين دانت له الجزيرة العربية كلها لا يتعدى بضع مئات. لقد علّم أهماج[٣] العرب الصلاة وأن يصلوا لله القدير جماعة لا فرادى، حتى وسط غبار العواصف والقتال. وكلما حان وقت الصلاة وهو يحين خمس مرات في كل يوم يجب ألا تترك أو تؤجل صلاة الجماعة. فينبغي أن تصلي طائفة فتركع وتسجد بين يدي ربها بينما تشتبك الطائفة الأخرى مع العدو. فإذا قضيت الصلاة فينبغي أن تغير كلتا الطائفتين موقعهما[٤].

التمدن والإنسانية في ساحة القتال:

إن ساحة القتال نفسها صارت مجالاً للتحضر الإنساني، وصدرت توجيهات صارمة بعدم الفساد أو الإتلاف، وعدم الغش وعدم نقض المواثيق، وعدم انتهاك الحرمات، وعدم التمثيل بالقتلى، وعدم قتل الولدان ولا النساء ولا الشيوخ، وعدم قطع النخل أو حرقه، وعدم قطع شجرة مثمرة، وعدم التعرض للرهبان والأشخاص المشغولين بالعبادة.

إن معاملة محمد الشخصية لألد أعدائه هي المثال الأسمى لأتباعه؛ فقد كان في أوج قوته عند فتح مكة. إن القرية التي عذبته هو وأتباعه وأخرجته هو وقومه إلى المغترب واضطهدته وقاطعته بقسوة حتى حينما لجأ إلى مكان يبعد عنها أكثر من مائتي ميل، هذه القرية كانت خاضعة له تمامًا في ذلك الحين، وقد كان يحق له - حسب قوانين الحرب - أن يثأر منها للأعمال الوحشية التي أنزلتها به وبقومه، ولكن أي معاملة تلك التي قابلهم بها؟ لقد فاض قلب محمد بفطرة الحب والرحمة حين صرح قائلاً: "لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٥].

العفو عن ألد الأعداء:

لقد كان أحد الأهداف الرئيسية التي أجاز بسببها الحرب دفاعًا عن النفس هو توحيد البشر. وحينما تحقق هذا الهدف عفى عن ألد أعدائه، حتى أولئك الذين قتلوا عمه الحبيب حمزة وانتهكوا حرمة جسده ومثلوا به فشقوه ولاكوا جزء من كبده.

النظرية تمتزج بالتطبيق:

إن مبدأ الأخوة العالمية[٦] وعقيدة وتعاليم المساواة بين البشر التي أعلنها ونادى بها تمثل مساهمة عظيمة جدًا من محمد للارتقاء الاجتماعي للإنسانية. إن جميع الأديان الكبرى دعت أيضًا إلى نفس العقيدة والتعاليم ولكن نبي الإسلام وضع هذه النظرية في التطبيق الواقعي. وسوف يُعترف بقيمة هذه العقيدة والتعاليم[٧] بعد فترة، ربما حين يستيقظ الضمير العالمي فتختفي التحيزات والتحاملات والأحكام العنصرية المسبقة ويخرج مفهوم أقوى لأخوة البشر إلى الوجود.

الفلاح والملك متساويان أمام الله:

تقول الشاعرة الهندية "ساروجيني نايدو" عن هذا المظهر من مظاهر الإسلام:

"لقد كان الإسلام أول دين يبشر بالديمقراطية ويمارسها، فيجتمع المصلون سويًا في المساجد حين يرفع الآذان لتتجسد ديمقراطية الإسلام خمس مرات في اليوم عندما يركع ويسجد الفلاح والملك جنبًا إلى جنب معلنين أن "الله أكبر". وتمضي شاعرة الهند قائلة: "وقد أدهشتني مرة أخرى هذه الوحدة الإسلامية التي لا انفصام لها، التي

تجعل المرء أخًا بالفطرة؛ فأنت حين تقابل مصريًا وجزائريًا وهنديًا وتركيًا في لندن فلا فرق إلا أن مصر هي بلد أحدهم والهند بلد الآخر".

الإسلام حضَّر أسبانيا وهو اليوم الحل للمشاكل الاجتماعية:

يقول "المهاتما غاندي"[٨] بأسلوبه الذي لا يحاكى:

"لقد قال أحد الأوربيين في جنوب إفريقية أنهم يخشون مجيء الإسلام. الإسلام الذي حضَّر ومدَّن أسبانيا، الإسلام الذي حمل مشعل النور إلى مراكش وبشر العالم ببشارة[٩] الأخوة.

إن الأوروبيين في جنوب إفريقية يخشون مجيء الإسلام لأنه يقرر ويؤكد مساواة الملونين بالأجناس البيضاء، فليخشونه بجد. وإذا كانت الأخوة خطيئة وإذا كانت المساواة بالأجناس الملونة هو ما يخشونه، فخشيتهم إذن في محلها".

الحج شهادة حية:

يرى العالم كل عام في موسم الحج المشهد الرائع لهذا الاستعراض العالمي للإسلام وهو يسوي جميع الفروقات في الجنس واللون والمكانة. ولا يجتمع الأوربيون والأفارقة والفرس والهنود والصينيون سويًا في مكة كأفراد أسرة ربانية واحدة فحسب، ولكنهم يرتدون زيًا موحدًا أيضًا (إزار) فيرتدي كل رجل منهم قطعتين ساذجتين[١٠] من القماش الأبيض غير المخيط؛ إحداهما حول سوءته، والأخرى فوق كتفيه (رداء)، وهو حاسر الرأس في غير خيلاء ولا تكلف مرددًا: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك"[١١].

وبذلك لا يبقى ما يفرق بين الرفيع والوضيع. ويحمل كل حاج معه إلى بلده انطباعًا بالمدلول العالمي للإسلام.

إن كلمات الأستاذ "هوجرونجي" توضح هذه المسألة حيث يقول: "إن عصبة الأمم التي أسسها نبي الإسلام تضع مبدأ الوحدة الإسلامية والأخوة الإنسانية على أسس عالمية بحيث تعطي للأمم الأخرى مثالاً يحتذى". ويمضي قائلاً: "الحقيقة هي أنه لا توجد أمة في العالم يمكن أن تضاهي ما فعله الإسلام حيال تحقيق فكرة عصبة الأمم".

الإسلام منارة لعالم ضل السبيل:

إن نبي الإسلام قد جاء بحكم الديمقراطية في أحسن أشكالها[١٢].

إن الخليفة عمر، والخليفة علي زوج ابنة النبي، والخلفاء المنصور، والعباس بن الخليفة المأمون، وخلفاء وملوك آخرين كثيرين كان عليهم أن يمثلوا أمام القضاة كرجال عاديين في المحاكم الإسلامية. ونحن نعلم كيف يُعامَل السود بواسطة الأجناس البيضاء المتحضرة حتى يومنا هذا.

ولنأخذ كمثال منزلة بلال العبد الحبشي في أيام نبي الإسلام زهاء أربعة عشر قرنًا خلت؛ إن العمل كمؤذن لصلاة المسلمين كان يعتبر عملاً يدعو للاحترام في أيام الإسلام المبكرة. وقد أعطي هذا العمل لهذا العبد الحبشي، وأمره النبي بعد فتح مكة أن ينادي للصلاة فوقف هذا العبد الحبشي ذو البشرة السوداء والشفتين الغليظتين على سطح الكعبة المشرفة أكثر الأماكن عراقة وقداسة في العالم الإسلامي، وهنالك

صرخ أحد العرب المستكبرين بصوت عال متألمًا: "الويل لهذا العبد الحبشي الأسود، إنه يقف فوق سطح الكعبة المشرفة لينادي للصلاة ".
وقد ألقى نبي الإسلام خطبة كانت كأنها الرد على هذه الثورة التي تفوح منها رائحة الكبرياء والهوى اللذين عزم نبي الإسلام على استئصالهما، قال فيها ما معناه:
"الحمد لله الذي أذهب عنا نخوة[١٣] الجاهلية وتفاخرها بالأنساب. أيها الناس اعلموا أن الناس فريقين: الأبرار المتقين الفائزين عند الله، والفجار القاسية قلوبهم السفلة الذين تزدريهم عين الله، وإلا فإن الناس كلهم لآدم وخلق الله آدم من تراب".
وقد صدق القرآن هذا فيما بعد وأكده بهذه الكلمات:
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].
التحول فوق العادي:
إن نبي الإسلام أحدث تحولاً هو من العظم بحيث أن أكرم العرب وأخلصهم نسبًا عرضوا بناتهم للزواج من هذا العبد الحبشي. وكلما رأى خليفة الإسلام الثاني المعروف في التاريخ بأمير المؤمنين عمر العظيم، هذا العبد الحبشي وقف له احترامًا ورحب به معلنًا: "هاهو قد جاء سيدنا، هاهو قد جاء مولانا".
فيا له من تحول هائل هذا الذي أحدثه القرآن والنبي محمد في العرب أكثر الناس تفاخرًا بالأنساب على الأرض في ذلك الحين. وهذا هو السبب الذي دعا "جوته[١٤] Goethe" أعظم الشعراء الألمان يعلن وهو يتكلم عن القرآن الكريم أن: "هذا الكتاب سيستمر في ممارسة تأثير قوي جدًا عبر جميع العصور".
وهو السبب أيضًا الذي دعا "جورج برنارد شو[١٥] George Bernard Show" يقول: "لو قدر لأي دين أن يسود إنجلترا، لا بل أوروبا في غضون المائة عام المقبلة، فالإسلام هو هذا الدين".
الإسلام حرر المرأة:
لقد كانت نفس روح الإسلام الديمقراطية هذه هي التي حررت المرأة من قهر الرجال. يقول السير "تشارلز إدوارد أرشيبالد هاملتون":
"إن الإسلام يُعَلِّمُ البراءة الأصلية[١٦] للإنسان، ويعلم أن الرجل والمرأة جاءا من نفس واحدة[١٧]، وأنهما يملكان نفس الروح، وأنهما مُنحَا قدرات متساوية من المواهب العقلية أو الفكرية والروحية أو الدينية والأخلاقية"[١٨].
إقرار حق الملكية للنساء:
كان للعرب عادة شديدة التأصل هي أن من يرث هو فقط من يطعن بالرمح ويصنع السيف. ولكن جاء الإسلام ليدافع عن الجنس الضعيف وأعطى المرأة حق المشاركة في وراثة الوالدين[١٩]، وأعطى الإسلام المرأة من قرون مضت حق ملكية المال. بينما طبقت إنجلترا ـ التي يفترض أنها مهد الديمقراطية هذا المبدأ الإسلامي بعد اثني عشر قرنًا وفي عام ١٨٨١ بعد المسيح فقط ـ وصدر مرسوم سمي مرسوم النساء المتزوجات" (The Married Women's Act).

ولكن قبل ذلك بقرون كان نبي الإسلام قد أعلن أن "النساء شقائق الرجال وحقوق النساء مقدسة"، "لا تبخسوا النساء حقًا مما فرض لهن"، "استوصوا بالنساء خيرًا" (الأحاديث بالمعنى).
يقول "توماس كرلايل" عن محمد: "إن الصوت الفطري للإنسانية والتقوى والإنصاف الساكن في قلب هذا الابن البري للطبيعة، يتكلم".
الاختبار:
قال أحد المؤرخين ذات مرة: يجب أن يحكم بعظمة الرجل من خلال ثلاثة اختبارات:
(١) هل كان عند معاصريه ذو عزم صادق؟
(٢) هل كان من العظمة بحيث يرتفع فوق مستوى من هم في سنه؟
(٣) هل ترك شيئًا كتراث دائم للعالم كافة؟[٢٠]
يمكن لهذه القائمة أن تمتد إلى مدى أبعد ولكن كل هذه الاختبارات الثلاثة للعظمة تتحقق بوضوح ولأعلى درجة في حالة النبي محمد.
وقد ذكرنا من قبل بعض الأمثلة فيما يتعلق بالاختبارين الأخيرين.
دعنا نتناول أول هذه الاختبارات وهو:
هل كان نبي الإسلام عند معاصريه ذو عزم صادق ؟
الشخصية المعصومة:
تظهر السجلات التاريخية أن جميع معاصري محمد الأصدقاء والأعداء اعترفوا بالشمائل النقية والاستقامة الخالصة والفضائل الكريمة والإخلاص المطلق والأمانة المطلقة لرسول الإسلام في جميع نواحي الحياة وفي كل مجال للنشاط الإنساني. حتى أن اليهود وأولئك الذين لم يؤمنوا برسالته قبلوه حكمًا في نزاعاتهم الشخصية[٢١] بسبب ما عرفوه عنه من تحريه عدم التحيز.
وحتى أولئك الذين لم يؤمنوا برسالته اضطروا لأن يقولوا: "يا محمد إننا لا نكذبك ولكننا نكفر بالذي أعطاك كتابًا وأوحى إليك بالرسالة"[٢٢].
وقد ظنوا أن به جنة، وحاولوا علاجه بالعنف. ولكن أحسنهم طريقة رأوا نورًا جديدًا أشرق عليه وأسرعوا في طلب هذا التنوير.
إن الميزة البارزة في سيرة نبي الإسلام أن عشيرته الأقربين كابن عمه الحبيب وأصحابه الحميمين الذين عرفوه معرفة وثيقة جدًا تشربوا بالكامل بصدق رسالته واقتنعوا بأصالة الوحي الإلهي الذي جاء به.
يقول سيد أمير علي في كتابه "روح الإسلام":
"لو أن هؤلاء الرجال والنساء والشرفاء والعقلاء، ومن المؤكد أنهم لم يكونوا أقل تعليمًا وثقافة من صيادي السمك بالجليل[٢٣]، شعروا بأدنى إشارة إلى رغبة المعلم[٢٤] الدنيوية وخداعه أو نقص إيمانه، لكان رجاء محمد في التجديد الأخلاقي والإصلاح الاجتماعي قد انهار إلى أنقاض في لحظة".
إننا نجد على العكس إخلاص أتباعه له يتمثل في اعترافهم به بإرادتهم كقائد لحياتهم، وقد تحملوا من أجله الاضطهاد والخطر بشجاعة وآمنوا به ووثقوا فيه وأطاعوه ووقروه حتى في خلال تعرضهم لأشد العذاب والكرب العقلي بسبب فرض العزلة عليهم حتى الموت.

هل يكون هذا هو حالهم لو أنهم لاحظوا على قائدهم أدنى اعوجاج؟

الحب السرمدي للنبي الكريم:

لتقرأ سيرة المهتدين الأوائل إلى الإسلام وسينفطر كل قلب لمنظر المعاملة الوحشية للرجال والنساء الأبرياء؛ فقد مزقوا بقسوة سمية تلك المرأة البريئة كل ممزق بالطعن النافذ بالحراب. أما ياسر (زوجها) فقد جعلوه عبرة، وشدوا ساقيه إلى ناقتين وسيقت الدابتين في اتجاهين معاكسين.

أما خباب بن الأرت فجعلوه يرقد على سرير من الجمرات المحترقة وجثم الطغاة عديمو الرحمة بأرجلهم بوحشية فوق صدره حتى لا يتحرك مما جعل الشحم تحت جلده ينصهر.

وخباب بن عَديّ الذي قتلوه بطريقة وحشية ومثلوا بجسده وانتهكوا حرمته ومزقوه إربًا إربًا.

وحينما كان يُسأل في وسط هذا التعذيب إن كان يرجو لو أن محمدًا كان مكانه وهو آمن في بيته بين أهله؟ كان يصرخ معلنًا أنه مستعد عن طيب خاطر أن يفتدي محمدًا بنفسه وأهله وأبنائه ومن في الأرض جميعًا، ثم ينجيه من وخزة الشوكة حتى لا يشاكها.

ويمكننا أن نروي روايات لا حصر لها عن أحداث من هذا القبيل تنفطر لها القلوب.

ولكن ما الذي تظهره كل هذه الأحداث؟

ما السبب في أن أبناء وبنات الإسلام هؤلاء لم يُسَلّموا لنبيهم طاعة وتسليمًا فحسب، وإنما جعلوا أجسامهم وقلوبهم وأنفسهم فداه؟

ألم يكن إيمان أتباع محمد المباشرين واقتناعهم الشديد أرفع شهادة على صدقه واستغراقه التام في المهمة التي كلف بها؟

أتباعه من أحسن الناس عقلاً ومنزلة:

ولم يكن أصحابه من السفلة أو من ذوي العقليات المتدنية، بل الذين التفوا حوله في وقت مبكر نسبيًا هم أفضل وأشرف من في مكة، كانوا وجوه القوم وصفوتهم، رجال لهم مراكزهم ومكانتهم وثراءهم وثقافتهم من الأصحاب والأقارب الذي عرفوا أدق التفاصيل في حياته.

إن جميع الخلفاء الأربعة الأوائل بشخصياتهم الشامخة كانوا ممن اهتدى في هذه الفترة المبكرة.

تقول دائرة المعارف البريطانية: "إن محمدًا هو الأكثر نجاحًا وتوفيقًا من كل الأنبياء والشخصيات الدينية".

ولكن هذا النجاح لم يكن نتيجة مصادفة مجردة، لم يكن ثمرة أسقطتها الرياح؛ لقد كان اعترافًا بحقيقة أن معاصريه وجدوه ذو عزم صادق، وكان نتيجة لشخصيته التي تدعو إلى الإعجاب وتدفع بشدة إلى الانتباه.

الهوامش:

[١] من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران.

[٢] إن الحرب دفاعًا عن النفس أمر طبيعي ومشروع في كل عرف ودين، ويحلو لبعض المستشرقين وغيرهم ـ عند الكلام عن دواعي الحرب في الإسلام ـ الزعم بأن الإسلام جاء ليفرض على الجميع بحد السيف، وذلك لإظهار الإسلام بصورة زائفة مشوهة والصد عنه بإخفاء تعاليمه السمحة، أو القول بأن الإسلام انتشر بالسيف كمحاولة للنيل من عظمة الإسلام والتقليل من شأنه. وفريق آخر من المسلمين ومعهم بعض المستشرقين وربما بإيعاز ووحي منهم أو تأثرًا بهم في محاولة منهم لإظهار ما يسمونه "الوجه الحضاري للإسلام" (كأن للإسلام وجهًا آخر ليس كذلك)، أو إرضاءً لدعاوى تفريغ الإسلام من مضمونه وتزييف حقائقه وتمسكًا منهم بأحاديث ضعيفة وربما موضوعة مما ينسبونه للرسول صلى الله عليه وسلم من قول: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر". ويفسرون الجهاد الأصغر بأنه القتال في سبيل الله، والجهاد الأكبر بأنه جميع أركان وفرائض وفضائل الإسلام ما عدا القتال في سبيل الله!

إن القول بأن الإسلام انتشر بالسيف بمعنى أن الناس أكرهوا على اعتناقه هو غلط شنيع، كما أن القول بأن الإسلام لم يرفع سيفًا في نشره هو أيضًا خطأ جسيم؛ فإن الإسلام يشرع استخدام السيف في مرحلة متأخرة عند منع تبليغ الإسلام سلمًا. إذن فالإسلام شرع القتال عند الامتناع عن دفع الجزية، أو الوقوف حائلاً دون نشر الدين، فضلاً عن شرعه للدفاع عن النفس. (المترجم)

[٣] أهماج: جمع همج، وهم الرعاع من الناس لا نظام لهم. (المعجم الوسيط).

[٤] يشير المؤلف هناك إلى صلاة الخوف التي صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسلمين في ساحة القتال استجابة لأمر ربه وبالكيفية التي علمها له ربه حيث يقول في كتابه العزيز: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا، وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: ١٠١، ١٠٢] (المترجم).

[٥] انظر كتاب: "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن قيم الجوزية، طبعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، نشر المكتبة التوفيقية بالحسين، م١ حـ٢ ص ١٦٥. (المترجم)

[٦] يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]، ويقول تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٣]، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم"، ويقول أيضًا: "وكونوا عباد الله إخوانًا" (الأحاديث بمعانيها).

[٧] يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١]، ويقول صلى الله عليه وسلم: "الناس سواسية

كأسنان المشط، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا: "كلكم لآدم وآدم من تراب"، وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (الأحاديث بمعانيها) (المترجم).

[٨] هو "موهانداس كرمشند غاندي" (١٨٦٩ – ١٩٤٨م): زعيم سياسي وروحي هندي، نادى باللاعنف. وبالمقاومة السلبية، وعمل لاستقلال الهند. (المورد، ١٩٩٠).

[٩] تترجم كلمة "جوسبل Gospel" بالبشارة، كما تترجم أيضًا بالإنجيل. وأصلها في الإنجليزية القديمة "جودسبلGodspel "، وهي ترجمة للكلمة اللاتينية "إفانجليوم evangelium" التي تعني حرفيًا القصة الطيبة (قاموس تشيمبرز للقرن العشرين). والبعض يترجمها بالبشارة أو النبأ السار أو السعيد أو الخبر المفرح، وقد بشر الإسلام بالأخوة الدينية في أسمى معانيها ودرجاتها على أساس من تقوى الله وتكافل البشرية. وما أكثر السرور والسعادة والفرح الذي تدخله هذه البشارة على قلوب المؤمنين. (المترجم)

[١٠] الساذج: الخالص غير المشوب، وغير المنقوش. وهي ساذجة. (معرب، فارسيته: سادة) (المعجم الوسيط).

[١١] يسمى هذا المنسك من مناسك الحج "بالتلبية" ولفظها: "لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك" وهي شعار الحج ودليل الإحرام. ويقال: لبيك: لزومًا لطاعتك، أو إلبابًا بعد إلباب، وإقامة بعد إقامة، وإجابة بعد إجابة. أو معناه: اتجاهي إليك وقصدي وإقبالي على أمرك. مأخوذ من قولهم: داري تلب داره: تواجهها وتحاذيها، وهو مصدر منصوب ثنى على معنى التأكيد. ولبى بالحج: قال: لبيك اللهم لبيك. (المعجم الوسيط) (المترجم).

[١٢] لولا يسمون الأشياء بأسمائها وينسبونها لأصحابها؛ فالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن وهو كلام الله وشرعه وحكمه، والله هو الذي قرر مبدأ الشورى فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه إذ يقول: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٩]، ومدح المسلمين فقال عنهم: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى: ٣٨]. إن الديمقراطية في أفضل تصوراتها هي حرية الشعب في إبداء رأيه والمشاركة في الحكم في وطنه، وهي كما ترى لا تخلو من النقائص البشرية. أما الحكم في الإسلام فهو قائم على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع والشورى. هذا حكم الله {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠] لا أحد! فهلا فهم الناس الفرق ؟! (المترجم).

[١٣] النخوة: العظمة والتكبر (المعجم الوسيط).

[١٤] هو "برهان فولفجانج فون جوته" (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م): شاعر ألماني، يعتبر أعظم الشعراء الألمان في جميع العصور. (المورد، ١٩٩٠).

[١٥] جورج برنارد شو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠م): كاتب مسرحي إنجليزي أيرلندي المولد، تزخر آثاره بالظرف والسخرية. (المورد، ١٩٩٠).

[١٦] أي أن الإنسان يولد بريئًا بلا ذنوب، بخلاف ما تعلمه المسيحية من القول بالخطيئة الأصلية للإنسان Original sin. وبأن البشرية ورثت خطيئة آدم وأن الأبناء يرثون خطايا الآباء. فالإسلام يعلم أن المرء يولد على الفطرة وأن {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر: ٣٨]، و{لا يكلف الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨]، {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: ٣٩]، {وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤]، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧، ٨] (المترجم).
[١٧] يقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١].
[١٨] يقول الله سبحانه وتعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]، ويقول تبارك وتعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} [النساء: ١٢٤].
[١٩] قال تبارك وتعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} [النساء: ٧]، وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا} [النساء: ١٩]. قال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف في صفوة البيان لمعاني القرآن: {لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا}: أي تأخذوهن على سبيل الإرث، كما يؤخذ المال الموروث بعد موت أزواجهن مكرهين لهن على ذلك، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية. قلت: فقد كان الرجل منهم يرث زوجة أبيه ويتزوجها من بعده فنهى الله تبارك وتعالى عن ذلك في قوله: {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً} [النساء: ٢٢] (المترجم).
[٢٠] يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي" (معنى الحديث) (المترجم).
[٢١] لقد فضح الله تعالى موقفهم المتناقض برفضهم للرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم معتذرين بأنهم أهل كتاب ولهم كتاب وشرع كامل لا يزيد ولا ينقص ولا ينسخ، صالح لكل الأزمنة والمجتمعات، وذلك بما حفظه لنا من تحاكمهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول الله تبارك وتعالى مخاطبًا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} [المائدة: ٤٣].
[٢٢] يصدق ذلك ما جاء في القرآن من قوله تبارك وتعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: ٣٣].
[٢٣] يشير المؤلف هنا إلى تلاميذ المسيح حسب ما جاء في أناجيل النصارى المعتمدة. وما يثير الدهشة هو أن النصارى يؤمنون بأن مؤلفي الأناجيل هم من هؤلاء الصيادين البسطاء، وهو الأمر الذي ينفيه العلم كما ينفيه ما تضمنته بعض تلك الأناجيل من أساليب وثقافة بعيدة كل البعد عن صيادي الجليل. ولم يكن باستطاعة أحد تلاميذ المسيح (وكلهم يهود) بل ولم يكن مسموحًا لهم الاطلاع على هذه الثقافات

والمقالات الوثنية التي وردت في الأناجيل وخاصة في إنجيل يوحنا. ونحن نستبعد نسبة أي من هذه الأناجيل لمؤلفيها المفترضين الذين تقترن أسماؤهم بها. هذا بصرف النظر عن كون المؤلف المفترض أحد تلاميذ المسيح حقًا ـ كما يزعم في متى وإلى درجة أقل في يوحنا ـ أم لا، كما نميل إلى القول بأن أحدًا منهم لم يعلم الكتابة سوى متى العشار (جاب الضرائب) استنادًا لما روي عن ذلك في الأناجيل مع الافتقار إلى الدليل وفقدان العصمة ووقوع الخطأ في جميع أسفار الكتاب المقدس. راجع كتاب "هل الكتاب المقدس كلام الله؟" لأحمد ديدات. ومقال بعنوان "خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس؟" نشر في مجلة "آويك المسيحية" في ١٩٥٧/٩/٨ من منشورات دار المختار الإسلامي.

أما الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فقد مدحهم المولى سبحانه وتعالى في عدة مواضع من كتابه العزيز وشهد لهم بالإيمان وبرضى الله عنهم. وكذلك شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالفضل والخيرية في أحاديثه.

وهذا كله خلاف وصف الكتاب المقدس لأتباع أنبياء بني إسرائيل بالكفر وقلة الإيمان وعدم الفطنة وسوء الخلق والجهل. هذا وقد سطر التاريخ بأحرف من نور سير هؤلاء الصحابة كتراث خالد للعالم كله ومعالم للهداية الإنسانية. (المترجم)

[٢٤] يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أثبت الله في كتابه المبين صفة التعليم لسيد المرسلين وأقرها له وجعلها مهمة مشروعة من مهام رسالته هذا بعكس ما يردده بعض الجهلاء من أقاويل تزعم أن دوره كان مقتصرا على تبليغ الرسالة في محاولة منهم لنفي أي دور أو مهمة تعليمية لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول للبشرية وهاديها ومرشدها وخير مبعوث وأنفعهم لها وأرحمهم بها ويقول الله تبارك وتعالى في ذلك:

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة:] (المترجم)

٥٤. الصـــادق

المثال الكامل لحياة البشر:

إنه من الصعب جدا أن نصل إلى الحقيقة الكاملة لشخصية محمد. إنني لم أستطع الحصول إلا على لمحة سريعة منها. يا لها من تعاقب مثير لمشاهد رائعة!

فهناك محمد النبي ومحمد القائد ومحمد الملك ومحمد المقاتل ومحمد التاجر ومحمد الواعظ أو البشير ومحمد الحكيم ومحمد رجل الدولة ومحمد الخطيب ومحمد المصلح والمجدد ومحمد ملاذ اليتامى ومحمد حامي العبيد (الرقيق) والمدافع عنهم[١] ومحمد محرر النساء[٢] ومحمد القاضي والحكم ومحمد القديس.

ولقد كان محمد بطلاً في كل هذه المهام الجليلة وفي جميع مجالات النشاط الإنساني على حد سواء.

إن حال اليتيم هو منتهى الضعف وانعدام الحيلة.

وقد بدأ محمد حياته يتيمًا. والملك هو ذروة السلطة المادية، وقد انتهت إليه حياته[٣].

وقد تقلب حاله من صبي يتيم إلى لاجئ مضطهد ثم إلى سيد[٤]ـ بالمفهوم الديني والدنيوي أيضًا ـ لأمة بأكملها، مقررًا لمصيرها بكل ما فيه من تجارب وإغراءات ومخاطر وبكل ما فيه من تقلبات وتغيرات ومن ضياء وظلام ومن ارتقاء وانحدار ومن فظاعة وعظمة.
لقد قاوم محن الدنيا وخرج منها سالمًا ليكون مثالاً يحتذى في كل مرحلة من مراحل الحياة. ولم تقتصر إنجازاته على جانب واحد من جوانب الحياة ولكنها شملت أيضًا جميع أوضاع البشرية الاجتماعية.
محمد الأعظم:
لو أن العظمة تكمن في تنقية وتطهير أمة مشربة بالهمجية والتخلف ومنغمسة في ظلام أخلاقي مطلق، فإن الشخص المتميز بالفاعلية والمليء بالقوة والنشاط الذي استطاع أن يحول ويهذب وينهض بأمة بأكملها غارقة في الحضيض ـ كما كان حال العرب ـ ويجعلهم حملة مشاعل الحضارة والمدنية والتعليم، له كل الحق في هذه العظمة.
ولو أن العظمة تكمن في توحيد العناصر المتنافرة والمتضاربة والمتشاكسة والمختلفة في المجتمع برابطة الأخوة والإحسان، فإن لنبي الصحراء كل الحق لهذا الامتياز.
ولو أن العظمة تكمن في إصلاح هؤلاء الغارقين في أوهام ومعتقدات خرافية منحطة ومخزية وممارسات خبيثة مهلكة متعددة الأنواع، فإن نبي الإسلام قد بدد الأوهام والمعتقدات الخرافية والمخاوف المنافية للعقل والمنطق من قلوب الملايين.
ولو أن العظمة تكمن في نشر الأخلاق السامية، فإن الأعداء والأصحاب شهدوا لمحمد بأنه الصادق الأمين.
ولو أن الفاتح المنتصر رجل عظيم، فهاهو إنسان قد بلغ مرتبة مساوية للأكاسرة والقياصرة بعد أن كان مخلوقًا بسيطًا يتيمًا لا حول له ولا قوة. وأسس إمبراطورية عظيمة ظلت كذلك على مدى هذه القرون الأربعة عشرة.
ولو أن الحب الشديد الذي يناله القائد هو المقياس للعظمة، فإن مجرد ذكر اسم هذا النبي له تأثير الرقية الفاتنة ـ حتى في يومنا هذا ـ على ملايين الأنفس المنتشرة في جميع أنحاء العالم.
النبي الأمي:
لم يدرس محمد الفلسفة أو الحكمة في مدارس أثينا أو روما أو فارس أو الهند أو الصين. ومع ذلك فقد استطاع أن يكشف للبشرية أسمى وأعلى الحقائق الخالدة القيمة، وبالرغم من كونه أميًا فقد كان يستطيع الكلام بفصاحة وحماسة تدفع الرجال إلى دموع الفرحة، ومع أنه ولد يتيمًا وبلا أموال دنيوية فقد كان محبوبًا من الجميع.
كما أنه لم يدرس في أية أكاديمية عسكرية ومع ذلك فقد كان يستطيع تنظيم قواته في مواجهة ظروف مروعة، وانتصر بواسطة القوات العسكرية ذات الخلق والدين التي كان ينظم ويرتب صفوفها بنفسه.
إنه نادرًا ما نجد الرجال الموهوبين بالقدرة الفائقة على الوعظ والحديث الجاد. وقد اعتبر "ديكارت"[٥] Descartes الواعظ الماهر ضمن أندر أصناف الرجال في العالم.

وقد عبر "هتلر"[٦] عن رأي مشابه في كتابه "كفاحي". حيث يقول: "من النادر أن يكون واضع النظريات قائدًا عظيمًا، أما المحرك الاجتماعي أو السياسي فامتلاكه لتلك الصفات التي ترشحه للقيادة أرجح إلى حد بعيد، فهو دائمًا قائدًا أفضل؛ فالقيادة تعني القدرة على تحريك جموع البشر، والقدرة على تقديم الأفكار لا علاقة لها بالقدرة على القيادة".
ولكنه يضيف: "إن اتحاد صفات وضع النظريات والتنظيم والقيادة في شخص واحد هي ظاهرة من النادر جدًا حدوثها في هذا العالم. وهنالك تكمن العظمة".
وقد شاهد العالم هذه الظاهرة النادرة تتجسد في شخص عاش على الأرض هو نبي الإسلام.
يقول "كارلايل"[٧] في كتابه "الأبطال وعبادة الأبطال":
"لقد كان محمدًا رجلاً فقيرًا، شديد الكدح، غير قادر على الإعالة، لا يهتم بما يجتهد في طلبه الرعاع أو السوقة. وفيما أرى فإنه لم يكن امرؤ سوء، ولم يكن طالب شهوة من أي نوع، وإلا ما وقره هؤلاء الرجال الوحشيين[٨]، الذين قاتلوا وخاضوا الملاحم طوع أمره خلال ثلاث وعشرين سنة، وهم في ذلك وثيقوا الصلة به دائمًا، كل هذا التوقير!
"لقد كانوا رجالاً وحشيين يندفعون بين الفينة والفينة بقوة إلى التشاجر وكل ألوان التشاحن العنيف، وما كان يستطيع أي رجل أن يقودهم بدون أن يمتلك القيمة الأخلاقية والشجاعة.
أو إنكم لتعجبون كيف دعوه واعتبروه نبيًا؟
أولم يقف وسطهم ظاهرًا لهم يواجهونه ويخاطبونه بلا حاجب بينه وبينهم، غير محاط بأي سر من الأسرار الدينية أو غموض. فكان يرى وهو يرقع ثوبه ويصلح نعله، ويقاتل ويستشير ويصدر الأوامر وهو بينهم. فلابد أنهم أدركوا أي نوع من الرجال كان.
ولتسمه ولتدعه ما تشاء! إنه لم يطع إمبراطورًا جليلاً متوجهًا مثلما أطيع هذا الرجل في ثوب رقعه بنفسه.
وإنني لأجد أن خوضه ثلاثة وعشرين عامًا من التجارب الحرجة الصعبة يستلزم بالضرورة نوعًا من البطولة الحقيقية".
والأعجب من ذلك ما يقوله القس "بوزوورث سميث" Bosworth Smith:
"لقد كان رئيسًا للدولة ولجماعة تدين بنفس العقيدة، لقد كان يجمع سلطة ومقام قيصر والبابا معًا، ولكنه بابا بدون خيلاء البابا وغروره، وقيصر بلا فيلق[٩] أو حشوده وبلا جيش عامل ولا حارس شخصي ولا قوة من الشرطة ولا دخل ثابت. لو أن ثمة رجل كان له الحق في أن يدعي أنه يحكم بالحق الإلهي فقد كان هذا الرجل هو محمد، فقد كانت معه جميع السلطات من غير أن يكون معه ما يدعمها أو يحافظ عليها. وقد كانت بساطة حياته الخاصة متطابقة ومنسجمة مع حياته العامة".
محمد الطاهر النقي:
لقد صارت مساحة تقدر بمليون ميل مربع تحت تصرفه بعد فتح مكة. إن سيد جزيرة العرب كان يصلح نعله ويرتق أو يرفو ملابسه الصوفية الخشنة ويحلب الشياة

ويكنس البيت ويوقد النار ويقوم بالأعمال المنزلية الأخرى التي يعهد بها إلى الخدم عادة. وفي الأيام الأخيرة من حياته كانت المدينة حيث كان يقيم قد صارت أكثر غنى، وكان الذهب والفضة متوفرين في كل مكان. وعلى الرغم من الرخاء الاقتصادي الذي كانت تشهده المدينة في تلك الأيام فإن أيامًا كثيرة كانت تمضي من غير أن توقد النار في بيت ملك جزيرة العرب[١٠].

وكان طعامه يقتصر على (الأسودين) التمر والماء، وكان أهل بيته يبيتون جوعى ليال عديدة متعاقبة لأنه ليس ثمة طعام يأكلونه في تلك الليالي، ولم يكن محمد ينام على فراش وثير وإنما كان فراشه حصيرًا مصنوعًا من ألياف النخل بعد يوم شاق طويل. وقضى معظم ليله في الصلاة[١١].

وكثيرًا ما كان يندفع إلى البكاء بين يدي خالقه طالبًا أن يمنحه القوة للقيام بواجباته.

وكما تذكر لنا الروايات فقد كان صوته يكاد يحبس بسبب بكائه فيبدو كأنه أزير[١٢] مرجل [١٣] بدأ يغلي على النار.

وكان كل ما يملكه يوم وفاته هو بضع دراهم، قسم منها قضى به دين له وأعطى الباقي لبعض الفقراء الذين جاءوا إلى بيته يطلبون إحسانًا.

والثوب الذي كان يلبسه حينما فاضت روحه إلى بارئها كان به رقعًا عديدة.

أما البيت الذي طالما انتشر منه النور إلى العالم فكان معتمًا لأنه لم يكن في المصباح زيتًا.

الثبات على المبدأ حتى الموت:

لقد تغيرت الظروف المحيطة به ولكن نبي الله لم يتغير. وكانت لمحمد نفس الشخصية سواء في حال النصر أو الهزيمة وسواء في حالة القوة أو المحنة وسواء في ساعة اليسر أو العسرة. فرسل الله وأنبياؤه لا يتبدلون كما لا تتبدل طرق الله وسننه ونواميسه.

محمد الأعظم[١٤]:

يقول المؤرخ الفرنسي لامارتين[١٥] في كتابه: "تاريخ تركيا" طبعة باريس ١٨٥٤، المجلد الثاني ص ٢٧٦ و٢٧٧:

لو أن عظم الغاية

وصغر الوسائل وقلة الموارد

والنتائج المدهشة

هي ثلاثة معايير لعبقرية الإنسان، فمن يجرؤ على مقارنة أي رجل عظيم في التاريخ الحديث بمحمد؟

إن أشهر الرجال صنعوا الأسلحة وشرعوا القوانين ووضعوا النظريات وأسسوا الإمبراطوريات فقط، فهم لم يؤسسوا ـ لو اعتبرنا أنهم أسسوا شيئًا يذكر ـ أكثر من قوى مادية أو سلطات مادية كثيرًا ما انهارت وزالت أمام أعينهم.

أما هذا الرجل، محمد، فإنه لم يحرك ويؤثر في الجيوش والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة فقط ولكنه حرك وأثر في ملايين الرجال، بل الأكثر من ذلك إنه أزاح الأنصاب[١٦] والمذابح والآلهة الزائفة وأثر في الأديان وغير الأفكار والاعتقادات والأنفس.

واستنادًا إلى كتاب كل حرف منه صار يمثل شريعة، أسس محمد قومية روحية (أو دينية) امتزجت فيها بتآلف سويًا شعوب من كل لسان ومن كل جنس.
إن فكرة وحدانية الله التي أعلنها ونادى بها ودعا وسط السأم الشديد من النظريات اللاهوتية[١٧] الخرافية غير القابلة للتصديق، كانت في نفسها معجزة بحيث أنه بمجرد أن صرح بها دمرت جميع الاعتقادات الخرافية القديمة..
إن صلواته ودعواته المتصلة، وأحاديثه الغيبية أو مناجاته مع الله، ووفاته ونجاحه وانتصاره بعد وفاته، كلها أمور لا تشهد على أنه كان دجالاً أو مدعيًا للنبوة ولكنها تشهد على إيمان راسخ منحه القوة لكي يحيى ويجدد العقيدة. وهذه العقيدة كانت ذات شقين هما: وحدانية الله وأن الله ليس كمثله شيء. فالشق الأول يثبت لنا ما لله (من أسماء وصفات)، والشق الآخر ينفي عنه ما ليس له[[١٨.
".. حكيم وخطيب ورسول ومشرع ومقاتل وسيد على الأفكار، ومحيي ومجدد للاعتقادات المعقولة والمنطقية ولدين بلا تماثيل ولا صور، ومؤسس لعشرين إمبراطورية أرضية أو دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية أو دينية، هذا هو محمد.
ووفقًا لكل المقاييس التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل: هل هناك أي إنسان أعظم منه؟ "

الهوامش:
[١] جاء في الأصل الإنجليزي جملة Protector of Slaves بمعنى حامي العبيد والمدافع عنهم. وكلمة Protector الإنجليزية المستخدمة هنا قريبة في معناها من كلمة Advocate التي تعني "المحامي" و "المؤيد" (لقضية أو إقتراح) والفعل Advocate معناه: يدافع عن أو يؤيد كما جاء في (المورد، ١٩٩٠م).
وكلمة Advocate هي إحدى الترجمات الإنجليزية لكلمة "البارقليط" Paraclete التي وردت في إنجيل يوحنا على لسان السيد المسيح (عليه السلام) باعتباره "إسم" النبي الموعود. ويقول علماء اللغة إن كلمة "بارقليط" تحريف لكلمة بيرقليط Periclyte وهي الكلمة التي يعتقد أن السيد المسيح (عليه السلام) تلفظ بها. وقد قال بعض علماء أهل الكتاب (من أسلم منهم ومن لم يسلم) أنها كلمة سريانية أو أرامية بمعنى "أحمد" أو الإنسان الذي يحمد حمدًا كثيرًا. لمزيد من التفصيل راجع كتاب: "من المعمدانية إلى الإسلام" قصة إسلام الأمريكية المهتدية "جهادة جلكريز". التعليق رقم (١)، ص ٢٤، ٢٥ ، ورقم (٢)، ص ٢٦، ٢٧، وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر ضمن سلسلة "مكتبة ديدات". نشر المختار الإسلامي بالقاهرة. راجع أيضًا ص ٢٨ ـ ٣١ من هذا الكتاب.
[٢] نعم إن محمدًا صلى الله عليه وسلم حرر المرأة كما حرر الرجل، ولكن مفهوم الحرية الذي نقصده ليس حرية أن تفعل كل ما تشاء كيف تشاء متى تشاء، وإنما هي حرية قيمة تؤدي بالمرأة إلى الإيمان بالله والخضوع والاستسلام له ومعرفة الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين والانصياع لأوامره ونواهيه. فمنتهى الحرية أن تتحرر من جهل وأوهام وخرافات التعددية والشرك والتثليث والمفاهيم الباطلة والعقائد المتهافتة

والشرائع الناقصة والجائرة والعادات الجاهلية وتكون عبدا مُخلِصًا مُخلَصًا لله الواحد القهار. (المترجم)
[٣] إن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يدع أنه ملكًا ولم يدع لنفسه أي لقب من الألقاب التي يلقب بها الناس أنفسهم مثل لقب الإمبراطور أو قيصر أو كسرى أو عظيم القبط أو خاقان البحرين أو شاهنشاه (أي ملك الملوك)، أو الفيورير (أي الزعيم المطلق)، أو الميكادو (أي الباب العالي)، أو الزعيم الخالد أو القائد الملهم أو زعيم "النظام العالمي الجديد"، أو غيرها من الألقاب.. وإنما ادعى لنفسه لقبين لا ينفكان عن بعضهما البعض: "عبد الله ورسوله". عبد الله أولاً، يقر فيها ويشهد برسالته ومهمته التي اختصه الله وشرفه وكلفه بها للعالمين. (المترجم).
[٤] حقًا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو سيد البشر، وليس بدعًا أن يقال له "سيد" في النطاق البشري؛ فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم عن نبيه يحيى عليه السلام: {فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: ٣٩]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، وبين سبب اكتسابه هذه المنزلة والسيادة بين بني آدم كلهم هو أن جميع البشر بما فيهم الرسل والأنبياء يأتي كل منهم يوم القيامة يقول: "نفسي، نفسي"، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "أمتي، أمتي". فصلوات ربي وسلامه وبركاته عليك وعلى آلك يا نبي الرأفة والرحمة يا سيدي يا رسول الله. (المترجم).
[٥] هو "رينيه ديكارت" (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م): فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي، يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة (المورد، ١٩٩٠م).
[٦] هو "أدولف هتلر" (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م): زعيم ألمانيا النازية. أدت سياسته التوسعية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، انتحر (المورد، ١٩٩٠م).
[٧] هو "توماس كارلايل" (١٧٩٥ – ١٨٨١م): كاتب ومؤرخ وفيلسوف انجليزي (المورد، ١٩٩٠م).
[٨] عذر "كارلايل" أن ثقافته مستمدة من الكتاب المقدس حيث يقال له أن إسماعيل (عليه السلام) كان إنسانًا وحشيًا. واستنادًا إلى ذلك ـ سواء بوعي أو من غير وعي منه ـ أطلق صفة "الوحشية" على العرب بني إسماعيل عليه السلام. فقد جاء في الكتاب المقدس "وإنه (أي إسماعيل) يكون إنسانًا وحشيًا". (التكوين ١٦: ١٢).
[٩] الفيلق: وحدة من ثلاثمائة إلى ستمائة جندي في زمن قدماء الرومان "قاموس تشيمبرز للقرن العشرين" طبعة الهند ١٩٧٢م.
[١٠] يقصد محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. (المترجم).
[١١] استجابة وطاعة لأمر ربه في القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} [المزمل: ١ – ٤] (المترجم).
[١٢] الأزير: يقال لجوفه أزير: صوت. و"أز" أزًا، وأزيرًا، وأزازًا: تحرك واضطرب. و" أزَّ": صوَّت من شدة الحركة أو الغليان ويقال: أز الرعد والقدر والطائرة. و"أز" القدر وبها: جعلها تئز من الغليان. (المعجم الوسيط).

[١٣] المرجل: القدر من الطين المطبوخ، أو النحاس. (المعجم الوسيط).
[١٤] هذا العنوان وما بعده من كلام المؤرخ الفرنسي "لامارتين" ملحق بنهاية الفصل الرابع من هذا الكتاب كهامش، مما يرجح أنه إضافة من قبل المركز العالمي للدعوة الإسلامية في دربان بجمهورية جنوب إفريقية. وقد رأينا لاعتبارات فنية جعله في المتن الأصلي للكتاب مع وجوب التنويه على ذلك. (المترجم)
[١٥] هو "ألفونس دو لامارتين" (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩م): شاعر وسياسي فرنسي. يعتبر أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانتيكية الفرنسية. (المورد، ١٩٩٠م).
[١٦] الأنصاب: جمع مفرده نصب. والنصب: ما يذبح عليه لغير الله. يقول الله تبارك وتعالى: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} [المائدة: ٣]، ويقول خالد الزعفراني في مصحف القادسية المفسر مختصر تفسير الطبري: "{وما ذبح على النصب} يعني حرم عليكم ـ أيضًا ـ ما ذبح على النصب وهي الأوثان، وكانت حجارة تجمع، ويذبح عليها". ويقول أيضًا: "الأنصاب التي كانوا يذبحون عندها". ويقول سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} [المائدة: ٩٠]، و"النصب" أيضًا: ما نصب وعبد من دون الله. (المعجم الوسيط) (المترجم).
[١٧] اللاهوت: الألوهية، كما يقال الناسوت: لطبيعة الإنسان. و"علم اللاهوت": علم يبحث في وجود الله وذاته وصفاته. ويقوم عند المسيحيين مقام علم الكلام عند المسلمين، وسمي أيضًا "علم الربوبية والإلهيات"، (المعجم الوسيط). قلت: ومقارنته بعلم الكلام عند المسلمين فيه نظر لما ورد في الحديث النبوي من النهي عن التفكر في ذات الله لأنه يؤدي إلى الهلاك. (المترجم)
[١٨] يعني أن العقيدة الإسلامية كانت أشمل وأدق فيما يتعلق بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وذلك حين أثبتت ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه من أسماء وصفات وأفعال في القرآن الكريم وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك في أحاديثه. ونفت ما نفاه الله تعالى عن نفسه من أسماء وصفات وأفعال في القرآن الكريم وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك في أحاديثه. (المترجم)

٥٥. تراث خالد للعالم

أكثر من أمين:
هناك قول مأثور بأن الرجل الأمين هو أفضل خلق الله. وقد كان محمد أكثر من أمين[١]. لقد كان إنسانًا بكل ما في الكلمة من معان. وكانت سعادة نفسه ورضاها في التعاطف والتواد والمحبة الإنسانية.
لقد كان الهدف من بعثته ورسالته وكل الغاية من حياته ومنتهاها هو أن يخدم الإنسان وأن يهذب الإنسان وأن يزكي الإنسان وأن يعلم الإنسان، وباختصار أن يجعل من الإنسان إنسانًا متمدنًا متحضرًا.
لقد كان مصدر إلهامه الوحيد والقاعدة الهادية الوحيدة له في أفكاره وأقواله وأفعاله هو المصلحة البشرية[٢].
لقد كان محمد غير متباه وغير متفاخر إلى أبعد الحدود، وكان منكرًا لذاته إلى أقصى درجة. وما هي الألقاب التي اتخذها لنفسه؟ إنهما لقبان فقط: عبد الله ورسوله. عبده

أولاً ثم رسوله، رسول نبي مثل كثير من الأنبياء في كل مكان من هذا العالم بعضهم معروف لنا وكثيرا منهم لا نعرفهم[٣].

وإذا لم يعتقد إنسان ما بأي من هذه الحقائق فإنه لم يعد مسلمًا. إنها من شروط إيمان جميع المسلمين.

يقول أحد الكتاب الغربيين:

"إذا نظرنا إلى الظروف المحيطة في زمنه والاحترام غير المحدود من أتباعه له، فإن أكثر الأمور إعجازًا في شأن محمد هو أنه لم يدع أبدًا القوة أو القدرة على عمل المعجزات".

لقد جرت المعجزات على يديه ولكن ليس لكي ينشر دينه. وكان يعزوها بالكلية إلى الله وطرقه التي هي فوق البحث والتفسير، وكان يقول بصراحة ووضوح إنه بشر مثلهم[٤]. فلم يكن له كنوز في الأرض ولا في السماء، ولم يزعم أنه يعلم أسرار المستقبل. كل ذلك جرى في زمن كانت تعتبر فيه المعجزات حوادث عادية، تجري بإرادة أقل القديسين قدرًا، وعندما كان الجو كله مشحونًا بالإيمان بالقوة الخارقة الطبيعية سواء في جزيرة العرب أو خارجها.

التوجه العلمي تركة محمد:

لقد وجه محمد انتباه أتباعه للنظر في الكون وسننه حتى يفهمونها ويقدرون مجد الله حق قدره.

يقول القرآن: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [الدخان: ٣٨ – ٣٩] [٥].

إن العالم ليس وهمًا أو خدعة ولا هو مخلوق بلا هدف، إنه خلق بالحق. إن عدد آيات القرآن الداعية إلى تدبر الكون هي عدة أضعاف تلك الآيات المتعلقة بالصلاة والصوم والحج... إلخ مجتمعة، وبدأ المسلمون بتأثيرها يلاحظون الكون ملاحظة دقيقة وتولد عن هذا روح الملاحظة والتجربة العلمية التي لم تكن معروفة لقدماء اليونانيين.

إن ابن البيطار[٦] عالم النبات المسلم كتب مؤلفاته في علم النبات بعد أن جمع النباتات من جميع أنحاء العالم، وقد وصفه "ماير" في كتابه "Gesch der Botanika" بأنه أحد أبرز علماء الصناعة.

وارتحل البيروني[٧] مدة أربعين سنة لجمع العينات الخاصة بعلم المعادن، وقد رصد علماء الفلك المسلمون بعض المشاهدات الدقيقة على امتداد أكثر من اثنتي عشرة سنة، بينما كتب أرسطو[٨] مؤلفاته في علم الطبيعة بدون إجراء تجربة واحدة، وكتب بإهمال في التاريخ الطبيعي مقررًا أن للإنسان أسنانًا أكثر من الحيوان بدون أن يكلف نفسه عناء التحقق بالتجربة من هذه الحقيقة التي يمكن إثباتها ببساطة شديدة.

الغرب مدين للعرب في العلوم:

أخبر "جالين"[٩] أعظم خبير في علم التشريح التقليدي بأن الفك السفلي يتكون من عظمتين. وقد ظل هذا التقرير مقبولاً بلا اعتراض لقرون حتى تجشم عبد اللطيف مشقة فحص الهيكل العظمي للإنسان.

ويعطي "روبر بريفو" في كتابه المعروف "صناعة البشرية" عدة أمثلة أخرى مشابهة ثم يقرر:

"إن دَيْن عِلمِنا للعرب لا يكمن في الاكتشافات المثيرة أو النظريات الثورية. إن العلم مدين لثقافة العرب[١٠] بشيء أعظم من ذلك بكثير، إنه مدين لها بوجوده". ويقول نفس المؤلف: "إن قدماء اليونانيين نظموا وصنفوا ورتبوا منهجيًا وعمموا ووضعوا النظريات، ولكن الأساليب والطرق المتأنية في البحث وتجميع العلم الإيجابي أو الحقيقي وطرق العلم الدقيقة والملاحظة الدقيقة والممتدة والبحث التجريبي، كلها أمور بعيدة عن المزاج اليوناني ومخالفة له. إن ما نسميه علمًا نشأ في أوروبا نتيجة لطرق جديدة للبحث ونتيجة لطريقة التجربة والملاحظة والقياس ونتيجة لتطور الرياضيات بشكل لم يكن معروفا لليونانيين... إن هذه الروح وتلك الطرق أدخلت إلى العالم الأوروبي للمرة الأولى بواسطة العرب".

شهادة غير المسلمين في محمد (صلى الله عليه وسلم):

١- يقول "إدوارد جيبون"[١١] و"سيمون أوكلي" في كتاب "تاريخ الإمبراطورية العربية الإسلامية" طبعة لندن ١٨٧٠م، ص ٥٤:

"لا إله إلا الله محمد رسول الله هي عقيدة الإسلام البسيطة والثابتة، إن التصور الفكري للإله (في الإسلام) لم ينحدر أبدًا إلى وثن مرئي أو منظور، ولم يتجاوز توقير المسلمين للرسول أبدًا حد اعتباره بشرًا، وقيدت أفكاره النابضة بالحياة شعور الصحابة بالامتنان والعرفان تجاهه، داخل حدود العقل والدين".

٢- يقول "ديوان شند شرمة" في كتابه: "أنبياء الشرق" طبعة كلكتا ١٩٣٥م، ص ١٢٢:

"لقد كان محمد روح الرأفة والرحمة، وكان الذين حوله يلمسون تأثيره ولم يغب عنهم أبدًا".

٣- يقول "جون وليام دريبر" الحاصل على دكتوراه في الطب والحقوق في كتابه "تاريخ التطور الفكري الأوروبي" طبعة لندن ١٨٧٥م، المجلد الأول، ص ٢٢٩، ٢٣٠:

"ولد في مكة بجزيرة العرب عام ٥٦٩م، بعد أربع سنوات من موت "جوستنيان الأول"[١٢] الرجل الذي كان له - من دون جميع الرجال - أعظم تأثير على الجنس البشري.. وهو محمد".

٤- يقول "ر. ف. س. بودلي" في "الرسول" لندن ١٩٤٦م، ص٩:

"إنني أشك أن أي إنسان لا يتغير لكي يلائم ويوافق التغيرات الكثيرة جدًا في ظروفه الخارجية، كما لم يتغير محمد .

٥- يقول "هـ. أ. ر. جب"[١٣] في كتاب "المحمدية"[١٤] طبعة لندن ١٩٥٣م، ص٣٣:

"إنه من المسلم به عالميًا بصفة عامة أن إصلاحاته (أي محمد) رفعت من قدر المرأة ومنزلتها ووضعها الاجتماعي والشرعي"[١٥].

الهوامش:

[١] الأمين: صفة من صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم اشتهر بها بين الناس حتى قبل بعثته؛ فقد عرف بالصادق الأمين. والكلمة التي استخدمها المؤلف في الأصل الإنجليزي هي "أونست" (honest) وهي تعني الأمين وتعني أيضا الصادق والمحترم والفاضل والمستقيم والصريح والمخلص. وكما هو معروف فإنها جميعها صفات تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم. وقد اخترنا ترجمتها بلفظ الأمين لأنها الصفة التي اتصف بها وشاركه الأنبياء من قبله في الاتصاف بها كما جاء في القرآن الكريم عن موسى عليه السلام في قوله تبارك وتعالى: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦] (المترجم).

[٢] نحن نؤمن بأن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة القولية والفعلية والتقريرية وحي من عند الله كما قال الله تبارك وتعالى واصفًا عبده ورسوله في كتابه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم: ٣ – ٥]. وقال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحريم: ٣]، وهو يدل على أن ثمة وحي آخر غير القرآن الكريم يظهر الله نبيه عليه. وكما قال صلى الله عليه وسلم: "ألا إنني أوتيت القرآن ومثله معه" (معنى الحديث). (المترجم)

[٣] يقول الله تبارك وتعالى: {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤] (المترجم).

[٤] يقول الله تبارك وتعالى لنبيه في القرآن الكريم: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف: ١١٠] (المترجم).

[٥] الخلق كله هو من أجل هدف حكيم عادل. ولكن الناس عادة لا يدركون ولا يفهمون ذلك؛ لأنهم منغمسون في جهلهم وحماقتهم وأهوائهم. (المؤلف أو المركز العالمي للدعوة الإسلامية في دربان بجمهورية جنوب إفريقية).

ملحوظة: هذا كلام المؤلف الهندوسي.

[٦] هو "عبد الله بن أحمد" المعروف بابن البيطار، توفي عام ١٢٤٨م: عالم نبات عربي أشهر مصنفاته: "الأدوية المفردة". (المورد، ١٩٩٠م).

[٧] البيروني (٩٧٣ – ١٠٤٨م): مؤرخ ورياضي وعالم فلكي عربي. قال بأن الأرض تدور حول محورها. (المورد، ١٩٩٠م).

[٨] أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ قبل ميلاد المسيح): فيلسوف يوناني. يعد واحدًا من أعظم الفلاسفة في جميع العصور. (المورد، ١٩٩٠م).

[٩] جالينوس (١٢٩ – ١٩٩م): طبيب يوناني. يعد أحد أكبر الأطباء في العصور القديمة (المورد، ١٩٩٠م).

[١٠] ما هو مصدر ثقافة العرب وحضارتهم غير القرآن والإسلام. انظر: كتاب "التراث العربي للحضارة الغربية" تأليف "روم لاندو"، وسوف نقوم بترجمته والتعليق عليه بعون الله قريبًا إن شاء الله. (المترجم)

[١١] إدوارد جيبون (١٧٣٧ – ١٧٩٤م): مؤرخ إنجليزي، يعتبر أعظم المؤرخين الإنجليز في عصره. (المورد، ١٩٩٠م).
[١٢] جوستنيان أويوستنيانوس الأول (٤٨٣ – ٥٦٥م): إمبراطور بيزنطي، جمع الشرائع الرومانية ودونها. (المورد، ١٩٩٠م).
[١٣] هو "هاملتون الكسندر جب": مستشرق إنجليزي عني بتعريف الغربيين بالتراث الإسلامي. (المورد، ١٩٩٠م).
[١٤] يقصد الإسلام. ولكن كبر على المشركين ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم إليه، فنسبوا الدعوة والرسالة إليه لكي ينفوا نبوته ورسالته ظلمًا وعلوًا واستكبارًا ومكرًا، ولكن هيهات {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢]. راجع ص ١٠ – ١٢ من هذا الكتاب (المترجم).
[١٥] لقد أعطى الإسلام المرأة الحق في الحياة والحرية وقد كانت توئد من قبل وتُوَرَّث. وأعطاها الحق في أن ترث وتشهد وتبيع وتشتري وتمتلك وسمح لها بالمشاركة في البناء الروحي والفكري والمادي وبجملة الحضاري للأمة. وهي جميعها حقوق ومجالات كانت محرومة منها ومحظورة عليها من قبل أن يقررها الإسلام. (المترج

----

٥٦. لايتنر: المسيحي الصادق من يعترف بمحمد

لايتنر: المسيحي الصادق من يعترف بمحمد*

"بقدر ما أعرف من دينيْ اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد -صلى الله عليه وسلم- ليس اقتباسًا بل قد (أوحي إليه به)، ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة المقصد، والإيمان القلوب الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه قد أوحي إليه".**

"إن الديانة النصرانية التي ودّ محمد (صلى الله عليه وسلم) إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح (عليه السلام) تخالف التعاليم السّرية التي أذاعها بولس والأغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى.. ولقد كانت آمال محمد (صلى الله عليه وسلم) وأمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم (عليه السلام) لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعًا، ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام".

".. لما بلغ (صلى الله عليه وسلم) السنة الخامسة والعشرين من العمر تزوج امرأة عمرها (أربعون عامًا، وهذه تشابه امرأة عمرها خمسون عامًا في أوربا، وهي أول من آمن برسالته المقدسة.. وبقيت خديجة (رضي الله عنها) معه عشرين عامًا لم يتزوج عليها قط حتى ماتت (رضي الله عنها). ولما بلغ من العمر خمسًا وخمسين سنة صار يتزوج الواحدة بعد الأخرى. لكن ليس من الاستقامة والصدق أن ننسب ما لا يليق لرجل عظيم صرف كل ذاك العمر بالطهارة والعفاف، فلا ريب أن لزواجه

بسن الكبر أسبابًا حقيقية غير التي يتشدق بها كتاب النصارى بهذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترى؟ ولا ريب هي شفقته على نساء أصحابه الذين قتلوا.
".. مرة، أوحى الله تعالى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وحيًا شديد المؤاخذة لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنيًّا من ذوي النفوذ، وقد نشر ذاك الوحي، فلو كان (صلى الله عليه وسلم) كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذاك الوحي من وجود.
".. إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح (عليه السلام) احترامًا عظيمًا وذلك باحترامهم محمدًا (صلى الله عليه وسلم)، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وبالحق الذي جاء به هو المسيحي الصادق".

---

*لايتنر ightner باحث إنكليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها.
**عن كتاب: دين الإسلام لايت

٥٧. دُرّاني: محمد رجل فوق التصور

رجل فوق التصور*
أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم- لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره".
".. وأخيرا أخذت أدرس حياة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم- فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد.
".. تحمل ـ صلى الله عليه وسلم- ثلاثة عشر عامًا كاملة من المتاعب في مكة دون انقطاع، وثماني سنوات في المدينة دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرض عليه قومه أن ينصبوه ملكًا عليهم وأن يضعوا عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لا بد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه.

"هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي إنسان غير مخلص.. أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟.

"إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد -صلى الله عليه وسلم- حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص.. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم.**

---

* الدكتور م. ج. دُرّاني Dr. M. H. Durrani سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التنصيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

**من كتاب رجال ونساء أسلموا.

٥٨. ذكر النبي الخاتم ووصف أمته ومكان دعوته ما زال بين سطور التوراة

ذكر النبي الخاتم ووصف أمته ومكان دعوته ما زال بين سطور التوراة

الكاتب: الدكتور محمد عبد الخالق شريبة

قال الله تعالى:(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[سورة الأعراف:١٥٧].

في نسخ التوراة الحالية في سفر أشعياء الإصحاح ٥٩ ـ ٦٣، تحكي لنا التوراة عن صفات الأرض الجديدة التي ستكون موطنًا للإيمان على الأرض ويستفيض النص في شرح صفات هذه الأرض ووصف النبي الخاتم الذي سيبعث فيها ووصف أمته.. وهذه الصفات قاطعة أنها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وموطن دعوته ووصف أمته.. وبالرغم من بعض الألفاظ الواضح إقحامها على النص إقحامًا؛ فإنه ما زال يشتمل على الصفات التي لا يمكن حملها إلا على مكة وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته.. والنص يبدأ بإيضاح أن الظلم قد انتشر في الأرض، وأن الخراب قد عم ربوعها، ولم يبق بها إلا الشر والفساد، وأن الله قد غضب على الناس وعلى بني إسرائيل الذين حادوا عن الحق، واتكلوا على الباطل والإثم، وكذبوا على الله.. ولذلك كان لابد من ظهور شمس أخرى، وبزوغ فجر جديد لإعلاء الحق في الأرض.. وفي وسط ذلك الجو العام من السخط الإلهي والغضب على شعب إسرائيل وعلى ما صار إليه حال الأمم نجد إقحامًا غريبًا يفيد بأن الله راض عليهم وعلى نسلهم من بعدهم للأبد.. هكذا بدون مقدمات!!، ثم يبدأ النص في الحديث عن الأرض التي سيأتي نورها ويشرق عليها مجد الله بينما الظلام الدامس يغطي باقي الأرض.. ويستفيض النص بما لا يدع مجالاً للشك أن الكلام عن مكة، وفجأة أيضًا بدون مقدمات تجد إقحامًا غريبًا للفظ ابنة صهيون أو أورشليم!!.. والنص كله يظهر بوضوح أنه يتحدث عن الأرض الجديدة التي ستصبح معقلاً للإيمان والصلاح على الأرض بعد خرابها وما حل عليها من ظلم وفساد وبعد عن طريق الله، وعن الشعب الذي سيرث الأرض، وعن نبي آخر الزمان الذي سيرسله الله ليصلح الأرض بعد فسادها وليبشر المساكين ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولكي ينتقم به الله من أعدائه ويكون وسيلته للتعبير عن سخطه وغضبه على الأمم التي اتبعت الباطل والإثم وزاغت عن طريق الحق..

٥٩:١ ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص و لم تثقل أذنه عن أن تسمع.

٥٩: ٢ بل آثامكم صارت فاصلة بينكم و بين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع.

٥٩: ٣ لأن أيديكم قد تنجست بالدم، وأصابعكم بالإثم وشفاهكم تكلمت بالكذب، ولسانكم يلهج بالشر.

٥٩: ٤ ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب قد حبلوا بتعب وولدوا إثما.

٥٩: ٥ فقسوا بيض أفعى و نسجوا خيوط العنكبوت الأكل من بيضهم يموت والتي تكسر تخرج أفعى.

٥٩: ٦ خيوطهم لا تصير ثوبًا و لا يكتسون بأعمالهم أعمالهم أعمال إثم و فعل الظلم في أيديهم.

٥٩: ٧ أرجلهم إلى الشر تجري، وتسرع إلى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار إثم في طرقهم اغتصاب وسحق.

٥٩: ٨ طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلامًا.

٥٩: ٩ من أجل ذلك ابتعد الحق عنا و لم يدركنا العدل ننتظر نورًا فإذا ظلام ضياء فنسير في ظلام دامس.
٥٩: ١٠ نتلمس الحائط كعمي و كالذي بلا أعين نتجسس قد عثرنا في الظهر كما في العتمة في الضباب كموتى.
٥٩: ١١ نزار كلنا كدبة و كحمام هدرا نهدر ننتظر عدلاً و ليس هو وخلاصًا فيبتعد عنا.
٥٩: ١٢ لان معاصينا كثرت أمامك و خطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها.
٥٩: ١٣ تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا و لهجنا من القلب بكلام الكذب.
٥٩: ١٤ وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيدًا لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول.
٥٩: ١٥ وصار الصدق معدومًا والحائد عن الشر يسلب فرأى الرب وساء في عينيه أنه ليس عدل.
٥٩: ١٦ فرأى أنه ليس إنسان و تحير من أنه ليس شفيع فخلصت ذراعه لنفسه و بره هو عضده.
٥٩: ١٧ فلبس البر كدرع و خوذة الخلاص على رأسه و لبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء.
٥٩: ١٨ حسب الأعمال هكذا يجازي مبغضيه سخطًا وأعداءه عقابًا جزاء يجازي الجزائر.
٥٩: ١٩ فيخافون من المغرب اسم الرب و من مشرق الشمس مجده عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه.
٥٩: ٢٠ ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب(!!!).
٥٩: ٢١ أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب روحي الذي عليك و كلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك و لا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن و إلى الأبد.
٦٠: ١ قومي استنيري لأنه قد جاء نورك و مجد الرب أشرق عليك ٦٠: ٢ لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض و الظلام الدامس، الأمم أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى.
٦٠: ٣ فتسير الأمم في نورك و الملوك في ضياء إشراقك.
٦٠: ٤ ارفعى عينيك حواليك و انظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك يأتي بنوك من بعيد و تحمل بناتك على الأيدي.
٦٠: ٥ حينئذ تنظرين و تنيرين و يخفق قلبك و يتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر و يأتي إليك غنى الأمم.
٦٠: ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان و عيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب.

٦٠: ٧ كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي.
٦٠: ٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها
٦٠: ٩ إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد و فضتهم و ذهبهم معهم لاسم الرب إلهك.
٦٠: ١٠ وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك.
٦٠: ١١ و تنفتح أبوابك دائمًا نهارًا وليلاً لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم.
٦٠: ١٢ لان الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد و خرابًا تخرب الأمم.
٦٠: ١٣ مجد لبنان إليك يأتي السرو والسنديان والشربين معًا لزينة مكان مقدسي وأمجد موضع رجلي.
٦٠: ١٤ وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل(!!!).
٦٠: ١٥ عوضًا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فخرًا أبديا فرح دور فدور.
٦٠: ١٦ وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملوك و تعرفين أني أنا الرب مخلصك ووليك عزيز يعقوب(!!!).
٦٠: ١٧ عوضًا عن النحاس أتى بالذهب وعوضًا عن الحديد أتي بالفضة وعوضًا عن الخشب بالنحاس وعوضًا عن الحجارة بالحديد واجعل وكلاءك سلامًا وولاتك برًا.
٦٠: ١٨ لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحًا.
٦٠: ١٩ لا تكون لك بعد الشمس نورًا في النهار ولا القمر ينير لك مضيئًا بل الرب يكون لك نورًا أبديا وإلهك زينتك.
٦٠: ٢٠ لا تغيب بعد شمسك و قمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نورًا أبديًا و تكمل أيام وحك.
٦٠: ٢١ وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يدي سأتمجد.
٦٠: ٢٢ الصغير يصير ألفًا والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به.
٦١: ١ روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لا بشر المساكين أرسلني لا عصب منكسري القلب لا نادي للمسبيين بالعتق و للمأسورين بالإطلاق.
٦١: ٢ لا نادي بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا لا عزي كل النائحين.
٦١: ٣ لا جعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالاً عوضًا عن الرماد ودهن فرح عوضًا عن النوح ورداء تسبيح عوضًا عن الروح اليائسة فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد.

٦١: ٤ و يبنون الخرب القديمة يقيمون الموحشات الأول ويجددون المدن الخربة موحشات دور فدور.
٦١: ٥ ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم.
٦١: ٦ أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون.
٦١: ٧ عوضًا عن خزيكم ضعفان وعوضًا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم لذلك يرثون في أرضهم ضعفين بهجة أبدية تكون لهم.
٦١: ٨ لأني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم وأجعل أجرتهم أمينة وأقطع لهم عهدًا أبديًا.
٦١: ٩ ويعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب.
٦١: ١٠ فرحًا أفرح بالرب تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة و مثل عروس تتزين بحليها.
٦١: ١١ لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برًا و تسبيحًا إمام كل الأمم.
٦٢: ١ من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ(!!!) حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد.
٦٢: ٢ فترى الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب.
٦٢: ٣ وتكونين أكليل جمال بيد الرب و تاجًا ملكيًا بكف إلهك.
٦٢: ٤ لا يقال بعد لك مهجورة ولا يقال بعد لأرضك موحشة بل تدعين حفصيبة وأرضك تدعى بعولة لأن الرب يسر بك وأرضك تصير ذات بعل.
٦٢: ٥ لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك.
٦٢: ٦ على أسوارك يا أورشليم(!!!) أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام يا ذاكري الرب لا تسكتوا.
٦٢: ٧ ولا تدعوه يسكت حتى يثبت و يجعل أورشليم تسبيحة في الأرض.
٦٢: ٨ حلف الرب بيمينه و بذراع عزته قائلا أني لا أدفع بعد قمحك مأكلا لأعدائك ولا يشرب بنو الغرباء خمرك التي تعبت فيها.
٦٢: ٩ بل يأكله الذين جنوه و يسبحون الرب و يشربه جامعوه في ديار قدسي.
٦٢: ١٠ اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب أعدوا أعدوا السبيل نقوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب.
٦٢: ١١ هو ذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض قولوا لابنة صهيون هو ذا مخلصك آت ها أجرته معه و جزاؤه أمامه.
٦٢: ١٢ويسمونهم شعبًا مقدسًا مفديي الرب وأنت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة.
٦٣: ١ من ذا الآتي من إدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص..

٦٣: ٢ ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة.
٦٣: ٣ قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي.
٦٣: ٤ لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديي قد أتت.
٦٣: ٥ فنظرت ولم يكن معين و تحيرت إذ لم يكن عاضد فخلصت لي ذراعي و غيظي عضدني.
٦٣: ٦ فدست شعوبا بغضبي وأسكرتهم بغيظي وأجريت على الأرض عصيرهم..
والنص كله كما ترون يتكلم عن مدينة الله الجديدة، وعن نبي آخر الزمان الذي سيبعثه الله ليرث الأرض هو وأمته ويقيم الحق فيها بعد انتشار الظلم والفساد.. ويخرج الناس من الظلمات إلى النور.. وينتقم به الله من أعدائه.
والنص يستفيض في شرح الأحوال والظروف التي كانت تسود الأرض والتي سبقت بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – (آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم.. أيديكم تنجست بالدم..حبلوا بتعب وولدوا إثمًا..فقسوا بيض أفعى.. أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم.. ليس من يدعو بالعدل ويحاكم بالحق.. أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي.. طريق السلام لم يعرفوه.. تعدينا وكذبنا على الرب.. ارتد الحق إلى الوراء.. وصار الصدق معدومًا..معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا.. ننتظر نورًا فإذا ظلام ضياء فإذا ظلام دامس.. فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع...) وتلك الأحوال والظروف لم تجتمع كلها معًا، ولم تكن بهذا السوء إلا قبل بعثة النبي-صلى الله عليه وسلم- الذي جاء بعد فترة من انقطاع الرسل على الأرض، وهذه الظروف لم تكن هكذا قبل بعثة المسيح عليه السلام، كما أن قوله(فرأى أنه ليس إنسان) متوافق مع حال البشرية قبل بعثة الرسول-صلى الله عليه وسلم-، ولا يتوافق مع حالها قبل بعثة المسيح؛ فالأرض لم تكن تخلو من الصالحين والمؤمنين الذين يدعون إلى الخير، بل إن المسيح قد بعث في وجود يوحنا المعمدان(يحيى بن زكريا) عليهما السلام.
وفي النص إشارة واضحة لما قام به علماء بني إسرائيل من تحريف الكتاب والكذب على الله ٥٩: ١٣(تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب)..
وفي النص إشارة إلى النور الذي سيشرق على الأميين في هذه الأرض ٦٠: ٣(فتسير الأمم في نورك) والأمم هنا ليست ترجمة لكلمة nations كما هو متوقع ولكن ترجمة لكلمة gentiles وتترجم بالعربية إلى الأميين وهم الأمم من غير أهل الكتاب.. ويقول قاموس الكتاب المقدس عن هذا اللفظ أن اليهود يستخدمونه على الأمم الأخرى من غيرهم، فهم يعتبرون أنفسهم حملة الرسالات وشعب الله المختار، ويقول أيضا أن اليهود يستخدمونه كمصطلح لاحتقار الأمم الأخرى من غير اليهود باعتبارها أمم وثنية.. وبالطبع يرفض النصارى هذا التقسيم باعتبارهم أيضا من أهل الكتاب، وهذا هو الحق عند المسلمين وهو أن هذا اللفظ كان يستخدم لوصف الأمم من غير أهل الكتاب قبل ظهور الإسلام كما يخبرنا القرآن الكريم:

(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا). آل عمران ٢٠..(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) آل عمران: ٧٥..وهم الذين بعث فيهم النبي –صلى الله عليه وسلم-(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجمعة ٢..(الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل)..الأعراف ١٥٧..(فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف ١٥٨..

ونجد في النص إشارة واضحة إلى قوافل الإبل التي كانت تأتي من جنوب الجزيرة العربية والمشار إليها بمملكة سبأ ٦٠: ٦(تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا) وهذه النبوءة لم تتحقق للقدس، بل تحققت لمكة، ولابد لهذه النبوءة أن تكون قد حدثت بالفعل في الماضي؛ فقد انتهى عصر الإبل وعصر القوافل..

وكذلك نجد في نص أشعياء السابق إشارة واضحة إلى نحر الذبائح(كل غنم قيدار تجبي إليك،كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي).

وذلك يؤكد أن الكلام عن مكة وليس بيت المقدس؛ لأن القدس ليس لها علاقة بغنم قيدار بن إسماعيل الذي تنسب إليه قبائل مكة، والذي يخبرنا الكتاب المقدس أنه قد سكن في بلاد العرب(وحي من جهة بلاد العرب... يفنى كل مجد قيدار).. كما أنه لا يخفى على أحد أن نحر الذبائح هو أحد مناسك الحج في الإسلام.

وفي النص السابق نجد إشارة واضحة إلى الطرق التي يسلكها الحجاج لأداء فريضة الحج:

٦٠: ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب.

٦٠: ٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها.

٦٠: ٩ إن الجزائر تنتظرني و سفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد و فضتهم و ذهبهم معهم لاسم الرب إلهك.

فالأولى تتحدث عن الجمال، والثانية يتعجب المتحدث من هؤلاء الطائرين كسحاب أو حمام ولا يعرف ما هم وهو إشارة واضحة إلى الطائرات، والثالثة تشير إلى السفن.. و(ترشيش) لم يحدد قاموس الكتاب المقدس ما المقصود بها فقال أن هذا الاسم كان مشهورًا أيام سليمان عليه السلام، وقال أيضا أنه اسم كان يطلق على مكان في أسبانيا أثناء حكم العرب، ورجح في النهاية أنه لفظ يطلق على كل السفن الضخمة.

وفي النص أيضا إشارة لصفة الصحابة رضي الله عنهم ٦١: ٩ (ويعرف بين الأمم نسلهم و ذريتهم في وسط الشعوب كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب) ٦١: ١١(لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برًا و تسبيحًا أمام كل الأمم) وهي الصفة التي ذكرها القرآن في سورة الفتح:(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ)..

ونجد في النص إشارة إلى حدوث النصر والفتح على يد آبائنا الأوائل من المسلمين، وإلى ما فعلوه من تطهير الأرض وتنقيتها من الحجارة والأصنام ٦٢: ١٠(اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب أعدوا أعدوا السبيل نقوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب)..

ونجد في النص إشارة إلى غير العرب الذين يبنون أسوار مكة ٦٠:١٠(وبنو الغريب يبنون أسوارك)، وكم من الأيدي العاملة الآن وذوي الخبرات من مختلف الأقطار يعملون فيها، ويشيدون قلاعها تحت الأرض وفوق الأرض..

ونجد إشارة واضحة إلى كثرة الثروات والكنوز التي سيمن الله بها على هذه الأرض٦٠: ٥(تتحول إليك ثروة البحر ويؤتى إليك غنى الأمم)، والثروات والكنوز لم تكن للقدس أبدًا، وإنما لمكة التي تعد من أغنى بقاع الأرض..(١) لا أرى تفسيرًا لجملة(تتحول إليك ثروة البحر) إلا تلك الكنوز البترولية الضخمة النائمة في قاع البحر الأحمر والخليج العربي والتي حولت الجزيرة العربية من صحراء قاحلة إلى بقعة تعج بالأموال والثروات.

وفي النص السابق أيضا إشارة إلى انتشار دولة الإسلام وتحولها من الضعف والقلة إلى القوة والكثرة؛ فالأمة التي بدأت برجل ضعيف يدعو إلى ربه سرًا متخفيًا من أعدائه قد صار أمة قوية وملك الأرض من مشرقها إلى مغربها.. وبشر المساكين وأخرج من الحبس المأسورين.. وأخرج الناس جميعًا من ظلمات الكفر والشرك إلى عبادة الله الحق.. وانتقم به الله من أعدائه وعزى به كل النائحين.. ٦٠: ٢٢(الصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به، روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي المسبيين بالعتق والمأسورين بالإطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب و بيوم انتقام لإلهنا لأعزي كل النائحين)..

وليخبرنا أهل الكتاب عن نبي اجتمعت فيه صفات التحول إلى القوة والكثرة بعد الضعف والقلة وجمع بين تبشير المساكين وتعزية النائحين وبين الانتقام من أعداء الله غير نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم..

ونجد إشارة إلى ميراث أمة الإسلام للأمم الأخرى٦١: ٦(أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون).. وليس أدل على ميراث أمة الإسلام للأمم الأخرى من أن أرض المشرق التي تشمل بلاد الشام والبلاد العربية وبلاد فارس؛ تلك الأرض التي كانت معقلاً لنشأة وانتشار الرسالات السابقة، وتكاد تخلو الأرض الآن من عبادة الله إلا منها، وتكاد تغطي الأرض نزعات الإلحاد والمادية والطبيعية فيما سواها، والتي يكاد ينحصر كلام الكتاب المقدس نفسه بعهديه القديم والجديد عليها وعلى تاريخ الأمم والأنبياء بها..قد صارت كلها إسلامية! (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)!!

وفي النص أيضا إشارة واضحة إلى أن الناس سوف يقصدون هذه الأرض ويطلبون زيارتها، وأنها ستكون الأرض المعمورة!! ٦٢: ١٢(وأنت تسمين المطلوبة المدينة

غير المهجورة) وليخبرنا الذين يحملون النبوءة على القدس: متى تحققت تلك الصفات للقدس في يوم من الأيام؟!!
وهذه الصفات لا بد أن تكون قد تحققت بالفعل كما أوضحنا.. ولا معنى لما يدعيه اليهود من أن هذه النبوءة لم تتحقق بعد، وأن هذا المخلص الذي سوف ينتصر لهم، ويدوس العالم بقدمه، ويلطخ بعصير الناس من غير اليهود ملابسه لم يأت بعد!!..وما زالوا منتظرين!!
ويخبرنا معجم الطرق القديمة(إنشنت تراد روتس) أن إدوم بدأت من النهاية الجنوبية للبحر الميت إلى مساحات من الصحراء العربية، وأنها امتدت من هذا الخط لتشمل كل الأراضي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر..
وتجمع كتب الحديث على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يلبس حلة حمراء لم ير أجمل منه ولا أبهى منه أحد قط، بل لم ير أجمل منه شيء قط!!..فقد روي عن البراء رضي الله عنه أنه قال في صفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:(لقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئًا قط أحسن منه) متفق عليه..
ولا يختلف أحد من الأولين والآخرين في أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يخرج في غزواته بنفسه وحوله قوته من الصحب الكرام رضي الله عنهم..
وتخبرنا كتب السير أن مدينة بصرى بالشام(بصرة كما ورد في النص) وهي تنطق بضم الباء وهي مكتوبة في النسخة الإنجليزية هكذا:(BUZRA)، تخبرنا كتب السير أنها كانت مركز تجاري هام يحصل منه أهل مكة على الملابس والبضائع وذلك عن طريق القوافل التجارية..
وأعود الآن لأطرح نفس التساؤل عن ذلك النبي الذي سيبعثه الله ويأتي آخر الزمان لكي يقيم الحق في الأرض، ويستمر مجده ومجد مدينته إلى قيام الساعة، وأكرر نفس السؤال الذي ورد في النص: (من ذا الآتي من إدوم بثياب حمر من بصرة؟ من هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته)؟ هل يكون ذاك النبي هو موسى عليه السلام؟!
بالطبع لا.. فموسى لم يأت من إدوم، كما أن النص يشير لنبي يأتي بعد أن يعم الخراب في الأرض، وينتشر الفساد في ربوعها؛ فيبعثه الله لإصلاحها، ويخبر النص أيضًا أن مجده ومجد أمته يستمر إلى الأبد، ولم يدع أحد أن موسى كان آخر الأنبياء، مما يجعل حمل النص على موسى غير وارد على الإطلاق.. هل يكون المسيح عليه السلام؟!
بالطبع لا أيضا.. فالمسيح لم يأت من إدوم، ولم يكن عليه السلام يرتدي ملابس مستوردة من بصرى! ولم يكن له أيضا قوة عظيمة يخرج فيها.. كما أن تلك الصفات لم يتحقق منها شيء على القدس بعد بعثة المسيح عليه السلام؛ فلم تأت إليها الإبل من جنوب الجزيرة العربية!!! ولم تجتمع إليها أغنام قبائل مكة!!! ولم يحل بها أمن أو أمان، بل إن أول ما حدث بعد رحيل المسيح عليه السلام هو اضطهاد تلاميذه وفرارهم في ربوع الأرض!، وتاريخ القدس على مر العصور خير شاهد على الظلم والدمار وسفك الدماء، ولا زالت القدس حتى الآن تعاني الجراح، وتشتكي الآلام، ولازال شعارها المرفوع دائما هو الأرض(مقابل السلام!!)..كما لم يزعم أحد من الأولين أو الآخرين أن الله قد بعث المسيح عليه السلام لكي ينتقم به من أعدائه أو

ليدوس الشعوب المتمردة على ربها بقدمه ويرش عصيرهم على ثيابه ويلطخ كل ملابسه!!، وبذلك فلا يمكن حمل النص أيضا على المسيح عليه السلام..
إذن فمن يكون ذلك الأخير الذي بعثه الله لإصلاح الأرض بعد إفسادها؟!!
من يكون ذاك الذي أيده الله بالقوة الروحية فبشر المساكين وعصب منكسري القلب ونادى المسبيين بالعتق والمأسورين بالإطلاق وعزى النائحين، وأيده بالقوة المادية فانتقم من أعداء الله وداس الشعوب المتمردة على ربها بقدمه ورش عصيرهم على ثيابه ولطخ كل ملابسه؟!!! من يكون ذلك البهي المتعظم في كثرة قوته؟!! من يكون إذن يا ترى؟!!!
ويعود النص ليؤكد أن الأمن والسلام هما شعار هذه الأرض؛ فيخبر أن أبوابها تفتح ولا تغلق، وأنها لا يظلم فيها أحد بعد اليوم ولا يحل بها خراب:
٦٠: ١١ وتنفتح أبوابك دائما نهارًا وليلاً لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم.
٦٠: ١٨ لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصًا وأبوابك تسبيحًا.
وهذا الكلام لا ينطبق أبدًا على القدس كما قلنا.. أليست القدس هي أرض الظلم، وأرض الخراب، وأرض الحروب والنزاعات إلى اليوم؟!!
أليست تهدم البيوت بالدبابات، ويقتل الغلمان بالرشاشات، ولا تكاد تسمع فيها سوى صوت الانفجارات؟!!
ثم إن أبوابها تغلق أكثر مما تفتح!!.
هل يصر الآن عاقل أن هذا النص يتحدث عن القدس؟!!
إذا أصر على رأيه فإن عليه أن يقتل التاريخ، وإن لم يستطع أن يقتل التاريخ فليقتل حتى آرييل شارون!!!
أما مكة فهي الأرض المطمئنة، والبلد المعمورة، التي لا تقام فيها الحروب، ولا تسفك فيها الدماء، ولا تغلق أبدًا أبوابها، ولن تغلق أبدًا؛ لأنها الأرض التي وطأتها خير قدم، واستظل بسمائها أكرم بشر، وعاش عليها النبي المحمد، الذي رفع الله قدره، وأعلى شأنه.. حتى قبل أن يبعثه..حتى قبل أن يخلقه..حتى قبل أن يخلق العالم..

EDOM
e'-dom
GEOGRAPHY

The country of Edom began at a line from the south end of the Dead Sea stretched to the Arabian desert areas to the east. From this line, Edom claimed all the land south to the Red Sea, and farther along the east coast of the Red Sea. How far south depended on daily politics, since it is nothing but desert for the most part. However,it included .part of the Incense Route which extends farther south to Sheba the Yemen area today

نسخة مما ذكره معجم الطرق القديمة عن مملكة إدوم
http://www.ancientroute.com/empire/edom.htm
وترجمته بالعربية:((إدوم بدأت من النهاية الجنوبية للبحر الميت إلى مساحات من الصحراء العربية إلى الشرق، ومن هذا الخط امتدت إدوم لتشمل كل الأراضي جنوب البحر الأحمر والأراضي على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر..والجزء

الجنوبي من إدوم كان عبارة عن أرض صحراوية ممتدة واشتملت إدوم على جزء من طريق البخور يمتد جنوبًا إلى شيبا والتي تمثل منطقة اليمن حاليًا).

٥٩. يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
فالآية الكريمة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة الآية :١٤٦]، تدل على أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون محمداً - صلى الله عليه وسلم -كما يعرفون أبناءهم ، والقول بعودة الهاء في قوله تعالى : (يعرفونه) على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - مروي عن ابن عباس - رضي الله عنه – [الإمام ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ١٥٨/١]،وقال به مجاهد وقتادة وغيرهما [الإمام القرطبي في تفسيره ١٦٢/٢]، وهذه المعرفة لم تكن بسيطة ، بل كانت في أعلى مستويات المعرفة ، بدلالة هذه الآية الكريمة .
ويبين قوة هذه المعرفة جواب عبد الله بن سلام - رضي الله عنه- وكان عالم اليهود وسيدهم ، أسلم بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ممن بشر بالجنة - لسؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه – وهو من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وثاني الخلفاء الراشدين – ، حين سأله قائلا له : أتعرف محمدا -صلى الله عليه وسلم -كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم ، وأكثر . بعث الله أمينه في السماء إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته ، وابني لا أدري ما كان من أمه .[أورد الرواية عن عمر القرطبي في تفسيره ١٦٣/٢] .
فأهل الكتاب يجدون ذكر نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتبهم التوراة والإنجيل ، قال الله – تعالى- في القرآن الكريم : {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [سورةالأعراف الآية: ١٥٧].
وهذا الذكر ، هل هو بالصفة فقط دون الاسم ، أو بالاسم والصفة ؟
أمّا على فرض أنه بالصفة دون الاسم فقد ذهب ابن القيم – رحمه الله - بوجاهة ذلك وحصول الحجية به ، فقال : إن الإخبار عن صفته ، ومخرجه ، أبلغ من ذكره بمجرد اسمه ، فإن الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز .[انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق رضوان جامع رضوان ، ص ٦٠] .
ومن تأمل قصة قيصر الروم هرقل ، وما جعله يعترف بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم – من مطابقة صفاته لما يعرفه من البشارات التي جاءت بوصفه في التوراة ، والإنجيل خاصة ، فإنه يعلم ما لذكر الصفة من أثر في التعرف عليه ، فحين وصلت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه فيها إلى الإسلام ، جعل يبحث في مملكته عن من يأتيه بخبر وصفة هذا النبي الذي يدعوه للإسلام ، فظفر جنده بأبي سفيان بن حرب زعيم قريش وسيدها قبل أن يسلم ، وكان قد خرج في تجارة لقريش

إلى الشام ، وذلك بعد صلح الحديبية ، فأدخل هو ومن معه على هرقل في قصره ، فأجلسهم بين يديه ،فقال :أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا .فأجلسوه بين يديه ،وأجلسوا أصحابه خلفه ،ثم دعا بترجمانه فقال :قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ،فإن كذبَني فكذِّبوه .قال أبو سفيان :وأيم الله ، لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه فيكم ؟ قلت :هو فينا ذو حسب .قال :فهل كان من آبائه ملك ؟ قلت : لا .

قال :فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : يزيدون أو ينقصون؟ قلت : لا ، بل يزيدون . قال : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ قلت : لا .

قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت: نعم .قال :فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : تكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه .قال : فهل يغدر ؟قلت : لا ، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها ، ووالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها غير هذه .قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قلت : لا . ثم قال لترجمانه : قل له إني سألتك عن حسبه ؟ فزعمت أنه ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها . وسألتك هل كان في آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا ، فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه . وسألتك عن أتباعه من الناس أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟فقلت بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا ، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله . وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب . وسألتك هل يزيدون أم ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم . وسألتك هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ،فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة . وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله ؟ فزعمت أن لا ، فقلت لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله . ثم قال : بم يأمركم ؟ قلت: يأمرنا بالصلاة ،والزكاة ،والصلة ،والعفاف .قال :إن يك ما تقول فيه حقا ،فإنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ! ولم أك أظنه منكم ! ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ! ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ! وليبلغن ملكه ما تحت قدمي !!

ثم دعا بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ،وأمر بنا فأخرجنا.[رواه الإمام البخاري ح/٤٢٧٨]، فهذا دليل بين بأنهم كانوا يعرفون وقت خروجه ومكانه وأوصافه ، لكن حب الدنيا وحب الملك وخوف القتل صدت هرقل عن قبول الحق ، والإيمان به ، فأعلن رفضه له ، ولم يقف موقف الثبات الذي وقفه الأسقف الأكبر في مملكته – معنى الأسقف : رئيس دين النصارى - والذي أقر هرقل بأنه صاحب أمرهم .

فقد أرسل هرقل بالكتاب إلى الأسقف واسمه (ضغاطر)، فقال الأسقف: هذا الذي كنا ننتظر، وبشرنا به عيسى، أما أنا فمصدقه ومتبعه. فقال له قيصر: أما أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي. ثم قال الأسقف لرسول النبي صلى الله عليه وسلم دحية رضي الله عنه: خذ هذا الكتاب واذهب إلى صاحبك فأقرئ عليه السلام ،وأخبره أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأني قد آمنت به وصدقته، وأنهم قد أنكروا عليّ ذلك. ثم خرج إليهم فقتلوه. فلما رجع دحية إلى هرقل قال له: قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر كان أعظم عندهم مني. [الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٢/١-٤٣]، فدعا هرقل عظماء الروم ، فجمعهم في دار له فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد ،وأن يثبت لكم ملككم ،فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فقال :علي بهم .فدعا بهم فقال :إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم ،فقد رأيت منكم الذي أحببت .فسجدوا له ورضوا عنه [رواه الإمام البخاري ح/٤٢٧٨].

ومن هذا الحديث نقف على أمرين مهمين :

أولا : أن بعث نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -بكتاب إلى قيصر دليل على عموم رسالته لجميع الناس ، عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم ، قال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [سورةالأعراف الآية: ١٥٨] ، وقال تعالى:{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }[سورةالفرقان الآية: ١]، وحياته – صلى الله عليه وسلم – منذ بعثته ، وحتى وفاته شاهدة على عموم رسالته لجميع الناس ، فقد دعا اليهود في المدينة للإسلام ، وجاهدهم فأخرج بعضهم منها ، وقتل بعضهم ، وفي ذلك دليل على عموم رسالته ، ثم إنه دعا النصارى ، فناظر نصارى نجران ، ودعاهم للمباهلة ، وخرج لقتال النصارى في تبوك ، وبعث الكتب لكسرى ، وقيصر ، والمقوقس ، وغيرهم .

إنه لم يفعل ذلك كله إلا لأنه رسول لكل الشعوب على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، بل وللجن أيضا ، قال ابن تيمية – رحمه الله - مدللا على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، وأنه مبعوث إلى جميع الناس أهل الكتاب ، وغير أهل الكتاب ، بل إلى الثقلين الإنس والجن : إنه كان يكفر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا ما أنزل الله عليه ، كما كان يكفر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك ، وأنه جاهدهم وأمر بجهادهم .[الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣] .

أما الأمر الثاني : أن هرقل فقه مسألة مهمة ، وهي مسألة يتخذها المعاندون من أهل الكتاب ذريعة لصد الناس عن اتباع الحق ، وهي أن وصول كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه هو بلاغ لرسالته وإن كان بلغة العرب ، فلم يرده ، ولم يرفضه ، بل بادر بترجمته ، وفهم معانيه ، وتحري الحق بحواره مع أبي سفيان ، وعرضه على علماء النصارى في مملكته ، وكذلك كان موقف ضغاطر أكبر علماء بلاده ، فلم يرفض الدعوة بحجة أن النبي عربي اللسان ، وهو للعرب خاصة دون غيرهم .
وإن المتأمل اليوم لكثرة المسلمين في شتى بقاع الأرض ، ومن كل اللغات ، ومن كل الأجناس ليعلم أن هذه الرسالة عامة لكل العالمين ، وأن من يقول بخصوصيتها لأهل اللسان العربي ليعارض النصوص من الكتب السماوية الصريحة ، ويغمض عينيه عن ما يشهد به الواقع البشري اليوم ومن قبل ، منذ بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا .
يقول ابن تيمية رحمه الله :أنزل عليه القرآن باللسان العربي ، كما أنزلت التوراة باللسان العبري وحده ، وموسى -عليه السلام - لم يكن يتكلم إلا بالعبرية ، وكذلك المسيح - عليه السلام - لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية ، وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد ، بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا ، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم : إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب ، كما حدث في قصة الكتاب لهرقل وغيره من الملوك ، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه ، وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه ، وإن لم يعرف سائر ما أرسل به .
فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول تارة المعنى ، وتارة اللفظ ، ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى ، والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء ، وأبناء فارس المسلمون لما اعتنوا بأمر الإسلام ، ترجموا مصاحف كثيرة ، فيكتبونها بالعربي ، ويكتبون الترجمة بالفارسية ، وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى ، فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته ، فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم ؟! وعامة الأصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدها ، ونظائرها في التوراة والإنجيل والزبور ، وغير ذلك من النبوات، بل كل من تدبر نبوات الأنبياء ، وتدبر القرآن ، جزم يقينا بأن محمدا – صلى الله عليه وسلم - رسول الله حقا ، وأن موسى – عليه السلام - رسول الله صدقا ، لما يرى من تصادق الكتابين التوراة والقرآن ، مع العلم بأن موسى - عليه السلام - لم يأخذ عن محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم -لم يأخذ عن موسى – عليه السلام - ، فإن محمدا - صلى الله عليه وسلم - باتفاق أهل المعرفة بحاله ،كان أُمِّيّاً ، قال تعالى : {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ }[سورة العنكبوت الآية : ٤٨]، ومن قوم أميين ،قال تعالى : {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[سورة الجمعة الآية : ٢]، ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة والإنجيل ولا الزبور ، وكان محمد -صلى الله عليه وسلم – مقيما بمكة

لم يخرج من بين ظهرانيهم ، ولم يسافر قط إلا سفرتين إلى الشام ، خرج مرة مع عمه أبي طالب قبل الاحتلام ، ولم يكن يفارقه ، ومرة أخرى مع ميسرة في تجارته ، وكان ابن بضع وعشرين سنة ، مع رفقة كانوا يعرفون جميع أحواله ، ولم يجتمع قط بعالم أخذ عنه شيئا لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم ، لا بحيرى ولا غيره ، ولكن كان بحيرى الراهب لما رآه عرفه ، لما كان عنده من ذكره ونعته ، فأخبر أهله بذلك ، وأمرهم بحفظه من اليهود ، ولم يتعلم لا من بحيرى ، ولا من غيره كلمة واحدة ، وقد دافع الله تعالى عن نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – في كتابه رداً على من يزعم تعليم البشر له بقوله : {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }[سورة النحل الآية :١٠٣].ففي الآية تكذيب لهم ، لأن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي – صلى الله عليه وسلم- أعجمي لا يفصح ، والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان .

هذا مع أن في القرآن من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه مثل : دعواهم أن المسيح - عليه السلام - صلب ، وقول بعضهم أنه إله ، وقول بعضهم أنه ساحر ، وطعنهم على سليمان - عليه السلام -وقولهم أنه كان ساحراً ، وأمثال ذلك ما يبين أنه لم يأخذ عنهم ، وفي القرآن من قصص الأنبياء - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - ما لا يوجد في التوراة والإنجيل ، مثل :قصة هود ، وصالح ، وشعيب وغير ذلك ، وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله ، وصفة الجنة والنار ، والنعيم والعذاب ، ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل .[انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥٢/٢، ٥٤ ، ٧٤ ، ٧٨].

كما أن اللسان العربي من أفصح لغات الآدميين ، وأوضحها ، والناس متفقون على أن القرآن في أعلى درجات البيان والبلاغة ، والفصاحة ، وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي يذكر فيها أن الله - تعالى - أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم مالا يحصى إلا بكلفة . .[الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٧١/١].

وأما القول بأن ذكره بالاسم ورد في الكتب السماوية فيشهد له عدة أمور:

أولا: تصريح القرآن الكريم بذلك ، قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }[سورة الصف الآية :٦].

ثانيا: تصريح بعض أهل الكتاب باسمه فيما كانوا يبشرون به من خروج نبي آخر الزمان ، فقد كان بعض العرب قد سمى ابنه محمدا طمعا في أن يكون النبي المنتظر لما سمعوه من التبشير بخروجه ، فقد خرج أربعة من بني تميم يريدون الشام وهم : عدي بن ربيعة ، وسفيان بن مجاشع، وأسامة بن مالك، ويزيد بن ربيعة، فلما وصلوا الشام نزلوا على غدير ، فسمع حديثهم ديراني في صومعة له ، فأشرف عليهم الديراني فقال: إن هذه لغة ما هي بلغة أهل البلد .فقالوا :نعم ،نحن قوم من مضر .قال : من أي مضر ؟ قالوا : من خندف .قال :أما إنه سيبعث منكم وشيكا نبي ،فسارعوا وخذوا بحظكم منه ترشدوا ، فإنه خاتم النبيين .فقالوا :ما اسمه ؟ فقال :محمد .فلما

انصرفوا من عنده ولد لكل واحد منهم غلاما فسماه محمد. [المعجم الكبير للإمام الطبراني ح/٢٧٣- ج ١١١/١٧].
ولما سمع أكثم بن صيفي التميمي بخروج النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث إليه ابنه ليأتيه بخبره ، فلما رجع ابنه ، قال له أكثم : ماذا رأيت ؟ قال :رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ،وينهى عن ملائمها .فجمع أكثم قومه ، ودعاهم إلى اتباعه ،وقال لهم : إن سفيان بن مجاشع سمى ابنه محمدا حبا في هذا الرجل ، وإن أسقف نجران كان يخبر بأمره وبعثه ، فكونوا في أمره أولا ولا تكونوا أخرا. [الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر ٢١١/١].
ثالثا: التصريح باسمه في النبوءات والبشارات في الكتب السابقة ، ومن ذلك :
ما رواه برنابا عن عيسى - عليه السلام - من أنه صرح باسم محمد - صلى الله عليه وسلم - فمن كلامه عليه السلام : (أن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقابا عظيما ، لأن الله يغضب من الخطيئة . فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني قليلا حبا عالميا ، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر، حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم . فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله ، على أني كنت بريئا في العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي يوم الدينونه . وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله . الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله) [برنابا .٢٢ – انظر البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل لـ أحمد حجازي السقا ١٤٥/١].
وجاء في مزامير داود عليه السلام قول داود - عليه السلام - : (إن ربنا عظم محموداً)، وفي مكان آخر : (إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا)[المزامير (٤٨، ٦٧ ، ١١١ ، ١١٨)- انظر هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ، تحقيق رضوان جامع رضوان ،ص٩٥]، وهذا تصريح من داود - عليه السلام - باسمه ، وجاء في سفر أشعياء ، قول أشعياء معلنا باسم محمد صلى الله عليه مسلم : (إني جعلت أمرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب ، اسمك موجود قبل الشمس) [سفر أشعياء الإصحاح (٢١)، انظر هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ، تحقيق رضوان جامع رضوان ،ص ٩٨].
وهذه الشواهد تجعلنا نعطي لمحة مختصرة عن التوراة والإنجيل :
يقول اليهود العبرانيون والسامريون والنصارى أيضا : إن التوراة عبارة عن خمسة أسفار هي: ١- التكوين ٢- الخروج ٣- اللاويين (الأحبار) ٤- العدد ٥- التثنية .
ويقول العبرانيون والنصارى بكتب تسمى التوراة مجازا لأنبياء أتوا من بعد موسى – عليه السلام – ويسمونها (كتب الأنبياء) [انظر البشارة بنبي الإسلام ٥٤/١].
وقد ترجمت من العبرانية إلى اللغة اليونانية عام ٢٨٥ – ٢٤٧ قبل الميلاد ، وقد قام بها اثنين وسبعين عالما من علماء اليهود ، ومن الزمان الذي ترجمت فيه التوراة إلى اليونانية ، انتشرت في العالم ، وظهرت ترجمات أخرى لها ، فصعب على اليهود تحريفها ، وزاد من صعوبة التحريف ظهور النصرانية ، وتمسك النصارى بالتوراة

، وتفرقهم بها في جميع البلاد ، وذلك لأنهم كانوا يكتبونها ويضعونها مع كتب الأناجيل الأربعة : ١- متى ٢- يوحنا ٣- لوقا ٤- مرقس في كتاب واحد .
ويسمون مجموع كتب التوراة والإنجيل (بيبل) باللغة اليونانية ، أو الكتاب المقدس ،
أو كتب العهد القديم (التوراة) ، وكتب العهد الجديد (الإنجيل) .[البشارة بنبي الإسلام ١/٥٨-٥٩].
وحديثنا عن النبوءات عند أهل الكتاب ، يجعلنا نتساءل عن موقفنا منها ؟
ويبين ذلك الدكتور سفر الحوالي بقوله : وموقفنا من نبوءات أهل الكتاب هو نفس الموقف من عامة أحاديثهم وأخبارهم ، فهي ثلاثة أنواع :
أولاً: ما هو باطل قطعاً :
وهو ما اختلقوه من عند أنفسهم أو حرفوه عن مواضعه، كدعوى أن نبي آخر الزمان سيكون من نسل داود – عليه السلام -، وأن المسيح الموعود يهودي ، وطمسهم للبشارة بالإسلام ورسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وعموماً هو كل ما ورد الوحي المحفوظ (الكتاب والسنة الصحيحة) بخلافه.
ثانياً: ما هو حق قطعاً، وهو نوعان:
أ) ما صدقه الوحي المحفوظ نصاً، ومن ذلك إخبارهم بختم النبوة، وإخبارهم بنزول المسيح - عليه السلام- ، وخروج المسيح الدجال، وإخبارهم بالملاحم الكبرى في آخر الزمان بين أهل الكفر وأهل الإيمان، ومن هذا النوع ما قد يكون الخلاف معهم في تفصيله أو تفسيره.
ب) ما صدقه الواقع ، كما في صحيح البخاري عن جرير بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قال: كُنت باليمن ، فلقيت رجلين من أهل اليمن :ذا كلاع و ذا عمرو فجعلت أحدثهم عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال ذو عمرو : لئن كان الذي تذكره من أمر صاحبك؛ فقد مرَّ على أجله منذ ثلاث.- قال ذلك عمرو ، لأنه كان على إطلاع بكتب اليهود باليمن – قال جرير: وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رُفِع لنا ركب من قبل المدينة ، فسألناهم، فقالوا: قُبِضَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستُخلف أبو بكر والناس صالحون.
فقالا: أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن ، فحدثت أبا بكر بحديثهم ، فقال: أفلا جئت بهم . فلما كان بعدُ قال لي ذو عمرو : يا جرير ! إن بك عليَّ كرامة، وإني مخبرك خبراً، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمَّرتم في آخر، فإذا كان بالسيف كانوا ملوكاً، يغضبون غضبَ الملوك ويرضون رضا الملوك .[رواه الإمام البخاري ح/٤١٠١ ، وانظر فتح الباري ٧٦/٨].
ثالثاً: ما لا نصدقه ولا نكذبه:
وهو ما عدا هذين النوعين، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم). [رواه الإمام البخاري ح/ ٤٢١٥].
ومن ذلك إخبارهم عن الآشوري ورجسة الخراب وأمثالها، وكوننا لا نصدقه ولا نكذبه يعني: خروجه عن دائرة الاعتقاد والوحي إلى دائرة الرأي والرواية التاريخية

التي تقبل الخطأ والصواب والتعديل والإضافة ، أي أن النهي لا يعني عدم البحث فيه مطلقاً، ولكنه بحث مشروط، وضمن دائرة الظن والاحتمال.[انظر يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟ للدكتور: سفر الحوالي] .
والحديث عن البشارات والنبوءات التي جاءت في التورات والإنجيل ، هو حديث عن علامة من علامات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وفيه أداءٌ لحق البلاغ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما -أن النبي صلى الله عليه وسله - قال : (بلغوا عني ولو آية). [رواه الإمام البخاري ح/ ٣٢٧٤]، فالله – تعالى – جعل سعادة البشرية في الدنيا ، وهدايتهم لكل خير في طاعته واتباعه ، قال تعالى : {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [سورة النور الآية :٥٤]، وجعل نجاتهم في الآخرة متوقفة على اتباعه .قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جئت به إلا دخل النار). [رواه الإمام مسلم ح/١٥٣] .
ولقد كان يُعجب النبيَّ - صلى الله عليه وسله - أن يسمع أصحابه قصص أهل الكتاب الدالة على نبوته ، كما ثبت ذلك في قصة إسلام سلمان الفارسي – رضي الله عنه - فبعد أن قص سلمان قصته على النبي - صلى الله عليه وسله - قال :فأعجب رسول الله - صلى الله عليه وسله - أن يسمع ذلك أصحابه رضي الله عنهم .[أخرجه الإمام أحمد (٤٤١/٥-٤٤٤)،قال شعيب الأرنؤوط ،و حسين الأسد في تحقيق سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي(٥١١/١) :رجاله ثقات وإسناده قوي].
والناظر في أسباب دخول الناس إلى دين الله أفواجا ، وإيمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وخاصة أكثر العرب الذين لم يكن لديهم علم بتلك البشارات ، يجد أنهم آمنوا لما تبين لهم من آيات وعلامات دلت على صدق نبوته - صلى الله عليه وسلم - بل إن أتباعه عليه الصلاة والسلام من العرب وغيرهم كانوا أكثر بعد موته ، مع عدم إطلاع غالبيتهم على البشارات والنبوءات ، وهم في تزايد مستمر ،وذلك لما رأوا من عدل ورحمة ويسر الشريعة التي جاء بها ، ولما وجدوا من حسن أثر دعوته في أتباعه على مر الأزمان ، ومن ذلك حسن أخلاقهم ،
وما جاء به من علامات تدل على صدق نبوته ، والتي منها :
أولا: القرآن الكريم ، وهو أعظم الآيات والدلائل ، وسائر العلامات له تبع ، والقرآن آية بينة معجزة من وجوه متعددة : من جهة اللفظ ،ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله -تعالى - وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية ، التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى : {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً } [سورةالإسراء الآية: ٨٩]، وانظر الجواب الصحيح ٤٢٨/٥] .
والقرآن معجز بمعارفه وعلومه ، ولم يقدر أحد من العرب وغيرهم - مع قوة عداوتهم وحرصهم على إبطال أمره بكل طريق ، وقدرتهم على أنواع الكلام - أن

يأتوا بمثله ، قال تعالى : {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }[سورة الإسراء الآية :٨٨]، وانظر الجواب الصحيح ٤٢٧/١]. وقال تعالى :{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }[سورة النساء الآية : ٨٢].قال الإمام الطبري – رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة : إن الذي أتيتهم به – يا محمد - من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه ، وائتلاف أحكامه ، وتأييد بعضه بعضا بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، فإن ذلك لو كان من غير الله – تعالى - لاختلفت أحكامه ،وتناقضت معانيه ، وأبان بعضه عن فساد بعض.[تفسير الطبري ١٧٩/٥].

وقال تعالى : {وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ }[سورة يونس الآية :٣٧].

وتأمل أثر القرآن على ملك الحبشة النجاشي ، وبطارقته وكانوا نصارى ، ثم إقرار النجاشي أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن - يخرج وما جاء به عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل من مشكاة واحدة ، فقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالهجرة إليه لما كانوا يلاقونه من تعذيب وتضييق من كفار مكة ، وكان ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد ، وبعد أن وصلوا إليه عاشوا في خير جوار عنده ، آمنين على دينهم يعبدون الله لا يؤذون ولا يسمعون شيئا يكرهونه ،فلما بلغ ذلك قريشا أغضبها ما كانوا يسمعونه عن أمن المهاجرين ،فتآمروا ليلاحقوهم هناك !! وقرروا أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين جلدين ليهدوا للنجاشي هدايا مما يحبه من متاع مكة ،وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم – الجلد - فجمعوا له أدما كثيرا ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما :ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم . ليستميلوهم فيشيروا على النجاشي بما يريدون .

فخرجا فقدما على النجاشي ،فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ،ثم كلماه فقالا له :أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

فقالت بطارقته حوله : صدقوا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ،فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

فغضب النجاشي ،ثم قال :لا ها الله ، أيم الله إذاً لا أسلمهم إليهما ، ولا أكاد قوما جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم ، فاسألهم ما يقول هذان في أمرهم ،فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا غير ذلك ، منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ،ثم قال بعضهم لبعض :ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا :نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا - صلى الله عليه وسلم - كائن في ذلك ما هو كائن .
فلما جاءوه ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال :ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟
فكلمه جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه - فقال له :أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية :نعبد الأصنام ،ونأكل الميتة ،ونأتي الفواحش ،ونقطع الأرحام ،ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف .فكنا على ذلك حتى بعث الله – تعالى - إلينا رسولا منا ،نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ،فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ،ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ،وأمرنا بصدق الحديث ،وأداء الأمانة ،وصلة الرحم ،وحسن الجوار ،والكف عن المحارم والدماء ،ونهانا عن الفواحش ،وقول الزور ،وأكل مال اليتيم ،وقذف المحصنة ،وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .
فعدد عليه أمور الإسلام ،قال :فصدقناه ،وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ،فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ،وحرمنا ما حرم علينا ،وأحللنا ما أحل لنا ،فعدا علينا قومنا ،فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ،وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ،فلما قهرونا وشقوا علينا ،وحالوا بيننا وبين ديننا ،خرجنا إلى بلدك ،واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ،ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .
فقال له النجاشي :هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟
فقال له جعفر :نعم .
فقال له النجاشي: فاقرأه علي .
فقرأ عليه صدرا من (كهيعص).
فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته ،وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم !!
ثم قال النجاشي : إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا ،فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد .
فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص :والله لأنبئنَّه غدا عيبهم ، ثم استأصل به خضراءهم .فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين في قومه : لا تفعل ،فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا .قال :والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ .
ثم غدا عليه ، فقال له : أيها الملك ! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ،فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه . فأرسل إليهم يسألهم عنه .
فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض:ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ؟ قالوا:نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا - صلى الله عليه وسلم -كائنا في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه ،قال لهم : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟
فقال له جعفر بن أبى طالب – رضي الله عنه -:نقول فيه الذي جاء به نبينا - صلى الله عليه وسلم - هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .
فضرب النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ،ثم قال :ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود .فتناخرت بطارقته حوله ، حين قال ما قال .فقال :وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - من سبكم غرم ، من سبكم غرم ،فما أحب أن لي دبرا ذهبا- يعني جبل - وإني آذيت رجلا منكم . ردوا عليهم هداياهما ، فلا حاجة لنا بها ،فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه .
فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به ، وأقام المهاجرون – رضي الله عنهم- عنده بخير دار مع خير جار.[حديث روته أم المؤمنين أم سلمه رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه الإمام أحمد ١/ ٢٠٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح].
ثانيا : المعجزات الحسية التي جاء بها ، وهي كثيرة جداً ، منها : انشقاق القمر ، وتكثير الطعام القليل، ونبع الماء من تحت أصابعه ، وبكاء جذع النخلة ، وسلام الحجارة عليه ، وتقارب الأشجار له ،و ....و.....وغيرها كثير مما جمعه أهل العلم في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .
ثالثا : إخباره – صلى الله عليه وسلم - عن المغيبات الماضية ، والحاضرة ، والمستقبلة ، بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله ، فضلا عن غير النبيين ، ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير ،وكذلك في الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه فكان كما أخبر . [الجواب الصحيح ٨٠/٦].
رابعا: انتفاع أهل الدنيا بدعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أكمل من انتفاع سائر الأمم بدعوة سائر الأنبياء ، حتى إن المشركين أدركوا هذا الانتفاع الذي حصّله المسلمون من دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم – في سائر نواحي الحياة ، فعن سلمان – رضي الله عنه – أن المشركين قالوا له : قد علمكم نبيكم - صلى الله عليه وسلم - كل شيء ،حتى الخراءة !! قال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم . [أخرجه الإمام مسلم ح/٢٦٢].
وقد كان اليهود يدركون ذلك ، وأن الشريعة التي بعث بها أيسر الشرائع ، وأخفها على الناس ، فعندما زنى رجل من اليهود بامرأة ، قال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبي ، فإنه نبي بعث بالتخفيف - وهذا هو الشاهد - فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها ، واحتججنا بها عند الله ، فقلنا نبي من أنبيائك !! – وهذا إقرار صريح بنبوته - صلى الله عليه وسلم - فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ! ما ترى في رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم ، فقام على الباب فقال : (أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ! ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن ؟) . قالوا : نحممه ، ونجبيه ، ونجلده ._ والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار ويقابل أقفيتهما

ويطاف بهما ـ ، وسكت شاب منهم ، فلما رآه النبي ـصلى الله عليه وسلم ـساكتا ، أنشده ؟ فقال : اللهم إذ نشدتنا ، فإنا نجد في التوراة الرجم .فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (فما أول ما ارتخصتم أمر الله؟). قال: زنى ذو قرابة ملك من ملوكنا ، فأخر عنه الرجم ، ثم زنى رجل في أسرة من الناس ، فأراد رجمه ، فحال قومه دونه ، وقالوا : لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه .فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فإني أحكم بما في التوراة)، فأمر بهما فرجما.[رواه الإمام أبو داود ح/٤٤٥٠] .

خامسا : اجتمع للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدة أمور لا يجتمع مثلها إلا لنبي مثل : المعجزات ، ومثل صفاته ، فهذا عدي بن حاتم من سادة قبيلة طيء ، وكان نصرانيا ، يخبر بتأثره بأخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم- وذلك في أول لقاء له به ، قال عدي : فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها!!

قال :قلت في نفسي والله ما هذا بملك! [ابن إسحاق رحمه الله، انظر السيرة النبوية لابن هشام رحمه الله ٢٧٨/٥].

ومما اجتمع له إضافة لما ذكر ، قرائن أحواله منذ الصغر فلم يكذب ولم يخن ..الخ [انظر كتاب البشارة بنبي الإسلام لـ أحمد حجازي السقا ، ينقل عن محصل أفكار المتقدمين للرازي. [١٩٦/١].

ولكن هل من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه ؟

يقول ابن تيمية رحمه الله : ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه ، كما أن موسى – عليه السلام ـ كان رسولا إلى فرعون ولم يتقدم لفرعون به بشارة ، وكذلك الخليل ـ عليه السلام ـ أرسل إلى نمرود ولم يتقدم به بشارة نبي إليه ، وكذلك نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط – عليهم السلام ـ لم يتقدم هؤلاء بشارة إلى قومهم بهم ، مع كونهم أنبياء صادقين ، فإن دلائل نبوة النبي ـ صلى الله عليه وسله ـ لا تنحصر في إخبار من تقدمه ، بل دلائل النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات. [أنظر الجواب الصحيح ٢/ ٣٢].

وهذه الآيات والدلائل المبينة لنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسله ـ من غير البشارات كثيرة جدا ، وهي حجة على أهل الكتاب ، وعلى غيرهم من الأمم ، قال تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة المائدة الآية: ١٩] ، وقال تعالى : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ } [سورة آل عمران الآية: ٩٨] ، و القرآن أعظم آية جاء بها النبي – صلى الله عليه وسلم ـ وهوحجة على من بلغه ، قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } [سورة الأنعام الآية: ١٩] ، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض ، قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه ، فإذا اشتبه معنى بعض الآيات وتنازع الناس في تأويل

الآية وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراده الرسول فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر.[الجواب الصحيح ٢/٢٩٣].
فكيف يكون جوابهم ، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ؟!
ويأتي الآن السؤال المهم : ما الدلالات على أن محمدا - صلى الله عليه وسله - مذكور في التوراة والإنجيل ، ليوصف أهل الكتاب بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ؟
والجواب يتمثل في الدلالات التالية :
أولا : تصريح القرآن بذلك ، قال تعالى : {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [سورة الأعراف الآية: ١٥٧] ، وقال تعالى : {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ }[سورة البقرة الآية: ٨٩] .
ثانيا : تصريح القرآن ببشارة الأنبياء – عليهم السلام - به ، فقد بشر به عيسى - عليه السلام- قال تعالى : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) ، بل أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء لئن بعث محمد ليؤمنن به ، قال تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ }[سورة آل عمران الآية: ٨١] ، قال ابن عباس – رضي الله عنه -وغيره من السلف : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد – صلى الله عليه وسلم -وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد – صلى الله عليه وسلم -وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه .قال ابن تيمية : فدل ذلك على أنه من أدرك محمدا – صلى الله عليه وسلم - من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم -وينصره .[انظر الجواب الصحيح ٢/١٢٠- ١٢٣].
ثالثا : شهادة من أسلم من علماء بني إسرائيل ، أن ذكره - صلى الله عليه وسلم - جاء في كتبهم، قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ }[سورة الشعراء الآية: ١٩٧] ، وقال تعالى:{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }[سورة آل عمران الآية: ١٩٩].وقال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ .وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ .أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }[سورة القصص الآية :٥٢- ٥٤].

ومن ذلك أن عالم اليهود وابن عالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبد الله بن سلام كان فوق نخلة له يجدها ، فسمع رجة فقال: ما هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قدم .فألقى بنفسه من أعلى النخلة ثم خرج [مجمع الزوائد ٢٤٣/٨].
فكان فيمن انجفل إليه، يقول عبد الله بن سلام: فلما تبينت وجهه ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته يقوله : (أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) [رواه الإمام أحمد ٥/ ٤٥١].
ثم رجع فقالت له أمه: لله أنت !! لو كان موسى بن عمران - عليه السلام - ما كان بذلك تلقي نفسك من أعلى النخلة. فقال : والله لأنا أشد فرحا بقدوم رسول الله من موسى إذ بعث. [قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن حمزة بن يوسف لم يدرك جده عبد الله بن سلام ،مجمع الزوائد ٢٤٣/٨].
وفي رواية ابن إسحاق : أنه قال لعمته خالدة : أي عمة ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به .فقالت : أي ابن أخي ! أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نَفَس الساعة ؟ فقلت لها : نعم. [ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٥٠/٣].
ثم جاءه بعد ذلك فقال: إني سائلك عن ثلاث، لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام أهل الجنة ، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: (أخبرني بهن جبريل آنفا). قال : جبريل ؟!!قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم : (نعم). قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة.
فقرأ هذه الآية: (من كان عدا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)، أما أول أشراط الساعة ؟ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة ؟ فزيادة كبد حوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت). فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني .فجاءت اليهود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟).قالوا : خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : (أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟).فقالوا : أعاذه الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقالوا :شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه . قال ابن سلام : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .[رواه الإمام البخاري ٤٢١٠ ، ٣٦٩٩]. وفي رواية قال : يا معشر اليهود ! اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق .[رواه الإمام البخاري ٣٦٢١].
وكان بعض أهل الكتاب يُذكّر البعض الآخر ، ويقيم الحجة عليهم ، فهذا مخيريق من أحبار بني النضير وعلمائها وأغنيائها يقيم الحجة على يهود ، وكان يعرف رسول الله - صلى الله عليه وسله - بصفته وما يجد في علمه ، وكان قد غلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد - وكان يوم أحد يوم السبت من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة - قال : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق .قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه ،

فخرج حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد- صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ماشاء .
فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (مخيريق خير يهود). [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥١/٣].
و شاهد آخر في موقف (ضغاطر) كبير الأساقفة زمن هرقل ، عندما أرسل إليه هرقل بكتاب النبي - صلى الله عليه وسله - يستشيره فيه ، فقال الأسقف: هذا الذي كنا ننتظر ، وبشرنا به عيسى – عليه السلام - أما أنا فمصدقه ومتبعه . فقال له قيصر: أما أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي . ثم قال الأسقف لرسول النبي صلى الله عليه وسلم : خذ هذا الكتاب واذهب إلى صاحبك ، فأقرئ عليه السلام ،وأخبره أني أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأني قد آمنت به وصدقته ،وأنهم قد أنكروا على ذلك .ثم خرج إليهم فقتلوه .[ابن حجر في فتح الباري ٤٢/١-٤٣].
وأورد شيخ الإسلام بن تيمية إقرار وشهادة الحسن بن أيوب ، و كان من أجلاء علماء النصارى ، وأخبرِ الناس بأقوالهم ، ومن أخبرِ الناس بمقالاتهم ، فأسلم على بصيرة ، وكتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر فيها سبب إسلامه ، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الإسلام ، قال في رسالته إلى أخيه لما كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه ؟ ثم أعلمك أرشدك الله أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه ،والاستبشاع بالقول به من أكثر من عشرين سنة !! لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله عز وجل ، بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم ، وغيرها مما تضمنته شريعة النصارى ،ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ، ولا تثبت في تقرير ذلك ، وكنت إذا تبحرته وأجلت الفكر فيه بان لي عواره ، ونفرت نفسي من قبوله ، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي مَنّ الله علي به وجدت أصوله ثابتة ، وفروعه مستقيمة ، وشرائعه جميلة ، وأصل ذلك ما لا يختلف فيه أحد ممن عرف الله عز وجل منكم ومن غيركم ، وهو الإيمان بالله الحي القيوم السميع البصير الواحد الفرد الملك القدوس الجواد العدل ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وإله موسى وعيسى وسائر النبيين والخلق أجمعين ،....، إلى أن قال : ثم نؤمن بأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ونؤمن بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،لا نفرق بين أحد منهم ، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وسائر الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين ذلك بما كسبت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد .
قال :وكان يحملني إلف ديني ، وطول المدة والعهد عليه ، والاجتماع مع الآباء والأمهات والإخوة والأخوات ، والأقارب والإخوان والجيران ،وأهل المودات على التسويف بالعزم والتلبث على إبرام الأمر ، ويعرض مع ذلك الفكر في إمعان النظر ، والازدياد في البصيرة ، فلم أدع كتابا من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور، وكتب الأنبياء ، والقرآن ، إلا نظرت فيه ،وتصفحته ، ولا شيئا من مقالات النصرانية إلا تأملته ، فلما لم أجد للحق مدفعا ، ولا للشك فيه موضعا ، ولا للأناة

والتلبث وجها خرجت مهاجرا إلى الله عز وجل بنفسي ، هاربا بديني عن نعمة وأهل مستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل ، فأظهرت ما أظهرته عن نية صحيحة ، وسريرة صادقة ، ويقين ثابت ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، وإياه تعالى نسأل أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.[الجواب الصحيح ٨٨/٤].

رابعا : إخبار علمائهم ، بصفته ، ومكانه ، ووقت خروجه ، وهو ما كان سببا في إسلام سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وإليكم قصة سلمان العجيبة ، يرويها بنفسه فيقول: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها جى ، وكان أبي دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية ، فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة .

وكانت لأبي ضيعة عظيمة – الضيعة: هي تجارة الرجل، أو صناعته، أو زراعته - ، فشغل في بنيان له يوما ، فقال لي : يا بني! إني قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ،فاذهب فاطلعها ،وأمرني ببعض ما يريد فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته ، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم ، دخلت عليهم انظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ،ورغبت في أمرهم ، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ؛ فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس. وتركت ضيعة أبي ولم آتها ، فقلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي بني! أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال :أي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قلت :كلا والله إنه لخير من ديننا .قال: فخافني ، فجعل في رجلي قيدا ، ثم حبسني في بيته .

وبعثت إلى النصارى فقلت لهم :إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم . فقدم عليهم من الشام تجار من النصارى ، فأخبروني بهم ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأخبروني. فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ،فألقيت الحديد من رجلي ،ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها ،قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا الأسقف في الكنيسة . فجئته ،فقلت : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك ، وأصلى معك .قال : فادخل ، فدخلت معه ، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ،فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قِلال من ذهب ووَرِق ، فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع .

ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ،فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئا ، قالوا : وما علمك بذلك ، قلت :أنا أدلكم على كنزه ،قالوا: فدلنا عليه ،

فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا ، فلما رأوها قالوا :والله لا ندفنه أبدا .فصلبوه ، ثم رجموه بالحجارة ،ثم جاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً – يعني لا يصلي الخمس - أرى أنه أفضل منه ، أزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلا ونهارا منه ، فأحببته حبا لم أحبه من قبله ، وأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه من قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فإلى من توصى بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم أحدا اليوم على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل ، وهو فلان ، فهو على ما كنت عليه ، فالحق به .
فلما مات وغيب ،لحقت بصاحب الموصل ،فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصاني عند موته أن الحق بك ،وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقم عندي .فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلما حضرته الوفاة قلت له :يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك ،وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى ،فإلى من توصى بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به .فلما مات وغيب ،لحقت بصاحب نصيبين ، فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي ، قال : فأقم عندي .فأقمت عنده .فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ، وما تأمرني . قال : أي بني والله ما نعلم أحدا بقى على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلا رجلا بعمورية ، فإنه بمثل ما نحن عليه ،فإن أحببت فأته ،فإنه على أمرنا . فلما مات وغيب ،لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرته خبر ي ، فقال :أقم عندي. فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم ، واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضر قلت له : يا فلان إلى من توصى بي ؟وما تأمرني ؟ قال : أي بني ! والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي ، هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب (وفي رواية :يبعث من أرض الحرم)، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .
ثم مات وغيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ،ثم مر بي نفر من تجار العرب من كلب فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه .قالوا: نعم . فأعطيتهم إياها وحملوني ، حتى إذا قدموا بي وادي القرى – هو وادٍ بين المدينة والشام كثير القرى -، ظلموني ، فباعوني عبداً من رجل من يهود ، فكنت عنده ورأيت النخل ، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحق لي في نفسي ، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة ، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها ، وبعث الله رسوله ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس نخلة لسيدي ،

وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال :يا فلان ! قاتل الله بنى قيلة _ يعني الأوس والخزرج - والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي .
فلما سمعتها أخذتني العرواء – يعني الرعدة - حتى ظننت سأسقط على سيدي ، ونزلت عن النخلة ،فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال: فغضب سيدي ،فلكمني لكمة شديدة ،ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك .فقلت :لا شيء إنما أردت أن استثبت عما قال .وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ،ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ،فرأيتكم أحق به من غيركم . فقربته إليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا .وأمسك يده ، فلم يأكل . فقلت في نفسي : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئا وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئت به فقلت :إني رأيتك لا تأكل الصدقة ،وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ،وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت في نفسي :هاتان اثنتان ، ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببقيع الغرقد ، وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ،فلما رآني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استدرته ، عرف أني استثبت في شيء وصف لي ، فألقى الرداء عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم ، فعرفته ، فانكببت عليه أقبله وأبكى .فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تحول) . فتحولت ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا بن عباس .قال :فأعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسمع ذلك أصحابه .[أخرجه الإمام أحمد ٤٤١/٥-٤٤٤، قال شعيب الأرنؤوط ،و حسين الأسد في تحقيق سير أعلام النبلاء للذهبي ٥١١/١:رجاله ثقات وإسناده قوي].
وكان لأحبار اليهود الذين عرفوا صفة الأرض التي يهاجر إليها نبي آخر الزمان وهي يثرب (المدينة) دورهم في رد تُبّع عنها - تبع أحد ملوك اليمن واسمه : تبان أسعد من أبناء سبأ ، غزا الأنبار والحيرة والترك وغزا الصين حتى هابته الملوك وأهدت له الهدايا ، كان وثنياً ، ثم دخل اليهودية و أدخلها إلى اليمن ، وعن بن عباس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسبوا تبعا، فإنه قد أسلم) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ح/١٤١٩، وقال عنه الألباني في سلسلة الصحيحة : صحيح بشواهده .وانظر تاريخ الطبري ٣٣١/١- وذلك عندما غزا الحجاز وأراد الهجوم على المدينة ، فخرج إليه حبران من أحبار اليهود حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له : أيها الملك لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك .فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره . فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٣٣/١].

ولمعرفتهم بزمان خروجه ومكانه ،كان هناك من يقدم إلى المدينة قبل الإسلام بسنين قلائل ، منهم رجل من أهل الشام يقال له ابن الهيّبان قدم المدينة قبيل الإسلام بسنين ، فسكنها وظهرت عليه علامات الصلاح ، فلما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت ، قال : أيا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ فقالوا : إنك أعلم .

قال:فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف – يعني أنتظر - خروج نبى قد أظل زمانه ، وهذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود.

وكان ممن شهد قصة ابن الهيبان ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، من بني قريظة ، فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قريظة بعد نقضهم العهد الذي كان بينهم وبينه ، قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابا أحداثا : يا بني قريظة ! والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان .قالوا :ليس به .قالوا : بلى ،والله إنه لهو بصفته .فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم و أموالهم وأهليهم [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤٠/٢].

وكان سماع أهل المدينة من الأوس والخزرج للبشائر بخروج النبي -صلى الله عليه وسلم - من اليهود أمراً متكرراً ، فمن ذلك ، ما رواه حسان بن ثابت – رضي الله عنه - قال : والله ، إني لغلام يفعه ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمه – يعني حصنه - :يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك ! ما لك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

قال ابن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين . وقدمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين [عن ابن إسحاق ، انظر السيرة لابن هشام ٢٤٩/١].

ولم تقتصر البشائر على المدينة فحسب ، بل كانت في مكة أيضا ، فكان في مكة يهودي يتجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش ! هل الليلة مولود ؟ فقالوا :والله ما نعلمه .قال : الله أكبر ، أما إذا أخطأكم فلا بأس ، فانظروا ، واحفظوا ما أقول لكم ، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات، كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذلك أن عفريتا من الجن أدخل أصبعيه في فمه ، فمنعه الرضاع . فتصدع القوم من مجلسهم وهم متعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم ، أخبر كل إنسان منهم أهله ، فقالوا : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا . فالتقى القوم ، فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودي ،وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي ، فأخبروه الخبر .قال :فاذهبوا معي حتى أنظر إليه . فخرجوا حتى أدخلوه على آمنة ، فقال : أخرجي إلينا ابنك ، فأخرجته ، وكشفوا له عن ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودي مغشيا عليه ،

فلما أفاق قالوا: ويلك ! ما لك ؟ قال : ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل ، فرحتم به يا معشر قريش ،أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب .[روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه الحاكم عن ابن إسحاق (ح/٤١٧٧) ، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري ٥٨٣/٦].

وكان لمعرفتهم بزمن خروجه أثره في ترقبهم هجرته إلى المدينة ، فهذا رجل من اليهود يصعد فوق حصن له في الأيام التي كان المسلمون في المدينة يترقبون وصول النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم بعدما سمعوا بخروجه مهاجرا إليهم ، فرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته :يا معاشر العرب – وفي رواية : يابني قيلة .- يعني الأوس والخزرج - هذا جدكم الذي تنتظرون .فثار المسلمون ، فتلقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بظهر الحرة [رواه الإمام البخاري ح/٣٩٦٤].

وكان علماء النصارى يسدون النصائح لأقرباء النبي - صلى الله عليه وسلم - حرصاً على سلامته من كيد الأعداء ، بل ويقومون بدور الحماية لما عرفوه عليه الصلاة والسلام، فهذا بحيرى الراهب ، كان ببصرى من أرض الشام ، وكان من علماء النصارى ، وكان لا ينزل من صومعته ، و لايلتفت إلى قوافل التجار المارة به !!

لكنه في يوم من الأيام رأى ما أدهشه ، وجعله يخرج ويتابع القافلة القادمة من مكة تريد الشام ، إنها علامات رآها دفعته للنزول من صومعته ،والاستعداد للقائهم ، بل وتهيئة الطعام لهم !!

لقد كانت تلك القافلة لأبي طالب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان معه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو صغير، وكان عمه يحبه حبا شديدا ، ولا يقوى على مفارقته ، فاصطحبه في سفرته تلك .

أما السبب في تغير تعامل بحيرى مع أهل هذه القافلة ، على غير ما كان معتادا منه ، فهو أنه رأى غمامة تظل غلاما صغيرا من بين القوم !!

فلما أقبلوا ، ونزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، نظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيري نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال :إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم .فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا ، فما شأنك اليوم ؟! قال له بحيرى :صدقت ،قد كان ما تقول ،ولكنكم ضيف ،وقد أحببت أن أكرمكم ،وأصنع لكم طعاما ،فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه ،وتخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم لحداثة سنة في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده .فقال: يا معشر قريش ،لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي. قالوا له :يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك ، إلا غلام وهو أحدث القوم سنا ،فتخلف في رحالهم .فقال :لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم . فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف

ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا .ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .
فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، فقال :يا غلام ،أسألك بحق اللات والعزى ألا ما أخبرتني عما أسألك عنه .وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تسألن باللات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما. فقال له بحيرى: فبالله ،إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه .فقال له :سلني عما بدا لك .فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول - صلى الله عليه وسلم - يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ،ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .
فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له :ما هذا الغلام منك ؟
قال : ابني .
قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا !!
قال : فإنه ابن أخي .
قال : فما فعل أبوه ؟
قال : مات وأمه حبلى به .
قال :صدقت !! فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ،فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنَّه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .
فأسرع به إلى بلاده ، ثم إن نفراً من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ،وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال ،فتركوه وانصرفوا عنه [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١١٩/١ ، وقال ابن حجر: هذه القصة بإسناد رجاله ثقات ، من حديث أبي موسى الأشعري أخرجها الترمذي وغيره ، ولم يسم فيها الراهب ، وزاد فيها لفظة منكرة وهي قوله :واتبعه أبو بكر بلالا .وسبب نكارتها : أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلا ، ولا اشترى يومئذ بلالا ، إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة مقتطعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث ، وفي الجملة هي وهم من أحد رواته، الإصابة٣٥٢/١- ١٢٢].
وكان رهبان النصارى يخبرون من يسألهم عن الدين الحق بزمان ومكان نبي آخر الزمان ،فقد رحل زيد بن عمرو الباحث عن الحقيقة من مكة إلى الشام يطلب دين إبراهيم - عليه السلام - ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل ، ثم أقبل فجال الشام كله حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء – قرية بالشام -،كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية في بلاده ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ؟فقال :إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه - وقد كان رفض اليهودية والنصرانية - فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب

ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم هجموا عليه فقتلوه [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦١/٢] .
خامسا : مواقف ملوكهم ، وزعمائهم من دعوته ، فقد سبق الإشارة إلى إسلام النجاشي – رضي الله عنه - ، وإقرار هرقل بالنبوة لكنه لم يسلم ، ومثله ما كان من المقوقس ملك مصر وكان نصرانيا ، فقد أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – إليه بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام ، وكان رسوله إليه حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - قال حاطب : قدمت على المقوقس (واسمه جريح بن مينا) بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك. قال: هات. قلت : إن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافي بعد ما سواه ،إن هذا النبي دعا الناس إلى الله فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل من أدرك نبيا فهو من أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدركت هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به ، ثم ناوله كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما قرأه قال خيرا : قد نظرت في هذا ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة . ثم جعل الكتاب في حق من عاج ، وختم عليه ، ودفعه إلى خازنه ، وكتب جوابه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فقد علمت أن نبيا قد بقي ، وقد أكرمت رسولك .
وأهدى للنبي - صلى الله عليه وسلم - جاريتين ، وبغلة تسمى (الدلدل)، فقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - هديته ، واصطفى الجارية الواحدة واسمها مارية القبطية لنفسه ، فولدت منه إبراهيم ، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت ، فولدت منه عبد الرحمن .فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه). [الجواب الصحيح ٢٩٣/١].
وممن أسلم من نصارى العرب ، وكان من أشرافهم عامل الروم على من يليهم من العرب فروة بن عمرو الجذامي ، لما رأى من آيات ، وعلامات دلت على صدق نبوته – صلى الله عليه وسلم -، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ، وبعث إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم - بإسلامه ولم ينقل أنه اجتمع به ، وأهدى له بغلة بيضاء ، فبلغ الروم إسلامه ، فطلبوه فحبسوه، ثم قتلوه .
فقال في ذلك أبياتا منها قوله :
أبلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي وبناني
[ابن حجر ، في الإصابة في تمييز الصحابة ٣٨٦/٥].
ومن نصارى العرب الذين أسلموا ، الجارود بن عمرو ، وكان سيدا في قومه بني عبد آلاف ورئيسا فيهم ،وكان يسكن البحرين ، وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة تسع من الهجرة ،وفرح النبي - صلى الله عليه وسلم - بمقدمه ، وقد كان صلبا في إسلامه ، فقد ثبت على الإسلام بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن تبعه

من قومه ، ولم يرتد مع من ارتدوا . [ابن عبد البر ، في كتاب الاستيعاب ٢٦٣/١، والإصابة ١-٤٤١].

سادسا : إخبار من اطلع على كتبهم ، بأنه مذكور فيها ، ويشهد له ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما - عن ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم - في التوراة حيث قال : وهو موصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ،سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ،ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا . [أخرجه البخاري حديث رقم ٢٠١٨].

وشاهد آخر حدث في خلافة عمر – رضي الله عنه - ،قال أبو العالية :لما فتح المسلمون تستر ، وجدوا دانيال – عليه السلام – ميتا ، ووجدوا عنده مصحفا ، قال أبو العالية : أنا قرأت ذلك المصحف وفيه : صفتكم ،وأخباركم ، وسيرتكم ، ولحون كلامكم .[هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص١٠٩].

سابعا : أن المكذبين والجاحدين لنبوته – صلى الله عليه وسلم- لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبي عظيم الشأن كمحمد عليه الصلاة والسلام ، جاء ذكره ، وجاءت صفته وصفة أمته ، ومكان وزمن خروجه في كتبهم ، لكنهم جحدوا أن يكون هو المقصود ، وأنه نبي آخر غيره حسدا من عند أنفسهم وكبرا وعلوا ، يبين ذلك ما رواه رجل من الأوس اسمه سلمة بن سلامة ، قائلا : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل ، وأنا يومئذ حدث – يعني صغير - علي بردة لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك في أهل يثرب ، والقوم أصحاب أوثان ، بعثا كائنا بعد الموت .

فقالوا له: ويحك! أترى هذا كائنا يا فلان، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم ، والذي يحلف به . قالوا : يا فلان ويحك ! ما آية ذلك ؟ قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد .وأشار بيده إلى مكة ، قالوا : ومتى نراه ؟ قال :فنظر إلي ، وأنا أصغرهم سنا ، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه .قال سلمة : فوالله ، ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تبارك وتعالى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به وكفر بغيا وحسدا ، فقلنا له : ويحك يا فلان ! ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ولكنه ليس به .[رواه الإمام أحمد ، وابن حبان وصححه ، والحاكم في المستدرك (ح/ ٥٧٦٤) ، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وانظر هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص ٦٦].

وكان اليهود بالمدينة يتوعدون الأوس والخزرج عندما ينالون منهم ما يكرهون بخروج النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقولون لهم: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم .فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أجابه الأوس والخزرج حين دعاهم إلى الله تعالى ، فآمنوا به وكفر اليهود به . وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من

قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣٧/٢].
لذلك كان الصحابة – رضي الله عنهم - يذكرون اليهود بما كانوا يذكرونه لهم قبل مبعثه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة ، وعقبة بن وهب رضي الله عنهم : يا معشر يهود ! اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته .فقال رافع بن حريملة ، ووهب بن يهوذا : ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيرا ، ولا نذيرا بعده .
فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[سورة المائدة الآية : ١٩.]، ابن إسحاق انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٠١/٣].
وهاهم اليهود تتوالى أسئلتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - رغم رؤيتهم لكثير من علامات النبوة التي يعرفونها من التوراة ، فجاءت مجموعة من اليهود نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يوما ،فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن خلال نسألك عنهن ، لا يعلمهن إلا نبي .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب عليه السلام على نبيه ، لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام).
قالوا :فذلك لك . قال : (فسلوني عما شئتم). قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن : أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ، كيف يكون الذكر منه؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ؟ ومن وليه من الملائكة ؟
قال : (فعليكم عهد الله وميثاقه ، لئن أنا أخبرتكم لتتابعني). قال : فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا ، وطال سقمه ، فنذر لله نذرا ، لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحمان : الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها) . قالوا: اللهم نعم .قال : (اللهم اشهد عليهم ، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله :إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله).قالوا : اللهم نعم . قال: (اللهم اشهد عليهم ، فأنشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه). قالوا: اللهم نعم .قال : (اللهم اشهد). قالوا : وأنت الآن ، فحدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك ، أو نفارقك ! قال : (فإن ولي جبريل عليه السلام،ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه) . قالوا : فعندها نفارقك ! لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك

وصدقناك . قال : (فما يمنعكم من أن تصدقوه) .قالوا : إنه عدونا . فعند ذلك قال الله عز وجل : (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)..إلى قوله عز وجل : (كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ،فعند ذلك (باءوا بغضب على غضب...) الآية [رواه الإمام أحمد ٢٧٨/١].

وكان عمر يذهب إلى يهود ، ويأتيهم ، يقول عمر رضي الله عنه : فبينما أنا عندهم ذات يوم ، قالوا: يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك . قلت : ولم ذلك ؟ قالوا : إنك تغشانا وتأتينا . قال قلت : إني آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة ، ومن التوراة كيف تصدق الفرقان ؟! قال : ومر رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا : يا ابن الخطاب ! ذاك صاحبكم فالحق به .

فقلت لهم عند ذلك : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، وما استرعاكم من حقه ، واستودعكم من كتابه ، أتعلمون أنه رسول الله ؟؟ قال : فسكتوا !! فقال عالمهم وكبيرهم : إنه قد عظم عليكم ، فأجيبوه . قالوا : أنت عالمنا وسيدنا ، فأجبه أنت . قال : أما إذ أنشدتنا به ، فإنا نعلم أنه رسول الله !

قلت ويحكم ! - أي هلكتم - قالوا : إنا لم نهلك . قال :قلت كيف ذاك ؟ وأنتم تعلمون أنه رسول الله ، ثم لا تتبعونه ، ولا تصدقونه؟!!

قالوا : إن لنا عدواً من الملائكة وسلما من الملائكة ، وإنه قرن به عدونا من الملائكة.
قلت : ومن عدوكم ، ومن سلمكم ؟ قالوا : عدونا جبريل ، وسلمنا ميكائيل [تفسير الطبري ٤٣٣/١ ، وانظر فتح الباري ٦٦١/٨].

وهذه شهادة ابن صوريا ، وكان أعلم من بقي من يهود بني قريظة بالتوراة ، فقد جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قصة اليهودي واليهودية الذين زنيا ، فقال : (يا معشر يهود! أخرجوا إلي علماءكم). فأُخرج له عبد الله بن صوريا ، ومعه أبا ياسر بن أخطب ، ووهب بن يهوذا ، فقالوا : هؤلاء علماؤنا . فسألهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى حصل أمرهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا : هذا أعلم من بقي بالتوراة . فخلا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا ، فألظ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسألة ، يقول له : (يا ابن صوريا أنشدك الله، وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟) قال: اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم ! إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ،ولكنهم يحسدونك.

ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، وجحد نبوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى فيهم : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٠٣/٣].

وكانوا يصرحون بانطباق ما يعرفونه من صفات في كتبهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا منهم جاء إلى مسجده ، فقال : (يا فلان). فقال: لبيك يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أتشهد أني رسول الله). قال : لا . قال : (أتقرأ التوراة؟). قال : نعم ، والإنجيل. قال: (والقرآن؟). قال: والذي نفسي بيده، لو أشاء لقرأته. ثم ناشده: (هل تجدني في التوراة

والإنجيل؟). قال : أجد مثلك ، ومثل هيأتك ، ومثل مخرجك !وكنا نرجو أن يكون منا ، فلما خرجت تحيرنا أن يكون أنت هو ، فنظرنا فإذا ليس أنت هو. قال: (ولم ذاك؟). قال: إن معه من أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير نجاسة ولا عذاب، ومعك يسير. قال: (فوالذي نفسي بيده لأنا هو ، وإنهم لأمتي ، إنهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا). [قال الهيثمي :رواه الطبراني ، ورجاله ثقات من أحد الطريقين ، انظر مجمع الزوائد للهيثمي ٨ /٢٤٢].

ثم تأمل هذا المسلك الذي اتخذه اليهود ليحرفوا الكلم عن مواضعه ، ولينكروا نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم - إذا خرج في الوقت والمكان وبالصفة التي علموها.

يقول أحمد حجازي - في كتابه البشارة بنبي الإسلام ١٣٢/١-: إن كثيرًا من علماء بني إسرائيل يقولون : أن اسم (محمد) – صلى الله عليه وسلم - قد ورد في التوراة ، في سياق بركة إسماعيل – عليه السلام - بحساب (الجمل). ليعرف الناس أنه بظهوره يبدأ ملك بني إسماعيل .

ثم يورد حجازي شهادة أحد علمائهم الذين أسلموا ، وهو شموئيل بن يهوذا بن أيوب ، الذي سمى نفسه بعد إسلامه : (السموءل بن يحيى) ، فقد ذكر في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود) تحت عنوان : الإشارة إلى اسمه – صلى الله عليه وسلم : ما جاء في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة أن الله تعالى خاطب إبراهيم عليه السلام : (وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك . قد باركت فيه . وأثمره ، وأكثره جدا جدا).

ذلك قوله – أي باللغة العبرانية-: (ولشماعيل . شمعتيخا . هني . بيراختى . أوتو . وهفريتى . أوتو . وهربيتي . أوتو بماد ، ماد).

فهذه الكلمة (بماد ماد) إذا عددنا حساب حروفها بالجمل . وجدناه اثنين وتسعون . وذلك عدد حساب حروف (محمد) – صلى الله عليه وسلم - فإنه أيضا اثنان وتسعون . وإنما جعل ذلك في هذا الموضع مُلغّزاً. لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة. يقول حجازي معلقا: ولم لا يقول شموئيل: إن الله تعالى قد صرح به من قبل أن تغير التوراة ، واليهود هم الذين غيروا الاسم الصريح بالرمز في مدينة بابل ، ليعرفوه هم أنفسهم إذا جاء ، ويسهل عليهم جحد نبوته إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم؟!

وحساب الجمل عرف في الأمم القديمة ، وهو الحساب بالحروف الأبجدية ، فكل حرف أبجدي يُرمز له برقم. وتكمن أهميته في عدم كشف الخصم للأسرار. [انظر تفصيل ذلك في كتاب البشارة بنبي الإسلام لـ أحمد حجازي السقا ١٣٥/١].

وشاهد آخر حينما حضر يعقوب – عليه السلام - الموت جمع أولاده الاثني عشر حوله وباركهم، وأوصاهم، وقال لهم في شخص يهوذا ابنه الرابع: (لا يزول قضيب من يهوذا . ومشترع من بين رجليه . حتى يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب) [سفر لتكوين (٤٩ : ٨-١٢)، انظر البشارة بنبي الإسلام لـ أحمد حجازي ١٥٤/١].

يقول أحمد حجازي: من تراجم اليهود والنصارى قديما وحديثا يتضح : أن المراد بالقضيب: الملك والصولجان. والمراد بالمشترع: الأنبياء، والعلماء الذين يعلمون الناس شريعة التوراة، ويستنبطون الأحكام منها. والمراد بشيلون: النبي المنتظر،

الذي يلقبونه (مَسِيًّا) الذي تفسيره المسيح. وهو نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم - الذي تخضع له الشعوب وتطيع.
والمعنى العام: يظل لبني إسرائيل ملك ظاهر في الأرض، وأنبياء بني إسرائيل وعلماؤهم يعلمون الناس شريعة الله في ظل ملوك من بني إسرائيل. ويظل ذلك قائمًا حتى يأتي نبي من غير بني إسرائيل، ليتسلم منهم الملك والشريعة. وهو المعبر عنه بشيلون. [انظر البشارة بنبي الإسلام لـ أحمد حجازي ١٥٤/١].
ويرى بعض علماء اليهود أن المقصود بهذه البشارة داود – عليه السلام - لأنه من نسل يهوذا، وقد احتل مدينة شيلوه في أرض كنعان، وخضع له جميع أسبط بني إسرائيل. وينقض هذا القول، كتابة التوراة في بابل من بعد داود ، فكيف تكون النبوءة لداود ؟!. وينقضه أيضا : ترجمة كلمة (شيلون) بما يفيد اسم شخص، لا بما يفيد اسم مدينة. فقد ترجمت بمعنى: (الذي هو له) أو (الذي له الأمر) أو (الذي له الحكم) أو (سليمان) أو (المسيح) الذي هو المسيا. وفسرت كلمة (شيلون): بأمان وسلام.
أما النصارى فيقولون: المقصود بشيلون المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام - . لكنه لا ينطبق على عيسى –عليه السلام- فإنه لم ينسخ التوراة ، قال تعالى في القرآن الكريم على لسان عيسى : (ومصدقا لما بين يدي من التوراة) [سورة الصف آية رقم ٦]، وقال عيسى –عليه السلام – في الإنجيل: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل) [إنجيل متى (١٧:٥-١٨)، انظر البشارة بنبي الإسلام لـ أحمد حجازي ١/ ٧٠]، ومن وجه آخر لم يزل الملك من اليهود على يديه – عليه السلام-.
لذلك فإن الذي تنطبق عليه لفظة (شيلون) هو محمد – عليه الصلاة والسلام - فإن الملك لم يزل من بني إسرائيل إلا على يد بني إسماعيل، أتباع محمد صلى الله عليه وسلم.[انظر البشارة بنبي الإسلام لـ أحمد حجازي ١٧٣/١].
ثامنا: أن من أهل الكتاب من صرح لخاصته، وبطانته بأنه هو بعينه، فهذا ورقة بن نوفل، وكان قد خرج لّما كره عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسأل عن الدين ، فأعجبه دين النصرانية فتنصر ، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل ، وتعلم منهم ، فجاءته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم – ومعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - بعدما أخبرها بنزول الملك عليه ، فقالت خديجة – رضي الله عنها - لورقة : يا بن عم ! اسمع من بن أخيك – تعني النبي صلى الله عليه وسلم.
فقال له ورقة: يا بن أخي! ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو مخرجي هم؟) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي [البخاري ح/٢].
أما خبر سيديْ بني النضير: حيي بن أخطب، وأبو ياسر، فما أعجبه من خبر، يدل على معرفتهم به، ويدل على سبب جحدهم رسالته، وهذا الخبر عنهما ترويه لنا أم

المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم – بعد إسلامها ، قالت :كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم ،قالت :وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟! قال: نعم، والله. قال: أتعرفه، وتثبِّتُه؟! قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟! قال :عداوته والله!! [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥٢/٣].

وهذا كعب بن أسد - سيد بني قريظة - ينصح قومه ، حين حاصرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نقضهم للعهد الذي بينهم وبينه ، وتحزبهم مع الأحزاب ضد النبي - صلى الله عليه وسلم وأصحابه - فلما أيقنوا بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود! قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم .قالوا : وما هي ؟ فكان مما عرضه عليهم ، قوله : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله ، لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ،وإنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . فرفضوا وأبوا [ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٩٥/٤].

وها هم نصارى نجران يصرحون بنبوته لبعضهم البعض ، فقد بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتابه إليهم يدعوهم فيه إلى الإسلام ، فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديدا ، ثم دعا أهل الرأي في نجران فأطلعهم على الكتاب ،وتشاوروا فيه ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا وفداً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاختاروا ستين راكبا ، منهم أربعة عشر من أشرافهم ، يتزعمهم ثلاثة منهم ، وهم : العاقب ، وكان أمين القوم ، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ، وكان عالمهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وكان أسقفهم وحبرهم ، وإمامهم وصاحب مراميهم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم حتى حسن علمه في دينهم ،وكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه وقبلوه وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من اجتهاده في دينهم ،فلما توجهوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجها إلى المدينة ، وإلى جنبه أخ له يقال له :كرز بن علقمة يُسايره في الطريق، فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كرز : تعس الأبعد . - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له أبو حارثة :بل أنت تعست ! فقال :ولم يا أخي؟

قال :والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر !!.

قال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا أن تتبعه ؟!!

قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم :شرفونا وأمرونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، ولو قد فعلت نزعوا منا كل ما ترى.فأضمر الإسلام أخوه كرز بن علقمة ، وأسلم بعد ذلك [المعجم الأوسط رواه الطبراني في المعجم الأوسط ح/ ٣٩٠٦].

فلما وصلوا المدينة جلسوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فكلمه منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والسيد الأيهم _ وهم من النصرانية على اختلاف في أمرهم :

منهم من يقول عن عيسى هو الله ، ومنهم من يقول هو ولد الله ، ومنهم من يقول هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، فهم يحتجون في قولهم هو الله :

بأنه كان يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، وذلك كله بأمر الله ، وليجعله الله آية للناس .

ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله ، يقولون :

لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله .

ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة ، يقولون :

قال الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون :لو كان واحدا ، ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم .تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا ، ويقال لهم إن: معنى هذه الكلمات ، ومثلها قوله تعالى "نحن" من المتشابه ، فالواحد المعظم لنفسه يقول: نحن ، والجماعة يقولون : نحن ، وهذا لا يلتبس بكتاب الله؛ لأننا نرده إلى المحكم ، وهو قوله: {وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[سورة العنكبوت الآية : ٤٦]، وقوله تعالى :{ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ }[الأنعام:١٩] ، وقوله تعالى:{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ } [المائدة:٧٣]-

فلما كلمه الحبران العاقب والسيد ، دعاهما النبي – صلى الله عليه وسلم - للإسلام ، فأبيا ، وجادلوه في عيسى عليه السلام ، وقالا :فمن أبوه يا محمد ؟

فأنزل الله عليه الوحي:{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [سورةآل عمران الآية: ٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله : فالذي خلق آدم من غير أب وأم ، قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى ، ولكن الرب -جل جلاله أراد- أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم – عليه السلام - لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء – عليها السلام - من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى – عليه السلام - من أنثى بلا ذكر ،كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم : { وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ }[سورة مريم الآية :٢١]، وقال هاهنا : {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ }[سورة آل عمران الآية :٦٠]، أي هذا هو القول الحق في عيسى – عليه السلام - الذي لا محيد عنه ، ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال . [تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ٣٦٨/١ ، وانظر موقع الدكتور : سفر الحوالي على شبكة الإنترنت].

ثم أمر الله تعالى رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - أن يُباهل من عاند الحق في عيسى - عليه السلام - وأكثر الجدال بعد ظهور الحق البين فيه ، فقال الله تعالى:{

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }[سورةآل عمران الآية: ٦١] ، فلما دعاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - للمباهلة والملاعنة قالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه .
ثم انصرفوا عنه ، وخلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم ، فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى ! لقد عرفتم إن محمدا لنبي مرسل ،ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ،ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه الاستئصال منكم إن فعلتم ،فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.[ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٢٥/٣].
فلما أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج إليهم ومعه الحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه. [قال ابن كثير : أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، انظر تفسير القرآن العظيم ٣٦٩/١]. فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال العاقب والسيد: لا نلاعنك ،ولكنا نعطيك ما سألت ، فابعث معنا رجلا أمينا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لأبعثن رجلا أمينا حق أمين ، حق أمين). فاستشرف لها أصحابه - رضي الله عنهم - فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح). فلما قفا، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (هذا أمين هذه الأمة). [رواه الإمام أحمد ١ /٤١٤ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ٣٦٩/١] ، فعادوا إلى نجران ،وبقي من وفدهم قيس بن أبي وديعة مرض فأقام بالمدينة نازلا على سعد بن عبادة ، فعرض عليه الإسلام فأسلم و رجع إلى حضرموت وشهد قتال الأسود العنسي ثم انصرف إلى المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .[الإصابة ٥٠٨/٥].
ولم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلما ، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري. [ابن حجر في الإصابة ٢٣٦/٣ ، عن ابن سعد في الطبقات ٣٥٨/١].
أما حنان الأبوة المتمثل في الشفقة على الابن من النار فغلب صفة الحسد والكبر لدى والد ذلك الغلام الذي كان جاراً للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض ، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : (أسلم). فنظر إلى أبيه ، وهو عنده ، فقال له: أطع أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم - . فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : (الحمد لله الذي أنقذه من النار). [رواه الإمام البخاري ح/١٢٩٠].
وعكسه ماِ فعله والد كعب الأحبار ، حيث خشي أن يعلم ابنه عن النبي الخاتم فيتبعه ، فقد سأل العباس كعب الأحبار : ما منعك أن تسلم في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر ؟
قال إن أبي كان كتب لي كتابا من التوراة ، فقال اعمل بهذا ، وختم على سائر كتبه ،وأخذ عليَّ بحق الوالد على الولد ألا أفض الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبي غيب عنى علما، ففتحتها فإذا صفة محمد وأمته ، فجئت الآن مسلما. [الإصابة ٦٤٩/٥.].

وهذه قصة طريفة - وهي شاهد على ما نتحدث عنه - ، حدثت للدكتور أحمد حجازي السقا مؤلف كتاب البشارة بنبي الإسلام ، حيث يروي : أنه التقى بـ (قمص) نصراني ، ظن أنه نصراني لأنه كان يقرأ في الكتاب المقدس ، فدار بينهما حوار حول الأحداث التي يشير إليها الإصحاح الثامن من سفر دانيال النبي – عليه السلام- ، وبعد نزولهم من القطار سأله حجازي : أمحمد نبي المسلمين لا يشير إليه الكتاب المقدس؟!

قال : يشير إليه في آيات كثيرة!! ثم سرد له كثيرا من تلك الآيات!!

ثم عرف أن اسمه (جرجس سلمون فيلمون)، وكان وكيل الدير المحرق في القوصية بأسيوط . وهذا الموقف كان من أسباب كتابة حجازي لكتاب البشارة. [انظر البشارة بنبي الإسلام ٤٥/١].

تاسعا : إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه مذكور في كتبهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك :أنا دعوة إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت). [رواه الإمام أحمد (١٢٨/٤)، والبزار والطبراني ، ومعنى منجدلٌ في طينته :أي مطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد ، قاله الخطابي في الغريب ١٥٦/٢].

وهذا الإخبار منه – صلى الله عليه وسلم - هو من علامات نبوته ، من جهة إخباره بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم ، ولم يكذبوه يوما واحدا في شيء منها ، في الوقت الذي كانوا فيه أحرص ما يمكن على أن يظفروا منه بكذبة واحدة ، أو غلطة أو سهو ، فينادون بها عليه ، ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه ، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه .[انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية ص٦٦].

فأخبر أنه دعوة إبراهيم الخليل حين بنى الكعبة بمكة ومعه ابنه إسماعيل عليهما السلام ، قال الله تعالى مبينا دعاءهما : {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }[سورة البقرة الآية: ١٢٨ – ١٢٩] .

وهذا يدعونا للحديث عن مباركة الله تعالى لنبيه إبراهيم - عليه السلام - وجعل هذه البركة في ذريته ، قال تعالى : {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }[سورة البقرة الآية: ١٢٤] ، والمقصود بالعهد هنا قيل : الإمامة ، وقيل: النبوة ، وقيل غيره ، ومن دعاء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك).

وقد جاء في التوراة ما صدقه القرآن من جعل البركة في إبراهيم - عليه السلام - وفي نسله إسماعيل وإسحاق – عليهما السلام - وهذا ما ذكره أحمد حجازي في كتابه البشارة بنبي الإسلام ففي سفر التكوين (١٧ : ١٦) : أن الله عز وجل قال لإبراهيم

– عليه السلام - عن سارة رضي الله عنها : (أباركها ، وأعطيك منها ابنا ، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها ما يكون).
فلما سمع إبراهيم – عليه السلام – بتخصيص بركته في إسحاق عليه السلام (قال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك)، أي يحيا في طاعتك ، والدعاء إلى دينك ، فرد الله تعالى عليه بقوله : (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا . واجعله أمة كبيرة) .[سفر التكوين ١٧ : ١٨- ٢٠].
ويواصل أحمد حجازي : ومن هذا النص صارت لإسماعيل بركة كما لإسحاق بركة .
ولما تأكدت سارة من إرث إسماعيل لأبيه في البركة كابنها إسحاق سواء بسواء ، طلبت أن يكون حق الإرث لإسحاق وحده ، فقال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : (بإسحاق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك) [سفر التكوين : ٢١: ١٢-١٣] .
ولما ابتعدت هاجر – رضي الله عنها – عن مكان سارة – رضي الله عنها - إلى مكان غير ذي زرع (نادى ملاك الله هاجر من السماء . وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملي الغلام ، وشدي يدك به ، لأني سأجعله أمة عظيمة) [سفر التكوين ٢١: ١٧ – ١٨].
وعلماء بني إسرائيل يقولون : إن البركة تعني أمران : الأول : الملك . والثاني : النبوة . ويقولون : إن بركة إسحق – عليه السلام - خصصت في ابنه يعقوب (إسرائيل) من بين بنيه ، وقد تحققت من الوقت الذي ظهر فيه موسى – عليه السلام - فقد كان نبيا ورئيسا مطاعا .
ونحن نقول لهم – والكلام لا زال لحجازي - : وكما دل دليل اسحق – عليه السلام - على ملك ونبوة ، وذلك في قوله : (وأعطيك منها ابنا ، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب ..) . فإن دليل إسماعيل – عليه السلام - مثله ، فإنه يدل على ملك ونبوة ، وذلك في قوله : (ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا) ،فإنه لا فرق بين الدليلين في اللفظ والمعنى .[انظر البشارة بنبي الإسلام ١/١٠٠- ١٠٣].
وقد جاء الإخبار بنبوة محمد- صلى الله عليه وسلم - على لسان موسى – عليه السلام – في التوراة بما نصه : (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء . وأشرق من سعير . وتلألأ من جبل فاران .).[سفر التثنية (٣٣: ١-٤)، البشارة بني الإسلام ١/٢٦٠].
ومعنى مجيء الله من طور سينا : إنزاله التوراة على موسى – عليه السلام - من طور سينا ، ومعنى إشراقه من ساعير: إنزاله الإنجيل على المسيح – عليه السلام - ، وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها يسمى من اتبعه نصارى . وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم .
وجبال فاران : هي جبال مكة . وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة ، فإن ذلك من تحريفهم الكلم عن مواضعه

، خاصة وأن في التوراة أن إسماعيل سكن في برية فاران ، جاء في التوراة : (وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) [سفر التكوين ٢١: ٢٠-١٢].
والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه بعد المسيح – عليه السلام - نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ، ولا بعث نبي ، فعلم أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد صلى الله عليه وسلم .
وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني ، لأنه في مقام الخبر عنها ، فقدم الأسبق فالأسبق ، فذكر إنزال التوراة ، ثم الإنجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه .
وهذه الأماكن الثلاث أقسم الله بها في القرآن ، في قوله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[سورة التين الآية: ١ – ٤]، فأقسم بالتين والزيتون: وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك ، ومنها بعث المسيح – عليه السلام - وأنزل عليه فيها الإنجيل ، وأقسم بطور سينين : وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ، وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ، وأقسم بالبلد الأمين : وهي مكة ، وهو البلد الذي أسكن إبراهيم – عليه السلام - ابنه إسماعيل وأمه ، وهو الذي جعله الله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم خلقا وأمرا قدرا وشرعا ، فإن إبراهيم – عليه السلام - حرمه ودعا لأهله فقال: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }[سورة إبراهيم الآية: ٣٧] ، واختلاف ترتيب القرآن للأماكن الثلاثة عن ترتيبها في التوراة ، يرجع إلى أن لقرآن أقسم بها تعظيما لشأنها ، وذلك تعظيم لقدرته سبحانه ، وآياته وكتبه ورسله ، فأقسم بها على وجه التدريج ، درجة بعد درجة ، فختمها بأعلى الدرجات ، فأقسم أولا بالتين والزيتنون ، ثم بطور سينا ، ثم بمكة ، لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل ، وكذلك الأنبياء ، فأقسم بها على وجه التدريج .[انظر الجواب الصحيح ١٩٨/٥- ٢٠٥ ، والبشارة بنبي الإسلام ٢٦٨/١].
ويُلحظ أن الخطاب لبني إسرائيل لأجل أن يقبلوا بنبي الإسلام إذا جاء ، لأنه ليس من بني إسرائيل ، وهذا يحتاج إلى تأكيد الأمر لأتباعه بخطاب خاص لهم ، وليس معناه أنه منهم.[البشارة بنبي الإسلام ٢٧٥/١].
وجاء في التوراة أن الله تعالى خاطب موسى – عليه السلام – بقوله : (نبيا أقمت لهم . من جملة إخوتهم . مثلك. وجعلت خطابي بفيه . فيخاطبهم بكل ما أوصيه .ويكون الرجل الذي لا يسمع من خطابه باسمي . أنا أطالبه) .[سفر الخروج ١٩ و٢٠].
والمقصود بهذه النبوءة نبي الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم - فهو نبي كما في الوصف الأول لمجيئه بما يثبت نبوته ، وهو من نسل إسماعيل ، وإسماعيل وإسحق – عليهما السلام - أخوان ، ففي التوراة أن أبناء إسماعيل إخوة لبني اسحق . ففي سفر التكوين : (وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه :

إسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك . وإنه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام إخوته يسكن)[سفر التكوين ١٦ : ١١-١٢] ، وأما عيسى -عليه السلام -فلا ينطبق عليه هذا الوصف لأنه من بني إسرائيل ، ولو كان هذا النبي من بني إسرائيل لقال : من أنفسهم ، ولم يقل من إخوتهم .هذا من وجه ، ومن وجه آخر جاء في التوراة : (أنه لا يقوم نبي من بني إسرائيل كموسى) ، فالبشارة إذا بنبي من غيرهم هو (محمد) صلى الله عليه وسلم، وأيضا نجد الوصف الثالث ينطبق على محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو قوله: (مثلك) أي مثل موسى – عيه السلام - فقدجاء في القرآن ما يفيد مثلية نبينا محمد بموسى – عليهما الصلاة والسلام - قال تعالى : {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً }[سورةالمزمل الآية: ١٥] ، وانظر البشارة بنبي الإسلام ٢٢٩/١].
ومن جهة أخرى وصف موسى – عيه السلام- في التوراة بثلاث صفات رئيسية : أولا : الآيات والعجائب . ثانيا : اليد الشديدة . ثالثا: المخاوف العظيمة .ومحمد – صلى الله عليه وسلم - كان كموسى –عليه السلام- فيما جاء به من آيات عظيمة تدل على نبوته ، والتي كان لها الأثر الكبير في كثرة أتباعه ، وثانيا : كان في حروبه قويا شديداً كموسى ، وثالثا : نصر بالرعب ، وكانت له الهيبة في قلوب الناس .وأما عيسى - عليه السلام - فقد رفض أن يكون ملكا . ففي انجيل يوحنا : (وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا إلى الجبل وحده) .[يوحنا (٦:١٥) ، البشارة بنبي الإسلام ٢٠٦/١].
ومما أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ذكر الأنبياء له، أنه : (بشرى عيسى) . وذلك حين بشر بني إسرائيل بقوله : (ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد). [سورة الصف من الآية رقم ٦].
وجاء في الإنجيل : أن عيسى - عليه السلام - قال للحواريين : (إن كنتم تحبونني ، فاحفظوا وصاياي . وأنا أطلب من الأب ، فيعطيكم معزيا) .[يوحنا ١٤ / ١٥].ومن عادة بني إسرائيل المبالغة في التعبير ، وتفخيم الأساليب ، فمثلا يقولون : إن موسى كان إلها لفرعون . أي سيدا ، وما يرد من ألفاظ الأبوة أو البنوة ، فهو على المجاز لا على الحقيقة . كما يقول شيخ لتلميذه : يا بني ، وكما يقول التلميذ لشيخه : يا أبي .[انظر البشارة بنبي الإسلام ٢٦٠/٢].
قال النصارى : أن كلمة (المعزي) تعني العوض ، والبديل عن عيسى عليه السلام ، ويقول متى هنري : إن نفس كلمة (يعزي) في الأصل اليوناني تعني : يعظ ، أو ينصح .
وقالوا :هي مترجمة عن الكلمة العبرانية (بارا كليت) ، وقالوا : إن كلمة (بيراكليت) العبرانية تترجم في اللغة العربية (أحمد) ، وجاءت في بعض الكتب (فيرقليط) ، وفي هامش كتاب انجيل برنابا تعليقات عربية في النسخة الإيطالية على اسم محمد الذي بشر به عيسى صريحا .وهذه التعليقات هي :
(في لسان عرب : أحمد . في لسان عمران – يعني العبرية - : مسيى . في لسان الاتن _ يعني اللاتيني - : كنسلاتر. في لسان روم : باركل تس .[تعليق على برنابا ٤٤: ١٩ صفحة ٦٩، انظر البشارة بنبي الإسلام ٢٧١/٢].

إن المتأمل في هذه الشواهد والحقائق ليتيقن دلالتها القاطعة على أن أهل الكتاب يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ، وأن الذي يمنع كثيرا من علمائهم من اتباعه هو الحسد والكبر ، نعوذ بالله تعالى من ذلك .

الخـاتمـة:

إلى كل قارئ لهذه الحقائق القاطعة : من القرآن الكريم ، والسنة النبوية والسيرة ، وبشارات الكتب السماوية ، وإقرار الملوك والسادة والزعماء ، وشهادة العلماء ، وإخبار الأحبار والرهبان وغيرهم، ودخول الناس في دين الله أفواجا ، من العرب ، والعبرانيين ، والسامريين ، والروم ، والفرس ، والهند ، والصين ، وسائر الأمم ، وانتشار الإسلام المستمر رغم جهود المنصرين والصهاينة لإطفاء نور الله تعالى في الأرض ، نقول :

قال الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً} [سورة النساء الآية: ١٧٠].

ثم أوجه خطابي لكل مؤمن رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، بأن يحمد الله تعالى على نعمة الهداية ، وليتذكر أنه باستقامته على دينه وثباته عليه ليقدم أقوى البراهين على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا له الأثر الكبير في هداية الناس إلى دين الإسلام ، فهذا عامل فلبيني نصراني كان يعمل بالمملكة العربية السعودية ، شد انتباهه استيقاظ الناس من نومهم قبل طلوع الفجر ، وفي ألذ لحظات منامهم ، وخروجهم ومعهم أطفالهم إلى المساجد ليؤدوا الصلاة ، فكان هؤلاء المحافظين على صلاتهم سببا بتوفيق الله في هداية هذا العامل إلى الإسلام .

والرسالة الثانية أوجهها للعلماء والدعاة خاصة ، ولأهل المال ، ولعامة المسلمين والمسلمات ، أجيبوا داعي الله .

يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} [سورة الصف الآية: ١٤].

فلننصر ديننا بكل ألوان النصرة الممكنة والمتاحة ، كل بحسب مكانته العلمية ، والاجتماعية ، والمالية ، وكل بالطريقة المناسبة لوضعه الوطني ، والإقليمي ، والعالمي ، انصر دينك بعلمك ، وبدعوتك ، وبجهادك ، وبنهضة أمتك في كل مجالات الحياة ، وبمالك ، وبتشجيعك ، وبفكرك ، ما استطعت لذالك سبيلا .

إن من أعظم خصائص هذا الدين أن لكل عامل قدره عند الله ، وأنه جعل الإنسان المؤمن إيجابيا في حياته ، مهما كان قدره ووضعه ،

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الأموات أحياه

وتأمل هذا الحديث لتعلم أنه لا يوجد في أمة الإسلام فرد مهمش أو لا قيمة له ، إنك تشعر وأنت تقرأه أنه يصنع منك شيئا عظيما ، سأل رجل من أهل اليمامة أبا ذر – رضي الله عنه - قال : دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة . فقال أبو ذر – رضي الله عنه : سألت عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فقال : (يؤمن بالله). فقلت : يا رسول الله إن مع الإيمان عملا ؟ قال : (يرضخ مما رزقه الله). قلت : وإن كان معدما ، لا شيء له ؟. قال : (يقول معروفا بلسانه). قلت : وإن كان عييا،

لا يبلغ عنه لسانه ؟ – أي لا يحسن الكلام - قال: (فيعين مغلوبا). قلت : فإن كان ضعيفا ،لا قدرة له ؟ قال: (فليصنع لأخرق) – الأخرق الذي لا يتقن ما يعمله - قلت : وإن كان أخرق ؟ قال : فالتفت إلي ، وقال : (ما تريد أن تدع في صاحبك شيئا من الخير؟! فليدع الناس من أذاه). فقلت : يا رسول الله إن هذه كلمة تيسير. فقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ، ما من عبد يعمل بخصلة منها، يريد بها ما عند الله ، إلا أخذت بيده يوم القيامة حتى تدخله الجنة). [أخرجه ابن حبان في صحيحه ح/٣٧٣].

٦٠. قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

د. جمال الحسيني أبو فرحة

لقد تنوعت وتباينت أساليب التبشير بنبي الإسلام في أسفار أهل الكتاب وتطرقت إلى كثير من التفصيلات، وهو موضوع لا يجليه مقال ولا تكفيه دراسة، وإنما يحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير.

وقد كان من جملة البشارات بالرسول - صلى الله عليه وسلم- في أسفار أهل الكتاب: الإشارة إلى مكان بعثته - صلى الله عليه وسلم-، ولغة قومه، وما سيكون عليه اسمهم بعد إيمانهم.

فبداية نفت أسفار أهل الكتاب أن يكون موضع بعثة النبي المنتظر بعد المسيح -عليه السلام- في مدينة "أورشليم"- أي: القدس الشريف- كما يتوقع اليهود دائمًا، كما نفت أن يكون في جبل "جرزّيم" كما يتوقع السامرة من اليهود، وأوضحت أنه سيكون في مكان جديد؛ فعندما قالت المرأة السامرية للمسيح -عليه السلام- كما يحكي إنجيل يوحنا: "يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل [جبل جرزيم] وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قال لها يسوع[أي المسيح]: يا امرأة صدقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون"؛ وهو ما يؤكد عليه سفر "إرميا" عندما يقول على لسان الرب لبني إسرائيل: "هأنذا أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهي أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها وأجعل عليكم عارًا أبديًا وخزيًا أبديًا لا ينسى".

ثم تبدأ أسفار أهل الكتاب في وصف موضع نزول الرسالة الخاتمة المنتظرة، فيصفه سفر "الرؤيا" بأن به "مسكن الله مع الناس"، ولا شك أن الإشارة في ذلك إلى بيت الله الحرام واردة؛ وتصفه "الكتب الأسينية"- من مخطوطات قمران- بأن به "الهيكل - أي البناء الكبير- الذي سيبنى في نهاية الأزمنة كما هو مكتوب في وصية موسى"، ثم تصف ذلك الهيكل بأنه "البيت الذي لن يدخله الكافر أو النجس إلى الأبد"، والإشارة واضحة في ذلك إلى قوله تعالى {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} التوبة: ٢٨، ونفس هذا المعنى نجده في سفر إشعياء: "وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس بل هي لهم"، وهي صفات لم تعرف لمكان على وجه الأرض بقدر ما عرفت لمكة المكرمة، والمدينة المنورة.

ثم يزيد سفر إشعياء الأمر وضوحًا عندما يحدد مكان بعثته - صلى الله عليه وسلم- بقوله "وحي من جهة بلاد العرب"، وهذه هي ترجمة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، وتشهد لها الترجمة العالمية الجديدة الصادرة عن جمعية الكتاب المقدس العالمية New International Version حيث تقول: An Oracle Concerning Arabia أي: وحي، أو مبلغ الوحي، أو مكان مهبط الوحي متعلق ببلاد العرب.
ويؤكد سفر إشعياء على ذلك التحديد المكاني عندما يقول في معرض حديثه عن النبي المنتظر:"لتهتف الصحراء ومدنها وديار قيدار المأهولة، ليتغن بفرح أهل سالع، وليهتفوا من قمم الجبال، وليمجدوا الرب ويذيعوا حمده"؛ وقيدار هو الابن الثاني لإسماعيل عليه السلام وهو أب لأشهر القبائل العربية، وقد نزل الوحي على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم- في أهم مدن يسكنها أبناء قيدار: مكة والمدينة.
أما قوله:" ليتغن بفرح أهل سالع ......الخ": فهو تعيين لمقام ذلك النبي المنتظر وأنه بالمدينة المنورة؛ فـ "سلع" اسم لجبل في مدخل المدينة المنورة، ولا شك أن أهل المدينة وقفوا عليه كثيرًا في انتظار وصول الرسول – صلى الله عليه وسلم- من هجرته، ولا شك أنه كذلك جبل ارتفعت أصوات الأنصار متغنية بفرح ممجدة لله تعالى حامدة له عند وصوله – صلى الله عليه وسلم- كما تقول البشارة عن أهل "سالع، أو سلع"؛ ولا فرق؛ فالعبرانيون لم تكن لديهم حروف تعادل الحروف المتحركة حتى القرن السادس الميلادي ولم يفرقوا بين كلمة كـ "سلع" وكلمة كـ "سالع" إلا بعد هذا التاريخ على يد علماء لغويين كثيرًا ما أخطئوا وكثيرًا ما اختلفوا؛ وخاصة مع عدم توافر الحفظ في الصدور لأي من نصوصهم المقدسة، ومن الطريف أن أغنية الأنصار التي استقبلوا بها النبي – صلى الله عليه وسلم- في المدينة المنورة احتوت على حمد لله تعالى "وجب الشكر علينا ما دعا لله داع" تمامًا كما تنص البشارة.
أما سفر التثنية فيعين في أي بلاد العرب سيكون مهبط الوحي على النبي المنتظر – صلى الله عليه وسلم- وذلك عندما يجعل "فاران" موضع رسالة منتظرة، حين يقول: "هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته؛ فقال: أقبل الرب من سيناء وأشرق عليهم من سعير وتألق في جبل فاران"، ومجيء الرب من سيناء يشير إلى رسالة موسى عليه السلام حيث ناداه الله وهو على أرضها؛ وإشراق الرب من سعير، يشير إلى رسالة عيسى عليه السلام؛ فجبل سعير يمتد جنوب البحر الميت شرق فلسطين حيث اعتزل المسيح عليه السلام فترة مع بني العيص أو الأسينيين؛ وأما تألق الرب من فاران فهو إشارة إلى رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم- الذي جاء من ذرية إسماعيل - عليه السلام- والذي يخبرنا سفر التكوين بأنه سكن هو وذريته بفاران عند البئر [بئر زمزم] التي منّ الله على هاجر وابنها بها إنقاذًا لهما من الموت؛ ومن هنا نفهم أن فاران هي مكة المكرمة التي بعث منها المصطفى – صلى الله عليه وسلم- ؛ ومن اللافت للنظر أن كلمة فاران باللغة العبرية تعني صيغة المبالغة من كلمة "حمد"؛ ومن ثمة فلا نعدو الحقيقة إن قلنا: إن اسم برية فاران والتي هي موضع رسالة منتظرة في التوراة يعني برية "محمد"– صلى الله عليه وسلم- .

فشبه موسى عليه السلام - حسبما يروي العهد القديم- مجيء التوراة بطلوع الفجر، ونزول الإنجيل بإشراق الشمس، ونزول الإسلام بتألق الشمس في كبد السماء وعلوها وذلك إيذانًا بأنه خاتم الأديان وأن ليس بعد كماله كمال.
ثم تتحدث أسفار أهل الكتاب بعد ذلك عن لغة النبي المنتظر ولغة قومه، فيصفهم سفر إشعياء بأنهم يتحدثون لغة أعجمية غريبة عن اليهود وذلك حين يقول: "سيخاطب الرب هذا الشعب بلسان غريب أعجمي"، أي غريب عن اليهود وأعجمي بالنسبة لهم، وهو ما لم يكن للمسيح عليه السلام وأتباعه؛ فقد كان المسيح عليه السلام رجلاً يهوديًا وكذا كان جلّ أتباعه في حياته، وإنما كان ذلك للنبي العربي محمد - صلى الله عليه وسلم-.
كما تحدثت أسفار أهل الكتاب عن ما سيكون عليه اسم المؤمنين بالنبي المنتظر، فوصفهم سفر إشعياء بأن سيكون لهم اسم آخر غير الذي كان لليهود، يقول سفر إشعياء على لسان الرب لبني إسرائيل "وتخلفون اسمكم لعنة على شفاه مختاري ويميتكم الرب ويطلق على عبيده اسمًا آخر"، وهو ما لم يكن للمسيحيين وكان للمسلمين؛ لأن هذا الاسم "مسيحيّون" لم يعرف إلا متأخرًا في أنطاكية - كما يصرح سفر أعمال الرسل من الكتاب المقدس- وكان المسيحيون يعتبرون في أول الأمر، وطيلة حياة المسيح عليه السلام على الأرض- فريقاً من اليهود، فالمسلمون هم الذين كان لهم اسم آخر غير ما كان لبني إسرائيل، وهذا الاسم الآخر يصرح به سفر إشعياء عندما يصف النبي المنتظر بأنه (رئيس الإسلام) أو السلام، فكل من السلام والإسلام بالعبرية: (شالوم)؛ فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمين من قبل وفي هذا} الحج:٧٨.
هذا قليل من كثير لا يتسع المقام إلا للتمثيل له، وهو ما جعل "باول شفارتزيناو" - أستاذ الثيولوجي البروتستانتية وعلوم الأديان بجامعة "دور تموند" بألمانيا- يصرح قائلاً: "إن الاعتراف بنبوة محمد الذي أطالب به موجود في جذور المسيحية"، كما جعل "كانون ماكس وارن" سكرتير جمعية التبشير الكنسية، في بحثه المقدم إلى المؤتمر التبشيري الثالث لطائفة الإنجيليين الذي عقد في كندا عام ١٩٦٣م- يقول: "لقد تجلى الله بطرق مختلفة ومن الواجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لنصر على القول بأن الله كان يتكلم في ذلك الغار الذي يقع في تلك التلال خارج مكة"، يقصد بذلك الوحي إلى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- حين بدأ في غار حراء.
فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم {أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء: ١٩٧]

٦١. نبي الإسلام في كتب البراهمة والزرادشتية والصابئة

نبي الإسلام في كتب البراهمة والزرادشتية والصابئة
د. جمال الحسيني أبو فرحة
لا شك أن أثر محمد - صلى الله عليه وسلم – كان على البشرية عظيمًا حتى إن " مايكل هارت"-الكاتب المسيحي– قد وضعه - صلى الله عليه وسلم – على رأس المائة الخالدين في تاريخ البشرية من حيث تأثيرهم في التاريخ بصرف النظرعن كون هذا التأثير إيجابيًا أو سلبيًا؛ ومن ثمة فشخص مثله - صلى الله عليه وسلم – لا

يكفي التبشير العام به في كتب الأنبياء إن كان صادقًا، كما لا يكفي التحذير العام منه إن كان كاذبًا، بل لابد من تسميته، وتفصيل صفته، حتى يعرفه أهل الكتاب (كما يعرفون أبناءهم) البقرة : ١٤٦.. بل حتى يعرفه العالم أجمع ما دام أعلن إنه يحمل رسالة لجميع العالم ونجح في بثها بين جميع شعوبه، "وما دام الله ليس إله تشويش" ١كورنثوس: ٣٣:١٤.

وهو ما حدث بالفعل فاسم الرسول العربي (أحمد) مكتوب بلفظه في "الساما فيدا" SAMA VIDA من كتب البراهمة؛ فقد ورد في الفقرات من السادسة إلى الثامنة من الجزء الثاني: إن "أحمد تلقى الشريعة من ربه، وهي مملوءة من الحكمة، وقد قبس منه النور كما يقبس من الشمس".

وكذلك في كتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب المجوسية نجد في كتاب "زند أفستا" ZEND AVESTA نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين، ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة "أبو لهب" ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفوًا أحد، ولا ضريع، ولا قريع، ولا صاحب، ولا صاحبة، ولا أب، ولا أم، ولا ولد، ولا مسكن، ولا جسد، ولا شكل، ولا لون، ولا رائحة، ولا أول، ولا آخر.

والإشارة هنا إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم – واضحة؛ فهو الذى وصفه القرآن بأنه (رحمة للعلمين) الأنبياء :١٠٧.. وهو الذي نزلت عليه سورة "الإخلاص" متضمنة تلك المعاني المشار إليها في البشارة، وكان من أعدى أعدائه عمه أبو لهب الذي نزلت فيه سورة "المسد".

وفي الكتب الزرادشتية كذلك: إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون، وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وحينئذ يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم، التي ستكون قد تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس... وإن نبيهم ليكونن فصيحًا يتحدث بالمعجزات.

ونبوءة خلافة العرب لملوك الفرس قد وردت كذلك في كتاب الصابئة المقدس "الكنزه ربه" في الكتاب الثامن عشر؛ كما ذكر في نفس هذا الكتاب أن ملك العرب المسمى "سيهولدايو": أي تالي الأنبياء أو خاتمهم، سيخرج في زمن ملك للفرس يسمى "ازدجر"، وهو ما كان بالفعل بالنسبة لرسولنا ـ صلى الله عليه وسلم – هذا قيل من كثير لا يتسع المقام إلا للتمثيل له.

فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: (ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) الرعد.٤٣

٦٢. إنجيل برنابا.. الشاهد والشهيد

إنجيل برنابا.. الشاهد والشهيد

بقلم الباحث : مراد عبد الوهاب الشوابكه

الحمد لله الذي منَّ علينا بأعظم نعمة ألا وهي نعمة الإسلام ...

فكم يشعر المرء بالفخر والاعتزاز عندما ينتسب لهذا الدين العظيم ويكون تابعاً لأشرف الخلق أجمعين " محمد صلى الله عليه وسلم " وعندها تكون من خير أمة أخرجت للناس، تلك الأمة وهذا النبي الذي بشّر به الأنبياء أقوامهم، وكانوا يأخذون

عليهم العهود ويتناقلون فيما بينهم لئن خرج الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه لتنصرنّه، فلا غرابة إذن من أن نجد بين نصوص الكتاب المقدس ما يشير إلى ذلك مهما حاولت يد الغدر والخيانة أن تحرف النصوص أو أن تنال من الحقيقة الدامغة :

فالذّهب وإن خالطته الشوائب لكنها تعجز عن إذهاب بريقه ولمعانه!!!

فكما تعلمون أحبتي في الله أنّ الباطل مهما على واستعلى فان مصيره إلى الزوال وأنّ الحق لا بد وأن يظهره الله حتى يكون حجّة على القاصي والداني، فمن هنا كانت البداية ...

من هو برنابا؟

هو أحد التلاميذ (الحواريين) الملازمين لسيدنا عيسى عليه السلام ، وصاحب الإنجيل الشاهد على الحق والشهيد من أجل كلمة الحق فكان جزاء هذا الإنجيل الطرد من الكتاب المقدس وذلك بقرار البابا جلاسيوس عام ٤٩٢م ؛ لأنه يعارض الكتاب المقدس فيما يدّعونه بألوهية المسيح ، إلى أن جاء فيما بعد الراهب اللاتيني "فرامرينو" الذي حصل عليه من مكتبة البابوية وأعلن إسلامه بعد قراءته له كما ذكر ذلك الدكتور النصراني خليل سعادة في مقدمة ترجمته لإنجيل برنابا...

وأمّا برنابا فكما ذكرته كتب العهد الجديد ، يتضح من خلالها أنّه رجل صادق ومن أكثر التلاميذ (الحواريين) ورعاً وحفظا للوصايا والتعاليم إذ ورد في سفر أعمال الرسل الإصحاح الحادي عشر الفقرة رقم (٢٢-٢٤):

((فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى إنطاكية الذي لمّا أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان ، فأنضمّ إلى الربّ جمع غفير)).

وأسألكم بالله لو لم تكن لدعوته التي كانت قائمة على التوحيد وعلى دين رسول الله إبراهيم والنبيين من بعده إلى محمد صلى الله عليه وسلم - دين الفطرة والعقل والعاطفة- أينضم إلى الربّ جمع غفير؟!

والله لو كانت عقيدة برنابا كعقيدة النصارى اليوم التي ليس للعقل والعاطفة فيها ناقة ولا جمل، لما أنضم إلى الرب هذا الجمع ، بل زد على هذا لأحتاج إلى مئات السنين حتى يشرح لهم" الثالوث"- على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، وغيره من الأمور التي لا يقبلها عاقل... ولكنه خاطب فطرتهم ودعاهم إلى الدين الحق الذي نزل على موسى وعيسى ومحمّد وعلى الأنبياء صلوات ربّي وسلامه عليهم أجمعين...

إنجيل برنابا:

وفيما يلي نورد بعض ما تضمنته صفحات هذا الكتاب المضطهد:

ورد في الفصل السادس والتسعون الفقرات من ١-١٥ صفحة ١٤٦ :

(((١) ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال : " قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لامتنا "

(٢) أجاب يسوع : " أنا يسوع بن مريم من نسل داود ، بشر مائت ويخاف الله وأطلب أن لا يعطى الإكرام والمجد إلا لله "
(٣) أجاب الكاهن : " انه مكتوب في كتاب موسى أن الهنا سيرسل لنا مسيّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله (٤) لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيّا الله [تعني رسول الله] الذي ننتظره ؟ "
(٥) أجاب يسوع : " حقاً أن الله وعد هكذا ولكني لست هو لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي "
(٦) أجاب الكاهن إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله
(٧) لذلك أرجوك بإسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في الله بأية كيفيه سيأتي مسيّا "
(٨) أجاب يسوع " لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي أنّي لست مسيّا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض
(٩) ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله (١٠) فيتنجّس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً (١١) حينئذٍ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله (١٢) الذي سيأتي من الجنوب بقوّة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام (١٣) وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر (١٤) وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به (١٥) وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً)).
وأما فيما يتعلّق بالبشارة فقد ورد اسم محمد صلى الله عليه وسلّم في هذا الإنجيل صريحاّ اسماً وصفةً :
فقد ورد أيضاً في الفصل السابع والتسعون الفقرات من ٤-١٠ :
((فقال حينئذٍ يسوع : " إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ وسيمتدّ دينه ويعمّ العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم وأن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً " أجاب الكاهن : " أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟"
فأجاب يسوع : "لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله، ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي"
وأمّا عن ذكر اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد ورد في الفقرات من ١٣-١٨:
((فقال حينئذٍ الكاهن : " ماذا يسمّى مسيّا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟"
أجاب يسوع " إن اسم مسيّا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي قال الله : " اصبر يا محمد لأنّي لأجلك أريد أن اخلق الجنّه ، العالم وجماً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتّى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً إن اسمه المبارك محمّد"

حينئذٍ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : " يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم ! " ...)).
وأخيراً لا نملك إلا أن نقرأ قول الله تعالى :
" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "

٦٣. بحث.. محمد رسول الله في التوراة والإنجيل

محمد رسول الله في التوراة والإنجيل
د.محمد عبد الخالق شريبة
خاتم الرسالات
الإسلام هو خاتم الرسالات؛ فهو الجامع لما قبله، الناسخ لما سبقه، الذي لا دين بعده.. فيه من الأخلاق ما يضمن صلاح العباد، ومن التشريعات ما يضمن صلاح الدنيا والآخرة..
(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ). [آل عمران: ١٨،١٩].
والدين الذي يملك صفات الكمال - لا تنقصه شهادة تأتيه من خارجه، لكي تثبت صحة رسالته، وسلامة عقيدته، وصدق حامله للعالمين الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم -، فمحمد الذي أخرج الناس من الكفر والضلال إلى الإيمان بالله وحده، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد - لا يعوزه شهادة تأتيه من خارج دينه، لكي تثبت أنه خاتم الأنبياء، أو أن رسالته هي آخر الرسالات.
محمد الذي علم رجلا بدويا يئد البنات كعمر بن الخطاب – رضي الله عنه –؛ فصار بعد الإسلام قائدا للبشرية، وحاكما للعالم، ومن أعظم قادة التاريخ – لا يحتاج لمن يشهد له؛ كيف والله تعالى يقول:
(لَّـكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا). النساء:١٦٦
ويقول أيضا:(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ). النحل:٨٩
فمحمد الذي فتح الله به عيونا عمياً، وأسمع به أذانا صماً، وشرح به قلوباً غلفاً، - لا يحتاج لمن يشهد له من خارج رسالته، أو من خارج الكتاب الذي أنزل معه.
ونحن إذ نتحدث عن بعض البشارات التي وردت في التوراة والإنجيل تبشر بالنبي الكريم، فإنما يدفعنا إلى ذلك أمران:
أما الأمر الأول: فإنه ينبع من حبنا الجم، وشوقنا الكبير لصاحب الرسالة العظمى – صلى الله عليه وسلم -.
كيف لا وهو أستاذنا ومعلمنا وزعيمنا وقائدنا؟!

وهل أعطانا بشر مثلما أعطانا محمد – صلى الله عليه وسلم –؟!
وهل لمخلوق على مخلوق من فضل مثل فضل محمد – صلى الله عليه وسلم – علينا؟!
فما لنا إذن لا نتلمس خطاه، ونقتفي أثره، وننقب عنه في كتب الأولين وفي كتب الآخرين؛ فتسعد بذكره قلوبنا، وتنشرح به صدورنا، وتقر به عيوننا.
وأما الأمر الثاني: فهو ما نصبو إليه من هداية الضالين، وتثبيت المتشككين، وإرشاد التائهين، من داخل هذا الدين ومن خارجه.
وأسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وما كان فيه من صواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي.
(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا)...
مازال الكتاب المقدس يتلألأ بنور محمد:
أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين:
يقول الرسول-صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم:(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون بالبيت ويعجبون له ويقولون:هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال:فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).
والحديث السابق يجعل النبي في ختامه للرسالات ومكانته بين الأنبياء مثل حجر الزاوية أو اللبنة الأساسية التي لا يكتمل البناء ولا يتم حسنه وجماله إلا بها..
ولكن ما الذي يقوله الكتاب المقدس عن هذه اللبنة أو حجر الزاوية؟
ورد في إنجيل متى الإصحاح ٢١ الفقرة ٤٢،٤٣(قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه).
وهذه الكلمات قالها المسيح عليه السلام لجماعة من اليهود بعدما وبخهم على قتل الأنبياء، وإنكار الرسالات..
والنص يوضح إخبار المسيح عليه السلام لليهود باستبدال الله لهم بأمة أخرى تحل محلهم في القيام بأمر الدين وأداء رسالته(لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منتكم ويعطى لأمه تعمل أثماره).. ويخبرهم المسيح عليه السلام أيضا عن ذلك الحجر الذي سيصير رأس الزاوية(الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية)..
ويواصل المسيح عليه السلام كلامه عن ذلك الحجر الذي سيصير رأس الزاوية فيقول:(ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه)، واستخدام لفظي(يترضض) و(يسحقه) يؤكد أن الكلام يشير إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- الذي أيده الله بالقوة المادية وخاض العديد من الحروب حتى أظهر الله به الدين وسحق به كل أعدائه..
ولا يمكن حمل هذا الكلام على المسيح وأمته؛ لأن المسيح نفسه من أمة بني إسرائيل، كما أن المسيح- عليه السلام- يقول:(وهو عجيب في أعيننا)، مما يدل على أنه يتكلم عن شخص آخر غيره.

فمن هو المقصود إذن بحجر الزاوية غير محمد-صلى الله عليه وسلم-، الذي قال عن نفسه:(أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)؟!
وما هي الأمة الأخرى التي أعطاها الله ملكوته بعد أن نزعه من بني إسرائيل سوى أمة محمد –صلى الله عليه وسلم-؟!!
للذي ببكة مباركًا:
يقول الله تعالى في كتابه العزيز:(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) آل عمران:٩٦
الآية تتحدث عن بيت الله، وتتحدث عن بكة كمكان لبيت الله، الذي أمر الله الناس أن تحج إليه.
ولكن هل ورد في الكتاب المقدس نص يتحدث عن بيت لله ببكة، يحج الناس إليه؟
دعونا نقرأ ما ورد في المزمور:٨٤
٨٤: ٤ طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، سلاه(سلاه كلمة تتكرر كثيرا في الكتاب المقدس ويقول قاموس الكتاب المقدس أنها تعني صمت أو فترة توقف أو فاصل..)
٥:٨٤ طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم.
٨٤: ٦ عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً أيضا ببركات يغطون مورة.
٨٤: ٧ يذهبون من قوة إلى قوة يرون قدام الله في صهيون
ولكن ما علاقة وادي البكاء الذي ورد في النص ببكة؟!
وإذا كان الله يقول يرون قدام الله في صهيون، فما علاقة صهيون بالبيت الحرام الموجود في بكة؟!
أما وادي البكاء وعلاقته ببكة: فيسأل عنها القساوسة العرب، لأن وادي البكاء في النسخة الإنجليزية لنفس النص مكتوبة(وادي بكة) وليس وادي البكاء كما هو في النص العربي، ونلاحظ أنها تبدأ بحرف(بي كابتال)، مما يدل على أنه اسم لعلم لا يمكن ترجمته.
وأما كلمة صهيون: فمعناها الأصلي المكان المقدس أو المجتمع الديني الخالص، كما ورد في القاموس الإنجليزي للكتاب المقدس..
والنص كما ورد في النسخة الإنجليزية هو هكذا:
(Blessed are they that dwell in thy house. they will be still praising thee, blessed is the man whose strength is in thee, in whose heart are ways of them who passing through the valley of Bacamake it awell, The rain also filleth the pools, they go from strength to strength, every one of them in Zion appeareth before God)
وبذلك فإن الترجمة الصحيحة للنص الإنجليزي هي كما يأتي:
(طوبى للساكنين في بيتك أبدا يسبحونك، طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم عابرين في وادبكة يصيرونه ينبوعا المطر أيضا يغطيه بالبركات يذهبون من قوة إلي قوة يرون قدام الله في الأرض المقدسة).
وبالمناسبة فإن قاموس الكتاب المقدس لم يستطع تحديد أين توجد بكة!!، وكل ما قاله عن موقعها:(ربما)! يكون هذا مكان يمر به الحجاج!!

فهل هناك بكة غير التي يحج إليها المسلمون؟!
ولو كان هناك بكة غيرها، فهل ادعى أحد أن بها بيت الله الذي يحج إليه الناس؟!
هذه أسئلة تحتاج إلى أجوبة.. فهل من مجيب؟!
محمد الإسماعيلي!
محمد الإسماعيلي: هذه الكلمة قالها أحد الرهبان، وكان يتحدث عن الرسول – صلى الله عليه وسلم-ويقول إنه من ولد إسماعيل، وأنه ليس نبياً لأن النبوة اختص بها الله أبناء إسرائيل(يعقوب عليه السلام).
ونحن نؤيده في أن محمد – صلى الله عليه وسلم- هو من ولد إسماعيل عليه السلام، ولكننا سنثبت بنصوص من الكتاب المقدس أن النبوة سوف تبعث في أبناء إسماعيل:
ورد في سفر التكوين الإصحاح ٢١ الفقرة ١٧، ١٨:
(فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة).
وورد في سفر التكوين الإصحاح ٢١ الفقرة ١٣حيث يخاطب الله عز وجل سيدنا إبراهيم قائلا:(وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك).
وابن الجارية هو إسماعيل ابن السيدة هاجر، وقد جعله الله أمة كبيرة عظيمة هي أمة الإسلام التي يزيد عددها الآن عن مليار مسلم.
ويواصل الكتاب المقدس حديثه عن إسماعيل عليه السلام فيقول في سفر التكوين الإصحاح ٢١ الفقرة ١٩، ٢٠، ٢١:
(وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية و كان ينمو رامى قوس، وسكن في برية فاران).
وفاران:كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة المكرمة(١)
والنص السابق كما ترون يتحدث عن بئر زمزم الذي سقت منه هاجر الغلام، ويتحدث أيضا عن برية فاران التي سكنها إسماعيل عليه السلام.
(ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات). إبراهيم:٣٧
ويتحدث النص أيضا عن أن إسماعيل كان ينمو رامي قوس، وهذا يتطابق مع الحديث الذي رواه البخاري(مر النبي علي نفر من قبيلة أسلم يرمون بالسهام فقال لهم: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا).
ولكن كيف يثبت الكتاب المقدس أن النبوة ستكون في أبناء إسماعيل عليه السلام؟
ورد في سفر التثنية الإصحاح ١٨ الفقرة ١٧، ١٨،١٩ على لسان موسى عليه السلام:
(قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك و أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه).

والنص يصف كما ترون تبشير الله لموسى بنبي سوف يبعثه من وسط أخوة بني إسرائيل، وأن هذا النبي سيكون مثل موسى عليه السلام، ويخبر النص أيضاً أن الذي لا يتبع هذا النبي ولا يسمع لكلامه - فإن الله سوف يعاقبه..

ولكن ماذا قال أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن ذلك النبي؟

قالت اليهود أن النبي المقصود هو يوشع بن نون فتى موسى، بينما حمل النصارى البشارة على المسيح عيسى عليه السلام.

واليهود ينكرون أن البشارة تدل على محمد – صلى الله عليه وسلم- أو عن المسيح عليه السلام.

والنصارى ينكرون أن تكون البشارة عن النبي –صلي الله عليه وسلم-.

والحق إن ما ذهب إليه كلا الفريقين باطل، والدليل من الكتاب المقدس نفسه.

إن البشارة تشترط شرطين:الأول أن ذلك النبي من وسط إخوة بني إسرائيل، والثاني أنه مثل موسى عليه السلام.

والشرطان السابقان لا ينطبقان إلا على رسول الإسلام- صلى الله عليه وسلم-؛ فهو من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأبناء إسرائيل(يعقوب) هم أبناء إسحاق بن إبراهيم..، لذلك فالنبي-صلى الله عليه وسلم- من وسط أخوة بني إسرائيل..

وكذلك فإن موسى عليه السلام ومحمد- صلى الله عليه وسلم-، كليهما كان صاحب شريعة جديدة، ورسالة مستقلة، وبذلك فإن شرط المثلية وقرب المكانة بين ذاك النبي وموسى عليه السلام متحقق في النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولأن كليهما كان صاحب رسالة جديدة وشريعة مستقلة؛ فقد ورد في سورة الأحقاف:(قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم)..

ويؤكد قرب المكانة أيضا بين النبي-صلى الله عليه وسلم- وبين موسى عليه السلام الحديث الذي رواه البخاري عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-:(لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)..

وأما انتفاء الشرطين عن يوشع بن نون وعن المسيح عليهما السلام- فلأنهما كانا من بني إسرائيل وليسا من وسط إخوة بني إسرائيل، ولو كان المراد واحدا منهما لقال الله:(أقيم لهم نبيا منهم)..، بل لم يكن هناك داع لتحديد من أين يخرج ذلك النبي لأن خروجه من بني إسرائيل هو أمر مألوف لا يحتاج لتوضيح أو تحديد..

وينتفي الشرط الثاني أيضا لأن لا يوشع ولا عيسى كانوا مثل موسى:

فيوشع كان فتى موسى، ولم يحمل شريعة جديدة، ولم يوح إليه بكتاب، وعيسى أيضًا لم يحمل شريعة جديدة، وإنما كان على نهج شريعة موسى؛ وإذا كان النصارى يؤمنون بأن المسيح هو ابن الله، وأنه شريك معه في الألوهية، فكيف يقولون بعد ذلك أن عيسى مثل موسى؟!!

والكتاب المقدس نفسه ينفي أن بني إسرائيل قد قام فيها نبي مثل موسى بعده؛ فقد جاء في سفر التثنية الإصحاح ٣٤ الفقرات من ٥ إلى ١١:((فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في أرض موات مقابل بيت

فغور و لم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته. فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مواب ثلاثين يومًا فكملت أيام بكاء مناحة موسى. ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى. ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه. في جميع الآيات و العجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون و بجميع عبيده وكل أرضه)).

فإذا كان الكتاب المقدس يخبر كما ترون أن بني إسرائيل بعد موسى لم يخرج منهم نبي مثله، فكيف يدعى بعد ذلك أهل الكتاب أن النبي الذي وصفه الله بأنه مثل موسى قد خرج من بني إسرائيل؟!!

كما أن عقيدة النصارى في أن المسيح قد أتى ليخلص العالم ويحمل خطايا البشرية – لا يمكن أن تتوافق مع تلخيص النص لعلاقة هذا النبي بالناس؛ وهي معاقبة من لا يتبعه ويسمع لكلامه(ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه)..

ويبدو أن أنهم كانوا في انتظار ذلك النبي كما كانوا ينتظرون المسيح عليه السلام؛ فقد ورد في إنجيل يوحنا ١: ١٩ – ٢٥ (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وقال أني لست المسيح فسألوه إذن ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا،النبي أنت؟ فأجاب لا ...فسألوه وقالوا فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟!)

وإيليا(إلياس في القرآن) هو نبي ورد ذكره في الكتاب المقدس..والكتاب المقدس يخبر أن الله قد رفعه إلى السماء، ويبدو أن اليهود كانوا ينتظرون عودته مرة أخرى.. فمن يكون إذن ذلك النبي الذي ورد في النص، وكانت تنتظره اليهود، إذا لم يكن إيليا ولا يوحنا ولا المسيح؟!!

من يكون ذلك النبي الذي أتى بعد يوحنا والمسيح غير رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم؟!!

ويبدو أن بعض أهل الكتاب قد وجد صعوبة في إثبات المثلية بين موسى والمسيح عليهما السلام(على الأقل حسب عقيدتهم)؛ فوجهوا جهودهم نحو إثبات عدم المثلية بين موسى عليه السلام ومحمد -صلى الله عليه وسلم-، فماذا قالوا؟

قالوا أن موسى مات وعمره ١٢٠ سنة ومحمد مات وعمره ٦٣!!، وقالوا أن موسى تربى في قصر فرعون، أما محمد فلم يدخله!!، وقالوا أن موسى قد عبر البحر هو وبني إسرائيل، أما محمد فلم يعبره!! ...

ومن البديهي أننا لو استخدمنا تلك المقاييس لإثبات التشابه بين أي شخصين لما استطعنا ذلك، حتى لو كان هذين الشخصين زوج من التوائم المتماثلة!!

غير أن صحيح النظر سليم العقل - لو نظر في النص؛ سوف يدرك أن المقصود بكلمة(مثلك) هو المثلية في المنزلة والقرب في المكانة، -وإلا فلم يكن هناك داع لقول مثلك لأن كل الأنبياء لابد أن يكونوا متشابهين في أشياء ومختلفين في أشياء أخرى-،

وكذلك نفي المثلية في قوله(ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى) المقصود منه هو نفي المثلية في المنزلة والمكانة أيضًا..وأحسب أن هذا أمر واضح جلي لكل بصير ذي فطنة، صحيح ذي لب، حريص على نفسه من سخط الله في الدنيا، ومن سوء العاقبة والعذاب الأليم في الآخرة!!!
(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها!!) محمد: ٢
فلنولينك قبلة ترضاها:
يقول تعالى في كتابه العزيز(قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون). [البقرة:١٤٤].
كان النبي –صلى الله عليه وسلم- يقلب وجهه في السماء، ويستحي أن يسأل ربه أن يغير القبلة التي يسجد هو والمسلمون إليها وهي المسجد الأقصى لكي تصبح إلى المسجد الحرام، فأنعم الله عليه وعلى أمته بأن جعل لهم قبلة مستقلة عن باقي الأمم؛ فقبلة اليهود والنصارى هي المسجد الأقصى، وكان المسلمون في البداية يتبعونهم في ذلك، إلى أن أمر الله رسوله الكريم –صلى الله عليه وسلم-بتغيير القبلة إلى المسجد الحرام..
ولكن هل أخبر الكتاب المقدس بأن القبلة سوف تتغير من القدس(أورشليم) إلي مكان آخر؟
ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ الفقرة ١٩، ٢٠، ٢١:
٤: ١٩ قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي.
٤: ٢٠ آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه.
٤: ٢١ قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب.
وكلمة الأب التي وردت في النص تعني الله، ولقد ورد ذكرها كثيرا في الكتاب المقدس بمعنى الله، وكذلك لفظ أبناء الله ورد بمعنى الصالحين والمؤمنين..
ومن أمثلة ذلك ما جاء في الكتاب المقدس:(أذهب إلى أبي وأبيكم).
(ولا تسبوا أباكم الذي على الأرض فإن أباكم الذي في السماء وحده).
(وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر... فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر)
(أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه).
(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون)...
والتين والزيتون وطور سينين:
يقسم الله تعالى في بداية سورة التين قائلا:(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).
وهذا القسم له دلالته؛ فالتين والزيتون تشير إلى أرض فلسطين أو بيت المقدس، وهو المكان الذي تلقى فيه المسيح عليه السلام الرسالة من ربه، وطور سينين هو جبل

الطور بسيناء الذي كلم الله موسى عليه، والبلد الأمين هي مكة المكرمة مهبط الوحي على رسول الله صلي الله عليه وسلم.
فهذه الآيات الكريمة تشير إلى أماكن الرسالات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، ولكن هل هناك ما يشير إلى تلك الأماكن الثلاثة في الكتاب المقدس؟
لقد ورد في سفر التثنية الإصحاح ٣٣ الفقرة ٢ على لسان موسى عليه السلام وهو يخاطب قومه قبل موته: (٣٣: ٢ فقال جاء الرب من سيناء و أشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال فاران و أتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم.. فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك).
وجاء الرب من سيناء، المقصود بها رسالة موسى عليه السلام، وأشرق من ساعير، تشير إلى رسالة عيسى عليه السلام وساعير هي منطقة جبلية بأرض فلسطين، وهي الأرض التي عاش فيها المسيح عليه السلام.
وتلألأ من جبال فاران المقصود بها إنزال الرسالة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم-، وفاران هي مكة المكرمة، وهى نفس الأرض التي عاش عليها إسماعيل عليه السلام:
(وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران) سفر التكوين الإصحاح ٢١ الفقرة ٢١.
(ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) إبراهيم: ٣٧
ويدعى بعض أهل الكتاب أن فاران ليس لها علاقة بمكة، وأن فاران لا تطلق إلا على مكان قريب من سيناء مر به موسى وبنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وبذلك فهم يحملون البشارة كلها على موسى وبني إسرائيل مدعين أن النص يوضح تذكرة موسى لقومه بالأماكن التي مروا بها بعد خروجهم من مصر، وأنه لا يشير أبدًا إلى رسالات سماوية.. ولو كان كلامهم هذا صحيحًا فلماذا يقول موسى: جاء الله، وأشرق الله، وتلألأ الله، وهل فاران هذه القريبة من سيناء من الأهمية بحيث يخبر موسى أن الله قد تلألأ منها؟!، وتلألأ كما تعلمون أقوى من جاء وأشرق..
وإذا كانت فاران ليست إلا برية قريبة من سيناء كما يقولون، ومر بها بنو إسرائيل قبل مرورهم بساعير القريبة من فلسطين.. فكيف جاء الله إذن من سيناء ثم أشرق من ساعير قبل أن يتلألأ من جبال فاران؟!!!.. هل يعقل أن موسى وبنو إسرائيل قد مروا بساعير في فلسطين قبل أن يمروا بمكان قرب سيناء أثناء خروجهم من مصر إلى فلسطين؟!!(٢)
وهذا الترتيب لا يمكن تحريفه أو تأويله؛ لأن تلألأ إنما تأتي بعد جاء وأشرق، وهذا ما سوف يؤكده أيضا النص الإنجليزي الذي يقول:(وتلألأ فصاعدًا)..
ولماذا يذكر موسى قومه قبل موته بأمور يعلمونها وبأماكن قد مروا بها؟!، ولماذا يخاطبهم بصيغة الغائب قائلا(وأشرق لهم) ولم يقل وأشرق لنا أو وأشرق لكم؟!!
والكتاب المقدس يشرح لنا في سفر الخروج ما حدث لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، ويحكي لنا أن الله قد تجلى لبني إسرائيل من برية سين ثم تجلى لهم من جبل سيناء وأوصاهم بالوصايا الشهيرة، وكل ما يحكيه الكتاب المقدس بعد ذلك عن تجلي الله لبني إسرائيل هو تذكرة موسى لقومه بتجلي الله لهم من سيناء والوصايا التي

فرضها عليهم؛ فمن أين جاء أهل الكتاب إذن أن الله قد تجلى لبني إسرائيل في برية فاران شمال سيناء والكتاب المقدس نفسه بعهديه القديم والجديد لا يخبر بذلك؟!!

ولنفرض أن ما يقولونه من أن فاران هو مكان بالقرب من سيناء صواب، فإن هذا لا يمنع أن يكون اسم فاران يطلق أيضا على مكة، لأن إسماعيل عليه السلام إنما سكن في مكة ولم يسكن في سيناء.(٣)

ولو ادعى أهل الكتاب أن إسماعيل لم يسكن في مكة للزمهم أيضًا إنكار أن إبراهيم وإسماعيل قد رفعا قواعد البيت الحرام بمكة، وللزمهم أيضًا إنكار قدسية البيت الحرام بمكة ونسبته إلى الله، فهل يجرءون على ذلك؟!!(٤)

(وأتي من ربوات القدس عن يمينه نار شريعة لهم):المقصود بربوات القدس هو أعداد كثيرة من القديسين، ولقد استخدمت كلمة ربوات في الكتاب المقدس لتدل على العدد الكثير، ويؤكد هذا القول نفس النص ولكن في النسخة الإنجليزية (جاء الله من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ فصاعدًا من جبل فاران وأتى مع عشرات الآلاف من القديسين من يده اليمنى فرض لهم قانونًا ناريًا، فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك).

وعشرات الآلاف من القديسين هم عدد الصحابة الذين أيد الله بهم رسوله - صلى الله عليه وسلم- والذين بلغ عددهم في فتح مكة عشرة آلاف، وفي غزوة تبوك بلغوا ثلاثين ألف مقاتل، ووصل عددهم قبل وفاة الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى نحو مائة وأربعون ألفًا من رجال الإسلام..

ويضيف النص الإنجليزي أيضا كلمة(فصاعدًا)، وكلمة فصاعدًا توضح الترتيب الزمني وتؤكد أيضًا الاستمرار؛ فهو قد تلألأ فصاعدًا، وهذا ما ينطبق على رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم-، فهي كانت خاتم الرسالات، وهي التي ستستمر فصاعدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

كما أن إيضاح النص أن فاران هي أرض الطاعة والإخلاص لله وأنها صاحبة النهاية السعيدة وذلك بقوله (فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك) – ينفي أن يكون المقصود بفاران في هذا النص هو برية شمال سيناء؛ وذلك لأن الكتاب المقدس والقرآن الكريم أيضا يقرران أن الله قد سخط على بني إسرائيل في هذه الرحلة وحكم عليهم بالتيه في الأرض أربعين سنة..(قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) المائدة: ٢٦

ولكن هل وردت نصوص أخرى في الكتاب المقدس تخبر أن نبيًا سيأتي من فاران؟

لقد جاء في سفر حبوق (أحد أنبياء بني إسرائيل) الإصحاح٣:

٣: ٢ يا رب قد سمعت خبرك فجزعت يا رب عملك في وسط السنين أحييه.. في وسط السنين عرف.. في الغضب أذكر الرحمة.

٣:٣ الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران، سلاه، جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه.

٣: ٤ وكان لمعان كالنور له من يده شعاع وهناك استتار قدرته.

٣: ٥ قدامه ذهب الوبا وعند رجليه خرجت الحمى.

٣: ٦ وقف وقاس الأرض نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم مسالك الأزل له.
٣: ٧ رأيت خيام كوشان تحت بلية، رجفت شقق أرض مديان (يقول قاموس الكتاب المقدس أن خيام كوشان هو إشارة لقبائل كوش العربية، ومن المعلوم أنها قبائل كانت تستوطن أثيوبيا وبلاد النوبة وامتدت لتشمل أجزاء واسعة من الجزيرة العربية، وأرض مديان كانت تقع في شمال الجزيرة العربية، والفقرة كلها إشارة صريحة لجنوب وشمال الجزيرة).
٣: ٨ هل على الأنهار حمى يا رب، هل على الأنهار غضبك أو على البحر سخطك، حتى أنك ركبت خيلك، مركباتك مركبات الخلاص.
٣: ٩ عريت قوسك تعرية، سباعيات سهام كلمتك، شققت الأرض أنهارًا
٣: ١٠ أبصرتك ففزعت الجبال، سيل المياه طما، أعطت اللجة صوتها، رفعت يديها إلى العلاء.
٣: ١١ الشمس والقمر وقفا في بروجهما، لنور سهامك الطائرة، للمعان برق مجدك(للمعان برق رماحك في النسخة الإنجليزية).
٣: ١٢ بغضب خطرت في الأرض، بسخط دست الأمم(بسخط دست الوثنيين في النسخة الإنجليزية) ...
عندما يقرأ النص السابق أي شخص لن يتبادر إلى ذهنه سوى أن هذا النص يتحدث عن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – الذي أتى من فاران وهي مكة المكرمة.. وأن تيمان التي وردت في النص هي الاسم القديم لليمن، وهي إشارة واضحة إلى جنوب الجزيرة العربية.. وهذا ما قاله العلماء المسلمين الذين تعرضوا قبل ذلك لهذه النبوءة، ورجحوا أن اليمن هي نفسها تيمان، وذلك نظرا للتشابه اللفظي بينهما، ولأن معنى كل منهما هو الجنوب، وأيضا بسبب اقتران تيمان في النص بفاران الثابت تاريخيا أنها هي مكة المكرمة والتي تقع شمال اليمن..
وبرغم أن النص يشتمل على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والتي جمعت بين القوة الروحية التي يشير إليها النص بقوله(جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه)، وبين القوة المادية التي يشير إليها باقي النص مثل الحديث عن سحق أعداء الله والإشارة إلى السهام الطائرة والرماح المتألقة، والخيول، وسحق الوثنيين...، ومن المعلوم أن هذه الصفات لم تكن إلا لنبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان رحمة للعالمين وسيفًا على رقاب المشركين.. برغم كل هذه الصفات أنكر أهل الكتاب أن هذا النص يشير إلى الرسول صلى الله عليه وسلم!!..ومع ذلك لم يستطيعوا أن يخبرونا من هو النبي الذي يتحدث عنه النص السابق!!.. ومع إنكارهم لأن هذا النص يشير للرسول صلى الله عليه وسلم، فبالطبع أنكروا أيضًا أن تيمان هي اليمن، وأصروا على أن فاران ليست إلا برية بين سيناء وفلسطين وليس لها علاقة بمكة المكرمة.. وبذلك فهم يحاولون إقناعنا بأن التقارب اللفظي بين اليمن وتيمان ليس إلا(تشابه أسماء)!!!
ولنترك الآن ما يدعيه علماؤنا من المسلمين، وما يقوله علماء أهل الكتاب من النصارى، ونتعرف بطريقة حيادية تماما على تيمان المذكورة في النص السابق..

يقول قاموس الكتاب المقدس في تعليقه على تيمان:(هي مكان يقع جنوب إدوم)..
ولكن ما هي إدوم؟
يقول معجم الطرق القديمة(إنشنت تراد روتس)تحت عنوان إمبراطوريات(إمبيرز):
(إدوم بدأت من النهاية الجنوبية للبحر الميت إلى مساحات من الصحراء العربية إلى الشرق، ومن هذا الخط امتدت إدوم لتشمل كل الأراضي جنوب البحر الأحمر والأراضي على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر..والجزء الجنوبي من إدوم كان عبارة عن أرض صحراوية ممتدة واشتملت إدوم على جزء من طريق البخور يمتد جنوبًا إلى شيبا والتي تمثل منطقة اليمن حاليًا).
وتيمان التي يقول قاموس الكتاب المقدس أنها تقع جنوب إدوم معناها في جميع المعاجم الخاصة بأصول ومعاني الكلمات هو: الجنوب.
وإذا كانت تيمان تقع جنوب إدوم كما يقول قاموس الكتاب المقدس، واليمن تقع جنوب إدوم كما يقول معجم الطرق القديمة، والمعنى العبري لتيمان واليمن هو الجنوب؛ فإن ما سنستنتجه بداهة هو أن تيمان هي نفسها اليمن.
هذا ما قاله معجم الطرق القديمة وقاموس الكتاب المقدس، واستنتجنا منه أن تيمان هي نفسها اليمن.. عمومًا فإن كل المصادر التي عثرنا عليها تتحدث مباشرة عن تيمان قد أراحتنا من عناء هذا الاستنتاج!!.. فماذا قالت؟!
تحكي الموسوعة اليهودية(جويش إنسيكلوبيديا) عن رحالة يهودي شهير فتقول:
(كارازو ديفيد صمويل رحالة يهودي ولد في سالونيكا بتركيا، وقام برحلة إلى اليمن بالجزيرة العربية سنة ١٨٧٤، ودرس حالة اليهود في تلك المنطقة ودونها في مؤلف أسماه ذيكرون تيمان،رحلتي إلى اليمن)
ويقول موقع يهودي يسمى موقع الموسوعة اليهودية ويكيبديا:(اليهود اليمنيون يسمون بالعبرية التيمانيون وهم اليهود الذين يعيشون الآن في اليمن والتي تسمى في العبرية تيمان وهي أمة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهم ينتمون إلى طائفة اليهود المزراحية).
ويقول موقع يهودي آخر يسمى مؤسسة مانفريد ليهمان عن يهود اليمن:(أي شخص يتاح له مقابلة أحد يهود اليمن سوف يندهش من التواضع والنقاء والتقوى التي تصبغه(!) وجذور يهود اليمن – تيمان بالعبرية – تبدأ من بداية تاريخنا. فبجانب الذي ذكر في التوراة العبرانية:(أليفاز صديق يعقوب كان من تيمان وكثير من الأنبياء قد تحدثوا عن تيمان)، فلقد قيل أيضًا أن ملكة شيبا(سبأ) قد سمعت عن الملك سولومون(سليمان) من خلال اليهود في اليمن والتي تقع بجوار مملكة شيبا).
ويحكي لنا موقع يهودي آخر يسمى أيريديس إنسيكلوبديا عن تاريخ يهود اليمن:(واحد من أفضل علماء اليهود في اليمن وهو يعقوب الفيومي قد كتب خطابًا يستشير فيه رابي موشي ابن ميمون والمعروف بميمونيديس فقام بالرد عليه في خطاب عنوانه إيجريت تيمان-مكتوب اليمن-وهذا الخطاب كان له تأثير هائل على يهود اليمن).

فإذا كانت اليمن هي نفسها تيمان(كما أثبتنا بما لا يدع بعد ذلك مجالاً للشك).. فإن ذلك يجزم بأن فاران تطلق أيضًا على مكة.. وأعتقد أنه من السخف أن يقال أن المقصود بفاران في نص حبوق هو برية بين سيناء وفلسطين!!
فهل خرج نبي من ذلك المكان امتلأت من تسبيحه الأرض ونظر فرجفت الأمم؟!!
وهل خرج من هذا المكان نبي أصلا؟!!
إذن فليخبرنا أهل الكتاب من هو ذلك النبي العظيم الذي يخبرنا النص أنه جاء من فاران حتى أنه يصفه بالقدوس؟!!
ولكن هل يقول أهل الكتاب أن لفظ القدوس هنا يقصد به نبي؟!!
إنهم يلجأون إلى حيلة عجيبة حتى لا تحمل النبوءة على النبي-صلى الله عليه وسلم-، ويخبروننا أن المقصود بالقدوس هنا هو الله نفسه!!، وأن هذا اللفظ لا يمكن إطلاقه على نبي!!.
فلنضع إذن لفظ الجلالة مكان كلمة القدوس..
إن الجملة ستصير هكذا:
(الله جاء من تيمان والله من جبل فاران)!!!!
هل هذا يصدق؟!!، هل يرضى بهذا عاقل؟!!
ومع ذلك فالكتاب المقدس يحفل باستخدام ألفاظ تخص الله عز وجل وفى نفس الوقت يوصف بها أنبياؤه:
(الرب كالجبار يخرج كرجل حروب)أشعياء٤٢: ١٣
(فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك) سفر الخروج ٧:١
(وحسدوا موسى في المحلة وهرون قدوس الرب)المزامير١٠٦: ١٦
وإذا كانت تيمان تشير إلى مكان جنوب إدوم كما يقول قاموس
الكتاب المقدس نفسه، ومعناها في جميع المعاجم العربية والأجنبية والعبرية هو الجنوب، ولا يختلف يهودي وآخر في العالم كله على أنها الاسم القديم لليمن؛ فما علاقتها إذن بفاران التي تقع بين سيناء وفلسطين؟!!!
وليخبرنا الذين يدعون بأن القدوس هنا تشير إلى الله، وتيمان ليست هي اليمن، وفاران لا تشير إلا لأرض بين سيناء وفلسطين؛ لماذا يأت الله من تلك الفاران بالذات؛ وهي مكان لم يقم فيه رسالة، ولم يبعث منه نبيًا؛ لكي يتلألأ منه فصاعدًا، ثم يخرج من نفس المكان أيضًا لتمتليء السماء من بهائه، والأرض من تسبيحه، ويقف فيقيس الأرض، وينظر فترجف الأمم، وتدك الجبال الدهرية؟!!
لابد أن تكون تلك الفاران إذن ذات أمر عظيم!!
وهى حتما لن تكون كذلك إلا إذا كانت مهبط الوحي الأخير، ومولد النبي الخاتم، ومركز الدعوة الكاملة!!
فمن هو إذن ذلك القدوس أو النبي العظيم الذي أتى من فاران، وغطى بهاؤه السماوات، وامتلأت الأرض من تسبيحه؟، وقطعًا هو ليس موسى الكليم، ولا عيسى المسيح، ولا أي واحد من أنبياء بني إسرائيل؛ فلم يدع أحد أن فاران قد بعث فيها نبي من بني إسرائيل، وربما كان تغيير مكان الوحي من الشام إلى بلاد العرب وخروج

النبوة من بيت إسرائيل هو السبب في جزع حبوق أحد أنبياء بني إسرائيل عندما سمع الخبر(يا رب قد سمعت خبرك فجزعت... الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران).
من يكون إذن ذلك القدوس الذي جاء من فاران، ووقف فقاس الأرض فامتلأت الأرض من أتباعه، ونظر فرجفت الأمم فسقطت تحت رسالته الشعوب والممالك – غير إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، مهجة القلب وقرة العين، صاحب اللواء المعقود والحوض المورود والمقام المحمود -محمد- صلى الله عليه وسلم،(عبد الله)، ورسوله.

ومثلك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
ولدت مبرئا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

نسخة مما ذكره معجم الطرق القديمة عن مملكة إدوم
http://www.ancientroute.com/empire/edom.htm

CARASSO, DAVID SAMUEL
Jewish traveler; born at Salonica, Turkey. On the occasion of a business trip to , he studied the situation of the Jews of that region, and ١٨٧٤ Yemen, Arabia, in published an account of his travels in a volume written in Judæo-Spanish, entitled ""Zikron Teman ó el Viage en el Yémen

نسخة مما ذكره موقع الموسوعة اليهودية جويش إنسيكلوبيديا
&letter=C ١٤١ http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=

One of Yemen's most respected Jewish scholars, Jacob ben Nathanael al- ... Fayyumi, wrote for counsel to Rabbi Moshe ben Maimon, better known as Maimonides. Maimonides replied in a epistle entitled Iggeret Teman(The Yemen Epistle). This letter made a tremendous impression on Yemenite Jewry

نسخة من بعض ما ذكره موقع موسوعة أيريدس عن تيمان
http://www.iridis.com/Teimani
Yemenite Jews

Yemenite Jews, Standard Hebrew Temani, Tiberian Hebrew Têmānî; plural, Standard Hebrew Temanim, Tiberian Hebrew Têmānîm) are those Jews who live, or whose recent ancestors lived, in Yemen "far south", Standard Hebrew Teman, Tiberian Hebrew Têmān), a nation on the southern tip of the Arabian peninsula. They are .considered to be a subdivision of Mizrahi Jews

نسخة مما ذكره موقع الموسوعة اليهودية ويكيبيديا
http://en.wikipedia.org/wiki/Jews_in_Yemen

Anyone who has been privileged to meet a Yemenite Jew will have been impressed with the refinement, modesty and piety which are the Yemenite hallmarks. The roots of the Jews in Yemen—Teman in Hebrew—start at the dawn of our history. Besides being mentioned in the Tanach(Job's friend Elifaz came from Teman, and many of the Prophets speak of Teman), the Queen of Sheba is said to have heard about King Solomon from Jews in Yemen, located next to the kingdom of Sheba

نسخة مما ذكره موقع مؤسسة مانفريد ليهمان

.html٢٨٢http://www.manfredlehmann.com/sieg
نسخة مما ذكره معجم البلدان عن فاران في باب حرف الفاء
ومبشرًا برسول يأتي من بعدي:
يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد). الصف:٦
والنبي محمد – صلى الله عليه وسلم- هو النبي الوحيد الذي أرسل بعد عيسى عليه السلام، ولا يعترف النصارى بأن هناك نبي أتى من بعد عيسى عليه السلام.
ونحن الآن بصدد إثبات أن عيسى المسيح عليه السلام قد بشر برسول سوف يأتي من بعده، وسيكون ذلك أيضا من بين نصوص الكتاب المقدس.
ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦ الفقرة من ٧ إلى ١٣على لسان المسيح عليه السلام وهو يخاطب تلاميذه قبل أن يرحل:
(لكني أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي).
والمعزّي اسم فاعل من الفعل عزّى وفعله المضارع يعزّي ومعناها كما ورد في قاموس الكتاب المقدس: المحامي أو المدافع أو الشفيع.
ثم يواصل المسيح عليه السلام الحديث عن ذلك المعزى قائلا:
(إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية).
فهو ذا المسيح عليه السلام يخبر تلاميذه قبل أن يرحل مباشرة بأنه لم يقل لهم كل شئ، وأن الذي منعه من ذلك أنهم لا يستطيعون احتمال هذه الأمور في هذا الوقت، وهذا إعلان صريح من المسيح عليه السلام بأن الشريعة لم تكتمل بعد، وأن ذلك المعزى هو الذي سيكملها من بعده(وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق).
فمن هو هذا المعزى أو روح الحق الذي بشر به المسيح عليه السلام؟
إن المسيح يقول:
إن ذلك المعزى أو روح الحق لا يأتي إلا بعد ذهابه(إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى).
والمسيح عليه السلام يقر بأن ذلك المعزى هو خير منه، ولذلك قال لتلاميذه(خير لكم أن أنطلق)، وكلمة خير أفعل تفضيل بمعنى أفضل.
والمسيح يقول أيضا عن هذا المعزى أنه (يخبركم بأمور آتية).
وهذه الصفات تنطبق على النبي – صلى الله عليه وسلم-، فلقد أخبرنا بأمور غيبية كثيرة، سواء عن الدنيا وما سيحدث فيها بعد وفاته... أو عن الآخرة وما بها من بعث وحساب وجنة ونار ...
ويقول المسيح عن ذلك المعزي أيضا(يرشدكم إلى جميع الحق)
وهذا لا ينطبق إلا على رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم -، فهو الذي أرشد الناس إلى جميع الحق؛ فعرف الناس بربهم الواحد، وأزال الأوهام التي استعبدت عقول الناس من عبادة غير الله تارة، والإشراك به تارة أخرى، وعلم الإنسان غاية

وجوده ودوره في الحياة، وبين العلاقة السليمة بين المخلوق وخالقه، وبين الناس بعضهم بعضًا، ووضح أصول التشريعات التي فرضها الله لعبيده ليصلح بها بنو البشر ويستقيم بها أمرهم في كل زمان ومكان.. ولذلك يخاطب الله نبيه في قرآنه قائلاً:(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل:٨٩
والمسيح عليه السلام يقول(لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به)، وهذا ينطبق على الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه:(وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)النجم ٣، ٤.
من هو إذن ذلك المعزي الذي بشر به المسيح؟
وهل أتي نبي بعد المسيح إلا محمد – صلى الله عليه وسلم-؟!
فتعين أن يكون ذلك المعزي أو روح الحق تبشيرًا بمحمد – صلى الله عليه وسلم-؛ إذ فيه تجتمع كل الأوصاف كما يتحقق فيه معني الأفضلية إذ هو خاتم النبيين الذي جاء بشريعة عامة خالدة.
ولكن ماذا يقول النصارى عن ذلك المعزي أو روح الحق؟
إنهم يقولون أن هذا المعزي ليس بشرًا إنما هو روح، روح تدخل في نفوس المؤمنين لتزيدهم إيمانًا وهي الروح القدس - أحد أقانيم الثالوث المقدس عندهم!!
وإذا كان المقصود روحًا وليس بشرًا؛ فلماذا اشترط المسيح إتيانها برحيله؟!
وهل هذه الروح أفضل عندهم من المسيح حتى يقول من الخير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي؟!
وهل هذه الروح تتكلم بما تسمع ولا تتكلم من نفسها؟!
وهل تخبر بأمور آتية؟!
وكيف تكون الروح القدس لا تتكلم من نفسها بل تحتاج إلى أن تسمع ما ستتكلم به؟!، أليست إلها كما يدعون؟!!، كيف يكون إلها من لا يتكلم من نفسه؟!!
إننا نحن المسلمين نزعم أن المسيح عليه السلام بقوله: (إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق هو يرشدكم إلى جميع الحق) إنما يقصد بذلك أنهم غير مهيئين لتلقى جميع الحق واحتمال التشريع الكامل، وأن النبي الذي سيبعث بعده سوف يقوم بتلك المهمة عندما يكون العقل البشرى أكثر نضجًا، والبشرية مهيأة لتلقى تعاليم الشريعة الجامعة.. فليخبرنا إذن الذين يقولون أن المعزى هو الروح القدس: ما هي علاقة الروح القدس التي تملأ نفوس المؤمنين بالأمور التي يريد أن يقولها المسيح ولكن منعه من قولها أنهم لا يستطيعون تحملها في ذلك الوقت؟!!!.
وهم يقولون أن الروح القدس قد جاءت وحلت في تلاميذ المسيح بعد عشرة أيام من رحيله، فهل كانت هذه مدة كافية حتى يتهيئوا للأمور التي كان يريد المسيح أن يخبرهم بها ولكن منعه من قولها عدم قدرتهم على احتمالها قبل عشرة أيام؟!!
كما أن الروح القدس التي يدعون أنها المقصودة بالمعزى كانت موجودة قبل أن يرحل المسيح تساعده وتؤيده؟ فلماذا يقول المسيح إذن إن لم أنطلق لا يأتيكم؟!!
هل هناك أدنى شك الآن أن الذي يتحدث عنه المسيح بشرا وليس روحا؟!

وإذا كان بشرًا فمن يكون غير محمد – صلى الله عليه وسلم- الذي جاء بعد عيسى عليه السلام ولم يأت بعده نبي غيره!!.
ولكن كيف وردت كلمة المعزي الموجودة في الطبعات الحديثة في الطبعات القديمة؟
لقد ورد بدلا منها كلمة الفارقليط، ولا أحد ينكر من القساوسة أن كلمة الفارقليط هي أصل كلمة المعزي، ولو فتحنا أي قاموس للكتاب المقدس لوجدنا كلمة الفارقليط هي الأصل؛ ففيم الخلاف إذن؟!
إن كلمة الفارقليط مشتقة من أحد كلمتين يونانيتين وهما بيركليتوس وباراكليتوس.
الكلمة الأولى معناها الذي يحمد أو محمد أو أحمد، والثانية معناها المعزي كما ورد في النص.
ويصر الرهبان من النصارى أن الباراكليتوس هي أصل الفارقليط، بينما يقول علماؤنا من المسلمين أن البيركليتوس هو أصل الكلمة وأنها قد حرفت إلى الباراكليتوس لكي لا تحمل النبوءة على النبي صلى الله عليه وسلم...
والواقع هو أن الفصل في هذا الخلاف غير ممكن، والقطع بأن أصل الكلمة هو الباراكليتوس أو البيركليتوس أمر محال!!، وذلك لأننا في هذه الحالة نحتاج لأن نسمع الكلمة كما قالها المسيح عليه السلام بنفسه!!.. فلننتظر إذن يوما سيفصل الله فيه بين المختلفين.. وهو يوم لا يختلف أحد الفريقين على مجيئه.. وهو في نظرنا قريب قريب مهما انتظرناه.. لأن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول:((ألا إن كل ما آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت))!فانتظروا.وا.. إنا منتظرون!!
وبعيدا عن ذلك الخلاف بين الباراكليتوس والبيركليتوس!!، فإنه يكفينا ما أثبتناه، وهو تبشير المسيح عليه السلام برسول سوف يأتي من بعده، وهو لن يكون أي واحد سوى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.(٥)
وإذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم – يقول عن نفسه(أنا خاتم النبيين)، ويقول(لا نبي بعدي)، ويقول الله عنه في قرآنه (ولكن رسول الله وخاتم النبيين)..؛ فهل أخبر المسيح عليه السلام عن نفسه أنه قد ختم النبوة؟!
دعونا نقرأ ما جاء في إنجيل متى الإصحاح٧-١٥:
(احترزوا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل يجنى من الشوك عنب أو من العليق تين؟ هكذا كل شجرة جيدة تثمر ثمرًا جيدًا،أما الشجرة الرديئة فإنها تثمر ثمرًا رديئًا، لا يمكن أن تثمر الشجرة الجيدة ثمرًا رديئًا، ولا الثمرة الرديئة ثمرًا جيدًا، وكل شجرة لا تثمر ثمرًا جيدًا تقطع وتطرح في النار،إذن من ثمارهم تعرفونهم).
والمسيح عليه السلام بهذه الكلمات الرائعة يبين لتلاميذه كيف يفرق بين النبي الصادق والنبي الكاذب، ومجرد وضع ذلك المقياس بين النبي الصادق والنبي الكاذب يعتبر دليلاً على إمكانية بعث نبي آخر بعد المسيح عليه السلام، ولو كان المسيح هو آخر الأنبياء لكفاه أن يقول:(أنا آخر الأنبياء فلا تتبعوا أحدًا يأتي بعدى).
وإني لأهيب بجميع أهل الكتاب أن ينظروا إلى الثمرة التي أخرجها محمد-صلى الله عليه وسلم-:

لقد أخرج أجيالا تعبد الله وتوحده، وتسبح بحمده، وتحترم وصاياه، وتؤمن بكتبه، وتوقر جميع أنبيائه وتعلى من قدرهم.
أخرج محمد أجيالاً تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتحل الحلال، وتحرم الحرام، وتنهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن..
فها هم المسلمون ألف مليون من البشر؛ هم أقل أهل الأرض ارتكابًا للزنى الذي قبحه الله ومحمد والمسيح، وأقل أهلها شربًا للخمر الذي نهى عنه الله ومحمد والمسيح، وأكثر أهل الأرض إتباعًا لوصايا الله ومحمد والمسيح!!
وهذا أمر لا ينكره إلا جاحد، ولا يستغربه إلا حاقد...
وذاك هو حالهم في وقت ضعفهم وذلتهم، فما بالكم بهم في عهد عزهم وقوتهم؟!!
تلك هي الثمرة...فهل عرفتموها؟!
ولو عرفتموها...فهل صدقتم مخرجها؟!!
ولو صدقتموه...فهل أطعتم المسيح واتبعتموه؟!!!!!
الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع
قيدار هو الجد الأكبر لقبائل مكة، وهو من أبناء إسماعيل عليه السلام كما تخبرنا المصادر التاريخية، وكما يخبرنا أيضا الكتاب المقدس في سفر التكوين الإصحاح ٢٥ الفقرة ١٣:
(وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبائيل ومبسام......).
وقيدار بن إسماعيل ينسب له العرب المستعربة، والتي تسمى أيضا بالعرب العدنانية نسبة إلى عدنان الذي انحدر من صلب قيدار بن إسماعيل عليه السلام.
والديار التي سكنها قيدار هي الديار التي سكنها إسماعيل، وهي الديار التي سكنها النبي – صلى الله عليه وسلم-، وهى مكة المكرمة..
ورد في كتاب قلب جزيرة العرب:(ولى إسماعيل عليه السلام زعامة مكة وولاية البيت طوال حياته، ثم ولى اثنان من أبنائه: نابت ثم قيدار، ويقال العكس).
وورد في كتاب الرحيق المختوم في حديثه عن نسب النبي-صلى الله عليه وسلم- وقبائل مكة إلى قيدار بن إسماعيل:(وقد رزق الله إسماعيل اثني عشر ولدا ذكرا وهم: نابت أو بنايوط وقيدار وأدبائيل ومبشام ومشماع ودوما وميشا وحدد ويتما ويطور ونفيس وقيدمان، وتشعبت من هؤلاء اثنتا عشرة قبيلة، وانتشرت هذه القبائل فى أرجاء الجزيرة بل وإلى خارجها، ثم أدرجت أحوالهم في غياهب الزمان إلا أولاد نابت وقيدار.
وقد ازدهرت حضارة الأنباط –أبناء نابت- في شمال الحجاز وكونوا حكومة قوية ولم يكن يستطيع مناوأتهم أحد حتى جاء الرومان فقضوا عليهم، وأما قيدار بن إسماعيل فلم يزل أبناؤه بمكة يتناسلون هناك حتى كان منه عدنان وولده معد.
وقد تفرقت بطون معد من ولده نزار إلى أربعة قبائل عظيمة: إياد وأنمار وربيعة ومضر، وهذان الأخيران هما اللذين كثرت بطونهما فكان من ربيعة: أسد بن ربيعة وعنزة وعبد القيس وابنا وائل-بكر- وتغلب وحنيفة وغيرها

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين: قيس بن عيلان بن مضر وبطون إلياس بن مضر. فمن قيس عيلان: بنو سليم وبنو هوازن وبنو غطفان، ومن إلياس بن مضر: تميم بن مرة وهذيل بن مدركة وبنو أسد بن خزيمة وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة: قريش، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.
وانقسمت قريش إلى قبائل شتى من أشهرها بطون قصي بن كلاب وهى عبد الدار بن قصي وأسد بن عبد العزى بن قصي وعبد مناف بن قصي.
وكان من عبد مناف أربع فصائل:عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم وبيت هاشم هو الذي اصطفى الله منه سيدنا محمد بن عبد الله بن هاشم صلى الله عليه وسلم).
هذا هو قيدار بن إسماعيل الذي انحدرت منه القبائل التي سكنت مكة، ولا تزال تسكنها حتى الآن، ولكن ما هي سالع؟
سالع هي جبل سلع بالمدينة المنورة، وهو جبل يقع غرب المسجد النبوي علي بعد ٥٠٠ متر تقريبًا من سوره الغربي، يبلغ عرضه ما بين ٣٠٠ إلي ٨٠٠ مترًا، وارتفاعه ٨٠ مترًا، ولهذا الجبل أهمية تاريخية فلقد وقعت علي سفوحه أو بالقرب منه عدة أحداث هامة أهمها غزوة الخندق التي تجمع فيها المشركون في جهته الغربية وكان يفصل بينه وبينهم الخندق، وكان سفح جبل سلع مقر قيادة المسلمين إذ ضربت خيمة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-ورابط عدد من الصحابة في مواقع مختلفة منه، عند قاعدة الجبل سكنت منذ العهد النبوي قبائل عدة، وفي العهد العثماني أقيمت علي قمته عدة أبنية عسكرية ما زالت أثارها باقية حتى الآن، وفي عصرنا الحالي أحاط العمران بالجبل من كل ناحية وصار جزءًا من حدود المنطقة المركزية للمدينة المنورة.(٦)
ولكن ماذا يقول الكتاب المقدس عن الديار التي سكنها قيدار وعن سالع؟
ورد في سفر أشعياء الإصحاح ٤٢ الفقرة من ١ إلى ١٧
٤٢: ١ هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم.
٤٢: ٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته.
٤٢: ٣ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق.
٤٢:٤ لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.
٤٢: ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين عليها روحًا.
٤٢: ٦ أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم.
٤٢: ٧ لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.
٤٢: ٨ أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات.
٤٢: ٩ هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها.
٤٢: ١٠ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر(جمع جزيرة) وسكانها.

٤٢: ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا.
٤٢: ١٢ ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر.
٤٢: ١٣ الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه.
٤٢: ١٤ قد صمت منذ الدهر((في النسخة الإنجليزية: أمسكت(سلامي) منذ زمن طويل، ويقول القاموس الإنجليزي للكتاب المقدس أنها مكتوبة في النسخة العبرية(شيلاميم)، ومن المعلوم أن حروف كلمة شيلاميم أو شالوم بالعبرية هي نفس الحروف التي تشتق منها كلمة الإسلام)) سكت تجلدت كالوالدة أصيح انفخ وانخر معًا.
٤٢: ١٥ أخرب الجبال و الآكام وأجفف كل عشبها واجعل الأنهار يبسا وأنشف الآجام.
٤٢: ١٦ وأسير العمي في طريق لم يعرفوها في مسالك لم يدروها أمشيهم اجعل الظلمة أمامهم نورًا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور افعلها ولا أتركهم.
٤٢: ١٧ قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات انتن آلهتنا.
من هو عبد الله ومختاره الذي يتحدث عنه النص السابق؟!
النص السابق لا يمكن أن ينطبق إلا على النبي –صلى الله عليه وسلم-، فهو عبد الله ومختاره الذي أخرج الحق للأمم وانتظرت الجزر شريعته، ولم يكل ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض وأرشد الناس إلى جميع الحق، فهو صاحب الشريعة الكاملة التي أتمها الله في عهده، ولم يقبضه إلا بعد اكتمالها(لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض)، ولذلك يقول الله تعالى في سورة المائدة:(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا). والنبي-صلى الله عليه وسلم-هو الذي أخرج الحق لكل الأمم فهو صاحب الرسالة العالمية لجميع أهل الأرض، ولذلك يقول الله تعالى للنبي في قرآنه:(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)...ويقول أيضا(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)..
وهو الذي عصمه الله من المشركين حتى بلغ رسالته، وأدى أمانته(فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورًا للأمم).. ولذلك يقول الله في قرآنه مخاطبًا نبيه: (والله يعصمك من الناس)..
والنبي-صلى الله عليه وسلم- هو الذي أخرج الناس من ظلمة الشرك وعبادة الأصنام والمنحوتات إلي عبادة الله الواحد(أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات).
والنص السابق لا ينطبق على المسيح عليه السلام الذي لم يدع أنه قد أخرج كل الحق للأمم؛ بل قال قبل رحيله(إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم لكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق) كما ورد في إنجيل يوحنا..

كما أن المسيح أخبرنا أنه لم يأت إلا لهداية بني إسرائيل كما جاء في إنجيل متى (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)..
وكلمة(وضعت روحي عليه) تعنى النصرة والتأييد من الله، وهى عامة لجميع الأنبياء، ولا يختص بها المسيح من دونهم، ومثال ذلك ما جاء في الكتاب المقدس (وكان روح الله على عزريا بن عوديد)، وأيضا ما جاء في الكتاب المقدس في سفر العدد(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا وضع الله روحه عليهم).
ومن المعلوم أيضًا أن دعوة المسيح لم تظهر في الديار التي سكنها قيدار وهي مكة!! ولا رفعت بها الصحراء صوتها!!... كم أنها قد ظهرت في بني إسرائيل، وهي أمة كتابية ليست من عبدة الأصنام مثل أهل مكة الذين بعث فيهم النبي-صلى الله عليه وسلم-.. بل إن المسيح قد بعث في بني إسرائيل في وقت كانوا قد تخلصوا فيه من الوثنية وعبادة الأصنام تمامًا..
ولو افترضنا أن النص يتحدث عن المسيح عليه السلام؛ فهو بذلك يثبت أن المسيح عليه السلام هو عبد لله، وليس ابنًا له أو شريكًا معه في الألوهية (هو ذا عبدي الذي أعضده).
والمفاجأة التي وجدناها في النص عند قراءته في النسخة الإنجليزية (وما أكثر المفاجآت عند مقارنة النسخة العربية بالنسخة الإنجليزية!) هو أن كلمة(الأمم) الواردة في النص ليست ترجمة لكلمة(nations) كما هو متوقع ، ولكن الكلمة الواردة في النسخة الإنجليزية هي(gentiles)، وتترجم بالعربية إلى الأمميين.. ويقول قاموس الكتاب المقدس عن هذا اللفظ أن اليهود يستخدمونه على الأمم الأخرى من غيرهم، فهم يعتبرون أنفسهم حملة الرسالات وشعب الله المختار، ويقول أيضًا أن اليهود يستخدمونه كمصطلح لاحتقار الأمم الأخرى من غير اليهود باعتبارها أمم وثنية.. وبالطبع يرفض النصارى هذا التقسيم باعتبارهم أيضًا من أهل الكتاب، وهذا هو الحق عند المسلمين وهو أن هذا اللفظ كان يستخدم لوصف الأمم من غير أهل الكتاب قبل ظهور الإسلام كما يخبرنا القرآن الكريم:
(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا). آل عمران ٢٠..(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) آل عمران: ٧٥..وهم الذين بعث فيهم النبي –صلى الله عليه وسلم-(هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجمعة ٢..(الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل)...الأعراف ١٥٧..(فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف ١٥٨.. والصفات السابقة هي تقريبًا نفس الصفات التي وردت في النص الذي رواه الإمام البخاري في صحيحة عن عطاء بن ياسر أنه قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن:(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع

بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا).
ما هي التسبيحة الجديدة التي من أقصى الأرض؟
إنها إعلان برسالة جديدة، وكلمة من أقصى الأرض تشير إلى المشرق الأقصى، إذ أن أقصى القدس جزيرة العرب، وأقصى جزيرة العرب القدس، لذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم:(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا).
ما هي البرية ومدنها، وما هي الديار التي سكنها قيدار ومن هم سكان سالع؟
البرية هي الصحراء، والديار التي سكنها قيدار هي مكة، وسكان سالع هم سكان جبل سلع بالمدينة المنورة (لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال).
من هم العمي الذين ساروا في طريق لم يعرفوها، وكان الله معهم ولم يتركهم؟
إنهم المؤمنون بالدين الجديد، ومتبعي الرسالة، الذين أبصروا في نور الإسلام، بعد أن كانوا عميا في الجاهلية التي زاغوا فيها عن التوحيد، وارتدوا فيها إلى الوراء، وعبدوا المنحوتات، وقالوا للمسبوكات أنتن آلهتنا..
وكيف ترفع البرية صوتها، وتخبر بالتسبيح في الجزائر؟
إنما يكون ذلك برفع الآذان، والنداء(الله أكبر الله أكبر) يسمعها سكان الصحراء وما حولها...
ما المقصود بقوله الرب كالجبار يخرج كرجل حروب؟
إنها عشرات الحروب التي تم خوضها لإخراج الناس من الكفر إلى الإسلام، وليس أدل على ذلك من أن صاحب الرسالة قد وصل عدد الغزوات التي خرج إليها بنفسه- صلى الله عليه وسلم- كان سبعًا وعشرين غزوة في سبع سنوات فقط من أجل نشر التوحيد وإعلاء الحق في الأرض.
وماذا يكون شيلاميم الذي أمسكه الله منذ زمن طويل؟
إنه دين التوحيد –الإسلام- الذي بعث الله به جميع الأنبياء إلى البشر، فزاغوا عنه، وأشركوا مع الله آلهة أخرى؛ فكان لابد من بعثه ونشره مرة أخرى بعد ضلال الناس عنه، وانقطاعه من على الأرض زمنا طويلاً!!.. وحمل الكلمة على(الإسلام) هو الأظهر للنص، والأوضح للمعنى، ولا يستقيم السياق إلا به؛ فالله يقول: أمسكت الإسلام منذ زمن طويل وغاب التوحيد عن الأرض، لذلك سأخوض الحروب وأخرب الجبال والآكام من أجل إظهاره مرة أخرى، وأما حملها على(السلام) فإنه يكون مناقضا للمعنى، ومخالفًا للنص؛ فكيف يقول الله إذن أمسكت السلام منذ زمن طويل لذلك سأخوض الحروب وأخرب الجبال والآكام؟!!
من كانت عنده إجابة لهذه الأسئلة غير تلك الإجابات فليأت بها؛ مثل أن يكون هناك نبي قد أخرج الحق للأمم وانتظرت الجزر شريعته وحفظه الله وعصمه من الناس حتى وضع الحق في الأرض وقضى على عبادة الأصنام والمنحوتات وجعله الله نورًا للأمميين وخرجت دعوته من الصحراء، في الديار التي سكنها قيدار وهي مكة، ورفعت بها الصحراء صوتها، وهتف بها من الجبال سكان سالع بالمدينة، بعد أن

عبدوا الأصنام والمنحوتات، واشتهر بكثرة حروبه وغزواته – غير محمد صلى الله عليه وسلم!!(٧)

الخروج من مكة إلى المدينة

النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- أوحي إليه في بلاد العرب، ودعا قومه إلى عبادة الله الواحد، منهم من اتبعه وقبل دينه واقتنع بدعوته، ولكن رفضها الكثير من صناديد الكفر من قريش ومن قبائل مكة (وهم أبناء قيدار بن إسماعيل كما بينا قبل ذلك).

ولقد لاقى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-وأصحابه الكرام من المشركين من ألوان الإيذاء ما دعاهم إلى الفرار بالدعوة إلى مكان آخر حتى لا تموت في مهدها.

وخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- سرًا فارًا من أمام سيوف المشركين التي توشك أن تجهز عليه، ومن أمام رماحهم التي تكاد أن تفتك به، وهاجر معه أصحابه الذين تعرضوا لأشد أنواع التنكيل والعذاب من المشركين؛ وما منعهم ذلك من الثبات على دينهم الحق الذي آمنوا به، ولم يردهم عن عبادتهم لله الواحد الذي عبدوه..

وبعد الهجرة إلى المدينة بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في توطيد دولة الإسلام، وبعد سنة حدثت أول معركة كبرى في الإسلام وهي غزوة بدر، وانهزم فيها أعداء الله من المشركين شر هزيمة رغم ما يمتلكونه من العدد الكبير والعتاد العظيم، وبرغم ما كان عليه جيش المسلمين من قلة في العدد والعدة، وكانت هذه الموقعة إيذانًا بإعلان قوة الإسلام وعظمة دولته، بينما كانت إعلانًا بسقوط دولة الكفر وتضاؤل قوته؛ حيث قتل عدد كبير من مشركي مكة أبناء قيدار وفني مجدهم وانكسر عزهم.

ولكن هل وردت نبؤة في الكتاب المقدس تتنبأ بنزول وحي في بلاد العرب، وتخبر بما حدث للنبي وأصحابه من أمر الهجرة بسبب إيذاء المشركين، وتبين ما حل بأبناء قيدار من المشركين بعد ذلك من ذل وهوان؟

لقد ورد في سفر أشعياء الإصحاح ٢١ الفقرة: ١٣،١٤،١٥،١٦،١٧:

٢١: ١٣ وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين (ددان أحد أحفاد إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة كما يخبرنا سفر التكوين٢٥: ١-٣، وتقول الموسوعة اليهودية أن نصوص الكتاب المقدس توحي أحيانًا أن ددان تقع شمال الجزيرة العربية وتوحي أحيانا أخرى أنها تقع جنوبها).

٢١: ١٤ هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه.

٢١: ١٥ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول و من أمام القوس المشدودة و من أمام شدة الحرب.

٢١: ١٦ فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار.

٢١: ١٧ و بقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.

والنبؤة السابقة أوحي بها إلى أشعياء أحد أنبياء بنى إسرائيل (لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم).

ولاشك أن النص السابق لا يتحدث عن أحد سوى النبي –صلى الله عليه وسلم- وما حدث له وأصحابه الكرام.

فهل نزل وحي في بلاد العرب غير القرآن؟!

وهل هناك نبي هاجر من مكة إلى المدينة واستقبله أهل تيماء غير محمد -صلى الله عليه وسلم-؟!

وتيماء أرض في الحجاز كان يعيش فيها اليهود ثم انتقل أغلبهم إلى المدينة، ومازالت تيماء موجودة إلى الآن تحمل اسم إحدى محافظات المملكة العربية السعودية وتيماء هي الأرض التي شهدت أول قدوم لليهود في الجزيرة العربية ثم انتقل معظم هؤلاء اليهود إلى المدينة، فأصل يهود المدينة هم من أهل تيماء المخاطبين في النص..

وتخبرنا كتب السيرة أن ما بقى من اليهود في تيماء قد عرضوا الصلح على الرسول، وسلموا من أنفسهم، وذلك بعد سقوط يهود خيبر...(٨)

ونعود لنسأل ونكرر الأسئلة:

هل نزل وحي في بلاد العرب غير القرآن؟!

وهل هاجر صاحب الوحي وأصحابه هاربين من أمام السيوف والرماح غير محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في بلاد العرب؟!

وهل هناك تيماء أخرى في بلاد العرب أو في غيرها غير الموجودة إلى الآن في المملكة العربية السعودية؟!

وهل تمت هزيمة بني قيدار وهم أهل مكة على يد أحد من الأنبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم-؟!!

إن هذه النبوءة لهي برهان ساطع، ودليل قاطع، وسيف بتار، على رقاب كل من كذب بمحمد -صلى الله عليه وسلم -من أهل الكتاب.. بل لهى سيف بتار على رقاب منكري الأديان وعبدة الطبيعة ودعاة الكفر والإلحاد جميعا؛ فمحمد بن عبد الله الذي أوحي إليه في بلاد العرب في القرن السادس الميلادي مكتوب في سفر أشعياء أحد أنبياء بني إسرائيل الذي عاش في النصف الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، فمن أبلغ أشعياء بهذه النبوءة غير الله الواحد الأحد؟!!، ومن هذا النبي الذي تنبأ به غير نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم -؟!!

كتب التراث والبشارات

كان ما سبق بيانا لبعض نصوص الكتاب المقدس التي تتحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعن الإسلام بصفته خاتم الرسالات وجامع الوحي الإلهي، ولقد اخترت النصوص السابقة من بين عشرات النصوص التي لا تزال موجودة إلى الآن في الكتاب المقدس لم يطرأ عليها تحريف ولا تغيير، فهناك نصوص أخري كثيرة تتحدث عن النبي -صلي الله عليه وسلم- ولكن لم أثبتها في هذا العمل؛ لأن تلك النصوص ربما يحملها البعض على رسل آخرين غير محمد -صلى الله عليه وسلم- رغم أنها تنطبق على النبي -صلي الله عليه وسلم-؛ فمثلا ورد في سفر المزامير الإصحاح ٤٥ الفقرة من ٢إلى:٧

٤٥: ٢ أنت أبرع جمالاً من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد.

٤٥: ٣ تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك و بهاءك.

٤٥: ٤ بجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف.

٤٥: ٥ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون.

٤٥: ٦ كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك.
٤٥: ٧ أحببت البر وأبغضت الإثم من اجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.
وهذه الكلمات تنطبق على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فهو أبرع جمالاً من بني البشر، وهو قد باركه الله إلى الأبد، وهو النبي الذي تقلد سيفه وحارب المشركين وأعداء الله وسقطت تحت رسالته الشعوب كفارس والروم وغيرهم..وهو الذي فضله الله علي رفقائه من الأنبياء فهو خاتم النبيين وخير المرسلين، وكلمة مسحك الله لا يختص بها عيسى عليه السلام؛ بل هي عامة لكل الأنبياء، ووصف بها أيضا في الكتاب المقدس الصالحين والمؤمنين..(لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي) المزامير ١٠٥: ١٥..(والصانع رحمة لمسيحه داوود) المزامير ١٨: ٥٠..(يقول الرب لمسيحه كورش) أشعياء ١: ٤٥..
وللأسف فإن النص السابق قد حمله النصارى على المسيح عليه السلام، والمسيح كما تعلمون لم يحمل سيفًا على فخذه، ولم يكن له نبلاً مسنونة، ولم يركب من أجل الحق والبر، وإنما كانت دعوته دعوة سلمية وروحية فقط؛ ولكن كان ذلك لمحمد-صلى الله عليه وسلم-، كما أن لفظ الجبار لا يمكن أن ينطبق أبدًا على المسيح عليه السلام، بل ينطبق على النبي –صلى الله عليه وسلم – الذي خاض عشرات الحروب لإظهار الدين وإعلاء الحق في الأرض.
ولكن كيف فسر النصارى السيف والرمح وألصقوا النبوءة بالمسيح؟
لقد فسروا النبوءة بأنها على سبيل المجاز وإطلاق الحسي على المعنوي!!، وربما كان ذلك مقبولاً لو كان النص يقول: تقلد سيف الحق مثلا!!، أو اقذف بسهام الإيمان!!، ولكن ما يبينه النص من حمل السيف على الفخذ، ووصف النبي بالجبار، ووصف النبل بالمسنونة - يجعل هذا التأويل ضربًا من ضروب السخافات، و نوعًا من أنواع التحايل المفضوح!!
وهناك الكثير من النصوص تحتوي علي مثل ما أشتمل النص السابق عليه، ولكني آثرت عدم ذكرها لأنها لا تحدد اسمًا ولا مكانا للدعوة كالنصوص السابقة القاطعة بأنها تتحدث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.
وفي هذا الفصل نحن بصدد الإشارة إلى بعض البشارات التي تتحدث عن الرسول – صلى الله عليه وسلم- ذكرها علماء الإسلام من السلف ووردت في كتبهم، ولكنها ليست موجودة كما هي إلى الآن في نسخ الكتاب المقدس، وإن كان أغلبها له نصوص مشابهة موجودة للآن ولكن لا تتطابق معها حرفيًا، وأحببت أن أذكرها لأن الذين أوردوها من العلماء المسلمين الأثبات هم أهل للثقة، وليسوا موضعًا للشبهة أو محلاً للطعن في أمانتهم العلمية..
الجواب الصحيح
يقول ابن تيميه رحمه الله في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:
قالوا وقال أشعياء النبي عليه السلام متنبيًا على مكة شرفها الله ارفعي إلى ما حولك بصرك فستبتهجين وتفرحين من أجل أن يصير إليك ذخائر البحر وتحج إليك عساكر الأمم حتى يعم بك قطر الإبل الموبلة وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك

وتساق إليك كباش مدين ويأتيك أهل سبأ ويسير إليك أغنام فاران ويخدمك رجال مأرب يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مأرب بن إسماعيل قالوا فهذه الصفات كلها حصلت بمكة فحملت إليها ذخائر البحرين وحج إليها عساكر الأمم وسيقت إليها أغنام فاران الهدايا والأضاحي وفاران هي البرية الواسعة التي فيها مكة وضاقت الأرض عن قطرات الإبل الموبلة الحاملة للناس وأزوادهم إليها وأتاها أهل سبأ وهم أهل اليمن.

قالوا وقال أشعياء النبي والمراد مكة شرفها الله تعالى سيري واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد وانطقي بالتسبيح وافرحي إذ لم تحبلي فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي يعني بأهله بيت المقدس ويعني بالعاقر مكة شرفها الله لأنها لم تلد قبل نبينا عليه الصلاة والسلام ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت للأنبياء ومعدن الوحي.

والنص السابق له نص مشابه إلى الآن في سفر أشعياء١:٥٤، ٢، ٣:

(ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب، أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تمسكي أطيلي أطنابك وشددي أوتارك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة).

والمقصود بالمستوحشة هي السيدة هاجر، وذات البعل هي السيدة سارة التي ألجأت سيدنا إبراهيم إلى نفى هاجر مع ولدها-إسماعيل-، وكان ذلك بدافع الغيرة حيث لم تكن سارة قد أنجبت إسحاق حينئذ، فقدم بهما إلى الحجاز، وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم.(٩)

ولقد شرق أهل الكتاب وغربوا وقالوا أن هذه النبوءة لها معنى روحي ومعنى حسي لكي يحملوا النص حملاً على القدس، ولكنهم لم يخبرونا بعد كل ذلك كيف يطلق الله لفظ العاقر التي لم تلد ولم تمخض على القدس ولادة الأنبياء!!

والنص الأول أيضًا له نص مشابه موجود إلى الآن في سفر أشعياء الإصحاح ٥٩ - ٦٣، وبالرغم من بعض الألفاظ الواضح إقحامها على النص إقحامًا؛ فإنه ما زال يشتمل على بعض الصفات التي لا يمكن حملها إلا على مكة.. والنص يبدأ بإيضاح أن الظلم قد انتشر في الأرض، وأن الخراب قد عم ربوعها، ولم يبق بها إلا الشر والفساد، وأن الله قد غضب على الناس وعلى بني إسرائيل الذين حادوا عن الحق، واتكلوا على الباطل والإثم، وكذبوا على الله.. ولذلك كان لابد من ظهور شمس أخرى، وبزوغ فجر جديد لإعلاء الحق في الأرض.. وفي وسط ذلك الجو العام من السخط الإلهي والغضب على شعب إسرائيل وعلى ما صار إليه حال الأمم نجد إقحامًا غريبًا يفيد بأن الله راض عليهم وعلى نسلهم من بعدهم للأبد..هكذا بدون مقدمات!!، ثم يبدأ النص في الحديث عن الأرض التي سيأتي نورها ويشرق عليها مجد الله بينما الظلام الدامس يغطي باقي الأرض.. ويستفيض النص بما لا يدع مجالاً للشك أن الكلام عن مكة، وفجأة أيضًا بدون مقدمات تجد إقحامًا غريبًا للفظ ابنة صهيون أو أورشليم!!.. والنص كله يظهر بوضوح أنه يتحدث عن الأرض الجديدة التي ستصبح معقلاً للإيمان والصلاح على الأرض بعد خرابها وما حل عليها من

ظلم وفساد وبعد عن طريق الله، وعن الشعب الذي سيرث الأرض، وعن نبي آخر الزمان الذي سيرسله الله ليصلح الأرض بعد فسادها وليبشر المساكين ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولكي ينتقم به الله من أعدائه ويكون وسيلته للتعبير عن سخطه وغضبه على الأمم التي اتبعت الباطل والإثم وزاغت عن طريق الحق..

٥٩:١ ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص و لم تثقل أذنه عن أن تسمع.

٥٩: ٢ بل آثامكم صارت فاصلة بينكم و بين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع.

٥٩: ٣ لأن أيديكم قد تنجست بالدم و أصابعكم بالإثم شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر.

٥٩: ٤ ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب قد حبلوا بتعب وولدوا إثمًا.

٥٩: ٥ فقسوا بيض أفعى و نسجوا خيوط العنكبوت الأكل من بيضهم يموت والتي تكسر تخرج أفعى.

٥٩: ٦ خيوطهم لا تصير ثوبًا ولا يكتسون بأعمالهم أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم.

٥٩: ٧ أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي أفكارهم أفكار إثم في طرقهم اغتصاب وسحق.

٥٩: ٨ طريق السلام لم يعرفوه و ليس في مسالكهم عدل جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلامًا.

٥٩: ٩ من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل ننتظر نورًا فإذا ظلام ضياء فنسير في ظلام دامس.

٥٩: ١٠ نتلمس الحائط كعمي و كالذي بلا أعين نتجسس قد عثرنا في الظهر كما في العتمة في الضباب كموتى.

٥٩: ١١نزار كلنا كدبة و كحمام هدرًا نهدر ننتظر عدلاً و ليس هو وخلاصًا فيبتعد عنا.

٥٩: ١٢ لان معاصينا كثرت إمامك وخطايانا تشهد علينا لان معاصينا معنا وآثامنا نعرفها

٥٩: ١٣ تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا و لهجنا من القلب بكلام الكذب.

٥٩: ١٤ وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيدًا لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول

٥٩: ١٥ وصار الصدق معدوما والحائد عن الشر يسلب فرأى الرب وساء في عينيه انه ليس عدل

٥٩: ١٦ فرأى انه ليس إنسان و تحير من انه ليس شفيع فخلصت ذراعه لنفسه و بره هو عضده

٥٩: ١٧ فلبس البر كدرع و خوذة الخلاص على رأسه ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء

٥٩: ١٨ حسب الأعمال هكذا يجازي مبغضيه سخطا وأعداءه عقابًا جزاء يجازي الجزائر
٥٩: ١٩ فيخافون من المغرب اسم الرب و من مشرق الشمس مجده عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه
٥٩: ٢٠ و يأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب(!!!)
٥٩: ٢١ أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب روحي الذي عليك و كلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك و لا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن و إلى الأبد
٦٠: ١ قومي استنيري لأنه قد جاء نورك و مجد الرب أشرق عليك.
٦٠: ٢ لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى.
٦٠: ٣ فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك.
٦٠: ٤ ارفعي عينيك حواليك وانظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك يأتي بنوك من بعيد و تحمل بناتك على الأيدي.
٦٠: ٥ حينئذ تنظرين و تنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر و يأتي إليك غنى الأمم
٦٠: ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان و عيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبًا ولبانًا وتبشر بتسابيح الرب.
٦٠: ٧ كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي.
٦٠: ٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها.
٦٠: ٩ إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد وفضتهم و ذهبهم معهم لاسم الرب إلهك
٦٠: ١٠ وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك.
٦٠: ١١ و تنفتح أبوابك دائمًا نهارًا وليلاً لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم
٦٠: ١٢ لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخرابًا تخرب الأمم.
٦٠: ١٣ مجد لبنان إليك يأتي السرو والسنديان والشربين معا لزينة مكان مقدسي وأمجد موضع رجلي.
٦٠: ١٤ وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل(!!!).
٦٠: ١٥ عوضًا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فخرًا أبديًا فرح دور فدور.
٦٠: ١٦ وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملوك وتعرفين إني أنا الرب مخلصك ووليك عزيز يعقوب(!!!)

٦٠: ١٧ عوضًا عن النحاس آتي بالذهب وعوضًا عن الحديد آتي بالفضة وعوضًا عن الخشب بالنحاس وعوضًا عن الحجارة بالحديد واجعل وكلاءك سلامًا وولاتك برًا
٦٠: ١٨ لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصًا وأبوابك تسبيحًا
٦٠: ١٩ لا تكون لك بعد الشمس نورا في النهار ولا القمر ينير لك مضيئًا بل الرب يكون لك نورًا أبديًا وإلهك زينتك
٦٠: ٢٠ لا تغيب بعد شمسك و قمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نورًا أبديًا و تكمل أيام وحك.
٦٠: ٢١ و شعبك كلهم إبرار إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يدي سأتمجد.
٦٠: ٢٢ الصغير يصير ألفًا والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به.
٦١: ١ روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللماسورين بالإطلاق
٦١: ٢ لأنادي بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا لأعزي كل النائحين.
٦١: ٣ لأجعل لنائحين صهيون لأعطيهم جمالاً عوضًا عن الرماد و دهن فرح عوضًا عن النوح ورداء تسبيح عوضًا عن الروح اليائسة فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد.
٦١: ٤ و يبنون الخرب القديمة يقيمون الموحشات الأول ويجددون المدن الخربة موحشات دور فدور.
٦١: ٥ و يقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم
٦١: ٦ أما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون.
٦١: ٧ عوضًا عن خزيكم ضعفان وعوضًا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم لذلك يرثون في أرضهم ضعفين بهجة أبدية تكون لهم.
٦١: ٨ لأني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم وأجعل أجرتهم أمينة وأقطع لهم عهدًا أبديًا.
٦١: ٩ ويعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب.
٦١: ١٠ فرحًا أفرح بالرب تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها
٦١: ١١ لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما إن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برًا و تسبيحًا إمام كل الأمم.
٦٢: ١ من أجل صهيون لا أسكت و من أجل أورشليم لا أهدا(!!!)حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد.
٦٢: ٢ فترى الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب
٣:٦٢ وتكونين إكليل جمال بيد الرب و تاجًا ملكيًا بكف إلهك.

٦٢: ٤ لا يقال بعد لك مهجورة ولا يقال بعد لأرضك موحشة بل تدعين حفصيبة وأرضك تدعى بعولة لإن الرب يسر بك وأرضك تصير ذات بعل.
٦٢: ٥ لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك.
٦٢: ٦ على أسوارك يا أورشليم(!!!)أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام يا ذاكري الرب لا تسكتوا.
٦٢: ٧ ولا تدعوه يسكت حتى يثبت و يجعل أورشليم تسبيحة في الأرض.
٦٢: ٨ حلف الرب بيمينه وبذراع عزته قائلا أني لا أدفع بعد قمحك مأكلاً لأعدائك ولا يشرب بنو الغرباء خمرك التي تعبت فيها.
٦٢: ٩ بل يأكله الذين جنوه و يسبحون الرب ويشربه جامعوه في ديار قدسي.
٦٢: ١٠ اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب اعدوا اعدوا السبيل نقوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب
٦٢: ١١ هوذا الرب قد اخبر إلى أقصى الأرض قولوا لابنة صهيون هوذا مخلصك ات ها أجرته معه و جزاؤه إمامه.
٦٢: ١٢و يسمونهم شعبا مقدسا مفديي الرب وأنت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة
٦٣: ١ من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص..
(في النسخة الإنجليزية: هذا البهي بملابسه الذي يسافر في عظمة قوته، أما بصرة بضم الباء فلا يعرف أحد أين تقع الآن، فقد عجز قاموس الكتاب المقدس عن ذكر موقعها بالتحديد وقال: ربما تكون أرض قريبة من البحر الميت والتي تسمى بالبتراء، وقالت الموسوعة اليهودية: معناها أرض الأغنام لكن موقعها غير معروف تحديدا وقالت: أننا(تعني اليهود) مازلنا في انتظار هذا الآتي من إدوم مخلص اليهود المنتظر!!).
٦٣: ٢ ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة.
٦٣: ٣ قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي.
٦٣: ٤ لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديي قد أتت.
٦٣: ٥ فنظرت ولم يكن معين و تحيرت إذ لم يكن عاضد فخلصت لي ذراعي و غيظي عضدني.
٦٣: ٦ فدست شعوبًا بغضبي وأسكرتهم بغيظي وأجريت على الأرض عصيرهم.
والنص كله كما ترون يتكلم عن مدينة الله الجديدة، وعن نبي آخر الزمان الذي سيبعثه الله ليرث الأرض هو وأمته ويقيم الحق فيها بعد انتشار الظلم والفساد.. ويخرج الناس من الظلمات إلى النور.. وينتقم به الله من أعدائه.
والنص يستفيض في شرح الأحوال والظروف التي كانت تسود الأرض والتي سبقت بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم –(آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم.. أيديكم تنجست بالدم..حبلوا بتعب وولدوا إثما.. فقسوا بيض أفعى.. أعمالهم أعمال إثم وفعل

الظلم في أيديهم..ليس من يدعو بالعدل ويحاكم بالحق..أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي..طريق السلام لم يعرفوه..تعدينا وكذبنا على الرب..ارتد الحق إلى الوراء.. وصار الصدق معدوما..معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا..ننتظر نورا فإذا ظلام ضياء فإذا ظلام دامس.. فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع...) وتلك الأحوال والظروف لم تجتمع كلها معا، ولم تكن بهذا السوء إلا قبل بعثة النبي-صلى الله عليه وسلم- الذي جاء بعد فترة من انقطاع الرسل على الأرض، وهذه الظروف لم تكن هكذا قبل بعثة المسيح عليه السلام، كما أن قوله(فرأى أنه ليس إنسان) متوافق مع حال البشرية قبل بعثة الرسول-صلى الله عليه وسلم-، ولا يتوافق مع حالها قبل بعثة المسيح؛ فالأرض لم تكن تخلو من الصالحين والمؤمنين الذين يدعون إلى الخير، بل إن المسيح قد بعث في وجود يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) عليهما السلام.
وفي النص إشارة واضحة لما قام به علماء بني إسرائيل من تحريف الكتاب والكذب على الله ٥٩: ١٣(تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب)..
وفي النص إشارة إلى النور الذي سيشرق على الأميين في هذه الأرض ٦٠: ٣(فتسير الأمم في نورك) والأمم هنا أيضًا ليست ترجمة لكلمة nations كما هو متوقع ولكن ترجمة لكلمة gentiles وتترجم بالعربية إلى الأميين وهم الأمم من غير أهل الكتاب...
ونجد في النص إشارة واضحة إلى قوافل الإبل التي كانت تأتي من جنوب الجزيرة العربية والمشار إليها بمملكة سبأ ٦٠: ٦ (تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا) وهذه النبوءة لم تتحقق للقدس، بل تحققت لمكة، ولابد لهذه النبوءة أن تكون قد حدثت بالفعل في الماضي؛ فقد انتهى عصر الإبل وعصر القوافل..
وكذلك نجد في نص أشعياء السابق إشارة واضحة إلى نحر الذبائح (كل غنم قيدار تجبي إليك،كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي).
وذلك يؤكد أن الكلام عن مكة وليس بيت المقدس؛ لأن القدس ليس لها علاقة بغنم قيدار بن إسماعيل الذي تنسب إليه قبائل مكة، والذي يخبرنا الكتاب المقدس أنه قد سكن في بلاد العرب(وحي من جهة بلاد العرب...يفنى كل مجد قيدار).. كما أنه لا يخفى على أحد أن نحر الذبائح هو أحد مناسك الحج في الإسلام.
وفي النص السابق نجد إشارة واضحة إلى الطرق التي يسلكها الحجاج لأداء فريضة الحج:
٦٠: ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب.
٦٠: ٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها.
٦٠: ٩ إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد وفضتهم و ذهبهم معهم لاسم الرب إلهك.
فالأولى تتحدث عن الجمال، والثانية يتعجب المتحدث من هؤلاء الطائرين كسحاب أوحمام ولا يعرف ما هم وهو إشارة واضحة إلى الطائرات، والثالثة تشير إلى

السفن.. و(ترشيش) لم يحدد قاموس الكتاب المقدس ما المقصود بها فقال أن هذا الاسم كان مشهورًا أيام سليمان عليه السلام، وقال أيضا أنه اسم كان يطلق على مكان في أسبانيا أثناء حكم العرب، ورجح في النهاية أنه لفظ يطلق على كل السفن الضخمة..

وفي النص أيضا إشارة لصفة الصحابة رضي الله عنهم ٦١: ٩ (و يعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب كل الذين يرونهم يعرفونهم إنهم نسل باركه الرب) ٦١: ١١(لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برًا و تسبيحًا أمام كل الأمم) وهي الصفة التي ذكرها القرآن في سورة الفتح: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)..

ونجد في النص إشارة إلى حدوث النصر والفتح على يد آبائنا الأوائل من المسلمين، وإلى ما فعلوه من تطهير الأرض وتنقيتها من الحجارة والأصنام ٦٢: ١٠(اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب أعدوا أعدوا السبيل نقوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب)..

ونجد في النص إشارة إلى غير العرب الذين يبنون أسوار مكة ٦٠:١٠ (وبنو الغريب يبنون أسوارك)، وكم من الأيدي العاملة الآن وذوي الخبرات من مختلف الأقطار يعملون فيها، ويشيدون قلاعها تحت الأرض وفوق الأرض..

ونجد إشارة واضحة إلى كثرة الثروات والكنوز التي سيمن الله بها على هذه الأرض٦٠: ٥(تتحول إليك ثروة البحر ويؤتى إليك غنى الأمم)، والثروات والكنوز لم تكن للقدس أبدًا، وإنما لمكة التي تعد من أغنى بقاع الأرض..(١٠)

وفي النص السابق أيضا إشارة إلى انتشار دولة الإسلام وتحولها من الضعف والقلة إلى القوة والكثرة؛ فالأمة التي بدأت برجل ضعيف يدعو إلى ربه سرًا متخفيًا من أعدائه قد صار أمة قوية وملك الأرض من مشرقها إلى مغربها.. وبشر المساكين وأخرج من الحبس المأسورين.. وأخرج الناس جميعًا من ظلمات الكفر والشرك إلى عبادة الله الحق.. وانتقم به الله من أعدائه وعزى به كل النائحين.. ٦٠: ٢٢ (الصغير يصير ألفًا والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به، روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي المسبيين بالعتق والمأسورين بالإطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب و بيوم انتقام لإلهنا لأعزي كل النائحين)..

وليخبرنا أهل الكتاب عن نبي اجتمعت فيه صفات التحول إلى القوة والكثرة بعد الضعف والقلة وجمع بين تبشير المساكين وتعزية النائحين وبين الانتقام من أعداء الله غير نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم..

ونجد إشارة إلى ميراث أمة الإسلام للأمم الأخرى٦١: ٦ (أما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون).. وليس أدل على

ميراث أمة الإسلام للأمم الأخرى من أن أرض المشرق التي تشمل بلاد الشام والبلاد العربية وبلاد فارس؛ تلك الأرض التي كانت معقلا لنشأة وانتشار الرسالات السابقة، وتكاد تخلو الأرض الآن من عبادة الله إلا منها، وتكاد تغطي الأرض نزعات الإلحاد والمادية والطبيعية فيما سواها، والتي يكاد ينحصر كلام الكتاب المقدس نفسه بعهديه القديم والجديد عليها وعلى تاريخ الأمم والأنبياء بها.. قد صارت كلها إسلامية!!!..(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)!!

وفي النص أيضا إشارة واضحة إلى أن الناس سوف يقصدون هذه الأرض ويطلبون زيارتها، وأنها ستكون الأرض المعمورة!! ٦٢: ١٢(وأنت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة)

وليخبرنا الذين يحملون النبوءة على القدس: متى تحققت تلك الصفات للقدس في يوم من الأيام؟!!

وهذه الصفات لا بد أن تكون قد تحققت بالفعل كما أوضحنا.. ولا معنى لما يدعيه اليهود من أن هذه النبؤة لم تتحقق بعد، وأن هذا المخلص الذي سوف ينتصر لهم، ويدوس العالم بقدمه، ويلطخ بعصير الناس من غير اليهود ملابسه لم يأت بعد!!..وما زالوا منتظرين!!

ويخبرنا معجم الطرق القديمة(إنشنت تراد روتس) أن إدوم بدأت من النهاية الجنوبية للبحر الميت إلى مساحات من الصحراء العربية، وأنها امتدت من هذا الخط لتشمل كل الأراضي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر (كما أوضحنا قبل ذلك)..

وتجمع كتب الحديث على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يلبس حلة حمراء لم ير أجمل منه ولا أبهى منه أحد قط، بل لم ير أجمل منه شيء قط!!.. فقد روي عن البراء رضي الله عنه أنه قال في صفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (لقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا قط أحسن منه) متفق عليه..

ولا يختلف أحد من الأولين والآخرين في أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يخرج في غزواته بنفسه وحوله قوته من الصحب الكرام رضي الله عنهم..

وأعود الآن لأطرح نفس التساؤل عن ذلك النبي الذي سيبعثه الله ويأتي آخر الزمان لكي يقيم الحق في الأرض، ويستمر مجده ومجد مدينته إلى قيام الساعة، وأكرر نفس السؤال الذي ورد في النص: من ذا الآتي من إدوم بثياب حمر؟ من هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟

هل يكون ذاك النبي هو موسى عليه السلام؟!

بالطبع لا.. فموسى لم يأت من إدوم، كما أن النص يشير لنبي يأتي بعد أن يعم الخراب في الأرض، وينتشر الفساد في ربوعها؛ فيبعثه الله لإصلاحها، ويخبر النص أيضًا أن مجده ومجد أمته يستمر إلى الأبد، ولم يدع أحد أن موسى كان آخر الأنبياء، مما يجعل حمل النص على موسى غير وارد على الإطلاق..

هل يكون المسيح عليه السلام؟!

بالطبع لا أيضًا.. فالمسيح لم يأت من إدوم، ولم يكن له قوة عظيمة يخرج فيها.. كما أن تلك الصفات لم يتحقق منها شيء على القدس بعد بعثة المسيح عليه السلام؛ فلم تأت إليها الإبل من جنوب الجزيرة العربية!!! ولم تجتمع إليها أغنام قبائل مكة!!!

ولم يحل بها أمن أو أمان، بل إن أول ما حدث بعد رحيل المسيح عليه السلام هو اضطهاد تلاميذه وفرارهم في ربوع الأرض!، وتاريخ القدس على مر العصور خير شاهد على الظلم والدمار وسفك الدماء، ولا زالت القدس حتى الآن تعاني الجراح، وتشتكي الآلام، ولازال شعارها المرفوع دائما هو الأرض(مقابل السلام!)... كما لم يزعم أحد من الأولين أو الآخرين أن الله قد بعث المسيح عليه السلام لكي ينتقم به من أعدائه أو ليدوس الشعوب المتمردة على ربها بقدمه ويرش عصيرهم على ثيابه ويلطخ كل ملابسه!!، وبذلك فلا يمكن حمل النص أيضًا على المسيح عليه السلام..
إذن فمن يكون ذلك الأخير الذي بعثه الله لإصلاح الأرض بعد إفسادها؟!!
من يكون ذاك الذي أيده الله بالقوة الروحية فبشر المساكين وعصب منكسري القلب ونادى المسبيين بالعتق والمأسورين بالإطلاق وعزى النائحين، وأيده بالقوة المادية فانتقم من أعداء الله وداس الشعوب المتمردة على ربها بقدمه ورش عصيرهم على ثيابه ولطخ كل ملابسه؟!!!
من يكون ذلك البهي المتعظم في كثرة قوته؟!!
من يكون إذن يا ترى؟!!!!
ويعود النص ليؤكد أن الأمن والسلام هما شعار هذه الأرض؛ فيخبر أن أبوابها تفتح ولا تغلق، وأنها لا يظلم فيها أحد بعد اليوم ولا يحل بها خراب:
٦٠: ١١ وتنفتح أبوابك دائما نهارًا وليلاً لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم.
٦٠: ١٨ لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصًا وأبوابك تسبيحًا.
وهذا الكلام لا ينطبق أبدًا علي القدس كما قلنا.. أليست القدس هي أرض الظلم، وأرض الخراب، وأرض الحروب والنزاعات إلى اليوم؟!!
أليست تهدم البيوت بالدبابات، ويقتل الغلمان بالرشاشات، ولا تكاد تسمع فيها سوى صوت الانفجاريات؟!!
ثم إن أبوابها تغلق أكثر مما تفتح!!.
هل يصر الآن عاقل أن هذا النص يتحدث عن القدس؟!!
إذا أصر على رأيه فإن عليه أن يقتل التاريخ، وإن لم يستطع أن يقتل التاريخ فليقتل حتى آرييل شارون!!!
نواصل مع ابن تيميه:
قالوا: (وقال أشعياء النبي ونص على خاتم النبوة ولد لنا غلام يكون عجبًا وبشرًا والشامة على كتفيه أركون السلام إله جبار وسلطانه سلطان السلام وهو ابن عالمه يجلس على كرسي داود قالوا الأركون هو العظيم بلغة الإنجيل والأراكنة المعظمون ولما أبرأ المسيح مجنونًا من جنونه قال اليهود إن هذا لا يخرج الشياطين من الآدميين إلا بأركون الشياطين يعنون عظيمهم وقال المسيح في الإنجيل إن أركون العالم يدان يريد إما إبليس أو الشرير العظيم الشر من الآدميين وسماه إلهًا على نحو قول التوراة إن الله جعل موسى إلها لفرعون أي حاكمًا عليه ومتصرفًا فيه وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه إنكم آلهة فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ووصفه بأخص

علاماته وأوضحها وهي شامته فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود يعني أنه سيرث بني إسرائيل نبوتهم وملكهم.
والنص السابق أيضا له نص مشابه موجود للآن في سفر أشعياء:
٩: ٦ – ٧(الشعب السالك في الظلمة أبصر نورًا عظيما الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور، أكثرت الأمة، عظم لها الفرح، يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد، كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة، لأن نير ثقله وعصا كتفه وقضيب مسخره كسرتهن كما في يوم مديان، لأن كل سلاح المتسلح في الوغى(الحرب) وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق مأكلاً للنار، لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلها قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن فصاعدًا غيرة رب الجنود تصنع هذا).
والملفت للنظر في النص السابق هو أن كلمة السلام الواردة في النص يقول عنها القاموس الإنجليزي للكتاب المقدس أنها بالعبرية (شيلاميم)، وبذلك يتضح المعنى ويستقيم الكلام مرة أخرى:(رئيس الإسلام لنمو رياسته وللإسلام لا نهاية)..أليس هذا أظهر للمعنى وأسلم للسياق أيضا؟!!.. وهل هذا من قبيل المصادفة أن تتكرر شيلاميم في نبوءتين تشيران للنبي الكريم إلا أن يكون المقصود بها الإسلام نفسه؛ وإذا كان المقصود بها السلام وليس الإسلام فلماذا لم تكن الكلمة(شالوم) كما هو متعارف عليه في اللغة العبرية وفي نصوص الكتاب المقدس الأخرى؟!!
ويقول القاموس الإنجليزي للكتاب المقدس أن كلمة (شيلاميم) قد وردت أيضًا في سفر اللاويين ٧: ٢٩، والذي نلاحظه هو أن الكلمة لم تترجم في النص العربي إلى السلام كما هو معتاد ولكن ترجمت إلى(السلامة)!!
(كلم بني إسرائيل قائلاً الذي يقرب ذبيحة سلامته للرب يأتي بقربانه)!!
أليس مما يستدعيه السياق أيضًا أن يقول(ذبيحة إسلامه للرب).. حتى يستقيم الكلام ويظهر المعنى مرة أخرى؟!!!
غير أن هناك نصًا آخر موجود للآن بين نصوص الكتاب المقدس يحتوي على صفات لشخص يأتي بعد المسيح، وتلك الصفات لم تخص أحدًا من العالمين سوى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو ما جاء في رؤيا يوحنا ١٩: ١٠ – ١٦(فخررت أمام رجليه لأسجد له فقال لي انظر لا تفعل أنا عبد معك ومع أخوتك الذين عندهم شهادة يسوع اسجد لله فإن شهادة يسوع هي روح النبوة،(ثم) رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا!! وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه لهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو وهو متسربل بقميص مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزًا أبيضًا ونقيًا ومن فمه يخرج سيف ماض ليضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب)..

فهل يكون ذلك من قبيل المصادفة أيضًا أن يكون ذلك الذي رآه يوحنا في الرؤيا يلقب بالصادق الأمين!! ويجلس على فرس أبيض!! وبالعدل يحكم ويحارب!!..
والنص يوضح أن الصادق الأمين ليس مجرد صفة وإنما لقب يدعى به (والجالس عليه يدعى صادقًا وأمينًا).
وهل من قبيل المصادفة أيضا أن من صفاته السيف الذي سيضرب به الأمم المتمردة على ربها ويرعاها بعصا من حديد!!
وأما اسمه الذي لا يعرفه غيره فلأنه ليس من قومهم، ولا لغته هي لغتهم، وأحسب أن المقصود بالتيجان الكثيرة هو ميراثه لأمم الأرض، واستعلائه عليها جميعًا، وكذلك المقصود بملك الملوك ورب الأرباب هنا هو إشارة إلى امتداد ملكه وعظمة حكمه، فالأرض لم تشهد قط حاكمًا في عظمة نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم- كما أنها إشارة إلى أنه سيكون النبي الخاتم إمام الأنبياء جميعًا، ولا يمكن أن تشير إلى الله نفسه؛ لأن الكلام من البداية عن شخص يركب فرساً أبيض، ويدعى صادقًا وأمينًا، وأنه سيحارب ويحاكم بالعدل، وسوف يكون وسيلة الله للتعبير عن سخطه وغضبه على الأمم (وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء).(١١)
وليخبرنا من عنده علم الكتاب عن شخص أتى بعد المسيح أو حتى قبله كان يلقب بالصادق الأمين، واجتمعت له صفات الحق والعدل، ومحاربة الأمم المتمردة على ربها - غير رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم!!
ومن بعض الصفات التي وردت في الكتاب المقدس أيضًا وحملها علماء المسلمين على الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء في سفر نشيد الإنشاد ٥: ٩، حيث تصف أنثى لصاحباتها أوصاف من تحبه، وتستفيض في شرح هذه الصفات الذي لا ينطبق الكثير منها إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مما وصف به في كتب الحديث مثل صحيح البخاري وغيره فتقول:(حبيبي أبيض وأحمر معلم بين ربوة-عشرة آلاف في النسخة الإنجليزية- رأسه ذهب إبريز قصصه مسترسلة حالكة كالغراب... يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق... حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم).
والملفت للنظر هنا ليس فقط تلك الصفات الواردة في النص، والتي وردت أيضًا في كتب الحديث في وصف الرسول-صلى الله عليه وسلم-، ولكن الملفت للنظر أيضًا هو أن كلمة (كله مشتهيات)، والتي جاءت قبل عبارة (هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي)، والتي يتوقع أن يذكر اسم الشخص المقصود قبلها - هي في النسخة العبرية (محمديم)، وتلك الزيادة المضافة لكلمة(محمد) تستخدم للتعظيم في اللغة العبرية؛ مما يدل على أن المقصود اسم وليس صفة.. والجملة كما وردت في النسخة الإنجليزية هكذا:

He is(altogether lovely)(machmadim في العبرية) this is my beloved and this is my friend o daughters of Jerusalem.

وكلمة(machmad في العبرية بدون الزيادة التي تستخدم للتعظيم(im)- تتألف من حروف ميم حيت ميم داليت، وهي نفس الحروف التي تكون كلمة(محمد) في العربية، وتترجم إلى الحمد أحيانًا، وإلى الاشتهاء كما جاءت في النص أحيانًا، وإلى

معان قريبة من ذلك أحيانًا أخرى، إلا أن زيادة التعظيم كما قلنا وموضع الكلمة من الكلام يؤكد أنها اسم لشخص وليست صفة.. وهل الأنسب أن يقال:(إنه المشتهى العظيم هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي) أم أن يقال(إنه محمد العظيم هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي)؟!!

فهل ذلك من المصادفة أيضًا أن تأتي كلمة محمديم تحديدًا في الموضع الذي يتوقع ذكر اسم الشخص المقصود فيه؟!!

ومن النصوص التي لا تزال توجد للآن في الكتاب المقدس وذكر بها اسم النبي صلى الله عليه وسلم صريحًا هو ما ورد في سفر حجي ٢: ٦-٩(لأنه هكذا قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود، لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود، مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام قال رب الجنود)..

وكلمة مشتهى التي وردت في النص هي ترجمة لكلمةHEMDA (حمدا) في العبرية، وحروفها أيضًا هي نفس الحروف التي يشتق منه اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالعربية؛ والعجيب أن النصارى قالوا أنHEMDA هو المسيح عليه السلام وليس محمد صلى الله عليه وسلم!!

وأحسب أن أي منصف عندما يقرأ النص السابق لن يجادل في أن البيت المذكور بالنص هو البيت الحرام بمكة وأن السلام الذي ملأ البيت هو الإسلام وأن HEMDA ليس أي واحد سوى محمد صلى الله عليه وسلم.

ولست أدري من أجل من يعبث بآيات الله وكتبه هكذا!!

من أجل من يترجم الإسلام إلى السلام والسلامة تارة، ومحمديم وحمدا إلى المشتهى تارة، والأميين إلى الأمم تارة، وبكة إلى البكاء تارة أخرى؟!!

أمن أجل الله؟!.. أم محمد؟!!.. أم المسيح؟!!!

فليفرح إبليس اللعين إذن، وليسعد قلبه؛ فمن أجل عيونه يعصى الله، وتبدل كتبه، ويكذب رسله!!

وليهنأ الحقد والهوى، وليهنأ التعصب الأعمى؛ فمن أجله تشترى الدنيا بالآخرة، والعذاب بالمغفرة، ونيران الجحيم بجنات النعيم!!

فما أجرأه على الله ما أجرأه!، وما أصبره على النار ما أصبره!، وما أظلمه وما أجرمه!، وما أفجره وما أحقره!.. من ضلت نفسه حسدًا.. وأضل وراءه أمما..

نواصل مع ابن تيميه:

قالوا: (وقال أشعياء والمراد مكة أنا رسمتك على كفي وسيأتيك أولادك سراعًا ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخونك فارفعي بصرك إلى ما حولك فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك فتسمي باسمي إني أنا الحي لتلبسي الحلل وتزيني بالإكليل مثل العروس ولتضيقن خراباتك من كثرة سكانك والداعين فيك وليهابن كل من يناوئك وليكثرن أولادك حتى تقولي من رزقني هؤلاء كلهم وأنا وحيدة فريدة يرون رقوب فمن ربى لي هؤلاء ومن تكفل لي بهم قالوا وذلك إيضاح من أشعياء بشأن الكعبة فهي التي ألبسها الله الحلل الديباج الفاخرة ووكل بخدمتها الخلفاء والملوك ومكة هي

التي ربا الله لها الأولاد من حجاجها والقاطنين بها وذلك أن مكة هي التي أخرج عنها كل من أن أراد أن يخيفها ويخربها فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة لم يهنها أحد من البشر قط بل أصحاب الفيل لما قصدوها عذبهم الله العذاب المشهور ولم تزل عامرة محجوجة من لدن إبراهيم الخليل بخلاف بيت المقدس فإنه قد أخرب مرة بعد مرة وخلا من السكان واستولى العدو عليه وعلى أهله وكذلك إخباره بإهانة كل من يناوئها هو للكعبة دون بيت المقدس قال تعالى:(ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم).

قالوا وقال أشعياء حاكيًا عن الله تعالى أشكر حبي وابني أحمد فسماه الله حبيبًا وسماه ابنًا وداود ابنًا غير أن الله خصه عليهم بمزية فقال حبي ابني أشكره فتعبد أشعياء بشكر محمد ووظف عليه وعلى قومه شكره وإجلاله ليتبين قدره ومنزلته عنده وتلك منقبة لم يؤتها غيره من الرسل وقال أشعياء إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد وهذا إفصاح من أشعياء باسم رسول الله فليرنا أهل الكتاب نبيًا نصت التوراة على اسمه صريحًا سوى رسول الله.

ما امتلاء السماء من بهاء أحمد بأنوار الإيمان والقرآن التي ظهرت منه ومن أمته وامتلاء الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم فأمر ظاهر فإن أمته هم الحمادون لا بد لهم من حمد الله في كل صلاة وخطبة ولا بد لكل مصل في كل ركعة من أن يقول الحمد لله رب العالمين... فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد ويختمونها بالتحميد وإذا رفعوا رؤوسهم من الركوع يقول إمامهم سمع الله لمن حمده ويقولون جميعًا ربنا ولك الحمد ويختمون صلاتهم بتحميد يجعل التحيات له والصلوات والطيبات وأنواع تحميدهم لله مما يطول وصفه.

وقال دانيال عليه السلام وذكر محمد رسول الله باسمه فقال ستنزع في قسيك إغراقًا وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء فهذا تصريح بغير تعريض وتصحيح ليس فيه تمريض فإن نازع في ذلك منازع فليوجدنا آخر اسمه محمد له سهام تنزع وأمر مطاع لا يدفع..

الدين والدولة لعلي بن الطبري:

وقد كان صاحب هذا الكتاب نصرانيًا وهداه الله للإسلام وتوفى في عام ٢٤٧هجرية، ويقول في كتابه:جاء في سفر أشعياء:(إني جعلت اسمك محمدًا يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد).

ويقول أيضًا في نفس الكتاب الذي كتبه قبل أكثر من ألف سنة: جاء في سفر حبوق:(إن الله جاء من التيمان والقدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده).

والنبوءة السابقة التي ذكرها صاحب كتاب الدين والدولة منذ أكثر من ألف عام هي نفس النبوة التي ذكرناها قبل ذلك ولكن غير متضمنة اسم النبي –صلى الله عليه وسلم – صريحًا، وأيضا كلمة(حمده) مذكورة بدلا من(تسبيحه).. والكلمة كما وردت في النسخة الإنجليزية هي praiseوترجمتها بالعربية التسبيح و(الحمد) أيضًا..

وكتب التراث التي كتبها العلماء الأفاضل من علماء المسلمين تحفل بالبشارات التي تتحدث عن النبي –صلى الله عليه وسلم- في الكتاب المقدس، ويكفينا ما نقلناه لكم

لبيان ما أردنا قوله..(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن كثيرا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) البقرة ١٤٦.
(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الأنعام ٢٠
أمة واحدة:
قال الله تعالى:(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء: ٩٢
هناك أمور إسلامية عديدة: كالصوم، والصلاة، والزكاة، والجهاد، والحجاب، وأصول العقيدة، وغيرها - قد وردت في الكتاب المقدس، وإنما نفرد تلك الأمور المشتركة بين الكتب السماوية في هذا العمل لنبين أن ما جاء به الأنبياء جميعًا لا يختلف في مضمونه وفي أهدافه عن بعضه البعض.. ولذلك يقول الله في سورة الأنبياء(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)..
ونذكر هنا كلمة النجاشي عظيم الحبشة حينما عرض عليه جعفر بن أبى طالب أمور من التي يدعو إليها الإسلام فرد النجاشي قائلا:(إن هذا وما أتى به المسيح ليخرجان من مشكاة واحدة)..
لنقرأ الآن بعض الآيات التي وردت في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، والتي تبين أن نبع الهداية في كل الرسالات السماوية واحد، وأن أصل التشريع كله هو من لدن عزيز حكيم.. وكفى بكلام الله هاديا ودليلا.
الصلاة
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر التكوين الإصحاح ١٧ الفقرة ١، ٢، :٣
١٧: ١ و لما كان إبرام ابن تسع و تسعين سنة ظهر الرب لإبرام و قال له أنا الله القدير سر أمامي و كن كاملاً.
١٧: ٢ فاجعل عهدي بيني و بينك وأكثرك كثيرًا جدًا.
١٧: ٣ فسقط إبرام على وجهه و تكلم الله معه قائلا.
وورد في رؤيا يوحنا الإصحاح ٧ الفقرة :١١
١١:٧ وجميع الملائكة كانوا واقفين حول العرش والشيوخ والحيوانات أربع وخروا أمام العرش علي وجوههم وسجدوا لله.
وورد في المزمور ٩٥ الفقرة :٦
٦:٩٥ هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا.
وورد في سفر الخروج الإصحاح ٣٤ الفقرة ٨:
فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد.
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ) التوبة: ١٨.
(ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) البقرة:٢ – ٤.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) الأنفال: ٢ – ٤.
(وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) هود: ١١٤ – ١١٥
(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) إبراهيم: ٣٩ – ٤٠
(قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) إبراهيم: ٣١
(وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ*سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد: ٢٢ – ٢٤.
(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الشورى: ٣٧ – ٤٠.
(أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا) الإسراء: ٧٨ – ٨٢.
الصوم
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في إنجيل متي الإصحاح ٤ الفقرة :٢
٢:٤ فبعدما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا.
وورد في إنجيل لوقا الإصحاح ٥ الفقرة :٣٣
٣٣:٥ وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيرًا ويقدمون طلبات وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضا وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون.
بعض ما ورد في القرآن الكريم:
(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة: ١٨٥
الحج
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في مزمور ٨٤ الفقرة :٢

٢:٨٤ عابرين في وادي بكة يصيرونه ينبوعًا.
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) آل عمران: ٩٦ – ٩٧
(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) البقرة: ١٩٧
الحجاب
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح ١١ الفقرة ٥(إذا المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها).
وورد في نشيد الإنشاد:
٤: ١ ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك...
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) النور:٣١
تحية الإسلام
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
جاء في إنجيل لوقا الإصحاح ١٠ الفقرة ٥(وأي بيت دخلتموه فقولوا أولا سلام لهذا البيت)
بعض ما ورد في القران الكريم
(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) النور:٢٧
الجهاد
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر العدد في بداية الإصحاح ٣١(وكلم الرب موسى قائلاً انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين، فكلم موسى الشعب قائلاً جردوا رجالاً فيكونوا على مديان ألفًا واحدًا من كل سبط من جميع أسباط بنى إسرائيل ترسلون للحرب).
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) الحج: ٧٨
(إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) البقرة: ٢١٨

(انفروا خفافًا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) التوبة: ٤١
الختان
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر التكوين الإصحاح ١٧ الفقرة ٢٤،٢٥(وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته).
من أقوال نبي الإسلام
(خمس من الفطرة: الاستحداد(حلق العانة) والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر) متفق عليه.
الأضاحي
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر الملوك الأول الإصحاح ٨ الفقرة ٦٢، ٦٣:(ثم إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفا ومن الغنم مائة ألف وعشرين ألفًا).
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) البقرة ١٩٦
الزكاة
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر العدد الإصحاح ٣١ الفقرة ٣٧، ٣٨:
(وكانت الزكاة للرب من الغنم ست مائة وخمسة وسبعين والبقر ستة وثلاثين ألفا وزكاتها للرب اثنين وسبعين).
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) البقرة: ١١٠
ولا تزر وازرة وزر أخرى:
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر حزقيال الإصحاح ١٨ الفقرة ٢٠ إلى ٢٢:
(الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن).
بعض ما ورد في القرآن الكريم
(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) الطور:٢١
(ولا تزر وازرة وزر أخرى) فاطر: ١٨
عقيدة الأنبياء في الألوهية من آدم وحتى محمد
بعض ما ورد في الكتاب المقدس
ورد في سفر التكوين الإصحاح الثالث الفقرة ٢١ – ٢٣(وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما.. وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد

منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد.. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها).
وورد في سفر التكوين في الإصحاح السادس الفقرة ١١ – ١٣(وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلمًا.. ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض.. فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض.. اصنع لنفسك فلكًا...).
وورد في سفر التكوين الإصحاح ١٨ الفقرة ١٧ – ١٩(فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله.. وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض.. لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برًا وعدلاً لكي يأت الرب لإبراهيم ما تكلم به...).
وورد في سفر أيوب الإصحاح ١ الفقرة ١(كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيمًا يتقي الله ويحيد عن الشر...)
وورد في سفر التكوين الإصحاح ٣٢ الفقرة ٩(وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك...).
وورد في سفر التكوين الإصحاح ٣٩: ٢- ٣(وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحًا وكان في بيت سيده المصري ورأى سيده أن الرب معه وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده...).
وورد في سفر الخروج الإصحاح الثالث: ١ – ٦(وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب.. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق.. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة.. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هاأنذا.. فقال لا تقترب إلى هاهنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة.. ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب...)
وورد في سفر الخروج الإصحاح ٣٤ الفقرة ١٤ حيث يخاطب الله موسى عليه السلام قائلا:(فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو).
وورد في سفر التثنية الإصحاح الرابع الفقرة ٣٥ حيث يخاطب الله موسى قائلا:(الرب هو الإله ليس آخر سواه).
وورد في سفر التثنية الإصحاح السادس الفقرة ٤ حيث يخاطب موسى بني إسرائيل في أرض مواب قبل موته قائلا:(اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد).
وورد في إنجيل متى الإصحاح الرابع الفقرة ٨ – ١٠(ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك الأرض ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي حينئذ قال يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد).

وورد في إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ الفقرة ٢٨ - ٢٩(فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أي وصية هي أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد).
وورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ١ الفقرة ١٨(الله لم يره أحد قط).
وورد في سفر التثنية الإصحاح الرابع الفقرة ٣٩(فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه).
بعض ما جاء في القرآن الكريم
(قل هو الله أحد.. الله الصمد.. لم يلد ولم يولد.. ولم يكن له كفوا أحد) سورة الإخلاص.
(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد)الكهف: ١١٠
(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) البقرة: ١٦٣
(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض) البقرة: ٢٥٥
(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران: ١٨
(الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثًا) النساء: ٨٧
(إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم) آل عمران: ٦٢
(يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار.. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف: ٣٩ – ٤٠
(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) المائدة ٧٣
(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً) النساء: ١٧٧.
(وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) الأعراف: ١٥٩.
(قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون) الأنعام: ١٩.
(ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) الأنعام: ١٠٢

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم.. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) التوبة: ١٢٨-١٢٩.

(لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) الأعراف: ٥٩

(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين.. الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون) يونس: ٩٠ – ٩٢

(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) النحل: ٢

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء: ٢٥

(قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين.. سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون..فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون..وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم) الزخرف:٨١ - ٨٤

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا.. لقد جئتم شيئا إدًا.. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا.. أن دعوا للرحمن ولدا.. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا.. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) مريم ٨٨ – ٩٣

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران: ٥٩

(وهل أتاك حديث موسى.. إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى.. فلما أتاها نودي يا موسى.. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى.. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى.. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري...) طه: ٩ - ١٤

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)آل عمران: ٦٤ – ٦٨

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا

يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) آل عمران: ٤٢ – ٥١.

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) الأنبياء: ٤٨ ــ ٩٢
قصص الأنبياء
الكتاب المقدس والقرآن الكريم يحفلان بذكر قصص الأنبياء، وإذا استفضنا في بيان القصص كما ورد في الكتاب المقدس وكما في القرآن الكريم لاحتاج ذلك إلى مجلدات ضخمة وجهود عظيمة.. لذلك سنكتفي هنا بذكر بعض المقتطفات البسيطة مما ورد عن قصة نبي الله يوسف في الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم..
الكتاب المقدس
(ثم حلم أيضًا حلمًا آخر وقصه على إخوته فقال إني قد حلمت حلمًا أيضًا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدة لي) التكوين ٣٧: ٩
القرآن الكريم
(إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)يوسف: ٤
الكتاب المقدس
(فقال بعضهم لبعض هو ذا صاحب الأحلام قادم..فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله فنرى ماذا تكون أحلامه.. فسمع راوبين وأنقذه من أيديهم وقال لا نقتله.. وقال لهم راوبين لا تسفكوا دمًا اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يدًا لكي ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه.. فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه.. وأخذوه وطرحوه في البئر أما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء) التكوين٣٧: ١٩ ــ ٢٧
القرآن الكريم
(إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين.. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين.. قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين) يوسف: ٨ ــ ١٠
الكتاب المقدس
(فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسًا من المعزى وغمسوا القميص في الدم.. وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا وجدنا هذا حقق قميص ابنك هو أم لا) ٣٧: ٣١ ــ ٣٢
القرآن الكريم
(وجاءوا أباهم عشاء يبكون.. قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.. وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) يوسف: ١٦ ــ ١٨
الكتاب المقدس
وأما المديانيون فباعوه لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرطة... وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معي.. فأبى وقال

لامرأة سيده هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدي.. ليس هو في هذا البيت أعظم مني ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك امرأته فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله) التكوين٣٩:٧ ـ ٩

القرآن الكريم

(وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يوسف: ١٩ ـ ٢٣

الكتاب المقدس

(فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلي العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني... فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه وكان هناك في بيت السجن) التكوين ٣٩: ١٧ ـ ٢٠

القرآن الكريم

(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين.. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم.. ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) يوسف: ٣٣ ـ ٣٥

الكتاب المقدس

(وحدث بعد هذه الأمور أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر.. فسخط فرعون على خصييه رئيس السقاة ورئيس الخبازين.. فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط في بيت السجن المكان الذي كان يوسف محبوسا فيه... وحلما كلاهما حلما في ليلة واحدة كل واحد حلمه كل واحد بحسب تعبير حلمه ساقي ملك مصر وخبازه المحبوسان في بيت السجن ... فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي.. وفي الكرمة ثلاثة قضبان وهي إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا.. وكانت كأس فرعون في يدي فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون وأعطيت الكأس في يد فرعون.. فقال له يوسف هذا تعبيره الثلاثة قضبان هي ثلاثة أيام.. في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك فتعطي كأس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه..وإنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع لي إحسانا وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت... فلما رأى رئيس الخبازين أنه عبر جيدا قال ليوسف كنت أنا أيضا في حلمي وإذا ثلاثة سلال حواري على رأسي.. وفي السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تأكله من السل عن رأسي.. فأجاب يوسف وقال هذا تعبيره الثلاث سلال هي ثلاثة أيام.. في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحما عنك... ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه) التكوين ٤٠: ١ ـ ٢٣

القرآن الكريم
(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين)يوسف: ٣٦
(يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان.. وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) يوسف: ٤١ – ٤٢
ثم يشرح بعد ذلك الكتاب المقدس رؤيا الملك للسبع بقرات السمان والعجاف والسبع سنبلات الخضر واليابسات ويحكي القصة بإسهاب شديد في إصحاح كامل ٤٢: ١ – ٥٧ وهي كما وردت في القرآن الكريم ولكن القرآن يلخصها بأسلوبه البليغ وبيانه المعجز في بضعة سطور فيقول:
(وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون.. قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.. وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويل فأرسلون.. يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون.. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون.. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون.. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) يوسف: ٤٣ – ٤٩ ثم يستمر الكتاب المقدس في سرد القصة كاملة إلى نهايتها كما وردت في القرآن الكريم...
ومما سبق جميعًا يتبين لنا أن منبع الوحي ومصدر الرسالات جميعًا هو من عند الله الواحد.. فهذا ما أعطاه الله للأنبياء،وما أعطاه لعبده ورسوله محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم -، ومن هنا تظهر لنا الحكمة الإلهية العظيمة في أن يكون آخر الأنبياء وصاحب الرسالة الخاتمة الجامعة لكل ما قبلها لا يقرأ ولا يكتب، وذلك حتى لا يرتاب المبطلون، ولا يتشكك المتشككون.. فأنى لمن لا يقرأ ولا يكتب أن يطلع على تاريخ الأمم وميراث الأنبياء إلا أن يكون الصادق المصدوق، الذي رفع الله قدره فأكرمه بوحي السماء، وأفاض عليه من نعمه فجعله خاتم الأنبياء.. فكان فضل الله عليه وعلينا جليلا.. وخيره مسبغا وجزيلا.. فالحمد لله رب العالمين بأن هدانا للحق المبين.. وله الحمد في الأولى والآخرة بأن شرفنا بإمام النبيين..
(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) العنكبوت:٤٨
(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) النساء: ١١٣
(فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين) الجاثية:٣٦
المسيحية والعلمانية والإسلام:
العلمانية كخطر عظيم يتهدد حاضرنا ومستقبلنا - أمر لابد من ذكره في كل موقف، والتنويه عنه في كل مناسبة، بل إن الكلام ينبغي أن يدفع دفعا، ويساق سوقًا، من أجل

التطرق إليها، وبيان ما تحويه من أخطار، وما تضمره من أحقاد، على الدين والمتدينين.

فلو صنف عاقل بأمور الدين، أو خبير بشئون المسلمين - الأخطار التي تهدد ديننا الحنيف، لوضع العلمانية في مقدمة ذاك التصنيف..

والعلمانية هي دعوة إلى اللا دينية أو الدنيوية، وهى تهدف في المقام الأول إلى فصل الدين عن جميع مناحي الحياة، وللأسف الشديد فإن للعلمانية الآن أنصارًا يروجون لأفكارها، ويدعون لاعتناقها مدعين أنها الحل الأصلح لكل المشاكل، والمخرج الأوحد من كل المآزق؛ وهم يسخرون في سبيل ذلك كل الإمكانيات من إعلام مسموع ومقروء وغير ذلك، غير مبالين بدين، ولا معتبرين لعقائد المسلمين.

ويدعى دعاة العلمانية أن الدين ليس إلا علاقة سرية ورباط خاص بين المرء وخالقه، وأن هذه العلاقة لا تتعدى إلى حدود المجتمع، أو نظم المعيشة، أو أساليب الحكم، أو غير ذلك من مختلف وجوه الحياة.

ولقد ظهرت العلمانية في أوروبا في القرن السادس عشر كوسيلة للتخلص من حكم رجال الكنيسة وتسلطهم على المجتمع.

فقد اتهم رجال الكنيسة كل من يقترف جريمة العلم بالهرطقة، وكل من يرتكب رذيلة البحث التجريبي بالكفر والإلحاد والخروج عن الدين.

وتم إنشاء محاكم التفتيش في أوائل القرن الثالث عشر، واستمرت إلى القرون التالية، وكان هدف هذه المحاكم محاربة الهرطقة في أنحاء العالم المسيحي، وكان الناس يساقون سوقا إلى محاكم التفتيش عن طريق الشبهة فقط أو عن طريق وشاية من أحد الجيران، وكان الواحد منهم يضرب حتى يعترف بذنبه فإذا لم يعترف نقل إلى مرحلة أعلى من التعذيب الجسدي، فإذا أصر على رأيه ورفض التراجع عن أفكاره كان يرمى في المحرقة!!

ويلخص لنا الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه(ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) تلك الملابسات التي أدت إلى فصل الدين عن الحياة في أوروبا ويصف مقدماتها ونتائجها فيقول:

(.. ولكن من أعظم أخطاء رجال الدين في أوروبا، ومن أكبر جناياتهم على أنفسهم وعلى الذين كانوا يمثلونه، أنهم دسوا في كتبهم الدينية المقدسة. معلومات بشرية، ومسلمات عصرية، عن التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، ربما كانت أقصى ما وصلوا إليه من العلم في ذلك العصر، وكانت حقائق راهنة لا يشك فيها رجال الدين ذلك العصر، ولكنها ليست أقصى ما وصل إليه العلم الإنساني ... وإذا كان ذلك في عصر من العصور غاية ما وصل إليه عمر البشر فإنه لا يؤمن عليه التحول والتعارض. فإن العلم الإنساني متدرج مترق، فمن بنى عليه دينه فقد بنى قصرا على كثيب مهيل من الرمل. ولعلهم فعلوا ذلك بنية حسنة ولكنه كان أكبر جناية على أنفسهم وعلى الدين فإن ذلك كان سببا للكفاح المشئوم بين الدين والعقل والعلم، الذي انهزم فيه الدين. ذلك الدين المختلط بعلم البشر، الذي فيه الحق والباطل، والخالص والزائف..هزيمة منكرة، وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده. وشر من ذلك وأشأم: أن أوروبا أصبحت لا دينية... ولم يكتف رجال الدين بما أدخلوه في كتبهم

المقدسة. بل درسوا كل ما تناقلته الألسنة، واشتهر بين الناس، وذكره بعض شراح التوراة والإنجيل ومفسريهما من معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية. وصبغوها صبغة دينية، وعدوها من تعاليم الدين وأصوله التي يجب الاعتقاد بها، ونبذ كل ما يعارضها وألفوا في ذلك كتبا وتآليف وسموا هذه الجغرافيا التي ما أنزل الله بها من سلطان: الجغرافيا المسيحية ... وكان ذلك في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوروبا، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني. فزيفوا هذه النظريات الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب وانتقدوها في صرامة وصراحة، واعتذروا عن عدم اعتقادها والإيمان بها بالغيب؛ وأعلنوا اكتشافاتهم واختباراتهم. فقامت قيامة الكنيسة، وقام رجالها المتصرفون في زمام الأمور في أوروبا وكفروهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم في سبيل الدين المسيحي وأنشأوا محاكم التفتيش... ويقدر أن من عاقبت هذه المحاكم يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء! كان منهم العالم الطبيعي المعروف(برونو)، وكذلك عوقب العالم الطبيعي الشهير(جالليو) لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس!... هنالك ثار المجددون المتنورون، وعيل صبرهم، وأصبحوا حربا لرجال الدين وممثلي الكنيسة، والمحافظين على القديم، ومقتوا كل ما يتصل بهم، ويعزى إليهم، من عقيدة، وثقافة، وعلم، وأخلاق، وآداب، وعادوا الدين المسيحي أولا، والدين المطلق ثانيا، واستحالت الحرب بين زعماء العلم والعقلية وزعماء الدين المسيحي حربا بين العلم والدين مطلقا! وقرر الثائرون أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان، وأن العقل والنظام الديني ضدان لا يجتمعان؛ فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر ومن آمن بالأول كفر بالثاني. وإذا ذكروا الدين ذكروا تلك الدماء الزكية التي أريقت في سبيل العلم والتحقيق، وتلك النفوس البريئة التي ذهبت ضحية لقسوة القساوسة ووساوسهم، وتمثل لأعينهم وجوه كالحة عابسة وجباه مقطبة، وعيون ترمي بالشرر، وصدور ضيقة حرجة، وعقول سخيفة بليدة؛ فاشمأزت قلوبهم؛ وآلوا على أنفسهم كراهة هؤلاء، وكل ما يمثلونه، وتواصوا به، وجعلوه كلمة باقية في أعقابهم!... ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من الصبر والمصابرة على الدراسة والتفكير، ومن الوداعة والهدوء، ما يميزون به بين الدين، ورجاله المحتكرين لزعامته، ويفرقون به بين ما يرجع إلى الدين من عهدة ومسئولية. وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود واستبداد وسوء تمثيل، فلا ينبذوا الدين نبذ النواة.. ولكن الحفيظة وشنآن رجال الدين، والاستعجال.. لم يسمح بالنظر في أمر الدين والتريث في شأنه..كغالب الثوار، في أكثر العصور والأمصار!!!)).

كانت تلك هي الظروف والملابسات التي ظهرت فيها العلمانية، والتي تم فيها فصل الدين عن جميع مناحي الحياة..

أضف إلى ذلك العداوة المستمرة بين المذهب البروتستانتي والمذهب الكاثوليكي، والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من معتنقي الطائفتين، والتي كانت أحد الأسباب التي دفعت العلمانية إلى الظهور لوقف المذابح المستمرة بين الطائفتين إذا كانت إحدى الطائفتين على رأس الحكم في الكنيسة.

ولكن على الجانب الآخر فإن الإسلام بريء تمامًا مما اتهمت به المسيحية من تحدى العلم واتهام العلماء بالهرطقة.
فالإسلام لم يحارب العلم يومًا، ولم يقف أبدًا في طريق العلماء، بل إن القرآن يأمرنا دائمًا بالتأمل والتفكر وإعمال العقل، والنظر والتدبر في ملكوت السماء والأرض:
(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون). البقرة:١٦٤
(وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). الرعد:٣
(إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين.. وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون.. واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون..تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) الجاثية: ٣ – ٦
بل إن الله يخبرنا أن الإنسان كلما زاد علمه زادت خشيته(إنما يخشى الله من عباده العلماء). فاطر:٢٨١
والقرآن به من الآيات العلمية التي لم تكتشف إلا حديثا ما يحير القلوب ويأسر الألباب:
(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) الفرقان: ٥٣
(أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) الأنبياء: ٣٠
(ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) الأنعام: ١٢٥
وسنة نبينا-صلى الله عليه وسلم- عامرة بالأحاديث التي تحض على طلب العلم وتعلى من قدر العلماء:
(اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد).
(العلماء ورثة الأنبياء).
(من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)
(طلب العلم فريضة على كل مسلم)...
هذا بالنسبة للعلم، أما أمر الطوائف المتناحرة والتيارات المتنازعة مما عرفته المسيحية- فليس له مثيل ولا نظير في الإسلام، بل إن الإسلام الحنيف ينهانا عن إيذاء أهل الكتاب إذا لم يتعرضوا للمسلمين بالقتال أو يخرجوهم من ديارهم، بل إنه يدعونا للإحسان إليهم والبر بهم:(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين). الممتحنة:٨
إذن فالعلمانية قد ظهرت في الأساس للقضاء على مشكلة تسلط الكنيسة واضطهادها للعلم، وانفراد رجال الدين المسيحي بالحكم.. وهذا الدافع لا يمكن أن يحمل على الدين الإسلامي بحال من الأحوال..

فليس في الإسلام سلطة مطلقة لرجال الدين دون غيرهم، بل إن كل مسلم ينبغي أن يكون رجل دين ودولة معا، وفى ذلك يقول السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله:
((ليس في الإسلام ما يسمى بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه، ولكن الإسلام دين وشرع قد وضع حدودا ورسم حقوقا، والحاكم مكلف بإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضي بالحق، أي أن له سلطة تنفيذية فقط، وهو ليس بالمعصوم وليس بمهبط الوحي ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط بين الحاكم عند المسلمين بما يسمى (بالإفرنجثيوقراطيا) أي السلطان الإلهي، فإن ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقى الشريعة من الله وله حق الأثرة بالتشريع وله في الرقاب حق الطاعة)).
- كما أن الهدف الذي أرسل المسيح عليه السلام من أجله كان تهذيب النفوس، والسمو بالأخلاق، وإصلاح ما أفسدته الخراف الضالة من بيت بني إسرائيل؛ فالمسيحية لم تكن مشتملة على أساليب للحكم، أو نظام للمجتمع، وإنما كانت وسيلة لإصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق.
أما الإسلام فإنه كما يعنى بالجانب الروحي والخلقي؛ فإنه يضع أيضًا نظامًا للمجتمع، ويقنن أساليب للحكم، ويحدد وسائل للتعايش بين مواطنيه وبين مواطني الأديان الأخرى، ويكفل لجميع رعاياه الأمن والحماية وحرية العقيدة؛ فالإسلام كيان اجتماعي متكامل أنزله الله لكي يتمم به الشرائع ويصلح به كل زمان ومكان..
أضف إلى ذلك أن الجهل الذي كانت تعيشه البشرية في أيام المسيحية الأولى، وضيق الأفق الذي كانت تعانيه - لم يؤهل المسيحية لأن تكون أكثر من رسالة لتهذيب النفوس وإصلاح الأخلاق؛ فلما جاء الإسلام بعد ستة قرون من الزمان كان العقل البشري قد تطور، والمستوى الفكري قد تقدم، وأصبحت البشرية مؤهلة لتلقى الشريعة الكاملة المتممة لجميع الشرائع.
ولو أدركنا ذلك جيدًا لفهمنا قول المسيح عليه السلام لتلاميذه قبل أن يرحل:
((إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق هو يرشدكم إلى جميع الحق)).
ولذلك أيضا فإن بعض ما اشتملت عليه المسيحية من تعاليم لم يكن صالحًا للتطبيق إلا في زمن المسيح عليه السلام والأجيال التي بعده؛ فالمسيحية تجعل الزواج مثلاً رباطًا أبديًا لا يمكن حله، وتقول أن ما جمعه الله لا يمكن أن يفرقه بشر؛ ولقد أدى تعنت رجال الدين المسيحي في هذا الأمر إلى انهيار خطير في بناء الأسرة؛ وذلك لأنه إذا استحالت العشرة بين الزوجين مع استحالة الانفصال بينهما فإن ذلك يؤدى إلى إنشاء علاقات محرمة خارج نطاق الأسرة.
وذلك بعكس الإسلام الذي أباح الطلاق ولم يجعل الزواج رباطًا أبديًا بين الزوجين إذا استحالت العشرة بين الزوجين؛ وبذلك فإن الإسلام كما شرع الزواج فقد شرع الطلاق أيضًا، وما جمعه الله فالله أيضا يفرقه.
وهكذا ندرك أن السبب الذي دفع العلمانية للظهور في المجتمع الأوروبي ليس له ما يبرره على الإطلاق في البلاد الإسلامية..

لكن الذي حدث أن نفرًا من بنى جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا ـ قد حكموا على الإسلام بما حكم به على المسيحية؛ فاعتنقوا العلمانية وأصبحت اللا دينية هي دينهم!!.
وهؤلاء النفر إما من المثقفين الذين تلقوا تعليمًا غربيًا علمانيًا ولم يتلقوا بجانبه تعليمًا إسلاميًا وكانوا بمعزل عن الإسلام وتعاليمه ومنهجه، وإما من هؤلاء الذين بهرتهم أضواء الغرب وحضارته مع إيمانهم العليل بالله وعلمهم الضئيل بدينه، وإما من هؤلاء الذين يبيعون أي شئ بأي ثمن حتى لو كان دينهم وتراث أمتهم..
ثم هم يطلبون منا بعد ذلك أن تكون علاقتنا بربنا علاقة سرية؛ فلا نسمح لتشريعاته بدخول المحاكم، ولا لتاريخ دينه وسيرة رسوله بدخول المدارس، ولا لتعاليمه بأن تسود المجتمع!!.
فهل ينتظر منا هؤلاء أن نسمع لهم ونقبل فكرهم؟!
وهل يأملون في أن نترك ديننا الحق ونؤمن بما يعتنقوه؟!
لقد أنعم الله علينا بالإسلام، وأرشدنا به إلى سبل السلام؛ فكيف بنا بعد ذلك نعصى أمره، ونهمل شرعه، ونجحد حكمه؟!!
والله قد أنزل إلينا كتابًا كي نبصر في نوره، ونسير في إشراقه؛ فهل نحيا بشرعه ونحكم بحكمه، أم نحكم عليه بالهجران وعلى أنفسنا بالخسران؟!
كيف والله تعالى يقول:(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم..أفلا تعقلون؟!!)؟!!الأنبياء: ١٠
لا نفرق بين أحد من رسله:
قال الله تعالى:(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير). البقرة:٢٨٥
لقد من الله على الناس بأن عرفهم بنفسه، وأفاض عليهم من كرمه بأن هداهم إلى عبادته؛ فهو الواحد الأحد المعبود بحق الذي ليس له مثيل ولا نظير.
ولقد ابتعث الله الرسل من أجل هذه المهمة العظيمة.. وهي تعريف الناس بربهم خالق السماوات والأرض.. لكي يعبدوه وحده.. حتى يخرج الناس من الحيرة إلى الاطمئنان.. و من الشرك والكفر إلى الإيمان..
فالرسل في مجملهم قد بعثوا للقيام بمهمة واحدة؛ وهي هداية الناس إلى الله الواحد؛ فمن آدم أبو البشر وحتى محمد خاتم الأنبياء كان القصد هو التوحيد والأخذ بأيدي الناس إلى طريقه السديد؛ فما أتى به نوح عليه السلام لا يختلف عما أتى به إبراهيم، وما أتى به إبراهيم لا يختلف عما أتى به موسى، وما أتى به موسى لا يختلف عما أتى به عيسى، وما أتى به عيسى لا يختلف عما أتى به محمد- عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين-
(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). الشورى:١٣
لذلك فالله عز وجل ينهانا عن أن نفرق بين أحد من رسله؛ فالكل هدفهم واحد، والكل غايتهم واحدة، وهي عبادة الله الواحد.

بل إنه لا يتصور أن تختلف دعوات الأنبياء في شأن العقيدة؛ لأن أمور العقيدة من نوع الإخبار، والإخبار عن شئ لا يمكن أن يختلف ما بين مخبر وآخر إذا فرضنا الصدق في خبر كل منهما؛ فمن غير المعقول مثلا أن يدعو إبراهيم قومه لترك عبادة الأصنام وعبادة الله وحده، ويأتي موسى ليخرج بني إسرائيل من مصر لكي يعبدوا الإله الواحد رب آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم يأتي عيسى بعد ذلك ليقول أن الله ثالث ثلاثة!!؛ وذلك لأن عقيدة الألوهية لا يمكن أن تتغير من نبي لآخر، بل لا يمكن أن يأتي بها أحد الأنبياء ناقصة أو غير واضحة ثم يأتي نبي من بعده لكي يكملها أو يبينها..

هل يعقل أن جميع الأنبياء قبل المسيح قد عاشوا وماتوا دون أن يعرفوا حقيقة الإله الذي أرسلهم، وأفنوا حياتهم في سبيل نصر دعوته، وإعلاء كلمته، وإظهار رايته؟!!

وذلك ينطبق على أمور العقيدة ولا ينطبق على أمور التشريع التي تختلف من زمن لآخر؛ فالتشريع من نوع الإنشاء وليس من نوع الإخبار.. لذلك بعث جميع الأنبياء بعقيدة واحدة ولكن اختلفت التشريعات بنسب متفاوتة فيما بين الرسل.. فعيسى جاء مصدقا لعقيدة موسى ومتمما لشريعته.. ومحمد جاء مصدقا لعقيدة عيسى ومتمما لشريعته ومتمما لكل الشرائع، فهو النبي الخاتم صاحب الشريعة الخاتمة – صلى الله عليه وسلم -.

والرسل إذ يعلموننا ويأخذون بأيدينا لا يدعون أبدا أنهم أكثر من بشر، أو أنهم خلق خاص من طينة مختلفة، أو من جنس مميز عن باقي البشر؛ فالله قد أمر عبده ورسوله محمد:(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد). الكهف:١١٠

ويسأل عيسى المسيح وهو أعلم بما في نفسه(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) المائدة:١١٦

ونحن كبشر متلقين لدعوة المسيح عليه السلام ولدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ولدعوة الرسل أجمعين ينبغي علينا ألا نتحزب لأحد أو نتعصب لأحد من دون الله؛ فمحمد –صلى الله عليه وسلم-لا يملك من أمرنا شيئا بل هو لا يملك من أمر نفسه شيئا صلى الله عليه وسلم فهو يقول لابنته(يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا)، وكذلك المسيح عيسى عليه السلام:(قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا، ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء، والله على كل شئ قدير).. وكذلك جميع الرسل:

والإسلام الحنيف أمرنا بأن نؤمن بجميع المرسلين، وأن نؤمن بعيسى المسيح كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، وأمرنا بأن نؤمن بميلاده المعجز من غير أب، وبنهايته المعجزة بأن رفعه الله إليه.. بل إن المسلم لا يكون مسلمًا إلا إذا آمن بما سبق عن المسيح عليه السلام.

فكل إنسان ينبغي ألا ينشغل إلا بأمر نفسه؛ لأن أحدًا لن يحمل عنه وزره، ولن يدرأ عنه ذنبه، وإنما يفعل ذلك الإيمان بالله وحده، وأتباع أمره، واجتناب نهيه.. لذلك

يقول القرآن الكريم(كل امرئ بما كسب رهين)، ويقول أيضًا(كل نفس بما كسبت رهينة) ويقول أيضًا(ولا تزر وازرة وزر أخري).

وفي هذا الشأن يقول الكتاب المقدس(الآباء لا يموتون من اجل الأبناء ولا الأبناء يموتون من أجل الآباء كل يموت من أجل خطيئته).

هذا ما علمنا الله وهذا ما علمنا الإسلام وهذا ما علمنا محمد صلى الله عليه وسلم وما علمنا المسيح عليه السلام وما علمنا الرسل جميعا.

فهل تنبهنا لهذا الأمر؟

وهل نصطلح مع الله خالقنا؟

وهل نترك كل هوي ونتجنب كل ميل ونطرح كل تعصب من أجل الله الواحد الأحد؟

وهل يثوب المسلمون إلى الله خالقهم فنصنع ما صنعه آباؤنا من أجل نصره وإعلاء شرعه بعد أن تهنا في الطرق وتفرقت بنا الدروب والسبل؟!

فذاك حالنا لا يثبت إلا أننا عن سبيل الله قد بعدنا، وعن هدي محمد قد شردنا، وعن نهج الإسلام قد زغنا وحدنا؛ وأن الدنيا قد شغلتنا، وألهانا طول الأمل؛ فأصابانا الوهن، وصرنا نهبا للأمم، وهدفا للطامعين من كل الملل..

قد استرد السبايا كل منهزم   لم تبق في أسرها إلا سبايانا

وما رأيت سياط الظلم دامية   إلا رأيت عليها لحم قتلانا

ولا نموت علي حد الظبا أنفا   حتى لقد خجلت منا منايانا

أيها المسلمون، رسولكم قد فاق مجده العلا، وذكره قد جاوز المدى، وتكريم الله له لا يخفى على ذوي العقول والحجى؛ فمحمد الذي أتى ذكره في الأولين، وبقي ذكره في الآخرين، - يستحق منكم أن تتبعوه، وتتبعوا النور الذي أنزل معه، وتتركوا كل متع الدنيا الزائلة، والأماني الباطلة.. من أجل نشر دعوته، واعلاء رسالته..

فلقد حملكم نبيكم أكبر الأمانات... فهل أديتموها؟!

وأورثكم أعظم الرسالات... فهل حافظتم عليها؟!

ومن بين ضلال العالم قد عرفكم الحق... فهل عشتم للحق؟!!

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب).

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين).

الهوامش:

(١) راجع معجم البلدان الجزء الثالث باب حرف الفاء

(٢) اختلفت المصادر في تحديد موقع سعير؛ فمعجم بلدان فلسطين يفرق بين ساعير وسعير، فيقول عن ساعير هي من حدود الروم وهي قرية من الناصرة بين طبرية وعكة،ويقول عن سعير هي قرية على مسافة ٨ أكيال شرق الخليل وعلى مسافة ٣ أكيال شرق حلحول وتشتهر بزراعة التين والزيتون؛ ويقول الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ أن ساعير جبل قريب من الناصرة، وذكر شيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧ هـ في كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر أنها جبال الناصرة، وقال صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب أن ساعير جبال بالشام ظهرت منها نبوة عيسى عليه السلام وهي قريبة من = الناصرة وتقول المصادر الحديثة التي تتحدث عن جغرافية

فلسطين أنه جبل من جبال الخليل ، والكتاب المقدس يطلق لفظ سعير في بعض النصوص على جبل بالأردن ويطلقه في بعض النصوص الأخرى على جبل بفلسطين في أرض يهوذا(يشوع ١٥: ١٠)، ويقصر علماء أهل الكتاب من النصارى الذين تعرضوا للنبوءة السابقة إطلاق لفظ سعير على جبل بالأردن، لكنني أحسب أن الجميع لن يختلف في أن شخصًا ما لو خرج من مصر باتجاه فلسطين فلابد له أن يمر أولا بفاران التي تقع شمال سيناء قبل أن يمر بجبل سعير سواء كان يقع في فلسطين أو في الأردن!!!!

(٣) الحق هو أن فاران كما تطلق على مكة فهي تطلق أيضًا على برية قرب سيناء والتي تعرف اليوم بوادي فيران، وأيضا على قرية من أعمال سمرقند، وبعد مزيد من البحث من خلال شبكة الاتصالات الدولية تبين أن فاران تطلق أيضًا على قرية معروفة موجودة الآن في دولة البحرين بالجزيرة العربية، وأيضا تطلق على نظام نجمي في مجرة درب التبانة!، وبالإطلاع على الخرائط القديمة التي وضعها الإدريسي وجدنا فاران اسم لموضع قريب من أسوان!.. والعبرة في معرفة المكان المقصود في النص التوراتي تحديدا هو سياق النص نفسه، والكتاب المقدس في سفر التكوين ٢٥: ١٦- ١٨ يوضح أن سكن إسماعيل عليه السلام وبنيه قد امتد من حويلة إلى شور(هؤلاء هم أبناء إسماعيل...وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر) ، وحويلة كما يقول قاموس الكتاب المقدس هي أرض في بلاد العرب السعيد(أرابيا فليكس) أو اليمن، وشور أرض شمال مصر وجنوب فلسطين، وابتداء الكتاب المقدس بذكر حويلة قبل شور يؤكد أن هذا المكان كان مهد نشأتهم وأنهم انتشروا بعد ذلك إلى الشمال حتى وصلوا إلى شور = جنوب فلسطين، وعليه فإن إسماعيل وبنيه قد سكنوا في تلك البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله، ولقد قامت الأدلة التاريخية على ذلك منها بناء إسماعيل وأبيه إبراهيم البيت الحرام بمكة وتفجر بئر زمزم من تحت قدمي إسماعيل مما يؤكد أن فاران التي سكنها إسماعيل هي الصحراء التي بها مكة المكرمة..وهذا ما اعترف به عدد من المؤرخين منهم المؤرخ جيروم والمؤرخ اللاهوتي يوسبيوس.

(٤) نسبة بناء البيت الحرام بمكة إلى إبراهيم وإسماعيل أمر ثابت قد توارثه أهل مكة جيل بعد جيل ولم يخالف في ذلك أحد منهم ، كما أن حفظ الله للبيت الحرام من أبرهة صاحب الفيل وجيوشه وإرساله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل - أمر ثابت أيضًا ولا يمكن النزاع فيه لأن تلك القصة قد حدثت في عهد عبد المطلب جد الرسول في عام مولد الرسول صلى الله عليه وسلم والذي سمي بعام الفيل، وهذه القصة مذكورة في القرآن الكريم بعد ٤٠ سنة فقط من حدوثها، أي أن الكثير من أهل الكتاب ومن أهل مكة الذين عاصروا حادثة الفيل كانوا موجودين أثناء نزول السورة ولم يعترض أو يخالف منهم أحد وعليه فإن حفظ الله للبيت الحرام بمكة هو أمر ثابت تاريخيا لا يمكن النزاع فيه.

(٥) ادعى مونتوس في القرن الثاني الميلادي أنه هو البارقليط القادم؛ وادعى ماني نفس الإدعاء في القرن الرابع الميلادي وتشبه بالمسيح فاختار اثنا عشر تلميذًا وسبعين أسقفًا أرسلهم إلى بلاد المشرق؛ ولو كان فهم النصارى الأوائل للبارقليط

على أنه الروح القدس لما جرؤ أحدهم أو حتى خطر بباله هذا الإدعاء ولقد ذكر أدوين جونس في كتابه نشأة الديانة المسيحية أن النص الذي يتحدث عن البارقليط هو تبشير بمحمد وأن المسيحيين قد أدخلوا هذا النص في إنجيل يوحنا خطأ وجهلا منهم بعد ظهور الإسلام وتأثرهم بالثقافة الإسلامية!!!

(٦)لمزيد من المعلومات التاريخية عن جبل سلع بالمدينة يمكنك الرجوع إلى معجم البلدان ٢٣٦/٣؛ الرحيق المختوم٣٣٣؛ وفاء الوفا١٢٣٥/٤؛ عمدة الأخبار٣٣٧؛ تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا٢٢.(٧) كما أن النص السابق ينطبق على النبي – صلى الله عليه وسلم- ورسالته إذ أن كل الصفات منطبقة عليه تمامًا ولا يمكن حملها على أحد غيره، فبنفس القوة أيضا ينتفي أن يكون النص يشير للمسيح عليه السلام إذ لا يمكن بحال من الأحوال حمل الصفات الواردة في النص عليه.. وبرغم ذلك فقد ورد في الإنجيل أن النص السابق يخص المسيح عليه السلام!!، فقد ورد في إنجيل متى ١٢: ١٧(لكي يتم ما بإشعياء النبي القائل هو ذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم).. ويبدو أن كاتب الإنجيل تحرج من استخدام كلمة(عبدي) التي وردت في سفر أشعياء فاستبدلها في إنجيل متى بكلمة(فتاي)!!...... فهل يخرج علينا بعد ذلك من أهل الكتاب من ينكر تحريف الأناجيل؟!!.. وبعد قراءة النص السابق القاطع بنبوة الرسول –صلى الله عليه وسلم- .. هل سيتدبرون القرآن؟!.. أم ما زالت على قلوب أقفالها؟!!

(٨)راجع الرحيق المختوم ٤١٥

(٩)القصة بطولها في صحيح البخاري كتاب الأنبياء٤٤٧/١

(١٠) لا أرى تفسيرا لجملة(تتحول إليك ثروة البحر) إلا تلك الكنوز البترولية الضخمة النائمة في قاع البحر الأحمر والخليج العربي والتي حولت الجزيرة العربية من صحراء قاحلة إلى بقعة تعج بالأموال والثروات.

(١١) نفس الصفة وردت في نبوءة إشعياء التي كانت تتحدث عن أرض الله الجديدة وعن نبي آخر الزمان..وهذه الصفة التي تشير إلى القوة المادية التي سيؤيد بها النبي بجانب القوة الروحية وهداية الناس مقترنتان تقريبا في كل النصوص، فهل ذلك من قبيل المصادفة أيضا؟!

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- الكتاب المقدس، النسخة العربية؛والنسخة الإنجليزية(نسخة الملك جيمس المعتمدة).
٣-صحيح البخاري، الإمام:محمد بن إسماعيل البخاري.
٤- مبشرات الرسالة، الشيخ عبد المجيد الزنداني.
٥- الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيميه.
٦- قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة.
٧- الرحيق المختوم، المباركفوري.
٨-شبكة الاتصالات الدولية(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موسوعة كريستيانيتي، معجم الطرق القديمة، موسوعة ويكيبيديا، مؤسسة مانفريد ليهمان،

موسوعة أيريدس،القاموس الإنجليزي للكتاب المقدس، موقع دراسات الكتاب المقدس، الموسوعة اليهودية جويش إنسيكلوبيديا، معجم بلاد فلسطين).
٩- هداية الحيارى، ابن القيم.
١٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي.
١١- معجم البلدان، ياقوت الحموي.

٦٤. النبوءات عن النبي محمد في التوراة والإنجيل

النبوءات عن النبي محمد في التوراة والإنجيل
الدكتور وديع أحمد (شماس مصري سابق)
من توراة موسى عليه السلام :
* جاء في كتاب (تثنية ١٨:١٨) أن الله سبحانه وتعالى قال للنبي موسى (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم، مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به)
التعليق :
*هذا الكلام بشارة بمولد نبي من أخوة بنى إسرائيل- أي من بنى إسماعيل ولو كان المقصود نبي يهودي مثل المسيح لقال (نبي منكم).
* وهذا النبي يكون مثل النبي موسى عليه السلام في كل شيء: يتزوج وينجب ويهاجر بشعبه من أرض الكفر بعد أن يتعرضوا للأذى منهم ويحارب الكفار ويهزمهم وتنزل عليه رسالة من السماء على فترات طويلة وقد كانت أربعين سنة للنبي موسى عليه السلام وأخيراً يموت ويدفن.
* وكل هذا ينطبق على النبي محمد ولا ينطبق على المسيح عيسى كما يحاول النصارى أن يؤكدوا، لأن المسيح لم يتزوج ولم يحارب ولم يهاجر ولم يدفن، بل رفعه الله إليه.
* كذلك يكون كلام الله في فم هذا النبي أي أنه نبي أمي يحفظ رسالته بينما المسيح كان معه إنجيلا كما قال عدة مرات مشيراً إليه بقوله (هذا الإنجيل) في (انجيل مرقص) بالذات.

من مزامير داود النبي عليه السلام:
(مزمور ٤٥) يتكلم النبي داود عن أعظم نبي سوف يأتي وقد أعلمه الله بصفات هذا النبي بالوحي فقال: (فاض قلبي بكلام صالح، أتكلم بانشائى للملك، أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك أيها الجبار، بجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة فتريك يمينك مخاوف، وشعوب تحتك يسقطون، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك، بنات الملوك بين محظياتك)
تعليق :
* قال النصارى أن كل هذا الكلام أيضا عن المسيح، بينما هو لا يوافق عقيدتهم في عبادة المسيح لقول داود النبي(الله إلهك).

* أيضا هذا الكلام عن نبي يحارب أعداءه ويهزمهم بالسيف، ولم يظهر نبي بعد داود عليه السلام يحارب أعداءه بالسيف ويهزمهم شعوباً أخرى كثيرة سوى محمد صلى الله عليه وسلم.
* وأعطى تفسيراً سريعا لكلام النبي (داود) عن النبي (محمد) عليهما الصلاة والسلام :-

١- (الملك) هو أعظم نبي وخاتم الأنبياء ومثلها (مسحك الله أكثر من رفقائك) أكثر من الأنبياء.
٢- (انسكبت النعمة على شفتيك) يحفظ رسالته من الوحي لأنه أمي ولا ينطق إلا حقاً ويعلم الناس القرآن بالحفظ أيضاً.
٣- حارب الكفار ونصره الله بالرعب مسيرة شهر (بجلالك اقتحم) وذلك لأجل نشر الدعوة إلى دين الله (الحق).
٤- وتزوج من بنات العظماء والملوك (بنات الملوك من محظياتك).
٥- رسالته تنمو دائماً (بارك الله إلى الأبد).

والنبي سليمان عليه السلام قال في مزمور (٧٢) وأختصر منه بعض الكلمات:
" تحمل الجبال سلاماً للشعب.. يقضي لمساكين الشعب .. يسحق الظالم .. يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام. يملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. أمامه تجثو أهل البرية. ملوك يقدمون هدية له. ويصلى لأجله دائماً. اليوم كله نباركه."

تعليق :

* هذا أيضاً حاولوا أن يجعلوه عن المسيح بزعم أن (ملوك يقدمون هدية له) تتكلم عن (المجوس) الذين قدموا هدية للمسيح بعد مولده . مع أنهم عبدة النار وليسوا ملوكاً ولكن كلام النبي سليمان- عن نبي يأتي في أرض الجبال والصحراء البرية (ويملك) أي يكون له نظام حكم وجيش وأمراء جيوش.
*كما أنه (يقضي لمساكين الشعب ويسحق الظالم) بينما المسيح كان يرفض أن يحكم بين الناس وينصف الظالم (انجيل لوقا ١٢/١٤).
* وفى أيامه أشرق (الصديق) أبو بكر، وكانت تحيته (السلام) بينما تحية اليهود (النعمة) وتحية النصارى (سلام) وأمر أتباعه (أفشوا السلام بينكم).
* كما امتد سلطانه في حياته من بحر العرب إلى البحر الأحمر، ودعوته انتشرت بعد موته بلا نهاية (إلى أقاصي الأرض)
* وصلاة أتباعه – تتكون من ركوع والسجود (أمامه تجثو أهل البرية) وكانوا ومازالوا يتبعون تعاليمه بكل احترام وخضوع ولا يجرؤ أحد أن يدعى أنه يتكلم بسلطان مثلما يفعل بطاركة وقساوسة النصارى واليهود .
* وقدم له الملوك في حياته الهدايا – ومنهم ملك مصر الذي أهداه ابنته وجاريتين.
* وكل لحظة يقول المسلمون – والى يوم القيامة (اللهم صلى وسلم وبارك على محمد) – مثلما يقول النبي سليمان هنا (ويصلى لأجله دائماً. اليوم كله يباركه)
* هل يوجد أهل دين – غير الإسلام – يقولون هذا عن نبيهم ؟ لا يوجد.

(اشعياء ١٣/٢١) كتب :
" وحى من جهة بلاد العرب : في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء. فإنهم من أمام السيف قد هربوا من أمام السيف المسلول. فانه هكذا قال لي السيد الرب: في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار لأن الرب تكلم"
الشرح والتعليق :
هذه النبوءة تتكلم عن العرب فلم يجرؤ النصارى أن يجعلوها عن المسيح، ولكن أهملوها ولم يحاولوا التفكير فيها – بينما هي تتكلم عن حادث عظيم يحدث في بلاد العرب والا ما استحق أن يتنبأ عنه اشعياء – أعظم أنبياء اليهود – وصاحب الإنجيل الخامس كما يقول علماء المسيحية.

١-(وحى من جهة بلاد العرب) يأتي الوحي إلى رجل من العرب ؛ أي يظهر نبي عربي.
٢- (الددانيين) هم نسل إبراهيم عليه السلام (تكوين ٢٥)
يذهبون في (قوافل) للحج إلى (تيماء) مكان مولد النبي الجديد، وأهلها يقابلون الحجاج العطشان بالماء. وهذه إشارة إلى انتشار الإيمان من هذه الأرض .
٣- (يفنى مجد قيدار) و(قيدار) هو ابن إسماعيل عليه السلام. وهم سكان مكة وهذا دليل انتصار هذا النبي على قومه وخضوعهم له ويصير رئيسهم.
٤- (لأن الرب تكلم) لأن رسالة هذا النبي من عند الله، وتنتشر دعوة هذا النبي وينتصر لأن هذا أمر الله.
....
النبي (حبقوق ٢/٣) يقول :
"يا رب قد سمعت خبرك فجزعت : الله جاء من تيمان. والقدوس من جبل فاران "
وسبب (جزع) النبي اليهودي أنه علم أن خاتم الأنبياء سوف يأتي من نسل إسماعيل عليه السلام (القدوس) من جبل فاران لأن (فاران) هي أول أرض سكنها إسماعيل (تكوين ٢١/٢١) و (تيمان) هي أرض ابن إسماعيل (تكوين ١٣/٢٥) أو هي نسله فلما علم النبي اليهودي بأن خاتم الأنبياء وخاتم الرسالات يكونان من نسل إسماعيل عليه السلام جزع خوفا على اليهود وحزنا لأن النبي الخاتم ليس من

٦٥. رسالة إلى العقل والقلب [دراسة مقارنة عن النبي محمد]

رسالة إلى العقل والقلب
بقلم طارق أبو عبد الله
أما فكرت في نفسك قط من عساه يكون ذلك الرجل الذي شغل البشرية بما جاء به إلى يومنا هذا و بُعثت به من العدم أمة كانت تعيش في جاهلية عمياء فأصبحت في غضون سنوات قليلة دولة راسخة الأركان وحضارة مزدهرة امتدت في جميع أنحاء المعمورة لا يقف في وجهها شيء؟

أما تأملت كيف استطاع رجل بمفرده – لو كان بمفرده – أن يحدث أكبر تغيير شهده التاريخ و هو على يقين بما جاء به و ما سيصل إليه من أول يوم بدأ فيه دعوته؟ ألم تسأل ما الذي جناه هذا الرجل لنفسه من متاع الدنيا مقابل تحمله مشاق هذه الدعوة و الصبر على أذى قومه و تكذيبهم ثم جهادهم عليها جهادا كبيرا؟ إذا أردنا الإجابة عن هذه الأسئلة فلابد أن نبدأ من البداية التاريخية التي يتفق عليها المصدقون به و المكذبون من قومه و من أهل الكتاب من وقت عاش إبراهيم عليه السلام.
هناك في تلك البقعة المباركة حيث ترك النبي إبراهيم عليه السلام ولده الرضيع إسماعيل وزوجته هاجر وحدهما في الصحراء بأمر من ربه وسافر إلى الشام تولى الله أمر الصبي و أمه و فجر لهما بئر زمزم ينبوعًا صافيًا و ماء معينًا بمعجزة إلهية باقية إلى يومنا هذا يرتوي منها الحجاج و المعتمرون من جميع أنحاء الأرض ثم ألف الله حولهم قلوب مجموعة من البدو فعاشت معهما حول الماء ونما بينهم الفتى إسماعيل وتعلم لغتهم حتى أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يعيد بناء البيت الحرام بعد أن هدمه طوفان نوح عليه السلام لكي يعبد الناس عنده ربهم.
فرفع إبراهيم و إسماعيل قواعد البيت وأذن إبراهيم في الناس بحج البيت فلبى الناس النداء - وما زالوا يلبون إلى يومنا هذا – وظل هذا البيت آية و قبلة للناس تحج إليه العرب و تعظمه أشد التعظيم ولا ينكر حقه وفضله يهودي ولا نصراني حتى أن الملك النصراني الذي أراد هدمه – وهو أبرهة – كي ينصرف الناس عنه إلى كنيسة بناها بالحبشة رد الله كيده في نحره وأرسل عليه طيرًا من السماء ترميه بحجارة ملتهبة أهلكته و جنوده في حادثة خلدها القرآن في سورة كاملة[١] لم ينكرها أي من مشركي العرب وهم الذين كانوا يتلهفون لكي يجدوا خطأ واحدا في القرآن. و في نفس هذا العام وُلد من بني إسماعيل بجوار البيت ذلك الفتي اليتيم الأمي الذي عرف بين عشيرته بالصادق الأمين وعاش بينهم أربعين سنة كان فيها مثال الصدق و الشهامة والأخلاق الفاضلة فنشأ حنيفا على ملة أبيه إبراهيم لا يشارك قومه في عبادتهم للأوثان ولا في لهوهم و لعبهم وحُبِّب إليه الخلوة فكان يخلو بنفسه في أحد جبال مكة يعبد ربه و يتأمل في ملكوت السماوات والأرض حتى نزل عليه روح القدس و أمين الوحي جبريل عليه السلام فأقرأه أولى آيات القرآن الكريم:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.) فعاد محمد يرجف بها فؤاده فدخل على خديجة زوجته قائلا زملوني، زملوني [٢] وأخبرها بما حدث فقالت: " كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".
ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرءًا تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقاله له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا[٣]، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

و هذه كانت البداية.. بداية الرسالة.
و الآن نعود لنسأل أنفسنا نفس الأسئلة السابقة
هل كان هذا الرجل بمفرده أم أنه كان مؤيدًا من عند الله عز و جل؟
و هل يجب عليّ أن أتخذ موقفًا واضحًا و منصفًا منه أم يكفي أن أسير هكذا كما سار أبائي و أجدادي ولا أشغل نفسي بأمره؟
إن العقل الراجح و البحث المحايد إذا نظر في دعوى محمد –صلى الله عليه وسلم - للنبوة ذلك الأمر العظيم فعليه أن يبحث في ثلاثة أمور على الأقل هي:
١. حياة محمد وسيرته وأخلاقه وتعامله مع أعدائه فضلاً عن أصحابه.
٢. ما جاء به محمد وما دعا إليه من عقائد و شرائع و معاملات.
٣. موقفه من الأنبياء السابقين الذين يتفق الناس على نبوتهم وأصحاب الديانات الأخرى من أهل الكتاب وموقف أهل الكتاب منه.
وقبل أن نستطرد في هذا البحث أود أن نتفق معًا على قاعدة في غاية الوضوح والبداهة وهي أن العقيدة الصحيحة المنزلة من عند الله في السماء لهداية البشر إلى ربهم يجب أن تكون هي أوضح الأمور وأبسط المسائل لا يكتنفها الغموض والتعقيد ولا يختلجها التكلف أو التناقض ويجب أيضًا أن تكون مبنية على أدلة قوية واضحة وضوح الشمس لا على الظنون والأوهام ويجب ألا تحتاج الحقيقة إلى السب والشتم واختلاق الأكاذيب للإقناع بها ويجب أن يفهمها الناس على اختلاف عقولهم وأفهامهم بدون الحاجة إلى الخوض في متاهات الفلسفة والسفسطة.
فإذا اطمئن قلبك لسلامة هذا المنهج ونمت في نفسك روح البحث عن الحق في هذا الأمر الخطير فالجزء الأول من هذه الرسالة الصغيرة يضع أمامك خطوطًا رئيسية وعلامات في طريق بحثك لك أن تقرأها وتعرضها على قلبك وعقلك ثم تتبع ما تطمئن إليه نفسك و ينشرح له صدرك.
وأما الجزء الثاني فيناقش جانبًا آخر من قضية الدين – أهم قضية في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية - وهي مناقشة عقلانية لبعض العقائد التي تربي بعضنا عليها بدون أن يعطي نفسه فرصة للتفكر فيها بهدوء إيمانًا بأن الإنسان السوي هو الذي يحترم عقله و فطرته ولا يسير كالقطيع مغمض العينين في أمر قد يترتب عليه سعادته الأبدية أو شقاؤه الأبدي و لكنه الذي يعمل عقله وفكره ولا يعطلهما ويسأل ربه في كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم الذي يوصله إليه
النبي الأمي
(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ)؟
كل من قرأ سيرة محمد وأخباره وأيامه من الباحثين المنصفين غير المسلمين أجمعوا على أن هذا الرجل قد اجتمعت فيه كل صفات الكمال البشري من حسن الخلق ورجاحة العقل وسلامة الفطرة ورقة الطبع والشجاعة وبلاغة اللسان.
هذا الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه الأبطال: " لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

إلى أن قال: " وعلى ذلك، فلسنا نَعُدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر. وما الرسالة التي أدَّاها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق.

كلا، ما محمد بالكاذب، ولا المُلَفِّق، وهذه حقيقة تدفع كل باطل، وتدحض حُجة القوم الكافرين.

ثم لا ننسى شيئاً آخر، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً، وكانت صناعة الخط حديثه العهد إذ ذاك في بلاد العرب ـ وعجيب وأيم الله أُمِّيَة العرب ـ ولم يقتبس محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذين أشبِّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور.

وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيداً، كريماً بَرًّا، رؤوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً، شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب، ليِّن العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان ـ على العموم ـ تضيء وجهه ابتسامةٌ مشرقة من فؤاد صادق؛ لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأقواله ". ويقول: " كان عادلاً، صادق النية، كان ذكي اللب، شهم الفؤاد، لوذعياً، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم، ممتلئاً نوراً، رجلاً عظيماً بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك".

و بعد أن أفاض (كارليل) في إنصاف النبي محمد ختم حديثه بهذه الكلمات: "هكذا تكون العظمة• هكذا تكون البطولة•هكذا تكون العبقرية".

أما (لا مارتين) الفيلسوف الفرنسي فيدافع بحرارة عن النبي صلى الله عليه وسلم وينفي بصرامة وقوة أن يكون كاذباً أو مفترياً على الله فيقول:

(إن حياة محمد، وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده، ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية••• إنه فيلسوف وخطيب ومشرع وهاد للإنسانية إلى العقل وناشر للعقائد المعقولة الموافقة للذهن وهو مؤسس دين لا فرية فيه ومنشئ عشرين دولة في الأرض وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد، فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية ما أدرك محمد وأي آفاق بلغ إنسان من مراتب الكمال ما بلغ محمد• ويقول في موضع آخر: "أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، ومن ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه، عند النظر إلى جميع المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي هذه كلها تدل على إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة. إن الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد، لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق[٤]"

و هذا (جوتة) الأديب الألماني: ""إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد"[٥]
ويقول الأديب الروسي(ليو تولستوي) والذي حرمته الكنيسة بسبب آرائه الحرة الجريئة:
"أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء ... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وفتح لها طريق الرقي والمدينة"[٦]
ويقول العلامة (شيريل)، عميد كلية الحقوق بفيينا: "إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها".
فهل ترى أن كل هؤلاء الأدباء والمفكرين – ولولا قصر الرسالة لذكرت أكثر من ذلك- من مختلف الجنسيات قد اخطأوا في مدح محمد؟ أو أنهم أجمعوا علي الثناء عليه بمحض الصدفة؟ أم أنهم كانوا غير مشهورين فأرادوا أن ينالوا الشهرة من خلال مدحهم له – صلى الله عليه و سلم-؟ أم أن هذه الشخصية العظيمة تستحق فعلا الثناء والمدح؟ ترى هذا الرجل الذي لبث بين ظهراني قوم جاهليين و ظل فيهم أربعين سنة لا يشاركهم في عبادتهم للأوثان و لا يقارف منكرًا مدة شبابه كله حتى إذا بلغ من العمر أربعين سنة وأصبح إلى الشيخوخة أقرب منه إلى الشباب أتى بهذا الأمر العظيم بعزيمة أمضى من السيف وأمل أسطع من البرق لا يكل ولا يمل حتى أدى رسالته ونجح في مهمته هل يمكن أن يكون مزوِّرا؟
هؤلاء أهل مكة قالوا له بألسنتهم قبل أن يبلغهم الدعوة "ما جربنا عليك كذبا قط" وكانوا يودعون عنده أماناتهم حتي بعد أن جهر بالدعوة لإنه عندهم ما زال الصادق الأمين ولو كذب مرة واحدة لما آمن به أحد منهم فهل تراه يذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله؟ وقد بلغ من حسن أخلاقه أن الرجل كان يأتيه قبل أن يسلم وهو أشد الناس كراهية له – صلى الله عليه وسلم – فما يمكث معه إلا قليل حتى يقوم من عنده داعيًا قومه قائلاً لهم جئتكم من عند خير الناس و قد أصبح أحبهم إليه –صلى الله عليه وسلم.
هب أن أخلاقه هذه كانت تكلفًا مع الناس فهل يتحمل أن يتكلف أيضًا داخل بيته مع زوجاته و بناته – على كثرتهن – أم أنه كان يحسن معاشرتهن[٧] ويقول: (خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي) حتى أن أول من آمن به و صدقه زوجته خديجة؟ وحينما سئلت زوجاته عن حاله في بيته قالت كان في مهنة أهله - تعني في خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى وفي حديث آخر كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ولم يضرب بكفه امرأة قط وكان يستئذن زوجاته إذا أراد أن يُمَرّض في بيت إحداهن و كان يداعبهن وسابق عائشة زوجته مرتين فسبقته وسبقها وكان يمزح ولا يقول إلا حقًا وكان يدعو أصحابه إلى إحسان عشرة النساء ويقول:(اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله) وكان يقول أن خير الدراهم هو الدرهم الذي ينفقه الرجل على أهل بيته

بل إن خادمه أنس بن مالك يقول: [خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت[.وكانت آخر وصيته قبل موته (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) يوصي بالمحافظة على الصلاة وإحسان معاملة الخدم والعبيد.

و كان –صلى الله عليه وسلم- أكرم الناس فما سُئل شيئًا يملكه وقال لا وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وكان مثالاً في الحلم والصفح فقد روي أنه كان نائمًا تحت ظل شجرة و سيفه معلق عليها فجاء أعرابي فأخذ السيف وقال يا محمد من يمنعك مني فقال : الله. فسقط السيف من يد الرجل فأخذه النبي و قال له: من يمنعك أنت الآن مني؟ فقال: لا أحد. فعفا عنه وانصرف الرجل وقسم مرة مالاً بين ناس فجاءه أعرابي فجذبه من طرف ردائه و قال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فغضب رسول الله و ما زاد على أن قال: (ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا و صبر و كان أرحم الناس و أرضاهم بقضاء الله) انظر إليه و قد فاضت روح ابنه إبراهيم بين يديه فقال وهو تدمع عيناه: " تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون ". و كان أشجع الناس حتى أن الصحابة كانوا يحتمون به في المعركة إذا اشتد وطيسها و حمي أوارها. أفما آن للعاقل أن يفكر: هل يمكن أن تجتمع كل هذه الشمائل-التي لم تتغير طوال حياة صاحبها- إلا في نبي كريم متبع لملة أبيه إبراهيم؟ هل جنى محمد – صلى الله عليه وسلم – لنفسه من دعوته تلك شيئًا من متاع الدنيا الزائل أم أنه كان يربط الحجر والحجرين على بطنه من الجوع و يقول اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة [٨]؟ ألم يكن يظل بالشهر والشهرين ولا توقد في بيته نار و يقول: (اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً) في حين أنك ترى في كل دين آخر ما يكفل للكهنة ورجال الدين فيه مصادر الثروة والغنى[٩] فما الذي صبره على ذلك إن لم يكن من الصادقين؟ وما الذي حمله على ألا يقبل غلو أصحابه في حبه ومدحه فتراه لا يرفع نفسه عن قدره ويقول لأصحابه: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله و رسوله) وفي إحدى المواقف جلست جويريات يضربن بالدف صبيحة عرس إحدى نساء الأنصار وجعلن يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائها يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: (دعي هذا، و قولي بالذي كنت تقولين) ومصداق ذلك في كتاب الله: " قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"

و لما توفي أحد المهاجرين قالت عنه امرأة من الأنصار: رحمة الله عليك يا أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(وما يدريك أن الله أكرمه). فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال:(أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي). قالت: فو الله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا.

أترى لو كان محمد يتحامى الكذب دهاء وسياسة خشيةً أن يكشف الغيب قريبًا أو بعيدًا عن خلاف ما يقول ما الذي كان يمنعه أن يتقول ما يشاء في شأن ما بعد الموت

وهو لا يخشى من يراجعه فيه ولا يهاب حكم التاريخ عليه؟ لقد منعه الخلق العظيم و تقدير المسئولية الكبرى أمام حاكم آخر أعلى من التاريخ و أهله[١٠]

هب أنه كان يكذب على الناس أفكان يكذب على نفسه أيضًا؟ فقد كان مجموعة من الصحابة يحرسون النبي حتي نزلت هذه الآية: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " فقال لهم: (أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله) [١١]ولم يتخذ حرسًا بعدها و قد وقف وحده في ميدان المعركة وسط المشركين و قد تفرق أصحابه من حوله و هو يهتف: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فمن ذا الذي حماه وعصمه حتى بلغ الرسالة كاملة وأدى الأمانة أوفى أداء؟ وما الذي جعله واثقًا تمام الثقة من النصر والتمكين لدينه حتى في أحلك المواقف وأقسى الأزمات[١٢] فيبشر أصحابه بعروش كسري وقيصر في حين أن اليهود والعرب يحاصرونهم من أسفل منهم ومن فوقهم وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر إلا إن كان موعودًا من الله الذي لا يخلف الميعاد بالنصر والتمكين؟ هبه امتلأ رجاء ببقاء هذه الدعوة و ظهورها ما دام يتعهدها بنفسه فمن الذي تكفل له بعد موته ببقائها وحمايتها وسط أمواج المستقبل العاتية؟ وكيف يجيئه اليقين في ذلك و هو يعلم من عِبَر الزمان ما يفت في عضد هذا اليقين فكم من نبي قُتل وكم من كتاب فقد أو حُرِّف؟[١٣] هل رأيت كاهنًا أو ساحرًا أو عرافًا جاءه مثل هذا اليقين الذي لا يتزعزع و الثبات الذي لا يتردد؟؟

ومن الذي ألف حوله قلوب أصحابه و جمعهم على دعوته بعد أن كانوا قبائل متناحرة لا يجمعهم نظام ولا ينقادون تحت لواء[١٤]؟ أرأيت كيف استجابوا له في النهاية إذ دعاهم إلى ترك دين أبائهم وأجدادهم إلى عبادة الله وحده وترك الأنفة والفخر إلى ضرب الظهور بالسياط إن شربوا الخمر أو قذفوا إنسانا و قطع الأيدي إن سرقوا أو أفسدوا في الأرض؟ فمن الذي حول طباعهم من الغلظة والبداوة وبعد أن كان أحدهم يأنف أن تسبق ناقته ناقة أخرى إلى رفق الإسلام و رحمته وتواضعه فأصبح السيد والعبد يقفان متجاورين في الصلاة؟ ومن الذي كان يجيب دعائه إذا دعا لأحد من أصحابه؟ ألم يدعُ للمدينة المنورة بأكملها ألا يدخلها طاعون فما دخلها وباء إلى اليوم؟ ألم يدع لقبيلة بأكملها أمام أصحابه أن تسلم وتأتيه فأسلمت عن بكرة أبيها؟ أتراه يغامر لو كان كاذبًا بأمر كهذا؟ أيمكن لرجل أمي أن يغامر ويزعم أنه نبي يؤمن بجميع الأنبياء من قبله من أول آدم مرورًا بموسى وعيسى عليهما السلام ويجعل الكفر بواحد منهم كالكفر بالجميع ثم يتحدى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الموجودين في عهده – بل إلى قيام الساعة – ويناقشهم في أخص أمور دينهم بل ويفضحهم ويواجههم بتحريفهم لكتب أنبيائهم؟ لقد بلغ من تحديه إياهم أنه لما هاجر توجه إلى أحد معاقل اليهود في الجزيرة العربية وهي يثرب -وكان يمكنه أن يهاجر إلى أرض ليس بها أهل كتاب فما الذي دعاه إلى ذلك لو كان من الكاذبين؟ قل لي بربك لو كان هذا الدين من عند نفسه وليس من عند الله فما حاجته للإيمان بالأنبياء السابقين ويدخل في هذه المواجهات[١٥] مع اليهود والنصارى ويعلن أن إلـهه وإلـههم واحد ولكنهم هم الذين غيروا شريعته وبدلوا وحرفوا. ثم إنك تجد أن علماء اليهود والنصارى المنصفين يدخلون في دينه أفرادًا وجماعات ويتبعون شريعته منذ

أن بعثه الله و إلى اليوم.[١٦] إن الكثيرين منهم عندما يتجردون من الأهواء والنزعات الشخصية والعصبية فإنهم سرعان ما يبصرون الحق ويعتنقونه بل إن عدداً من المستشرقين والمبشرين النصارى الذين بدئوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسلام وإظهار عيوبه المزعومة، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين، وما ذلك إلا لأن للحق حجته الدامغة التي لا سبيل إلى إنكارها. قال الله عز وجل: " أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ ".
ثم كيف يمكن لرجل عادي – لو كان عاديًا – أن يؤلف وحده شريعة محكمة لا تدع أمرًا من أمور الإنسان إلا ونظمته على الوجه الأمثل بدءًا من طريقة الأكل والشرب حتى نظام الحكم فما تركت خيرًا من أمور الدنيا إلا وأمرت به ولا شرًا إلا و نهت عنه ويشهد بذلك مفكرو الغرب أنفسهم والدراسات الحديثة والفضل ما شهدت به الأعداء. وما زالت إلى اليوم هذه الشريعة معينا لا ينضب للباحثين والعلماء يستخرجون منها من الحكم الباهرة والأحكام الدقيقة ما يدعو الناس للإيمان والتصديق.[١٧] كيف أمكن لرجل بمفرده- لو كان بمفرده- أن يحدث أكبر تغيير ديني وحضاري وسياسي واجتماعي في العالم استمر إلى الآن حتى إن مفكري الغرب عندما اجتمعوا لكي يحددوا المائة الأوائل الذين كان لهم أكبر تأثير في تاريخ البشرية جعلوا محمدًا على رأسهم وظهر ذلك في كتاب المائة الأوائل لمايكل هارت[١٨]ألم تمر على أمة الإسلام مائتا عام إلا وكان المسلمون يعيشون نهضة علمية في شتى المجالات في حين كانت أوروبا ترزح تحت جبال من الجهل والتخلف والخرافات؟!
ثم ألم يكن أولى به لو كان يدعي النبوة أن يخفف من تكاليف الشريعة لأقصى درجة ممكنة لكي يستكثر من الأتباع ولا ينفر الناس من الدخول في الدين الجديد [١٩] لكنك ترى أنه أخبرنا أن الله فرض علينا خمس صلوات في اليوم و الليلة منها ما يوافق ساعات نوم الإنسان و أمرنا بزكاة تؤخذ من أغنيائنا لترد على فقرائنا و أمرنا بصيام شهر كامل كل عام و بحج بيت الله الحرام مع ما في ذلك من مشقة للبعض ثم حض بعد ذلك على أداء الزيادة من هذه الطاعات و قيام الليل تقربًا إلى الله ثم الأمر بالإحسان إلى الخلق بمختلف أنواع البر وصلة الأرحام والأقارب وإن قطعوا والعفو عن الأنام إن ظلموا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ثم النهي عن لذائذ النفوس و شهواتها المحرمة كالزنا وكل ما يدعو إليه من نظر أو لمس أو تبرج وشرب الخمر وأكل الربا ثم يكون بعد ذلك أول الناس التزاما بما يدعو إليه حتى في خلوته حين يظن أن لا يراه بشر بل و يزيد على أصحابه في الطاعة ما لا يطيقونه هم[٢٠]. فما الذي حمله على ذلك إن لم يكن من الصادقين في عبادته لربه و في نبوته؟ هل الذي يأمر بهذه الأوامر يمكن أن يكون كاذبًا على الله؟(أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ) ألا تعجب أنه مع كل تكليفات الإسلام هذه فإنه أوسع الأديان انتشارًا و ذلك باعتراف غير المسلمين ويقبل عليه الناس من جميع الفئات والأعمار حتى الأطفال.[٢١] لو كان محمد كاذبًا فلماذا تركه الله ينشر دعوته طوال٢٣ سنة بدون أن يعاقبه أو على الأقل بكشف كذبه للناس ولو بزلة لسان؟!

أو كان صدفة أن يولد هذا النبي و يحيا أكثر عمره بجوار بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام و ما زالت آثار إبراهيم موجودة فيه إلى اليوم ثم يتخذه قبلة في صلاته؟ ومن الذي حفظ الكعبة من التدمير على يد إبرهة والمشركين وحفظ مكانتها ومهابتها في قلوب المؤمنين؟ ترى لو أن هذا الدين كان من تأليفه فهل تكون الكعبة المشرفة من بنائه أم تكون بئر زمزم من حفره؟!(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً)

النبأ العظيم

(قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)

كل المؤرخين مجمعون على أن النبي نشأ أميًا لا يعرف القراءة والكتابة وأنه لم يكن يقرض الشعر في حياته بينما كانت العرب تفتخر ببراعتها البلاغية ويقيمون الأسواق يتباهون فيها بالقصائد الطوال والمعلقات الجياد ولم يكن لمحمد أي شأن يذكر في هذا المضمار من قريب أو بعيد. ثم ماذا؟ ثم خرج علهم محمد بين عشية وضحاها بآيات بينات غاية في البلاغة وجمال النظم تحدى بها قومه بل تحدى بها العالم كله -وهكذا الرسل تأتي بمعجزات من جنس ما برع فيه أقوامهم ليكون أبلغ في الإعجاز- وقال للناس: (لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً). فانظر إلى هذا النفي المؤكد بل الحكم المؤبد هل يستطيع عربي يدري ما يقول أن يصدر هذا الحكم وهو يعلم أن مجال المساجلات مفتوح بين العرب على مصراعيه؟ ألم يكن يخشى أن يثير هذا التحدي حميتهم الأدبية فيهبوا لمنافسته وهم جميع حذرون؟ سل نفسك لو طوعت لمحمد نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة بل على الإنس والجن؟ ثم سلها ألم يفز القرآن في هذا التحدي فلم يهم بمعارضته أحد إلا باء بالعجز الواضح والفشل الفاضح على مر العصور والدهور. [٢٢] لقد نزل هذا التحدي إلى أن يأتوا بعشر سور مثله فما استطاعوا ثم نزل أكثر إلى سورة واحدة تضارع أقصر سور القرآن و أعلن أنهم لن يستطيعوا فهل سمعت أن رجلاً ألف سورة مثل سور القرآن تلقاها العالم بمثل ما تلقى به القرآن؟ سل نفسك كيف ظل القرآن محفوظًا إلى اليوم كما وعد الله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) يتناقله المسلمون جيلا بعد جيل متواترًا[٢٣] بينهم بنفس اللغة لا تتغير فيه كلمة ولا حرف ولا حركة تشكيل بطريقة هي أعلى طرق الرواية تثبتًا وحفظًا في حين أن غيره من الكتب فُقِدت أو غُيِّرت أو اندثرت لغاتها الأصلية. سل التاريخ كم مرة تسلط الكفار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل و أكرهوا أمما منهم على الكفر و أحرقوا الكتب و هدموا المساجد و صنعوا ما كان يكفي القليل منه لضياع هذا القرآن كُلا أو بعضا كما فُعل بالكتب من قبله لولا أن يد العناية تحرسه فبقي وسط هذه المعامع رافعا راياته و أعلامه حافظا آياته و أحكامه...[٢٤]

ألم تعجب كيف يسره الله القرآن للحفظ ما لم ييسر لأي كتاب آخر فتجد أن الطفل يبلغ السادسة من عمره وقد حفظ القرآن كله وقد يكون مع ذلك أعمى! كيف يحدث

ذلك الانسجام العجيب بين الفطرة البشرية و بين القرآن إلا أن يكون خالق النفس البشرية هو نفسه مصدر هذا القرآن؟

ثم إنك إذا تأملت طريقة نزول القرآن رأيت عجبًا...فإنه لم ينزل جملة واحدة من السماء لكن كان ينزل مفرقًا حسب الوقائع والأحوال فربما نزلت بدايات سورة ولا تنزل خواتيمها أو أواسطها إلا بعد عشر سنين تكون خلالها نزلت سور أخرى وختمت أو لم تختم فإذا هبط جبريل على النبي بآيات جمع النبي أصحابه ليكتبوا وراءه ثم يقول ضعوا آية كذا في سورة كذا في موضع كذا وآية كذا في سورة كذا وهكذا فتوضع الآية في مكانها الذي نزلت من أجله في أول السورة أو وسطها أو آخرها بين آيتين قد تكونا نزلتا قبلها بعشر سنين فتقرأ السورة فلا تحس بأي تنافر بين أجزائها. ثم إن الآية توضع مكانها الذي نزلت من أجله ولا يتغير هذا المكان بعد ذلك أبدًا لا تقديمًا ولا تأخيرًا حتى اكتمل هذا الكتاب المعجز في أجمل صورة و أعظم تركيب فأي تدبير محكم وأى تقدير مبرم وأى علم محيط لا يضل ولا ينسى ولا يتردد كان قد أعد لهذه المواد المبعثرة نظامها وهداها إلى ما قدره لها حتى صيغ منها ذلك العقد النظيم وسرى بينها هذا المزاج العجيب؟ [٢٥](أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرًا)

و الآن سل نفسك هل رأيت كتابًا ألف بهذه الطريقة أبد الدهر؟ وهل يستطيع كاتب أن يؤلف كتابًا في مدة ثلاث وعشرين سنة لا يؤلفه مرتبًا ولكن مفرقًا قطعًا قطعاً على غير ترتيب لا يقدم فيه ولا يؤخر ولكن يملي من وحي ضميره العبارات والجمل مفرقة بين الحوادث والسنين فتجد كل جملة لها مكانا ينتظرها بين جاراتها لا يجور ولا يجار عليه وكأنه أحصى ما سوف تلده الأيام من مفاجآت الحوادث المستقبلية صغيرة وكبيرة في مدى دهره ثم قدّر ما سوف تتطلبه تلك النوازل من كلام فقدر لكل حادثة قدرها؟! فكيف لو كان أميًا لا يقرأ ما يكتب له؟!!

هذا من جهة مبناه فإذا نظرت إلى محتواه وجدت من الإعجاز في المعاني ما لا يقل عن الإعجاز في النظم و المباني.[٢٦] ذلك أن القرآن حوى بين طياته كل ما يحتاج الإنسان إليه في حياته لكي يحيا حياة طيبة صالحة. تحدث القرآن عن وحدانية الله عز وجل وأقام عليها البراهين العقلية القاطعة وذكر من صفات الرب الحسنى وأفعاله الكريمة وسننه في خلقه ومظاهر نعمه عليهم ما يزيد إيمان المؤمنين ويرقق قلوب الكافرين وذكر من آيات الله المبثوثة في كونه ودعا الإنسان للنظر والتأمل فيها وتحدث عن نشأة الإنسان والغرض من خلقه ومصيره بعد موته ثم أخبره كيف يعبده ويتقرب إليه بأنواع العبادات البدنية والمالية والقلبية و تضمن الإخبار عن عالم الغيب من الملائكة و الجن والشياطين وكذا الإخبار عن قصص الأمم السابقة وأحوالهم مع أنبيائهم وعقاب الله للأقوام الظالمين بما جعله الله عبرة لكل معتبر ورد القرآن على شبهات المشركين وحذر المعاندين وأنذرهم وبشر المؤمنين وثبّتهم وحاور أهل الكتاب فأسكتهم وضرب للناس من كل شيء مثلاً وتحدث عن أهوال يوم القيامة وعلاماته وذكر ما أعده الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم وما ينتظر الكافرين من عذاب أليم ثم رسم للإنسان منهجًا يسير عليه في حياته وحد له حدودًا ووضع له ضوابط تضمن له و لمجتمعه السعادة الكاملة والأمن التام فذكر أحكام

المعاملات المالية وأحكام النكاح والطلاق و البيع والشراء والدَيْن والميراث وأحكام الإمارة والقضاء والحدود والقصاص حتى آداب الاستئذان والنظر والثياب ذكر القرآن منها ما يكفل للمجتمع طهارته و للإنسان عفافه و كرامته حتى مأكل الإنسان ومشربه أباح له كل طيب و حرم عليه كل خبيث على التفصيل و الإجمال وذكر أيضا آداب التعامل مع الوالدين و إن كانوا غير مسلمين ومع الزوجة و ذوي الأرحام وإن كانوا غير بارين حتى الخدم و العبيد و الأرامل والمطلقات والأيتام لم ينسهم القرآن حتى الطفل الرضيع والرجل الأعمى والأعرج ذكرهم الله(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً) وهكذا لم تخل آية في القرآن من حكمة وموعظة أو بشارة أو إنذار أو أمر أو نهي لما فيه مصلحة العباد الدينية والدنيوية فلله درها من آيات كم ألانت قلبا قاسيا و كم فتحت عقلا مغلقًا و كم شفت وساوس صدر مريض.

فهو معجزة كبيرة وشاملة وغنية تتجاوز كل الأزمنة والأمكنة، وتلبي جميع المطالب الإنسانية بدءً من العقائد وانتهاءً بأصغر الآداب الاجتماعية. [٢٧](فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ)

فإذا نظرنا إلى القصص القرآني سنجد أنه حوى أحسن القصص وقعًا في النفوس وأصدقها أحداثا و أكثرها عبرة في الوقت الذي كانت كتب اليهود والنصارى حافلة بالمغالطات التاريخية وقصص العاهرات و نسبة النقائص والفواحش للأنبياء بينما القرآن قصصه في أرفع درجات السمو الأخلاقي و الكمال الإنساني. وإن تعجب فعجب قول من يدعي زورًا وبهتانًا أن القرآن استقى أخباره التاريخية من الكتب الموجودة بأيدي أهل الكتاب في عهده!! و كأن القرآن لم يفضح تزويرهم صراحة و يواجههم بتحريفهم و يكشف مغالطاتهم[٢٨] ثم إنك تجد أن القرآن يحوي تفاصيل دقيقة لم تذكرها هذه الكتب وكفاك بقصتي يوسف وموسى عليهما السلام دليلا. [٢٩]

فهل كان صدفة أن توافق أخبار القرآن عن الأمم السابقة و أنبيائهم الصحيح المحرر[٣٠] من علوم أهل الكتاب و تزيد عليها و أما ما داخلها من التحريف و التغيير فلا يأبه له القرآن بل يصححه و يفضحه أحيانا كثيرة؟ و ممن؟ من رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب!!

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم؟

هب أن محمدًا اطلع على أخبار الأولين فهل تراه اتخذ عند الله عهدًا أن تصدق الأيام ما أخبر به من أمور المستقبل ولو بعد مئات السنين؟ فقد أخبر القرآن عن حوادث ستقع في المستقبل وحدثت كما أخبر تمامًا. فمثلا ذكر القرآن عن أناس معينين أنهم لن يسلموا وسيموتون على الكفر مثل أبي لهب وامرأته حمالة الحطب والوليد بن المغيرة فمن أين علم محمد أن هؤلاء لن يسلموا؟! وكيف لم يخش أن تطوع لأحدهم نفسه فيعلن إسلامه نفاقا لكي يحرج محمدًا؟ فيا عجبًا لهذه الآيات هل كانت مؤلفة من حروف و كلمات أم كانت أغلالاً وضعت في أعناقهم إلى الأبد؟ ومثل آخر في أول سورة الروم حيث دار بين الفرس الوثنيين و الروم النصارى أهل الكتاب معركة هزم فيها الفرس الروم ففرح المشركون بذلك لأنهم وثنيون مثلهم و حزن المسلمون فنزلت (الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ

سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)
و لقد صدق الله وعده فتمت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين و كان يومها هو اليوم الذي انتصر فيه المسلمون على المشركين في غزوة بدر. فكيف حدث ذلك بهذه الدقة إلا إذا كان الذي صدرت هذه الآيات عن علمه هو الذي صدرت هذه الحوادث عن مشيئته و حكمه؟
أما عن الآيات التي تتحدث عن خلق الكون وخلق الإنسان و الليل و النهار و الجبال و البحار والرياح و السحب والمطر والحيوان والنبات و النجوم والكواكب و الشمس و القمر والأرض و السماء فقد ذكر القرآن من أسرارها في كلمات وجيزة ما كانت تعجز علوم الدنيا حين نزل القرآن أن تتوقعه و لم يكتشفها العلم إلا في العصر الحديث و ما وقف أمامها فطاحل العلماء مبهورا أن يكون رجل أمي قد أتى بكلام مثل هذا منذ ألف و أربعمائة سنة!! ألم يخبر القرآن بأن للجبال أوتاد و أن البحر مسجور و الرياح لواقح و السحب ثقال و الكائنات أزواج و السماء ذات رجع و الأرض ذات صدع والليل و النهار مكوران على بعض و الشمس و القمر بحسبان و مواقع النجوم أمرها عظيم[٣١]!! هل كان أحد في ذلك الوقت يعرف المراحل الدقيقة لخلق الأجنة في بطون أمهاتها أو يعرف أن الذي يرتفع في الجو يضيق صدره من صعوبة التنفس أو أن كل شيء خلق من ماء أو أن الحديد نزل من السماء ليستقر في الأرض و لم يتكون داخلها كما يتكون البترول مثلا أو أن السماء تتسع باستمرار أو أن هناك أنواعا من النجوم مختفية عن الأنظار تسير في السماء تكنس ما حوله وصفها بأنها جوار كنس أو أن السماوات والأرض كانتا في بداية الخلق قطعة واحدة فتقها الله؟(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ)؟ كل هذه الحقائق التي أثبتتها العلوم الحديثة وغيرها يذكرها القرآن في غاية الوضوح و أمثالها في السنة النبوية كثير و أسلم بسببها كثير من العلماء[٣٢]فما الذي حمل محمدا على ذكر هذه الحقائق لقوم أميين ومن الذي ضمن له أن العلم سوف يثبت صحتها يوما من الأيام؟[٣٣] هذا غير الآيات التي تسبر أغوار النفس البشرية وتخبر بما يجول في خاطرها سواء كانت هذه النفس نفس مؤمن مصدق أو كافر معاند أو كتابي مرتاب. ألم تنزل الآيات تفضح المنافقين الموجودين في المدينة و تخبر بخطرات نفوسهم؟ ألم يدع الأعراب الإيمان فنزلت(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) ألم يكن الأولى لو كانت هذه دعوة شخصية ألا ينفر محمد الأتباع من حوله بل يستكثر منهم و يحتفظ بهم في صفه؟[٣٤] ناهيك عن التأثير الكبير الذي أحدثه القرآن في نفوس أصحاب النبي يقول الأستاذ فتح الله كولن: " لقد أحدث القرآن في أول عهده بالنـزول وأول عهده بتشريفه الدنيا تأثيرًا لا يمكن تصوره في الأرواح وفي العقول والقلوب أضا، بحيث أن درجة الكمال التي وصلت إليها الأجيال التي نشأت في جوه النوراني كانت معجزة قائمة بذاتها لا نحتاج معها إلى ذكر أي نوع آخر من معجزاته. ولا يمكن العثور على أي أمثال لهم في مستواهم من ناحية التدين والتفكير وأفق الفكر والخلُق ومعرفة أسرار العبودية

فالحقيقة أن القرآن قد أنشأ جيلا من الصحابة آنذاك لا نبالغ إن قلنا إنهم كانوا في مستوى الملائكة. وحتى اليوم فهو يقوم بتنوير قلوب المتوجهين إليه الناهلين من نبعه، ويهمس في أرواحهم أسرار الوجود. والذين يَدعون أنفسهم بكل أحاسيسهم ومشاعرهم وقلوبهم وقابلية راكهم تسبح في جوه الذي لا مثيل له سرعان ما تتغير عواطفهم وأفكارهم، ويحس كل واحد منهم بأنه قد تغير بمقياس معين وأنه أصبح يعيش في عالم آخر"(هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ) ويمكنك أن تقرأ في القرآن لكي تشعر بهذا بنفسك فهو تاح على الإنترنت.
والآن آن لنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: من أين أتى محمد بالقرآن؟ هناك ثلاثة احتمالات لا رابع لها. إما أن يكون من كلام محمد نفسه وإما أن يكون من كلام شخص آخر كان يتصل به محمد بصورة غير معروفة في جميع الأماكن والأزمنة ليتلقى منه الآيات و إما أن يكون وحيا من عند الله أوحاه إليه عن طريق الملك الذي أنزل على جميع الأنبياء من قبل و هو روح القدس جبريل عليه السلام كما أخبر بذلك القرآن نفسه.
فإذا نظرنا إلى الاحتمال الأول سنجد أن القرآن صريح في لأنه لا صنعة فيه لمحمد ولا لأحد من الخلق لكنه منزل من عند الله بلفظه ومعناه. فأى مصلحة لمحمد لو كان القرآن من كلامه أن ينسب بضاعته لغيره وينسلخ منها انسلاخا ولو انتحلها لما وجد أحدا من البشر يعارضه ويزعمها لنفسه؟ إن قومه أنفسهم قد استبعدوا هذا الاحتمال- أن يكون القرآن من تأليف محمد- لإنه عاش بينهم أربعين سنة يحضر مشاهدهم و يتعامل معهم ولم تبد عليه أثارة من تلك العلوم التي لا عهد لهم بها قبل ذلك. (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) ثم إنك تقرأ كلام النبي وأحاديثه في كتب السنة و تقرأ القرآن فلا تحس بأنهما خرجا من ذات المنبع بل تجد الفرق في الأسلوب بينهما واضحا هذا خطاب إلهي و ذاك كلام بشري.. ثم لماذا لم يحو القرآن لو كان من عند محمد خطرات نفسه و آلامه و أحزانه المختلفة التي مرت به و هو الذي مرت به الأحداث الجسام مثل وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب في عام واحد و محاصرة المشركين له و لأصحابه في أحد شعاب مكة ثلاث أعوام و مقتل عمه حمزة ووفاة جميع أبنائه في حياته إلا فاطمة ولكنك لا ترى إشارة لذلك في القرآن.
وهل تكون الآيات التي تعاتب النبي في القرآن و توجهه و تأمره و تنهاه من وضعه؟ أيكون من عنده ثم يجعل فيه حين دعا على بعض المشركين(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) أم يكون من عنده ثم يقول فيه لنفسه(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاه) أو يقول فيه(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) و ذلك حين أقسم ألا يتناول نوعا معينا من الطعام؟ بل إنه عبس مرة في وجه رجل مسلم أعمى جاء يسأله عن شيء لإنه كان مشغولا بدعوة أشراف قريش إلى الإسلام فنزلت سورة عرفت بسورة عبس ، بدايتها:(عَبَسَ وَتَوَلَّى {١} أَن جَاءهُ الْأَعْمَى {٢} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى {٣} أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى)
ألم يكن أولى به – لو كان كما يدعي المبطلون كاذبًا – أن يكتم هذه الآيات؟

بل كانت تنزل به النوازل من شأنها أنها تحفزه إلى القول و كانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالا و مجالا و لكنه كانت تمضى به الليالى و الأيام تتبعها الليالى و الأيام و لا يجد فى شأنها قرآنا يقرؤه على الناس.

ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها و أبطأ الوحي و طال الأمر و الناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر و هو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ و احتراس " إني لا أعلم عنها إلا خيرا" ثم إنه بعد أن بذل جهده في التحري و السؤال و استشارة الأصحاب و مضى شهر بأكمله و الكل يقولون ما علمنا عليها من سوء لم يزد على أن قال لها آخر الأمر " يا عائشة أما إنه بلغني كذا و كذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله و إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله " هذا كلامه بوحي ضميره و هو كما ترى كلام البشر الذي لا يعلم الغيب و كلام الصدّيق المتثبت الذي لا يتبع الظن و لا يقول ما ليس له به علم على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلنًا براءتها و مصدرًا الحكم المبرم بشرفها و طهارتها. فماذا كان يمنعه- لو أن أمر القرآن إليه- أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمى بها عرضه و يذب بها عن عرينه و ينسبها إلى الوحي السماوي لتنقطع ألسنة المتخرصين؟ و لكنه ما كان ليذر الكذب على الناس و يكذب على الله [وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ] [٣٥]

والآن إذا انتقلنا إلى الاحتمال الثاني – وهو أن يكون أحدًا من الإنس أو الجن قد أوحى بهذا القرآن العظيم والشريعة الكاملة إلى محمد – فبرغم من تهاوي كثير من أركان هذا الاحتمال بما سبق ذكره إلا أنه لا مانع من مناقشة بعض ما قد يحيك في صدر المتشكك أو يقذف به الشيطان في فؤاد المرتاب. أولا الذي يردد هذه الشبهة يلزمه أن يخبرنا من هو هذا الشخص – سواء كان إنسا أم جنا - الذي آتاه الله علوم الأولين والآخرين وأطلعه على الغيب و ما هو كائن إلى يوم القيامة و زوده بالعلوم والمعارف الحديثة التي لم تكن لتخطر على بال أوسع الناس خيالا حينئذ فأخرج لنا هذا الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية و مهيمنا عليها لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه!! لا شك أن هذا الشخص - لو كان موجودا لكان عربيا لأن القرآن بلسان عربي مبين – فهل تظن أن بين العرب الذين كانوا يعيشون في جاهلية عمياء في ذلك الوقت من كان يمكنه أن يفيض قلبه عن بعض علوم هذا الكتاب؟ هب أن هذا كان صحيحا في الكتاب فمن أين أتى النبي بالسنة - وهي جميع أقواله وأفعاله- وبها من الإعجاز ما يداني إعجاز القرآن؟ وهل كان محمد ذو الذكاء الثاقب والفطنة الحادة مخدوعا طوال ٢٣ سنة [٣٦] يظن أنه يوحي إليه من عند الله و ما هو من عند الله؟!! إن أى قارئ في سيرة النبي محمد ليلحظ بكل وضوح أنه كان صادقا في دعوته وفي جهاده – أو على الأقل كان يظن ذلك – فهل تظن أن رحمة الله وعدله وكرمه كانت تترك رجلا بهذه الأخلاق النبيلة و السجايا الكريمة والنوايا الصادقة التي شهد عليها أعداؤه يُغرر به طوال هذه المدة؟؟ و لماذا لم يعلن هذا الشخص عن ذاته –لو كان موجودا –ويعرفنا بنفسه أو ينسب هذا القرآن لشخصه فينال بذلك عز الدنيا وشرف الدهر؟! ما الذي جناه هذا الشخص لنفسه من دعوة

الناس للإيمان بالله و اليوم الآخر والالتزام بالأخلاق الفاضلة؟ ثم كيف يمكنه أن يضع شريعة فذة ونظاما كاملا للحياة شهد بروعته الفلاسفة والمفكرون غير المسلمين؟ هب أن هذا حدث أيمكنه أيضا أن ينصر هذه الدعوة من محاولات وأدها المستمرة ويُمكّن لهذا الدين في الأرض إلى يومنا هذا ويحفظ مصادره الأساسية من الضياع على مدار التاريخ؟ إن هذا مما تأباه العقول السليمة والفطر السوية وصدق الله إذ يقول:(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ.فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

والآن لم يبق إلا أن يكون وحيا من عند الله أوحاه إلى محمد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور عن طريق رسول كريم هو جبريل عليه السلام(مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ولم يبق إلا أن تقرأ آيات القرآن وكلام النبي بنفسك وتتدبرهما بعقلك وقلبك وانظر هل يكون هذا إلا تنزيل من لدن حكيم عليم؟

البشارة

وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد

بالرغم مما نال الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل من تحريف و تبديل إلا أن الله شاء أن تبقى البشارة بالنبي محمد إلى يومنا هذا واضحة وضوح الشمس يراها كل من له عينان نذكرها إن شاء الله لكي تطمئن بها قلوب و تبتهج بها أرواح. أما في العهد القديم فإننا نجد موسى عليه السلام يبشر بظهور نبي ورسول مثله فعندما ينـزل موسى عن جبل الطور بعد ما كلمه ربه يقول مخاطباً بني إسرائيل:

" قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه "(التثنية ١٨ / ١٧ – ٢٢).

والنص كما هو واضح يتحدث عن نبي عظيم يأتي بعد موسى عليه السلام، ويذكر صفات هذا النبي، والتي نستطيع من خلالها معرفة من يكون.ويزعم النصارى أن هذا النبي قد جاء، وهو عيسى عليه السلام،

لكن النص دال على نبينا صلى الله عليه وسلم، إذ لا دليل عند النصارى على تخصيصه بالمسيح، إذ يذكر النص التوراتي أوصاف هذا المبعوث المبشر به:

١)) أنه نبي " أقيم لهم نبياً "، والنصارى يدعون للمسيح الإلهية، بل يدعي الأرثوذكس أنه الله نفسه، فكيف يقول لهم: أقيم نبياً، ولا يقول: أقيم نفسي.

٢)) أنه من غير بني إسرائيل، بل هو من بين إخوتهم أي أبناء عمومتهم "من وسط إخوتهم"، وعمومة بني إسرائيل هم بنو عيسو بن إسحاق، وبنو إسماعيل بن إبراهيم.

ومن المعهود في التوراة إطلاق لفظ " الأخ " على ابن العم، وعليه فهذا النبي يحتمل أن يكون من العرب تحقيقاً للبركة الموعودة في نسل إسماعيل، وقد يكون من بني عيسو بكر إسحاق. لكن أحداً من بني عيسو لم يدع أنه النبي المنتظر.

(٣) هذا النبي من خصائصه أنه مثل موسى الذي لم يقم في بني إسرائيل نبي مثله، وفي التوراة السامرية ما يمنع صراحة قيام مثل هذا النبي فقد جاء فيها: " ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله"(التثنية ١٠/٤).

وهذه الخصلة، أي المثلية لموسى متحققة في نبينا صلى الله عليه وسلم، ممتنعة في المسيح، حيث نرى الكثير من أمثلة التشابه بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، والتي لا نجدها في المسيح، من ذلك ميلادهما الطبيعي، وزواجهما، وكونهما صاحبا شريعة، وكل منهما بعث بالسيف على عدوه، وكلاهما قاد أمته، وملك عليها، وكلاهما بشر، بينما تزعم النصارى بأن المسيح إله، وهذا ينقض كل مثل لو كان.

(٤) من صفات هذا النبي أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، والوحي الذي يأتيه وحي شفاهي، يغاير ما جاء الأنبياء قبله من صحف مكتوبة" وأجعل كلامي في فمه"، وقد كان المسيح عليه السلام قارئاً(انظر لوقا ١٦/٤-١٨).

(٥) أنه يتمكن من بلاغ كامل دينه، فهو " يكلمهم بكل ما أوصيه به ". وهو وصف منطبق على محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان من أواخر ما نزل من القرآن عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)

وقبيل وفاة موسى عليه السلام ساق خبراً مباركاً لقومه بني إسرائيل، فقد جاء في سفر التثنية: "هذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة...."(التثنية ١/٣٣-٣.)

وجبل فاران هو جبل بمكة ويؤيد ذلك ما تقوله التوراة عن إسماعيل: " كان الله مع الغلام فكبر.وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر "(التكوين٢١/٢٠-٢١).) فالمقصود إذن بتلألأ الرب من جبل فاران هو بعثة النبي محمد من مكة ليكون إماما للمؤمنين ورحمة للعالمين

أما في العهد الجديد فإننا نجد البشارة أيضا واضحة ففي متى ٢١:٤٣ قال المسيح لليهود:(أقول لكم: إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ويسلم إلى شعب يؤدي ثمره.) فمن يا ترى هذا الشعب؟ إن تلاميذ المسيح كانوا من بني إسرائيل حتى بولس كان من بني إسرائيل أيضا ولهذا لا يمكن تفسير كلام المسيح أن المقصود به هم تلاميذه. ولا يمكن أن يكون مقصود المسيح هم الوثنيون الذين اعتنقوا مبادئ بولس وإلا أي ثمرة هذه التي أداها الوثنيون لمبادئ المسيح وأي ملكوت لله هذا الذي سلم للوثنيين؟ لم يبق إذن إلا أن يكون مقصود المسيح هم المسلمون الذين عظموا المسيح وأمه ورفعوا راية التوحيد في الأرض وحملوا لواء العبودية لله رب العالمين. وفي إنجيل يوحنا(١٩/١-٢١) أرسل اليهود من أورشليم بعض الكهنة واللاويين يسألون يوحنا: «من أنت؟» فاعترف ولم ينكر، بل أكد قائلا: «لست أنا المسيح». فسألوه: «ماذا إذن؟ هل أنت إيليا؟» قال: «لست إياه!»؛ «أو أنت النبي؟» فأجاب: «لا» نجد ذكرا

لثلاثة أشخاص هم إيليا والمسيح والنبي. فمن يا ترى يكون هذا النبي الذي كان اليهود ينتظرونه غير النبي محمد؟ وفي موضع آخر من إنجيل يوحنا حيث يبشر بمجيء النبي المنتظر يقول المسيح موصياً تلاميذه: " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم... إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لك.. قلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون "(يوحنا١٤/١٥ – ٣٠).

وفي الإصحاح الذي يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياه، ثم يقول: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم"(يوحنا ١٥/٢٦(١٦/١٤-).

ونبينا محمد هو روح الحق الذي مكثت تعاليمه إلى الأبد وعلمنا كل شيء وهو الذي مجد المسيح فنزهه مما نسبه إليه اليهود وهو الذي لا يتكلم من قبل نفسه ولكن(مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى).

وليس المقصود بقوله: " لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم" الرؤية البصرية والمعرفة الحسية، بل المعرفة الإيمانية.

ومثله ما جاء في يوحنا"أجاب يسوع: لستم تعرفونني أنا، ولا أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً"(يوحنا ٨/١٩(ومثله في الأناجيل كثير).

و كلمة المعزي التي في الترجمة الحالية للإنجيل هي ترجمة خاطئة للكلمة اليونانية البارقليط الموجودة كما هي في تراجم عالمية أخري والتي كانت موجودة حتى القرن التاسع عشر كما هي في الترجمة العربية للإنجيل مما يدل على أنها اسم علم.

وفي تفسير كلمة " بارقليط " اليوناني نقول: إن هذا اللفظ اليوناني الأصل، لا يخلو من أحد حالين:

الأول: أنه "باراكلي توس". فيكون بمعنى: المعزي والمعين والوكيل.

والثاني: أنه " بيروكلوتوس "، فيكون قريباً من معنى: محمد وأحمد.

ويقول أسقف بني سويف الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا " إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير "بيركليت"، ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ أحمد".

ويسأل عبد الوهاب النجار الدكتور كارلو نيلنو – الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة- عن معنى كلمة " بيركلوتس " فيقول: " الذي له حمد كثير".

ويرى عبد الأحد داود أن تفسير الكنيسة للبارقليط بأنه " شخص يدعى للمساعدة أو شفيع أو محام أو وسيط " غير صحيح، فإن كلمة بارقليط اليونانية لا تفيد أياً من هذه المعاني، فالمعزي في اليونانية يدعى(باركالوف أو باريجوريس)، والمحامي تعريب

للفظة(سانجرس)، وأما الوسيط أو الشفيع فتستعمل له لفظة " ميديتيا "، وعليه فعزوف الكنيسة عن معنى الحمد إلى أي من هذه المعاني إنما هو نوع من التحريف.
يقول الدكتور سميسون في كتاب "الروح القدس أو قوة في الأعالي": "الاسم المعزي ليس ترجمة دقيقة جداً". بل إن أدوين جونس في كتابه " نشأة الديانة المسيحية" يعترف بأن معنى البارقليط: محمد، لكنه يطمس اعترافه بكذبة لا تنطلي على أهل العلم والتحقيق، فيقول بأن المسيحيين أدخلوا هذا الاسم في إنجيل يوحنا جهلاً منهم بعد ظهور الإسلام وتأثرهم بالثقافة الدينية للمسلمين.
ومما يؤكد أن لفظة روح الله دالة على الأنبياء أيضاً، ما جاء في رسالة يوحنا الأولى: "فلا تؤمنوا أيها الأحباء بكل روح من الأرواح، بل امتحنوا الأرواح حتى تعلموا هل هي من عند الله أم لا؟ لأن كثيرين من الأنبياء الكذبة برزوا إلى هذا العالم "(يوحنا(١) ١/٤-٢)، فالأنبياء الصادقون هم روح الله، والأنبياء الكذبة هم روح الشيطان.
وبين يوحنا كيفية معرفة روح الحق من روح الضلال، فقال: " بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله، وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم"(يوحنا(١) ٢/٤ - ٦.)
ورسولنا هو روح الحق بدليل قول يوحنا، لأنه يعترف بالمسيح أنه رسول من عند الله، وأنه جسد، وأنه من الله كما سائر الناس هم من الله أي الله خلقهم.أما تفسير الكنيسة للبارقليط بأنه روح القدس بالمعنى الذي وضعته للأقنوم فهو تفسير خاطئ عقليًا لعدة أمور:
أولاً: أن نصوص العهد القديم صريحة في أن الروح القدس كان موجودًا أثناء حياة المسيح والأنبياء قبله يؤيدهم ويؤيد أتباعهم[٣٧]في حين أن النبوءة فيها " إذا لم أذهب فإنه لا يأتيكم ".
ثانيًا: أن النصارى يعتقدون باتحاد أقنومي المسيح وروح القدس فكيف يكونا متحدين ويرسل أحدهما الآخر؟؟
ثالثًا: قال المسيح عن البارقليط
يلزم من يقول هذا أن يخبرنا ما الذي قدمه هذا الأقنوم للعالم خلال الألفي عام الماضية فمكث فيه للأبد وذكرهم بكل ما قاله المسيح ولم يستطع العالم أن يقبله وما هي النبوءات التي أخبر بها مؤلفو العهد الجديد وحدثت بالفعل. [٣٨]
رابعًا: قول المسيح عن البارقليط كل ما يسمع يتكلم به يدل على أنه يتكلم في حين أن اعتقاد النصارى في الروح القدس أنه يلهم و يدل أيضًا على أن كلامه ليس من عند نفسه و لكنه يبلغ ما يسمعه في حين يعتقد النصارى أن الروح القدس إله مساو لله فكيف يكون إلها ولا يتكلم من عند نفسه؟
خامسًا: قوله قلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون يوحي بأن الذي يتحدث عنه المسيح لم يكن موجودًا أصلا أثناء الكلام في حين أن الروح القدس كان موجودًا و يوحي أيضا بأن هذا الشخص الذي يتحدث عنه المسيح سوف تدعو الناس للإيمان بنفسه ولكن أكثر الناس لن يقبلوه لذا دعا المسيح تلاميذه للإيمان به في حين أن تأثير

الروح القدس الذي يدعيه النصارى في إلهام كتبة الأناجيل تأثير خفي لا يستلزم من أحد الإيمان بشيء محدد يترتب عليه ثواب وعقاب ويجعل المسيح يركز عليه بهذه الطريقة.
وبذلك فإننا نرى في البارقليط النبوءة التي ذكرها القرآن الكريم(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ).
إلى الذين تهفو أرواحهم شوقا إلى نور الله.. إلى الذين تساءلت عقولهم كثيرا فلم يجدوا لهم آذانا صاغية ولم يجدوا جوابا شافيا.. إلى كل من اشتاق لأن يعرف الحقيقة ناصعة البياض لا لبس فيها ولا غموض.. ها قد آن الأوان لذلك
الإسلام
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الإسلام كان أول ما قال:(أن تعبد الله ولا تشرك به) وإذا نظرت في القاموس عن معنى كلمة إسلام ستجد أن معناها الحرفي لها هو الإذعان والانقياد والاستسلام. ولما كان كل موصوف له من اسمه نصيب فالإسلام إذن يعني أن تُسلم الوجه والقلب والجوارح وجميع أمورك لله رب العالمين فلا تكون عبادتك وقصدك وتوجهك في جميع تصرفاتك إلا إلى إله واحد هو الله عز وجل وأن تنقاد بجسدك وقلبك وروحك لأمر الله ونهيه وأن تستسلم لحكمه وتقف عند حدوده هذا باختصار هو الإسلام.(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)
والإيمان بالله على النحو السابق يستلزم عدة أمور منها أن تؤمن أن الله واحد في ذاته لا قسيم له ولا ند له ولا معبود بحق سواه وأن تؤمن بربوبيته سبحانه فلا شريك له أي أنه وحده هو خالق السماوات والأرض من العدم وأنه هو وحده الذي يملك أمور جميع الخلائق من خلق ورزق وإماتة وإحياء قال تعالى(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ. فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)
و أن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى فلا شبيه له(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)[٣٩] وأنه منزه عن النقص والقصور و عن الزوجة والولد(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وأنه لا يشبه أحدا من خلقه فهو فوق خلقه أجمعين محيط بهم بعلمه وسمعه وبصره وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد له السلطان والقهر، والخلق والأمر السماوات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) وهو أول ليس قبله شيء وآخر ليس بعده شيء فلا يفني ولا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم و لا يحدث أمر في هذا الكون إلا بقضائه وقدره، وحكمته ومشيئته. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر، ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه ولا مهرب لعبد عن معصيته، إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة

له على طاعته، إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الإنس والجن، والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته، لعجزوا عن ذلك.(ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ).لذا فهو وحده المستحق للعبادة.

والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله من أعمال القلوب والجوارح –فلا يستعان إلا به ولا يُتوكل إلا عليه ولا يُخاف إلا منه ولا يرجى إلا إياه هذا هو التوحيد الذي دعا إليه جميع الأنبياء فكان كل منهم يقول لقومه(اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ) والإيمان بالله يستلزم من العبد أن يؤمن بجميع رسله من لدن آدم حتى محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو خاتمهم وأفضلهم وبالكتب المنزلة على هذه الرسل مثل التوراة والإنجيل والقرآن وأن تؤمن بملائكة الله و اليوم الآخر(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) حين يجمع الله الناس ثم يحاسبهم و يدخل المؤمنين الجنة -دار كرامته ويعذّب الكافرون في النار. وللإسلام أركان لا يتم إلا بها هي شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

هذا هو الإسلام عقيدة صافية نقية لا تعقيد فيها ولا ألغاز ولا أسرار يستأثر بها البعض دون البعض. دين لا يتعارض مع الفطرة البشرية. دين يجعل مسئولية الإنسان أمام الله وحده ويجعل كل إنسان مسئول عن عمله وحده فلا تزر وازرة وزر أخرى. دين لا يجعل بين الله والإنسان وساطة ولا تباع فيه صكوك غفران ولا يملك أحد - حتى النبي نفسه - أن يغفر لأحد أو يدخله الجنة بل يجعل علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة. دين جعل قلب الإنسان معلقا بربه لا بصورة ولا تمثال ولا قطعة خشب أو حديد على أى شكل كانت. دين لا طبقية فيه ولا أفضلية لأحد دون أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح قال رسول الله لابنته فاطمة:(يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا). دين لا يفرق في حدوده بين وزير و غفير قال رسول الله: (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). دين يحترم عقل الإنسان ولا يحجر على تفكيره بل دعا إلى التفكير والنظر والتدبر في آيات الله المتلوة والمبثوثة في كونه[٤٠]. دين لا يتعارض مع مستجدات العلم و مطالب الحياة مهما تقدمت بالإنسان العهود. دين وضع أفضل منهج للتعامل مع غرائز الإنسان فلا رهبانية معقدة [٤١] ولا إباحية منحلة ولكن منهج وسط يعترف بحاجات الإنسان و يوفر له أطهر السبل لإشباعها. دين لم تقم فيه سلطة مقدسة تحكم باسم الإله زاعمة أن حقها في الحكم والتشريع مستمد من قرابتها أو تفويضها من الله ولم تظهر فيه كنيسة تستذل رقاب الناس بوصفها الممثلة لابن الله؛ المستمدة لسلطانها من سلطان الابن أو سلطان الأقنوم.[٤٢] دين عرّف الإنسان بنفسه ومكانه في هذا الكون وحرره من عبوديته لذاته أو لبشر مثله و أخبره بالغاية من وجوده في هذه الحياة وهي(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون). جعل الإسلام حياة الإنسان كلها تصب في هذه الغاية فصار لها معنى وصارت كل حركة من حركات الإنسان يبتغي بها وجه الله حتى اللقمة يضعها الرجل في فم زوجته يثاب عليها من الله. الإسلام ليس مجرد

شعائر منفصلة عن الحياة تؤدي في دور العبادة ولكنه منهج متكامل للحياة جاء ليتولى قيادة الحياة البشرية وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها فما ترك جانبا من جوانب الحياة إلا تناوله بالرعاية والإصلاح. الإسلام لم يغفل غرائز الإنسان أو يتجاهلها ولكنه يعترف بها ويرشّدها [٤٣]. الإسلام هو الدين الذي أنشأ من ظلمات الجاهلية في غضون مائتي عاما حضارة أذهلت العالم و صارت مؤلفاتها هي المورد العلمي الأول لجامعات أوروبا في حين أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمائة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية!![٤٤] والإسلام هو الدين الذي يقف اليوم في مواجهة جميع أديان العالم التي توحدت ضده مما يدل على أنه هو الحق إذ أن الباطل يتعدد والحق لا يتعدد. وهو الدين الوحيد الذي يضع أنبياء الله في أسمى مكانة وأرفع منزلة و يجعلهم معصومين من الزلل و المعاصي. وهو الدين الذي صلاته هي أجمل الصلوات وأخشعها يقف فيها الغني بجوار الفقير في صفوف منتظمة.. الكل سواسية يناجون ربهم ويسألونه وحده المغفرة بلا غناء ولا موسيقى ولا تصفيق.[٤٥] دين متميز حتى في ندائه للصلاة بالأذان. فالأذان له معنى ويحوى ركائز العقيدة وليس مجرد صلصة أجراس أو ضجيج أبواق. دين جعل نظافة البدن وطهارة الإنسان شعيرة من شعائره التي لا تجد لها مثيلا في غيره. دين لا يحتاج أتباعه لإجراء تغييرات وتعديلات فيه كلما جد عليهم جديد لأن شريعته منزلة من عند الله العليم الحكيم الذي يعلم كل شيء وأثبت التاريخ و التجارب البشرية أنها الوحيدة الصالحة لقيادة ركب الحياة في كل زمان ومكان. وهو الدين الذي نقلت إلينا تصرفات نبيه وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته كاملة ووجدناها مثالا للخلق الفاضل المستقيم وهو الذي ظل كتابه محفوظا بحفظ الله منذ نزل إلى اليوم فتجد الآية التي تطبع اليوم في أحدث المصاحف هي نفسها التي كانت مكتوبة على الجريد أيام الرسول والآية التي يتلوها المسلم الأمريكي هي نفسها التي يتلوها المسلم الصيني.(فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ. أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)[٤٦]

المسيح عليه السلام

وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ.

يتبوأ المسيح عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام مكانة سامية في الإسلام فالمسيح هو كلمة الله و روح منه ألقاها إلى مريم عليهما السلام وهو بشر كما أن الرسل جميعا من البشر وهو رسول من أولي العزم من الرسل [٤٧] وهم أفضل الرسل جميعًا وذُكر في القرآن أكثر من ٢٥ مرة وأمه مريم بنت عمران من أفضل نساء العالمين لم تُذكر امرأة باسمها في القرآن غيرها. قال تعالى في سورة آل عمران:

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ {٤٢} يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ {٤٣} ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ {٤٤} إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٤٥} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ {٤٦} قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ

كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ {٤٧} وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ) {٤٨}).
وقد كانت حياة المسيح مليئة بالمعجزات من لحظة ولادته حتى رفعه إلى السماء فقد كانت ولادته معجزة إلهية جعلها الله آية للعالمين حيث ولد من غير أب و قد وصف الله أحداث ولادته في سورة مريم [٤٨]فقال تعالى:
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً {١٦} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً {١٧} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً {١٨} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً {١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً {٢٠} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً {٢١} فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً {٢٢} فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً {٢٣} فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً {٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً {٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً {٢٦} فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً {٢٧} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً {٢٨} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً {٢٩} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً {٣٠} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً {٣١} وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً {٣٢} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً {٣٣} ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ {٣٤} مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ {٣٥} وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ {٣٦} فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)
ثم أمده الله بالمعجزات الدالة على نبوته كما أمد الرسل من قبله بالمعجزات. قال تعالى حاكيا عن عيسى بن مريم:(وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {٤٩} وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ {٥٠} إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)
ثم يذكر الله ختام قصة عيسى مع بني إسرائيل عندما كذبوه و كفروا به:(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {٥٢} رَبَّنَاآمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ {٥٣} وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ {٥٤} إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {٥٥} فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ {٥٦} وَأَمَّا

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {٥٧} ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ {٥٨} إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ {٥٩} الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ)
وذلك أن اليهود حاولوا قتل عيسى عليه السلام فنجاه الله منهم وتوفاه بالنوم ثم رفعه إلى السماء الثالثة فهو يحيا فيها حتى ينزل قبل يوم القيامة و ألقى شبهه على شخص غيره فأخذه اليهود وقتلوه. قال تعالى عنهم:(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا) و عندما ينزل عيسى بن مريم في آخر الزمان فإنه سوف يكسر الصليب ولا يقبل إلا الإسلام وتندحر الملل الكافرة ويعم السلام وتكثر البركة وتُرفع الشحناء والضغينة قال صلى الله عليه وسلم: " الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يُهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يُتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.." [٤٩]وقد وردت على لسان نبينا عدة نصوص في فضل المسيح ومريم الصديقة عليهما السلام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:(ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها) وقال(كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون) وقال:(رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا، والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني) وقال عن الرجل الذي يؤمن بعيسى قبل أن يسمع عن محمد(صلى عليه وسلم):(إذا آمن بعيسى، ثم آمن بي فله أجران) وقال-وهذا الحديث بشرى لكل نصراني-:(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) [٥٠] وقد كانت رسالة المسيح عليه السلام متممة لرسالة موسى و مبشرة برسالة محمد باسمه الصريح كما مر بنا – "حتى متى كان تؤمنون" – وكانت لبني إسرائيل فقط و لم تكن هي الرسالة الأخيرة للبشرية لذلك لم يشأ الله أن يظل الإنجيل ولا كلام المسيح محفوظًا بكامله للناس.

والآن بعد أن عرفت نظرة الإسلام للمسيح عليه السلام فإني سائلك: ترى لو كان هذا الدين من عند محمد ولم يكن محمد رسولا من عند الله ما الذي دعاه لأن ينظر للمسيح هذه النظرة المعتدلة بعيدا عن غلو النصارى إلى تقديسه وانحراف اليهود إلى عدائه؟ ألم يكن أحرى به لو كان كاذبا أن ينحاز إلى إحدى الطائفتين لكي ينال تأييدها بدلا من أن يواجههما جميعا؟ ما الذي كان يمنعه لو كان كاذبا أن يدعى أن إلهه الذي

يعبده هو المسيح –ولم يكن لينكر عليه أحد– فينال بذلك تأييد الدولة الرومانية القوية بالإضافة لنصارى الجزيرة العربية؟(فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

والآن لنحاول مناقشة بعض ما يعتقده الناس في المسيح عليه السلام بهدوء بعيدًا عن التعصب الأعمى.

لعلك إذا سألت أفراد الأسرة النصرانية الواحدة عن طبيعة المسيح عليه السلام تسمع إجابات شتى فمن قائل هو الله – تعالى الله عما يصفون – و من قائل هو ابن الله والمثقف منهم سيقول لك إن به جزء بشري يسمى ناسوتا و جزء إلهي يسمي لاهوتا!! وهذا انعكاس للغموض الذي يكتنف شخصية المسيح لدى النصارى و للتعقيد الذي أقحمته الكنيسة في مسألة الإله وهي التي من المفترض أن تكون من أبسط أمور العقيدة لدى الإنسان. ويتفق عموم النصارى على أن هذا الإله أو نصف الإله لم يكن بالقوة الكافية حتى نالت منه يد البشر بالتعذيب والإهانة والصلب في حادثة هي أشبه بالتمثيليات الدرامية أو الأساطير البدائية منها إلى الحقيقة الإلهية! ومن العجيب أن يُعتقد أن هذه الجريمة الكبرى من البشر في حق الإله إنما كانت سببا لخلاص البشر و مغفرة خطاياهم وذنوبهم التي هي أقل خطرًا بكثير من محاولة قتل الإله نفسه!! ولأن كل من هذه العقائد أصبحت مسلمات راسخة في عقول كثير من الناس غير خاضعة للنقاش ولا التفكير فهذه دعوة لكل باحث عن الحقيقة بصدق لكي يعيد النظر فيما يعتقده و تربى عليه ولم تتح له فرصة للنقاش فيه من قبل.

هب أنك أخطأت في حق والدك خطأ يسيرًا وأغضبته وبينما أنت نادم وتحاول أن ترضي أباك إذا بأخيك الأصغر تأخذه عاطفة الأخوة و التضحية فتفتق ذهنه عن فكرة غبية وهي أن يضحي بنفسه من أجلك فيسلم لك نفسه لكي تقتله أمام أبيك و بذلك يتحمل هو الإثم عنك وتنجو أنت من تبعة الذنب ووخز الضمير فهل تقبل أنت أو يقبل أبوك هذا الكلام؟؟ فكيف لو اقترح عليك أخوك أن تقتل والدك نفسه تكفيرًا عن خطيئتك؟! بالطبع هذا كلام لا يقبله عقل. ولكن لماذا تقبله في حادثة الصلب المزعومة وترضاه للمسيح عليه السلام ولا ترضاه لأخيك الصغير؟ لعلك تجيب بأن المسيح ما نزل إلى الأرض أصلاً إلا لهذه المهمة وهي التضحية بنفسه لكي يغفر الله خطايا البشر! وإني أسألك: الذي يريد أن يضحي بنفسه من أجل إنسان يتحمل عنه الآلام أم يتحمل منه الآلام؟؟! هل خطيئة آدم بأكله من الشجرة تكفرها خطيئة اليهود بمحاولة قتل المسيح؟ وهل ضاقت رحمة الله عز وجل الذي يقبل التوبة عن عباده ووسعت رحمته كل شيء أن يغفر لآدم خطيئته - وهو الذي تاب بعدها واستغفر وأناب[٥١]-فظل ناقما على البشر كل هذه المدة حتى ينزل بنفسه سبحانه متجسدا في هيئة مخلوق ضعيف كي ترتكب البشرية هذه الجريمة النكراء في حقه ثم تسقط عنها أوزارها مكافأة لها؟ هل من العدل أن يذنب آدم فيُصلب المسيح؟ ألم يذكر العهد القديم أن النفس التي تخطيء هي تموت وأن كل إنسان مسئول عن عمله وأن الله يقبل توبة التائبين؟[٥٢]هل من العقل أن تزعم أن الله تاب على بولس الذي كان العدو الأول لتلاميذ المسيح وللمؤمنين ولم يتب على آدم الذي خلقه الله بيديه وأسجد له ملائكته إلا بعد أن يعلق المسيح عاريًا تمامًا على رؤوس الأشهاد؟ وإذا كان المسيح قد نزل

من أجل ذلك فلماذا جاء في إنجيل متى صراخ المسيح قبل أن يقتل كما يزعمون لما وضع على الصليب « إيلي إيلي، لم شبقتني، أي: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ » متى ٤٦/٢٧ وجاء في يوحنا ٥٣/١١ أن المسيح هرب من طالبيه مراراً!! أينزل من أجل ذلك ثم يهرب ويصرخ ويستغيث بالله كي يخلصه بينما ترى كثيرًا من المجرمين والقتلة يتقدمون للقتل بقدم ثابتة وجأش رابط أم أنه كان يجهل مهمته على الأرض؟ ولم نذهب بعيدًا ونقارن المسيح بالقتلة والمجرمين ألم يأمر الله إبراهيم بذبح ولده فما كان من الولد إلا أن استجاب لأمر الله صابرا محتسبا بدون أن يسأل حتى عن العلة؟ هل من منطقي لو كان المسيح هو الله أن يكون أقل شجاعة من بعض خلقه؟!

وإذا كانت هذه هي مهمة المسيح فلماذا عندما بشر الأنبياء بالمسيح لم يبشروا به على أنه المخلص الذي سوف يخلص البشرية من ذنبها الموروث ولكن بشروا به على أنه نبي صاحب رسالة وفقط بدون ذكر أي شيء عن حادثة الصلب المزعومة- التي كانت ستُعد أهم حادثة في حياة المسيح لو كانت مهمته حقا أن يعلق على الصليب؟؟ وكيف نفسر النصوص التي تخبر عن رضا الله عن الشعب أو عن أمة من الأمم إذا كانت البشرية كلها كانت ما زالت موصومة بهذا الذنب القديم ولم يخلصها منه أحد بعد؟ وهل من الرحمة أن تكون مهمة المسيح هي تحمل الآلام والتعذيب عن البشر بقتله على الصليب ثم يكون جزاء من لم يؤمن أن المسيح مات على الصليب وظل يعبد الله كما كان يعبده إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى من قبل المسيح هو العذاب في النار؟ لو كان ذلك كذلك لكانت حادثة الصلب نقمة على البشر وليست رحمة لهم إلا إذا كانت حادثة الصلب هذه قد افتدت جميع الناس من النار وسيدخل المؤمن والكافر الجنة في النهاية!!

وإذا كان الصلب قد حط عن البشر خطاياهم فما فائدة تعاليم المسيح والرسل من قبله إذا كان تكفير خطايا البشر مضمون و أكيد لهذه الدرجة؟ ولماذا قال المسيح إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس، سوف يؤدون عنها الحساب في يوم الدينونة. فإنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان؟[٥٣] وما الذي سيمنع الإنسان أن يرتكب أكبر الفواحش وأعظم المنكرات إذا علم أن الخلاص مضمون؟ ولماذا الحاجة إلى التعميد الذي تفعله الكنيسة بكل مولود إذا كانت حادثة الصلب المزعومة هذه قد غفرت للإنسان خطيئته [٥٤]؟ وإذا كان كل مولود يرث نصيبا من هذه خطيئة أبيه آدم فهل ورثت مريم وابنها عليهما السلام أيضا هذه الخطيئة من أبيهما آدم عليه السلام؟ وماذا عن ظلم البشر بعضهم لبعض هل يتحملها الصليب أيضا فلا قصاص بينهم ولا عدل أم أن هذه خارج الموضوع؟ وماذا عن الذنوب التي ارتكبتها البشرية بعد المسيح إلى اليوم من يكفرها؟ أم تراها تحتاج لمسيح جديد لكي يقتله أحد الأشقياء فتسقط عن البشر بقية خطاياهم؟ إننا نفهم أن الذي يضحي بشيء فإنه يضحي به من أجل شخص آخر أو لاسترضاء من هو أعلى منه وأقدر كما ذبح إبراهيم الكبش فداءً لإسماعيل وتقربا إلى الله بذلك فإذا كان الله نفسه هو الذي ضحى بولده -تعالى الله عما يصفون- فمن أجل من يا ترى فعل ذلك وليس في الكون من هو أعظم منه؟ (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قـدِيرٌ)؟ إن مـن يقـرأ الروايـات المختلفـة لحادثـة الصـلب فـي الأناجيـل سـيجد بينهـا تناقضات لا يمكن الجمع بينها فمثلا من يقارن تفاصيل المحاكمة والصلب والقيامة واكتشاف قبره ومن رآه عند قيامته وماذا قال على الصليب ومن حمل الصليب وغير ذلك في الروايات المختلفة سيجد اختلافات واضحة تدل على أن القصة واهية من أساسها أو أن كتابها اعتمدوا على الإشاعات والأساطير وليست وحيا من الله [٥٥]! إنـه لا يكـاد أحد يتصـور أن المسيح الـذي كـان يصـوم ويتحمل الصبر عن المأكل والمشرب ويقضي الأسابيع لا ينال فتات العيش هو الذي كان على خشبة الصليب يستغيث بأعدائه و يطلب منهم أن يسقوه إذ تملكه الظمأ وهو الذي طالما كان يقول(أن لي خبـزا لستم تعرفونـه)[٥٦]حتـى بطـرس رئيس الحـواريين كـان يقسم علـى أنـه لا يعرف الرجل الذي على الصليب(متى ٢٦:٧٢).

لقد جعلت حادثة الصلب المزعومة هذه من المسيح عليه السلام شخصية أسطورية مخلصة بدلا من شخصية النبي المعلم الذي يرشد الناس إلى الهدى والنور. شخصية يلجأ إليها النـاس فـي السـراء والضـراء بعد أن كـانوا يلجئـون إلـى الله. حادثـة الصـلب جعلت عبادة الإنسان مركزة حول المسيح عليه السلام بعد أن كانت لله وحده. ولكـي لا يصير المسيح ندا لله في هذا الدين الجديد تم اختلاق الكذبة الثانية التي هي أكبر من أختها بادعاء أن المسيح هو الله نفسه –سبحانه وتعـالى عمـا يصـفون. ولخطـورة هذه المسألة فسنناقشها أيضًا بشيء من التفصيل:

أولاً: هل يليق برب السماوات والأرض ومن فيهن أن يتجسد في صورة طفل رضيع يخـرج مـن فـرج امـرأة ضـعيفة ثـم يمـر بمراحـل نمـو الإنسـان المختلفـة يأكـل الطعـام ويخـرج الفضلات حتى إذا اكتمل نموه وصار رجـلاً ناضـجًا لقـي مـن البشـر صـنوف الإهانة والتعذيب ألوانا؟ هل كان هذا المخلوق الضعيف الذي يلتقم ثدي أمـه هـو كـان يـدبر أمـور جميـع الكائنـات فـي الوقـت الـذي لا يسـتطيع هـو أن يـدبر أمـر طعامـه وشرابه؟ [٥٧] أم أنه كان يمسك السماوات والأرض أن تزولا وهو في بطن أمه؟ ألا ترى أنه من المخجل أن نساوي الله بالبشر؟ هل يمكن للإلـه العظيم أن يحل فـي جسد ضعيف له بداية ونهاية؟ وأين هو هذا الجسد- جسد المسيح - الآن؟ هل فنـي الجسد وهلك بمجرد صعود المسيح للسماء أم أن هذا الجسد الذي يحتاج للطعام خالد وليست لـه نهايـة؟ وإذا كـان الجسد تعـرض للفنـاء فهل يفنـى الإلـه أو تفنـى صـفة مـن صـفات الإلــه؟؟ وهل كـلام السيد المسيح الـذي فـي الإنجيـل يـوحي بأنـه كـلام إلـه قـادر قهـار يخاطب عبيده أم كـلام معلـم رفيـق يخاطـب تلاميذه؟ ولمـاذا لـم يـأمر المسيح تلاميذه بالسـجود لـه صـراحة إن كـان هـو الإلـه فهـذا علـى الأقـل أفضـل مـن السـجود لصـوره وتماثيله داخل الكنيسة؟! [٥٨] لماذا لم يخبر صراحة أنه هو الإله - إن كان كذلك – فيحسم القضية ويقطع الشك؟ هل من العدل لو كان المسيح هو الله أن يترك أهم قضية في هذا الكون يكتنفها الغموض وتحيط بهـا الشـبهات ويتركهـا عرضـة لآراء الرجـال وأهواء الملوك في المجامع؟ لماذا لم يخلف لنا في العهد الجديد نصًا واضحًا صـريحًا على لسانه يخبر فيه أنه هو الإله فيريح الملايين من ظلمات الشك؟

وماذا عن الحواريين: هل كانوا يعاملون المسيح علـى أنـه إلـه يمشـي علـى الأرض أم نبي إنسان ومعلم متواضع ولذا سموا تلاميذ؟[٥٩] هل يمكن أن يكون للإله تلاميذ؟؟

ولو كانوا يعبدون المسيح فكيف أمكنهم أن يبقوا داخل هيكل اليهود بعد رفعه حوالي ثلاثة عقود يعبدونه يوميا وسط اليهود الذين يعبدون الله؟[٦٠] انظر إلى بطرس في(أعمال ٢:٢٢) يقول: " أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون". فهل عرفت أنت عن المسيح ما لم يعرفه الحواريون؟ أيكون المسيح إلها ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه أذى حفنة من اليهود؟ أتقبل أن تعبد إلها ضعيفًا؟ أيكون المسيح هو الله ثم يأتي إلى عبد من عبيده لكي يعتمد منه ويكمل نفسه؟ ألم يذكر العهد الجديد أن المسيح جاء إلى يحيى-يوحنا المعمدان-لكي يعتمد منه؟ إن المسيح لو كان هو الله لسجد له يحيى حالا فهل كان يحيى يجهل ربه؟ [٦١] وإذا كان المسيح هو الله فهل يمكن أن يموت الإله؟ إن نصوص العهد القديم تنفي ذلك بكل صراحة انظر مثلا في إرمياء ١٠:١٠:(أما الرب فهو الإله الحق، الإله الحي) وفي حزقيال(٣:١٨): حي أنا يقول الرب. وفي دانيال ٢٦:٦ "هو الإله الحي القيوم إلى الأبد"

ومن الذي كان يخاطبه المسيح في الأناجيل بلفظ أبي وإلهي إن كان هو الأب والإله أم أنه كان يخاطب نفسه؟ انظر قول المسيح عليه السلام:(وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع الذي أرسلته) يوحنا ١٧: ٣. وقوله:« إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » يوحنا ٢٠:١٨وقوله عن نفسه: "أنا لا اقدر أن أفعل من نفسي شيئاً "(يوحنا ٣٠/٥) لذا عجز أن يعد ابني زبدي بالملكوت(متى ٢٣/٢٠)، ولما سماه أحدهم صالحاً قال: "لم تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله"(لوقا ١٨/١٨-٢٠). وأخبر في مرقص٣٢:١٣ أنه لا يعلم وقت يوم القيامة ولكن الله هو الذي يعلمها فهل يكون المسيح هو الله ويجهل ما يعلمه الله؟ أم أن العلم والإرادة والصلاح صفات للجسد وليست صفات للروح؟ ومن الذي كان يصلي له المسيح إن كان هو الإله؟! ألم يذكر العهد الجديد أن المسيح كان يعبد الله؟ أكان المسيح يعبد نفسه؟ وهل استعمال المسيح لمصطلح ابن الإنسان عن نفسه تكرارا ومرارا في الإنجيل(ذكرت ٨١ مرة) إلا تأكيدا لبشريته وبراءته مما سينسبه الناس إليه؟ بل إن المسيح قال عن نفسه صراحة أنه نبي إنسان ففي يوحنا(٤٠/٨) قال(أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) وفي لوقا ٢٥/٤ قال «الحق أقول لكم: ما من نبي يقبل في بلدته. » فهل بعد شهادة المسيح لنفسه شهادة أخرى؟ وفي لوقا ١٧/٧ قال الناس أمامه بعد أن أحيا ميتا[٦٢]بإذن الله «قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه!» وفي متى(٨:٩) بعد أن رأى الجموع معجزاته "تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانًا مثل هذا" فهل يا ترى كان الجموع يمجدون المسيح أم رب المسيح؟ وإذا كان المسيح إلها فماذا عن أم المسيح عليه السلام هل هي الأخرى إلهة أم ماذا؟ وهل يمكن للمخلوق أن يلد الخالق[٦٣]

وأما إن كنت تعتقد أن الله تعالي عن أن يشابه خلقه أو أن يقتل على أيديهم وأنه كان وما زال في السماء فوق جميع خلقه و لا يخرج أحد منهم عن قبضته لكن له ولد هو المسيح أرسله إلي الأرض لهذه الغاية وهو أن يتعذب بأيدي البشر من أجل البشر فقل لي بربك من أين علمت أن لله ولد؟؟ أمن الكتاب المقدس؟ فإن الكتاب المقدس يعتبر

البشر جميعا أبناء الله بمعنى أن الله هو الذي يطعمهم ويرزقهم لا أبنائه على الحقيقة[٦٤] كما أطلق على أنبياء آخرين هذا الوصف[٦٥].(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ. سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) ثم ما حاجة الله لكي يتخذ ولدا و هو الغني عن خلقه أجمعين؟(قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) وهل هذا الولد كانت حياته سرمدية مثل حياة الله عز وجل أم أنه حادث على هذا الكون؟ فإن كان حادثا فهو مخلوق مثله كبقية مخلوقات الله عز وجل وإلا فكيف يكون مولودا وسرمديا في نفس الوقت؟(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) وهل مشيئة هذا الولد تابعة لمشيئة الرب أم أن له إرادة مستقلة؟ وهل الإنسان مأمور بعبادة الرب وحده أم الرب وما تنسب له من ولد؟ هل تستقيم الحياة إذا عبد الإنسان أكثر من إله؟

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) ثم هل ضاقت السبل على رب الأرض والسماوات فلم يجد وسيلة لتكفير خطيئة آدم إلا التضحية بولده-بفرض وجود الولد؟ و كيف تنزه الرهبان والقساوسة عن اتخاذ الولد وتنسب ذلك لله رب العالمين؟(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

أما قضية التثليث وهي اعتقاد أن الله إله واحد مكون من ثلاثة أقانيم مختلفة فهي ثالثة الأثافي و اللغز المحير والمعضلة الكبرى التي ورثها رجال الكنيسة عن أسلافهم على علاتها وذلك أن آباء الكنيسة الأول لم يكتفوا بنسبة الولد لرب العالمين لكنهم أضافوا لله شريكا ثالثا هو روح القدس وجعلوا الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة. ويبدو أن الوقت لم يسعف النصارى الأوائل لكي يضعوا تفسيرًا مقنعا لهذا فقد شغلتهم الاختلافات الكثيرة وعقد المجامع الكنسية و تكفير بعضهم بعضا واختيار الأناجيل لذا فإن علماء النصارى المعاصرين أنفسهم يعترفون بصعوبة فهم حقيقة التثليث فيقول أحدهم: إن الثالوث سر يصعب إدراكه وإن من يحاول إدراك سر الثالوث كمن يحاول وضع مياه المحيط كله في كفه[٦٦] ويقول القمص باسيليوس إسحق: " أجل إن هذا التعليم عن التثليث يفوق إدراكنا " [٦٧] فهل يعقل أن تكون الحقيقة الكبرى في هذا الكون بهذا القدر من التعقيد؟ وأين ذكر التثليث في العهد القديم [٦٨] الذي تنضح نصوصه بالتوحيد؟ هل يمكن أن يكون التثليث حقيقة ولا يأتي له ذكر على لسان أي نبي من الأنبياء في الكتاب المقدس بل ولم يعلمها المسيح لتلاميذه ولم يسمع بها أحد منهم في حين لا تكاد تخلو سورة في القرآن من التوحيد؟ (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ يَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ) فالجملة اليتيمة التي تثبت التثليث في يوحنا(١) ستعرف في آخر الرسالة أنها مدرجة ولم تكن في النسخ القديمة. ولكن على العكس هناك نصوص تفند هذا الإدعاء انظر مثلا قول المسيح عليه السلام:(اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) مرقص ١٢: ٢٩ ألا ترى أن هذه الجملة تعني لا إله إلا الله؟ ولو كان ما يدعيه النصارى صحيحا لقال المسيح "اسمع يا إسرائيل أنا إلهك رب واحد وثلاثة أقانيم" وإلا لكان المسيح غير أمينا. [٦٩]وأيضا هناك قول المسيح أيضا:(وهذه الحياة الأبدية أن

يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع الذي أرسلته) يوحنا ١٧: ٣.دليل آخر على التوحيد فهل هذه الجملة الصريحة يفهم منها عاقل أن الله مكون من ثلاثة أقانيم؟ ولا عجب ألا نجد في الكتاب المقدس ذكرا لثالوث ولا سادوس فإن أمر الروح القدس نفسه ظل مشكلا على القوم ثمانية قرون إلى عام ٨٧٩ م حتى عقدوا المجمع الكنسي الثامن ليبحثوا أمره. وما روح القدس إلا ملك من الملائكة- وهو جبريل عليه السلام - أرسله الله بالوحي للأنبياء والرسل ويؤيد الله به المؤمنين، ونصوص العهد القديم والجديد شاهدة في أن روح القدس حل في كثير من الأنبياء، وفي الحواريين وفي غيرهم، و يأتي روح القدس بمعنى القوة والنصر والتأييد ولم يرد على لسان أى نبي أن الروح القدس إله مع الله(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً. لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً) وأما المسيح فقد خلقه الله من أم بدون أب كما خلق حواء من أب بدون أم ونفخ فيه من روحه كما نفخ في آدم من روحه وأحيا له الموتى كما أحيا الموتى لأنبياء عديدين من قبل فهل نقول على آدم وحواء وهؤلاء الأنبياء أنهم أقانيم أيضًا؟ ألا ترى أنه لو كان المسيح وروح القدس إلهين من دون الله لكان ممكنا أن يريد كل واحد منهم شيء غير الآخر؟ فمن الذي تنفذ إرادته في هذه الحالة؟ أم أن كلا منهما إله ناقص الألوهية؟ (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) وإذا كان الثلاثة هم واحد فكيف يموت أحدهم على الصليب ويبقى اثنان لم يموتا؟! المفروض إن كان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة أن يموتوا جميعا أو يحيوا جميعا. ولكن لما كان الله لا يموت كان يستلزم ذلك أنه لو كان هناك ٣ أقانيم أن يموت أحدهم فقط دون الآخرين وهذا يعني أن الثلاثة أقانيم منفصلة وغير متحدة وهذا ينافي عقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء جميعا. فكما ترى إن عقيدة الثالثوث والصلب لا تنسجمان معا بصورة منطقية ولا يمكن أن تكون هي الحق.

إن عقلاء الغرب بدأوا يدركون هذه الخدعة الكبرى فقد ظهر عام ١٩٧٧ كتاب اسمه "أسطورة تجسيد الإله" The Myth of God Incarnateكتبه سبعة من كبار رجال اللاهوت البريطانيين بما فيهم رئيس لجنة مذهب كنيسة إنجلترا يعلنون فيه إنكار ألوهية المسيح ويقرون ببشريته فقط.[٧٠]وقد أدلت مجلة تايم(٢٧ فبراير ١٩٧٨) بحثا هاما اشتغلت به دوائر جامعات وكنائس العالم الغربي وهو ظاهرة الدعوة إلى بشرية المسيح والمعارضة لألوهيته جاء فيه: إن موجة الرفض لفكرة ألوهية المسيح أو ازدواج طبيعته تزداد قوة وانتشارا في أوساط المفكرين اللاهوتيين سواء في الجامعات أو في الكنائس الغربية وهؤلاء الرافضون يعلقون أنه لا يوجد في الإنجيل ولم يثبت عن المسيح القول بألوهيته ويؤكدون أنه عليه السلام بشر عادي. [٧١]

وفي سنة ١٩٩٣ ألقي البابا يوحنا بولس الثاني خطابه الرسولي وأشار فيه إلى الانفصال المتزايد بين الكنيسة والرأي العام النصراني وذلك لعدم تصديق النصارى للعقيدة النصرانية الحالية كما طالب النصارى بعدم مناقشة العقيدة النصرانية والتسليم الأعمى بها. فهل يمكن أن يكلف الله البشر بالإيمان بعقيدة هذا شأنها؟؟

في البدء كانت الكذبة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

إذا نظرنا في تاريخ النصرانية لنعرف كيف تسربت هذه الوثنية إليها سنرى أن أتباع المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء ظلوا يعبدون الله الواحد الأحد في الهيكل تنفيذا لتعاليم المسيح عليه السلام: [إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة] متى ١٠ / ٥، ٦ ولكنهم مع اضطهاد اليهود لهم حتى لا ينازعوهم السلطة الدينية داخل الهيكل تحولوا إلى عبادة الله في البيوت الواسعة وكان الذي يقود عمليات الاضطهاد ضد أتباع المسيح رجل يهودي اسمه شاؤول من طائفة الفريسيين أشد الطوائف اليهودية بغضا للمسيح ولكن ظل للحواريين كيانا منظما و ظلوا متمسكين بتعاليم المسيح بألا يمضوا إلى طريق الأمم وظلت دعوتهم مستمرة ثم حدث أمر غريب فقد تحول شاول فجأة من عدو لدود ظالم إلى رسول قديس يوحى إليه!! بدون مقدمات دخل شاؤول النصرانية ذاكرا أنه رأى نورا غامرا سمع منه صوتا إلهيا أعطاه إنجيلاً إلهيًا بدون أن يذكر أي شهود على هذه الحادثة!! وانتقل شاؤول فجأة من كرسي الجلاد إلى كرسي المحامي ثم أطلق على نفسه اسم بولس ثم أصبح بعدها أهم شخصية في تاريخ المسيحية باعتراف المؤرخين للآثار والتغييرات الكبيرة التي حدثت بسببه حتى إن المسيحية تسمى باسمه أحيانا فيقال مسيحية بولس. [٧٢] ثم أخذ بولس يدعو الناس إلى ما كان غائبًا عن تلاميذ المسيح وما كان غائبا عن المسيح نفسه طوال حياته على الأرض من أمور مثل تجسيد الإله وألوهية المسيح ونظرية المخلص وعقيدة الفداء والصلب والخطيئة الأصلية والتي كانت عند الأمم الوثنية التي أراد بولس أن تنتشر فيها دعوته مع اختلاف الأسماء.[٧٣]

وهنا يحق لنا أن نسأل عدة أسئلة إذا كان بولس رسولاً له كل هذه الأهمية فلماذا لم يبشر المسيح تلاميذه بنبوته؟؟ إن ذلك لم يحدث بدليل ما جاء في أعمال الرسل: و لما جاء شاؤول بولس إلى أورشاليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ[٧٤]!! ولماذا لم يختره المسيح ليكون من تلاميذه و يتلقى عنه مباشرة قبل أن يرفع إلى السماء؟ ولنا أن نسأل أيضا كيف ينتقل رجل فجأة من الكفر المحض إلى النبوة والرسالة بدون أن يمر بأي مرحلة وسيطة ولم يكن أي من الأنبياء السابقين كافرًا قط فضلا عن أن يكون عدوًا لدودًا للدعوة؟ ولماذا لا نجد أي نص في كتاب سماوي يدل أو يشير إليه أو يصفه، فرسائله تعد شهادة منه لنفسه فهي غير مقبولة، وكذلك ما كتب بتأثير منه؟ ولماذا لم يؤيده الله بمعجزة كما أيد موسى عليه السلام حين كلمه وكما أيد جميع الأنبياء؟ وما فائدة رسالته بعد رفع المسيح مباشرة إلا إن كان المسيح لم يبلغ رسالة ربه على الوجه الأكمل حاشاه من ذلك؟ وكيف عرف بولس فجأة بعد أن سمع الصوت أن الذي يخاطبه هو صوت الرب وليس

شيطانا؟ و لماذا لم يذهب بولس بعد تنصره مباشرة إلى التلاميذ ليتلقى عنهم دين المسيح بل ذهب إلى الجزيرة العربية [٧٥] ومكث بعيداً عن التلاميذ ثلاث سنين، ثم لقي اثنين منهم فقط لمدة خمسة عشر يوماً (انظر غلاطية ١٨/١- ١٩)

و لو كانت هذه التغييرات التي أحدثها بولس وحيا من عند الله ألم يكن أولى أن ينال هذا الشرف أحد تلاميذ المسيح الذين آمنوا به في حياته وصحبوه و نالهم الاضطهاد في سبيل دينه من هذا الذي كان يحارب دعوة المسيح؟ بل ألم يكن أولى أن يخبر بها المسيح صراحة ولا يدعها لشخصية يكتنفها الريبة والغموض؟و لماذا لم يذكر بولس اسم شاهد واحد على الأقل على قصة الرؤية هذه؟ ألم يقر المسيح بأن شهادته هو لنفسه وحدها لا تكفي وإنما يلزم شهادة أخرى معه كما نصت على ذلك التوراة؟ [٧٦] فهل بولس أفضل أم المسيح؟؟ وماذا عن الاختلافات في قصة رؤية بولس المزعومة بين الروايات المختلفة التي تضحض هذه الواقعة؟ [٧٧].

إن للرسل علامات من أظهرها أن يكونوا في الدرجة القصوى من حسن الخلق والسجايا الكريمة فهل تحقق هذا في بولس؟ إذا نظرت في نصوص العهد الجديد ستجد له مواقف تطفح غرورا ونفاقا وكذبا في سبيل تحقيق أهدافه فتجده يقول:"صرت لليهود كيهودي.. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس...و للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس...صرت للكل كل شيء"(كورنثوس(١)٢٠/٩-٢١. فهو يريد أن ينشر دين الله بالكذب والطرق الملتوية وانظر إليه عندما خاف من الجند قال لهم: "أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً"فذهب القائد بنفسه إلى بولس وسأله: "أأنت حقا روماني؟" فأجاب: "نعم!" فقال القائد: "أنا دفعت مبلغا كبيرا من المال لأحصل على الجنسية الرومانية". فقال بولس: "وأنا حاصل عليها بالولادة!»أعمال٢٢/٢٥-٢٨فانظر إلى هذا الكذب البواح مع أنه يهودي فريسي ابن فريسي كما في(أعمال ٦:٢٣) وهو يسيء الأدب مع الله قائلا بلا ذوق " لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس"(كورنثوس(١)٢٥/١) ويقول عن التوراة(لو كان العهد السابق بلا عيب، لما ظهرت الحاجة إلى عهد آخر يحل محله) عبرانيين(٧/٨) ويقول مستحلاً المحرمات: " كل الأشياء تحل لي"(كورنثوس(١)١٢/٦) [٧٨]بالإضافة لأنه جعل نفسه حواريًا بل قديسًا معصومًا فوق الأنبياء جميعًا يدين العالم كله بما فيهم الملائكة الذين جعل المسيح دونهم بقليل [٧٩] انظر عبرانيين ٢/٩ و كورنثوس(١)٢/٦-٣

ولم يكتف بولس بذلك ولكنه ملأ العهد الجديد بأرائه المحضة ثم جعلها وحيا مقدسا من عند الله فتراه يقول(إذاً من زُوِّج فحسنا يفعل ومن لا يُزَوج يفعل أحسن)(كورنثوس(١) ٣٩/٧) فهل هذا يتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ وماذا يحدث لو طبق جميع الناس هذه النصيحة الغبية؟ حتى رسائله الشخصية البحتة التي لا تعني أي شيء بالنسبة للناس جعلها وحيا أيضا من عند الله فيقول في رسالته إلى تيموثاوس "سلم على برسكا وأكيلا، وعائلة أونيسيفورس. أراستس مازال في مدينة كورنثوس. أما تروفيموس، فقد تركته في ميليتس مريضًا. اجتهد أن تجيء إلي قبل حلول الشتاء.يسلم عليك إيوبولس، وبوديس، ولينوس، وكلوديا، والإخوة جميعا). فما علاقة هذه السلامات والتحيات بوحي الله للعالمين؟ وهو لا ينسى ردائه أيضًا في

هذه الرسالة فيقول) وعندما تجيء، أحضر معك ردائي الذي تركته عند كاربس في ترواس، وكذلك كتبي، وبخاصة الرقوق المخطوطة.!!) فهل هذا كلام مقدس؟
إن المسيح عليه السلام قد بشر ببولس رسولا للشيطان لا رسولا للرحمن فقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات"(متى ٥/١٧-١٩)، و بولس معناها "الصغير") وهو الذي نقض وصايا المسيح ووصايا موسى عليهما السلام التي قال عنها المسيح " إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ". متى [١٩: ١٦] وقال أيضا " « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون.)) متى [٢٣: ١] فقد أحل بولس شرب الخمر ودعا إليها صراحة وأحل أكل لحم الخنزير وحلل ذبيحة الصنم وأبطل مفهوم النجاسة و حرم الختان –مع أن المسيح قد اختتن[٨٠]- وألغى تقديس يوم السبت وقال عن الشريعة التي كان المسيح من أشد الناس تمسكا بها أنها (لم توصل الذين كانوا يعبدون الله بحسبها ولو إلى أدنى درجات الكمال)[٨١] ثم وصل به الحال إلى أن ألغى الشريعة معللا ذلك بكل وقاحة بأن الشريعة تجلب الغضب، وحيث لا تكون شريعة لا تكون معصية [رومية ٤: ١٥] وقال "لذا نحن - أي بولس- نقرر تبرير أعمال الإنسان من خلال إيمانه، بدون التزامه بالشريعة " [٨٢][رومية ٣: ٢٨] فجعل بولس فصلا تاما بين الإيمان والعمل وجعل المطلوب من الشخص فقط كي ينجو أن يؤمن أن المسيح مات على الصليب كفارة لأخطاء البشرية ثم لا عليه بعد ذلك أن يفعل ما يريد طالما آمن بالمخلص فالنجاة ستأتيه أوتوماتيكيا!! حتى أنه أخبر أن الكافر الذي لا يؤمن بالمسيح قد يدخل الجنة إذا كان متزوجا من امرأة مؤمنة(كورنثيوس١ ٧:٨-١٦)[٨٣]
ولا يخفى ما لهذا الاعتقاد من أثر في التسبب في الانحلال الخلقي و الفوضى الاجتماعية. و على عكس ذلك قال يعقوب تلميذ المسيح في رسالته: " قائلاً:(يا إخوتي، هل ينفع أحدا أن يدعي أنه مؤمن، وليس له أعمال تثبت ذلك، هل يقدر إيمان مثل هذا أن يخلصه؟) [٢:١٤] و قوله " وهذا يؤكد لك، أيها الإنسان الغبي، أن الإيمان الذي لا تنتج عنه أعمال هو إيمان ميت " [٢: ٢٠]
و قد دعي بولس في الدنيا بالصغير، ولسوف يدعى في الآخرة أصغر جزاء تبديله للناموس والوصايا
غير أن أخطر الشروخ التي أصابت جدار المسيحية على يد بولس على الإطلاق هي الوثنية المتمثلة في عقائد تجسيد الإله و صلبه وأكل لحمه ودمه في العشاء الرباني وغير ذلك مما نبت من أفكاره الفلسفية[٨٤] أو معتقدات الشعوب الأخرى التي أراد للمسيحية أن تنتشر فيها. يقول شارل جنيبر" إن الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار فيبدو لأول وهلة غريبًا حقًا فهي مزيج من الأفكار اليهودية ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ومن الذكريات الإنجيلية والأساطير الشرقية" [٨٥]

ويبدو أن هم بولس الأول الذي استطاع تحويل المسيحية من دعوى قومية إلى بني إسرائيل كما كانت في عهد المسيح إلى دعوة عالمية كان الاستكثار من الأتباع و المؤمنين الجدد من أبناء الأمم المجاورة لذا صاغ لهم من معتقداتهم القديمة دينه الجديد الذي لا يمت للمسيح بصلة إلا اسمه ويدل على ذلك التشابه الشديد بين عقائد النصارى الحالية والعقائد الوثنية القديمة. [٨٦] فكما أن الآلهة عند الرومان تتجسد على شكل مخلوقات وتصارع البشر جعل بولس إلهه الجديد كذلك وكما أن البشرية في نظر الحضارات القديمة تحتاج إلى منقذ يخلصها من اللعنة جعل بولس ذلك في دينه الجديد ومن أمثلة ذلك ديانة (مثرا) الذي كانوا يسمونه في أوروبا(مثرا إله الخلاص) والمثراوية تحوي المعمودية والعشاء الرباني[٨٧] أيضًا حتى أن بعض الباحثين أعلن في وضوح أن النصرانية هي المثراوية في ثوبها الجديد ولهذا قيل «لم تتنصر الروم ولكن تروَّمت النصارى». يقول د. جنيبر: [ورأى بولس بوضوح أيضًا أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول(فضيحة الصليب)أنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة تفسيرًا مرضيًا يجعل منها واقعة ذات مغزى ديني عميق.. وأعمل بولس فكره في هذه المشكلة.. ووضع لها حلاً كان له صدى بالغ المدى.. لقد تجاهل فكره عيسى الناصري(المسيح عليه السلام) ولم يتجه إلا إلى عيسى المصلوب(الشخصية التي اخترعها بولس) فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود.. رجل سماوي احتفظ به الله إلى جانبه أمدًا طويلاً حتى نزل إلى الأرض لينشيء فيها حقًا بشريًا جديدة يكون هو دمها..][٨٨]

فإذا نظرنا إلى موقف تلاميذ المسيح من بولس فبرغم من أن بعضهم تقبله في البداية عملا بحسن الظن الذي علمهم إياه المسيح إلا أنهم عارضوا دعوته ووقفوا في وجهها بعد أن ظهرت لهم بدعه المهلكة ودليل ذلك اختفاء ذكرهم عن عالم المسيحية بعد ظهور بولس، فقد اختفت كتاباتهم وحوربت، ولم ينج منها إلا إنجيل برنابا ورسالة يعقوب المضمنة في رسائل العهد الجديد والتي تمتلئ بمخالفة بولس وخاصة في مسألة الفداء.حتى برنابا وهو الوحيد الذي قدم بولس إلى التلاميذ نفر منه بعد ذلك واختلف معه وتركه واختفى ذكره من العهد الجديد بعد هذه الحادثة و لو كان بولس رسولا من عند الله حقا لما تركه تلميذ المسيح عليه السلام[٨٩].

وقد ظل المؤمنون من أتباع التلاميذ الذين كانت لهم رسائلهم وكتبهم أيضًا يعبدون الله على شريعة المسيح بدون أن يتأثروا ببدع بولس وحارب الكثير منهم دعوة بولس واتهموه بأنه أفسد الديانة المسيحية بعد أن عجز عن القضاء عليها بالسيف والسلطان فدخل في المسيحية وأخرجها من التوحيد إلى الوثنية. حتى بدأ تدخل السلطة وانعقاد المجامع الكنسية. وفي ذلك يقول الشاعر القروي السوري رشيد سليم الخوري - المولود في أسرة أرثوذكسية: " إن الكنيسة ظلت حتى مطلع القرن الرابع الميلادي تعبد الله على أنه الواحد الأحد وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان فأدخلوا بدعة التثليث وجعلوا لله سبحانه وتعالى أندادًا شاركوه منذ الأزل في خلق السماوات والأرض وتدبير الأكوان ومالأهم الأسقف الأنطاكي مكاريوس فثار زميله الأسقف

أريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى إلى الاقتتال وفاز أريوس بالحجة القاطعة في المجامع بيد أن السلطة وضعت ثقلها في الميزان فأسكتت صوت الحق وأنفذت صوت الباطل واستمر المسيحيون يعمهون في ضلالتهم ".

وقضية المجامع هذه أمرها عجيب. فإزاء تعدد مذاهب النصارى في المسيح عليه السلام وتعدد أناجيلهم كذلك التي بلغت أكثر من خمسين إنجيلاً كما تذكر بعض الروايات تم عقد المجامع الكنسية وأولها مجمع نقية عام ٣٢٥ م الذي اجتمع فيه أكثر من ألف أسقف لكي يحددوا طبيعة المسيح عليه السلام ويختاروا الأناجيل المعترف بها من ضمن عشرات الأناجيل وبرغم أن ٣٣٨ أسقفا فقط هم من قالوا بألوهية المسيح إلا أن الإمبراطور الروماني قسطنطين انحاز إلى هذا الرأي –وهو الأقرب إلى وثنيته- وانفض المجمع على لعن أريوس الذي يقول بالتوحيد ونفيه وطرد من قال برأيه وحرق كتبه واختيار أربعة أناجيل فقط هي أناجيل يوحنا ولوقا ومتى ومرقص التي كانت تعزز عقيدة ألوهية المسيح وحرق بقية الأناجيل وقتل كل من يثبت اقتناؤه لها وأما الرسائل السبع فلم يعترف المجمع المذكور بالكثير منها، وإنما تم الاعتراف بها فيما بعد وهذا القدر من التاريخ يتفق عليه جل المؤرخين. وهكذا تحققت نبوءة المسيح وهي قوله(ستطردون خارج المجامع، بل سيأتي وقت يظن فيه من يقتلكم أنه يؤدي خدمة لله. وهم يفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا أبي، ولا عرفوني) يوحنا ٢:١٦ و إنا لنعجب أشد العجب من دين يتم اختيار عقائده وكتبه بهذه الطريقة... هل يمكن أن يترك الله الناس في حيرة بدون بينة واضحة أو كتاب منير فيحددوا طبيعة إلههم وكتبهم المقدسة من خلال المؤتمرات التي تتلاعب فيها الأهواء والمصالح وحب الرياسة وتقلبات السياسة بالنفوس البشرية؟[٩٠]أم أن الحق كان واضحا ولكن اختلاف الكهنة والعلماء وإتباع الأهواء أذهب به؟ ولماذا تم رفض بقية الأناجيل برغم أن الأشخاص الذين كتبوها تعتبرهم الكنيسة قديسين؟ ولماذا كانت هذه الأربعة فقط هي وحي الله وما عداها ليس وحيا؟(٩١) وما الذي يضمن أن قرارات هذه المجامع هي قرارات معصومة من الخطأ وهي التي كانت قلما كان يسلم أعضاؤها من الاختلاف بل كانت تنتهي غالبا بلعن بعضهم بعضا!! لا شك أن أي عاقل لا يقبل أن يتحدد دينه واعتقاده و هو أهم ما لديه بهذه الطريقة.

و برغم نتيجة هذه المجامع وانحياز الإمبراطور الروماني لوثنية روما في شكلها الجديد واضطهاد الدولة الرومانية لأتباع أريوس فإنه ظل من النصارى من يعبد الله وحده واستمر من عقلاء النصارى ومصلحيهم من كل جيل من يستيقظ عقله ليعلن فساد مبدأ التثليث والتجسد من حين لآخر فيناله ما يناله من الاتهام بالهرطقة والتكفير والحرمان من دخول الجنة من الكنيسة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانتصر لأتباع التوحيد وأصبحوا ظاهرين من حينها و تولت أمة الإسلام أمر الدعوة إلى عبادة الله وحده و ما زال يلبي هذه الدعوة إلى اليوم كل من استمع لنداء عقله وفطرته وقلبه من علماء النصارى وعوامهم على السواء.[٩٢]

على أن فساد النصرانية لم يقتصر في أمر الإلوهية ولكن جعلت الكنيسة لنفسها سلطة مغفرة الذنوب ودخول الجنة وجعلت لذلك صكوكا فأقحمت نفسها بين العبد

وربه و احتكرت لنفسها حق تفسير الإنجيل بل وقراءته [٩٣]وجعلت لنفسها أسرارا لا يجوز للناس الاطلاع عليها و أدخلت بدعة تقديس مريم عليها السلام وتقديس أشخاص عاديين وبدعة القربان المقدس وادعت عصمة البابا[٩٤]بل صار البابا يتلقى من الرب مباشرة وجعلت السجود للصور والتماثيل والصلبان كعباد الأوثان داخل الكنائس- وهي جمادات لا تنفع ولا تضر- [٩٥]فأصبح تعلق النصراني بتمثال المسيح وصورته والصليب بعد أن كان بالله و وبدلت التشريعات التي كانت سائدة أيام المسيح كالصوم وحرمت الطلاق وحولت اتجاه القبلة من بيت المقدس إلى مشرق الشمس وابتدعت الرهبنة التي تقوم على تعذيب الجسد وأوقدت شرارة سلسلة من الحروب الهمجية عرفت في التاريخ باسم الحروب الصليبية و صادرت الكنيسة عقول الناس وأفكار العلماء واضطهدتهم فأشعلت الصراع النكد مع العلم وظلت أوروبا تعيش في عصور الظلام مئات السنين حتى نبذ أهلها الدين وضاقوا ذرعا بتسلط الكنيسة وطغيانها فظهرت عدة ثورات وحركات إصلاحية[٩٦]نادت بالتحرر من سلطة الكنيسة ورُفِع شعار اللادينية وحينها فقط بدأ ما يعرف بعصر النهضة الأوروبية!!

يكتبون الكتاب بأيديهم

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً

أنزل الله على عيسى عليه السلام الإنجيل وقال عنه في القرآن(فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) و هذا الكتاب المبارك هو الذي كان يسمى بالإنجيل فقط غير منسوب إلى مؤلف من البشر وقد علمه المسيح عليه السلام لتلاميذه ووردت إشارات عنه في الكتاب المقدس [٩٧]إلا أنه يبدو أن هذا الإنجيل قد تعرض للفقد مع معظم كتابات التلاميذ التي كانوا يكتبون فيها مذكراتهم و تسجيلهم للأحداث ووصاياهم وقد عرفت أيضا باسم الأناجيل إثر المحاولات الغاشمة من الكنيسة للقضاء عليها وحرقها وقتل مقتنيها. و قد بلغت هذه الكتب أكثر من خمسين إنجيلا و منها إنجيل برنابا وإنجيل الطفولة ويُنسب لمتى الحواري وإنجيل فيليب ويُنسب لفيليب الحواري وإنجيل المصريين ويُنسب لمرقص الحواري و إنجيل الإثنى عشر رسولا و إنجيل العبرانيين أو الناصريين و إنجيل السبعين وينسب لتلامس وإنجيل مريم المجدلية وإنجيل الحياة وإنجيل الولادة وإنجيل التذكرة وإنجيل مرقيون وقد تم رفض أكثر هذه الأناجيل بعد مجمع نيقية وبقيت شذرات منها في المكتبات القديمة إلا أن إنجيل برنابا منها هو الذي ذاع صيته وانتشر و ترجم إلى لغات عديدة. وقد جاء ذكر إنجيل برنابا في ثنايا قرارات الكنسية منذ القرن الرابع الميلادي تحرض على منع قراءته مثل قرار البابا ديماسوس عام ٣٦٦ م وقرار البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على كرسي البابوية عام ٤٩٢ م يحرم فيه قراءة عدة كتب منها إنجيل برنابا.ويتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل، نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية، عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا، و ذلك فى سنة ١٧٠٩. و قد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار فى سنة ١٧٣٨ إلى البلاط الملكي بفينّا. و كانت تلك النسخة هى الأصل لكل نسخ هذا الإنجيل في اللغات التي ترجم إليها. وبرنابا كاتب هذا الإنجيل هو أحد

حواريي المسيح، واسمه يوسف بن لاوي بن إبراهيم وجاء في العهد الجديد أنه باع حقله وجاء ووضعه عند أرجل تلاميذ المسيح(انظر أعمال ٣٦/٥ – ٣٧)، عرف بصلاحه وتقواه وقد ذهب برنابا للدعوة في أنطاكية.. "ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب، لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً في الروح القدس والإيمان، فانضم إلى الرب جمع غفير "(أعمال ٢٢/١١ – ٢٤) و يعتبر إنجيل برنابا وثيقة إدانة ضد التحريف الذي أحدثه بولس الكذاب وبابوات الكنيسة من بعده في النصرانية وشاهدا على صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ أنه يقر بوحدانية الله عز وجل و ببشرية المسيح عليه السلام ويبشر برسول الإسلام باسمه الصريح محمد لذا لم تعترف به الكنيسة وحرمت قراءته ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فالكتاب مترجم للعربية ومتاح للجميع[٩٨]وهذا لا يعني أنه خالي من الأخطاء فهو كأي عمل بشري معرض لذلك لكنه أقرب الأناجيل إلى الصواب. وهذه إحدى فقراته يبشر المسيح فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم " فأجاب يسوع....الحق أقول لكم إن كل نبى متى جاء فإنه إنما يحمل علامة رحمة الله لأمة واحدة فقط. و لذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسل إليهم. و لكن رسول الله متى جاء. يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم. فيحمل خلاصا و رحمة لأمم الأرض الذين يَقبلون تعليمه. و سيأتى بقوة على الظالمين. و يبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان. لأنّه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا(أنظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض و كما حطّمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك").

أما التوراة فلم تسلم هي الأخرى من التلاعب والتحريف فقد آتى الله موسى الكتاب فيه هدى ونور ومن كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء لكن أحبار السوء الذين ورثوا الكتاب كانوا يشترون به ثمنا قليلا فيخفون كثيرا من أجزائه للهروب من أحكامه غالبا وكسب المال ويكتبون بدلا منها كتبا بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله حتى تحول الكتاب إلى هذه المجموعة المشوهة أخلاقيا وعلميا من الأسفار التي تعرف بالعهد القديم بعضها لمؤلفين مجهولين كما ذكر مراجعو الطبعة المنقحة RSVمثل سفر صموئيل وسفر أخبار الأيام[٩٩]والتي لا نجد بينها التوراة كما كانت على عهد موسى. وصدق الله إذ يقول(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهذا لا يمنع أن يكون في هذه الأسفار أثارة من علم الأنبياء وبقايا من وحي السماء، لكنها غارت في بحور من تخليط البشر وتحريفهم وسترى أمثلة على ذلك ولذلك فإن فِرَق النصارى مختلفون في كتابهم المقدس أشد الاختلاف فتجد مثلا البروتوستانت -وهم أشد الفرق تعظيما له ولذلك سموا بالإنجيليين- لا يعترفون بسبعة أسفار من كتاب الكاثوليك وتوجد اختلافات كثيرة في الأسفار المعترف بها لديهم بين كتابهم وكتاب الكاثوليك فأي الكتابين هو الصحيح؟؟ هذا بالإضافة للأسفار المفقودة ومشار إليها في ثنايا العهد القديم مثل كتاب حروب الرب المذكور في سفر العدد ١٤:٢١و كتاب ياشر المذكور في يشوع ١٠:١٣.

و أما الأناجيل المعترف بها اليوم- وهي إنجيل متّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا التي ضمنتها الكنيسة مع رسائل بولس و بقايا التوراة المحرفة في كتاب واحد أسمته الكتاب المقدس فبالرغم من أي من كتّاب هذه الأناجيل لم يدع الإلهام لنفسه وإنما اعترف بعضهم بأن ما كتبه هو مجرد تسجيل للأحداث حسبما يراها هو فإن الكنيسة تصر على هذه الدعوة ولكن ما بهذه الأناجيل من أخطاء وتناقضات[١٠٠]يكشف زيف هذه الدعوة بكل وضوح. يقول روبرت كيل تسلر[١٠١]في كتاب حقيقة الكتاب المقدس: " أما ما يخص العهد الجديد فإن النص الأصلي -وهو ليس لدينا كما ذكرنا من قبل - قد تكوَّن بين أعوام(٥٠) و(٢٠٠) بعد الميلاد، وهذه مدة كبيرة من الزمن بعد وفاة يسوع، بل إن(٥٠) سنة لتعد أيضاً فترة زمنية كبيرة وفي هذا الزمن استطاعت بعض الأساطير أن تجد لها طريقاً تنتشر فيه، في وقت لم يعد فيه شهود عيان عند تكوين معظم النصوص الأصلية وهنا يجب علينا أن نتذكر: كم من الأساطير نشأت فقط بعد عدة سنوات بسيطة من حريق جيوفارا؟ " وإذا لم تكن مصدقا بوجود الإشاعات في الأناجيل فقل لي بربك من أين عرف المؤلفون الأحداث التي تلت القبض على شبيه المسيح إذا كان كل التلاميذ قد تركوه وهربوا كما هو مذكور في متى ٥٦:٢٦ ومرقس ٥٠:١٤ إلا عن طريق الإشاعات؟

أول هذه الأخطاء هي نسبة الأناجيل نفسها لأصحابها فهي نسبة تعتريها الشكوك وتحوم حولها الشبهات من كل جانب.أما بالنسبة لإنجيل يوحنا فقد كتب في أواخر القرن الأول الميلادي في حين أن يوحنا الحواري كما يقول بعض المؤرخين مات مشنوقا سنة ٤٤م على يد غريباس الأول وهو كما يذكر مؤلفه مكتوب خصيصا لإثبات إلوهية المسيح فقد ظلت الأناجيل نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على إلوهية المسيح فالأساقفة اعتنقوا إلوهية المسيح قبل وجود النص الذي يدل عليها ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا بذلك فكتب أحدهم أو بعضهم هذا الإنجيل[١٠٢]. تقول دائرة المعارف البريطانية: "يعتقد كثير من العلماء أن نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري غير صحيحة"[١٠٣] وجاء في الترجمة المسكونية للإنجيل كلام مماثل لذلك. ولولا خشية التطويل لذكرت أراء عددا من الباحثين بأسمائهم ولكن أكتفي بذكر كلام القس فهيم عزيز بعد طرحه لسؤال من كاتب إنجيل يوحنا: يجيب القس فهيم عزيز: " هذا السؤال صعب، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالباً ما تنتهي بالعبارة: لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل ". وهذه شهادة من أهلها لا تحتاج معها لشهادة أخرى. أما إنجيل متى فقد جاء في مقدمة الرهبانية اليسوعية لإنجيل متى: " أما المؤلّف، فالإنجيل لا يذكر عنه شيئاً وأقدم تقليد كنسي ينسبه إلى الرسول متى.. ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت ذلك الرأي أو يبطله على وجه حاسم، فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه... ".

أما مرقس ولوقا فلم يكونا من تلاميذ المسيح عليه السلام يقول المفسر دنيس نينهام مفسر مرقس: " لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة، وعلاقة خاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ". وقال بطرس قرماج

في كتابه " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " عن مرقس: "كان ينكر ألوهية المسيح ". وأما لوقا فقد كفانا عناء البحث في أقوال المؤرخين إذ يقول بنفسه في مقدمة إنجيله " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة
رأيت أنا أيضاً ـ إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ـ أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علِّمتَ به " فالذين كانوا في البدء هم التلاميذ و هو يعلن أنه لم يكن معهم. [١٠٤]
أما عن النسخ الأصلية التي كتبت منها هذه الأناجيل فيقول موريس نورن في " دائرة المعارف البريطانية ": " إن أقدم نسخة من الأناجيل الرسمية الحالية كتب في القرن الخامس بعد المسيح، أما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس فلم يخلف لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية، وفضلاً عن استحداثها وقرب عهد وجودها منا، فقد حرفت هي نفسها تحريفاً ذا بال، خصوصاً منها إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا" وهذا يعني أن هذه الأناجيل منقطعة السند[١٠٥]فضلا عن أن هذه النسخ القديمة ليست باللغة الأصلية التي كتبت بها الأناجيل ولا يُعلم من ترجمها ولا متى ترجمت!! ولا توجد أي طريقة علمية لإثبات أن هذه النسخ هي نفسها التي كانت موجودة في القرنين الأول والثاني الميلادي إلا المقارنة بين عدة نسخ من هذه المخطوطات لنفس الإنجيل لا تعتمد على بعضها البعض وحينها لن تكون المقارنة بالتأكيد في صالح الكتاب المقدس!! حتى عملية النسخ نفسها قبل اختراع الطباعة لا يمكن التسليم بدقتها نظرا لإنه لم يكن محفوظا عن ظهر قلب في صدور الرجال كالقرآن ولتغير اللغة ومعاني الكلمات عبر القرون المتطاولة فضلا عن أن اللغات مختلفة في ثرائها اللغوي عن بعض وقد توجد كلمات في لغة لا يوجد نظير لها في لغة أخرى لذا لا يمكن التسليم بالدقة الكاملة لمن ترجم كلام المسيح مثلا من الآرامية ثم إلى اليونانية ثم إلى اللاتينية والعربية وأي ادعاء بأن الكتاب الحالي هو كتاب مقدس يلزم أن يكون جميع المترجمين الذين ترجموه قديسين أو موحي إليهم من الروح القدس فهل تضمن الكنيسة ذلك؟ [١٠٦]
لكن حدث اكتشافان أثريان هامان في أواسط القرن العشرين قد يؤديان لحدوث انقلاب في النظرة للكتاب المقدس والعقيدة النصرانية من أساسها. الأول هو مخطوطات كثيرة ترجع للقرن الأول الميلادي[١٠٧]أو قبله تخص جماعات مسيحية موحدة عاشت في هذه الفترة عثر عليها أحد البدو صدفة داخل أوان من الفخار في كهوف قمران بجوار البحر الميت عام ١٩٤٧ لذا هي تعرف بمخطوطات البحر الميت((Dead Sea Scrolls. هذه المخطوطات كتب عنها الدكتور ف. البراين و هو عمدة في علم آثار الإنجيل: " إنه لا يوجد أدني شكل في العالم حول صحة هذا المخطوط و سوف تعمل هذه الأوراق ثورة في فكرتنا عن المسيحية، و قال عنها القس(أ. باول ديفيز) في كتابه عن مخطوطات البحر الميت[١٠٨](إن مخطوطات البحر الميت و هي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة، قد تغير الفهم التقليدي للإنجيل). ويعتقد كثير من العلماء أن هذه المجموعة التي كتبت المخطوطات هي من الأسينيين ويعتقد آخرون أنهم من الأبيونيين الذين كانوا

يعتقدون بوحدانية الله وبشرية المسيح عليه السلام و تنكروا لبولس الكذاب و قد اضطهدهم الرومان. وتتحدث الوثائق صراحة عن التنبؤ بمسيحين سوف يرسلهما الله للعالم أحدهما سيكون من نسل هارون وإسرائيل(يعقوب) عليهما السلام و ستكون مهمته محصورة في التوجيه الديني(priestly messiah) ويسميه أتباعه بمعلم البر والتقوى(Teacher of Righteousness) ولكن أحد الكهنة وهو الكاهن الشرير Wicked)(Priest سوف يخونه من أجل المال ويحاول تسليمه لأعدائه لكن الله يعاقبه هو بأن يسلمه إليهم و يجعلهم يقتلونه وتتحدث أيضا المخطوطات عن الكذاب(Man of lies)[١٠٩]الذي لوث اسم المعلم واحتقر التعاليم وأضل الكثيرين وواضح أن معلم البر والتقوى هو المسيح عليه السلام والكاهن الخائن هو يهوذا الذي دل الرومان على مكانه فمكر الله به وألقى عليه شبه المسيح وأما الكذاب فهو بولس الذي لوث اسم المسيح ونسب إليه ما لم يقله وأضل الملايين من بعده. وأما المسيح الآخر الذي تتحدث عنه المخطوطات فهو الذي سوف تشرق شمسه على كل العالم لتبدد الظلمات وسوف تكون كلماته كوحي السماء وسوف يحكم سيفه على جميع العالم وسوف يُرسل لجميع أبناء عصره و يمحو الجيل الذي بعث فيه الشر من العالم وسوف يختلق الناس الأكاذيب عنه[١١٠] وقد وردت له ولأصحابه صفات كثيرة في هذه المخطوطات تنطبق على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويمكنك أن تقرأ في هذه المخطوطات بنفسك فهي موجودة في العديد من المكتبات العامة ومترجمة للعربية والإنجليزية وموجود فصول منها على الانترنت.

وأما الاكتشاف الثاني فهو مكتبة كاملة من الكتابات المسيحية القديمة عثر عليها في نجع حمادي Nag Hammadi Library))بمصر وهي موجودة الآن بالمتحف القبطي في القاهرة و من ضمن محتويات هذه المكتبة إنجيل توماس(توما) وهو يحوي سردا لأقوال المسيح عليه السلام وإنجيل فيليب وإنجيل الحق وإنجيل المصريين، إلى جانب بعض كتابات منسوبة للحواريين، مثل كتاب جيمس- يحمس في المصرية- و بعكس الأناجيل الأربعة المعروفة فلم يرد أي ذكر لقصة الصلب المزعومة في مكتبة نجع حمادي بل ورد تكذيب صريح لها. و محتويات هذه المكتبة أيضا مترجمة ومتاحة للباحثين ومن أمثلة ما ورد في إنجيل بطرس على لسان بطرس(رأيته يبدو وكأنهم يمسكون به فقلت ما هذا الذي أراه يا سيد هل هو أنت حقا من يأخذون؟ أم أنهم يدقون قدمي ويدي شخص آخر قال لي(المخلص) من يدقون المسامير في يديه وقدميه هو البديل فهم يضعون الذي بقي فيّ شبهه في العار انظر إليه وانظر إليّ) وتدل الرسومات الموجودة على أغلفة مجلدات هذه المكتبة على أن المسيحيين الأوائل في مصر كانوا يتخذون مفتاح الحياة الذي يرمز لخلود الروح عند المصريين القدماء كرمز للمسيح عليه السلام وليس الصليب الروماني المعروف الآن و من يذهب إلى المتحف القبطي في القاهرة يجد أن مفتاح الحياة هو الصليب الوحيد الذي يرمز لقيامة المسيح خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد. ولم تستخدم الكنائس المسيحية الصليب الروماني إلا منذ النصف الثاني من القرن الرابع عندما أصبحت كنيسة روما مسيطرة على الحركة المسيحية، ومع هذا فإن ذلك الصليب لم يصبح مقبولا لدى عامة المسيحيين إلا بعد أن أعلنت الكنيسة الرومانية عن العثور في مدينة القدس على

ما قيل إنه الصليب الخشبي الذي مات عليه يسوع. ثم تطور الأمر بعد ذلك- خلال القرن الخامس- عندما وضعت الكنيسة الرومانية صور لجسد المسيح على الصليب الخشبي.[١١١]

إذا عدنا إلى الكتاب المقدس الموجود بين أيدي الناس اليوم -على اختلاف نسخه - وأخذنا ننظر في متنه وجدنا عجبًا بدءًا من التناقضات الصارخة بين رواية مؤلفي هذا الكتاب للأحداث و القصص الخيالية التي نسجت عن المسيح بل عن الله عز وجل التي لا يمكن أن يقبلها عقل و الكلام الفاحش الذي يتناول الجنس و النساء بصورة خارجة عن الحياء ونسبة جميع الخطايا للأنبياء بدءا من شرب الخمر والسرقة حتى الزنا والكفر بالله عز وجل مما أدى لظهور علم كامل في الغرب يعرف بعلم نقد الكتاب المقدس[١١٢]يعتمد على إجراء البحوث العصرية و المقارنة بين النسخ والمخطوطات الموجودة لمعرفة الأخطاء الموجودة في هذا الكتاب والتي أوصلها بعضهم إلى ما يزيد عن ٢٠ ألف خطأ!! [١١٣]

وإذا أردت أمثلة فأول هذه الاختلافات التي تلفت النظر هي التباين الصارخ في سلسلة نسب المسيح بين إنجيلي متى ولوقا فهما مختلفان اختلافا يصعب الجمع بينهما سواء في عدد أجداد المسيح أو في أسمائهم ومثال ذلك عندما وصلت السلسلة إلى داود عليه السلام جعل متى المسيح من ولد سليمان الملك بينما جعله لوقا من ولد ناثان بن داود وهما أخوان ولا يعقل أن يكون المسيح من ذرية أخوين!! ثم إذا تأملت في سلسلة متى ستجد أنه ذكر للمسيح أربع جدات هن ثامار وراحاب وراعوث و وزوجة داود التي كانت لأوريا الحثي و لكل واحدة من هؤلاء الأربع سوءة تذكرها التوراة، فأما ثامار فهي التي ولدت فارص-وهو مذكور ضمن أجداد المسيح- زنا من والد أزواجها الذين تعاقبوا عليها واحداً بعد واحد.(انظر قصتها مع يهوذا في التكوين ٢/٣٨ - ٣٠). وأما زوجة أوريا الحثي فهي التي تتهم التوراة - زوراً - داود بأنه فجر بها، فحملت، ثم دفع داود بزوجها إلى الموت، وتزوجها بعد وفاته.(انظر القصة الكاذبة في صموئيل(٢) ١/١١ - ٤). وأما راحاب زوجة سلمون، وأم بوعز، وكلاهما من أجداد المسيح - حسب متى -، فراحاب هي التي قال عنها يشوع: "امرأة زانية اسمها راحاب "(يشوع ١/٢)، وذكر قصة زناها في سفره. وأما راعوث فهي راعوث المؤابية والتوراة تقول: " لا يدخل عموي ولا مؤابي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر "(التثنية ٢٣ / ٣). ولحسن الحظ هذه المرة فإن المسيح ليس داخلاً في هذا الطرد من جماعة الرب، إذ هو الجيل الثاني والثلاثون لها[١١٤]. فهل يعقل أن يكون المسيح عليه السلام ولد زنا؟؟! إن اعتقاد بطلان هذه القصص الكاذبة أهون بكثير من اعتقاد أن أجداد المسيح زناة. لكن الأدهى من ذلك وأمرّ هو أن كلا من الإنجيلين بدلا من أن ينسب المسيح إلى مريم عليها السلام نسبه إلى يوسف النجار!! أي أن هذه السلسلة الطويلة من النسب هم أباء وأجداد يوسف النجار وليسوا أباء المسيح فما هي علاقة المسيح بيوسف النجار؟؟ ترى هل خاف كاتبا الإنجيل من اليهود فنسبا إلى مريم ما كان اليهود يرمونها به زورا وبهتانا فجعلوا المسيح من ذرية يوسف النجار؟؟

و لا يقف التناقض بين الأناجيل عند نسب المسيح ولكن الاختلافات بينها تشمل أسماء تلاميذ المسيح الإثنى عشر إذ يقدم العهد الجديد أربع قوائم للتلاميذ الاثني عشر تختلف كل واحدة عن الأخرى في متى(١٠/١ - ٤)، ومرقس(١٦/٣)، لوقا(١٤/٦) وأعمال(١٣/١). وكذا تشمل الاختلافات رواية أحداث كثيرة تروى عن المسيح بل وتجد التناقض على لسان المسيح نفسه فمثلا تجد في متى(١١: ١٤) المسيح يقول عن يحيى أنه إيلي وفي يوحنا(١: ١٩-٢٨(يحيى ينكر أنه إيليا و في إنجيل متى ١٦: ١٨-١٩ سمى المسيح سمعان بطرس وأعطاه مفاتيح ملكوت السموات وقال له كل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات بينما في نفس الصفحة قال له " اذهب عني يا شيطان.أنت معثرة لي"١٦: ٢٣ ويذكر يوحنا أن المسيح قضى ثلاثة أعياد فصح في نبوته بينما تذكر الأناجيل الثلاثة الأخرى أن المسيح مارس النبوة عاما واحدا ...إلى غير ذلك من عشرات بل مئات الاختلافات الصارخة في نصوص العهد القديم والجديد على السواء مثل التناقضات بين روايات حادثة الصلب المشار إليها آنفا فهل يا ترى يوحي الله بكلام يناقض بعضه بعضا؟ حاشاه وكلا. إذا لابد أن هذه الروايات هي من كلام بشر يخطئون ويصيبون ويتعصبون ويتقلبون وأما أن يأتوا بكلام مقدس من عند أنفسهم فهذا ما لا يستطيعون! كل هذه التناقضات دعت الأب كاننجسير Kannengiesserأستاذ معهد باريس الكاثوليكي في كتابه الإيمان بالقيامة وقيامة الإيمان[١١٥]أن يقول ما معناه: " لا ينبغي اعتبار روايات الأناجيل حقائق لإنها نصوص مكتوبة تبعا للمناسبة أو نتيجة نضال جماعات متصارعة تسعى كل منها لإنفاذ نظرتها " وذكر الأب روجيت Roguet من باريس أيضا في كتابه مقدمة للأناجيل كلاما مثل هذا [١١٦]و أما عن النبوءات الكاذبة التي لم يحدث أي منها إلى الآن فلم يبخل مؤلفو العهد الجديد بها ومن أظهرها نبوءة المسيح في(متى ٢٤:٢٩-٣٤) بأن القيامة ستحدث في حياة الجيل الذي كان معه وقد مضى أكثر من أربعين جيلا ولم تقم القيامة!!

وأما عن نسبة النقائص لله عز وجل فالكتاب المقدس قد صور الرب تبارك وتعالى بصوراً لا تليق أبداً بجلاله سبحانه وتعالى، ووصفه بأقبح الصفات. فمثلا تجد في سفر صموئيل الثاني [٢٢: ٩] أن الرب له أنف يخرج منه دخان وله فم يخرج منه نار(كتنين ضخم) يقول كاتب السفر:(عندئذ ارتجت الأرض وتزلزلت. ارتجفت أساسات السماوات واهتزت لأن الرب غضب. نفث أنفه دخانا، و نار آكلة من فمه، جمر اشتعلت منه..) بينما يجعل صاحب سفر ناحوم [١: ٣]السحاب غبار رجل الله!!! يقول(طريق الرب في الزوبعة والعاصفة، والغمام غبار قدميه) أما صاحب سفر العدد فإنه يصف الرب بأنه(يجثم كأسد، ويربض كلبوة.) [٢٤: ٩]!! و لا يختلف مؤلف المزمور كثيرا عن أصحابه فإنه شبه الرب تبارك وتعالى بأنه ينام ويسكر ويصرخ عالياً من شدة الخمر فيقول في [٧٨: ٦٥]((فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر يصرخ عالياً من الخمر))(تعالى الله عما يصفون) إلى غير ذلك من نصوص العهد القديم التي تجعل الرب يصارع الإنسان بل ويُهزم ويتعب وينسى ويغار و يبكي و يحزن ويندم لإنه خلق الإنسان - التكوين [٦: ٥] و أما

في العهد الجديد فإن صاحب سفر رؤيا يوحنا يجعل الله في صورة خروف لـه سبعة قرون وسبع أعين(هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنـه ربٌّ الأرباب وملك الملوك [١٧: ١٤])!! ويتحدث العهد الجديد أيضا بسوء أدب عن الله قائلا "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله"(كورنثوس(١) ٢/ ١٠). وينسب الكتاب المقدس لله الأمر بالزنا والسرقة فأول ما يبدأ به هوشع سفره يقول:" أول ما كلم الرب هوشع قائلاً: اذهب خذ لنفسك امرأة زانية وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى" فهل يعقل أن يكون هذا الكلام وحي من عند الله؟ أما المسيح عليه السلام فلم يسلم أيضا من سوء أدب مؤلفي العهد الجديد المجهولين ولم يقف الافتراء إلى جعل المسيح من ذرية زناة ولكنهم ذكروا أن الشيطان قد أخذ المسيح عليه السلام لكي يختبره وصعد به فوق قمة جبل-(متى ١:١-١٥)!! فهل يمكن أن يكون المسيح نبيا ثم يكون للشيطان سلطان عليه؟[١١٧]فماذا لو كان إلها أو ابنا للإله؟!! كما اتهموا المسيح أيضا بشرب الخمر-وهو ما يخالف تعاليم التوراة- في قوله لليهود: "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب. فيقولون: هوذا إنسان أكول وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة"(متى ١١/٩). و اتهموه بقسوة القلب فينقل لوقا عن المسيح أمراً غريباً قاله للجموع التي تتبعه: " إن كان أحد يأتي إلي، ولا يبغض أباه وأمه وأولاده وإخوانه حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون تلميذاً "(لوقا ١٤/ ٢٦ - ٢٧) وتبع رجل المسيح ثم جاءه يستأذنه ليدفن أباه، فيذكر متى أن المسيح نهاه وقال: " اتبعني. ودع الموتى يدفنون موتاهم "(متى ٨/ ٢٢)، واستأذنه تلميذ آخر في وداع أهله، فلم يأذن له(لوقا ٩/ ٦١-٦٢) وجعلوه يتبرم من قضاء حوائج الناس فتقرأ في متى" تقدم إليه رجل جاثياً له، وقائلاً: يا سيد ارحم ابني، فإنه يصرع ويتألم شديداً، ويقع كثيراً في النار، وكثيراً في الماء. وأحضرته إلى تلاميذك، فلم يقدروا أن يشفوه. فأجاب يسوع، وقال: أيها الجيل غير المؤمن الملتوي. إلى متى أكون معكم. إلى متى احتملكم. قدموه إليّ ههنا.(متى ١٧/ ١٤-١٦)، وقصة مثلها في(متى ١٥/ ٢٢ - ٢٨). ونسبوا إليه اتهام الأنبياء قبله بأنهم سراق ولصوص في قوله:" جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص. ولكن الخراف لم تسمع لهم" (يوحنا ١٠/ ٧-١٢)..- وقد طال السباب المنسوب للمسيح تلاميذه وخاصته، فقد قال لتلميذيه اللذين لم يعرفاه: " أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء"(لوقا ٢٤/ ٢٥)، ومن عجائب العهد الجديد أنه يعتبر المسيح ملعوناً فيقول: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علّق على خشبة"(غلاطية ٣/ ١٢)، ولا تقف البذاءة عند ذلك فلم تسلم أعراض الأنبياء السابقين أيضا من التهم الشنيعة والجرائم البشعة. فقد جعل العهد القديم نبي الله نوح عليه السلام يشرب الخمر ويسكر ويتعرى!! سفر التكوين [٩: ٢٠] ونبي الله لوط يزني بابنتيه!! سفر التكوين [١٩: ٣٠]. نبي الله داود يزني بزوجة جاره ويدبر مؤامرة دنيئة ضده اغتاله فيها!!!سفر صموئيل الثاني [١١: ٢] نبي الله هارون يكفر ويدعو اليهود إلى عبادة العجل!!وهذا في سفر الخروج [٣٢: ٢] ونبي الله سليمان يخالف وصايا الرب ويتزوج من نساء الأمم اللاتي يغوين قلبه لآلهتهن فيكفر في أواخر حياته ويعبد الأوثان!! سفر الملوك الاول [١١: ١] فهل هؤلاء الذين اصطفاهم الله على خلقه

وشرفهم لحمل رسالته يمكن أن يكونوا كذلك؟ هل يمكن أن يكون كذلك من قال عنهم القرآن (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)؟؟وهل يعقل أن يرتكب الأنبياء الذين اختارهم الله هذه الفواحش ويكون البابوات الذين تختارهم الكنيسة معصومين؟ وهل يمكن أن نأمن قومًا رموا مريم العذراء عليها السلام بالزنا وهي تحيا بينهم على أعراض أنبياء ماتوا من مئات السنين؟؟ وكأي كتاب قليل البضاعة فقير المحتوى يراد له أن يروج بين العامة ويحقق أعلى الأرباح فيطعمه مؤلفه ببعض الكلام الجنسي الذي يخاطب في الإنسان غريزته لا عقله أو كأي مجلة لم تعد تجد ما تجذب به قارئها إلا أن تصدر صفحاتها بصور فاضحة قام مؤلفو العهد القديم بوضع السفر سيء السمعة الذي طالما أحرج الكنيسة بمحاولة تفسيره وتبرير وجوده في كتاب يفترض أن يكون مقدسا وهو سفر نشيد الإنشاد. هذا السفر الذي لم يكد يترك جزءا من جسد المرأة إلا وتغزل به وشبب به يدعي أصحاب الكتاب المقدس أن الله أوحاه إلى نبيه سليمان فمثلا في إنشاد(١/٧-٤) تقرأ: " ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم! دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع. سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. ثدياك كخشفتين توأمي ظبية. " فهل يمكن أن يكون هذا الكلام الذي يستحي الرجل أن يُقرئه أبناءه وحيا من عند الله؟؟[١١٨]هذا بخلاف قصص الزواني والعاهرات وزنا المحارم والعري والخيانة التي يحفل بها الكتاب المقدس ولولا خشية الإطالة وتدنيس صفحات هذه الرسالة لنقلت لك ما يندى له الجبين من ذلك ولكن هذه بعض الإشارات ويمكنك أن ترجع إليها بنفسك حزقيال [٢٣: ١٩] ، حزقيال [١٦: ٣٥] ، هوشع [١: ٢] ، صموئيل الثاني [١٢: ١١] ، إشعياء [٢٠: ٢] ،، اشعيا [٣: ١٦] ، القضاة [١٦: ١] ، راعوث [٣: ٤] ، لملوك الأول [١: ١، ٣] ، التكوين [٣٨: ١٣] ، حزقيال [٢٣: ١].

أما عن الأخطاء العلمية والتاريخية في الكتاب المقدس(إن كنت ما زلت تعتقد أنه مقدس) فحدث ولا حرج. فيذكر سفر التكوين مثلا مرة أن الله خلق النباتات والحيوانات أولاً ثم خلق الإنسان بعد ذلك التكوين(١: ٢٠ - ٢٧) ومرة أخرى أن الله قد خلق الإنسان أولاً ثم خلق الأشجار والحيوانات. التكوين(٢: ٧، ١٩) وهذا الخطأ يعرفه علماء اللاهوت. ويذكر العهد القديم أيضا أن ولادة إبراهيم كانت في القرن العشرين من بداية الوجود الإنساني وبالتحديد في عام ١٩٤٨ من بداية الخليقة و بتقدير الفترة بين إبراهيم و عيسى عليهما السلام من نصوص العهد القديم سنجد أن عمر البشرية على ظهر الأرض لم يتجاوز ٦ ألاف سنة فقط!! في حين أن هذا بخلاف المسلم به من أن حضارات قامت قبل ٥ ألاف سنة من الميلاد حيث عثر على مصنوعات بشرية تعود لأكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. وعثرت بعثة جامعة القاهرة على آثار بشرية في منطقة الفيوم ترجع لعشرات الآلاف من السنين. وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن الآثار الإنسانية في فلسطين ترجع لمائتي ألف سنة، وصدق الله العظيم إذ يؤكد أن البشرية ضاربة جذورها في التاريخ قروناً طويلة، فيقول:(وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً)

ومن الأخطاء العلمية زعم التوراة أن الأرض مسطحة، ولها زوايا موافقة بذلك المستوى العلمي السائد حين كتابتها، فتقول: " قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع(حزقيال ٢/٧).[١١٩]ويمكنك الحصول على المزيد من الأمثلة من كتاب العالم الفرنسي المسلم موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة[١٢٠]فهل بعد كل ذلك يقول قائل أن القرآن اقتبس من التوراة والإنجيل؟؟
هذا كله بخلاف الزيادات الطفيفة أو التعديلات أو الإضافات التي ما زالت في تغير وتحريف مستمر كلما ترجم الإنجيل أو نسخ أو طبع طبعة جديدة منذ كتبت الأناجيل أول مرة وإلى اليوم ويمكنك ببساطة التأكد من ذلك بمراجعة نسختين من الكتاب المقدس بينهما فترة زمنية كافية أو مختلفتين في اللغة إذا كنت تجيد كلا اللغتين.[١٢١]
فإذا علمنا كل هذا لا نستغرب إذاً أن يقول دكتور W.Graham Scroggie وهو أحد أبرز المنصرين في العالم من معهد Moody Bible Instituteفي كتابه " هل الكتاب المقدس كلام الله؟ "نعم إن الكتاب المقدس من وضع البشر، بالرغم من إنكار البعض(من المسيحيين) لِهذا القول من قبيل الحماسة وليس عن علم، فقد خطت أقلام البشر هذه الأسفار بعباراتهم، بعد أن خطرت على عقولهم، فصدرت بأسلوب البشر وتحمل صفاتهم. " ا.هـ.[١٢٢]

خاتمة

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

وفي الختام ها قد عرضت عليك رسالتي وبقي دورك أنت و قد تعمدت أن أذكر لك عناوين المواقع و أسماء الكتب والعلماء باللغة الإنجليزية لكي تتأكد بنفسك ومجال الاختيار مفتوح أمامك لكن تمهل فهذا ليس اختيارا عاديا لكنه أهم اختيار في حياتك وبعد حياتك واعلم أن من رحمة الله أن جعل الحق واضحا وضوح الشمس لذا فلن يغني أحد عنك من الله شيئا إن ضللت عنه أو أضلوك عنه فأنت إنسان عاقل مسئول بمفردك أمام الله و أنت لن تخسر شيئا بالتفكير فيما ذكرته لك والتأكد منه ولكن عليك أن تكون مخلصا في طلب الحق وأن تكون مستعدا أن تؤثره على غيره كما فعل نبي الله إبراهيم عليه السلام فلك فيه أسوة حسنة. فتوجه إلي السماء بقلبك وروحك - إلى ربك الذي خلقك - بدون أن تتمثله بصورة أو تمثال فالله أعظم من أن يشابه ما صنعته أيدي البشر واسأله أن يهديك الطريق الموصل إليه وعندما تعرف الحق فاعلم أنك قد عرفت الله حقا فاصبر من أجله وصابر عليه فقد سبقك كثيرون إليه وتحملوا من أجله ولكن احذر أن تحجب النور عن قلبك إن أبصرته فقد لا تراه مرة أخرى.

ويسرنا أن نتلقى تعليقاتك واستفساراتك على البريد: ask.about.islam@gmail.com
وهذه بعض المواقع التي يمكنك أن تستعين بها في رحلتك الإيمانية
الحوار الإسلامي المسيحي http://arabic.islamicweb.com/christianity
ابن مريم.. المسيح الحق http://www.ebnmaryam.com

الحقيقة.. المسيحية في الميزان http://www.alhakekah.com
التوضيح لدين المسيح http://www.tawdeeh.com
الحقيقة العظمى http://www.truth.org.ye
الجامع لحوار النصارى http://www.aljame٣.com
موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة http://www.٥٥a.net
http://www.halimo.com شبهات وهمية عن الإسلام
----

[١] هي سورة الفيل
[٢] أي غطوني
[٣] أي شابًا قويا لكي أنصرك
[٤](السفر إلى الشرق) ص٢٧٧
[٥](شمس الله تسطع على الغرب) زيغريدهونكه(٤٦٥).
[٦] نقلا عن كتاب ربحت محمدا و لم أخسر المسيح للدكتور عبد المعطي الدالاتي
[٧] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى) قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال:(أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم). قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك.
[٨] قال الله عز وجل: (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)
[٩] فتجد ان الكنيسة مثلا ادعت لنفسها حق مغفرة الذنوب فيأتي المذنب فاضحا نفسه و يجلس بين يدي بشر مثله يخطئ و يذنب ربما أكثر منه ثم يعترف أمامه بذنوبه ثم يمن عليه هذا الشخص الخطاء بالمغفرة و ذلك في مقابل مبلغا من المال يتبرع به أو يشتري به صكا يعرف بصك الغفران كما كان يحدث في الماضي
[١٠] النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٣٦- ٣٧
[١١] وقد كان هذا الموقف سببا في إسلام صحفية أمريكية عندما سمعت به
[١٢] عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال:(كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).
[١٣] النبأ العظيم. بتصرف
[١٤] قال تعالى: (هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {٦٢} وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

[١٥] ومنها أنه دعا النصارى مرة إلى المباهلة و هي أن يجمعوا أطفالهم و نساءهم و أنفسهم في مكان واحد ثم يبتهلوا إلى بأن يجعل لعنته على الكاذبين فما أجابوا
[١٦] و أولهم كان ورقة بن نوفل كما مر في المقدمة ثم كان عبد الله بن سلام و هو من علماء اليهود و فضلائهم و كعب الأحبار و هو من علمائهم أيضا و من النصارى فقد آمن به النجاشي ملك الحبشة مع أنه لم يره و لم يخش على ملكه منه وقال عندما سمع القرآن "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة " و غيرهم كثير و في العصور الوسطى هناك مثلا القس الإندلسي بن محمد عبد الله الترجماني الميروقي،الذي ألف بعد إسلامه كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب و في عصرنا الحالي هناك مثلا القس دافيد بنجامين الكلداني كان قسيسا للروم من طائفة الكلدان و بعد إسلامه تسمى بعبد الأحد داوود و ألف كتاب الإنجيل و الصليب و القس إسحاق هلال مسيحه الذي كان رئيس لجان التنصير في شمال أفريقيا و قصته التي يرويها بنفسه مسجلة هنا:http://media.islamway.com/lessons/several//converts.rm و كذا القس المصري إبراهيم خليل فلوبرس الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية الذي حصل على ماجستير من جامعة برينستون الأمريكية في مجال التهجم على الإسلامً ثم سمى نفسه إبراهيم خليل أحمد و الشماس الدكتور وديع أحمد وهذا هو موقعه: http://www.wadee٣.٥u.com و القس المصري "فوزي صبحي سمعان" الذي أسلم هو وأبوه وأخته لله رب العالمين و يعمل الآن مدرسا للدين الإسلامي و كذا القُمُّص المصري "عزت إسحاق معوَّض" الذي صار داعية مسلما و هؤلاء و غيرهم يمكنك قراءة قصصهم من: http://tanseer.jeeran.com/priests.html أما من غير العرب فهم كثيرون أيضا فمنهم القس الأمريكي يوسف استس و هذا هو موقعه http://www.islamtomorrow.com/ و هذه مجموعة من اليهود المعاصرين الذين دخلوا في الإسلام http://www.jews-for-allah.org/ /
[١٧] و هل أدل على ذلك من حكم الطلاق الذي أباحه الإسلام كحل أخير حين تصل المشاكل بين الزوجين إلى طريق مسدود و حرمته الكنيسة فلما ظهر أن منعه يصادم طبيعة البشر و ظهرت كثير من الأمراض الاجتماعية نتيجة لتحريمه – كالزنا مثلا – أباحته كثير من الدول اليوم. و كذلك تحريم الإسلام لأكل لحم الخنزير و إباحة الكنيسة له ثم ظهر علميا أن الخنزير هو المسبب لمرض الالتهاب السحائي المخي وأنفلونزا الخنزير كما أنه تعيش في أمعائه الدودة الشريطية التي تنتقل إلى أمعاء من يأكلها وتسبب له التهاب الأعصاب وارتفاع ضغط الدماغ و قد وجد الأطباء مؤخرا دودة في مخ امرأة بعد تناولها وجبة لحم خنزير هذا بالإضافة إلى صفات الخنزير التي تنتقل إلى آكلها مثل انعدام الغيرة و هذا مشاهد.
[١٨] ترجم للعربية بعنوان الخالدون مائة أعظمهم محمد ويقول مايكل هارت فيه: "كان محمد الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح في مهمته إلى أقصى حد، سواء على المستوى الديني أم على المستوي الزمني"
[١٩] كما فعل مدعي النبوة الكذاب الذي سيأتي ذكره في النصف الثاني من الرسالة

[٢٠] فقد كان قيام الليل في حقه صلى الله عليه و سلم فرضا فيقوم من ثلث الليل إلى ثلثيه كل ليلة في حين أنه في حق بقية المسلمين تطوع
[٢١] و ذلك برغم بلايين الدولارات التي تنفقها المؤسسات التبشيرية النصرانية للصد عن سبيل الله.
[٢٢] النبأ العظيم ص ٤٨
[٢٣] و معنى تواتر الخبر أن يتناقله جمع كبير من الناس يستحيل تواطؤهم على الكذب عن جمع كبير مثلهم و هكذا إلى يومنا هذا فقارن بين هذه الطريقة و الطريقة التي نقلت بها الكتب الأخرى كما في آخر الرسالة
[٢٤] ذلك بأن الذي يمسكه أن يزول هو الذي يمسك السماوات و الأرض أن تزولا.
[٢٥] النبأ العظيم بتصرف
[٢٦] يقول بروفيسور الرياضيات الأمريكي المسلم جيفري لانغ في كتابيه حتى الملائكة تسأل و الصراع من أجل الإيمان:(القرآن هذا الكتاب الكريم قد أسرني بقوة، وتملّك قلبي، وجعلني أستسلم لله، والقرآن يدفع قارئه إلى اللحظة القصوى، حيث يتبدّى للقارئ أنه يقف بمفرده أمام خالقه وإذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة، فهو يحمل عليك، وكأن له حقوقاً عليك! وهو يجادلك، وينتقدك ويُخجلك ويتحداك ... لقد كنت على الطرف الآخر، وبدا واضحاً أن مُنزل القرآن كان يعرفني أكثر مما أعرف نفسي ... لقد كان القرآن يسبقني دوماً في تفكيري، وكان يخاطب تساؤلاتي)
[٢٧] للمفكر التركي محمد فتح الله كولن. وله أيضا:" لقد أتى القرآن بنظرة متميزة للكون وللأشياء وللإنسان بأسلوب غاية في الروعة والسحر. لأنه يتناول الإنسان ككل ضمن الوجود بأكمله، ولا يهمل أيَّ شيء، بل يضع كل شيء مهما كان صغيرا في مكانه المناسب. الأجزاء فيه رتبطة ارتباطا وثيقا ودقيقا بالكل، والأجوبة المختلفة عن أدق الأسئلة التي تخطر على بال الإنسان في هذا المعرض الكوني الهائل ترد فيه. وبينما يقوم بتحليل أدق المسائل الموجودة سواء في عالم الشهود أم فيما وراء الأستار حتى أدق تفاصيلها، لا يدع هناك أي تردد أوبهة أو علامة استفهام في العقول. أجل! إن القرآن في جميع هذه التفاصيل الدقيقة التي يوردها لا يدع أي فراغ في هذا الموضوع لا في العقول ولا في القلوب ولا في المشاعر ولا في المنطق، لأنه يحيط بعقل الإنسان وبأحاسيسه وبمشاعره وإدراكه"
[٢٨] لم يكن الإنجيل قد ترجم للعربية بعد أثناء حياة النبي صلى الله عليه وسلم
[٢٩] فمثلا ذكر القرآن عن فرعون موسى بعد أن غرق في البحر(فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) وعندما تم دراسة مومياء منفتاح التي يظن أنها لفرعون موسى في فرنسا بواسطة فريق من علماء التشريح توصلوا إلى أن سبب وفاته هو الغرق فعلا و نلاحظ أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ذكر بقاء جثة فرعون محفوظة بعد غرقه – فهل كان محمد على علم ببراعة المصريين في التحنيط؟ ثم أسلم رئيس الفريق الفرنسي و هو الدكتور موريس بوكاي و عكف على دراسة القرآن والإنجيل والتوراة لمدة عشر سنين ثم ألف كتاب القرآن والإنجيل والتوراة والعلم الذي أصبح من أكثر الكتب انتشارا وترجم لعدة لغات عالمية

[٣٠] فترى مثلا في قصة أصحاب الكهف عند أهل الكتاب أنهم عاشوا في الكهف ثلاثمائة سنة شمسية وفي القرآن أنهم(لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا) و هذه السنون التسعة هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية فانظر إلى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب! – النبأ العظيم

[٣١] الجبال ممتدة في باطن الأرض من أسفل فهي تشبه الوتد و السحب يصل وزن الواحدة منها إلى أكثر من عشرة ملايين طن من الماء على هيئة بخار و الرياح تحمل حبوب اللقاح فتلقح الأزهار و تسير السحب المشحونة كهربيا حتى تلامس بعضها فيحدث التفريغ الكهربي و البحر تخرج من قيعانه صهارات و حمم بركانية ملتهبة تم تصويرها بالغواصات الحديثة وللمزيد من صور الإعجاز العلمي يمكنك الرجوع إلى www.٥٥a.net

[٣٢] منهم مثلا الدكتور كيث مور Keith Moore عالم الأجنة الشهير صاحب كتاب The Developing Human الذي ترجم لأكثر من٢٥ لغة ووقف مرة في أحد المؤتمرات قائلا:

"إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول مالم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دل علي شئ فإنما يدل علي أن هذا القرآن لايمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمداً رسول الله" وصدق الله إذ يقول(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

[٣٣] إنه الله العليم الحكيم. قال تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد)

[٣٤] " تعاوا نعيد النظر فيما نعتقد" تاليف حسن يوسف

[٣٥] النبأ العظيم

[٣٦] حتى أنه قيل له:(وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً {٧٤} إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً)

[٣٧] انظر مثلا لوقا ٢٦:٢ و ٦٧:١ و ١٥:١

[٣٨] "هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم؟" للدكتور. منقذ بن محمود السقار.... بتصرف

[٣٩] فأين هذا من رؤيا يوحنا التي وصف الله فيها بأنه خروف ذو سبعة قرون؟!!

[٤٠] في حين قرر مجمع روما سنة١٢١٥ ما يلي: "على الناس أن يتلقوا قول الكنيسة بالقبول وافق العقل أو خالفه وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولا قالته الكنيسة أو مبدأ دينيا أعلنته عليه أن يروض عقله على قبوله فإذا لم يستطع فعليه أن يشك في عقله ولا يشك في قول البابا"!!

[٤١] وأنت ترى نتائج هذه الرهبانية في عدد حوادث الاغتصاب التي اقترفها رجال الكنيسة حتى أن عدد القسس الذين ارتكبوا جرائم من هذا النوع وأعلن عنها في الجرائد في الولايات المتحدة وحدها يصل إلى ١٦٠٨ قسيسا و هذه بعض مواقع ضحايا الاعتداءات الجنسية لرجال الكنيسة الغربية:http://www.snapnetwork.org و

http://www.thelinkup.org و http://www.survivorsfirst.org أمــا نتــائج الإباحيــة المنحلة بين عوام النصارى في أكثر دول العالم فواضحة ولا تحتاج إلى بيان!

[٤٢] من تفسير "في ظلال القرآن" بتصرف

[٤٣] "الإسلام ليس فلسفة ولكنه منهاج حياة.. ومن بين سائر الأديان نرى الإسلام وحده، يعلن أن الكمال الفردي ممكن في الحياة الدنيا، ولا يؤجَّل هذا الكمال إلى ما بعد إماتة الشهوات الجسدية، ومن بين سائر الأديان نجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته إلى أقصى حدٍ من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، فالإسلام لا يجعل احتقار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة.. وفي الإسلام لا يحق لك فحسب، بل يجب عليك أيضاً أن تفيد من حياتك إلى أقصى حدود الإفادة.. إن من واجب المسلم أن يستخرج من نفسه أحسن ما فيها) من كتاب(الإسلام على مفترق الطرق) للمفكر محمد أسد(كان يهوديا وأسلم) ص ١٩- ٢٥

[٤٤] المستشرق روم لاندو في(الإسلام والعرب) ص(٩-٢٤٦)

[٤٥]وكم من أناس دخلوا الإسلام بسبب رؤيتهم للمسلمين وهم يصلون. يقول المفكر الفرنسي رينان: "الإسلام دين الإنسان.. وكلما دخلت مسجداً هزني الخشوع وشعرت بالحسرة لأني لست مسلماً" وصدق الله العظيم إذ يقول(رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ. ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)

[٤٦] هذه الأمور وغيرها جعلت الكثيرين يدخلون الإسلام بمجرد سماعهم عنه أو تعاملهم مع المسلمين وإلا كيف انتشر الإسلام في الصين وروسيا وجنوب إفريقيا والأمريكتين؟؟

[٤٧] وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وتسليماته

[٤٨] ولاحظ أن القرآن سمى سورة كاملة بسورة مريم و سورة أخرى باسم آل عمران ولم يسم سورا باسم فاطمة أو عائشة أو آل محمد

[٤٩] رواه أحمد في مسنده.

[٥٠] و قال أيضا "ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار".

[٥١] قال تعالى:(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ {٣٥} فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {٣٦} فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {٣٧})

[٥٢] مثال ذلك « لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته » أيام ٢- ٤/٢٥.

و: « الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله » رومية ٦/٢.و في التوراة «وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: افترزا من بين هذه الجماعة فاني أفنيهم في لحظة. فخرّا على وجهيهما وقالا: اللهمّ اله أرواح جميع البشر، هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة» العدد ٢٣/٢٦، واستجاب له فعذب بني قورح فقط. وأيضا(وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياةً يحيا. النفس التي تخطيء هي تموت. الابن لا يحمل من

إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برّ البارّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون... فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياةً يحيا. لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره) حزقيال ١٨: ١٩-٢٢.

[٥٣] متى ١٢: ٣٦

[٥٤] كل مولود في الإسلام يولد على الفطرة مبرئا من كل خطيئة كالصفحة البيضاء ثم هو مسئول عن نفسه أمام الله لا يحاسب إلا على سعيه

[٥٥] استنتج المفكر البريطاني إينوك باول Enoch Powell في كتابه تطور الإنجيل(The Evolution of the Gospel) بعد أن قام بإعادة ترجمة إنجيل متى من اليونانية إلى أن قصة الصلب لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل ولكنها أضيفت في مرحلة متقدمة

[٥٦] المسيح والتثليث- د. محمد وصفي

[٥٧](مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)

[٥٨] (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)

[٥٩] تقول دائرة معارف لاروس: "إن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصيته وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس في الاعتقاد بأنه أحد الأقانيم الثلاثة... وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكبر من رجل يوحى إليه.

[٦٠] انظر أعمال(٤٦/٢) واقرأ ما كتبه الدكتور Robert Alley الأستاذ بجامعة Richmond : " إن الفقرات التي يتكلم فيها المسيح عن ابن الله هي إضافات متأخرة تمثل ما كانت الكنيسة تعتقده وادعاء مثل هذا لا يتناسب مع حياة المسيح التي نتخيلها. فأول ثلاثة عقود بعد(موت المسيح) كانت المسيحية فرعا بداخل الديانة اليهودية وأول ثلاثة عقود في تاريخ الكنيسة كان وجودها داخل هيكل اليهود ولا يمكن تصور أبدا أن أتباع المسيح كانوا يعلنون ألوهية المسيح تحت هذه الظروف" و مما يجدر ذكره أن هذا الرجل فقد منصبه كرئيس قسم الأديان بالجامعة لقوله " لا يمكنني أن أتخيل ولو لدقيقة واحدة أن المسيح امتلك الشجاعة الكافية لكي يدعي الألوهية لنفسه"

[٦١] من " المسيح والتثليث" للدكتور محمد وصفي- بتصرف

[٦٢] جاء في العهد القديم أن أنبياء آخرين قد حصلت لهم معجزة إحياء الموتى انظر حزقيال(٣٧:١-١٠) وملوك أول(١٧:١٧-٢٤) وملوك ثاني(٤:٢٢-٢٧)

[٦٣] قال تعالى عن المسيح عليه السلام:(إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)

[٦٤] جاء تفسير مصطلح ابن الله بمعنى المؤمن بالله:(وأما الوصف الذي قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون بأسمه) يوحنا: ١: ١٢

[٦٥] انظر ً:(خروج ٤: ٢٢، مزمور ٢: ٧، وأخبار الأيام الأول ٢٢: ٩.١٠، متى ٥: ٩، ولوقا ٣: ٣٨ و أما إطلاق المسيح هذا الوصف عن نفسه فلم يرد إلا في

مكانين بإصحاحي ٥، ١١ بإنجيل يوحنا. يقول Hastingsفي قاموسه للكتاب المقدس إن استعمال المسيح لهذا المصطلح هو أمر مشكوك فيه ويقول شارل جنيبر: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين، هي: أن المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله... فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية"
انظر: المسيحية، نشأتها وتطورها، ص.٥٠.
[٦٦] من كتاب سر الأزل.
[٦٧] من كتابه: الحق.
[٦٨] جاء في دائرة المعارف الأمريكية عن عقيدة التثليث [.. أن عقيدة التثليث هي العقيدة المسيحية التي تقول بالطبيعة الثلاثية للإله هي عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم ولا توجد في أي مكان بين ثناياه..] دائرة المعارف الأمريكية ط ١٩٥٩
وقد اعترف كبار علماء اللاهوت في قاموس الكتاب المقدس أن: مادة التثليث لم ترد في الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها هو ترنفيان في القرن الثاني الميلادي وقد خالفه الكثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث عام ٣٢٥ أ.هـ. فانظر كيف يحفل الكتاب المقدس بقصص الزانيات والزواني ويخلو من أهم مبادئ العقيدة النصرانية!!
[٦٩]. ومن يدري لعل هذه الجملة تروق لأباء الكنيسة يوما فيضيفونها في طبعات الكتاب المقدس الجديدة بدلا من الجملة الأصلية!!
[٧٠] جاء في مقدمة هذا الكتاب

The writers of this book are convinced that another major theological development] is called for in this last part of the Twentieth Century. The need arises from growing knowledge of Christian origins and involves a recognition that Jesus was(as he is) "A man approved by God " for a special role within the ٢.٢١presented in Acts Divine purpose, and that the later conception of him as God Incarnate, The Second Person of the Holy Trinity living a human life, is a mythological or poetic way of expressing his significance for us.]. وترجمتها

و ترجمته: [إن كُتَّاب هذا الكتاب مقتنعين بأن هناك، في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين، حاجة ماسة لتطور عقائدي كبير آخر. هذه الحاجة أوجدتها المعرفة المتزايدة لأصول المسيحية، تلك المعرفة التي أصبحت تستلزم الاعتراف بعيسى أنه كان(كما يصفه سفر أعمال الرسل: ٢١/٢): " رجل أيده الله " لأداء دور خاص ضمن الهدف الإلـهي، و أن المفهوم المتأخر عن عيسى و الذي صار يعتبره " الله المتجسد و الشخص الثاني من الثالوث المقدس الذي عاش حياة إنسانية " ليس في الواقع إلا طريقة تعبير أسطورية و شعرية عما يعنيه عيسى المسيح بالنسبة إلينا [
[٧١] انظر عدد ٨ أبريل ٩٨ بعنوان The Search For Jesus و١٥ أغسطس ٨٨ بعنوان Who Was Jesus و ١٢ أبريل ٢٠٠٤ بعنوان Why Did Jesus Have To Die؟ و١٨ ديسمبر ٩٥ بعنوان Is the Bible Fact or Fiction؟ فكلها أمثلة توضح حيرة الإنسان الغربي إزاء هذه العقيدة الغامضة

[٧٢] وهنا أطلب من القارئ أن يحاول بنفسه تطبيق المعايير التي وضعناها في أول الرسالة للحكم على أي إنسان يدعي النبوة والرسالة على بولس هذا.
[٧٣] يقول دجوستاف ليون "ولو قيل للحواريين الاثنى عشر أن الله تجسد في يسوع. ما أدركوا هذه الفضيحة ولرفعوا أصواتهم محتجين" حياة الحقائق / ص ١٦٣، و١٨٧
[٧٤] أعمال ٢٦/٩
[٧٥] تقول دائرة المعارف البريطانية في الإجابة عن هذا السؤال: "إن ارتحاله إليها كان لحاجته إلى جو هادئ صامت يتمكن فيه من تفكير في موقفه الجديد، وأن القضية الأساس عنده هي تفسير الشريعة حسب تجاربه الحديثة".
[٧٦] يوحنا ١٧/٨ ويلاحظ هنا أنه جعل الشهادة الأخرى هي شهادة الله عز وجل له. فهل بعد هذا نقول أن الله هو المسيح؟؟!
[٧٧] فقد ذكر في أعمال الرسل إصحاح ٧/٩ أن الرجال المسافرين معه وقفوا يسمعون الصوت بينما في إصحاح ٩/٢٢ المسافرون لم يسمعوا الصوت وفي أعمال ٤/٩ أن بولس "وحده سقط على الأرض"ينما المسافرون وقفوا، وفي الرواية الثالثة أن الجميع
سقطوا، فقد جاء فيها " سقطنا جميعا على الأرض" أعمال ١٤/٢٦
[٧٨] وهذا يعطينا فكرة عن الأهداف التي كانت تحرك بولس. فأين هذا من قول الله للنبي أكثر من مرة في القرآن " اتق الله "؟
[٧٩] فأين هذا من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وقوله(لا تفضلوني على يونس بن متى) وقول الله له:(ليس لك من الأمر شيء)؟
[٨٠] لوقا ٢:٢١
[٨١] عبرانيين ١٧/٧
[٨٢] قال فرانس أوفربيك Frans Overbeck(أحد قيادات رجال اللاهوت الأحرار): إن كل الجوانب الحسنة التي تشهدها المسيحية ترجع إلى عيسى، أما الجوانب السيئة(وهي تطغي على الجوانب الحسنة بأضعاف مضاعفة) فقد أحدثها بولس فيها.(مبادئ المسيحية)
[٨٣] يقول إريك بروك Erick Brockفي كتاب مبادئ المسيحية Die Grundlagen desChristentumsعن بولس: " إن أهم جذور كل البلاء الذي أصاب المسيحية جاءت من أفكاره، وكم نحن الآن في حاجة إلى أن نشير مراراً إلى أن الحقيقة تؤكد أن كل المفكرين الأحرار المعتدلين قد أشاروا إلى أن المبادئ الخربة التي تتبناها المسيحية اليوم ما هي إلا مبادئ مخزية ولكن لم يرق الحال للكنيسة لتخلصنا من هذه الرسائل والأفكار البوليسية".
[٨٤] يقول جوستاف لوبون كان بولس مفطورًا على فرط الخيال وكانت نفسه مملوءة بذكريات الفلاسفة (حياة الحقائق) ص ١٦٣، ١٨٧
[٨٥] لمسيحية نشأتها وتطورها / شارل جنيير ص٧٠ ويقول أيضا [.. لقد تطورت المسيحية إلى تأليف ديني تجمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر النابعة من العاطفة الدينية الوثنية قامت المسيحية بترتيبها وتركيبها وأضفت إليها

الانسجام] وراجع كتاب The Bible Myths and their Parallels in other Religions لمؤلفه T.W Doaneوكتاب Mythology Christianity and لمؤلفه John Mackinnon Robertson

[٨٦] يقول الدكتور خالد شلدريك الذي أسلم بعد أن فهم عقيدة التثليث: "إن عقيدة الأب والابن من عقائد الوثنيين القدماء فإن البوذيين يعبدون بوذا في طفولته مع أمه ياما في نفس الصورة التي نراها منقوشة في كل كنيسة للمسيح في طفولته مع أمه مريم واتخذ النصارى من عيد الوثنيين للاعتدال الخريفي ٢٥ ديسمبر موعد ولادة الشمس عندهم عيدا لميلاد المسيح" وقد كان الثالوث موجودا أيضا في ديانات وثنية سابقة ففي الهند كان عندهم الثالوث الإلهي براهما و كريشنا و سيفا وكان عند المصريين القدماء الثالوث إيزيس وأوزوريس وحورس وصدق الله العظيم إذ يقول(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) وهذا من إعجاز القرآن أنه أخبرنا كيفية نشأة عقيدة النصارى في المسيح. فهل كان محمد على اطلاع بتاريخ الحضارات القديمة؟

[٨٧] يعلق المؤرخ أرنولد توينبي على مسألة أكل لحم المسيح وشرب دمه بأن سكان منطقة البحر المتوسط كانوا قديما يفعلون ذلك تقربا إلى أحد آلهة الإنبات التي تنبت عناصر الخبز والنبيذ في هذه المناطق وقد انتقلت هذه الطقوس إلى المسيحية عن طريقهم وليس لها أصل في الدين المسيحي. أ.هـ والآن أيها القارىء الفطن هل تظن حقا أن الخبز والخمر يتحول إلى جسد المسيح حقا؟ وإذا كان المسيح هو الإله فهل يصير الخبز والخمر لحم الإله ودمه؟؟ ألللإله لحم ودم كالبشر؟! ألا تستحي أو تشمئز من أن تأكل لحم إلهك وتشرب دمه؟!!

[٨٨] المسيحية نشأتها / جنيير ص ١٠٥ وجاء في كتاب يسوع المسيح للقس بولس إلياس:(لقد لقح الفكر المسيحي بالأفكار الوثنية وقد حافظت الكنيسة المسيحية على تقاليد الشعوب الوثنية و على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف) ثم يستطرد قائلا(إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغورس الأول إلى القديس أوغسطينوس قائلا: "دع البريطانيين وعاداتهم واترك لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعادات مكتفيا بوضع إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين")

[٨٩] تكررت قصة بولس بحذافيرها في الإسلام مع رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ لم ير النبي قط دخل الإسلام نفاقا ومواراة بعد وفاة النبي وأثار الفتن ضد عثمان بن عفان و نسب الألوهية لعلي بن أبي طالب وظهرت بسببه عقيدة التشيع التي أخذت كثيرا مما عند ديانة الفرس وهذا يدل على الدور الخبيث الذي يلعبه اليهود لتشويه العقائد على مر التاريخ.

[٩٠] و من أمثلة ذلك ما صدر عن المجمع الفاتيكاني الثاني في الستينات من تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ضاربا بنصوص الكتاب المقدس عرض الحائط إكراما لليهود!!

[٩١] يقول العالم الألماني تولستوي في مقدمة إنجيله الخاص الذي وضع فيه ما يعتقد صحته: " لا ندري السر في اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على

غيره، واعتباره مقدساً منزلاً دون سواه مع كون جميع الأشخاص الذين كتبوها في نظرها رجال قديسون... ويا ليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل...إن الكنيسة أخطأت خطأ لا يغتفر في اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها.. ".و قال جون لوريمر في تاريخ الكنيسة عن هذه الأناجيل [.. لم يصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التي اعتبرت بها الكتب المقدسة كتب قانونية..] فإذا كانت قد فرضت بالقوة فمن الذي فرضها ولمصلحة من؟ وإذا كان ليس هناك معرفة عن كيفية اختيارها لتكون كتبًا قانونية فكيف تكون مقدسة؟

[٩٢] هذا مثال واحد من آلاف الأمثلة وهو للأمريكية: Barbara A. Brown التي أسلمت في أوائل التسعينات وألفت كتاب A closer look at Christianity: ويمكنك قراءته من هنا http://home.swipnet.se/islam/books/Closer-Look/frcont١٣.htm

ويمكنك التعرف على نماذج أخرى ممن دخل الإسلام من http://thetruereligion.org/modules/xfsection

[٩٣] فقد ظل مكتوبا باللغة اليونانية حتى القرن السادس عشر عندما تم ترجمته للغة اللاتينية التي يعرفها الناس وقد دفع أحد المترجمين حياته ثمنا لهذه الجريمة!!

[٩٤] وجعلت الكنيسة البابا نائبا للمسيح على الأرض وبالتالي فأرائه غير قابلة للنقاش، وما يحدده في العقيدة يعتبر قضايا يقينية حتى كاد البابا أن يكون إلها رابعا(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً)!!

[٩٥] برغم ما جاء في سفر الخروج:.(لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن؛ لأني أنا الرب إلهك، إله غيور) ٢٠/٣- ٦ولو كان استعمال هذه الصور والصلبان صوابا لاستعملت أيام المسيح أو في الثلاثة أجيال الأولى على الأقل

[٩٦] مثل حركة البروتستانت وهي تعني بالعربية المعارضين التي تزعمها مارتن لوثر في القرن السادس عشر هي تخلو من كثير من هذه المظاهر الوثنية واستعباد البشر الذي عند طوائف النصارى الأخرى

[٩٧] مثل ما جاء على لسان بولس: " إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن تحولوا إنجيل المسيح " غلاطية ١/٦-٨ ويقول مرقس: " من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها "(مرقس ٨/٣٥). ويقول،" انْطَلَقَ يَسُوعُ إِلَى مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ، يُبَشِّرُ بِإِنْجِيلِ اللهِ قَائِلاً: ١٥«قَدِ اكْتَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ. فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ "(مرقس ١/١٥-١٦) فأي إنجيل ترى كان هذا الذي يعنيه المسيح؟؟ أكان يدعو الناس للإيمان بإنجيل لم يُكتب بعد؟؟

[٩٨] ويمكنك قراءة بعض فصوله بالعربية من: http://www.multimania.com/barnaba/ وبالإنجليزية من http://www.barnabas.net

وهذه مقدمة إنجيل برنابا يوضح فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب:

برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً و عزاءً. ٢- أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب(وهي تسمية لا تصح لله) قد افتقدنا في

هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى.٣- مبشرين بتعليم شديد الكفر. ٤- داعين المسيح ابن الله. ٥- ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً. ٦- مجوزين كل لحم نجس. ٧- الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع بالغ الأسى. ٨- وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكون في دينونة الله. ٩- وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً.

[٩٩] عجيب أن يقرأ الإنسان في العهد القديم معتقدا بقدسيته بدون أن يدري على الأقل أسماء مؤلفي أسفاره!!

[١٠٠] جاء في مجلةLOOKعام ١٩٥٢ في مقال بعنوان حقيقة الكتاب المقدس أن العهد الجديد وحده به نحو ٢٠ألف خطأ!!

[١٠١] Robert Kehl. Zeller

[١٠٢] جاء في خاتمة إنجيل يوحنا"هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق "(يوحنا ٢١ / ٢٤). فهذه الفقرة كما يقول المحققون دليل على عدم صحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا، إذ هي تتحدث عن يوحنا بصيغة الغائب. إلا إذا كانت من إضافة أحد الناسخين أو المترجمين بدون إشارة منه بذلك وفي هذه الحالة ما الذي يضمن ألا تكون أجزاء أخرى هي من إضافة الناسخين؟

[١٠٣] يمكنك مراجعة ذلك بنفسك في الموسوعة البريطانية في أي مكتبة عامة تحت كلمة Bible أو Gospel

[١٠٤] يفهم من هذه المقدمة أمور أخرى منها: أن إنجيله خطاب شخصي، وأنه دوّنه بدافع شخصي، وأن له مراجع نقل عنها بتدقيق، وأن كثيرين كتبوا غيره، ولم يذكر لوقا في مقدمته شيئاً عن إلهام إلهي ألهمه الكتابة أو وحي من روح القدس نزل عليه. نقلا عن(هل العهد الجديد كلام الله)

[١٠٥] فأين هذا من دقة تدوين الأحاديث النبوية التي يُعرف سلسلة رواتها من أول رجل سمعها من النبي إلي آخر رجل في السلسلة يرويها اليوم للناس كما سمعها و كل منهم يقول: قال فلان حدثنا فلان؟؟

[١٠٦] جاء في مقدمة الطبعة الأمريكية المعدلة عام ١٩٥٢ أن طبعة الملك جيمس حوت أخطاء جسيمة كثيرة جدا!

[١٠٧] يوجد اختلاف بين علماء التاريخ حول تاريخ ولادة المسيح عليه السلام

[١٠٨] Davies, A. Powell. The Meaning of the Dead Sea Scrolls.

[١٠٩] ويسمى أيضا Spouter or Preacher of lies

[١١٠] انظر ٤Q١٤٥ .frag٩ col. I ونبينا محمد هو الذي حارب أعداءه وحكم سيفه و بالتالي لا تنطبق هذه الصفات على غيره. والله اعلم

[١١١] مخطوطات البحر الميت - أحمد عثمان ص١٢٧- ١٤٧

[١١٢] من أوائل من كتب فيه ريشارد سيمون ((Richard Simonفي كتابه التاريخ النقدي للعهد القديم Critical History of the Old Testament".

[١١٣] وما جاء على لسان الأب كارل رانير في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الذي انتهى عام ١٩٦٥ قوله: " لقد أصبح من الصعب تصديق الأناجيل من كثرة ما تم بها من تحريف وقد ألح العديد من رجال الكهنوت في المجمع على ضرورة القيام بمراجعة الأناجيل حتى لا يصاب المسيحيون بالإحباط وحتى لا يتعرض المثقفون للفضيحة وحتى لا تتعرض العقيدة المسيحية نفسها للسخرية!!"

[١١٤](هل العهد الجديد كلمة الله) ص ١٥١

[١١٥] Foi en la Resurrection, Resurrection de la foi""

[١١٦] Initiation to the Gospels.

[١١٧] عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال:(إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة - أو إن الشيطان- ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: {رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي}) فرده الله خاسئا

[١١٨] يقول(ول ديورانت) فى كتابه المشهور قصة الحضارة "مهما يكن من أمر هذه الكتابات الغرامية فان وجودها في العهد القديم سر خفي.... ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية وأجازوا وضعها في الكتاب المقدس" الجزء ٣ صفحة ٣٨٨.

[١١٩] من كتاب هل العهد القديم كلمة اللـه؟؟ د. منقذ السقار

[١٢٠] Maurice Bucaille, The Bible, The Quran and Science يمكنك قراءته من: http://home.swipnet.se/islam/books/maurice/frcont١٥.htm

[١٢١] يقول الدكتور روبرت في كتابه " حقيقة الكتاب المقدس ":" لا يوجد كتاب على الإطلاق به من التغييرات والأخطاء والتحريفات مثل ما في الكتاب المقدس "، وينقل روبرت أن آباء الكنيسة يعترفون بوقوع التحريف عن عمد، وأن الخلاف بينهم محصور فيمن قام بهذا التحريف. ومن الطريف أن د. روبرت قد أعد لمطبعة " تسفنجلي " مذكرة علمية تطبع مع الكتاب المقدس، ثم منع من طبعها، ولما سئل عن السبب في منعها قال: " إن هذه المذكرة ستفقد الشعب إيمانه بهذا الكتاب ". ولعل أهم أمثلة تحريف الطبعات قاطبة ما جاء في رسالة يوحنا الأولى " فإن الذين يشهدون(في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض) هم ثلاثة الروح والماء والدم، والثلاثة هم في الواحد "(يوحنا(١) ٥/٧ - ٨)، والفقرة الأولى التي تتحدث عن شهود السماء غير موجودة في النسخ القديمة، وقد كتب إسحاق نيوتن رسالة بلغت خمسين صفحة أثبت فيها تحريف هذه العبارة التي بقيت في سائر الطبعات والتراجم بلغات العالم المختلفة إلى أواسط هذا القرن. وكانت بعض الطبعات العربية القديمة قد وضعتها بين هلالين لتدل على عدم وجودها في المخطوطات القديمة كما في ترجمة الشرق الأوسط ١٩٣٣م، ومثلها صنعت طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لكن الفقرة موجودة بدون أهلة في سائر التراجم العربية سوى ترجمة العالم الجديد البرتسنتية وترجمة الكاثوليك العربية المسماة بالرهبانية اليسوعية، فإنهما أزالتاها، واعتبرتا نص التثليث

المهم نصاً دخيلاً ملحقاً بالكتاب المقدس. وفي عام ١٩٥٢م أصدرت لجنة تنقيح الكتاب المقدس نسخة(R. S. V)، النسخة القياسية المراجعة، وكان هذا النص ضمن ما حذفه المنقحون، لكن هذا التنقيح لم يسرِ على مختلف تراجم الإنجيل العالمية. وكذلك ما جاء مرقص(٩/١٦-٢٠) فإنها موجودة في بعض النسخ دون بعض فقد ذكر جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس أنها لم تكن في الكتب القديمة وغير ذلك من نصوص مثل يوحنا ٧:٥٣ ويوحنا١:٨ -١١ ومتى ١٧:٢١

[١٢٢] من كتابه هل الكتاب المقدس كلام الله ص ١٧

٦٦. ما أحوج العالم إلى محمد!

محمد العبد الكريم

يقول المفكر الإنجليزي برنارد شو عن حبيبنا محمد -صلى الله عليه وسلم-: " ما أحوج العالم إلى محمد ليحل مشاكل العالم وهو يحتسي فنجان قهوة ".

إن من أهم سمات ديننا وشرع ربنا: الاختصار والاقتضاب، وحمل المعاني في صورة كلمة محدودة أو كلمات معدودة؛ تمتد عبر الزمان والمكان: بمفهومها وبإيمائها وبإشارتها وبمقتضاها...إلى فضاء اللا محدود من المعاني.

في قوله تعالى على سبيل المثال: (ولا تقل لهما أف) فالملفوظ كلمات معدودة، والمسكوت عنه معانٍ تتناول كل أنواع الأذى وهذا ما يُسمى بالتنبيه بالأدنى على الأعلى: أي دون الحاجة لذكر النهي عن الضرب والشتم، فهي معلومة ضرورية لكل مبتدئ باللغة: إنها من باب أولى، فهو اختصار لكنه يحمل من "عمومه المعنوي" ما "يستغرق" الأذى والاعتداء.

لقد كان من صفاته عليه الصلاة والسلام أنه أوتي جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصاراً، بل كان ينهى عن التكلف والتقعر والتشدق في الكلام وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الذي رواه مسلم: (هلك المتنطعون قالها ثلاثاً: المبالغون الأمور).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة).

وعقد النووي -رحمه الله- في رياض الصالحين: باب كراهية التقعير في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشيّ اللغة ودقائق الإعراب في اللغة. إن استطلاع الشريعة يدل بكل تأكيد على منحى الاختصار في الكلام والعلاج بالإيجاز في الحديث ما أمكن، وفي وصية النبي عليه السلام لجرير بن عبد الله البجلي يتأكد هذا المعنى حين يقول له: (يا جرير: إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف).

فالمبالغة في الكلام والثرثرة لا تدل في الغالب إلا على غشاوة الفكرة التي يُراد إيضاحها فلا يُستطاع إلى إيصالها إلا بكلام كثير يزيد الغبار ويحفر في البحر ولا يحقق للقارئ إلا نتائج رمادية أو ضبابية، هي كما يُقال: تحصيل حاصل، في حين اختزال المعاني في كلمات معدودة يدل على وضوح ماذا نريد على وجه التحديد.

من جانب آخر فإن تحقيق نتائج ذات مستوى متقدم يتطلب عملاً جيداً خير من كلام جيد، فلو كنا نسعى إلى تحقيق مستوى متقدم من التآلف وجمع القلوب، فإن في سيرة محمد -صلى الله عليه وسلم- كلاماً قليلاً وعملاً جباراً كثيراً تحقق في صور كثيرة،

من أدلها زواجه عليه الصلاة والسلام من قبائل مختلفة استطاع من خلاله أن يقلل الشحن النفسي ضد الدعوة، فللزواج بعد آخر لا يقف عند حدود العلاقة بين الرجل والمرأة، وهذا المعنى يجب أن يتجلّى في سيرة رموز "الصحوة " على وجه الخصوص.

فنحن نجد اليوم في سيرة بعض السياسيين زواجاً لا يمكن تفسيره هكذا دون أن نستبطن من ورائه مصالح " عُليا " قد تكون شخصية، لكنها في كل الأحوال تخفي ورائها أبعاداً مختلفة.

وعلى كل حال يجب ألا نعتمد في فلسفة شخصياتنا على غرس الإكثار من الأحاديث والمقالات والكتابات المطولة والخطب المطولة والحوارات... دون أن يكون لها رصيد تطبيقي واضح، ورضي الله عن ابن مسعود القائل: " كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلم ما فيهن من العلم والعمل" . فالاتجاه إلى العمل والإنجاز يجب أن يكون فورياً غير مؤجل مسبوقاً بقدر من التخطيط في زمن محدود؛ حتى ولو كان العمل كمياً فإنه يحقق "الكيف" على المدى الطويل، لاسيما إذا أُتبع بالبحث والتطوير والتجديد.

كما يجب أن تتميز شخصيات الدعاة والخطباء والمحاضرين... بعمق اللفتات اللفظية التي توجز وتحدّ من الإسهاب. وهذا التميّز بلا شك يستدعي عملاً علمياً "وفنياً " في مؤهلات الداعية.

وللحقيقة ؛ فإننا قد مَلِلنا من وقوف كثير من الدعاة في المساجد وعلى منابر الجمعة... يتحدثون أمام الناس فيسهبون في التذكير دونما احترام لأداء الرسالة، ولولا الوجوب الشرعي في الحضور والاستماع لما رأيت سامعاً أو حاضراً لأكثر الذين يخطبون وفي جعبتهم الهاجس الأمني والمصلحة الشخصية التي صارت فوق كل اعتبار؛ مما بدّد طاقتهم وتركيزهم في درء احتمالات نسبتها واحد في المليون .

هؤلاء يجب يدركوا أن مساحة المتاح والممكن أوسع مما أوهمهم به الشيطان، ولو أتعبوا أنفسهم قليلاً في تطوير أدائهم الفني لرسالة الجمعة، وأتبعوا ذلك توسعاً في المعلومات لأمكن من خلالهم تحقيق إنجازات في مجالات مهمة وحساسة، لكن الحق أن أكثرهم ربما يلحظون الجانب الشخصي لهم ويلبسونه ثوب المصلحة الشرعية، وهكذا تدور الأيام ويحسبون أنهم مهتدون!

=============================

الباب الخامس -المنصفون

١. مفكر فرنسي: الجهل بالإسلام وراء أزمة الرسوم المسيئة

اليابان تندد بالرسوم المسيئة وتعتبرها عملاً طائشًا

مفكرة الإسلام: اعتبر وزير الخارجية الياباني أن وسائل الإعلام الأوروبية التي نشرت الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قامت بعمل 'طائش' أثار الاحتجاجات وغضب العالم الإسلامي.

وقال الوزير الياباني تارو آسو: 'حتى لو كنا غير مسلمين، فإننا ندرك جيدًا أن الإسلام يحرم التمثيل التصويري للنبي محمد' صلى الله عليه وسلم.

وتابع: 'يبدو لي عملاً طائشًا أن يقوم المرء بنشر الرسوم رغم أنه يدرك سلفًا هذا الأمر' المتصل بالإسلام'، بحسب ما نقلته [الجزيرة].
وكانت كل الصحف اليابانية الكبرى قد امتنعت عن نشر تلك الرسوم التي تسخر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢. اليابان تندد بالرسوم المسيئة وتعتبرها عملاً طائشًا

مفكر فرنسي: الجهل بالإسلام وراء أزمة الرسوم المسيئة
مفكرة الإسلام: أدان المفكر الفرنسي الشهير ريجيس دوبريه قيام صحف الدانمارك والدول الغربية، بنشر الرسوم التي أساءت للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
وأكد دوبريه أن نشر الرسوم تسبب في جرح مشاعر المسلمين؛ لأنها مست عقيدتهم، وأوضح أن حرية الصحافة ليست مطلقة؛ بل يجب أن تخضع لقوانين تُحقق توازنًا بين الحرية والمسئولية، في إطار يرفض الدعوة لاحتقار وازدراء الأديان والمعتقدات.
وأشار دوبريه إلى أن الرسوم تنم عن جهل الغرب بالإسلام، مؤكدًا أن هذا الجهل عمّق الفجوة بين الغرب والإسلام.
وأعرب ـ بحسب صحيفة الوفد ـ عن أسفه لأن الغرب يهتم بالأمر عندما يتعلق بالإساءة 'للمسيحيين' أو اليهود أكثر من اهتمامه بما إذا كانت الإساءة تمس المسلمين.
جاء ذلك في الندوة التي نظمتها 'اللجنة العربية لحقوق الإنسان المصرية' و'مراسلون بلا حدود' و'اللجنة الدولية للدفاع عن تيسير علوني' مراسل قناة الجزيرة المسجون في إسبانيا تحت عنوان 'الحماية والحرية والمسئولية'، وعُقدت بنقابة الصحافيين بالقاهرة.

===================

٣- عديد منهم قالوا :

إعداد: محمود أحمد إسماعيل **
بين يديك جلة من أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم)، ومع كونهم لم يرتدوا عباءة الإسلام فإنهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته قد فاضت بكم من الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري إلى أبعد حد مما جعلهم معجبون به إلى حد جعلهم يسطرون فيه الكتب ويذكرون شخصه في كل وقت. وهذا جزء من كل ما قالوا في عظيم شخصه وصفاته الجليلة.
١- مهاتما غاندي ٢- راما كريشنا راو ٣- ساروجنى ندو
٤- لامرتين ٥- مونتجومري ٦- بوسورث سميث
٧- جيبون أوكلي ٨- الدكتور زويمر ٩- سانت هيلر
١٠- إدوار مونته ١١- برنارد شو ١٢- السير موير
١٣- سنرستن الآسوجي ١٤- المستر سنكس ١٥- آن بيزيت
١٦- مايكل هارت ١٧- تولستوي ١٨- شبرك النمساوي
١- مهاتما غاندي:*

غاندي
"أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

٢- راما كريشنا راو*:
"لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا".
٣- ساروجنى ندو شاعرة الهند:*
"يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة، ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر.. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر".
٤- المفكر الفرنسي لامرتين: *
لا مارتين
"إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل (محمدا (صلى الله عليه وسلم)) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.
لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجها بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان

بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).
هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة.
هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم).
بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟

٥- مونتجومري: *

إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد.

٦- بوسورث سميث: *

لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها.

٧- جيبون أوكلي: *

جيبون وكلي

ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنا من الزمان.
لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين.

٨- الدكتور زويمر: *

إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء.

٩- سانت هيلر: *

كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة.

١٠- إدوار مونته: *

عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم.

١١- برناردشو: *

برناردشو

إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

١٢- السير موير: *

إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم.

١٣- سنرستن الآسوجي: *

إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ.

١٤- المستر سنكس: *

ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.
إلى أن قال:
إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة.
١٥ـ آن بيزيت: *
من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم.
هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص.
فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية.
١٦ـ مايكل هارت: *
إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.
فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها.
١٧ـ تولستوي: *
تولستوي
يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعة محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

١٨ـ شبرك النمساوي: *
إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته.

** محرر الصفحات المتخصصة على الموقع

(١) مهاتما غاندي في حديث لجريدة "ينج إنديا" وتكلم فيه عن صفات سيدنا محمد صلى الله علية وسلم

(٢) البروفسور رما كريشنا راو في كتابه "محمد النبي".

(٣) لامرتين من كتاب "تاريخ تركيا"، باريس، ١٨٥٤، الجزء الثاني، صفحة ٢٧٦-٢٧٧.

(٤) مونتجومرى وات، من كتاب "محمد في مكة"، ١٩٥٣، صفحة ٥٢.

(٥) بوسورث سميث، من كتاب "محمد والمحمدية"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢.

(٦)إدوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب "تاريخ إمبراطورية الشرق"، لندن ١٨٧٠، صفحة ٥٤.

(٧) الدكتور زويمر الكندي مستشرق كندي ولد ١٨١٣ ـ ١٩٠٠ قال في كتابه (الشرق وعاداته).

(٨) العلامة برتلي سانت هيلر الألماني مستشرق ألماني ولد في درسدن ١٧٩٣ ـ ١٨٨٤ قال في كتابه (الشرقيون وعقائدهم).

(٩) الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ ـ ١٨٩٤ قال في آخر كتابه (العرب).

(١٠) برناردشو الإنكليزي ولد في مدينة كانيا ١٨١٧ ـ ١٩٠٢ له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية.

(١١) السير موير الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد).

(١٢) العلامة سنرستن الآسوجي: مستشرق آسوجي ولد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات الساميّة، ساهم في دائرة المعارف، جمع المخطوطات الشرقية، محرر مجلة (العالم الشرقي) له عدة مؤلفات منها: (القرآن الإنجيل المحمدي) ومنها: (تاريخ حياة محمد).

(١٣) المستر سنكس الأمريكي: مستشرق أميركي ولد في بلدته بالاي عام ١٨٣١، توفي ١٨٨٣ في كتابه: (ديانة العرب).

(١٤) آن بيزينت: حياة وتعاليم محمد دار مادرس للنشر ١٩٣٢.

(١٥) مايكل هارت: في كتابه مائة رجل من التاريخ.

(١٦) ليف تولستوي «١٨٢٨ ـ ١٩١٠» الأديب العالمي الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية.

(١٧) الدكتور شبرك النمساوي.

================

٤ ـ قال المنصفون منهم في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لا يجد المرء ردًّا على ما وُجِّه للنبي محمد، صلي الله عليه وسلم، من إهانات وشتائم تارة، وكذب وتدليس تارة أخرى، أبْلَغُ مِن عَرْض آراء المعتدلين من أصحاب النظرة الحيادية والمنهج الموضوعي، والأمانة العلمية والأخلاقية، من بني جنسهم، ودينهم، في شخصية الرسول، صلي الله عليه وسلم، ومكانته، ذلك أن أعداء الدين الإسلامي قد سدوا آذانهم، وأعموا قلوبهم، وقنعوا بما تلقوا من أوهام عن الإسلام وأهله، حتى صار الأمر عندهم كأنه من المسلّمات التي لا تقبل المناقشة.
ومن هنا كان من المناسب أن يكون الردُّ عليهم من كتابات أبناء جلدتهم من كتابهم ومفكريهم، أولئك النَّفر من المحايدين الذين أبوا على أنفسهم أن يلووا أعناق النصوص ويقلبوا الحقائق التاريخية، أو يختاروا منها ما يحقق غايتهم، هؤلاء القلائل الذين التزموا ما يقتضيه البحث العلمي من الأمانة العلمية والأخلاقية في العرض والأخذ والرد.

وقد شهدت العصور الوسطى في أوروبا بعض المحاولات التي كانت تهدف إلى تقديم صورة أكثر موضوعية عن الإسلام ونبيه، صلى الله عليه وسلم، مثل تلك المحاولة التي قام بها "بيتر المبجل" في القرن الثاني عشر الميلادي؛ حيث استعان باثنين من العرب في ترجمة القرآن الكريم، وكانت هذه الترجمة من أحسن الترجمات، لكن هذه الترجمة حُوربت من قبل رجال الدين المتعصِّبين؛ لأنّها كانت ستؤدي إلى انتشار الإسلام بين الغربيين في تلك الحقبة، وقد شهد عصر النهضة مزيدًا من المحاولات المنصفة للإسلام.
ومن الأحداث المهمة في ذلك العصر صدور ترجمة للقرآن باللغة الإنجليزية، وقد تولّى هذه الترجمة العالم الإنجليزي "جورج سيل" في عام ١٧٣٤م، وهذه الطبعة سرعان ما تُرجمت ونُشرت باللغات الألمانية والفرنسية والهولندية، فكانت المصدر المهم المعوَّل عليه في أوربا لمدة تناهز القرن، لمعرفة القضايا التي عالجها القرآن، وقد نوه فيها "سيل"- تمشيًا مع روح عصر النهضة- بكثير من فضائل الدين الإسلامي، وأشار إلى عظمه نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم.
* وفي ١٧٢٠ نشر "هنري دي بولونفيرس" كتابه "سيرة حياة محمد" وفيه دفاع عن سيرة النبي، ورد على المطاعن والانتقاصات السابقة من شخصيته، صلى الله عليه وسلم، موضحًا أن محمدًا مبدع ديني عقلي يستحق التقدير حتى في الغرب.
وكان لكتاب"بولونفيرس" الأثر البالغ في تفكير "فولتير"، وتغيير نظرته للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ألف فولتير كتابًا بعنوان "التعصب أو النبي محمد" وصف فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، بأنه منافق وخَدَّاع ومحب للملذات الجسدية ومستبد، وقد كان فولتير بهذا النعت غير المنصف والطعن في شخصية محمد يستهدف دحض الأفكار الدينية المتعصبة بصورة عامة في فترة سادت فيها حملة عامة واسعة لدحض الأفكار الدينية المسيحية؛ تجاوبًا مع مبادئ عصر النهضة والتنوير العقلي.

لكن فولتير بعد أن طالع كتاب "سيرة حياة محمد" ألف كتابه (بحث في العادات) سنة ١٧٦٥ مدح به الإسلام وأشاد بنبي الإسلام محمد وبكتابه القرآن، وقد نعت محمدًا بأنه مع "كونفوشيوس" و "زرادشت" من أعظم مشرِّعي العالم.
* الشاعر الألماني الكبير "جوهان فولفجاج فون جوته" أحد رموز الثقافة الغربية، شاعر وروائي عملاق يعترف بقَدْره الجميع هنا وهناك، كان شديد الإعجاب بالإسلام، وقد استوحي العديد من آيات القرآن الكريم، ومن شعر المعلقات في أشعاره قرأ جوته "ألف ليلة وليلة" في طفولته، وفي شبابه ترجم عن الفرنسية كتاب "محمد" لفولتير، وكان يحفظ أشعار الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي.
كان جوته شديد التدين وكان منذ طفولته يشارك في خدمة القداس الكنائسي، ويقرأ يوميًّا الكتاب المقدس، وقد اعترف بأنه مدين له بثقافته الروحية والعقلية، ولم يَحُل ذلك دون أن يعرب عن إعجابه الشديد بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وبالإسلام، وكان يزمع تأليف مسرحية عن النبي محمد (صلي الله عليه وسلم).
ويا ليت الذين يتهجمون اليوم على الإسلام وعقيدته، ورمزه الأعلى محمد، يقرؤون شعر جوته الذي حاول أن يعبر الجسر بين الشرق والغرب، وأن يقيم توازنًا روحيًّا بينهما، وقد أخرج ديوان شعر اسماه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" يقول في إحدى قصائده، التي ترجمها د.عبد الرحمن بدوي:
من حماقة الإنسان في دنياه أن يتعصب كل منا لما يراه
وإذا الإسلام كان معناه أن لله التسليم
فإننا جميعا، نحيا ونموت مسلمين.
----
* وقد أشاد "هيردر ولايبنيتز" في كتابه "أفكار حول فلسفة تاريخ الإنسانية"، بشخصية النبي محمد، وحماسه العالي لفكرة "وحدانية الله"، وحكمة عبادته، بواسطة الطهارة والتأمل والعمل الصالح.
وقد رد هيردر على التقاليد اليهودية والمسيحية البالية، وأشاد بسيرة محمد والثقافة الإسلامية، وأطرى تعاليم الدين الإسلامي التي حرمت الخمر والمأكولات النجسة والربا والقمار والميسر، وبيّن أن تأثيرات العبادة اليومية وأفكار الرحمة، والطاعة لإرادة الله التي نص عليها القرآن تمنح المسلمين اطمئنانًا نفسيًا.
*"أدريانس ريلند" المستشرق الهولندي في القرن الثامن عشر، من أهم مؤلفاته كتاب: "في الديانة المحمدية" باللغة اللاتينية، وفيه عَرْض أمين للعقيدة الإسلامية كما يفهمها المسلمون، وتصحيح للأفكار المغلوطة السائدة في أوروبا، في العصور الوسطى، عن الإسلام والنبي والقرآن، وتتميز آراؤه بإنصافها للإسلام وكتاباته بالموضوعية.
*"ميشيل جان دي خويه" المستشرق الهولندي كتب بحثًا عن "رسالة محمد" دافع فيه عن رسالة النبي ضد ما كتبه في هذا الموضوع "باروتس".
*ألويس أشبرنجر: مستشرق نمساوي الأصل، اشتهر بكتابه عن حياة النبي محمد.. وقد حضّر له بسفره إلى الدول العربية فأصدر القسم الأول بعنوان: "حياة محمد، من

المصادر الأصلية" عام ١٨٥١، ثم أصدر كتاب "حياة محمد وتعاليمه" في ثلاثة أجزاء باللغة الألمانية.
ومن الكتابات التي تميزت أيضًا بالإنصاف والموضوعية في هذا المقام:
* ما كتبه "مايكل هارت" عالم الفلك الشهير في الرياضيات وصاحب كتاب "العظماء مائة" حيث قال في مقدمة كتابه: "إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.
فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدؤوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكنَّ محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته.
ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها".
* "توماس كارلايل" هذا الرجل المنصِف الذي اخذ يدافع عن محمد، صلى الله عليه وسلم، ويَذُبّ عنه كل الافتراءات التي حاول أن يلصقها به أعداؤه، وذلك من خلال مجموعة من المحاضرات تحت عنوان (الأبطال وعبادة الأبطال).
وقد ناقش "كارلايل" مواضيع من أخطر المشكلات التي يثيرها الغرب، وقام بالذّب عن الإسلام حتى كأننا إذ قرأنا الكلام بدون اسمه فكأننا بداعية إسلامي كبير يدافع عن الإسلام ويَذُبّ عنه كيد الأعداء، ومِنْ أبرز التهم التي يَذُبّ عنها كارلايل تهمة "حد السيف" وتهمة "الخداع".
وفي كتاب الأبطال وصف كارلايل محمدًا صلى الله عليه وسلم بأنه "كان واحدًا من هؤلاء الذين لا يستطيعون إلا أن يكونوا في جَدٍّ دائمًا.. هؤلاء الذين جُبلت طبيعتُهم على الإخلاص... فلم يقم هذا الرجل بإحاطة نفسه داخل إطار من الأقوال والصفات الطيبة ولكنَّه تفرد مع روحه ومع حقيقة الأشياء يستمد منها ما نطلق عليه الإخلاص... شيء يملكه اسمى من طبيعة البشر، فَقَد كانت رسالة هذا الرجل تنبعث من فطرة قلبه وروحه"، ولهذا يجب أن يستمع ويعمل الرجال وليس لأي شيء آخر، فكل شيء غير ذلك إنما هو هباء تذروه الرياح.
وهذه مقولة له عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "رجل واحد في مقابل جميع الرجال" [المصدر: "محمد الخليفة الطبيعي للمسيح" للداعية أحمد ديدات].
وأيضا ما قاله في كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال): "لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدِّن في هذا العصر أنْ يُصغي إلى القول بأنّ دين الإسلام كذب، وان محمدًا خدّاع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا".
أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، فلو أن

الكذب والغش يروّجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان ذلك التصديق والقَبول، فما الناس إلا بُله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث، كان الأولى ألا تخلق".
* أما "تساريس وادي" المستشرقة الإنجليزية فتقول في كتابها (العقل المسلم) فقد أدركت إنسانيات محمد ليس في حجم الكلمات والتصرفات التي كان يتصرف بها فقط، بل في تعبيره عن الحق بأنه الصراط المستقيم، وهو تعبير عدل وصدق، أيضًا في سعيه لأن يساوي بين البشرية في تدينها.. لقد دافع عن صلات الرحم والعقيدة بين الرسل، وآمُل أن يكون تعاونًا بين أهل الأديان، وعندما خاب أمله ظل على احترامه للأديان الأخرى.. لقد أنضج (محمد) ثقافة السلام، ووضع الفقراء، والعبيد، والمرأة في صف الأغنياء، والأحرار والرجال، لقد أعاد تنظيم السياسة والاقتصاد وحافظ على سمتها الإنساني، وأشاع حياة المساواة بشكل لم يكن معروفًا ولا مقبولاً في ذلك الوقت.
* ويحدد "جولز ماسيرمان" المحلل النفسي الأمريكي، وأستاذ في جامعة شيكاغو، ثلاثة أسس لاختيار القائد الأعظم لجميع الأزمنة، وهي:
١- يجب أن يتوفر في القائد التكوين السليم للقيادة.
٢- يجب أن يوفر القائد أو من يكون قائدًا نظام اجتماعي يشعر فيه الناس نسبيًّا بالأمن والطمأنينة.
٣- يجب على القائد أن يوفر لشعبه مجموعة واحدة من المعتقدات.
وعلى ضوء هذه المتطلبات الثلاثة السابقة يبحث "ماسيرمان" في التاريخ ويقوم بالتحليل والتمحيص ليقرِّر أنّ أعظم قائد كان على مر العصور هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي جمع الأعمال الثلاثة، وقد فعل موسى نفس الشيء بدرجة أقل".
* كما قال "باول شمتز" صاحب كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية)، لقد جاهدت البشرية كثيرًا لتضع ما سماه علماء القانون والسياسة، الحقوق الطبيعية للإنسان.. لقد فعلها محمد- صلى الله عليه وسلم- بعفوية وبساطة عندما وقف حاجًّا في مكة فيما يعرفه المسلمون بحجة الوداع وقرر حق الإنسان في الحياة والتدين والحرية والثراء الحلال والمساواة وحرمة الدم والعرض والكرامة.
*وقال عنه "لامارتين": "رجل أسَّس عشرين إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية".
*وقال عنه أحد المفكرين الغربيين أنه لو أعطى لمحمد زمام الأمور في هذا العالم الملىء بالملابسات والمشكلات لقاد البشرية إلى بر الأمان. [راجع كتاب الداعية أحمد ديدات الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم]
* في أوائل القرن التاسع الميلادي، كتب المؤرخ القسطنطيني (ثيوفينيس) عن رسول الله (محمد بن عبد الله) عليه السلام، ورغم أن هذا المؤلف كان يكنّ الحقد للإسلام، إلا أنه وصف الرسول الكريم بـ(شفيع الشرقيين ومخلصهم العظيم).
* "ألفونس إينين دينييه" مستشرق فرنسي عكف على دراسة الإسلام وتعاليم الرسول عليه السلام؛ حتى وجد نفسه يقتنع بدين (محمد) فيعلن إسلامه عام ١٩٢٧ وعمره ستون عامًا، وقد أطلق على نفسه اسم (ناصر الدين).. كما كتب عدة مؤلفات عن الإسلام منها: (السراب)، (ربيع القلوب)، (الشرق كما يراه الغرب)، (رسالة

الحج إلى بيت الله الحرام).. وكتابه الأخير هذا قد تناول فيه بعضًا من سيرة النبي عليه السلام، وقد وضعه بالاشتراك مع صديق له اسمه (سليمان بن إبراهيم).
*ولم يستطع المستشرق الأمريكي (أرفنج) الذي ألف كتابًا عن حياة الرسول الأعظم، بالرغم من تحامله الشديد على الإسلام أن يغفل عظمة الرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) ونزاهته وإيثاره ودوره العظيم والأساس في تأسيس الدولة العربية الإسلامية.
وأمثال هؤلاء كثر من المستشرقين الذين كانت دوافعهم مخلصة، وأهدافهم نزيهة ومقاصدهم خدمة العلم وقول الحق عن الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو الأعظم، إنه بحق الأعظم، فإذا كان في البشرية من يستحق العظمة فهو محمد، هذا كان كلام علماء الغرب المنصفين عنه صلى الله عليه وسلم، والذي حفل بالحقائق التي لا تقبل الشك فهل يعي هؤلاء الذين سولت لهم أنفسهم الإساءة لخير الناس وإمام الرسل؟!

==============

٥- قالوا عن نبينا وإسلامنا وحضارتنا..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه أجمعين.
إن ديننا الحنيف قد أثّر في كثير من كبار العقليات الغربية من أهل الإنصاف، مما جعلهم يجهرون بشهادتهم لنبينا صلى الله عليه وسلم ورسالته إما تصريحا أو إشارة من خلال مدح حضارتنا الإسلامية عبر التاريخ، وهذا على مرأى ومسمع من العالمين، رغم أنف المعاندين والحاقدين، فشهدوا شهادة عدل وإحسان وإن لم يسلموا، لأن الباحث الغربي المنصف لا يملك إلا أن يقف إجلالا لشخصية نبينا ورسالته . بله الذين أسلموا منهم فإن أعدادهم لا تحصى.
مما دعاني إلى أن أذكر بعض ما كتبوه ودونوه فيكون هدية مني لِذَا الملتقى المبارك بأهله، وبفضل الله وعونه، حتى صار حبيبا صعبا فراقه، وسيلاً عِلميا عذبا مذاقه، قليله منه يغرق العصابة من الرجال، ونزر يسير من علمه يُمَسِّكُنَا بممدود الحبال. الخُلق الرفيع عند أهله أسّ البنيان، والأدب السامي منهم يروى عطش الظمآن.
فأرجو أن يشاركني المشائخ الأفاضل وطلبة العلم في هذا الموضوع لإثرائه، دونما خروج عن هذا الإطار وبنائه، من غير إسهاب مُمِلّ، ولا تلخيص مُخِل.
وهذا مما دونته خلال قراءاتي القديمة، ومعظم الفقرات لم أكتب رقم الصفحة التي أخذتها منها الفقرة ، ومنها ما أخذته نقلا عن كتاب آخر. فتنبه.
فلنبدأ الرحلة على بركة الله:
يقول مايكل هارت في كتابه "الخالدون مئة" ص١٣، وقد جعل على رأس المئة سيدَنا محمدا صلى الله عليه وسلم لاقتناعه بأنه هو أفضل شخصية عرفها التاريخ، يقول:"لقد اخترت محمدا صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك، ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد ١٣ سنة من وفاته، فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا متجددا.
وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا، إلا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو قد ولد سنة ٥٧٠ م في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة الحضارة، والثقافة والفن. " وقال ص ١٨: "ولما كان محمد جبارة، فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ"

قال يان سامويلسون في كتابه: "الإسلام في السويد":
"إن الإسلام أشدّ حضارية ممّا يظنّه الكثير من المسيحيين و يذهب إلى القول أيضا بأنّ الإسلام هو مدرسة قائمة في حدّ ذاتها وليس الإسلام صورة منسوخة عن المسيحية كما يعتقد كثير من المسيحيين في الغرب."
أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بالرسول العظيم صلى الله عليه وسلم
(جمعه : ممدوح أبو العلا)
- برناردشو (برناردشو الإنكليزي ولد في مدينة كانيا ١٨١٧ ـ ١٩٠٢ له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية.)
برناردشو إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).
إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

- السير موير (السير موير الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد).)
إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم.

- سنرستن الآسوجي (العلامة سنرستن الآسوجي: مستشرق آسوجي ولد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات الساميّة، ساهم في دائرة المعارف، جمع المخطوطات الشرقية، محرر مجلة (العالم الشرقي) له عدة مؤلفات منها: (القرآن الإنجيل المحمدي) ومنها: (تاريخ حياة محمد).)

إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ.

- المستر سنكس (المستر سنكس الأمريكي: مستشرق أميركي ولد في بلدته بالاي عام ١٨٣١، توفي ١٨٨٣ في كتابه: (ديانة العرب).)

ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

إلى أن قال: إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة.

- آن بيزيت (آن بيزينت: حياة وتعاليم محمد دار مادرس للنشر ١٩٣٢.)

من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم.

هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص.

فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية.

----

* تولستوي (ليف تولستوي «١٨٢٨ ـ ١٩١٠» الأديب العالمي الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية.)

يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعة محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

- شبرك النمساوي (الدكتور شبرك النمساوي)

إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته

قال الفيلسوف الفرنسي "جوستاف لوبون" في كتابه "حضارة الغرب"
..هل يتعين أن نذكر أن العرب، والعرب وحدهم، هم الذين هدونا إلى العالم اليوناني والعالم اللاتيني القديم، وأن الجامعات الأوربية ومنها جامعة باريس عاشت مدة ستمئة عام على ترجمات كتبهم وجرت على أساليبهم في البحث، وكانت الحضارة الإسلامية من أعجب ما عرف التاريخ".

وتقول زيجريد هونكه الألمانية في كتابها "شمس الله تشرق على الغرب ":
" إن أوربا مدينة للعرب وللحضارة العربية، وإن الدين الذي في عنق أوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا. وكان يتعين على أوربا أن تعترف بهذا الفضل منذ زمن بعيد، لكن التعصب واختلاف العقيدة أعميا عيوننا وتركا عليها غشاوة، حتى إننا لنقرأ ثمانية وتسعين كتابا ومئة، وفلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة، اللهم إلا تلك الإشارة العابرة إلى أن دور العرب لا يتخطى دور ساعي البريد الذي نقل إلينا التراث الإغريقي"
وقالت في نفس الكتاب: "وفي مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد إلا ومد يده إلى الكنوز العربية يغترف منها، وينهل كما ينهل الظامئ من الماء العذب..ولم يكن هناك ثمة كتاب واحد من بين الكتب التي ظهرت في أوربا في ذلك الوقت، وإلا وقد ارتوت صفحاته بوفرة من نبع الحضارة العربية"
عندما تغير العالم The Day The Universe Changed
تأليف جيمس بيرك James Burke
ترجمة ليلى الجبالي
مراجعة شوقي جلال
هذا الكتاب يتحدث عن التطور المعرفي و الحضاري في العالم و لكنه منصب أساسًا على العالم الغربي .. يقول الكاتب ص٤٨ : ((و لكن من حسن المصادفات أن جاءت لحظة تاريخية مذهلة أعيد فيها اكتشاف المعرفة . ففي عام ١٠٨٥ ، سقطت قلعة توليدو العربية في إسبانيا ، لتجد القوات المسيحية المنتصرة بين أيديها كنزًا أدبيًا ، كان أبعد ما يكون عن كل أحلامهم . فمنذ ما يزيد على مائة عام ، لم تكن أوروبا تعرف شيئًا عن العرب الأسبان إلا القليل . . . و منذ ذلك الوقت انتشر الحديث في أوروبا عن الحضارة القائمة خلف جبال البرانس))
و يقول ص٥٠ : ((و قد تميز موقف هذا المجتمع الثري الحضاري ذي الثقافة الرفيعة بالتسامح مع العقائد الأخرى ، حيث عاش في ظل حكم الخلفاء المسلمين آلاف اليهود و المسيحيين في سلام و انسجام كامل . و استخدمت عوائد الأرض لتطوير مستوى الحياة . و الأهم من ذلك كله ، أن الدين و الثقافة تعايشا معًا في تواؤم

، فحيثما وجد الإسلام ، وجد معه التعطش إلى المعرفة و تطبيقاتها على شتى مناحي الحياة))
و يقول ص٥١ : ((و من الناحية الفعلية ، كان الخليفة في قرطبة هو الحاكم المطلق لشمال أسبانيا ، حيث كان المسيحيون يعيشون في قلاعهم المكشوفة في مدينتي ليون ، و نافاري ، في حالة من القذارة و الجهل مثلما كان عليه الحال في بقية شمال أوروبا . و قد اعتاد الخليفة أن يرسل على فترات منتظمة حملات إلى الشمال للتأكد من استقرار الأمن و القيام ببعض المناوشات و نهب ما يقع عليه الاختيار من بلدان الريف ، و غالبا ما كانت هذه العملية تنفذ طبقًا لجدول زمني محدد خلال الربيع و الخريف . أما خلال فترة هدوء الصيف ، فقد اعتاد المسيحيون أن يرسلوا إلى قرطبة طالبين استئجار أطباء الأسنان ، و مصففي الشعر ، و الجراحين ، و المهندسين المعماريين ، و الموسيقيين))
و يقول ص٥٤ : ((استمر تدفق طلاب العلم على أسبانيا في طوفان منتظم فاستقر بعضهم هناك ، و تفرغ آخرون لترجمة النصوص التي كانوا يبحثون عنها ثم عادوا مرة أخرى إلى بلادهم في الشمال ، غير أن الجميع أصابه الذهول من تلك الحضارة التي وجدوها في الأندلس . لقد كان العرب ينظرون إلى الأوروبيين الشماليين على أنهم لا يزيدون في مستواهم الفكري و الثقافي على مستوى الصوماليين . أما المثقفون الشماليون فقد وجدوا في أسبانيا ، مجتمعًا ثقافيًا على درجة عالية جدا من التفوق بالمقارنة مع مستوى المحتمع الثقافي في بلادهم مما ترك لديهم إحساسًا بالغيرة من الثقافة العربية التي ظلت تؤثر في الفكر الغربي مئات السنين))
و يستشهد في ص٥٥ بقول أديلارد الذي كان أول من نقل العلوم العربية لأوروبا : ((كلما اتجهت أكثر إلى الجنوب ، اكتشفت أنهم يعرفون المزيد من العلم . إنهم يعرفون كيف يفكرون و قد تعلمت من العرب شيئًا واحدًا يتلخص في : " إذا كانت السلطة هي التي تقودك ، فهذا معناه أنك دابة يقودها رسن "))
و الكتاب يتحدث في هذا الفصل عن انبهار العالم الأوروبي بهذه الحضارة المذهلة من جميع النواحي في أسبانيا و التي دامت قرونًا خلف جبال البرانس ، و لولا ضيق الوقت لنقلت الفصل كله فهو نفيس جدًا .

وقال المستشرق "سبانسر فاميري":
"لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسما عربيا، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر أو يفحص صخرة من الصخور دون أن يذكر درسا عربيا، ولا يقدر أي قاض أن يبت اليوم في خلاف دون أن يستدعي مبدأ أنلته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم لأإا أن يهمس بآراء طبيب عربي ولا يستطيع رحالة أن يدلف إلى أبعد زوايا آسيا وإفريقيا دون أن يعمد عن اللغة العربية"
قام طاقم من الخبراء في شتى المجالات بإعداد كتاب بعنوان " الخمسون الذين كانوا أعظم شأن في التاريخ" وقد تم اختيارهم من عدد قدره ١١ مليار إنسان [هكذا قالوا].

وبعدها خلصوا إلى خسمين شخصا، وبقي عليهم أن يرتبوهم حسب الأهمية وكانت المسألة الحساسة كون من هو الشخص الذي سيكون رقم " واحد ".
معاييرهم في الاختيار:
أشار مؤلف الكتاب أولف نيلسون (Ulf Nilson) مرة بعد مرة في كتابه كون منهجهم في الاختيار لم يبن على اختيار أشهر إنسان أو أنبل إنسان، بل على أكثرهم تأثيرا على التاريخ البشري.
هؤلاء الناس حسب طاقم التحرير كانوا أكثر الناس تأثيرا على الحياة البشرية من حيث القيم والتطور.
ذكر نيلسون في مقدمة كتابه المشاكل التي واجها، والسؤال الذي كان يرجع مرة بعد مرة: من هو الشخص الذي سيكون رقم " واحد " ؟؟
كل هذا لمدى حساسية الموضوع.
الشخص الذي تم اختياره هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحينها أقام البعض الدنيا ولم يقعدوها، فإذا بامرأة شابة قالت غاضبة لنيلسون حينما رأت أن أفلاطون جاء في مرتبة أقل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ما أرى هذا إلا خزعبلات تجارية!
لم يتمكن نيلسون من طلب استفسار منها لأنها خرجت؟!
ثم ذكر نيلسون المعايير الثلاثة التي تم استخدامها في الاختيار والتي نتجت إلى كون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم على الإطلاق.
١ ـ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عاش في فترة زمنية بعيدة عن حاضرنا. مما جعله يؤثر على قيم وأفكار أجيال متعاقبة وأضافوا أن تأثيره مازال قائما إلى يومنا هذا.
٢ ـ اختلافا عن النبي عيسى عليه السلام والذي كان قائد روحيا فقط ، فإن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان قائد روحيا وسياسيا تمكن من إنشاء أمة بأكملها خلال ٢٣ سنة فقط.
٣ ـ وختم كون محمد صلى الله عليه وسلم كتب القرآن (المؤلف إنسان كافر لا يؤمن بالوحي ـ هداه الله للإسلام ـ) مما يجعل دعوته قائمة مادام لأتباعه بقية. وأتباعه المؤمنون لا يحيدون قيد أنملة عن أوامره ونواهيه، فالخمر والزنا لن يقربهما المسلمون مادامو ا يؤمنون به.
ثم تطرق الكاتب على غرار أسلافه إلى الأحكام المسبقة الزاعمة أن الإسلام دين الرجال وأن المرأة مهضومة الحقوق، لكن لو كلف الكاتب نفسه قليلا بالبحث والتعمق في مقاصد الشرع للاحت له لآلئ ما كانت لتخطر له على بال.
ترتيبهم كان كالتالي:
١ ـ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
٢ ـ النبي عيسى عليه الصلاة والسلام.
٣ ـ المشرك بودا.
٤ ـ إسحاق نيوتن (الفيزيائي المشهور)
٥ ـ يوهان غوتانباري

٦ ـ ألبارت آنشتاين
٧ ـ كارل ماركس
٨ ـ أفلاطون
٩ ـ غاليليو غاليلي
١٠ ـ شارل داروين
المصدر:

٥٠ Nilson, Ulf: De som betytt mest - en mänsklighetens ranking list. Jugoslavien, Wiken ١٩٨٩. ISBN: ٩١-٧٠٢٤-٤٤٤-٨.

لومارتان : من كتاب "تاريخ تركيا"، باريس، ١٨٥٤، الجزء ١١، صفحة ٢٧٦-٢٧٧.

"إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.
وأكمل لو مارتان كلامه فقال:
لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي موجها بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).
هذا هو محمد الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد
بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ؟
جاء في موسوعة مشاهير العالم إعداد موريس فرادوارد (١٣٠/٤) ط ٢٠٠٢

وفي الحديث عن غوته الشاعر الألماني الكبير (١٧٤٩-١٨٣٢)
قال وقد كتب عن الإسلام والمسلمين مصححا بعض مفاهيم الغرب عنهم ثم قال (أي غوته الشاعر):
"وهكذا نرى أن هذا المذهب (الإسلام) لا يفتقر إلى شيء، وأننا لا نفوقهم بشيء على الرغم من تعدد مذاهبنا، ولا يستطيع أحد أن يتقدمهم في شيء " اهـ .
إلى أن قال المؤلف : كما قرأ القرآن الكريم في ترجمتين مختلفتين، وقد انعكس هذا الاهتمام في مجموعته الشعرية "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" الذي نشره سنة ١٨١٩ ، ونهل فيه من ينابيع الحكمة الشرقية حتى جاءت بعض القصائد وكأنها ترجمة لبعض آيات القرآن الكريم ومحاكاة لتسابيح سعدي وحافظ
من ذلك قوله في قصيدة شهيرة: " لله المشرق والمغرب، أرض الشمال والجنوب، كلها غارقة في السلام بين يديه إنه العادل الأوحد، الذي يريد الحق للجميع فلنسبح باسمه هذا من أسمائه المئة، آمين، آمين يكاد الضلال يتقاذفني، ولكنك تعرف كيف تهديني، فأرشدني فيما أعمل وأشعر إلى الصراط المستقيم" اهـ ص١٣١.
قال مصطفى غفر الله له:
ونحن لا ندري هل أسلم هذا الشاعر الألماني أو لا، لأنه عرف أنه شاعر المرأة وما التقى بامرأة إلا ووقع في حبها وألف قصيدة أو ديوانا عنها،
ولكنني بتتبعي البسيط وجدت أنه قد ألف كتبه وأشعاره عن المرأة والعاطفة وغيرها، قبل ١٨١٩م، السنة التي ألف فيها "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" الذي أبرز فيه إيمانه بالله سبحانه، كما هو مسطور أعلاه.
ورسائله ل"بتينا" كانت قبل ذلك التاريخ ولقاؤه بها كان سنة ١٨٠٧، وتزوجت بصديق أخيها سنة ١٨١١،
وفي سنة ١٨٧٣ وقع في غرام شارلوت بوف وهي بطلة كتاب "آلام فرتر"
وله كتب أخرى يدافع فيها عن البلاد كما في رواية "ولهلم مايستر" وهي من جزءين صدر أولهما في سنة ١٧٩٦ يركز فيها على واجب العمل وخدمة المجتمع والعلاقة بين الطبقات التي يردها علاقة ود لا علاقة تطاحن وصراع.
وفي رواية "أغمونت" وهي نثرية عالج فيها مشكلة حرية الإرادة وتجري أحداثها في بروكسيل في عهد فيليب الثاني.
والتقى بنابليون، ووصفه نابليون فقال :" هذا رجل!"
المهم أن حديثه عن الإسلام والمسلمين كان في أواخر حياته، فإن أسلم فنسأل الله أن يتقبل منه، وإن لم يؤمن فلعنة الله على الكافرين
بوسورث سميث : من كتاب "محمد والمحمدية"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢
لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها.

إدوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب "تاريخ إمبراطورية الشرق"، لندن ١٨٧٠، صفحة ٥٤.
ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنا من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين.

الدكتور زويمر الكندي ،مستشرق كندي ولد ١٨١٣ - ١٩٠٠ قال في كتابه (الشرق وعاداته).
إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء

يقول الشيخ مصطفى الزرقا في مقدمة كتاب المدخل الفقهي العام (٦/١)
نذكر أنه في مثل هذا اليوم من العام الفائت (الثاني من تموز ١٩٥١م) عقدت شعبة الحقوق الشرقية من " المجمع الدولي للحقوق المقارنة" مؤتمرا في كلية الحقوق من جامعة باريس للبحث في الفقه الإسلامي تحت اسم "اسبوع الفقه الإسلامي" برئاسة المسيو (ميو Montet) استاذ التشريع الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس دعت إليه عددا كبيرا من أساتذة كليات الحقوق العربية وغير العربية وكليات الأزهر، ومن المحامين الفرنسيين والعرب وغيرهما، ومن المستشرقين. ....
إلى أن قال:
وفي خلال بعض المناقشات وقف أحد الأعضاء وهو نقيب محاماة سابق في باريس، فقال:
" أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لما عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلوحه أساسا تشريعيا يفي بحاجيات المجتمع العصري المتطور، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشتها مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادئ. "
وفي ختام المؤتمر وضع المؤتمرون بالإجماع هذا التقرير الذي نترجمه فيما يلي:

--- إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة (حقوقية تشريعية) لا يمارى فيها.
--- وإن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات، ومن الأصول الحقوقية، هي مناط الإعجاب، وبها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة، والتوفيق بين حاجاتها." اهـ
وقال الشيخ الزرقا في هامش ص ٩
باختصار
أن "الجمعية الدولية للحقوق المقارنة" بتلخيص وقائع أسبوع الفقه الإسلامي، ونشرت هذه الخلاصة في ٣٠ صفحة في "المجلة الدولية للحقوق المقارنة"
revue internationale de droit comparé
في العدد الرابع من السنة الثالثة، ايلول-تشرين الأول/١٩٥١
ولقد أصدرت كتابا يحوي كل المحاضرات التي ألقيت في المؤتمر، مكتبة "مجموعة سيريه" (sirey) للبحوث القانونية سنة ١٩٥٣، بإشراف المسيو ميو رئيس المؤتمر.
قال مصطفى غفر الله له:
هذا حكم من يفهم من العقلاء، لا كما يردد هؤلاء الببغوات، من الإعلاميين الغربيين، وأذيالهم من علمانيّي بلداننا.
يا ليت قومي يعلمون !!
إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ستانلي لين بول Stanley Lane-Poole في كتابه قصة العرب في إسبانيا The Story of the Moors in Spain ط ١٩٨٦:
"...وإنا لنحس فضل العرب وعظم آثار مجدهم، حينما نرى بإسبانيا الأراضي المهجورة القاحلة التي كانت في أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار، تزدهر بما فيها من الكروم والزيتون وسنابل القمح الذهبية. وحينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصور العرب تموج بالعلم والعلماء، وحينما نشعر بالركود العام بعد الرفعة والازدهار."
يقول الكاتب البريطاني هـ. ج. ويلز H.G. Wells في كتابه معالم تاريخ الإنسانية:
"...وتقدموا في الطب أشواطا بعيدة على الإغريق، ودرسوا علم وظائف الأعضاء، وعد تدبير الصحة، ويكاد علم الأقرباذين لديهم أن يكون نفس ما لدينا اليوم، ولا يبرح كثير من طرق العلاج عندهم مستعملا بين ظهرانينا إلى اليوم، وكان لجراحيهم دراية باستعمال التخدير، وكانوا يجرون طائفة من أصعب الجراحات المعروفة. وفي ذات الوقت التي كانت الكنيسة تحرم فيه ممارسة الطب انتظارا منها لتمام الشفاء بموجب المناسك الدينية التي يتوالاها القساوسة، كان لدى العرب علم طبي حق" اهـ
ولم يمنع الحقد المستشرق الإنجليزي برنارد لويس من أن يقول كلمة حق وذلك في كتابه "العرب في التاريخ"، فقال:
"...السمة الأولى التي تسترعي انتباهنا هي المقدرة الاستيعابية للثقافة العربية التي غالبا ما وصمت بأنها قائمة على المحاكاة والتقليد، فقد وحد الفاتحون العرب _ ولأول مرة في التاريخ _ الأقاليم الشاسعة الممتدة من حدود الهند والصين إلى تخوم

اليونان وإيطاليا وفرنسا. ومن خلال قواهم العسكرية والسياسية لبعض الوقت، ثم لفترة طويلة بعد ذلك من خلال لغتهم وعقيدتهم؛ وحد العرب بين ثقافتين كانتا تتصارعان في الماضي، هما الثرات المتنوع لحوض البحر الأبيض المتوسط البالغ العمر ألف عام (ثرات اليونان وروما وبني إسرائيل والشرق الأدنى القديم)، وحضارة فارس الثؤية وأنماطها الخاصة في الحياة والفكر، وصلاتها المثمرة بالحضارات العضيمة في الشرق الأقصى. ذلك أنه في خلال التعايش بين الكثير من الشعوب والعقائد والثقافات داخل حدود المجتمع الإسلامي ولدت حضارة جديدة؛ متنوعة من حيث أصولها ومبدعيها، لكنها تحتمل في كل مظاهرها البصمة المميزة للعروبة والإسلام، ومن هذا التنوع الذي اتسم به العالم الإسلامي نشأت سمة ثانية لافتة بصفة خاصة لأنظار المراقب الأوربي، هي تسامحه بالمقارنة بالمجتمعات الأخرى. فعلى النقيض من معاصريه الغربيين نادرا ما شعر المسلم في العصور الوسطى بالحاجة لفرض عقيدته بالقوة على كل الخاضعين لحكمه، لقد ترسخ في وعيه مثلهم أن أولائك الذين يعتنقون عقيدة مغايرة سيحرقون في الجحيم في الوقت المقدر لذلك، لكنه على خلافهم لم ير ثمة فائدة في استباق القضاء الإلهي في هذه الدنيا، وكان قانعا في أغلب العصور بالانتماء إلأى العقيدة السائدة في مجتمع متعدد العقائد. لقد فرض على الآخرين قيودا اجتماعية وتشريعية معينة كرمز لسيادته، وكان يذكرهم تذكرة فعالة إذا ما بدا أنه في سبيله للنسيان، وفي ما عدا ذلك ترك لهم حرياتهم الدينية والاقتصادية والثقافية، كما ترك فرصة الإسهام البارز في حضارته هو" اهـ

والنص من ترجمة أ. محمد غريب جودة.

من آخر كتب برنارد لويس هو "أزمة الإسلام"

ومن أراد أن يتعرف أكثر على الرجل:

حياته

ولد برنارد لويس في لندن عام ١٩١٦م(١٣٣٤هـ)، حصل على الشهادة الجامعية من جامعة لندن عام ١٩٣٦م(١٣٥٥هـ) وهو لم يتجاوز العشرين، ودرس في باريس سنتين مع المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون وغيره، ثم عاد إلى بريطانيا ليحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٦م(١٣٥٨هـ) عن رسالته بعنوان (أصول الإسماعيلية) تحت إشراف المستشرق هاملتون جب. له عدد كبير من البحوث والكتب والمقالات الصحفية . من أشهر كتبه (العرب في التاريخ) وقد أعيد طبعه سبع مرات. و(ظهور تركيا الحديثة) و(استنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية) و(الغرب والشرق الأوسط) و (العرق واللون في الإسلام) و(يهود الإسلام) والحشاشون فرقة ثورية في الإسلام وآخر كتبه (اللغة السياسية في الإسلام)

عمل لويس في جامعة لندن مدرساً في قسم التاريخ- مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية- حتى ترأس هذا القسم في أول أكتوبر ١٩٥٧م(١٢٦٦هـ) وظل رئيساً له مدة خمسة عشر عاماً حتى انتقل إلى قسم دراسات الشرق الأدني بجامعة برنستون بولاية نيوجرسي الأمريكية عام ١٩٧٣ م(١٣٩٤هـ) بالإضافة إلى عضويته الدائمة

في معهد برنستون للدراسات المتقدمة وهو المعهد الذي كان يعمل فيه ألبرت إينشتين صاحب النظرية النسبية.

حصل لويس على الجنسية الأمريكية عام ١٩٨٢م وهو الآن أستاذ متقاعد ، ولكنه مازال يحتفظ بمكانته العلمية في الجامعة ، وقد أصبح عام ١٩٨٦ مديراً مشاركاً لمعهد بحوث أننبرج للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى بمدينة فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا.

هذا وأشرف لويس على العشرات من الطلاب العرب والمسلمين وغيرهم. وكانت معاملته لهم راقية جداً حتى إنه كان نادراً ما يشكو طالب من سلوكه معه على العكس كان الكثير من الطلبة يحبونه ويتعلقون به. وقد أفادني بهذا الدكتور شارل عيساوي وأكده كل من محمد مناظر أحسن ومايكال كوك. وملاحظة هامشية هنا إن لويس لا يفعل كما يفعل بعض المشرفين في بلادنا وفي بلادهم أيضاً حيث يصرون على أن مهمتهم هي عرقلة سير الطالب وملء حياته بالغم والكمد واستغلاله أسوأ استغلال. ونظراً ليهوديته وصهيونيته فلا بد أنه ضايق بعض الطلاب في اختيار موضوعات بحوثهم أو توجيهها وجهة معينة.

وأنصح بالرجوع إلى كتاب "بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر" تأليف د. مازن مطبقاني

قال أناتول فرانس في روايته "الحياء المزهرة" على لسان البطل دوبوا قائلا لسيدة أندرياس:

"ما هو أشأم يوم عرفته فرنسا يا سيدتي؟؟

قالت: هو اليوم الذي انهزم المسلمون فيه في معركة Poitier (بلاط الشهداء سنة ٧٣٢)، ضد الفرنسيين ! ! ! "

قال مصطفى غفر الله له:

أي أن هذه المرأة كانت تتمنى أن ينتصر المسلمون في المعركة لتصل فرنسا حضارةُ المسلمين وتنقذهم من أحبال الظلام والرجعية التي كانوا يعيشون فيها آنداك.

يقول المستشرق مرماديوك باكسال

يكفى محمدا فضلا ان اصحابه ظلوا اثنتى عشرة سنة فى اضطهاد وتعذيب ومع ذلك كانوا يزيدون ولا ينقصون ويكفى كتاب الاسلام جلالا انه مضى عليه اربعة عشر قرنا لم يصب اسلوبه بجفاف بل ظل غضا نديا كان عهده بالحياة امس

ومما يؤكد ما ذكره أناتول فرانس، ما قاله كلود فرير أستاذ اللغات الشرقية في "الكليج دو فرانس"

"..حلت بالإنسانية في القرن الثامن الميلادي كارثة لعلها أسوأ ما شهدته القرون الوسطى، تخبط من جرائها العالم الغربي سبعة قرون أو ثمانية في الهمجية قبل ظهور النهضة.

وما تلك الكارثة إلا ذلك النصر الهائل الذي أحرزته الجماعات الجرمانية بقيادة " شارل مارتل" على فرق العرب والبربر؛ ففي مثل ذلك اليوم المشؤوم تقهقرت الحضارة ثمانمئة عام.
وحسب المرء أن يذكر ما كان يمكن أن تصل إليه فرنسا لو أن الإسلام النشيط الحكيم الحاذق الرصين المتسامح استطاع أن ينتزع وطننا فرنسا من فظائع لا نجد لها اسما" اهـ
الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ - ١٨٩٤ قال في آخر كتابه (العرب).
عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم.

قال ويل ديورانت Well Durant في قصة الحضارة ص ٨٩١٤ ، وويل ديورانت خير من كتب في تاريخ الحضارات، إلى جانب أرنولد توينبي Arnold Toynbee المؤرخ البريطاني الكبير صاحب الموسوعة التاريخية "دراسات في التاريخ" والذي أمضى في كتابته ٤٠ عاما، وأوزويلت شبينجلر الذي اشتهر بكتاب "أفول الغرب"، وتوماس أرنولد، صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام". وهؤلاء قمة في الموضوعية في الطرح.

قال: (أي ويل ديورانت)
"ولاقى يهود "الشتات" هؤلاء أقل العناء والشقاء في ظل السلاطين الأتراك والبابوات في فرنسا وإيطاليا، وعاشت الأقليات اليهودية آمنة في القسطنطينية وسالونيك وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية ومصر وشمال أفريقية وأسبانيا تحت حكم العرب. وتسامح البربر معهم كارهين. على أن سيمون ديوران ترأس مستوطنة مزدهرة في الجزائر،
وعاشت الجالية اليهودية في الإسكندرية- كما وصفها الحبر أوباديا برتينورو في ١٤٨٨- حياة طيبة، وشربوا الخمر بكثرة،
وتربعوا على البسط كما فعل المسلمون، وخلعوا نعالهم عند دخول المعبد أو بيت أحد الأصدقاء. وكتب اليهود الألمان الذين لجئوا إلى تركيا إلى أقربائهم وصفاً خماسياً للحياة الطيبة التي ينعمون بها هناك. ورخص الباشا (الوالي) العثماني في فلسطين لليهود هناك في أن يبنوا معبداً على جبل صهيون. وحج بعض اليهود الغربيين إلى فلسطين، واعتقدوا أن من حسن حظهم أن تفيض أرواحهم في الأرض المقدسة، والأفضل منها في أورشليم بالذات.اهـ
قال مصطفى غفر الله له:

هذه هي حياة الرفاهية التي كانت تعيشها الأقليات الكافرة تحت ظل الخلافة الإسلامية، خير مما تعيشه الأقليات المسلمة في الغرب في هذه الأيام. وهذا باعترافهم هم. لا كما ينشره هؤلاء الناعقون في آذان الناس، ويتلقفه علمانيونا بألسنتهم، ويلبسون به على عقول الناس.

أخي الفاضل الأديب الأريب مصطفى الفاسي – أحسن الله إليك، ونفع بك - :

ومما يذكر في هذا المقام قول مهاتما غاندي:

(أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر..لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب، وليس السيف. بل بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة).

وقال جورج برنارد شو:

(كنت دوما أرى دين محمد في مكانة عالية بسبب حيويته الرائعة، وهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه قادر على استيعاب التغيرات التي تحدث في العالم في كل عصر، لقد درست سيرته، إنه رجل رائع، وهو في رأيي أبعد ما يكون عن عداوة المسيح، وينبغي أن يسمى منقذ البشرية.

وأظن أن رجلا مثله لو حمل على عاتقه دكتاتورية العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته، بطريقة تجعل العالم ينعم بالسعادة والسلام اللذين يحتاجهما.

وإني أتنبأ بأن دين محمد سيكون له شأن في أوروبا غدا، كما أن بواكير قبوله في أوروبا بدأت اليوم، وإذا كان ثمة دين له فرصة الحكم في انجلترا، بله أوروبا في غضون مائة سنة قادمة فإنه سيكون الإسلام).

قال ليون روش: ١٨٤١ ـ ١٨٤٢ (ضابط في الجيش الفرنسي ومترجم رسمي له إلى اللغة العربية التي كان يتقنها تماما، خالط أهل الجزائر في جميع مرافق الحياة، واثناء الهدنة بين الامير عبدالقادر وفرنسا دخل روش في خدمة الأمير عبدالقادر ابتداء من سنة ١٨٣٧م، ولازمه في حروبه الداخلية واجتماعاته واصبح احد كتابه الخاصين، ساعده الأمير عبدالقادر في تعلم اصول الدين الاسلامي، فاعلن اسلامه وزوجه من مسلمة.

قال في "ثلاثون عاما من الإسلام"

(اعتنقت الإسلام زمنا طويلا لأدخل مُنْدَسّاً عند لأمير عبد القادر الجزائري ونجحت الحيلة ووثق بي الأمير كل الثقة وجعلني سكرتيرا له..لكنني مالبثت أن وجدت دين الإسلام أفضل دين عرفته، فهو دين إنساني طبيعي اقتصادي أدبي، ولم يدر بخلدي

شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مستنا في الإسلام. بل إني عدت إلى التشريع الذي يسميه غول سيمون (التسريع الطبيعي) فوجدته أخذ من الشريعة الإسلامية.
وقال
(..وهو الدين الوحيد الذي حل مشكلة حقوق وواجبات الأبناء حلا عادلا، باعترافه بالمولود ورفضه للوضع الشاذ المخالف لنواميس الطبيعة الذي فرضه المذهب الكاثوليكي تجاه الأولاد الشرعيين كل الحقوق وحرم غير الشرعيين من كل الحقوق)
قال مصطفى غفر الله له:يشير إلى قاعدة "الولد للفراش"

قال واشنطن إيرفينغ Washington Irving في كتابه "محمد وخلافاؤه" (Mohomet and his Successors) ترجمة د. هاني يحيى نصري ط المركز الثقافي العربي ١٩٩٩ ص ٤٥٣:
"والرسول كان عادلا يحب العدل، فقد كان يعامل الصاحب والغريب، والفقير والغني، والقوي والضعيف بالتساوي، وكان محبوبا بين الناس، بسبب التفاته إلى الكل وسماعه من الجميع، وعدله المطلق بينهم"
هذا الكتاب طبعته Hudson Edition , G.P. Putman and son ١٨٦٨ N. Y
وقال في نفس الصفحة :
" ...لأنه أكد في غير مناسبة نفيه لأي معجزة سوى القرآن الكريم (على زعمه)، الذي يعتبر من أعجز وأفضل ما قدم إلى البشرية من نص مكتوب، لا يمكن ولا بأي حال من الأحوال مقارنته بسواه من النصوص" اهـ

قال السير أنتوني ناتنج Sir Antony Nating في كتابه "العرب: تاريخ وحضارة" وهو يتحدث عن حضارة الأندلس من خلال الحديث عن الواقع في قرطبة العاصمة الأموية آنذاك:
"..وكان تعداد سكان قرطبة يناهز ٨٠٠ ألف نسمة، وارتفع عدد المساجد إلى ٧٠٠ ، وكان في المدينة ٣٠٠ من الحمامات العمومية في وقت كانت فيه الشعوب الأوربية لا تزال تعتبر الاستحمام عادة وثنية، وكانت الشوارع ممهة ومضاءة - وطولها ١٠ أميال _
وهو تقدّم كان مقدرا ألا تنعم به لندن وباريس قبل ٧٠٠ عام تالية، كان المواطنون أثناءها يتحسسون طريقهم ليلا في الظلام الحالك يتخبطزن في وحول تغوص فيها الأقدام حتى الكعبين،وكانت المدينة تضم ٧٠ مكتبة عامة، وفي عهد الحكم بن عبد الرحمن، الذي كان شغوفا بالكتب جمعت مجموعة من ٤٠٠ ألف كتاب من المكتبات العامة والخاصة في الاسكندرية ودمشق وبغداد، في حين لم يكن يكن يوجد في أي مكان في العالم أكثر من عشرة آلاف كتاب باللغة الإنجليزية،
وكان حكام ليون ونافار وبرشلونة يرسلون إلأى قرطبة إذا احتاجوا إلى طبيب أو مهندس معماري، لا إلى فرنسا ولا إلى إلى ألمانيا، وكانت قرطبة تجتذب الطلاب من أوربا وإفريقيا وآسيا.

وكانت معرفة القراءة والكتابة عامة، حتى أكد المؤرخ راينهارت دوزي أن كل فرد تقريبا كان يقرأ ويكتب، في حين أن معرفة القرءة والكتابة في أوربا كانت لا تزال ميزة لرجال الدين وقلة من الكتبة المحترفين . اهـ

قال مصطفى غفر الله له:

ارفع رأسك أيها المسلم وقُلها مدوية : لا إله إلا الله محمد رسول الله،

إن الغربيين يعرفون صدق رسالتنا وعُلوية مكانتها، ويعلمون أن خلاصهم في الاستسلام لله، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

نكتة جرت بيني وبين دانمركي وقد جاء مع ٣٠ شخصا في مؤسستنا:

قال لي بعد انتهائي من المحاضرة : لماذا أنتم _المسلمين _متمسكون بالقرآن وهو كتاب قديم كتب منذ ١٤ قرن من الزمان، وتتركون الديمقراطية !!؟؟؟

قلت لأنني أخذت بنفس مبدئك:

وهو أن أتبع الأحدث، باعتبار أن الديمقراطية _ كمصطلح وفكرانية (آيديولوجية) _ نشأت منذ ٥٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح. والإسلام هو الأحدث.

فانظر إلى من هو المتحضر منا !!!!

فبهت الذي كفر، وضحك الآخرون بكل اعجاب.

يقول جورج سارتون البليكي المولد الأمريكي الجنسية،

مؤرخ العلم الأستاذ في جامعة هارفرد () George Sarton ١٨٨٤-١٩٥٦ في كتابه " الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين":

" ...إن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية، وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية، كما كانوا من قبل، لو أنهم عادوا إلأى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعلوم لاتي حث الإسلام على الأخذ بها." اهـ

قال جاك ريسلر الفرنسي Jaque Risler في كتابه الحضارة العربية (the culture of arabs):

" ...وطوال الألف سنة حالكة الظلمة في تاريخ العصور الوسطى، كان يشع عبر العالم الإسلامي اسم العالم أو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الذي قدر له أن يبلغ شهرة واسعة، فقد ترك البيروني _ الفيلسوف والمؤرخ والرياضي والفيزيقي واللغوي والشاعر _ في هذه الميادين المختلفة مؤلفات هامة جعلت منه (ليوناردو دافينشي العالم الإسلامي)

ويقول توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ص ٧٣:

«ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في بلدة فحل، كتب الأهالي النصارى في تلك البلاد إلى العرب الفاتحين يقولون: يا معشر المسلمين! أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوْفى لنا وأرأف بنا، وأكفُّ عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا».

وقال «وغلّق أهل حمص أبواب مدينتهم، دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق والروم وتعسفهم».
وقال:
"لقد عامل المسلمون المسيحيين العرب بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة واستمر هذا التسامح في القرن المتعاقبة ونستطيع بحق أن نحكم أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامحاهـ
الفرنسي "غستاف دوكا" : وهو مستشرق فرنسي، كان يدرس اللغات الشرقية في باريس، له العديد من المقالات عن جغرافية البلدان الإسلامية، وألف كتاباً اسمه :"تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم".
"للدين الإسلامي أثر كبير في تهذيب الأمم وتربية مشاعرها ووجدانها، وترقية عواطفها، فإذا قرأت تاريخ العرب قبل البعثة، وعلمت ما كانت عليه، اعتقدت أن للشريعة السمحة في تهذيب الأخلاق التأثير الأكبر، إذ ما كاد يتصل بالأمة العربية ذلك الإصلاح الروحي المدني، حتى انتشر العدل وزال النفاق والرياء والعدوان"اهـ.
وقال كذلك "توماس أرنولد" في مقدمة كتابه السابق "الدعوة إلى الإسلام" ص ١٠:
"ومع أنَّ هذا المؤلف، وهو أمر مسلم به كما يتضح في التمهيد، عبارة عن سجل لجهود نشر الدعوة، وليس تاريخاً للاضطهاد".
وقال في ص ٣٠:
"إننا لم نضع هذا الكتاب لدراسة تاريخ الاضطهادات الإسلامية، وإنَّما وضعناه لدراسة الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم، فليس الغرض تاريخ الحملات التي استعملت فيها القوة لإدخال الناس في الدين الإسلامي، وقد عني الكُتَّاب الأوربيون ببيان هذه الحملات حتى لم يعد ثمة خوف من إغفالها".

الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه الأبطال : " لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خدّاع مزوِّر .
وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ !
إلى أن قال : " وعلى ذلك ، فلسنا نَعُدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً ، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته ، ويطمح إلى درجة ملك أو سلطان ، أو إلى غير ذلك من الحقائر . وما الرسالة التي أدَّاها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا قول صادق .
كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا المُلَفِّق ، وهذه حقيقة تدفع كل باطل ، وتدحض حُجة القوم الكافرين .
ثم لا ننسى شيئاً آخر ، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً ، وكانت صناعة الخط حديثه العهد إذ ذاك في بلاد العرب ـ وعجيب وأيم الله أُمِّيَة العرب ـ ولم يقتبس محمد

من نور أي إنسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء ، أولئك الذين أشبِّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور .
وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ ، صادق العزم بعيداً ، كريماً بَرًّا ، رؤوفاً ، تقياً ، فاضلاً ، حراً ، رجلاً ، شديد الجد ، مخلصاً ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، ليِّن العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس ، بل ربما مازح وداعب ، وكان ـ على العموم ـ تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ؛ لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأقواله " . ويقول:
: " كان عادلاً ، صادق النية ، كان ذكي اللب ، شهم الفؤاد ، لوذعياً ، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم ، ممتلئاً نوراً ، رجلاً عظيماً بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولا هذبه معلم ، وهو غني عن ذلك"
و بعد أن أفاض كارليل في إنصاف النبي محمد ختم حديثه بهذه الكلمات : "هكذا تكون العظمة· هكذا تكون البطولة·هكذا تكون العبقرية"

أما <لا مارتين> الفيلسوف الفرنسي فيدافع بحرارة النبي صلى الله عليه وسلم وينفي بصرامة وقوة أن يكون كاذباً أو مفترياً على الله فيقول:
<إن حياة محمد، وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده، ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية··· إنه فيلسوف وخطيب ومشرع وهاد للإنسانية إلى العقل وناشر للعقائد المعقولة الموافقة للذهن وهو مؤسس دين لا فرية فيه ومنشئ عشرين دولة في الأرض وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد، فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية ما أدرك محمد وأي آفاق بلغ إنسان من مراتب الكمال ما بلغ محمد· و يقول في موضع آخر : "أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية ، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، ومن ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد ؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه ، عند النظر إلى جميع المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي هذه كلها تدل على إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة . إن الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد ، لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق

و هذا جوتة الأديب الألماني : " "إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد"[٥]

ويقول الأديب الروسي (ليو تولستوي) والذي حرمته الكنيسة بسبب آرائه الحرة الجريئة :

"أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه ، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء ... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام ، وفتح لها طريق الرقي والمدينة"[٦]

ويقول العلامة شيريل ، عميد كلية الحقوق بفيينا :"إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها"

الفونس ايتين دينيه ـ الفرنسي ـ قال في كتابه ـ محمد رسول الله ـ (صلى الله عليه وسلم) صفحة ٤٨:

إن حدود هذا السفر لن تسمح لنا بأن نقدم لك جميع التفاصيل وجميع النواحي لحياة حافلة بالعظائم إلى هذا الحد كما هو الشأن في حياة النبي محمد نبي المسلمين وقال صفحة ٤٩ منه:

والحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها، وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق.

وقال صفحة ٥٢ منه:

إن في مرأى المؤمنين وفي أعمالهم لصورة تلمحها منعكسة من مآثر محمد وإذا كانت بالطبع باهتة بالقياس إلى كمالاته العليا، فإنها لا جدال في صحتها، هذا على حين تجد قياصرة روما مع دقة تماثيلهم لا يطالعنا منهم سوى قناع مزيف لوجوههم الجامدة تحت صورة من الخيلاء، إن صورهم تظل ميتة يعجز خيالنا عن أن يلمح لها شيئاً من الحياة، وإنه لبوحي هذه الحقيقة قامت برؤوسنا فكرة نشر لوحات في تاريخ محمد ، تمثل المآثر الدينية لأتباعه، وبعض صور من حياة العرب، وبعض مدن الحجاز الذي هو وطنه.

وقال صفحة ٨٧ منه:

حقاً إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين أن محمداً قد انتهز الفرصة فروى ورتب عمله للمستقبل بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فوسوس بأن محمداً ألف في تلك الفترة القرآن كله !!

أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية وإن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها وخاصة بحادثة وقعت بعد الرسالة طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً وإنه من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ له. اهـ

قال المؤرخ الأمريكي فكتور روبنسن صاحب قصة الطب:

"كانت أوربا في ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة كانت أوربة تغطيها الهوام بينما أهل قرطبة مثال النظافة كانت أوربا غارقة في الوحل بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع كانت سقوف أوربا مملوءة بثقوب المداخن بينما قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة وكان أشراف أوربا لا

يستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس وكان رهبان أوربا يلجئون إلى تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلموا قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة".
المسيو ميخائيل اماري - الإيطالي - قال في كتابه - تاريخ المسلمين - :
لقد جاء محمد نبي المسلمين بدين إلى جزيرة العرب يصلح أن يكون ديناً لكل الأمم لأنه دين كمال ورقي، دين دعة وثقافة، دين رعاية وعناية، ولا يسعنا أن ننقصه، وحسب محمد ثناء عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته، على كثرة فنون المساومة واشتداد المحن، وهو القائل (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته) عقيدة راسخة، وثبات لا يقاس بالنظير، وهمة تركت العرب مدينين لمحمد بن عبد الله ، إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشرية.

اقرأوا هذا الحوار
دار بين الأستاذ محمود بيومي والمستشرق البلغاري الدكتور توفيان تيوفا نوفا الذي اعتنق الإسلام

http://www.islamtoday.net/articles/s...&artid=٤ ٤ ٨٤٥
حوار: محمود بيومي ١٤٢٥/١١/١١
٢٠٠٤/١٢/٢٣
بلغاريا .. هي إحدى دول أوروبا الشرقية وإحدى دول البلقان .. التي فتحها المسلمون في نهاية القرن الثامن الهجري .. واستمر الحكم الإسلامي لها لمدة تزيد عن خمسة قرون ونصف .. تأصلت خلالها هوية المجتمع الإسلامي .. كما انتشرت المؤسسات الإسلامية في كافة أنحاء البلاد .. حتى بلغ عدد المساجد الكبرى أكثر من (١٢٠٠) مسجد .. وعدد مماثل من المدارس الإسلامية والمكتبات .. وكان الكتاب الإسلامي من أكثر الكتب رواجاً وانتشاراً .. ونشطت مؤسسات الدعوة والتعليم في إبلاغ هدايات الدين الحنيف إلى كافة السكان في بلغاريا والمناطق المجاورة لها مثل رومانيا ويوغوسلافيا السابقة.
في بدء الحوار .. قلت للمستشرق البلغاري الدكتور توفيان تيوفا نوفا .. قام عدد من المستشرقين باعتناق الإسلام طواعية مثل جارودي وهوفمان وغيرهما.. ومنهم من بقي على ديانته ودافع عن الإسلام مثل المستشرق المجري روبرت سيمون والمستشرق الأسباني سيمون هايك وغيرهما .. فما هي الدوافع التي أدت إلى اعتناقكم للإسلام؟
في الحقيقة .. أنا أدرس الإسلام واللغة العربية منذ مدة طويلة .. حيث تخرجت في جامعة بغداد قسم اللغة العربية ثم التحقت بجامعة القاهرة لدراسة اللغة العربية وآدابها .. وحصلت على الدكتوراه في معهد الاستشراق في روسيا .. وأنا أعمل أستاذًا للدراسات الإسلامية في جامعة " صوفيا " ببلغاريا وأستاذًا بالمعهد الإسلامي هناك .. وعضو بجمعية المستشرقين الأمريكان، وعضو جمعية بحوث الشرق الأوسط

البريطانية .. وعضو اتحاد المستشرقين الأوروبيين .. وقد أهّلني ذلك لإصدار مجموعة من الكتب حول الحضارة الإسلامية والعربية.
وأضاف: وقد لاحظت أن بعض المستشرقين – غير الموضوعيين يطعنون في الإسلام .. وتركّزت مطاعنهم في القرآن الكريم .. فقالوا: إنه كلام بشري لا رباني، كما طعنوا في الآيات المكيّة والآيات المدنيّة .. وأنكروا حقيقة الوحي وغير ذلك من الافتراءات التي تعوّدوا على ترديدها في الساحة العلمية .. وأنا – وكل مستشرق موضوعي – يرفض هذا المنهج الاستشراقي الذي يشوّه صورة الاستشراق الموضوعي ويطعن في الإسلام بلا مبرر.
وأنا أؤكد هنا .. أن الاستشراق ليس شراً كله على الإسلام والمسلمين .. صحيح أن هناك العديد من الأخطاء في ترجمات معاني القرآن الكريم .. التي أعدّها نفر من المستشرقين .. إلاّ أننا يجب أن نفرّق بين الأخطاء المتعمّدة والأخطاء غير المتعمدة؛ فالذين يُخطئون – بصورة عفوية – يكون ذلك دائمًا نتيجة عدم إلمامهم باللغة العربية – التي هي لغة القرآن الكريم – ونتيجة أيضًا لعدم فهمهم لمعاني الآيات القرآنية الكريمة .. وأنا شخصيًا قد أُخطئ في بعض دراساتي ولكنها أخطاء غير متعمّدة .. والذي أود أن أوضحه هنا أن لكل مستشرق إسهاماته في فهم الإسلام والحضارة الإسلامية .. وكل مستشرق في هذا المجال له خبرته .. وأنا أحمد الله –تعالى- أن وفقني لإنجاز الترجمة التي قمت بها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة البلغارية .. حيث التزمت فيها بدقة المعنى.. مما جعل دار الإفتاء العامة في بلغاريا تعتمدها وتقوم بتوزيعها على عدد كبير من المؤسسات الإسلامية، وفي مقدمتها المساجد بالإضافة إلى عدد لا بأس به من المسلمين.

أود أن أؤكد هنا أن الإسلام ليس خطرًا على الآخرين .. ونحن أمام حقائق مهمة .. وفي مقدمتها أن أوروبا استفادت من عطاءات الحضارة الإسلامية ومُعطيات المسلمين الثقافية والعلمية والحضارية .. في مجالات الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغير ذلك من الإنجازات التي كان للمسلمين فضل السبق فيها .. والحقيقة التي لا يمكن أن تُنكر .. أن الحضارة الأوروبية المعاصرة قامت على ركائز الحضارة الإسلامية .. فحضارة الغرب أساسها حضارة الإسلام والمسلمين.
النظرة الاستشراقية
ما هي نظرة المؤسسات الاستشراقية لكم بعد اعتناقكم للإسلام؟ وما هي نظرتكم لهذه المؤسسات ومناهج المستشرقين بعد أن أصبحت مسلمًا؟
كما سبق أن ذكرت لكم أن هناك عددًا من المستشرقين يطعنون في الإسلام، وذلك بإثارة الشبهات حول ما جاء في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة، وفي صحة الوحي الرباني .. فيدّعون أن القرآن الكريم ليس وحيًا ربانيًا إنما هو كلام بشري وغير ذلك من الافتراءات والأباطيل .. ولا شك أن هذا المنهج الاستشراقي منهج خاطئ ونتيجة مباشرة للخصومة التاريخية التي نشأت في الغرب منذ مدة طويلة.

وأضاف : وأنا كمستشرق أدّت بي الدراسات الموضوعية الصحيحة لاعتناق الإسلام .. فأتصدى لهذه المنهجية الاستشراقية المعادية للإسلام والمسلمين .. وأدافع عن الدين الإسلامي الذي درسته واعتنقته .. وأنا واحد من المستشرقين الذين التزموا بالمنهج الموضوعي في دراساتهم الإسلامية .. ولا شك أن المنهج الاستشراقي غير الموضوعي هو وليد الحركة الاستعمارية والمنهج التنصيري الذي يستهدف تشويه الإسلام وصورته وبث الأخطاء المُتعمّدة حول الإسلام .. وأنا أعتقد أن هذا هو الجزء الأكبر في الحركة الاستشراقية العالمية التي يجب التصدّي لها بكافة السبل المتاحة لدى المؤسسات الإسلامية العالمية.

وقال د . توفيان: أما المنهج الاستشراقي الموضوعي فيرتبط بغاية علمية واضحة المعالم .. وهو دراسة الإسلام والتعرّف على حقائقه ودراسة التراث الإسلامي والتأكد من دور الحضارة والثقافة الإسلامية في ترقية المجتمعات البشرية .. ولا شك أن نظرتي للمؤسسات الاستشراقية غير الموضوعية- هي نظرة الحذر الشديد لكل ما يصدر عنها من دراسات .. واعتناقي للإسلام جعلني في موقف المدافع عن الإسلام ضد كل هذه الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام والمسلمين .. أما نظرة هذه المؤسسات الاستشراقية لي بعد اعتناقي للإسلام .. فلم تتغير – حسبما لمسته – فلازلت عضوًا في عديد من الجمعيات الاستشراقية في الغرب.

الخريطة العقديّة

هل يمكن أن نتعرّف على أهم ملامح الخريطة العقديّة في بلغاريا وما هي أحوال المسلمين هناك؟

يقول المستشرق البلغاري المسلم د . توفيان نوفا: ونحن نتحدث عن الخريطة العقديّة في بلغاريا .. يجب أن نتوخى الدقة والصراحة معًا .. فعدد سكان بلغاريا الآن قد بلغ أكثر من ثمانية ملايين نسمة .. منهم أقلية مسلمة بلغت نسبتها ١٢.٣% من إجمالي عدد السكان .. بينما بلغ عدد النصارى ٨٣.٧% من عدد السكان – وبالرغم من بعض الشكوك في دقة هذه الإحصائية – فإن المجتمع البلغاري يتكوّن من عدّة عناصر مختلفة حسب الجنسية والانتماء العقديّ.

وأضاف د . توفيان تيوفا نوفا: فالمسلمون البلغار هم الذين اعتنقوا الإسلام خلال فترة الحكم الإسلامي للدولة العثمانية – لكنهم لم ينتموا إلى الأتراك ولا يتحدثون اللغة التركية، فهم يجدون حتى الآن صعوبة في تحديد هُويّتهم .. فهم ينتمون إلى البلغار من حيث الجنسية واللغة.. وينتمون إلى الأتراك من حيث العقيدة .. كما أن السلطات البلغارية قد عاملتهم بشيء من القسوة في بعض الأحيان عبر المراحل التاريخية المختلفة .. مما دفع بعضهم إلى تغيير عقيدتهم من الإسلام إلى المسيحية في محاولة منهم للاندماج في المجتمع البلغاري.

وقال د . توفيان تيوفا نوفا: وقد أثبتت الدراسات العلمية .. أن المسلمين البلغار الذين يُعرفون باسم "البوماق" يفضلون الانتماء إلى الأتراك عندما يسكنون في بيئة بلغارية مسيحية.. كما يفضلون الانتماء إلى البلغار عندما يعيشون في بيئة تركية .. ويجوز لهم – في حالات استثنائية أن يغيّروا عقيدتهم من الإسلام إلى المسيحية ومن المسيحية إلى الإسلام في محاولة منهم للالتصاق بإحدى القوميتين التركية أو

البلغارية .. بينما تُوجد جماعة أخرى من "البوماق" يعلنون بكل صراحة أنهم مسلمون بلغار – بصرف النظر عن كونهم من الأتراك أو البلغار – وكل محاولة من هؤلاء لتغيير انتماءاتهم العقدية أو العرقية تؤدي إلى القلق والتوتر في المجتمع البلغاري.

الصراع العقديّ والعرقيّ

وما هو السبب الكامن وراء هذا الخلل الذي يعاني منه المجتمع البلغاري بشأن العقيدة والانتماء العرقي؟

لا شك أن وراء ذلك – بصورة مباشرة – هو الصراع الذي دار بين المسيحية والإسلام في قارة أوروبا .. حيث أصبح هذا الصراع العقدي جزءًا لا يتجزأ من التاريخ البلغاري ومن كيان الشعب البلغاري أيضًا .. ولا شك أن الظروف الحالية في هذه المنطقة من العالم .. ترتبط ارتباطًا كبيرًا مع ما ورثه سكان بلغاريا من أحداث الماضي .. كما أن الاعتبارات السياسية قد تدخلت في الأمور العقديّة .. وبالرغم من كل ذلك فإن هناك نوعًا من التعايش بين فئات المجتمع البلغاري .. قائم على أساس الاعتراف المتبادل بينهم باستقلالية كل فئة من هذه الفئات في الدين واللغة والحضارة والتقاليد وغيرها – وذلك في نطاق وحدة المجتمع البلغاري – إلا أنه بصورة عامة في بلغاريا – فإن المسلم يعني التركي حتى الإسلام يُطلق عليه هناك اليوم اسم "الدين التركي" .. والبلغاري يعني المسيحي .. أما "البوماق" فهم جماعة خاصة تتغير عن بقية المجتمع البلغاري.

الشيوعيّة هي السبب

نعرف جميعًا .. أن المسلمين في بلغاريا قد عانوا من حماقة الممارسات الشيوعية .. التي أجبرتهم على تغيير عقيدتهم – حتى الأموات منهم – واضطرتهم للهجرة الإجبارية إلى الدول المجاورة خاصة إلى تركيا – فهل ترى أن جزءًا من هذه الممارسات لا زالت مستمرة تجاه المسلمين في بلغاريا ؟

لا شك أن العامل الديني له أهمية بالغة في المجتمع البلغاري .. إلاّ أن الانتماء العرقي مُقدّم على الانتماء العقديّ في بلغاريا .. ونحن نلاحظ في الآونة الأخيرة ازدياد عدد المؤمنين – سواء أكانوا من المسلمين أو المسيحيين – إلاّ أن الواقع البلغاري يؤكد أن المؤمنين هناك لا يتعمقون في عقائدهم ولا يلتزمون بها إلاّ في إطار الاحتفالات الدينية .. وأنهم يكتفون بمعلومات قليلة عن عقائدهم .. ويُقبلون على أديانهم بصورة اختيارية وليست إجبارية .. وذلك كله بسبب النظام الشيوعي الذي ساد هناك فترة من الزمن .. ومنع الناس من القيام بممارسة شعائرهم الدينية بصورة صحيحة .. وما زالت الآثار الشيوعية في هذا المجال بادية في بلغاريا حتى بعد مرور (١٤) سنة على انهيار النظام الشيوعي.

السير موير الإنجليزي في كتابه (تاريخ محمد)

إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه

الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير بـه مـن أمعن النظـر فـي تاريخـه المجيـد، ذلـك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم.

قال جرجس سال في كتابه (مقالة في الإسلام) صفحة ٧٥:
(إن محمداً رسـول الإسـلام كـان صـالح الاخـلاق ولـم يكـن علـى الشـر والخبـث كمـا يصفه به خصومه). ثم مضى يقول:
(قـال جيبـون: عقيـدة محمـد خالصـة لـيس فيهـا لـبس ولا إبهـام، والقـرآن شـاهد عـدل وبرهان قاطع على وحدانية الله سبحانه.
لقد هجر نبي الإسلام عبادة الأصنام والبشر، سواء أكانوا من النجوم أم من الكواكـب السيادة، أم مـن غيـر ذلـك، بنـاء علـى القاعـدة العلميـة الصـحيحة وهـي: إن كـل قابـل للتلاشـي لا بـد أن يبيـد ويفنـى، وكـل مولـود لا بـد أن يمـوت، وكـل بـازغ لا بـد لـه مـن أفول.
كانت لمحمد حماسة حكيمة، اعترف بمبدع هذا الكون، وعبده علـى عقيـدة أنـه أبـدي غيـر محـدود، بـلا صـورة، ولا مكـان ولا ولـد، ولا شـبيه، يعلـم خطايـا الأفكـار وأسـرار القلوب، وجوده من نفسه، وصفاته وعلمه وكماله من نفسه).
وفي الختام قال:
(وهذه الحقائق السامية مبنية على وجه معقول بغاية الإحكام فـي تـراجم القـرآن، فكـل مـن يـؤمن بـالله إيمانـا علميـا فلسـفيا، قـادر علـى أن يشـارك المحمـديين فـي اعتقـادهم المقبول).

المستر جان ليك ـ الإسباني ـ قال في كتابه ـ العرب ـ صفحة ٤٣:
ما أجمل ما قاله المعلم العظيم (محمد) (الخلـق كلهـم عيـال الله وأحـب الخلـق إلـى الله أنفعهم لعياله) ثم أطال في الثناء على الرسول . ألـيس مـن المعجـزات البـاهرات، أن محمـداً بـالقوة الأدبيـة، وبلفـظ واحـد جعـل الصـادقين مـن أتباعـه فـي حـرز مـن شـر المسكرات جيلاً بعد جيل، فسلم من هذا الشر مئـات الملايـين مـن البشـر، حيـاة محمـد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله نفسه بألفاظ قليلة، بيّن بهـا سـبب بعثة النبي محمد (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).
وقـد بـرهن بنفسـه علـى أن لديـه أعظـم الرحمـات لكـل ضـعيف، ولكـل محتـاج إلـى المسـاعدة، كـان محمـد رحمـة حقيقيـة لليتـامى والفقـراء وابـن السـبيل والمنكـوبين والضعفاء والعمال وأصحاب الكد والعناء، وإني بلهفة أصلي عليه وعلى أتباعه.
العلامة كارل هيرنش بكر ـ الألماني ـ قال في كتابه ـ الشرقيون ـ :
لقد أخطأ من قال أن نبي العرب دجال أو ساحر لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمداً جدير بالتقدير، ومبدؤه حري بالاتباع وليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وأن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال، كما أننا لا نرى أن الديانـة الإسـلامية بعيـدة عن الديانة المسيحية.

....

قالت مجلة الأزهر الصادرة في أيار سنة ١٩٥٢ عن الكولونيل ر. ف. بودلي - الإنكليزي ـ وعن كتابه "حياة محمد" أو "الرسول"

لقد لخص بودلي في كتابه حياة محمد عقيدة الإسلام بأنها دعوة إلى السلام وإلى التسليم بإرادة الله والإيمان بوحدانيته، حيث قال:

إن من أعظم الكبائر في نظر الإسلام الشرك بالله. وقال: إن محمداً لم يدع لنفسه صفة إلهية وإنه صرح كثيراً بأنه بشر يوحي إليه، وإن السبب في سرعة انتشار الإسلام عن غيره من الأديان، هو عدم ادعاء النبي صفة إلهية، وعدم دعوته إلى عبادة شخصه، وكذلك تسليم القرآن بصحة الديانات المنزلة من قبل. ثم أنحى بودلي باللائمة على المتعصبين من الكتاب وما راحوا يروجونه من أباطيل وسخافات عن الإسلام منذ الحروب الصليبية، وعزا إليهم أنهم لم يفهموا محمداً وشريعته، ثم لخص عقيدة الإسلام بأنها دعوة إلى الإسلام وإلى التسليم لإرادة الله والإيمان بوحدانيته.

وقال هو في كتابه السابق ص ٦: "لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير ، ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض".

وقال عن زواج النبي بعائشة " ولكن هذا الزواج شغل بعض مؤرخين لمحمد ... نظروا اليه من وجهة نظر المجتمع العصري الذي يعيشون فيه فلم يقدروا ان زواجا مثل ذاك كان ولا يزال عادة اسيوية ولم يفكروا في ان هذه العادات لا زالت قائمة في شرق اوروبا وكانت طبيعية في اسبانيا والبرتغال الى سنين قليلة وانها ليست غير عادية اليوم في بعض المناطق الجبلية البعيدة بالولايات المتحدة"

قال مصطفى غفر الله له:

ولد بفرنسا من أبوين انجليزيين وهو حفيد توماس بودلي مؤسس المكتبة البودلية في أكسفورد، ومن أراد أن يتعرف على بعض سيرة المؤلف ولقائه بلورانس العرب، فليرجع إلى كتاب ديل كارنيجي "وقف القلق وابدأ الحياة"، باب "لقد عشت في حديقة الله" والذي كتب الشيخ الغزالي كتابه "جدد حياتك" مناقشا لديل كارنيجي فيه ، وقد رد الشيخ كل النتائج التي توصل إليها ذلك المؤلف إلى أصولها الإسلامية وبين له أن ما ذكره، قد سبقه إليه الإسلام بقرون.

استفدت ذلك من هذا الرابط، والقصة فيه:

http://www.suhuf.net.sa/٢٠٠١jaz/mar/٢ar/١htm.

أما تعليقي فهو مستفاد من قراءتي لكتاب "جدد حياتك للغزالي"

ـ قال: المستر داز الإنكليزي قال في كتابه "مع الشرق والغرب" :

كان محمد زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً، اقرأ ما جاء في أحاديثه تعرف صدق أقواله ويكفي أن قوله المأثور عنه (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) هو الأساس الذي بني عليه علم الصحة، ولا يستطيع الأطباء على كثرتهم ومهارتهم حتى اليوم أن يأتوا بنصيحة أثمن من هذه.

وقال في نفس الكتاب: إن محمداً هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تزيد على ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم، وأن يحدث ذلك الانقلاب المدهش، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها، واشتهرت بالشجاعة والغزو

ورباطة الجأش والأخذ بالثأر، فمن الذي يظن أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هي من عند غير الله.

وقال المستشرق ادوارد مونتيه أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف قال في كتابه (حاضر الإسلام ومستقبله):

أما فكان كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفة الغالبة عليه هي صحة الحكم، وصراحة اللفظ والاقتناع التام بما يقبله ويقوله، إن طبيعة الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه القصد ، بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص، فقد كان مصلحاً دينياً، ذا عقيدة راسخة ولم ينهض إلا بعد أن تأمل كثيراً، وبلغ من الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة، التي جعلته من أسطع أنوار الإنسانية، وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه، كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا كباراً جداً في تاريخ قومهم، ولقد جهل كثير من الناس وبخسوه حقه، وذلك لأنه من المصلحين الذي عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها.

قال اللورد هدلي (إنكلترا) ولد سنة ١٨٥٥، وكان من أكبر شخصيات الأشراف البريطانيين، وكان سياسياً ومؤلفاً، ومن مؤلفاته (رجل من الغرب يعتنق الإسلام)، وقد أعلن إسلامه سنة ١٩١٣، وأصبح اسمه الشيخ رحمة الله الفاروق.

(.. والأنبياء والرسل قوم اصطفاهم الله واختارهم وفضلهم على الناس، وبعثهم إليهم مبشرين ومنذرين كما يقول القرآن الكريم: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل). وقد تحققت بعد طول البحث والاستقراء أن محمداً نبي الإسلام لم يكن مدعياً ولا دجالاً كما يدعيه خصومه، ولكن كان رسولاً نبياً جاء برسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين، أوحى الله بها، وكلفه بتأديتها فجاءت مخففة لصرامة التوراة ومكملة لكتاب المسيح عليه السلام).

......ولقد كتب مستر يورث سميث أحد كتاب المسيحيين رسالة جاء فيها: إن محمداً كان موفقاً عظيماً فريداً في بابه لم يحدثنا التاريخ عن مثله، فقد جمع بين زعامات ثلاث، هي زعامة الشعب وزعامة الدين، وزعامة الحكم والسلطان، وجاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادات وهو الآن موضع احترام أكثر من سدس العالم..)اهـ

ويقول " باسنتا كومار بوز " في كتاب " المحمدية " طبعة كلكتا (١٩٣١) ص ٤ :

" فلم يكن هناك مجال لأي تزييف أو حيلة كاذبة في القرآن وهذا ما يميزه عن جميع الأعمال الدينية الهامة تقريبا التي ترجع إلى الأزمنة القديمة ..

إنه لأمر بعيد جدا أن يكون هذا الإنسان الأمي قد ألف أفضل كتاب في اللغة العربية "

وتقول بيانكا سكارسيا في (العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية) ص ٢١٤:

"عمل الاستشراق لصالح الاستعمار بدلاً من إجراء التقارب بين الثقافتين . إن إنشاء هذا العلم لم يكن إلا من أجل تقديم أدوات للاختراق أكثر براعة ، فهناك فعلاً عملية

ثقافية مستترة ماكرة ومرائية ، وهذا ما يفسر ريبة المسلمين حيال كل ما يقال عنهم في الغرب".

وقال (أميل دير مانجم) في كتابه (حياة محمد):

"إن محمدا لم يكن شخصيا إلا رجلا أميا خلوا من الثقافة تقريباً كجميع بني بلدته في عصره، ولكنه كان يعلم أن الإله رحيم رحمة لا حدّ لها، فاجهد نفسه في أن يعلو على الطبيعة البشرية، وأن يقهر في نفسه الميول الانتقامية"

ثم قال: "إن إخلاص محمد لا يمكن أن يكون في العصر الحاضر موضع شك، فإن حياته كلها تشهد أنه كان يؤمن برسالته إيمانا عميقا، وأنه تقبلها –لا بغير بطولة- كعبء يجب عليه أن يتحمل ثقل أوزاره".

وقال: "إن قوة عبقرية محمد الإنشائية واتساعها، وذكاءه العظيم ونظره الصائب إلى الحقائق، وسيادته لنفسه، وقوة إرادته، وحكمته واستعداده للعمل، وحياته الواقعية، كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ رسالته يستحيل القبول. فكيف يتصور أن ينقلب كاذبا فجأة، ذلك الذي كان نجاحه يظهر له كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعواه، وكيف يمكن أن يجرأ على تشويه رسالته في الوقت الذي كان يرى فيه أنها مقدسة مؤيدة من الإله".

وقال: "وهكذا نهض محمد رسول الإسلام ليدعو بني جنسه إلى دين واحد هو دين الإله الواحد، وليوقظ جزءا من آسيا وأفريقيا، وليحرر من عبودية الجامدين كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية، ولكي يحرر فارس التي كان النعاس يشملها، ولينعش المسيحية الشرقية التي شوهتها المجادلات البيزنطية الخالية من الحماسة، ومن الاعتقاد المجرد من الوحدة".

وقال: "إن محمدا كان يجهل كل ما ليس علما مطلقا، وكان أمياً بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، وليس معناها، فيما أرى، العامية أو الخلو عن التأدب، وإنما الأمي هو بالأحرى الرجل النقي الذي جمع بين الطبيعة وما فوق الطبيعة، والبرئ من الأحكام المتسرعة، ومع ذلك فقد نهض لكي يدعو العلماء إلى أن يفهموا ما يقولون، وليقوّم الطرق الملتوية التي يضل فيها من يزعمون أنهم حكماء".

ثم قال: "إن الناس حالة سماعهم خطب محمد المهمة، وكتاباته الملتئمة مع عصره، قد أحسوا بجاذبية تصلهم بالسر الخفي الذي يقودهم إليه، فخضعوا للإله، فرأوا كيف يستطيعون أن يهذبوا وجودهم المؤقت، وهكذا وجدوا فيه مثالا حياً لا يستطيع الفلاسفة ولا رجال الحكومة أن يقدموه".

"إن محمداً رسول الإسلام قد أوجدت دعوته في جزيرة العرب تقدماً غير قابل للاعتراض، سواء أكان ذلك في دائرة الأسرة أم في دائرة المجتمع أم الناحية الصحية، وإن حظ المرأة قد تحسن، وإن الفحش والزواج المؤقت، والمعاشرة الحرة (الزنا) قد حظرت وقد حرم ايضاً إكراه الإماء على أتخاذ الفحش وسيلة لثراء مواليهن، كما كان متبعاً في ذلك العهد "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً" القرآن.

ثم قال : "إن محمداً قد أباح الرق، ولكنـه نظمـه، وضـيق حـدوده، وجعـل العتـق عمـلاً خيراً، بل كفارة عن بعض المعاصي"
ثم قال "إن الغنائم الحربية كانت في ذلك العهد، النتيجـة العاديـة لكـل جهـاد، بـل يمكـن أن يقال: إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان هي الصناعة الوطنية العربيـة، فـأعلن محمد رسول الإسلام إباحتها لأتباعه استجابة لضعفهم، ولكنـه حـددها بقواعـد دقيقـة، فخصص الجزء الاكبر منها للصدقات ولحاجات الجيش كما أنـه قـد حظـر فـي قسـم الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم".
وفي الختام قال: "إنه لم يكن ليستطيع أن يغير أخلاق شعبه تغييراً تاماً، ولكنـه نجـح في أن يقومها في نقط كثيرة".

يقول المستشرق النمساوي " ليوبولد فايس"
"إن أوربا لتعرف هذه الحقيقة حق المعرفة لأن ثقافتها هي نفسها مدينة للإسلام بتلـك النهضة على الأمل بعد قرون من الظلام الدامس .... ولم يقف الإسـلام يومـاً سـدّاً فـي وجه التقدم العلمي ، إنه يقدر الجهود الفكرية في الإنسان إلى درجة يرفعـه فيهـا فـوق الملائكة وما من دين ذهب أبعد من الإسلام في تأكيد غلبـة العقـل وبالتـالي غلبـة العلـم على جميع مظاهر الحياة."
"إن كل ما كان في الإسلام تقدماً وحيويةً، أصبح بين المسلمين اليوم تراخياً وركـوداً، وكل ما كان في الإسلام من قبل كرماً وإيثاراً، أصبح بين المسلمين ضيقاً فـي النظـر، وحباً للحياة الهينة".
ويقـول أيضـاً: "تحققـت أن هنـاك سـبباً واحـداً للانحـلال الاجتمـاعي والثقـافي بـين المسلمين، ذلك السبب يرجع إلى الحقيقة الدالـة علـى أن المسـلمين أخـذوا شـيئاً فشـيئاً يتركون اتباع روح تعاليم الإسلامية".
"كنت كلما ازددتُ فهماً لتعاليم الإسلام وعظيم أحكامـه ومبادئـه، ازددت رغبـة فـي التساؤل عمّا دفع المسلمين إلـى هجـر تطبيقهـا تطبيقـاً تامّـاً فـي حيـاتهم اليوميـة... لقـد ناقشـت هـذه المشـكلة مـع كثيـر مـن المسـلمين المفكـرين فـي جميـع الـبلاد، ثـم زادت رغبتي في ذلك بشدة، حتى أني ـ وأنا غير المسلم ـ أصبحت أتكلم إلى المسلمين مشفقاً على دين الإسلام من إهمال المسلمين أنفسهم وتراخيهم".

قال المستر جيبـون في كتاب (محمد في الشرق)، ص ١٧:
إن دين خال من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله، بعد أن نهـى محمد عن عبادة الأصنام والكواكب. وبالجملة دين محمد أكبـر مـن أن تـدرك عقـولنـا الحالية أسراره، ومن يتهم محمداً أو دينه فإنما ذلك من سوء التدبر أو بدافع العصبية، وخير ما في الإنسان أن يكون معتدلاً في آرائه، ومستقيماً في تصرفاته.

ويقول " تشارلز فرانسيس بوتر " في كتاب " الأديان التي يحيى بهـا البشـر " . نشـر كينجزوود ، سرى (١٩٥٥) ص ٨١ :
" إن القرآن هو الأكثر قراءة من أي كتاب آخر في العالم "

وقال: "قد يكون الكتاب المقدس المسيحي أكثر الكتب مبيعا في العالم، ولكن هناك حوالي ٢٥٠ مليون مسلم من أتباع النبي محمد يقرأون أو يتلون أجزاء طويلة من القرآن خمس مرات يوميا في كل يوم من أيام حياتهم من يوم استطاعتهم الكلام ".
يقول الفيلسوف الإنكليزي توماس١٧٩٥-١٨٨١م:
"ما كان محمداً أخا شهوات برغم ما اتهم ظلماً وعدواناً وما أكثر ما نجور ونخطىء إذا حسبناه رجلاً شهوانياً لا هم له إلا قضاء مآربه الملاذْ كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ مهما كانت" نقلا عن" الإسلام بين الإنصاف والجحود" لمحمد عبد الغني حسن
ويقول :
"الحق أقول لقد كان أولئك العرب قوماً أقوياء النفوس كأن أخلاقهم سيول دفاقة لها شدة حزمهم وقوة إرادتهم أحصن سور وأمنع حاجز وهذه وأبيكم أم الفضائل وذروة الشرف الباذخ وقد كان أحدهم يضيفه ألد أعدائه فيكرم مثواه (ونحن نعلم أن صلاح الدين الأيوبي أرسل طبيبه الخاص لمداواة ريتشارد قلب الأسد قائد الحملات الصليبية على المسلمين وبيت المقدس عندما علم أنه مريض) وينحر له فإذا أزمع الرحيل خلع عليه وحمله وشيعه ثم هو بعد كل ذلك لا يحجم عن أن يقاتله متى عادت به إليه الفرص وكان العربي أغلب وقته صامتاً فإذا قال أفصح إني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت ، يسكت حيث لا موجب للكلام" من كتاب "محمد المثل الأعلى" لتوماس كار ليل
وقال: من الشبهات التي يثيرها بعض المسيحيين هي : أن النبي قام بنشر الدين الإسلامي بقوة السيف وهذا القول بعيد كل البعد عن الصواب لأن الذين يدعون ذلك عليهم أن يتدبروا قليلاً ، فلابد أن يكون هناك سر في هذا السيف الذي خرج في جزيرة العرب ووصل بأيدي القادة المسلمين إلى جبال (إسبانيا) غرباً ، وإلى (سمر قند) شرقاً.
فما هو هذا السر ؟
بلا شك أن السر في ذلك يقود إلى الشريعة الإلهية التي جاء بها النبي محمد ، تلك القوة العظمى التي دفعت بعبدة الأصنام والأوثان في جزيرة العرب إلى القبول والإذعان بهذا الدين الذي جاء بالقوانين الإلهية التي وضعها الحكيم العليم ، والتي تضمن سعادة الإنسان ورقيه .
والمسألة الأخرى التي نلفت الأنظار إليها هي أن الإسلام عنما انتشر شرقاً وغرباً كان قد قضى على جميع العقائد والمذاهب الباطلة ، لأنه كان حقيقة ثابتة نابعة من صميم الإنسان ، وما غيره من الطرق والمذاهب مزيف لا ينسجم مع الطبيعة الإنسانية كما هو زائل أو في طريقه إلى الزوال .
وقال: وينعى صاحب كتاب "الأبطال" توماس كارليل على قومه عداوتهم لمحمد وجهلهم بحاله فيقول: (لقد أصبح من العار على أي فرد من أبناء العصر أن يصغي إلى ما يقال: من أن الدين الإسلامي باطل، وأن محمداً خداع ومزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من تلك الأقوال السخيفة المخجلة. فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرناً.

وقال: إن أقوال أولئك السفهاء من المستشرقين في محمد ، إنما هي نتائج جيل كفر ، وعصر جحود وإلحاد ، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر ، وموت الأرواحز اهـ من كتاب آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب" أنور الجندي ص٥١

قال مصطفى غفر الله له:

التقى السيد أحمد خان المصلح الهندي ت ١٨٨٩م، بتوماس كارلاييل عندما سافر إلى لندن صحبة ابنه محمود سنة ١٨٦٩م، لإلحاقه بالجامعة، وفي الوقت نفسه لجمع مادة علمية يستعين بها في الرد على كتاب السير وليم ميور "حياة محمد" الذي شحنه بالافتراءات على النبي

وأثر ذلك اللقاء كثيرا في توماس كارلايل حيث حدث السيد أحمد كثيرا عن سيدنا محمد مما جعل توماس يكتب فصلا خاصا بالنبي في كتابه "الأبطال"

استفدت هذه المعلومة من هذا الرابط:

.SHTML٣٥http://www.islamonline.net/Arabic/hi...rticle

وقال شبلي شميل وهو من أصل مسيحي قال في عدد يناير من (مقتطف) سنة ١٩١٠ ما نصه : "خذ مثالاً شريعة القرآن فإنها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية العملية المستوفاة التي ترعى إلى أغراض دنيوية حقيقة يعني أنها لم تقتصر على الأصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع بل اهتمت اهتماماً خاصاً بالأحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات أيضاً، وهي من هذه الجهة شريعة علمية مادية" .د

يقول المؤلف الكبير ماكس فان برشم في مقدمة كتابه "العرب في آسيا"

"إن محمداً نبي العرب من أكبر مريدي الخير للإنسانية، إن ظهور محمد للعالم أجمع إنما هو أثر عقل عال وإن افتخرت آسيا بأبنائها (١) فيحق لها أن تفتخر بهذا الرجل العظيم، إن من الظلم الفادح أن نغمط حق محمد الذي جاء من بلاد العرب وإليهم، وهم على ما علمناه من الحقد البغيض قبل بعثته، ثم كيف تبدلت أحوالهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية بعد إعلانه النبوة، وبالجملة مهما ازداد المرء اطلاعاً على سيرته ودعوته إلى كل ما يرفع من مستوى الإنسانية، أنه لا يجوز أن ينسب إلى محمد ما ينقصه ويدرك أسباب إعجاب الملايين بهذا الرجل ويعلم سبب محبتهم إياه وتعظيمهم له".

----

(١) قال: الحق أن محمداً هو فخر للإنسانية جمعاء وهو الذي جاءها يحمل إليها الرحمة المطلقة فكانت عنوان بعثته (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

يقول (ارنيست رينان) :

إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا في كل شيء وأن (سان توما الأكويني) مدين في جميع فلسفته لابن رشد ، إن راهباً دينياً أوربياً هو الكاردينال " أكزيمنيس" شارك

في أكبر جريمة ضد المعرفة بإصداره أمراً بإحراق كتب المسلمين في غرناطة في أعقاب سقوط الفردوس الإسلامي هناك وكان المرسوم الذي أصدره يقضي بإحراق ثمانين ألف مخطوطة عربية في الأماكن العامة بغرناطة

وقال: إن تياراً رشدياً سريا في الجامعات الفرنسية إبان عصر النهضة يقوم على العقل وشروح (آفيروس) ابن رشد لأرسطو ..وقد عرف العالم فضله في الوقت الذي كان ينكره ولا يعرفه فيه العرب

قال مصطفى غفر الله له:

توما الأكويني هو الإيطالي المشهور صاحب نظرية السيفين أو الولاء المزدوج

من أهم كتب أرنست رينان : ابن رشد والرشدية،

وقد سبق أن قال: إن الإسلام قد دخل السربون من أوسع أبوابه، (يقصد بذلك مترجمات كتب ابن رشد(

قال ادوارد لين الإنكليزي في كتابه " أخلاق وعادات المصريين":

إن محمداً كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى أن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، كيف لا، وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد من يصافحه حتى ولو كان يصافح طفلاً، وأنه لم يمر يوماً من الأيام بجماعة رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرأهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وقد كان محمد غيوراً ومتحمساً، وكان لا يتنكر للحق ويحارب الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يريد أن يؤدي رسالته على أكمل وجه، كما أنه لم ينس يوماً من الأيام الغرض الذي بعث لأجله، ودائماً كان يعمل له ويتحمل في سبيله جميع أنواع البلايا، حتى انتهى إلى إتمام ما يريد. اهـ

- ويقول " دو لاسي أوليرى " في كتاب " الإسلام في مفترق الطرق " طبعة لندن (١٩٢٣) ص ٨ :

" وبالرغم من ذلك فقد أوضح التاريخ أن الأسطورة القائلة باجتياح المسلمين المتعصبين للعالم وفرضهم الإسلام على الأجناس المقهورة تحت تهديد السلاح ، هي إحدى كبرى الأساطير أو الخرافات الخيالية ، التي رددها في أي وقت المؤرخون ، سخافة ومنافاة للعقل " .

قال ساديو لويس الفرنسي

"لم يكن محمد نبي العرب بالرجل البشير للعرب فحسب بل للعالم، لو أنصفه الناس، لأنه لم يأت بدين خاص بالعرب، وأن تعاليمه الجديرة بالتقدير والإعجاب تدل على أنه عظيم في دينه، عظيم في أخلاقه، عظيم في صفاته، وما أحوجنا إلى رجال للعالم أمثال محمد نبي المسلمين."

قال القس ميشون الألماني في كتابه "سياحة دينية في الشرق" صفحة ٣١:
"إنـه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد "

ويقول " هاملتون جب " في كتاب " المحمدية " طبعة لندن (١٩٥٣) ص ٣٣ :
" إذن لو كان القرآن من تأليف محمد لكان من الممكن أن ينافسه ويضارعه رجال آخرون . وليأتوا بعشر آيات من مثله مفتريات . وإذا لم يستطيعوا (ومن الواضح أنهم لم يستطيعوا) فليقبلوا القرآن كمعجزة وبرهان ظاهر " .
قال الدكتور ليتنز في موضوع له في مجلة المقتطف المجلد الخامس الجزء ٤ :
إن محمداً، نبي وقد أوحى الله إليه، ومرة أوحى إليه وحياً شديد المؤاخذة، لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى، ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود، ولتركته العصور التي مرت عليه أنقاضاً.
يقول جولد تسيهر Goldziher المستشرق اليهودي المجري:
"إن الشجاعة الفردية ، والكرم العظيم والبذخ والإسراف في تكريم الضيف والانتصار لذوي القربى والأخذ بالثأر بلا شفقة أو رحمة إذا وقع اعتداء على شخصه أو على عشيرته كانت أبرز فضائل الجاهلية ، أما في الإسلام فنجد الصبر والاحتمال وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة شخصية كانت أو قبليه نجد عدم الاكتراث بالأمور الدنيوية والأعراض الزائلة وتجنب الرياء والفخر وغير ذلك مما جاء به الإسلام وكانت هذه الفضائل كفيله بأن تدفع المسلمين على احتقار هذه المثل العليا للجاهلية
وقال في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام":
"كانت الهجرة إلى المدينة تحولا كبيرا في سياسة الرسول فقد أصبح محمد -بعد الهجرة- مجاهداً وغازياً، ورجل دولة، ومنظم جماعة جديدة أصبحت تتسع وتنمو شيئاً فشيئاً، وعندئذ اتخذ الإسلام شكله النهائي، وعندئذ ظهرت البذور الأولى لنظامه الاجتماعي والفقهي والسياسي"

.
ثم قال: (في مكة كان الرسول يدعو إلى تعاليم دينية في جماعة صغيرة، أما في المدينة فقد ظهر الإسلام نظاماً له طابع خاص، وله في الوقت نفسه صورة الهيئة المكافحة. وفي المدينة قامت طبول الحرب التي تردد صداها في جميع أزمنة التاريخ، وصار محمد ينظم أعمالاً حديثة، فأصبح ينظم طرق توزيع الغنائم، وينظم المواريث، ويشرع القوانين، ويضع أسس أمور الدين العملية وأهم احتياجات الحياة الأجتماعية، وفي المدينة رسمت الخطوط الرئيسية لحياة الإسلام التاريخية، وبدأ محمد مع الصحابة رضي الله عنهم تحقيق حياة مطابقة لما جاء به من دين ومذهب".
قال مصطفى غفر الله له:

إن جولد زيهر هذا قال في الكتاب نفسه أباطيل رد عليها الشيخ الغزالي في كتاب "دفاع عن العقيدة والشريعة"

وهذا المستشرق من الذين بدا حقدهم الدفين على الإسلام وله كتاب "دراسات في الحديث النبوي" قال فيه أن أحاديث النهي عن كتابة الحديث قد أتى بها الفقهاء، كما أن أحاديث جواز كتابته جاء بها المحدثون، يقصد أنهم وضعوها. مع أن حديث أبي سعيد الخدري في النهي هو في صحيح مسلم كالشمس في وضح النهار. وأحاديث جزاز الكتاب أكثر من أن تحصى.

وله كتاب "دراسات محمدية"

وكان من الذين قالوا بأن محمدا هو الذي جاء بمذهب الإسلام

وقال إن التشيع بدأ بعد موت المبي مباشرة وبالضبط بعد حادثة السقيفة كما في العقيدة والشريعة ص١٧٤

وكان أستاذا من أساتذة طه حسين الذين علموه، ومن أساتذته أيضا عالم الاجتماع دوركايم اليهودي.ومن أساتذته مرجليوث اليهودي الإنجليزي وغيرهم، نعم المشايخ ؟؟؟ !!

وقال إن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني، وقال بذلك كثيرون أمثال:فون كريمر، وشيلدون آموس وغيرهم.

تنبيه

لا تظنوا أحبتي الكرام أن كل المنقول عنهم هم من الموضوعيين والعقلاء، بل منهم:

من هو حاقد كما بينت كبرنارد لويس، وجولد تسيهر، وهاملتون جيب ودوركايم والسير موير وغيرهم وكلهم يهود

ومن هو متردد كفرونسوا فولتير الذي اختلفت تصريحاته، وجوستاف لوبون، وغيرهم

وبين موضوعي منصف كويل ديورانت وتوماس أرنولد وأرنولد توينبي، زيجريد هونكي وآنا ماري شيمل الألمانيتين وبوجينا غيانة ستجشيجيفسكا البولونية ومارسيل بوازار وغوته وغيرهم

فلا تظنوا أن كل ما نقلنا عنه هو من المنصفين، وإنما هي عبارة في ثنايا كلامه تأدي مقصودنا فننتزعها من الحاقدين منهم انتزاعا.

يقول أليكسي جورافيسكي في كتابه: "الإسلام والمسيحية"ص ١٠٥

: "إن الأغلبية المطلقة من المستشرقين لم يتخلصوا من المواقف المعادية للإسلام".

يقول فرونسوا فولتير كما جاء في قاموسه الفلسفي (٤/٦)

"قانون يحرّم عليكم الطعام والشراب طوال النهار في شهر الصيام .. إذا فرض عليكم الحج في صحراء محرقة.. إذا فُرض عليكم إعطاء ٢,٥ % من مالكم للفقراء .. إذا حُرِّم عليكم شرب الخمور ولعب الميسر .. إذا كنتم تتمتعون بزوجات تبلغ ثماني عشرة زوجة أحياناً، فجاء من يحذف أربع عشرة من هذا العدد ، هل يمكنكم الادّعاء مخلصين بأن هذه الشريعة شريعة لذّات ؟"

وجاء في كتاب "دفاع عن الإسلام" للمستشرق : فاغليري ترجمة منير بعلبكي
ويقول "هنري دي شاميون" تحت عنوان "الانتصار الهمجي على العرب" لولا انتصار جيش "شارل مارتل" الهمجي على العرب في فرنسا في معركة (تور) على القائد الإسلامي "عبد الرحمن الغافقي" لما وقعت فرنسا في ظلمات العصور الوسطى . ولما أصيبت بفظائعها ولما كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني- ولولا ذلك الانتصار البربري لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون بينما كنا مثال الهمجية"

رجوعا إلى هـ. ج. ويلز وكتابه "معالم تاريخ الإنسانية"
يقول "كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط. ولم أجد ديناً يسير مع المدنية أنى سارت سوى دين الإسلام".

ويقول مرماديوك باكتول:
"إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً ، إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول .لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام حضارتهم"
عن كتاب "الرعب من الإسلام" لسعيد جودت ص ١٩-٢٣، وذكر ذلك غوستاف لوبون في كتابه "حضارة الإسلام".

ويقول " جون أوستن " في مقال له بعنوان " محمد نبي الله " في مجلة ت. ب. وكاسل الأسبوعية في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧ بعد المسيح :
" لقد أصبح محمد بالفعل في خلال ما يربو قليلا عن العام ما يمكن أن نسميه بالحاكم الروحي والدنيوي للمدينة ، ويده على الرافعة التي كان مقدر لها أن تهز العالم " .

وقال المسيو جان سبيرو السويسري:
"إنه مهما زاد الإنسان اطلاعاً على سيرة محمد النبي لا بكتب أعدائه وشانئيه بل بتأليفات معاصريه، وبالكتاب والسنة، إلا وأدرك اسباب إعجاب الملايين من البشر في الماضين وحتى الآن بهذا الرجل، وفهم علة تفانيهم في محبته وتعظيمه".
يقول " جون وليام دريبر " الحاصل على دكتوراة في الطب والحقوق في كتابه " تاريخ التطور الفكري الأوروبي " . طبعة لندن (١٨٧٥) المجلد الأول، ص ٢٢٩ و ٢٣٠:
" ولد في مكة بجزيرة العرب عام ٥٦٩ بعد المسيح ، بعد أربع سنوات من موت جوستنيان الأول ، الرجل الذي كان له من دون جميع الرجال ، أعظم تأثير على الجنس البشري .. وهو محمد " -----------
يقول المؤرخ الإنكليزي "جون دوانبورت" :

"أعتذر عن التصورات والأحكام التي كانت شائعة في الغرب حول نبي الإسلام"
عن "محمد في الآداب العالمية المنصفة " محمد عثمان ص: ١١٧.
وقال:
"لو لم تقم في جنوب أوروبا الحضارة الأندلسية العربية، لظلت هذه القارة تسبح مع شعوبها المختلفي النحل والنزعات في حلك من ظلمة الجهل والبداوة، ولما ظهر للمدنيّة الأوربية الحالية أثر في الوجود"

وروى جون دوانبورت في كتابه "العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى" هذين الرسالتين من جورج الثاني ملك انجلترا إلى الخليفة الأندلسي هشام الثالث ، والجواب عليها.

رسالة الملك الإنكليزي جورج الثاني

من جورج الثاني ملك إنكلترا والغال والسويد والنروج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام:

بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقيّ العظيم الذي تتمتع بفيضه الضافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أربعة أركانها. وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات أشراف الإنكليز، لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف، وتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وفي حماية الحاشية الكريمة، والحدب من قبل اللواتي سوف يقمن على تعليمهن، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها، مع التعظيم والحب الخالص.

من خادمكم المطيع

جورج. م . أ

جواب الخليفة الأندلسي هشام الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين وبعد:

إلى ملك إنكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجلّ

اطلعت على التماسكم، فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه نعلمكم أنه سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين، دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي. أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد، وبالمقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية، وهي من صنع أبنائنا، هدية لحضرتكم، وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاتتنا ومحبتنا، والسلام.

خليفة رسول الله في ديار الأندلس

هشام

الرسالتان مستفادتان من هذا الرابط:

http://www.geocities.com/nassershamali/new_page_٩١.htm

زار الفيلسوف "أونكيست كونت" مصر بعد أن كان يكره الإسلام ويطعن فيه، فهنا تأثر ببعض علمائها، فأقام في الأندلس لدراسة الإسلام والسيرة النبوية، وبعد ذلك اتجه إلى روما، وذهب إلى مكتبة الفاتيكان فطالع ما فيها من كتب عن الموضوع، وهنالك غير رأيه في النبي صلى الله عليه وسلم وآثاره، ولكنه لم يتقبل أمية النبي حتى سأل البابا بولوس التاسع عن صدق ما تدعيه التواريخ العربية من ذلك فأجابه البابا نعم إنه كان أمياً فلطم الفيلسوف وجهه، وقال: واخجلتاه منك يا محمد إنني ظلمتك فالويل كل الويل لك يا أوغست .... إلا أنني أقر وأعترف بأن محمداً أصغر من إله ولكنه بكل حال أسمى من البشر."اهـ
وقال: "أخذت مبادئ التنكرية العقوقية تضمحل في بعض أرجاء أوربا بعد ظهور العربية الإسلامية في الأندلس التي سطع إشراقها من وراء جبال البيرنه إلى أواسط فرنسا، فتناول طلاب التجدد التعاليم الاجتماعية البارعة التي انبثقت عن الحضارة العربية العظيمة وأخذوا في تبنيها، فأيقظت فيهم رويداً رويداً شعور مكافحة التنكر والغرور، واستبدلوها بطلب التجدد، وظلت هذه الميول تختمر في الرؤوس حتى ظهرتْ بوادر الثورة الفرنسية الثانية، وأعقبتها الثورة الثالثة • وماهَلّت طلائع القرن التاسع عشر حتى تسربتْ تعاليم الروح الاشتراكية إلى المجتمع الأوربي، وكان ذلك أول تقليد شريف للعرب والإسلام تجلببتْ به أوربا لتخطو خطواتها الكبرى في سبيل تنظيم حياة شعوبها السياسية والاقتصادية والإجتماعية"اهـ

ويقول رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) الذي يعتبر أو يعتبره الفرنسيون أباً للفلسفة الحديثة في "مقالة الطريقة":
"نحن والمسلمون في هذه الحياة .. ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية والمحمدية ، ونحن لا نعمل بالثانية، ولو أنصفنا لكنا معهم جنباً إلى جنب لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان"

وقال البطريرك "عيشويابه" ٦٦٥ هـ
"إن العرب الذي مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا بعدالة كما تعرفون أنهم ليسوا أعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قديسنا ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديارنا".

ويقول دينونبورت في كتابه "اعتذار إلى محمد والإسلام" :
"إن من الحماقة أن نظن أن الإسلام قام بحد السيف، فإن هذا الدين يحرم سفك الدماء، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقد أمر بالشورى ونهى عن الاستبداد، ومنح الإنسان حقوقه المدنية، ولتتذكر أوروبا أنها مدينة بحضارتها للمسلمين أنفسهم."

قال الإنجليزي مافيز جولي
"لقد رأيت الإسلام يقرر أن الرسل رجال لم يتدنسوا بالخطايا، وأن الوحي ليس شيئاً جديداً، فقد أنزل على أنبياء اليهود من قبل، وأن عيسى كان هو الآخر رسولاً غير

أن لغزاً ظل يراود فكري لماذا لا ينزل الوحي على رسل في القرن العشرين ؟!
وكانت الإجابة أن أتدبر ما قرره القرآن الكريم أن محمداً رسول الله وخاتم النبيين.
وكان رداً مفحماً تماماً، إذ كيف يتأتى أن يرسل الرسل بعد محمد والقرآن المجيد هو الكتاب الشامل الذي جاء تبياناً لكل شيء ومصدقاً لما بين أيدينا، وهو باق ثابت إلى الأبد بلا نسخ ولا عبث، كما يقرر القرآن ويؤكد الواقع إنا نحن نزلنا الذكر -أي القرآن- وإنا له لحافظون . لا شك أنه ليس هناك من داع بعد ذلك إلى رسل ورسالات"
رجوعا إلى بوسورث سميث وكتابه "محمد والمحمدية"

قال: "كان محمد في وقت واحد مؤسساً لأمة، ومقيماً لدولة، وبانياً لدين وهو وإن كان أمياً فقد أتى بكتاب يحوي أدباً وقانوناً وأخلاقاً عامة، وكتباً مقدسة في كتاب واحد. وهو كتاب يقدسه إلى يومنا سدس مجموع النوع البشري لأنه معجزة في دقة الأسلوب، وسمة الحكمة، وجلال الحق، كما يقول عنه محمد :إنه معجزته الخالدة، حقاً إنه لمعجزة.
ثم إذا نظرنا إلى الظروف والأحوال وإلى ما كان لمحمد من الاحترام الفائق الوصف عند أتباعه وقارناه بآباء الكنيسة وبقديسي القرون الوسطى فإن أدعى شيء للدهش من محمد أنه لم يدّع قط القدرة الذاتية على إحداث المعجزات. نعم كان يفعل ما يقول.
وكان أتباعه يرونه يقوم بتحقيق كل ما يقول: أفنريد بعد هذا برهاناً قاطعاً على صحة صدقه وإخلاصه. لم يحرص محمد إلى آخر حياته على شيء، إلا على الذي يلقب به من أول أمره، وهو لقب أعتقد بأنه سيأتي يوم ترضى فيه أي فلسفة، وأخلص مسيحية أن تسلم له به وهذا اللقب هو: "رسول الله"، نعم إنه رسول الله حقاً.

قال جان جاك روسو عن القرآن :
"من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ، ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وذاك الصوت المقنع المطرب المؤثر في شغاف القلوب ورآه يؤيد أحكامه بقوة البيان ، لخر ساجداً على الأرض و ناداه : أيها النبي يا رسول الله خذ بأيدينا إلى الشرف والفخار ، أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار."
قال مصطفى غفر الله له
جان جار روسو لا يخفى على أحد، هو صاحب نظرية الطبيعة في التربية، وادعى لنفسه نظرية العقد الاجتماعي في كتابه " العقد الاجتماعي" وفي الحقيقة هذه النظرية تطورت عبر مراحل بين جون جاك روسو و توماس هوبز وجون لوك،
وهذه النظرية باختصار: إن الشعوب الأوربية بعد المعاناة من جراء الكنيسة وتسلط رجال الدين، كان من آثارها أن تبحث _ أي الشعوب _ على تحقيق شيئين اثنين الحرية والإرادة، فقالوا نقوم بعقد بيننا كشعوب وبين عقلائنا ومفكرينا وهم منا، على

أن يعملوا على تحقيق هذين المبدأين لنـا، بصـفتهم مفوضـين مـن الشـعب، وكـان هذا أول طريق إلى الديمقراطية في الغرب،
وكان ذلك أول مرحلة من مراحل العلمانيـة وتسمى بالعلمانيـة الجزئيـة قبل الوصـول إلـى العلمانيـة الشـاملة التـي بـدورها مـرت بـثلاث مراحـل وهـي مرحلـة التحـديث ثـم الحداثة ثم ما بعد الحداثة.

رجوعا إلى ويل ديورانـت في قصـة الحضـارة فـي حديثـه عن الحضـارة الإسـلامية: ص٤٤٩٨-٤٤٩٩
ولهذا لم يدع الإسلام إلى مقابلة الإساءة بالإحسان . "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (سورة البقرة ١٩٤) "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل" (سورة الشورى ٤١)، تلك أخلاق تليق بالرجال، شبيهة بما جاء في العهد القديم، فهي تؤكد فضـائل الرجولـة كمـا تؤكد المسيحية فضـائل الأنوثـة. ولـيس فـي التاريخ دين غير دين الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، ولم يفلح فـي هذه الـدعوة ديـن آخـر بقدر مـا أفلـح فيهـا الإسـلام: "يـا أيهـا الـذين آمنـوا اصـبروا وصـابروا ورابطـوا" (سورة آل عمران ٢٠٠) هكذا كـان يقـول أيضـاً زرادشـت الـذي نادى بمبادئ نتشة قبل وجود نتشة بزمن طويل.
والمسلمون يعظمـون القـرآن إلـى درجـة تقـرب مـن العبـادة، وقـد كتبـوا المصـاحف وزينوها وبذلوا في سبيل ذلك كل ما يستطيعون من عنايـة مـدفوعين إليهـا بحـبهم لـه، وهو الكتاب الذي يبدأ منـه أطفـال المسلمين بـتعلم القـراءة، وهـو المحـور الـذي يـدور عليه تعليمهم والذروة التي ينتهي بها هذا التعليم. وقد ظل أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرتهم، يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشـحذ قـرائح مئـات الملايـين من الرجال. والقرآن يبعـث فـي النفـوس السـاذجة _الأفضـل أن يقـال السليمة- الفطـرة ولقد آمن بالقرآن كثير من رجال العلم والفكر فـي كـل عصـر مـن العصـور الماضـية وفي هذا العصر الذي نعيش فيه؛ كمـا آمـن بـه مـن لا يحصـون كثـرة مـن النـاس علـى اختلاف حظوظهم من العقل والفكر؛ ومـا ذلـك إلا لأنـه جـاء بالعقيـدة الحقـة الواضـحة التـي يتقبلها الجميع. فهي أسهل العقائد، وأقلها غموضـا، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان لـه أكبـر الفضـل فـي رفـع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقـافي، وهـو الـذي أقـام فـيهم قواعـد النظـام الاجتمـاعي والوحدة الاجتماعية، وحضـهم على إتبـاع القواعـد الصـحية، وحـرر عقـولهم مـن كثيـر من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحـوال الأرقـاء، وبعـث فـي نفـوس الأذلاء الكرامـة والعـزة، وأوجـد بـين المسـلمين (إذا اسـتثنينا مـا كـان يقترفـه بعـض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لهـا نظيـر فـي أيـة بقعـة مـن بقـاع العـالم يسكنها الرجـل الأبـيض. ولقـد علـم الإسـلام النـاس أن يواجهـوا صـعاب الحيـاة، ويتحملـوا قيودهـا، بـلا شـكوى ولا ملـل، وبعـثهم فـي الوقـت نفسـه إلـى التوسع توسعاً كان أعجب ما شهده التاريخ كلـه. وقـد عرَّف الـدين وحـدده تحـديداً لا يجـد المسيحي ولا اليهودي الصـحيح العقيـدة مـا يمنعـه مـن قبولـه.

"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبهِ ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساءِ والضراءِ وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" (سورة البقرة الآية ١٧٧).اهـ
قال مصطفى غفر الله له:
لا أوافق الدكتور عبد المعطي الدالاتي في كتابه "ربحت محمد ولم أخسر المسيح" ص ٩١ بأن وضع ويل ديورانت من المتعصبين، بل كان موضوعيا، فلا ينبغي أن نطالب غير المسلم بأن يمدح أو يعترف بفضل الإسلام وأهله كما لو كان مسلما، وأظن أنه قد أنصف الإسلام وأهله إلى حد بعيد مقارنة مع المستشرقين المتعصبين كبرنارد لويس وزويمر ويوسف شاخت وجولد زيهر وأمثالهم، وما نقلناه من كتابه لهو خير دليل على ما أقول.
والله تعالى أعلم

قال درابر drabber الأستاذ في جامعة نيويورك، في كتابه (المنازعة بين العلم والدين):
(إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين، ومن اليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم الكثير من الأعمال الجسام، ورقوهم إلى المناصب العالية في الدولة، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت إشراف حنا مسنيه(يوحنا بن ماسويه)... وكانت إدارة المدارس مفوضة إلى النسطوريين تارة، وإلى اليهود تارة أخرى، ولم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذي ولد عليه، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة).
نقلا عن الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص ١٥.
وقال غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب):
والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم. ومن أعظمها تأديبا للنفوس، وحملا على العدل والإحسان والتسامح... وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم، أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا في أديانهم، وإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام من النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من ساداتهم السابقين...

قال الكاتب "جون وليام درابر" ت ١٨٨٢م في كتابه: "التطور الفكري في أوروبا"
" في سنة ٥٦٩ بعد موت جستنيان بأربع سنوات، ولد في مكة في الجزيرة العربية الإنسان الوحيد بين جميع البشر الذي كان له أكبر الأثر على الجنس البشري... محمد"

ورجوعا إلى المؤرخ الفرنسي"غوستاف لوبون" في حضارة العرب ص ٥٧٩:
"ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب" وإن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ، والسهولة العجيبة التي ينتشر بها القرآن في العالم شاملة للنظر تماماً فالمسلم أينما مر ترك خلفه دينه وبلغ عدد أشياع النبي ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة "لا فاتحين" كبعض أجزاء الصين وأفريقيا الوسطى وروسية وتم اعتناق هذه الملايين للإسلام طوعاً ، لا كرهاً ولم يسمع أن الضرورة قضت بإرسال جيوش مع هؤلاء التجار العرب المسلمين لمساعدتهم ويتسع نطاق الإسلام بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان كان .

وقال لوبون : القاعدة عند العرب جرب ،وشاهد، ولاحظ تكن عارفاً ويقول : إن المسلمين العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم المسيحية عدة قرون ونحن الغربيين لم يتح لنا الإطلاع على التراث اليوناني والروماني في جامعاتنا عما نقل إلى لغاتنا من كتب العرب إلا في أزمان متأخرة .
من كتاب " الإسلام بين الإنصاف والجحود" لمحمد حسن عن تنزيه الدين وحملته، المجموعة الكاملة ، ثقافة ٤٤٤/١.
ومن كتاب معاملة غير المسلمين في الإسلام ٢٥٦/١ – إعداد : المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية – الأردن
وقال:" لم ينتشر القرآن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرها العرب مؤخراً كالترك والمغول(ففي الإيمان بالقضاء طمأنينة تجعل ثمرة السعي في الحياة لذيذة حين النجاح وسائغة عند الإخفاق وبهذا يتم التوازن في سعادة الإنسان"
وقال: إن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانو ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون.

يقول البروفيسور بروخمان :
" لا عجب أن شارك الهولنديون بقية أوروبا الإجحاف بالإسلام والعرب وقد استمر عدم الفهم هذا لدى الهولنديين طوال القرون الوسطى حتى طرأ على الأوضاع السياسية الداخلية في هولندا بعض المتغيرات التي أدت في العام ١٥٧٥م إلى تأسيس جامعة ليدن في شمال هولندا ، ولاعتبارات دينية اهتمت الجامعة باللغات التي كتبت بها الكتب المقدسة وبشكل منطقي أدت هذه الاهتمامات إلى دراسة اللغة العربية ، حيث مرت بمراحل متدرجة إلى أن أقيم أول كرسي للغة العربية بجامعة ليدن على يد " أربين " عام ١٦١٣ واستمر نحو أحد عشر عاماً ، ألف خلالها كتابه في النحو العربي وأغرق في مقدمته بالحمد للحضارة العربية والأدب العربي وللتاريخ والفلسفة العربية

ويقول: دكتور شوميس

"يقول بعض الناس إن القرآن كلام محمد وهو حقاً محض افتراء، فالقرآن كلام الله الموحى على لسان رسوله محمد، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء، ويهدي الناس من الظلمات إلى النور.

وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة. إني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والنظم المحكمة، وتلك البلاغة التي لم أجد مثلها قط في حياتي، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات. هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه".

ونرجع إلى هـ. أ. ر. جب في كتاب " المحمدية " طبعة لندن (١٩٥٣) ص ٣٣ حيث قال:

" إنه من المسلم به عالميا بصفة عامة أن إصلاحاته " أي محمد " رفعت من قدر المرأة ومنزلتها ووضعها الإجتماعي والشرعي " .

قال بروفيسور هيرجوني Prof. Hurgronje:

"عصبة الأمم التي أسسها نبي الإسلام أرست مبادئ الوحدة الدولية والأخوة الإنسانية على أسس عالمية لتكون شمعة للأمم الأخرى.. الحقيقة أنه لا توجد أمة في العالم تستطيع أن تقدم مثيلاً لما قدمه الإسلام لبلوغ فكرة عصبة الأمم".

قال المسيحي بولس سلامة عن نفسه:

"مسيحي ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات كل يوم، رجل ليس من مواليد حواء أعظم منه قدراً وأخلد ذكراً وأبعد أثراً، رجل أطل من غياهب الجاهلية فأطلت معه دنيا أظلها بلواء مجيد، كتب عليه بأحرف من نور، لا إله إلا الله، الله أكبر."

من ترى ذلك الصبي الذي إن *** ذر دمعاً فالجو في إعطاء
مبسم من لآلئ الفجر أنقى ***وجبين كالنجمة الغراء
هلّ يوم في صفحة الدهر فذ ***طيب الفوح رافل بالبهاء
حُسب الرمل ذلك اليومَ تبراً ***يُنبت الحلم في عيون الرائي
فسهول الحجاز بحرُ نُضار ***من نثير السبا ئك الصفراء
ضحك السَّبْسَبُ الخلي وشَقَّت ***أنملُ الورد صفحة الدهناء
ذاك عرس الدنيا ولا غرو إن ***بثت صلاها ونمنمت في الكساء
رحبت بالوليد جاء يتيماً ***فهو والفقرَ توأم في رداء
يا فقيراً ودونه الشمسُ عِزاً ***سوف تعلو مناكبَ الجوزاء
خلفك النسرُ والسُّها والثريا ***سائرات في الركب سيرَ الإماء
فقرُ كفٍّ والنفس كنزُ خلود ***هكذا كان مولد الأنبياء

قال الزعيم الهندي "جواهر لال نهرو"في كتابه "لمحات من تاريخ العالـم"

"إنهم - العرب - أباء العلم الحديث وإن بغداد تفوقت على كل العواصم الأوروبية فيما عدا قرطبة عاصمة أسبانيا العربية " الأندلس " وإنه كان لا بد من وجود ابن الهيثم والخازن والكندي وابن سينا والخوارزمي والبيروني لكي يظهر عند الغرب "جاليلو وكبلر وكوبرنيق ونيوتن" .
أورده الدكتور عبدالحليم منتصر في مصنفه تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه.

ويقول " أ. س. تريتون " في كتاب " الإسلام " طبعة لندن (١٩٥١) ص ٢١ :
" إن صورة الجندي المسلم المتقدم وبإحدى يديه سيفا وبالأخرى مصحفا هي صورة زائفة تماما " .
يقول البروفيسور يوشيودي كوزان - مدير مرصد طوكيو

"البروفيسور يوشيودي كوزان: "قلت: إنني متأثر جداً باكتشاف الحقيقة في القرآن".
الشيخ الزنداني: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
إنه يتكلم بلغته الأصلية اللغة اليابانية إنه البروفيسور يوشيودي كوزان مدير مرصد طوكيو عرضنا عليه عدداً من الآيات المتعلقة بوصف بداية الخلق وبوصف السماء وبعلاقة الأرض بالسماء فلما قرأ معاني هذه الآيات وسألنا عن القرآن وعن زمن نزوله فأخبرناه أنه نزل منذ ١٤٠٠ عام وسألناه نحن عن هذه الحقائق التي تعرضت لها هذه الآيات فأجاب وكان بعد كل إجابة يجيب بها نعرض عليه النص القرآني. ولقد عبر عن دهشته فقال: "إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود فكل شيء أمامه مكشوف إن الذي قال هذا القرآن، يرى كل شيء في هذا الكون، فليس هناك شيء قد خفي عليه" . سألناه عن الفترة الزمنية التي مرت بها السماء يوم أن كانت في صورة أخرى فأجاب: لقد تضافرت الأدلة وحشدت وأصبحت الآن شيئاً مرئياً مشاهداً نرى الآن نجوماً في السماء تتكون من هذا الدخان الذي هو أصل الكون كما نرى في (هذا الشكل):هذه الصورة حصل عليها العلماء أخيراً بعد أن أطلقوا سفن الفضاء إنها تصور نجماً من النجوم وهو يتكون من الدخان. انظروا إلى الأطراف الحمراء للدخان الذي في بداية الالتهاب والتجمع وإلى الوسط الذي اشتدت به المادة وتكدست فأصبح شيئاً مضيئاً وهكذا النجوم المضيئة كانت قبل ذلك دخاناً وكان الكون كله دخاناً. وعرضنا عليه الآية وهي قول الله جل وعلا: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) (سورة فصلت،الآية:١١).إن بعض العلماء يتكلمون عن هذا الدخان فيقولون إنه ضباب فبين البروفيسور يوشيودي كوزان أن لفظ الضباب لا يتناسب مع وصف هذا الدخان، لأن الضباب يكون بارداً وأما هذا الدخان الكوني فإن فيه شيئاً من الحرارة. نعم، الدخان عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة. ويكون معتماً وهذا وصف الدخان الذي بدأ منه الكون. قبل أن تتكون النجوم كان عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة وكان معتماً. قال: وكذلك كان حاراً، فلا يصدق عليه وصف الضباب، بل إن أدق وصف هو أن نقول: هو دخان.

وهكذا أخذ يفصل فيما عرض عليه من آيات وأخيراً سألناه: ما رأيك في هذه الظاهرة التي رأيتها بنفسك، العلم يكشف بتقدمه أسرار الكون، فإذا بكثير من هذه الأسرار قد ذكرت في القرآن أو ذكرت في السنة هل تظن أن هذا القرآن جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم من مصدر بشري؟ كما نرى هذه المحاورة معاً.البروفيسور يوشيودي كوزان: وقبلنا كان هؤلاء الفلكيون المعاصرون يدرسون تلك القطع الصغيرة في السماء. لقد ركزنا مجهودنا لفهم هذه الأجزاء الصغيرة لأننا نستطيع باستخدام التلسكوب أن نرى كل الأجزاء الرئيسية في السماء، ولذلك أعتقد أنه بقراءة القرآن وبإجابة الأسئلة أنني أستطيع أن أجد طريقاً في المستقبل للبحث في الكون.الشيخ عبدالمجيد الزنداني: قال كما رأينا لا. لا يمكن أن يكون من مصدر بشري. وقال: إننا نحن العلماء نركز على جزء صغير في دراستنا، أما من يقرأ القرآن فإنه يرى صورة واسعة لهذا الكون. قال: إنني عرفت منهجاً جديداً في دراسة الكون لا بد أن ننظر إليه نظرة شاملة لا أن ننظر إليه من هذه النقطة الضيقة الجزئية المحدودة. قال: إنني سأنهج هذا المنهج وقد عرفت بعد أن قرأت القرآن وهذه الآيات المتعلقة بالكون عرفت مستقبلي، أي إنني سأخطط أبحاثي على هذه النظرة الشاملة التي استفدتها من كتاب الله.سبحانك يا رب سبحانك ها هم علماء الشرق وعلماء الغرب يحنون رؤوسهم إجلالاً لهذا الكتاب الكريم، هذه حجة محمد . هذه هي معجزته الباقية المتجددة، هذه هي المعجزة الحية التي تقنع المسلمين وغير المسلمين وتقنع الأجيال إلى يوم الدين.

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه...) (سورة النساء، الآية:١٦٦).(وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها)(سورة النمل، الآية:٩٣).

(ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هوالحق ويهدي إلى صراط العزيزالحميد)(سورة سبأ الآية:٦)

يقول المستشرق آرثر آربري :

"عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية ، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي"

نقلاً عن "حتى الملائكة تسأل" د.جيفري لانغ ٢٠٦

وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل Annemarie Schimmel، في مقدمتها لكتاب "الإسلام كبديل" Der Islam als Alternative لمراد هوفمان ص ١١: ترجمة غريب محمد غريب نشر مؤسسة بفاريا، مع مجلة النور الكويتية.

"القرآن هو كلمة الله ، موحاة بلسان عربي مبين ، على النبي الأمين وأن ترجمته لا يمكن إلاأ أن تكون تقريبية ضمنية لا تضارع الأصل، إذ لا أحد، مهما بلغ من الحذق والكفاءة، يقدر أن يترجنم ذلك الإعجاز الإلهي إلى لغة أخرى" .

يقول محمد أسد في مقدمة كتابه "الإسلام على مفترق الطرق"

"جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلبي المظلم ، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسق الذي لا يمكن وصفه ،

فالإسلام بناء تام الصنعة ، وكل أجزائه قد صيغت ليُتمَّ بعضها بعضاً... ولايزال الإسلام بالرغم من جميع العقبات التي خلّفها تأخر المسلمين أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر ، لذلك تجمّعت رغباتي حول مسألة بعثه من جديد"
وقال في نفس المصدر ١٠٢-١٠٣:
"إن الإسلام يحمل الإنسان على توحيد جميع نواحي الحياة ... إذ يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة ، وبالنفس والجسد ، وبالفرد والمجتمع ، ويهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من طاقات ، إنه ليس سبيلاً من السبل ، ولكنه السبيل الوحيد ، وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هادياً من الهداة ولكنه الهادي" .
"إن الرجل الذي أُرسل رحمة للعالمين ، إذا أبينا عليه هُداه ' فإن هذا لا يعني شيئاً أقل من أننا نأبى رحمة الله .
قال مصطفى غفر الله له
رجعت من النمسا وتركت السلطات هناك قد وافقت للمسلمين لكي يسموا شارعا باسم "محمد أسد" هذا الرجل الذي اعتنق عقيدة التوحيد بعد حيرة. وكان ذلك بعد جهد جهيد وقد حاول الحاقدون عرقلة الموضوع.
يقول الكاتب والمخرج الأمريكي الكبير مايكل وولف الذي هداه الله إلى الإسلام في كتابه "رحلة حاج أميركي إلى مكة":
"رحلة تعطي الفرصة للحاج ليستعيد شيئاً من المساحة النقية في حياته، هذا شيء مركزي في هذه الفريضة هو أمر ثمين جداً لأننا جميعاً نضيع في هذا العالم،"

وفي حوار لجريدة "سان خوزيه ميركوري" الأميركية يقول وولف:
"عندما ترى الكعبة للمرة الأولى تنظر إليها بعد أن تكون قد صليت باتجاهها لسنوات فتجدها رائعة جداً وجميلة جدا، الناس دائماً يبكون عندما يرون الكعبة بالرغم من كونها مبنى مربعاً بسيطاً• عندما تؤدي الطواف تشعر بإحساس عظيم من السمو الروحي، ولكن في الوقت نفسه تحس بالتجمع الهائل والتكامل مع الآخرين وهذا يجعلك تسمو روحياً دون أن تشطح عن حدودك الجسدية واتزانك الطبيعي" اهـ
يقول أستاذ الفلسفة راما كريشنا راو في كتابه "محمد نبي الإسلام":
" إن إلقاء نظرة على شخصية محمد تسمح لنا بالإطلاع على عدد كبير من المشاهد : فهناك محمد الرسول ، ومحمد المجاهد ، ومحمد الحاكم ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح ، ومحمد ملجأ الأيتام ، ومحمد محرر العبيد ، ومحمد حامي المرأة ، ومحمد القاضي ، ومحمد العابد لله .. كل هذه الأدوار الرائعة تجعل منه أسوة للروح الإنسانية"

يقول مراد هوفمان في "الطريق إلى مكة" ص ١٤٨:
"الإسلام دين شامل وقادر على المواجهة ، وله تميزه في جعل التعليم فريضة ، والعلم عبادة ... وإن صمود الإسلام ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث ، عُدَّ في جانب كثير من الغربيين خروجاً عن سياق الزمن والتاريخ ، بل عدّوه إهانة بالغة للغرب"

دراسات مركز "رصد العقائد" في مدينة " برن " بسويسرا يقول أن أسرع دينا انتشارا في العالم هو الإسلام ، وهذا ما أكده دارسو الأديان والعقائد.

قالت الباحثة الكهنوتية الأمريكية كارول أنوي في كتاب "سر إسلام الأمريكيات" ص١٨٠ .

:"الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً في أمريكا الشمالية"

ويقول د. هستون سميث في كتابه " ديانات الإنسان".:

"إن الإسلام في هذا العصر كما في العصور السابقة أسرع الأديان إلى كسب الأتباع المصدّقين".

ويقول المبشر جون تكل

: "الإسلام آخذ في الانتشار رغم أن الجهود التي تبذل في سبيله تكاد تكون في حكم العدم" عن كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" ل.شاتلييه

قال مصطفى غفر الله له:

هذه الثلاثة نقلا عن كتاب الدكتور الدالاتي "ربحت محمدا ولم أخسر المسيح ص ٧٧

رجوعا إلى بيانكا سكارسيا،

تقول في " العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية" ص (٤٠-٢٠٧) :

"إن الشريعة القرآنية تمارس جاذبيتها على ملايين الناس ، فالإسلام يشهد بشكل دائم إقبالاً أكثر على اعتناقه ، ويصعب تفسير تنامي هذه الظاهرة ، في أوروبة خاصة ، إذ أن الإسلام ينحو لأن يُمثل اليوم خياراً بديلاً عن الحضارة الغربية".

ويقول المستشرق هيل في حضارة العرب:

"لا نعرف في تاريخ البشر أن ديناً انتشر بهذه السرعة وغيّر العالم كما فعل الإسلام".

قال المستشرق الألماني Becher. G.H يشهد على سماحة الإسلام:

(فالدين الإسلامي أقام بناءه المذهبي في جو من التفكير الحر، بعكس الدين المسيحي، الذي تمثله كنيسة قائمة على طغمة، أي على نظام تصاعدي، وبيدها خلاص الناس..

ففي الإسلام كان مجال الاختلاف أوسع بكثير منه في المسيحية، لأنه لم يكن به شئ يشبه القاضي الذي يصدر الحكم الفاصل لا استئناف له...).

يقول العلامة لوزان في كتابه "الله في السماء" :

"ليس محمد نبي العرب وحدهم بل هو أفضل نبي قال بوحدانية الله، وأن دين موسى وإن كان من الأديان التي أساساها الوحدانية، إلا أنه كان قومياً محضاً وخاصا ببني إسرائيل، وأما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين وهما التوحيد والإيمان بالبعث. وقد أعلن دينه لعموم البشر في أنحاء المسكونة.

ويقول في الكتاب نفسه:
"فرسول كهذا الرسول يجدر باتباع رسالته والمبادرة إلى اعتناق دعوته، إذ أنها دعوة شريفة، قوامها معرفة الخالق، والحث على الخير والردع عن المنكر، بل كل ما جاء به يرمي إلى الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، هذا هو الدين الذي أدعو إليه جميع النصارى."

وقال شاتليه الفرنسي :
"إن رسالة محمد هي أفضل الرسالات التي جاء بها الأنبياء قبله".

قال العلامة جان ميكائيليس في كتابه "العرب في آسيا" :
"لم يكن محمد نبي العرب المشعوذ ولا الساحر كما اتهمه السفهاء في عهده، وإنما كان رجلاً ذا حنكة وإدارة وبطولة وقيادة وأخلاق وعقيدة، فلقد دعا لدينه بكل صفات الكمال وأتى للعرب بما رفع فيه شأنهم، ولم نعرف عن دينه إلا ما يتلاءم مع العصور مهما تطورت، ومن يتهم محمداً ودينه بخلاف هذا فإنه ضال عن الطريقة المثلى، وحري بكل الشعوب أن تأخذ بتعاليمه".
وقال المستشرق الألماني (بلسنر) مارتن، المحاضر في جامعة فرانكفورت...: (ولا يكاد يوجد شئ من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر..
لم تكن علوم المسلمين – بطبيعة الحال – العامل الوحيد الذي أدى إلى إحياء العلم في الغرب، فتقاليد العلوم القديمة لم تتلاش تماما وسط الفوضى التي عمت خلال عصر غزوات البرابرة لأوربا، ومع ذلك فمن الصحيح أن علماء المسلمين أعطوا العلم الأوربي قوة دفع جديدة، والأهم من ذلك أن هذا العلم الغربي قد اكتسب مادة أدت إلى إثرائه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق، وكذلك بفضل الإنتاج العلمي المستقل للمسلمين أنفسهم..).

يقول البحاثة الكبير لبيب الرياشي اللبناني في كتابه "فلسفة الرسول العربي" صفحة ٦ :
ما ندمت على شيء في حياتي ندماً عصبياً ساحقاً مثل ندمي على جهلي نفسية الرسول العربي.
أما لو أدرك المسلمون سيرة الرسول بجوهرها، وشرع الرسول بسنائه، وحكم الرسول بجلالها، وإبداع الضمائر الجديدة التي ابتدعها الرسول بجدتها الوضاءة، وعملوا بما أدركوا لكان المسلمون غير هؤلاء المسلمين، ولكان العالم غير هذا العالم.
ثم قال: أما لو درس عشاق الرسول وعشاق العظماء والحكماء والمبدعين غير العرب، بطهارة وجدان وبراءة سريرة، وتحليل عبقري، حياة الرسول العربي، وسمو الرسول العربي وبراءة سريرته وأعماله وشرعه لاستكشفوا أعظم شخصية وأقدس رسالة للتاريخ الإنساني، ولقد طالعت مئات المجلدات وقرأت حياة ألوف

العظمـاء والرسـل، ولكـن مئـات المجلدات وحيـاة ألـوف العظمـاء والرسـل مـا فعلـت بنفسي وأثرت في دماغي وهذبت وثقفت وأدهشت، مثلما فعلت حياة الرسول العربـي العالمي محمد بن عبد الله.

وقـال الأستاذ "دينيس سورا" Saurat, Denis. الأستاذ فـي جامعـة لنـدن فـي أول كتابـه "تاريخ الأديان A HISTORY OF RELIGIONS" الذي نشره ١٩٣٣م:

"إن محمداً رسول الإسلام يكاد يكون هو الوحيد الذي نعرفه عن طريق التـاريخ مـن بين عظماء مؤسسي الأديان، إذ أن الخرافات لم تستطع أن تخفيه، وأن دين مواطنيـه إبان ظهوره، كان قد هوى إلى أدنى الدركات، أو قل إنـه "دين مواطنيـه" كـان لميمـاً من بقايا عقائد بدائية"

قال مصطفى غفر الله له:

وهو صـاحب كتـاب " ميلتـون الرجـل والمفكـر"، " روح فرنسـا" "الآداب الفرنسية الحديثة". وغيرها.

رجوعا إلى آنا ماري شيمل في "سيقهر الماء صم الحجر" ص ٦٣:

"كـلا.. إننــي لـم أجـد فـي القـرآن ولا فـي السـنة أي أمـر يـدعو إلــى الإرهـاب، أو الاختطاف، أو نص يجيزهما. بل إن مدار الأخلاق في الإسلام هو القاعدة الذهبية"

قالت الشاعرة الهندية ساروجيني نايدو Sarojini Naidu في كتاب "مثاليات الإسلام":

"إن الإسلام أول دين ينـادي ويطبـق الديمقراطيـة.. عنـدما ينـادي للصـلاة فـي المسـجد ويتجمـع المصـلون تُطبَّـق الديمقراطيـة خمـس مـرات فـي اليـوم عنـدما يركـع الفـلاح والمِلِك قائلين "الله أكبر"، وأعجبتني مرارًا تلك الوحدة الإسـلامية التـي جعلـت البشـر إخوة بالفطرة".

S. Naidu, "Ideals of Islam," vide Speaches ~ Writings, Madras, ١٩١٨, p. ١٦٩

قال مصطفى غفر الله له:

طبعـا هـي تقصـد بالديمقراطيـة العدالـة والتضـامن والتعـاون والوحـدة الإسـلامية التـي عبرت عنها بنفسها،

وحتـى إن كانـت تقصـد الديمقراطيـة بـالمعنى الآيديولوجي فـلا لـوم عليهـا، فهـي غيـر مسلمة، والديمقراطية هي أسمى ما وصل إليه فكرهم واجتهادهم.

وقال الفرنسي كارا دو فو Bernard Carra De Vaux في كتابه "المحمدية":

"إن محمداً أتم طفولته في الهدوء، ولمـا بلـغ سـن الشـباب اشـتهر باسـم الشـاب الـذكي الوديع المحمود، وقد عاش هادئاً في سلام حتى بلغ الأربعين من عمره، وكان بشوشا نقياً لطيف المعاشرة". ثم قال:

"إن محمداً كان هو النبي والملهم والمؤسس، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا التي كان عليها، ومع ذلك فإنه لـم ينظـر إلـى نفسـه كرجـل مـن عنصـر آخـر، أو طبقـة

أخرى غير طبقات بقية المسلمين. إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه "محمد" بين أعضاء الجمعية الإسلامية، كان يطبق تطبيقاً عملياً، حتى على النبي نفسه".

رجوعا إلى الكاتب الروسي ليو تولستوي في "من هو محمد؟" يقول:
"إن محمدا هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس".
هذا حسب رؤيته وقتئذ.
وقال: "ولد النبي محمد في بلاد العرب سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح من أبوين فقيرين، وكان في حداثة سنه راعياً وقد مال منذ صباه إلى الانفراد في البراري والأمكنة الخالية، حيث كان يتأمل في الله وخدمته.
إن العرب المعاصرين له، عبدوا أربابا كثيرة، وبالغوا في التقرب إليها واسترضائها، فأقاموا لها أنواع التعبد، وقدموا لها الضحايا المختلفة، ومنها الضحايا البشرية، مع تقدم سن محمد كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب، وأن ديانة قومه ديانة كاذبة، وأن هناك إلهاً واحداً حقيقياً لجميع الشعوب. وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد حتى اعتزم في نفسه أن يدعو مواطنيه إلى الاعتقاد باعتقاده الصحيح الراسخ في فؤاده.
ثم قد دفعه إلى ذلك عامل داخلي هو: إن الله اصطفاه لإرشاد أمته، وعهد إليه هدم ديانتهم الكاذبة، وإنارة أبصارهم بنور الحق، فأخذ من ذلك العهد ينادي باسم الواحد الأحد وذلك بحسب ما أوحى الله إليه، وبمقتضى اعتقاده الراسخ".
وقال: "وفي سني دعوة محمد الأولى، تحمل كثيراً من اضطهاد أصحاب الديانة القديمة، شأن كل نبي قبله نادى أمته إلى الحق، ولكن هذه الاضطهادات لم تثن عزمه، بل ثابر على دعوة أمته، مع أن محمداً لم يقل أنه نبي الله الوحيد بل اعتقد أيضاً بنبوة موسى والمسيح ودعا قومه إلى هذا الاعتقاد أيضاً، وقال إن اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم، بل يجب عليهم أن يتبعوا وصايا أنبياءهم"..

"ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظماء الرجال المصلحين، الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء، وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية.
وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا لجدير بالاحترام والإجلال".
يقول " ديوان شند شرمة " في كتابه : " أنبياء الشرق " . طبعة كلكتا (١٩٣٥) ص ١٢٢ :
" لقد كان محمد روح الرأفة والرحمة وكان الذين حوله يلمسون تأثيره ولم يغب عنهم أبدا " .

رجوعا إلى الباحثة الأمريكية جـودي آنـوي التي أسلمت:

قالت في "سر إسلام الأمريكيات" ص ٣٨ :
"أثناء دراستي للإسلام كانت جميع أسئلتي تجد الإجابة الشافية فنحن لا نُعاقب على خطأ آدم الذي طلب المغفرة من ربه فعفا عنه ربنا الرحيم ، لقد وجدت تعاليم الإسلام تضع كل شيء في إطاره الصحيح ، وتلبي حاجة قلبي وعقلي ... إنها تعاليم الفطرة ، فليس فيها غموض"
وقالت في ٨٢-٨٣ :
"لقد استمتعت بالوضوء وبارتداء ملابس الصلاة ، وبأداء الصلاة ، لأني أشعر أنني أقترب أكثر من خالقي ... وإن أعظم الحقوق الإسلامية منزلة هو الحجاب ، فإن لي الحق أن ينظر الناس إليّ على أني امرأة ذات أخلاق فاضلة ، لا على أنّي أنثى ، فالحرية الحقيقية أجدها في الحجاب".
قالت في ١٧٣:
"إن ربط كل حياتي بالله هو في نظري الجزء المليء بالمعاني في الإسلام فالإسلام يلبّي كل جوانب الحياة ، وأشعر أني قد ولدت مسلمة ، ولكن تربيتي كانت كاثوليكية ، وها قد نجحت الآن ورجعت إلى الإسلام".

يقول جان بول رو في كتابه "الإسلام في الغرب"
Jean-Paul Roux, " L'Islam en Occident "
"إن عودة الإسلام إلى أوربة هي موجة جديدة لن يقدر على وقفها أو الحد منها أية عقيدة أو مبدأ أو دين"
"لم يكن محمداً نبياً عادياً ، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء ، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عادياً من يقسم أنه "لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها" ! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً"
الباحث الفرنسي كليمان هوارت عن "محمد في الآداب العالمية المنصفة" ص ١٤٢

رجوعا إلى زيجرد هونكه
لكن هذه المرة مع كتابها "الله، ليس كذلك" Allah ist ganz anders ص٦٢-٦٣، ط مؤسسة بفاريا للنشر والإعلام، الطبعة الثانية أبريل ١٩٩٨، ترجمة غريب محمد غريب قالت:
"وعندما سئلت في إحدى المؤتمرات الإسلامية، مل نصيحتي للمرأة العربية؟
(قلت لهن: إذا أرادت المرأة العربية طي الماضي بخلعها الحجاب، فلا ينبغي عليها أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقائدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكينا جديدا للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقا لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية وأن تضع نصب عينيها

رسـالتها الخطيـرة المتمثلـة فـي كونهـا أم جيـل الغـد العربـي، الـذي يجـب أن ينشـأ عصاميا، يعتمد على نفسه)"

قال عالم الفلسفة اللاهوتية أوليفروس من كولونيا في رسالته إلى السلطان الكامل سنة ١٢٢١:

نقلا عن كتاب زجريد هونكة "الله ليس كذلك" ص ٢٥

" منذ تقـادم العهود، لـم يسمع المرء بمثـل هـذا الترفق والجود، خاصـة إزاء أسـرى العـدو اللـدود، ولمـا شـاء الله أن تكـون أسـراك، لـم نعرفـك مستبدا طـاغيـة، ولا سـيدا داهيـة، وإنمـا عرفنـاك أبـا رحيمـا شـملنا بالإحسـان والطيبـات، وعونـا منقذا فـي كـل النوائب والملمات. ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسـامح والرحمـة مـن عنـد الله.. إن الرجـال الـذين قتلنـا آبـاءهم وأبنـاءهم وبنـاتهم وإخـوانهم وأخواتهم وأذقانهم مر العذاب، لما غدونا أسراهم وكدنا نموت جوعا، راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بهم خصاصة، وأسدوا إلينـا كـل مـا استطاعوا من إحسـان، بينمـا كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان"

قال المستشرق الفرنسي المسلم " ناصر الدين رينه " : وكان النبي يعنى بنفسه عنايـة تامة ، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة ، ولكن علـى جانـب كبير من الذوق والجمال ، وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشـري أن يـروق الخالق سبحانه وتعالى

ومع هذا كان يحزم بشدة التغالي في الملبس ، وعلى الخصـوص لبس الحريـر؟ حتـى لا يتيح للأغنياء فرصة التعالي على الفقراء

وقال جوستاف لوبون ـ العبارة الأصلية "هوس " وهو يقصد بذلك الحماسة والاندفاع ـ بعد أن نقل أوصاف الرسول من المصادر الإسلامية

ويضاف إلى الوصف السـابق مـا رواه مؤرخـو العـرب الآخـرون مـن أن محمـدا كـان شديد الضبط لنفسه ، كثير التفكير ، صـموتا ، حازمـا ، سليم الطويـة ، عظيم العنايـة بنفسه ، مواظبً على خدمتها بالذات حتى بعد اغتنائه

وكـان محمـد صـبوراً قـادرا علـى احتمـال المشـاق ، ثابتـاً ، بعيد الهمـة ، لـين الطبـع ، وديعاً ، فذكر أحد خدمه أنه ظل عنده ثماني عشرة سنة فلم يعزره قط في تلك المدة ولو مرة واحدة

وكان محمد مقاتلاً ماهراً ، فكان لا يهرب أمام المخاطر ، ولا يلقي بيديـه إلـى التهلكـة ، وكان يعمل ما في الطاقة لإنماء خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه

"حضارة العرب " ترجمة عادل الزعيتر

ولا يقف أي قول بخداع محمد ثانية أمام سلطان النقد ، ومحمد كان يجد في حماسه ما يحفزه إلى اقتحام كل عائق ، ويجب على من يود أن يفرض إيمانه علـى الآخـرين أن يؤمن بنفسه قبل كل شيء ، ومحمد كان يعتقد أنه مؤيد من الله فيتقوى فـلا يرتـد أمـام أي مانع

وجَمع محمد قبل وفاته كلمة العرب ، وخلق منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد ، فكانت في ذلك آيته الكبرى
ومهما يكن الأمر ، فان مما لا ريب فيه أن محمداً أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام ومنها اليهودية والنصرانية ؟
ولذلك كان فضل محمد على العرب عظيما ، ويتجلى هذا الفضل العظيم في جواب رسل عمر بن الخطاب إلى كسرى حين سألهم عن أعمال النبي ، قال أولئك الرسل
فأما ما ذكرت من سوء حالنا فما كان أحد أسوأ حالا منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، فكنا نرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل ، فكانت ظهر الأرض ، ولم نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ، كان ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض ، وكان أحدنا يدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرنا لك ، فبعث الله إلينا رجلا معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبائلنا ، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء وإلي يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحلكم داري دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق
وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم من عرفهم التاريخ ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمداً مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخيهم عن الاعتراف بفضله

قال العلامة بارتلمي سنت هيلر : كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاء ، وأشدهم تديناً ، وأعظمهم رأفة ، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم ، ونعد دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته

وقال كارليل : " لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد ممدن في هذا العصر أن يصغي إلى ما يظهر من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا ، أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر أكذوبة وخدعة ؟ ، أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول ، فما الناس إلا بله ومجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة ، كان الأولى بها أن تخلق "
وما نظن أكبر محب للرسول يقول فيه وفي دعوته عن طريق المنطق أحسن من هذا

وقال تولستوي الحكيم الروسي : " ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة ، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام "

وقال وليم موير في كتابه "سيرة محمد" : " امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة ، في زمن قصير كما فعل محمد "

ويؤخذ مما قاله لين بول : " إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق ، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يثار بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر ، ودون أن يكون هذا الحكم صادرا عن غير ميل أو هوى ، كيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته أعواما ، فلم يهن له عزم ، ولا ضعفت له قوة ، وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحه ، حتى ولو كان المصافح طفلا ، وأنه لم يمر بجماعة يوما ، رجالا كانوا أو أطفالا دون أن يقرئهم السلام ، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة ، وفي فيه نغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعها ، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذبا "
ومما قاله أيضا : " إن كثيراً من كتاب التراجم والسير من الأوربيين الذين تناولوا الكلام على سيرة محمد لم يتعففوا عن أن يشوهوا هذه السيرة بما أدخلوه عليها من افتراءات وادعاءات ، كاتهاماتهم إياه بالقسوة وارتكاب الموبقات والانهماك في الشهوات ، وأنه كان دجالا دعيًّا وطاغية متعطشا لسفك الدماء "

وعلل مونتيه طعن بعض الغربيين على الرسول بقوله : " كثيراً ما حكمت عليه الأحكام القاسية ، وما ذلك إلا لأنه ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثله ، وأن ما قام به من إصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع ، يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية "
وقال : " لا مجال للشك في إخلاص الرسول وحماسته "

قال جان جاك روسو في القرن الثامن عشر: " من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ، ولو أنه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة ، وذاك الصوت المقنع المطرب المؤثر في شغاف القلوب ، ورآه يؤكد أحكامه بقوة البيان ، لخر ساجداً على الأرض وناداه : أيها النبي رسول الله خذ بأيدينا إلى مواقف الشرف والفخار ، أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار "

وقال كارلايل أيضا : " إن فرط إعجاب المسلمين بالقران وقولهم بإعجازه أكبر دليل على تباين الأذواق في الأمم المختلفة ، والترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة "

وجاهر كلود فارير في القرن العشرين بأن : " آيات القرآن جميلة وتحسن تلاوتها ، فيها نفحة طاهرة عجيبة ، لأنها تأمر بالشجاعة والصدق والأمانة ، وتدعو إلى حماية الضعيف إلى عبادة إله واحد "

وقالت لورافيشيا فاعليري - أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي بإيطالية - : " وحاول أقوى أعداء الإسلام - وقد أعماهم الحقد - أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة ، لقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته ، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين ، في بعض آيات القرآن اللاسعة ، بنار الجحيم الأبدية لو كان هو قبل ذلك رجلا كذاباً ، كيف يجرؤ على التبشير ، على الرغم من إهانات مواطنيه ، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه - وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة - حثا موصولاً ؟؟ كيف استطاع أن يستهل صراعا كان يبدو يائساً ؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات في مكة في نجاح قليل جذا وفي أحزان لا تحصى ، إذا لم يكن مؤمنا إيمانا عميقاً بصدق رسالته ؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء ، وأن يؤازروه ، ويدخلوا الدين الجديد ، ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء ، والضعفاء ، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلماته حرارة الصدق ؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك ، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد كان عميقا وأكيدا "

[٢] http://www.khayma.com/nuzhatalmutaqi...amed/moh.html

قال المسلم الإسباني فرانشيسكو كوديرا .
"الإسلام قادم رغم كل العقبات ، لكنه يحتاج إلى دعاة حقيقيين يقدمون تعاليمه بالحب والعمل".
يقول المسلم جون وبستر : "يظهر أن الغرب المسيحي قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة"
.عن "محمد في الآداب العالمية المنصفة" محمد عثمان ص٥٩ .
يقول روم لاندو في "الإسلام والعرب" ص١٢٦:
" وكان موقف صلاح الدين معاكساً للمذابح التي ارتكبها النصارى فأطلق الأسرى وقدم الهبات للأرامل واليتامى".
نقول عالمة الاجتماع المسلمة ديانا روتنشتوك :

"إن أهل أوربة في أمسِّ الحاجة إلى الإسلام ، ولكن الوضع السياسي حالياً يشوّه الإسلام".
عن حوارات مع مسلمين أوربيين للدكتور عبد الله الأهدل ص٧٥.
يقول المفكر المسلم علي عزت بيغوفيتش في كتابه الفريد "الإسلام بين الشرق والغرب"
: "إن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا من نظامه ولا من عبادته ، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه ! من لحظة فارقة تنقدح فيها شرارة وعي باطني ... من قوة النفس في مواجهة محن الزمان ... من التهيؤ لاحتمال كل ما يأتي به القدَر ... من حقيقة التسليم لله ... إنه استسلام لله ...والاسم : إسلام" اهـ
يقول فون هامر في مقدمة ترجمته للقرآن:
"القرآن ليس دستور الإسلام فحسب ، وإنما هو ذروة البيان العربي ، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله ، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب ، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية"
ويقول الكونت كاتياني في كتابه "تاريخ الإسلام" :
"أليس الرسول جديراً بأن تقدَّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام، وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها ، فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل" .
ويقول الأمير البريطاني تشارلز في محاضرة "الإسلام والغرب" التي ألقاها في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣ . :
"إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم ، الأمر الذي فقدته المسيحية ، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة ، والدين والعلم ، والعقل والمادة".
يقول المستشرق بارتلمي سانت هلر:
"إن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام ، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى"
عن كتاب "مقدمات العلوم والمناهج" "٨ / ١١٩" لأنور الجندي .
رجوعا إلى نيتشه:
"لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة في الأندلس ! ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ، ومن طباع شريفة ، نعم من رجال الإسلام . إن المدنية الإسلامية لم تتنكر يوماً للحياة"
عن كتاب ظلام من الغرب للغزالى ص ١٤٠

ويقول البروفسور غريسيب ، مدير جامعة برلين :
"أيها المسلمون ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم ، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم ، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل".
عن كتاب "هكذا كانوا يوم كنا د. حسان شمسي باشا ص٩ .

نقلا عن الدكتور الدالاتي ص ١٣٠
يقول جورج سارتون:
"المسلمون عباقرة الشرق ، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية ، تتمثل في أنهم تولّوا كتابة أعظم الدراسات قيمة ، وأكثرها أصالة وعمقاً ، مستخدمين اللغة العربية التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري.. لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته "معجزة العلم العربي""
نفس المرجع السابق ص٨ .

ويقول روم رولان :
"تفرد العلم الإسلامي بأنه لم ينفصل عن الدين قط ، والواقع أن الدين كان ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة، ففي الإسلام ظهر العلم لإقامة الدليل على الألوهية".

ونرجع إلى جوستاف لوبون ونعيد وكتابه حضارة العرب ص٢٦ – ٢٧٦ – ٤٣٠ – ٥٦٦ .:
"إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية ، فلقد كان العرب أساتذتنا ... وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب ، فهم الذين مدّنوا أوربة مادة وعقلاً وأخلاقاً ، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه ... إن أوربة مَدينة للعرب بحضارتها ... والحق إن أتباع محمد كانوا يذلّوننا بأفضلية حضارتهم السابقة ، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس ! وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ... فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان ... ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة ... ".

وتقول الدكتورة لويجي رينالدي :
".. لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا ، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم"
عن "مقدمات العلوم والمناهج" أنور الجندي ١٤١/٧

وقال المستشرق بارتلمي سانت هلر مرة أخرى:
قد أمر الإسلام بخمس صلوات في اليوم ليضطر الإنسان للتخلي عن اشتغالاته المادية لحيظات في اليوم، ليرتفع خلالها إلى مولاه، وأمر ألا تجعل العبادة موجهة لأغراض ذاتية فإن الله أعلم بما هو أصلح لنا.. ثم إن محمداً بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله قد خلص الفكر الإنساني من وثنية القرون الوسطى الخشنة، واضطر الإنسان بهذه الصورة أن يرجع إلى نفسه، وأن يبحث عن الله خالقه في صميم روحه، وأن يرتفع إليه عقب ذلك بالعبادة القلبية المملوءة بالاحترام والشكر والحب.

وقال الأستاذ ماسينيون:
" إن لدى الإسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد لبيت المال والإسلام يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية ويقف في الوقت نفسه إلى جانب حقوق الوالد والزوج ويشجع الملكية الفردية ورأس المال التجاري وبذا يحل الإسلام مرة أخرى مكاناً وسطاً بين نظريات الرأسمالية البرجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية

قال مستر هراس ليف الكاتب الإنكليزي في مقال له نشر في المجلة الإسلامية الإنكليزية
"ما كان شيء في العالم ليقضي بأن أي دين من الأديان يدعو إلى المساواة بين الناس ولو أن بعضها يتظاهر بهذه الدعوى فقد زرت كثيراً من الكنائس والمعابد مرات فرأيت التفريق بين الطبقات داخل المعابد كما هو موجود خارجها وكان اعتقادي بالطبع إن الأمر لا بد كذلك داخل المساجد الإسلامية ولكن ما كان أشد دهشتي حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين في عيد الفطر في مسجد (ووكبخ) هنالك وجدت أناساً مختلفين على اختلافهم في المراتب اختلافاً يمكن أن تسميه بحق أخوياً ولم أكن شاهدت مثل ذلك ، ترى في المسجد نوبياً من بلاد ممباسه يصافح عظيماً من رجال الأعمال المصريين أو سياسياً من بلاد العرب وقد ارتفعت الكلفة من بينهم جميعاً فلا يأنف أحدهم مهما عظم قدره من أن يجاوره في الصلاة أقل الناس شأناً منه وإنك لا تجد أقل محاولة لتخطي الصفوف إلى مكان بالمسجد لأنه ليس هناك أي مكان ممتاز فالكل عند الله سواء لا فضل لأحد على أحد وإنك حين تتحدث إلى قوم مختلفي الأجناس تجد من الود الخالص والثقة التامة ما تعجب به كأنك واحد منهم فيدفعك ذلك إلى الاعتقاد بأن الدين يمكن أن يكون وسيلة لإزالة جميع الموانع التي تفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان ."

ويقول المستر ليونارد:

"علينا أن نعترف بأن أوربا المسيحية بذلت كل ما في وسعها في جميع القرون الماضية لتخفي فضل الإسلام عليها ولكنها لم تفلح ولن تفلح"
عن كتاب الإسلام الدين الفطري الأبدي للطرازي ص ٢٢٩

يقول يوهان غوته فيقول : "يسوع كان طاهر الشعور ولم يؤمن إلا بالله الواحد الأحد ، ومن جعل منه إلهاً فقد أساء إليه ، وهكذا فإن الحق هو ما نادى به محمد"
من قصيدة "هذه الأسماط من اللآلئ" غوته ، نقلاً عن "غوته والعالم العربي" كاتارينا مومزن ص ٢٥٥
وقال في ص ٢٥٧

"تريدين أن تُقدمي إلي هذه الصورة البائسة للمصلوب على الخشب على أنه الله"
نقلت ذلك من كتاب الدالاتي "ربحت محمدا ولم أخسر المسيح"
ويقول غوته : "إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة ... فالقرآن كتاب الكتب ، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي ... ولما بلغ غوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد، ولما أبصر غوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن هتف : "مرحباً بك في هذا المكان المقدس ، أغلى كنز في الأرض"
نفس الكتاب "جوته والعالم العربي" كاتارينا مومزن (١٧٧-١٨٨-٢٦١) .
وقال : "درست تاريخ الأديان على مدى خمسين عاماً ، وإن العقيدة التي يُربّى عليها المسلمون لتدعو لأعظم دهشة!! إذ تقوم على أساس الإيمان بأنه لن يصيب الإنسانَ إلا ما كتبه الله له ، وإنه ما من شيء ينقص هذه العقيدة ، ولن يكون بإمكان أي امرئ أن يتجاوزها ... إن الإسلام هو الدين الذي سنقرّ به جميعاً إن عاجلاً أو آجلاً ... وأنا لا أكره أن يقال عني أني مسلم"
نفس المصدر ٢٢٣ – ٢٢٦ .
ويقول غوته كذلك:
"ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".
عن كتاب شمس الله تشرق على الغرب ص ٤٦٥

يقول الدكتور إيرنبرج أستاذ في جامعة أوسلو
"لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله ، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع ، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله. "
وقال المفكر الفرنسي" أوجين بوغ
"... نعترف نحن الأوربيين أنه لا يمكننا في أية حال أن نجزي – يعني المسلمين – جزاؤهم الأوفى فإنهم الأساتذة الذين تلقينا عنهم العلوم وعلاوة على ذلك، فقد علمَنا العربُ دروساً في التسامح والكرم فإنهم لم يرغموا الشعوب على تغيير معتقدهم الديني وأن من يمتزج بالمسلمين يتأكد من أنهم يحملون قلوباً بيضاء سليمة"

رجوعا إلى برناردشو
قال: "لقد وضعت دائماً دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذاباً لكل جيل من الناس.
لا مشاحة في أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال، ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً. وقد بدأ يكون مقبولاً لديها اليوم. لقد صور

أكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان، إما بسبب الجهل أو بسبب التعصب الذميم، ولقد كانوا في الواقع يربون على كراهية محمد ، وكراهية دينه، وكانوا يعتبرونه خصماً للمسيح.
ولقد درسته باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية وإني لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله قيادة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما.
ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون أمثال (كارلايل) و(جوته) و(جيبون) القيمة الذاتية لدين محمد وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام، ولكن أوروبا في القرن الراهن تقدمت في هذا السبيل كثيراً، فبدأت تعشق دين محمد ، وفي القرن التالي، ربما ذهبت إلى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل مشاكلها، فبهذا الروح يجب أن تفهموا نبوءتي. وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي ومن أهل أوروبا قد دخلوا في دين محمد حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ

قال الشيخ محمد علي السايس في كتابه "تاريخ الفقه الإسلامي" ص ١٥٠
قرر مؤتمر القانون المقارن الذي عقد في مدينة لاهاي في جمادة الآخرة ١٣٥٦ هـ آب عام ١٩٣٧ م
ومثل الأزهر فيه مندوبان من كبار علمائه حاضرا عن المسؤولية الدينية في الإسلام ونفي أية علاقة بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية
قرر المؤتمر بالإجماع ما يلي:
١. اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام
٢. اعتباره حية صالحة للتطور
٣. اعتباره شريعةً قائمة بذاتها، ليس مأخوذة من غيرها.
٤. تسجيل البحث الأول في سجل المؤتمر باللغة العربية واعتباره بين لامجموعة العلمية التي تدخر للرجوع إليها.

يقول الأديب الإنكليزي جوني لوركس
"لم نعلم مما جاءنا من التاريخ الصحيح أن محمداً نبي الإسلام، صلى الله عليه وسلم، تسربل بأي رذيلة مدة حياته".
قول العالم الهندي: ت. ل. قسوائي
"إليك يا محمد أقدم إجلالي وتعظيمي بكل خضوع وتكريم، إليك أطأطئ رأسي، فإنك حقاً رسول من عند الله، وإن قوتك العظيمة كانت مستمدة من عالم الغيب الأزلي الأبدي".
يقول البروفسور "رينولد نيكلسون" في كتابه "التاريخ الأدبي للعرب"
"القرآن الكريم وثيقة إنسانية رائعة ، توضح بدقة سر تصرفات محمد في جميع أحداث حياته ، حتى إننا لنجد فيه مادة فريدة لا تقبل الشك أو الجدل ، نستطيع خلالها

أن نتتبع سير الإسلام منذ نشأته وظهوره في التاريخ المبكر ، وهذا ما لا تجد له مثيلاً في البوذية أو المسيحية أو أي دين من الأديان القديمة .." .

يقول الدكتور إيزكو انساباتو :
"إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية ، بل هي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً"

رجوعا إلى "ويلز" وكتابه "معالم تاريخ الإنسانية" :
يقول: "إن أوروبة مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية .." .

وقال "بريفولت" في كتابه "تكوين الإنسانية" :
" العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة الإسلامية إلى العالم الحديث ، ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوروبي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذ ... وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام بناء حضاري .." .

وقال بروفيسور جارسان دي تاسي في كتابه "الإسلام":
"إن محمداً رسول الإسلام ولد في حضن الوثنية، ولكنه منذ نعومة أظفاره أظهر بعبقرية فذة انزعاجاً عظيماً من الرذيلة وحباً حاداً للفضيلة، وإخلاصاً ونية حسنة غير عاديين، إلى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد اسم "الأمين".
ويقول العلامة "شبرل" عميد كلية الحقوق بجامعة "فينا" في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧ :
"إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها ، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة" .

ويقول "أدموند بيرك" :
"إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه ، وهذا القانون نسج بأحكم نظام حقوقي ، وشريعة الإسلام هي أعظم تشريع عادل لم يسبق قط للعالم إيجاد نظام مثله ، ولا يمكن فيما بعد .." .

قال القانوني الكبير "فمبري" :
"إن فقه الإسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم ."

وقال "سيديلوت" في كتابه "تاريخ العرب" :

"كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ؛ وتسربت عنهم إلى أوروبة ، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها .."

يقول الياس أبو شبكة في كتابه" روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة":

" إن زوال الحضارة العربية كان شؤما على أسبانيا وأوربا ، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب، وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب..".

ويقول الدكتور عبد الكريم جرمانيوس الأستاذ في جامعة بودابست

" إن الإسلام دين الأذهان المستنيرة وانا أعرف في بلادي وفي أوروبا رجالا مستنيرين في أرفع الأسر يحترمون الإسلام ويوشكون ان يتخذوه دينا ولو في سرائرهم."

نقل مصطفى غفر الله له:

الحاج عبد الكريم جرمانوس مستشرق مجريّ وعالِم، طبقت شهرته آفاق العالم. وُلد في بودابست، وتعلّم اللّغات الغربيّة: اليونانيّة، واللاتينيّة، الإنجليزيّة، والفرنسيّة، والإيطاليّة، والمجريّة، ومن اللغات الشرقيّة: الفارسيّة والأورديّة، وأتقن العربيّة والتركيّة على أستاذيه: فامبيري، وغولد زيهر اللّذين ورث عنهما ولعهما بالشرق الإسلاميّ. ثمّ تابع دراستهما بعد عام ١٩٠٥م في جامعتي استانبول وفينّا. وصنّف كتاباً بالألمانيّة عن الأدب العثمانيّ (١٩٠٦)، وآخر عن تاريخ أصناف الأتراك في القرن السابع عشر ، فنال عليه جائزة مكّنته من قضاء فترة مديدة في لندن، حيث استكمل دراسته في المتحف البريطانيّ.

وفي عام ١٩١٢م عاد إلى بودابست، فعُيِّن أستاذاً للّغات العربيّة والتركيّة والفارسيّة، وتاريخ الإسلام وثقافته في المدرسة العليا الشرقيّة. ثمّ في القسم الشرقيّ من الجامعة الاقتصاديّة، ثمّ أستاذاً ورئيساً للقسم العربيّ في جامعة بودابست (١٩٤٨)، وظلّ يقوم فيه بتدريس اللّغة العربيّة، وتاريخ الحضارة الإسلاميّة، والأدب العربي قديمه وحديثه، محاولاً إيجاد حلقات اتصال بين نهضات الأمم الإسلاميّة الاجتماعيّة والسيكولوجيّة، حتّى أُحيل على التقاعد (١٩٦٥).

ودعاه "طاغور" إلى الهند أستاذاً للتاريخ الإسلاميّ، فعلمه في جامعات دلهي، ولاهور، وحيدر آباد (١٩٢٩-١٩٣٢)، وهناك أشهر إسلامه في مسجد دلهي الأكبر، وألقى خطبة الجمعة، وتسمّى بـ "عبد الكريم". وقدم القاهرة وتعمّق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر، ثمّ قصد مكّة حاجّاً وزار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وصنّف في حجّته كتابه: الله أكبر، وقد نُشر في عدّة لغات (١٩٤٠)، وقام بتحرِّيات علميّة (١٩٣٩ـ١٩٤١) في القاهرة والسعوديّة نشر نتائجها في مجلّدين: شوامخ الأدب العربي (١٩٥٢)، ودراسات في التركيبات اللّغوية العربيّة (١٩٥٤).

وربيع عام ١٩٥٥ عاد ليقضي بضعة أشهر في القاهرة والإسكندريّة ودمشق بدعوة من الحكومة ليحاضر بالعربيّة عن الفكر العربيّ المعاصر، وعن صور من الأدب المجريّ، ثمّ رجع إلى الشرق العربيّ في شتاء ١٩٥٨، لاستكمال مصادر كتابه

الجديد عن أدبائه المعاصرين. والذي صدرت بعض فصوله، وفيها قصص الكتّاب المعاصرين. وقد انتخب عضواً في المجمع الإيطالي(١٩٥٢)، ومراسلاً للمجمع اللّغويّ بالقاهرة (١٩٥٦)، وفي المجمع العلميّ العراقي (١٩٦٢).
إرهاصات اعتناقه الإسلام
يروي الدكتور "عبد الكريم جرمانوس" خلفيّات اهتدائه إلى الإسلام فيقول: "كان ذلك في عصر يوم مطير، وكنتُ ما أزال في سنّ المراهقة، عندما كنتُ أقلّب صحائف مجلّة مصوّرة قديمة، تختلط فيها الأحداث الجارية مع قصص الخيال، مع وصف لبعض البلاد النائية؛ بقيت بعض الوقت أقلّب الصحائف في غير اكتراث إلى أن وقعت عيني فجأة على صورة لوحة خشبيّة محفورة استرعت انتباهي، كانت الصورة لبيوت ذات سقوف مستوية تتخللها هنا وهناك قباب مستديرة ترتفع برفق إلى السماء المظلمة التي شقّ الهلال ظلمتها..
ملكت الصورة عليَّ خيالي.. وأحسستُ بشوق غلاّب لا يقاوم إلى معرفة ذلك النور الذي كان يُغالب الظّلام في اللّوحة.. بدأتُ أدرس اللّغة التركيّة، ومن ثمّ الفارسيّة فالعربيّة. وحاولتُ أن أتمكّن من هذه اللّغات الثلاث حتّى أستطيع خوض هذا العالم الروحيّ الذي نشر هذا الضوء الباهر على أرجاء البشريّة".
وفي إجازة صيف كان من حظّه أن يُسافر إلى البوسنة وهي أقرب بلد شرقيّ إلى بلاده. وما كاد ينزل أحد الفنادق حتّى سارع إلى الخروج لمشاهدة المسلمين في واقع حياتها.. حيث خرج بانطباع مُخالف لما يُقال حول المسلمين.. وكان هذا هو أوّل لقاء مع المسلمين. ثمّ مرّت به سنوات وسنوات في حياة حافلة بالأسفار والدراسات، كان مع مرور الزّمن تتفتّح عيونه على آفاق عجيبة وجديدة.
ورغم تطوافه الواسع في دنيا الله، واستمتاعه بمشاهدة روائع الآثار في آسيا الصغرى وسوريا، وتعلّمه اللّغات العديدة وقراءاته لآلاف الصفحات من كتب العلماء، قرأ كلّ ذلك بعين فاحصة: "ورغم كلّ ذلك فقد ظلّت روحي ظمأى" كما يقول.
أثناء وجوده في الهند، وفي ذات ليلة رأى ـ كما يرى النائم ـ كأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه بصوت عطوف: "لماذا الحيرة؟ إنّ الطريق المستقيم أمامك مأمون ممهّد مثل سطح الأرض. سرْ بخطى ثابتة وبقوّة الإيمان".. وفي يوم الجمعة التالية، وقع الحدث العظيم في مسجد الجمعة في دلهيّ.. حينما أشهر إسلامه على رؤوس الأشهاد..
وعن تلك اللّحظات المفعمة بالأحاسيس يتذكّر "الحاج عبد الكريم جرمانوس" فيقول: "كان التأثّر والحماس يعمّان المكان، ولا أستطيع أن أتذكّر ماذا كان في ذلك الحين.. وقف الناس أمامي يتلقفونني بالأحضان. كم من مسكين مجهد نظر إليَّ في ضراعة، يسألني "الدعوات" ويريد تقبيل رأسي، فابتهلتُ إلى الله أن لا يدع هذه النفوس البريئة تنظر إليّ وكأنّي أرفع منها قدراً، فما أنا إلاّ حشرة من بين حشرات الأرض، أو تائه جادّ في البحث عن النور، لا حول لي ولا قوة، مثل غيري من المخلوقات التعيسة.. لقد خجلتُ أمام أنّات وآمال هؤلاء الناس الطيّبين.. وفي اليوم التالي وما يليه كان

الناس يفدون عليَّ في جماعات لتهنئتي،ونالني من محبّتهم وعواطفهم ما يكفيني زاداً مدى حياتي.
من آثاره
إضافة إلى ما ورد في ثنايا البحث، من عناوين مؤلفاته، فقد ترك تراثاً علميّاً زاخراً بالعمق والتنوّع: قواعد اللّغة التركيّة (١٩٢٥)، والثورة التركيّة، والقوميّة العربيّة (١٩٢٨)، والأدب التركيّ الحديث (١٩٣١)، والتيّارات الحديثة في الإسلام(١٩٣٢)، واكتشاف الجزيرة العربيّة وسوريا والعراق وغزوها (١٩٤٠)، ونهضة الثقافة العربيّة (١٩٤٤)، ودراسات في التركيبات اللّغويّة العربيّة (١٩٥٤)، وابن الروميّ (١٩٥٦)، وبين المفكّرين (١٩٥٨)، ونحو أنوار الشرق، ومنتخب الشعراء العرب (١٩٦١)، وفي الثقافة الإسلامية، وأدب المغرب (١٩٦٤)،

يقول موريس بوكاي
في كتابه "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٢٢
"بالنظر إلى مستوى المعرفة في أيام محمد فإنه لا يمكن تصور الحقائق العلمية التي وردت في القرآن على أنها من تأليف بشر. لذا فمن الإنصاف تماماً أن لا ينظر فقط إلى القرآن على أنه التنزيل الإلهي فحسب بل يجب أن تعطى له منزلة خاصة جداً للأصالة التي تقدمها المعطيات العلمية التي وردت فيه والتي إذا ما درست اليوم تبدو وكأنها تتحدى تفسير البشر"
وقال في " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم"، ص ١٥٠.
"لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثًا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخًا في عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل.. فإننا نجد نصّ إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرًا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض"
وفي ص ١٤٥، قال:
"لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدّ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نصّ كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة"

".. تناولتُ القرآن منتبهًا بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرة والتي لم يكن ممكنًا لأي إنسان في عصر محمد أن يكون عنها أدنى فكرة..".

وقال في ص ١٥٠:

".. كيف يمكن لإنسان – كان في بداية أمره أمّيًا -.. أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة"

يقول دوقلس أرثر :

" لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأس مالية والشيوعية على السواء ، فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان ، أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء ، والأمل والهدى للحيارى والضالين ، وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانيات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية ".

يقول سنرستن الآسوجي :

"إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ"

يقول بورنز ايدوارد:

" إن عظمة الحضارة الإسلامية وأهميتها لا ترجع إلى أنها فقط بدين جديد آمن به الملايين من الناس في أماكن متعددة ومتفرقة – وإنما فيما أحدثته أيضاً من تغيرات اجتماعية وسياسية كثيرة ، نتج عنها ثراء فكري وتراث حضاري لم يسبق له مثيل . وقد تضمنت الحضارة الإسلامية الآداب والخلاق والفلسفة والمنطق كما كانت ذات تأثير خاص في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية "

Burns Edwared in "western civlization" W .W – morton Scompany New York ١٩٧٣

رجوعا إلى ديكارت:

يقول في كتاب مبادئ الفلسفة:

" على أي معنى يمكن القول بأن من جهل الله فلن يستطيع أن يعرف شيئا آخر معرفة يقينية "

ويقول أيضاً :

" في إمكان إثبات وجود الله من أن ضرورة الكينونة أو الوجود متضمنة في تصورنا له ، بمعنى أن من تصور الوجود الضروري الأبدي متضمناً في فكرته عن الوجود الكامل إطلاقاً لزم أن يستنتج أن هذا الوجود الكامل بإطلاق موجود حقاً" .
ويقول أيضاً : " في أن آجالنا في حياتنا كافية وحدها لإثبات وجود الله"

ويقول الفرنسي لوي سيديو Louis Sédillot
"إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب مالك هو شرح الدردير على متن خليل"
عن "الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام" للمستشار علي علي منصور، طبعة دار القلم، القاهرة بدون تاريخ، ص ٤٧:
وقال:
"إن نتاج أفكار العرب والمسلمين يشهد بأنهم أساتذة أوربا في جميع فروع المعرفة".
وقال:
"لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوربة من تحجر العقل ، وشل التفكير ، وجدب الروح ومحاربة العلم والعلماء ، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أُحرقوا أحياء ! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر ، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة ، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ، ومنح مخالفيه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام" هذه الفقرة "عن "هكذا كانوا يوم كنا" د. حسان شمسي باشا.

تعريف
هو مستشرق فرنسي عكف عن نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذي توفي عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله في تاريخ العلوم الإسلامية . وقد عين لويسا أمينا لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتابا بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) ضلا عن (تاريخ العرب العام) ، وكتب العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات المعروفة .

قال دو هومبلد:
"كان المسلمون مستعدين بما يدعو إلى العجب ليمثلوا دور الوسيط ويؤثروا في الأمم القاطنة فيما بين نهر الفرات ونهر الوادي الكبير وفي القسم الجنوبي من أوربا وأواسط وشمال أفريقيا. المسلمون كانوا ذوي نشاط منقطع النظير وهذا النشاط هو آية دور ممتاز في تاريخ الدنيا".
قال: هنري دي كاستري

"...أن الناس بالغوا كثيرا في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين أن لم نقل أن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح . فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة ،بل المعقول انه من شأنه تلطيفها ، على أنني لست ادري إن كانت

تلك الرذائل أكثر منها في الغرب ،بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السواح الذين يرون أمرا في فرد فيجعلونه عاما من غير تثبيت فيه لولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئا يملأون به مؤلفاتهم والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحث في الشرق بأجمعه لأن النبي بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة."

وقال:

"من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم أن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئا مملوكا لزوجها لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقا أدبية وحقوقا مادية من شانها إعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية.."

"لم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عددهن ، بل حرم ما كان معروفا عند العرب قبله من الزواج لزمن محدد وفي ذلك شبه تحريم للطلاق لكونه لا يتأتى إلا بشروط مخصوصة... " ""...إننا لو رجعنا إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومكان ظهوره لما وجدنا عملا يفيد النساء أكثر مما أتاه فهن مدينات لنبيهن بأمور كثيرة وفي القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب لهن على الرجال ..ويرى القارىء من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام "الإسلام" بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التعشق بين المسلمين لكي يجعل الأزواج والآباء في راحة ونعيم ..ولقد- أصبحت- للمسلمين أخلاق مخصوصة ،عملا بما جاء في القرآن أو في الحديث ،وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار، وجاء هذا مغايرا لآداب الأمم المتمدنة اليوم على خط مستقيم ومزيلا لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين إلى الشهوات لولا هذه التعاليم والفروض.والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والأرض .. " "

تعريف

الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠-١٩٢٧) Cte.H.de castries

مقدم في الجيش الفرنسي ، قضى في إفريقيا الشمالية زمنا طويلا.

من آثاره : (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٠٥) ، (الأشراف السعديون) (١٩٢١) ، (رحلة هولندي إلى المغرب) (١٩٢٦) ، غيرها. .

يقول مراد هوفمان في الإسلام كبديل ص ١٣٢.:

"الإسلام هو الحياة البديلة بمشروع أبدي لا يبلى ولا تنقضي صلاحيته ، وإذا رآه البعض قديماً فهو أيضاً حديث ومستقبليّ لا يحدّه زمان ولا مكان ، فالإسلام ليس موجة فكرية ولا موضة، ويمكنه الانتظار ..." .

قال غوستاف لوبون في "حضارة العرب"، للدكتور غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الرابعة ص ٢٧٠، ٢٧٢

"وعاهد فرديناند (نصراني أسباني كاثوليكي استولى على أخر مملكة إسلامية وهي غرناطة سنة ١٤٩٢م.) العرب على منحهم حرية التدين واللغة، ولكنه في سنة ١٤٩٩م، لم تكد تحل حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قرونا، والذي لم ينته إلا بطرد العرب من أسبانية، وكان تعميد العرب كرها فاتحة ذلك

الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهر بالنار إلا بالتدريج، لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة.
ونصح كردينال طليطلة التقي! الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش، بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالا ونساء وشيوخا وولدانا، ولم ير الراهب الدومينيكي "بليدا" الكفاية في ذلك، فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي على دينه منهم، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب إذن، قتل جميع العرب بحد السيف، لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويُدخِل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم.
ولم تر الحكومة الأسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي أيده الأكليروس في رأيه، لما قد يبديه الضحايا من مقاومة، وإنما أمرت في سنة ١٦١٠م بإجلاء العرب عن أسبانية، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع "بليدا" ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مائة آلف مهاجر من قافلة واحدة، كانت مؤلفة من أربعين ألفا ومائة ألف مهاجر (١٤٠٠٠٠)مسلم حينما كانت متجهة إلى إفريقية.
وخسرت أسبانية بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر، ويقدر كثير من العلماء، ومنهم "سيديو" عدد المسلمين الذين خسرتهم أسبانية منذ أن فتح "فرديناند" غرناطة حتى إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين، ولا تعد ملحمة سان باتلمي إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا يؤبه له.

ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين.
ومما يرثى له أن حرمت أسبانية عمدا، هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية.. والصناعية..
وسيرى القارئ في الفصل الذي خصصناه للبحث في وارثي العرب، مقدار الانحطاط الذي أسفر عن إبادة العرب، وإذا كنت قد أشرت إلى هذا هنا فلأن شأن العرب المدني لم يبد في قطر ملكوه كما أبيد في أسبانية، التي لم تكن ذات حضارة تذكر قبل الفتح العربي، فصارت ذات حضارة ناضرة في زمن العرب، ثم هبطت إلى الدرك الأسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب، وهذا مثال بارز على ما يمكن أن يتفق لعرق من التأثير..."

قال مصطفى غفر الله له
أرجو من إخوتي المشرفين أن لا يحذفوا شيئا
كارثة عظيمة نسير إلى الوقوع في مثلها، لكن هذه المرة في عقر دارنا وهذا أسوأ، والأدهى والأمر أن هؤلاء قتلوا على إسلامهم فلا خوف على آخرتهم، وأما كثير من أمة محمد سيموت على ...،

وهم الآن يحاربوننا على جهاز مناعتنا وهي عقيدة التوحيد ويخرجون أبناءنا من النور إلى الظلمات، هذا يعيش من أجل الفن، والآخر يعيش من أجل الليبرالية، والآخر يعيش من أجل التعددية، والآخر يعيش من أجل...،
فالاستعمار أخذ منا ديارنا في القرن الماضي والذي قبله لكنه لم ياخذ منا عقيدتنا، والآن يراهن عليها بخيله ورجله وهذا هو الامتحان لنا جميعا،
فهل سنعيش في ترف معلوماتي، ونوم داخل بطون الكتب ولا أثر دعويا في الواقع يذكر،
فلوانشغل الصحابة الكرام وتابعوهم بالمناقشات ما وصل الإسلام إلى المغرب والسينغال، لكن المعين الصافي الذي سقوا منه جعلهم يعرفون دورهم وينطلقون من أجله، وهذا الذي جعل تلك القرون خير القرون.
يا أهل الحديث أنقذوا من استطعتم من النار، يا أهل الحديث سبيل أتباع النبي هي الدعوة إلى الله على بصيرة،
قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين
ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين
انقذوا من استطعتم ، أرجوكم..
اللهم أعز الإسلام والمسلمين

قال غيلوم بستل في كتاب "النحو العربي" :
" ندين للعرب بعلم النجوم وبالتطبيق العلمي للطب ولدي الشجاعة أن أقسم بأنه لا وجود لعالم أو متخصص بشكل علمي في عصرنا هذا إلا وهو مشغول بالمؤلفات العربية ، وإلا فمن يجسر على عدم الاعتراف بأن القرون غير مشبعة بالتقدم ، ولكننا ولحسن حظنا ندين في كثير من الأمور التي نطبقها في هذا القرن للعرب وليس لجالينوس . فبالإمكان الحصول على مؤلفات جالينوس باللغة اللاتينية من قبل علماء اللاتينية ، لكنها معتمدة على ترجمات عربية نقية ، وعلينا أن نعرف أنه ما كان قد عالجه جالينوس بأسلوبه الباروكي ، في خمسة أو ستة كتب ضخمة كان قد عالجه ابن سينا في نحو صفحة أو صفحتين"
عن هولندا والعالم العربي لمجموعة من أساتذة جامعة ليدن ، هولندا

يقول المستشرق الفرنسي " جاك رسلر " في كتاب " الحضارة العربية " :
" في غضون خمسمائة سنة ما بين ٧٠٠ و ١٢٠٠ ساد الإسلام على العالم بقوة حضارته وعلمه .. فكان المقاتل العربي في القرن الحادي عشر مزوداً بالقوس والقذافة قبل الغربيين بمائتي عام وكانت القذافة تستعمل لغرضين فهي لم تكن تسمح فقط بإطلاق عدة أسهم فحسب ، بل كانت قادرة على قذفها لمسافة بعيدة ، ومنها ما كان يطلق من على منصات إطلاق ثقيلة . ثم كان العرب أول من صنع البارود بعد ذلك بنصف قرن"

يقول محمد أسد النمساوي "ليوبولد فايس"
"إن الشريعة الإسلامية ، بمقتضى الحكمة التي تأخذ الطبيعة البشرية بعين الاعتبار الكلي دائما ، لا تأخذ على عاتقها أكثر من صيانة الوظيفة الاجتماعية – البيولوجية للزواج، فتسمح لرجل بان يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة ولا تسمح للمرأة بان تتخذ لنفسها أكثر من زوج واحد في الوقت نفسه ، في حين أنها تترك للشريكين مسالة الزواج الروحية التي لا يمكن أن تقاس، وبالتالي تقع خارج دائرة الشريعة. فمتى كان الحب تاما كاملا فعندئذ تنعدم الرغبة عند كل منهما في الزواج ثانية ومتى كان الرجل لا يحب زوجته من كل قلبه ولا يرغب مع ذلك في فقدها ، فان بإمكانه أن يتزوج بأخرى... ومهما يكن فانه لما كان الزواج في الإسلام عقدا مدنيا فحسب فان في مكنة الشريكين في الزواج أن يلجا دائما إلى الطلاق خصوصا وان الوصمة التي تلصق بالطلاق ، سواء بشدة اقل أو أكثر ، في المجتمعات الأخرى ، معدومة في المجتمع الإسلامي"
"إن الحرية التي تمنحها الشريعة الإسلامية كلا من الرجل والمرأة على حد سواء لعقد الزواج أو حل هذا العقد ، يفسر السبب الذي من اجله تعتبر هذه الشريعة الزنا من أقبح الآثام : ذلك انه تجاه هذا التسامح وهذه الحرية لا يمكن أن يكون هناك أيما عذر للوقوع في حبائل العاطفة أو الشهوة..."
"جاء النبي بما لم يسمع به من قبل الرجال والنساء سواء أمام الله ، وان جميع الواجبات الدينية مفروضة على الرجل والمرأة على حد سواء. والحق انه ذهب إلى ابعد من ذلك فأعلن...أن المرأة شخص بملء حقها وليس لمجرد صلتها بالرجل كأم أو زوجة أو أخت أو ابنة ، وأنها لذلك من حقها أن تقتني ملكا وان تتعاطى التجارة على حسابها ومسؤوليتها وان تهب لنفسها لمن تشاء عن طريق الزواج"
تعريف
مفكر ، وصحفي نمساوي ، أشهر إسلامه ، وتسمى بمحمد أسد ، وحكى في كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام . وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول ، الذي اسلم هو الآخر ، مجلة "الثقافة الإسلامية" ، في حيدر آباد ، الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام .
من آثاره : ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس ، وألف "أصول الفقه الإسلامي"، و "الطريق إلى مكة" ، و "منهاج الإسلام في الحكم" ، و "الإسلام على مفترق الطرق".
عندما جاء عالم الفلك المسلم عناية الله المشرقي وأظنه من الهند إلى لندن للقاء السير جيمس جينز العالم الفلكيزن دلوه عليه فإذا بالثاني يقرأ الكتاب المقدس والمطر ينزل عليه، وكان المطر في بدايته، فنبهه العالم عناية الله إلى أن المطر يهطل والكتاب سيبتل، - وكان الآخر منغمسا في القراءة -،
فتعرف عليه وأخذه إلى بيته، وهناك قال له عناية الله المشرقي:
- كيف تقرأ الإنجيل وأنت عالم فلكي كبير، أليس هذا من مظاهر التخلف عنكم أن يقرأ الإنسان المتحضر الكتاب المقدس.
قال جيمس جينز:

- كلما قرأت هذا الكتاب أخذتني القشعريرة، وعلمت أن الذين يعرفون الله حق المعرفة ويخافونه حق الحشية هم العلماء.
قال له عناية الله:
- إن هذا موجود في كتابنا العزيز ، يقول الله عز وجل: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"
فصرخ قائلا: مدهش وغريب! إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة استمرت خمسين سنة! ،
هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟!
لو كان الأمر كذلك فلابد أن يكون القرآن كتابا موحى به من عند الله.
قال مصطفى
هذه أحفظها منذ ثلاث سنوات من محاضرة ألقاها الشيخ عدنان إبراهيم عندما كان ضيفا علينا في الدانمرك ونسيت أن أسأله عن مصدرها. ووجدت بعضها متناثرا في الشبكة من غير عزو كذلك.
ويقول المستر إسحاق الطيار وهو رئيس كنيسة، في خطبة التي ألقاها في مؤتمر الكنيسة:
"الإسلام ينشر لواء المدنية التي تعلم الإنسان ما لم يعلم ومنافع الدين الإسلامي لا ريب فيها وفوائده من اعظم أركان المدنية"

يقول الماجور ارثوليونرد :
"خلف محمداً للعالم كتاباً هو آية في البلاغة، وسجل الأخلاق، وكتاب مقدس، وليس بين المكتشفات العلمية الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية."

ويقول أميل درمنجهم الذي كتابه عن سيرة النبي :
"ولما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية ، اتسعت هوة الخلاف ، وازدادت حدة ، ويجب أن نعترف بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف فمن البيزنطيين من أوقر الإسلام احتقاراً من غير أن يكلفوا أنفسهم مؤنة دراسته ، ولم يحاربوا الإسلام إلا بأسخف المثالب – فقد زعموا أن محمداً لص! ، وزعموه متهالكاً على اللهو! ، وزعموه ساحراً !، وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق! بل زعموه قسا رومانياً !!، مغيظاً محنقاً، إذ لم ينتخب لكرسي البابوية – وحسبه بعضهم إلهاً زائفا!!!اً يقرب له عباده الضحايا البشرية وذهبت الأغنيات إلى حد أن جعلت محمداً صنماً من ذهب وجعلت المساجد ملأى بالتماثيل والصور"
عن قصة الحضارة لويل ديورانت

يقول جار ريسلر في " الحضارة العربية":
" لقد وصلت الثقافة العربية إلى درجات العرش حيث كان الخليفة يتحاور مع ابن رشد حول " أرسطو وأفلاطون " في وقت كانت طبقة النبلاء في الغرب تتباهى

بجهلها بالقراءة والكتابة ، وفي قرطبة كان الحاكم الأموي يملك مكتبة تضم أكثر من ٤٠٠.٠٠٠ كتاب بينما لم يكن ملك فرنسا شارل الخامس قادراً بعد ذلك بأربعة قرون على جمع أكثر من ألف كتاب . أما مكتبة ابن عباد فكانت تحوي من الكتب أكثر مما كان يمكن إحصاؤه في كل مكتبات أوروبا مجتمعة ----------

يقول الأمريكي "جورج سارتون " عن الحسن بن الهيثم :

"إنه أعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة ، بل أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ، ومن علماء البصريات القليلين في العالم كله "

عن ابن الهيثم ، مؤسس علم الضوء ، د. عمر الطباع ، أ. عبدالمنعم الهاشمي .

يقول المؤرخ الإنكليزي "جون دوانبورت"

"لو لم تقم في جنوب أوروبا الحضارة الأندلسية العربية، لظلت هذه القارة تسبح مع شعوبها المختلفي النحل والنزعات في حلك من ظلمة الجهل والبداوة، ولما ظهر للمدنيّة الأوربية الحالية أثر في الوجود".

وقال ويل ديورانت:

"القباب المتلألئة والمآذن المذهَّبة جعلت بلاد الأندلس في القرن العاشر الميلادي أعظم البلاد المتحضرة في العالم كله في ذلك الوقت. وكان زائرو مدينة قرطبة يُدهشون من ثراء الطبقات العليا ومما كان يبدو أنه رخام عام"

تقول بوجينا غيانا ستشيجفسكا Bozena-Gajane Strzyzewskz المستشرقة البولونية في كتابها "تاريخ التشريع الإسلامي" ص ١٧ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠:

"...ومع هذا فلما انتصر عليهم يوم فتح مكة عفا عنهم وأحسن إليهم، ولذلك أحبوه وأسلموا طواعية واختيارا، والقول أن الإسلام انتشر بالسيف كلام يكذبه التاريخ ويكذبه الواقع"

قال دونالد ر-هيل Donald R. Hill في كتابه "العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية" "Islamic Science and Engineering " ص ٢٨٨ ، ترجمة أحمد فؤاد باشا صدرت عن عالم المعرفة عدد ٣٠٥:

"كان القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر أعظم فترة انتشر خلالها العلم الإسلامي في الغرب، وقد أعطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي الدفع الضروري لنمو العلم الأوروبي"

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٥٨١٠

٦- محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

"إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.. إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخوّله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية".
(العالم الأمريكي مايكل هارث)

إبراهيم خليل أحمد
[١]
"هذه هي حقيقة يثبتها التاريخ: فبينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، نور وضاء أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام"(١).
[٢]
"إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم محمد [صلى الله عليه وسلم] بقوله: (وأما متى جاء ذاك: روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية)(٢) .."(٣).
[٣]
"يقول برنابا: (سيأتي مسيا (أي الرسول) المرسل من الله لكل العالم،.. وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة..)(٤) .."(٥).
[٤]
".. كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم]"(٦).
[٥]
"يقول عيسى [عليه السلام] في إنجيل برنابا: (لأن الله سيصعِّدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إيّاي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمنًا طويلاً في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة)(٧) .."(٨).

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٤٧ .
(٢) إنجيل يوحنا ، ١٦ : ١٢ و .
(٣) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٩٨ .
(٤) إنجيل برنابا ، ٨٢ : ١٦ – ١٨ .
(٥) محمد في التوراة ، ص ١٠٥ .
(٦) نفسه ، ص ١١٤ .
(٧) إنجيل برنابا ، ٨٠١١٢ ـ ١٦ .

(٨) محمد في التوراة ، ص ١٤١ .

آرنولد

[١]

".. لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية [صلى الله عليه وسلم]، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي [صلى الله عليه وسلم] هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئًا عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يتخذوها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجئ في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها. وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك وكيف كان النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] يعد نموذجًا للداعي إلى الإسلام.."(١).

[٢]

".. من الخطأ أن نفترض أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] في المدينة قد طرح مهمة الداعي إلى الإسلام والمبلغ لتعاليمه، أو أنه عندما سيطر على جيش كبير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى اعتناق الدين.."(٢).

[٣]

".. إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي [صلى الله عليه وسلم] واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم، والسياسة التي أوحت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفًا لديهم، كما جعل صيته ذائعًا في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيدًا عظيمًا ورجلاً كريمًا. وكثيرًا ما كان يفد أحد أفراد القبيلة على النبي [صلى الله عليه وسلم] بالمدينة ثم يعود إلى قومه داعيًا إلى الإسلام جادًا في تحويل إخوانه إليه.."(٣).

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤ .

(٢) نفسه ، ص ٥٤ .

(٣) نفسه ، ص ٥٥ عن: Muir (Sir Wiliam): Life of Mahomet, PP. ١٠٧-٨ (London, ١٨٥٨,-١) .

واشنجتون إيرفنج

[١]

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله"(١).

[٢]

"كانت تصرفات الرسول [صلى الله عليه وسلم] في [أعقاب فتح] مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي. ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو"(٢).

[٣]

"لقي الرسول [صلى الله عليه وسلم] من أجل نشر الإسلام كثيرًا من العناء، وبذل عدة تضحيات. فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحًا كبيرًا، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة"(٣).

[٤]

"برغم انتصارات الرسول [صلى الله عليه وسلم] العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول [صلى الله عليه وسلم] على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثيًا لأسرته"(٤).

[٥]

"كان الرسول [صلى الله عليه وسلم] ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيرًا ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال.. وهو لم يخلف وراءه دينارًا أو درهمًا أو رقيقًا.. وقد خيره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة"(٥).

---

(١) حياة محمد ، ص ٧٢ .
(٢) حياة محمد ، ص ٧٢ .
(٣) نفسه ، ص ٣٠٠ .
(٤) نفسه ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .
(٥) نفسه ، ص ٣٠٣ .

بارت(١)

[١]

"كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي [صلى الله عليه وسلم] أدلة الله، ومشرعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشرًا به"(٢).

[٢]

"كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيثون فيها فسادًا. حتى أتى محمد [صلى الله عليه وسلم] ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس"(٣).

---

(١) رودي بارت Rudi, Part
عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦، وله كتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ص ١٥ .
(٣) نفسه ، ص ٢٠ .

بروي(١)

[١]

"جاء محمد بن عبد الله [صلى الله عليه وسلم]، النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة [في دعوته] لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين.. ونشر الدين الحنيف.. وعندما قبض النبي العربي [صلى الله عليه وسلم]، عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل.."(٢).

---

(١) إدوار بروي Edourd Perroy
باحث فرنسي معاصر، وأستاذ في السربون.
(٢) تاريخ الحضارات العام ، ٣ / ١١٢ .

بلاشير

[١]

".. إن معجزة النبي [عليه الصلاة والسلام] الحقيقية والوحيدة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلّف بالمهام الثقيلة العبء وهي حمل النور إلى عرب الحجاز في أوائل القرن السابع ؟ إن محمدًا [عليه الصلاة والسلام] لا يبدو في القرآن إطلاقًا، منعمًا عليه بمواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يفخر بالاستغناء عن حاجات هي حاجاتهم، وهو يصرّح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق فان: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} [الكهف ١١٠]. وهو لم يتلق أي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه

انتخب ليكون منذرًا ومبشرًا للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن في قيمتها الإحيائية وإلى شكلها المنقطع النظير. ولم يكن محمد [عليه الصلاة والسلام] رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعرًا، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحسن الاحتفاظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء فنّ ارتجال الشعر. وعندما قال عنه المكّيّون المشركون أنه شاعر، أو حين عرّضوا بأن مصدر الوحي جنّي معروف أزال الله عنه هذه التهمة: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ، لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس ٦٩–٧٠]. وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بحمل الناس بقوة بيانه على الهداية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر"(١).

[٢]

".. أما عن انتصار الإسلام فثمّة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة الحجاز الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه.."(٢).

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، ٢ / ١٤ – ١٥ .
(٢) نفسه ، ٢ / ٥٠ .

مارسيل بوازار

[١]

"سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام [صلى الله عليه وسلم]، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد [صلى الله عليه وسلم] عن نفسه تبدو، حتى وإن عمد إلى تشويهها، علمية في الحدود التي تكشف فيها وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية.."(١).

[٢]

"لم يكن محمد [صلى الله عليه وسلم] على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق.."(٢).

[٣]

"منذ استقر النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها.. ولما كان منظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام.. وكما يظهر التاريخ الرسول [صلى الله عليه وسلم] قائدًا

عظيم ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرًا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابدّ أن يكون محمد [صلى الله عليه وسلم] الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله"(٣).

[٤]

".. لقد كان محمد [صلى الله عليه وسلم] نبيًا لا مصلحًا اجتماعيًا. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر.."(٤).

[٥]

".. مما لا ريب فيه أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] قد اعتبر، بل كان في الواقع، ثائرًا في النطاق الذي كان فيه كل نبي ثائرًا بوصفه نبيًا، أي بمحاولته تغيير المحيط الذي يعيش فيه.."(٥).

---

(١) إنسانية الإسلام ، ص ٤٠ – ٤١ .
(٢) نفسه ، ص ٤٢ .
(٣) نفسه ، ص ٤٦ .
(٤) نفسه ، ص ٦١ .
(٥) نفسه ، ص ٦٦ .

توينبي(١)

[١]

"لقد كرّس محمد [صلى الله عليه وسلم] حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية [وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم]. وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسره من سواحل الأطالسي إلى شواطئ السهب الأوراسي.."(٢).

[٢]

".. لقد أخذت سيرة الرسول العربي [صلى الله عليه وسلم] بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى علّيين، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبلون ما أوحي به إليه وأفعاله كما سجّلتها السنة، مصدرًا للقانون، لا يقتصر على تنظيم حياة الجماعة

الإسلامية وحدها، بل يرتب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونهم عددًا"(٣).

---

(١) آرنولد توينبي Arnold Toynbee
المؤرخ البريطاني المعاصر، الذي انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها – ولا ريب – مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ) الذي شرع يعمل فيه منذ عام ١٩٢١ وانتهى منه عام ١٩٦١، وهو يتكون من اثني عشر جزءًا عرض فيها توينبي لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر سومر فيل – تحت إشراف توينبي نفسه – مختصرًا في جزأين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدمًا عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء، وهو الذي اعتمدناه هنا.
(٢) مختصر دراسة للتاريخ ١٠ / ٣٨١ .
(٣) نفسه ، ٣ / ٩٨ .

فيليب حتي
[١]
"إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه أمة جديدة أخرجت للناس، أمة جاءت بها بعثة محمد [صلى الله عليه وسلم] من قبائل متنافرة متنازعة لم يقدّر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام [صلى الله عليه وسلم] أن يضيف حدًا جديدًا (رابعًا) إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان (إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات).."(١).
[٢]
"إن إقامة الأخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية (القائمة على الدم والقرابة) للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئًا جديدًا قام به النبي العربي [صلى الله عليه وسلم].."(٢).
[٣]
"في الكتاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة (التي حققها محمد صلى الله عليه وسلم) أو أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكامًا من زيف العلم.."(٣).
[٤]
"صفات محمد [صلى الله عليه وسلم] مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر. إن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ وغير ذلك

من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في دور من أدوار حياته يتيمًا فقيرًا، فقد كان في قلبه دائمًا سعة لمؤاساة المحرومين في الحياة"(٤).

[٥]
"إذا نحن نظرنا إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحدًا من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر"(٥).

(١) الإسلام منهج حياة ، ص ١٩ – ٢٠ .
(٢) نفسه ، ص ٥١ .
(٣) نفسه ، ص ٥٤ .
(٤) نفسه ، ص ٥٤ .
(٥) نفسه ، ص ٥٦ .

جورج حنا
[١]
".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] يخرج من سويعات [لقائه مع جبريل عليه السلام] بآيات تنطق بالحكمة، داعيًا قومه إلى الرجوع عن غيّهم، والإيمان بالإله الواحد الكليّ القدرة، صابًا النقمة على الآلهة الصنمية، التي كان القوم يعبدونها فكان طبيعيًا أن يحقد عليه أشراف العرب ويضمروا له الشر، لما كان في دعوته من خطر على زعامتهم، وهي ما كانت قائمة إلا على التعبد للأصنام التي جاء هذا الرجل يدعو إلى تحطيمها. لكن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يكن يهادن في بث دعوته، ولم يكن يسكت عن اضطهاد أشراف قريش له، بل كان يتحداهم، فيزدادون حقدًا عليه وتآمرًا على حياته. فلم تلبث دعوته حتى تحولت من دعوة سلمية إلى دعوة نضالية. إنه لم يرض بأن يحوّل خدّه الأيسر لمن يضربه على خدّه الأيمن.. بل مشى في طريقه غير هيّاب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيف يحارب به من يحاربوه. لقد آمن به نفر قليل في بداية الدعوة، وكان نصيب هذا النفر مثل نصيبه من الاضطهاد والتكفير.. كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي انطلقت منها رسالة محمد [صلى الله عليه وسلم]"(١).
[٢]
"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] في المدينة أكثر اطمئنانًا على نفسه وعلى أتباعه ورسالته مما كان في مكة.. كانت يثرب مدينة العامة التابعة، لا مدينة الخاصة المتبوعة. والعامة دائمًا أقرب إلى اقتباس كلمة الحق من الخاصة، لا سيما إذا كانت كلمة الحق هذه، تحررها من عبوديتها للخاصة"(٢).
[٣]

"محمد بن عبد الله [صلى الله عليه وسلم] كان ثائرًا، عندما أبى أن يماشي أهل الصحراء في عبادة الأصنام وفي عاداتهم الهمجية وفي مجتمعهم البربري. فأضرمها حربًا لا هوادة فيها على جاهلية المشركين وأسيادهم وآلهتهم. فكفره قومه واضطهدوه وأضمروا له الموت. فهاجر تحت جنح الليل مع نفر من أتباعه، وما تخلى عن النضال في نشر دعوته، وما أحجم عن تجريد السيف من أجلها. فأخرج من جاهلية الصحراء عقيدة دينية واجتماعية تجمع بين مئات الملايين من البشر في أقطار المعمورة"(٣).

---

(١) قصة الإنسان ، ص ٧٦ .
(٢) نفسه ، ص ٧٧ .
(٣) نفسه ، ص ٢٥٢ .

أميل درمنغم
[١]
".. إذا كانت كل نفس بشرية تنطوي على عبرة وإذا كان كل موجود يشتمل على عظة فما أعظم ما تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان!"(١).
[٢]
".. ولد لمحمد [صلى الله عليه وسلم]، من مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..) فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال.."(٢).
[٣]
".. تجلت بهذه الرحلة الباهرة [حجة الوداع] ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي الذي أنهكه اضطهاد عشر سنين وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، وهو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتلة على الدوام أمة واحدة.."(٣).
[٤]
"[إن] محمدًا [صلى الله عليه وسلم] الذي خلق القيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين.. وكان ينهى عن عدّه ملكًا.. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته.."(٤).
[٥]
".. الحق أن النبي [صلى الله عليه وسلم] لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت

لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسّ ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية"(٥).

---

(١) حياة محمد ، ص ٨ .
(٢) نفسه ، ص ٣١٨ .
(٣) نفسه ، ص ٣٥٩ .
(٤) نفسه ، ص ٣٦٠ .
(٥) نفسه ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

دُرّاني(١)

[١]

"أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره"(٢).

[٢]

".. وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة، التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد"(٣).

[٣]

".. تحمل [صلى الله عليه وسلم] ثلاثة عشر عامًا كاملة من المتاعب [في مكة] دون انقطاع، وثمانية سنوات [في المدينة] دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرضت عليه أمته أن تنصبه ملكًا عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلاً من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء ؟ لابدّ أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه"(٤).

[٤]

"هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي مدخول غير مخلص.. أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟"(٥).

[٥]

"إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد [صلى الله عليه وسلم] حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسموّ في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم] إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص.. [إن] حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم"(٦).

---

(١) الدكتور م. ج. دُرّاني Dr. M. H. Durrani
سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

(٢) رجال ونساء أسلموا ، ٤ / ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) نفسه ، ٤ / ٢٨ ـ ٢٩ .
(٤) نفسه ، ٤ / ٢٩ ـ ٣٠ .
(٥) نفسه ، ٤ / ٣٠ .
(٦) نفسه ، ٤ / ٣٠ ـ ٣١ .

سانتيلانا(١)

[١]
"ما كان من محمد [صلى الله عليه وسلم] إلا أن تناول المجتمع العربي هدمًا من أصوله وجذوره وشاد صرحًا اجتماعيًا جديدًا.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة. إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية Gentes والموالاة والجماعات المتحالفة. من يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشئ روابطه كلها ومنها رابطة قرباه وأسرته، إلا إذا كانوا يعتنقون دينه (إخوته في الإيمان). فما داموا هم على دينهم القديم فإنه يقول لهم كما قال إبراهيم [عليه السلام] لأهله: (لقد تقطعت بيننا الأسباب.."(٢).
[٢]
"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب"(٣).

---

(١) دافيد دي سانتيلانا (١٨٤٥ – ١٩٣١) David de Santillana
ولد في تونس، ودرس في روما، أحرز الدكتوراه في القانون، فدعاه المقيم العام الفرنسي في تونس لدراسة وتدوين القوانين التونسية، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمدًا بذلك على قواعد الشريعة الإسلامية ومنسقًا إياهما بحسب القوانين الأوروبية. كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة ١٩١٠ عين أستاذًا لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها. ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي.
من آثاره: (ترجمة وشرح الأحكام المالكية)، كتاب (الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي).. إلخ.
(٢) تراث الإسلام (إشراف سير توماس آرنولد)، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .
(٣) نفسه ، ص ٤٠٦ .

هنري دي فاستري
[١]
"إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر على الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي [صلى الله عليه وسلم] ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علّني أجد في هذا البحث دليلاً جديدًا على صدقه وأمانته المتفق تقريبًا عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي"(١).
[٢]
"ثبت إذن أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يقرأ كتابًا مقدسًا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه.."(٢).
[٣]
".. ولقد نعلم أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] مرّ بمتاعب كثيرة وقاسى آلامًا نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمحّضت للدين ومن أجل ذلك

احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكنًا من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه [صلى الله عليه وسلم] ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيّل وقوة الإدراك.. إلا أن يقول مرارًا ويعيد تكرارًا هذه الكلمات (الله أحد الله أحد). كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد.."(٣).

[٤]

".. لو رجعنا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبل المتكلمون من المسيحيين لأمكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين.. ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل [عليه السلام].. إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة لأن الصدق حاصل في كل حال"(٤).

[٥]

"لا يمكن أن ننكر على محمد [صلى الله عليه وسلم] في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلن يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني [الدور المدني] وما أُوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغًا لا محل للزيادة فيه.. وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحًا.. وكان قنوعًا خرج من [الدنيا] ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته.. تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيرًا ولا حشما، وقد احتقر المال.."(٥).

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح ، ص ٦ .
(٢) نفسه ، ص ١٦ .
(٣) نفسه ، ص ١٦ – ١٧ .
(٤) نفسه ، ص ٢١ .
(٥) نفسه ، ص ٢٤ .

اينين دينيه

[١]

"إن الشخصية التي حملها محمد [صلى الله عليه وسلم] بين برديه كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جدًا حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد.."(١).

[٢]

"إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم.."(٢).

[٣]

".. إن سنة الرسول الغرّاء [صلى الله عليه وسلم] باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس [مئات الملايين] من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة(٣).

[٤]

"كان النبي [صلى الله عليه وسلم] يعنى بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر نفسه في المرآة.. ليتمشط أو ليسوي طيات عمامته.. وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى.."(٤).

[٥]

"لقد (دعا) عيسى [عليه السلام] إلى المساواة والأخوة، أما محمد [صلى الله عليه وسلم] فوفق إلى (تحقيق) المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته"(٥).

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام ، ص ١٥ .
(٢) نفسه ، ص ١٦ .
(٣) محمد رسول الله ، ص ٥١ .
(٤) نفسه ، ص ٣١٢ .
(٥) نفسه ، ص ٣٢٣ .

ول ديورانت

[١]

".. يبدو أن أحدًا لم يعن بتعليم [محمد صلى الله عليه وسلم] القراءة والكتابة.. ولم يعرف عنه أنه كتب شيئًا بنفسه.. ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفًا قلّما يصل إليه أرقى الناس تعليمًا"(١).

[٢]

"كان النبي [صلى الله عليه وسلم] من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسيًا محنكًا، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم"(٢).

[٣]

"إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به.. ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه.. وكانت بلاد العربي لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينًا سهلاً واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا

وقوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم"(٣).

[٤]

".. لسنا نجد في التاريخ كله مصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد [صلى الله عليه وسلم] لإعانة الفقراء.."(٤).

[٥]

"تدل الأحاديث النبوية على أن النبي [صلى الله عليه وسلم] كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين.."(٥).

---

(١) قصة الحضارة ، ١٣ / ٢١ – ٢٢ .
(٢) نفسه ، ١٣ / ٣٨ .
(٣) نفسه ، ١٣ / ٤٧ .
(٤) نفسه ، ١٣ / ٥٩ .
(٥) نفسه ، ١٣ / ١٦٧ .

رودنسن(١)

".. [بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر] بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد [صلى الله عليه وسلم] الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع"(٢).

---

(١) مكسيم رودنسن
ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.
من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (١٩٤٩). ونشر عددًا من الدراسات في المجلات المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و(حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)، و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية).
(٢) تراث الإسلام ، (تصنيف شاخت وبوزوث)، ١ / ٦٧ – ٦٨ .

فرانز روزنثال

[١]

"إن أفكار الرسول [صلى الله عليه وسلم] التي تلقاها وحيًا أو التي أدى إليها اجتهاده نشّطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول [صلى الله عليه وسلم] كانت خطًا فاصلاً واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط.."(١).

[٢]

"تبقى حقيقة، هي أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ.. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول [صلى الله عليه وسلم] لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه"(٢).

(١) علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٤٠ .
(٢) نفسه ، ص ٤٥ .

جاك ريسلر

[١]
"القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي [صلى الله عليه وسلم] وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي [صلى الله عليه وسلم]، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال ، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روي عن الصحابة [رضي الله عنهم] أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن.."(١).

[٢]
".. كان لزامًا على محمد [صلى الله عليه وسلم] أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوّق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان"(٢).

(١) الحضارة العربية ، ص ٣٢ .
(٢) نفسه ، ص ٣٧ .

جورج سارتون

[١]
"صدع الرسول [صلى الله عليه وسلم] بالدعوة نحو عام ٦١٠م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام] ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه.. وكان زاهدًا وفقيهًا ومشرعًا ورجلاً عمليًا.."(١).

[٢]
"إنه لم يتح لنبي من قبل.. أن ينتصر انتصارًا تامًا كانتصار محمد [صلى الله عليه وسلم].."(٢).

[٣]

".. لم يكن محمد [صلى الله عليه وسلم] نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم"(٣).

(١) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص ٢٩ – ٣٠ – ٣١ .
(٢) نفسه ، ص ٤٣ .
(٣) نفسه ، ص ٤٣ .

نصري سلهب

[١]

"في مكة . . أبصر النور طفل لم يمرّ ببال أمة، ساعة ولادته، أنه سيكون أحمد أعظم الرجال في العالم بل في التاريخ، ولربما أعظمهم إطلاقًا.."(١).

[٢]

"هنا عظمة محمد [صلى الله عليه وسلم]. لقد استطاع، خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة"(٢).

[٣]

".. هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسي قواعد دولة، وأن يشرّع قوانين ويسنّ أنظمة، ويجود بالتفسير والاجتهادات.. ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله، عالمًا قائمًا بنفسه"(٣).

[٤]

"تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات. تراثك مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس. كل سؤال له عندك جواب. كل مشكلة مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاً"(٤).

[٥]

".. لم يكن النبي [صلى الله عليه وسلم] رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيمًا وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس. وكان له ما أراد"(٥).

(١) في خطى محمد ، ص ٤٢ .
(٢) نفسه ، ص ١٩٦ .
(٣) نفسه ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .
(٤) نفسه ، ص ٣٩٦ .
(٥) نفسه ، ص ٤٠٩ .

أحمد سوسة

[١]

".. أي غاية أسمى وأقرب إلى الإنسانية ودين الله من تلكم الغاية التي كان يرمي إليها الرسول [صلى الله عليه وسلم] في توحيد القلوب وإظهار الحقيقة ؟ لنتصور محمدًا [صلى الله عليه وسلم] وهو يملي على أهل الكتاب وحي الله قائلاً: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران ٦٤]..."(١).

[٢]

".. إن نبي الإسلام شخصية تاريخية مبجلة. ما حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم] سوى سلسلة وقائع تاريخية عظيمة الشأن نبيلة المرمى يتجلى فيها مقامه السامي من الحلقة الإنسانية.."(٢).

[٣]

".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] أنموذجًا للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة. بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهية خير دليل على سموّ ذاته ونبل مقصده وعظمة شخصيته وقدسية نبوته"(٣).

"إن التاريخ ينبئنا أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] ضحى بكل شيء من أجل رسالته إذ أتيحت له مرات فرصة الاختيار بين أمرين أولهما حياة راحة وهناء وغنى على أن ينبذ [دعوته] وثانيهما حياة عسر واضطهاد مقرونة بنشر رسالته، وقد فضل الأمر الثاني لأن إيمانه برسالته كان قويًا وكان قد أوحي إليه بأنه قد اختاره ربه لبث هذه الرسالة على الإنسانية جمعاء فكان ما أراد الله له"(٤).

---

(١) في طريقي إلى الإسلام ، ٧٢/١-٧٣ .

(٢) نفسه ، ص ١٧٤/١ .

(٣) نفسه ، ص ١ / ١٧٤ – ١٧٥ .

(٤) نفسه ، ٢ / ١٣٠ .

لويس سيديو

[١]

"لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون . ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد [صلى الله عليه وسلم].."(١).

[٢]

".. لم يعد محمد [صلى الله عليه وسلم] نفسه غير خاتم لأنبياء الله [عليهم السلام] وهو قد أعلن أن عيسى بن مريم كان ذا موهبة في الاتيان بالمعجزات، مع أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجًا على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة!"(٢).

[٣]

".. إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أثبت خلود الروح.. وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق. ومن مفاخر محمد [صلى الله عليه وسلم] أن أظهره قويًا أكثر مما أظهره أي مشرّع آخر.."(٣).

[٤]

".. ما أكثر ما عرض محمد [صلى الله عليه وسلم] حياته للخطر انتصارًا لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أحد حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنيتاه.. وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، ومن الحق أن عرف العالم كيف يحيي قوة إرادته ومتانة خلقه.. وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل، إلى آخر عمره، عما يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وشظف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض.. وكان [صلى الله عليه وسلم] حليمًا معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودّون سؤاله، فيسحر كلماءه بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضج من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلاً فلا ينمّ ما يقول على كبرياء أو استعلاء، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له.. ودلّ [صلى الله عليه وسلم] على أنه سياسي محنّك.."(٤).

[٥]

"بدت في بلاد العرب أيام محمد [صلى الله عليه وسلم] حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرى على استقلالها والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتألفت أمة واحدة"(٥).

---

(١) تاريخ العرب العام ، ص ١٥ .
(٢) نفسه ، ص ٩٠ .
(٣) نفسه ، ص ٩٣ .
(٤) نفسه ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .
(٥) نفسه ، ص ١٢٣ .

هنري سيروي

[١]

"ومحمد [صلى الله عليه وسلم] لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضًا المدنية والأدب"(١).

[٢]

"محمد [صلى الله عليه وسلم] شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل. وقبل مماته أراد أن يظهر ضميره من كل هفوة أتاها فوقف على المنبر مخاطبًا: أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحدًا فهاكم ظهري ليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه. فوقف رجل معلنًا أنه يدينه بثلاثة دراهم، فردّ الرسول [صلى الله عليه وسلم] قائلاً: أن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خيرٌ من آخرته. ودفع للرجل دينه في التو. وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد [صلى الله عليه وسلم] لدوره كنبي يرينا بأن (رينان) كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثين الجهل والخرافات.."(٢).

[٣]

"إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد [صلى الله عليه وسلم] منشئًا لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقرون بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر بمعنى أكيد العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم"(٣).

[٤]

".. إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد – لدى العرب – إلا لدى وصول محمد [صلى الله عليه وسلم]"(٤).

---

(١) فلسفة الفكر الإسلامي ، ص ٨ .
(٢) نفسه ، ص ١٧ .
(٣) نفسه ، ص ٣١ .
(٤) دفاع عن الإسلام ، ص ٢٤ .

لورافيشيا فاغليري

[١]

".. كانت حملة كبيرة على سوريا.. رهن الإعداد، عندما أسكت الموت إلى الأبد صوت النبي [صلى الله عليه وسلم] الذي كان قد أحدث هذه الهزة العميقة في تلك القلوب كلها، والذي كان مقدرًا له أن يستهوي عما قريب شعوبًا أخرى تقيم في مواطن أكثر إمعانًا في البعد. وكان في السنة الحادية عشرة من الهجرة"(١).

[٢]

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] المتمسك دائمًا بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعًا الأناة دائمًا اعتقادًا منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم

وإخراجهم من الظلام إلى النور.. لقد عرف جيدًا أن الله لابد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري"(٢).

[٣]

"حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله [صلى الله عليه وسلم] ببعض التهم المفتراة. لقد نسوا أن محمدًا كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد [صلى الله عليه وسلم] على تهديد الكاذبين والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية، لو كان هو قبل ذلك [وحاشاه] رجلاً كاذبًا ؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه، وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة، حثًا موصولاً ؟ كيف استطاع أن يستهل صراعًا كان يبدو يائسًا ؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في مكة، في نجاح قليل جدًا ، وفي أحزان لا تحصى، إذا لم يكن مؤمنًا إيمانًا عميقًا بصدق رسالته ؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق ؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد [صلى الله عليه وسلم] كان عميقًا وأكيدًا"(٣).

[٤]

"دعا الرسول العربي [صلى الله عليه وسلم] بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرّفتين على أصفى عقيدة توحيدية. وارتضى أن يخوض صراعًا مكشوفًا مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى.."(٤).

[٥]

".. إن [محمدًا صلى الله عليه وسلم] طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقودًا أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة [رضي الله عنها] التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج كرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء طريق جديد لانتشار الإسلام وباستثناء عائشة [رضي الله عنها]، ليس غير، تزوج محمد [صلى الله عليه وسلم] من نسوة لم يكنّ لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية ؟ لقد كان رجلاً لا إلهًا. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضًا إلى الزواج من

جديد، لأن الأولاد الذين أنجبتهم خديجة [رضي الله عنها] له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائمًا سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعًا، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفاوت مع أي منهن. لقد تصرف متأسّيًا بسنة الأنبياء القدامى [عليهم السلام]، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدًا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد [صلى الله عليه وسلم] العائلية؟"(٥).

-

---

(١) نفسه ، ص ٣٣ .
(٢) نفسه ، ص ٧٣ .
(٣) نفسه ، ص ٣٧ – ٣٨ .
(٤) نفسه ، ص ٤٣ .
(٥) نفسه ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

ليوبولد فايس

[١]

".. إن العمل بسنة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام. لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وأنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدْهِشُك أن يتقوض ذلك البناء، كأنه بيت من ورق؟"(١).

[٢]

".. إن السنة هي المثال الذي أقامه لنا الرسول [صلى الله عليه وسلم] من أعماله وأقواله. إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حيًا وتفسيرًا لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذي قد بلّغ الوحي"(٢).

[٣]

".. إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدي الحديث على أنه نظام ما، فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعموا انتقادهم العاطفي الخالص بنتائج من البحث العلمي. وأنه من الصعب أن يفعل أحد ذلك، لأن الجامعين لكتب الحديث الأولى، وخصوصًا الإمامين البخاري ومسلمًا قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضًا أشد كثيرًا من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوربيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم"(٣).

[٤]

".. إن رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو أقسامًا، ليس حتى اليوم.. إلا قضية ذوق، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثًا علميًا خالصًا من الأهواء.."(٤).

[٥]

".. إن العمل بالسنة [يجعل] كل شيء في حياتنا اليومية مبنيًا على الاقتداء بما فعله الرسول [صلى الله عليه وسلم] وهكذا نكون دائمًا، إذا فعلنا أو تركنا ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله المماثلة لأعمالنا هذه وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طوال الحياة.."(٥).

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٨٧ .
(٢) نفسه ، ص ٨٨ .
(٣) نفسه ، ص ٩٢ .
(٤) نفسه ، ص ٩٧ .
(٥) نفسه ، ص ١٠٩ .

كارلايل(١)

[١]

".. هل رأيتم قط .. أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا.. إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذًا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيّلوه حقًا.. ومحنة أن ينخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل.."(٢).

[٢]

".. إن [محمدًا صلى الله عليه وسلم] لم يتلق دروسًا على أستاذ أبدًا وكانت صناعة الخطّ حديثة العهد آنذاك في بلاد العرب، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية.. أنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسّر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره.. أنه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنيًا عن كل ذلك. ولم يقتبس محمد [صلى الله عليه وسلم] من نور أي إنسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء – أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور – من كان بين محمد [صلى الله عليه وسلم] وبينه أدنى صلة وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء.. بين الطبيعة وبين أفكاره"(٣).

"لوحظ على محمد [صلى الله عليه وسلم] منذ [صباه] أنه كان شابًا مفكرًا وقد سمّاه رفقاؤه الأمين – رجل الصدق والوفاء – الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة. وإني لأعرف عنه أنه

كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لبّ.. وقد رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريمًا برًّا رؤوفًا تقيًا فاضلاً حرًا، رجلاً شديد الجدّ مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جمّ البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد.. عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك.. فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء"(٤).

[٤]

".. ومما يبطل دعوى القائلين أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يكن صادقًا في رسالته.. أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله عنها] لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة.. ولم يكن إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعًا وثار يريد أمرًا جليلاً وشأنًا عظيمًا"(٥).

[٥]

".. لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير [صلى الله عليه وسلم] ابن القفار والفوات العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمة وحجى ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين ؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سرّ الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره، ولم يكن هنالك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكأنه لسان حال ذلك السرّ يناجيه: هاآنذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية. وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء.."(٦).

[٦]

"إني لأحب محمدًا [صلى الله عليه وسلم] لبراءة طبعه من الرأي والتصنّع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبرًا ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراده، يخاطب بقوله الحرّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة. وكان يعرف لنفسه قدرها.. وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد.."(٧).

---

(١) توماس كارلايل (١٧٩٥ – ١٨٨١) Th. Carlyle
الكاتب الإنجليزي المعروف.

من آثاره: (الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، (الثورة الفرنسية).. إلخ.
(٢) الأبطال ، ص ٤٣ .
(٣) نفسه ، ص ٥ .
(٤) نفسه ، ص ٥٠ – ٥١ .
(٥) نفسه ، ص ٥١ .
(٦) نفسه ، ص ٥١ – ٥٢ .
(٧) نفسه ، ص ٦٤ .

كاهن(١)

[١]

"اصطبغت شخصية محمد [صلى الله عليه وسلم] بصبغة تاريخية قد لا تجدها عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى"(٢).

[٢]

"يبدو للمؤرخ المنصف أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقيًا وفكريًا، كما استطاع في الوقت نفسه أن يكيف رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها. وحتم علينا أن نلقى محمدًا [صلى الله عليه وسلم] بعواطف الإجلال والاحترام لما تحلى به من سمو الإلهام ومن قدرة على تذليل العقبات الإنسانية عامة والتغلب على مصاعبه الشخصية خاصة. وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئًا من الارتباك تبعًا لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول [صلى الله عليه وسلم] الدنيوية وألمحت إلى زوجاته التسع اللائي اتخذهن بعد وفاة خديجة [رضي الله عنه]. لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الأشراف وبعض الأفخاذ. ثم إن العقلية العربية تقرّ الإنسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقها الله"(٣).

[٣]

".. الحق أننا نتجاوز النقد العلمي الصحيح إذا نحن أنكرنا على كل حديث صحته أو قدمه. ولقد باشر العلماء بمثل هذا التمحيص منذ عهد بعيد فوجدوا أن التحريف أو التلفيق قد لا يعمّان على نسق واحد واستندوا في ذلك إلى بعض الأحاديث التي يمكن اعتبارها سابقة أو حجة يعتد بها. بمعنى أن الموقف النقدي مفروض على الباحث المنصف. وفقهاء المسلمين أنفسهم هم قدوة لنا في هذا المضمار لأنهم – على طريقتهم – قد التزموا بذلك الموقف منذ العصر الوسيط"(٤).

---

(١) كلود كاهن Cl. Cahen
ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرًا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس

(١٩٣٨)، وأستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ (١٩٤٥)، وفي جامعة باريس.
من آثاره: عدد كبير من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة، وحقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عددًا من المؤلفات عن الحروب الصليبية.
(٢) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ١ / ١٤ .
(٣) نفسه ، ١ / ١٨ .
(٤) نفسه ، ١ / ٩٥ .

هاملتون كب
[١]
".. اقتضى الأمر نشوء علم جديد غايته جمع الحديث ونقده وتصنيفه وتنسيقه والحصول في النهاية – بقدر الإمكان – على مجموعة متفق عليها يتقبلها الجميع. وقد استأثرت هذه المهمة بالكثير من طاقات الفقهاء والعلماء في القرن الثالث، ولكن القائمين عليها أحرزوا نجاحًا حتى أصبح حديث الرسول [صلى الله عليه وسلم] يعتبر مرجعًا ثانيًا معتمدًا للفقه والعقيدة"(١).
[٢]
".. يكاد يكون من المؤكد أن الآراء التي تعبر عنها الأحاديث [التي تم جمعها في القرن الثالث] تمثل تعاليم القرآن ومبادئه الخلقية تمثيلاً صادقًا"(٢).
[٣]
"إن بدايات التاريخ العلمي بالعربية تقترن بدراسة سيرة الرسول [صلى الله عليه وسلم] ودراسة أعماله. وعليه فإننا نجد مصدر هذه الدراسة في جمع الحديث النبوي وبخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول [صلى الله عليه وسلم]. وكان موطن هذه الدراسة هو المدينة.. ويفسر لنا ارتباط المغازي بالحديث، هذا الارتباط الذي ترك طابعًا لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد، ما طرأ من تغير هائل ظهر منذ هذه اللحظة في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد. ويمكننا أن نشعر لأول مرة بأننا نستند إلى أساس تاريخي قويم حتى وإن اعترفنا بوجود بعض العناصر المشكوك فيها في أخبار الفترتين، المدنية والمكية، من حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم]"(٣).
[٤]
"ومهما نقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد [صلى الله عليه وسلم] وفي آثارها فإنا لا نوصف بالغلو. فقد كان إجلال الرسول [صلى الله عليه وسلم] شعورًا طبيعيًا محتومًا في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومئ إليه شيء يتجاوز الإجلال. فإن العلاقات الشخصية من الإعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظل صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الوسائل التي أقرّتها الأمة لتستثير بهما مجددين في كل جيل"(٤).
[٥]

".. لولا الحديث لأصبح [لمحمد صلى الله عليه وسلم] في أقل تقدير صورة معممة – إن لم نقل بعيدة – في أصولها التاريخية والدينية. أما الحديث فقد صور وجوده الإنساني في مجموعة وفيرة من التفصيلات الحية المحسوسة، وبذلك قدم للمسلمين حين ربط بين المسلمين وبين نبيهم بنفسه الروابط الذاتية الوثيقة التي كانت تصله بأصحابه الأولين، وهي روابط نمت على مر القرون وكانت أقوى من أن تصاب بالضعف. ولم يصبح شخص محمد [صلى الله عليه وسلم] أبدًا ذا صبغة مرسومة مقررة، ويكاد لا يكون من الغلو أن نقول إن حرارة ذلك الشعور الشخصي نحو الرسول الحبيب [صلى الله عليه وسلم] كانت أبدًا أقوى عنصر حيوي في دين الجماهير الإسلامية أو كانت كذلك بين أهل السنة، على الأقل"(٥).

".. ما تزال الاحتفالات العائلية تختم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي [صلى الله عليه وسلم] في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعًا معًا على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعًا وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم محمد [صلى الله عليه وسلم]"(٦).

(١) دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٢٠ .
(٢) نفسه ، ص ٢١ .
(٣) نفسه ، ص ١٤٧ .
(٤) نفسه ، ص ٢٥٧ .
(٥) نفسه ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .
(٦) نفسه ، ص ٢٥٩ .

ايفلين كوبولد

[١]

".. هذه هي مدينة الرسول [صلى الله عليه وسلم].. تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقي في روعي صبره على المكاره واحتماله للأذى في سبيل الوحدانية الإلهية"(١).

[٢]

"كان العرب قبل محمد [صلى الله عليه وسلم] أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد [صلى الله عليه وسلم] بعث هذه الأمة بعثًا جديدًا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالاً وآجالاً.."(٢).

[٣]

".. لعمري، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر [الرسول صلى الله عليه وسلم] روعة ما يستطيع لها تفسيرًا، وهي روعة تملأ النفس اضطرابًا وذهولاً ورجاء وخوفًا وأملاً، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم.. إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع

النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية"(٣).

[٥]

"لقد استطاع النبي [صلى الله عليه وسلم] القيام بالمعجزات والعجائب، لمّا تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية.. لقد وفّق إلى خلق العرب خلقًا جديدًا ونقلهم من الظلمات إلى النور"(٤).

[٦]

"مع أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان سيد الجزيرة العربية.. فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه"(٥).

(١) البحث عن الله ، ص ٣٩ – ٤٠ .
(٢) نفسه ، ص ٥١ .
(٣) نفسه ، ص ٥٢ .
(٤) نفسه ، ص ٦٦ – ٦٧ .
(٥) نفسه ، ص ٦٧ .

كولد تسيهر(١)

[١]

".. إن محمدًا قد بشر بمذهبه للمرة الأولى بحماس لم يفترا ولم تعوزه المثابرة، وبعقيدة ثابتة بأن هذا المذهب يحقق صالح الجماعة الخاصة، وقد كان في ذلك كله مظهرًا لإنكار الذات برغم سخرية الجمهور"(٢).

[٢]

".. الحق، أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية"(٣).

[٣]

"في هذا العصر نرى النبي [صلى الله عليه وسلم] يستخدم حنكته المفكرة ورويته الدقيقة وتبصره العالمي، في مقاومة خصومه الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه"(٤).

(١) كولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) Y. Gldziher
تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست وليبزج وبرلين وليدن. ولما نبه ذكره عين أستاذًا محاضرًا في كلية العلوم بجامعة بودابست (١٨٧٣) ثم أستاذ كرسي (١٩٠٦). رحل إلى عدد من البلدان العربية وتضلع بالعربية على شيوخ

الأزهر. انتخب عضوًا في عدد من المجامع العلمية وحضر عددًا من المؤتمرات الاستشراقية.
من آثاره: كتب سيلاً من المقالات والأبحاث في المجلات الآسيوية والغربية بأكثر من لغة. وكتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) (باريس ١٩٢٠)، و(درس في الإسلام) في جزأين كبيرين. كما حقق العديد من النصوص القديمة.
(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ، ص ١٢ – ١٣ .
(٣) نفسه ، ص ١٣ .
(٤) نفسه ، ص ٢١ – ٢٢ .

عبد الله لويليام

[١]
"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الإحساس.. وكان حائزًا لقوة إدراك عجيبة وذكاء مفرط وعواطف رقيقة شريفة. وكان على خلق عظيم وشيم مرضية مطبوعًا على الإحساس.."(١).

[٢]
".. إن بعض كتاب هذا العصر الحاضر كادوا أن يعرفوا بأن الطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان فسلموا بذكر كثير من صفات النبي [صلى الله عليه وسلم] السامية وجليل أعماله الفاخرة.."(٢).

[٣]
".. ما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا ببركة محمد [صلى الله عليه وسلم] الذي علمهم الركوع والسجود لله وأبقى لهم دستورًا لن يضلوا بعده أبدًا وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم.."(٣).

[٤]
"لما شرف محمد [صلى الله عليه وسلم] ساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الإنساني وترقيه في درجات المدنية أكمل ما يحتاجه البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع وأوصل الخلق إلى أقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة. ومن نظر بعين البصيرة في حال الأنام قبله عليه الصلاة والسلام وما كانوا عليه من الضلالة.. ونظر في حالهم بعد ذلك وما حصل لهم في عصره من الترقي العظيم رأى بين الحالين فرقًا عظيمًا كما بين الثريا والثرى"(٤).

[٥]
".. امتدت أنوار المدنية بعد محمد [صلى الله عليه وسلم] في قليل من الزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب حتى إن وصول أتباعه في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدنية قد حيّر عقول أولي الألباب. وما السبب في ذلك إلا كون أوامره ونواهيه موافقة لموجب العقل ومطابقة لمقتضى الحكمة"(٥).

---

(١) العقيدة الإسلامية ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٢) نفسه ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .
(٣) نفسه ، ص ٣٨ (عن لوزون في خطبته المذكورة).
(٤) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا ، ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٥) نفسه ، ص ٢٢- ٢٣ .

روم لاندو

[١]

".. لم ينسب محمد [صلى الله عليه وسلم] في أيّما يوم من الأيام إلى نفسه صفة ألوهية أو قوى أعجوبية. على العكس، لقد كان حريصًا على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لإبلاغ الوحي للناس"(١).

[٢]

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] تقيًّا بالفطرة، وكان من غير ريب مهيّأ لحمل رسالة الإسلام التي تلقاها.. وبالإضافة إلى طبيعته الروحية، كان في سرّه وجهره رجلاً عمليًا عرف مواطن الضعف ومواطن القوة في الخلق العربي، وأدرك أن الإصلاحات الضرورية ينبغي أن تقدم إلى البدو الذين لا يعرفون انضباطًا وإلى المدنيين الوثنيين، وفي آن معًا، على نحو تدريجي. وفي الوقت نفسه كان محمد [صلى الله عليه وسلم] يملك إيمانًا لا يلين بفكرة الإله الواحد.. وعزمًا راسخًا على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت سائدة بين الوثنيين العرب"(٢).

[٣]

"كانت مهمة محمد [صلى الله عليه وسلم] هائلة. كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية (وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي [صلى الله عليه وسلم] أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمد [صلى الله عليه وسلم] في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد [صلى الله عليه وسلم] بأيّ ضرب من الخداع المتعمد. ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً. والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام، أتباعًا جددًا. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً"(٣).

[٤]

"كانت مهمة محمد [صلى الله عليه وسلم] هي القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسؤولاً عن اندلاع نار الحرب، على نحو موصول تقريبًا، بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية والأحقاد الصغيرة. كان عليه أن يعطي الناس قانونًا كليًا يستطيع حتى العرب المتمردون قبوله والإذعان له، وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والثأر الدموي

لضروب من المظالم بعضها واقعي وبعضها متوهم. كان عليه أن يحلّ الإنسانية محل الوحشية، والنظام محل الفوضى، والعدالة محلة القوة الخالصة"(٤).

[٥]

"عندما توفي محمد [صلى الله عليه وسلم] عام ٦٣٢م كان في نجاح الإسلام ما زكى إيمان خديجة [رضي الله عنها] بالوحي الذي تلقاه زوجها، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري"(٥).

---

(١) الإسلام والعرب ، ص ٣٢ .
(٢) نفسه ، ص ٣٣ .
(٣) نفسه ، ص ٣٣ – ٣٤ .
(٤) نفسه ، ص ٣٤ .
(٥) نفسه ، ص ٣٥ .

لايتنر(١)

[١]

"بقدر ما أعرف من دينيْ اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد [صلى الله عليه وسلم] ليس اقتباسًا بل قد (أوحي إليه به) ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة المقصد، والإيمان القلوب الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد [صلى الله عليه وسلم] وأنه قد أوحي إليه"(٢).

[٢]

"إن الديانة النصرانية التي ودّ محمد [صلى الله عليه وسلم] إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح [عليه السلام] تخالف التعاليم السّرية التي أذاعها بولس والأغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى.. ولقد كانت آمال محمد [صلى الله عليه وسلم] وأمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم [عليه السلام] لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعًا، ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام"(٣).

[٣]

".. لما بلغ [صلى الله عليه وسلم] السنة الخامسة والعشرين من العمر تزوج امرأة عمرها (أربعون عامًا، وهذه تشابه امرأة عمرها خمسون عامًا في أوربا، وهي أول من آمن برسالته المقدسة.. وبقيت خديجة (رضي الله عنها) معه عشرين عامًا لم يتزوج عليها قط حتى ماتت (رضي الله عنها). ولما بلغ من العمر خمسًا وخمسين سنة صار يتزوج الواحدة بعد الأخرى. لكن ليس من الاستقامة والصدق أن ننسب ما لا يليق لرجل عظيم صرف كل ذاك العمر بالطهارة والعفاف فلا ريب أن لزواجه

بسن الكبر أسبابًا حقيقية غير التي يتشدق بها كتاب النصارى بهذا الخصوص، وما هي تلك الأسباب يا ترى ؟ ولا ريب هي شفقته على نساء أصحابه الذين قتلوا.."(٤).

[٤]

".. مرة، أوحى الله تعالى إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] وحيًا شديد المؤاخذة لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنيًا من ذوي النفوذ، وقد نشر ذاك الوحي، فلو كان [صلى الله عليه وسلم] كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذاك الوحي من وجود"(٥).

[٥]

".. إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح [عليه السلام] احترامًا عظيمًا وذلك باحترامهم محمدًا [صلى الله عليه وسلم]، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد [صلى الله عليه وسلم] وبالحق الذي جاء به هو المسيحي الصادق"(٦).

---

(١) لايتنر Lightner
باحث إنكليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها.

(٢) دين الإسلام ، ص ٤ – ٥ .

(٣) نفسه ، ص ٥ .

(٤) نفسه ، ص ١٢ – ١٣ .

(٥) نفسه ، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(٦) نفسه ، ص ٦ .

غوستاف لوبون

[١]

"جمع محمد [صلى الله عليه وسلم] قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى.. ومما لا ريب فيه أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيمًا.."(١).

[٢]

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد [صلى الله عليه وسلم] من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا [صلى الله عليه وسلم] مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله.."(٢).

[٣]

"استطاع محمد [صلى الله عليه وسلم] أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد [صلى الله عليه وسلم]

علـى الخصـوص.. ولـم يتـردد أتباعـه فـي التضـحية بأنفسـهم فـي سـبيل هـذا المثـل الأعلى.."(٣).

[٤]

".. لا شيء أصوب من جمع محمد [صلى الله عليه وسلم] لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد [صلى الله عليه وسلم]"(٤).

---

(١) دين الإسلام ، ص ١٦ .

(٢) حضارة العرب ، ص ١١٥ .

(٣) نفسه ، ص ١١٦ .

(٤) نفسه ، ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .

لوقا(١)

[١]

".. ما كان [محمد [صلى الله عليه وسلم]] كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل [عليهم السلام]، وهمة البطل، فكان حقًا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّي فيه الرجل"(٢).

[٢]

"لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضًا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشرًا كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترًا مكررًا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر" {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف ١١٠]، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ} [الشورى ٤٨]، وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه [صلى الله عليه وسلم] إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها"(٣).

[٣]

".. رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول [صلى الله عليه وسلم] بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه

جناح من أحد، لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيمًا له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا"(٤).

[٤]

"ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلاً قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعًا أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.. ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض أي قالة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذ المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضلّ وما غوى.. وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين.."(٥).

[٥]

"أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من (أبي القاسم) [صلى الله عليه وسلم] الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئًا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟"(٦).

[٦]

"كان [محمد [صلى الله عليه وسلم]] يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفًا يعد في نقائصه. لم يكن [صلى الله عليه وسلم] معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به، لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع [رضي الله عنهن].."(٧).

---

(١) د. نظمي لوقا Dr. N. Luka

مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًا، فإنه كثيرًا ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عددًا من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

(٢) محمد الرسالة والرسول ، ص ٢٨ .

(٣) محمد الرسالة والرسول ، ص ٨٥ – ٨٦ .
(٤) نفسه ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .
(٥) نفسه ، ص ١٨٣ – ١٨٦ .
(٦) محمد في حياته الخاصة ، ص ١٢ .
(٧) نفسه ، ص ٣٩ – ٤٠ ، ويمكن للقارئ أن يرجع للكتاب نفسه (محمد في حياته الخاصة)، فهو بمجمله يمكن أن يعدّ شهادة قيّمة على حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم] العائلية الخاصة.

ماسيه(١)

[١]

"بفضل إصلاحات محمد [صلى الله عليه وسلم] الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى ليعدّوا دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية"(٢).

[٢]

".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] هو المشرّع الملهم والمحرك الأول للوحدة الدينية بين جميع الأقوام، .. وكان بسيطًا وحازمًا.."(٣).

---

(١) هنري ماسيه H. Masse
ولد عام ١٨٨٦، عمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧)، وعضوًا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.
من آثاره: نشر كتابًا عن الشاعر (سعدي) (١٩١٩)، وصنف كتابًا بعنوان: (الإسلام) (١٩٥٧)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.
(٢) الإسلام ، ص ٥٥ .
(٣) نفسه ، ص ٥٩ .

مونته(١)

[١]

"إن طبيعة محمد [صلى الله عليه وسلم] الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحًا دينيًا ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين. وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كبارًا جدًا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمدًا [صلى الله عليه وسلم]

وبخسوه حقه وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها"(٢).

[٢]

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله"(٣).

[٣]

".. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل [محمد [صلى الله عليه وسلم]] وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية"(٤).

[٤]

"لا مجال للشك في إخلاص الرسول [صلى الله عليه وسلم] وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره.."(٥).

---

(١) مونته (١٨٥٦ – ١٩٢٧) Montet
أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).

(٢) محمد والقرآن ، ص ١٨ (عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ١ / ٣٢).

(٣) نفسه ، (عن ستودارد ١ / ٣٢).

(٤) حاضر الإسلام ومستقبله (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ٦٧/١).

(٥) نفسه ، ١ / ٦٧ .

نهرو(١)

[١]

".. لربما خامرت هؤلاء الملوك والحكام [الذين تسلموا كتب الرسول [صلى الله عليه وسلم]] الدهشة من هذا الرجل البسيط الذي يدعوهم إلى الطاعة. ولكن إرسال هذه الكتب يعطينا صورة عن مقدار ثقة محمد [صلى الله عليه وسلم] بنفسه ورسالته. وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزّة والمنعة وحوّلهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم.. وقد توفي محمد [صلى الله عليه وسلم] بعد أن جعل من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماسًا.."(٢).

---

(١) جوار لال نهرو J. Lal Nahro
ولد في عام ١٨٨٩، في مدينة الله آباد، في الهند، والتقى بغاندي في أوائل عام ١٩١٩، اعتقل عدة مرات، وانتخب رئيسًا لحزب المؤتمر الهندي الوطني عدة مرات، دخل الوزارة، وتولى الشؤون الخارجية، وأصبح نائبًا لرئيس المجلس

التنفيذي، أول من تولى رئاسة الوزراء الهندية بعد استقلال الهند، له عدة مؤلفات في التاريخ والسياسة والشؤون الهندية، توفي عام ١٩٦٤م.

(٢) لمحات من تاريخ العالم ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

هارث(١)

[١]

"إن اختياري لمحمد [صلى الله عليه وسلم] ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء،.. ولكن في اعتقادي أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي"(٢).

[٢]

"لقد أسس محمد [صلى الله عليه وسلم] ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا.."(٣).

[٣]

".. من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام)"(٤).

[٤]

".. إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يختلف عن المسيح بأنه كان زعيمًا دنيويًا فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال"(٥).

[٥]

".. إن هذا الاتحاد الفريد لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخول محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية"(٦).

---

(١) الدكتور مايكل هارث Michael Hart أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

(٢) دراسة في المائة الأوائل ، ص ١٩ .

(٣) نفسه ، ص ١٩ .

(٤) نفسه ، ص ٢٣ .

(٥) نفسه ، ص ٢٤ .

(٦) نفسه ، ص ٢٥ .

مونتغمري وات

[١]
"منذ أن قام كارليل بدراسته عن محمد [صلى الله عليه وسلم] في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) أدرك الغرب أن هناك أسبابًا وجيهة للاقتناع بصدق محمد. إذ إن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيرًا عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع. فاتهام محمد [صلى الله عليه وسلم] بأنه دجال Imposteur يثير من المشاكل أكثر مما يحلّ. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد [صلى الله عليه وسلم]. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد [صلى الله عليه وسلم] وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنًا قبوله. ولا يكفي، مع ذلك، في ذكر فضائل محمد أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه. وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه. ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضًا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنًا وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه.."(١).

[٢]
"هناك – على العكس – أسباب قوية تؤكد صدق (محمد) [صلى الله عليه وسلم] ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين، لأن النقاش حول هذه المسألة.. يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافًا في التقدير حول الأخلاقية.."(٢).

[٣]
".. ليس توسع العرب شيئًا محتومًا أو آليًا وكذلك إنشاء الأمة الإسلامية. ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد [صلى الله عليه وسلم] لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع، ولاستنفذت تلك القوى الجبارة في غارات على سوريا والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة. ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أوتيها محمد [صلى الله عليه وسلم]. وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمد [صلى الله عليه وسلم] بأكمله. لقد أوتي أولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل. فكان للعالم العربي بفضله، أو بفضل الوحي الذي ينزل عليه حسب رأي المسلمين، أساس فكري (إيديولوجي) حلت به الصعوبات الاجتماعية، وكان تكوين هذا الأساس الفكري يتطلب في نفسه الوقت حدسًا ينظر في الأسباب الأساسية للاضطراب الاجتماعي في ذلك العصر، والعبقرية الضرورية للتعبير عن هذا الحدس في صورة تستطيع إثارة العرب حتى أعمق كيانها.. وكان محمد [صلى الله عليه وسلم] ثانيًا رجل دولة حكيمًا. ولم يكن هدف البناء الأساسي الذي نجده في القرآن، سوى دعم التدابير السياسية الملموسة والمؤسسات الواقعية. ولقد ألححنا خلال هذا الكتاب غالبًا على استراتيجية محمد [صلى الله عليه وسلم] السياسية البعيدة النظر على إصلاحاته الاجتماعية ولقد دلّ على بعد نظره في هذه المسائل الانتشار السريع الذي جعل من دولته الصغيرة إمبراطورية، وتطبيق المؤسسات الاجتماعية

على الظروف المجاورة واستمرارها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. وكان محمد [صلى الله عليه وسلم] ثالثًا رجل إدارة بارعًا، فكان ذا بصيرة رائعة في اختيار الرجال الذين يندبهم للمسائل الإدارية. إذ لن يكون للمؤسسات المتينة والسياسة الحكيمة أثر إذا كان التطبيق خاطئًا مترددًا. وكانت الدولة التي أسسها محمد [صلى الله عليه وسلم] عند وفاته، مؤسسة مزدهرة تستطيع الصمود في وجه الصدمة التي أحدثها غياب مؤسسها، ثم إذا بها بعد فترة تتلاءم مع الوضع الجديد وتتسع بسرعة خارقة اتساعًا رائعًا"(٣).

[٤]

"كلما فكرنا في تاريخ محمد [صلى الله عليه وسلم] وتاريخ أوائل الإسلام، تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصًا للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تمامًا. فلو لم يكن نبيًا ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهمًا في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد [صلى الله عليه وسلم] يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام ، من جديد ، برجل هو أعظم رجال أبناء آدم"(٤).

---

(١) محمد في مكة ، ص ٩٤ .
(٢) نفسه ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .
(٣) نفسه ، ص ٥١٠ – ٥١١ .
(٤) نفسه ، ص ٥١٢ .

ولز(١)

[١]

".. هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا مستطيع أن يتخذك صديقًا؟ ذلك أن من عرفوا محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيمانًا به. وقد آمنت به خديجة [رضي الله عنها] كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر [رضي الله عنه] شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبي [صلى الله عليه وسلم] ومن العسير على أي إنسان يقرأ تلك الأيام إلا يؤمن بأبي بكر [رضي الله عنه]، وكذلك علي [رضي الله عنه] فإنه خاطر بحياته من أجل النبي [صلى الله عليه وسلم] في أحلك أيامه سوادًا.."(٢).

[٢]

"حجّ محمد [صلى الله عليه وسلم] حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على شعبه موعظة عظيمة.. إنّ أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ،

فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها"(٣).

[٣]

"لقد منح [العرب] العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد [صلى الله عليه وسلم](٤).

---

(١) هربرت جورج ولز (١٨٦٦ – ١٩٤٦) H. G. Wells الكاتب والأديب البريطاني المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل (آلة الزمن) و(الرجل الخفي)، فضلاً عن رواياته النفسية والاجتماعية من مثل (ميكا فيللي الجديد) و(الزواج). ولم يغفل ولز البحث في التاريخ فأنجز عام ١٩٢٠ (معالم تاريخ الإنسانية) وأعقبه بـ(موجز تاريخ العالم). وكان آخر كتاب أصدره هو (العقل في أقصى تواتراته) (١٩٤٤). ولولز كتاب في السيرة الذاتية بعنوان: (تجربة في كتابة السيرة الذاتية).

(٢) معالم تاريخ الإنسانية ، ٣ / ٦٣٩ .

(٣) نفسه ، ٣ / ٦٤٠ – ٦٤١ .

(٤) موجز تاريخ العالم ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

الفهرس العام

فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه وحقوقه(٥)

الباب السادس- دلائل ومعجزات النبوة

شبهات وأباطيل

قصة الصراع بين الحق والباطل والخير والشر قصة قديمة بدأت فصولها مع بداية وجود الإنسان على الأرض، وسوف تتواصل فصولها طالما كان هناك إنسان في هذا الوجود.

وعندما ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان لم يتوقف سيل الشبهات التي يثيرها المشككون من خصوم هذا الدين تشكيكا في مصادره أو في نبيه أو في مبادئه وتعاليمه. ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثواب جديدة يحاول مروجوها أن يضيفوا عليها طابعا علميا زائفا.

ومن المفارقات الغريبة في هذا الصدد أن يكون الإسلام – وهو الدين الذي ختم الله به الرسالات ، وكان آخر حلقة في سلسلة اتصال السماء بالأرض – قد اختص من بين كل الديانات التي عرفها الإنسان سماوية كانت أم أرضية بأكبر قدر من الهجوم وإثارة الشبهات حوله.

ووجه الغرابة في ذلك يتمثل في أن الإسلام في الوقت الذي جاء فيه يعلن للناس الكلمة الأخيرة لدين الله على لم ينكر أيا من أنبياء الله السابقين ولا ما أنزل عليهم من كتب سماوية ، ولم يجبر أحد من أتباع الديانات السماوية السابقة على اعتناق الإسلام . ولم يقتصر الأمر على عدم الإنكار ، وإنما جعل الإسلام الإيمان بأنبياء الله جميعا وما أنزل عليهم من كتب عنصرا أساسيا من عقيدة كل مسلم بحيث لا تصح هذه العقيدة بدونه.

ومن شأن هذا الموقف المتسامح للإسلام إزاء الديانات السابقة أن يقابل بتسامح مماثل وأن يقلل من عدد المناهضين للإسلام.

ولكن الذي حدث كان على العكس من ذلك تماما. فقد وجدنا الإسلام – على مدى تاريخه – يتعرض لحملات ضارية من كل اتجاه . وليس هناك في عالم اليوم دين من الأديان يتعرض لمثل ما يتعرض له الإسلام في الإعلام الدولي من ظلم فادح وافتراءات كاذبة.

وهذا يبين لنا أن هناك جهلا فاضحا بالإسلام وسوء فهم لتعاليمه سواء كان ذلك بوعي أو بغير وعي ، وأن هناك خلطا واضحا بين الإسلام كدين وبعض التصرفات الحمقاء التي تصدر من بعض أبناء المسلمين باسم الدين وهو منها براء.

ومواجهة ذلك تكون ببذل جهود علمية مضاعفة من اجل توضيح الصورة الحقيقة للإسلام ، ونشر ذلك على أوسع نطاق.

ولم يقتصر علماء المسلمين على مدى تاريخ الإسلام في القيام بواجبهم في الرد على هذه الشبهات كل بطريقته الخاصة وبأسلوبه الذي يعتقد أنه السبيل الأقوم للرد ،

وهناك محاولات جادة بذلت في الفترة الأخيرة للدفاع عن الإسلام في مواجهة حملات التشكيك.
وسنعرض لبعض الشبهات التي أثارها الحاقدون والرد عليها بالحجة الدامغة.
الشبهة الأولى: حول عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف القرآن من العصمة:
هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ ، ويقدمون الأدلة على ذلك بسورة [عبس وتولى] وكذلك عندما جامل الرسول صلى الله عليه وسلم ، زوجاته ، ونزلت الآية الكريمة التي تنهاه عن ذلك
الرد على الشبهة:
إن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك عصمة كل الرسل - عليهم السلام - يجب أن تفهم في نطاق مكانة الرسول.. ومهمة الرسالة.. فالرسول: بشر يوحَى إليه.. أي أنه - مع بشريته - له خصوصية الاتصال بالسماء ، بواسطة الوحي.. ولذلك فإن هذه المهمة تقتضى صفات يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه ، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إلى صاحبها.
والرسول مكلف بتبليغ الرسالة ، والدعوة إليها ، والجهاد في سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله على الناس طاعة هي جزء من طاعة الله - سبحانه وتعالى – {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} ، {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} ، {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} ، {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا البلاغ الإلهي الذي اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلاً عن النقل - تحكم بأن مُرْسِل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذي يضفي الصدق على رسالته ، كان عابثًا.. وهو ما يستحيل على الله، الذي يصطفى من الناس رسلاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهي.. والحُجة على الناس بصدق هذا الذي يبلغون.
وفى التعبير عن إجماع الأمة على ضرورة العصمة للرسول فيما يبلغ عن الله.
الشبهة الثانية: قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم زناة من أصحاب الجحيم!
الرد على الشبهة:
ما ذنب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يقع قومه ومن أرسل إليهم في خطيئة الزنا أو أن يكونوا من أصحاب الجحيم ؟ مادام هو صلوات الله وسلامه عليه قد برئ من هذه الخطيئة ولاسيما في مرحلة ما قبل النبوة ، وكانت مرحلة الشباب التي يمكن أن تكون إغراء له ولأمثاله أن يقعوا في هذه الخطيئة ؛ لاسيما وأن المجتمع الجاهلي كان يشجع على ذلك وكان الزنا فيه من الأمور العادية التي يمارسها أهل الجاهلية شبانًا وشيبًا أيضًا. وكان للزنا فيه بيوت قائمة يعترف المجتمع بها ، وتُعلق على أبوابها علامات يعرفها بها الباحثون عن الخطيئة ، وتعرف بيوت البغايا باسم أصحاب الرايات.
ومع هذا الاعتراف العلني من المجتمع الجاهلي بهذه الخطيئة ، ومع أن ممارستها للشباب وحتى للشيب لم تكن مما يكره المجتمع أو يعيب من يمارسونه ؛ فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يقع فيها أبدًا بل شهدت كل كتب السير والتواريخ له صلى الله

عليه وسلم بالطهارة والعفة وغيرهما من الفضائل الشخصية التي يزدان بها الرجال وتحسب في موازين تقويمهم وتقديرهم ، وأرسله الله سبحانه ليغير هذا المنكر. هذه واحدة والثانية: أن الرسالة التي دعا بها ودعا إليها محمد صلى الله عليه وسلم حرّمت الزنا تحريماً قاطعاً وحملت آياتها في القرآن الكريم عقاباً شديداً للزاني والزانية يبدأ بعقوبة بدنية هي أن يجلد كل منهما مائة جلدة قاسية يتم تنفيذها علناً بحيث يشهدها الناس لتكون عبرة وزجراً لهم عن التورط فيها

فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد طهر من هذه الخطيئة في المجتمع الذي كان يراها عادية ومألوفة ، ثم كانت رسالته صلى الله عليه وسلم تحرمها التحريم القاطع والصريح ، وتضع مرتكبيها في مرتبة الانحطاط والشذوذ عن الأسوياء من البشر..

فلِمَ يُعَيّر محمد صلى الله عليه وسلم بأن بعض قومه زناة؟! وهل يصح في منطق العقلاء أن يعيبوا إنساناً بما في غيره من العيوب ؟ وأن يحملوه أوزار الآخرين وخطاياهم ؟.

وهنا يكون للمسألة وجه آخر يجب التنويه إليه وهو خاص بالمسئولية عن الخطيئة أهي فردية خاصة بمن يرتكبونها ؟ أم أن آخرين يمكن أن يحملوها نيابة عنهم ويؤدون كفارتها ؟ !

أن الإسلام يمتاز بأمرين مهمين:

أولهما: أن الخطيئة فردية يتحمل من وقع فيها وحده عقوبتها ولا يجوز أن يحملها عنه أو حتى يشاركه في حملها غيره وصريح آيات القرآن يقول: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} ثم: {وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. وورد هذا النص في آيات كثيرة.

أما الأمر الثاني: فيما أقره الإسلام في مسألة الخطيئة فهو أنها لا تورث، ولا تنقل من مخطئ ليتحمل عنه وزره آخر حتى ولو بين الآباء وأبنائهم وفى هذا يقول القرآن الكريم: {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً}.

{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ}.

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا}.

{وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}.

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}.

وغير هذا كثير مما يؤكد ما أقرَّه الإسلام من أن الخطايا فردية وأنها لا تورث ولا يجزى فيها والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

وما دام الأمر فلا أن فلم يلام محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعاب شخصه أو تعاب رسالته بأن بعض أهله أو حتى كلهم زناة مارسوا الخطيئة التي كان يعترف بها مجتمعه ولا يجزى فيها شيئاً أو ينقص الشرف والمروءة أو يعاب بها عندهم من يمارسها.

وحسب محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يقع أبداً في هذه الخطيئة لا قبل زواجه ولا بعده ، ثم كانت رسالته دعوة كبرى إلى التعفف والتطهر وإلى تصريف الشهوة

البشرية في المصرف الحلال الذي حض الإسلام عليه وهو النكاح الشرعي الحلال ، ودعا المسلمين إلى عدم المغالاة في المهور تيسيراً على الراغبين في الحلال.

الشبهة الثالثة: محمد صلى الله عليه وسلم يحرّم ما أحل الله

الرد على الشبهة:

استند الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم في توجيه هذا الاتهام إلى ما جاء في مفتتح سورة التحريم من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلى أمر حدث في بيت النبي صلى الله عليه وسلم عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة إذ كان صلى الله عليه وسلم قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعامًا لا يوجد في بيوتهن ، فأسر إلى إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فعاتبنه فحرّم صلى الله عليه وسلم تناول هذا الطعام على نفسه ابتغاء مرضاتهن.

والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرّم ما أحل الله هو تصيّد للعبارة وحمل لها على ما لم ترد له..

فمطلع الآية {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} هو فقط من باب " المشاكلة " لما قاله النبي لنسائه ترضية لهن ؛ والنداء القرآني ليس اتهامًا له صلى الله عليه وسلم بتحريم ما أحل الله ؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذي يعلم تبارك وتعالى أنه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه أن يحرّم شيئًا أو أمرًا أو عملاً أحلّه الله ؛ ولكنه يشدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالي الكريم.

ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}.

وعليه فالقول بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم يحرّم ما أحل الله من المستحيلات على مقام نبوته التي زكاها الله تبارك وتعالى وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}.

فمقولة بعضهم أنه يحرّم هو تحميل اللفظ على غير ما جاء فيه ، وما هو إلا وعد أو عهد منه صلى الله عليه وسلم لبعض نسائه فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله.

الشبهة الرابعة: محمد صلى الله عليه وسلم أمي فكيف علّم القرآن ؟

الرد على الشبهة:

والأمي إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذًا من " الأمية " ، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذًا من " الأممية " حسب المصطلح اليهودي الذي يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فإذا تعاملنا مع هذه المقولة علمنا أن المراد بها من لا يعرف القراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول ، بل لعله أن يكون تأكيدًا ودليلاً قويًا على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحى أُوحى إليه من الله لم يقرأه في كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه.

وقد رد القرآن على هذه المقولة ردًا صريحًا في قوله:

{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً}.

وحسب النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يكون الكتاب الذي أنزل عليه معجزًا لمشركى العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة ؛ بل ومتحديًا أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله.

كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به ـ كما قال بعض كبارهم ـ " ليس من سجع الكهان ولا من الشعر ولا من قول البشر ".

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد (أنه " أمي " على معنى أنه من الأمميين ـ أي من غير اليهود ـ فما هذا مما يعيبه. بل إنه لشرف له أنه من الأمميين أي أنه من غير اليهود.

ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالي على من عداهم من " الأمميين " واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار ـ كما يزعمون.

كل هذا مما يتنافى تمامًا مع ما جاء به محمد (من المساواة الكاملة بين بني البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن ؛ الذي اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو لمجرد التعارف والتمايز ؛ لكنه ـ أبدًا ـ لا يعطى تميزًا لجنس على جنس ، فليس في الإسلام ـ كما يزعم اليهود ـ أنهم شعب الله المختار.

ولكن التمايز والتكريم في منظور الإسلام ؛ إنما هو بالتقوى والصلاح كما في الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

الشبهة الخامسة: محاولة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الانتحار

الرد على الشبهة:

الحق الذي يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التي استندتم إليها ـ يا خصوم الإسلام ـ ليست صحيحة رغم ورودها في صحيح البخاري ـ رضي الله عنه ـ ؛ لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة ، ولكن أوردها تحت عنوان " البلاغات " يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ ، ومعروف أن البلاغات في مصطلح علماء الحديث: إنما هي مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن.

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بقوله:

" إن القائل بلغنا كذا هو الزهري ، وعنه حكي البخاري هذا البلاغ ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الكرماني: وهذا هو الظاهر ".

هذا هو الصواب ، وحاش أن يقدم رسول الله ـ وهو إمام المؤمنين ـ على الانتحار ، أو حتى على مجرد التفكير فيه.

وعلى كلٍ فإن محمداً صلى الله عليه وسلم كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيًا للألوهية.

والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان صلى الله عليه وسلم يعتني بها ، وقد قال القرآن الكريم في ذلك: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً}.

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادى لا غبار عليه ؛ لأنه من أعراض بشريته صلى الله عليه وسلم.

وحين فتر (تأخر) الوحي بعد أن تعلق به الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل ، فهو محبّ للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة ، فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد صلى الله عليه وسلم في كل ما يأتي وما يدع ؟

وإذا كان أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يستندون إلى الآية الكريمة: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً}.

فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار ، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بسبب صدود قومه عن الإسلام ، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم ؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الله ، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.

وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن على لسانه صلى الله عليه وسلم اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين-: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه}. فكان رده: {سبحان ربى} متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم: {هل كنت إلا بشراً رسولاً}.

أما قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً.

حيث ثبت في صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها ؛ منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة ، ومنها تكثير الطعام حتى يكفى الجم الغفير ، وله معجزة دائمة هي معجزة الرسالة وهى القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه فَحُفِظَ ، ووعد ببيانه ؛ لذا يظهر بيانه في كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه.

الشبهة السادسة: مات النبي صلى الله عليه وسلم بالسم

الرد على الشبهة:

حين تصاب القلوب بالعمى بسبب ما يغشاها من الحقد والكراهية يدفعها حقدها إلى تشويه الخصم بما يعيب ، وبما لا يعيب ، واتهامه بما لا يصلح أن يكون تهمة ، حتى إنك لترى من يعيب إنساناً مثلاً بأن عينيه واسعتان أو أنه أبيض اللون طويل القامة ، أو مثلاً قد أصيب بالحمى ومات بها ، أو أن فلاناً من الناس قد ضربه وأسال دمه ؛

فهذا كأن أو أن تعيب الورد بأن لونه أحمر مثلاً ؛ وغير ذلك مما يستهجنه العقلاء ويرفضونه ويرونه إفلاسًا وعجزًا.
أن محمداً صلى الله عليه وسلم قدمت له امرأة من نساء اليهود شاة مسمومة فأكل منها فمات صلى الله عليه وسلم.
وينقلون عن تفسير البيضاوي:
أنه لما فتحت خيبر واطمأن الناس سألت زينب بنت الحارس - وهى امرأة سلام بن مشكم (اليهودي) - عن أي الشاة أحب إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها: إنه يحب الذراع لأنه أبعدها عن الأذى فعمدت إلى عنزة لها فذبحتها ثم عمدت إلى سمّ لا يلبث أن يقتل لساعته فسمَّت به الشاة ، وذهبت بها جارية لها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له: يا محمد هذه هدية أهديها إليك.
وتناول محمد الذراع فنهش منها.. فقال صلى الله عليه وسلم: ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع والكتف تخبرني بأنها مسمومة ؛ ثم سار إلى اليهودية فسألها لم فعلت ذلك ؟ قالت: نلت من قومي ما نلت ... وكان ذلك بعد فتح " خيبر " أحد أكبر حصون اليهود في المدينة وأنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عنها.
ثم يفصحون عن تفسير البيضاوي:
أنه صلى الله عليه وسلم لما اقترب موته قال لعائشة - رضي الله عنها - يا عائشة هذا أوان انقطاع أبهري.
فليس في موته صلى الله عليه وسلم بعد سنوات متأثرًا بذلك السُّم إلا أن جمع الله له بين الحسنيين ، أنه لم يسلط عليه من يقتله مباشرة وعصمه من الناس وأيضًا كتب له النجاة من كيد الكائدين وكذلك كتب له الشهادة ليكتب مع الشهداء عند ربهم وما أعظم أجر الشهيد.
وأيضًا.. لا شك أن عدم موته بالسم فور أكله للشاة المسمومة وحياته بعد ذلك سنوات يُعد معجزة من معجزاته ، وعَلَمًا من أعلام نبوته يبرهن على صدقه ، وعلى أنه رسول من عند الله حقًا ويقينًا.
وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يموت في الأجل الذي أجله له رغم تأثره بالسم من لحظة أكله للشاة المسمومة حتى موته بعد ذلك بسنوات.

الشبهة السابعة: يحتاج محمد صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة عليه
الرد على الشبهة:
الحق أن الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة بل هي مظهر تكريم واعتزاز وتقدير له من الحق سبحانه وتقدير له من أتباعه ، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه لأن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
لأن أي مقارنة منصفة بين ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وبين غيره من أنبياء الله ورسله ترتفع به ليس فقط إلى مقام العصمة ؛ بل إلى مقام الكمال الذي أتم به الله الرسالات ، وأتم به التنزيل ، وأتم به النعمة ، فلم تعد البشرية بعد رسالته صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى رسل ورسالات.

لذلك فإن رسالته صلى الله عليه وسلم وهى الخاتمة والكاملة حملت كل احتياجات البشرية وما يلزمها من تشريعات ونظم ومعاملات وما ينبغي أن تكون عليه من أخلاق وحضارة مما افتقدت مثل كماله كل الرسالات السابقة.
وحسب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنها جاءت رحمة عامة للبشرية كلها كما قال القرآن: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}. فلم تكن كما جاء ما قبلها رسالة خاصة بقوم رسولهم كما قال تعالى: {وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله}.
{وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله}.
{وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله}.
وهكذا كل رسول كان مرسلاً إلى قومه..
لت كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين وإلى الناس كافة كما جاء في قوله تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً}.
ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت فوق كونها عالمية فقد كانت هي الخاتمة والكاملة التي ـ كما أشرنا ـ تفي باحتياجات البشر جميعاً وتقوم بتقنين وتنظيم شئونهم المادية والمعنوية عبر الزمان والمكان بكل ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.
وفى هذا قال الله تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين}.
وقال في وصفه لإكمال الدين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم (الإسلام): {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}.
إن عموم رسالة محمد إلى العالمين ، وباعتبارها الرسالة الكاملة والخاتمة ؛ يعنى امتداد دورها واستمرار وجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقوله تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله}.

الشبهة الثامنة: خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام.
الرد على الشبهة:
إن وجود البشارات وعدمها في الكتب المشار إليها آنفا سواء ، وجودها مثل عدمها ، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ليست في حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها ، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل " الخارجي " بطلت ـ لا سمح الله ـ تلك الرسالة ؛ فهي رسالة دليلها فيها ، ووجود البشارات بها في كتب متقدمة ـ زمنا ـ عليها لا يضيف إليها جديداً ، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئاً قط.
فهي حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغنى عما سواها. ودليلها قائم خالد صالح للفحص في كل زمان ومكان ، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب ، ظهر ولم يختف ، قوى ولم يضعف. علا ولم يهبط ، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء في هذا الدليل " القرآن العظيم " حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله المكرمون..

فلا يظنن أحدُ أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن في حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام في دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس في حاجة إلى " تلك البشارات " حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظ به رسول غيره.
والبشارات موجودة في الكتب السابقة وقد وضعت فيه أبحاث وكتب من أراد الإطلاع عليها فليرجع مثلا إلى كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

١. آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم وإثبات معجزاته الباهرة للعقول

اعلم أخي القارئ أنه قد كان في الأنبياء عليهم السلام من له المعجزة والنبوة معاً مثل موسى والمسيح عليهما السلام وقد ذهبت معجزاتهما بذهابهما، فلم يبق في أيدي الناس منها إلا ذكرها، ومنهم من كانت له نبوة ولم تكن له معجزة مثل زكريا وناحوم وميخا وملاخي وغيرهم، وها هو يوحنا المعمدان يقول عنه متى:((يوحنا عند الجميع نبي)) متى ٢١: ٢٦، و في موضع آخر((أفضل من نبي)) متى ١١: ٩ ورغم ذلك لم يأت بآية واحدة، يقول يوحنا:((فأتى إليه كثيرون و قالوا أن يوحنا لم يفعل آية واحدة)) يوحنا ١٠: ٤١. وقد أثبت كتاب النصارى المقدس نبوة جماعة من النساء مثل: مريم أخت موسى [خروج ١٥ عدد ٢٠] وحنة بنت فنوئيل [لوقا ٢ عدد ٣٦] وخلده [٢ ملوك ٢٢ عدد ١٤] ودبوره [القضاة ٤ عدد ٤] وأستير، وغيرهن ولم يكن لواحدة منهن كتاب ولا معجزة إلا أنهن معدودات في زمرة الأنبياء عندهم.
وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له النبوة والمعجزة معاً وقد كانت معجزة القرآن الكريم المعجزة العقلية البيانية التي جاء بها الرسول الأمي هي من أعظم معجزاته وقد تميز بها على سائر الأنبياء ببقائها حتى قيام الساعة، أما معجزات من سبقه من الأنبياء فقد كانت معجزات حسية انتهت بانتهاء وقتها، فلو أنك سألت أي نصراني اليوم أرني معجزة من معجزات المسيح فلن يجيبك.
وبجانب معجزة القرآن الكريم - أخي القارئ - هناك الكثير من المعجزات والآيات الحسية قد قام بصنعها الرسول صلى الله عليه وسلم ذكرتها الأحاديث الصحيحة وقد أشار إليها القرآن الكريم بكل وضوح كما في قوله تعالى في سورة الصافات: { وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا أن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ }
ففي هذه الآية الكريمة نجد أن التعبير بـ(وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) يدل بوضوح على أنهم شاهدوا معجزة أو معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي أجمع عليه كافة علماء المسلمين المعتبرين في العالم ودلت عليه الروايات المتواترة أيضاً. ومن المسّلم به أن الآيات القرآنية سمعية وليست بصرية، وعليه لا يمكن أن يكون قوله تعالى:((وَإِذَا رَأَوْا آيَةً)) عائد للآيات القرآنية، بالإضافة إلى ذلك فأن التعبير بـ:((السحر المبين)) يتناسب تماما مع المعجزات وخوارق العادات، والواقع أن اتهامهم نبي الإسلام بالسحر، وترويجهم لهذه المسألة بشكل واسع يدل على أنهم رأوا منه خوارق عادات ومعجزات،
أما ما ذهب إليه البعض أن هناك آيات في القرآن الكريم تدل على أن نبي الإسلام لم يمتلك معجزة سوى القرآن الكريم واستدلالهم بالآية ٥٩ من سورة الإسراء التي

تقول: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون}، وكذلك بالآية ٩٠ إلى ٩٣ من سورة الإسراء والتي جاء فيها: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله و الملائكة قبيلاً * أو ترقى في السماء و لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً}.

فالجواب عن ذلك هو:أن هؤلاء المشركين لم يكن يقترحون ويسألون عن تلك المعجزات اِسْتِرْشَادًا وطلباً للحق وإنما كانوا يَطْلُبُونَ ويقترحون ذَلِكَ كُفْرًا وَعِنَادًا فعند طلب أمثال هذه المعجزات مع الإعراض عن المعجزة الحقيقية لنبينا صلى الله عليه وسلم والمعجزات الأخرى، عند ذلك لم يستجيب الله عز وجل لطلب المشركين، إذ أن طلبهم ليس لعدم قيام الحجة الكافية بل هو نوع من التعنت و التعجيز، و قد كانوا كلما رأوا معجزة يقولون سحر مستمر أو ساحر مبين كما ذكرنا سالفاً... وقد قال الله سبحانه وتعالى عنهم: {ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون} فحتى لو نزلت هذه الآيات فلسوف يعيدون ذلك القول.

فالحاصل: أن عدم إجابة المشركين على تعنتهم لا تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأت بآيات، فإن هذا يرده التأمل في معجزة القرآن وما نقل من معجزاته صلى الله عليه وسلم المبثوثة في كتب الحديث ودلائل النبوة.

يقول أهل التفسير في قوله تعالى: { وَمَا مَنَعَنَا أن نُرْسِل بِالآيات إلا أن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ } أي وَمَا مَنَعَنَا أن نُرْسِل بالآيات الَّتِي اقْتَرَحَهَا أَهْل مَكَّة إلا أن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ لَمَّا أَرْسَلْنَاهَا فَأَهْلَكْنَاهُمْ وَلَوْ أَرْسَلْنَاهَا إلى هؤلاء لَكَذَّبُوا بهَا وَاسْتَحَقُّوا الإهلاك وَقَدْ حَكَمْنَا بِإِمْهَالِهِمْ لإتمام أَمْر مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى الطبري عن الحسن فِي قَوْل اللَّه تَعَالَى:{وَمَا مَنَعَنَا أن نُرْسِل بِالآيات إلا أن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ} قَالَ: رَحْمَة لَكُمْ أَيَّتهَا الأمة، أنا لَوْ أَرْسَلْنَا بالآيات فَكَذَّبْتُمْ بِهَا، أَصَابَكُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلكُمْ. وجاء في تفسير القرطبي: وَمَا مَنَعَنَا أن نُرْسِل بالآيات الَّتِي اِقْتَرَحُوهَا إلا أن يُكَذِّبُوا بِهَا فَيَهْلِكُوا كَمَا فُعِلَ بِمَنْ كَأن قَبْلهمْ. فَأَخَّرَ اللَّه تَعَالَى الْعَذَاب عَنْ كُفَّار قُرَيْش لِعِلْمِهِ أن فِيهِمْ مَنْ يُؤْمِن وَفِيهِمْ مَنْ يُولَد مُؤْمِنًا. قال الإمام ابن كثير: وَكَذَلِكَ وَقَعَ فَإِن مِنْ هؤلاء مَنْ أَسْلَمَ بَعْد ذَلِكَ وَحَسُنَ إسلامه حَتَّى عَبْد اللَّه بْن أَبِي أُمَيَّة الَّذِي تَبِعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ مَا قَالَ أَسْلَمَ إِسْلَامًا تَامًّا وَأَنابَ إِلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

أن المعجزات التي اقترحها هؤلاء لا تستند إلى أساس البحث عن الحقيقة، وإنما هي (اقتراحية) وتعللية، ولو نفذت طلباتهم لما آمنوا أيضًا.

هذا وأن الالتفات إلى الكلمة التي وردت في أقوال جمع من المفسرين الكبار توضح أن المعجزات على نوعين:

النوع الأول: هي المعجزات الضرورية لإثبات صدق دعوى النبي، وترغيب الناس إلى الإيمان، وتخويف المنكرين، وهي المعجزات المنطقية لناشدي الحق والباحثين عن الحقيقة، بحيث يعبر القرآن في ذيل الآية الأولى منها بقوله: {وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا}، (سورة الإسراء: ٥٩).

النــوع الــثاني مـن المعجـزات: هــي المعجـزات التــي تسـمى بـــ(الاقتراحيــة)، أي المعجزات التي يطالب بها لا لأجل سلوك سبيل الحق واليقين بصدق دعوى النبوة ومن ثم الإيمان واعتناق الإسلام، وإنما بقصد تعجيز الطرف الآخر فأن وجدوا بـه قدرة على ذلك اتهموه بالسحر.
والأنبياء كانوا يتجهون صوب القسم الأول ولا يستسلمون إطلاقا لمقترحات المتعللين والمعجزات الاقتراحية. وفي الأناجيل التي مع النصارى نجد أن هناك حالات لم يقدر المسيح عليه السلام أن يعمل فيها معجزات كما في مرقس ٦: ٥:(ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة) ويقول مرقس أيضاً:(فخرج الفريسيون و ابتدأوا يحاورونـه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية. ثم تركهم...)(مرقس ٨/١١-١٣).
يـشير لحن الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء بشكل واضح إلى أن هذه المطالب العجيبة والغريبة لمشركي العرب لم يكن منشؤها هو البحث عن الحقيقة، بل الغاية منها هي اختلاق الأعذار والتـشكيك في نبوة نبي الإسلام وإرساء دعائم الشرك والصنمية، ولذا لم يتمعنوا النظر حتى في مفهوم كلامهم، فمن ضمن مطالبهم مثلاً(الصعود إلى السماء)، ثم ينفون ذلك مباشرة ويقولون: نحن لا نـؤمن بذلك حتى تبعث لنا كتابا من قبل اللّه، {أو ترقى في السماء و لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه } وتـارة يطلبون الأمور المستحيلة كقولهم: {وَقَالُوا لولا أنـزِلَ عَلَيْـهِ مَلَكٌ وَلَوْ أنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأمرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَـاهُ رَجلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الأنعام: ٨]
ثم إذا كان الهدف هو التوصل إلى معرفة حقيقة النبي فلم يطلبون ست معجزات مختلفة؟ أليس المورد الواحد منها كافيا؟.
من هنا لم يتسن لأي نبي أن يستسلم لهذا النوع من الأراجيف والأباطيل، فضلا عن أن الإعجاز ليس من شأن النبي واختياره، وإنما هو من شأن اللّه تعالى واختياره.
أن النبي بإمكانه أن يطلب المعجزة من اللّه واللّه تعالى يضع بين يديه أي مورد يراه صالحًا، ولهذا نقرأ في ذيل الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء هذا المعنى:(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولاً) وكذا في سورة الرعد آية ٣٨:(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن اللّه).
ملخص الكلام هو أنه من الصحيح القول: بأن القرآن لوحده معجزة خالدة، ولو لم يكن هناك معجزة أخرى سوى هذه المعجزة للنبي لاستطاعت أن تكون شاهداً على صدقه، ولكن هذا لا يدل على أن النبي لم يمتلك معجزات جسمانية ومادية غير هذه المعجزات الروحية والمعنوية، بل ذهبت الآيات والروايات والتواريخ الإسلامية وسيرة النبي إلى القول: بأنه كان يمتلك ذلك، ولا شك في أن انضمام المعجزات المحسوسة والمادية إلى تلك المعجزة المعنوية الكبيرة يظهر حقيقة الدعوة النبوية بصورة أجلى وأوضح.
ولنذكر الآن بعض من المعجزات الحسية التي قام بصنعها رسولنا الكريم:
١ـ معجزة نبوع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم. [صحيح البخاري ج ١ / ص ٧٤] [صحيح مسلم ج٤ / ص ١٧٨٣] [صحيح ابن حبان ج/١٤ ص/ ٤٧٧]

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة(أي أناء صغير من جلد) يتوضأ فجهش الناس نحوه(أي تجمعوا) قال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. [صحيح البخاري ج / ٣ ص١٣١٠/] [صحيح ابن حبان ج١٤/ص٤٨٠]

والروايات في هذه المعجزة مشهورة بين الصحابة وقد رواها جمع كثير منهم أنس وجابر بن عبد الله وابن عباس، والبراء بن مالك وأبو قتادة، وغيرهم وخبرها متواتر مستفيض. وقد تكررت في أكثر من مناسبة.

٢ـ معجزة شفاء علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة:

قال عليه الصلاة والسلام في غزوة خيبر:-(لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: "أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال : "فأرسلوا إليه (ائتوني به) فأُتي به فنفث في عينه بقليل من ريقه عليه الصلاة والسلام فبرأ لتوه ولم يمرض بعينه قط. [رواه البخاري في كتاب الغزوات ورواه مسلم في باب فضائل الصحابة]

وقد قام المسيح عليه السلام بالتفل في عين أحد العميان فشفي من مرضه [مرقس ٨: ٢٢]:((وجاء إلى بيت صيدا.فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه. فاخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل في عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئًا.))

_ وأصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه، فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قد. عن يزيد بن أبي عبيد قال:((رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس أصيب سلمة ... فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيت حتى الساعة.)) [صحيح البخاري ج ٤ / ١٥٤١/ صحيح أبي داود / ٣٢٩٥ صحيح ابن حبان ج١٤ / ص ٤٣٩]

_ وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن عبد الله بن عتيك لما قتل أبا رافع ونزل من درجة بيته سقط إلى الأرض فانكسرت ساقه، قال: فحدثت النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"أبسط رجلك" فبسطها فمسحها فكأنما لم أشكها قط. [صحيح البخاري ج ٤ / ص ١٤٨٣]

_ وعن معاذ بن رافع بن مالك عن أبيه قال:((رميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي فما آذاني منها شيء)) [أخرجه ابن أبي شيبه والحاكم والبيهقي وأبو نعيم]

٣- معجزة ردّ عين قتادة بعد تدليها:

في غزوة أحد أُصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدلت على وجنته(أي على أحد خده) فردها عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة فبرأت على الفور، وصارت عينيه تلك أحسن عينيه... فتلك من آيات الله التي أيد الله بها رسوله. والرواية أخرجها ابن إسحاق في السيرة النبوية(٣ / ٣٠)، وابن حجر في الإصابة، وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة النعمان، وأبو يعلى، والبيهقي في الدلائل، وأبو نعيم في الدلائل برقم(٤١٨، ٤١٧) وذكرها الحاكم في المستدرك(٣ / ٢٩٥)

٤- معجزة شفاء الضرير بدعائه صلى الله عليه وسلم:

عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أدع الله أن يعافيني فقال: (إن شئت أخّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وأن شئت دعوت لك) قال:لا، بل ادع الله لي قال:- فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء:-

(اللهم أني أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة،يا محمد أني أتوجه بك في حاجتي هذه فتُقضى،اللهم شفعة في) ففعل الرجل فبرأ،فشفاء هذا الضرير آية من نبوته [رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢١٠/٦،والطبراني في المعجم الكبير ١٩/٩ وصححه وسلمه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة ١٦٦/٦ وغيرهم]

وهذا الدعاء خاص في حياته صلى الله عليه وسلم وليس بعد مماته فلُيعلم.

٥- خروج الجن من الصبي بدعائه صلى الله عليه وسلم:

عن أبن عباس رضي الله عنهما قال:-أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت:يا رسول الله أن به لمماً، وأنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال:- فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثعّ (أي قاء أو سعل مرة واحدة) فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى. [رواه الدرامي]

٦- معجزة فيضأن ماء بئر الحديبية:

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه لما كان بالحديبية هو وأصحابه سنة ست من الهجرة وكان بالحديبية بئر ماء فنزحها أصحابه بالسقي منها حتى لم يبقى فيها ما يملأ كأس ماء وكانوا ألفًا وأربعمائة رجل، وخافوا العطش فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم، فجاء فجلس على حافة البئر، فدعا بماء فجئ به إليه فتمضمض منه،ومج ما تمضمض به في البئر، فما هي إلا لحظات، وإذا البئر فيها ماء فأخذوا يسقون فسقوا وملئوا أوانيهم وأدوات حمل الماء عندهم وهم كما تقدم ألف وأربعمائة رجل، وهم أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى من سورة الفتح:-(لَقَد رَضِيَ الله عَنِ المُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا في قُلُوبِهِم فَأنزَلَ السَّكِينَة عَلَيْهِمْ وأثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً). [رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة]

٧- معجزة الطعام القليل يشبع العدد الكثير:

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: قال أبو طلحة لأم سُليم: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت:نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خِماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-(أرسلك أبو طلحة؟) فقلت: نعم، قال:(بطعام؟) قلت:نعم، فقال:- رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه(قوموا) فأنطلق، وانطلقت ين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة:- يا أم سُليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-(هلم يا أم سُليم ما عندك؟) فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سُليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء أن يقول،ثم قال:-(ائذن لعشرة) فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا،ثم خرجوا، ثم قال،(ائذن لعشرة)، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال،(ائذن لعشرة) فأكل القوم كلهم، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.أليست هذه معجزة؟ بلى وربي أنها لمن أعظم المعجزات. [صحيح البخاري / علامات النبوة] [صحيح مسلم / الأشربة]

٨- معجزة تكثير الطعام:

عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته ووصيف لهم حتى كالوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو لم تكيلوه لأكلتم منه ولقام لكم" [صحيح مسلم في معجزات النبي ، رواه احمد في مسنده]

قال أبو طلحة الأنصاري في حديثه المشهور:((أطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين رجلاً من أقراص شعير جاء بها أنس تحت إبطه)) [البخاري في كتاب المناقب _ ومسلم ٣ / ١٦١٢ والترمذي ٥ / ٥٩٥ والبيهقي في الدلائل]

وقال جابر بن عبد الله:((أطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق من صاع شعير وعناق(الأنثى من أولاد المعز) ألف رجل حتى تركوا وانحرفوا(مالوا عن الطعام)، وأن البرمة لتغط كما هي وأن العجين ليخبر)) [البخاري في كتاب المغازي ومسلم ٣ / ١٦١٠ والترمذي ٥ / ٥٩٥]

إن معجزة تكثير الطعام والشراب قد تكررت فبلغت عشرات المرات، وفي ظروف مختلفة، ومناسبات عديدة، فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه:((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير قال فنفدت أزواد القوم _ أي نفد زادهم واحتاجوا إلى طعام _ قال حتى هم بنحر بعض حمائلهم قال فقال عمر: يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها؟(أي بقاياه) قال ففعل قال فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره قال وقال مجاهد وذو النواة بنواه قلت وما كانوا يصنعون بالنوى قال كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء قال فدعا عليها حتى ملأ

القوم أزودتهم قال فقال عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" [صحيح مسلم، والنسائي]

٩ - معجزة تكثيره عليه السلام السمن لأم سليم:

عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:- كانت لأمي أم سليم شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها ربيبة، فقالت:يا ربيبة أبلغي هذا العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سُليم قال:-(أفرغوا لها عكتها) فأفرغت العكة ودفعت إليها قالت:- فانطلقت بها، وجئت وأم سليم ليست في البيت،فعلقت العكة على وتد، فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت:يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت:- بلى قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت ومعها ربيبة، فقالت يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال:-(قد فعلت، قد جاءت) قالت:والذي بعثك بالحق، ودين الحق أنها لممتلئة تقطر سمناً، قال أنس: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-(يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه! كلي وأطعمي) قالت فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا، وتركت فيها ما أتئد منا به شهراً أو شهرين، فكون العكة تمتلئ بعد إفراغها والأكل منه طرة شهرين من معجزاته.

١٠- معجزة نزول المطر بدعائه:

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: أصابت الناس سنة(جدب) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله أن يسقينا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما رأينا في السماء قزعة (قطعة سحاب) فو الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار(أنتشر) سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر(يتقاطر) على لحيته قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال فادع الله لنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال:"اللهم حوالينا ولا علينا" قال: فما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا فرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة (أي حتى صارت السحب والغيوم محيطة بالمدينة) في السحاب، وسال الوادي قناة شهرا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود. [صحيح البخاري / كتاب الجمعة]

١١- معجزة حنين جذع النخل شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه، صاحت النخلة التي كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي

الذي يسكت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر)) [رواه البخاري]
وحديث حنين الجذع هو حديث مشهور معروف متواتر قد خرجه أهل الصحيح ورواه الأكابر / من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم / أبي ابن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة وسهل ابن سعد.
وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب المناقب(فتح ٦٠١/٦) والترمذي في كتاب الجمعة(٢ / ٣٧٩،) والبيهقي في الدلائل(٦ / ٦٦).
١٢- معجزة تحول جذل الحطب سيفاً:
الجذل:هو عود غليظ من أصل الشجرة، لقد انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذل حطب فقال له:-(اضرب به) فانقلب في يده سيفاً، صارماً طويلاً أبيضاً شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشة في قتال أهل الردة، وبعدما قتل بلعت الأرض ذلك السيف.
١٣- معجزة نطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظبية، فشدوها على عمود فسطاط، فقالت: يا رسول الله أني أُخذت ولي خِشفان(الولد الصغير) فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم(أين صاحب هذه؟) فقال القوم نحن يا رسول الله قال:-(خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم) فقالوا من لنا بذلك؟ قال:-(أنا) فأطلقوها،فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت إليهم، فأوثقوها فمر بهم صلى الله عليه وسلم فقال:-(أين صاحب هذه؟) فقالوا:-هذا يا رسول الله فقال(تبيعونها؟) فقالوا:- هي لك يا رسول الله، فقال:-(خلو عنها فأطلقوها) فذهبت،فنُطقها آية من نبوته.
١٤- معجزة انقياد الشجر له صلى الله عليه وسلم:
روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:- سهرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح(أي واسعاً رحباً) فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فأتبعتُه بإداوةٍ فيها ماء، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به، وإذ شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق إلى إحداهما فأخذ ببعض من أغصانها، وقال:-(انقادي علي بإذن الله) فانقادت معه كالبعير المخشوش (الذي جعل في أنفه الخشائش وهو العود، يجعل في عظم أنف الجمل لينقاد) الذي يُصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لاءم أي جمعهما، وقال:-(التئما إلي علي بإذن الله) فالتأمتا، قال جابر:- فخرجت أحضر(أي أعدو بشدة) مخافة أن يحس بقربي منه فيبعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني التفاته، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا. [صحيح مسلم]
وعن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال:((أرأيت أن دعوت هذا العذق من الشجرة تشهد أني رسول الله؟)) قال: نعم. قال: فدعا العذق، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط إلى الأرض ينقز، فأقبل إليه، وهو يسجد ويرفع ويمجد ويرفع حتى انتهى

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له:((ارجع)) فرجع إلى مكانه، فقال الأعرابي: والله لا أكذبك بشيء تقوله بعدها أبداً، أنا أشهد أنك رسول الله، وآمن. [أخرجه البخاري في تاريخه، والترمذي في أبواب المناقب(٣٦٢٨) وأخرجه البزار، وأبو يعلى]

١٥ - معجزة سكون اضطراب الجبل بأمر الرسول:

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال:((اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.)) وفي رواية: فضربه برجله وقال:((أثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان)) [رواه البخاري في كتاب فضال الصحابة] [صحيح ابن حبان ج١٤/ص٤١٥].

١٦ - من معجزاته صلى الله عليه وسلم إخبار الشاة له أنها مسمومة:

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، ولما أكل منها أخبرته الشاة أنها مسمومة، فجيء باليهودية إلى رسول صلى الله عليه وسلم، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: "لا، ما كان الله ليسلطك علي". [متفق عليه] [أخرجه البخاري في كتاب الهبة ومسلم ٤ / ١٧٢١] [البيهقي في الدلائل]

١٧ - ومن علامات نبوته ذعر أبو جهل عندما أراد أن يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لإن رأيته يفعل ذلك لأطإن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، _ ليطأ على رقبته _ قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال: فقيل له مالك؟ فقال: أن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)) [صحيح مسلم ١٧/ ١٤]

١٨- من علامات النبوة إخباره عليه الصلاة والسلام عن غيوب مستقبلية فوقعت كما أخبر:

أولاً:- قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنهما:((إن ابني هذا سيد وسيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين)) فكأن الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أصلح به بين من كان مع الحسن وبين من كان مع معاوية رضي الله عنهم. [رواه البخاري في صحيحه]

ثانيًا:- قوله صلى الله عليه وسلم:-((أثبت أحد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان)).

فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فمات أبو بكر بمرض أصابه، وقُتل عمر في المحراب شهيداً،وقُتل عثمان في داره شهيداً، فرضي الله عنهم أجمعين. [رواه البخاري]

ثالثا: إخباره صلى الله عليه وسلم عن فتح القسطنطينية ورومية(روما)

روى أحمد في مسنده عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو ابن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولاً، أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((مدينة هرقل تفتح أولاً)) يعني القسطنطينية. والحديث صححه الحاكم والذهبي ووافقهما الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

وقد وقع الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم فتحقق فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح العثماني رحمه الله كما هو معروف بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح.

رابعاً :- قوله صلى الله عليه وسلم:-(إن هذا قبر أبي رغال، وإن معه غصناً من ذهب) فحفروه فوجدوه كما أخبر النبي صلى الله عله وسلم، وذلك حين كان ذاهباً إلى الطائف، فكان هذا الخبر آية نبوته صلى الله عليه وسلم.

خامساً:- قوله صلى الله عليه وسلم لخباب بنت الأرتّ وقد جاء يشكو إليه ما يلقي المؤمنون كفار قريش، يطلب من أن يستنصر الله تعالى لهم، قال له وقد أحمر وجهه صلى الله عليه وسلم أو تغير لونه، فقال له:-(لقد كان من قبلكم تحفر له الحفرة، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق نصفين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت، ما يخشى إلا الله والذئب على غنمه). وقد تم هذا كما أخبر صلى الله عليه وسلم. [صحيح البخاري]

سادساً :- قوله صلى الله عليه وسلم:(مُنعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر أرد بها ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم) فهذا الخبر قد وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فقد منعت العراق، ومنعت الشام، ومنعت مصر، ما كانوا يؤدونه إلى أهل الحجاز من خراج وغيره، وعاد أهل الحجاز كما بدؤوا فمسهم الجوع، ونالهم بعد ما أصابهم من رغد العيش وسعة الرزق.

سابعاً :- قوله صلى الله عليه وسلم:((الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء)) فهذا الخبر من أنباء الغيب، إذ كانت خلافة أبي بكر سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتي عشر سنة إلا اثني عشر يوماً، وكانت خلافة علي خمس سنوات إلا شهرين، وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، إذ كانت نحو من ستة أشهر، ثم نزل عليهما لمعاوية عام أربعين من الهجرة

أبو بكر	٢	سنة	٣	أشهر	٢٠	يوم
عمر	١٠	سنوات	٦	شهر	٤	أيام
عثمان	١١	سنة	١١	شهر	١٨	يوم
علي	٤	سنوات	١٠	أشهر		

الحسن شهريـــــن

المجموع = ٣٠ ســنة

ثامناً:- قوله صلى الله عليه وسلم في عثمان رضي الله عنه،((افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)) وذلك في حديث صحيح ونصهُ: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً(بستان) فدلى رجليه في القف(الدكة تجعل حول البئر يجلس عليها وتدلى الأرجل في الماء المستخرج من البئر) فقال أبو موسى وكان معه:- لأكونن اليوم بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست خلف الباب فجاء رجل فقال:أفتح فقلت من أنت؟ قال أبو بكر، فأخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:(أفتح له وبشرهُ بالجنة) ثم جاء عمر، فقال كذلك، ثم جاء عثمان فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)) فهذا الخبر من أنباء الغيب الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم.

تاسعاً: قوله صلى الله عليه وسلم:-((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل عام مرة،وإنه عارضني العام مرتين، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلي))، فبكت فاطمة ثم سارها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهله لحوقاً به، فكان كما أخبر إذ ماتت بعده بستة أشهر، ولم يمت قبلها من آل البيت أحد، فكأن هذا الخبر آية من نبوته صلى الله عليه وسلم.

عاشراً: قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه:-((كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحواب)) وكان ذلك كما أخبر، فقد خرجت عائشة رضي الله عنها تُريد الصلح بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في وقعة الجمل، فلما بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، فقالت رضي الله عنها:أي ماءٍ هذا؟ فقالوا: ماء الحواب،فقالت: ما أظنني إلا راجعه:فقال بعض من كان معها: بل تقدمي فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه سلم قال لنا ذات يوم:- قال:-((كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحواب)) فهذا الخبر الصادق قد وقع كما أخبر به قبل وقوعه بكذا سنة.

الحادي عشر:- قوله صلى الله عليه وسلم في حديث احمد عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي حين ولى غزوة العشيرة:(يا أبا تراب ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين؟) قلنا بلى يا رسول الله: قال(أحيمر ثمود، الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى يبل أي بالدم هذه أي لحيته) [صحيح الجامع الصغير]

فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد ضربه رضي الله عنه عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج بالكوفة فقتله على نحو ما أخبر عليه الصلاة والسلام.

الثاني عشر:- قوله صلى الله عليه وسلم((سيكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند)) فهذا الخبر الصادق وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد فتح المسلمون الهند أيام معاوية سنة ٤٤هـ أربع وأربعين ثم توالى الغزو والفتح كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

رابع عشر:- قوله صلى الله عليه وسلم في سُهيل بن عمرو:-(عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر) وذلك يوم صلح الحديبية حيث غضب عمر رضي الله عنه من تعنت سُهيل وكان ممثلاً لقريش يومئذ فقال له صلى الله عليه وسلم:-(عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر) وكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم إذ مات الرسول صلى الله عليه وسلم واضطربت البلاد ونجم الكفر ووقف سهيل بن عمرو رضي الله عنه بباب الكعبة بمكة فخطب فثبت أهل مكة وقوى بصائرهم فحفظهم الله من الردة بسببه وهو موقف سر عمر والمؤمنين وصدق عليه الصلاة والسلام.

خامس عشر: النبي صلى الله عليه وسلم يخبر وهو في المدينة أن أمته ستفتح كنوز كسرى:

روى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده إلى عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقال: [يا عدي، هل رأيت الحيرة؟] قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: [فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار(الدعار هو الخبث الشديد) طيء الذين قد سعروا البلاد؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى]. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: [كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمأن يترجم له، فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك فيقول بلى فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى!! فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم]. قال عدي: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [اتقوا النار ولول بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة]. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: يخرج ملء كفه.(رواه البخاري)

سادس عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده:

قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

سابع عشر: الإخبار عن فتح خيبر من الغد فتم ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: قال عليه الصلاة والسلام في غزوة خيبر:-((لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب" فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال : فأرسلوا إليه (ائتوني به) فأُتي به فنفث في عينه بقليل من ريقه

عليه الصلاة والسلام فبرأ لتوه ولم يمرض بعينه قط. [رواه البخاري في كتاب الغزوات ورواه مسلم في باب فضائل الصحابة]
وفي الحديث معجزتين ظاهرتين للنبي صلى الله عليه وسلم الأولى إخباره بأن الله تعالى يفتح على يديه خيبر فكان كما أخبر، والثانية شفائه علي رضي الله عنه وأرضاه.
الثامن عشر: ومن علامات نبوته صلى الله عليه وسلم أنه أخبر عن مصارع المشركين في بدر قبل مصرعهم: روى مسلم في صحيحه وأحمد _ واللفظ له _ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترائينا الهلال وكنت حديد البصر فرأيته فجعلت أقول لعمر: أما تراه، قال سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول:((هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى، وهذا مصرع فلان غداً أن شاء الله تعالى)) قال: فجعلوا يصرعون عليها قال، قلت والذي بعثك بالحق ما أخطئوا تيك كانوا يصرعون عليها.
التاسع عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم عن مقتل أمراء مؤتة قبل أن يأتي الخبر بمقتلهم:
روى البخاري في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: ((أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحه فأصيب ـ وعيناه تذرفان _ حتى أخذها سيف من سيوف الله _ يعني خالد ابن الوليد رضي الله عنه _ حتى فتح الله عليهم)) [الفتح ٩ / ٥٤]
عشرون: إخباره صلى الله عليه وسلم بفساد بعض أحوال المسلمين وقتالهم بعضهم بعضاً بعد فتح فارس والروم:
قال مسلم رحمه الله: حدثنا عمرو بن سواد العامري أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن العاص حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟] قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أو غير ذلك. تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض](مسلم ٢٢٧٤/٤)
قلت: وللأسف فقد حدث ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقتل المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً في الجمل وصفين!! فأنا لله وأنا إليه راجعون
الحادي والعشرون: أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه لا تقوم الساعة حتى تقاتل أمته قوماً صغار الأعين ذلف الأنوف(قصر الأنف مع انبطاحه)، وهذه حلية التتار، فكان كذلك ووقع ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.
الثاني والعشرون: أخبر صلى الله عليه وسلم بأن عماراً ستقتله الفئة الباغية، فقتل يوم صفين مع علي رضي الله عنه [رواه البخاري: الصلاة [١ / ٦٤٤] ومسلم: الفتن [٤ / ٢٩١٥] وأخرجه مسلم في صحيحه رقم(٢٩١٦) من حديث أم سلمة.

الثالث والعشرون: أخبر صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج، ووصف لهم الثدية، فحدث كما وصف سواء بسواء. وأحاديث قتال الخوارج متواترة، أنظرها في السنة لأبن أبي عاصم(٢ / ٦٢٣ _ ٢٢٣٣) من حديث أبي بكرة.
الثالث والعشرون: أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بأنه سوف تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، فوقع ما أخبر به، وكان ظهور هذه النار في سنة بضع وخمسين وستمائة، وتواتر أمرها. [البخاري: الفتن ١٣ / ٨٤] [مسلم: الفتن ٤ / ٢٢٢٧] رقم(٢٩٠٢) قال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند أهل الشام _ وبصرى مدينة معروفة بالشام، تبعد عن دمشق حوالي ١٠٠ كم شرقاً.
وأخيرًا وبعد هذا العرض لبعض المعجزات الظاهرة للنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم نقول: تعساً والله لمن لا يعتبر..
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاللمين

٢. شبهة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يأتِ بمعجزة

مقدمة:
طبع أحد المستشرقين كتاباً مختصراً يحتوي على ترجمة لحياة النبي(صلى الله عليه وآله)، وعلى غلاف الكتاب وضعت صورة خيالية للنبي(صلى الله عليه وآله)، كتب تحتها العبارة الآتية: متى يُطلب منه – يقصد بذلك النبي(صلى الله عليه وآله) – الإتيان بمعجزة، كان يقول: ليس لدّي معجزة، وأن الله لم يمنحنيها.
رد الشبهة:
إنّ هذا المستشرق خلط الحق بالباطل بهذه الشبهة، فعندما قال النبي(صلى الله عليه وآله): المعجزة ليست بيدي، هذا الكلام حق، ويعرفه الناس جميعاً، والآية الكريمة الآتية تؤيّد ذلك، قال الله تعالى:(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلاَّ بِإذْنِ اللهِ) الرعد: ٣٨، غافر: ٧٨.
وفي معاجز النبي عيسى(عليه السلام) يؤكّد القرآن الكريم على هذا المضمون، قال تعالى:(أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ) آل عمران: ٤٩.
وخلاصة القول: أنّ الأنبياء(عليهم السلام) جميعاً لا يستطيعون عمل شيء إلاّ بإذن الله تعالى، وهذا الكلام يدعمه الدليل العلمي والفلسفي.
نعود الآن إلى الادِّعاء الثاني من الشبهة، وهو: أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) قال: بأنّ الله لم يعطني أي معجزة.
وهذا الادِّعاء مرفوض، لأنّ القرآن الكريم، والأخبار، والأحاديث المتواترة، التي جمعها المحدّثون في كتبهم، اتفقت جميعها على حدوث كثير من المعجزات على يد النبي(صلى الله عليه وآله)، وأنّها كانت بتسديد من الله عزَّ وجل.
لنصرف النظر الآن عن كتب الحديث والرواية، ونذهب إلى القرآن الكريم، ليقضي بيننا في هذا الأمر، نجد القرآن الكريم قد ذكر كثيراً من المعجزات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:
١ ـ شق القمر(سورة القمر).

٢ ـ المعراج(سورة الإسراء).
٣ ـ المباهلة(آل عمران: ٦١).
وبناءً على ذلك يكون الرسول(صلى الله عليه وآله) قد جاء بالمعجزات كباقي الأنبياء(عليهم السلام) عندما كان الناس يطالبونه بها لإثبات نبوته، علماً أنّ معجزات الأنبياء(عليهم السلام) كانت خاصّة بزمانهم ومكانهم.
أما معجزات النبي(صلى الله عليه وآله) فمنها ما كان مختصّاً بزمان ومكان معين، ومنها التي لم تتقيّد بحدود المكان والزمان، وبقت وستبقى شاهدة على نبوته(صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة، وهي معجزة القرآن الكريم.
القرآن الكريم الذي تحدَّى الناس أجمعين من الأولين والآخرين، بأن يأتوا ولو بآية من مثله، لكنهم عجزوا عن ذلك، لذلك – وأمام هذا التحدي – نجد بعض المغرضين، أو قاصري النظر، تصوّروا بأنّ النبي(صلى الله عليه وآله) ليس لديه معجزة غير القرآن.
في الوقت الذي صرَّحت به كثير من الآيات والروايات بأنّ للنبي(صلى الله عليه وآله) معجزات أخرى غير القرآن الكريم، وقد ذكرنا قسماً منها فيما تقدّم.

٣. المعجزة الكبرى.. القرآن الكريم

أعطى الله عز وجل كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به لم يعطيها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه وأهل زمانه
فلما كان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.
وأما عيسى عليه السلام فبعثه الله في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، أو على مداواة الأكمه والأبرص،

وكذلك نبينا بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله عز وجل، فاتهمه أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده فتحداهم ودعاهم أن يعارضوه ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا فعجزوا عن ذلك كما قال تعالي: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) - سورة الإسراء آية ٨٨ وكما قال الله تعالي: (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ {٣٣} فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) - سورة الطور ايات ٣٣ و ٣٤
ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال في سورة هود: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين).
ثم تنازل إلى سورة فقال في سورة يونس: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وكذلك في سورة البقرة وهي

مدنية أعاد التحدي بسورة منه، وأخبر تعالى أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا لا في الحال ولا في المآل فقال تعالى: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (سورة البقرة:٢٣-٢٤).

وهكذا وقع، فإنه من لدن رسول الله صلى الله عليه و سلم وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدا؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟

وقد انطوى كتاب الله العزيز على وجوه كثيرة من وجوه الإعجاز: ذلك أن القرآن الكريم معجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني باستقامته على خصائص واحدة في مستوى واحد لا يختلف ولا يتفاوت ولا تختلف خصائصه معجز في بنائه الفكري وتناسق أجزائه وتكاملها، فلا فلتة فيه ولا مصادفة، كل توجيهاته وتشريعاته تتناسب وتتكامل وتحيط بالحياة البشرية دون أن تصطدم بالفطرة الإنسانية معجز في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس ولمس مفاتيحها وفتح مغاليقها واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها وقد سرد هبة الدين الحسيني الشهرستاني المزايا الإجمالية للقرآن ومنها:

- فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائعها.
- أنباؤه الغيبية، وأخباره عن كوامن الزمان، وخفايا الأمور.
- قوانين حكيمة في فقه تشريعي، فوق ما في التوراة والإنجيل، وكتب الشرائع الأخرى
- سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف.
- أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة.
- ظهوره على لسان أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة.
- خطاباته البديعة، وطرق إقناعه الفذة.
- سلامته من الخرافات والأباطيل.
- تضمنه الأسس لشريعة إنسانية صالحة لكل زمان ومكان.

قال الحافظ بن كثير: إن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بعشر سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون كما قال تعالى:(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ) -(سورة البقرة آية ٢٤) أي فان لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحد ثان، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له في الحال ولا في المآل ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن لبشر معارضته، ولا الإتيان بمثله، ولو كان من عند نفسه لخاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصد من متابعة الناس له..

٤. عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس

لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم من أعدائه كثير الأذى وعظيم الشدة منذ أن جهر بدعوته ولكن الله تبارك وتعالى حفظه ونصره وعصمه من الناس كما قال تعالى في

كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ - سورة المائدة آية ٦٧.
وقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يحرس قبل نزول هذه الآية من قبل بعض أصحابه فلما نزلت هذه الآية قال: يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل
ومن الأمثلة على عصمة الله لرسوله وكف الأعداء عنه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ - أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب قال: قيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله رضي الله عنه وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال فما فجئهم(أي بغتهم) منه إلا وهو ينكص على عقبيه(أي رجع يمشي إلى ورائه) ويتقي بيديه قال فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا - رواه البخاري مختصرًا ورواه مسلم واللفظ له.
عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قصة الهجرة النبوية قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك فقلت: أتينا يا رسول الله فقال: لا تحزن إن الله معنا فدعا عليه النبي صلى الله عليه و سلم فارتطمت به فرسه إلى بطنها فقال: إني أراكما قد دعوتما علي فادعوا لي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب. فدعا له النبي صلى الله عليه و سلم فنجا فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: كفيتكم ما هنا فلا يلقى أحدًا إلا رده قال: ووفيلنا - رواه مسلم والبخاري مطولاً.
عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حنينًا فولى صحابة النبي صلى الله عليه و سلم فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه و سلم(أي أتوه من كل جانب) نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه(أي قبحت) فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله صلى الله عليه و سلم غنائمهم بين المسلمين - رواه مسلم.
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل نجد(أي ناحية نجد في غزوته إلى غطفان وهي غزوته ذي أمر موضع من ديار غطفان) فأدركنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في واد كثير العضاه(هي كل شجرة ذات شوك) فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن رجلاً أتلني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتًا(أي مسلولاً) في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله. قال: فشام السيف(أي رده في غمده) فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه و سلم - رواه البخاري ومسلم.
جالس أمامها ولا تراه:

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: لما نزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } جاءت العوراء أم جميل، ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها لن تراني، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً}.
قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك(أي أنه حكى ما قاله ربه، وما كان هذا كلامه، وإنما كلام ربه تعالى فلم يكن هاجيًا له)، قال: فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها - رواه أبو يعلى.
مر صلى الله عليه وسلم عليهم وألقى على رءوسهم التراب ولا يرونه:
لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليًا رضي الله عنه يوم الهجرة أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بياته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذره على رءوسهم، وهم لا يرونه وهو يتلو { وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ }.
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً، وجاء رجل ورأى القوم ببابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا قال: خبتم وخسرتم، قال: والله مر بكم وذرّ على رءوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه. وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، وهم: أبو جهل والحكم بن العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. أخرجه ابن سعد وابن هشام وأحمد، وقد حسنه ابن كثير وابن حجر في الفتح.
أراد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فخذله الله:
عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمدًا، فقالوا: كيف تقتل؟ قال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله(أي فيخذله الله)فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله فقال: يا محمد أما تخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك
قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا يمنعني الله منك.
ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ) - سورة المائدة، من الآية:١١- أخرجه أبو نعيم.
أراد أن يدمغ النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فيبست يده على الحجر:
عن المعتمر بن سليمان عن أبيه: أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده فهر(حجر يملأ الكف) ليرمي به رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فلما أتاه وهو ساجد رفع يده وفيها الفهر ليدمغ(أي ليرمي) به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيبست يده على الحجر فلم يستطع إرسال الفهر من يده، فرجع إلى أصحابه فقالوا: أجبنت عن الرجل؟
قال: لم أفعل ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرساله. فعجبوا من ذلك، فوجدوا أصابعه قد يبست على الفهر، فعالجوا أصابعه حتى خلصوها، وقالوا هذا شئ يراد. أخرجه أبو نعيم في الدلائل.
أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه شواظ من نار:
قال شيبة بن عثمان: لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم حنيئًا، تذكرت أبي وعمي قتلهما علي وحمزة فقلت: اليوم أدرك ثأري في محمد،فجئت من خلفه فدنوت منه ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوره بالسيف، رُفع لي شواظ من نار كأنه البرق فخفت أن يحبسني فنكصت القهقرى

فالتفت إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا شيبة! قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري وهو أحب إلي من سمعي وبصري ومن كذا. أخرجه أبو نعيم في الدلائل.
منع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من القتل في غزوة ذات الرقاع:
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد، فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة(أي كثير الأشجار)، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلن بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتًا في يده
فقال لي: من يمنعك مني؟
قال: قلت: الله
ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟
قال: قلت: الله
قال: فشام السيف(أي أغمده)، فها هو جالس، ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أخرجه مسلم، كتاب الفضائل
هذا الرجل اسمه غورث بن الحارث، وقيل: اسمه غويرث، وقيل: دعثورا.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن الذي غل في سبيل الله:
عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم خيبر، فقال صلى الله عليه وسلم: صلوا على صاحبكم، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: إن صاحبكم غل في سبيل الله(الغلول: أخذ شيء من أموال الغنائم أو المال العام خفية)، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزًا من خرز اليهود لا تساوي درهمين.

صحيح: أخرجه مالك في الموطأ في الجهاد، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.
كن أبا خيثمة فكان:
لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، تخلف عنه بعض الصحابة رضي الله عنهم بدون شك ولا ارتياب، منهم أبو خيثمة السالمي، ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أيامًا، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له ماء، وهيأت له فيه طعامًا، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح(الشمس) والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنصف(الإنصاف العدل)، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهيئا لي زادًا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه(بعيره) فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبًا، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة، قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولى لك يا أبا خيثمة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيرًا ودعا له بخير.
رواه ابن هشام، عن ابن إسحاق بلا سند، وفي حديث كعب بن مالك الطويل المخرج في البخاري ومسلم: فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًا يزول به السراب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.
أخبر أنه من أهل النار فكان كذلك:
عن عبد الله بن عمرو قال: كان على ثقل(الثقل: العيال، وما يثقله من الأمتعة) النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة، فمات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هو في النار، فذهبا ينظرون، فوجدوا عليه كساء أو عباءة قد غلها. أخرجه البخاري، وأحمد، وأخرجه ابن ماجة كتاب الجهاد باب في الغلول.
إجابة النبي صلى الله عليه وسلم السائل قبل أن يسأله:
عن وابصة الأسدي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن لا أع شيئًا من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك وابصة عن رسول الله فقلت: دعوني فأدنو منه، فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه، قال: دعوا وابصة، ادن يا وابصة، مرتين أو ثلاثًا. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: يا وابصة أخبرك أم تسألني؟ فقلت: لا، بل أخبرني فقال: جئت تسأل عن البر والإثم؟ فقلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت

بهن في صدري ويقول: يا وابصة استفت قلبك استفت نفسك(ثلاث مرات) البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في صدرك، وإن أفتاك الناس وأفتوك.صحيح: أخرجه أحمد.

إخباره صلى الله عليه وسلم أن غلامه غل شملة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أصيب مدعم غلام النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قالوا: هنيئًا له الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا، فجاء رجل بشراك أو شراكين لما سمع ذلك فقال: شراك أو شراكان من نار. صحيح: أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود والنسائي.

وقوف الكفار أمام باب الغار:

جدت قريش في طلب الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه، وأخذوا معهم القافة(متبعو الأثر) حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن

أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن فإن الله معنا. صحيح: رواه البخاري ومسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رءوسهما، ولكن الله عمَّى عليهم أمرهما.

٥. دلائل نبوته فيما يتعلق ببعض الحيوانات

قصة البعير وسجوده وشكواه لرسول الله صلى الله عليه و سلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل البيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه(أي نستقي عليه) أنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي صلى الله عليه و سلم نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته فقال: ليس عليَ منه بأس. فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه: هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن نسجد لك. فقال: "لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفس محمد بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه - رواه الإمام أحمد في مسنده

وعن عبد الله بن جعفر- رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم خلفه فأسر إليَ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل(أي جماعة النخل) فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر(أي ردد صوته في حنجرته) وذرفت عيناه قال بهز وعفان: فلما رأى النبي صلى الله عليه و سلم حنَ

وذرفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه و سلم سراته(الظهر وقيل السنام) وذفراه(العظم الشاخص خلف الأذن) سكن فقال: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. فقال: أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه - رواه أبو داوود والإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك.

إخبار الذئب بنبوته صلى الله عليه و سلم:

عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي؟ فقال: يا عجبي ذئب يقعي على ذنبه يكلمني كلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد صلى الله عليه و سلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره.

فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فنودي: الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: صدق، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده - رواه الأمام أحمد في المسند، و الحاكم في المستدرك، وابن سعد في الطبقات.

وفي رواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما كلم الذئب راعي الغنم فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم. فقال الذئب: أعجب من هذا الرجل في النخلات بين الحرتين(أي المدينة المنورة) يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم وكان الرجال يهودياً، فجاء النبي صلى الله عليه و سلم فأسلم وخبَره فصدقه النبي صلى الله عليه و سلم - رواه الإمام أحمد في المسند٣/٨٨

الوحش يوقر الرسول صلى الله عليه وسلم:

قالت عائشة رضي الله عنها: كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم(أي سكن ولم يتحرك) ما دام رسول اله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه - صحيح، أخرجه أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد.

وافد الذئاب يرضى بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم:

عن حمزة بن أبي أسيد قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار بالبقيع، فإذا الذئب مفترشًا ذراعيه على الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا جاء يستفرض فافرضوا له. قالوا: ترى رأيك يا رسول الله. قال: من كل سائمة شاة في كل عام قالوا: كثير. قال: فأشار إلى الذئب أن خالسهم فانطلق الذئب. حسن بشواهده - أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه البزار وأبو نعيم.

ورضي الذئب بأن يأخذ منهم الشياة خلسة كما عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦. تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه و سلم بين يديه ركوة(إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء) فتوضأ فجهش الناس نحوه - و الجهش: (أن يفزع الإنسان إلى الإنسان وهو مع ذلك يريد أن يبكي كالصبي يفزع إلى أمه)

فقال: ما لكم؟

قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا

قلت: كم كنتم؟

قال: لو كنا مئة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مئة - رواه البخاري ورواه مسلم مختصرًا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه و سلم يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم. رواه البخاري ومسلم.

قال المزني- رحمه الله- نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه و سلم أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

تكثيره الطعام والشراب صلى الله عليه و سلم:

فأما الطعام:

فقد وقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مرات عديدة منها ما روي عن جابر بن عبد الله- رضي لله عنهما- في الخندق حيث يقول جابر: لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه و سلم خمصًا(الخمص: خلاء البطن من الطعام) فانكفأت(أي انقلبت ورجعت) إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه و سلم خمصًا شديدًا فأخرجت لي جرابًا(أي وعاء من جلد) فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال: فذبحتها وطحنت ففرغت إلي فراغي فقطعتها في برمتها ثم وليت إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه و سلم ومن معه قال: فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت في نفر معك فصاح رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال: "يا أهل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سورًا" (وهو الطعام الذي يدعى إليه وقيل الطعام مطلقًا) فحيهلا بكم ومعناه أعجل به

وقال: رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم، حتى أجي فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك، وبك - أي ذمته ودعت عليه فقلت: قد فعلت الذي قلت لي - معناه أني أخبرت النبي بما عندنا فهو أعلم بالمصلحة فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها صلى الله عليه و سلم وبارك ثم عمد إلي برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: ادعى خابزة فلتخبز

معك، واقدحي من برمتكم(أي اغرفي والمقدح المغرفة) ولا تنزلوها، وهم ألف فأقسم بالله! لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا(أي شبعوا وانصرفوا) وإن برمتنا لتغط(أي تغلي ويسمع غليانها) كما هي وإن عجينتنا- أو كما قال الضحاك- لتخبز كما هو(أي يعود إلي العجين) رواه البخاري ومسلم

وأما الشراب:

فنأخذ من ذلك مثالاً واحداً وهو اللبن، فمن أدلة تكثيره صلى الله عليه و سلم اللبن ما أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه كان يقول: ألله الذي لا اله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع

ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية في كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه و سلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله قال: الحق، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن له، فوجد لبناً في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان- أو فلانة قال: يا أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الحق إلي أهل الصفة فادعهم لي قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها و أشركهم فيها، فساءني ذلك. فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه و سلم بد فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هر قلت: لبيك يا رسول الله قال: خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه و سلم وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم فقال: يا أبا هر قلت: لبيك يا رسول الله قال: بقيت أنا وأنت قلت: صدقت يا رسول الله

قال: اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال: اشرب فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً، قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة - انظر البخاري لفتح ١١-٦٤٥٢.

ثمانون رجلاً يأكلون بعض أرغفة الخبز وتكفيهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟، قالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دستني تحت يدي ولاثتني ببعضه(أي لفتني به)، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم، قال: بطعام؟ قلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقلت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلم يا أم سليم ما عندك؟ فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتّ وعصرت أم سليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلا. صحيح، أخرجه البخاري في المناقب، وأخرجه مسلم في الأشربة، والترمذي في المناقب.

قصعة الثريد يأكل منها المئات:

عن سمرة بن جندب قال: بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتي بقصعة فيها ثريد(الخبز المختلط باللحم والأرز) قال: فأكل وأكل القوم فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر؛ يأكل القوم ثم يقومون ويجئ قوم فيتعاقبونه، قال: فقال له رجل: هل كانت تُمد بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تمد من السماء - رواه أحمد.

البركة في الشعير:

عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم(أي لاستمر دائمًا أبدًا وما انقطع خيره) - رواه مسلم في كتاب الفضائل.

البركة في السمن:

عن جابر رضي الله عنه: أن أم مالك كانت تُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنًا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شئ، فتعمد إلى التي كانت تهدي فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنًا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرتها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أعصرتيها؟ قالت: نعم، فقال: لو تركتيها ما زالت قائمة - رواه مسلم في كتاب الفضائل.

البركة في مزود أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بتمرات فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال: فصفهن بين يديه ثم دعا، فقال لي: اجعلهن في مزود(الوعاء من الجلد وغيره، ويجعل فيه الزاد) وأدخل يدك ولا تنثره، قال: فحملت منه كذا وكذا وسقًا(الوسق: ٥٠كيلة = ٤ أردب وكيلتان) في سبيل الله ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع حقوي فسقط. حسن، رواه أحمد، والترمذي في مناقب أبي هريرة.

وفي رواية: أنه قال: أُصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أُصب بمثلهن:

١. موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه.

٢. وقتل عثمان.

٣. والمزود.
قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟
قال: قلت تمر في مزود
قال: جئ به، فأخرجت تمرًا فأتيته به
قال: فمسه ودعا فيه ثم قال: ادع عشرة، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر معي في المزود
فقال: يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئًا، فأدخل يدك فيه ولا تكفه
قال: فأكلت منه حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي، وانتهب المزود، ألا أخبركم كم أكلت منه، أكلت منه أكثر من مائتي وسق(الوسق: ٥٠كيلة = ٤ أردب وكيلتان) - دلائل النبوة للبيهقي.
البركة في شطر الشعير:
عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شئ يأكله ذو كبد إلا شطر شعير(أي نصف قدح من شعير أو شئ قليل من الشعير) في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي، ثم كِلته ففني - صحيح، أخرجه البخاري ومسلم.

٧. إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كما وصفه ربه عز وجل : (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) - سورة التوبة آية ١٢٨ فكان ينظر إلى أصحابه نظرة الرحمة والشفقة فكلما ألم بأصحابه مكروه من عاهة أو مرض أو تفكير في أمر يشغل بالهم أسرع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدعاء لهم للتخفيف عنهم ولكي ينالوا بركة دعوته صلى الله عليه و سلم أما بالنسبة للكفار والمشركين والمعاندين فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو عليهم حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم وتارة كان يدعو لهم حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تآلفهم.
وإذا دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم لأناس أو دعا عليهم فإنك تجد ما دعا به قد تحقق قطعًا وهذه بعض الأمثلة من دعواته المستجابة صلى الله عليه و سلم
سرعة الإجابة:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم قائمًا ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال (المراد هنا المواشي خصوصًا الإبل وهلاكها من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات) وانقطعت السبل (أي انقطعت الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكلأ أو عدمه) فادع الله يغثنا قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه ثم قال: اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا
قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة (القطعة من الغيم)/ وما بيننا وبين سلع (جبل قرب المدينة) من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (هو ما يتقي به السيف ووجه الشبه الاستدارة والكثافة لا القدر) فلما

توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت.

قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا
قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يخطب فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا
قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه ثم قال: اللهم حولنا ولا علينا اللهم على الآكام (جمع أكمة وهي الرابية المرتفعة من الأرض) والظراب (جمع ظرب وهي صغار الجبال والتلال) ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس - رواه البخاري ومسلم
يمهل ولا يهمل:
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور (أي ناقة) بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا (هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية المشيمة) جزور بني فلان فيأخذه فيضل في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن أبي معيط) فأخذه فلما سجد النبي صلى الله عليه و سلم وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا (أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية) وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة (أي لو كان لي قوة تمنع أذاهم أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني) طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم والنبي صلى الله عليه و سلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت وهي جويرية (تصغير جارية بمعنى شابة أي أنها إذ ذاك ليست بكبيرة) فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي صلى الله عليه و سلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا ثم قال: اللهم عليك بقريش (ثلاث مرات) فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة (اتفق العلماء على أنه غلط وصوابه: الوليد بن عتبة) وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط" وذكر السابع فلم أحفظه فو الذي بعث محمدًا صلى الله عليه و سلم بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب (القليب هي البئر التي لم تطو وإنما وضعوا في القليب تحقيرًا لهم ولئلا يتأذى الناس برائحتهم) قليب بدر قال أبو إسحاق: الوليد بن عقبة غلط في هذا الحديث - رواه مسلم
دعوة وهداية:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعونها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اللهم اهد أم أبي هريرة"

فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله صلى الله عليه و سلم فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف (أي مغلق) فسمعت أمي خشف (أي صوتهما في الأرض) قدمي فقال: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء (أي صوت تحريكه).
قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.
قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا
قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا
قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني - رواه مسلم.
نزول المطر الشديد يوم تبوك بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم:
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب، حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد(أي قلة نزول المطر)، فزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرجل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه(أي روثه وفضلاته) فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا، فادع الله لنا فقال صلى الله عليه وسلم: أو تحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.
أخرجه البيهقي في الدلائل، وقال ابن كثير في البداية: هذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه.
سعد مُجاب الدعوة بسبب دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم:
عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك. فكان لا يدعو إلا استجيب. أخرجه الترمذي، والحاكم صححه.
ومن هذا ما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا، يعني ابن أبي قاص رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا(أي سعدًا رضي الله عنه) حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي! فقال: أما والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخرم عنها؛ أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث:

اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعة، فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن.
قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن، وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. صحيح، رواه البخاري ومسلم.
الفرس الضعيف يسبق ويدر الأموال الطائلة:
عن جعيل الأشجعي رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أُخريات الناس، فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: سر يا صاحب الفرس فقلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفقة معه فضربها بها وقال: اللهم بارك له. قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفًا. رواه البخاري في التاريخ، والنسائي في السنن الكبرى، والبيهقي في الدلائل.
دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف:
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك. رواه البخاري. قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا أو فضة. أخرجه ابن سعد والبيهقي.
وفتح الله له أبواب الرزق، ومن عليه ببركات من السماء والأرض، وكان حين قدم المدينة فقيرًا لا يملك شيئًا، فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، فقال سعد لعبد الرحمن: إن لي زوجتين فاختر أجملهما أطلقها ثم تعتد ثم تتزوجها، وإن لي من المال كذا وكذا فخذ منه ما شئت. فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، بارك الله لك في زوجتيك ومالك، ثم قال: دلوني على السوق. أخرجه البخاري.
فصار يتعاطى التجارة، وفي أقرب زمن رزقه الله مالاً كثيرًا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، حتى أنه لما توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين، حُفِر الذهب من تركته بالفئوس، حتى جُرحت الأيدي من كثرة العمل، وأخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ربع الثمن ثمانين ألفًا. وقيل: إن نصيب كل واحدة كان مائة ألف، وقيل: بل صولِحت إحداهن على نيف وثمانين ألف دينار، وأوصى بألف فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ، وهذا كله غير صدقاته الفاشية في حياته، وعطاءاته الكثيرة، وصلاته الوفيرة؛ فقد أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدًا، وتصدق مرة بعير: وهي الجمال التي تحمل الميرة، وكانت سبعمائة بعير، وردت عليه، وكان أرسلها للتجارة، فجاءت تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره بأحلاسها وأقتابها.

وجاء أنه تصدق مرة بشطر ماله، وكان الشطر أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفًا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم تصدق بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة.

زاد أولاده عن المائة وزاد عمره عن المائة وزاد ماله عن المائة ألف بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

إنه أنس بن مالك رضي الله عنه.. يحدثنا عن ذلك فيقول: جاءت أم سليم، وهي أم أنس، رضي الله عنهما، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بخمارها وردَّتني ببعضه، فقالت: يا رسول الله هذا أُنيس أتيتك به يخدمك فادع الله له، قال: اللهم أكثر ماله وولده. صحيح: أخرجه البخاري في الدعوات. وفي لفظ: اللهم أكثر ماله وولده وأطِل عمره واغفر له.

قال أنس: فو الله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو المائة. قال: وحدثتني ابنتي أُمَيْنة أنه قد دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة: تسعة وعشرين ومائة.

وروى الترمذي وغيره أن أنس بن مالك رضي الله عنه خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك. حسن: أخرجه الترمذي في المناقب، وقال: حديث حسن.

وفي رواية قال: دفنت من صلبي مائة واثنتين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة.

فولده إذن يزيدون على المائة، وأما عمره فقد مات وعمره مائة عام وقيل: عشرة ومائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين على الراجح، وأما ماله فقد كانت السحابة تمطر في أول أرضه ولا تمطر في آخرها لعظم مساحة أرضه.

دعا له فطال عمره وهو شاب:

ثبت أنه صلى الله عليه وسلم دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه، فطال عمره حتى بلغ أربعًا وتسعين سنة، وهو تم تام القامة معتدل، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومُتِّع بحواسه قواه. صحيح: أخرجه البخاري كتاب المناقب، ومسلم في الفضائل.

ابن عباس حبر الأمة بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضع له وضوءًا، فلما خرج قال: من صنع هذا؟ قالوا: ابن عباس، قال: اللهم فقهه في الدين. صحيح، أخرجه البخاري في الوضوء، ورواه مسلم.

وعنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على كتفي ثم قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. صحيح، أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، ورواه البيهقي في الدلائل.

وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة في ابن عمه؛ فكان إمامًا يُهتدى بهداه، ويُقتدى بسناه في علوم الشريعة، ولا سيما في علم التأويل وهو التفسير؛

فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم..
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منا، وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. رواه الحاكم في المستدرك.
هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة؟!. وقيل: خطب الناس ابن عباس في عشية عرفة، ففسر لهم سورة البقرة تفسيرًا لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا. _ رضي الله عنه وأرضاه _.
دعا صلى الله عليه وسلم عليه فاختلج لسانه:
عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كان فلان يجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء اختلج (ردد الكلام على هيئة المستهتر) بوجهه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كن كذلك، فلم يزل يختلج حتى مات.
أخرجه البيهقي في الدلائل.
ثبوت جرير على الفرس بعد أن كان لا يثبت:
عن جرير البجلي رضي الله عنه قال: كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرب بيده على صدري حتى رأيت أثر يده على صدري، وقال: اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا، فما سقطت عن فرسي بعد. رواه أبو نعيم.
وأخرجه الشيخان عنه بلفظ: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تريحني من ذي الخَلَصة، صنم، فقلت: يا رسول الله، لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري وقال: اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا، فسرت إليها في مائة وخمسين فارسًا من أحمس، فأتيناها فحرقناها.
أخرجه الشيخان.
شلت يده:
رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يأكل بشماله فقال له: كل بيمينك.
قال: لا أستطيع
قال: لا استطعت.
قال الراوي: فما رفعها إلى فيه (فمه). رواه مسلم في الأشربة.
كان إذا باع شيئًا ربح فيه بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له:
صاحب هذه الشهادة عروة بن أبي الجعد المازني، رضي الله عنه، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ليشتري له به شاة، فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار وأتاه بشاة ودينار، فقال له: بارك الله لك في صفقة يمينك.
وفي رواية: فدعا له بالبركة في البيع، فكان لو اشترى التراب لربح فيه. أخرجه البهقي في الدلائل.
لا يشبع أبدًا:
عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختبأت منه، فجاءني فحطاني حطوة (أي قفدني يعني ضربه بيده

وهي مبسوطة الكفين) أو حطوتين وأرسلني إلى معاوية في حاجة، فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه. فما شبع بعدها.

قال ابن كثير: وقد كان معاوية، رضي الله عنه، لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعامًا بلحم وكان يقول: والله لا أشبع وإنما أعيي. البداية والنهاية (١٨٩/٦).

قلت: وهذا الأمر جاء لمعاوية على أنه استجابة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وابتلاء من الله تعالى لمعاوية، ولم يكن غضبًا ولا سخطًا من الرسول صلى الله عليه وسلم على معاوية رضي الله عنه.

حضور الطعام الطهي بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

عن واثلة بن الأسقع، رضي الله عنه، حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا، فكنا إذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجل من أهل البيعة فانطلق به فعشّاه، فأتت علينا لم يأتنا أحد، وأصبحنا صيامًا، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بالذي كان من أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء؟ فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تقسم: ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاجتمعوا، فدعا وقال: اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنها بيدك لا يملكها أحد غيرك. فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن فإذا بشاة مصلية ورغف، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين أيدينا، فأكلنا حتى شبعنا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا سألنا الله من فضله ورحمته، فهذا فضله، وقد ادخر لنا عنده رحمته.

حسن: أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه الطبراني وإسناده حسن

٨. الإسراء والمعراج

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "أتيت بالبراق-وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه-قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن

فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل

فقيل: من أنت؟

قال: جبريل

قيل: ومن معك؟

قال: محمد

قيل: وقد بعث إليه؟

قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟

قال: جبريل

قيل: ومن معك؟

قال: محمد
قيل: وقد بعث إليه؟
قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟
قال: جبريل
قيل: ومن معك؟
قال: محمد
قيل: وقد بعث إليه؟
قال:قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام
قيل: من هذا؟
قال: جبريل
قيل: ومن معك؟
قال: محمد
قيل: وقد بعث إليه؟
قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل: ورفعناه مكانًا عليًا، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟
قال: جبريل
قيل: ومن معك؟
قال: محمد
قيل: وقد بعث إليه؟
قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟
قال: جبريل
قيل: ومن معك؟
قال: محمد
قيل: وقد بعث إليه؟
قال:قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من هذا؟
قال: جبريل
قيل: ومن معك؟
قال: محمد
قيل: وقد بعث إليه؟
قال:قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندُا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة

المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك؟
قلت: خمسين صلاة.
قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.
قال: فرجعت إلى ربي
فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسًا فرجعت إلى موسى.
فقلت: حط عني خمسًا
قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا فإن عملها كتبت سيئة واحدة.
قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته
فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه - رواه مسلم.
عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام: "ما هذا؟
قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.
ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: "ما هذا يا جبريل؟" قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة
ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال: "ما هؤلاء؟" قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد.
ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيئ في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا فتأتي رجلاً خبيثًا فتبيت عنده حتى تصبح.
ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها.

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.
ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها.
ثم أتى على واد فوجد فيه ريحًا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتًا فقال: ما هذا يا جبريل؟
قال: هذا صوت الجنة تقول: رب آتيني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضيتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتيني بما وعدتني
قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحًا ولم يشرك بي شيئًا ولم يتخذ من دوني أندادًا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل علي كفيته إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين
قالت: قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتًا منكرًا ووجد ريحًا منتنة فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتيني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتيني بما وعدتني
قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت: قد رضيت فسار حتى أتى بيت المقدس - رواه الطبراني والبزار.

٩. مقدمة

والمعجزة على شقين شق هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، وشق خارج عن قدرتهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله كانشقاق القمر، مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من الله وتحدى من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزا له.
ومعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ظهرت على يديه تشمل كلا النوعين فهو صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آيات وأظهرهم برهانا فله من المعجزات مالا يحصى، وقد ألفت في معجزاته صلى الله عليه وسلم المؤلفات الكثيرة، وتناولها العلماء بالشرح والبيان ممن اعتنى بجمعها من الأئمة أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي.
ومعجزاته صلى الله عليه وسلم منها ما نقل إلينا نقلاً متواترًا من طرق كثيرة تفيد القطع عند الأمة ومنها ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين.
أولاً: نوع مشتهر منتشر، رواه العدد وشاع الخبر به عند أهل العلم بالآثار، ونقلته السيرة والأخبار، كنبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم، وتكثير الطعام
ثانياً: نوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهاره غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز.

وبعد هذا التمهيد الموجز، نورد بإذن الله تعالى جملة من معجزات ودلائل نبوة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم مما ساندها الدليل الصحي

١٠. إخباره صلى الله عليه وسلم عن المغيبات (١)

أولاً: نبوءات تحققت في زمن النبي صلى الله عليه و سلم:

من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وإخباره عنها ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير ما آية من كتابه العزيز قال تعالى: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)- سورة النمل آية ٦٥ وقال تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) - سورة الأنعام آية ٥٩

ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه قال الله تعالى مخبرًا عن غير واحد من رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام أنهم قالوا لأقوامهم: (قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) سورة الأنعام آية ٥٠

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية.

وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ)- سورة آل عمران آية ١٧٩ وقال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً {٢٦} إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ)- سورة الجن آية ٢٦ و ٢٧

فتلخص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته.

وقد اشتهر وانتشر أمره صلى الله عليه وسلم بإطلاع الله له على المغيبات

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامًا فما ترك شيئًا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري ومسلم.

وقال عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة فأعلمنا أحفظنا. رواه مسلم.

والمغيبات التي تغيبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أقسام ثلاثة

أولاً: نبوءات تحققت في زمن النبي صلى الله عليه و سلم:

وهو ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه من المغيبات فوقع أثناء حياته ومن أمثلة ذلك

قتل أمية بن خلف.

ثانياً: نبوءات تحققت بعد زمن النبي صلى الله عليه و سلم:
وهو ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه من المغيبات فوقع بعد مماته.
ثالثًا: قسم في المستقبل لم يتحقق بعد.
و ستجد تفصيل ذلك في القبسات التالية.
أولاً: نبوءات تحققت في زمن النبي صلى الله عليه و سلم:
النبي صلى الله عليه وسلم يخبر وهو في مكة في فئة مستضعفة أن دينه سيعم الجزيرة كلها:
فعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذٍ متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: }ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى، أو ألا تستنصر لنا؟
فقال صلى الله علي وسلم:"قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض، فيجاء بالمنشار على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك، والله ليتمن الله عز وجل هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون{." - رواه أحمد.
وقد وقع هذا الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم فدانت الجزيرة كلها بالإسلام، وآمن الناس فيها من أقصاها إلى أقصاها...وكان تصور هذا ضرب من الخيال، فقد كان القتل وقطع الطريق، والإغارة والنهب والسلب في كل ركن من أركانها إلا المسجد الحرام فقط.
إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم، ووقوع الأمر كما حدث به تماماً:
قال مسلم رحمه الله: حد ثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصرف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد قال: فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه.
قال: ثم قلت لعله نجى معهم فأتيتهم فقمت بينهم وبينه فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال:"تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله".
قلت: ويبقى فتح الدجال، وسيقع الأمر فيه كما حدث صلى الله عليه وسلم تماماً، وسيكون ذلك آية أخرى لمن يشهدها في وقتها.
النبي صلى الله عليه وسلم يخبر وهو في المدينة أن أمته ستفتح كنوز كسرى:
روى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده إلى عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل.
فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟
قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها

قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار (الدعار هو الخبث الشديد) طيء الذين قد سعروا البلاد؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى.

قلت: كسرى بن هرمز؟

قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك فيقول بلى

فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟

فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم

قال عدي: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: يخرج ملء كفه - رواه البخاري.

وقد روى هذا الحديث أبو نعيم بإسناده في دلائل النبوة أن الشعبي رحمه الله دخل على عدي بن حاتم الطائي فقال: إنه بلغني عنك حديث كنت أحب أن أسمعه منك

قال: نعم، بعث النبي صلى الله عليه وسلم وكنت من أشد الناس له كراهية، وكنت بأقصى أرض العرب من الروم، فكرهت مكاني أشد من كراهيتي لأمري الأول، فقلت لآتين هذا الرجل، فإن كان صادقاً لا يخفى علي أمره، وإن كان كاذباً لا يخفى علي، أو قال: لا يضرني، قال: فقدمت المدينة، فاستشرفني الناس فقالوا: عدي بن حاتم

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عدي أسلم تسلم

قلت: إن لي ديناً، قال: أنا أعلم بدينك منك

قلت: ما يجعلك أعلم بديني مني؟

قال: أنا أعلم بدينك منك. ألست ترأس قومك؟

قلت: بلى

قال: ألست تأخذ المرباع - أي ربع الغنيمة

قلت: بلى

قال: فإن ذلك لا يحل لك

قلت: أجل

قال: فكان ذلك أذهب بعض ما في نفسي

قال: أنه يمنعك من أن تسلم خصاصة فقر من ترى حولنا، وإنك ترى الناس علينا إلباً واحداً، أو قال يداً واحدة

قلت: نعم

قال: هل أتيت الحيرة؟

قلت: لا، وقد علمت مكانها

قال صلى الله عليه وسلم: يوشك الظعينة أن تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار ويوشك أن تفتح كنوز كسرى بن هرمز
قال: قلت: كنوز كسرى بن هرمز
قال: كنوز كسرى بن هرمز ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها منه
قال عدي رضي الله عنه: فلقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار، وكنت في أول خيل أغارت على السواد، والله لتكونن الثالثة أنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي رواية أبي بكر بن خلاد ومحمد بن أحمد قال عدي فأنا سرت بالظعينة من الحيرة، قال: إلى البيت العتيق في غير جوار، يعني أنه حج بأهله، وكنت في أول خيل أغارت على المدائن، والله لتكونن الثالثة كما كانت هاتان أنه تحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إياي
وفي رواية أخرى
قدم عدي بن حاتم الطائي الكوفة، فأتيته في أناس منا، من أهل الكوفة، قلنا: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ولا أعلم أحداً من العرب كان له أشد بغضاً مني، ولا أشد كراهية له مني، حتى لحقت بأرض الروم، فتنصرت فيهم، فلما بلغني ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة، وما اجتمع إليه من الناس ارتحلت حتى أتيته، فوقفت عليه وعنده صهيب وبلال وسلمان
فقال: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم
فقلت: أخ أخ فأنخت، فجلست وألزقت ركبتي بركبته
فقلت: يا رسول الله ما الإسلام؟
قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره. يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى تفتح خزائن كسرى وقيصر. يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى تأتي الظعينة من الحيرة –ولم يكن يومئذ كوفة- حتى تطوف بالكعبة بغير خفير، لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به فلا يجد أحد يقبله، فيضرب به الأرض فيقول: ليتك كنت تراباً - دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/٦٩٣-٦٩٦.
إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح الحيرة وهبته الشيماء بنت نفيلة لخريم بن أوس:
قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر قال ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: ثنا أبو السكين زكريا بن يحيى الطائي، قال حدثني عم أبي زخر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال
قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقدمت عليه مُنْصَرَفَهُ من تبوك، فأسلمت فسمعته يقول: هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي، وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزدية على بغله شهباء معتجرة بخمار أسود.
فقلت: يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي؟
قال: هي لك.

قلت: ثم كانت الردة، فما ارتد أحد من طيء، فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة، فلما دخلناها كان أول من تلقانا الشيماء بنت نفيلة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود فتعلقت بها.
فقلت: هذه وصفها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني خالد بالبينة فأتيت بها، فكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير الأنصاريان، فسلمها إليّ خالد، ونزل إليها أخوها عبد المسيح بن نفيلة يريد الصلح
فقال: بعينها
فقلت: لا أنقصها والله من عشر مائة فأعطاني ألف درهم وسلمتها إليه
فقالوا لي: لو قلت مائة ألف لسلمها إليك
فقلت: ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة
قلت: وهذا صحابي لا يعلم بعد الألف عدداً وهذا الحديث من أعلام نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه حدث عن أمر من الغيب لا يمكن تصوره بالظن ولا التخييل ولا التوقع فإن تصور انتصار العرب المسلمين على الفرس كان أبعد من الخيال ولقد حدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم بصفته حقيقة واقعة ووقع الأمر كما حدث به تماماً.
وقد روى هذا الحديث الإمام ابن حبان رحمه الله كما في الموارد: أخبرنا ابن أسلم حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم بن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحونها
فقام رجل فقال: هب لي يا رسول الله ابنة نفيلة
فقال: هي لك فأعطوها إياه
فجاء أبوها فقال: أتبيعنها
فقال: نعم
قال: بكم؟
قال: احتكم ما شئت
قال: بألف درهم
قال: قد أخذتها فقيل: لو قلت ثلاثين ألفاً
قال: وقال: وهل عدد أكثر من ألف؟
قال الحافظ الهيثمي: قلت هكذا وقع في هذه الرواية أن الذي اشتراها أبوها وإن المشهور أن الذي اشتراها عبد المسيح أخوها والله أعلم.
إخباره صلى الله عليه وسلم بحسن إسلام الفرس بعد الفتح:
قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمان بن بلال عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء.

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا عبد العزيز أخبرني ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: لناله رجال من هؤلاء - البخاري ٦٤١/٨.
بشر الرسول المسلمين بغزو قريش:
ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني:" لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم". فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.
قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي، أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغَلُظت عليّ صخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني؛ فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة؛
قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى؛
قال: ثم ضرب به الثالث، فلمعت تحته برقة أخرى .
قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟
قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟
قال: قلت : نعم.
قال: أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق.
قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم، فو الذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدًا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك.
ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.
إخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم يوم بدر:
روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوم بدر قبل قتال المشركين وقال: هذا مصرع فلان، ووضع يده على الأرض، ثم قال: هذا مصرع فلان، ووضع يده عليها، وذكرهم واحدًا واحدًا مشيرًا إلى مصارعهم، فصرعوا كذلك، ما تجاوز أحد منهم موضعه الذي أشار إليه صلى الله عليه وسلم.
إخباره صلى الله عليه وسلم بخراب خيبر:
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر صلى بهم الصبح وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، ولا يشعرون، بل خرجوا لأرضهم، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والله، محمد والجيش، ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" الله أكبر خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين".
أخرجه البخاري ومسلم.

إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه هو الذي يقتل أبيًا:
رام إمام الكفر أبيّ بن خلف _ لعنه الله _ قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"أنا أقتل أبيًا"، وذلك الذي تم كما جاء في الحديث: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبيّ من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، وطعنه بحربته فسقط عن فرسه ولم يخرج من طعنته الدم فكسر ضلعًا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك، إنما هو خدش.
فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتل أبيًا، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أبي قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّـهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنا) ـ سورة الأنفال، من الآية:١٧. أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.
وكان أبيّ بن خلف الكافر الوحيد الذي قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد، وما سمع أنه قتل بعده أحدًا.
إخباره صلى الله عليه وسلم بإسلام أبي الدرداء قبل أن يسلم:
عن جبير بن نفير قال: كان أبو الدرداء رضي الله عنه يعبد صنمًا في الجاهلية، وإن عبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما دخلا بيته فسرقا صنمه، فرجع أبو الدرداء فجعل يجمع صنمه ذلك ويقول: ويحك، هل امتنعت، ألا دفعت عن نفسك؟
فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أحدًا أو يدفع عن أحد، دفع عن نفسه ونفعها
فقال أبو الدرداء: أعدي لي في المغتسل ماء، فجعلت له ماء فاغتسل وأخذ حلته فلبسها، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً، فقال: هذا أبو الدرداء ما أراه جاء إلا في طلبنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، إنما جاء ليسلم؛ فإن ربي عز وجل وعدني بأبي الدرداء أن يسلم. أخرجه البيهقي في الدلائل.
إعلامه صلى الله عليه وسلم بعدم غزو المشركين المسلمين بعد الخندق:
لما انصرف أهل الخندق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.
صحيح: أخرجه البخاري وأحمد وابن إسحاق.
فلم تغز قريش بعد هذه الغزوة، وكان صلى الله عليه وسلم يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن إسلام أبي طلحة قبل أن يسلم:
لما مات زوج أم سليم رضي الله عنها، جاءها أبو طلحة الأنصاري خاطبًا فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة، ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك. فقال: ما ذاك دهرك! (ما هذه عادتك)، قالت: وما دهري؟ قال: الصفراء (الذهب) والبيضاء (الفضة)، قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام فإن تسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق أبو طلحة يريد النبي صلى الله عليه

وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه، فلما رآه قال: جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.
قال ثابت البناني، راوي القصة عن أنس: فما بلغنا أن مهرًا كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهرًا. صحيح، رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود الطيالس

.١١ إخباره صلى الله عليه وسلم عن المغيبات (٢)

ثانياً: نبوءات تحققت بعد زمن النبي صلى الله عليه و سلم:
المسلمون يفتحون فارس موقنين بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم:
قال البخاري رحمه الله: حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا المعتمر بن سليمان حدثنا سعيد بن عبيد الله الثقفي حدثنا بكر بن عبد المزني وزياد بن جبير عن جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأنصار، يقاتلون المشركين، فأسلم الهرمزان
فقال له عمر: إني مستشيرك في مغازي هذه
قال: نعم، مَثَلُها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس، وله جناحان وله رجلان، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، وإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس، فالرأس كسرى، والجناح قيصر، والجناح الآخر فارس، فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى.
وقال بكر بن زياد جميعاً عن جبير بن حية قال: فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو، خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم.
فقال المغيرة بن شعبة: سل عما شئت
قال: ما أنتم؟
قال: نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمر نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أن من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم.
وروى الحاكم رحمه الله هذا الحديث قال: حدثنا علي بن جمشاد العدل، ثنا علي بن عبد العزيز ثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة ثنا أبو عمران الجوني، عن علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وآذربيجان
فقال يا أمير المؤمنين: أصبهان الرأس وفارس وآذربيجان الجناحان، فابدأ بأصبهان فدخل عمر بن الخطاب بالمسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي فانتظره حتى قضى صلاته.
فقال له: إني مستعملك.

فقال: أما جابياً فلا!! وأما غازياً فنعم.
قال: فإنك غاز.
فسرحه وبعث إلى أهل الكوفة أن يمدوه ويلحقوا به وفيهم حذيفة بن اليمان، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، والأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب، وعبد الله بن عمرو، فأتاهم النعمان وبينه وبينهم نهر، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة رسولاً وملكهم ذو الحاجبين فاستشار أصحابه فقال: ما ترون أقعد لهم في هيئة الحرب أو في هيئة الملك وبهجته؟
فجلس في هيئة الملك وبهجته على سريرة، ووضع التاج على رأسه وحوله سماطين عليهم ثياب الديباج والقرط والأسورة، فجاء المغيرة بن شعبة فأخذ بضبعيه، وبيده الرمح والترس والناس حوله سماطين على بساط له، فجعل يطعنه برمحه فخرقه لك لي يتطيروا، فقال له ذو الحاجبين: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد وجهد فخرجتم فإن شئتم مرناكم (من الميرة يعني الطعام) ورجعتم إلى بلادكم.
فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنا كنا معشر العرب نأكل الجيفة والميتة، وأنه قد وعدنا أن هاهنا سيفتح علينا، وقد وجدنا جميع ما وعدنا حقاً، وإني لأرى ها هنا بزة وهيئة ما أرى من معي بذاهبين حتى يأخذوه
فقال المغيرة: فقالت لي نفسي لو جمعت جراميزك فوثبت وثبة فجلست معه على السرير إذ وجدت غفلة فزجني وجعلوا يحثونه
فقلت: أرأيتم إن كنت أنا استحمق فإن هذا لا يفعل بالرسل، وإنا لا نفعل هذا برسلكم إذا أتونا
فقال: إن شئتم قطعتم إلينا وإن شئنا قطعنا إليكم
فقلت: بلى نقطع إليكم، فقطعنا إليهم وصاففناهم فتسلسلوا كل سبعة في سلسلة، وخمسة في سلسلة حتى لا يفروا
قال: فرامونا حتى أسرعوا فينا
فقال المغيرة للنعمان: إن القوم قد أسرعوا فينا فاحمل
فقال: إنك ذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله، ولكني أنا شهدت رسول صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار، أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الريح، وينزل النصر
فقال النعمان: يا أيها الناس اهتز ثلاث هزات فأما الهزة الأولى فليقضي الرجل حاجته، وأما الثانية فلينظر الرجل في سلاحه وسيفه، وأما الثالثة فإني حامل فاحملوا فإن قتل أحد فلا يلوي أحد على أحد، وإن قتلت فلا تلووا علي، وإني داع الله بدعوة فعزمت على كل امرىء منكم لما أمن عليها فقال: اللهم ارزق اليوم النعمان شهادة تنصر المسلمين، وافتح عليهم.
فأمن القوم..وهز لواءه ثلاث مرات، ثم حمل فكان أول صريع رضي الله عنه فذكرت وصيته فلم ألوي عليه، وأعلمت مكانه فكنا إذا قتلنا رجلاً منهم، شغل عنا أصحابه يجرونه ووقع ذو الحاجبين من بغلته الشهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين، وأتيت النعمان وبه رمق، فأتيته بماء فجعلت أصبه على وجهه أغسل التراب عن وجهه

فقال: من هذا
فقلت: معقل بن يسار
فقال: ما فعل الناس
فقلت: فتح الله عليهم
فقال: الحمد لله اكتبوا بذلك إلى عمر.
وفاضت نفسه فاجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس فقال: فأتينا أم ولده فقلنا: هل عهد إليك عهداً قالت: لا إلا سفيط له فيه كتاب فقرأته فإذا فيه: إن قتل فلان ففلان، وإن قتل فلان ففلان ـ المستدرك ٢٩٣/٣.
قلت: فانظر كيف زحف المسلمون وهم قلة قليلة إلى الفرس وهم أضعاف أضعافهم ولكن المسلمين كانوا موقنين بالنصر لأن النبي صلى الله عليه وسلم وعدهم بذلك، والرسول لا يقول إلا حقاً.
إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده:
قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله
وقال البخاري رحمه الله: حدثنا إسحاق سمع جريراً عن عبد الملك عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله
وأخرجه أيضاً من حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لتفتحن عصابة من المسلمين -أو من المؤمنين- كنز آل كسرى الذي في الأبيض.
قلت: وقد وقع الأمر تماماً كما قال صلى الله عليه وسلم فإنه لم يأت بعد كسرى كسرى غيره، ولما هدمت دولة القياصرة فلم تقم لهم دولة بعد ذلك وإلى يومنا هذا.
فأي دليل أعظم من هذا الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بالوحي الذي لا يعلمه إلا الله، فإنه لم يكن يتصور أحد أن دولة الأكاسرة التي استمرت نحو ألف عام أن يكون سقوطها وزوالها بأيدي المسلمين، وأن الأكاسرة لا يستطيعون، وإلى قيام الساعة أن يعيدوا ملكهم مرة ثانية.
إخباره صلى الله عليه وسلم بفساد بعض أحوال المسلمين وقتالهم بعضهم بعضاً بعد فتح فارس والروم:
قال مسلم رحمه الله: حدثنا عمرو بن سواد العامري أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن العاص حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟
قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض" - مسلم ٤/٢٢٧٤.
قلت: وللأسف فقد حدث ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقتل المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً في الجمل وصفين!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.
النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بفتح القسطنطينية:
قال صلى الله عليه وسلم: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى"
فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)-سورة التوبة آية ٣٣ أن ذلك تاما!!اً.
قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله - رواه مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله زوى (أي جمع وضم) لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها - رواه مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر".
وعن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له خلق قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مدينة هرقل تفتح أولاً - يعني قسطنطينية - رواه أحمد والدارمي وغيرهما وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.
فتح بيت المقدس:
فتح بيت المقدس فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اعدد ستاً بين يدي الساعة) وذكر منها (فتح بيت المقدس) - رواه البخاري.
وهذا الشرط قد حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٣٦هـ.
طاعون عمواس:
طاعون عمواس وهي بلدة في فلسطين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اعدد ستاً بين يدي الساعة) وذكر منها (ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم) رواه البخاري ، قال ابن حجر : "إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس" أهـ . وكان ذلك عام ١٨هـ وبلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين.
استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:
قال صلى الله عليه وسلم : "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقه ، ويدعى إليه الرجل فيقول : لا أرب لي فيه" - رواه البخاري.

وهذا تحقق كثير منه في عهد الصحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فكان الرجل يعرض المال للصدقة فلا يجد من يقبله، وسيكثر المال في آخر الزمان في زمن المهدي وعيسى عليه السلام إن شاء الله.

ظهور الفتن:

ظهور الفتن ، قال صلى الله عليه وسلم : "إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً"- رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد حدث كثير من الفتن من عهد الصحابة رضي الله عنهم حتى الآن وأعظم الفتن جاءت من الشرق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق : "ألا إن الفتنة ها هنا ألا إن الفتنه هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان - رواه البخاري.

ومن الفتن التي حدثت: مقتل عثمان رضي الله عنه، وموقعة الجمل وصفين، وظهور الخوارج، وموقعة الحرة ، وفتنة القول بخلق القرآن.

ظهور مدعي النبوة:

ظهور مدعي النبوة ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله" - رواه مسلم

وممن ظهر من هؤلاء الثلاثين : مسيلمة الكذاب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والأسود العنسي في اليمن وقتله الصحابة، وظهرت سجاح فادعت النبوة ثم رجعت إلى الإسلام، وظهر طليحة بن خويلد الأسدي ثم رجع إلى الإسلام، ثم ظهر المختار، ومنهم الحارث الكذاب ظهر في خلافة عبد الملك بن مروان، وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وظهر في العصر الحديث ميرزا أحمد القادياني بالهند، ولا يزال يظهر هؤلاء الكذابون حتى يظهر آخرهم الأعور الدجال كما قال صلى الله عليه وسلم : "وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب" - رواه أحمد

ومن هؤلاء الكذابون أربع نسوة ، قال صلى الله عليه وسلم : "في أمتي كذابون ودجالون ستة وعشرون منهم أربع نسوة وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي" - رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

ظهور نار الحجاز:

ظهور نار الحجاز، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى" - رواه البخاري.

وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام ٦٥٤ هـ، وكانت ناراً عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم بوصفها، قال النووي : خرجت في زماننا نار في المدينة سنة أربع وخمسين وست مائة وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة.

ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز، وذكر القرطبي في التذكرة أن هذه النار رئيت من مكة ومن جبال بصرى.

فساد الأخلاق وضياع الأمانة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة".

قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟

قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة - رواه البخاري

ومن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس من إمارة وخلافة وقضاء ووظائف إلى غير أهلها القادرين على تسييرها.

كثرة الشرطة وأعوان الظلمة:

فقد روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال-أو قال-يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان معهم سياط كأنها أذناب البقر ، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه".

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس"

انتشار الزنا:

ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من أشراط الساعة - فذكر منها - ويظهر الزنا"

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق فيكون خيارهم يومئذ من يقول لو واريتها وراء هذا الحائط" - رواه أبو يعلي وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

قال القرطبي : "في هذا الحديث علم من أعلام النبوة إذا أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصاً في هذه الأزمان" أ هـ، فإذا كان هذا في زمن القرطبي فهو في زمننا هذا أكثر ظهوراً.

الربا:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "بين يدي الساعة يظهر الربا"- رواه الطبراني في الترغيب والترهيب وقال المنذري رواته رواة الصحيح. وهذا الحديث ينطبق على كثير من المسلمين في هذا الزمن.

ظهور المعازف واستحلالها:

فعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ".

قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟

قال: "إذا ظهرت المعازف والقينات" - رواه ابن ماجه ، وقال الألباني صحيح. وهذه العلامة قد وقع شيء كثير منها في السابق وهي إلى الآن أكثر ظهوراً.
كثرة شرب الخمر واستحلالها:
فقد روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من أشراط الساعة - وذكر منها - ويشرب الخمر.
وروى الأمام أحمد عن عباده بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه"
ارتفاع الأسافل:
فيكون أمر الناس بيد السفهاء والأراذل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة، قال: السفيه يتكلم في أمر العامة" - رواه أحمد وقال أحمد شاكر : إسناده حسن.
أن تكون التحية للمعرفة فقط:
فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة" - رواه أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده حسن.
ظهور الكاسيات العاريات:
فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات" - رواه أحمد وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح.
ومعنى كاسيات عاريات أي: كاسية جسدها ولكنها تشد خمارها وتضيق ثيابها حتى تظهر تفاصيل جسمها، أو تكشف بعض جسدها، وهذا حادث.
كثرة الكذب وعدم التثبت في نقل الأخبار:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"سيكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم" - رواه مسلم.
كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق:
فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن بين يدي الساعة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق" - رواه أحمد وقال أحمد شاكر: صحيح.
النفاق في العلائق وقطعية الأرحام:
للحديث: "إذا الناس أظهروا العلم وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم"- ابن أبي الدنيا.
زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد".

التطاول في البنيان:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عندما سأل عن وقت قيام الساعة: "ولكن سأحدثك عن أشراطها ـ فذكر منها ـ وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان فذاك من أشراطها"، وقد ظهر هذا في زماننا جلياً فتطاول الناس في البنيان وتفاخروا.

كثرة التجارة وفشوها بين الناس:

كثرة التجارة وفشوها بين الناس حتى تشارك المرأة فيها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم قال: "بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة"- رواه أحمد وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهذا الشرط واقع حادث.

كثرة الزلازل:

كثرة الزلازل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل" - رواه البخاري.

ذهاب بركة الأوقات:

للحديث: "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار"- أخرجه الترمذي.

تداعى الأمم على أمة الإسلام:

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قائلاً: "يوشك أن تداعى عليكم الأممُ من كل أفق كما تداعى الأكلةُ على قصعتها،

قال: قلنا يا رسول الله أمن قلت بنا يومئذٍ؟

قال: أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن،

قلنا وما الوهن؟

قال: حب الدنيا وكراهية الموت" رواه أحمد في كتاب باقي مسند الأنصار.

صدقت يا سيدي يا رسول الله فأصبحت الأمة الإسلامية الآن مطمعاً لكل لئيم بعدما ترك المسلمون الجهاد و تكالبوا على الدنيا.

إخباره صلى الله عليه وسلم بأن خلافة النبوة ثلاثون سنة:

عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء. وفي رواية: ثم تكون ملكًا. أخرجه أبو داود.

وقد وقع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر، وخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر، يضاف إليها ستة أشهر وهي

مدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فتصير ثلاثين سنة؛ لأن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الأول سنة إحدى عشر، وتنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما كان في ربيع الأول سنة إحدى وأربعون من الهجرة النبوية.

شفي وطال عمره كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون"؛ وذلك أن سعدًا مرض بمكة، وكان يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، واشتد مرضه حتى أشفى (أي أشرف على الموت) فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده، ولم يكن لسعد إلا بنت، فقال: يا رسول الله أوصي بمالي كله؟ قال: لا، إلى أن قال: فالشطر، قال: لا، فقلت: الثلث، قال: الثلث والثلث كثير، ثم قال له صلى الله عليه وسلم: لعلك تخلف – أي تعيش- حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون"، فشفاه الله من ذلك المرض، وفتح الله العراق على يديه، وهدى الله به ناسًا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى، وكانت المدة التي عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة. أخرجه البخاري ومسلم.

إخباره صلى الله عليه وسلم الزبير بأنه سيقاتل عليًا:

لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي رضي الله عنه وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام؛ فإني علي، فدُعي له الزبير، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال علي: يا زبير أنشدتك بالله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا؟

فقال: يا زبير تحب عليًا؟

فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني

فقال: يا علي أتحبه؟

فقلت: يا رسول الله، ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني

فقال: يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم

قال: بلى، والله لقد نسيته منذ سمعته من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك،

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال: مالك؟ فقال: ذكرني علي حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول: لتقاتلنه وأنت له ظالم، فلا أقاتله

قال: وللقتال جئت! وإنما جئت تصلح بين الناس ويصلحه الله هذا الأمر

قال: قد حلفت ألا أقاتله

قال: فأعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس، فأعتق غلامه ووقف، فلما اختلف الناس ذهب على فرسه - صحيح، أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل.

إخباره صلى الله عليه وسلم أن عمارًا تقتله الفئة الباغية:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار:" تقتلك الفئة الباغية". أخرجه الشيخان.
ومعلوم أن عمارًا رضي الله عنه كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي قتله رجل يقال له أبو الفادية رجل من غوغاء الناس، وقيل: قتله اثنان: هذا ويسار بن أزيهر الجهني من قضاعة.
إخباره صلى الله عليه وسلم أن آخر شربة لعمار مذقة لبن:
عن مولاة لعمار رضي الله عنه قالت: اشتكى عمار شكوى أرق منها؟ فغشي عليه فأفاق ونحن نبكي حوله، فقال: ما تبكون؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي صلى الله عليه وسلم أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة لبن.
وعن أبي البختري قال: قال عمار يوم صفين: ائتوني بشربة لبن، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آخر شربة تشربها م الدنيا شربة لبن"، فشربها ثم تقدم فقتل - أخرجه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن مروق مارقة أثناء فرقة:
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تمرق مارقة عند فرقة المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق" - أخرجه مسلم.
وهذه الفرقة هي الخوارج، وقد ظهرت أثناء القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقتلها أقرب الطائفتين إلى الحق، وهو علي رضي الله عنه ومن معه.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن أول أهله لحوقًا به:
عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت
فقلت: استخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث لِمَ تبكين؟
ثم أسر إليها حديثًا فضحكت
فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال لها
فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه أسر إلي: أن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقًا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت.
ولا جدال أنها كانت أول أهله لحوقًا به صلى الله عليه وسلم، واختلف في مدة مكثا بعده؛ فقيل: مكثت شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وأصح الروايات: أنها ستة أشهر.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن أسرع أزواجه لحوقًا به:
عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا". قالت: فكن يتطاولن أيهن أطول يدًا، قالت: فكانت زينب أطولنا يدًا لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق. صحيح، أخرجه مسلم وغيره.

إخباره صلى الله عليه وسلم أم ورقة بأنها شهيدة:
عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث رضي الله عنها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غزا بدرًا
قالت: تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله تعالى يهدي لي الشهادة؟
قال: إن الله تعالى مهد لك الشهادة، فكان يسميها الشهيدة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها أن تؤم أهل دارها وأنها غمتها جارية لها وغلام كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر فقيل: إن أم ورقة قتلتها جاريتها وغلامها وأنهما هربا، فأتي بهما فصلبهما فكانا أول مصلوبين في المدينة، فقال عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: انطلقوا نزور الشهيدة. أخرجه الإمام أحمد والبيهقي.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن موقع الفتن:
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"الإيمان يمان، والفتنة ها هنا، ها هنا يطلع قرن الشيطان" - أخرجه البخاري ومسلم.
وقد وقع الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فخرجت الفتنة من العراق ومن نجد وما حولهما.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغزوة الأولى في البحر:
عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يومًا فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟
قال: "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر (أي ظهره أو وسطه)، ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة"
فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك
قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟
قال: "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى
قالت: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم
فقال: أنت من الأولين
قال: فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت. أخرجه البخاري ومسلم.
وقد وقعت هذه الغزوة سنة سبع وعشرين في زمان عثمان رضي الله عنه بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.
مقتل الحسين:

وذلك يم عاشوراء سنة إحدى وستين. عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا عائشة إن جبريل أخبرني أن ابني الحسين مقتول في أرض الطف وإن أمتي ستفترق بعدي". حسن، أخرجه الطبراني.
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبعه فيها، قال: قلت: يا رسول الله، ما هذا؟
قال: "دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم".
قال عمار بن أبي عمار الراوي عن ابن عباس: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم، قلت: يعني العاشر من محرم (عاشوراء) سنة إحدى وستين.
ولاية اثنا عشر خليفة كلهم من قريش:
عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يكون اثنا عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أسمعها فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش.
أخرجه البخاري.
إلى هذه اللحظة المدينة لم يدخلها الطاعون:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال. أخرجه الشيخان.
وقد وقع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فحتى الآن لم نسمع بدخول الطاعون المدينة.
وصول مساكن المدينة إلى أهاب:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تبلغ المساكن أهاب أو يهاب، قال زهير: قلت لسهيل، أحد الرواة: فكم ذاك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلاً.
صحيح، أخرجه مسلم.
وقد وصلت مساكن المدينة أبعد من المدينة عددًا من الأميال.
ظهور التتار:
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة (المجان: جمع مِجَن وهو الترس، والمطرقة التي قد عوليت بطراق وهو الجلد الذي يغشاه، وقيل: التي يطرق بعضها على بعض، كالنعل المطرق المخصوفة)، نعالهم الشعر (أي يصنعون من الشعر حبالاً و يصنعون منها نعالاً).
أخرجه البخاري.
وقد جاء التتار (المغول) إلى بلاد الإسلام في القرن السابع الهجري، فاجتاحوا ديار الإسلام وقتلوا مئات الألوف وهدموا البيوت والقصور، وأذاعوا الفسق في كل مكان، وقتلوا الأمراء والسلاطين، وأزالوا الخلافة العباسية خلافة الظهور، وخرجوا من بلد إلى بلد ليقضوا على العلم والنور، ثم كانت هزيمتهم على يد المسلمين تحت قيادة سلطان مصر قطز.

وبلغ البناء سلعًا:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: إذا بلغ البناء سلعًا فاخرج منها، فلما بلغ البناء سلعًا خرج أبو ذر رضي الله عنه إلى الربذة (على بعد أميال من المدينة) استجابة لأم سول الله صلى الله عليه وسلم، لا أنه خرج مطرودًا منفيًا من جانب عثمان رضي الله عنه كما يزعم الرافضة والمستشرقون اعتمادًا على روايات باطلة وأخبار واهية وفهم سقيم وسوء نية وفساد طوية. وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج من المدينة إذا بلغ البناء سلعًا لما كان يخشى عليه ولما كان يعلم من حاله من مبالغة في الزهد وأخذ بالعزيمة وجبر الناس عليها، وتم الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعندما زادت الأموال في عصر عثمان رضي الله عنه، وسارع الناس إلى جمع الثروات وبناء المساكن وشراء الأراضي، خرج أبو ذر يطالبهم بإنفاق أموالهم والاكتفاء بما يسد حاجتهم منها، واستغل عبد الله بن سبأ اليهودي، كعادة اليهود، هذا ا لرأي استغلالاً مدمرًا؛ فأشعل نار الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم، ووقعت الفتنة الكبرى.
أخرجه الطبري في تاريخه، وساقها الذهبي في سير أعلام النبلاء، وقال المحقق: رجاله ثقات.
أبو ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده، ووقع الأمر كما حكى سيد البشر:
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى قيل: يا رسول الله! تلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فقال: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، فتلوم أبو ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيًا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله! إن هذا الرجل ماشي على الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا ذر، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. قال: فضرب الدهر ضربه (أي مرت الأيام) وسار أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا مت فاغسلاني وكفناني من الليل ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه (دفنه وأقبره).
حسن: أخرجه ابن إسحاق، وإسناده حسن كما قال ابن كثير في البداية.
عثمان تصيبه البلوى:
عن أبي موسى رضي الله عنه قال: توضأت في بيتي ثم خرجت فقلت: لأكونن اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت المسجد فسألت عنه فقالوا: خرج وتوجه

هاهنا، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس، وما بها من جريد، فمكثت عند بابها حتى علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قضى حاجته وجلس، فجئته فسلمت عليه، فإذا هو قد جلس على قف بئر أريس فتوسطه ثم دلى رجليه في البئر وكشف عن ساقيه، فرجعت إلى الباب وقلت: لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم أنشب أن دق الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، قلت: على رسلك، وذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، قال: فخرجت مسرعًا حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم في القف على يمينه ودلى رجليه وكشف عن ساقيه كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم. قال: ثم رجعت وقد كنت تركت أخي يتوضأ، وقد كان قال لي: أنا على إثرك، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به. قال: فسمعت تحريك الباب فقلت: من هذا؟ قال: عمر، قلت: على رسلك، قال: وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وأخبرته، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، قال: فجئت وأذنت له وقلت له: رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكشف عن ساقيه ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، قال: ثم رجعت فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، يريد أخاه، فإذا تحريك الباب، فقلت: من؟ قال: عثمان بن عفان، قلت: على رسلك، وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذا عثمان يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، قال: فجئت فقلت: رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لك ويبشرك بالجنة على بلوى أو بلاء يصيبك، فدخل وهو يقول: الله المستعان، فلم يجد في القف مجلسًا فجلس وجاههم من شق البئر وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما. أخرجه الشيخان.
قال سعد بن المسيب: فأولتها قبورهم؛ اجتمعت وانفرد عثمان. وهذا البلاء الذي أصاب عثمان رضي الله عنه هو ما وقع من قتله وحصره ومنع الماء عنه، على يد رعاع أهل الأمصار ومن دبر هذه المكيدة وخطط لها وأشعلها من اليهود خصوصًا عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف بابن السوداء لعنه الله، وبعد أن قتلوه ألقوه على الطريق أيامًا لا يصلى عليه ولا يلتفت إليه، حتى غُسل بعد ذلك وصُلي عليه ودُفن بحش كوكب، بستان في طريق البقيع. وقد بلغ هؤلاء القتلة الخونة الفجرة من الخسة والدناءة والوقاحة ما لا يخطر على بال؛ حين قتلوه، رضي الله عنه، وهو يقرأ القرآن، فتقدم أحدهم عليه فركل المصحف برجله.
قتل المسلمين بعضهم بعضًا:
عن أبي موسى قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين الساعة لهرجًا، قال: قلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: القتل القتل، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس بقتل المشركين ولكن بقتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته".صحيح: أخرجه ابن ماجه.

وفي رواية: "إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار"، قيل: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: "إنه أراد قتل صاحبه". رواه مسلم.

هيمنة الأمة الإسلامية على العالم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها". أخرجه مسلم.

وقد حدث هذا في أيام الصحابة رضي الله عنهم، قبل نهاية القرن الهجري الأول؛ حيث سيطر المسلمون على قارات العالم الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوروبا، وزالت إمبراطورتا الفرس والروم.

أخذ الأمة الإسلامية بأخذ القرون قبلها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، قيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك". رواه البخاري عن أبي هريرة.

وقد سارت الأمة على مناهج الشرق الملحد والغرب الكافر، وجربت الشرق مرات وجربت الغرب مئات المرات، وأبت أن تسير على منهج الله تعالى مرة واحدة.

تبرج النساء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا". رواه البخاري.

أذناب البقر: ذيول.

كاسيات عاريات: كاسيات من نعمة الله عاريات عن شكرها، أو كاسيات بعض الأعضاء عاريات البعض الآخر، أو كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة لشفافية الثياب.

مميلات مائلات: أي يمشين المشية الميلاء ذات التبختر والكبرياء، ويعلمن غيرهن هذا الصنيع.

رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة: يعظمن ويكبرن رؤوسهن كأسنمة الإبل.

ظهور أقوام يغيرون شعرهم باللون الأسود:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة". حديث صحيح: رواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس.

أي أن هؤلاء القوم يغيرون شعرهم وشيبهم بالسواد كما يفعل في عصرنا.

إنكار السنة النبوية المطهرة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يقعد الرجل متكئًا على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه". أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني.

ظهرت في هذه الأيام جماعة يسمون أنفسهم القرآنيون، يقرءون القرآن الكريم وينكرون السنة النبوية بالكلية، والحق أنهم منكرون للقرآن الكريم قبل إنكار السنة؛

فمنكر السنة منكر للقرآن بلا ريب؛ إذ كيف يصلي وكم صلاة يصليها، وما أركان الصلاة، وما سننها ومبطلاتها؟ وكيف يزكي وكيف يصوم وكيف يحج؟ وأنكر بعض المعاصرين السنة القولية، وأقر السنة العملية. وأنكر بعض المعاصرين ممن ليس لهم اختصاص بالسنة أحاديث الشفاعة، وأولوا الآيات القرآنية الصريحة في الشفاعة، والبعض الآن يتكئ على أريكته وينفخ أوداجه ثم يضعف أحاديث الشيخين البخاري ومسلم التي أجمعت الأمة على صحتها.
قوله صلى الله عليه وسلم إن البراء لو أقسم على الله لأبره:
عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم من ضعيف مستضعَّف ذي طمرين (أي ثوبين خَلِقين) لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك". حسن: رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.
وإن البراء لقي زحفًا من المشركين فقالوا: يا براء إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو أقسمت على الله لأبرَّك، فأقسم على ربك، قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، فمُنحوا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك
قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك، ثم حملوا فانهزم الفرس وقُتل البراء شهيدًا. وكان قتل البراء شهيدًا يوم تستر في عهد عمر رضي الله عنه.
إشارته صلى الله عليه وسلم إلى أن الخليفة من بعده أبو بكر ثم عمر، وإشارته إلى قصر خلافة الصديق وطول خلافة الفاروق:
عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما". حسن، أخرجه الترمذي.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينا أنا نائم رأيتني على قليب، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربًا (أي الدلو العظيمة، وهذا تمثيل معناه أن الفتوحات كانت في زمن عمر أكثر)، فلم أر عبقريًا (العبقري هو سيد القوم وكبيرهم) من الناس يفري فريه (يعمل عمله ويقطع قطعه)، حتى ضرب الناس بعطن (العطن: مبارك الإبل نحو الماء). أخرجه البخاري.
إخباره صلى الله عليه وسلم عن قتل مسيلمة الكذاب:
عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: "إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي أريت فيه ما أريت وهذا ثابت بن قي يجيبك عني، ثم انصرف.
قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم " إنك الذي أريت فيه ما أريت "، فأخبرني أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام أن أنفخهما فنفختهما

فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي، فهذان هما أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة". أخرجه البخاري، ومسلم في الرؤية.

إسلام أهل اليمن قبل أهل الشام:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل اليمن (أي تجاهها وناحيتها) فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، ثم نظر قِبَل الشام فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، ثم نظر قِبَل العراق فقال: وبارك لنا في صاعنا ومدنا (الصاع: مُدان، والمد حفنة بيد الرجل المتوسط)

قال ابن كثير: وهكذا وقع الأمر، أسلم أهل اليمن قبل أهل الشام، ثم كان الخير والبركة قِبَل العراق، ووعد أهل الشام بالدوام على الهداية والقيام بنصرة الدين إلى آخر الأمر.

إعلامه صلى الله عليه وسلم بمواقيت الحج:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة (موضع بينه وبين مكة ٤٥٠ كيلو متر يقع في شمالها)، ولأهل الشام الجحفة (موضع غي الشمال الغربي من مكة بينه وبينها ١٨٧ كيلومتر، وهي قرية من رابغ، ورابغ بينها وبين مكة ٢٠٤ كيلومتر، وقد صارت رابغ ميقات أهل مصر والشام ومن يمر عليها، بعد ذهاب معالم جُحفة)، ولأهل نجد قرن المنازل (جبل شرقي مكة يطل على عرفات، بينه وبين مكة ٩٤ كيلومتر)، ولأهل اليمن يلملم (جبل يقع جنوب مكة، بينه وبينها ٥٤ كيلومتر)، ولأهل العراق ذات عرق (موضع في الشمال الشرقي لمكة، بينه وبينها ٩٤ كيلومتر)، وقال: "هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن". أخرجه الشيخان.

ولم تكن هذه البلاد قد فتحت كلها بعد، ثم مرت الأيام وفتحت هذه البلاد في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

أصابه العمى كما قال النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم:

عن زيد بن أرقم، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه يعوده من مرض كان به، فقال: "ليس عليك من مرضك هذا بأس، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي فعميت؟" قال: إذًا أصبر وأحتسب، قال: "إذًا تدخل الجنة بغير حساب"، فعمي بعد ممات النبي صلى الله عليه وسلم. أخرجه أبو داود، وأحمد، والحاكم، وابن عساكر في تاريخه واللفظ له، والبيهقي في دلائل النبوة.

وعنه قال: رمدت عيني، فعادني النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "يا زيد، لو أن عينك لما بها كيف كنت تصنع؟" قال: كنت أصبر وأحتسب، قال: "لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة". أخرجه البخاري في الأدب.

كثرة عدد النصارى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض". صحيح: أخرجه مسلم.

ونحن الآن في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والنصارى يبلغون أكثر من ثلث سكان العالم، ولا تبلغ أمة من الأمم عدد أمة الروم. أما المسلمون فعددهم الآن مليار وثلث، وهذا يزيد قليلا عن خمس سكان العالم.

الحديث في المساجد في الدنيا:

عن الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة". أخرجه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلاً.

وهذا كثير في المساجد الآن سيما من خدم المسجد والمسئولين عن إدارته يحولون المساجد إلى مجلس للدنيا والطعام والشراب.

مقاطعة العالم للعراق:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها. وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم". أخرجه مسلم.

وعن أبي نضيرة قال: كنا جلوسًا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجيء إليهم قفيز (مكيال العراق) ولا درهم، قلنا: من أين؟ قال: من قِبَل العجم (غير العرب)، يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدى، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قِبَل الروم (النصارى)، ثم أسكت هنية. ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا. لا يعده عددا". أخرجه مسلم.

أما قطع المعونات عن العراق فهذا حدث منذ احتلال العراق للكويت سنة ١٩٩١م، وأما قطع الأموال من بلاد الشام (سوريا- لبنان- فلسطين- الأردن) فلم يحدث بعد والآن تستعد أمريكا لتنفيذ المقاطعة ضد سوريا.

----

١٢. إخباره صلى الله عليه وسلم عن المغيبات (٣)

ثالثًا: نبوءات أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم في المستقبل لم يتحقق بعد:

ظهور الإسلام:

في الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث حذيفة بن اليمان وهو حديث صحيح أن النبي قال: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" - رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٣) وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥ .

وفى الحديث الذي رواه مسلم من حديث ثوبان أن الصادق المصدوق قال: "إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها".

الرسول وهو في أحلك الأزمات والأوقات وهو يُطارد، وأصحابه مهاجرون يقول لخباب بن الأرتّ: "والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه".

قبض العلم وظهور الجهل:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل" - رواه البخاري ومسلم، وقبض العلم بقبض العلماء، قال النووي رحمه الله: (هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالتهم فيضلون ويضلون).

وقال الذهبي رحمه الله: وما أوتوا من العلم إلا قليلاً، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل فحسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا في زمان الذهبي رحمه الله فما بالك بزماننا هذا ؟ فإنه كلما بعد الزمان من عهد النبوة قل العلم وكثر الجهل ولا يزال يقبض العلم حتى لا يعرف من الإسلام إلا اسمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله" - رواه مسلم.

كثرة القتل:

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج" قالوا : وما الهرج يا رسول الله قال: القتل القتل".

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل"

فقيل : كيف يكون ذلك ؟

قال : "الهرج القاتل والمقتول في النار".

ذهاب الصالحين:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض ، فيبقى عجاجة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً" - رواه أحمد وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

صدق رؤيا المؤمن:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب" - رواه مسلم.

كثرة النساء:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من أشراط الساعة - وذكر منها - وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد" - رواه البخاري.

كثرة موت الفجأة:
فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة" - رواه الطبراني في الصغير والأوسط وقال الألباني: حسن.
وقوع التناكر بين الناس:
فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة فقال:" علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها - وذكر منها - ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحد" - رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.
عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً" - رواه مسلم.
كثرة المطر وقلة النبات:
فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً عاماً ولا تنبت الأرض شيئًا - رواه أحمد ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات.
حسر الفرات عن جبل من ذهب:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو"- رواه البخاري.
أولى العلامات الصغرى المصاحبة للكبرى التي بدأت في الظهور.. هي انحسار نهر الفرات عن جبل الذهب.. ستظهر هذه العلامة قرب ظهور المهدي.. وبالفعل بدأ نهر الفرات في انخفاض منسوب مياهه.. قال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقبل الناس عليه.. فيقتتل من كل مائة تسعة وتسعون.. ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو ".. وتلك فتنة شديدة ومقتلة عظيمة.. قتال دائر بين الرجال من أجل أخذ الذهب.. ولا يصل إليه أحد.. ومن حضر تلك العلامة فلا يأخذ من الذهب شيئاً كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم..: "يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيء".
كلام السباع والجمادات الإنس:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الراعي الذي تكلم معه الذئب ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده"- رواه أحمد، وقال أحمد شاكر صحيح.
هذه العلامة قد ظهرت من عهد النبي صلى الله عليه وسلم! في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منه شاه فطلبه الراعي

حتى انتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل فأقص– جلس على أسته واستذفر– أدخل ذنبه بين فخذيه- فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل وانتزعته مني، فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم! قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم. وكان الرجل يهودياً فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وخبره.. فصدقه النبي عليه الصلاة والسلام.. ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنها أمارة من إمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده "..

كثرة الروم وقتالهم للمسلمين:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اعدد ستاً بين يدي الساعة، فذكر منها: "ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً"- رواه البخاري.

وجاء في وصف هذا القتال أنه عظيم شديد فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا - ونحاها نحو الشام فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام.

قلت: الروم تعني؟

قال: نعم وتكون عند ذلكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة – إما قال لا يرى مثلها، وإما قال لم ير مثلها – حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم ، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إني لأعرف أسمائهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ"- رواه مسلم.

قتال اليهود:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود - متفق عليه.

ظهور المهدي المنتظر:

اعلم أن المحدثين متفقون على صحة حديث خروج المهدي فقد صرح الحافظ ابن حجر بثبوته والحافظ السيوطي بل قال إنه متواتر تواترًا معنويًا وأكثر الأئمة الذين

ألفوا في الحديث أو خلق كثير منهم وضعوا ترجمة لخروجه بل أفرد عدة منهم التأليف في أخباره كالحافظ نعيم بن حماد والسيوطي، ولا عبرة بطعن أناس ليسوا من المحدثين في ذلك. فإن عدد من روى حديث المهدي ٣٨ نفسا منهم ٣٣ صحابة و٥ تابعيون، ومن جملة ما ورد في المهدي.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ - رواه مسلم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ اتَّفَقُوا حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا". وَقَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ:" لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي". رواه أَبُو دَاوُد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ"- رواه أبو داود.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ فَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ أَوْ قَصُرَ عُمْرُهُ عَاشَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا" - رواه أحمد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" تُمْلَأُ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا" - رواه أحمد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا قَالَ ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا - رواه أحمد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْ النَّاسِ وَزَلَازِلَ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا صِحَاحًا؟ قَالَ بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِنًى وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ فَمَا يَقُومُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ فَيَقُولُ ائْتِ السَّدَّانَ يَعْنِي الْخَازِنَ فَقُلْ لَهُ إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا فَيَقُولُ لَهُ احْثُ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ فَيَقُولُ كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا أَوعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ قَالَ فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ فَيُقَالُ لَهُ إِنَّا لَا ن أْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ أَوْ قَالَ ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ .- رواه أحمد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدٌ الشَّاكُّ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ قَالَ سِنِينَ قَالَ فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي قَالَ فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ - رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ تُؤْتَى أُكُلَهَا وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ"- رواه ابن ماجه.

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم-:"لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وجورا وعدوانا، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا"- رواه الحاكم وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا"- رواه ابن حبان.

فالمهدي عليه السلام اسمه محمد بن عبد الله وهو حسني أو حسني من ولد فاطمة رضي الله عنها، وقد ورد في الأثر أنه يسير معه في أول أمره ملك ينادي" يا أيها الناس هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه "، وورد في الأثر أيضا أن المهدي أول ما يخرج يخرج من المدينة ويخرج معه ألف من الملائكة يمدونه وينتظره في مكة ثلاثمائة من الأولياء هم أول من يبايعه ثم يخرج جيش لغزوه فيخسف الله به الأرض فيما بين مكة والمدينة، بعد ذلك يأتي إلى بر الشام.

والمهدي رجل طويل القامة آدم -أي أسمر – وجهه كالكوكب الدري في الحسن والوضاءة، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أكحل العينين واسعهما، أزج- أي دقيق الحاجبين طويلهما- أبلج- أي مفروق الحاجبين غير مقرونهما – في خده الأيمن خال أسود، كث اللحية، براق الثنايا.

يولد بالمدينة المنورة وينشأ بها ثم يأتي إلى مكة فيبايعه الأولياء ثم يأتي إلى بر الشام وأما وقت ظهوره فلم يعينه الرسول صلى الله عليه وسلم فنحن لا نعين ولكن له علامات على ظهوره وأكبرها أن تمتلأ الأرض ظلمًا وجورًا.

ظهور الدجال:

هو أعظم فتنة تمر بالبشر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أكبر من الدجال" - رواه مسلم.

علامات خروجه:

أ- قلة العرب: روى أحمد ومسلم والترمذي عن أم شريك: أنها سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: "ليفرن الناس من الدجال في الجبال" قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟.

قال: هم قليل.

ب_ الملحمة وفتح القسطنطينية: روى أحمد وأبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال".

ج_ الفتوحات: روى أحمد ومسلم وابن ماجة عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتيبة رضي الله عنهما؛ قال: كنا مع الرسول صلى الله عليه و سلم في غزوة، قال: فأتى النبي صلى الله عليه و سلم قومٌ من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمةٍ، فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه و سلم قاعد، قال: فقلت لي نفسي: ائتهم، فقم بينهم وبينه لا يغتالونه.

قال: ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتيهم، فقمت بينهم وبينه

قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: "تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله عز وجل، ثم فارس، فيفتحها الله عز وجل، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله".

د- انحباس القطر والنبات: ستكون بين يدي الدجال ثلاث سنوات عجاف، يلقى الناس فيها شدة وكرباً؛ فلا مطر، ولا نبات، يفزع الناس فيها للتسبيح والتحميد والتهليل، حتى يجزئ عنهم بدل الطعام والشراب، فبينما هم كذلك؛ إذ تناهى لأسماعهم أن إلهاً ظهر ومعه جبال الخبز وأنهار الماء، فمن أعترف به رباً؛ أطعمه وسقاه، ومن كذبه؛ منعه الطعام والشراب، فالمعصوم عندها من عصمه الله وتذكر لحظتها وصايا المصطفى صلى الله عليه و سلم: "لن تروا ربكم حتى تموتوا، وأنتم ترون هذا الأفاك الدجال ولم تموتوا بعد".

مكان خروجه:

روى أحمد والترمذي والحاكم وابن ماجة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق، يقال لها: خرسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المُطرقة".

وأول ظهور أمره واشتهاره والله أعلم يكون بين الشام والعراق؛ ففي رواية مسلم عن نواس بن سمعان: "إنه خارج خلة بين الشام والعراق".

أتباعه:

أ- اليهود: روى أحمد ومسلم عن أنس بن مالك: أن الرسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة".

ب- الكفار والمنافقين: روى الشيخان والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نُقب من أنقابها إلا عليها الملائكة حافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق".

ج_ جهلة الأعراب: ودليل ذلك ما رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء عن أبي أمامة، وفيه: ". . . وإن من الفتنة أن يقول الأعرابي: أرأيت إن يبعث لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يابني! اتبعه؛ فإنه ربك.

د- من وجوههم كالمجان المطرقة، ولعلهم الترك: عن أحمد والترمذي والحاكم وابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خرسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة.

هلاكه:

أ- في بلاد الشام حرسها الله: روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دُبُر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك.

ب- قاتله هو عيسى بن مريم عليهما السلام: روى الترمذي عن مجمع بن جارية الأنصاري؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "يقتل ابن مريم الدجال بباب لد " ولن يسلط عليه أحد إلا عيسى بن مريم عليه السلام".

صفاته الخلقية:

أ- أعور العين أو العينين: روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يخفي عليكم، إن الله تعلى ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية".

ب- مكتوب بين عينيه كافر: روى الشيخان عن أنس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه - ك ف ر".

د- قصير، أفحج، جعد، أعور، عينه ليست بناتئة ولا جحراء: روى أحمد وأبو داود عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال: قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا.

هـ_ هجان، أزهر، كأن رأسه أصلة: روى أحمد وابن حبان عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "الدجال: أعور، هجان، أزهر (وفي رواية أقمر)؛ كأن رأسه أصلة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هلك الهلك؛ فإن ربكم تعالى ليس بأعور"

أعماله:

أ - يدعي الألوهية للحديث: "معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار" - رواه مسلم.

ب- تسخر له الجن والسماء والأرض زيادة في الفتنة للحديث: يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له الشيطان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك، فيأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم: فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم" - رواه مسلم.

جـ- أن يهبه الله إمكانية القتل ودعوة المقتول إلى الاستواء فيستوي زيادة في الفتنة للحديث: ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين، ثم يقول له: قم فيستوي قائما" - رواه مسلم.

د- ومكوثه في الأرض أربعون للحديث: قلنا: يا رسول الله وكم لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يوما" - رواه مسلم.
هـ- للنجاة منه: أن تقرأ فواتح سورة الكهف للحديث: "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه بفواتح الكهف فإنها جواركم من فتنته"- رواه مسلم.
نزول عيسى بن مريم عليه السلام:
للحديث: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية"- رواه البخاري ومسلم.
هلاك الدجال على يد المسيح عليه السلام للحديث: "فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ فيقتله" - رواه مسلم.
مكوثه أربعين سنة: للحديث: "ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة - رواه الطبراني وابن عساكر.
"ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفن في الحجرة الشريفة فيكون قبره رابعا"- رواه البخاري في تاريخه.
يعيش الناس في خير عظيم وأمان يسع الجميع: قال ابن مسعود: يقول الرجل لغنمه ودوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزروع لا تأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذي أحدًا والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحدًا ويأخذ الرجل المد من القمح فيبذره بلا حرث فيجيء منها سبعمائة مد.
يأجوج ومأجوج:
قال تعالى:)حَتَى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ(- سورة الأنبياء آية ٩٦ .
و قال تعالى: (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً)- سورة الكهف آية ٩٤.
الفتن تتوالى، وما أن يخرج المسلمون من فتنه ويحمدوا الله على الخلاص منها؛ إذا هم بفتنة جديدة لا تقل خطراً عن سابقتها. فها هم قد انتهوا من الدجال، وقد قتله الله على يدي عيسى بن مريم عليه السلام، وقد أحاط بعيسى عليه السلام قومٌ وهو يحدثهم عن درجاتهم في الجنة، وقد عصمهم الله من الفتنة الدجال، وقد أبلغنا رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أن من نجا من فتنته؛ فقد نجا".
وما زالوا يحفرون في السد حتى يخرقونه فيخرجون إلى الناس وعيسى عليه السلام يحدث المؤمنين عن منازلهم في الجنة وفجأة يطلب إليهم عيسى بوحي من السماء أن يحصنوا أنفسهم بالطور؛ فقد أخرج الله عباداً لا قبل لأحدهم بقتالهم، وهم يأجوج ومأجوج. ولا تقل فتنتهم عن فتنة الدجال الذي يدعي الألوهية، وهم يدعون قدرتهم على قتل من في السماء تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.
من البشر من ذرية آدم:
يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم؛ خلافاً لمن قال غير ذلك، وذلك لما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري- واللفظ للبخاري-؛ قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: "يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم
فيقول: لبيك ربنا وسعديك

فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار
قال: يارب! وما بعث النار؟
قال: من كل ألف- أراه قال- تسع مئة وتسعة وتسعين؛ فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.
فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي صلى الله عليه و سلم: من يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة".
يخرجون على الناس بمشيئة الله تعالى:
روى أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فسنحفرُه غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس؛ حفرو، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم الذي أجفظ فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها.
كيف يقتلهم الله عز وجل:
فيرسل عليه النغف في رقابهم وفي رواية دودا كالنغف في أعناقهم (ويكون في أنوف الإبل والغنم) فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس".- رواه مسلم.
أي يرسل عليهم النغف، فيأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً الدواب ترعي لحومهم وتسمن عليها ففي حديث أبي سعيد الخدري وفيه: ". . . فيحرج الناس، ويُخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعيٌ إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت على نبات قط".
مقتلهم عند جبل بيت المقدس:
ففي حديث النواس بن سمعان وفيه: ". . . ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس".
أسلحتهم وقود للمسلمين:
روى ابن ماجه والترمذي نحوه عن النواس: سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين.
المطر الغزير لإزالة آثارهم:
ففي حديث النواس، وفيه: ". . . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر؛ إلا ملأه زهمُهم ونتنهم(دسمهم ورائحتهم الكريهة)، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت(نوع من الجمال)، فتحملهم، فتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يُكن منه بيت

مدر(هو الطين الصلب) ولا وبر، فيغسل الأرض، حتى يجعلها كالزلفة(المرآة في صفائها ونظافتها)".

طيب العيش وبركته بعد الخلاص منهم:

ففي حديث النواس، وفيه:". . . ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك؛ فيومئذ تأكل العصابة (الجماعة) من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل (اللبن)، حتى إن اللقحة(قريبة العهد بالولادة) من الإبل لتكفي الفئام(الجماعة الكثيرة) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ(الجماعة من الأقارب) من الناس.

دابة الأرض:

قال تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) - سورة النمل آية ٨٢ و هي دابة تخرج من الأرض؛ تكلم الناس، وتسمهم على خراطيمهم؛ لقد أصبحت الساعة قريباً جداً منهم؛ فقد بدأ أيضاً في هذا الوقت تغير العالم العلوي بطلوع الشمس من مغربها. هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض- قيل: من مكة-، فتكلم الناس.

الإيمان عند خروجها لا ينفع:

والدابة أحد ثلاث آيات لا ينفع الإيمان عند معاينتها، بل ينفع الإيمان من أدركته واحدةً من الثلاث مؤمناً عاملاً روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"

وقت خروجها:

تخرج الدابة عل الناس ضحى وفي وقت طلوع الشمس من مغربها، وأيهما كانت قبل الأخرى؛ فالأخرى في أثرها قريباً

وسمها للناس على خراطيمهم

روى أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي أمامة يرفعه للنبي صلى الله عليه و سلم؛ قال: " تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرن فيكم، حتى يشتري الرجل الدابة، فيقال: ممن اشتريت، فيقول: من رجل المخاطم " وأما طبيعة هذا الوسم، وكيف يكون؛ فلا أعلم بذلك حديثاً صحيحاً.

طلوع الشمس من مغربها:

للحديث:"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"-رواه البخاري.

خروج نار من اليمن:

نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم للحديث: "ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت، قبل القيامة تحشر الناس"

قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام - أخرجه الترمذي.

وقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "يحشرُ الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير،ويحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا".

المراجع/

معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم- ألف معجزة من معجزات الرسول للدكتور مصطفى مراد.

----

١٣. معجزاته صلى الله عليه وسلم في أنواع الجمادات

حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وشفقاً من فراقه:

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار- أو رجل- يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟

قال: إن شئتم.

فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه و سلم فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يسكن قال: "كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها"- رواه البخاري.

وفي رواية أخرى عن جابر رضي الله عنه قال: كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار (جمع عشراء، وهى الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها)، حتى جاء النبي فوضع يده عليها، فسكنت. رواه البخاري.

وفي رواية من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال صلى الله عليه و سلم: "ولو لم أحتضنه لحنَ إلى يوم القيامة"- رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه. وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بحديث حنين الجذع يقول يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

عذق النخلة ينزل منها ويمشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

جاء إعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بما أعرف أنك رسول الله؟

قال: أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟

قال: نعم.

قال: فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل ينقز حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: ارجع، فرجع حتى عاد إلى مكانه.

فقال: أشهد أنك رسول الله، وآمن - صحيح، رواه البيهقي في الدلائل، والحاكم في المستدرك.

انقياد الشجر لرسول الله صلى الله عليه و سلم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزلنا واديًا أفيح (أي واسعًا) فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئًا يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي (أي جانبه) فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: "انقادي علي بإذن الله" فانقادت معه كالبعير المخشوش (هو الذي يجعل في أنفه خشاش وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعبًا ويشد فيه حبل ليذل وينقاد وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئًا) الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: "انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف (هو نصف المسافة) مما بينهما لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا قال جابر: فخرجت أحضر (أي أعدو وأسعى سعيًا شديدًا) مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه و سلم بقربي فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه و سلم مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة فقال برأسه هكذا؟ وأشار أبو إسماعيل برأسه يمينًا وشمالاً ثم أقبل فلما انتهى إلي قال: يا جابر هل رأيت مقامي؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: "فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنًا فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنًا عن يمينك وغصنًا عن يسارك". قال جابر: فقمت فأخذت حجرًا فكسرته وحسرته (أي أحددته بحيث صار مما يمكن قطع الأغصان به) فانذلق لي (أي صار حادًا) فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنًا ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه و سلم أرسلت غصنًا عن يميني وغصنًا عن يساري ثم لحقته فقلت: قد فعلت يا رسول الله فعم ذاك؟ قال: إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما (أي يخفف) ما دام الغصنان رطبين"- رواه مسلم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أين تريد؟.

قال: إلى أهلي.

قال: هل لك في خير؟

قال: وما هو؟.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله

قال: ومن يشهد على ما تقول؟

قال: هذه السلمة (شجرة من أشجار البادية).

فدعاها رسول الله صلى الله عليه و سلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد (تشق) الأرض خدًا حتى قامت بين يديه فأشهدها ثلاثًا فشهدت ثلاثًا أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن اتبعوني آتك بهم وإلا رجعت فكنت معك. رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح.

تسليم الحجر عليه صلى الله عليه و سلم:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن". رواه أحمد ومسلم والترمذي.
قال الإمام النووي معلقًا على هذا الحديث: فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ)- سورة البقرة آية ٧٤ . وقوله تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَه)- سورة الإسراء آية ٤٤.
تسبيح الطعام بحضرته صلى الله عليه و سلم:
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فقال الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: "حي على الطهور المبارك والبركة من الله". فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. أخرجه البخاري في صحيحه.
الشجرة تنتقل من مكانها ثم ترجع:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء (أي ملأت الدماء رأسه) من ضربة بعض أهل مكة فقال له: مالك؟
قال: فعل بي هؤلاء وفعلوا.
فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟
فقال: نعم
قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة، فدعاها.
قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
فقال: مرها فلترجع، فأمرها، فرجعت إلى مكانها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حسبي (أي يكفيني اطمئنانًا) - صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، ورواه ابن ماجة في سننه.
الأربعون نخلة تثمر في عام زرعها:
عن بريدة رضي الله عنه قال: جاء سلمان الفارسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب، فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا سلمان، ما هذا؟
فقال: صدقة عليك وعلى أصحابك،
فقال: ارفعها؛ فإنا لا نأكل الصدقة،
قال: فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فقال: ما هذا يا سلمان؟
فقال: هدية لك،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ابسطوا (يعني ابسطوا أيديكم وكلوا).
ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به، وكان لليهود، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا درهمًا على أن يغرس نخلاً فيعمل

سلمان فيه حتى تُطعِم، فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخيل إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة التي زرعها عمر،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما شأن هذه النخلة؟
فقال عمر: يا رسول الله، أنا غرستها،
فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرسها، فحملت من عامها- حسن، أخرجه أحمد، والترمذي في الشمائل، وابن حبان، والحاكم.
وفي هذا الحديث أربعون معجزة؛ لأن كل نخلة تثمر في عامها معجزة وحدها؛ فالنخلة لا تثمر إلا بعد سبع سنوات على الأقل.
تسبيح الحصى:
عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت رجلاً ألتمس خلوات النبي الله صلى الله عليه وسلم لأسمع منه أو لآخذ عنه، فهجرت يومًا من الأيام، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته، فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه في بيت، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكأني حينئذ أرى أنه في وحي، فسلمت عليه، فرد علي السلام ثم قال: ما جاء بك؟ فقلت: جاء بي الله ورسوله، فأمرني أن أجلس، فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء لا يذكره لي، فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشي مسرعًا فسلم عليه فرد السلام ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جاء بي الله ورسوله.
فأشار بيده أن أجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينها الطريق، حتى إذا استوى أبو بكر جالسًا، فأشار بيده، فجلس إلى جنبي عن يميني، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة، ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال: ما جاء بك؟ قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار إليه بيده، فقعد إلى الربوة، ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر،
فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال: قليل ما يبقين، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل في كف النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن فصرن حصى، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن.
حسن: أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه السيوطي في الخصائص الكبرى، وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط وأبي نعيم.
أنطق الله عز وجل الشجرة له:
عن معن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا: من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك، يعني ابن مسعود: أنه آذنته بهم شجرة.

وكان ذلك ليلة الجن عندما غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحابه، وجاءه داعي الجن فذهب معهم، وقرأ عليهم القرآن، وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه. رواه مسلم.
من آذن النبي صلى الله عليه وسلم: أي أعلمه بحضور الجن.

١٤. إفحام النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب

كان أهل الكتاب كثيرًا ما يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء على سبيل الامتحان والتعجيز وليس على سبيل الهداية والانصياع للحق فسألوه عن أشياء كثيرة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يورد الجواب على وجهه ويأتي به على نصه كما هو معروف لديهم ومقرر في كتبهم.
وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولم يتلق العلم على أيديهم ومع هذا لم يحك عن واحد من اليهود والنصارى على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وكثرة سؤالهم له وتعنتهم في ذلك أنه أنكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته والمكابر منهم اعترف بعناده وحسده لرسول الله صلى الله عليه و سلم.
وها هي بعض النماذج التي سئل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب بما طابق الحق المقرر عند أهل الكتاب.
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه و سلم المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي
قال: ما أول أشراط الساعة (العلامات التي تتقدمها)؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه (أي يجيء يشبهه) ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: خبرني بهن آنفًا جبريل
قال فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب
وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت
وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها
قال: أشهد أنك رسول الله
ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت (أي يكذبون على الناس) إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟
قالوا: أعلمن وابن أعلمنا وأخبرنا وابن أخبرنا
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟
قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه - رواه البخاري.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائمًا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء حبر من أحبار اليهود - أي عالم من علمائهم فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟
فقلت: ألا تقول يا رسول الله
فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي
فقال اليهودي: جئت أسألك
فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أينفعك شيء إن حدثتك؟
قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله صلى الله عليه و سلم بعود معه (أي يخط بالعود في الأرض ويؤثر به فيها) فقال: سل
فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: هم في الظلمة دون الجسر - المراد به: الصراط
قال: فمن أول الناس إجازة - المقصود: الجواز والعبور؟
قال صلى الله عليه و سلم: فقراء المهاجرين
قال اليهودي: فما تحفتهم (وهي ما يهدى إلى الرجل ويخص به) حين يدخلون الجنة؟
قال: زيادة كبد النون - أي الحوت
قال: فما غذاؤهم على إثرها؟
قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها
قال: فما شرابهم عليه
قال: عينا فيها تسمى سلسبيلا
قال: صدقت.
قال: أردت أن أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.
قال: ينفعك إن حدثتك.
قال: أسمع بأذني.
قال: جئت أسألك عن الولد.
قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله تعالى.
فقال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي. ثم انصرف.
فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد سألني عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به"- في صحيح مسلم.
من كتاب ألف معجزة من معجزات الرسول للدكتور (مصطفى مراد)

----

١٥. بركة النبي صلى الله عليه وسلم

أفاق جابر برش الوضوء النبوي عليه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة، فوجدني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ فرش منه علي، فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: (يُوصِيكُمُ اللّـهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ)– سورة النساء: من الآية ١١ - أخرجه البخاري ومسلم.

بصق في عين علي رضي الله عنه فبرأت:

في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدركون أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله! أقاتلهم، حتى يكونوا مثلنا؟ قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير من أن يكون لك حمر النعم". صحيح، أخرجه البخاري ومسلم.

بركة مسحه صلى الله عليه وسلم على رأس حنظلة بن خديم:

قال والد حنظلة بن خديم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بأبي وأمي، أنا رجل ذو سن، وهذا ابني حنظلة فسَمِّت عليه (أي ادع الله له)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا غلام، فأخذ بيده فمسح رأسه، وقال له: بورك فيه، أو قال: بارك الله فيك، ورأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم، فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيمسحه، فيذهب عنه. أخرجه أحمد والبخاري وابن سعد والطبراني والبيهقي، وغيرهم.

الأثر النبوي سبب في عدم نسيان أبي هريرة رضي الله عنه:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد، وإنكم تقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضهم والقيام عليها، وإني كنت امرأ مسكينًا، وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يومًا فقال: من يبسط ثيابه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه، فإنه لا ينسى شيئًا سمعه مني أبدًا،

قال: فبسطت ثوبي أو قال: نمرتي، ثم حدثنا فقبضته إلي، فو الله ما نسيت شيئًا سمعته منه، وأيم الله، لولا أنه في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدًا، ثم تلا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّـهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)– سورة البقرة: الآية ١٥٩. صحيح، أخرجه مسلم، والبيهقي في الدلائل.

ظهور آثار النبوة في عمرو بن أخطب:

عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادن مني، قال: فمسح بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله، وأدم جماله. قال: فبلغ بضعًا ومائة سنة، وما في لحيته بياض إلا نبذ يسير، ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبَّض وجهه حتى مات. حسن، أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وحسنه البيهقي وقال: هذا إسناد صحيح موصول.

تفل النبي صلى الله عليه وسلم في يد الصحابي فاجتمعت وبرأت:

عن خبيب بن أساف رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا: إنا نشتهي أن نشهد معك مشهدًا، قال: أسلمتم؟ قلنا: لا، قال: فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين، قال: فأسلمنا، وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابتني ضربة على عاتقي فجافتني، فتعلقت يدي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل فيها وألزقها، فالتأمت وبرأت، وقتلت الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي قتلته وضربني، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشَّحك هذا الوشاح، فأقول: لا عدمت رجلاً أعجل أباك إلى النار. حسن، أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه الإمام أحمد.

رُزقا عشرة أولاد ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

لما تزوجت أم سليم أبا طلحة الأنصاري رُزقت بمولود محبوب، كان أبوه يحبه حبًا شديدًا، فمرض الطفل، فمات وكان أبوه في عمله، فلما رجع سأل عن ولده، فقالت له زوجته: هو أسكن ما كان، ووضعت العشاء، ثم تطيبت ولبست له خير لباس لها، فقضى حاجته

فلما كان آخر الليل قالت له: أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا قومًا عارية (أمانة ووديعة) فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم؟

قال: لا

قالت: فإن الله عز وجل كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر....

فاسترجع (قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صباحًا فأخبره

فقال: بارك الله لكما في غابر ليلتكما (سالف ليلتكما)، فحملت، ثم جئ بالمولود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعض التمر فمضغهن ثم جمع بزاقه ثم فغر فاه وأوجره إليه، فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمَّظ

قالت: يا رسول الله سمِّه، فسماه عبد الله، فما كان في المدينة شاب أفضل منه، وخرج منه رجل (جمع راجل ضد الفارس، أي يجاهدون في سبيل الله على أرجلهم) كثير، واستشهد عبد الله بفارس.

وفي رواية: رزق أبو طلحة بعشرة أولاد كلهم يحفظون القرآن. صحيح، رواه مطولاً أبو داود الطيالسي، ورواه البخاري، ومسلم، وأحمد وابن حبان، والبيهقي.

برأ ببصاق النبي صلى الله عليه وسلم:

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيت منها حتى الساعة. صحيح، أخرجه البخاري.

برأ بمسح النبي صلى الله عليه وسلم رجله:

عن البراء رضي الله عنه أن عبد الله بن عتيك لما قتل أبا رافع ونزل من درجة بيته سقط إلى الأرض فانكسر ساقه، قال: فحدثت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ابسط رجلك، فبسطتها، فمسحها فكأنما لم أشكها قط. صحيح، أخرجه البخاري.

١٦. الجذع يحن إليه!!

الجذع يحن إليه!!

د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه

- قصة:

فحنّ الجذع، وسمع الناس له صوتا كصوت العشار، حتى تصدع وانشق، حتى جاء فوضع يده عليه فسكت، وكثر بكاء الناس لما رأوا به، فقال: (إن هذا بكى لما فقد من الذكر، والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه، لم يزل هكذا إلى يوم القيامة)، فأمر به فدفن تحت المنبر.

- محبة مفترضة:

من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم محبته، وقد ورد الأمر بها في القرآن، قال الله تعالى:

- {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين}.

وموضع الشاهد: ما في الآية من الوعيد، لمن كانت محبته لشيء، أكثر من محبته لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، في كلمتين هما:

أولا: قوله: {فتربصوا حتى يأتي الله بأمره}. والتربص هنا للعقوبة، ولا تكون العقوبة إلا لترك واجب.

ثانيا: قوله: {والله لا يهدي القوم الفاسقين}. فقد وصفهم بالفسق، وذلك لا يكون إلا بفعل كبيرة فما فوقها، من كفر وشرك، لا في صغيرة.

فمن قدم شيئا من المحبوبات على محبة النبي صلى الله عليه وسلم فهو فاسق، متربص ببلية تنزل عليه.

وقد اقترنت محبته صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالى، وذلك يفيد التعظيم، كاقتران طاعته بطاعة الله تعالى.

وثمة نصوص نبوية صريحة، في وجوب تقديم محبته عليه الصلاة والسلام على كل المحبوبات الدنيوية:

- النص الأول:

كان النبي آخذا بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر:

- (يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

- فقال النبي: لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

- فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

- فقال النبي: الآن يا عمر). [البخاري، الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي].
النفي المؤكد بالقسم يدل على وجوب تقديم محبته عليه الصلاة والسلام على النفس..
فأَمْرُه بتأخير محبة النفس، وتقديم هذه المحبة النبوية عليها، مع كون محبة النفس جبلة في الإنسان، يقدمها على كل شيء، ولا يلام على ذلك في أصل الأمر، إلا إذا تجاوز بها إلا محظور: دليل وجوب، لا استحباب.
إذ لا يؤمر الإنسان بترك فطرة فطر عليها، وليست مذمومة في أصلها، إلا إذا قادته إلا محظور. وتقديم محبة النفس على محبة النبي صلى الله عليه وسلم، تقود إلى فعل المحظورات، كما هو مجرب، فلذا وجب التقديم.
أمر ثان: النفس هالكة، لولا فضل الله تعالى على الناس بهذا النبي، فهو سبب نجاتها، فمحبته أحق بالتقديم.
- النص الثاني:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) البخاري، الإيمان.
هذا نص في وجوب أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب إلى المرء من كل شيء دنيوي، وذلك لأمور:
- كونه نفى حصول الإيمان إلا بكونه أحب شيء، والإيمان واجب، وما تعلق به فهو واجب.
- ثم إن الخطاب جاء في حق الأعيان في قوله: (أحدكم)، فكل مؤمن مخاطب بهذه المحبة.
- ثم إنه أتى بصيغة التفضيل: (أحب)، وهو صريح في تقديم محبته مطلقا على كل شيء دنيوي.
وهذه المحبة الواجبة من فرط فيها فهو آثم مذنب، ومن قدم عليه محبة: الآباء، أو الأبناء، أو الإخوان، أو الأزواج، أو شيء من متاع الدنيا، فهو آثم فاسق، مستحق للعقوبة، فقوله: (لا يؤمن أحدكم..) نفي للإيمان الواجب، بمعنى أن من فعل ذلك فقد نقص إيمانه، نقصا يستحق به الإثم والعقوبة. فالشارع لا ينفي واجبا، ثبت وجوبه، إلا لترك واجب فيه.
والإيمان واجب، ولا ينفى بقوله: (لا يؤمن..) إلا لترك واجب فيه، كالصلاة لا تنفى إلا لترك واجب فيها، كقوله: (لا صلاة لمن لا وضوء له). [رواه أحمد]
والإثم والعقوبة متفاوت بحسب نوع التقديم:
- فتارة يكون كفرا، وذلك في حالين:
- الأول: إذا كان التقديم مطلقا، فلا يتعارض شيء مع محبة النبي صلى الله عليه وسلم إلا قدم ذلك الشيء، وهكذا في كل شيء، فهذا يعبد هواه، ولا يعبد الله تعالى في شيء.
- الثاني: إذا كان التقديم في بعض الأحوال، لكن في أمور كفرية، ينقض بها أصل دينه، فيقدم محبة الأمور الكفرية على محبة النبي صلى الله عليه وسلم، كمن نصر الكافرين على المسلمين.

- وتارة يكون كبيرة، وذلك إذا قدم محبة الكبائر على محبة النبي صلى الله عليه وسلم، فشرب الخمر وزنا، ولم يطع النبي صلى الله عليه وسلم في نهيه عنها، فهذا قدم محبة هذه الكبائر.
- وتارة صغيرة، وذلك إذا فعل الصغائر، فقدم حبها على حبه للنبي صلى الله عليه وسلم وطاعته.
- عبودية لا إلهية:
وليس فوق محبة النبي صلى الله عليه إلا محبة الله تعالى، فإن محبة الله تعالى هي أعلى المحبوبات وأوجبها على الإطلاق، ولا يجوز أن يساوى بينه تعالى وبين غيره في المحبة، حتى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن محبته وإن كانت عظيمة مقدمة على المحبوبات الدنيوية، لكنها تبقى في مرتبة البشرية، لا تبلغ مرتبة الألوهية، فلله تعالى محبة تخصه تسمى محبة: التأله، والخلة. ويقال كذلك: المحبة الذاتية. فلا يجب شيء لذاته إلا الله تعالى.
ومن هنا يفهم خطأ من بالغ في محبة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى جعله كمحبة الله تعالى، فنسب إليه خصائص الخالق سبحانه:
- من علم الغيب.
- وتدبير الخلق.
- ونسبة إجابة الدعوات إليه.
- ودعاؤه والاستغاثة به من دون الله تعالى، في قضاء الحوائج، وتفريج الكربات.
- وسؤاله شيئا لا يقدر عليه إلا الله تعالى.
فإن محبة النبي صلى الله عليه وسلم وإن اقترنت بمحبة الله تعالى، إلا أنها كاقتران طاعته بطاعته، أما المحبة الإلهية فشيء وراء المحبة البشرية، وما أرسل النبي صلى الله عليه إلا ليعلق القلوب بالله تعالى، ويخلص الناس محبتهم لله تعالى فلا يشركوا فيها معه غيره، وهذه هي العبودية، التي قال تعالى فيها:
- {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، أي ليخلصوا المحبة والخضوع والطاعة لله تعالى.
وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسلك غاية التحذير، وحرص على منع كل ذريعة تفضي إلى مساواته بالله تعالى في المحبة، فقال عليه الصلاة والسلام:
- (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله).
ومعنى الأثر: لا تبالغوا في مدحي، وتغلوا كغلو النصارى في عيسى عليه السلام.
فإن النصارى زعموا فيه أنه إله، وأنه ابن الله تعالى: {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}، فقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسلك، فنهى عن المبالغة في مدحه.
وقد وقع ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم، حيث غلا فيه أناس حتى جعلوه في مرتبة الألوهية والربوبية:
- فنسبوا إليه ما لا يليق إلا بالخالق، وصنعوا به كما صنع النصارى بالمسيح، غير أنهم لم يقولوا: هو ابن الله. لكنهم نسبوا إليه: التصريف، وعلم الغيب، وإجابة الدعاء.

وهذا إنزال له في مرتبة الألوهية، وإن لم يقولوا: إنه الله. فإن العبرة بالمعاني والحقائق.
- كما أنهم ابتدعوا له عيدًا، يحتفلون فيه بمولده صلى الله عليه وسلم، كابتداع النصارى عيد الميلاد للسيد المسيح عليه السلام، ولم يفعله ولم يأمر به عليه السلام، كما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر في حق نفسه الشريفة.
لقد اتبع طائفة من المسلمين سنن اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.
نعم النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق، وسيد ولد آدم، وخليل الله تعالى، وأعلى الناس منزلة يوم القيامة، وفي الجنة، وهو إمام الأنبياء والمرسلين، لا يبلغ مقامه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، غير أنه تحت سقف العبودية، دون مرتبة الألوهية، وقوله:
- (إنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله).
تقرير على هذه الحقيقة، ولجم وإبطال لدعاوى فريقين:
- الأول: الغالي، الذي رفعه عن مرتبة العبودية، وذلك بقوله: (فقولوا عبد الله).
- والثاني: الجافي، الذي عامله كسائر الناس، فلم يميزه بالمرتبة العالية، وذلك بقوله: (ورسوله).
قال الله تعالى: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}.
وتقديم محبته صلى الله عليه وسلم على كل شيء له أربعة أسباب، الاثنان الأولان منها على سبيل الوجوب، والآخران على سبيل الاستحباب:
- الأول: أمر الله تعالى به، حيث تقدمت الأدلة الدالة على هذا، وهذا السبب وحده يكفي في الوجوب.
- الثاني: منته صلى الله عليه وسلم على أمته، إذا هداهم الله به، ودلهم على طريق السعادة والنجاة من شقاء الدنيا والآخرة.
- الثالث: كماله الخُلقي: كرمًا، وشجاعة، وإحسانًا، ومروءة، وصدقًا، وعدلاً، وأمانة، وحلمًا، ورحمة، وعفوا وصفحًا. بالإضافة إلى العلم والفقه والبصيرة، وأية واحدة من هذه السجايا توجب محبة من تحلى بها، فكيف بمن اجتمعت فيه على أكمل وجه، قال تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم}.
- الرابع: كماله الخَلقي. فقد كان جميلاً، منيرًا كالشمس، طيب الرائحة، عرقه كالمسك، معتدل القوام، حسن الشعر، جميل العين، أبيض البشرة. فله أوصاف الجمال، فمن رآه أحبه.
- الشوق إلى النبي:
وعلامات المحبة متعددة، هي: الإيمان به، وتوقيره، ونصرته، وطاعته.
ثم إن منها كذلك: الشوق والطرب عند ذكره، وتمني رؤيته، والجلوس إليه، ولو كان ذلك لا يحصل إلا بإنفاق كل المال، وما عرف عن الصادقين من المؤمنين إلا مثل هذا الشعور الصادق، وهذه آثارهم:
١- سأل رجل فقال: " متى الساعة؟.
- قال: (وما أعددت لها)؟.

- قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله.
- فقال: (أنت مع من أحببت).
- قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي: أنت مع من أحببت.
- قال أنس: فأنا أحب النبي وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم" [البخاري، الأدب، باب علامة الحب في الله دون قول أنس].
٢- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده! ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني. ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم) [رواه مسلم في الفضائل، باب: فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم، وتمنيه ١٨٣٦/٤].
٣- وجاء أن امرأة قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله فقالت:
- "ما فعل رسول الله؟.
- قالوا: خيرًا، هو بحمد الله كما تحبين.
- فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل". [الروض الأنف للسهيلي ٢٥/٦، الشفا ٢٢/٢]
٤- ولما احتضر بلال قالت امرأته: " واحزناه.
- فقال: واطرباه، غدًا نلقى الأحبة .. محمدًا وحزبه". [سير أعلام النبلاء٣٥٩/١، الشفا٢٣/٢].
٥- ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان:
- " أنشدك الله يا زيد!، أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه، وأنك في أهلك"؟.
- فقال زيد: "والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإني جالس في أهلي".
- فقال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا". [السيرة النبوية الصحيحة للعمري ٤٠٠/٢، سيرة ابن هشام ١٦٠/٣، الروض الأنف ١٦٦/٦، الشفا ٢٣/٢].
٦- وكان خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله وإلى أصحابه، ويسميهم ويقول: "هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجل رب قبضي إليك"، حتى يغلبه النوم. [سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٤، الحلية ٢١٠/٥، الشفا ٢١/٢].
٧- وقد كانت الجمادات فضلاً عن المؤمنين تشتاق إلى رسول الله وتحبه وكذا البهائم:
- فقد كان عليه السلام يخطب إلى جذع نخلة، فلما صنع له المنبر، تحول إليه، فحنّ الجذع، وسمع الناس له صوتا كصوت العشار، حتى تصدع وانشق، حتى جاء رسول الله فوضع يده عليه فسكت، وكثر بكاء الناس لما رأوا به، فقال النبي: (إن هذا بكى لما فقد من الذكر، والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه، لم يزل هكذا إلى يوم القيامة)، فأمر به فدفن تحت المنبر.
- وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا بكى وقال: "يا عباد الله! الخشبة تحن إلى رسول الله شوقًا إليه بمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه". [بتصرف، وأصله

مروي في صحيح البخاري، في المناقب، باب: علامات النبوة قبل الإسلام٣/١٣١٤، انظر الشفا ١/٣٠٤، صحيح الجامع٢٢٥٦].
٨- وقد كان الطعام يسبح في يده والشجر والجبل والحجر يسلم عليه. [الشفا ١/٣٠٦، وأثر التسبيح عند البخاري، في المناقب، باب: علامات النبوة قبل الإسلام ٣/١٣١٢، وأثر تسليم الحجر في مسلم، الفضائل، باب: فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٤/١٧٨٢]
٩- لما قدم عمر الشام، سأله المسلمون أن يسأل بلالاً يؤذن لهم، فسأله، فأذن يومًا، فلم ير يومًا كان أكثر باكيًا من يومئذ، ذكرًا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم. [سير أعلام النبلاء ١/٣٥٧]
١٠- عن أبي بن كعب قال: " كان رسول الله إذا ذهب ربع الليل قام فقال:"أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه".
- فقلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟. قال: ما شئت.
- قلت: الربع؟، قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير.
- قلت النصف؟، قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير.
- قلت: الثلثين؟، قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير.
- قال: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همَك، ويغفر لك ذنبك". [رواه الترمذي، صفة القيامة، وأحمد ٥/١٣٦]؛ لأن من صلى على النبي صلى الله عليه بها عشرًا، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر ذنبه. [انظر جلاء الأفهام لابن القيم ص٤٦].
كثير من الصالحين يرون النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، بعضهم كان يراه في كل ليلة، فإذا ما لم يره في ليلة اتهم نفسه بالنفاق، ورؤيته في المنام صلى الله عليه دليل على تعلق القلب به، واشتغال اللسان بالصلاة عليه، والعين بالنظر في سنته، والأذن في سماع حديثه.
أما أولئك الذين:
- لا يصلون عليه حتى إذا ذكر.
- ولا يسمعون لحديثه ولو تلي.
- ولا ينظرون في سنته، ولو مر بهم كتاب حديث.
فإنه لن يكون له في قلوبهم: ذكر، ولا شوق.
فأنى لهم أن يروه في المنام، ولو لمرة، فهل لهم أن يتهموا أنفسهم بالنفاق؟!..
....

١٧. ١- القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم.. المقدمة

القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم
وما أظهره الله على يديه من الآيات وشرفه به من الخصائص والكرامات
أبو يوسف محمد زايد
الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله..

أصل هذا المؤلف من كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض رحمه الله، الباب الرابع؛ وكان عملي فيه كما يلي:

١-تخريج الآيات القرآنيـة وكتابتـها مشـكولة بالضبط التام.
٢- تخريج الأحاديث وتدوينها كاملة اللفظ، كلما أمكنني ذلك.
٣- إضافة فوائد كثيرة مـن كتب عدة في السيرة والتاريـخ..
٤- وقفات مع نخبة طيبـة مـن العلماء حول بعض القصص.
٥- إلباس الكتاب حلـة ترتـاح لها عين القارئ الكريم...

ويشتمل هذا الكتاب على مقدمـة و ٢٨ فصـلاً، وخاتمة...

والفصول كما وردت في المصفى من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ هي:

١- في أن الله تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده.
٢- في معنى تسمية من جاءت به الأنبياء معجزة.
٣- في إعجاز القرآن - الوجه الأول: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته.
٤- في إعجاز القرآن - الوجه الثاني: النظم والأسلوب.
٥- في إعجاز القرآن - الوجه الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات.
٦- في إعجاز القرآن - الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة.
٧- هذه الوجوه الأربعة من الإعجاز لا نزاع فيها ولا مرية.
٨- من وجوه الإعجاز: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.
٩- ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آيةً باقيةً لا تعدم ما بقيت الدنيا.
١٠- في وجوه أخرى للإعجاز.
١١- في انشقاق القمر وحبس الشمس.
١٢- في نبع الماء من بين أصابعه و تكثيره بركة.
١٣- ومما يشبه هذا من معجزاته.
١٤- ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه.
١٥- في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته.
١٦- في قصة حنين الجذع.
١٧- ومثل هذا في سائر الجمادات.
١٨- في الآيات في ضروب الحيوانات.
١٩- في إحياء الموتى و كلامهم، و كلام الصبيان والمراضع و شهادتهم لهم بالنبوة.
٢٠- في إبراء المرضى وذوي العاهات.
٢١- في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم.
٢٢- في كرامته صلى الله عليه وسلم وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره.
٢٣- فيما أطلع عليه من الغيوب وما يكون.
٢٤- في عصمة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مـن النـــاس.
٢٥- من معجزاته الباهرة ما جمعه الله له صلى الله عليه وسلم من المعارف والعلوم.

٢٦- من خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن.
٢٧- من دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم.
٢٨- فيما ظهر من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم.
الخاتمة- معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل عليهم السلام.

اَلـمُـقَـدِّمَــــةُ

قال القاضي أبو الفضل: حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولا لطاعن في معجزاته، فنحتاج إلى نصب البراهين عليها، وتحصين حوزتها، حتى لا يتوصل المطاعن إليها، ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده، وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع، ورده، بل ألفناه لأهل ملته، الملبين لدعوته، المصدقين لنبوته، ليكون تأكيداً في محبتهم له، ومنماةً لأعمالهم، وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

وبنيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته، ومشاهير آياته، لتدل على عظيم قدره عند ربه. وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد، وأكثره مما بلغ القطع، أو كاد، وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة. وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله -لم يمتر في صحة نبوته، وصدق دعوته. وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به.

-فروينا عن الترمذي، وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم - أن عبد الله بن سلام، قال: (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب). حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله، قال: حدثنا أبو الحسين الصيرفي، و أبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي، عن أبي علي السنجي، عن ابن محبوب، عن الترمذي، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي، ويحيى بن سعيد، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن زرارة ابن أوفى، عن عبد الله بن سلام... الحديث.

قلت: * رواه ابن ماجه في السنن، والتبريزي في مشكاة المصابيح، والمنذري في الترغيب والترهيب، ولفظه في سنن الترمذي: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إنجفل الناس إليه وقيل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم..قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. وكان أول شيء تكلم به أن قال: "أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام". قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

** وقال الشيخ الألباني: صحيح سند الحديث حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وبن أبي عدى ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال...

-وعن أبي رمثة التيمي: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومعي ابن لي، فأريته، فلما رأيته قلت: هذا نبي الله.
قلت:
* رواه الإمام الترمذي في الشمائل - باب ما جاء في خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي قال: فأريته فقلت لما رأيته: هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان (وفي رواية: بردان) أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر.
* وفي رواية أخرى: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن لي فقال: "ابنك هذا؟" فقلت: نعم أشهد به.. قال: "لا يجني عليك ولا تجني عليه". قال: ورأيت الشيب أحمر.
قال أبو عيسى: هذا أحسن شيء روي في هذا الباب وأفسر لأن الروايات الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب.. وأبو رمثة اسمه رفاعة بن يثربي التيمي.
-وروى مسلم وغيره أن ضِماداً لما وفد عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله" قال له: أعد علي كلماتك هؤلاء، فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك.
قلت: رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن المثنى. كلاهما عن عبد الأعلى. قال ابن المثنى: حدثني عبد الأعلى (وهو أبو همام) حدثنا داود عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أن ضمادًا قدم مكة. كان من أزد شنوءة. وكان يرقي من هذه الريح. فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. قال فلقيه. فقال: يا محمد! إني أرقي من هذه الريح. وإن الله يشفي على يدي من يشاء. فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الحمد لله. نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد". قال فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثلاث مرات. قال، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء. فما سمعت مثل كلمات هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر. قال، فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال فبايعه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وعلى قومك". قال: وعلى قومي. قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فمروا بقومه. فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردوها. فإن هؤلاء قوم ضماد.
-وقال جامع بن شداد: كان رجل منا يقال له طارق، فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقال: هل معكم شيء تبيعونه؟ قلنا: هذا البعير. قال: بكم؟ قلنا: بكذا و كذا وسقاً من تمر، فأخذ بخطامه، وسار إلى المدينة، فقلنا: بعنا من رجل لا ندري من هو،ومعنا ظعينة، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير، رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس فيكم.

فأصبحنا، فجاء رجل بتمر فقال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر، وتكتالوا حتى تستوفوا. ففعلنا.
قلت: جامع بن شداد، هو أبو صخرة الأسدي المحاربي، أخرج له النسائي وأبو داود – توفي رحمه الله عام ١١٨هـ. والحديث أخرجه البيهقي، والحاكم، والدارقطني وهو عند هذا الأخير:
حدثنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل نا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان نا ابن نمير عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد نا أبو صخرة جامع بن شداد عن طارق بن عبد الله المحاربي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بسوق ذي المجاز وأنا في تباعة لي هكذا قال أبيعها فمر وعليه حلة حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".. ورجل يتبعه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب.. قلت: من هذا؟ فقالوا هذا غلام بني عبد المطلب..قلت: من هذا الذي يتبعه يرميه؟ قالوا هذا عمه عبد العزى.وهو أبو لهب... فلما ظهر الإسلام وقدم المدينة أقبلنا في ركب من الربذة وجنوب الربذة حتى نزلنا قريبًا من المدينة ومعنا ظعينة لنا قال: فبينا نحن قعود إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان فسلم فرددنا عليه، فقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا من الربذة وجنوب الربذة.. قال ومعنا جمل أحمر. قال: تبيعوني جملكم.. قلنا نعم.قال: بكم؟ قلنا بكذا وكذا صاعًا من تمر..قال: فما استوضعنا شيئًا، وقال: قد أخذته.. ثم أخذ برأس الجمل حتى دخل المدينة فتوارى عنا، فتلاومنا بيننا: وقلنا: أعطيتم جملكم من لا تعرفونه. فقالت الظعينة:لا تلاوموا، فقد رأيت وجه رجل ما كان ليحقركم.ما رأيت وجه رجل أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه.. فلما كان العشاء أتانا رجل، فقال: السلام عليكم. أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، وأنه أمركم أن تأكلوا من هذا حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا.. قال: فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا حتى استوفينا. فلما كان من الغد دخلنا المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك... فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانًا في الجاهلية، فخذ لنا بثأرنا فرفع يديه حتى رأينا بياض إبطيه، فقال: ألا لا يجني والد على ولده.
-وفي خبر الجلندي ملك عمان ـ لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ـ قال الجلندي: والله، لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، و لا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، و أنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الموعود، وأشهد أنه نبي.
قلت:
* ذكر ابن حجر في فتح الباري قصة " الجلندي" قال:
وقال الرشاطي عمان في اليمن سميت بعمان بن سبأ ينسب إليها الجلندي رئيس أهل عمان ذكر وثيمة أن عمرو بن العاص قدم عليه من عند النبي صلى الله عليه وسلم فصدقه.. وذكر غيره أن الذي آمن على يد عمرو بن العاص ولدا الجلندي عياذ وجيفر وكان ذلك بعد خيبر ذكره أبو عمرو انتهى.. وروى الطبراني من حديث

المسور بن مخرمة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى الملوك فذكر الحديث.. وفيه وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ ابني الجلندى ملك عمان.. وفيه فرجعوا جميعًا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمرا فإنه توفي وعمرو بالبحرين وفي هذا إشعار بقرب عمان من البحرين وبقرب البعث إلى الملوك من وفاته صلى الله عليه وسلم فلعلها كانت بعد حنين فتصحفت.

* وقال ابن الجوزي في المنتظم: وفي هذه السنة ـ أي السنة العاشرة ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص بعد رجوعه من الحج لأيام بقين من ذي الحجة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان يدعوهما إلى الإسلام.

وكتب معه كتابًا إليهما وختم الكتاب قال عمرو: فلما قدمت عمان عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقًا فقلت: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك فقال أخي المقدم بالسرّ والملك: وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك فمكثت أيامًا ببابه ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختومًا ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه إلا أني رأيتَ أخاه أرق منه فقال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غدا فلما كان الغد رجعت إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلًا ما في يدي قلت: فإني خارج غدًا فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إليّ فدخلت عليه فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونًا على من خالفني فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ولم أزل مقيمًا بينهم حتى بلغنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر الواقدي إن هذا كان في سنة ثمان. قال المؤلف: وما ذكرناه أصح. وقال ابن مسعود: هذا آخر بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك.

** ونص كتاب رسول الله إلى ملكي عمان، كما أورده الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، هو: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى جَيْفَر وعبْد ابنَي الجُلَنْدي: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة،لأنذر من كان حيا ويحقّ القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما،وتظهر نبوتي على ملككما.

-وقال نفطويه ـ في قوله تعالى:(يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) (النور: ٣٥): هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، يقول: يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآناً كما قال ابن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آنَ أنْ نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة، وبعده في معجزة القرآن، وما فيه من برهان ودلالة

....

١٨. وانشق القمر

الكاتب: د. جمال الحسيني أبو فرحة

يقول تعالى: "اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" القمر: ١:٢. وكثيرًا ما كانت هذه الآية محلا للطعن من غير المسلمين، والتأويل من بعض المسلمين؛ بحجة أن هذه المعجزة لو وقعت لسجلها تاريخ الأمم الأخرى.
وجواب ذلك: أن هذا هو ما حدث بالفعل؛ فقد سجلتها كتب بعض مؤرخي الهند، وأرخت بها لبناء بعض الأبنية؛ ففي المقالة الحادية عشرة من تاريخ فرشته أن أهل مليبار من إقليم الهند رأوه أيضًا.
وقد نقل ابن تيمية عن بعض المسافرين أنه ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناءً قديمًا مكتوبًا عليه: (بني ليلة انشق القمر).
ثم إن انشقاق القمر لم يكن أحد من أمم أهل الأرض يترصده وينتظره، وكان في ليل، وفي زمان البرد، ولفترة وجيزة؛ فقلما يراه أحد.
ثم إنه قد يحول بين الرائي والقمر في بعض الأماكن سحاب كثيف؛ فلا يرى هذه المعجزة، هذا بالإضافة إلى اختلاف مطالع القمر؛ فهو لا يرى لكل أهل الدنيا مرة واحدة.
ومن ثمة فإنه من المتوقع ألا يكون رآه إلا عدد محدود من أهل الأرض متفرقين في بلدان شتى، ربما حمل معظم المؤرخين روايتهم على تخطئة الأبصار، أو على نوع من الخسوف.
أضف إلى ذلك أن وصفه تعالى لانشقاق القمر بأنه (آية) : "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر "؛ يمنع أي محاولة لتأويل هذه المعجزة.
ثم إن نزول القرآن على العرب وتحديه لهم وفيه هذه القصة مع عدم اعتراض أحد منهم عليه ليؤكد حدوثها كما ذكرت الآية الكريمة.
أما في عصرنا الراهن فنجد في موقع وكالة ناسا الفضائية الأمريكية على شبكة (الإنترنت) http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠٢١٠٢٩.html. صورة لصدع طولي رهيب على سطح القمر يظهر بوضوح من الصورة في أعلى المقال يمتد لمئات الكيلومترات، عبارة عن حزام من الصخور المتحولة، وكاتب المقال يتساءل:
What could cause a long indentation on the Moon؟
أي ما الذي يمكن أن يحدث شقًا بهذا الطول في القمر؟
والكيفية التي طرح بها السؤال تبين بجلاء حيرة العلماء في تفسير تكون هذا الشق، وهو ما ينم عن حدث عظيم تعرض له القمر ترك هذا الأثر المحيّر، ولو كان سببه زلزالا عاديًا أو بركانًا لما استغلق على العلماء فهمه كل هذه المدة إذ أنه اكتشف منذ أكثر من ٢٠٠ عام كما يذكر موقع وكالة ناسا.
والطريف في الأمر أن هؤلاء العلماء ليسوا مسلمين ولا علم لهم بنسبة هذه المعجزة لنبينا – صلى الله عليه وسلم - ؛ فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد " سبأ :٦ .

الفصل الأول:
في أن الله تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده:
-اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده، والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء، كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء، وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الشورى: ٥١).
وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه، وتكون تلك الواسطة، إما من غير البشر، كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم، كالأنبياء مع الأمم، ولا مانع لهذا من دليل العقل.
وإذا جاز هذا ولم يستحل، وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاته وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به، لأن المعجزة مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه، وشاهد على صدقه فيما يقوله، و هذا كاف.
والتطويل فيه خارج عن العرض، فمن أراد تتبعه وجده مستوفي في مصنفات أئمتنا رحمهم الله.
فالنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ، وهو الخبر، وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلاً
والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه، وأعلمه أنه نبيه، فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول، أو يكون مخبراً عما بعثه الله تعالى به، ومنبئاً بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل، ويكون عند من لم يهمزه من النبوة، وهو ما ارتفع من الأرض، ومعناه أن له رتبة شريفة، ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان. وأما الرسول فهو المرسل، ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادراً. وإرساله أمر الله بالإبلاغ إلى من أرسله إليه، واشتقاقه من التتابع، ومنه قولهم: جاء الناس أرسالاً، إذا اتبع بعضهم بعضاً، فكأنه ألزم تكرير التبليغ، أو ألزمت الأمة اتباعه.
واختلف العلماء: هل النبي والرسول بمعنى، أو بمعنيين؟ فقيل: هما سواء، وأصله من الإنباء وهو الإعلام، واستدلوا بقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الحج: ٥٢))، فقد أثبت لهما معاً الإرسال، قال: و لا يكون النبي إلا رسولاً ولا الرسول إلا نبياً.
و قيل: هما مفترقان من وجه، إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك، وحوز درجتها، وافترقا في زيادة الرسالة للرسول، وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا. وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ، قالوا: والمعنى: ما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدإ، ومن لم يأت به نبي غير رسول، وإن أمر بالإبلاغ والإنذار. والصحيح، والذي عليه الإجماع الغفير، أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.
وأول الرسل آدم، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. وذكر أن الرسل، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم عليه السلام.
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة، وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي، ولا وصف ذات، خلافاً للكرامية، وفي تطويل لهم، وتهويل، ليس عليه تعويل.
قلت:
* حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البيهقي، قال:
حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو الحسن علي بن الفضل بن إدريس السامري ببغداد ثنا الحسن بن عرفة العبدي حدثني يحيى بن سعيد السعيدي البصري ثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فذكر الحديث إلى أن قال فقلت يا رسول الله كم النبيون قال مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي قلت كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر تفرد به يحيى بن سعيد السعيدي.
وأما الوحي فأصله الإسراع، فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بِعَجَل سمي وحياً، وسميت أنواع الإلهامات وحياً، تشبيهاً بالوحي إلى النبي، وسمي الخط وحياً، لسرعة حركة يد كاتبه، ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى: (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) (مريم: ١١)، أي أومأ ورمز. و قيل: كتب، ومنه قولهم: الوحا، الوحا، أي السرعة.
وقيل أصل الوحي السر ولإخفاء، ومنه سمي الإلهام وحياً، ومنه: وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم، أي يوسوسون في صدروهم، ومنه قوله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) (القصص: ٧)، أي ألقي في قلبها.
وقد قيل ذلك في قوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الشورى: ٥١)، أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة.

الفصل الثاني:
في معنى تسمية من جاءت به الأنبياء معجزة:
اعلم أن تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، وهي على ضربين: ضرب هو من نوع قدره البشر، فعجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه، كصرفهم عن تمني الموت. وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم، ونحوه.
وضرب هو خارج عن قدرته، فلم يقدروا على الإتيان بمثله، كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام شجرة، ونبع الماء من الأصابع،

وانشقاق القمر، مما لا يمكن أن يفعله أحد، إلا الله، فكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى و تحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له
و اعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم دلا ئل نبوته و براهين صدقه ـ من هذين النوعين معاً ـ و هو أكثر الرسل معجرةً، وأبهرهم آيةً، و أظهرهم برهاناً، كما سنبينه، وهي ـ في كثرتها ـ لا يحيط بها ضبط، فإن واحداً منها ـ و هو القرآن ـ لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين، ولا أكثر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها.
قال أهل العلم: (إنا أعطيناك الكوثر). فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة، ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات.
ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين:
قسم منها علم قطعاً:، ونقل إلينا متواتراً كالقرآن،فلا مرية، ولا خلاف، بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به، وظهوره من قبله، واستدلاله بحجته، وإن أنكر هذا معاند جاحد، فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا. وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به، فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورةً ونظراً، كما سنشرحه.
قال بعض أئمتنا: ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معيناً القطع فيبلغه جميعها، فلا مرية في جريان معانيها على يديه، ولا يختلف مؤمن ولا كافر ـ أنه جرت على يديه عجائب، وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله.
وقد قدمنا كونها من قبل الله، وأن ذلك بمثابة قوله: صدقت.
فقد علم وقوع مثل هذا أيضاً من نبينا ضرورةً لاتفاق معانيها، كما يعلم ضرورة جود حاتم، وشجاعة عنترة، وحلم أحنف، لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا، وشجاعة هذا، وحلم هذا، وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم، ولا يقطع بصحته.
والقسم الثاني: ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع، وهو على نوعين: نوع مشتهر منتشر، رواه العدد، وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار، كنبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام.
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان، ورواه العدد اليسير، ولم يشتهر اشتهار غيره، لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى، واجتمعا على الإتيان بالمعجز، كما قدمناه.
-قال القاضي أبو الفضل: وأنا أقول صدعاً بالحق: إن كثيراً من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع:
* أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، ولا يُوهِن عزمَنا خلاف أخرق منحل عُرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه.
وكذلك قصة نبع الماء، وتكثير الطعام ـ رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير، عن العدد الكثير من الصحابة.

-ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلاً عمن حدث بها من جملة الصحابة وإخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق، وفي غزوة بواط، وعمرة الحديبية، وغزوة تبوك، وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر، ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه، ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه، فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق، إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل، والمداهنة في كذب، وليس هناك رغبة أو رهبة تمنعهم، ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن. وخطأ بعضهم بعضاً، ووهمه في ذلك، مما هو معلوم، فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه.
وأيضاً فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها، وبنيت على باطل، لا بد بعد مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها، وخمول ذكرها، كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة، والأراجيف الطارئة. وأعلام نبينا هذه الواردة من طريق الأحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهوراً، ومع تداول الفرق، وكثرة طعن العدو، وحرصه على توهينها، وتضعيف أصلها، واجتهاد الملحد على إطفاء نورها، إلا قوة وقبولاً، وللطاعنين عليها إلا حسرة وغليلاً.
وكذلك إخباره عن الغيوب، وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة.
وهذا حق لا غطاء عليه، وقد قال به من أئمتنا القاضي، والأستاذ أبو بكر وغيرهما، رحمهم الله، وما عندي أوجب قول القائل: إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها، وشغله بغير ذلك من المعارف، وإلا فمن اعتنى بطرق النقل، وطالع الأحاديث والسير لم يرْتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه. ولا يبعد أن يحصل العلم يالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر، فإن أكثر الناس يعلمون ـ بالخبر ـ كون بغداد موجودةً، وأنها مدينة عظيمة، ودار الإمامة والخلافة، وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها، فضلاً عن وصفها، وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ـ أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام، وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه، وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة، والاقتصار في المسح على بعض الرأس، وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره، وإيجاب النية في الوضوء، واشتراط الولي في النكاح، وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل، وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلاً عمن سواه.
وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بياناً إن شاء الله تعالى.
الفصل الثالث:
في إعجاز القرآن:
الوجه الأول: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته
-قال القاضي أبو الفضل رحمه الله:

اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن كتاب الله العزيز مُنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:
أولها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، و فرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة و الحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فضل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون
بديهاً في المقامات وشديد الخطب، و يرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل، فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحَن، ويهيجون الدِّمن ويجرئون الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان، ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً.
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري، والمنزع القوي.
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكُلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية.
و كلا البابين لهما في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة، والقدح الفالج، والمهيع الناهج، لا يشكون أن الكلام طوع مُرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حوَوا فنونها واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطير والمهين، وتفننوا في الغث والسمين، وتقاولوا في القل والكثر، وتساجلوا في النظم والنثر، فما راعهم إلا رسول كريم، بكتاب عزيز ((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢)، أحمكت آياته، و فصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، وهم أفسح ما كانوا في الباب مجالاً، وأشهر في الخطابة رجالاً، وأكثر في السجع والشعر سجالاً، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخاً بهم في كل حين، ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين:((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (يونس: ٣٨).
((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة ٢٣) * (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٤).
و (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء: ٨٨).

و (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (هود: ١٣). وذلك أن المفتري أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب، ولهذا قيل: فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد.

و للأول على الثاني فضل، و بينهما شأو بعيد.

فلم يزل يقرعهم أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضتيه، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب و التكذيب، والإغراء بالإفتراء، وقولهم:(إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) (المدّثر: ٢٤)، و(سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) (القمر: ٢)، و(إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ) (الفرقان: ٤)، و (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) (الأنعام: ٢٥)، والمباهتة والرضا بالدنية، كقولهم: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: ٨٨).

(وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) (فصلت ٥). (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت: ٢٦)) والادعاء مع العجز بقولهم:((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ) (الأنفال: ٣١)

وقد قال لهم الله: (وَلَن تَفْعَلُواْ) (البقرة: ٢٤)، فما فعلوا ولا قدروا. ومن تعاطى ذلك من سخفائهم ـ كمسيلمة ـ كشف عواره جميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه، من فصيح كلامهم، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين من بين مهتد و بين مفتون.

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم:

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠) .

قال: والله، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوةً، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر.

-وذكر أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر: ٩٤) فسجد، و قال: سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلاً يقرأ: ((فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً) (يوسف: ٨٠) فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

-وحكي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يوماً نائماً في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق، واستخبره، فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها، وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها، فإذا هي قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة، وهي قوله تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (النور: ٥٢)

-وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو يعد هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ

عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص: ٧)، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين، وخبرين، و بشارتين.
فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته، غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين.
وكون القرآن من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أتى به معلوم ضرورة، وكونه متحدياً به معلوم ضرورة، وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة، وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالِمين بالفصاحة ووجوه البلاغة، وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المفكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المفسرين بإعجاز بلاغته.
وأنت إذا تأملت قوله تعالى:(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٩).
وقوله: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (سبأ: ٥١)).
وقوله:(إدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت: ٣٤).
و قوله:(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود: ٤٤)
و قوله (فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (العنكبوت: ٤٠).
وأشباهها من الآي، بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجار ألفاظها، وكثرة معانيه، وديباجة عبارتها، وحسن تأليف حروفها، وتلاؤم كلمها، وأن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة، وفصولاً جمة، وعلوماً زواخر، ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات عنها.
ثم هو في سرده القصص الطوال، وأخبار القرون السوالف، التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان ـ آية لمتأمله، من ربط الكلام بعضه ببعض، والتئام سرده، وتناصف وجوهه، كقصة يوسف على طولها.
ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها، وتناصف في الحسن وجه مقابلتها، ولا نفور للنفوس من ترديدها، ولا معاداة لمعادها.
الفصل الرابع:
في إعجاز القرآن ـ الوجه الثاني: النظم والأسلوب:
الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آية، وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم، وتدلهت دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم، أو سجع أو رجز، أو شعر.

ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة، وقرأ عليه القرآن ـ رقّ، فجاءه أبو جهل منكراً عليه ـ قال: والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا.

قلت:

أخرج الألباني قصة الوليد بن المغيرة، في صحيح السيرة، باب مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عنادا وحسدا وبغيا وجحودا.....قال:

روى إسحاق بن راهويه بسنده عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له.. فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن... والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا... و والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه.

فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره. فنزلت: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً*سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ *فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ *فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ *) المدثر/. هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن إسحاق.

قلت[الألباني]: وفي ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم (بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) (الأنبياء: ٥) فحاروا ماذا يقولون فيه؟ فكل شيء يقولونه باطل لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ... قال الله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً) (الإسراء: ٤٨)

قلت:

أورد الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني القصة في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية قال:

عن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة، وكان زعيم قريش في الفصاحة، أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي... فقرأ عليه: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠) قال: أعد... فأعاد صلى الله عليه وسلم، فقال[الوليد]:والله إن لـه لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا أشعار الجن فو الله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا.. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى.

- وفي خبره الآخر- حين جمع قريشً عند حضور الموسم، وقال: إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: نقول كاهن. قال: والله ما هو بكاهن. ما هو بزمزمته ولا سجعه.قالوا: مجنون: قال: ما هو بمجنون، ولا بخنقه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر. قد عرفنا الشعر كله، رجزه، وهزجه، وقريضه، و مبسوطه، ومقبوضه، ما هو بشاعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، ولا نفثه ولا عقده.

قالوا: فما نقول: قال: ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً، إلا وأنا أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول أنه ساحر، فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته.

فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس، فأنزل الله تعالى في الوليد: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً *وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً *وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ*سَأُصْلِيهِ سَقَرَ *) -(المدثر).

-وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن: يا قوم، قد علمتم أني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته، والله لقد سمعت قولاً.. والله ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. -وقال النضر بن الحارث نحوه.

قلت:

* أخرج الألباني قصة عتبة بن ربيعة، في صحيح السيرة، قال:

وروى الإمام عبد بن حميد في (مسنده) بسنده عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحدًا

وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فرغت؟). قال: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم. حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ *وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ *وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ *) [فصلت: ١ - ١٣]. فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: (لا). فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم. ثم قال: لا والذي نصبها بينة ما فهمت شيئًا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة.

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم بسنده عن الأجلح به وفيه كلام وزاد: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسا ما بقيت. وعنده أنه لما قال: (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبا إلى محمد وأعجبه كلامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه. فأتوه فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدًا أبدًا وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته - وقص عليهم القصة - فأجابني بشيء - والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة - قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل من الرحمن الرحيم...حتى بلغ: فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب.

ثم روى البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: (يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله). فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فو الله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا:

فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي والله لا أفعل. وهذا القول منه - لعنه الله - كما قال تعالى مخبرا عنه وعن أضرابه: (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان ٤١- ٤٢).

-وفي حديث إسلام أبي ذر ووَصَف أخاه أنيساً، فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية، أنا أحدهم، وإنه انطلق إلى مكة، وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر: كاهن، ساحر، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، وإنه لصادق، وإنهم لكاذبون. -والأخبار في هذا صحيحة كثيرة.

قلت:

حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه رواه مسلم،وأحمد، والبيهقي، وهو في صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة-

حدثنا هداب بن خالد الأزدي. حدثنا سليمان بن المغيرة. أخبرنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت. قال: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار. وكانوا يحلون الشهر الحرام. فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا. فنزلنا على خال لنا. فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا. فحسدنا قومه فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس. فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له. فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لك فيما بعد. فقربنا صرمتنا. فاحتملنا عليها. وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي. فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة. فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها. فأتيا الكاهن. فخير أنيسا. فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها.قال: وقد صليت، يا ابن أخي! قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين. قلت: لمن؟ قال: لله. قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي. أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء. حتى تعلوني الشمس.

فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني. فانطلق أنيس حتى أتى مكة. فراث علي. ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلا بمكة على دينك. يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء.

قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة. فما هو بقولهم. ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر. فما يلتئم على لسان أحد بعدي؛ أنه شعر. والله! إنه لصادق. وإنهم لكاذبون...(الحديث)

-والإعجاز بكل واحد من النوعين: الإيجاز والبلاغة بذاتها، أو الأسلوب الغريب بذاته، كل واحد منهما نوع إعجازه على التحقيق، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما، إذا كل واحد خارج عن قدرتها، مباين لفصاحتها و كلامها، وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين.

و ذهب بعض المحققين المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب، وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع، وتنفر منه القلوب. والصحيح ما قدمناه، و العلم بهذا كله ضرورة قطعاً.
ومن تفنن في علوم البلاغة، وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه.
-وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه، فأكثرهم يقول: إنه ما جمع في قوة جزالته، ونصاعة ألفاظه، وحسن نظمه، وإيجازه، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر، وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها، كإحياء الموتى، وقلب العصا، وتسبيح الحصى.
وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أن مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر، ويقدرهم الله عليه، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون، فمنعَهم اللهُ هذا، و عجَّزهم عنه.
-وقال به جماعة من أصحابه.
-وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت، وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر، وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع، وهو أبلغ في التعجيز، وأحرى بالتقريع، والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم، وهو أبهر آية، وأقمع دلالة.
وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال، بل صبروا على الجلاء، والقتل، وتجرعوا كاسات الصَّغار والذل، وكانوا من شموخ الآنف، وإباية الضيم، بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً، ولا يرضونه إلا اضطراراً، وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم، الشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم، وهم ممن لهم قدرة على الكلام، وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام، وما منهم إلا من جهد جهده، واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره، وإطفاء نوره، فما جلوا في ذلك خبيئةً من بنات شفاههم، ولا أتوا بنطفة من معين مياههم، مع طول الأمد، و كثرة العدد، وتظاهر الوالد وما ولد، بل أبلسوا فما نبسوا، ومنعوا فانقطعوا، فهذان نوعان من إعجازه.
الفصل الخامس
في إعجاز القرآن:
الوجه الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات
-الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع، فوجد، كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر به، كقوله تعالى: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ) (الفتح ٢٧)
وقوله تعالى:(وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (الروم: ٣).
وقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣٣)
وقوله تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: ٥٥)

-وقولـه تعـالى:(إِذَا جَـاء نَصْـرُ اللَّـهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّـاسَ يَدْخُلُونَ فِـي دِيـنِ اللَّـهِ أَفْوَاجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (٣) –(النصر)
فكـان جميـع هـذا، كمـا قـال...فغلبـت الـروم فـارس فـي بضـع سـنين، ودخـل النـاس فـي الإسلام أفواجاً، فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخلـه الإسـلام.واسـتخلف الله المـؤمنين فـي الأرض، ومكّـن فيهـا ديـنهم، و ملكهـم إياهـا مـن أقصـى المشـارق إلـى أقصـى المغـارب، كمـا قـال صـلى الله عليـه وسـلم: "زويـت إلـى الأرض، فأريت مشارقها و مغاربها، و سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها.
قلت: أخرج هذا الحديث ابن ماجه في السنن؛ والألباني في صحيح السيرة، ولفظه:
" زويـت لـي الأرض حتـى رأيـت مشـارقها ومغاربهـا وأعطيـت الكنـزين الأصـفر أو الأحمر والأبيض، (يعنـي الـذهب والفضـة) وقيـل لـي إن ملكـك إلـى حيـث زوي لـك.. وإني سألت الله عز وجل ثلاثا: أن لا يسلط على أمتي جوعا فيهلكهم به عامة، وأن لا يلبسـهم شـيعا ويـذيق بعضـهم بـأس بعـض، وإنـه قيـل لـي إذا قضـيت قضـاء فـلا مـرد لـه وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم فيه ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتـى يفني بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وإذا وضع السيف في أمتـي فلـن يرفـع عـنهم إلى يوم القيامة.. وإن مما أتخوف على أمتـي أئمـة مضـلين.. وسـتعبد قبائـل مـن أمتـي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين.. وإن بين يدي الساعة دجـالين كـذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي، ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصـورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل".. قال أبو الحسن لما فرغ أبو عبد الله من هذا الحديث قال ما أهوله..
قال الشيخ الألبـاني: صـحيح.. سـند الحـديث: حـدثنا هشـام بـن عمـار ثنـا محمـد بـن شـعيب بن شابور ثنا سعيد بن بشير عن قتادة أنه حـدثهم عـن أبـي قلابـة الجرمـي عبـد الله بـن زيـد عـن أبـي أسـماء الرحبـي عـن ثوبـان مـولى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:... (الحديث).
-وقوله: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، فكـان كـذلك، لا يكـاد يعـد مـن سـعى فـي تغييـره وتبـديل محكمـه مـن الملحـدة والمعطلـة، لا سـيما القرامطـة، فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم، اليوم نيفاً على خمسمائة عام، فما قدروا علـى إطفـاء شـيء مـن نـوره، ولا تغييـر كلمـة مـن كلامـه، ولا تشـكيك المسـلمين فـي حـرف مـن حروفه، و الحمد لله.
ومنه قوله: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (القمر: ٤٥)
-وقولـه:(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) (التوبة ١٤)
وقوله:(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة ٣٣)
وقولـه: (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ) (آل عمران: ١١١).
فكان كل ذلك.وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود، ومقالهم وكذبهم في حلفهم، وتقريعهم بذلك،

كقوله:(وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (المجادلة ٨)
وقوله: (يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران: ١٥٤).
وقوله:(مِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة ٤١)
وقوله: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي) (النساء: ٤٦).
وقد قال مبدياً، ما قدَّره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) (الأنفال: ٧)
ومنه قوله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر: ٩٥).
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله كفاه إياهم، وكان المستهزئون نفراً بمكة ينفرون الناس عنه و يؤذونه فهلكوا.
وقوله (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة: ٦٧).
فكان كذلك على كثرة من رام ضره، وقصد قتله، والأخبار بذلك معروفة صحيحة.
قلت: ذكر ابن كثير في التفسير أسماء هؤلاء المستهزئين كما رواه ابن إسحاق، قال:
قوله تعالى: {وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين} أي بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله {ودّوا لو تدهن فيدهنون} ولا تخفهم فإن لله كافيك إياهم وحافظك منهم، كقوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}.
وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم، عن أنس قال: سمعت أنساً يقول في هذه الآية، {إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر} قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل، أحسبه قال: فغمزهم، فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا.
قال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن المطلب أبي زمعة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: «اللهم أعم بصره، وأثكله ولده». ومن بني زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومن بني

سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد، ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد بن ـ عمرو بن ملكان ـ. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى: {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين... إلى قوله }فسوف يعلمون{.
وقال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه، ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرحٍ بأسفل كعب رجله، وكان أصابه قبل ذلك بسنتين، وهو يجز إزاره، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلاً له، فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش، وليس بشيء، فانتقض به فقتله، ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف، فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحاً فقتله.
قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل، عن ابن عباس قال: كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم، وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به، عن يزيد عن عروة بطوله، إلا أن سعيداً يقول: الحارث بن غيطلة، وعكرمة يقول الحارث بن قيس. قال الزهري: وصدقا هو الحارث بن قيس، وأمه غيطلة، وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة. وقال الشعبي: كانوا سبعة، والمشهور الأول.
الفصل السادس:
في إعجاز القرآن:
الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة:
الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه، وأن مثله لم ينله بتعليم.
وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة، ولم يغب عنهم، ولا جهل حاله أحد منهم.
وقد كان أهل الكتاب كثيراًما يسألونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذا، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وابنه، وأشباه ذلك من الأنبياء والقصص، وبدء الخلق وما في التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، مما صدقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك، فمن موفق آمن بما سبق له من خير، ومن شقي معاند حاسد، ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه، وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم، وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم،

وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم، وتعنيتهم إياه ـ عن أخبار أنبيائهم، وأسرار علومهم، ومستودعات سيرهم، وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم، مثل سؤالهم عن الروح، وذي القرنين، وأصحاب الكهف، وعيسى، وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه، وما حرم عليهم من الأنعام، ومن طيبات أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم.
وقوله: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح: ٢٩) وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن، فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه، بل أكثرهم صرح بصحة نبوته، وصدق مقالته، واعترف بعناده وحسدهم إياه، كأهل بجران، وابن صوريا، وابني أخطب وغيرهم.
ومن باهت في ذلك بعض المباهتة، وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة ـ دعي إلى إقامة حجته، وكشف دعوته، فقيل له: (قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤). (آل عمران)
فقرع ووبَّخ، ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع، فمن معترف بما جحده، ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده. و لم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه، ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صفحه، قال الله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) -المائدة.

الفصل السابع:
هذه الوجـوه الأربعـة مـن الإعجـاز لا نـزاع فيها ولا مريـة:
هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية.
ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك، كقوله لليهود: (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ٩٤) (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ) (البقرة: ٩٥)
-قال أبو إسحاق الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة، لأنه قال: (فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ)، وأعلمهم أنهم (لَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً)، فلم يتمنه واحداً منهم.
-وعن النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه. يعني يموت مكانه.

فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم، ليظهر صدق رسوله، وصحة ما أوحي إليه، إذا لم يتمنه أحد منهم، وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا، ولكن الله يفعل ما يريد، فظهرت بذلك معجزته، وبانت حجته.

-قال أبو محمد الأصيلي: من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة، ولا واحد، من يوم أمر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم - يقدم عليه، ولا يجيب إليه. وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم.

قلت: قال السيوطي في الدر المنثور:

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في هذه الآية قال: قل لهم يا محمد {إن كانت لكم الدار الآخرة} يعني الجنة كما زعتم {خالصة من دون الناس} يعني المؤمنين {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين} إنها لكم خالصة من دون المؤمنين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن كنتم في مقالتكم صادقين قولوا اللهم أمتنا، فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه، فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم، فنزل {ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم} يعني عملته أيديهم {والله عليم بالظالمين} أنهم لن يتمنوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية: والله لا يتمنونه أبدا".

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله {فتمنوا الموت} أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب فأبوا ذلك، ولو تمنوه يوم قال ذلك ما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله (قل إن لكم الدار الآخرة) يعني الجنة {خالصة} خاصة {فتمنوا الموت} فاسألوا الموت {ولن يتمونه أبدا} لأنهم يعلمون أنهم كاذبون {بما قدمت} قال: أسلفت.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: لو تمنى اليهود الموت لماتوا.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار".

وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى، حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوْا الإسلام، فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: ٦١).

فامتنعوا منها، ورضوا بأداء الجزية، وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم: قد علمتم أنه نبي، وأنه ما لاعن قوماً نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم.

قلت: قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية الكريمة:

قال تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان {فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا

وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم} أي نحضرهم في حال المباهلة {ثم نبتهل} أي نلتعن {فنجعل لعنة الله على الكاذبين} أي منا أو منكم.
وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله صدر هذه السورة رداً عليهم، قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم وهم: العاقب واسمه عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس بن الحارث، وزيد، وقيس، ويزيد ونبيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويُحَنّس، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها.
قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب، قال: يقول من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم: وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«دعوهم» فصلوا إلى المشرق، قال: فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وكذلك قول النصرانية، فهم يحتجون في قولهم هو الله، بأنه كان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً، وذلك كله بأمر الله. وليجعله الله آية للناس، ويحتجون على قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يسمعه أحد من بني آدم قبله، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى: فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم ـ تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ـ وفي كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلما» قالا: قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما». قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير». قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله

في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط، فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رضا، قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، سلم ثم نظر عن يمينه وشماله، فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه، فقال: «اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه». قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه.
وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج: أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه، إلا أنه قال في الأشراف: كانوا اثني عشر، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق، وزيادات أخرى.

وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه، قال: فقال: أحدهما لصاحبه: لا تفعل فو الله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: « قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا أمين هذه الأمة» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة، عن حذيفة، بنحوه وقد رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن صلة، عن ابن مسعود بنحوه.
وقال البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو يزيد، حدثنا فرات عن

عبد الكريم بن مالك الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل قبحه الله، إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته، قال: فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً»، وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم به، وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جداً، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة، وفيه غرابة، وفيه مناسبة لهذا المقام، قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده، قال يونس ـ وكان نصرانياً فأسلم ـ: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه(طس) سليمان: «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم أنتم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام». فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به، وذعره ذعراً شديداً، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب، فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في أمر النبوة رأي، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك، فقال الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى عبد الله فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف، فتنحى فجلس ناحية، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح، أهل الوادي أعلاه وأسفله. وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي، فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدنية وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم

الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه، فلم يرد عليهم، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وكانا معرفة لهم، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه، ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم، ثم قال: «والذي بعثني بالحق، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم». ثم سألهم، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى» فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ *(آل عمران) } فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً فكنا أول العرب طعناً في عينيه ورداً عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه، لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا: له: أنت وذاك، قال: فلقي شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك. فقال: وما هو؟ فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعل وراءك أحداً يثرب عليك»؟ فقال شرحبيل: سل صاحبي، فسألهما فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران ـ إن كان عليهم حكمه ـ في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم، وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة» وذكر تمام الشروط وبقية السياق.

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع، لأن الزهري قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح،

وهي قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر} الآية، وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكي، حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر، قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة، قال: فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي بعثني بالحق لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً» قال جابر، وفيهم نزلت {ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم} قال جابر {أنفسنا وأنفسكم} رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب {وأبناءنا} الحسن والحسين {ونساءنا} فاطمة. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى، عن أحمد بن محمد الأزهري، عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند به بمعناه، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا قال وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن المغيرة عن الشعبي مرسلاً، وهذا أصح، وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك، ثم قال الله تعالى: {إن هذا لهو القصص الحق} أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد {وما من إله إلا الله، وإن الله لهو العزيز الحكيم * { فإن تولوا} أي عن هذا إلى غيره {فإن الله عليم بالمفسدين} أي من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذي لا يفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته... اهـ

ومثله قوله: ((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة ٢٣-٢٤).

فأخبرهم أنهم لا يفعلون، كما كان.

وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب، ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها.

الفصل الثامن

من وجوه الإعجاز:الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله، وإنافة خطره، وهي على المكذبين به أعظم، حتى كانوا يستثقلون سماعه،(وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً) (الإسراء: ٤١)، كما قال تعالى، و يودون انقطاعه لكراهتهم له.

و لهذا قال: إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه، وهو الحكم، وأما المؤمن فلا تزال روعته به، وهيبته إياه،مع تلاوته ـ توليه انجذاباً، وتكسبه هشاشة، لميل قلبه إليه، وتصديقه به، قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٢٣)

وقال: (لَوْ أنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: ٢١)
ويدل على أن هذا شيء خص به ـ أنه يعتري من لا يفهم معانيه، ولا يعلم تفاسيره، كما روي عن نصراني ـ أنه مر بقارئ ـ فوقف يبكي، فقيل له: مم بكيت؟ قال: للشجا والنظم.
وهذه الروعة قد اعترت جماعةً قبل الإسلام وبعده، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به، ومنهم من كفر.
-فحكي في الصحيح، عن جبير بن مطعم، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)) - كاد قلبي أن يطير للإسلام.
-وفي رواية: و ذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.
-وعن عتبية بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليهم:(حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ *ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ *)(سورة فصلت: ١ ــ ١٣).
فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم، وناشده الرحم أن يكف.
-وفي رواية: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره، معتمد عليهما، حتى انتهى إلى السجدة، فسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقام عتبة لا يدري بما يراجعه، ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه، فاعتذر لهم، وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له.
-وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك.
فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه، وشرع فيه، فمر بصبي يقرأ: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود: ٤٤) ـ فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، وكان من أفصح أهل وقته.

-وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه، فحكي أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها، وينسج ـ بزعمه ـ على منوالها ـ قال: فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة.

الفصل التاسع:

ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آيةً باقيةً لا تعدم ما بقيت الدنيا

-ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آيةً باقيةً لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩) وقال: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢)

-وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز، الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم ـ مدة خمسمائة عام و خمس و ثلاثين سنةً لأول نزوله إلى وقتنا هذا ـ حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، وأئمة البلاغة، وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، والملحد فيهم كثير، والمعادي للشرع عتيد،فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه.

الفصل العاشر:

في وجوه أخرى للإعجاز

وقد عدَّ جماعةٌ من الأمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهاً كثيرةً، منها أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الانكباب على تلاوته يزيد حلاوةً، وترديده يوجب له محبةً، لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام ـ و لو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه ـ يمل مع الترديد، ويعادى إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويونس بتلاوته في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، حتى أحدث أصحابها لحوناً وطرقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراء تها.

ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل، لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا:(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً*) الجن ١، ٢).

قلت: الحديث رواه الترمذي ؛ولفظه:

مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث. قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة... فقلت: ما المخرج منها، يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل.. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين،وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع

منه العلماء،ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه... هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا {إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد}..من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم...
خذها إليك يا أعور.
قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحرث مقال.
وقال الألباني:(ضعيف).
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامةً ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة، بمعرفتها، ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم، ببراهين قوية، وأدلة بينة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رام المتخذلقون بعد ـ أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها؛ كقوله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (يس: ٨١)
وقوله: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (يس: ٧٩).
وقوله: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء: ٢٢).
إلى ما حواه من علوم السير، وأنباء الأمم، والمواعظ، والحكم، وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب والشيم.
-قال الله ـ جل اسمه ـ: (ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨)
-وقال: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩).
-وقال: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) (الروم: ٥٨).
-وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً، وسنة خالية، ومثلاً مضروباً، فيه نبؤكم، وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد، و لا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.
قلت: أخرجه الترمذي في سننه، والسيوطي في الجامع الصغير؛ من حديث علي رفعه، وقد سبق، وضعفه الألباني.
-ونحوه عن ابن مسعود، وقال فيه: ولا يختلف ولا يتشانّ، فيه نبأ الأولين والآخرين.
قلت: لعله أشار إلى الحديث الذي أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب

عن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف.

وهذا ضعفه الألباني، لكنه صحح طرفه الأخير الذي رواه الترمذي، قال:
حدثنا محمد بن بشار أخبرنا أبو بكر الحنفي أخبرنا الضحاك بن عثمان عن أيوب بن موسى، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: سمعت عبد اللّه بن مسعود يقول: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "من قرأن حرفا من كتاب اللّه فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف وميم حرف". هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. سمعت قتيبة بن سعيد، يقول: بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى اللّه عليه وسلم، ويروي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود رواه أبو الأحوص عن عبد اللّه بن مسعود، ورفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود، ومحمد بن كعب القرظي يكنى أبا حمزة.
قال الشيخ الألباني: صحيح. سند الحديث: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن أيوب بن موسى قال سمعت محمد بن كعب القرظي قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورواه الدارمي قال: حدثنا أبو عامر قبيصة انا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: تعلموا هذا القرآن فإنكم تؤجرون بتلاوته بكل حرف عشر حسنات أما اني لا أقول بألم ولكن بألف ولام وميم بكل حرف عشر حسنات.
ورواه الحاكم في المستدرك قال: حدثنا أبو الوليد حسان بن محمد القرشي الفقيه ثنا مسدد بن قطن بن إبراهيم ثنا داود بن رشيد ثنا صالح بن عمر أنبأ إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف ولام وميم". هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر.
-وفي الحديث: قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: إني منزل عليك توراة حديثة، تفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة، وربيع القلوب.
قلت: أخرجه ابن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية عن هشام عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنزلت علي توراة محدثة، فيها نور الحكمة وينابيع العلم، لتفتح بها أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وآذنًا صمًا، وهي أحدث الكتب بالرحمن.

وأخرجه الدارمي قال:حدثنا عمرو بن عاصم ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن مغيث عن كعب قال:عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهدًا، وقال في التوراة يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا..

وعن كعب: عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقول، ونور الحكمة.

-وقال الله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (النمل: ٧٦).

-وقال:(هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٨).

فجمع فيه مع وجازة ألفاظه، وجوامع كلمة أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات.

ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله، وذلك أنه احتج بنظم القرآن، وحسن رصفه وإيجازه وبلاغته، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه، ووعده ووعيده، فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة.

-ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد، ولم يكن في حيز المنثور، لأن المنظوم أسهل على النفوس، وأوعى للقلوب، وأسمع في الآذان، وأحلى على الأفهام، فالناس إليه أميل، والأهواء إليه أسرع.

-ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه، وتقريبه على متحفظيه، قال الله تعالى:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) (القمر: ١٧...) وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم، فكيف الجماء على مرور السنين عليهم. والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة.

-ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضاً، وحسن ائتلاف أنواعها، والتئام أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه، وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد ووعيد، وإثبات نبوة، وتوحيد وتفريد، وترغيب وترهيب، إلى غير ذلك من فوائده، دون خلل يتخلل فصوله.

والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته، ولانت جزالته، وقل رونقه، وتقلقت ألفاظه.

فتأمل أول سورة (ص) –(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)، وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم، وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتعجبهم مما أتى به، والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم، و تعجيزهم و توهينهم، ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم، وإهلاك الله لهم، ووعيد هؤلاء مثل مصابهم، و تصبير النبي على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره، ثم أخذ في ذكر داود و قصص الأنبياء، كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام.

-ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة، وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن، إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها، إذ أكثرها داخل

في باب بلاغته، فلا يجب أن يعد فناً منفرداً في إعجازه، إلا في باب تفضيل فنون البلاغة، وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله، لا إعجازه.
وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا، فليعتمد عليها، وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي. والله ولي التوفيق.

----

٢٠. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٣).. انشقاق القمر، نبع الماء من بين أصابعه

الفصل الحادي عشر:
في انشقاق القمر وحبس الشمس
قال الله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ(١) وَأن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ(٢) - القمر.
-أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرة عن آياته، وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه.
-أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه، حدثنا القاضي سراج بن عبد الله، حدثنا الأصيلي، حدثنا المروزي، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا مسدد، حدثنا يحي، عن شعبة، و سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين: فرقة فوق الجبل، و فرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"اشهدوا"
-وفي رواية مجاهد: ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
-وفي بعض طرق الأعمش: ونحن بمنى.
-ورواه أيضاً - عن ابن مسعود - الأسود، وقال: حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر.
-ورواه عنه مسروق - أنه كان بمكة - و زاد: فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة!
فقال رجل منهم: أن محمداً أن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر: هل رأوا هذا؟ فأتوا، فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك.
-وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه، وقال: فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا: أرأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقالوا - يعني الكفار: هذا سحر مستمر.
-ورواه أيضاً - عن ابن مسعود - علقمة، فهؤلاء أربعة عن عبد الله.
-وقد رواه غير ابن مسعود، كما رواه ابن مسعود، منهم أنس، وابن عباس وابن عمر، وحذيفة، وعلي، وجبير بن مطعم، فقال علي - من رواية أبي حذيفة الأرحبي: انشق القمر و نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم.
-وعن أنس: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهم. رواه عن أنس قتادة.
-وفي رواية معمر وغيره، عن قتادة، عنه: أراهم القمر مرتين انشقاقه، فنزلت:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ(١)(سورة القمر ١).

-ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد و ابن ابنه جبير بن محمد.
-ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. -ورواه عن ابن عمر مجاهد، ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمر أن الأزدي

وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة، والآية مصرحة، ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول، بأنه لو كأن هذا لم يخْف على أهل الأرض، إذ هو شيء ظاهر لجميعهم، إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق، ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم ـ لكثرتهم ـ على الكذب، لما كانت علينا به حجة، إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض، أو يحول بين قوم و بينه سحاب أو جبال، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض، وفي بعضها جزئية، وفي بعضها كلية، وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعوون لعلمها،(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(الأنعام: ٩٦).

وآية القمر كانت ليلاً، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب، وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً، إلا من رصد ذلك، واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في البلاد، وأكثرهم لا يعلم به حتى ينجز، وكثيراً ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء، ولا علم عند أحد منها.

قلت: حديث انشقاق القمر في الصحيحين روى البخاري -في كتاب فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر- قال:

١- حدثني عبد الله بن عبد الوهاب: حدثنا بشر بن المفضل: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما.

٢- حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه قال: انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى، فقال:(اشهدوا). وذهبت فرقة نحو الجبل.

وقال أبو الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: انشق بمكة، وتابعه محمد بن مسلم، عن ابن نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله.

٣- حدثنا عثمان بن صالح: حدثنا بكر بن مضر قال: حدثني جعفر ابن ربيعة، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- حدثنا عمر بن حفص: حدثنا أبي: حدثنا الأعمش: حدثنا إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنهما قال: انشق القمر.

٥-حدثنا مسدد: حدثنا يحيى، عن شعبة، وسفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال:انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اشهدوا).

٦- حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان: أخبرنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله قال:انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم، فصار فرقتين، فقال لنا:(اشهدوا.. اشهدوا).

وروى مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر قال:

١- حدثنا عمرو الناقد وزهير بن حرب. قالا: حدثنا سفيأن بن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله قال:

انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشهدوا".

٢-) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم. جميعا عن أبي معاوية. ح وحدثنا عمر بن حفص بن غياث. حدثنا أبي. كلاهما عن الأعمش. ح وحدثنا منجاب بن حارث التميمي(واللفظ له). أخبرنا ابن مسهر عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود. قال:

بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى، إذا انفلق القمر فلقتين. فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشهدوا".

٣- حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري. حدثنا أبي. حدثنا شعبة عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود قال:

انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين. فستر الجبل فلقة. وكانت فلقة فوق الجبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم! اشهد".

٤- حدثنا عبيد الله بن معاذ. حدثنا أبي. حدثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم. مثل ذلك.

٥-وحدثنيه بشر بن خالد. أخبرنا محمد بن جعفر. ح وحدثنا محمد بن بشار. حدثنا ابن أبي عدي. كلاهما عن شعبة. بإسناد ابن معاذ عن شعبة. نحو حديثه. غير أن في حديث ابن أبي عدي: فقال: "اشهدوا. اشهدوا".

٦- حدثني زهير بن حرب وعبد بن حميد. قال: حدثنا يونس بن محمد. حدثنا شيبان. حدثنا قتادة عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية. فأراهم انشقاق القمر، مرتين.

٧- وحدثنيه محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن قتادة، عن أنس. بمعنى حديث شيبان.

٨- وحدثنا محمد بن المثنى. حدثنا محمد بن جعفر وأبو داود. ح وحدثنا ابن بشار. حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وأبو داود. كلهم عن شعبة، عن قتادة، عن أنس. قال: انشق القمر فرقتين.

وفي حديث أبي داود: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٩- حدثنا موسى بن قريش التميمي. حدثنا إسحاق بن بكر بن مضر. حدثني أبي. حدثنا جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال: أن القمر انشق على زمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم...

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

* قوله باب انشقاق القمر، أي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل المعجزة له وقد ترجم بمعنى ذلك في علامات النبوة، قال: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر.
* قوله عن أنس زاد في الرواية التي في علامات النبوة أنه حدثهم (حدثني عبد الله بن محمد: حدثنا يونس: حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس بن مالك. وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر.)
- قوله أن أهل مكة هذا من مراسيل الصحابة لأن أنسا لم يدرك هذه القصة وقد جاءت هذه القصة من حديث بن عباس وهو أيضًا ممن لم يشاهدها ومن حديث بن مسعود وجبير بن مطعم وحذيفة وهؤلاء شاهدوها ولم أر في شيء من طرقه أن ذلك كأن عقب سؤال المشركين إلا في حديث أنس فلعله سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثم وجدت في بعض طرق حديث بن عباس بيان صورة السؤال وهو وأن كأن لم يدرك القصة لكن في بعض طرقه ما يشعر بأنه حمل الحديث عن بن مسعود كما سأذكره فاخرج أبو نعيم في الدلائل من وجه ضعيف عن بن عباس قال اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظرائهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق.
-قوله: شِقتين بكسر المعجمة أي نصفين وتقدم في العلامات من طريق سعيد وشيبأن عن قتادة بدون هذه اللفظة.
*وأخرجه مسلم من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة بلفظ فأراهم انشقاق القمر مرتين
وأخرجه من طريق معمر عن قتادة قال بمعنى حديث شيبان.. قلت وهو في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين أيضًا.. وكذلك أخرجه الإمامان أحمد وإسحاق في مسنديهما عن عبد الرزاق.. وقد اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين قال البيهقي قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه مرتين قلت لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم ولم يقع في شيء من طرق حديث بن مسعود بلفظ مرتين إنما فيه فرقتين أو فلقتين بالراء أو اللام وكذا في حديث بن عمر فلقتين وفي حديث جبير بن مطعم فرقتين وفي لفظ عنه فانشق باثنتين وفي رواية عن بن عباس عند أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين وفي لفظ شقتين وعند الطبراني من حديثه حتى رأوا شقيه ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل وانشق مرتين بالإجماع ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين..
وتكلم بن القيم على هذه الرواية فقال المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر ومن الثاني انشق القمر مرتين وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة وقد قال العماد بن كثير في الرواية التي فيها مرتين نظر ولعل قائلها أراد

فرقتين قلت وهذا الذي لا يتجه غيره جمعًا بين الروايات ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التأويل المذكور ولفظه فصار فرقتين فرقة علت وفرقة للطود منه نزلت وذاك مرتين بالإجماع والنص والتواتر السماع فجمع بين قوله فرقتين وبين قوله مرتين فيمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظرًا سيأتي بيانه.

-قوله حتى رأوا حِراء بينهما أي بين الفرقتين، وحِراء على يسار السائر من مكة إلى منى.

* قوله عن أبي حمزة بالمهملة والزاي هو محمد بن ميمون السكري المروزي قوله عن الأعمش عن إبراهيم وقع في رواية السرخسي والكشميهني في آخر الباب من وجه آخر عن الأعمش حدثنا إبراهيم قوله عن أبي معمر هذا هو المحفوظ ووقع في رواية سعد أن بن يحيى ويحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أخرجه بن مردويه ولأبي نعيم نحوه من طريق غريبة عن شعبة عن الأعمش والمحفوظ عن شعبة كما سيأتي في التفسير عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر وهو المشهور وقد أخرجه مسلم من طريق أخرى عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن بن عمر وسيأتي للمصنف معلقا أن مجاهدًا رواه عن أبي معمر عن بن مسعود فالله اعلم هل عند مجاهد فيه إسنادان أو قول من قال بن عمر وهم من أبي معمر.

* قوله عن عبد الله هو بن مسعود، قوله انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى في رواية مسلم من طريق علي بن مسهر عن الأعمش بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر وهذا لا يعارض قول أنس أن ذلك كأن بمكة لأنه لم يصرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم كأن ليلتئذ بمكة وعلى تقدير تصريحه فهي من جملة مكة فلا تعارض.. وقد وقع عند الطبراني من طريق زر بن حبيش عن بن مسعود قال انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين وهو محمول على ما ذكرته.. وكذا وقع في غير هذه الرواية وقد وقع عند بن مردويه بيأن المراد فاخرج من وجه آخر عن بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل أن نصير إلى المدينة فوضح أن مراده بذكر مكة الإشارة إلى أن ذلك وقع قبل الهجرة ويجوز أن ذلك وقع وهم ليلتئذ بمنى.

-قوله فقال: اشهدوا أي اضبطوا هذا القدر بالمشاهدة.. قوله وقال أبو الضحى الخ يحتمل أن يكون معطوفًا على قوله عن إبراهيم فأن أبا الضحى من شيوخ الأعمش فيكون للأعمش فيه إسنادان ويحتمل أن يكون معلقًا وهو المعتمد فقد وصله أبو داود الطيالسي عن أبي عوانة ورويناه في فوائد أبي طاهر الذهلي من وجه آخر عن أبي عوانة وأخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق هشيم كلاهما عن مغيرة عن أبي الضحى بهذا الإسناد بلفظ انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقالت كفار قريش: هذا سحر سحركم بن أبي كبشة، فانظروا إلى السفار فأن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق.. قال فما قدم عليهم أحد إلا أخبرهم بذلك... لفظ هشيم وعند أبي عوانة انشق القمر بمكة نحوه، وفيه فأن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

* قوله وتابعه محمد بن مسلم هو الطائفي وابن أبي نجيح اسمه عبد الله واسم أبيه بتحتانية ثم مهملة خفيفة ومراده انه تابع إبراهيم في روايته عن أبي معمر في قوله أن ذلك كأن بمكة لا في جميع سياق الحديث والجمع بين قول بن مسعود تارة بمنى وتارة بمكة إما باعتبار التعدد أن ثبت، وإما بالحمل على أنه كأن بمنى ومن قال أنه كأن بمكة لا ينافيه لأن من كأن بمنى كأن بمكة من غير عكس ويؤيده أن الرواية التي فيها بمنى قال فيها ونحن بمنى والرواية التي فيها بمكة لم يقل فيها ونحن وإنما قال انشق القمر بمكة يعني أن الانشقاق كأن وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة وبهذا يندفع دعوى الداودي أن بين الخبرين تضادًا والله أعلم... وابن أبي نجيح رواه عن مجاهد عن أبي معمر و هذه الطريق وصلها عبد الرزاق في مصنفه ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن بن عيينة ومحمد بن مسلم جميعًا عن بن أبي نجيح بهذا الإسناد بلفظ رأيت القمر منشقًا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء، والسويداء بالمهملة والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل.. وقول بن مسعود على أبي قبيس يحتمل أن يكون رآه كذلك وهو بمنى كأن يكون على مكان مرتفع بحيث رأى طرف جبل أبي قبيس ويحتمل أن يكون القمر استمر منشقًا حتى رجع بن مسعود من منى إلى مكة فرآه كذلك وفيه بعد، والذي يقتضيه غالب الروايات أن الانشقاق كأن قرب غروبه ويؤيد ذلك إسنادهم الرؤية إلى جهة الجبل ويحتمل أن يكون الانشقاق وقع أول طلوعه فأن في بعض الروايات أن ذلك كأن ليلة البدر أو التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لأن الغرض ثبوت رؤيته منشقًا إحدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين لأنه إذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلا صدق أنه بينهما وأي جبل آخر كأن من جهة يمينه أو يساره صدق انه عليه أيضا وسيأتي في تفسير سورة القمر من وجه آخر عن مجاهد بلفظ آخر وهو قوله انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " اشهدوا.. اشهدوا" وليس فيه تعيين مكان وأخرجه بن مردويه من رواية بن جريج عن مجاهد بلفظ آخر وهو قوله انشق القمر قال الله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر) يقول كما شققت القمر كذلك أقيم الساعة.

قوله في حديث بن عباس أن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أورده مختصرًا وعند أبي نعيم من وجه آخر انشق القمر فلقتين قال بن مسعود لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتي القمر وهذا يوافق الرواية الأولى في ذكر حراء وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر متمسكين بأن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء إلى غير ذلك من إنكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك وجواب هؤلاء أن كانوا كفارًا أن يناظروا أولاً على ثبوت دين الإسلام ثم يشركوا مع غيرهم ممن أنكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض ألزم التناقض ولا سبيل إلى إنكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة فيستلزم جواز وقوع ذلك معجزة لنبي الله صلى الله عليه وسلم وقد أجاب القدماء عن ذلك فقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القران: (أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق

القمر ولا إنكار للعقل فيه؛ لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث ويفنيه وأما قول بعضهم لو وقع لجاء متواترًا واشترك أهل الأرض في معرفته ولما اختص بها أهل مكة فجوابه أن ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام والأبواب مغلقة وقل من يراصد السماء إلا النادر وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد فكذلك الانشقاق كأن آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم وقال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجًا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر وقد أنكر ذلك بعضهم فقال لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب ونقل ما لم يعهد فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التيسير والتنجيم إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره والجواب عن ذلك أن هذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لأن القمر لا سلطان له بالنهار ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نيامًا ومستكنين بالأبنية والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ثم أبدى حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن بما حاصله أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الإفهام ولو كان إدراكها عامًا لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم. وذكر أبو نعيم في الدلائل نحو ما ذكره الخطابي، وزاد ولا سيما إذا وقعت الآية في بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر ويجتهدون في إطفاء نور الله.

قلت: وهو جيد بالنسبة إلى من سأل عن الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة وأما من سأل عن السبب في كون أهل التنجيم لم يذكروه فجوابه أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه وهذا كاف فإن الحجة فيمن أثبت لا فيمن يوجد عنه صريح النفي حتى أن من وجد عنه صريح النفي يقدم عليه من وجد منه صريح الاثبات.

وقال بن عبد البر: قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجمع الغفير إلى أن انتهى إلينا ويؤيد ذلك بالآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر، ثم أجاب بنحو جواب الخطابي وقال: وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين وأيضًا فإن زمن الانشقاق لم يطل ولم تتوفر الدواعي على الاعتناء بالنظر إليه ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق

مكة يسألون عن ذلك فجاءت السفار وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك، وذلك لأن المسافرين في الليل غالبًا يكونون سائرين في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك.
وقال القرطبي: الموانع من مشاهدة ذلك إذا لم يحصل القصد إليه غير منحصرة ويحتمل أن يكون الله صرف جميع أهل الأرض غير أهل مكة وما حولها عن الالتفات إلى القمر في تلك الساعة ليختص بمشاهدته أهل مكة كما اختصوا بمشاهدة أكثر الآيات ونقلوها إلى غيرهم اهـ. وفي كلامه نظر لأن أحدا لم ينقل أن أحدا من أهل الافاق غير أهل مكة ذكروا أنهم رصدوا القمر في تلك الليلة المعينة فلم يشاهدوا انشقاقه، فلو نقل ذلك لكان الجواب الذي أبداه القرطبي جيدًا، ولكن لم ينقل عن أحد من أهل الأرض شيء من ذلك، فالاقتصار حينئذ على الجواب الذي ذكره الخطابي ومن تبعه أوضح والله اعلم.
وأما الآية فالمراد بها قوله تعالى:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ *)(القمر:١) لكن ذهب بعض أهل العلم من القدماء أن المراد بقوله:(وانشق القمر) أي سينشق كما قال تعالى:(أتى أمر الله) أي سيأتي والنكتة في ذلك إرادة المبالغة في تحقق وقوع ذلك فنزل منزلة الواقع.. والذي ذهب إليه الجمهور أصح كما جزم به بن مسعود وحذيفة وغيرهما ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك:(وَأَن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ *)(القمر:٢) فإن ذلك ظاهر في أن المراد بقوله:(وانشق القمر) وقوع انشقاقه لأن لكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة. وإذا تبين أن قولهم ذلك إنما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وأنه المراد بالآية التي زعموا أنها سحر ووقع ذلك صريحًا في حديث بن مسعود كما بيناه قبل.
ونقل البيهقي في أوائل البعث والنشور عن الحليمي أن من الناس من يقول أن المارد بقوله تعالى:(وانشق القمر) أي سينشق. قال الحليمي: فإن كان كذلك فقد وقع في عصرنا فشاهدت الهلال ببخارى في الليلة الثالثة منشقًا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا فصار في شكل أترجة إلى أن غاب.. قال: وأخبرني بعض من أثق به أنه شاهد ذلك في ليلة أخرى اهـ. ولقد عجبت من البيهقي كيف أقر هذا مع إيراده حديث بن مسعود المصرح بأن المراد بقوله تعالى:(وانشق القمر) أن ذلك وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ساقه هكذا من طريق بن مسعود في هذه الآية:(اقتربت الساعة وانشق القمر) قال لقد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ساق حديث بن مسعود..
قال القاضي عياض:-وخرج الطحاوي ـ في مشكل الحديث، عن أسماء بنت عميس من طريقين ـ أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يوحي إليه، ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصليت يا علي؟ قال:لا. فقال: اللهم إنه كأن في طاعتك و طاعة رسولك فاردد عليه الشمس.
قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر. قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات.
-وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كأن يقول: لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم المتخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة.

-وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس.

قلت : قال الشيخ محمد بن أحمد القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية:

قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وأن أوهم القاضي عياض له في الشفا عن الطحاوي من طريقين، فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: إنه موضوع بلا شك وفي سنده أحمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب.، كما قال الدارقطني، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

قال ابن الجوزي: وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال: حديث باطل، قال: ومن تغفل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة، ولم يلمح عدم الفائدة فيها، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء..اهـ

وقد أفرد ابن تيمية تصنيفًا مفردًا في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وأنه موضوع، والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته، ناقلا ثبوته، موثقًا رجاله.. اهـ

وقال شيخنا ك قال أحمد: لا أصل له. وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات.. ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض، وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.. اهـ

ورواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن كما حكاه شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر، فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر عليّ ونام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال صلى الله عليه وسلم: " اللهم أن عبدك عليًا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس....قالت أسماء: فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، وقام عليّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت،وذلك بالصهباء.

وفي لفظ آخر: كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه، فأنزل الله عليه يوماً وهو في حجر عليّ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " صليت العصر يا عليّ؟" فقال: لا يا رسول الله... فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر..قالت أسماء: فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردت حتى صلى العصر.

قال: وروى الطبراني أيضاً في معجمه الأوسط بإسناد حسن عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار.

وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق، مما ذكره القاضي عياض: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء.. فلما كان ذلك اليوم أشرفت

قريش ينتظرون، وقد ولى النهار، ولم تجيء...فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس.اهـ
وهذا يعارضه قوله في الحديث: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون، يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة..فلما أدبرت الشمس خاف أن تعيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم، فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم.
قال الحافظ ابن كثير:فيه أن هذا كأن من خصائص يوشع، فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى عليّ بن أبي طالب...وقد صححه أحمد بن صالح المصري، ولكنه منكر.ليس في شيء من الصحاح والحسان.وهو مما تتوفر الدواعي على نقله، وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها.اهـ
ويحتمل الجمع: بأن المعنى لم تحبس الشمس على أحد من الأنبياء غيري إلا ليوشع... والله أعلم.
وكذا روي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم أيضاً يوم الخندق، حين شغل عن صلاة العصر، فيكون حبس الشمس مخصوصاً بنبينا r وبيوشع، كما ذكره القاضي عياض في الإكمال، وعزاه لمشكل الآثار، ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل الغنائم عن عياض، وكذا الحافظ ابن حجر في باب الأذان في تخريج أحاديث الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم، وذكروه..وتعقب: بأن الثابت في الصحيح وغيره: أنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في وقعة الخندق بعدما غربت الشمس.. وذكر البغوي في تفسيره أنها حبست لسليمان عليه السلام أيضاً، لقوله :(ردوها عليَّ) ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الآية.. فالمراد: الصافنات الجياد. والله أعلم.
قال القاضي عياض: واختلف في حبس الشمس المذكور هنا، فقيل: ردت على أدراجها، وقيل: وقفت ولم ترد، وقيل: بطء حركتها... قال: وكل ذلك من معجزات النبوة...اهـ...
وقفة مع ابن حجر العسقلاني
البخاري حدثنا محمد بن العلاء: حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن همام ابن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: أن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا).
قوله عن بن المبارك كذا في جميع الروايات لكن قال أبو نعيم في المستخرج أخرجه البخاري عن محمد بن العلاء عن بن المبارك أو غيره وهذا الشك إنما هو من أبي

نعيم فقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي يعلى عن محمد بن العلاء عن بن المبارك وحده به قوله غزا نبي من الأنبياء أي أراد أن يغزو وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وبين تسمية القرية كما سيأتي وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس... وأغرب بن بطال فقال في باب استئذان الرجل الإمام في هذا المعنى حديث لداود عليه الصلاة والسلام أنه قال في غزوة خرج إليها لا يتبعني من ملك بضع امرأة ولم يبن بها أو بنى دارًا ولم يسكنها ولم أقف على ما ذكره مسندًا لكن أخرج الخطيب في ذم النجوم له من طريق أبي حذيفة والبخاري في المبتدأ له بإسناد له عن علي قال سأل قوم يوشع منه أن يطلعهم على بدء الخلق وآجالهم فأراهم ذلك في ماء من غمامة أمطرها الله عليهم فكان أحدهم يعلم متى يموت فبقوا على ذلك إلى أن قاتلهم داود على الكفر فاخرجوا إلى داود من لم يحضر أجله فكان يقتل من أصحاب داود ولا يقتل منهم فشكى إلى الله ودعاه فحبست عليهم الشمس فزيد في النهار فاختلطت الزيادة بالليل والنهار فاختلط عليهم حسابهم قلت وإسناده ضعيف جدًا وحديث أبي هريرة المشار إليه عند أحمد أولى فإن رجال إسناده محتج بهم في الصحيح فالمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع ولا يعارضه ما ذكره بن إسحاق في المبتدأ من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه أن الله لما أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتى كاد الفجر أن يطلع وكأن وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر الطلوع حتى فرغ من أمر يوسف ففعل لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس فلا ينفي أن يحبس طلوع الفجر لغيره وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدة فو الله لا أدري أحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع ولا يعارضه أيضا ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في مغازي بن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر قريشًا صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وإنها تقدم مع شروق الشمس فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير وهذا منقطع لكن وقع في الأوسط للطبراني من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وإسناده حسن ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فلم تحبس الشمس إلا ليوشع وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وسلم دعا لما نام على ركبة علي ففاتته صلاة العصر فردت الشمس حتى صلى علي ثم غربت وهذا أبلغ في المعجزة وقد أخطأ بن الجوزي بإيراده له في الموضوعات وكذا بن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه والله أعلم...وأما ما حكى عياض أن الشمس ردت للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق لما شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر كذا قال وعزاه للطحاوي والذي رأيته في مشكل الآثار للطحاوي ما قدمت ذكره من حديث أسماء؛ فإن ثبت ما قال فهذه قصة ثالثة والله أعلم وجاء أيضًا أنها حبست لموسى لما حمل

تابوت يوسف كما تقدم قريبًا وجاء أيضًا أنها حبست لسليمان بن داود عليهما السلام وهو فيما ذكره الثعلبي ثم البغوي عن بن عباس قال: قال لي علي ما بلغك في قول الله تعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام ردوها علي فقلت قال لي كعب كانت أربعة عشر فرسًا عرضها فغابت الشمس قبل أن يصلي العصر فأمر بردها فضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يومًا لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي كذب كعب وإنما أراد سليمان جهاد عدوه فتشاغل بعرض الخيل حتى غابت الشمس فقال للملائكة الموكلين بالشمس بإذن الله لهم ردوها علي فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها وأن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم قلت أورد هذا الأثر جماعة ساكتين عليه جازمين بقولهم قال بن عباس قلت لعلي وهذا لا يثبت عن بن عباس ولا عن غيره والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومن بعدهم أن الضمير المؤنث في قوله ردوها للخيل والله أعلم قوله بضع امرأة بضم الموحدة وسكون المعجمة البضع يطلق على الفرج والتزويج والجماع والمعاني الثلاثة لائقة هنا ويطلق أيضًا على المهر وعلى الطلاق وقال الجوهري قال بن السكيت البضع النكاح يقال ملك فلان بضع فلانة قوله ولما يبن بها أي ولم يدخل عليها لكن التعبير بلما يشعر بتوقع ذلك قاله الزمخشري في قوله تعلى: (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ووقع في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عند النسائي وابن عوانة وابن حبان لا ينبغي لرجل بنى دارًا ولم يسكنها أو تزوج امرأة ولم يدخل بها وفي التقييد بعدم الدخول ما يفهم أن الأمر بعد الدخول بخلاف ذلك فلا يخفى فرق بين الأمرين وإن كان بعد الدخول ربما استمر تعلق القلب لكن ليس هو كما قبل الدخول غالبا قوله ولم يرفع سقوفها في صحيح مسلم ومسند أحمد ولما يرفع سقفها وهو بضم القاف والفاء لتوافق هذه الرواية ووهم من ضبط بالإسكان وتكلف في توجيه الضمير المؤنث للسقف قوله أو خلفات بفتح المعجمة وكسر اللام بعدها فاء خفيفة جمع خلفة وهي الحامل من النوق وقد يطلق على غير النوق وفي قوله غنمًا أو خلفات للتنويع ويكون قد حذف وصف الغنم بالحمل لدلالة الثاني عليه أو هو على إطلاقه لأن الغنم يقل صبرها فيخشى عليها الضياع بخلاف النوق فلا يخشى عليها إلا مع الحمل ويحتمل أن يكون قوله أو للشك أي هل قال غنمًا بغير صفة أو خلفات أي بصفة أنها حوامل كذا قال بعض الشراح والمعتمد أنها للتنويع فقد وقع في رواية أبي يعلى عن محمد بن العلاء ولا رجل له غنم أو بقر أو خلفات قوله وهو ينتظر ولادها بكسر الواو وهو مصدر ولد ولادًا وولادة قوله فغزا أي بمن تبعه ممن لم يتصف بتلك الصفة قوله فدنا من القرية هي أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ومهملة مع القصر سماها الحاكم في روايته عن كعب، وفي رواية مسلم فأدنى للقرية أي قرب جيوشه لها قوله فقال للشمس انك مأمورة في رواية سعيد بن المسيب فلقي العدو عند غيبوبة الشمس وبين الحاكم في روايته عن كعب سبب ذلك فإنه قال أنه وصل إلى القرية وقت عصر يوم الجمعة فكادت الشمس أن تغرب ويدخل الليل وبهذا يتبين معنى قوله وأنا مأمور والفرق بين المأمورين أن أمر الجمادات أمر تسخير وأمر العقلاء أمر تكليف وخطابه للشمس يحتمل أن يكون على حقيقته وأن الله تعالى خلق فيها تمييزًا وإدراكًا كما سيأتي

البحث فيه في الفتن في سجودها تحت العرش واستئذانها من أن تطلع ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل استحضاره في النفس لما تقرر أنه لا يمكن تحولها عن عادتها إلا بخرق العادة وهو نحو قول الشاعر:
شكى إلي جملي طول السرى
ومن ثم قال اللهم احبسها، ويؤيد الاحتمال الثاني أن في رواية سعيد بن المسيب فقال اللهم أنها مأمورة وإني مأمور فاحبسها علي حتى تقضي بيني وبينهم فحبسها الله عليه، قوله اللهم احبسها علينا في رواية أحمد اللهم احبسها علي شيئًا وهو منصوب نصب المصدر أي قدر ما تنقضي حاجتنا من فتح البلد قال عياض اختلف في حبس الشمس هنا فقيل ردت على أدراجها وقيل وقفت وقيل بطئت حركتها وكل ذلك محتمل، والثالث أرجح عند بن بطال وغيره ووقع في ترجمة هارون بن يوسف الرمادي أن ذلك كان في رابع عشر حزيران وحينئذ يكون النهار في غاية الطول قوله فحبست حتى فتح الله عليه.
في رواية أبي يعلى فواقع القوم فظفر قوله فجمع الغنائم فجاءت يعني النار في رواية عبد الرزاق عند أحمد ومسلم فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار زاد في رواية سعيد بن المسيب وكانوا إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار فتأكلها قوله فلم تطعمها أي لم تذق لها طعمًا وهو بطريق المبالغة قوله فقال أن فيكم غلولاً هو السرقة من الغنيمة كما تقدم قوله فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت فيه حذف يظهر من سياق الكلام أي فبايعوه فلزقت. قوله: فلزقت يد رجلين أو ثلاثة في رواية أبي يعلى فلزقت يد رجل أو رجلين وفي رواية سعيد بن المسيب رجلان بالجزم قال بن المنير جعل الله علامة الغلول إلزاق يد الغال وفيه تنبيه على أنها يد عليها حق يطلب أن يتخلص منه أو أنها يد ينبغي أن يضرب عليها ويحبس صاحبها حتى يؤدي الحق إلى الإمام وهو من جنس شهادة اليد على صاحبها يوم القيامة قوله فيكم الغلول زاد في رواية سعيد بن المسيب فقالا أجل غللنا قوله: فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم في رواية النسائي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك أن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمناها وتخفيفًا خففه عنا قوله رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا في رواية سعيد بن المسيب لما رأى من ضعفنا وفيه أشعار بأن إظهار العجز بين يدي الله تعالى يستوجب ثبوت الفضل وفيه اختصاص هذه الأمة بحل الغنيمة وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر وفيها نزل قوله تعالى: (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً)، فأحل الله لهم الغنيمة وقد ثبت ذلك في الصحيح من حديث بن عباس وقد قدمت في أوائل فرض الخمس أن أول غنيمة خمست غنيمة السرية التي خرج فيها عبد الله بن جحش وذلك قبل بدر بشهرين ويمكن الجمع بما ذكر بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أخر غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم بدر قال المهلب في هذا الحديث أن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء لأن من ملك بضع امرأة ولم يدخل بها أو دخل بها وكان على قرب من ذلك فإن قلبه متعلق بالرجوع إليها ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من الطاعة وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا وهو كما قال لكن تقدم ما يعكر على إلحاقه بما بعد الدخول وأن لم يطل بما قبله ويدل على التعميم في الأمور الدنيوية ما وقع في

رواية سعيد بن المسيب من الزيادة أو له حاجة في الرجوع وفيه أن الأمور المهمة لا ينبغي أن تفوض إلا لحازم فارغ البال لها لأن من له تعلق ربما ضعفت عزيمته وقلت رغبته في الطاعة والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح وإذا اجتمع قوي وفيه أن من مضى كانوا يغزون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول وقد من الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده فأحل لهم الغنيمة وستر عليهم الغلول فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول فلله الحمد على نعمه تترى ودخل في عموم أكل النار الغنيمة والسبى وفيه بعد لأن مقتضاه إهلاك الذرية ومن لم يقاتل من النساء ويمكن أن يستثنوا من ذلك ويلزم استثناؤهم من تحريم الغنائم عليهم ويؤيده إنهم كانت لهم عبيد وإماء فلو لم يجز لهم السبي لما كان لهم أرقاء ويشكل على الحصر أنه كان السارق يسترق كما في قصة يوسف ولم أر من صرح بذلك وفيه معاقبة الجماعة بفعل سفهائها وفيه أن أحكام الأنبياء قد تكون بحسب الأمر الباطن كما في هذه القصة وقد تكون بحسب الأمر الظاهر كما في حديث إنكم تختصمون إلي الحديث واستدل به بن بطال على جواز إحراق أموال المشركين وتعقب بأن ذلك كان في تلك الشريعة وقد نسخ بحل الغنائم لهذه الأمة وأجيب عنه بأنه لا يخفى عليه ذلك ولكنه استنبط من إحراق الغنيمة بأكل النار جواز إحراق أموات الكفار إذا لم يوجد السبيل إلى أخذها غنيمة وهو ظاهر لأن هذا القدر لم يرد التصريح بنسخه فهو محتمل على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخه واستدل به أيضًا على أن قتال آخر النهار أفضل من أوله وفيه نظر لأن ذلك في هذه القصة إنما وقع اتفاقا كما تقدم نعم في قصة النعمان بن مقرن مع المغيرة بن شعبة في قتال الفرس التصريح باستحباب القتال حين تزول الشمس وتهب الرياح فالاستدلال به يغنى عن هذا.

الفصل الثاني عشر:

في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره بركة

-أما الأحاديث في هذا فكثيرة جداً.

-روى حديث نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة، منهم أنس، وجابر، وابن مسعود:

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه، حدثنا القاضي عيسى بن سهل، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو عمر بن الفخار، حدثنا أبو عيسى، حدثنا يحيى، حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، و حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، و أمر الناس أن يتوضئوا منه.

قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ حتى توضئوا من عند آخرهم.

-ورواه أيضاً ـ عن أنس ـ قتادة، و قال: بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر. ـ قال: كم كنتم؟ قال: كنا زهاء ثلاثمائة.

-وفي رواية عنه: و هم بالزوراء عند السوق.
-ورواه أيضاً حميد، و ثابت و الحسن، عن أنس.
-وفي رواية حميد: قلت: كم كانوا؟ قال: ثمانين.
-ونحوه عن ثابت عنه.
-وعنه أيضاً: وهم نحو من سبعين رجلاً.
قلت: متفق عليه.
*رواه البخاري في كتاب الوضوء باب التماس الماء إذا حضرت الصلاة
حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، حتى توضئوا من عند آخرهم.
*ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
١_ وحدثني أبو الربيع، سليمان بن داود العتكي. حدثنا حماد (يعني ابن زيد). حدثنا ثابت عن أنس؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بماء فأتي بقدح رحراح. فجعل القوم يتوضئون. فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين. قال: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه.
٢_ وحدثني إسحاق بن موسى الأنصاري. حدثنا معن. حدثنا مالك. ح وحدثني أبو الطاهر. أخبرنا ابن وهب عن مالك بن أنس، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك؛ أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه. فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده. وأمر الناس أن يتوضئوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه. فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم.
٣ حدثني أبو غسان المسمعي. حدثنا معاذ (يعني ابن هشام). حدثني أبي عن قتادة. حدثنا أنس بن مالك؛ أن نبي الله وأصحابه بالزوراء (قال: والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمه) دعا بقدح فيه ماء. فوضع كفه فيه. فجعل ينبع من بين أصابعه. فتوضأ جميع أصحابه. قال قلت: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة.
٤_ وحدثنا محمد بن المثنى. حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس؛ أن النبي كان بالزوراء. فأتي بإناء ماء لا يغمر أصابعه. أو قدر ما يواري أصابعه. ثم ذكر نحو حديث هشام.
وأما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: اطلبوا من معه فضل ماء، فأتى بماء فصبه في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: رواه البخاري في كتاب المناقب، حدثني محمد بن المثنى: حدثنا أبو أحمد الزبيري: حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال:
كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء، فقال:(اطلبوا فضلة من ماء). فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال:(حي على الطهور المبارك، والبركة من الله). فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.
-وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر رضي الله عنه: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.
وفيه: فقلت: كم كنتم؟ قالوا: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.
-وروي مثله عن أنس، عن جابر، وفيه أنه كأن بالحديبية.
قلت: رواه البخاري في كتاب المناقب١ وفي كتاب المغازي ٢ قال:
١-حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا عبد العزيز بن مسلم: حدثنا حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد اله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال:(ما لكم). قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.
٢-حدثنا يوسف بن عيسى: حدثنا ابن فضيل: حدثنا حصين، عن سالم، عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما لكم). قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، قال: فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة
- حدثنا الصلت بن محمد: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول: كانوا أربع عشرة مائة، فقال لي سعيد: حدثني جابر: كانوا خمس عشرة مائة، الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية. قال أبو داود: حدثنا قرة، عن قتادة. تابعه بن بشار: حدثنا أبو داود: حدثنا شعبة.
وأخرج مسلم طرفه الأخير في كتاب الإمارة قال:
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير. قالا: حدثنا عبد الله بن إدريس. ح وحدثنا رفاعة بن الهيثم. حدثنا خالد (يعني الطحان). كلاهما يقول: عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر. قال:لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة.

-وفي رواية الوليد بن عبادة الصامت عن جابر، في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط، قال:
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر، ناد الوضوء... و ذكر الحديث بطوله، وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال: ناد بجفنة الركب، فأتيت بها، فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة، وفرق أصابعه، وصب جابر عليه، وقال: بسم الله، كما أمره صلى الله عليه وسلم، قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت، وأمر الناس بالإستقاء، فاستقوا حتى رووا. فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملائ.
قلت: الطرف الذي أشار إليه من الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، هو:
قال جابر: ــ فأتينا العسكر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا جابر! ناد بوضوء" فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال، قلت: يا رسول الله! ما وجدت في الركب من قطرة. وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء، في أشجاب له، على حمارة من جريد. قال فقال لي: "انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شئ؟" قال فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها. لو أني أفرغه لشربه يابسه. قال: "اذهب فأتني به" فأتيته به. فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو. ويغمزه بيديه. ثم أعطانيه فقال: "يا جابر! ناد بجفنة" فقلت: يا جفنة الركب! فأتيت بها تحمل. فوضعتها بين يديه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا. فبسطها وفرق بين أصابعه. ثم وضعها في قعر الجفنة. وقال "خذ. يا جابر! فصب علي. وقل: باسم الله"، فصببت عليه وقلت: باسم الله. فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت. فقال: "يا جابر! ناد من كأن له حاجة بماء" قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا. قال فقلت: هل بقي أحد له حاجة. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى....
-وعن الشعبي: أتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة ماء، وقيل: ما معنا يا رسول الله ماء غيرها، فسكبها في ركوة، ووضع إصبعه وسطها، وغمسها في الماء، وجعل الناس يجيئون ويتوضئون ثم يقومون.
قال الترمذي وفي الباب، عن عمران بن حصين...
قلت: قول الترمذي هذا أورده بعد حديث أنس حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري حدثنا معن حدثنا مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضئوا منه.. قال فرأيت

الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم قال أبو عيسى وفي الباب عن عمران بن حصين وبن مسعود وجابر وزياد بن الحارث الصدائي وحديث أنس حديث حسن صحيح..
قال القاضي عياض- ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به، لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه، لما جبلت عليه النفوس من ذلك، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد رووا هذا، وأشاعوه، ونسبوا حضور الجماء الغفير له، ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوا وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له.
الفصل الثالث عشر:
ومما يشبه هذا من معجزاته.
ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته، وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك، وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه، وأعاده فيها، فجرت بماء كثير، فاستقى الناس.
-قال - في حديث ابن إسحاق: فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق. ثم قال: يوشك يا معاذ، أن طالت بك حياة أن ترى ها هنا قد مليء جناناً.
قلت: حديث الموطأ رواه مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر؛ وهو:
* وحدثني عن مالك عن أبي الزبير المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال فأخر الصلاة يومًا ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعًا ثم قال: إنكم ستأتون غدًا أن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي... فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين تبض بشيء من ماء؛ فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل مسستما من مائها شيئا؟ فقالا نعم.. فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهما ما شاء الله أن يقول؛ ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً، قليلاً حتى اجتمع في شيء.. ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فأستقى الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك يا معاذ أن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا"..
ورواه مسلم في كتاب الفضائل قال:حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. حدثنا أبو علي الحنفي. حدثنا مالك (وهو ابن أنس) عن أبي الزبير المكي؛ أن أبا الطفيل عامر بن واثلة أخبره. أن معاذ بن جبل أخبره.
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك. فكان يجمع الصلاة. فصلى الظهر والعصر جميعًا. والمغرب والعشاء جميعًا. حتى إذا كان يومًا أخر الصلاة. ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا. ثم دخل ثم خرج بعد ذلك. فصلى

المغرب والعشاء جميعًا. ثم قال: "إنكم ستأتون غدًا، إن شاء الله، عين تبوك. وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار. فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي" فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان. والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء. قال فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل مسستما من مائها شيئًا؟" قالا: نعم. فسبهما النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً، قليلاً. حتى اجتمع في شيء. قال وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ووجهه. ثم أعاده فيها. فجرت العين بماء منهمر. أو قال غزير - شك أبو علي أيهما قال - حتى استقى الناس. ثم قال: "يوشك يا معاذ! أن طالت بك حياة، أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا".

-وفي حديث البراء، ومسلمة بن الأكوع - وحديثه أتم - في قصة الحديبية، وهم أربع عشرة مائة، وبئرها لا تروي خمسين شاة، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها.

قال البراء، و أتي بدلو منها، فبصق فدعا.

وقال سلمة: فإما دعا، وإما بصق فيها، فجاشت، فأرووا أنفسهم وركابهم.

-وفي غير هاتين الروايتين - في هذه القصة - من طريق ابن شهاب، في الحديبية: فأخرج سهماً من كنانته، فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء؟ فروي الناس حتى ضربوا بعطن.

قلت: حديث البراء، رواه البخاري في كتاب المناقب قال:

حدثنا مالك بن إسماعيل: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال:

كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء، فمضمض ومج في البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا، وروت أو صدرت ركائبنا.

وفي كتاب المغازي قال:

١- حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كأن فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

٢- حدثني فضل بن يعقوب: حدثنا الحسن بن محمد بن أعين أبو علي الحراني: حدثنا زهير: حدثنا أبو إسحاق قال: أنبانا البراء بن عازب رضي الله عنهما: أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ألفا وأربعمائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى البئر وقعد على شفيرها، ثم قال:(ائتوني بدلو من مائها). فأتي به، فبصق فدعا ثم قال:(دعوها ساعة). فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا.

قال ابن حجر: والحديبية بئر يشير إلى أن المكان المعروف بالحديبية سمى ببئر كانت هنالك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك... قوله فنزحناها كذا للأكثر ووقع في شرح بن التين فنزفناها بالفاء بدل الحاء المهملة قال والنزف والنزح واحد وهو أخذ الماء شيئا بعد شيء إلى أن لا يبقى منه شيء قوله فلم نترك فيها قطرة في رواية فوجدنا الناس قد نزحوها قوله فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء في رواية زهير ثم قال: ائتوني بدلو من مائها قوله ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد في رواية زهير فبصق فدعا ثم قال دعوها ساعة قوله ثم أنها أصدرتنا (أي رجعتنا) يعني أنهم رجعوا عنها وقد رووا وفي رواية زهير فأرووا أنفسهم وركابهم والركاب الإبل التي يسار عليها...

أما الحديث الذي ورد فيه فأخرج سهماً من كنانته: فرواه البخاري. في كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط. قال:

- حدثني عبد الله بن محمد: حدثنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر قال: أخبرني الزهري قال: أخبري عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية، حتى كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أن خالد بن الوليد بالغميم، في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين). فو الله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا خلأت القصواء، هلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل). ثم قال:(والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها). ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضًا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فو الله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.(الحديث).

وأخرجه أحمد في المسند قال:... حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضًا فلم يلبثه الناس أن نزحوه فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يج حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضًا فلم يلبثه الناس أن نزحوه فشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه قال فو الله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه علوه فيه قال فو الله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

وقال ابن أبي شيبة: وهذه من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في تكثير المياه ونبعها من الأرض والأشياء ومن بين أصابعه.... قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أترون أن نمضي لوجهنا، ومن صدنا عن البيت قاتلناه، ألم ترون أن نخالف هؤلاء إلى من تركوا وراءهم، فإن أتبعنا منهم عنق قطعة الله، قالوا: يا رسول الله!

الأمر أمرك، والرأي رأيك.. فتيامنوا في هذا الفعل، فلم يشعر به خالد ولا الخيل التي معه حتى جاوز بهم فترة الجيش وأوفت به ناقته على ثنية تهبط على غائط القوم يقال له بلدح، فبركت فقال: حل حل، فلم تنبعث، فقالوا: خلات القصواء، قال: إنها والله ما خلات، ولا هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، أنا والله لا يدعوني اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمة ولا يدعوني فيها إلى صلة إلا أجبتهم إليها)، ثم زجرها فوثبت، فرجع من حيث جاء عوده على بدئه، حتى نزل بالناس على ثمد من ثماد الحديبية ظنون قليل الماء يتربض الناس ماءها تبرضًا، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الماء، فانتزع سهما من كنانته فأمر رجلاً فغرزه في جوف القليب، فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن..

-وعن أبي قتادة ـ وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره، فدعا بالميضأة فجعلها في ضَبْنِه، ثم التقم فمها، فالله أعلم ـ نفث فيها أم لا، فشرب الناس حتى رووا وملئوا كل إناء معهم، فخيل إلي أنها كما أخذها مني، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً.

-وروى مثله عمران بن حصين.

-وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح ـ وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممداً لأهل مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء:

وذكر حديثاً طويلاً فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد.

وذكر حديث الميضأة، قال: والقوم زهاء ثلاثمائة.

وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة: احفظ علي ميضأتك، فإنه سيكون لها نبأ.. و ذكر نحوه.

قلت: رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة قال:

*وحدثنا شيبان بن فروخ. حدثنا سليمان (يعني ابن المغيرة) حدثنا ثابت عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة؛ قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

"إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم. وتأتون الماء، إن شاء الله، غدًا". فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد. قال أبو قتادة: فبينما صلى الله عليه وسلم يسير حتى إبهار الليل وأنا إلى جنبه. قال: فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمال عن راحلته. فأتيته فدعمته. من غير أن أوقظه. حتى اعتدل على راحلته. قال ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته. قال فدعمته من غير أن أوقظه. حتى اعتدل على راحلته. قال ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة. هي أشد من الميلتين الأوليين. حتى كاد ينجفل. فأتيته فدعمته. فرفع رأسه فقال: "من هذا " قلت: أبو قتادة. قال: "متى كان هذا مسيرك منى؟" قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة. قال: "حفظك الله بما حفظت به نبيه" ثم قال: "هل ترانا نخفى على الناس؟" ثم قال: "هل ترى من أحد؟" قلت: هذا راكب. ثم قلت: هذا راكب آخر. حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب. قال فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق. فوضع رأسه. ثم قال: "احفظوا علينا صلاتنا". فكأن أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره. قال فقمنا فزعين. ثم قال: "اركبوا" فركبنا. فسرنا. حتى إذا ارتفعت الشمس نزل. ثم دعا

بميضأة كانت معي فيها شئ من ماء. قال فتوضأنا منها وضوءا دون وضوء. قال وبقي فيها شئ من ماء. ثم قال لأبى قتادة: "احفظ علينا ميضأتك. فسيكون لها نبأ"، ثم أذن بلال بالصلاة. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين. ثم صلى الغداة فصنع كما كأن يصنع كل يوم. قال وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبنا معه. قال فجعل بعضنا يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال: "أما لكم في أسوة؟ "ثم قال: ليس في النوم تفريط. إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى. فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها. فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها" ثم قال: "ما ترون الناس صنعوا؟" قال: ثم قال: "أصبح الناس فقدوا نبيهم. فقال أبو بكر وعمر: رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم. لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم. فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا".

قال فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شئ. وهم يقولون: يا رسول الله! هلكنا. عطشنا. فقال: "لا هلك عليكم" ثم قال: "أطلقوا لي غمري" قال ودعا بالميضأة. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم. فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحسنوا الملأ. كلكم سيروى"، قال ففعلوا. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم. حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "اشرب". فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله! قال: "أن ساقي القوم آخرهم شربًا" قال فشربت. وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فأتي الناس الماء جامين رواء.

قال فقال عبد الله بن رباح: إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع. إذا قال عمران بن حصين: انظر أيها الفتى كيف تحدث. فإني أحد الركب تلك الليلة. قال قلت: فأنت أعلم بالحديث. فقال: ممن أنت؟ قلت: من الأنصار. قال: حدث فأنتم أعلم بحديثكم. قال فحدثت القوم. فقال عمران: لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحدًا حفظه كما حفظته.

-ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم، فوجه رجلين من أصحابه، وأعلمهما أنهما يجدان امرأةً بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان... الحديث، فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل في إناء من مزادتيها، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين، ثم فتحت عزاليهما، وأمر الناس فملئوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملئوه.

قال عمران: و تخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاءً، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها. وقال: اذهبي، فإنا لم نأخذ من مائك شيئاً، و لكن الله سقانا... الحديث بطوله.

قلت: رواه الشيخان، وهو عند مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة قال:

وحدثني أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي. حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد. حدثنا سلم بن زرير العطاردي. قال: سمعت أبا رجاء العطاردي عن عمران بن حصين. قال:

كنت مع نبي الله صلى الله عليه وسلم في مسير له. فأدلجنا ليلتنا. حتى إذا كان في وجه الصبح عرسنا. فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس. قال فكان أول من استيقظ منا أبو بكر. وكنا لا نوقظ نبي الله صلى الله عليه وسلم من منامه إذا نام حتى يستيقظ. ثم استيقظ عمر. فقام عند نبي الله صلى الله عليه وسلم. فجعل يكبر ويرفع صوته بالتكبير. حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال: " ارتحلوا " فسار بنا. حتى إذا ابيضت الشمس نزل فصلى بنا الغداة. فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا. فلما انصرف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا فلان! ما منعك أن تصلي معنا؟ " قال: يا نبي الله! أصابتني جنابة. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فتيمم بالصعيد. فصلى. ثم عجلني، في ركب بين يديه، نطلب الماء. وقد عطشنا عطشًا شديدًا. فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين. فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: أيهاه. أيهاه. لا ماء لكم. قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة. قلنا: انطلقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئا حتى انطلقنا بها. فاستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا. وأخبرته أنها موتمة. لها صبيان أيتام. فأمر براويتها. فأنيخت. فمج في العزلاوين العلياوين. ثم بعث براويتها. فشربنا. ونحن أربعون رجلا عطاش. حتى روينا. وملأنا كل قربة معنا وإداوة. وغسلنا صاحبنا. غير أنا لم نسق بعيرًا. وهي تكاد تنضرج من الماء (يعني المزادتين) ثم قال: "هاتوا ما كأن عندكم" فجمعنا لها من كسر وتمر. وصر لها صرة. فقال لها: "اذهبي فأطعمي هذا عيالك. واعلمي أنا لم نرزأ من مائك". فلما أتت أهلها قالت: لقد لقيت أسحر البشر. أو إنه لنبي كما زعم. كأن من أمره ذيت وذيت. فهدي الله ذاك الصرم بتلك المرأة. فأسلمت وأسلموا.

- ورواه البيهقي في باب التطهر في أواني المشركين إذا لم يعلم نجاسة قال:

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشر أن رحمه الله تعالى ببغداد أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق أنبأ معمر عن عوف عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين قال سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر هو وأصحابه فأصابه عطش شديد فأقبل رجلان من أصحابه أحسبه عليًا والزبير أو غيرهما قال إنكما ستجدان بمكان كذا وكذا امرأة معها بعير عليه مزادتان فأتياني بها فأتيا المرأة فوجداها قد ركبت بين مزادتين على البعير فقالا أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ومن رسول الله هذا الصابي. قالا: هو الذي تعنين وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فجاءا بها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها ثم قال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم أمر بعزلاء المزادتين ففتحت ثم أمر الناس فملئوا آنيتهم وأسقيتهم فلم يدعوا يومئذ إناء ولا سقاء إلا ملئوه قال عمران فكان يخيل إلي أنها لم تزدد إلا امتلاء قال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بثوبها فبسطت ثم أمر أصحابه فجاءوا من زادهم حتى ملئوا لها ثوبها ثم قال لها: اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئًا ولكن الله سقانا... قال فجاءت أهلها فأخبرتهم فقالت جئتكم من أسحر الناس أو إنه لرسول الله حقا قال فجاء أهل ذلك الحواء حتى أسلموا كلهم.

مخرج في الصحيحين من حديث عوف بن أبي جميلة وفيه فكان آخر ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء فقال اذهب فأفرغه عليك وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها.

-وعن سلمة بن الأكوع: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: هل من وضوء؟ فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا نُدَغْفِقُه دغْفقةً أربع عشرة مائة... الحديث بطوله .

قلت: رواه مسلم عن إياس بن سلمة عن أبيه؛ في كتاب اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت، والمؤاساة فيها؛ قال:

حدثني أحمد بن يوسف الأزدي. حدثنا النضر(يعني ابن محمد اليمامي). حدثنا عكرمة(وهو ابن عمار). حدثنا إياس بن سلمة عن أبيه، قال:

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة. فأصابنا جهد. حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا. فأمر نبي الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا مزاودنا. فبسطنا له نطعا. فاجتمع زاد القوم على النطع. قال: فتطاولت لأحرزه كم هو؟ فحزرته كربضة العنز. ونحن أربع عشرة مائة. قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعًا. ثم حشونا جربنا. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم (فهل من وضوء؟) قال: فجاء رجل بإداوة له، فيها نطفة. فأفرغها في قدح. فتوضأنا كلنا. ندغفقه دغفقة. أربع عشرة مائة.

قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرغ الوضوء).

ورواه ابن خزيمة في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، باب إباحة الوضوء من فضل وضوء المتوضىء؛ قال:

أخبرنا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أخبرنا عَبِيدَةُ بْنُ حُمَيْدٍ، أخبرنا الأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ نُبَيْحٍ الْعَنَزِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَمَا فِي الْقَوْمِ طَهُورٌ؟ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ بِفَضْلِ مَاءٍ فِي إِدَاوَةٍ، قَالَ: فَصَبَّهُ فِي قَدَحٍ فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ثُمَّ أن الْقَوْمَ أَتَوْا بَقِيَّةَ الطَّهُورِ، فَقَالَ: تَمَسَّحُوا بِهِ، فَسَمِعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكُمْ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ فِي الْقَدَحِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: أَسْبِغُوا الطُّهُورَ، فَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَالَّذِي أَذْهَبَ بَصَرِي، قَالَ: (وَكَان قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ) لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يَرْفَعْ يَدَهُ حَتَّى تَوَضَّئُوا أَجْمَعُونَ قَالَ عَبِيدَةُ: قَالَ الأَسْوَدُ: حَسِبْتُهُ قَالَ: كُنَّا مِائَتَيْنِ أَوْ زِيَادَةً.

-وفي حديث عمر ـ في جيش العسرة: وذكر ما أصابهم من العطش، حتى أن الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت، فملئوا ما معهم من آنية، ولم تجاوز العسكر.

قلت: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه باب ذكر الدليل على أن الماء إذا خالطه فرث ما يؤكل لحمه لم ينجس.

ـ أخبرنا أبو طاهر نا أبو بكر نا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا من شأن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى أن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا فادع لنا..فقال: أتحب ذلك؟ قال نعم.. فرفع يده فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فملئوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر... قال أبو بكر فلو كان ماء الفرث إذا عصر نجسًا لم يجز للمرء أن يجعله على كبده فينجس بعض بدنه وهو غير واجد لماء طاهر يغسل موضع النجس منه، فأما شرب الماء النجس عند خوف التلف إن لم يشرب ذلك الماء فجائز إحياء النفس بشرب ماء نجس إذ الله عز وجل قد أباح عند الاضطرار إحياء النفس بأكل الميتة والدم ولحم الخنزير إذا خيف التلف إن لم يأكل ذلك والميتة والدم ولحم الخنزير نجس محرم على المستغني عنه مباح للمضطر إليه لإحياء النفس بأكله فكذلك جائز للمضطر إلى الماء النجس أن يحيي نفسه بشرب ماء نجس إذا خاف التلف على نفسه بترك شربه فأما أن يجعل ماء نجسًا على بعض بدنه والعلم محيط أنه أن لم يجعل ذلك الماء النجس على بدنه لم يخفف التلف على نفسه ولا كان في إمساس ذلك الماء النجس بعض بدنه إحياء نفسه بذلك ولا عنده ماء طاهر يغسل ما نجس من بدنه بذلك الماء فهذا غير جائز ولا واسع لأحد فعله.

ورواه ابن سعد في طبقات...ومنه:

أن الرجلين والثلاثة كانوا يتعاقبون على بعير واحد وأصابهم عطش شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها.

-وعن عمر بن شعيب ـ أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو رديفه بذي المجاز: عطشت وليس عندي ماء، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم، وضرب بقدمه الأرض، فخرج الماء، فقال: اشرب.

والحديث في هذا الباب كثير، ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه.

قلت: أشار القاضي عياض رحمه الله إلى الحديث المتفق عليه والذي رواه البخاري في كتاب الاستسقاء باب: الاستسقاء في المسجد الجامع.قال:

* حدثنا محمد قال: أخبرنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال:حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي نمر: أنه سمع أنس بن مالك يذكر:

أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال:(اللهم اسقينا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا). قال أنس: لا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم

أمطرت. قال: والله ما رأينا الشمس سبتًا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال:(اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال، والآجام والظراب، والأودية ومنابت الشجر). قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس.
قال شريك: فسألت أنسًا: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري.
وفي باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة.
* حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن شريك، عن أنس بن مالك:
أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال:(اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا). قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال:(اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر). قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس.
قال شريك: فسألت أنسًا بن مالك: أهو الرجل الأول؟ فقال: لا أدري.
وفي باب: الاستسقاء على المنبر.
* حدثنا مسدد قال: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أنس قال:
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، إذا جاءه رجل فقال: يا رسول الله، قحط المطر، فادع الله أن يسقينا. فدعا، فمطرنا، فما كدنا أن نصل إلى منازلنا، فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة. قال: فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يصرفه عنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اللهم حولينا ولا علينا). قال: فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينًا وشمالاً، يمطرون ولا يمطر أهل المدينة.
وأخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء.قال:
* حدثنا يحيى بن يحيى ويحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر(قال يحيى: أخبرنا. وقال الآخرون: حدثنا إسماعل بن جعفر) عن شريك بن أبي نمر، عن أنس بن مالك
أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة. من باب كأن نحو دار القضاء. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب. فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا. ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل. فادع الله يغثنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه. ثم قال: " اللهم أغثنا... اللهم أغثنا... اللهم أغثنا ". قال أنس: ولا والله! ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة. وما بيننا وبين سلع من بيت

ولا دار. قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس. فلما توسطت السماء انتشرت. ثم أمطرت. قال: فلا والله! ما رأينا الشمس ستًا. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب. فاستقبله قائمًا. فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل. فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه. ثم قال: "اللهم حولنا ولا علينا... اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر" فانقلعت. وخرجنا نمشى في الشمس. قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدرى.

* وحدثنا داود بن رشيد. حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك. قال: أصابت الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على المنبر يوم الجمعة. إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله! هلك المال وجاع العيال. وساق الحديث بمعناه. وفيه قال: "اللهم حوالينا ولا علينا" قال: فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت. حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة. وسال وادي قناة شهرًا. ولم يجيء أحدًا من ناحية إلا أخبر بجود.

* وحدثني عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن أبي بكر المقدمي. قالا: حدثنا معتمر. حدثنا عبيد الله عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك. قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة. فقام إليه الناس فصاحوا. وقالوا: يا نبي الله! قحط المطر، واحمر الشجر، وهلكت البهائم وساق الحديث. وفيه من رواية عبد الأعلى: فتقشعت عن المدينة. فجعلت تمطر حواليها. وما تمطر بالمدينة قطرة. فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الأكليل.

* وحدثناه أبو كريب. حدثنا أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، بنحوه. وزاد: فألف الله بين السحاب. ومكثنا حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه أن يأتي أهله.

* وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي. حدثنا ابن وهب.حدثني أسامة؛ أن حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك حدثه؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول:

جاء إعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، وهو على المنبر وإقتص الحديث. وزاد: فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين تطوى.

* وحدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني، عن أنس. قال: قال أنس: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر. قال: فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه. حتى أصابه من المطر. فقلنا: يا رسول الله! لم صنعت هذا؟ قال: "لأنه حديث عهد بربه تعالى".

----

٢١. البرق بين العلم الحديث والكلام النبوي الشريف

البرق بين العلم الحديث والكلام النبوي الشريف

Lightning Between Science and Prophet Speech

بقلم المهندس عبد الدائم الكحيل

ملخص البحث

يتضمن هذا البحث كشفاً جديداً في الإعجاز العلمي في السنَّة النبويَّة المطهَّرة، وذلك في حديث المرور على الصراط يوم القيامة، فأسرعُ الناس يمرّ كالبرق، وآخرهم يزحف زحفاً. هذا الحديث الشريف ينطوي على معجزة علمية في قول الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟) [رواه مسلم]. ومن خلال البحث في المعنى اللغوي الذي يحمله هذا الحديث العظيم، ومقارنة ذلك بآخر ما وصل إليه العلم في مجال هندسة البرق، تبيَّن لنا التطابق التام والكامل بين الكلام النبوي الشريف، وبين ما كشفه العلماء مؤخراً من عمليات معقدة ودقيقة جداً تحدث في ومضة البرق.

فقد بينت التجارب الجديدة أن أي ومضة برق ليست مستمرة كما نراها، بل تتألف من عدة أطوار، أهمها طور المرور وطور الرجوع، أي ما يسميه العلماء اليوم بـ "القائد المارّ" Stepped Leaderوهو الشعاع الذي يمر ويخطو من الغيمة باتجاه الأرض، و"الضربة الراجعة" Return Strokeوهي الشرارة التي ترجع باتجاه الغيمة. أي أن شعاع البرق يمرّ ثم يرجع خلال زمن غير مدرك بالعين، وهذا الزمن يقدر وسطياً بعشرات الأجزاء من الألف من الثانية.

وفي هذا البحث سوف نرى بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد تحدّث بدقة بالغة عن هذه الأطوار والمراحل بل وحدَّد زمنها أيضاً! وكلّ هذا في ما لا يتجاوز عدة كلمات، بل إن الحديث الذي سنتناوله بالدراسة والتحليل العلمي، يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من تحدَّث عن سرعة البرق بوضوح كامل، وهو أول من تحدَّث عن الآلية الهندسية الدقيقة للعمليات الفيزيائية التي تحدث في البرق، وأول من حدّد زمن هذه العمليات التي لا تدركها أعيننا.

مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بنعمة الإيمان، ومنَّ علينا بهذا النبي الكريم عليه وعلى آله الصلاة والسلام وبعد:

فإن الحديث عن ظاهرة البرق ظل مرتبطاً بالخرافات والأساطير لآلاف السنين، وفي الزمن الذي عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي في القرن السابع الميلادي لم يكن لأحد علم بالعمليات الدقيقة التي تحدث داخل البرق. ولكن الذي لا ينطق عن الهوى والذي أرسله الله رحمة للعالمين حدثنا عن هذه العمليات بكلمات قليلة في قوله عليه الصلاة والسلام: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟) [رواه مسلم]. ففي هذه الكلمات معجزة علمية شديدة الوضوح، خصوصاً إذا علمنا أن العلماء يستخدمون نفس الكلمة النبوية من خلال تعبيرهم عن طوري المرور والرجوع، وأن هذين الطورين يستغرقان مدة من الزمن تساوي تماماً الزمن اللازم لطرفة العين!

لقد بدأتُ بتأمل الحديث الشريف، وبدأتُ معه رحلة في عالم المكتشفات العلمية وآخر ما توصل إليه العلماء من حقائق يقينية ثابتة حول هذه الظاهرة الجميلة والمخيفة. هذه الظاهرة ظلّت مستعصية الفهم أمام العلماء لقرون طويلة، وبالرغم من التطور العلمي والتقني الذي نراه اليوم، إلا أن الآلية الدقيقة لحدوث البرق لم تزل غامضة

(١). ولكن في السنوات القليلة الماضية استطاع العلماء فهم الخطوط العريضة لهندسة البرق والعمليات الفيزيائية الأساسية التي تحدث خلاله.
ومن خلال هذا البحث سوف نثبت أن الإنسان لا يمكنه أبداً أن يلاحظ بالعين المجردة هذه الأطوار، والسبب هو أن الزمن اللازم لكل طور يقاس بأجزاء من الألف من الثانية، وبالطبع لا تستطيع العين أن تحلّل المعلومات القادمة إليها خلال زمن كهذا، وهذا يثبت أن الرسول الكريم يحدثنا عن أشياء لم نتمكّن من رؤيتها إلا بأجهزة التصوير المتطورة والتي تلتقط أكثر من ألف صورة في كل ثانية(٢).
هنالك عمليات تحدث داخل البرق وهي محلّ اتفاق من قبل جميع العلماء، ويمكن رؤيتها اليوم بفضل هذه الكاميرات الرقمية المتطورة، كما يمكن اعتبار هذه العمليات كحقائق يقينية لا شكّ فيها. وعلى الرغم من التطور التقني الكبير لهذه الأجهزة تبقى المراحل الدقيقة للبرق لغزاً محيراً للعلماء.
ففي ظل الظروف السائدة داخل شعاع البرق لا يمكن لأي جهاز أن يتحمل ضخامة الحرارة والتوتر العالي جداً. فدرجة الحرارة تصل إلى ٣٠ ألف درجة مئوية، أي خمسة أضعاف حرارة سطح الشمس! ويصل التوتر الكهربائي إلى ملايين الفولتات، وبالتالي تُعتبر دراسة البرق من أصعب أنواع الدراسة وأكثرها تعقيداً، لأن زمن المراحل التي تشكل ومضة البرق من مرتبة المايكرو ثانية، أي جزء من المليون من الثانية، وهذه صعبة الإدراك.
سوف نرى معجزة نبوية أيضاً في هذا الحديث تتمثل في إشارة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام إلى سرعة البرق وأنه يستغرق زمناً ليمر، وليس كما كان الاعتقاد السائد أن البرق يقطع أي مسافة دون الحاجة إلى زمن بل بلمح البصر. فصحَّح هذا النبي الكريم المعتقد الخاطئ بكل صراحة ووضوح.
إنه بحق حديث يفيض بالمعجزات، ولو كان هذا الحديث من اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه أو أصحابه إذن لامتزج بخرافات وأساطير عصره، وهذا يدلّ على أن كل كلمة نطق بها سيد البشر وخير الخلق هي وحيٌ من عند خالق البرق سبحانه وتعالى، وأن الله أعطى الرسول الكريم القرآن وأعطاه مثله معه، والمعجزة التي سنراها في هذا البحث تثبت أن الرسول على حق وأن الإسلام دين علم وليس كما يدعي أعداؤه أنه دين تخلف وأساطير!
وسوف نرى أيضاً التطابق الكامل بين ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي، وبين ما توصل إليه العلماء في القرن الحادي والعشرين. وأن هذا الحديث الشريف هو من دلائل نبوّة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأنه حقاً كما وصفه الله تعالى بقوله:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم: ٣-٤].

حقائق تاريخية

ظلت ظاهرة البرق حدثاً مخيفاً ومحيِّراً للعلماء على مدى قرون طويلة، ونُسجت الأساطير الكثيرة حول منشأ البرق وتأثيراته، فكل حضارة كانت تنظر إلى هذه الظاهرة على أنها حدث مقدس يرتبط بالآلهة، وكل حضارة كانت تحاول إعطاء

تفسير لهذا الحدث المرعب. ففي الميثولوجيا الإغريقية مثلاً كان البرق هو سلاح الإله زيوس، الذي استخدمه لقتل أعدائه(٣). على حد زعمهم المفترى.
ثم جاء العصر الحديث عندما قام العلماء بتجارب متعددة منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي وحتى يومنا هذا، أي على مدى أكثر من قرنين ونصف، قام خلالها العلماء بآلاف التجارب في سبيل فهم هذه الظاهرة المحيرة، والتي لا تزال التفاصيل الدقيقة مجهولة تماماً بالنسبة لنا حتى الآن.
ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر قام بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin بأول تجربة علمية منظّمة أثبت من خلالها الطبيعة الكهربائية للبرق، وأن البرق ما هو إلا شرارة كهربائية ناتجة عن التقاء شحنتين كهربائيتين متعاكستين. فقد قام هذا العالم بربط سلك من الحرير إلى طائرة ورقية وأرسله عالياً أثناء وجود غيوم كثيفة وممطرة، أي أثناء وجود عاصفة رعدية، وربط نهاية السلك بقضيب معدني وغلفه بعازل من الشمع لكي لا تتسبب الشرارة القوية بقتله.
وقد نجحت التجربة، وعندما قرَّب القضيب من الأرض انطلقت شرارة قوية تشبه شرارة البرق، فأثبت بذلك هوية البرق الكهربائية وآلية حدوثه، ولكن النتائج التي حصل عليها كانت متواضعة جداً ولم يستطع إدراك العمليات الدقيقة التي تسبب هذه الشرارة القوية.
أما الفيزيائي السويدي رتشمان G. W. Richmann، والذي قام بتجربة أثبت فيها أن الغيوم الرعدية تحوي شحنات كهربائية، وقد قُتِل بسبب صدمة البرق التي تعرض لها أثناء قيامه بالتجارب. واستمرت التجارب، ولكن المعرفة بالبرق بقيت متواضعة حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما أصبح التصوير الفوتوغرافي ممكناً، عندها أصبح بإمكان العلماء التقاط صور لومضات البرق ومن ثم تحليلها ومعرفة بعض تفاصيلها التي لا تدركها عين الإنسان.
ولكن أجهزة التصوير كانت بطيئة وبقيت العمليات الدقيقة التي ترافق ظاهرة البرق مجهولة حتى الستينات من القرن العشرين، حيث تطورت التجارب وازداد الاهتمام بها لتجنب صدمات البرق التي تتعرض لها المراكب الفضائية والطائرات والمنشآت الصناعية. وقد أمكن استخدام التصوير السريع والمراكب الفضائية والرادارات والحاسوب لمعالجة ودراسة البيانات التي قدمتها مختبرات مراقبة البرق (٤).
وقد استطاع العلماء أخيراً بفضل التصوير فائق السرعة والمعالجة الرقمية للبيانات أن يثبتوا أن ومضة البرق الواحدة قد تتألف من عدة ضربات، وكل ضربة تتألف من عدة مراحل أو أطوار. وقد تم قياس الأزمنة لكل مرحلة بدقة كبيرة، ورؤية هذه المراحل، ولم يتحقق هذا إلا في نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الحادي والعشرين.
أنواع البرق
قبل البدء بالتعرف على أسرار البرق وتفاصيله الدقيقة نود أن نعرِّف القارئ الكريم بأهم أنواع البرق والتي قد لا تخطر بباله، لبيان مدى تعقيد هذه الظاهرة والتنوع الكبير في ضربات البرق، فالبرق يمكن أن يضرب في أي مكان على الأرض أو في السماء.

يحدث البرق على عدة أنواع حسب مكان وجود الشحنتين الموجبة والسالبة. وقد دلّت الإحصائيات الحديثة أنه في كل ثانية هنالك مئة ضربة برق على سطح الكرة الأرضية (Uman, ١٩٨٤). وجميع هذه الضربات متشابهة من حيث آلية الحدوث وزمنه.

أكثر الأنواع شيوعاً وأهمية هو البرق الناتج من التقاء شحنتين متعاكستين بين الغيمة والأرض. فغالباً ما تكون الغيمة ذات شحنة سالبة عند الجهة القريبة من الأرض، أما سطح الأرض فيكون ذا شحنة موجبة، ويسمي العلماء هذا النوع "غيمة-أرض" أي Cloud-Groundواختصاراً يرمز لهذا النوع بالحرفين CG.

أما النوع الثاني فهو ما يحدث بين الغيمة وغيمة أخرى، وبما أن الوسط الذي تتجمع فيه الغيوم يمتلئ بالحقول الكهربائية فإن احتمال تلامس الشحنات المتعاكسة والتقائها كبير جداً، ولذلك فإن هذا النوع يمثل ثلاثة أرباع ضربات البرق، والتي تقدر كما قلنا بمئة ضربة في كل ثانية وذلك في مختلف أنحاء العالم. ويعرف هذا النوع ببرق "غيمة-غيمة" أي Cloud-Cloudويرمز له بالحرفين CC.

أما النوع الثالث فهو ما يحدث بين الغيمة والهواء. حيث تكون الغيمة محمّلة بشحنة كهربائية، والهواء المحيط بها من أحد جوانبها يحمل شحنة معاكسة. ويعرف هذا النوع بـ "غيمة-هواء" أي Cloud-Airويرمز له بالرمز CA.

البرق من الفضاء

البرق بين الغيمة وطبقات الجو العليا، ويحدث هذا البرق بين الطبقات العليا في الغيوم وبين طبقة الأيونوسفير والتي تحوي حقلاً كهربائياً، وقد أمكن رؤية برق كهذا بواسطة أجهزة التصوير المثبتة على الأقمار الاصطناعية (٥).

وهنالك أنواع أخرى كثيرة نذكر منها ما يحدث داخل الغيمة ذاتها، وإذا علمنا بأن أية غيمة تحمل شحنة موجبة في أحد طرفيها، فلا بد أن تحمل شحنة سالبة في طرفها المقابل، وهكذا وفي ظروف العواصف الرعدية يحدث التلامس ويتحقق البرق الذي يضيء الأرض ولكنه لا يصل إليها.

هنالك أيضاً البرق الناتج بين غيمة وهدف على الأرض، مثل شجرة أو بيت أو عمود كهرباء. وفي جميع هذه الأنواع تتم المراحل ذاتها، بنفس المرور والرجوع لشعاع البرق، وبنفس السرعة ونفس الزمن.

كما أن العلماء يعددون أنواعاً لا يمكن إحصاؤها من البرق، مثل كرة البرق، والبرق الصيفي، وهو ما يحدث في أشهر الصيف، والبرق الموجب والبرق السالب، والبرق الصفائحي، وغير ذلك كثير(٦). كما أن العلماء رصدوا ضربات برق على بعض الكواكب مثل المشتري وكانت أشد بمئة مرة من تلك الضربات على الأرض [٢].

الغيوم الرعدية

إن البرق لا يحدث في أية غيوم، بل هنالك غيوم محددة يسميها العلماء بالغيوم الرعدية، وهي البيئة المناسبة لحدوث البرق، وقد تكون هنالك غيمة واحدة أو عدة غيوم وهو الأغلب. وهذه الغيوم تكون عادة ممتلئة بالحقول الكهربائية بسبب الرياح التي تسوق جزيئات بخار الماء وتدفعه للأعلى وتسبب احتكاك هذه الجزيئات بعضها ببعض مما يولد هذه الحقول الكهربائية. فنجد أن الغيمة تتجمع فيها بنفس الوقت

شحنات سالبة وأخرى موجبة، وغالباً ما ترتفع الشحنات الموجبة للأعلى وتبقى السالبة في أسفل الغيمة من الجهة القريبة من الأرض.
إن ضربات البرق ما هي إلا تفريغ للكهرباء الموجودة على الغيوم، فلذلك يعمل البرق كصمام أمان، لأن هذه الشحنات العملاقة إذا زادت كثيراً فإنها تؤدي إلى تكهرب الجو بكامله؛ تماماً مثل البطارية إذا ظللنا نشحنها فإنها ستنفجر في النهاية. فسبحان الله!
حقائق وأرقام
ولكي نأخذ فكرة أوسع عن البرق الذي يحدث على الأرض نتأمل هذه الإحصائيات (٧):
- في كل ثانية هنالك مئة ومضة برق في العالم.
- وفي كل يوم هنالك ٨,٦ مليون ضربة برق.
- وفي سنة واحدة يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية فقط ٢٠ مليون ضربة برق.
- كل ومضة برق تولد توتراً يتراوح من ١٠٠ مليون وحتى ١٠٠٠ مليون فولت.
- كل ومضة برق تنتج تياراً من ١٠ آلاف أمبير وحتى ٢٠٠ ألف أمبير.
- إذا نظرنا للكرة الأرضية في أية لحظة نرى فيها ٢٠٠٠ عاصفة رعدية تحدث في نفس اللحظة.
العمليات الدقيقة داخل البرق
نعلم من قوانين الكهرباء أنه عندما تلتقي الشحنات المتعاكسة ينتج عنها ومضة أو شرارة كهربائية، وهذا ما يحدث في البرق. فالغيوم تتكون نتيجة تجمع جزيئات البخار المرتفع من الأرض، هذه الجزيئات تكون محمَّلة بشحنات كهربائية موجبة وسالبة نتيجة تفاعلها واحتكاكها واصطدامها، وكما قلنا غالباً ما تكون الشحنات السالبة في أسفل الغيمة من الجهة القريبة من الأرض، وذلك بسبب تأثير الجاذبية التي تقوم بدورها في توزيع الشحنات، وتكون الشحنة الموجبة في أعلى الغيمة، وهذا يحدث في ما يسمى بالغيوم الرعدية التي تسبب البرق دائماً.
إن الشحنة الكهربائية أو ما يسمى بالكهرباء الساكنة هي تماماً ما نحسّ به عندما نلمس قبضة الباب بعد احتكاك أقدامنا بالسجادة، أو عندما نلمس شاشة الكومبيوتر أحياناً فنحسّ بلدغة كهرباء خفيفة، وما هي إلا عبارة عن شرارة برق مصغرة! وعندما نجري تلامساً بين سلكين كهربائيين أحدهما موجب والآخر سالب فإننا نرى شرارة تتولد بينهما.
عندما يكون هنالك زيادة في عدد الإلكترونات ذات الشحنة السالبة فهذا يعني وجود حقل كهربائي سالب، أما عند زيادة عدد البروتونات الموجبة فهذا يعني وجود شحنة أو حقل كهربائي موجب.
وعندما تتجمع كميات مناسبة من الإلكترونات في أسفل الغيمة تنتقل هذه الشحنات السالبة بواسطة الهواء الرطب الموجود بين الغيمة وسطح الأرض، وتقترب من سطح الأرض ذي الشحنة الموجبة، ينطلق شعاع البرق القادم من الغيمة وتتشكل قناة دقيقة جداً في قاعدة الغيمة. وبسبب وجود حقل كهربائي بين الغيمة والأرض ينطلق ما يسميه العلماء الشعاع "القائد Leader" باتجاه الأرض، وهذا الشعاع الذي يمرّ

ويخطو بخطوات متتالية هو أول مرحلة من مراحل البرق. وعندما يصل هذا القائد إلى الأرض وبفعل الحقل السالب الذي يحيط به يجذب إليه الشحنات الموجبة الموجودة بالقرب من سطح الأرض، وتتحرك هذه الشحنات الموجبة باتجاه الشعاع القائد وتصطدم به على ارتفاع عشرات الأمتار عن سطح الأرض، وتتشكل قناة اتصال بين الغيمة والأرض.

وعندها تنهار عازلية الهواء ويصبح ناقلاً للكهرباء ويتولد تيار كهربائي قوي ينير على شكل ومضة باتجاه الأعلى، ويدعى طور الرجوع Return Stroke ، وهذه الضربة الراجعة هي ما نراه فعلاً لأن معظم الضوء يتولد عنها. وهذه الضربة الراجعة تستغرق أقل من ١٠٠ مايكرو ثانية وتُنتج التيار الراجع والذي يقدر ب ٣٠ ألف أمبير.

وبعد ذلك تمر فترة توقف مدتها من ٢٠ وحتى ٥٠ ميلي ثانية ثم تتكرر العملية من جديد باستخدام نفس القناة التي تم تأسيسها من قبل، وهكذا عدة ضربات. وقد تكون ومضة البرق مفردة أو متعددة حسب كمية الشحنات المتوفرة بين الغيمة والأرض، وحسب الظروف الجوية السائدة. وقد يصل عددها إلى عشر ضربات متتالية وسريعة ولكننا نراها ومضة برق واحدة ولا ندرك مرور ورجوع البرق بأعيننا (٨).

قد يحدث العكس أحياناً، فتأتي الشحنة الموجبة من الغيمة باتجاه الشحنة السالبة للأرض، وتتولد الومضة الموجبة وهذه تكون وحيدة وعنيفة ولا يتبعها ضربات أخرى.

في أقل من نصف ثانية تحدث ٣-٤ ضربات برق كلها نراها في ومضة برق واحدة. ويمكن أن يصل التيار الناتج من الضربة الراجعة إلى ٢٠٠ ألف أمبير، وتسير الضربة الراجعة بسرعة تصل إلى نصف سرعة الضوء (٩).

البرق خطوة خطوة

لكي نسهل رؤية ما يحدث تماماً في البرق نستعين بالرسوم التوضيحية (١٠). وهذه الرسوم هي تقريب لما يحدث، والواقع أن ضخامة وسرعة العمليات الخاطفة في شرارة البرق لا يمكن إدراكها أبداً.

١- يبدأ البرق بالخطوة الأولى المتمثلة بانطلاق شعاع يسميه العلماء بالقائد، Leaderوهذا الشعاع لا ينزل دفعة واحدة، بل يمرّ مروراً على شكل خطوات. وغالباً ما تكون شحنة هذا الشعاع سالبة أما شحنة الأرض فهي موجبة.

* الخطوة الأولى: تبدأ شحنة سالبة دقيقة تدعى القائد المارّ بالانطلاق من الغيمة باتجاه الأرض على خطوات طول كل منها ٥٠ متراً بزمن ١ مايكرو ثانية، ويتفرع هذا الشعاع إلى عدة فروع ويحمل بحدود ١٠٠ مليون فولت، ويأخذ فترة توقف بين الخطوة والأخرى مقدارها ٥٠ مايكرو ثانية، ويبقى يتقدم حتى يجد هدفاً ليصطدم به، وإلا فيرجع ويعيد الكرة. ويتألف الشعاع الواحد من عشرة آلاف خطوة!!

٢- ثم تأتي الخطوة الثانية ليصل هذا الشعاع إلى هدفه على الأرض ويصطدم مع شحنتها الموجبة، ويحدث التصادم عادة فوق سطح الأرض على ارتفاع عشرات الأمتار.

* الخطوة الثانية: حالما يصل الشعاع القائد إلى الأرض يبدأ بجذب الشحنة الموجبة على سطح الأرض، وبسبب الشحنة الضخمة التي يحملها هذا الشعاع فإنه يؤسس قناة من الأرض للغيمة والتي ستجري داخلها الشحنات، ويحدث اللقاء بين الشحنتين على ارتفاع ٣٠-١٠٠ متر فوق سطح الأرض.
٣- أما الخطوة الثالثة ففيها يبدأ تدفق الشحنة السالبة من الغيمة باتجاه الأرض، وذلك على طول القناة التي أسسها الشعاع القائد.
* الخطوة الثالثة: وفيها تبدأ الشحنة السالبة بالتدفق إلى الأرض، وتجذب إليها الشحنة الموجبة من الأرض.
٤- فيما بعد تتم أهم خطوة وهي الضربة الراجعة من الأرض باتجاه الغيمة، ومع أننا نظن بأن البرق يتجه من الغيمة إلى الأرض، إلا أن الحقيقة هي أن الشعاع يتجه من الأرض راجعاً باتجاه الغيمة، ولكن سرعة العملية تجعلنا نرى العكس.
* الخطوة الرابعة: تبدأ الضربة الراجعة على شكل موجه موجبة بسرعة أكثر من ١٠٠ ألف كيلو متر في الثانية، بالتوجه نحو الأعلى وينتج تيار كهربائي الذي يستغرق ١ مايكرو ثانية للوصول إلى ٣٠ ألف أمبير وسطياً، وتنتج هذا البرق الراجع أكثر من ٩٩% من إضاءة البرق وهو ما نراه فعلاً أي نرى رجوع البرق من الأرض باتجاه الأعلى.
٥- وأخيراً تنتهي ضربة البرق بصعود الشعاع الراجع إلى الغيمة، وتكون هنالك فترة توقف تقدر بعشرات الأجزاء من الألف من الثانية، ثم ترجع الضربة لتتكرر من جديد بنفس الخطوات، وهكذا يمكن أن تتكرر ضربة البرق عدداً من المرات لتعطي ومضة واحدة. وقد تم تسجيل ٤٧ ضربة برق في ومضة واحدة، إن الزمن الفاصل بين الضربات هو عشرات الأجزاء من الألف من الثانية(١١).
* الخطوة الخامسة: بعد عودة الشعاع الراجع هنالك فترة توقف ٢٠-٥٠ ميلي ثانية، فإذا توفرت شحنات كافية في الغيمة فإن هذه الضربة ترجع وتتكرر وتستخدم نفس القناة التي تم تأسيسها من قبل.
والآن وبعدما رأينا نتائج وأبحاث وتجارب استمرت قرنين ونصف من الزمن، وبعدما رأينا علماء أفنوا حياتهم ومنهم من مات في سبيل معرفة هوية البرق وأطواره ومراحله، وكم من الأموال قد صرفت في سبيل التعرف على ضربة برق لا يتجاوز زمنها طرفة العين! نأتي بعد هذه الحقائق العلمية لنرى الحقائق النبوية، ونعيش رحلة ممتعة مع كلام النبي الأميّ الذي علّم العلماء، ونقارن ونتدبر، ونتساءل: أليس هذا الحديث الشريف يطابق ويوافق مئة بالمئة ما توصل إليه العلماء اليوم؟!
حديث يفيض بالمعجزات
تحدث الرسول الأعظم عليه صلوات الله وسلامه عن يوم القيامة ومرور الناس على الصراط، وعن سرعة مرور كل منهم حسب عمله في الدنيا. فأحسنُهم عملاً هو أسرعُهم مروراً على الصراط، وهذا هو سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول على لسان سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم: (فيمرُّ أوَّلكم كالبرق)! فيقول أبو

هريرة: بأبي أنت وأمي أيّ شيء كمرّ البرق؟ قال عليه الصلاة والسلام:(ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟)[رواه مسلم] (١٢).

الإشارة الأولى

الواضح من خلال هذا الحديث أن الصحابي راوي الحديث رضوان الله عليه استغرب من تعبير الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حول مرور البرق وحركته وسرعته. فقد كانوا يظنون أن البرق والضوء لا يحتاج إلى زمن ليمرّ! بل لم يكن أحد يتخيل أن للضوء سرعة! فقد كانوا يعتقدون أن الضوء يسير بلمح البصر، ولذلك قال هذا الصحابي الجليل: (بأبي أنت وأمي أي شيء كمرِّ البرق؟)! فقد تعجب من قوله عليه الصلاة والسلام (كمرّ البرق) إذ لم يكن يتصوّر أن البرق يمرّ ويتحرك ويسير!!

وهذه هي أول إشارة نلمسها في الحديث الشريف إلى أن البرق يسير بسرعة محددة. ففي قوله صلى الله عليه وسلم: (فيمرُّ أوَّلكم كالبرق)، إشارة واضحة جداً إلى وجود زمن لمرور وتحرك البرق! وكما قلنا كان الاعتقاد السائد وحتى زمن قريب هو أن البرق والضوء لا يحتاجان لزمن ليمرّا. ولكن الحقائق العلمية التي رأيناها في هذا البحث تثبت أن البرق يمرّ ويخطو ويتحرك. وكما رأينا تسير الضربة الراجعة بسرعة أكثر من مئة ألف كيلو متر في الثانية. ومع أننا لا ندرك هذه السرعة بأبصارنا إلا أن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام حدثنا عنها وأشار إليها في قوله (كيف يمرُّ ويرجع).

الإشارة الثانية في هذا الحديث الشريف

وتتضمن آلية مرور البرق ورجوعه في قوله عليه الصلاة والسلام: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟)،وهذا ما كشفه العلم مؤخراً. فقد انتهى العلماء كما شاهدنا من خلال الحقائق الواردة إلى أن البرق ما هو إلا شرارة كهربائية ضخمة، هذه الشرارة تحدث نتيجة تلامس الشحنة الكهربائية السالبة الموجودة في الغيمة مع الشحنة الكهربائية الموجبة الموجودة في الأرض، وأن هنالك طورين رئيسيين لا يمكن لومضة البرق أن تحدث من دونهما أبداً، وهما طور المرور وطور الرجوع.

وتأمل معي هذه المصطلحات العلمية، فكلمة "Step" التي يستخدمها العلماء للتعبير عن المرحلة الأولى تعني "يخطو أو يمر"، وكذلك كلمة "Return" والتي يستخدمها العلماء للتعبير عن طور الرجوع تعني "يرجع"، بما يتطابق مع التعابير النبوية الشريفة!! وهذا يدل على دقة الكلام النبوي الشريف ومطابقته للحقائق العلمية بشكل كامل. ولكن ماذا يعني أن يستخدم العلماء اليوم التعابير النبوية ذاتها؟

إنه يعني شيئاً واحداً ألا وهو أن الرسول الكريم حدثنا عن حقائق يقينية وكأننا نراها، وذلك قبل أن يراها علماء عصرنا هذا. ويدل أيضاً على إعجاز غيبي في كلام هذا النبي الأمي عليه الصلاة والسلام. فم الذي أخبره بأن العلماء بعده بأربعة عشر قرناً سيستخدمون هذه الكلمات؟؟ ولو كان الرسول الأعظم كما يدَّعون أنه تعلَّم هذه العلوم من علماء عصره، إذن لجاءنا بالأساطير والخرافات السائدة والتي كان يعتقد بها علماء ذلك الزمان!!

الإشارة الثالثة

هنالك إشارة رائعة في الحديث النبوي إلى الزمن اللازم لحدوث البرق، فقد حدده الرسول الأعظم عليه وآله الصلاة والسلام بطرفة عين! والعمل الذي قمت به ببساطة أنني بحثت في اكتشافات العلماء وقياساتهم الحديثة للزمن الذي تستغرقه موجة البرق ذهاباً وإياباً أي كم يستغرق البرق ليمرّ ويرجع؟ فوجدت بأن الزمن هو أجزاء قليلة من الثانية، ويختلف هذا الزمن من مكان لآخر ومن وقت لآخر، ومتوسط زمن البرق هو عشرات الأجزاء من الألف من الثانية (١٣).

وبدأت أتساءل: هل هنالك علاقة بين الزمن اللازم لضربة البرق، وبين الزمن اللازم لطرفة العين؟ وإذا كانت الأزمنة متساوية إذن يكون الحديث الشريف قد حدَّد زمن ضربة البرق قبل العلماء بأربعة عشر قرناً. وكانت المفاجأة وهي أنني عندما بحثت عن زمن طرفة العين والمدَّة التي تبقى فيها العين مغلقة خلال هذه الطرفة، وجدتُ بأن الزمن هو أيضاً عشرات الأجزاء من الألف من الثانية!!! وهو نفس الزمن اللازم لضربة البرق (١٤).

ووجدتُ بأن زمن ضربة البرق يختلف من غيمة لأخرى حسب بعدها عن الأرض وحسب الظروف الجوية المحيطة، ولكن هذا الزمن يبقى مقدراً بعدة عشرات من الميلي ثانية، وكذلك الزمن اللازم لطرفة العين يختلف من إنسان لآخر حسب الحالة النفسية والفيزيولوجية، ولكنه أيضاً يبقى مقدراً بعدة عشرات من الميلي ثانية.

وسبحان الله! ما هذه الدقة في تحديد الأزمنة؟ أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الزمن والمجال الذي يتراوح ضمنه هذا الزمن، فهل بعد هذا الإعجاز كلام لأحد بأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليست معجزة من الناحية العلمية والكونية؟

ردّ على شبهة

وقد يدعي بعضهم أن الرسول الكريم لم يأت بشيء جديد! فأي بدوي يعيش في الصحراء ويراقب ظواهر الطبيعة يمكن أن يرى مرور البرق ورجوعه! وهذا الكلام غير منطقي وغير علمي، ولكي لا ندع مجالاً لكل من يعتقد بذلك ليشكك بإعجاز هذا الحديث، فإننا نتوجه للعلماء بسؤال: هل يمكن ملاحظة عمليات البرق هذه بالعين البشرية؟

وطبعاً نجد الجواب بالنفي، فالعين لا يمكن أبداً أن تلاحظ الأحداث التي تتم في أجزاء من الألف من الثانية، فعلى الرغم من أننا نرى وميض البرق يبدو وكأنه مستمر، إلا أن الدراسة الدقيقة أظهرت وجود عمليات ومراحل متتالية تتم خلال زمن قصير جداً لا يمكن إدراكه بالعين.

وهذه دراسة حول البرق يقول صاحبها بالحرف الواحد (١٥):

" A single flash is usually composed of many distinct luminous events (strokes) that often occur in such rapid succession that the human eye cannot resolve them".

ومعنى هذا الكلام:"الومضة الواحدة تتألف عادة من أطوار متعددة الإنارة، ولكنها تحدث بتعاقب سريع لا يمكن للعين البشرية أن تحلله".

ويمكن القول: إن أية محاولة لنقد هذا الحديث الشريف أو التقليل من أهميته العلمية لن تنجح، وذلك لأنه شديد الوضوح. ولكي ندفع أي شك في ذلك فسوف نلجأ إلى

اللغة العربية ونبحث عن المعنى المباشر لكلمتي (يمرّ) و(يرجع)، لندرك بما لا يقبل الشك أن ما تعنيه هاتين الكلمتين مطابق تماماً لما رأيناه في هذا البحث.

المعنى المباشر للكلمتين

جاء في لسان العرب: "مرر: مَرَّ عليه وبه يَمُرُّ مَرًّا أي اجتاز. و مَرَّ يَمُرُّ مَرًّا و مُروراً: ذَهَبَ، واستمرّ مثله. قال ابن سيده: مَرَّ يَمُرُّ مَرًّا و مُروراً جاء وذهب". وجاء في القاموس المحيط معنى (مرّ): "مَرَّ مَرّاً ومُروراً: جازَ وذَهَبَ. مَرَّهُ، ومرّ به: جازَ عليه. واسْتَمَرَّ: مَضَى على طريقَةٍ واحدَةٍ".

أما كلمة (رَجَعَ) فنجد معناها في القاموس المحيط: "رَجَعَ يَرْجِعُ رُجوعاً ومَرْجِعاً، ورجع الشيء صَرَفَه ورَدَّه، الرَّجيعُ من الكلامِ: المَرْدودُ إلى صاحِبِه، وراجَعَه الكلامَ: عاوَدَه".

ونلاحظ المعنى الواضح لمرور البرق، أي ذهابه ثم رجوعه أي ردّه ومعاودته وسلوكه للطريق ذاتها، أي استخدام نفس القناة التي تم تأسيسها من قبل. وفي كلتا الكلمتين نلحظ إشارة للتكرار والمعاودة، وهذا ما يحدث تماماً في ومضة البرق من تعدد لضربات البرق وتكرارها ورجوعها ومعاودتها المراحل ذاتها.

الإشارة الرابعة

في قول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم (ألم تروا)، معجزة علمية أيضاً، ففي عصر الصحابة وهم المعنيون بالحديث، فإنهم لم يدركوا هذا المعنى العلمي لمرور البرق ورجوعه، بسبب عدم وجود وسائل لقياس زمن البرق في عصرهم. ولكنهم صدَّقوا كل كلمة يقولها نبيّهم وقدوتهم وأسوتهم محمد عليه وآله الصلاة والسلام. وبما أننا استطعنا اليوم رؤية مرور البرق ورجوعه، أي تحقق قوله صلى الله عليه وسلم: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع؟)، ألا تظن معي أن الحديث النبوي الشريف يخاطب علماء هذا العصر!؟

كذلك في تشبيه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام للبرق بطرفة العين كل الدقة العلمية، وليس غريباً أن نجد أن العلماء اليوم يستخدمون التعبير النبوي ذاته!! وهذه إحدى الدراسات عن البرق والرعد يصف مؤلفها ضربة البرق وما تحدثه من تسخين وتمدد وتقلص للهواء (١٦):

A lightning strike can heat the air in a fraction of a second. When air is heated that quickly, it expands violently and then contracts, like an explosion that happens in the blink of an eye.

وهذا يعني:

"ضربة البرق تسخن الهواء في جزء من الثانية. عندما يسخن الهواء بسرعة، يتمدد بعنف ثم يتقلص، مثل انفجار يحدث في طرفة عين".

إذن علماء عصر الفضاء والذرة والكومبيوتر يستخدمون التشبيه النبوي ذاته، ألا يعني ذلك أن العلم النبوي أعظم وأكبر من علوم البشر؟ ألا يعني هذا أن الكلام الذي جاء به رسول الله لا يمكن أن يكون من عنده، بل هو من عند الله تعالى؟ أكرمه بالمعجزات في كلامه أثناء حياته وبعد موته وإلى يوم القيامة، لتكون أحاديث الرسول الكريم شاهدة على صدق رسالته للناس جميعاً.

نتائج البحث ووجوه الإعجاز

لنلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث والتي تمثل معجزات علمية في مجال هندسة الكهرباء والبرق، جميعها في كلمات لا يتجاوز عددها السطر الواحد:
١- تضمّن الحديث الشريف إشارة واضحة لتحرك البرق ومروره وأنه يسير بسرعة محددة، وليس كما كان يُظن ويعتقد بأن البرق يسير بلمح البصر ولا وجود لأي زمن.
٢- تضمّن الحديث إشارة إلى أطوار البرق التي اكتشفها العلماء حديثاً، وأن البرق يحدث على مراحل وليس كما كان يعتقد أنه يحدث دفعة واحدة، أي أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حدد المراحل الأساسية التي يحدث خلالها البرق، ومن دونها لا يمكن لضربة البرق أن تحدث أبداً.
٣- حدّد الحديث الشريف اسم كل مرحلة (يمرّ ويرجع)، باسمها الحقيقي والفعلي، وبما يتناسب مع الاسم العلمي لها. أيضاً الرسول الكريم هو أول من تحدث عن رجوع البرق وصحّح ما نتوهمه من أننا نرى ومضة واحدة، والحقيقة أن هنالك عدة ضربات راجعة.
٤- حدّد الحديث النبوي زمن ضربة البرق الواحدة بطرفة عين، وقد رأينا كيف تساوى هذان الزمنان، أي أن التشبيه النبوي للبرق بطرفة عين هو تشبيه دقيق جداً من الناحية العلمية.
خاتمة
وفي ختام هذا البحث لا بدّ من الإجابة عن سؤال قد يخطر ببال من يقرأ هذا البحث للمرة الأولى: إذا كان هذا الحديث يتضمن كل هذه الدقة العلمية والتفاصيل حول عملية البرق المعقدة، فلماذا لم يكتشف علماء المسلمين هذه المراحل؟ بل على العكس فإننا نرى بأن علماء الغرب وهم من غير المسلمين يكتشفون هذه العمليات وهم لم يقرءوا هذا الحديث ولم يطلعوا عليه؟
والجواب ببساطة أن المسلمين يصدّقوا كل ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن غير المسلم هو من سيستفيد من هذه الحقائق وهذه المعجزات لتكون برهاناً ملموساً له على صدق رسالة الإسلام. فالنبي عليه الصلاة والسلام عندما يخاطب الملحدين بحقائق علمية هم من سيكتشفها فإن هذا قمة التفوق والإقناع بأن الرسول على حق!
والشيء المعجز حقاً أ، الرسول الأعظم استخدم هذه المعجزة العلمية أثناء الحديث عن القيامة التي ينكرها الملحدون، وكأنه يريد أن يخاطبهم بلغة العلم التي يفهمونها جيداً ويؤكد لهم: كما أنهم رأوا حقيقة مرور البرق ورجوعه وهي حقيقة يقينية، فكذلك سوف يرون حقيقة يوم القيامة والمرور على الصراط. أليس الإسلام يخاطب أعداءه بلغة العلم؟
أما المؤمن يزداد إيماناً عندما يرى هذه المعجزة النبوية، وإذا لم تتيسر له رؤية هذه المعجزة أو غيرها فلن يختل إيمانه أبداً! بينما الملحد لا تقنعه إلا البراهين العلمية المادية، وما هذا الحديث إلا واحد منها، فهل تقتنع برسالة الإسلام يا صديقي الملحد؟!
أم أنك ستفتش كعادتك عن حجج واهية لتنقُد هذه المعجزة وتقلل من شأنها؟
شكر ودعاء

نسأل الله تعالى أن يجعل في هذا البحث الخير والهداية والإقناع لكل من يشكّ برسالة الإسلام وبنبوّة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، وأن يجزي الله خير الجزاء من لَفَتَ انتباهنا لهذا الحديث الأخ الكريم أبو همام حفظه الله وجعل ذلك في ميزانه يوم القيامة. وكذلك الأخ الأستاذ فراس مدير موقع موسوعة الإعجاز العلمي لجهوده المباركة في تعريف الناس بمعجزات كتاب الله عزّ وجلّ وسنَّة نبيّه عليه الصلاة والسلام، وكلّ من يساهم في إعلاء شأن هذا الدين الحنيف.

وندعو كل مؤمن محبّ لكتاب الله وسنّة رسوله أن يتأمل أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويتفكَّر في إعجازها العلمي واللغوي والغيبي، فنحن أمام بحر يزخر بالعجائب والأسرار! والكنوز النبوية لم يُستخرج منها إلا القليل، وهنالك الكثير والكثير من الأحاديث التي لم تُدرس بعد، وهي بانتظار من يستخرج إعجازها. وأن نتعاون على البر والتقوى، كلٌّ حسب اختصاصه، لنصل إلى مرضاة الله جلَّ وعلا عسى أن نكون جميعاً من هؤلاء الذين مدحهم الله في كتابه بقوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[الأنبياء: ٩٠].

وأخيراً

نتذكر قول الحقّ تعالى عن أولئك المشكّكين بكتاب الله وسنّة رسول الله، والذين دأبوا على نقد أيّة معجزة نبوية تصادفهم، وأنهم لن يحصدوا أية نتيجة من محاولتهم لإطفاء نور الحق، وندعوهم لتأمّل المعجزات التي تضمّنها هذا الكلام النبوي الشريف، وأن يستيقنوا بصدق كلام الله تعالى القائل: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[التوبة: ٣٢-٣٣].

بقلم المهندس: عبد الدائم الكحيل
باحث في إعجاز القرآن الكريم
newmiracle٧@hotmail.com

الهوامش:

(١) يعترف العلماء اليوم بأنهم لا يزالون يجهلون الكثير عن العمليات الفيزيائية التي تحدث داخل البرق والعواصف الرعدية، انظر مثلاً هذا البحث العلمي على الرابط:
http://www.aldis.at/research/index.html

(٢) جاء في إحدى الدراسات الحديثة عن البرق: إننا لم نستطع رؤية أطوار البرق إلا عام ٢٠٠٠ عندما تمكنّا من تصنيع آلة تصوير تستطيع التقاط ١٠٠٠ صورة في الثانية الواحدة. انظر المقالة على الرابط:
http://www.aldis.at/research/projects.html

(٣) يمكن مراجعة المقالات الواردة حول علاقة البرق بأساطير الإغريق على الرابط:
http://www.crystalinks.com/greekmythology.html

(٤)يرجى الاطلاع على سلسلة مقالات شيقة ومبسطة على موقع وكالة ناسا حول مبادئ البرق، وذلك على الرابطين:
http://thunder.nsstc.nasa.gov/primer/

http://thunder.nsstc.nasa.gov/shuttle.html

(٥) يمكن مراجعة هذه المعلومات من على هذا الرابط:

http://earthobservatory.nasa.gov/Study/aces/index.html

(٦) انظر مقالة موسعة حول أنواع البرق على الرابط:

http://en.wikipedia.org/wiki/Lightning

(٧) هذه الحقائق واردة على الرابط:

http://www.srh.noaa.gov/mlb/ltgcenter/ltg_facts.html

(٨) يمكن مراجعة هذا المسرد المطوّل حول البرق وآلية تشكله على أحد المواقع المتخصصة في دراسات البرق والحماية منه على الرابط:

http://www.lightningeliminators.com/Lightning%٢٠١٠١/lightning_glossary.htm

(٩) المعلومات من على الرابط:

http://www.educ.uvic.ca/Faculty/mroth/٤٣٨/LIGHTENING/JASONS/Formation٥.html

(١٠) يمكن مطالعة المبادئ المبسطة للبرق الواردة على الرابط:

http://www.srh.noaa.gov/srh/jetstream/lightning/lightning_max.htm

(١١) مقالة حول البرق متوفرة على الرابط:

http://www.fma-research.com/Q&A.htm

(١٢) روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصف الصراط ومرور الناس عليه يوم القيامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وترسل الأمانة والرحم فتقومان على جنبتي الصراط يمينا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق)، قال: قلت بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: (الم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلّم سلّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا) [رواه مسلم].

(١٣)يحدد العلماء الزمن المنقضي بين ضربة البرق ورجوعها بعشرات الميلي ثانية على الرابط:

http://www.lightningeliminators.com/Lightning%٢٠١٠١/lightning_glossary.htm

وانظر أيضاً هذا البحث:

http://www.fma-research.com/Q&A.htm

بحث حول قياس مدة ومضات البرق وجاء فيه أن القياسات الحديثة تظهر مدة ومضة البرق (التردد العالي جداً) يستمر لعشرات قليلة من الميلي ثانية، على الرابط:

http://www.pa.op.dlr.de/eulinox/publications/finalrep/Thery١/Final_Report_Thery١a.html

حقائق عن البرق وفيها أن البرق بجميع أطواره الذهاب والإياب يستغرق عدة عشرات من الميلي ثانية. على الرابط:

http://home.earthlink.net/~jimlux/lfacts.htm

(١٤) في بحث موسع يحدد الزمن المنقضي خلال طرفة العين وسطياً ٣٠-٥٠ ميلي ثانية. على الرابط:

http://www.freepatentsonline.com/٤٠٥٩٣٤٨.html

وفـي دراسـة إحصـائية فـإن الـزمن الـلازم لطرفـة عـين هـو ٢٥ ميلـي ثانيـة حسـب الإحصائيات، وذلك على الرابط:

http://www.csgnetwork.com/timemath.html

(١٥) مقالة بعنوان "ما هو البرق" على الرابط:

http://www.srh.noaa.gov/mlb/ltgcenter/whatis.html

وجاء في إحدى المقالات "لا تستطيع العين التمييز بين الضربات المتتالية للبرق"، المقالة على الرابط:

http://www.lightningeliminators.com/Lightning%٢٠١٠١/lightning_glossary.htm

(١٦) يمكن مراجعة هذه المقالة على الرابط:

http://weathereye.kgan.com/cadet/lightning/glossary.html#thunder

المراجع من المقالات والأبحاث الجديدة على الإنترنت

يمكنك عزيزي القارئ الرجوع مباشرة إلى هذه المقالات والأبحاث المفيدة حول موضوع البرق، وأحدث ما وصل إليه العلماء من معلومات حول هذه الظاهرة، وذلك من خلال الروابط المذكورة:

١- مجموعة شيقة من المقالات على موقع وكالة الفضاء الأمريكية ناسا حول مبادئ البرق. هذه السلسلة متوفرة على الرابط: http://thunder.msfc.nasa.gov/

٢- مقالة عن البرق على الرابط:

http://www.crystalinks.com/lightning.html

٣- مقالة بعنوان: "أسرار صدمة البرق" على الرابط:

http://www.nytimes.com/library/national/science/٠٧١٨٠٠sci-environ-lightning.html

٤- مقالة بعنوان "درس في البرق" على الرابط:

http://www.srh.noaa.gov/abq/preparedness/ffwxwk.htm#Lightning%٢٠-%٢٠Frequently%٢٠Asked%٢٠Questions

٥- مقالة بعنوان "ماذا يحدث عندما يلتقي البرق والإنسان" على موقع وكالة ناسا على الرابط:

http://science.nasa.gov/newhome/headlines/essd١٨jun٩٩_١.htm

٦- مقالة بعنوان "آلية الرعد" على موقع السلامة من البرق على الرابط:

http://www.lightningsafety.com/nlsi_info/thunder.html

٧- مقالة بعنوان "الشحنات الموجودة في العواصف الرعدية والبرق" على الرابط:

http://www.ce-mag.com/archive/٠٢/٠٩/mrstatic.html

٨- مقالة بعنوان "علم البرق" على موقع الفضاء:

http://www.space.com/scienceastronomy/lightning_backgrounder.html

٩- دراسة حول تأثيرات البرق على موقع السلامة من البرق:

http://www.lightningsafety.com/nlsi_lhm/effect.html

١٠- معلومات مهمة حول البرق على الرابط:

http://hyperphysics.phy-astr.gsu.edu/hbase/electric/lightning٢.html#c٢

١١- كذلك يمكن مراجعة المقالات المنشورة حول البرق ومراحل تشكله على الروابط التالية:

http://science.msfc.nasa.gov/newhome/headlines/essd٢٤may٩٩_١.htm
http://wwwghcc.msfc.nasa.gov/overview/lightning.html
http://science.msfc.nasa.gov/newhome/headlines/essd١٦jun٩٩_١.htm
http://earthobservatory.nasa.gov/Study/aces/index.html
http://www.thomson.ece.ufl.edu/lightning/SGEB١٧.html
http://www.physicstoday.org/pt/vol-٥٤/iss-١١/p٤١.html
http://home.earthlink.net/~jimlux/lfacts.htm
http://hyperphysics.phy-astr.gsu.edu/hbase/electric/ligseq.html
المراجع من الكتب:
كما يمكن الرجوع لكتاب "البرق" للكاتب المعروف مارتن يومان، والذي يعتبر من المراجع الأساسية في هذا العلم والصادر عام ١٩٨٤:
Martin A. Uman, Lightning, Dover Publications, Inc. New York, ١٩٨٤.
وكذلك كتاب "البرق" لمؤلفه دين كونتز Dean R. Koontz والصادر عام ٢٠٠٣.
----

٢٢. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٤). تكثير الطعام ببركته، كلام الشجرة وشهادتها بالنبوة

الفصل الرابع عشر:
ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله، حدثنا العذري، حدثنا الرازي، حدثنا الجلودي، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا الحسن بن أعين، حدثنا معقل، عن أبي الزبير، عن جابر - أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كالَه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال: "لو لم تكِلْه لأكَلْتم منه ولقام بكم".
قلت: رواه مسلم في كتاب الفضائل قال:
حدثني سلمة بن شبيب. حدثنا الحسن بن أعين. حدثنا معقل عن أبي الزبير، عن جابر؛
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه. فأطعمه شطر وسق شعير. فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما. حتى كاله. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم".
-ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده، أي إبطه، فأمر بها ففُتّت، و قال فيهما ما شاء الله أن يقول.
قلت: أشار إلى حديث أنس المتفق عليه والذي رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور
حدثنا قتيبة، عن مالك، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم:

لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أأرسلك أبو طلحة). فقلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: (قوموا). فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة حتى دخلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هلمِّي يا أم سليم ما عندك). فأتت بذلك الخبز، قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الخبز ففت، وعصرت أم سليم عكَّة لها فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: (ائذن لعشرة). فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: (ائذن لعشرة). فأذن لهم، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً...

ومسلم في كتاب الأشربة قال:

حدثنا يحيى بن يحيى. قال: قرأت على مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم:

قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفًا. أعرف فيه الجوع. فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصًا من شعير: ثم أخذت خمارًا لها. فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي. وردتني ببعضه. ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد. ومعه الناس. فقمت عليهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسلك أبو طلحة؟) قال فقلت: نعم. فقال (ألطعام؟) فقلت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: (قوموا) قال فانطلق وانطلقت بين أيديهم. حتى جئت أبا طلحة. فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم! قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس. وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخلا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هلمي. ما عندك. يا أم سليم!) فأتت بذلك الخبز. فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت. وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدمته. ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول. ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا. ثم خرجوا. ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: (ائذن لعشرة) حتى أكل القوم كلهم وشبعوا. والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون.

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عبد الله بن نمير. ح وحدثنا ابن نمير (واللفظ له). حدثنا أبي. حدثنا سعد بن سعيد. حدثني أنس ابن مالك قال:

بعثني أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأدعوه. وقد جعل طعامًا. قال فأقبلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس. فنظر إلي فاستحييت فقلت: أجب

أبا طلحة. فقال للناس: (قوموا) فقال أبو طلحة: يا رسول الله! إنما صنعت لك شيئًا. قال فمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا فيها بالبركة. ثم قال: (أدخل نفرًا من أصحابي، عشرة) وقال: (كلوا) وأخرج لهم شيئًا من بين أصابعه. فأكلوا حتى شبعوا. فخرجوا. فقال: (أدخل عشرة) فأكلوا حتى شبعوا. فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل، فأكل حتى شبع. ثم هيأها. فإذا هي مثلها حين أكلوا منها.

- وحدثني سعيد بن يحيى الأموي. حدثني أبي. حدثنا سعد بن سعيد. قال: سمعت أنس ابن مالك قال: بعثني أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وساق الحديث بنحو حديث ابن نمير. غير أنه قال في آخره: ثم أخذ ما بقي فجمعه. ثم دعا فيه بالبركة. قال فعاد كما كان. فقال: (دونكم هذا).

- وحدثني عمرو الناقد. حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي. حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أنس بن مالك. قال: أمر أبو طلحة أم سليم أن تصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعامًا لنفسه خاصة. ثم أرسلني إليه. وساق الحديث. وقال فيه:

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده وسمى عليه. ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذن لهم فدخلوا. فقال: (كلوا وسموا الله) فأكلوا. حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً. ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت. وتركوا سؤرًا.

- وحدثنا عبد بن حميد. حدثنا عبد الله بن مسلمة. حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن أنس بن مالك، بهذه القصة، في طعام أبي طلحة، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال فيه:

فقام أبو طلحة على الباب. حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله! إنما كان شيء يسير. قال: (هلمه. فإن الله سيجعل فيه البركة).

- وحدثنا عبد بن حميد. حدثنا خالد بن مخلد البجلي. حدثني محمد بن موسى. حدثني عبد الله ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بهذا الحديث. وقال فيه: ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل أهل البيت. وأفضلوا ما أبلغوا جيرانهم.

- وحدثنا الحسن بن علي الحلواني. حدثنا وهب بن جرير. حدثنا أبي. قال: سمعت جرير ابن زيد يحدث عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك. قال:

رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في المسجد. يتقلب ظهرًا لبطن. فأتى أم سليم فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في المسجد. يتقلب ظهرًا لبطن. وأظنه جائعًا. وساق الحديث. وقال فيه: ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة وأم سليم وأنس بن مالك. وفضلت فضلة. فأهديناه لجيراننا.

- وحدثني حرملة بن يحيى التجيبي. حدثنا عبد الله بن وهب. أخبرني أسامة؛ أن يعقوب ابن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري حدثه؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول:

جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا. فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة - قال أسامة: وأنا أشك - على حجر. فقلت لبعض أصحابه: لم

عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه؟ فقالوا: من الجوع. فذهبت إلى أبي طلحة، وهو زوج أم سليم بنت ملحان. فقلت: يا أبتاه! قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب بطنه بعصابة. فسألت بعض أصحابه فقالوا: من الجوع. فدخل أبو طلحة على أمي. فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم. عندس كسر من خبز وتمرات. فإن جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه. وإن جاء آخر معه قل عنهم. ثم ذكر سائر الحديث بقصته.

- وحدثني حجاج بن الشاعر. حدثنا يونس بن محمد. حدثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في طعام أبي طلحة، نحو حديثهم.

-وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق.

وقال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة، وبارك.

رواه عن جابر سعيد بن ميناء، وأيمن.

قلت: حديث جابر متفق عليه، رواه البخاري في كتاب المغازي؛ قال:

-حدثنا خلاد بن يحيى: حدثنا عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: أتيت جابرًا رضي الله عنه فقال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: (أنا نازل). ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب الكدية، فعاد كثيبا أهيل، أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعم لي، فقم أنت يا رسول ورجل أو رجلان، قال: (كم هو). فذكرت له، قال: (كثير طيب، قال: قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا). فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: (ادخلوا ولا تضاغطوا). فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز، ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: (كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة).

- حدثني عمرو بن علي: حدثنا أبو عاصم: أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان: أخبرنا سعيد بن ميناء قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصًا شديدًا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصًا شديدًا، فأخرجت إلى جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت

إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سورًا، فحي هلا بكم). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء). فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: (ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها). وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، إن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو...

ورواه مسلم في كتاب الأشربة قًال:

حدثني حجاج بن الشاعر. حدثني الضحاك بن مخلد، من رقعة عارض لي بها، ثم قرأه علي. قال: أخبرناه حنظلة بن أبي سفيان. حدثنا سعيد بن ميناء. قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول:

لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصًا. فانكفأت إلى امرأتي. فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصًا شديدًا. فأخرجت لي جرابًا فيه صاع من شعير. ولنا بهيمة داجن. قال فذبحتها وطحنت. ففرغت إلى فراغي. فقطعتها في برمتها. ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه. قال فجئته فساررته. فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا. وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا. فتعال أنت في نفر معك. فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (يا أهل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سورًا. فحيهلا بكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا تنزلن برمتكم ولا تخبرن عجينتكم، حتى أجئ) فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس. حتى جئت امرأتي. فقالت: بك. وبك. فقلت: قد فعلت الذي قلت لي. فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك. ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك. ثم قال: (ادعي خابزة فلتخبز معك. واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها) وهم ألف. فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا. وإن برمتنا لتغط كما هي. وإن عجينتنا - أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو...

-وعن ثابت مثله، عن رجل من الأنصار وامرأته، ولم يسمهما، قال: و جيء بمثل الكف، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله، فأكل منه من في البيت والحجرة والدار، وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك، وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء .

وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ادع ثلاثين من أشراف الأنصار) فدعاهم فأكلوا حتى تركوا، ثم قال: (ادع ستين) فكان مثل ذلك، ثم قال: (ادع سبعين) فأكلوا حتى تركوا، وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع.

قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً.

قلت:أورده البيهقي في دلائل النبوة؛ ورواه الطبراني في معجمه، قال:
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بن عَبَّادٍ الْخَطَّابِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بن أَبِي إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَرْدِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: صَنَعْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ طَعَامًا قَدْرَ مَا يَكْفِيهُمَا، فَأَتَيْتُهُمَا بِهِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: اذْهَبْ فَادْعُ لِي ثَلاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الأَنْصَارِ، فَشَقَّ عَلَيَّ ذَلِكَ، قُلْتُ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ أَزِيدُهُ، فَكَأَنِّي تَغَقَّلْتُ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِي ثَلاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الأَنْصَارِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَجَاءُوا، فَقَالَ: اطْعَمُوا، فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا، ثُمَّ شَهِدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ بَايَعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِي سِتِّينَ مِنْ أَشْرَافِ الأَنْصَارِ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: وَاللَّهِ لأَنَا بِسِتِّينَ أَجْوَدُ مِنِّي بِالثَّلاثِينَ، قَالَ: فَدَعَوْتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : تَوَقَّفُوا، فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا، ثُمَّ شَهِدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ بَايَعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِي تِسْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: فَلأَنَا أَجْوَدُ بِالتِّسْعِينَ وَالسِّتِّينَ مِنِّي بِالثَّلاثِينَ، قَالَ: فَدَعَوْتُهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا، ثُمَّ شَهِدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ بَايَعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي ذَلِكَ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلا كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ...

-وعن سمرة بن جندب: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون.

قلت رواه البيهقي في دلائل النبوة؛ والنسائي في سننه؛والترمذي في جامعه، قال:
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ أَخْبَرَنَا يزيدُ بنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا سُلِيمَانُ التَّيمِيُّ عَن أبي العلاءِ عَن سَمُرَةَ بنِ جُندُبٍ قَالَ:
- "كنَّا مع النَّبيّ صلى الله عليه وسلم نتداولُ من قَصعةٍ من غُدْوَةٍ حتَّى الليل تقومُ عشرةٌ وتقعُدُ عشرةٌ. قلنَا فما كَانَت تُمَدُّ؟ قَالَ من أيِّ شيءٍ تعجبُ ما كَانَت تُمَدُّ إلا من ههنا وأشارَ بيدِهِ إلى السَّمَاءِ". هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

-ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام، وصنعت شاة، فشوي سواد بطنها قال: وأيم الله، ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزةً من سواد بطنها ثم جعل منا قصعتين، فأكلنا منها أجمعون، وفضل في القصعتين، فحملته على البعير.

قلت: حديث متغف عليه؛ رواه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، قال:
حدثنا أبو النعمان: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال:
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل مع أحد منكم طعام). فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشرك، مشعان طويل، بغنم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بيعا أم عطية، أو قال: أم هبة). قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة، فصنعت، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى، وأيم الله، ما في الثلاثين والمائة إلا قد حز النبي صلى الله عليه وسلم له حزة من سواد بطنها، إن كان شاهدًا أعطاها إياه، وإن كان

غائبًا خبأ لـه، فجعل منهـا قصـعتين، فـأكلوا أجمعـون وشـبعنا، ففضـلت القصـعتان، فحملناه على البعير، أو كما قال.
وروا ه مسلم في كتاب الأشربة قال:
وحدّثنا عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيّ وَ حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيّ وَ مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَىَ. جَمِيعاً عَنِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ (وَاللّفْظُ لاِبْنِ مُعَاذٍ). حَدّثَنَا الْمُعْتَمِرُ. حَدّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِي عُثْمَانَ (وَحَدّثَ أَيْضاً)، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: كُنّا مَعَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم ثَلاَثِينَ وَمِائَةً. فَقَالَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم: "هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟" فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ. فَعُجِنَ. ثُمّ جَاءَ رَجُلٌ، مُشْرِكٌ مُشْعَانّ طَوِيلٌ، بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا. فَقَالَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم: "أَبَيْعٌ أَمْ عَطِيّةٌ أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةٌ؟" فَقَالَ: لاَ. بَلْ بَيْعٌ. فَاشْتَرَىَ مِنْهُ شَاةً. فَصُنِعَتْ. وَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَىَ. قَالَ: وَايْمُ اللّهِ مَا مِنَ الثّلاَثِينَ وَمِائَةٍ إِلاّ حَزّ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم حُزّةً حُزّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا. إِنْ كَانَ شَاهِداً، أَعْطَاهُ. وَإِنْ كَانَ غَائِباً، خَبَأَ لَهُ.
قَالَ وَجَعَلَ قَصْعَتَيْنِ. فَأَكَلْنَا مِنْهُمَا أَجْمَعُونَ. وَشَبِعْنَا. وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ. فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ. أَوْ كَمَا قَالَ.
-ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، عن أبيه، ومثله لسلمة بن الأكوع، وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، فدعا ببقية الأزواد، فجاء الرجل بالحثية من الطعام، وفوق ذلك، وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر، فجمعه على نطع. قال سلمة: فحزرته كربضة العنز، ثم دعا الناس بأوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملئوه وبقي منه.
قلت: رواه مسلم في كتاب الإيمان قال:
حدثنا سهل بن عمان وأبو كريب محمد بن العلاء، جميعا عن أبي معاوية. قال أبو كريب: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد (شك الأعمش) قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة. قالوا:
يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا. فقال رسول الله: صلى الله عليه وسلم "افعلوا" قال فجاء عمر، فقال: يا رسول الله! إن فعلت قل الظهر. ولكن ادعهم بفضل أزوادهم. وادع الله لهم عليها بالبركة. لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم" قال فدعا بنطع فبسطه. ثم دعا بفضل أزوادهم. قال فجعل الرجل يجيء بكف ذرة. قال ويجيء الآخر بكف تمر. قال ويجيء الآخر بكسرة. حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة. ثم قال: "خذوا في أوعيتكم" قال فأخذوا في أوعيتهم. حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه. قال فأكلوا حتى شبعوا. وفضلت فضلة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. لا يلقى الله بهما عبد، غير شاك، فيحجب عن الجنة".

-وعن أبي هريرة: أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة، فتتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا صفحة، فأكلنا ما شئنا، وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.
قلت: رواه أبو نعيم، والطبراني، وابن أبي شيبة في مسنده قال:
حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أُنَيْسِ بْنِ أَبِي يَحْيَى، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: اُدْعُ لِي أَصْحَابَك، يَعْنِي أَصْحَابَ الصُّفَّةِ ، فَجَعَلْت أَتَّبِعُهُمْ رَجُلاً، رَجُلاً أُوقِظُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ، فَجِئْنَا بَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فِيهَا صَنِيعٌ قَدْرُ مُدَّيْ شَعِيرٍ، قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: خُذُوا بِسْمِ اللهِ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا، ثُمَّ رَفَ، عَنَّا أَيْدِيَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ وُضِعَتْ الصَّحْفَةُ: وَاَلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ طَعَامٌ غَيْرُ شَيْءٍ تَرَوْنَهُ، فَقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: قَدْرُ كَمْ كَانَتْ حِينَ فَرَغْتُمْ، قَالَ: مِثْلَهَا حِينَ وُضِعَتْ إلاَّ، أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الأَصَابِعِ..
-وعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب، وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجذعة، و يشربون الفرق، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو ثم دعا بعس، فشربوا حتى رووا، وبقي كأنه لم يشرب منه.
قلت:رواه الإمام أحمد في (مسنده) قال:
عن علي قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكلا لجذعة ويشرب الفرق قال: فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب فقال: (يا بني عبد المطلب إني بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟). قال: فلم يقم إليه أحد قال: فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال: فقال: (اجلس) قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي: (اجلس) حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي....
-وقال أنس: إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوماً سماهم، وكل من لقيت، حتى امتلأ البيت والحجرة، وقدم إليهم تورًا، فيه قدر مد من تمر جعل حيساً، فوضعه قدامه، وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون، وبقي التور نحواً مما كان، وكان القوم أحداً، أو اثنين وسبعين.
-وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها، إن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة، وأنهم أكلوا حتى شبعوا. وقال لي: ارفع، فلا أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت.
قلت: رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: الهدية للعروس؛ قال
- وقال إبراهيم: عن أبي عثمان، واسمه الجعد، عن أنس بن مالك قال:
مر بنا في مسجد بني رفاعة، فسمعته يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مر بجنبات أم سليم دخل عليها فسلم عليها، ثم قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية،

فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأقط، فاتخذت حيسة في برمة، فأرسلت بها معي إليه، فانطلقت بها إليه، فقال لي: (ضعها). ثم أمرني فقال: (ادع لي رجالا - سماهم - ادع لي من لقيت). قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يديه على تلك الحيسة وتكلم بها ما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة، عشرة يأكلون منه، ويقول لهم: (اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه). قال: حتى تصدعوا كلهم عنها، فخرج منهم من خرج، وبقي نفر يتحدثون، قال: وجعلت أغتم، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات وخرجت في إثره، فقلت: إنهم قد ذهبوا، فرجع فدخل البيت، وأرخى الستر وإني لفي الحجرة، وهو يقول: (يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعتيم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق).
قال أبو عثمان: قال أنس: إنه خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين.
وأخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس؛ قال:
حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا جعفر (يعني ابن سليمان) عن الجعد أبي عثمان، عن أنس بن مالك. قال:
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله. قال: فصنعت أمي أم سليم حيسًا فجعلته في تور. فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أمي. وهي تقرئك السلام. وتقول: إن هذا لك منا قليل، يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل، يا رسول الله! فقال "ضعه" ثم قال: " اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا. ومن لقيت" وسمى رجالاً. قال: فدعوت من سمى ومن لقيت: قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة.
وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أنس.. هات التور" قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه" قال: فأكلوا حتى شبعوا. قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم. فقال لي: "يا أنس ارفع" قال: فرفعت. فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت. قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط. فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على نسائه. ثم رجع. فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه. قال: فابتدروا الباب فخرجوا كلهم. وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل. وأنا جالس في الحجرة. فلم يلبث إلا يسيرا حتى خرج علي. وأنزلت هذه الآية. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأهن على الناس: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن

ذلكم كان يؤذي النبي)؛ إلى آخر الآية. قال الجعد: قال أنس ابن مالك: أنا أحدث الناس عهدًا بهذه الآيات. وحجبن نساء النبي صلى الله عليه وسلم.
- وحدثني محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. حدثنا معمر عن أبي عثمان، عن أنس. قال:
لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب أهدت له أم سليم حيسًا في تور من حجارة. فقال أنس: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهب فادع لي من لقيت من المسلمين" فدعوت له من لقيت. فجعلوا يدخلون عليه فيأكلون ويخرجون. ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه. وقال فيه ما شاء الله أن يقول ولم أدع أحدًا لقيته إلا دعوته. فأكلوا حتى شبعوا. وخرجوا. وبقي طائفة منهم فأطالوا عليه الحديث. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يستحي منهم أن يقول لهم شيئًا. فخرج وتركهم في البيت. فأنزل الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غيرناظرين إناه} (قال قتادة: غير متحينين طعامًا) {ولكن إذا دعيتم فادخلوا} . حتى بلغ: {ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن} .
والآية الكريمة هي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً) (الأحزاب: ٥٣)
-و في حديث جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه - أن فاطمة طبخت قدراً لغذائها ووجهت علياً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما، فأمر فغرفت منها لجميع نسائه صفحةً صفحةً، ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي، ثم لها، ثم رفعت القدر، وإنها لتفيض، قال: فأكلنا منها ما شاء الله.
قلت: أخرجه ابن سعد في طبقاته
-وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس، فقال: يا رسول الله، ما هي إلا أصوع. قال: اذهب، فذهب فزودهم منه، و كان قدر الفصيل الرابض، من التمر، وبقي بحاله. -من رواية دكين الأحمسي، و من رواية جرير.
-ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه، إلا أنه قال: أربعمائة راكب من مزينة.
قلت رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مستد أبيه قال:
حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا اسماعيل عن قيس عن دكين بن سعيد الخثعمي قال:
-أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: قم فأعطهم..قال: يا رسول الله ما عندي إلا ما يقيظني والصبية؛ قال وكيع والقيظ في كلام العرب أربعة أشهر؛ قال: قم فأعطهم قال عمر يا رسول الله سمعًا وطاعة. قال: فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حجزته ففتح الباب قال دكين فإذا في الغرفة من التمر شبيه

بالفصيل الرابض قال شأنكم قال فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء قال ثم التفت وإني لمن آخرهم وكأنا لم نرزأ منه تمرة.
- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا إسماعيل عن قيس عن دكين بن سعيد المزني قال:
-أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين راكبًا وأربعمائة نسأله الطعام فقال لعمر: اذهب فأعطهم، فقال يا رسول الله ما بقي إلا آصع من تمر ما أرى أن يقيظني قال: اذهب فأعطهم. قال: سمعًا وطاعة قال: فأخرج عمر المفتاح من حجزته ففتح الباب فإذا شبه الفصيل الرابض من تمر فقال: لتأخذوا فأخذ كل رجل منا ما أحب ثم التفت وكنت من آخر القوم وكأنا لم نرزأ تمرة.
-ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته، وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله، فلم يقبلوه، ولم يكن في تمرها سنين كفاف دينهم، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدها، وجعلها بيادر في أصولها، فمشى فيها، ودعا، فأوفى منه جابر غرماء أبيه، وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة.
-وفي رواية مثل ما أعطاهم، قال: وكان الغرماء يهود، فعجبوا من ذلك.
قلت رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس؛ باب: إذا قضى دون حقه أو حلله فهو جائز.
- حدثنا عبدان: أخبرنا عبد الله: أخبرنا يونس، عن الزهري قال: حدثني ابن كعب بن مالك: أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره: أن أباه قتل يوم أحد شهيدًا وعليه دين، فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فسألهم أن يقبلوا تمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا، فلم يعطهم النبي صلى الله عليه وسلم حائطي، وقال: (سنغدوا عليك). فغدا علينا حين أصبح، فطاف في النخل ودعا في ثمرها بالبركة، فجددتها فقضيتهم، وبقي لنا من تمرها.
وفي باب: إذا قاص أو جازفه في الدين تمرًا بتمر أو غيره.
- حدثنا إبراهيم بن المنذر: حدثنا أنس، عن هشام، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه أخبره: أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: (جد له، فأوف له الذي له). فجده بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوفاه ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل، فقال: (أخبر ذلك ابن الخطاب). فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها.
-وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أصاب الناس مخمصة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل من شيء) قلت: نعم، شيء من التمر في المزود. قال: (فأتني به)، فأدخل يده فأخرج قبضة، فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال: ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا. قال: (خذ ما جئت به،

وأدخل يدك، واقبض منه ولا تكبه)، فقبضت على أكثر مما جئت به، فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، إلى أن قتل عثمان، فانتهب مني، فذهب.

-وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله.

-وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك، وأن التمر كان بضع عشرة تمرة.

قلت رواه البيهقي في دلائل النبوة قال:

باب ما جاء في مزود أبي هريرة رضي الله عنه وما ظهر فيه ببركة دعاء النبي من آثار النبوة.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف (الإسفرائيني) الفقيه أنبأنا بشر ابن أحمد بن بشر حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر الحذاء حدثنا علي بن المديني حدثنا حماد بن زيد حدثنا المهاجر مولى آل أبي بكرة عن أبي العالية عن أبي هريرة قال:

أتيت رسول الله بتمرات فقلت ادع لي فيهن بالبركة قال فقبضهن ثم دعا فيهن بالبركة ثم قال: خذهن فاجعلهن في مزود. أو قال: في مزودك، فإذا أردت أن تأخذ منهن فأدخل يدك فخذ ولا تنثرهن نثرًا. قال فحملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقًا في سبيل الله وكنا نأكل ونطعم وكان المزود معلقا بحقوي لا يفارق حقوي فلما قتل عثمان انقطع.

أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار أنبأنا الحسين بن يحيى بن عباس القطان حدثنا حفص بن عمرو حدثنا سهيل بن زياد أبو زياد حدثنا أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: كان رسول الله في غزوة فأصابهم عوز من الطعام فقال: يا أبا هريرة عندك شيء؟ قال: قلت: شيء من تمر في مزود لي؛ قال: جيىء به.. قال فجئت بالمزود؛ قال: هات نطعًا... فجئت بالنطع فبسطته، فأدخل يده فقبض على التمر فإذا هو إحدى وعشرون تمرة ثم قال: بسم الله...فجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجمعه فقال: ادع فلانا وأصحابه... فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا؛ ثم قال: ادع فلانا وأصحابه.. فأكلوا وشبعوا وخرجوا؛ ثم قال: ادع فلانا وأصحابه.. فأكلوا وشبعوا وخرجوا؛ وفضل تمر. قال فقال لي: اقعد.. فقعدت. فأكل وأكلت..

قال وفضل تمر فأخذه فأدخله في المزود فقال لي: يا أبا هريرة إذا أردت شيئًا فأدخل يدك فخذ ولا تكفأ فيكفأ عليك.. قال فما كنت أريد تمرًا إلا أدخلت يدي... فأخذت منه خمسين وسقًا في سبيل الله وكان معلقًا خلف رجلي فوقع في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه فذهب.

وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا احمد بن عبدة حدثنا سهل بن أسلم (ح)

وأنبأنا أبو الحسن علي بن محمد المقري أنبأنا الحسن بن محمد ابن إسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي حدثنا ابن الخطاب حدثنا سهل ابن اسلم العذري عن زيد بن أبي منصور عن أبيه عن أبي هريرة قال: أصبت بثلاث مصائب في الإسلام لم أصب بمثلهن: بموت النبي وكنت صويحبه، وقتل عثمان، والمزود... قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟ قال كنا مع رسول الله في سفر فقال: يا أبا هريرة أمعك شيء؟

قال: قلت تمرًا في مزود معي؛ قال: جيء به فأخرجت منه تمرًا فأتيته قال فمسه فدعا فيه ثم قال: ادع عشرة..فدعوت عشرة. فأكلوا حتى شبعوا.. ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر المزود قال: يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك ولا تكبه... قال فأكلت منه حياة النبي، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها.. فلما قتل عثمان انتهب ما في بيتي وانتهب المزود ألا أخبركم أكلت أكلت منه أكثر من مائتي وسق. لفظ حديث المقرئ

ورواه الترمذي.

أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة. فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة فقال:" خذهن وأجعلهن في مزودك هذا أو في هذا المزود كلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنثره نثرًا"...

فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله.. فكنا نأكل منه ونطعم وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع..

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة.

وقال الشيخ الألباني: حسن الإسناد.. وسند الحديث: حدثنا عمران بن موسى القزاز حدثنا حماد بن زيد حدثنا المهاجر عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة قال

-ومنه أيضاً حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع، فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم، فوجد لبناً في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة.قال: فقلت:ما هذا اللبن فيهم؟ كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم.وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقيهم، فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يأخذه الأخر حتى روي جميعهم. قال: فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح، وقال: بقيت أنا وأنت، اقعد فاشرب، فشربت، ثم قال: اشرب، وما زال يقولها وأشرب حتى قلت: لا، و الذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً ،فأخذ القدح فحمد الله و سمى وشرب الفضلة.

قلت: رواه البخاري في كتاب الرقاق قال:

حدثني أبو نعيم بنحو من نصف هذا الحديث: حدثنا عمر بن ذر: حدثنا مجاهد: أن أبا هريرة كان يقول: آلله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: (يا أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق). ومضى فاتَّبعته، فدخل، فأستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبناً في قدح، فقال: (من أين هذا اللبن). قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: (أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي). قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني

ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: (يا أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (خذ فأعطهم). قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسم، فقال: (أبا هر). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (بقيت أنا وأنت). قلت: صدقت يا رسول الله، قال: (اقعد فاشرب). فقعدت فشربت، فقال: (اشرب). فشربت، فما زال يقول: (اشرب). حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً، قال: (فأرني). فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة...

-وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاةً، وكان عيال خالد كثيراً يذبح الشاة فلا تُبِدُّ عياله عظماً عظماً، وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد، ودعا له بالبركة، فنثر ذلك لعياله، فأكلوا وأفضلوا ـ ذكر خبره الدولابي.

-وفي حديث الآجري في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة، ويذبح جزوراً لوليمتها ـ قال: فأتيته بذلك فطعن في رأسها، ثم أدخل الناس رُفقةً رُفقةً يأكلون منها حتى فرغوا، وبقيت منها فضلة، فبرَّك فيها، وأمر بحملها إلى أزواجه، وقال: كلن وأطعمن من غشيكن.

-وفي حديث أنس: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصنعت أمي أم سليم حيساً، فجعلته في تور، فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ضعه، وادع لي فلاناً و فلاناً، ومن لقيت.

فدعوتهم، ولم أدع أحداً لقيته إلا دعوته، وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملئوا الصفة والحجرة، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: تحلقوا عشرة عشرة، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام، فدعا فيه، وقال ما شاء الله أن يقول، فأكلوا حتى شبعوا كلهم، فقال لي: (ارفع). فما أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت.

قلت: متفق عليه، وقد سبق... كما أخرجه أصحاب السنن، وهذه رواية الترمذي:

***تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله قال فصنعت أمي أم سليم حيسًا فجعلته في تور فقالت: يا أنس أذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت إليك بها أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول إن هذا لك منا لك قليل يا رسول الله..قال فذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول إن هذا منا لك قليل.. فقال: (ضعه)، ثم قال:(اذهب فأدع لي فلانًا وفلانًا وفلانًا ومن لقيت).. فسمى رجالاً.

قال: فدعوت من سمى ومن لقيت... قال قلت لأنس عددكم كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة قال وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أنس هات التور... قال فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه.. قال فأكلوا حتى شبعوا..قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم.. قال فقال لي: يا أنس ارفع... قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.. قال: وجلس منهم طوائف يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على نسائه ثم رجع فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه قال فابتدروا الباب فخرجوا كلهم.. وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل؛ وأنا جالس في الحجرة فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج علي.. وأنزلت هذه الآيات فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأهن على الناس (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً) (الأحزاب: ٥٣)... قال الجعد قال أنس: أنا أحدث الناس عهدًا بهذه الآيات وحجبن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح والجعد هو بن عثمان ويقال هو بن دينار ويكنى أبا عثمان بصري وهو ثقة عند أهل الحديث روى عنه يونس بن عبيد وشعبة وحماد بن زيد. قال الترمذي: حسن صحيح.

-وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح. وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة، رواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم من لا ينعد بعدهم.

وأكثرها في قصص مشهورة، ومجامع مشهودة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها.

الفصل الخامس عشر:

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

قال القاضي عياض* حدثنا أحمد بن محمد بن غلون الشيخ الصالح فيما أجاز فيه عن أبي عمر الطلمنكي، عن أبي بكر بن المهندس، عن أبي القاسم البغوي، حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي، حدثنا أبو حيان التيمي - وكان صدوقاً،عن مجاهد،عن ابن عمر، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره، فدنا منه أعرابي، فقال:يا أعرابي، أين تريد؟ قال: إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله - قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السمرة، وهي بشاطئ الوادي، وادعُها فإنها تجيبك.

فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها.
قلت: رواه الدارمي - باب مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم مِنْ إِيمَانِ الشَّجَرِ بِهِ وَالْبَهَائِمِ وَالْجِنِّ:
- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِىٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « أَيْنَ تُرِيدُ ». قَالَ إِلَى أَهْلِى. قَالَ « هَلْ لَكَ فِى خَيْرٍ ». قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ « تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ». فَقَالَ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ « هَذِهِ السَّلَمَةُ ». فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهِىَ بِشَاطِئِ الْوَادِى فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلاَثاً فَشَهِدَتْ ثَلاَثاً أَنَّهُ كَمَا قَالَ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الأَعْرَابِىُّ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ إِنِ اتَّبَعُونِى أَتَيْتُكَ بِهِمْ وَإِلاَّ رَجَعْتُ فَكُنْتُ مَعَكَ..
-وعن بريدة: سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية، فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك.
قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت تخد الأرض تجر مغبرةً حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسول الله.
قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت، فدلت عروقها فاستوت.
فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك.
قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.
قال: فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك، فأذن له.
وقفة مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا":
رواه أبو داود - في كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة؛ قال:
- حدثنا عمرو بن عون، أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن شريك، عن حصين، عن الشعبي عن قيس بن سعد قال:
أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبانٍ لهم، فقلت: رسول اللّه أحقُّ أن يسجد له، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبانٍ لهم، فأنت يا رسول اللّه أحق أن نسجد لك، قال: "أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟" قال: قلت: لا، قال: "فلا تفعلوا، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهنَّ؛ لما جعل اللّه لهم عليهنَّ من الحقِّ".
ورواه ابن ماجه - في كتاب النكاح باب حق الزوج على المرأة؛ قال:
- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عفان. حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد ابن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة؛
- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. ولو أن رجلاً أمر امرأة أن تنقل من جبل أحمر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أحمر، لكان نولها أن تفعل)).

في الزوائد: في إسناده علي بن زيد، وهو ضعيف. لكن للحديث طرق أخر. وله شاهدان من حديث طلق بن علي. رواه الترمذي والنسائي. ومن حديث أم سلمة، رواه الترمذي وابن ماجة.

- حدثنا أزهر بن مروان. حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن القاسم الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفى؛ قال:

- لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم. قال:((ما هذا يا معاذ؟)) قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم. فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فلا تفعلوا. فإني لو كنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها... والذي نفس محمد بيده! لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها، وهي على قتب لم تمنعه)).

في الزوائد: رواه ابن حبان في صحيحه. قال السندي: كأنه يريد أنه صحيح الإسناد.

ورواه الدارمي -في كتاب الصلاة باب النهي ان يسجد لأحد؛ قال:

- أخبرنا عمرو بن عون ثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن حصين عن الشعبي عن قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت: يا رسول الله ألا نسجد لك، فقال:" لو أمرت أحدا لأمرت النساء ان يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من حقهم".

- أخبرنا محمد بن يزيد الحزام ثنا حبان بن علي عن صالح بن حبان عن أبي بريدة عن أبيه قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ائذن لي فلأسجد لك؛ قال: (لو كنت آمرا أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها)

ورواه الترمذي - في أبواب مختلفة في النكاح باب ما جاء في حق الزوج على المرأة. قال:

- حدثنا محمود بن غيلان. أخبرنا النضر بن شميل. أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة،

- عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها".

وفي الباب عن معاذ بن جبل وسراقة بن مالك بن جعشم وعائشة وابن عباس وعبد الله بن أبي أوفى وطلق بن علي وأم سلمة وأنس وابن عمر. حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ورواه البيهقي - ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة؛ قال:

- أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزاز نا أحمد بن منصور المروزي ثنا النضر بن شميل أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كنت آمرا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله من حقه عليها).

- أخبرنا محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد الحسين القطان نا أحمد بن يوسف السلمي نا عبد الرحمن بن أي بكر النخعي حدثني أبي نا حصين بن

عبد الرحمن السلمي عن عامر الشعبي عن قيس قال قدمت الحيرة فرأيت أهلها يسجدون لمرزبان لهم فقلت نحن كنا أحق أن نسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمت عليه أخبرته بالذي رأيت قلت نحن كنا أحق أن نسجد لك فقال: لا تفعلوا أرأيت لو مررت بقبري أكنت ساجدًا قلت: لا قال: فلا تفعلوا فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله من حقهم عليهن...

رواه غيره عن شريك فقال عن قيس بن سعد.

ورواه الحاكم - في كتاب النكاح

حدثنا محمد بن صالح بن هانئ حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب حدثنا عمرو بن عون حدثنا شريك عن حصين عن الشعبي عن قيس بن سعد رضى الله تعالى عنه قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت: رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يسجد له فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت رسول الله أحق أن يسجد لك قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟ قلت: لا.. قال: (فلا تفعلوا لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل لله لهم عليهن من حق). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه ابن أبي شيبة - في كتاب النكاح؛ قال:

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: لما قدم معاذ من اليمن قال: يا رسول الله! رأينا قوما يسجد بعضهم لبعض أفلا نسجد لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا! إنه لا يسجد أحد لأحد ولو كنت آمرا أحدًا يسجد لأحد لأمرت النساء يسجدن لأزواجهن ". حدثنا ابن نمير قال نا الأعمش عن أبي ظبيان عن رجل من الأنصار عن معاذ ابن جبل بمثل حديث أبي معاوية.

ورواه أحمد - في مسند الأنصار حدثنا عبد الله حدثني أبي في سنة ثمان وعشرين ومائتين حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل:-أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعضهم أفلا نسجد لك قال: (لو كنت آمرًا بشرًا يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها).

وفي مسند أم المؤمنين عائشة

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عبد الصمد وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان أنبأنا المعني عن علي بن زيد عن سعيد عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه: يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال: (أعبدوا ربكم، وأكرموا أخاكم، ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله).

-وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي بإذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده.

وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمصنف بينهما قال: التئما علي بإذن الله، فالتأمتا.
-رواية أخرى: فقال: (يا جابر، قل لهذه الشجرة: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما) ففعلت، فزحَفت حتى لحِقت بصاحبتها فجلس خلفهما، فخرجت أحضِر، وجلست أحدث نفسي، فالتفت فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفةً، فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً.
قلت: رواه مسلم في كتاب الزهد قال:
سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديًا أفيح. فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته. فاتبعته بإداوة من ماء. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به. فإذا شجرتان بشاطئ الوادي. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها. فقال: "انقادي علي بإذن الله" فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائده. حتى أتى الشجرة الأخرى. فأخذ بغصن من أغصانها. فقال "انقادي علي بإذن الله" فانقادت معه كذلك. حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما، لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال: "التئما علي بإذن الله" فالتأمتا. قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحش رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد (وقال محمد بن عباد: فيتبعد) فجلست أحدث نفسي. فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً. وإذا الشجرتان قد افترقتا. فقامت كل واحدة منهما على ساق. فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة. فقال برأسه هكذا (وأشار أبو إسماعيل برأسه يمينًا وشمالاً) ثم أقبل. فلما انتهى إلي قال "يا جابر! هل رأيت مقامي؟" قلت: نعم. يا رسول الله! قال: "فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنا. فأقبل بهما. حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنًا عن يمينك وغصنا عن يسارك".
قال جابر: فقمت فأخذت حجرا فكسرته وحسرته. فانذلق لي. فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا. ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت غصنا عن يميني وغصنا عن يساري. ثم لحقته فقلت: قد فعلت. يا رسول الله! فعم ذاك؟ قال "إني مررت بقبرين يعذبان. فأحببت، بشفاعتي، أن يرفه عنهما، ما دام الغصنان رطبين".
قلت: أخرج هذا الحديث كل من البيهقي في السنن الكبرى ودلائل النبوة، وابن كثير في البداية والنهاية، والتبريزي في المشكاة...وغيرهم.
-وروى أسامة بن زيد نحوه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه: هل يعني مكاناً لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت: إن الوادي ما فيه موضع بالناس. فقال: هل ترى من نخل أو حجارة؟ قلت: أرى نخلات متقاربات. قال: انطلق وقل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقل للحجارة مثل ذلك.فقلت ذلك لهن، فو الذي بعثه بالحق، لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن زكاماً

خلقهن. فلما قضى حاجته قال لي: قل لهن يفترقن، فو الذي نفسي بيده لرأيتهن و لحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن.
قلت: رواه البيهقي في دلائل النبوة قال:
أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن الغفاري ببغداد حدثنا عثمان ابن أحمد بن السماك حدثنا أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبد الرحيم بن جماد عن معاوية بن يحيى الصدفي أنبأنا الزهري عن خارجة بن زيد قال: قال أسامة بن زيد:
(....ثم قال: يا أسيم أنظر هل ترى من خمر لمخرج رسول الله... فقلت: يا رسول الله، قد دحس الناس الوادي فما فيه موضع. فقال: انظر هل ترى من نخل أو حجارة... فقلت: يا رسول الله، قد رأيت نخلات متقاربات ورجما من حجارة. قال: انطلق إلى النخلات فقل لهن أن رسول الله يأمركن أن تدانين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك.. قال فأتيتهن فقلت ذاك لهن فو الذي بعثك بالحق نبيا لقد جعلت أنظر إلى النخلات يخددن الأرض خدًا حتى اجتمعن وأنظر إلى الحجارة يتقافزن حتى صرن رجمًا خلف النخلات فأتيته فقلت ذاك له قال خذ الأداوة وانطلق فلما قضى حاجته وانصرف قال يا أسيم عد إلى النخلات والحجارة فقل لهن إن رسول الله يأمركن أن ترجعن إلى مواضعكن.
-وقال يعلى بن سيابة: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير... وذكر نحواً من هذين الحديثين، وذكر: فأمر وديتين فانضمتا. و في رواية: أشاءتين.
-وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله: في شجرتين.
قلت أورده البيهقي في دلائل النبوة قال:
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا حدثنا العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلي بن مرة عن أبيه قال: سافرت مع رسول الله سفرًا فرأيت منه أشياء عجبا نزلنا منزلاً فقال انطلق إلى هاتين الأشاءتين فقل أن رسول الله يقول لكما أن تجتمعا فانطلقت فقلت لهما ذلك فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فنزلت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعًا فقضى رسول الله حاجته من ورائهما ثم قال: انطلق فقل لهما فلتعد كل واحدة إلى مكانها فأتيتهما فقلت لهما ذلك فنزلت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها.
-وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين.
قلت أورده البيهقي في دلائل النبوة قال:
وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن إسحاق أنبأنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا أبو حمه حدثنا أبو قرة عن زمعة عن زياد عن أبي الزبير أنه سمع يونس بن خباب الكوفي يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في سفر إلى مكة فذهب إلى الغائط فكان يبعد حتى لا يراه أحد قال فلم يجد شيئًا يتوارى به فبصر بشجرتين فذكر قصة الشجرتين...

-وعن يعلى بن مرة ـ وهو ابن سيابة ـ أيضاً، وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن طلحة أو سمرةً جاءت فأطافت به، ثم رجعت إلى منبتها، فقال رسول صلى الله عليه وسلم : إنها استأذنت أن تسلم علي.
قلت: أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح، وأحمد في المسند، والبيهقي في دلائل النبوة قال:
أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل ببغداد أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الثقفي قال: ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيتة ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ رسول الله ذكرت له فقال: هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله فأذن لها.
-وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: آذنتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له ـ شجرةٌ.
قلت: أخرج البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر الجن.وقول الله تعالى: {قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن} /الجن: ١/.قال:
* ـ حدثني عبيد بن سعيد: حدثنا أبو أسامة: حدثنا مسعر، عن معن ابن عبد الرحمن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا: من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك، يعني عبد الله: أنه آذنت بهم شجرة.
**ـ حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرني جدي، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: (من هذا). فقال: أنا أبو هريرة، فقال: (أبغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتيني بعظم ولا بروثة). فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: (هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا).
قال ابن حجر العسقلاني
قوله باب ذكر الجن.. وقول الله عز وجل: (قل أوحي إلي انه استمع نفر من الجن) الآية يريد تفسير هذه الآية وقد أنكر بن عباس أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الصلاة من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال ما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم الحديث وحديث أبي هريرة في هذا الباب وإن كان ظاهرًا في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالجن وحديثه معهم لكنه ليس فيه انه قرأ عليهم ولا أنهم الجن الذين استمعوا القرآن لأن في حديث أبي هريرة أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلتئذ وأبو هريرة إنما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة المدينة وقصة استماع الجن للقران كان بمكة قبل الهجرة وحديث بن عباس صريح في ذلك فيجمع بين ما نفاه وما أثبته غيره بتعدد وفود الجن على النبي صلى الله عليه وسلم فأما ما وقع في مكة فكان لاستماع

القرآن والرجوع إلى قومهم منذرين كما وقع في القران وإما في المدينة فللسؤال عن الأحكام وذلك بين في الحديثين المذكورين ويحتمل أن يكون القدوم الثاني كان أيضا بمكة وهو الذي يدل عليه حديث بن مسعود كما سنذكره وإما حديث أبي هريرة فليس فيه تصريح بأن ذلك وقع بالمدينة ويحتمل تعدد القدوم بمكة مرتين وبالمدينة أيضًا قال البهيقي حديث بن عباس حكى ما وقع في أول الأمر عندما علم الجن بحاله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود انتهى.

وأشار بذلك إلى ما أخرجه أحمد والحاكم من طريق زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخل فلما سمعوه قالوا أنصتوا وكانوا سبعة أحدهم زوبعة قلت وهذا يوافق حديث بن عباس وأخرج مسلم من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة قال قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل استطير فبتنا شر ليلة فلما كان عند السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء فذكرنا له فقال أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

وقول بن مسعود في هذا الحديث أنه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم أصح مما رواه الزهري أخبرني أبو عثمان بن شيبة الخزاعي أنه سمع بن مسعود يقول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وهو بمكة: " من أحب منكم ان ينظر الليلة اثر الجن فليفعل" قال فلم يحضر منهم أحد غيري فلما كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق ثم قرأ القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انطلقوا وفرغ منهم مع الفجر فانطلق الحديث قال البهيقي يحتمل أن يكون قوله في الصحيح ما صحبه منا أحد أراد به في حال إقرائه القرآن لكن قوله في الصحيح أنهم فقدوه يدل على إنهم لم يعلموا بخروجه إلا أن يحمل على أن الذي فقده غير الذي خرج معه فالله أعلم.

ولرواية الزهري متابع من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن بن مسعود قال: استتبعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن نفرًا من الجن خمسة عشر بني إخوة وبني عم يأتونني الليلة فأقرأ عليهم القرآن" فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطا فذكر الحديث نحوه أخرجه الدارقطني وابن مردويه وغيرهما وأخرج بن مردويه من طريق أبي الجوزاء عن بن مسعود نحوه مختصرًا وذكر بن إسحاق أن استماع الجن كان بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف لما خرج إليها يدعو ثقيفًا إلى نصره وذلك بعد موت أبي طالب وكان ذلك في سنة عشر من المبعث كما جزم بن سعد بأن خروجه إلى الطائف كان في شوال وسوق عكاظ التي أشار إليها بن عباس كانت تقام في ذي القعدة وقول بن عباس في حديثه وهو يصلي بأصحابه لم يضبط ممن كان معه في تلك السفرة غير زيد بن حارثة فلعل بعض الصحابة تلقاه لما رجع والله أعلم.

وقول من قال أن وفود الجن كان بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف ليس صريحا في أولية قدوم بعضهم والذي يظهر من سياق الحديث الذي فيه المبالغة في

رمي الشهب لحراسة السماء من استراق الجن السمع دال على أن ذلك كان قبل المبعث النبوي وإنزال الوحي إلى الأرض فكشفوا ذلك إلى أن وقفوا على السبب ولذلك لم يقيد الترجمة بقدوم ولا وفادة ثم لما انتشرت الدعوة وأسلم من أسلم قدموا فسمعوا فأسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ثم تعدد مجيئهم حتى في المدينة.

قوله حدثني عبيد الله بن سعيد هو أبو قدامة السرخسي وهو بالتصغير مشهور بكنيته وفي طبقته عبد الله بن سعيد مكبر وهو أبو سعيد الأشج قوله عن معن بن عبد الرحمن أي بن عبد الله بن مسعود وهو كوفي ثقة ما له في البخاري إلا هذا الموضع قوله من آذن بالمد أي أعلم قوله انه آذنت بهم شجرة في رواية إسحاق بن راهويه في مسنده عن أبي أسامة بهذا الإسناد آذنت بهم سمرة بفتح المهملة وضم الميم.

قوله في حديث أبي هريرة أخبرني جدي هو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قوله أبغني قال بن التين هو موصول من الثلاثي تقول بغيت الشيء طلبته وأبغيتك الشيء أعنتك على طلبه قوله أحجارًا أستنفض بها تقدم شرح ذلك في كتاب الطهارة قوله وأنه أتاني وفد جن نصيبين يحتمل أن يكون خبرًا عما وقع في تلك الليلة ويحتمل أن يكون خبرًا عما مضى قبل ذلك ونصيبين بلدة مشهورة بالجزيرة ووقع في كلام بن التين إنها بالشام وفيه تجوز فان الجزيرة بين الشام والعراق ويجوز صرف نصيبين وتركه قوله فسألوني الزاد أي مما يفضل عن الأنس وقد يتعلق به من يقول إن الأشياء قبل الشرع على الحظر حتى ترد الإباحة ويجاب عنه بمنع الدلالة على ذلك بل لا حكم قبل الشرع على الصحيح قوله فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعمًا. في رواية السرخسي إلا وجدوا عليها طعامًا قال بن التين يحتمل أن يجعل الله ذلك عليها ويحتمل أن يذيقهم منها طعامًا وفي حديث بن مسعود عند مسلم أن البعر زاد دوابهم ولا ينافي ذلك حديث الباب لا مكان حمل الطعام فيه على طعام الدواب.

وروى مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن قال:

*حدثنا شيبان بن فروخ. حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم. انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ. وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء. وأرسلت عليهم الشهب. فرجعت الشياطين إلى قومهم. فقالوا: مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء. وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها. فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة (وهو بنخل، عامدين إلى سوق عكاظ. وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر) فلما سمعوا القرآن استمعوا له. وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا! إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به. ولن نشرك بربنا أحدًا. فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن} [٧٢/الجن/ الآية-١].

**حدثنا محمد بن المثنى. حدثنا عبد الأعلى عن داود، عن عامر، قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود. فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا. ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة. ففقدناه. فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: "أتاني داعي الجن. فذهبت معه. فقرأت عليهم القرآن". قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد. فقال: "لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم، أوفر ما يكون لحما. وكل بعرة علف لدوابكم". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم".

**وحدثنيه علي بن حجر السعدي. حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود، بهذا الإسناد، إلى قوله: وآثار نيرانهم. قال الشعبي: وسألوه الزاد. وكانوا من جن الجزيرة. إلى آخر الحديث من قول الشعبي. مفصلا من حديث عبد الله.

**وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عبد الله بن إدريس عن داود، عن الشعبي، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم. إلى قوله: وآثار نيرانهم. ولم يذكر ما بعده.

**حدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا خالد بن عبد الله عن خالد، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله. قال:لم أكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووددت أني كنت معه.

**حدثنا سعيد بن محمد الجرمي وعبيد الله بن سعيد. قالا: حدثنا أبو أسامة عن مسعر، عن معن؛ قال: سمعت أبي قال:سألت مسروقًا: من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك (يعني ابن مسعود) أنه آذنته بهم شجرة.

قال النووي

قوله: (سوق عكاظ) هو بضم العين وبالظاء المعجمة يصرف ولا يصرف، والسوق تؤنث وتذكر لغتان، قيل: سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم. قوله: (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم) وذكر بعده حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن) قال العلماء: هما قضيتان، فحديث ابن عباس في أول الأمر وأول النبوة حين أتوا فسمعوا قراءة قل أوحي، واختلف المفسرون هل علم النبيّ صلى الله عليه وسلم استماعهم حال استماعهم بوحي أوحي إليه أم لم يعلم بهم إلا بعد ذلك؟ وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى جرت بعد ذلك بزمان الله أعلم بقدره وكان بعد اشتهار الإسلام. قوله: (وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم) ظاهر هذا الكلام أن هذا حدث بعد نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبلها، ولهذا أنكرته الشياطين وارتاعت له وضربوا مشارق الأرض ومغاربها ليعرفوا خبره، ولهذا كانت الكهانة فاشية في

العرب، حتى قطع بين الشياطين وبين صعود السماء واستراق السمع كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: {وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً} وقد جاءت أشعار العرب باستغرابهم رميها لكونهم لم يعهدوه قبل النبوة وكان رميها من دلائل النبوة. وقال جماعة من العلماء: ما زالت الشهب منذ كانت الدنيا وهو قول ابن عباس والزهري وغيرهما وقد جاء ذلك في أشعار العرب. وروى فيه ابن عباس رضي الله عنهما حديثاً قيل للزهري فقد قال الله تعالى: {فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً} فقال: كانت الشهب قليلة فغلظ أمرها وكثرت حين بعث نبيًا صلى الله عليه وسلم وقال المفسرون نحو هذا وذكروا أن الرمي بها وحراسة السماء كانت موجودة قبل النبوة ومعلومة، ولكن إنما كانت تقع عند حدوث أمر عظيم من عذاب ينزل بأهل الأرض أو إرسال رسول إليهم، وعليه تأولوا قوله تعالى: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً} وقيل: كانت الشهب قبل مرئية ومعلومة، لكن رجم الشياطين وإحراقهم لم يكن إلا بعد نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم. واختلفوا في إعراب قوله تعالى: {رجوماً} وفي معناه فقيل هو مصدر فتكون الكواكب هي الراجمة المحرقة بشهبها لا بأنفسها. وقيل: هو اسم فتكون هي بأنفسها التي يرجم بها ويكون رجوم جمع رجم بفتح الراء والله أعلم. قوله: (فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها) معناه سيروا فيها كلها. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عوراتهما يتحدثان فإن الله تعالى يمقت على ذلك" قوله: (فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل) هكذا وقع في مسلم بنخل بالخاء المعجمة وصوابه بنخلة بالهاء وهو موضع معروف هناك، كذا جاء صوابه في صحيح البخاري، ويحتمل أنه يقال فيه نخل ونخلة، وأما تهامة فبكسر التاء وهو اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تعامة. قال ابن فارس في المجمل: سميت تهامة من التهم بفتح التاء والهاء وهو شدة الحر وركود الريح. وقال صاحب المطالع: سميت بذلك لتغير هوائها يقال تهم الدهن إذا تغير. وذكر الحازمي أنه يقال في أرض تهامة تهائم. قوله: (وهو يصلي بأصحابه صلاة الصبح فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذي حال بيننا وبين السماء) فيه الجهر بالقراءة في الصبح، وفيه إثبات صلاة الجماعة وأنها مشروعة في السفر، وأنها كانت مشروعة من أول النبوة. قال الإمام أبو عبد الله المازري: ظاهر الحديث أنهم آمنوا عند سماع القرآن، ولا بد لمن آمن عند سماعه أن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة، وبعد ذلك يقع له العلم بصدق الرسول، فيكون الجن علموا ذلك من كتب الرسل المتقدمين قبلهم على أنه هو النبي الصادق المبشر به، واتفق العلماء على أن الجن يعذبون في الآخرة على المعاصي، قال الله تعالى: {لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} واختلفوا في أن مؤمنهم ومطيعهم هل يدخل الجنة وينعم بها ثواباً ومجازاة له على طاعته أم لا يدخلون؟ بل يكون ثوابهم أن ينجوا من النار ثم يقال: كونوا تراباً كالبهائم. وهذا مذهب ابن أبي سليم وجماعة، والصحيح أنهم يدخلونها وينعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما، وهذا قول الحسن البصري والضحاك ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وغيرهم.

قوله: (سألت ابن مسعود هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا) هذا صريح في إبطال الحديث المروي في سنن أبي داود وغيره المذكور فيه الوضوء بالنبيذ، وحضور ابن مسعود معه صلى الله عليه وسلم ليلة الجن، فإن هذا الحديث صحيح وحديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين، ومداره على زيد مولى عمرو بن حريث وهو مجهول. قوله: (استطير أو اغتيل) معنى استطير طارت به الجن، ومعنى اغتيل قتل سراً، والغيلة بكسر الغين هي القتل في خفية. قال الدارقطني: انتهى حديث ابن مسعود عند قوله: فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وما بعده من قول الشعبي، كذا رواه أصحاب داود الراوي عن الشعبي وابن علية وابن زريع وابن أبي زائدة وابن إدريس وغيرهم، هكذا قاله الدارقطني وغيره. ومعنى قوله أنه من كلام الشعبي أنه ليس مروياً عن ابن مسعود بهذا الحديث وإلا فالشعبي لا يقول هذا الكلام إلا بتوقيف عن النبيّ صلى الله عليه وسلم والله أعلم.
قوله: (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه) قال بعض العلماء، هذا لمؤمنيهم، وأما غيرهم فجاء في حديث آخر أن طعامهم ما لم يذكر اسم الله عليه. قوله: (وددت أني كنت معه) فيه الحرص على مصاحبة أهل الفضل في أسفارهم ومهماتهم ومشاهدهم ومجالسهم مطلقاً والتأسف على فوات ذلك. قوله: (آذنت بهم شجرة) هذا دليل على أن الله تعالى يجعل فيما يشاء من الجماد تمييزاً، ونظيره قوله الله تعالى: {وإن منها لما يهبط من خشية الله} وقوله تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} وقوله صلى الله عليه وسلم : "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي" وحديث الشجرتين اللتين أتتاه صلى الله عليه وسلم وقد ذكره مسلم في آخر الكتاب، وحديث حنين الجذع وتسبيح الطعام وفرار حجر موسى بثوبه ورجعان حراء وأحد والله أعلم.....
-وعن مجاهد، عن ابن مسعود في هذا الحديث: إن الجن قالوا: من يشهد لك؟ قال: هذه الشجرة. تعالى يا شجرة، فجاءت تجر عروقها لها قعاقع...
-وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه.
قلت: قال البيهقي في دلائل النبوة، باب ذكر إسلام الجن وما ظهر في ذلك من آيات المصطفى صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *) الأحقاف ٢٩-٣٢)
وفي موضع آخر (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً (*وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء

فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً (* وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً *وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً * وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً * وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (الجن ١-١٩)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال حدثني يحيى بن محمد بن يحيى وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قالا حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا إسماعيل القاضي قال حدثنا مسدد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله على الجن وما رآهم انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله وهو بنخلة عامدًا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا يا قومنا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) فأنزل الله عز وجل على نبيه (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحي إليه قول الجن

رواه البخاري في الصحيح عن مسدد.

ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة

وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود ورأى آثارهم وآثار نيرانهم والله أعلم

وعبد الله بن مسعود حفظ القصتين جميعًا فرواهما.

أما القصة الأولى ففيما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو علي الحافظ قال أخبرنا عبدان الأهواري قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال هبطوا على النبي وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قالوا صه وكانوا سبعة أحدهم زوبعة فأنزل الله تبارك و تعالى: (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا الآية إلى ضلال مبين)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب إملاء قال حدثنا أبو عمرو المستملي قال حدثنا أبو قدامة عبيد الله ابن سعيد قال حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن معن قال سمعت أبي قال سألت مسروقًا من آذن النبي ليلة استمعوا القرآن فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود أنه آذنته بهم شجرة.

رواه البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي قدامة

وأما القصة الأخرى ففيما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أحمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زايدة قال أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب رسول الله ليلة الجن منكم أحد فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر إذا نحن يجيء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فذكروا الذي كانوا فيه فقال إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم

قال وقال الشعبي سألوه الزاد وقال ابن أبي زائدة قال عامر سألوه ليلتئذ الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال: (كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن).

رواه مسلم في الصحيح عن علي بن حجر عن إسماعيل بن علية والأحاديث الصحاح تدل على أن عبد الله بن مسعود لم يكن مع النبي ليلة الجن وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره ويريهم آثار الجن وآثار نيرانهم

وقد روي من أوجه آخر أنه كان معه ليلتئذ منها ما حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن البلخي ببغداد من أصل كتابه قال حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي قال حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح قال حدثني الليث بن سعد قال حدثني يونس بن زيد عن ابن شهاب قال أخبرني أبو عثمان بن سنة الخزاعي وكان رجلاً من أهل الشام أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول إن رسول الله قال لأصحابه وهو بمكة من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفزع رسول الله مع الفجر فانطلق فبرز ثم أتاني فقال: (ما فعل الرهط؟) فقلت هم أولئك يا رسول الله فأخذ عظما وروثا فأعطاهم إياه زادا ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو بروث.

قلت: يحتمل قوله في الحديث الصحيح ما صحبه منا أحد أراد به في حال ذهابه لقراءة القرآن عليهم إلا أن ما روي في هذا الحديث من إعلامه أصحابه بخروجه إليهم يخالف ما روي في الحديث الصحيح من فقدانهم إياه حتى قيل اغتيل استطير إلا أن يكون المراد بمن فقده غير الذي علم بخروجه والله أعلم.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قالا أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوسنجي قال حدثنا روح

بن صلاح قال حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال استتبعني رسول الله فقال: "إن نفرًا من الجن خمسة عشر بني أخوة وبني عم يأتونني الليل فأقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطا وأجلسني فيه وقال لي لا تخرج من هذا فبت فيه حتى أتاني رسول الله مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحممة فقال لي إذا ذهبت إلى الخلاء فلا تستنجي بشيء من هؤلاء قال فلما أصبحت قلت لأعلمن علمي حيث كان رسول الله قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرا أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار قال حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي قال حدثنا يزيد هو ابن هارون قال حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أن ابن مسعود أبصر زطا في بعض الطريق فقال ما هؤلاء قالوا هؤلاء الزط قال ما رأيت شبههم إلا الجن ليلة الجن وكانوا مستنفرين يتبع بعضهم بعضًا.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ في آخرين قالوا حدثنا أبو العباس هو الأصم قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا عثمان بن عمر عن مستمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود قال انطلقت مع النبي ليلة الجن حتى إذا أتى الحجون فخط علي خطا ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان إني أنا أرحلهم عنك فقال إني لن يجيرني من الله أحد.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر قال حدثنا مروان بن محمد قال حدثنا زهير بن محمد عن محمد ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئا فقال رسول الله: للجن كانوا أحسن جوابًا منكم لما قرأت عليهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب.

وحدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق قال حدثنا محمد بن إبراهيم البوسنجي قال حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد العنبري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قرأ رسول الله سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد".

أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال أخبرنا أبو جعفر الرزاز قال حدثنا أحمد بن الخليل البرجلاني قال حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم قال حدثنا المسعودي عن قتادة عن أبي المليح الهذلي أنه كتب إلى أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود أين قرأ رسول الله على الجن فكتب إليه أنه قرأ عليهم بشعب يقال له الحجون أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب قال أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي قال أخبرني الحسن هو ابن سفيان قال حدثني سويد بن سعيد قال حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة يتبع رسول الله بإداوة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال: من هذا؟ قال أنا أبو هريرة قال: إئتني بأحجار استنجي بها ولا تأتني بعظم ولا روثة فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقلت يا رسول الله ما بال العظم

والروثة فقال أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بروثة ولا بعظم إلا وجدوا طعامًا.
رواه البخاري في الصحيح عن موسى بن إسماعيل عن عمرو.
*قال القاضي أبو الفضل: فهذا ابن عمر، وبريدة، وجابر، وابن مسعود، ويعلى بن مرة، وأسامة بن زيد، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وغيرهم ـ وقد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها. وقد رواها عنهم من التابعين أضعافهم، فصارت في انتشارها من القوة حيث هي.
-وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلاً، و هو وسن، فاعترضته سدرة، فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهي هناك معروفة معظمة.
قلت: ذكره الماوردي في أعلام النبوة قال:
و من آياته صلى الله عليه وسلم:
أنه مر في غزوة الطائف في كثيف من طلح فمشى و هو وسن من النوم فاعترضته سدرة فانفرجت السدرة له بنصفين فمر بين نصفيها و بقيت السدرة منفرجة على ساقين إلى قريب من أعصارنا هذه و كانت معروفة بذلك في مكانها يتبرك بها كل مار و يسمونها سدرة النبي صلى الله عليه وسلم.
-ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه ـ أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ـ ورآه حزيناً: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع تلك الشجرة، فجاءت تمشي حتى قا مت بين يديه. قال: مرها فلترجع، فعادت إلى مكانها.
-وعن علي نحو هذا، ولم يذكر فيها جبريل، قال: اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها، فدعا شجرة... وذكر مثله.
-وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه و طلبه الآية لهم لا له.
-وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه، ثم قال: ارجعي، فرجعت.
-وعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه، وسأله آية يعلم بها ألا مخافة عليه، فأوحى إليه ائت وادي كذا فيه شجرة، فادع غصنًا منها يأتك. ففعل، فجاء يخط الأرض خطًا حتى انتصب بين يديه، فحبسه ما شاء الله، ثم قال له: ارجع كما جئت، فرجع، فقال: يا رب، علمت أن لا مخافة علي" .
ونحو منه عن عمر، وقال فيه: أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها... وذكر نحوه.
قلت:رواه البيهقي،والدارمي؛ وابن ماجه قال:
حدثنا محمد بن طريف ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين، قد خضب بالدماء، قد ضربه بعض أهل مكة... فقال مالك؟ فقال: فعل بي هؤلاء وفعلوا... قال: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم أرني.. فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، قال: ادع تلك الشجرة.. فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه.. قال: قل

لها فلترجع. فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي... قال الشيخ الألباني: صحيح.
-وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي: أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فدعاه فجعل ينقر حتى أتاه. فقال: ارجع، فعاد إلى مكانه.
وخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث صحيح.
قلت: رواه الترمذي قال:
حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن سعيد حدثنا شريك عن سماك عن أبي ظبيان عن بن عباس قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف أنك نبي؟!
قال: "إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "ارجع" فعاد فأسلم الأعرابي...
قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح؛ وقال الشيخ الألباني: صحيح
----

٢٣. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٥) حنين الجذع وما شابهها

الفصل السادس عشر:
في قصة حـنـيـن الـجـذع
* ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع، وهو في نفسه مشهور منتشر، والخبر به متواتر، قد خرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم أبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري وبريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة، كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث. قال الترمذي: وحديث أنس صحيح.
-قال جابر بن عبد الله: كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار.
-وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد بخواره.
-وفي رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا به.
-وفي رواية المطلب وأبي: حتى تصدع وانشق، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع يده عليه فسكت.
زاد غيره: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا بكى لما فقد من الذكر".
وزاد غيره: والذي نفسي بيده: لو لم التزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة. تحزناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر به صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر.كذا في حديث المطلب، وسهل بن سعد، وإسحاق، عن أنس.
-وفي بعض الروايات عن سهل: فدفنت تحت منبره، أو جعلت في السقف.
-وفي حديث أبي: فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم إليه، فلما هدم المسجد أخذه أبي، فكان عنده إلى أن أكلته الأرض، وعاد رفاتاً.

-وذكر الإسفراييني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض، فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه.
-وفي حديث بريده: فقال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: "إن شئت أدرك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وثمرة، وإن شئت أغرسك في الجنة، فيأكل أولياء الله من ثمرك". ثم أصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول. فقال: تغرسني في الجنة، فيأكل مني أولياء الله، و أكون في مكان لا أبلى فيه. فسمعه من يليه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد فعلت ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء.
فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى، وقال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. رواه - عن جابر - حفص بن عبيد الله و يقال: عبيد الله بن حفص، و يمن، وبو نضرة، و بن المسيب، وسعيد بن أبي كرب، وكريب، وأبو صالح.
ورواه عن أنس بن مالك الحسن، وثابت، وإسحاق بن أبي طلحة.
ورواه عن ابن عمر: نافع، وأبو حية، ورواه أبو نضرة، وأبو الوداك، عن أبي سعيد، وعمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، وأبو حازم، وعباس بن سهل، عن سهل بن سعد، وكثير بن زيد عن المطلب، وعبد الله بن بريدة عن أبيه، والطفيل بن أبي عن أبيه.
-قال القاضي أبو الفضل: فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة، ورواه من الصحابة من ذكرنا، وغيرهم من التابعين ضعفهم، إلى من لم نذكره، وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب. والله المثبت على الصواب.
وقفة مع ما روي في أنين جذع النخلة لما تحول عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنبر:
البخاري
في كتاب الجمعة باب: الخطبة على المنبر:
- حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: أخبرني يحيى بن سعيد قال: أخبرني ابن أنس: أنه سمع جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وضع له المنبر، سمعنا للجذع مثل أصوات العشار، حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه.قال سليمان، عن يحيى: أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس: أنه سمع جابرًا.
وفي كتاب المناقب
-حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان: حدثنا أبو حفص، واسمه عمر بن العلاء، أخو أبي عمرو بن العلاء، قال: سمعت نافعًا، عن ابن عمر رضي الله عنهما:كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع، فأتاه يمسح يده عليه.وقال عبد الحميد: أخبرنا عثمان بن عمر: أخبرنا معاذ بن العلاء، عن نافع بهذا. ورواه أبو عاصم، عن ابن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

- حدثنا أبو نعيم: حدثنا عبد الواحد بن أيمن قال: سمعت أبي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال:(إن شئتم). فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن. قال:(كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها).

- حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد قال: أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك: أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت.

مسلم

ذكر الأعواد التي عمل منها المنبر ولم يذكر جذع النخلة:

حدثنا يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد. كلاهما عن عبد العزيز. قال يحيى: أخبرنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه؛ أن نفرًا جاءوا إلى سهل بن سعد. قد تماروا في المنبر. من أي عود هو؟ فقال:

أما والله! إني لأعرف من أي عود هو. ومن عمله. ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس عليه. قال فقلت له: يا أبا عباس! فحدثنا. قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة (قال أبو حازم: إنه ليسميها يومئذ) "انظري غلامك النجار. يعمل لي أعوادًا أكلم الناس عليها". فعمل هذه الثلاث درجات. ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوضعت هذا الموضع. فهي من طرفاء [؟؟] الغابة. ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه. وهو على المنبر. ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر. ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته. ثم أقبل على الناس فقال: "يا أيها الناس! إني صنعت هذا لتأتموا بي. ولتعلموا صلاتي".

حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القارئ القرشي. حدثني أبو حازم؛ أن رجالاً أتوا سهل بن سعد. ح قال وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وابن أبي عمر. قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي حازم؛ قال: أتوا سهل بن سعد فسألوه: من أي شيء منبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وساقوا الحديث. نحو حديث ابن أبي حازم

الترمذي

في أبواب الجمعة باب ما جاء في الخطبة على المنبر:

- حدثنا أبو حفص عمرو بن علي الفلاس أخبرنا عثمان بن عمر ويحيى بن كثير أبو غسان العنبري قالا حدثنا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه فالتزمه

فسكن".وفي الباب عن أنس وجابر وسهل بن سعد وأبي بن كعب وابن عباس وأم سلمة.
قال أبو عيسى: حديث ابن عمر حديث حسن غريب صحيح.ومعاذ بن العلاء هو بصري أخو أبي عمرو بن العلاء.
وفي أبواب المناقب
- حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب إلى لزق جذع واتخذوا له منبرا فخطب عليه فحن الجذع حنين الناقة فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فمسه فسكت". وفي الباب عن أبي وجابر وابن عمر وسهل بن سعد وابن عباس وأم سلمة. حديث أنس هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه
النسائي
في باب مقام الإمام في الخطبة مقام الإمام في الخطبة:
- أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود قال أنبأنا ابن وهب قال ابن جريج أن أبا الزبير أخبره أنه سمع جابر بن عبد الله يقول:-كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع المنبر واستوي عليه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة حتى نزل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها فسكتت..
الدارمي
في مجموعة أبواب في المقدمة باب ما أكرم النبي صلى الله عليه وسلم بحنين المنبر:
أخبرنا عثمان بن عمر أنا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه فمسحه.
أخبرنا محمد بن حميد ثنا تميم بن عبد المؤمن ثنا صالح بن حيان حدثني ابن بريدة عن أبيه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه فأتي بجذع نخلة فحفر له وأقيم إلى جنبه قائما للنبي صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب فطال القيام عليه استند إليه فاتكأ عليه فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائما إلى جنب ذلك الجذع، فقال لمن يليه من الناس لو أعلم أن محمدًا يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلسًا يقوم عليه فإن شاء جلس ما شاء وإن شاء قام فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ائتوني به فأتوه به فأمر أن يصنع له هذه المراقي الثلاث أو الأربع هي الآن في منبر المدينة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحة فلما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الجذع وعمد إلى هذه التي صنعت له جزع الجذع فحن كما تحن الناقة حين فارقه النبي صلى الله عليه وسلم فزعم بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه، وقال: "اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك ونخلك فعلت"..

فزعم أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: نعم قد فعلت مرتين فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اختار أن أغرسه في الجنة.

أخبرنا محمد بن كثير عن سليمان بن كثير عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم إلى جذع قبل أن يجعل المنبر فلما جعل المنبر حن ذلك الجذع حتى سمعنا حنينه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه فسكن.

حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن يحيى بن سعيد عن حفص بن عبيد الله عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى خشبة فلما صنع المنبر فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حنت حنين العشار حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليها فسكنت.

أخبرنا فروة ثنا يحيى بن زكريا عن أبيه عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر بن عبد الله قال حنت الخشبة حنين الناقة الخلوج.

أخبرنا زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع ويخطب إليه إذ كان المسجد عريشًا، فقال له رجل من أصحابه: ألا نجعل لك عريشا تقوم عليه يراك الناس يوم الجمعة وتسمع من خطبتك قال: نعم... فصنع له الثلاث درجات هن اللواتي على المنبر. فلما صنع المنبر ووضع في موضعه الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المنبر مر عليه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق فرجع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر قال: فكان إذا صلى صلى إليه فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فلم يزل عنده حتى بلي فأكلته الأرضة وعاد رفاتًا

حدثنا عبيد الله بن سعيد ثنا أبو أسامة عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى لزق جذع فأتاه رجل رومي، فقال اصنع لك منبرًا تخطب عليه فصنع له منبرا هذا الذي ترون قال: فلما قام عليه النبي صلى الله عليه وسلم يخطب حن الجذع حنين الناقة إلى ولدها فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه إليه فسكن فأمر به أن يحفر له ويدفن.

أخبرنا مسلم بن إبراهيم ثنا الصعق قال: سمعت الحسن يقول لما أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جعل يسند ظهره إلى خشبة ويحدث الناس فكثروا حوله فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمعهم، فقال ابنوا لي شيئا ارتفع عليه قالوا كيف يا نبي الله قال عريش كعريش موسى فلما أن بنوا له قال الحسن حنت والله الخشبة قال الحسن سبحان الله هل تبتغي قلوب قوم سمعوا قال أبو محمد يعني هذا.

أخبرنا الحجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حن الجذع فاحتضنه فسكن، وقال: لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة.

أخبرنا الحجاج بن منهال ثنا حماد عن ثابت عن أنس بمثله

أخبرنا عبد الله بن يزيد ثنا المسعودي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال حنت الخشبة التي كان يقوم عندها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ووضع يده عليها فسكنت.
أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا إسحاق بن أبي طلحة حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس فجاءه رومي، فقال ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبي الله صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن، ثم قال: "أما والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنا على رسول الله" صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن.
وفي كتاب الصلاة باب مقام الإمام إذا خطب
أخبرنا محمد بن كثير عن سليمان بن كثير عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم إلى جذع قبل أن يجعل المنبر فلما جعل المنبر حن ذلك الجزع حتى سمعنا حنينه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه فسكن.

حدثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر فلما اتخذ المنبر تحول إليه حن الجذع فاحتضنه فسكن، وقال: لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة.
حدثنا حجاج ثنا حماد عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله
حدثنا عبد الله بن يزيد ثنا المسعودي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال لما كثر الناس بالمدينة جعل الرجل يجيء والقوم يجيؤون فلا يكادون يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرجعوا من عنده، فقال له الناس يا رسول الله إن الناس قد كثروا وإن الجائي يجيء فلا يكاد يسمع كلامك قال: فما شئتم فأرسل إلى غلام لامرأة من الأنصار نجار وإلى طرفاء الغابة فجعلوا له مرقاتين أو ثلاثا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليه ويخطب عليه فلما فعلوا ذلك حنت الخشبة التي كان يقوم عندها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فوضع يده عليها فسكنت****
ابن ماجه
في كتاب لإقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في بدء شأن المنبر
- حدثنا إسماعيل بن عبد الله الرقي. حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الله ابن محمد بن غقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه؛ قال:- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشًا. وكان يخطب إلى ذلك الجذع. فقال رجل من أصحابه: هل لك أن نجعل لك شيئًا تقوم عليه يوم الجمعة حتى

يراك الناس وتسمعهم خطبتك؟ قال(نعم) فصنع ثلاث درجات. فهي التي أعلى المنبر. فلما وضع المنبر، وضعوه في موضعه الذي هو فيه. فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم إلى المنبر، مر إلى الجذع الذي كان يخطب إليه. فلما جاوز الجذع، خار حتى تصدع وانشق. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع. فمسحه بيده حتى سكن. ثم رجع إلى المنبر. فكان إذا صلى، صلى إليه. فلما هدم المسجد وغير، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب. وكان عنده في بيته حتى بلى. فأكلته الأرضة وعاد رفاتًا.

- حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي. حدثنا بهز بن أسد. حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس؛ وعن ثابت، عن أنس؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع. فلما اتخذ المنبر ذهب إلى المنبر. فحن الجذع فأتاه فاحتضنه فسكن. فقال: (لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة).
في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.
- حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري. حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي حازم؛ قال:- اختلف الناس في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي شيء هو؟ فأتوا سهل بن سعد فسألوه. فقال: ما بقي أحد من الناس أعلم به مني. هو من أثل الغابة. عمله فلان مولى فلانة، نجار. فجاء به. فقام عليه حينما وضع. فاستقبل وقام الناس خلفه. فقرأ ثم ركع ثم رفع رأسه فرجع القهقري حتى سجد بالأرض. ثم عاد إلى المنبر فقرأ ثم ركع فقام ثم رجع القهقرى حتى سجد بالأرض.
- حدثنا أبو بشر، بكر بن خلف. حدثنا ابن أبي عدي، عن سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله؛ قال:
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم إلى أصل شجرة -أو قال إلى جذع- ثم اتخذ منبرا. قال فحن الجذع. قال جابر حتى سمعه أهل المسجد حتى أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه فسكن. فقال بعضهم: لو لم يأته لحن إلى يوم القيامة.
في الزوائد: إسناده صحيح وابن عدي ثقة. وقال: وقد أخرجه النسائي عن جابر بسند آخر.
البيهقي
باب مقام الإمام في الخطبة
أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنبأ أبو بكر محمد بن أحمد بن خنب البخاري أنبأ أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي ثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان يعني بن بلال قال: قال يحيى يعني بن سعيد: أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك الأنصاري أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كان المسجد في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسقوفًا على جذوع من نخل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع فلما صنع المنبر كان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت رواه البخاري في الصحيح عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا جعفر بن محمد وإسماعيل بن قتيبة قالا: ثنا يحيى بن يحيى أنبأ عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن نفرا جاءوا إلى سهل بن سعد قد تماروا في المنبر من أي عود هو فقال: أما والله إني لأعرف من أي عود هو ومن عمله ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس عليه.. قال فقلت له يا أبا عباس فحدثنا فقال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة نقال أبو حازم إنه لسماها يومئذ.. "انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا لأكلم الناس عليها".. فعمل هذه الثلاث درجات ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت هذا الموضع؛ فهي من طرفاء الغابة ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر يعني ثم ركع ثم رفع فنزل القهقري حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى.

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنبأ إسماعيل بن محمد الصفار قال ثنا الحسن بن الفضل بن السمح ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ح وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبا أبو علي حامد بن محمد الهروي ثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا عبد الواحد بن أيمن حدثني أبي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا تجعل لك منبرًا قال: إن شئتم فاجعلوه.. فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة ذهب إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها إليه كانت تئن أنين الصبي الذي يسكت قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها.. لفظ حديث أبي عبد الله رواه البخاري في الصحيح عن أبي نعيم.

وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرني أبو أحمد الحافظ أنبأ أبو الجهم محمد بن الحسين القرشي ثنا شعيب بن عمرو الضبعي ثنا أبو عاصم ثنا بن أبي رواد حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن تميم الداري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسن وثقل ألا نتخذ لك منبرًا تحمل أو تجمع أو كلمة تشبهها عظامك فاتخذ له مرقاتين أو ثلاثة فجلس عليها قال فصعد النبي صلى الله عليه وسلم فحن جذع كان في المسجد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يستند إليه فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضنه فقال له شيئًا لا أدرى ما هو ثم صعد المنبر وكانت أساطين المسجد جذوعا وسقائفه جريدًا قال البخاري روى أبو عاصم عن بن أبي رواد فذكره.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا عثمان بن عمر ثنا معاذ بن العلاء عن نافع عن بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر حن الجذع فأتاه فالتزمه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري في الصحيح فقال وقال عبد الحميد أنبأ عثمان بن عمر.

البيهقي في دلائل النبوة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قال حدثنا تميم ابن المنتصر

ح وحدثنا منصور بن عبد الوهاب بن أحمد الصوفي قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان البخاري قال أخبرنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي قال حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال قال حدثني أبو بكر بن أبي أويس قال حدثني سليمان بن بلال عن سعد بن سعيد بن قيس عن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه أن رسول الله كان يقوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين قال أراها من دوم كانت في مصلاه وكان يتكئ إليها فقال له أصحابه يا رسول الله إن الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئًا تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس فقال: ما شئتم قال سهل ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد قال فذهبت أنا وذلك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلة قال: فقام رسول الله فحنت الخشبة فقال رسول الله: "ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة" فأقبل الناس عليها فرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم فنزل رسول الله فأتاها فوضع يده عليها فسكنت فأمر رسول الله بها فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف.

ابن خزيمة

باب ذكر أن موضع قيام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة كان قبل اتخاذه المنبر والدليل على أن الخطبة على الأرض جائزة من غير صعود المنبر يوم الجمعة والعلة التي لها أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ المنبر إذ هو أحرى أن يسمع الناس خطبة الإمام إذا كثروا إذا خطب على المنبر.

أنا أبو طاهر نا أبو بكر نا علي بن خشرم أخبرنا عيسى يعني بن يونس عن المبارك وهو بن فضالة عن الحسن عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم يوم الجمعة يسند ظهره إلى سارية من خشب أو جذع أو نخلة شك المبارك فلما كثر الناس قال: ابنوا لي منبرًا.. فبنوا له المنبر، فتحول إليه حنت الخشبة حنين الواله فما زالت حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فأتاها فاحتضنها فسكنت قال أبو بكر الواله يريد بها المرأة إذا مات لها ولد.

باب ذكر العلة التي لها حن الجذع عند قيام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وصفة منبر النبي صلى الله عليه وسلم وعدد درجه والاستناد إلى شيء إذا خطب على الأرض

أنا أبو طاهر نا أبو بكر نا محمد بن بشار ثنا عمر بن يونس نا عكرمة بن عمار نا إسحاق بن أبي طلحة ثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب.. فجاء رومي فقال ألا نصنع لك شيئا تقعد وكأنك قائم فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبي الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع خوار الثور حتى ارتج المسجد بخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فألتزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ثم قال: "والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه ما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله". صلى الله عليه وسلم... فأمر به رسول الله صلى الله

عليه وسلم فدفن يعني الجذع وفي خبر جابر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا بكى لما فقد من الذكر".
ابن ابي شيبة
حدثنا الحسن بن موسى قال ثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع حتى أخذه فاحتضنه فسكن فقال: " لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة ".
حدثنا ابن عيينة عن أبي حازم قال أتوا سهل بن سعد فقالوا: من أي شئ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: ما بقي أحد من الناس أعلم به مني، قال: هو من أثل الغابة، وعمله فلان مولى فلانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستند إلى جذع في المسجد يصلي إليه إذا خطب، فلما اتخذ المنبر فقعد عليه حن الجذع، قال: فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوطده، وليس في حديث أبي حازم: حتى سكن.
حدثنا وكيع عن عبد الواحد عن أبيه عن جابر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة، فقالت له امرأة من الانصار: يا رسول الله! إن لي غلاما نجارا، أفلا آمره يصنع لك منبرا؟ قال: " بلى، فاتخذ منبرا، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال: فإن الجذع الذي كان يقوم عليه كأنين الصبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا بكى لما فقد من الذكر
أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج وروح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول:-كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له منبره استوى عليه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل إليها فاعتنقها فسكنت وقال روح فسكتت... وقال ابن بكر فاضطربت تلك السارية وقال روح اضطربت كحنين.
حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان أخبرنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن:-رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر فلما اتخذ المنبر وتحول اليه حن عليه فأتاه فاحتضنه فسكن قال: ولو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة.
- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.
الطبراني
حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن خَالِدٍ الْخَيَّاطُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن عُمَرَ الْعُمَرِيُّ، عَنِ الْعَبَّاسِ بن سَهْلِ بن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ، قَالَ: "إِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا، فَلَوْ كَانَ مِنْبَرٌ أَقْعُدُ عَلَيْهِ"، قَالَ عَبَّاسٌ: فَذَهَبَ أَبِي فَقَطَعَ عِيدَانَ الْمِنْبَرِ مِنَ الْغَابَةِ، فَلا أَدْرِي عَمِلَهَا أَوِ اسْتَعْمَلَهَا.

الفصل السابع عشر
ومثل هذا في سائر الجمادات
J * حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي، حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط، حدثنا المهلب، حدثنا أبو الحسن القابسي، حدثنا المروزي، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم،عن علقمة، عن ابن مسعود، قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.
-وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود: كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام و نحن نسمع تسبيحه.
قلت: روى البخاري حديث ابن مسعود في كتاب المناقب قال:
حدثني محمد بن المثنى: حدثنا أبو أحمد الزبيري: حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال:
كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء). فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الطهور المبارك، والبركة من الله). فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.
قال ابن حجر
قوله: ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبا ووقع ذلك عند الإسماعيلي صريحا أخرجه عن الحسن بن سفيان عن بندار عن أبي أحمد الزبيري في هذا الحديث كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وله شاهد أورده البيهقي في الدلائل من طريق قيس بن أبي حازم قال كان أبو الدرداء وسليمان إذا كتب أحدهما إلى الآخر قال له بآية الصحفة وذلك أنهما بينا هما يأكلان في صحفة إذا سبحت وما فيها..
وأخرجه:
الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال إنكم تعدون الآيات عذابا وإنا كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة لقد كنا نأكل الطعام مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام قال وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم حي على الوضوء المبارك والبركة من السماء حتى توضأنا كلنا قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح
قال الترمذي: حسن صحيح
أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي قال: حدثنا الوليد بن القاسم بن الوليد حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال وسمع عبد الله بخسف قال:
- كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا إنا بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم: اطلبوا من معه يعني ماء ففعلنا فأتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفيه فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله فملأت بطني منه واستسقى الناس قال عبد الله: قد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

- وقال أنس: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى، فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن.

-وروى مثله أبو ذر، وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان.

قلت: قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

قلت وقد اشتهر تسبيح الحصي ففي حديث أبي ذر قال تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن أخرجه البزار والطبراني في الأوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة وفيه ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا

قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن أبي الأخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر له عن أبي ذر بهذا

فائدة ذكر بن الحاجب عن بعض الشيعة أن انشقاق القمر وتسبيح الحصي وحنين الجذع وتسليم الغزالة مما نقل آحاد مع توفر الدواعي على نقله ومع ذلك لم يكذب رواتها وأجاب بأنه استغنى عن نقلها تواتر بالقرآن وأجاب غيره بمنع نقلها آحادا وعلى تسليمه فمجموعها يفيد القطع كما تقدم في أول هذا الفصل والذي أقول إنها كلها مشتهرة عند الناس وأما من حيث الرواية فليست على حد سواء فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك وأما تسبيح الحصي فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها...

قلت: وحديث أبي ذر أورده الألباني في كتاب ظلال الجنة في تخريج السنة؛ وصححه- وهو:

حدثنا محمد بن عوف ثنا عبد الحميد بن إبراهيم ثنا عبدالله بن سالم عن الزبيدي حدثني حميد أن عبد الرحمن بن أبي عوف حدثه أنه سمع عبد ربه أنه سمع عاصم بن حميد يقول إن أبا ذر قال إني انطلقت ألتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض حوائط المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فأقبل إليه أبو ذر حتى سلم على النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو ذر وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهن في يده فسبحن في يده ثم وضعهن في الأرض فسكتن ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن.

-وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فخرج إلى بعض نواحيها ما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله.
قلت: رواه الترمذي من حديث الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عبادة بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
وقال الترمذي حديث حسن غريب... وصححه الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب "
و أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله. رواه الترمذي والدارمي.
ولفظه في مسند الدارمي كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا مَعَهُ فِى بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَرَرْنَا بَيْنَ الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ فَلَمْ نَمُرَّ بِشَجَرَةٍ وَلاَ جَبَلٍ إِلاَّ قَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.
-وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي. قيل: إنه الحجر الأسود.
قلت أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث).
تخريج السيوطي: (حم م ت) عن جابر بن سمرة.
الألباني: في صحيح الجامع.
مسلم
وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يحيى بن أبي بكير عن إبراهيم بن طهمان. حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة. قال:
قال رسول الله ص صلى الله عليه وسلم "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن".
الترمذي
حدثنا محمد بن بشار ومحمود بن غيلان قالا أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا سليمان ابن معاذ الضبي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
- " إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لا أعرفه الآن ". هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.
ابن حبان
أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الدغولي حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي إذا بعثت إني لأعرفه الآن.
الدارمي

حدثنا محمد بن سعيد أنا يحيى بن أبي بكر العبدي عن إبراهيم بن طهمان عن سماك عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن.
حدثنا فروة ثنا الوليد بن أبي ثور الهمداني عن إسماعيل السدي عن عباد أبي يزيد عن علي بن أبي طالب قال كنا مع النبي
قلت أخرجه السيوطي في الجامع الصغير: (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث).
تخريج السيوطي: (حم م ت) عن جابر بن سمرة.
الألباني: في صحيح الجامع.
مسلم
وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يحيى بن أبي بكير عن إبراهيم بن طهمان. حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة. قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن".
الترمذي
حدثنا محمد بن بشار ومحمود بن غيلان قالا أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا سليمان ابن معاذ الضبي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
- " إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لا أعرفه الآن ". هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.
ابن حبان
أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الدغولي حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي إذا بعثت إني لأعرفه الآن
الدارمي
حدثنا محمد بن سعيد أنا يحيى بن أبي بكر العبدي عن إبراهيم بن طهمان عن سماك عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لأعرفه الآن
حدثنا فروة ثنا الوليد بن أبي ثور الهمداني عن إسماعيل السدي عن عباد أبي يزيد عن علي بن أبي طالب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا معه في بعض نواحيها فمررنا بين الجبال والشجر فلم نمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله
أحمد
- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن.

أبو يعلى
حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو داود قال حدثني سليمان بن معاذ حدثنا سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت وإني لأعرفه إذا مررت عليه

أحمد
- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن.

أبو يعلى
حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو داود قال حدثني سليمان بن معاذ حدثنا سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت وإني لأعرفه إذا مررت عليه

-وعن عائشة رضي الله عنها: لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يارسول الله.

قلت: أورد البيهقي نحوه في دلائل النبوة قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي وكان واعية عن بعض أهل العلم أن رسول الله حين أراد الله عز وجل كرامته وابتدأه لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله

وقال ابن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي وكان داعية عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان

و ذكر مثله الماوردي في أعلام النبوة قال:

روت برة بنت أبي تحراه: أن الله تعالى لما أراد كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة كان لا يمر بشجر و لا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله فكان يلتفت عن يمينه و شماله و خلفه فلا يرى أحدا فاحتمل أن يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون كالهتوف الخارجة عن أعلام الوحي إلى إعجاز النبوة و احتمل أن يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقا لها و تحقيقا لصحتها..

-وعن جابر بن عبد الله: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له.

ذكر مثله الماوردي في أعلام النبوة قال

ومن آياته صلى الله عليه وسلم: ما رواه جابر بن عبد الله قال: كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه و لم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له..
-وفي حديث العباس، إذا اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه، بملاءة، ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته، فأمنت أسكفة الباب و حوائط البيت: آمين آمين.
قلت: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة قال:
عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال لا ترم من منزلك غدا أنت وبنوك فإن لي فيكم حاجة قال فجمعهم العباس في بيت فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم كيف أصبحتم؟! قالوا بخير نحمد الله بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال: تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض. حتى إذا اكتنفوا اشتمل عليهم بملآته إذا ثم قال اللهم هذا العباس عمي وهؤلاء أهل بيتي استرهم من النار كستري إياهم بملآتي فقال هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين آمين ثلاثا
-وعن جعفر بن محمد، عن أبيه: مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم ، فسبح.
قلت:قال صاحب المواهب اللدنية: قال السيوطي لم أجده في كتب الحديث÷ ونقله عن عياض الحافظ أبو الفضل في فتح الباري.
-وعن أنس: صعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، أحُداً، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي و صديق، و شهيدان.
J -ومثله عن أبي هريرة في حراء، وزاد معه: علي وطلحة، والزبير، وقال: فإنما عليك نبي، أو صديق،أو شهيد.
J -والخبر في حراء أيضاً عن عثمان، قال: ومعه عشر من أصحابه أنا فيهم.
وزاد عبد الرحمن وسعداً، قال: ونسيت الاثنين.
-وفي حديث سعيد بن زيد أيضاً مثله، و زاد عشرة، وزاد نفسه.
قلت: رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة
حدثني محمد بن بشار: حدثنا يحيى، عن سعيد، عن قتادة: أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم:
أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: (اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان).
حدثنا مسدد: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا سعيد بن أبي عروبة. وقال لي خليفة: حدثنا محمد بن سواء، وكهمس بن المنهال قالا: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله وقال: (اثبت أحد، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيدان)
وأخرجه أحمد في المسند

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا شعبة حدثنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم:

-أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فقال اسكن عليك نبي وصديق وشهيدان.

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا علي بن عاصم قال حصين: أخبرنا عن هلال ابن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال:

-لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال: فأقام خطباء يقعون في علي قال: وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: فغضب فقام فأخذ بيدي فتبعته فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة فأشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال: قلت: وما ذاك قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد قال: قلت: من هم فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك قال: ثم سكت قال: قلت: ومن العاشر قال: قال: أنا.

- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم التيمي عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال:-أشهد أن عليا رضي الله عنه من أهل الجنة قلت: وما ذاك قال: هو في التسعة ولو شئت أن أسمي العاشر سميته قال: اهتز حراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأنا يعني سعيدا نفسه...

و النسائي في سننه

أخبرني زياد بن أيوب قال حدثنا سعيد بن عامر عن يحيى بن أبي الحجاج عن سعيد الجريري عن ثمامة بن حزن القشيري قال:

-شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة يعني أني شهيد.

-أخبرنا عمران بن بكار ابن راشد قال حدثنا خطاب بن عثمان قال حدثنا عيسى بن يونس حدثني أبي عن أبي إسحاق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن:-أن عثمان أشرف عليهم حين حصروه فقال أنشد بالله رجلا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجبل حين اهتز فركله برجله وقال اسكن فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان وأنا معه فانتشد له رجال.

والترمذي في سننه

حدثنا محمد بن بشار أخبرنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن أنس ابن مالك حدثهم:
- "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديقٌ وشهيدان".
هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
- حدثنا قتيبة أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة:
- "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديقٌ أو شهيدٌ". وفي الباب عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس وسهل بن سعد وأنس بن مالك وبريدة الأسلمي. هذا حديثٌ صحيحٌ.
- حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبيد الله بن عمرو عن زيد هو ابن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره ثم قال أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديقٌ أو شهيدٌ؟ قالوا نعم.....
وابن حبان في صحيحه
اخبرنا أبو خليفة حدثنا علي بن المديني حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن أحدا ارتج وعليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان قال معمر وسمعت قتادة يحدث بمثله
أخبرنا أبو خليفة حدثا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثني سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فرجف بهم فضربه نبي الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان
وأبو يعلى في مسنده
حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا خالد عن سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على أحد وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهما فضربه برجله وقال اثبت أحد نبي وصديق وشهيدان
** قال ابن حجر العسقلاني
قوله حدثنا يحيى هو بن سعيد القطان وسعيد هو بن أبي عروبة قوله صعد أحدا هو الجبل المعروف بالمدينة ووقع في رواية لمسلم ولأبي يعلى من وجه آخر عن سعيد حراء والأول أصح ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لي أن الاختلاف فيه من سعيد فاني وجدته في مسند الحارث بن أبي أسامة عن روح بن عبادة عن سعيد فقال فيه أحدا أو حراء بالشك وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ حراء وإسناده صحيح وأخرجه أبو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ أحد وإسناده صحيح فقوي احتمال تعدد القصة وتقدم في أواخر الوقف من حديث عثمان أيضا

نحوه وفيه حراء وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة ما يؤيد تعدد القصة فذكر انه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم والله اعلم قوله وأبو بكر وعمر قال بن التين انما رفع أبو بكر عطفا على الضمير المرفوع الذي في صعد وهو جائز اتفاقا لوجود الحائل وهو قوله أحدا وهو بخلاف قوله الآتي في آخر الباب كنت وأبو بكر وعمر وقوله اثبت وقع في مناقب عمر فضربه برجله وقال اثبت بلفظ الأمر من الثبات وهو الاستقرار واحد منادى ونداؤه وخطابه يحتمل المجاز وحمله على الحقيقة أولى وقد تقدم شيء منه في قوله أحد جبل يحبنا ونحبه ويؤيده ما وقع في مناقب عمر انه ضربه برجله وقال اثبت قوله فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان في رواية يزيد بن زريع عن سعيد الآتية في مناقب عمر فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد و أو فيها للتنويع و شهيد للجنس

صعد أحدا فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فقال اسكن عليك نبي وصديق وشهيدان.

-وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير: اهبط يا رسول الله، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله. فقال حراء: إليّ يا رسول الله.

قلت: قال الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني في المواهب اللدنية: وهو، أي هذا الحديث مروي في الهجرة من السيرة...قال السهيلي في حديث الهجرة: وأحسب أن ثوراً ناداه أيضاً، لما قال له ثبير: اهبط عني...

-وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر: ((وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)(الأنعام: ٩١)،(الزمر: ٦٧) ثم قال: يمجد الجبار نفسه، أنا الجبار، أنا الجبار، أنا الكبير المتعال، فرجف المنبر حتى قلنا: ليخرن عنه.

قلت: أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات.

-وعن ابن عباس: كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبته الأرجل بالرصاص بالحجارة، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول: (جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)(الإسراء: ٨١))، فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم.

-ومثله في حديث ابن مسعود، وقال: فجعل يطعنها ويقول: (جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)(سبأ: ٤٩)

قلت رواه البخاري في المظالم، والمغازي، والتفسير

١-حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان: حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}(الإسراء: ٨١)

٢-حدثنا صدقة بن الفضل: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول:

{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }(الإسراء: ٨١) {قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}(سبأ: ٤٩).
٣-باب: {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا} /٨١/.
يزهق: يهلك.
- حدثنا الحميدي: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: {جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}. {جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد}.
قال ابن حجر
قوله ستون وثلاثمائة نصب بضم النون والمهملة وقد تسكن بعدها موحدة هي واحدة الأنصاب وهو ما ينصب للعبادة من دون الله تعالى ووقع في رواية بن أبي شيبة عن بن عيينة صنما بدل نصبا ويطلق النصب ويراد به الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للاصنام وليست مرادة هنا وتطلق الأنصاب على أعلام الطريق وليست مرادة هنا ولا في الآية قوله فجعل يطعنها بضم العين وبفتحها والأول أشهر قوله بعود في يده ويقول جاء الحق في حديث أبي هريرة عند مسلم يطعن في عينيه بسية القوس وفي حديث بن عمر عند الفاكهي وصححه بن حبان فيسقط الصنم ولا يمسه وللفاكهي والطبراني من حديث بن عباس فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص وفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئًا.
قوله الأزلام هي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر وعند بن أبي شيبة من حديث جابر نحو حديث بن مسعود وفيه فأمر بها فكبت لوجوهها وفيه نحو حديث بن عباس وزاد قاتلهم الله ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام ثم دعا بزعفران فلطخ تلك التماثيل وفي الحديث كراهية الصلاة في المكان الذي فيه صور لكونها مظنة الشرك وكان غالب كفر الأمم من جهة الصور...
وقال
قوله باب: (وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)(الإسراء: ٨١)يزهق يهلك قال أبو عبيدة في قوله تزهق أنفسهم وهم كارهون أي تخرج وتموت وتهلك ويقال زهق ما عندك أي ذهب كله وروى بن أبي حاتم من طريق على بن أبي طلحة عن بن عباس إن الباطل كان زهوقا أي ذاهبا ومن طريق سعيد عن قتادة زهق الباطل أي هلك قوله عن بن أبي نجيح كذا لهم وفي بعض النسخ حدثنا بن أبي نجيح قوله دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة عند مسلم والنسائي أن ذلك كان في فتح مكة وأوله في قصة فتح مكة إلى أن قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طاف بالبيت فجعل يمر بتلك الأصنام فجعل يطعنها بسية القوس ويقول جاء الحق وزهق الباطل الحديث بطوله وقد تقدم شرح ذلك مستوفى في غزوة الفتح بحمد الله تعالى وقوله وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب كذا للأكثر هنا بغير

ألف وكذا وقع في رواية سعيد بن منصور لكن بلفظ صنم والأوجه نصبه على التمييز إذ لو كان مرفوعا لكان صفة والواحد لا يقع صفة للجمع ويحتمل أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف والجملة صفة أو هو منصوب لكنه كتب بغير ألف على بعض اللغات.
ورواه مسلم في الجهاد والسير
١-باب فتح مكة
حدثنا شيبان بن فروخ. حدثنا سليمان بن المغيرة. حدثنا ثابت البناني عن عبدالله بن رباح، عن أبي هريرة. قال: فأتى- النبي - على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه. قال: وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوس. وهو آخذ بسية القوس. فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول (جاء الحق وزهق الباطل).
٢-باب إزالة الأصنام من حول الكعبة
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو بن الناقد وابن أبي عمر(واللفظ لابن أبي شيبة) قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبدالله. قال:
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة. وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا. فجعل يطعنها بعود كان بيده. ويقول (جاء الحق وزهق الباطل. إن الباطل كان زهوقا) [الإسراء ٨١]. (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) [سبأ ٤٩]. زاد ابن أبي عمر: يوم الفتح.
٣ - وحدثناه حسن بن علي الحلواني وعبد بن حميد. كلاهما عن عبدالرزاق. أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح، بهذا الإسناد، إلى قوله: زهوقا. ولم يذكر الآية الأخرى. وقال:(بدل نصبا) صنما.
قال النووي
فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه فجعل يطعنه بسية قوسه السية بكسر السين وتخفيف الياء المفتوحة المنعطف من طرفي القوس، وقوله يطعن بضم العين على المشهور ويجوز فتحها في لغة، وهذا الفعل إذلال للأصنام ولعابديها وإظهار لكونها لا تضر ولا تنفع ولا تدفع عن نفسها كما قال الله تعالى: {وإن يسبلهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه}.
قوله:(جعل يطعن في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل) وقال في الرواية التي بعد هذه:(وحول الكعبة ثلثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)،(جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد). النصب الصنم وفي هذا استحباب قراءة هاتين الأيتين عند إزالة المنكر. قوله: (ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى احصدوهم حصداً)
وروى هذا الحديث:
أحمد
حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود:

-دخل النبي صلى الله عليه وسلم وحول الكعبة ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).
الترمذي
حدثنا ابن أبي عمر، اخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال:
- "دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بمخصرة في يده، وربما قال بعود، ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)، (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد)". هذا حديث حسن صحيح. وفيه عن ابن عمر.
ابن حبان
١-ذكر وصف عدد الأصنام التي كانت حول الكعبة ذلك اليوم
أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا سفيان عن بن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد وحوله ثلاث مائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان معه ويقول { جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا }
٢-وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجر وطاف بالبيت وفي يده قوس وهو آخذ القوس وكان إلى جنب البيت صنم كانوا يعبدونه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعن في جنبه بالقوس ويقول (جاء الحق وزهق الباطل) فلما قضى طوافه أتى الصفا فعلا حيث ينظر إلى البيت فجعل صلى الله عليه وسلم يرفع يده وجعل يحمد الله ويذكر ما شاء أن يذكره
ابن أبي شيبة
قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجر وطاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت يعبدونه، وفي يده قوس وهو آخذ بسية القوس، فجعل يطعن بها في عينه ويقول: *(جاء الحق وزهق الباطل) * حتى إذا فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاها حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويذكره ويدعو بما شاء أن يدعو
البيهقي
١-وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه فطاف بالبيت فأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه قال وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوس وهو خذ بسية القوس فلما أتى على الصنم جعل يطعن في عينه ويقول (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو رواه مسلم في الصحيح عن شيبان بن فروخ وأخرجه من حديث بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة وذكر اللفظة التي زادها أبو داود
٢-أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو الحسن علي بن محمد بن سختويه ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا بن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله

بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود بيده ويقول(جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) رواه البخاري في الصحيح عن الحميدي وغيره ورواه مسلم عن جماعة عن سفيان

ابن خزيمة

ثنا عبد الله بن هاشم ثنا بهز يعني بن أسد ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال ثنا عبد الله بن رباح قال وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذاك في رمضان فذكر حديث طويلا من فتح مكة وقال فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار فذكر فتح مكة قال وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة فذكر الحديث بطوله وقال فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجر فاستلمه وطاف بالبيت في يده قوس أخذ بسية القوس فأتى في طوافه صنما في جنبة البيت يعبدونه فجعل يطعن بها في عينيه ويقول {جاء الحق وزهق الباطل} ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلي البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والأنصار تحته ثم ذكر باقي الحديث ثناه الربيع بن سليمان ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح بنحوه وقال فرفع يديه فجعل يحمد الله ويدعوه بما شاء الله...

أبو يعلى

أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد وحول الكعبة ثلاث مائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان معه ويقول { جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا }

-ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره، إذ خرج تاجراً مع عمه، وكان الراهب لا يخرج لأحد، فخرج يتخللهم، حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: هذا سيد العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ من قريش: ما علمك، فقال: إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً له، ولا تسجد إلا لنبي... و ذكر القصة، ثم قال: فأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظلله، فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال الفيء إليه.

قلت: رواه الترمذي في جامعه قال:

حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قالخرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صل صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنكم

حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة فلما جلس مال فئ الشجرة عليه فقال انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فألتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا إنما اخترنا خيرة لك لطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه قال أنشدكم الله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه... قال الشيخ الألباني: صحيح، لكن ذكر بلال فيه منكر.

وأخرجه التبريزي في مشكاته

عن أبي موسى قال خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه فقال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت.(علق الشيخ أن ذكر بلال في الحديث خطأ إذ لم يكن خلق بعد)

وأورده الألباني في صحيح السيرة قال:

خروجه صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب روى الحافظ أبو بكر الخرائطي من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب - يعني: بحيرى - هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال: فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هذا سيد العالمين(وفي رواية البيهقي زيادة: هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين). فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال:

إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الإبل - فقال: أرسلوا إليه. فأقبل وغمامة تظله فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده قال: فقال الراهب: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت. وهكذا رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وابن عساكر وغير واحد من الحفاظ وقال الترمذي: (حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه). قلت: فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة فهو مرسل فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم أو كان هذا مشهورا مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة

----

٢٤. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٦).. في الآيات في ضروب الحيوانات

الفصل الثامن عشر:

في الآيات في ضروب الحيوانات.

حدثنا سراج بن عبد الملك، حدثنا أبو الحسن الحافظ، حدثنا أبي، حدثنا القاضي يونس، قال: حدثنا أبو الفضل الصلقي، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت، من أبيه وجده، قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان عندنا داجن، فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه، فلم يجيء ولم يذهب، وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب.

قلت: رواه أحمد.

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو نعيم قال حدثنا يونس عن مجاهد قال قالت عائشة: -كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد وأقبل وأدبر فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم مادام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه.

وأخرجه أبو يعلى، ولفظه: حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا شعيب بن حرب حدثنا يونس بن أبي إسحاق حدثنا مجاهد عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وحش فكان يقبل ويدبر فإذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربض فلم يترمرم كراهية أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
-وروى عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضباً، فقال: ما هذا؟ قالوا: نبي الله. فقال: واللات والعزى، لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا ضب، فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة.قال: من تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: فمن أنا؟ قال: رسول الله رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك.فأسلم الأعرابي.
قلت: أخرجه البيهقي باب ما جاء في شهادة الضب لنبينا بالرسالة وما ظهر في ذلك من دلالات النبوة.
أخبرنا أبو منصور أحمد بن علي الدامغاني من ساكني قرية نامين من بيهق قراءة عليه من أصل كتابه حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بجرجان حدثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا معمر بن سليمان حدثنا كهمس عن داود بن أبي هند عن عامر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبًا وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال: ما هذا قالوا: هذا الذي يذكر أنه نبي، فجاء حتى شق الناس فقال: واللات والعزى ما اشتملت النساء على ذي لهجة أبغض إلي منك ولا أمقت ولولا أن يسميني قومي عجولاً لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فأقوم فأقتله. قال: يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا؟ ثم أقبل على الأعرابي فقال: ما حملك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم تكرمني في مجلسي قال: وتكلمني أيضًا استخفافا برسول الله واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله فقال رسول الله: يا ضب! فأجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعًا: لبيك وسعديك يا زين من وافي القيامة. قال: من تعبد يا ضب؟ قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال: فمن أنا يا ضب؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك، قال الأعرابي: لا أتبع أثرًا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إلي منك وإنك اليوم أحب إلي من والدي ومن عيني ومني وإنني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال رسول الله: الحمد لله الذي هداك بي إن هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل إلا بصلاة ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن. قال فعلمني فعلمه(قل هو الله أحد) قال زدني فما سمعت في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا قال: يا أعرابي إن هذا كلام الله ليس بشعر إنك إن قرأت(قل هو الله أحد) مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن وإن قرأت مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثي القرآن وإذا

قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله. قال الأعرابي: نعم الإله إلها يقبل اليسير ويعطى الجزيل. فقال له رسول الله: ألك مال؟ قال فقال: ما في بني سليم قاطبة رجل هو أفقر مني فقال رسول الله لأصحابه: أعطوه فأعطوه حتى أبطروه، فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله إن له عندي ناقة عشراء دون البختية وفوق الأعرى تلحق ولا تلحق أهديت إلي يوم تبوك أتقرب بها إلى الله عز وجل وأدفعها إلى الأعرابي، فقال رسول الله: قد وصفت ناقتك فأصف ما لك عند الله يوم القيامة، قال: نعم قال: لك كناقة من درة جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والأستبرق وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف يغبطك بها كل من رآك يوم القيامة، فقال عبد الرحمن: قد رضيت فخرج الأعرابي فلقيه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة معهم ألف سيف وألف رمح فقال لهم: أين تريدون؟ فقالوا: نذهب إلى هذا الذي سفه آلهتنا فنقتله، قال: لا تفعلوا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فحدثهم الحديث فقالوا بأجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم دخلوا فقيل للنبي فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركابهم يقبلون حيث وافوا منه وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم قالوا: يا رسول الله مرنا بأمرك قال: كونوا تحت راية خالد بن الوليد. فلم يؤمن من العرب ولا غيرهم ألف غيرهم.

قلت قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ في المعجزات بالإجازة عن أبي أحمد بن عدي الحافظ فقال كتب إلي أبو عبد الله بن عدي الحافظ يذكر أن محمد بن علي بن الوليد السلمي حدثهم فذكره وزاد في آخره قال أبو أحمد أنبأنا محمد بن علي السلمي كان ابن عبد الأعلى يحدث بهذا مقطوعًا وحدثنا بطوله من أصل كتابه مع رعيف الوراق.

قلت وروى ذلك في حديث عائشة وأبي هريرة وما ذكرناه هو أمثل الإسناد فيه والله أعلم

-ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخذري: بينا راع يرعى غنماً له عرض الذئب لشاة منها، فأخذها الراعي منه، فأقعى الذئب، وقال للراعي: ألا تتقي الله! حلت بيني وبين رزقي! قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب:ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق.فأتى الراعي النبي الله فأخبره، فقال النبي: قم فحدثهم، ثم قال: صدق. والحديث فيه قصة، وفي بعضه طول.

-وروي حديث الذئب عن أبي هريرة.

-وفي بعض الطرق عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقال الذئب: أنت أعجب! واقفاً على غنمك، وتركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه عنده قدراً، قد فتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه، ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب، فتصير من جنود الله. قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع. فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى. وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عد إلى غنمك تجدها بوفرها. فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها.

-وعن أهبان بن أوس: وأنه كان صاحب القصة، والمحدث بها ومكلم الذئب.
-وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع: وأنه كان صاحب هذه القصة أيضاً، وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد.
-وقد روى ابن وهب مثل أنه جرى لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، مع ذئب وجداه أخذ ظبياً، فدخل الظبي الحرم، فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة و تدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: و الات و العزى، لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً.
-وقد روي مثل هذا الخبر، و أنه جرى لأبي جهل وأصحابه.
-وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر، وكان في غنم يرعاها لهم، فقال يا رسول الله، كيف بالغنم؟
قال: أحصب وجوهها، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك، ويردها إلى أهلها.
ففعل، فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها.
قال البيهقي في دلائل النبوة:
باب ما في كلام الذئب وشهادته لنبينا بالرسالة وما ظهر في ذلك من دلالات النبوة.
أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة قال أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: بينما راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب والشاة فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ فقال الراعي: العجب من الذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس.. فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق... فساق الراعي شاة حتى أتى المدينة فزوى إلى زاوية من زواياها ثم دخل على النبي فحدثه بحديث الذئب.. فخرج رسول الله إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم.. قال فأخبر الناس بما قال الذئب؛ فقال رسول الله: صدق الراعي، ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل شراك نعله، وعذبة سوطه، ويخبره فأخذه بما أحدث أهله بعده..
وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن القاسم بن الفضل حدثنا أبو نضرة العبدي عن أبي سعيد الخدري فذكره بنحوه.
هذا إسناد صحيح وله شاهد من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنبأنا أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب حدثنا النفيلي قال قرأت على معقل بن عبد الله بن شهر بن حوشب عن أبي سعيد الخدري قال: بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له إذ عدا عليها الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فأخذها وانطلق الذئب يمشي ثم رجع الذئب مستذفرًا بذنبه مستقبل الأعرابي ثم قال: ويحك ألا تحرج تنزع رزقًا رزقنيه الله؟ فطفق الأعرابي بين يديه..

فقال: العجب من ذئب يتكلم.. قال الذئب: والله إنك لتدع ما هو أعجب من هذا.. قال: وما أعجب من هذا؟ قال: نبي الله في النخلات يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك... فساق الأعرابي غنمه حتى ألجى إلى بعض المدينة وسعى إلى النبي حتى ضرب عليه بابه فأذن له فحدثه الأعرابي فصدقه ثم قال إذا صليت بالناس الصلاة فأحضرني.. فلما صلى رسول الله قال: أين صاحب الغنم؟ فقام الأعرابي. فقال له النبي: حدث بما رأيت وبما سمعت.. فحدث الأعرابي بما سمع وبما رأى، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فتخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده.

قال عبد الحميد بن بهرام الفزاري عن شهر بن حوشب أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام الفزاري حدثنا شهر بن حوشب عن أبي سعيد أنه قال: بينا رجل من أسلم في غنم له.. فذكر الحديث بنحو من معناه. وقال فيه: فقال الذئب:مم تعجب؟ فقال: أعجب من مخاطبتك إياي.. فقال الذئب: أعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين في النخلات يحدث الناس بما قد خلا ويحدث بما هو آت وأنت ها هنا تتبع غنمك..

وروى عبد الله بن عامر الأسلمي عن ربيعة بن أوس عن أنس بن عمرو عن أهبان بن أوس كنت في غنم لي فكلمه الذئب فأتى النبي فأسلم..

أخبرنا أبو بكر الفارسي حدثنا أبو إسحاق الأصبهاني حدثنا أبو أحمد ابن فارس حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني أبو طلحة حدثنا سفين بن حمزة الأسلمي سمع عبد الله بن عامر الأسلمي قال محمد إسناده ليس بالقوي قلت قد مضى ما يقويه.

وأخبرنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا عبد الله بن أبي داود السجستاني أحد حفاظ عصره وعلماء دهره فلا يقول مثل هذا في ولد مكلم الذئب إلا عن معرفة وفي إشهار ذلك في ولده قوة الحديث.

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول سمعت أبا سليمان المغربي يقول خرجت من بعض البلدان على حمار فجعل يجذبني عن الطريق فضربت رأسه ضربات فرفع رأسه إلي وقال اضرب يا أبا سليمان فإنما على دماغك هو ذا تضرب قلت له كلمك كلاما يفهم فقال كما تكلمني وأكلمك...

-وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه، وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا طائر سقط، فقال: يا عباس، أتعجب من كلام ضمار، ولا تعجب من نفسك؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس، فكان سبب إسلامه.

ذكره البيهقي في دلائل النبوة سبب إسلام مازن الطائي.

أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان ببغداد قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن حرب الطائي سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة قال حدثنا جدي أبو علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الوافد على رسول الله قال لقيت أبا المنذر هشام بن محمد الكلبي فقال لي ممن الرجل فقلت من طيء ثم قال لي ثم ممن قلت من ولد نبهان قال ثم ممن قلت من ولد خطامة

فقال لي لعلك من ولد السادن قلت نعم فأكرمني وأدناني وقربني ثم قال لي كنت لقيت شيوخا من شيوخ طيء المتقدمين فسألتهم عن قصة مازن وسبب إسلامه ووفوده على رسول الله وإقطاعه أرض عمان وذلك بمن الله وفضله فكان مازن بأرض عمان بقرية تدعى سمايل وكان يسدن الأصنام لأهله وكان له صنم يقال له باجر قال مازن فعترت ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم يقول يا مازن أقبل إلي أقبل تسمع ما لا يجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل فآمن به كي تعدل عن حر ناب تشعل وقودها بالجندل قال مازن فقلت إن هذا والله لعجب ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا أبين من الأول وهو يقول: يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال مازن فقلت إن هذا والله لعجب وإنه لخير يراد بي وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله عز وجل يقال له أحمد قال فقلت هذا والله نبأ ما سمعت فثرت إلى الصنم فكسرته أجذاذًا وشددت راحلتي ورحلت حتى أتيت رسول الله فشرح لي الإسلام فأسلمت وأنشأت أقول:

كسرت باجر أجذاذا وكان لنا ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال
يا راكبًا بلغا عمرا وإخوته إني لمن قال ديني ناجر قالي

يعني بعمرو إخوته بني خطامة قال مازن فقلت يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والهلوك من النساء وألحت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي: اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وآته بالحيا وهب له ولدا. قال مازن :فأذهب الله عني كلما كنت أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن وأنشأت أقول:

إليك رســول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطيء الحصا فيغفر لي ربي فأرجع بالفلــج
إلى معشر خالفت فــي الله دينهم فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي
وكنت أمرءا بالزعب والخمر مولعا شبابي حتى آذن الجسم بالنهــج
فأصبحت همي في جهاد ونيـــة فلله ما صومـي ولله مــا حجي

قال مازن فلما رجعت إلى قومي أنبوني وشتموني وأمروا شاعرهم فهجاني فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي فتركتهم وأنشأت أقول:

وشتمكم عندنا مـــر مذاقته وشتمنا عندكم يا قومنا لئن
لا ينشب الدهر أن يثبت معايبكم وكلكم أبدا في عيبنا فطــن

قال أبو جعفر إلى ههنا حفظت وأخذته من أصل جدي كأنه يريد الباقي

فشعرنا مفحم عنكم وشاعركم في حربنا مبلغ في شتمنا لسن
ما في الصدور عليكم فاعلموا وغر وفي صدوركم البغضاء والإحن

فحدثنا موادنا من أهل عمان عن سلفهم أن مازنا لما تنحى عن قومه أتى موضعا فابتنى مسجدا يتعبد فيه فهو لا يأتيه مظلوم يتعبد فيه ثلاثا ثم يدعو محقا على من

ظلمه يعني إلا استجيب وفي أصل السماع فيكاد أن يعافى من البرص فالمسجد يدعى مبرصا إلى اليوم قال أبو المنذر قال مازن ثم إن القوم ندموا أو كنت القيم بأمورهم فقالوا ما عسانا أن نصنع به فجاءني منهم أرفلة عظيمة فقالوا يا ابن عم عبنا عليك أمرا فنهيناك عنه فإذ أبيت فنحن تاركوك ارجع معنا فرجعت معهم فأسلموا بعد كلهم

هكذا أخبرنا به غالبا وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ رحمه الله عن أبي أحمد بن أبي الحسن عن عبد الرحمن بن محمد الحنظلي عن علي بن حرب عن أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه عن عبد الله العماني عن مازن بن الغضوية قال كنت أسدن صنما بالسمال قرية بعمان فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة فذكر الحديث بمعنى ما روينا وزاد بيتا بعد قوله وكنت امرءا فقال:

فبدلني بالخمر خوفا وخشية وبالعهر إحصانا وحصن لي فرجي

وقد روي في معنى ما روينا عن مازن أخبار كثيرة منها:

* حديث عمرو بن جبلة فيما سمع من جوف الصنم يا عصام يا عصام جاء الإسلام وذهبت الأصنام.

* حديث طارق من بني هند بن حرام يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق.

* حديث ابن دقشة فيما أخبر به رئيه فنظر إلى ذباب بن الحارث وقال يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة ولا يجاب.

* حديث عمرو بن مرة الغطفاني فيما رأى من النور الساطع في الكعبة في نومه ثم ما سمع من الصوت أقبل حق فسطع ودمر باطل فانقمع.

* حديث العباس بن مرداس فيما سمع من الصوت.

* حديث خالد بن سطيح حين أتته تابعته فقالت جاء الحق القائم والخير الدايم وغير ذلك مما يطول بسياق جميعه الكتاب وبالله التوفيع.

-وعن أنس رضي الله عنه: دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار رضي الله عنهم وفي الحائط غنم فسجدت له. فقال أبو بكر: نحن أحق بالسجود لك منها... الحديث.

قلت: ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ولفظه: " دخل النبي حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار،وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، كنا نحن أحق بالسجودلك من هذه الغنم، فقال: إنه لاينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ،لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها..(غريب وفي إسناده من لا يعرف)

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه:دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً، فجاء بعير فسجد له، وذكر مثله.

-ومثله في الجمل، عن ثعلبة بن مالك، وجابر بن عبد الله، ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر، قال: وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل، فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه، فوضع مشفره على الأرض وبرك بين يديه، فخطمه، وقال: ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس.

-ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى.

-وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه، فاخبروه أنهم أرادوا ذبحه.
-وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: إنه شكا كثرة العمل، وقلة العلف من صغره فقالوا: نعم.
وقفة مع ابن كثير فيما روي في قصة البعير
باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة:
قصة البعير الناد وسجوده له وشكواه إليه.
١-رواية أنس بن مالك
* قال الإمام أحمد حدثنا حسين ثنا خلف عن خليفة عن حفص هو ابن عمر عن عمه أنس بن مالك قال كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا..فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته فقال: "ليس علي منه بأس". فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن أحق أن نسجد لك فقال: "لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه" وهذا إسناد جيد وقد روى النسائي بعضه من حديث خلف ابن خليفة به.
٢-رواية جابر في ذلك
قال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام سمعته من أبي مرتين ثنا الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه قال فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هاتوا خطامًا" فخطمه ودفعه إلى صاحبه قال ثم التفت إلى الناس فقال: "إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس". تفرد به الإمام أحمد وسيأتي عن جابر من وجه أخر بسياق آخر إن شاء الله وبه الثقة
٣-رواية ابن عباس
قال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا بشر بن موسى ثنا يزيد بن مهران أخو خالد الجيار ثنا أبو بكر بن عياش عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن ابن عباس قال جاء قوم إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله إن لنا بعيرًا قد ند في حائط فجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تعال فجاء مطأطئا رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه

فقال له أبو بكر الصديق يا رسول الله كأنه علم أنك نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي الله إلا كفرة الجن والإنس"... وهذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جدا والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيال عن جابر وعن ابن عباس والله أعلم.

٤- طريق اخرى عن ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا أبو عون الزيادي ثنا أبو عزة الدباغ عن أبي يزيد المديني عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يدعو له والنبي قاعد معه نفر من الأنصار فقال يا نبي الله إني جئت في حاجة فان فحلين لي اغتلما وإني أدخلتهما حائطًا وسددت عليهما الباب فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله لي فقال لأصحابه: قوموا معنا فذهب حتى أتى الباب فقال: افتح، فأشفق الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: افتح، ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريبًا من الباب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له.. فقال رسول الله: ائت بشيء أشد رأسه وأمكنك منه. فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدًا فقال للرجل: ائتني بشيء أشد رأسه فشد رأسه وأمكنه منه فقال: اذهب فإنهما لا يعصيانك فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قالوا يا رسول الله هذان فحلان سجدا لك أفلا نسجد لك قال: "لا آمر أحدا أن يسجد لأحد ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها". وهذا إسناد غريب ومتن غريب.

ورواه الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد في كتابه دلائل النبوة عن أحمد بن حمدان السحري عن عمر بن محمد بن بجير البحتري عن بشر بن آدم عن محمد بن عون أبي عون الزيادي به وقد رواه أيضا من طريق مكي بن إبراهيم عن قائد أبي الورقاء عن عبد الله بن ابي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما تقدم عن ابن عباس.

٥- رواية أبي هريرة

قال أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه أخبرنا أحمد بن حمدان أنا عمر بن محمد بن بجير حدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال انطلقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناحية فأشرفنا إلى حائط فاذا نحن بناضح فلما أقبل الناضح رفع رأسه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع جرانه على الأرض فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة فقال: "سبحان الله أدون الله ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد دون الله ولو أمرت أحد أن يسجد لشيء من دون الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها".

٦- رواية عبد الله بن جعفر في ذلك

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد ثنا مهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر ح وثنا بهز وعفان قالا ثنا مهدي ثنا محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر قال أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثا لا أخبر به أحدًا

أبدًا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل فدخل يوما حائطًا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه وقال بهز وعفان فلما رأى رسول الله حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله سراته وذفراه فسكن فقال: من صاحب الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال هو لي يا رسول الله فقال: "أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله لك إنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه". وقد رواه مسلم من حديث مهدي بن ميمون به.

٧- رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك

قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد وعفان قالا ثنا حماد هو ابن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال: "اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل اسود ومن جبل أسود إلى جبل ابيض كان ينبغي لها أن تفعله"... وهذا الإسناد على شرط السنن وإنما روى ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد به "لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"... إلى آخره.

٨- رواية يعلى بن مرة الثقفي أو هي قصة أخرى

قال الإمام أحمد ثنا أبو سلمة الخزاعي ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن حسين عن أبي جبيرة عن يعلى بن سيابة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له فأراد أن يقضي حاجته فأمر وديتين فانضمت إحداهما إلى الأخرى ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما وجاء بعير فضرب بجرانه إلى الأرض ثم جرجر حتى ابتل ما حوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما يقول البعير إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره. فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أواهبه أنت لي؟ فقال: يا رسول الله مالي مال أحب إلي منه. فقال: استوص به معروفًا. فقال: لا جرم لا أكرم مالا لي كرامته يا رسول الله قال وأتى على قبر يعذب صاحبه فقال إنه يعذب في غير كبير فأمر بجريدة فوضعت على قبره وقال عسى أن يخفف عنه ما دامت رطبة.

٩- طريق أخرى عنه

قال الإمام احمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن جعفر عن يعلى بن مرة الثقفي قال ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاء فقال: بعنيه فقال: لا بل أهبه لك فقال: لا بل بعنيه قال لا بل نهبه لك إنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره قال: أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكى لي كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه... قال ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ ذكرت له فقال: هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم على رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأذن لها قال ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال: اخرج إني محمد رسول الله قال ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته امرأة بجزر ولبن فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك.

١٠- طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد ثنا عبد الله بن نمير ثنا عثمان بن حكيم أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ما رآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة قال: ناولينيه. فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ثم فغر فاه فنفث فيه ثلاثا وقال: بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله، ثم ناولها إياه فقال: القينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل". قال فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال: ما فعل صبيك فقالت والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئًا حتى الساعة فاجترر هذه الغنم قال: انزل فخذ منها واحدة ورد البقية قال: وخرجت ذات يوم إلى الجبانة حتى إذا برزنا قال: ويحك انظر هل ترى من شيء يواريني". قلت ما أرى شيئا يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك قال فما بقربها قلت: شجرة مثلها أو قريب منها قال: فاذهب إليهما فقل إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا بإذن الله قال فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع فقال اذهب إليهما فقل لهما إن رسول الله يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها فرجعت قال وكنت معه جالسا ذات يوم إذ جاء جمل نجيب حتى صوى بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال: ويحك انظر لمن هذا الجمل إن له لشئنًا قال فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال: ما شأن الجمل هذا؟. فقال: وما شأنه؟ قال لا أدري والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه قال: فلا تفعل هبه لي أو بعنيه قال بل هو لك يا رسول الله. فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به.

١٢- طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد ثنا وكيع ثنا الأعمش بن المنهال عن عمرو عن يعلى بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتته امرأة بابن لها قد أصابه لمم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرأ فأهدت إليه كبشين وشيئًا من أقط وشيئًا من سمن قال فقال رسول الله: خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر" ثم ذكر قصة الشجرتين كما تقدم وقال أحمد ثنا أسود ثنا أبو بكر بن عياش عن حبيب بن أبي عمرة عن المنهال بن عمرو عن يعلى قال ما أظن أن أحدا من الناس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا دون ما رأيت فذكر أمر الصبي والنخلتين وأمر البعير إلا أنه قال: ما لبعيرك يشكوك زعم أنك سانيه حتى إذا كبر تريد نحره قال: صدقت والذي بعثك بالحق قد أردت ذلك والذي بعثك بالحق لا أفعل.

١٣- طريق أخرى عنه

روى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم ثنا عباس بن محمد الدوري ثنا حمدان بن الأصبهاني ثنا يزيد عن عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده قال رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشياء ما رآها أحد قبلي كنت معه في طريق مكة فمر بامرأة معها ابن لها به لمم ما رأيت لممًا أشد منه فقالت: يا رسول الله ابني هذا كما ترى فقال: إن شئت دعوت له فدعا له ثم مضى فمر على بعير ناد جرانه يرغو فقال: علي بصاحب هذا البعير. فجيء به فقال: هذا يقول نتجت عندهم فاستعملوني حتى إذا كبرت عندهم ارادوا أن ينحروني قال: ثم مضى ورأى شجرتين متفرقتين فقال لي: اذهب فمرهما فليجتمعا لي قال: فاجتمعتا فقضى حاجته قال: ثم مضى فلما انصرف مر على الصبي وهو يلعب مع الغلمان وقد ذهب ما به وهيأت أمه أكبشا فأهدت له كبشين وقالت: ما عاد إليه شيء من اللمم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من شيء إلا ويعلم أني رسول الله إلا كفرة أو فسقة الجن والإنس".

فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة وقد تفرد بهذا كله الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة ولم يرو أحد منهم شيئًا سوى ابن ماجه فإنه روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب عن يحيى بن سليم عن خيثم عن يونس ابن خباب عن يعلى بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب إلى الغائط أبعد. وقد اعتنى الحافظ أبو نعيم بحديث البعير في كتابه دلائل النبوة وطرقه من وجوه كثيرة ثم أورد حديث عبد الله بن قرط اليماني قال جيء رسول الله صلى الله عليه وسلم بست زود فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ وقد قدمت الحديث في حجة الوداع قلت قد أسلفنا عن جابر بن عبد الله نحو قصة الشجرتين وذكرنا آنفا عن غير واحد من الصحابة نحوًا من حديث الجمل لكن بسياق يشبه أن يكون غير هذا فالله أعلم وسيأتي حديث الصبي الذي كان يصرع ودعاؤه عليه السلام له وبرؤه في الحال من طرق أخرى وقد روى الحافظ البيهقي عن أبي عبد الله الحاكم وغيره عن أبي العباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبي الزبير عن جابر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد فنزلنا منزلا بفلاة من الأرض ليس فيها علم ولا شجر فقال لي: يا جابر خذ الأداوة وانطلق بنا فملأت الأداوة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى فإذا شجرتان بينهما أذرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت فلحقت بصاحبتها فجلس خلفها حتى قضى حاجته ثم رجعنا فركبنا رواحلنا فسرنا كأنما على رؤسنا الطير تظلنا وإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل فقال: اخسأ عدو الله أنا رسول الله وأعاد ذلك ثلاث مرات ثم ناولها إياه فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا تلك المرأة ومعها كبشان تقودهما والصبي تحمله فقالت: يا رسول الله أقبل مني هديتي فو الذي بعثك بالحق إن عاد إليه بعد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا أحدهما وردوا الآخر قال ثم سرنا ورسول الله صلى الله

عليه وسلم بيننا فجاء جمل ناد فلما كان بين السماطين خر ساجدصا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الأنصار: هو لنا يا رسول الله قال: فما شأنه؟ قالوا: سنونا عليه منذ عشرين سنة فلما كبرت سنه وكانت عليه شحيمة أردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تبيعونه؟ قالوا: يا رسول الله هو لك. قال: فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله قالوا: يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن..وهذا إسناد جيد رجاله ثقات وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله كان إذا ذهب المذهب أبعد. ثم قال البيهقي وحدثنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر بن إسحاق أنا الحسين بن علي بن زياد ثنا أبو حمنة ثنا أبو قرة عن زياد هو ابن سعد عن أبي الزبير أنه سمع يونس بن خباب الكوفي يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في سفر إلى مكة فذهب إلى الغائط وكان يبعد حتى لا يراه أحد قال فلم يجد شيئا يتوارى به فبصر بشجرتين فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحو من حديث جابر قال البيهقي وحديث جابر أصح قال وهذه الرواية ينفرد بها زمعة ابن صالح عن زياد أظنه ابن سعد عن أبي الزبير قلت وقد يكون هذا أيضًا محفوظًا ولا ينافي حديث جابر ويعلى بن مرو بل يشهد لهما ويكون هذا الحديث عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر وعن يونس بن خباب عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه والله أعلم وروى البيهقي من حديث معاوية بن يحيى الصيرفي وهو ضعيف عن الزهري عن خارجة ابن زيد عن أسامة بن زيد حديثًا طويلاً نحو سياق حديث يعلى بن مرة وجابر بن عبد الله وفيه قصة الصبي الذي كان يصرع ومجيء أمه بشاة مشوية فقال: ناوليني الذراع فناولته ثم قال: ناوليني الذراع فناولته ثم قال: ناوليني الذراع فقلت كم للشاة من ذراع؟ فقال: والذي نفسي بيده لو سكت لناولتيني ما دعوت ثم ذكر قصة النخلات واجتماعهما وانتقال الحجارة معهما حتى صارت الحجارة رجمًا خلف النخلات وليس في سياقه قصة البعير فلهذا لم يورده بلفظه وإسناده وبالله المستعان وقد روى الحافظ ابن عساكر ترجمة غيلان بن سلمة الثقفي بسنده إلى يعلى بن منصور الرازي عن شبيب بن شيبة عن بشر بن عاصم عن غيلان بن سلمة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا عجبًا فذكر قصة الشجرتين واستتاره بهما عند الخلاء وقصة الصبي الذي كان يصرع وقوله: بسم الله أنا رسول الله اخرج عدو الله. فعوفي ثم ذكر قصة البعيرين النادين وأنهما سجدا له بنحو ما تقدم في البعير الواحد فلعل هذه قصة أخرى والله أعلم.

وقد ذكرنا فيما سلف حديث جابر وقصة جمله الذي كان قد أعيي وذلك مرجعهم من تبوك وتأخره في أخريات القوم فلحقه النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له وضربه فسار سيرًا لم يسر مثله حتى جعل يتقدم أمام الناس وذكرنا شراءه عليه السلام منه وفي ثمنه اختلاف كثير وقع من الرواة لا يضر أصل القصة كما بيناه وتقدم حديث أنس في ركوبه عليه السلام على فرس أبي طلحة حين سمع صوتًا بالمدينة فركب

ذلك الفرس وكان يبطئ وركب الفرسان نحو ذلك الصوت فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع بعد ما كان كشف ذلك الأمر فلم يجد له حقيقة وكان قد ركبه عريًا لا شيء عليه وهو متقلد سيفًا فرجع وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا ما وجدنا من شيء وإن وجدناه لبحرًا أي لسابقًا وكان ذلك الفرس يبطأ قبل تلك الليلة فكان بعد ذلك لا يجارى ولا يكشف له غبار وذلك كله ببركته عليه الصلاة والسلام.

١٤-حديث آخر غريب في قصة البعير

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلائل النبوة وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد أخبرني أبو علي الفوارسي حدثنا أبو سعيد عن عبد العزيز بن شهلان القواس حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن خالد الراسبي حدثنا عبد الرحمن بن علي البصري حدثنا سلامة ابن سعيد بن زياد بن أبي هند الرازي حدثني أبي عن أبيه عن جده حدثنا غنيم بن أوس يعني الرازي قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك مع أن الله تعالى قد أمن عائذنا ولا يخاف لائذنا قلنا يا رسول الله: ما يقول هذا البعير؟ قال: هذا بعير هم أهله بنحره فهرب منهم فاستغاث بنبيكم فبينا نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يشكو مر الشكاية. فقالوا يا رسول الله: ما يقول قال: يقول إنه ربي في إبلكم جوارا وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء رحلتم إلى موضع الدفء فقالوا: قد كان ذلك يا رسول الله فقال: ما جزاء العبد الصالح من مواليه قالوا: يا رسول الله فإنا لا نبيعه ولا ننحره قال فقد استغاث فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين فاشتراه النبي صلى الله عليه وسلم بمائة درهم ثم قال: أيها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله. فرغا على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله: آمين ثم رغا الثانية فقال آمين ثم رغا الثلاثة فقال آمين ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير قال يقول جزاك الله أيها النبي عن الاسلام والقرآن خيرا قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكنت رعبي قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمي قلت آمين قال لا جعل الله بأسها بينها فبكيت وقلت هذه خصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني واحدة وأخبرني جبريل عن الله أن فناء أمتك بالسيف فجرى القلم بما هو كائن" قلت هذا الحديث غريب جدا لم أر أحدا من هؤلاء المصنفين في الدلائل أورده سوى هذا المصنف وفيه غرابة ونكارة في إسناده ومتنه أيضا والله أعلم...

- وقد روي في قصة الضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم، وتعريفها له بنفسها، ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها، وندائهم لها: إنك لمحمد، وإنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت.

ذكره الإسفراييني.

- وروى ابن وهب، أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها بالبركة.

- وروي عن أنس، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أمر الله ليلة الغار شجرة، فثبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته، وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار.

- وفي حديث آخر: وأن العنكبوت نسجت على بابه، فلما أتى الطالبون له، ورأوا ذلك قالوا: لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم، فانصرفوا.

ذكر هذا أبو نعيم في دلائل النبوة ثنا أبو مصعب قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة فسمعتهم يتحدثون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعنا بفم الغار وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وسيوفهم وهراواهم قد حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر أربعين ذراعًا فعجل بعضهم فنظر في الغار يرى فيه أحدًا فرأى حمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا ما لك لم تنظر في الغار قال رأيت حمامتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال: فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فسمت النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم.

- وعن عبد الله بن قرط: قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو سبع، لينحرها يوم عيد، فازدلفن إليه بأيهن يبدأ.

- وعن أم سلمة: كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء، فنادته ظبية، يا رسول الله، قال: ما حاجتك؟ قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خفشان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع.

قال: وتفعلين؟ قالت: نعم. فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها، فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قلت: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في كلام الظبية التي فجعت بخشفها وشهادتها لنبينا بالرسالة، قال:

أنبأني أبو عبد الله الحافظ إجازة أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة الغفاري حدثنا علي بن قادم حدثنا أبو العلاء خالد بن طهمان عن عطية عن أبي سعيد قال مر رسول الله بظبية مربوطة إلى خباء فقالت يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم ارجع فتربطني فقال رسول الله صيد قوم وربيطة قوم قال فأخذ عليها فحلفت له فحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها ثم قال رسول الله لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا أبدا وروى من وجه آخر ضعيف.

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضي أنبأنا أبو علي حامد بن محمد الهوري حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو حفص عمرو بن علي حدثنا يعلى بن إبراهيم الغزال حدثنا الهيثم بن حماد عن أبي كثير عن زيد ابن أرقم قال كنت مع النبي في بعض سكك المدينة فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت يا رسول الله إن هذا الأعرابي اصطادني ولي خشفان في البرية وقد تعقد اللبن في أخلافي فلا هو يذبحني فاستريح ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية فقال لها رسول الله: إن تركتك ترجعين قالت نعم وإلا عذبني الله عذاب العشار فأطلقها رسول الله فلم تلبث أن جاءت تلمظ فشدها رسول الله إلى الخباء وأقبل الأعرابي ومعه قربة فقال له رسول الله: أتبيعنيها؟ قال هي لك يا رسول الله. فأطلقها رسول الله.
قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد.

عن أنس بن مالك قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلمعلى قوم قد صادوا ظبية فشدوها إلى عمود فسطاط فقالت: يا رسول الله إني وضعت ولدين خشفين فاستأذن لي أن أرضعهما ثم أعود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلوا عنها حتى تأتي خشفيها فترضعهما وتأتي إليكما". قالوا: ومن لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: "أنا". فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها. قال: "تبيعوها". قال: يا رسول الله هي لك، فخلوا عنها فأطلقوها فذهبت.
رواه الطبراني في الأوسط وفيه صالح المري وهو ضعيف.
وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء فإذا مناد يناديه: يا رسول الله فالتفت فلم ير أحداً ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت: ادن مني يا رسول الله، فدنا منها فقال: "حاجتك؟". فقالت: إن لي خشفين في هذا الجبل فخلني حتى أذهب فأرضعهما ثم أرجع إليك. قال: "وتفعلين؟". قالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أفعل. فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت فأوثقها، وانتبه الأعرابي فقال: ألك حاجة يا رسول الله؟ قال: "نعم تطلق هذه". فأطلقها فخرجت تعدو وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.
رواه الطبراني وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف.
J - ومن هذا الباب ماروي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه، فهمهم وتنحى عن الطريق، وذكر في منصرفه مثل ذلك.

J - وفي رواية أخرى عنه - أن سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد، فقلت له: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق.
ذكره البيهقي في دلائل النبوة قال:
باب ما جاء في تسخير الله عز وجل الأسد لسفينة مولى رسول الله كرامة لرسول الله وما روي في معناه
أخبرنا أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب أنبأنا جعفر بن عون أنبأنا أسامة بن زيد عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن سفينه مولى رسول الله قال
ركبت سفينة في البحر فانكسرت فركبت لوحا منها فاخرجني إلى أجمة فيها أسد إذ أقبل الأسد فلما رأيته قلت يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله فأقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معى حتى أقامني على الطريق قال ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فرأيت أنه يودعني
وأخبرني أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن زكريا حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا يوسف بن عدي حدثنا عبد الله بن وهب عن أسامة بن زيد أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان حدثه عن محمد بن المنكدر
أن سفينة مولى رسول الله قال ركبت البحر فانكسرت بي سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح إلى أجمه فيها الأسد فدخلت فخرج إلي الأسد فأقبل إلي فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول
الله فطأطأ رأسه وأقبل إلي يدفعني بمنكبيه فأخرجني من الأجمة ووقفني على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعني فكان هذا آخر عهدي به
أخبرنا أبو الحسين بن بشران العبد ببغداد أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحجبي عن ابن المنكدر
أن سفينة مولى رسول الله أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر في أرض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد فقال له يا أبا الحارث إني مولى رسول الله كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتا أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد والله تعالى هو أعلم
باب ما جاء في معجزة أخرى ظهرت له في مولاه سفينة وبذلك سمي سفينة
أخبرنا أبو منصور الظفري محمد بن أحمد العلوي رحمه الله أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة حدثنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن حشرج بن نباتة قال حدثنا سعيد بن جمهان عن سفينة قال قلت لسفينة ما اسمك قال ما أنا بمخبركم ثم قال سماني رسول الله سفينة قلت ولم سماك سفينة قال خرج رسول الله ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لي رسول الله ابسط كساءك فبسطته فجعلوا فيه متاعهم فحملوه علي فقال رسول الله احمل فإنما أنت سفينة فلو حملت من يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علي إلا أن يخفو

J - وأخذ - صلى الله عليه وسلم - بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعه، ثم خلاها فصار لها ميسماً، وبقي ذلك الأثر وفي نسلها بعد.
J - وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر، وقال له: اسمي يزيد بن شهاب.فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا، وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه، فيضرب عليهم الباب برأسه، ويستدعيهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات، تردى في بئر جزعاً وحزناً، فمات.
قال ابن كثير في البداية والنهاية فأما ما ذكره القاضي عياض بن موسى السبتي في كتابه الشفا وذكره قبل إمام الحرمين في كتابه الكبير في أصول الدين وغيرهما انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمار يسمى زياد بن شهاب وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه ليطلب له بعض أصحابه فيجيء إلى باب أحدهم فيقعقعه فيعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبه وأنه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه سلالة سبعين حمارا كل منها ركبه نبي وأنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فتردى في بئر فمات فهو حديث لا يعرف له إسناد بالكلية وقد أنكره غير واحد من الحفاظ منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم وأبوه رحمهما الله وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله ينكره غير مرة إنكارا شديدا وقال الحافظ ابو نعيم في كتاب دلائل النبوة ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العنبري ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابراهيم ابن سويد الجذوعي حدثني عبد الله بن أذين الطائي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر حمار اسود فوقف بين يديه فقال من أنت قال أنا عمرو بن فلان كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم وكنت لك فملكني رجل من اليهود فكنت إذا ذكرتك كبوت به فيوجعني ضربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور هذا حديث غريب جدا
- وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها، وأنها ملكه.
قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك
حدثني أبو محمد الحسن بن إبراهيم الأسلمي الفارسي من أصل كتابه حدثنا جعفر بن درستويه حدثنا اليمان بن سعيد المصيصي حدثنا يحيى بن عبد الله المصري حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عمر قال كنا جلوسا حول رسول الله صلى الله عليه وسلمإذ دخل أعرابي جهوري بدوي يماني على ناقة حمراء فأناخ بباب المسجد فدخل فسلم ثم قعد فلما قضى نحبه قالوا يا رسول الله إن الناقة التي تحت الأعرابي سرقة قال أثم بينة قالوا نعم يا رسول الله قال يا علي خذ حق الله من الأعرابي إن قامت عليه البينة وإن لم تقم فرده إلي قال فأطرق الأعرابي ساعة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قم يا أعرابي لأمر الله وإلا فادل بحجتك فقالت الناقة من خلف الباب والذي بعثك بالكرامة يا رسول الله إن هذا ما سرقني ولا ملكني أحد سواه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أعرابي بالذي أنطقها بعذرك ما الذي قلت قال قلت اللهم إنك لست برب استحدثناك ولا معك إله أعانك على خلقنا ولا معك رب فنشك في ربوبيتك أنت ربنا كما نقول وفوق ما يقول القائلون أسألك أن

تصلي على محمد وأن تبرئني ببراءتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالكرامة يا أعرابي لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك فأكثر الصلاة علي رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات ويحيى بن عبد الله المصري هذا لست أعرفه بعدالة ولا جرح.

- وفي العنز: التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره، وقد أصابهم عطش، ونزلوا على غير ماء، وهم زهاء ثلاثمائة، فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأروى الجند، ثم قال لرافع: أملكها وما أراك. فربطها فوجدها قد انطلقت. رواه ابن قانع و غيره، وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها .

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في الشاة التي ظهرت فحلبت فأروت ثم ذهبت فلم توجد

أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد أنبأنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن الفرج الأزرق حدثنا عصمة بن سليمان الخزاز حدثنا خلف ابن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن نافع وكانت له صحبة من رسول الله قال

كنا مع رسول الله في سفر لنا كنا أربعمائة رجل فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه فقالوا رسول الله أعلم قال فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله فحلبها فشرب حتى روي وسقي أصحابه حتى رووا ثم قال يا نافع أملكها الليلة وما أراك تملكها قال فاخذتها فوتدت لها وتدا ثم قمت في بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحا فجئت النبي فاخبرته من قبل أن يسألني فقال يا نافع ذهب بها الذي جاء بها

وفي كتاب محمد بن سعد أنبأنا خلف بن الوليد أبو الوليد الأزدي حدثنا خلف بن خليفة عن آبان بن بشير عن شيخ من أهل البصرة عن نافع فذكره

أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد بن عدي حدثنا العباس بن محمد بن العباس حدثنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو حفص الرياحي حدثنا عامر بن أبي عامر الخزاز عن ابيه عن الحسن بن سعد يعني مولى أبي بكر قال

قال رسول الله احلب لي العنز قال وعهدي بذلك الموضع لا عنز فيه قال فاتيت بعنز حافل قال فاحتلبتها واحتفظت بالعنز واوصيت بها قال فاشتغلنا بالرحلة ففقدت العنز فقلت يا رسول الله فقدت العنز قال فقال إن لها ربا

أخبرنا الأستاذ ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك أنبأنا عبد الله بن جعفر الأصبهاني حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن ابنه خباب أنها أتت رسول الله بشاة فاعتقلها وحلبها النبي وقال ائتني بأعظم إناء لكم فأتيناه بجفنة العجين فحلب فيها حتى ملأها ثم قال اشربوا وجيرانكم

J - وقالصلى الله عليه وسلم : لفرسه وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره: لا تبرح، بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته، فما حرك عضواً حتى صلى صلى الله عليه وسلم.

-ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله إلى الملوك، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم .

والحديث في هذا الباب كثير، وقد جئنا منه بالمشهور، وما وقع في كتب الأئمة.

الفصل التاسع عشر

في إحياء الموتى و كلامهم، وكلام الصبيان و المراضع و شهادتهم لهم بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبوالوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه، القاضي أبو الوليد محمد بن رشد، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي، و غيره واحد سماعاً و إذناً، قالوا: حدثنا أبو علي الحافظ قال: حدثنا أبو عمر الحافظ، حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحي، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي...

حدثنا أبو داود، حدثنا و هب بن بقية، عن خالد - هو الطحان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، و أكل القوم، فقال: ارفعوا أيديكم، فإنما أخبرتني أنها مسمومة.

فمات بشر بن البراء.. وقال لليهودية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، و إن كنت ملكاً أرحت الناس منك. قال: فأمر بها فقتلت.

-وقد روى هذا الحديث أنس، وفيه: قالت: أردت قتلك. فقال: ماكان الله ليسلطك على ذلك.

فقالوا: نقتلها؟ قال: لا.

-وكذالك روى عن أبي هريرة - من غير وهب، قال: فما عرض لها.

-ورواه أيضاً جابر بن عبد الله، وفيه: أخبرني هذه الذراع قال: و لم يعاقبها.

-وفي رواية الحسن: أن فخذها تُكَلِّمُني أنها مسمومة.

-وفي رواية أبي سلمة بن عبدالرحمن قالت: إني مسمومة.

-وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق، و قال فيه: فتجاوزعنها.

-وفي الحديث الآخر، عن أنس، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-وفي حديث أبي هريرة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - في وجعه الذي مات فيه: ما زالت أكلة خيبر تعادُّني، فالآن أوان قطعت أبهري.

-وحكى ابن إسحاق: إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة.

-وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته.

-و قد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة، وأنس، وجابر.

-وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما - أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها.

-وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره، قال الواقدي: وعفوه عنه أثبت عندنا.

-وروى الحديث البزار، عن أبي سعيد، فذكر مثله، إلا أنه قال في آخره: فبسط يده وقال: كلوا بسم الله، فأكلنا، وذكر اسم الله، فلم تضر منا أحداً.
*قال القاضي أبو الفضل: وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح، وخرجه الأئمة، وهو حديث مشهور.
-واختلف أئمة النظر في هذا الباب، فمن قائل يقول: هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله ويسمعها منها دون تغيير أشكالها، و نقلها عن هيئتها.
وهو مذهب الشيخ أبي الحسن، والقاضي أبي بكر رحمهما الله. وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها، ثم الكلام بعده. -وحكي هذا أيضاً عن شيخنا أبي الحسن، وكل محتمل، والله أعلم، إذ لم نجعل الحياة شرطاً لوجود الحروف والأصوات، إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها.

فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها، إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي، خلافاً للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات.
والتزم ذلك في الحصى، والجذع، والذراع، وقال: إن الله خلق فيها حياة، وخرق لها فماً ـ ولساناً، وآلة أمكنها بها من الكلام.
وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه، ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئاً من ذلك، فدل على سقوط دعواه، مع أنه لا ضرورة إليه في النظر، والموفق الله.
وقفة مع حديث الشاة المسمومة
البخاري في كتاب الهبة
حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب: حدثنا خالد بن الحارث: حدثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه:أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقتلها؟ قال:(لا). فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.
باب: الشاة التي سمت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر.
رواه عروة، عن عائشه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.
ـ حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث: حدثني سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم.
وروى في كتاب الطب؛ وفي أبواب الجزية والموادعة...
ـ حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال: حدثني سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم(اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود). فجمعوا له، فقال:(إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه). فقالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم (من

أبوكم). قالوا: فلان، فقال:(كذبتم، بل أبوكم فلان). قالوا: صدقت، قال:(فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه). فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم:(من أهل النار؟). قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا). ثم قال:(هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه). فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال:(هل جعلتم في هذه الشاة سما). قالوا: نعم، قال:(ما حملكم على ذلك). قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك.

قال ابن حجر

حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وسيأتي شرحه في غزوة خيبر من المغازي واسم اليهودية المذكورة زينب وقد اختلف في اسلامها كما سيأتي

قوله فأكل منها فجيء بها زاد مسلم وأحمد في روايته من الوجه المذكور هنا فأكل منه فقال أنها جعلت فيه سما وزاد مسلم بعد قوله فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك قال ما كان الله ليسلطك علي قوله فقيل ألا نقتلها في رواية أحمد ومسلم فقالوا يا رسول الله "ألا نقتلها؟ "

قوله في لهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي سقف الفم أو اللحمة المشرفة على الحلق وقيل هي أقصى الحلق وقيل ما يبدو من الفم عند التبسم

وقال

قوله باب الشاة التي سمت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر أي جعل فيها السم والسم مثلث السين قوله رواه عروة عن عائشة لعله يشير إلى الحديث الذي ذكره في الوفاة النبوية من هذا الوجه معلقا أيضا وسيأتي ذكره هناك

قوله حدثني سعيد هو بن أبي سعيد المقبري قوله لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم هكذا أورده مختصرا وقد سبق مطولا في أواخر الجزية فذكر هذا الطرف وزاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود فذكر الحديث وسيأتي شرح ما يتعلق بذلك في كتاب الطب قال بن إسحاق لما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية وكانت سألت أي عضو من الشاة أحب اليه قيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته فذكر القصة وأنه صفح عنها وأن بشر بن البراء مات منها وروى البيهقي من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة أن امرأة من اليهود أهدت لرسول اللهصلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فأكل فقال لأصحابه أمسكوا فإنها مسمومة وقال لها ما حملك على ذلك قالت أردت إن كنت نبيا فيطلعك الله وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك قال فما عرض لها ومن طريق أبي نضرة عن جابر نحوه فقال فلم يعاقبها وروى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري عن أبي بن كعب مثله وزاد فاحتجم على الكاهل قال قال الزهري فأسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وأخرج بن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة له هذه القصة مطولة وفي آخره قال فدفعها

إلى ولاة بشر بن البراء فقتلوها قال الواقدي وهو الثبت وأخرج أبو داود من طريق يونس عن الزهري عن جابر نحو رواية معمر عنه وهذا منقطع لأن الزهري لم يسمع من جابر ومن طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة نحوه مرسلا قال البيهقي وصله حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال البيهقي يحتمل أن يكون تركها أولا ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها وبذلك أجاب السهيلي وزاد إنه كان تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا قلت ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت وإنما أخر قتلها حتى مات بشر لأن بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه ووافق موسى بن عقبة على تسميتها زينب بنت الحارث وأخرج الواقدي بسند له عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما حملك على ما فعلت قالت قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي قال فسألت إبراهيم بن جعفر فقال عمها يسار وكان من أجبن الناس وهو الذي أنزل من الرف وأخوها زبير وزوجها سلام بن مشكم ووقع في سنن أبي داود أخت مرحب وبه جزم السهيلي وعند البيهقي في الدلائل بنت أخي مرحب ولم ينفرد الزهري بدعواه أنها أسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها وإن كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لي الآن أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فانصرف عنها حين أسلمت....

وقال: قوله باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم الإضافة فيه إلى المفعول قوله رواه عروة عن عائشة كأنه يشير إلى ما علقه في الوفاة النبوية آخر المغازي فقال قال يونس عن بن شهاب قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم.. وقد ذكرت هناك من وصله وهو البزار وغيره... وقوله أجد ألم الطعام أي الألم الناشىء عن ذلك الأكل لا أن الطعام نفسه بقي إلى تلك الغاية وأخرج الحاكم من حديث أم مبشر نحو حديث عائشة ثم ذكر حديث أبي هريرة في قصة الشاة المسمومة التي أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وقد تقدم ذكره في غزوة خيبر وأنه أخرجه مختصرا وفي أواخر الجزية مطولا

قوله أهديت بضم أوله على البناء للمجهول تقدم في الهبة من رواية هشام بن زيد عن أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها الحديث فعرف أن التي أهدت الشاة المذكورة امرأة وقدمت في المغازي أنها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم أخرجه بن إسحاق بغير إسناد وأورده بن سعد من طرق عن بن عباس بسند ضعيف ووقع في مرسل الزهري أنها أكثرت السم في الكتف والذراع لأنه بلغها أن ذلك كان أحب أعضاء الشاة إليه وفيه فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف فنهش منها وفيه فلما ازدرد لقمته قال إن الشاة تخبرني يعني أنها مسمومة وبينت هناك الاختلاف هل قتلها النبي صلى الله عليه وسلم أو تركها ووقع في حديث أنس المشار إليه فقيل الا تقتلها قال لا قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم كيفية الجمع بين الاختلاف المذكور ومن المستغرب قول محمد بن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قتلها قوله اجمعوا لي لم أقف على تعيين المأمور بذلك قوله أني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه كذا وقع في هذا الحديث في ثلاثة مواضع قال بن التين ووقع في بعض النسخ صادقي بتشديد الياء بغير نون وهو الصواب في العربية لأن أصله صادقوني فحذفت النون للاضافة فاجتمع حرفا علة سبق الأول بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت ومثله وما أنتم بمصرخي وفي حديث بدء الوحي أو مخرجي هم انتهى وإنكاره الرواية من جهة العربية ليس بجيد فقد وجهها غيره قال بن مالك مقتضى الدليل أن تصحب نون الوقاية اسم الفاعل وأفعل التفضيل والأسماء المعربة المضافة إلى ياء المتكلم لتقيها خفاء الاعراب فلما منعت ذلك كانت كأصل متروك فنبهوا عليه في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل كقول الشاعر وليس الموافيني ليرتد خائبا فإن له أضعاف ما كان أملا ومنه في الحديث غير الدجال أخوفني عليكم والأصل فيه أخوف مخوفاتي عليكم فحذف المضاف إلى الياء وأقيمت هي مقامه فاتصل أخوف بها مقرونة بالنون وذلك أن أفعل التفضيل شبيه بفعل التعجب وحاصل كلامه أن النون الباقية هي نون الوقاية ونون الجمع حذفت كما تدل عليه الرواية الأخرى بلفظ صادقي ويمكن تخريجه أيضا على أن النون الباقية هي نون الجمع فإن بعض النحاة أجاز في الجمع المذكر السالم أن يعرب بالحركات على النون مع الواو ويحتمل أن تكون الياء في محل نصب بناء على أن مفعول اسم الفاعل إذا كان ضميرا بارزا متصلا به كان في محل نصب وتكون النون على هذا أيضا نون الجمع قوله من أبوكم قالوا أبونا فلان فقال رسول اللهصلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت بكسر الراء الأولى وحكى فتحها وهو من البر قوله نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها بضم اللام مخففا أي تدخلون فتقيمون في المكان الذي كنا فيه وضبطه الكرماني بتشديد اللام وقد أخرج الطبري من طريق عكرمة قال خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا إليها قوم آخرون يعنون محمدا وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رءوسهم بل أنتم خالدون يخلدون لا مخلفكم فيها أحد فأنزل الله تعالى _((وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٨٠ - ٨١)ومن طريق بن إسحاق عن سيف بن سليم عن مجاهد عن بن عباس أن اليهود كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما في النار وإنما هي سبعة أيام فنزلت وهذا سند حسن وأخرج الطبري أيضا من وجه آخر عن عكرمة قال اجتمعت يهود تخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تصيبنا النار فذكر نحوه وزاد فقال النبيصلى الله عليه وسلم كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون لا نخلفكم فيها أبدا إن شاء الله تعالى فنزل القرآن تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حدثني أبي زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليهود أنشدكم الله من أهل النار الذين ذكرهم الله في التوراة قالوا إن الله غضب علينا غضبة فنمكث في النار أربعين يوما ثم نخرج فتخلفوننا فيها فقال كذبتهم والله لا نخلفكم فيها أبدا فنزل القرآن تصديقا له وهذان خبران مرسلان يقوي

أحدهما الآخر ويستفاد منهما تعيين مقدار الأيام المعدودة المذكورة في الآية وكذا في حديث أبي هريرة حيث قال فيه أياما يسيرة وأخرج الطبري أيضا من رواية قتادة وغيره أن حكمة العدد المذكور وهو الأربعون أنها المدة التي عبدوا فيها العجل قوله اخسئوا فيها هو زجر لهم بالطرد والابعاد أو دعاء عليهم بذلك قوله والله لا نخلفكم فيها أبدا أي لا تخرجون منها ولا نقيم بعدكم فيها لأن من يدخل النار من عصاة المسلمين يخرج منها فلا يتصور أنه يخلف غيره أصلا قوله أردنا إن كنت كاذبا في رواية المستملي والسرخسي إن كنت كذابا قوله وإن كنت نبيا لم يضرك يعني على الوجه المعهود من السم المذكور وفي حديث أنس المشار إليه فقالت أردت لأقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك وفي رواية سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة في نحو هذه القصة فقالت أردت أن أعلم إن كنت نبيا فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك أخرجه البيهقي وأخرج نحوه موصولا عن جابر وأخرجه بن سعد بسند صحيح عن بن عباس ووقع عند بن سعد عن الواقدي بأسانيده المتعددة أنها قالت قتلت أبي وزوجي وعمي وأخي ونلت من قومي ما نلت فقلت إن كان نبيا فسيخبره الذراع وإن كان ملكا استرحنا منه وفي الحديث إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب وتكليم الجماد له ومعاندة اليهود لاعترافهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم وبما وقع منهم من دسيسة السم ومع ذلك فعاندوا واستمروا على تكذيبه وفيه قتل من قتل بالسم قصاصا وعن الحنفية إنما تجب فيه الدية ومحل ذلك إذا استكرهه عليه اتفاقا وأما إذا دسه عليه فأكله ففيه اختلاف للعلماء فإن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية ببشر بن البراء ففيه حجة لمن يقول بالقصاص في ذلك والله أعلم وفيه أن الأشياء كالسموم وغيرها لا تؤثر بذواتها بل بإذن الله لأن السم أثر في بشر فقيل إنه مات في الحال وقيل إنه بعد حول ووقع في مرسل الزهري في مغازي موسى بن عقبة أن لونه صار في الحال كالطيلسان يعني أصفر شديد الصفرة وأما قول أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللهوات جمع لهاة ويجمع أيضا على لهى بضم أوله والقصر منون ولهيان وزن إنسان وقد تقدم بيانها فيما مضى في الطب في الكلام على العذرة وهل اللحمة المعلقة في أصل الحنك وقيل هي ما بين منقطع اللسان إلى منقطع أصل الفم وهذا هو الذي يوافق الجمع المذكور ومراد أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه المرض من تلك الأكلة أحيانا وهو موافق لقوله في حديث عائشة ما أزال أجد ألم الطعام ووقع في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر عدادا حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري ومثله في الرواية المذكورة عند بن سعد والعداد بكسر المهملة والتخفيف ما يعتاد والأبهر عرق في الظهر تقدم بيانه في الوفاة النبوية ويحتمل أن يكون أنس أراد أنه يعرف ذلك في اللهوات بتغير لونها أو بنتوء فيها أو تحفير قاله القرطبي...

مسلم في كتاب السلام باب السم

حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي. حدثنا خالد بن الحارث. حدثنا شعبة عن هشام بن زيد، عن أنس؛

أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة. فأكل منها. فجيء بها إلى رسول الله ص. فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال" ما كان الله ليسلطك على ذاك" قال أو قال "علي" قال قالوا: ألا نقتلها؟ قال "لا" قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال النووي
قوله:(أن يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذاك قالت أردت لأقتلك، قال: وما كان الله ليسلطك على ذاك قال أو قال علي، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم). وفي الرواية الأخرى:(جعلت سماً في لحم). أما السم فبفتح السين وضمها وكسرها ثلاث لغات الفتح أفصح جمعه سمام وسموم. وأما اللهوات فبفتح اللام والهاء جمع لهات بفتح اللام وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك قاله الأصمعي. وقيل اللحمات اللواتي في سقف أقصى الفم. وقوله:(ما زلت أعرفها) أي العلامة كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره. وقولهم:(ألا نقتلها) هي بالنون في أكثر النسخ وفي بعضها بتاء الخطاب. وقوله صلى الله عليه وسلم "ما كان الله ليسلطك على ذاك أو قال علي" فيه بيان عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم كما قال الله تعالى: {والله يعصمك من الناس} وهي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سلامته من السم المهلك لغيره وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة وكلام عضو منه له فقد جاء في غير مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلمإن الذراع تخبرني أنها مسمومة وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسم اسمها زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهودي روينا تسميتها هذه في مغازي موسى بن عقبة ودلائل النبوة للبيهقي قال القاضي عياض: واختلف الآثار والعلماء هل قتلها النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فوقع في صحيح مسلم أنهم قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا. ومثله عن أبي هريرة وجابر. وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه صلى الله عليه وسلم قتلها. وفي رواية ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور وكان أكل منها فمات بها فقتلوها. وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها. قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها أولاً حين اطلع على سمها وقيل له اقتلها فقال لا فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً، فيصح قولهم لم يقتلها أي في الحال، ويصح قولهم قتلها أي بعد ذلك والله أعلم....
وروى هذا الحديث
أبو داود في أول كتاب الديات باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟
١- حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، ثنا خالد بن الحارث، ثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك
أن امرأة يهودية أتت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بشاةٍ مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك،

فقال: "ما كان اللّه ليسلطك على ذلك" أو قال: "عليَّ" قال: فقالوا: ألا نقتلها؟ قال: "لا" فما زلت أعرفها في لهوات رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

٢- حدثنا داود بن رشيد، ثنا عباد بن العوام، ح وثنا هارون بن عبد اللّه، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة، قال هارون: عن أبي هريرةأن امرأة من اليهود أهدت إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم شاةً مسمومة قال: فما عرض لها النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو داود: هذه أخت مرحب اليهودية التي سمت النبي صلى الله عليه وسلم

٣-حدثنا سليمان بن داود المهري، ثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال:

كان جابر بن عبد اللّه يحدِّث أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصليَّة ثم أهدتها لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فأخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الذِّراع فأكل منها، وأكل رهطٌ من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "ارفعوا أيديكم" وأرسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها، فقال لها: "أسممت هذه الشاة؟" قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: "أخبرتني هذه في يدي" للذراع، قالت: نعم، قال: "فما أردت إلى ذلك" قالت: قلت: إن كان نَبِيّاً فلن يضرَّه، وإن لم يكن نبيّاً استرحنا منه، فعفا عنها رسول اللّهصلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقَرْن والشفرة، وهو مولًى لبني بياضة من الأنصار.

٤- حدثنا وهب بن بقية، ثنا خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة

أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاةً مصلية، نحو حديث جابر قال: فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاريُّ، فأرسل إلى اليهودية "ما حملك على الذي صنعت؟" فذكر نحو حديث جابر، فأمر بها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقتلت، ولم يذكر أمر الحجامة.

٥- وثنا وهب بن بقية في موضع آخر، عن خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، ولم يذكر أبا هريرة قال:

كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة، زاد: فأهدت له يهودية بخيبر شاةً مصلية سمتها، فأكل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال: "ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومةٌ" فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: "ما حملك على الذي صنعت؟" قالت: إن كنت نبيّاً لم يضرَّك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك، فأمر بها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقتلت، ثم قال في وجعه الذي مات فيه: "ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر، فهذا أوان قطعت أبهري".

٦- حدثنا مخلد بن خالد، قال: ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه،

أن أمَّ مُبشِّر قالت للنبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: ما يتهم بك يارسول اللّه؟ فإني لا أتهم بابني شيئاً إلا الشاة المسمومة التي أكل معك بخيبر، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك، فهذا أوان قطع أبهري".
قال أبو داود: وربما حدّث عبد الرزاق بهذا الحديث مرسلاً عن معمر، عن الزهري، عن النبي صلى الله عليه وسلم وربما حدث به عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، وذكر عبد الرزاق أن معمراً كان يحدِّثهم بالحديث مرة مرسلاً فيكتبونه ويحدِّثهم مرة به فيسنده فيكتبونه، وكلٌّ صحيح عندنا، قال عبد الرزاق: فلما قدم ابن المبارك على معمر أسند له معمر أحاديث كان يوقفها.
٧- حدثنا أحمد بن حنبل، ثنا إبراهيم بن خالد، ثنا رباح، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن كعب بن مالك، عن أمه أمِّ مبشر، قال أبو سعيد بن الأعرابي: كذا قال عن أمه، والصواب عن أبيه، عن أم مبشّر:
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر معنى حديث مخلد بن خالد [نحو حديث جابر قال: فمات بشر بن البراء بن معرور؛ فأرسل إلى اليهودية فقال: "ما حملك على الذي صنعت؟" فذكر نحو حديث جابر؛ فأمر بها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقتلت، ولم يذكر الحجامة].
أبن ماجه في كتاب الطب
حدثنا يحيى بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي. حدثنا بقية. حدثنا أبو بكر العنسي عن يزيد بن أبي حبيب، ومحمد بن يزيد، المصريين، قالا: حدثنا نافع عن ابن عمر قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله! لا يزال يصيبك، كل عام، وجع من الشاة المسمومة التي أكلت. قال:((ما أصابني شيء منها، إلا وهو مكتوب علي، وآدم في طينته)).في الزوائد: في إسناده أبو بكر العنسي، وهو ضعيف
الدارمي في مجموعة ابواب في المقدمة باب ما أكرم النبي صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى
١- أخبرنا جعفر بن عون أنا محمد بن عمر الليثي عن أبي سلمة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة فأهدت له امرأة من يهود خيبر شاة مصلية فتناول منها وتناول منها بشر بن البراء ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده، ثم قال إن هذه تخبرني انها مسمومة فمات بشر بن البراء فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت فقالت إن كنت نبيا لم يضرك شيء وإن كنت ملكا أرحت الناس منك، فقال في مرضه: ما زلت من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري
٢- أخبرنا الحكم بن نافع أنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: كان جابر بن عبد الله يحدث ان يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم منها الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه، ثم قال لهم النبيصلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها، فقال لها: أسممت هذا الشاة؟ فقالت: نعم ومن أخبرك، فقال النبيصلى الله عليه وسلم أخبرتني هذه في يدي الذراع فقالت نعم قال: فماذا أردت إلى ذلك قالت قلت: إن كان نبيا لم يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وهو من بني ثمامة وهم حي من الأنصار

الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة

١- أخبرنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا إبراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن أم مبشر رضى الله تعالى عنها قالت دخلت على رسول اللهصلى الله عليه وسلمفي وجعه الذي قبض فيه فقلت بأبي أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك فإني لا اتهم بابني إلا الطعام الذي أكله معك بخيبر وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان انقطاع أبهري هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

٢- حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ثنا السري بن خزيمة ثنا عبد العزيز بن داود الحراني ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن امرأة يهودية دعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابا له على شاة مصلية فلما قعدوا يأكلون أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فوضعها ثم قال لهم أمسكوا إن هذه الشاة مسمومة فقال لليهودية ويلك لأي شيء سممتني قالت أردت أن أعلم إن كنت نبيا فإنه لا يضرك وإن كان غير ذلك أن أريح الناس منك وأكل منها بشر بن البراء فمات فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

الحاكم في كتاب الأطعمة

حدثنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي بمرو ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا أبو عتاب سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أن يهودية أهدت شاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سميطا فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فإن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة قال فأرسل إلى صاحبتها فقال أسممت طعامك هذا قالت نعم أحببت إن كنت كاذبا أن أريح الناس منك وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا اسم الله وكلوا فأكلنا فلم يضر أحدا منا شيئا هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

البيهقي في كتاب الجراح باب من سقى رجلا سما

١- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو النضر الفقيه ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي ثنا خالد بن الحارث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس أن امرأة يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها فقيل ألا نقلتها قال لا قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢- وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن سلمة ومحمد بن النضر ومحمد بن إسماعيل قال بن النضر أنبأ وقال الآخران حدثنا يحيى

بن حبيب بن عربي ثنا خالد بن الحارث فذكره بمثل إسناده إلا أنه قال فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قالوا ألا نقتلها قال لا ثم ذكر باقي الحديث رواه البخاري في الصحيح عن الحجبي ورواه مسلم عن يحيى بن حبيب بن عربي

٣- أخبرنا أبو علي الروذباري أنبأ أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود ثنا داود بن رشيد ثنا عباد بن العوام قال وثنا هارون بن عبد الله ثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة قال هارون عن أبي هريرة أن امرأة من اليهود أهدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة قال فما عرض لها النبي صلى الله عليه وسلم

٤- أخبرنا أبو علي الروذباري أنبأ أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود ثنا سليمان بن داود المهري ثنا بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب قال كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها فقال لها أسممت هذا الشاة قالت اليهودية من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي للذراع قالت نعم قال فما أردت إلى ذلك قالت قلت إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة وأحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار

٥- وأخبرنا أبو علي الروذباري أنبأ أبو بكر ثنا أبو داود ثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر قال فمات بشر بن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية ما حملك على الذي صنعت فذكر نحو حديث جابر قال فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة

٦- وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا محمد بن صالح بن هانئ ثنا السري بن خزيمة ثنا عبد العزيز بن داود الحراني ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن امرأة يهودية دعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابا له على شاة مصلية فلما قعدوا يأكلون أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فوضعها ثم قال لهم أمسكوا إن هذا الشاة مسمومة فقال لليهودية ويلك لأي شيء سممتني قالت أردت أن أعلم إن كنت نبيا فإنه لا يضرك وإن كان غير ذلك أن أريح الناس منك فأكل منها بشر بن البراء فمات فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

٧- أخبرنا أبو الحسن بن عبدان أنبأ أحمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن إسحاق الثقفي ثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال عباد بن العوام عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلمقتلها يعني التي سمته

٨- أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الأصبهاني أنبأ علي بن عمر الحافظ ثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول ثنا أبي ثنا بن أبي فديك عن يحيى بن عبد الرحمن بن

أبي لبيبة عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أتي بشاة مسمومة مصلية أهدتها له امرأة يهودية فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وبشر بن البراء فمرضا مرضا شديدا عنها ثم إن بشرا توفي فلما توفي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فأتى بها فقال ويحك ماذا أطعمتينا قالت أطعمتك السم عرفت إن كنت نبيا أن ذلك لا يضرك وإن الله سيبلغ فيك أمره وإن كنت على غير ذلك فأحببت أن أريح الناس منك فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلبت
٩- وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو عبد الله بن بطة الأصبهاني ثنا الحسن بن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي أنبأ يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة عن جده محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها فصلبت بعد أن قتلها قال الواقدي الثبت عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها وأمر بلحم الشاة فأحرق قال الشيخ اختلفت الروايات في قتلها ورواية أنس بن مالك أصحها ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم في الابتداء لم يعاقبها حين لم يمت أحد من أصحابه مما أكل فلما مات بشر بن البراء أمر بقتلها فأدى كل واحد من الرواة ما شاهد والله أعلم.
البيهقي في كتاب الضحايا
١-وحدثنا أبو زكريا بن أبي إسحاق أنبأ أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن غالب ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن برد عن عطاء عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال كنا نغزو فنأكل في أوعية المشركين ونشرب في أسقيتهم قال الشافعي في رواية حرملة أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم يهودية شاة محنوذة سمتها في ذراعها فأكل منها هو يعني وغيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زالت الأكلة التي أكلت من الشاة تعادني حتى كان هذا أوان قطعت أبهري..
٢- أخبرنا أبو علي الروذباري أنبأ محمد بن بكر ثنا أبو داود ثنا يحيى بن حبيب بن عربي ثنا خالد بن الحارث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قال فقالوا ألا نقتلها قال لا قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن حبيب ورواه البخاري عن الحجبي عن خالد ورويناه فيه حديث جابر وغيره في كتاب الجراح
٣- حدثنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر ثنا يوسف بن موسى المروروذي ثنا أحمد بن صالح ثنا عنبسة ثنا يونس عن بن شهاب قال قال عروة كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه يا عائشة أني أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم أخرجه البخاري في الصحيح فقال وقال يونس
الدارقطني في كتاب الحدود والديات

نا أحمد بن إسحاق بن بهلول نا أبي نا ابن أبي فديك عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أتى بشاة مسمومة مصلية أهدتها له امرأة يهودية فأكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وبشر بن البراء فمرضا مرضا شديدا عنها ثم إن بشرا توفي فلما توفي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فأتى بها، فقال ويحك ماذا أطعمتنا قالت أطعمتك السم عرفت إن كنت نبيا أن ذلك لا يضرك فإن الله تعالى سيبلغ منك أمره وإن كنت على غير ذلك فأحببت أن أريح الناس منك فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلبت

أحمد في مسند أهل البيت

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا سريج حدثنا عباد عن هلال عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فأرسل اليها فقال: ما حملك على ما صنعت قالت: أحببت أو أردت إن كنت نبيا فإن الله سيطلعك عليه وإن لم تكن نبيا أريح الناس منك قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئا احتجم قال: فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم.

وذكره الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة قال: فلما اطمأن بها المقام أهدت امرأة سلام بن مشكم للرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة وأكثرت من السم في ذراع الشاة لما عرفته أن الرسول يؤثرها وقد تناول النبي مضغة منها فلاكها ثم لفظها وهو يقول: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم وكان معه بشر بن البراء فأساغ اللحم وازدرده فجيء بالمرأة الجانية فاعترفت بما صنعت وقالت: بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها النبي ثم مات بشر بعد ما سرى السم في جسمه فقيل: اقتص له منها وقيل بل أسلمت وعفا عنها...

وقفة مع الصحيحين في كون النبي صلى الله عليه وسلم سحره اليهودي لبيد بن الأعصم

البخاري في كتاب بدء الخلق؛ وفي كتاب الأدب؛ وفي كتاب الجزية؛ وفي كتاب الدعوات وفي كتاب الطب باب: السحر.

وقول الله تعالى: {ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لَمَن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق} /البقرة: ١٠٢/.وقوله تعالى: {ولا يفلح الساحر حيث أتى} /طه:٦٩/.وقوله: {أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} /الأنبياء:٣/.وقوله: {يُخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى} /طه:٦٦/.

وقوله: {ومن شرِّ النَّفَّاثات في العقد} /الفلق:٤/: والنَّفَّاثات: السواحر. {تُسْحَرون} /المؤمنون: ٨٩/: تُعَمَّوْن.

- حدثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:
سحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زُرَيق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال:(يا عائشة، أشَعَرْتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشط ومُشاطة، وجُفِّ طلْع نخلة ذكَر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان). فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال:(يا عائشة، كأن ماءها نُقاعة الحِنَّاء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين). قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال:(قد عافاني الله، فكرهت أن أثَوِّرَ على الناس فيه شراً). فأمر بها فدُفنت.تابعه أبو أسامة وأبو ضمرة وابن أبي الزناد، عن هشام.وقال الليث وابن عُيَينة، عن هشام:(في مُشط ومُشاقة).
يقال: المُشاطة: ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمُشاقة: من مُشاقة الكَتَّان.
باب: هل يُستخرج السحر.
وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيَّب: رجل به طِبٌّ، أو: يُؤخذ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّرُ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم يُنْهَ عنه.
- حدثني عبد الله بن محمد قال: سمعت ابن عُيَينة يقول: أول من حدثنا به ابن جُرَيج يقول: حدثني آل عروة، عن عروة، فسألت هشاماً عنه، فحدثنا عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِرَ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال:(يا عائشة، أعَلِمْتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زُرَيق حليف ليهود كان منافقاً - قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقة، قال: وأين؟ قال: في جُفِّ طلعةٍ ذكَرٍ، تحت رَعوفة في بئر ذروان). قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه، فقال:(هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين). قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ - أي تنشَّرت - فقال:(أما والله فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً).
باب: السحر.
- حدثنا عبيد بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت:
سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال:(أشَعَرْتِ يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه). قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال:(جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زُرَيق، قال: في

ماذا؟ قال: في مُشط ومُشاطة وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان). قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال:(والله لكأن ماءها نقاعة الحنَّاء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين). قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال:(لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثوِّر على الناس منه شراً). أمر بها فدُفنت.

البخاري كتاب الدعوات باب: تكرير الدعاء.

- حدثنا إبراهيم بن منذر: حدثنا أنس بن عياض، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طُبَّ، حتى أنه ليخيل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه، وإنه دعا ربه، ثم قال:(أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه). فقالت عائشة: فما ذاك يا رسول الله؟ قال:(جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة، قال: فأين هو؟ قال: في ذروان). وذروان بئر في بني زريق، قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى عائشة، فقال:(والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين). قالت: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها عن البئر، فقلت: يا رسول الله فهلا أخرجته؟ قال:(أما أنا فقد شفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً).

زاد عيسى بن يونس والليث بن سعد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا ودعا، وساق الحديث.

مسلم في كتاب السلام ؛ باب السحر

حدثنا أبو كريب. حدثنا ابن نمير عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. قالت:

سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق. يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله. حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم دعا. ثم دعا. ثم قال "يا عائشة! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي. فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في آي شيء؟ قال: في مشط ومشاطه. قال وجب طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان".

قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه. ثم قال "يا عائشة! والله! لكأن ماءها نقاعة الحناء. ولكأن نخلها رؤوس الشياطين".

قالت فقلت: يا رسول الله! أفلا أحرقته؟ قال "لا. أما أنا فقد عافاني الله. وكرهت أن أثير على الناس شرا. فأمرت بها فدفنت".

حدثنا أبو كريب. حدثنا أو أسامة. حدثنا هشام عن أبيه، عن عائشة. قالت:

سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وساق أبو كريب الحديث بقصته، نحو حديث ابن نمير. وقال فيه: فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البئر. فنظر إليها

وعليها نخل. وقالت: قلت: يا رسول الله! فأخرجه. ولم يقل: أفلا أحرقته؟ ولم يذكر" فأمرت بها فدفنت".
J -وروى وكيع ـ رفعه عن فهد بن عطية ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بصبي قد شبَّ لم يتكلم قط،فقال: من أنا؟ فقال رسول الله.
J وروي عن معرض بن معيقيب: رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجباً، جيء بصبي يوم وُلِد... فذكر مثله.
وهو حديث مبارك اليمامة، ويُعرف بحديث شاصونه: اسم راويه، وفيه: فقال له صلى الله عليه وسلم : صدقت بارك الله فيك. ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شبَّ، فكان يسمى مبارك اليمامة.
وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع.
قلت: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، قال:
باب ما جاء في شهادة الرضيع والأبكم لنبينا بالرسالة إن صحت فيه الرواية
أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان حدثنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن يونس الكديمي حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامي وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها لحردة قال حدثني معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليماني عن أبيه عن جده قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله ووجهه مثل داره القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم أن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب قال قال أبي فكنا نسميه مبارك اليمامة.
قال شاصونة بن عبيد وقد كنت أمر على معمر فلم أسمع منه
واخبرنا أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني بثغر صيدا أنبأنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد ابو الفضل حدثنا أبي حدثنا جدي شاصونة بن عبيد قال حدثنا معرض بن عبد الله بن معيقيب عن أبيه عن جسده قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله ووجهه كدارة القمر فسمعت منه عجبا أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله يا غلام من أنا فقال أنت رسول الله فقال له بارك الله فيك ثم أن الغلام لم يتكلم بعدها
ورواه أبو الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرىء القزويني عن أبي الفضل العباس بن محبوب بن شاصونه ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ عن أبي الحسن عن ابن العباس الوراق عن أحمد بن خلف قال ابو عبد الله وقد أخبرني الثقة من أصحابنا عن أبي عمر الزاهد قال لما دخلت اليمن دخلت حردة فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيها لشاصونة أعقابا وحملت إلى قبره فزرته.
قلت ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين باسناد مرسل بخلافه في وقت الكلام
أخبرنا أبو القاسم زيد بن أبي هاشم العلوي بالكوفة أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي أنبأنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه أن النبي أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط قال من أنا قال أنت رسول الله.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه قال جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله قد تحرك فقالت يا رسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد فقال رسول الله ادنيه فأدنته منه فقال من أنا فقال أنت رسول الله.

J -وعن الحسن: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه طرح بنية له في وادي كذا، فانطلق معه إلى الوادي، وناداها باسمها: يا فلانة، أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول: لبيك وسعديك! فقال لها: إن أبويك قد أسلما، فإن أحببت أن أردك عليهما؟ قالت: لا حاجة لي فيهما، و جدت الله خيراً منهما.

J -وعن أنس أن شاباً من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء، فسجيناه، وعزيناها، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة. فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه، فطعم وطعمنا.

قلت: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في المهاجرة إلى النبي التي أحيا الله تعالى بدعائها ولدها بعد ما مات وما جاء في الكرامات التي ظهرت على العلاء بن الحضرمي وأصحابه

أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو العباس بن أبي الدميك ببغداد(ح)

وأنبأنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا محمد بن طاهر بن أبي الدميك حدثنا عبيد بن عائشة حدثنا صالح المري حدثنا ثابت عن أنس قال عدنا شابا من الأنصار وعنده أم له عجوز عمياء قال فما برحنا أن فاض يعني مات ومددنا على وجهه الثوب وقلنا لأمه يا هذه احتسبي مصابك عند الله قالت أمات ابني قلت نعم قالت اللهم إن كنت تعلم إني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني عند كل شديدة فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم قال أنس فو الله ما برحت حتى كشف الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه.

وأخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا الحسين بن صفوان حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثنا خالد بن خداش بن عجلان المهلبي وإسماعيل بن إبراهيم بن بسام قالا حدثنا صالح المري عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال عدت شابا من الأنصار فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب قال بعضنا لأمه احتسبيه قالت وقد مات قلنا نعم قالت أحق ما تقولون قلنا نعم فمدت يديها إلى السماء وقالت اللهم إني آمنت بك وهاجرت إلى رسولك فإذا نزلت بي شديدة دعوتك ففرجتها فأسألك اللهم لا تحمل علي هذه المصيبة اليوم قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا

صالح بن بشير المري من صالحي أهل البصرة وقصاصهم تفرد بأحاديث مناكير عن ثابت وغيره وقد روى حذيفة هذا من وجه آخر مرسلا بين ابن عوف وأنس بن مالك

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي حدثنا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ حدثنا أبو الليث سهل بن معاذ التميمي بدمشق حدثنا أبو

حمزة إدريس بن يونس حدثنا محمد بن يزيد بن سلمة حدثنا عيسى بن يونس عن عبدالله بن عون عن أنس قال أدركت في هذه الأمة ثلاثا لو كانوا في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم لكان عجبا قلن ما هن يا أبا حمزة قال كنا في الصفة عند رسول الله فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي وأمر بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال يا أنس ائت أمه فأعلمها قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت اللهم إني أسلمت لك طوعا وخلعت الأوثان زهدا وهاجرت إليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الأوثان ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فو الله ما تقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسول وحتى هلكت أمه...

-وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس، وكان قتل باليمامة، فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان البر الرحيم، فنظرنا فإذا هو ميت.

-وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خر ميتاً في بعض أزقة المدينة، فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا،أنصتوا، فحسر عن وجهه،فقال: محمد رسول الله، النبي الأمي، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قال صدق، صدق، وذكر أبا بكر، وعمر، وعثمان، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله،ورحمة الله و بركاته، ثم عاد ميتاً كما كان.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في شهادة الميت لرسول الله بالرسالة والقائمين بعده بالخلافة والرواية في ذلك صحيحة ثابتة وفي ذلك دلالة ظاهرة من دلالات النبوة

أخبرنا أبو صالح بن أبي طاهر العنبري أنبأنا جدي يحيى بن منصور القاضي حدثنا أبو علي محمد بن عمر وكشمرد أنبأنا القعنبي حدثنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان بن عفان فسجى في ثوبه ثم أنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال أحمد أحمد في الكتاب الأول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت اثنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أريس وما بئر أريس

قال يحيى قال سعيد ثم هلك رجل من خطمة فسجى بثوبه فسمع جلجلة في صدره ثم تكلم فقال ان أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأنا قريش بن الحسن حدثنا القعنبي فذكره بإسناده نحوه وهذا إسناد صحيح وله شواهد

أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد أنبأنا ابو علي الحسين بن صفوان حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن ابن يونس حدثنا عبد الله بن إدريس عن

إسماعيل ابن أبي خالد قال جاءنا يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم ابن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو فإنك كتبت إلي لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة وأنه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه وهو يومئذ من أصح أهل المدينة فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر فأضجعناه لظهره وغشيناه بردين وكساء فأتاني آت في مقامي وأنا أسبح بعد العصر فقال ان زيدا قد تكلم بعد وفاته فانصرفت إليه مسرعا وقد حضره قوم من الأنصار وهو يقول أو يقال على لسان الأوسط أجلد القوم الذي كان لا يبالي في الله عز وجل لومة لائم كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك في الكتاب الأول قال ثم قال عثمان أمير المؤمنين وهو يعافي الناس من ذنوب كثيرة خلت ليلتان وهي أربع ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضا فلا نظام وأبيحت الأحماء ثم ارعوى المؤمنون وقالوا كتاب الله وقدره أيها الناس أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا فمن تولى فلا يعهدن ذما كان أمر الله قدرا مقدورا الله أكبر هذه الجنة وهذه النار هؤلاء والنبيون والصديقون سلام عليك يا عبد الله بن رواحه هل احسست لي خارجة لأبيه وسعدا اللذين قتلا يوم أحد(كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى فجمع فأوعى) ثم خفض صوته فسألت الرهط عما سبقني من كلامه فقالوا سمعناه يقول انصتوا انصتوا فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب فكشفنا عن وجهه فقال هذا أحمد رسول الله سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم قال أبو بكر الصديق الأمين خليفة رسول الله كان ضعيفا في جسمه قويا في أمر الله صدق صدق وكان في الكتاب الأول

وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو عمرو بن نجيد حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا المعافى بن سليمان حدثنا زهير يعني ابن معاوية أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد فذكره باسناده ومعناه زاد في وسط الحديث وكان ذلك على تمام سنتين خلتا من إمارة عثمان وقال في آخره فأما قوله خلت ليلتان وبقي أربع فالسنتان اللتان خلتا من إمارة عثمان قال فلم أزل أحفظ العدة الأربع البواقي وأتوقع ما هو كائن فيهن فكان فيهن انتزاء أهل العراق وخلافهم وارجاف المرجفين وطعنهم على أميرهم الوليد بن عقبة والسلام ورحمة الله

قلت هذا إسناد صحيح وروى ذلك أيضا عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير وذكر فيه بئر أريس كما ذكر في رواية ابن المسيب والأمر فيها أن النبي اتخذ خاتما فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر من بعده ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس بعد ما مضى من خلافته ست سنين فعند ذلك تغيرت عمال وظهرت أسباب الفتن كما قيل على لسان زيد بن خارجة قال البخاري في كتاب التاريخ زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهد بدرا توفي في زمن عثمان هو الذي تكلم بعد الموت

أخبرناه أبو بكر الفارسي أنبأنا أبو إسحاق الأصبهاني حدثنا أبو أحمد بن فارس حدثنا محمد بن إسماعيل فذكره وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة

أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا خالد الطحان عن حصين عن عبد الله بن عبيد الأنصاري أن رجلا من قتلى مسيلمة تكلم فقال محمد رسول الله أبو بكر الصديق عثمان الأمين الرحيم لا أدري أيش قال لعمر

وقد أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمر وحدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن أبي طالب أنبأنا علي بن عاصم أنبأنا حصين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد الأنصاري قال بينما هم يصورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى فقال محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت خالد الطحان احفظ من علي بن عاصم وأوثق والله أعلم.

----

٢٥. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٧).. إبراء المرضى

الفصل العشرون:

في إبراء المرضى وذوي العاهات.

أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه و قرأته على غيره، قال: حدثنا أبو إسحاق الحبال، قال: حدثنا أبو محمد بن النحاس، حدثنا ابن الورد، عن البرقي، عن ابن هشام، عن زباد البكائي، عن محمد بن إسحاق، حدثنا ابن شهاب، وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية أحد بطولها، قال: وقالوا:قال سعد بن أبي وقاص:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له، فيقول: ارم به. وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت،

قلت: قال ابن إسحاق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ومعه لواؤه حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله فرجع إلى قريش فقال قتلت محمدًا... فلما قتل مصعب أعطى رسول الله اللواء علي بن أبي طالب..

قال ابن أسحاق وقد قتل علي بن أبي طالب طلحة بن أبي طلحة وهو يحمل لواء قريش والحكم بن الأخنس بن شريق وعبد الله بن حميد بن زهير وأبا أمية بن أبي حذيفة بن أبي المغيرة وأخذ اللواء بعد طلحة أبو سعد بن أبي طلحة فقال سعد بن أبي وقاص رميته فأصبت حنجرته فاندلع لسانه اندلاع لسان الكلب..

قال ابن إسحاق فحدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله؛ قال سعد فلقد رأيت رسول الله يناولني النبل ويقول: إرم فداك أبي وأمي.. حتى أنه ليناولني السهم ما له من نصل فأرمي به.

أخبرنا أبو علي الروذباري وأبو عبد الله الحسين بن عمرو بن برهان البغدادي بها في آخرين قالوا أخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار قال حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم الزهري قال سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لي رسول الله... قال الحسن بن عرفة يعني نفض كنانته يوم أحد وقال: إرم فداك أبي وأمي". رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية...

البخاري: حدثني عبد الله بن محمد: حدثنا مروان بن معاوية: حدثنا هاشم بن هاشم السعدي قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لي النبي صلى الله عليه وسلمكنانته يوم أحد، فقال:(أرم فداك أبي وأمي).
- حدثنا مسدد: حدثنا يحيى، عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد ابن المسيب قال: سمعت سعدًا يقول: جمع لي النبي صلى الله عليه وسلم أبويه يوم أحد.
- حدثنا قتيبة: حدثنا ليث، عن يحيى، عن ابن المسيب أنه قال: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبويه كليهما، يريد حين قال:(فداك أبي وأمي) وهو يقاتل.
- حدثنا أبو نعيم: حدثنا مسعر، عن سعد، عن ابن شداد قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يجمع أبويه لأحد غير سعد.
- حدثنا يسرة بن صفوإن: حدثنا إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله ابن شداد، عن علي رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد:(يا سعد ارم، فداك أبي وأمي).
مسلم حدثنا منصور بن أبي مزاحم. حدثنا إبراهيم(يعني ابن سعد) عن أبيه، عن عبد الله بن شداد. قال: سمعت عليا يقول: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد، غير سعد بن مالك. فإنه جعل يقول له، يوم أحد: "ارم. فداك أبي وأمي!".
حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب. حدثنا سليمان(يعني ابن بلال) عن يحيى(وهو ابن سعيد) عن سعيد، عن سعد بن أبي وقاص قال:لقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه يوم أحد.
حدثنا محمد بن عباد. حدثنا حاتم(يعني ابن إسماعيل) عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه؛
أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له أبويه يوم أحد. قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ارم. فداك أبي وأمي!" قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل. فأصبت جنبه فسقط. فانكشفت عورته. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى نظرت إلى نواجذه.
قال ابن حجر:
نثل بفتح النون والمثلثة أي: نفض وزنًا ومعنى والكنانة جعبة السهام وتكون غالبًا من جلود وقوله في الرواية الثالثة: كلاهما كذا لأبي ذر وأبي الوقت ولغيرهما كليهما وهما جائزان، وقوله: "ارم فداك أبي وأمي" هو تفسير لما في الروايتين الأخريين من قوله جمع لي أبويه ورأيت في هذا الحديث زيادة من وجه آخر مرسل أخرجها بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن يحيى بن حمزة قال قال سعد رميت بسهم فرد علي النبي صلى الله عليه وسلم سهمي أعرفه حتى واليت بين ثمانية أو تسعة كل ذلك يرده علي فقلت هذا سهم دم فجعلته في كنانتي لا يفارقني، وعند الحاكم لهذه القصة بيان سبب فأخرج من طريق يونس بن بكير وهو في المغازي روايته من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها قال جال الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت فقلت أذود عن نفسي فأما أن أنجو وإما أن استشهد فإذا رجل محمر وجهه وقد كاد المشركون أن يركبوه فملأ يده من الحصى فرماهم وإذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي:

يا سعد هذا رسول الله يدعوك. فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى وأجلسني أمامه فجعلت أرمي. فذكر الحديث الحديث السادس أورده من وجهين قوله عن سعد هو بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن شداد هو عبد الله كما في الرواية الثانية وأبوه صحابي جليل ويسرة بفتح التحتانية والمهملة وإبراهيم هو بن سعد بن إبراهيم المذكور قوله وغير سعد أي بن أبي وقاص وهو بن مالك كما في الرواية الثانية وقوله فيها إلا لسعد بن مالك في رواية الكشميهني غير سعد بن مالك..

- وأصيب يومئذ عين قتادة - يعني ابن النعمان - حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أحسن عينيه.

-وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة، و يزيد بن عياض بن عمر بن قتادة.

ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة.

أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة

أخبرنا أبو نصر سهل بن محمد النيسابوري أنا أبو عبد الرحمن الشاذياخي أنا أبو بكر الجوزقي ثنا أبو العباس الدغولي أنا أبو بكر هو ابن أبي خيثمة ثنا مالك ابن إسماعيل ثنا ابن الغسيل ثنا عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان عن جده قتادة أنه أصيب عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأراد القوم أن يقطعوها فقالوا: تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تستشيره في ذلك فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فرفع حدقته حتى وضعها موضعها ثم غمزها براحته وقال: "اللهم اكسه جمالا" فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت.

كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة

أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد الماليني قال أخبرنا أبو أحمد عبد الله ابن عدي الحافظ قال أخبرنا أبو يعلي قال أخبرنا يحيى الحماني قال أخبرنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله فقال: (لا) فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

قال الألباني: صحيح بتعدد طرقه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة ابن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(لا) فدعا به فغمز عينيه براحته... فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

-وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد، قال: فما ضرب عليَّ ولا قاح.

أخرج البيهقي في دلائل النبوة قال: "ما هذا بوجهك يا أبا قتادة؟" قال قلت بأبي وأمي سهم أصابني والذي أكرمك بما أكرمك لقد ظننت أني نزعته. قال:"ادن مني يا أبا قتادة" قال: فدنوت منه قال فنزع النصل نزعًا رفيقًا ثم بزق فيه رسول الله ووضع راحته عليه فوالذي أكرم محمدًا بالنبوة ما ضرب علي ساعة قط ولا قرح علي..

-وروى النسائي، عن عثمان بن حنيف - أن أعمى قال: يا رسول الله، ادعو الله أن يكشف لي عن بصري.

قال: "فانطلق فتوضأ: ثم صلى ركعتين، ثم قل، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري، اللهم شفعه في".
قال: فرجع و قد كشف الله عن بصره.
قلت: أخرج هذا الحديث كل من:
* ابن ماجه
حدثنا أحمد بن منصور بن يسار ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن أبي جعفر المدني عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله لي أن يعافيني. فقال: "إن شئت أخرت لك وهو خير وإن شئت دعوت" فقال: ادعو. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفعه في" قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.
* الترمذي
حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في قال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف.

* الحاكم
أخبرنا أحمد بن سلمان الفقيه ثنا الحسن بن مكرم ثنا عثمان بن عمرو ثنا شعبة وأخبرنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي جعفر المدني قال: سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه أن رجلاً ضريرًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني قال: إن شئت أخرت ذلك وإن شئت دعوت. قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء "اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمن يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه فتقضيها لي اللهم شفعه في وشفعني فيه" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
* ابن خزيمة
حدثنا محمد بن بشار وأبو موسى قالا حدثنا عثمان بن عمر نا شعبة عن أبي جعفر المدني قال سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريرًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت أخرت ذلك

وهو خير وإن شئت دعوت قال أبو موسى قال: فادعه وقالا فأمره أن يتوضأ قال بندار فيحسن وقالا ويصلي ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم شفعه في زاد أبو موسى وشفعني فيه قال: ثم كأنه شك بعد في وشفعني فيه.

* أحمد

- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عثمان بن عمر أنبأنا شعبة عن أبي جعفر قال سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان بن حنيف:-أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير فقال: ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم شفعه فيَّ.

- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا روح قال حدثنا شعبة عن أبي جعفر المديني قال سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف:-أن رجلاً ضريرًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك وإن شئت دعوت لك. قال: لا بل ادع الله لي. فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي وتشفعني فيه وتشفعه في. قال: فكان يقول هذا مرارًا ثم قال بعد أحسب أن فيها أن تشفعني فيه قال ففعل الرجل فبرأ.

* المنذري

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال: أو أدعك قال يا رسول الله إنه قد شق علي ذهاب بصري قال:" فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي" فرجع وقد كشف الله عن بصره..

-وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء، فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيده حثوة من الأرض، فتفل عليها ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجباً، يرى أنه قد هزىء به، فأتاه بها، وهو على شفا، فشربها، فشفاه الله.

-وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك، ويقال فريك - أن أباه ابيضت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئاً، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة، وهو ابن ثمانين.

قلت: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في نفثه في عينين كانتا مبيضتين لا يبصر صاحبهما بهما حتى أبصر.

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد حدثنا إسماعيل ابن الفضل حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد العزيز بن عمر قال حدثني رجل من بني سلامان بن سعد عن أمه أن خالها حبيب بن فويك حدثها أن أباه

خرج إلى رسول الله وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئًا فسأله: ما أصابك؟ فقال: كنت أمرىء جملي فوقعت رجلي على بيض فأصيب بصري فنفث رسول الله في عينه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين وأن عينيه لمبيضتان.
-ورُمي كلثوم بن الحصين يوم أُحُد في نحره، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيه فبرأ.
-وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد.
-وتفل في عيني علي يوم خيبر، و كان رمداً، فأصبح بارئاً.
قلت: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة قال:
عن أبي حازم قال أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر:" لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب فقالوا: يا رسول الله يشتكي عينه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه ودعا له فبرأ حتى لم يكن به وجع فأعطاه الراية وقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"...قال الإمام رحمه الله قوله يدوكون أي يتفكرون والدوك في اللغة الاختلاط والمدو كحجر يدق به والمداك عبد حجر العطار على رسلك أي سكونك والرسل الرفق وحمر النعم الإبل الحمر وهي عزيزة عند العرب.
وروى البيهقي في دلائل النبوة، قال:
باب ما جاء في بعث السرايا إلى حصون خيبر وإخبار النبي بفتحها على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودعائه له وما ظهر ذلك من آثار النبوة ودلالات الصدق.
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو عبد الله بن يعقوب قال حدثنا محمد بن نعيم قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني عن أبي حازم قال أخبرنا سهل بن سعد أن رسول الله قال يوم خيبر: " لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجوأن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقال هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم".
رواه البخاري ومسلم في الصحيح عن قتيبة بن سعيد
أخبرنا أبو طاهر الفقيه قال أخبرنا أبو محمد حاجب بن أحمد الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم بن منيب قال حدثنا جرير بن عبد الحميد قال أخبرنا سهيل بن أبي صالح عن

أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله:" لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه" قال عمر: فما أحببت الأمارة قط حتى يومئذ فدعا عليًا فبعث ثم قال: "اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت" قال علي: على ما أقاتل الناس؟ قال: "قاتلهم حتى يشهدوا وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله".

أخرجه مسلم من وجه آخر عن سهيل بن أبي صالح

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب قال أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي قال أخبرنا الحسن بن سفيان وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني أبو بكر ابن عبد الله قال أخبرنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا قتيبة قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة هو ابن الأكوع قال كان علي قد تخلف عن النبي في خيبر وكان رمدًا فقال: أنا أتخلف عن النبي فخرج علي فلحق بالنبي فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله: "لأعطين الراية غدا أو ليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال يفتح الله عليه" فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله الراية ففتح الله عليه.

-ونفث علي ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت، وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب، حين قتل ابن الأشرف، فبرئت. وعلى ساق علي ابن الحكم يوم الخندق إذا انكسرت، فبرىء مكانه، وما نزل عن فرسه.

البيهقي باب ما جاء في نفث رسول الله في جرح سلمة بن الأكوع يوم خيبر وبروه من ذلك:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قال أخبرنا أبو سهل أحمد ابن محمد بن عبد الله بن زياد النحوي قال حدثنا إسماعيل بن محمد الفسوي القاضي قال حدثنا مكي بن إبراهيم(ح)

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا مكي قال حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال: الناس أصيب سلمة قال: فأتيت رسول الله فنفث فيه ثلاث نفثات معًا فما اشتكيت منها حتى الساعة.

لفظ حديث القاضي رواه البخاري عن مكي بن إبراهيم.

-واشتكى علي بن أبي طالب، فجعل يدعو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اشفه، أو عافه"، ثم ضرب برجله، فما اشتكى ذلك الوجع بعد.

-وقطع أبو جهل يوم بدر يَد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده، فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألصقها فلصقت. رواه ابن وهب.

-ومن روايته أيضاً أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم، و نفث عليه حتى صح.

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة

ثنا خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا: إنا نشتهي أن نشهد معك مشهدًا قال: أسلمتم؟ قلنا: لا. قال: "فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين" قال فأسلمنا وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابتني ضربة على عاتقي فجافتني فتعلقت يدي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليها وألزقها فالتأمت وبرأت وقتلت الذي ضربني ثم تزوجت ابنة الذي قتلته وضربني وكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح فأقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار. قال الإمام رحمه الله: جافتني هذا أي بلغت جوفي يقال طعنة جائفة إذا وصلت إلى الجوف والتفل فوق النفث وهو أن يرمي بريقه أي رمى بريقه على الجراحة فالتأمت أي انضم بعضها الى بعض ولا عدمت دعاء وقولها: وشحك أي أثر بجسدك هذا الأثر يعني أثر الضربة على عاتقه.

-وأتته امرأة من خثعم، معها صبي به بلاء لا يتكلم، فأتي بماء فمضمض فاه، وغسل يديه، ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به، فبرأ الغلام، وعقل عقلاً يفضل عقول الناس.

-وعن ابن عباس: جاءت امرأة بابن لها به جنون، فمسح صدره، فثعَّ ثعَّة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فشفي.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبي الزبير عن جابر قال: خرجت مع رسول الله في سفر... ثم رجعنا فركبنا رواحلنا فسرنا كأنما علينا الطير يظلنا فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله معها صبي تحمله فقالت يا رسول الله: إن ابنى هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه. فوقف رسول الله فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل فقال رسول الله: إخسأ عدو الله أنا رسول الله. قال: فأعاد رسول الله ذلك ثلاث مرات ثم ناولها إياه فلما رجعنا فكنا بذلك الماء عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما والصبي تحمله فقالت: يا رسول الله أقبل مني هديتي فو الذي بعثك بالحق إن عاد إليه. فقال رسول الله: خذوا أحدهما منها وردوا الآخر..

وأتت امرأة فقالت: إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه في كل يوم مرتين فقال رسول الله: أدنيه فأدنته منه فتفل في فيه وقال: أخرج عدو الله أنا رسول الله ثم قال لها رسول الله: إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع فلما رجع رسول الله استقبله ومعه كبشان وأقط وسمن فقال لي رسول الله: خذ هذا الكبش فأخذ منه ما أراد فقالت: والذي أكرمك ما رأينا به شيئًا منذ فارقتنا.

أخبرنا أبو القاسم زيد بن أبي هاشم العلوى بالكوفة أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله أنبانا وكيع عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلي بن مرة قال رأيت من النبي عجبًا خرجت معه في سفر فنزلنا منزلاً فأتته امرأة بصبي لها به لمم فقال رسول الله: أخرج عدو الله أنا رسول الله. قال: فبرأ فلما رجعنا

جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط وسمن فقال النبي: يا يعلى خذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر وخذ السمن والأقط قال ففعلت...
-وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل، فمسح عليه ودعا له، وتفل فيه فبرأ لحينه.
قلت: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة، قال:
وأخبرنا أبو الشيخ ثنا الفضل بن العباس بن مهران ثنا بشار بن موسى الخفاف ثنا عبد الرحمن بن عثمان الحاطبي حدثتني أمي عن محمد بن حاطب عن أمه أم جميل بنت المجلل قالت: أقبلت بك من أرض الحبشة حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طبيخًا ففني الحطب فخرجت أطلبه وتركتك فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فلما قدمت المدينة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمي بك فتفل في فيك ومسح على رأسك ودعا لك بالبركة وجعل يتفل على يدك ويقول: أذهب البأس رب الناس وأشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك لا يغادر سقمًا. فما قمت من عنده حتى برأت، فقلت لأمي: من هذا الرجل؟ قالت: النبي صلى الله عليه وسلم.
-وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة، فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها، ولم يبقى لها أثر.
قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في نفثه في كف شرحبيل الجعفي ووضع كفه على السلعة التي كانت بكفه حتى ذهبت.
أخبرنا أبو بكر الفارسي أنبأنا أبو إسحاق الأصبهاني أنبأنا أبو أحمد بن فارس حدثنا محمد بن إسماعيل قال قال لي علي حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا حماد بن زيد حدثنا مخلد بن عقبة بن عبد الرحمن ابن شرحبيل الجعفي عن جده عبد الرحمن عن أبيه قال: أتيت رسول الله وبكفي سلعة فقلت: يا رسول الله هذه السلعة قد آذتني تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه عنان الدابة فقال: أدن مني فدنوت منه فقال لي: افتح كفك ففتحتها ثم قال: اقبضها فقبضتها ثم قال: ادن منى فدنوت منه فقال: افتحها ففتحتها فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما أدري أين أثرها.
-وسألته جارية طعاماً، وهو يأكل، فناولها من بين يديه، وكانت قليلة الحياء، فقالت: إنما أريد من الذي في فيك، فناولها ما في فيه، ولم يكن يسأل شيئاً فيمنعه.
فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها.
الفصل الحادي والعشرون:
في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم.
* وهذا باب واسع جداً، وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة، معلوم ضرورةً.
-وقد جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولدَه ووَلدَ ولدِه.

-حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القابسي، حدثنا أبو زيد المروزي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا حرمي، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، قال: قالت أمي: يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له. قال: اللهم أكثر ماله وولده، و بارك له فيما آتيته.
ومن رواية عكرمة: قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة.
وفي رواية: وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطاً ولا ولد ولد.
قلت: رواه الشيخان.
البخاري باب: من زار قوما فلم يفطر عندهم.
- حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثني خالد هو ابن الحارث: حدثنا حميد، عن أنس رضي الله عنه: دخل النبي صلى الله عليه وسلمعلى أم سليم، فأتته بتمر وسمن، قال:(أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائم). ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله إن لي خويصة، قال:(ما هي). قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، قال:(اللهم ارزقه مالا، وولدا، وبارك له). فإني لمن أكثر الأنصار مالا. وحدثتني ابنتي أمينة: أنه دفن لصلبي مقدم حجاج البصرة بضع وعشرون ومائة.
حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا يحيى قال: حدثني حميد: سمع أنسا رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.
مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، رضي الله عنه
حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة. سمعت قتادة يحدث عن أنس، عن أم سليم؛ أنها قالت:يا رسول الله! خادمك أنس. ادع الله له. فقال: "اللهم! أكثر ماله وولده. وبارك له فيما أعطيته".
حدثنا محمد بن بشار. حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن هشام بن يزيد. سمعت أنس بن مالك يقول، مثل ذلك. وحدثني زهير بن حرب. حدثنا هاشم بن القاسم. حدثنا سليمان عن ثابت، عن أنس. قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا. وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام، خالتي. فقالت أمي: يا رسول الله! خويدمك. ادع الله له. قال فدعا لي بكل خير. وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: "اللهم! أكثر ماله وولده. وبارك له فيه".
حدثني أبو معن الرقاشي. حدثنا عمر بن يونس. حدثنا عكرمة. حدثنا إسحاق. حدثنا أنس قال:جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه. فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس، ابني. أتيتك به يخدمك. فادع الله له. فقال: "اللهم! أكثر ماله وولده".قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير. وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة، اليوم.
حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا جعفر(يعني ابن سليمان) عن الجعد، أبي عثمان. قال: حدثنا أنس بن مالك قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسمعت أمي، أم سليم

صوته. فقالت: بأبي وأمي! يا رسول الله! أنيس. فدعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات. قد رأيت منها اثنتين في الدنيا. وأنا أرجو الثالثة في الآخرة.
- ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً، وفتح الله عليه، ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً وكن أربعاً. وقيل مائة ألف. وقيل: بل صولحت إحداهن، لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفاً، وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته، وعوارفه العظيمة: أعتق يوماً ثلاثين عبداً، وتصدق مرةً بعير فيها سبعمائة بعير، وردت عليه تحمل من كل شيء، فتصدق بها وبما عليها، وبأقتابها وأحلاسها.
قلت: قال ابن كثير في البداية والنهاية:
عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة أبو محمد القرشي الزهري أسلم قديمًا على يدي أبي بكر وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد ابن الربيع وشهد بدرًا وما بعدها وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى بني كلب وأرخى له عذته بين كتفية لتكون إمارة عليه للإمارة وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم كما ذكرنا ثم كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه وقد تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيد ه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". وهو في الصحيح.. وقال معمر عن الزهري تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم ثم تصدق بأربعين ألفًا ثم تصدق بأربعين الف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة فأما الحديث الذي قال عبد بن حميد في مسنده ثنا يحيى بن إسحاق ثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عثمان بن عفان فقال له: ان لي حائطين فاختر أيهما شئت فقال: بارك الله لك في حائطيك ما لهذا أسلمت. دلني على السوق قال: فدله فكان يشتري السمنة وألاقيطة والإهاب فجمع فتزوج فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "بارك الله لك أولم ولو بشاة".
قال: فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحله تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام قال: فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجه فقالت عائشة: ما هذه الرجه؟ فقيل لها: عير قدمت بعبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام فقالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوًا". فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال: أشهدك يا أمة أنها بأحمالها وأحلاسها ألقتابها في سبيل الله. وقال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة هو ابن زاذان عن ثابت عن أنس قال: بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتًا في المدينة قالت: ماهذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء قال: وكانت

سبعمائة بعير قال: فارتجت المدينة من الصوت فقالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قد رأيت عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبوًا". فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف قال: لئن استطعت لأدخلها قائمًا فجعلها فأقتابها وأحمالها في سبيل الله. فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف وأما قوله في سياق عبد بن حميد أنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان فغلط محض مخالف لما في صحيح البخاري من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار وهذه منقبة عظيمة لا تبارى ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها حتى عثمان وعلي وقال علي: اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل وأعتق خلقًا من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالاً جزيلاً من ذلك ذهب قطع الفؤس حتى مجلت أيدي الرجال وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع وكان نساؤه أربعًا فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفًا ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة وكان أبيض مشربًا حمرة حسن الوجه دقيق البشرة أعين أهدب الأشفار أقنى له جمة ضخم الكفين غليظ الأصابع لايغير شيبة رضي الله عنه.

-ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد، فنال الخلافة.

ولسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له.

أخرج الحاكم في المستدرك.

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن إسحاق عن عثمان بن عبد الرحمن عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه قال: لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد تنحيت فقلت: أذود عن نفسي فأما أن أستشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه ملأ يده من الحصي ثم رمى به في وجوههم فنكبوا على أعقابهم القهقري حتى يأتوا الجبل ففعل ذلك مرارًا ولا أدري من هو وبيني وبينه المقداد بن الأسود فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد يا سعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت وأين هو فأشار لي المقداد إليه فقمت ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين كنت اليوم يا سعد فقلت حيث رأيت رسول الله فأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم استجب لسعد اللهم سدد لسعد رميته إيها سعد فداك أبي وأمي فما من سهم أرمي به إلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم سدد رميته وأجب دعوته إيها سعد حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في كنانته فنبلني سهمًا نضيًا قال: وهو الذي قد

ريش وكان أشد من غيره... قال الزهري إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
وأخرجه مختصرًا من طريق أخرى قال:
وحدثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق ثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا إبراهيم بن يحيى الشجري عن أبيه حدثني موسى بن عقبة حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعد بن أبي وقاص قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم سدد رميته وأجب دعوته هذا حديث تفرد به يحيى بن هانئ بن خالد الشجري وهو شيخ ثقة من أهل المدينة...
وذكره الألباني في ظلال الجنه في تخريج السن،
ثنا الحسن بن علي ثنا جعفر بن عوف عن إسماعيل عن قيس عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم سدد رميته وأجب دعوته...
* دعا الرسول الأمين واستجاب رب العالمين
فكان سعد رضي الله عنه كلما رمى عدوا أصابه، ومتى دعا الله أجابه، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون أن ذلك بسبب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم - له:(اللهم سدد رميته، وأجب دعوته).
ويروى أنه سمع رجلاً يسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلحة وعليا والزبير رضي الله عنهم، فنهاه فلم ينته... فقال له:(إذن أدعو عليك) فقال الرجل:(أراك تتهددني كأنك نبي..) فانصرف سعد رضي الله عنه فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين، ثم رفع يديه ودعا: (اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقوامًا سبقت لهم منك الحسنى، وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم، فاجعله آية وعبرة) فلم يمض إلا وقت قصير حتى ندّت ناقة لا يردها راد ولا يصدها صاد فخرجت من إحدى الدور، وما أن دخلت في زحام الناس حتى هاجمت الرجل فأخذته بين قوائمها، وما زالت تخَّبطه حتى قتلته...
وعمَّر سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- ما شاء الله... وبسط الله له في الرزق فكان ذا مال كثير وخير وفير؛ لكنه حين أحس بقرب أجله دعا بجبة غليظة من صوف بالية وقال:(كفنوني بها فإني لقيت بها المشركين يوم بدر وإني أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضًا) وكان رأسه بحجر ابنه، فبكى؛ فقال له: (ما يبكيك يا بني؟ إن الله لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة) فقد كان إيمانه بصدق بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرًا
وكانت وفاته سنة خمس وخمسين (٥٥) من الهجرة النبوية وكان آخر المهاجرين وفاة، ودفن في البقيع...
-ودعا بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه، أو بأبي جهل، فاستجيب له في عمر.
-قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.
ابن ماجه حدثنا محمد بن عبيد أبو عبيد المديني ثنا عبد الملك بن الماجشون حدثني الزنجي بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة.
قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله خاصة.

الترمذي حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن رافع قالا حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا خارجة بن عبد الله الأنصاري عن نافع عن بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال وكان أحبهما إليه عمر، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بن عمر.. قال الشيخ الألباني: صحيح.

التبريزي وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب فأصبح عمر فغدا على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم صلى في المسجد ظاهرًا. رواه أحمد والترمذي.

حدثنا عبيد الله بن فضالة ثنا عيسى بن منصور النيسابوري حدثنا عيسى بن إبراهيم العسقلاني حدثنا سليمان بن أبي سليمان المديني عن الزهري عن سالم عن أبيه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بالوليد بن المغيرة". قال: فجعل الله الدعوة لعمر خاصة في نفسه وفي الوليد بن المغيرة في ابنه خالد بن الوليد قال ابن عمر والله ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أبا جهل.

قال الشيخ الألباني:

حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب). قال: فكان أحبهما إليه عمر. أخرجه الترمذي وقال:(حديث حسن صحيح)؛ وابن سعد، والحاكم، وأحمد.. وقال الحاكم:(صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وهو عنده من طريقين آخرين عن نافع عنه. ثم رواه هو وابن ماجه من حديث عائشة وهو أيضًا من حديث ابن مسعود وابن سعد من حديث عثمان بن الأرقم وسعيد بن المسيب والحسن البصري مرسلاً. وعن ابن عباس قال: أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب. رواه الطبراني وإسناده حسن كما في(المجمع). وعن عمر أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني لا أدع مجلسًا جلسته في الكفر إلا أعلنت فيه الإسلام. فأتى المسجد وفيه بطون قريش متحلقة فجعل يعلن الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

قال الشيخ الألباني في صحيح السيرة: إسلام عمر بن الخطاب

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة حتى غاظوا قريشًا. فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. قلت: وثبت في(صحيح البخاري) عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب. وقال زياد البكائي: حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال: قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا وإن هجرته كانت نصرًا وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

روى البخاري في كتاب فضائل الصحابة.
حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا يحيى، عن إسماعيل: حدثنا قيس قال: قال عبد الله: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.
وأخرج ابن حبان في صحيحه كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم...
١- ذكر البيان بأن المسلمين كانوا في عزة لم يكونوا في مثلها عند إسلام عمر رضى الله تعالى عنه.
* أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف حدثنا عثمان بن كرامة حدثنا أبو أسامة حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.
٢- ذكر البيان بأن عز المسلمين بإسلام عمر كان ذلك بدعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم.
* أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عبد الرحمن بن معرف حدثنا زيد بن الحباب حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت قال سمعت نافعًا يذكر عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللهم أعز الدين بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب" فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب.
٣- ذكر خبر قد يوهم بعض الناس أنه مضاد لخبر بن عمر الذي ذكرناه:
* أخبرنا عمرو بن عمر بن عبد العزيز بنصيبين حدثنا عبد الله بن عيسى الفروي حدثنا عبد الملك بن الماجشون حدثني مسلم بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة
٤- ذكر استبشار أهل السماء بإسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
* أخبرنا الحسن بن سفيان من كتابه حدثنا محمد بن عقبة السدوسي حدثنا عبد الله بن خراش حدثنا العوام بن حوشب عن مجاهد عن بن عباس قال لما أسلم عمر أتى جبريل صلوات الله عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.
٥- ذكر إثبات الجنة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه:
* أخبرنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن الصباح أخبرنا يحيى بن اليمان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عمر بن الخطاب من أهل الجنة".
--وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش، فسأله عمر الدعاء، فدعا، فجاءت سحابة، فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت.
قلت: جاء في فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي رحمه الله:
قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع له. فقال: (أتحب ذلك؟) قال نعم

فرفع يديه إلى السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر.
وأخرج البيهقي في دلائل النبوة
أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل ببغداد قال أخبرنا أبو محمد دعلج بن أحمد بن دعلج قال حدثنا ابن خزيمة قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير عن عبد الله بن عباس إنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن ساعة العسرة فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا قال: أتحب ذلك؟ قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال أصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك إلى رسول الله فدعا الله فأرسل سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء
-ودعا في الاستسقاء، فسقوا، ثم شكوا إليه المطر، فدعا، فصحوا.
قلت: يشير القاضي عياض رحمه الله إلى الحديث المتفق عليه.. وهذه وقفة في رياض الصحيحين:
روى البخاري في كتاب الاستسقاء:
١- باب: الاستسقاء في المسجد الجامع.
- حدثنا محمد قال: أخبرنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال:حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي نمر: أنه سمع أنس بن مالك يذكر:
أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلميديه فقال:(اللهم اسقينا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا). قال أنس: لا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال: والله ما رأينا الشمس ستًا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال:(اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال، والآجام والظراب، والأودية ومنابت الشجر). قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس.قال شريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري.

٢- باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة.
- حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن شريك، عن أنس بن مالك: أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال:(اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا). قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. فلا والله ما رأينا الشمس ستا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال:(اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر). قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس.قال شريك: فسألت أنسًا بن مالك: أهو الرجل الأول؟ فقال: لا أدري.
٣- باب: الاستسقاء على المنبر.
- حدثنا مسدد قال: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أنس قال:بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، إذا جاءه رجل فقال: يا رسول الله، قحط المطر، فادع الله أن يسقينا. فدعا، فمطرنا، فما كدنا أن نصل إلى منازلنا، فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة. قال: فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يصرفه عنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اللهم حولينا ولا علينا). قال: فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينا وشمالا، يمطرون ولا يمطر أهل المدينة.
٤ - باب: من اكتفى بصلاة الجمعة في الاستسقاء.
- حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن شريك بن عبد الله، عن أنس قال:جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هلكت المواشي، وتقطعت السبل. فدعا، فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة، ثم جاء فقال: تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي فادع الله يمسكها. فقام صلى الله عليه وسلم فقال:(اللهم على الآكام والظراب، والأودية ومنابت الشجر). فانجابت عن المدينة انجياب الثوب.
٥- باب: الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر.
- حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس بن مالك قال:جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمطروا من الجمعة إلى الجمعة، فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اللهم على رؤس الجبال والآكام، وبطون الأودية، ومنابت الشجر). فانجابت عن المدينة انجياب الثوب.
٦- باب: الدعاء إذا كثر المطر: حولينا ولا علينا.

- حدثنا محمد بن أبي بكر: حدثنا معتمر، عن عبيد الله، عن ثابت، عن أنس قال:كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقام الناس فصاحوا، فقالوا: يا رسول الله، قحط المطر، واحمرت الشجر، وهلكت البهائم، فادع الله أن يسقينا. فقال:(اللهم اسقنا). مرتين، وأيم الله، ما نرى في السماء قزعة من سحاب، فنشأت سحابة وأمطرت، ونزل عن المنبر فصلى، فلما انصرف، لم تزل تمطر إلى الجمعة التي تليها، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم يخطب صاحوا إليه: تهدمت البيوت، وانقطعت السبل، فادع الله يحبسها عنا. فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:(اللهم حولينا ولا علينا). فكشطت المدينة، فجعلت تمطر حولها، ولا تمطر بالمدينة قطرة، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل.

مسلم في كتاب الاستسقاء؛ باب الدعاء في الاستسقاء.

-حدثنا يحيى بن يحيى ويحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر(قال يحيى: أخبرنا. وقال الآخرون: حدثنا إسماعل بن جعفر) عن شريك بن أبي نمر، عن أنس بن مالك؛ أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة. من باب كان نحو دار القضاء. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب. فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا. ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل. فادع الله يغثنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه. ثم قال: "اللهم! أغثنا. اللهم! أغثنا. اللهم! أغثنا". قال أنس: ولا والله! ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة. وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس. فلما توسطت السماء انتشرت. ثم أمطرت. قال: فلا والله! ما رأينا الشمس سبتا. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب. فاستقبله قائما. فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل. فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه. ثم قال: "اللهم! حولنا ولا علينا. اللهم! على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر" فانقلعت. وخرجنا نمشى في الشمس. قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدرى.

- وحدثنا داود بن رشيد. حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. حدثني إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك. قال: أصابت الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على المنبر يوم الجمعة. إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله! هلك المال وجاع العيال. وساق الحديث بمعناه. وفيه قال: "اللهم! حوالينا ولا علينا" قال: فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت. حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة. وسال وادى قناة شهرًا. ولم يجيء أحدا من ناحية إلا أخبر بجود.

- وحدثني عبدالأعلى بن حماد ومحمد بن أبي بكر المقدمي. قالا: حدثنا معتمر. حدثنا عبيدالله عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك. قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة. فقام إليه الناس فصاحوا. وقالوا: يا نبي الله! قحط المطر، واحمر الشجر، وهلكت البهائم وساق الحديث. وفيه من رواية عبد الأعلى: فتقشعت عن المدينة. فجعلت تمطر حواليها. وما تمطر بالمدينة قطرة. فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الأكليل.

- وحدثناه أبو كريب. حدثنا أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، بنحوه. وزاد: فألف الله بين السحاب. ومكثنا حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه أن يأتي أهله.
- وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي. حدثنا ابن وهب.حدثني أسامة؛ أن حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك حدثه؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: جاء إعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، وهو على المنبر وإقتص الحديث. وزاد: فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين تطوى.
وأخرج ابن حبان في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (باب ما جاء في صلاة الاستسقاء):
٧- حدثنا أحمد بن الأزهر. حدثنا أبو النضر. حدثنا أبو عقيل، عن عمر بن حمزة. حدثنا سالم، عن أبيه؛- قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر. فما نزل حتى جيش كل ميزاب بالمدينة. فأذكر قول الشاعر:
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه **** ثمال اليتامى، عصمة للأرامل
وهو قول أبي طالب.
- وقال لأبي قتادة: أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره، فمات و هو ابن سبعين سنةً، وكأنه ابن خمس عشرة سنة.
أخرج البيهقس في دلائل النبوة، قال:
ذكر موسى بن عقبة أن عيينة بن بدر الفزاري أغار على سرح رسول الله وأهل المدينة بالغابات أو قريب منها ويقال أن مسعدة الفزاري كان رئيس القوم فخرج رسول الله معه المسلمون يطلبونهم وأسرع نفر منهم ثمانية أميرهم سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل فأدركوا القوم فاعتنق أبو قتادة مسعدة فقتله الله عز وجل بيد أبي قتادة وأخذ أبو قتادة بردة له حمراء كانت عليه فسجاها على مسعدة حين قتله ثم نفذوا في أثر السرح ومر رسول الله ومن معه من المسلمين على قتيل أبي قتادة فلما رأوا رداء أبي قتادة على القتيل ظنوا أنه أبو قتادة فاسترجع أحدهم وقال هذا أبو قتادة قتيلاً فقال رسول الله: بل هو قتيل أبي قتادة جعل عليه رداءه لتعرفوه فخلوا عن قتيله وسلبه...
ثم إن فوارس النبي أدركوا العدو والسرح فاقتتلوا قتالاً شديدًا فاستنقذوا السرح وهزم الله العدو ويقال قتل أبو قتادة قرفة امرأة مسعدة وقتل يومئذ من المسلمين الأجدع محرز بن نضلة قتله أو بار فشد عكاشة بن محصن فقتل أوبارًا وابنه عمرًا ويقال كانا رديفين..
وأخبرناه أبو الحسن بن الفضل القطان قال أخبرنا أبو بكر بن عتاب قال حدثنا القاسم بن عبد الله بن المغيرة الجوهري قال حدثنا ابن أبي أويس قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة فذكره ومعناه ذكره أبو الأسود عن عروة في شأن أبي قتادة وقتله مسعدة وقتل الأخرم أوبار محرز بن نضلة الأجدع وقتل عكاشة بن محصن أوبارا وابنه

وأخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو جعفر البغدادي قال حدثنا أبو علاثة قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا أبو الأسود عن عروة فذكره ولم يذكره ولم يذكر سعد بن زيد.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبد الله بن حبيب الأزرقي بمرو قال حدثنا سيف بن قيس بن ريحان المروزي قال حدثنا عكرمة بن قتادة بن عبد الله بن عكرمة بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري قال حدثنا أبي عن أبيه عن عبد الله بن أبي قتادة أن أبا قتادة اشترى فرسه من دواب دخلت المدينة فلقيه مسعدة الفزاري فقال يا أبا قتادة ما هذا الفرس فقال أبو قتادة فرس أردت أن اربطها مع رسول الله فقال ما أهون قتلكم وأشد جرأتكم قال أبو قتادة أما أني أسأل الله عز وجل أن ألقينيك وأنا عليها قال آمين.

فبينا أبو قتادة ذات يوم يعلف فرسه تمرًا في طرف بردته إذ رفعت رأسها وصرت أذنها فقال أحلف بالله لقد حست بريح خيل فقالت له أمه: والله يا بني ما كنا نرام في الجاهلية فكيف حين جاء الله بمحمد ثم رفعت الفرس أيضًا رأسها وصرت أذنيها فقال: أحلف بالله لقد حست بريح خيل فوضع عليها سرجها فأسرجها وأخذ سلاحه ثم نهض حتى أتى مكانًا يقال له الزوراء فلقيه رجل من الصحابة فقال له: يا أبا قتادة تسوط دابتك وقد أخذت اللقاح وقد ذهب النبي في طلبها وأصحابه فقال: أين؟ فأشار له نحو الثنية فإذا بالنبي في نفر من أصحابه جلوسًا عند دباب فقمع دابته ثم خلاها فمر بالنبي فقال له: امض يا أبا قتادة صحبك الله.

قال أبو قتادة فخرجت فإذا بإنسان يحاكني فلم أنشب أن هجمنا على العسكر فقال لي: يأبا قتادة ما تقول أما القوم فلا طاقة لنا بهم فقال أبو قتادة: تقول إني واقف حتى يأتي النبي أريد أن تشد في ناحية وأشد في ناحية فوثب أبو قتادة فشق القوم ورمي بسهم فوقع في جبهته قال أبو قتادة: فترعت فدحه وأنا أظن أني قد نزعت الحديدة ومضيت على وجهي فلم أنشب أن طلع علي فارس على فرس فاره وأداة كليلة على وجهه مغفر له فاثبتني ولم أثبته قال: لقد لقانيك الله يأبا قتادة وكشف عن وجهه فإذا مسعدة الفزاري فقال أيما أحب إليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة قال فقلت ذاك إلى الله عز وجل وإليك قال فقال صراع فأحال رجله عن دابته وأحلت رجلي عن دابتي ثم علقت دابتي وسلاحي إلى شيء وعلق دابته وسلاحه إلى شيء ثم تواثبنا فلم أنشب أن رزق الله عز وجل الظفر عليه فإذا أنا على صدره فوالله إني لمن أهم الناس من رجل متأبط قد عالجت منه ما عالجت أن أقوم فآخذ سيفي أن يقوم فيأخذ سيفه وأنا بين عسكرين لا أمن أن يهجم علي أحدهما إذا شيء يمس رأسي فإذا نحن قد تعالجنا حتى بلغنا سلاح مسعدة فضربت بيدي إلى سيفه فلما رأى أن السيف قد وقع بيدي قال يا أبا قتادة استحيني قال: قلت لا والله أو ترد أمك الهاوية قال يا أبا قتادة فمن للصبية قال قلت النار قال ثم قتلته ثم أدرجته في بردي ثم أخذت ثيابه فلبستها وآخذت سلاحه ثم استويت على فرسه وكانت فرسي نفذت حين تعالجنا فرجعت راجعة إلى العسكر قال فعر قبوها ثم مضيت على وجهي فلم أنشب أنا حتى أشرفت على ابن أخيه وهو في سبعة عشر فارسًا قال فألحت لهم فوقفوا فلما أن دنوت منهم حملت عليهم حملة فطعنت ابن أخيه طعنة دققت صلبه قال واكشف من معه قال وخشيت اللقاح برمحي.

قال وأقبل النبي ومن معه من أصحابه فلما نظر إليهم العسكر فروا قال فلما انتهوا إلى موضع العسكر إذا بفرس أبي قتادة قد عرقبت قال فقال الرجل من الصحابة يا رسول الله عرقبت فرس أبي قتادة قال فوقف عليها رسول الله فقال ويح أمك رب عدو لك في الحرب مرتين قال ثم أقبل رسول الله وأصحابه حتى إذا انتهوا إلى الموضع الذي تعالجنا فيه إذا هم بأبي قتادة فيما يرون سجي في ثيابه قال فقال رجل من الصحابة: يا رسول الله استشهد أبو قتادة قال فقال رسول الله: رحم الله أبا قتادة على آثار القوم يرتجز فدخلهم الشيطان أنهم ينظرون إلى فرس قد عرقبت وينظرون إلى مسجى على ثيابي قال فخرج عمر بن الخطاب أو أبو بكر الصديق يسعى حتى كشف الثوب فإذا هو مسعدة فقال الله أكبر صدق الله ورسوله مسعدة يا رسول الله فكبر الناس ولم ينشب أن طلع عليكم أبو قتادة يحوش اللقاح فقال النبي: أفلح وجهك أبا قتادة أبو قتادة سيد الفرسان بارك الله فيك يأبا قتادة وفي ولدك وفي ولد ولدك واحسب عكرمة قال وفي ولد ولد ولدك ما هذا بوجهك يا أبا قتادة قال: قلت: بأبي وأمي سهم أصابني والذي أكرمك بما أكرمك لقد ظننت أني نزعته قال: ادن مني يا أبا قتادة قال فدنوت منه قال فنزع النصل نزعا رفيقا ثم بزق فيه رسول الله ووضع راحته عليه فوالذي أكرم محمدا بالنبوة ما ضرب علي ساعة قط ولا قرح علي..

-وقال للنابغة: لا يفضض الله فاك... فما سقطت له سن. وفي رواية: فكان أحسن الناس ثغراً، إذا سقطت له سن نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل: أكثر من هذا.

البيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في دعائه لنابغة وإجابة الله تعالى له فيما دعاه به:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن عبدان أنبأنا أبو بكر محمد بن المؤمل حدثنا جعفر بن محمد بن سوار حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد السكري الرقي قال حدثنا يعلى بن الأشدق قال سمعت النابغة نابغة بني جعدة يقول أنشدت رسول الله هذا الشعر فأعجبه:

بلغنا السماء مجدنا وثراءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهر

فقال لي إلي أين المظهر يا أبا ليلى قال قلت إلى الجنة قال كذلك إن شاء الله

فلا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي: أجدت لا يفضض فوك ...قال يعلى فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن.

- ودعا لابن عباس: اللهم فقهه في الدين، وعمله التأويل، فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن.

قلت: أخرج البخاري:

١- باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم:(اللهم علمه الكتاب).

- حدثنا أبو معمر قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:(اللهم علمه الكتاب).

٢- وضع الماء عند الخلاء.

- حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا ورقاء، عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء، فوضعت له وضوءًا، قال:(من وضع هذا). فأخبر، فقال:(اللهم فقهه في الدين).
ومسلم
باب من فضائل عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما:
- حدثنا زهير بن حرب وأبو بكر بن النضر. قالا: حدثنا هاشم بن القاسم. حدثنا ورقاء بن عمر اليشكري. قال: سمعت عبيدالله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الخلاء. فوضعت له وضوءًا. فلما خرج قال: "من وضع هذا؟" - في رواية زهير قالوا وفي رواية أبي بكر - قلت: ابن عباس. قال: "اللهم! فقهه".
والحاكم حدثنا علي بن حمشاذ العدل ثنا هشام بن علي السدوسي ثنا سليمان بن حرب وأبو سلمة قالا ثنا حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فوضعت له وضوءا فقالت له ميمونة وضع لك عبد الله بن العباس وضوءا فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وأحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير بن خيثمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن:-رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على كتفي أو على منكبي شك سعيد ثم قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).
وابن حبان أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال كنت في بيت ميمونة بنت الحارث فوضعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طهورا فقال من وضع هذا قالت ميمونة عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأول)
قال ابن حجر:
وقد أخرج أحمد من طريق عمرو بن دينار عن كريب عن بن عباس في قيامه خلف النبيصلى الله عليه وسلم في صلاة الليل وفيه فقال لي: ما بالك أجعلك حذائي فتخلفني فقلت أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله فدعا لي أن يزيدني الله فهما وعلما.
والمراد بالكتاب القرآن لأن العرف الشرعي عليه والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه ووقع في رواية مسدد الحكمة بدل الكتاب وذكر الإسماعيلي أن ذلك هو الثابت في الطرق كلها عن خالد الحذاء كذا قال وفيه نظر لأن المصنف أخرجه أيضًا من حديث وهيب عن خالد بلفظ الكتاب أيضًا فيحمل على أن المراد بالحكمة أيضًا القرآن فيكون بعضهم رواه بالمعنى وللنسائي والترمذي من طريق عطاء عن بن عباس قال دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أوتي الحكمة مرتين فيحتمل تعدد الواقعة فيكون المراد بالكتاب القرآن وبالحكمة السنة ويؤيده أن في

رواية عبيد الله بن أبي يزيد التي قدمناها عند الشيخين: اللهم فقهه في الدين لكن لم يقع عند مسلم في الدين وذكر الحميدي في الجمع أن أبا مسعود ذكره في أطراف الصحيحين بلفظ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل قال الحميدي وهذه الزيادة ليست في الصحيحين قلت وهو كما قال نعم هي في رواية سعيد بن جبير التي قدمناها عند أحمد وابن حبان والطبراني ورواها بن سعد من وجه آخر عن عكرمة مرسلا وأخرج البغوي في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم عن بن عمر كان عمر يدعو بن عباس ويقربه ويقول إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يومًا فمسح رأسك وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ووقع في بعض نسخ بن ماجة من طريق عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء في حديث الباب بلفظ اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب وهذه الزيادة مستغربة من هذا الوجه فقد رواه الترمذي والإسماعيلي وغيرهما من طريق عبد الوهاب بدونها وقد وجدتها عند بن سعد من وجه آخر عن طاوس عن بن عباس قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على ناصيتي وقال: (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب) وقد رواه أحمد عن هشيم عن خالد في حديث الباب بلغظ مسح على رأسي وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبي صلى الله عليه وسلم فيها لما علم من حال بن عباس في معرفة التفسير والفقه في الدين رضي الله تعالى عنه واختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا فقيل القرآن كما تقدم وقيل العمل به وقيل السنة وقيل الإصابة في القول وقيل الخشية وقيل الفهم عن الله وقيل العقل وقيل ما يشهد العقل بصحته وقيل نور يفرق به بين الالهام والوسواس وقيل سرعه الجواب مع الإصابة وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى:(ولقد آتينا لقمان الحكمة) والاقرب أن المراد بها في حديث بن عباس الفهم في القرآن...

-ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه.

- ودعا للمقداد بالبركة، فكانت عنده غرائز المال.

--ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد، فقال: فلقد كنت أقوم بالكناسة، فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً. وقال البخاري في حديث: فكان لو اشترى التراب ربح فيه.

وروي مثل هذا لغرقدة أيضاً.

قلت: وأخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في دعائه لعروة البارقي في البركة في بيعه وظهورها بعده في ذلك وكذلك في تجارة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني أنبأنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد حدثنا سعدان بن نصر حدثنا سفيان عن شبيب بن غرقدة سمع قومه يحدثون عن عروة البارقي أن النبي أعطاه دينارًا ليشتري له شاة أضحية فاشترى به شاتين فباع إحداهما بدينار وأتى النبي بشاة ودينار فدعا النبي بالبركة في بيعه فكان لو اشترى التراب ربح فيه.

أخبرنا أبو منصور المظفر بن محمد العلوي أنبأنا أبو جعفر بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة حدثنا الفضل بن دكين حدثنا فطر بن خليفة عن أبيه زعم أنه سمع عمرو بن حريث قال انطلق بي أبي إلى رسول الله وأنا غلام شاب فمر النبي

على عبدالله بن جعفر وهو يبيع شيئا يلعب به فدعا له النبي قال اللهم بارك له في تجارته...

وروى ابن ماجه في سننه، قال:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه دينارا يشتري له شاة فاشترى له شاتين فباع إحداهما بدينار فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بدينار وشاة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة قال فكان لو اشترى التراب لربح فيه حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا حبان بن هلال ثنا سعيد بن يزيد عن الزبير بن الخريت عن أبي لبيد لمازة بن زبار عن عروة بن أبي الجعد البارقي قال قدم جلب فأعطاني النبي صلى الله عليه وسلم دينارا فذكر نحوه.

قال الشيخ الألباني: صحيح

- وندت له ناقة، فدعا فجاءه بها إعصار ريح،، حتى ردها عليه.
- ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت.

قلت أخرج البهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في دعائه لأم أبي هريرة بالهداية وإجابة الله تعالى له فيها:

حدثنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق ببغداد حدثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثنا عكرمة بن عمار قال حدثنا أبو كثير الغبري قال قال أبو هريرة: ما على وجه الأرض مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبني قال قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبي وإني دعوتها ذات يوم فاسمعتني في رسول الله ما أكره فجئت إلى رسول الله فقلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي وأنا دعوتها فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله يا رسول الله أن يهدي أم أبي هريرة إلى الإسلام فدعا لها رسول الله فرجعت إلى أمي أبشرها بدعوة رسول اللهِ فلما كنت على الباب إذا الباب مغلق فدفعت الباب فسمعت حسي فلبست ثيابها وجعلت على رأسها خمارا وقالت: ارفق يا أبا هريرة ففتحت لي فلما دخلت قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قال فرجعت إلى رسول الله وأنا أبكي من الفرح كما كنت أبكي من الحزن وجعلت أقول: أبشر يا رسول الله قد استجاب الله دعوتك وهدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام فقلت ادع الله أن يجببني وأمي إلى عبادة المؤمنين ويحببهم إلينا قال فقال رسول الله: (اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عباده المؤمنين وحببهم إليهما) فما على الأرض مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبني وأحبه.

رواه مسلم في الصحيح عن عمرو الناقد عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار وذكر فيه غسلها..

--ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حر ولا برد.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد

بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو والحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان علي يلبس في الحر والشتاء العباء المخشم التخين وما يبالي الحر فأتاني أصحابي فقالوا إنا قد رأينا من أمير المؤمنين شيئًا فهل رأيته فقلت: وما هو قالوا رأيناه يخرج إلينا في الحر الشديد في العباء المحشو التخين وما يبالي الحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما يبالي البرد فهل سمعت في ذلك شيئا فقلت لا فقالوا سل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فأتيته فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل على علي رضي الله عنه فسمر معه ثم سأله عن ذلك فقال أو ما شهدت معنا خيبر فقلت بلى قال فما رأيت رسول الله حين دعا أبا بكر فعقد له وبعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم ثم جاء بالناس وقد هزموا فقال بلى ثم قال ثم بعث إلى عمر فعقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله عند ذلك:(لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله عليه غير فرار) فدعاني فأعطاني الراية ثم قال: اللهم أكفه الحر والبرد فما وجدت بعد ذلك بردًا ولا حرًا.

- ودعا الله لفاطمة ابنته ألا يجيعها، قالت: فما جعت بعد.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في دعائه لابنته فاطمة عليهما السلام وما ظهر فيه من الإجابة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ رحمه الله قال أنبأنا أبو جعفر احمد بن عبيد الحافظ بهمذان حدثنا ابراهيم بن الحسين الكيساني حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني عن عتبة أبي معاذ البصري عن عكرمة عن عمران بن حصين قال

كنت مع رسول الله إذ أقبلت فاطمة رضي الله عنها وقفت بين يديه فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فنظر اليها رسول الله فقال: إدني يا فاطمة ثم إدني يا فاطمة. فدنت حتى قامت بين يديه فرفع يده فوضعها على صدرها في موضع القلادة وفرج بين أصابعه ثم قال: (اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد) قال عمران فنظرت إليها وقد ذهبت الصفرة من وجهها وغلب الدم كما كانت الصفرة غلبت على الدم قال عمران فلقيتها بعد فسألتها فقالت ما جعت بعد ذلك يا عمران والأشبه أنه إنما رآها قبل نزول آية الحجاب والله أعلم.

-وسأله الطفيل بن عمرو آيةً لقومه، فقال: اللهم نور له فسطع نور بين عينيه، فقال: أخاف أن يقولوا مثله، فتحول إلى طرف سوطه، فكان يضيء في الليلة المظلمة، فسمي ذا النور.

حدثنا الإمام أبو عثمان رحمه الله إملاءً قال أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه قال أخبرنا أبو لبابه الميهني حدثنا عمار بن الحسن حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق بن يسار قال كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها فمشى إليه رجال قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فقالوا له إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وأنا

نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله

قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي: واثكل أماه والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله عز وجل إلا أن يسمعينه فسمعت قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك قال فعرض رسول الله عليّ الإسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: اللهم أجعل له آيةً...

قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية يقال كذا وكذا تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال قلت: اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم.. فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً فقلت إليك عني يا أبت فلست منك ولست مني قال: لم يا بني؟ قلت: أسلمت وتابعت دين محمد قال: يا بني فديني دينك قال: قلت: فاذهب يا أبت فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم اتتني صاحبتي فقلت لها: إليك عني فلست منك ولست مني. قالت: لم بأبي أنت وأمي؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك أسلمت وتابعت دين محمد قالت فديني دينك قال قلت: فاذهبي إلى حني ذي الشرى فتطهري منه وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحنى حمىً حوله وبه وشل من ماء يهبط من جبل إليه قالت: بأبي وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً قال قلت: لا أنا ضامن لك قال: فذهبت واغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليّ فجئت رسول الله فقلت: يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال: اللهم أهد دوساً ثم قال: ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وأرفق بهم. فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله ثم قدمت على رسول الله بمن أسلم معي من قومي ورسول الله بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ثم لحقنا برسول الله بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين.

-ودعا على مضر فأقحطوا، حتى استعطفته قريش، فدعا لهم فسقوا.

البخاري في كتاب الاستسقاء:

- حدثنا قتيبة - حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول:(اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن

الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)..

- حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: كنا عند عبد الله، فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارًا، قال:(اللهم سبع كسبع يوسف). فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع. فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، قال الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ*إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ *}(الدخان١٠ - ١٦)(. فالبطشة يوم بدر، وقد مضت الدخان، والبطشة واللزام وآية الروم.

مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة:

حدثني أبو الطاهر وحرملة بن يحيى. قالا: أخبرنا ابن وهب. أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب. قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف؛ أنهما سمعا أبا هريرة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة، ويكبر، ويرفع رأسه: "سمع الله لمن حمده. ربنا ولك الحمد" ثم يقول، وهو قائم "اللهم! أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة. والمستضعفين من المؤمنين. اللهم! اشدد وطأتك على مضر. واجعلها عليهم كسني يوسف. اللهم! العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية. عصت الله ورسوله" ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: {(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران: ١٢٨).

وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد. قالا: حدثنا ابن عيينة عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله:"واجعلها عليهم كسني يوسف" ولم يذكر ما بعده.

وحدثنا محمد بن مهران الرازي. حدثنا الوليد بن مسلم. حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة؛ أن أبا هريرة حدثهم؛ أن النبيصلى الله عليه وسلم قنت بعد الركعة، في صلاة، شهرًا. إذا قال: "سمع الله لمن حمده" يقول في قنوته "اللهم! أنج الوليد بن الوليد. اللهم! نج سلمة بن هشام. اللهم! نج عياش بن أبي ربيعة. اللهم! نج المستضعفين من المؤمنين. اللهم! اشدد وطأتك على مضر. اللهم! اجعلها عليهم سنين كسني يوسف".

قال أبو هريرة: ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الدعاء بعد. فقلت: أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك الدعاء لهم. قال فقيل: وما تراهم قد قدموا؟.

--ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له باقية، ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا.

قلت:أخرج الألباني في السلسة الصحيحة؛ وقال(صحيح):

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابًا قال عبد الله فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقريء عليه ثم أخذه فمزقه فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم مزق ملكه. وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره فبعث باذان قهرمان ورجلا آخر وكتب معهما كتابًا فقدما المدينة فدفعا كتاب باذان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد وقال ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد فجاءاه من الغد فقال لهما... فذكره.

وقال الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة:

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وبعث الكتاب مع عبدالله بن حذافة السهمي فيه: {بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس} (صحيح) (ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ما صنع كسرى أبرويز بكتابه قال:(مزق الله ملكه)

وروى البيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في بعث رسول الله إلى كسرى ابن هرمز وكتابه إليه ودعائه عنده تمزيق كتابه عليه وأجابه الله تعالى دعاءه وتصديقه قوله في هلاكه وهلاك جنوده وفتح كنوزه:

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبيد بن شريك قال حدثنا يحيى(ح) وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أنبأنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن عباس أخبره أن رسول الله بعث بكتابه إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه كسرى مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله أن يمزقوا كل ممزق..

رواه البخاري في الصحيح عن يحيى بن بكير وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ فيما لم أجد نسخة سماعي وقد أنبأني به إجازة أن أبا جعفر محمد بن صالح بن هاني أخبرهم قال حدثنا أبو بكر محمد بن النضر الجارودي قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن صالح قال حدثنا ابن وهب قال أنبأنا يونس عن ابن شهاب قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد القارئ أن رسول رسول الله قام ذات يومي على المنبر خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم... فقال المهاجرون: يا رسول الله..والله لا نختلف عليك أبدا على شيء، فمرنا وأبعثنا.. فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فخرج حتى قدم على كسرى وهو بالمدائن فاستأذن عليه فأما كسرى بإيوائه أن يزين له ثم أذن لعظماء فارس ثم أذن لشجاع فلما دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله أن يقبض منه قال شجاع لا حتى أدفعه أنا كما

أمرني رسول الله فقال كسرى أذنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتبًا له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر بشجاع بن وهب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال: والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذا أديت كتاب رسول الله فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع أن يدخل عليه فالتمس فلم يوجد فطلب إلى الحيرة فسبق فلما قدم شجاع على النبي أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه كتاب رسول الله قال رسول الله:(مزق كسرى ملكه).

اتفق هذا المرسل والموصول قبله في تمزيقه كتابه في هذا أن النبي أخبر عن تمزيقه ملكه وفي الأول أنه دعا عليهم واختلفت الروايتين فيمن يدفع كتابه إلى كسرى والرواية الأولى موصولة فهي أولى والله أعلم.

- ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع ا لله أثره، فأقعد.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة باب صلاة النبي بتبوك ودعائه على من مر بين يديه وما ظهر في ذلك من آثار النبوة:

- أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الروذباري قال أخبرنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا محمد بن سليمان الأنباري قال حدثنا وكيع عن سعيد بن عبد العزيز عن مولى ليزيد بن نمران عن يزيد ابن نمران قال: رأيت رجلاً بتبوك مقعداً فقال مررت بين يدي النبي وأنا على حمار وهو يصلي فقال: (اللهم اقطع أثره) فما مشيت عليها بعد

** قال أبو داود وحدثنا كثير بن عبيد قال حدثنا ابن حيوة عن سعيد بإسناده ومعناه زاد فقال: (قطع صلاتنا قطع الله أثره).

أخبرنا أبو علي الروذباري قال أخبرنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أحمد بن سعيد الهمذاني وسليمان بن داود قالا أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا معاوية عن سعيد بن غزوان عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مقعد فسألته عن أمره فقال سأحدثكم حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أني حي أن رسول الله نزل بتبوك إلى نخلة فقال هذه قبلتنا ثم صلى إليها قال فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها فقال: قطع صلاتنا قطع الله أثره.. قال فما قمت عليهما إلى يومي هذا.

أبو داود حدثنا محمد بن سليمان الأنباري ثنا وكيع عن سعيد بن عبد العزيز عن مولى ليزيد بن نمران عن يزيد بن نمران قال رأيت رجلا بتبوك مقعدا فقال مررت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا على حمار وهو يصلي فقال: (اللهم اقطع أثره) فما مشيت عليها بعد قال الشيخ الألباني: ضعيف.

حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ح ثنا سليمان بن داود قالا ثنا بن وهب أخبرني معاوية عن سعيد بن غزوان عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مقعد فسأله عن أمره فقال له سأحدثك حديثا فلا تحدث به ما سمعت أني حي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بتبوك إلى نخلة فقال هذه قبلتنا ثم صلى إليها فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها فقال: (قطع صلاتنا قطع الله أثره) فما قمت عليها إلى يومي هذا

قال الشيخ الألباني: ضعيف.
- وقال لرجل يأكل بشماله: كل بيمينك فقال: لا أستطيع. فقال: لا استطعت. فلم يرفعها إلى فيه.
قلت: رواه مسام في كتاب الاشربة باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما.
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا زيد بن الحباب عن عكرمة بن عمار. حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع؛ أن أباه حدثه؛ أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله. فقال: (كل بيمينك) قال: لا أستطيع. قال:(لا استطعت) ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه.

-وقال لعتبة بن أبي لهب: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فأكله الأسد.
قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:
أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا تمتام قال حدثنا عباس بن الفضل الأزرق قال حدثنا الأسود ابن شيبان قال حدثنا أبو نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: كان لهب ابن أبي لهب يسب النبي ويدعو عليه قال فقال النبي: (اللهم سلط عليه كلبك). قال: وكان أبو لهب يحمل البز إلى الشام ويبعث بولده مع غلمانه ووكلائه ويقول إن ابني أخاف عليه دعوة محمد فيعاهدوه قال وكانوا إذا نزل المنزل ألزقوه إلى الحائط وغطوا عليه الثياب والمتاع قال ففعلوا ذلك به زمانا فجاء سبع فنشله فقتله فبلغ ذلك أبا لهب فقال: ألم أقل لكم إني أخاف عليه دعوة محمد؟
كذا قال عباس بن الفضل وليس بالقوي.
لهب بن أبي لهب وأهل المغازي يقولون عتبة بن أبي لهب وقال بعضهم عتيبة
وفيما أخبرنا أبو عبد الله قراءة عليه قال كانت أم كلثوم يعني ابنة رسول الله في الجاهلية تحت عتيبة بن أبي لهب وكانت رقية تحت أخيه عتبة بن أبي لهب فلما أنزل الله عز وجل:(تبت يدا أبي لهب) قال أبو لهب لابنيه عتيبة وعتبة: رأسي ورؤوسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد وسأل النبي عتبة طلاق رقية وسألته رقية ذلك وقالت له أم كلثوم بنت حرب ابن أمية وهي حمالة الحطب طلقها يا بني فإنها قد صبت فطلقها وطلق عتيبة أم كلثوم وجاء النبي حين فارق أم كلثوم فقال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك ثم تسلط على رسول الله فشق قميصه فقال رسول الله: أما إني أسأل الله أن يسلط عليه كلبه فخرج نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلاً فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا محمد علي قتلني ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام فعوى عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فضغمه ضغمة فذبحه
قال أبو عبد الله فحدثنا بجميع ذلك محمد بن إسماعيل الحافظ قال حدثنا الثقفي قال حدثنا أحمد بن المقدام قال حدثنا زهير بن العلاء العبدي عن ابن أبي عروبة عن قتادة قال زهير وحدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن الأسد لما طاف بهم تلك الليلة انصرف عنهم فناموا وجعل عتيبة في وسطهم فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ براس عتيبة ففدغه وتزوج عثمان بن عفان رقية فتوفيت عنده ولم تلد له وتزوج أبو العاص بن الربيع زينب فولدت له أمامة.

وأخرج في السنن:
أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أنا أبو الحسن الكارزي ثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو عبيد في قوله والكلب العقور قال بلغني عن سفيان بن عيينة أنه قال معناه كل سبع يعقر ولم يخص به الكلب قال أبو عبيد قد يجوز في الكلام أن يقال للسبع كلب ألا ترى أنهم يروون في المغازي أن عتبة بن أبي لهب كان شديد الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة إلى الشام مع أصحابه فنزل منزلا فطرقهم الأسد فتخطى إليه من بين أصحابه فقتله فصار الأسد ههنا قد لزمه اسم الكلب قال ومن ذلك قوله تعالى:).(وما علمتم من الجوارح مكلبين) فهذا اسم مشتق من الكلب ثم دخل فيه صيد الفهد والصقر والبازي فلهذا قيل لكل جارح أو عاقر من السباع كلب عقور...
-وقال لامرأة: أكلك الأسد. فأكلها.
--وحديثه المشهور، من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم، وسماهم. قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر.
قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة
أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة قال حدثنا أبو إسحاق قال سمعت عمرو بن ميمون يحدث عن عبدالله قال بينما رسول الله ساجد وحوله ناس من قريش وثم سلا بعير فقالوا من يأخذ سلا هذا الجزور أو البعير فيقذفه على ظهره فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك قال عبد الله فما رأيت رسول الله دعا عليهم إلا يومئذ فقال: (اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف أو أبي بن خلف) شك شعبة قال عبد الله فقد رأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب أو قال في بئر غير أن أبي بن خلف أو أمية بن خلف كان رجلاً بادنا فتقطع قبل أن يبلغ به البئر..
أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح من حديث شعبة بن الحجاج
أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة قال حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم قال حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة قال أخبرنا جعفر بن عون العمري قال أخبرنا سفيان بن سعيد الثوري عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في ظل الكعبة فقال أبو جهل وناس من قريش وقد نحرت جزور في ناحية مكة فبعثوا فجاءوا من سلاها فطرحوه بين كتفي النبي قال فجاءت فاطمة فطرحته عنه قال فلما انصرف وكان يستحث ثلاثا قال: (اللهم عليك بقريش ثلاثا بأبي جهل بن هشام وبعتبة بن ربيعة وبشيبة بن ربيعة وبالوليد ابن عتبة وبأمية بن خلف وبعقبة بن أبي معيط قال عبد الله) ثم لقد رأيتهم في قليب بدر قال أبو إسحاق ونسيت السابع.
رواه البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة عن جعفر بن عون

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني أبو الوليد حسان بن محمد بن أحمد الفقيه قال حدثنا أبو أحمد إسماعيل بن موسى بن إبراهيم الحاسب قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قال حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عبد الله قال بينما رسول الله يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور فيأخذه فيضعه على كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي وضعه بين كتفيه قال فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله والنبي ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحت عنه ثم أقبلت عليهم تسبهم فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثًا ثم قال النبي: (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط) وذكر السابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمدًا بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى قليب بدر

رواه مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عمر بن أبان.

--ودعا على الحكم بن أبي العاص، وكان يختلج بوجهه، ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم، أي لا، فرآه، فقال: كذلك كن، فلم يزل يختلج إلى أن مات.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا حدثنا العباس محمد بن يعقوب حدثنا إبراهيم بن سليمان حدثنا ضرار ابن صرد حدثنا عائذ بن حبيب إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله المزني قال سمعت عبدالرحمن بن أبي بكر يقول كان فلان يجلس إلى النبي فإذا تكلم النبي بشيء اختلج بوجهه فقال له النبي: (كن كذلك) فلم يزل يختلج حتى مات..

--ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع، فلفظته الأرضُ، ثم وُريَ فلفظته مرات، فألقوه بين صُدّين، ورجموا عليه بالحجارة.والصد: جانب الوادي.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما ظهر على من أرتد عن الإسلام في وقت النبي ومات على ردته من النكال ثم من قتل من شهد بالحق من ذلك وما في كل واحد منهما من دلائل النبوة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني قال حدثنا أبو النصر قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس بن مالك قال كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب قال فرفعوه قالوا هذا كان يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبودًا.

رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن رافع عن أبي النضر زاد فيه غيره عن سليمان مرارًا.

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله البسطامي قال أخبرنا أبو بكر أحمد ابن إبراهيم الإسماعيلي قال أخبرنا أبو يعلى قال حدثنا جعفر بن مهران قال حدثنا عبد الوراث عن عبد العزيز عن أنس قال كان رجلاً نصرانيًا فأسلم على عهد رسول الله وقرأ البقرة وآل عمران قال فكان يكتب للنبي قال فعاد نصرانيًا وكان يقول ما أرى يحسن محمدًا إلا ما كنت أكتب له فأماته الله عز وجل فأقبروه فأصبح قد لفظته الأرض قالوا هذا عمل محمد وأصحابه أنه لما لم يرض دينهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه قال فحفروا له فأعمقوا في الأرض ما أستطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس وأنه من الله عز وجل.

رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر عن الوارث ورواه حميد الطويل عن أنس بن مالك بمعناه يزيد وينقص ومما زاد فقال نبي الله لا تقبله الأرض فذكر أن أبا طلحة أتى الأرض التي مات فيها فوجده منبوذًا فقال ما بال هذا قالوا دفناه مرارًا فلم تقبله الأرض..

- وجحده رجل بيع فرس - وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم، فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل، وقال: اللهم إن كان كاذباً فلا تبارك له فيها. فأصبحت شاصية برجلها، أي رافعةً.

وهذا الباب أكثر من أن يحاط به.

----

٢٦. المعجزات النبوية بين الغلاة والمقصرين

المعجزات النبوية بين الغلاة والمقصرين

الدكتور يوسف القرضاوي

الناس في قضية المعجزات المحمدية المادية أصناف ثلاثة:

فالصنف الأول:

يبالغ في الإثبات، وسنده في ذلك ما حوته الكتب، أيًا كانت هذه الكتب: سواء كانت للمتقدمين أو المتأخرين، وسواء كانت تعنى بتمحيص الروايات أم لا تعنى، وسواء وافق ذلك الأصول أم خالفها، وسواء قبله المحققون من العلماء أم رفضوه. المهم أن يروى ذلك في كتاب وإن لم يعرف صاحبه، أو يذكر في قصيدة من قصائد المدائح النبوية، أو في قصة "مولد" التي يُتلى بعضها في شهر ربيع الأول من كل عام، أو نحو ذلك.

وهذه عقلية عامية لا تستحق أن تناقش، فالكتب فيها الغث والسمين، والمقبول والمردود، والصحيح والمختلق الموضوع.

وقد ابتليت ثقافتنا الدينية بهؤلاء المؤلفين الذين يتتبعون "الغرائب" و"يحشون" بها بطون الكتب، وإن خالفت صحيح المنقول، وصريح المعقول.

وبعض المؤلفين، لا يعنى بصحة ما يروي من هذه الأمور، على أساس أنها لا يترتب عليها حكم شرعي، من تحليل أو تحريم أو غير ذلك. ولهذا إذا رووا في الحلال والحرام تشددوا في الأسانيد، ونقدوا الرواة، ومحصوا المرويات. فأما إذا رووا في الفضائل والترغيب والترهيب. ومثلها المعجزات ونحوها، تساهلوا وتسامحوا.

ومؤلفون آخرون، كانوا يذكرون الروايات بأسانيدها فلان عن فلان عن فلان، ولكنهم لا يذكرون قيمة هذه الأسانيد: أهي صحيحة أم غير صحيحة؟ وما قيمة رواتها: أهم ثقات مقبولون أم ضعاف مجروحون، أم كذابون مردودون؟ معتمدين على أنهم إذا ذكروا السند فقد أبرءوا أنفسهم من التبعة، وخلوا من العهدة.
غير أن هذا كان صالحًا وكافيًا بالنسبة للعلماء في العصور الأولى، أما في العصور المتأخرة -وفي عصرنا خاصة- فلم يعد يعني ذكر السند شيئًا. وأصبح الناس يعتمدون على النقل من الكتب، دون أي نظر إلى السند.
وهذا هو موقف جمهرة الكتاب والمؤلفين في عصرنا، حين ينقلون من تاريخ الطبري، أو طبقات ابن سعد أو غيرها.
والصنف الثاني:
يبالغ في النفي والإنكار للمعجزات والآيات الحسية الكونية، وعمدته في ذلك: أن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم وهو الذي وقع به التحدي: أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله.
ولما طلب المشركون من الرسول بعض الآيات الكونية تصديقًا له، نزلت آيات القرآن تحمل الرفض القاطع لإجابة طلباتهم. كما في قوله تعالى: {وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقي في السماء. ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه، قل: سبحان ربي، هل كنت إلا بشرًا رسولاً؟} (الإسراء: ٩٠ - ٩٣).
وفي موضع آخر، ذكر المانع من إرسال الآيات الكونية التي يقترحونها فقال: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة، فظلموا بها، وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا} (الإسراء: ٥٩).
وفي سورة أخرى، رد على طلب الآيات بأن القرآن وحده كاف كل الكفاية ليكون آية لمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم؟ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون} (العنكبوت: ٥١).
وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزة محمد صلى الله عليه وسلم معجزة عقلية أدبية، لا حسية مادية، وذلك لتكون أليق بالبشرية بعد أن تجاوزت مراحل طفولتها، ولتكون أليق بطبيعة الرسالة الخاتمة الخالدة. فالمعجزات الحسية تنتهي بمجرد وقوعها. أما العقلية فتبقى.
وقد أيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة".
ويبدو لي أن مما دفع هذا الصنف إلى هذا الموقف أمرين:
أولاً: افتتان الناس في عصرنا بالعلوم الكونية، القائمة على ثبات الأسباب، ولزوم تأثيرها في مسبباتها، حتى ظن بعض الناس أنه لزوم عقلي لا يتخلف في حال، فالنار

لا بد أن تحرق، والسكين لا بد أن تقطع، والجماد لا يمكن أن ينقلب إلى حيوان، والميت لا يمكن أن يرجع إلى الحياة... إلخ.
الثاني: غلو الصنف الأول في إثبات الخوارق، بالحق والباطل، إلى حد يكاد يلغي قانون الأسباب والسنن، التي أقام الله عليها هذا العالم. وكثيرًا ما يقاوم الغلو بغلو مثله.
الصنف الثالث:
هنا يظهر الرأي الوسط بين المبالغين في الإثبات، والمغالين في الإنكار. وهو الرأي الذي أرجحه وأتبناه.
وخلاصة هذا الرأي:
١- أن القرآن الكريم هو الآية الكبرى والمعجزة الأولى لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي تحدى به العرب خاصة، والخلق عامة. وبه تميزت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من النبوات السابقة، فالدليل على صدق نبوته هو نفس موضوع رسالته؛ وهو كتابه المعجز بهدايته وبعلومه، وبإعجازه اللفظي والمعنوي، وبإتيانه بالغيب: ماضيه وحاضره ومستقبله.
٢- أن الله تعالى أكرم خاتم رسله بآيات كونية جمة، وخوارق حسية عديدة، ولكن لم يقصد بها التحدي، أعني إقامة الحجة.
بها على صدق نبوته ورسالته. بل كانت تكريمًا من الله له، أو رحمة منه تعالى به، وتأييدًا له، وعناية به وبمن آمن معه في الشدائد؛ فلم تحدث هذه الخوارق استجابة لطلب الكافرين، بل رحمة وكرامة من الله لرسوله والمؤمنين، وذلك مثل "الإسراء" الذي ثبت بصريح القرآن، والمعراج الذي أشار إليه القرآن، وجاءت به الأحاديث الصحيحة، ونزول الملائكة تثبيتًا ونصرة للذين آمنوا في غزوة بدر، وإنزال الأمطار لإسقائهم فيها وتطهيرهم، وتثبيت أقدامهم، على حين لم يصب المشركين من ذلك شيء وهم بالقرب منهم. وحماية الله لرسوله وصاحبه في الغار يوم الهجرة، رغم وصول المشركين إليه، حتى لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآهما، وغير ذلك مما هو ثابت بنص القرآن الكريم.
ومثل ذلك إشباع العدد الكثير من الطعام القليل في غزوة الأحزاب، وفي غزوة تبوك.
٣- إننا لا نثبت من هذا النوع من الخوارق إلا ما نطق به القرآن، أو جاءت به السنة الصحيحة الثابتة. وما عدا ذلك مما انتفخت به بطون الكتب، فلا نقبله، ولا نعبأ به.
فمن الصحيح الثابت:
(أ) ما رواه جماعة من الصحابة من حنين الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم أول الأمر، فلما صنع له المنبر، وقام عليه للخطبة، سمع للجذع صوت كحنين الناقة إلى ولدها. فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت.
قال العلامة تاج الدين السبكي: حنين الجذع متواتر؛ لأنه ورد عن جماعة من الصحابة، إلى نحو العشرين، من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه. وكذلك قال القاضي عياض في الشفاء: إنه متواتر.

(ب) ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن والمسانيد عن جماعة من الصحابة، من إفاضة الماء بغير الطرق المعتادة، وذلك في غزواته وأسفاره صلى الله عليه وسلم مثل غزوة الحديبية، وغزوة تبوك وغيرهما.
روى الشيخان عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء فدعا بقدح فيه ماء، فوضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، وأطراف أصابعه، فتوضأ أصحابه به جميعًا.
وروى البخاري عن البراء بن عازب أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أربع عشرة مائة (أي ١٤٠٠)، وأنهم نزحوا بئر الحديبية فلم يتركوا فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسالم فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء، فتوضأ، ثم تمضمض ودعا، ثم صبه فيها. قال: فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا (سقتنا وروتنا) ماشيتنا نحن وركابنا.
والأحاديث في إجراء الماء له صلى الله عليه وسلم كثيرة مستفيضة، ومروية بأصح الطرق.
(جـ) ما حفلت به كتب السنة من استجابة الله تعالى لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع يصعب حصرها، مثل دعائه بإنزال المطر. ودعائه يوم بدر بالنصر، ودعائه لابن عباس بالفقه في الدين، ودعائه لأنس بكثرة الولد، وطول العمر، ودعائه على بعض من آذاه... إلخ.
(د) ما صح من الأنباء بمغيبات وقت كما أخبر بها صلى الله عليه وسلم، بعضها في حياته، وبعضها بعد وفاته، مثل فتح بلاد اليمن وبصرى وفارس، وقوله لعمار: "تقتلك الفئة الباغية" وقوله عن الحسن: "إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين"... إلخ. ومثل إخباره بفتح القسطنطينية وغيرها.
٤- أما ما لم يصح من الخوارق والآيات، فلا نثبته ولا نقيم له وزنًا، وإن شاع ذكره بين الناس.
ونكتفي هنا بما اشتهر من أن النبي صلى الله عليه وسلم حين اختفى في الغار عند الهجرة من المدينة، جاءت حمامتان فباضتا على فم الغار كما أن شجرة نبتت ونمت فغطت مدخل الغار. فهذا ما لم يجئ به حديث صحيح، ولا حسن، ولا ضعيف. أما نسج العنكبوت على الغار فقد جاءت به رواية حسنها بعض العلماء، وضعفها آخرون.
وظاهر القرآن يدل على أن الله تعالى أيد رسوله يوم الهجرة بجنود غير مرئية كما قال تعالى: {فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها} والعنكبوت والحمام جنود مرئية ولا شك والنصر بجنود غير مشاهدة ولا محسة أدل على القهر الإلهي والعجز البشري. وإنما اشتهرت هذه الخوارق بين جمهور المسلمين بسبب المدائح النبوية، للمتأخرين وبخاصة مثل "البردة" للبوصيري التي يقول فيها:
ظنوا الحمام، وظنوا العنكبوت على**** خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من **** الدروع وعن عال من الأطم
فهذا هو موقفنا من الخوارق والمعجزات النبوية المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

----

٢٧. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٨).. في كرامته وبركاته

الفصل الثاني والعشرون:
في كرامته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

- أخبرنا أحمد بن محمد، حدثنا أبو ذر الهروي، إجازة، حدثنا القاضي أبو علي سماعاً، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرحمن وغيرهما، فقالوا: حدثنا أبو الوليد القاضي، حدثنا أبو ذر، حدثنا أبو إسحاق، وأبو الهيثم: قالوا: حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ أن أهل المدينة فزعوا مرةً، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة كان يقطُف، أو به قِطاف. وقال غيره: يبطأ، فلما رجع قال: وجدنا فرسك بحراً فكان بعد لا يجارى.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة:
أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الأنباري حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: فزع الناس فركب النبي فرسًا لأبي طلحة بطيئًا ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال: لن تراعوا إنه لبحر... قال فو الله ما سبق بعد ذلك اليوم...

وأخرج البخاري في صحيحه:
- باب: السرعة والركض في الفزع.
- حدثنا الفضل بن سهل: حدثنا حسين بن محمد: حدثنا جرير بن حازم، عن محمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فزع الناس، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسًا لأبي طلحة بطيئًا، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فقال: (لم تراعوا، إنه لبحر). فما سبق بعد ذلك اليوم.
- باب: إذا فزعوا بالليل.
- حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة، سمعوا صوتا، قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عري، وهو متلقد سيفه، فقال:(لم تراعوا لم تراعوا). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(وجدته بحرا). يعني الفرس.
- باب: من استعار من الناس الفرس.
- حدثنا آدم: حدثنا شعبة، عن قتادة قال: سمعت أنسًا يقول:
كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسًا من أبي طلحة يقال له المندوب فركب، فلما رجع قال:(ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحرًا).
- باب: الشجاعة في الحرب والجبن.
- حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد: حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود

الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم سبقهم على فرس، وقال:(وجدناه بحرا).
- باب: اسم الفرس والحمار.
- حدثنا محمد بن بشار: حدثنا غندر: حدثنا شعبة: سمعت قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لنا يقال له مندوب، فقال:(ما رأينا منفزع، وإن وجدناه لبحرا).
- باب: الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل.
وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة، لأنها أجرى وأجسر.
- حدثنا أحمد بن محمد: أخبرنا عبد الله: أخبرنا شعبة، عن قتادة: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان بالمدينة فزع، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة يقال له مندوب، فركبه، وقال:(ما رأينا من فزع، وإن وجدناه لبحرا).
- باب: ركوب الفرس العري.
- حدثنا عمرو بن عون: حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه: استقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس عري، ما عليه سرج، في عنقه سيف.
- باب: الفرس القطوف.
- حدثنا عبد الأعلى بن حماد: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل المدينة فزعوا مرة، فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف، أو كان فيه قطاف، فلما رجع قال:(وجدنا فرسكم هذا بحرا). فكان بعد ذلك لا يجارى.
باب: الحمائل وتعليق السيف بالعنق.
- حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال:
كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ليلة، فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عري، وفي عنقه السيف، وهو يقول:(لم تراعوا، لم تراعوا). ثم قال:(وجدناه بحرا). أو قال:(إنه لبحر).
- باب: مبادرة الإمام عند الفزع.
- حدثنا مسدد: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:
كان بالمدينة فزع، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة، فقال:(ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحرا).
- باب: المعاريض مندوحة عن الكذب.
- حدثنا مسدَّد: حدثنا يحيى، عن شُعبة قال: حدثني قتادة، عن أنس بن مالك قال:
كان بالمدينة فزع، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة، فقال:(ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً).
باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل
- حدثنا عمرو بن عون: حدثنا حمَّاد، هو ابن زيد، عن ثابت، عن أنس قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول:(لم تراعوا لم تراعوا). وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال:(لقد وجدته بحراً. أو: إنه لبحر).

- ونخس جمل جابر، وكان قد أعيا، فنشط حتى كان ما يملك زمامه.

قلت: أخرج البخاري في قصة جمل جابر بن عبد الله أحاديث، منها:

١- باب: الشفاعة في وضع الدين.

- حدثنا موسى: حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن عامر، عن جابر رضي الله عنه قال:

غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم على ناضح لنا فأزحف الجمل، فتخلف علي، فوكزه النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه، قال:(بعينه ولك ظهره إلى المدينة). فلما دنونا استأذنت، قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بعرس، قال صلى الله عليه وسلم:(فما تزوجت بكرا أم ثيبا). قلت: ثيبا، أصيب عبد الله وترك جواري صغارا، فتزوجت ثيبا تعلمهن وتؤدبهن، ثم قال:(ائت أهلك). فقدمت فأخبرت خالي بيع الجمل فلامني، فأخبرته بإعياء الجمل، وبالذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم ووكزه إياه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم غدوت إليه بالجمل، فأعطاني ثمن الجمل والجمل، وسهمي مع القوم.

٢- باب: إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز.

- حدثنا أبو نعيم: حدثنا زكرياء قال: سمعت عامرا يقول: حدثني جابر رضي الله عنه: أنه كان يسير على جمل له قد أعيا، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فضربه، فدعا له فسار بسير ليس يسير مثله، ثم قال:(بعنيه بوقية). قلت: لا، ثم قال:(بعنيه بوقية). فبعته، فاستثنيت حملانه إلى أهلي، فلما قدمنا أتيته بالجمل ونقدني ثمنه، ثم انصرفت، فأرسل على إثري قال:(ما كنت لآخذ جملك، فخذ جملك، فهو مالك).

٣- باب: استئذان الرجل الإمام.

- حدثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا جرير، عن المغيرة، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فتلاحق بي النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا على ناضح لنا قد أعيا، فلا يكاد يسير، فقال لي:(ما لبعيرك). قال: قلت: عيي، قال: فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي:(كيف ترى بعيرك). قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك، قال:(أفتبيعنيه). قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم، قال:(فبعنيه). فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة، قال: فقلت: يا رسول الله، إني عروس، فاستأذنته فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى أتيت المدينة، فلقيني خالي، فسألني عن البعير، فأخبرته بما صنعت فيه، فلامني، قال: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي حين استأذنته:(هل تزوجت بكرا أم ثيبا). فقلت: تزوجت ثيبا، فقال:(هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك). قلت: يا رسول الله، توفي والدي، أو استشهد، ولي أخوات

صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبا لتقوم عليهن وتؤدبهن، قال: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه ورده علي.
وأخرج مسلم في صحيحه:
باب بيع البعير واستثناء ركوبه.
* حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير. حدثنا أبي. حدثنا زكريا عن عامر. حدثني جابر بن عبد الله؛ أنه كان يسير على جمل له قد أعيا. فأراد أن يسيبه. قال: فلحقني النبي صلى الله عليه وسلم. فدعا لي وضربه. فسار سيرا لم يسر مثله. قال: (بعنيه بوقية). قلت: لا. ثم قال(بعنيه). فبعته بوقية. واستثنيت عليه حملانه إلى أهلي. فلما بلغت أتيته بالجمل. فنقدني ثمنه. ثم رجعت. فأرسل في أثري. فقال(أتراني ماكستك لآخذ جملك؟ خذ جملك ودراهمك. فهو لك).
* حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم(قال إسحاق: أخبرنا. وقال عثمان: حدثنا جرير) عن مغيرة، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله. قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاحق بي. وتحتي ناضح لي قد أعيا ولا يكاد يسير. قال: فقال لي(ما لبعيرك؟) قال قلت: عليل. قال: فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره ودعا له. فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير. قال: فقال لي(كيف ترى بعيرك؟) قال قلت: بخير. قد أصابته بركتك. قال:(أفتبيعنيه؟) فاستحييت. ولم يكن لنا ناضح غيره. قال فقلت: نعم. فبعته أياه. على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة. قال فقلت له: يا رسول الله! إني عروس فاستأذنته. فأذن لي. فتقدمت الناس إلى المدينة. حتى انتهيت. فلقيني خالي فسألني عن البعير. فأخبرته بما صنعت فيه. فلامني فيه. قال: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي حين استأذنته:(ما تزوجت؟ أبكرا أم ثيبا؟) فقلت له: تزوجت ثيبا. قال(أفلا تزوجت بكرا تلاعبك وتلاعبها؟) فقلت له: يا رسول الله! توفي والدي(أو استشهد) ولي أخوات صغار. فكرهت أن أتزوج إليهن مثلهن. فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن. فتزوجت ثيبا لتقوم عليهن وتؤدبهن. قال: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، غدوت إليه بالبعير، فأعطاني ثمنه، ورده علي.
* حدثنا عثمان بن أبي شيبة. حدثنا جرير عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر. قال: أقبلنا من مكة إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاعتل جملي. وساق الحديث بقصته. وفيه: ثم قال لي(بعني جملك هذا). قال قلت: لا. بل هو لك. قال(لا. بل بعنيه). قال قلت: لا. بل هو لك. يا رسول الله! قال(لا. بل بعنيه). قال قلت: فإن لرجل علي أوقية ذهب. فهو لك بها. قال(قد أخذته. فتبلغ عليه إلى المدينة). قال: فلما قدمت المدينة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال(أعطه أوقية من ذهب. وزده). قال: فأعطاني أوقية من ذهب. وزادني قيراطا. قال فقلت: لا تفارقني زيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فكان في كيس لي. فأخذه أهل الشام يوم الحرة.
* حدثنا أبو كامل الجحدري. حدثنا عبد الواحد بن زياد. حدثني الجريري عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله. قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر. فتخلف

ناصحي. وساق الحديث. وقال فيه: فنخسه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال لي(اركب باسم الله) وزاد أيضا: قال: فما زال يزيدني ويقول(والله يغفر لك).
* وحدثني أبو الربيع العتكي. حدثنا حماد. حدثنا أيوب عن أبي الزبير، عن جابر. قال: لما أتى على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أعيا بعيري، قال: فنخسه فوثب. فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه، فما أقدر عليه. فلحقني النبي صلى الله عليه وسلم فقال(بعنيه). فبعته منه بخمس أواق. قال قلت: على أن لي ظهره إلى المدينة. قال(ولك ظهره إلى المدينة). قال: فلما قدمت إلى المدينة أتيته به، فزادني وقية، ثم وهبه لي.
* حدثنا عقبة بن مكرم العمى. حدثنا يعقوب بن إسحاق. حدثنا بشير بن عقبة عن أبي المتوكل الناجي، عن جابر بن عبد الله. قال: سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره.(أظنه قال غازيا). واقتص الحديث وزاد فيه: قال(يا جابر! أتوفيت الثمن؟) قلت: نعم. قال(لك الثمن ولك الجمل. لك الثمن ولك الجمل).
* حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري. حدثنا أبي. حدثنا شعبة عن محارب؛ أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: اشترى مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرًا بوقيتين ودرهم أو درهمين. قال: فلما قدم صرارًا أمر ببقرة فذبحت. فأكلوا منها. فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلي ركعتين. ووزن لي ثمن البعير فأرجح لي.
* حدثني يحيى بن حبيب الحارثي. حدثنا خالد بن الحارث. حدثنا شعبة. أخبرنا محارب عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة. غير أنه قال: فاشتراه مني بثمن قد سماه. ولم يذكر الوقيتين والدرهم والدرهمين. وقال: أمر ببقرة فنحرت، ثم قسم لحمها.
* حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:(قد أخذت جملك بأربعة دنانير. ولك ظهره إلى المدينة).
- وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي، خفقها بمخفقة معه، وبرَّك عليها، فلم يملك رأسها نشاطاً، وباع من بطنها باثني عشر ألفاً.
قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:
أخبرنا أبو بكر القاضي حدثنا محمد بن حامد الهروي حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا رافع بن سلمة بن زياد قال حدثني عبد الله بن أبي الجعد الأشجعي عن جعيل الأشجعي قال غزوت مع النبي في بعض غزواته وأنا على فرس لي جعفاء ضعيفة قال فكنت في أخريات الناس فلحقني رسول الله فقال(سر يا صاحب الفرس) فقلت يا رسول الله جعفاء ضعيفة قال فرفع رسول الله مخفقة معه فضربها بها وقال(اللهم بارك له فيها) قال فلقد رأيتني ما أمسك رأسه إن تقدم الناس قال فلقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا
- وركب حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة فرده هملاجًا لا يساير .
- وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد، فلم يشهد بها قتالاً إلا رزق النصر.
قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في قلنسوة خالد بن الوليد واستنصاره بما جعل فيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثني علي بن عيسى الجبري أنبأنا أحمد بن نجدة حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال اطلبوها فلم يجدوها ثم طلبوها فوجدوها فإذا هي قلنسوة خلقة فقال خالد اعتمر رسول الله فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر..

- وفي الصحيح - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - أنها أخرجت جبة طيالسة، و قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.

قلت: رواه مسلم في صحيحه؛ قال:

حدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا خالد بن عبد الله عن عبد الملك، عن عبد الله، مولى أسماء بنت أبي بكر. وكان خال ولد عطاء. قال:

أرسلتني أسماء إلى عبد الله بن عمر. فقالت: بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة: العلم في الثوب، وميثرة الأرجوان، وصوم رجب كله. فقال لي عبدالله: أما ما ذكرت من رجب، فكيف بمن يصوم الأبد. وأما ما ذكرت من العلم في الثوب، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إنما يلبس الحرير من لا خلاق له) فخفت أن يكون العلم منه. وأما ميثرة الأرجوان، فهذه ميثرة عبد الله، فإذا هي أرجوان.

فرجعت إلى أسماء فخبرتها فقالت: هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخرجت إلى جبة طيالسة كسروانية. لها لبنة ديباج. وفرجيها مكفوفين بالديباج. فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت. فلما قبضت قبضتها. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها. فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.

- وحدثنا القاضي أبو علي، عن شيخه أبي القاسم بن المأمون: قال: وكانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم، فكنا نجعل فيها الماء للمرضى، فيستشفون بها.

- وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته، فصاح الناس به، فأخذته فيها الآكلة فقطعها، ومات قبل الحول.

قلت:

قال ابن حجر رحمه الله في الإصابة:

جهجاه بن سعيد وقيل بن قيس وقيل بن مسعود الغفاري شهد بيعة الرضوان بالحديبية وروى الشيخان من حديث جابر كنا في غزاة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار الحديث في نزول قوله تعالى {ليخرجن الأعز منها الأذل} فذكر بن عبد البر أن المهاجري هو جهجاه وأن الأنصاري هو سنان وذكر الواقدي أنه شهد غزوة المريسيع فتنازع هو وسنان بن وبرة حتى تداعيا بالقبائل وكان جهجاه أجيرا لعمر بن الخطاب فذكر القصة وقد تقدم له ذكر في ترجمة جعال

وروى بن أبي شيبة من طريق عبيد الأغر عن عطاء بن يسار عن جهجاه الغفاري أنه قدم في نفر من قومه يريدون الإسلام فحضروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فلما أن سلم قال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فذكر الحديث في شربه قبل أن يسلم حلاب سبع شياه فلما أسلم لم يستتم حلب شاة الحديث غريب تفرد به موسى بن عبيدة عن عبيد وقد أشار إليه الترمذي في الترجمة وعاش جهجاه إلى خلافة عثمان فروى الباوردي من طريق الوليد بن مسلم عن مالك وغيره عن نافع عن بن عمر قال قدم جهجاه الغفاري إلى عثمان وهو على المنبر فأخذ عصاه فكسرها فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله في يده الأكلة فمات منها ورواه بن السكن من طريق سليمان بن بلال وعبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر مثله ورواه من طريق فليح بن سليمان عن عمته وأبيها وعمها أنهما حضرا عثمان قال فقام إليه جهجاه بن سعيد الغفاري حتى أخذ القضيب من يده فوضعها على ركبته فكسرها فصاح به الناس ونزل عثمان فدخل داره ورمى الله الغفاري في ركبته فلم يحل عليه الحول حتى مات ورويناه في المحامليات من طريق حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار أن جهجاه الغفاري نحو الأول وقال بن السكن مات بعد عثمان بأقل من سنة.

- وسكب من فضل و ضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما ظهر في البئر التي كانت بقباء من بركته صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي اخبرنا أبو حامد الشرقي حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسألهم عن بئر هناك قال فدللته عليها فقال لقد كانت هذه وإن الرجل لينضح على حماره فينزح فنستخرجها له فجاء رسول الله وأمر بذنوب فسقي فإما أن يكون توضأ منه أو تفل فيه ثم أمر به فأعيد في البئر قال فما نزحت بعد...

- وبزق في بئر كانت في دار أنس، فلم يكن بالمدينة أعذب منها.

- ومر على ماء، فسأل عنه، فقيل له: اسمه بيسان، وماؤه ملح، فقال: بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب.

- وأتي بدلو من ماء زمزم، فمج فيه، فصارت أطيب من المسك.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أبيه قال رأيت النبي تمضمض من دلو مج فيه مسكًا أو أطيب من مسك قال أبو أسامة يقول في ذلك الماء استنثر خارجا منه...

- وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه، وكان يبكيان عطشاً فسكتا.

-وكان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمناً، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها، ثم دفعها إليها، فإذا هي مملوءة سمناً، فيأتيها بنوها

يسألونها الأدم، وليس عندهم شيء، فتعمد إليها، فتجد فيها سمناً، فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها.
قلت: أخرجه مسلم في صحيحه، قال:
حدثني سلمة بن شبيب. حدثنا الحسن بن أعين. حدثنا معقل عن أبي الزبير، عن جابر؛
أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنًا. فيأتيها بنوها فيسألون الأدم. وليس عندهم شيء. فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم. فتجد فيه سمنا. فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته. فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال "عصرتيها؟" قالت: نعم. قال "لو تركتيها ما زال قائما".
قلت: وذكر البيهقي في دلائل النبوة قصتين غير هذه، قال:
١- أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا علي بن نجيح القطان حدثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن يوسف بن خالد عن أوس بن خالد عن أم أوس البهزية قالت سليت سمنا لي فجعلته في عكة وأهديته إلى النبي فقبله وترك في العكة قليلاً ونفخ فيه ودعا بالبركة ثم قال ردوا عليها عكتها فردوها عليها وهي مملوءة سمنًا فظننت أن النبي لم يقبلها فجاءت ولها صراخ قالت يا رسول الله إنما سليته لك لتأكله فعلم أنه قد استجيب له فقال اذهبوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعو بالبركة فأكلت بقية عمر النبي وولاية أبي بكر رضي الله عنه وولاية عمر رضي الله عنه وولاية عثمان رضي الله عنه حتى كان من أمر علي رضي الله عنه ومعاوية ما كان.
٢-باب فيما ظهر من الكرامات على أم شريك في هجرتها إلى رسول الله وما ظهر من دلالات النبوة في العكة التي أهدتها له.
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عبد الأعلى عن أبي المساور القرشي عن محمد بن عمرو بن عطاء عن أبي هريرة قال كانت امرأة من دوس يقال لها أم شريك أسلمت في رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله فلقيت رجلاً من اليهود فقال ما لك يا أم شريك قالت أطلب رجلاً يصحبني إلى رسول الله .قال فتعالى فأنا أصحبك قالت: فانتظرني حتى املأ سقاي ماء قال معي ماء لا تريدين ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشى فقال: يا أم شريك تعالى إلى العشاء فقالت: اسقني من الماء فإني عطشى ولا أستطيع أن أكل حتى أشرب فقال: لا أسقيك حتى تهودي فقالت: لا جزاك الله خيرًا غربتني ومنعتني أحمل ماء فقال: لا والله لا أسقيك من قطرة حتى تهودين فقالت: لا والله لا أتهود أبدًا بعد إذ هداني الله للإسلام فأقبلت إلى بعيرها فعقلته ووضعت رأسها على ركبته فنامت قالت فما أيقظني إلا برد دلو قد وقع على جبيني فرفعت رأسي فنظرت إلى ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فشربت حتى رويت ثم نضحت على سقاء حتى ابتل ثم ملأته ثم رفع بين يدي وأنا أنظر حتى توارى مني في السماء فلما أصبحت جاء اليهودي فقال يا أم شريك قلت والله قد سقاني الله فقال من أين أنزل عليك من السماء قلت: نعم والله لقد أنزل الله عز وجل علي من السماء ثم رفع بين يدي حتى توارى

عني في السماء ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله فقصت عليه القصة فخطب رسول الله إليها نفسها فقالت يا رسول الله لست أرضى نفسي لك ولكن بضعي لك فزوجني من شئت فزوجها زيدًا وأمر لها بثلاثين صاعًا وقال كلوا ولا تكيلوا وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله فقالت لجارية لها بلغي هذه العكة رسول الله قولي أم شريك تقرئك السلام وقولي هذه عكة سمن أهديناها لك فانطلقت بها فأخذوها ففرغوها وقال لها رسول الله(علقوها ولا توكوها) فعلقوها في مكانها فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمنا فقالت يا فلانة أليس أمرتك أن تنطلقي بهذه العكة إلى رسول الله فقالت قد والله انطلقت بها كما قلت ثم أقبلت بها أصوبها ما يقطر منها شيء ولكنه قال(علقوها ولا توكوها) فعلقتها في مكانها وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءة فأكلوا منها حتى فنيت ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء... والله أعلم

-وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل.

-ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه، ولسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم، كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب، فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره، فأخذت كلها إلى تلك الواحدة، فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها، فأخذت.

باب ما ظهر في النخل التي غرسها النبي لسلمان الفارسي رضي الله عنه وأطعمت من سنته من آثار النبوة واستبرائه عند قدومه عليه وما وصف له من حاله.

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن إسحاق أنبأنا موسى ابن إسحاق القاضي حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أن سلمان لما قدم المدينة أتى رسول الله بهدية على طبق فوضعها بين يديه فقال ما هذا يا سلمان قال صدقة عليك وعلى أصحابك قال: إني لا آكل الصدقة فرفعها ثم جاءه من الغد بمثلها فوضعها بين يديه فقال ما هذا قال هدية لك قال فقال رسول الله لأصحابه كلوا قالوا لمن أنت قال لقوم قال فاطلب إليهم أن يكاتبوك قال فكاتبوني على كذا وكذا نخلة اغرسها لهم ويقوم عليها سلمان حتى تطعم قال فجاء النبي فغرس النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر فأطعم نخله من سنته إلا تلك النخلة فقال رسول الله من غرسها قالوا عمر فغرسها رسول الله بيده فحملت من عامها..

وروينا عن ابن عثمان عن سلمان أنه قال فجعل يغرس إلا واحدة غرستها بيدي فعلقن جميعا إلا واحدة...

-وفي كتاب البزار: فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها.

وقفة مع قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه، في مسند البزار

*حدثنا موسى بن عبد الله الخزاعي قال أخبرنا بكر بن سليمان قال أخبرنا محمد بن إسحاق وأخبرنا عمرو بن علي قال أخبرنا عبد الله بن هارون بن أبي عيسى عن أبيه عن بن إسحاق أنه سمع عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه قال كنت رجلاً فارسيًا من أهل

أصفهان من قرية منها يقال حيى وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله إليه لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار أوقدها لا أتركها تخبو ساعة وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل يومًا فقال لي يا بني: إني قد شغلت هذا اليوم عن ضيعتي أذهب إليها فطالعها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي: لا تحبس علي فإنك إن احتبست علي كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء.. فخرجت أريد ضيعته أسير إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون؛ فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم.. وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه. فما برحت من عندهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي؛ ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا رجل بالشام ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وقد شغلته عن عمله فقال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت: قال قلت:إني مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فدخلت إليهم فما زلت عندهم وهم يصلون حتى غربت الشمس.. فقال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير.. دينك ودين آبائك خير منه... ثم حبسني في بيته وبعثت إلى النصارى. فقلت: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم. فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم. فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام؛فلما قدمتها قلت:من أفضل هذا الدين علما؟ قالوا الأسقف في الكنيسة.. فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك.. قال: فدخل فدخلت معه وكان رجل سوء يأمر بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه، فلم يعط إنسانا منها شيئا، حتى جمع قلالا من ذهب وورق.. وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع؛ ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه. فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها أكتنزها لنفسه فلم يعط إنسانا أو لم يعط المساكين منها شيئا. قالوا وما علمك بذاك؟ قلت لهم: فأنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدلنا عليه. فدللتهم عليه، فاستخرجوا ذهبًا وورقًا.. فلما رأوها قالوا: والله لا تدفنوه أبدًا... فصلبوه ثم رجموه بالحجارة. وكان ثم رجل آخر فجعلوه مكانه. قال يقول سلمان: فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أفضل منه، ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهاراً منه.. فأحببته حبا لم أحبه شيئا قط؛ فما زلت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان إني قد كنت معك فأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله فإلي من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحدًا على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا كثيرًا مما كانوا عليه إلا رجل بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به... فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره.. فقال: فأقم عندي. فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات. فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان إن فلانا أوصاني إليك

وأمرني فألحق بك وقد حضر من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجل بنصيبين وهو فلان فالحق به... فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته بما أمرني به صاحبه فقال: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فو الله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بي إلى فلان،وأوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال يا بني: ما أعلم بقي أحد على ما آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم على مثل ما نحن عليه فإنه على أمرنا.. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال: أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم واكتسبت حتى كانت لي بقيرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله.. فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى فلان إلى فلان ثم أوصاني فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال والله ما أعلم أصلح لك على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكن قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.. ثم مات وغيب.... فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فأعطيتهم وحملوني معهم حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي كنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي فبينا أنا عنده قدم عليه ابن عم له من بني قريظة فابتاعني منه فحملني إلى المدينة فو الله ما هو إلا رأيتها عرفتها بصفة صاحبي لي فأقمت بها... فبعث الله رسوله وأقام بمكة ما أقام ما أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق؛ ثم هاجر إلى المدينة فو الله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل؛ وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن لمجتمعون عند رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي فلما سمعته أخذني يعني الفرح حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ونزلت عن النخلة وجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمه شديدة ثم قال لي: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك... قلت لا شيء، إنما أردت أن أستفتيه عما قال. وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت إلى رسول الله وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذووا حاجة وهذا شيء كان عندي صدقة فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: وقربته إليه فقال رسول الله لأصحابه كلوا وأمسك هو فلم يأكل منه. فقلت في نفسي: هذه واحدة.. ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا فتحول رسول الله إلى المدينة ثم جئت به فقلت له إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هديه أكرمتك بها.. فأكل رسول الله منها وأمر أصحابه فأكلوا. وقال قلت في نفسي: هاتان اثنتان. ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد قد اتبع جنازة رجل من أصحابه وهو جالس فسلمت عليه ثم استدبرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؛ فلما رآني رسول الله

استدبرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي... فقال رسول الله: تحول فتحولت، فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا بن عباس، فأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه... ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله بدر وأحد.. ثم قال رسول الله: كاتب يا سلمان. فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له وأربعين أوقية.. فقال رسول الله لأصحابه:أعينوا أخاكم.. فأعانوني في النخل، الرجل بثلاثين، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، والرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة... فقال لي رسول الله: اذهب يا سلمان، فإذا فرغت فأذني أكون معك أنا أضعها بيدي.. ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله بيده حتى فرغنا فو الذي نفس سلمان بيده ما مات منها نخلة واحدة فأديت النخل وبقي على المال فأتى رسول الله بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن قال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ فدعيت له فقال:خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سليمان.. فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك.. فوزنت له منها؛ فو الذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان وشهدت مع رسول الله الخندق ثم لم يفتني معه مشهد..

وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم.

قلت: جاء في دلائل النبوة للبيهقي:

عن سلمان قال: ثم جئت رسول الله وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي وهو في أصحابه فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رآني رسول الله استدبرته عرف أني أستثبت شيئًا قد وصف لي فوضع رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال تحول يا سلمان هكذا فتحولت فجلست بين يديه وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك فلما فرغت قال رسول الله كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها وأربعين أوقية وأعانني أصحاب رسول الله بالنخل ثلاثين ودية وعشرين ودية وعشر كل رجل منهم على قدر ما عنده فقال لي رسول الله فقر لها فإذا فرغت فآذني حتى أكون أنا الذي أضعها بيدي ففقرتها وأعانني أصحابي يقول حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها ثم جئت رسول الله فقلت يا رسول الله قد فرغنا منها فخرج معي حتى جاءها وكنا نحمل إليه الودي ويضعه بيده ويسوى عليها فو الذي بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة وبقيت علي الدراهم فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال رسول الله: أين الفارسي المسلم المكاتب فدعيت له فقال: خذ هذه يا سلمان فأدها مما عليك فقلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما علي قال: فإن الله تعالى سيؤدي بها عنك فو الذي نفس سلمان بيده لوزنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وعتق سلمان وكان الرق قد حبسني حتى فاتني مع رسول الله بدر وأحد ثم عتقت فشهدت الخندق ثم لم يفتني معه مشهد..

وقال أعطاني النبي مثل هذه من ذهب وحلق شريك بإصبعه السبابة على الإبهام مثل الدرهم قال فلو وضع أحد في كفة ووضعت في أخرى لرجحت به في فكاك رقبته....

وقال لما أعطاني رسول الله ذلك الذهب فقال اقض به عنك فقلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما علي فقلبها رسول الله على لسانه ثم قذفها إلي ثم قال: انطلق بها فإن الله تعالى سيؤدي بها عنك... فانطلقت فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم منها أربعين أوقية.

-وفي حديث حنش بن عقيل: سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربةً من سويق شرب أولها وشربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريها إذا عطشت، وبردها إذا ظمئت.

-وأعطى قتادة بن النعمان، وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة ـ عرجوناً، وقال: انطلق به، فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج، فإنه الشيطان.فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته، ووجد السواد فضربه حتى خرج.

قلت: رواه الإمام أحمد

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يونس وسريج قالا حدثنا فليح عن سعيد بن الحرث عن أبي سلمة قال:

-كان أبو هريرة يحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو في صلاة يسأل الله خيرا إلا آتاه إياه).. قال وقللها أبو هريرة بيده. قال فلما توفي أبو هريرة قلت والله لو جئت أبا سعيد فسألته عن هذه الساعة أن يكون عنده منها علم فأتيته فأجده يقوم عراجين فقلت يا أبا سعيد ما هذه العراجين التي أراك تقوم قال هذه عراجين جعل الله لنا فيها بركة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها يتخصر بها فكنا نقومها ونأتيه بها فرأى بصاقًا في قبلة المسجد وفي يده عرجون من تلك العراجين فحكه وقال: (إذا كان أحدكم في صلاته فلا يبصق أمامه فإن ربه أمامه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فإن لم).. قال سريج لم يجد مبصقا ففي ثوبه أو نعله.. قال ثم هاجت السماء من تلك الليلة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة برقت برقة فرأى قتادة بن النعمان فقال:ما السرى يا قتادة؟ قال علمت يا رسول الله إن شاهد الصلاة قليل فأحببت أن أشهدها قال: فإذا صليت فاثبت حتى أمر بك.. فلما انصرف أعطاه العرجون وقال: خذها فسيضيء أمامك عشرًا وخلفك عشرا فإذا دخلت البيت وتراءيت سوادا في زاوية البيت فاضربه قبل أن يتكلم فإنه شيطان..قال ففعل فنحن نحب هذه العراجين لذلك... قال قلت: يا أبا سعيد إن أبا هريرة حدثنا عن الساعة التي في الجمعة فهل عندك منها علم فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال: إني كنت قد أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر وقال ثم خرجت من عنده فدخلت على عبد الله بن سلام.

-ومنها دفعه لعكاشة جدل حطب، وقال: اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر، فعاد في يده سيفاً صارماً، طويل القامة، أبيض، شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة. وكان هذا السيف يسمى العون .

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو عبد الله قال أخبرنا أبو العباس قال أخبرنا أحمد قال أخبرنا يونس عن ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرا قال وعكاشة بن محصن وهو الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده فأتى رسول الله فأعطاه جذلاً من حطب وقال: قاتل بها يا عكاشة. فلما أخذه من يد رسول الله هزه فعاد سيفًا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل بها حتى فتح الله تعالى على رسوله ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله حتى قتل يعني في قتال أهل الردة وهو عنده وكان ذلك السيف يسمى القوي..

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني أبو عبد الله محمد بن أحمد الإصبهاني قال أخبرنا الحسن بن الجهم قال أخبرنا الحسين بن الفرج قال أخبرنا الواقدي قال فحدثني عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله عودًا فإذا هو سيف أبيض طويل وقاتلت حتى هزم الله المشركين فلم يزل عنده حتى هلك.

-ودفع لعبد الله بن جحش يوم أحد، وقد ذهب سيفه ـ عسيب نخل، فرجع في يده سيفاً.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة ن قال:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد قال أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي قال أخبرنا أشياخنا أن عبد الله ابن جحش جاء إلى النبي يوم أحد وقد ذهب سيفه فأعطاه النبي عسيبًا من نخل فرجع في يد عبد الله سيفًا.

-ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير، كقصة شاة أم معبد، وأعنز معاوية بن ثور، وشاة أنس، وغنم حليمة مرضعته وشارفها، وشاة عبد الله بن مسعود، وكانت لم ينز عليها فحل، وشاة المقداد.

وقفة مع حديث أم معبد في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ في دلائل النبوة للبيهقي:

أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن سليمان ابن ثابت بن يسار الخزاعي الكعبي بقديد إملاء قال حدثني عمي سليمان بن الحكم عن جدي أيوب بن الحكم الخزاعي عن حزام بن هشام عن أبيه هشام عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم...

ح. وحدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال أخبرنا أبو عمرو بن مطرف قال حدثنا محمد بن محمد بن سليمان بن الحكم ابن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي بقديد يعرف بأبي عبد الله ابن أبي هشام القافة قال حدثنا أبي محمد بن سليمان قال حدثنا عمي أيوب بن الحكم عن حزام بن هشام عن أبيه هشام عن جده حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم...

ح. وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني قال حدثنا مكرم بن محرز ابن مهدي قال حدثني أبي محرز بن مهدي عن حزام بن هشام عن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن

خالد صاحب رسول الله قتيل البطحاء يوم الفتح وهو أخو عاتكة بنت خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الاريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم نحرها فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم.. قال: أبها من لبن وقال أبو زيد قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك..قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها.. فدعا بها رسول الله فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحل عنها... فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً يتساوكن هزلاً ضحاً مخهن قليل وقال أبو زيد ضحاً مخهن قليل فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: صفيه لي يا أم معبد.. قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة،أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه نحلة،ولم تزر به صعلة،وسيم قسيم...وقال محمد بن موسى: وسيماً قسيماً في عينه دعج، وفي أشفاره غطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع،وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن،إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس، وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب،حلو المنطق،فصل لا نزر ولا هزر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، ربعة لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر،غصناً بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به،إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند...

فقال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت بـه فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكـم به من فعال لا تجارى وسؤدد
ليهن بني كعب مقــام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصـــد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائهـا فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائــل فتحلبـت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها بحالــب يرددها في مصدر ثم مــورد

فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله شبب يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم بــه بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائــب فتصديقها في اليوم أو في ضحا الغد
ليهن أبا بكر سعادة جـــده بصحبته من يسعد الله يسعـد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصـــد

لفظ حديث أبي نصر بن قتادة قال أبو نصر قال أبو عمرو بن مطرف قال أبو جعفر بن محمد بن موسى سألت مكرماً عن اسم أم معبد فقال اسمها عاتكة بنت خالد وكنيتها أم معبد وأبو معبد اسمه أكثم بن أبي الجون ويقال له عبد العزى.

وحدثنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد ابن عمرو الأحمسي قال حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخزاز قال حدثنا سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي قال حدثنا أخي أيوب بن الحكم وسالم بن محمد الخزاعي جميعاً عن حزام بن هشام فذكره بإسناده نحوه بنقصان بيتين من شعر حسان في آخره وقد ذكرهما في موضع آخر.

ورواه يعقوب بن سفيان الفسوي عن مكرم بن محرز دون الأشعار.

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثنا أبو القاسم مكرم بن محرز بن المهدي بن عبد الرحمن بن عمرو الخزاعي قال حدثني أبي محرز بن المهدي فذكره.

وحدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال حدثنا الحسين بن محمد بن زياد وجعفر بن محمد بن سوار ح قال وأخبرني عبد الله بن محمد الدورقي في آخرين قالوا حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام ح قال وأخبرني مخلد بن جعفر قال حدثنا محمد بن جرير قالوا حدثنا مكرم بن محرز.

قال أبو عبد الله الحافظ ثم سمعت الشيخ الصالح أبا بكر أحمد بن جعفر القطيعي يقول حدثنا مكرم بن محرز عن آبائه فذكر الحديث بطوله فقلت لشيخنا أبي بكر سمعه الشيخ من مكرم فقال أي والله حج بي أبي وأنا ابن سبع سنين فأدخلني على مكرم بن محرز.

وبلغني عن أبي محمد القتيبي رحمه الله أنه قال في تفسير ما عسى يشكل من ألفاظ هذا الحديث.

قوله: برزة يريد أنها خلا لها سن فهي تبرز ليست بمنزلة الصغيرة المحجوبة.

وقوله: مرملين يريد قد نفد زادهم.

وقوله: مشتين يريد داخلين في الشتاء ويروي مسنتين أي داخلين في السنة وهي الجدب والمجاعة.

وقوله: كسر الخيمة يريد جانباً منها.

وقوله: فتفاجت يريد فتحت ما بين رجليها للحلب.

وقوله: دعا بإناء يربض الرهط أي يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا والرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة.
وقوله: ثجا يريد سيلاً.
وقوله: حتى علاه البهاء يريد علا الإناء بها اللبن وهو وبيص رغوته يريد أنه ملأها.
قوله: فشربوا حتى أراضوا يريد شربوا حتى رووا فنقعوا بالري.
وقوله: تشاركن هزلاً أي عمهن الهزال فليس فيهن منقيه ولا ذات طرق وهو من الاشتراك.
قوله: والشاء عازب أي بعيد في المرعى.
وقولها: ظاهر الوضاءة، قال غير القتيبي تريد ظاهر الجمال.
قال القتيبي: وقولها أبلج الوجه تريد مشرق الوجه مضيئة.
وقولها: لم تعبه نحلة فالنحل الدقة والضمير.
وقولها: ولم تزريه صقلة فالصقل منقطع الأضلاع والصقلة الخاصرة تريد أنه ضرب ليس بمنتفخ ولا ناحل ويروي لم تعبه ثجلة ولم تزريه صعلة.
والثجلة: عظم البطن واسترخاء أسفله.
والصعلة: صغر الرأس والوسيم الحسن الوضيء وكذلك القسيم والدعج السواد في العين وغيره.
وقولها: في أشفاره عطف، قال القتيبي: سألت عنه الرياشي فقال: لا أعرف العطف وأحسبه غطف بالغين معجمة وهو أن تطول الأشفار ثم تنعطف والعطف أيضاً إن كان هو المحفوظ شبيه بذلك وهو انعطاف الأشفار وروى وفي أشفاره وطف وهو الطول.
وقولها: في صوته صهل ويروي صحل أي كالبحة وهو أن لا يكون حاداً.
وقولها: في عنقه سطع أي طول إن تكلم سما تريد علا برأسه أو يده.
وقولها: في وصف منطقه فصل لا نزر ولا هذر تريد أنه وسط ليس بقليل ولا كثير.
وقولها: لا يأس من طول يحتمل أن يكون معناه إنه ليس بالطويل الذي يؤيس مباريه عن مطاولته ويحتمل أن يكون تصحيفاً وأحسبه لا بائن من طول.
وقولها: لا تقتحمه عين من قصر لا تحتقره ولا تزدريه.
محفود: أي مخدوم محشود هو من قولك حشدت لفلان في كذا إذا أردت أنك أعددت له وجمعت.
وقال: غيره المحشود المحفوف وحشده أصحابه أطافوا به.
وقولها:لا عابس تريد لا عابس الوجه ولا معتد من العداء وهو الظلم
وقول: الهاتف فتحلبت له بصريح والصريح الخالص والضرة لحم الضرع فغادرها رهناً لديها لحالب يريد أنه خلف الشاة عندها مرتهنة بأن تدر..
غنم حليمة السعدية في دلائل النبوة للبيهقي
وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا ابن إسحاق قال حدثني جهم بن أبي جهم مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب فكان يقال مولى الحارث بن حاطب قال

حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقول حدثت عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله التي أرضعته أنها قالت قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر ألتمس بها الرضعاء وفي سنة شهباء فقدمت على أتان لي قمراء كانت أذمت بالركب ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ما يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فو الله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه إنما نرجو المعروف من أب الوليد وأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا فو الله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري فلما لم أجد رضيعاً غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه فقال: لا عليك فذهبت فأخذته فو الله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره فما هو إلا أن أخذته فجئت به إلى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا فو الله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى إن صواحباتي يقلن ويلك يا ابنة أبي ذؤيب أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا فأقول نعم والله إنها لهي فيقلن والله إن لها لشأنا حتى قدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله تعالى أجدب منها فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فنحلب ما شئنا وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وإن أغنامهم لتروح جياعاً حتى إنهم ليقولون لرعيانهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم ابنة أبي ذؤيب فاسرحوا معهم فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيريحون أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً نحلب ما شئنا فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرفها....

شاة ابن مسعود في دلائل النبوة للبيهقي

١ـ حدثنا أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى علي رسول الله وأبو بكر وقد فرا من المشركين فقالا: يا غلام عندك لبن تسقينا قلت إني مؤتمن ولست بساقيكما فقالا هل عندك من جذعة لم ينـز عليها الفحل بعد قلت نعم فأتيتهما بها فأعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله الضرع فدعا فحفل الضرع وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقاني ثم قال للضرع أقلص فقلص فلما كان بعد أتيت رسول الله فقلت علمني من هذا المقول الطيب يعني القرآن فقال رسول الله: إنك غلام معلم فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد...

٢ـ أخبرنا أبو علي الروذباري وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان الغزال وأبو الحسين بن الفضل القطان وأبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري قالوا أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار قال حدثنا الحسن ابن عرفة قال حدثنا أبو بكر بن

عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر ابن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله وأبو بكر رضي الله عنه فقال لي: يا غلام هل من لبن؟ قال قلت نعم ولكني مؤتمن قال فهل من شاة لم ينز عليها الفحل قال فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر قال ثم قال للضرع اقلص فقلص قال ثم أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول قال فمسح رأسي وقال: يرحمك الله فإنك غليم معلم...

-ومن ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكأه، ودعا فيه، فلما حضرتم الصلاة نزلوا فحلوه، فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه ـ من رواية حماد بن سلمة.

-ومسح على رأس عمير بن سعد، وبرَّك، فمات وهو ابن ثمانين، فما شاب.

-وروي مثل هذه القصص عن غير واحد، منهم السائب بن يزيد، ومدلوك.

روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

١ـ* وأخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس حدثنا محمد بن غالب حدثنا موسى بن مسعود أنبأنا عكرمة بن عمار حدثنا عطاء مولى السائب قال كان رأس السائب أسود من هذا المكان ووصف بيده أنه كان أسود الهامة إلى مقدم رأسه وكان سائره مؤخره ولحيته وعارضاه أبيض فقلت يا مولاي ما رأيت أحدًا أعجب شعرًا منك قال وما تدري يا بني لم ذلك إن رسول الله مر بي وأنا مع الصبيان فقال: من أنت؟ قلت السائب بن يزيد أخو النمر فمسح يده على رأسي وقال: (بارك الله فيك) فهو لا يشيب أبدًا.

٢ـ*ويذكر عن أبي سفيان واسمه مدلوك أنه ذهب إلى النبي فأسلم ودعا له النبي ومسح رأسه بيده ودعا له بالبركة فكان مقدم رأس أبي سفيان أسود ما مسته يد النبي وسائره أبيض ذكره البخاري في التاريخ عن سليمان بن عبد الرحمن عن مطر بن العلاء الفزاري عن عمته وقطفة مولاه لهم قالت سمعنا أبا سفيان فذكره.

وأخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم حدثنا الحسين بن محمد بن زياد القباني قال ذكر علي بن حجر فيما كتب به إلينا قال أنبأنا فطر بن العلاء الفزاري قال حدثتني عمتي آمنة بنت أبي الشعثاء عن مدلوك أبي سفيان.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع حدثنا الفضل بن عون المسعودي أبو حمزة قال حدثتني أم عبد الله بنت حمزة بن عبد الله عن جدتها وكانت أم ولد عبد الله بن عتبة قالت قلت لسيدي عبد الله بن عتبة إيش تذكر عن النبي أذكر إني غلام خماسي أو سداسي أجلسني النبي في حجره ودعا لي ولولدي بالبركة قالت جدتي فنحن نعرف ذلك أنا لا نهرم.

-وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره.

روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

ورويناه عن حصين بن عبد الرحمن عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد أن عتبة بن فرقد كان لا يزيد على أن يدهن رأسه ولحيته وكان أطيبنا ريحًا فسألته فذكر عتبة أن

النبي فيما شكا إليه أخذ إزار عتبة فوضعه على فرجه ثم بسط يديه ونفث فيهما ومسح إحداهما على ظهره والأخرى على بطنه قال فهذه الريح من ذلك..

- وسلتَ الدَّمَ عن وجه عائذ بن عمرو، وكان خرج يوم حنين، ودعا له، فكانت له غرة كغرة الفرس.

- ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامى، ودعا له، فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود، كان يدعى الأغر.

- وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني.

- ومسح وجهَ آخر، فما زال على وجهه نور.

قلت: لعل القاضي عياض رحمه الله يشير إلى أبي زيد الأنصاري،

قال البيهقي* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس أحمد بن هارون بن إبراهيم الفقيه حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا عزرة بن ثابت حدثنا علباء بن أحمر قال حدثني أبو زيد الأنصاري قال قال لي رسول الله: (أدن مني) قال فمسح بيده على رأسي ولحيتي ثم قال(اللهم جمله وأدم جماله) قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض إلا نبذ يسير ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبض وجهه حتى مات.

- ومسح وجه قتادة بن ملحان، فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرأة.

قال البيهقي

باب ما روي في شأن قتادة بن ملحان وما ظهر على وجهه ببركة مسح النبي إياه من النور

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن معين وهريم بن عبد الأعلى قالا حدثنا معتمر بن سليمان(ح)

وحدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي حدثنا عارم حدثنا معتمر وهذا لفظ حديث بن معين قال سمعت أبي يحدث عن أبي العلاء قال كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه قال نراه الذي مات فيه قال فمر رجل في مؤخر الدار قال فرأيته في وجه قتادة قال كان رسول الله مسح وجهه قال وكنت قلما رأيته إلا رأيته كأن على وجهه الدهان.

- ووضع يده على رأس حنظلة بن حزيم، وبرَّك عليه، فكان حنظلة يؤتي بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد ورم ضرعها، فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أنبأني أبو عبد الرحمن السلمي أن أبا عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري أخبرهم حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا هارون بن عبد الله أبو موسى حدثنا محمد بن سهل بن مروان حدثنا الذيال بن عبيد بن حنظلة بن حذيم بن حنيفة قال سمعت جدي حنظلة يحدث أبي وأعمامه أن حنيفة جمع بنيه فذكر الحديث في وصيته وقدومه على النبي

ومعه حذيم وحنظلة وفي آخره قال بأبي أنت وأمي أنا رجل ذو سن وهذا ابني حنظلة فسمت عليه فقال النبي: يا غلام فأخذ بيده فمسح رأسه وقال له: بورك فيك أو قال بارك الله فيك. ورأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله. فيمسحه فيذهب عنه...

- ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء، فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها.

- ومسح على رأس صبي به عاهة، فبرأ، واستوى شعره، وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين، فبرءوا.

- وأتاه رجل به أدرة، فأمره أن ينضحها بماء من عين مجَّ فيها، ففعل، فبرأ.

- وعن طاوس: لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس، فصك في صدره إلا ذهب... والمس: الجنون.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

* أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ في الفوائد أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن تميم الأصم ببغداد حدثنا ابن العباس الكابلي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها فقالت يا رسول الله إن بابني هذا جنونًا وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا قال فمسح رسول الله رأسه ودعا له فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا حدثنا العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلي بن مرة عن أبيه قال...وأتت امرأة فقالت إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه في كل يوم مرتين فقال رسول الله: أدنيه فأدنته منه فتفل في فيه وقال أخرج: عدو الله أنا رسول الله ثم قال لها رسول الله إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع فلما رجع رسول الله استقبله ومعه كبشان وأقط وسمن فقال لي رسول الله خذ هذا الكبش فأخذ منه ما أراد فقالت والذي أكرمك ما رأينا به شيئا منذ فارقتنا.

* أخبرنا أبو القاسم زيد بن أبي هاشم العلوى بالكوفة أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله أنبانا وكيع عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلي بن مرة قال رأيت من النبي عجبا خرجت معه في سفر فنزلنا منزلا فأتته امرأة بصبي لها به لمم فقال رسول الله: أخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرأ فلما رجعنا جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط وسمن فقال النبي: يا يعلى خذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر وخذ السمن والأقط. قال: ففعلت.

هذا أصح والأول وهم قاله البخاري يعني روايته عن أبيه وهم إنما هو عن يعلى نفسه وهم فيه وكيع مرة ورواه على الصحة مرة

قلت: وقد وافقه فيما زعم البخاري أنه وهم يونس بن بكير فيحتمل أن يكون الوهم من الأعمش والله أعلم.

* أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار ببغداد أنبأنا الحسين ابن يحيى بن عياش حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبيده بن حميد قال حدثنا يزيد بن

أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه قالت: رأيت رسول الله عند جمرة العقبة راكباً ووراءه رجل يستره من رمي الناس فقال: (يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً ومن رمى جمرة العقبة فليرمها بمثل حصى الخذف) قالت ورأيت بين أصابعه حجراً قالت فرمي ورمى الناس قالت: ثم انصرف فجاءت امرأة ومعها ابن لها به مس قالت: يا نبي الله ابني هذا فأمرها النبي فدخلت بعض الأخبية فجاءت بتور من حجارة فيه ماء فأخذه بيده فمج فيه ودعا فيه وأعاده فيه ثم أمرها فقال اسقيه واغسليه فيه قال فتبعتها فقلت هبني لي من هذا الماء فقالت خذي منه فأخذت منه حفنة فسقيته ابني عبد الله فعاش فكان من بره ما شاء الله أن يكون قالت: ولقيت المرأة فزعمت أن ابنها برىء وأنه غلام لا غلام خير منه.

* قال ثم سرنا فمررنا بماء فأتت امرأة بابن لها به جنة فأخذ النبي بمنخره ثم قال اخرج أني محمد أني رسول الله قال ثم سرنا فلما رجعنا من مسيرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن فأمر لها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك.

*** أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن الغفاري ببغداد حدثنا عثمان ابن أحمد بن السماك حدثنا أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبد الرحيم بن جماد عن معاوية بن يحيى الصدفي أنبأنا الزهري عن خارجة بن زيد قال: قال أسامة بن زيد خرجنا مع رسول الله إلى الحجة التى حجها حتى إذا كنا ببطن الروحاء نظر إلى امرأة تؤمه فحبس راحلته فلما دنت منه قالت يا رسول الله هذا ابني والذي بعثك بالحق ما أفاق من يوم ولدته إلى يومه هذا قال فأخذه رسول الله منها فوضعه فيما بين صدره وواسطة الرحل ثم تفل في فيه وقال أخرج يا عدو الله فإني رسول الله قال ثم ناولها إياه وقال خذيه فلا بأس عليه قال أسامة فلما قضي رسول الله حجته انصرف حتى إذا نزل بطن الروحاء أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها فقالت: يا رسول الله أنا أم الصبي الذي لقيتك به في مبتدئك قال وكيف هو قال فقالت والذي بعثك بالحق ما رابنى منه شىء بعد...

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة، قال:

* ثم سرنا فإذا امرأة قد عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابني يصاب فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه فقال: أخسأ عدو الله أنا محمد ثم سرنا فلما رجعنا إذا هي تهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ما عرض له منذ فارقتنا.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قد جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مقبلون إلى مكة في عمرة وقالت يا رسول الله إن ابني قد أفسده الشيطان والله ما يدعه ساعة قال: "ارفعيه إلي" فجعل رأسه بين فخذيه وواسطة الرحل ثم فتح فمه فبزق فيه وقال: أنا رسول الله فاخرج عدو الله ودفعه إليها وقال: قد برأ ابنك فجيئينا عليه إذا رجعنا إلى هذا المنزل إن شاء الله فلما رجع أقبلت إليه بثلاثة أكبش يسوقهن الغلام فقال لها: كيف فعل ابنك؟ قالت: هو هذا يا رسول الله قد برأ وقد أهدى لك ثلاثة أكبش قال: يا بلال خذ منها واحدا واترك لها اثنين.

* فصل حدثنا أبو رجاء بندار بن محمد أنا أبو أحمد محمد بن علي المكفوف ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القباب ثنا أبو بكر بن أبي عاصم ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا محمد بن علي عن أبي جناب عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي أخا وبه وجع قال: (وما وجعه)؟ قال: به لمم قال فأتني به فوضعه بين يديه فعوذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين (وإلهكم إله واحد) وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآيه من آل عمران (شهد الله) وآية من الأعراف (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض) وآخر سورة المؤمنين وآيه من سورة الجن (وأنه تعالى جد ربنا) وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر و(قل هو الله أحد) والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشتك شيئا قط قال الإمام رحمه الله قال أهل اللغة اللمم الجنون.

- ومجَّ في دلو من بئر، ثم صب فيها، ففاح منها ريح المسك..

- وأخذ قبضة من تراب يوم حنين، ورمى بها في وجوه الكفار، وقال: شاهت الوجوه، فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم.

قلت: رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين،

حدثنا زهير بن حرب. حدثنا عمر بن يونس الحنفي. حدثنا عكرمة بن عمار. حدثني إياس بن سلمة. حدثني أبي. قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا. فلما واجهنا العدو تقدمت. فأعلو ثنية. فاستقبلني رجل من العدو. فأرميه بسهم. فتوارى عني. فلما دريت ما صنع. ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى. فالتقوا هم وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم. فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. وأرجع منهزمًا. وعلى بردتان. متزرا بإحداهما. مرتديا بالأخرى. فاستطلق إزاري. فجمعتهما جميعا. ومررت، على رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهزمًا. وهو على بغلته الشهباء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد رأى ابن الأكوع فزعًا) فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض. ثم استقبل به وجوههم. فقال: (شاهت الوجوه) فما خلف الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا، بتلك القبضة. فولوا مدبرين. فهزمهم الله عز وجل. وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين...

- وشكا إليه أبو هريرة رضي الله عنه النسيان، فأمره ببسط ثوبه، وغرف بيده فيه، ثم أمره بضمه، ففعل، فما نسي شيئاً بعد.

أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة باب: الحجة على من قال: إن أحكام النبي كانت ظاهرة، وما كان يغيب بعضهم من مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم وأمور الإسلام.

حدثنا علي: حدثنا سفيان: حدثني الزُهري: أنه سمعه من الأعرج يقول: أخبرني أبو هريرة قال: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله الموعد، إني كنت امرأ مسكيناً، ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم

القيام على أموالهم، فشهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وقال:(من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي، ثم يقبضه، فلن ينسى شيئاً سمعه مني). فبسطت بردة كانت عليَّ، فو الذي بعثه بالحق، ما نسيت شيئاً سمعته منه..

-وما يروى عنه في هذا كثير.

-وضرب صدر جرير بن عبد الله، ودعا له، وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل، فصار من أفرس العرب و أثبتهم.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا محمد بن عبد الوهاب الفرآء أنبأنا يعلى بن عبيد حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ح ـ وأنبأنا أبو النضر الفقيه حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا عمرو بن عون الواسطي حدثنا خالد عن إسماعيل عن قيس عن جرير قال، قال لي رسول الله: (ألا تريحني من ذي الخلصة؟) فقلت: يا رسول الله إني كفل لا أثبت على الخيل.. قال، فضرب النبي في صدري ثم قال: (اللهم ثبته وأجعله هادياً مهدياً).

ـ ومسح على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير، وكان دميماً، ودعا له بالبركة، ففرع الرجال، طولاً وتماماً

----

٢٨. ٩ـ القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(٩) [إطلاعه على الغيبيات]

لفصل الثالث والعشرون:

فيما أطلع عليه من الغيوب وما يكون

ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون. والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره. وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب:

*حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة، وقرأته على غيره: قال أبو بكر: حدثنا أبو علي التستري، حدثنا أبو عمر الهاشمي، حدثنا اللؤلؤي، حدثنا أبو داود، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: قام فينا رسول الله مقاماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه. ثم قال حذيفة: ما أدري، أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه، واسم أبيه، وقبيلته.

قلت: رواه البخاري في كتاب القدر.باب: {وكان أمر الله قدراً مقدوراً} /الأحزاب: ٣٨/.-

حدثنا موسى بن مسعود: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه.

وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة وحدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم (قال عثمان: حدثنا. وقال إسحاق: أخبرنا) جرير عن الأعمش، عن شقيق، ما ترك شيئًا قال:

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامًا، ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء. وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره. كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه. ثم إذا رآه عرفه.

-وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء، إلا ذكرنا منه علماً.

قلت: أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة؛

عن أبي ذر قال تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما قال فقال صلى الله عليه وسلم فذكره.

وله شاهد من رواية عمرو عن المطلب مرفوعًا بلفظ (ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به وما تركت شيئا مما نهاكم عنه إلا قد نهيتكم عنه). وإسناده مرسل حسن

- وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق، وظهور الأمن، حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله.

قلت: روى مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال:

حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة. قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة. قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب. عليهم ثياب الصوف. فوافقوه عند أكمة. فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد. قال فقالت لي نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه. لا يغتالونه. قال: ثم قلت: لعله نجي معهم. فأتيتهم فقمت بينهم وبينه. قال فحفظت منه أربع كلمات. أعدهن في يدي. قال: "تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله. ثم فارس، فيفتحها الله. ثم تغزون الروم، فيفتحها الله. ثم تغزون الدجال، فيفتحه الله".

قال: فقال نافع: يا جابر! لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم.

وأخرج السيوطي في الجامع الصغير.. عن جابر بن سمرة.أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتخرجن الظعينة من المدينة حتى تدخل الحيرة لا تخاف أحدًا). ضعفه الألباني في تحقيقه.

- وأن المدينة ستغزى، وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه. وما يفتح الله على أمته من الدنيا. ويؤتون من زهرتها. وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر.وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والأهواء.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه قال قرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع قال حدثنا معاذ بن فضالة حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسارعن أبي سعيد الخدري قال جلس رسول الله على المنبر ذات يوم فقال: (إن مما أتخوف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) فقال رجل يا رسول الله ويأتي الخير بالشر فلم يرد عليه قلنا يا فلان ما شأنك سألت رسول الله فلم يرد عليكِ فرأيت أنه ينزل عليه الوحي قال فمسح الرحضاء عن ظهره فقال أين السائل كأنه حمده وقال أنه لا يأتي الخير بالشر وأنه مما ينبت الربيع ما يقتل أو يلم إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت مطلع الشمس فثلطت وبالت ورتعت وإن هذا المال حلو خضر فمن أخذه بحقه بورك له فيه ونعم صاحب المال من أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله والذي يأخذ بإشراف نفس كان كالذي يأكل ولا يشبع فيكون عليه حسرة يوم القيامة ورب متخوض في مال الله ومال رسوله له النار يوم القيامة..

رواه البخاري في الصحيح عن معاذ بن فضالة، ورواه مسلم من وجه آخر عن هشام

-وسلوك سبيل من قبلهم، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة.

قلت: أخرج الشيخان

البخاري في كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.حدثنا سعيد بن أبي مريم: حدثنا أبو غسان قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه). قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن).

مسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى:

* حدثني سويد بن سعيد. حدثنا حفص بن ميسرة. حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن الذين من قبلكم. شبرا بشبر، وذراعا بذراع. حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم" قلنا: يا رسول الله! آليهود والنصارى؟ قال "فمن؟".

قلت: أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى البيهقي، وصححه الألباني في تحقيقه:

عن عوف بن مالك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار.

قلت: وروى حديث الافتراق
* الترمذي في أبواب الإيمان ، باب افتراق هذه الأمة

١- حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار، أخبرنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال:- "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقى والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة".

وفي الباب عن سعد وعبد اللّه بن عمرو وعوف بن مالك. حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

٢ـ حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود الحفري، عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، عن عبد اللّه بن يزيد عن عبد اللّه بن عمرو قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:ـ "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وان بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة"، قال من هي يا رسول اللّه؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي". هذا حديث حسن غريب.
* أبو داود في أول كتاب السنة ـ باب شرح السُّنة

١ـ حدثنا وهب بن بقية، عن خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً".

٢ـ حدثنا أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى قالا: ثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان، ح وثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية قال: حدثني صفوان نحوه، قال: حدثني أزهر بن عبد اللّه الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: "ألا إنَّ من قبلكم منن أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملةً، وإنَّ هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة".

زاد ابن يحيى وعمرو في حديثهما: "وإنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه" وقال عمرو: "الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلا دخله".
* الحاكم في المستدرك

أخبرنا أبو العباس قاسم بن القاسم السياري بمرو ثنا أبو الموجه حدثنا أبو عمار ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة".. هذا حديث كثر في الأصول وقد روي عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة.

* الدارمي في باب السِّيَر

ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْمغِيرَةِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ حَدَّثَنِى أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَازِىُّ عَنْ أَبِى عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَىٍّ الْهَوْزَنِىِّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ فِينَا فَقَالَ: « أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِى النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِى الْجَنَّةِ

*التبريزي في مشكاة المصابيح

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي. رواه الترمذي. (صحيح).

* أحمد في المسند

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال حدثني أزهر بن عبد الله الهوزني قال أبو المغيرة في موضع آخر الحرازي عن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به".

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن وحديث افتراق الأمة منه صحيح بشواهد.

*ابن ماجه في باب افتراق الأمم

١ـ حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ. حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبَعْينَ فِرْقَةً. وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)).

٢- حدّثنا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ الْحِمْصِيُّ. حدّثنا عَبَّادُ بْنُ يُوسُفَ. حدّثنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:((افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبَعْينَ فِرْقَةً. فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّة. وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٌ. وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ)).قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: ((الْجَمَاعةٌ)).

في الزوائد: إسناده حديث عوف بن مالك فيه مقال. وراشد بن سعد، قال فيه أبو حاتم: صدوق. وعباد ابن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجة. وليس له عنده سوى هذا الحدي. قَالَ ابن عديّ: روى أحاديث تفرد بها. وذكر ابن حبان في الثقات. وباقي رجال الإسناد ثقات.

٣- حدّثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ. حدّثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ. حدّثنا أَبُو عَمْرٍو، حدّثنا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتِ عَلَى إِحْدَى وَسَبَعْينَ فِرْقَةً. وإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلاَّ وَاحِدَةً. وَهَي الْجَمَاعَةُ)). في الزوائد: إسناده صحيح. رجاله ثقات.

*الهيثمي في مجمع الزوائد

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار إلا واحدة"، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: "ما أنا عليه" رواه الطبراني في الصغير وفيه عبد الله بن سفيان قال العقيلي: لا يتابع على حديثه هذا وقد ذكره ابن حبان في الثقات- وأنها ستكون لهم أنماط،

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني قال حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال لي رسول الله: هل لك من أنماط؟ قلت يا رسول الله وأني فقال: إنها ستكون لكم أنماط. فأنا أقول اليوم لامرأتي نحي عنك أنماطك فتقول: ألم يقل رسول الله إنها ستكون لكم أنماط بعدي فأتركها.

قال وأخبرنا سليمان حدثنا ابن حنبل يعني عبد الله بن أحمد قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن مهران حدثنا سفيان فذكره بإسناده ومعناه إلا أنه قال أنى تكون لي أنماط.

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح من حديث عبد الرحمن بن مهدي.

- ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة. ثم قال آخر الحديث: وأنتم اليوم خير منكم يومئذ،

قلت: روى الترمذي في السنن قال:

حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي حدثني من سمع علي بن أبي طالب يقول: إنا لجلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ طلع مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو اليوم فيه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم إذا غدًا أحدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة قالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأنتم اليوم خير منكم يومئذ" قال أبو عيسى هذا حديث حسن ويزيد بن زياد هو بن ميسرة وهو مدني وقد روى عنه مالك بن أنس وغير واحد من أهل العلم ويزيد بن زياد الدمشقي الذي روى عن الزهري روى عنه وكيع ومروان بن معاوية ويزيد بن أبي زياد كوفي..

وأخرج الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال:(صحيح لغيره)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجوع في وجوه أصحابه فقال: "أبشروا فإنه سيأتي عليكم زمان يغدى على أحدكم بالقصعة من الثريد ويراح عليه بمثلها" قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير قال: "بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ" رواه البزار بإسناد جيد.

-وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم. وقتالهم الترك والخزر والروم،

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو طاهر الفقيه أخبرنا أبو بكر القطان حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا محمد بن يوسف قال ذكر سفيان عن يحيى بن سعيد عن أبي موسى يحنس قال: قال رسول الله: "إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلك بعضهم على بعض"...

وأخبرنا أبو الحسن المقري أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا أبو الربيع حدثنا زيد بن الحباب حدثنا موسى بن عبيده حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي بمثله والله تعالى أعلم الصواب.

- وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده.

قلت: روى مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، قال:

*حدثنا عمرو الناقد وابن أبي عمر (واللفظ لابن أبي عمر). قالا: حدثنا سفيان عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"قد مات كسرى فلا كسرى بعده. وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. والذي نفسي بيده! لتنفقن كنوزهما في سبيل الله".

*حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق. حدثنا معمر عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده. وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده. ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله".

*حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده" فذكر بمثل حديث أبي هريرة سواء.

*حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو كامل الجحدري. قالا: حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لتفتحن عصابة من المسلمين، أو من المؤمنين، كنز آل كسرى الذي في الأبيض"...قال قتيبة: من المسلمين. ولم يشك.

- وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر. وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس، وتقارب الزمان، وقبض العلم، وظهور الفتن، والهرج.

قلت: روى الشيخان في صحيحيهما،

البخاري في كتاب العلم. باب: كيف يقبض العلم.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا.

حدثنا العلاء بن عبد الجبار قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار: بذلك، يعني حديث عمر بن عبد العزيز، إلى قوله: ذهاب العلماء.

- حدثنا إسماعيل بن أويس قال: حدثني مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا).

قال الفربري: حدثنا عباس قال: حدثنا قتيبة: حدثنا جرير، عن هشام نحوه.
ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن، في آخر الزمان.

*حدثنا شيبان بن فروخ. حدثنا عبد الوارث. حدثنا أبو التياح. حدثني أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنى".

*حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة. سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك. قال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. لا يحدثكم أحد، بعدي، سمعه منه: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد".

*حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير. حدثنا وكيع وأبي. قالا: حدثنا الأعمش. ح وحدثني أبو سعيد الأشج (واللفظ له). حدثنا وكيع. حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى. فقالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة أيامًا. يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج. والهرج القتل".

*حدثني حرملة بن يحيى. أخبرنا ابن وهب. أخبرني يونس عن ابن شهاب. حدثني حميد بن عبد الرحمن بن عوف؛ أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج" قالوا: وما الهرج؟ قال "القتل".

*حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عبد الأعلى عن معمر، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يتقارب الزمان، وينقص العلم" ثم ذكر مثل حديثهما.

*حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر. قالوا حدثنا إسماعيل (يعنون ابن جعفر) عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة. ح وحدثنا ابن نمير وأبو كريب وعمرو الناقد. قالوا: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن حنظلة، عن سالم، عن أبي هريرة. ح وحدثنا محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. حدثنا معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة. ح وحدثني أبو الطاهر. أخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة. كلهم قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم. بمثل حديث الزهري عن حميد، عن أبي هريرة. غير أنهم لم يذكروا "ويلقى الشح".

*حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا جرير عن هشام بن عروة، عن أبيه. سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس. ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى إذا لم يترك عالمًا، اتخذ الناس رؤسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم. فضلوا وأضلوا".

*حدثنا محمد بن المثنى. حدثنا عبد الله بن حمران عن عبد الحميد بن جعفر. أخبرني أبي، جعفر عن عمر بن الحكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم. بمثل حديث هشام بن عروة.

حدثنا حرملة بن يحيى التجيبي. أخبرنا عبد الله بن وهب. حدثني أبو شريح؛ أن أبا الأسود حدثه عن عروة بن الزبير. قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي! بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج. فالقه فسائله. فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرًا. قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عروة: فكان فيما ذكر؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعًا. ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم. ويبقى في الناس رؤسًا جهالاً. يفتونهم بغير علم. فيضلون ويضلون".

قال عروة: فلما حدثت عائشة بذلك، أعظمت ذلك وأنكرته. قالت: أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟

قال عروة: حتى إذا كان قابل، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم. فالقه. ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم. قال فلقيته فساءلته. فذكره لي نحو ما حدثني به، في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك. قالت: ما أحسبه إلا قد صدق. أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص.

- وقال: [ويل للعرب من شر قد اقترب].

قلت: متفق عليه،

رواه البخاري في كتاب الأنبياء، وفي كتاب المناقب، وفي كتاب الفتن:

حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير: أن زينب بنت أبي سلمة حدثته، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن:أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعًا يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه). وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث).

ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة:

حدثنا عمرو الناقد. حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش؛أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: "لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وعقد سفيان بيده عشرة. قلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم. إذا كثر الخبث".

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وسعيد بن عمرو الأشعثي وزهير بن حرب وابن أبي عمر. قالوا: حدثنا سفيان عن الزهري، بهذا الإسناد. وزادوا في الإسناد عن سفيان، فقالوا: عن زينب بنت أم سلمة، عن حبيبة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش. حدثني حرملة بن يحيى. أخبرنا ابن وهب. أخبرني يونس عن ابن شهاب. أخبرني عروة بن الزبير؛ أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته؛ أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها؛ أن زينب بنت جحش، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت:خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعًا، محمرًا وجهه، يقول: "لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها. قالت فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم. إذا كثر الخبث".

-وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها.وكذلك كان، امتدت في المشارق والمغارب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك.

قلت رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض:

حدثنا أبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد. كلاهما عن حماد بن زيد (واللفظ لقتيبة). حدثنا حماد عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض. فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة. وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم. فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة. وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم. يستبيح بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا".

وأخرجه ابن ماجه في سننه، قال:

حدثنا هشام بن عمار ثنا محمد بن شعيب بن شابور ثنا سعيد بن بشير عن قتادة أنه حدثهم عن أبي قلابة الجرمي عبد الله بن زيد عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطيت الكنزين الأصفر أو الأحمر والأبيض يعني الذهب والفضة وقيل لي إن ملكك إلى حيث زوي لك وإني سألت الله عز وجل ثلاثا أن لا يسلط على أمتي جوعا فيهلكهم به عامة وأن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وإنه قيل لي إذا قضيت قضاء فلا مرد له وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم فيه ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يفني بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وإذا وضع السيف في أمتي فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين وستعبد قبائل من أمتي الأوثان وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل" قال أبو الحسن لما فرغ أبو عبد الله من هذا الحديث قال ما أهوله... قال الشيخ الألباني: صحيح.

-وقوله: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة - ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب، لأنهم المختصون بالسقي بالغرب - وهي الدلو. و غيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب، و قد ورد الغرب كذا في الحديث بمعناه.

قلت: رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

* حدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا هشيم عن داود بن أبي هند، عن أبي عثمان، عن سعد بن أبي وقاص. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة).

وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة، قال: (لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة). (صحيح). قال أبو نعيم حديث ثابت مشهور. (المراد بأهل الغرب في هذا الحديث أهل الشام).

وفي حديث آخر، من رواية أبي أمامة: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، قاهرين لعدوهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قيل: يا رسول الله، وأين هم، قال: بيت المقدس).

قلت: رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب قوله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)

* حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد. قالوا: حدثنا حماد (وهو ابن زيد) عن أيوب. عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق. لا يضرهم من خذلهم. حتى يأتي أمر الله وهم كذلك). وليس في حديث قتيبة (وهم كذلك).

* وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا وكيع. ح وحدثنا ابن نمير. حدثنا وكيع وعبدة. كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد. ح وحدثنا ابن أبي عمر (واللفظ له). حدثنا مروان (يعني الفزاري) عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس، حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون).

* وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال (لن يبرح هذا الدين قائما، يقاتل عليه عصابة من المسلمين، حتى تقوم الساعة).

* حدثني هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر. قالا: حدثنا حجاج بن محمد. قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير؛ أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة).

* حدثنا منصور بن أبي مزاحم. حدثنا يحيى بن حمزة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ أن عمير بن هانئ حدثه. قال: سمعت معاوية على المنبر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس).

* وحدثني إسحاق بن منصور. أخبرنا كثير بن هشام. حدثنا جعفر (وهو ابن برقان) حدثنا يزيد بن الأصم. قال: سمعت معاوية ابن أبي سفيان ذكر حديثا رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم. لم أسمعه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم على منبره وحديثا غيره. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، إلى يوم القيامة).

* حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب. حدثنا عمي عبد الله بن وهب. حدثنا عمرو بن الحارث. حدثني يزيد أبي حبيب. حدثني عبد الرحمن بن شماسة المهري. قال: كنت عند مسلمة بن مخلد، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص. فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق. هم شر من أهل الجاهلية. لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم.

فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر. فقال له مسلمة: يا عقبة! اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم. وأما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك). فقال عبد الله: أجل. ثم يبعث الله ريحا كريح المسك. مسها مس الحرير. فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته. ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة

وروى البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة.باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق). وهم أهل العلم.

* ـ حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون).

ـ وأخبر بملك بني أمية، وولاية معاوية، ووصاه، واتخاذ بني أمية مال الله دُولا، وخروج ولد العباس بالرايات السود، وملكهم أضعاف ما ملكوا، وخروج المهدي.

وقفة مع الإمام الترمذي وما روى في بَابُ مَا جَاءَ في المهديِّ.

ـ حَدَّثَنَا عُبيدُ بنُ أسباطَ بنُ مُحَمَّدٍ القرشيُّ أخبرنا أبي أخبرنا سُفيانُ الثَّوريُّ عن عاصمِ بنِ بَهدلة عن زِرٍّ عن عبدِ اللهِ قال: ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لا تَذهبُ الدُّنيا حتَّى يملِكَ العربَ رجلٌ من أهلِ بيتي يُواطئُ اسمهُ اسمي).

وفي البابِ عن عَليٍّ وأبي سعيدٍ وأمِّ سَلَمَةَ وأبي هُرَيرَةَ. هذا حسنٌ صحيحٌ.

- حَدَّثَنَا عبدُ الجبَّارِ بنُ العلاءِ العطَّارُ أخبرنا سُفيانُ بنُ عُيينة عن عاصمٍ عن زرٍّ عن عبدِ اللهِ عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (يَلي رجلٌ من أهلِ بيتي يُواطئُ اسمهُ اسمي).

قال عاصمٌ أخبرنا أبو صالحٍ عن أبي هُرَيرَةَ قال لو لمْ يبقَ من الدُّنيا إلاَّ يوماً لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتَّى يَلِيَ.

هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ بشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جعفرٍ أخبرنا شُعبةُ قال سمعتُ زيداً العميَّ قال سمعتُ أبا الصِّدِّيقِ النَّاجي يُحدِّثُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال:

- (خَشينا أنْ يكونَ بعدَ نَبيِّنا حدثٌ فسألْنَا نَبيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّ في أُمَّتي المهديِّ يَخرُجُ يعيشُ خمساً أو سبعاً أو تسعاً - زيد الشَّاكُّ - قال قُلنا وما ذاكَ قال (سنيَن قال فَيجيءُ إليهِ الرَّجلُ فيقولُ يا مهديُّ أعطني أعطني قال فَيَحْثي لهُ في ثوبِهِ ما استطاعَ أنْ يَحمِلَهُ).

هذا حديثٌ حسنٌ.

وقد رُوِيَ من غيرِ وجهٍ عن أبي سعيدٍ عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو الصِّدِّيقِ النَّاجيُّ اسمهُ بكرُ بنُ عمرو ويقالُ بكرُ بنُ قيسٍ.

- وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم، وقتل علي، وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه، أي لحيته من رأسه، وأنه قسيم النار، يدخل أولياؤه النار، فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة، وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض كفروه.

قلت: قال ابن كثير في البداية والنهاية

أخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل علي بن أبي طالب فكان كما أخبر.

...قال الإمام أحمد ثنا علي بن بحر ثنا عيسى بن يونس ثنا محمد بن إسحاق حدثني زيد بن محمد بن خيثم المحاربي عن محمد بن كعب بن خيثم عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي حين ولي غزوة العثيرة: يا أبا تراب- لما يرى عليه من التراب - ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال:

أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى يبل هذه يعني لحيته.

وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر عن محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة الأنصاري وكان أبوه من أهل بدر قال خرجت مع أبي عائدًا لعلي بن أبي طالب في مرض أصابه فقتل منه قال فقال أبي ما يقيمك بمنزلك هذا فلو أصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جهينة تحملك إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك فقال علي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي أن لا أموت حتى تخضب هذه يعني لحيته من دم هذه يعني هامته فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين.

وقال أبو داود الطيالسي ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب قال جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له اتق الله فإنك ميت فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه وأشار بيده إلى لحيته عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى.

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن اسلم عن أبي سنان المدركي عن علي في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وروى من حديث هيثم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي قال إن ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمة ستغدر بك بعدي ثم ساقه من طريق قطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمامي قال سمعت عليا يقول: إنه لعهد النبي الأمي إلي إن الأمة ستغدر بك بعدي.. قال البخاري ثعلبة هذا فيه نظر ولا يتابع على حديثه هذا.

وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الأجوب الأحوص بن خباب عن عمار بن زريق عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال قال علي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها فقال عبد الله بن سبيع والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأثرنا عشيرته فقال أنشدك بالله أن لا تقتل بي غير قاتلي قالوا يا أمير المؤمنين ألا تستخلف قال ولكن أتركك كما تركك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فما تقول لربك إذا تركتنا هملا قال أقول اللهم استخلفني فيهم ما بدا لك ثم قبضتني وتركتك فيهم فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم وهكذا روى البيهقي هذا وهو موقوف وفيه غرابة من حيث اللفظ ومن حيث المعنى ثم المشهور عن علي أنه لما طعنه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وهو خارج لصلاة الصبح عند السدة فبقي علي يومين من طعنته وحبس ابن ملجم الخارجي وأوصى علي إلى ابنه الحسن بن علي.. وأمره أن يركب في الجنود وقال له لا يجر علي كما تجر الجارية فلما مات

قتل عبد الرحمن بن ملجم قودًا وقيل حدا والله أعلم ثم ركب الحسين بن علي في الجنود وسار إلى معاوية.

- وقال: يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصاً،وأنهم يريدون خلعه،وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: (فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ)(البقرة ١٣٧).

قال ابن كثير في البداية والنهاية
* صفة قتل عثمان رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط حدثنا ابن علية ثا ابن عوف عن الحسن قال أنبأني رباب قال: بعثني عثمان فدعوت له الأشتر. فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بد. قال:ما هن؟ قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك فأن أبيت فإن القوم قاتلوك... فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، وأما أن اقتص لهم من نفسي فو الله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي، ولا تصلون بعدي جميعًا، ولا تقاتلون بعدي جميعًا عدوًا أبدًا... قال: وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلًا فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه.. فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك.. قال: اسل لحيتي يا ابن أخي. قال:فأنا رأيته استعدي رجلاً من القوم بعينه يعني أشار إليه فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه.. قلت: ثم مه؟ قال ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه..

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر وأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فبحأ بها في حلقه فقال مهلا يا ابن أخي فو الله لقد أخذت مأخذا ما كان أبوك ليأخذ به فتركه وانصرف مستحييا نادمًا فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلًا حتى غلبوه فدخلوا وخرج محمد راجعًا فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه فقطر دمه على المصحف حتى لطخه ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه وقالت: يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين وأخذت السيف فقطع الرجل يدها وانتهبوا متاع الدار ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم قال والله ما تركوا في داره شيئًا حتى الأقداح إلا ذهبوا به...

وروى الحافظ ابن عساكر أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه وليس فيهم أحد من

الصحابة ولا أبنائهم إلا محمد بن أبي بكر وسبقه بعضهم فضربوه حتى غشي عليه وصاح النسوة فانزعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل فلما رآه قد أفاق قال:على أي دين أنت يا نعثل؟ قال: على دين الإسلام، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين.. فقال: غيرت كتاب الله. فقال: كتاب الله بيني وبينكم. فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال: إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار وهو يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي... وجاء رجل من كندة من أهل مصر يلقب حمارا ويكنى بأبي رومان وقال قتادة أسمه رومان وقال غيره كان أزرق أشقر وقيل كان أسمه سودان بن رومان المرادي وعن ابن عمر قال كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتا قال ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله... وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها.ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت حلقه والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها.. فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد (وكان أمر الله قدرا مقدورًا) (وكان ذلك في الكتاب مسطورًا)...

وروى ابن عساكر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبيه وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خر لجنبه فقتله وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال أما ثلاث منهن فلله وست لما كان في صدري عليه.

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي وإسحاق بن داود الصواف التستري قالا ثنا محمد بن خالد بن خداش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن قال حدثني سياف عثمان أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال ارجع يا ابن أخي فلست بقاتلي قال وكيف علمت ذلك قال لأنه أتى بك النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال أنت قاتلي قال وما يدريك يا نعثل قال لأنه أتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعك ليحنكك ويدعو لك بالبركة فحربت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوثب على صدره وقبض على لحيته ووجأه بمشاقص كانت في يده هذا حديث غريب جدا وفيه نكارة وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى: (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضًا حين دخلوا عليه وليس ببعيد فأنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن.

J-وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً. وبمحاربة الزبير لعلي، وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه، وأنه يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كادت، فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة...

قلت: قال ابن كثير في البداية والنهاية.

...وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسماعيل ثنا قيس قال لما أقبلت عائشة يعني في مسيرها إلى وقعة الجمل وبلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب فقالت أي ماء هذا قالوا ماء الحوأب فقالت ما أظنني إلا راجعة فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب.

ورواه أبو نعيم بن حماد في الملاحم عن يزيد بن هارون عن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوأب فسمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني إلا راجعة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب.. فقال لها الزبير ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن عثمان بن كرامة ثنا عبيد الله بن موسى عن عصام بن قدامة البجلي عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأديب تسير حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير ثم قال لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد..

- وأن عماراً تقلته الفئة الباغية، فقتله أصحاب معاوية.

قلت: روى مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

*حدثني محمد بن عمرو بن جبلة. حدثنا محمد بن جعفر. ح وحدثنا عقبة بن مكرم العمي وأبو بكر بن نافع (قال عقبة: حدثنا. وقال أبو بكر: أخبرنا) غندر. حدثنا شعبة قال: سمعت خالدًا يحدث عن سعيد بن أبي الحسن، عن أمه، عن أم سلمة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار "تقتلك الفئة الباغية".

*وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تقتل عمارا الفئة الباغية".

- وقال لعبد الله بن الزبير: ويل للناس منك، وويل لك من الناس.

قلت: رواه الدارقطني في سننه، قال:حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا عَلِىُّ بْنُ مُجَاهِدٍ حَدَّثَنَا رَبَاحٌ النُّوبِىُّ أَبُو مُحَمَّدٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَمِعْتُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِى بَكْرٍتَقُولُ لِلْحَجَّاجِ إِنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم احْتَجَمَ فَدَفَعَ دَمَهُ إِلَى ابْنِى فَشَرِبَهُ فَأَتَاهُ

جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ.)). قَالَ كَرِهْتُ أَنْ أَصُبَّ دَمَكَ. فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « لاَ تَمَسَّكَ النَّارُ.)).وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: (وَيْلٌ لِلنَّاس مِنْكَ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ.)

-وقال في قزمان ـ و قد أبلى مع المسلمين: إنه من أهل النار... فقتل نفسه.

قلت: رواه البخاري في كتاب المغازي،

١-باب: الأعمال بالخواتيم، وما يخاف منها.

- حدثنا علي بن عيَّاش الألهاني الحمصي: حدثنا أبو غسان قال: حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم، فقال: (من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا). فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت، فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه، فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن العبد ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها)

٢-وفي باب: العمل بالخواتيم.

- حدثنا سعيد بن أبي مريم: حدثنا أبو غسان: حدثني أبو حازم، عن سهل:

أن رجلاً من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين، في غزوة غزاها مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من أحبَّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا). فاتَّبعه رجل من القوم، وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين، حتى جرح، فاستعجل الموت، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسرعاً، فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: (وما ذاك). قال: قلتَ لفلان: (من أحب أن ينظر إلى رجل من

أهل النار فلينظر إليه). وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، الأعمال بالخواتيم).
وأخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح

* عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الإسلام هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح فجاء رجل فقال يا رسول الله أرأيت الذي تحدثت أنه من أهل النار قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح فقال: "أما إنه من أهل النار" فكاد بعض الناس يرتاب فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فانتزع سهما فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان وقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".

-وقال ـ في جماعة فيهم أبو هريرة، وسمرة بن جندب، وحذيفة: آخركم موتاً في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض، فكان سمرة آخرهم موتاً، هرم وخرف، فاصطلى بالنار فاحترق فيها.
وقفة مع البيهقي في قصة سمرة بن جندب

باب ما روي في إخباره نفرا من أصحابه بأن آخرهم موتا في النار:

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي هريرة أن النبي قال لعشرة في بيت من أصحابه آخركم موتًا في النار فيهم سمرة بن جندب

قال أبو نضرة فكان سمرة آخرهم موتًا رواته ثقات إلا أن أبا نضرة العبدي لم يثبت له عن أبي هريرة سماع فالله أعلم وروي من وجه آخر موصولا عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا إسماعيل بن حكيم حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن حكيم الضبي قال كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء يسألني حتى يسألني عن سمرة فإذا أخبرته بحياته وصحته فرح فقال إنا

كنا عشرة في بيت وإن رسول الله قام فينا فنظر في وجوهنا وأخذ بعضادتي الباب ثم قال آخركم موتًا في النار.

فقد مات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره فليس شيء أحب إلي من أن أكون ذقت الموت

وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا حماد بن علي بن زيد عن أوس بن خالد قال كنت إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة وإذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فقلت لأبي محذورة مالك إذا قدمت عليك سألتني عن سمرة وإذا قدمت على سمرة سألني عنك فقال إني كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت فجاء النبي فقال: "آخركم موتًا في النار" فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم سمرة.

وروي من وجه أخر ذكر فيه عبد الله بن عمرو بدل أبي محذورة والأول أصح.

أخبرنا أبو طاهر الفقيه أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قال سمعت ابن طاووس وغيره يقولون قال النبي لأبي هريرة ولسمرة بن جندب ولرجل آخر آخركم موتا في النار فمات الرجل قبلهم وبقي أبو هريرة بالمدينة فكان إذا أراد الرجل أن يغيظ أبا هريرة يقول مات سمرة بن جندب يعني فإذا سمعه غشي عليه وصعق ومات أبو هريرة قبل سمرة فقتل سمرة بشرًا كثيرًا.

هذا مرسل وهو يؤكد ما قبله.

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا سليمان بن حرب حدثنا عامر بن أبي عامر قال كنا في مجلس يونس بن عبيد في أصحاب الخز فقالوا ما في الأرض بقعة نشفت من الدم ما نشفت هذه يعنون دار الإمارة قتل فيها سبعون ألفا فجاء يونس فقلت له يا أبا عبد الله يقولون كذا وكذا قال نعم من بين قتيل وقطيع قيل له ومن فعل ذلك يا أبا عبد الله قال زياد وابن زياد وسمرة قيل لم قال كان والله قدرا لم يكن عنها مرحل.

أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل ابن إسحاق قال حدثنا أبو عبد الله يريد أحمد بن حنبل حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث حدثنا أبو هلال حدثنا عبد الله بن صبيح عن محمد بن سيرين قال كان سمرة ما علمت عظيم الأمانة صدوق الحديث يحب الإسلام وأهله.

قلت بهذا وبصحبة رسول الله نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله.

وقد قال بعض أهل العلم إن سمرة مات في الحريق فصدق بذلك قول رسول الله ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ثم ينجو بإيمانه فيخرج منها بشفاعة الشافعين والله أعلم.

وبلغني عن هلال بن العلاء الرقي أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه أن سمرة استجمر فغفل عنه أهله حتى أخذته النار.

-وقال في حنظلة الغسيل: سلوا زوجته عنه، فإني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت: إنه خرج جنباً، وأعجله الحال عن الغسل. قال أبو سعيد رضي الله عنه: ووجدنا رأسه يقطر ماء .

قلت: قال ابن إسحاق وقد كان حنظلة بن أبي عمر التقي هو وأبو سفيان بن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود وكان يقال له ابن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله.

قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله قال: "إن صاحبكم لتغسله الملائكة" يعني حنظلة فسلوا أهله ما شأنه فسئلت صاحبته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة فقال رسول الله لذلك غسلته الملائكة".

-وقال: الخلافة في قريش. ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين.

قلت: أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن عتبة بن عبد.

(الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة والجهاد والهجرة في المسلمين والمهاجرين بعد).

*تخريج السيوطي: (حم.. طب).

*تحقيق الألباني: (صحيح).

-وقال: يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما: الحجاج، والمختار.

أبوابُ الفتن ب ابُ مَا جَاءَ في ثَقيفٍ كذَّابٌ ومبيرٌ.

- حَدَّثَنَا عَليٌّ بنُ حُجْرٍ أخبرنا الفضلُ بنُ موسى عن شَريكٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عُصمٍ عن ابنِ عمر قال: - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (في ثقيفٍ كذَّابٌ مبيرٌ).

وفي البابِ عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ.

- حَدَّثَنَا عبدُ الرَّحمَنِ بنُ واقدٍ أخبرنا شَريكٌ نحو هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من حديثِ ابنِ عمر لا نعرفهُ إلاَّ من حديثِ شَرِيكٍ. وشريكٌ يقولُ: عبدُ اللهِ بنُ عُصمٍ، وإسرائيلُ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عُصمَةَ ويقالُ الكذَّابُ المختارُ بنُ أبي عُبيدٍ والمُبيرُ الحجَّاجُ بنُ يُوسفَ

-وأن مسيلمة يعقره الله.

قلت: أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة،قال: أخبرنا محمد بن أحمد أنا أحمد بن موسى ثنا أحمد بن محمد بن زياد ثنا عبد الكريم بن الهيثم ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين ثنا نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنه قال قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريدة حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال له لو سألتني مثل هذه القطعة ما أعطيتكها ولن نعدوا أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله عز وجل وإني لأراك الذي رأيت فيك ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه قال عبد الله ابن عباس فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك أري الذي أريت فيه ما رأيت...

فأخبرنا أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينا أنا نائم أريت في يدي سوار من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة".

قال الإمام رحمه الله قوله ولن نعدوا أمر الله فيك أي لن نتجاوز وقوله ليعقرنك الله أي ليقتلنك الله ويهلكنك تعالى وقوله وإني لأراك الذي رأيت فيك ما رأيت أي رأيت في المنام فيك ما رأيت يعني ما ذكر من أمر السوارين ونفخهما فأما مسيلمة فقتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكان يدعي النبوة وأما العنسي فهو الأسود الكذاب تنبأ أيضا فقتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

-وإن فاطمة أول أهله لحوقاً به.

قلت: أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة،قال: أخبرنا أحمد بن موسى ثنا عبد الله بن جعفر ثنا أحمد بن يونس ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا أبي عن أبيه أن عروة

حدثه أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ابنته فاطمة في مرضه الذي توفي فيه فسارها فبكت ثم سارها فضحكت قالت عائشة فقلت لفاطمة ما هذا الذي سارك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكيت ثم سارك فضحكت قال سارني فأخبرني بموته فبكيت لذلك ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت...

-وأنذر بالردة، وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً، فكانت ذلك بمدة الحسن بن علي.

قلت: روى الترمذي في بَابُ مَا جَاءَ في الخِلافةِ، قال:

- حَدَّثَنَا أحمدُ بنُ منيعٍ أخبرنا سُريحُ بنُ النُّعمانِ أخبرنا حَشرَجُ بنُ نُباتة عن سعيدِ بن جُمهانَ قال حَدَّثَني سَفينةُ قال: - قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم: (الخلافةُ في أمَّتي ثلاثونَ سنَةً ثُمَّ ملكٌ بعدَ ذلكَ).

-وقال: إن هذا الأمر بدا نبوة ورحمة، ثم يكون رحمةً وخلافةً، ثم يكون ملكاً عضوضاً، ثم يكون عتواً وجبروتاً وفساداً في الأمة.

أخبرنا أبو بكر بن فورك رحمه الله أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جرير بن حازم عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ابن جبل عن النبي قال: إن الله بدأ هذه الأمة نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عزة وجبرية وفسادًا في الأمة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدًا حتى يلقوا الله عز وجل...

-وأخبر بشأن أويس القرني

قلت: روى مسلم في باب من فضائل أويس القرني، رضي الله عنه؛ قال:

** حدثني زهير بن حرب. حدثنا هاشم بن القاسم. حدثنا سليمان بن المغيرة. حدثني سعيد الجريري عن أبي نضرة، عن أسير بن جابر؛ أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر. وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس. فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل. فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال "إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس. لا يدع باليمن غير أم له. قد كان به بياض. فدعا الله فأذهبه عنه. إلا موضع الدينار أو الدرهم. فمن لقيه منكم فليستغفر لكم".

* حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى. قالا: حدثنا عفان بن مسلم. حدثنا حماد (وهو ابن سلمة) عن سعيد الجريري، بهذا الإسناد، عن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس. وله والدة. وكان به بياض. فمروه فليستغفر لكم".

* حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار (قال إسحاق: أخبرنا. وقال الآخران: حدثنا) - واللفظ لابن المثنى - حدثنا معاذ بن هشام. حدثني أبي عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس. فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن. كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بر. لو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل". فاستغفر لي. فاستغفر له. فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي. قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم. فوافق عمر. فسأله عن أويس. قال: تركته رث البيت قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن. كان به برص فبرأ منه. إلا موضع درهم. له والدة هو بها بر. لو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فأتى أويسا فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له. ففطن له الناس. فانطلق على وجهه. قال أسير: وكسوته بردة. فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة ؟
وقال البيهقي بعد ذكر ما رواه مسلم في شأن أويس

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا هدبة حدثنا مبارك بن فضالة حدثنا أبو الأصفر عن صعصعة بن معاوية وهو عم الأحنف أن عمر بن الخطاب قال حدثنا رسول الله: "أنه سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهبه عنه فيذهبه فيقول اللهم دع لي في جسدي منه ما أذكر به نعمك علي فيدع له في جسده ما يذكر به نعمة عليه فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليستغفر"...

حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا أبو نعيم حدثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لما كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب علي فيكم أويس

القرني قالوا نعم فضرب دابته حتى دخل معهم ثم قال سمعت رسول الله يقول خير التابعين أويس القرني.

*أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد الخذاء عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع رسول الله يقول: "يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني نعيم".

قال الثقفي وقال هشام بن حسان كان الحسن يقول إنه أويس القرني..

- وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها،

قلت: روى مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع، ونسخ التطبيق.

* حدثنا محمد بن العلاء الهمداني، أبو كريب. قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود وعلقمة. قالا: أتينا عبد الله بن مسعود في داره. فقال: أصلى هؤلاء خلفكم؟ فقلنا: لا. قال: فقوموا فصلوا. فلم يأمرنا بأذان ولا إقامة. قال وذهبنا لنقوم خلفه. فأخذ بأيدينا فجعل أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. قال فلما ركع وضعنا أيدينا على ركبنا. قال فضرب أيدينا وطبق بين كفيه. ثم أدخلهما بين فخذيه. قال فلما صلى قال: إنه ستكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها. ويخنقونها إلى شرق الموتى. فإذا رأيتموهم قد فعلوا ذلك، فصلوا الصلاة لميقاتها. واجعلوا صلاتكم معهم سبحة... وإذا كنتم ثلاثة فصلوا جميعا. وإذا كنتم أكثر من ذلك، فليؤمكم أحدكم. وإذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذيه. وليجنأ. وليطبق بين كفيه. فلكأني أنظر إلى اختلاف أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراهم.

وفي باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام:

حدثنا خلف بن هشام. حدثنا حماد بن زيد. ح قال وحدثني أبو الربيع الزهراني وأبو كامل الجحدري. قالا: حدثنا حماد عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر؛ قال:

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟" قال قلت: فما تأمرني؟ قال: "صل الصلاة لوقتها. فإن أدركتها معهم فصل. فإنها لك نافلة". ولم يذكر خلف: عن وقتها.

حدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر؛ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر! إنه سيكون بعدي أمراء يميتون الصلاة. فصل الصلاة لوقتها. فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة. وإلا كنت قد أحرزت صلاتك".

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عبد الله بن إدريس عن شعبة، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر؛ قال: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع. وإن كان عبدا مجدع الأطراف. وأن أصلي الصلاة لوقتها. "فإن أدركت القوم وقد صلوا كنت قد أحرزت صلاتك. وإلا كانت لك نافلة".

وحدثني يحيى بن حبيب الحارثي. حدثنا خالد بن الحارث. حدثنا شعبة عن بديل. قال: سمعت أبا العالية يحدث عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب فخذي "كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها؟" قال: قال: ما تأمر؟ قال: "صل الصلاة لوقتها. ثم اذهب لحاجتك. فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد، فصل".

وحدثني زهير بن حرب. حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب، عن أبي العالية البراء؛ قال: أخر ابن زياد الصلاة. فجاءني عبد الله بن الصامت. فألقيت له كرسيا. فجلس عليه. فذكرت له صنيع ابن زياد. فعض على شفته وضرب فخذي. وقال: إني سألت أبا ذر كما سألتني. فضرب فخذي كما ضربت فخذك. وقال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني. فضرب فخذي كما ضربت فخذك وقال: "صل الصلاة لوقتها. فإن أدركتك الصلاة معهم فصل. ولا تقل: إني قد صليت فلا أصلي".

وحدثنا عاصم بن النضر التيمي. حدثنا خالد بن الحارث. حدثنا شعبة عن أبي نعامة عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر؛ قال: قال "كيف أنتم" أو قال "كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها. فصل الصلاة لوقتها. ثم إن أقيمت الصلاة فصل معهم. فإنها زيادة خير".

وحدثني أبو غسان المسمعي. حدثنا معاذ (وهو ابن هشام) حدثني أبي عن مطر، عن أبي العالية البراء؛ قال قلت لعبد الله بن الصامت: نصلي يوم الجمعة خلف أمراء، فيؤخرون الصلاة. قال فضرب فخذي ضربة أوجعتني. وقال: سألت أبا ذر عن ذلك. فضرب فخذي. وقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. فقال: "صلوا الصلاة لوقتها واجعلوا. صلاتكم معهم نافلة". قال وقال عبد الله: ذكر لي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، وسيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة.

قلت: روى مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء.

*حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة (قال يحيى: أخبرنا. وقال أبو بكر: حدثنا) أبو الأحوص. ح وحدثنا أبو كامل الجحدري. حدثنا أبو عوانة. كلاهما عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن بين يدي الساعة كذابين".

وزاد في حديث أبي الأحوص: قال فقلت له: آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: نعم.

*وحدثني ابن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن سماك، بهذا الإسناد، مثله. قال سماك: وسمعت أخي يقول: قال جابر: فاحذروهم.

*حدثني زهير بن حرب وإسحاق بن منصور (قال إسحاق: أخبرنا. وقال زهير: حدثنا) عبد الرحمن - وهو ابن مهدي - عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين. كلهم يزعم أنه رسول الله".

*حدثنا محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بمثله. غير أنه قال: ينبعث

وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي والبيهقي، وقال الألباني في تحقيقه: (صحيح)

عن ثوبان.عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي عز وجل قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يفني بعضا وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله".

-وفي حديث آخر: ثلاثون دجالاً كذاباً، آخرهم الدجال الكذاب، كلهم يكذب على الله و رسوله.

قلت: أخرج السيوطي في الجامع الصغير...عن ابن عمر.أن رسول الله قال: "إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالًا كذابًا".

تخريج السيوطي: (حم) تحقيق الألباني: (صحيح).

-وقال: يوشك أن يكثر فيكم العجم، يأكلون فيئكم، ويضربون رقابكم. ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان.

قلت: روى البخاري في كتاب الفتن.باب: تغيير الزمان حتى تُعبد الأوثان؛ وفي كتاب المناقب.

* حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثني سليمان، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه).

وأخرج مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء.

*وحدثنا قتيبة بن سعيد. أخبرنا عبد العزيز (يعني ابن محمد) عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه".

*حدثنا محمد بن بشار العبدي. حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد، أبو بكر الحنفي. حدثنا عبد الحميد بن جعفر قال: سمعت عمر بن الحكم يحدث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال له الجهجاه".

قال ابن حجر عند شرح الحديث في كتاب المناقب

قوله لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان لم أقف على اسمه ولكن جوز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بلفظ لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له جهجاه أخرجه عقب حديث القحطاني قوله يسوق الناس بعصاه هو كناية عن الملك شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم وهذا الحديث يدخل في

علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم يقع بعد وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطاة بن المنذر أحد التابعين من أهل الشام أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي وأخرج أيضا من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مرفوعًا "يكون بعد المهدي القحطاني والذي بعثني بالحق ما هو دونه" وهذا الثاني مع كونه مرفوعًا ضعيف الإسناد والأول مع كونه موقوفًا أصلح إسنادًا منه فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى بن مريم لما تقدم أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين وفي رواية أرطاة بن المنذر أن القحطاني يعيش في الملك عشرين سنة واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه والأمر إنما هو لعيسى ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائبا عنه في أمور مهمة عامة وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

وقال عند شرح الحديث في كتاب الفتن:

قوله حدثنا عبد العزيز بن عبد الله هو الأويسي وسليمان هو بن بلال وثور هو بن زيد وأبو الغيث هو سالم والسند كله مدنيون قوله حتى يخرج رجل من قحطان تقدم شرحه في أوائل مناقب قريش قال القرطبي في التذكرة قوله يسوق الناس بعصاه كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له ولم يرد نفس العصا لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته عليهم وعسفه بهم قال وقد قيل انه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه قال ولعله جهجاه المذكور في الحديث الآخر وأصل الجهجاه الصياح وهي صفة تناسب ذكر العصا قلت ويرد هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان فظاهره انه من الأحرار وتقييده في جهجاه بأنه من الموالي ما تقدم انه يكون بعد المهدي وعلى سيرته وانه ليس دونه ثم وجدت في كتاب التيجان لابن هشام ما يعرف منه إن ثبت اسم القحطاني وسيرته وزمانه فذكر أن عمران بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا وانه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة إن بلادكم ستخرب وإن لله في أهل اليمن سخطتين ورحمتين فالسخطة الأولى هدم سد مأرب وتخرب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة على أرض اليمن والرحمة الأولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك والثانية إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا إيمان إلا بأرض اليمن انتهى...

-وقال: خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يأتي بعد كذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن.

قلت: رواه البخاري في كتاب الشهادات باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد..

*- حدثنا آدم: حدثنا شعبة: حدثنا أبو جمرة قال: سمعت زهدم بن مضرب قال: سمعت عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم). قال عمران: لا أدري، أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن).

*- حدثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله رضي الله عنه،عن النبي قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام: تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته).

قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد.

وفي كتاب فضائل الصحابة باب: فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنهم.

*- حدثنا إسحاق: حدثنا النضر: أخبرنا شعبة، عن أبي جمرة: سمعت زهدم بن مضرب: سمعت عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا - ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن).

* - حدثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته).

قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

*- وفي كتاب الرقاق. باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.حدثني محمد بن بشار:

*-حدثنا غندر محمد بن جعفر: حدثنا شُعبة قال: سمعت أبا حمزة قال: حدثني زهدم بن مضَّرب قال: سمعت عمران بن حصين رضي الله عنهما،

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فما أدري: قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله مرتين أو ثلاثاً - ثم

يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن).

* - حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم: تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم).

وفي كتاب الأيمان والنذور باب: إثم من لا يفي بالنذر.

*- حدثنا مسدد، عن يحيى، عن شعبة قال: حدثني أبو جمرة: حدثنا زهدم بن مضرِّب قال: سمعت عمران بن حصين يحدث،

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: لا أدري: ذكر ثنتين أو ثلاثاً بعد قرنه - ثم يجيء قوم، ينذرون ولا يفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن).

وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم

*-حدثنا قتيبة بن سعيد وهناد بن السري. قالا: حدثنا أبو الأحوص عن منصور، عن إبراهيم بن يزيد، عن عبيدة السلماني، عن عبدالله. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير أمتي القرن الذين يلوني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه. ويمينه شهادته" لم يذكر هناد القرن في حديثه. وقال قتيبة "ثم يجئ أقوام".

*- حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي (قال إسحاق: أخبرنا. وقال عثمان: حدثنا) جرير عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ قال "قرني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. ثم يجئ قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته". قال إبراهيم: كانوا ينهوننا، ونحن غلمان، عن العهد والشهادات.

*- وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة. ح وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا عبد الرحمن. حدثنا سفيان. كلاهما

عن منصور. بإسناد أبي الأحوص وجرير. بمعنى حديثهما. وليس في حديثهما: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

*- وحدثني الحسن بن علي الحلواني. حدثنا أزهر بن سعد السمان عن ابن عون، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "خير الناس قرني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم" فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال "ثم يتخلف من بعدهم خلف. تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته".

*- حدثني يعقوب بن إبراهيم. حدثنا هشيم عن أبي بشر. ح وحدثني إسماعيل بن سالم. أخبرنا هشيم. أخبرنا أبو بشر عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم. ثم الذين يلونهم". والله أعلم أذكر الثالث أم لا. قال "ثم يخلف قوم يحبون السمانة. يشهدون قبل أن يستشهدوا".

*- حدثنا محمد بن بشار. حدثنا محمد بن جعفر. ح وحدثني أبو بكر بن نافع. حدثنا غندر عن شعبة. ح وحدثني حجاج بن الشاعر. حدثنا أبو الوليد. حدثنا أبو عوانة كلاهما عن أبي بشر، بهذا الإسناد، مثله. غير أن في حديث شعبة: قال أبو هريرة: فلا أدري مرتين أو ثلاثة.

*- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن المثنى وابن بشار. جميعا عن غندر. قال ابن المثنى: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة. سمعت أبا جمرة. حدثني زهدم بن مضرب. سمعت عمران بن حصين يحدث؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن خيركم قرني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم". قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه، مرتين أو ثلاثة. "ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون. ويخونون ولا يتمنون. وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن".

*- حدثني محمد بن حاتم. حدثنا يحيى بن سعيد. ح وحدثنا عبد الرحمن بن بشر العبدي. حدثنا بهز. ح وحدثني محمد بن رافع. حدثنا شبابة. كلهم عن شعبة، بهذا الإسناد. وفي حديثهم: قال: لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. وفي حديث شبابة قال: سمعت زهدم بن مضرب، وجاءني في حاجة على فرس، فحدثني؛ أنه سمع عمران بن حصين. وفي حديث يحيى وشبابة "ينذرون ولا يفون". وفي حديث بهز "يوفون" كما قال ابن جعفر.

*- وحدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبد الملك الأموي. قالا: حدثنا أبو عوانة. ح وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا معاذ بن هشام. حدثنا أبي. كلاهما عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

بهذا الحديث "خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم. ثم الذين يلونهم". زاد في حديث أبي عوانة قال: والله أعلم. أذكر الثالث أم لا. بمثل حديث زهدم عن عمران. وزاد في حديث هشام عن قتادة "ويحلفون ولا يستحلفون".

*- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وشجاع بن مخلد (واللفظ لأبي بكر) قالا: حدثنا حسين (وهو ابن علي الجعفي) عن زائدة، عن السدي، عن عبد الله البهي، عن عائشة. قالت:

سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ قال "القرن الذي أنا فيه. ثم الثاني. ثم الثالث".

-وقال: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه.

قلت: أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه.

- - حدثنا محمد بن يوسف: حدثنا سفيان، عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم

- ورواه الترمذي في أبوابُ الفتنِ بَابُ مَا جَاءَ في أشرَاطِ السَّاعةِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ بشَّارٍ أخبرنا يحيى بنُ سعيدٍ عن سُفيانَ الثَّوريِّ عن الزُّبيرِ بن عَديٍّ قال: - دَخلنا على أنسِ بنِ مالكٍ قال فَشَكونَا إليهِ ما نَلقَى من الحجَّاجِ فقال (ما منْ عامٍ إلاَّ والَّذي بعدهُ شرٌّ منهُ حتَّى تَلقَوا رَبَّكم). سمعتُ هذا من نبيِّكم صلى الله عليه وسلم.

هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى أحمد والبخاري والبيهقي من رواية أنس. ومتنه: "لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم".

قال الألباني في صحيح الجامع: (صحيح)

-وقال: هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش.قال أبو هريرة راويه: لو شئت سميتهم لكم: بنو فلان وبنو فلان.

قلت: رواه البخاري في كتاب الفتن باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء).

*- حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: (هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش). فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم؟ قلنا: أنت أعلم.

وفي كتاب المناقب باب: علامات النبوة في الإسلام.حدثني محمد بن عبد الرحيم: حدثنا أبو معمر إسماعيل ابن إبراهيم: حدثنا أبو أسامة: حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يهلك الناس هذا الحي من قريش). قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (لو أن الناس اعتزلوهم).

قال محمود: حدثنا أبو داود: أخبرنا شعبة، عن أبي التياح: سمعت أبا زرعة.

* - حدثنا أحمد بن محمد المكي: حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي، عن جده قال: كنت مع مروان وأبي هريرة، فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: (هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش). فقال مروان: غلمة؟ قال أبو هريرة: إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان.

وأخبر بظهور القدرية و الرافضة.وسب آخر هذه الأمة أولها.وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة. وأنهم سيقلون بعده أثرةً.

-وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم، والمخدج الذي فيهم، وأن سيماهم التحليق.

-و يُرى رعاء الغنم رؤوس الناس، و العراة الحفاة يتبارون في البنيان. وأن تلد الأمة ربتها.

مسلم في كتاب الإيمان باب الإسلام والإيمان والإحسان... وهو طرف من حديث جبريل، من رواية عبد الله بن عمر، عن أبيه رضي الله عنهما.

* قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: "أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء

الشاء، يتطاولون في البنيان". قال ثم انطلق. فلبثت مليا. ثم قال لي: "يا عمر! أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

ومن رواية أبي هريرة رضي الله عنه

١-". قال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ولكن سأحدثك عن أشرا طها إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها. وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها. وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها. في خمس لا يعلمهن إلا الله" ثم تلا صلى الله عليه وسلم: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري بأي أرض تموت إن الله عليم خبير}. [٣١- سورة لقمان، آية ٣٤]

قال ثم أدبر الرجل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ردوا على الرجل" فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هذا جبريل. جاء ليعلم الناس دينهم

٢- قال: يا رسول الله! متى تقوم الساعة؟ قال" ما المسئول عنها بأعلم من السائل. وسأحدثك عن أشراطها. إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها. وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها. وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها. في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله. ثم قرأ: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير}. [٣١/ سورة لقمان، آية ٣٤]

قال ثم قام الرجل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ردوه على" فالتمس فلم يجدوه. فقال رسول الله :هذا جبريل. جاء ليعلم الناس دينهم.
وأخرجه أبو داود في سننه، باب القدر

قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان" قال: ثم انطلق فلبثت ثلاثاً، ثم قال: "يا عمر، هل تدري من السائل؟" قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".
والنسائي في سننه باب نعت الإسلام:

من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

...قال فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل، قال: فأخبرني عن إماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال عمر: فلبثت ثلاثا ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر، هل تدري من السائل قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل عليه السلام، أتاكم ليعلمكم أمر دينكم

ومن رواية أبي ذر رضي الله عنه: قال: يا محمد، أخبرني متى الساعة؟ قال: فنكس فلم يجبه شيئًا، ثم أعاد فلم يجبه شيئا، ثم أعاد فلم يجبه شيئا، ورفع رأسه فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها علامات تعرف بها إذا رأيت الرعاء البهم يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض ورأيت المرأة تلد ربها، خمس لا يعلمها إلا الله {إن الله عنده علم الساعة } إلى قوله {إن الله عليم خبير} ثم قال: لا، والذي بعث محمدا بالحق هاديا وبشيرا، ما كنت أعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل عليه السلام نزل في صورة دحية الكلبي.

-وأن قريشاً والأحزاب لا يغزونه أبداً، وأنه هو يغزوهم.

قلت: رواه البخاري في كتاب المغازي - باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب

١- حدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (نغزوهم ولا يغزوننا).

٢- حدثني عبد الله بن محمد: حدثنا يحيى بن آدم: حدثنا إسرائيل: سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت سليمان بن صرد يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:، حين أجلى الأحزاب عنه: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نخن نسير إليهم).
وقال البيهقي في دلائل النبوة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس عن ابن إسحاق قال فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا: "لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزوهم فلم تغزوهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة"...

-أخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس.

قلت: رواه البخاري في أبواب الجزية والموادعة باب: ما يحذر من الغدر.

وقوله تعالى: {وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله} الآية /الأنفال: ٦٢/.

- حدثنا الحميدي: حدثنا الوليد بن مسلم: حدثنا عبد الله بن العلاء ابن زبر قال: سمعت بسر بن عبيد الله: أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك قال: أتيت النبيصلى الله عليه وسلمفي غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال: (اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا).

-ما وعد من سكنى البصرة، وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسراة...

-وأن الدين لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس.

قلت: روى البخاري في كتاب التفسير باب: قوله: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم}

وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله.

*- حدثني عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم}. قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان، ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال، أو رجل، من هؤلاء).

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب: حدثنا عبد العزيز: أخبرني ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لناله رجال من هؤلاء).

و مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضل فارس

* حدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد (قال عبد: أخبرنا. وقال ابن رافع: حدثنا) عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن جعفر الجزري، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أو قال - من أبناء فارس. حتى يتناوله".

* حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا عبد العزيز (يعني ابن محمد) عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم. إذ نزلت عليه سورة الجمعة. فلما قرأ: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم} قال رجل: من هؤلاء؟ يا رسول

الله! فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم. حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا. قال وفينا سلمان الفارسي. قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان، ثم قال: "لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء".

وهاجت ريح في غزاة، فقال: هاجت لموت منافق، فلما رجعوا إلى ا لمدينة وجدوا ذلك.

قلت: رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم

حدثني أبو كريب، محمد بن العلاء. حدثنا حفص (يعني ابن غياث) عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر. فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب. فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعثت هذه الريح لموت منافق" فلما قدم المدينة، فإذا منافق عظيم، من المنافقين، قد مات.

-قال لقوم من جلسائه: ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد.

قال أبو هريرة: فذهب القوم - يعني ماتوا، و بقيت أنا ورجل، فقتل مرتداً يوم اليمامة.

قلت:روى مسلم، والترمذي ،وأحمد،والحاكم حديث أبي هريرة ؛ وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى البزار من رواية ثوبان، لكن فيه "ضرس الكافر"
مسلم

*حدثني سريج بن يونس. حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح، عن هارون بن سعد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد. وغلظ جلده مسيرة ثلاث".
الترمذي
* باب ما جاء في عظم أهل النار

١- حدثنا علي بن حجر، أخبرنا محمد بن عمار حدثني جدي محمد بن عمار وصالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة "، قوله مثل الربذة يعنى به كما بين المدينة والربذة. والبيضاء جبل. هذا حديث حسن غريب.

٢-حدثنا أبو كريب، أخبرنا مصعب بن المقدام، عن فضيل ابن غزوان عن أبي حازم، عن أبي هريرة رفعه قال:- "ضرس الكافر مثل أحد". هذا حديث حسن. وأبو حازم هو الأشجعي واسمه سلمان مولى عزة الأشجعية.

٣-حدثنا العباس بن محمد الدوري، أخبرنا عبيد اللّه بن موسى، أخبرنا شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال:- "أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعين ذراعًا، وأن ضرسه مثل أحد، وأن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة". هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الأعمش.
أحمد

*حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد إلى مكة وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار".
الحاكم

١-أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل ثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا عضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على ذكر ضرس الكافر فقط...

٢-حدثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق أنبأ محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله بن موسى أنبأ شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار وضرسه مثل أحد ".

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قال الشيخ أبو بكر رضى الله تعالى عنه معنى قوله بذراع الجبار أي جبار من جبابرة الآدميين ممن كان في القرون الأولى ممن كان أعظم خلقًا وأطول أعضاء وذراعًا من الناس.

٣-حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو عن الحارث عن أبي هلال عن سعيد بن أبي سعيد المقبري أنه سمع أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول: إن ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ورأسه مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان وغلظ جلده سبعون ذراعًا وإن مجلسه في النار كما بين

المدينة والربذة، قال أبو هريرة وكان يقال بطنه مثل بطن أضم. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لتوقيفه على أبي هريرة رضى الله تعالى عنه...
* السيوطي

...عن ثوبان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعا بذراع الجبار".

تخريج السيوطي: (البزار).

تحقيق الألباني: (صحيح) .

-وأعلم بالذي غل خرزاً من خرز يهود، فوجدت في رحله. وبالذي غل الشملة، وحيث هي.

قلت:أخرج البيهقي في دلائل النبوة،قال:

باب ما جاء في الرجل الذي كان قد غل في سبيل الله عز وجل وإخبار النبي بذلك

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد وبشر بن المفضل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني أن رجل من أصحاب النبي توفي يوم خيبر فذكروا لرسول الله فقال: "صلوا على صاحبكم" فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله قال: إن صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزًا من خرز اليهود لا يساوي درهمين.

وروى البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر:

حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا معاوية بن عمرو: حدثنا أبو إسحاق، عن مالك بن أنس قال: حدثني ثور قال: حدثني سالم مولى بن مطيع: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: افتتحنا خيبر، ولم نغنم ذهبا أو فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى، ومعه عبد له يقال له مدعم، أهداه له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر، حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئا له الشهادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارًا) فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم بشراك أو بشراكين، فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (شراك، - أو شراكان - من نار).

وناقته حين ضلت، وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب سبب تسمية غزوة تبوك بالعسرة وما ظهر بدعاء النبي في بقية الأزواد وفي الماء وإخباره عن قول المنافقين في غيبته ثم بموضع ناقته من آثار النبوة.

... ثم إن رسول الله سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج بعض أصحابه في طلبها وعند رسول الله عمارة بن حزم الأنصاري وكان في رحلة زيد وكان منافقاً فقال زيد ليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أمر ناقته فقال رسول الله وعمارة بن حزم عنده: "إن رجلاً قال هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها هي في الوادي قد حبستها الشجرة بزمامها فانطلقوا" فجاءوا بها فرجع عمارة إلى رحله فحدثهم عما جاء رسول الله من خبر الرجل فقال رجل ممن كان في رحل عمارة إنما قال زيد والله هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول أن في رحلي لداهية وما أدري اخرج عني يا عدو الله فلا تصحبني فقال بعض الناس إن زيداً تاب وقال بعض الناس لم يزل مصراً حتى هلك.

*وقال

باب غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع وما ظهر فيها من آثار النبوة

...وفقدت راحلة رسول الله من بين الإبل فسعى لها الرجال يلتمسونها فقال رجل من المنافقين كان في رفقة من الأنصار أين يسعى هؤلاء قال أصحابه يلتمسون راحلة رسول الله حلت وفي رواية عروة ضلت فقال المنافق أفلا يحدثه الله بمكان راحلته فأنكر عليه أصحابه ما قال وقالوا قاتلك الله نافقت فلم خرجت وهذا في نفسك قال خرجت لأصيب عرضا من الدنيا ولعمري إن محمدًا ليحدثنا ما هو أعظم من شأن الناقة فسبه أصحابه وقالوا والله ما نكون منك بسبيل ولو علمنا أن هذا في نفسك ما صحبتنا ساعة فمكث المنافق شيئا ثم قام وتركهم فعمد لرسول الله يسمع الحديث فوجد الله قد حدثه حديثه فقال رسول الله والمنافق يسمع: "إن رجلا من المنافقين شمت أن حلت أو ضلت ناقة رسول الله وقال أفلا يحدثه الله بمكان ناقته وإن الله عز وجل قد أخبرني بمكانها ولا يعلم الغيب إلا الله وهي في الشعب المقابل لكم وقد تعلق زمامها بشجرة" فعمدوا إليها فجاؤوا بها وأقبل المنافق سريعا حتى أتى النفر الذين قال عندهم ما قال فإذا هم جلوس مكانهم لم يقم منهم أحد من مجلسه فقال أنشدكم بالله هل أتى أحد منكم محمدًا فأخبره بالذي قلت قالوا اللهم لا ولا قمنا من مجلسنا هذا بعد قال فإني وجدت عند القوم حديثي وقال والله لكأني لم أسلم إلا اليوم وإن كنت لفي شك من شأنه

فأشهد أنه رسول الله قال أصحابه فاذهب إلى رسول الله فليستغفر لك فزعموا أنه ذهب إلى رسول الله فاعترف بذنبه واستغفر له رسول الله.. يزعمون أنه ابن اللصيب وفي رواية عروة بن اللصيت أو ابن اللصيت ولم يزل زعموا فشلا حتى مات...

-وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة.
وقفة مع الشيخين وقصة حاطب بن أبي بلتعة:
البخاري في كتاب المغازي

١-باب: فضل من شهد بدرا.

حدثني إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا عبد الله بن إدريس قال: سمعت حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي،عن علي رضي الله عنه قال: بعثني الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام، وكلنا فارس، قال: (انطلقوا حتى تأتو روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين). فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما حملك على ما صنعت). قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق، ولا تقولوا له إلا خيرًا). فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال: (أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم). فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

----

٢٩. ١٠- القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(١٠)

الفصل الرابع والعشرون:
في عصمة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من النـــاس.
* قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة: ٦٧)
-وقال تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) (الطور: ٤٨)
-وقال: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٣٦).

وقيل: بكاف محمداً صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين. و قيل غير هذا.
وقال تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر: ٩٥).
وقال: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال: ٣٠).
-أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه، والفقيه الحافظ أبو بكر محمد عبد الله المعافري قالا: حدثنا أبو الحسن الصيرفي، قال: حدثنا أبو يعلى البغدادي، حدثنا أبو علي السنجي، حدثنا أبو العباس المروزي، حدثنا أبو عيسى الحافظ، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث بن عبيد، عن سعيد الجريري، عن عبد الله بن شفيق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) - فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال لهم: "يا أيها الناس، انصرفوا، فقد عصمني ربي عز وجل".
قلت: رواه الترمذي في سننه، قال:
حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي: صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية {والله يعصمك من الناس} فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم: "يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله".. حدثنا نصر بن علي حدثنا مسلم بن إبراهيم بهذا الإسناد نحوه؛ قال أبو عيسى هذا حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة
وقال الشيخ الألباني: حسن، وأخرجه في السلسلة الصحيحة.
-وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: الله عز وجل.. فرعدت يد الأعرابي، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فنزلت الآية.
قلت:متفق عليه.
- رواه البخاري في كتاب المغازي، قال:
حدثنا أبو اليمان: حدثنا شعيب، عن الزهري قال: حدثني سنان وأبو سلمة: أن جابرا أخبر: أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد.
حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي، عن سليمان، عن محمد بن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره: أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العصاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في

يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس). ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-و مسلم في كتاب الفضائل

حدثنا عبد بن حميد. أخبرنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر. ح وحدثني أبو عمران، محمد بن جعفر بن زياد (واللفظ له). أخبرنا إبراهيم (يعني ابن سعد) عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، عن جابر بن عبد الله. قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد. فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة. فعلق سيفه بغصن من أغصانها. قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن رجلا أتاني وأنا نائم. فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي. فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده. فقال لي: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله. ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله... قال فشام السيف. فها هو ذا جالس". ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وأبو بكر بن إسحاق. قالا: أخبرنا أبو اليمان. أخبرنا شعيب عن الزهري. حدثني سنان بن أبي سنان الدؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن؛ أن جابر بن عبد الله الأنصاري، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أخبرهما؛ أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد. فلما قفل النبي صلى الله عليه وسلم قفل معه. فأدركتهم القائلة يومًا. ثم ذكر نحو حديث إبراهيم بن سعد ومعمر.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عفان. حدثنا أبان بن يزيد. حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن جابر. قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى إذا كنا بذات الرقاع. بمعنى حديث الزهري. ولم يذكر: ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وقد رويت هذه القصة في الصحيح، وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه، وقال: جئتكم من عند خير الناس.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب عصمة الله عز وجل رسوله عما هم به غورث بن الحارث من قتله وكيفية صلاته في الخوف:

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد قال أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار قال حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر أن النبي نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها وعلق النبي سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فاستل السيف ثم أقبل إلى النبي فقال: من يحول بيني وبينك؟ فقال النبي: الله. من يهزمك مني؟ حتى قالها ثلاثًا والنبي يقول: الله، قال فشام الأعرابي السيف وجاء فجلس عند النبي فدعا النبي أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه...

قال وكان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر أن قوما من العرب أرادوا أن يفتكوا بالنبي فأرسلوا هذا الأعرابي ويتلو (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المائدة: ١١).

رواه البخاري في الصحيح عن محمود

ورواه مسلم عن عبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق دون قول قتادة

قال البخاري وقال إبان حدثنا يحيى بن أبي كثير فذكر الحديث الذي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا عبد الله بن محمد الكعبي قال حدثنا إسماعيل بن قتيبة قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عفان قال حدثنا أبان قال حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله حتى إذا كنا بذات الرقاع قال كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله قال فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله فاخترطه فقال لرسول الله: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك. قال فتهدده أصحاب رسول الله فأغمد السيف وعلقه قال فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله أربع ركعات وللقوم ركعتان. رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة.

قال البخاري قال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر اسم الرجل غورث بن الحارث وقاتل فيها محارب خصفة.

أخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب قال حدثنا محمد بن معاذ قال حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل عارم (ح).

وأخبرنا أبو عمرو الأديب قال أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي قال أخبرنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا عاصم هو ابن علي قالا حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال قاتل رسول الله محارب خصفة بنخل فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله قال فسقط السيف من يده قال فأخذ رسول الله السيف فقال: من يمنعك مني؟ قال كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله. قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال جئتكم من عند خير الناس... ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى أربع ركعات لكل طائفة ركعتين هذا لفظ حديث عاصم.. وفي رواية عارم قال الأعرابي أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله يعني عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس..

ـ وقد حكيت مثل هذه الحكاية، وأنها جرت له يوم بدر، وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقين... و ذكر مثله.

ـ وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر، مع رجل اسمه دعثور بن الحارث، وأن الرجل أسلم، فلما رجع إلى قومه الذين أغروه ـ وكان سيدهم وأشجعهم ـ قالوا له: أين ما كنت تقول، وقد أمكنك؟ فقال: إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري، فوقعت لظهري، وسقط السيف، فعرفت أنه ملك، وأسلمت.

قلت: قال البيهقي في دلائل النبوة قال:

قال الواقدي حدثني محمد بن زياد بن أبي هنيدة قال أخبرنا زيد ابن أبي عتاب قال الواقدي وأخبرنا الضحاك بن عثمان قال وحدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر عن عبد الله بن أبي بكر وزاد بعضهم على بعض في الحديث وغيرهم قد حدثني أيضا قالوا بلغ رسول الله أن جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله معهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحارث بن محارب فندب رسول الله المسلمين فخرج في أربعمائة رجل وخمسين رجلاً ومعهم أفراس فذكر الحديث في مسيره إلى أن قال وهربت منه الأعراب فوق ذرى من الجبال ونزل رسول الله ذا أمر وعسكر به فأصابهم مطر كثير فذهب رسول الله لحاجته فأصابه ذلك المطر فبل ثوبه وقد جعل رسول الله وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله فقالت الأعراب لدعثور وكان سيدها وأشجعها قد أمكنك محمد وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوث بأصحابه لم يغث حتى تقتله فاختار سيفا من سيوفهم صارمًا ثم أقبل مشتملًا على السيف حتى قام على رأس رسول الله بالسيف مشهورًا فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله عز وجل، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله وقام على رأسه فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لا أكثر عليك جمعًا أبدًا. فأعطاه رسول الله سيفه ثم أدبر ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني، قال رسول الله: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك رأيي ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمدًا رسول الله والله لا أكثر عليه وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) الآية قال وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان..

كذا قال الواقدي وقد روي في غزوة ذات الرقاع قصة أخرى في الأعرابي الذي قام على رأسه بالسيف وقال من يمنعك مني فإن كان الواقدي قد حفظ ما ذكر في هذه الغزوة فكأنهما قصتان والله أعلم..

وفيه نزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المائدة: ١١).

قلت: قال القرطبي:

قال جماعة: نزلت بسبب فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع حين اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يعصمك مني يا محمد؟.. وفي البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فاجتمعوا وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه. وذكر الواقدي وابن أبي حاتم أنه أسلم. وذكر قوم أنه ضرب برأسه في ساق شجرة حتى مات. وفي البخاري في غزوة ذات الرقاع أن اسم الرجل غورث بن الحارث (بالغين منقوطة مفتوحة وسكون الواو بعدها راء وثاء مثلثة) وقد

ضم بعضهم الغين، والأول صح. وذكر أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي أن اسمه دعثور بن الحارث، وذكر أنه أسلم كما تقدم. وذكر محمد بن إسحاق أن اسمه عمرو بن جحاش وهو أخو بني النضير. وذكر بعضهم أن قصة عمرو بن جحاش في غير هذه القصة. والله أعلم. وقال قتادة ومجاهد وغيرهما: نزلت في قوم من اليهود جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية فهموا بقتله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منهم. قال القشيري: وقد تنزل الآية في قصة ثم ينزل ذكرها مرة أخرى لادكار ما سبق. "أن يبسطوا إليكم أيديهم" أي بالسوء. "فكف أيديهم عنكم" أي منعهم.

-وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضياً سيفه، فقال: اللهم اكفنيه بما شئت، فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده. الزلخة: وجع الظهر. وقيل في قصته غير هذا، وذكر فيه نزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المائدة: ١١).

قلت: قال القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى:(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء ١٠٢).

قيل: نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم يوم بطن نخلة لما انهزم المشركون وغنم المسلمون؛ وذلك أنه كان يومًا مطيرًا وخرج النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجته واضعًا سلاحه، فرآه الكفار منقطعًا عن أصحابه فقصده غورث بن الحارث فانحدر عليه من الجبل بسيفه، فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال: (الله) ثم قال: (اللهم اكفني الغورث بما شئت). فأهوى بالسيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه، فانكب لوجهه لزلقة زلقها. وذكر الواقدي أن جبريل عليه السلام دفعه في صدره ...، وسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (من يمنعك مني يا غورث)؟ فقال: لا أحد. فقال: (تشهد لي بالحق وأعطيك سيفك)؟ قال: لا؛ ولكن أشهد ألا أقاتلك بعد هذا ولا أعين عليك عدوًا؛ فدفع إليه السيف.

-وقيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشاً، فلما نزلت هذه الآية استلقى، ثم قال: من شاء فليخذلني.

-وذكر عبد بن حميد، قال: كانت حمالة الحطب تضع العضاه ـ وهي جمر ـ على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيباً أهيل.

-وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (المسد: ١)، وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم ـ أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر، وفي يدها فهر من الحجارة. فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر، وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه.

قلت " قال القرطبي عند تفسيره لسورة المسد:

قوله تعالى: "تبت يدا أبي لهب" في الصحيحين وغيرهما (واللفظ لمسلم) عن ابن عباس قال: لما نزلت "وأنذر عشيرتك الأقربين" [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا محمد. فاجتمعوا إليه. فقال: (يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب) فاجتمعوا إليه. فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي)؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: تبا لك، أوما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: "تبت يدا أبي لهب وقد تب" كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة. زاد الحميدي وغيره: فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر. فقالت: يا أبا بكر، إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، والله إني لشاعرة: مذممًا عصينا***وأمره أبينا***ودينه قلينا، ثم انصرفت. فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: (ما رأتني، لقد أخذ الله بصرها عني). وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذممًا؛ يسبونه، وكان يقول: (ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش، يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد).

وقال البيهقي في دلائل النبوة:

باب قول الله عز وجل (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا) وما جاء في تحقيق ذلك:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه قال أخبرنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان قال حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا.. والنبي جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. قال النبي: "إنها لن تراني"، وقرأ قرآنًا فاعتصم به كما قال وقرأ (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا) فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فولت وهي تقول قد علمت قريش أني ابنة سيدها...

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين قال حدثنا منجاب هو ابن الحارث قال حدثنا ابن مسهر عن سعيد بن كثير عن أبيه قال حدثتني أسماء بنت أبي بكر أن أم جميل دخلت على أبي بكر وعنده رسول الله فقالت يا ابن أبي قحافة ما شأن صاحبك ينشد في الشعر فقال والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر فقالت: أليس قد قال في جيدها حبل من مسد فما يدريه ما في جيدي فقال النبي: "قل لها ترين عندي أحدا

فإنها لن تراني" قال جعل بيني وبينها حجاب، فسألها أبو بكر فقالت: أتهزأ بي يا ابن أبي قحافة والله ما أرى عندك أحدًا..

-وعن الحكم بن أبي العاصي: تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتاً خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد، فوقعنا مغشياً علينا، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله.

ثم تواعدنا ليلة أخرى، فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة، فحالت بيننا وبينه.

-وعن عمر رضي الله عنه: تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئنا منزله، فسمعنا له، فافتتح وقرأ: (الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ *(الحاقة.).

فضرب أبو جهم على عضد عمر، وقال: انجُ،وفرا هاربين، فكانت من مقدمات إسلام عمر رضي الله عنه.

-ومنه العبرة المشهورة، والكفاية التامة عندما أخافته قريش، وأجمعت على قتله وبيتوه، فخرج عليهم من بيته، فقام على رؤوسهم، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم، وذر الترابَ على رؤوسهم، وخلص منهم.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن محبور الدهان قال أخبرنا الحسين بن محمد بن هارون قال أخبرنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد قال حدثنا يوسف بن بلال قال حدثنا محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل (وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا) قال كفار قريش سدا غطاء فأغشيناهم يقول ألبسنا أبصارهم وغشيناهم...

وقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس عن ابن إسحاق قال وأقام رسول الله ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه دعا رسول الله علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رؤوسهم وأخذ الله عز وجل بأبصارهم عن نبيه وهو يقرأ (يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ *) وروي عن عكرمة ما يؤكد هذا...

-وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات، ومن العنكبوت الذي نسج عليه، حتى قال أمية بن خلف ـ حين قالوا: تدخل الغار: ما أربكم فيه، وعليه من نسج

العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد. ووقفت حمامتان على فم الغار، فقالت قريش: لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام.
قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة، قال:
أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي ببغداد قال حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البري قال حدثنا مسلم بن إبراهيم ح وأخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي وأبو صادق محمد بن أحمد العطار قال حدثنا أبو العباس الأصم قال حدثنا محمد بن علي الوراق قال حدثنا مسلم قال حدثنا عون بن عمرو القيسي قال: سمعت أبا مصعب المكي قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبي ليلة الغار أمر الله عز وجل بشجرة فنبتت في وجه النبي فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي فسترته وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وهراويهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبي بقدر أربعين ذراعًا فجعل رجل منهم لينظر في الغار فرأى حمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له ما لك لم تنظر في الغار فقال رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ما قال فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنه بهما فدعاهن النبي فسمت عليهن وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم..
-وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة، وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل، فأنذر به، فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فساخت قوائم فرسه، فخر عنها، واستقسم بالأزلام، فخرج له ما يكره. ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا يلفت، وأبو بكر رضي الله عنه يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أتينا. فقال: لا تحزن إن الله معنا، فساخت ثانية إلى ركبتها وخر عنها، فزجرها فنهضت ولقوئمها مثل الدخان، فناداهم بالأمان، فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أماناً، كتبه ابن فهيرة، وقيل أبو بكر، وأخبرهم بالأخبار، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحداً يلحق بهم. فانصرف يقول للناس: كفيتم ما ها هنا. وقيل: بل قال لهما: أراكما دعوتما علي، فادعوا لي. فنجا، ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
قلت: قال أبو نعيم في دلائل النبوة:
ثم قلت قد نال الرحيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذا الطلب قلد لحقنا يا رسول الله فقال: "لا تحزن إن الله معنا" فلما دنا منا فكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة قلت هذا الطلب يا رسول الله قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت أما والله ما على نفسي أبكي يا رسول الله ولكن أبكي عليك فقال رسول الله: "اللهم اكفناه بما شئت" فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها ثم قال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فو الله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي خذ سهما منها فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حاجة لنا في إبلك"... فانطلق راجعا إلى أصحابه.

قال الإمام رحمه الله الرحل للناقة بمنزلة السرج للفرس أظهرنا دخلنا في وقت الظهر وقائم الظهر وقت الزوال أنفض ما حولي أي أنظر هل أرى أحد اعتقل شاة أي أمسك رجلها وكثبة من لبن أي كثرة رويت ملأت هذا الطلب أي الطالب يقع على الواحد والجمع فساخت فرسه أي دخل يداها ورجلاها في الأرض لأعمين لأخفين..

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك ابن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها فقربت بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصبت الأزلام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها فأهويت ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت الأزلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرداني ولم يسألاني إلا أن قالا أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيره فكتب لي رقعة من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذي يكره لا يضره حتى ناداهم بالأمان وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكتب لي كتابا في عظم أو رقعة أو خرقة وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف فقال له يوم وفاء وبر أدنه فدنوت منه وأسلمت قال ابن هشام هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم وهذا الذي قاله جيد.

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال كفيتم هذا الوجه فلما ظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى المدينة جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قضية جواده

واشتهر هذا عنه فخاف رؤساء قريش معرته وخشوا أن يكون ذلك سببًا لإسلام كثير منهم وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم فكتب أبو جهل لعنه الله إليهم.

بني مدلج إني أخاف سفيهكم * سراقــة مستغو لنصر محمد

عليكم به ألا يفرق جمعكـم * فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

قال فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

عجيب ولم تشكك بأن محمدا * رسول وبرهان فمن ذا يقاومه

عليك فكف القوم عنه فإنني * أخال لنا يوما ستبدو معالمه

بأمر تود النصر فيه فإنهم * وإن جميع الناس طرا مسالمه

وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق وزاد في شعر أبي جهل أبياتا تتضمن كفرًا بليغًا

و قال الصفدي في الوافي بالوفيات

سراقة المدلجي الصحابي سراقة بن مالك، هو الذي يسأل عن متعة الحج أللأبد هي؟ توفي في حدود الأربعين للهجرة. نقلت من خط الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس بعدما حدثني به قال: سراقة بن مالك بن جعشم الكناني يكنى أبو سفيان روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر، وروى عنه سعيد بن المسيب وابنه محمد بن سراقة.

وقيل: مات سراقة سنة أربع وعشرين في خلافة عثمان. وقيل: مات بعد عثمان. عن أبي عمر رحمه الله تعالى. انتهى. وقال الشيخ شمس الدين في سنة أربع وعشرين: وفيها توفي سراقة بن مالك المدلجي الذي ساخت قوائم فرسه. ثم أسلم وحسن إسلامه. ثم ذكره في من مات في خلافة علي بن أبي طالب مجملاً، وهي حدود الأربعين.

قلت: وروى لسراقة البخاري والأربعة...

-وفي خبر آخر: أن راعياً عرف خبرهما، فخرج يشتد، يعلم قريشاً، فلما ورد مكة ضرب على قلبه، فما يدري ما يصنع، وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه.

-وجاءه ـ فيما ذكر ابن إسحاق وغيره ـ أبو جهل، بصخرة وهو ساجد، وقريش ينظرون، ليطرحها عليه، فلزقت بيده، وبست يداه إلى عنقه، وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه، ثم سأله أن يدعو له، ففعل، فانطلقت يداه، وكان قد تواعد مع قريش بذلك، وحلف لئن رآه ليدمغنه، فسألوه عن شأنه، فذكر أنه عرض لي دونه فحل، ما رأيت مثله قط، هم بي أن يأكلني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك جبريل، لو دنا لأخذه.

قلت:روى البيهقي في دلائل النبوة:

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال حدثني شيخ من أهل مصر قديم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله فلما قام عنهم رسول الله قال أبو جهل بن هشام يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر فإذا سجد في صلاته فضحت به رأسه فليصنع بعد ذلك أبو عبد مناف ما بدا لهم

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا ثم جلس لرسول الله ينتظر وغدا رسول الله كما يغدو وكانت قبلته الشام فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله ثمة يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينظرون فلما سجد رسول الله احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منتها منتقعا لونه مرعوبًا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال من قريش فقالوا: مالك يا أبا الحكم فقال قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني..

-وذكر السمرقندي أن رجلاً من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله، فطمس الله على بصره، فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه.

-وذكر أن في هاتين القصتين، نزلت: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ (٩) – يس.

قلت:ذكره القرطبي في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " قال:

"إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا". قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين؛ وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدًا يصلي ليرضخن رأسه بحجر؛ فلما رآه ذهب فرفع حجرًا ليرميه، فلما أومأ إليه رجعت يده إلى عنقه، والتصق الحجر بيده؛ قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما؛ فهو على هذا تمثيل أي هو بمنزلة من علت يده إلى عنقه، فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه. فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال: والله ما رأيته ولقد سمعت صوته. فقال الثالث: والله لأشدخن أنا رأسه. ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه. فقيل له: ما شأنك؟ قال شأني عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه، وإذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت فحلا قط أعظم منه حال بيني وبينه، فو اللات والعزى لو دنوت منه لأكلني. فأنزل الله تعالى: "إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون".

- ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق، وغيره في قصته، إذ خرج إلى بني قريظة، في أصحابه، فجلس إلى جدار بعض آطامهم، فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال ثم خرج رسول الله إلى بني النضير يستعينهم في دينك القتيلين من بني عامر الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله يستعينهم في الدية قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل

حاله هذه ورسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه فانتدب لذلك منهم عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وقال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعا إلى المدينة، فلما استبطأ النبي أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلًا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر وأمر رسول الله بحربهم والسير إليهم فسار بالناس حتى نزل بهم...

- وقد قيل: أن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المائدة: ١١) في هذه القصة نزلت.

-وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية، فقال له حيي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا. فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتوامر حيي معهم على قتله، فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ رحمه الله قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادي قال حدثنا أبو علاثة محمد بن عمرو بن خالد قال أخبرنا أبي قال أخبرنا ابن لهيعة قال حدثنا أبو الأسود عن عروة (ح) وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد قال أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الله بن عتاب قال أخبرنا القاسم بن عبد الله بن المغيرة قال أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس قال أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى ابن عقبة قال هذا حديث رسول الله حين خرج إلى بني النضير يستعينهم في عقل الكلابيين وكانوا زعموا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة فلما كلمهم رسول الله في عقل الكلابيين قالوا اجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له فجلس رسول الله ومن معه من أصحابه في ظل جدار ينتظرون أن يصلحوا أمرهم فلما خلوا والشيطان معهم ائتمروا بقتل رسول الله فقالوا لن تجدوه أقرب منه الآن فاستريحوا منه تأمنوا في دياركم ويرفع عنكم البلاء فقال رجل منهم إن شئتم ظهرت فوق البيت الذي هو تحته فدليت عليه حجرا فقتلته وأوحى الله عز وجل إليه فأخبره بما ائتمروا به من شأنهم فعصمه الله عز وجل وقام رسول الله كأنه يريد أن يقضي حاجة وترك أصحابه في مجلسهم وانتظره أعداء الله فراث عليهم فأقبل رجل من المدينة فسألوه عنه فقال لقيته قد دخل أزقة المدينة فقالوا لأصحابه عجل أبو القاسم أن يقيم أمرنا في حاجته التي جاء لها ثم قام أصحاب رسول الله فرجعوا ونزل القرآن والله أعلم بالذي أراد أعداء الله فقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) إلى قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فلما أظهر الله عز وجل رسوله على ما أرادوا به وعلى خيانتهم أمر الله عز وجل رسوله بإجلائهم وإخراجهم من ديارهم..

- وذكر أهل التفسير والحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن أبا جهل وعد قريشاً لئن رأى محمداً يصلي ليطأن رقبته. فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه، فأقبل، فلما قرب منه ولى هارباً ناكصاً على عقبيه، متقياً بيديه، فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء ناراً كدت أهوي فيه، وأبصرت هولاً عظيماً، وخفق أجنحة قد ملأت الأرض.فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تلك الملائكة، لو دنا لاختطفته عضواً عضواً.

قلت: روى مسلم قصة أبي جهل حين أراد ان ينفذ فعلته الشنيعة التي أقسم بمعبوداته الباطلة لئن رأى رسول الله ساجدًا ليطأن رقبته، قال:

باب قوله تعالى: (إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى).

حدثنا عبيد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي. قالا: حدثنا المعتمر عن أبيه. حدثني نعيم بن أبي هند عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته. أو لأعفرن وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي. زعم ليطأ على رقبته. قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا".

قال فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه -: {كلا إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى* إن إلى ربك الرجعى* أرأيت الذي ينهى* عبدا إذا صلى* أرأيت إن كان على الهدى* أو أمر بالتقوى* أرأيت إن كذب وتولى (يعني أبا جهل) * ألم يعلم بأن الله يرى* كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية* ناصية كاذبة خاطئة* فليدع ناديه* سندع الزبانية* كلا لا تطعه} [٩٦ /العلق /٦ - ١٩].

زاد عبيد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به.وزاد ابن عبد الأعلى: فليدع ناديه. يعني قومه.

ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم: (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى *إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَه * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ * (. سورة العلق ٦-١٩).

- وروي أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه، فقال: اليوم أدرك ثأري من محمد.فلما اختلط الناس أتاه من خلفه، ورفع سيفه ليصبه عليه، قال: فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق، فوليت هارباً، وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني، فوضع يده على صدري، وهو أبغض الخلق إلي، فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي. وقال لي: ادن فقاتل... فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي، ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه .

قلت: قال البيهقي في دلائل النبوة:

اخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا هشام بن خالد قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال لما رأيت رسول الله يوم حنين قد عرى ذكرت أبي وعمي وقتل عليّ وحمزة إياهما فقلت اليوم أدرك ثأري من محمد قال فذهب لأجئه عن يمينه فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قايم عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج فقلت عمه ولن يخذله قال ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله قال ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت تمحشني فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري والتفت رسول الله وقال: يا شيب يا شيب أدن مني اللهم أذهب عنه الشيطان قال فرفعت إليه بصري ولهو أحب إلي من سمعي وبصري وقال يا شيب قاتل الكفار..

وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا العباس بن محمد قال حدثنا محمد بن بكير الحضرمي قال حدثنا أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال خرجت مع رسول الله يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ولكن أنفت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً قال يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر فضرب يده على صدري ثم قال: "اللهم اهدِ شيبة" ثم ضربها الثانية ثم قال: "اللهم اهدِ شيبة" ثم ضربها الثالثة فقال: "اللهم اهدِ شيبة" فو الله ما رفع يده من صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إليّ منه...

- وعن فضالة بن عمرو: أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح، وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: أفضالة؟ قلت: نعم. قال: ما كنت تحدث به نفسك؟ قلت: لا شيء. فضحك واستغفر لي، ووضع يده على صدري، فسكن قلبي، فو الله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه.

قلت: لعل القاضي عياض رحمه الله أراد فضالة بن عمير الذي ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، قال:

وحدثني يعني بعض أهل العلم أن فضالة بن عمير بن الملوح يعني الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضالة؟ قال نعم فضالة يا رسول الله.. قال: "ماذا كنت تحدث به نفسك؟" قال: لا شيء، كنت أذكر الله. قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفر الله.. ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.. قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث.. فقال: لا وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والإسلام
أو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الأظلام

- ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس - حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عامر قال له: أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت. فلم يره فعل شيئاً، فلما كلمه في ذلك قال له: والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني و بينه، أفأضربك.
قلت: قال ابن كثير في البداية والنهاية:
وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل واربد بن مقيس
قال ابن إسحاق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس ابن جزء بن جعفر بن خالد وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه يا أبا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ثم قال لاربد إن قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فأعله بالسيف فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده قال يا محمد خالني قال وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئًا فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال يا محمد خالني قال لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله لاملأنها عليك خيلاً ورجالًا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اكفني عامر بن الطفيل" فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل لاربد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسي منك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدًا قال لا أبالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف، وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول يا بني عامر أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول قال ابن هشام ويقال أغدة كغدة الإبل وموت في بيت سلولية وروى الحافظ البيهقي من طريق الزبير بن بكار حدثتني فاطمة بنت عبد العزيز بن موءلة عن أبيها عن جدها موءلة بن جميل قال أتى عامر بن الطفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا عامر أسلم. فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر قال لا ثم قال: أسلم فقال أسلم على أن لي الوبر ولك المدر قال لا فولى وهو يقول والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جردًا ورجالًا مردًا ولأربطن بكل نخلة فرسًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اكفني عامرًا وأهد قومه" فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتًا.
وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في أسماء الصحابة موءلة هذا فقال هو موءلة بن كثيف الضبابي الكلابي العامري من بني عامر بن صعصعة أتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة فاسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يدعى ذا اللسانين من فصاحته روى عنه ابنه عبد العزيز وهو الذي روى قصة عامر بن الطفيل غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

قال الزبير بن بكار حدثتني ظميا بنت عبد العزيز بن موءلة بن كثيف بن جميل بن خالد بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قالت حدثني أبي عن أبيه عن موءلة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وهو ابن عشرين سنة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح يمينه وساق أبله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقها بنت لبون ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته قلت والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكرها بعد الفتح وذلك لما رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس في قصة بئر معونة وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان خال أنس بن مالك وغدره بأصحاب بئر معونة حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية كما تقدم قال الأوزاعي قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحًا: "اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه ما يقتله". فبعث الله عليه الطاعون وروى عن همام عن إسحاق ابن عبد الله عن أنس في قصة ابن ملحان قال وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخيرك بين ثلاث خصال: يكون لك أهل السهل ويكون لي أهل الوبر وأكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، قال فطعن في بيت امرأة فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة من بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه.

قال ابن إسحاق ثم خرج أصحابه حين رأوه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا وما وراءك يا أربد قال لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما قال ابن إسحاق وكان أربد بن قيس أخًا لبيد بن ربيعة لامه فقال لبيد يبكي أربد

ما أن تعرى المنون مـــن أحد * لا والد مشفق ولا ولـــد
أخشى على أربـد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسـد
فعين هلا بكيت أربـــد إذ * قمنا وقام النساء في كبـــد
إن يشغبوا لا يبـــال شغبهم * أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوتـــه * مر لصيق الأحشاء والكبـــد
وعين هلا بكيت أربـــد إذ * ألوت ريــاح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحــًا مصرمة * حتى تجلت غوابر المـــدد
أشجع من ليث غابة لحـــم * ذو نهمة في العـــلا ومنتقد
لا تبلغ العين كـــل نهمتها * ليلة تمسي الجياد كالفـــدد
الباعث النـــوح في مآتمه * مثل الظباء الأبكار بالجـــرد

فجعني البرق والصواعق بالفـا * رس يـوم الكريهـة النجــد
والحارب الجابـر الحريب إذا * جـــاء نكيبا وإن يعد يعد
يعفو على الجهد والسؤال كمـا * ينبت غيث الربيع ذو الرصـد
كــل بني حرة مصيرهم * قـــل وإن كثروا من العدد
إن يغبطـوا يهبطـوا وإن * أمروا يوما فهم للهلاك والنفـد

وقد روى ابن إسحاق عن لبيد أشعارا كثيرة في رثاء أخيه لأمه أربد بن قيس تركناها اختصارا واكتفاء بما أوردناه والله الموفق للصواب.

قال ابن هشام وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال فانزل الله عز وجل في عامر وأربد قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يده ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أربد وقتله، فقال الله تعالى: (وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا وينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال).

... وقد وقع لنا إسناد ما علقه ابن هشام رحمه الله فروينا من طريق الحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني في معجمه الكبير حيث قال حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. قال عامر: أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل. قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد اجعل لي الوبر ولك المدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا...فلما قفا من عنده قال عامر أما والله لاملأنها عليك خيلاً ورجالًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمنعك الله. فلما خرج أربد وعامر قال عامر يا أربد أنا اشغل محمدًا بالحديث فاضربه بالسيف فان الناس إذا قتلت محمدًا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فسنعطيهم الدية قال أربد أفعل فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر يا محمد قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخليا إلى الجدار ووقف معه رسول الله يكلمه وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد على عامر بالضرب فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما ينصع فانصرف عنهما فلما خرج أربد وعامر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرة حرة وإرقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير فقالا اشخصا يا عدوا الله لعنكما الله، فقال عامر: من هذا يا سعد قال أسيد بن حضير الكتائب

فخرجا حتى غذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالحرة أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب عن أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعًا فأنزل الله فيهما: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد) إلى قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أربد وما قتله به فقال (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الآية وفي هذا السياق دلالة على ما تقدم من قصة عامر وأربد وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه والله أعلم..

- ومن عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش، وأخبرهم بسطوته بهم، وحضوهم عل قتله، فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره.

ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر، كما قال صلى الله عليه وسلم.

قلت: حديث "" نصرت بالرعب "" رواه الشيخان

١-البخاري في كتب وأبواب متفرقة، منها:

* في كتاب التيمم

حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا هشيم (ح). قال: وحدثني سعيد بن النضر قال: أخبرنا هشيم قال: أخبرنا سيار قال: حدثنا يزيد، هو ابن صهيب الفقير، قال: أخبرنا جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمسا، لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة).

* في أبواب المساجد

باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم : (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا).

- حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا هشيم قال: حدثنا سيار، هو أبو الحكم، قال: حدثنا يزيد الفقير قال: حدثنا جابر بن عبد الله قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة).

* في كتاب الجهاد والسير

باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر).

وقوله جل وعز: {سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله }/آل عمران: ١٥١/. قاله جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

- حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي).

قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلوها.

* في كتاب التعبير
باب: رؤيا الليل.رواه سمرة.
- حدثنا أحمد بن المقدام العجلي: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي: حدثنا أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة قال:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي).قال أبو هريرة: فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتقلونها.
* في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة
باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم : (بُعِثتُ بجوامع الكلم).
- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(بُعِثتُ بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعت في يدي). قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تَلْغَثونها، أو تَرْغَثونها، أو كلمة تشبهها.
٢-مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
حدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا هشيم عن سيار، عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبدالله الأنصاري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي. كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا. فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان. ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر. وأعطيت الشفاعة".
وأخرجه ابن حبان في كتاب الصلاة، و الترمذي في أبواب السي، و النسائي في كتاب الجهاد، و البيهقي في كتاب الصلاة، و الحاكم في كتاب التفسير، و أحمد في مسند، و الدارمي في كتاب السير... وغيرهم.
-----------------------•

٣٠. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(١١)

الفصل الخامس العشرون:
من معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم.
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم، و خصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه، وقوانين دينه، وسياسة عباده، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم، وحكم حكمائهم، ومحاجة كل أمة من الكفرة، ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها، وإخبارهم بما كتموا من ذلك وغيروه.إلى الاحتواء على لغات العرب، وغريب ألفاظ فرقها، والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيامها وأمثالها، وحِكَمها ومعاني أشعارها،

والتخصيص بجوامع كلمها. إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض، والتبيين للمشكل، إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل، مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل، لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً إلا من جهة الخذلان.بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه، واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه. ثم ما أحل لهم من الطيبات، وحرم عليهم من الخبائث،وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً، والتخويف بالنار آجلاً مما لا يعلم علمه ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب، ومثافنة بعض هذا إلى الاحتواء على ضروب العلوم، وفنون المعارف، كالطب، والعبارة، والفرائض، والحساب، والنسب، وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولاً في علمهم،

-كقوله صلى الله عليه وسلم: " الرؤيا لأول عابر. وهي على رجل طائر".

قلت: روى هذا الحديث كل من:

أبو داود.

حدثنا أحمد بن حنبل ثنا هشيم أخبرنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت قال وأحسبه قال ولا يقصها إلا على واد أو ذي رأي"..

قال الشيخ الألباني: صحيح.

ابن ماجه

حدثنا أبو بكر ثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس العقيلي عن عمه أبي رزين أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت قال والرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة قال وأحسبه قال لا يقصها إلا على واد أو ذي رأي ".

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الترمذي

حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود قال أنبأنا شعبة قال أخبرني يعلى بن عطاء قال سمعت وكيع بن عدس عن أبي رزين العقيلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءًا من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يتحدث بها فإذا تحدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا".

قال الشيخ الألباني: صحيح.

-وقوله: "الرؤيا ثلاث: رؤيا حق، و رؤيا يحدث بها الرجل نفسه، و رؤيا تخزين من الشيطان".

قلت: متفق عليه

رواه البخاري في كتاب التعبير. باب: القيد في المنام.

- حدثنا عبد الله بن صبَّاح: حدثنا معتمر: سمعت عوفاً: حدثنا محمد بن سيرين: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة). وما كان

من النبوة فإنه لا يكذب. قال محمد: وأنا أقول هذه، قال: وكان يقال: الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصَّه على أحد وليقم فليصل، قال: وكان يكره الغُلَّ في النوم، وكان يعجبهم القيد، ويقال: القيد ثبات في الدين.
وروى قتادة، ويونس، وهشام، وأبو هلال، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأدرجه بعضهم كله في الحديث، وحديث عوف أبين.
وقال يونس: لا أحسبه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم في القيد.قال أبو عبد الله: لا تكون الأغلال إلا في الأعناق.
ورواه مسلم في كتاب الرؤيا
حدثنا محمد بن أبي عمر المكي. حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.قال: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا. ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءًا من النبوة والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه. فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل. ولا يحدث بها الناس". قال: "وأحب القيد أكره الغل. والقيد ثبات في الدين" فلا أدري هو في الحديث أم قاله ابن سيرين.
-وقوله: إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب.
قلت: رواه البخاري في كتاب التعبير. باب: القيد في المنام.
- حدثنا عبد الله بن صبَّاح: حدثنا معتمر: سمعت عوفاً: حدثنا محمد بن سيرين: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب).
ورواه مسلم في كتاب الرؤيا.
حدثنا محمد بن أبي عمر المكي. حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.قال: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب).
-وقوله: أصل كل داء البردة.
قلت: قال العجلوني في كشف الخفا
رواه أبو نعيم والمستغفري والدارقطني في العلل بسند فيه تَمَّام بن نَجيح ضعفه الدارقطني ووثقه ابن معين وغيره عن أنس رفعه، وفي رواية عند المستغفري كما في النجم أصل كل داء البَرَدة، ولأبي نعيم أيضًا عن ابن عباس مرفوعا مثله، ومن حديث عمر بن الحرث عن أبي سعيد رفعه أصل كل داء من البردة، ومفرداته ضعيفة، وقال الدارقطني كغيره الأشبه بالصواب أنه من قول الحسن البصري، وحكاه في الفائق من كلام ابن مسعود، قال الدارقطني المحدثون يروونه بسكون الراء، ولذلك ضمَّ إليه بعضهم 'والحرُّ' والصواب فتحها بمعنى التخمة لأنها تبرارة الشهوة، أو لأنها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب من برد إذا ثبت وسكن، وقد أورد أبو نعيم أيضًا عن أبي هريرة رفعه: استدفئوا من الحر والبرد، وكذلك المستغفري مع ما رواه عن أنس أيضا مرفوعًا: إن الملائكة لتفرح بارتفاع البرد عن أمتي،

وروى أيضًا كما مر أصل كلاء البرد، وهما ضعيفان، وذلك منهما دليل على المحدثين الذين رووه بالسكون.
-وما روي عنه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله: المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة... وإن كان هذا حديثاً لا نصححه وكونه موضوعاً تكلم عليه الدارقطني.
قلت: قال العجلوني في كشف الخفا
...وللطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعًا: المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم. وذكره الدارقطني في العلل، وقال اختلف فيه على الزهري، ثم قال لا يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن الحرث.ومثله في اللآلئ، وزاد: ولم يرو هذا مسندًا عن إبراهيم ابن جريج وكان طبيبًا، فجعل له إسناد، ولم يسند غير هذا الحديث انتهى.
وقال السيوطي في اللآليء المصنوعة:
حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتي حدثنا إبراهيم عن جريج الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم" قال العقيلي باطل لا أصل له وإنما يروي عن ابن أبحر قال الدارقطني تفرد برفعه ابن جريج ولم يسنده غيره وكان طبيباً فجعل له إسناداً. قال الأزدي إبراهيم متروك قلت أخرجه الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في الطب والبهيقي في شعب الإيمان وقال إسناده ضعيف وقال في الميزان هذا حديث منكر وإبراهيم ليس بعمدة قال في اللسان إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات وقال روى عنه البابلتي خبراً منكراً قال وقد جزم الدارقطني بأن إبراهيم المنفرد به وقد بين العقيلي أمره بياناً شافياً وأخرج من طريق أبي داود الحراني أن هذا الشيخ لم يكتب له بهذا أصلًا وكان يقول كتبت عن ابن أبي وضاع كتابي فقيل له من كنت تجالس فقال فلان الطيب كان يقرب منزلي فكتب إليه ثم أخرج من طريق الحميدي عن سفيان عن ابن عبد الملك بن أبحر عن أبيه قال المعدة حوض البدن الحديث مقطوع قال العقيلي هذا أولى والله أعلم...
- وقوله: خير ما تداويتم به السعوط واللدود، والحجامة، والمشي...
قلت: رواه الترمذي في سننه - أبواب الطب، بَابُ مَا جَاءَ في السَّعوطِ وغيرِهِ.
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ مدُّويةِ أخبرنا عبدُ الرَّحمَنِ بنُ حَمَّادٍ أخبرنا عبَّادُ بنُ منصورٍ عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ خيرَ ما تَدَاويتُمْ بهِ السَّعوطُ واللَّدُودُ والحجامةُ والمشيُّ) فلمَّا اشتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لدَّهُ أصحابهُ فلمَّا فرغُوا قال (لُدُّوهُمْ) قال فلُدُّوا كلُّهُم غيرَ العَبَّاس.
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ يحيى أخبرنا يزيدُ بنُ هارونَ أخبرنا عبَّادُ بنُ منصورٍ عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ خيرَ ما تَدَاويتُم بهِ اللَّدودُ والسَّعوطُ والحجامةُ والمشيُّ وخيرَ ما اكتَحَلتُمْ بهِ الإثمِدُ فإنَّهُ يجلُو البصَرَ

ويُنبتُ الشَّعرَ) قال: وكانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لهُ مكحلةٌ يكتحلُ بها عندَ النَّومِ ثلاثاً في كلِّ عينٍ.
هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ هو حدي ثُ عبَّادُ بنُ منصورٍ.
قال الشيخ الألباني: ضعيف.
-... وخير الحجامة يوم سبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين.
قلت: رواه أبو داود في سننه:
حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان شفاء من كل داء"..
قال الشيخ الألباني: حسن.
-... وفي العود الهندي سبعة أشفية، منها ذات الجنب.
قلت: متفق عليه.
* رواه البخاري في كتاب الطب، باب: ذات الجَنْبِ.
- حدثني محمد: أخبرنا عتَّاب بن بشير، عن إسحاق، عن الزُهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله: أن أم قيس بنت مِحْصَن، وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أخت عُكَّاشة بن محصن، أخبرته: أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة، فقال: (اتقوا الله، على ما تَدْغَرْنَ أولادكنَّ بهذه الأعلاق، عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب). يريد الكُسْت، يعني القُسْط. قال: وهي لغة.
* وأخرجه مسلم في كتاب الطب- باب التداوي بالعود الهندي، وهو الكست.
حدثني حرملة بن يحيى. أخبرنا ابن وهب. أخبرني يونس بن يزيد؛ أن ابن شهاب أخبره قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعد؛ أن أم قيس بنت محسن - وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أخت عكاشة بن محصن، أحد بني أسد بن خزيمة - قال: أخبرتني أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام وقد أعلقت عليه من العذرة (قال يونس: أعلقت غمزت فهي تخاف أن يكون به عذرة" قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"علامه تدغرن أولادكن بهذا الإعلاق؟ عليكم بهذا العود الهندي (يعني به الكست) فإن فيه سبعة أشفية. منها ذات الجنب"..
-وقوله: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، فإن كان لا بد فثلث للطعام، و ثلث للشراب، و ثلث للنفس".
قلت: رواه ابن ماجة،وأحمد، والحاكم،و الترمذي وهذا لفظه:
حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا إسماعيل بن عياش حدثني أبو سلمة الحمصي وحبيب بن صالح عن يحيى بن جابر الطائي عن مقدام بن معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن بحسب بن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"، حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش نحوه وقال المقدام بن

معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح...وقال الشيخ الألباني: صحيح.
-وقوله ـ وقد سئل عن سبأ: أرجل هو أم امرأة، أم أرض؟ فقال: رجل ولد عشرة: تيامن منهم ستة و تشاءم أربعة... الحديث بطوله.
قلت: ذكره البغوي في تفسيره، عند قوله تعالى حكاية عن الهدهد: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (النمل ٢٢)، قال: قرأ أبو عمرو، البزي عن ابن كثير من سبأ و لسبأ في سورة سبأ، مفتوحة الهمزة، وقرأ القواص عن ابن كثير ساكنة بلا همزة، وقرأ الآخرون بالإجراء، فمن لم يجره جعله اسم البلد، ومن أجراه جعله اسم رجل، فقد جاء في الحديث "أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال: "كان رجلاً له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة".
- وكذلك جوابه في نسب قضاعة، وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك.
-وقوله: حمير رأس العرب ونابها. ومذحج هامتها وغلصمتها. والأزذ كاهلها وجمجمتها، وهمدان غاربها وذروتها.
-وقوله: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض".
قلت: رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم}، وأخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال:
- حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان).
-وقوله في الحوض: زواياه سواء.
قلت: رواه مسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته:
* وحدثنا داود بن عمرو الضبي. حدثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة. قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حوضي مسيرة شهر. وزواياه سواء. وماؤه أبيض من الورق. وريحه أطيب من المسك.. وكيزانه كنجوم السماء. فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا".
-وقوله ـ في حديث الذكر: "وإن الحسنة بعشر أمثالها، فتلك مائة وخمسون على باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان".
قلت: لعل القاضي عياض رحمه الله جمع هنا بين طرفين من حديثين:
١- الحسنة بعشر أمثالها...
رواه البخاري في كتب وأبواب متفرقة، منها:في باب: حسن إسلام المرء.

* قال مالك: أخبرني زيد بن أسلم: أن عطاء بن يسار أخبره: أن أبا سعيد الخدري أخبره: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها).
* حدثنا إسحاق بن منصور قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إذا أحسن أحدكم إسلامه: فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها).
ورواه مسلم في جملة أحاديث، منها: في باب "إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب":
*وحدثنا محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن همام بن منبه؛ قال:هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها. فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها. وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها. فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة (وهو أبصر به) فقال: ارقبوه. فإن عملها فاكتبوها له بمثلها. وإن تركها فاكتبوها له حسنة. إنما تركها من جراي". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله".
٢- خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلمٌ إلا دخل الجنة...
رواه أبو داود - حدثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد اللّه بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلمٌ إلا دخل الجنة، هما يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليلٌ، يسبح في دبر كل صلاةٍ عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومائةٌ باللسان، وألفٌ وخمسمائةٍ في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائةٌ باللسان، وألف في الميزان" فلقد رأيت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده، قالوا: يا رسول اللّه، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: "يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجةً قبل أن يقولها".
وأخرجه ابن ماجه حَدَّثَنَا أبو كريب. حَدَّثَنَا إسماعيل بْن علية، و مُحَمَّد بْن فضيل، وأبو يحيى التيمي، وأبو الأجلح، عَن عطاء بْن السائب، عَن أبيه، عَن عَبْد اللّه بْن عمرو؛ قَالَ: - قال رَسُول اللّهِ صلى الله عليه وسلم: (خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة. وهما يسير. ومن يعمل بهما قليل. يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً. ويكبر عشراً. ويحمد عشراً) فرأيت رَسُول اللّهِ صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده: (فذلك خمسون ومائة باللسان. وألف وخمسمائة في الميزان. وإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد وكبر مائة. فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان. فأيكم يعمل في

اليوم ألفين وخمسمائة سيئة) قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: ((يأتي أحدكم الشيطان، وهو في الصلاة، فيقول: اذكر كذا وكذا. حتى ينفك العبد لا يعقل. ويأتيه وهو في مضجعه، فلا يزال ينومه حتى ينام)).

ورواه البخاري في الأدب المفرد

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل) قيل: وما هما يا رسول الله؟ قال: (يكبر أحدكم في دبر كل صلاة عشرًا ويحمد عشرًا ويسبح عشرًا فذلك خمسون و مائة على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان) فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعدهن بيده (وإذا أوى إلى فراشه سبحه وحمده وكبره فتلك مائة على اللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟) قيل: يا رسول الله كيف لا يحصيهما؟ قال: (يأتي أحدكم الشيطان في صلاته فيذكره حاجة كذا وكذا فلا يذكره).

- وقوله - وهو بموضع -: نعم موضع الحمَّام هذا.

قلت: قال العجلوني في كشف الخفا: نعم البيت الحمام فإنه يذهب بالوسخ ويذكر الآخرة.

رواه ابن منيع بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه. وتقدم في حرف الباء من رواية ابن عدي عن ابن عباس بئس البيت الحمام ترفع فيه الأصوات وتكشف فيه العورات وهما محمولان على حالتين على فرض صحة بئس البيت الحمام وإلا فقد نقل في الميزان عن الدارقطني أنه قال فيه بن أحمد القيراطي البزار متروك كذاب وأن ابن عدي خرج الحديث فقال يسرق الحديث ثم ساق له هذا الخبر. كذا في شرح المناوي ملخصًا.

- وقوله: ما بين المشرق والمغرب قبلة.

قلت: رواه النسائي، وابن ماجه، والبيهقي، وابن أبي شيبة، والحاكم... والترمذي في بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ مَا بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ قِبْلَةٌ، قال:

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ أَبِي مَعْشَرٍ أَخْبَرَنا أَبِي عَن مُحَمَّدِ بن عَمْرٍو عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم- "مَا بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ قِبْلَةٌ".

- حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ مُوسَى أَخْبَرَنا مُحَمَّدُ بنُ أَبِي مَعْشَرٍ: مِثْلَهُ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ رُوِيَ عَنْهُ مِنْ غَيرِ وَجْهٍ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهلِ العِلمِ في أَبِي مَعْشَرٍ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وَاسْمُهُ نَجِيحٌ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ مُحَمَّدٌ: لاَ أَرْوِي عَنْهُ شَيئاً. وَقَدْ رَوَى عَنهُ النَّاسُ قَالَ مُحَمَّدُ: وَحديثُ عَبدِ الله بنِ جَعْفَرٍ المَخْرَمِيِّ عَن عُثْمَانَ بن مُحَمَّدٍ الأَخْنَسيِّ عَن سَعيدٍ المَقْبُرِيِّ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ قِبْلَةٌ" وَإِنَّمَا قِيلَ عَبدُ الله بنُ جَعْفَرٍ المَخْرَميُّ لأَنَّهُ من وَلَدِ المسور بنِ مَخْرَمَةَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ...

وَقَدْ رُوِيَ عَن غَيرِ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: "مَا بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ قِبْلَةٌ" مِنْهُمْ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَعَليُّ بنُ أَبِي طَالبٍ وَابنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ: إِذَا جَعَلْتَ المَغْرِبَ عَن يَمِينِكَ وَالمَشْرِقَ عَن يَسَارِكَ فَمَا بَيْنَهُمَا قِبْلَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلْتَ القِبْلَةَ.وَقَالَ ابنُ المُبَارَكِ: مَا بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ قِبْلَةٌ.هَذَا لأَهلِ المَشْرِقِ.وَاخْتَارَ عَبدُ الله بنِ المُبَارَكِ التَيَاسُرُ لأَهلِ مَروٍ..

-وقوله لعيينة، أو الأقرع: أنا أفرس بالخيل منك.

قلت: أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد

وعن عمرو بن عبسة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض يوماً خيلاً وعنده عيينه بن حصن بن بدر الفزاري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أفرس بالخيل منك". فقال عيينة: وأنا أفرس بالرجال منك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "وكيف ذاك؟". قال: خير أم على عواتقهم، جاعلي رماحهم على مناسج خيولهم، لابسي البرد من أهل نجد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كذبت، بل خير الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان إلى لخم وجذام وعاملة، ومأكول حمير خير من أكلها، وحضرموت خير من بني الحارث، وقبيلة خير من قبيلة، وقبيلة شبيلة، والله لا أبالي أن يهلك الحارثان كلاهما، لعن الله الملوك الأربعة: جمداء ومخوساء ومشرحاء وأبضعة وأختهم العمرّد"

-وقوله لكتابه: ضع القلم على أذنك، فإنه أذكر للمُمِل.

قلت: رواه الترمذي:

حدثنا قتيبة حدثنا عبيد الله بن الحرث عن عنبسة عن محمد بن زاذان عن أم سعد عن زيد بن ثابت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه كاتب فسمعته يقول: ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي.. قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهو إسناد ضعيف وعنبسة بن عبد الرحمن ومحمد بن زاذان يضعفان في الحديث.. قال الشيخ الألباني: موضوع.

عن زيد بن ثابت قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه كاتب فسمعته يقول: ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمآل. رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي إسناده ضعف.

وذكره السيوطي في اللآليء المصنوعة قال: قلت ورد من حديث أخرجه ابن عساكر أنبأنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء بن أبي منصور أنبأنا أبو الفتح منصور أنبأنا الحسين بن علي بن القاسم طاهر بن محمود قالا أنبأنا أبو بكر المقري حدثنا طاهر محمد البزار الدمشقي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عثمان بن عمرو حدثنا أبو مسعدة الأنصاري عن عمرو بن الأزهري عن حميد عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لكاتبه: "إذا كتبت فضع قلمك على أذنك فإنه أذكر لك"، وقال الديلمي أنبأنا عبدوس عن ابن بلال أنبأنا أبو صالح القاضي عن محمد بن هشام عن إبراهيم بن محمد القرشي عن إبراهيم بن زكريا الواسطي عن عمرو بن أبي زهير عن حميد عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "إذا كتبت فضع القلم خلف أذنك فإنه أذكر لك" واللّه أعلم. هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب، ولكنه أوتي علم كل شيء، حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها:

-كقوله: "لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم".رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس.

- وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له: ألق الدواة، وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم".

وهذا، وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع القراءة والكتابة. وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب، وحفظه معاني أشعارها، فأمر مشهور، قد نبهنا على بعضه أول الكتاب.

وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم، كقوله في الحديث: سنه، سنه.. وهي حسنة بالحبشية.

قلت: رواه حدثنا حبان بن موسى: أخبرنا عبد الله، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول البخاري في كتاب الجهاد والسير باب: من تكلم بالفارسية والرطانة.رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعلي وقميص أصفر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سنه سنه). قال عبد الله: وهي بالحبشية حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعها). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي). قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر.

وأخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب فيما يُدْعى لمن لبس ثوباً جديداً داود بلفظ: سناه سناه.

-،حدثنا إسحاق بن الجراح الأذني، ثنا أبو النضر، ثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه، عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أتيَ بكسوة فيها خميصة صغيرة فقال: "من ترون أحقُّ بهذه؟" فسكت القوم فقال: "ائتوني بأمِّ خالدٍ" فأتي بها فألبسها إياها ثم قال: "أبلي وأَخْلِقِي" مرتين، وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أحمر أو أصفر ويقول: "سناه سناه يا أمَّ خالدٍ" وسناه في كلام الحبشة: الحسن.

- وقوله: ويكثر الهرج وهو القتل بها.

قلت: رواه البخاري في كتاب الفتن كتاب الفتن.باب: ظهور الفتن.حدثنا عياش بن الوليد: أخبرنا عبد الأعلى: حدثنا معمر، عن الزُهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى الشُّحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج). قالوا: يا رسول الله، أيُّما هو؟ قال: (القتل القتل). وقال شعيب، عن يونس، والليث، وابن أخي الزُهري، عن الزُهري، عن حميد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم

وأخرجه مسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن، في آخر الزمان حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير. حدثنا وكيع وأبي. قالا: حدثنا الأعمش. ح وحدثني أبو سعيد الأشج (واللفظ له). حدثنا وكيع. حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: كنت جالسًا مع عبد الله وأبي موسى. فقالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة أيامًا. يرفع فيها العلم، وينزل فيها لجهل، ويكثر فيها الهرج. والهرج القتل"...

- وقوله - في حديث أبي هريرة: أَشْكَنْبَ دَرْدَ أي وجع البطن بالفارسية.

حدّثنا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ. حدّثنا السَّرِيُّ بْنُ مِسْكِينٍ. حدّثنا دُوَادُ بْنُ عُلْبَةَ عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: هَجَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَهَجَّرْتُ. فَصَلَّيْتُ ثُمّ جَلَسْتُ. فَالْتَفَتَ إِلَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ((اشِكَمَتْ دَرْدْ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ ((قمْ فَصَلِّ، فَإِنَّ فِي الصلاةِ شِفَاءً)).

حدّثنا أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ. حدّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ. حدّثنا أَبُو سَلَمَةَ. حدّثنا ذؤَادُ بْنُ عُلْبَةَ. فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَقَالَ فِيهِ: اشِكَمَتْ دَرْدْ. يَعْنِي تَشْتَكِي بَطْنَكَ، بِالْفَارِسِيَّةِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: حَدَّثَ بِهِ رَجُلٌ لأَهْلِهِ. فَاسْتَعْدَوا عَلَيْهِ.

في الزوائد: في إسناده ليث، وهو ابْنِ أبي سليم. وقد ضعفه الجمهور. جاء في هامش الطبعة الهندية ما يأتي: قَالَ الفيروز آبادي في ((باب تكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم بالفارسية)): ما صح شيء. ثم قال: قلت رجال هذا الحديث كلهم مأمونون، إلا دُؤاد بْنُ علبة فإنه ضعيف. قَالَ ابْنِ حبان: منكر الحديث جدا، يروي عَنْ الثقات مالا أصل له، ومن الضعفاء مالا يعرف. كما ذكره في التهذيب.

- إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به و ا ببعضه إلا من مارس الدرس و العكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره. وهو رجل كما قال الله تعالى: أمي، لم يكتب ولم يقرأ، ولا عرف بصحبه من هذه صفته، ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور، ولا عرف هو - قبل بشيء منها، قال الله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (العنكبوت:٤٨) إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها، والشعر، والبيان، وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ علم ذلك، والاشتغال بطلبه، ومباحثة أهله عنه. وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم. ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه، ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم الذي حكاه الله عنهم:(إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) (الأنعام ٢٥) و(إِنَمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) فرد الله عز وجل قولهم بقوله: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (النحل: ١٠٣) ثم ما قالوه مكابرة العيان، فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان، أو العبد الرومي، وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة، ونزول الكثير من القرآن، وظهور ما لا ينعد من الآيات.وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، و اختلف في اسمه. قيل: بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة، وكلاهما أعجمي اللسان، وهم الفُصحاء اللُّد، والخطباء اللُّسْن، قد عجزوا عن معارضة ما أتى به، والإتيان بمثله، بل عن فهم رصفه، وصورة تأليفه ونظمه، فكيف بأعجمي ألكن! نعم، وقد كان سلمان، أو بلعام الرومي، أو يعيش، أو جبر، أو يسار - على اختلافهم في اسمه - بين أظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم، فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك؟ وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده، ودؤوب طلبه،وقوة حسده -أن يجلس إلى هذا فيأخذ عليه أيضاً ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه، كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه. ولا غاب للنبي صلى الله عليه وسلم عن قومه، ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب، فيقال: إنه استمد منهم، بل لم يزل بين أظهرهم يرعى

في صغره وشبابه، على عادة أبنائهم، ثم لم يخرج عن بلادهم إلى سفرة أو سفرتين، لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل، فكيف الكثير، بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته، لم يغب عنهم، ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم و اختلاف إلى حبر أو قس، أو منجم أو كاهن، بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به من معجز القرآن قاطعاً لكل عذر، ومدحضاً لكل حجة، ومجلياً لكل أمر.

الفصل السادس والعشرون:

من خصائصه وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن.

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم، وكراماته، وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن، وإمداد الله له بالملائكة، وطاعة الجن له، ورؤية كثير من أصحابه لهم،

*قال الله تعالى: (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (التحريم: ٤).

-وقال: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (الأنفال: ١٢).

-وقال: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (سورة الأنفال ٩ – ١٠).

-وقال: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) (الأحقاف: ٢٩).

- *حدثنا سفيان بن العاص الفقيه بسماعي عليه، حدثنا أبو الليث السمرقندي، قال: حدثنا عبد الغافر الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجلودي، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي حدثنا شعبة، عن سليمان الشيباني، سمع زر بن حبيش، عن عبد الله في قوله تعالى:(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (النجم: ١٨) – قال: رأى جبريل عليه السلام في صورته، له ستمائة جناح.

قلت: قال القرطبي في تفسيره: وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: "ولقد رآه نزلة أخرى" أنه جبريل. ثبت هذا أيضا في صحيح مسلم. وقال ابن مسعود: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت جبريل بالأفق الأعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت) ذكره المهدوي.

والحديث في صحيح مسلم هو:

*حدثني أبو الربيع الزهراني. حدثنا عباد (وهو ابن العوام) حدثنا الشيباني قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله عز وجل: {فكان قاب قوسين أو أدني} [٥٣/النجم/ الآية-٩] قال: أخبرني ابن مسعود؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح.

* حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا حفص بن غياث عن الشيباني، عن زر، عن عبد الله؛ قال: {ما كذب الفؤاد ما رأى} [٥٣/النجم/ الآية-١١] قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

* حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري. حدثنا أبي. حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني. سمع زر بن حبيش عن عبد الله؛ قال: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} [٥٣/ النجم/ الآية ١٨] قال: رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح.

- -والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة، وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور.

- وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة، فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان...

- قلت: أشار القاضي عياض رحمه الله إلى حديث جبريل، وهو كما عند مسلم:

عن عبد الله بن عمر. حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فاسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت. قال فعجبنا له. يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: "أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان". قال ثم انطلق. فلبثت مليا. ثم قال لي: "يا عمر! أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

- ورأى ابن عباس، وأسامة بن زيد، وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية.

قلت: ومنهم أم سلمة رضي الله عنها كما ثبت في صحيح مسلم:

باب من فضائل أم سلمة، أم المؤمنين، رضي الله عنها

حدثني عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى القيسي. كلاهما عن المعتمر. قال ابن حماد: حدثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي. حدثنا أبو عثمان عن سلمان. قال: لا تكونن، إن استطعت، أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها. فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته.

قال: وأنبئت أن جبريل عليه السلام أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة. قال فجعل يتحدث ثم قام. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: "من هذا؟" أو كما قال. قالت: هذا دحية. قال فقالت أم سلمة: ايم الله! ما حسبته إلا إياه. حتى سمعت خطبة نبي الله صلى الله عليه وسلم يخبر خبرنا. أو كما قال. قال فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد.

وقال صلى الله عليه وسلم: رأيت جبريل عليه السلام. فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية". (وفي رواية ابن رمح) "دحية بن خليفة".

وقفة مع البيهقي في دلائل النبوة

باب ما جاء في رؤية من رأى جبريل عليه السلام يوم بني قريظة

* أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو قال أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق الاسفرئيني قال حدثنا محمد بن أيوب قال أخبرنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا حميد بن هلال عن أنس قال رأيت الغبار ساطعا في سكة بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله إلى بني قريظة.

*وأخبرنا أبو سعيد احمد بن محمد الماليني قال أخبرنا أبو أحمد بن عدي الحافظ قال أخبرنا محمد بن عبدة قال حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثني أبي عن حميد بن هلال عن أنس قال كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في موكب جبريل حين سار إلى بني قريظة في سكة بني غنم.

رواه البخاري في الصحيح عن موسى بن إسماعيل عن جرير بن حازم.

وذكرنا عن مغازي موسى بن عقبة وغيره أن رسول الله خرج في أثر فمر على مجلس بني غنم فسألهم مر عليكم فارس آنفا قالوا مر علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة من ديباج عليه اللأمة فذكروا أن رسول الله قال ذاك جبريل وكان يشبه دحية الكلبي بجبريل عليه السلام.

*وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا احمد بن علي الحزاز قال حدثنا عبد الواحد هو ابن غياث قال حدثنا حماد هو ابن سلمة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة إن النبي لما فرغ من الأحزاب دخل مغتسلا ليغتسل فجاءه جبريل فقال يا محمد قد وضعتم أسلحتكم وما وضعنا أسلحتنا انهض إلى بني قريظة فقالت عائشة: يا رسول الله لقد رأيته من خلل الباب قد عصب رأسه التراب.

*أخبرنا أبو صالح منصور بن عبد الوهاب البزاز قال أخبرنا أبو عمرو بن أبي جعفر قال أخبرنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عمر عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رجلًا أتى النبي على برزون وعليه عمامة طرفها بين كتفيه فسألت النبي فقال: رأيتيه ذاك جبريل عليه السلام".

رواه ابن وهب عن عبد الله عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة وروى في ذلك أيضا عن الشعبي عن أبي سلمة عن عائشة قد أخرجناه في الفضائل.

باب ما جاء في رؤية أم سلمة زوج النبي جبريل عليه السلام:

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال حدثنا أبو بكر بن إسحاق وعبد الله بن محمد قالا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال حدثنا أبو عثمان النهدي عن سلمان قال: لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته أو كما قال وثبت أن جبريل عليه السلام أتى النبي وعنده أم سلمة قال فجعل يتحدث ثم قام فقال نبي الله لأم سلمة: "من هذا"؟ أو كما قالت، قلت: هذا دحية الكلبي قال فقالت أم سلمة ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي يخبر جبريل أو كما قال فقلت لأبي عثمان ممن سمعت هذا قال من أسامة.

رواه البخاري في الصحيح عن عباس بن الوليد عن المعتمر.
ورواه مسلم عن محمد بن عبد الأعلى
باب ما جاء في رؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة في مجلس النبي جبريل عليه السلام.
* أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه قال أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال قرأت على يحيى بن سعيد عن عثمان بن غياث قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالا لقينا عبد الله بن عمر فذكرنا له القدر وما يقولون فيه فقال إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابن عمر منكم بريء وأنتم منه براء ثلاث مرات ثم قال أخبرني عمر بن الخطاب أنهم بينما هم جلوس عند رسول الله جاءه رجل حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بياض فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا ما نعرف هذا ولا هذا صاحب سفر ثم قال يا رسول الله آتيك قال: نعم قال فجاء فوضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه، فقال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت" قال: فما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر كله" قال: فما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: فمتى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فما أشراطها؟ قال: "أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وولدت الإماء أربابهن" ثم قال: علي بالرجل فطلبوه فلم يروا شيئًا فلبث يومين أو ثلاثًا ثم قال: يا ابن الخطاب أتدري من السائل عن كذا وكذا؟" قال الله ورسوله أعلم. قال: "ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم". وذكر الحديث.
رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد
وأخرجه من حديث كهمس بن الحسن عن ابن بريده قال فيه بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه فينا أحد حتى جلس إلى النبي وقال في كل ما نجيبه به صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. رواه أبو هريرة قال كان رسول الله يومًا بارزًا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ وقال في آخره ثم أدبر الرجل فقال: ردوا علي الرجل، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئًا فقال رسول الله: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم". أخرجاه في الصحيح.
باب ما جاء في رؤية حارثة بن النعمان جبريل عليه السلام جالسًا في المقاعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
*حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله قال أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة عن حارثة بن النعمان قال مررت على رسول الله ومعه جبريل عليه السلام جالس في المقاعد فسلمت عليه ومررت فلما رجعنا وانصرف رسول الله قال لي: "هل رأيت الذي كان معي" قلت: نعم قال: "فإنه جبريل وقد رد عليك السلام"

باب ما جاء في رؤية عبد الله بن عباس جبريل عليه السلام.

*أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ قال أخبرنا الحسن ابن محمد بن إسحاق قال حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال كنت مع أبي عند رسول الله ومعه رجل يناجيه فكان كالمعرض عني فلما خرجنا قال يا بني ألم تر أن ابن عمك كان كالمعرض عني عن أبيه عن أبي فرك فقلت يا أباه إنه كان عنده رجل يناجيه فرجع إلى رسول الله فقال يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فقال: إنه كان عندك رجل تناجيه ويناجيك فهل كان عندك أحد فقال رسول الله: وهل رأيته يا عبد الله؟ قلت: نعم قال: ذاك جبريل عليه السلام هو الذي كان يشغلني عنك".

باب ما جاء في رؤية الأنصاري جبريل عليه السلام وحديثه معه

* أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال عاد رسول الله رجلاً من الأنصار فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل فلما استأذن عليه دخل فلم ير أحدًا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعتك تكلم غيرك قال: يا رسول الله لقد دخلت الداخل اغتمامًا بكلام الناس مما بي من الحمى فدخل علي داخل ما رأيت رجلاً قط بعدك أكرم مجلسًا ولا أحسن حديثًا منه قال: ذلك جبريل وأن منكم لرجالًا لو أن أحدكم يقسم على الله لأبره".

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا إبراهيم بن هاشم قال حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة فذكره بإسناده مثله.

باب ما جاء في رؤية محمد بن مسلمة الأنصاري البدري جبريل عليه السلام.

* أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن علي بن المؤمل أخبرنا أبو أحمد بن إسحاق الحافظ قال أخبرنا أبو عروبة الحسين بن أبي معشر السلمي قال حدثنا محمد بن المثني قال حدثنا عباد بن موسى قال حدثنا يونس عن الحسن عن محمد بن مسلمة قال مررت فإذا رسول الله على الصفا واضعًا خده على خد رجل قال فذهبت فلم ألبث أن ناداني رسول الله قال فقمت له فقال: يا محمد ما منعك أن تسلم؟ قال محمد بن مسلمة: يا رسول الله رأيتك فعلت بهذا الرجل شيئًا ما فعلته بأحد من الناس فكرهت أن أقطع عليك حديثك فمن كان يا رسول الله يكلمك؟ قال: جبريل قال محمد بن مسلمة لم يسلم أما أنه لو سلم لرددنا عليه السلام قال: وما قال لك يا رسول الله؟ قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى كنت أنتظر متى يأمرني فأورثه".

باب ما جاء في رؤية حذيفة بن اليمان الملك الذي روى أنه استأذن ربه في التسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

*أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا الحسن بن علي بن عفان قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني إسرائيل ح وأخبرنا أبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو علي الرفاء قال حدثنا محمد بن صالح الأشج قال حدثنا عبد الله بن عبد العزيز قال حدثنا إسرائيل بن يونس عن ميسرة بن حبيب النهري عن

المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان قال صلى رسول الله العشاء ثم خرج فتبعته فإذا عارض قد عرض له فقال لي: (يا حذيفة هل رأيت العارض الذي عرض لي) قلت نعم قال (ذاك ملك من الملائكة أستأذن ربه يسلم علي ويبشرني بالحسن والحسين أنهما سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) لفظ حديث أبي عبد الله الحافظ وقد أخرجته في كتاب الفضائل بطوله.

زاد ابن قتادة لم يهبط إلى الأرض قبلها يعني الملك وروينا في قصة الأحزاب أن حذيفة رأى جماعة من الملائكة في الليلة التي بعثه فيها رسول الله طليعة.

باب ما جاء في رؤية عمران بن حصين الملائكة وتسليمهم عليه وذهابهم عنه حين اكتوى وعودهم إليه بعد ما تركه.

* أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه قال أخبرنا محمد بن أيوب قال أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدي قال حدثنا محمد بن واسع عن مطرف ابن عبد الله بن الشخير قال: قال لي عمران بن حصين ذات يوم إذا أصبحت فأغد علي فلما أصبحت غدوت عليه فقال لي: ما غدا بك؟ قلت: الميعاد. قال: أحدثك حديثين أما إحداهما فأكتمه علي وأما الآخر فلا أبالي أن تفشيه علي..

فأما الذي تكتم علي فإن الذي كان أنقطع قد رجع يعني تسليم الملائكة

والآخر تمتعنا مع رسول الله قال فيها رجل برأيه ما شاء. أخرجه مسلم في الصحيح من حديث إسماعيل بن مسلم.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا عبد الله بن إسحاق بن الخراساني قال حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي قال حدثنا شبابة قال حدثنا شعبة ح حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله قال أخبرنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة قال أخبرني حميد بن هلال العدوي قال سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال: قال لي: ألا أحدثك حديثا لعل الله أن ينفعك به؟ أن رسول الله جمع بين حج وعمرة ثم لم ينه عنه ولم ينزل قرآنا يحرمه وأنه قد كان يسلم علي فلما اكتويت أنقطع عني فلما تركت عاد إلي يعني الملائكة.

وفي رواية شبابة وأنه كان يسلم علي حتى اكتويت فلما اكتويت رفع عني ذلك فلما تركت ذلك عاد إلي يعني تسليم الملائكة.

أخرجه مسلم في الصحيح عن حديث شعبة.

*أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس بن يعقوب قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال لنا عمر: أن ابن حصين بعد أن اكتوى وكان يأتيه آت ينبهه

للصلاة فلما اكتوى أمسك عنه فلما سقطت عنه آثار المكاوي عاد إليه فقال لهم: أعلموا أن الذي كان يأتيني قد عاد إليّ، وذكر الحديث ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال فيه وأعلم أنه قد سلم علي فإن عشت فأكتم علي وإن مت فحدث أن شئت.

*أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن علي المقرئ قال حدثنا أبو عيسى الترمذي في التاريخ قال حدثنا عبد الله ابن أبي زياد الكوفي قال حدثنا سيار قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن غزالة قالت كان عمران بن حصين يأمرنا أن نكنس الدار ونسمع السلام عليكم ولا نرى أحدا قال أبو عيسى يعني هذا تسليم الملائكة.

*وفي حديث يوسف بن يعقوب القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد ابن سلمة عن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب قال يا رسول الله أرني جبريل عليه السلام في صورته فقال: (أنك لا تستطيع أن تراه) قال بلى فأرينه قال (فاقعد) فقعد فنزل جبريل عليه السلام على خشبة كانت في الكعبة يلقي المشركون عليها ثيابهم إذا طافوا فقال النبي (أرفع طرفك فأنظر) فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد كالزرع الأخضر فخر مغشيًا عليه.

هكذا روي هذا عن عمار بن أبي عمار وهو مرسل

باب في رؤية أسيد بن الحضير وغيره السكينة والملائكة التي نزلت عند قراءة القرآن

*أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان قال حدثنا عمرو بن خالد الحراني قال حدثنا زهير قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال

كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي فذكر ذلك فقال: (تلك السكينة تنزلت من للقرآن).

وأخبرنا أبو عبد الله قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى قال حدثنا يحيى بن يحيى قال أخبرنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبن إسحاق عن البراء فذكره بمثله.

رواه البخاري في الصحيح عن عمرو بن خالد ورواه مسلم عن يحيى ابن يحيى

*وأخبرنا أبو بكر بن فورك رحمه الله أخبرنا عبد الله بن جعفر الأصبهاني قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء يقول بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض أو قال فرسه تركض فنظر فإذ مثل الضبابة أو مثل الغمامة فذكر ذلك لرسول الله فقال: (تلك السكينة تنزلت للقرآن أو تنزلت عند القرآن).

رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن مثنى عن أبي داود.

*أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان قال حدثنا ابن بكير قال حدثنا الليث عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أسيد بن حضير قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت فأنصرف وكان أبنه قريبا منه فأشفق أن تصيبه فلما أخبره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث رسول الله فقال بينما أنا اقرأ البارحة والفرس مربوطة إذ جالت فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم (اقرأ ابن الحضير اقرأ ابن الحضير) ثلاث مرات فقرأت فجالت فسكت فسكنت فقال رسول الله (اقرأ ابن الحضير) فاشفقت يا رسول الله إن تطأ يحيى وكان قريبًا فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا هو مثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى لا أراها قال رسول الله (وتدري ما ذلك) قال: قلت لا يا رسول الله قال: (تلك الملائكة أتت لصوتك ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها لا تتوارى منهم) قال وحدثنا أيضًا هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري عن أسيد بن الحضير.

أخرجه البخاري في الصحاح فقال وقال الليث وأخرجه مسلم من حديث إبراهيم بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب.

وروي ذلك أيضا من حديث الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أسيد ومن حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد.

باب سماع الصحابي قراءة من أسمعه قرآنه وأخفاه شخصه والحمد لله وحده

*أخبرنا أبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو منصور النصروي قال حدثنا أحمد بن نجدة قال حدثنا سعيد بن منصور قال حدثنا أبو الأحوص عن أبي الحسن التيمي قال سمعت رجلاً يقول كنت أسير مع رسول الله في ليلة ظلماء فسمع رجلاً يقرأ (قل يا أيها الكافرون) فقال رسول الله (أما هذا فقد برىء من الشرك).

وسرنا فسمعنا رجلًا يقرأ (قل هو الله أحد) فقال: (أما هذا فقد غفر له) فكففت راحلتي لأنظر من هو فنظرت يمينًا وشمالاً فما رأيت أحدًا.

باب سماع عوف بن مالك وغيره صوت الملك الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاعة.

* أخبرنا أبو بكر بن فورك رحمه الله قال أخبرنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود قال حدثنا همام عن قتادة عن أبي المليح عن عوف بن مالك الأشجعي قال كنا مع النبي في سفر فعرسنا وافترش كل رجل منا ذراع راحلته ثم انتبهت بعض الليل وإذا ليس بين يدي راحلة رسول الله أحد فانطلقت فإذا أنا بمعاذ بن جبل وعبد الله بن قيس قائمان فقلت لهما هل رأيتما رسول الله فقالا لا وأنا أسمع صوتا فإذا مثل هزيز الرحا وأتانا رسول الله فقال: "أنه أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فأخترت الشفاعة" فقلنا نناشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك فقال رسول الله: " أنتم من أهل شفاعتي" وجعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله اجعلني من أهل شفاعتك، فيقول: أنت من أهل شفاعتي فلما أضبوا عليه قال رسول الله: "اللهم أني أشهدك أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا".

- ورأى سعد عن يمينه يساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض.

-ومثله غير واحد.

قلت: روى مسلم في باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم، يوم أحد.

* حدثنا أو بكر بن أبي شيبة. حدثنا محمد بن بشر وأبو أسامة عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن سعد. قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله، يوم أحد، رجلين عليهما ثياب بياض. ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.
* وحدثني إسحاق بن منصور. أخبرنا عبد الصمد بن عبد الوارث. حدثنا إبراهيم بن سعد. حدثنا سعد عن أبيه، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لقد رأيت يوم أحد، عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره، رجلين عليهما ثياب بيض. يقاتلان عنه كأشد القتال. ما رأيتهما قبل ولا بعد.
-وسمع بعضهم زجر الملائكة خيْلَها يوم بدر.
-وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار، ولا يرون الضارب.
-ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالاً بيضاً على خيْل بُلق بين السماء والأرض، ما يقوم لها شيء.
قال البيهقي في دلائل النبوة
باب التقاء الجمعين ونزول الملائكة وما ظهر في رمي النبي بالقبضة وإلقاء الله تعالى الرعب في قلوبهم من آثار النبوة:
* أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبدوس الطرايفي قال حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) قال أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي وأصحابه فسبقت العير رسول الله وكان الله عز وجل وعدهم إحدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما فلما سبقت البعير وفاتت سار رسول الله بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم فنزل النبي والمسلمون وبينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا فشرب المسلمون وتطهروا فأذهب الله عنهم رجز الشيطان وصار الرمل كدا ذكر كلمة أخبر أنه أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم ومد الله تعالى نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة وجاء إبليس في جند من الشياطين معه راية في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يده فقال: "يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا" فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم

ولى مدبرًا وشيعته فقال الرجل يا سراقة ألم تزعم أنك لنا جار قال (إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) وذلك حين رأى الملائكة...
*أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني محمد بن أحمد الأصبهاني قال حدثنا الحسن بن الجهم قال حدثنا الحسين بن الفرج قال حدثنا الواقدي قال فحدثني موسى بن يعقوب الزمعي عن عمه قال سمعت أبا بكر ابن سليمان بن أبي حثمة قال سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك حتى ألح عليه فقال حكيم التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصى في الطست وقبض النبي القبضة فرمى بها فانهزمنا.
قال الواقدي فحدثنا أبو إسحاق بن محمد عن الرحمن بن محمد بن عبد عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصا في الطساس في أيدينا ومن خلفنا وكان ذلك من أشد الرعب علينا...
* أخبرنا أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا زياد بن الخليل التستري قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني عباس يعني ابن أبي سلمة عن موسى بن يعقوب عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم بن حزام قال سمعنا صوتًا من السماء وقع إلى الأرض كأنه صوت حصاة في طست فرمى رسول الله تلك الحصاة يوم بدر فما بقي منا أحد يزيد بن عبد الله هذا هو ابن وهب بن زمعة عم موسى ابن يعقوب.
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنا يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا فذكر الحديث في يوم بدر إلى أن قال فكان رسول الله في العريش هو وأبو بكر وما معهما غيرهما وقد تدانا القوم بعضهم من بعضهم فجعل رسول الله يناشد ربه ما وعده من نصره ويقول: "اللهم إنك أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد" وأبو بكر يقول بعض مناشدتك لربك يا رسول الله فإن الله موفيك ما وعدك من نصره وخفق رسول الله خفقة ثم هب فقال رسول الله: "أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع" يعني الغبار ثم خرج رسول الله فعبأ أصحابه وهيأهم وقال لا يعجلن رجل بقتال حتى نؤذنه فإذا أكثبوكم القوم يقول اقتربوا منكم فانضحوهم عنكم بالنبل ثم تزاحم الناس فلما تدانا بعضهم من بعض خرج رسول الله فأخذ حفنة من حصباء ثم استقبل بها قريشًا فنفخ بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه يقول قبحت الوجوه ثم قال رسول الله احملوا يا معشر المسلمين فحمل المسلمون وهزم الله قريشا وقتل من قتل من أشرافهم وأسر من أسر منهم...
* أخبرنا أبو علي الروذباري قال أخبرنا عبد الله بن عمر بن أحمد بن شوذب الواسطي بها قال حضرت أحمد بن سنان مع أبي وجدي في المجلس وهو يحدث وأنا أسمع قال حدثنا يزيد بن هارون قال: قال محمد بن إسحاق قال عبد الله بن أبي بكر قال حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد يوم بدر قال بعد

أن ذهب بصره قال لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة...
-وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين.
قال البيهقي في دلائل النبوة:
* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس بن يعقوب قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال لنا عمر أن ابن حصين بعد أن اكتوى وكان يأتيه آت ينبهه للصلاة فلما اكتوى أمسك عنه فلما سقطت عنه آثار المكاوي عاد أليه فقال لهم أعلموا أن الذي كان يأتيني قد عاد ألي وذكر الحديث ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال فيه وأعلم أنه قد سلم علي فإن عشت فأكتم علي وإن مت فحدث أن شئت.
* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن علي المقرئ قال حدثنا أبو عيسى الترمذي في التاريخ قال حدثنا عبد الله ابن أبي زياد الكوفي قال حدثنا سيار قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن غزالة قالت كان عمران بن حصين يأمرنا أن نكنس الدار ونسمع السلام عليكم ولا نرى أحدًا قال أبو عيسى يعني هذا تسليم الملائكة.
-وأرى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة، فخر مغشياً عليه.
قال البيهقي في دلائل النبوة:
* وفي حديث يوسف بن يعقوب القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد ابن سلمة عن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب قال يا رسول الله أرني جبريل عليه السلام في صورته فقال: (أنك لا تستطيع أن تراه) قال بلى فأرينه قال: (فاقعد) فقعد فنزل جبريل عليه السلام على خشبة كانت في الكعبة يلقي المشركون عليها ثيابهم إذا طافوا فقال النبي (أرفع طرفك فأنظر) فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد كالزرع الأخضر فخر مغشيا عليه.. هكذا روي هذا عن عمار بن أبي عمار وهو مرسل.
-ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن، و سمع كلامهم، وشبههم برجال الزط.
قلت:روى الترمذي في سننه، قال:
حدثنا محمد بن بشار حدثنا بن أبي عدي عن جعفر بن ميمون عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي عثمان عن بن مسعود قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حتى خرج به إلى بطحاء مكة فأجلسه ثم خط عليه خطا ثم قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك، قال: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى قشرا وينتهون إلي لا يجاوزون الخط ثم يصدرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من آخر الليل لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءني وأنا جالس فقال: لقد أراني منذ الليلة ثم دخل علي في خطي فتوسد فخذي فرقد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رقد نفخ فبينا أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد فخذي إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمال فانتهوا إلي فجلس

طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة منهم عند رجليه ثم قالوا بينهم: ما رأينا عبدًا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلًا مثل سيد بنى قصرًا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فقال: سمعت ما قال هؤلاء وهل تدري من هؤلاء؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: هم الملائكة... فتدري ما المثل الذي ضربوا؟ قلت الله ورسوله أعلم..قال: المثل الذي ضربوا الرحمن تبارك وتعالى بنى الجنة ودعا إليها عباده فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عاقبه أو عذبه.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وأبو تميمة هو الهجيمي واسمه طريف بن مجالد وأبو عثمان النهدي اسمه عبد الرحمن بن مل وسليمان التيمي قد روى هذا الحديث عنه معتمر وهو سليمان بن طرخان ولم يكن تيميًا وإنما كان ينزل بني تيم فنسب إليهم قال علي قال يحيى بن سعيد ما رأيت أخوف لله تعالى من سليمان التيمي

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

-وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: تقدم يا مصعب فقال له الملك: لست بمصعب، فعلم أنه ملك.

قال ابن إسحاق:

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل، فكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى قريش فقال: قد قتلت محمداً، فلما قتل مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب اللواء،

-وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أنه قال: بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: نغمة الجن. من أنت؟ قال أنا هامة بن الهيم بن لاقس بن إبليس، فذكر أنه لقي نوحًا ومن بعده... في حديث طويل، وأن صلى الله عليه وسلم علمه سوراً من القرآن.

قلت: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما روي في قدوم هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس على النبي وإسلامه:

أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله أنبأنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل الغازي المروزي حدثنا عبد الله بن حماد الآملي حدثنا محمد بن أبي معشر أخبرني أبي عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه: بينا نحن قعود مع النبي على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي فرد عليه السلام ثم قال: نغمة جن وغمعمتهم من أنت؟ قال أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس، قال رسول الله: فما بينك وبين إبليس إلا أبوان فكم أتى عليك من الدهور؟ قال أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلاً ليالي قتل قابيل هابيل كنت غلاماً ابن

أعوام أفهم الكلام وأمر بالآكام وآمر بفساد الطعام وقطيعة الأرحام فقال رسول الله (بئس عمل الشيخ المقوسم والشاب المتلوم) قال ذرني من الترداد أني تايب إلى الله عز وجل إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وقال لا جرم أني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال قلت يا نوح إني ممن اشترك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة ؟ قال يا هام هم بالخير وأفعله قبل الحسرة والندامة إني قرأت فيما أنزل الله عز وجل إنه ليس من عبد تاب إلى الله عز وجل بالغ أمره ما بلغ إلا تاب الله عليه قم فتوضأ وأسجد لله سجدتين قال ففعلت من ساعتي ما أمرني به فناداني أرفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء قال فخررت لله ساجداً جزلاً...وكنت مع هود في مسجده مع من آمن من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني فقال لا جرم أني أنا على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين... وكنت مع صالح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني فقال أنا على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين... وكنت زوار يعقوب...وكنت مع يوسف بالمكان الأمين وكنت ألقي إلياس في الأدوية وأنا ألقاه الآن... وإني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة... وقال إن لقيت عيسى يعني ابن مريم فأقرئه عن موسى السلام وأن عيسى قال: إن لقيت محمداً فأقرئه مني السلام قال فأرسل رسول الله عينيه فبكى ثم قال: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك السلام يا هام بأدائك الأمانة. قال يا رسول الله أفعل بي ما فعل موسى إنه علمني من التوراة فعلمه رسول الله إذا وقعت الواقعة والمرسلات و (عم يتساءلون) و (إذا الشمس كورت) والمعوذتين و (قل هو الله أحد) وقال أرفع إلينا حاجتك يا هامة ولا تدع زيارتنا قال فقال عمر فقبض رسول الله ولم ينعه إلينا فلسنا ندري أحي أم ميت.

قلت أبو معشر المدني قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه وقد روي هذا الحديث من وجه آخر أقوى منه والله أعلم.

-وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة، فجزَّ لها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: تلك العزى.

قلت: روى البيهقي في دلائل النبوة، قال:

باب ما جاء في بعثة خالد بن الوليد إلى نخلة كانت بها العزى وما ظهر في ذلك من الآثار:

أخبرنا محمد بن أبي بكر الفقيه قال أخبرنا محمد بن أبي جعفر قال أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد ابن فضيل قال حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال لما فتح رسول الله مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد ابن الوليد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها امعنوا في الجبل وهم يقولون يا عزى خبلية يا عزى عورية وإلا فموتي برغم قال فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة

شعرها تحثو التراب على رأسها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي فأخبره فقال تلك العزى.

- وقال صلى الله عليه وسلم: إن شيطاناً تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان:(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) (صـ: ٣٥). فرده الله خاسئاً.

قلت: رواه البخاري في كتاب التفسير باب: قول الله تعالى: {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب} /ص: ٣٠/. الراجع المنيب.

- حدثنا محمد بن بشار: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: {رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي}. فرددته خاسئا).

{عفريت} متمرد من إنس أو جان، مثل زبنية جماعتها الزبانية.

وفي باب: قوله: {هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب} /٣٥/.

- حدثنا إسحاق بن إبراهيم: حدثنا روح ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة، أو كلمة نحوها، ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: {رب اغفر لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي}). قال روح: فرده خاسئًا.

وفي كتاب أبواب المساجد. باب: الأسير أو الغريم يربط في المسجد.

- حدثنا إسحق بن إبراهيم قال: أخبرنا روح ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: (إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: {رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي}). قال روح: فرده خاسئًا.

وفي كتاب بدء الخلق باب: صفة إبليس وجنوده. حدثنا محمود: حدثنا شبابة: حدثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه صلى صلاة، فقال: (إن الشيطان عرض لي، فشد علي، يقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه). فذكره.

ورواه مسلم في كتاب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة:

حدثنا إسحاق بن إبراهيم وإسحاق بن منصور. قالا: أخبرنا النضر بن شميل. أخبرنا شعبة. حدثنا محمد (وهو ابن زياد) قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة. ليقطع علي الصلاة.

وإن الله أمكنني منه فذَعَتُّهُ. فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد. حتى تصبحوا تنظرون إليه. أجمعون (أو كلكم) ثم ذكرت قول أخي سليمان: (رب اغفر لي وهب لي مالكا لا ينبغي لأحد من بعدي). فرده الله خاسئًا".
وقال ابن منصور: شعبة عن محمد بن زياد.
حدثنا محمد بن بشار. حدثنا محمد (هو ابن جعفر) ح قال وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا شبابة. كلاهما عن شعبة، في هذا الإسناد. وليس في حديث ابن جعفر قوله: فذعته. وأما ابن أبي شيبة فقال في روايته: فذعته [ما الفرق؟؟ مراجعة الكتاب: لعله بالدال؟؟].
حدثنا محمد بن سلمة المرادي. حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح. يقول: حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء؛ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول "أعوذ بالله منك" ثم قال: "ألعنك بلعنة الله" ثلاثًا. وبسط يده كأنه يتناول شيئًا. فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك. ورأيناك بسطت يدك. قال: "إن عدو الله، إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي. فقلت: أعوذ بالله منك. ثلاث مرات. ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة. فلم يستأخر. ثلاث مرات. ثم أردت أخذه. والله! لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة"...
وهذا باب واسع.
الفصل السابع والعشرون:
من دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم.
- ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب، من صفته وصفة أمته، واسمه وعلاماته، وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين، من شعر تبع، والأوس بن الحارثة، وكعب ابن لؤي، وسفيان بن مجاشع، وقس بن ساعدة.
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم، وعرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعثكلان الحميري، وعلماء يهود، وشامول عالمهم صاحب تبع - من صفته وخبره.
ما أُلفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه، ونقله عنهما ثقاه من أسلم منهم، مثل ابن سلام، وابني سعية، وابن يامين، ومخيريق، وكعب، وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود، وبحيرا، ونصطور الحبشة، وصاحب بصرى، وضغاطر، وأسقف الشام، والجارود، وسلمان، والنجاشي، ونصارى الحبشة، وأساقف نجران، وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى.وقد اعترف بذلك هرقل، وصاحب رومة عالما النصارى، ورئيساهم، ومقوقس صاحب مصر، والشيخ صاحبه، وابن صوريا، وابن أخطب، وأخوه، وكعب بن أسد، والزبير بن باطيا، وغيرهم من علماء اليهود، ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء.
والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر. وقد قرع أسماع اليهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه، وليهم ألسنتهم ببيان أمره، ودعوتهم إلى المباهلة على

الكاذب، فما منهم إلا من نفر عن معارضته، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره. ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال، وقد قال لهم:(قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (آل عمران: ٩٣)إلى ما أنذر به الكهان، مثل شافع بن كليب، وشق، وسطيح، وسراد بن قارب، وخنافر، وأفعى بحران وجذل بن جذل الكندي، وابن خلصة الدوسي، وسعدى بنت كريز، وفاطمة بنت النعمان، ومن لا ينعد كثرة. إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته، وحلول وقت رسالته، وسمع من هواتف الجان، ومن ذبائح النصب، وأجواف الصور، وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوباً في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور، وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور.

الفصل الثامن والعشرون:

فيما ظهر من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم.

-ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده، وما حكته أمه ومن حضره من العجائب، وكونه رافعاً رأسه عندما وضعته شاخصاً ببصره إلى السماء، وما رأته من النور الذي خرج معه ولادته، وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم، وظهور النور عند ولادته، حتى ما تنظر إلا النور. وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف: لما سقط فيما ظهر من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلاً يقول: حمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم.

-وما تعرفت به حليمة وزوجها ضِئراه من بركته، ودرور لبنها له، ولبن شارفها وخصب غنمه، و سرعة شبابه وحسن نشأته. وما جرى من العجائب ليلة مولده، من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس، وكان لها ألف عام لم تخمد. وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبِعوا و رَوَوْا، فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا.

-وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثاً و يصبح فيما ظهر من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم قيلاً هيناً كحيلاً.

-قالت أم أيمن حاضنته: ما رأيته فيما ظهر من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم شكا جوعاً قطّ ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً.

-ومن ذلك حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم استراق السمع.

-وما نشأ عليه من بُغض الأصنام، والعفة عن أمور الجاهلية، وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة، إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه، ليحمل عليه الحجارة وتعرى، فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه. فقال له عمه: ما بالك؟ فقال: إني قد نهيت عن التعري.

-ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره.

-وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم، وما كان يظلانه، فذكرت ذلك لميسرة، فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره.

-وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله، وهو عندها.

-وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة.
-ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة، فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغضانها بمحضر من رآه.
-وميْل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته.
-وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصيته في شمس ولا قمر، لأنه كان نوراً.
وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه.
ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه، ثم إعلامه بموته ودنو أجله، وأن قبره في المدينة وفي بيته، وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وتخيير الله له عند موته، وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته، تشريفه، وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها. و استئذان ملك الموت عليه، و لم يستأذن على غيره قبله. و نداؤهم الذي سمعوه ألا ينزعوا القميص عنه عند غسله. وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند موته. إلى ما ظهر على أصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته، كاستسقاء عمر بعمه، وتبرك غير واحد بذريته.

----

٣١. القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم(الخـاتمة)

معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل عليهم السلام:
* قال القاضي أبو الفضل: قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة، وجمل من علامات نبوته مقنعة، في واحد منها الكفاية والغنية، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا، واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد، ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيراً من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة، وحذفنا الإسناد في جمهورها، طلباً للاختصار. وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديواناً جامعاً يشتمل على مجلدات عدة. ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:
أحدهما: كثرتها، وأنه لم يؤت نبي معجزةً إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها. وقد نبه الناس على ذلك، فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب، ومعجزات من تقدم من الأنبياء ـ تقف على ذلك إن شاء الله تعالى. وأما كونها كثيرة فهذا القرآن، وكله معجز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)، أو آية في قدرها.
وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة. وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة، وإن كانت من كلمة أو كلمتين.والحق ما ذكرناه أولاً، لقوله تعالى: (قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ)، (يونس: ٣٨) فهو أقل ما تحداهم به، مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه. وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم، وعدد كلمات: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ *) عشر كلمات، فتجزؤ القرآن على نسبة عدد (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) أزيد من سبعة آلاف جزء، كل واحد منها معجز في نفسه. ثم إعجازه ـ كما تقدم ـ بوجهين: طريق بلاغته، وطريق نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان، فتضاعف العدد من هذا الوجه. ثم فيه وجوه إعجاز

أخر من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب، كل خبر منها بنفسه معجز، فتضاعف العدد كرة أخرى. ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف، هذا في حق القرآن، فلا يكاد يأخذ العد معجزاته، ولا يحوي الحصر براهينه.
ثم الأحاديث الواردة، والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ نحواً من هذا.
الوجه الثاني: وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم، فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه.فلما كان موسى غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تُشبه ما يدعون قدرتهم عليه، فجاءهم منها ما خرق عادتهم، ولم يكن في قدرتهم، وأبطل سحرهم. وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب، وأوفر ما كان أهله، فجاءهم أمر لا يقدرون عليه، وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب. وهكذا سائر معجزات الأنبياء.
ثم إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، وجملة معارف العرب وعلومها أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة، والإيجاز، والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب، والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، لا علموا في أساليب الأوزان منهجه، ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر، فتوجد على ما كانت، ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه، وإن كان أ'عدى العدو. فأبطل الكهانة التي تصدق مرةً وتكذيب عشراً، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب، ورصد النجوم. وجاء من الأخبار عن القرون السالفة، وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة، والحوادث الماضية ـ ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها و بينا المعجز فيها. ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتةً إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي، لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه، وتأمل وجوه إعجازه.
إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل، فلا يمر عصر ولا زمن إلا يظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر، فيتجدد الإيمان، ويتظاهر البرهان، وليس الخبر كالعيان كما قيل. وللمشاهدة زيادة في اليقين، والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين، وإن كان كل عندها حقاً.
وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم، وعُدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل، ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي، حدثنا القاضي أبو الوليد، حدثنا أبو ذر، حدثنا أبو محمد، وأبو إسحاق، وأبو الهيثم، قالوا: حدثنا الفربري، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم

تابعاً يوم القيامة". هذا معنى الحديث عن بعضهم، وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله.
قلت: رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل.
- حدثنا عبد الله ين يوسف: حدثنا الليث: حدثنا سعيد المقبري، عن أبيه،عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة).
كتاب الاعتصام، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بُعِثتُ بجوامع الكلم). - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من الأنبياء نبيٌّ إلاَّ أعطِيَ من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنِّي أكثرهم تابعاً يوم القيامة).
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة".
وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخييل فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه، فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشِبه هذا مما يخيله الساحر، أو يتحيل فيه. والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر، ولا التخييل فيه عمل، فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات، كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب أن يكون شاعراً أو خطيباً بضرب من الحيل والتمويه.
والتأويل الأول أخلص وأرضى. وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض عليه الجفن، ويغضى. ووجه ثالث على مذهب من قال بالصَّرفة، وأن المعارضة كانت في مقدور البشر، فصرفوا عنها، أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم، ولكن لم يكن ذلك قبل، ولا يكون بعد، لأن الله تعالى لم يقدرهم، ولا يقدرهم عليه. وبين المذهبين فرق بين، وعليهما جميعاً، فتَرْكُ العرب الإتيان بما في مقدورهم، أو ما هو من جنس مقدورهم، ورضاهم بالبلاء والجلاء، والسباء والإذلال، وتغيير الحال، وسلب النفوس والأموال، والتقريع والتوبيخ، والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله، والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم. وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره، قال: وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها، كقلب العصا حيةً ونحوها، فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بداراً أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن، وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح

النظر.وأما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا، فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي: آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه، وارتفاع الزمانة عنهم، فكان ذلك، وعجزهم الله تعالى عن القيام ـ لكان ذلك من أبهر آية، وأظهر دلالة. و بالله التوفيق.

وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء، حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب، وذكاء ألبابها، ووفور عقولها، وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم، وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم، وغيرهم من القبط و بني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل، بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم، وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم، وعبدوا المسيح مع أجماعهم على صلبه،(وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء ١٥٧)، فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه، ومع هذا فقالوا (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّـهَ جَهْرَةً) (البقرة: ٥٥) ولم يصبروا على المن والسلوى، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع، وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى. ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله و صفاء لبِّه. ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته، وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته، فآمنوا به، وازدادوا كل يوم إيماناً، ورفضوا الدنيا كلها في صحبته، وهجروا ديارهم وأموالهم، وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته، وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق، ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق، لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها. وبالله أستعين ـ وهو حسبي، ونعم الوكيل...

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

تم بحمد الله وكرمه

وكان الفراغ منه يوم ١٨ ذي الحجة ١٤٢٦

أبو يوسف محمد زايد.

٣٢ـ تعدد مصاحف القرآن

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يقولون: لم تعددت المصاحف ؛ أليس فى ذلك دليل على الإختلاف المؤذن بالتحريف ؟ الرد على الشبهة: وهى وثيقة الصلة بالشبهة السابقة ونقول لهم:

التعدد الذى عندنا:

بدأ جمع القرآن فى " المصحف " فى عهد أبى بكر رضى الله عنه وكان هذا جمعًا لما كتب فى حضرة رسول الله كما تقدم.

ثم كان نسخ ما جُمع فى عهد أبى بكر فى مصاحف أربعةأو سبعة فى عهد عثمان رضى الله عنه ، فالجمع الأول كان بمعنى ضم الوثائق الخطية فى حياة النبى وترتيب سورها سورة بعد أخرى ، دون إعادة كتابتها من جديد.

وكان الجمع الثانى هو إعادة كتابة الوثائق النبوية فى مصحف نقلاً أمينًا لها دون أن يمسها أدنى تغيير أو تبديل.
ومن " المصحف الإمام " الذى تم نسخه من الوثائق النبوية مطابقًا لها ، ثم نسخ مصاحف أربعة ، أو سبعة وزعت على الأمصار الإسلامية فى ذلك الوقت.
الحجاز البصرة الكوفة الشام. وهذه المصاحف كانت أشبه ما تكون بالصورة الضوئية للوثائق الحديثة عندما يتم تصويرها فيتوغرافيًا ، شديدة الوضوح. ووجه الشبه هو التطابق التام بين المصحف " الأم " والمصاحف التى نسخت منه ، وأصل هذه المصاحف كلها هو " الوثائق الخطية النبوية ".
هذا لون من ألوان تعدد المصحف عندنا ، وهو أول تعدد ظهر فى تاريخ القرآن. لكنه تعدد أوراق لا تعدد كلام ؛ فالكلام الذى كُتِبَ فى جميع المصاحف كلام واحد ، مثل الكتاب الذى تُطبع منه مئات النسخ أو آلافها ، فإن كل نسخة منه تكرار حرفى للنسخ الأخرى.
أما اللون الثانى من تعدد المصاحف عندنا فهو مصاحف الأفراد التى كتبت بعد جمع القرآن لأول مرة فى عهد أبى بكر ، أو كتبت قبله ، قيل:إن عثمان جمع هذه المصاحف وحرقها. وقيل إنه لم يحرقها بل استبعد غير الصحيح منها. ومنها مصحف ابن مسعود لخلاف غير كبير بينه وبين المصحف الإمام.
ثم تعددت نسخ المصحف بعد ذلك ، باتساع الأقطار الإسلامية ، ومع هذا التعدد فإن النصوص الموحى بها من الله عز وجل واحدة فى جميع المصاحف فى العالم الإسلامى كله.
أما ما استحدث من إضافات فهى إجراءات خارجية لا صلة لها بالنصوص المنزلة.
وكل المصاحف كانت تكراراً لمصحف عثمان ، الذى جمع عليه الأمة ، وأعدم أو استبعد ما عداه من مصاحف الأفراد ، لأن العمل الفردى عرضة للخطأ والسهو أو النسيان.
" وإذا كان إعدام هذه المخطوطات الفردية يبدو فيه شىء من القسوة فى الوقت الذى لم يوجد فيه بالفعل أى تحريف على الإطلاق ، فإنه يدل مع ذلك على أن عثمان كان بعيد النظر ، وعميقًا فى إدراك حقيقة الأمور ، ويرجع فضل تمتع المسلمين اليوم بوحدة كتابهم واستقراره إلى هذا العمل المجيد من جانب عثمان.
ومهما أضيف إلى المصحف العثمانى من علامات خارجية ابتكرها أبو الأسود الدؤلى وأتباعه ، ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ، والحسن البصرى ، والخليل بن أحمد فإن النص (الإلهى) باق كما هو على الدوام ، يتحدى فعل الزمن ، ووجود بعض الحروف الزائدة (لحكمة) أو الكلمات المدغمة التى اقتصرت على كتابة المصحف فى جميع نسخ القرآن إلى اليوم ، المطبوع منها والمخطوط ، يُعد شهادة بليغة على الأمانة التى انتقل بها البناء القرآنى من جيل إلى جيل ، حتى وصل إلينا بهذا الكمال المنقطع النظير (١).
فإن قالوا: إن بعض المصاحف تختلف فى عدد سور القرآن من أربع عشرة ومائة سورة ، إلى اثنتى عشرة ومائة سورة ، إلى ست عشرة ومائة سورة (٢).

وكذلك تختلف المصاحف فى عدِّ آيات القرآن كله ، وفى كلماته وعدد حروفه. فكيف تقولون إن تعدد المصاحف عندكم كائن على صورة واحدة. وإن كل مصحف تكرار لما عداه من مصاحف ؟ إن قالوا هذا قلنا لهم ، إن الاختلاف فى هذه الأعداد كلها لا يخرج " المصاحف " عن الوحدة والتطابق التام بينها ؛ لأن النصوص الموحى بها من الله عز وجل إلى خاتم رسله واحدة فى جميع المصاحف ، فمثلاً من قال إن عدد سور القرآن ثلاث عشرة ومائة سورة اعتبر سورة الأنفال وسورة التوبة سورة واحدة ؛ لإنهما لم يفصل بينهما ب " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وكذلك الاختلاف فى عدد آيات القرآن الكريم مرجعه جَعْل آيتين آية واحدة ، وهكذا. وسواء عدت الآيتان آية واحدة ، أو عدتا آيتين فنصهما موجود فى المصحف الشريف. والاختلاف فى العدد لا مساس فيه بالمعدود ، وهو النصوص التى نزل بها الوحى الأمين. فالنصوص مسطورة فى المصحف ، أما تعدادها فأمر اعتبارى خارج عنها ، ووصف عارض طارئ عليها. فالإصابة والخطأ فيه لا ينعكس بأى حال على حقيقة النصوص المذكورة فى المصحف وإن قالوا: إن الشيعة يقولون إن عثمان رضى الله عنه حذف من القرآن شيئًا يتعلق بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبعضهم يذكر سورة باسم " سورة النورين " كانت مما نزل فى القرآن واستبعدها عثمان عند جمع المصحف. وهذا يُعد تعديلاً فى النصوص الموحى بها فكيف تقولون إن القرآن لم يمس ، وإن المصاحف متطابقة تمامًا ؟.

إن قالوا ذلك وهم قد قالوه فعلاً فإننا نقول لهم: إن كان هذا القول قد حدث من بعض الشيعة فالشيعة كان منهم غلاة دخلاء على التشيع ، وقد انقرضوا من الوجود الآن.

ومما يدفع هذه الفرية عن عثمان رضى الله عنه ، أن التشيع فى خلافته كان خافتًا ، بل وفى دور النشأة ، وعلى يد عبد الله بن سبأ ، الذى كان المسلمون يطلقون عليه: ابن السوداء وهو يهودى حاقد على الإسلام. ومولد التشيع كان بعد حادثة التحكيم بين علىّ رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه.

ومعنى هذا أن الحاجة إلى غمط حق علىّ رضى الله عنه لم يكن لها وجود فى خلافة عثمان. فما الذى يحمل عثمان إذن على غمط حقه وهب أن ذلك حدث منه فهل كان حُفاظ القرآن من الصحابة سيتركونه يعبث بكتاب الله ، والأهم من هذا أن عليًا نفسه رضى الله عنه أثنى على ما قام به عثمان من جمع القرآن ، وكذلك كل أصحاب رسول الله الذين كانوا أحياء فى خلافة عثمان (٣).

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا المصحف (العثمانى) هو الوحيد المتداول فى العالم الإسلامى بما فيه من فرق الشيعة ، منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ، ونذكر هنا رأى الشيعة الإمامية (أهم فرق الشيعة) كما ورد بكتاب أبى جعفر " الأم ":

إن اعتقادنا فى جملة القرآن ، الذى أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد هو كل ما تحويه دفتا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر، وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو ١١٤ سورة. أما عندنا " أى الشيعة " فسورة الضحى والشرح تكونان سورة واحدة ، وكذلك سورتا الفيل وقريش ، وأيضًا سورتا الأنفال والتوبة.

أما من ينسب إلينا أن القرآن أكثر من ذلك فهو كاذب (٤).

فماذا يقول خصوم القرآن بعد هذا البيان ؟ إن الاختلاف بين مصاحف السنة والشيعة هو فى تعداد السور فحسب ، يدمج بعض السور فى بعض عند الشيعة ، مع اعتماد كل النصوص الموحى بها فى مصاحف الفريقين. وهذا لا يضير فى قضية الإيمان ، ولا فى وحدة المصحف فى العالم الإسلامى.

(١) مدخل إلى القرآن الكريم (٥٠-٥١) د. محمد عبد الله دراز.

(٢) انظر: البرهان فى علوم القرآن (١/٢٤٩) مرجع سبق ذكره.

(٣) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم (٣٦) مرجع سبق ذكره.

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم (٣٩) مرجع سبق ذكره.

تاريخ النشر في الموقع: ١٤٢٤/١٠/٢٠ هـ الموافق ٢٠٠٣/١٤/١٢ م

٣٣- تعدد قراءات القرآن

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

مقدمة: تعدد القراءات ألا يدل على الإختلاف فيه ، وهو نوع من التحريف ؟

القراءات: جمع قراءة ، وقراءات القرآن مصطلح خاص لا يراد به المعنى اللغوى المطلق ، الذى يفهم من اطلاع أى قارئ على أى مكتوب ، بل لها فى علوم القرآن معنى خاص من إضافة كلمة قراءة أو قراءات للقرآن الكريم، فإضافة " قراءة " أو "قراءات " إلى القرآن تخصص معنى القراءة أو القراءات من ذلك المعنى اللغوى العام ، فالمعنى اللغوى العام يطلق ويراد منه قراءة أى مكتوب ، سواء كان صحيفة أو كتابًا ، أو حتى القرآن نفسه إذا قرأه قارئ من المصحف أو تلاه بلسانه من ذاكرته الحافظة لما يقرؤه من القرآن ومنه قول الفقهاء:

القراءة فى الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء تكون جهرًا ، فإن أسرَّ فيهما المصلى فقد ترك سُنة من سنن الصلاة ، ويسجد لهما سجود السهو إن أسر ساهيًا.

فقراءة القرآن هنا معنى لغوى عام ، لا ينطبق عليه ما نحن فيه الآن من مصطلح: قراءات القرآن. وقد وضع العلماء تعريفًا للقراءات القرآنية يحدد المراد منها تحديدًا دقيقًا. فقالوا فى تعريفها:

" اختلاف ألفاظ الوحى فى الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما (البرهان فى علوم القرآن (١/٣١٨)).

وقد عرفها بعض العلماء فقال:

" القراءات: هى النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبى صلى الله عليه وسلم .." (القراءات القرآنية تاريخ وتعريف).

ومما تجب ملاحظته أن القراءات القرآنية وحى من عند الله عزَّ وجل ، فهى إذن قرآنً ، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أَنْفُسِكُمْ)(١). هذه قراءة حفص عن عاصم ، أو القراءة العامة التى كُتب المصحف فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عليها ، والشاهد فى الآية كلمة "أنفُسِكُم" بضم الفاء وكسر السين ، وهى جمع: " نَفْس "

بسكون الفاء ، ومعناها: لقد جاءكم رسول ليس غريبًا عليكم تعرفونه كما تعرفون أنفسكم لأنه منكم نسبًا ومولدًا ونشأة ، وبيئة ، ولغة.
وقرأ غير عاصم: " لقد جاءكم رسول من أَنْفَسِكُمْ " بفتح الفاء وكسر السين ، ومعناها: لقد جاءكم رسول من أزكاكم وأطهركم.
و" أَنْفَس " هنا أفعل تفضيل من النفاسة. فكلمة " أنفسكم " كما ترى قرئت على وجهين من حيث النطق.
وهذا هو معنى القراءة والقراءات القرآنية.
مع ملاحظة مهمة ينبغى أن نستحضرها فى أذهاننا ونحن نتصدى فيما يأتى للرد على الشبهة التى سيوردها خصوم القرآن من مدخل: تعدد قراءات القرآن أن هذه القراءات لا تشمل كل كلمات القرآن ، بل لها كلمات فى الآية دون كلمات الآية الأخرى ، وقد رأينا فى الآية السابقة أن كلمات الآية لم تشملها القراءات ، بل كانت فى كلمة واحدة هى " أنفسكم ".
وهذا هو شأن القراءات فى جميع القرآن ، كما ينبغى أن نستحضر دائمًا أن كثيرًا من الآيات خلت من تعدد القراءات خلوًّا تامًّا.
ومثال آخر ، قوله تعالى:
" مالك يوم الدين " والشاهد فى الآية كلمة " مالك " ، وفيها قراءتان:
" مالك " اسم فاعل من " مَلِكَ " وهى قراءة حفص وآخرين. " مَلِك " صفة لاسم فاعل ، وهى قراءة:
نافع وآخرين.
ومعنى الأولى " مالك " القاضى المتصرف فى شئون يوم الدين، وهو يوم القيامة.
أما معنى " مَلِك " فهو أعم من معنى " مالك " أى من بيده الأمر والنهى ومقاليد كل شىء. ما ظهر منها وما خفى.
وكلا المعنيين لائق بالله تعالى ، وهما مدح لله عز وجل.
ولما كانت هذه الكلمة تحتمل القراءتين كتبت فى الرسم هكذا "ملك " بحذف الألف بعد حرف الميم ، مع وضع شرطة صغيرة رأسية بين الميم واللام ، ليصلح رسمها للنطق بالقراءتين.
ومثال ثالث هو قوله تعالى:
(يوم يُكشف عن ساق)(٢).
والشاهد فى الآية كلمة " يُكشَف " وفيها قراءتان الأولى قراءة جمهور القراء ، وهى " يُكشف " بضم الياء وسكون الكاف ، وفتح الشين. بالبناء للمفعول ، والثانية قراءة ابن عباس " تَكْشِفُ " بفتح التاء وسكون الكاف ، وكسر الشين ، بالبناء للفاعل ، وهو الساعة ، أى يوم تكشف الساعة عن سياق. قرأها بالتاء ، والبناء للمعلوم ، وقرأها الجمهور بالياء والبناء للمجهول.
والعبارة كناية عن الشدة ، كما قال الشاعر:
كشفت لهم ساقها * * * وبدا من الشر البراح (٣).
هذه نماذج سقناها من القراءات القرآنية تمهيدًا لذكر الحقائق الآتية:
- إن القراءات القرآنية وحى من عند الله عز وجل.

- إنها لا تدخل كل كلمات القرآن ، بل لها كلمات محصورة وردت فيها ، وقد أحصاها العلماء وبينوا وجوه القراءات فيها.
- إن الكلمة التى تقرأ على وجهين أو أكثر يكون لكل قراءة معنى مقبول يزيد المعنى ويثريه.
- إن القراءات القرآنية لا تؤدى إلى خلل فى آيات الكتاب العزيز ، وكلام الله الذى أنزله على خاتم رسله عليهم الصلاة والسلام.
ومع هذا فإن خصوم الإسلام يتخذون من تعدد قراءات بعض كلمات القرآن وسيلة للطعن فيه ، ويرون أن هذه القراءات ما هى إلا تحريفات لحقت بالقرآن بعد العصر النبوى.
وكأنهم يريدون أن يقولوا للمسلمين ، إنكم تتهمون الكتاب المقدس بعهديه (التوراة والإنجيل) بالتحريف والتغيير والتبديل ، وكتابكم المقدس (القرآن) حافل بالتحريفات والتغييرات والتبديلات ، التى تسمونها قراءات ؟ وهذا ما قالوه فعلاً ، وأثاروا حوله لغطًا كثيرًا ، وبخاصة جيش المبشرين والمستشرقين ، الذين تحالفوا إلا قليلاً منهم على تشويه حقائق الإسلام ، وفى مقدمتها القرآن الكريم.
ونكتفى بما أثاره واحد منهم قبل الرد على هذه الشبهة التى يطنطنون حولها كثيرًا ، ذلكم الواحد هو المستشرق اليهودى المجرى المسمى: " جولد زيهر " الحقود على الإسلام وكل ما يتصل به من قيم ومبادئ.
إن هذا الرجل لهو أشد خطرًا من القس زويمر زعيم جيش المبشرين الحاقدين على الإسلام فى عهد الاحتلال الإنجليزى للهند ومصر.
أوهام جولد زيهر حول القراءات القرآنية:
المحاولة التى قام بها جولد زيهر هى إخراج القراءات القرآنية من كونها وحيًا من عند الله ، نزل به الروح الأمين إلى كونها تخيلات توهمها علماء المسلمين ، وساعدهم على تجسيد هذا التوهم طبيعة الخط العربى ؛ لأنه كان فى الفترة التى ظهرت فيها القراءات غير منقوط ولا مشكول ، وهذا ساعد على نطق الياء ثاء فى مثل " تقولون " أو " تفعلون " ! فمنهم من قرأ بالتاء " تقولون " ومنهم من قرأ بالياء " يقولون ".
هذا من حيث النقط وجودًا وعدمًا ، أما من حيث الشكل أى ضبط الحروف بالفتح أو الضم مثلاً ، وأرجع إلى هذا السبب قوله تعالى: (وهو الذى أرسل الرياح بُشرًا..)(٤).
فقد قرأ عاصم: " بُشرا " بضم الباء وقرأها الكسائى وحمزة: " نَشْرا " بالنون المفتوحة بدلاً من الباء المضمومة عند عاصم.
وقرأ الباقون: " نُشُرا " بالنون المضمومة والشين المضمومة ، بينما كانت الشين فى القراءات الأخرى ساكنة (٥).
وفى هذا يقول جولد زيهر نقلاً عن الترجمة العربية لكتابه الذى ذكر فيه هذا الكلام (٦):
" والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب فى ظهوره إلى خاصية الخط العربى ، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعًا للنقط فوق

الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل (أى الحركات) فى الخط العربى يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب. فهذه التكميلات للرسم الكتابى ثم هذه الاختلافات فى الحركات والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات ، فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن ".

إن المتأمل فى هذا الكلام ، الذى نقلناه عن جولد زيهر ، يدرك أن الرجل يريد أن يقول فى دهاء وخبث.

إن هذه القراءات تحريفات معترف بها لدى المسلمين خاصتهم وعامتهم ، وأن النصوص الإلهية المنزلة على رسولهم أصابها بعض الضياع إنه لم يقل صراحة بالتحريف وإنما وضع المبررات لوجود التحريف فى القرآن الحكيم.

ثم أخذ بعد ذلك يورد أمثلة من القراءات وينسبها إلى السببين اللذين تقدم ذكرهما ، وهما:

- تجرد المصحف من النقط فى أول عهده.
- تجرد كلماته من ضبط الحروف.

فإلى السبب الأول نسب قوله تعالى:

(ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون)(٧).

والشاهد فى كلمة " تستكبرون " وهى قراءة الجمهور. وقد قارنها جولد زيهر بقراءة شاذة " تستكثرون " بإبدال الباء ثاء ، يريد أن يقول: إن الكلمة كانت فى الأصل " يستكبرون " غير منقوطة الحروف الأول والثالث والخامس فاختُلِف فى قراءتها:

فمنهم من قرأ الخامس " باء " والأول تاء فنطق: تستكبرون ، ومنهم من قرأ الخامس " ثاء " فنطق " تستكثرون.

هذا هو سبب هاتين القراءتين عنده.

وكذلك قوله تعالى:(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه..)(٨).

والشاهد فى كلمة " إياه " ضمير نصب منفصل للمفرد الغائب الذكر.

ثم قارنها بقراءة شاذة لحماد الراوية هكذا " اباه " بإبدال الياء من " إياه " باء " اباه " أى وعدها إبراهيم عليه السلام أباه ؟ (٩).

أما اختلاف القراءات للسبب الثانى ، وهو تجرد كلمات المصحف عن الضبط بالحركات ، فمن أمثلته عنده قوله تعالى:

(ومَنْ عِنْدَهُ علم الكتاب)(١٠).

وقارن بين قراءاتها الثلاث: " مَنْ عنْدَهُ " " مِنْ عِنْدِه " "مَنْ عِنْدِهِ " ؟ !

هذا هو منهجه فى إخراج القراءات القرآنية من كونها وحيًا من عند الله ، إلى كونها أوهامًا كان سببها نقص الخط العربى الذى كتب به المصحف أولاً عن تحقيق الألفاظ من حيث حروفها ومن حيث كيفية النطق بها. واقتفى أثره كثير من المبشرين والمستشرقين.

الرد على هذه الشبهة:

لقد حظى كتاب الله العزيز بعناية منقطعة النظير ، فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته.
ومن الحقائق الراسخة رسوخ الجبال أن طريق تَلَقِّى القرآن كان هو السماع الصوتى.
- سماع صوتى من جبريل لمحمد عليهما السلام.
- وسماع صوتى من الرسول إلى كتبة الوحى أولاً وإلى المسلمين عامة.
- وسماع صوتى من كتبة الوحى إلى الذين سمعوه منهم من عامة المسلمين.
- وسماع صوتى حتى الآن من حفظة القرآن المتقنين إلى من يتعلمونه منهم من أفراد المسلمين.
هذا هو الأصل منذ بدأ القرآن ينزل إلى هذه اللحظة وإلى يوم الدين ، فى تلقى القرآن من مرسل إلى مستقبل.
وليست كتابة القرآن فى مصاحف هى الأصل ، ولن تكون. القرآن يجب أن يُسمع بوعى قبل أن يقرأ من المصحف ، ولا يزال متعلم القرآن فى أشد الحاجة إلى سماع القرآن من شيوخ حافظين متقنين ، وفى القرآن عبارات أو كلمات مستحيل أن يتوصل أحد إلى نطقها الصحيح عن مجرد القراءة فى المصحف ، ولو ظل يتعلمها وحده أيامًا وأشهرا.
وبهذا تهوى الأفكار التى أرجع إليها جولد زيهر نشأة القراءات إلى الحضيض ، ولا يكون لها أى وزن فى البحث العلمى المقبول ؛ لأن المسلمين من جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان لم يتعلموا القرآن عن طريق الخط العربى من القراءة فى المصاحف ، وإنما تعلموه سماعًا واعيًا ملفوظًا كما خرج من فم محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قيض الله لكتابه شيوخًا أجلاء حفظوه وتلوه غضًا طريًا كما كان صاحب الرسالة يحفظه ويتلوه كما سمعه من جبريل أمين الوحى.
أجل.. كان سيكون لأفكار جولد زيهر وجه من الاحتمال لو كان المسلمون يأخذون القراءة قراءة من مصاحف.
أما وقد علمنا أن طريق تلقى القرآن هو السماع الموثق ، فإن أفكار جولد زيهر تذهب هباء فى يوم ريح عاصف.
ثانيًا: إن القراءات الصحيحة مسموعة من جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسموعة من محمد صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحى ، ومسموعة من محمد ومن كتبة الوحى لعموم المسلمين فى صدر الإسلام الأول ، ثم شيوخ القرآن فى تعاقب الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد سمع المسلمون من محمد المعصوم عن الخطأ فى التبليغ " فتبينوا " و " فتثبتوا " فى قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)(١١) بالباء والياء والنون.
وسمعوها منه " فتثبتوا " بالتاء والثاء والباء والتاء وكلا القراءتين قرآن موحى به من عند الله. وليس كما توهم جولد زيهر، إنهما قراءتان ناشئتان عن الاضطراب الحاصل من خلو كلمات المصحف من النقط والشكل فى أول أمره ؟.

والقراءتان ، وإن اختلف لفظاهما ، فإن بين معنييهما علاقة وثيقة ، كعلاقة ضوء الشمس بقرصها:
لأن التبين ، وهو المصدر المتصيد من " فتبينوا " هى التفحص والتعقب فى الخبر الذى يذيعه الفاسق بين الناس ، وهذا البَين هو الطريق الموصل للتثبت. فالتثبت هو ثمرة التبين. ومن تبيَّن فقد تثبت. ومن تثبت فقد تبين.
فما أروع هذه القراءات ، ورب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، إن قراءات القرآن لهى وجه شديد الإشراق من وجوه إعجاز القرآن ، وإن كره الحاقدون.
وكما سمع المسلمون من فم محمد ، الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم فى الآية السابقة: " فتبينوا " و " فتثبتوا " سمعوا منه كذلك ، " يُفَصِّل " و " نُفصِّلُ " فى قوله تعالى:
(ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)(١٢).
و " نفصل الآيات " وفاعل الفصل فى القراءتين واحد هو الله عز وجل:
وقد اختلف التعبير عن الفاعل فى القراءتين ، فهو فى القراءة الأولى " يفَصِّل " ضمير مستتر عائد على الله عز وجل فى قوله:
(ما خلق الله ذلك إلا بالحق)أى يفصل هو الآيات. فالفاعل هنا مفرد لعوده على مفرد " الله ".
وفى القراءة الثانية عُبِّر عن الفاعل بضمير الجمع للمتكلم "نُفَصِّل" أى نفصل نحن.
والله واحد أحد ، ولكن النون فى " نفصل " لها معنى فى اللغة العربية هو التعظيم إذا كان المراد منها فردًا لا جماعة. ووجه التعظيم بلاغةً تنزيل الفرد منزلة " الجماعة " تعظيمًا لشأنه ، وإجلالاً لقدره.
وفى هاتين القراءتين تكثير للمعنى ، وهو وصف ملازم لكل القراءات.
وللبلاغيين إضافة حسنة فى قراءة " نفصل " بعد قوله: " ما خلق الله.. " هى الانتقال من الغيبة فى " ما خلق الله " إلى المتكلم فى " نفصل " للإشعار بعظمة التفصيل وروعته.
وبعد: إن إرجاع القراءات القرآنية لطبيعة الخط العربى الذى كان فى أول أمره خاليًا من النقط والشكل ، كما توهم " جولد زيهر " ومن بعده " آثر جيفرى " فى المقدمة التى كتبها لكتاب المصاحف ، لأبى داود السجستانى ، وتابعهما المستشرق " جان بيرك " ، إن هذه النظرية مجرد وَهْمٍ سانده جهل هؤلاء الأدعياء على الفكر الإسلامى، مبدؤه ومنتهاه الحقد على الإسلام والتطاول على القرآن ، لحاجات فى نفوس " اليعاقيب ".
وقد قدمنا فى إيجاز ما أبطل هذه الأوهام ، وبقى علينا فى الرد على هذه الشبهة أن نذكر فى إيجاز كذلك جهود علمائنا فى تمحيص القراءات ، وكيف وضعوا الضوابط الدقيقة لمعرفة القراءات الصحيحة ، من غيرها مما كان شائعًا وقت جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان " رضى الله عنه ".
تمحيص القراءات:

وضع العلماء الأقدمون ضوابط محكمة للقراءات الصحيحة التى هى وحى من عند الله. وتلك الضوابط هى:
١ـ صحة السند ، الذى يؤكد سماع القراءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٢ـ موافقة القراءة لرسم المصحف الشريف ، الذى أجمعت عليه الأمة فى خلافة عثمان رضى الله عنه مع ملاحظة أن الصحابة الذين نسخوا القرآن فى المصحف من الوثائق النبوية فى خلافة عثمان ، نقلوه كما هو مكتوب فى الوثائق النبوية بلا تغيير أو تبديل. ورسم المصحف الذى بين أيدينا الآن سنة نبوية ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم أقر تلك الوثيقة ، واحتفظ بها فى بيته حتى آخر يوم فى حياته الطيبة.
ولذلك أجمع أئمة المذاهب الفقهية على تحريم كتابة المصحف فى أى زمن من الأزمان ، على غير الرسم المعروف بالرسم العثمانى للمصحف الشريف. ونقل هذا الإجماع عنهم كثير من علماء تاريخ القرآن (١٣).
٣ـ أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية ؛ لأن الله أنزل كتابه باللسان العربى المبين.
٤ـ أن يكون معنى القراءة غير خارج عن قيم الإسلام ومقاصده الأصول والفروع.
فإذا تخلف شرط من هذه الشروط فلا تكون القراءة مقبولة ولا يعتد بها.
وعملاً بهذه الضوابط تميزت القراءات الصحيحة من القراءات غير الصحيحة ، أو ما يسمى بالقراءات الشاذة ، أو الباطلة.
ولم يكتف علماؤنا بهذا ، بل وضعوا مصنفات عديدة حصروا فيها القراءات الصحيحة ، ووجهوها كلها من حيث اللغة ، ومن حيث المعنى.
كما جمع العلامة ابن جنى القراءات الشاذة ، حاصرًا لها ، واجتهد أن يقومها تقويمًا أفرغ ما ملك من طاقاته فيه ، وأخرجها فى جزءين كبيرين.
أما ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، حين أمر بنسخ الوثائق النبوية فى المصاحف ، فقد أراد منه هدفين ، ننقل للقارئ الكريم كلامًا طيبًا للمرحوم الدكتور/ محمد عبد الله دراز فى بيانهما:
" وفى رأينا أن نشر المصحف بعناية عثمان كان يستهدف أمرين:
أولهما: إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة ، التى كانت تدخل فى إطار النص المدون يعنى المصحف ولها أصل نبوى مجمع عليه ، وحمايتها فيه منعًا لوقوع أى شجار بين المسلمين بشأنها ، لأن عثمان كان يعتبر التمارى (أى الجدال) فى القرآن نوعًا من الكفر.
ثانيهما: استبعاد ما لا يتطابق تطابقًا مطلقًا مع النص الأصلى (الوثائق النبوية) وقاية للمسلمين من الوقوع فى انشقاق خطير فيما بينهم ، وحماية للنص ذاته من أى تحريف ، نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها نوعًا ما ، أو أى شروح يكون الأفراد قد أضافوها إلى مصاحفهم " (١٤).
هذه هى عناية المسلمين من الرعيل الأول بالقرآن الكريم وتعدد قراءاته ، وحماية كتاب الله من كل دخيل على نصوص الوحى الإلهى.
هذا ، وإذا كان جولد زيهر ، وآثر جيفرى المبشر الإنجليزى ، وجان بيرك قد أجهدوا أنفسهم فى أن يتخذوا من قراءات القرآن منفذًا للانقضاض عليه ، والتشكيك فيه ، فإن

غيرهم من المستشرقين شهدوا للقرآن بالحق ، ونختم ردنا على هذه الشبهة بمستشرق نزيه ، أثنى على القرآن وقال إنه النص الالهى الوحيد ، الذى سلم من كل تحريف وتبديل ، لا فى جمعه ، و فى تعدد مصاحفه ، ولا فى تعدد قراءاته.
قال المستشرق لوبلوا: [إن القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد ، الذى ليس فيه أى تغيير يذكر].
ومن قبله قال مستشرق آخر (د. موير) كلاما طيباً فى الثناء على القرآن ، وهو: [إن المصحف الذى جمعه عثمان ، قد تواتر انتقاله من يد ليد ، حتى وصل إلينا بدون أى تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة ، بحيث لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر ، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أى تغييرعلى الإطلاق فى النسخ التى لا حصر لها ، المتداولة فى البلاد الإسلامية الواسعة ، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة وهذا الاستعمال الإجماعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم حجة ودليل على صحة النص المُنزل، الموجود معنا والذى يرجع إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى مات مقتولا(١٥).

(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) القلم: ٤٢.
(٣) معانى القرآن للفراء (١٧٧/٣).
(٤) الفرقان: ٤٨.
(٥) انظر: رسم المصحف (٢٩) للدكتور / عبد الفتاح شلبى ، مكتبة وهبة.
(٦) المذاهب الإسلامية (ص٤) ، ترجمة د. محمد يوسف موسى.
(٧) الأعراف: ٤٨.
(٨) التوبة: ١١٤.
(٩) رسم المصحف (٣٠) ، مرجع سبق ذكره.
(١٠) الرعد: ٤٣.
(١١) الحجرات: ٦.
(١٢) يونس: ٥.
(١٣) ينظر: البرهان فى علوم القرآن ، مرجع سبق ذكره.
(١٤) " مدخل إلى القرآن الكريم " (ص٤٣) مرجع سبق ذكره.
(١٥) حياة محمد : تأليف w.MUIR نقلا عن (مدخل إلى القرآن الكريم).

٣٤- الكلام الأعجمى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

جاء فى سورة الشعراء:(نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) (١). وجاء فى سورة الزمر:(قرآنا عربياً غير ذى عوج) (٢). وجاء فى سورة الدخان: (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) (٣). وجاء فى سورة النحل: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) (٤).

ونحن نسأل: " كيف يكون القرآن عربيًّا مبينًا ، وبه كلمات أعجمية كثيرة ، من فارسية ، وآشورية ، وسريانية ، وعبرية ، ويونانية ، ومصرية ، وحبشية ، وغيرها ؟ ".

هذا نص الشبهة الواردة فى هذا الصدد ، وتأكيدا لهذه الشبهة ذكروا الكلمات الأعجمية حسب زعمهم التى وردت فى القرآن الكريم وهى:

آدم أباريق إبراهيم أرائك استبرق إنجيل تابوت توراة جهنم حبر حور زكاة زنجبيل سبت سجيل سرادق سكينة سورة صراط طاغوت عدن فرعون فردوس ماعون مشكاة مقاليد ماروت هاروت الله.

الرد على هذه الشبهة:

هذه هى شبهتهم الواهية ، التى بنوا عليها دعوى ضخمة ، ولكنها جوفاء ، وهى نفى أن يكون القرآن عربيًّا مثلهم كمثل الذى يهم أن يعبر أحد المحيطات على قارب من بوص ، لا يلبث أن تتقاذفه الأمواج ، فإذا هو غارق لا محالة.

ولن نطيل الوقوف أمام هذه الشبهة ، لأنها منهارة من أساسها بآفة الوهن الذى بنيت عليه. ونكتفى فى الرد عليها بالآتى:

- إن وجود مفردات غير عربية الأصل فى القرآن أمر أقر به علماء المسلمين قديماً وحديثاً. ومن أنكره منهم مثل الإمام الشافعى كان لإنكاره وجه مقبول سنذكره فيما يأتى إن شاء الله.

- ونحن من اليسير علينا أن نذكر كلمات أخرى وردت فى القرآن غير عربية الأصل ، مثل: مِنْسَأَة بمعنى عصى فى سورة " سبأ " ومثل " اليم " بمعنى النهر فى سورة " القصص " وغيرها.

- إن كل ما فى القرآن من كلمات غير عربية الأصل إنما هى كلمات مفردات ، أسماء أعلام مثل: " إبراهيم ، يعقوب ، إسحاق ، فرعون " ، وهذه أعلام أشخاص ، أو صفات ، مثل:" طاغوت ، حبر" ، إذا سلمنا أن كلمة " طاغوت " أعجمية.

- إن القرآن يخلو تمامًا من تراكيب غير عربية ، فليس فيه جملة واحدة إسمية ، أو فعلية من غير اللغة العربية.

- إن وجود مفردات أجنبية فى أى لغة سواء كانت اللغة العربية أو غير العربية لا يخرج تلك اللغة عن أصالتها ، ومن المعروف أن الأسماء لا تترجم إلى اللغة التى تستعملها حتى الآن. فالمتحدث بالإنجليزية إذا احتاج إلى ذكر اسم من لغة غير لغته ، يذكره برسمه ونطقه فى لغته الأصلية ومن هذا ما نسمعه الآن فى نشرات الأخبار باللغات الأجنبية فى مصر ، فإنها تنطق الأسماء العربية نُطقاً عربيًّا. ولا يقال:

إن نشرة الأخبار ليست باللغة الفرنسية أو الإنجليزية مثلاً ، لمجرد أن بعض المفردات فيها نطقت بلغة أخرى.

والمؤلفات العلمية والأدبية الحديثة ، التى تكتب باللغة العربية ويكثر فيها مؤلفوها من ذكر الأسماء الأجنبية والمصادر التى نقلوا عنها ، ويرسمونها بالأحرف الأجنبية والنطق الأجنبى لا يقال: إنها مكتوبة بغير اللغة العربية ، لمجرد أن بعض الكلمات الأجنبية وردت فيها ، والعكس صحيح.

ومثيرو هذه الشبهة يعرفون ذلك كما يعرفون أنفسهم فكان حرياً بهم ألا يتمادوا فى هذه اللغو الساقط إما احتراماً لأنفسهم ، وإما خجلاً من ذكر ما يثير الضحك منهم.
- إنهم مسرفون فى نسبة بعض هذه المفردات التى ذكروها وعزوها إلى غير العربية:
فالزكاة والسكينة ، وآدم والحور ، والسبت والسورة ، ومقاليد ، وعدن والله ، كل هذه مفردات عربية أصيلة لها جذور لغُوية عريقة فى اللغة العربية. وقد ورد فى المعاجم العربية ، وكتب فقه اللغة وغيرها تأصيل هذه الكلمات عربيًّا فمثلاً:
الزكاة من زكا يزكو فهو زاكٍ. وأصل هذه المادة هى الطهر والنماء.
وكذلك السكينة ، بمعنى الثبات والقرار ، ضد الاضطراب لها جذر لغوى عميق فى اللغة العربية. يقال:
سكن بمعنى أقام ، ويتفرع عنه: يسكن ، ساكن ، مسكن ، أسكن.
- إن هذه المفردات غير العربية التى وردت فى القرآن الكريم ، وإن لم تكن عربية فى أصل الوضع اللغوى فهى عربية باستعمال العرب لها قبل عصر نزول القرآن وفيه.. وكانت سائغة ومستعملة بكثرة فى اللسان العربى قبيل نزول القرآن وبهذا الاستعمال فارقت أصلها غير العربى ، وعُدَّتْ عربية نطقاً واستعمالاً وخطاً.
إذن فورودها فى القرآن مع قلتها وندرتها إذا ما قيست بعدد كلمات القرآن لا يخرج القرآن عن كونه " بلسان عربى مبين " ومن أكذب الادعاءات أن يقال: إن لفظ الجلالة " الله " عبرى أو سريانى وإن القرآن أخذه عن هاتين اللغتين. إذ ليس لهذا اللفظ الجليل " الله " وجود فى غير العربية:
فالعبرية مثلاً تطلق على " الله " عدة إطلاقات ، مثل ايل ، الوهيم ، وأدوناى ، ويهوا أو يهوفا. فأين هذه الألفاظ من كلمة " الله " فى اللغة العربية وفى اللغةاليونانية التى ترجمت منها الأناجيل إلى اللغة العربية حيث نجد الله فيها " الوى " وقد وردت فى بعض الأناجيل يذكرها عيسى عليه السلام مستغيثاً بربه هكذا " الوى الوى " وترجمتها إلهى إلهى.
إن نفى عروبة القرآن بناء على هذه الشبهة الواهية أشبه ما يكون بمشهد خرافى فى أدب اللامعقول.
(١) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.
(٢) الزمر: ٢٨.
(٣) الدخان: ٥٨.
(٤) النحل: ١٠٣.

٣٥- الكلام العاطل
الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يدعى المشكّكون أنه جاء فى فواتح ٢٩ سورة بالقرآن الكريم حروف عاطلة ، لا يُفهم معناها نذكرها فيما يلى مع ذكر المواضع التى وردت فيها:

الحروف:السورة الر: يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر الم: البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة المر: الرعد المص: الأعراف حم: غافر، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف حم عسق: الشورى ص: ص طس: النمل طسم: الشعراء ، القصص طه: طه ق: ق كهيعص: مريم ن: القلم يس: يس ونحن نسأل: " إن كانت هذه الحروف لا يعلمها إلا الله (كما يقولون) فما فائدتها لنا ، إن الله لا يوحى إلا بالكلام الواضح فكلام الله بلاغ وبيان وهدى للناس ".

الرد على هذه الشبهة:

أطلقوا على هذه الحروف وصف " الكلام العاطل " والكلام العاطل هو " اللغو " الذى لا معنى له قط.

أما هذه الحروف ، التى أُفتتحت بها بعض سور القرآن ، فقد فهمت منها الأمة ، التى أُنزل عليها القرآن بلغتها العريقة ، أكثر من عشرين معنى(١) ، وما تزال الدراسات القرآنية الحديثة تضيف جديداً إلى تلك المعانى التى رصدها الأقدمون فلو كانت " عاطلة " كما يدعى خصوم الإسلام ، ما فهم منها أحد معنى واحداً.

ولو جارينا جدلاً هؤلاء المتحاملين على كتاب الله العزيز من أن هذه " الحروف " عاطلة من المعانى ، لوجدنا شططاً فى اتهامهم القرآن كله بأنه " كلام عاطل " لأنها لا تتجاوز ثمانى وعشرين آية ، باستبعاد " طه" و" يس " لأنهما اسمان للنبى صلى الله عليه وسلم ، حذف منهما أداة النداء والتقدير: يا " طه " يا " يس " بدليل ذكر الضمير العائد عليه هكذا:

(ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (٢) و (إنك لمن المرسلين) (٣).

وباستبعاد هاتين السورتين من السور التسع والعشرين تُصبح هذه السور سبعاً وعشرين سورة ، منها سورة الشورى ، التى ذكرت فيها هذه الحروف المقطعة مرتين هكذا:

"حم ، عسق " فيكون عدد الآيات موضوع هذه الملاحظة ثمانى وعشرين آية فى القرآن كله ، وعدد آيات القرآن الكريم ٦٢٣٦ آية. فكيف ينطبق وصف ثمانٍ وعشرين آية على ٦٢٠٨ آية ؟.

والمعانى التى فُهمتْ من هذه " الحروف " نختار منها ما يأتى فى الرد على هؤلاء الخصوم.

الرأىالأول:

يرى بعض العلماء القدامى أن هذه الفواتح ، مثل: الم ، و الر ، والمص ". تشير إلى إعجاز القرآن ، بأنه مؤلف من الحروف التى عرفها العرب ، وصاغوا منها مفرداتهم ، وصاغوا من مفرداتهم تراكيبهم.

وأن القرآن لم يغير من أصول اللغة ومادتها شيئاً ، ومع ذلك كان القرآن معجزاً ؛ لا لأنه نزل بلغة تغاير لغتهم ، ولكن لأنه نزل بعلم الله عز وجل ، كما يتفوق صانع على صانع آخر فى حذقه ومهارته فى صنعته مع أن المادة التى استخدمها الصانعان فى " النموذج المصنوع " واحدة وفى هذا قطع للحُجة عنهم.

ويؤيد هذا قوله سبحانه وتعالى:

(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) (٤).

يعنى أن اللغة واحدة ، وإنما كان القرآن معجزاً لأمر واحد هو أنه كلام الله ، نازل وفق علم الله وصنعه ، الذى لا يرقى إليه مخلوق.

الرأى الثانى:

إن هذه الحروف " المُقطعة " التى بدئت بها بعض سور القرآن إنما هى أدوات صوتية مثيرة لانتباه السامعين ، يقصد بها تفريغ القلوب من الشواغل الصارفة لها عن السماع من أول وهلة. فمثلاً " الم " فى مطلع سورة البقرة ، وهى تنطق هكذا.

" ألف لام ميم " تستغرق مسافة من الزمن بقدر ما يتسع لتسعة أصوات ، يتخللها المد مد الصوت عندما تقرع السمع تهيؤه ، وتجذبه لعقبى الكلام قبل أن يسمع السامع قوله تعالى بعد هذه الأصوات التسعة:

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٥).

وإثارة الانتباه بمثل هذه المداخل سمة من سمات البيان العالى ، ولذلك يطلق بعض الدارسين على هذه " الحروف " فى فواتح السور عبارة " قرع عصى " (٦) وهى وسيلة كانت تستعمل فى إيقاظ النائم ، وتنبيه الغافل. وهى كناية لطيفة ، وتطبيقها على هذه " الحروف " غير مستنكر. لأن الله عز وجل دعا الناس لسماع كلامه ، وتدبر معانيه ، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى:

(وإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (٧).

الرأى الثالث:

ويرى الإمام الزمخشرى أن فى هذه " الحروف " سرًّا دقيقاً من أسرار الإعجاز القرآنى المفحم ، وخلاصة رأيه نعرضها فى الآتى:

" واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الأسماء يقصد الحروف وجدتها نصف حروف المعجم ، أربعة عشر سواء ، وهى: الألف واللام والميم والصاد ، والراء والكاف والهاء ، والياء والعين والطاء والسين والحاء ، والقاف والنون ، فى تسع وعشرين سورة ، على حذو حروف المعجم ".

ثم إذا نظرت فى هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ، بيان ذلك أن فيها:

من المهموسة نصفها:

" الصاد ، والكاف ، والهاء والسين والخاء ".

ومن المجهورة نصفها:

الألف واللام والميم ، والراء والعين والطاء ، والقاف والياء والنون.

ومن الشديدة نصفها:

" الألف والكاف ، والطاء والقاف ".

ومن الرخوة نصفها:

" اللام والميم ، والراء والصاد ، والهاء والعين ، والسين والحاء والياء والنون ".

ومن المطبقة نصفها:

" الصاد والطاء ".
ومن المنفتحة نصفها:
" الألف واللام ، والميم والراء ، والكاف ، والهاء والعين والسين والحاء ، والقاف والياء والنون ".
ومن المستعلية نصفها:
" القاف والصاد ، والطاء ".
ومن المنخفضة نصفها:
" الألف واللام والميم ، والراء والكاف والهاء ، والياء ، والعين والسين ، والحاء والنون ".
ومن حروف القلقلة نصفها: " القاف والطاء " (٨).
يريد أن يقول: إن هذه الحروف المذكورة يلحظ فيها ملحظان إعجازيان:
الأول: من حيث عدد الأبجدية العربية ، وهى ثمانية وعشرون حرفاً. فإن هذه الحروف المذكورة فى فواتح السور تعادل نصف حروف الأبجدية ، يعنى أن المذكور منها أربعة عشر حرفاً والذى لم يذكر مثلها أربعة عشر حرفا:
١٤+١٤ = ٢٨ حرفاً هى مجموع الأبجدية العربية.
الثانى: من حيث صفات الحروف وهى:
الهمس فى مقابلة الجهارة.
الشدة فى مقابلة الرخاوة.
الانطباق فى مقابلة الانفتاح.
والاستعلاء فى مقابلة الانخفاض.
والقلقلة فى مقابلة غيرها.
نجد هذه الحروف المذكورة فى الفواتح القرآنية لبعض سور القرآن تعادل نصف أحرف كل صفة من الصفات السبع المذكورة. وهذا الانتصاف مع ما يلاحظ فيه من التناسب الدقيق بين المذكور والمتروك ، لا يوجد إلا فى كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . وهو ذو مغزى إعجازى مذهل لذوى الألباب ، لذلك نرى الإمام جار الله الزمخشرى يقول مُعقباً على هذا الصنع الحكيم:
" فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته. وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته. فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التى منها تراكيب كلامهم ، إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم ، وإلزام الحُجة إياهم (٩).
ثم أخذ الإمام الزمخشرى ، يذكر فى إسهاب الدقائق والأسرار واللطائف ، التى تستشف من هذه " الحروف " التى بدئت بها بعض سور القرآن ، وتابعه فى ذلك السيد الشريف فى حاشيته التى وضعها على الكشاف ، والمطبوعة بأسفل تفسير الزمخشرى. وذكر ما قاله الرجلان هنا يخرج بنا عن سبيل القصد الذى نتوخاه فى هذه الرسالة. ونوصى القراء الكرام بالاطلاع عليه فى المواضع المشار إليها فى الهوامش المذكورة وبقى أمرٌ مهمٌّ فى الرد على هذه الشبهة التى أثارها خصوم الإسلام ، وهى شبهة وصف القرآن بالكلام العاطل. نذكره فى إيجاز فى الأتى:

لو كانت هذه " الحروف " من الكلام العاطل لما تركها العرب المعارضون للدعوة فى عصر نزول القرآن ، وهم المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة ، والمهارة فى البيان إنشاءً ونقداً ؛ فعلى قدرما طعنوا فى القرآن لم يثبت عنهم أنهم عابوا هذه " الفواتح " وهم أهل الذكر " الاختصاص " فى هذا المجال. وأين يكون " الخواجات " الذين يتصدون الآن لنقد القرآن من أولئك الذين كانوا أعلم الناس بمزايا الكلام وعيوبه ؟!
وقد ذكر القرآن نفسه مطاعنهم فى القرآن ، ولم يذكر بينها أنهم أخذوا على القرآن أىَّ مأخذ ، لا فى مفرداته ولا فى جمله ، ولا فى تراكيبه. بل على العكس سلَّموا له بالتفوق فى هذا الجانب ، وبعض العرب غير المسلمين امتدحوا هذا النظم القرآنى ورفعوه فوق كلام الإنس والجن.
ولشدة تأثيره على النفوس اكتفوا بالتواصى بينهم على عدم سماعه ، والشوشرة عليه.
والطاعنون الجدد فى القرآن لا قدرة لهم على فهم تراكيب اللغة العربية ، ولا على صوغ تراكيبها صوغاً سليماً ، والشرط فيمن يتصدى لنقد شىء أن تكون خبرته وتجربته أقوى من الشىء الذى ينقده. وهذا الشرط منعدم أصلاً عندهم.
(١) انظر للوقوف على هذه المعانى: التفسير الكبير " للفخر الرازى. تفسير سورة البقرة.
(٢) طه: ٢.
(٣) يس: ٣.
(٤) هود: ١٣-١٤.
(٥) البقرة: ٢.
(٦) يعنى الضرب بالعصى على الأرض لتنبيه المراد تنبيهه.
(٧) الأعراف: ٢٠٤.
(٨) الكشاف (ج١ ص ١٠٠- ١٠٣).
(٩) الكشاف: (ج١ ص ١٠٣).

٣٦- الكلام المتناقض أ

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

" جاء فى سورة النساء: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) (١).
ولكننا نجد فيه التناقض الكثير مثل:
كلام الله لا يتبدل: كلام الله يتبدل (لا تبديل لكلمات الله) (٢): (وإذا بدلنا آية مكان آية..) (٣) (لا مبدل لكلماته) (٤): (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها) (٥) (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٦): (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٧) هذه طريقتهم فى عرض هذه الشبهة يقابلون بين بعض الآيات على اعتبار تصورهم ، وهو أن كل آية تناقض معنى الآية المقابلة لها ، على غرار ما ترى فى هذا الجدول الذى وضعوه لبيان التناقض فى القرآن حسب زعمهم.
الرد على هذه الشبهة:

الصورة الأولى للتناقض الموهوم بين آية يونس: (لا تبديل لكلمات الله) وآية النحل (وإذا بدلنا آية مكان آية..) لا وجود لها إلا فى أوهامهم ويبدو أنهم يجهلون معنى التناقض تمامًا. فالتناقض من أحكام العقل ، ويكون بين أمرين كليين لا يجتمعان أبداً فى الوجود فى محل واحد ، ولا يرتفعان أبداً عن ذلك المحل ، بل لا بد من وجود أحدهما وانتفاء الآخر ، مثل الموت والحياة. فالإنسان يكون إما حيًّا وإما ميتا ولا يرتفعان عنه فى وقت واحد ، ومحال أن يكون حيًّا و ميتاً فى آن واحد ؛ لأن النقيضين لا يجتمعان فى محل واحد.
ومحال أن يكون إنسان ما لا حى ولا ميت فى آن واحد وليس فى القرآن كله صورة ما من صور التناقض العقلى إلا ما يدعيه الجهلاء أو المعاندون. والعثور على التناقض بين الآيتين المشار إليهما محال محال ؛ لأن قوله تعالى فى سورة يونس (لا تبديل لكلمات الله) معناه لا تبديل لقضاء الله الذى يقضيه فى شئون الكائنات ، ويتسع معنى التبديل هنا ليشمل سنن الله وقوانينه الكونية. ومنها القوانين الكيميائية ، والفيزيائية وما ينتج عنها من تفاعلات بين عناصرالموجودات ،أو تغييرات تطرأ عليها. كتسخين الحديد أو المعادن وتمددها بالحرارة ، وتجمدها وانكماشها بالبرودة. هذه هى كلمات الله عزّ وجلّ.
وقد عبر عنها القرآن فى مواضع أخرى ب.. السنن وهى القوانين التى تخضع لها جميع الكائنات ، الإنسان والحيوان والنبات والجمادات. إن كل شئ فى الوجود ، يجرى ويتفاعل وفق السنن الإلهية أو كلماته الكلية ، التى ليس فى مقدور قوة فى الوجود أن تغيرها أو تعطل مفعولها فى الكون.
ذلك هو المقصود به ب " كلمات الله " ، التى لا نجد لها تبديلاً ، ولا نجد لها تحويلاً.
ومن هذه الكلمات أو القوانين والسنن الإلهية النافذة طوعاً أو كرهاً قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت) (٨). فهل فى مقدور أحد مهما كان أن يعطل هذه السنة الإلهية فيوقف " سيف المنايا " ويهب كل الأحياء خلوداً فى هذه الحياة الدنيا ؟ فكلمات الله إذن هى عبارة عن قضائه فى الكائنات وقوانينه المطردة فى الموجودات وسننه النافذة فى المخلوقات.
ولا تناقض فى العقل ولا فى النقل ولا فى الواقع المحسوس بين مدلول آية: (لا تبديل لكلمات الله) وآية:
(وإذا بدلنا آية مكان آية..).
لأن معنى هذه الآية: إذا رفعنا آية ، أى وقفنا الحكم بها ، ووضعنا آية مكانها ، أى وضعنا الحكم بمضمونها مكان الحكم بمضون الأولى. قال جهلة المشركين: إنما أنت مفترٍ (٩).
فلكل من الآيتين معنى فى محل غير معنى ومحل الأخرى.
فالآية فى سورة يونس (لا تبديل لكلمات الله) والآية فى سورة النحل: (وإذا بدلنا آية مكان آية..) لكل منهما مقام خاص ، ولكن هؤلاء الحقدة جعلوا الكلمات بمعنى الآيات ، أو جعلوا الآيات بمعنى الكلمات زوراً وبهتاناً ، ليوهموا الناس أن فى القرآن تناقضاً. وهيهات هيهات لما يتوهمون.

أما الآيتان (لا مبدل لكلماته) و(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وقد تقدم ذكرهما فى الجدول السابق.
هاتان الآيتان بريئتان من التناقض براءة قرص الشمس من اللون الأسود:
فآية الكهف (لا مبدل لكلماته) معناها لا مغير لسننه وقوانينه فى الكائنات. وهذا هو ما عليه المحققون من أهل العلم ويؤيده الواقع المحسوس والعلم المدروس.
وحتى لو كان المراد من " كلماته " آياته المنزلة فى الكتاب العزيز " القرآن " فإنه ـ كذلك ـ لا مبدل لها من الخلق فهى باقية محفوظة كما أنزلها الله عز وجل ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (١٠).
أما آية البقرة: (ما ننسخ من آية) فالمراد من الآية فيها المعجزة ، التى يجريها الله على أيدى رسله.
ونسخها رفعها بعد وقوعها. وليس المراد الآية من القرآن ، وهذا ما عليه المحققون من أهل التأويل.
بدليل قوله تعالى فى نفس الآية: (ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير).
ويكون الله عز وجل قد أخبر عباده عن تأييده رسله بالمعجزات وتتابع تلك المعجزات ؛ لأنها من صنع الله ، والله على كل شىء قدير.
فالآيتان ـ كما ترى ـ لكل منهما مقام خاص بها ، وليس بينهما أدنى تعارض ، فضلاً عن أن يكون بينهما تناقض.
أما الآيتان الأخيرتان الواردتان فى الجدول ، وهما آية الحجر: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وآية الرعد: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) فلا تعارض بينهما كذلك ؛ لأن الآية الأولى إخبار من الله بأنه حافظ للقرآن من التبديل والتحريف والتغيير ، ومن كل آفات الضياع وقد صدق إخباره تعالى ، فظل القرآن محفوظاً من كل ما يمسه مما مس كتب الرسل السابقين عليه فى الوجود الزمنى ، ومن أشهرها التوراة وملحقاتها. والإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام.
أما الآية الثانية: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) فهى إخبار من الله بأنه هو وحده المتصرف فى شئون العباد دون أن يحد من تصرفه أحد. فإرادته ماضية ، وقضاؤه نافذ ، يحيى ويميت ، يغنى ويفقر ، يُصحُّ ويُمْرِضُ ، يُسْعِد ويُشْقِى ، يعطى ويمنع ، لا راد لقضائه ، ولا معقب على حكمه (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) (١١). فأين التناقض المزعوم بين هاتين الآيتين يا ترى ؟ التناقض كان سيكون لو ألغت آية معنى الأخرى. أما ومعنى الآيتين كل منهما يسير فى طريقٍ متوازٍ غير طريق الأخرى ، فإن القول بوجود تناقض بينهما ضرب من الخبل والهذيان المحموم ، ولكن ماذا نقول حينما يتكلم الحقد والحسد ، ويتوارى العقل وراء دياجير الجهالة الحاقدة ؟ نكتفى بهذا الرد الموجز المفحم ، على ما ورد فى الجدول المتقدم ذكره.
وهناك شبه أخرى يمكن سردها بإيجاز:
١ ـ إنهم توهموا تناقضاً بين قوله تعالى: (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) (١٢). وبين قوله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (١٣). وفى عبارة شديدة الإيجاز نرد على هذه الشبهة الفرعية ، التى تصيدوها من اختلاف زمن العروج إلى

السماء ، فهو فى آية السجدة ألف سنة وهو فى آية المعارج خمسون ألف سنة ، ومع هذا الفارق العظيم فإن الآيتين خاليتان من التناقض. ولماذا ؟ لأنهما عروجان لا عروج واحد ، وعارجان لا عارج واحد.
فالعارج فى آية السجدة الأمر ، والعروج عروج الأمر ، والعارج فى آية المعارج هم الملائكة والعروج هو عروج الملائكة.
اختلف العارج والعروج فى الآيتين. فاختلف الزمن فيهما قصراً أو طولاً. وشرط التناقض ـ لو كانوا يعلمون ـ هو اتحاد المقام.
٢ـ وقالوا أيضًا: إن بين قوله تعالى: (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) (١٤). وقوله تعالى: (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) (١٥) تناقضا. وشاهد التناقض عندهم أن الله قال فى الآية (١٣)(وقليل من الآخرين (وقال فى الآية (٤٠) (وثلة من الآخرين) إذ كيف قال أولاً: (ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين) ثم قال ثانياً (ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين (ولو كان لديهم نية فى الإنصاف ، ومعرفة الحق ناصعاً ونظروا فى المقامين اللذين ورد فيهما هذا الاختلاف لوصلوا إلى الحق من أقصر طريق.
ولكنهم يبحثون عن العيوب ولو كلفهم ذلك إلغاء عقولهم.
هذا الاختلاف سببه اختلاف مقام الكلام ؛ لأن الله عز وجل قسم الناس فى سورة الواقعة ، يوم القيامة ثلاثة أقسام. فقال: (وكنتم أزواجاً ثلاثة):
*السابقون السابقون. *وأصحاب الميمنة. * وأصحاب المشئمة.
ثم بين مصير كل قسم من هذه الأقسام فالسابقون السابقون لهم منزلة: " المقربون فى جنات النعيم ثم بيَّن أن الذين يتبوأون هذه المنزلة فريقان:
كثيرون من السابقين الأولين ، وقليلون من الأجيال المتأخرين وذلك لأن السابقين الأولين بلغوا درجات عالية من الإيمان وعمل الباقيات الصالحات. ولم يشاركهم من الأجيال المتأخرة عن زمنهم إلا قليل.
أما أصحاب اليمين أو الميمنة فبلاؤهم فى الإسلام أدنى من بلاء السابقين الأولين. لذلك كانت درجاتهم فى الجنة أدنى من درجات السابقين الأولين ويشاركهم فى هذه المنزلة كثير من الأجيال اللاحقة بهم ؛ لأن فرصة العمل بما جعلهم أصحاب اليمين ، متاحة فى كل زمان.
ويمكن أن نمثل للسابقين الأولين بأصحاب رسول الله(ولأصحاب اليمين) بالتابعين ، الذين أدركوا الصحابة ولم يدركوا صاحب الرسالة. واذا صح هذا التمثيل ، ولا أظنه إلا صحيحاً ، صح أن نقول:
إن قليلاً منا ، بل وقليل جداً ، من يسير فى حياته سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كثيراً منا من يمكن أن يسير سيرة التابعين رضى الله عنهم.
وعلى هذا فلا تناقض أبداً بين الآيتين:
(ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين).
و(ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين).

٣ـ وقالوا أيضًا: إن فى القرآن آية تنهى عن النفاق ، وآية أخرى تُكره الناس على النفاق أما الآية التى تنهى عن النفاق ـ عندهم ـ فهى قوله تعالى(: وبشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليما) (١٦).
وأما الآية التى تُكره الناس على النفاق ـ عندهم ـ فهى قوله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنَّى يؤفكون) (١٧).
من المحال أن يفهم من له أدنى حظ من عقل أو تمييز أن فى الآية الأولى نهياً ، وأن فى الآية الثانية إكراهاً ويبدو بكل وضوح أن مثيرى هذه الشبهات فى أشد الحاجة إلى من يعلمهم القراءة والكتابة على منهج: وزن وخزن وزرع.
ويبدو بكل وضوح أنهم أعجميو اللسان ، لا يجيدون إلا الرطانة والتهتهة ؛ لأنهم جهلة باللغة العربية ، لغة التنزيل المعجز. ومع هذه المخازى يُنَصِّبُون أنفسهم لنقد القرآن ، الذى أعجز الإنس والجن.
لا نهى فى الآية الأولى ، لأن النهى فى لغة التنزيل له أسلوب لغوى معروف ، هو دخول " لا " الناهية على الفعل المضارع مثل: لا تفعل كذا.
ويقوم مقامه أسلوب آخر هو: إياك أن تفعل ، جامعًا بين التحذير والنهى ، ولا إكراه فى الآية الثانية.
وقد جهل هؤلاء الحقدة أن الإكراه من صفات الأفعال لا من صفات الأقوال أما كان الحرى بهم أن يستحيوا من ارتكاب هذه الحماقات الفاضحة.
إن الآية الأولى: (وبشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) تحمل إنذاراً ووعيداً. أما النهى فلا وجود له فيها والآية الثانية تسجل عن طريق " الخبر " انحراف اليهود والنصارى فى العقيدة ، وكفرهم بعقيدة التوحيد ، وهى الأساس الذى قامت عليه رسالات الله عز وجل.
وليس فى هذه الآية نفاق أصلاً ، ولكن فيها رمز إلى أن اليهود والنصارى حين نسبوا " الأبنية " لله لم يكونوا على ثقة بما يقولون ، ومع هذا فإنهم ظلوا فى خداع أنفسهم.
وكيف يكون القرآن قد أكرههم على هذا النفاق " المودرن " وهو فى الوقت نفسه يدعو عليهم بالهلاك بقبح إشراكهم بالله:
(قاتلهم الله).
(١) النساء: ٨٢.
(٢) يونس: ٦٤.
(٣) النحل: ١٠١.
(٤) الكهف: ٢٧.
(٥) البقرة: ١٠٦.
(٦) الحجر: ٩.
(٧) الرعد: ٣٩.
(٨) آل عمران: ١٨٥.
(٩) انظر تفسير فتح القدير (ج٢/٢٣٢) (١٠) تفسير فتح القدير (ج٣ ـ ص ٣٣٣).
(١١) الأنبياء: ٢٣.

(١٢) السجدة: ٥.
(١٣) المعارج: ٤.
(١٤) الواقعة: ١٣ ـ ١٤.
(١٥) الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠.
(١٦) النساء: ١٣٨.
(١٧) التوبة: ٣٠.

٣٧- الكلام المفكك

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

جاء فى سورة الإسراء: (وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (١). (وقرآنا فرقناه) : نزلناه مفرقاً منجماً " فإنه نزل فى تضاعيف عشرين سنة " (لتقرأه على الناس على مكث):
على مهل وتؤدة. فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم (ونزلناه تنزيلا) حسب الحوادث ، بعد هذه المقدمة قالوا:
" كيف يكون القرآن وحياً ، وهو متقطع مفرق يأتى بعضه فى وقت ، ويتأخر بعضه إلى وقت آخر ، لقد كان محمد يرتبك عندما كان العرب أو اليهود أو النصارى يسألونه. وأحياناً كان يحتج بأن جبريل تأخر.
الرد على هذه الشبهة:
إنهم يستبعدون أن يكون القرآن وحياً لأنه لم ينزل مرة واحدة. فنزوله مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة ينفى عنه كونه وحياً من عند الله ، هذه واحدة ويثبت أنه كلام مفكك ، وهذه ثانية ونقول لهم على وفق طريقتهم:
ونحن نسأل:
من أين لكم هذا الدليل ؟ أَنَزل عليكم وحى من الله قال لكم فيه: إن كل وحى من عندى يكون نزوله دفعة واحدة. وكل ما خالف هذا لا يكون وحياً ؟ ! هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. هذا عن الأولى.
أما عن الثانية ، فمن يجاريكم من العقلاء على هذا المعيار الذى وضعتموه لمعرفة الكلام المفكك الذى تتهمون كلام رب العالمين به ؟ إن الكلام المفكك عند العقلاء هو الكلام الذى لا يناسب بعضه بعضاً ، لامن حيث المفردات والتراكيب ولا من حيث المعانى والدلالات. وهذا معيار عام لا يخص كلاماً دون كلام ، فمن الناس من يكتب كتاباً فى سنة ، أو خمس ، أو عشر ، ويأتى ما كتبه آية فى الجودة والإتقان. ولو قدر لإنسان أن يكتب كتاباً من مائة صفحة فى ساعة أو ساعتين أو ثلاث لجاء كتابه " تخاليط " يصد عنه الناس.
والقرآن ، الذى نزل مفرقاً فى ثلاث وعشرين سنة ، ليس له مثيل ولاحتى مقارب فى إحكام نسجه ، وتآلف نظمه وصحة معناه وصفاء عباراته ، وسلامة لغته من كل عيب أو قصور.

كتاب قطع عمراً من الدهر يقترب من الألف ونصف الألف من السنين ، ومع هذا فهو كتاب كل عصر سام فوق كل كلام قيل بعده أو قبله أو فى عصر نزوله و معانيه تكشف للناس فى كل عصر سبقاً فى ميادين المعرفة يذهل ويدهش. وكفاه فضلاً سبقه للحضارات الحديثة فى مختلف ميادين المعرفة العلوية والأرضية وما بين السماء والأرض ، وما فى أعماق الأنهار والبحار والمحيطات ، وما فى أعماق الأرض.
وكل هذا وفاء بالوعد الإلهى ، الذى ورد فى القرآن:(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٢).
إن القرآن الذى تفترون عليه هو كتاب الوجود كله ، كم حاول الحاقدون قبلكم ومعكم أن يحدثوا فيه شرخاً فأعياهم ، وبقى هو كلمة الله العليا السابحة فى الآفاق يتحدى تعاقب الدهور والعصور ، وهو المنارة الشامخة يتلألأ ضوؤها ماحياً حيالك الظلام.
(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيماً لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً * ماكثين فيها أبداً * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (٣).
(١) الإسراء: ١٠٦.
(٢) فصلت: ٥٣.
(٣) الكهف: ١ـ ٥.

٣٨ـ الكلام المكرر

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

هذه الشبهة من الشبهات التى أكثروا اللغو حولها. واتخذوها كذلك منفذاً للطعن فى القرآن الكريم بأنه ليس وحياً من عند الله.
وركزوا كل التركيز على تكرار القصص فى القرآن وذكروا بعض القصص الذى تكرر ، مع الإشارة إلى مواضعه فى سور القرآن ، كما ذكروا تكرار بعض العبارات والجمل.
ولغوا لغواً كثيراً ، حول تكرار قصة آدم فى القرآن ، وقالوا إنها تكررت خمس مرات. ونحن نقول بل تكررت سبع مرات.
كما فعلوا الشىء نفسه مع التكرار الوارد فى سورة " الرحمن " وادعوا أن القرآن إذا حُذف منه المكرر لم يبق منه إلا ما يملأ كراسة واحدة.
لذلك فإننا فى الرد عليهم سنقف وقفة متأنية ، نلقنهم فيها درساً بليغاً حول التكرار الوارد فى القرآن المحفوظ وبخاصة فى سورة الرحمن ، وتكرار قصة آدم (فى مواضع سبعة. لنقيم الحجة لله.
* الرد على هذه الشبهة:
يقع التكرار فى القرآن الكريم على وجوه:
مرة يكون المكرر أداة تؤدى وظيفة فى الجملة بعد أن تستوفى ركنيها الأساسيين.
وأخرى تتكرر كلمة مع أختها لداع ، بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها.

فاصلة تكرر فى سورة واحدة على نمط واحد.
قصة تتكرر فى مواضع متعددة مع اختلاف فى طرق الصياغة وعرض الفكرة.
بعض الأوامر والنواهى والإرشادات والنصح مما يقرر حكماً شرعيًّا أو يحث على فضيلة أو ينهى عن رذيلة أو يرغب فى خير أو ينفر من شر.
وتكرار القرآن فى جميع المواضع التى ذكرناها ، والتى لم نذكرها مما يلحظ عليها سمة التكرار. فى هذا كله يباين التكرار القرآنى ما يقع فى غيره من الأساليب لأن التكرار وهو فن قولى معروف. قد لا يسلم الأسلوب معه من القلق والاضطراب فيكون هدفاً للنقد والطعن. لأن التكرار رخصة فى الأسلوب إذا صح هذا التعبير والرخص يجب أن تؤتى فى حذر ويقظة.
* وظيفة التكرار فى القرآن:
مع هذه المزالق كلها جاء التكرار فى القرآن الكريم محكماً. وقد ورد فيه كثيراً فليس فيه موضع قد أخذ عليه دَعْ دعاوى المغالين فإن بينهم وبين القرآن تارات ؛ فهم له أعداء وإذا أحسنا الفهم لكتاب الله فإن التكرار فيه مع سلامته من المآخذ والعيوب يؤدى وظيفتين:
أولاهما: من الناحية الدينية.
ثانيهما: من الناحية الأدبية.
فالناحية الدينية باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها فن من فنونه ، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون فى السلوك أمثل وللاعتقاد أبين.
أما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه فى جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعانى وإبرازها فى معرض الوضوح والبيان. وليكن حديثنا عنه على حسب المنهج الذى أثبتناه فى صدر هذا البحث.
* تكرار الأداة:
ومن أمثلتها قوله تعالى: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحِيم) (١).
(ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (٢).
والظاهر من النظر فى الآيتين تكرار " إنَّ " فيهما. وهذا الظاهر يقتضى الاكتفاء ب " إنَّ " الأولى. ولم يطلب إلا خبرها. وهو فى الموضعين أعنى الخبر " لغفور رحيم " لكن هذا الظاهر خولف وأعيدت " إنَّ " مرة أخرى.ولهذه المخالفة سبب.
وهذا السبب هو طول الفصل بين " إنَّ " الأولى وخبرها. وهذا أمر يُشعِر بتنافيه مع الغرض المسوقة من أجله " إنَّ " وهو التوكيد. لهذا اقتضت البلاغة إعادتها لتلحظ النسبة بين الركنين على ما حقها أن تكون عليه من التوكيد.
على أن هناك وظيفة أخرى هى: لو أن قارئاً تلا هاتين الآيتين دون أن يكرر فيهما " إنَّ " ثم تلاهما بتكرارها مرة أخرى لظهر له الفرق بين الحالتين: قلق وضعف فى الأولى ، وتناسق وقوة فى الثانية.
ومن أجل هذا الطول كررت فى قول الشاعر (٣):

وإن امرأ طَالَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ *** عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمُ يقول ابن الأثير رائياً هذا الرأى: ".. فإذا وردت " إنَّ " وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام.
فإعادة " إنَّ " أحسن فى حكم البلاغة والفصاحة كالذى تقدّم من الآيات " (٤).
* تكرار الكلمة مع أختها:
ومن أمثلتها قوله تعالى: (أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون) (٥).
فقد تكررت " هم " مرتين ، الأولى مبتدأ خبرها: " الأخسرون ". والثانية ضمير فصل جئ به لتأكيد النسبة بين الطرفين وهى: هُمْ الأولى بالأخسرية.
وكذلك قوله تعالى:(أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فِى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٦).
تكررت هنا " أولئك " ثلاث مرات. ولم تجد لهذه الكلمة المكررة مع ما جاورها إلا حسناً وروعة. فالأولى والثانية: تسجلان حكماً عامًّا على منكرى البعث: كفرهم بربهم وكون الأغلال فى أعناقهم.
والثالثة: بيان لمصيرهم المهين. ودخولهم النار. ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذى لا يعقبه خروج منها.
ولو أسقطت(أولئك (من الموضعين الثانى والثالث لرك المعنى واضطرب. فتصبح الواو الداخلة على:(الأغلال فى أعناقهم (. واو حال. وتصبح الواو الداخلة على:(أصحاب النار هم فيها خالدون (عاطفة عطفاً يرك معه المعنى.
لذلك حسن موضع التكرار فى الآية لما فيه من صحة المعنى وتقويته. وتأكيد النسبة فى المواضع الثلاثة للتسجيل عليهم بسوء المصير.
*** * تكرار الفاصلة:
سبق أن ذكرنا فى مبحث الفواصل بسوء المصير من تكرار الفاصلة مرتين بدءاً وثلاث مرات نهاية. وقد وجهنا أسلوب التكرار فى تلك الصور. ولكنَّا هنا أمام فاصلة لم تقف فى تكرارها عند حد المرات الثلاث.
بل تعدت ذلك بكثير. لذلك آثرنا أن نبحثها هنا إذ هى بهذا الموضع أنسب (٧).
ونعتمد فى دراستنا لتكرار الفاصلة على ثلاث سور هى: " الرحمن القمر المرسلات ". وهى السور التى برزت فيها هذه الظاهرة الأسلوبية. بشكل لم يرد فى غيرها ، كما ورد فيها.
فقد تكررت:(فبأى آلاء ربكما تكذبان) (٨) فى " الرحمن ". وتكررت (فكيف كان عذابى ونذر) (٩) فى " القمر ". وتكررت: (ويل يومئذ للمكذبين) (١٠) فى " المرسلات ".
* تكرار الفاصلة فى " القمر ":
ولهذا التكرار فى المواضع الثلاثة أسباب ومقتضيات. ففى سورة القمر " نجد العبارة المكررة وهى: (فكيف كان عذابى ونذر(قد صاحبت فى كل موضع من مواضع تكرارها قصة عجيبة الشأن ، وكان أول موضع ذُكِرت فيه عقب قصة قوم نوح. وبعد أن صوَّر القرآن مظاهر الصراع بينهم وبين نوح عليه السلام ثم انتصار الله لنوح عليهم. حيث سلَّط عليهم الطوفان. فأغرقهم إلا مَن آمن وعصمه الله.

ونجد أن الله نجَّى نوحاً وتابعيه. ولكن تبقى هذه القصة موضع عظة وادكار، ولتلفت إليها الأنظار وللتهويل من شأنها جاء قوله تعالى عقبها: (فكيف كان عذابى ونذر(مُصدَّراً باسم الاستفهام " كيف " للتعجيب مما كان ، ولقد مهَّد لهذا التعجيب بالآية السابقة عليه. وهى قوله تعالى: (ولقد تركناها آية فهل من مدكِر) (١١).
والموضع الثانى لذكرها حين قص علينا القرآن قصة عاد وعتوها عن أمر الله وفى " عاد " هذه نجد العبارة اكتنفت القصة بدءاً ونهاية. قال تعالى: (كذبت عادُ فكيف كان عذابى ونذر *إِنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يومِ نحْسٍ مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابى ونذر) (١٢).
وتكرار العبارة هكذا فى البداية والنهاية إخراج لها مخرج الاهتمام. مع ملاحظة أن أحداث القصة هنا صُورت فى عبارات قصيرة ولكنها محكمة وافية.. ولم يسلك هذا المسلك فى قصة نوح أعنى قصر العبارات والسبب فيما يبدو لى أن إهلاك قوم نوح كان بالإغراق فى الماء. وهى وسيلة كثيراً ما تكون سبب هلاك. فقد كانت سبب هلاك فرعون وملئه.. أما أن يكون الإهلاك بالريح فذلك أمر يدعو إلى التأمل والتفكر.
ولعل مما يقوى رأينا هذا. أن هذه القصة قصة عاد وردت فى موضع آخر من القرآن يتفق مع هذا الموضوع من حيث الفكرة ، ويختلف معه قليلاً من حيث طريقة العرض وزيادة التفصيل.
جاء فى سورة الحاقة: (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية* سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حُسوماً فترى القوم فيها صرعَى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية) (١٣).
فإرسال الريح هكذا سبع ليال وثمانية أيام حسوماً مدعاة للعظة والاعتبار.
ومثله: (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم) (١٤).
(فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا مَن أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) (١٥).
فقد بطرت " عاد " نعم ربها عليها. وغرها ما فيه من أسباب التمكين فى الأرض وقوة البطش أن تبارز ربها وولى نعمها بالمعاصى ، فأهلكها الله بما لا قبل لها به.
وفى كل موضع يذكر القرآن فيه قصة هؤلاء ، تأتى عباراته قوية هادرة واعظة زاجرة..
جاء فى موضع آخر: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يُخلق مثلها فى البلاد) (١٦) وكانت عاقبتها خسراً وهلاكاً مع من طغى فى الأرض بغير الحق: (فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد) (١٧).
أما الموضع الأخير الذى ذكرت فيه هذه العبارة: (فكيف كان عذابى ونذر (فحين قص الله علينا قصة " ثمود " ، وقد جاءت فيها كذلك مهيئة لتلقى صورة العقاب بعد

التشويق إليها عند السامع. ولفت نظره إليها: (فكيف كان عذابى ونذر* إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) (١٨).
ومن هنا ندرك شدة اقتضاء المقام لهذا التكرار. فليست إحدى العبارات فى موضع بمغنية عن أختها فى الموضع الآخر. إنما هو اتساق عجيب تطلبه المقام من الناحيتين: الدينية والأدبية.
من الناحية الدينية حيث تحمل المومنين على التذكر والاعتبار عقب كل قصة من هذه القصص ، ومن الناحية الأدبية لأن العبارة: (فكيف كان عذابى ونذر(تأتى عقب كل قصة أيضاً لافتة أنظار المشاهدين إلى " كنه " النهاية وختام أحداث القصة.
وقد مهد القرآن لهذا التكرار حيث لم يأت إلا بعد خمس عشرة آية تنتهى كلها بفاصلة واحدة تتحد نهاياتها بحرف " الراء " مع التزام تحريك ما قبلها. وذلك هو نهج فواصل السورة كلها. وقد أشاع هذا النسق الشاجى نوعاً من الإحساس القوى بجو الإنذار. والسورة فوق كل هذا مكية النزول والموضوع.
كما أن الطابع القصصى هو السائد فى هذه السورة. فبعد أن صور القرآن الكريم موقف أهل مكة من الدعوة الجديدة. وبَيَّن ضلال مسلكهم. وقد كان الرسول (حريصاً على هدايتهم فى وقت هم فيه أشد ما يكونون إعراضاً عنه. لهذا اقتضى الموقف العام سوق عِبَر الماضين ليكون فى ذلك تسلية للرسول(ومن اتبعه وزجر لمن عارضه وصد عنه.
وما دام هذا هو طابع السورة فإن أسس التربية خاصة تربية الأمم تستدعى تأكيد الحقائق بكل وسيلة ومنها التكرار الذى لمسناه فى سورتنا هذه ؛ حتى لكأنه أصيل فيها وليس بمكرر.
* تكرار آخر فى سورة " القمر ":
وفى هذه السورة " القمر " مظهر آخر من مظاهر التكرار ، هو قوله تعالى:(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (١٩). حيث ورد فى السورة أربع مرات ، وهذه دعوة صالحة للتأمل فيما يسوقه الله من قصص.
وقد اشتملت هذه الآية: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (على خبر واستفهام ، والخبر تمهيد للاستفهام الذى فيها ولفت النظر إليه.
*** * التكرار فى سورة " الرحمن ":
أما التكرار الوارد فى " الرحمن " فى قوله تعالى: (فبأى آلاء ربكما تكذبان(حيث تكررت الآية فيها إحدى وثلاثين مرة فله أسبابه كذلك. ويمكن أن نسجل هذه الملاحظات:
أولاً: إن هذا التكرار الوارد فى سورة " الرحمن " هو أكثر صور التكرار الوارد فى القرآن على الإطلاق.
ثانياً: إنه أى التكرار فى هذا الموضع قد مُهِّدَ له تمهيداً رائعاً.حيث جاء بعد اثنتى عشرة آية متحدة الفواصل. وقد تكررت فى هذا التمهيد كلمة " الميزان " ثلاث مرات متتابعة دونما نبو أو ملل:
(والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) (٢٠).

وهذا التمهيد قد أشاع كذلك لحناً صوتيًّا عذباً كان بمثابة مقدمة طبيعية لتلائم صور التكرار ولتألفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجوماً ؛ لأن القرآن قد راعى فى فواصل المقدمة التمهيدية ما انبنت عليه فواصل الآية المكررة.
ثالثاً: إن الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم على الثَّقَلين: الإنس والجن ، وبعد كل نعمة أو نِعَم يعددها الله تأتى هذه العبارة: (فبأى آلاء ربكما تكذبان(.
وعلى هذا الأساس يمكن بيسر فهم عِلّة التكرار الذى حفلت به سورة الرحمن أنه تذكير وتقرير لنعمه.
وأنها من الظهور بمكان فلا يمكن إنكارها أو التكذيب بها.
" فتكرار الفاصلة فى الرحمن.. يفيد تعداد النِّعَم والفصل بين كل نعمة وأخرى لأن الله سبحانه عدَّد فى السورة نعماءه وذكَّرعباده بآلائه. ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها. وجعلها فاصلة بين كل نعمة لتعرف موضع ما أسداه إليهم منها. ثم فيها إلى ذلك معنى التبكيت والتقريع والتوبيخ ؛ لأن تعداد النِعَم والآلاء من الرحمن تبكيت لمن أنكرها كما يبكت منكر أيادى المنعَم عليه من الناس بتعديدها" (٢١).
ولقائل أن يسأل: إن هذه الفاصلة قد تكررت بعدما هو ليس بنعمة من وعيد وتهديد. فكيف يستقيم التوجيه إذن بعد هذه الآيات (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأى آلاء ربكما تكذبان) (٢٢).
(يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام * فبأى آلاء ربكما تكذبان) (٢٣).
(هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأى آلاء ربكما تكذبان) (٢٤).
وظاهر هذه الآيات بلاء وانتقام وليس بنعم.
والجواب: ولكن المتأمل يدرك أن فى الإنذار والوعيد وبيان مآل الضالين عصمة للإنسان من الوقوع فيما وقعوا فيه فيكون مصيره مصيرهم.
ومن هذا الاعتبار يتبين أن هذه المواضع مندرجة تحت النعم ، لأن النعمة نوعان: إيصال الخير. ودفع الشر. والسورة اشتملت على كلا النوعين فلذلك كررت الفاصلة.
* التكرار فى سورة " المرسلات ":
بقى التكرار الوارد فى سورة " المرسلات". وقد صنع ما صنع فى نظيريه فى " القمر " و " الرحمن " من التقديم له بتمهيد.. وله مثلهما هدف عام اقتضاه.
بيد أن التمهيد يختلف عما سبق فى " القمر و " الرحمن ". فقد رأينا فيهما اتحاد الفاصلة فى الحروف الأخيرة مع التزام نهج معين فيما قبله. أما هنا فإن الأمر يختلف.
(١)النحل: ١١٠.
(٢) النحل: ١١٩.
(٣) ديوان الحماسة: ١٠٥/٢ ولم ينسب لقائل معين.
(٤) المثل السائر (ج٣ ص٧) تحقيق د/ بدوى طبانة ود/ الحوفى.
(٥) النمل: ٥.

(٦) الرعد: ٥.
(٧) انظر كتابنا: خصائص التعبير فى القرآن الكريم وسماته البلاغية (مبحث الفواصل) مكتبة وهبة بالقاهرة (٨) وردت ٣١ مرة.
(٩) وردت ٤ مرات.
(١٠) وردت ١٠ مرات (١١) القمر: ١٥.
(١٢) القمر: ١٨ ٢١.
(١٣) الحاقة: ٦ ٨.
(١٤) الذاريات: ٤١ ٤٢.
(١٥) فصلت: ١٥ ١٦.
(١٦) الفجر: ٦ ٨.
(١٧) الفجر ١٣ ١٤. (١٨) القمر: ٣٠ ٣١.
(١٩) القمر: ١٧ ، ٢٢، ٣٢ ، ٤٠.
(٢٠) الرحمن: ٧-٩.
(٢١) خزانة الأدب للحموى: ص ١٤٤-١٤٥.
(٢٢) الرحمن: ٣٥ – ٣٦.
(٢٣) الرحمن: ٤١-٤٢.
(٢٤) الرحمن: ٤٣-٤٥.

٣٩- الكلام المنسوخ

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

النسخ فى اللغة هو الإزالة والمحو ، يقال: نسخت الشمسُ الظلَّ ، يعنى أزالته ومحته ، وأحلت الضوء محله.
ثم تطورت هذه الدلالة فأصبح النسخ يطلق على الكتابة ، سواء كانت نقلاً عن مكتوب ، أو ابتدأها الكاتب بلا نقل.
والنُّساخ أو الوراقون هم جماعة من محترفى الكتابة كانوا ينسخون كتب العلماء (ينقلون ما كتب فيها فى أوراق جديدة فى عدة نسخ ، مثل طبع الكتب الآن).
أما النسخ فى الشرع فله عدة تعريفات أو ضوابط ، يمكن التعبير عنها بالعبارة الآتية:
" النسخ هو وقفُ العمل بِحُكْمٍ أفَادَه نص شرعى سابق من القرآن أو من السنة ، وإحلال حكم آخر محله أفاده نص شرعى آخر لاحق من الكتاب أو السنة ، لِحكمة قصدها الشرع ، مع صحة العمل بحكم النص السابق ، قبل ورود النص اللاحق (١)
والنسخ موجود بقلة فى القرآن الكريم ، مثل نسخ حبس الزانيات فى البيوت حتى الموت ، وإحلال الحكم بالجلد مائة ، والرجم حتى الموت محل ذلك الحبس (٢).
النسخ و وروده فى القرآن ، على أن القرآن ليس وحياً من عند الله. ونذكر هنا عبارة لهم صوَّروا فيها هذه الشبهة:
" القرآن وحده من دون سائر الكتب الدينية ، يتميز بوجود الناسخ والمنسوخ فيه ، مع أن كلام الله الحقيقى لا يجوز فيه الناسخ والمنسوخ ؛ لأن الناسخ والمنسوخ فى كلام

الله هو ضد حكمته وصدقه وعلمه ، فالإنسان القصير النظر هو الذى يضع قوانين ويغيرها ويبدلها بحسب ما يبدو له من أحوال وظروف.
لكن الله يعلم بكل شئ قبل حدوثه. فكيف يقال إن الله يغير كلامه ويبدله وينسخه ويزيله ؟ ليس الله إنساناً فيكذب ، ولا ابن إنسان فيندم ؟!
* الرد على هذه الشبهة:
نحن لا ننكر أن فى القرآن نسخاً ، فالنسخ موجود فى القرآن بين ندرة من الآيات ، وبعض العلماء المسلمين يحصرها فيما يقل عن أصابع اليد الواحدة ، وبعضهم ينفى نفياً قاطعاً ورود النسخ فى القرآن (٣).
أما جمهور الفقهاء ، وعلماء الأصول فيقرونه بلا حرج ، وقد خصصوا للنسخ فصولاً مسهبة فى مؤلفاتهم فى أصول الفقه ، قل من لم يذكره منهم قدماء ومحدثين.
والذى ننكره كذلك أن يكون وجود النسخ فى القرآن عيباً أو قدحاً فى كونه كتاباً منزلاً من عند الله. ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار.
إن الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، كان إحدى السمات التربوية والتشريعية ، فى فترة نزول القرآن ، الذى ظل يربى الأمة ، وينتقل بها من طور إلى طور ، وفق إرادة الله الحكيم ، الذى يعلم المفسد من المصلح ، وهو العزيز الحكيم.
أما ما ذكرتموه من آيات القرآن ، ساخرين من مبدأ الناسخ والمنسوخ فيه فتعالوا اسمعوا الآيات التى ذكرتموها فى جداول المنسوخ والناسخ وهى قسمان:
أحدهما فيه نسخ فعلاً (منسوخ وناسخ).
وثانيهما لا ناسخ فيه ولا منسوخ فيه ، ونحن نلتمس لكم العذر فى هذا " الخلط " لأنكم سرتم فى طريق لا تعرفون كيفية السير فيه.
القسم الأول: ما فيه نسخ:
من الآيات التى فيها نسخ ، وذكروها فى جدول الناسخ والمنسوخ الآيتان التاليتان: (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) (٤).
ثم قوله تعالى: (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله •••) (٥).
هاتان الآيتان فيهما نسخ فعلاً ، والمنسوخ هو حكم الحبس فى البيوت للزانيات حتى يَمُتْنَ ، أو يجعل الله لَهُنَّ حكماً آخر.
وكان ذلك فى أول الإسلام. فهذا الحكم حكم حبس الزانية فى البيت ، حين شرعه الله عز وجل أومأ فى الآية نفسها إلى أنه حكم مؤقت ، له زمان محدد فى علم الله أزلاً.
والدليل على أن هذا الحكم كان فى علم الله مؤقتاً ، وأنه سيحل حكم آخر محله فى الزمن الذى قدره الله عز وجل هو قوله: (أو يجعل الله لهن سبيلاً (. هذا هو الحكم المنسوخ الآن وإن كانت الآية التى تضمنته باقية قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.
أما الناسخ فهو قوله تعالى فى سورة "النور" فى الآية التى تقدمت ، وبين الله أن حكم الزانية والزانى هو مائة جلدة ، وهذا الحكم ليس عامّا فى جميع الزناة. بل فى الزانية والزانى غير المحصنين. أما المحصنان ، وهما اللذان سبق لهما الزواج فقد بينت السنة قوليًّا وعمليًّا أن حكمهما الرجم حتى الموت.

وليس فى ذلك غرابة ، فتطور الأحكام التشريعية ، ووقف العمل بحكم سابق ، وإحلال حكم آخر لاحق محله مما اقتضاه منهج التربية فى الإسلام.
ولا نزاع فى أن حكم الجلد فى غير المحصنين ، والرجم فى الزناة المحصنين ، أحسم للأمر ، وأقطع لمادة الفساد.
وليس معنى هذا أن الله حين أنزل عقوبة حبس الزانيات لم يكن يعلم أنه سينزل حكماً آخر يحل محله ، وهو الجلد والرجم حاشا لله.
والنسخ بوجه عام مما يناسب حكمة الله وحسن تدبيره ، أمَّا أن يكون فيه مساس بكمال الله. فهذا لا يتصوره إلا مرضى العقول أو المعاندين للحق الأبلج الذى أنزله الله وهذا النسخ كان معمولاً به فى الشرائع السابقة على شريعة الإسلام.
ومن أقطع الأدلة على ذلك ما حكاه الله عن عيسى عليه السلام فى قوله لبنى إسرائيل: (ولأحل لكم بعض الذى حُرِّم عليكم) (٦).
وفى أناجيل النصارى طائفة من الأحكام التى ذكروها وفيها نسخ لأحكام كان معمولاً بها فى العهد القديم.
ومثيروهذه الشبهات ضد القرآن يعرفون جيداً وقوع النسخ بين بعض مسائل العهد القديم والعهد الجديد.
ومع هذا يدعون بإصرار أن التوراة والأناجيل الآن متطابقان تمام الانطباق (٧).
ومن هذا القسم أيضاً الآيتان الآتيتان:
(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (٨).
وقوله تعالى: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) (٩).
والآيتان فيهما نسخ واضح. فالآية الأولى توجب مواجهة المؤمنين لعدوهم بنسبة (١: ١٠) ، والآية الثانية توجب مواجهة المؤمنين للعدو بنسبة (١: ٢).
وهذا التطور التشريعى قد بين الله الحكمة التشريعية فيه ، وهى التخفيف على جماعة المؤمنين فى الأعباء القتالية فما الذى يراه عيباً فيه خصوم الإسلام ؟ لو كان هؤلاء الحسدة طلاب حق مخلصين لاهتدوا إليه من أقصر طريق ، لأن الله عزوجل لم يدع مجالاً لريبة يرتابها مرتاب فى هاتين الآيتين. لكنهم يبحثون عن " العورات " فى دين أكمله الله وأتم النعمة فيه ، ثم ارتضاه للناس ديناً.
وقد قال الله فى أمثالهم:
(ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) (١٠).
ومن هذا القسم أيضاً الآيتان الآتيتان:
(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج...) (١١).
وقوله تعالى:(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً...) (١٢).

أجل ، هاتان الآيتان فيهما نسخ ؛ لأن موضوعهما واحد ، هو عدة المتوفى عنها زوجها.
الآية الأولى: حددت العدة بعام كامل.
والآية الثانية: حددت العدة بأربعة أشهر وعشر ليال.
والمنسوخ حكماً لا تلاوة هو الآية الأولى ، وإن كان ترتيبها فى السورة بعد الآية الثانية.
والناسخ هو الآية الثانية ، التى حددت عدة المتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشر ليال ، وإن كان ترتيبها فى السورة قبل الآية المنسوخ حكمها.
وحكمة التشريع من هذا النسخ ظاهرة هى التخفيف ، فقد استبعدت الآية الناسخة من مدة العدة المنصوص عليها فى الآية المنسوخ حكمها ثمانية أشهر تقريباً ، والمعروف أن الانتقال من الأشد إلى الأخف ، أدعى لامتثال الأمر ، وطاعة المحكوم به.. وفيه بيان لرحمة الله عز وجل لعباده. وهو هدف تربوى عظيم عند أولى الألباب.
القسم الثانى:
أما القسم الثانى ، فقد ذكروا فيه آيات على أن فيها نسخاً وهى لا نسخ فيها ، وإنما كانوا فيها حاطبى ليل ، لا يفرقون بين الحطب ، وبين الثعابين ، وكفى بذلك حماقة.
وها نحن نعرض نموذجين مما حسبوه نسخاً ، وهو أبعد ما يكون عن النسخ.
النموذج الأول:
(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) (١٣).
(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١٤).
زعموا أن بين هاتين الآيتين تناسخاً ، إحدى الآيتين تمنع الإكراه فى الدين ، والأخرى تأمر بالقتال والإكراه فى الدين وهذا خطأ فاحش ، لأن قوله تعالى (لا إكراه فى الدين) سلوك دائم إلى يوم القيامة.
والآية الثانية لم ولن تنسخ هذا المبدأ الإسلامى العظيم ؛ لأن موضوع هذه الآية " قاتلوا " غير موضوع الآية الأولى: (لا إكراه فى الدين).
لأن قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) له سبب نزول خاص. فقد كان اليهود قد نقضوا العهود التى أبرمها معهم المسلمون. وتآمروا مع أعداء المسلمين للقضاء على الدولة الإسلامية فى المدينة ، وأصبح وجودهم فيها خطراً على أمنها واستقرارها. فأمر الله المسلمين بقتالهم حتى يكفوا عن أذاهم بالخضوع لسلطان الدولة ، ويعطوا الجزية فى غير استعلاء.
أجل: إن هذه الآية لم تأمر بقتال اليهود لإدخالهم فى الإسلام. ولو كان الأمر كذلك ما جعل الله إعطاءهم الجزية سبباً فى الكف عن قتالهم ، ولاستمر الأمر بقتالهم سواء أعطوا الجزية أم لم يعطوها ، حتى يُسلموا أو يُقتلوا وهذا غير مراد ولم يثبت فى تاريخ الإسلام أنه قاتل غير المسلمين لإجبارهم على اعتناق الإسلام.

ومثيرو هذه الشبهات يعلمون جيداً أن الإسلام أقر اليهود بعد الهجرة إلى المدينة على عقائدهم ، وكفل لهم حرية ممارسة شعائرهم ، فلما نقضوا العهود ، وأظهروا خبث نياتهم قاتلهم المسلمون وأجلوهم عن المدينة.
ويعلمون كذلك أن النبى (عقد صلحاً سِلْمِيًّا مع نصارى تغلب ونجران ، وكانوا يعيشون فى شبه الجزيرة العربية ، ثم أقرهم عقائدهم النصرانية وكفل لهم حرياتهم الاجتماعية والدينية.
وفعل ذلك مع بعض نصارى الشام. هذه الوقائع كلها تعلن عن سماحة الإسلام ، ورحابة صدره ، وأنه لم يضق بمخالفيه فى الدين والاعتقاد.
فكيف ساغ لهؤلاء الخصوم أن يفتروا على الإسلام ما هو برئ منه ؟ إنه الحقد والحسد. ولا شىء غيرهما ، إلا أن يكون العناد.
النموذج الثانى:
(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) (١٥).
(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) (١٦).
والآيتان لا ناسخ ولا منسوخ فيهما. بل إن فى الآية الثانية توكيداً لما فى الآية الأولى ، فقد جاء فى الآية الأولى: " فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما " ثم أكدت الآية الثانية هذا المعنى: (رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)فأين النسخ إذن ؟.
أما المنافع فى الخمر والميسر ، فهى: أثمان بيع الخمر ، وعائد التجارة فيها ، وحيازة الأموال فى لعب الميسر " القمار " وهى منافع خبيثة لم يقرها الشرع من أول الأمر ، ولكنه هادنها قليلاً لما كان فيها من قيمة فى حياة الإنسان قبل الإسلام ، ثم أخذ القرآن يخطو نحو تحريمها خطوات حكيمة قبل أن يحرمها تحريماً حاسماً ، حتى لا يضر بمصالح الناس.
وبعد أن تدرج فى تضئيل دورها فى حياة الناس الاقتصادية وسد منافذ رواجها ، ونبه الناس على أن حسم الأمر بتحريمها آتٍ لا محالة وأخذوا يتحولون إلى أنشطة اقتصادية أخرى ، جاءت آية التحريم النهائى فى سورة المائدة هذه: (رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) هذه هى حقيقة النسخ وحكمته التشريعية ، وقيمته التربوية ومع هذا فإنه نادر فى القرآن.
(١) هذا التعريف راعينا فيه جمع ما تفرق فى غيره من تعريفات الأصوليين مع مراعاة الدقائق والوضوح.
(٢) الجلد ورد فى القرآن كما سيأتى. أما الرجم فقد ورد قوليا وعمليا فى السنة ، فخصصت الجلد بغير المحصنين.
(٣) منهم الدكتور عبد المتعال الجبرى وله فيه مؤلف خاص نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، والدكتور محمد البهى ومنهم الشيخ محمد الغزالى.
(٤) النساء: ١٥.
(٥) النور: ٢.
(٦) آل عمران: ٥٠.

(٧) انظر كتابنا " الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى " طبعة دار الوفاء.
(٨)الأنفال: ٦٥.
(٩)الأنفال: ٦٦.
(١٠) الأنعام: ٧.
(١١)البقرة: ٢٤٠ (١٢) البقرة:٢٣٤.
(١٣) البقرة: ٢٥٦.
(١٤) التوبة: ٢٩.
(١٥) البقرة: ٢١٩.
(١٦) المائدة: ٩٠.

٤٠ـ الكلام الغريب

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

فى القرآن كثير من الكلمات الغريبة ، وهاكم بعضاً منها: فاكهةً وأبًّا ، غسلين ، حنانا ، أوَّاه ، الرقيم ، كلالة ، مبلسون ، أخبتوا ، حنين ، حصحص ، يتفيؤا ، سربا ، المسجور ، قمطرير ، عسعس ، سجيل ، الناقور ، فاقرة ، استبرق ، مدهامتان..
ونحن نسأل: أليست هذه الألفاظ الغريبة مخالفة للسليم من الإنشاء.. ؟!
* الرد على هذه الشبهة:
لا وجود فى القرآن لكلمة واحدة من الغريب حقًا ، كما يعرفه اللغويون والنقاد.
فالغريب ـ الذى يعد عيباً فى الكلام ، وإذا وجد فيه سلب عنه وصف الفصاحة والبلاغة ـ هو ما ليس له معنى يفهم منه على جهة الاحتمال أو القطع ، وما ليس له وجود فى المعاجم اللغوية ولا أصل فى جذورها.
والغريب بهذا المعنى ليس له وجود فى القرآن الكريم ، ولا يحتج علينا بوجود الألفاظ التى استعملت فى القرآن من غير اللغة العربية مثل: إستبرق ، وسندس ، واليم ، لأن هذه الألفاظ كانت مأنوسة الاستعمال عند العرب حتى قبل نزول القرآن ، وشائعة شيوعاً ظاهراً فى محادثاتهم اليومية وكتاباتهم الدورية.
وهى مفردات وليست تراكيب. بل أسماء مفردة لأشخاص أو أماكن أو معادن أو آلات.
ثم إنها وإن لم تكن عربية الأصل ، فهى ـ بالإجماع ـ عربية الاستعمال. ومعانيها كانت ـ وما تزال ـ معروفة فى القرآن ، وفى الاستعمال العام.
ومنها الكلمات التى ذكروها مما هو ليس عربييًّا ، مثل:غسلين ، ومعناها: الصديد ، أى صديد أهل النار ، وما يسيل من أجسادهم من أثر الحريق ، ولما كان يسيل من كل أجسامهم شبه بالماء الذى يُغسَل به الأدران. أما بناؤه على: فعلين فظاهر أنه للمبالغة. ومثل: " قمطريرا " ومعناها: طويلاً ، أو شديداً. ومثل: " إستبرق " ومعناها: الديباج. وهكذا كل ما فى القرآن من لغة غير عربية الأصل فهى عربية الاستعمال بألفاظها ومعانيها. وكانت العرب تلوكها بألسنتها قبل نزول القرآن.

واستعارة اللغات من بعضها من سنن الاجتماع البشرى ودليل على حيوية اللغة. وهذه الظاهرة فاشية جداً فى اللغات حتى فى العصر الحديث. ويسميها اللغويون بـ " التقارض " بين اللغات ، سواء كانت لغات سامية أو غيرها كالإنجليزية والألمانية والفرنسية وفى اللغة الأسبانية كلمات مستعملة الآن من اللغة العربية.

أما مااقترضته اللغة العربية من غيرها من اللغات القديمة أو ما له وجود حتى الآن فقد اهتم به العلماء المسلمون ونصوا عليه كلمة كلمة ، وأسموه بـ " المعرَّب " مثل كتاب العلامة الجواليقى ، وقد يسمونه بـ " الدخيل " هذا بالنسبة لما ذكروه من الكلمات غير العربية الأصل ، التى وردت فى القرآن الكريم.

أما بقية الكلمات فهى عربية الأصل والاستعمال ولكن مثيرى هذه الشبهات قوم يجهلون فكلمة " حنان " لها جذر لغوى عربى ، يقال: حنَّ ، بمعنى. رق قلبه ومال إلى العطف على الآخرين. والمضارع: يحن والمصدر: الحنان والحنين ، وقد يستعملان استعمال الأسماء.

ومنه قول الشاعر:

حننت إلى ريَّا ونفسك باعدت * مزارك من رياء ونفساكما معا وأما " أوَّاه " فهو اسم فاعل من " التأوُّه " على صيغة المبالغة " فعَّال ".

وكذلك " حصحص " ومعناه: ظهر وتبيَّن.

ومنه قول الشاعر العربى القديم:

من مُبْلغٌ عنى خِداشاً فإنه * كذوب إذا ما حصحص الحق كاذب أما الناقور فهو اسم من " النقر " كالفاروق من الفراق.

وحتى لو جارينا هؤلاء الحاقدين ، وسلمنا لهم جدلاً بأن هذه الكلمات غريبة ؛ لأنها غير عربية ، فإنها كلمات من " المعرَّب " الذى عرَّبه العرب واستعملوه بكثرة فصار عربياً بالاستعمال. ومعانيه معروفة عند العرب قبل نزول القرآن. وما أكثر الكلمات التى دخلت اللغة العربية ، وهجر أصلها وصارت عربية.

فهى إذن ـ ليست غريبة ، لإن الغريب ما ليس له معنى أصلاً ، ولا وجود له فى المعاجم اللغوية ، التى دونت فيها ألفاظ اللغة.

* * * قد يقال: كيف تنكرون " الغريب " فى القرآن ، وهو موجود باعتراف العلماء ، مثل الإمام محمد بن مسلم بن قتيبة العالم السنى ، فقد وضع كتاباً فى " غريب القرآن " وأورده على وفق ما جاء فى سور القرآن سورة سورة ؟ وكذلك صنع السجستانى وتفسيره لغريب القرآن مشهور.

ومثله الراغب الأصفهانى فى كتابه " المفردات " فى شرح غريب القرآن.

ثم الإمام جلال الدين السيوطى ، العالم الموسوعى ، فله كتاب يحمل اسم " مبهمات القرآن ".

ألا يُعد ذلك اعترافاً صريحاً من هؤلاء الأئمة الأفذاذ بورود الغريب فى القرآن الكريم ؟ ومن العلماء المحدثين الشيخ حسنين مخلوف ، مفتى الديار المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وكتابه " كلمات القرآن لا يجهله أحد ".

كما أن جميع مفسرى القرآن قاموا بشرح ما رأوه غريباً فى القرآن. فكيف يسوغ القول ـ الآن ـ بإنكار وجود الغريب فى القرآن أمام هذه الحقائق التى لا تغيب عن أحد

؟ من حق غير الملم بفقه هذه القضية ـ قضية الغريب ـ أن يسألوا هذا السؤال ، ومن واجبنا أن نجيب عليه إجابة شافية وافية بعون الله وتوفيقه.
والجواب:
هذا السؤال جدير بأن نستقصى جوانب الإجابة عليه لوجاهته وأهميته. فنقول مستمدين الهداية والتوفيق من الله العلى الحكيم.
فأولاً: إن الغريب الذى نسب فى كتب العلماء ـ رضى الله عنهم ـ إلى القرآن ، إنما هو غريب نسبى وليس غريباً مطلقاً.
فالقرآن فى عصر الرسالة ، وعصر الخلفاء الراشدين كان مفهوماً لجميع أصحاب رسول. صلى الله عليه وسلم ولم يرد فى رواية صحيحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غاب عنهم فهم ألفاظ القرآن من حيث الدلالة اللغوية البحتة ، وكل ما وردت به الرواية أن بعضهم سأل عن واحد من بضعة ألفاظ لا غير. وهى روايات مفتقرة إلى توثيق ، وقرائن الأحوال ترجح عدم وقوعها ، والألفاظ المسئول عنها هى:
غسلين ، قسورة ، أبًّا ، فاطر ، أوَّاه ، حنان. وقد نسبوا الجهل بمعانى هذه الكلمات إما إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، وإما إلى ابن عباس رضى الله عنهما ، وكلا الرجلين أكبر من هذه الاتهامات.
ومما يضعف إسناد الجهل إلى عمر رضى الله عنه ، بمعنى كلمة " أبًّا " أن عمر كما تقول الرواية سأل عن معناها فى خلافته ، مع أن سورة " عبس " التى وردت فيها هذه الكلمة من أوائل ما نزل بمكة قبل الهجرة ، فهل يُعقَلُ أن يظل عمر جاهلا بمعنى " أبًّا " طوال هذه المدة (قرابة ربع قرن) ؟ أما ابن عباس رضى الله عنه فإن صحت الرواية عنه أنه سأل عن معانى " غسلين " و " فاطر " فإنه يحتمل أنه سأل عنها فى حداثة سنه. ومعروف أن ابن عباس كان معروفاً بـ " ترجمان القرآن " ومعنى هذا أنه كان متمكناً من الفقه بمعانى القرآن ، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له قائلاً:
[اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل].
هذا فيما يتعلق بشأن الروايات الواردة فى هذا الشأن.
أما فيما يتعلق بالمؤلفات قديماً وحديثاً حول ما سمى بـ " غريب القرآن " فنقول:
إن أول مؤلف وضع فى بيان غريب القرآن هو كتاب " غريب القرآن " لابن قتيبة (فى القرن الثالث الهجرى) وهذا يرجح أن ابن قتيبة ، لم يكتب هذا الكتاب للمسلمين العرب ، بل كان القصد منه هو أبناء الشعوب غير العربية التى دخلت فى الإسلام ، وكانوا يتحدثون لغات غير اللغة العربية.
أما مسلموالقرنين الأول والثانى الهجريين ، والنصف الأول من القرن الثالث ، فلم يكن فيها ـ فيما نعلم ـ كتب حول بيان غريب القرآن ، سوى تفسير عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ ، وكتاب " مجازات القرآن " لأبى عبيدة معمر بن المثنى (م ٢١٠هـ) وهما أعنى تفسير ابن عباس ، ومجازات أبى عبيدة ، ليسا من كتب الغريب ، بل هما: محاولتان مبكرتان لتفسير القرآن الكريم مفردات وتراكيب (١).

ولما تقادم الزمن على نزول القرآن ، وضعف المحصول اللغوى عند الأجيال اللاحقة ، قام بعض العلماء المتأخرين ـ مثل: الراغب الأصفهانى ، صاحب كتاب " مفردات القرآن " ، وجلال الدين السيوطى ، صاحب كتاب " مبهمات القرآن " ـ بوضع كتب تقرب كتاب الله إلى الفهم ، وتقدم بيان بعض المفردات التى غابت معانيها واستعمالاتها عن الأجيال المتأخرة.

وهذا يسلمنا إلى حقيقة لاحت فى الأفق من قبل ، نعيد ذكرها هنا فى الآتى:

إن ما يطلق عليه " غريب القرآن " فى بعض المؤلفات التراثية ومنها كتب علوم القرآن ، وما تناوله مفسرو القرآن الكريم فى تفاسيرهم ، هو غريب نسبى لا مطلق ، غريب نسبى باعتبار أنه مستعار من لغات أخرى غير اللغة العربية ، أو من لهجات عربية غير لهجة قريش التى بها نزل القرآن وغريب نسبى باعتبار البيئات التى دخلها الإسلام ، وأبناؤها دخلاء على اللغة العربية ، لأن لهم لغاتٍ يتحدثون بها قبل دخولهم فى الإسلام ، وظلت تلك اللغات سائدة فيهم بعد دخولهم فى الإسلام وغريب نسبى باعتبار الأزمان ، حتى فى البيئات العربية ، لأن الأجيال المتأخرة زمناً ضعفت صلتهم باللغة العربية الفصحى مفردات وتراكيب. وكل هذه الطوائف كانت ، وما تزال ، فى أمس الحاجة إلى ما يعينهم على فهم القرآن ، وتذوق معانيه ، والمدخل الرئيس لتذوق معانى القرآن هو فهم معانى مفرداته ، وبعض أساليبه.

والغريب النسبى بكل الاعتبارات المتقدمة غريب فصيح سائغ ، وليس غريباً عديم المعنى ، أو لا وجود له فى معاجم اللغة ومصادرها ، وهذا موضع إجماع بين علماء اللغة والبيان ، فى كل عصر ومصر.

ولا وزن لقول من يزعم غير هذا من الكارهين لما أنزل الله على خاتم أنبيائه ورسله.

مسائل ابن الأزرق بقى أمر مهم ، له كبير صلة بموضوع " الغريب " فى القرآن ذلك الأمر هو ما عرف فى كتب الأقدمين بـ " مسائل ابن الأزرق " ونوجز القول عنها هنا إيجازاً يكشف عن دورها فى الانتصارللحق ، فى مواجهة مثيرى هذه الشبهات ومسائل ابن الأزرق مسطورة فى كثير من كتب التراث مثل ابن الأنبارى فى كتابه " الوقف " والطبرانى فى كتابه " المعجم الكبير " والمبرد فى كتابه " الكامل ". وجلال الدين السيوطى فى كتابه " الإتقان فى علوم القرآن " وغيرهم.

ولهذه المسائل قصة إيجازها: أن عبد الله بن عباس كان جالساً بجوار الكعبة يفسر القرآن الكريم ، فأبصره رجلان هما: نافع بن الأزرق ، ونجدة بن عويمر ، فقال نافع لنجدة " قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على القرآن ويفسره بما لا علم له به. فقاما إليه فقالا له:

إنَّا نريد أن نسألك عن أشياء فى كتاب الله ، فتفسرها لنا ، وتأتينا بما يصادقه من كلام العرب. فإن الله أنزل القرآن بلسان عربى مبين.

فقال ابن عباس: سلانى عما بدا لكما. ثم أخذا يسألانه وهو يجيب بلا توقف ، مستشهداً فى إجاباته على كل كلمة ، " قرآنية " سألاه عنها بما يحفظه من الشعر العربى المأثور عن شعراء الجاهلية ، ليبين للسائلين أن القرآن نزل بلسان عربى مبين.

وكان الإمام جلال الدين السيوطى قد جمع هذه المسائل وذكر منها مائة وثمانٍ وثمانين كلمة ، وقد حرص على ذكر إجابات ابن عباس عليها رضى الله عنه ، وقال: إنه أهمل نحو أربع عشرة كلمة من مجموع ما سئل عنه ابن عباس (٢).
وها نحن أولاء نورد نماذج منها ، قبل التعليق عليها ، ولماذا أشرنا إليها فى مواجهة هذه الشبهة التى تزعم أن ألفاظ الكتاب العزيز " غريبة " وغير مفهومة.
النموذج الأول: " عزين " قال نافع بن الأزرق لابن عباس:
أخبرنى عن قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال عزين) (٣).
قال ابن عباس: عزين: الحلق من الرفاق. فسأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك ؟ فقال ابن عباس: نعم ، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:
فجاءوا يُهرعون إليه حتى يكونوا حول منسره عزينا يعنى جماعات يلتفون حول الرسول(، وهو مشتق من الاعتزاء ، أى ينضم بعضهم إلى بعض ، قال الراغب فى المفردات: العزين: الجماعة المنتسب بعضها إلى بعض (٤).
النموذج الثانى: " الوسيلة " قال نافع: أخبرنى عن قوله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة) (٥). قال ابن عباس: الوسيلة: الحاجة ، قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال ابن عباس: نعم ، أما سمعت قول عنترة:
إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلى وتخضبى يعنى: اطلبوا من الله حاجاتكم. واستعمال الوسيلة فى معنى الحاجة كما فسرها ابن عباس فيها إلماح أن طريق قضاء الحوائج يكون إلى الله ؛ لإن معنى الوسيلة: الطريق الموصل إلى الغايات.
النموذج الثالث: " شرعة ومنهاجاً " وسأله نافع عن الشرعة والمنهاج فى قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) (٦). فقال ابن عباس: الشرعة: الدين ، والمنهاج: الطريق ، واستشهد بقول أبى سفيان الحارث بن عبد المطلب:
لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام ديناً ومنهجاً.
النموذج الرابع: " ريشاً " وسأله نافع عن كلمة " ريشاً " فى قوله تعالى: (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير..) (٧).
ففسره ابن عباس بالمال ، واستشهد بقول الشاعر:
فريشى بخير طالما قد بريتنى وخير الموالى من يريش ولا يبرى النموذج الخامس: " كَبد " وسأله نافع عن كلمة " كَبد " فى قوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) (٨).
فقال ابن عباس: فى اعتدال واستقامة. ثم استشهد بقول لَبيد بن ربيعة:
يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم فى كبد وهكذا نهج ابن عباس فى المسائل الـ (١٨٨) التى وجهت إليه ، يجيب عنها بسرعة مذهلة ، وذاكرة حافظة لأشعار العرب ، وسرعة بديهة فى استحضار الشواهد الموافقة لفظاً ومعنى للكلمات القرآنية ، التى سئل عنها (٩).
وهذا يؤكد لنا حقيقتين أمام هذه الشبهات التى أثارها الحاقدون ضد القرآن الكريم.
الأولى: كذب الادعاءات التى نسبت لابن عباس الجهل ببعض معانى كلمات القرآن.

الثانية: أن القرآن كله لا غريب فيه بمعنى الغريب الذى يعاب الكلام من أجله ، وأن نسبة الغريب إليه فى كتابات السلف ، تعنى الغريب النسبى لا الغريب المطلق ، وقد تقدم توضيح المراد من الغريب النسبى فى هذا المبحث ، باعتبار الزمان ، وباعتبار البيئة والمكان ، وأن ما وضعه القدماء من مؤلفات تشرح غريب القرآن إنما كان المقصود به إما أبناء الشعوب التى دخلت الإسلام من غير العرب. وإما للأجيال الإسلامية المتأخرة زمنا ، التى غابت عنها معانى بعض الألفاظ.
وقد يضاف إلى هذا كله الألفاظ المشتركة والمترادفة والمتضادة، والاحتمالية المعنى.
أما أن يكون فى القرآن غريب لا معنى له وغير مأنوس الاستعمال. فهذا محال ، محال.. والحمد لله رب العالمين.
(١) هذا وقد ظهرت مؤلفات أخرى فى هذا الموضوع مثل " معانى القرآن " للفراء ، وغيره من الأقدمين.
وهى ليست من كتب الغريب، بل لها مجالات بحث أخرى كالقراءات.
(٢) الإتقان فى علوم القرآن. فصل ما يجب على المفسر لكتاب الله.
(٣) المعارج: ٣٧.
(٤) ومنه قول العامة " عزوة " أى جماعة انظر حرفى العين والزاى فى كتاب الراغب.
(٥) المائدة: ٣٥.
(٦) المائدة:٤٨.
(٧) الأعراف ٢٦ (٨) البلد: ٤.
(٩) انظر " الإعجاز البيانى للقرآن. د/عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ط: دار المعارف بالقاهرة.

----

٤١ - الكلام المنقول عن غيره دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الشبهة التى تمسكوا بها وُرُودُ مواضع بينها تشابه فى كل من التوراة والقرآن الكريم.
ومن أبرزها الجانب القصصى. وبعض المواضع التشريعية تمسكوا بها ، وقالوا: إن القرآن مقتبس من التوراة ، وبعضهم يضيف إلى هذا أن القرآن اقتبس مواضع أخرى من " الأناجيل ".
* الرد على هذه الشبهة:
كيف يتحقق الاقتباس عموماً ؟ الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان:
الأول: الشخص المُقتَبَس منه.
الثانى: الشخص المُقتَبِس (اسم فاعل).
الثالث: المادة المُقتَبَسَة نفسها (اسم مفعول).
والشخص المقْتَبَس منه سابق إلى الفكرة ، التى هى موضوع الاقتباس ، أما المادة المقْتَبَسَة فلها طريقتان عند الشخص المُقتَبِس ، إحداهما: أن يأخذ المقتبس الفكرة بلفظها ومعناها كلها أو بعضها. والثانية:

أن يأخذها بمعناها كلها أو بعضها كذلك ويعبر عنها بكلام من عنده.
والمقتبس فى عملية الاقتباس أسير المقتبس منه قطعاً ودائر فى فلكه ؛ إذ لا طريق له إلى معرفة ما اقتبس إلا ما ذكره المقتبس منه. فهو أصل ، والمقتبس فرع لا محالة.
وعلى هذا فإن المقتبس لابد له وهو يزاول عملية الاقتباس من موقفين لا ثالث لهما:
أحدهما: أن يأخذ الفكرة كلها بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط.
وثانيهما: أن يأخذ جزءً من الفكرة باللفظ والمعنى أو بالمعنى فقط.
ويمتنع على المقتبس أن يزيد فى الفكرة المقتبسة أية زيادة غير موجودة فى الأصل ؛ لأننا قلنا: إن المقتبس لا طريق له لمعرفة ما اقتبس إلا ما ورد عند المقتبس منه ، فكيف يزيد على الفكرة والحال أنه لا صلة له بمصادرها الأولى إلا عن طريق المقتبس منه.
إذا جرى الاقتباس على هذا النهج صدقت دعوى من يقول إن فلاناً اقتبس منى كذا.
أما إذا تشابه ما كتبه اثنان ، أحدهما سابق والثانى لاحق ، واختلف ما كتبه الثانى عما كتبه الأول مثل:
١- أن تكون الفكرة عند الثانى أبسط وأحكم ووجدنا فيها مالم نجده عند الأول.
٢- أو أن يصحح الثانى أخطاء وردت عند الأول ، أو يعرض الوقائع عرضاً يختلف عن سابقه.
فى هذه الحال لا تصدق دعوى من يقول إن فلانا قد اقتبس منى كذا.
ورَدُّ هذه الدعوى مقبول من المدعى عليه ، لأن المقتبس (اتهامًا) لما لم يدر فى فلك المقتبس منه (فرضاً) بل زاد عليه وخالفه فيما ذكر من وقائع فإن معنى ذلك أن الثانى تخطى ما كتبه الأول حتى وصل إلى مصدر الوقائع نفسها واستقى منها ما استقى. فهو إذن ليس مقتبساً وإنما مؤسس حقائق تلقاها من مصدرها الأصيل ولم ينقلها عن ناقل أو وسيط.
وسوف نطبق هذه الأسس التى تحكم عملية الاقتباس على ما ادعاه القوم هنا وننظر: هل القرآن عندما اقتبس كما يدعون من التوراة كان خاضعاً لشرطى عملية الاقتباس وهما: نقل الفكرة كلها ، أو الاقتصار على نقل جزء منها فيكون بذلك دائراً فى فلك التوراة ، وتصدق حينئذ دعوى القوم بأن القرآن (معظمه) مقتبس من التوراة ؟ أم أن القرآن لم يقف عند حدود ما ذكرته التوراة فى مواضع التشابه بينهما ؟ بل:
١ عرض الوقائع عرضاً يختلف عن عرض التوراة لها.
٢ أضاف جديداً لم تعرفه التوراة فى المواضع المشتركة بينهما.
٣ صحح أخطاء " خطيرة " وردت فى التوراة فى مواضع متعددة.
٤ انفرد بذكر " مادة " خاصة به ليس لها مصدر سواه.
٥ فى حالة اختلافه مع التوراة حول واقعة يكون الصحيح هو ما ذكره القرآن. والباطل ما جاء فى التوراة بشهادة العقل والعلم إذا كان الاحتمال الأول هو الواقع فالقرآن مقتبس من التوراة..
أما إذا كان الواقع هو الاحتمال الثانى فدعوى الاقتباس باطلة ويكون للقرآن فى هذه الحالة سلطانه الخاص به فى استقاء الحقائق ، وعرضها فلا اقتباس لا من توراة ولا من إنجيل ولا من غيرهما.

لا أظن أن القارئ يختلف معنا فى هذه الأسس التى قدمناها لصحة الاتهام بالاقتباس عموماً.
وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور التشابه بين التوراة والقرآن ، ونطبق عليها تلك الأسس المتقدمة تاركين الحرية التامة للقارئ سواء كان مسلماً أو غير مسلم فى الحكم على ما سوف تسفر عنه المقارنة أنحن على صواب فى نفى الاقتباس عن القرآن ؟.
والمسألة بعد ذلك ليست مسألة اختلاف فى الرأى يصبح فيها كل فريق موصوفاً بالسلامة ، وأنه على الحق أو شعبة من حق.
وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة صحيحة توجب النجاة لصاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار يوم يقدم الله إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباءً منثوراً.
الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن. لقطة من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف (عليه السلام) ليفعل بها الفحشاء وتنتهى بقرار وضع يوسف فى السجن. واللقطة كما جاءت فى المصدرين هى:
أولاً: نصوصها فى التوراة: (١) " وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت: اضطجع معى ، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدى ، ليس هو فى هذا البيت أعظم منى. ولم يمسك عنى شيئا غيرك لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطئ إلى الله ، وكانت إذ كلمت يوسف يومًا فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها..
ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى فترك ثوبه فى يدها وخرج إلى خارج ، وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها ، وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة:
" انظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا دخل إلىّ ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم ، وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج. فَوَضَعَتْ ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلىَّ العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذى كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بى عبدك أن غضبه حمى..
فأخذ سيدُه يوسف ووضعه فى بيت السجن المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه ".
نصوص القرآن الأمين (وَرَاوَدَتْهُ التى هوَ فى بيتها عن نفسه وغلّقتِ الأبوابَ وقالتْ هيت لك قال معاذ الله إنهُ ربى أحسنَ مثواى إنهُ لايُفلحُ الظالمون *ولقد هَمَّتْ به وَهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرفَ عنهُ السوءَ والفحشاء إنه من عبادنا

المخلَصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دُبرٍ وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاءُ من أراد بأهلكَ سوءًا إلا أن يُسجن أو عذابٌ أليم * قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قميصَه قُد من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُد من دُبرٍ فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قُد من دُبرٍ قال إنه من كيدكُنَّ إن كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبكِ إنك كنتِ من الخاطئ... (٢) ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حين) (٣).

تلك هى نصوص الواقعة فى المصدرين:

وأدعو القارئ أن يقرأ النصين مرات قراءة متأنية فاحصة. وأن يجتهد بنفسه فى التعرف على الفروق فى المصدرين قبل أن يسترسل معنا فيما نستخلصه من تلك الفروق. ثم يكمل ما يراه من نقص لدينا أو لديه فقد يدرك هو ما لم ندركه ، وقد ندرك نحن ما لم يدركه وربَّ قارئ أوعى من كاتب..

الفروق كما نراها التوراة: القرآن الأمين المراودة حدثت مرارًا ونُصح يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة: المراودة حدثت مرة واحدة اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفذ رغبتها.

تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب وانتظرت هى قدوم زوجها وقصت عليه القصة بعد أن أعلمت بها أهل بيتها.: يشير إلى تغليق الأبواب وأن يوسف هم بالخروج فَقَدَّتْ ثوبه من الخلف وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى فى الحال.

لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزيز ولم يدافع يوسف عن نفسه لدى العزيز.: يوسف كان موجوداً حين قدم العزيز ، وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرأة ، وقال هى راودتنى عن نفسى.

تخلو من حديث الشاهد وتقول إن العزيز حمى غضبه على يوسف بعد سماع المرأة: يذكر تفصيلاً شهادة الشاهد كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها. وتثبيت يوسف على العفة والطهارة.

تقول إن العزيز فى الحال أمر بوضع يوسف فى السجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته.

يشير إلى أن القرار بسجن يوسف كان بعد مداولة بين العزيز وحاشيته.

تخلو من حديث النسوة اللاتى لُمْنَ امرأة العزيز على مراودتها فتاها عن نفسه ، وهى فجوة هائلة فى نص التوراة.

يذكر حديث النسوة بالتفصيل كما يذكر موقف امرأة العزيز منهن ودعوتها إياهن ملتمسة أعذارها لديهن ومصرة على أن ينفذ رغبتها هذه ستة فروق بارزة بين ما يورده القرآن الأمين ، وما ذكرته التوراة. والنظر الفاحص فى المصدرين يرينا أنهما لم يتفقا إلا فى " أصل " الواقعة من حيث هى واقعة وكفى ، ويختلفان بعد هذا فى كل شىء.

على أن القرآن قام هنا بعملين جليلى الشأن:

أولهما: أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة ومن أبرز هذا الجديد:

(١) حديث النسوة وموقف المرأة منهن.

(٢) شهادة الشاهد الذى هو من أهل امرأة العزيز.
ثانيهما: تصحيح أخطاء وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:
(١) لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابساً إياه ولكن قطع من الخلف.
(٢) غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه.
اعتراض وجوابه:
قد يقول قائل: لماذا تفترض أن الخطأ هو ما فى التوراة ، وأن الصواب هو ما فى القرآن ؟! أليس ذلك تحيزاً منك للقرآن ؛ لأنه كتاب المسلمين وأنت مسلم ؟ ولماذا تفترض العكس ؟ وإذا لم تفترض أنت العكس فقد يقول به غيرك ، وماتراه أنت لا يصادر ما يراه الآخرون. هذا الاعتراض وارد فى مجال البحث. وإذن فلابد من إيضاح.
والجواب:
لم نتحيز للقرآن لأنه قرآن. ولنا فى هذا الحكم داعيان:
الأول: لم يرد فى القرآن - قط - ما هو خلاف الحق ؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وقد ثبتت هذه الحقيقة فى كل مجالات البحوث التى أجريت على " مفاهيم " القرآن العظيم فى كل العصور. وهذا الداعى وحده كافٍ فى تأييد ما ذهبنا إليه.
الثانى: وهو منتزع من الواقعة نفسها موضوع المقارنة وإليك البيان: كل من التوراة والقرآن متفقان على " عفة يوسف "وإعراضه عن الفحشاء. ثم اختلفا بعد ذلك:
فالتوراة تقول: إن يوسف ترك ثوبه كله لدى المرأة وهرب والقرآن يقول: إنه لم يترك الثوب بل أمسكته المرأة من الخلف ولما لم يتوقف يوسف عليه السلام اقتطعت قطعة منه وبقيت ظاهرة فى ثوبه.
فأى الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين ؟! أن يترك ثوبه كله ؟! أم أن يُخرق ثوبه من الخلف ؟!
إذا سلمنا برواية التوراة فيوسف ليس " عفيفاً " والمرأة على حق فى دعواها ؛ لأن يوسف لا يخلع ثوبه هكذا سليماً إلا إذا كان هو الراغب وهى الآبية.
ولا يقال إن المرأة هى التى أخلعته ثوبه ؛ لأن يوسف رجل ، وهى امرأة فكيف تتغلب عليه وتخلع ثوبه بكل سهولة ، ثم لما يمتنع تحتفظ هى بالثوب كدليل مادى على جنايته المشينة ؟!
وهل خرج يوسف " عريانًا " وترك ثوبه لدى غريمته..؟!
والخلاصة أن رواية التوراة فيها إدانة صريحة ليوسف وهذا يتنافى مع العفة التى وافقت فيها القرآن الأمين.
أما رواية القرآن فهى إدانة صريحة لامرأة العزيز ، وبراءة كاملة ليوسف عليه السلام .
لقد دعته المرأة إلى نفسها ففر منها. فأدركته وأمسكته من الخلف وهو ما يزال فاراً هارباً من وجهها فتعرض ثوبه لعمليتى جذب عنيفتين إحداهما إلى الخلف بفعل المرأة والثانية إلى الأمام بحركة يوسف فانقطع ثوبه من الخلف.

وهذا يتفق تماماً مع العفة المشهود بها ليوسف فى المصدرين ولهذا قلنا: إن القرآن صحح هذا الخطأ الوارد فى التوراة.
.. فهل القرآن مقتبس من التوراة ؟!
فهل تنطبق على القرآن أسس الاقتباس أم هو ذو سلطان خاص به فيما يقول ويقرر ؟.
المقتبس لا بد من أن ينقل الفكرة كلها أو بعضها. وها نحن قد رأينا القرآن يتجاوز هذه الأسس فيأتى بجديد لم يذكر فيما سواه ، ويصحح خطأ وقع فيه ما سواه.
فليس الاختلاف فيها اختلاف حَبْكٍ وصياغة ، وإنما هو اختلاف يشمل الأصول والفروع. هذا بالإضافة إلى إحكام البناء وعفة الألفاظ وشرف المعانى (٤).
إن الذى روته التوراة هنا لا يصلح ولن يصلح أن يكون أساساً للذى ذكره القرآن. وإنما أساس القرآن هو الوحى الصادق الأمين. ذلك هو مصدر القرآن " الوضىء " وسيظل ذلك هو مصدره تتساقط بين يديه دعاوى الباطل ومفتريات المفترين فى كل عصر ومصر.
الصورة الثانية من صور التشابه بين التوراة والقرآن قصة هابيل وقابيل ابنى آدم
نصوص التوراة:
" حدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ، ومن سمانها ، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابين. وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه. فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا رفع ؟؟. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها ، وأنت تسود عليها. وكلم قابين هابيل أخاه. وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله. فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخى ؟ فقال ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلىَّ من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك متى عملت الأرض ؟؟ تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون فى الأرض فقال قابين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل أنك قد طردتنى اليوم على وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض فيكون كل من وجدنى يقتلنى فقال له الرب:
لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده.
فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نود شرقى عدن " (٥).
نصوص القرآن الأمين (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبلُ الله من المتقين * لئن بسطت إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسطٍ يدى إليك لأقتلك إنى أخافُ الله ربَّ العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين* فطوعت له نفسهُ قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غرابًا يبحث فى الأرض ليُريَهُ كيف يوارى سوءة أخيه * قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارىَ سوءة أخى فأصبح من النادمين * من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا

الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون) (٦).
الفروق بين المصدرين اتفق المصدران حول نقطتين اثنتين لا ثالث لهما واختلفا فيما عداهما. اتفقا فى: مسألة القربان. وفى قتل أحد الأخوين للآخر. أما فيما عدا هاتين النقطتين فإن ما ورد فى القرآن يختلف تماماً عما ورد فى التوراة ، وذلك على النحو الآتى:
التوارة/القرآن الأمين تسمى أحد الأخوين بقابين وهو " القاتل " والثانى " هابيل " كما تصف القربانين وتحدد نوعهما./ لايسميهما ويكتفى ببنوتهما لآدم كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما.
تروى حواراً بين قابين والرب بعد قتله أخاه ،وتعلن غضب الرب على قابين وطرده من وجه الرب إلى أرض بعيدة./ لا يذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله ، ولا يذكر أن القاتل طرده الله من وجهه إلى أرض بعيدة ، إذ ليس على الله بعيد.
التوراة تخلو من أى حوار بين الأخوين./ يذكر الحديث الذى دار بين ابنى آدم ويفصل القول عما صدر من القتيل قبل قتله وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلماً..
لا مقابل فى التوراة لهذه الرواية ولمْ تبين مصير جثة القتيل ؟! / يذكر مسألة الغراب ، الذى بعثه الله لِيُرى القاتل كيف يتصرف فى جثة أخيه ، ويوارى عورته.
تنسب الندم إلى " قابين " القاتل لما هدده الله بحرمانه من خيرات الأرض ، ولا تجعله يشعر بشناعة ذنبه./ يصرح بندم " القاتل " بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.
لا هدف لذكر القصة فى التوراة إلا مجرد التاريخ. فهى معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه.
/يجعل من هذه القصة هدفاً تربوياً ويبنى شريعة القصاص العادل عليها. ويلوم بنى إسرائيل على إفسادهم فى الأرض بعد مجىء رسل الله إليهم.
أضف إلى هذه ما تحتوى عليه التوراة من سوء مخاطبة " قابين" الرب ، فترى فى العبارة التى فوق الخط: " أحارس أنا لأخى " فيها فظاظة لوصدرت من إنسان لأبيه لعد عاقًّا جاقًّا فظًّا غليظًا فكيف تصدر من " مربوب " إلى " ربه " وخالقه..؟!
ولكن هكذا تنهج التوراة فلا هى تعرف " قدر الرب " ولا من تنقل عنه حواراً مع الرب.
ولا غرابة فى هذا فالتوراة تذكر أن موسى أمر ربه بأن يرجع عن غضبه على بنى إسرائيل ، بل تهديده إياه سبحانه بالاستقالة من النبوة إذا هو لم يستجب لأمره.
والواقع أن ما قصَّهُ علينا القرآن وهو الحق من أمر ابنى آدم مختلف تماماً عما ورد فى التوراة فى هذا الشأن.
فكيف يقال: إن القرآن اقتبس هذه الأحداث من التوراة وصاغها فى قالب البلاغة العربية ؟!
إن الاختلاف ليس فى الصياغة ، بل هو اختلاف أصيل كما قد رأيت من جدول الفروق المتقدم.

والحاكم هنا هو العقل فإذا قيل: إن هذه القصة مقتبسة من التوراة قال العقل:
* فمن أين أتى القرآن بكلام الشقيق الذى قتل مع أخيه ، وهو غير موجود فى نص التوراة التى يُدعى أنها مصدر القرآن ؟!
* ومن أين أتى القرآن بقصة الغراب الذى جاء ليُرى القاتل كيف يوارى سوءة أخيه وهى غير واردة فى التوراة المُدَّعى أصالتها للقرآن ؟!
* ولماذا أهمل القرآن الحوار الذى تورده التوراة بين " الرب " وقابين القاتل وهذا الحوار هو هيكل القصة كلها فى التوراة ؟!
إن فاقد الشىء لا يعطيه أبداً ، وهذا هو حكم العقل. والحقائق الواردة فى القرآن غير موجودة فى التوراة قطعاً فكيف تعطى التوراة شيئاً هى لم تعرف عنه شيئاً قط..؟!
لا.. إن القرآن له مصدره الخاص به الذى استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح ، ومجرد التشابه بينه وبين التوراة فى " أصل الواقعة " لا يؤثر فى استقلال القرآن أبداً.
الصورة الثالثة من صور التشابه بين التوراة والقرآن مقارنة بين بعض التشريعات المحرمات من النساء قارَنَّا فيما سبق بين بعض المسائل التاريخية التى وردت فى كل من التوراة والقرآن الأمين. وأثبتنا بأقطع الأدلة أن القرآن له سلطانه الخاص به فيما يقول ويقرر ، ورددنا دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة. وبَيَّنَّا حكم العقل فى هذه الدعوى كما أقمنا من الواقع " المحكى " أدلة على ذلك.
ونريد هنا أن نقارن بين بعض المسائل التشريعية فى المصدرين ؛ لأنهم يقولون: إن المسائل والأحكام التشريعية التى فى القرآن لا مصدر لها سوى الاقتباس من التوراة.
وقد اخترنا نص المحرمات من النساء فى التوراة لنقابله بنص المحرمات من النساء فى القرآن الحكيم ليظهر الحق.
النص فى المصدرين أولاً: فى التوراة:
" عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف. إنها أمك لا تكشف عورتها. عورة امرأة أبيك لا تكشف. إنها عورة أبيك. عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت ، أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها.
عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها إنها عورتك. عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك. عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك. عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك عورة أخى أبيك لا تكشف ، إلى امرأته لا تقرب إنها عمتك. عورة كنتك لا تكشف. إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها. عورة امرأة أخيك لا تكشف إنها عورة أخيك. عورة امرأة ، وبنتها لا تكشف ، ولا تأخذ ابنة ابنتها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها إنهما قريبتاها. إنه رذيلة. ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها (٧).
ثانياً: فى القرآن الحكيم:
(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلا
* حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح

عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيما والمحصنات من النساء..) (٨).

هذان هما النصان فى المصدرين. نص التوراة ، ونص القرآن الحكيم. فما هى أهم الفروق بينهما ياترى ؟!

وقبل إجراء المقارنة نفترض صحة النص التوراتى وخلوه من التحريف إذ لا مانع أن يكون هذا النص فعلاً مترجماً عن نص أصلى تشريعى خلا مترجمه من إرادة تحريفه.

والمهم هو أن نعرف هل يمكن أن يكون نص التوراة هذا أصلاً اقتبس منه القرآن الحكيم فكرة المحرمات من النساء ، علماً بأن النص التوراتى قابل إلى حد كبير لإجراء دراسات نقدية عليه ، ولكن هذا لا يعنينا هنا.

الفروق بين المصدرين:

التوراة:

١- لا تقيم شأنًا للنسب من جهة الرضاعة.

٢- تحرم نكاح امرأة العم وتدعوها عمة.

٣- تحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه.

٤- لا تذكر حرمة النساء المتزوجات من رجال آخرين زواجهم قائم.

٥- تجعل التحريم غالباً للقرابة من جهة غير الزوج مثل قرابة الأب الأم العم ... وهكذا.

القرآن الأمين:

١- يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

٢- لا يحرم نكاح امرأة العم ولا يدعوها عمة.

٣- لا يحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه إذا طلقها أو مات عنها أخوه.

٤- يحرم نكاح المتزوجات فعلاً من آخرين زواجاً قائماً ويطلق عليهن وصف المحصنات من النساء.

٥- يجعل التحريم لقرابة الزوج ممن حرمت عليه. أو قرابة زوجته أحياناً.

هذه الفروق الواضحة لا تؤهل النص التوراتى لأن يكون أصلاً للنص القرآنى ، علميًّا ، وعقليًّا ، فللنص القرآنى سلطانه الخاص ومصدره المتميز عما ورد فى التوراة. وإلا لما كان بين النصين فروق من هذا النوع المذكور.

وقفة مع ما تقدم:

نكتفى بما تقدم من التوراة وإن كانت التوراة مصدراً ثَراً لمثل هذه المقارنات ، ولو أرخينا عنان القلم لما وقفنا عند حد قريب ولتضاعف هذا الحجم مئات المرات. ومع هذا فما من مقارنة تجرى بين التوراة وبين القرآن إلا وهى دليل جديد على نفى أن يكون القرآن مقتبساً من كتاب سابق عليه ، فالقرآن وحى أمين حفظ كلمات الله كما أنزلت على خاتم النبيين (وقد رأينا فى المقارنات الثلاث المتقدمة أن القرآن فوق ما يأتى به من جديد ليس معروفاً فى سواه إنه يصحح أخطاء وقعت فيما سواه وهذا هو معنى " الهيمنة " التى خَصَّ الله بها القرآن فى قوله تعالى: (مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه) (٩).

فالأمور التى لم يلحقها تحريف فى التوراة جاء القرآن مصدقاً لها أو هو مصدق لكل من التوراة والإنجيل بالصفة التى أنزلها الله عليهما قبل التحريف والتبديل.
أما الأمور التى حُرفت ، وتعقبها القرآن فقصها قصًّا صحيحاً أميناً ، وصحح ما ألحقوه بهما من أخطاء ، فذلك هو سلطان " الهيمنة " المشهود للقرآن بها من منزل الكتاب على رسله.
فالقرآن هو كلمة الله " الأخيرة " المعقبة على كل ما سواها ، وليس وراءها معقب يتلوها ؛ لأن الوجود الإنسانى ليس فى حاجة مع وجود القرآن إلى غير القرآن.
كما أن الكون ليس فى حاجة مع الشمس إلى شمس أخرى تمده بالضوء والطاقة بعد وفاء الشمس بهما.
ولنأخذ صورة مقارنة من العهد الجديد أيضًا حيث يختلف عن العهد القديم وذلك لأن نص الإنجيل الذى سندرسه يقابله من القرآن نصان كل منهما فى سورة مما يصعب معه وضع النص الإنجيلى فى جدول مقابلا بالنصين القرآنيين. ولهذا فإننا سنهمل نظام الجدول هنا ونكتفى بعرض النصوص ، والموازنة بينها والموضوع الذى سنخضعه للمقارنة هنا هو بشارة زكريا عليه السلام بابنه يحى عليه السلام وذلك على النحو الآتى:
الصورة الرابعة من الإنجيل والقرآن بشارة زكريا ب " يحيى " (عليهما السلام)
النص الإنجيلى:
" لم يكن لهما يعنى زكريا وامرأته ولد. إذ كانت اليصابات يعنى امرأة زكريا عاقراً.وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما فبينما هو يكهن فى نوبة غرفته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر ، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجاً وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لاتخف يا زكريا ؛ لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ولداً وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفخرون بولادته ؛ لأنه يكون عظيماً أمام الرب. وخمراً ومسكراً لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء.والعصاة إلى فكر الأبرار ، لكى يهئ للرب شعباً مستعدًّا. فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا و أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها..؟!
فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف قدام الله. وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل. فكان يومئ إليهم. وبقى صامتاً.." (١٠).
النصوص القرآنية:
(١) سورة آل عمران:
(هنالِكَ دعا زكريا ربَّهُ قال رب هب لى من لدُنك ذرية طيبة إنك سميعُ الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يُبشرك بيحيى مصدقاً بكلمةٍ من

الله وسيداً وحصوراً ونبيًّا من الصالحين * قال رب أنى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلِكَ الله يفعلُ ما يشاء * قال ربِّ اجعل لى آية قال آيتك ألا تُكلم الناسَ ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار) (١١).
(٢) سورة مريم:
(ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربَّه نداءً خفيًّا * قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربِّ شقيًّا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليًّا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميًّا * قال رب أنَّى يكون لى غلام وكانتَ امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيًّا * قال كذلكَ قال ربكَ هو علىَّ هينٌ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًّا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًّا * يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًّا * وحناناً من لدنَّا وزكاةً وكان تقيًّا * وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيًّا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا) (١٢).
ذلك هو نص الإنجيل. وذان هما نصا القرآن الأمين. والقضية التى نناقشها هنا هى دعوى " الحاقدين " أن القرآن مقتبس من الأناجيل كما ادعوا قبلا أنه مقتبس من التوراة.
وندعو القارئ أن يراجع النص الإنجيلى مرات ، وأن يتلو النصوص القرآنية مرات ، ويسأل نفسه هذا السؤال:
هل من الممكن علميًّا وعقليًّا أن يكون النص الإنجيلى مصدرًا لما ورد فى القرآن الأمين ؟!
إن المقارنة بين هذه النصوص تسفر عن انفراد النصوص القرآنية بدقائق لا وجود لها فى النص الإنجيلى.
ومن أبرز تلك الدقائق ما يلى:
أولاً: فى سورة آل عمران:
(أ) تقدم على قصة البشارة فى" آل عمران" قصة نذر امرأة عمران ما فى بطنها لله محرراً. وهذا لم يرد فى النص الإنجيلى.
(ب) الإخبار بأنها ولدت أنثى " مريم " وكانت ترجو المولود ذكرا وهذا لم يأت فى النص الإنجيلى.
(ج) كفالة زكريا للمولودة "مريم " ووجود رزقها عندها دون أن يعرف مصدره والله سبحانه وتعالى أعلم سؤاله إياها عن مصدره. وهذا بدوره لم يرد فى النص الإنجيلى.
(د) القرآن يربط بين قصة الدعاء بمولود لزكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجود له فى النص الإنجيلى.
(ه) دعاء زكريا منصوص عليه فى القرآن وليس له ذكر فى النص الإنجيلى.
ثانياً: فى سورة مريم:
(أ) ما رتبه زكريا على هبة الله له وليًّا ، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. ولم يرد هذا فى النص الإنجيلى.

(ب) السبب الذى حمل زكريا على دعاء ربه وهو خوفه الموالى من ورائه والنص الإنجيلى يخلو من هذا.
(ج) كون زكريا أوحى لقومه بأن يسبحوا بكرة وعشيًّا. ولا وجود لهذا فى النص الإنجيلى.
(د) الثناء على المولود " يحيى " من أنه بار بوالديه عليه سلام الله يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حيًّا ورد فى القرآن ولا مقابل له فى النص الإنجيلى.
هذا كله جديد خاص بالقرآن لا ذكر له فى سواه. وهذا يعنى أن القرآن قد صور الواقعة المقصوصة تصويراً أمينًا كاملاً.
وهذه هى المهمة الأولى التى تعقب بها القرآن المهيمن ما ورد فى الإنجيل المذكور.
وبقيت مهمة جليلة ثانية قام بها القرآن المهيمن نحو النص الإنجيلى ، كما قام بمثلها نحو النصوص التوراتية المتقدمة. وتلك المهمة هى: تصحيح الأخطاء التى وردت فى النص الإنجيلى.
ومن ذلك:
(أ) النص الإنجيلى يجعل الصمت الذى قام بزكريا عقوبة له من الملاك.
فصحح القرآن هذه الواقعة ، وجعل الصمت استجابة لدعاء زكريا ربه. وقد حرص على هذا النصان القرآنيان معاً. ففى آل عمران (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً(وفى مريم: (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (.
فالصمت فكان تكريما لزكريا عليه السلام من الله ، وليس عقوبة من الملاك ، وقد انساق بعض مفسرى القرآن الكريم وراء هذا التحريف الإنجيلى فقال: إن الصمت كان عقوبة لزكريا ، ولكن من الله لا من الملاك.
وها نحن نرفض هذا كله سواء كان القائل به مسلما أو غيرمسلم.
فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا حتى يعاقب من الله أو حتى من الملاك ؟!
هل إقراره بكبر سنه وعقر امرأته هو الذنب ؟!
لقد وقع هذا من إبراهيم عليه السلام حين بشر بإسحق ، ووقع من سارة حين بشرت به فلم يعاقب الله منهما أحداً.
وقد وقع هذا من " مريم " حين بُشِّرَتْ بحملها بعيسى ولم يعاقبها الله عليه. فما السر فى ترك إبراهيم وسارة ومريم بلا عقوبة وإنزالها بزكريا وحده مع أن الذى صدر منه صدر مثله تماماً من غيره.
أفى المسألة محاباة..؟! كلا.. فالله لا يحابى أحداً.
إن أكبر دليل على نفى هذا القول هو خلو النصوص القرآنية منه ، وليس هذا تعصباً منا للقرآن. وإنما هو الحق ، والمسلك الكريم اللائق بمنزلة الرسل عند ربهم.
إن الصمت الذى حل بزكريا كان بالنسبة لتكليم الناس ، ومع هذا فقد ظل لسانه يلج بحمد الله وتسبيحه فى العشى والإبكار كما نص القرآن الأمين.
(ب) النص الإنجيلى يحدد مدة الصمت بخروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن ولد يحيى.

وهذا خطأ ثانٍ صححه القرآن المهيمن فجعل مدته ثلاثة أيام بلياليهن بعد الخروج من المحراب.
(ج) النص الإنجيلى يجعل البشارة على لسان ملاك واحد ، بينما النصان القرآنيان يجعلانها على لسان جمع من الملائكة: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب) (١٣).
(يا زكريا إنا نبشرك بغلام..) (١٤).
وهذا خطأ ثالث وقع فيه النص الإنجيلى فصححه القرآن الأمين.
(د) النص الإنجيلى يجعل التسمية ب " يحيى " يوحنا من اختيار زكريا بيد أن الملاك قد تنبأ بها.
وهذا خطأ رابع صححه القرآن الأمين فجعل التسمية من وحى الله إلى زكريا: (.. اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) (١٥).
(ه) النص الإنجيلى يقول: " إن زكريا حين جاءه الملاك وقع عليه خوف واضطراب ".
وقد خلا النص القرآنى من هذا.. فدل خلوه منه على أنه لم يقع.
ذلك أن القرآن الحكيم عَوَّدَنَا فى قَصِّهِ للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يسجلها إذا حدثت ولا يهملها ، بدليل أنه قد نَصَّ عليها فى واقعة السحرة مع موسى عليه السلام فقال: (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) (١٦). وقال فى شأنه كذلك عند انقلاب العصى حية لأول مرة: (فلما رآها تهتز كأنها جَانٌّ وَلَّى مُدبِراً ولم يُعَقِّبْ) (١٧). وحكاها عن إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره فقال حكاية عن إبراهيم لضيوفه: (إنا منكم وجلون) (١٨). وحكاها عن مريم حين جاءها الملك: (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) (١٩).
وحِرْصُ القرآن على ذكر هذا الانفعال (الخوف ، إذا حدث) يدل على أن خلوه منه بالنسبة لزكريا دليل على أنه لم يقع منه خوف قط ، وهذا " الخلو "يعتبر تصحيحاً لما ورد فى الإنجيل من نسبة حدث إلى زكريا هو فى الواقع لم يصدر منه.
فهذه خمسة أخطاء قام بتصحيحها القرآن الأمين نحو نصوص الإنجيل المذكورة هنا فى المقارنة. وبهذا نقول:
إن القرآن أدى هنا فى تعقبه للنص الإنجيلى مهمتين جليلتين:
الأولى: تصوير الواقعة المقصوصة تصويراً أميناً كاملاً.
الثانية: تصحيح الأخطاء الواردة فى النص الإنجيلى المقارن.
وقفة أخيرة مع دعوى الاقتباس:
موضوع الدعوى كما يروج لها المبشرون أن القرآن اقتبس من الكتاب المقدس كل قَصَصِهِ التاريخى.
والواقعة التى هى موضوع دعوى الاقتباس هنا هى حادثة تاريخية دينية محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى عبد الله ورسوله ووثائق تسجيلها هما: الإنجيل ، ثم القرآن الأمين.

وصلة الإنجيل بالواقعة المقصوصة أنه سجلها فرضًا بعد زمن وقوعها بقليل ؛ لأن عيسى كان معاصراً ليحيى عليهما السلام وصلة القرآن الأمين بها أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل " حوالى سبعمائة سنة ".

وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصوصة ، وبُعد القرآن الزمنى عنها يقتضى إذا سلمنا جدلاً بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتى الاقتباس على إحدى صورتين:

أولاهما: أن يقتبس القرآن جزءًا مما ورد من القصة الكلية فى الإنجيل. وتظل القصة فيه ناقصة عما هى عليه فى المصدر المقتبس منه (الإنجيل) على حسب زعمهم.

ثانيهما: أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هى فى الإنجيل بلا نقص ولا زيادة ، سواء أخذها بألفاظها أو صاغها فى أسلوب جديد (البلاغة العربية كما يدعون) ، بشرط أن يتقيد بالمعانى الواردة فى المصدر المقتبس منه ؛ لأن الفرض قائم (حتى الآن) على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقى منه الواقعة غير الإنجيل المقتبس منه.

ومحظور على القرآن عملا بهذه القيود التى تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد أن يأتى بجديد أو يضيف إلى الواقعة ما ليس فى مصدرها الأوحد.

فماذا صنع القرآن إذن ؟ هل اقتبس من الإنجيل جزءًا من الواقعة ؟ أم الواقعة كلها ؟! دائراً فى فلك الإنجيل دورة ناقصة أو دورة كاملة ؟!

لو كان القرآن قد فعل هذا: اقتبس جزءاً من الواقعة كلها ، وَ لَوْ مع صياغة جديدة لم تغير من المعنى شيئا ؛ لكان لدعوى الاقتباس هذه ما يؤيدها من الواقع القرآنى نفسه. ولما تردد فى تصديقها أحد.

ولكننا قد رأينا القرآن لم يفعل شيئًا مما تقدم. لم يقتبس جزءاً من الواقعة ولا الواقعة كلها.

وإنما صورها تصويراً أميناً رائعاً. سجل كل حقائقها ، والتقط بعدساته كل دقائقها. وعرضها عرضاً جديداً نقيًّا صافياً ، وربط بينها وبين وقائع كانت كالسبب الموحد لها فى بناء محكم وعرض أمين.

ولم يقف القرآن عند هذا الحد.. بل قام بإضافة الكثير جدًّا من الجديد الذى لم يعرفه الإنجيل. وصحح كثيراً من الأخطاء التى وردت فيه بفعل التحريف والتزوير. إما بالنص وإما بالسكوت. وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه.

وإنما يتأتى ممن له مصدره ووسائله وسلطانه المتفوق ، بحيث يتخطى كل الحواجز ، ويسجل الواقعة من " مسرحها " كما رآها هو ، وعقلها هو ، وسجلها هو. وكان هذا هو القرآن.

إن المصدر الوحيد للقرآن هو الوحى الصادق الأمين.. وليس ما سجله الأحبار والكهان ، والفريسيون ، والكتبة فى توراة أو أناجيل.

إن مقاصد القرآن وتوجيهاته وكل محتوياته ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل منها شىء يذكر. وفاقد الشىء لا يعطيه. هذا هو حكم العقل والعلم ، ومن لم يخضع لموازين الحق من عقل وعلم ونقل فقد ظلم نفسه.

(١) سفر التكوين الإصحاح (٣٩) الفقرات (٧ ١٩).

(٢) لم نذكرالنص القرآنى الخاص بحديث النسوه إذ لا مقابل له فى التوراة.

(٣) يوسف: ٢٣-٢٩ ثم آية ٣٥.
(٤) تأمل عبارة التوراة " اضطجع معى " تجدها مبتذلة فاضحة تكاد تجسم معناها تجسيماً. ثم تأمل عبارة القرآن (و راودته التى هو فى بيتها عن نفسه (تجدها كناية لطيفة شريفة بعيدة عن التبذل والإسفاف.
والألفاظ أوعية المعانى والمعانى ظلال الألفاظ..
(٥) سفر التكوين (٤-٣-١٦) (٦) المائدة: ٢٧-٣٢.
(٧) سفر اللاويين (١٨ ٧ ١٨).
(٨) النساء: ٢٢-٢٤.
(٩) المائدة: ٤٨.
(١٠) إنجيل لوقا (٧- ٢٢) الإصحاح الأول.
(١١) آل عمران: ٣٨-٤١. وراجع قبله الآيات من ٣٥-٣٧ للأهمية (١٢) مريم: ٨ - ١٥ (١٣) آل عمران: ٣٩.
(١٤) مريم:٧.
(١٥) مريم:٧.
(١٦) طه: ٦٧.
(١٧) القصص: ٣١.
(١٨) الحجر: ٥٢.
(١٩) مريم: ١٨.

٤٢- رفع المعطوف على المنصوب

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١).
هذه الآية هى منشأ هذه الشبهة عندهم ، لأنهم نظروا فيما بعد " الواو " فى " الصابئون " وقارنوا بينه وبين " الذين آمنوا " الواقع بعد " إن " وهى حرف ناسخ ينصب " المبتدأ " ويرفع " الخبر " واسم " إن " هنا هو " الذين " وهو مبنى لأنه اسم موصول.
وقد عطف عليه " الذين هادوا " أما " الصابئون " فجاءت مرفوعة ب"الواو" لأنها جمع مذكر سالم وجاء بعدها " النصارى ".
وكل من " الذين " فى الموضعين السابقين على " الصابئون " وكذلك " النصارى " إعرابها تقديرى لا يظهر لا فى الخط ولا فى النطق ، وذلك لأن الاسم الموصول " الذين " من المبنيات على حالة واحدة ، أما "النصارى" فهو اسم مقصور ، يتعذر ظهور حركة الإعراب عليه ، وهى هنا الفتحة ، و " الراء " مفتوحة أصالة ، ومحال أن تظهر فتحتان على موضع واحد. سواء كانت الحركتان مختلفتين ، كفتحٍ وضمٍ ، أو متجانستين ، كفتحتين وضمتين.

وخصوم القرآن نظروا فى نظم هذه الآية الحكيمة وقالوا إن فيها خطأ لغوياً (نحوياً) ؛ لأن " الصابئون " معطوفة على منصوب " إن الذين آمنوا " فكان حقها أن تنصب ، فيقال " والصابئين " لكنها جاءت مرفوعة ب " الواو " هكذا " والصابئون " وهدفهم من تصيد هذه الشبهات إثبات:

- أن فى القرأن تحريفاً لمخالفته بدهيات القواعد النحوية.
- أو هو ليس من عند الله ، لأن ما كان من عند الله لا يكون فيه خطأ.

الرد على الشبهة:

للنحاة والمفسرين فى توجيه رفع " الصابئون " فى هذه الآية عدة آراء ، منها ما هو قوى مشهود له فى الاستعمال اللغوى عند العرب الخلص ، ومنها ما هو دون ذلك ، وقد بلغت فى جملتها تسعة توجهات نذكر منها ما يلى:

الأول: ما قاله جمهور نحاة البصرة ، الخليل وسيبويه وأتباعهما ، قالوا: إن " الصابئون " مرفوع على أنه " مبتدأ " وخبره محذوف يدل عليه خبر ما قبله " إن الذين آمنوا " قالوا: والنية فيه التأخير ، أى تأخير " والصابئون " إلى ما بعد " والنصارى ". وتقدير النظم والمعنى عندهم: " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك " (٢).

ومن شواهد هذا الحذف عند العرب قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف فقد حذف الخبر من المبتدأ الأول ، وتقديره " راضون " لدلالة الثانى عليه " راض ".

والمعنى: نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راض.

وقول الآخر:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإنى وقيَّار بها لغريب والتقدير: فإنى لغريب وقيار كذلك.

وقول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق الشاعر يصف الفريقين أنهم " بغاة " إن استمروا فى الشقاق ، والتقدير:

اعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك.

وهكذا ورد فى الاستعمال اللغوى عند العرب ، أن الجملة الاسمية المؤكدة ب " إن " يجوز أن يذكر فيها مبتدأ آخر غير اسم " إن " وأن يذكر خبر واحد يكون لاسم " إن " ويحذف خبر المبتدأ الثانى لدلالة خبر اسم "إن " عليه ، أو يحذف خبر اسم " إن " ويكون الخبر المذكور للمبتدأ الثانى دليلاً على خبر اسم " إن " المحذوف ونظم الآية التى كانت منشأ الشبهة عندهم لا يخرج عن هذه الأساليب الفصيحة ، التى عرفناها فى الأبيات الشعرية الثلاثة ، وهى لشعراء فصحاء يستشهد بكلامهم.

الثانى: أن " إن " فى قوله تعالى: " إن الذين آمنوا " ليست هى " إنَّ " الناسخة ، التى تنصب المبتدأ وترفع الخبر ، بل هى بمعنى: نعم ، يعنى حرف جواب ، فلا تعمل فى الجملة الاسمية لا نصباً ، ولا رفعاً ، وعلى هذا فالذى بعدها مرفوع المحل

، لأن " الذين " اسم موصول ، وهو مبنى فى محل رفع ، وكذلك " الصابئون " فإنه مرفوع لفظاً ، وعلامة رفعه " الواو " لأنه جمع مذكر سالم ، مفرده " صابئ ".
وقد استعملها العرب كذلك. قال قيس بن الرقيات:
برز الغوانى من الشباب يلمننى ، وآلو مهنَّهْ ويقلن شيبٌ قد علاك وقد كبرتَ ، فقلت إنَّهْ (٣) أى فقلت: نعم.
وعلى هذا فإن كلا من " الذين " و " الصابئون " والنصارى ، أسماء مرفوعة إما محلاً ، وهما: الذين " فهى مبنية فى محل رفع ، والنصارى مرفوعة بضمة مقدرة لأنها اسم مقصور لا تظهر على آخره حركات ، وإما لفظاً مثل: " الصابئون " فهى مرفوعة لفظاً بواو الجماعة.
وعليه كما كان فى المذهب الأول فلا خطأ فى الآية كما زعم خصوم القرآن.
أما المفسرون فقد اختار الزمخشرى منهم المذهب الأول المعزو إلى جمهور علماء البصرة ، ومن شيوخهم الخليل وسيبويه ، فقال:
" والصابئون " رفع على الابتداء ، وخبره محذوف والنية به (٤) التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل:
" إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ، والصابئون كذلك " (٥).
وقال الإمام الشوكانى:
" والصابئون " مرتفع على الابتداء ، وخبره محذوف والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك " (٦).
وقد ألمح الإمام الشوكانى إلى إضافة جديدة خالف بها كلا من الخليل وسيبويه والزمخشرى ؛ لأن هؤلاء جعلوا " الصابئون" مقدما من تأخير كما تقدم ، أما هو فجعله قاراً فى موضعه غير مقدم من تأخير بدليل قوله:
" والصابئون والنصارى كذلك " وهذه إضافة حسنة ومقبولة. وعليه يمكن جَعْل " النصارى " مرفوعة عطفاً على " الصابئون " ولا حاجة إلى جعلها منصوبة عطفاً على " إن الذين آمنوا " ، والواقع أن هذا المذهب على جملته الذى ذهب إليه جمهور علماء البصرة ، وتابعهم فيه الإمام الشوكانى هو أقوى ما أورده النحاة فى توجيه رفع " الصابئون " فى هذه الآية الكريمة. أما بقية الآراء ، فهى دون ذلك بكثير (٧).
هذا هو توجيه رفع " الصابئون " عند جمهور النحاة والمفسرين ، أما توجيهه بلاغة فهو ما يأتى:
إن مخالفة إعراب " الصابئون " عما قبلها سواء كانت مقدمة من تأخير على رأى الجمهور أو غير مقدمة على رأى الإمام الشوكانى وآخرين (٨) وعما بعدها إن قدرنا " والنصارى " معطوفاً على " إن الذين آمنوا والذين هادوا ، بأن هذه المخالفة لمحة بلاغية رائعة ؛ تشير إلى وجود فرق كبير بين هذه الطوائف الأربع:
- الذين آمنوا.
- الذين هادوا.
- النصارى.
- الصابئون.

فالطوائف الثلاث الأولى يربط بينها رابط قوى هو أن كل طائفة منها لها كتاب ورسول من عند الله عز وجل.
فالذين آمنوا لهم كتاب هو القرآن ، ورسول هو محمد صلى الله عليه وسلم .
والذين هادوا لهم كتاب هو التوراة ، ولهم رسول هو موسى عليه السلام.
والنصارى لهم كتاب هو الإنجيل ، ولهم رسول هو عيسى عليه السلام.
أما الصابئون ، فليس لهم كتاب ولا رسول ، وهم على ضلال مطبق لا ذرة من هداية فيه.
والمقام الذى تتحدث عنه الآية هو فتح باب القبول عند الله لكل من آمن إيماناً صحيحاً صادقاً وداوم على عمل الصالحات. فالإيمان يمحو ما قبله ولا ينظر الله إلى ماضيهم الذى كانوا عليه من كفر ومعاصٍ ، والآية بدأت بالذين آمنوا ليستمروا على إيمانهم الذى هم فيه ، ويلتزموا بعمل الصالحات والله سيجزيهم خير الجزاء على إيمانهم المستمر ، وصلاحهم الدائم (٩).
ثم ثنت بالذين هادوا ، يعنى: اليهود ، وهم كانوا فى عصر نزول القرآن قد غالوا فى دينهم ، وحادوا عن الحق ، وغيَّروا وبدَّلوا فيما أنزله الله على أنبيائهم فوعدهم الله إذا آمنوا إيماناً صحيحاً صادقاً ، وتابوا إلى الله من كل ما ابتدعوه فى عقائدهم واتبعوا ما أنزل الله على خاتم رسله ؛ بأنهم سيكونون فى أمنٍ من عذاب الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
وكذلك النصارى حيث جعلوا لله صاحبة وولدا وغالوا كثيراً فى دينهم ، إذا آمنوا إيماناً صحيحاً صادقاً ، وبرئوا من عقائدهم التى ابتدعوها ، وأصلحوا شأنهم ، وآمنوا بما أنزله الله على خاتم رسله ، ولزموا العمل الصالح ، كان سعيهم عند الله مشكوراً ، ووقاهم الله عز وجل من الخوف والحزن يوم يقوم الناس لرب العالمين.
ثم زاد الله فى ترغيب هذه الفرق الثلاث فيما عنده بأن يجعل هذا الفضل للصابئين الذين خرجوا عن جميع الرسالات السماوية ، وإذا كان الله يقبل منهم إيمانهم إذا آمنوا ، ويثيبهم على عمل الصالحات.
فإن الذين آمنوا واليهود والنصارى أولى بالقبول عند الله ، إذا آمنوا وعملوا الصالحات.
ومن أجل هذا خولف إعراب و " الصابئون " ليلفت الأذهان عند قراءة هذه الآية أو سماعها إلى الوقوف أمام هذه المخالفة ، وليتساءل القارئ أو السامع ما سبب هذه المخالفة ، ثم يقوده هذا التساؤل إلى الحصول على هذا المعنى الذى تقدم.
فهذه المخالفة أشبه ما تكون بالنبر الصوتى فى بعض الكلمات ، التى يراد لفت الأنظار إليها عند السامعين ؛ قالوا: والواو فى " والصابئون " ليست لعطف المفردات على نظائرها ، وإنما هى لعطف " الجمل " و" الواو " التى تعطف جملة على أخرى لا تعمل فى مفردات الجملة المعطوفة ، لا رفعاً ولا نصباً ولا جراً. بل تربط بين الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها فى المعنى دون الحركات الإعرابية.
ولهذه الآية نظائر فى مخالفة إعرابها لما قبلها اتخذ منها خصوم القرآن منشأ لشبهات مماثلة وسيأتى الحديث عنها كلا فى موضعه إذا شاء الله تعالى.
والخلاصة:

إن هذه الآية: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر (تخلو من أى خطأ نحوى أو غير نحوى. بل هى فى غاية الصحة والإعجاز ، وقد بينا وجوه صحتها ، والمعانى البيانية التى ألمح إليها رفع " الصابئون " وهؤلاء الذين يلحدون فى آيات الله لا دراية لهم بالنحو ولا بالصرف ولا بالبلاغة ، وليسوا هم طلاب حق ، ولا باحثين عنه ، والذى سيطر على كل تفكيرهم هو البحث " عن العورات " فى كتاب لا عورات فيه بل هو أنقى وأبلغ وأفصح وأصح ، وأصدق بيان فى الكون كله ، ولا يأتوننا بمثل إلا جئناهم بالحق وما هم بسابقين.

(١) المائدة: ٦٩.

(٢) انظر: الدر المصون للسمين الحلبى (٣٥٤/٤).

(٣) البيتان فى ديوانه (٦٦) والكتاب لسيبويه (٤٧٥/١).

(٤) الضمير فى " به " عائد على " الصابئون " يعنى أن حقه أن يذكر بعد النصارى ، ولكنه قُدِّم من تأخير.

(٥) الكشاف (٦٣٠/١).

(٦) فتح القدير (٧١/٢).

(٧) انظر: تفاصيل هذه الآراء وشواهدها ومناقشتها فى " الدر المصون " للسمين الحلبى (٣٥٢/٤) وما بعدها.

(٨) انظر: المصدر السابق (٣٦٠/٤).

(٩) بعض العلماء يفسر " الذين آمنوا " فى الآية بأنهم المنافقون لأنهم غير مؤمنين فى الباطن. والأصوب ما أثبتناه ، وهو أن المراد هم الذين آمنوا فعلاً ، ويكون المطلوب منهم أمرين ثباتهم على هذا الإيمان.

ثم إدامة عمل الصالحات. كما فى قوله تعالى:(يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله (النساء: ١٣٦.

أى: دوموا على إيمانكم.

----

٤٣ - نصب المعطوف على المرفوع

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

وتكلموا على هذه الشبهة فى آيتين:

الأولى:

هو قوله تعالى: (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً) (١).

نظروا فى هذه الآية، فوقعت أعينهم على كلمة " المقيمين " فقارنوا بينها وبين ما قبلها: " الراسخون " - " المؤمنون " وبين ما بعدها " المؤتون " - " المؤمنون " فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعاً بـ " الواو " لأنه جمع مذكر سالم ؛ أما " المقيمين " فوجدوها منصوبة بـ " الياء " لأنها كذلك جمع مذكر سالم.حقه أن يرفع بـ " الواو

" ينصب ويجر بـ " الياء ". وسرعان ما صاحوا وقالوا إن فى القرآن خطأ نحوياً من نوع جديد ، هو " عطف المنصوب على المرفوع ، أو نصب المعطوف على المرفوع ".
ثم علقوا قائلين:
" وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: " والمقيمون الصلاة " ، هذا هو مبلغهم من الجهل ، أو حظهم من العناد وكراهية ما أنزل الله على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم .
الرد على الشبهة:
هذه الآية وردت فى سياق الحديث عن اليهود تنصف من استحق الإنصاف منهم ، بعد أن ذم الله تعالى من عاند منهم ، وحاد عن الحق ، فى الآيات التى سبقت هذه الآية.
ومجىء " المقيمين " بالياء خلافاً لنسق ما قبله وما بعده لفت أنظار النحاة والمفسرين والقراء ، فأكثروا القول فى توجيهه ـ مع إجماعهم على صحته.
وقد اختلفت أراؤهم فيه وها نحن نقتصر على ذكر ما قل ودل منها فى الرد على هؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ولن نذكر كل ما قيل توخياً للإيجاز المفهم.
وأشهر الآراء فيها أن " المقيمين " منصوب على الاختصاص المراد منه المدح فى هذا الموضع بدلالة المقام ؛ لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن ، جديرون بأن يُمدحوا من الله والناس.
يقول الإمام الزمخشرى:
" و " المقيمين " نُصِبَ على المدح ، لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان " (٢).
الزمخشرى أوجز كلامه فى الوجه الذى نُصب عليه " المقيمين " وهو الاختصاص مع إرادة المدح (٢).
الاختصاص هو مخالفة إعراب كلمة لإعراب ما قبلها بقصد المدح كما فى هذه الآية ، أو الذم. ويسمى الاختصاص والقطع.
ومع إيجازه فى عبارته كان حكيماً فيها ، ومن الطريف فى كلامه إشارته إلى خطأ من يقول إن نصب " المقيمين " لحن فى خط المصحف ـ لا سمح الله ـ ثم وصفه بالجهل بمذاهب العرب فى البيان ، والتفنن فى الأساليب ، وكأنه ـ رحمه الله ـ يتصدى للرد على هؤلاء الطاعنين فى القرآن ، الذين نرد عليهم فى هذه الرسالة.
والرأى الذى اقتصر عليه الإمام الزمخشرى هو المشهور عند النحاة والمفسرين والقراء.
وقد سبق الزمخشرى فى هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى (٤).
وهذا الاختصاص أو القطع بيان لفضل الصلاة التى جعلها الله على الناس كتاباً موقوتاً ، وأمر عباده بإقامتها والمحافظة عليها فى كثير من آيات الكتاب العزيز

ومثّلها رسوله صلى الله عليه وسلم ـ كما فى صحيحى البخارى ومسلم ـ بالنهر ، الذى يستحم فيه المكلف فى اليوم خمس مرات ، فيزيل كل ما علق بجسمه من الأدران والأوساخ ، وكذلك الصلوات الخمس فإنها تمحو الخطايا ، وتزيل المعاصى كما يزيل الماء أدران الأجسام.
أما الآراء الأخرى فكثيرة ، ولكنها لا تبلغ من القوة والشيوع ما بلغه هذا الرأى ، وهو النصب على الاختصاص أو القطع.
وقد أوردوا عليه شواهد عدة من الشعر العربى المحتج به لغوياً ونحوياً. ومن ذلك ما أورده سيبويه:
ويأوى إلى نسوة عُطَّلٍ وشُعْثاً مراضيع مثل الثعالى ومنها قول الخرنق بنت هفان:
لا يبعدنْ قومى الذين همو سَمُّ العداة وآفة الجزْر النازلين بكل معتركٍ والطيبون معاقد الأُزْر (٥) والشاهد فى هذه الأبيات ، نصب " شُعثا " فى البيتين الأوليين وهو معطوف على مجرور " عُطَّلٍ ".
والشاهد فى البيتين الآخرين نصب " النازلين " وهو معطوف على مرفوع ، وهو " سمُّ العداة ".
هذا ، وقد قلنا من قبل إن القرآن غير مفتقر إلى شواهد من خارجه على صحة أساليبه ، ومع هذا فإن ورود هذه الشواهد نرحب به ولا نقلل من شأنه ، ومنهم من جعل " المقيمين " مجروراً لا منصوباً ، وقال إن جره لأنه معطوف على الضمير المجرور محلاً فى " منهم " والمعنى على هذا:
لكن الراسخون منهم والمقيمين الصلاة.
وبعضهم قال إنه مجرور بالعطف على الكاف فى " أنزل إليك " وبعضهم قال إنه مجرور بالعطف على " ما " فى " بما أنزل إليك ".
أو هو مجرور بالعطف على " الكاف " فى " قبلك " (٦).
والخلاصة:
إن الذى ينبغى الركون إليه ـ لقوته ـ هو الرأى الأول ، المنسوب إلى سيبويه وأبى البقاء العكبرى والزمخشرى وابن عطية ، أما ما عداه من آراء فلا تخلو من التكلف أو الضعف.
أما النصب على الاختصاص فلا مناص من قبوله ؛ لأنه أسلوب شائع فى الاستعمال اللغوى العربى ، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوى ، الذى لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.
الثانية:
قوله تعالى: (.. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) (٧).
وشاهدهم على هذه الشبهة هو قوله سبحانه: " والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس " لأنه جاء منصوباً بـ " الياء " بعد قوله تعالى: " والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ".
وكان يجب أن يرفع المعطوف ـ يعنى: الصابرين ـ على المرفوع ـ يعنى: الموفون ـ فيقول: والموفون والصابرون "، هذا قولهم.

الرد على الشبهة:
يُحسن بنا أولاً أن نذكر هذه الآية بتمامها لننظر فيها نظرة جُملية قبل مواجهة ما آثاره الخصوم حولها:
(١) (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين).
(٢) (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب).
(٣) (وأقام الصلاة وآتى الزكاة).
(٤) (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا).
(٥) (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).
ترى أننا وزعنا كلمات هذه السورة على وحدات كل وحدة منها تضم معانى وقيماً متجانسة.
الوحدة الأولى: قيم إيمانية تنتظم تحت مفهوم العقيدة وهى: الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، وبالملائكة ، وبالوحى ، ثم بالأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم .
والوحدة الثانية: تنتظم عناصرها تحت مبدأ " الإنفاق المالى الحر (غير الزكاة) ويبين الله فيها الصفات التى تتحقق فى المنفق عليه ، وهم:
- ذوو القربى من النسب.
- اليتامى مهما تباعدت صلتهم عن المنفق.
- المساكين ، الذين ليس لهم مصدر رزق كسبى ، إما لعدم وجود عمل ، أو لعجز عنه.
- الغرباء الذين تعوزهم الحاجة فى السفر ، وليس معهم مال وإن كانوا أغنياء فى بلادهم.
- المحتاجون - حقاً - الذين يستعطفون الناس لسد حاجتهم فى غير معصية.
- عتق الرقاب من الرق ، إما تطوعاً ، أو كاتب السيد عبده على مقدار من المال ليصير حراً.
والوحدة الثالثة: يندرج عنصراها: الصلاة والزكاة تحت ركنين عمليين من أركان الإسلام ، والزكاة إنفاق واجب ، وليس حراً.
والوحدة الرابعة: هى حسن المعاملة مع الناس بوفاء الوعد العهد.
والوحدة الخامسة: تنتظم عناصرها تحت مبدأ الصبر الجميل فى كل عمل خير يؤديه المكلف ، وبخاصة فى الشدائد والمحن وملاقاة العدو.
أما الوحدة السادسة: فهى بيان فضل هؤلاء المذكورين فى الآية ، وبخاصة ما ذكر قبل الفاصلة مباشرة ، ومنزلتهم عند الله:
" أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ".
وإذا تأملت هذه الوحدات ، وعناصرها المندرجة تحتها ، وجدت أن أشدها وقعاً على النفس ، وأكثرها أعباء ، وأشقها كلفة ، هى الصبر فى المحن والشدائد والأخطار ،

وبخاصة فى ملاقاة العدو ، والتعرض لزحفه وسلاحه ، وقد يفضى بالإنسان إما إلى حدوث عاهات مؤلمة فى الجسم ، وإما إلى الموت. فالمقاتل فى ساحات الكر والفر إنما يصارع الموت ، ومقدمات الموت.
ولهذا جاء إعراب " الصابرين " مخالفاً لإعراب ما قبلها ، ليلفت الله أذهان العباد إلى أهمية الصبر فى هذه المجالات ، وهذا الإعراب المخالف لما قبله يفيد مع تركيز الانتباه ، وتوفير العناية بتأمُّل هذا الخلق العظيم ، يفيد أمراً آخر مبهجاً للنفوس ، هو مدح هؤلاء الصابرين شديدى العزيمة ، قويى الاحتمال.
فانظر إلى نفائس هذه المعانى ، التى دل عليها نصب " الصابرين " مع كون ما قبله مرفوعاً. إنها بلاغة القرآن المعجز ، وعبقرية اللغة العربية لغة التنزيل الحكيم.
وهذا الإعراب المخالف لإعراب ما قبله ، هو الذى يسميه النحاة واللغويون بـ " القطع " كما تقدم فى نظيريه فى هذه الدراسة ، إما للمدح كما فى هذه الآية ، وآية النساء " والمقيمين الصلاة " وقد تقدمت.
وإما بقصد الذم ، كما فى قوله تعالى فى سورة المسد " وامرأته حمالة الحطب " أى امرأة أبى لهب التى كانت تحمل الشوك وتنثره فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. لأن كلمة " حمالة " جاءت منصوبة بعد رفع ما قبلها ، وهى " امرأتُه " فهذا قطع كذلك ، القصد منه الذم ، أى: أذم أو ألعن حمالة الحطب.
وأياً كان القطع للمدح أو الذم ، فإنه من أرقى الأساليب البلاغية ، يحتوى على فضيلة الإيجاز وهى أن تكون المعانى أكثر وأوفر من الألفاظ التى تدل عليها ، أو المستعملة فيها ، لأن كل كلمة قُطِعَ إعرابها عما قبلها نابت هذه الكلمة مناب ثلاثة قيم بيانية ، رامزة إلى وجودها فى المقام ، وإن كانت محذوفة وهى:
١ ـ الكلام الذى عمل الإعراب المخالف فى الكلمة المقطوع إعرابها عن إعراب ما قبلها ، وهو فى " الصابرين " أمدح أو أخص الصابرين بالمدح. وفى آية " المسد " أذم أو ألعن.
٢ ـ إفادة المدح أو الذم بغير الألفاظ التى تدل عليهما.
٣ ـ فضيلة الإيجاز البيانى المفعم بالمعانى الآسرة والدلالات الساحرة. فسبحان من هذا كلامه !
والخلاصة:
بعد هذا البيان الموجز ، وإن طال ، لا أرانا فى حاجة إلى ذكر توجيهات النحاة والمفسرين وعلماء القراءات واللغويين ، لمجئ " الصابرين " منصوباً بعد مرفوع فى هذه الآية ، لأن توجيهاتهم ـ هنا ـ مثل توجيهاتهم هناك ، ولسنا فى حاجة كذلك إلى الاستشهاد بالمأثور عن العرب الذين يحتج بكلامهم على قواعد اللغة ، وطرائق استعمالاتها ، لسنا فى حاجة إلى ذلك ، وإن كان مفيداً ، لأن القرآن الكريم حُجة فى نفسه ، غير مفتقر لإقامة الدليل من خارجه على صحة شىء فيه ، فهو النموذج الممتاز الأعلى للغة العربية ، قواعدها ، ونحوها ، وصرفها ، وبيانها ، وبلاغتها. وحسبنا فى هذه الآية المعانى التى أمطنا عنها اللثام فى مجىء " الصابرين " منصوباً بعد مرفوع.
(١) النساء: ١٦٢.

(٢) الكشاف (٥٨٢/١).
(٣) الكتاب (٢٤٨/١).
(٤) إملاء ما من به الرحمن (٢٠٢/١).
(٥) انظر: فى هذه الشواهد الدر المصون (١٥٤/٤).
(٦) انظر: الدر المصون (١٥٥/٤).
(٧) البقرة: ١٧٧.
٠----------------------

٤٤ ـ نصب الفاعل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

وتكلموا على هذه الشبهة فى آيتين:
الأولى:
هو قوله تعالى: (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً) (١).
نظروا فى هذه الآية، فوقعت أعينهم على كلمة " المقيمين " فقارنوا بينها وبين ما قبلها: " الراسخون " ـ " المؤمنون " وبين ما بعدها " المؤتون " ـ " المؤمنون " فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعاً بـ " الواو " لأنه جمع مذكر سالم ؛ أما " المقيمين " فوجدوها منصوبة بـ " الياء " لأنها كذلك جمع مذكر سالم.حقه أن يرفع بـ " الواو " ينصب ويجر بـ " الياء ". وسرعان ما صاحوا وقالوا إن فى القرآن خطأ نحوياً من نوع جديد ، هو " عطف المنصوب على المرفوع ، أو نصب المعطوف على المرفوع ".
ثم علقوا قائلين:
" وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: " والمقيمون الصلاة " ، هذا هو مبلغهم من الجهل ، أو حظهم من العناد وكراهية ما أنزل الله على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم .

الرد على الشبهة:
هذه الآية وردت فى سياق الحديث عن اليهود تنصف من استحق الإنصاف منهم ، بعد أن ذم الله تعالى من عاند منهم ، وحاد عن الحق ، فى الآيات التى سبقت هذه الآية.
ومجيء " المقيمين " بالياء خلافاً لنسق ما قبله وما بعده لفت أنظار النحاة والمفسرين والقراء ، فأكثروا القول فى توجيهه ـ مع إجماعهم على صحته.
وقد اختلفت أراؤهم فيه وها نحن نقتصر على ذكر ما قل ودل منها فى الرد على هؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ولن نذكر كل ما قيل توخياً للإيجاز المفهم.

وأشهر الآراء فيها أن " المقيمين " منصوب على الاختصاص المراد منه المدح فى هذا الموضع بدلالة المقام ؛ لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن ، جديرون بأن يُمدحوا من الله والناس.
يقول الإمام الزمخشرى:
" و " المقيمين " نُصِبَ على المدح ، لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان " (٢).
الزمخشرى أوجز كلامه فى الوجه الذى نُصب عليه " المقيمين " وهو الاختصاص مع إرادة المدح (٢).
الاختصاص هو مخالفة إعراب كلمة لإعراب ما قبلها بقصد المدح كما فى هذه الآية ، أو الذم. ويسمى الاختصاص والقطع.
ومع إيجازه فى عبارته كان حكيماً فيها ، ومن الطريف فى كلامه إشارته إلى خطأ من يقول إن نصب " المقيمين " لحن فى خط المصحف ـ لا سمح الله ـ ثم وصفه بالجهل بمذاهب العرب فى البيان ، والتفنن فى الأساليب ، وكأنه ـ رحمه الله ـ يتصدى للرد على هؤلاء الطاعنين فى القرآن ، الذين نرد عليهم فى هذه الرسالة.
والرأى الذى اقتصر عليه الإمام الزمخشرى هو المشهور عند النحاة والمفسرين والقراء.
وقد سبق الزمخشرى فى هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى (٤).
وهذا الاختصاص أو القطع بيان لفضل الصلاة التى جعلها الله على الناس كتاباً موقوتاً ، وأمر عباده بإقامتها والمحافظة عليها فى كثير من آيات الكتاب العزيز ومثَّلها رسوله صلى الله عليه وسلم ـ كما فى صحيحى البخارى ومسلم ـ بالنهر ، الذى يستحم فيه المكلف فى اليوم خمس مرات ، فيزيل كل ما علق بجسمه من الأدران والأوساخ ، وكذلك الصلوات الخمس فإنها تمحو الخطايا ، وتزيل المعاصى كما يزيل الماء أدران الأجسام.
أما الآراء الأخرى فكثيرة ، ولكنها لا تبلغ من القوة والشيوع ما بلغه هذا الرأى ، وهو النصب على الاختصاص أو القطع.
وقد أوردوا عليه شواهد عدة من الشعر العربى المحتج به لغوياً ونحوياً. ومن ذلك ما أورده سيبويه:
ويأوى إلى نسوة عُطَّلٍ وشُعْثاً مراضيع مثل الثعالى ومنها قول الخرنق بنت هفان:
لا يبعدنْ قومى الذين همو سَمُّ العداة وآفة الجزْر النازلين بكل معتركٍ والطيبون معاقد الأُزْر (٥) والشاهد فى هذه الأبيات ، نصب " شُعثا " فى البيتين الأوليين وهو معطوف على مجرور " عُطَّلٍ ".
والشاهد فى البيتين الآخرين نصب " النازلين " وهو معطوف على مرفوع ، وهو " سمُّ العداة ".
هذا ، وقد قلنا من قبل إن القرآن غير مفتقر إلى شواهد من خارجه على صحة أساليبه ، ومع هذا فإن ورود هذه الشواهد نرحب به ولا نقلل من شأنه ، ومنهم من جعل "

المقيمين " مجروراً لا منصوباً ، وقال إن جره لأنه معطوف على الضمير المجرور محلاً فى " منهم " والمعنى على هذا:
لكن الراسخون منهم والمقيمين الصلاة.
وبعضهم قال إنه مجرور بالعطف على الكاف فى " أنزل إليك " وبعضهم قال إنه مجرور بالعطف على " ما " فى " بما أنزل إليك ".
أو هو مجرور بالعطف على " الكاف " فى " قبلك " (٦).
والخلاصة:
إن الذى ينبغى الركون إليه ـ لقوته ـ هو الرأى الأول ، المنسوب إلى سيبويه وأبى البقاء العكبرى والزمخشرى وابن عطية ، أما ما عداه من آراء فلا تخلو من التكلف أو الضعف.
أما النصب على الاختصاص فلا مناص من قبوله ؛ لأنه أسلوب شائع فى الاستعمال اللغوى العربى ، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوى ، الذى لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.
الثانية:
قوله تعالى: (.. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) (٧).
وشاهدهم على هذه الشبهة هو قوله سبحانه: " والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس " لأنه جاء منصوباً بـ " الياء " بعد قوله تعالى: " والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ".
وكان يجب أن يرفع المعطوف ـ يعنى: الصابرين ـ على المرفوع ـ يعنى: الموفون ـ فيقول: والموفون والصابرون "، هذا قولهم.

الرد على الشبهة:
يُحسن بنا أولاً أن نذكر هذه الآية بتمامها لننظر فيها نظرة جُملية قبل مواجهة ما آثاره الخصوم حولها:
(١) (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين).
(٢) (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب).
(٣) (وأقام الصلاة وآتى الزكاة).
(٤) (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا).
(٥) (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).
ترى أننا وزعنا كلمات هذه السورة على وحدات كل وحدة منها تضم معانى وقيماً متجانسة.
الوحدة الأولى: قيم إيمانية تنتظم تحت مفهوم العقيدة وهى: الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، وبالملائكة ، وبالوحى ، ثم بالأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم .

والوحدة الثانية: تنتظم عناصرها تحت مبدأ " الإنفاق المالى الحر (غير الزكاة) ويبين الله فيها الصفات التى تتحقق فى المنفق عليه ، وهم:
- ذوو القربى من النسب.
- اليتامى مهما تباعدت صلتهم عن المنفق.
- المساكين ، الذين ليس لهم مصدر رزق كسبى ، إما لعدم وجود عمل ، أو لعجز عنه.
- الغرباء الذين تعوزهم الحاجة فى السفر ، وليس معهم مال وإن كانوا أغنياء فى بلادهم.
- المحتاجون - حقاً - الذين يستعطفون الناس لسد حاجتهم فى غير معصية.
- عتق الرقاب من الرق ، إما تطوعاً ، أو كاتب السيد عبده على مقدار من المال ليصير حراً.
والوحدة الثالثة: يندرج عنصراها: الصلاة والزكاة تحت ركنين عمليين من أركان الإسلام ، والزكاة إنفاق واجب ، وليس حراً.
والوحدة الرابعة: هى حسن المعاملة مع الناس بوفاء الوعد العهد.
والوحدة الخامسة: تنتظم عناصرها تحت مبدأ الصبر الجميل فى كل عمل خير يؤديه المكلف ، وبخاصة فى الشدائد والمحن وملاقاة العدو.
أما الوحدة السادسة: فهى بيان فضل هؤلاء المذكورين فى الآية ، وبخاصة ما ذكر قبل الفاصلة مباشرة ، ومنزلتهم عند الله:
" أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ".
وإذا تأملت هذه الوحدات ، وعناصرها المندرجة تحتها ، وجدت أن أشدها وقعاً على النفس ، وأكثرها أعباء ، وأشقها كلفة ، هى الصبر فى المحن والشدائد والأخطار ، وبخاصة فى ملاقاة العدو ، والتعرض لزحفه وسلاحه ، وقد يفضى بالإنسان إما إلى حدوث عاهات مؤلمة فى الجسم ، وإما إلى الموت. فالمقاتل فى ساحات الكر والفر إنما يصارع الموت ، ومقدمات الموت.
ولهذا جاء إعراب " الصابرين " مخالفاً لإعراب ما قبلها ، ليلفت الله أذهان العباد إلى أهمية الصبر فى هذه المجالات ، وهذا الإعراب المخالف لما قبله يفيد مع تركيز الانتباه ، وتوفير العناية بتأمُّل هذا الخلق العظيم ، يفيد أمراً آخر مبهجاً للنفوس ، هو مدح هؤلاء الصابرين شديدى العزيمة ، قويى الاحتمال.
فانظر إلى نفائس هذه المعانى ، التى دل عليها نصب " الصابرين " مع كون ما قبله مرفوعاً. إنها بلاغة القرآن المعجز ، وعبقرية اللغة العربية لغة التنزيل الحكيم.
وهذا الإعراب المخالف لإعراب ما قبله ، هو الذى يسميه النحاة واللغويون بـ " القطع " كما تقدم فى نظيريه فى هذه الدراسة ، إما للمدح كما فى هذه الآية ، وآية النساء " والمقيمين الصلاة " وقد تقدمت.
وإما بقصد الذم ، كما فى قوله تعالى فى سورة المسد " وامرأته حمالة الحطب " أى امرأة أبى لهب التى كانت تحمل الشوك وتنثره فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. لأن كلمة " حمالة " جاءت منصوبة بعد رفع ما قبلها ، وهى " امرأتُه " فهذا قطع كذلك ، القصد منه الذم ، أى: أذم أو ألعن حمالة الحطب.

وأياً كان القطع للمدح أو الذم ، فإنه من أرقى الأساليب البلاغية ، يحتوى على فضيلة الإيجاز وهى أن تكون المعانى أكثر وأوفر من الألفاظ التى تدل عليها ، أو المستعملة فيها ، لأن كل كلمة قُطِعَ إعرابها عما قبلها نابت هذه الكلمة مناب ثلاثة قيم بيانية ، رامزة إلى وجودها فى المقام ، وإن كانت محذوفة وهى:

١ ـ الكلام الذى عمل الإعراب المخالف فى الكلمة المقطوع إعرابها عن إعراب ما قبلها ، وهو فى " الصابرين " أمدح أو أخص الصابرين بالمدح. وفى آية " المسد " أذم أو ألعن.

٢ ـ إفادة المدح أو الذم بغير الألفاظ التى تدل عليهما.

٣ ـ فضيلة الإيجاز البيانى المفعم بالمعانى الآسرة والدلالات الساحرة. فسبحان من هذا كلامه !

والخلاصة:

بعد هذا البيان الموجز ، وإن طال ، لا أرانا فى حاجة إلى ذكر توجيهات النحاة والمفسرين وعلماء القراءات واللغويين ، لمجئ " الصابرين " منصوباً بعد مرفوع فى هذه الآية ، لأن توجيهاتهم ـ هنا ـ مثل توجيهاتهم هناك ، ولسنا فى حاجة كذلك إلى الاستشهاد بالمأثور عن العرب الذين يحتج بكلامهم على قواعد اللغة ، وطرائق استعمالاتها ، لسنا فى حاجة إلى ذلك ، وإن كان مفيداً ، لأن القرآن الكريم حُجة فى نفسه ، غير مفتقر لإقامة الدليل من خارجه على صحة شىء فيه ، فهو النموذج الممتاز الأعلى للغة العربية ، قواعدها ، ونحوها ، وصرفها ، وبيانها ، وبلاغتها.

وحسبنا فى هذه الآية المعانى التى أمطنا عنها اللثام فى مجىء " الصابرين " منصوباً بعد مرفوع.

(١) النساء: ١٦٢.

(٢) الكشاف (٥٨٢/١).

(٣) الكتاب (٢٤٨/١).

(٤) إملاء ما من به الرحمن (٢٠٢/١).

(٥) انظر: فى هذه الشواهد الدر المصون (١٥٤/٤).

(٦) انظر: الدر المصون (١٥٥/٤).

(٧) البقرة: ١٧٧.

٤٥ـ تذكير خبر الاسم المؤنث

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الشبهة:

هو قوله تعالى: (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) (١).

وموضع الشاهد عند المعترضين فى الآية الكريمة هو كلمة " قريب " وهى " خبر " اسم " إن " " رحمة ".

وحين نظروا فى نظم هذه الآية توهموا كذلك أن فيها خطأً نحوياً منشؤه عدم التطابق بين المبتدأ " رحمة " والخبر " قريب " فى التأنيث ، لأن المبتدأ " رحمت " مؤنث. أما الخبر " قريب " فهو فى الآية مذكر قالوا:
وكان يجب أن يتبع خبر " إن " اسمها فى التأنيث فيقال: قريبة.

الرد على الشبهة:
ذكر علماؤنا فى توجيه هذا " التذكير " الحاصل بحذف علامة التأنيث من الخبر ، عدة وجوه ، لا نريد أن نطيل بذكرها كلها ، لذلك نكتفى بما يرد كيد هؤلاء الطاعنين فى نحورهم.
- بعضهم يجعل " رحمة الله " فى معنى الغفران [أو الرضوان] فلذلك جاء الخبر " قريب " مذكراً.
وقد اختار هذا الرأى النضر بن شميل والزجاج (٢).
* ومنهم من جعل " قريب " صفة لخبر محذوف مذكر تقديره: شىء أو أمر قريب ، ودليل هذا الحذف هو تذكير " قريب ".
* ومنهم من جعله من باب النسب ، أى ذات قرب ، كقولهم فى حائض: ذات حيض.
* ومنهم من جعل " قريب " مصدراً مستعملاً استعمال الأسماء مثل النقيق ، وهو صوت الضفادع. والضغيب وهو صوت الأرنب. والمصدر يُلتزم فيه الإفراد وإن جرى على جمع ، والتذكير وإن جرى على مؤنث كما فى هذه الآية الكريمة.
* ويرى آخرون أن تأنيث " رحمة " لما كان تأنيثاً مجازياً لا حقيقياً جاز فى الاستعمال اللغوى تأنيث خبره وصفته ، وجاز تذكيرهما على حدٍ سواء. سواء كان فى ضرورة الشعر ، أو فى النثر.
وقال الحلبى تلميذ أبى حيان ، وهما من الأئمة الأعلام فى النحو:
" وهذا يجئ على مذهب ابن كيسان ، فإنه لا يقصر ذلك على ضرورة الشعر ، بل يجيزه فى السعة " (٣).
وقال الفراء: " قريبة وبعيدة إما أن يراد بهما قرابة النسب أو عدمها فيؤنثها العرب ليس إلا ، كقولهم:
فلانة قريبة منى أى فى النسب وبعيدة منى أى فى النسب. أما إذا أريد بها القرب المكانى أو الزمانى فإنه يجوز الوجهان ؛ لأن قريباً وبعيداً قائم مقام المكان أو الزمان ، فتقول:
فلانة قريبة وقريب ، وبعيدة وبعيد ، والتقدير هى فى مكان قريب وبعيد. قال الشاعر:
عشية لا عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيد " (٤) يعنى أن الشاعر جمع بين الوجهين التأنيث والتذكير والموصوف مؤنث ؛ لأن " قريب " و " بعيد " أريد بهما القرب فى المكان والبعد فيه.
والآية الكريمة ليس القرب المذكور فيها مراداً به قرب النسب فيلزم تأنيثه ، وإنما المراد قرب الزمان ، والعرب تجيز فيه الوجهين: التأنيث والتذكير.
ولأمرئ القيس ، وهو من شعراء الجاهلية ، وشعرهم حُجة فى إثبات اللغة ، بيت نحا فيه هذا المنحى ؛ فقال:

لـه الويل إن أمسى ولا أم سالم قريب ، ولا البسباسة ابنته يُشكرا (٥) والشاهد فى البيت تذكير " قريب " مع جريانه على مؤنث " أم سالم " وهو نظير " قريب " فى الآية الكريمة.

والخلاصة:

رأينا فى الرد على هذه الشبهة أن القرآن الكريم لم يخرج عن سنن البيان العربى حين ذكّر " قريب " فى الآية ، وهى مجراة على مؤنث مجازى غير حقيقى " رحمة الله ".

وكان أصح وأثبت ما ذكرناه فى الرد على خصوم القرآن ، هو ما قاله الفراء رحمه الله ، من أن العرب كانوا يفرقون بين القرب والبعد من النسب وبين القرب والبعد فى المكان والزمان:

فالأول: يلتزم فيه تأنيث ما جرى خبراً أو صفة لمؤنث.

أما الثانى: وهو القرب والبعد فى المكان والزمان فإنهم يجيزون فيه الوجهين: التأنيث والتذكير ، وقد ذكر رحمه الله بعض الشواهد الشعرية لشعراء هم حُجة فى إثبات اللغة ، وطرائق استعمالاتها. وبهذا تظهر براءة القرآن الناصعة مما حاول خصومه إلصاقه به من خطأ.

(١) الأعراف: ٥٦.

(٢) وعلى هذا يكون التذكير قرينة على صحة حمل " رحمة الله " على غفران الله ، أو رضوانه. انظر:

معانى القرآن للزجاج (٣٨٠/٢).

(٣) يعنى فى النثر دون اشتراط ضرورة تدعو إليه. انظر: الدرر المصون (٣٤٥/٥).

(٤) معانى القرآن (٣٨٢/٢) والبيت لعروة بن حزام. وقد أورده للغرض نفسه أبو حيان فى البحر (٣١٣/٤).

(٥) الدر المصون. الشاهد رقم (٥٦٢).

----

٤٦ - تأنيث العدد ، وجمع المعدود

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:

هو قوله تعالى: (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم..) (١).

وشاهدهم على اللغط بهذه الشبهة هو قوله عز وجل " اثنتى عشرة أسباطاً أمماً " والصواب الذى توهموه عبروا عنه بقولهم:

" كان يجب أن يُذكّر العدد ، ويأتى بمفرد المعدود فيقول: اثنى عشر سبطا ".

الرد على الشبهة:

وجَّه النحاة تأنيث العدد فى الآية بأن السبط فى بنى إسرائيل كالقبيلة عند العرب. يعنى أنه أراد بالأسباط القبائل ، ولذلك أنث جزئى العدد المركب ، وهما: اثنتى ، وعشرة (٢).
هذا وجه ، ووجه آخر هو تأويل السبط بالجماعة أو الفرقة أو الطائفة.
أما جمع أسباط ، وكان حقه أن يفرد فقد روعى فيه المعنى دون اللفظ ، ومراعاة المعنى دون اللفظ ، أو اللفظ دون المعنى كثير الورود فى النظم القرآنى ، ويبدو أن هؤلاء الطاعنين فى سلامة القرآن من كل خطأ يجهلون هذه الأساليب فى القرآن خاصة ، وفى اللغة العربية عامة ، ويتشبثون بظواهر العبارات حباً فى ترويج ما يريدون ترويجه من الشبهات الواهية وكان العرب النازل بلغتهم القرآن يذكّرون عدد المؤنث مراعاة للفظ فيقولون: ثلاثة أنفس ، أى رجال ويقولون عشر أبطن.
ففى الأول " ثلاثة أنفس " ذكّروا العدد نظراً للمعنى ؛ لأن المعدود مذكر " رجال " وفى الثانى أنثوا العدد " عشر أبطن " لأن المعدود هو القبيلة أى عشر قبائل. وهذا باب واسع لا تحصر شواهده (٣).
أما جمع المعدود الذى فى الآية " أسباطاً أمماً فله نظائر فى الاستعمال المأثور الوارد عن العرب ومنه قول الشاعر:
فيها اثنتان وأربعون حلوبة سُوداً كخافية الغراب الأسحم فقد وصف الشاعر " حلوبة " وهى مفرد ، بقوله " سُوداً " وهو جمع سوداء.
ولهذه.. الشواهد نظائر من المأثور عن العرب الخلَّص.
والخلاصة:
فقد طاحت هذه الشبهة ، وانمحت آثارها ، كما طاحت نظائرها من قبل. ومن الدلائل القوية على صحة تأنيث العدد ، فوق ما تقدم ، أن بعض النحاة أضاف إلى بدلية " أمما " من " أسباطا " أن " أمما " وقعت نعتاً ل " أسباطا " و " أمماً " مؤنثة لفظاً. وسواء كانت " أمماً " بدلاً من " أسباطاً " أو كانت نعتاً له. فإن الذى لا نزاع فيه أن المؤنث لا يبدل من المذكر ، ولا يقع نعتاً له. وهذا دليل قاطع على أن المراد من " أسباطاً " وإن كان مذكّراً فى اللفظ ، معنى مؤنث لا محالة. ولذلك أنث النظم القرآنى جزئى العدد المركب " اثنتى عشرة ".
أما جمع المعدود " أسباطاً أمماً " وإن وجهه النحاة توجيهاً صائباً ، فقد بقى فى مجيئه جمعاً ملمح بلاغى دقيق ذلك الملمح نوضحه فى الآتى:
بدأت الآية الكريمة بهذا الفعل " قطَّعناهم " بتشديد " الطاء " على وزن " فَعَّل " وهذا التشديد يفيد التكثير ، أى كثرة التقطيع والتفريق. وهذا يناسبه بلاغة جمع " أسباطاً أمماً " لا إفرادهما ، والمعانى البلاغية من هذا النوع تزال من أجلها كل الموانع والسدود. ولغة القرآن وبلاغته أوسع من قواعد اللغة وفنونها البلاغية.
(١) راف: ١٦٠.
(٢) انظر: الدر المصون (٤٨٥/٥).
(٣) ومما رجح التأنيث فى الآية إبدال " أمما " من " أسباطا " مما يؤكد أن الأسباط معناها هنا مؤنث بمعنى قبائل أو جماعات.

٤٧- جمع الضمير العائد على المثنى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم) (١).
يقولون:
كان يجب أن يثنى الضمير العائد على المثنى ، فيقول: " خصمان اختصما فى ربهما " !.

الرد على الشبهة:
أشرنا من قبل إلى طريقتين من طرق التعبير اللغوى الفصيح ، وهما:
- طريقة مراعاة اللفظ.
- وطريقة مراعاة المعنى فحيث جمع القرآن الضمير العائد على المثنى ، فهو من استعمالات الطريقة الثانية ، التى يراعى فيها جانب المعنى على جانب اللفظ.
وينبغى أن نعرف أن المثنى نوعان:
- مثنى حقيقى ، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) (٢).
ف " رجلان " مثنى حقيقى ؛ لأن واحده فرد فى الوجود ؛ أو ذات واحدة ؛ هذا هو المثنى الحقيقى. وإذا وُصِفَ أو استؤنف الحديث عنه وجب تثنية الضمير العائد عليه.
* أما النوع الثانى من المثنى ، فهو المثنى اللفظى ومثاله من القرآن قوله تعالى: (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) (٣).
وهذا النوع من المثنى ضابطه أن واحده جمع فرد من عدة أفراد ، وليس فرداً واحداً.
والنوع الأول (المثنى الحقيقى) يسمى مثنى لفظاً ومعنى.
أما الثانى (المثنى غير الحقيقى) فيسمى مثنى فى اللفظ ، وجمعاً فى المعنى. وفى وصفه أو استئناف الحديث عنه يجوز أن يراعى فيه جانب اللفظ ، أو جانب المعنى.
ومنه ما ورد فى آية " الحج ": " هذان خصمان " لما كان معناه جمعاً روعى فيه جانب المعنى فقال عز وجل: " اختصموا فى ربهم " ومعروف أن مفرد الخصمين خصم ، وهو اسم جنس يندرج تحته - هنا - أفراد كثيرون وبهذا نزل القرآن فى هذه الآية ، فتحدث عن الخصمين بضمير " الجمع " الذى هو " واو الجماعة " " اختصموا " ثم بضمير الجماعة " هم " فى قوله تعالى: " فى ربهم ".
ونظيره فى القرآن قوله تعالى:
(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (٤). أعاد الضمير جمعاً " اقتتلوا " هذا فى جملة الخبر ، مع أن المبتدأ مثنى " طائفتان " وذلك لأن هذا اللفظ مثنى غير حقيقى ، بل هو مثنى فى اللفظ ، جمع فى المعنى.
وفى هذه الآية راعى النظم القرآنى المعجز المعنى فى جملة الخبر وحدها " اقتتلوا " ثم راعى اللفظ فى بقية الآية هكذا:

(فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما (.
وكلا المنهجين فصيح صحيح بليغ.
والذى سوَّغ مراعاة المعنى فى " اقتتلوا " وقوعه بعد جمع ، هو " المؤمنين " ، وليس فوق ذلك درجة من الصحة والإصابة ، وإن كره الحاقدون.
والخلاصة:
أن " اختصموا " و " فى ربهم " الذوق السليم يشهد أن " اختصموا " أبلغ من اختصما ، وأن " ربهم " أبلغ من ربهما.
لأن " اختصموا " يفيد تبادل الخصومة بين جميع أفراد ال " خصمان " من أول وهلة ، وكذلك " ربهم ؛ إن ضمير الجمع فيه " هم " يفيد من أول وهلة ربوبية الله لكل فرد منهم.
والاختصام هو الحدث الرئيسى فى هذه الواقعة. فعُبِّر عنه بهذا اللفظ الفخم " اختصموا " ومحال أن يستقيم لو قيل بعده " فى ربهما " فسبحان من هذا كلامه ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد.
(١) الحج: ١٩.
(٢) المائدة: ٢٣.
(٣) هود: ٢٤.
(٤) الحجرات: ٩.
----

٤٨ - الإتيان باسم الموصول العائد على الجمع مفرداً

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
ومنشأ هذه الشبهة - عندهم - قوله تعالى: (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) (١).
والشاهد - عندهم - فى الآية هو قوله تعالى: " وخضتم كالذى خاضوا " وآثرنا ذكر الآية بتمامها لأن الرد على هذه الشبهة يقتضى النظر فى الآية كلها لا فى الجزء الذى استشهدوا به وحده.
وكان تعليقهم على قوله عز وجل: (وخضتم كالذى خاضوا (هو قولهم: " وكان يجب أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول: (خضتم كالذين خاضوا (!

الرد على الشبهة:
هذه الآية - بتمامها - وردت فى سياق الحديث عن المنافقين ؛ لأن ما قبلها هو قوله عز وجل: (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) (٢).

والآية مسوقة لتهديد المنافقين والكفار ، لعلهم يقلعون عما هم فيه من نفاق وكفر.
وقد أدير الحديث فيها على تشبيه المخاطبين (المنافقين والكفار) بالأمم الغابرة ، كانت أشد منهم قوة ، وأكثر مالاً وولدا ، وانغمسوا فى شهواتهم الفانية ، فسار المنافقون والكفار سيرتهم فركنوا إلى متع الحياة الدنيا الفانية ، ولم يبتغوا ما عند الله ، وأن المنافقين والكفار فعلوا كل ما فعله من قبلهم من المعاصى والسيئات.
ثم بين الله عز وجل أنهم الخاسرون فى الدنيا والآخرة فالذى معنا فى الآية فريقان:
- فريق سابق فى الزمن ، لم يكن موجوداً فى عصر نزول القرآن.
- فريق كان حاضراً فى عصر نزول القرآن ، وهم الذين خاطبهم الله فى هذه الآية الكريمة. وليس فى هذه الآية فريق ثالث تحدثت عنه الآية.
ومن هذا يتضح أن تعقيب خصوم القرآن على هذه الآية ، بأن الصواب أن يقال: " وخضتم كالذين خاضوا " فاسد من كل الوجوه ؛ لأن معنا فى الآية فريقان لا ثلاثة ، ولو قيل: " خضتم كالذين خاضوا " لانفكت رابطة الكلام ، ولبرز فى النظم طرف ثالث لا وجود له فى سياق الآية.
بيان ذلك:
أن المقارنة جرت فى الآية بين الفريقين " المنافقين والكفار " و " الأمم الغابرة ".
ودارت المقارنة على هذا المنهج:
- فاستمتعوا بخلاقهم.
- فاستمتعتم بخلاقكم.
- كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم.
- وخضتم كالذى خاضوا.
والمعنى: وخضتم خوضاً مثل خوضهم (٣).
فالذى فى الآية اسم موصول مفرد ، يعود على المصدر المفهوم من الفعل الماضى " خضتم " فشبه الله عز وجل خوض المنافقين بخوض الذين من قبلهم. وهذا هو النسق الذى دارت عليه المقارنة فى الآية تشبيه سلوك اللاحقين بسلوك السابقين من الأمم الغابرة ، التى عتت عن أمر ربها وعصت رسله.
واختار الإمام الشوكانى أن المعنى: " كالخوض الذى خاضوا " (٤) ، ومن قبله قال الإمام الزمخشرى:
" وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا " (٥).
هذا هو الحق فى هذه العبارة ، لا كما قال خصوم القرآن الكارهون لما أنزل الله عز وجل.
(١) التوبة: ٦٩.
(٢) التوبة: ٦٨.
(٣) انظر: الدر المصون (٨٤/٦).
(٤) فتح القدير (٤٣٣/٢).
(٥) الكشاف (٢٠١/٢).
----

٤٩ - جزم الفعل المعطوف على المنصوب

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدَّق وأكن من الصالحين) (١).
وشاهد هذه الشبهة ـ عندهم ـ هو قوله تعالى: " وأكن " لأنه محذوف الواو ساكن النون ، وهو فعل معتل الوسط بالواو (أجوف) ولا يحذف الواو منه إلا إذا سكن آخره ، ولا يسكن آخره إلا إذا كان مجزوماً ، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم أو عطف على مجزوم.
ولما لم يدخل على الفعل ـ هنا ـ جازم ، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جزمه بالعطف عليه ، ساغ لخصوم القرآن أن يقولوا إن هذا الفعل " أكن " جزم مع أن المعطوف عليه منصوب ، وهو الفعل " فأصدق " وعلقوا على هذا فقالوا: " كان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقال: " فأصدق وأكون ".

الرد على الشبهة:
لفتت هذه الآية أنظار النحاة والمفسرين ، وقد اختلفت توجيهاتهم لورود الفعل المجزوم مردوفاً على الفعل المنصوب ، مع اتفاقهم جميعاً على صحة هذا التركيب نحوياً لأن نظم القرآن مشهود له بالصحة من ألد خصومه الذين بلغوا الذروة فى الفصاحة والبلاغة ، وهم مشركو العرب ، حيث لم يُرو عنهم أنهم طعنوا فى القرآن فى صحة أساليبه ، وضروب تراكيبه ، والتسليم له بالسمو والرفعة فى هذا المجال.
فعلى كثرة ما اتهموه بأنه سحر ، أو شعر ، أو أساطير الأولين تملى على النبى صلى الله عليه وسلم بكرة وأصيلا لم يذكروا ـ قط ـ أن به أخطاء لغوية ، أو نحوية أو صرفية أو بيانية ، بل على العكس من ذلك نراهم أثنوا عليه على لسان الوليد بن المغيرة ، لما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم الآيات الأولى من سورة " فصلت " حين نفى عنه كل عيب أو نقص فى أساليبه ونظمه المحكم البديع ولو كان ما يؤخذه خصوم القرآن ـ الآن ـ من الشبهات التى نعرض لها ـ هنا ـ حقاً لبادروا بإعلانها ، ولاتخذوها حرباً ضروساً ضده. وسكوتهم المطبق عن ذكر عيوب من هذا القبيل تسليم منهم له بالسلامة من جميع الأخطاء ، وهذه هى عقيدة الأمة وكل العقلاء المنصفين ، وقد أشرنا من قبل إلى أن القرآن أوسع من قواعد اللغة وأسمى من أساليب البيان المعروفة عند البشر فإذا ورد فيه شىء على غير قاعدة نحوية أو صرفية معروفة لدى الناس ، فليس معناه أن القرآن قد أخطأ أو سها. لأن القرآن نفسه مصدر من مصادر إثبات اللغة فى نفسها وفى طرق استعمالاتها.
فما جاء منه على ما نعرفه أو نألفه من القواعد فلا مشاحنة فيه. وما جاء على غير ذلك وجب الإيمان بصحته ، وعلينا أن نجتهد فى التماس العلة فيه ، فإن أدركناها فالحمد لله وإلا فوضنا الأمر فيها لله ، كما هو فى بعض المتشابهات القرآنية من الألفاظ والمعانى ، كما قال عز وجل: (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) (٢).
وبعد هذه الوقفة الكاشفة الشافية نعود إلى ما قاله النحاة والمفسرون فى توجيه مجىء الفعل المجزوم مردوفاً على الفعل المنصوب فى الآية الكريمة ، التى اتخذ منها الذين فى قلوبهم زيغ وسيلة للطعن فى القرآن ، ابتغاء الفتنة:
وجّه الإمام الزمخشرى مجئ الفعل " وأكن " مجزوماً مردوفاً على الفعل المنصوب " فأصدق " بأن قوله تعالى " لولا أخرتنى.. " فى محل جزم لتضمنه معنى الشرط ، فكأنه قيل: إن أخرتنى أصدقْ وأكن من الصالحين (٣).
وكذلك قال ابن عطية (٤) ، وأبو على الفارسى (٥).
الخلاصة:
لم تكن هذه القراءة هى الوحيدة فى جزم الفعل " أكن " فقد قرأه أبو عمرو " وأكون " بالنصب عطفاً على " فأصدق ".
ونرى أن التوجيه بأن هذا الفعل مجزوم على تضمن عبارة التمنى " لولا أخرتنى إلى أجل قريب " أو على الشرط المقدر بـ " إن أخرتنى " هو توجيه سديد ، وقد سبق إلى القول به علمان من أئمة النحو ، هما الخليل وسيبويه (٦).
والذى سوَّغ إيثار عبارة التمنى " لولا أخرتنى " على الشرط الصريح " إن أخرتنى " أن قائل هذه العبارة يقولها فى ساعة يملكه فيها اليأس من التأخير وهى ساعة حضور الموت ، والتمنى كما نعلم يستعمل فى طلب المحال أو المتعذر ، أما الشرط فيستعمل فى الأمور التى لا استحالة فيها ولا تعذر.
فهو إذن من تبادل الصيغ وإحلال بعضها محل بعض لداع بلاغى. وقرينة إرادة الشرط من عبارة التمنى هو جزم الفعل " أكن " وسره البلاغى أن من حضرته الوفاة وهو مقصر فى طاعة الله تدفعه شدة الحاجة التى نزلت به إلى طمع من نوع ما ، مما هو مستحيل أو متعذر الوقوع. ومما تقدم يظهر لنا استقامة العبارة القرآنية وبُعْدها عن كل خلل ، ووفاؤها بالمعنى المراد نحواً وبياناً.
(١) المنافقون: ١٠.
(٢) آل عمران: ٧.
(٣) الكشاف (١١٢/٤).
(٤) المحرر الوجيز (٢٣/١٦).
(٥) الحجة فى القراءات (٣٨٦/٤).
(٦) حاشية الشهاب على البيضاوى (٢٠٠/٨).

٥٠ـ جَعْلُ الضمير العائد على المفرد جمعاً

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) (١).

ذكروا هذه الآية ، ووقفوا عند قوله تعالى: (الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله) (ذهب الله بنورهم (وعلقوا عليه قائلين: وكان يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفرداً ، فيقول: " استوقد ـ ذهب الله بنوره " !.

الرد على الشبهة:

هذه الآية مضروبة مثلاً لبيان حال المنافقين فى تذبذب أحوالهم وتقلبهم فى مواقفهم ، وانتهازهم الفرص السانحة لتحقيق أغراضهم الدنيوية. وعدم ثباتهم على مبدأ خلقى قويم ، وقد تقدم على هذه الآية آية أخرى تصف سعيهم الضال ، وإيثارهم منافع الدنيا العاجلة الفانية ، على ما عند الله ـ عز وجل ـ مقضياً عليهم بالخسران المبين ، وهى قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) (٢).

ثم استأنف القرآن الحديث عنهم فى: (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون (.

والمثل ـ بفتح الثاء ـ هو الشأن والقصة الغريبة التى يكون عليها المتحدث عنه ، وهو ـ هنا ـ المنافقون ، مَثَّلَ الله حالهم وشأنهم الذى هم عليه ، وقصتهم الغريبة الراسخة فى طباعهم بمثل رجل ، أو فريق من الناس طلب إيقاد نارٍ للانتفاع بها فى تحقيق الرؤية ، وإبصار الطريق للسير فيه ، فلما أضاءت النار ما حوله وفرح بها سرعان ما أطفاها الله فأظلمت عليه الدنيا ، فوقع فى حيرة وارتباك.

وجمع الضمير فى " بنورهم " ليس عائداً على " الذى " المفرد المذكور فى (كالذى استوقد ناراً (، وقد وجَّه النحاة جمع الضمير بعد " الذى " فقالوا: إن الذى ليس بمعنى المفرد ، بل هو بمعنى " الذين " وذكروا أن " الذى " فى الاستعمال اللغوى له معنيان:

الأول: أن يكون بمعنى المفرد ، وهو الغالب والكثير فيه.

والثانى: أن يكون بمعنى الجمع ، ويُفرَّق بينهما بالقرائن ، ففى الآية التى معنا: " الذى " بمعنى الفريق أو الفوج الذى استوقد النار.

هذا رأى فى توجيه رد الضمير جمعاً على " الذى " وقد عبروا عن هذا بقولهم: أراد بالذى جنس المستوقد ، لا فرداً معيناً (٣).

ويرى الإمام الزمخشرى أن " الذى " هو ـ هنا ـ "الذين " حذفت منه " النون " لاستطالته ، وهو مثل " وخضتم كالذى خاضوا " وليس فى الكلام تشبيه الجماعة بالواحد على هذا التأويل ، وأن المشبه هو حال المنافقين ، بحال الذى استوقد ناراً. تشبيه معنى مركب بمعنى مركب ، وليس تشبيه ذوات المنافقين بذات الذى استوقد ناراً ، فهذا غير مقصود ، وإنما المقصود هو تشبيه قصة المنافقين المضروب لها المثل ، بقصة المستوقد للنار ، وأن وجه الشبه بين القصتين هو: " فبقوا خابطين فى ظلام ، متحيرين متحسرين على فوت الضوء ، خائبين بعد الكدح فى إحياء النار " (٤).

ويقول الإمام الشوكانى:

و " الذى " موضوع موضع الذين ، أى كمثل الذين استوقدوا ، وذلك موجود فى كلام العرب ، كقول الشاعر:
وإن الذى حانت بفلج دماؤهم همُ القوم ، كل القوم ، يا أم خالد ومنه " وخضتم كالذى خاضوا " و " والذى جاء بالصدق وصدَّق به ، أولئك هم المتقون " (٥).
والخلاصة:
بعد هذا العرض لأئمة النحاة والمفسرين يتضح جلياً أن الاستعمال القرآنى فى " مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم " استعمال عربى فصيح فى غاية الفصاحة ، وله شواهد فى كلام العرب المحتج بكلامهم ، وإن كان القرآن غنياً عن الاستشهاد من خارجه على عروبته وسلامته من كل خطأ ؛ لأنه من أصح مصادر اللغة العربية ، ومع هذا فإن ما قاله الأئمة الأعلام يحيل شبهة هؤلاء المتطاولين على كتاب الله العزيز هباءً منثوراً ، هذا هو دور النحو فى إبطال هذه الشبهة ، وللبلاغة دور مهم فى الرد عليهم نلخصه فى الآتى:
إن المثل فى الآية مسوق أساساً لتمثيل شأن المنافقين ، أما قوله تعالى: " كمثل الذى استوقد ناراً " ، فأمر عارض اقتضاه مقام الحديث عن تمثيل حال المنافقين فهو أشبه ما يكون بالجملة الاعتراضية ، لولا أنها مشبه به ، ولما أدت الدور المراد منها تحول الحديث إلى الأصل المسوق من أجله الكلام ، وبدأ هذا التحول من قوله تعالى: " ذهب الله بنورهم " فَجَمْعُ الضمير فى " بنورهم " منظور فيه إلى نظيره فى " مثلهم " فكان ضمير الجمع فى " بنورهم " مطابقاً أصالة لمقام الحديث أما " الذى استوقد ناراً " فصار مسكوتاً عنه بعد آداء دوره المراد منه.
وعلى هذا فإن التوجيه البلاغى لجمع الضمير فى " بنورهم " يغنى عن التوجيهات التى أبداها النحاة والمفسرون إذ لا معول فى التوجيه البلاغى على اعتبار " الذى " بمعنى الذين ، أو هو " الذين " حذف منه النون.
ومحال أن يستقيم ما قاله مثيرو هذه الشبهة أن الصواب هو إفراد الضمير فى " نورهم " لأنه لو قيل:
ذهب الله بنوره وتركه فى ظلمات لا يبصر ، لتحول الكلام إلى غير المنافقين المضروب لهم المثل ، ولزالت كل الروابط بين صدر الآية وعجزها. وهذا لا يقول به عاقل.
(١) البقرة: ١٧.
(٢) البقرة: ١٦.
(٣)انظر: أنوار التنزيل للإمام البيضاوى (٣٠/١) وحاشية الشهاب على البيضاوى (٣٦٥/١).
(٤) الكشاف (١٩٩/١).
(٥) فتح القدير (٥٥/١).

٥١- الإتيان بجمع كثرة فى موضع جمع القلة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) (١).
أخذوا من هذه الآية كلمة " معدودة " وتوهموا أن القرآن أخطأ فيها ؛ لأنها ـ عندهم ـ جمع كثرة ، والمقام الذى استعملت فيه يتطلب جمع القلة ، ثم علقوا قائلين:
" وكان يجب أن يجمعها جمع قلة ، حيث إنهم أرادوا القلة ، فيقول: أياماً معدودات ".
هكذا عبروا عن جهلهم ، وهم يحسبون ـ أو لا يحسبون ـ أنهم العلماء الأفذاذ الذين يعلمون ما لم يعلمه أحد ـ حتى الله ـ من شئون اللغة والبيان ، وهم ـ بحق ـ لا يكادون يفقهون حديثاً.

الرد على الشبهة:
هذه الآية نزلت تحكى قولاً قاله اليهود ، يكشف عن الغرور الذى ملأ أنفسهم ، فقد زعموا أنهم إذا دخلوا النار ، فإنها لا تمسهم إلا مساً خفيفاً ، وأنهم لن يُخلدوا فيها ، بل يقضون عدة أيام.
وهذا تطاول منهم ، لأن شئون الآخرة لا يعلمها إلا الله.
لذلك كذَّبهم الله ، وألزمهم الحُجة البالغة له عليهم وحصر مصدر هذا الذى ادعوه فى أمرين:
الأول: أن يكون عندهم من الله عهد بما قالوا ، والله لا يخلف عهده ، وهم فى الواقع لا عهد عندهم من الله يحدد فيه مدة مكثهم فى النار ، ودرجة العذاب الذى سيصيبهم فيها.
الثانى: أو هُمْ يفترون على الله عز وجل ، وماداموا ليس عندهم عهد من الله ، فهم ـ إذاً ـ كاذبون والذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون.
أما مسألة الكثرة والقلة ، التى بنى عليها هؤلاء الكارهون لما أنزل الله على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ، فلا اعتبار لها هنا ، وهم وإن حفظوا شيئاً فقد غابت عنهم أشياء. ولذلك أوقعهم جهلهم فيما حاولوا أن يفروا منه ؛ لأنهم قالوا إن معدودة ، جمع كثرة ، واستعمال جمع الكثرة ـ هنا ـ خطأ ؟ ؛ لأن اليهود أرادوا جمع القلة ـ أى أنهم يمكثون فى النار أياماً قليلة. فجاء تعبير القرآن غير وافٍ بالمعنى الذى كانوا يقصدونه ، وكان الواجب على القرآن أن يقول: أياماً معدودات ، بدلاً من (أياماً معدودة (هذا هو قولهم ، وهو محض الخطأ لو كانوا يعلمون وذلك للاعتبارات الآتية:
فأولاً: لأن " معدودة " ليست جمعاً بل مفردًا ، ليست جمع كثرة ولا جمع قلة. وهؤلاء " العباقرة " جعلوها جمع كثرة ، بسبب جهلهم باللغة العربية ، لغة الإعجاز.
وثانياً: أن " معدودات " التى يقولون إنها الصواب وكان حق القرآن أن يعبر بها بدلاً من " معدودة " ظانين أن " معدودات " جمع قلة. وهى ليست جمع قلة كما توهموا ، فهى على وزن " مفعولات " وهذا الوزن ليس من أوزان جموع القلة (٢) بل من أوزان جموع الكثرة ولا ينفعهم قولهم إن اليهود أرادوا القلة ، لأن هذه القلة يدل عليها سياق الكلام لا المفردات المستعملة فى التركيب.

وثالثاً: إن هذا التعبير لا ينظر فيه إلى جانب قلة أو كثرة ، ولكن ينظر فيه من جانب آخر ليس عند هؤلاء الأدعياء شرف الاتصاف به ؛ لأنهم دخلاء على لغة الإعجاز والتنزيل.
هذا الجانب هو: معاملة غير العاقل معاملة العاقل أو عدم معاملته (٣).
ووصف الأيام بـ " معدودة " فى ما حكاه الله عن اليهود هو وصف لها بما هو لائق بها ، لأن الأيام لا تعقل فأجرى عليها الوصف الذى لغير العقلاء ، وما جاء على الأصل فلا يسأل عنه ، ولكنهم لجهلهم المركب بلغة الإعجاز حسبوا الصواب خطأ ، والخطأ صواباً. لأنهم زجوا بأنفسهم فيما لا ناقة لهم فيه ولا جمل.
أما معاملة غير العاقل معاملة العاقل ، فلها دواعٍ بلاغية لا يعرف عنها مثيرو هذه الشبهات كثيراً ولا قليلاً.
وهى فى النظم القرآنى من الكثرة بمكان ، ولا يعامل غير العاقل معاملة العاقل إلا بتنزيله منزلة العاقل لداع بلاغى يقتضى ذلك التنزيل.
وإذا كان القرآن قد عبَّر فى وصف " أياماً " فى آية البقرة هذه بـ " معدودة " وهو وصف غير العاقل جارٍ على الأصل ، فإنه عبَّر عن وصفها بـ " معدودات " فى موضع آخر ، هو قوله تعالى:
(ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) (٤).
فكان ينبغى أن يسأل هؤلاء عن اختلاف التعبير فى الموضعين بدل أن يخطِّئوا الصواب وهم جاهلون.
وها نحن نضع بين أيديهم الحق ناصع البياض.
فى آية البقرة جاء وصف " أياماً " - " معدودة " بصيغة الإفراد ، وليس جمع كثرة كما زعموا.
وفى آية آل عمران جاء وصف " أياماً " - " معدودات " جمعاً لا إفراداً.
فلماذا - إذاً - اختلفت صيغة الوصف ، والموصوف واحد ، هو " أياماً " ؟ إذا قارنَّا بين الآيتين وجدنا آية البقرة مبنية على الإيجاز هكذا:
" وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.. ".
ووجدنا آية آل عمران مبنية على الإطناب هكذا:
" ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ".
وازن بين صدر آية البقرة " وقالوا ".
وبين صدر آية آل عمران " ذلك بأنهم قالوا ".
تجد أن جملة " ذلك بأنهم " هذه العبارة اشتملت على اسم الإشارة الموضوع للبعيد ، الرابط بين الكلامين السابق عليه ، واللاحق به.
ثم تجد " الباء " الداخلة على " إن " فى " بأنهم ".
ثم " إن " التى تفيد التوكيد ، ثم ضمير الجماعة " هم ".
هذه الأدوات لم يقابلها فى آية البقرة ، إلا واو العطف " وقالوا " إذاً المقامان مختلفان ، أحدهما إيجاز ، والثانى إطناب.

وهذا يبين بكل قوة ووضوح لماذا كان " معدودة ". فى آية البقرة ؟ و " معدودات " فى آية آل عمران كان وصف " أياماً " فى آية البقرة " معدودة " لأن المقام فيها مقام إيجاز كما تقدم فناسب هذا المقام الإيجازى أن يكون الوصف موجزاً هكذا " معدودة ".
وكان الوصف فى آية آل عمران مطنباً " معدودات " بزيادة " الألف " ليناسب مقام الآية الإطنابى كما تقدم (٥).
فانظر إلى هذه الدقائق واللطائف البيانية المعجزة التى عميت عنها مدارك " الخواجات " المتعالمين.
(١) البقرة: ٨٠.
(٢) أوزان جموع القلة هى: فِعْلَة ـ أفْعَال ـ أفعُل ـ أفْعِلَة.
(٣) غير العاقل هو ماعدا الإنسان من مخلوقات الله الأرضية.
(٤) آل عمران: ٢٤.
(٥) انظر: ملاك التأويل ، القاطع لذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه من آى التنزيل (٢٨١/١) للعلامة أحمد بن الزبير القرناطى. دار النهضة العربية.

٥٢- الإتيان بجمع قلة فى موضع جمع الكثرة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
أما منشأ هذه الشبهة فهو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياماً معدودات) (١).
والشاهد ـ عندهم ـ هو قوله عز وجل " معدودات " لأنهم يفهمون جهلا ـ أن " معدودات " جمع قلة ، وأن " معدودة " جمع كثرة ، وأيام الصيام فى شهر رمضان ثلاثون يوماً. فهى أيام كثيرة يناسبها جمع الكثرة عندهم وهو " معدودة " ولكن القرآن أخطأ فوضع كلمة جمع قلة عندهم ، موضع " معدودة " وهى جمع كثرة عندهم كما تقدم. ثم عقبوا على هذا فقالوا " وكان يجب أن يجمعها جمع كثرة ، حيث أن المراد جمع كثرة ، عدته ثلاثون يوماً ، فيقول: " أياماً معدودة ".

الرد على الشبهة:
سبق أن عدوا الأربعين جمع قلة ، وهنا جزموا بأن الثلاثين يوماً الرمضانية ، أو التسعة والعشرين يوماً جمع كثرة ، وأن القرآن أخطأ مرة أخرى حين عبَّر عنها بجمع القلة " معدودات " أليست هذه نادرة من نوادر الدهر ؟ كيف تكون الأربعون أقل من الثلاثين أو التسعة والعشرين ؟ هل هذا يصدر عن عاقل على وجه الأرض ؟
وما عدوه خطأً فى هذه الآية ، وهو قوله تعالى: " معدودات " فهو عين الصواب لغة وبياناً ، وقد أشرنا من قبل إلى أن معاملة غير العاقل معاملة العاقل أسلوب بلاغى رفيع المستوى ، وهو عند البلاغيين استعارة ، شبه فيها غير العاقل بالعاقل لداع بلاغى ، يراعيه البليغ فى كلامه.

وكلمة " معدودات " فى وصف أيام الصيام أتى بها القرآن لخصوصية بيانية ، هى تعظيم شأن تلك الأيام ، حتى لكأنها لرفعة منزلتها عند الله عز وجل صارت من ذوى العقول ، وهى أوقات لا روح فيها كالأحياء العاقلين.
فليس المدار فيها اعتبار قلة ، أو كثرة ، بل المراد التنويه بفضلها ، وعلو منزلتها عند الله تعالى.
أما القلة فتفهم من سياق الكلام ، الذى حدد أيام الصيام بالشهر الواحد:
(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (٢).
ولهذا التنزيل مواضع أخرى كثيرة فى القرآن الكريم وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.
(١) البقرة: ١٨٣-١٨٤.
(٢) البقرة: ١٨٥.

٥٣- جَمْعُ اسمِ عَلَمٍ يجب إفراده

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (وإن إلياس لمن المرسلين * إذْ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إلياسين) (١).
موضع الشاهد على الشبهة عندهم هو " إلياسين " ولكنهم ـ لسوء قصدهم ـ اتبعوا طريقة حذف مزرية فى هذه الآيات ، وكان يكفيهم بدل هذه الحذوفات أن يقتصروا على " إلياسين " وحدها ، وقد يكون الداعى إلى ذكر ما ذكروا هو أن يقولوا إن القرآن تحدث عن " إلياس " والضمائر العائدة عليه حديث المفرد ، ثم عاد فجمع " إلياس " وهو علم مفرد ، جمع المذكر السالم المجرور بـ " الياء " ، هكذا " إلياسين " ، ثم علقوا على هذا الذى فهموه بقولهم:
" فلماذا قال " إلياسين " بالجمع عن " إلياس " المفرد ؟ فمن الخطأ لغوياً تغيير اسم العَلَم حباً فى السجع المتكلف.
وجاء فى سورة " التين " (والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الآمين) (٢).
فلماذا قال سينين بالجمع عن سيناء ؟ فمن الخطأ لغوياً تغيير اسم العَلَمَ حباً فى السجع المتكلف " هذا قولهم ، ذكرناه بالحرف الواحد. وكما يرى القارئ الكريم أن هذه الشبهة شبهتان: إحداهما فى " إلياسين " ، والثانية فى " سينين " وإن كان المقصود لهم من الشبهتين واحداً.

الرد على الشبهة:

عرض المفسرون واللغويون عدة توجيهات لمجيء إلياس على إلياسين ، فالإمام الزمخشرى قال مرة إن زيادة الياء والنون ربما كان له معنى فى اللغة السريانية ، وقال مرة إن إلياسين لغة فى إلياس ، كما أن إدريسين لغة فى إدريس ، وعلى هذا فإن " إلياسين " ليس جمعاً. وإذا كان جمعاً فإن المراد إلياس مضموماً إليه من آمن به من قومه ، كما قالوا الخبيبون والمهلبون ، فى الخبيب والمهلب أى تسمية الاتباع اسم المتبوع (٣).

ويقوى هذا قراءة نافع وابن عامر وعلى: آل ياسين ، وياسين ، وأن " ياسين " هو أبو " إيليا " واحد (٤) من أنبياء بنى إسرائيل.

ويرى هذا الرأى آخرون غير من تقدم ذكرهم (٥).

ويرى باحث حديث أن " إلياس " هو " إيليا " أحد أنبياء بنى إسرائيل ، المذكور فى سفر الملوك الأول بهذا الاسم " إيليا " (٦).

وأن أصله فى اللغة العبرية " إلياهو " أى " إيل + ى + ياهو:

أى إيلى ياهو ، أو يهو. ومعناه: الله إلهى أو الله ربى.

وأن مجيئه فى القرآن مرتين (إلياس) فى حالة المنع من الصرف للعلمية والعجمة. أما فى سورة الصافات فكان مجيئه مصروفاً هكذا " إلياسين " ، وأن علامة صرفه هى " التنوين " أما " الياء " فتولد عن إشباع الكسرة تحت " السين " أى أن أصله فى حالة الصرف " إلياسن " فلما أشبعت الكسرة صار " إلياسين " وأن المقتضى لصرفه هنا هو رؤوس الآى.

هذا فيما يختص بالشبهة الأولى. أما الشبهة الثانية وهى " طور سنين " فالرد عليها فى الآتى:

ليست " سينين " جمعاً كما توهم مثيرو هذه الشبهات ، الذين يقفون عند ظواهر الكلمات فإن وجدوا فيها ما يشبع رغبتهم فى التشفى من القرآن والتحامل عليه ملأوا الدنيا ضجيجاً ، وإن لم يجدوا ملأت قلوبهم الحسرة ، ورجعوا خائبين.. نعم ليست " سينين " جمعاً كما زعموا ، بل هى لغة فى "سيناء" بكسر السين ، كما أن " سَيناء " بفتح السين لغة فيها. وبهاتين اللغتين: سِيناء ، بالكسر ، وسَيناء بالفتح وردت القراءات ، فهى إذن فى القرآن لها ثلاثة لغات:

- سِيناء بكسر السين.
- سَيناء بفتح السين.
- وسِنِيين ، بكسر السين وياءين ونونين.

كما أن البلد الحرام لها فى القرآن عدة أسماء(٧):

- مكة - بكة - أم القرى - البلد الأمين.

(١) الصافات: ١٢٣-١٣٠.
(٢) التين: ١-٣.
(٣) الكشاف (٣٥٢/٣).
(٤) الدر المصون (٣٢٨/٩).
(٥) معانى القرآن للفراء (٣٩١/٢) وعلل القراءات (٥٧٩).
(٦) الإصحاح (١٦) الفقرات (٣١-٣٣).

(٧) انظر: من إعجاز القرآن ، العلم الأعجمى مفسراً بالقرآن (١٦٧/٢) للأستاذ رؤوف سعد.

٥٤ـ الإتيان بالموصول بدل المصدر

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:

هو قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين..(١) وموضع الشاهد على الشبهة ـ عندهم ـ هو قوله عز وجل:

" من آمن بالله " وعلقوا عليه فقالوا: " والصواب أن يقال: ولكن البر أن تؤمنوا بالله ، لأن البر هو الإيمان لا المؤمن ".

الرد على الشبهة:

قالوا فى العنوان الذى وضعوه العبارة الآتية:

" أتى باسم الفاعل بدل المصدر ".

يقصدون قوله تعالى: " ولكن البر من آمن بالله ".

وليس فى هذا القول اسم فاعل على الإطلاق: فلا " البر " اسم فاعل ؟ ولا " من " اسم فاعل ؟ ولا " آمن " اسم فاعل ؟ ولا " الله " اسم فاعل ؟ وهم ـ قطعاً ـ يقصدون " من آمن " و " مَنْ " هذا اسم موصول ، وصلته " آمن " أى الذى آمن فمن أين أتوا باسم الفاعل الموضوع موضع المصدر فى الآية يا ترى ؟ إنهم أتوا به من دائرة جهلهم الواسعة ببدهيات اللغة ، التى هم أميون فيها ، ومع هذا ينصبُّون أنفسهم قضاة على كتاب الله العزيز ذروة البيان المعجز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكان يجب عليهم أن يلتحقوا بمدارس أولية يتعلمون فيها " فك الخط " إذا أرادوا أن يبحثوا لأنفسهم عن مكان مناسب لأوضاعهم. ولهذا الخطأ الشنيع عدلنا عن عنوانهم إلى العنوان الذى وضعناه لهذه الشبهة " الإتيان بالموصول بدل المصدر ".

هذا ، وللعلماء فى توجيه وقوع " من آمن " خبراً عن " البر " وهو خلاف الأصل ؛ لأن البر معنى ذهنى و " من آمن " ذات ، والذوات لا يخبر بها عن " المعانى الذهنية " ، للعلماء فى هذه المسألة ستة توجيهات نذكر منها أقواها فى الآتى:

الإمام الزمخشرى أورد فيها ثلاثة توجيهات:

الأول: أن فى الكلام مضافاً محذوفاً ، والتقدير. ولكن البر بر من آمن. وهذا التوجيه اشتهر بين جمهور العلماء ، ورردده كثير منهم.

الثانى: تأويل " البر " بـ " ذو البر " يعنى أن فى الكلام حذف مضاف لكن تقديره قبل " البر " أما التوجيه الأول فكان تقدير المضاف المحذوف قبل " من آمن " وهذا المضاف خبر " البر " الذى هو اسم " ليس ".

الثالث: أن يكون المصدر ، وهو " البر " موضوع موضع اسم الفاعل للمبالغة ، كما فى قول الخنساء تصف فرس أخيها صخر.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادَّكرت فإنما هى إقبال وإدبار فإقبال وإدبار مصدران حلا محل اسم الفاعل ، والتقدير ؛ هى مقبلة مدبرة.
وقد سبق الزمخشرى إلى الرأى الأول. ولكن البر برٌّ من آمن ، شيخ النحاة سيبويه.
وقد اختار سيبويه هذا الرأى ورجحه لاعتبار قوى فحواه.
أن السابق عليه هو نفى كون البر هو تولية وجوه المخاطبين نحو المشرق والمغرب.
ثم قال: والذى يستدرك ينبغى أن يكون من جنس ما وقع عليه النفى ، وهو ـ هنا ـ البر (٣) يريد شيخ النحاة أن يقول:
إن " لكن " أداة استدراك فى المعنى ، وإن طرفى الاستدراك ينبغى أن يكونا متجانسين ، والاستدراك:
إما إثبات بعد نفى ، أو نفى بعد إثبات ، فمثلاً قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٤) ما قبل أداة الاستدراك " لكن " هو الإيمان والتقوى ، وما بعدها هو التكذيب ، فبين ما قبلها وما بعد تجانس ظاهر ، لأنهما سلوكيات قلبية وخلقية.
وكذلك ما قبل لكن فى الآية موضوع الدراسة هو البر الظاهرى المنفى ، وما بعدها ينبغى أن يكون هو البر الحقيقى المثبت.
وهذه لمحة طيبة من شيخ النحاة ، ولها صلة وثيقة بالتوجيه البلاغى لهذه المسألة ، سنعرضها فى الخلاصة إن شاء الله.
ومن الآراء التى طرحت فى هذا الصدد أن " البر " وقع موقع اسم الفاعل لإرادة المبالغة على وزان قول العرب " رجل عدل " حيث عدلوا عن رجل عادل ، إلى الإخبار عنه بالمصدر ، على اعتبار أن هذا الرجل لما كان كثير العدل صار كأنه العدل نفسه ، لا فرق بينهما. وهذا رأى نحاة الكوفة.
أما الفراء فقد جعل " من آمن " واقعاً موقع الإيمان وقال:
والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل ، واستشهد على هذا بقول الشاعر:
لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى نَدِى حيث جعل الشاعر نبات اللحية خبراً عن الفتيان.
والمعنى: لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى.
نكتفى بهذا القدر ـ مما ذكره النحاة ، ويكاد يجمع عليه المفسرون ـ فى توجيه وقوع " من آمن " خبراً عن البر ، مع تسليم الكافة بصحة الاستعمال اللغوى فيه ، واجتهادهم هذا كان محاولة لفهم هذا الاستعمال.
والخلاصة:
من خلال النقول التى تقدمت عن النحاة واللغويين والمفسرين ، بطلت هذه الشبهة ولم يبق لها أثر ، فلا غرابة فى وضع " من آمن " خبراً عن " البر " سواء أخذنا بتوجيه شيخ النحاة سيبويه ؛ أن فى الكلام حذف مضاف تقديره " ولكن البر بر من آمن " أو أخذنا بالتوجيه الذى أجاز وقوع المصدر موقع اسم الفاعل أو الفاعل.. فهذه كلها أساليب عربية فصيحة مستعملة ، ومن شواهدها فى القرآن كذلك قوله تعالى: " وأنت حل بهذا البلد " فوقع المصدر " حل " موقع اسم الفاعل " حالٌّ " أى مقيم بهذا البلد.

فإذا ولينا وجوهنا شطر البلاغة بعد النحو واللغة ، والبلاغة أوسع خطى منهما ، فإننا نلمح فى التعبير القرآنى " ولكن البر من آمن " معنى لطيفاً دقيقاً ذا مغزى كبير لأن " من آمن " يدل على ذوات تمكن الإيمان فى قلوبها. فالإيمان " حالٌّ " فى تلك القلوب ، ولو كان قد قيل: " ولكن البر الإيمان " لكان هذا الإيمان مجرد فكرة لا محل لها ، بل هى مفصولة عن الذوات. يعنى إيمان نظرى لا عملى. وهذا ليس بسديد ، لكن لما جعل هذا وصفاً للذوات المدلول عليها بـ " من " التحم الإيمان بالمؤمن ، والمؤمن بالإيمان ، فتحول إلى إيمان عملى متمكن فى القلوب ، فى مقابلة الإيمان الشكلى الذى لم يرضه القرآن ، وهو توجه الوجوه نحو المشرق والمغرب.
وهذا ما ألمح إليه سيبويه من قبل.

(١) البقرة: ١٧٧.
(٢) الكشاف (٣٣٠/١).
(٣) الكتاب (١٠٨/١).
(٤) الأعراف: ٩٦.

٥٥- وضع الفعل المضارع موضع الماضى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله عز وجل: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (١).
ذكروا هذه الآية ، ثم قالوا فى تصويب الخطأ الذى توهموه فيها:
" كان يجب أن يعتبر المقام الذى يقتضى صيغة الماضى ، لا المضارع فيقول: " قال له كُنْ فكان " ؟!

الرد على الشبهة:
وجَّه المفسرون والنحاة قوله تعالى " كُنْ فيكون " فأوجز الزمخشرى القول فيها فقال: هى حكاية حال ماضية (٢).
وقد أخذ هذه العبارة عن الزمخشرى الإمام البيضاوى ولم يزد عليها (٣).
وهى عبارة تحتاج إلى بيان ما هى حكاية الحال الماضية ؟ يريد الإمامان أن المضارع " يكون " دلالته فى الآية أن الله عز وجل يصور للمخاطبين ترتيب الأحداث ساعة حدوثها فى الزمن الذى خلق الله فيه آدم ، وفائدته نقل أذهانهم إلى تلك اللحظة كأنهم يعاينونها بأبصارهم.
وهذه هى دلالة المضارع إذا وضع موضع الماضى عند علماء المعانى ، هى بعث الماضى وتصويره فى صورة الذى يحدث فى الحال.
ومن أمثلته عندهم قول الشاعر يحكى صراعًا حدث بينه وبين الضَّبُع ، وهو حيوان مفترس.

فأضربها بلا دهش فخـرَّت صريعًا لليدين ، وللجران (٤) الشاعر ضرب الضبع فـى الماضى ، فلما حكى صراعه معها للناس عبَّر عن الماضى " فضربتها " بالمضارع " فأضربها " والدلالة البلاغية للعدول عن الماضى إلى المضارع هى استحضار صورة الحدث الذى وقع فى الماضى ، كأنه يحدث الآن فى زمن التكلم.

هذا ما أراده الشيخان: الزمخشرى والبيضاوى من عبارة " حكاية حال ماضية " ليبينا سر العدول عن " فكان " إلى " فيكون " فى الآية الكريمة ، التى ادعى مثيرو هذه الشبهات أن فيها خطأً نحويًا ، وهم عن معرفة الصواب والخطأ بمعزل.

وقال بعض المفسرين اللغويين فى توجيه " فيكون ":

" يجوز أن يكون على بابه من الاستقبال ، والمعنى: فيكون كما يأمر الله فيكون ، حكاية للحال التى يكون عليها آدم حين خلقه الله ، ويجوز أن يكون " فيكون " بمعنى كان ، وعلى هذا أكثر المفكرين والنحويين ، وبهذا فسره ابن عباس رضى الله عنه " (٥).

ونعيد السؤال مرة أخرى:

لماذا عُدِل عن معنى الماضى إلى لفظ المضارع ومعناه ؟ الجواب على هذا السؤال هو ما قدمناه فى توضيح عبارة الإمام الزمخشرى ، التى تناقلها عنه النحاة والمفسرون وهو إيثار المضارع على الماضى لاستحضار صورة الحدث فى الذهن ، وكأن الأبصار تراه الآن.

هذه خلاصة أمينة ووافية لما قاله العلماء فى توجيه " فيكون " مضارعًا مرفوعًا لا مجزومًا جوابًا للأمر ، ولا ماضيًا.

والخلاصة:

بعد عرض توجيهات المفسرين والنحاة ، يطيب لنا أن نستكشف إسهامات البلاغة فى تأصيل التعبير القرآنى " ثم قال له كن فيكون " الذى اعتبره مثيرو هذه الشبهات معيبًا بالخطأ النحوى ، والنحو وإن كان أساس البلاغة ، وجذورها العميقة ، التى أثمرت كل الإيحاءات البلاغية ، فإن هناك حقيقة يجب الوقوف عليها ، وهى أن البلاغة تبدأ من حيث ينتهى النحو ، فالنحو ـ ومعه الصرف ـ يهتم باستقامة الأساليب وصحتها ، أما البلاغة فتنظر فى الأساليب ، وتغوص وراء ما فيها من المعانى الخبيئة ، والأسرار الدفينة وتبحث عن الإيحاءات الكامنة وراء كل لفظ وجملة وتركيب ، أو تبحث عن معنى المعنى لا معنى اللفظ ، أو المعانى الثانية الخفية غير المباشرة الظاهرة.

وإذا كان ما قدمناه من توجيهات كافيًا فى إزالة هذه الشبهة التى توهمها هؤلاء " الخواجات " فإن دور البلاغة فى تأصيل هذا التعبير القرآنى مساير لتوجيهات النحاة والمفسرين.

إن هذا التعبير " كن فيكون " هو الواجب بلاغة وبيانًا وإعجازًا ونظمًا أما لوقيل " كن فكان " لخلا هذا التعبير من ثلاثة أرباع الحسن الذى هو فيه ، وذلك للاعتبارات الآتية:

فأولاً: دلالة الماضى الأصل فيها الانقطاع عن الوجود المستمر ، ولذلك يعبر عنه النحويون بأنه: ما دل على حدث وقع وانقطع قبل زمن التكلم.

وهذا غير مراد فى حكاية الله كيفية خلقه لآدم ، لأنه لو قيل: كن فكان لصدق هذا التعبير عن وجوده لحظة واحدة من الزمن ، ولو كان قد مات لحظة خلقه.
أما " كن فيكون " فدلالتها استمرار وجوده حتى أنجب مَنْ أنجب من ذكور وإناث ، وما بث منهما من آباء البشر وأمهاته ، كما قال عز وجل:
(وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً) (٦).
لأن دلالة المضارع تبدأ من الحال ، وتستمر فى الاستقبال.
وثانياً: أن هذا التعبير " كن فيكون " يؤذن بتقدير مسند إليه قيل " فيكون " أى " فهو يكون " وفى هذا تكرار إسناد " الكينونة " لآدم:
مرة يجعل " يكون " خبرًا عن ضمير آدم " هو " ومرة بإسناد فعل الجملة الخبرية " يكون " إلى ضمير آدم المستكن فى الفعل وجوبًا ، على أنه فاعل له. وتكرار الإسناد من أقوى أساليب التوكيد فى البلاغة العربية.
وثالثاً: فى الفعل المضارع " يكون " تناسب آسر لرءوس الآيات (الفواصل) لأن ما قبله كلها فواصل مبنية على حرف المد إما الياء ، وهو الأكثر ، وإما الواو مع النون ، وهو كثير ، أو مع الميم.
وكذلك ما بعدها ، والتناسق الصوتى فى النظم القرآنى المعجز ، وجه من وجوه إعجازه ، التى باين بها كلام البشر والجن ، وجعل لتلاوته حلاوة جذابة للأسماع ، كما جذبت معانيه القلوب ، وأسرت العقول ، واستولت على ألباب أولى الألباب.
(١) آل عمران: ٥٩.
(٢) الكشاف (٤٣٣/١).
(٣) أنوار التنزيل (١٦٢/١).
(٤) يعنى سقطت على الأرض على جنبها.
(٥) انظر: الدر المصون (٢٢٠/٣-٢٢١).
(٦) النساء: ١.

٥٦- عدم الإتيان بجواب " لمَّا "

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) (١).
وموطن الشاهد عندهم هو قوله جل شأنه: (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه.. ().
بحثوا عن جواب " لما " فلم يجدوه ، فرموا القرآن بالخطأ ؛ لأنه لم يذكر جواب " لما " ثم قالوا:
" فأين جواب لما ؟ ولو حذفت الواو التى قبل لما لاستقام المعنى ".

الرد على الشبهة:

قلنا إن هذه الشبهة تتعلق بفن الحذف ، وهو مبحث بلاغى أكثر منه نحويًّا.
إن كل محذوف عندهم غلط شنيع ، وكل حذف خلط فظيع والناس ـ كما قيل فى المثل ـ أعداء ما جهلوا.
يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى ـ شيخ البلاغيين ـ فى وصف الحذف البلاغى ، وروائع ثماره ، وبديع آثاره:
" هو بحث دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن " (٢).
هذه هى منزلة الحذف فى البيان العربى ، السارى فى أعطاف الكلام سريان النسيم فى الرياض الفيحاء ، وقد شاع شيوعاً لا حصر له فى القرآن الكريم ، إذ لم تكد تخلو منه سورة من سوره ، ولا آية من آياته والمعانى التى يدل عليها الحذف فى القرآن تكاد تعادل ربع معانى القرآن كله. وهو منهج واسع وحكيم من مناهج اللغة العربية لا مثيل له.
ولذلك نجد العلامة اللغوى العظيم ابن جنى ، يسميه فى كتابه "الخصائص" اسمًا طريفًا ، هو: شجاعة العربية ".
وينتمى الحذف البلاغى إلى فن بلاغى حصر بعض العلماء البلاغة فيه ، وهو " فن الإيجاز " أى قلة الألفاظ مع كثرة المعانى.
وله مقامات يتألق فيها ، ومقتضيات يوفى بأغراضها.
ومن مقاماته الحذف الوارد فى آية سورة " يوسف " التى رآها من عشا بصره ، وغلظ قفاه ، وضل عقله خطأ ينبغى أن يصوَّب ، ولحنًا يجب أن يقوَّم.
إن حذف جواب " لما " هنا المراد منه تهويل وتفظيع ما حدث من إخوة يوسف ليوسف ، بعد أن أذن لهم أبوهم بالذهاب به إلى الصحراء ، وقد روى عنهم أنهم أخذوا يؤذونه بالقول والفعل وهم فى الطريق إلى المكان الذى قصدوه ، حتى كادوا يقتلونه ، والدليل على هذا قوله تعالى حكاية عن أحد إخوته:
(قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يخلُ لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين) (٣).
فالنهى عن القتل لا يكون إلا عند العزم عليه ومباشرة أسبابه.
لذلك حذف جواب " لما " لتذهب النفس فى تصوره كل مذهب ، وحذف هذا الجواب فيه دلالة على طول ما حدث منهم ، وعلى غرابته وبشاعته ، لذلك قدره الإمام الزمخشرى فقال:
" فعلوا به ما فعلوا من الأذى.. وأظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه ، وإذا استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب.. " (٤).
وسار على هذا النهج الإمام البيضاوى (٥).
وذهب غيرهما فى تقدير الجواب مذاهب أخرى ، والذى أتاح لهم هذا الاختلاف فى تقدير الجواب المحذوف هو الحذف نفسه (٦).
أما اقتراح مثيرى الشبهة أن يحذف " الواو " فى " وأوحينا " ليستقيم المعنى فخطأ جسيم ؛ لأن " أوحينا " ليس هو جواب " لما " وإنما هو معطوف على الجواب

المقدر لأن جواب " لمَّا " هو ما حدث ليوسف من إخوته بمجرد خروجهم به من عند أبيهم وبعدهم عنه قليلاً.
ودليل ذلك هو العطف بالفاء فى " فلما " لأنها تفيد الفورية والترتيب.
(١) يوسف: ١٥.
(٢) دلائل الإعجاز (١٤٦) تحقيق الشيخ محمد محمد شاكر.
(٣) يوسف: ٩.
(٤) الكشاف (٣٠٦/٣-٣٠٧).
(٥) أنوار التنزيل (٣٨٧/١).
(٦) الدر المصون (٤٥٣/٦).

٥٧- الإتيان بتركيب أدى إلى اضطراب المعنى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) (١).
وموطن هذه الشبهة ـ عندهم ـ هو الضمائر الثلاثة فى:
" تعزروه " ـ " توقروه " ـ " تسبحوه ".
ذكروا هذا ، ثم قالوا:
" وهنا ترى اضطراباً فى المعنى ، بسبب الالتفات من خطاب محمد إلى خطاب غيره ، ولأن الضمير المنصوب فى قوله " وتعززوه وتوقروه " عائد على الرسول المذكور آخرًا.
وفى قوله " وتسبحوه " عائد على اسم الجلالة المذكور أولاً. هذا ما يقتضيه المعنى ، وليس فى اللفظ ما يعينه تعيينًا يزيل اللبس. فإن كان القول: وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً عائدًا على الرسول يكون كفرًا لأن التسبيح لله فقط ، وإن كان القول " وتعزروه وتوقروه وتسبحوه " عائدًا على الله يكون كفرًا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه ".

الرد على الشبهة:
لقد أطالوا ـ على خلاف عادتهم ـ فى بيان هذه الشبهة كما ترى. والسبب أنهم أرادوا أن يضيقوا علينا الخناق أو يسدوا علينا الطريق ليحكموا علينا قبضتهم ، على رأى المثل العامى " حلّق حُوشْ " بيان ذلك أنهم يقولون لنا:
إذا جعلتم الضمائر الثلاثة عائدة على الرسول فقد كفرتم لأن الرسول بشر ، والبشر لا يجوز أن يسبحهم أحد ، لأن التسبيح لا يكون إلا لله.
وإذا جعلتم الضمائر الثلاثة عائدة على الله فقد كفرتم لأن الله غنى عن خلقه لا يحتاج منهم إلى تقوية ولا خلافه. فأين ـ إذن ـ أنتم تذهبون ؟ ونقول لهؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله:

نحن ـ المسلمين ـ لا نسبح أحداً غير الله ، ولا نعبد أحداً غير الله ، ولا نرفع حاجاتنا إلى أحدٍ غير الله ، ولا نطلب غفران ذنوبنا من أحدٍ غير الله ، ولا نقدم كشف حساباتنا إلى أحد غير الله ، ولا نرجو ولا نخاف أحداً غير الله. والكتاب الذى أنزله الله على خاتم رسله لا لفَّ فيه ولا دوران ، ولا قلق ولا اضطراب ، لا فى مبانيه ، ولا فى معانيه ، ولا فى مقاصده وقيمه ، فمن توَّهم فيه اضطراباً فالاضطراب فى عقله هو ، وفى فهمه هو لا يتعداه إلى كتاب الله ، ولا إلى المؤمنين به.

والآية التى وصفوا تركيبها بأنه أدى إلى اضطراب المعنى المؤدى إلى الكفر ، أجلى من الشمس فى رائعة النهار ومرجع الضمائر الثلاثة ، التى اتخذوا منها منشأً لهذه الشبهة محددة ـ عقلاً وشرعاً ـ دون أى التواء.

فالضمير فى " وتسبحوه " عائد على الله قطعاً دون أدنى شك. لأن التسبيح عبادة ، ولم يؤذن الله لعباده أن يعبدوا أحداً غيره:

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (٢).

(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٣).

(يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً) (٤).

أما مرجع الضمير فى " وتعزروه " فهو الرسول (دون خلط أو تشويش.

وأما الضمير فى " وتوقروه " فلا مانع لا عقلاً ، ولا شرعاً أن يكون عائداً على الله ، لأن توقير الله هو إكباره وتعظيمه ، وقد قال نوح لقومه موبخاً لهم (ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً) (٥).

ويجوز أن يكون عائداً على الرسول ، وتوقيره هو احترامه وإنزاله منزلته من التكريم والطاعة.

هذا هو بيان ما توهموه من لبس ، دون الرجوع إلى ما قاله النحاة أو المفسرون فالمسألة لا تحتاج إلى أكثر مما أوجزناه.

والخلاصة:

القرآن خطاب للعقلاء الأذكياء ، وليس خطاباً للمتغابين أو الأغبياء ، وفى الإنسان حاسة كثيراً ما يعوِّل عليها القرآن فى خطابه ، تستجلى خفايا معانيه ، وتدرك روائع إيماءاته ودقائق أسراره.

تلك الحاسة هى الخصائص العقلية ، والملكات الذهنية أو الذوقية المثقفة.

فمثلاً قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) (٦).

ترى الخطاب فيها واحداً " طلقتم ـ تعضلوهن " والنظرة العجلى تحسب أن المخاطب فى الموضعين صنف واحد من الرجال لكن العقل ـ بمعونة الشرع ـ سرعان ما يفرق بين الذين خوطبوا بـ " طلقتم " والذين خوطبوا بـ " تعضلوهن " فالمخاطب الأول هم الأزواج الذين يطلقون زوجاتهم ، والمخاطب الثانى هم أولياء أمور المطلقات ، يقول لهم القرآن إذا أراد الزوج المطلق طلاقاً رجعياً فى العدة أو بعد العدة أن يعيد زوجته إليه بالمراجعة أو العقد الجديد وكانت الزوجة راغبة فى ذلك ، فعلى أولياء أمرها ألا يقفوا فى طريقها.

فالذى فرَّق بين مرجعى الضميرين ـ هنا ـ العقل ، بمعونة الشرع ، وهذه الآية شبيهة بالآية التى أثيرت حولها الشبهات ، التى فرغنا من الرد عليها. ولو كان نظر مثيرى هذه الشبهات وقع على آية البقرة هذه ، لقالوا إن فيها تركيباً أدى إلى اضطراب المعنى ، ولا وجود لاضطراب إلا فى أوهامهم.

(١) الفتح: ٨-٩.
(٢) الإسراء: ٢٣.
(٣) الأعراف: ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣.
(٤) النور: ٥٥.
(٥) نوح: ١٣ ، ١٤.
(٦) البقرة: ٢٣٢.

٥٨ـ صَرْفُ الممنوع من الصرف

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:

هو آيتان من سورة واحدة.

إحداهما قوله تعالى: (إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً) (١).

والثانية: (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا) (٢).

وشاهدهم فى الآية الأولى كلمة " سلاسلا " ذكروها ثم قالوا: فلماذا قال " سلاسلا " بالتنوين مع أنها لا تُنَوَّنُ لامتناعها عن الصرف ؟ وقالوا عن الآية الثانية: لماذا آتى بها ؟ " بالتنوين مع أنها لا تُنَوَّنُ ؛ لامتناعها عن الصرف ، لأنها على وزن مصابيح ؟ هذا قولهم ، وهو مبلغ علمهم أو مبلغ جهلهم وافترائهم لأنهم ـ كما تقدم مرات ـ يحفظون شيئاً وتغيب عنهم أشياء ، وما حفظوه ليس بمغنٍ لهم ، وكان الصمت استر لهم لو كانوا يحترمون أنفسهم.

الرد على الشبهة:

فى هذه الشبهة افتراء وجهل:

أما الافتراء فهو قولهم إن الكلمتين سلاسلا وقواريرا تقرآن بـ " التنوين " والتنوين: نون ساكنة فى آخر الكلمة المصروفة تنطق فى الوصل دون الوقف ، ولا تكتب ، يعنى لا صورة لها فى الكتابة والخط.

وهذا افتراء منهم ؛ لأن الكلمتين فى قراءة حفص عن عاصم وغيرهما لا تنونان ، وإنما يوقف عليهما بالفتح لا غير ولا يلتفت إلى " الألف " الذى فى آخر كل منهما هكذا " سلاسلا " ـ " قواريرا ".

وللقراء فى هاتين الكلمتين مذاهب ، وبها نزل القرآن فقد قرأ نافع وابن كثير والكسائى وأبو جعفر " قواريراً " بالتنوين مصروفة منونة فى الموضعين معاً " قواريراً " و " سلاسلاً ".

وقرأ الباقون ، ومنهم حفص عن عاصم " سلاسلا " و " قواريرا " بدون تنوين على المنع من الصرف وعلة المنع من الصرف هى صيغة منتهى الجموع والذين قرأوهما بالتنوين (مصروفتين) لهم سند فى ذلك.
ووجه صرف الكلمتين أن بعض العرب كانت تصرف كل الكلام ، وليس فى لهجتهم كلام مصروف وكلام غير مصروف. بل هو كله مصروف ، والقرآن نزل أصلاً بلغة قريش ، ثم بلهجات القبائل العربية الأخرى (٣).
(١) الإنسان: ٤.
(٢) الإنسان: ١٥.
(٣) انظر: التوجيهات النحوية والصرفية للقراءات (٥٩٨/١) للدكتور:على محمد فاخر.

٥٩- الإتيان بتوضيح الواضح

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله جل ثناؤه:
(.. فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة..) (١).
موطن الشاهد على هذه الشبهة عندهم هو قوله تعالى: " تلك عشرة كاملة " بعد قوله عز شأنه: " فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم " وفى تصوير هذه الشبهة قالوا:
" فلماذا لم يقل: تلك عشرة ؟ مع حذف كلمة " كاملة " تلافياً لإيضاح الواضح ؟ لأنه مَنْ الذى يظن أن العشرة تسعة " ؟!

الرد على الشبهة:
من الآيات الكونية لله حركة القمر فى رحلته الشهرية حيث يظهر ضعيفاً نحيفاً فى أولى لياليه ، حتى لا يكاد يراه أحد إلا بأجهزة الرصيد الحساسة ، ثم ينمو ويكبر ليلة وراء ليلة ، وفى كل ليلة تالية تصحبها ظاهرتان فى تطور القمر:
الظاهرة الأولى: إطالة مكثه بعد غروب الشمس ، فهو فى أولى لياليه لا يمكث إلا لحيظات فى شكله الضعيف النحيف.
أما الظاهرة الثانية: فهى تطور حجمه من الضعف والنحافة إلى القوة والضخامة.
أما فى الليالى التالية فتزيد مدة مكثه بعد غروب الشمس ، ويكبر حجمه ، ليلة تلو ليلة.
وفى ليلة الخامس عشر من بدء ولادته تصل الظاهرتان إلى أقصى درجة لهما.
فيمتد مكثه طول الليل ، منيراً فى الوجود.

ويكتمل قرصه فيملأ الدائرة المخصصة له ويكتمل نوره ١٠٠% ويحيل الليل المظلم إلى نور قوى هادئ فيه منافع للناس ، ويُعجِب الناظرين ، ويتغنى بجماله الشعراء ، ويشبهون به كل ما يرونه:

* حسناً جميلاً.

* بهياً ساحراً.

* رفيع الشأن شامخاً.

حتى العامة من الناس - غير الشعراء المرهفى الحس - يفتنون به ، ويعبرون عن بهائه وسحره. ويمجدون بوصفه كل جميل ، فيقولون: " قمر أربع عشرة " أى قمر الليلة التى يرون فيها القمر يوم الرابع عشر ، التى سيعقبها اليوم الخامس عشر من الشهر ، والقمر فى هذه الليلة يبلغ كمال شبابه ونضجه.

ومنذ فجر الحياة كان القمر ، وبخاصة فى ليلة كماله مبعث الإعجاب والبهارة والابتهاج فى نفس كل من يراه ، ولم يشذ عن هذا الإحساس أحد ، فإن رأيت من يذم القمر فى ليلة كماله فاعلم أنه رجل مريض الحس ، فاسد الذوق ، غريب الأطوار.

والأساليب البيانية شأنها شأن القمر ، فى تدرج أنماطها وتفاوت درجاتها:

فمنها الحديث اليومى العادى ، الذى يخلو من الخصائص الفنية ومنها المتوسط الدرجة ، الذى لا يمدح ولا يذم.

ومنها البيان العالى المؤثر فى النفوس ، الممتع للعواطف المثرى للفكر.

ومنها البيان الأعلى ، المعصوم من النقد ، الذى يحس الناس برونقه وإحكامه وجماله وكماله وجلاله ، وهو القرآن المعجز العظيم.

ومن أساليب هذا البيان الأعلى الذى لا يضارعه بيان ، أسلوب التوكيد كما فى قوله تعالى (تلك عشرة كاملة (.

ونبدأ بأقوال الأئمة فى بيان قيمة " تلك عشرة كاملة " فى تقوية الأسلوب وتوفير العناية بالمعنى ، نبدأ بما قاله الإمام الزمخشرى:

" فإن قلت: ما فائدة الفذلكة " ؟ قلت: الواو قد تجئ للإباحة فى نحو قولك: جالسى الحسن ، وابن سيرين ، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً ، أو واحداً منهما كان ممتثلاً ، فَفُذْلِكَتْ (٢) نفياً لتوهم الإباحة.

وأيضاً ففائدة الفذلكة فى كل حساب أن يُعْلَم العدد جملة كما عُلِم تفصيلاً ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم به.

وفى أمثال العرب:

" علمان خير من علم ".

وكذلك " كاملة " تأكيد آخر ، وفيه زيادة توصية بصيامها ، وألا يتهاون بها ، ولا ينقص من عددها.

وقيل " كاملة فى وقوعها بدلاً من الهدى " (٣).

يعنى أن فى هذه العبارة توكيدين:

الأول فى: تلك عشرة ".

والثانى فى " كاملة ".

وقد بين الإمام ـ رحمه الله ـ المعانى التى أفادها هذا التركيب ولنا إضافة على ما قاله سنوضحها فى الخلاصة التى تعودنا على جعلها خاتمة كل مبحث.
ويتابع الإمام البيضاوى ما قاله الإمام الزمخشرى ويضيف إليه جديداً فيقول: " تلك عشرة " فذلكة الحساب ، وفائدتها ألا يتوهم متوهم أن " الواو " ـ أى فى " وسبعة إذا رجعتم " ـ كقولك جالسى الحسن وابن سيرين ، وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً..
و " كاملة " صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى المحافظة على العدد ، أو مبينة كمال العشرة ، فإنه أول عدد كامل إذ به تنتهى الآحاد وتتم مراتبها " (٤).
وحذا الإمام الشوكانى حذوهما ، ثم قال: إنه مثل " كتبتُ بيدى " والكتابة لا تكون إلا باليد (٥).
ويسوق غيرهم شواهد من الشعر العربى على تأصيل هذا الأسلوب فى لغة العرب ، مثل:
فسرتُ إليهمُ عشرين شهراً وأربعة فذلك حِجّتان أى: سنتان. وقول الآخر:
ثلاث بالغداة فهُنَّ حسبى وست حين يدركنى العشاء فذلك تسعة فى اليوم ربى وشُرب المرء بعد الِرى داء (٦) والخلاصة:
لقد أصاب الأئمة فى الإشارة إلى معنى جملة " تلك عشرة كاملة " وبخاصة فى قولهم إنها أفادت دفع توهم من يحسب أن " الواو " بمعنى " أو " تفيد الإباحة ، فليس ببعيد أن يفهم بعض الناس أن المتمتع بالعمرة إلى الحج كفارته الصيام:
فإن صام فى الحج فيكفيه ثلاثة أيام ، ومن لم يصم حتى رجع إلى بلده فعليه صيام سبعة أيام ، وأن يفهم الاكتفاء بالثلاثة فى الحج للتخفيف على المحرمين بالحج ويؤدون مناسكه ، أما بعد الرجوع إلى الوطن فلا داعى للتخفيف ، لأنه غير مشغول بالمناسك ، وليس غريباً عن بلده. ليس ببعيد أن يقع هذا الفهم فى أذهان بعض الناس حتى الفقهاء المجتهدين.
لذلك كان قوله تعالى: " تلك عشرة " واصفاً لها بأنها " كاملة " دافعاً لذلك الفهم.
وبذكر " كاملة " تحوَّل قوله تعالى: " تلك عشرة " إلى نص محكم غير قابل للاحتمال أو التأويل.
أما من حيث البلاغة والبيان ، فإن كلمة " كاملة " وصفاً لـ " تلك عشرة " تفيد تعظيم هذه الأيام العشرة وكمال فضلها عند الله عز وجل.
بدليل أنه أشار إليها باسم الإشارة الموضوع للبعيد ، تنويهاً ببعد منزلتها ، وكان يمكن أن يقال هذه عشرة كاملة ، وهذه اسم إشارة للقريب سواء كان قرباً حسياً أو قرباً معنويًّا.
هذه المعانى والدقائق والأسرار ما كانت لتُفهَم لولا وجود تلك العبارة ، التى عدَّها مثيرو الشبهات عيباً من عيوب الكلام.
(١) البقرة: ١٩٦.
(٢) الفذلكة مصطلح فنى معناه: إجمال المعنى فى عبارة موجزة بعد بسطه فى عبارة طويلة.
(٣) الكشاف (٣٤٥/١).

(٤) نوار التنزيل (١/١١١).
(٥) فتح القدير (١/٢٢٧).
(٦) الدر المصون (٢/٣٢٠).

٦٠ـ الالتفات من المخاطب إلى الغائب قبل تمام المعنى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) (١).
وشاهدهم فى الآية هو قوله تعالى: " حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ".

الرد على الشبهة:
هذه الشبهة المثارة هنا على هذه الآية ، ليست لها صلة ، لا من قريب ، ولا من بعيد ، بالنحو والصرف بل هى مسألة بلاغية صرفة ، والبلاغة ـ عموماً ـ لها عنصران كبيران ، أحدهما خارجى عن شخصية البليغ ، والثانى ممتزج بشخصيته.
العنصر الأول الخارجى:
هو مجموعة القواعد والأصول التى تكوِّن علوم البلاغة باعتبارها علماً راقياً من علوم اللسان ؛ لأن لكل علم أو فن أصوله ومبادئه الخاصة به.
وهذه القواعد والأصول يمكن تَعَلُّمها وإتقانها لكل راغب صادق الرغبة فيها.
العنصر الثانى الذاتى:
الممتزج بذات البليغ ، والذى يجرى فيه مجرى الروح فى الجسد هو الإحساس المرهف بالجمال الفنى ، والقدرة على التذوق ، والخبرة بالأساليب إنشاءً ودراسة ونقداً وتقويماً. وليس بلازم أن يكون العارف بالقواعد والأصول البلاغية ، ليس بلازم أن يكون بليغاً.
يقول الإمام الزمخشرى البليغ الذواقة ، فى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:
" فإن قلت ما فائدة صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة قلت: المبالغة ، كأنه يذكر حالهم لغيرهم ليعجبَّهم منها ، ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح " (٢).
هذه العبارة فى حاجة إلى إيضاح ، هو الآتى:
هؤلاء الذين تحدث الله عنهم فى هذه الآية ، أنعم الله عليهم بالتسيير فى البر والبحر ، وامتحنهم بالريح العاصف بعد أن أقلعت بهم الفلك تمخر عباب الماء ، فتوجهوا إلى الله يطلبون منه الإنجاء ، واعدين الله إذا أنجاهم أن يشكروه ويعرفوا فضله. فلما أنجاهم نسوا ما وعدوا الله به ، وعادوا إلى معصيته كما قال ربنا عز وجل:
(فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق..) (٣).
وكانت فائدة الالتفات عن خطابهم المباشر " كنتم فى الفلك " إلى حكاية حالتهم العجيبة إلى غيرهم ، لكى يستثير سخطهم عليهم ، ويقبِّحوا سوء صنيعهم مع الله.

والخلاصة:
ما قاله الإمام الزمخشرى فى هذه الآية لمحة طيبة ، ومعنى لطيف دل عليه هذا الالتفات من المخاطب إلى الغائب ، وقد تناقله عنه المفسرون من بعده.
أما البلاغيون ـ بعد الزمخشرى ـ فقد أضافوا ملمحًا بلاغياً آخر ، يساير ما فهمه الإمام الزمخشرى ولا ينافره ، فقد قالوا:
" إن السر فى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، أن " الغيبة " تناسب الفعل " جرين " فهم كانوا على الشاطئ والفلك ترسو إلى جنبه ، وأخذ الناس يركبون الفلك ، حتى إذا تكاملوا على ظهره ، وأقلعت آخذة فى السير السريع (الجرى) غابوا عن الأنظار ، فهم ليسوا حاضرين حتى يُخاطَبُوا. ولكنهم غائبون غائبون فجرى الحديث عنهم مجرى الحديث عن الغائب ".
إن كلتا اللمحتين البلاغيتين تنبثقان من هذا التعبير " وجرين بهم " ولا تنافر واحدة منهما الأخرى.
هذا ما لم يكن مثيرو هذه الشبهات أهلاً لفهمه لبلادة حسهم ، وفساد ذوقهم.
والالتفات ـ عامة ـ فن عريق من فنون البيان فى البلاغة العربية ، طرقه الشعراء فى الجاهلية ، وشاع فى كلامهم ، ووردت منه نماذج وصور فى الذكر الحكيم ، وفى أحاديث خاتم النبيين ، وأسراره لا تحصر ، ودلالاته لا تنضب ، وكفاه فضلاً أنه يروِّح عن مشاعر السامعين وينتقل بهم من لون إلى لون ، فى معرض جذاب ، لا يقدره حق قدره إلا من رُزق حسن الفهم ، والقدرة على التذوق لمرامى الكلام.
(١) يونس: ٢٢.
(٢) الكشاف (٢/٢٣١).
(٣) يونس: ٢٣.
----

٦١ - الإتيان بفاعلين لفعل واحد

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) (٢).
وشاهدهم فى هذه الآية هو الجمع بين: " وأسروا " ، " الذين ظلموا " لأنهم جزموا بأن " الواو " فى " أسروا " فاعل ، كما جزموا بأن " الذين " فى " الذين ظلموا " فاعل كذلك.
ولما كان كل فعل لا يتطلب إلا فاعلاً واحداً ، صاحوا بأعلى صوت قائلين:
إن القرآن أخطأ فجعل للفعل الواحد فاعلين ؟!

الرد على الشبهة:

قال شيخ المفسرين البيانيين الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشرى يقول: " أبدل الذين ظلموا من " واو " " وأسروا " إشعارًا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به.
أو جاء على لغة من قال: أكلونى البراغيث.
أو هو منصوب المحل على الذم.
أو هو مبتدأ خبره " وأسروا النجوى " قُدِّم عليه والمعنى:
هؤلاء أسروا النجوى. فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم (٣).
ذكر الإمام ـ رحمه الله ـ فى توجيه هذا التركيب أربعة آراء كلها صحيح فصيح:
الأول: إن " الذين ظلموا " بدل كل من كل من معنى " الواو " فى " أسروا " لأنه واو جماعة معناه الجمع.
الثانى: إنه جاء على لغة بعض القبائل العربية ، التى تجمع بين الضمير إذا وقع فاعلاً وبين ما يفسره.
وعليه جاء الحديث الشريف: [يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار] (٤).
الثالث: أن يكون فى محل نصب على الذم ، على تقدير فعل محذوف هو: أذم أو أخص الذين ظلموا بالذم.
الرابع: أن يكون هو المبتدأ ، وما قبله خبر عنه ، أى الذين ظلموا أسروا النجوى.
أما الذى اقتضى تقديم خبره عليه " أسروا النجوى " فهو التسجيل عليهم بقبح ظلمهم وفحوشته. وهذا كله كلام طيب فى غاية النفاسة.
ويردد الإمام الشوكانى ما قاله الإمام جار الله ـ رحمه الله ـ ويضيف إلى ما قاله جديداً ، ومن هذا الجديد:
" إن الذين ظلموا " فاعل لفعل محذوف تقديره: يقول الذين ظلموا.
ثم يورد على لغة " أكلونى البراغيث " آية أخرى من كتاب الله ، هى قوله عز وجل: (ثم عموا وصموا كثير منهم) (٥).
فقد جُمِعَ فى الآية بين الضمير ، وهو " الواو " فى " عموا " و "صموا " وبين الاسم الظاهر " كثير ".
كما ذكر قول الشاعر:
ولكن ديافى أبوه وأمــه بحوران يعصرن السليط أقاربـه (٦) والشاهد فى البيت حيث جَمَع الشاعر ، وهو عربى فصيح يحتج بكلامه بين نون النسوة فى " يعصرن " وهو فاعل لـ " يعصر " وبين الاسم الظاهر " أقاربه " وليس فى الكلام إلا فعل واحد يكفى فيه فاعل واحد (٧).
وفى المسألة مذاهب أخرى ، منها:
* إن " الذين ظلموا " هى الفاعل ، أما " الواو " فهى علامة جمع الفاعل لا غير ، وأن العرب كانت تفعل ذلك حتى فى المثنى ، فيقولون:
قاما أخواك. كما استشهد من ذهب هذا المذهب بقول الشاعر:
يلوموننى فى اشتراء النخيل قومى ، فكلهمو يعذل حيث جمع بين " الواو " فى " يلوموننى " وبين الاسم الظاهر فى " قومى" (٨).

هذا ما قاله المفسرون وبعض النحاة فى هذا التركيب وتخريجه على عدة وجوه من الصحة. دون أن يكون عندهم علم بأن بعضاً من الناس ، سيأتون ويقولون مثل ما قال مثيرو هذه الشبهات ، مع جهلهم المركب بلغة التنزيل وخصائصها التعبيرية والبيانية ، وهم فيها عوام أو أشباه عوام.
والخلاصة:
ما تقدم من الرد على هذه الشبهة يريك إلى أى مدىً تعسف هؤلاء المغالون فى التحامل على القرآن ، المسرفون فى إظهار الحقد عليه والطعن فيه ، إنهم مثل الذى يريد أن يعبر محيطاً بقارب مصنوع من " البوص " ، دون أن يكون لهم رادع من أنفسهم يحفظون به ماء وجوههم إن كان فى وجوههم ماء.
وقبل أن نودع الحديث فى الرد عليهم على ما أثاروه حول الآية نضيف إلى ما ذكره الأئمة إضافتين من حيث التوجيه البلاغى:
إحداهما: إن فى أساليب علم المعانى ، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعانى ـ البيان ـ البديع) أسلوباً لا يعرف عنه مثيرو هذه الشبهات شيئاً ، هو ما يسميه البلاغيون بـ " الاستئناف البيانى ".
وضابط هذا الأسلوب أن تتقدم جملة من الكلام تثير فى ذهن السامع تساؤلاً لطيفاً يدب فى نفسه أو يسرى سريان الماء فى العود الأخضر ، فتأتى جملة أخرى تجيب على ذلك التساؤل ، الذى ليس له صورة فى الكلام. بل هو يبرق كالشعاع فى ذهن السامع ومن أمثلته فى القرآن:
(وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوعُ مصبحين) (٩). فجملة " أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " جواب على سؤال تقديره: ما هو ذلك الأمر الذى قضاه الله (١٠).
ومثله قوله تعالى: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (١١).
فجملة " فوسوس إليه الشيطان " أثارت فى النفس تساؤلاً لطيفاً " ماذا قال الشيطان لآدم ؟ فكان الجواب:
(قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (.
هذا هو الاستئناف البيانى عند البلاغيين وهو ـ مرة أخرى ـ:
" تنزيل جملة منزلة جواب على سؤال تضمنته الجملة التى قبلها ".
والآية التى معنا: (وأسروا النجوى الذين ظلموا (جرت على نسق الاستئناف البيانى الذى عرفته ، لأن جملة (وأسروا النجوى (تثير فى النفس التساؤل نفسه: مَنْ هم الذين (أسروا النجوى (؟ فكان الجواب:
(الذين ظلموا (.
لا يقال: إن هذا السؤال لا يقتضى المقام إثارته لأن مرجع الضمير ، وهو " الواو " فى " أسروا " مذكور قبله فى قوله تعالى:
(اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون * ما يأتيكم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم..) (١٢).

لأنا نقول: إن الوقائع المذكورة فى مطلع السورة ، وقائع عامة ، هى أحوال للناس جميعاً ، إلا من عصمه الله.
أما إسرار النجوى ، فهى واقعة خاصة وقعت من مشركى العرب ، فليس " الناس " قبلها هم فاعليها ، بل فاعلوها هم الذين قالوا:
(؟؟؟ هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) (١٣).
وعلى هذا فإن " الذين ظلموا ليس فاعلا لـ " أسروا " وإنما فاعل " أسروا " الواو.
أما " الذين ظلموا " فواقعه فى كلام جديد ، هو خبر عن جلة السؤال: من هم الذين أسروا النجوى ؟ وهذا وجه آخر يرد به على مثيرى هذه الشبهة المتعالمين وهم جاهلون.
أما الإضافة الثانية ، فهى أسلوب آخر من أساليب البلاغة العربية ، مفتاح الإعجاز المفحم.
ذلك الأسلوب تحدث عنه شيخ البلاغيين بلا منازع الإمام عبد القاهر الجرجانى ، وأسماه:
" الإضمار على شريطة التفسير " (١٤).
وضابط هذا الأسلوب هو أن تأتى بالضمير أولاً ثم تفسره بعد ذلك بذكر مرجعه.
ومن أمثلته شعرًا قول الشاعر:
هى الدنيا تقول بملء فيهـــا حذار حذار من بطشى وفتكى ولا يغرُركمُ منى ابتســـام فقولى مضحك والفعل مبكـــى وتخريج الآية " وأسروا النجوى الذين ظلموا " على هذا الأسلوب سائغ رائع.
فقد أتى بالضمير أولاً " وأسروا " ثم فسره ثانياً هكذا " الذين ظلموا ".
وبلاغة هذا الأسلوب هى تحريك الشعور ، وتشويق النفس إلى عقبى الكلام كيف تكون ، فيتمكن المعنى المسوق من أجله الكلام فى النفوس كل التمكن ؛ لأن النفس إذا ظفرت بالشىء بعد انتظاره استقر ذلك الشىء فيها.
هذه الخصائص البيانية محرومٌ منها مثيرو هذه الشبهات ؛ لأنهم يجهلونها. والناس ـ كما جاء فى المثل ـ أعداء ما جهلوا.
(١) ليست هذه عبارتهم ، بل هى تعبير بديل من عندنا عنها. أما عبارتهم فهى " أتى بضمير فاعل مع وجود فاعل " وهى خطأ ـ كما ترى ـ لأنه لا مانع من الإتيان بضمير فاعل عائد على الفاعل فى الكلام الفصيح مثل: جاء صديقى الكريم خُلقه.
(٢) الأنبياء: ٣.
(٣) الكشاف (٥٦٢/٢).
(٤) رواه الشيخان: البخارى ومسلم.
(٥) المائدة: ٧١.
(٦) دياف وحوران: موضعان. والسليط: الزيت.
(٧) فتح القدير (٤٦٩/٣-٤٧٠).
(٨) الدر المصون (١٣٢/٨-١٣٣).
(٩) الحجر: ٦٦.
(١٠) انظر: الإيضاح للخطيب القزوينى: مبحث الفصل والوصل.

(١١) طـه: ١٢٠.
(١٢) الأنبياء: ١-٣.
(١٣) الأنبياء: ٣.
(١٤) دلائل الإعجاز (١٦٣) تحقيق الشيخ العلامة محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة.

٦٢- الإتيان بالضمير العائد على المثنى مفردًا

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يُرضوه إن كانوا مؤمنين) (١).
ذكروا هذه الآية ، ولفت نظرهم ذكر الله ، ثم ذكر رسوله معطوفاً عليه، ثم إيقاع الفعل " يُرضى " على الضمير المفرد، وهو " الهاء " فى " يُرضوه " وهو شاهدهم فى هذه الشبهة ، ثم قالوا:
" فلماذا لم يثنِّ الضمير العائد على الاثنين ، اسم الجلالة ورسوله فيقول: أن يُرضوهما " ؟!

الرد على الشبهة:
هذه الآية ، والتركيب الذى حسبوه أو عاندوا وقالوا إنه خطأ لغوى نحوى ، إنما هى لمحة قرآنية تتعلق بعقيدة توحيد الله عز وجل.
ومثيرو هذه الشبهات ، لا يعرفون عن حقيقة " التوحيد " شيئاً ، وضوابطهم فيه مثل الغربال إذا وضع فيه سائل لا يبقى فيه منه شىء.
وقد فات هؤلاء أمر عظيم ، ترتب عليه جهل شنيع ذلك أنهم لم يعرفوا أصلاً ، أو لم يستحضروا فى أذهانهم وهم يسطرون هذه الشبهة ، متى يُثنَّى المعدود ، ومتى يجمع ، ومتى يظل مفرداً.
وهى من البديهات ، بيان ذلك: أن هناك شرطاً موضوعيًّا فى تثنية المعدود وجمعه ذلك الشرط هو:
التجانس بين الأفراد فى الواقع ، فقَلَم يثنى فيقال: قلمان ويجمع فيقال أقلام.
لكن حماراً ـ مثلاً ـ لا يثنى مع القلم ولا يجمع ، لأنك لو ثنيت القلم والحمار ، فقلت قلمان ، أو حماران ، وأنت تريد قلماً وحماراً لم يفهم أحدٌ من العقلاء ما تريد.
وحتى الرجل والمرأة ، وهما فردان بينهما تجانس من جهة ، واختلاف من جهة أخرى. فإنك لا تستطيع أن تثنيهما فتقول: رجلان ، أو تقول: امرأتان ، وأنت تريد رجلاً وامرأة. هذا لا يجوز عند العقلاء ، ولا يجوز فى الواقع الذى يحسه الناس ويحترمونه.

هـذا التمهيـد ضـروري جـدًّا لبيـان لمـاذا ورد فـي القـرآن " أن يُرضـوه " دون أن يُرضوهما كما اقترح مثيرو هذه الشبهات ؟ وذلك لأنه ليس بين الله ، وبين رسوله ، ولا بين الله وبين أيِّ شيء في الوجود تجانس من أي نوع من الأنواع.
فالله هو الفرد الصمد ، الواحد الأحد ، الذي لم يلد فليس له ولد ، ولم يولد فليس لـه أم ولا أب. هو الخـالق البـارئ المصوِّر ، ليس لـه كفواً أحد ، وليس كمثلـه شـيء فـي الوجود وغيره ، هو المخلوق المبروء المصوَّر (اسم مفعول).
من أجل هذا ؛ فإن الله لا يُجمَع ولا يُثنىَّ. لا في ذاته ولا مع أحدٍ من خلقه.
وعلى هذا جرى بيان القرآن المعجز ، فلم يقل كما يقترح هؤلاء الغافلون:
والله ورسوله أحق أن يُرضوهما. لأن الله ليس فرداً من جنس الأفراد الذين ينتمي إليهم رسوله صلى الله عليه وسلم .
بل هو فرد لا مثيل له في الوجود أبداً ، فلا يكون مع غيره ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.
فالخطأ كل الخطأ هو ما توهمه مثيرو هذه الشبهات. أما ما عليه النظم القرآني الحكيم ، فهو ليس كل الصواب فحسب ولكنه الإعجاز المفحم ، في أَجْلَى معارضـه ، وآلق آفاقه ومَنْ أحسن من الله حديثاً.
التوحيد في القرآن عقيدة متمكنة في الواقع الخارجي مستقرة كل الاستقرار في قلوب المؤمنين.
وهو ـ كذلك ـ عقيدة في البيان القرآني ، فلم يأت الله في لغة القرآن إلا واحداً أحدًا ، ليس اثنين ، وليس ثلاثـة (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النـار) (٢) وليس ما لفت أنظار مثيري هذه الشبهات في الآية المتقدمة هو الوحيد في القرآن ، بل له نظائر عميت عنها أبصارهم وبصائرهم:
ففي الآية الثالثة من سورة التوبة نفسها ، ورد قوله تعالى:
(.. أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله..) (٣).
لم يقل: إن الله ورسوله بريئان من المشركين ، لأن وصف الله بالبراءة من المشركين ، وصف توحيدي تابع للواحد الأحد ، الذي ليس له مثيل في كل الوجود.
ولذلك قال: " أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله " أي ورسوله بريءٌ منهم ، والذي دل على هذا ، ما ذكره في جانب الله أولاً.
كما تقول: محمد (من أُولي العزم من الرسل ، وموسى عليه السلام ، أي وموسى من أُولي العزم من الرسل.
تثبت الوصف المحذوف لموسى ، استناداً إلى ذكر ذلك الوصف خبراً عن محمد ، عليهما الصلاة والسلام.
هذا ما يفهمه العقلاء من بليغ الكلام.
وفي سورة التوبة نفسها ـ كذلك ـ ورد قوله تعالى: (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنَّا إلى الله راغبون) (٤).
روعيت عقيدة التوحيد في النظم القرآني المعجز المفحم في ثلاثة مواطن:
الأول: " ما آتاهم الله ورسوله " حيث عطف رسوله على اسم الجلالة ، دون عود ضمير مثنى.

الثانى: " حسبنا الله " دون عطف رسوله على اسم الجلالـة. لأن الحسب لا يكون إلا لله.
الثالث: " سيؤتينا الله من فضله ورسوله " دون أن يُثَنِّى فيقول: من فضلهما.
وإنما عُطِف " رسوله " بعد تمام الجملة الأولى.
ثم حذف من جملة " ورسوله " ما دل عليه الكلام السابق ، أى:
وسيؤتينا رسوله من فضله.
هذا هو التوحيد فى القرآن ، دقة وإحكام ، ومبالغة فى تنزيه الله عن المساوى والمثيل والكفء حتى فى اللفظ توحيد نقى ، خالص ، مبرأ عن الشبهات المعنوية ومبرأ عن الشبهات اللفظية.
ولم يرد فى القرآن الحكيم اسم يكون ثانياً لله ، ولا اسم يكون ثالثاً لله ، لا فى المعانى ، ولا فى الألفاظ وذلك هو التوحيد الخالص. رسالة كل الرسل والأنبياء.
والخلاصة:
أن فى الآية أسلوب الإيجاز البليغ لأن معناها الذى لم يهتدوا إليه هو: " والله أحق أن يُرضوه ورسوله أحق أن يرضوه " فحُذف " أحق أن يرضوه " من الأول ، لدلالة الثانى " ورسوله أحق أن يرضوه " عليه.
وهذا فن بلاغى يطلقون عليه: " الاحتباك " وهو نوعان:
الأول: أن يحذف كلام من جملة أولى ويذكر ما يدل عليه فى جملة ثانية جاءت بعدها مباشرة. مثل الآية التى اتخذوها منشأ لهذه الشبهة.
والثانى: أن يحذف من جملة ثانية كلام يدل عليه ما ذكر فى الجملة التى قبلها ، ومثاله قوله تعالى: (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً..) (٥).
والمعنى: والنهار مبصراً ليسعوا فيه ، فحذف لأن " ليسكنوا " دليل قوى عليه.
وقد تلحظ حذفاً من الأول ـ كذلك ـ لدلالة الثانى عليه ، وهو: مظلماً ، أى جعلنا الليل مظلماً ، وحذف لأن ما فى الثانى ، وهو " مبصراً " دليلاً عليه.
(١) التوبة: ٦٢.
(٢) سورة ص: ٢٧.
(٣) التوبة: ٣.
(٤) سورة: ٥٩.
(٥) النمل: ٨٦.

٦٣ـ الإتيان بالجمع مكان المثنى أ

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) (١).

والشاهد فى الآية عندهم هو " قلوبكما " حيث جاء المضاف (قلوب) جمعا ، والمضاف إليه " كما " مثنى. والمتحدث عنه فى قوله تعالى: " تتوبا " مثنى كذلك.
وقد علقوا على هذا فقالوا: " لماذا لم يقل:
قلباكما " لأنه ليس للاثنين أكثر من قلبين " ؟!

الرد على الشبهة:
العرب كانوا يستثقلون اجتماع تثنيين فى كلمة واحدة ، فيعدلون عن التثنية إلى الجمع ، لأن أول الجمع عندهم الاثنان.
ومما قاله أئمة اللغة والنحو فى جمع " قلوب " فى الآية قولهم:
و " قلوبكما " من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى ، استثقالاً لمجئ تثنتين لوقيل " قلباكما " (٢).
ومثل هذه الآية قوله تعالى:
(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) (٣).
فقد أوقع الجمع " أيدى " موقع المثنى: يدى. جرياً على سُنة العرب فى كلامهم ، والقرآن بلغتهم نزل ولا يُفهم من هذا أن الجمع حل محل التثنية لإصلاح اللفظ فحسب ، وإن كان إصلاح اللفظ وإحلال الخفيف منه محل الثقيل سببًا مقبولاً كافيًا فى توجيه هذا الاستعمال بيد أننا لو أنعمنا النظر ، وأعملنا الفكر لظفرنا بمعانٍ أخرى غير إصلاح اللفظ ، هذه المعانى يومئ إليها برفق مجىء الجمع فىمقام التثنية.
وسيأتى البيان بعد قليل.
والخلاصة(٤):
اتضح لنا مما تقدم أن قوله تعالى " قلوبكما " من أفصح الكلام ، وليس صحيحاً فحسب ، ولكن ضآلة حظ مثيرى هذه الشبهات من اللغة العربية ، هى التى جعلتهم يهرفون بما لا يعرفون ، ويتعالمون وهم أميون.
أما ما يعود على المعنى من وضع الجمع موضع التثنية فوق إصلاح اللفظ كما تقدم ، فبيانه فيما يأتى:
ولنبدأ بآية المائدة ، نجد أن لجمع الأيدى دلالة على الجمع فعلاً ، وذلك من جهتين:
الأولى: أن المراد من " السارق " و " السارقة " ليس فردين ، بل نوعين:
* الذى يسرق من الرجال ، سواء كان واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو ألف وهكذا ؛ لأن المراد النوع لا الفرد.
* التى تسرق من النساء ، لا على سبيل الفردية (امرأة) واحدة ولكن كل من ينطبق عليها وصف السرقة.
فالسارقون لا يحصرون فى عدد معين ، من عصر نزول القرآن إلى يوم القيامة.
والسارقات لا يحصرن فى عدد محدد ، بل هن جمع لا يعلمه إلا الله.
فأنت ترى أن اللفظ فى " السارق " و " السارقة " وإن كان مفرداً ، فهو من حيث المعنى جمع لا حصر له فى النوعين معاً: الذكور والإناث.
الجهة الثانية: إن السارق أو السارقة قد تتكرر منهما السرقة ، فيقام عليهما الحد مرة أخرى بقدر مرات السرقة.

وعلى كلا الوضعين (الجهة الأولى والجهة الثانية) تكون كلمة: " أيدى " جمعا. مضافة إلى الضمير " هما " فيها دلالة ملحوظة على الجمع كما رأيت. وهذا ما لا يهتدى إليه أمثال مثيرى هذه الشبهات.
أما آية " التحريم " فقد فسرها العلماء تفسيرين:
أحدهما: أن " صغت " بمعنى: زاغت وأثمت ، وهذا تفسير ابن عباس رضى الله عنه (٥).
وعلى هذا يكون مجىء القلبين جمعاً فيه تهويل وتفظيع لما حدث من زوجتى النبى صلى الله عليه وسلم ، من إفشاء سره عليه السلام، لأن فى ذلك ما يؤذيه صلى الله عليه وسلم (٦).
أما التفسير الثانى فهو قريب من الأول ، وهو: " إن صغت " بمعنى زاغت أى مالت عن الحق والصواب (٧) وتوجيهه توجيه التفسير الأول.
وفى الآيتين معنى لطيف غاية فى الطرافة والروعة والإعجاز وهو مراعاة اللفظ والمعنى معاً.
مراعاة اللفظ فى تثنية المضاف إليه ، وهو " هما " فى " أيديهما " و"كما" فى " قلوبكما ".
ثم مراعاة المعنى فى جمع الأيدى والقلوب.
فتثنية الضمير المضاف إليه فيهما جاءت حملاً على اللفظ فى: "السارق والسارقة ".
وجمع الأيدى والقلوب جاء حملاً على المعنى المفهوم من إيحاءات المقام على وجه الحقيقة فى جمع الأيدى.
والمفهوم من المقام على وجه التنزيل التهويلى فى جمع القلوب.
أجل: إن القرآن لا تنتهى عجائبه ، ولا تجف ينابيعه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد.
(١) التحريم: ٤.
(٢) الدر المصون (٣٦٦/١٠).
(٣) المائدة: ٣٨.
(٤) انظر: المصدر نفسه (٢٦٢/٤).
(٥) فتح القدير للإمام الشوكانى (٣٠١/٥).
(٦) انظر:القصة بتمامها فى كتاب من كتب التفسير: تفسير سورة " التحريم " ؛ وليكن السابق ـ مثلاً.
(٧) الدر المصون (٢٦٥/١٠).

٦٤ـ صبُ المضاف إليه !

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

منشأ هذه الشبهة:
هو قوله تعالى: (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراءَ مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور) (١).

وشاهدهم فى هذه الآية هى كلمة " ضراءَ " وهى مضاف إليه ، والمضاف هو كلمة " بعد " وقد رأوا فتحة بعد " الراء " فوق الهمزة من كلمة " ضراءَ " فأملى عليهم جهلهم أن القرآن أخطأ فنصب المضاف ، وهو من حقه أن يُجر ؟!
ثم قالوا: (وكان يجب أن يجر المضاف إليه فيقول: " بَعْدَ ضراءِ ").

الرد على الشبهة:
المضاف إليه فى الآية " ضراءَ " مجرور لا منصوب ، وهو ممنوع من الصرف ، والمانع له من الصرف ألف التأنيث الممدودة. وتلاميذ الإعدادى يعرفون أن الممنوع من الصرف يُجر بالفتحة نيابة عن الكسرة.
ولذلك وضعت الفتحة فوق الهمزة بعد الراء. فهذه الفتحة علامة جر لا علامة نصب.
والممنوع من الصرف لا يجر بالفتحة إلا فى حالتين:
أن يكون مضافاً ، أو معرفاً بالألف واللام.
و " ضراء " فى الآية ليست مضافاً ، ولا معرفة بالألف واللام. وفى جر الممنوع من الصرف يقول ابن مالك:
وجر بالفتحة ما لا ينصرف ما لم يضف أو يك بعد أل ردف (١) هود: ١٠.

٦٥- هل تناقض القرآن فى مادة خلق الإنسان

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يعطى القرآن معلومات مختلفة عن خلق الإنسان.. من ماء مهين (المرسلات: ٢٠) من ماء (الأنبياء: ٣٠)..
من نطفة (يس: ٧٧).. من طين (السجدة: ٧).. من علق (العلق: ٢).. من حمأ مسنون (الحجر: ٢٦)..
ولم يك شيئًا (مريم: ٦٧).
فكيف يكون كل ذلك صحيحًا فى نفس الوقت ؟ (انتهى).

الرد على الشبهة:
ليس هناك أدنى تناقض بل ولا حتى شبهة تناقض بين ما جاء فى القرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان.. وحتى يتضح ذلك ، يلزم أن يكون هناك منهج علمى فى رؤية هذه المعلومات ، التى جاءت فى عديد من آيات القرآن الكريم.. وهذا المنهج العلمى يستلزم جمع هذه الآيات.. والنظر إليها فى تكاملها..
مع التمييز بين مرحلة خلق الله للإنسان الأول آدم ـ عليه السلام ـ ومرحلة الخلق لسلالة آدم ، التى توالت وتكاثرت بعد خلق حواء ، واقترانها بآدم ، وحدوث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج..
* لقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان الأول ـ آدم ـ فأوجده بعد أن لم يكن موجودًا.. أى أنه قد أصبح " شيئًا " بعد أن لم يكن " شيئًا " موجودًا.

وإنما كان وجوده فقط فى العلم الإلهى.. وهذا هو معنى الآية الكريمة (أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا) (١).
* أما مراحل خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ لآدم.. فلقد بدأت بـ [التراب] الذى أضيف إليه [الماء] فصار [طينًا] ثم تحول هذا الطين إلى [حمأ] أى أسود منتنًا ، لأنه تغير والمتغير هو [المسنون].. فلما يبس هذا الطين من غير أن تمسه النار سمى [صلصالاً] لأن الصلصال هو الطين اليابس من غير أن تمسه نار ، وسمى صلصالاً لأنه يصلّ ، أى يُصوِّت ، من يبسه أى له صوت ورنين.
وبعد مراحل الخلق هذه ـ التراب.. فالماء.. فالطين.. فالحمأ المسنون.. فالصلصال ـ نفخ الله سبحانه وتعالى فى " مادة " الخلق هذه من روحه ، فغدا هذا المخلوق " إنسانًا " هو آدم عليه السلام.
* وعن هذه المراحل تعبر الآيات القرآنية ، فتصور تكامل المراحل ـ وليس التعارض المتوهم والموهوم ـ فتقول هذه الآية الكريمة: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) (٢). فبالتراب كانت البداية (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) (٣). وذلك عندما أضيف الماء إلى التراب (فاستفتهم أهم أشد خلقًا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب) (٤) وذلك عندما زالت قوة الماء عن الطين ، فأصبح " لازبًا " أى جامدًا.
* وفى مرحلة تغير الطين ، واسوداد لونه ، ونتن رائحته ، سمى [حمأً مسنونًا] ، لأن الحمأ هو الطين الأسود المنتن.. والمسنون هو المتغير.. بينما الذى (لم يَتَسَنَّه) هو الذى لم يتغير.. وعن هذه المرحلة عبرت الآيات: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) (٥).
تلك هى مراحل خلق الإنسان الأول ، توالت فيها وتتابعت وتكاملت معانى المصطلحات: التراب.. والماء..
والطين.. والحمأ المسنون.. والصلصال.. دونما أية شبهة للتعارض أو التناقض.
* وكذلك الحال والمنهاج مع المصطلحات التى وردت بالآيات القرآنية التى تحدثت عن خلق سلالة آدم ـ عليه السلام ـ.
فكما تدرج خلق الإنسان الأول آدم من التراب إلى الطين.. إلى الحمأ المسنون.. إلى الصلصال.. حتى نفخ الله فيه من روحه.. كذلك تدرج خلق السلالة والذرية بدءاً من [النطفة] ـ التى هى الماء الصافى ـ ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرجل [المنىّ].. إلى [العَلَقة] التى هى الدم الجامد ، الذى يكون منه الولد ، لأنه يعلق ويتعلق بجدار الرحم إلى [المضغة] وهى قطعة اللحم التى لم تنضج ، والمماثلة لما يمضغ بالفم..
إلى [العظام].. إلى [اللحم] الذى يكسو العظام.. إلى [الخلق الآخر] الذى أصبح بقدرة الله فى أحسن تقويم (٦).

ومن الآيات التى تحدثت عن توالى وتكامل هذه المراحل فى خلق وتكوين نسل الإنسان الأول وسلالته ، قول الله سبحانه وتعالى: (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا) (٧).

وقوله سبحانه: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر * فتبارك الله أحسن الخالقين) (٨).

* وإذا كانت [النطفة] هى ماء الرجل.. فإنها عندما تختلط بماء المرأة ، توصف بأنها [أمشاج] - أى مختلطة - كما جاء فى قوله تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا) (٩).

* كما توصف هذه [النطفة] بأنها [ماء مهين] لقلته وضعفه.. وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة: (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (١٠). (ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين * إلى قَدَرٍ معلوم * فقدرنا فنعم القادرون) (١١).

* وكذلك ، وصفت [النطفة] - أى ماء الرجل - بأنه [دافق] لتدفقه واندفاعه.. كما جاء فى الآية الكريمة (فلينظر الإنسان مِمَّ خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب) (١٢).

هكذا عبر القرآن الكريم عن مراحل الخلق.. خلق الإنسان الأول.. وخلق سلالات وذريات هذا الإنسان..

وهكذا قامت مراحل الخلق ، ومصطلحات هذه المراحل ، شواهد على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم.

عندما جاء العلم الحديث ليصدق على هذه المراحل ومصطلحاتها ، حتى لقد انبهر بذلك علماء عظام فاهتدوا إلى الإسلام.

فكيف يجوز - بعد ذلك ومعه - أن يتحدث إنسان عن وجود تناقضات بين هذه المصطلحات.. لقد صدق الله العظيم إذ يقول: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا) (١٣).

(١) مريم: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٥٩.

(٣) السجدة: ٧.

(٤) الصافات: ١١.

(٥) الحجر: ٢٦-٣٥. انظر معانى المصطلحات الواردة فى هذه الآيات فى: الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين بن محمد [المفردات فى غريب القرآن] طبعة دار التحرير - القاهرة - سنة ١٩٩١م و[لسان العرب] - لابن منظور - طبعة دار المعارف - القاهرة.

(٦) انظر فى معانى هذه المصطلحات [المفردات فى غريب القرآن] ـ مصدر سابق ـ.
(٧) الحج: ٥.
(٨) المؤمنون: ١٢ـ١٤.
(٩) الإنسان: ٢.
(١٠) السجدة: ٧ـ٨.
(١١) المرسلات: ٢٠ـ٢٣.
(١٢) الطارق: ٥ـ٧.
(١٣) النساء: ٨٢.

٦٦ـ حول موقف القرآن من الشرك بالله

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يوضح القرآن أن الله لا يغفر أن يشرك به (سورة النساء آية: ٤٨). ومع ذلك فقد غفر الله لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بل جعله نبيّا رغم أنه عبد النجوم والشمس والقمر (الأنعام: ٧٦ـ٧٨). فما الإجابة ؟ (انتهى).

الرد على الشبهة:
الشرك محبط للعمل: (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (١) (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيمًا) (٢).
والأنبياء والرسل هم صفوة الله من خلقه ، يصطفيهم ويستخلصهم ، ويصنعهم على عينه ، وينزههم حتى قبل البعثة لهم والوحى إليهم عن الأمور التى تخل بجدارتهم للنبوة والرسالة.. ومن ذلك الشرك ، الذى لو حدث منهم واقترفوه لكان مبررًا لغيرهم أن يقترفه ويقع فيه.. ولذلك ، لم يرد فى القرآن الكريم ما يقطع بشرك أحد من الأنبياء والرسل قبل بعثته.. بمن فى ذلك أبو الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ.
أما الآيات التى يشير إليها السؤال.. وهى قول الله سبحانه وتعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين * وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برئ مما تشركون * إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين * وحاجّه قومه قال أتحاجّونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئًا وسع ربى كل شيء علمًا أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم

يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) (٣).
أما هذه الآيات ، فليس فيها دليل على أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد مر بمرحلة شرك ، وحاشا لله أن يقع فى ذلك، وإنما هى تحكى كيف آتى الله إبراهيم الحجة على قومه.. حجة التوحيد ، ودحض الشرك..
فهى حجاج وحوار يسلم فيه إبراهيم جدلاً ـ كشأن الحوار ـ بما يشركون ، لينقض هذا الشرك ، ويقيم الحجة على تهاوى ما به يحتجون ، وعلى صدق التوحيد المركوز فى فطرته.. ليخلص من هذا الحوار والحجاج والاحتجاج إلى أن الخيار الوحيد المتبقى ـ بعد هذه الخيارات التى سقطت ـ هو التوحيد..
فهو حوار التدرج من توحيد الفطرة إلى التوحيد القائم على المنطق والبرهان والاستدلال ، الذى فند دعاوى وحجج الخصوم.. والاستدلال اليقينى (وليكون من الموقنين (وليس فيه انتقال من الشرك إلى التوحيد.
تلك هى الحقيقة التى رجحها المفسرون.
* فالقرطبى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى [٦٧١هـ ١٢٧٣م] يقول فى تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] ـ مورد الآراء المختلفة حول هذا الموضوع:
قوله تعالى: (هذا ربى (اختلف فى معناه على أقوال ، فقيل: كان هذا منه فى مُهلة النظر وحال الطفوليّة وقبل قيام الحجة ، وفى تلك الحال لا يكون كفر ولا إيمان.
وقال قوم: هذا لا يصح ، وقالوا: غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتى عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحِّد وبه عارف ، ومن كل معبود سواه برئ. قالوا: وكيف يصح أن يتوهم هذا على من عصمه الله وأتاه رشده من قبلُ ، وأراه ملكوته ليكون من الموقنين ، ولا يجوز أن يوصف بالخلو من المعرفة ، بل عرف الرب أول النظر.. وقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم أنه قال: (واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام) (٤) وقال عز وجل: (إذ جاء ربه بقلب سليم) (٥) أى لم يشرك قط.. لقد قال: (هذا ربى (على قول قومه ، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر. ونظير هذا قوله تعالى: (أين شركائى) (٦). وهو جل وعلا واحد لا شريك له ، والمعنى: أين شركائى على قولكم..
وقيل: إنما قال: (هذا ربى (لتقرير الحُجة على قومه ، فأظهر موافقتهم ، فلما أفل النجم قرّر الحُجة ، وقال: ما تَغَيَّرَ لا يجوز أن يكون ربًّا ، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها.
ومن أحسن ما قيل فى هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال فى قوله ـ عز وجل ـ: (نور على نور) (٧) قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه ، فإذا عرفه ازداد نورًا على نور ، وكذلك إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله ، فعلم أن له ربًّا وخالقًا.
فلما عرَّفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: (أتحاجونى فى الله وقد هدان (.
وقيل: هو على معنى الاستفهام والتوبيخ ، منكرًا لفعلهم ، والمعنى: أهذا ربى ، أو مثل هذا يكون ربًّا ؟! فحذف الهمزة. وفى التنزيل: " (أفإن مت فهم الخالدون) (٨). أى أفهم الخالدون ؟.. " (٩).

* ومع هذا الرأى أيضًا الزمخشرى ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمى [٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م] ، صاحب تفسير [الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل] الذى يقول فى تفسير هذه الآيات:

" وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن ينبههم على الخطأ فى دينهم ، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ، ويعرِّفهم أن النظر الصحيح مؤدٍّ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلها ، لقيام دليل الحدوث فيها ، وأن وراءها مُحْدِثًا أحدثها وصانعًا صنعها ومدبرًا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها ".

(هذا ربى (: قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل ، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشَّغَب ، ثم يكرُّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحُجة.

(لا أحب الآفلين (: لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال ، المنتقلين من مكان إلى مكان ، المحتجبين بستر ، فإن ذلك من صفات الأجْرام.

(لئن لم يهدنى ربى (: تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكواكب فى الأفول فهو ضال ، وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه..

(إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض (أى للذى دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبدعها (١٠).

* وعلى هذا الرأى أيضًا من المحدثين ـ الشيخ عبد الوهاب النجار [١٢٧٨ـ١٣٦٠هـ ،١٨٦٢ـ١٩٤١م] ـ صاحب [قصص الأنبياء] ـ الذى يقول: " لقد أتى إبراهيم فى الاحتجاج لدينه وتزييف دين قومه بطريقة التدرج فى الإلزام أو التدرج فى تكوين العقيدة.. " (١١).

وذلك هو موقف إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ من الشرك.. لقد عصمه الله منه.. وإنما هى طريقة فى الجدال يتدرج بها مع قومه ، من منطلقاتهم ليصل إلى هدم هذه المنطلقات ، وإلى إقامة الدليل العقلى على عقيدة التوحيد الفطرية المركوزة فى القلوب.

(١) الزمر: ٦٤ـ٦٦.
(٢) النساء: ٤٨.
(٣) الأنعام: ٧٤ـ٨٣.
(٤) إبراهيم: ٣٥.
(٥) الصافات: ٨٤.
(٦) القصص: ٧٤.
(٧) النور: ٣٥.
(٨) الأنبياء: ٣٤.
(٩) [الجامع لأحكام القرآن] ج٧ ص ٢٥ ، ٢٦ ، طبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

(١٠) [الكشاف] ج٢ ص ٣٠ ، ٣١ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ ـ وهى طبعة مصورة عن طبعة طهران " انتشارات أفتاب ـ تهران " وهى الأخرى بدون تاريخ للطبع.
(١١) [قصص الأنبياء] ص ٨٠ طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ للطبع.

٦٧ـ حول عصيان إبليس وهو من الملائكة الذين لا يعصون الله

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
يؤكد القرآن أنه لا يمكن للملائكة أن تعصى الله [التحريم: ٦] ومع ذلك فقد عصى إبليس الذى كان من الملائكة ، كما فى الآية [البقرة: ٣٤] فأيهما صحيح ؟. (انتهى).
الرد على الشبهة:
الملائكة مخلوقات مجبولة على طاعة الله وعبادته والتسبيح له وبه.. فهم لا يعصون الله سبحانه وتعالى:(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (١).
ومع تقرير هذه الآية أن هؤلاء الملائكة القائمين على النار [لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] يقرر القرآن الكريم أن إبليس ـ وهو من الملائكة ـ فى قمة العصيان والعصاة: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) (٢).
وهناك إمكانية للجمع بين معانى الآيتين ، وذلك بأن نقول: إن عموم الملائكة لا يعصون الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهم مفطورون ومجبولون على الطاعة.. لكن هذا لا ينفى وجود صنف هم الجن ـ ومنهم إبليس ، شملهم القرآن تحت اسم الملائكة ـ كما وصف الملائكة أيضًا بأنهم جِنَّة ـ لخفائهم واستتارهم ـ وهذا الصنف من الجن ، منهم الطائعون ومنهم العصاة..
وفى تفسير الإمام محمد عبده [١٢٦٥ ـ ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] لآية [لبقرة: ٣٤] يقول:
" أى سجدوا إلا إبليس ، وهو فرد من أفراد الملائكة ، كما يفهم من الآية وأمثالها فى القصة ، إلا آية الكهف فإنها ناطقة بأنه كان من الجن.. وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهريًا يميز أحدهما عن الآخر ، وإنما هو اختلاف أصناف ، عندما تختلف أوصاف. فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة. وقد أطلق القرآن لفظ الجنَّة على الملائكة ، على رأى جمهور المفسرين فى قوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) (٣). وعلى الشياطين فى آخر سورة الناس " (٤).
ونحن نجد هذا الرأى أيضًا عند القرطبى ـ فى تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] فيقول:
" وقال سعيد بن جبير: إن الجن سِبْط من الملائكة ، خلقوا من نار ، وإبليس منهم ، وخُلق سائر الملائكة من نور.. والملائكة قد تسمى جنا لاستتارها. وفى التنزيل:

(وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) (٥) وقال الشاعر أعشى قيس ـ فى ذكر سليمان ـ عليه السلام:
وسَخَّر من جنّ الملائكة تسعة قيامًا لديه يعملون بلا أجر (٦).
فلا تناقض إذًا بين كون الملائكة لا يعصون الله.. وبين عصيان إبليس.. وهو من الجن ، الذين أطلق عليهم اسم الملائكة ـ فهو مثله كمثل الجن هؤلاء منهم الطائعون ومنهم العصاة.
(١) التحريم: ٦.
(٢) البقرة: ٣٤.
(٣) الصافات: ١٥٨.
(٤) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٤ ص ١٣٣ ، دراسة وتحقيق. د. محمد عمارة ، طبعة دار الشروق. القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
(٥) الصافات: ١٥٨.
(٦) [الجامع لأحكام القرآن] ج١ ص٢٩٤ ، ٢٩٥ مصدر سابق.

٦٨ـ حول عصيان البشر: مع أنهم من المخلوقات الطائعة القانتة لله

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

كل المخلوقات فى السموات والأرض طائعة وقانتة لله تعالى [الروم: ٢٦] ومع ذلك نجد حالات كثيرة من عدم الطاعة من جانب البشر مثلاً: [الحاقة: ١٠]. (انتهى).

الرد على الشبهة:
كل المخلوقات فى السموات والأرض ، طائعة وقانتة لله ـ سبحانه وتعالى ـ (وله من فى السموات والأرض كل له قانتون) (١).
فهم قانتون لله ، أى خاضعون ومطيعون لإرادته ـ سبحانه وتعالى ـ ومع ذلك يشهد الواقع ، وتحكى الآيات القرآنية الكثير من حالات العصيان وعدم الطاعة من جانب البشر وذلك من مثل قوله سبحانه:
(وجاء فرعون ومن قبْله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) (٢).
ففى هذه الآية وحدها إشارات إلى عصيان فرعون.. وعصيان من سبقه من المؤتفكات ـ أى قُرى قوم لوط ـ الذين أخذهم الله أخذة رابية ، أى زائدة فى الشدة على غيرها.
بل إن تاريخ الإنسان هو صراع بين أهل العصيان.. حتى أن المأثور النبوى الشريف قد تحدث عن أن كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون.
فكيف يتسق شيوع العصيان فى البشر ، مع الآية القرآنية التى تحدثت عن أن كل من فى السموات والأرض قانتون ـ أى خاضعون ومطيعون ـ لله سبحانه وتعالى ؟..
إن مفتاح الإجابة عن هذا التساؤل ، هو فهم أنواع الإرادة الإلهية والقضاء الإلهى.. فالله سبحانه لا يريد العصيان ، ولا يقضى بالشر.. لكن إرادته وقضاءه نوعان:

١ ـ إرادة وقضاء تكوينى وحتمى للمخلوقات غير المُخَيَّرة.. وذلك مثل القضاء الذى تتحدث عنه الآية:
(فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها) (٣).
(وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون) (٤).
ففى هذا اللون من الأمر الإلهى والقضاء الربانى تكون المخلوقات غير المختارة مجبولة على القنوت والطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى..
٢ ـ إرادة وقضاء معهما تخيير..وذلك خاص بالإنسان المُخَيَّر..المكلف.. المسئول والذى له ـ بسبب هذا التخيير والحرية ـ حساب وجزاء.
وإلى مثل هذا تشير الآيتان: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) (٥).
فنحن هنا أمام قضاء إلهى ، شاء الله سبحانه وتعالى أن يترك للإنسان المخير إزاءه حرية الطاعة والعصيان ليتميز الخبيث من الطيب ، وليكون الجزاء وفق العمل والإرادة والاختيار.. فالإنسان المُخَيَّر ، الذى هداه الله النجدين ، له قدرات واستطاعات الطاعة والعصيان.. ولذلك كان من جنس الإنسان المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى ومن يبتغى وجه الله ومن يبتغى غير دين الله.. بينما المخلوقات غير المختارة مجبولة على الطاعة والخضوع (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون) (٦) ، وقوله تعالى: (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعًا وكرهًا) (٧) ، وقوله سبحانه وتعالى: (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين) (٨).
ففى مخلوقات الله مخلوقات مجبولة على الطاعة والخضوع.. وفى هذه المخلوقات مخيرون ، منهم من يطيع ومنهم من يختار العصيان ، فيبتغى غير دين الله !.

(١) الروم: ٢٦.
(٢) الحاقة: ٩ ـ ١٠.
(٣) فصلت: ١٢.
(٤) البقرة: ١١٧.
(٥) الإسراء: ٢٣ـ٢٤.
(٦) آل عمران: ٨٣.
(٧) الرعد: ١٥.
(٨) فصلت: ١١.

٦٩ـ حول مدة خلق السموات والأرض

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

توضح كثير من سور القرآن أن السموات والأرض قد خلقت فى ستة أيام. وهنا مشكلتان:
الأولى: أنه من الثابت علميًا أن خلق السموات والأرض قد استغرق بلايين السنين.
الثانية: أنه فى التعبير القرآنى نفسه كانت مدة الخلق ثمانية أيام بدلاً من ستة [فصلت: ٩-١٢].
فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات ؟. (انتهى).

الرد على الشبهة:
فى كثير من السور القرآنية تتحدث آيات كثيرة عن خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وتقدير ما فيهما فى ستة أيام.. ومن هذه الآيات:
(إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) (١).
(وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) (٢).
(الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) (٣).
(الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) (٤).
(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) (٥).
(هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) (٦).
* وليس هناك تعارض بين تحديد زمن الخلق للسموات والأرض فى ستة أيام ، وبين ما يراه العلم من استغراق ذلك الخلق بلايين السنين ، ذلك أن المدى الزمنى " لليوم " عند الله ، سبحانه وتعالى ليس هو المدى الزمنى " لليوم " فى العرف والتقويم الذى تعارف عليه الإنسان فى هذه الحياة الدنيا. وفى القرآن الكريم آيات شاهدة على ذلك منها:
(أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) (٧).
فبعض اليوم ، فى حساب الإنسان ـ هنا ـ بلغ مائة عام.. أى قرابة ٣٧٠٠٠ يوم ! وكذلك الحال فى قصة أهل الكهف.. فما حسبوه يومًا أو بعض يوم قد بلغ ثلاثمائة عام بالتقويم الشمسى وثلثمائة وتسعة أعوام بالتقويم القمرى.. (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) (٨) ، (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا * قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا) (٩).
* وكذلك الحال يوم ينفخ فى الصور ـ يوم البعث ـ يحسب بعض المجرمين أن مكثهم فى الدنيا لم يتجاوز عشر ليالٍ.. بينما يحسب آخرون منهم أن مكثهم لم يتعد اليوم الواحد: (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا * يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) (١٠).

* أما عند الله ، سبحانه وتعالى فإن لمصطلح " اليوم " مدى لا يعلم حقيقة طوله وأمده إلا هو: (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون) (١١).
والآية لا تحدده بألف سنة مما نعد نحن فى تقويمنا.. وإنما تستخدم أداة التشبيه ـ الكاف ـ (كألف) ليظل المدى غير معلوم لنا فى هذه الحياة.. وغير ممكن التحديد بوحداتنا نحن فى القياس الزمنى.
فيوم الدين ـ الجزاء ـ.. وأيام الله.. والأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض.. مداها ـ بمقاييس أيامنا نحن ـ لا يعلمها إلا الله ، سبحانه وتعالى..
* ثم إن ما اكتشفه العلم من سرعات للصوت.. وسرعات للضوء.. وزمن للضوء ـ سنة ضوئية ـ يجعل تفاوت واختلاف المفاهيم والمقاييس لمصطلح " اليوم " أمرًا مقررًا ومألوفًا.
هذا عن المشكلة الأولى من مشكلتى السؤال..
أما المشكلة الثانية ـ من مشكلتى السؤال ـ والخاصة بحديث بعض الآيات القرآنية عن أن الخلق للسموات والأرض قد يفهم على أنه قد استغرق ثمانية أيام ، وليس ستة أيام.. وهى آيام سورة فصلت: (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم) (١٢).
هذه " المشكلة " لا وجود لها !.. فليس هناك تناقض ولا تفاوت بين المدة الزمنية التى جاءت فى هذه الآيات وبين الآيات الأخرى التى ورد فيها تحديد الأيام الستة..
ففى هذه الآيات ـ من سورة فصلت ـ نجد أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأنه: (خلق الأرض فى يومين (.
ثم (جعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها (فى تمام (أربعة أيام (.. أى فى يومين آخرين يضافان إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض ، فيكون المجموع أربعة أيام.. وليس واردًا أن يكون خلق الرواسى وتقدير الأقوات قد استغرق أربعة أيام..
ولعل الشبهة ـ التى جاءت فى السؤال ـ قد أتت من هنا.. أى من توهم إضافة أربعة إلى اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض ، فيكون المجموع ستة.. وإذا أضيف إليها اليومان اللذان خلقت فيهما السماء (فقضاهن سبع سموات فى يومين (يكون المجموع ثمانية أيام ، وليس ستة أيام.. لكن إزالة هذه الشبهة متحققة بإزالة هذا الوهم.. فالأرض خلقت فى يومين.. وخلق الرواسى وتقدير الأقوات قد استغرق ما تمم اليومين أربعة أيام.. أى استغرق هو الآخر يومين.. ثم استغرق خلق السموات السبع يومين.. فكان المجموع ستة أيام من أيام الله ، سبحانه وتعالى..

ولقد نبه المفسرون على هذه الحقيقة ـ المزيلة لهذا الوهم ـ فقال القرطبى: " (فى أربعة أيام (. ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام وإلى الكوفة فى خمسة عشر يومًا ، أى فى تتمة خمسة عشر يومًا " (١٣).
وقال الزمخشرى:
" (فى أربعة أيام (فذلكة (١٤) لمدة خلق الله الأرض وما فيها ، كأنه قال: كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان.. وقال الزجاج: فى تتمة أربعة أيام ، يريد بالتتمة اليومين " (١٥).
فهذه الآيات ـ من سورة فصلت ـ تؤكد هى الأخرى ـ على أن خلق السموات والأرض إنما تم فى ستة أيام.. ومن ثم فلا تناقض بين آيات القرآن ولا تفاوت فى مدة الخلق الإلهى للسموات والأرض.. وحاشا أن يكون شىء من ذلك فى الذكر الحكيم.
(١) الأعراف: ٥٤ ، يونس: ٣.
(٢) هود: ٧.
(٣) الفرقان: ٥٩.
(٤) السجدة: ٤.
(٥) ق: ٣٨.
(٦) الحديد: ٤.
(٧) البقرة: ٢٥٩.
(٨) الكهف: ١٩.
(٩) الكهف: ٢٥ـ٢٦.
(١٠) طه: ١٠٢ـ١٠٤.
(١١) الحج: ٤٧.
(١٢) فصلت: ٩ـ١٢.
(١٣) [الجامع لأحكام القرآن] ج١٥ ص ٣٤٣ ـ مصدر سابق.
(١٤) الفذلكة: جملة ما فصل وخلاصته.
(١٥) [الكشاف] ج٣ ص ٤٤٤ ـ مصدر سابق.

٧٠ـ حول خلاف القرآن للكتاب المقدس فى أسماء بعض الشخصيات التاريخية

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يعطى القرآن أسماء لبعض الشخصيات التاريخية مخالفة لأسمائهم حسب الكتاب المقدس الذى سبق القرآن بعدة قرون. فمثلاً والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان اسمهم Teral أو " تارح " ، ومع ذلك يسميه القرآن آزر. واسم الذى كان يوسف ـ عليه السلام ـ فى بيته Potiphar أما الاسم المعطى له فى القرآن فهو " عزيز " [يوسف: ٣٠].(انتهى).

الرد على الشبهة:

أولاً: لا يصح أن نجعل من الكتاب المقدس حجة على القرآن ومرجعية له.. لأن الثابت ـ حتى فى الدراسات التى قام بها كثير من علماء اليهود والنصارى أن هذا الكتاب المقدس قد أعيدت كتابته ، وأصابه التحريف..
كما أن ترجماته قد أدخلت عليه تغييرات وتصحيفات وخاصة فى أسماء الأماكن والأشخاص..
وثانيًا: لأن القرآن قد تمتع بمستوى من الحفظ والتوثيق والتواتر فى النقل جعله الوحى الوحيد الصحيح على ظهر هذا الكوكب الذى نعيش عليه.. فهو الحاكم والمرجع لكل ما عداه من النصوص الدينية الأخرى..
وفى هذا الإطار.. ومن هذا المنطلق نناقش الشبهات التى يثيرها هذا السؤال.. فنقول:
* بالنسبة لاسم والد الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا تختلف معظم المصادر الإسلامية ـ سواء منها تفاسير القرآن ، أو قصص الأنبياء على أن " آزر " ليس اسم والد إبراهيم.. وعلى أن اسمه " تارح " ومن العلماء من يرى أن " آزر " اسم صنم ، وأن الآية خطاب استنكارى لعبادة والد إبراهيم لهذا الصنم ، تقدم المفعول فى هذا الخطاب.. والمعنى أتتخذ آزر إلها ومعبودًا ؟..
ومن العلماء من يرى أن " آزر " لقب أطلق على " تارح " بعد أن عمل فى حاشية الملك الذى كان حاكمًا فى ذلك التاريخ..
ونحن نقرأ ـ حول هذه القضية ـ فى تفسير القرطبى:
" قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) تكلَّم العلماء فى هذا ، فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجوينى الشافعى الأشعرى فى النكت من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف فى أن اسم والد إبراهيم تارح. والذى فى القرآن يدل على أن اسمه آزر.. وقيل: آزر اسم صنم كأنه قال: وإذا قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلها ، أتتخذ أصنامًا آلهة..
قلتُ ـ [أى القرطبى] ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق. فقد قال محمد بن إسحاق والكلبى والضحاك:
إن آزر أبو إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو تارح ، مثل إسرائيل ويعقوب. قلتُ: فيكون له اسمان. وقال مقاتل: آزر لقب ، وتارح اسم. وحكاه الثعلبى عن ابن إسحاق القشيرى. ويجوز أن يكون العكس.. وقال الجوهرى: آزر اسم أعجمى ، وهو مشتق من آزر فلان فلانًا إذا عاونه ، فهو مؤازرٌ قومه على عبادة الأصنام.. وقال مجاهد ويمانٍ: آزر اسم صنم ، أى أتتخذ آزر إلها. أتتخذ أصنامًا.. وقال الثعلبى فى كتاب العرائس: إن اسم أبى إبراهيم الذى سماه به أبوه تارح ، فلما صار مع النمرود قيِّمًا على خزانة آلهته سماه آزر. وقال مجاهد إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم ، وهو إبراهيم ابن تارح بن ناخور بن ساروع ابن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ " (١).
ونفس التفسيرات الموضحة لهذه الشبهة نجدها فى [قصص الأنبياء]:
" قال السيد المرتضى الزبيدى ـ فى " ص ١٢ ج٢ تاج العروس ": روى عن مجاهد فى قوله تعالى:

(آزر أتتخذ أصنامًا) قال: لم يكن بأبيه ، ولكن آزر اسم صنم ، فموضعه نَصْبٌ على إضمار الفعل والتلاوة كأنه قال: " وإذ قال إبراهيم أتتخذ آزر إلها ، أى أتتخذ أصنامًا آلهة ".

وقال الصغانى: " التقدير أتتخذ آزر إلها ".

وقد نقل شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا عبارة تاج العروس السابقة فى أول كتابه " تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبى ".

وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى الأقوال عندى بالقبول. وعلى ذلك يكون والد إبراهيم لم يذكر باسم العَلَمى فى القرآن الكريم. ومما يستأنس له بأن " آزر " اسم إله أننا نجد فى الآلهة القديمة عند المصريين الإله " أوزوريس " ومعناه الإله القوى المعين ، وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضًا فى أسماء الآلهة.. " (٢).

فليست هناك مشكلة ، إذن ، حول هذا الموضوع.

أما الشبهة الثانية فى هذا السؤال ، والخاصة باسم الذى اشترى وآوى يوسف ـ عليه السلام ـ فى بيته ، والذى أطلق عليه القرآن الكريم اسم " عزيز " بينما سماه الكتاب المقدس Potiphar.. فإنها لا تمثل ، هى الأخرى ، مشكلة من المشكلات.

ذلك أن منصب هذا الذى آوى يوسف كان " رئاسة الشرطة ".. واسمه " فوطيفار ".. ولقبه " العزيز " فلا تناقض بين أسماء التعريف به هذه.. ولقد تناولت ذلك المصادر الإسلامية.. ففى [قصص الأنبياء]:

" وكان سيده رئيس شرطة المدينة ، واسمه " فوطيفار " ، ويعبر عن منصبه فى العبرية بـ " سرها طباحيم " ، أى رئيس الشرطة.. " (٣).

وفى تفسير القرطبى:

" قال الضحاك: هذا الذى اشتراه ملك مصر ، ولقبه العزيز.. واسمه قطفير. وقال ابن إسحاق: إطفير.

اشتراه لامرأته.. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر.. وكان هذا العزيز الذى اشترى يوسف على خزائن الملك.. " (٤).

أما الخلافات والاختلافات الطفيفة فى نطق الاسم فهى واردة ، بسبب النقل من لغة إلى لغة.. ومن لهجة إلى لهجة.. وبسبب النسخ للمخطوطات. والتصحيف والتحريف.. فلا مشكلة.. ، إذن ، حول هذه الأسماء.

(١) [الجامع لأحكام القرآن] ج٧ ص ٢٢ ، ٢٣ ـ مصدر سابق.

(٢) [قصص الأنبياء] ص ٧٢ ـ مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٢.

(٤) [الجامع لأحكام القرآن] ج٩ ص ١٥٨ ـ مصدر سابق ـ.

٧١ـ حول تسمية القرآن الكريم مريم " أخت هارون " واختلافه فى ذلك مع الكتاب المقدس

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يسمى القرآن والدة المسيح ـ عليه السلام ـ باسم " أخت هارون " [مريم: ٢٨] ولعل محمدًا صلى الله عليه وسلم ، خلط بين مريم أم المسيح ، ومريم أخرى كانت أختًا لهارون الذى كان أخًا لموسى ـ عليه السلام ـ ومعاصرًا له ، ولا يوجد مثل هذا التناقض فى الكتاب المقدس. (انتهى).

الرد على الشبهة:
يتحدث القرآن الكريم عن مريم ـ أم المسيح ـ عليهما السلام ـ ، باسم " أخت هارون ".. وذلك فى سورة مريم ، فيقول مخاطبًا إياها فى الآية: ٢٨: (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ وما كانت أمك بغيًّا (.. وليس لهذه التسمية ذكر فى الإنجيل.
بل الثابت ـ فى القرآن والأناجيل ـ أن مريم هى ابنة عمران (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) (١).
وعمران هذا هو من نسل داود ـ عليه السلام ـ أى من سبط ونسل " يهوذا " ، وليس من سبط ونسل " هارون " سبط " اللاويين " فكيف دعاها القرآن " أخت هارون " ؟.
هذا هو التساؤل والاعتراض الذى يورده البعض شبهة على القرآن الكريم.. والحقيقة التى تفهم من السياق القرآنى ، أن تسمية مريم بـ " أخت هارون " ، ليست تسمية قرآنية وإنما هى حكاية لما قاله قومها لها ، وما خاطبوها ونادوها به عندما حملت بعيسى ـ عليه السلام ـ عندما استنكروا ذلك الحمل ، واتهموها فى عرضها وشرفها وعفافها.. فقالوا لها: (يا مريم لقد جئت شيئًا فريًّا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْء وما كانت أمك بغيًا) (٢).
فلماذا نسبها قومها إلى هارون ؟.
يختلف المفسرون فى التعليل.. فمنهم من يقول إن هارون ـ المشار إليه ـ كان رجلاً فاسقًا، اشتهر بفسقه، فنسبها قومها إليه، إعلانًا عن إدانتهم لها.
ومن المفسرين من يقول إن هارون هذا كان رجلاً صالحًا ، مشهورًا بالصلاح والعفة.. فنسبها قومها إليه سخرية منها ، وتهكمًا عليها ، وتعريضًا بما فعلت ، واستهزاء بدعواها الصلاح والتقوى والتبتل فى العبادة بينما هى ـ فى زعمهم ـ قد حملت سفاحًا..
وقيل: إنه كان لها أخ من أبيها اسمه هارون وكان من عُبّاد وصلحاء بنى إسرائيل ـ فنسبوها إليه ـ.. واسم هارون من الأسماء الشائعة فى بنى إسرائيل (٣).
والشاهد ـ من كل ذلك ـ أن هذه التسمية لمريم بـ " أخت هارون " ، ليست خبرًا قرآنيًا ، وإنما هى حكاية من القرآن الكريم لما قاله قومها.. وهذه الاحتمالات التى ذكرها المفسرون ، تعليلاً لهذه التسمية هى اجتهادات مستندة إلى تراث من التاريخ والقصص والمأثورات.
(١) التحريم: ١٢.
(٢) مريم: ٢٧، ٢٨.

(٣) انظر فى ذلك [قصص الأنبياء] ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ـ مرجع سابق ـ و [الجامع لأحكام القرآن] ج١١ ص ١٠٠ ، ١٠١ ـ مصدر سابق ـ و [الكشاف] ج٢ ص ٥٠٨ ـ مصدر سابق ـ.

٧٢ـ حول خلاف القرآن للكتاب المقدس فى عصر نمرود

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

حسب قول القرآن والمفسرين ألقى نمرود بإبراهيم فى النار [الأنبياء: ٦٨ـ٦٩] وليس من المعقول أن يكون نمرود حيًّا فى زمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ [الكتاب المقدس ـ سفر التكوين ٨: ١٠ ، ١١ ، ١٠: ٢٢ـ٢٥ ، ١١: ١٣ـ٢٦]. (انتهى).

الرد على الشبهة:

فى قصص القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ مشاهد عديدة.. منها معجزة نجاته من التحريق بالنار ، بعد أن حطم أصنام قومه التى يعبدونها: (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم * وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين) (١).

ويحكى القرآن محجّة إبراهيم للملك ـ فى سورة البقرة: (ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) (٢).

والقرآن الكريم لم يسم الملك الذى حاج إبراهيم فى ربه ؛ لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجّة ، والعبرة منها.. واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر فى المضمون والعِبرة. أما تسمية هذا الملك ـ الذى حاجّه إبراهيم ـ بـ " النّمروذ " والاختلاف فى نطق اسمه. ومدة ملكه.. فجميعها قصص تاريخى ، أورده المفسرون..

فهو غير ملزم للقرآن الكريم (٣).. ومن ثم لا يصح أن يورد ذلك كشبهة تثار ضد القرآن.. فليس لدينا فى التاريخ الموثق والمحقق ما يثبت أو ينفى أن اسم الملك الذى حاجّ إبراهيم الخليل فى ربه هو " النّمروذ ". وإنما هو قصص تاريخى يحتاج إلى تحقيق..

ولقد راجعتُ العهد القديم ، فى المواضع التى جاء ذكرها فى السؤال [سفر التكوين الإصحاح ٨: ١٠ ، ١١ والإصحاح ١٠: ٢٢ـ٢٥ والإصحاح ١١: ١٣ـ٢٦] وهى تحكى عن قبائل نوح ، ومواليد ابنه سام ، فلم أجد فيها ذكر الملك " النّمروذ ".

وفى [دائرة المعارف الإسلامية] التى كتبها المستشرقون ـ وقد حرر مادة " إبراهيم " فيها " ج. إيزبرغ " ـ يأتى ذكر الملك نمروذ فى قصة إبراهيم دون اعتراض..

وفى أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمروذ ـ منها [دلالة الحائرين ـ لموسى بن ميمون ـ الفصل ٢٩].. ومنها " سفر هياشار " فصل نوح..

وتأتى الإشارة إلى " نمرود " الملك فى سفر التكوين ـ بالعهد القديم ـ الإصحاح ١٠: ٨ـ١١ باعتباره " الذى ابتدأ يكون جبارًا فى الأرض "..
وبه كان يُضرب المثل فى التجبر.. " وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكدّ وكلنة من أرض شنغار. من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى.. " إلخ.. إلخ..
وأخيرًا.. فليس هناك ما يمنع تكرار لاسم " نمروذ " لأكثر من ملك فى أكثر من عصر وتاريخ.. ويبقى أن الشبهة ـ إذا كانت هناك شبهة ـ خاصة بالقصص التاريخى.. ولا علاقة لها بالقرآن الكريم..
(١) الأنبياء: ٦٨ـ٧٠.
(٢) البقرة: ٢٥٨.
(٣) انظر: القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] ج٣ ص ٢٨٣ـ٢٨٥ ـ مصدر سابق ـ والزمخشرى [الكشاف] ج١ ص ٣٨٧ـ٣٨٩ ـ مصدر سابق ـ.

٧٣ـ حول الإسكندر ذى القرنين.. وهل كان عبدًا صالحًا ؟ أم من عبدة الأوثان ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يمدح القرآن الإسكندر الأكبر (ذو القرنين) كعبد صالح يؤمن بالله [الكهف: ٨٧ـ٨٨]. ولكن جميع مؤرخى الإغريق يجمعون على أنه كان من عبدة الأوثان. فكيف يصح ذلك ؟. (انتهى).

الرد على الشبهة:
فى القرآن الكريم ـ بسورة الكهف: ٨٣ـ٩٨ حكاية ذى القرنين: (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا * إنا مَكّنَّا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببًا) (١) إلى آخر الآيات.
وخلال هذه الآيات يتبدى عدل " ذو القرنين " فيقول: (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرا * وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) (٢).
تلك هى تسمية القرآن الكريم لهذا الملك " ذو القرنين ".
أما أن ذا القرنين هذا هو الإسكندر الأكبر المقدونى [٣٥٦ـ٣٢٤ق.م] فذلك قصص لم يخضع لتحقيق تاريخى.. بل إن المفسرين الذين أوردوا هذا القصص قد شككوا فى صدقه وصحته..
فابن إسحاق [١٥١هـ ٧٦٨م] ـ مثلاً ـ يروى عن " من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذى القرنين " أنه كان من أهل مصر ، وأن اسمه " مرزبان بن مردية اليونانى ".
أما الذى سماه " الإسكندر " فهو ابن هشام [٢١٣هـ ٨٢٨م] ـ الذى لخص وحفظ [السيرة] ـ لابن إسحاق ـ.. وهو يحدد أنه الإسكندر الذى بنى مدينة الإسكندرية ، فنسبت إليه.

وكذلك جاءت الروايات القائلة إن " ذو القرنين " هو الإسكندر المقدونى عن " وهب بـن مُنبِّـه " [٣٤ـ١١٤هـ ٦٥٤ـ٧٣٢م] (٣) وهـو مصـدر لروايـة الكثيـر مـن الإسرائيليات والقصص الخرافى.
ولقد شكك ابن إسحاق ـ وهو الذى تميز بوعى ملحوظ فى تدوين ونقد القصص التاريخى ـ شكك فيما روى من هذا القصص ـ الذى دار حول تسمية ذى القرنين بالإسكندر ، أو غيره من الأسماء.. وشكك أيضًا فى صدق ما نسب للرسول صلى الله عليه وسلم حول هذا الموضوع.. وذلك عندما قال ابن إسحاق:
" فالله أعلم أى ذلك كان ؟.. أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أم لا ؟ ".
ويثنى القرطبى على شك وتشكيك ابن إسحاق هذا ، عندما يورده ، ثم يقول: " والحق ما قال ".. أى أن الحق هو شك وتشكيك ابن إسحاق فى هذا القصص ، الذى لم يخضع للتحقيق والتمحيص وإن يكن موقف ابن إسحاق هذا ، وكذلك القرطبى ، هو لون من التحقيق والتمحيص.
فليس هناك ، إذًا ما يشهد على أن الإسكندر الأكبر المقدونى ـ الملك الوثنى ـ هو ذو القرنين ، العادل ، والموحد لله..
(١) الكهف: ٨٣ـ٨٤.
(٢) الكهف: ٨٧ـ٨٨.
(٣) القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] ج١١ ص ٥٠ ـ مصدر سابق.

٧٣ـ حول غروب الشمس فى عين حمئة ومخالفة ذلك للحقائق العلمية
الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

تغرب الشمس فى عين حمئة ، حسب القرآن [الكهف: ٨٦] وهذا مخالف للعلم الثابت. فكيف يقال إن القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة ؟ (انتهى).

الرد على الشبهة:
فى حكاية القرآن الكريم لنبأ " ذو القرنين " حديث عن أنه إبان رحلته: (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قومًا..) (١).
والعين الحمئة ، هى عين الماء ذات الحمأ ، أى ذات الطين الأسود المنتن.
ولما كان العلم الثابت قد قطعت حقائقه بأن الأرض كروية ، وأنها تدور حول نفسها وحول الشمس ، فإن غروب الشمس ليس اختفاء فى عين أو غير عين ، حمئة أو غير حمئة.. والسؤال: هل هناك تعارض بين حقائق هذا العلم الثابت وبين النص القرآنى ؟.
ليس هناك أدنى تعارض ـ ولا حتى شبهة تعارض ـ بين النص القرآنى وبين الحقائق العلمية.. ذلك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو القرنين ، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس ـ غروبها ـ فى هذه البحيرة ـ العين الحمئة ـ.. وذلك مثل من يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب

الشمس ، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص ـ رويدًا رويدًا ـ فى قلب ماء البحر.

فالحكاية هنا عما يحسبه الرائى غروبًا فى العين الحمئة ، أو فى البحر المحيط.. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس ، وعن ماذا يعنيه العلم فى مسألة الغروب.

وقد نقل القفال ، أبو بكر الشاشى محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر [٤٢٩ـ٥٠٧هـ /١٠٣٧ـ١١١٤م] عن بعض العلماء تفسيرًا لهذه الرؤية ، متسقًا مع الحقيقة العلمية ، فقال: " ليس المراد أنه [أى ذو القرنين] انتهى إلى الشمس مشرقًا ومغربًا حتى وصل إلى جِرْمها ومسَّها.. فهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض ، بل هى أكبر من الأرض أضعافًا مضاعفة. وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة [أى البقاع المعمورة والمأهولة] من جهة المغرب ومن جهة المشرق ، فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة ، كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض ، ولهذا قال: (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سِترا) (٢). ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسّهم وتلاصقهم ، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم.. " (٣).

فالوصف هو لرؤية العين ، وثقافة الرائى.. وليس للحقيقة العلمية الخاصة بالشمس فى علاقتها بالأرض ودورانها ، وحقيقة المعنى العلمى للشروق والغروب.

فلا تناقض بين النص القرآنى وبين الثابت من حقائق العلوم..

(١) الكهف: ٨٦.
(٢) الكهف: ٩٠.
(٣) القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] ج١١ ص ٤٩ ، ٥٠ ـ مصدر سابق ـ.

٧٤ـ حول حفظ الله للذكر وهل الذكر هو كل القرآن ؟ أم بعض القرآن؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

هناك من لا يؤمنون بأن القرآن قد حفظ ، كما تقول الآية الكريمة: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، ويقولون: قد يكون الذكر جزءً ا من القرآن ، وليس كله. ويستدلون بكلام لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بأنه أقسم على أن هناك آية فى القرآن تتحدث عن الرجم ـ وهذه الآية غير موجودة ـ وأن غنمه أكلت ورقة من القرآن كانت بيد عائشة رضى الله عنها (انتهى).

الرد على الشبهة:

وفى الجواب عن هذه الشبهة نسأل:

لماذا بعث الله ـ سبحانه وتعالى ـ الرسل ، وأنزل الكتب ؟.

لقد كان ذلك رعاية من الله لخلقه.. ولطفًا بهم.. وحتى يكون حسابه لهم ـ كى لا يتساوى المحسن والمسيء ـ وجزاؤه إياهم على أفعالهم عدلاً إلهيًا خالصًا.. (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (١) (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) (٢).

(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٣).
وقبل ختم النبوة والرسالة ، كانت مهمة حفظ كتب الرسالات والشرائع موكولة إلى أمم هذه الرسالات كجزء من التكليف لهم والاختبار لاستقامتهم فى هذا التكليف: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنًا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٤).لكنهم فرطوا فى القيام بتكليف الحفظ للكتب بالنسيان حينًا وبالتحريف والإخفاء حينًا آخر: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين * ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون * يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (٥).
وعندما كانوا يحرفون هذه الكتب ، أو ينسون بعضها ويخفون البعض الآخر ، كان الله يبعث رسولاً جديدًا بكتاب جديد..
أما عندما أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ مع بلوغ الإنسانية سن الرشد ـ ختم النبوات والرسالات بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان لابد لحفظ كتاب الشريعة الخاتمة من حافظ لا يجوز عليه الإهمال ، ولا يتأتى منه التحريف ، ولا يليق به النسيان.. أى كان لابد من الحفظ المعصوم الدائم للكتاب المعجز الخالد. لأن ترك حفظ الكتاب الخاتم للبشر ، الذين يجوز عليهم الإهمال والتحريف والنسيان معناه طروء وحدوث التحريف والضياع لهذا الكتاب ، حيث لا وحى سيأتى ولا رسول سيبعث ولا كتاب سينزل..
الأمر الذى لو حدث ـ افتراضًا ـ سيضل الناس ولا رعاية لهم ، ولا حُجة عليهم ، تجعل من حسابهم وجزائهم عدلاً إلهيًا مناسبًا.
ولذلك ، انتقلت مهمة حفظ الوحى الخاتم ـ القرآن الكريم ـ فى الرسالة الخاتمة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى لا يتخلف حفظه أبدًا ، بعد أن كانت هذه المهمة فى الرسالات السابقة ، استحفاظًا من الله للناس ، أى طلبًا منه لهم أن يحفظوا ما أنزل عليهم من الكتاب. فكان الوعد الإلهى المؤكد: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٦).
ولذلك هيأ الله لتدوين القرآن الكريم من كتبة الوحى ما لم يتهيأ لكتاب سابق.. وجعل جمعه وعدًا إلهيًا وإنجازًا ربانيًا: (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه) (٧). فكان الحفظ للقرآن ـ كل القرآن ـ وعدًا إلهيًّا. وإنجازًا ربانيًا ، وذلك حتى تستمر حجة الله على عباده ، ويكون حسابه لهم عدلاً خالصًا.
ولم يقل أحد ، ولا جائز فى العقل ـ فضلاً عن النقل ـ أن يقال: إن الذكر ، الذى تعهد الله بحفظه ، هو بعض القرآن ، وليس كل القرآن.. لأن ضياع أى جزء من القرآن

إنما يعنى تخلف رعاية الله لخلقه ، وسقوط حُجته على عباده.. ثم إن القرآن لا يقف بالحفظ عندما يطلق عليه الذكر ، فضلاً عن أن مصطلح الذكر إنما يشمل كل القرآن.. تشهد على ذلك الآيات الكثيرة فى كتاب الله.. فالمراد بالذكر القرآن.. كل القرآن.. والكتاب.. كل الكتاب ـ وليس بعضه ـ بدليل قول الله سبحانه وتعالى: (فاسألوا أهل الذكر) (٨) ، أى أهل الكتب السابقة.. والله يشير إلى القرآن والتنزيل ـ أى كل ما نزل به الوحى ـ بلفظ الذكر (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) (٩) ، (وقالوا يا أيها الذى نُزل عليه الذكر إنك لمجنون) (١٠) ، (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون) (١١) ، (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) (١٢) ، (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) (١٣) ، (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون * وما هو إلا ذكر للعالمين) (١٤).
والذكر هو كل ما جاء به الوحى ، فالوحى هو الذكر (فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم * وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون) (١٥). بل إن سياق آية (إنا نحن نزلنا الذكر (شاهد على أن الذكر والقرآن والكتاب هو الوحى (آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم)، (وقالوا يا أيها الذى نُزل عليه الذكر إنك لمجنون (، (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١٦).
ثم إن القرآن الكريم يؤكد أن الحفظ ، ونفى الشك والريبة إنما هو لكل القرآن ولجميع التنزيل ، وليس لبعض القرآن: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (١٧) (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) (١٨) (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) (١٩) (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه) (٢٠) (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) (٢١) (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه) (٢٢). (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) (٢٣).. ولو ضاع شىء من هذا الكتاب أى القرآن والتنزيل لحدث التفريط الذى تنفيه هذه الآية ، ولانتفت حجة الله على البشر (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) (٢٤).. فحجة الله على الناس ـ بعد ختم الوحى القرآن الكريم ـ تنتفى وتسقط إذا حدث جهل بشىء مما أنزل فى الكتاب ـ القرآن ـ: (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) (٢٥) ولو أن القرآن ضاع منه شىء لتخلف وعد الله بتنزيل تبيان كل شىء فيه ، لتتم شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته: (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٢٦).
وختم النبوة والرسالة ، يعنى انتفاء بعث رسول جديد ، ونزول كتاب جديد.. وحتى تقوم حُجة الله على عباده لابد من بقاء القرآن كله محفوظًا ، ليكون قيّما على الناس ، أى دائم القيام على هدايتهم وإرشادهم:
(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا) (٢٧).

وإذا كان الكتاب هو كل القرآن ، فلقد وعد الله سبحانه بأن يحفظه ويورثه للذين اصطفاهم من عباده ، بعد أن أنزله على المصطفى من رسله ، وجمعه وقرأه: (والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقًا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير * ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) (٢٨).
ومن صفات القرآن ـ كل القرآن ـ أنه كتاب عزيز ، أى منيع ، محفوظ من العبث به وفيه.. وأنه ممتنع عن الإبطال ، لا يأتيه الباطل من بينه يديه ولا من خلفه ، بأى حال من الأحوال: (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٢٩).
والذكر فى هذه الآية هو كل الكتاب ، العزيز على أى عبث به وفيه..
ومن صفات القرآن ـ كل القرآن ـ أنه كتاب علىّ حكيم ، فوق تطاول المتطاولين ، بشرًا كانوا أو أزمنة ودهورًا: (إن جعلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون * وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) (٣٠).
ومن صفات القرآن ـ كل القرآن ـ أنه فى كتاب مكنون: أى مصون ومحفوظ عن اللعب والعبث والتحريف (إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون) (٣١).
ولقد صدّق التاريخ على هذا الحفظ الإلهى لهذا القرآن المجيد.. ومن يقرأ تاريخ التوراة ـ حتى ذلك الذى كتبه علماء اليهودية ـ يعلم ما أصابها بعد سنوات من نزولها.. وكيف أعيدت كتابة أسفارها على النحو الذى صنعه " عزرا " وغيره من الأحبار ، فى صورة مليئة بالتحريف.. ومن يتأمل تناقضات الأناجيل ـ حتى الشهيرة منها ـ والفروق الجوهرية بينها وبين غير الشهيرة ـ من مثل أناجيل " مخطوطات نجع حمادى " ، و " مخطوطات البحر الميت " ، " إنجيل برنابا " يعلم ما أصاب الإنجيل بعد سنوات معدودة من بعثة المسيح ـ عليه السلام ـ لكن.. ها هو القرآن الكريم كما نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين ، لم يتغير فيه حرف ولا رسم ولا حركة ولا غُنّة ولا مدّ وقد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنًا مرت فيها أمته بأطوار من التراجع والانحطاط ، وفقدت فيها الذاكرة الإسلامية ملايين المخطوطات التى أبادتها غزوات الطغاة ، واندثرت فيها مذاهب وفلسفات.. وظل القرآن الكريم عزيزًا منيعًا محفوظًا بحفظ الله خير الحافظين.. فالتاريخ ـ هو الآخر ـ قد غدا شاهدًا على هذا الحفظ الإلهى لكل القرآن الكريم..
فبرهان العقل ـ المتعلق بختم الرسالة.. وختم الوحى ـ يجعل حفظ القرآن ـ كل القرآن ـ لإقامة الحجة على الناس ـ ضرورة عقلية.
وكذلك النقل المتكرر فى القرآن ـ بلفظ القرآن.. والكتاب.. والتنزيل.. والذكر.. ـ شاهد هو الآخر على الحفظ الإلهى لكل حرف وكل كلمة وكل آية وكل سورة من هذا القرآن الكريم.. فهو وحى الله الخاتم..
تعهد سبحانه وتعالى بجمعه وحفظه ، وحجة خالدة ، كى لا يكون للناس على الله حجة إذا ما ضاع شىء من هذا التنزيل العزيز المنيع الحكيم.
أما بعض المرويات التى يفهم منها البعض شكًا فى حفظ كل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن.. فإن منطق العقل ، ومنهاج البحث العلمى ، وقواعد

نقد النصوص والمرويات ، التى اتفق عليها العلماء والعقلاء من كل الحضارات والفلسفات والأنساق الفكرية.. كلها تؤكد على ضرورة الموازنة بين المتعارض والمتناقض من الروايات.. والأخذ بالمصدر الأوثق عند تعذر الجمع بين المرويات.. فإذا كان لدينا ـ على نحو ما قدمنا ـ شهادة العقل الصريح على أن حفظ القرآن ـ كل القرآن ـ هو ضرورة عقلية ، تقتضيها حقيقة ختم النبوة والرسالة واكتمال الوحى.. وإذا كانت شهادة العقل الصريح هذه مدعومة بنصوص آيات القرآن الكريم ، أى بالمصدر المعجز ، قطعى الدلالة والثبوت.. فهل يكون عاقلاً من يترك شهادة العقل الصريح ، والنقل المعجز الصحيح ، ويلتفت إلى رواية من روايات يعلم الله من رواها ؟ ولماذا رواها ؟.

إن منطق البحث العلمى ، الذى أجمع عليه كل عقلاء الدنيا ، فى التعامل مع النصوص ، قد حسم هذه القضية التى نرجو أن تكون هذه الإجابة حاسمة للشبهة المثارة حولها.. والله من وراء القصد ، منه نلتمس الهداية والحكمة والرشاد..

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) النساء: ١٦٥.

(٤) المائدة: ٤٤.

(٥) المائدة: ١٣ـ١٦.

(٦) الحجر: ٩.

(٧) القيامة: ١٦ـ١٩.

(٨) الأنبياء: ٧.

(٩) الأعراف: ٦٩.

(١٠) الحجر: ٦.

(١١) النحل: ٤٤.

(١٢) الأنبياء: ٥٠.

(١٣) يس: ٦٩.

(١٤) القلم: ٥١ـ٥٢.

(١٥) الزخرف: ٤٣ـ٤٤.

(١٦) الحجر: ١، ٤، ٦، ٩.

(١٧) البقرة: ٢.

(١٨) السجدة: ٢.

(١٩) البقرة: ١٧٦.

(٢٠) آل عمران: ٣.

(٢١) النساء: ١٠٥.

(٢٢) المائدة: ٤٨.

(٢٣) الأنعام: ٣٨.

(٢٤) الأنعام: ١٥٥ـ١٥٧.

(٢٥) الحجر: ٤.

(٢٦) النحل: ٨٩.
(٢٧) الكهف: ١ـ٢.
(٢٨) فاطر: ٣١ـ٣٢.
(٢٩) فصلت: ٤١ـ٤٢.
(٣٠) الزخرف: ٣ـ٤.
(٣١) الواقعة: ٧٧ـ٧٨.

٧٥ـ حول تاريخية أو خلود أحكام القرآن الكريم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

هناك ـ بالنسبة للقرآن الكريم ـ من يعتبرون أنه غير صالح لكل زمان ، وأنه وقتى ، أى أنه جاء لوقت قد مضى ، ولا يتلاءم مع العصر الحالى ، وأنه يجب أن تتغير تفسيراته بما يناسب هذا الوقت. وعلى سبيل المثال:
ـ إرث المرأة (للذكر مثل حظ الأنثيين) يقولون: إن هذه الآية قد جاءت لزمن معين ويجب أن تتغير ، بحيث يتساوى الرجل والمرأة فى الإرث.
ـ وكذلك الأمر بالنسبة لشهادة المرأة حيث يطالبون بمساواة الرجل بالمرأة من حيث الشهادة.. (انتهى).

الرد على الشبهة:
أما القول بتاريخية ـ أو تاريخانية ـ ووقتية أحكام القرآن الكريم.. بمعنى " أنها غير صالحة لكل زمان ".. فإن لنا عليها ملاحظات نسوقها فى عدد من النقاط:
أولها: أن هذه الدعوى ليست جديدة ، فلقد سبق وتبناها فلاسفة التنوير الغربى الوضعى العلمانى ، بالنسبة للتوراة والإنجيل.. فرأوا أن قصصها مجرد رموز ، بل ورأوا أن الدين والتدين إنما يمثل " مرحلة تاريخية " فى عمر التطور الإنسانى ، مثلت مرحلة طفولة العقل البشرى ، ثم تلتها ـ على طريق النضج ـ مرحلة " الميتافيزيقا " ، التى توارت هى الأخرى لحساب المرحلة الوضعية ، التى لا ترى علمًا إلا إذا كان نابعًا من الواقع ، ولا ترى سبلاً للعلم والمعرفة إلا العقل والتجارب الحسية.. وما عدا ذلك ـ من الدين وأحكام شرائعه ـ فهى " إيمان " مَثَّل مرحلة تاريخية على درب التطور العقلى ، ولم يعد صالحًا لعصر العلم الوضعى ـ اللهم إلا لحكم العامة والسيطرة على نزعاتهم وغرائزهم !.
هكذا بدأت وتبلورت نزعة " تاريخية وتاريخانية " النصوص الدينية فى فكر التنوير الغربى العلمانى والنهضة الأوروبية الحديثة..
وإذا كان هذا القول قد جاز ، ووجد له بعض المبررات ـ فى الغرب ـ بالنسبة لكتب رسالات خاصة بقوم بعينهم ـ بنى إسرائيل ـ الذين جاءتهم اليهودية والمسيحية ، ونزلت لهم التوراة والإنجيل ـ.. ولزمان معين..
وبتفاصيل تشريعات ـ وخاصة فى التوراة ـ تجاوزها تطور الواقع ، فإن دعوى تاريخية النص الدينى لا مكان لها ولا ضرورة تستدعيها بالنسبة للقرآن الكريم..

ذلك أن القرآن هو كتاب الشريعة الخاتمة ، والرسالة التى ختمت بها النبوات والرسالات ، فلو طبقنا عليه قاعدة تاريخية النصوص الدينية لحدث " فراغ " فى المرجعية الدينية ، إذ لا رسالة بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا وحى بعد القرآن.. وإذا حدث هذا " الفراغ " فى المرجعية والحجة الإلهية على الناس ، زالت حجة الله على العباد فى الحساب والجزاء ، إذ سيقولون: يا ربنا ، لقد أنزلت علينا كتابًا نسخه التطور ، فماذا كان علينا أن نطبق ، بعد أن تجاوز الواقع المتطور آيات وأحكام الكتاب الذى أنزلته لهدايتنا ؟!.

وثانى هذه النقاط: أن التاريخية والتاريخانية ـ أى وقتية الأحكام ـ لا يقول بها أحد فى أحكام العبادات..

وإنما يقول بها أصحابها فى آيات وأحكام المعاملات. وهم يخطئون إذا ظنوا أن هناك حاجة إليها فى أحكام المعاملات التى جاء بها القرآن الكريم ذلك أن القرآن الكريم ـ فى المعاملات ـ قد وقف عند " فلسفة " و " كليات " و " قواعد " و " نظريات " التشريع ، أكثر مما فصّل فى تشريع المعاملات..

فهو قد فصل فى الأمور الثوابت ، التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، مثل منظومة القيم والأخلاق ، والقواعد الشرعية التى تستنبط منها الأحكام التفصيلية ، والحدود المتعلقة بالحفاظ على المقاصد الكلية للشريعة.. ونزل تفصيل أحكام المعاملات لعلم الفقه ، الذى هو اجتهاد محكوم بثوابت الشريعة الإلهية ، ذلك حتى يظل هذا الفقه ـ فقه المعاملات ـ متطورًا دائمًا وأبدًا ، عبر الزمان والمكان ، ليواكب تغير الواقع ومستجدات الأحداث ، فى إطار كليات الشريعة وقواعدها ومبادئها ، التى تحفظ على أحكامه المتطورة إسلاميتها ، دائمًا وأبدًا..

وهذه " الصيغة الإسلامية " الفريدة التى جاءت بالنص الإلهى الثابت ـ أى الشريعة التى هى وضع إلهى ثابت ـ تحفظ إسلامية وإلهية المرجعية والمصدر دائمًا وأبدًا.. بينما وكلت أمر المتغيرات إلى الفقه المتجدد والمتطور ـ والفقه هو علم الفروع ـ.. هذه " الصيغة الإسلامية " هى التى وازنت بين ثبات النص وتطور التفسير البشرى للنص الإلهى الثابت.. وجمعت بين ثبات " الوضع الإلهى " وتطور " الاجتهاد الفقهى ".. أى جمعت بين ثبات المرجعية والنص ، وبين تطور الاجتهاد الفقهى المواكب لمتغيرات الواقع عبر الزمان والمكان..

ثالث هذه النقاط: تتعلق بالأمثلة التى سيقت وتساق من قبل دعاة تاريخية وتاريخانية النصوص الدينية ، للتدليل على ضرورة تطبيق هذه التاريخانية ـ فى زعمهم ـ على أحكام القرآن الكريم فى المعاملات..

ونحن عندما ننظر فى هذه الأمثلة ـ وهى هنا ـ: " ميراث المرأة وشهادتها " نزداد يقينًا بخطأ دعوى تطبيق هذه التاريخانية على القرآن الكريم ، وعلى الأحكام التشريعية الواردة فيه.. فليس صحيحًا أن توريث المرأة فى الإسلام قد جانب الإنصاف لها ، حتى يكون حكمه صالحًا للزمان الماضى دون الزمان المعاصر والمستقبل.. فالأنثى ـ فى الإسلام ـ لا ترث نصف الذكر دائمًا وأبدًا.. والقرآن لم يقل يوصيكم الله فى الوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين.

وإنما جعل ذلك فى حالة بعينها هى حالة " الأولاد " ، وليس فى مطلق وكل الوارثين: (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) (١). أما عندما كان التقعيد عامًا للميراث فإن القرآن قد استخدم لفظًا عامًا هو لفظ " النصيب " لكل الذكور والإناث على حد سواء: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيبًا مفروضًا) (٢).
ومعايير التفاوت فى أنصبة الميراث لا علاقة لها بالجنس ـ ذكورة أو أنوثة ـ على الإطلاق ـ على غير ما يحسب ويظن الكثيرون ـ إن لم يكن الأكثرون ! وإنما معايير هذا التفاوت ثلاثة:
١ ـ درجة القرابة. فكلما كان الوارث أقرب إلى المورّث زاد نصيبه فى الميراث.
٢ ـ وموقع الجيل الوارث فى تسلسل الأجيال وتلك حكمة إلهية بالغة فى فلسفة الإسلام للميراث ـ وكلما كان الوارث صغيرًا من جيل يستقبل الحياة وأعباءها ، وأمامه المسئوليات المتنامية ، كان نصيبه من الميراث أكبر.. فابن المتوفى يرث أكثر من أب المتوفى ـ وكلاهما ذكر ـ وبنت المتوفى ترث أكثر من أمه ـ وكلتاهما أنثى.. بل إن بنت المتوفى ترث أكثر من أبيه.
٣ ـ والعامل الثالث فى تفاوت أنصبة الميراث هو العبء المالى الذى يتحمله ويكلف به الوارث طبقًا للشريعة الإسلامية.. فإذا اتفقت وتساوت درجة القرابة.. وموقع الجيل الوارث ـ مثل مركز الأولاد ـ أولاد المورث ـ مع تفاوت العبء المالى بين الولد الذكر ـ المكلف بإعالة زوجة وأسرة وأولاد ـ وبين البنت ـ التى سيعولها هى وأولادها زوج ذكر ـ هنا يكون للذكر مثل حظ الأنثيين.. وهو تقسيم ليس فيه أية شبهة لظلم الأنثى..
بل ربما كان فيه تمييز وامتياز لها ، احتياطًا لاستضعافها..
وهذه الحقائق فى المواريث الإسلامية ـ التى يجهلها ويتجاهلها دعاة تاريخية آيات الميراث ـ هى التى جعلت المرأة ـ فى الجداول الإجمالية لحالات الميراث الإسلامى ـ ترث مثل الرجل ، أو أكثر من الرجل ، أو ترث ولا يرث الرجل فى أكثر من ثلاثين حالة من حالات الميراث الإسلامى، بينما هى ترث نصف ما يرث الذكر فى أربع حالات فقط (٣) !.
وكذلك الحال مع " شهادة المرأة ".. ففى الأمور والميادين التى تقل فيها خبرة المرأة عن الرجل ، تكون شهادتها أقل من شهادته.. وحتى لا تهدر شهادتها كلية فى هذه الميادين ، سمح القرآن بشهادتها ، على أن تُدعم بشهادة واحدة من بنات جنسها ، تذكرها بما تنساه من وقائع الشهادة.. أما الميادين التى تختص بالمرأة ، والتى تكون خبرتها فيها أكثر ، فإن شهادتها فيها تكون أعلى ، وأحيانًا ضعف شهادة الرجل.. بل إن شهادتها تعتمد حيث لا تعتمد شهادة الرجل فى بعض هذه الميادين.
والذين يظنون أن آية سورة البقرة: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئًا فإن كان الذى عليه الحق سفيهًا أو ضعيفًا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء

أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم * وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤدِّ الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) (٤).

الذين يظنون أن هذه الآية -٢٨٢- تجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل بإطلاق ، وفى كل الحالات مخطئون وواهمون.. فهذه الآية تتحدث عن دَين خاص.. فى وقت خاص ، يحتاج إلى كاتب خاص ، وإملاء خاص ، وإشهاد خاص..

وهذه الآية - فى نصها - استثناء: (.. إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها).

ثم إنها تستثنى من هذه الحالة الخاصة الإشهاد على البيوع ، فلا تقيدها بما قيدت به حالة هذا الدين الخاص.. ثم إنها تتحدث ، مخاطبة ، لصاحب الدين ، الذى يريد أن يستوثق لدينه الخاص هذا بأعلى درجات الاستيثاق.. ولا تخاطب الحاكم - القاضى - الذى له أن يحكم بالبينة واليمين ، بصرف النظر عن جنس الشاهد وعدد الشهود الذين تقوم بهم البينة.. فللحاكم - القاضى - أن يحكم بشهادة رجلين.. أو امرأتين.. أو رجل وامرأة.. أو رجل واحد.. أو امرأة واحدة.. طالما قامت البينة بهذه الشهادة..

ومن يرد الاستزادة من الفقه الإسلامى فى هذه القضية - التى يجهلها الكثيرون - فعليه أن يرجع إلى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٣-١٣٢٨م] وتلميذه العظيم ابن قيم الجوزية [٦٩١-٧٥١هـ/١٢٦٢-١٣٥٠م] فى كتابه [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] (٥).. ففيه - وفق نص ابن تيمية - أن ماجاء عن شهادة المرأة فى آية سورة البقرة ، ليس حصرًا لطرق الشهادة وطرق الحكم التى يحكم بها الحاكم ، وإنما ذكر لنوعين من البينات فى الطرق التى يحفظ بها الإنسان حقه..

فالآية نصيحة لهم وتعليم وإرشاد لما يحفظون به حقوقهم ، وما تحفظ به الحقوق شىء وما يحكم به الحاكم شىء ، فإن طرق الحكم أوسع من الشاهدين والمرأتين.

ولقد قال الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م] إن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين فيما هو أكثر خبرة فيه ، وأن شهادة المرأة تعدل شهادة رجلين فيما هى أكثر خبرة فيه من الرجل..

فالباب مفتوح أمام الخبرة التى هى معيار درجة الشهادة ، فإذا تخلفت خبرة الرجل فى الميدان تراجع مستوى شهادته فيه.. وإذا تقدمت وزادت خبرة المرأة فى الميدان ارتفع مستوى شهادتها فيه.. وليس هناك فى الفقه الإسلامى تعميم وإطلاق فى هذا الموضوع ، إذ الشهادة سبيل للبينة التى يحكم الحاكم - القاضى - بناء عليها ، بصرف النظر عن جنس الشهود وعددهم.

ولو فقه الداعون إلى تاريخية وتاريخانية آيات الأحكام فى القرآن حقيقة هذه الأحكام التى توهموا الحاجة إلى تجاوزها - فقالوا بتاريخية ووقتية معانى نصوصها القرآنية - لأدركوا أن وقوف النص القرآنى عند كليات وفلسفات وقواعد ونظريات التشريع ،

مع ترك تفصيلات التشريع لاجتهادات الفقهاء ، هو الذى جعل أحكام القرآن الكريم فى المعاملات ـ فضلاً عن العبادات.. والقيم والأخلاق ـ صالحة لكل زمان ومكان ، فكانت شريعته آخر وخاتم الشرائع السماوية ، دونما حاجة إلى هذه " التاريخية " التى استعاروها من الفكر الغربى ، دونما إدراك لخصوصية النص الإسلامى ، وتميز مسيرة الفقه الإسلامى والحضارة الإسلامية.. ولو أنهم فقهوا حقيقة الأمثلة التى توهموها دواعى لهذه التاريخية ـ من مثل ميراث المرأة..
وشهادتها ـ لكفونا مئونة هذا الجهد فى كشف هذه الشبهات!..

(١) النساء: ١١.
(٢) النساء: ٧.
(٣) لمزيد من التفاصيل ، أنظر: د. محمد عمارة [هل الإسلام هو الحل ؟] طبعة دار الشروق. القاهرة ١٩٩٨م. ود. صلاح سلطان [ميراث المرأة وقضية المساواة] طبعة دار نهضة مصر.القاهرة ١٩٩٩م.
(٤) البقرة: ٢٨٢ـ٢٨٣.
(٥) ص ١٠٣ـ١٠٤. تحقيق: د. جميل غازى ، طبعة القاهرة ١٩٧٧م.

٧٦ـجمع القرآن الكريم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

اتخذ المعترضون من وقائع جمع القرآن وليجة يتسللون من خلالها للنيل من القرآن ، وإيقاع التشكيك فى كونه وحيًا من عند الله عز وجل .
والواقع أن الذى ألجأهم إلى التسلل من هذه " الوليجة " وهى وقائع جمع القرآن أمران رئيسيان :
الأول : محاولتهم نزع الثقة عن القرآن وخلخلة الإيمان به حتى لا يظل هو النص الإلهى الوحيد المصون من كل تغيير أو تبديل ، أو زيادة أو نقص .
الثانى : تبرير ما لدى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من نقد وجه إلى الكتاب المقدس بكلا عهديه :
القديم (التوراة) والجديد (الأناجيل) ليقطعوا الطريق على ناقدى الكتاب المقدس من المسلمين ، ومن غير المسلمين .
ومواطن الشبهة عندهم فى وقائع جمع القرآن والمراحل التى مرَّ بها ، هى :
أن القرآن لم يُدوَّن ولم يكتب فى مصحف أو مصاحف كما هو الشأن الآن ، إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أما فى حياته ، فلم يكن مجموعاً فى مصحف . وأن جمعه مرَّ بعدة مراحل :
الأولى : فى خلافة أبى بكر - رضى الله عنه - وهو جمع ابتدائى غير موثق تمام التوثيق كما يزعمون ؟ .
الثانية : فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد كان الجمع فى هذه المرحلة قابلاً لإدخال كثير من الإضافات التى افتقر إليها تدوين القرآن فيما بعد . لأن القرآن لم يكن فيهما مضبوطًا مشكولاً .

الثالثة : الإضافات التى أُلْحِقَتْ بالنص القرآنى وأبرزها :
* نَقْط حروفه لتمييز بعضها من بعض ، مثل تمييز الخاء من الجيم والحاء ، وتمييز الجيم من الخاء والحاء ، وتمييز التاء بوضع نقطتين فوقها عن كل من الياء والباء والنون والثاء .
١- ضبط كلماته بالضم والفتح والكسر والجزم ، مثل : " الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِين " وهذا أمر طارئ على جمع القرآن فى مرحلتيه السابقتين .
٢- علامات الوقف:مثل :ج صلى لا قلى م ٠٠ ٠٠ ٣- وضع الدوائر المرقوم فيها أرقام الآيات فى كل سورة .
إن كل هذه الإضافات لم تكن موجودة فى العصر النبوى ، بل ولا فى عهد الخلفاء الراشدين .
يذكرون هذا كله ليصوروا أن الشبهة التى لوحظت فى جمع المصحف الحاوى للقرآن الكريم ، تزرع الشكوك والريوب (جمع ريب) فى وحدة القرآن واستقراره وسلامته من التحريف . فعلام إذن يصر المسلمون على اتهام التوراة التى بيد اليهود الآن أنها لا تمثل حقيقة التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ؟ أو لماذا يطلقون هذا الوصف على مجموعة " الأناجيل " : التى بيد النصارى الآن ؟ الرد على هذه الشبهة :
إنَّ تأخير تدوين القرآن عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم وجمعه فى مصحف فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، لامساس له مطلقًا بوحدة القرآن وصلة كل كلمة بالوحى الإلهى ؛ لأن القرآن قبل جمعه فى مصاحف كان محفوظًا كما أنزله الله على خاتم المرسلين .
والعرب قبل الإسلام ، وفى صدر الإسلام المبكر كانوا ذوى ملكات فى الحفظ لم يماثلهم فيها شعب أو أمة ، من قبلهم أو معاصرة لهم ، ومن يعرف الكتابة والقراءة فيهم قليلون فكانوا يحفظون عن ظهر قلب ما يريدون حفظه من منثور الكلام ومنظومه .
وروعة نظم القرآن ، ونقاء ألفاظه ، وحلاوة جرسه ، وشرف معانيه ، هذه الخصائص والسمات فاجأت العرب بما لم يكونوا يعرفون ، فوقع من أنفسهم موقع السحر فى شدة تأثيره على العقول والمشاعر ، فاشتد اهتمامهم به ، وبخاصة الذين كانوا من السابقين إلى الإيمان به ، وكانوا يترقبون كل جديد ينزل به الوحى الأمين ، يجمعون بين حفظه والعمل به .
وكان النبى صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه شئ من الوحى يأمر كُتَّاب الوحى بكتابته فورًا ، سماعًا من فمه الطاهر ثم ينشر ما نزل من الوحى بين الناس .
وقد ساعد على سهولة حفظه أمران :
الأول : نزوله (مُنَجَّمًا) أى مفرقًا على مدى ثلاث وعشرين سنة ؛ لأنه لم ينزل دفعة واحدة كما كان الشأن فى الوحى إلى الرسل السابقين .
والسبب فى نزول القرآن مُفَرَّقًا هو ارتباطه بتربية الأمة ، والترقى بها فى مجال التربية طورًا بعد طور ومعالجة ما كان يجد من مشكلات الحياة ، ومواكبة حركة بناء الدعوة من أول شعاع فيها إلى نهاية المطاف .

الثانى : خصائص النظم القرآنى فى صفاء مفرداته ، وإحكام تراكيبه ، والإيقاع الصوتى لأدائه متلوًّا باللسان ، مسموعًا بالآذان ، وما يصاحب ذلك من إمتاع وإقناع ، كل ذلك أضفى على آيات القرآن خاصية الجذب إليه ، والميل الشديد إلى الإقبال عليه ، بحيث يجذب قارئه وسامعه واقعًا فى أسره غير ملولٍ من طول الصحبة معه .
وتؤدى فواصل الآيات فى القرآن دورًا مُهمًّا فى الإحساس بهذه الخصائص . ولنذكر لهذا " مثلاً " من سور القرآن الكريم :
بسم الله الرحمن الرحيم (والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحًا * فأثرن به نقعًا * فوسطن به جمعًا * إن الإنسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد * أفلا يعلم إذا بُعثر ما فى القبور * وحُصل ما فى الصدور * إن ربهم بهم يومئذ لخبير)(١) .
عدد آيات هذه السورة [العاديات] إحدى عشرة آية ، وقد وزعت من حيث الفواصل ، وهى الكلمات الواقعة فى نهايات الآيات ، على أربعة محاور ، هى : الثلاث الآيات الأولى ، وكل فاصلة فيها تنتهى بحرف الحاء : ضبحا قدحا صبحا .
والآيتان الرابعة والخامسة ، كل فاصلة فيهما انتهت بحرف العين : نقعا جَمْعا .
والآيات السادسة والسابعة والثامنة ، انتهت فواصلها بحرف الدال : لكنود لشهيد لشديد .
أما الآيات التاسعة ، والعاشرة ، والحادية عشرة ، فقد انتهت فواصلها بحرف الراء : القبور الصدور لخبير .
مع ملاحظة أن حروف الفواصل فى هذه السورة ماعدا الآيات الثلاث الأولى مسبوقة بحرف " مد " هو " الواو " فى : " لكنود " و " الياء " فى : " لشهيد لشديد " .
ثم " الواو " فى : " القبور الصدور ثم " الياء " فى : " لخبير " وحروف المد تساعد على " تطرية " الصوت وحلاوته فى السمع . لذلك صاحبت حروف المد كلمات " الفواصل " فى القرآن كله تقريبًا ، وأضفت عليها طابعًا غنائيًا من طراز فريد (٢) جذب الإسماع ، وحرك المشاعر للإقبال على القرآن بشدة أسره إياهم عن طريق السماع ، ليكون ذلك وسيلة للإقبال على فقه معانيه ، ثم الإيمان به .
ومن سمات سهولة الحفظ فى هذه السورة أمران :
أنها سورة قصيرة ، حيث لم تتجاوز آياتها إحدى عشرة آية .
قصر آياتها ، فمنها ما تألف من كلمتين ، وهى الآيات الثلاث الأولى . ومنها ما تألف من ثلاث كلمات ، وهى الآيتان الرابعة والخامسة . ومنها ما تألف من أربع كلمات ، وهى الآيات : السادسة والسابعة والثامنة . وآيتان فحسب كلماتها خمس ، وهما العاشرة والحادية عشرة . وآية واحدة كلماتها سبع ، هى الآية التاسعة .
ونظام " عقد المعانى " فى السورة رائع كروعة نظمها . فالآيات الثلاث الأولى قَسَمٌ جليل بِخَيْلِ المجاهدين فى سبيل الله .
والآيتان الرابعة والخامسة استطراد مكمل لمعانى المقسم به ، شدة إغارتها التى تثير غبار الأرض ، وسرعة عَدْوِهَا ومفاجأتها العدوّ فى الإغارة عليه .

ثـم يـأتـى المقسـم عليـه فـى الآيـة السادسـة : " إن الإنسـان لربـه لكنـود " : عـاص لله ، كفور بإنعامه عليه وفى الآية السابعة إلمـاح إلـى علـم الإنسـان بأنـه عـاق لربـه ، شـهيد على كفرانه نعمته .
وفى الآية الثامنة تقبيح لمعصية الإنسان لربه ، وإيثار حطام الدنيا على شكر المنعم .
أما الآيات الثلاث الأخيرة من (٩) إلى (١١) فهى إنذار للإنسان الكفور بنعم ربه إليه .
وهذه السمات ، ليست وقفًا كلها على سورة " والعاديات " بل هى مع غيرها ، سمات عامة للقرآن كله ، وبهذا صار القرآن سهل الحفظ لمن حاوله وصدق فى طلبه وسلك الطريق الحق الموصل إليه (٣) إن الحفظ كان العلاقة الأولى بين المسلمين وبين كتاب ربهم وكان الحفظ له وسيلة واحدة ضرورية يعتمد عليها ، هى السماع . وهكذا وصل إلينا القرآن ، من بداية نزوله إلى نهايته .
وأول سماع فى حفظ القرآن كان من جبريل عليه السلام الذى وصفه الله بالأمين .
وأول سامع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمع القرآن كله مرات من جبريل .
وثانى مُسَمِّع كان هو عليه الصلاة والسلام بعد سماعه القرآن من جبريل .
أما ثانى سامع للقرآن فهم كُتَّابُ الوحى ، سمعوه من النبى عليه الصلاة والسلام فور سماعه القرآن من جبريل ؛ لأنـه كـان إذا نـزل الـوحى ، وفـرغ مـن تلقـى مـا أنزلـه الله إليه دعا كُتَّابَ الوحى فأملى على مسامعهم ما نزل فيقومون بكتابته على الفور .
ثم يشيع عن طريق السماع لا الكتابة ما نزل من القرآن بين المؤمنين ، إما من فم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من أفواه كتاب الوحى .
وقـد يسَّـر الله تعـالى لحفـظ القـرآن واسـتمرار حفظـه كمـا أنزلـه لله ، أوثـق الطـرق وأعلاها قدرًا فكان صلى الله عليه وسلم يقرؤه على جبريل فى كل عام مرة فى شـهر رمضان المعظم . ثم فى العام الذى لقى فيه ربه تَمَّ عرض القرآن تلاوة علـى جبريـل مرتين . زيادة فى التثبت والتوثيق .
وفى هذه الفترة (فترة حياة النبى) لم يكن للقراء مرجع سوى المحفوظ فى صدر النبى عليه الصلاة والسلام ، وهو الأصل الذى يُرجع إليه عند التنازع ، أما ما كـان مكتوبًـا فى الرقاع والورق فلم يكن مما يرجع إليه الناس ، مع صحته وصوابه .
وكذلك فى عهدى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كان الاعتماد على الحفظ فى الصدور هو المعول عليه دون الكتابة ؛ لأنها كانت مفرقة ، ولم تكن مجموعة .
وكانـت حظـوظ الصـحابة ، مـن حفظ القرآن متفاوتـة ، فكـان مـنهم مـن يحفـظ القـدر اليسـير ، ومـنهم مـن يحفظ القدر الكثير ، ومـنهم مـن يحفظ القرآن كلـه . وهـم جمـع كثيـرون مـات مـنهم فـى موقعـة اليمامـة فـى خلافـة أبـى بكـر سبعون حافظًـا للقـرآن ، وكانوا يسمون حفظة القرآن ب " القُرَّاء " .
ولا يقـدح فـى ذلـك أن بعـض الروايـات تـذهب إلـى أن الـذين حفظـوا القـرآن كلـه مـن الصـحابة كـانوا أربعـة أو سـبعة ، وقـد وردت بعـض هـذه الروايـات فـى صـحيحى البخـارى ومسلم لأن مـا ورد فيهمـا لـه توجيـه خـاص ، هـو أنهـم حفظـوا القـرآن كلـه

وعرضوا حفظهم على رسول الله تلاوة عليه فأقرهم على حفظهم ، وليس معناه أنهم هم الوحيدون الذين حفظوا القرآن من الصحابة (٤) .

أول جمع للقرآن الكريم لم يجمع القرآن فى مصحف فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وكان حفظه كما أنزل الله فى الصدور هو المتبع .

وفى هذه الأثناء كان القرآن مكتوبًا فى رقاع متفرقًا . هذه الرقاع وغيرها التى كتب فيها القرآن إملاء من فم النبى صلى الله عليه وسلم ، ظلت كما هى لم يطرأ عليها أى تغيير من أى نوع .

ولما قتل سبعون رجلاً من حُفَّاظِه دعت الحاجة إلى جمع ما كتب مفرقًا فى مصحف واحد فى منتصف خلافة أبى بكر باقتراح من عمر رضى الله عنهما .

وبعد وفاة أبى بكر تسلم المصحف عمر بن الخطاب ، وبعد وفاته ظل المصحف فى حوزة ابنته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها (٥) .

وفى هذه الفترة كان حفظ القرآن فى الصدور هو المتبع كذلك .

وانضم إلى حُفَّاظه من الصحابة بعد انتقال النبى عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ، التابعون من الطبقة الأولى ، وكانت علاقتهم بكتاب الله هى الحفظ بتفاوت حظوظهم فيه قلة وكثرة ، وحفظًا للقرآن كله ، وممن اشتهر منهم بحفظ القرآن كله التابعى الكبير الحسن البصرى رضى الله عنه وآخرون .

كان هذا أول جمع للقرآن ، والذى تم فيه هو جمع الوثائق التى كتبها كتبة الوحى فى حضرة رسول الله ، بمعنى تنسيق وثائق كل سورة مرتبة آياتها على نسق نزولها ، ولا معنى لهذا الجمع إلا ما ذكرناه ، وإطلاق وصف المصحف عليه إطلاق مجازى صرف . والقصد منه أن يكون مرجعًا موثوقًا به عند اختلاف الحفاظ .

ومما يجب التنبيه إليه مرات أن الجمع فى هذه المرحلة لم يضف شيئًا أو يحذفه من تلك الوثائق الخطية ، التى تم تدوينها فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام إملاءً منه على كتبة وحيه الأمناء الصادقين .

مرحلة الجمع الثانية (٦) كانت هذه المرحلة فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان حافظًا للقرآن كله كما ورد فى الروايات الصحيحة . والسبب الرئيسى فى اللجوء إلى هذا الجمع فى هذه المرحلة هو اختلاف الناس وتعصبهم لبعض القراءات ، إلى حد الافتخار بقراءة على قراءة أخرى ، وشيوع بعض القراءات غير الصحيحة وهذا ما حمل حذيفة بن اليمان على أن يفزع إلى أمير المؤمنين عثمان ابن عفان ، ويهيب به أن يدرك الأمة قبل أن تتفرق حول القرآن كما تفرق اليهود والنصارى حول أسفارهم المقدسة . فنهض رضى الله عنه للقيام بجمع القرآن فى " مصحف " يجمع الناس حول أداء واحد متضمنًا الصلاحية للقراءات الأخرى الصحيحة ، وندب لهذه المهمة الجليلة رجلاً من الأنصار (زيد بن ثابت) وثلاثة من قريش : عبد الله بن الزبير ، سعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وزيد بن ثابت هذا كان هو رئيس الفريق الذى ندبه عثمان رضى الله عنه لهذه المهمة الجليلة؛ لأنه أى زيد بن ثابت قد تحققت فيه مؤهلات أربعة للقيام بهذه المسئولية وهى :

كان من كتبة الوحى فى الفترة المدنية .

كان حافظًا متقنًا للقرآن سماعًا مباشرًا من فم رسول الله .
كان هو الوحيد الذى حضر العرضة الأخيرة للقرآن من النبى عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كان هو الذى جمع القرآن فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .
منهج الجمع فى هذه المرحلة وقد تم الجمع فى هذه المرحلة على منهج دقيق وحكيم للغاية قوامه أمران :
الأول : المصحف الذى تم تنسيقه فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وقد تقدم أن مكوّنات هذا المصحف هى الوثائق الخطية التى سجلها كتبة الوحى فى حضرة النبى عليه صلى الله عليه وسلم سماعًا مباشرًا منه .
فكان لا يُقبل شئ فى مرحلة الجمع الثانى ليس له وجود فى تلك الوثائق التى أقرها النبى عليه الصلاة والسلام .
الثانى : أن تكون الآية أو الآيات محفوظة حفظًا مطابقًا لما فى مصحف أبى بكر عند رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأقل . فلا يكفى حفظ الرجل الواحد ، ولا يكفى وجودها فى مصحف أبى بكر ، بل لابد من الأمرين معًا :
١- وجودها فى مصحف أبى بكر .
٢- ثم سماعها من حافظين ، أى شاهدين ، وقد استثنى من هذا الشرط أبو خزيمة الأنصارى ، حيث قام حفظه مقام حفظ رجلين فى آية واحدة لم توجد محفوظة إلا عند أبى خزيمة ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين عدلين .
قام هذا الفريق ، وفق هذا المنهج المحكم ، بنسخ القرآن ،لأول مرة ، فى مصحف واحد ، وقد أجمع عليه جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعارض عثمان منهم أحدًا ، حتى عبد الله بن مسعود ، وكان له مصحف خاص كتبه لنفسه ، لم يعترض على المصحف "الجماعى" الذى دعا إلى كتابته عثمان رضى الله عنه ، ثم تلقت الأمة هذا العمل الجليل بالرضا والقبول ، فى جميع الأقطار والعصور ونسخ من مصحف عثمان ، الذى سمى " المصحف الإمام " بضعة مصاحف ، أرسل كل مصحف منها إلى قطر من أقطار الإسلام ، مثل الكوفة والح جاز ، وبقى المصحف الأم فى حوزة عثمان رضى الله عنه ، ثم عمد عثمان إلى كل ماعدا " المصحف الإمام " من مصاحف الأفراد المخالفة أدنى مخالفة للمصحف الإمام ، ومنها مصحف الصحابى الجليل ابن مسعود وأمر بحرقها أو استبعادها ؛ لأنها كانت تحتوى على قراءات غير صحيحة ، وبعضها كان يُدخل بعض عبارات تفسيرية فى صلب الآيات أو فى أواخرها .
الفرق بين الجمعين من نافلة القول ، أن نعيد ما سبق ذكره ، من أن أصل الجمعين اللذين حدثا فى خلافتى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما كان واحدًا ، هو الوثائق الخطية التى حررت فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم إملاءً من فمه الطاهر على كتبة الوحى ، ثم تلاوتهاعليه وإقرارها كما تليت عليه هذه الوثائق لم تدخل عليها أية تعديلات ، وهى التى نراها الآن فى المصحف الشريف المتداول بين المسلمين .

وكان الهدف من الجمع الأول فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه هو جمع تلك الوثائق المتفرقة فى مكان واحد منسقة السور والآيات ، دون نقلها فى مصحف حقيقى جامع لها . فهذا الجمع بلغة العصر مشروع جمع لا جمع حقيقى فى الواقع .
ولهذا عبَّر عنه أحد العلماء بأنه أشبه ما يكون بأوراق وجدت متفرقة فى بيت النبى فربطت بخيط واحد ، مانع لها من التفرق مرة أخرى .
أما الجمع فى خلافة عثمان رضى الله عنه فكان نسخًا ونقلاً لما فى الوثائق الخطية ، التى حررت فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام وأقرها بعد تلاوتها عليه ، وجمعها فى مصحف واحد فى مكان واحد . وإذا شبهنا الوثائق الأولى بقصاصات ورقية مسطر عليها كلام ، كان الجمع فى خلافة عثمان هو نسخ ذلك الكلام المفرق فى القصاصات فى دفتر واحد .
أما الهدف من الجمع فى خلافة عثمان فكان من أجل الأمور الآتية :
١- توحيد المصحف الجماعى واستبعاد مصاحف الأفراد لأنها لم تسلم من الخلل . وقد تم ذلك على خير وجه .
٢- القضاء على القراءات غير الصحيحة ، وجمع الناس على القراءات الصحيحة ، التى قرأ بها النبى عليه الصلاة والسلام فى العرضة الأخيرة على جبريل فى العام الذى توفى فيه .
٣- حماية الأمة من التفرق حول كتاب ربها . والقضاء على التعصب لقراءة بعض القراء على قراءة قراء آخرين .
وفى جميع الأزمنة فإن القرآن يؤخذ سماعًا من حُفَّاظ مجودين متقنين ، ولا يؤخذ عن طريق القراءة من المصحف ؛ لإن الحفظ من المصحف عرضة لكثير من الأخطاء ، فالسماع هو الأصل فى تلقى القرآن وحفظه . لأن اللسان يحكى ما تسمعه الأذن ، لذلك نزل القرآن ملفوظًا ليسمع ولم ينزل مطبوعًا ليُقرأ فالفرق بين الجمعين حاصل من وجهين :
الوجه الأول : جمع أبى بكر رضى الله عنه كان تنسيقًا للوثائق الخطية التى حررت فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام على صورتها الأولى حسب ترتيب النزول سورًا وآيات .
وجمع عثمان رضى الله عنه كان نقلاً جديدًا لما هو مسطور فى الوثائق الخطية فى كتاب جديد ، أطلق عليه " المصحف الإمام " .
أما الوجه الثانى فهو من حيث الهدف من الجمع وهو فى جمع أبى بكر كان حفظ الوثائق النبوية المفرقة فى نسق واحد مضمومًا بعضها إلى بعض ، منسقة فيه السور والآيات كما هى فى الوثائق ، لتكون مرجعًا حافظًا لآيات الذكر الحكيم .
وهو فى جمع عثمان ، جمع الأمة على القراءات الصحيحة التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم فى العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام .
أما المتون (النصوص) التى نزل بها الوحى الأمين فظلت على صورتها الأولى ، التى حررت بها فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام .
فالجمعان البكرى والعثمانى لم يُدْخِلا على رسم الآيات ولا نطقها أى تعديل أو تغيير أو تبديل ، وفى كل الأماكن والعصور واكب حفظ القرآن تدوينه فى المصاحف ،

وبقى السماع هو الوسيلة الوحيدة لحفظ القرآن على مدى العصور حتى الآن وإلى يوم الدين.

فذلكة سريعة :

العرض الذى قدمناه لتدوين القرآن يظهر من خلاله الحقائق الآتية :

١- إن تدوين متون القرآن (نصوصه) تم منذ فجر أول سورة نزلت بل أول آية من القرآن ، وكان كلما نزل نجم من القرآن أملاه عليه الصلاة والسلام على كاتب الوحى فدونه سماعًا منه لتوه ، ولم يلق عليه الصلاة والسلام ربه إلا والقرآن كله مدون فى الرقاع وما أشبهها من وسائل التسجيل . وهذا هو الجمع الأول للقرآن وإن لم يذكر فى كتب المصنفين إلا نادرًا .

٢- إن هذا التدوين أو الجمع المبكر للقرآن كان وما يزال هو الأصل الثابت الذى قامت على أساسه كل المصاحف فيما بعد ، حتى عصرنا الحالى .

- إن الفترة النبوية التى سبقت جمع القرآن فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، لم تكن فترة إهمال للقرآن ، كما يزعم بعض خصوم القرآن من المبشرين والمستشرقين والملحدين بل العكس هو الصحيح ، كانت فترة عناية شديدة بالقرآن (٧) . اعتمدوا فيها على ركيزتين بالغتى الأهمية :

الأولى : السماع من الحفظة المتقنين لحفظ القرآن وتلاوته .

الثانية : الحفظ المتقن فى الصدور .

والسماع والحفظ هما أقدم الوسائل لحفظ وتلاوة كتاب الله العزيز . وسيظلان هكذا إلى يوم الدين .

- إن القرآن منذ أول آية نزلت منه ، حتى اكتمل وحيه لم تمر عليه لحظة وهو غائب عن المسلمين ، أو المسلمون غائبون عنه ، بل كان ملازمًا لهم ملازمة الروح للجسد .

إن تاريخ القرآن واضح كل الوضوح ، ومعروف كل المعرفة ، لم تمر عليه فترات غموض ، أو فترات اضطراب ، كما هو الشأن فى عهدى الكتاب المقدس (٨) التوراة والإنجيل . وما خضعا له من أوضاع لا يمكن قياسها على تاريخ القرآن ، فليس لخصوم القرآن أى سبب معقول أو مقبول فى اتخاذهم مراحل جمع القرآن منافذ للطعن فيه ، أو مبررًا يبررون به ما اعترى كتابهم المقدس من آفات تاريخية ، وغموض شديد الإعتام صاحب وما يزال يصاحب ، واقعيات التوراة والأناجيل نشأة ، وتدوينًا ، واختلافًا واسع المدى ، فى الجوهر والأعراض التى قامت به .

وقد بقى علينا من عناصر شبهاتهم حول جمع القرآن ومراحله ما سبقت الإشارة إليه من قبل ، وهى : النقط والضبط وعلامات الوقف .

المراد بالنَقْط هو وضع النُّقط فوق الحروف أو تحتها مثل نقطة النون ونقطة الباء .

أما الضبط فهو وضع الحركات الأربع : الضمة والفتحة والكسرة والسكون فوق الحروف أو تحتها حسب النطق الصوتى للكلمة . حسبما تقتضيه قواعد النحو والصرف .

أما علامات الوقف فهى كالنقط والضبط توضع فوق نهاية الكلمة التى يجوز الوقف عليها أو وصلها بما بعدها . وهذه الأنواع الثلاثة يُلحظ فيها ملحظان عامَّان :

الأول : أنها لا تمس جسم الكلمة من قريب أو من بعيد ولا تغير من هيكل الرسم العثمانى للكلمات ، بل هى زيادة إضافية خارجة عن " متون " (أصول) الكلمات .
الثانى : أنها كلها أدوات أو علامات اجتلبت لخدمة النص القرآنى ، ولتلاوته صوتيًا تلاوة متقنة أو بعبارة أخرى :
هى وسائل إيضاح اصطلاحية متفق عليها تعين قارئ القرآن على أدائه أداء صوتيًا محكمًا ، وليست هى من عناصر التنزيل ، ولو جرد المصحف منها ما نقص كلام الله شيئًا . وقد كان كتاب الله قبل إدخال هذه العلامات هو هو كتاب الله ، إذن فليست هى تغييرًا أو تبديلاً أو تحريفًا أدخل على كتاب الله فأضاع معالمه ، كما يزعم خصوم القرآن الموتورون .
فالنقط أضيفت إلى رسم المصحف للتمييز بين الحروف المتماثلة كالجيم والحاء والخاء ، والباء والتاء والثاء والنون والسين والشين ، والطاء والظاء والفاء والقاف والعين والغين ، والصاد والضاد .
وقبل إضافة النقط إلى الحروف كان السماع قائماً مقامها ، لأن حفاظ القرآن المتقنين المجوِّدين ليسوا فى حاجة إلى هذه العلامات ، لأنهم يحفظون كتاب ربهم غضًا طريًا كما أنزله الله على خاتم رسله ، أمَّا غير الحفاظ ممن لا يستغنون عن النظر فى المصحف فهذه العلامات النقطية والضبطية والوقفية ترشدهم إلى التلاوة المثلى ، وتقدم لهم خدمات جليلة فى النظر فى المصحف ؛ لأنها كما قلنا من قبل وسائل إيضاح لقراء المصحف الشريف .
فمثلاً نقط الحروف وقاية من الوقوع فى أخطاء لا حصر لها ، ولنأخذ لذلك مثالاً واحدًا هو قوله تعالى : (كمثل جنة بربوة)(٩) .
لو تركت " جنة " بغير نقط ولا ضبط لوقع القارئ غير الحافظ فى أخطاء كثيرة ؛ لأنها تصلح أن تنطق على عدة احتمالات ، مثل : حَبَّة حية حِنَّة خَبَّة جُنة حِتة خيَّة جيَّة حبة جبَّة .
ولكن لما نقطت حروفها ، وضُبطت كلماتها اتضح المراد منها وتحدد تحديدًا دقيقًا ، طاردًا كل الاحتمالات غير المرادة .
وأول من نقط حروف المصحف جماعة من التابعين كان أشهرهم أبوالأسود الدؤلى ، ونصر بن عاصم الليثى ، ويحيى بن يَعْمُر ، والخليل ابن أحمد ، وكلهم من كبار التابعين (١٠) .
والخلاصة : أن نقط حروف الكلمات القرآنية ، وضبط كلمات آياته ليس من التنزيل ، وأنه حدث فى عصر كبار التابعين ، وإلحاق ذلك بالمصحف ليس تحريفًا ولا تعديلاً لكلام القرآن .
وهو من البدع الحسنة وقد أجازه العلماء لأن فيه تيسيرًا على قُرَّاء كتاب الله العزيز ، وإعانة لهم على تلاوته تلاوة متقنة محكمة ، وهو من المصالح المرسلة ، التى سكت الشرع عنها فلم يأمر بها ولم ينه عنها .
وتحقيق المصلحة يقوم مقام الأمر بها ، ووقوع المضرة يقوم مقام النهى عنها .

وهذه سمة من سمات مرونة الشريعة الإسلامية العادلة الرحيمة. أما علامات الوقف فلها أدوار إيجابية فى إرشاد قراء القرآن وتوجيههم إلى كيفية التعامل مع الجمل والتراكيب القرآنية حين تُتلى فى صلاة أو فى غير صلاة .

والواقع أن كل هذه المضافات إلى رسم كلمات المصحف فوق أنها والله سبحانه وتعالى أعلم وسائل إيضاح كما تقدم ، اجتلبت من أجل خدمة النص القرآنى ، تؤدى فى الوقت نفسه خدمة جليلة لمعانى المفردات والتراكيب القرآنية . وقد أشرنا من قبل إلى مهمات النقط فوق أو تحت الحروف ، وعلامات الضبط الأربع : الفتحة والضمة والكسرة والسكون ، فوق أو تحت رسم الكلمات .

ونسوق الآن تمثيلاً سريعًا للمهام الجليلة التى تؤديها علامات الوقف ، التى توضع فوق نهايات الكلمات التى يُوْقَفُ عليها أو لا يُوقف :

قوله تعالى:(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هوصلى ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير)(١١) .

نرى العلامة (صلى) فوق حرف الواو فى كلمة " هو " وهى ترمز إلى أن الوقف على هذه الكلمة " هو " جائز ووصلها بما بعدها وهو " وإن يمسسك " جائز كذلك إلا أن الوصل ، وهو هنا تلاوة الآية كلها دفعة واحدة بلا توقف ، أولى من الوقف .

والسبب فى جواز الوقف والوصل هنا أن كلاً من الكلامين معناه تام يحسن السكوت عليه ، وكذلك يحسن وصله بما بعده لأنهما كلامان بينهما تناسب وثيق ، ومن حيث البناء التركيبى ، هما شرط " إنْ " ، وفِعْلا الشرط فيهما فعل مضارع ، وهما فعل واحد تكرر فى شرطى الكلامين " يمسسك " والفاعل هو " الله " فيهما . الأول اسم ظاهر ، والثانى ضمير عائد عليه ، أما كون الوصل أولى من الوقف ، فلأن التناسب بين الكلامين أقوى من التباين لفظًا ومعنى ، مع ملاحظة أن جواز الوقف يتيح لقارئ القرآن نفحة من راحة الصمت ، ثم يبدأ رحلة التلاوة بعدها وقوله تعالى :(قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل قلى فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا)(١٢) .

علامة الوقف (قلى) موضوعة فوق اللام الثانية من كلمة "قليل" وترمز إلى جواز الوصل والوقف على كلمة " قليل " وأن الوقف عليها أولى من وصلها بما بعدها ، وفى الوقف راحة لنفس القارئ كما تقدم وجواز الوقف لتمام المعنى فى الجزء الأول من الآية .

وجواز الوصل ، فلأن الجزء الثانى من الكلام مفرع ومرتب على الجزء الأول (١٣) .

أما كون الوقف على كلمة " قليل " أولى فى هذه الآية فلأن ما قبلها جملتان خبريتان ، وهما واقعتان مقول القول لقوله تعالى : (قل ربى ..).

أما جملة " فلا تمار فيهم " فهى جملة إنشائية (١٤) فيها نهى عن الجدال فى شأن أهل الكهف كم كان عددهم والكلام الإنشائى مباين للكلام الخبرى . إذن فالكلامان غير متجانسين . هذه واحدة .

أما الثانية فإن " فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا " ، غير داخل فى مقول القول الذى أشرنا إليه قبلاً .

وهذان الملحظان أحدثا تباعدًا ما بين الكلامين لذلك كان الوقف أولى ، إلماحًا إلى ذلك التباين بين الكلامين . والوقف هو القطع بين كلامين بالسكوت لحظة بين نهاية الكلام الأول، وبداية الكلام الثانى ، وله شأن عظيم فى تلاوة القرآن الكريم ، من حيث الألفاظ (الأداء الصوتى) ومن حيث تذوق المعانى وخدمتها ، وقوله تعالى : (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منهج ذلك من آيات الله)(١٥) .

علامة الوقف (ج) موضوعة فوق " الهاء " نهاية كلمة " منه " وترمز إلى جواز الوقف على " منه " وعلى جواز وصله بما بعده " ذلك من آيات الله " وهذا الجواز مستوى الطرفين ، لا يترجح فيه الوقف على الوصل، ولا الوصل على الوقف. وهذا راجع إلى المعنى المدلول عليه بجزئى الكلام ، جزء ما بعد " منه " وجزء ما قبله .

وذلك لأن ما قبل " منه " كلام خبرى لا إنشائى وكذلك ما بعدها " ذلك من آيات الله .. " فهما إذن متجانسان .

والوقف مناسب جدًا لطول الكلام قبل كلمة " منه " وفى الوقف راحة للنفس ، والراحة تساعد على إتقان التلاوة .

والوصل مناسب جدًا من حيث المعنى ؛ لأن قوله تعالى : " ذلك من آيات الله " تركيب واقع موقع " الخبر " عما ذكره الله عز وجل من أوضاع أهل الكهف فى طلوع الشمس وغروبها عنهم .

وقوله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبينلا يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ..)(١٦) .

علامة الوقف (لا) موضوعة على " النون " نهاية كلمة "طيبين" ترمز إلى أن الوقف على " طيبين " ممنوع والسبب فى هذا المنع أن جملة " يقولون " وهى التالية لكلمة "طيبين" حال من " الملائكة " وهم فاعل " تتوفاهم " .

أما " طيبين " فهى حال من الضمير المنصوب على المفعولية للفعل " تتوفاهم " وهو ضمير الجماعة الغائبين " هم " ولو جاز الوقف على " طيبين " لحدث فاصل زمنى بين جملة الحال " يقولون " وبين صاحب الحال " الملائكة " ولم تدع إلى هذا الفعل ضرورة بيانية .

لذلك كان الوقف على " طيبين " ممنوعًا لئلا يؤدى إلى قطع "الحال" وهو وصف ، عن صاحبه " الملائكة " وهو الموصوف . وهذا لا يجوز بلاغة ؛ فمنع الوقف هنا كان سببه الوفاء بحق المعنى ، ومجىء الحال هنا جملة فعلية فعلها مضارع يفيد وقوع الحدث بالحال والاستقبال مراعاة لمقتضى الحال ؛ لأن الملائكة تقول هذا الكلام لمن تتوفاهم من الصالحين فى كل وقت لأن الموت لم ولن يتوقف .

وقوله تعالى : (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولدم له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا)(١٧) .

علامة الوقف (م) موضوعة على حرف الدال من كلمة " ولد " للدلالة على لزوم الوقف على هذه الكلمة " ولد " وامتناع وصلها بما بعدها وهو : " له ما فى السماوات وما فى الأرض " .

وإنما كان الوقف ، هنا لازمًا لأن هذا الوقف سيترتب عليه صحة المعنى وليمتنع إيهام غير صحته أما وصله بما بعده فيترتب عليه إيهام فساد المعنى .
بيان ذلك أن الوصل لو حدث لأوهم أن قوله تعالى : " له ما فى السماوات وما فى الأرض " وصف ل " الولد " المنفى ، أى ليس لله ولد ، له ما فى السماوات والأرض ، وهذا لا يمنع أن يكون لله سبحانه ولد ولكن ليس له ما فى السماوات والأرض ؟! وهذا باطل قطعًا .
أما عندما يقف القارئ على كلمة " ولد " ثم يستأنف التلاوة من " له ما فى السماوات وما فى الأرض " فيمتنع أن يكون هذا الوصف للولد المنفى ، ويتعين أن يكون لله عز وجل ، وهذا ناتج عن قطع التلاوة عند " ولد " أى بالفاصل الزمنى بين تلاوة ما قبل علامة الوقف " لا " وما بعدها حتى آخر الآية .
فأنت ترى أن الوقف هنا يؤدى خدمة جليلة للمعنى المراد من الآية الكريمة . ومثله قوله تعالى :(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهمم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)(١٨) .
علامة الوقف (م) موضوعة فوق الميم من كلمة " همم " للدلالة على لزوم الوقف عليها ، وامتناع وصلها بما بعدها ، وهو " الذين خسروا أنفسهم " .
وسر ذلك اللزوم ؛ أن الوصل يوهم معنى فاسدًا غير مراد ، لأنه سيترتب عليه أن يكون قوله تعالى :
" الذين خسروا أنفسهم " وصفًا ل " أبناءهم " وهذا غير مراد ، بل المراد ما هو أعم من "أبناءهم" وهم الذين خسروا أنفسهم فى كل زمان ومكان . فهو حكم عام فى الذين خسروا أنفسهم ، وليس خاصًا بأبناء الذين آتاهم الله الكتاب .
هذه هى علامات الوقف ، وتلك هى نماذج من المعانى الحكيمة التى تؤديها ، أو جاءت رامزة إليها ، وبقيت حقيقة مهمة ، لابد من الإشارة إليها .
إن خصوم القرآن يعتبرون علامات الوقف تعديلاً أُدْخِل على القرآن ، بعد عصر النزول وعصر الخلفاء الراشدين .
وهذا وهم كبير وقعوا فيه ، لأن هذه العلامات وغيرها ليست هى التى أوجدت المعانى التى أشرنا إلى نماذج منها ، فهذه المعانى التى يدل عليها الوقف سواء كان جائز الطرفين ، أو الوقف أولى من الوصل أو الوصل أولى من الوقف ، أو الوقف اللازم أو الوقف الممنوع . هذه المعانى من حقائق التنزيل وكانت ملحوظة منذ كان القرآن ينزل ، وكان حفاظ القرآن وتالوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبقونها فى تلاوتهم للقرآن ، قبل أن يُدوَّن القرآن فى " المصحف " هذا هو الحق الذى ينبغى أن يكون معروفًا للجميع ، أما وضع هذه العلامات فى عصر التابعين فجاءت عونًا لغير العارفين بآداب تلاوة القرآن ، دون أن تكون بشكلها جزءا من التنزيل (١٩) .
تنسيق المصحف :
نعنى ب : تنسيق المصحف " الفواصل بين سوره ب : " بسم الله الرحمن الرحيم " وترقيم آيات كل سورة داخل دوائر فاصلة بين الآيات ، ووضع خطوط رأسية تحت

مواضع السجود فى آيات القرآن ، ثم الألقاب التى أطلقت على مقادير محددة من الآيات مثل :
الربع الحزب الجزء . لأن هذه الأعمال إجراءات بشرية خالصة أُلحِق بعضها بسطور المصحف ، وهو ترقيم الآيات وَوُضِع بعضها تحتها ، كعلامات السجود فى أثناء التلاوة .
أما ماعدا هذين فهى إجراءات اعتبارية عقلية ، تدل عليها عبارات موضوعة خارج إطار أو سُور الآيات وليس فى هذا مطعن لطاعن ؛ لأنّاَ نقول كما قلنا فى نظائره من قبل إنها وسائل إيضاح وتوجيه لقرَّاء القرآن الكريم توضع خارج كلمات الوحى لا فى متونها ، وتؤدى خدمة جليلة للنص المقدس مقروءاً أو مثلُوًّا .
ولا يدعى مسلم أنها لها قداسة النص الإلهى ، أو أنها نازلة من السماء بطريق الوحى الأمين .
والمستشرقون الذين يشاركون المبشرين (٢٠) فى تَصيُّد التهم للقرآن ، ينهجون هذا النهج " التنسيقى " فى أعمالهم العلمية والفكرية، وبخاصة فى تحقيق النصوص فيضعون الهوامش والملاحق والفهارس الفنية لكل ما يقومون بتحقيقه من نصوص التراث . ولهم مهارة فائقة فى هذا المجال ، ولم نر واحدًا منهم ينسب هذه الأعمال الإضافية إلى مؤلف النص نفسه ، كما لم نر أحدًا منهم عدَّ هذه الإضافات تعديلاً أو تحريفًا أو تغييرًا للنص الذى قام هو بتحقيقه وخدمته .
بل إنه يعد هذه الأعمال الإضافية وسائل إيضاح للنص المحقق . وتيسيرات مهمة للقراء .
وهذا هو الشأن فى عمل السلف رضى الله عنهم فى تنسيق المصحف الشريف ، وهو تنسيق لا مساس له ب " قدسية الآيات " لأنها وضعت فى المصحف على الصورة التى رُسِمَتْ بها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
تاريخ القرآن (٢١) هذا هو تاريخ القرآن ، منذ نزلت أول سورة منه ، إلى آخر آية نزلت منه ، كان كتابًا محفوظا فى الصدور ، متلوًّا بالألسنة ، مسطورًا على الرقاع ، ثم مجموعًا فى مصاحف ، لم يخضع لعوامل محو وقرض، ولا آفات ضياع ، وضعته الأمة فى " أعينها " منذ نَزَلَ فلم يضل عنها أو يغب ، ولم تضل هى عنه أو تغب ، تعرف مصادره وموارده ، على مدى عمره الطويل ، تعرفه كما تعرف أبناءها ، بلا زيغ ولا اشتباه .
هذا هو تاريخ القرآن ، وضعناه وضعًا موجزًا ، لكنه مُلِمٌّ بمعالم الرحلة ، كاشفًا عن أسرارها . وضعناه لنقول لخصوم القرآن والإسلام :
هل فى تاريخ القرآن ما يدعو إلى الارتياب فيه ، أو نزع الثقة عنه ؟ وهل أصاب آياته المحكمة خلل أو اضطراب ؟ وهل رأيتموه غاب لحظة عن الأمة، أو الأمة غابت عنه لحظة؟ وهل رأيتم فيه جهلاً بمصدره ونشأته وتطور مراحل جمعه وتدوينه ؟ أو رأيتم فى آياته تغييرًا أو تبديلاً تلك هى بضاعتنا عرضناها فى سوق العرض والطلب غير خائفين أن يظهر فيها غش أو رداءة ، أو تصاب ببوار أو كساد من منافس يناصبها العداء .
هذا هو ما عندنا . فما هو الذى عندكم من تاريخ الكتاب المقدس بعهديه (٢٢) .

القديم (التوراة) التى بين أيدى اليهود الآن ، والجديد (الأناجيل) التى بين أيدى النصارى الآن .
ما الذى تعرض له الكتاب المقدس فى تاريخه الأول المقابل لفترة تاريخ القرآن ، التى فرغنا من عرضها تعالوا معنا نفحص تلك الفترة من تاريخ الكتاب المقدس فى رحلته المبكرة :
مولد التوراة وتطورها :
يضطرب أهل الكتاب عامة ، واليهود خاصة حول تاريخ التوراة (مولدها وتطورها) اضطرابًا واسع المدى ويختلفون حولها اختلافًا يذهبون فيه من النقيض إلى النقيض ، ولهذا عرضوا لتاريخ القرآن بالطعن والتجريح ليكون هو والتوراة سواسية فى فقد الثقة بهما ، أو على الأقل ليُحرجوا المسلمين بأنهم لا يملكون قرآنًا مصونًا من كل ما يمس قدسيته وسلامته من التحريف والتبديل . وقد عرضنا من قبل تاريخ القرآن ، وها نحن نعرض تاريخ التوراة حسبما هو فى كتابات أهل الكتاب أنفسهم ، مقارنًا بما سبق من حقائق تاريخ القرآن الأمين .
الكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد تتعلق به آفتان قاتلتان منذ وجد ، وإلى هذه اللحظة التى نعيش فيها :
آفة تتعلق بتاريخه متى ولد ، وعلى يد من ولد ، وكيف ولد ، ثم ما هو محتوى الكتاب المقدس ؟ وهل هو كلام الله ، أم كلام آخرين ؟ (٢٣) .
والمهم فى الموضوع أن هذا الغموض فى تاريخ الكتاب المقدس لم يثره المسلمون ، بل أعلنه أهل الكتاب أنفسهم يهودًا أو نصارى ممن اتسموا بالشجاعة ، وحرية الرأى ، والاعتراف الخالص بصعوبة المشكلات التى أحاطت بالكتاب المقدس ، مع الإشارة إلى استعصائها على الحلول ، مع بقاء اليهودية والنصرانية كما هما .ومعنى العهد عند أهل الكتاب هو " الميثاق " والعهد القديم عندهم هو ميثاق أخذه الله على اليهود فى عصر موسى عليه السلام ، والعهد الجديد ميثاق أخذه فى عصر عيسى عليه السلام(٢٤) والمشكلتان اللتان أحاطتا بالكتاب المقدس يمكن إيجازهما فى الآتى :
- مشكلة أو أزمة تحقيق النصوص المقدسة ، التى تمثل حقيقة العهدين .
- مشكلة أو أزمة المحتوى ، أى المعانى والأغراض التى تضمنتها كتب (أى أسفار) العهدين ، وفصولهما المسماة عندهم ب"الإصحاحات " .
والذى يدخل معنا فى عناصر هذه الدراسة هو المشكلة أو الأزمة الأولى ؛ لأنها هى المتعلقة بتاريخ الكتاب المقدس دون الثانية .
متى ؟ وعلى يد مَنْ ولدت التوراة :
هذا السؤال هو المفتاح المفضى بنا إلى إيجاز ما قيل فى الإجابة .
وهو تساؤل صعب ، ونتائجه خطيرة جدًا ، وقد تردد منذ زمن قديم . وما يزال يتردد ، وبصورة ملحة ، دون أن يظفر بجواب يحسن السكوت عليه .
وممن أثار هذا التساؤل فى العصر الحديث وول ديورانت الأمريكى الجنسية ، المسيحى العقيدة ، وكان مما قال :

" كيف كُتبت هذه الأسفار (يعنى التوراة) ومتى كُتبت ؟ ذلك سؤال برئ لا ضير فيه ، ولكنه سؤال كُتب فيه خمسون ألف مجلد ، ويجب أن نفرغ منه هنا فى فقرة واحدة ، نتركه بعدها من غير جواب ؟! (٢٥) فقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن خروج موسى من مصر كان فى حوالى ١٢١٠ قبل ميلاد السيد المسيح ، وأن تلميذه يوشع بن نون الذى خلفه فى بنى إسرائيل (اليهود) مات عام ١١٣٠ قبل الميلاد . ومن هذا التاريخ ظلت التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام مجهولة حتى عام ٤٤٤ قبل الميلاد ، أى قرابة سبعة قرون (٧٠٠سنة) فى هذا العام . (٤٤٤) فقط عرف اليهود أن لهم كتابًا اسمه التوراة ولكن كيف عرفوه بعد هذه الأزمان الطويلة ؟ وول ديورانت يضع فى الإجابة على هذا السؤال طريقتين إحداهما تنافى الأخرى .

الطريقة الأولى :

أن اليهود هالهم ما حل بشعبهم من كفر ، وعبادة آلهة غير الله ، وانصرافهم عن عبادة إله بنى إسرائيل " يهوه " وأن " الكاهن خلقيا " أبلغ ملك بنى إسرائيل " يوشيا " أنه وجد فى ملفات الهيكل ملفًا ضخمًا قضى فيه موسى عليه السلام فى جميع المشكلات ، فدعا الملك " يوشيا" كبار الكهنة وتلا عليهم سفر " الشريعة " المعثور عليه فى الملفات ، وأمر الشعب بطاعة ما ورد فى هذا السفر ؟ ويعلق وول ديورانت على السفر فيقول: "لا يدرى أحد ما هو هذا السفر؟ وماذا كان مسطورًا فيه ؟ وهل هو أول مولد للتوراة فىحياة اليهود " ؟ .

الطريقة الثانية :

أن بنى إسرائيل بعد عودتهم من السبى البابلى شعروا أنهم فى حاجة ماسة إلى إدارة دينية تهىء لهم الوحدة القومية والنظام العام ، فشرع الكهنة فى وضع قواعد حكم دينى يعتمد على المأثور من أقوال الكهنة القدماء وعلى أوامر الله ؟ فدعا عزرا ، وهو من كبار الكهان ، علماء اليهود للاجتماع وأخذ يقرأ عليهم هو وسبعة من الكهان سفر شريعة موسى ولما فرغوا من قراءته أقسم الكهان والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ، ويتخذوها دستورًا لهم إلى أبد الآبدين (٢٦) .

هذا ما ذكره ديورانت نقلاً عن مصادر اليهود ، وكل منهما لا يصلح مصدرًا حقيقيًا للتوراة التى أنزلها الله على موسى ؛ لأن الرواية الأولى لا تفيد أكثر من نسبة الملف الذى عثر عليه " خلقيا " إلى أقوال موسى وأحكامه فى القضاء بين الخصوم .

ولأن الرواية الثانية تنسب صراحة أن النظام الذى وضعه الكهان ، بعد قراءتهم السفر كان خليطًا من أقوال كهانهم القدماء ، ومن أوامر الله ؟!

(١) العاديات : ١-١١ .

(٢) سورة " والعاديات " من قصار السور التى قد بدأ بها الوحى فى مكة ، قبل الهجرة ، ويرى بعض الباحثين أن القرآن بدأ بهذه السور ذات الطبيعة الغنائية فى مكة ، لجذب أهل مكة إليه عن طريق السمع أولاً ، ثم لتدبر معانيه ثانيًا.

(٣) انظر تفسير سورة " والعاديات " فى أى تفسير شئت من التفاسير المتداولة : الكشاف روح المعانى التفسير الواضح للدكتور حجازى ، أو فى غيرها .

(٤) ينظر : البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى (٢٤١/١) وما بعدها .

(٥) هو مصحف فرد لا متعدد ، فلم يكن متداولاً بين أيدى المسلمين ، لأن حفظ القرآن فى الصدور كان هو المرجع .

(٦) انظر : جمع القرآن فى خلافة عثمان فى " البرهان فى علوم القرآن " و " الاتقان فى علوم القرآن والأول للإمام الزركشى ، والثانى للإمام جلال الدين السيوطى (٧) لأن القرآن لو كان جمع فى مصحف من أول الأمر ، لاتكل الناس على المصحف المكتوب ، وقل اهتمامهم بحفظه .

(٨) سيأتى حديث مفصل عما تعرض له الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من أوضاع وآفات شديدة الخطورة .

(٩) البقرة : ٢٦٥ .

(١٠) المقنع لأبى عمرو الدانى ص ١٢٩ تحقيق محمد الصادق قمحاوى .

(١١) الأنعام : ١٧ .

(١٢) الكهف : ٢٢ .

(١٣) التفريع هو تولد كلام من كلام آخر ، وتأتى الفاء دليلاً على هذا التفريع كما فى الآية الكريمة .

(١٤) الكلام كله قسمان : خبر ، وإنشاء ، فكل كلام أخبرت فيه غيرك بأمر قد حدث قبل زمن التكلم أو بعده مثل : حضر فلان أمس ، أو سيحضر غدًا هو كلام خبرى ، أما إذا طلبت شيئًا لم يكن حاصلاً فى زمن التكلم مثل : أطع والديك فهو كلام إنشائى .

(١٥) الكهف : ١٧ .

(١٦) النحل : ٣٢ (١٧) النساء : ١٧١ .

(١٨) الأنعام : ٢٠ .

(١٩) هى مثل علامات الإعراب كالفتحة والضمة والكسرة والسكون . لم تُوجد هى أحكام الإعراب ، وإنما هى مجرد رموز دالة عليها .

(٢٠) المبشرون هم الذين يريدون فتنة عامة الناس بما يكتبونه عن الإسلام ، وهم أساتذة المستشرقين . أما المستشرقون فيقصدون فتنة المثقفين والطبقات العليا ، ويصورون الإسلام فى غير صورته إلا قليلاً منهم تجدهم منصفين للإسلام .

(٢١) نقصد بتاريخ القرآن رحلته عبر تاريخه المبكر ، إلى أن تم جمعه فى المصاحف ، وما لحق بهذا الجمع من رموز واصطلاحات لتيسير تلاوته مجودًا ، ولسهولة الإحاطة بما فيه من الألفاظ والمعانى .

(٢٢) اليهود يؤمنون بالعهد القديم وحده ، ويكفرون بالعهد الجديد (الأناجيل) أما النصارى فيعتبرون العهد القديم شطرًا من الكتاب المقدس ، ويؤمنون بالعهدين معًا .

(٢٣) نقصد بتاريخ القرآن رحلته عبر تاريخه المبكر ، إلى أن تم جمعه فى المصاحف ، وما لحق بهذا الجمع من رموز واصطلاحات لتيسير تلاوته مجودًا ، ولسهولة الإحاطة بما فيه من الألفاظ والمعانى .

(٢٤) نقصد بتاريخ القرآن رحلته عبر تاريخه المبكر ، إلى أن تم جمعه فى المصاحف ، وما لحق بهذا الجمع من رموز واصطلاحات لتيسير تلاوته مجودًا ، ولسهولة الإحاطة بما فيه من الألفاظ والمعانى .

(٢٥) قصة الحضارة (ج٢ ص : ٣٦٧) ترجمة محمد بدران .
(٢٦) قصة الحضارة (ج٢ ص٣٥٦) .

٧٧- حول عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف القرآن من العصمة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ ، ويقدمون الأدلة على ذلك بسورة [عبس وتولى] وكذلك عندما جامل الرسول صلى الله عليه وسلم ، زوجاته ، ونزلت الآية الكريمة التى تنهاه عن ذلك (انتهى).

الرد على الشبهة:

إن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك عصمة كل الرسل - عليهم السلام - يجب أن تفهم فى نطاق مكانة الرسول.. ومهمة الرسالة.. فالرسول: بشر يُوحَى إليه.. أى أنه - مع بشريته - له خصوصية الاتصال بالسماء ، بواسطة الوحى.. ولذلك فإن هذه المهمة تقتضى صفات يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه ، كى تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إلى صاحبها.

والرسول مكلف بتبليغ الرسالة ، والدعوة إليها ، والجهاد فى سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله على الناس طاعة هى جزء من طاعة الله - سبحانه وتعالى - (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (١) (قل أطيعوا الله والرسول) (٢) (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٣) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (٤) ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة فى هذا البلاغ الإلهى الذى اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلاً عن النقل - تحكم بأن مُرْسِل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذى يضفى الصدق على رسالته ، كان عابثًا.. وهو ما يستحيل على الله ، الذى يصطفى من الناس رسلاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهى.. والحُجة على الناس بصدق هذا الذى يبلغون.

وفى التعبير عن إجماع الأمة على ضرورة العصمة للرسول فيما يبلغ عن الله ، يقول الإمام محمد عبده عن عصمة الرسل - كل الرسل -: ".. ومن لوازم ذلك بالضرورة: وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم ، وصحة عقولهم ، وصدقهم فى أقوالهم ، وأمانتهم فى تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه ، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة ، وأنهم منزهون عما يضاد شيئًا من هذه الصفات ، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهى بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن من حكمة الصانع الحكيم - الذى أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم - أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها ، بمحض فضله ، بعض مَنْ يصطفيه من خلقه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، يميزهم بالفطرة السليمة ، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه ، والأمانة على مكنون سره ، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه

لهم لفاضت له نفسه ، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته ، فيشرفون على الغيب بإذنه ، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين ، نهاية الشاهد وبداية الغائب ، فهم فى الدنيا كأنهم ليسو من أهلها ، هم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها.. أما فيما عدا ذلك - [أى الاتصال بالسماء والتبليغ عنها] - فهم بشر يعتريهم ما يعترى سائر أفراده ، يأكلون ويشربون وينامون ويسهون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، ويمرضون وتمتد إليهم أيدى الظلمة ، وينالهم الاضطهاد ، وقد يقتلون " (٥).

فالعصمة - كالمعجزة - ضرورة من ضرورات صدق الرسالة ، ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل - عليهم السلام -..

وإذا كان الرسول - كبشر - يجوز على جسده ما يجوز على أجساد البشر.. وإذا كان الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهاد والشورى وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل فى مناطق وميادين الاجتهاد التى لم ينزل فيها وحى إلهى.. فإنه معصوم فى مناطق وميادين التبليغ عن الله - سبحانه وتعالى - لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى فى مناطق وميادين التبليغ عن الله لتطرق الشك إلى صلب الرسالة والوحى والبلاغ ، بل وإلى حكمة من اصطفاه وأرسله ليكون حُجة على الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطًا ضروريًا من شروط رسالة جميع الرسل - عليهم السلام -.. فالرسول فى هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى) (٦). وبلاغة ما هو بقول بشر ، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله ، وبغير العصمة لا يتأتى له هذا المقام.

أما اجتهادات الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا وحى فيه ، والتى هى ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية ، فلقد كانت تصادف الصواب والأولى ، كما كان يجوز عليها غير ذلك.. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة ، رضوان الله عليهم فى كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه - قبل الإدلاء بمساهماتهم فى الرأى - هذا السؤال الذى شاع فى السُّنة والسيرة:

" يا رسول الله ، أهو الوحى ؟ أم الرأى والمشورة ؟.. " فإن قال: إنه الوحى. كان منهم السمع والطاعة له ، لأن طاعته هنا هى طاعة لله.. وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم ، لأن علم الله - مصدر الوحى - مطلق وكلى ومحيط ، بينما علمهم نسبى ، قد تخفى عليه الحكمة التى لا يعلمها إلا الله.. أما إن قال لهم الرسول - جوابًا عن سؤالهم -: إنه الرأى والمشورة.. فإنهم يجتهدون ، ويشيرون ، ويصوبون.. لأنه صلى الله عليه وسلم هنا ليس معصومًا ، وإنما هو واحد من المقدمين فى الشورى والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة فى كتب السنة ومصادر السيرة النبوية - فى مكان القتال يوم غزوة بدر.. وفى الموقف من أسراها.. وفى مكان القتال يوم موقعة أُحد.. وفى مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.. إلخ.

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا) (٧).

وحتى لا يقتدى الناس باجتهاد نبوى لم يصادف الأولى ، كان نزول الوحى لتصويب اجتهاداته التى لم تصادف الأولى ، بل وعتابه - أحيانًا - على بعض هذه الاجتهادات والاختيارات من مثل: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى) (٨). ومن مثل: (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) (٩). ومن مثل: (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (١٠).

وغيرها من مواطن التصويب الإلهى للاجتهادات النبوية فيما لم يسبق فيه وحى ، وذلك حتى لا يتأسى الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأولى.

فالعصمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يبلغ عن الله شرط لازم لتحقيق الصدق والثقة فى البلاغ الإلهى ، وبدونها لا يكون هناك فارق بين الرسول وغيره من الحكماء والمصلحين ، ومن ثم لا يكون هناك فارق بين الوحى المعصوم والمعجز وبين الفلسفات والإبداعات البشرية التى يجوز عليها الخطأ والصواب.. فبدون العصمة تصبح الرسالة والوحى والبلاغ قول بشر ، بينما هى - بالعصمة - قول الله - سبحانه وتعالى - الذى بلغه وبينه المعصوم - عليه الصلاة والسلام -.. فعصمة المُبَلِّغ هى الشرط لعصمة البلاغ.. بل إنها - أيضًا - الشرط لنفى العبث وثبوت الحكمة لمن اصطفى الرسول وبعثه وأوحى إليه بهذا البلاغ.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ٣٢.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٢ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٠، ٤٢١. دراسة وتحقيق: د.

محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٦) النجم: ٣-٤.

(٧) الأحزاب: ٢١.

(٨) عبس: ١-١٠.

(٩) التحريم: ١-٣.

(١٠) الأنفال: ٦٧-٦٨.

٧٨- دعوى: خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس برسول. وبنوا هذا الزعم على أربع شعب هى:
١- إن العهد والنبوة والكتاب محصورة فى نسل إسحق لا إسماعيل.؟!
٢- إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزات.؟!
٣- إن القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية ، فليس هو معجزاً (١).؟!
٤- إن الكتب السابقة - التوراة وملحقاتها والأناجيل - خلت من البشارة برسول الإسلام.؟!

الرد على الشبهة:
ولكن قبل أن نواجهها مواجهة مباشرة أريد أن أقدم كلمة موجزة بين يدى هذه المواجهة ، رأيت أن تقديمها من أوجب الواجبات فى هذا المجال.
وجود " البشارات " وعدمها سواء..؟ أجل: إن وجود البشارات وعدمها فى الكتب المشار إليها آنفا سواء ، وجودها مثل عدمها ، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ليست فى حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها ، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل " الخارجى " بطلت - لا سمح الله - تلك الرسالة ؛ فهى رسالة دليلها فيها ، ووجود البشارات بها فى كتب متقدمة - زمنا - عليها لا يضيف إليها جديداً ، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئاً قط.
فهى حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغنىعما سواها. ودليلها قائم خالد صالح للفحص فى كل زمان ومكان ، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب ، ظهر ولم يختف ، قوى ولم يضعف. علا ولم يهبط ، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء فى هذا الدليل " القرآن العظيم " حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله المكرمون..
فلا يظنن أحدُ أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن فى حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام فى دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس فى حاجة إلى " تلك البشارات " حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظ به رسول غيره.
وستعالج البشارة به صلى الله عليه وسلم على قسمين:
١- بشاراته صلى الله عليه وسلم فى التوراة.
٢- بشاراته صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل.
أولاً: البشارات فى التوراة تعددت البشارات برسول الإسلام فى التوراة وملحقاتها ، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح ، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه صلى الله عليه وسلم ومع هذا فقد بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها " الأصلى " من حملها على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال.

فهى أشبه ما تكون برسالة مغلقة مُحى " عنوانها " ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد فضها - أن يثبت اختصاصها به ، لأن الكلام " الداخلى " الذى فيها يقطع بأنها " له " دون سواه ؛ لما فيها من " قرائن " وبينات واضحة ونعرض - فيما يلى - بعضاً منها:
" وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته ".
فقال:
" جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران " (٢). فى هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:
الأولى: نبوة موسى عليه السلام التى تلقاها على جبل سيناء.
الثانية: نبوة عيسى عليه السلام وساعير هى قرية مجاورة لبيت المقدس ، حيث تلقى عيسى عليه السلام أمر رسالته.
الثالثة: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبل فاران هو المكان الذى تلقى فيه - عليه الصلاة والسلام - أول ما نزل عليه من الوحى وفاران هى مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم.
وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبراً وبشارتين:
فالخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولاً.
والبشارتان:
الأولى: خاصة بعيسى عليه السلام. والثانية خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم.
وموقف اليهود منهما النفى: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم ولا الثانية بشارة برسول الإسلام.
أما موقف النصارى فإن النفى - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم فى ذلك مغالطات عجيبة ، حيث قالوا إن " فاران " هى " إيلات " وليست مكة. وأجمع على هذا " الباطل " واضعو كتاب: قاموس الكتاب المقدس. وهدفهم منه واضح إذ لو سَلَّمُوا بأن " فاران " هى مكة المكرمة ، للزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام ، وهذا عندهم قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له.. ؟! ، أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس ، ولم يقتصر ورود ذكر " فاران " على هذا الموضع من كتب العهد القديم ، فقد ورد فى قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: إن إبراهيم عليه السلام استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل وطردها هى وابنها فنزلت وسكنت فى " برية فاران " (٣). على أنه يلزم من دعوى واضعى قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران بإيلات أن الكذب باعترافهم وارد فى التوراة. لأنه لم يبعث نبى من " إيلات " حتى تكون البشارة صادقة. ومستحيل أن يكون هو عيسى عليه السلام ؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلات.
فليست " فاران " إلا " مكة المكرمة " وباعتراف الكثير منهم ، وجبل فاران هو جبل " النور " الذى به غار حراء ، الذى تلقى فيه رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بدء الوحى.
وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة " فاران " أشهر من الشمس.

وترتيب الأحداث الثلاثة فى العبارة المذكورة:
جاء من سيناء وأشرق من ساعير وتلألأ من فاران. هذا الترتيب الزمنى دليل ثالث على أن " تلألأ من جبل فاران " تبشير قطعى برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
وفى بعض " النسخ " كانت العبارة: " واستعلن من جبل فاران " بدل " تلألأ ".
وأياً كان اللفظ فإن " تلألأ " و " استعلن " أقوى دلالة من " جاء " و " أشرق " وقوة الدلالة هنا ترجع إلى " المدلولات " الثلاثة. فالإشراق جزء من مفهوم " المجئ " وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام).
أما تلألأ واستعلن فهذا هو واقع الإسلام ، رسولا ورسالة وأمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
هذه المغالطة (فاران هى إيلات) لها مثيل حيث تزعم التوراة أن هاجرأم إسماعيل عندما أجهدها العطش هى وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه " سارة " طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيا ملاك " الرب " فى المكان المعروف الآن " ببئر سبع " ؟! وأنها سميت بذلك لذلك..؟! وكما كذبت فاران دعوى " إيلات " كذَّبت " زمزم الطهور " دعوى " بئر سبع " ؟ وستظل فاران - مكة المكرمة - وزمزم الطهور " عملاقين " تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى.
ويجئ نص آخر فى التوراة لا محمل له إلا البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم مهما غالط المغالطون.
وهو قول الله لموسى حسب ما تروى التوراة:
" أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه " (٤).
حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى فى آخر عهده بالرسالة ، وكان يهمه أمر بنى إسرائيل من بعده ، فأعلمه الله - حسب هذه الرواية التوراتية - أنه سيبعث فيهم رسولا مثل موسى عليه السلام.
ولقوة دلالة النص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد وقف أهل الكتابين - اليهود والنصارى - موقفين مختلفين هدفهما واحد ، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام.
أما اليهود فلهم فيه رأيان:
الأول: أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هى نفى ، ويقدرون قبل الفعل " أقيم " همزة استفهام يكون الاستفهام معها " إنكارياً " وتقدير النص عندهم هكذا " أأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك..؟!
بطلان هذا الرأى وهذا الرأى باطل ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك ؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكارى محذوفة هى فى قوة المذكور لكان الكلام نفياً فعلاً.. ولو كان الكلام نفياً لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك:
" ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه " ؟! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النبى الذى وعد به المقطع الذى قبله. فدل

هذا " العطف " على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لا نفى. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام..؟!

الثانى: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا لا مانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً ، ولكنه ليس المقصود به عيسى ابن مريم عليه السلام ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، بل المراد به نبى من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى ، أو صموئيل..؟!

موقف النصارى:

أما النصارى فيحملون البشارة فى النص على عيسى عليه السلام وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وقد علمنا قبلا أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام.

وللنصارى مغالطات عجيبة فى ذلك إذ يقولون إن النبى الموعود به ليس من بنى إسماعيل بل من بنى إسرائيل. ومحمد إسماعيلى فكيف يرسل الله إلى بنى إسرائيل رجلاً ليس منهم.؟! كما قالوا إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله. وقد رددنا على هذه الفرية فيما تقدم.

الحق الذى لا جدال فيه:

والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل. باطل. ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه. أما الحق الذى لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وإليكم البيان:

إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبى الموعود به فيه بشرطين:

أحدهما: أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى عليه السلام صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله وهذان الشرطان لا وجود لهما لا فى يوشع بن نون ، ولا فى صموئيل كما يدعى اليهود فى أحد قوليهم.

ولا فى عيسى عليه السلام كما يدعى النصارى.

أما انتفاء الشرط الأول فلأن يوشع وصموئيل وعيسى من بنى إسرائيل وليسو من وسط إخوة بنى إسرائيل.

ولو كان المراد واحداً منهم لقال فى الوعد: أقيم لهم نبياً منهم.. ؟! هذا هو منهج الوحى فى مثل هذه الأمور كما قال فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم:

(هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم...) (٥). وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم...) (٦).

وأما انتفاء الشرط الثانى ، فلأن: لا صموئيل ولا يوشع ولا عيسى ابن مريم كانوا مثل " موسى " عليه السلام.

فموسى كان صاحب شريعة ، ويوشع وصموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل لم يكن واحداً منهم صاحب شريعة ، وإنما كانوا على شريعة موسىعليه السلام.

وحتى عيسى ما جاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً فشريعة موسى هى الأصل. إن عيسى كان مذكراً لبنى إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدى من شريعة موسى عليه السلام !! فالمثلية بين هؤلاء - وهى أحد شرطى البشارة - وبين موسى عليه السلام لا وجود لها. ؟!
الشرطان متحققان فى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفى الشرطان بهما عمن ذكروا من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم:
فهو من نسل إسماعيل ، وإسماعيل أخو إسحق ، الذى هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من وسط إخوة بنى إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطى البشارة:
ومحمد - عليه الصلاة والسلام - صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بنى إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التى لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى عليه السلام.
وبهذا يتحقق الشرط الثانى من شرطى البشارة وهو " المثليه " بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه) ، فعلى القارئ أن يتأمل ثم يحكم.
فى المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام وردت كثير من العبارات التى لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام. ومن ذلك قول داود كما تروى التوراة:
" أنت أبرع جمالاً من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ، جلالك وبهاؤك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة.. بتلك المسنونة فى قلب أعداء الملك - يعنى الله - شعوب تحتك يسقطون.. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك " (٧).
اسمعى يانيت وأميلى أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيشتهى الملك الملك حسنك ؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. كلها مجد ابنة الملك فى خدرها. منسوجة بذهب ملابسها مطرزة ، تحضر إلى الملك فى إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك. عوضاً عن آبائك يكون بنوك نقيمهم رؤساء فى كل الأرض اذكر اسمك فى كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والآبد " وقفة مع هذا الكلام فى المقطع الأول (أ) لا تنطبق الأوصاف التى ذكرها داود إلا على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
فهو الذى قاتل بسيفه فى سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم.
وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء ؛ لأنه خاتم النبيين ، ورسالته عامة خالدة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٨).
ولم يترك رسول هدى وبيانا مثلما ترك رسول الإسلام فى القرآن الحكيم ، وفى أحاديثه وتوجيهاته ، التى بلغت مئات الآلاف ، وتعددت المصادر التى سجلتها ، وفيها من روائع البيان ، وصفاء الألفاظ ، وشرف المعانى ما ليس فى غيرها.

أما المقطع الثانى (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهى التى تترضاها الأمم بالهدايا. وهى ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة ، وهى التى يذكر اسمها فى كل دور فدور وتأتيها قوافل" الحجيج " رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع فى " قصر الملك " ويحمدها الناس إلى الأبد ؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن. بل والملائكة. وفى مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين ، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة.

خالدة: لم ينته العمل بها بوفاة رسولها ، كما هو الحال فيما تقدم. وإنما هى دين الله إلى الأبد الأبيد.

وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم ملئ بالإشارات الواضحة التى تبشر برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، ولولا المنهج الذى أخذنا به هنا وهو عدم التطويل لذكرنا من ذلك الكثير ؛ ولذا فإننا نكتفى بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول:

" قومى استنيرى ؛ لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك.. لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى. فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء إشراقك.

ارفعى عينيك حواليك وانظرى. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يأتى بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدى ، حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع ؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ، وعيفة كلها تأتى من شبا. تحمل ذهبا ولبانا ، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى ، وأزين بيت جمالى.

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرنى وسفن ترشيش فى الأول لتأتى من بعيد ، وفضتهم وذهبهم معهم لا سم الرب إلهك ... (٩).

وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك.. وتفتح أبوابك دائما نهاراً وليلاً لا تغلق ، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم... (١٠).

دلالة هذه النصوص:

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة.

فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد. ألم يشر النص إلى غنم قيدار ، وقيدار هوولد إسماعيل عليه السلام الذى تشعبت منه قبائل العرب. ثم ألم ينص على المذبح الذى تنحر عليه الذبائح ؟ كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة. وتلك الإشارات هى طرق حضور الحجاج إليها. ففى القديم كانت وسائل النقل: ركوب الجمال. ثم السفن. أما فى العصر الحديث فقد جدت وسيلة النقل الجوى " الطائرات " وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتى:

١ـ الجمال ، قال فيها: تغطيك كثرة الجمال.؟!

٢ـ السفن ، قال فيها: وسفن ترشيش تأتى ببنيك من بعيد ؟!

٣- النقل الجوى ، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. ؟!!
أليس هذا أوضح من الشمس فى كبد السماء.
على أن النص ملئ بعد ذلك بالدقائق والأسرار ، ومنها أن مكة مفتوحة الأبواب ليلاً ونهاراً لكل قادم فى حج أو عمرة.. ؟!
ومنها أن خيرات الأمم تجبى إليها من كل مكان ، والقرآن يقرر هذا المعنى فى قول الله تعالى:
(أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء) (١١).
ومنها أن بنى الغريب (يعنى غير العرب) يبنون أسوارها. وكم من الأيدى العاملة الآن ، وذوى الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض
ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت فى محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه " العاصمة المقدسة " فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين ، ومثلها المدينة المنورة.
ومنها كثرة الثروات التى مَنَّ الله بها عليها. أليس البترول من ثروات البحر العظمى التى تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيوناً دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم. أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة.
والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام ؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدى بعثته صلى الله عليه وسلم.
هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة " صهيون " ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم.
ولكننا نضع الأمر بين يدى المنصفين من كل ملة. أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة " صهيون ".
لقد خرب " بيت الرب " فى القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء ، ثم أين ثروات البحر والبر التى تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم. وأين هى المواكب التى تأتى إليها براً وبحراً وجَوّاً ، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً ، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها.
وما صلة غنم قيدار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذى يشق عنان السماء منها.. وأين.. وأين..؟ إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق ، ونحن يكفينا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى ، ولا يهمنا أن يذعن القوم لما نقول فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق الذى تدافع عنه.
والفاصل بيننا ـ فى النهاية ـ هو الله الذى لا يُبدل القول لديه.
وتنسب التوراة إلى نبى يدعى " حبقوق " من أنبياء العهد القديم ، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات.
تنسب إليه التوراة نصوصاً كان يصلى بها. تضمنها الإصحاح الثالث من سفره. وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وإليكم مقاطع منه: " الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران ـ سلاه ـ جلاله غطى السماوات.

والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يديه شعاع ، وهناك استتار قدرته.
قدامه ذهب الوبأ. وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية ، وخسفت آكام القوم.
مسالك الأزل يسخط دست الأمم ، خرجت لخلاص شعبك ... سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق ... سلكت البحر بخيلك..(١٢).
دلالات هذه الإشارات:
لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعانى التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فالجهتان المذكورتان فى مطلع هذا المقطع وهما: تيمان: يعنى اليمن ، وجبل فاران: يعنى جبل النور الذى بمكة المكرمة التى هى فاران. هاتان الجهتان عربيتان. وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً أولياً لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.
فليس المراد إذن نبياً من بنى إسرائيل ؛ لأنه معلوم أن رسل بنى إسرائيل كانت تأتى من جهة الشام شمالاً. لا من جهة بلاد العرب. وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة ، التى تقدم ذكرها من سفر التثنية ، وقد ذكرت أن الله: تلألأ أو استعلن من جبل فاران.
بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسىعليه السلام والتبشير بعيسى عليه السلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم أما بشارة حبقوق فهى خاصة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. ولو لم يكن فى كلام حبقوق إلا هذا " التحديد " لكان ذلك كافياً فى اختصاص بشارته برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى:
منها: الإشارة إلى كثرة التسبيح حتى امتلأت منه الأرض.. ؟!
ومنها: دكه صلى الله عليه وسلم لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة.
ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر ، وهذا لم يحدث إلا فى ظل رسالة الإسلام.
على أن كلام حبقوق ملئ بالرمز والإشارات مما يفيدنا فى هذا المجال ولكننا نتجاوزه لأمرين:
أحدهما: أن فى الإشارات الصريحة غناء عنها.
وثانيهما: عدم التطويل ـ هنا ـ كما اتفقنا.
بشاراته صلى الله عليه وسلم فى العهد الجديد أسفار العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التى يتعين أن تكون " بشارات " برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
تلك البشارات تعلن أحياناً فى صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات. وأحيانا أخرى بالروح القدس. ومرات باسم المعزى أو الفارقليط ، وهى كلمة يونانية سيأتى فيما بعد معناها ، تلك هى صورة البشارات فى الأناجيل فى صيغها المعروفة الآن.
ففى إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى عليه السلام المسمى فى الأناجيل: يوحنا المعمدان.

وفيها يقول: " توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (١٣).
فمن هو ملكوت السماوات الذى بشر به يحيى ؟! هل هو عيسى عليه السلام ـ كما يقول النصارى..؟!
هذا احتمال.. ولكن متَّى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى عليه السلام نفس العبارة: " توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (١٤).
فلو كان المراد بملكوت السماوات ـ هذه ـ عيسى عليه السلام لما وردت هذه " البشارة " على لسان عيسى ؛ إذ كيف يبشر بنفسه ، وهو قائم موجود ، والبشارة لا تكون إلا بشئ محبوب سيأتى ، كما أن الإنذار ـ قسيمه ـ لا يكون إلا بشىء " مكروه " قد يقع. فكلاهما: التبشير والإنذار ـ أمران مستقبلان.
إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى عليهما السلام.
فدل ذلك على أن المراد بملكوت السماوات رسول آخر غير عيسى. ولم يأت بعد عيسى ـ باعتراف الجميع ـ رسول غير رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السماوات فى عبارة عيسى عليه السلامـ قولاً واحداً ـ وباحتمال أرجح فى عبارة يحيى ،إذ لا مانع عندنا ـ أن يكون يحيى عليه السلام قد بشر بها بعيسى عليه السلام.
أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل ـ القطعى ـ على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
وفى صيغة الصلاة التى علمها المسيح لتلاميذه ـ كما يروى مَتَّى نفسه ـ بشارة أخرى بنبى الإسلام. وهذا هو نص مَتَّى فى هذا " فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك " (١٥).
ووردت هذه الصيغة فى إنجيل لوقا هكذا:
" متى صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك.. " (١٦).
ويذكر لوقا أن المسيح جمع تلاميذه ، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين ، ويشفون الأمراض ثم قال: " وأرسلهم ليكرزوا ـ أى يبشروا ـ بملكوت الله " (١٧).
أما مرقس فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول: " جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله " (١٨).
فهؤلاء ثلاثة من التلامذة يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذى اقترب.
فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ؟ وأكاد أجزم بأن عبارة " المسيح ، قد كمل الزمان " لا تعنى سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة وإقبال الرسالة الخالدة..!
ـ ٣ ـ أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل. فإنه يذكر هذه البشارات فى مواضع متعددة من إنجيله. ومن ذلك ما يرويه عن المسيح عليه السلام " الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى ، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى (اسم فاعل من الفعل المضعف العين عزى) (١٩) الروح

القدس ، الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بما قلته لكم " (٢٠).
كما يروى يوحنا قول المسيح ـ الآتى ـ مع تلاميذه: " إنه خير لكم أن انطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية ، وعلى بر وعلى دينونة " (٢١).
ويروى كذلك قول المسيح لتلاميذه: " وأما إذا جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه. بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ".. ؟! (٢٢).
فمن هو المعزى أو روح القدس أو روح الحق الذى بشر به المسيح عليه السلام حسبما يروى يوحنا..؟!
إن المسيح يقول:
إن ذلك المُعَزِّى أو الروح القدس لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح ، والمسيح ـ نفسه ـ يُقِرُّ بأن ذلك المُعَزِّى أو الروح أَجَلُّ منه شأنا ، وأعم نفعاً وأبقى أثراً ، ولذلك قال لتلاميذه: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّى.
وكلمة " خير " أفعل تفضيل بمعنى أكثر خيراً لكم ذهابى ليأتيكم المعزى ولو كان " المُعَزِّى " مساويا للمسيح فى الدرجة لكانا مستويين فى الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق.
ومن باب أولى لو كان " المعزِّى " أقل فضلاً من المسيح. فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه ، لا مساوٍ له ولا أقل.
ثم يصف المسيح ذلك المُعَزِّى أو الروح بأوصاف ليست موجودة فى المسيح نفسه عليه السلام. ومن تلك الأوصاف:
أـ إنه يعلم الناس كل شىء.وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح فى الدنيا والدين. وذلك هو الإسلام.
ب ـ إنه يبكت العالم على خطية. والشاهد هنا كلمة " العالم " وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر ، عربا وعجماً ، فى كل زمان ومكان. ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام.
جـ ـ إنه يخبر بأمور آتية ، ويذكر بما مضى. وقد تحقق هذا فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.
فأخبر بأمور آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذى كان على يديه صلى الله عليه وسلم فكم فى القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر ، وكم فيه من الإخبار بما سيكون فى الحياة الآخرة من أوصاف الجنة ، والنار ، والبعث ، وعلامات الساعة ، وتخاصم أهل النار ، وحوار أصحاب الجنة مع " رجال الأعراف " ، وندم من باعوا دينهم بدنياهم.
إلخ.. إلخ.
وذكر بما مضى من أحوال الأمم ، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء ، ومسلك

بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذى دار بين المحقين وأهل الباطل ، وعاقبة بعض المكذبين.. إلخ..إلخ.
ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فأرست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة ، ووضعت أصول التشريع فى كل ما هو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها ، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق ، وبين الناس بعضهم بعضاً. وحررت العقول ، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة. أى أنها أرشدت إلى كل شىء. وعلمت كل شىء مما يحتاج تعلمه إلى وحى وتوقيف..!
ذلك هو الإسلام ، ولا شىء غير الإسلام.
وشهدت ـ فيما شهدت ـ للمسيح عليه السلام بأنه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بنى إسرائيل.
وأنه عبده ورسوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) (٢٣).
وشهادة رسول الإسلام لعيسى عليه السلام منصوص عليها فى بشارات عيسى نفسه به (صلى الله عليه وسلم). فاسمع إلى يوحنا وهو يروى عن المسيح عليه السلام قوله الآتى. " ومتى جاء المعزَّى الذى سأرسله " أنا " إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى.. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء " (٢٤).
روح القدس هذا ، أو المعزَّى ، أو روح الحق لا يمكن أن يكون عيسى ؛ لأن عيسى لم يبشر بنفسه ، وهو كان موجوداً ساعة قال هذا ولا يمكن أن يكون المراد به نبياً بعد عيسى غير محمد (صلى الله عليه وسلم) لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبى قبل رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
فتعين أن يكون روح القدس ، أو المعزَّى ، أو روح الحق تبشيرا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذ فيه تجتمع تلك الأوصاف ، كما يتحقق فيه معنى " الأفضلية " إذ هو خاتم النبيين ، الذى جاء بشريعة خالدة عامة ، وعلى هذا حملنا قبلا قول عيسى: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّى " وهذا إقرار من عيسى بأن المبشر به أفضل من المُبَشِّر وكفى بذلك شواهد.
أما البشارة باسم " الفارقليط " فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس. ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع للترجمات وطبعات متعددة ؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافا بيناً.
وتحت يدى ـ الآن ـ نسختان من الطبعات العربية كلتاهما خاليتان من كلمة الفارقليط ، وموضوع مكانها كلمة المعزى.
بيد أننى وجدت أن ابن القيم ، وابن تيمية ، كل منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصاً فيها التصريح باسم" الفارقليط " كما أن الشيخ رحمت الله الهندى (رحمه الله) نقل فى كتابه " إظهار الحق " نصوصاً " عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام: ١٨٢١ ـ ١٨٣١ ـ ١٨٤٤م وتمت فى لندن معنى " الفارقليط ":
كلمة يونانية معناها واحد مما يأتى:
الحامد ـ الحماد ـ المحمود ـ الأحمد.

أو معناها كل ما تقدم. فمعنى " فارقليط " يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها.
وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فهو الحامد والحمّاد والمحمود والأحمد ، والمحمد.
وفى الطبعات ـ اللندنية ـ المتقدم ذكرها ورد النص هكذا: " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ، ليثبت معكم إلى الأبد ".
" الفارقليط " روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم " (٢٥).
ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذى نقلناه آنفا عن إنجيل يوحنا من الطبعات العربية الحديثة تريك أن الطبعات الحديثة حذفت كلمة " الفارقليط " ووضعت مكانها كلمة " المعزى " كما تريك أن الطبعات الحديثة حذفت جملة: " ليثبت معكم إلى الأبد " وهو نص على خلود الإسلام على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة " المعزى " التى فى الطبعات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجم عن كلمة يونانية لفظاً ومعنى وهى " باراكليتس " ومعناها المعزى ، وليست " فارقليط " أو " بارقليط " التى معناها الحماد والحامد ٠٠٠ والتى يتمسك بها المسلمون.. ؟!
وهذه المحاولات مردودة لسببين:
أولهما: ليس نحن ـ المسلمين ـ الذين قاموا بعمل بالطبعات القديمة التى فيها " الفارقليط " وإنما طبعها النصارى قديماً. فعملهم حجة على الطبعات الحديثة وهم غير متهمين فى عملهم هذا.
وثانيهما: ولو كانت الكلمة " هى: الباراكليتس " فلماذا خلت منها الطبعات القديمة والنسخ المخطوطة ؟!
بل ولماذا خلت منها الطبعات الحديثة..؟!
وأيا كان المدار: فارقليط ، أو باراكليتس ، أو المعزى ، أو الروح القدس فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التى أجريت عليها. مثل يعلمكم كل شىء ـ يمكث معكم إلى الأبد.
فهذه الأوصاف هى لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومهما اجتهدتم فى صرفها عنه فلن تنصرف.
ولهم " شبهة " أخرى يحلو لهم ترددها وهى: محمد صلى الله عليه وسلم عربى الجنس واللسان ، فكيف يرسله الله إلى أمم وأجناس غير عربية.. وكيف يكلف الله الناس برسالة لا يعرفون لغتها ولا عهد لهم بالتحدث معها. وكيف يستطيعون أن يفهموا القرآن ، وتوجيهات رسول الإسلام ، وهما باللغة العربية.؟!
رد الشبهة نرد عليها من طريقين:
الأول: وهو مستمد من واقع القوم أنفسهم. فهم يدعون تبعاً لما قال " بولس " أن عيسى عليه السلام مرسل لخلاص العالم كله. وأنه أمر حوارييه أن يكرزوا كل العالم برسالة الخلاص ، وفى أيامنا هذه كثرت المنشورات التى تقول: المسيح مخلص العالم. وهنا نسأل القوم سؤالاً: أية لغة كانت لغة المسيح عليه السلام وحوارييه ؟! هل هى العبرانية أم اليونانية ؟! وأيا كان الجواب فإن المسيح كان يتكلم لغة واحدة.

وأوحى إليه الإنجيل بلغة واحدة.. فعلى أى أساس إذن قلتم: إنه منقذ لكل العالم ؟! هل كل العالم كان وما يزال يعرف لغة المسيح ؟! أم أن العالم أيام المسيح كان يتكلم بعدة لغات.. والآن يتكلم بمئات اللغات..؟!

فإن كنتم قد ادعيتم أن المسيح هو منقذ كل العالم مع تسليمكم بأنه كان يتكلم بلغة واحدة فلماذا تنكرون على رسول الإسلام أن يكون مرسلاً لكل العالم.؟! وما الفرق بين رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام حتى تحظروا عليه ما استبحتموه للمسيح ؟! أهذا عدل.. أهذا إنصاف !!

وإن تنازلتم عن عالمية المسيح فأنتم مدينون..؟!

الثانى: وهو مستمد من طبيعة الإسلام. ومن تاريخه الطويل الحافل بكل عجيب.

نعم: إن محمداً صلى الله عليه وسلم عربى اللسان ، والجنس ، والقرآن العظيم الذى جاء به عربى اللسان ، عالمى التوجيه والتشريع والسلطان. ووحدة اللغة فى الإسلام مثل وحدة العقيدة فيه. ولم يحل دون انتشار الإسلام بين الأمم والشعوب غير العربية أن لغة رسالته عربية ورسوله عربى ورواده الأوائل عرب. هذه الاعتبارات لم تحل دون نشر الإسلام لجميع شعوب الأرض باختلاف لغاتها وعقائدها وأجناسها.

وكان سلوك الدعوة إلى الإسلام حكيما ، وهذه أبرز ملامحه.

أولاً: إن صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم أرسل رسله يحملون رسائله وكتبه إلى كل رؤساء القبائل وملوك الأمم والشعوب ، وقد بدأت هذه الطريقة بعد وقوع صلح الحديبية ، وكل حامل رسالة أو كتاب إلى رئيس أو ملك كان على علم بلغة من هم المبعوث إليهم.

فقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل دحية بن خليفة الكلبى.

وأرسل إلى المقوقس عظيم القبط بمصر حاطب بن أبى بلتعة. وأرسل إلى كسرى عبد الله بن حذافة السهمى.

وأرسل إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى شجاع بن ذهب الأسدى. وكان هؤلاء الرسل عالمين بلغات من أرسلوا إليهم.

كما كان صلى الله عليه وسلم يحتفظ بمترجمين يترجمون له ما يرد من رسائل لغتها غير العربية.

ثانياً: إن الملوك والرؤساء كان لديهم مترجمون ـ كذلك ـ يترجمون لهم ما يرد من رسول الإسلام أو يقومون بالترجمة من العربية إلى غيرها ، ومن غير العربية إلى العربية فى حالة ما إذا كان " المرسل " وفداً يحمل رسائل شفوية للتبليغ.

ثالثاً: إن اليهود وكثيراً من النصارى كانوا يعرفون اللسان العربى ، ومن النصارى من هم عرب خلص كنصارى نجران ، كما أن العجم من الفرس والروم كان من بينهم عرب يعايشونهم ويقيمون بينهم.

رابعاً: كان صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم يحض أصحابه على تعلم لغات الأمم ومما يروى عنه ـ عليه الصلاة السلام ـ قوله: من تعلم لغة قوم أمن غوائلهم.

خامساً: لما اجتازت الدعوة مرحلة الدعوة بالرسالة والكتاب والوفد ، والبعث ، ودخلت فى مرحلة الفتح كان الجنود المسلمون ينشرون اللغة العربية كما ينشرون الإسلام نفسه. وما من أرض حل بها الإسلام إلا وقد حلت بها اللغة العربية تعضده ،

وتؤازره فى انسجام عجيب ، فقضت اللغة العربية على لغات الأمم والشعوب وحلت هى محلها. قضت على القبطية فى مصر وعلى الفارسية فى الشام وعلى البربرية فى شمال غرب أفريقيا كما قضت على السريانية وغيرها من اللغات ، وأصبحت هى لغة الحياة والإدارة والكتابة والنشر والتأليف.

سادساً: قام العرب المسلمون بترجمة ما دعت إليه المصلحة من تراث الأمم المفتوحة ، ففتحوا نوافذ الفكر ، والثقافة ، والمعرفة لمن لا يعرف غير العربية من العرب المسلمين. كما ترجموا من الفكر الإسلامى ما يصلح ضرورة لغير العرب من المسلمين فنقلوه من العربية إلى غير العربية وفاءً بحق الدعوة والتبليغ.

سابعاً: أقبل غير العرب من الذين دخلوا الإسلام على تعلم العربية وتركوا لغاتهم الأصلية وأصبحوا عربى اللسان واللغة. ومن هؤلاء أعلام لا يحصون كان لهم فضل عظيم فى إنماء الفكر الإسلامى منهم اللغويون ، والنحويون ، والبيانيون ، والفقهاء ، والأصوليون ، والمفسرون ، والمحدثون ، والمتكلمون ، والفلاسفة ، والمناطقة ، والرياضيون ، والأطباء ، والفلكيون ، بل والشعراء والأدباء والرحالة والجغرافيون ، وغيرهم ، وغيرهم.

إن كل مجال من مجالات النشاط العلمى فى الإسلام نبغ فيه كثير من غير العرب بعد تعلمهم اللغة العربية التى كانوا فيها مثل أنجب وأحذق وأمهر أبنائها. ولو رحنا نحصى هؤلاء لضاق بنا السهل والوعر ، فلتكن الإشارة إليهم نائباً عن ذلك التفصيل غير المستطاع.

إن وحدة اللغة فى الإسلام لم تحل دون نشر الإسلام ، فلم يمض طويل من الزمن حتى بلغت الدعوة مشارق الأرض ومغاربها.

وصلت إلى الهند والصين فى أقصى الشرق ، وإلى شواطئ المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب وإلى بلاد النوبة جنوباً وإلى جبال البرانس جنوبى فرنسا شمالاً. وتوطدت فى قلب الكون:

الحجاز واليمن والشام وفارس وبلاد ما بين النهرين وما وراء النهرين ومصر وجنوب الوادى ، وتركت اللغة العربية الواحدة آثارها فى كل قطر أشرقت فيه شمس الإسلام ، وحتى ما فارقه الإسلام ـ كأسبانيا ـ ما تزال حضارة الإسلام وآثار العربية تغزو كل بيت فيها. وكما استوعب الإسلام مناهج الإصلاح فى كل مجالات الحياة الإنسانية استوعبت شقيقته الكبرى " اللغة العربية " كل أنماط التعبير ووسعت بسلطانها كل وسائل التسجيل والتدوين.. وامتلكت ناصية البيان الرائع الجميل ، فهى لغة علم ، ولغة فن ومشاعر ، ووجدان. وقانون وسلام وحرب ، ودين ودنيا.

إن أكثر من ألف مليون مسلم ينتشرون فى ربوع الأرض الآن لم يعجز الكثير منهم من غير العرب عن حفظ كتاب الله " القرآن العظيم " ويتلونه كما أنزل بلسان عربى فصيح. فإذا عاد إلى حديثه اليومى لجأ إلى لغة أمه وأبيه وبيئته.

ومسلم غير عربى استطاع أن يحفظ أو يقرأ القرآن بلغته العربية الفصحى لهو قادر ـ لو أدى المسلمون العرب واجبهم نحو لغة التنزيل ـ أن يقرأ بها كتب الحديث ، والفقه ، والتشريع ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأدب وسائر العلوم والفنون.

ولكنه ذنب العرب المسلمين لا ذنب اللغة. فهى مطواعة لمن يريد أن يتقنها إن وجد معلماً مخلصاً. والأمل كبير ـ الآن ـ فى أن يلتقى كل المسلمين على لغة واحدة ، كما التقوا على عقيدة واحدة.
إن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم عالمى الدعوة وإن كان عربى اللسان والجنس.
وإن الإسلام الحنيف عالمى التوجيه والسلطان وإن كانت لغة تنزيله عربية ورسوله عربياً ، ورواده الأوائل عرباً.
(١) رددنا على هذه الادعاءات فى " الإسلام فى مواجهة الاستشراق فى العالم " مرجع سبق ذكره.
(٢) سفر التثنية: الإصحاح (٣٣) الفقرات (١-٢).
(٣) سفر التكوين (٢١ - ٢١).
(٤) سفر التثنية: الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨ - ١٩).
ويكون المعنى عليه: كيف أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ؟ أى لا أفعل هذا.
(٥) الجمعة: ٢.
(٦) البقرة: ١٢٩.
(٧) المزمور (٤٥) الفقرات (٢ - ١٧) مع الحذف اليسير. (٨) الأنبياء: ١٠٧.
(٩) مكان النقط هنا كلام لم نذكره هو " قدوس إسرائيل لأنه مجدك " ؟! وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر!!
(١٠) سفر أشعياء الأصحاح (٦٠) الفقرات (٤-١٢) مع حذف يسير.
(١١) القصص: ٥٧.
(١٢) (٣ ـ٣ ـ١٥) مع الحذف.
(١٣) الإصحاح (٣) الفقرة (٢).
(١٤) الإصحاح (٤) الفقرة (١٧).
(١٥) الإصحاح (٦) الفقرة (٩-١٠).
(١٦) الإصحاح (١١) الفقرة (٢).
(١٧) الإصحاح (٩) الفقرة (٢).
(١٨) الإصحاح (١) الفقرة (١٤ ـ١٥).
(١٩) هذا إيضاح وليس من النص.
(٢٠) الإصحاح (١٤) الفقرات (٢٤ ـ ٢٦).
(٢١) الإصحاح (١٦) الفقرتان (٧ ـ٨).
(٢٢) الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣).
(٢٣) مريم: ٣٤.
(٢٤) الإصحاح (١٥) فقرتا (٢٦ ـ ٢٧).
(٢٥) انظر كتاب " إظهار الحق " ص ٥٢٨ للشيخ رحمت الله الهندى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا. نشر دار التراث.

٧٩ـ قوم النبى محمد صلى الله عليه وسلم زناة من أصحاب الجحيم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
ما ذنب النبى محمد صلى الله عليه وسلم أن يقع قومه ومن أرسل إليهم فى خطيئة الزنا أو أن يكونوا من أصحاب الجحيم ؟ مادام هو صلوات الله وسلامه عليه قد برئ من هذه الخطيئة ولاسيما فى مرحلة ما قبل النبوة ، وكانت مرحلة الشباب التى يمكن أن تكون إغراء له ولأمثاله أن يقعوا فى هذه الخطيئة ؛ لاسيما وأن المجتمع الجاهلى كان يشجع على ذلك وكان الزنا فيه من الأمور العادية التى يمارسها أهل الجاهلية شبانًا وشيبًا أيضًا. وكان للزنا فيه بيوت قائمة يعترف المجتمع بها ، وتُعلق على أبوابها علامات يعرفها بها الباحثون عن الخطيئة ، وتعرف بيوت البغايا باسم أصحاب الرايات.
ومع هذا الاعتراف العلنى من المجتمع الجاهلى بهذه الخطيئة ، ومع أن ممارستها للشباب وحتى للشيب لم تكن مما يكره المجتمع أو يعيب من يمارسونه ؛ فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يقع فيها أبدًا بل شهدت كل كتب السير والتواريخ له صلى الله عليه وسلم بالطهارة والعفة وغيرهما من الفضائل الشخصية التى يزدان بها الرجال وتحسب فى موازين تقويمهم وتقديرهم ، وأرسله الله سبحانه ليغير هذا المنكر.
هذه واحدة والثانية: أن الرسالة التى دعا بها ودعا إليها محمد صلى الله عليه وسلم حرّمت الزنا تحريماً قاطعاً وحملت آياتها فى القرآن الكريم عقاباً شديداً للزانى والزانية يبدأ بعقوبة بدنية هى أن يجلد كل منهما مائة جلدة قاسية يتم تنفيذها علناً بحيث يشهدها الناس لتكون عبرة وزجراً لهم عن التورط فيها كما تقول الآية الكريمة:(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (١).
فإذا كان الزانيان محصنين أى كل منهما متزوج ارتفعت العقوبة إلى حدّ الإعدام رمياً بالحجارة حتى الموت.
ولا تقف العقوبة عند ذلك بل نرى أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تضع مَنْ يمارسون هذه الخطيئة فى مرتبة دونية من البشر حتى لكأنهم صنف منحط وشاذ عن بقية الأطهار الأسوياء فتقول الآية الكريمة عنهم: (الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (٢).
من الذى يحمل المسئولية عن الخطيئة ؟ فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد طهر من هذه الخطيئة فى المجتمع الذى كان يراها عادية ومألوفة ، ثم كانت رسالته صلى الله عليه وسلم تحرمها التحريم القاطع والصريح ، وتضع مرتكبيها فى مرتبة الانحطاط والشذوذ عن الأسوياء من البشر..
فلِمَ يُعَيّر محمد صلى الله عليه وسلم بأن بعض قومه زناة ؟ وهل يصح فى منطق العقلاء أن يعيبوا إنساناً بما فى غيره من العيوب ؟ وأن يحملوه أوزار الآخرين وخطاياهم ؟.

وهنا يكون للمسألة وجه آخر يجب التنويه إليه وهو خاص بالمسئولية عن الخطيئة أهى فردية خاصة بمن يرتكبونها ؟ أم أن آخرين يمكن أن يحملوها نيابة عنهم ويؤدون كفارتها ؟ !
أن الإسلام يمتاز بأمرين مهمين:
أولهما: أن الخطيئة فردية يتحمل من وقع فيها وحده عقوبتها ولا يجوز أن يحملها عنه أو حتى يشاركه فى حملها غيره وصريح آيات القرآن يقول: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليه ما اكتسبت) (٣). ثم: (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) (٤). وورد هذا النص فى آيات كثيرة.
أما الأمر الثانى: فيما أقره الإسلام فى مسألة الخطيئة فهو أنها لا تورث ، ولا تنقل من مخطئ ليتحمل عنه وزره آخر حتى ولو بين الآباء وأبنائهم وفى هذا يقول القرآن الكريم:(واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) (٥).
(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت) (٦).
(ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب) (٧).
(يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) (٨).
(ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) (٩).
(كل نفس بما كسبت رهينة) (١٠).
وغير هذا كثير مما يؤكد ما أقرَّه الإسلام من أن الخطايا فردية وأنها لا تورث ولا يجزى فيها والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.
وما دام الأمر فلا أن فلم يلام محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعاب شخصه أو تعاب رسالته بأن بعض أهله أو حتى كلهم زناة مارسوا الخطيئة التى كان يعترف بها مجتمعه ولا يجزى فيها شيئاً أو ينقص الشرف والمروءة أو يعاب بها عندهم من يمارسها.
وحسب محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يقع أبداً فى هذه الخطيئة لا قبل زواجه ولا بعده ، ثم كانت رسالته دعوة كبرى إلى التعفف والتطهر وإلى تصريف الشهوة البشرية فى المصرف الحلال الذى حض الإسلام عليه وهو النكاح الشرعى الحلال ، ودعا المسلمين إلى عدم المغالاة فى المهور تيسيراً على الراغبين فى الحلال ، حتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يزوج الرجل بأقل وأيسر ما يملك من المال ، وأثر عنه صلى الله عليه وسلم أن شاباً جاءه يرغب إليه فى الزواج وما كان معه ما يفى بالمراد فقال له صلى الله عليه وسلم: [التمس ولو خاتماً من حديد] (١١).
أكثر من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان يزوج بعض الصحابة بما يحفظ من القرآن الكريم.
لهذا لم تقع خطايا الزنا فى المجتمع فى العهد النبوى كله إلا فى ندرة نادرة ، ربما لأن الحق سبحانه شاء أن تقع وأن يقام فيها الحد الشرعى ليسترشد بها المجتمع فى مستقبل الأيام ؛ كتشريع تم تطبيقه فى حالات محددة يكون هادياً ودليلاً فى القضاء والحكم.

هذا عن اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بأن أهله زناة ، وهو كما أوضحنا اتهام متهافت لا ينال من مقام النبوة ولا يرتقى إلى أقدام صاحبها صلى الله عليه وسلم. وقد أتينا عليه بما تستريح إليه ضمائر العقلاء وبصائر ذوى القلوب النقية.

أما عن اتهامه صلى الله عليه وسلم بأن أهله من أصحاب الجحيم ، فهى شهادة لجلال التشريع الذى أنزله الحق - على محمد فأكمل به الدين وأتم به النعمة.

بل إن ما يعيبون به محمداً صلى الله عليه وسلم من أن أهله من أصحاب الجحيم ليس أبداً عيبًا فى منطق العقلاء ذوى النصفة والرشد ؛ بل إنه وسام تكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم ولرسالته الكاملة والخاتمة فى أن التشريع الذى نزلت به سوَّى بين من هم أقرباء محمد صلى الله عليه وسلم وبين من هم غرباء عنه فى جميع الأحكام ثواباً وعقوبة.

بل إن التشريع الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم نص صراحة على التزام العدل خاصة حين يكون أحد أطرافه ذا قربى فقال القرآن:(ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) (١٢). وقوله: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (١٣).

أما فى السنة النبوية فحديث المرأة المخزومية - من بنى مخزوم ذوى الشرف والمكانة - التى ارتكبت جريمة السرقة وهى جريمة عقوبتها حدّ السرقة وهو قطع يد السارق كما تنص عليه آيات القرآن ، وشغل بأمرها مجتمع المدينة لئلا يطبق عليها الحدّ فتقطع يدها وهى ذات الشرف والمكانة فسعوا لدى أسامة بن زيد – حبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يشفع لها لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها] (١٤).

وعليه فكون بعض آل محمد وذوى قرباه من أصحاب الجحيم كأبى لهب عمه الذى نزلت فيه سورة المسد:

(تبت يدا أبى لهب وتب) (١٥) وغيره ممن كان نصيرًا لهم مع بقائه على شركه..

كون هؤلاء من أصحاب الجحيم لأنهم بقوا على شركهم ولم تنفعهم قرابتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم هو فى الواقع شهادة تقدير تعطى لمحمد ورسالته التى سوَّت فى العدل بين القريب وبين الغريب ، ولم تجعل لعامل القرابة أدنى تأثير فى الانحياز ضد الحق لصالح القريب على الغريب. وما قاله المبطلون هو فى الحق وسام وليس باتهام.

وصلى الله وسلم على النبى العظيم.

(١) النور: ٢.

(٢) النور: ٣.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) الأنعام: ١٦٤.

(٥) البقرة ٤٨.

(٦) يونس: ٣٠.
(٧) إبراهيم: ٥١.
(٨) النحل: ١١١.
(٩) الجاثية: ٢٢.
(١٠) المدثر: ٣٨.
(١١) رواة البخارى [كتاب النكاح].
(١٢) التوبة: ١١٣.
(١٣) الأنعام: ١٥٢.
(١٤) رواة البخارى [كتاب أحاديث الأنبياء].
(١٥) المسد: ١.

٨٠- مات النبى صلى الله عليه وسلم بالسم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
حين تصاب القلوب بالعمى بسبب ما يغشاها من الحقد والكراهية يدفعها حقدها إلى تشويه الخصم بما يعيب ، وبما لا يعيب ، واتهامه بما لا يصلح أن يكون تهمة ، حتى إنك لترى من يعيب إنساناً مثلاً بأن عينيه واسعتان أو أنه أبيض اللون طويل القامة ، أو مثلاً قد أصيب بالحمى ومات بها ، أو أن فلاناً من الناس قد ضربه وأسال دمه ؛ فهذا كأن أو أن تعيب الورد بأن لونه أحمر مثلاً ؛ وغير ذلك مما يستهجنه العقلاء ويرفضونه ويرونه إفلاسًا وعجزًا.
أن محمداً صلى الله عليه وسلم قدمت له امرأة من نساء اليهود شاة مسمومة فأكل منها فمات صلى الله عليه وسلم.
وينقلون عن تفسير البيضاوى:
أنه لما فتحت خيبر واطمأن الناس سألت زينب بنت الحارس - وهى امرأة سلام بن مشكم (اليهودى) - عن أى الشاة أحب إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها: إنه يحب الذراع لأنه أبعدها عن الأذى فعمدت إلى عنزة لها فذبحتها ثم عمدت إلى سمّ لا يلبث أن يقتل لساعته فسمَّت به الشاة ، وذهبت بها جارية لها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له: يا محمد هذه هدية أهديها إليك.
وتناول محمد الذراع فنهش منها.. فقال صلى الله عليه وسلم: ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع والكتف تخبرنى بأنها مسمومة ؛ ثم سار إلى اليهودية فسألها لم فعلت ذلك ؟ قالت: نلت من قومى ما نلت ... وكان ذلك بعد فتح " خيبر " أحد أكبر حصون اليهود فى المدينة وأنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عنها.
ثم يفصحون عن تفسير البيضاوى:
أنه صلى الله عليه وسلم لما اقترب موته قال لعائشة ـ رضى الله عنها ـ يا عائشة هذا أوان انقطاع أبهرى (١).

فليس فى موته صلى الله عليه وسلم بعد سنوات متأثرًا بذلك السُّم إلا أن جمع الله له بين الحسنيين ، أنه لم يسلط عليه من يقتله مباشرة وعصمه من الناس وأيضًا كتب له النجاة من كيد الكائدين وكذلك كتب له الشهادة ليكتب مع الشهداء عند ربهم وما أعظم أجر الشهيد.

وأيضًا.. لا شك أن عدم موته بالسم فور أكله للشاة المسمومة وحياته بعد ذلك سنوات يُعد معجزة من معجزاته ، وعَلَمًا من أعلام نبوته يبرهن على صدقه ، وعلى أنه رسول من عند الله حقًا ويقينًا.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يموت فى الأجل الذى أجله له رغم تأثره بالسم من لحظة أكله للشاة المسمومة حتى موته بعد ذلك بسنوات.

(١) الأبهران عرقان متصلان بالقلب وإذا قطعا كانت الوفاة.

٨١- تعدد زوجات النبى محمد صلى الله عليه وسلم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

قالوا إنه صلى الله عليه وسلم:

* تزوج زوجة ابنه بالتبنى (زيد بن حارثة).
* أباح لنفسه الزواج من أى امرأة تهبه نفسها (الخلاصة أنه شهوانى).

الرد على الشبهة:

الثابت المشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر.

والثابت كذلك أن الزواج المبكر كان من أعراف المجتمع الجاهلى رغبة فى الاستكثار من البنين خاصة ليكونوا للقبيلة عِزًّا ومنعة بين القبائل.

ومن الثابت كذلك فى سيرته الشخصية صلى الله عليه وسلم اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة ، رغم امتلاء المجتمع الجاهلى بشرائح من الزانيات اللاتى كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها " رايات " ليعرفها طلاب المتع المحرمة.

ومع هذا كله ـ مع توفر أسباب الانحراف والسقوط فى الفاحشة فى مجتمع مكة ـ لم يُعرَف عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه ؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان.

ويُرْوَى فى ذلك أن بعض أترابه الشباب أخذوه ذات يوم إلى أحد مواقع المعازف واللهو فغشَّاه الله بالنوم فما أفاق منه إلا حين أيقظه أترابه للعودة إلى دورهم.

هذه واحدة..

أما الثانية فهى أنه حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب فى الزواج لم يبحث عن " البكر " التى تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالى خمسة عشر عامًا ، ثم إنها ليست بكرًا بل هى ثيب ، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين ؛ وهى السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها

هى التى اختارته بعد ما لمست بنفسها ـ من خلال مباشرته لتجارتها ـ من أمانته وعفته وطيب شمائله صلى الله عليه وسلم.
والثالثة أنه صلى الله عليه وسلم بعد زواجه منها دامت عشرته بها طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها - رضى الله عنها - زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعًا إلا إبراهيم الذى كانت أمه السيدة " مارية " القبطية.
والرابعة أنه صلى الله عليه وسلم عاش عمره بعد وفاتها - رضى الله عنها - محبًّا لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهى مآثر لها خصوص فى حياته وفى نجاح دعوته فيقول فى بعض ما قال عنها: [صدقتنى إذ كذبنى الناس وأعانتنى بمالها]. بل كان صلى الله عليه وسلم لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها ، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة - رضى الله عنها.
أما تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها:
أولاً: كان عُمْرُ محمد صلى الله عليه وسلم فى أول زواج له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهى السنّ التى تنطفىء فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنيًّا ، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتى تركتهم خديجة - رضى الله عنها -.
وفيما يلى بيان هذا الزواج وظروفه.
الزوجة الأولى: سودة بنت زمعة: كان رحيل السيدة خديجة - رضى الله عنها - مثير أحزان كبرى فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى محيط الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفاقًا عليه من الوحدة وافتقاد من يرعى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب نصيره وظهيره وسُمِّىَ العام الذى رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عام الحزن.
فى هذا المناخ.. مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة فأجاب صلى الله عليه وسلم: [أجل كانت أم العيال وربة البيت] ، فقالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك ؟.
فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ولكن – من بعد خديخة ؟! فذكرت له عائشة بنت أبى بكر فقال الرسول:
لكنها ما تزال صغيره فقالت: تخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج.. قال الرسول ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة ، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها صلى الله عليه وسلم بمكة.
وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفى عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة ، وكان ذلك فى رمضان سنة عشر من النبوة.

وعجب المجتمع المكى لهذا الزواج لأن " سودة " هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلفًا لأم المؤمنين خديجة التى كانت عند زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها جميلة وضيئة وحسيبة تطمح إليها الأنظار.
وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هى الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة ، فهى مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قَبِلَ الرسول زواجها حماية لها وجبرًا لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة.
وليس الزواج بها سعارَ شهوة للرسول ولكنه كان جبرًا لخاطر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفى زوجها وتركها امرأة تحتاج هى وبنوها إلى من يرعاهم.
الزوجة الثانية بعد خديجة: عائشة بنت أبى بكر الذى يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن من آمن الناس علىّ فى ماله وصحبته أبا بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام..".
ومعروف من هو أبو بكر الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن عطائه للدعوة " ما نفعنى مالٌ قط ما نفعنى مال أبى بكر " ، وأم عائشة هى أم رومان بنت عامر الكنانى من الصحابيات الجليلات ، ولما توفيت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبرها واستغفرلها وقال: " اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفى رسولك صلى الله عليه وسلم " ، وقال عنها يوم وفاتها:
" من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان " ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين ؛ بل استقبلته كما تستقبل أمرًا متوقعاً ؛ ولذا لم يجد أى رجل من المشركين فى هذا الزواج أى مطعن - وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلكوه ولو كان زورًا وافتراء.
وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عامًا ليس بدعا ولا غريبًا لأن هذا الأمر كان مألوفًا فى ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد صلى الله عليه وسلم - جعلوا من هذا الزواج اتهامًا للرسول وتشهيرًا به بأنه رجل شهوانى غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعًا فى ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما فى هذه النماذج:
- فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم من هالة بنت عم آمنة التى تزوجها أصغر أبنائه عبد الله - والد الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وتزوج عمر بن الخطاب ابنة على بن أبى طالب وهو أكبر سنًّا من أبيها.
- وعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشابة " حفصة " وبينهما من فارق السن مثل الذى بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين " عائشة " (١).
كان هذا واقع المجتمع الذى تزوج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة. لكن المستشرقين والممتلئة قلوبهم حقدًا من بعض أهل الكتاب لم ترَ أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتى جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريرة العذراء (٢).
قاتل الله الهوى حين يعمى الأبصار والبصائر !

الزوجة الثالثة: حفصة بنت عمر الأرملة الشابة:
توفى عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمى وهو صحابى جليل من أصحاب الهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته فى غزوة أُحد حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهى شابة.
وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذى كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يومًا بعد يوم..
وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذى لا يتردد فيه الرجل من أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها..
بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق " أبى بكر " يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو بالسلب.
فيتركه عمر ويمضى إلى ذى النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض..
فتضيق به الدنيا ويمضى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره بما حدث فيكون رد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه هو قوله: [يتزوج حفصة خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان خيرًا من حفصة] (٣).
وأدركها عمر - رضى الله عنه - بفطرته إذ معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم.
وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة وارتياح القلب إلى أن الله قد فرّج كرب ابنته.
الزوجة الرابعة: أم سلمة بنت زاد الراكب:
من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله ابن عبد الأسد المخزومى أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. جاءت إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كزوجة بعد وفاة " أم المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية " بزمن غير قصير.
سليلة بيت كريم ، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب ؛ إذ كان لا يرافقه أحد فى سفر إلا كفاه زاده.
وزوجها الذى مات عنها صحابى من بنى مخزوم ابن عمة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت هى و زوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معًا وقد حدث لها ولطفلها أحداث أليمة ومثيرة ذكرتها كتب السير. رضى الله عن أم سلمة..
ولا نامت أعين المرجفين.
الزوجة الخامسة: زينب بنت جحش:
لم أرَ امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبديلا إلا لنفسها فى العمل الذى تتصدق وتتقرب به إلى الله عز وجل ؟ (٤).

هكذا تحدثت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن " ضرّتها " زينب بنت جحش. أما المبطلون الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا:
أُعْجِب محمد صلى الله عليه وسلم ـ وحاشا له ـ بزوجة متبناه " زيد بن حارثة " فطلقها منه وتزوجها.
ويرد الدكتور هيكل فى كتابه " حياة محمد " (٥) صلى الله عليه وسلم على هذا فيقول: إنها شهوة التبشير المكشوف تارة والتبشير باسم العلم تارة أخرى ، والخصومة القديمة للإسلام تأصلت فى النفوس منذ الحروب الصليبية هى التى تملى على هؤلاء جميعًا ما يكتبون.
والحق الذى كنا نود أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.. هو أن زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زوجة ابنه بالتبنى زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة ـ عادة التبنى ـ التى هى فى الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها فى واقع الناس والحياة آثار غير حميدة.
ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت فى مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبى الرسالة الخاتمة نفسه صلى الله عليه وسلم ليتم على يديه وفى بيته الإعلان العلمى عن إبطال هذه العادة.
وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التى جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيرًا للتشريع الجديد فى هذه ـ المسألة و فى موضوع الزواج بزينب حيث تقول:
(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٦).
(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) (٧).
(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا وكان أمر الله مفعولاً) (٨).
مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب لم تكن وراءه أبدًا شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمرًا من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبنى من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة فى المجتمع الجاهلى الذى كانت عادة التبنى أصلاً من أصوله وتقليدًا مستقرًا فيه ، فكان السبيل لأبطالها أن يتم التغيير فى بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم.
وقد فطنت السيدة " زينب بنت جحش " نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهى به ضراتها وتقول لهن:
" زوجكن أهاليكن وزوجنى ربى من فوق سبع سمَوات " (٩).
أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معربًا عن رغبته فى تطليق زينب ؛ فلم يكن ـ كما زعم المرجفون ـ أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له..

ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه ؛ ذلك أن زينب بنت جحش لم تنس أبدًا ـ وهى الحسيبة الشريفة والجميلة أيضًا أنها أصبحت زوجًا لرجل كان رقيقًا عند بعض أهلها وأنه ـ عند الزواج بها ـ كان مولىً للرسول صلى الله عليه وسلم أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة.

فهو ـ وإن تبناه محمد وبات يسمى زيد بن محمد فى عرف المجتمع المكى كله ، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضا ما يزال ـ كما كان بالأمس ـ الأسير الرقيق الذى لا يمثل حُلم من تكون فى مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء.

ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج ، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ فى نفسه توهج السعادة هو الآخر ، وبات مهيأ النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو زينب إليه كما جاء فى البخارى من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له: [أمسك عليك زوجك واتق الله] (١٠) قال أنس: لو كان النبى كاتمًا شيئًا لكتم هذا الحديث.

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول له كما حكته الآية: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها.

وزينب بنت جحش هى بنت عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كما سبقت الإشارة – وهو الذى زوجها لمولاه " زيد " ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه ؛ وخاصة أنه رآها كثيراً قبل فرض الحجاب ، وكان النساء فى المجتمع الجاهلى غير محجبات فما كان يمنعه – إذًا – من أن يتزوجها من البداية ؟! ؛ ولكنه لم يفعل.

فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعًا: لا لزينب ولا لزيد ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه أمر قدرى شاءته إرادة الله لإعلان حكم وتشريع جديدين فى قضية إبطال عادة " التبنى " التى كانت سائدة فى المجتمع آنذاك.

يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التى تعلقت بالموضوع فى سورة الأحزاب.

أما الجملة التى وردت فى قوله تعالى:(وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) (١١). فإن ما أخفاه النبى صلى الله عليه وسلم هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب ـ يومًا ما ـ ستكون زوجًا له ؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبنى (١٢).

الزوجة السادسة: جويرية بنت الحارث الخزاعية:

الأميرة الحسناء التى لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول صلى الله عليه وسلم بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بنى المصطلق (التى هى منهم).

كانت ممن وقع فى الأسر بعد هزيمة بنى المصطلق من اليهود فى الغزوة المسماة باسمهم. وكاتبها من وقعت فى أسره على مال فذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لها: " أو خير من ذلك ؟.

قالت: وما هو ؟ قال: أقضى عنك كتابتك وأتزوجك.

قالت: وقد أفاقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله.

قال: قد فعلت " (١٣).
وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول صلى الله عليه وسلم قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بنى المصطلق وقائدهم فى هذه الغزوة..
معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأنهم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم تجسد فى إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق وهم يقولون: أصهار رسول الله ، فلا نبقيهم أسرى.
ومع أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذى جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج ، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.
ويقولون: إنه نظر إليها.
وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه - وربما كان نظره إليها ضارعة مذعورة – هو الذى حرك فى نفسه صلى الله عليه وسلم عاطفة الرحمة التى كان يأمر بها بمن فى مثل حالتها ويقول: [ارحموا عزيز قوم ذل] ، فرحمها وخيرها فاختارت ما يحميها من هوان الأسر ومذلة الأعزة من الناس.
على أن النظر شرعًا مأذون به عند الإقدام على الزواج - كما فى هذه الحالة - وكما أمر به صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه عند رغبته فى الزواج - قائلاً له: [انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما] (١٤).
وقد توفيت فى دولة بنى أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهى فى السبعين من العمر - رضى الله عنها.
الزوجة السابعة: صفية بنت حُيىّ - عقيلة بنى النضير:
إحدى السبايا اللاتى وقعن فى الأسر بعد هزيمة يهود بنى النضير أمام المسلمين فى الوقعة المسماة بهذا الاسم ، كانت من نصيب النبى صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها: فماذا فى ذلك ؟ ولم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعًا فى ذلك ؛ وإنما كان موقفًا جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق.
فلم يكن هذا الموقف إعجابًا بصفية وجمالها ؛ ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التى يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمة والرفق بمن أوقعتهن ظروف الهزيمة فى الحرب فى حالة الاستضعاف والمذلة لا سيما وقد أسلمن وحسن إسلامهن.
فقد فعل ذلك مع " صفية بنت حُيىّ " بنت الحارس عقيلة بنى النضير (اليهود) أمام المسلمين فى الموقعة المعروفة باسم (غزوة بنى قريظة) بعد انهزام الأحزاب وردّهم مدحورين من وقعة الخندق.
الزوجة الثامنة: أم حبيبة بنت أبى سفيان نجدة نبوية لمسلمة فى محنة:
إنها أم حبيبة " رملة " بنت أبى سفيان كبير مشركى مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه.

كانت زوجًا لعبيد الله بن جحش وخرجا معًا مهاجرين بإسلامهما فى الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وكما هو معروف أن الحبشة فى عهد النجاشى كانت هى المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم ؛ فإذا هم يجدون فى – ظل النجاشى – رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيمانى جعله يرحب بأتباع النبى الجديد الذى تم التبشير بمقدمه فى كتبهم على لسان عيسى بن مريم– عليه السلام – كما تحدث القرآن عن ذلك فى صورة الصف فى قوله:(وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدى من التوراة ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١٥).
لكن أم حبيبة بنت أبى سفيان كانت وحدها التى تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة ؛ ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله فى النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت فى محنة مضاعفة: محنتها فى زوجها الذى ارتد وخان..
ومحنتها السابقة مع أبيها الذى فارقته مغاضبة إياه فى مكة منذ دخلت فى دين الله (الإسلام)..
وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التى كانت تنتظرها والتى رزقت بها من بعد وأسمتها " حبيبة ".. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن !!
لكن عين الله ثم عين محمد صلى الله عليه وسلم سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسّر العين ويهون الخطب ، وعادت بنت أبى سفيان تحمل كنية جديدة ، وبدل أن كانت " أم حبيبة " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه.
والحق أقول: لقد كان نجاشى الحبشة من خلّص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبى سفيان بصفة خاصة. فأنفذ فى أمرها مما بعث به إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها له.
وكانت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة بنت أبى سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة فى الغربة ؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر صلى الله عليه وسلم ؛ وعوضتها عن غضب الأب " أبى سفيان " برعاية الزوج الحانى الكريم صلوات الله عليه.
كما كانت هذه الخطبة فى مردودها السياسى - لطمة كبيرة لرأس الكفر فى مكة أبى سفيان بن حرب الذى كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو قوله: " إن هذا الفحل لا يجدع أنفه " ؛ كناية عن الاعتراف بأن محمدًا لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر.
كان هذا الاعتراف من أبى سفيان بخطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون:
تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح.

فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.
وتقدم أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله قائلاً: " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فهلا جعلت له ما يحل عقدته ويسكن حقده وغيظه ، فقال صلوات الله وسلامه عليه في ضمن إعلانه التاريخى الحضارى العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه:
* من دخل داره فهو آمن.
* ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.
* ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن "(١٦).
وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس فى دين الله أفواجًا. وفى مناخ النصر العظيم.. كانت هى سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم.
تلكم هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان التى أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربة ووضعتها فى أعز مكان من بيت النبوة.
الزوجة التاسعة: ميمونة بنت الحارث الهلالية أرملة يسعدها أن يكون لها رجل:
آخر أمهات المؤمنين.. توفى عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزّى العامرى ؛ فانتهت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حيث بنى بها الرسول ـ فى " سرف " قرب " التنعيم" على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها.
وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل: إنها هى التى وهبت نفسها للنبى والتى نزل فيها قوله تعالى: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين..) (١٧).
كانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه.
(١) تراجم لسيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ: ص ٢٥٠ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطىء ص ٣٢٤ (٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل.
(٥) حياة محمد ص ٢٩.
(٦) الأحزاب: ٤٠.
(٧) الأحزاب: ٥.
(٨) الأحزاب: ٣٧.
(٩) رواه البخارى (كتال التوحيد ٦١٠٨).
(١٠) رواه االبخارى (كتاب التوحيد).
(١١) الأحزاب: ٣٧.
(١٢) انظر فتح البارى ٨ / ٣٧١ عن سيدات بيت النبوة لبنت الشاطئ ص ٣٥٤.
(١٣) رواه البخارى: فتح البارى _ كتال النكاح باب ١٤.

(١٤) رواه البخارى: فتح البارى ـ كتاب النكاح باب ٣٦.
(١٥) الصف: ٦.
(١٦) رواه البخارى – فتح البارى – " كتاب المغازى ".
(١٧) الأحزاب: ٥٠.

٨٢ـ محاولة النبى محمد صلى الله عليه وسلم الانتحار

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

الحق الذى يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التى استندتم إليها ـ يا خصوم الإسلام ـ ليست صحيحة رغم ورودها فى صحيح البخارى ـ رضى الله عنه ـ ؛ لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة ، ولكن أوردها تحت عنوان " البلاغات " يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ ، ومعروف أن البلاغات فى مصطلح علماء الحديث: إنما هى مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن (١).

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (٢) بقوله:

" إن القائل بلغنا كذا هو الزهرى ، وعنه حكى البخارى هذا البلاغ ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الكرمانى: وهذا هو الظاهر ".

هذا هو الصواب ، وحاش أن يقدم رسول الله ـ وهو إمام المؤمنين ـ على الانتحار ، أو حتى على مجرد التفكير فيه.

وعلى كلٍ فإن محمداً صلى الله عليه وسلم كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيًا للألوهية.

والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بها ، وقد قال القرآن الكريم فى ذلك:(قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً) (٣).

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه ـ فى علوم عصرنا ـ بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادى لا غبار عليه ؛ لأنه من أعراض بشريته صلى الله عليه وسلم.

وحين فتر (تأخر) الوحى بعد أن تعلق به الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى المكان الذى كان ينزل عليه الوحى فيه يستشرف لقاء جبريل ، فهو محبّ للمكان الذى جمع بينه وبين حبيبه بشىء من بعض السكن والطمأنينة ، فماذا فى ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما يأتى وما يدع ؟ وإذا كان أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يستندون إلى الآية الكريمة: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (٤).

فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار ، ولكنها تعبير أدبى عن حزن النبى محمد صلى الله عليه وسلم بسبب صدود قومه عن الإسلام ، وإعراضهم عن الإيمان

بالقرآن العظيم ؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الله ، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.
وهذا خاطر طبيعي للنبى الإنسان البشر الذى يعلن القرآن على لسانه صلى الله عليه وسلم اعترافه واعتزازه بأنه بشر فى قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين-: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أوتأتى بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه). فكان رده:(سبحان ربى) متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم:(هل كنت إلا بشراً رسولاً) (٥).
أما قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً.
حيث ثبت فى صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها ؛ منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة ، ومنها تكثير الطعام حتى يكفى الجم الغفير ، وله معجزة دائمة هى معجزة الرسالة وهى القرآن الكريم الذى وعد الله بحفظه فَحُفِظَ ، ووعد ببيانه ؛ لذا يظهر بيانه فى كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه.
(١) انظر صحيح البخارى ج٩ ص ٣٨ ، طبعة التعاون.
(٢) فتح البارى ج١٢ ص ٣٧٦.
(٣) الإسراء: ٩٣.
(٤) الشعراء: ٣.
(٥) الإسراء: ٩٣.

٨٣- ولادة النبى محمد صلى الله عليه وسلم عادية

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
لأن ولادة السيد المسيح - عليه السلام - تمت على هبة من الله تبارك وتعالى للسيدة العذراء مريم - عليها السلام - وليس من خلال الزواج بينها وبين رجل. فبعض أهل الكتاب (النصارى منهم خاصة) يتصورون أن كل نبى لا بد أن يولد بمثل هذه الطريقة.
وإذا كانت ولادة محمد صلى الله عليه وسلم مثل غيره من ملايين خلق الله فإن هذا عندهم مما يعيبونه به صلى الله عليه وسلم ويطعنون فى صحة نبوته.
١- فلم يدركوا أن بشرية محمد صلى الله عليه وسلم هى واحدة من القسمات التى شاركه فيها كل رسل الله تعالى منذ نوح وإبراهيم وغيرهما من بقية رسل الله إلى موسى - عليه السلام - الذين ولدوا جميعاً من الزواج بين رجل وامرأة. ولم يولد من

غير الزواج بين امرأة ورجل إلا عيسى ـ عليه السلام ـ وكان هذا خصوصية له لم تحدث مع أى نبى قبله ، ولم تحدث كذلك مع محمد صلى الله عليه وسلم.
٢ـ كانت ولادة محمد صلى الله عليه وسلم إعلاناً لكونه بشراً من البشر يولد كما يولد البشر ويجرى عليه من الأحوال فى أكله وشربه ، وفى نومه وصحوه ، وفى رضاه وغضبه وغير ذلك مما يجرى على البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضاً.
٣ـ كان محمد صلى الله عليه وسلم يعتز بهذه البشرية ويراها سبيله إلى فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها ، وقد اعتبر القرآن ذلك ميزة له فى قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (١).
كما أعلن محمد صلى الله عليه وسلم اعتزازه بهذه البشرية وعجزها حين أعلن قومه أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا فجر لهم ينابيع الماء من الأرض ، أو أن يكون له بيت من زخرف ، أو أن يروه يرقى فى السماء وينزل عليهم كتاباً يقرأونه ، فكان رده صلى الله عليه وسلم كما حكاه القرآن: (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً) (٢).
٤ـ لقد قرر القرآن قاعدة كون الرسل من جنس من يرسلون إليهم ؛ بمعنى أن يكون المرسلون إلى الناس بشراً من جنسهم ، ولو كان أهل الأرض من جنس غير البشر لكانت رسل الله إليهم من نفس جنسهم وذلك فى قوله تعالى: (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) (٣).
وعلى المعنى نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام:(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) (٤). وقوله تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا) (٥). وقوله تعالى (لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) (٦). وقوله تعالى (فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله..) (٧). وقوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) (٨).
وغير هذا كثير مما أكده القرآن وهو المنطق والحكمة التى اقتضتها مشيئته ـ تعالى ـ لما هو من خصائص الرسالات التى توجب أن يكون المرسل إلى الناس من جنسهم حتى يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتى يستأنسوا به ويفهموا عنه.
ومن هنا تكون " بشرية الرسول " بمعنى أن يجرى عليه ما يجرى على الناس من البلاء والموت ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعى لنجاح البلاغ عن الله.
(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) الإسراء: ٩٣.
(٣) الإسراء: ٩٥.
(٤) البقرة: ١٩٥.
(٥) البقرة ١٥١.
(٦) آل عمران: ١٦٤.
(٧) المؤمنون: ٣٢.
(٨) الجمعة: ٢.

٨٤- يحتاج محمد صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة عليه

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

الحق أن الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة بل هى مظهر تكريم واعتزاز وتقدير له من الحق سبحانه وتقدير له من أتباعه ، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه لأن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

لأن أى مقارنة منصفة بين ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وبين غيره من أنبياء الله ورسله ترتفع به ليس فقط إلى مقام العصمة ؛ بل إلى مقام الكمال الذى أتم به الله الرسالات ، وأتم به التنزيل ، وأتم به النعمة ، فلم تعد البشرية بعد رسالته صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى رسل ورسالات.

لذلك فإن رسالته صلى الله عليه وسلم وهى الخاتمة والكاملة حملت كل احتياجات البشرية وما يلزمها من تشريعات ونظم ومعاملات وما ينبغى أن تكون عليه من أخلاق وحضارة مما افتقدت مثل كماله كل الرسالات السابقة.

وحسب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أنها جاءت رحمة عامة للبشرية كلها كما قال القرآن: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١). فلم تكن كما جاء ما قبلها رسالة خاصة بقوم رسولهم كما قال تعالى:(وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله) (٢).

(وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله) (٣).

(وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله) (٤).

وهكذا كل رسول كان مرسلاً إلى قومه..

لت كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين وإلى الناس كافة كما جاء فى قوله تعالى:

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٥)، (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (٦).

ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت فوق كونها عالمية فقد كانت هى الخاتمة والكاملة التى ـ كما أشرنا ـ تفى باحتياجات البشر جميعاً وتقوم بتقنين وتنظيم شئونهم المادية والمعنوية عبر الزمان والمكان بكل ما فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة.

وفى هذا قال الله تعالى:(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٧).

وقال فى وصفه لإكمال الدين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم (الإسلام): (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) (٨).

إن عموم رسالة محمد إلى العالمين ، وبإعتبارها الرسالة الكاملة والخاتمة ؛ يعنى امتداد دورها واستمرار وجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقوله تعالى: (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) (٩).

(١) الأنبياء: ١٠٧.
(٢) الأعراف: ٦٥.
(٣) الأعراف: ٧٢.
(٤) الأعراف: ٨٥.
(٥) الأنبياء: ١٠٧.
(٦) سبأ: ٢٨.
(٧) الأحزاب: ٤٠.
(٨) المائدة: ٣.
(٩) التوبة: ٣٣ ـ الفتح: ٢٨ ـ والصف: ٩.

٨٥ـ محمد صلى الله عليه وسلم أمّى فكيف علّم القرآن ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

والأمى إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذًا من " الأمية " ، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذًا من " الأممية " حسب المصطلح اليهودى الذى يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فإذا تعاملنا مع هذه المقولة علمنا أن المراد بها من لا يعرف القراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول ، بل لعله أن يكون تأكيدًا ودليلاً قويًا على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحى أوحى إليه من الله لم يقرأه فى كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه (.

وقد رد القرآن على هذه المقولة ردًا صريحًا فى قوله:

(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذى يعلم السّر فى السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا) (١).

وحسب النبى الأمى الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يكون الكتاب الذى أنزل عليه معجزًا لمشركى العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة ؛ بل ومتحديًا أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله.

كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به ـ كما قال بعض كبارهم ـ " ليس من سجع الكهان ولا من الشعر ولا من قول البشر ".

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد(أنه " أمّى " على معنى أنه من الأمميين ـ أى من غير اليهود ـ فما هذا مما يعيبه. بل إنه لشرف له أنه من الأمميين أى أنه من غير اليهود.

ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالى على من عداهم من " الأمميين " واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار ـ كما يزعمون.
كل هذا مما يتنافى تمامًا مع ما جاء به محمد (من المساواة الكاملة بين بنى البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن ؛ الذى اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو لمجرد التعارف والتمايز ؛ لكنه ـ أبدًا ـ لا يعطى تميزًا لجنس على جنس ، فليس فى الإسلام ـ كما يزعم اليهود ـ أنهم شعب الله المختار.
ولكن التمايز والتكريم فى منظور الإسلام ؛ إنما هو بالتقوى والصلاح كما فى الآية الكريمة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) (٢).
(١) الفرقان: ٥-٦.
(٢) الحجرات: ١٣.

٨٦ـ محمد صلى الله عليه وسلم يحرّم ما أحل الله

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
استند الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم فى توجيه هذا الاتهام إلى ما جاء فى مفتتح سورة التحريم من قوله تعالى: (يا أيها النبى لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) (١).
وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلى أمر حدث فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة إذ كان صلى الله عليه وسلم قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعامًا لا يوجد فى بيوتهن ، فأسر إلى إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فعاتبنه فحرّم صلى الله عليه وسلم تناول هذا الطعام على نفسه ابتغاء مرضاتهن.
والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرّم ما أحل الله هو تصيّد للعبارة وحمل لها على ما لم ترد له..
فمطلع الآية (لم تحرم ما أحل الله لك (هو فقط من باب " المشاكلة " لما قاله النبى لنسائه ترضية لهن ؛ والنداء القرآنى ليس اتهامًا له صلى الله عليه وسلم بتحريم ما أحل الله ؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذى يعلم تبارك وتعالى أنه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه أن يحرّم شيئًا أو أمرًا أو عملاً أحلّه الله ؛ ولكنه يشدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالى الكريم.
ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال:(ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) (٢).

وعليه فالقول بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم يحرّم ما أحل الله من المستحيلات على مقام نبوته التى زكاها الله تبارك وتعالى وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى) (٣).
فمقولة بعضهم أنه يحرّم هو تحميل اللفظ على غير ما جاء فيه ، وما هو إلا وعد أو عهد منه صلى الله عليه وسلم لبعض نسائه فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله.
(١) التحريم: ١.
(٢) الحاقة: ٤٤- ٤٧.
(٣) النجم: ٣- ٤.

٨٧- محمد صلى الله عليه وسلم يعظم الحجر الأسود

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
إنهم فى هذه المقولة ـ يريدون أن يتهموه بأنه كان يعظم الحجر الأسود ـ بل ويعظم الكعبة كلها بالطواف حولها وهى حجر لا يختلف فى زعمهم عن الأحجار التى كانت تصنع منها الأوثان فى الجاهلية وكأن الأمر سواء !!
وحقيقة الأمر أن من بعض ما استبقاه الإسلام من أحوال السابقين ما كان فيه من تعاون على خير أو أمر بمعروف ونهى عن منكر ، من ذلك ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على حلف كان فى الجاهلية يسمى " حلف الفضول " وهو عمل إنسانى كريم كان يتم من خلاله التعاون على نصرة المظلوم ، وفداء الأسير ، وإعانة الغارمين ، وحماية الغريب من ظلم أهل مكة وهكذا..
وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الحلف وقال: لو دعيت إلى مثله لأجبت.
وأيضًا كان مما استبقاه الإسلام من فضائل السابقين مما ورثوه عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ تعظيمهم للبيت الحرام وطوافهم به ؛ بل وتقبيلهم للحجر الأسود.
وهناك بعض مرويات تقول إن هذا الحجر من أحجار الجنة.
وهنا فقط لا يكون أمامنا إلا ما ثبت من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبل الحجر الأسود عند طوافه بالبيت ، وهو ما تنطق به الرواية عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال عن تقبيله لهذا الحجر: (والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك).
وهنا نقول:
من المستحيل أن يكون تقبيل الرسول صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود من باب المجاراة أو المشاكلة لعبدة الأصنام فيما كانوا يفعلون.

ومستحيل أيضًا أن يكون صلى الله عليه وسلم قد فعل ذلك - أى تقبيل الحجر الأسود - دون وحى أو إلهام وجهه صلى الله عليه وسلم إلى تقبيل الحجر بعيدًا بعيدًا عن أى شبهة وثنية أو مجاراة لعبدة الأصنام.
ولأنه صلى الله عليه وسلم قال: [خذوا عنى مناسككم] فقد أصبح تقبيل الحجر الأسود من بعض مناسك الحجاج والعمار للبيت الحرام.
كما أن تعظيم الحجر الأسود هو امتثال لأوامر الله الذى أمر بتعظيم هذا الحجر بالذات ، وهو سبحانه الذى أمر برجم حجر آخر كمنسك من مناسك الحج فالأمر بالنسبة للتعظيم أو الرجم لا يعدو كونه إقرارًا بالعبودية لله تعالى وامتثالاً لأوامره عز وجل واستسلامًا لأحكامه.

٨٨- كاد محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتن

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء:(وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذًا لاتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً * إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرًا) (١).
بعض ما قيل فى سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم أجّلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا من (الأصنام) فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا ، فهَمّ صلى الله عليه وسلم بقبول ذلك فنزلت الآية.
قوله تعالى: " كدت تركن إليهم " أى هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضوه عليك لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة ، ولو فعلت لعذبناك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات ؛ يعنى: قاربت أن تستجيب لما عرضوه لكنك بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك.
وكل مَنْ هُمْ على مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن " الهمّ " أى المقاربة لشىء دون القيام به أو الوقوع فيه لا يعتبر معصية ولا جزاء عليه وهو مما وضع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:
(وضع عن أمتى ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به) ، وعليه.. فإنه لا إثم ولا شىء يؤخذ على محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك.
(١) الإسراء: ٧٣-٧٥.

٨٩- قاتل محمد صلى الله عليه وسلم فى الشهر الحرام

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
وذلك لما ورد فى آيات سورة البقرة:
(يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (١).
والمسلمون جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد صلى الله عليه وسلم هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها واعتبار القتال فيها حدثًا كبيرًا أو كأنه كبيرة من الكبائر..
لكن ما الذى يفعله المسلمون إذا ما ووجهوا من أعدائهم من المشركين بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض ، ليس هذا فحسب بل ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وهم أولى به من غيرهم ؟!
إن قانون " الدفع الحضارى " الذى يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة ، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارى واليهود أيضًا ، والذى عبرت عنه الآيتان الكريمتان: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (٢). وقوله: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (٣). هذا القانون القرآنى ـ وليس قانون من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ـ هو وحده الذى يحمى الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين.
وذلك على أساس أن من يمكن الله لهم فى الأرض بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم يجب ـ وبحسب القانون القرآنى ـ أن يكونوا صالحين وأخيارًا ؛ بمعنى: أن يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم لا فى الطغيان والتجبر ولكن فى حماية القيم النبيلة التى تحمى بها العدل والحق وتمكن لكل ما هو خير ، وتنفى كل ما هو شر حتى تنعم البشرية بالأمن والاستقرار ، وتعتدل أمور الحياة والناس.
وهذا ما جاءت الآية التالية للآيتين السابقتين لتقره حيث يقول: (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (٤).
ولأن إقرار حقوق عباد الله فى أرض الله وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم فقد أبيح القتال فيها لمن ظُلموا من المسلمين ومن فُتنوا فى دينهم وأُخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدوانًا.
وهذا ما تقرره الآية:(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (٥).
(١) البقرة: ٢١٧.
(٢) البقرة: ٢٥١.
(٣) الحج: ٤٠.

(٤) الحج: ٤١.
(٥) البقرة: ٢١٧.

٩٠- محمد صلى الله عليه وسلم مذنب كما فى القرآن

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
أخذوها من فهمهم الخاطئ فى مفتتح سورة " الفتح ": (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا) (١). فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب !!
وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم كتاب كبير مفتوح استوفى فيه كُتَّاب سيرته كل شيء فى حياته. فى صحوه ونومه وفى حربه وسلمه ، وفى عبادته وصلواته ، فى حياته مع الناس بل وفى حياته بين أهله فى بيته.
ليس هذا فحسب بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثًا أو يذكرون له عملاً يصفونه صلى الله عليه وسلم وصفًا بالغ الدقة وبالغ التحديد لكافة التفاصيل حتى ليقول أحدهم: قال صلى الله عليه وسلم كذا وكان متكئاً فجلس ، أو قال كذا وقد امتلأ وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته صلى الله عليه وسلم بالصوت والصورة..
ثم جاء القرآن الكريم فسجل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة المهداة إلى عباد الله: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٢). ووصفه بأنه الرؤوف الرحيم بمن أرسل إليهم:(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣). ثم لخص القرآن مجمل شمائله صلى الله عليه وسلم فى قوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) (٤).
أكثر من هذا أن تكفل القرآن بإذاعة حتى ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذى بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه على نحو ما جاء فى سورة الأحزاب فى أمر الزواج بزينب بنت جحش والذى كان القصد التشريعى فيه إبطال عادة التبنى من قوله تعالى:(وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذ قضوا منهن وطرًا و كان أمر الله مفعولاً) (٥).
أقول: مع أن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم هى كتاب مفتوح لم يخف التاريخ منه شيئاً بل وتدخل القرآن ليكشف حتى ما يحدث به نفسه صلى الله عليه وسلم مما لا يطلع عليه الناس ، ولم يذكر له صلى الله عليه وسلم ذلةً ولا ذنبًا فى قول أو عمل.
أفبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا أنه " مذنب " ؟ !!!
ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم على شيء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلى بقية سورة الفتح ، والتى كانت كلها تثبيتاً للمؤمنين وللرسول وتبشيرًا لهم بالتأييد والنصر.. لو كان محمد صلى الله عليه وسلم ـ كما

ادعيتم – من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالى ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطًا مستقيماً ؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين.
ونقف أمام الذنب فى منطوق الآية:(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فالذنب هنا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام ؛ لأن سنة الله تبارك وتعالى هى عصمة جميع أنبيائه وفى قمتهم خاتمهم صلى الله عليه وسلم. وهذا مما يعرفه ويقره ويقرره أتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحرّفى الكلم عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا فى رسل الله وأنبيائه بما هو معروف.
فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنباً على مستوى مقام نبوته صلى الله عليه وسلم ذنبًا مما تقدره الحكمة الإلهية ـ لا ما تحدده أعراف الناس.
ومع هذا كله فإن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به صلى الله عليه وسلم من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب حتى كان معروفًا بينهم بالصادق الأمين.
أفبعد هذا لا يستحى الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا:
إنه مذنب ؟!!
(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (٦).
(١) الفتح: ٢.
(٢) الأنبياء ١١٧.
(٣) التوبة: ١٢٨.
(٤) القلم: ٥.
(٥) الأحزاب: ٣٧.
(٦) الكهف: ٥.

٩١ـ تعلّم محمد صلى الله عليه وسلم من غيره

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
وهى من أسوأ المفتريات على محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال ربه عز وجل عنه: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى) (١).
لكن الحقد حين يتمكن من قلوب الحاقدين يدفعهم إلى المنكر من القول ومن الزور ، حتى إنهم ليتجرأون على قولٍ لا يقبله عقل عاقل ، ولا يجرؤ على مثله إلا المفترون.
فى هذه المقولة زعموا أنه حين كان ينزل عليه الوحى بالآيات التى أثبت العلم الحديث المعاصر أنها من أبرز آيات الإعجاز العلمى فى القرآن فيما تتصل بمراحل خلق الإنسان من سلالة من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم يكون إنشاؤه خلقًا آخر..

زعموا أن كاتب وحيه قال مادحًا مَنْ هذا خلقه:(تبارك الله أحسن الخالقين) (٢).
ثم أفرطوا فى زعمهم فقالوا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم قال له: اكتبها فهكذا نزلت علىّ.. ؟! وهنا لابد من وقفة:
فأولاً: مما هو ثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحى يأخذ العرق يتصبب من جسده ويكون فى غيبة عمن حوله.. فإذا انقضى الوحى أخذ فى ذكر وتلاوة ما نزل عليه من القرآن ، وهذا ما تقرره كل كتب السيرة.
ثانياً: معنى ما سبق أنه صلى الله عليه وسلم لا يأخذ فى الإملاء على كاتب وحيه إلا بعد اكتمال نزول الوحى واكتمال نزول الآيات المتعلقة بمراحل خلق الإنسان فى سورة " المؤمنون ".
ثالثًا: وبهذا يتضح كذب المقولة أن كاتب وحيه صلى الله عليه وسلم هو الذى أملاها عليه وأنه أمر بإثباتها.
رابعًا: أن لفظة " تبارك الله " تكررت فى القرآن الكريم تسع مرات ، تلتقى جميعها فى مواضع يكون الحديث فيها عن قدرة الخالق فيما خلق من مثل قوله تعالى:
(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٣).
(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا) (٤). (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا) (٥).
(تبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما) (٦).
(تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير) (٧).
فلماذا تعلم محمد صلى الله عليه وسلم من كاتب وحيه آية " المؤمنون " دون غيرها مما جاء فى بقية السور ؟!!
(١) النجم: ٣-٤.
(٢) المؤمنون: ١٤.
(٣) الأعراف: ٥٥.
(٤) الفرقان: ١.
(٥) الفرقان: ٦١.
(٦) الزخرف: ٨٥.
(٧) الملك: ١.

٩٢- الشيطان يوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم يستندون فى هذه المقولة إلى أكذوبة كانت قد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الصلاة بالناس سورة " النجم: فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى* ومناة الثالثة الأخرى) (١) ؛ تقول الأكذوبة:

إنه صلى الله عليه وسلم قال: ـ حسب زعمهم ـ تلك الغرانيق (٢) العلى وإن شفاعتهن لترتجى.
ثم استمر صلى الله عليه وسلم فى القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين وأضافت الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين !!
وذاعت الأكذوبة التى عرفت بقصة " الغرانيق " وقال ـ من تكون أذاعتها فى صالحهم ـ: إن محمداً أثنى على آلهتنا وتراجع عما كان يوجهه إليها من السباب. وإن مشركى مكة سيصالحونه وسيدفعون عن المؤمنين به ما كانوا يوقعونه بهم من العذاب.
وانتشرت هذه المقولة حتى ذكرها عدد من المفسرين حيث ذكروا أن المشركين سجدوا كما سجد محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا له: ما ذكرت آلهتنا بخير قبل اليوم ولكن هذا الكلام باطل لا أصل له.
وننقل هنا عن الإمام ابن كثير فى تفسيره الآيات التى اعتبرها المرتكز الذى استند إليه الظالمون للإسلام ورسوله وهى فى سورة الحج حيث تقول:
(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (٣) وبعد ذكره للآيتين السابقتين يقول: " ذكر كثير من المفسرين هنا قصة " الغرانيق وما كان من رجوع كثير ممن هاجروا إلى الحبشة " ظنًّا منهم أن مشركى مكة قد أسلموا.
ثم أضاف ابن كثير يقول: ولكنها ـ أى قصة " الغرانيق " ـ من طرق كثيرة مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، ثم قال ابن كثير: (٤) عن ابن أبى حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير قال: " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة " سورة النجم " فلما بلغ هذا الموضع. (أفرأيتم اللات والعزّى * ومناة الثالثة الأخرى (. قال بن جبير: فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى.
فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم.. فأنزل الله هذه الآية: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عزيز حكيم(ليقرر العصمة والصون لكلامه سبحانه من وسوسة الشيطان.
وربما قيل هنا: إذا كان الله تعالى ينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم آياته فلماذا لم يمنع الشيطان أصلاً من إلقاء ما يلقيه من الوساوس فى أمنيات الأنبياء والجواب عنه قد جاء فى الآيتين اللتين بعد هذه الآية مباشرة:
أولاً: ليجعل ما يلقيه الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض من المنافقين والقاسية قلوبهم من الكفار وهو ما جاء فى الآية الأولى منهما:(ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض) (٥).
ثانياً: لميز المؤمنين من الكفار والمنافقين فيزداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم ؛ وهو ما جاء فى الآية الثانية:(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) (٦).
هذا: وقد أبطل العلماء قديمًا وحديثًا قصة الغرانيق. ومن القدماء الإمام الفخر الرازى الذى قال ما ملخصه (٧):

" قصة الغرانيق باطلة عند أهل التحقيق وقد استدلوا على بطلانها بالقرآن والسنة والمعقول ؛ أما القرآن فمن وجوه: منها قوله تعالى:(ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) (٨).
وقوله سبحانه:(وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى(. (٩) وقوله سبحانه حكاية عن رسوله صلى الله عليه وسلم:(قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ) (١٠).
وأما بطلانها بالسنة فيقول الإمام البيهقى:
روى الإمام البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة " النجم " فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث " الغرانيق " وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها ألبتة حديث الغرانيق.
فأما بطلان قصة " الغرانيق " بالمعقول فمن وجوه منها:
أ ـ أن من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه صلى الله عليه وسلم كان لنفى الأصنام وتحريم عبادتها ؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثنى عليها ؟ ب ـ ومنها: أننا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه صلى الله عليه وسلم فإنه لا فرق ـ فى منطق العقل ـ بين النقصان فى نقل وحى الله وبين الزيادة فيه.
(١) النجم: ١٩ ـ ٢٠.
(٢) المراد بالغرانيق: الأصنام ؛ وكان المشركون يسمونها بذلك تشبيهًا لها بالطيور البيض التى ترتفع فى السماء.
(٣) الحج: ٥٢.
(٤) عن: التفسير الوسيط للقرآن لشيخ الأزهر د. طنطاوى ج٩ ص ٣٢٥ وما بعدها.
(٥) الحج: ٥٣.
(٦) الحج: ٥٤.
(٧) التفسير السابق: ص ٣٢١.
(٨) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.
(٩) النجم: ٣ـ ٤.
(١٠) يونس: ١٥.

٩٣ـ حول الاستغناء بالقرآن عن السنة وعلاقة السنة بالقرآن

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
هناك مَنْ يكتفون بالقرآن الكريم.. ويشككون فى صحة الأحاديث ، ويظهرون التناقضات بينها ، ويذكرون الحديث الذى ينص على عدم زيارة المرأة للقبول ، والحديث الذى يقول (فى معناه) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال إننى قد أمرتكم بعدم زيارة القبور من قبل ، والآن أسمح لكم بزيارة القبور.. فيشيرون إلى ذلك بأنه تناقض.. ويدللون على ذلك بأن الأمة قد فقدت الكثير من الأحاديث النبوية عبر الزمان ، أو أن هذه الأحاديث قد حرفت عن معانيها الصحيحة.. (انتهى).
الرد على الشبهة:

فى بداية الجواب عن شبهة هؤلاء الذين يشككون فى الأحاديث النبوية. ننبه على مستوى جهل كل الذين يثيرون مثل هذه الشبهات حول الحديث النبوى الشريف.. ذلك أن التدرج والتطور فى التشريع الذى يمثله حديث النهى عن زيارة القبور ثم إباحتها.. هذا التدرج والتطور فى التشريع لا علاقة له بالتناقض بأى وجه من الوجوه ، أو أى حال من الأحوال.

ثم إن التشكيك فى بعض الأحاديث النبوية ، والقول بوجود تناقضات بين بعض هذه الأحاديث ، أو بينها وبين آيات قرآنية.. بل والتشكيك فى مجمل الأحاديث النبوية ، والدعوة إلى إهدار السنة النبوية والاكتفاء بالقرآن الكريم.. إن هذه الدعوة قديمة وجديدة ، بل ومتجددة.. وكما حذّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب عليه.. فلقد حذّر من إنكار سنته ، ومن الخروج عليها.

ونحن بإزاء هذه الشبهة نواجه بلونين من الغلو:

أحدهما: يهدر كل السنة النبوية ، اكتفاء بالقرآن الكريم.. ويرى أن الإسلام هو القرآن وحده.

وثانيهما: يرى فى كل المرويات المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم سنة نبوية ، يكفر المتوقف فيها ، دونما فحص وبحث وتمحيص لمستويات " الرواية " و " الدراية " فى هذه المرويات. ودونما تمييز بين التوقف إزاء الراوى وبين إنكار ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وبين هذين الغلوين يقف علماء السنة النبوية ، الذين وضعوا علوم الضبط للرواية ، وحددوا مستويات المرويات ، بناء على مستويات الثقة فى الرواة.. ثم لم يكتفوا ـ فى فرز المرويات ـ بعلم " الرواية " والجرح والتعديل للرجال ـ الرواة ـ وإنما اشترطوا سلامة " الدراية " أيضًا لهذه المرويات التى رواها العدول الضابطون عن أمثالهم حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أى أن هؤلاء العلماء بالسنة قد اشترطوا " نقد المتن والنص والمضمون " بعد أن اشترطوا " نقد الرواية والرواة " وذلك حتى يسلم المتن والمضمون من " الشذوذ والعلة القادحة " ، فلا يكون فيه تعارض حقيقى مع حديث هو أقوى منه سندًا ، وألصق منه بمقاصد الشريعة وعقائد الإسلام ، ومن باب أولى ألا يكون الأثر المروى متناقضًا تناقضًا حقيقيًّا مع محكم القرآن الكريم..

ولو أننا طبقنا هذا المنهاج العلمى المحكم ، الذى هو خلاصة علوم السنة النبوية ومصطلح الحديث ، لما كانت هناك هذه المشكلة ـ القديمة..

المتجددة ـ.. ولكن المشكلة ـ مشكلة الغلو ، بأنواعه ودرجاته ـ إنما تأتى من الغفلة أو التغافل عن تطبيق قواعد هذا المنهج الذى أبدعته الأمة الإسلامية ، والذى سبقت به حضارتنا كل الحضارات فى ميدان " النقد الخارجى والداخلى للنصوص والمرويات ".. وهذه الغفلة إنما تتجلى فى تركيز البعض على " الرواية " مع إهمال " الدراية " أو العكس.. وفى عدم تمييز البعض بين مستويات المرويات ، كأن يطلب من الأحاديث ظنية الثبوت ما هو من اختصاص النصوص قطعية الثبوت.. أو من مثل تحكيم " الهوى " أو " العقل غير الصريح " فى المرويات الصحيحة ، الخالية متونها ومضامينها من الشذوذ والعلة القادحة..

وهناك أيضًا آفة الذين لا يميزون بين التوقف إزاء " الرواية والرواة " ـ وهم بشر غير معصومين ، وفيهم وفى تعديلهم وقبول مروياتهم اختلف الفقهاء وعلماء الحديث والمحدثون ـ وبين التوقف إزاء " السنة " ، التى ثبتت صحة روايتها ودرايتها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.. فتوقف العلماء المتخصصين ـ وليس الهواة أو المتطفلين ـ إزاء " الرواية والرواة " شىء ، والتوقف إزاء " السنة " التى صحت وسلمت من الشذوذ والعلل القادحة شىء آخر.. والأول حق من حقوق علماء هذا الفن ، أما الثانى فهو تكذيب للمعصوم صلى الله عليه وسلم ، والعياذ بالله..

أما الذين يقولون إننا لا حاجة لنا إلى السنة النبوية ، اكتفاء بالبلاغ القرآنى ، الذى لم يفرط فى شىء..

فإننا نقول لهم ما قاله الأقدمون ـ من أسلافنا ـ للأقدمين ـ من أسلافهم ـ:

إن السنة النبوية هى البيان النبوى للبلاغ القرآنى ، وهى التطبيق العملى للآيات القرآنية ، التى أشارت إلى فرائض وعبادات وتكاليف وشعائر ومناسك ومعاملات الإسلام.. وهذا التطبيق العملى ، الذى حوّل القرآن إلى حياة معيشة ، ودولة وأمة ومجتمع ونظام وحضارة ، أى الذى " أقام الدين " ، قد بدأ بتطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم للبلاغ القرآنى ، ليس تطوعًا ولا تزيّدًا من الرسول ، وإنما كان قيامًا بفريضة إلهية نص عليها القرآن الكريم (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (١).

فالتطبيقات النبوية للقرآن ـ التى هى السنة العملية والبيان القولى الشارح والمفسر والمفصّل ـ هى ضرورة قرآنية ، وليست تزيّدًا على القرآن الكريم.. هى مقتضيات قرآنية ، اقتضاها القرآن.. ويستحيل أن نستغنى عنها بالقرآن.. وتأسيًا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيامًا بفريضة طاعته ـ التى نص عليها القرآن الكريم: (قل أطيعوا الله والرسول) (٢) (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (٣) (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٤) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (٥) (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) (٦). تأسيًا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وطاعة له ، كان تطبيق الأمة ـ فى جيل الصحابة ومن بعده ـ لهذه العبادات والمعاملات.. فالسنة النبوية ، التى بدأ تدوينها فى العهد النبوى ، والتى اكتمل تدوينها وتمحيصها فى عصر التابعين وتابعيهم ، ليست إلا التدوين للتطبيقات التى جسدت البلاغ القرآنى دينًا ودنيا فى العبادات والمعاملات.

فالقرآن الكريم هو الذى تَطَلَّبَ السنة النبوية ، وليست هى بالأمر الزائد الذى يغنى عنه ويستغنى دونه القرآن الكريم.

أما العلاقة الطبيعية بين البلاغ الإلهى ـ القرآن ـ وبين التطبيق النبوى لهذا البلاغ الإلهى ـ السنة النبوية ـ فهى أشبه ما تكون بالعلاقة بين " الدستور " وبين " القانون ". فالدستور هو مصدر ومرجع القانون..

والقانون هو تفصيل وتطبيق الدستور ، ولا حُجة ولا دستورية لقانون يخالف أو يناقض الدستور.. ولا غناء ولا اكتفاء بالدستور عن القانون.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس مجرد مبلّغ فقط ، وإنما هو مبلّغ ، ومبين للبلاغ ، ومطبق له ، ومقيم للدين ، تحوّل القرآن على يديه إلى حياة عملية ـ أى إلى سنة وطريقة يحياها المسلمون.
وإذا كان بيان القرآن وتفسيره وتفصيله هو فريضة إسلامية دائمة وقائمة على الأمة إلى يوم الدين..
فإن هذه الفريضة قد أقامها ـ أول من أقامها ـ حامل البلاغ ، ومنجز البيان ، ومقيم الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام.
والذين يتصورون أن الرسول صلى الله عليه وسلم مجرد مبلّغ إنما يضعونه فى صورة أدنى من صورتهم هم ، عندما ينكرون عليه البيان النبوى للبلاغ القرآنى ، بينما يمارسون هم القيام بهذا البيان والتفسير والتطبيق للقرآن الكريم !.. وهذا " مذهب " يستعيذ المؤمن بالله منه ومن أهله ومن الشيطان الرجيم !.
(١) النحل: ٤٤.
(٢) آل عمران: ٣٢.
(٣) النساء: ٥٩.
(٤) النساء: ٨٠.
(٥) آل عمران: ٣١.
(٦) الفتح: ١٠.
----

٩٤ ـ حول تناقض النقل ـ القرآن ـ مع العقل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
هناك مَنْ يقيمون التناقض بين " العقل " و " النقل " ، ويدعون أن الثقافة الإسلامية نقلية لا عقلية ، ويعتقدون أن جميع علماء الأمة بدون استثناء غير مؤهلين ، لأنهم اعتمدوا على النقل وليس التفكير..
وأنه يجب التفكير فى كل أمور الدين ، الأصل قبل الفرع.. وإلغاء كل الأساسيات الموجودة التى تعتبرها الأمة من المسلمات ، والبحث من جديد عن الحقيقة ، معتمدين على العقل فقط.. (انتهى).
الرد على الشبهة:
إن القول بالاعتماد على العقل فقط ـ أى دون النقل ، الذى هو الوحى الإلهى ، فى بلاغه القرآنى وبيانه النبوى ـ.. واستخدام العقل وحده أداة لإعادة النظر فى كل ما تعتبره الأمة من المسلمات.. هو قول يحتاج إلى ضبط.. وإلى تصويب.. ويمكن أن يتم ذلك من خلال إشارات إلى عدد من الحقائق:
أولاها: أن مقام العقل فى الإسلام هو مكان عال وفريد ، ولا نظير له فى الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية الخاتمة.. فالعقل فى الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام.. أى شرط التدين بدين الإسلام.
وثانيتها: أن النقل الإسلامى ـ وخاصة معجزته القرآنية ـ هو معجزة عقلية ، قد ارتضت العقل حكمًا فى فهمها وفى التصديق بها ، وفى التمييز بين المحكم والمتشابه فى آياتها ، وأيضًا فى تفسير هذه الآيات.. فليس للقرآن كهنوت يحتكر تفسيره ، وإنما

هو ثمرة لنظر عقول العلماء المفسرين.. وعلى حين كانت معجزات الرسالات السابقة معجزات مادية ، تدهش العقول ، فتشلها عن التفكير والتعقل ، جاءت معجزة الإسلام - القرآن الكريم - معجزة عقلية ، تستنفر العقل كى يتعقل ويتفكر ويتدبر ، وتحتكم إليه باعتباره القاضى فى تفسير آياتها.. فكان النقل الإسلامى سبيلاً لتنمية العقلانية الإسلامية.. وكان هذا التطور فى طبيعة المعجزة متناسبًا ومتسقًا مع مرحلة النضج التى بلغتها الإنسانية ، ومع ختم السماء سلسلة الرسالات والوحى إلى الأنبياء والرسل وأمم الرسالات..

وثالثتها: أن العقل - فى الإسلام - هو سبيل الإيمان بوجود الله ووحدانيته وصفاته.. لأن الإيمان بالله سابق على التصديق بالرسول وبالكتاب الذى جاء به الرسول ، لأنه شرط لهما ، ومقدم عليهما ، فالتصديق بالكتاب - النقل - متوقف على صدق الرسول الذى أتى به ، والتصديق بالرسول متوقف على وجود الإله الذى أرسل هذا الرسول وأوحى إليه.. والعقل هو سبيل الإيمان بوجود الله - سبحانه وتعالى - وذلك عن طريق تأمل وتدبر بديع نظام وانتظام المصنوعات الشاهدة على وجود الصانع المبدع لنظام وانتظام هذه المصنوعات.. فالعقل - فى الإسلام - هو أداة الإيمان بجوهر الدين - الألوهية - وبعبارة الإمام محمد عبده: ".. فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلى ، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحُجة ، وقاضاك إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته.. " (١).

وذلك على حين كان العقل غريبًا ومستبعدًا من سبل الإيمان فى حقب الرسالات السابقة على الإسلام..

حقب المعجزات المدهشة للعقول ، عندما كانت الإنسانية فى مراحل الطفولة " خرافًا ضالة " ، تؤمن بما يُلقى إلى قلبها ، دون إعمال عقل ، لأن الإيمان لا يحتاج إلى إعمال عقل.. وفق عبارة القديس والفيلسوف النصرانى " أنسيلم " [١٠٣٣-١١٠٩م].

ورابعتها: أن المقابلة بين " العقل " و " النقل " هى أثر من آثار الثنائيات المتناقضة التى تميزت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية ، تلك التى عرفت لاهُوتًا كنسيًا - نقلاً - لا عقلانيًا ، فجاءت عقلانيتها ، فى عصر النهضة والتنوير الوضعى العلمانى ، ثورة على النقل اللاعقلانى ونقضًا له.. أما فى الإسلام ، والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته - وخاصة فى عصر الازدهار والإبداع - فإن النقل لم يكن أبدًا مقابلاً للعقل ، لأن المقابل للعقل هو الجنون ، وليس النقل.. ولأن النقل الإسلامى - القرآن الكريم - هو مصدر العقلانية المؤمنة ، والباعث عليها ، والداعى لاستخدام العقل والتفكر والتدبر فى آيات الله المنظورة والمسطورة جميعًا.. وآيات القرآن التى تحض على العقل والتعقل تبلغ تسعًا وأربعين آية.. والآيات التى تتحدث عن " اللُّب " - بمعنى عقل وجوهر الإنسان - هى ست عشرة آية. كما يتحدث القرآن عن " النُّهى " - بمعنى العقل - فى آيتين.. وعن الفكر والتفكر فى ثمانية عشر موضعًا.. وعن الفقه والتفقه - بمعنى العقل والتعقل - فى عشرين موضعًا.. وعن " التدبر " فى أربع آيات.. وعن " الاعتبار " فى سبع آيات.. وعن " الحكمة " فى تسع عشرة آية.. وعن " القلب " كأداة للفقه والعقل - فى مائة واثنين وثلاثين موضعًا.. ناهيك عن آيات العلم

والتعلم والعلماء التى تبلغ فى القرآن أكثر من ثمانمائة آية.. فالنقل الإسلامى - أى الشرع الإلهى - هو الداعى للتعقل والتدبر والتفقه والتعلّم.. والعقل الإنسانى هو أداة فقه الشرع ، وشرط ومناط التدين بهذا الشرع الإلهى.. ولذلك لا أثر للشرع بدون العقل ، كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع ، وخاصة فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين.

ذلك أن العقل ، مهما بلغ من العظمة والتألق فى الحكمة والإبداع ، هو ملكة من ملكات الإنسان ، وكل ملكات الإنسان - بالخبرة التاريخية والمعاصرة - هى نسبة الإدراك والقدرات ، تجهل اليوم ما تعلمه غدًا ، وما يقصر عنه عقل الواحد يبلغه عقل الآخر.. وإذا كانت ميادين عالم الشهادة - النفس والكون..

أى الدنيا.. مفتوحة على مصاريعها أمام العقل وأمام التجربة - بالنسبة للإنسان - فإن هناك ميادين - وخاصة فى معارف عالم الغيب - سبيل معرفتها النقل - أى الوحى - والوجدان - القلب والإلهام - فالهدايات التى يهتدى بها الإنسان هى " العقل " و " النقل " و " التجربة " و " الوجدان ".. وليست العقل وحده دون سواه.. وبتنوع الهدايات وسبل المعرفة الإنسانية ، مع تنوع مصادر المعرفة الإنسانية - الوحى وآيات الله المسطورة ، مع الكون وآيات الله المنظورة - تتكامل وتتوازن المعرفة الإنسانية - وهذه هى نظرية المعرفة الإسلامية - بينما يختل توازن هذه المعرفة إذا هى وقفت - فى المصادر - عند الكون وعالم الشهادة وحده - وفى الوسائل وإدراك المعرفة عند العقل وحده ، أو العقل والتجربة وحدهما ، دون النقل والوجدان.. ولقد عبر عن هذا التكامل والتوازن فى - نظرية المعرفة الإسلامية الإمام محمد عبده عندما تحدث - فى تفسيره لآية (اهدنا الصراط المستقيم)- من سورة الفاتحة - عن " الهدايات الأربع " - العقل ، والنقل ، والتجربة ، والوجدان كما عبر عن التلازم الضرورى بين العقل والنقل ، لتكامل المعرفة الإسلامية عندما قال: ".. فالعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله ، وعلمه وقدرته ، والتصديق بالرسالة.. أما النقل ، فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب ، كأحوال الآخرة والعبادات.. والقرآن - وهو المعجز الخارق - دعا الإسلامُ الناس إلى النظر فيه بعقولهم.. فهو معجزة عُرِضت على العقل ، وعرفته القاضى فيها ، وأطلقت له حق النظر فى أنحائها ، ونشر ما انطوى فى أثنائها.. وإذا قدّرنا عقل البشر قدره ، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى.. أما الوصول إلى كنه حقيقته فمما لا تبلغه قوته.. ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده.. لهذا كان العقل محتاجًا إلى مُعين يستعين به فى وسائل السعادة فى الدنيا والآخرة.. " (٢).

فالإسلام لا يعرف - على الإطلاق - هذه الثنائية المتناقضة بين العقل والنقل.. وصريح المعقول لا يمكن أن يتعارض مع صحيح المنقول.. ولقد عبر الإمام محمد عبده عن ما قد يتوهمه البعض تعارضًا عندما صاغ حقيقة هذه القضية فقال: " لقد تقرر بين المسلمين أن الدين إن جاء بشىء قد يعلو على الفهم ، فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل.. " (٣).. ففارق بين ما يعلو على إدراك العقل ، من بعض أمور الدين ، وبين ما يستحيل فى العقل الذى برئ ويبرأ منه الدين.

ومن بين علماء الإسلام الذين عبروا - بصدق وعبقرية - عن تكامل العقل والنقل - الحكمة والشريعة - حُجة الإسلام - أبو حامد الغزالى عندما قال: " إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول ، وعرفوا أن من ظن وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر ، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر. وأن من تغلغل فى تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط ، وميل هؤلاء إلى الإفراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط.. فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذاء ، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء ، فأَخْلِق أن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استغنى بأحدهما عن الآخر فى غمار الأغبياء ، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور.. " (٤).
وهذه العلاقة بين العقل والنقل - علاقة التكامل والتآخى - هى التى أكد عليها أبو الوليد ابن رشد [٥٢٠-٥٩٤هجرية/١١٢٦-١١٩٨م] عندما قال: ".. فإنا - معشر المسلمين - نعلم على القطع ، أنه لا يؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ما ورد به الشرع ، فإن الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له.. فالحكمة هى صاحبة الشريعة ، والأخت الرضيعة.. وهما المصطحبتان بالطبع ، المتحابتان بالجوهر والغريزة.. " (٥).
فالباب مفتوح على مصراعيه أمام العقل فى سائر ميادين عالم الشهادة. وهو سبيل الفقه والفهم والتكليف فى الشرع والدين.. لكن لابد من مؤازرة الشرع والنقل للعقل فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أخبار عالم الغيب والحكم والعلل من وراء بعض أحكام العبادات فى الدين.. وما قد يبدو من تعارض - عند البعض - أحيانًا بين العقل والنقل ، فهو تعارض بين العقل وبين " ظاهر " النقل وليس حقيقة معنى النقل أو مرجعه إلى تخلف " صحة " النقل.. أو تخلف " صراحة " العقل.. أو وجود ما يعلو على الفهم ، لا ما يتعارض مع العقل.. فالعقل مع الشرع - كما قال حُجة الإسلام الغزالى - " نور على نور ".. وما الحديث عن التعارض بينهما إلا أثر من آثار الغلو فى أحدهما ، تفريطًا أو إفراطًا.
وإذا كانت البداهة والخبرة البشرية - وحتى الحكمة الفلسفية - تقول: إن من مبادئ الدين والشرائع ما لا يستقل العقل بإدراك كنهه وحقيقة جوهره ، فكيف يجوز لعاقل أن يدعو إلى تحكيم العقل وحده فى كل أساسيات الدين ؟! لقد قال الفيلسوف الفقيه أبو الوليد ابن رشد وهو الذى احترم عقلانيته المتألقة الأوروبيون والمسلمون جميعًا. قال عن رأى الفلاسفة القدماء فى مبادئ الشرائع التى لا يستقل العقل بإدراكها: " إن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع مثل: هل الله تعالى موجود ؟ وهل السعادة موجودة ؟ وهل الفضائل موجودة ؟. وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد ، ولذلك وجب قتل الزنادقة.. فيجب على كل إنسان أن يسلم بمبادئ الشرائع ، لأن مبادئها أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية ، وكيفية وجودها هو أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية ، فلابد أن يعترف بها مع جهل أسبابها.. " (٦).

فليس هناك عاقل يحكّم العقل فيما لا يستقل العقل بإدراكه من مبادئ الشرائع والمعجزات ، وكنه وجوهر وحقائق المغيبات.
وليس هناك عاقل يغفل أو يتغافل عن مكانة ودور العقل فى دين الإسلام.
وإدراك وظيفة العقل.. وميدان عمله.. وحدود قدراته ، هو لب الاحترام للعقل ، وليس فيه انتقاص من سلطانه ، الذى تألق فى دين الإسلام وفكر المسلمين.
(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٣ ص ٣٠١.
(٢) المصدر السابق ج٣ ص ٣٢٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٧.
(٣) [الأعمال الكاملة] ج٣ ص ٢٥٧.
(٤) [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص ٢، ٣. طبعة القاهرة. مكتبة صبيح بدون تاريخ.
(٥) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص ٣١، ٣٢، ٦٧. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة دار المعارف. القاهرة سنة ١٩٩٩م.
(٦) [تهافت التهافت] ص١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

٩٥- الإسلام انتشر بالسيف ، ويحبذ العنف

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
وهى من أكثر الشبه انتشارًا ، ونرد عليها بالتفصيل حتى نوضح الأمر حولها:
يقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١).
إن هذا البيان القرآنى بإطاره الواسع الكبير ، الذى يشمل المكان كله فلا يختص بمكان دون مكان ، والزمان بأطواره المختلفة وأجياله المتعاقبة فلا يختص بزمان دون زمان ، والحالات كلها سلمها وحربها فلا يختص بحالة دون حالة ، والناس أجمعين مؤمنهم وكافرهم عربهم وعجمهم فلا يختص بفئة دون فئة ؛ ليجعل الإنسان مشدوها متأملاً فى عظمة التوصيف القرآنى لحقيقة نبوة سيد الأولين والآخرين ، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) رحمة عامة شاملة ، تجلت مظاهرها فى كل موقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه الكون والناس من حوله.
والجهاد فى الإسلام حرب مشروعة عند كل العقلاء من بنى البشر ، وهى من أنقى أنواع الحروب من جميع الجهات:
١- من ناحية الهدف.
٢- من ناحية الأسلوب.
٣- من ناحية الشروط والضوابط.
٤- من ناحية الإنهاء والإيقاف.
٥- من ناحية الآثار أو ما يترتب على هذه الحرب من نتائج.
وهذا الأمر واضح تمام الوضوح فى جانبى التنظير والتطبيق فى دين الإسلام وعند المسلمين.
وبالرغم من الوضوح الشديد لهذه الحقيقة ، إلا أن التعصب والتجاهل بحقيقة الدين الإسلامى الحنيف ، والإصرار على جعله طرفاً فى الصراع وموضوعاً للمحاربة ،

أحدث لبساً شديداً فى هذا المفهوم ـ مفهوم الجهاد ـ عند المسلمين ، حتى شاع أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وأنه يدعو إلى الحرب وإلى العنف ، ويكفى فى الرد على هذه الحالة من الافتراء ، ما أمر الله به من العدل والإنصاف ، وعدم خلط الأوراق ، والبحث عن الحقيقة كما هى ، وعدم الافتراء على الآخرين ، حيث قال سبحانه فى كتابه العزيز: (لِمَ تَلبِسُونَ الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) (٢).
ولقد فطن لبطلان هذا الادعاء كاتب غربى كبير هو توماس كارليل ، حيث قال فى كتابه " الأبطال وعبادة البطولة " ما ترجمته: " إن اتهامه ـ أى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ؛ إذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس ، أو يستجيبوا له ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم ، فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها " (٣).
ويقول المؤرخ الفرنسى غوستاف لوبون فى كتابه " حضارة العرب " وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام فى عهده صلى الله عليه وسلم وفى عصور الفتوحات من بعده ـ: " قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول ، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند ـ التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل ـ ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها.. ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزء منها قط ، وسترى فى فصل آخر سرعة الدعوة فيها ، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليونا فى الوقت الحاضر " (٤).
هذا وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة عشر عاماً ، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد كان نتاج هذه المرحلة أن دخل فى الإسلام خيار المسلمين من الأشراف وغيرهم ، وكان الداخلون أغلبهم من الفقراء ، ولم يكن لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثروة عظيمة يغرى بها هؤلاء الداخلين ، ولم يكن إلا الدعوة ، والدعوة وحدها ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تحمَّل المسلمون ـ لاسيما الفقراء والعبيد ومن لا عصبية له منهم ـ من صنوف العذاب وألوان البلاء ما تعجز الجبال الرواسى عن تحمله ، فما صرفهم ذلك عن دينهم وما تزعزعت عقيدتهم ، بل زادهم ذلك صلابة فى الحق ، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقرهم ، وما سمعنا أن أحداً منهم ارتدّ سخطاً عن دينه ، أو أغرته مغريات المشركين فى النكوص عنه ، وإنما كانوا كالذهب الإبريز لا تزيده النار إلا صفاء ونقاء ، وسنتكلم هنا على الجانبين التنظيرى والتطبيقى ، ونقصد بالتنظيرى ما ورد فى مصادر الإسلام (الكتاب والسنة) ، ونعنى بالتطبيقى ما حدث عبر القرون ابتداء من الحروب التى شارك فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء بعصرنا الحاضر ، ثم نختم ببيان هذه النقاط الخمسة التى ذكرناها سابقاً.
أولاً: الجانب التنظيرى ورد فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية آيات وأحاديث تبين شأن الجهاد فى الإسلام ، ويرى المطالع لهذه الآيات والأحاديث ، أن المجاهد فى سبيل الله ، هو ذلك الفارس النبيل الأخلاقى المدرب على أخلاق الفروسية العالية

الراقية ؛ حتى يستطيع أن يمتثل إلى الأوامر والنواهى الربانية التى تأمره بضبط النفس قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة ، فقبل المعركة يجب عليه أن يحرر نفسه من كل الأطماع ، وألا يخرج مقاتلا من أجل أى مصلحة شخصية ، سواء كانت تلك المصلحة من أجل نفسه أو من أجل الطائفة التى ينتمى إليها ، أو من أجل أى عرض دنيوى آخر ، وينبغى أن يتقيد بالشروط التى أحل الله فيها الجهاد ، وأن يجعل ذلك لوجه الله تعالى ، ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر الله ، ويستعد لإنهاء الحرب فوراً ، إذا ما فقدت الحرب شرطاً من شروط حلها أو سبباً من أسباب استمرارها ، وسواء أكان ذلك الفارس منتصراً ، أو أصابه الأذى من عدوه ، فإن الله يأمره بضبط النفس ، وعدم تركها للانتقام ، والتأكيد على الالتزام بالمعانى العليا ، وكذلك الحال بعد القتال ، فإنه يجب عليه أن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر ؛ حتى لا يتحول الفارس المجاهد إلى شخصٍ مؤذٍ لمجتمعه أو لجماعته أو للآخرين ، وبالرغم من أن لفظة الجهاد إذا أطلقت انصرف الذهن إلى معنى القتال فى سبيل الله. إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أسماه بالجهاد الأصغر ، وسمى الجهاد المستمر بعد القتال بالجهاد الأكبر ؛ لأن القتال يستمر ساعات أو أيام ، وما بعد القتال يستغرق عمر الإنسان كله.

وفيما يلى نورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحدثت عن هذه القضية ، ثم بعد ذلك نستخرج منها الأهداف والشروط والضوابط والأساليب ، ونعرف منها متى تنتهى الحرب ، والآثار المترتبة على ذلك:

أولاً: القرآن الكريم:

١- (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) (٥).

٢- (فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (٦).

٣- (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٧).

٤- (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) (٨).

٥- (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (٩).

٦- (ولا تحسبن الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرْزَقُون) (١٠).

٧- (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم) (١١).

٨- (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيُقتل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجرا عظيماً) (١٢).

٩- (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً) (١٣).
١٠- (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) (١٤).
١١- (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون) (١٥).
١٢- (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (١٦).
١٣- (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (١٧).
١٤ (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) (١٨).
١٥- (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) (١٩).
١٦- (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) (٢٠).
١٧- (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) (٢١).
١٨- (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيَقتُلُون وَيُقتَلُون) (٢٢).
١٩- (أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظُلِمُوا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أُخْرِجُوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا رَبُّنَا الله) (٢٣).
ثانياً: الأحاديث النبوية الشريفة:
١- عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة " (٢٤).
٢- عن وهب بن منبه ، قال: سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت ، قال: اشترطت على النبى صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول: " سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا " (٢٥).
٣- عن سعد بن زيد بن سعد الأشهلى أنه أهدى إلى رسول صلى الله عليه وسلم سيفاً من نجران فلما قدم عليه أعطاه محمد بن مسلمة ، وقال: " جاهد بهذا فى سبيل الله فإذا اختلفت أعناق الناس فاضرب به الحجر ، ثم ادخل بيتك وكن حلساً ملقى حتى تقتلك يد خاطئة أو تأتيك منية قاضية. قال الحاكم: فبهذه الأسباب وما جانسها كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع على - رضى الله عنه - وقتال من قاتله " (٢٦).

٤- عن سعيد بن جبير قال: " خرج علينا أو إلينا ابن عمر فقال رجل كيف ترى فى قتال الفتنة فقال وهل تدرى ما الفتنة كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس كقتالكم على الملك " (٢٧).
٥- عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال:
إنى أريد الجهاد فقال: " أحى والداك ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد " (٢٨).
ويتضح من هذه الآيات والأحاديث أن هدف الحرب فى الإسلام يتمثل فى الآتى:
١- رد العدوان والدفاع عن النفس.
٢- تأمين الدعوة إلى الله وإتاحة الفرصة للضعفاء الذين يريدون اعتناقها.
٣- المطالبة بالحقوق السليبة.
٤- نصرة الحق والعدل.
ويتضح لنا أيضا أن من شروط وضوابط الحرب:
(١) النبل والوضوح فى الوسيلة والهدف.
(٢) لا قتال إلا مع المقاتلين ولا عدوان على المدنيين.
(٣) إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن القتال فلا عدوان إلا على الظالمين.
(٤) المحافظة على الأسرى ومعاملتهم المعاملة الحسنة التى تليق بالإنسان.
(٥) المحافظة على البيئة ويدخل فى ذلك النهى عن قتل الحيوان لغير مصلحة وتحريق الأشجار ، وإفساد الزروع والثمار ، والمياه ، وتلويث الآبار ، وهدم البيوت.
(٦) المحافظة على الحرية الدينية لأصحاب الصوامع والرهبان وعدم التعرض لهم.
الآثار المترتبة على الجهاد يتضح لنا مما سبق أن الجهاد فى الإسلام قد اتسم بنبل الغاية والوسيلة معا ، فلا غرو أن تكون الآثار والثمار المتولدة عن هذا الجهاد متناسقة تماما فى هذا السياق من النبل والوضوح ؛ لأن النتائج فرع عن المقدمات ، ونلخص هذه الآثار فى النقاط التالية:
(١) تربية النفس على الشهامة والنجدة والفروسية.
(٢) إزالة الطواغيت الجاثمة فوق صدور الناس ، وهو الشر الذى يؤدى إلى الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها.
(٣) إقرار العدل والحرية لجميع الناس مهما كانت عقائدهم.
(٤) تقديم القضايا العامة على المصلحة الشخصية.
(٥) تحقيق قوة ردع مناسبة لتأمين الناس فى أوطانهم.
يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الحج:
(الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (٢٩).
قال الإمام القرطبى عند تفسيره لهذه الآية:
(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع

العبادات ، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم فى الأمم ، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات ؛ فكأنه قال: أذن فى القتال ، فليقاتل المؤمنون. ثم قوى هذا الأمر فى القتال بقوله: (ولولا دفع الله الناس) الآية ؛ أى لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق فى كل أمة. فمن استشبع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه ؛ إذ لولا القتال لما بقى الدين الذى يذب عنه. وأيضاً هذه المواضع التى اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى ؛ أى لولا هذا الدفع لهُدمت فى زمن موسى الكنائس ، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد. " لهدمت " من هدمت البناء أى نقضته فانهدم. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية " (٣٠).

ثانياً: الناحية التطبيقية (١) حروب النبى صلى الله عليه وسلم:

(أ) الحرب ظاهرة اجتماعية:

الحرب ظاهرة إنسانية قديمة قدم الإنسان على ظهر هذه البسيطة ، فمنذ وُجد الإنسان وهو يصارع ويحارب ، وكعلاقة من العلاقات الاجتماعية الحتمية نشأت الحرب ، فالاحتكاك بين البشر لابد وأن يُوَلِّد صداماً من نوع ما ، لقد جبل الإنسان على غريزة التملك التى تدعوه إلى التشبث بما يملكه ، حيث إن هذه الغريزة هى التى تحفظ عليه البقاء فى الحياة ، وهى بالتالى التى تتولد عنها غريزة المقاتلة ، فى أبسط صورها دفاعاً عن حقه فى الاستمرار والحياة ، وقد تتعقد نفسية الإنسان وتصبح حاجاته ومتطلباته مركبة ، فلا يقاتل طالباً للقوت أو دفاعاً عنه فقط ، وإنما يقاتل طلباً للحرية ورفعاً للظلم واستردادا للكرامة. ويُفَصِّل العلامة ابن خلدون هذه الحقيقة فى مقدمته فيقول: " اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله ، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته ، فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان ؛ إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع ، كانت الحرب وهو أمر طبيعى فى البشر ، إما غيرة ومنافسة وإما عدوان وإما غضب لله ولدينه ، وإما غضب للملك وسعى فى تمهيده " (٣١).

(ب) الحرب فى الكتب المقدسة قبل الإسلام:

إذا ما تجاوزنا الأمم والحضارات البشرية ، وتأملنا فى الكتب السماوية المقدسة (التوراة - الإنجيل) ، نرى أن هذه الكتب المقدسة قد تجاوزت الأسباب المادية الغريزية التى يقاتل الإنسان من أجلها إلى أسباب أكثر رُقِيًّا وحضارة ، فبعد أن كان الإنسان يقاتل رغبة فى امتلاك الطعام أو الأرض ، أو رغبة فى الثأر الشخصى من الآخرين ، أو حتى ردا للعدوان ، نرى أن الكتب المقدسة قد أضافت أسباباً أخرى ، أسباباً إلهية تسمو بالبشرية عن الدنايا وظلم الآخرين ، إلى بذل النفس إقامة للعدل ، ونصرة للمظلوم ، ومحاربة للكفر والخروج عن منهج الله ، لقد حددت الكتب السماوية المناهج والأطر التى يُسْمَح فيها بإقامة القتال وعبرت بالإنسان مرحلة بناء المجد الشخصى المؤسس على الأنا ، إلى مرحلة التضحية من أجل المبادئ والمثل الإلهية العليا ، التى تعمل فى إطار الجماعة البشرية لا فى محيط الفرد الواحد.

الحرب فى العهد القديم:

وردت أسباب الحرب فى ست وثلاثين آية تقع فى ثمانية أسفار من أسفار العهد القديم هى: (التكوين ـ العدد ـ التثنية ـ يوشع ـ القضاة ـ صموئيل الأول ـ الملوك الثانى ـ حزقيال).

(١) ففى سفر العدد ـ الإصحاح الثالث عشر ، ورد ما يفيد أن موسى ـ عليه السلام ـ بعد خروجه بقومه من مصر بعث رسلا يتحسسون أمر أرض كنعان ـ فلسطين ـ ليستقروا فيها:

" فساروا حتى أتوا موسى وهارون وكل جماعة بنى إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش ، وردوا إليهما خبرًا وإلى كل الجماعة ، وأروهم ثمر الأرض وأخبروه ، وقالوا: قد ذهبنا إلى الأرض التى أرسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك " (٣٢).

(٢) وجاء فى سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الخامس والعشرون:

" فأجاب نابال عبيد داود وقال: من هو داود ومن هو ابن يسى قد كثر اليوم العبيد الذين يقحصون كل واحد من أمام سيده ، أآخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجارى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟ فتحول غلمان داود إلى طريقهم ورجعوا وجاءوا وأخبروه حسب كل هذا الكلام ، فقال داود لرجاله:

ليتقلد كل واحد منكم سيفه وتقلد داود سيفه وصعد وراء داود نحو أربعمائة رجل ومكث مائتان مع الأمتعة " (٣٣).

(٣) وفى سفر الملوك الثانى ـ الإصحاح الثالث:

" وكان ميشع ملك موآب الثانى صاحب مواش ، فأدى لملك إسرائيل مائة ألف خروف ومائة ألف كبش بصوفها ، وعند موت آخاب عصى ملك موآب على ملك إسرائيل وخرج الملك يهورام فى ذلك اليوم من السامرة وعد كل إسرائيل وذهب وأرسل إلى يهو شافاط ملك يهوذا يقول: قد عصى على ملك موآب ، فهل تذهب معى إلى موآب للحرب ؟ " (٣٤).

(٤) جاء فى حزقيال الإصحاح الواحد والعشرون:

" وكان إلى كلام الرب قائلا: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو أورشليم وتكلم على المقادس وتنبأ على أرض إسرائيل وقل لأرض إسرائيل هكذا قال الرب هأنذا عليك وأستل سيفى من غمده فأقطع منه الصديق والشرير من حيث إنى أقطع منك الصديق والشرير فلذلك يخرج سيفى من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال فيعلم كل بشر أنى أنا الرب سللت سيفى من غمده لا يرجع أيضاً " (٣٥).

(٥) وجاء فى سفر يوشع الإصحاح الثالث والعشرون:

" وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم هو المحارب عنكم انظروا: قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التى قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم " (٣٦).

(٦) وجاء فى سفر القضاة الإصحاح الأول:

" وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوا بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل وسكان الجنوب والسهل ".
(٧) وفى سفر القضاة الإصحاح الثامن عشر:
" فأما هم فقد أخذوا ما صنع ميخاً والكاهن الذى له وجاءوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن فضربوهم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ولم يكن مَنْ ينقذ لأنها بعيدة عن صيدون ولم يكن لهم أمر مع إنسان وهى فى الوادى الذى لبيت رحوب فبنوا المدينة وسكنوا بها ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذى ولد لإسرائيل ولكن اسم المدينة أولا: لايش " (٣٧).
(٨) وفى صموئيل الأول الإصحاح الرابع:
" وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب ونزلوا عند حجر المعونة ، وأما الفلسطينيون فنزلوا فى أفيق واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين وضربوا من الصف فى الحقل نحو أربعة آلاف رجل " (٣٨).
(٩) وفى التكوين الإصحاح الرابع والثلاثون:
" فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف لأنهم بخسوا أختهم ، غنمهم وبقرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت " (٣٩).
(١٠) وفى سفر التكوين الإصحاح الرابع عشر:
" فلما سمع إبرام أن أخاه سبى جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التى من شمال دمشق واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب " (٤٠).
(١١) وفى سفر العدد الإصحاح الواحد والعشرون:
" فقال الرب لموسى لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن فى حبشون فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق لهم شارد وملكوا أرضه " (٤١) (١٢) وفى سفر العدد الإصحاح الخامس والعشرون:
" ثم كلم الرب موسى قائلا ضايقوا المديانيين واضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التى كادوكم بها " (٤٢).
(١٣) وفى سفر العدد الإصحاح الثالث والثلاثون:
تطالعنا التوراة ، أن الله قد أمر موسى ـ عليه السلام ـ أن يشن حرباً على أقوام قد عبدوا غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ: " وكلم الرب موسى فى عربات مو آب على أردن أريحا قائلا: " كلم بنى إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم " (٤٣).

(١٤) وشبيه به ما ورد فى سفر صموئيل الإصحاح السابع عشر آية ٤٥: ٤٧ " فقال داود للفلسطينى: أنت تأتى إلى بسيف وبرمح وبترس ، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم ٠٠٠ فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل " (٤٤).
(١٥) وفى سفر صموئيل الأول الإصحاح الثالث والعشرون:
" فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة وخلص داود سكان قعيلة " (٤٥).
(١٦) فى سفر المزامير المزمور الثامن عشر:
يسبح داود الرب ويمجده لأنه يعطيه القوة على محاربة أعدائه: " الذى يعلم يدى القتال فتحنى بذراعى قوس من نحاس.. أتبع أعدائى فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم أسحقهم فلا يستطيعون القيام ، يسقطون تحت رجلى تمنطقنى بقوة للقتال تصرع تحتى القائمين على وتعطينى أقفية أعدائى ومبغضى أفنيهم " (٤٦).
هذه بعض من حروب بنى إسرائيل التى سجلتها نصوص كتبهم وأسفارهم ، فمفهوم الحرب والقتال ، ليس مفهوماً كريهاً من وجهة النظر التوراتية ، وكأنها حروب مستمدة من الشريعة الدينية التوراتية ، وهى كانت دائما تتم بمباركة الرب ومعونته وكأن الرب ـ حسب تعبير التوراة ـ قد استل سيفه من غمده فلا يرجع (٤٧).
الحرب فى العهد الجديد:
كذلك نرى الإنجيل لم يهمل الكلام عن الحروب بالكلية ، بل جاء نص واضح صريح ، لا يحتمل التأويل ولا التحريف يقرر أن المسيحية على الرغم من وداعتها وسماحتها التى تمثلت فى النص الشهير " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر " ـ إلا أنها تشير إلى أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ قد يحمل السيف ويخوض غمار القتال إذا دعته الظروف لذلك ؛ فجاء فى الإنجيل على لسان السيد المسيح:
" لا تظنوا أنى جئت لأرسى سلاماً على الأرض ، ما جئت لأرسى سلاماً ، بل سيفاً ، فإنى جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه ، والبنت مع أمها والكنة مع حماتها وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته " (٤٨).
ولعلنا نلاحظ التشابه الكبير بين هذه المقولة وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: [بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده] (٤٩).
مما سبق يتبين لنا واضحاً وجليا أن الحرب والقتال سنة كونية سرت فى الأمم جميعاً، ولم نر فى تاريخ الأمم أمة خلت من حروب وقتال ، ورأينا من استعراض الكتب المقدسة ـ التوراة والإنجيل ـ أنه سنة شرعية لم تخل شريعة من الشرائع السماوية السابقة على الإسلام من تقريره والقيام به كما مر.
لقد كان هذا القدر كافيا فى إثبات أن محمداً صلى الله عليه وسلم سائر على سنن من سبقه من الأنبياء ، وأن الجهاد لتقرير الحق والعدل مما يمدح به الإسلام ؛ لا مما به يشان ، وأن ما هو جواب لهم فى تبرير هذه الحروب وسفك الدماء كان جواباً لنا فى مشروعية ما قام به النبى صلى الله عليه وسلم من القتال والجهاد.

ولنشرع الآن فى تتميم بقية جوانب البحث مما يزيل الشبهة ويقيم الحجة ويقطع الطريق على المشككين ، فنتكلم عن غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، ممهدين لذلك بالحالة التى كانت عليها الجزيرة العربية من حروب وقتال وسفك للدماء لأتفه الأسباب وأقلها شأناً ، حتى يبدو للناظر أن القتال كان غريزة متأصلة فى نفوس هؤلاء لا تحتاج إلى قوة إقناع أو استنفار.

الحرب عند العرب قبل الإسلام سجلت كتب التاريخ والأدب العربى ما اشتهر وعرف بأيام العرب ، وهى عبارة عن مجموعة من الملاحم القتالية التى نشبت بين العرب قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس يعنينا سرد هذه الملاحم وتفاصيلها ولكن الذى يعنينا هنا أن نقف على بعض الجوانب التى تصلح للمقارنة (الأسباب ـ الزمن المستغرق ـ الآثار التى خلفتها هذه الحروب).

قال العلامة محمد أمين البغدادى: " اعلم أن الحروب الواقعة بين العرب فى الجاهلية أكثر من أن تحصر ، ومنها عدة وقائع مشهورة لا يتسع هذا الموضع لذكرها ولنذكر بعضاً منها على سبيل الإجمال " (٥٠).

وقد ذكرت كتب التواريخ أياماً كثيرة للعرب (البسوس ـ وداحس والغبراء ـ يوم النسار ـ يوم الجفار ـ يوم الفجار ـ يوم ذى قار ـ يوم شعب جبلة ـ يوم رحرحان ٠٠٠ إلخ) والمتأمل فى هذه الملاحم والأيام يرى أن الحماسة الشديدة والعصبية العمياء وعدم الاكتراث بعواقب الأمور والشجاعة المتهورة التى لا تتسم بالعقل ، كانت هى الوقود المحرك لهذه الحروب ، هذا فضلاً عن تفاهة الأسباب التى قامت من أجلها هذه المجازر ، والمدة الزمنية الطويلة التى استمرت فى بعضها عشرات السنين ، والآثار الرهيبة التى خلفتها هذه الحروب ، وعلى الرغم من أننا لم نقف على إحصاء دقيق لما خلفته هذه الحروب إلا أن الكلمات التى قيلت فى وصف آثارها من الفناء والخراب وتيتم الأطفال وترمل النساء ٠٠٠ إلخ لتوقفنا على مدى ما أحدثته الحرب فى نفوس الناس من اليأس والشؤم ، ويصف لنا الشاعر زهير بن أبى سلمى طرفاً من ذلك فى معلقته المشهورة وهو يخاطب الساعين للسلام بين عبس وذبيان:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم فهو يقول للساعين للسلام: إنكما بتحملكما ديات الحرب من مالكما ، أنقذتما عبسا وذبيان بعدما يأسوا ، ودقوا بينهما عطر منشم ، ومنشم هو اسم لامرأة كانت تبيع العطر يضرب بها المثل فى التشاؤم ، دليل على عظم اليأس الذى أصاب نفوس الناس من انتهاء هذه الحرب (٥١).

هذه إطلالة سريعة ومختصرة على الحروب وأسبابها لدى العرب قبل الإسلام والآن نشرع فى الكلام على تشريع الجهاد فى الإسلام ثم نتبع ذلك بتحليل موثق لغزوات النبى صلى الله عليه وسلم.

الجهاد فى شرعة الإسلام:

لما استقر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسس حكومته النبوية بها ، بعد ثلاثة عشر عاماً من الدعوة إلى الله وتحمل الأذى والعذاب فى سبيل ذلك تخللتها ثلاث هجرات جماعية كبيرة ـ هاجت ثائرة قريش وحقدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أحرزه من استقرار ونجاح لهذه الدولة الوليدة ـ دون ظلم أو استبداد أو سفك

للدماء ـ ولذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم مقصوداً بالقتل ، إذ ليس معقولاً أن تنام أعينهم على هذا التقدم والنمو ، ومصالحهم قائمة على الزعامة الدينية فى جزيرة العرب ، وهذه الدولة الجديدة قائمة على أساس دينى ربما يكون سبباً فى زوال هذه الزعامة الدينية الوثنية الموروثة. وإذا كان الإسلام ديناً بلغت الميول السلمية فيه مداها فى قوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام) (٥٣) إلا أن الميول السلمية لا تتسع لمنع القائمين بهذا الدين الجديد من الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الذى أنزله الله للإنسانية كافة ، فى عالم يضيع فيه الحق والعدل إن لم يكن لهما قوة تحميهما، فكان لا مناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذى يشهره خصومهم فى وجوههم ، ولذلك كان التعبير بقوله تعالى:(أُذِنَ للذين يُقَاتَلُونَ بأنهم ظُلِمُوا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (٥٣).

أقول: كان التعبير بالإذن الذى يدل على المنع قبل نزول الآية يدل على طروء القتال فى الإسلام وأنه ظل ممنوعاً طيلة العهد المكى وبعضاً من العهد المدنى.

" هذا ولم يغفل الإسلام حتى فى هذا الموطن ـ موطن الدفاع عن النفس والدين ـ أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان ؛ لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور ، وهذا من مميزات الحكومة النبوية ، فإن القائم عليها من نبى يكون كالجراح يضع مشرطه حيث يوجد الداء لاستئصاله ، مع عدم المساس بالأعضاء السليمة ، ومقصده استبقاء حياة المريض لا قتله ، والعالم كله فى نظر الحكومة النبوية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليماً قوياً.. إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب ليس فيما بين الناس فحسب ، ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، وبين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه من نفسه ، ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يجهل الناموس الذى اكتشفه دارون وروسل ولاس ودعوه ناموس تنازع البقاء وبنوا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً " (٥٤).

" ألم تر كيف تصدى خصوم الدين النصرانى للمسيح ، وما كان يدعو إلا للصلاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم ، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويقتلونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون فى الأرض لا تجمعهم جامعة ، إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الإمبراطور قسطنطين الذى أعمل السيف فى الوثنيين من أعدائهم.. أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية فى عالم مبنى على سنن التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل " ؟ " يقول المعترضون: وماذا أعددتم من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم إلى الجهاد وحثكم على الاستبسال فيه ؟ نقول: أعددنا لهذا العهد قوله تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) (٥٥).

" هذه حكمة بالغة من القرآن ، بل هذه معجزة من معجزاته الخالدة ، وهى أدل دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها ، ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التى لابد منها ما دام الإنسان فى عقليته ونفسيته المأثورتين عنه ، غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمى يتفق فيه على إبطال الحرب فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حُجة لأهله من ناحية ، وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى ، ولو كان يريدها لذاتها لما نوه لهذا الحكم " (٥٦).

ثانياً: نظرة تحليلية لغزوات النبى صلى الله عليه وسلم:

إذا تتبعنا هذه الغزوات وقسمناها حسب الطوائف التى ضمتها ، أمكننا التعرف على القبائل التى حدثت معها هذه المعارك وهى كالآتى:

(١) قريش مكة:

وهى القبيلة التى ينتمى إليها النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث أن قريش هو فهر بن مالك ، وقيل النضر بن كنانة ، وعلى كلا القولين فقريش جد للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت معهم الغزوات: سيف البحر ـ الرابغ ـ ضرار ـ بواط ـ سفوان ـ ذو العشيرة ـ السويق ـ ذو قردة ـ أحد ـ حمراء الأسد ـ بدر الآخرة ـ الأحزاب ـ سرية العيص ـ سرية عمرو بن أمية ـ الحديبية ـ سيف البحر الثانية ٨هـ ـ فتح مكة.

(٢) قبيلة بنو غطفان وأنمار:

غطفان من مضر ، قال السويدى: " بنو غطفان بطن من قيس ابن عيلان بن مضر ، قال فى العبر: وهم بطن متسع كثير الشعوب والبطون " (٥٧) ، قال ابن حجر فى فتح البارى: " تميم وأسد وغطفان وهوازن جميعهم من مضر بالاتفاق " (٥٨) ، أما أنمار فهم يشتركون فى نفس النسب مع غطفان ، قال ابن حجر: " وسيأتى بعد باب أن أنمار فى قبائل منهم بطن من غطفان " (٥٩) ، أى أن أنمار ينتسبون إلى مضر أيضاً ونسبهم كالتالى: أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر (٦٠).

والغزوات التى ضمتها هى: قرقرة الكدر ـ ذى أمر ـ دومة الجندل ـ بنى المصطلق ـ الغابة ـ وادى القرى ـ سرية كرز بن جابر ـ ذات الرقاع ـ تربة ـ الميفعة ـ الخربة ـ سرية أبى قتادة ـ عبد الله بن حذافة (٦١).

(٣) بنو سليم:

قال السويدى: " بضم السين المهملة قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى ، وسليم من أولاد خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر (٦٢) ، والغزوات التى خاضها صلى الله عليه وسلم مع بنى سليم هى: بئر معونة ـ جموم ـ سرية أبى العوجاء ـ غزوة بنى ملوح وبنى سليم (٦٣).

(٤) بنو ثعلبة:

ثعلبة هو ابن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر (٦٤) ، نسبه الدكتور على الجندى إلى مر بن أد هكذا: ثعلبة بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر (٦٥) ، والغزوات التى غزاها صلى الله عليه وسلم معهم هى: غزوة ذى القصة ـ غزوة بنى ثعلبة ـ غزوة طرف ـ سرية الحسمى (٦٦).

(٥) بنو فزارة وعذرة:

قال فى سبائك الذهب: " بنو فزارة بطن من ذبيان من غطفان ، قال فى العبر: وكانت منازل فزارة بنجد ووادى القرى ، ونسب فزارة: فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر.
أما بنو عذرة: بنوه بطن من قضاعة ، ونسبهم هكذا: عذرة بن سعد بن جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة (٦٧). ونسبهم إلى قضاعة أيضاً الدكتور على الجندى معتمداً على أنساب ابن حزم هكذا: عذرة بن سعد بن أسلم بن عمران بن الحافى بن قضاعة (٦٨) ، وعلى هذا فبنو عذرة ليسو من مضر وإنما كانوا موالين لبنى فزارة وهم من مضر. وكان معهما الغزوات والسرايا الآتية:
سرية أبى بكر الصديق ـ سرية فدك ـ سرية بشير بن سعد ـ غزوة ذات أطلح (٦٩).
(٦) بنو كلاب وبنو مرة:
أما بنو كلاب فهم: بنو كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وبنو مرة هم أبناء كعب بن لؤى فيكون كلاب بطن من مرة ، وهذه نفس سلسلة النسب التى ذكرها الدكتور على الجندى معتمداً على أنساب ابن حزم (٧٠) ، والغزوات التى كانت معهم: غزوة قريظة ـ غزوة بنى كلاب ـ غزوة بنى مرة ـ سرية ضحاك (٧١).
(٧) عضل والقارة:
قال فى سبائك الذهب: "عضل بطن من بنى الهون من مضر" ، ونسبهم هكذا: عضل بن الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وأما القارة فلم يذكرها السويدى فى السبائك ولا الدكتور الجندى ، إلا أن الأستاذ الشيخ محمد الخضرى نسبها إلى خزيمة بن مدركة ، وذكر الفارة بالفاء الموحدة لا بالقاف المثناة (٧٢) وقد غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم غزوة واحدة هى غزوة الرجيع (٧٣).
(٨) بنو أسد:
قال السويدى: " بنو أسد حى من بنى خزيمة ، ونسبهم هكذا: أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر (٧٤) ، والغزوات التى غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هى: سرية قطن ـ سرية عمر مرزوق ـ غزوة ذات السلاسل (٧٥).
(٩) بنو ذكوان:
قال السويدى: " بنو ذكوان بطن من بهتة من سليم ، وهم من الذين مكث النبى صلى الله عليه وسلم شهراً يقنت فى الصلاة يدعو عليهم وعلى رعل (٧٦) ونسبهم هكذا: ذكوان بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة خصفة بن قيس عيلان بن مضر (٧٧) ، ولم يغزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا غزوة واحدة هى غزوة بئر معونة.
(١٠) بنو لحيان:
من المعروف أن بنى لحيان من هذيل ، وهذيل هو: ابن مدركة بن مضر(٧٨)، وغزاهم النبى صلى الله عليه وسلم غزوة واحدة هى:غزوة بنى لحيان (٧٩).
(١١) بنو سعد بن بكر:

نسبهم: سعد بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (٨٠) ، وقد أرسل لهم النبى صلى الله عليه وسلم سرية واحدة هى سرية فدك.

(١٢) بنو هوازن:

بنو هوازن بطن من قيس عيلان ، ونسبهم هكذا: هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (٨١)، وقد غزاهم صلى الله عليه وسلم غزوة ذات عرق.

(١٣) بنو تميم:

بنو بطن من طابخة ، قال فى العبر: " وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمن ، ونسبهم هكذا: تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر " (٨٢).

(١٤) بنو ثقيف:

بنو ثقيف بطن من هوازن اشتهروا باسم أبيهم ثقيف ، ونسبهم: ثقيف بن منبه بن بكر بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (٨٣) ، وقد غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم غزوتين هما: غزوة حنين ـ غزوة الطائف.

ونستطيع من خلال هذا التتبع أن نقول: إن هذه القبائل كانت جميعها تنتسب إلى مضر وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم أو من والاهم ، وبالمعنى الأدق كانت نتيجة غضب إخوته من أجداده ، أما اليهود فقد كانوا مع قريش حسب معاهدتهم معهم ، وبذلك ظهر جلياً أن الغزوات والسرايا التى خاضها أو أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت موجهة فى نطاق ضيق هو نسل مضر ، فلا يمكن أن يقال حينئذ: أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أشعل نار الحرب ضد العرب جميعاً ، أو أنه خاض الحروب لإكراه الناس على اعتناق الإسلام ، ولو كان الأمر كما يقولون لوقعت حرب عدوانية أو دفاعية ضد أى قبيلة من مئات القبائل العربية ، وهذه الحقيقة تحتاج إلى مزيد من التعمق والتحليل فى بعض خصائص القبائل العربية ؛ إذ قد يقول قائل أو يعترض معترض: إن هذا الذى توصلنا إليه بالبحث ـ ألا وهو انحصار القتال مع المضريين ـ لم يحدث إلا اتفاقاً ، والأمور الاتفاقية لا تدل على شىء ولا يستخرج منها قانون كلى نحكم به على جهاد النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ كان من الممكن أن يقاتل النبى صلى الله عليه وسلم ربيعة بدلاً من مضر ، أو يقاتل ربيعة ومضر معاً ، أو يقاتل القحطانية بدلاً من العدنانية أو يقاتلهما معاً ، وهكذا.

ذلك المتوقع أن تزيد الألفة والمودة بين أفراد وقبائل الجد الواحد لا أن تشتعل نار الحرب والقتال بينهم ، فما الذى عكس هذا التوقع وقلب الأمر رأساً على عقب ؟!

وللإجابة على هذه الشبهة نقول:

كان من أشهر الأمثلة العربية المثل المشهور " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " وقد كان العرب يطبقون هذا المثل تطبيقاً حرفياً ـ دون هذا التعديل الذى أضافه الإسلام عليه ـ فكانوا ينصرون إخوانهم وبنى أعمامهم نصراً حقيقياً على كل حال فى صوابهم وخطئهم وعدلهم وظلمهم ، وإذا دخلت قبيلتان منهم فى حلف كان لكل فرد

من أفراد القبيلتين النصرة على أفراد القبيلة الأخرى ، وهذا الحلف قد يعقده الأفراد وقد يعقده رؤساء القبائل والأمر واحد فى الحالين.
بينما هم كذلك فى بنى أبيهم وفى حلفائهم ، إذ بك تراهم حينما تتشعب البطون قد نافس بعضهم بعضاً فى الشرف والثروة ، فنجد القبائل التى يجمعها أب واحد كل واحدة قد وقفت لأختها بالمرصاد تنتهز الفرصة للغض منها والاستيلاء على موارد رزقها ، وترى العداء قد بلغ منها الدرجة التى لا تطاق ، كما كان بين بطنى الأوس والخزرج ، وبين عبس وذبيان ، وبين بكر وتغلب ابنى وائل ، وبين عبد شمس وهاشم ، ... إلخ ، فكانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة ، تزيدها العصبية حياة ونمواً ، وكانت مفقودة تماماً بين القبائل المختلفة ؛ فكانت قواهم متفانية فى قتالهم وحروبهم ونزاعاتهم.
وقد علل الشيخ محمد الخضرى بك هذه الحقيقة العجيبة بأمرين:
الأمر الأول:
التنافس فى مادة الحياة بين بنى الأب الواحد ، إذ أن حياتهم كانت قائمة على المراعى التى يسيمون فيها أنعامهم ، والمناهل التى منها يشربون.
الأمر الثانى:
تنازع الشرف والرياسة ، وأكثر ما يكون ذلك إذا مات أكبر الإخوة وله ولد صالح لأن يكون موضع أبيه ، فينازع أعمامه رياسة العشيرة ولا يسلم أحد منهما للآخر ، وقد يفارق رئيس أحد البيتين الديار مضمراً فى نفسه ما فيها من العداوة والبغضاء ، وقد يبقيا متجاورين ، وفى هذه الحالة يكون التنافر أشد كما كان الحال بين الأوس والخزرج من المدينة ، وبين هاشم وأمية من مكة ، وبين عبس وذبيان من قيس ، وبين بكر وتغلب من ربيعة. ومتى وجد النفور بين جماعتين أو بين شخصين لا يحتاج شبوب نار الحرب بينهما إلى أسباب قوية ، بل إن أيسر النزاع كاف لنشوب نار الحرب وتيتم الأطفال وتأيم النساء ؛ لذلك كانت الجزيرة العربية دائمة الحروب والمنازعات (٨٤).
هذه الحقيقة التى توصلنا إليها ـ وهى أن نار الحرب سريعة النشوب بين أبناء الأب أو الجد الواحد ـ تدعم ما توصلنا إليه من أن الحرب إنما كانت نتيجة غضب إخوته من أجداده ، وإذا كان الخلاف محصوراً فى السببين السابقين ، فأى سبب هو الذى أجج نار الغيرة والحقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل السبب هو التنافس فى مادة الحياة الدنيا ، أم الخوف من انتزاع الشرف والسيادة التى تؤول إلى النبى صلى الله عليه وسلم إذ هم أذعنوا له بالرسالة والنبوة ؟ أما عن السبب الأول فليس وارداً على الإطلاق ، فلقد ضرب كفار مكة حصاراً تجويعياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، فانحازوا إلى شعب أبى طالب ثلاث سنوات كاملة ، عاشوا فيها الجوع والحرمان ما لا يخطر ببال ، حتى إنهم من شدة الجوع قد أكلوا ورق الشجر وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم وأنين شيوخهم ، ومع ذلك فقد التزم النبى صلى الله عليه وسلم الصبر والثبات ، ولم يأمر أصحابه أن يشنوا حرباً أو قتالاً لفك هذا الحصار ، والخبير يعلم ما الذى يمكن أن يفعله الجوع بالنفس البشرية ، إن لم يصحبها نور من وحى أو ثبات من إيمان.

كان السبب الثانى إذن كفيلاً بإشعال هذه النار فى قلوب هؤلاء وعلى حد تعبير الأستاذ العلامة محمد فريد وجدى: " كان مقصوداً بالقتل من قريش ، وليس يعقل أن تغمض قريش عينها ، ومصلحتها الحيوية قائمة على زعامة الدين فى البلاد العربية ، وعن قيام زعامة أخرى فى البلاد كيثرب يصبح منافساً لأم القرى ، وربما بزها سلطاناً على العقول ، وكر على قريش فأباد خضراءها وسلبها حقها الموروث " (٨٥) ، والذى يؤيد هذا ويقويه ذلك الحوار الذى دار بين الأخنس بن شريق وبين أبى جهل ؛ إذ قال له الأخنس: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ - يعنى القرآن - فقال ما سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك هذا ؟! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.
ليست الصدفة إذن ولا محض الاتفاق هما اللذان دفعا النبى صلى الله عليه وسلم لقتال أبناء أجداده من مضر دون ربيعة أو غيرها من العرب ، بل الطبيعة العربية المتوثبة دائماً ، لمن ينازعها الشرف والسيادة من أبناء الأب الواحد - على ما بيناه آنفاً - كانت هى السبب الرئيسى لاشتعال هذه الحروب ولولاها لما اضطر صلى الله عليه وسلم للقتال بعد ثلاثة عشر عاماً من الدعوة والصبر تخللها من المشاق والعنت ما الله به عليم ، ومع ذلك فقد كان هجيراه - بأبى هو وأمى - " اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ".
وثمة أمر آخر ينبغى الإشارة إليه ، يتعلق بالآثار الناجمة عن هذا القتال ، من حيث أعداد القتلى التى نجمت عن هذه الغزوات والجدول الآتى يعطينا صورة بيانية عن هذه الآثار كالآتى:
الغزوة / شهداء المسلمين / قتلى المشركين / الملاحظة بدر / ١٤ / ٧٠ / أحد / ٧٠ / ٢٢ / الخندق / ٦ / ٣ / بنو المصطلق / - / ٣ / خيبر / ١٩ / لم يدخل اليهود فى هذه الإحصائية لأن لهم حكم آخر بسبب خيانتهم ، فهم قُتلوا بناء على حكم قضائى ، بسبب الحرب.
بئر مونة ٦٩ / - / مؤتة / ١٤ / ١٤ / حنين / ٤ / ٧١ / الطائف / ١٣ / - / معارك أخرى / ١١٨ / ٢٥٦ / المجموع / ٣١٧ / ٤٣٩ / ٧٥٦ من الجانبين.
وبعد فقد بدا للناظرين واضحًا وجليًا أن الإسلام متمثلاً فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد ما يكون عن حمل الناس على اعتناق الإسلام بالسيف ، وهو الذى قال صلى الله عليه وسلم لأعدائه بعدما قدر عليهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " هكذا دون شرط أو قيد ، أقول حتى دون اشتراط الإسلام.
والنتائج الحقيقية:
(١) تحويل العرب الوحوش إلى عرب متحضرين ، والعرب الملحدين الوثنيين إلى عرب مسلمين موحدين.
(٢) القضاء على أحداث السلب والنهب وتعزيز الأمن العام فى بلاد تفوق مساحتها مساحة فرنسا بضعفين.
(٣) إحلال الأخوة والروحانية محل العداوة والبغضاء.
(٤) إثبات الشورى مكان الاستبداد (٨٦).

هذا وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضوابط وقيود كان من شأنها أن تحدد وظيفة الجهاد فى نشر الإسلام فى ربوع المعمورة ، دون سفك للدماء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ومن هذه الضوابط قوله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) (٨٧).

فإن كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضى الأمد ، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم ، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوى علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم ، لأنه لم يخف منهم بل علم ذلك.

ودل مفهوم الآية أيضاً على أنه إذا لم يخف منهم خيانة بأن يوجد منهم ما يدل على عدم الخيانة ، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم ، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته (٨٨).

انتشار الإسلام أ ـ معدلات انتشار الإسلام:

الذى يؤكد على الحقيقة التى توصلنا إليها ـ وهى أن انتشار الإسلام كان بالدعوة لا بالسيف ـ أن انتشار الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها ، كان وفق معدلات متناسبة تماماً من الناحيتين الكمية والكيفية ، مع التطور الطبيعى لحركة الدعوة الإسلامية ، ولا يوجد فى هذه المعدلات نسب غير طبيعية أو طفرات تدل على عكس هذه الحقيقة ، والجدول الآتى يوضح هذه النسب:

السنوات بالهجرى / فارس / العراق / سورية / مصر / الأندلس نسبة المسلمين مع نهاية أول مائة عام / ٥%/ ٣%/ ٢%/ ٢%/أقل من ١% السنوات التى صارت النسبة فيها ٢٥% من السكان/ ١٨٥/ ٢٢٥/ ٢٧٥/ ٢٧٥/ ٢٩٥ السنوات التى صارت النسبة فيها ٥٠% من السكان/ ٢٣٥/ ٢٨٠/ ٣٣٠/ ٣٣٠/ ٣٥٥ السنوات التى صارت النسبة فيها ٧٥% من السكان/ ٢٨٠/ ٣٢٠/ ٣٨٥/ ٣٨٥/ ٤٠٠ * حسبت السنوات منذ عام ١٣ قبل الهجرة عندما بدأ تنزيل القرآن الكريم.

وتوضح معلومات أخرى أن شعب شبه الجزيرة العربية كان الشعب الأول فى الدخول فى الإسلام ، وقد أصبح معظمهم مسلمين فى العقود الأولى بعد تنزيل القرآن الكريم.

وهكذا كان عدد العرب المسلمين يفوق عدد المسلمين من غير العرب فى البداية ، ومهدوا الطريق للتثاقف الإسلامى والتعريب من أجل المسلمين غير العرب ، ولم يمض وقت على هؤلاء فى أصولهم من أديان ومذاهب متعددة من كل الأمم والحضارات السابقة.

كان على هؤلاء جميعاً أن يوظفوا بشكل موحد عمليات توأمية للتقليد والابتكار فى وقت واحد وذلك حسب خلفياتهم الأصلية تحت التأثير الثورى والمتحول الأكثر عمقاً للفكر الإسلامى ومؤسساته ، وقاموا عن طريق عملية التنسيق المزدوجة بتنقية تراثهم من علوم وتكنولوجيا وفلسفات عصر ما قبل القرآن الكريم وذلك إما بالقبول

الجزئى أو الرفض الجزئى ، وقاموا كذلك بالابتكار من خلال انطلاقهم من أنظمتهم الفكرية الحسية وتراثهم فى ضوء القرآن الكريم والسنة.
ومن هنا ولدت العلوم الإسلامية والتكنولوجيا الإسلامية والحضارة الإسلامية الحديثة متناسبة مع الأيدولوجية والرؤية الإسلامية الشاملة (٨٩).
خصائص ذلك الانتشار:
- عدم إبادة الشعوب.
- جعلوا العبيد حكاماً.
- لم يفتحوا محاكم تفتيش.
- ظل اليهود والنصارى والهندوك فى بلادهم.
- تزاوجوا من أهل تلك البلاد وبنوا أسراً وعائلات على مر التاريخ.
- ظل إقليم الحجاز - مصدر الدعوة الإسلامية - فقيراً إلى عصر البترول فى الوقت الذى كانت الدول الاستعمارية تجلب خيرات البلاد المستعمرة إلى مراكزها.
- تعرضت بلاد المسلمين لشتى أنواع الاعتداءات (الحروب الصليبية - الاستعباد فى غرب إفريقيا - إخراج المسلمين من ديارهم فى الأندلس وتعذيب من بقى منهم فى محاكم التفتيش) ونخلص من هذا كله أن تاريخ المسلمين نظيف وأنهم يطالبون خصومهم بالإنصاف والاعتذار ، وأنهم لم يفعلوا شيئاً يستوجب ذلك الاعتذار حتى التاريخ المعاصر.
١ - سرية سيف البحر - رمضان ١ هجرية - ٣٠ راكب - حمزة بن عبد المطلب - ٣٠٠أبو جهل - انصرف المسلمون بدون قتال - بعثت هذه السرية لدراسة أحوال مكة ووجد الأعداء أن المسلمين منتبهون فانصرفوا عنهم.
٢ - سرية الرابغ - شوال سنة ١ هجرية - ٦٠ - عبيدة بن الحارث - ٢٠٠ عكرمة بن أبى جهل أو أبو صيان - انصرف المسلمون بدون قتال - بعثت هذه السرية لتفقد أحوال أهل مكة فرأت جمعاً عظيماً من قريش بأسفل ثنية المرة.
٣ - سرية ضرار - فى ذى القعدة سنة ١ هجرية - ٨٠ سعد بن أبى وقاص - خرج حتى بلغ الجحفة ثم رجع ولم يلق كيداً.
٤ - غزوة ودان وهى غزوة الأبواب - صفر ٢ هجرية - ٧٠ - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - عاهد عمرو بن مخشى الضمرى على ألا يعين قريش ولا المسلمين.
٥ - غزوة بواط - ربيع الأول ٢ هجرية - ٢٠٠ - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - ١٠٠ - أمية بن خلف - بلغ إلى بواط ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة لقى فى الطريق قريشاً وأمية - رضوى اسم جبل بالقرب من ينبع.
٦ - غزوة صفوان أو بدر الأولى - ربيع الأول ٢ هجرية - ٧٠ - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - كرز بن جابر الفهرى - خرج فى طلب العدو حتى بلغ صفوان فلم يدركه - كان كرز بن جابر قد أغار على مواشى لأهل المدينة.
٧ - غزوة ذى العشيرة - جمادى الآخرة ٢ هجرية - ١٥٠ - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - وادع بنى مذلج وحلفائهم من بنى ضمرة - ذو العشيرة موضع بين مكة والمدينة من بطن ينبع.

٨ ـ سرية النخلة ـ فى رجب ٢ هجرية ـ ١٢ ـ عبد الله بن جحش ـ قافلة تحت قيادة بنى أمية ـ أطلق الأسيران وودى القتيل ـ أرسلوا لاستطلاعن قريش فوقع الصدام.
٩ ـ غزوة بدر الكبرى ـ رمضان ٢ هجرية ـ ٣١٣ ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ ١٠٠٠ ـ أبو جهل ـ ٢٢ ـ ٧٠ ـ ٧٠ ـ انتصر المسلمون على العدو ـ بين بدر ومكة سبعة منازل وبين بدر والمدينة ثلاثة منازل لما علم بخروج قريش إلى المدينة ارتحل دفاعاً عن المسلمين.
١٠ ـ سرية عمير بن العدى الخطمى ـ فى رمضان ٢ هجرية ـ ١ ـ عمير ـ ١ ـ عصماء بن مروان ـ ١ ـ قتل عمير اخته التى كانت تحض قومها على الحرب ضد المسلمين.
١١ ـ سرية سالم بن عمير الأنصارى ـ فى شوال ٢ هجرية ـ ١ ـ سالم ـ ١ ـ الخطمية أبو عكفة ـ كان أبو عكفة اليهودى يستفز اليهود على المسلمين فقتله سالم.
١٢ ـ غزوة بنى قينقاع ـ فى شوال ٢ هجرية ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ قبيلة بنى قينقاع ـ تم إجلائهم ـ أتوا بالشر فى المدينة حين كان المسلمون فى بدر فأجلوا لذلك.
١٣ ـ غزوة السويق ـ فى ذى الحجة ٢ هجرية ـ ٢٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ ٢٠٠ ـ أبو سفيان ـ خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبه فلم يدركه ـ بعث أبو سفيان من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية منها فحرقوا فى أسوال من نخل ووجدوا بها رجلين فقتلوهما.
١٤ ـ غزوة قرقرة الكدر أو غزوة بنى سليم ـ محرم ٢ هجرية ـ ٧٠ ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ كرز بن جابر الفهرى ـ ١ ـ خرج العدو يغزو المدينة فانصرف حين رأى جمعاً من المسلمين ـ أسر عبد اسمه يسار فأطلق سراحه.
١٥ ـ سرية قررة الكدر ـ ٢ هجرية ـ ١ ـ غالب بن عبد الله الليثى ـ قبيلة بنى غطفان وبنى سليم ـ ٣ ـ قتل من الأعداء وفر الباقون ـ بعثت هذه السرية إكمالاً إذ اجتمع الأعداء مرة أخرى.
١٦ ـ سرية محمد بن مسلمة ـ ربيع الأول ـ ٣ هجرية ـ محمد بن مسلمة الأنصارى الخزرجى ـ ١ ـ كعب بن الأشرف اليهودى ـ ١ ـ ١ ـ كان كعب بن الأشرف يحرض القبائل من اليهود ضد المسلمين ودعا قريشاً للحرب فوقعت غزوة أحد.
١٧ ـ غزوة ذى أمر أو غزوة غطفان أو أنمار ـ فى ربيع سنة ٣ هجرية ـ ٤٥٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بنو ثعلبة وبنو محارب ـ اجتمعت بنو ثعلبة وبنو محارب للإغارة على المدينة فانصرفوا حين رأوا جمعاً من المسلمين ـ خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى بلغ نجد وهنا أسلم وعثود الذى هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.
١٨ ـ سرية قردة ـ فى جمادى الآخرة سنة ٣ هجرية ـ ١٠٠ ـ زيد بن حارثة ـ أبو سفيان ـ ١ ـ خرج زيد بن حارثة فى بعث فتلقى قريشاً فى طريقهم إلى العراق ـ أسر فراء بن سفيان دليل القافلة التجارية فأسلم.
١٩ ـ غزوة أحد ـ شوال ٣ هجرية ـ ٦٥٠ راجل ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ ٢٨٠٠ راجل ـ ٢٠٠ راكب أبو سفيان الأموى ـ ٤٠ ـ ٧٠ ـ ٣٠ ـ لحقت خسارة فادحة

بالمسلمين ولكن فشل الكفار نتيجة لرعب أصابهم ـ بين أحد والمدينة ثلاثة أيمال كانوا الأعداء زحفوا من مكة إلى أُحد.
ـ غزوة حمراء الأسد ـ فى ٧ من شوال المكرم سنة ٣ هجرية ـ ٥٤٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ ٢٧٩٠ ـ أبو سفيان ـ ٢ أبو عزة ومعاوية بن المغيرة ـ خرج النبى صلى الله عليه وسلم مرعباً للعدو ـ لما آن الغد من يوم أُحد خرج المسلمون إلى معسكر العدو لئلا يغير عليهم ثانية ظاناً بهم ضعفاً ، أسر رجلان ، وقتل أبو عزة الشاعر لأن كان وعد فى بدر بأنه لا يظاهر أبداً على المسلمين ثم نقض عهده وحث المشركين على المسلمين.
٢١ ـ سرية قطن أو سرية أبى سلمة المخزومى ـ فى غرة محرم الحرام سنة ٤ هجرية ـ ١٥٠ أبو سلمة المخزومى ـ طلحة وسلمة ـ لم يتمكنوا من الإغارة على المدينة بمظاهرة قام بها المسلمون ـ هو رئشيس قطاع الطريق أراد الإغارة على المدينة ولكن المسلمين تظاهروا فوصلوا إلى قطن وهو مسكنه فتفرق جمعه.
٢٢ ـ سرية عبد الله بن أنيس ـ فى ٥ من محرم الحرام سنة ٤ هجرية ـ ١ ـ عبد الله بن أنيس الجهنى الأنصارى ـ ١ ـ سفيان الهذيلى ـ ١ ـ سمع عبد الله بأن سفيان استنفر قوماً ضد المسلمين بعرفى فوصل عليها وقتل بها أبا سفينان.
٢٣ ـ سرية الرجيع ـ فى صفر ٤ هجرية ـ ١٠ عاصم بن ثابت ـ ١٠٠ ـ من عضل والقارة ـ ١٠ ـ استشهاد عشرة قراء.
٢٤ ـ سرية بئر معونة ـ ٧٠ ـ منذر بن عمر ـ جماعة كبيرة ـ عامر بن مالك ـ ١ ـ ٦٩.
٢٥ ـ سرية عمر بن أمية الضميرى ـ ربيع الأول ٤ هجرية ـ ١ ـ عمر بن أمية الضمرى ـ ٢ قبيلة بنى كلاب.
٢٦ ـ غزوة بنى النضير ـ ربيع أول ٤ هجرية ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ قبيلة النضير ـ تم إجلائهم بأنهم هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢٧ ـ غزوة بدر الأخرى ـ ذى القعدة ٤ هجرية ـ ١٥١٠ النبى صلى الله عليه وسلم ـ ٢٠٥٠ أبو سفيان ـ لم تحدث مواجهة ـ خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل بناحية الظهران أو عسفان ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم خرج إليه فرجع أبو سفينان رجع النبى أيضاً.
٢٨ ـ غزوة دومة الجندل ـ سنة ٥ هجرية ـ ١٠٠٠ النبى صلى الله عليه وسلم ـ أهل الدومة ـ رجع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً.
٢٩ ـ غزوة بنى المصطلق ـ ٢ شعبان ٥ هجرية ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق ـ ١٩ ـ ١٠ ـ انهزم العدو وأطلق الأسرى كلهم.
٣٠ ـ غزوة الأحزاب أو الخندق ـ شوال ٥ هجرية ـ ٣٠٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ ١٠٠٠٠ أبو سفيان ـ ٦ ـ ١٠ ـ انقلب العدو خاسراً.
٣١ ـ سرية عبد الله بن عتيك ـ ذى القعدة ٥ هجرية ـ ٥ ـ عبد الله بن عتيك الأنصارى ـ ١ ـ سلام بن أبى الحقيق ـ ١.

٣٢ ـ غزوة بنى قريظة ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بنو قريظـة ـ ٤ ـ ٢٠٠ ـ ٤٠٠ ـ من الأعداء من قتل ومنهم من أسر ـ قتلهم كان حكماً قضائياً بسبب الخيانة وكان هذا الحكم موافقاً لنصوص التوراة التى كانوا يؤمنون بها.
٣٣ ـ سرية الرقطاء ـ ٣٠ ـ محمد بن مسلمة ـ ٣٠ ـ ثمامة بن آثال ـ ١ ـ أثر ثمالة فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كان ثمامة سيد نجد ، وأسلم بعد أن أطلق سراحه من الأسر.
٣٤ ـ غزوة بنى لحيان ـ ٦ هجرية ـ ٢٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بنو لحيا من بطون هذيل ـ تفرق العدو حين علم بمقدم المسلمون إليه ـ كانت الغزوة لتأديب أهل الرجيع الذين قتلوا عشرة من القراء.
٣٥ ـ غزوة ذى قردة ـ ٦ هجرية ـ ٥٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ خيل من غطفن تحت قيادة عيينة الفزارى ـ امرأة واحدة ـ ٣ ـ ١ ـ أغاروا على لقاح لرسول الله فخرج المسلمون ولحقوا بهم.
٣٦ ـ سرية عكاشة محصن ـ ٤٠ ـ عكاشة بن محصن الأسدى ـ بنو أسد ـ تفرق الأعداء ولم تحدث مواجهة ـ كان بنو أسد قد أجمعوا الإغارة على المدينة فبعثت إليهم هذه السرية.
٣٧ ـ سرية ذى القصة ـ ٦ هجرية ـ ١٠ ـ محمد بن مسلمة ـ ١٠٠ بنو ثعلبة ـ ١ جريح ـ ٩ ـ استشهد تسعة من الدعاة وأصيب محمد بن مسلمة بجرح ـ كان عشرة من القراء ذهبوا للدعوة وبينما هم نائمون قتلهم بنو ثعلبة وذو القصة اسم موضع.
٣٨ ـ سرية بنى ثعلبة ـ ٦ هجرية ـ ٤٠ ـ أبو عبيدة بن الجراح ـ بنو ثعلبة ـ ١ ـ انصرف العدو وغنم المسلمون ما كان لهم من متاع.
٣٩ ـ سرية الجموم ـ ٦ هجرية ـ زيد بن حارثة ـ بنو سليم ـ ١٠ ـ أسر مجموعة رجال وأطلقهم النبى صلى الله عليه وسلم.
٤٠ ـ سرية الطرف أو الطرق ـ ٦ هجرية ـ ١٥ ـ زيد بن حارثة ـ بنو ثعلبة ـ هرب الأعداء وأصاب المسلمون عشرين بعيراً ـ بعثت هذه السرية لمعاقبة المجرمين بذى القصة.
٤١ ـ سرية وادى القرى ـ ١٢ ـ زيد بن حارثة ـ سكان وادى القرى ـ ١ جريح ـ ٩ ـ قتل من المسلمين تسعة رجال وجرح واحد ـ كان زيداً ذاهباً للجولة فحملوا عليه وعلى أصحابه.
٤٢ ـ دومة الجندل ـ ٦ هجرية ـ عبد الرحمن بن عوف ـ قبيلة بنى كلب ـ الأصبغ بن عمرو ـ تحقق نجاح ملموس فى مجال الدعوة ـ أسلم الأصبغ بن عمرو وكان نصرانياً وأسلم معه كثير من قومه.
٤٣ ـ سرية فداك ـ ٦ هجرية ـ ٢٠٠ ـ على بن أبى طالب ـ بنو سعد بن بكر ـ هربت بنو سعد وأصاب المسلمون مائة بعير وألفى شاة ـ بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن يمدوا يهود خيبر فقام علىّ رضى الله عنه بالمظاهرة عليهم.
٤٤ ـ سرية أم فرقة ـ ٧ هجرية ـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ بنو فزارة تحت قيادة أم قرفة ـ ٢ ـ انهزم العدو ـ كانت بنو فزارة قد أغاروا على قافلة زيد بن حارثة.

٤٥ ـ سرية عبد الله بن رواحة ـ ٦ هجرية ـ ٣٠ ـ عبد الله بن رواحة ـ ٣٠ ـ أسير بن رزام اليهودى ـ ١ ـ ٣٠ ـ وقع اشتباك لسوء فهم الفريقين فقتل اليهود جميعاً.
٤٦ ـ سرية العرنيين ـ ٦ هجرية ـ ٢٠ ـ كرز بن جابر الفهرى ـ رجال من عكل وعريننة ـ ١ ـ ٨ ـ قتلوا الراعى واستاقوا الإبل فأسروا ومثل بهم ـ استوخموا المدينة فشربوا من ألبان الإبل وأبوالها فصحوا ثم قتلوا يسارا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الإبل.
٤٧ ـ سرية عمرو بن أمية الضمرى ـ ٦ هجرية ـ ١ ـ عمرو بن أمية الضمرى ـ كان عمرو قد جاء إلى مكة ليقتل النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم من حسن خلقه الشريف ثم ذهب إلى مكة يدعو أهلها.
٤٨ ـ غزوة الحديبية ـ ٦ هجرية ـ ١٤٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ أهل مكة ـ سهيل بن عمرو القرشى ـ تم الصلح بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين ريش عشر سنوات ـ كان النبى قد خرج معتمراً فصدته قريش عن البيت فى الحديبية.
٤٩ ـ غزوة خيبر ٧ هجرية ـ ١٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ ١٠٠٠٠ ـ يهود خيبر كنانة بن أبى الحقيق ـ ٥٠ جريحاً ـ ١٨ ـ ٩٣ ـ فتح الله للمسلمين فتحاً مبيناً ـ كان اليهود قد قاتلوا المسلمين فى أحد والأحزاب ونقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم فأفسد خططهم العدوانية.
٥٠ ـ غزوة وادى القرى ـ المحرم ٦ هجرية ـ ١٣٨٢ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ اليهود من وادى القرى.
٥١ ـ غزوة ذات الرقاع ـ ٧ هجرية ـ ٤٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بنو غطفان وبنو محارب وبنو ثعلبة وبنو أنمار ـ تفرق العدو ـ كانت بنو عطفان قد جمعوا جموعاً من القبائل للإغارة على المسلمين فلما قام المسلمون بحشودهم تفرقوا جميعاً.
٥٢ ـ سرية عيص ـ فى صفر ٧ هجرية ـ ٧٢ ـ أبو جندل وأبو بصير ـ قافلة قريش ـ ٩ ـ أخذ أموال العدو ثم ردها إليهم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم.
٥٣ ـ سرية الكديد ـ صفر ٧ هجرية ـ ٦٠ ـ غالب بن عبد الله الليثى ـ بنو الملوح ـ ١ ـ وقع اشتباك ـ كانت بنو الملوح قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد فبعثت إليهم هذه السرية للتوبيخ.
٥٤ ـ سرية فدك ـ فى صفر سنة ٧ هجرية ـ غالب بن عبد الله الليثى ـ أهل فدك ـ قتل ناس من العدو.
٥٥ ـ سرية حسمى ـ فى جمادى الآخرة ٧ هجرية ـ ٥٠٠ ـ زيد بن حارثة ـ ١٠٢ ـ الهنيد بن عوض الجزرى ـ ١٠٠ ـ ٢ ـ انتصر المسلمون وقتل الهنيد مع ابنه وأطلق الباقون بعد توبتهم ـ كان دحية الكلبى محملاً ببعض الهدايا من قيصر فقابله الهنيد فى ناس وقطع عليه الطريق.
٥٦ ـ سرية تربة ـ فى شعبان سنة ٧ هجرية ـ عمر بن الخطاب ـ أهل تربة ـ تفرق العدو ـ بين تربة ومكة منزلان كان أهل تربة قد اصطلحوا مع بنى غطفان فقام المسلمون بالمظاهرة فى محالهم.

٥٧ ـ سرية بنى كلاب ـ فى شعبان ٧ هجرية ـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ بنو كلاب ـ انتصر المسلمون سبى من الأعداء جماعة وقتل آخرون ـ كانوا أجمعوا الهجوم على المسلمين مع بنى محارب وبنى أنمار.
٥٨ ـ سرية الميفعة ـ رمضان ٧ هجرية ـ غالب بن عبد الله الليثى ـ أهل الميفعة ـ وقع اشتباك ـ كانوا حلفاء أهل خيبر.
٥٩ ـ سرية خربة ـ فى رمضان ٧ هجرية ـ أسامة بن زيد ـ أهل خربة ـ بينما أسامة وأصحابه يمشون فى الطريق إذ هبط إليهم رجل من الجبل فقتله أسامة بعد أن قال لا إله إلا الله.
٦٠ ـ سرية بنى مرة ـ شوال ٧ هجرية ـ ٣٠ بشير بن سعد ـ بنو مرة بالقرب من فدك ـ وقع اشتباك كانوا حلفاء أهل خيبر.
٦١ ـ سرية بشير بن سعد الأنصارى ـ فى شوال ٧ هجرية ـ ٣٠ بشير بن سعد ـ بنو فزارة وعذرة ـ جرح جميع المسلمين وأسر منهم رجلان ـ كانت بنو فزارة وعذرة قد ساعدوا اليهود فى خيبر فبعثت إليهم هذه السرية للترويع.
٦٢ ـ سرية ابن أبى العوجاء ـ ٧ هجرية ـ ٥٠ ـ ابن أبى العوجاء ـ بنو سليم ـ ١ ـ ٤٩ ـ أصيب ابن أبى العوجاء بجرح واستشهد الباقون ـ قام المسلمون بحشد قواهم فى محالهم لأنهم كانوا يجمعون للإغارة على المدينة.
٦٣ ـ سرية ذات أطلح ـ ٨ هجرية ـ ١٥ ـ كعب بن عمير الأنصارى ـ أهالى ذات أطلح بنو قضاعة ـ ١٤ ـ استشهد المسلمون جميعاً وبرأ واحد منهم ـ كانوا يجمعون فى عدد كبير للإغارة على المسلمين فبعث إليهم كتيبة لتخوفيهم فاستشهد المسلمون جميعاً.
٦٤ ـ سرية ذات عرق ـ فى ربيع الأول ٨ هجرية ـ ٢٥ ـ شجاع بن وهب الأسدى ـ بنو هوازن أهالى ذا عرق ـ كانت هوازن قد مدّوا يد المعونة لأعداء المسلمين مراراً ثم اجتمعوا على مشارف المدينة فاحتشد المسلمون لتخويفهم.
٦٥ ـ سرية مؤنة ـ فى جمادى الأولى سنة ٨ هجرية ـ ٣٠٠٠ ـ زيد بن حارثة ـ مائة ألف ـ شرحبيل الغسانى ـ ١٢ ـ لم نعرف عدد المفقودين ـ انتصر المسلمون ـ كان شرحبيل قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعت لذلك الحرب وهزم ثلاثة آلاف مائة ألف.
٦٦ ـ سرية ذات السلاسل ـ جمادى الآخرة ٨ هجرية ـ ٥٠٠ ـ عمرو بن العاص القرشى ـ بنو قضاعة ساكنوا السلاسل ـ هرب الأعداء بمظاهرة المسلمين ـ كانت قضاعة قد تجمعت للإغارة على المدينة.
٦٧ ـ سرية سيف البحر ـ فى رجب ٨ هجرية ـ ٣٠٠ ـ أبو عبيدة ـ قريش ـ أقام المسلمون على الساحل أياماً ثم انصرفوا ـ كان الغرض من هذه السرية تشتيت همم قريش.
٦٨ ـ سرية محارب ـ فى شعبان ٨ هجرية ـ ١٥ ـ أبو قتادة الأنصارى ـ بنو غطفان ـ هرب العدو خائفاً وأصاب المسلمون أنعاماً ـ تجمع بنو غطفان بخضرة فأرسلت إليهم سرية مكونة من خمسة عشر رجلاً للاستطلاع.

٦٩ ـ غزوة فتح مكة ـ رمضان ٨ هجرية ـ ١٠٠٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ قريش مكة ـ ٢ ـ ١٢ ـ انتصر المسلمون ـ لم يتعرض للمسلمين أحد إلا كتيبة واحدة ثم دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وجعل الناس كلهم طلقاء ولا تثريب عليهم.
٧٠ ـ سرية خالد ـ فى رمضان ٨ هجرية ـ خالد بن الوليد ـ الصنم العزى ـ كانت العزى صنم بنى كنانة فحطمها خالد رضى الله عنه.
٧١ ـ سرية عمرو بن العاص ـ ٨ هجرية ـ عمرو بن العاس ـ الصنم سواع ـ كانت سواع صنم بنى هذيل فحطمها عمرو بن العاص رضى الله عنه.
٧٢ ـ سرية سعد الأشهلى ـ رمضان ٨ هجرية ـ سعد بن زيد الأشهلى الأنصارى ـ الصنم مناة ـ كانت مناة صنماً للأوس والخزرج فهدمها سعد الأشهلى رضى الله عنه.
٧٣ ـ سرية خالد بن الوليد ـ شوال ٨ هجرية ـ ٣٥٠ ـ خالد بن الوليد ـ بنو جذيمة ـ ٩٥ ـ قتل خمسة وتسعون رجلاً من بنى جذيمة ممن كانوا أسلموا فكره الرسول صلى الله عليه وسلم قتلهم وودى بهم الدية ـ كان خالد بن الوليد بعث داعياً وكانت بنو جذيمة قد أسلموا من قبل فشك خالد فى إسلامهم وقتل منهم رجالاً.
٧٤ ـ غزوة حنين أو أوطاس أو هوازن ـ شوال ٨ هجرية ـ ١٢٠٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بنو ثقيف وبنو هوازن وبنو معز وبنو أحسم ـ ٦ ـ ٦٠٠٠ ـ ٧١ ـ انتصر المسلمون ـ أطلق النبى صلى الله عليه وسلم سراح جميع الأسرى وأعطاهم الكسوة كذلك.
٧٥ ـ غزوة الطائف ـ شوال ٨ هجرية ـ ١٢٠٠٠ ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بنو ثقيف ـ جمع كثير ـ ١٣ ـ جمع كثير ـ رجع النبى صلى الله عليه وسلم بعد محاصرة دامت شهراً ـ لما رفع النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الحصار قدموا عليه وأسلموا.
٧٦ ـ سرية عيينة بن حصن ـ فى محرم ٩ هجرية ـ ١٥٠ ـ عيينى بن حصن الفزارى ـ قبيلة بنى تميم ـ ٦٢ ـ تم القضاء على الثورة ـ قامت هذه القبيلة بإغراء القبائل التابعة لها ومنعتها عن أداء الجزية ولما خرج إليهم عيينى أسر منهم ١١ رجلاً و٢١ امرأة و ٢٠ ولداً فأطلقهم النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه سيدهم.
٧٧ ـ سرية قطبة بن عامر ـ فى صفر ٩ هجرية ـ ٢٠ ـ قطبة بن عامر ـ قبيلة خثم ـ أكثر من النصف ـ أكرهم ـ تفرقوا وانتشروا ـ كانوا يدبرون مؤامرة ضد المسلمين فجاء قطبة ببعضهم أسيراً فأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٧٨ ـ سرية الضحاك ابن سفيان الكلابى ـ ربيع أول ٩ هجرية ـ الضحاك رضى الله عنه ـ قبيلة بنى كلاب ـ بعث المسلمون إلى بنى كلاب داعين فاعترض لهم الكفار فوقع اشتباك.
٧٩ ـ سرية عبد الله بن حذافة ـ ربيع أول ٩ هجرية ـ ٣٠٠ ـ عبد الله بن حذافة القرشى السهمى ـ القراصنة من الخثعميين ـ هربوا ـ كانوا قد اجتمعوا فى ساحل جدة يريدون الإغارة على مكة فتفرقوا حين رأوا هذه السرية.
٨٠ ـ سرية بن طىء ـ ٩ هجرية ـ ١٥٠ ـ على رضى الله عنه ـ بنى طىء ـ أسرت سفانة بنت حاتم وغيرها من الناس.

٨١ ـ غزوة تبوك ـ ٩ هجرية ـ ٣٠٠٠ ـ الرسول صلى الله عليه وسلم ـ هرقل قيصر الروم ـ قام النبى صلى الله عليه وسلم بالتجمع مع أصحابه وأرهب الأعداء ثم رجع إلى المدينة.
٨٢ ـ سرية دومة الجندل ـ ٤٢٠ ـ خالد بن الوليد ـ أكيدر أمير دومة الجندل ـ أسر أكيدر وقتل أخوه ـ أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح أكيدر وعقد الحلف مع حكومات نصرانية أخرى.

(١) الأنبياء: ١٠٧.
(٢) آل عمران: ٧١.
(٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٦٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٤) غوستاف لوبون حضارة العرب ص ١٢٨ ، ١٢٩ ط الهيئة المصرية للكتاب.
(٥) البقرة: ١٩٠-١٩١.
(٦) البقرة: ١٩٢، ١٩٣.
(٧) البقرة: ٢١٦.
(٨) البقرة: ٢١٧.
(٩) آل عمران: ١٤٦.
(١٠) آل عمران: ١٦٩.
(١١) آل عمران: ١٩٥.
(١٢) ، (١٣) النساء: ٧٤ ، ٧٥.
(١٤) النساء: ٩٠.
(١٥) الأنفال: ٧-٨.
(١٦) الأنفال: ١٧.
(١٧) الأنفال: ٣٩.
(١٨) الأنفال: ٤٧.
(١٩) الأنفال: ٦١.
(٢٠) الأنفال: ٧٠.
(٢١) التوبة: ٥-٦.
(٢٢) التوبة: ١١١.
(٢٣) الحج: ٣٩-٤٠.
(٢٤) رواه مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله.
(٢٥) رواه أبو داود فى سننه ـ كتاب الخراج والإمارة والفئ ـ باب ما جاء فى خبر الطائف.
(٢٦) رواه الحاكم فى مستدركه ـ كتاب معرفة الصحابة رضى الله عنهم ـ ذكر إسلام أمير المؤمنين على ـ رضى الله عنه ـ.
(٢٧) رواه البخارى ـ كتاب التفسير ـ باب قول الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (.
(٢٨) مصنف عبد الرازق ـ كتاب الجهاد ـ باب الرجل يغزو وأبوه كاره.
(٢٩) الحج: ٤٠.

(٣٠) القرطبى ج ١٢ تفسير سورة الحج.
(٣١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٢٢٦ فصل فى الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها.
(٣٢) سفر العدد ـ الإصحاح الثالث عشر ـ الآيات: ٢٦-٢٩.
(٣٣) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الخامس والعشرون آية ١٠-١٤.
(٣٤) سفر الملوك الثانى ـ الإصحاح الثالث ، الآيات ٤ ـ ٨.
(٣٥) سفر حزقيال ـ أصحاح ٢١ آيات ١ ـ٥.
(٣٦) سفر يوشع ـ الإصحاح الثالث والعشرون ـ الآيات ٣ـ٥.
(٣٧) سفر القضاة ـ الإصحاح الثامن عشر ـ الآيات ٢٧ـ٣٠.
(٣٨) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الرابع ، الآيات ١ـ٤.
(٣٩) سفر التكوين ـ الإصحاح الرابع والثلاثون ـ الآيات ٢٥ـ٢٩.
(٤٠) سفر التكوين ـ الإصحاح الرابع عشر ـ الآيات ١٤ ـ ١٦.
(٤١) سفر العدد ـ الإصحاح الواحد والعشرون الآيتان ٣٤ـ٣٥.
(٤٢) سفر العدد ـ الإصحاح الخامس والعشرون الآية ١٦.
(٤٣) الإصحاح الثالث والثلاثون الآيات ٥٠ـ٥٣.
(٤٤) سفر صموئيل ـ الإصحاح السابع عشر الآيات ٤٥ـ٤٧.
(٤٥) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الثالث والعشرون الآية ٦.
(٤٦) سفر المزامير ـ المزمور الثامن عشر الآيات ٣٥ـ٤١.
(٤٧) سفر حزقيال الإصحاح الواحد والعشرون آية ٥.
(٤٨) إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر آية ٣٤ـ٣٦.
(٤٩) رواه أحمد وأبو داود.
(٥٠) سبائك الذهب ٤٤٣.
(٥١) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٨٣ ، ط مصطفى الحلبى.
(٥٢) الزخرف: ٨٩.
(٥٣) الحج: ٣٩ـ٤٠.
(٥٤) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة لمحمد فريد وجدى ص ١٦٤ ، ١٦٣ بتصرف.
(٥٥) الأنفال: ٦١.
(٥٦) السيرة النبوية لمحمد فريد وجدى ١٦٥ ، ١٦٦.
(٥٧) سبائك الذهب ص ١٢٠ ط دار الكتب العلمية ، موسوعة القبائل العربية لمحمد سليمان الطيب ١ / ٥١ دار الفكر العربى.
(٥٨) فتح البارى ٦ / ٥٤٣ دار المعرفة ـ بيروت.
(٥٩) فتح البارى ٧ / ٤٢٤.
(٦٠) تاريخ الأدب الجاهلى د. على الجندى ٤٧٢.
(٦١) رحمة للعالمين للمنصور فورى ص ٤٦٢.
(٦٢) فى تاريخ الأدب الجاهلى ٤٧٣.
(٦٣) رحمة للعالمين للمنصور فورى ص ٤٦٢.
(٦٤) سبائك الذهب ٨.

(٦٥) تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٧٠.
(٦٦) رحمة للعالمين المنصور فوزى ص ٤٦٢.
(٦٧) سبائك الذهب ٨٧.
(٦٨) تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٦٦.
(٦٩) رحمة للعالمين للمنصور فورى ص ٤٦٣.
(٧٠) سبائك الذهب ٢٩٥ ، تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٦٧.
(٧١) رحمة للعالمين ص ٤٦٣.
(٧٢) تاريخ الدولة الأموية للشيخ محمد الخضرى ص ١٥٦.
(٧٣) رحمة للعالمين ص ٤٦٣.
(٧٤) سبائك الذهب ص ٢٥٦ ، تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٦٧.
(٧٥) رحمة للعالمين ص ٤٦٣.
(٧٦) سبائك الذهب ص ١٢٧.
(٧٧) سبائك الذهب ص ١٢٦.
(٧٨) تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٦٧.
(٧٩) رحمة للعالمين ص ٤٦٣.
(٨٠) سبائك الذهب ص ١٤٨ ، تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٧٣.
(٨١) سبائك الذهب ص ١٢٤ ، وتاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٧٣.
(٨٢) سبائك الذهب ص ٨٥ ، ٨٦ ، تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٧٠.
(٨٣) سبائك الذهب رقم ١٤٧ ، ١٤٨ ، تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٧٣.
(٨٤) تاريخ الدولة الأموية الشيخ محمد الخضرى بك ص ٣٢ ، ٣٣ ، ط دار القلم ، بيروت.
(٨٥) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة الأستاذ محمد فريد وجدى ص ١٦٢ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٨٦) رحمة للعالمين ص ٤٦٩.
(٨٧) الأنفال: ٥٨.
(٨٨) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٢١.
(٨٩) الفكر الإسلامى فى تطوير مصادر المياه والطاقة ، د. سيد وقار أحمد حسينى - عالم زائر فى جامعة ستانفورد ٧١-٧٥ ، ترجمة د. سمية زكريا زيتونى طبعة: فصلت للدراسات والترجمة والنشر.
and emergence of a Muslim Society in Richard W. bulliet, Conversion of Islam Meier & ed. Nehemia Levtzion (New York Holmes Iran in Conversion to Islam, (Publ., Inc, ١٩٧٩ Pp. ٣٠-٥١) p٣١, for fig ١.١.

٩٦- هل الجبال تحفظ توازن الأرض ؟ والأرض تدور حول نفسها ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

فى المزمور ٧٥: ٢ [أنا وزنت أعمدتها] وفى مز ١٠٤: ٥ [المؤسس الأرض على قواعد فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد] وفى علم الجيولوجيا أن الله جعل الجبال

لحفظ الأرض ؛ وذلك مثل الفقاعات تشاهد كالقبة على سطح المياه وتدور مع المياه وهى مثبتة فى جميع أطرافها ، وأن الجبال آخر مراحل تكوين الأرض فى بدء الخليقة.
وللدكتور زغلول النجار كتاب مستقل عن الجبال.
وصدق الله: (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (١).
وصدق الله: (وما يعقلها إلا العالمون) (٢).
(١) النساء: ٨٣.
(٢) العنكبوت: ٤٣.

٩٧- هل النجوم رجوم الشياطين ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
إن الإسلام دين ، وهو موحى به من رب العالمين يخبرنا عن صدق ويقين ، وهو القائل سبحانه: (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) (١). والإسلام ليس بدعاً من الأديان ولذلك نرى أن الكتب المقدسة تذكر ذلك ؛ فإن الله تعالى يقول:
(وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا) (٢). قال ذلك حكاية عن الجن. وليس المعنى كما فهم المؤلف ، وإنما المعنى هو أن الله جعل على السماء حراساً من الملائكة ، وخلق لهم أدوات عقاب تناسب أجسام الشياطين.
وهى الشهب. فإذا جاء شيطان رماه أحد الملائكة بشهاب وليست الشهب كواكب كالقمر والشمس ، وإنما هى أدوات عقاب كالسيف فى يد الجندى المحارب.
وفى الإصحاح الثالث من سفر التكوين ؛ أن الله لما طرد آدم من الجنة وهى جنة عدن ، ليعمل الأرض التى أخذ منها ، أقام شرقى جنة عدن ملائكة تسمى الكروبيم ، ووضع لهيب سيف متقلب فى أياديهم لحراسة طريق شجرة الحياة: " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ؛ فطرد الإنسان ، وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة " (٣).
ويقول المفسرون: " إن الكروبيم من الملائكة المقربين. وهو فى الفارسية بمعنى الحارس ". وكان عملهم وقت طرد آدم هو " حراسة الفردوس ؛ لئلا يرجع الإنسان إليه ".
وفى القرآن تفسير الشهب بشواظ من نار. فى قوله تعالى: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) (٤).
فقد جعل للجن غير ما جعل للإنس من أدوات العقاب. ولم يجعل للجن كواكب تُرمى بها كالقمر والشمس ، وإنما جعل للجن " شواظ " أى " شهب ".

(١) الكهف: ٥١.
(٢) الجن: ٨ـ٩.
(٣) تك ٣: ٢٣ـ٢٤.
(٤) الرحمن: ٣٣ـ٣٥.

٩٨ـ القرآن يتناقض مع العلم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى القرآن أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن. فكيف يقول عن أرضنا وهى واحدة من ملايين الكواكب ـ إنه يوجد سبعة مثلها ؟ وفى القرآن: (أن السماء سقفاً محفوظاً) ، وأن الله يمسكها لئلا تقع. فكيف يقول عن الفضاء غير المتناهى:
إنه سقف قابل للسقوط ؟ وفى القرآن أن الله زين السماء الدنيا بمصابيح. فكيف يقول عن ملايين الكواكب التى تسبح فى هذا الفضاء غير المتناهى إنها مصابيح ؟
الرد على الشبهة:
هذا السؤال مكون من ثلاثة أجزاء:
الجزء الأول: هو أنه ليس فى العالم سبعة أرضين. فكيف يقول عن الأرض: إنها سبعة كما أن السموات سبعة ؟ وقول المؤلف إن الأرض سبعة ؛ أخذه من بعض مفسرى القرآن الكريم. وهو يعلم أن المفسرين مجتهدون ، ويصيبون ويخطئون.
والرد عليه فى هذا الجزء من السؤال هو: أن نص الآية هو: (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً) (١).
إنه أتى بـ (مِنْ) التى تفيد التبعيض ؛ لينفى العدد فى الأرض. وليثبت المثلية فى قدرته. فيكون المعنى:
أنا خلقت سبع سموات بقدرتى ، وخلقت من الأرض مثل ما خلقت أنا السماء بالقدرة.
ولهذا المعنى علّل بقوله: (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير).
وبيان التبعيض فى الأرض: هو أن السماء محكمة ، وأن الأرض غير محكمة. وهى غير محكمة لحدوث الزلازل فيها ، وللنقص من أطرافها. وقد عبّر عن التبعيض فى موضع آخر فقال: (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) (٢). والنقص من الأطراف يدل على أن الباقى من الأرض ممسوك بقدرة الله ، كما يمسك السماء كلها.
والجزء الثانى: هو أن السماء سقف قابل للسقوط. والرد عليه فى هذا الجزء من السؤال هو: أن كل لغة فيها الحقيقة وفيها المجاز. والتعبير على المجاز. فإن السماء شبه سقف البيت ، والمانع للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمدة ، وعلى المجاز هو الله ؛ لأن كل شىء بقدرته. ولذلك نظير فى التوراة وفى الإنجيل: " بالكسل يهبط السقف ". وفى ترجمة أخرى: " من جراء الكسل ينهار السقف. وبتراخى اليدين يسقط البيت " [جامعة ١٠: ١٨] يريد أن يقول: إن الكسل يؤدى

إلى الفقر ، والفقر يؤدى إلى خراب البيوت. وعبر عن الخراب بانهيار السقف. والسقف لا ينهار بالكسل ، وإنما بهدّ الأعمدة التى تحمله. وفى سفر الرؤية: " فسقط من السماء كوكب " [رؤ ٨: ١٠] كيف يسقط كوكب من السماء بغير إرادة الله ؟ وفى سفر الرؤية: " ونجوم السماء سقطت " (رؤ ٦: ١٣] ، ويقول عيسى عليه السلام:

إن العصفور لا يقع إلى الأرض إلا بإرادة الله: " أما يباع عصفوران بفَلْس واحد. ومع ذلك لا يقع واحد منهما إلى الأرض خفية عن أبيكم " [متى ١٠: ٢٩]. وفى الرسالة إلى العبرانيين: " حقاً ما أرهب الوقوع فى يدى الله الحى ؟ " [عب ١٠: ٣١].

والجزء الثالث: وهو أنه كيف يقول عن الكواكب إنها مصابيح ؟ والمؤلف دل بقوله هذا على إنكار الواقع والمشاهد فى الحياة الدنيا ، ودل أيضاً بقوله هذا على جهله بالتوراة وبالإنجيل. ففى سفر الرؤية: " كوكب عظيم متقد كمصباح "[رؤ ٨: ١٠]، "وأمام العرش سبعة مصابيح "[رؤ ٤: ٥]، وجاء المصباح على المجاز فى قول صاحب الأمثال: " الوصية مصباح والشريعة نور " [أم ٦: ٢٣].

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) الأنبياء: ٤٤.

٩٩- كيف يكون العلم كفرًا

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يعترض على قوله: (إنما النسئ زيادة فى الكفر) (١) أن النسئ الذى فى السنة القبطية من الحساب الفلكى.. فكيف يكون العلم كفراً ؟

الرد على الشبهة:

أن النسئ فى الآية هو ما كان يفعله المشركون من تبديل الأشهر الحرم مكان الأشهر الحلال ليستحلوا بذلك القتال فيها ، ولا علاقة له بالأيام التى تضبط السنة القبطية للزراعة ، ومن هنا يتبين مدى محاولة التلبيس والتدليس الذى يضحك منها العارفون مع حزنهم أن يصل الترصد ضد كلام الله سبحانه والعمل على أن لا يصل إلى الخلق باعتباره ـ الكلمة الأخيرة للعالمين ـ إلى هذا الحد الرخيص من التلاعب بالألفاظ والمصطلحات.

(١) التوبة: ٣٧.

١٠٠- رىّ مصر بالغيث !

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن أرض مصر تُروى بالنيل ، ولا تروى بالمطر. وفى القرآن: (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) (١).

وهذا يدل على غوثهم بالمطر. فكيف ينسب خصب مصر للغيث والمطر ؟

الرد على الشبهة:
هنا كلمتان:
١- (يغاث (٢- (يعصرون ().
وكلمة الغوث على الحقيقة تدل على نزول ماء من السماء. وكلمة العصر على الحقيقة تدل على عصير العنب. لأن الشائع بين الناس فى العصر هو العنب. والمؤلف يوجه النقد على المعنى الحقيقى فى نزول المطر ، ولم يوجه النقد لعصير العنب. وكلمة الغيث جاءت على الحقيقة مثل: " فامتنع الغيث ولم يكن مطر " [إرمياء ٣: ٣] ، وجاءت على المجاز مثل: " لأعرف أن أغيث المعيى " [إشعياء ٥٠: ٤].
أما على المجاز فالشبهة منتفية. وأما على الحقيقة فهذا هو غرض المعترض وهو مغرض فى ذلك.
وذلك لأن الأمر كله خارج على المألوف. وبيان خروجه على المألوف: أن المدة خمس عشرة سنة. سبع شداد يأكلن سبعًا سمانًا أو: سبع سمان يأكلهن سبع عجاف. والسنة الأخيرة يأتى فيها الخير قليلاً.
والمناسب لقلة الخير ؛ نزول المطر. وقلة المياه تكفى لرى العنب والفواكه فى أماكن زراعته ، وتكفى لإنبات قمح يكون بذره بذرا للسنوات الآتية التى سيكثر فيها ماء النيل. وهذا أمر غير مستبعد فى العقل.
فكيف يكون شبهة ؟ أما عن العصر. فإنه يكون على الحقيقة مثل: " فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون، وأعطيت الكأس فى يد فروع " [تكوين ٤٠: ١١]، ويكون على المجاز مثل: " فألقاه إلى معصرة غضب " [رؤية:١٤ ١٩].
وإذا ثبت وجود العصر ، وليس لماء النيل وجود. فكيف حيى النبات وعاش ؟ وفى السنوات السبع العجاف كانت سنابل القمح تخرج من الأرض خروجاً هزيلاً. فكيف خرجت وهى هزيلة والنيل لا يروى الأراضى ؟ لابد من القول بوجود مصدر للمياه غير النيل. إما آبار عيون ، وإما مطر. ففى حلم فرعون: " وهو ذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد سمينة وحسنة. ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها " [تكوين ٤١: ٥-٦]، وكرر الكلام وقال فيه: " نابتة وراءها "[تك ٤١: ٢٣] كيف تكون نابتة وليس لماء النيل من سواقى؟ (١) يوسف: ٤٩.

١٠١- الرعد ملك من الملائكة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن الرعد يسبح الله. وإن فى الأحاديث النبوية أن الرعد ملك من ملائكة الله. ونحن نعلم أن الرعد هو الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب فكيف يكون الرعد ملكاً ؟
الرد على الشبهة:

إن المؤلف لا ينكر تسبيح الرعد لله ؛ وذلك لأن فى التوراة أن الرعد يسبح لله. وكلُّ شىء خلقه ؛ فإنه يسبحه. وإنما هو ينكر كون الرعد مَلَكاً. فمن أكّد له أن الرعد ملك ؟ ليس فى القرآن أنه ملك. والأحاديث النبوية تذكر أن للرعد ملكًا ؛ وليس أن الرعد ملك ، والفرق واضح. ففى التوراة عن التسابيح لله: " شعب سوف يُخلق ؛ يسبح الرب " ؛ يقصد شعب محمد صلى الله عليه وسلم [مزمور ١٠٢: ١٨] ،وفى سفر الزبور: " تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها " [مز ٦٩: ٣٤].
وفى سفر الزبور:
" سبحوا الرب من السموات ، سبحوه فى الأعالى ، سبحوه يا جميع ملائكته ، سبحوه يا كل جنوده ، سبحيه يا أيتها الشمس والقمر ، سبحيه يا جميع كواكب النور ، سبحيه يا سماء السموات ، ويا أيتها المياه التى فوق السموات. لتسبح اسم الرب. لأنه أمر فخُلقت ، وثبتها إلى الدهر والأبد. وضع لها حداً فلن تتعداه.
سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج. النار والبرد. الثلج والضباب. الريح العاصفة كلمته ، الجبال وكل الآكام ، الشجر المثمر وكل الأرز. الوحوش وكل البهائم ، الدبابات والطيور ذوات الأجنحة.
ملوك الأرض وكل الشعوب ، الرؤساء وكل قضاة الأرض. الأحداث والعذارى ، أيضًا الشيوخ مع الفتيان.
ليسبحوا اسم الرب ؛ لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسموات " [مزمور ١٤٨].
وفى الأناجيل الأربعة: " يسبحون الله بصوت عظيم " [لوقا ١٩: ٣٧] ، " وهم يمجدون الله ويسبحونه " [لو ٢: ٢٠] ، " وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين: المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة " [لو ٢: ١٣] ، وكان عيسى ـ عليه السلام ـ يسبح الله تعالى مع الحواريين. ففى مرقس: " ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون " [مر ١٤: ٢٦] ، وفى متى: " ثم سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون "[متى ٢٦: ٣٠]. ومن يسبح الله كيف يكون هو الله أو إله مع الله ؟.
وفى القرآن الكريم: (سبح اسم ربك الأعلى) (١) ، وفى الزبور: " سبحوا اسم الرب. سبحوا يا عبيد الرب " إلى أن قال: " كل ما شاء الرب صنع فى السموات وفى الأرض. فى البحار وفى كل اللجج.
المصعد السحاب من أقاصى الأرض. الصانع بروقا للمطر. المخرج الريح من خزائنه (٢).. " [مز ١٣٥].
(١) الأعلى: ١.
(٢) فى سورة الحجر: (وأرسلنا الرياح لواقح) [آية رقم ٢٢] ـ (وإن من شئ إلا عندنا خزائنه) [آية رقم ٢١].

١٠٢ـ الوادى طوى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه لا يوجد وادى اسمه " طوى " فى سيناء. فمن أين جاء به القرآن ؟.

الرد على الشبهة:
إنه فهم من قوله تعالى: (إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) (١) أن (طوى) اسم للوادى المقدس. وفهمه خاطئ. وذلك لأن الله لما عبر عن السموات بأنها (مطويات بيمينه) (٢) يعنى بذلك: أن لا إله غيره يملك من أمر السموات من شىء. عبر عن الأرض بأنها فى ملكه وليس لإله آخر فيها من شىء. فالطى فى السماء كناية عن القدرة والطى فى الأرض كناية عن القدرة. والكناية مناسبة للواد المقدس ؛ والمقصود الأرض كلها لئلا يُظن أن التقديس لغيره. وكرر الله المعنى فى السموات فقال:
(يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) (٣). وشبهه أن تكون الأرض (طوى) أى فى قبضته.
وفى الرسالة إلى العبرانيين: " وأنت يا رب فى البدء أسست الأرض ، والسموات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها؛ فتتغير، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى " [عب ١: ٢٠-٢٢] فقد عبر عن طيها بطى الرداء. فيكون المعنى (إنك بالوادى المقدس (الذى سيصير (طوى) بمعنى مطوى كما أن السماء ستكون مطوية بقدرته.
وهنا هو لا يعترض على القرآن بل على التفاسير ، وهو جانب آخر من إعجاز القرآن يزيد فى إثباته وذلك أن كلام البشر من العلماء والمفسرين قد يختلف ويؤخذ منه ويُرد ؛ ولكن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، شىء عجيب حقاً ذلك القرآن الذى يقف أمام هؤلاء جميعاً بكل ذلك الفهم الخاطئ والتصيد المستمر وإذ به يتعالى عليهم ويبقى فى عليائه معجزاً للبشر إلى يوم الدين.
(١) طـه: ١٢.
(٢) الزمر: ٦٧.
(٣) الأنبياء: ١٠٤.

١٠٢- هل الزيتون يخرج من طور سيناء ، وهو يخرج من فلسطين ، فكيف ذلك ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
أن سيناء من فلسطين وفلسطين والشام هى شمال مصر ، وهذا المعنى يوجد فى التوراة ففى سفر الزبور:
[سينا فى القدس] مز ٦٨: ١٧.
ولا تعتمد التقسيمات السياسية الحديثة التى فصلت الديار بعضها عن بعض بل إن مصر فى الأصل كانت تمتد إلى هذا الحد ، أما تقسيمات سايكس بيكون فلا يمكن تفسير النصوص المقدسة عليها.

١٠٤- جبل قاف المحيط بالأرض كلها

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنـه جـاء فـى القـرآن الكـريم: (ق. والقـرآن المجيـد) (١) ونقـل مـن كتـاب عـرائس المجالس: أن معنى (ق) جبل يقال له جبل قاف. ونقل من كتاب قصص الأنبياء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أعلى قمة فى الأرض هى جبل قاف.
وقال المؤلف: إن الكلمة العبرانيـة " تـاو " ومعنـاه " الخـط " لمـا سمعها الصـحابة لـم يعرفوا أن معناها " الخط " بل توهموا أنها سلسلة جبال عظيمة اسمها قاف. فكيف يعتبر بعض القرآن ما نسميه الأفق ـ وهو خط وهمى ـ جبلاً حقيقياً ؟

الرد على الشبهة:
إن كـلام مؤلـف عـرائس المجـالس لـيس حُجـة علـى صـحة القـرآن ، وإن الأحاديـث الموضوعة ليست حُجة على صحة القرآن. ولم يجمع المسلمون على معنـى (ق) فـإن لهم فى المعنى آراء كثيرة. منها أن (ق) حرف من حروف الهجاء مثل الألف والياء والتاء.. إلخ. فاعتراض المؤلف على القرآن ليس فى موضعه.
(١) سورة ق: ١.

١٠٥ـ هامان وزير فرعون

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

جاء فى القرآن أن هامان كان وزيراً لفرعون. وهذا خطـأ تـاريخى ؛ لأن هامـان كـان وزيراً لأحشويرش ملك الفرس فى مدينة بابل. وبين فرعون وأحشويرش زهـاء ألـف سنة.

الرد على الشبهة:
من أعلم المؤلف بأن هامان كان وزيراً لفرعون ؟ وهذا السؤال على معنـى أن هامـان اسـم شـخص. ولا أحـد أعلمـه بـأن هامـان اسـم شـخص إلا الـرواة الـذين لا يوثـق بمروياتهم. وإذا أصرّ على أن هامان اسم شخص. فليسلّم بـأن فرعـون اسم شـخص. ومعلوم أنه لقب " الملك " كـان لـرئيس المصـريين فـى زمـن يوسـف ـ عليـه السـلام ـ وأن لقب " فرعون " كان لرئيس المصريين فى زمن موسى ـ عليه السلام ـ مما يـدل على تغير نظام الحكم.
وإذا صح أن " هامـان " لقب لكل نائـب عن الملك ، لا اسم شخص. فإنـه يصـح أن يُطلق على النائب عن فرعون أو عن أى ملك من الملوك. وعلـى ذلـك يكـون معنـى: (إن فرعون وهامان وجنودهما) (١) هو إن رئـيس مصـر الملقب بفرعـون ، ونائبـه الملقب بهامان (وجنودهما كانوا خاطئين) ومثل ذلك: مثل لقب الملك الذى يُطلق على رؤساء البلاد ؛ فإنه يطلق على رؤساء فارس واليونان ومصر واليمن وسائر البلاد ، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ.
وفى الإنجيل أن اليهود كانوا يطلقون لقب " المضـلّ " علـى مـن يخـالفهم فـى الـرأى. وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون لـه: يـا سـامرى ، بـدل قـولهم يـا مضـل.

وذلك لأنهم يعتبرون السامريين كفاراً. وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولون له: يا عبرانى ، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفاراً. وإذا سمع العبرانى عنهم كلمة " سامرى " لا يفهم منها أنها اسم شخص ، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم. وعن هذا المعنى جاء فى إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا لعيسى ـ عليه السلام ـ: " إنك سامرى ، وبك شيطان " ورد عليهم بقوله: " أنا ليس بى شيطان ، لكنى أكرم أبى وأنتم تهينوننى. أنا لست أطلب مجدى. يُوجد من يطلب ويدين " [يو ٨: ٤٨-٥٠].

(١) القصص: ٨.

١٠٦ـ قارون وهامان مصريان

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن قارون يهودى ، وفرعون مصرى ، وهامان فارسى فكيف قاوم هامان نبى الله موسى وهو لم يكن فى زمانه ؟

الرد على الشبهة:

إن هامان ليس اسم شخص ، وإنما هو لقب يدل على نائب الرئيس. وبهذا المعنى يكون هامان ـ أى النائب عن فرعون ـ قد قاوم نبى الله موسى عليه السلام.

١٠٧ـ العجل الذهبى من صنع السامرى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن مدينة السامرة فى فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر ، مع موسى ، وسكنوا أرض سيناء. وفيها عمل لهم هارون العجل الذهبى كطلبهم. فكيف نتخيل سامرياً يضع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود ؟

الرد على الشبهة:

١ ـ إنه ليس فى فلسطين مدينة تسمى بمدينة السامرة. وإنما كان للسامريين مملكة فى فلسطين ، عاصمتها " نابلس " المسماة قديماً " شكيم " وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط. وكان للسبطين مملكة فى فلسطين عاصمتها " القدس " المسماة قديماً " أورشليم ".

٢ ـ ولما صعد موسى عليه السلام إلى جبل الطور وتلقى التوراة ، نزل فوجد اليهود يعبدون عجلاً جسداً له خوار. فسأل عن ذلك فدلوه على من أغراهم بعبادتهم. فأمسك به وسأله (ما خطبك يا سامرى)أى ما هذا الذى فعلته أيها المضل ؟ لأن كلمة (سامرى) تطلق على المضل. ولا تطلق على شخص كاسم من الأسماء.

وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمى بالسامرى ، حتى يتوجه الإشكال. وإلا يلزم أن يكون السامرى من أسماء المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ فإن اليهود قالوا له: " إنك سامرى ، وبك شيطان " [يو ٨: ٤٨].

١٠٨ـ أبو إبراهيم آزر

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى التوراة أن أبا إبراهيم اسمه تارح. وقد أخطأ القرآن فى قوله إن أباه اسمه آزر.

الرد على الشبهة:

إن الأنساب مختلفة بين التوراة السامرية والعبرانية واليونانية. وإن عدد السنين لكل أب من آدم إلى إبراهيم مختلف فيه بين نسخ التوراة الثلاثة ، ولوقا كاتب الإنجيل زاد على الأسماء قينان. نقلا عن اليونانية.

ومعنى هذا أنه كان يجب على المؤلف تصحيح كتبه قبل أن يوجه نقده. ولذلك جاء فى القرآن الكريم:

(إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) (١).

(١) النمل: ٧٦.

١٠٩ـ مريم العذراء بنت عمران

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن القرآن نسب مريم العذراء إلى عمران أبى موسى النبى. وقال: إنها أخت هارون النبى ـ عليه السلام ـ وهذا يخالف ما جاء فى إنجيل لوقا أنها بنت هالى [لوقا ٣: ٢٣] ويخالف التاريخ لأن بين مريم وهارون ألف وستمائة سنة.

الرد على الشبهة:

إن المؤلف نقل عن الإنجيل أن مريم بنت هالى. ونقله خطأ. والنص هو: " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينّا بن يوسف " إلى أن أوصل نسبه إلى " ناثان بن داود " عليه السلام. وهذا النص لا يدل على أنه نسب مريم كما قال المؤلف ، وإنما يدل على أنه نسب المسيح. فكيف يكذب القرآن بنسب ليس لها ؟ وكيف ينسبون المسيح إلى يوسف بن هالى. وفى الإنجيل أنه لا أب له ولا سبط له ؟ ذلك قوله عن يوسف: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [متى ١: ٢٤] ، وكيف يكذبون القرآن بنسب على سبيل الظن ؟ ذلك قوله: " وهو على ما كان يُظن " وفى إنجيل متى أن المسيح ابن يوسف بن يعقوب بن متّان بن اليعازر بن آليود.

إلى أن أوصل نسبه إلى سليمان ـ عليه السلام ـ [متى ١].

والحق: أن مريم ابنة عمران الأب المباشر لموسى ـ عليه السلام ـ وهو أب مباشر لموسى ، وهو أب لمريم لأنه رئيس العائلة التى تناسلت هى منها. وهارون ابن عمران. وهى من نسل هارون ـ عليه السلام ـ فيكون هو أخوها على معنى أنها من نسله. أما أبوها المباشر فاسمه " يهويا قيم " وأمها اسمها " حنة " كما جاء فى إنجيل يعقوب الذى لا يعترف به النصارى.

والنسب هكذا:

إبراهيم ـ إسحاق ـ يعقوب ـ لاوى وهو الابن الثالث ليعقوب. وأنجب لاوى ثلاثة هم جرشون وقهات ومرارى.
وبنوقهات عمرام ويصهار وحبرون وعزئييل. وبنو عمرام هارون وموسى ومريم.
وقد وصى موسى عن أمر الله تعالى أن تتميز الأسباط التى تريد الإرث فى بنى إسرائيل. وذلك بأن تتزوج كل بنت فى سبطها. ففى سفر العدد: " وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط بنى إسرائيل ؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ؛ لكى يرث بنو إسرائيل كلٌّ واحد نصيب آبائه " [عدد٣٦: ٨]. ووصى بأن يتفرغ سبط لاوى للعلم والدين ، ولا يكون له نصيب فى الأرض ، وإنما يسكن بين الأسباط فى مدنهم ، ووصى بأن تكون الإمامة فى نسل هارون وحده. وعلى هذه الشريعة نجد فى بدء إنجيل لوقا: أن " أليصابات " زوجة زكريا ـ عليه السلام ـ كانت من نسل هارون من سبط لاوى ، وكان زكريا من نسل هارون من سبط لاوى. وتزوجت أليصابات زكريا. وأن مريم العذراء كانت قريبة لأليصابات. وإذا ثبت أنها قريبة لها ؛ يثبت أن مريم هارونية من سبط لاوى. يقول لوقا: " كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها أليصابات.. إلخ " ويقول لوقا:
" وهو ذا أليصابات نسيبتك.. إلخ " ؛ قال لها الملاك ذلك وهو يبشرها بالحمل بعيسى ـ عليه السلام ـ فإذا صح أنها قريبة لها ونسيبة لها. فكيف يخطئ المؤلف القرآن فى نسبتها إلى هارون ـ عليه السلام ـ ؟ وفرقة أبيّا هى فرقة من بنى هارون ، وهى الفرقة الثامنة من الفرق التى عدها داود ـ عليه السلام ـ للعمل فى المناظرة على بيت الرب. وخبرهم فى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول.
الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن القرآن نسب مريم العذراء إلى عمران أبى موسى النبى. وقال: إنها أخت هارون النبى ـ عليه السلام ـ وهذا يخالف ما جاء فى إنجيل لوقا أنها بنت هالى [لوقا ٣: ٢٣] ويخالف التاريخ لأن بين مريم وهارون ألف وستمائة سنة.

الرد على الشبهة:
إن المؤلف نقل عن الإنجيل أن مريم بنت هالى. ونقله خطأ. والنص هو: " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينّا بن يوسف " إلى أن أوصل نسبه إلى " ناثان بن داود " عليه السلام. وهذا النص لا يدل على أنه نسب مريم كما قال المؤلف ، وإنما يدل على أنه نسب المسيح. فكيف يكذب القرآن بنسب ليس لها ؟ وكيف ينسبون المسيح إلى يوسف بن هالى. وفى الإنجيل أنه لا أب له ولا سبط له ؟ ذلك قوله عن يوسف: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [متى ١: ٢٤] ، وكيف يكذبون القرآن بنسب على سبيل الظن ؟ ذلك قوله: " وهو على ما كان يُظن " وفى إنجيل متى أن المسيح ابن يوسف بن يعقوب بن متّان بن اليعازر بن آليود.
إلى أن أوصل نسبه إلى سليمان ـ عليه السلام ـ [متى ١].

والحق: أن مريم ابنة عمران الأب المباشر لموسى ـ عليه السلام ـ وهو أب مباشر لموسى ، وهو أب لمريم لأنه رئيس العائلة التى تناسلت هى منها. وهارون ابن عمران. وهى من نسل هارون ـ عليه السلام ـ فيكون هو أخوها على معنى أنها من نسله. أما أبوها المباشر فاسمه " يهويا قيم " وأمها اسمها " حنة " كما جاء فى إنجيل يعقوب الذى لا يعترف به النصارى.
والنسب هكذا:
إبراهيم ـ إسحاق ـ يعقوب ـ لاوى وهو الابن الثالث ليعقوب. وأنجب لاوى ثلاثة هم جرشون وقهات ومرارى.
وبنوقهات عمرام ويصهار وحبرون وعزئييل. وبنو عمرام هارون وموسى ومريم.
وقد وصى موسى عن أمر الله تعالى أن تتميز الأسباط التى تريد الإرث فى بنى إسرائيل. وذلك بأن تتزوج كل بنت فى سبطها. ففى سفر العدد: " وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط بنى إسرائيل ؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ؛ لكى يرث بنو إسرائيل كلٌّ واحد نصيب آبائه " [عدد٣٦: ٨]. ووصى بأن يتفرغ سبط لاوى للعلم والدين ، ولا يكون له نصيب فى الأرض ، وإنما يسكن بين الأسباط فى مدنهم ، ووصى بأن تكون الإمامة فى نسل هارون وحده. وعلى هذه الشريعة نجد فى بدء إنجيل لوقا: أن " أليصابات " زوجة زكريا ـ عليه السلام ـ كانت من نسل هارون من سبط لاوى ، وكان زكريا من نسل هارون من سبط لاوى. وتزوجت أليصابات زكريا. وأن مريم العذراء كانت قريبة لأليصابات. وإذا ثبت أنها قريبة لها ؛ يثبت أن مريم هارونية من سبط لاوى. يقول لوقا: " كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها أليصابات.. إلخ "
ويقول لوقا:
" وهو ذا أليصابات نسيبتك.. إلخ " ؛ قال لها الملاك ذلك وهو يبشرها بالحمل بعيسى ـ عليه السلام ـ فإذا صح أنها قريبة لها ونسيبة لها. فكيف يخطئ المؤلف القرآن فى نسبتها إلى هارون ـ عليه السلام ـ ؟ وفرقة أبيّا هى فرقة من بنى هارون ، وهى الفرقة الثامنة من الفرق التى عدها داود ـ عليه السلام ـ للعمل فى المناظرة على بيت الرب. وخبرهم فى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول.

----

١١٠ ـ يوسف همّ بالفساد

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن يوسف ـ عليه السلام ـ هم بالامرأة وهمت به حسبما جاء فى القرآن. وأنه لم يهم بها ولم تهم به حسبما جاء فى التوراة. وما جاء فى التوراة هو المناسب لأحوال الأنبياء.

الرد على الشبهة:
١ ـ يوجد فرق بين رجل عرف الله ورجل لم يعرفه. فالعارف بالله لا يقدم على معصية لله ولا يقدم على ضرر للبشر. والذى لا يعرفه لا يستحيى أن يفعل ما يشاء

من المعاصى والضرر. وعلى هذا المعنى يوجد فرق بين امرأة العزيز التى تعبد مع قومها غير الله وبين يوسف ـ عليه السلام ـ الذى عرف ربه بواسطة البراهين التى قادت إلى معرفته فى كونه ، وبما سمعه عن الله من آبائه. فامرأة العزيز همت به أن يفعل الفاحشة بها ، وهو قد قال لها: (معاذ الله (وعلّل عدم الفعل بأنه يكون مسيئاً لمن أحسن إليه.

وهو سيده. والإساءة إلى المحسن نوع من أنواع الظلم.

٢ ـ انظر إلى قوله: (وراودته (وإلى قوله (معاذ الله (تجد أنها لما راودته (همت به (فيكون الهم منها بمعنى طلب فعل الفاحشة. وتجد أنها لما (همت به (صار منه هم بها. يفسره قوله (معاذ الله (كما فسر همها (وراودته (فيكون همه بها ؛ دفعاً لها وامتناعاً عنها.

٣ ـ ولو فرضنا أن يوسف غير عارف بالله وغير مقر به مثلها ؛ فإننا نفرض أنه لو همت به للفعل بها ؛ لهم بها للفعل بها. ولولا أنه رأى برهان وجود الله فى كونه ، لكان قد فعل بها. إذ هذا شأن الوثنيين. وكهذا البرهان ؛ أريناه براهين فى الآفاق وفى الأنفس (لنصرف عنه السوء والفحشاء) (١).

٤ ـ ولا يمكن تفسير (برهان ربه (بعلامة مجىء سيده إلى بيته ؛ لأنه لو ظهرت علامة مجئ سيده ؛ ما استبقا الباب: هى للطلب ، وهو للدفع. فاستباقهما معناه: أنها تغلق الأبواب وتمنع من الإفلات وهو يحاول الدفع ، حتى أنها جذبته من خلف ظهره من ثوبه ، وعندئذ (ألفيا سيدها لدى الباب) (٢) وصرح بأنه غير مذنب ، وشهد شاهد بالقرائن من أهل الشهادة أنه غير مذنب.

٥ ـ على هذا يكون القرآن مقراً ببراءة يوسف ـ عليه السلام ـ ويكون لفظ الهم فى جانبه على سبيل المشاكلة لأنه صرح قبله بقوله (معاذ الله) (٣).

(١) يوسف: ٢٤.
(٢) يوسف: ٢٥.
(٣) يوسف: ٢٣.

١١١ـ نوح يدعو للضلال

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن نوحاً ـ عليه السلام ـ قال لله تعالى: (ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً) (١) ؛ فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالاً ؟

الرد على الشبهة:

إن نوحاً لم يدع ربه أن يزيد الناس ضلالاً ، وإنما دعا على الظالمين من الناس. ومثل ذلك: ما فى التوراة عن الأنبياء فإنهم دعوا على الظالمين ، ولم يدعوا على كل الناس. ففى المزمور الثامن عشر: " من الرجل الظالم تنقذنى " ـ " مثل طين الأسواق ؛ اطرحهم " ، وفى الإنجيل يقول المسيح لله عن الذين آمنوا به: " احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى " [يو ١٧: ١١] ولم يدع للكل.

(١) نوح: ٢٤.

١١٢- فرعون ينجو من الغرق

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن تناقض فى نهاية فرعون. ففى سورة يونس: (فاليوم ننجيك ببدنك) (١) وهذا يدل على نجاته من الغرق ، وفى سورة القصص: (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) (٢) وهذا يدل على غرقه.

الرد على الشبهة:

إن المؤلف لم يفسر (فاليوم ننجيك ببدنك) على المعنى الظاهرى. وهو إبعاد الجثة عن الهبوط فى اليم ، وتركها على الشاطئ حتى يضعها المحنطون فى المقبرة فيراها كل المصريين فيعتبروا ويتعظوا. وفسر على المعنى المجازى كناية عن إفلاته من الغرق. ووجّه الشبهة على المعنى المجازى وليس على المعنى الحقيقى.

والمعنى المجازى الذى به وجّه الشبهة ؛ موجود فى التوراة عن فرعون. ففيها أنه لم يغرق ، وموجود فيها ما يدل على غرقه. وهذا هو التناقض الذى نسبه إلى القرآن. وسوف نبين ما فى التوراة من التناقض عن غرق فرعون. ونسأله هو أن يوفق بين المعنيين المتناقضين. وما يجيب به فى التوفيق ؛ يكون إجابة لنا.

ففى الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج: " فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر. لم يبق منهم ولا واحد " وفى الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر:

" تغطيهم اللجج. قد هبطوا فى الأعماق كحجر " وفى تفسير التوراة ما نصه: " ولا سبيل لنا هنا إلى الحكم بغرق فرعون ، إذ لا دلالة عليه فى هذا النبأ ، ولا من قول المرنِّم [مز ٧٨: ٥٣ و ١٠٦: ١١] وساق المفسرون أربع حجج على عدم غرقه. ومعنى قولهم: إن قول المرنِّم لا يدل على غرقه هو: أن داود - عليه السلام - فى المزمور ٧٨ والمزمور ١٠٦ قال كلاماً عن فرعون لا يدل صراحة على غرقه.

ونص ٧٨: ٣ هو " أما أعداؤهم فغمرهم البحر " ونص ١٠٦: ١١ هو " وغطّت المياه مضايقيهم.

واحد منهم لم يبق ".

هذا عن عدم غرق فرعون. وأما عن غرقه ففى المزمور ١٣٦: ١٥ " ودفع فرعون وقوته فى بحر يوسف ؛ لأنه إلى الأبد رحمته " وفى ترجمة أخرى: " أغرق فرعون وجيشه فى البحر الأحمر إلى الأبد رحمته (٣) " ومفسرو الزبور - وهم أنفسهم الذين صرحوا بعدم غرق فرعون - كتبوا عن فرعون: " فإن هذا الأخير قد حاول جهد المستطاع أن يرجع الإسرائيليين إلى عبوديتهم ؛ فما تم له ما أراد ، بل اندحر شر اندحار " انتهى.

ومن هذا الذى قدمته يكون من الواجب على المؤلف حل التناقض الموجود عنده فى أمر فرعون ، قبل أن يوجه كلامه إلى القرآن.

(١) يونس: ٩٢.

(٢) القصص: ٤٠.
(٣) جمعية الكتاب المقدس فى لبنان سنة ١٩٩٣م.

١١٣ـ انتباذ مريم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن: أن مريم انتبذت من أهلها مكاناً شرقيًّا ، واتخذت لها حجاباً من قبل أن تحبل بالمسيح.
فلماذا انتبذت ؟ هل كانت فى مشاجرة مع أهلها وهم المشهورون بالتقوى ؟ ولماذا تسكن فتاة عذراء بعيدة عن أهلها ؟ فى القرآن تناقض فى هذا المعنى. وهو أنه صرح بأنها كانت فى المحراب فى كفالة زكريا ، وصرح بأنها انتبذت. أى خرجت منهم بعد مشاجرة.
وقال المؤلف: إن القرآن قد خالف الإنجيل فى مكان سكناها من قبل الحبل بعيسى ـ عليه السلام ـ ففى القرآن: أنها كانت تسكن فى محراب أورشليم ، أو فى أى مكان مجهول. وفى الإنجيل أنها كانت تسكن فى " الناصرة " [لو ١: ٢٦ـ٢٣].

الرد على الشبهة:
١ ـ جاء فى إنجيل يعقوب: أن مريم وهى فى سن الثالثة: ذهبت بها أمها بصحبة أبيها إلى " أورشليم " وسلماها إلى كهنة هيكل سليمان ، وكانت علامات السرور تبدو عليها. ثم تركاها ورجعا إلى أورشليم ، وعاشت مع الراهبات المنذورات إلى أن حبلت.
٢ ـ وإن أنت نظرت فى خريطة فلسطين. تجد حبرون أسفل أورشليم وقريبة منها ، وتجد الناصرة على نفس الخط وبعيدة عن أورشليم. فتكون أورشليم غرب الناصرة ، وشرق حبرون.
٣ ـ وفى الإنجيل: " وفى ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلاً جدًّا. فربى هذا ثلاثى أشهر فى بيت أبيه.
ولما نُبذ ؛ اتخذته ابنة فرعون ، وربته لنفسها ابناً " [أعمال ٧: ٢١] قوله " ولما نبذ " لا يدل على أن أهله كرهوه وإنما يدل على أنهم وضعوه فى التابوت وهم لوضعه كارهون. ومن ينتبذ عن قوم ؛ لا يدل انتباذه عنهم على كرهه لهم ، وإنما يدل على ابتعاده عنهم لسبب أو لأسباب. وإذ صح وثبت أن ابتعادها عنهم كان لعبادة الله ؛ يثبت أنها لم تنتبذ لمشاجرة.
٤ ـ وقد تبين أن " الناصرة " من نصيب سبط زبولون ـ وهو من أسباط السامريين ـ وهى من سبط يهوذا ـ على حد زعمه ـ فكيف تكون من سكان الناصرة ؟ وإذا كانت من سكان الناصرة ، فلماذا أتت إلى أورشليم لتعدّ مع سكانها. وسكان أورشليم من سبطى يهوذا وبنيامين ؟ فالحق ما قاله القرآن أنها كانت هارونية.
ومعلوم أن زكريا وامرأته ويوحنا المعمدان كانوا من التابعين لأهل أورشليم.

١١٤ـ مريم تلد فى البرية ووليدها يكلمها من تحتها

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

لقد ولدت مريم السيد المسيح فى بيت لحم كما تنبأ أنبياء التوراة بذلك قبل حدوثه بمئات السنين ، وليس بجوار جذع نخلة. ووضعت مريم وليدها فى مذود [لوقا ٢: ٢ـ٢٠] وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها:
أن تهز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول. فإذا مرّ بها أحد تقول: (إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا) (١) فأين الصوم وهى الآكلة الشاربة المتكلمة ؟

الرد على الشبهة:

١ ـ ولادة المسيح فى بيت لحم ـ كما قال المؤلف ـ تدل على أن مريم من سكان الخليل التى هى حبرون ، ولا تدل على أنها من سكان الناصرة. ففى خريطة فلسطين تجد بيت لحم تحت أورشليم ، وبعدها حبرون.
وعلى هذا تكون مريم بعد حملها بالمسيح وإحساسها بدنو الوضع. قد اتجهت إلى حَبرون (فأجاءها المخاض (عند بيت لحم. ولو كانت من الناصرة وأحست بالحمل وبالوضع. لاتجهت إلى الناصرة. وعندئذ يكون الوضع فى مكان بين أورشليم وبين الناصرة. فقولهم بالمخاض فى بيت لحم يصدق القرآن فى أنها كانت من نسل هارون الساكنين فى حبرون.
٢ ـ وقول المعترض: إن التوراة تنبأت بولادة المسيح فى بيت لحم. يقصد به ما جاء فى سفر ميخا وهو " أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " [ميخا ٥: ٢].
والنبوءة موضوعة وليست من النص الأصلى. بدليل: أن المسيح كان من الهارونيين من جهة أمه ، وبيت لحم من مدن سبط يهوذا. ولو كان له أب لأمكن للنصارى نسبته إلى سبط أبيه. ولكنه لا أب له ؛ فكيف ينتسب إلى سبط يهوذا أو غير سبط يهوذا ؟ وبدليل: أن المتسلط على إسرائيل وهو النبى الأمى الآتى على مثال موسى. يكون ملكاً وفاتح بلاد. ولم يكن المسيح ملكاً ولا فاتح بلاد.. وبدليل: أن سفر ميخا مرفوض من السامريين. وبدليل أن شراح سفر ميخا يصرحون بالتناقض فيه.والنبوءة من مواضع التناقض التى صرحوا بها. يقول الشراح: "هناك تعليمان متشابكان فى كتاب ميخا: الأول: الله يدين شعبه ويعاقبه [ف١ ـ ٣: ٦: ١ ـ ٧: ٧] الله يعد شعبه بالخلاص [ف ٤ـ ٥ و ٧: ٨ـ٢٠] حين يُعيده إلى حاله السابقة ويجعله بقيادة رئيس من نسل داود [٥: ١ـ٤].
٣ ـ وقد جاء فى إنجيل متى الأبوكريفى معجزة النخلة.
٤ ـ وكلام المسيح فى المهد جاء فى برنابا وفى إنجيل الطفولية العربى ، وجاء فى تاريخ يوسيفوس.

٥ ـ وقال المعترض: إن المسيح كلم أمه من تحتها: أن تهز جذع النخلة.. إلخ. وهو قد قال بذلك على قراءة " مِن تحتها " والحق: أن الذى ناداها هو ملاك الله نفسه. وسياق الكلام يدل على أنه الملاك.
فإنه قد قال لها: (كذلك قال ربك هو علىّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً) (٢)، ولما حملته وانتبذت به وأجاءها المخاض وتمنّت الموت ؛ عاد إلى خطابه معها فقال: (ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلى واشربى وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا) (٣).
وأما كلام المسيح فهو لم يقل إلا (إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيًّا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (٤).
٦ ـ المعترض قد غالط فى نقل المعنى بقوله: " وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول ؛ فإذا مر بها أحد تقول: (إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا) (٥) فأين الصوم وهى الآكلة الشاربة المتكلمة ؟ ".
ووجه المغالطة: أنه يقول فإذا مر بها أحد تقول.. إلخ. والمعنى الصحيح: أنها لا تقول لكل أحد يمر عليها إنها صائمة عن الطعام والشراب. وإنما تقول: لا أتكلم مع أحد فى أمر ابنى فى هذه الأيام. فجملة (فإما ترين من البشر.. (جملة مستأنفة لا صلة لها بالطعام وبالشراب. وقولها: (إنى نذرت للرحمن صوما (تعنى به المعنى المجازى وهو الإمساك عن الكلام بدليل: (فلن أكلم (ولم تقل فلن آكل.
(١) مريم: ٢٦.
(٢) مريم: ٢١.
(٣) مريم: ٢٤ـ٢٦.
(٤) مريم: ٣٠ـ٣٣.
(٥) مريم: ٢٦.
----

١١٥ ـ لكل أمة رسول منها إليها

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى القرآن أن لكل أمة رسول منها. وهذا يناقض الكتاب المقدس فى أن الأنبياء والرسل هم من بنى إسرائيل وإليهم وإلى كل العالم. فإذا صدق ما فى القرآن فكيف لم يخرج للأمم فى إفريقيا وأوروبا وأمريكا واستراليا وآسيا: أنبياء منهم وإليهم ؟ ولو كان لهذه الأمم أنبياء ـ منها وإليها ـ لجاز أن يكون للعرب رسول منهم.

الرد على الشبهة:

إن كلمة الرسول تأتى على الحقيقة وتأتى على المجاز. فعيسى ـ عليه السلام ـ رسول على الحقيقة. وإذا هو أرسل واحداً من الحواريين إلى قرية من القرى فإنه يكون رسول رسول الله عيسى على المجاز.
ففى إنجيل متى: " هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: " إلى طريق أمم لا تمضوا.. " [متى ١٠: ٥].
وابتداء الدعوة إلى الله كان فى زمن أنوش بن شعيث بن آدم ؛ لقوله: " حينئذ ابتُدئ أن يُدعى باسم الرب " [تك ٤: ٢٦] وظل الحال على هذه الدعوة التى كانت دعوة إلى مكارم الأخلاق وعدم سفك الدماء ظلماً إلى زمان نوح ـ عليه السلام ـ ولم يكن من المطعومات شيء محرم فلما خرج نوح من السفينة أعطاه الله شريعة فيها أن كل الطعام حلال ، وأن يحب المرء لأخيه ما يحبه هو لنفسه ، وليس فيها شريعة تبين أن هذا حلال وهذا حرام. ففى الإصحاح التاسع من سفر التكوين: " كل دابة حية تكون لكم طعاماً.
كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع.. " وظلت شريعة نوح سائدة على العالم إلى أن جاء موسى ـ عليه السلام ـ وأعطاه الله التوراة (موعظة وتفصيلاً لكل شيء (وأمره أن يخصص سِبط لاوى من بين الأسباط ليعرفها ويعرّفها للناس.
وهذا الذى ذكرته هو ما يقول به أهل الكتاب جميعاً ، ونص عليه أهل الكتاب فى كتبهم. وعنه فى القرآن الكريم: (كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل) (١) وهو حلال من أيام نوح ـ عليه السلام ـ وعلى ذلك نسأل المؤلف هذا السؤال وهو أن الناس من آدم أبى البشر إلى موسى الكليم كانت رسلهم من بنى إسرائيل أم من غير بنى إسرائيل ؟ إن قلت إن رسلهم كانت من بنى إسرائيل يكذبك الواقع والكتب التى تقدسها ، وإن قلت كانت من غير بنى إسرائيل فلماذا وجهت السؤال إلى المسلمين ؟ أما من موسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإن علماء بنى إسرائيل من اللاويين والهارونيين كانوا يبلغون التوراة لليهود وللأمم ، وإذا انطلق واحد منهم إلى الأمم ؛ فإنه يكون رسولاً إلى الأمم. ليس على الحقيقة ، وإنما على المجاز بمعنى أنه رسول رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ وظلوا على هذا الحال إلى زمان سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م فإنهم وهم فى بابل حرفوا التوراة ، وقصروا شريعة موسى على اليهود من دون الناس ، وابتعدوا عن دعوة الأمم ، وتعصبوا لجنسهم وتآمروا على الأمم (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل) (٢).
ومن قبل سبى بابل كان علماؤهم يدعون العرب إلى الله على وفق شريعة موسى. فيكون العالم الداعى رسولاً مجازاً. وهكذا فى سائر بلاد العالم. أما من بعد السبى وتخلى العلماء عن الدعوة فإن كل أمة سارت على ما عندها من العلم. وقد وبخهم المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ على إهمالهم فى دعوة الأمم بقوله: " لكن ويل لكم أيها الكتبة والفَرِّيسِيُّون المراءون ؛ لأنكم تُغلقون ملكوت السماوات قدام الناس ؛ فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون " [متى ٢٣: ١٣].
ثم حث أتباعه بالانطلاق إلى بلاد اليهود أولاً بأمرين هما أن يعملوا بالتوراة ، وأن يستعدوا لتركها إذا ما ظهر محمد رسول الله الذى يبشر به. وإذا فرغوا من دعوة اليهود فى بلادهم ينطلقون إلى الأمم ، وسماهم رسلاً مجازاً. فقال: " إلى طريق أمم

لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرىّ إلى خُراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون ، اكْرِزوا قائلين: " إنه قد اقترب ملكوت السموات " [متى ١٠: ٥]. وملكوت السماوات هى مجئ محمد صلى الله عليه وسلم بعد مملكة الروم كما أنبأ النبى دانيال فى الإصحاح السابع من سفره.
(١) آل عمران: ٩٣.
(٢) آل عمران: ٧٥.
----

١١٦ ـ خَلْط الأسماء

ذكروا آيتين من سورة الأنعام ، وأوردوا الشبهة على نص الآيتين حيث قالوا:
جاء فى سورة الأنعام (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين) (١).
والترتيب التاريخى هو:
أيوب ـ إبراهيم وابن أخته لوط وابناه إسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب وابن حفيده يوسف ومن بعده موسى ـ هارون ـ داود ـ سليمان ـ إلياس ـ اليسع ـ يونس ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى.

الرد على الشبهة:
١ ـ إن الضمير فى (ومن ذريته (يعود إلى نوح ، ولا يعود إلى إبراهيم وذلك لأن (لوطا (ليس من ذرية إبراهيم ، وإنما خرج معه مهاجراً إلى الله ، بعدما آمن له. وفى التوراة " ولوطاً ابن أخيه " [تك ١٢:
٥].
٢ ـ إن الترتيب التاريخى غير حاصل لأسباب منها: أنه يريد بيان فضلهم وصلاحهم ؛ ليقتدى الناس بهم.
وفى التوراة أنبياء لا يعرفون تواريخهم ولا يعرفون نسبهم ، ومنهم " أيوب " فإن منهم من يقول إنه من العرب ومنهم من يقول إنه من الأدوميين ومنهم من يجعله اسماً فرضيًّا. بل إن الأنبياء أصحاب الأسفار كإشعياء وإرمياء وملاخى وحَبقّوق وميخا ؛ لا يعرفون هم أنفسهم السابق منهم عن اللاحق.
وقد جمعوا أسفارهم فى وقت واحد. ففى الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط سنة ١٩٩٣م ما نصه: " كانت أول لائحة وضعت فى سبيل " قانونية " العهد القديم وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة فى أيام عِزْرا [نح ٨: ١] حوالى عام ٤٠٠ ق.م ثم زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى إشعياء وإرمياء وحوالى سنة٩٠ ق.م التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان ، فى بلدة " يمنية " الواقعة فى " فلسطين " وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة..
إلخ (٢).

(١) الأنعام: ٨٤ـ٨٦.
(٢) ص ٣ الكتاب المقدس طبعة لبنان سنة ١٩٩٣م.

١١٧ـ أخنوخ وليس إدريس

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه فى القرآن اسم إدريس. واسمه فى التوراة أخنوخ. وقال البيضاوى فى تفسيره: إن إدريس هو أخنوخ. ونحن نسأل من أين جاء فى القرآن اسم إدريس ؟ والصواب أنه أخنوخ.

الرد على الشبهة:
إن اسمه فى التوراة السامرية " حنوك " والنص هو:
" وسلك حنوك فى طاعة الله وفُقد ؛ إذ تولته الملائكة " [تلك ٥: ٢٤] والتوراة اليونانية تضيف حرف السين فى آخر الاسم ليعلم أنه اسم مثل يوسيفوس - إدريانوس.وإدريس ؛ فى آخره السين ، وكذلك يونس. وهو فى العبرى يونان. وعيسى ـ عليه السلام ـ فى اليونانى " إيسوس " ، وفى العبرى " يهو شوّع " وينطق أحياناً " أيشوع " و " يسوع ".
وأخنوخ له سفر لا يعترف به النصارى. ومع ذلك نقل منه يهوذا فى رسالته: " انظروا جاء الرب مع ألوف قديسيه ؛ ليحاسب جميع البشر ، ويدين الأشرار جميعاً على كل شر فعلوه ، وكل كلمة سوء قالها عليه هؤلاء الخاطئون الفجار " [يهو ١: ١٤ـ١٥].
وهذا النص يثبت أن كل امرئ بما كسب رهين ، خلافاً لاعتقاد النصارى فى موت المسيح على الصليب لِيُكَفِّر عن خطايا آدم.
ومفسرو التوراة يستدلون من نقله على ثبوت الحياة من بعد الموت ورأى فيلبسون من قوله " الله أخذه " أن ذلك تلطف بالتعبير عن الوفاة قبل إكمال العمر ، وأن فى ذلك دليلاً على وجود حياة وراء هذه الحياة الأرضية. ونزيد على ذلك: أن نقل أخنوخ فى متوسط العصر الذى قبل الطوفان ، وأن حياته كانت على الأرض ٣٦٥سنة وهو عدد الأيام فى السنة الشمسية وكانت سنة العبرانيين ٣٥٤ يوماً وسنة الكلدانيين ٣٦٠ يوماً " انتهى.

١١٨ـ نوح لم يتبعه الأراذل

لكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن نوحاً عليه السلام نجا معه جماعة من المؤمنين من غير أولاده. وهذا يخالف ما فى التوراة وما فى الإنجيل من أنه لم ينج معه من المؤمنين أحد غير أولاده. وأن القرآن بين أن الكافرين بنوح وصفوا المؤمنين به بأنهم أراذل.

الرد على الشبهة:
١- إن الذين خرجوا من السفينة حسب نص التوراة العبرانية:
١- سام ٢- حام.
٣- يافث.
٤- نوح.
٥- امرأته.
٦- زوجة سام.
٧- زوجة حام.
٨- زوجة يافث) فيكون العدد ثمانية.
٢- والدليل على صحة ما فى القرآن: هو أن قابين لما قتل هابيل ؛ ولد حنوك ولد عيراد ، وعيراد ولد محويائيل ، ومحويائيل ولد متوشائيل ، ومتوشائيل ولد لامك ، ولامك ولد يابال. الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاء المواشى. واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار ، واسم أخيه توبال قابين. الضارب كل آلة من نحاس وحديد [تكوين ٤].
قوله عن الثلاثة: الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاء المواشى ـ الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار ـ الضارب كل آلة من نحاس وحديد ؛ يدل على أنه كان من الناجين غير أبناء نوح. ولذلك قال مفسرو التوراة: " وسلالة قابين سلالة الحياة المدنية ، وسلالة شعث سلالة الحياة القدسية ".

١١٩- تهاويل خيالية حول برج بابل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
قال المؤلف: إنه جاء فى سورة النحل (قد مكر الذين من قبلهم..) (١) ثم قال: قال البيضاوى: قيل:المراد به نمرود بن كنعان فإنه بنى صرحاً ببابل.
الرد على الشبهة:
إنه وجه الشبهة على كلام مفسر. وهذا المفسر لم يجزم بأن تفسيره هو الصحيح بدليل قوله: " قيل " فكيف يورد شبهة على كلام مفسر ؟ (١) النحل: ٢٦.

١٢٠- اختراع طفل ينطق بالشهادة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
إنه فى سورة يوسف (وشهد شاهد من أهلها) (١) وذكر تفسير الشيخ البيضاوى وهو أنه قيل إنه ابن عمٍّ لها صبيًّا فى المهد.
الرد على الشبهة:
إن المعنى المراد هو: وشهد شاهد من أهل الشهادة بقرينة الحال. ومع هذا فإنه لا يصح توجيه شبهة على قول مُفَسَّر ، خاصة أنه قال: " قيل ".
(١) يوسف: ٢٦.
قلت:
الصواب أنه صبي نطق في المهد لصحة الخبر به

وأما قوله:(وشهد شاهد من أهلها) فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد.
فقال بعضهم: كان صبيًّا في المهد .
* ذكر من قال ذلك:
١٩٠٩٩ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم عليه السلام. (١)
١٩١٠٠ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال: عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جريج = يعني: تكلموا في المهد. (٢)
١٩١٠١ - حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن ، قال: حدثنا زائدة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير:(وشهد شاهد من أهلها) ، قال: صبي.
١٩١٠٢ - حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن ، قال: حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير:(وشهد شاهد من أهلها) ، قال: كان في المهد صبيًّا.
١٩١٠٣ - حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال: حدثنا أيوب بن جابر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله:(وشهد شاهد من أهلها) قال: صبي. (٣)

(١) الأثر : ١٩٠٩٩ -" العلاء بن عبد الجبار" ،" أبو الحسن العطار" ، روى عن حماد بن سلمة ، وروى عنه الحميدي ، وابنه عبد الجبار بن العلاء . صالح الحديث . مترجم في ابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٣٥٨ .
(٢) الأثر : ١٩١٠٠ -" أبو بكر الهذلي" ، كلن يكذب ، متروك الحديث . مضى مرارًا ، آخرها رقم : ١٧٦١٦ ، ١٨٤٣٩ ، ولكن حديث أبي هريرة مطولا رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٦ : ٣٤٤ - ٣٤٨) ، ومسلم في صحيحه ١٦ : ١٠٦ ، ورواه أحمد في المسند : ٨٠٥٧ ، ٨٠٥٨ بإسناد صحيح ، وانظر شرح أخي رحمه الله .
(٣) الأثر : ١٩١٠٣ -" أيوب بن جابر بن سيار اليمامي" ، ضعيف . مترجم في التهذيب ، والكبير ١ / ١ / ٤١٠ ، وابن أبي حاتم ١ / ١ / ٢٤٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٣٢ .
١٩١٠٤ - حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .
١٩١٠٥ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال: كان صبيًّا في مهده.
١٩١٠٦ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن هلال بن يساف:(وشهد شاهد من أهلها) قال: صبي في المهد.

١٩١٠٧ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك:(وشهد شاهد من أهلها) ، قال: صبي أنطقه الله . ويقال: ذو رأي برأيه. (١)

١٩١٠٨ - حدثنا الحسن بن محمد ، قال: أخبرنا عفان ، قال: حدثنا حماد ، قال: أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"تكلم أربعة وهم صغار"، فذكر فيهم شاهد يوسف (٢) .

١٩١٠٩ - حدثت عن الحسين بن الفرج . قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان ، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله:(وشهد شاهد من أهلها) يزعمون أنه كان صبيًّا في الدار.

١٩١١٠ - حدثني محمد بن سعد ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثنا عمي

(١) قوله :" ذو رأي برأيه" ، أي كان الشاهد رجلا ذا رأي ، قال ذلك برأيه . وانظر الأثر التالي رقم : ١٩١٢٧ .

(٢) الأثر : ١٩١٠٨ - حديث حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، حديث طويل ، رواه أحمد في مسنده رقم : ٢٨٢٢ ، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٥ ، وفي آخره : قال" قال ابن عباس : تكلم أربعة صغار ، عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون" ، ولم يرفع هذا القول الأخير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإسناده إسناد صحيح .

. قال: حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله:(وشهد شاهد من أهلها) ، قال: كان صبيًّا في المهد.

* * *

وقال آخرون: كان رجلا ذا لحية .

* ذكر من قال ذلك:

١٩١١١ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي =، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: كان ذا لحية.

١٩١١٢ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي =، عن سفيان ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس:(وشهد شاهد من أهلها) ، قال: كان من خاصّة الملك.

١٩١١٣ - .... وبه قال، حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول:(وشهد شاهد من أهلها) قال: ما كان بصبيّ ، ولكن كان رجلا حكيمًا.

١٩١١٤ - حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال، حدثنا عبد الملك بن الصباح ، قال: حدثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكره عنده:(وشهد شاهد من أهلها) فقالوا: كان صبيًّا. فقال: إنه ليس بصبي، ولكنه رجل حكيم (١) .

١٩١١٥ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد:(وشهد شاهد من أهلها) قال: كان رجلا.

١٩١١٦ - حدثنا ابن بشار ، قال، حدثنا عبد الرحمن ، قال: حدثنا سفيان ،

(١) الأثر : ١٩١١٤ -" عبد الملك بن الصباح المسمعي" ، ثقة / مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ٣٥٤ .
عن منصور ، عن مجاهد:(وشهد شاهد من أهلها) قال: رجل.
١٩١١٧ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله:(وشهد شاهد من أهلها) قال: رجل.
١٩١١٨ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير:(وشهد شاهد من أهلها) قال: رجل.
١٩١١٩ - حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، قال: أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس:(وشهد شاهد من أهلها) قال: ذو لحية.
١٩١٢٠ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال: ابن عمها كان الشاهدَ من أهلها.
١٩١٢١ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس:(وشهد شاهد من أهلها) قال: ذو لحية.
١٩١٢٢ - حدثني المثنى ، قال: حدثنا أبو غسان ، قال: حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: ذو لحية.
١٩١٢٣ - حدثني الحارث ، قال: حدثنا عبد العزيز ، قال: حدثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة:(وشهد شاهد من أهلها) قال: كان من خاصة الملك.
١٩١٢٤ - حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله:(وشهد شاهد من أهلها) قال: رجل حكيم كان من أهلها.
١٩١٢٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله:(وشهد شاهد من أهلها) قال: رجل حكيم من أهلها.
١٩١٢٦ - حدثنا المثنى ، قال: حدثنا أبو نعيم ، قال: حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد:(وشهد شاهد من أهلها) قال: كان رجلا.
١٩١٢٧ - حدثني المثنى ، قال: حدثنا عمرو بن عون ، قال: أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن ، في قوله:(وشهد شاهد من أهلها) قال: رجل له رأي أشارَ برأيه.
١٩١٢٨ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق:(وشهد شاهد من أهلها) قال: يقال: إنما كان الشاهد مشيرًا، رجلا من أهل إطفير، وكان يستعين برأيه = إلا أنه قال: أشهد إن كان قميصه قدّ من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين.
* * *
وقيل: معنى قوله:(وشهد شاهد) : حكم حاكم.
١٩١٢٩ - حدثت بذلك عن الفراء ، عن معلي بن هلال ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد.
* * *
وقال آخرون: إنما عنى بالشاهد، القميصَ المقدودَ .
* ذكر من قال ذلك:

١٩١٣٠ - حدثني محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله:(وشهد شاهد من أهلها) قال: قميصُه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة.
١٩١٣١ - حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا شبابة ، قال: حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله:(وشهد شاهد من أهلها) ، قميصُه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة.
١٩١٣٢ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد:(وشهد شاهد من أهلها) لم يكن من الإنس.
١٩١٣٣ - .... قال: حدثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد:(وشهد شاهد من أهلها) ، قال: كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيًا.
* * *
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ، قول من قال: كان صبيًّا في المهد = للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنه ذكر من تكلم في المهد. فذكر أنَّ أحدهم صاحب يوسف.
* * *
فأمّا ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود، فما لا معنى له ؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال:(وشهد شاهد من أهلها) ، ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة.
* * *
وقوله:(إن كان قميصه قُدّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين) ، لأن المطلوب إذا كان هاربًا فإنما يؤتى من قِبل دبره ، فكان معلومًا أن الشق لو كان من قُبُل لم يكن هاربًا مطلوبًا. ولكن كان يكون طالبًا مدفوعًا ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .
١٩١٣٤ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: قال: أشهد إن كان قميصه قُدّ من قُبُل لقد صدقت وهو من الكاذبين. وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا =(وإن كان قميصه قُدّ مِن دُبر فكذبت وهو من الصادقين) وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة من دُبر . وقال: إنه لا ينبغي أن يكون في الحقّ إلا ذاك . فلما رأى إطفير قميصَه قدَّ من دُبر عرف أنه من كيدها ، فقال:(إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم).
١٩١٣٥ - حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة: قال = يعني: الشاهدُ من أهلها =: القميصُ يقضي بينهما،(إن كان قميصه قدّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُدّ من دُبر فكذبت
وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قُد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم).
* * *
قال أبو جعفر: وإنما حذفت"أنَّ" التي تتلقَّى بها"الشهادة" لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى"القول" ، كأنه قال: وقال قائل من أهلها: إن كان قميصه = كما قيل:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأنْثَيَيْنِ) [سورة النساء: ١١]، لأنه ذهب بالوصية إلى"القول".
* * *

وقوله:(فلما رأى قميصه قدّ من دبر) ، خبر عن زوج المرأة ، وهو القائل لها: إن هذا الفعل من كيدكن = أي: صنيعكن ، يعني من صنيع النساء (١) =(إن كيدكن عظيم).
* * *
وقيل: إنه خبر عن الشاهد أنه القائلُ ذلك.

(١) انظر تفسير" الكيد" فيما سلف ١٥ : ٥٥٨ ، تعليق : ٢ والمراجع هناك
تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٣٨٣)
وقد اختلفوا في هذا الشاهد: هل هو صغير أو كبير، على قولين لعلماء السلف، فقال عبد الرزاق:
أخبرنا إسرائيل، عن سِمَاك، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا } قال: ذو لحية.
وقال الثوري، عن جابر، عن ابن أبي مُلَيْكَة، عن ابن عباس: كان من خاصة الملك.
وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، ومحمد بن إسحاق: إنه كان رجلا.
وقال زيد بن أسلم، والسدي: كان ابن عمها.
وقال ابن عباس: كان من خاصة الملك.
وقد ذكر ابن إسحاق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد.
وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا } قال: كان صبيا في المهد. وكذا رُوي عن أبي هريرة، وهلال بن يَسَاف، والحسن، وسعيد بن جبير والضحاك بن مُزاحم: أنه كان صبيا في الدار. واختاره ابن جرير.
وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا عفان، حدثنا حماد -هو ابن سلمة -أخبرني عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: "تكلم أربعة وهم صغار"، فذكر فيهم شاهد يوسف (١) .
ورواه غيره عن حماد بن سلمة، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس؛ أنه قال: تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيْج، وعيسى ابن مريم (٢) .
وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: كان من أمر الله، ولم يكن إنسيا. وهذا قول غريب.

(١) تفسير الطبري (٥٥/١٦) ورواه أحمد في المسند (٣١٠/١) والحاكم في المستدرك (٤٩٦/٢) من طريق حماد بن سلمة به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٢) رواه العلاء بن عبد الجبار عن حماد موقوفا أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤/١٦).
تفسير الألوسي - (ج ٨ / ص ٤٨٨)

{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } ذهب جمع إلى أنه كان ابن خالها ، وكان طفلاً في المهد أنطقه الله تعالى ببراءته عليه السلام ، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : " تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون . وشاهد يوسف عليه السلام . وصاحب جريج . وعيسى ابن مريم عليهما السلام " وتعقب ذلك الطيبي بقوله : يرده دلالة الحصر في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم . وصاحب جريج . وصبي كان يرضع من أمه فمر راكب حسن الهيئة فقالت : أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الصبي الثدي ، وقال اللهم لا تجعلني مثله " اه ، ورده الجلال السيوطي فقال : هذا منه على جاري عادته من عدم الإطلاع على طرق الأحاديث ، والحديث المتقدم صحيح أخرجه أحمد في مسنده . وابن حبان في صحيحه . والحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ، ورواه الحاكم أيضاً منحديث أبي هريرة ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، وفي حديث الصحيحين المشار إليه آنفاً زيادة على الأربعة " الصبي الذي كان يرضع من أمه فمر راكب " الخ فصاروا خمسة وهم أكثر من ذلك ، ففي «صحيح مسلم» تكلم الطفل في قصة أصحاب الأخدود ، وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر ، ونظمتها فقلت :

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لذي الأخدود وديرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي ... يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

اه ، وفيه أنه لم يرد الطيبي الطعن على الحديث الذي ذكر كما توهم ، وإنما أراد أن بين الحديث الدال على الخضر وغيره تعارضاً يحتاج إلى التوفيق؛ وفي «الكشف» بعد ذكره حديث الأربعة ، وما تعقب به مما تقدم عن الطيبي أنه نقل الزمخشري في سورة البروج خامساً فإن ثبتت هذه أيضاً فالوجه أن يجعل في المهد قيداً وتأكيداً لكونه في مبادىء الصبا ، وفي هذه الرواية يحمل على الإطلاق أي سواء كان في المبادي أو بعيدها بحيث يكون تكلمه من الخوارق ، ولا يخفى أنه توفيق بعيد .

وقيل : كان ابن عمها الذي كان مع زوجها لدى الباب وكان رجلاً ذا لحية ولا ينافي هذا قول قتادة : إنه كان رجلاً حكيماً من أهلها ذا رأي يأخذ الملك برأيه ويستشيره ، وجوز أن يكون بعض أهلها وكان معهما في الدار بحيث لم يشعرا به فبصر بما جرى بينهما فأغضبه الله تعالى ليوسف فقال الحق ، وعن مجاهد أن الشاهد هو القميص المقدود وليس بشيء كما لا يخفى ، وجعل الله تعالى الشاهد من أهلها قيل : لكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وألزم لها ، وخص هذا بماإذا لم يكن الشاهد الطفل الذي أنطقه الله تعالى الذي أنطق كل شيء ، وأما إذا كان ذلك فذكر كونه من أهلها لبيان الواقع فإن شهادة الصبي حجة قاطعة ولا فرق فيها بين الأقارب وغيرهم ، وتعقب بأن كون شهادة القريب مطلقاً أقوى مما لا ينبغي أن يشك فيه ، وسمي شاهداً لأنه أدى تأديته في أن ثبت بكلامه قول يوسف وبطل قولها ، وقيل : سمي بذلك من حيث دل على الشاهد وهو تخريق القميص ، وفسر مجاهد فيما أخرجه عنه ابن جرير الشهادة بالحكم أي وحكم حاكم من أهلها

فتح القدير - (ج ٤ / ص ٢١)
{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } أي : من قرابتها ، وسمي الحكم بينهما شهادة لما يحتاج فيه من التثبت والتأمل ، قيل : لما التبس الأمر على العزيز احتاج إلى حاكم يحكم بينهما ليتبين له الصادق من الكاذب . قيل : كان ابن عمّ لها واقفاً مع العزيز في الباب . وقيل : ابن خال لها . وقيل : إنه طفل في المهد تكلم . قال السهيلي : وهو الصحيح للحديث الوارد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر من تكلم في المهد ، وذكر من جملتهم شاهد يوسف . وقيل : إنه رجل حكيم كان العزيز يستشيره في أموره ، وكان من قرابة المرأة
وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } قال : صبي أنطقه الله كان في الدار . وأخرج أحمد ، وابن جرير ، والبيهقي ، في الدلائل عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم » وأخرج عبد الرزاق ، والفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } قال : كان رجلاً ذا لحية . وأخرج الفريابي ، وابن جرير ، وأبو الشيخ عنه قال : كان من خاصة الملك . وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن الحسن قال : هو رجل له فهم وعلم . وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال : ابن عمّ لها كان حكيماً . وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن مجاهد قال : إنه ليس بإنسيّ ولا جنيّ هو خلق من خلق الله . قلت : ولعله لم يستحضر قوله تعالى : { مِّنْ أَهْلِهَا } .
أضواء البيان - (ج ٢ / ص ٣٢٥)
واختلف العلماء في الشاهد في قوله : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ } .
فقال بعض العلماء : هو صبي في المهد ، وممن قال ذلك ابن عباس ، والضحاك ، وسعيد بن جبير .
وعن ابن عباس أيضاً - أنه رجل ذو لحية ، ونحوه الحسن .
وعن زيد بن أسلم - أنه ابن عم لها كان حكيماً ، ونحوه عن قتادة وعكرمة .
وعن مجاهد - أنه ليس بأنس ولا جان ، هو خلق من خلق الله .
قال مقيده - عفا الله عنه :
قول مجاهد هذا يرده قوله تعالى : { من أهلها } ، لأنه صريح في أنه إنسي من أهل المرأة . وأظهر الأقوال : أنه صبي ، لما رواه أحمد ، وابن جرير ، والبيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال : « تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم » اه .
الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٢٢٩٧)
ثم قال - تعالى - : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذبين . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصادقين } .
وهذا الشاهد ذهب بعضهم إلى أنه كان ابن خال لها ، وقيل ابن عم لها . .

قال صاحب المنار : " ولكن الرواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ، أنه كان صبيا فى المهد ، ويؤيدها ما رواه أحمد وابن جرير والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " تكلم فى المهد أربعة وهم : صفار ابن ماشطة ابنة فرعون . وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم " .
وروى ابن جرير عن أبى هريرة قال : " عيسى ابن مريم وصاحب يوسف وصاحب جريج تكلموا فى المهد " وهذا موقوف ، والمرفوع ضعيف ، وقد اختاره ابن جرير ، وحكاه ابن كثير بدون تأييد ولا تضعيف . . "
وعلى أية حال فالذى يهمنا أن الله ـ تعالى ـ قد سخر فى تلك اللحظة الحرجة ، من يدلى بشهادته لتثبت براءة يوسف أمام العزيز .
وألقى الله ـ تعالى ـ هذه الشهادة على لسان من هو من أهلها ، لتكون أوجب للحجة عليها ، وأوثق لبراءة يوسف ، وأنفى للتهمة عنه .
وقد قال هذا الشاهد فى شهادته ـ كما حكى القرآن عنه ـ { إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ } أى : من أمام " فَصَدَقَتْ " فى أنه أراد بها سوءا ، لأن ذلك يدل على أنها دافعته من الأمام وهو يريد الاعتداء عليها .
....

١٢١ـ الكعبة بيت زحل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

فى سورة البقرة: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) إلى قوله: (إنك أنت السميع العليم) (١).
ثم قال: كيف تكون الكعبة بيت الله ، وقد بنيت أول الأمر لعبادة كوكب زحل ؟ واستدل على قوله هذا بأقوال مؤرخين.
وقال: إن فى الكتاب المقدس: أن إبراهيم دُعى من " أور " الكلدانيين إلى أرض كنعان ، وتَعَرَّب فيها.

الرد على الشبهة:
١ ـ إن أقوال المؤرخين ليست حُجة.
٢ ـ إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يُدع من " أور " كما قال هذا المعترض. وإنما خرج من أرض آبائه وهو لا يعلم أين يذهب. ففى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين: " وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ، ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ؛ فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة " [تك ١٢: ٢] وكان خروجه عن " حاران " والدليل على أنه من " حاران ": " وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران " [تك ١٢: ٤] وفى سفر أعمال الرسل: " فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين ، وسكن فى حاران " [أع ٧: ٤] ففى التوراة أنه خرج من حاران ، وفى الإنجيل أنه خرج من أرض الكلدانيين. فأى النصين هو الصحيح ؟ (١) البقرة: ١٢٥ـ١٢٧.

----

١٢٢ - إسماعيل بين الأنبياء

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن القرآن ذكر أن إسماعيل كان (رسولاً نبيًّا) وفى التوراة أنه إنسان وحشى. وهذا تناقض.

الرد على الشبهة:

١ - أما أنه كان رسولاً فهذا لا إشكال فيه. فإن الشريعة التى كان عليها هى شريعة نوح - عليه السلام - وكان يبلغها للناس كما يبلغها غيره.

٢ - وأما أنه كان نبيًّا فهذا هو الإشكال عند المؤلف ، وهو ليس بإشكال. لأن النبى هو المنبئ بغيب ، ويقع الغيب من بعده كما أنبأ به. فلننظر فى إسماعيل - بحسب تفسير كلمة النبى عندهم - هل أنبأ بغيب أم لا ؟ إنه من إبراهيم الذى سار مع الله ، ودعا إليه ، ورغب فيه. ولسيره ، وعده الله بالبركة فى إسماعيل وإسحاق. والبركة ملك ونبوة وإذْ وُعد إسماعيل بنبى من نسله ، وأنبأ بتحقق هذا الوعد.

ووقع كما قال. فإنه قد ظهر منه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يكون نبيًّا.

ففى التوراة: " ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ؛ ظهر الرب لأبرام وقال له: " أنا الله القدير. سر أمامى ، وكن كاملاً ؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً " [تك ١٧: ١-٢] وعن البركة فى إسحاق: " وأباركها وأعطيك أيضاً منها أبناء أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون " [تك ١٧: ١٦] ، وعن البركة فى إسماعيل: " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً.. " [تك ١٧: ٢٠] وقد قام ببركة إسحاق نبى الله موسى ، وقام ببركة إسماعيل نبى الله محمد. وإسماعيل قد أنبأ به من قبل ظهوره.

----

١٢٣ - أبناء يعقوب يطلبون أن يلعب يوسف معهم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى سورة يوسف من القرآن الكريم أن إخوة يوسف احتالوا على أبيهم فى أخذ يوسف منه بقولهم:

(أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) (١) وليس فى التوراة هذه الحيلة.

الرد على الشبهة:

إن ما جاء فى القرآن ، ولم يجئ فى التوراة ؛ لا يدل على إيراد شبهة على القرآن ، وذلك لأن نسخ التوراة الثلاثة العبرانية واليونانية والسامرية لا تتفق على القصة اتفاقاً تامًّا. ففى اليونانية صواع الملك.

وليس فى العبرانية صواع الملك. ففى التوراة العبرانية ترجمة البروتستانت: " ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا ؛ قال يوسف للذى على بيته: قم اسع وراء الرجال ، ومتى أدركتهم فقل لهم:
" لماذا جازيتم شرًّا عوضاً عن خير ؟ أليس هذا هو الذى يشرب سيدى فيه. وهو يتفاءل به ؟ أسأتم فيما صنعتم " [تك ٢٤: ٤ـ٥] وفى الكتاب المقدس ترجمة ١٩٩٣م بلبنان الصادر عن دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط: " فما أن خرجوا من المدينة ، وابتعدوا قليلاً حتى قال يوسف لوكيل بيته: قم اتبع هؤلاء الرجال. فإذا لحقت بهم فقل لهم: لماذا كافأتم الخير بالشر ؟ لماذا سرقتم كأس الفضة التى يشرب بها سيدى. وبها يرى أحوال الغيب ؟ أسأتم فيما فعلتم ".
فكأس الفضة فى نسخة ، وهو غير موجود فى نسخ أخرى.
(١) يوسف: ١٢.

١٢٤ـ وليمة نسائية وهمية

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى سورة يوسف أن امرأة العزيز هيأت وليمة لبعض السيدات وأنهن قطعن أيديهن. وهذا غير معقول.

الرد على الشبهة:
كانت دعوة موسى ـ عليه السلام ـ فى الأصل عالمية لليهود وللأمم. وكان فيها الدعوة إلى حميد الصفات.
وكان فيها عدم احتقار اليهودى للأممى ، وعدم التعدى على أمواله وحرماته. وكان فيها الحث على دعوة الأممى إلى معرفة الله وعبادته. وفى زمان سبى بابل حَرَّف اليهود التوراة ، وامتنعوا عن دعوة الأمم إلى معرفة الله ، وأباح اليهود لأنفسهم أخذ الربا من الأميين ، والزنا بنسائهم ، وسفك دمائهم وما شابه ذلك من الصفات الذميمة. وكتبوا ما يدل على ذلك فى التوراة ، وحذفوا من التوراة حال تحريفهم لها ما يمنعهم عن ظلم الأميين. ومن هذا الذى حذفوه: دعوة يوسف ـ عليه السلام ـ للمصريين الذين كانوا معه فى السجن إلى عبادة الله تعالى وترك الآلهة المتعددة ، وحذف قول النسوة ليوسف: (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) (١) لأن هذا يتعارض مع تخليهم عن دعوة الأمم ، ويتعارض مع ما اتفقوا عليه من العبث بنسائهم. وألا يكن هذا صحيحاً. فما هذه الترهات المكتوبة فى التوراة عن الأنبياء وغيرهم ؟ ففى التوراة أن لوطاً ـ عليه السلام ـ زنا بابنتيه [تك ١٩] وأن سليمان ـ عليه السلم ـ أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون [الملوك الأول ١١].
وقال كاتب التوراة: إن سليمان ـ عليه السلام ـ هو ابن داود من زوجة أُورِيّا الحِثِّى. أى أنه تعدى على زوجة رجل من الأمم هو من قبيلة بنى حث وليس من اليهود. وإذا كان هذا هو المكتوب بغية التعدى على نساء الأمم ؛ فإن العقل لا يتصور أن يضع فى التوراة عفة يوسف عن نساء الأمم. ولا يتصور العقل أن يكتب عن يوسف أنه

فسر حلم الملك من قبل أن يخرج من السجن. لأنه لو كتب ذلك لكان معناه أن يوسف يحسن إلى من سيئ إليه. وهو يريد لليهود أن يسيئوا لمن يحسن ولمن لا يحسن.
وإن أصر مورد الشبهة على إيرادها. ففى نسخ التوراة زيادة ونقص ، وفى نسخ الإنجيل أيضاً. ومن أمثلة ذلك: المزمور المائة والحادى والخمسين ؛ فإنه فى النسخة القبطية فقط.
(١) يوسف: ٣١.
----

١٢٥ ـ عدم سجن بنيامين

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن يعقوب قال لأبنائه بعد رحيل بنيامين إلى مصر: (بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعاً) (١). وقال المؤلف: إن المفسر البيضاوى يقول: إنه يقصد بقوله (بهم جميعاً) يوسف وبنيامين وأخيهما الذى توقف بمصر.
وإن القرآن جعل عدد مرات مجئ إخوة يوسف لمصر أربع مرات بدل ثلاث كما جاء فى التوراة ، وأن فى القرآن أن يوسف حبس بنيامين ، وأن إخوة يوسف رجعوا إلى أبيهما بدون شمعون وبنيامين.

الرد على الشبهة:
الخلاف بين التوراة وبين القرآن فى سرد حوادث القصة لا يدل على عيب فى القرآن ، ويدل على ذلك:
ما فى التوراة من زيادة ونقص فى النسخة الواحدة ، وفى النسخ الثلاث. ومع هذا ففى التوراة ما يدل على ما جاء فى القرآن ومن ذلك:
١ ـ أن يوسف كان قد أنجب ولدين فى مصر هما أفرايم ومنسّى [تك ٤٦: ٢٠] ويعقوب أبوه من الأنبياء الملهمين ، ويدل على ذلك أنه يقول:
(إنى لأجد ريح يوسف) (٢) ـ (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) (٣) فإذا قال (بهم) بضمير الجمع. وقد صرح من بعد بفقد اثنين هما: يوسف وأخيه فقط ؛ لا يدل ضمير الجمع على ولد ثالث محبوس فى مصر ، وإنما يدل على ولدى يوسف.
٢ ـ أن فى التوراة ما يدل على سجن بنيامين وهو أنه لما دبر حيلته فى استبقائه وتمت الحيلة ، طلبوا منه أن يطلقه فرد عليهم بقوله: " حاشا لى أن أفعل هذا. الرجل الذى وُجد الكأس فى يده ؛ هو يكون لى عبداً ، وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم " [تك ٤٤: ١٧].
فقوله: " هو يكون لى عبداً " معناه: أنه استبقاه فى " مصر ".
٣ ـ وفى التوراة ما يدل على بقاء كبيرهم فى مصر ، مع يوسف وبنيامين. وكبيرهم هو " راوبين " لا شمعون كما قال المؤلف إنه أخذه رهينة ، ولا يهوذا كما قال كاتب التوراة.

ومما يدل على بقاء كبيرهم: أنه استعطف يوسف بقوله: " فالآن ليمكث عبدك عوضاً عن الغلام عبداً لسيدى ، ويصعد الغلام مع إخوته ؛ لأنى كيف أصعد إلى أبى والغلام ليس معى ؟ لئلا أنظر الشر الذى يصيب أبى " [تك ٤٤: ٣٣-٣٤].

(١) يوسف: ٨٣.

(٢) يوسف: ٩٤.

(٣) يوسف: ٨٧.

١٢٦- قميص سحرى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى القرآن أن قميص يوسف لما رآه يعقوب ؛ أتى بصيراً إلى مصر مع أهله ، وقد كان قد عمى من الحزن.

ونقل من كتب التفسير أنه كان قميص إبراهيم.. إلخ.

واستبعد شفاء يعقوب برؤية القميص.

الرد على الشبهة:

إن التوراة مصرحة بعمى يعقوب ، وأنه سيبصر إذا وضع يوسف يده على عينيه. ذلك قوله: " أنا أنزل معك إلى مصر ، وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك " [تك ٤٦: ٤] هذه ترجمة البروتستانت.

وفى ترجمة الكتاب المقدس بلبنان: " أنا أنزل معك إلى مصر ، وأنا أصعدك منها. ويوسف هو يغمض عينيك ساعة تموت " فيكون النص فى عدم العمى صراحة فى هذه الترجمة.

واتفقت التراجم على ضعف بصر يعقوب " وكانت عينا يعقوب كليلتين من الشيخوخة ، ولم يكن يقدر أن يبصر " [تك ٤٨: ١٠].

واستبعاد شفاء يعقوب برؤية القميص ؛ لا محل له. وذلك لأن فى التوراة من هذا كثير. فنبى الله اليسع - عليه السلام - لما مات ودفنوه فى قبره ؛ دفنوا معه بعد مدة ميتاً. فلما مست عظامه عظام اليسع ؛ ردت إليه روحه. وهذا أشد فى المشابهة من قميص يعقوب ففى الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الثانى: " ومات اليشع فدفنوه. وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة ، وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة ؛ فطرحوا الرجل فى قبر اليشع. فلما نزل الرجل ومسَّ عظام اليشع ؛ عاش وقام على رجليه " [٢مل ١٣: ٢٠-٢١].

١٢٧- ابنة فرعون أو زوجته

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن امرأة فرعون هى التى التقطت موسى - عليه السلام - ويقول: إن فى التوراة أن الملتقطة له هى ابنة فرعون وليست امرأته. وهذا تناقض.

الرد على الشبهة:
إن كلمات التوراة مشكوك فيها. والدليل على ذلك: أن اسم الرجل فى موضع ، يأتى فى موضع آخر باسم آخر. وكذلك المرأة. وهذا يتكرر كثيراً. فإسماعيل ـ عليه السلام ـ كانت له ابنة اسمها " محلث " وتزوجت " العيس " بن إسحاق ـ عليه السلام ـ [تك ٢٨: ٩] وفى ترجمة لبنان " محلة " وفى نفس الترجمة " وبسمة " وفى ترجمة البروتستانت " بسمة " [تك ٣٦: ٣].
وفى كتب تفسير التوراة تصريح بكلمات ملتبسة مثل " ثم يذبحه كل جماعة إسرائيل فى العشية " [خر ١٢: ٦] يقولون: " العشية " هذه اللفظة ملتبسة.. " والشيخ الكبير فى أرض مدين مختلف فى اسمه.
ففى الخروج [٢: ١٨] " رعوئيل " وفى الخروج [٤: ١٨] " ثيرون " والابن الأول لموسى فى ترجمة " جرشوم " وعند يوسيفوس " جرشام " وفى ترجمة السبعين " جرسام " [خر ٢: ٢٢].

---

١٢٨ ـ طرح الأولاد فى النهر صدر قبل ولادة موسى لا بعد إرساليته

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
إن فى سورة الأعراف: أن الملأ من قوم فرعون بعد ولادة موسى وظهور نبوته قالوا لفرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ؟ وقد رد عليهم بقوله: (سَنُقَتِّل أبناءهم وتستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون) (١).
وفى سورة القصص: أن قتل الأبناء واستحياء النساء كانا من قبل ولادة موسى وهذا تناقض.
الرد على الشبهة:
إن قتل الأبناء واستحياء النساء كانا من قبل ولادة موسى ـ عليه السلام ـ وهو فيما بعد يهدد باستمرار القتل والزيادة فيه.
(١) الأعراف: ١٢٧.

قلت :
والظاهر أن قتل الأطفال لم يكن إلا في تلك السنة التي ولد فيها النبي موسى عليه السلام ، حيث أخبره الكهنة أن صبيا من بني إسرائيل سيولد هذا العام ستكون نهايتك على يديه ، فلو كان القتل مستمرا للأطفال لما بقي نسل لبني إسرائيل ، وأما استحياء نساء بني إسرائيل فكان دائما عند فرعون و قومه

---

١٢٩ ـ صَدَاق امرأة موسى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى سورة القصص أن موسى أصدق امرأته من مدين خدمة ثمانى أو عشر لأبيها.
وفى التوراة أنه كان له سبع بنات لا اثنتين ، وأنه لم يصدق المرأة. لا بالخدمة ولا بما يقوم مقامها.

الرد على الشبهة:
هب أنه كان عنده سبعة. وقدم له اثنتين لائقتين بحاله لينتقى واحدة منهما. فما هو الإشكال فى ذلك ؟ وحال يعقوب مع خاله " لابان " ، كحال موسى مع كاهن مديان. فإنهما كانا يتعيشان من رعى الغنم. وخدم يعقوب خاله سبع سنين صداقاً لابنته الأولى " ليئة " وخدم سبع سنين أخرى صداقاً لابنته الأخرى " راحيل " وموسى هارب من أرض مصر بلا مال. فكيف يتزوج فى أرض غريبة بلا مال.
وفى النص ما يدل على ما اتفقا عليه. وهو " فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته " ارتضى على ماذا ؟ ولماذا قال بعد الارتضاء: " فأعطى موسى صفورة ابنته " ؟ والنص كله هو: " وكان لكاهن مديان سبع بنات. فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة فطردوهن. فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن. فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجئ اليوم ؟ فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة ، وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم. فقال لبناته: وأين هو ؟ لماذا تركتن الرجل ؟ ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل ، فأعطى موسى صفورة ابنته " [خر ٢: ١٦]
وفى النص السامرى: " فلما أمعن موسى فى السكنى مع الرجل ؛ أعطاه صفورة ابنته لموسى زوجة ".

١٣٠ـ لم ترث إسرائيل مصر

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن بنى إسرائيل ورثوا أرض مصر بعد هلاك فرعون. وهذا خطأ فإنهم لم يرثوا إلا أرض كنعان.

الرد على الشبهة:
١ ـ على قوله: إن دعوة موسى كانت خاصة لبنى إسرائيل. فإن حدود مصر تبدأ من " رفح " وهم يقولون:
إن المواعيد هى من النيل إلى الفرات. فيكون الجزء من رفح إلى النيل داخلاً فى الإرث.
٢ ـ والإرث ليس لاستغلال خيرات الأرض وتسخير أهلها فى مصالح اليهود. ولكنه " إرث شريعة " فإن الله قال لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: " سر أمامى وكن كاملاً " [تك ١٧: ١] أى امشى أمامى فى جميع البلاد لدعوة الناس إلى عبادتى وترك عبادة الأوثان. وقد سار إبراهيم ودعا بالكلام وبالسيوف. ولذلك سرّ الله منه ، ووعده بمباركة الأمم فى نسل ولديه إسحاق وإسماعيل. والبركة معناها: ملك النسل على الأمم إذا ظهر منه نبى. وسلمه الله شريعة. ولما ظهر موسى ـ عليه السلام ـ وسلمه الله التوراة. أمره بنشرها بين الأمم. وإذا نشرها بين أمة فإنه يكون وارثاً لهذه الأمة " إرث شريعة " إذ هو بنشرها يكون بنو إسرائيل والأمم متساوون أمام الله فيها. وما

فائدة بنو إسرائيل إلا التبليغ فقط. وبه امتازوا عن الأمم. ويدل على ذلك: إرثهم لأرض كنعان ـ كما يقولون ـ فإنهم ورثوها لنشر شريعة التوراة فيها ، وكان الإرث على يد طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ وقد قال داود ـ عليه السلام ـ لجالوت وهو يحاربه:
إن الحرب للرب. أى أن القتال فى سبيل الله. ذلك قوله: " وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلّص الرب ؛ لأن الحرب للرب. وهو يدفعكم ليدنا "[صموئيل الأول ١٧: ٤٧].
وإذا أراد الله نسخ التوراة يكون معنى النسخ إزالة ملك النسل اليهودى عن الأمم ليقوم النسل الجديد بتبليغ الشريعة التى أقرها الله فيهم لتبليغها إلى الأمم. وهذا ما حدث فى ظهور الإسلام. فإن بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ حاربوا وملكوا ونشروا القرآن وعلموه للأمم. ولهم بركة. فإن الله قال لإبراهيم عن إسماعيل:
" وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه " [تك ١٧: ٢٠].
وفى التوراة عن بركة إبراهيم: " وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " [تك ١٢: ٣]
ومعنى مباركة جميع أمم الأرض فى إبراهيم: هو أن نسله يبلغون للناس شرائع الله.
وفى التوراة عن إرث بنى إسماعيل للأمم: " ويرث نسلك أمماً ، ويعمر مدناً خربة " [إش ٥٤: ٣].
٣ ـ وكتب المؤرخين تدل على أن بنى إسرائيل أقاموا فى مصر. وقد نقل صاحب تفسير المنار فى سورة يونس عن يونانيين قدماء أن موسى ـ عليه السلام ـ رجع إلى مصر بعد هلاك جنود فرعون وحكم فيها ثلاث عشرة سنة.

----

١٣١ ـ ضربات مصر عشر لا تسع

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى التوراة أن الآيات البينات عشر. وفى القرآن تسع (١). وهذا تناقض.

الرد على الشبهة:
إن مفسرى التوراة صرحوا بالاختلاف فى عدد هذه الآيات. فالآية الثانية وهى الضفادع ؛ يوجد من يقول إنها التماسيح.
والآية الثالثة قال بعضهم إنها ضربة القمل ، وقال بعضهم إنها ضربة البعوض.
والآية الرابعة قال بعضهم إنها ذباب الكلب خاصة ، وقيل مطلق ذباب.
(١) المقصود بالآيات التسع ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) سورة الإسراء: ١٠١ ، وقد ورد ذكر آية الطوفان فى قوله تعالى:(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين) سورة الأعراف: ١٣٣، أما بقية الآيات التسع فقد وردت فى آيات قرآنية أخرى.

----

١٣٢ ـ الطوفان على المصريين

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
إن فى القرآن أن الآيات التسع فيها آية الطوفان ، وليس فى التوراة هذه الآية.
الرد على الشبهة:
إن مفسرى التوراة مختلفون فى البيان كما نقلنا عنهم سابقاً.
قلت : والتوراة محرفة فلا يوثق ما فيها أصلا ، ولا يعول عليه

١٣٣ـ صخرة حوريب وليست آبار إيلّيم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
جاء فى سورة البقرة: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً) (١).
وفى التوراة أن الاثنتى عشرة عيناً فى " إيليم " وفى القرآن أنهم فى " حوريب " وهذا تناقض.
الرد على الشبهة:
لم يذكر القرآن أن الاثنتى عشرة عيناً فى " حوريب ".
(١) البقرة: ٦٠.
وما ورد في بعض كتب التفسير فلا يعول عليه لأنه من الإسرائيليات ، وخرافات بني إسرائيل .
وهذا بعض ما ورد :
تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ١١٩)
وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)
فتأويل قوله:(بما كانوا يفسقون) إذا: بما كانوا يتركون طاعة الله عز وجل، فيخرجون عنها إلى معصيته وخلاف أمره.
* * *
القول في تأويل قوله تعالى : { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ }
يعني بقوله:(وإذ استسقى موسى لقومه) ، وإذ استسقانا موسى لقومه، أي سألنا أن نسقي قومه ماء . فترك ذكر المسئول ذلك ، والمعنى الذي سأل موسى، (١) إذْ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك.
وكذلك قوله:(فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)، مما استغني بدلالة الظاهر على المتروك منه . وذلك أن معنى الكلام: فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فضربه، فانفجرت . فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر ، إذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه .
وكذلك قوله:(قد علم كل أناس مشربهم)، إنما معناه: قد علم كل أناس منهم مشربهم . فترك ذكر"منهم" لدلالة الكلام عليه .
* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن"أناس" جمع لا واحد له من لفظه، (٢) وأن"الإنسان" لو جمع على لفظه لقيل: أناسيّ وأناسية. (٣)

* * *

(١) قوله" والمعنى الذي سأل موسى" ، يعني"والشيء" وهو الماء

(٢) في المطبوعة : "ان الناس جمع لا واحد له" ، وقد مضى ذلك ، ولكنه هنا أراد"أناس" ، المذكور في الآية ، وهو أيضًا جمع لا واحد له من لفظه ، وإن قال بعضهم إنه جمع إنس

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٦٨ .

وقوم موسى هم بنو إسرائيل، الذين قص الله عز وجل قصصهم في هذه الآيات . وإنما استسقى لهم ربه الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه ، كما:-

١٠٤٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قوله:(وإذ استسقى موسى لقومه) الآية قال، كان هذا إذْ هم في البرية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ ، فأمروا بحجر طوري - أي من الطور - أن يضربه موسى بعصاه . فكانوا يحملونه معهم ، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط عين معلومة مستفيض ماؤها لهم .

١٠٤٤ - حدثني تميم بن المنتصرقال، حدثنا يزيد بن هارون قال، حدثنا أصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال: ذلك في التيه؛ ظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ ، وجُعل بين ظهرانيهم حجر مربع ، وأمر موسى فضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاث عيون ، لكل سبط عين ؛ ولا يرتحلون منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول . (١) .

١٠٤٥ - حدثني عبد الكريم قال، أخبرنا إبراهيم بن بشار قال، حدثنا سفيان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة عن ابن عباس قال: ذلك في التيه . ضرب لهم موسى الحجر ، فصار فيه اثنتا عشرة عينا من ماء ، لكل سبط منهم عين يشربون منها .

١٠٤٦ - وحدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد:(فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) لكل سبط منهم عين . كل ذلك كان في تيههم حين تاهوا .

١٠٤٧ - حدثنا القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج

(١) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر ، والجمع مناقل .

، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله:(وإذ استسقى موسى لقومه)، قال: خافوا الظمأ في تيههم حين تاهوا ، فانفجر لهم الحجر اثنتي عشرة عينا ، ضربه موسى . قال ابن جريج: قال ابن عباس:"الأسباط" بنو يعقوب، كانوا اثني عشر رجلا كل واحد منهم ولد سبطا، أمة من الناس . (١)

١٠٤٨ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: استسقى لهم موسى في التيه ، فسقوا في حجر مثل رأس الشاة، قال: يلقونه في جوانب الجوالق إذا ارتحلوا ، (٢) ويقرعه موسى بالعصا إذا نزل ، فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط منهم عين ، فكان بنو إسرائيل يشربون منه ، حتى إذا كان الرحيل استمسكت العيون ، وقيل به فألقى في جانب الجوالق (٣) . فإذا نزل رمى به ، فقرعه بالعصا ، فتفجرت عين من كل ناحية مثل البحر.

١٠٤٩ - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثني أسباط ، عن السدي قال: كان ذلك في التيه .

* * *

وأما قوله:(قد علم كل أناس مشربهم)، فإنما أخبر الله عنهم بذلك. لأن معناهم -في الذي أخرج الله جل وعز لهم من الحجر، الذي وصف جل ذكره في هذه الآية صفته- (٤) من الشرب كان مخالفا معاني سائر الخلق فيما أخرج الله لهم من المياه من الجبال والأرضين، التي لا مالك لها سوى الله عز وجل . وذلك

---

(١) في المطبوعة : "ولد سبطا وأمة من الناس" ، والصواب حذف واو العطف فإن قوله "أمة من الناس" تفسير قوله"سبطا" .

(٢) الجوالق : وعاء كبير منسوج من صوف أو شعر ، تحمل فيه الأطعمة ، وهو الذي نسميه في بلادنا"الشوال" محرفة من"الجوالق" .

(٣) "قيل به" مبني للمجهول من"قال به" . وقال بالشيء : رفعه أو حمله . والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان . يقولون : قال برجله : إذا بدأ يتقدم ومشى ، أو إذا أشار بها للركل . ويقولون : قال بالماء على يده أي قلبه وصبه . وما أشبه ذلك . وقد مضى مثل ذلك آنفًا ص ٥٤ تعليق : ٣ ، ص : ٦٤ تعليق : ٤ .

(٤) سياق الجملة "لأن معناهم . . من الشرب ، كالذي مخالفا معاني" ، وفصل كعادته فيما بينا مرارا . يعني لأن شربهم كان مخالفا شرب سائر الناس . .

أن الله كان جعل لكل سبط من الأسباط الاثني عشر، عينا من الحجر الذي وصف صفته في هذه الآية، يشرب منها دون سائر الأسباط غيره، لا يدخل سبط منهم في شرب سبط غيره. وكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثنتي عشرة، موضع من الحجر قد عرفه السبط الذي منه شربه. فلذلك خص جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم: أن كل أناس منهم كانوا عالمين بمشربهم دون غيرهم من الناس . إذ كان غيرهم -في الماء الذي لا يملكه أحد- شركاء في منابعه ومسايله. وكان كل سبط من هؤلاء مفردا بشرب منبع من منابع الحجر - دون سائر منابعه - خاص لهم دون سائر الأسباط غيرهم. فلذلك خصوا بالخبر عنهم: أن كل أناس منهم قد علموا مشربهم.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : { كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ }

وهذا أيضا مما استغني بذكر ما هو ظاهر منه، عن ذكره ما ترك ذكره . وذلك أن تأويل الكلام:(فقلنا اضرب بعصاك الحجر)، فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ،

قد علم كل أناس مشربهم ، فقيل لهم: كلوا واشربوا من رزق الله. أخبر الله جل ثناؤه أنه أمرهم بأكل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى ، وبشرب ما فجر لهم فيه من الماء من الحجر المتعاور، (١) الذي لا قرار له في الأرض ، ولا سبيل إليه [إلا] لمالكيه، (٢) يتدفق بعيون الماء، ويزخر بينابيع العذب الفرات، بقدرة ذي الجلال والإكرام .
ثم تقدم جل ذكره إليهم (٣) - مع إباحتهم ما أباح، وإنعامه بما أنعم به عليهم من العيش الهنيء - بالنهي عن السعي في الأرض فسادا ، والعَثَا فيها استكبارا ، فقال جل ثناؤه لهم:(ولا تعثوا في الأرض مفسدين).

---

(١) الحجر المتعاور : الحجر المتبادل ، ينقل من يد إلى يد . من تعاوروا الشيء : إذا تبادلوه ، ولا يتعاور شيء حتى يكون منقولا ، أما الثابت فلا يتعاوره الناس ولا يتبادلونه .
(٢) في المطبوعة : "لا سبيل إليه لمالكيه" ، وهو كلام بلا معنى . والصواب ما أثبتناه بزيادة"إلا" ويدل على صواب ذلك ما مضى منذ قليل في تفسير ما سبق من الآية .
(٣) تقدم إليه بكذا : إذا أمره .

تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٥٣)
{ ٦٠ } { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } .
استسقى، أي: طلب لهم ماء يشربون منه.
{ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ } إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس، { فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } وقبائل بني إسرائيل اثنتا عشرة قبيلة، { قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ } منهم { مَشْرَبَهُمْ } أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضا، بل يشربونه متهنئين لا متكدرين، ولهذا قال: { كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ } أي: الذي آتاكم من غير سعي ولا تعب، { وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ } أي: تخربوا على وجه الإفساد.

تفسير القرآن للعثيمين - (ج ٣ / ص ١٤٥)
)وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة:٦٠)
التفسير:
.{ ٦٠ } قوله تعالى: { وإذا استسقى موسى لقومه } أي: واذكر إذ استسقى موسى لقومه . أي طلب السقيا لهم؛ وهذا يعم كونهم في التيه، وغيره..
قوله تعالى: { فقلنا اضرب بعصاك الحجر }: "العصا" معروفة؛ و{ الحجر }: المراد به الجنس؛ فيشمل أيّ حجر يكون؛ وهذا أبلغ من القول بأنه حجر معين؛ وهذه "العصا" كان فيها أربع آيات عظيمة..

أولاً: أنه يلقيها، فتكون حية تسعى، ثم يأخذها، فتعود عصا..
ثانياً: أنه يضرب بها الحجر، فينفجر عيوناً..
ثالثاً: أنه ضرب بها البحر، فانفلق؛ فكان كل فرق كالطود العظيم..
رابعاً: أنه ألقاها حين اجتمع إليه السحرة، وألقوا حبالهم، وعصيهم، فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون..
قوله تعالى: { فانفجرت منه }؛ "الانفجار": الانفتاح، والانشقاق؛ ومنه سمي "الفجر"؛ لأنه ينشق به الأفق؛ فمعنى { انفجرت } أي تشققت منه هذه العيون..
قوله تعالى: { اثنتا عشرة عيناً }؛ { عيناً }: تمييز؛ وكانت العيون اثنتي عشرة؛ لأن بني إسرائيل كانوا اثنتي عشرة أسباطاً؛ لكل سبط واحدة..
قوله تعالى: { قد علم كل أناس } أي من الأسباط { مشربهم } أي مكان شربهم، وزمانه حتى لا يختلط بعضهم ببعض، ويضايق بعضهم بعضاً..
وهذه من نعمة الله على بني إسرائيل؛ وهي من نعمة الله على موسى؛ أما كونها نعمة على موسى فلأنها آية دالة على رسالته؛ وأما كونها نعمة على بني إسرائيل فلأنها مزيلة لعطشهم، ولظمئهم..
قوله تعالى: { كلوا واشربوا } الأمر هنا للإباحة فيما يظهر؛ { من رزق الله } أي من عطائه، حيث أخرج لكم من الثمار، ورزقكم من المياه..
قوله تعالى: { ولا تعثوا في الأرض مفسدين } أي لا تسيروا مفسدين؛ فنهاهم عن الإفساد في الأرض؛ فـ"العُثُو"، و"العِثِي" معناه الإسراع في الإفساد؛ والإفساد في الأرض يكون بالمعاصي، كما قال الله تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} [الروم: ٤١].
الفوائد:
.١ من فوائد الآية: مشروعية الاستسقاء عند الحاجة إلى الماء؛ لأن موسى استسقى لقومه؛ وشرع من قبلنا شرع لنا إن لم يرد شرعنا بخلافه؛ فكيف وقد أتى بوفاقه؟! فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي في خطبة الجمعة(١) ، ويستسقي في الصحراء على وجه معلوم(٢) ..
.٢ ومنها: أن السقيا كما تكون بالمطر النازل من السماء تكون في النابع من الأرض..
.٣ومنها: أن الله سبحانه وتعالى هو الملجأ للخلق؛ فهم إذا مسهم الضر يلجؤون إلى الله سبحانه وتعالى..
.٤ ومنها: أن الرسل . عليهم الصلاة والسلام . كغيرهم في الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى؛ فلا يقال: إن الرسل قادرون على كل شيء، وأنهم لا يصيبهم السوء..
.٥ومنها: رأفة موسى بقومه؛ لقوله تعالى: { وإذا استسقى موسى لقومه }..
.٦ ومنها: أن الله سبحانه وتعالى قادر جواد؛ ولهذا أجاب الله تعالى دعاء موسى؛ لأن العاجز لا يسقي؛ والبخيل لا يعطي..
.٧ ومنها: إثبات سمع الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: { فقلنا }؛ لأن الفاء هنا للسببية؛ يعني: فلما استسقى موسى قلنا؛ فدل على أن الله سمع استسقاء موسى، فأجابه..

٨. ومنها: كمال قدرة الله عزّ وجلّ، حيث إن موسى صلى الله عليه وسلم يضرب الحجر اليابس بالعصا، فيتفجر عيوناً؛ وهذا شيء لم تجر العادة بمثله؛ فهو دليل على قدرة الله عزّ وجلّ، وأنه ليس كما يزعم الطبائعيون بأنه طبيعة؛ إذ لو كانت الأمور بالطبيعة ما تغيرت، وبقيت على ما هي عليه..

٩. ومنها: الآية العظيمة في عصا موسى، حيث يضرب به الحجر، فيتفجر عيوناً مع أن الحجر صلب، ويابس؛ وقد وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم، حيث أُتي إليه بإناء فيه ماء، فوضع يده فيه، فصار يفور من بين أصابعه كالعيون(٣) ؛ ووجه كونه أعظم: أنه ليس من عادة الإناء أن يتفجر عيوناً بخلاف الحجارة؛ فقد قال الله تعالى: {وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار} [البقرة: ٧٤] ؛ ووجه آخر: أن الإناء منفصل عن الأرض لا صلة له بها بخلاف الحجارة..

١٠. ومنها: حكمة الله سبحانه وتعالى بجعل هذا الماء المتفجر اثنتي عشرة عيناً؛ لفائدتين:.

الفائدة الأولى: السعة على بني إسرائيل؛ لأنه لو كان عيناً واحدة لحصلت مشقة الزحام..

الفائدة الثانية: الابتعاد عن العداوة، والبغضاء بينهم؛ لأنهم كانوا اثنتي عشرة أسباطاً؛ فلو كانوا جُمعوا في مكان واحد مع الضيق، والحاجة إلى الماء لحصل بينهم نزاع شديد؛ وربما يؤدي إلى القتال؛ فهذا من رحمة الله . تبارك وتعالى . ببني إسرائيل، حيث فجره اثنتي عشرة عيناً، ولهذا أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه النعمة بقوله: { قد علم كل أناس مشربهم }: كل أناس من بني إسرائيل..

١١. من فوائد الآية: أن الله سبحانه وتعالى يذكّر بني إسرائيل بهذه النعم العظيمة لأجل أن يقوموا بالشكر؛ ولهذا قال تعالى: (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)

١٢. ومنها: أن ما خلق الله تعالى من المأكول، والمشروب للإنسان فالأصل فيه الإباحة، والحل؛ لأن الأمر للإباحة؛ فما أخرج الله تعالى لنا من الأرض، أو أنزل من السماء فالأصل فيه الحل؛ فمن نازع في حل شيء منه فعليه الدليل؛ فالعبادات الأصل فيها الحظر؛ وأما المعاملات، والانتفاعات بما خلق الله فالأصل فيها الحل، والإباحة..

١٣. ومنها: تحريم الإفساد في الأرض؛ لقوله تعالى: { ولا تعثوا في الأرض مفسدين }؛ والأصل في النهي التحريم..

جامع لطائف التفسير - (ج ١ / ص ٣٦٧)

قال ابن كثير (١)- رحمه الله - في تفسيره ما نصه: "قال ابن عباس رضي الله عنهما "وجعل بين ظهرانيهم حجراً مربعاً، وأمر موسى - عليه السلام - فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها، لا يرتحلون من منقلة - إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول - وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وهو حديث الفتون الطويل. اهـ

ونقل ابن كثير أقوال بعض المفسرين في وصف الحجر مع ما فيها من مبالغة دون أن يقرها أو ينكرها. حيث قال :

وقال عطية العوفي : وجعل لهم حجراً مثل رأس الثور يحمل على ثور، فإذا نزلوا وضعوه فضربه موسى - عليه السلام - بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً فإذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء، وقيل كان لبني إسرائيل حجر فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا، وقال قتادة : كان حجراً طورياً من الطور يحملونه معهم إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، وقال الزمخشري وقيل : كان من الرخام وكان ذراعاً في ذراع، وقيل مثل رأس الإنسان وقيل : كان من الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار، وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا، وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فقال له جبريل:ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته(٢). أهـ .

وقال ابن الجوزي(٣) : واختلفوا في صفة الحجر على ثلاثة أقوال

أحدها: أنه كان حجراً مربعاً، والثاني: كان مثل رأس الثور، والثالث: مثل رأس الشاة

.

---

(١) - تفسير ابن كثير حـ١ صـ١٣٠

(٢) - تفسير ابن كثير حـ صـ ١٣٠ بتصرف يسير

(٣) - زاد المسير حـ١ صـ٨٧ باختصار يسير

(٩٢/٥)

وقال الإمام الفخر - رحمه الله - بعد ذكر بعض هذه الأقوال في صفة الحجر: "واعلم أن السكوت عن أمثال هذه المباحث واجب، لأنه ليس فيها نص متواتر قاطع، ولا يتعلق بها عمل حتى يكتفي فيها بالظن المستفاد من أخبار الآحاد فالأولى تركها(١). اهـ

وقال الآلوسي (٢): بعد أن ذكر أكثر هذه الروايات في صفة الحجر(٣) :

"وظاهر أكثرها التعارض، ولا ينبئ على تعيين هذا الحجر أمر ديني والأسلم تفويض علمه إلى الله (٤). أهـ .

---

(١) - التفسير الكبير حـ٣ صـ٥٢٨

(٢) - روح المعاني حـ١ صـ٨٩

(٣) - وكأنه بذلك يميل إلى ما رجحه الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله .

(٤) - وقد ذكر هذه الروايات كثير من المفسرين دون إقرار أو إنكار ، وكأنهم يميلون إلى القول بصحتها - والله أعلم - مع أنها تفتقر إلى نقل صحيح ، وقد سكت القرآن عن بيانها . وممن ذكر هذه الأقوال .

الإمام الطبري حـ١ صـ ٣٠٨ ، والزمخشري حـ١ صـ ١٤٦ : ١٤٧ ، وابن الجوزي حـ١ صـ٨٧ ، وابن جزي في التسهيل حـ١ صـ٤٩ .

والبغوي حـ١ صـ٩٠ ، والخازن حـ١ صـ٥٣ ، وابن عطية حـ١ صـ١٥٢ ، وأبو السعود حـ١ صـ١٠٥ - ١٠٦ ، والقرطبي حـ١ صـ٢٩١ ، وابن كثير حـ١ صـ١٣٠ ، فهذه الأقوال يجب عدم التعويل عليها ، والأرجح أنها من الإسرائيليات المنكرة التي

شوهت كتب التفسير ، كذلك يجب التنبيه على ضعف ما ورد من مبالغة في قوله تعالى " ونزلنا عليكم المن والسلوى " فقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره حـ١ صـ ٢٩٧ أن بني إسرائيل وهم في التيه كان ينزل عليهم المن والسلوى ، ولا تبلى ثيابهم . انتهى كلامه - سبحان الله هذا أمر لم يتحقق إلا لأهل الجنة فقط يوم المزيد بل لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من قطف العنب الذي في الجنة عندما رآه وهو يصلي بالمسلمين ، والحديث معروف - رزقنا الله وإياكم الفوز بالجنة . أ هـ .
(٩٣/٥)

((فقلنا اضرب بعصاك الحجر))
قال البغوي (١) - رحمه الله - : قوله تعالى: [فقلنا اضرب بعصاك الحجر] وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً، واسمها عليق، حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب - عليه السلام- فأعطاها موسى - عليه السلام - قال مقاتل: اسم العصا: نبعة(٢). اهـ
قال القشيري(٣): إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادراً على إروائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه، وإيصال محل الاستغاثة إليه، وليكون على موسى - عليه السلام - أيضاً في نقل الحجر - مع نفسه شغل، ولتكليفه أن يضرب بالعصا مقاساة نوع من معالجة ما أمضى حكمه عند استسقائه لقومه(٤). اهـ
قوله تعالى: [كلوا واشربوا من رزق الله]
قال الفخر(٥): [كلوا واشربوا من رزق الله] فيه حذف والمعنى: فقلنا لهم، أو قال لهم موسى - عليه السلام - كلوا واشربوا، وإنما قال: [كلوا] لوجهين أحدهما: لما تقدم من ذكر المن والسلوى، فكأنه قال: كلوا من المن والسلوى الذي رزقكم الله بلا تعب ولا نصب، واشربوا من هذا الماء.
والثاني: أن الأغذية لا تكون إلا بالماء، فلما أعطاهم الماء فكأنه تعالى أعطاهم المأكول والمشروب. أ هـ .
سؤال: هل يجوز أن يأمره الله تعالى بأن يضرب بعصاه الحجر فينفجر من غير ضرب حتى يستغني عن تقدير هذا المحذوف ؟

(١) - معالم التنزيل حـ١ صـ٩٠
(٢) - كما سبق فإنه يجب عدم الالتفات إلى مثل هذه الأقوال ، ولكننا نذكرها لئلا يغتر بها لوجودها في كتب أكابر المفسرين - رحمهم الله جميعاً .
(٣) - لطائف الإشارات حـ١ صـ٩٠
(٤) - قال القرطبي : وقد كان تعالى قادراً على تفجير الماء وفلق الحجر من غير ضرب ، لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد ، وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد أ هـ القرطبي حـ١ صـ٢٩٠ .

(٥) - التفسير الكبير جـ٣ صـ ٥٣٠
(٩٤/٥)

الجواب: لا يمتنع في القدرة أن يأمره الله بأن يضرب بعصاه الحجر ومن قبل أن يضرب ينفجر على قدر الحاجة لأن ذلك لو قيل : إنه أبلغ في الإعجاز لكان أقرب، لكن الصحيح أنه ضرب فانفجرت لأنه تعالى لو أمر رسوله بشيء، ثم إن الرسول لا يفعله لصار الرسول عاصياً، ولأنه إذا انفجر من غير ضرب صار الأمر بالضرب بالعصا عبثاً، كأنه لا معنى له ولأن المروي في الأخبار أن تقديره: فضرب فانفجرت كما في قوله تعالى: [فانفلق](الشعراء:٦٣) من أن المراد فضرب فانفلق .

سؤال: إنه تعالى ذكر هاهنا: [فانفجرت] وفي الأعراف: [فانبجست] (الأعراف:١٦٠) وبينهما تناقض لأن الانفجار خروج الماء بكثرة والانبجاس خروجه قليلاً:

الجواب من ثلاثة أوجه: أحدها الفجر الشق في الأصل، والانفجار الانشقاق، ومنه الفاجر لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق، والانبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص، فلا يتناقضان، وثانيهما: لعله انبجس أولاً، ثم انفجر ثانياً، وكذا العيون: يظهر الماء منها قليلاً ثم يكثر لدوام خروجه. وثالثها: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر، أي يخرج الماء كثيراً ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس أي يخرج قليلاً.

سؤال: معجزة موسى في هذا المعنى أعظم أم معجزة محمد -عليه السلام-؟

الجواب: كل واحدة منهما معجزة باهرة قاهرة، لكن التي لمحمد - صلى الله عليه وسلم - أقوى لأن نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة، أما نبوعه من بين الأصابع فغير معتاد ألبتة، فكان ذلك أقوى .

سؤال: ما الحكمة في جعل الماء اثنتي عشرة عيناً ؟
(٩٥/٥)

الجواب: أنه كان في قوم موسى كثرة والكثير من الناس إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء ثم وجدوه فإنه يقع بينهم تشاجر وتنازع وربما أفضى ذلك إلى الفتن العظيمة فأكمل الله تعالى هذه النعمة بأن عين لكل سبط منهم ماء معيناً لا يختلط بغيره والعادة في الرهط الواحد أن لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين .

سؤال: من كم وجه يدل هذا الانفجار على الإعجاز ؟

الجواب: من وجوه: أحدها: أن نفس ظهور الماء معجز، وثانيها: خروج الماء العظيم من الحجر الصغير، وثالثها: خروج الماء بقدر حاجتهم. ورابعها: خروج الماء عند ضرب الحجر بالعصا، وخامسها: انقطاع الماء عند الاستغناء عنه، فهذه الوجوه الخمسة لا يمكن تحصيلها إلا بقدرة تامة نافذة في كل الممكنات وعلم نافذ في جميع المعلومات وحكمة عالية على الدهر والزمان، وما ذاك إلا للحق سبحانه وتعالى(١). أهـ .

١٣٤- لوحا الشريعة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن الله كتب لموسى فى الألواح من كل شيء. وهذا على ما فى القرآن. وعلى ما فى التوراة كتب لوحين اثنين ، وكتب عليهما الوصايا العشر فقط.

الرد على الشبهة:
١-إن الألواح الأولى قد كسرت. وحل محلها ألواح جديدة.
٢- والألواح الأولى كانت مكونة من:
أ لوحين للعهد للعمل بالتوراة.
ب ومن عدة ألواح مكتوب عليها كل أحكام التوراة.
ففى الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج وما بعده إلى الإصحاح الرابع والعشرين كل أحكام التوراة وبعدها " فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام ".
ثم صعد إلى جبل الطور فأعطاه الله:
أ- لوحى الحجارة.
ب- والشريعة والوصية.
ومن قبل نزوله من على الجبل ؛ عبدوا العجل من دون الله.
ولما سمع موسى بالخبر كسر لوحى العهد فى أسفل الجبل. ولكن كاتب سفر التثنية يقول: " إنه كسر لوحين كان عليهما كل أحكام الشريعة وعليهما مثل جميع الكلمات التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع " [تث ٩: ١٠] ولا يمكن للوحى العهد أن يحملا مع العهد كل أحكام الشريعة التى نزلت فى يوم الاجتماع ".
ولما كسر الألواح. أعطى الله له بدلهم ألواح جديدة [خر ٣٢: ٢٩] والمكتوب على الألواح الجديدة ؛ أحكام الشريعة الموجودة فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية. وفيها: " لا تطبخ جديًا بلبن أمه ".
والمناسب لأحكام الشريعة (الألواح) بالجمع. ومنها لوحى العهد.

١٣٥- هل طلبوا رؤية الله

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن بنى إسرائيل طلبوا رؤية الله. وفى التوراة أنهم قالوا لموسى: " تكلم أنت معنا ، ولا يتكلم معنا الله ؛ لئلا يموت " [خر ٢٠: ١٩] فعكس القرآن الموضوع.

الرد على الشبهة:
إن المؤلف جاهل بما فى كتابه. وإن فيه:
أ ـ أن اليهود رأوا الله.
ب ـ وأن موسى طلب رؤية الله.
جـ ـ وأنهم طلبوا أن لا يروا الله.

(أ) فموسى لما أخذ العهد على اليهود أن يعملوا بالتوراة ، بكّر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل.
وأخذ العهد. ثم قال الكاتب: " ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا " [خروج ٢٤: ٩ـ١١].
(ب) وطلب موسى رؤية الله " فقال: أرنى مجدك " ورد عليه بقوله: " لا تقدر أن ترى وجهى.لأن الإنسان لا يرانى ويعيش " [خر ٣٣: ١٨].
(ج) ولما تجلى الله للجبل ؛ حدث من هيبته حال التجلى نار ودخان وارتجف كل الجبل جداً. فارتعب بنو إسرائيل من هذا المنظر ، وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ؛ فليكن عن طريقك يا موسى ونحن لك نسمع ونطيع. فرد الله بقوله: أحسنوا فيما قالوا. وسوف أكلمهم فى مستقبل الزمان عن طريق نبى مماثل لك يا موسى من بين إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به [تث ١٨: ١٥ـ٢٢].

١٣٦ـ سليمان أو أبشالوم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن داود وسليمان ـ كما فى القرآن ـ حكما فى الحرث ، وإن سليمان راجع داود فى الحكم.
ثم ذكر كلام المفسرين فى هذه القضية. وعقب عليه بقوله: القضية تليق بأبشالوم بن داود ؛ لأنه كان دائماً يعارض أقوال أبيه ولا تليق بسليمان.

الرد على الشبهة:
إن فى التوراة أن سليمان كان حكيماً. أحكم من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته. واللائق بحكمته هو الحكم فى الحرث. ففى الإصحاح الرابع من سفر الملوك الأول: " وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق ، وكل حكمة مصر ، وكان أحكم من جميع الناس من إيثان الأرزاحى ، وهيمان وكلكول ودردع بنى ماحول ، وكان صيته فى جميع الأمم حواليه وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده ألفا وخمسا. وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان ، إلى الزوفا الثابت فى الحائط ، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته " [امل ٤: ٣٠ـ٣٤].

١٣٧ـ هاجر أو السيدة العذراء

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى سورة مريم: أن مريم لما حملت بالمسيح انتبذت بـه مكانـاً قصـيًّا. وعندئذ قد جعل الله لها تحتها (سريًّا) أى نهرا جارياً لتشرب منه. وهذا فى التوراة عن هاجر أم إسماعيل ؛ فإنها لما عطشت هيأ الله لها عين ماء. وقد وضعه القرآن على مريم.
الرد على الشبهة:
إنه فسر السرى بالنهر الجارى. وليس كذلك. فإن الملاك ناداها بعدم الحزن ؛ لأن الله قد جعل تحت كفالتها ورعايتها غلاماً سيكون سيّدا. فالسرى هو السيد وليس هو جدول الماء. وقد تحقق هذا الوعد ؛ فإن المسيح صار سيِّدًا. أى معلماً للشريعة. وقال للحواريين عن هذا المعنى: " أنتم تدعوننى معلماً وسيداً. وحَسَناً تقولون ؛ لأنـى أنـا كذلك " [يو ١٣: ١٣].

قلت :
الصـواب أنـه النهـر وعليـه معظـم المفسـرين ، ويحمـل علـى تعـدد الحادثـة وما فـي التوراة لا يعول عليه لأنا الماء نبع من بين أصابع إسماعيل عليه السلام
تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ١٧٥)
واختلف أهل التأويل فـي المعنـيّ بالسـريّ فـي هذا الموضـع، فقال بعضـهم: عنـي بـه: النهر الصغير.
* ذكر من قال ذلك:
حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن البـراء بـن عازب(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: الجدول.
حدثنا ابـن بشـار، قـال: ثنـا محمـد بـن جعفـر، قـال: ثنـا شـعبة، عـن أبـي إسـحاق، قـال: سمعت البراء يقول في هذه الآية(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: الجدول.
حدثني عليّ، قال : ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قولـه(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) وهو نـهر عيسى.
حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي، قال: ثني عمـي، قـال: ثنـي أبـي، عـن أبيـه، عـن ابن عبـاس، قولـه(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قـال: السـريّ: النهـر الـذي كـان تحـت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سَريا.
حدثني أبو حصين، قال: ثنا عَبثر، قـال: ثنـا حصـين، عـن عمـرو بـن ميمـون الأوْدِيّ، قال في هذه الآية(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: السريّ: نهر يُشرب منه.
حدثنا يعقوب وأبو كريب، قالا ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عمرو بن ميمـون، في قوله:(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: هو الجدول.
حدثنا محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسـى؛ وحدثني الحـارث، قـال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبـي نجيح، عن مجاهد(سَرِيًّا) قـال: نهـر بالسريانية.
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجـاج، عـن ابـن جـريج، عـن مجاهـد، مثلـه، قال ابن جريج: نهر إلى جنبها.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن الحسن، في قوله(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: كان سريا فقال حميد بن عبد الرحمن: إن السريّ: الجدول، فقال: غلبتنا عليك الأمراء.
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: هو الجدول، النهر الصغير، وهو بالنبطية: السريّ.
حدثني أبو حميد الحمصي، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا محمد بن مهاجر، عن ثابت بن عجلان قال: سألت سعيد بن جبير، عن السريّ، قال: نهر.
حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: النهر الصغير.
حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، أنه قال: هو النهر الصغير: يعني الجدول، يعني قوله(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا).
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك، قال: جدول صغير بالسريانية.
حدثنا عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله(تَحْتَكِ سَرِيًّا) الجدول الصغير من الأنهار.
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسريّ: هو الجدول، تسميه أهل الحجاز.
حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر ، في قوله(سَرِيًّا) قال: هو جدول.
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم وعن وهب بن منبه(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني ربيع الماء.
- حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسريّ: هو النهر.
وقال آخرون: عنى به عيسى.
* ذكر من قال ذلك:
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسريّ: عيسى نفسه.
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني نفسه، قال: وأيّ شيء أسرى منه، قال: والذين يقولون: السريّ: هو النهر ليس كذلك النهر، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها، ولا يكون النهر تحتها.
قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عنى به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد أتاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي) من هذا الرطب(وَاشْرَبِي) من هذا الماء(وَقَرِّي عَيْنًا) بولدك، والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير؛ ومنه قول لبيد:
فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا... مَسْجُورَةٌ مُتَجاوِرًا قُلامُها (١)

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، من معلقته المشهورة (انظره في شرح الزوزني على المعلقات السبع ، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر ، وفي جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤) . قال صاحب الجمهرة : توسطا ؛ : أي دخلا وسطه . وعرض السري : أي ناحية النهر ، وأهل الحجاز . يسمون النهر سريا . وصدعا : أي فرقا . ومسجورة : أي عينا مملوءة ؛ قال الله تعالى : (والبحر المسجور) وأقلامها ، ويروى قلامها ، وهو ضرب من الشجر الحمض ، والأقلام : قصب اليراع . وقال الزوزني يقول : فتو سط العير والأتان جانب النهر الصغير ، وشقا عينا مملوءة ماء ، قد تجاوز قلامها ، أي قد كثر هذا الضرب من النبت عليها . وتحرير المعنى : أنهما قد ورد عينا ممتلئة ماء ، فدخلا فيها من عرض نهرها ، وقد تجاوز نبتها . والشاهد في قوله " السري " وهو اسم للنهر الصغير .

تفسير الرازي - (ج ١٠ / ص ٢٩٤)

المسألة الثانية : اتفق المفسرون إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السري هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وروي أن الحسن رجع عنه وروي عن قتادة وغيره أن الحسن تلا هذه الآية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن الحميري : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } فقال : إن كان لسرياً وإن كان لكريماً ، فقال له حميد : يا أبا سعيد إنما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجالستك ، واحتج من حمله على النهر بوجهين : أحدهما : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال : هو الجدول . والثاني : أن قوله : { فَكُلِي واشربي } يدل على أنه نهر حتى ينضاف الماء إلى الرطب فتأكل وتشرب واحتج من حمله (على) عيسى بوجهين : الأول : أن النهر لا يكون تحتها بل إلى جانبها ولا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد منه أنه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله : { وهذه الأنهار تَجْرِى مِن تَحْتِي } [الزخرف : ٥١] لأن هذا حمل للفظ على مجازه ولو حملناه على عيسى عليه السلام لم يحتج إلى هذا المجاز . الثاني : أنه موافق لقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءايَةً وءاويناهما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } [المؤمنون : ٥٠] والجواب عنه ما تقدم أن المكان المستوي إذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان من تحت فرعان : الأول : إن حملنا السري على النهر ففيه وجهان : أحدهما : أن جبريل عليه السلام ضرب برجله فظهر ماء عذب . والثاني : أنه كان هناك ماء جار . والأول : أقرب لأن قوله : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } مشعر بالحدوث في ذلك الوقت ولأن الله تعالى ذكره تعظيماً لشأنها وذلك لا يثبت إلا على الوجه الذي قلناه . الثاني : اختلفوا في أن السري هو النهر مطلقاً وهو قول أبي عبيدة والفراء أو النهر الصغير على ما هو قول الأخفش .

أضواء البيان - (ج ٣ / ص ٤٥٦)

واختلف العلماء في المراد بالسري هنا . فقال بعض العلماء : هو الجدول وهو النهر الصغير . لأن اله اجرى لها تحتها نهراً . وعله فقوله تعالى : { فكلي } أي من

الرطب المذكور في قوله { تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً } [مريم : ٢٥] أي من النهر المذكور في قوله { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } وإطلاق السري على الجدول مشهور في كلام العرب . ومنه قول لبيد في معلقته :

فتوسطا عرض السري وصدعا ... مسجورة متجاوراً قلامها

وقول لبيد أيضاً يصف نخلاً نابتاً على ماء النهر :

سحق يمتعها الصفا وسريه ... عم نواعم بينهم كروم

وقول الآخر :

سهل الخليفة ماجد ذو نائل ... مثل السري تمده الأنهار

فقوله « سريه » . وقولهما « السري » بمعنى الجدول . وكذلك قول الراجز :

سلم ترى الدالي منه أزورا ... إذا يعب في السري هرهرا

وقال بعض أهل العلم : السري هو عيسى . والسري هوا لرجل الذي له شرف مروءة . يقال في فعله سرو بالضم . وسرا - بالفتح - يسرو سروا فيهما . وسري - بالكسر - يسري سري وسراء وسروا إذا شرف . ويجمع السري هذا على أسرياء على القياس ، وسرواء وسراة بالفتح . وعن سيبويه إن السراة - بالفتح - اسم جمع لا جمع . ومنه قول الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ويجمع السراة على سروات . ومنه قول قيس بن الحطين :

وعمرة من سروات النساء ... تنفح بالمسك أردانها

ومن إطلاق السري بمعنى الشريف قول الشاعر :

تلقى الشري من الرجال بنفسه ... وابن الشري إذا سرى أسراهما

وقوله « أسراهما » اي أشرفهما . قاله في اللسان .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : أظهر القولين عندي أن السري في الآية النهر الصغير ، والدليل على ذلك أمران :

أحدهما - القرينة من القرآن ، فقوله تعالى : { فَكُلِي واشربي } [مريم : ٢٦] قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به في قوله : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } ، وقوله : { تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً } [مريم : ٢٥] ، وكذلك قوله تعالى : { وَآوَيْنَاهُمَآ إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } [المؤمنون : ٥٠] لأن المعين : الماء الجاري . والظاهر أن الجدول المعبر عنه بالسري في هذه الآية . والله تعالى أعلم .

الأمر الثاني - حيديث جاء بذلك عن النَّبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : وقد جاء بذلك حديث مرفوع ، قال الطبراني : حدثنا أبو شعيب الحراني ، حدثنا يحيى بن عبد الله البابلي ، حدثنا أيوب بن نهيك ، سمعت عكرمة مولى ابن عابس ، سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن السري الذي قال الله لمريم : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } ، نهر أخرجه الله لها لتشرب منه » وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلى ، قال فيه أبو حاتم الرزاي : ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث . وقال أبو الفتح الأزدي : متروك الحديث - انتهى كلام ابن كثير . وقال ابن

حجر رحمه الله في « الكافي الشاف ، في تخريج أحاديث الكشاف » في الحديث المذكور : أخرجه الطبراني في الصغير ، وابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء عن النَّبي صلى الله عليه ويلم في قوله تعالى : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } قال : « السري النهر » قال الطبراني : لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان ، رواه عنه يحيى بن معاوية وهم ضعيف . وأخرجه عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً . وكذا ذكره البخاري تعليقاً عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق . ورواه ابن مردويه من طريق آدم ، عن إسرائيل كذلك وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحاق موقوفاً . وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن السري الذي قاله لمريم أخرجه الله لتشرب منه » . أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر ، ورواية عن عكرمة أيوب بن نهيك ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة - انتهى .

فهذا الحديث المرفوع إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف - اقرب إلى الصواب من دعوى أن السري عيسى بغير دليل يجب الرجوع إليه . وممن اختار أن السري المذكور في الآية النهر- : ابن جرير في تفسيره ، وبه قال البراء بن عازب ، وعلي بن ابي طلحة ، عن ابن عباس . وعمر بن ميمون ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاكن وإبراهيم النخعي ، وقتادةن ولاسدي ، ووهب بن منبه وغيرهم . وممن قال إنه عيسى : الحسن ، والربيع بن انس ، ومحمد بن عباد بن جعفر . وهو إحدى الروايتين عن قتادة . وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قاله ابن كثير وغيره .

الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٢٧٧٥)

ويبدو لنا أن ما ذهب إليه ابن جرير من كون الذى نادى مريم هو ابنها عيسى ، أقرب إلى الصواب ، لأن هذا النداء منه لها فى تلك الساعة ، فيه ما فيه من إدخال الطمأنينة والسكينة على قلبها .

أى : فناداها ابنها عيسى الذى كان أسفل منها عندما وضعته . مطمئناً إياها بعد أن قالت : يا ليتنى مت قبل هذا الذى حدث لى . . . ناداها بقوله : { أَلاَّ تَحْزَنِي } يا أماه { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } أى جدولاً صغيراً من الماء ، لتأخذى منه ما أنت فى حاجة إليه ، وسمى النهر الصغير من الماء سريا ، لأن الماء يسرى فيه .

وقيل : المراد بالسرى : عيسى - عليه السلام - مأخوذ من السَّرْو بمعنى الرفعة والشرف .

يقال : سَرُوَ الرجل يسرو - كشرف يشرف - فهو سَرِىّ ، إذا علا قدره وعظم أمره ومنه قول الشاعر :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إلا جهالهم سادوا

أى : قد جعل ربك تحتك يا مريم إنسانا رفيع القدر ، وهو ابنك عيسى ، والجلمة الكريمة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى بقوله : { أَلاَّ تَحْزَنِي } قال بعض العلماء ما ملخصه : " وأظهر القولين عندى أن السرى فى الآية النهر الصغير لأمرين :

أحدهما : القرينة من القرآن ، لأن قوله بعد ذلك { فَكُلِي واشربي } قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به فى قوله : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } .
الثانى : ما جاء عن ابن عمر من أنه سمع النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن السرى الذى قال الله لمريم : { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } نهر أخرجه الله لها لتشرب منه " .
فهذا الحديث - وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف - أقرب إلى الصواب من دعوى أن السرى عيسى بغير دليل يجب الرجوع إليه " .
----

١٣٨ ـ لم تنزل مائدة من السماء

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى سورة المائدة: أن الحواريين قد طلبوا مائدة من السماء. وأن الله قال (إنى منزلها عليكم (ولا يقول الإنجيل: إن تلاميذ المسيح طلبوا منه آية من السماء ، ولا يقول: إن مائدة نزلت من السماء.

الرد على الشبهة:
إن المعترض غير دارس للإنجيل وغير دارس للتوراة. وذلك لأن فى إنجيل يوحنا أن الحواريين طلبوا آية من السماء " فقالوا له: فأية آية تصنع ؛ لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المنّ فى البرية.
كما هو مكتوب: أنه " أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا " [يو ٦: ٣٠ـ٣١].
إنهم طلبوا مائدة من السماء ؛ لأنهم قالوا: " آباؤنا أكلوا المن فى البرية " بعد قولهم " فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ " واستدلوا على أكل آبائهم للمن بقولهم مكتوب فى التوراة أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا. وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المن والسلوى فى سيناء. والنص هو: " وأمطر عليهم منّا للأكل وبرّ السماء أعطاهم " [مزمور ٧٨: ٢٤].
فهل نزل المن من السماء ؟ وقد سماه داود ـ عليه السلام ـ مائدة فى قوله عنهم: " قالو: هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية ؟ " [مز ٧٨: ١٩] فمعنى نزوله من السماء: أنه من جهة الله لا من جهة إله آخر. ونص إنجيل يوحنا يبين أنهم طلبوا مائدة من السماء. ذلك قوله: " أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا " فإذا بارك الله فى طعام من الأرض ليشبع خلقاً كثيراً ؛ فإنه يكون مائدة من السماء. كالمن النازل من السماء. وهو لم ينزل من السماء وإنما كان على ورق الشجر ، وكالسلوى.
ومن أعجب العجب: أن مؤلف الإنجيل قال كلاماً عن المسيح فى شأن محمد رسول الله لا يختلف اثنان فى دلالته عليه صلى الله عليه وسلم. وقد استدل المسيح فيه عليه صلى الله عليه وسلم بنص فى الإصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء.
ويقول المعترض: ولعلّ قصة القرآن عن نزول مائدة من السماء نشأت عن عدم فهم بعض آيات الإنجيل الواردة فى متى ٢٦ ومرقس ٢٤ ولوقا ٢٢ ويوحنا ١٣.

وغرضه من قوله هذا أن لا يعرف المسلمون موضع المائدة من الأناجيل لأنها بصدد كلام من المسيح فى شأن محمد رسول الله ، وموضعها الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا.

١٣٩ـ قصة ذى الكفل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يقول المعترض: إنه جاء فى القرآن ذكر نبى اسمه (ذا الكفل) وليس فى التوراة مسمى بهذا الاسم. وذكر من كلام البيضاوى كلاماً فى شأنه ، وذكر أيضاً كلاماً لغيره.

الرد على الشبهة:

هو أنه جاء فى كتاب " نزهة المشتاق " ومؤلفه يهودى يحكى فيه تاريخ يهود العراق: أن (ذا الكفل) الذى ورد اسمه فى القرآن هو نبى الله حزقيال. وكان معاصراً لسبى اليهود فى بابل.

١٤٠ـ أصحاب الرس

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

جاء فى سورة الفرقان (وأصحاب الرس) ثم ذكر كلام البيضاوى المفسر ، ووجه الإشكال عليه.

الرد على الشبهة:

إن كلام المفسر ليس بحجة ، ويوجد فى أرض العرب مدينة تسمّى مدينة " الرس " وهذا يدل على ذكر اسم قديم فى بلاد العرب. ربما يكون من اسم الأوائل.

١٤١ـ حتى لقمان نبى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى القرآن (ولقد آتينا لقمان الحكمة..) (١). ونقل عن البيضاوى المفسر أنه كان معاصراً لداود ـ عليه السلام ـ وحرف المؤلف قول البيضاوى وهو أنه من أولاد آزر ابن أخت أيوب إلا أن لقمان كان معاصراً لأيوب. ووجه نقده على هذا بقوله كيف يكون معاصراً لأيوب وداود ، وبين أيوب وداود ما يقرب من ٩٠٠ سنة ؟ والبيضاوى لا يقصد معاصرته وإنما يقصد نسبه. ولم يقل البيضاوى إن لقمان كان نبيًّا ولم يقل القرآن وإنما قال (ولقد آتينا لقمان الحكمة (ولكن المؤلف وجه الإشكال على النبوة فقال: فكيف يكون لقمان نبيًّا ؟

الرد على الشبهة:

إنه قال كيف يكون لقمان نبياً ؟ وليس فى القرآن أنه كان نبيًّا وإنما كان حكيماً. واسمه " لوكيوس " فى اليونانى و " لقمان " فى العبرانية. وفى سفر أعمال الرسل: " وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين.. " [أع ١٣: ١] وفى سفر الرسالة إلى أهل روما: أنه

كان معاصراً لبولس ، وصديقا له: " يسلم عليكم تيموثاوس العامل معى ، ولوكيوس وياسون.. " [رو ١٦: ٢١].
واللغة اليونانية تضيف حرف السين فى آخر الاسم مثل يوسيفوس - هيرودس - أغسطس قيصر. بير كلينوس وهو اسم أحمد رسول الله فى إنجيل يوحنا. وفى العبرانية " يونان " بالألف والنون. وفى اليونانية " يونس ".
(١) لقمان: ١٢.
----

١٤٢ - الكعبة مقام إبراهيم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
إنه جاء فى القرآن أن الكعبة أول بيت وضع للناس. وأنها كانت مقام إبراهيم ، ومعلوم أن الكعبة من بناء الوثنيين كما جاء فى الكتب التاريخية.
الرد على الشبهة:
أولاً: إن الكعبة ليست من بناء الوثنيين كما جاء فى الكتب التاريخية التى لا يشك أحد فى أن لليهود دخل فيها. وإنما هى من بناء نوح - عليه السلام - فإنه لما خرج من السفينة ، ونجا من الغرق هو ومن آمن معه. بنى " مذبحاً " لذبح الحيوانات عنده قرباناً لله تعالى. ففى التوراة: " وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح " [تك ٨: ٢٠] وهذا المذبح كان فى أرض مكة المكرمة المدينة التى استقر الفلك فيها على الجُودِىّ.
والدليل على ذلك قول التوراة: إن الناس من بعد نوح ارتحلوا شرقاً إلى أرض شنعار التى هى أرض العراق.
فارتحالهم إلى الشرق إلى العراق يدل على أن السفينة كانت فى بلاد العرب. ذلك قوله: " وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة. وحدث فى ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار ، وسكنوا هناك " [تك ١١: ١-٢].
وليس فى القرآن نصوص صريحة على أن العرب قد عبدوا الأصنام حتى يقال: إن الكعبة كانت لصنم رُحل. وفى التوراة نصوص صريحة على أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم فى النار للعرافة والسحر وأنهم عبدوا الأصنام. بل وفى القرآن نصوص صريحة على أن اليهود عبدوا صنم البعل فى أيام إلياس - عليه السلام - ففى الزمور المائة والسادس: " وأهرقوا دماً زكيًّا. دم نبيهم وبناتهم الذين ذبحوا لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء " [مز ١٠٦: ٣٨]. وفى الإصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء: " أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى ، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة ، وملأوا للسعد الأصغر خمراً ممزوجة..
" [إش ٦٥: ١١].
فى ترجمة الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط سنة ١٩٩٥م تحت كلمة السعد الأكبر: لجاد وهو المشترى ، وتحت كلمة السعد الأصغر: لمَنَى وهو الزهرة.
وفى ترجمة ١٩٩٥م بلبنان: " ونسيتم جبلى المقدس. وهيأتم مائدة للإله جاد ، ومزجتم الخمر للإلهة مناة " والتعليق عندهم هكذا: جاد ومناة إلهان عند الكنعانيين.

هذا مما فى التوراة عن عبادة اليهود للأصنام ومما فيها: " بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل " [إرمياء ١١: ١٣].
ويمكن الفهم من آيات فى القرآن أن العرب بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ لم يعبدوا الأصنام قط. فإبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو يبنى الكعبة ولم يكن له من ولد غير إسماعيل ، يطلب من الله طلبين فى ذريته:
أولهما: أن يجنبهم عبادة الأصنام ، وثانيهما: أن يبعث فيهم نبيًّا منهم.
وإذ شهد الواقع بتحقيق الطلب الثانى فإن محمداً قد أرسل ؛ يكون الطلب الأول قد تحقق أيضاً.
وفى القرآن أن الله قد عاهد إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام ولم يذكر أنهم نقضوا العهد.
كما ذكر أن اليهود نقضوا فى قوله (فبما نقضهم ميثاقهم..) (١).
وأما قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة..) (٢) فإن فى التوراة أن اليهود عبدوا صنم مناة.
والضمير فى (أفرأيتم) يحتمل أنه للعرب ويحتمل أنه لليهود. واحتمال عوده إلى اليهود أقوى لوجود شواهد فى التوراة عليه. ولا يقدر عاقل على اتهام بدليل محتمل.
وأما قوله تعالى: (وإذا الموءودة سُئلت بأى ذنب قتلت) (٣) ففى التوراة أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم.
وليس فى القرآن من نص صريح على نسبة الوأد إلى العرب.
(١) النساء: ١٥٥ ، المائدة: ١٣.
(٢) النجم: ١٩ـ٢٠.
(٣) التكوير: ٨ـ٩.

----

١٤٣ ـ فرعون بنى برج بابل بمصر

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
إن فى القرآن أن فرعون طلب من هامان أن يبنى له برجاً. وهذا خطأ لأن البرج من بناء الناس فى " بابل " من بعد نوح.
الرد على الشبهة:
إن فرعون طلب من وزيره الملقب بهامان أن يوقد له على الطين ليجعل له صرحًا. ولم يرد فى القرآن أنه أوقد له على الطين وجعل له صرحًا. ولو أنه أوقد وجعل فما هو الدليل على أن صرح مصر هو برج بابل ؟ ومن المحتمل أنه أراد ببناء الصرح ؛ التهكم على موسى.

----

١٤٤ ـ شاول الملك أو جدعون القاضى

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
جاء فى سورة البقرة: (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً.. (إلخ (١).
وهذه القصة هى قصة طالوت وداود لما فتحا فلسطين.

ووجـه الإشـكال أنـه قـال فيهـا: إن الله امـتحن جـيش طـالوت بالشـرب مـن النهـر. والامتحان لم يكن لجيش طالوت وإنما كان لجيش جدعون وهو يحارب أهل مدين [قضاة ٧: ١ـ٨].

الرد على الشبهة:

إن سفر القضاة سفر تاريخى ، وسفر صموئيل الأول الذى أورد قصة طالوت وداود سفر تـاريخى. فـأى مـانع يمنـع من خطـأ المؤرخ فـى نقل جزء من قصـة إلـى قصـة أخرى مشابهة لها. خاصة وأنه ليس معصوماً كالنبيين والمرسلين الحقيقيين ؟ ولهذا أمثلة كثيرة منها أن هذا النص مذكور مرتين: مرة فى سفر الخروج ، ومرة فى سفر التثنية من التوراة السامرية. ومذكور مرة واحدة فى سفر التثنية من التوراة العبرانيـة واليونانيـة. وهـو: " نبيًّا أقمت لهـم مـن حملـة إخـوتهم مثلـك وجعلـت خطـابى بغيـه ؛ فيخاطبهم بكل ما أوصيه به.

ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى ؛ أنـا أطالبـه. والمتنبئ الذى يتقح على الخطاب باسمى ما لم أوصـه من الخطـاب ، ومن يخاطـب باسم آلهـة أخرى ؛ فليقتل ذلك المتنبئ. وإذ تقول فى سرك: كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله ؟ ما يقوله المتنبئ باسم اللهو لا يكون ذلك الأمر ولا يـأتى ؛ هو الأمـر الـذى لـم يقلـه الله. باتّقاح قاله المتنبئ. لا تخف منه ".

(١) البقرة: ٢٤٧.

١٤٥ـ يتكلم فى المهد

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه قد جاء فى القرآن أن المسيح قد تكلم فـى المهد. ولـيس فـى الأنـاجيل مـا يـدل علـى كلامه فى المهد.

الرد على الشبهة:

إن مـريم لـم تكـن مخطوبـة ولا متزوجـة. وقـد أحصـنت فرجهـا. أى منعـت نفسـها عـن الـزواج طيلـة حياتهـا وسلكت فـى سلك الرهبنـة. ثم إنهـا ابنـة كـاهن مـن نسـل هـارون ـ عليه السلام ـ وابنة الكاهن إذا زنت فإنها تحرق بالنـار. لمـا جـاء فـى سـفر الأخبـار: " وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنـا ؛ فقد دنست أباهـا ، بالنـار تحـرق " [لا ٢١: ٩]. ومـريم قد أتت بولـد وهـى غيـر متزوجـة. وهـذا هـو دليـل الاتهـام فلمـاذا لـم تحـرق ؟ إن عـدم حرقهـا يـدل علـى أن ابنهـا تكلـم فـى المهـد. ومـع ذلـك فقـد جـاء فـى بعـض الأنـاجيل المرفوضـة أنـه تكلـم فـى المهـد. ومـن ذلـك: " وبينمـا كـانوا نيامـاً ؛ حـذرهم الطفـل مـن الذهاب إلى هيرودس " [بر ٧: ١٠].

١٤٦ـ يصنع من الطين طيراً

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن القـرآن يصـرح بـأن المسيح خلـق مـن الطـين كهيئـة الطيـر ، ولـيس فـى الأنـاجيل المعتمدة هذه المعجزة.

الرد على الشبهة:

إن هذه المعجزة وردت فى إنجيل توما. فإنه قد صنع من الطين هيئة اثنى عشر عصفوراً ، وأمرهم أن يطيروا ؛ فطاروا والناس ينظرون إليهم.

١٤٧ـ إنكار الصَّلب

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن القرآن ينكر صلب المسيح. والتاريخ يثبته.

الرد على الشبهة:

إن العلّة المترتبة على صلب المسيح هى غفران خطايا من يؤمن به ربًّا مصلوباً والغفران لكل من كان فى المدة من آدم إلى المسيح إذا قدّر أنهم لو كانوا له مشاهدين ، لكانوا به مؤمنين. فهل هذه العلة صحيحة ؟ بالتأكيد ليست بصحيحة. وذلك لأن آدم لما أخطأ هدته الحكمة أن يعترف بخطئه وأن يتوب. فتاب الله عليه. وإذ هو قد تاب ، فأى فائدة من سريان خطيئة آدم فى بنيه ؟ ففى سفر الحكمة: " والحكمة هى التى حمت الإنسان الأول أب العالم الذى خلق وحده لما سقط فى الخطيئة ؛ رفعته من سقوطه ، ومنحته سلطة على كل شيء" [حك ١٠: ١ـ٢].

وفى التوراة: أن نجاة المرء من غضب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله. ومن لا يعمل بما أمر الله ؛ فإنه لا يكون له نجاة. ففى سفر الحكمة عن نوح ـ عليه السلام ـ وولده: " وعندما غاصت الأمم فى شرورها ؛ تعرفت الحكمة برجل صالح ، وحفظته من كل عيب فى نظر الله ، وجعلته قويًّا يفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته تُجاه ولده " [حكمة ١٠: ٥].

انظر إلى قوله " تجاه ولده " أى ولده الذى غرق لعدم إيمانه وعمله. وهذا النص من سفر الحكمة عن " ولده " ليس له نظير فى قصة نوح الموجودة فى التوراة العبرانية.

ويقول المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ: " كل كلمة فارغة يقولها الناس؛ يُحاسبون عليها يوم الدين. لأنك بكلامك تُبرّر، وبكلامك تُدان " [متى ١٢: ٣٦ـ٣٧].

وفى التوراة: " لا يُقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل " [تث ٢٤: ١٦].

وفى الأناجيل أن المسيح بعد حادثة القتل والصلب ؛ ظهر أربعين يوماً للحواريين ، وتكلم عن ملكوت الله معهم. وهو ملكوت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى بدء سفر أعمال الرسل: " الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعدما تألم ، وهو يظهر لهم أربعين يوماً ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله " [أع ١: ٣] وظهوره وكلامه عن الملكوت ؛ يدلان على استمراره فى الدعوة.

١٤٨ـ تحليل إنكار الله

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

جاء فى سورة النحل: أن الإكراه على الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان ؛ يجوز. وهذا لا يصح لأنه ليس من الأمانة أن يزور الإنسان فى عقيدته.

الرد على الشبهة:

إن الضرورات تبيح المحظورات. وهذا موجود بكثرة فى التوراة وفى الإنجيل ومن ذلك: ما جاء فى الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول أن رجلاً من رجال الله جاء إلى مدينة " بيت إيل " وتنبأ عليه. وقال له الملك ادخل إلى بيتى لأعطيك أجرة ؛ فأبى بحجة أنه أمر من الله أن يعود مسرعاً. وكان نبى شيخ ساكناً فى بيت إيل. فأتى إليه بنوه وقصّوا عليه قصة رجل الله. فقال لهم: دلونى على الطريق التى رجع منها. فلما لحقه قال له: ارجع معى لتتقوت. فأبى. فقال له النبى الشيخ: " أنا أيضاً نبى مثلك.

وقد كلمنى ملاك بكلام الرب قائلاً: ارجع به معك إلى بيتك. فيأكل خبزاً ويشرب ماء. كذب عليه. فرجع معه وأكل خبزاً وشرب ماء [١مل ١٣: ١٧-١٩].

فقد استعمل الحيلة فى إرجاعه و " كذب عليه " وفى الأناجيل والرسائل أن بولس كان ذا لسانين وذا وجهين.

فإنه لما ردوه للسياط ، كذب وقال: إننى رومانى الجنسية وقد ولدت حرًّا [أعمال ٢٢: ٢٨] وقال:

أنا رجل يهودى من سبط بنيامين [رومية ١١:١]. ولما مثل أمام رئيس الكهنة وضربه على فمه قال له بولس: " سيضربك الله أيها الحائط المبيض " ولما شتمه بهذا القول وفى التوراة أنه لا يجوز شتم رئيس الكهنة وَوَجَّه إليه اللوم على مخالفته للتوراة. قال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة ؛ لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءا [أع ٢٣: ١-٥] ، [خروج ٢٢: ٢٨].

وفى التوراة أن الإكراه على كسر حكم من أحكام الشريعة يسقط العقاب على كسر الحكم. فإن الفتاة العذراء المخطوبة لرجل ، إن وجدها فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها ؛ يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده " وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً. ليس على الفتاة خطية للموت ، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلاً. هكذا هذا الأمر ، إنه فى الحقل وجدها ؛ فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها " [تث ٢٢: ٢٦-٢٧].

وفى الإنجيل ينصح المسيح تلاميذه بالحذر من الناس فيقول: " ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب.

فكونوا حكماء كالحيات ، وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس " [متى ١٠: ١٦-١٧].

----

١٤٩ ـ تحليل الحنث فى القسَم

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إنه جاء فى سورة البقرة: (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) (١) وليس هذا من مقومات النبل والشرف ؛ فإن المسيح قد نهى عن الحلف مطلقاً.

الرد على الشبهة:

تنص التوراة على " لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً " [خر ٢٠: ٧]. وفى سفر اللاويين: " ولا تحلفوا باسمى للكذب " [لا ١٩: ١٢].

ومفسروالتوراة يقولون: " اختلف المفسرون فى معنى هذه الوصية فقال قوم: إنها تنهى عن القسم بالله على صحة ما هو كاذب ، وقيل: إنها تنهى عن التهاون والاستخفاف باسمه تعالى ، حتى تحظر على الإنسان أن ينطق باسمه بدون مراعاة الرهبة والاحترام ".

ونَهْىُ المسيح عن القسم ليس عن كل شىء. بل عن القسم على ما هو باطل ، يقول المفسرون: " وقد أبان المسيح فى موعظته على الجبل أن الشريعة منعت عن القسم على صحة ما هو باطل فقط ".

وفى القرآن أن القسم مشروط (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) (٢) وليس على الكذب. فيكون اللغو فى الآية مفسراً بغير الكذب.

كبناء مسجد. هل يبنى أو لا يبنى ؟ فإنه إذا حسم التردد بيمين ، ثم بدا له أن يرجع فى الحال؛ فله ذلك. أما إذا حسم التردد بيمين. وعزم عليه وعقده وأكده ؛ فليس له أن يرجع فيه. وإن رجع فيه يلزمه التكفير عنه. وعلى قوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا (لايكون الكذب داخلاً فى الموضوع على أى تفسير للغو.

(١) البقرة: ٢٢٥.

(٢) البقرة: ٢٢٤.

١٥٠ـ تحليل الإغراء بالمال

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن من مصارف الزكاة (والمؤلفة قلوبهم) وهذا إغراء بالمال للدخول فى الإسلام.

الرد على الشبهة:

إذا كان الإحسان إلى الناس إغراء لهم بالدخول فى الإسلام. فما بال النصارى ينشئون المستشفيات والمبرات الخيرية فى بلاد المسلمين وفى غير بلاد المسلمين لغرض التنصير والصد عن سبيل الله ؟ وفى الدين الإسلامى أخذ الجزية من اليهود والنصارى إذا أصروا على ما نشأوا عليه. ولو كان التأليف إغراء ؛ لما أخذ المسلمون منهم أموال الجزية. ذلك قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١).

وهل يسمى النصارى مكارم الأخلاق إغراء ؟ والمؤلفة قلوبهم هم الذين ألف الله بين قلوبهم لقوله: (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) (٢) وللتأليف أسبابه.

ومنها الإنفاق على طلاب العلم الذين يتولون هدايتهم إلى الله. وذلك بفتح دور للعلم فيها ليتعلم الطلاب لغات الأمم ، ثم ينتشرون لتعليمهم وإزالة شبه الشيطان عن دينهم ، ووضع القرآن بينهم ، وما شابه ذلك. وهذا يُنفق عليه من أموال الزكاة.

(١) التوبة: ٢٩.

(٢) الأنفال: ٦٣.

١٥١ـ تحليل القتل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن شريعة القتال من أجل إسلام الأمم. وهذا يُعدّ إكراهاً للناس على قبول الدين بالسيف.

الرد على الشبهة:

إن إبراهيم عليه السلام كان يدعو إلى الله ، ومن يستجيب له يكون مساوياً لجميع المؤمنين بالله. ومن لا يستجيب له ويصد عن سبيل الله ؛ كان يحاربه ، وإبراهيم هو أب اليهود والنصارى والمسلمين. ففى سفر التكوين: " بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلاً: لا تخف. أنا تُرس لك ، أجرك كثيرًا جدًا " [تك ١٥:١] أى حارب أعداء الله وأنا أحميك كما يحمى الترس الجندى من ضربات السيوف.

وفى سفر الزبور نبوءة صلى الله عليه وسلم ومن أوصافه فيها: " أما أنت يا رب فترس لى ، مجدى ورافع رأسى.. " [مز: ٣] ويقول النصارى إن نبوءة عن المسيح ، وهم يعلمون أن المسيح لم يحارب ولم يفتح بلاداً. وفى هذه النبوءة يصرخ النبى إلى الله أن ينصره ، وقد أجابه من جبل قدسه " بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه " وجبل قدسه فى مكة المكرمة.

وفى التوراة أنه لا يحل لليهود أن يملك عليهم وثنى. فلو فرضنا أن ملكاً وثنياً قصد ديارهم وملك عليهم ؛ تفرض أنهم مأمورون بقتاله ، ذلك قوله:

" لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبيًّا ليس هو أخاك " [تث ١٧:١٥] وفى التوراة: " إذا خرجت للحرب على عدوك ، ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك ؛ فلا تخف منهم ؛ لأن معك الرب إلهك" [تث ٢٠: ١] وهو معهم إذا كانوا يحاربون من أجل دينه ، ونبذ عبادة الأوثان. وذلك لأن داود ـ عليه السلام ـ وهو يحارب جالوت ؛ قال له: ´فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل ، وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلّص الرب ؛ لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا " [صموئيل الأول ١٧: ٤٦ـ٤٧].

وفى سفر المكابيين الثانى فى قصة الأم وأولادها السبعة أنها كانت تحرض أولادها على الشهادة فى سبيل الله. ومن كلامها: " لا أعلم كيف نشأتم فى أحشائى. فأنا لم أمنحكم الروح والحياة ، ولا أنا كونت أعضاء جسد كل واحد منكم ، بل الذى فعل ذلك هو خالق العالم. فهو الذى جبل الإنسان وأبدع كل شىء. وهو لذلك سيعيد إليكم برحمته الروح والحياة. لأنكم الآن تضحون بأنفسكم فى سبيل شريعته " [٢مك ٧: ٢٢ـ٢٣]. وفى إنجيل لوقا: أن المسيح أرسل تلاميذه إلى مدن بنى إسرائيل وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مالاً ولا يلبسوا أحذية. وأن يبشروا باقتراب ملكوت الله. فلما رجعوا " قال لهم: حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية. هل أعوزكم شىء ؟ فقالوا: لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس ؛ فليأخذه ، ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ، ويشتر سيفاً " [لو ٢٢: ٣٥ـ٣٦] فقد أمرهم بشراء السيوف للحرب. وما يزال النصارى إلى هذا اليوم يحاربون أعداءهم.

وفى إنجيل متى يقول المسيح: " سمعتم أنه قبل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول لـه الآخر أيضاً " [متى ٥: ٣٨-٣٩].

يريد أن يقول: إن التوراة مكتوب فيها العين بالعين والسن بالسن [خر ٢١: ٢٤] وأنا أقول لكم: " لا تقاوموا الشر " فى هذا الزمان الفاسد الذى ليس فيه قاضٍ عادل ولا ملك منصف. كما قال صاحب سفر الأمثال فى زمانه: " لا تقل كما فعل بى هكذا افعل به. أرد على الإنسان مثل عمله " [أم ٢٤: ٢٩] فهو وصاحب سفر الأمثال لم يخالفا شريعة موسى فى أوقات العدل. وهما ينصحان أنه إذا عم الظلم. فإنه يجب على المظلوم أن يفوض أمره إلى الله. وقد وافق هو النبى إشعياء ومؤلف سفر مراثى إرمياء على قولهما فى أيام الفساد واشتداد الظلم: " من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضاً " وهذا يدل على أنه فى إرشاداته ونصحه لم يأت بجديد ، مع قوله: " ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء " [متى ٥: ١٧].

ففى سفر إشعياء: " بذلت ظهرى للضاربين ، وخدى للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق " [إش ٥٠: ٦] وفى سفر المراثى: " يعطى خده لضاربه ، يشبع عارا " [مرا ٣: ٣٠].

١٥٢ـ تحليل النهب

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن الله حلل الغنائم ، وهذا أمر بقتل الناس ونهب أموالهم.

الرد على الشبهة:

إن تحليل الغنائم فى التوراة. ففى سفر التثنية: " وغنيمة المدن التى أخذنا.. الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا " [تث ٢: ٣٥-٣٦] ، وفى سفر التكوين فى صفات بنيامين: " فى الصباح يأكل غنيمة ، وعند المساء يقسم نهباً " [تك ٤٩: ٢٧] أى محارب.

ومن أوصاف محمد رسول الله فى التوراة أنه يقسم غنائم. ففى نبوءة العبد المتألم: " ومع العظماء يقسم غنيمة " [إش ٥٣: ١٢] ولكن النصارى يفسرونها على المسيح مع أنه لم يحارب أحداً. وفى المزمور الثامن والستين عن محمد صلى الله عليه وسلم: " الملازمة البيت تقسم الغنائم " [مز ٦٨: ١٢].

١٥٣ـ تحليل الحلف

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

إن فى القرآن أن صاحب القرآن يقسم بالفجر والليالى العشر. فلماذا يحلف ؟ وهل يحتاج صاحب القول الصادق إلى قسم يؤكد به كلامه ؟

الرد على الشبهة:

إن المعترض يعنى بصاحب القرآن محمداً صلى الله عليه وسلم ولا يعنى مُنَزِّلة وهو الله ـ عز وجل ـ والقسم من الله نفسه بمخلوقاته هو للدلالة على عظمها وأهميتها ومنافعها للناس. وفى التوراة: " الذى حلف الرب لهم أنه " [يشوع ٥: ٦] " حلف الرب بيمينه " [إشعياء ٦٢: ٨] وفى الإنجيل " ومن حلف بالهيكل فقد حلف به

وبالساكن فيه ، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه " [متى ٢٣: ٢١-٢٢] وفى الزبور: " أقسم الرب ولن يندم "[مز ١١٠: ٤] وفى سفر التكوين: " بذاتى أقسمت ، يقول الرب " [تك ٢٢: ١٦] وفى سفر أعمال الرسل أن كاهناً وأولاده كانوا يقسمون باسم يسوع المسيح " قائلين نقسم عليك بيسوع " [أع ١٩: ١٣].

----

١٥٤ - تحليل الانتقام

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

يقول المؤلف: إن القرآن يحلل الانتقام بقوله: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (١).

الرد على الشبهة:

قد بينا فى إجابة السؤال الرابع من الجزء الثالث معنى قول المسيح " لطمك على خدك الأيمن فَحَوِّل له الآخر أيضاً ".

ونبين هنا: أن رد الاعتداء ليس فرضاً على المسلمين. فالفرض هو إما رد الاعتداء ، وإما الصفح عن الجانى. ورد الاعتداء فرض فى التوراة والصفح عن الجانى فى العدل مرفوض فى التوراة. ففى التوراة:

" وإن حصلت أذية ؛ تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسِنًّا بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكيًّا بكى وجرحاً بجرح ورضاً برضى " [خر ٢١: ٢٣-٢٥].

وليس عندهم دفع الدية فى مقابل العفو عن القاتل. أما فى القرآن الكريم ففيه (فمن عُفى له من أخيه شىء ؛ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) (٢) أى تخفيف من الحكم القديم الذى كان فى التوراة وهو عدم قبول الدية.

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) البقرة: ١٧٨.

----

١٥٥ - تحليل الشهوات

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

١ - إن القرآن أباح للمسلمين أكثر من زوجة.

٢ - إن الله فى الجنة سيرزق المؤمنين بنساء من الحور العين. وليست الجنة مكاناً للشهوات الحسية ، ولا يبيح دين من عند الله تعدد الزوجات.

الرد على الشبهة:

إن هذه الشبهة مكونة من جزأين:

الجزء الأول: تعدد الزوجات ، والجزء الثانى: إباحة الشهوات الحسية فى الجنة.

والرد على الجزء الأول هو:

إن إبراهيم - عليه السلام - كان متزوجاً من سارة وهاجر وقطورة. وهو أب لليهود والنصارى والمسلمين.وأيضاً كانت له سرارى كثيرة لقوله: " وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حى " [تك ٢٥: ٦] وموسى كان متزوجاً من مديانية

وحبشية [عدد ١٢: ١] ويعقوب ـ عليه السلام ـ كان متزوجاً من حرتين وأمنين وهما ليئة وراحيل وزلفة وبلهة [تك ٢٩ وما بعده] وكان لداود نساء هن: أخينوعم اليزرعيلية ـ أبيجايل ـ معكة ـ حجيث ـ أبيطال ـ عجلة. الجميع ستة عدا بثشبع امرأة أوريا الحثى التى أنجب منها سليمان ـ عليه السلام ـ [صموئيل الثانى ٣: ١ـ٥] وكان لسليمان " سبع مائة من النساء السيدات ، وثلاث مائة من السرارى " [الملوك الأول ١١: ٣].

وفى الإنجيل أنه كان للمسيح أربع إخوة هم: يعقوب وموسِى ويهوذا وسمعان [مرقس ٦: ٣] واتفق النصارى على أن مريم أتت به بغير زرع بشر. وإذ هذا حاله. فهل هؤلاء الأربعة على الحقيقة إخوة أم على المجاز؟ اختلفوا. لأن متى قال عن يوسف النجار: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [مز ١: ٢٤] فيكون قد عرفها بعد ولادته. وإن منهم لفريقاً يقولون: " إنها ظلت عذراء إلى أن ماتت ، وإن الأربعة أولاد ليوسف عن زوجة سابقة له على مريم ". وعلى أية حال فإن غرضنا وهو إثبات تعدد الزوجات بإخوة المسيح الأربعة. وفى تفاسير الإنجيل أنه كان له أختان أيضاً هما أستير وثامار ؛ يكون ملزماً لهم بإثبات التعدد.

والرد على الجزء الثانى هو:

إن التوراة تصرح بالبعث الجسدى والروحى معاً. فيكون النعيم حسيًّا ، والعذاب حسيًّا. والإنجيل يصرح بالبعث الجسدى والروحى معاً. ولكن بُولُوس صرح بالبعث الروحى لغرض اللغو فى حقيقة ملكوت السماوات.

ولسنا ههنا بصدد مناقشته. وإنما نحن ههنا بصدد إثبات البعث الجسدى والروحى. ففى إنجيل مرمقس يقول المسيح: " وإن أعثرتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن يكون لك يدان وتمضى إلى جهنم. إلى النار التى لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ.. إلخ " [مر ٩: ٤٣ـ٤٤] وفى إنجيل متى " وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك ؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائه ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم " [متى ٥: ٣٠].

وفى سفر إشعياء عن المُسرّات فى الجنة: " لم تر عينا إنسان ولم تسمع أذناه ولم يدرك قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه " [إش ٦٤: ٤] واستدل به بولس فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس [٢: ٩] ، وفى سفر أيوب: " أعلم أن إلهى حى ، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وسأرى بعينى الله مخلّصى " [أى ١٩: ٢٥ـ٢٧] وفى ترجمة البروتستانت: " وبدون جسدى ".

وفى سفر إشعياء عن عذاب جهنم: " يجلس خدمى على مائدتى فى بيتى ، ويتلذذون بابتهاج مع حبور ومع صوت الأعواد والأراغن ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما ، أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجاً عنى حيث تموتون فى الشقاء ، وكل خادم لى يمتهنكم " [إش ٦٠: ١٣].

----

١٥٦ ـالحدود في الإسلام

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

إن الدارس للإسلام وأحكامه يدرك حقائق أساسية لتشريع الحدود فى الإسلام نحاول أن نشير إلى بعضها بإيجاز:

أولاً: الحدود فى الإسلام إنما هى زواجر تمنع الإنسان المذنب أن يعود إلى هذه الجريمة مرة أخرى.

وهى كذلك تزجر غيره عن التفكير فى مثل هذه الفعلة وتمنع من يفكر من أن يقارف الذنب ، وهى أيضًا نكال " مانع " من الجريمة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة.

ثانيًا: إن من المقرر لدى علماء الإسلام قاعدة " درء الحدود بالشبهات " أى جعل الظن والشك فى صالح المتهم.

ثالثًا: ليس المراد بالحدود التشفى والتشهى وإيقاع الناس فى الحرج وتعذيبهم بقطع أعضائهم أو قتلهم أو رجمهم.

إنما المراد هو أن تسود الفضيلة ، ومن هنا نجد الشرع الشريف ييسر فى هذه الحدود.

فإذا اشتدت الظروف فى حالات الجوع والخوف والحاجة تعطل الحدود ، كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى عام الرمادة.

ومن التيسير أيضًا أن الإسلام يأمر بالستر قبل الوصول إلى الحاكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلٍ يشهد على الزنا [لو سترته بثوبك كان خيرًا لك] (١).

رابعًا: الشريعة الإسلامية شريعة عامة لكل زمان ومكان ، والناس مختلفون فى ضبط نفوسهم ، فلابد من وجود عقاب رادع يضبط أصحاب النفوس الضعيفة من الوقوع فى الجرائم والحدود والردة عن الإسلام حتى يسلم المجتمع من الفساد ظاهرًا وباطنًا.

خامسًا: الحدود إنما هى جزء من النظام الإسلامى العام ، فلابد من فهم النظام ككل حتى تفهم الحدود ولا يمكن تطبيق الحدود إلا مع تطبيق النظام الإسلامى ككل وإلا لا ينسجم الأمر ولا تستقيم حكمة الله من تشريعه.

سادسًا: الحدود دعوة صريحة للتخلق بالأخلاق الحسنة التى هى من مقاصد الدين وهى أيضًا طريق إلى التوبة إلى الله ، فالمذنب إذا عوقب بعقاب الشارع الذى هو منسجم مع تكوينه وواقع وفق علم الله تعالى به وبنفسيته فإن هذا يخاطب قلبه ومشاعره بوجوب الرجوع إلى ربه.

ويكفى ارتداع المسلم عن الجريمة ودخوله فى رحمة ربه معرفته بأن ربه هو الذى شرع له هذا الحكم ، فإن هذا وحده من شأنه أن يجعله يتوب وينجذب إلى ربه ويصير مؤمنًا بالله جل جلاله خاصة إذا علم أن هذا الحد يكفر عنه هذا الذنب.

سابعًا: الإسلام دين ، والحدود والتعاذير إنما هى فى كل دين بل وفى كل نظام قانونى ومن أراد على ذلك مثال فالتوراة مثلاً تأمر بحرق الزانية والزانى إذا كانت ابنة كاهن.

ذلك قولهم " وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا فقد دنست أباها ، بالنار تحرق [اللاويين ٢١: ٩].

ومن النظم القانونية من يأمر بقتل الخارج على النظام إلى غير ذلك.

ثامنًا: الحدود عقوبات واعية تتناسب مع النفس البشرية والعقوبات البديلة خالية من هذه القيم.

(١) رواه أبو داود.

١٥٧ـحد السرقة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

إن النظام الإسلامى كلٌ متكامل ، فلا تفهم حكمة الجزئيات التشريعية فيه حق فهمها إلا أن ينظر فى طبيعة النظام وأصوله ومبادئه ، كذلك لا تصلح هذه الجزئيات فيه للتطبيق إلا أن يؤخذ النظام كاملاً ويعمل به جملة واحدة هذا بصفة عامة.

أما بالنسبة لحد السرقة:

فإن الإسلام يقرر حق كل فرد فى الحياة وحقه فى كل الوسائل لحفظ حياته ، ومن حق كل إنسان أن يحصل على هذه الوسائل:

أولاً عن طريق العمل مادام قادراً على العمل ، فإن لم يستطع أن يحصِّل أسباب الحياة فعلى المجتمع المسلم أن يوفر له ما يحفظ حياته أولاً من النفقة التى تفرض له شرعاً على القادرين فى أسرته.

ثانياً على القادرين من أهل محلته.

ثالثاً من بيت مال المسلمين من حقه المفروض له فى الزكاة فى نظام تكافلى للرعاية الاجتماعية والأمن الاجتماعى.

والإسلام كذلك يتشدد فى تحديد وسائل جمع المال فلا تقوم الملكية الفردية فيه إلا على حلال ، ومن ثم لا تثير الملكية الفردية فى المجتمع المسلم أحقاد الذين لا يملكون حيث يمكن لكل أحد أن يصبح غنيًّا بالوسائل المشروعة المتاحة والسوق التنافسية الشريفة. والإسلام يربى ضمائر الناس وأخلاقهم ، فيجعل تفكيرهم يتجه إلى العمل والكسب لا إلى السرقة ، وبذلك يحفظ مصالح الفرد والمجتمع معاً.

إذن فلماذا يسرق السارق فى ظل هذا النظام ؟ إنه لا يسرق إلا للطمع فى الثراء من غير طريق العمل ، والثراء لا يطلب من هذا الوجه الذى يروع الجماعة المسلمة فى دار الإسلام ، ويحرمها الطمأنينة التى من حقها أن تستمتع بها ، ويحرم أصحاب المال الحلال أن يطمئنوا على مالهم الحلال.

فإذا سرق إنسان بعد هذا فإنه لا يسرق وله عذر ، ولا ينبغى لأحد أن يرأف به متى ثبت عليه الجريمة وأحيل أمره إلى النظام.

ونفس الإنسان فطرت على حب المال ولعل هذا هو الذى يدفع معظم الناس إلى العمل والكد. والإسلام دائماً يقوّم دوافع النفس حتى تنضبط إما بالترغيب أو بالترهيب. من هنا حض الإسلام على الكسب الحلال ورغّب فيه ورهّب من السرقة بهذه العقوبة ، حتى يستقيم المجتمع بما فيه من بار وفاجر. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله ليدع بالسلطان ما لا يدع بالقرآن].

ولما كان قطع يد السارق يفضحه ويسمه بسمة السرقة ويطلع الناس على ما كان منه. فقد أقام الإسلام حراسة على من يتهم بالسرقة ، فلا تقطع يده مع وجود شبهة فى أنه

سرق كما لا تقطع يده فى الشىء المسروق إذا كان تافهاً لا يعتد به ، أو كان فى غير حرز بل إن السارق فى تلك الحالة يعزر بالضرب أو الحبس ، ولا تقطع يده.
ومن تلك الضوابط التى وضعتها الشريعة لإقامة حد القطع على السارق:
أولاً: أن يكون المسروق شيئاً ذا قيمة أى أن له اعتباراً اقتصاديًا فى حياة الناس. عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: [تقطع اليد ـ أى يد السارق ـ بربع دينار فصاعداً] (١).
ثانياً: أن يكون المسروق محروزاً ، أى محفوظاً فى حرز.
ثالثاً: أن ما أخذ للأكل بالفم من التمر فهذا لا قطع فيه ولا تعزير.
رابعاً: السرقة فى أوقات المجاعات لا قطع فيها ولذلك أبطل عمر ـ رضى الله عنه ـ القطع فى عام الرمادة حينما عمت المجاعة.
خامساً: العبد إذا سرق شىء ينظر هل سيده يطعمه أم لا ؟ فإن كان لا ، غرم سيده ضعف ثمن المسروق كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى غلمان ابن حاطب بن أبى بلتعة حينما سرقوا ناقة رجل من مزينة فقد أمر بقطعهم ولكن حين تبين له أن سيدهم يجيعهم درأ عنهم الحد وغرم سيدهم ضعف ثمن الناقة تأديباً له.
والقاعدة أن الحدود تُدْرَء بالشبهات.
وهكذا ينبغى أن تفهم حدود الإسلام فى ظل نظامه المتكامل الذى يتخذ أسباب الوقاية قبل أن يتخذ أسباب العقوبة.
فالحدود تمنع من وقوع الجريمة ولذلك نرى على مر التاريخ الإسلامى وعلى مساحة واسعة من بلاد المسلمين أن حد السرقة لم يطبق إلا فى أضيق الحدود وبعدد محدود جداً لا يتجاوز العشرات مع كل هذه الملايين من البشر حيث استقر فى وجدان المسلمين أن السرقة جريمة من الجرائم السيئة التى تهدد الأمن الاجتماعى والمجتمع فى ذاته بحيث تستحق مثل هذه العقوبة البدنية التى تشبه عقوبة الإعدام وعلى قدر عظم الذنب والجرم يكون عظم العقاب.
وبعض المعاصرين ينطلقون من نموذج معرفى آخر يقدم بدن الإنسان فى ذاته بغض النظر عن أفعاله وجرائمه. وقد خفى عليهم كل هدى سليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.
(١) رواه أبو داود.

١٥٨ـحد الزنا

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
إن جريمة الزنا لهى من أقذر الجرائم حتى أنكرها كل دين ، بل وأنكرها العقلاء والراشدون من الناس ، كما أنكرها أصحاب المدنية الغربية جهرًا وإن قبلوها سرًا وذلك لما فيها من عدوان على حقوق الأزواج ومن اختلاط للأنساب وحل لروابط الأسرة وقتل لما فى قلوب الآباء من عطف وحنان على الأبناء ، ورعاية وبذلٍ سخى لهم بما يبلغ حد التضحية بالراحة والنفس ، الأمر الذى لا يكون إلا إذا ملأت عاطفة

الأبوة قلوب الآباء وذلك لا يكون إلا إذا وقع فى قلوب الآباء وقوعًا محققًا أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم.
ثم لعلك لا تعجب لما تقرأ من الأخبار الواردة إلينا من أمريكا وأوروبا عن آباء قتلوا أولادهم بأيديهم وأتوا على الأسرة كلها فى لحظة واحدة دون أن ينبض فيهم شعور بالتردد قبل الجريمة أو الندم بعدها ، وذلك شفاء لما فى نفوسهم من شكوك فى صحة نسب هؤلاء الأبناء إليهم حتى لقد تحولت هذه الشكوك إلى عواطف من الجنون الذى أفقد هؤلاء الآباء كل شعور إنسانى نحو الأبناء المشكوك فى نسبهم ، وهيهات أن يخلو شعور أوروبى من الشك فى نسبة أبنائه إليه مع هذه الإباحية المطلقة للجمع بين النساء والرجال فى أى مكان وأى زمان.
فإن أراد الإسلام أن يحارب هذه الجريمة برصد هذه العقوبة الرادعة - الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن - كان ذلك عند أعداء الإسلام تهمة شنيعة يرمونه بها ويحاكمونه عليها ليخرجوه من حدود الإنسانية المتحضرة إلى عالم سكان الأدغال ورعاة الإبل والشياه فى الصحارى.
ويقولون: كيف يحكم الإسلام بإهدار آدمية الإنسان حتى يأمر بجلده على مرائى ومسمع من الناس ؟ ثم كيف تصل الوحشية فى قسوتها إلى أن يُلقى بالإنسان فى حفرة ثم تتناوله الأيدى رجماً بالحجارة إلى أن يموت.
هكذا يقولون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) (١).
ولا ننكر أن فى شريعة الإسلام حكم الجلد والرجم يقول الله تعالى: (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (٢).
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة] (٣).
والنظام الإسلامى كل متكامل لا تفهم جزئياته إلا فى نسق واحد.
فإن الإسلام قد حرّم النظر إلى " الأجنبيات " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه إيماناً يجد حلاوته فى قلبه] (٤). وكذلك أمر النساء ألا يظهرن الزينة إلا للأزواج أو الأقارب من الصلب الذين لا يُخشى منهم فتنة.قال الله تعالى: (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) (٥) ، وقال:
(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) (٦). وأمر أيضاً ألا يختلى رجل بامرأة لا تحل له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما].
وحرم أيضاً أن يمس الرجل امرأة لا تحل له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لئن تضرب بمخيط فى رأسك فتدمى به رأس خير لك من أن تمس امرأة لا تحل لك]. وقبل هذا كله فقد استطاع الإسلام أن يربى الضمير فى الرجل والمرأة على حد سواء على ضوء ما جاء فى قصة ماعزو الغامدية.
والإسلام كذلك حض الشباب على إخراج هذه الشهوة فى منفذها الشرعى بالزواج. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة

فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء] (٧) أى قاطع للشهوة.
وكذلك رخص للرجل أن يتزوج بامرأة واحدة أو اثنين أو ثلاثة أو أربع مادام يملك النفقة ويستطيع العدل.
وأمر أولياء الأمور أن لا يغالوا فى مهور بناتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير] (٨). وأمر الأغنياء أن يساعدوا الشباب فى نفقات الزواج. وقد قام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بتزويج الشباب والفتيات من بيت مال المسلمين.
هذا كله هو بعض ملامح الإسلام فى تيسير أمر إخراج هذه الشهوة بطريق مشروع ، والحقيقة أن مثل هذه الشنيعة لا تحصل فى المجتمع المسلم ـ الذى تسوده الفضيلة ـ إلا بعد تدبير عظيم من كلا الطرفين يدل على إجرام كلا الطرفين ولكن مع كل هذا فإن شريعة الإسلام قد وضعت شروط من الصعب جدًا توافرها قبل إيقاع العقوبة.
فإن لم تتوفر مجتمعة لا يقام الحد على صاحب هذه الفعلة جلداً كان أو رجماً وهذه هى الشروط:
١ ـ لابد حتى تثبت الجريمة من شهادة أربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا من الرجل والمرأة ما يكون بين الرجل وزوجته من اتصال مباشر ، الأمر الذى لا يكاد يراه أحدٌ من البشر.
وكأن الشريعة لا ترصد هذه العقوبة على هذه الفعلة بوصفها ولكنها ترصدها على شيوع هذه الفعلة على الملأ من الناس بحيث لا يبغى بين الناس من يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.
٢ ـ إن الشريعة الإسلامية تقرر درء الحدود بالشبهات بمعنى أن أى شك فى شهادة الشهود يفسر لصالح المتهم فيسقط بذلك الحد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ادرءوا الحدود بالشبهات] (٩).
٣ ـ فرضت الشريعة عقوبة الجلد ثمانين جلدة على من قذف محصنة ثم لم يأت بأربعة يشهدون بأنهم رأوا منها ومن المقذوف بها ما يكون بين الزوج وزوجته قال الله تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) (١٠).
٤ ـ رغبت الشريعة الإسلامية فى التستر على عورات المسلمين وإمساك الألسنة عن الجهر بالفواحش وإن كانت وقعت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لرجل جاء يشهد: هلا سترتهما بثوبك] يقول الله تعالى: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (١١).
أبعد هذا كله يتخرص متخرص ويقول: إن الإسلام يظلم الإنسان ويهدر أدميته حين يأخذ أولئك الذين يأتون الفاحشة على أعين بما يأخذهم به من جلد بالسياط. وفضح بين الملأ من الناس.
أفلا يسأل هؤلاء المتخرصون أنفسهم ماذا يبقى للإنسان من آدميته وكرامته إذا تركت هذه الفاحشة يعالى بها بعض الآدميين من غير استحياء ثم لا يضرب على

أيديهم أحد. إن إنساناً توفرت له كل هذه الميسرات وتجرأ على الترتيب لهذه الفعلة الشنيعة. ثم افتضح حاله حين يراه هذا العدد فى هذا الوضع.
إن إنساناً فى مثل هذا الحال لهو إنسان مفسد ضال مضل ولو لم يتم بتره أو تربيته فإن هذا يشكل خطراً على المجتمع كله.
والمتحدثون عن حقوق الإنسان يقولون لا بأس من أن يحبس فترة من الزمن ثم يخرج لكى يمارس عمله ولا يعلمون أن مثل هذا الحبس سوف يمكنه من أن يخالط من هو أجرم منه ليتعلم منه ويعلمه ويخرجان إلى المجتمع بعد أن أصبحا إمامين فى الضلال ليضلا الناس عن طريق رب الناس وهذا هو المشاهد.
فضلاً عن الذى يترتب على الحد من تكفير لهذا الذنب.
وإن المتتبع لا يجد هذه العقوبة قد نفذت " حال تنفيذ العقوبات " إلا فى أعداد محدودة ولا ضرر فى هذا مادام قد وفر الأمن والاستقرار للمجتمع.
(١) الكهف: ٥.
(٢) النور: ٢.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الحاكم فى المستدرك.
(٥) الأحزاب: ٥٩.
(٦) النور: ٣١.
(٧) رواه البخارى.
(٨) رواه ابن ماجه.
(٩) رواه الترمذى.
(١٠) النور: ٤.
(١١) النور: ١٩.
----

١٥٩ ـ حد الردة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
إن الإسلام يقرر حرية اختيار الدين ، فالإسلام لا يكره أحداً على أن يعتنق أى دين يقول الله تعالى (لا إكراه فى الدين) (١).
غاية ما هنالك أن الإسلام لا يقبل الشرك بالله ولا يقبل عبادة غير الله وهذا من صلب حقيقة الإسلام باعتبار كونه دين من عند الله جل وعلا ، ومع ذلك يقبل النصارى واليهود ولا يقاتلهم على ما هم عليه ولكن يدعوهم إلى الإسلام. كما أن الإسلام لا يبيح الخروج لمن دخل فى دين الله لا يكلف أحداً أن يجهر بنصرة الإسلام ، ولكنه لا يقبل من أحدٍ أن يخذل الإسلام ، والذى يرتد عن الإسلام ويجهر بذلك فإنه يكون عدوًّا للإسلام والمسلمين ويعلن حرباً على الإسلام والمسلمين ولا عجب أن يفرض الإسلام قتل المرتد ، فإن كل نظام فى العالم حتى الذى لا ينتمى لأى دين تنص قوانينه أن الخارج عن النظام العام له عقوبة القتل لا غير فيما يسمونه بالخيانة العظمى.

وهذا الذى يرتد عن الإسلام فى معالنة وجهر بارتداده ، إنما يعلن بهذا حرباً على الإسلام ويرفع راية الضلال ويدعو إليها المنفلتين من غير أهل الإسلام وهو بهذا محارب للمسلمين يؤخذ بما يؤخذ به المحاربون لدين الله.

والمجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان. فالعقيدة أساس هويته ومحور حياته وروح وجوده ، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس أو يمس هذه الهوية. ومن هنا كانت الردة المعلنة كبرى الجرائم فى نظر الإسلام لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانه المعنوى ، وخطرعلى الضرورة الأولى من الضرورات الخمس " الدين والنفس والنسل والعقل والمال ".

والإسلام لا يقبل أن يكون الدين ألعوبة يُدخل فيه اليوم ويُخرج منه غداً على طريقة بعض اليهود الذين قالوا: (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) (٢).

والردة عن الإسلام ليست مجرد موقف عقلى ، بل هى أيضاً تغير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء.

فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التى كان عضواً فى جسدها وينقم بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها ويعبر عن ذلك الحديث النبوى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: [التارك لدينه المفارق للجماعة] (٣) ، وكلمة المفارق للجماعة وصف كاشف لا منشئ ، فكل مرتد عن دينه مفارق للجماعة.

ومهما يكن جرم المرتد فإن المسلمين لا يتبعون عورات أحدٍ ولا يتسورون على أحدٍ بيته ولا يحاسبون إلا من جاهر بلسانه أو قلمه أو فعله مما يكون كفراً بواحاً صريحاً لا مجال فيه لتأويل أو احتمال فأى شك فى ذلك يفسر لمصلحة المتهم بالردة.

إن التهاون فى عقوبة المرتد المعالن لردته يعرض المجتمع كله للخطر ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه. فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره ، وخصوصاً من الضعفاء والبسطاء من الناس ، وتتكون جماعة مناوئة للأمة تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها وبذلك تقع فى صراع وتمزق فكرى واجتماعى وسياسى ، وقد يتطور إلى صراع دموى بل حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس.

وجمهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتد قبل تنفيذ العقوبة فيه بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية هو إجماع الصحابة ـ رضى الله عنه ـ وبعض الفقهاء حددها بثلاثة أيام وبعضهم بأقل وبعضهم بأكثر ومنهم من قال يُستتاب أبداً ، واستثنوا من ذلك الزنديق ؛ لأنه يظهر خلاف ما يبطن فلا توبة له وكذلك سابّ الرسول صلى الله عليه وسلم لحرمة رسول الله وكرامته فلا تقبل منه توبة وألّف ابن تيمية كتاباً فى ذلك أسماه " الصارم المسلول على شاتم الرسول ".

والمقصود بهذه الاستتابة إعطاؤه فرصة ليراجع نفسه عسى أن تزول عنه الشبهة وتقوم عليه الحُجة ويكلف العلماء بالرد على ما فى نفسه من شبهة حتى تقوم عليه الحُجة إن كان يطلب الحقيقة بإخلاص وإن كان له هوى أو يعمل لحساب آخرين ، يوليه الله ما تولى.

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) آل عمران: ٧٢.
(٣) رواه مسلم.

حدُّ الردَّة
هو السِّياج المنيع والحصن الحصين لحماية هذا الدِّين والحفاظ على المسلمين
تمهيد
تعريف الردة
أدلة كفر المرتد
كيفية توبة المرتد ردة مجردة
أدلة قتل المرتد
لا فرق بين الرجل والمرأة في إقامة حد الردة
أنواع الردة
أقوال أهل العلم في ذلك
نماذج للفرق المعاصرة المرتدة عن الإسلام
أسباب الوقوع في الردة
حكم من أباح الردة وأنكر حدها
تمهيد
الحمد لله الذي جعل الدِّين قواماً، ومحمد بن عبد الله للمتقين إماماً صلى الله عليه وآله وسلم، والحدود الشرعية حافظاً وسياجاً، والعلماء العاملين ردءاً لدين الله عز وجل، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل المبطلين، وشبه وتشكيك الشاكين، ودعاوى المارقين، فجزى الله الإسلام وجزاهم عنه خير الجزاء، وأمدَّهم بعونه وتوفيقه، وحفظهم وكلأهم بعين رعايته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا به.
لقد رفع المنافقون ـ نفاق الاعتقاد ـ في الآونة الأخيرة عقيرتهم، وأبانوا عن سوأتهم، وكشفوا عن قبيح معتقداتهم، وناصبوا الأمة الإسلامة بعداوتهم، وحاربوها بالتشكيك والطعن في الثوابت والمسلمات، بل بلغت بهم الجرأة والوقاحة أن أباحوا الردة وأنكروا حدها، وساووا بين دين الحق والأديان الباطلة، فازدادوا كفراً ونفاقاً إلى كفرهم ونفاقهم، لردهم لآي القرآن، وصحيح السنة، ودفعهم لما هو معلوم من الدين ضرورة، وذلك كله لسكوت العلماء، ولإحجام الحكام عن حماية شرع الله، فمن لم يردعه القرآن أخافه السلطان، فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن: "من أمن العقوبة أساء الأدب"، ورحم الله الإمام أبا بكر بن العربي المالكي عندما وصف كفر غلاة الشيعة بأنه "كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف، أما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه".١
فما الذي يردع هؤلاء؟ وهم يرون من سبقهم من الزنادقة أمثال سلمان رشدي، ونصر أبي زيد، والبغدادي، وغيرهم كثير لا كثر الله من أمثالهم، يسرحون ويمرحون ويُحمون، وينادي بعض المنهزمين من العلماء بعدم إقامة الحد على بعضهم بدعوى أنهم تابوا !!

ترى ما الذي منع بشر المريسي من إظهار بدعة الاعتزال وكان يعتقدها ويخفيها منذ عهد الرشيد؟ سوى خوفه من الرشيد، ولما أمن العقوبة في عهد المأمون أساء الأدب وأظهر ما كان يخفيه.

وبعد..

فهذا بحث عن تعريف الردة، وحدها، وأقسامها، وأدلة ذلك، والأسباب الداعية لها، وهل للمرتد من توبة؟ وعن أحكام المرتد، وعمن قتله ولاة أمر المسلمين من المرتدين قديماً وحديثاً، كتبت ذلك نصحاً للأمة، ومعذرة إلى ربي، ولعلهم يرجعون، ورداً على ما سطر ويسطر في الصحف هذه الأيام من المتطفلين الجرآء الجاهلين، وتهجمهم على الدين، وتشكيكهم في هذا الحد الذي جعله الله حماية للدين، وزجراً للزنادقة المارقين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإنه لو لم يقتل ذلك المرتد لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص، ويمنعهم من الخروج عنه).٢

إذ لا يحل تأخير البيان عن وقت الحاجة، وقد تأخر، مما حدى بهؤلاء الورَّاقين السفهاء أن ينادوا بإسقاط حد الردة، ويعتبروا إقامة حدها جريمة لا تغتفر: "كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً"، ونبشر هؤلاء أن حد الردة قائم ما قامت السموات والأرض، ولو اجتمع من في الأرض جميعاً لما استطاعوا أن يسقطوا حداً من حدود الله، دعك عن مجموعة الوراقين، ونذكرهم بأن دين الله منصور، وعليهم أن لا يغتروا بغلبة إخوانهم أهل الكفر والفجور، فالأيام دول، والحرب سجال، والله غالب على أمره، ونذكرهم كذلك بأن إقامة الحد عليهم في الدنيا أفضل لهم من إقامته عليهم يوم يقوم الأشهاد.

على المسؤولين أن يتقوا الله في دينه، ويعملوا على إيقاف هذه الحملات الكفرية التي يقودها الشيوعيون والمنافقون في الصحف، وفي بعض الجامعات؛ في الصحف الحائطية، وأركان النقاش، وليعلموا أن ذلك من أوجب واجباتهم، فليس هناك شيء أوجب على الحاكم من حماية الدين وردع الزنادقة المارقين بعد أن خرجوا من أجحارهم، ويمّموا نحو "الإمبريالية العالمية"، بعد سقوط روسيا الشيوعية، عجباً لهؤلاء الذين لم يرضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، واستعاضوا عن ذلك بالعبودية لغير الله، والعمالة لكل من يحادّ الله ورسوله والمؤمنين: "ومن يهن الله فما له من مكرم"٣، لا غرو في ذلك فقد أصبحت روسيا نفسها عميلة لأمريكا، فالعقوق سمة من سمات هؤلاء القوم، ومن قبل عقوا لدين آبائهم وأجدادهم.

والله أسأل أن يوفق ولاة الأمر من الحكام والعلماء للقيام بدورهم، وتحمل مسؤولياتهم، وأداء واجباتهم على الوجه الذي يرضيه، وأن ينتقم من الكفار والمنافقين، وأن يخالف بين قلوبهم، ويجعل كيدهم في نحورهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حامي حمى الدين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

تعريف الردة

الرِّدَّة هي الرجوع عن الإسلام كلياً أوجزئياً بإنكار ما هو معلوم من الدين ضرورة، بنفي ما أثبته الله ورسوله، أوإثبات ما نفاه الله ورسوله، وتكون بالفعل، والترك، والنطق، والاعتقاد، والشك، جاداً كان المرتد أم هازلاً.
وبلفظ آخر أن يرتكب الإنسان ناقضاً من نواقض الإسلام.
قال الكاساني الحنفي المتوفي ٥٨٧هـ في بدائع الصنائع٤: (أما ركن الردة فهو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان، إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان).
وقال الصاوي المالكي المتوفى ١٢٤١هـ في "الشرح الصغير"٥: (الردة كفر مسلم بصريح من القول، أوقول يقتضي الكفر، أوفعل يتضمن الكفر).
وقال الشربيني الشافعي المتوفى ٩٧٧هـ في "مغني المحتاج"٦: (الردة هي قطع الإسلام بنية أوفعل، سواء قاله استهزاءً أوعناداً أواعتقاداً).
وقال البهوتي الحنبلي المتوفى ١٠٥٠هـ في "كشَّاف القناع"٧: (المرتد شرعاً الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً، أواعتقاداً، أوشكاً، أوفعلاً).
أدلة كفر المرتد
كثيرة جداً، منها:

- قوله تعالى: "ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون".٨
- قوله تعالى: "ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم".٩
- وقوله: "إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء".١٠
- وقوله: "إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً".١١
- وقوله: "ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين".١٢
- وقوله: "من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين"١٣، فلم يستثن إلا المكره من الكفر.
- وقال عن كفر المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر: "ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون".١٤
- وقال مميزاً المنافقين على إخوانهم الكافرين لعظيم ضررهم على الإسلام والمسلمين: "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً".١٥
- وقوله تعالى: "كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق.. أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".١٦
- وقال عن كفر تاركي الصلاة: "ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك١٧ نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين١٨. وكنا نكذب بيوم الدين".١٩

• وقال عن المنافقين: "ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون".٢٠

حكم المرتد

(أ) في الدنيا

١. يُفرَّق بينه وبين زوجته، فإن تاب قبل انقضاء عدتها رجعت إليه، وإن انقضت عدتها قبل أن يتوب تبيَّن فسخ النكاح منذ ارتداده، سواء كانت ردته قبل الدخول بها أوبعد الدخول.

٢. يُمنع من التصرف في ماله، وينفق منه على عياله، وتقضى ديونه.

٣. لا يرث، ولا يورث، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يرث المسلمُ الكافرَ ولا الكافرُ المسلمَ"٢١، ويكون ما تركه فيئاً لبيت مال المسلمين، ومن أهل العلم من قال لورثته.

قال القرطبي عن ميراث المرتد: (قال علي بن أبي طالب، والحسن، والشعبي، والحَكَم، والليث، وأبوحنيفة، وإسحاق بن رَاهَوَيْه: ميراث المرتد لورثته من المسلمين، وقال مالك، وربيعة، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأبو ثور: ميراثه في بيت المال).٢٢

والراجح ما ذهب إليه مالك والشافعي ومن وافقهما أن ميراثه لبيت مال المسلمين، للحديث: "لا يرث المسلمُ الكافرَ.."، وينفق على عياله من بيت مال المسلمين.

٤. يُقتل المرتد من غير استتابة إن قُدِر عليه، إذا كانت ردته مغلظة، لأن الردة تنقسم إلى قسمين:

• مغلظة، وهي ما تكون مصحوبة بمحاربة الله، ورسوله، وأوليائه من العلماء العاملين، وعداوتهم، والمبالغة في الطعن في الدين، والتشكيك في الثوابت.

• ومجردة، وهي التي لم تصحب بمحاربة ولا عداوة ولا طعن وتشكيك في الدين، وكل الآثار التي وردت في استتابة المرتد متعلقة بالردة المجردة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن الردة على قسمين: ردة مجردة، وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها، وكلاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها، والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعمُّ القسمين، بل إنما تدل على القسم الأول ـ الردة المجردة ـ كما يظهر ذلك لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد، فيبقى القسم الثاني ـ الردة المغلظة ـ وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها، ولم يأت نص ولا إجماع على سقوط القتل عنه، والقياس متعذر مع وجود الفرق الجلي، فانقطع الإلحاق، والذي يحقق هذه الطريقة أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا إجماع أن كل من ارتد بأي قول أوبأي فعل كان فإنه يسقط عنه القتل إذا تاب بعد القدرة عليه، بل الكتاب والسنة والإجماع قد فرَّق بين أنواع المرتدين).٢٣

قال في "نيل المآرب في تهذيب عمدة الطالب"٢٤: (ولا تقبل في الدنيا توبة من سبَّ الله تعالى، أورسوله، سباً صريحاً، أوتنقصه، ولا توبة من تكررت ردته، بل يقتل بكل حال، لأن هذه الأشياء تدل على فساد عقيدته).

٥. يتولى قتله الإمامُ أومن ينوب عنه.

٦. لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

٧. يبطل عمله، نحو حجة الإسلام، وهذا مذهب مالك ومن وافقه، لقوله تعالى: "لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملك ولتكونن من الخاسرين"٢٥، وذهب الشافعي وأحمد إلى أن: (من ارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يحبط عمله ولا حجه الذي فرغ منه، بل إن مات على الردة فحينئذ تحبط أعماله، وقال مالك: تحبط بنفس الردة، ويظهر الخلاف في المسلم إذا حجَّ ثم ارتد ثم أسلم، فقال مالك: يلزمه الحج لأن الأول قد حبط بالردة).٢٦

(ب) في الآخرة

إن تاب وصدق في توبته قبلت منه إن شاء الله، وإن لم يتب ولو قتل في الدنيا فهو من أهل النار خالداً مخلداً فيها.

كيفية توبة المرتد ردة مجردة

١. أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

٢. أن يعلن رجوعه عما كان يعتقده، أويقوله، أويفعله بالتفصيل على العامة، قال تعالى: "إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا" الآية، بأن يقول: كنتُ أعتقدُ كذا وكذا، أوكنتُ أقولُ كذا وكذا، أوكنتُ أفعلُ كذا وكذا، وأنا راجع عن كل ذلك؛ ويُكتب ويُختم ويشهد على ذلك، وإلا لا تقبل توبته.

أدلة قتل المرتد

حد المرتد ثبت بالسنة القولية، والفعلية، والتقريرية، وبما صحَّ عن الخلفاء الراشدين وحكام المسلمين، وإليك الأدلة:

(أ) من السنة القولية، والفعلية، والتقريرية

١. خرَّج البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاءه رجل فقال: ابن أخطل متعلق بأستار الكعبة؛ فقال: اقتله".٢٧

وفي رواية للدارقطني كما قال الحافظ في الفتح٢٨: "من رأى منكم ابن أخطل فليقتله"، ومن رواية زيد بن الحباب عن مالك بهذا الإسناد: "وكان ابن أخطل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر".

وقال الحافظ ابن حجر: (وأخرج عمر بن شبة في "كتاب مكة" من حديث السائب بن يزيد قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخرج من تحت أستار الكعبة عبد الله بن أخطل فضربت عنقه صبراً بين زمزم ومقام إبراهيم، وقال: "لا يقتلن قرشي بعد هذا صبراً"، ورجاله ثقات، إلا أن في أبي معشر مقالاً، والله أعلم.

وقال٢٩: وروى الطبراني من حديث ابن عباس ..وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أمراءه أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سمَّاهم، وقد جمعت أسماءهم من مفرقات الأخبار، وهم: عبدالعزى بن أخطل، وعبد الله بن أبي السرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نُقَيد بنون وقاف مصغَّر، ومقيس بن صَبَابة بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة، وهبار بن الأسود، وقينتان كانتا لابن أخطل كانتا تغنيان بهجو النبي صلى الله عليه وسلم، وسارة مولاة بني عبد المطلب وهي التي وُجِدَ معها كتاب حاطب، فأما ابن أبي السرح فكان أسلم ثم ارتد فشفع فيه عثمان يوم الفتح إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وقبل إسلامه.. وأما مقيس بن صَبَابة فكان أسلم ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله، وكان الأنصاري قتل أخاه

هشاماً خطأ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد، فقتله نميلة بن عبد الله يوم الفتح).
وشاهدنا من هؤلاء في إهدار دم وقتل من أسلم ثم ارتد وهم: عبد الله بن أبي السرح، ومقيس بن صبابة، وسارة.
٢. ما صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قال: "من بدَّل دينه فاقتلوه".٣٠
٣. وما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث"، وذكر منهم: "التارك لدينه المفارق للجماعة".٣١
(ب) قتل الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين للمرتدين
قتل أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما ليهودي أسلم ثم تهوَّد
خرَّج البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي موسى عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ثم أتبعه بمعاذ، فلما قدم معاذ على أبي موسى ألقى له وسادة، قال: انزل، فإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم ثم تهود؛ قال: اجلس؛ قال: لا أجلس حتى يُقتل قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات؛ فأمر به فقتل".٣٢
إقناع أبي بكر لعمر وغيره بقتال المترتدين، وإجماع الصحابة على قتلهم بعدُ
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؛ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها؛ قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفتُ أنه الحق".٣٣
الذين قاتلهم الصديقُ ثلاث طوائف كما قال ابن حزم رحمه الله في الملل والنحل:
- طائفة أعلنت الكفر وارتدت، واتبعت المتنبئين مسيلمة، وطليحة، والأسود، وسجاح.
- وطائفة بقيت على إسلامها ولكن منعوا الزكاة.
- وطائفة تربصت حتى ترى لمن الغلبة.

فقُتل الأسود العنسي، ومسيلمة، وعاد طليحة إلى الإسلام وكذا سجاح، ورجع غالب من كان ارتد إلى الإسلام، ولم يحل الحول إلا والجميع قد راجعوا دين الإسلام ولله الحمد كما قال الحافظ ابن حجر٣٤، وذلك بفضل الله، ثم عزيمة وشجاعة أبي بكر وإقامة هذا الحد على المرتدين، الذي لولاه لضاع الدين ولتهدمت أركانه.
قتل عليّ وحرقه لجماعة من الرافضة ألَّهوه وعبدوه
خرَّج البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنتُ أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعذبوا بعذاب الله"، ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بدَّل دينه فاقتلوه".٣٥

خرج علي يوماً من المسجد بالكوفة بباب كندة فإذا جماعة من الرافضة المخذولين سجدوا له، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا له: أنت خالقنا ورازقنا؛ فقال لهم: سبحان الله إنما أنا بشر مثلكم إن شاء رحمني، وإن شاء عذبني؛ فاستتابهم عليٌّ ثلاثة أيام، وتهددهم إن لم يتوبوا بالإحراق بالنار، فلم يفد، فأمر بحفر الأخاديد وملأها بالحطب وأشعلها ناراً، ثم ألقاهم فيها، وقال مرتجزاً:

لما رأيتُ الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوتُ قنبرا٣٦

فهؤلاء الزنادقة لم يقاتلوا ولم يحاربوا علياً، بل عبدوه، ومع ذلك قتلهم ثم حرقهم بالنار بعد قتلهم تعزيراً، مما يدل على أنه لا فرق بين الردة الفكرية أوالمصحوبة بمحاربة في العقوبة، بل كانت عقوبة هؤلاء الزنادقة أشد، لاتخاذهم علياً رضي الله عنه إلهاً.

قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لشيخ نصراني أسلم ثم ارتد عن الإسلام

فقال له علي: لعلك إنما ارتددت لأن تصيب ميراثاً٣٧ ثم ترجع إلى الإسلام؟ قال: لا؛ قال: فلعلك خطبت امرأة فأبوا أن يزوجوكها، فأردت أن يزوجوكها ثم تعود إلى الإسلام؟ قال: لا؛ قال: فارجع إلى الإسلام؛ قال: لا، حتى ألقى المسيح؛ قال: فأمر به عليّ فضربت عنقه، ودفع ميراثه إلى ولده من المسلمين.٣٨

وعن أبي عمرو الشيباني أن المِسْوَر العجلي تنصَّر بعد إسلامه

فبعث به عتيبة بن أبي وقاص إلى علي فاستتابه، فلم يتب، فقتله، فسأله النصارى جيفته بثلاثين ألفاً، فأبى عليٌّ وأحرقه.٣٩

قتل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لستة نفر من بكر بن وائل كانوا قد ارتدوا عن الإسلام٤٠

أخذ ابن مسعود رضي الله عنه قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق

فكتب فيهم إلى عثمان رضي الله عنه، فردّ عليه عثمان: أن اعرض عليهم دين الحق، وشهادة أن لا إله إلا الله، فإن قبلوها فخلِّ عنهم، فإن لم يقبلوها فاقتلهم، فقبلها بعضهم فتركهم، ولم يقبلها بعضهم فقتلهم. ٤١

(ج) الإجماع

لهذا أجمعت الأمة من لدن الصحابة ومن بعدهم على قتل المرتد.

(د) قتل ولاة أمر المسلمين للزنادقة والمرتدين

قتل عبد الملك بن مروان رحمه الله لمعبد الجهني، لأنه أول من تكلم في القدر

قال ابن كثير: (وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة.. وقال الحسن البصري: إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل.. صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله)٤٢، جزاه الله خيراً.

قتل عبد الملك بن مروان للحارث الكذاب

وكانت له علاقة بالشياطين، فأضلته، فقتله عبد الملك بن مروان بدمشق.٤٣

قتل الأمير خالد بن عبد الله القسري للجعد بن درهم، لإنكاره لصفتين من صفات الله عز وجل

عن حبيب بن أبي حبيب قال: (خطبنا خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الأضحى فقال: أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم، فإني مضح بالجعد بن درهم،

إنه زعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقوله الجعد بن درهم علواً كبيراً؛ ثم نزل فذبحه، وكان ذلك في سنة ١٢٤هـ).٤٤

قتل أسلم بن أحوز للجهم بن صفوان لإنكاره لصفات الله عز وجل متوهماً تنزيهه بذلك

قال الذهبي رحمه الله: (إن أسلم بن أحوز قتل جهمَ بن صفوان لإنكاره أن الله كلم موسى)٤٥، وكان ذلك في سنة ١٢٨هـ .

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: (وكان الجعد يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل، فقال له وهب يوماً: ويلك يا جعد، أقصر المسألة عن ذلك، إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك، وأن له عيناً ما قلنا ذلك، وأن له سمعاً ما قلنا ذلك).٤٦

هذه السلسلة الشيطانية الخبيثة: الجهم بن صفوان، عن الجعد بن درهم، عن معبد الجهني، ثمرة خبيثة من ثمار علم الكلام والجدل.

وروى الدارمي عثمان بن سعيد في كتابه "الرد على الجهمية"٤٧

(أتى خالد بن عبد الله القسري برجل قد عارض القرآن، فقال: قال الله في كتابه: "إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر"، وقلت أنا: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، ولا تطع كل سافه وكافر؛ فضرب خالد عنقه، وصلبه، فمرَّ به خلف بن خليفة وهو مصلوب، فضرب بيده على خشبته فقال: إنا أعطيناك العمود، فصل لربك على عود، فأنا ضامن لك ألا تعود).

روى الذهبي بسنده إلى أبي بكر بن عياش

قال: "رأيتُ خالداً القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأصحابه، وكان يريهم ـ أي المغيرة ـ أنه يحيي الموتى، فقتل خالد واحداً منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه؛ فقال: والله ما أحيي الموتى؛ قال: لتحيينه أولأضربن عنقك؛ ثم أمر بطنٍّ من قصب فأضرموه، فقال: اعتنقه فأبى؛ فعدا رجل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر: فرأيتُ النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك؛ ثم قتله وقتل أصحابه.

قال الذهبي عن المغيرة هذا: (كان رافضياً، خبيثاً، كذاباً، ساحراً، ادعى النبوة، وفضَّل علياً على الأنبياء، وكان مجسماً، سقت أخباره في "ميزان الاعتدال"٤٨ ٤٩
)

ثم ذكر الذهبي قتل خالد للجعد بن درهم، ثم قال: (هذه من حسناته، هي وقتله مغيرة الكذاب).٥٠

قلتُ: كان خالد القسري شجاعاً كريماً، ولكنه كان رقيق الدين مبيراً كالحجاج بن يوسف، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر"، لأن فجوره لنفسه، وقتله لهذين المرتدين من حسناته التي نسأل الله أن يكفر بها سيئاته.

قتل هشام بن عبد الملك لغيلان القدري لإنكاره القدر، بعد أن تهدده عمر بن عبد العزيز بالقتل من قبل، ولكنه تظاهر بالتوبة.

تتبع الخليفة المهدي العباسي للمرتدين والزنادقة وقتله لهم

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله وهو يؤرخ لعام ست وسبعين ومائة: (وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه، وكان المتولي أمر الزنادقة عمر الكلواذي).٥١
وقال الذهبي في ترجمة المهدي: (كان جواداً، ممداحاً، معطاءً، محبباً إلى الرعية، قصاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم).٥٢
وقال ابن الجوزي في كتابه "المنتَظَم في تاريخ الملوك والأمم"٥٣ وهو يؤرخ لعام سبع وستين بعد المائة: (وفيها جدَّ المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم، فولى أمرهم عمر الكلواذيّ، فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور، فأقر فحبس فهرب من الحبس.
ثم روى بسنده قائلاً: اتهم المهدي صالحَ بن عبد القدوس البصري بالزندقة، فأمر بحمله إليه فأحضر.
إلى أن قال: قال ابن ثابت: وقيل إنه بلغه عنه أبيات يعرِّض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: ويقال إنه كان مشهوراً بالزندقة، وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات).
قتل الخليفة موسى الهادي العباسي لبعض الزنادقة والمرتدين
روى ابن الجوزي بسنده إلى المطلب بن عكاشة المزني قال: (قدمنا على أمير المؤمنين الهادي شهوداً على رجل منا شتم قريشاً وتخطى إلى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه فقهاء أهل زمانه، ومن كان بالحضرة على بابه، وأحضر الرجل وأحضرنا، فشهدنا عليه بما سمعنا منه، فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رفعه فقال: إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبي المنصور، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عباس قال: من أراد هوان قريش أهانه الله، وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيتَ إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، اضربوا عنقه؛ فما برحنا حتى قتل).٥٤
وقال ابن الجوزي وهو يؤرخ لسنة تسع وستين ومائة٥٥: (وفيها اشتدّ طلب موسى للزنادقة، فقتل منهم جماعة، فكان فيمن قتل كاتب يقطين وابنه علي بن يقطين، وكان علي قد حج فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال: ما أشبههم ببقر يدور في البيدر؛ فقال شاعر:

قل لأمين الله في خلقه	وارث الكعبة و المنبر
ماذا ترى في رجل كافر	يشبِّه الكعبة بالبيدر؟
ويجعل الناس إذا ما سعوا	حُمْراً يَدُوس البُرَّ والدَّوسر؟

فقتله موسى ثم صلبه.
إلى أن قال: وقتل من بني هاشم يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان المهدي أتى به وبابن لداود بن علي فحبسهما لما أقرّا بالزندقة، وقال ليعقوب: لولا محمد رسول الله من كنتَ! أما والله لولا أني كنت جعلتُ على الله عهداً إن ولاني أن لا أقتل هاشمياً لما ناظرتك؛ ثم التفت إلى الهادي، فقال: يا موسى، أقسمتُ عليك بحقي إن وليتَ هذا الأمر من بعدي أن لا تناظرهما ساعة واحدة، فمات ابن داود بن علي في الحبس قبل وفاة المهدي، فلما قدم

الهادي من جرجان ذكر وصية المهدي، فأرسل إلى يعقوب وألقى عليه فراشاً وأقعِدت عليه الرجال حتى مات، ولها عنه).
قتل أبي منصور الحلاج وصلبه لادعائه الألوهية، والقول بالحلول، وقوله: "أنا الحق"، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
قال القاضي عياض رحمه الله: (وقد أحرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ادعى الألوهية، وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبئ وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم، وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم.. والمخالف في ذلك في كفرهم كافر.
وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر (توفي ٣٢٠هـ) من المالكية - وغيرهم - وقاضي قضاتها أبو عمر٥٦ المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الألوهية، والقول بالحلول، وقوله: "أنا الحق"، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة، ولم يقبلوا توبته).٥٧
وقال الذهبي عن الحلاج: (فهو صوفي الزي والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة في أيام النبي منتسبون إلى صحبته وإلى ملته وهم في الباطن من مردة المنافقين، قد لايعرفهم النبي ولا علم بهم، قال تعالى: "ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم"، فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته). ٥٨
روى الحافظ ابن كثير عن الخطيب البغدادي بسنده عن أبي عمر بن حيوة قال: (لما أُخرج الحسين بن منصور الحلاج للقتل، مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم حتى رأيته فدنوت منه فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً؛ ثم قتل فما عاد، وذكر الخطيب أنه قال وهو يُضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: ادع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية؛ فقال له: قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل؛ ثم قطعت يداه ورجلاه، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خرسان، وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يَعِدُون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوماً، وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان٥٩، فقال: لعلك من هؤلاء النفر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما ألقي شبهي على رجل ففعل به ما رأيتم (!!)؛ وكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج؛ فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان، فقال: إن كان هذا الرائي صادقاً، فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به، كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.
إلى أن قال الخطيب: ونودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع، وكان قتله لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة ببغداد).٦٠
ابن أبي الفراقيد قتل بسبب ادعائه الألوهية سنة ٣٢٢هـ

قال القاضي عياض: (وكذلك حكموا ـ أي العلماء ـ في ابن أبي الفراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي بالله ـ العباسي المتوفي ٣٢٩هـ وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي).٦١
قال محقق الشفا: (هو محمد بن علي بن أبي الفراقيد، شاع أمره في بغداد، وادعى الألوهية، وأنه يحيي الموتى، فطلبه الراضي فهرب سنين، ثم عاد فهجم عليه ابن مقلة وأمسكه فأثبت كفره وكتب عليه القضاة، وأفتوا بقتله، وأحرقت جثته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة).٦٢
ابن أبي عون، وكان على طريقة الحلاج فقتل
قال محقق الشفا: (وتبعه ـ أي ابن أبي الفراقيد ـ على حاله ابن أبي عون صاحب "كتاب التنبيه" فقتل معه).٦٣
قتل الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله "لابن أخي عَجَب" لتعرضه بساقط القول وسخيفه للرب جل جلاله
قال القاضي عياض رحمه الله: (وأما من تكلم من سقط وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه، وأهمل لسانه، بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه، وجلالة مولاه.. أوتمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته، أونزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد، فإن تكرر هذا منه، وعرف به، دلّ على تلاعبه بدينه، واستخفافه بحرمة ربه، وجهله بعظيم عزته وكبريائه، هذا كفر لا مرية فيه، وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه.
وقد أفتى ابن حبيب٦٤ وأصْبَغ٦٥ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عَجَب٦٦، وكان خرج يوماً فأخذه المطر، فقال: "بدأ الخراز يرش جلوده"٦٧، وكان بعض الفقهاء بها.. أبو زيد صاحب الثمانية٦٨، وعبد الأعلى بن وهب، وأبان بن عيسى، وقد توقفوا عن سفك دمه، وأشاروا إلى أنه عبث بالقول، ويكفي فيه الأدب، وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد، فقال ابن حبيب: دمه في غيض.. أيشتم رباً عبدناه ثم لا ننتصر له؟! إنا إذاً لعبيد سوء، ما نحن له بعابدين؛ وبكى، ورُفِع المجلس إلى الأمير بها عبدالرحمن بن الحكم الأموي، وكانت عَجَب عمة هذا المطلوب من حظاياه، وأعلِم باختلاف الفقهاء٦٩، فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه، وأمر بقتله، فقتل وصلب بحضرة الفقيهين، وعزل القاضي بالمداهنة في هذه القضية، ووبخ بقية الفقهاء وسبهم).٧٠
جزى الله الأمير عبد الرحمن بن الحكم ومن قبل الإمامين ابن حبيب وأصبغ على غيرتهما على الدين، وحمايتهما لجناب رب العالمين، ولأخذهما بالعزيمة، وعدم التفاتهما للأقوال الضعيفة، والهفوات، والزلات التي ليس فيها نصر للإسلام، ولا للسفهاء اللئام من الأنام.
قتل ابن الهيثي لكفره واستهانته بآيات الله ٦٢٦هـ
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله وهو يؤرخ لسنة ٦٢٦هـ: (وفي يوم الثلاثاء حادي عشرين ربيع أول ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيثي بسوق الخيل على كفره واستهانته واستهتاره بآيات الله، وصحبته الزنادقة، كالنجم بن

خلكان، والشمس محمد الباجريقي، وابن المعمار البغدادي، وكل فيه انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الإسلام، والاستهانة بالنبوة والقرآن٧١، قال: وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة، قال: وكان هذا الرجل في أول امره قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، وكان منزلاً في المدارس والترب، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزاً للإسلام وذلاً للزنادقة وأهل البدع).٧٢

قتل الرئيس نميري للزنديق المرتد الصوفي الباطني محمود٧٣ محمد طه في ١٩٨٥م

لتركه للصلاة وادعائه الرسالة ثم الألوهية، وفتنته للعامة والدهماء، ونشره الضلال والكفر، وكان أتباعه يعتقدون أنه لن يموت، فقد مات شر مِيتة، وقتل شر قِتلة.

لا فرق بين الرجل والمرأة في إقامة حد الردة

يدعي البعضُ أن حد الردة لا يقام على المرأة، وتمسكوا ببعض النصوص التي وردت عن بعض السلف، وهي خاصة بالكافرة الأصلية، أما من دخلت في الإسلام ولو نفاقاً، ثم انسلخت منه قتلت، وإليك الأدلة:

١. أمره صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بقتل أربعة نفر وامرأتين، إحداهما مرتدة عن الإسلام وهي سارة مولاة بني عبد المطلب، ولو وُجِدوا متعلقين بأستار الكعبة.

٢. ما صح عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن أم ولد لرجل سبَّت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دمها هدر".

وفي رواية للدارقطني٧٤ عن ابن عباس: "أن رجلاً أعمى كانت له أم ولد له منها ابنان مثل اللؤلؤتين، فكانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فينهاها فلم تنته، ويزجرها فلم تنزجر، فلما كان ذات ليلة ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فما صبر سيدها أن قام إلى معول فوضعه في بطنها، ثم اتكأ عليها حتى أنفذه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أشهد أن دمها هدر"، وفي رواية قال لرسول الله: "وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فقتلتها".

٣. سبَّت امرأة النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقتلها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

٤ . وعن محمد بن المنكدر عن جابر قال: "ارتدت امرأة عن الإسلام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعرض عليها الإسلام، فإن قبلت وإلا قتلت؛ فعرضوا عليها الإسلام فأبت إلا أن تقتل فقتلت".٧٥

٥. وفي رواية عن جابر: "أن امرأة يقال لها أم مروان ارتدت عن الإسلام فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعرض عليها الإسلام فإن رجعت وإلا قتلت".٧٦

٦ . وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ارتدت امرأة يوم أحد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تستتاب فإن تابت وإلا قتلت".٧٧

٧. قتل أبي بكر الصديق رضي الله عنه لامرأة يقال لها أم قرفة في الردة.

أما ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لا يُقتل النساء إذا ارتددن"، فضعيف.
روى البيهقي بسنده إلى عبد الرحمن بن مهدي معلقاً على حديث ابن عباس هذا، قال: (سألتُ سفيان عن حديث عاصم٧٨ في المرتدة؟ فقال: أما عن ثقة فلا؛ ثم نقل عن الزهري في المرأة أن تكفر بعد إسلامها قال: تستتاب، فإن تابت وإلا قتلت، وعن إبراهيم النخعي مثل ذلك).
ومن العجيب أن القائلين بعدم قتل المرتدة هم منكرون لجميع الحدود، وداعون لتسوية المرأة بالرجل في الميراث وفي الحقوق السياسية ونحوها، مخالفين بذلك كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، مما يدل على جهلهم الفاضح وتناقضهم، وأنهم في الحقيقة متبعون لأهوائهم.
أنواع الردة
نواقض الإسلام لا تحصى كثرة، ولكن سنذكر أخطرها، وهي:
١. الشرك الأكبر، وهوأن يتخذ الإنسان مع الله نداً أوشريكاً يصرف إليه شيئاً من العبادة، كالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، واتخاذ الوسائط.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً).
٢. نفي ما أثبته الله ورسوله، أوإثبات ما نفاه الله ورسوله.
٣. من ادعى النبوة أوصدَّق من يدعيها، كالإخوان الجمهوريين.
٤. التحاكم لغير شرع الله أوالرضا به.
٥. السخرية والاستهزاء بالله ورسوله وآياته.
٦. من لم يكفِّر الكفار، كاليهود والنصارى والمشركين، أوشكَّ في كفرهم، أوصحَّح مذاهبهم.
٧. تعلم السحر والكهانة والاشتغال بذلك.
٨. استحلال ما حرَّم الله أوتحليل ما حرَّم الله.
٩. اعتقاد أن بعض المشايخ تُرفع عنهم التكاليف الشرعية.
١٠. تضليل وتكفير جل الصحابة أوالخلفاء الراشدين.
١١. اتهام عائشة بما برَّأها الله منه.
١٢. السجود لصنم.
١٣. الاستخفاف بالمصحف، أوالقرآن، أو بنبي من الأنبياء، أومَلَك من الملائكة، أوبأي أمر من الدين.
١٤. سبُّ الدين.
١٥. الدعوة إلى توحيد الأديان أوالتقارب بين دين الحق وغيره من الأديان المنسوخة.
١٦. اعتقاد أن أحداً من الثقلين يمكنه الاستغناء عن شرع محمد صلى الله عليه وسلم.
أقوال أهل العلم في ذلك٧٩
١. قال ابن عبد الحكم في المبسوط: "من تنبَّأ قُتل".

٢. وقال أبو حنيفة وأصحابه: "من جحد أن الله خالقه أوربه، أوقال: ليس لي رب، فهو مرتد"، كالشيوعيين ونحوهم.
٣. وقال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد، وقال ابن القاسم، وابن الماجشون، وابن عبد الحكم، وأصبغ، وسُحنون، فيمن شتم الأنبياء أوأحداً منهم أوتنقصه٨٠: قتل ولم يستتب، ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم.
٤. وفي النوادر عن مالك، فيمن قال: إن جبريل أخطأ٨١ بالوحي، وإنما كان النبي علي بن أبي طالب، استتيب فإن تاب وإلا قتل.
٥. وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر: "كأنه وجه مالك الغضبان"، لوعرف أنه قصد ذم المَلَك ـ خازن النار عليه السلام ـ قتل.
٦. وقال ابن القاسم: من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليماً قتل؛ وقاله عبد الرحمن بن مهدي.
٧. وقال محمد بن سُحنون فيمن قال: "المعوذتان ليستا من كتاب الله": يضرب عنقه إلا أن يتوب، وكذلك كل من كذَّب بحرف منه.
٨. وقال عبد الله بن مسعود: "من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله.
٩. روي عن مالك: من سبّ أبا بكر ـ بغير تضليل ولا تكفير ـ جُلد، ومن سبّ عائشة قتل؛ قيل له: لِمَ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن.
١٠. وقال الفوزان: ومن حكّم القوانين الوضعية بدل الشريعة الإسلامية، يرى أنها أصلح٨٢ من الشريعة الإسلامية، أواعتنق فكرة الشيوعية، أوالقومية العربية بديلاً عن الإسلام، فلا شك في ردته.
وأنواع الردة كثيرة، مثل من ادّعى علم الغيب، ومثل من لم يكفّر المشركين أويشك في كفرهم أويصحح ما هم عليه.٨٣
١١. وقال محمد بن عبد الوهاب، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره.
١٢. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من لعن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كمعاوية، وعمرو بن العاص، أومن هو أفضل من هؤلاء كأبي موسى، وأبي هريرة، أومن هو أفضل من هؤلاء كطلحة، والزبير، أوعثمان، أوعلي، أوأبي بكر، أوعمر، أوعائشة، أونحو هؤلاء من الصحابة فإنه يستحق العقوبة البليغة باتفاق المسلمين، وتنازعوا هل يعاقب بالقتل أوما دون ذلك؛ وقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسبوا أصحابي"، وعموم الصحبة يندرج فيها كل من رآه مؤمناً به).
نماذج للفرق المعاصرة المرتدة عن الإسلام٨٤
من أمثلة الفرق المرتدة عن الإسلام على سبيل التمثيل لا الحصر ما يأتي:
١. النصيرية
قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: (هم أكفر من كثير من المشركين، وفيهم من جنس دين البراهيمة، والوثنيين، والملحدين).
٢. الماسونية

قال مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي عنها: (يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام ومجانب لأهله).

٣. الشيوعية

قال عنها مجمع الفقه الإسلامي بالرابطة: (..من المُسَلَّم به يقيناً أن الشيوعية منافية للإسلام، وأن اعتناقها كفر بالدين الذي ارتضاه الله لعباده، وهي هدم للمثل الإنسانية، والقيم الأخلاقية، وانحلال للمجتعات البشرية، والشريعة الإسلامية المحمدية التي هي خاتمة الأديان السماوية.. كذا فإن المجلس يوصي الدول والشعوب الإسلامية أن تنتبه إلى وجوب مكافحة هذا الخطر الداهم بالوسائل المختلفة.

والحمد لله فالآن عام ١٤١٢هـ انتهى هذا المبدأ الخبيث في عقر داره، وتبرأ منه وحاربه أبناء وأحفاد الذين أسسوه، بعدما جرّ عليهم الفقر والخراب والدمار).

٤. البهائية والبابية

جاء في قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة عن البهائية والبابية: (أن البهائية دين جديد مخترع قام على أساس البابية التي هي أيضاً دين جديد مخترع.

يقرر المجمع الفقهي بالإجماع خروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام، واعتبارها حرباً عليه، وكفر أتباعها كفراً بواحاً سافراً لا تأويل فيه، وإن المجمع ليحذر المسلمين في جميع بقاع الأرض من هذه الفئة المجرمة الكافرة، ويهيب بهم أن يقاوموها، ويأخذوا حذرهم منها، لا سيما أنه قد ثبت مساندة الدول الاستعمارية لها لتمزيق الإسلام والمسلمين، والله الموفق).

٥. القاديانية ـ الأحمدية

جاء في قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة عن القاديانية ـ الأحمدية: (قرر المجلس بالإجماع اعتبار العقيدة القاديانية ـ المسماة أيضاً بالأحمدية ـ عقيدة خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً، وأن معتنقيها كفار مرتدون عن الإسلام، وإن تظاهر أهلها بالإسلام، وإنما هو للتضليل والخداع، ويعلن المجلس الفقهي أنه يجب على المسلمين حكومات وعلماء وكتاباً ومفكرين ودعاة وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم، وبالله التوفيق.

٦. الأخوان الجمهوريون

وهم أتباع الزنديق الصوفي الباطني السوداني المرتد المقتول محمود "مذموم" محمد طه، الذي ادعى الرسالة ثم الألوهية، وزعم أن الصلاة رفعت عنه، والذي حكم العلماء في السودان بكفره وردته، وقتل في عهد الرئيس نميري، جزاه الله خيراً على ذلك.

لقد رحل كثير من أتباعه إلى أمريكا وكندا، واحتضنهم الكفار، وقاموا بترجمة كفرياته في أمريكا وكندا مكافأة له على تحريفه لدين الله وتضليله لفئة من أبناء المسلمين، وانتحل بعض اتباعه الشيوعية ووجدوا فرصة في الإعلام السوداني، وما فتئ الجميع يعمل على تحريف الدين والتدليس والتضليل والخداع على السذج من الناس.

ã

أسباب الوقوع في الردة

أسباب الوقوع في الردة كثيرة، ولكن أهمها ما يأتي:
١. الجهل بدين الإسلام، فمن جهل شيئاً عاداه، يكاد أن يكون هذا السبب الرئيس لارتداد المرتدين ورجوعهم عن الإسلام، ومن يطلع على مقالاتهم وأقوالهم يتضح له جهل هؤلاء بالإسلام جهلاً فاضحاً، إذ لا يعرفون عن القرآن إلا رسمه، ولا عن الإسلام إلا اسمه، والشبهات التي أثارها أعداء الدين من المستشرقين وتلاميذهم من المنتسبين إلى الإسلام.
٢. ردود الأفعال: الدافع لكثير من المرتدين عن الإسلام هو عبارة عن ردة فعل للبيئات والظروف التي عاشوا وتربوا فيها، ولبعض الممارسات الخاطئة والتصرفات المشينة التي لامسوها، والتي لا يقرها الإسلام، نحو الممارسات الشركية والعقائد الخرافية، وكثير من مظاهر الشعوذة والدجل.
٣. تأثير الفكر الإرجائي عبر العقيدة الأشعرية والماتريدية التي تدرس في كثير من المعاهد والمدارس والجامعات الإسلامية، الذي تولد كردة فعل للغلو والخروج في بداية الأمر، من غير انتساب إلى هذه المذاهب.
إذ الإيمان عند بعض طوائف المرجئة عبارة عن النطق بالشهادتين، وعند بعضهم عبارة عن المعرفة، ولا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان، مما أعطى الفرصة لكثير من المنافقين المتظاهرين بالإسلام أن يعيثوا في الأرض الفساد، حيث جعلوا التلفظ بالشهادتين عبارة عن جواز سفر لترك الواجبات واقتراف المحرمات، إذ لا يكون الشخص مرتداً في شرع هؤلاء إلا إذا كان مكذباً جاحداً، أما الاستهزاء بالله، ودينه، ورسوله، والسجود إلى الصنم، والطواف بالقبور، والاستغاثة بالأموات، والتحاكم إلى الطواغيت، فليس من أسباب الردة، إذ الردة لا تقع بقول ولا عمل.
وثمة شيء آخر كان سبباً في ارتداد البعض عن الإسلام، وهو التوسع في التأويل غير المستساغ الذي تميزت به العقيدتان الأشعرية والماتريدية، حيث وجد المتفلتون عن الإسلام في ذلك بغيتهم، حيث قسموا المسلمين إلى مدرستين، مدرسة الحَرْفيين أو النصوصيين المتحجرين الذين لا يجاوزون النصوص الشرعية، ومدرسة المستنيرين ـ في زعمهم ـ الذين اكتفوا من الإسلام بروحه ومزاجه، ومعلوم في شرع الله أن التأويل منه ما هو محمود وهو الذي يقوم على الدليل، ومنه ما هو مذموم محرم وهو الذي يعتمد على الهوى.
٤. التحاكم إلى القوانين الوضعية، وتنحية القوانين والأحكام الشرعية مكّن كثيراً من المتظاهرين بالإسلام من إعلان ردتهم وزندقتهم والتبجح بها، وأمنهم من إقامة حد الردة عليهم، أوتعزيرهم وتأديبهم جعلهم لا يترددون فيما يريدون قوله أوفعله أواعتقاده، "فمن أمِنَ العقوبة أساء الأدب".
٥. التسيب الفكري، فقد اختلت المفاهيم وتغيرت الموازين، وضعف الوازع الديني.
٦. تقليد الكفار والتشبه بهم وبدينهم، فطالما أن الكفار نبذوا الدين وحصروه في الذهاب إلى الكنيسة ساعة يوم الأحد للاستماع للموسيقى، وقد نتج عن ذلك تقدمهم الحضاري والعسكري، فما بالنا نحن متمسكون بديننا مطالبون بتحكيمه في كل مناحي الحياة؟!

٧. تقصير العلماء في القيام بدورهم في توعية المسلمين وتبصيرهم بأمر دينهم، ومنافقتهم الناس فيما يعتقدون ويمارسون، من أقوى أسباب تفشي ظاهرة الارتداد عن دين الله.
٨. الفتاوى الانهزامية التي تصدر من بعض المنتسبين إلى العلم من العصرانيين وغيرهم.
٩. التشبث بالزلات والهفوات التي صدرت أونسبت لبعض أهل العلم، ومعلوم أن من تتبع زلات العلماء وهفواتهم تزندق أوكاد، وتجمع فيه الشر كله.
١٠. توهم البعض واستغلال أهل الأهواء للدعوى الباطلة، وهي أن أحاديث الآحاد لا يعمل بها في العقائد والأحكام

تقسيم الأحاديث إلى متواتر وآحادي تقسيم حادث، وهو نتيجة خبيثة وأثر سيئ لعلم الكلام، وما تبع ذلك من أن أحاديث الآحاد ظنية الثبوت ولهذا لا يعمل بها في العقائد والأحكام، وقد رد على هذه الشبهة القذرة الأئمة الكبار أمثال الشافعي في "الرسالة" وابن حزم في "الإحكام لأصول الأحكام"، حتى أصبحت هذه المسالة هي الفارق بين السُّنِّي والبدعي.

فكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حجة بنفسه من غير قيد ولا شرط: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"، ويفيد العلم والعمل في العقائد، والأحكام، والعبادات، والسلوك، والآداب سواء، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

ويكفي في رد هذه الشبهة القذرة أن حديث: "إنما الأعمال بالنيات" الذي يعتبر ثلث الدين حديث آحاد، مشهور، عزيز، إذ لم يروه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن عمر ولا عن راويه عن عمر إلا واحد، فلماذا يقبله أهل الأهواء المتزيين بالإسلام، وينكرون حدَّ الردة، ورجمَ الزاني المحصن، وكلها أحاديث آحاد؟ لولا مرض القلوب.

ã

حكم من أباح الردة وأنكر حدها

من أباح الردة وأنكر حدها فهو كافر مُهدَر الدم ما لم يتب عن ذلك ويراجع الإسلام، لأن ذلك إنكار لما هو معلوم من الدين ضرورة، وطعن وتشكيك في الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، والحكام الغيورين الذين حكموا بردة المرتدين، وأقاموا عليهم حدها.

يتشبث المبيحون للردة الداعون لإنكار حدها ببعض الزلات والهفوات، نحو ما نسب للشيخ شلتوت رحمه الله أنه قال: (يتغير وجه النظر في المسألة إذا لوحظ أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بأحاديث الآحاد، وأن الكفر نفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن في صمته عن عقوبة المرتد تؤيد هذا)، مما يدل على خطورة الزلات والهفوات وتلقف أهل الأهواء لها.

يردُّ هذا الزعم الباطل قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لتلك الطائفة المخذولة من الرافضة وحرقه لهم، الذين لم يحاربوا علياً ولم يخرجوا عليه، بل ألّهوه، فالمرتد مفارق لجماعة المسلمين ومحارب لهم ولعقيدتهم.

وإذا لم يكن الكفر بعد الإيمان مبيحاً للدم فما الذي يبيح الدم ياترى؟! إذا كان الراجع عن الماسونية والشيوعية ونحوهما، وهي فرق كافرة، يُقتل أويُضيَّق عليه، وقد يكون رجوعه إلى الحق، إلى الإسلام، وكذلك التارك لجماعة من الجماعات الإسلامية يُهجر، ويُضيَّق عليه، ويوصف بالخيانة والخروج والعمالة، وقد يكون محقاً في خروجه وتمرده على التسلط والجبروت والمخالفات الشرعية، فكيف بالراجع عن الإسلام، وهو الدين الخاتم لجميع الأديان؟ فمالِ هؤلاء القوم لا يستحون؟!

السنة حجة بنفسها، فقد حرمت السنة الجمع بين المرأة وعمتها أوخالتها، ونهت عن الوصية للوارث، ومنعت كذلك أن يرث المسلمُ الكافرَ والكافرُ المسلمَ.

وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم لها شقان؛ البلاغ والبيان، فهو المبيِّن لمراد الله عز وجل، ولهذا يقول بعض العلماء: "القرآن أحوج إلى السنة"، لأن السنة مبينة لكثير مما أجمل في كتاب الله عز وجل.

وهب أن مسألة قتل المرتد ليس فيها نص، فهل نترك فعل أبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى رضي الله عنهم، وقول أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم من الأئمة رحمهم الله لهذه الزلات والهفوات، ولما تهواه نفوس المنافقين وأعداء الملة والدين؟!

وأخيراً أرجو من دعاة إباحة الردة وإنكار حدها والداعين لتوحيد الأديان أن يراجعوا إسلامهم قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، ويُحال بينهم وبين ما يشتهون، وإلا فليعلموا أنهم لن يضرُّوا الله شيئاً، ومن إخواني المسلمين أن ينتبهوا لخطورة المنافقين من الشيوعيين، والجمهوريين، والقوميين، والمتزيين بالدين، وغيرهم، (فإن بلية الإسلام بالمنافين شديدة جداً، لأنهم منتسبون إليه، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وصلاح، وهو غاية الجهل والفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟ وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه، وكم من عَلَم له قد طمسوه؟ وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟ وكم ضربوا بمعاول الشبه٨٥ في أصول غراسه ليقلعوها، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية، يزعمون أنهم بذلك مصلحون، ألا إنهم المفسدون ولكن لا يشعرون).٨٦

لذلك حذر القرآن من المنافقين وبين صفاتهم: (فكان الحديث عن النفاق والمنافقين في القرآن في سبع عشرة سورة مدنية من ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمائة وأربعين آية، حتى قال ابن القيم رحمه الله: "كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم").٨٧

ومن إخواني الصحفيين الإسلاميين، السودانيين وغيرالسودانيين، أمثال الاستاذ صادق عبد الله عبدالماجد، والدكتور الطيب زين العابدين، والأستاذ موسى يعقوب، والدكتور حسن مكي، والاستاذ مهدي البوني، والأستاذ علي إسماعيل العتباني، والأستاذ محجوب عروة، والأستاذ محمد أحمد شاموق، والأستاذ عادل الباز، والأستاذ عثمان ميرغني، والأستاذ حسين خوجلي، والأستاذ محمد طه محمد أحمد، وغيرهم ممن لم أذكر، أن يقوموا بواجبهم خير قيام، فهم على ثغرة، والحذر كل الحذر أن يؤتى الإسلام من قبلهم، وعليهم أن يدعوا الحياد الذي تميزت به كتاباتهم، فالمسلم لا يليق به أن يكون محايداً أومستقلاً، وفي الحقيقة "مُسْتَغَلاً"، بينما نجد مِلل

العلمانيين متحدة متضافرة جهودها، على الرغم من أنها لا يجمعها شيء سوى محاربة الإسلام والكيد له، وليعلموا أنهم لن تزول أقدامهم عن الصراط حتى يُسألوا عن تفريطهم في هذا الجانب الذي تعين عليهم، ولا يُمكّن منه غيرُهم.
من العجيب أن يتشاغل هؤلاء الإخوة بالدفاع عن الديمقراطية ـ صنم العصر ـ، والمحاماة عن الشيوعيين والعلمانيين، والتحليلات السياسية، والهنات العادية، ومدح بعض أهل الأهواء والمبتدعة٨٨، ويتخلوا عن الدفاع عن الدين، وقد أصيب في عقر داره!!
ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل وبالدعاء الكثير للأخ الأستاذ إسحاق فضل الله لقيامه بالواجب خير قيام، ولثباته على المبادئ، وتفرده، وعدم مجاملته لمن تعتبر مجاملتهم مداهنة ونفاق، نسأل الله أن يوفقه ويزيده من فضله، وأن يثبت أجره ويبارك فيما يكتب، كما أرجو من إخواننا المسؤولين أن يراقبوا ما يدور في الصحف من كفريات وضلالات.
اللهم إنا نشكو إليك ضعف التقيَّ واستكانته، وجلد الفاجر وجرأته، واللهَ أسألُ أن يؤلف بين قلوب المسلمين، وأن يهديهم سبل الرشاد، وأن يهيئ للأمة الإسلامية أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلىآله وصحبه أجمعين.
ã
المراجع

§ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.
§ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
§ الرد القويم للأمين الحاج.
§ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.
§ الشفا بتعريف أحوال المصطفى للقاضي عياض.
§ فتح الباري للحافظ ابن حجر.
§ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
§ مقالات في عقيدة أهل السنة للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف.
§ الملخص الفقهي للشيخ الفوزان.
§ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم للحافظ ابن حجر.
§ نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب، ومعه الاختيارات الجلية في المسائل الخلافية ـ تهذيب الشيخ عبد الله البسَّام.

١٦٠ـ أن ميراث الأنثى نصف ميراث الذكر

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:
صحيح وحق أن آيات الميراث فى القرآن الكريم قد جاء فيها قول الله سبحانه وتعالى:(للذكر مثل حظ الأنثيين) (١) ؛ لكن كثيرين من الذين يثيرون الشبهات حول

أهلية المرأة فى الإسلام ، متخذين من التمايز فى الميراث سبيلاً إلى ذلك لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفًا عامًا ولا قاعدة مطّردة فى توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث. فالقرآن الكريم لم يقل: يوصيكم الله فى المواريث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين.. إنما قال: (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)..

أى أن هذا التمييز ليس قاعدة مطّردة فى كل حالات الميراث ، وإنما هو فى حالات خاصة ، بل ومحدودة من بين حالات الميراث.

بل إن الفقه الحقيقى لفلسفة الإسلام فى الميراث تكشف عن أن التمايز فى أنصبة الوارثين والوارثات لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة.. وإنما لهذه الفلسفة الإسلامية فى التوريث حِكَم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث فى بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة على كمال أهلية المرأة فى الإسلام. وذلك أن التفاوت بين أنصبة الوارثين والوارثات فى فلسفة الميراث الإسلامى ـ إنما تحكمه ثلاثة معايير:

أولها: درجة القرابة بين الوارث ذكرًا كان أو أنثى وبين المُوَرَّث المتوفَّى فكلما اقتربت الصلة.. زاد النصيب فى الميراث.. وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب فى الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين..

وثانيها: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمنى للأجيال.. فالأجيال التى تستقبل الحياة ، وتستعد لتحمل أعبائها ، عادة يكون نصيبها فى الميراث أكبر من نصيب الأجيال التى تستدبر الحياة. وتتخفف من أعبائها ، بل وتصبح أعباؤها ـ عادة ـ مفروضة على غيرها ، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات.. فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه ـ وكلتاهما أنثى ـ.. وترث البنت أكثر من الأب ! – حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها.. وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التى للابن ، والتى تنفرد البنت بنصفها ! ـ.. وكذلك يرث الابن أكثر من الأب ـ وكلاهما من الذكور..

وفى هذا المعيار من معايير فلسفة الميراث فى الإسلام حِكَم إلهية بالغة ومقاصد ربانية سامية تخفى على الكثيرين !..

وهى معايير لا علاقة لها بالذكورة والأنوثة على الإطلاق..

وثالثها: العبء المالى الذى يوجب الشرع الإسلامى على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين.. وهذا هو المعيار الوحيد الذى يثمر تفاوتاً بين الذكر والأنثى.. لكنه تفاوت لا يفضى إلى أى ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها.. بل ربما كان العكس هو الصحيح !..

ففى حالة ما إذا اتفق وتساوى الوارثون فى درجة القرابة.. واتفقوا وتساووا فى موقع الجيل الوارث من تتابع الأجيال ـ مثل أولاد المتوفَّى ، ذكوراً وإناثاً ـ يكون تفاوت العبء المالى هو السبب فى التفاوت فى أنصبة الميراث.. ولذلك ، لم يعمم القرآن الكريم هذا التفاوت بين الذكر والأنثى فى عموم الوارثين ، وإنما حصره فى هذه الحالة بالذات ، فقالت الآية القرآنية: (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).. ولم تقل: يوصيكم الله فى عموم الوارثين.. والحكمة فى هذا التفاوت ، فى

هذه الحالة بالذات ، هى أن الذكر هنا مكلف بإعالة أنثى ـ هى زوجه ـ مع أولادهما.. بينما الأنثى الوارثة أخت الذكر ـ إعالتها ، مع أولادها ، فريضة على الذكر المقترن بها.. فهى ـ مع هذا النقص فى ميراثها بالنسبة لأخيها ، الذى ورث ضعف ميراثها ، أكثر حظًّا وامتيازاً منه فى الميراث.. فميراثها ـ مع إعفائها من الإنفاق الواجب ـ هو ذمة مالية خالصة ومدخرة ، لجبر الاستضعاف الأنثوى ، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات.. وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين..

وإذا كانت هذه الفلسفة الإسلامية فى تفاوت أنصبة الوارثين والوارثات وهى التى يغفل عنها طرفا الغلو ، الدينى واللادينى ، الذين يحسبون هذا التفاوت الجزئى شبهة تلحق بأهلية المرأة فى الإسلام فإن استقراء حالات ومسائل الميراث ـ كما جاءت فى علم الفرائض (المواريث) ـ يكشف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين عن أفكارهم المسبقة والمغلوطة فى هذا الموضوع.. فهذا الاستقراء لحالات ومسائل الميراث ، يقول لنا:

١ ـ إن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.

٢ ـ وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً.

٣ ـ وهناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.

٤ ـ وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال.

أى أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل ، أو أكثر منه ، أو ترث هى ولا يرث نظيرها من الرجال ، فى مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل.. (٢) "!!.

تلك هى ثمرات استقراء حالات ومسائل الميراث فى علم الفرائض (المواريث) ، التى حكمتها المعايير الإسلامية التى حددتها فلسفة الإسلام فى التوريث.. والتى لم تقف عند معيار الذكورة والأنوثة ، كما يحسب الكثيرون من الذين لا يعلمون !..

وبذلك نرى سقوط الشبهة الأولى من الشبهات الخمس المثارة حول أهلية المرأة ، كما قررها الإسلام.

(١) النساء: ١١.

(٢) د. صلاح الدين سلطان "ميراث المرأة وقضية المساواة " ص١٠ ، ٤٦ ، طبعة القاهرة ، دار نهضة مصر سنة ١٩٩٩م ـ " سلسلة فى التنوير الإسلامى ".

١٦١ـ أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

أما الشبهة الثانية والزائفة التى تثار حول موقف الإسلام من شهادة المرأة.. التى يقول مثيروها: إن الإسلام قد جعل المرأة نصف إنسان ، وذلك عندما جعل شهادتها نصف شهادة الرجل ، مستدلين على ذلك بآية سورة البقرة:(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان

الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم) (١).

ومصدر الشبهة التى حسب مثيروها أن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة ، بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل: [فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان] هو الخلط بين " الشهادة " وبين " الإشهاد " الذى تتحدث عنه هذه الآية الكريمة.. فالشهادة التى يعتمد عليها القضاء فى اكتشاف العدل المؤسس على البينة ، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم ، لا تتخذ من الذكورة أو الأنوثة معيارًا لصدقها أو كذبها ، ومن ثم قبولها أو رفضها.. وإنما معيارها تحقق اطمئنان القاضى لصدق الشهادة بصرف النظرعن جنس الشاهد ، ذكرًا كان أو أنثى ، وبصرف النظر عن عدد الشهود.. فالقاضى إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البينة أن يعتمد شهادة رجلين ، أو امرأتين ، أو رجل وامرأة ، أو رجل وامرأتين ، أو امرأة ورجلين ، أو رجل واحد أو امرأة واحدة.. ولا أثر للذكورة أو الأنوثة فى الشهادة التى يحكم القضاء بناءً على ما تقدمه له من البينات..

أما آية سورة البقرة ، والتى قالت: [واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى] فإنها تتحدث عن أمر آخر غير" الشهادة " أمام القضاء.. تتحدث عن " الإشهاد " الذى يقوم به صاحب الدين للاستيثاق من الحفاظ على دَيْنه ، وليس عن " الشهادة " التى يعتمد عليها القاضى فى حكمه بين المتنازعين.. فهى - الآية - موجهة لصاحب الحق الدَّيْن وليس إلى القاضى الحاكم فى النزاع.. بل إن هذه الآية لا تتوجه إلى كل صاحب حق دَيْن ولا تشترط ما اشترطت من مستويات الإشهاد وعدد الشهود فى كل حالات الدَّيْن.. وإنما توجهت بالنصح والإرشاد فقط النصح والإرشاد إلى دائن خاص ، وفى حالات خاصة من الديون ، لها ملابسات خاصة نصت عليها الآية.. فهو دين إلى أجل مسمى.. ولابد من كتابته.. ولابد من عدالة الكاتب.

ويحرم امتناع الكاتب عن الكتابة..ولابد من إملاء الذى عليه الحق.. وإن لم يستطع فليملل وليه بالعدل..

والإشهاد لا بد أن يكون من رجلين من المؤمنين.. أو رجل وامرأتين من المؤمنين.. وأن يكون الشهود ممن ترضى عنهم الجماعة.. ولا يصح امتناع الشهود عن الشهادة.. وليست هذه الشروط بمطلوبة فى التجارة الحاضرة.. ولا فى المبايعات..

ثم إن الآية ترى فى هذا المستوى من الإشهاد الوضع الأقسط والأقوم.. وذلك لا ينفى المستوى الأدنى من القسط..

ولقد فقه هذه الحقيقة حقيقة أن هذه الآية إنما تتحدث عن " الإشهاد" فى دَيْن خاص ، وليس عن الشهادة..

وإنها نصيحة وإرشاد لصاحب الدَّيْن ذى المواصفات والملابسات الخاصة وليست تشريعاً موجهاً إلى القاضى الحاكم فى المنازعات.. فقه ذلك العلماء المجتهدون..
ومن هؤلاء العلماء الفقهاء الذين فقهوا هذه الحقيقة ، وفصّلوا القول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١٧٢٨ هجرية /١٢٦٣ ١٣٢٨] وتلميذه العلامة ابن القيم [٦٩١٧٥١ هجرية / ١٢٩٢ ١٣٥٠م] من القدماء والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٥١٣٢٣ هجرية] والإمام الشيخ محمود شلتوت [١٣١٠١٣٨٣ هجرية /١٨٩٣١٩٦٣م] من المحدثين والمعاصرين فقال ابن تيمية فيما يرويه عنه ويؤكد عليه ابن القيم:
قال عن " البينة " التى يحكم القاضى بناء عليها.. والتى وضع قاعدتها الشرعية والفقهية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البينة على المدعى ، واليمين على المدعى عليه " رواه البخارى والترمذى وابن ماجه:
" إن البينة فى الشرع ، اسم لما يبيّن الحق ويظهره ، وهى تارة تكون أربعة شهود ، وتارة ثلاثة ، بالنص فى بينة المفلس ، وتارة شاهدين ، وشاهد واحد ، وامرأة واحدة ، وتكون نُكولاً (٢) ، ويمينًا، أو خمسين يميناً أو أربعة أيمان ، وتكون شاهد الحال.
فقوله صلى الله عليه وسلم: " البينة على المدعى " ، أى عليه أن يظهر ما يبيّن صحة دعواه ، فإذا ظهر صدقه بطريق من الطرق حُكِم له.. " (٣) فكما تقوم البينة بشهادة الرجل الواحد أو أكثر ، تقوم بشهادة المرأة الواحدة ، أو أكثر، وفق معيار البينة التى يطمئن إليها ضمير الحاكم - القاضى -..
ولقد فصّل ابن تيمية القول فى التمييز بين طرق حفظ الحقوق ، التى أرشدت إليها ونصحت بها آية الإشهاد - الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهى الموجهة إلى صاحب " الحق الدَّين " وبين طرق البينة ، التى يحكم الحاكم القاضى بناء عليها.. وأورد ابن القيم تفصيل ابن تيمية هذا تحت عنوان [الطرق التى يحفظ بها الإنسان حقه].. فقال:
" إن القرآن لم يذكر الشاهدين ، والرجل والمرأتين فى طرق الحكم التى يحكم بها الحاكم ، وإنما ذكر النوعين من البينات فى الطرق التى يحفظ بها الإنسان حقه ، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) (٤).. فأمرهم ، سبحانه ، بحفظ حقوقهم بالكتاب (٥) ، وأمر من عليه الحق أن يملى الكاتب ، فإن لم يكن ممن يصح إملاؤه أملى عنه وليه ، ثم أمر من له الحق أن يستشهد على حقه رجلين ، فإن لم يجد فرجل وامرأتان ، ثم نهى الشهداء المتحملين للشهادة عن التخلف عن إقامتها إذا طُلبوا لذلك ، ثم رخّص لهم فى التجارة الحاضرة ألا يكتبوها ، ثم أمرهم بالإشهاد عند التبايع ، ثم أمرهم إذا كانوا على سفر ولم يجدوا كاتباً ، أن يستوثقوا بالرهان المقبوضة.
كل هذا نصيحة لهم ، وتعليم وإرشاد لما يحفظون به حقوقهم ، وما تحفظ به الحقوق شئ وما يحكم به الحاكم [القاضى] شئ ، فإن طرق الحكم أوسع من الشاهد

والمرأتين ، فإن الحاكم يحكم بالنكول ، واليمين المردودة ولا ذكر لهما فى القرآن وأيضاً: فإن الحاكم يحكم بالقرعة بكتاب الله وسنة رسوله الصريحة الصحيحة.. ويحكم بالقافة (٦) بالسنة الصريحة الصحيحة التى لا معارض لها ويحكم بالقامة (٧) بالسنة الصحيحة الصريحة ، ويحكم بشاهد الحال إذا تداعى الزوجان أو الصانعان متاع البيت والدكان ، ويحكم ، عند من أنكر الحكم بالشاهد واليمين بوجود الآجر فى الحائط ، فيجعله للمدعى إذا كان جهته وهذا كله ليس فى القرآن ، ولا حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من أصحابه..

فإن قيل: فظاهر القرآن يدل على أن الشاهد والمرأتين بدلٌ عن الشاهدين ، وأنه لا يُقْضَى بهما إلا عند عدم الشاهدين.

قيل: القرآن لا يدل على ذلك ، فإن هذا أمر لأصحاب الحقوق بما يحفظون به حقوقهم ، فهو سبحانه أرشدهم إلى أقوى الطرق ، فإن لم يقدروا على أقواها انتقلوا إلى ما دونها.. وهو سبحانه لم يذكر ما يحكم به الحاكم ، وإنما أرشدنا إلى ما يحفظ به الحق ، وطرق الحكم أوسع من الطرق التى تُحفظ بها الحقوق " (٨)..

وبعد إيراد ابن القيم لهذه النصوص نقلاً عن شيخه وشيخ الإسلام ابن تيمية علق عليها ، مؤكداً إياها ، فقال: " قلت [أى ابن القيم]: وليس فى القرآن ما يقتضى أنه لا يُحْكَم إلا بشاهدين ،أو شاهد وامرأتين ، فإن الله سبحانه إنما أمر بذلك أصحاب الحقوق أن يحفظوا حقوقهم بهذا النِّصاب ، ولم يأمر بذلك الحكام أن يحكموا به ، فضلاً عن أن يكون قد أمرهم ألا يقضوا إلا بذلك. ولهذا يحكم الحاكم بالنكول ، واليمين المردودة ، والمرأة الواحدة ، والنساء المنفردات لا رجل معهن ، وبمعاقد القُمُط (٩) ، ووجوه الآجرّ ، وغير ذلك من طرق الحكم التى تُذكر فى القرآن..فطرق الحكم شئ ، وطرق حفظ الحقوق شئ آخر ، وليس بينهما تلازم ، فتُحفظ الحقوق بما لا يحكم به الحاكم مما يعلم صاحب الحق أنه يحفظ به حقه ، ويحكم الحاكم بما لا يحفظ به صاحب الحق حقه ، ولا خطر على باله.. " (١٠).

فطرق الإشهاد ، فى آية سورة البقرة التى تجعل شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد هى نصيحة وإرشاد لصاحب الدَّين ذى الطبيعة الخاصة -.. وليست التشريع الموجه إلى الحاكم القاضى والجامع لطرق الشهادات والبينات.. وهى أيضاً خاصة بدَيْن له مواصفاته وملابساته ، وليست التشريع العام فى البينات التى تُظهر العدل فيحكم به القضاة..

* وبعد هذا الضبط والتمييز والتحديد.. أخذ ابن تيمية يعدد حالات البينات والشهادات التى يجوز للقاضى الحاكم الحكم بناء عليها.. فقال: " إنه يجوز للحاكم – [القاضى] – الحكم بشهادة الرجل الواحد إذا عرف صدقه فى غير الحدود ، ولم يوجب الله على الحاكم ألا يحكم إلا بشاهدين أصلاً ، وإنما أمر صاحب الحق أن يحفظ حقه بشاهدين ، أو بشاهد وامرأتين ، وهذا لا يدل علىأن الحاكم لا يحكم بأقل من ذلك ، بل قد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالشاهد واليمين ، وبالشاهد فقط ، وليس ذلك مخالفاً لكتاب الله عند من فهمه ، ولا بين حكم الله وحكم رسوله خلاف.. وقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم شهادة الأعرابى وحده على رؤية هلال رمضان ، وتسمية بعض الفقهاء ذلك إخباراً ، لا شهادة ، أمر لفظى لا يقدح فى الاستدلال ، ولفظ الحديث يردّ

قوله ، وأجاز صلى الله عليه وسلم شهادة الشاهد الواحد فى قضية السَّلب (١١) ، ولم يطالب القاتل بشاهد آخر ، واستحلفه ، وهذه القصة [ورواياتها فى الصحيحين] صريحة فى ذلك.. وقد صرح الأصحاب: أنه تُقبل شهادة الرجل الواحد من غير يمين عند الحاجة ، وهو الذى نقله الخِرَقى [٣٣٤ هجرية ٩٤٥م] فى مختصره ،فقال: وتِقبل شهادة الطبيب العدل فى الموضحة (١٢) إذا لم يقدر على طبيبين ، وكذلك البيطار فى داء الدابة.." (١٣).

* وكما تجوز شهادة الرجل الواحد فى غير الحدود.. وكما تجوز شهادة الرجال وحدهم في الحدود ، تجوز عند البعض شهادة النساء وحدهن فى الحدود.. وعن ذلك يقول ابن تيمية ، فيما نقله ابن القيم:

" وقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم شهادة المرأة الواحدة في الرضاع ، وقد شهدت على فعل نفسها ، ففي الصحيحين عن عقبة ابن الحارث: " أنه تزوج أم يحيى بنت أبى إهاب ، فجاءت أَمَةٌ سوداء ، فقالت: قد أرضعتكما. فذكرتُ ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأعرض عنى ، قال: فتنحيتُ فذكرتُ ذلك له ، قال: فكيف ؟ وقد زعمتْ أنْ قد أرضعتكما ! ".

وقد نص أحمد على ذلك فى رواية بكر بن محمد عن أبيه ، قال: فى المرأة تشهد على مالا يحضره الرجال من إثبات استهلال الصبى (١٤)، وفى الحمّام يدخله النساء ، فتكون بينهن جراحات.

وقال إسحاق بن منصور: قلتُ لأحمد فى شهادة الاستدلال: " تجوز شهادة امرأة واحدة فى الحيض والعدة والسقط والحمّام ، وكل مالا يطلع عليه إلا النساء ".

فقال: "تجوز شهادة امرأة إذا كانت ثقة ، ويجوز القضاء بشهادة النساء منفردات فى غير الحدود والقصاص عند جماعة من الخَلَف والسلف ". وعن عطاء [٢٧-١١٤ هجرية /٦٤٧ ٧٣٢م] أنه أجاز شهادة النساء فى النكاح. وعن شريح [٧٨ هجرية / ٦٩٧م] أنه أجاز شهادة النساء فى الطلاق. وقال بعض الناس: تجوز شهادة النساء فى الحدود. وقال مهنا: قال لى أحمد بن حنبل: قال أبو حنيفة: تجوز شهادة القابلة وحدها ، وإن كانت يهودية أو نصرانية.." (١٥).

ذلك أن العبرة هنا فى الشهادة إنما هى الخبرة والعدالة ، وليست العبرة بجنس الشاهد ذكراً كان أو أنثى ففى مهن مثل الطب.. والبيطرة.. والترجمة أمام القاضى.. تكون العبرة "بمعرفة أهل الخبرة " (١٦).

* بل لقد ذكر ابن تيمية فى حديثه عن الإشهاد الذى تحدثت عنه آية سورة البقرة أن نسيان المرأة ، ومن ثم حاجتها إلى أخرى تذكرها (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى(ليس طبعًا ولا جبلة فى كل النساء ، وليس حتمًا فى كل أنواع الشهادات.. وإنما هو أمر له علاقة بالخبرة والمران ، أى أنه مما يلحقه التطور والتغيير.. وحكى ذلك عنه ابن القيم فقال:

" قال شيخنا ابن تيمية ، رحمه الله تعالى: قوله تعالى::(فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى(فيه دليل على أن استشهاد امرأتين مكان رجل واحد إنما هو لإذكار إحداهما للأخرى ، إذا ضلت ، وهذا إنما يكون فيما فيه الضلال فى العادة ، وهو النسيان وعدم الضبط..

فما كان من الشهادات لا يُخافُ فيه الضلال فى العادة لم تكن فيه على نصف الرجل.." (١٧).
فحتى فى الإشهاد ، يجوز لصاحب الدَّيْن أن يحفظ دَينه وفق نصيحة وإرشاد آية سورة البقرة بإشهاد رجل وامرأة ، أو امرأتين ، وذلك عند توافر الخبرة للمرأة فى موضوع الإشهاد.. فهى فى هذا الإشهاد ليست شهادتها دائماً على النصف من شهادة الرجل..
ولقد كرر ابن القيم وأكد هذا الذى أشرنا إلى طرف منه ، فى غير كتابه [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] فقال فى كتابه " إعلام الموقعين عند رب العالمين" أثناء حديثه عن " البينة " وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البينة على المدعى واليمين على من أنكر " خلال شرحه لخطاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى [٢١ق هجرية ٤٤ هجرية ٦٠٢- ٦٦٥م] فى قواعد القضاء وآدابه - قال:
" إن البينة فى كلام الله ورسوله ، وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق.. ولم يختص لفظ البينة بالشاهدين..
وقال الله فى آية الدَّيْن: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان (فهذا فى التَّحمل والوثيقة التى يحفظ بها صاحب المال حقه ، لا فى طرق الحكم وما يحكم به الحاكم ، فإن هذا شئ وهذا شئ ، فذكر سبحانه ما يحفظ به الحقوق من الشهود ، ولم يذكر أن الحكام لا يحكمون إلا بذلك.. فإن طرق الحكم أعم من طرق حفظ الحقوق.. وقال سبحانه:(ممن ترضون من الشهداء (لأن صاحب الحق هو الذى يحفظ ماله بمن يرضاه.. ".
وعلل ابن تيمية حكمة كون شهادة المرأتين فى هذه الحالة تعدلان شهادة الرجل الواحد ، بأن المرأة ليست مما يتحمل عادة مجالس وأنواع هذه المعاملات.. لكن إذا تطورت خبراتها وممارساتها وعاداتها ، كانت شهادتها حتى فى الإشهاد على حفظ الحقوق والديون مساوية لشهادة الرجل.. فقال:
" ولا ريب أن هذه الحكمة فى التعدد هى فى التحمل ، فأما إذا عقلت المرأة ، وحفظت وكانت ممن يوثق بدينها فإن المقصود حاصل بخبرها كما يحصل بأخبار الديانات ، ولهذا تُقبل شهادتها وحدها فى مواضع ، ويُحكم بشهادة امرأتين ويمين الطالب فى أصح القولين ، وهو قول مالك [٩٣-١٧٩ هجرية ٧١٢-٧٩٥م] وأحد الوجهين فى مذهب أحمد.. " والمقصود أن الشارع لم يَقِف الحكم فى حفظ الحقوق البتة على شهادة ذكرين ، لا فى الدماء ولا فى الأموال ولا فى الفروج ولا فى الحدود.. وسر المسألة ألا يلزم من الأمر بالتعدد فى جانب التحمل وحفظ الحقوق الأمر بالتعدد فى جانب الحكم والثبوت ، فالخبر الصادق لا تأتى الشريعة برده أبداً.
وهذا الذى قاله ابن تيمية وابن القيم فى حديثهما عن آية سورة البقرة هو الذى ذكره الإمام محمد عبده ، عندما أرجع تميز شهادة الرجال على هذا الحق الذى تحدثت عنه الآية على شهادة النساء ، إلى كون النساء فى ذلك التاريخ كن بعيدات عن حضور مجالس التجارات ، ومن ثم بعيدات عن تحصيل التحمل والخبرات فى هذه الميادين..
وهو واقع تاريخى خاضع للتطور والتغير ، وليس طبيعة ولا جبلة فى جنس النساء

على مر العصور.. ولو عاش الإمام محمد عبده إلى زمننا هذا ، الذى زخر ويزخر بالمتخصصات فى المحاسبة والاقتصاد وإدارة الأعمال ، وب " سيدات الأعمال " اللائى ينافسن " رجال الأعمال " لأفاض وتوسع فيما قال ، ومع ذلك ، فحسبه أنه قد تحدث قبل قرن من الزمان فى تفسيره لآية سورة البقرة هذه رافضاً أن يكون نسيان المرأة جبلة فيها وعامًّا فى كل موضوعات الشهادات ، فقال:

" تكلم المفسرون فى هذا ، وجعلوا سببه المزاج ، فقالوا: إن مزاج المرأة يعتريه البرد فيتبعه النسيان ، وهذا غير متحقق ، والسبب الصحيح أن المرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، فلذلك تكون ذاكرتها ضعيفة ،ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فإنها أقوى ذاكرة من الرجل ، يعنى أن من طبع البشر ذكراناً وإناثاً أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويكثر اشتغالهم بها " (١٨).

ولقد سار الشيخ محمود شلتوت الذى استوعب اجتهادات ابن تيمية وابن القيم ومحمد عبده مع هذا الطريق ، مضيفاً إلى هذه الاجتهادات علماً آخر عندما لفت النظر إلى تساوى شهادة الرجل فى " اللعان "..

فكتب يقول عن شهادة المرأة وكيف أنها دليل على كمال أهليتها ، وذلك على العكس من الفكر المغلوط الذى يحسب موقف الإسلام من هذه القضية انتقاصًا من إنسانيتها.. كتب يقول:

إن قول الله سبحانه وتعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان (ليس وارداً فى مقام الشهادة التى يقضى بها القاضى ويحكم ، وإنما هو فى مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل(يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله (إلى أن قال: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (١٩).

فالمقام مقام استيثاق على الحقوق ، لا مقام قضاء بها. والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقهم.

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لايثبت بها الحق ، ولا يحكم بها القاضى ، فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو " البينة ".

وقد حقق العلامة ابن القيم أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره ، هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم. ومن ذلك: يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن إليها.

واعتبار المرأتين فى الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها ، الذى يتبع نقص إنسانيتها ويكون أثراً له ، وإنما هو لأن المرأة كما قال الشيخ محمد عبده " ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل ، ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويمارسونها ، ويكثر اشتغالهم بها.

والآية جاءت على ما كان مألوفاً فى شأن المرأة ، ولا يزال أكثر النساء كذلك ، لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبايعات ، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى هذا الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة.
وإذا كانت الآية ترشد إلى أكمل وجوه الاستيثاق ، وكان المتعاملون فى بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات ، كان لهم الحق فى الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا إلى تذكرها وعدم نسيانها على نحو تذكر الرجل وعدم نسيانه.
هذا وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها ، وهى القضايا التى لم تجر العادة بإطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة والبكارة ، وعيوب النساء والقضايا الباطنية.
وعلى أن منها ما تقبل فيه شهادة الرجل وحده ، وهى القضايا التى تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ولا تقوى على تحملها ، على أنهم قدروا قبول شهادتها فى الدماء إذا تعينت طريقاً لثبوت الحق واطمئنان القاضى إليها. وعلى أن منها ما تقبل شهادتهما معاً.
ومالنا نذهب بعيداً ، وقد نص القرآن على أن المرأة كالرجل سواء بسواء فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شهود (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) (٢٠).
أربع شهادات من الرجل ، يعقبها استمطار لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويقابلها ويبطل عملها ، أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من الصادقين.. فهذه عدالة الإسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة ، وهى عدالة تحقق أنهما فى الإنسانية سواء.. (٢١).
هكذا وضحت صفحة الإسلام.. وصفحات الاجتهاد الإسلامى فى قضية مساواة شهادة المرأة وشهادة الرجل ، طالما امتلك الشاهد أو الشاهدة مقومات ومؤهلات وخبرة هذه الشهادة.. لأن الأهلية الإنسانية بالنسبة لكل منهما واحدة ، ونابعة من وحدة الخلق ، والمساواة فى التكاليف ، والتناصر فى المشاركة بحمل الأمانة التى حملها الإنسان ، أمانة استعمار وعمران هذه الحياة.
*وأخيراً وليس آخراً فإن ابن القيم يستدل بالآية القرآنية: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) (٢٢). على أن المرأة كالرجل فى هذه الشهادة على بلاغ الشريعة ورواية السنة النبوية.. فالمرأة كالرجل فى " رواية الحديث " ، التى هى شهادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم..
وإذا كان ذلك مما أجمعت عليه الأمة ، ومارسته راويات الحديث النبوى جيلاً بعد جيل " والرواية شهادة " فكيف تقبل الشهادة من المرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقبل على واحد من الناس ؟..

إن المرأة العدل [بنص عبارة ابن القيم] كالرجل فى الصدق والأمانة والديانة (٢٣).
ذلكم هو منطق شريعة الإسلام وكلها منطق وهذا هوعدلها بين النساء والرجال وكلها عدل وكما يقول ابن القيم:" وما أثبت الله ورسوله قط حكماً من الأحكام يُقطع ببطلان سببه حسًّا أو عقلاً ، فحاشا أحكامه سبحانه من ذلك ، فإنه لا أحسن حكمًا منه سبحانه وتعالى ولا أعدل. ولا يحكم حكماً يقول العقل: ليته حكم بخلافه ، بل أحكامه كلها مما يشهد العقل والفِطَر بحسنها ، ووقوعها على أتم الوجوه وأحسنها ، وأنه لا يصلح فى موضعها سواها " (٢٤).
هذا.. ولقد تعمدنا فى إزالة هذه الشبهة أمران:
أولهما: أن ندع نصوص أئمة الاجتهاد الإسلامى هى التى تبدد غيوم هذه الشبهة ، لا نصوصنا نحن..
وذلك حتى لا ندع سبيلاً لشبهات جديدة فى هذا الموضوع !
وثانيهما: أن تكون هذه النصوص للأئمة المبرزين فى إطار السلف والسلفيين.. وذلك حتى نقطع الطريق على أدعياء السلفية الذين حملوا العادات الراكدة لمجتمعاتهم على دين الإسلام ، فاستبدلوا هذه العادات بشريعة الإسلام !.. وحتى نقطع الطريق كذلك على غلاة العلمانيين والعلمانيات ، الذين استبدلوا البدع الفكرية الوافدة بحقائق وحقيقة الإسلام ، والذين يتحسسون مسدساتهم إذا ذكرت مصطلحات السلفية والسلفيين !..
فإنصاف المرأة ، وكمال واكتمال أهليتها هو موقف الإسلام ، الذى نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين.. وهو موقف كل تيارات الاجتهاد الإسلامى ، على امتداد تاريخ الإسلام.
(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) النكول: هو الامتناع عن اليمين.
(٣) ابن القيم [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص٣٤. تحقيق محمد جميل غازى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.
(٤) سورة البقرة: ٢٨٢.
(٥) أى الكتابة.
(٦) القافة: مفردها قائف هو الذى يعرف الآثار آثار الأقدام ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه..
(٧) القامة: الأيمان ، تقسم على أهل المحلة الذين وجد المقتول فيهم.
(٨) [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية]ص ١٠٣-١٠٥ ، ٢١٩،٢٣٦.
(٩) مفردها قمط بكسر القاف وسكون الميم: ما تشد به الإخصاص ومكونات البناء ولبناته.
(١٠) [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص ١٩٨.
(١١) السَّلب بفتح السين مشددة ، وفتح اللام -: هو متاع القتيل وعدته ، يأخذه قاتله.. وفى الحديث:
" من قتل قتيلاً فله سَلَبُهُ ".

(١٢) الموضحة: هى الجراحات التى هى دون قتل النفس.
(١٣) [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص ٩٨ ، ١١٣ ، ١٢٣ .
(١٤) استهلال الصبى: هو أن يحدث منه ما يدل على حياته ساعة الولادة من رفع صوت أو حركة عضو أو عين ، وهو شرط لتمتعه بحقوق الأحياء.
(١٥) [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص ١١٥-١١٧.
(١٦) المصدر السابق. ص ١٨٨ ، ١٩٣ .
(١٧) [إعلام الموقعين عن رب العالمين] ج١ ص ٩٠-٩٢، ٩٤-٩٥، ١٠٤،١٠٣. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.
(١٨) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٤ ص٧٣٢. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.
(١٩) البقرة: ٢٨٢ .
(٢٠) النور:٦٩.
(٢١) [الإسلام عقيدة وشريعة] ص ٢٣٩- ٢٤١. طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هجرية سنة ١٩٨٠م.
(٢٢) البقرة: ١٤٣ .
(٢٣) [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص٢٣٦، ٢٤٤.
(٢٤) المصدر السابق ، ص٣٢٩.

١٦٢- أن النساء ناقصات عقل ودين

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الردعلى الشبهة:
المصدر الحقيقى لهذه الشبهة هو العادات والتقاليد الموروثة ، والتى تنظر إلى المرأة نظرة دونية.. وهى عادات وتقاليد جاهلية ، حرر الإسلام المرأة منها.. لكنها عادت إلى الحياة الاجتماعية ، فى عصور التراجع الحضارى مستندة كذلك إلى رصيد التمييز ضد المرأة الذى كانت عليه مجتمعات غير إسلامية ، دخلت فى إطار الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية ، دون أن تتخلص تماماً من هذه المواريث.. فسرعة الفتوحات الإسلامية التى اقتضتها معالجة القوى العظمى المناوئة للإسلام قوى الفرس والروم وما تبعها من سرعة امتداد الدولة الإسلامية ، قد أدخلت فى الحياة الإسلامية شعوباً وعادات وتقاليد لم تتح هذه السرعة للتربية الإسلامية وقيمها أن تتخلص تلك الشعوب من تلك العادات والتقاليد ، والتى تكون عادة أشد رسوخاً وحاكمية من القيم الجديدة.. حتى لتغالب فيه هذه العادات الموروثة العقائد والأنساق الفكرية والمثل السامية للأديان والدعوات الجديدة والوليدة ، محاولة التغلب عليها !.
ولقد حاولت هذه العادات والتقاليد بعد أن ترسخت وطال عليها الأمد ، فى ظل عسكرة الدولة الإسلامية فى العهدين المملوكى والعثمانى أن تجد لنظرتها الدونية للمرأة " غطاء شرعيًّا " فى التفسيرات المغلوطة لبعض الأحاديث النبوية وذلك بعد عزل هذه الأحاديث عن سياقها ، وتجريدها من ملابسات ورودها ، وفصلها عن

المنطق الإسلامى منطق تحرير المرأة كجزء من تحريره للإنسان ، ذكراً كان أو أنثى هذا الإنسان فلقد جاء الإسلام ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وليحيى ملكات وطاقات الإنسان مطلق جنس ونوع الإنسان وليشرك الإناث والذكور جميعاً فى حمل الأمانة التى حملها الإنسان ، وليكون بعضهم أولياء بعض فى النهوض بالفرائض الاجتماعية ، الشاملة لكل ألوان العمل الاجتماعى والعام..
لكن العادات والتقاليد الجاهلية فى احتقار المرأة ، والانتقاص من أهليتها ، وعزلها عن العمل العام ، وتعطيل ملكاتها وطاقاتها الفطرية قد دخلت فى حرب ضروس ضد القيم الإسلامية لتحرير المرأة..
وسعت إلى التفسيرات الشاذة والمغلوطة لبعض الأحاديث النبوية والمأثورات الإسلامية كى تكون " غطاءً شرعياً " لهذه العادات والتقاليد..
فبعد أن بلغ التحرير الإسلامى للمرأة إلى حيث أصبحت به وفيه:
* طليعة الإيمان بالإسلام.. والطاقة الخلاقة الداعمة للدين ورسوله صلى الله عليه وسلم كما كان حال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد [٦٨ ٣ق هجرية / ٥٥٦ ٦٢٠م] رضى الله عنها.. حتى لقد كان عام وفاتها عام حزن المسلمين ورسول الإسلام ودعوة الإسلام..
* وطليعة شهداء الإسلام.. كما جسدتها شهادة سمية بنت خياط [٧ق هجرية ٦١٥م] ، أم عمار بن ياسر [٥٧ ق هجرية ٣٧ هجرية /٥٦٧ ٦٥٧م]..
* وطليعة المشاركة فى العمل العام السياسى منه ، والشورى ، والفقهى ، والدعوى ، والأدبى ، والاجتماعى.
بل والقتالى ـ كما تجسدت فى كوكبة النخبة والصفوة النسائية التى تربت فى مدرسة النبوة..
بعد أن بلغ التحرير الإسلامى للمرأة هذه الآفاق.. أعادت العادات والتقاليد المرأة أو حاولت إعادتها إلى أسر وأغلال منظومة من القيم الغربية عن الروح الإسلامية.. حتى أصبحت المفاخرة والمباهاة بأعراف ترى:
* أن المرأة الكريمة لا يليق بها أن تخرج من مخدعها إلا مرتان: أولاهما: إلى مخدع الزوجية.. وثانيتهما:
إلى القبر الذى تُدفن فيه !..
* فهى عورة ، لا يسترها إلا " القبر " !.
ولم أر نعمة شملت كريماً *** كنعمة عورة سُترت بقبر !
وإذا كان الإسلام قد حفظ حياتها من الوأد المادى القتل فإن المجد والمكرمات فى تلك العادات هى فى موتها !
ومن غاية المجد والمكرمات *** بقاء البنين وموت البنات !
تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا *** والموت أكرم نزّال على الحرم !
* وشوراها شؤم يجب اجتنابها.. وإذا حدثت فلمخالفتها ، وللحذر من الأخذ بها !.
والأكثر خطورة من هذه الأعراف والعادات والتقاليد ، التى سادت أوساطا ملحوظة ومؤثرة فى حياتنا الاجتماعية ، إبان مرحلة التراجع الحضارى ، هى التفسيرات

المغلوطة لبعض المرويات الإسلامية بحثاً عن مرجعية إسلامية وغطاء شرعى لقيم التخلف والانحطاط التى سادت عالم المرأة فى ذلك التاريخ..
لقد كان الحظ الأوفر فى هذا المقام للتفسير الخاطىء الذى ساد وانتشر لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى ومسلم عن نقص النساء فى العقل والدين.. وهو حديث رواه الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أضحى أو فِطْر إلى المصلى فمرّ على النساء ، فقال:
- " يا معشر النساء ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ".
- قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟.
- قال: " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل " ؟.
- قلن: بلى.
- قال: " فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم ؟ ".
- قلن: بلى.
- قال: " فذلك من نقصان دينها ".
ذلكم هو الحديث الذى اتّخذ تفسيره الملغوط ولا يزال " غطاء شرعيًّا " للعادات والتقاليد التى تنتقص من أهلية المرأة.. والذى ينطلق منه نفر من غلاة الإسلاميين فى " جهادهم " ضد إنصاف المرأة وتحريرها من أغلال التقاليد الراكدة.. وينطلق منه المتغربون وغلاة العلمانيين فى دعوتهم إلى إسقاط الإسلام من حسابات تحرير المرأة ، وطلب هذا التحرير فى النماذج الغربية الوافدة..
الأمر الذى يستوجب إنقاذ المرأة من هذه التفسيرات المغلوطة لهذا الحديث.. بل إنقاذ هذا الحديث الشريف من هذه التفسيرات !..
وذلك من خلال نظرات فى " متن " الحديث و " مضمونه " نكثفها فى عدد من النقاط:
أولاها: أن الذاكرة الضابطة لنص هذا الحديث قد أصابها ما يطرح بعض علامات الاستفهام.. ففى رواية الحديث شك من الرواى حول مناسبة قوله.. هل كان ذلك فى عيد الأضحى ؟ أم فى عيد الفطر ؟.. وهو شك لا يمكن إغفاله عند وزن المرويات والمأثورات.
وثانيتها: أن الحديث يخاطب حالة خاصة من النساء ، ولا يشرّع شريعة دائمة ولا عامة فى مطلق النساء..
فهو يتحدث عن "واقع " والحديث عن " الواقع " القابل للتغير والتطور شىء ، والتشريع " للثوابت " عبادات وقيمًا ومعاملات شىء آخر..
فعندما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إنا أمة أُمية ، لا نكتب ولا نحسب ". رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود والإمام أحمد فهو يصف " واقعاً " ، ولا يشرع لتأييد الجهل بالكتابة والحساب ، لأن القرآن الكريم قد بدأ بفريضة " القراءة " لكتاب الكون ولكتابات الأقلام (اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) (١) ولأن الرسول

صلى الله عليه وسلم الذى وصف " واقع " الأمية الكتابية والحسابية ، وهو الذى غير هذا الواقع ، بتحويل البدو الجهلاء الأميين إلى قراء وعلماء وفقهاء ، وذلك امتثالاً لأمر ربه ، فى القرآن الكريم ، الذى علمنا أن من وظائف جعل الله سبحانه وتعالى القمر منازل أن نتعلم عدد السنين والحساب (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراًوقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) (٢). فوصف " الواقع " – كما نقول الآن مثلاً: " نحن مجتمعات متخلفة " لا يعنى شرعنة هذا " الواقع " ولا تأييده ، فضلاً عن تأبيده ، بأى حال من الأحوال.

وثالثتها: أن فى بعض روايات هذا الحديث وخاصة رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما يقطع بأن المقصود به إنما هى حالات خاصة لنساء لهن صفات خاصة ، هى التى جعلت منهن أكثر أهل النار ، لا لأنهن نساء ، وإنما لأنهن كما تنص وتعلل هذه الرواية " يكفرن العشير " ، ولو أحسن هذا العشير إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منه هِنَةً أو شيئاً لا يعجبها ، كفرت كفر نعمة بكل النعم التى أنعم عليها بها ، وقالت بسبب النزق أو الحمق أو غلبة العاطفة التى تنسيها ما قدمه لها هذا العشير من إحسان:

" ما رأيت منك خيراً قط " ! رواه البخارى ومسلم والنسائى ومالك فى الموطأ..

فهذا الحديث إذن وصف لحالة بعينها ، وخاص بهذه الحالة.. وليس تشريعاً عامًّا ودائماً لجنس النساء..

ورابعتها: أن مناسبة الحديث ترشح ألفاظه وأوصافه لأن يكون المقصود من ورائها المدح وليس الذم..

فالذين يعرفون خُلق من صنعه الله على عينه ، حتى جعله صاحب الخُلق العظيم(وإنك لعلى خلق عظيم) (٣)..

والذين يعرفون كيف جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من " العيد " الذى قال فيه هذا الحديث " فرحة " أشرك فى الاستمتاع بها مع الرجال كل النساء ، حتى الصغيرات ، بل وحتى الحُيَّض والنفساء !..

الذين يعرفون صاحب هذا الخلق العظيم ، ويعرفون رفقه بالقوارير ، ووصاياه بهن حتى وهو على فراش المرض يودع هذه الدنيا.. لا يمكن أن يتصوروه صلى الله عليه وسلم ذلك الذى يختار يوم الزينة والفرحة ليجابه كل النساء ومطلق جنس النساء بالذم والتقريع والحكم المؤبد عليهن بنقصان الأهلية ، لنقصانهن فى العقل والدين !..

وإذا كانت المناسبة يوم العيد والزينة والفرحة لا ترشح أن يكون الذم والغم والحزن والتبكيت هو المقصود..

فإن ألفاظ الحديث تشهد على أن المقصود إنما كان المديح ، الذى يستخدم وصف " الواقع " الذى تشترك فى التحلى بصفاته غالبية النساء.. إن لم يكن كل النساء..

فالحديث يشير إلى غلبة العاطفة والرقة على المرأة ، وهى عاطفة ورقة صارت " سلاحاً " تغلب به هذه المرأة أشد الرجال حزماً وشدة وعقلاً.. وإذا كانت غلبة العاطفة إنما تعنى تفوقها على الحسابات العقلية المجردة والجامدة ، فإننا نكون أمام عملة ذات وجهين ، تمثلها المرأة.. فعند المرأة تغلب العاطفة على العقلانية ، وذلك

علـى عكس الرجـل ، الـذى تغلـب عقلانيتـه وحسـاباته العقلانيـة عواطفـه.. وفـى هـذا التمايز فقرة إلهية ، وحكمة بالغة ، ليكون عطاء المرأة فى ميادين العاطفة بـلا حـدود وبلا حسابات..
وليكون عطاء الرجل فى مجالات العقلانية المجردة والجامدة مكملاً لما نقص عند " الشق اللطيف والرقيق ! "..
فنقص العقل الذى أشارت إليه كلمات الحديث النبوى الشريف هو وصف لواقع تتزين به المرأة السوية وتفخر به ، لأنه يعنى غلبة عاطفتها على عقلانيتها المجردة.. ولذلك ، كانت " مداعبة " صاحب الخُلق العظيم الذى آتاه ربه جوامع الكلم للنساء ، فى يوم الفرحة والزينة ، عندما قال: لهن: " إنهن يغلبن بسلاح العاطفة وسلطان الاستضعاف أهل الحزم والألباب من عقلاء الرجال ، ويخترقن بالعواطف الرقيقة أمنـع الحصـون !:
- " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحـازم من إحداكن " فهو مدح للعاطفة الرقيقة التى تذهب بحزم ذوى العقول والألباب.. ويا بؤس وشقاء المرأة التى حرمت من شرف امتلاك هذا السلاح الذى فطر الله النساء على تقلده والتزين به فى هذه الحياة ! بل وأيضاً يا بؤس أهل الحزم والعقلانية من الرجال الذين حرموا فى هذه الحياة من الهزيمة أمام هذا السلاح..
سلاح العاطفة والاستضعاف !..
وإذا كـان هـذا هـو المعنـى المناسـب واللائـق بالقائـل وبالمخاطـب وبالمناسـبة وأيضـاً المحبب لكل النساء والرجال معاً الذى قصدت إليه ألفاظ " نقص العقل " فى الحـديث النبوى الشريف.. فإن المراد " بنقص الدين " هو الآخر وصف الواقع غير المذموم ، بل إنه الواقع المحمود والممدوح !..
فعندما سألت النسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقصود من نقصـهن فـى الدين ، تحـدث عـن اختصاصـهن " بـرخص " فـى العبـادات تزيـد علـى " الـرخص " التـى يشاركن فيها الرجال.. فالنساء يشاركن الرجال فى كل " الرخص " التى رخّص فيها الشارع ٠٠ من إفطار الصائم فى المرض والسفر.. إلـى قصـر الصـلاة وجمعهـا فى السفر.. إلى إباحة المحرمات عند الضرورات.. إلخ.. إلخ ٠٠ثم يزدن عن الرجال فى " رخص" خاصة بالإناث ، من مثل سقوط فرائض الصلاة والصيام عن الحيَّض والنفساء.. وإفطار المرضع ، عند الحاجة ، فى شهر رمضان.. إلخ.. إلخ..
وإذا كان الله سبحانه وتعالى يحب أن تُؤتَى رخصه كما يحب أن تُؤتَى عزائمـه ، فـإن التزام النساء بهذه " الرخص " الشرعية هو الواجب المطلوب والمحمود ، وفيه لهـن الأجر والثواب.. ولا يمكن أن يكون بـالأمر المرذول والمذموم.. ووصـف واقعـه فـى هذا الحـديث النبـوى مثلـه كمثـل وصـف الحـديث لغلبـة العاطفـة الرقيقـة الفياضـة علـى العقلانيـة الجامـدة ، عنـد النسـاء ، هـو وصـف لواقـع محمـود.. ولا يمكن أن يكون ذمًّا للنساء ، ينتقص من أهلية المرأة ومساواتها للرجال ، بأى حال من الأحوال.
إن العقل ملكة من الملكات التى أنعم الله بها على الإنسان ، ولـيس هنـاك إنسـان رجـلاً كان أو امرأة يتساوى مع الآخر مساواة كلية ودقيقة فى ملكة العقل ونعمته.. ففى ذلـك يتفـاوت النـاس ويختلفـون.. بـل إن عقـل الإنسـان الواحـد وضـبطه ذكـراً كـان أو أنثـى

يتفاوت زيادة ونقصاً بمرور الزمن ، وبما يكتسب من المعارف والعلوم والخبرات.. وليست هناك جبلة ولا طبيعة تفرق بين الرجال والنساء فى هذا الموضوع..
وإذا كان العقل فى الإسلام هو مناط التكليف ، فإن المساواة بين النساء والرجال فى التكليف والحساب والجزاء شاهدة على أن التفسيرات المغلوطة لهذا الحديث النبوى الشريف ، هى تفسيرات ناقصة لمنطق الإسلام فى المساواة بين النساء والرجال فى التكليف.. ولو كان لهذه التفسيرات المغلوطة نصيب من الصحة لنقصت تكاليف الإسلام للنساء عن تكليفاته للرجال ، ولكانت تكاليفهن فى الصلاة والصيام والحج والعمرة والزكاة وغيرها على النصف من تكاليف الرجال !.
ولكنها " الرخصة "، التى يُؤجر عليها الملتزمون بها والملتزمات ، كما يُؤجرون جميعاً عندما ينهضون بعزائم التكاليف.. إن النقص المذموم فى أى أمر من الأمور هو الذى يمكن إزالته وجبره وتغييره ، وإذا تغير وانجبر كان محموداً.. ولو كانت " الرخص " التى شرعت للنساء بسقوط الصلاة والصيام للحائض والنفساء مثلاً نقصًا مذمومًا ، لكان صيامهن وصلاتهن وهن حُيّض ونفساء أمرًا مقبولاً ومحمودًا ومأجورًا..
لكن الحال ليس كذلك ، بل إنه على العكس من ذلك.
وأخيرًا ، فهل يعقل عاقل.. وهل يجوز فى أى منطق ، أن يعهد الإسلام ، وتعهد الفطرة الإلهية بأهم الصناعات الإنسانية والاجتماعية صناعة الإنسان ، ورعاية الأسرة ، وصياغة مستقبل الأمة إلى ناقصات العقل والدين ، بهذا المعنى السلبى ، الذى ظلم به غلاة الإسلاميين وغلاة العلمانيين الإسلام ، ورسوله الكريم ، الذى حرر المرأة تحريره للرجل ، عندما بعثه الله بالحياة والإحياء لمطلق الإنسان (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) (٤) فوضع بهذا الإحياء ، عن الناس كل الناس ما كانوا قد حُمِّلوا من الآصار والأغلال (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم..) (٥).
إنها تفسيرات مغلوطة ، وساقطة ، حاول بها أسرى العادات والتقاليد إضفاء الشرعية الدينية على هذه العادات والتقاليد التى لا علاقة لها بالإسلام.. والتى يبرأ منها هذا الحديث النبوى الشريف..
وإذا كان لنا فى ختام إزالة هذه الشبهة أن نزكى المنطق الإسلامى الذى صوبنا به معنى الحديث النبوى الشريف ، وخاصة بالنسبة للذين لا يطمئنون إلى المنطق إلا إذا دعمته وزكته " النصوص " ، فإننا نذكر بكلمات إمام السلفية ابن القيم ، التى تقول: " إن المرأة العدل كالرجل فى الصدق والأمانة والديانة " (٦).
وبكلمات الإمام محمد عبده ، التى تقول:
" إن حقوق الرجل والمرأة متبادلة ، وإنهما أكفاء.. وهما متماثلان فى الحقوق والأعمال ، كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل ، أى أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر فى مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويُسَرُّ به ، ويكره ما لا يلائمه وينفر منه..(٧) ".

وبكلمات الشيخ محمود شلتوت ، التى تقول:
" لقد قرر الإسلام الفطرة التى خلقت عليها المرأة.. فطرة الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم.. فهى ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها ، وعن جماعتها..
وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل ، وإن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة ، وطاعة الرجل لا تنفعها وهى طالحة منحرفة ، ومعصيته لا تضرها ، وهى صالحة مستقيمة(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيرا) (٨) (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٩).
وليقف المتأمل عند هذا التعبير الإلهى " بعضكم من بعض " ، ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل ، وكيف حدَّ من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة. وليس فى الإمكان ما يُؤدَّى به معنى المساواة أوضح ولا أسهل من هذه الكلمة التى تفيض بهاطبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة ، دون تفاضل وسلطان (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) (١٠).
وإذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها ، فهى فى نظر الإسلام أيضاً مسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإرشاد إلى الفضائل ، والتحذير من الرذائل. وقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين أخيها الرجل فى تلك المسئولية ، كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) (١١) (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) (١٢).
فليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أكبر مسئولية فى نظر الإسلام على الرجل وحده ، بحجة أنه أقدر منها عليها ، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب ، فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم..
والإسلام فوق ذلك لم يقف بالمرأة عند حد اشتراكها مع أخيها الرجل فى المسئوليات جميعها خاصها وعامها بل رفع من شأنها ، وكرر تلقاء تحملها هذه المسئوليات احترام رأيها فيما تبدو وجاهته ، شأنه فى رأى الرجل تماماً سواءً بسواء. وإذا كان الإسلام جاء باختيار آراء بعض الرجال ، فقد جاء أيضاً باختيار رأى بعض النساء.

وفى سورة المجادلة احترم الإسلام رأى المرأة ، وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول ، وجمعها وإياه فى خطاب واحد(والله يسمع تحاوركما) (١٣) وقرر رأيها ، وجعله تشريعاً عامًّا خالداً.. فكانت سورة المجادلة أثراً من آثار الفكر النسائى ، وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الإسلام لرأى المرأة ، فالإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ، ينعم الرجل بشم رائحتها ، وإنما هى مخلوق عاقل مفكر ، له رأى ، وللرأى قيمته ووزنه.

وليس هناك فارق دينى بين المرأة والرجل فى التكليف والأهلية ، سوى أن التكليف يلحقها قبل أن يلحق الرجل ، وذلك لوصولها - بطبيعتها - إلى مناط التكليف ، وهو البلوغ ، قبل أن يصل إليه الرجل (١٤).

هكذا تضافرت الحجج المنطقية مع نصوص الاجتهاد الإسلامى على إزالة شبهة الانتقاص من أهلية المرأة ، بدعوى أن النساء ناقصات عقل ودين..

وهكذا وضحت المعانى والمقاصد الحقة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى اتخذت منه التفسيرات المغلوطة " غطاءً شرعيًّا " للعادات والتقاليد الراكدة ، تلك التى حملها البعض من غلاة الإسلاميين على الإسلام ، زوراً وبهتانًا.. والتى حسبها غلاة العلمانيين ديناً إلهيًّا ، فدعوا - لذلك - إلى تحرير المرأة من هذا الإسلام !.

لقد صدق الله العظيم إذ يقول:(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) (١٥).

إننا نلح منذ سنوات طوال وقبلنا ومعنا الكثيرون من علماء الإسلام ومفكريه على أن هذا الدين الحنيف إنما يمثل ثورة كبرى لتحرير المرأة ، لكن الخلاف بيننا وبين الغرب والمتغربين هو حول " نموذج "هذا التحرير.. فهم يريدون المرأة ندًّا مساوياً للرجل.. ونحن مع الإسلام نريد لها " مساواة الشقين المتكاملين ، لا الندين المتماثلين ".. وذلك ، لتتحرر المرأة ، مع بقائها أنثى ، ومع بقاء الرجل رجلاً ، كى يثمر هذا التمايز الفطرى بقاء ، ويجدد القبول والرغبة والجاذبية والسعادة بينهما سعادة النوع الإنسانى.

ونلح على أن هذا " التشابه.. والتمايز " بين النساء والرجال ، هو الذى أشار إليه القرآن الكريم عندما قرن المساواة بالتمايز ، فقالت آياته المحكمات: (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (١٦) (وليس الذكر كالأنثى) (١٧).

نلح على ذلك المنهاج فى التحرير الإسلامى للمرأة.. ولقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يشهد شاهد من أهلها على صدق هذا المنهاج الإسلامى ، فتنشر صحيفة [الأهرام] تقريراً علمياً عن نتائج دراسة علمية استغرقت أبحاثها عشرين عاماً ، وقام بها فريق من علماء النفس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإذا بها تكشف عن مصداقية حقائق هذا المنهاج القرآنى فى تشابه الرجال والنساء فى اثنين وثلاثين صفة.. وتميّز المرأة عن الرجل فى اثنتين وثلاثين صفة.. وتميز الرجل عن المرأة كذلك فى اثنتين وثلاثين صفة–فهناك التشابه: (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)،(خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) (١٨) (بعضكم من بعض)

(١٩). وهناك التمايز الفطرى (وليس الذكر كالأنثى).. فهما يتشابهان فى نصف الصفات ، ويتمايزان فى نصفها الآخر..
فالنموذج الأمثل لتحررهما معاً هو " مساواة الشقين المتكاملين ، لا الندين المتماثلين ".. ولذلك ، آثرت أن أقدم للقارئ خلاصة هذه الدراسة العلمية ، كما نشرتها [الأهرام]-- تحت عنوان [اختلاف صفات الرجل عن المرأة لمصلحة كليهما] - ونصها:
" فى دراسة قام بها علماء النفس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، على مدى عشرين عاماً ، تم حصر عدد الصفات الموجودة فى كل من الرجل والمرأة ، ووجد أن هناك ٣٢ صفة مشتركة فى كل منهما ، وأن ٣٢ صفة أخرى موجودة فى الرجل ، و٣٢ صفة أخرى موجودة عند المرأة ، بدرجات مختلفة فى الشدة ، ومن هنا جاءت الفروق بين صفات الرجولة والأنوثة.
وتوصل العلماء من خلال هذه التجارب إلى أن وجود نصف عدد الصفات مشتركة فى كل من الرجل والمرأة يعمل على وجود الأسس المشتركة بينهما ، لتسهيل التفاهم والتعامل مع بعضهما البعض..
أما وجود عدد آخر من الصفات متساوياً بينهما ومختلفاً عند كل منهما فى الدرجة والشهرة فمعناه تحقيق التكامل بينهما. كما توصلوا إلى أنه كى يعيش كل من الرجل والمرأة فى انسجام وتناغم تام ، لابد أن يكون لدى كل منهما الصفات السيكولوجية المختلفة ، فمثلاً الرجل العصبى الحاد المزاج لا يمكنه أن يتعايش مع امرأة عصبية حادة المزاج ، والرجل البخيل عليه ألا يتزوج امرأة بخيلة ، والرجل المنطوى ، الذى لا يحب الناس ، لا يجوز أن يتزوج من امرأة منطوية ولا تحب الناس. وهكذا.
وكان من نتائج هذه الدراسات الوصول إلى نتيجة مهمة ، ألا وهى أن كل إنسان يحب ألا يعيش مع إنسان متماثل معه فى الصفات وكل شىء ، أى صورة طبق الأصل من صفاته الشخصية ، ومن هنا جاءت الصفات المميزة للرجولة متمثلة فى: قوة العضلات وخشونتها والشهامة ، والقوة فى الحق ، والشجاعة فى موضع الشجاعة ، والنخوة ، والاهتمام بمساندة المرأة وحمايتها والدفاع عنها وجلب السعادة لها. كما تتضمن أيضاً صفات الحب ، والعطاء ، والحنان ، والكرم ، والصدق فى المشاعر وفى القول وحسن التصرف.. إلخ.
أما عن صفات الأنوثة ، فهى تتميز بالدفء ، والنعومة ، والحساسية ، والحنان ، والتضحية ، والعطاء ، وحب الخير ، والتفانى فى خدمة أولادها ، والحكمة ، والحرص على تماسك الأسرة وترابطها ، وحب المديح ، والذكاء ، وحسن التصرف ، وغير ذلك من الصفات..
ولذلك ، فمن المهم أن يكون لدى كل من الرجل والمرأة دراية كافية بطبيعة الرجل وطبيعة المرأة ، وبذلك يسهل على كل منهما التعامل مع الطرف الآخر فى ضوء خصائص كل منهما.. فعندما يعرف الرجل أن المرأة مخلوق مشحون بالمشاعر والأحاسيس والعواطف ، فإنه يستطيع أن يتعامل معها على هذا الأساس.
وبالمثل ، إذا عرفت المرأة طبيعة الرجل ، فإن هذا سيساعدها أيضاً على التعامل معه.. (٢٠).

تلك هى شهادة الدراسة العلمية ، التى قام بها فريق من علماء النفس فى الولايات المتحدة الأمريكية والتى استغرق البحث فيها عشرون عاماً.. والتى تصدق على صدق المنهاج القرآنى فى علاقة النساء بالرجال: الاشتراك والتماثل فى العديد من الصفات.. والتمايز فى العديد من الصفات ، لتكون بينهما " المساواة " و " التمايز " فى ذات الوقت..

ومرة أخرى لا أخيرة صدق الله العظيم إذ يقول:(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) (٢١).

(١) العلق: ١-٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٥.

(٣) القلم: ٤.

(٤) الأنفال: ٢٤.

(٥) الأعراف: ١٥٧.

(٦) [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص ٢٣٦.

(٧) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٤ ص ٦٠٦. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

(٨) النساء: ١٢٤.

(٩) آل عمران: ١٩٥.

(١٠) النساء: ٣٢.

(١١) التوبة: ٧١.

(١٢) التوبة: ٦٧- ٦٨.

(١٣) المجادلة: ١.

(١٤)[الإسلام عقيدة وشريعة] ص ٢٢٣-٢٢٨. طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هجرية - ١٩٨٠م.

(١٥) فصلت: ٥٣.

(١٦) سورة البقرة: ٢٢٨.

(١٧) سورة آل عمران: ٣٦.

(١٨) سورة الأعراف: ١٨٩.

(١٩) سورة آل عمران: ١٩٥.

(٢٠) [الأهرام] فى ٢٩- ٤-٢٠٠١- ص ٢.

(٢١) فصلت: ٥٣

١٦٣- ما أفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

إن " الولاية " بكسر الواو وفتحها هى " النُّصْرَة ".. وكل من ولى أمر الآخر فهو وليه(١)(الله ولىُّ الذين آمنوا) (٢) (إن وَلِيِّىَ الله) (٣) (والله ولىُّ المؤمنين) (٤)

(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لِلَّهِ من دون الناس فتمنوا الموت) (٥) (ما لكم من وَلايتهم من شىء) (٦).
وإذا كانت " النصرة " هى معنى " الولاية " ، فلا مجال للخلاف على أن للمرأة نصرة وسلطاناً ، أى ولاية ، فى كثير من ميادين الحياة..
فالمسلمون مجمعون على أن الإسلام قد سبق كل الشرائع الوضعية والحضارات الإنسانية عندما أعطى للمرأة ذمة مالية خاصة ، وولاية وسلطانا على أموالها ، ملكا وتنمية واستثمارا وإنفاقاً ، مثلها فى ذلك مثل الرجل سواء بسواء.. والولاية المالية والاقتصادية من أفضل الولايات والسلطات فى المجتمعات الإنسانية ، على مر تاريخ تلك المجتمعات.. وفى استثمار الأموال ولاية وسلطان يتجاوز الإطار الخاص إلى النطاق العام.. والمسلمون مجمعون على أن للمرأة ولاية على نفسها ، تؤسس لها حرية وسلطانا فى شئون زواجها ، عندما يتقدم إليها الراغبون فى الاقتران بها ، وسلطانها فى هذا يعلو سلطان وليها الخاص والولى العام لأمر أمة الإسلام..
والمسلمون مجمعون على أن للمرأة ولاية ورعاية وسلطاناً فى بيت زوجها ، وفى تربية أبنائها.. وهى ولاية نص على تميزها بها وفيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فصّل أنواع وميادين الولايات:
[كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته] (٧).
لكن قطاعا من الفقهاء قد وقف بالولايات المباحة والمفتوحة ميادينها أمام المرأة عند " الولايات الخاصة " ، واختاروا حجب المرأة عن " الولايات العامة "، التى تلى فيها أمر غيرها من الناس ، خارج الأسرة وشئونها..
ونحن نعتقد أن ما سبق وقدمناه فى القسم الأول من هذه الدراسة من وقائع تطبيقات وممارسات مجتمع النبوة والخلافة الراشدة لمشاركات النساء فى العمل العام بدءاً من الشورى فى الأمور العامة.. والمشاركة فى تأسيس الدولة الإسلامية الأولى. وحتى ولاية الحسبة والأسواق والتجارات ، التى ولاّها عمر بن الخطاب رضى الله عنه " للشِّفاء بنت عبد الله بن عبد شمس [٢٠ هجرية /٦٤١م].. وانتهاء بالقتال فى ميادين الوغى.. وأيضًا ما أوردناه من الآيات القرآنية الدالة على أن الموالاة والتناصر بين الرجال والنساء فى العمل العام سائر ميادين العمل العام وهى التى تناولها القرآن الكريم تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) (٨).
نعتقد أن ما سبق وأوردناه حول هذه القضية - قضية ولاية المرأة ومشاركتها مع الرجل فى ولايات العمل العام كاف ووافٍ فى الردِّ على الذين يمارون فى ولاية المرأة للعمل العام.
أما الإضافة التى نقدمها فى هذا القسم من هذه الدراسة قسم إزالة الشبهات فهى خاصة بمناقشة الفهم المغلوط للحديث النبوى الشريف: [ما أفلح قوم يلى أمرهم

امرأة].. إذ هو الحديث الذى يستظل بظله كل الذين يحرّمون مشاركة المرأة فى الولايات العامة والعمل العام..
ولقد وردت لهذا الحديث روايات متعددة ، منها: [لن يفلح قوم تملكهم امرأة].. [لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة].. [ولن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة] رواها: البخارى والترمذى والنسائى والإمام أحمد..
وإذا كانت صحة الحديث من حيث " الرواية " هى حقيقة لا شبهة فيها.. فإن إغفال مناسبة ورود هذا الحديث يجعل " الدراية " بمعناه الحقيقى مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل العام..
ذلك أن ملابسات قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، لهذا الحديث تقول: إن نفراً قد قدموا من بلاد فارس إلى المدينة المنورة ، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
- " من يلى أمر فارس " ؟ - " قال [أحدهم]: امرأة.
- فقال صلى الله عليه وسلم " ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ".
فملابسات ورود الحديث تجعله نبوءة سياسية بزوال ملك فارس وهى نبوءة نبوية قد تحققت بعد ذلك بسنوات– أكثر منه تشريعاً عاما يحرم ولاية المرأة للعمل السياسى العام..
ثم إن هذه الملابسات تجعل معنى هذا الحديث خاصاً " بالولاية العامة " أى رئاسة الدولة وقيادة الأمة..
فالمقام كان مقام الحديث عن امرأة تولت عرش الكسروية الفارسية ، التى كانت تمثل إحدى القوتين الأعظم فى النظام العالمى لذلك التاريخ.. ولا خلاف بين جمهور الفقهاء باستثناء طائفة من الخوارج على اشتراط " الذكورة " فيمن يلى " الإمامة العظمى " والخلافة العامة لدار الإسلام وأمة الإسلام.. أما ماعدا هذا المنصب بما فى ذلك ولايات الأقاليم والأقطار والدول القومية والقطرية والوطنية فإنها لا تدخل فى ولاية الإمامة العظمى لدار الإسلام وأمته.. لأنها ولايات خاصة وجزئية ، يفرض واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المشاركة فى حمل أماناتها على الرجال والنساء دون تفريق..
فالشبهة إنما جاءت من خلط مثل هذه الولايات الجزئية والخاصة بالإمامة العظمى والولاية العامة لدار الإسلام وأمته وهى الولاية التى اشترط جمهور الفقهاء " الذكورة " فيمن يليها.. ولا حديث للفقه المعاصر عن ولاية المرأة لهذه الإمامة العظمى ، لأن هذه الولاية قد غابت عن متناول الرجال ، فضلاً عن النساء ، منذ سقوط الخلافة العثمانية [١٣٤٢ هجرية ١٩٢٤م] وحتى الآن !..
وأمر آخر لابد من الإشارة إليه ، ونحن نزيل هذه الشبهة عن ولاية المرأة للعمل العام ، وهو تغير مفهوم الولاية العامة فى عصرنا الحديث ، وذلك بانتقاله من:" سلطان الفرد " إلى " سلطان المؤسسة " ، والتى يشترك فيها جمع من ذوى السلطان والاختصاص..
لقد تحوّل " القضاء " من قضاء القاضى الفرد إلى قضاء مؤسسى ، يشترك فى الحكم فيه عدد من القضاة..

فإذا شاركت المرأة فى " هيئة المحكمة " فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة للقضاء ، بالمعنى الذى كان وارداً فى فقه القدماء ، لأن الولاية هنا الآن لمؤسسة وجمع ، وليست لفرد من الأفراد ، رجلاً كان أو امرأة.. بل لقد أصبحت مؤسسة التشريع والتقنين مشاركة فى ولاية القضاء ، بتشريعها القوانين التى ينفذها القضاة.. فلم يعد قاضى اليوم ذلك الذى يجتهد فى استنباط الحكم واستخلاص القانون ، وإنما أصبح " المنفذ " للقانون الذى صاغته وقننته مؤسسة ، تمثل الاجتهاد الجماعى والمؤسسى لا الفردى فى صياغة القانون..

وكذلك الحال مع تحول التشريع والتقنين من اجتهاد الفرد إلى اجتهاد مؤسسات الصياغة والتشريع والتقنين..

فإذا شاركت المرأة فى هذه المؤسسات ، فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة لسلطة التشريع بالمعنى التاريخى والقديم لولاية التشريع..

وتحولت سلطات صنع " القرارات التنفيذية " فى النظم الشورية والديمقراطية عن سلطة الفرد إلى سلطان المؤسسات المشاركة فى الإعداد لصناعة القرار.. فإذا شاركت المرأة فى هذه المؤسسات ، فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة لهذه السلطات والولايات ، بالمعنى الذى كان فى ذهن الفقهاء الذين عرضوا لهذه القضية فى ظل " فردية " الولايات ، وقبل تعقد النظم الحديثة والمعاصرة ، وتميزها بالمؤسسية والمؤسسات..

لقد تحدث القرآن الكريم عن ملكة سبأ - وهى امرأة - فأثنى عليها وعلى ولايتها للولاية العامة ، لأنها كانت تحكم بالمؤسسة الشورية لا بالولاية الفردية (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) (٩).. وذم القرآن الكريم فرعون مصر - وهو رجل لأنه قد انفرد بسلطان الولاية العامة وسلطة صنع القرار(قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (١٠).. فلم تكن العبرة بالذكورة أو الأنوثة فى الولاية العامة حتى الولاية العامة وإنما كانت العبرة بكون هذه الولاية " مؤسسة شورية " ؟ أم " سلطانا فردياً مطلقاً " ؟ أما ولاية المرأة للقضاء.. والتى يثيرها البعض كشبهة على اكتمال أهلية المرأة فى الرؤية الإسلامية..

فإن إزالة هذه الشبهة يمكن أن تتحقق بالتنبيه على عدد من النقاط:

أولها: أن ما لدينا فى تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء هو " فكر إسلامى " و " اجتهادات فقهية " أثمرت " أحكاماً فقهية ".. وليس "دينا " وضعه الله سبحانه وتعالى وأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن الكريم لم يعرض لهذه القضية ، كما لم تعرض لها السنة النبوية ، لأن القضية لم تكن مطروحة على الحياة الاجتماعية والواقع العملى لمجتمع صدر الإسلام ، فليس لدينا فيها نصوص دينية أصلاً ، ومن ثم فإنها من مواطن ومسائل الاجتهاد..

ثم إن هذه القضية هى من " مسائل المعاملات " وليست من " شعائر العبادات ".. وإذا كانت " العبادات توقيفية " تُلْتَمس من النص وتقف عند الوارد فيه ، فإن " المعاملات " تحكمها المقاصد الشرعية وتحقيق المصالح الشرعية

المعتبرة..والموازنة بين المصالح والمفاسد فيها.. ويكفى فى " المعاملات " أن لا تخالف ما ورد فى النص ، لا أن يكون قد ورد فيها نص..
ومعلوم أن " الأحكام الفقهية " التى هى اجتهادات الفقهاء ، مثلها كمثل الفتاوى ، تتغير بتغير الزمان والمكان والمصالح الشرعية المعتبرة..
فتولى المرأة للقضاء قضية فقهية ، لم ولن يُغْلَق فيها باب الاجتهاد الفقهى الإسلامى..
وثانيها: أن اجتهادات الفقهاء القدماء حول تولى المرأة لمنصب القضاء هى اجتهادات متعددة ومختلفة باختلاف وتعدد مذاهبهم واجتهاداتهم فى هذه المسألة ، ولقد امتد زمن اختلافهم فيها جيلاً بعد جيل..
ومن ثم فليس هناك " إجماع فقهى " فى هذه المسألة حتى يكون هناك إلزام للخلف بإجماع السلف ، وذلك فضلاً عن أن إلزام الخلف بإجماع السلف هو أمر ليس محل إجماع.. ناهيكم عن أن قضية إمكانية تحقق الإجماع أى اجتماع سائر فقهاء عصر ما على مسألة من مسائل فقه الفروع كهذه المسألة هو مما لا يُتَصَوَّر حدوثه حتى لقد أنكر كثير من الفقهاء إمكانية حدوث الإجماع فى مثل هذه الفروع أصلاً.
ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ ٢٤١ هجرية ٧٨٠ ٨٥٥ م] الذى قال: " من ادعى الإجماع فقد كذب ! ".
فباب الاجتهاد الجديد والمعاصر والمستقبلى فى هذه المسألة وغيرها من فقه الفروع مفتوح.. لأنها ليست من المعلوم من الدين بالضرورة أى المسائل التى لم ولن تختلف فيها مذاهب الأمة ولا الفِطر السليمة لعلماء وعقلاء الإسلام..
وثالثها: أن جريان " العادة " فى الأعصر الإسلامية السابقة ، على عدم ولاية المرأة لمنصب القضاء لا يعنى " تحريم " الدين لولايتها هذا المنصب ، فدعوة المرأة للقتال ، وانخراطها فى معاركه هو مما لم تجربه " العادة " فى الأعصر الإسلامية السابقة ، ولم يعن ذلك " تحريم " اشتراك المرأة فى الحرب والجهاد القتالى عند الحاجة والاستطاعة وتعيُّن فريضة الجهاد القتالى على كل مسلم ومسلمة.. فهى قد مارست هذا القتال وشاركت فى معاركه على عصر النبوة والخلافة الراشدة.. من غزوة أُحد [٣ هجرية ٦٢٥م] إلى موقعة اليمامة [١٢ هجرية ٦٣٣ م] ضد ردة مسيلمة الكذاب [١٢ هجرية ٦٣٣ م].. وفى " العادة " مرتبطة " بالحاجات " المتغيرة بتغير المصالح والظروف والملابسات ، وليست هى مصدر الحلال والحرام..
رابعها: أن علة اختلاف الفقهاء حول جواز تولى المرأة لمنصب القضاء ، فى غيبة النصوص الدينية – القرآنية والنبوية – التى تتناول هذه القضية ، كانت اختلاف هؤلاء الفقهاء فى الحكم الذى " قاسوا " عليه توليها للقضاء. فالذين " قاسوا " القضاء على: "الإمامة العظمى " التى هى الخلافة العامة على أمة الإسلام ودار الإسلام مثل فقهاء المذهب الشافعى قد منعوا توليها للقضاء ، لاتفاق جمهور الفقهاء باستثناء بعض الخوارج على جعل " الذكورة " شرطا من شروط الخليفة والإمام ، فاشترطوا هذا الشرط " الذكورة " – فى القاضى ، قياساً على الخلافة والإمامة العظمى.
ويظل هذا " القياس " قياساً على " حكم فقهى " – ليس عليه إجماع وليس " قياساً " على نص قطعى الدلالة والثبوت..

والذين أجازوا توليها القضاء ، فيما عدا قضاء " القصاص والحدود " مثل أبى حنفية " [٨٠ ١٥٠ هجرية / ٦٩٩ ٧٦٧ م] وفقهاء مذهبه قالوا بذلك " لقياسهم " القضاء على " الشهادة " ، فأجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه ، أى فيما عدا " القصاص والحدود ".

فالقياس هنا أيضاً على " حكم فقهى " وليس على نص قطعى الدلالة والثبوت..وهذا الحكم الفقهى المقيس عليه وهو شهادة المرأة فى القصاص والحدود.. أى فى الدماء ليس موضع إجماع.. فلقد سبق وذكرنا فى رد شبهة أن شهادة المرأة هى على النصف من شهادة الرجل إجازة بعض الفقهاء لشهادتها فى الدماء ، وخاصة إذا كانت شهادتها فيها هى مصدر البينة الحافظة لحدود الله وحقوق الأولياء..

أما الفقهاء الذين أجازوا قضاء المرأة فى كل القضايا مثل الإمام محمد بن جرير الطبرى [٢٢٤٣١٠ هجرية / ٨٣٩ ٩٢٣م] فقد حكموا بذلك " لقياسهم " القضاء على " الفتيا ".. فالمسلمون قد أجمعوا على جواز تولى المرأة منصب الإفتاء الدينى أى التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أخطر المناصب الدينية وفى توليها للإفتاء سنة عملية مارستها نساء كثيرات على عهد النبوة من أمهات المؤمنين وغيرهن فقاس هؤلاء الفقهاء قضاء المرأة على فتياها ، وحكموا بجواز توليها كل أنواع القضاء ، لممارستها الإفتاء فى مختلف الأحكام.

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الجوهرى والثابت فى شروط القاضى إنما يحكمه ويحدده الهدف والقصد من القضاء ، وهو: ضمان وقوع الحكم بالعدل بين المتقاضين.. وبعبارة أبى الوليد بن رشد الحفيد [٥٢٠٥٩٥ هجرية / ١١٢٦ ١١٩٨م]: فإن " من رأى حكم المرأة نافذا فى كل شئ قال: إن الأصل هو أن كل من يأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى " (١١).

وخامسها: أن " الذكورة " لم تكن الشرط الوحيد الذى اختلف حوله الفقهاء من بين شروط من يتولى القضاء..

فهم مثلا اختلفوا فى شرط " الاجتهاد " فأوجب الشافعى [١٥٠٢٠٤ هجرية / ٧٦٧٨٢٠م] وبعض المالكية أن يكون القاضى مجتهداً.. على حين أسقط أبو حنيفة هذا الشرط ، بل وأجاز قضاء " العامى " أى الأمى فى القراءة والكتابة وهو غير الجاهل ووافقه بعض الفقهاء المالكية قياسا على أمية النبى صلى الله عليه وسلم (١٢).

واختلفوا كذلك فى شرط كون القاضى " عاملا " وليس مجرد " عالم " بأصول الشرع الأربعة: الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس.. فاشترطه الشافعى ، وتجاوز عنه غيره من الفقهاء (١٣).

كما اشترط أبو حنيفة ، دون سواه أن يكون القاضى عربيا من قريش (١٤).

فشرط " الذكورة " فى القاضى ، هو واحد من الشروط التى اختلف فيها الفقهاء ، حيث اشترطه البعض فى بعض القضايا دون البعض الآخر ، وليس فيه إجماع.. كما أنه ليس فيه نصوص دينية تمنع أو تقيد اجتهادات المجتهدين..

وسادسها: أن منصب القضاء وولايته قد أصابها هى الأخرى ما أصاب الولايات السياسية والتشريعية والتنفيذية من تطور انتقل بها من " الولاية الفردية " إلى ولاية " المؤسسة " فلم تعد " ولاية رجل " أو " ولاية امرأة " ، وإنما أصبح " الرجل " جزءاً من المؤسسة والمجموع ، وأصبحت " المرأة " جزءاً من المؤسسة والمجموع.. ومن ثم أصبحت القضية فى " كيف جديد " يحتاج إلى " تكييف جديد " يقدمه الاجتهاد الجديد لهذا الطور المؤسسى الجديد الذى انتقلت إليه كل هذه الولايات.. ومنها ولاية المرأة للقضاء..

(١) الراغب الأصفهانى ، أبو القاسم الحسين بن محمد [المفردات فى غريب القرآن] طبعة دار التحرير ، القاهرة ١٩٩١م.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) الأعراف: ١٩٦.

(٤) آل عمران: ٦٨.

(٥) الجمعة: ٦.

(٦) الأنفال: ٧٢.

(٧) رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد..

(٨) التوبة: ٧١.

(٩) النمل: ٣٢.

(١٠) غافر: ٢٩.

(١١) [بداية المجتهد ونهاية المقتصد] ج٢ ص ٤٩٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م. والماوردى [أدب القاضى] ج١ ص ٦٢٥-٦٢٨ طبعة بغداد سنة ١٩٧١م. والأحكام السلطانية ص٦٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م.

(١٢) [بداية المجتهد ونهاية المقتصد] ج٢ ص ٤٩٤،٤٩٣.

(١٣)[أدب القاضى] ج ١ ص ٦٤٣.

(١٤) محمد محمد سعيد [كتاب دليل السالك لمذهب الإمام مالك] ص ١٩٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣ م.

١٦٤ـ الرجال قوّامون على النساء

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

فى المدينة المنورة نزلت آيات " القوامة " قوامة الرجال على النساء.. وفى ظل المفهوم الصحيح لهذه القوامة تحررت المرأة المسلمة من تقاليد الجاهلية الأولى ، وشاركت الرجال فى العمل العام مختلف ميادين العمل العام على النحو الذى أشرنا إلى نماذجه فى القسم الأول من هذه الدراسة ؛ فكان مفهوم القوامة حاضراً طوال عصر ذلك التحرير.. ولم يكن عائقاً بين المرأة وبين هذا التحرير..

ولحكمة إلهيةٍ قرن القرآن الكريم فى آيات القوامة بين مساواة النساء للرجال وبين درجة القوامة التى للرجال على النساء ، بل وقدم هذه المساواة على تلك الدرجة ، عاطفاً الثانية على الأولى ب " واو " العطف ، دلالة على المعية والاقتران.. أى أن المساواة والقوامة صنوان مقترنان ، يرتبط كل منهما بالآخر ، وليسا نقيضين ، حتى يتوهم واهم أن القوامة نقيض ينتقص من المساواة..
لحكمة إلهية جاء ذلك فى القرآن الكريم ، عندما قال الله سبحانه وتعالى فى الحديث عن شئون الأسرة وأحكامها:
(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) (١).
وفى سورة النساء جاء البيان لهذه الدرجة التى للرجال على النساء فى سياق الحديث عن شئون الأسرة ، وتوزيع العمل والأنصبة بين طرفى الميثاق الغليظ الذى قامت به الأسرة الرجل والمرأة فإذا بآية القوامة تأتى تالية للآيات التى تتحدث عن توزيع الأنصبة والحظوظ والحقوق بين النساء وبين الرجال ، دونما غبن لطرف ، أو تمييز يخل بمبدأ المساواة ، وإنما وفق الجهد والكسب الذى يحصِّل به كل طرف ما يستحق من ثمرات..(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليماً * ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شئ شهيداً * الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم..) (٢).
ولقد فقه حبر الأمة ، عبد الله بن عباس [٣ق هجرية ٦٨ هجرية / ٦١٩ ٦٨٧م] الذى دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ربه أن يفقهه فى الدين فهم الحكمة الإلهية فى اقتران المساواة بالقوامة ، فقال فى تفسيره لقول الله ، سبحانه وتعالى -:(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) تلك العبارة الإنسانية ، والحكمة الجامعة: " إننى لأتزين لامرأتى ، كما تتزين لى ، لهذه الآية " !
وفهم المسلمون قبل عصر التراجع الحضارى ، الذى أعاد بعضاً من التقاليد الجاهلية الراكدة إلى حياة المرأة المسلمة مرة أخرى – أن درجة القوامة هى رعاية رُبّان الأسرة الرجل لسفينتها ، وأن هذه الرعاية هى مسئولية وعطاء.. وليست ديكتاتورية ولا استبدادا ينقص أو ينتقص من المساواة التى قرنها القرآن الكريم بهذه القوامة ، بل وقدمها عليها..
ولم يكن هذا الفهم الإسلامى لهذه القوامة مجرد تفسيرات أو استنتاجات ، وإنما كان فقهاً محكوماً بمنطق القواعد القرآنية الحاكمة لمجتمع الأسرة ، وعلاقة الزوج بزوجه.. فكل شئون الأسرة تُدار ، وكل قراراتها تُتَّخذ بالشورى ، أى بمشاركة كل أعضاء الأسرة فى صنع واتخاذ هذه القرارات ، لأن هؤلاء الأعضاء مؤمنون بالإسلام والشورى صفة أصيلة من صفات المؤمنين والمؤمنات (والذين يجتنبون كبائرالإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون *والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون) (٣).

فالشورى واحدة من الصفات المميزة للمؤمنين والمؤمنات ، فى كل ميادين التدبير وصناعة القرار.. والأسرة هى الميدان التأسيسى والأول فى هذه الميادين.. تجبُ هذه الشورى ، ويلزم هذا التشاور فى مجتمع الأسرة – لتتأسس التدابير والقرارات على الرضا ، الذى لا سبيل إليه إلا بالمشاركة الشورية فى صنع القرارات.. يستوى فى ذلك الصغير والخطير من هذه التدابير والقرارات.. حتى لقد شاءت الحكمة الإلهية أن ينص القرآن الكريم على تأسيس قرار الرضاعة للأطفال - أى سقاية المستقبل وصناعة الغد على الرضا الذى تثمره الشورى.. ففى سياق الآيات التى تتحدث عن حدود الله فى شئون الأسرة.. تلك الحدود المؤسسة على منظومة القيم.. والمعروف.. والإحسان.. ونفى الجُناح والحرج.. وعدم المضارة والظلم والعدوان.. والدعوة إلى ضبط شئون الأسرة بقيم التزكية والطهر ، لا " بترسانة " القوانين الصماء !..
فى هذا السياق ينص القرآن الكريم على أن تكون الشورى هى آلية الأسرة فى صنع كل القرارات: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) (٤).
هكذا فهم المسلمون معنى القوامة.. فهى مسئولية وتكاليف للرجل ، مصاحبة لمساواة النساء بالرجال..
وبعبارة الإمام محمد عبده: " إنها تفرض على المرأة شيئاً وعلى الرجل أشياء ".
وكانت السنة النبوية فى عصر البعثة البيان النبوى للبلاغ القرآنى فى هذا الموضوع.. فالمعصوم صلى الله عليه وسلم الذى حمّله ربه الحمل الثقيل فى الدين.. والدولة.. والأمة.. والمجتمع - (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) (٥). هو الذى كان فى خدمة أهله - أزواجه - وكانت شوراهن معه وله صفة من صفات بيت النبوة ، فى الخاص والعام من الأمور والتدابير.. ويكفى أن هذه السنة العملية قد تجسدت تحريراً للمرأة ، شاركت فيه الرجال بكل ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية.. وحتى القتال.. كما كان صلى الله عليه وسلم دائم التأكيد على التوصية بالنساء خيراً..فحريتهن حديثة العهد ، وهن قريبات من عبودية التقاليد الجاهلية ، واستضعافهن يحتاج إلى دوام التوصية بهن والرعاية لهن.. وعنه صلى الله عليه وسلم تروى أقرب زوجاته إليه عائشة رضى الله عنها: " إنما النساء شقائق الرجال " رواه أبو داود والترمذى والدارمى والإمام أحمد وعندما سئلت:
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى بيته ؟ قالت: " كان بشراً من البشر ، يغلى ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه " رواه الإمام أحمد يفعل ذلك ، وهو القَوَّام على الأمة كلها ، فى الدين والدولة والدنيا جميعاً !..وفى خطبته صلى الله عليه وسلم بحجة الوداع [١٠ هجرية / ٦٣٢ م] وهى التى كانت إعلانا عالميا خالداً للحقوق والواجبات الدينية والمدنية – كما صاغها الإسلام أفرد صلى الله عليه وسلم للوصية بالنساء فقرات خاصة ، أكد فيها على التضامن والتناصر بين النساء والرجال فى المساواة والحقوق والواجبات فقال: " ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عوان

عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً.. فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت !. اللهم فاشهد " (٦).

هكذا فُهمت القوامة فى عصر التنزيل.. فكانت قيادة للرجل فى الأسرة ، اقتضتها مؤهلاته ومسئولياته فى البذل والعطاء.. وهى قيادة محكومة بالمساواة والتناصر والتكافل بين الزوج وزوجه فى الحقوق والواجبات ومحكومة بالشورى التى يسهم بها الجميع ويشاركون فى تدبير شئون الأسرة.. هذه الأسرة التى قامت على " الميثاق الغليظ " ميثاق الفطرة والذى تأسس على المودة والرحمة ، حتى غدت المرأة فيها السكن والسكينة لزوجها حيث أفضى بعضهم إلى بعض ، هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن ، فهى بعض الرجل والرجل بعض منها:(بعضكم من بعض) (٧) - (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٨) (هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) (٩) (وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) (١٠).

وإذا كانت القوامة ضرورة من ضروريات النظام والتنظيم فى أية وحدة من وحدات التنظيم الاجتماعى ، لأن وجود القائد الذى يحسم الاختلاف والخلاف ، هو مما لا يقوم النظام والانتظام إلا به.

فلقد ربط القرآن هذه الدرجة فى الريادة والقيادة بالمؤهلات وبالعطاء ، وليس بمجرد " الجنس " فجاء التعبير: (الرجال قوامون على النساء) وليس كل رجل قوّام على كل امرأة.. لأن إمكانات القوامة معهودة فى الجملة والغالب لدى الرجال ، فإذا تخلفت هذه الإمكانات عند واحد من الرجال ، كان الباب مفتوحاً أمام الزوجة إذا امتلكت من هذه المقومات أكثر مما لديه لتدير دفة الاجتماع الأسرى على نحو ما هو حادث فى بعض الحالات !..

هكذا كانت القوامة فى الفكر والتطبيق فى عصر صدر الإسلام.. لكن الذى حدث بعد القرون الأولى وبعد الفتوحات التى أدخلت إلى المجتمع الإسلامى شعوباً لم يذهب الإسلام عاداتها الجاهلية ، فى النظر إلى المرأة والعلاقة بها ، قد أصاب النموذج الإسلامى بتراجعات وتشوهات أشاعت تلك العادات والتقاليد الجاهلية فى المجتمعات الإسلامية من جديد..

ويكفى أن نعرف أن كلمةٍ " عَوَان " التى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بها النساء ، فى خطبة حجة الوداع ، والتى تعنى فى [لسان العرب]: " النَّصَف والوسط " (١١) أى الخيار وتعنى ذات المعنى فى موسوعات مصطلحات الفنون (١٢).. قد أصبحت تعنى - فى عصر التراجع الحضارى - أن المرأة أسيرة لدى الرجل ، وأن النساء أسرى عند الرجال.. وأن القوامة هى لون من " القهر " لأولئك النساء الأسيرات !! حتى وجدنا إماماً عظيماً مثل ابن القيم ، يعبر عن واقع عصره العصر المملوكى فيقول هذا الكلام الغريب والعجيب: " إن السيد قاهر لمملوكه ،حاكم عليه ، مالك له. والزوج قاهر لزوجته ، حاكم عليها ، وهى تحت سلطانه وحكمه شبه الأسير " (١٣) !!

وهو فهم لمعنى القوامة ، وعلاقة الزوج بزوجه ، يمثل انقلاباً جذريا على إنجازات الإسلام فى علاقة الأزواج بالزوجات !.. انقلاب جذريًّا فالعادات والتقاليد الجاهلية التى أصبحت تغالب قيم الإسلام فى تحرير المرأة ومساواة النساء للرجال..
ووجدنا كذلك فى عصور التقليد والجمود الفقهى تعريف بعض " الفقهاء " لعقد النكاح ، فإذا به: " عقد تمليك بضع الزوجة " !!.. وهو انقلاب على المعانى القرآنية السامية لمصطلحات " الميثاق الغليظ " و " المودة ".. والرحمة.. والسكن والسكينة.. وإفضاء كل طرف إلى الطرف الآخر ، حتى أصبح كل منهما لباساً له "..
هكذا حدث الانقلاب ، فى عصور التراجع الحضارى لمسيرة أمة الإسلام..
ولذلك ، كان من مقتضيات البعث الحضارى ، الحديث والمعاصر ، لنموذج الإسلام فى تحرير المرأة وإنصافها ، كبديل للنموذج الغربى الذى اقتحم عالم الإسلام فى ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية لبلادنا والذى شقيت وتشقى به المرأة السوية فى الغرب ذاته كان من مقتضيات ذلك إعادة المفاهيم الإسلامية الصحيحة لمعنى قوامة الرجال على النساء.. وهى المهمة التى نهضت بها الاجتهادات الإسلامية الحديثة والمعاصرة لأعلام علماء مدرسة الإحياء والتجديد..
فالإمام محمد عبده ، قد وقف أمام آيات القوامة (ولهن مثل الذىعليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (١٤) فإذا به يقول:
" هذه كلمة جليلة جداً ، جمعت على إيجازها مالا يُؤَدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير ، فهى قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق ، إلا أمراً واحداً عبّر عنه بقوله: (وللرجال عليهن درجة) وقد أحال فى معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهن ومعاملاتهن فى أهليهن ، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم..
فهذه الجملة تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشئون والأحوال ، فإذا همّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه ، ولهذا قال ابن عباس ، رضى الله عنهما: إننى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى ، لهذه الآية.
وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها ، وإنما المراد: أن الحقوق بينهما متبادلة ، وأنهما كفئان ، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها ، وإن لم يكن مثله فى شخصه ، فهو مثله فى جنسه ، فهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل ، أى أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر فى مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ، ويكره مالا يلائمه وينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبدا يستذله ويستخدمه فى مصالحه ، ولا سيما بعد عقد الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة التى لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه..
هذه الدرجة التى رُفع النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده..
لقد خاطب الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة ، فى العبادات والمعاملات ، كما خاطب الرجال ، وجعل لهن مثل ما جعله عليهن ، وقرن أسماءهن بأسمائهم فى آيات كثيرة ، وبايع النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنات كما بايع

المؤمنين ، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم ، وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن فى الدنيا والآخرة..
وأما قوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئاً ، وذلك أن هذه الدرجة درجة الرياسة والقيام على المصالح ، المفسرة بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (١٥).
إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ، ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لابد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يُرجع إلى رأيه فى الخلاف ، لئلا يعمل كل ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة ، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها ، وكانت هى مطالبة بطاعته فى المعروف.
إن المراد بالقيام " القوامة " هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرؤوس بإرادته واختياره ، وليس معناه أن يكون المرؤوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه.
إن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن.
أما الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم ، فإنما يلدون عبيدًا لغيرهم "-(١٦) !!.
" وإذا كانت عصور التراجع الحضارى كما سبق وأشرنا قد استبدلت بالمعانى السامية لعقد الزواج المودة ، والرحمة ، والسكن والميثاق الغليظ " ذلك المعنى الغريب "عقد تمليك بُضع الزوجة " ! – وعقد أسر وقهر !. فلقد أعاد الاجتهاد الإسلامى الحديث والمعاصر الاعتبار إلى المعانى القرآنية السامية..
وكتب الشيخ محمود شلتوت [١٣١٠١٣٨٣ هجرية ١٨٩٣ ١٩٦٣م] فى تفسيره للقرآن الكريم تحت عنوان [الزواج ميثاق غليظ] يقول:
" لقد أفرغت سورة النساء على عقد الزواج صبغة كريمة ، أخرجته عن أن يكون عقد تمليك كعقد البيع والإجارة ، أو نوعا من الاسترقاق والأسر حيث أفرغت عليه صبغة " الميثاق الغليظ ".
ولهذا التعبير قيمته فى الإيحاء بموجبات الحفظ والرحمة والمودة. وبذلك كان الزواج عهدا شريفاً وميثاقاً غليظاً ترتبط به القلوب ، وتختلط به المصالح ، ويندمج كل من الطرفين فى صاحبه ، فيتحد شعورهما ، وتلتقى رغباتهما وآمالهما. كان علاقة دونها علاقة الصداقة والقرابة ، وعلاقة الأبوة والبنوة(هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) (١٧) (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١٨). يتفكرون فيدركون أن سعادة الحياة الزوجية إنما تُبنى على هذه العناصر الثلاثة: السكن والمودة والرحمة..
وإذا تنبهنا إلى أن كلمة (ميثاق) لم ترد فى القرآن الكريم إلا تعبيرًا عما بين الله وعباده من موجبات التوحيد ، والتزام الأحكام ، وعما بين الدولة والدولة من الشئون العامة والخطيرة ، علمنا مقدار المكانة التى سما القرآن بعقد الزواج إليها ، وإذا

تنبهنا مرة أخرى إلى أن وصف الميثاق " بالغليظ " لم يرد فى موضع من مواضعه إلا فى عقد الزواج وفيما أخذه الله على أنبيائه من مواثيق(وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) (١٩). تضاعف لدينا سمو هذه المكانة التى رفع القرآن إليها هذه الرابطة السامية ".
ثم تحدث الشيخ شلتوت عن المفهوم الإسلامى الصحيح " للقوامة " فقال:
".. وبينت السورة الدرجة التى جعلها الله للرجال على النساء ، بعد أن سوى بينهما فى الحقوق والواجبات ، وأنها لا تعدو درجة الإشراف والرعاية بحكم القدرة الطبيعية التى يمتاز بها الرجل على المرأة ، بحكم الكد والعمل فى تحصيل المال الذى ينفقه فى سبيل القيام بحقوق الزوجة والأسرة ، وليست هذه الدرجة درجة الاستعباد والتسخير ، كما يصورها المخادعون المغرضون " (٢٠).
تلك هى شبهة الفهم الخاطىء والمغلوط لقوامة الرجال على النساء.. والتى لا تعدو أن تكون الانعكاس لواقع بعض العادات الجاهلية التى ارتدت فى عصور التراجع الحضارى لأمتنا الإسلامية فغالبت التحرير الإسلامى للمرأة حتى انتقلت بالقوامة من الرعاية والريادة ، المؤسسة على إمكانات المسئولية والبذل والعطاء ، إلى قهر السيد للمسود والحر للعبد والمالك للمملوك !.
ولأن هذا الفهم غريب ومغلوط ، فإن السبيل إلى نفيه وإزالة غباره وآثاره هو سبيل البديل الإسلامى الذى فقهه الصحابة ، رضوان الله عليهم للقوامه.. والذى بعثه من جديد الاجتهاد الإسلامى الحديث والمعاصر ، ذلك الذى ضربنا عليه الأمثال من فكر وإبداع الشيخ محمد عبده والشيخ محمود شلتوت.
بل إننا نضيف ، للذين يرون فى القوامة استبدادا بالمرأة وقهرا لها سواء منهم غلاة الإسلاميين الذين ينظرون للمرأة نظرة دونية ، ويعطلون ملكاتها وطاقاتها بالتقاليد أو غلاة العلمانيين ، الذين حسبوا ويحسبون أن هذا الفهم المغلوط هو صحيح الإسلام وحقيقته ، فيطلبون تحرير المرأة بالنموذج الغربى..
بل وتحريرها من الإسلام !.. أقول لهؤلاء جميعاً:
إن هذه الرعاية التى هى القوامة ، لم يجعلها الإسلام للرجل بإطلاق.. ولم يحرم منها المرأة بإطلاق..
وإنما جعل للمرأة رعاية – أى " قوامة " – فى الميادين التى هى فيها أبرع وبها أخبر من الرجال..
ويشهد على هذه الحقيقة نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع عليهم ، وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم.. ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن راعيته " رواه البخارى والإمام أحمد.
فهذه الرعاية "القوامة "-هى فى حقيقتها " تقسيم للعمل " تحدد الخبرةُ والكفاءةُ ميادين الاختصاص فيه.. فالكل راع ومسئول-وليس فقط الرجال هم الرعاة والمسئولون-وكل صاحب أو صاحبة خبرة وكفاءة هو راع وقوّام أو راعية وقوّامة على ميدان من الميادين وتخصص من التخصصات.. وإن تميزت رعاية الرجال وقوامتهم فى الأسر والبيوت والعائلات وفقاً للخبرة والإمكانات التى يتميزون بها فى

ميادين الكد والحماية..فإن لرعاية المرأة تميزاً فى إدارة مملكة الأسرة وفى تربية الأبناء والبنات.. حتى نلمح ذلك فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى سبق إيراده - عندما جعل الرجل راعياً ومسئولاً على " أهل بيته " بينما جعل المرأة راعية ومسئولة على " بيت بعلها وولده "..

فهذة " القوامة " - توزيع للعمل ، تحدد الخبرة والكفاءة ميادينه.. وليست قهراً ولا قسْراً ولا تملكا ولا عبودية ، بحال من الأحوال..

هكذا وضحت قضية القوامة.. وسقطت المعانى الزائفة والمغلوطة لآخر الشبهات التى يتعلق بها الغلاة..

غلاة الإسلاميين.. وغلاة العلمانيين.

فالطريق مفتوح أمام إنهاض المرأة بفكر متزن يرى أنها مع الرجل قد خلقا من نفس واحدة وتساويا فى الحقوق والواجبات واختلفت وظائف كل منهما إختلاف تكامل كتكامل خصائصهما الطبيعية لعمارة الدنيا وعبادة الله الواحد الأحد.

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) النساء: ٣٢-٣٤.

(٣) الشورى: ٣٧ - ٣٩.

(٤) البقرة: ٢٣٣.

(٥) المزمل: ٥.

(٦) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص٢٨٣. جمعها وحققها: د. محمد حميد الله. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

(٧) آل عمران: ١٩٥.

(٨) الروم: ٢١.

(٩) البقرة: ١٨٧.

(١٠) النساء: ٢١.

(١١) ابن منظور [لسان العرب] طبعة دار المعارف. القاهرة.

(١٢) انظر: الراغب الأصفهانى [المفردات فى غريب القرآن] طبعة دار التحرير. القاهرة سنة ١٩٩١م.

وأبو البقاء الكفوى [الكليات] ق٢ ص٢٨٧. تحقيق: د. عدنان درويش ، طبعة دمشق سنة ١٩٨٢م.

(١٣) [إعلام الموقعين] ج٢ ص١٠٦. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

(١٤) البقرة: ٢٢٨.

(١٥) النساء: ٣٤.

(١٦) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٤ ص ٦٠٦ – ٦١١- وج٥ ص ٢٠١، ٢٠٣. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

(١٧) البقرة: ١٨٧.

(١٨) الروم: ٢١.

(١٩) النساء: ٢١.

(٢٠) [تفسير القرآن الكريم] ص ١٧٢ ١٧٤. طبعة القاهرة ١٣٩٩ هجرية ١٩٧٩م.

١٦٤ـ قضية الحِجاب

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

السياق القرآنى لآية الخمار يبين أن العلة هى العفاف وحفظ الفروج ، حيث يبدأ بالحديث عن تميز الطيبين والطيبات عن الخبيثين والخبيثات.. وعن آداب دخول بيوت الآخرين ، المأهول منها وغير المأهول..

وعن غض البصر.. وحفظ الفروج ، لمطلق المؤمنين والمؤمنات..وعن فريضة الاختمار ، حتى لا تبدو زينة المرأة ـ مطلق المرأة ـ إلا لمحارم حددتهم الآية تفصيلاً. فالحديث عن الاختمار حتى فى البيوت ، إذا حضر غير المحارم.. ثم يواصل السياق القرآنى الحديث عن الإحصان بالنكاح (الزواج) وبالاستعفاف للذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله:

(الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم * يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تَذكَّرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم * ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون * قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) (١).

فنحن أمام نظام إسلامى ، وتشريع إلهى مفصل ، فى العفة وعلاقتها بستر العورات عن غير المحارم.

وهو تشريع عام ، فى كل مكان توجد فيه المرأة مع غير محرم.

بل إن ذات السورة ـ (النور) تستأنف التشريع لستر العورات داخل البيوت ـ نصاً وتحديداً ـ فتقول آياتها الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاثُ عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم * والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) (٢).

فنحن أمام تشريع لستر العورات ، حتى داخل البيوت ، عن غير المحارم ـ الذين حددتهم الآيات ـ ومنهم الصبيان إذا بلغوا الحلم.. فحيث أمر الله بالعفاف وحرم الزنا وأقر الزواج وأباح إمكانية التعدد فكان لابد لكمال التشريع من الأمر بدرء ما يوصل إلى عكس ذلك كله فأمر بالحجاب وبغض البصر وبعدم الخلوة وهو أَمْرٌ له سبحانه فى كل دين.

(١) النور: ٢٦- ٣٣.

(٢) النور: ٦٨: ٧٠.

شبهات حول المرأة

أولاً: الحجاب:

الشبهة الأولى: الحجاب تزمّت والدين يسر:

يدّعي بعض دعاة التبرج والسفور بأنّ الحجاب تزمّت في الدين، والدين يسر لا تزمّتَ فيه ولا تشدّد، وإباحة السفور مصلحةٌ تقتضيها مشقة التزام الحجاب في عصرنا[١].

الجواب:

١- إن تعاليم الدين الإسلامي وتكاليفَه الشرعية جميعها يسر لا عسرَ فيها، قال تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ} [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:٧٨]، وقال: {لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة:٢٣٢]. فهذه الآيات صريحة في التزام مبدأ التخفيف والتيسير على الناس في أحكام الشرع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا))[٢]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: ((بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا))[٣].

فالشارع لا يقصد أبدًا إعنات المكلّفين أو تكليفهم بما لا تطيقه أنفسهم، فكلّ ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخلٌ في مقدورهم وطاقتهم[٤].

٢- ثم لا بد من معرفة أن للمصلحة الشرعية ضوابط يجب مراعاتها وهي:

أ- أن تكون هذه المصلحة مندرجة في مقاصد الشرع، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكلّ ما يحفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكلّ ما يفوّت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة، ولا شك أن الحجاب مما يحفظ هذه الكليات وأن التبرج والسفور يؤدي بها إلى الفساد.
ب- أن لا تعارض هذه المصلحة النقل الصحيح، فلا تعارض القرآن الكريم؛ لأن معرفة المقاصد الشرعية إنما تمّ استنادًا إلى الأحكام الشرعية المنبثقة من أدلتها التفصيلية، والأدلة كلّها راجعة إلى الكتاب، فلو عارضت المصلحة كتابَ الله لاستلزم ذلك أن يعارض المدلولُ دليله، وهو باطل. وكذلك بالنسبة للسنة، فإن المصلحة المزعومة إذا عارضتها اعتُبرت رأيًا مذمومًا. ولا يخفى مناقضة هذه المصلحة المزعومة لنصوص الكتاب والسنة.
ج- أن لا تعارض هذه المصلحة القياس الصحيح.
د- أن لا تفوِّت هذه المصلحة مصلحة أهمّ منها أو مساوية لها.
٣- قاعدة: "المشقّة تجلب التيسير" معناها: أنّ المشقة التي قد يجدها المكلف في تنفيذ الحكم الشرعي سبب شرعي صحيح للتخفيف فيه بوجه ما.
لكن ينبغي أن لا تفهم هذه القاعدة على وجهٍ يتناقض مع الضوابط السابقة للمصلحة، فلا بد للتخفيف أن لا يكون مخالفًا لكتابٍ ولا سنّة ولا قياس صحيح ولا مصلحة راجحة.
ومن المصالح ما نصّ على حُكمة الكتاب والسنة كالعبادات والعقود والمعاملات، وهذا القسم لم يقتصر نصّ الشارع فيه على العزائم فقط، بل ما من حكم من أحكام العبادات والمعاملات إلا وقد شرع إلى جانبه سبل التيسير فيه. فالصلاة مثلا شرعت أركانها وأحكامها الأساسية، وشرع إلى جانبها أحكام ميسّرة لأدائها عند لحوق المشقة كالجمع والقصر والصلاة من جلوس. والصوم أيضا شرع إلى جانب أحكامه الأساسية رخصةُ الفطر بالسفر والمرض. والطهارة من النجاسات في الصلاة شرع معها رخصة العفو عما يشقّ الاحتراز منه. وأوجب الله سبحانه وتعالى الحجابَ على المرأة، ثم نهى عن النظر إلى الأجنبية، ورخّص في كشف الوجه والنظر إليه عند الخِطبة والعلاج، والتقاضي والإشهاد.
إذًا فليس في التيسير الذي شرعه الله سبحانه وتعالى في مقابلة عزائم أحكامه ما يخلّ بالوفاق مع ضوابط المصلحة، ومعلومٌ أنه لا يجوز الاستزادة في التخفيف على ما ورد به النص، كأن يقال: إنّ مشقة الحرب بالنسبة للجنود تقتضي وضعَ الصلاة عنهم، أو يقال: إن مشقة التحرّز عن الربا في هذا العصر تقتضي جوازَ التعامل به، أو يقال: إنّ مشقة التزام الحجاب في بعض المجتمعات تقتضي أن يباحَ للمرأة التبرّج بدعوى عموم البلوى به[٥].
الشبهة الثانية: الحجاب من عادات الجاهلية فهو تخلف ورجعية:
قالوا: إن الحجاب كان من عادات العرب في الجاهلية، لأنّ العرب طبِعوا على حماية الشّرف، ووأدوا البنات خوفًا من العار، فألزموا النساء بالحجاب تعصبًا لعاداتهم القبلية التي جاء الإسلام بذمّها وإبطالها، حتى إنّه أبطل الحجاب[٦]، فالالتزام بالحجاب رجعية وتخلّف عن ركب الحضارة والتقدم.

الجواب:
١- إن الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام، بل لقد ذمّ الله تعالى تبرّج نساء الجاهلية، فوجه نساء المسلمين إلى عدم التبرج حتى لا يتشبهن بنساء الجاهلية، فقال جلّ شأنه: {وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلأولَىٰ} [الأحزاب:٣٣].
كما أن الأحاديث الحافلة بذمّ تغيير خلق الله أوضحت أنّ وصلَ الشعر والتنمّص كان شائعًا في نساء اليهود قبل الإسلام، ومن المعروف أنه مما تستخدمه المتبرّجات.
صحيح أن الإسلام أتى فأبطل عادات ذميمة للعرب، ولكن بالإضافة إلى ذلك كانت لهم عادات جميلة أقرّها الإسلام فلم يبطلها، كإكرام الضيف والجود والشجاعة وغير ذلك.
وكان من ضمن عاداتهم الذميمة خروج النساء متبرّجات كاشفات الوجوه والأعناق، باديات الزينة، ففرض الله الحجاب على المرأة بعد الإسلام ليرتقي بها ويصونَ كرامتها، ويمنع عنها أذى الفسّاق والمغرضين[٧].
٢- إذا كانت النساء المسلمات راضياتٍ بلباسهن الذي لا يجعلهن في زمرة الرجيعات والمتخلفات فما الذي يضير التقدميين في ذلك؟! وإذا كنّ يلبسن الحجاب ولا يتأفّفن منه فما الذي حشر التقدميين في قضية فردية شخصية كهذه؟! ومن العجب أن تسمع منهم الدعوةَ إلى الحرية الشخصية وتقديسها، فلا يجوز أن يمسّها أحد، ثم هم يتدخّلون في حرية غيرهم في ارتداء ما شاؤوا من الثياب[٨].
٣- إنّ التخلف له أسبابه، والتقدم له أسبابه، وإقحام شريعة الستر والأخلاق في هذا الأمر خدعة مكشوفة، لا تنطلي إلا على متخلّف عن مستوى الفكر والنظر، ومنذ متى كان التقدّم والحضارة متعلّقين بلباس الإنسان؟! إنّ الحضارة والتقدم والتطور كان نتيجة أبحاث توصَّل إليها الإنسان بعقله وإعمال فكره، ولم تكن بثوبه ومظهره[٩].
الشبهة الثالثة: الحجاب وسيلة لإخفاء الشخصية:
يقول بعضهم: إنّ الحجابَ يسهّل عملية إخفاء الشخصية، فقد يتستّر وراءه بعض النساء اللواتي يقترفن الفواحش[١٠].
الجواب:
١- يشرع للمرأة في الإسلام أن تستر وجهها لأن ذلك أزكى وأطهر لقلوب المؤمنين والمؤمنات. وكل عاقل يفهم من سلوك المرأة التي تبالغ في ستر نفسها حتى أنها لا تبدي وجهًا ولا كفا ـ فضلاً عن سائر بدنها ـ أن هذا دليل الاستعفاف والصيانة، وكل عاقل يعلم أيضًا أن تبرج المرأة وإظهارها زينتها يشعر بوقاحتها وقلة حيائها وهوانها على نفسها، ومن ثم فهي الأولى أن يُساء بها الظن بقرينة مسلكها الوخيم حيث تعرض زينتها كالسلعة، فتجرّ على نفسها وصمة خُبث النية وفساد الطوية وطمع الذئاب البشرية[١١].
٢- إنّ من المتواتر لدى الكافة أن المسلمة التي تتحجب في هذا الزمان تذوق الويلات من الأجهزة الحكومية والإدارات الجامعية والحملات الإعلامية والسفاهات من المنافقين في كل مكان، ثم هي تصبر على هذا كله ابتغاء وجه الله تعالى، ولا يفعل

هذا إلا مؤمنة صادقة رباها القرآن والسنة، فإذا حاولت فاسقة مستهترة ساقطة أن تتجلبب بجلباب الحياء وتواري عن الأعين بارتداء شعار العفاف ورمز الصيانة وتستر عن الناس آفاتها وفجورها بمظهر الحصان الرزان فما ذنب الحجاب إذًا؟!
إن الاستثناء يؤيد القاعدة ولا ينقضها كما هو معلوم لكلّ ذي عقل، مع أنّ نفس هذه المجتمعات التي يروَّج فيها هذه الأراجيف قد بلغت من الانحدار والتردّي في مهاوي التبرّج والفسوق والعصيان ما يغني الفاسقات عن التستّر، ولا يحوجهنّ إلى التواري عن الأعين.
وإذا كان بعض المنافقين يتشدّقون بأنّ في هذا خطرًا على ما يسمّونه الأمن فليبينوا كيف يهتزّ الأمن ويختلّ بسبب المتحجبات المتسترات، مع أنه لم يتزلزل مرة واحدة بسبب السافرات والمتبرجات!![١٢].
٣- لو أن رجلاً انتحل شخصية قائد عسكري كبير، وارتدى بزته، وتحايل بذلك واستغل هذا الثوب فيما لا يباح له كيف تكون عقوبته؟! وهل يصلح سلوكه مبررًا للمطالبة بإلغاء الزي المميّز للعسكريين مثلاً خشية أن يسيء أحد استعماله؟!
وما يقال عن البزة العسكرية يقال عن لباس الفتوّ، وزيّ الرياضة، فإذا وجد في المجتمع الجندي الذي يخون والفتى الذي يسيء والرياضي الذي يذنب هل يقول عاقل: إنّ على الأمة أن تحارب شعارَ العسكر ولباس الفتوّة وزيّ الرياضة لخيانات ظهرت وإساءات تكررت؟! فإذا كان الجواب: "لا" فلماذا يقف أعداء الإسلام من الحجاب هذا الموقف المعادي؟! ولماذا يثيرون حوله الشائعات الباطلة المغرضة؟![١٣].
٤- إن الإسلام كما يأمر المرأة بالحجاب يأمرها أن تكون ذات خلق ودين، إنه يربي من تحت الحجاب قبل أن يسدل عليها الجلباب، ويقول لها: {وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف:٢٦]، حتى تصل إلى قمة الطهر والكمال قبل أن تصل إلى قمة الستر والاحتجاب، فإذا اقتصرت امرأة على أحدهما دون الآخر تكون كمن يمشي على رجل واحدة أو يطير بجناح واحد.
إن التصدي لهؤلاء المستهترات - إذا وجدن - أن تصدر قوانين صارمة بتشديد العقوبة على كل من تسوّل له نفسه استغلال الحجاب لتسهيل الجرائم وإشباع الأهواء، فمثل هذا التشديد جائز شرعًا في شريعة الله الغراء التي حرصت على صيانة النفس ووقاية العرض، وجعلتهما فوق كل اعتبار، وإذا كان التخوف من سوء استغلال الحجاب مخطرة محتملة إلا أن المخطرة في التبرج والسفور بنشر الفاحشة وفتح ذرائعها مقطوع بها لدى كل عاقل[١٤].
الشبهة الرابعة: عفة المرأة في ذاتها لا في حجابها:
يقول البعض: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها وهي فاجرة في سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس كاشفة المفاتن لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها ولا إلى سلوكها[١٥].
الجواب:

إن هذا صحيح، فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفّة مفقودة، ولا أن تمنحه استقامة معدومة، وربَّ فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها.
ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟! ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلانًا بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟!
إن الله عز وجل فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها، وليس حفاظًا على عفتها من الأعين التي تراها فقط، ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان إلا أن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: إن للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟!
إن بلاء الرجال بما تقع عليه أبصارهم من مغرياتِ النساء وفتنتهن هو المشكلة التي أحوجت المجتمعَ إلى حلّ، فكان في شرع الله ما تكفّل به على أفضل وجه، وبلاء الرجال إذا لم يجد في سبيله هذا الحلّ الإلهي ما من ريب سيتجاوز بالسوء إلى النساء أيضًا، ولا يغني عن الأمر شيئًا أن تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامةٍ في سلوكها أو عفة في نفسها، فإن في ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال ما قد يتغلّب على كل استقامة أو عفة تتمتّع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم[١٦].
الشبهة الخامسة: دعوى أن الحجاب من وضع الإسلام:
زعم آخرون أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام فلم يكن له وجود في الجزيرة العربية ولا في غيرها قبل الدعوة المحمدية[١٧].
الجواب:
١- إن من يقرأ كتب العهد القديم وكتب الأناجيل يعلم بغير عناء كبير في البحث أن حجاب المرأة كان معروفًا بين العبرانيين من عهد إبراهيم عليه السلام، وظل معروفًا بينهم في أيام أنبيائهم جميعًا، إلى ما بعد ظهور المسيحية، وتكررت الإشارة إلى البرقع في غير كتاب من كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد.
ففي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي، فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت.
وفي النشيد الخامس من أناشيد سليمان تقول المرأة: أخبرني يا من تحبه نفسي، أين ترعى عند الظهيرة؟ ولماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك؟
وفي الإصحاح الثالث من سفر أشعيا: إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن بأن ينزع عنهن زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب.
وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضًا أن تامار مضت وقعدت في بيت أبيها، ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت.

ويقول بولس الرسول في رسالته كورنثوس الأولى: "إن النقاب شرف للمرأة، وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلتقي بالغرباء وتخلعه حين تنزوي في الدار بلباس الحداد[١٨].
فالكتب الدينية التي يقرؤها غير المسلمين قد ذكرت عن البراقع والعصائب مالم يذكره القرآن الكريم.
٢- وكان الرومان يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات قبل الميلاد بمائتي سنة، ومنها قانون عرف باسم "قانون أوبيا" يحرم عليها المغالاة بالزينة حتى في البيوت[١٩].
٣- وأما في الجاهلية فنجد أن الأخبار الواردة في تستّر المرأة العربية موفورة كوفرة أخبار سفورها، وانتهاكُ سترها كان سببًا في اليوم الثاني من أيام حروب الفجار الأول؛ إذ إن شبابًا من قريش وبني كنانة رأوا امرأة جميلة وسيمة من بني عامر في سوق عكاظ، وسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت، فامتهنها أحدهم فاستغاثت بقومها.
وفي الشعر الجاهلي أشعار كثيرة تشير إلى حجاب المرأة العربية، يقول الربيع بن زياد العبسي بعد مقتل مالك بن زهير:
من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرًا يندبنه يلطمن أوجههن بالأسحار
قد كن يخبأن الوجوه تسترًا فاليوم حين برزن للنظار
فالحالة العامّة لديهم أن النساء كن محجبات إلا في مثل هذه الحالة حيث فقدن صوابهن فكشفن الوجوه يلطمنها، لأن الفجيعة قد تنحرف بالمرأة عما اعتادت من تستر وقناع.
وقد ذكر الأصمعي أن المرأة كانت تلقي خمارها لحسنها وهي على عفة[٢٠].
وكانت أغطية رؤوس النساء في الجاهلية متنوعة ولها أسماء شتى، منها:
الخمار: وهو ما تغطي به المرأة رأسها، يوضع على الرأس، ويلفّ على جزء من الوجه.
وقد ورد في شعر صخر يتحدث عن أخته الخنساء:
والله لا أمنحها شرارها ولو هلكت مزقت خمارها
وجعلت من شعر صدارها
ولم يكن الخمار مقصورًا على العرب، وإنما كان شائعًا لدى الأمم القديمة في بابل وأشور وفارس والروم والهند[٢١].
النقاب: قال أبو عبيد: "النقاب عند العرب هو الذي يبدو منه محجر العين، ومعناه أن إبداءهن المحاجر محدث، إنما كان النقاب لاصقًا بالعين، وكانت تبدو إحدى العينين والأخرى مستوره"[٢٢].
الوصواص: وهو النقاب على مارن الأنف لا تظهر منه إلا العينان، وهو البرقع الصغير، ويسمّى الخنق، قال الشاعر:
يا ليتها قد لبست وصواصًا
البرقع: فيه خرقان للعين، وهو لنساء العرب، قال الشاعر:
وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها[٢٣]

الشبهة السادسة: الاحتجاج بقاعدة: "تبدل الأحكام بتبدّل الزمان":
فهم أعداء الحجاب من قاعدة: "تبدل الأحكام بتبدل الزمان" وقاعدة: "العادة محكّمة" أنه ما دامت أعرافهم متطوّرة بتطوّر الأزمان فلا بدّ أن تكون الأحكام الشرعية كذلك[٢٤].
الجواب:
لا ريب أن هذا الكلام لو كان مقبولاً على ظاهره لاقتضى أن يكون مصير شرعية الأحكام كلها رهنًا بيد عادات الناس وأعرافهم، وهذا لا يمكن أن يقول به مسلم، لكن تحقيق المراد من هذه القاعدة أن ما تعارف عليه الناس وأصبح عرفًا لهم لا يخلو من حالات:
١- إما أن يكون هو بعينه حكمًا شرعيًا أيضًا بأن أوجده الشرع، أو كان موجودًا فيهم فدعا إليه وأكّده، مثال ذلك: الطهارة من النجس والحدث عند القيام إلى الصلاة، وستر العورة فيها، وحجب المرأة زينتها عن الأجانب، والقصاص والحدود وما شابه ذلك، فهذه كلها أمور تعدّ من أعراف المسلمين وعاداتهم، وهي في نفس الوقت أحكام شرعية يستوجب فعلها الثواب وتركها العقاب، سواء منها ما كان متعارفًا عليه قبل الإسلام ثم جاء الحكم الشرعي مؤيّدًا ومحسّنًا له كحكم القسامة والديه والطواف بالبيت، وما كان غير معروف قبل ذلك، وإنما أوجده الإسلام نفسه كأحكام الطهارة والصلاة والزكاة وغيرها.
فهذه الصورة من الأعراف لا يجوز أن يدخلها التبديل والتغيير مهما تبدلت الأزمنة وتطورت العادات والأحوال؛ لأنها بحدّ ذاتها أحكام شرعية ثبتت بأدلة باقية ما بقيت الدنيا، وليست هذه الصورة هي المعنية بقول الفقهاء: "العادة محكّمة".
٢- وإما أن لا يكون حكمًا شرعيًا، ولكن تعلق به الحكم الشرعي بأن كان مناطًا له، مثال ذلك: ما يتعارفه الناس من وسائل التعبير وأساليب الخطاب والكلام، وما يتواضعون عليه من الأعمال المخلّة بالمروءة والآداب، وما تفرضه سنة الخلق والحياة في الإنسان مما لا دخل للإرادة والكليف فيه كاختلاف عادات الأقطار في سن البلوغ وفترة الحيض والنفاس إلى غير ذلك.
فهذه الأمثلة أمور ليست بحد ذاتها أحكامًا شرعية ولكنها متعلّق ومناط لها، وهذه الصورة من العرف هي المقصودة من قول الفقهاء: "العادة محكمة"، فالأحكام المبنيّة على العرف والعادة هي التي تتغيّر بتغيّر العادة، وهنا فقط يصحّ أن يقال: "لا ينكر تبدّل الأحكام بتبدل الزمان"، وهذا لا يعدّ نسخًا للشريعة، لأن الحكم باق، وإنما لم تتوافر له شروط التطبيق فطبّق غيره. يوضّحه أنّ العادة إذا تغيرت فمعنى ذلك أن حالة جديدة قد طرأت تستلزم تطبيق حكم آخر، أو أن الحكم الأصلي باق، ولكن تغير العادة استلزم توافر شروط معينة لطبيقه[٢٥].

الشبهة السابعة: نساء خيِّرات كنّ سافرات:
احتجّ أعداء الحجاب بأن في شهيرات النساء المسلمات على اختلاف طبقاتهن كثيرًا ممن لم يرتدين الحجاب ولم يتجنّبن الاختلاط بالرجال.

وعمد المروجون لهذه الشبهة إلى التاريخ وكتب التراجم، يفتشون في طولها وعرضها وينقبون فيها بحثًا عن مثل هؤلاء النساء حتى ظفروا بضالتهم المنشودة ودرتهم المفقودة، فالتقطوا أسماء عدد من النساء لم يكن يبالين ـ فيما نقلته الأخبار عنهن ـ أن يظهرن سافرات أمام الرجال، وأن يلتقين معهم في ندوات أدبية وعلمية دونما تحرز أو تحرج[٢٦].
الجواب:
١- من المعلوم والمتقرر شرعا أن الأدلة الشرعية التي عليها تبنى الأحكام هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فضمن أيّ مصدر من مصادر التشريع تندرج مثل هذه الأخبار، خاصة وأنّ أغلبها وقع بعد من التشريع وانقطاع الوحي؟![٢٧].
٢- وإذا علِم أن أحكام الإسلام إنما تؤخذ من نص ثابت في كتاب الله تعالى أو حديث صحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قياس صحيح عليهما أو إجماع التقى عليه أئمة المسلمين وعلماؤهم لم يصحّ حينئذ الاستدلال بالتصرّفات الفردية من آحاد الناس أو ما يسمّيه الأصوليون بـ"وقائع الأحوال"، فإذا كانت هذه الوقائع الفردية من آحاد الناس لا تعتبر دليلاً شرعيًا لأيّ حكم شرعيّ حتى لو كان أصحابها من الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين من بعدهم فكيف بمن دونهم؟!
بل المقطوع به عند المسلمين جميعًا أن تصرفاتهم هي التي توزن ـ صحة وبطلانًا ـ بميزان الحكم الإسلامي، وليس الحكم الإسلامي هو الذي يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم، وصدق القائل: لا تعرف الحقّ بالرجال، اعرف الحقّ تعرف أهله[٢٨].
٣- ولو كان لتصرفات آحاد الصحابة أو التابعين مثلاً قوة الدليل الشرعي دون حاجة إلى الاعتماد على دليل آخر لبطل أن يكونوا معرّضين للخطأ والعصيان، ولوجب أن يكونوا معصومين مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هذا لأحد إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما من عداهم فحقَّ عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل بني آدم خطاء))، وإلاّ فما بالنا لا نقول مثلاً: يحل شرب الخمر فقد وجِد فيمن سلف في القرون الخيِّرة من شربها؟![٢٩].
٤- وما بال هؤلاء الدعاة إلى السفور قد عمدوا إلى كتب التاريخ والتراجم فجمعوا أسماء مثل هؤلاء النسوة من شتى الطبقات والعصور، وقد علموا أنه كان إلى جانب كل واحدة منهن سواد عظيم وجمع غفير من النساء المتحجّبات الساترات لزينتهن عن الأجانب من الرجال؟! فلماذا لم يعتبر بهذه الجمهرة العظيمة ولم يجعلها حجة بدلاً من حال أولئك القلة الشاذة المستثناة؟!
يقول الغزالي: "لم تزل الرجال على مر الأزمان تكشف الوجوه، والنساء يخرجن منتقبات أو يمنعن من الخروج"[٣٠]، ويقول ابن رسلان: "اتفق المسلمون على منع النساء من الخروج سافرات"[٣١].
ولماذا لم يحتج بمواقف نساء السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان في تمسكهم بالحجاب الكامل واعتباره أصلاً راسخًا من أصول البنية الاجتماعية؟![٣٢].
الشبهة الثامنة: الحجاب كبت للطاقة الجنسية:
قالوا: إنّ الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط يولّد الانفجار، وحجاب المرأة يغطّي جمالها، وبالتالي فإنّ

الشباب يظلون في كتب جنسيّ يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحيانًا على شكل حوادث الاغتصاب وغيرها، والعلاج لهذه المشكلة إنما يكمن في تحرير المرأة من هذا الحجاب لكي ينفس الشباب الكبت الذي فيهم، وبالتالي يحدث التشبع لهذه الحاجة، فيقلّ طبقًا لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق[٣٣].

الجواب:

١- لو كان هذا الكلام صحيحًا لكانت أمريكا والدول الأوربية وما شاكلها هي أقلّ الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرّش في النساء وما شاكلها من الجرائم الأخلاقية، ذلك لأن أمريكا والدول الأوربية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة جدًا بحجة الحرية الشخصية، فماذا كانت النتائج التي ترتبت على الانفلات والإباحية؟ هل قلّت حوادث الاغتصاب؟ هل حدث التشبّع الذي يتحدّثون عنه؟ وهل حُميت المرأة من هذه الخطورة؟

جاء في كتاب "الجريمة في أمريكا": إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة كل ستة دقائق في أمريكا[٣٤]. ويعني بالقوة: أي تحت تأثير السلاح.

وقد بلغ عدد حالات الاغتصاب في أمريكا عام ١٩٧٨م إلى مائة وسبعة وأربعين ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين حالة، لتصل في عام ١٩٨٧م إلى مائتين وواحد وعشرين ألف وسبعمائة وأربع وستين حالة. فهذه الإحصائيات تكذّب هذه الدعوى[٣٥].

٢- إن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء، وهي سرّ أودعه الله تعالى في الرجل والمرأة لحِكَم كثيرة، منها استمرار النسل. ولا يمكن لأحد أن ينكر وجود هذه الغريزة، ثم يطلب من الرجال أن يتصرفوا طبيعيًا أمام مناظر التكشف والتعرّي دونما اعتبار لوجود تلك الغريزة[٣٦].

٣- إن الذي يدّعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرّج والتعري ليحدث التشبع فإنه بذلك يصل إلى نتيجتين:

الأولى: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم الشهوات والعورات البادية من فئة المخصيّين، فانقطعت شهوتهم، فما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر.

الثانية: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي.

فهل الذين يدعون صدقَ تلك الشبهة يريدون من رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدى هاتين الطائفتين من الرجال؟![٣٧].

الشبهة التاسعة: الحجاب يعطل نصف المجتمع:

قالوا: إن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع، إذ إن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها[٣٨].

الجواب:

١- إن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى: {وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلأولَىٰ} [الأحزاب:٣٣]. ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأة وتعطيل طاقاتها، بل هو التوظيف الأمثل لطاقاتها[٣٩].

٢- وليس في حجاب المرأة ما يمنعها من القيام بما يتعلق بها من الواجبات، وما يُسمح لها به من الأعمال، ولا يحول بينها وبين اكتساب المعارف والعلوم، بل إنها تستطيع أن تقوم بكل ذلك مع المحافظة على حجابها وتجنبها الاختلاط المشين.
وكثير من طالبات الجامعات اللاتي ارتدين الثوب الساتر وابتعدن عن مخالطة الطلاب قد أحرزن قصب السبق في مضمار الامتحان، وكن في موضع تقدير واحترام من جميع المدرسين والطلاب[٤٠].
٣- بل إن خروج المرأة ومزاحمتها الرجل في أعماله وتركها الأعمال التي لا يمكن أن يقوم بها غيرها هو الذي يعطل نصف المجتمع، بل هو السبب في انهيار المجتمعات وفشو الفساد وانتشار الجرائم وانفكاك الأسَر، لأن مهمة رعاية النشء وتربيتهم والعناية بهم ـ وهي من أشرف المهام وأعظمها وأخطرها ـ أضحت بلا عائل ولا رقيب.
الشبهة العاشرة: التبرج أمر عادي لا يلفت النظر:
يدّعي أعداء الحجاب أن التبرج الذي تبدو به المرأة كاسية عارية لا يثير انتباه الرجال، بينما ينتبه الرجال عندما يرون امرأة متحجبة حجابًا كاملاً يستر جسدها كله، فيريدون التعرّف على شخصيتها ومتابعتها؛ لأنّ كلَّ ممنوع مرغوب[٤١].
الجواب:
١- ما دام التبرج أمر عادي لا يلفت الأنظار ولا يستهوي القلوب فلماذا تبرّجت؟! ولمن تبرجت؟! ولماذا تحمّلت أدوات التجميل وأجرة الكوافير ومتابعة الموضات؟![٤٢].
٢- وكيف يكون التبرج أمرًا عاديًا ونرى أن الأزواج ـ مثلاً ـ تزداد رغبتهم في زوجاتهم كلما تزينّ وتجمّلن، كما تزداد الشهوة إلى الطعام كلما كان منسقًا متنوعًا جميلاً في ترتيبه ولو لم يكن لذيذ الطعم؟![٤٣].
٣- إن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية، لا تتغير مدى الدهر، وهي شيء يجري في عروقهما، وينبه في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية، فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة، فتؤثر على المخ والأعصاب وعلى غيرها، بل إن كل جزء من كل جسم يتميز عما يشبهه في الجنس الآخر؛ ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله وفي شكلها وفي أخلاقها وأفكارها وميولها، كما تظهر مميزات الذكورة في الرجل في بدنه وهيئته وصوته وأعماله وميوله. وهذه قاعدة فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الإنسان، ولن تتغير حتى تقوم الساعة[٤٤].
٤- أودع الله الشبق الجنسي في النفس البشرية سرًّا من أسراره، وحكمة من روائع حكمه جلّ شأنه، وجعل الممارسة الجنسية من أعظم ما ينزع إليه العقل والنفس والروح، وهي مطلب روحي وحسي وبدني، ولو أن رجلاً مرت عليه امرأة حاسرة سافرة على جمال باهر وحسن ظاهر واستهواء بالغ ولم يلتفت إليها وينزع إلى جمالها يحكم عليه الطب بأنه غير سوي وتنقصه الرغبة الجنسية، ونقصان الرغبة الجنسية ـ في عرف الطب ـ مرض يستوجب العلاج والتداوي[٤٥].

٥- إن أعلى نسبة من الفجور والإباحية والشذوذ الجنسي وضياع الأعراض واختلاط الأنساب قد صاحبت خروج النساء مترجات كاسيات عاريات، وتتناسب هذه النسبة تناسبًا طرديًا مع خروج النساء على تلك الصورة المتحللة من كل شرف وفضيلة، بل إن أعلى نسبة من الأمراض الجنسية - كالأيدز وغيره - في الدول الإباحية التي تزداد فيها حرية المرأة تفلتًا، وتتجاوز ذلك إلى أن تصبح همجية وفوضى، بالإضافة إلى الأمراض والعقد النفسية التي تلجئ الشباب والفتيات للانتحار بأعلى النسب في أكثر بلاد العالم تحللاً من الأخلاق[٤٦].

٦- أما أن العيون تتابع المتحجبة الساترة لوجهها ولا تتابع المتبرجة فإن المتحجبة تشبه كتابًا مغلقًا، لا تعلم محتوياته وعدد صفحات وما يحمله من أفكار، فطالما كان الأمر كذلك، فإنه مهما نظرنا إلى غلاف الكتاب ودققنا النظر فإننا لن نفهم محتوياته، ولن نعرفها، بل ولن نتأثر بها، وبما تحمله من أفكار، وهكذا المتحجبة غلافها حجابها، ومحتوياتها مجهولة بداخله، وإن الأنظار التي ترتفع إلى نورها لترتد حسيرة خاسئة، لم تظفر بشَرَوَى[٤٧] نقير ولا بأقلّ القليل.

أما تلك المتبرجة فتشبه كتابًا مفتوحًا تتصفّحه الأيدي، وتتداوله الأعين سطرًا سطرًا، وصفحة صفحة، وتتأثر بمحتوياته العقول، فلا يترك حتى يكون قد فقد رونق أوراقه، فتثنت بل تمزق بعضها، إنه يصبح كتابًا قديمًا لا يستحق أن يوضع في واجهة مكتبة بيت متواضعة، فما بالنا بواجهة مكتبة عظيمة؟![٤٨].

الشبهة الحادية عشرة: السفور حقّ للمرأة والحجاب ظلم:

زعموا أن السفور حقّ للمرأة، سلبها إياه المجتمع، أو سلبها إياه الرجل الأناني المتحجر المتزمت، ويرون أن الحجاب ظلم لها وسلب لحقها[٤٩].

الجواب:

١- لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع قضيتها ضدّه لتتخلّص من الظلم الذي أوقعه عليها، كما كان وَضعُ القضية في أوربا بين المرأة والرجل، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها الذي لا تملك - إن كانت مؤمنة - أن تجادله سبحانه فيما أمر به أو يكون لها الخيرة في الأمر، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا} [الأحزاب:٣٦][٥٠].

٢- إن الحجابَ في ذاته لا يشكل قضية، فقد فرض الحجاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفذ في عهد، واستمر بعد ذلك ثلاثة عشر قرنًا متوالية وما من مسلم يؤمن بالله ورسوله يقول: إن المرأة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلومة.

فإذا وقع عليها الظلم بعد ذلك حين تخلّف المسلمون عن عقيدتهم الصحيحة ومقتضياتها فلم يكن الحجاب - بداهة - هو منبع الظلم ولا سببه ولا قرينه، لأنه كان قائمًا في خير القرون على الإطلاق، وكان قرين النظافة الخلقية والروحية، وقرين الرفعة الإنسانية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية كله[٥١].

الشبهة الثانية عشرة: الحجاب رمز للغلو والتعصب الطائفي والتطرف الديني:

زعم أعداء الحجاب أن حجاب المرأة رمز من رموز التطرف والغلو، وعلامة من علامات التنطع والتشدد، مما يسبب تنافرا في المجتمع وتصادما بين الفئتين، وهذا قد يؤول إلى الإخلال بالأمن والاستقرار.

الجواب:

١- هذه الدعوى مرفوضة من أساسها، فالحجاب ليس رمزا لتلك الأمور، بل ولا رمزا من الرموز بحال، لأن الرمز ما ليس له وظيفة إلا التعبير عن الانتماء الديني لصاحبه، مثل الصليب على صدر المسيحي أو المسيحية، والقلنسوة الصغيرة على رأس اليهودي، فلا وظيفة لهما إلا الإعلان عن الهوية. أما الحجاب فإن له وظيفة معروفة وحِكَما نبيلة، هي الستر والحشمة والطهر والعفاف، ولا يخطر ببال من تلبسه من المسلمات أنها تعلن عن نفسها وعن دينها، لكنها تطيع أمر ربها، فهو شعيرة دينية، وليس رمزا للتطرف والتنطع.

ثم إن هذه الفرية التي أطلقوها على حجاب المرأة المسلمة لماذا لم يطلقوها على حجاب الراهبات؟! لماذا لم يقولوا: إن حجابَ اليهوديات والنصرانيات رمز للتعصب الديني والتميز الطائفي؟! لماذا لم يقولوا: إن تعليق الصليب رمز من رموز التطرف الديني وهو الذي جرّ ويلات الحروب الصليبية؟! لماذا لم يقولوا: إن وضع اليهودي القلنسوة الصغيرة على رأسه رمز من رموز التطرف الديني وبسببه يحصل ما يحصل من المجازر والإرهاب في فلسطين المحتلة؟!

٢- إن هذه الفرية يكذّبها التاريخ والواقع، فأين هذه المفاسد المزعومة والحجاب ترتديه المرأة المسلمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا؟!

٣- إن ارتداء المرأة للحجاب تم من منطلق عقدي وقناعة روحية، فهي لم تلزَم بالحجاب بقوة الحديد والنار، ولم تدعُ غيرها إلى الحجاب إلا بالحكمة والحجج الشرعية والعقلية، بل عكس القضية هو الصحيح، وبيان ذلك أن إلزام المرأة بخلع حجابها وجعل ذلك قانونا وشريعة لازمة هو رمز التعصب والتطرف اللاديني، وهذا هو الذي يسبب التصادم وردود الأفعال السيئة، لأنه اعتداء على الحرية الدينية والحرية الشخصية.

[١] عودة الحجاب: محمد أحمد إسماعيل المقدم (٣/٣٩١).

[٢] أخرجه البخاري في الإيمان، باب: الدين يسر (٣٩).

[٣] أخرجه مسلم في الجهاد (١٧٣٢).

[٤] عودة الحجاب (٣/٣٩٣).

[٥] انظر: عودة الحجاب (٣/٣٩٥-٣٩٦).

[٦] المتبرجات للزهراء فاطمة بنت عبد الله (١٢٢).

[٧] انظر: المتبرجات (١٢٢).

[٨] المتبرجات (١٢٤) بتصرف.

[٩] المترجات (١٢٤-١٢٥).

[١٠] عودة الحجاب (٣/٤١٢).

[١١] عودة الحجاب (٣/٤١٢-٤١٣) باختصار.

[١٢] عودة الحجاب (٤١٢/٣-٤١٣).
[١٣] إلى كل أب غيور يؤمن بالله لعبد الله ناصح علوان (٤٤)، انظر: عودة الحجاب (٤١٤/٣).
[١٤] عودة الحجاب (٤١٥/٣).
[١٥] إلى كل فتاة تؤمن بالله. د.محمد سعيد البوطي (٩٧).
[١٦] إلى كل فتاة تؤمن بالله (٩٧-٩٩).
[١٧] يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي للشيخ صالح البليهي (١٢٤).
[١٨] يا فتاة الإسلام (١٢٨-١٢٦) باختصار.
[١٩] يا فتاة الإسلام (١٢٦).
[٢٠] المرأة بين الجاهلية والإسلام، محمد الناصر وخولة درويش (١٦٩، ١٧٠).
[٢١] المرأة بين الجاهلية والإسلام (١٧١).
[٢٢] غريب الحديث (٤٤٠/٢-٤٤١)، عند شرح قول ابن سيرين: "النقاب محدث".
[٢٣] انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام (١٧١-١٧٢)..
[٢٤] عودة الحجاب (٤٠٣/٣).
[٢٥] عودة الحجاب (٤٠٣/٣-٤٠٤).
[٢٦] عودة الحجاب (٤٠٩/٣).
[٢٧] عودة الحجاب (٤٠٩/٣).
[٢٨] عودة الحجاب (٤٠٩/٣-٤١٠).
[٢٩] عودة الحجاب (٤١٠/٣).
[٣٠] إحياء علوم الدين (٧٤/٢).
[٣١] انظر: عون المعبود (١٠٦/٤).
[٣٢] عودة الحجاب (٤١٠/٣-٤١١).
[٣٣] أختي غير المحجبة ما المانع من الحجاب؟ لعبد الحميد البلالي (٧).
[٣٤] هذا بالنسبة لعام (١٩٨٨م) على ما في الكتاب.
[٣٥] أختي غير المحجبة (٨، ١٠) بتصرف.
[٣٦] أختي غير المحجبة (١٢).
[٣٧] أختي غير المحجبة (١٢-١٣).
[٣٨] أختي غير المحجبة (٦٤).
[٣٩] أختي غير المحجبة (٦٤).
[٤٠] يا فتاة الإسلام اقرئي (٣٩-٤٠).
[٤١] المتبرجات (١١٧).
[٤٢] المتبرجات (١١٧).
[٤٣] المتبرجات (١١٧).
[٤٤] التبرج لنعمت صافي (٢٣-٢٤).
[٤٥] الفتاوى للشيخ محمد متولي الشعراوي بمشاركة: د.السيد الجميلي. انظر: المتبرجات (١١٩-١٢٠)

[٤٦] المتبرجات (١٢٠) وللمزيد من ذلك انظر: المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة لعبد الله التليدي (١٢-٢٥).
[٤٧] الشَّروى كجدوى: المثل. (القاموس المحيط، مادة: شرى).
[٤٨] المتبرجات (١١٨).
[٤٩] قضية تحرير المرأة لمحمد قطب (٢١).
[٥٠] قضية تحرير المرأة (١٩).
[٥١] قضية تحرير المرأة لمحمد قطب (١٩-٢٠).

١٦٥- الرِّق

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
الرِّق لغة: هو الشئ الرقيق ، نقيض الغليظ والثخين.
واصطلاحًا: هو المِلك والعبودية ، أى نقيض العِتْق والحرية.
والرقيق بمعنى العبد يطلق على المفرد والجمع ، وعلى الذكر والأنثى أما العبد ، فهو: الرقيق الذكر ، ويقابله: الأمَة للأنثى. ومن الألفاظ الدالة على الرقيق الذكر لفظى: الفتى أو الغلام.. وعلى الأنثى لفظى:
الفتاة ، والجارية. أما القنّ فهو أخص من العبد ، إذ هو الذى مُلِك هو وأبواه.
ومالك الرقيق هو: السيد ، أو المولى.
والرق نظام قديم قدم المظالم والاستعباد والطبقية والاستغلال فى تاريخ الإنسان ، وإليه أشار القرآن الكريم فى قصة يوسف عليه السلام:(وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بُشْرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون. وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.
وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) (١) وكان الاسترقاق من عقوبات السرقة عند العبرانيين القدماء ، وعندما سئل إخوة يوسف عن جزاء السارق لصواع الملك(قالوا جزاؤه من وُجد فى رحله فهو جزاؤه..) (٢).
وفى الحضارات القديمة كان الرق عماد نظام الإنتاج والاستغلال ، وفى بعض تلك الحضارات كالفرعونية المصرية والكسروية الفارسية كان النظام الطبقى المغلق يحول دون تحرير الأرقاء ، مهما توفرت لأى منهم الرغبة أو الإمكانات.. وفى بعض تلك الحضارات كالحضارة الرومانية كان السادة هم الأقلية الرومانية ، وكانت الأغلبية فى الامبراطورية برابرة أرقاء ، أو فى حكم الأرقاء.. وللأرقاء فى تلك الحضارات ثورات من أشهرها ثورة " اسبارتاكوس " [٧٣٧١ق م].
وعندما ظهر الإسلام كانت للمظالم الاجتماعية والتمييز العرقى والطبقى منابع وروافد عديدة تغذى " نهر الرق " فى كل يوم بالمزيد من الأرقاء.. وذلك من مثل:
١- الحرب ، بصرف النظر عن حظها من الشرعية والمشروعية ، فالأسرى يتحولون إلى أرقاء ، والنساء يتحولن إلى سبايا وإماء..
٢- والخطف ، يتحول به المخطوفون إلى رقيق..

٣- وارتكاب الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا كان يحكم على مرتكبيها بالاسترقاق..
٤- والعجز عن سداد الديون ، كان يحوِّل الفقراء المدينين إلى أرقاء لدى الأغنياء الدائنين..
٥- وسلطان الوالد على أولاده ، كان يبيح له أن يبيع هؤلاء الأولاد ، فينتقلون من الحرية إلى العبودية.
٦- وسلطان الإنسان على نفسه ، كان يبيح له بيع حريته ، فيتحول إلى رقيق..
٧- وكذلك النسل المولود من كل هؤلاء الأرقاء يصبح رقيقا ، حتى ولو كان أباه حرا..

ومع كثرة واتساع هذه الروافد التى تمد نهر الرقيق فى كل وقت بالمزيد والمزيد من الأرقاء ، كانت أبواب العتق والحرية إما موصدة تماما ، أو ضيقة عسيرة على الولوج منها..

وأمام هذا الواقع ، اتخذ الإسلام ، إبان ظهوره ، طريق الإصلاح الذى يتغيا تحرير الأرقاء ، وإلغاء نظام العبودية ، وطى صفحته من الوجود ، لكن فى " واقعية ثورية " إذا جاز التعبير.. فهو لم يتجاهل الواقع ولم يقفز عليه.. وأيضا لم يعترف به على النحو الذى يبقيه ويكرسه..

لقد بدأ الإسلام فأغلق وألغى وحرّم أغلب الروافد التى كانت تمد نهر الرقيق بالمزيد من الأرقاء.. فلم يبق منها إلا أسرى الحرب المشروعة والشرعية ، والنسل إذا كان أبواه من الأرقاء.. وحتى أسرى الحرب المشروعة فتح الإسلام أمامهم باب العتق والحرية المنّ أو الفداء: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها..) (٣) فعندما تضع الحرب أوزارها ، يتم تحرير الأسرى ، إما بالمن عليهم بالحرية وإما بمبادلتهم بالأسرى المسلمين لدى الأعداء..

ومع إغلاق الروافد روافد الاسترقاق ومصادره التفت الإسلام إلى " كتلة " واقع الأرقاء ، فسعى إلى تصفيتها بالتحرير ، وذلك عندما عدد ووسع مصابّ نهر الرقيق..ولقد سلك الإسلام إلى ذلك المقصد سبيل منظومة القيم الإسلامية. وسبيل العدالة الاجتماعية الإسلامية. فحبب إلى المسلمين عتق الأرقاء تطوعا، إذ فى عتق كل عضو من أعضاء الرقيق عتق لعضو من أعضاء سيده من النار ، فتحرير الرقيق سبيل لتحرير الإنسان من عذاب النار يوم القيامة.. كما جعل الإسلام عتق الأرقاء كفارة للكثير من الذنوب والخطايا..

وجعل للدولة والنظام العام مدخلاً فى تحرير الأرقاء عندما جعل هذا التحرير مصرفا من المصارف الثمانية لفريضة الزكاة فهو جزء من أحد أركان الإسلام (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (٤). كما جعل الحرية هى الأصل الذى يولد عليه الناس ، والرق هو الاستثناء الطارئ الذى يحتاج إلى إثبات ، فمجهولوا الحكم هم أحرار ، وعلى مدعى رقهم إقامة البينات ، وأولاد الأمة من الأب الحر هم أحرار و" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ! "..

كذلك ، ذهب الإسلام فساوى بين العبد والحر فى كل الحقوق الدينية ، وفى أغلب الحقوق المدنية ، وكان التمييز فقط ، فى أغلب حالاته بسبب التخفيف عن الأرقاء مراعاة للاستضعاف والقيود التى يفرضها الاسترقاق على الإرادة والتصرف.. فالمساواة تامة فى التكاليف الدينية ، وفى الحساب والجزاء.. وشهادة الرقيق معتبرة فى بعض المذاهب الإسلامية عند الحنابلة وله حق الملكية فى ماله الخاص ، وإعانته على شراء حريته بنظام المكاتبة والتدبير مرغوب فيها دينياً (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (٦). والدماء متكافئة فى القصاص..

وبعد أن كان الرق من أكبر مصادر الاستغلال والثراء لملاك العبيد ، حوّله الإسلام بمنظومة القيم التى كادت أن تسوى بين العبد وسيده إلى ما يشبه العبء المالى على ملاك الرقيق.. فمطلوب من مالك الرقيق أن يطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل مالا يطيق.. بل ومطلوب منه أيضاً إلغاء كلمة " العبد " و الأمة " واستبدالها بكلمة " الفتى " و " الفتاة ".

بل لقد مضى الإسلام فى هذا السبيل إلى ما هو أبعد من تحرير الرقيق ، فلم يتركهم فى متاهة عالم الحرية الجديد دون عصبية وشوكة وانتماء ، وإنما سعى إلى إدماجهم فى القبائل والعشائر والعصبيات التى كانوا فيها أرقاء ، فأكسبهم عزتها وشرفها ومكانتها ومنعتها وما لها من إمكانات ، وبذلك أنجز إنجازاً عظيماً وراء وفوق التحرير عندما أقام نسيجاً اجتماعياً جديداً التحم فيه الأرقاء السابقون بالأحرار ، فأصبح لهم نسب قبائلهم عن طريق " الولاء " ، الذى قال عنه الرسول (: [الولاء لُحْمَةَ كلُحْمَة النسب] رواه الدارمى. حتى لقد غدا أرقاء الأمس " سادة " فى أقوامهم ، بعد أن كانوا " عبيداً " فيهم..

وقال عمر بن الخطاب وهو من هو فى الحسب والنسب عن بلال الحبشى ، الذى اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه: " سيدنا أعتق سيدنا " !.. كما تمنى عمر أن يكون سالم مولى أبى حذيفة حياً فيختاره لمنصب الخلافة.. فالمولى ، الذى نشأ رقيقاً ، قد حرره الإسلام ، فكان إماماً فى الصلاة وأهلاً بخلافة المسلمين.

ولقد ساعد على هذا الاندماج فى النسيج العربى فضلاً عن الإسلامى ذلك المعيار الذى حدده الإسلام للعروبة وهو معيار اللغة وحدها ، فباستبعاد " العرق.. والدم " غدت الرابطة اللغوية والثقافية انتماءً واحداً للجميع ، بصرف النظر عن ماضى الاسترقاق وعن هذا المعيار للعروبة تحدث الرسول(فى معرض النقد والرفض للذين أرادوا إخراج الموالى ، ذوى الأصول العرقية غير العربية ، من إطار العروبة ، فقال:

[أيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد.. وليست العربية بأحدكم من أب أو أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى..]..

هكذا كان الإسلام إحياء وتحريراً للإنسان ، مطلق الإنسان ، يضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، ويحرر الأرقاء ، لأن الرق فى نظره " موت " ، والحرية " حياة وإحياء ".. ولقد أبصر هذه الحكمة الإسلامية الإمام النسفى [٧١٠هجرية /١٣١٠م] وهو يعلل جعل الإسلام كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة:

(ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) (٦).. فقال: إن القاتل " لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء لزمة أن يدخل نفساً مثلها فى جملة الأحرار ، لأن اطلاقها من قيد الرق كإحيائها ، من قِبَل أن الرقيق ملحق بالأموات ، إذ الرق أثر من آثار الكفر ، والكفر موت حكماً.." (٧).. فالإسلام قد ورث نظام الرق عن المجتمعات الكافرة فهو من آثار الكفر ، ولأنه موت لروح وملكات الأرقاء ، وسعى الإسلام إلى إلغائه ، وتحرير أى إحياء موات هؤلاء الأرقاء ، كجزء من الإحياء الإسلامى العام (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) (٨).

ومع أن مقاصد الإسلام فى تصفية نهر الرقيق بإغلاق روافده وتجفيف منابعه ، وتوسيع مصباته لم تبلغ كامل آفاقها ، إذ انتكس "الواقع التاريخى" للحضارة الإسلامية ، بعد عصر الفتوحات ، وسيطرة العسكر المماليك على الدولة الإسلامية.. إلا أن. حال الأرقاء فى الحضارة الإسلامية قد ظلت أخف قيوداً وأكثر عدلاً بما لا يقارن من نظائرها خارج الحضارة الإسلامية ، بما فى ذلك الحضارة الغربية ، التى تزعمت فى العصر الحديث الدعوة إلى تحرير الأرقاء..

فلقد اقترن عصر النهضة الأوروبية بزحفها الاستعمارى على العالمين القديم والجديد ، وبعد أن استعبد المستعمرون الأسبان والبرتغاليون والإنجليز والفرنسيون سكان أمريكا الأصليين ، وأهلكوهم فى سخرة البحث عن الذهب وإنشاء المزارع ، مارسوا أكبر أعمال القرصنة والخطف فى التاريخ ، تلك التى راح ضحيتها أكثر من أربعين مليوناً من زنوج إفريقيا ، سلسلوا بالحديد ، وشحنوا فى سفن الحيوانات ، لتقوم على دمائهم وعظامهم المزارع والمصانع والمناجم التى صنعت رفاهية الرجل الأبيض فى أمريكا وأوروبا.. ولا يزال أحفادهم يعانون من التفرقة العنصرية فى الغرب حتى الآن.

وعندما سعت أوروبا فى القرن التاسع عشر إلى إلغاء نظام الرق ، وتحريم تجارته ، لم تكن دوافعها فى أغلبها روحية ولا قيمية ولا إنسانية ، وإنما كانت فى الأساس دوافع مادية ، لأن نظامها الرأسمالى قد رأى فى تحرير الرقيق سبيلاً لجعلهم عمالاً أكثر مهارة ، وأكثر قدره على النهوض باحتياجات العمل الفنى فى الصناعات التى أقامها النظام الرأسمالى.. فلقد غدا الرق بمعايير الجدوى الاقتصادية عبئاً على فائض رأس المال الذى هو معبود الحضارة الرأسمالية المادية وأصبحت حرية الطبقة العاملة أعون على تنمية مبادراتها ومهاراتها فى عملية الإنتاج..

ولقد كان ذات القرن الذى دعت فيه أوروبا لتحرير الرقيق هو القرن الذى استعمرت فيه العالم ، فاسترقت بهذا الاستعمار الأمم والشعوب استرقاقاً جديداً ، لا تزال الإنسانية تعانى منه حتىالآن..

(١) يوسف: ١٩٢١.
(٢) يوسف: ٧٥.
(٣) محمد: ٤.
(٤) التوبة: ٦٠.
(٥) النور: ٣٣.
(٦) النساء: ٩٢.

(٧) [تفسير النسفى] طبعة القاهرة ، الأولى.
(٨) الأنفال: ٢٤

الإسلام والرق - محمد قطب

ربما كانت هذه الشبهة أخبث ما يلعب به الشيوعيون لزلزلة عقائد الشباب!.. لو كان الإسلام صالحاً لكل عصر – كما يقول دعاته – لما أباح الرق.. وإن إباحته للرق.. وإن إباحته للرق لدليل قاطع على أن الإسلام قد جاء لفترة محدودة، وأنه أدى مهمته وأصبح في ذمة التاريخ!

وإن الشباب المؤمن ذاته لتساوره بعض الشكوك! كيف أباح الإسلام الرق؟ هذا الدين الذي لا شك في نزوله من عند الله، ولا شك في صدقه، وفي أنه جاء لخير البشرية كلها في جميع أجيالها.. كيف أباح الرق؟ الدين الذي قام على المساواة الكاملة. الذي رد الناس جميعاً إلى أصل واحد، وعاملهم على أساس هذه المساواة في الأصل المشترك.. كيف جعل الرق جزءاً من نظامه وشرع له؟ أوَ يريد الله للناس أن ينقسموا أبداً إلى سادة وعبيد؟ أوَ تلك مشيئته في الأرض؟ أوَ يرضى الله للمخلوق الذي أكرمه إذ قال: " ولقد كرمنا بني آدم " أن يصير طائفة منه سلعة تباع وتشترى كما كان الحال مع الرقيق؟ وإذا كان الله لا يرضى بذلك، فلماذا لم ينص كتابه الكريم صراحة على إلغاء الرق كما نص على تحريم الخمر والميسر والربا وغيرها مما كرهه الإسلام؟

وإن الشباب المؤمن ليعلم أن الإسلام دين الحق، ولكنه كإبراهيم: " قال: أولم تؤمن؟ قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي! ".

أما الشباب الذي أفسد الاستعمار عقله وعقائده، فإنه لا يتلبث حتى يتبين حقيقة الأمر، وإنما يميل به الهوى فيقرر دون مناقشة أن الإسلام نظام عتيق قد استنفد أغراضه!

وأما الشيوعيون خاصة فأصحاب دعاوى " علمية " مزيفة، يتلقونها من سادتهم هناك، فينتفشون بها عجباً، ويحسبون أنهم وقعوا على الحقيقة الأبدية الخالدة التي لا مراء فيها ولا جدال، وهي المادية الجدلية، التي تقسم الحياة البشرية إلى مراحل اقتصادية معينة لا معدى عنها ولا محيص. وهي الشيوعية الأولى، والرق، والإقطاع، والرأسمالية، والشيوعية الثانية (وهي نهاية العالم!) وأن كل ما عرفته البشرية من عقائد ونظم وأفكار، إنما كانت انعكاساً للحالة الاقتصادية، أو للطور الاقتصادي القائم حينئذ، وأنها صالحة له، متلائمة مع ظروفه، ولكنها لا تصلح للمرحلة التالية التي تقوم على أساس اقتصادي جديد. وأنه – من ثم – لا يوجد نظام واحد يمكن أن يصلح لكل الأجيال. وإذا كان الإسلام قد جاء والعالم نهاية فترة الرق ومبادئ فترة الإقطاع، فقد جاءت تشريعاته وعقائده ونظمه ملائمة لهذا القدر من التطور، فاعترفت بالرق، وأباحت الإقطاع [١١ !]ولم يكن في طوق الإسلام أن يسبق التطور الاقتصادي، أو يبشر بنظام جديد لم تتهيأ بعد إمكانياته الاقتصادية! لأن كارل ماركس قال إن هذا مستحيل!

ونريد هنا أن نضع المسألة في حقيقتها التاريخية والاجتماعية والنفسية، بعيداً عن الغبار الذي يثيره هؤلاء وأولئك، فإذا حصلنا على حقيقة موضوعية فلا علينا حينئذ من دعاوي المنحرفين، و " العلماء " المزيفين !
نحن ننظر اليوم إلى الرق في ظروف القرن العشرين، وننظر إله في ضوء الشناعات التي ارتكبت في عالم النخاسة، والمعاملة الوحشية البشعة التي سجلها التاريخ في العالم الروماني خاصة، فنستفظع الرق، ولا تطيق مشاعرنا أن يكون هذا اللون من المعاملة أمراً مشروعاً يقره دين أو نظام. ثم تغلب علينا انفعالات الاستبشاع والاستنكار فنعجب كيف أباح الإسلام الرق، وكل توجيهاته وتشريعاته كانت ترمي إلى تحرير البشر من العبودية في جميع ألوانها وأشكالها، ونتمنى في حرارة الانفعال أن لو كان الإسلام قد أراح قلوبنا وعقولنا فنص على تحريمه بالقول الصريح.
وهنا وقفة عند حقائق التاريخ. ففظائع الرق الروماني في العالم القديم لم يعرفها قط تاريخ الإسلام، ومراجعة بسيطة للحالة التي كان يعيش عليها الأرقاء في الإمبراطورية الرومانية، كفيلة بأن ترينا النقلة الهائلة التي نقلها الإسلام للرقيق، حتى لو لم يكن عمل على تحريره – وهذا غير صحيح!
كان الرقيق في عرف الرومان " شيئا " لا بشرا. شيئا لا حقوق له البتة، وإن كان عليه كل ثقيل من الواجبات. ولنعلم أولا من أين كان يأتي هذا الرقيق. كان يأتي من طريق الغزو. ولم يكن هذا الغزو لفكرة ولا لمبدأ.
وإنما كان سببه الوحيد شهوة استعباد الآخرين وتسخيرهم لمصلحة الرومان.
فلكي يعيش الروماني عيشة البذخ والترف، يستمتع بالحمامات الباردة والساخنة، والثياب الفاخرة، وأطايب الطعام من كل لون، ويغرف في المتاع الفاجر من خمر ونساء ورقص وحفلات ومهرجانات، كان لا بد لكل هذا من استعباد الشعوب الأخرى وامتصاص دمائها. ومصر مثل لذلك حين كانت في قبضة الرومان، قبل أن يخلصها من نيرهم الإسلام. إذ كانت حقل قمح للإمبراطورية، وموردا للأموال.
في سبيل هذه الشهوة الفاجرة كان الاستعمار الروماني، وكان الرق الذي نشأ من ذلك الاستعمار. أما الرقيق فقد كانوا – كما ذكرنا – أشياء ليس لها كيان البشر ولا حقوق البشر. كانوا يعملون في الحقول وهم مصفدون في الأغلال الثقيلة التي تكفي لمنعهم من الفرار. ولم يكونوا يُطْعَمون إلا إبقاء على وجودهم ليعملوا، لا لأن من حقهم – حتى كالبهائم والأشجار – أن يأخذوا حاجتهم من الغذاء. وكانوا – في أثناء العمل – يساقون بالسوط، لغير شيء إلا اللذة الفاجرة التي يحسها السيد أو وكيله في تعذيب هذه المخلوقات. ثم كانوا ينامون في " زنزانات " مظلمة كريهة الرائحة تعيث فيها الحشرات والفئران، فيلقون فيها عشرات عشرات قد يبلغون خمسين في الزانزانة الواحدة ـ بأصفادهم – فلا يتاح لهم حتى الفراغ الذي يتاح بين بقرة وبقرة في حظيرة الحيوانات.
ولكن الشناعة الكبرى كانت شيئاً أفظع من كل ذلك، وأدل على الطبيعة الوحشية التي ينطوي عليها ذلك الروماني القديم، والتي ورثها عنه الأوربي الحديث في وسائل الاستعمار والاستغلال.

تلك كانت حلقات المبارزة بالسيف والرمح، وكانت من أحب المهرجانات إليهم، فيجتمع إليها السادة وعلى رأسهم الإمبراطور أحياناً، ليشاهدوا الرقيق يتبارزون مبارزة حقيقية، توجه فيها طعنات السيوف والرماح إلى أي مكان في الجسم بلا تحرز ولا احتياط من القتل. بل كان المرح يصل إلى أقصاه، وترتفع الحناجر بالهتاف والأكف بالتصفيق، وتنطلق الضحكات السعيدة العميقة الخالصة حين يقضي أحد المتبارزين على زميله قضاء كاملاً، فيلقيه طريحاً على الأرض فاقد الحياة!

ذلك كان الرقيق في العالم الروماني. ولا نحتاج أن نقول شيئاً عن الوضع القانوني للرقيق عندئذ، وعن حق السيد المطلق في قتله وتعذيبه واستغلاله دون أن يكون له حق الشكوى، ودون أن تكون هناك جهة تنظر في هذه الشكوى أو تعترف بها، فذلك لغو بعد كل الذي سردناه.

ولم تكن معاملة الرقيق في فارس والهند وغيرها، تختلف كثيراً عما ذكرنا من حيث إهدار إنسانية الرقيق إهداراً كاملا ً، وتحميله بأثقل الواجبات دون إعطائه حقاً مقابلها، وإن كانت تختلف فيما بينها قليلاً أو كثيراً في مدى قسوتها وبشاعتها.

ثم جاء الإسلام...

جاء ليرد لهؤلاء البشر إنسانيتهم.جاء ليقول للسادة عن الرقيق:

" بعضكم من بعض " [١٢] جاء ليقول: " من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناه " [١٣] جاء ليقرر وحدة الأصل والمنشأ والمصير: " أنتم بنو آدم وآدم من تراب[" ١٤[، وأنه لا فضل لسيد على عبد لمجرد أن هذا سيد وهذا عبد. وإنما الفضل للتقوى " :ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى " [١٥].

جاء ليأمر السادة أمراً أن يحسنوا معاملتهم للرقيق: " وبالوالدين إحساناً، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً " [١٦] وليقرر أن العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد، أو التسخير أو التحقير، وإنما هي علاقة القربى والأخوة .فالسادة " أهل " الجارية يُستأذنون في زواجها: " فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم. بعضكم من بعض، فانكحوهن بإذن أهلهن، وآتوهن أجورهن بالمعروف " [١٧]، وهم إخوة للسادة: " إخوانكم خولكم.. فمن كان " أخوه " تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم[" ١٨ [وزيادة في رعاية مشاعر الرقيق يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " :لايقل أحدكم: هذا عبدي وهذه أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي " [١٩] ويستند على ذلك أبو هريرة فيقول لرجل ركب وخلفه عبده يجري: " احمله خلفك، فإنه أخوك، وروحه مثل روحك ".

ولم يكن ذلك كل شئ. ولكن ينبغي قبل أن ننتقل إلى الخطوة التالية أن نسجل القفزة الهائلة التي قفزها الإسلام بالرقيق في هذه المرحلة.

لم يعد الرقيق " شيئاً ". وإنما صار بشراً له روح كروح السادة. وقد كانت الأمم الأخرى كلها تعتبر الرقيق جنساً آخر غير جنس السادة، خلق ليستعبد ويستذل، ومن

هنا لم تكن ضمائرهم تتأثم من قتله وتعذيبه وكيه بالنار وتسخيره في الأعمال القذرة والأعمال الشاقة [٢٠] ومن هنالك رفعه الإسلام إلى مستوى الأخوة الكريمة، لا في عالم المثل والأحلام، بل في عالم الواقع. ويشهد التاريخ - الذي لم ينكره أحد، حتى المتعصبون من كتاب أوربا - بأن معاملة الرقيق في صدر الإسلام بلغت حداً من الإنسانية الرفيعة لم تبلغه في أي مكان آخر. حداً جعل الرقيق المحررين يأبون مغادرة سادتهم السابقين - مع أنهم يملكون ذلك بعد أن تحرروا اقتصادياً وتعودوا على تحمل تبعات أنفسهم - لأنهم يعتبرونهم أهلاً لهم، يربطهم بهم ما يشبه روابط الدم! وأصبح الرقيق كائناً إنسانياً له كرامة يحميها القانون، ولا يجوز الاعتداء عليها بالقول ولا بالفعل. فأما القول فقد نهى صلى الله عليه وسلم السادة عن تذكير أرقائهم بأنهم أرقاء. وأمرهم أن يخاطبوهم بما يشعرهم بمودة الأهل وينفي عنهم صفة العبودية، وقال لهم في معرض هذا التوجيه: " إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم " [٢١] فهي إذن مجرد ملابسات عارضة جعلت هؤلاء رقيقاً، وكان من الممكن أن يكونوا سادة لمن هم اليوم سادة! وبذلك يغض من كبرياء هؤلاء، ويردهم إلى الآصرة البشرية التي تربطهم جميعاً، والمودة التي ينبغي أن تسود علاقات بعضهم ببعض. وأما الاعتداء الجسدي فعقوبته الصريحة هي المعاملة بالمثل: " ومن قتل عبده قتلناه.. " وهو مبدأ صريح الدلالة على المساواة الإنسانية بين الرقيق والسادة، وصريح في بيان الضمانات التي يحيط بها حياة هذه الطائفة من البشر - التي لا يخرجها وضعها العارض عن صفتها البشرية الأصيلة - وهي ضمانات كاملة ووافية، تبلغ حداً عجيباً لم يصل إليه قط تشريع آخرمن تشريعات الرقيق في التاريخ كله، لا قبل الإسلام ولا بعده، إذ جعل مجرد لطم العبد في غير تأديب (وللتأديب حدود مرسومة لا يتعداها ولا يتجاوز على أي حال ما يؤدب به السيد أبناءه) مبرراً شرعياً لتحرير الرقيق.

* * *

ثم ننتقل إلى المرحلة التالية، مرحلة التحرير الواقعي.

لقد كانت الخطوة السابقة في الواقع تحريراً روحياً للرقيق، برده إلى الإنسانية ومعاملته على أنه بشر كريم لا يفترق عن السادة من حيث الأصل، وإنما هي ظروف عارضة حدت من الحرية الخارجية للرقيق في التعامل المباشر مع المجتمع، وفيما عدا هذه النقطة كانت للرقيق كل حقوق الآدميين.

ولكن الإسلام لم يكتف بهذا، لأن قاعدته الأساسية العظمى هي المساواة الكاملة بين البشر، وهي التحرير الكامل لكل البشر. ولذلك عمل فعلاً على تحرير الأرقاء، بوسيلتين كبيرتين: هما العتق والمكاتبة.

فأما العتق فهو التطوع من جانب السادة بتحرير من في يدهم من الأرقاء، وقد شجع الإسلام على ذلك تشجيعاً كبيراً، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى في ذلك إذ أعتق من عنده من الأرقاء، وتلاه في هذا أصحابه، وكان أبو بكر ينفق أموالاً طائلة في شراء العبيد من سادة قريش الكفار، ليعتقهم ويمنحهم الحرية ؛ وكان بيت المال يشتري العبيد من أصحابهم ويحررهم كلما بقيت لديه فضلة من مال. قال يحيى بن سعيد: " بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية، فجمعتها ثم

طلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيراً ولم نجد من يأخذها منا، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها عبيداً فأعتقتهم".

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق من الأرقاء من يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، أويؤدي خدمة مماثلة للمسلمين. ونص القرآن الكريم على أن كفارة بعض الذنوب هي عتق الرقاب. كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على العتق تكفيراً عن أي ذنب يأتيه الإنسان، وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم، فالذنوب لا تنقطع، وكل ابن آدم خطاء كما يقول الرسول. ويحسن هنا أن نشير إشارة خاصة إلى إحدى هذه الكفارات لدلالتها الخاصة في نظرة الإسلام إلى الرق، فقد جعل كفارة القتل الخطأ دية مسلمة إلى أهل القتيل وتحرير رقبة: " ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلَّمة إلى أهله " [٢٢] والقتيل الذي قتل خطأ هو روح إنسانية قد فقدها أهلها كما فقدها المجتمع دون وجه حق، لذلك يقرر الإسلام التعويض عنها من جانبين: التعويض لأهلها بالدية المسلمة لهم، والتعويض للمجتمع بتحرير رقبة مؤمنة فكأن تحرير الرقيق هو إحياء لنفس إنسانية تعوض النفس التي ذهبت بالقتل الخطأ. والرق على ذلك هو موت أو شبيه بالموت في نظر الإسلام، على الرغم من كل الضمانات التي أحاط بها الرقيق، ولذلك فهو ينتهز كل فرصة " لإحياء " الأرقاء بتحريرهم من الرق [٢٣]!

ويذكر التاريخ أن عدداً ضخماً من الأرقاء قد حرر بطريق العتق، وأن هذا العدد الضخم لا مثيل له في تاريخ الأمم الأخرى، لا قبل الإسلام، ولا بعده بقرون عدة حتى مطلع العصر الحديث. كما أن عوامل عتقهم كانت إنسانية بحتة، تنبع من ضمائر الناس ابتغاء مرضاة الله، ولاشيء غير مرضاة الله.

أما المكاتبة، فهي منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق. والعتق هنا إجباري لا يملك السيد رفضه ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه. وإلا تدخلت الدولة (القاضي أو الحاكم) لتنفيذ العتق بالقوة، ومنح الحرية لطالبها.

وبتقرير المكاتبة، فتح في الواقع باب التحرير في الإسلام، لمن أحس في داخل نفسه برغبة التحرر، ولم ينتظر أن يتطوع سيده بتحريره في فرصة قد تسنح أو لا تسنح على مر الأيام.

ومنذ اللحظة الأولى التي يطلب فيها المكاتبة - والسيد لا يملك رفض المكاتبة متى طلبها الرقيق، ولم يكن في تحريره خطر على أمن الدولة الإسلامية - يصبح عمله عند سيده بأجر، أو يتاح له - إذا رغب - أن يعمل في الخارج بأجر، حتى يجمع المبلغ المتفق عليه.

ومثل ذلك قد حدث في أوربا في القرن الرابع عشر - أي بعد تقرير الإسلام له بسبعة قرون - مع فارق كبير لم يوجد في غير الإسلام، وهو كفالة الدولة للأرقاء المكاتبين - وذلك إلى جانب مجهود الإسلام الضخم في عتق الأرقاء تطوعاً بلا مقابل، تقرباً إلى الله ووفاء بعبادته.

تقول الآية التي تبين مصارف الزكاة: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها... وفي الرقاب ... " [٢٤] فتقرر أن الزكاة تصرف من بيت المال - وهو الخزانة العامة في العرف الحديث - لمعاونة المكاتبين من الأرقاء لأداء ثمن التحرير، إذا عجزوا بكسبهم الخاص عن أدائه.

وبهذا وذاك يكون الإسلام قد خطا خطوات فعليه واسعة في سبيل تحرير الرقيق، وسبق بها التطور التاريخي كله بسبعة قرون على الأقل، وزاد على هذا التطور عناصر – كرعاية الدولة – لم يفيء إليها العالم إلا في مطلع تاريخه الحديث. وعناصر أخرى لم يفيء إليها أبداً، سواء في حسن معاملة الرقيق، أو في عتقه تطوعاً، بغير ضغط من التطورات الاقتصادية أو السياسية التي اضطرت الغرب اضطراراً لتحرير الرقيق كما سيجيء.

وبهذا وذاك تسقط حذلقة الشيوعيون ودعاواهم " العلمية " الزائفة، التي تزعم أن الإسلام حلقة من حلقات التطور الاقتصادي جاءت في موعدها الطبيعي حسب سنة المادية الجدلية – فها هي ذي قد سبقت موعدها بسبعة قرون – والتي تزعم أن كل نظام - بما في ذلك الإسلام - إن هو إلا انعكاس للتطور الاقتصادي القائم وقت ظهوره، وأن كل عقائده وأفكاره تلائم هذا التطور وتستجيب له، ولكنها لا تسبقه، ولا تستطيع أن تسبقه، كما قرر العقل الذي لا يخطيء ولا يأتيه الباطل من فوقه ولا من تحته، عقل كارل مارس تقدست ذكراه! فها هو ذا الإسلام لم يعمل بوحي النظم الاقتصادية القائمة حينئذ في جزيرة العرب وفي العالم كله، لا في شأن الرقيق، ولا في توزيع الثروة، ولا في علاقة الحاكم بالمحكوم، أو المالك بالأجير [٢٥]، وإنما كان ينشئ نظمه الاجتماعية والاقتصادية تطوعاً وإنشاء على نحو غير مسبوق، ولا يزال في كثير من أبوابه متفرداً في التاريخ.

وهنا يخطر السؤال الحائر على الأفكار والضمائر: إذا كان الإسلام قد خطا هذه الخطوات كلها نحو تحرير الرقيق، وسبق بها العالم كله متطوعاً غير مضطر ولا مضغوط عليه، فلماذا لم يخط الخطوة الحاسمة الباقية، فيعلن في صراحة كاملة إلغاء الرق من حيث المبدأ؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي أن ندرك حقائق اجتماعية ونفسية وسياسية أحاطت بموضوع الرق، وجعلت الإسلام يضع المبادئ الكفيلة بتحرير الرقيق، ويدعها تعمل عملها على المدى الطويل.

يجب أن نذكر أولاً أن الحرية لا تمنح وإنما تؤخذ. وتحرير الرقيق بإصدار مرسوم كما يتخيل البعض لم يكن ليحرر الرقيق !والتجربة الأمريكية في تحرير الرقيق بجرة قلم على يد أبراهام لنكولن خير شاهد لما نقول، فالعبيد الذين حررهم لنكولن - من الخارج - بالتشريع، لم يطيقوا الحرية، وعادوا إلى سادتهم يرجونهم أن يقبلوهم عبيداً لديهم كما كانوا، لأنهم - من الداخل - لم يكونوا قد تحرروا بعد.

والمسألة على غرابتها ليست غريبة حين ينظر إليها على ضوء الحقائق النفسية. فالحياة عادة. والملابسات التي يعيش فيها الإنسان هي التي تكيف مشاعره وتصوغ أحاسيسه وأجهزته النفسية [٢٦] والكيان النفسي للعبد يختلف عن الكيان النفسي للحر، لا لأنه جنس آخر كما ظن القدماء، ولكن لأن حياته في ظل العبودية الدائمة

جعلت أجهزته النفسية تتكيف بهذه الملابسات، فتنمو أجهزة الطاعة إلى أقصى حد، وتضمر أجهزة المسؤولية واحتمال التبعات إلى أقصى حد..

فالعبد يحسن القيام بكثير من الأمور حين يأمره بها سيده، فلا يكون عليه إلا الطاعة والتنفيذ. ولكنه لا يحسن شيئاً تقع مسؤوليته على نفسه، ولو كان أبسط الأشياء، لا لأن جسمه يعجز عن القيام بها، ولا لأن فكره – في جميع الأحوال - يعجز عن فهمها ؛ ولكن لأن نفسه لا تطيق احتمال تبعاتها، فيتخيل فيها أخطاراً موهومة، ومشكلات لا حل لها، فيفر منها إبقاء على نفسه من الأخطار!

ولعل الذين يمعنون النظر في الحياة المصرية - والشرقية - في العهود الأخيرة يدركون أثر هذه العبودية الخفية التي وضعها الاستعمار الخبيث في نفوس الشرقيين ليستعبدهم للغرب. يدركونها في المشروعات المعطلة التي لا يعطلها - في كثير من الأحيان - إلا الجبن عن مواجهة نتائجها! والمشروعات المدروسة التي لا تنفذها الحكومات حتى تستقدم خبيراً انجليزياً أو أمريكياً [٢٧].. الخ. ليحتمل عنها مسؤولية المشروع ويصدر الإذن بالتنفيذ! والشلل المروع الذي يخيم على الموظفين في الدواوين ويقيد إنتاجهم بالروتين المتحجر، لأن أحداً من الموظفين لا يستطيع أن يصنع إلا ما يأمره به " السيد " الموظف الكبير، وهذا بدوره لا يملك إلا إطاعة " السيد " الوزير، لا لأن هؤلاء جميعاً يعجزون عن العمل، ولكن لأن جهاز التبعات عندهم معطل وجهاز الطاعة عندهم متضخم، فهم أشبه شيء بالعبيد، وإن كانوا رسمياً من الأحرار!

هذا التكيف النفسي للعبد هو الذي يستعبده. وهو ناشيء في أصله من الملابسات الخارجية بطبيعة الحال، ولكنه يستقل عنها، ويصبح شيئاً قائماً بذاته كفرع الشجرة الذي يتدلى إلى الأرض، ثم يمد جذوراً خاصة به ويستقل عن الأصل. وهذا التكيف النفسي لا يذهب به إعلان تصدره الدولة بإلغاء الرق .بل ينبغي أن يغير من الداخل، بوضع ملابسات جديدة تكيف المشاعر على نحو آخر، وتنمي الأجهزة الضامرة في نفس العبد، وتصنع كياناً بشرياً سوياً من كيانه المشوه الممسوخ .

وذلك ما صنعه الإسلام.

فقد بدأ أولا بالمعاملة الحسنة للرقيق. ولا شيء كحسن المعاملة يعيد توازن النفس المنحرفة، ويرد إليها اعتبارها، فتشعر بكيانها الإنساني، وكرامتها الذاتية، وحين ذلك تحس طعم الحرية فتتذوقه، ولا تنفر منه كما نفر عبيد أمريكا المحررون.

وقد وصل الإسلام في حسن المعاملة ورد الاعتبار الإنساني للرقيق إلى درجة عجيبة ضربنا أمثلة منها من قبل في آيات القرآن وأحاديث الرسول، ونسرد هنا أمثلة أخرى في التطبيق الواقعي.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين بعض الموالي وبعض الأحرار من سادة العرب. فآخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمي، وبين مولاه زيد وعمه حمزة، وبين خارجة بن زيد وأبي بكر، وكانت هذه المؤاخاة صلة حقيقية تعدل رابطة الدم وتصل إلى حد الاشتراك في الميراث!

ولم يكتف بهذا الحد ...

فقد زوج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد. والزواج مسألة حساسة جداً وخاصة من جانب المرأة، فهي تقبل أن تتزوج من يفضلها مقاماً ولكنها تأبى أن يكون زوجها دونها في الحسب والنسب والثروة، وتحس أن هذا يحط من شأنها ويغض من كبريائها. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهدف إلى معنى أسمى من كل ذلك وهو رفع الرقيق من الوهدة التي دفعته إليها البشرية الظالمة إلى مستوى أعظم سادة العرب من قريش.

ولم يكتف كذلك بهذا الحد.

فقد أرسل مولاه زيداً على رأس جيش فيه الأنصار والمهاجرون من سادات العرب، فلما قتل ولى ابنه أسامة بن زيد قيادة الجيش، وفيه أبو بكر وعمر وزيرا الرسول وخليفتاه من بعده، فلم يعط المولى بذلك مجرد المساواة الإنسانية، بل أعطاه حق القيادة والرئاسة على " الأحرار ". ووصل في ذلك إلى أن يقول: " اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى [٢٨]". فأعطى الموالي بذلك الحق في أرفع مناصب الدولة، وهو ولاية أمر المسلمين. وقد قال عمر وهو يستخلف: " لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته " فيسير على نفس المبدأ الذي سنه الرسول صلى الله عليه وسلم. ويضرب عمر مثلاً آخر من الأمثلة الرائعة على احترام الموالي ؛ إذ يعارضه بلال بن رباح في مسألة الفيء فيشتد في معارضته، فلا يجد سبيلاً في رده إلا أن يقول: " اللهم اكفني بلالاً وأصحابه "! ذلك وهو الخليفة الذي كان يملك ـ لو أراد ـ أن يأمر فيطاع!

هذه النماذج التي وضعها الإسلام كان المقصود بها تحرير الرقيق من الداخل ـ كما قلنا في مبدأ هذا الفصل ـ لكي يحس بكيانه فيطلب الحرية، وهذا هو الضمان الحقيقي للتحرير.

وصحيح أنه شجع على العتق وحث عليه بكل الوسائل، ولكن هذا نفسه كان جزءاً من التربية النفسية للرقيق، لكي يشعروا أن في إمكانهم أن يحصلوا على الحرية ويتمتعوا بكل ما يتمتع به السادة من حقوق، فتزداد رغبتهم في الحرية ويتقبلوا احتمال التبعات في سبيلها، وهنا يسارع في منحها لهم، لأنهم حينئذ مستحقون لها، قادرون على صيانتها.

وفرق كبير بين النظام الذي يشجع الناس على طلب الحرية ويهيء لها الوسائل، ثم يعطيها لهم في اللحظة التي يطلبونها بأنفسهم، وبين النظم التي تدع الأمور تتعقد وتتحرج، حتى تقوم الثورات الاقتصادية والاجتماعية وتزهق الأرواح بالمئات والألوف، ثم لا تعطي الحرية لطلابها إلا مجبرة كارهة.

وقد كان من فضائل الإسلام الكبرى في مسألة الرقيق، أنه قد حرص على التحرير الحقيقي له من الداخل والخارج، فلم يكتف بالنية الطيبة كما فعل لنكولن بإصدار تشريع لا رصيد له في داخل النفوس ؛ مما يثبت عمق إدراك الإسلام للطبيعة البشرية، وفطنته إلى خير الوسائل لمعالجتها. وهذا إلى جانب تطوعه بإعطاء الحقوق لأصحابها، مع تربيتهم على التمسك بها واحتمال تبعاتها ـ على أساس الحب والمودة بين جميع طوائف المجتمع ـ قبل أن يتصارعوا من أجل هذه الحقوق، كما حدث

في أوربا، ذلك الصراع البغيض الذي يجفف المشاعر ويورث الأحقاد. فيفسد كل ما يمكن أن تصيبه البشرية من الخير في أثناء الطريق.

والآن نتحدث عن العامل الأكبر الذي جعل الإسلام يضع الأساس لتحرير الرقيق ثم يدعه يعمل عمله من خلال الأجيال.

لقد جفف الإسلام منابع الرق القديمة كلها، فيما عدا منبعاً واحداً لم يكن يمكن أن يجففه، وهو رق الحرب. ولنأخذ في شيء من التفصيل.

كان العرف السائد يومئذ هو استرقاق أسرى الحرب أو قتلهم [٢٩] وكان هذا العرف قديماً جداً، موغلاً في ظلمات التاريخ، يكاد يرجع إلى الإنسان الأول، ولكنه ظل ملازماً للإنسانية في شتى أطوارها.

وجاء الإسلام والناس على هذا الحال. ووقعت بينه وبين أعداءه الحروب، فكان الأسرى المسلمون يسترقون عند أعداء الإسلام، فتسلب حرياتهم، ويعامل الرجال منهم بالعسف والظلم الذي كان يجري يومئذ على الرقيق، وتنتهك أعراض النساء لكل طالب، يشترك في المرأة الواحدة الرجل وأولاده وأصدقاؤه من يبغي الاستمتاع منهم، بلا ضابط ولا نظام، ولا احترام لإنسانية أولئك النساء أبكاراً كن أم غير أبكار. أما الأطفال – إن وقعوا أسرى – فكانوا ينشأون في ذل العبودية البغيض. عندئذ لم يكن جديراً بالمسلمين أن يطلقوا سراح من يقع في أيديهم من أسرى الأعداء. فليس من حسن السياسة أن تشجع عدوك عليك بإطلاق أسراه، بينما أهلك وعشيرتك وأتباع دينك يسامون الخسف والعذاب عند هؤلاء الأعداء. والمعاملة بالمثل هنا هي أعدل قانون تستطيع استخدامه، أو هي القانون الوحيد. ومع ذلك فينبغي أن نلاحظ فروقاً عميقة بين الإسلام وغيره من النظم في شأن الحرب وأسرى الحرب.

كانت الحروب – وما تزال – في غير العالم الإسلامي لا يقصد بها إلا الغزو والفتك والاستعباد. كانت تقوم على رغبة أمة في قهر غيرها من الأمم، وتوسيع رقعتها على حسابها، أو لاستغلال مواردها وحرمان أهلها منها ؛ أو لشهوة شخصية تقوم في نفس ملك أو قائد حربي، ليرضي غروره الشخصي وينتفش كبراً وخيلاء، أو لشهوة الانتقام.. أو ما إلى ذلك من الأهداف الأرضية الهابطة. وكان الأسرى الذين يسترقون، لا يسترقون لخلاف في عقيدة، ولا لأنهم في مستواهم الخلقي أو النفسي أو الفكري أقل من آسريهم، ولكن فقط لأنهم غلبوا في الحرب.

وكذلك لم تكن لهذه الحرب تقاليد تمنع من هتك الأعراض أو تخريب المدن المسالمة، أو قتل النساء والأطفال والشيوخ، وذلك منطقي مع قيامها لغير عقيدة ولا مبدأ ولا هدف رفيع.

فلما جاء الإسلام أبطل ذلك كله، وحرم الحروب كلها. إلا أن تكون جهاداً في سبيل الله.. جهاداً لدفع اعتداء عن المسلمين، أو لتحطيم القوى الباغية التي تفتن الناس عن دينهم بالقهر والعنف. أو لإزالة القوى الضالة التي تقف في سبيل الدعوة وإبلاغها للناس ليروا الحق ويسمعوه.

) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [٣٠]

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [٣١].

فهي دعوة سلمية لا تكره أحداً: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) [٣٢] وبقاء اليهود والمسيحيين في العالم الإسلامي على دينهم حتى اللحظة برهان قاطع لا يقبل الجدل ولا المماحكة، يثبت أن الإسلام لم يكره غيره على اعتناقه بقوة السيف [٣٣].

فاذا قبل الناس الإسلام، واهتدوا إلى دين الحق، فلا حرب ولا خصومة ولا خضوع من أمة لأمة، ولا تمييز بين مسلم ومسلم على وجه الأرض، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

فمن أبى الإسلام وأراد أن يحتفظ بعقيدته في ظل النظام الإسلامي – مع إيمان الإسلام بأنه خير من هذه العقيدة وأقوم سبيلاً – فله ذلك دون إكراه ولا ضغط، على أن يدفع الجزية مقابل حماية الإسلام له، بحيث تسقط الجزية أو ترد إن عجز المسلمون عن حمايته [٣٤] فإن أبوا الإسلام والجزية فهم إذن معاندون متبجحون، لا يريدون للدعوة السلمية أن تأخذ طريقها، وإنما يريدون أن يقفوا بالقوة المادية في طريق النور الجديد يحجبونه عن عيون قوم ربما اهتدوا لو خلي بينهم وبين النور.

عند ذلك فقط يقوم القتال، ولكنه لا يقوم بغير إنذار أو إعلان، لإعطاء فرصة أخيرة لحقن الدماء ونشر السلم في ربوع الأرض: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) [٣٥].

تلك هي الحرب الإسلامية، لا تقوم على شهوة الفتح ولا رغبة الاستغلال، ولا دخل فيها لغرور قائد حربي أو ملك مستبد، فهي حرب في سبيل الله وفي سبيل هداية البشرية، حين تخفق الوسائل السلمية كلها في هداية الناس.

ولها مع ذلك تقاليد ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصيته: "اغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا" [٣٦].

فلا قتل لغير المحارب الذي يقف بالسلاح يقاتل المسلمين، ولا تخريب ولا تدمير ولا هتك للأعراض، ولا إطلاق لشهوة الشر والإفساد: (إن الله لا يحب المفسدين)

وقد راعى المسلمون تقاليدهم النبيلة هذه في كل حروبهم، حتى في الحروب الصليبية الغادرة، حين انتصروا على عدوهم الذي كان في جولة سابقة قد انتهك الحرمات واعتدى على المسجد الأقصى فهاجم المحتمين فيه بحمى الله – رب الجميع – وأسال دماءهم فيه أنهاراً، فلم ينتقموا لأنفسهم حين جاءهم النصر، وهم يملكون الإذن من الدين ذاته بالمعاملة بالمثل: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) [٣٧]. ولكنهم ضربوا المثل الأعلى الذي يعجز عنه غير المسلمين في كل الأرض حتى العصر الحديث.

ذلك فارق أساسي في أهداف الحرب وتقاليدها بين المسلمين وغير المسلمين. وقد كان الإسلام يملك لو أراد – والحق يسنده في ذلك – أن يعتبر من يقع في يديه من الأسرى – ممن يعاندون الهدى ويصرون على وثنيتهم الهابطة وشركهم المخرف – قوماً ناقصي الآدمية، ويسترقهم بهذا المعنى وحده .فما يصر بشر على هذه الخرافة – بعد إذ يرى النور – إلا أن يكون في نفسه هبوط أو في عقله انحراف، فهو ناقص في كيانه البشري، غير جدير بكرامة الآدميين، وحرية الأحرار من بني الإنسان.

ومع ذلك فإن الإسلام لم يسترق الأسرى لمجرد اعتبار أنهم ناقصون في آدميتهم، وإنما لأنهم – وهذه حالهم – قد جاءوا يعتدون على حمى الإسلام، أو وقفوا بالقوة المسلحة يحولون بين الهدى الرباني وبين قلوب الناس .
وحتى مع ذلك فلم يكن تقليد الإسلام الدائم هو استرقاق الأسرى. فقد أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أسرى بدر من المشركين منًّا بغير فداء، وأطلق بعضهم لقاء فدية، وأخذ من نصارى نجران جزية ورد إليهم أسراهم، ليضرب بذلك المثل لما يريد أن تهتدي إليه البشرية في مستقبلها.
ومما هو جدير بالإشارة هنا أن الآية الوحيدة التي تعرضت لأسرى الحرب: (فإما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) [٣٨] لم تذكر الاسترقاق للأسرى، وإنما ذكرت الفداء وإطلاق السراح دون مقابل، حتى لا يكون الاسترقاق تشريعاً دائماً للبشرية ولا ضربة لازب، إنما هو أمر يلجأ إليه الجيش الإسلامي المحارب إذا اقتضته الظروف والملابسات.
يضاف إلى ذلك أن الأسرى الذين كانوا يقعون في يد الإسلام كانوا يعاملون تلك المعاملة الكريمة التي وصفناها من قبل، ولا يلقون الهوان والتعذيب، وكان يفتح أمامهم باب التحرر حين تسعى نفوسهم إليه وتحتمل تبعاته، وإن كان معظمهم في الواقع لم يكن حراً قبل أسره، إنما كان من الرقيق الذي استرقه الفرس والرومان ودفعوه إلى قتال المسلمين.
فكأن الأمر في الحقيقة لم يكن استرقاقاً من أجل الاسترقاق. ولا كان الرق أصلاً دائماً يهدف الإسلام إلى المحافظة عليه، فاتجاه الإسلام إلى تحرير الرقيق هو الاتجاه البارز الذي تشير كل الدلائل إليه .
وإنما هو وضع موقوت يؤدي في النهاية إلى التحرير.
تقوم الحرب بين المسلمين وأعداء الإسلام فيقع بعض الأسرى من الكفار في يد المسلمين، فيصبحون – في بعض الحالات، لا في كل الحالات ولا بصورة حتمية- رقيق حرب، فيعيشون فترة من الزمن في جو المجتمع الإسلامي، يبصرون عن كثب صورة العدل الرباني مطبقاً في واقع الأرض، وتشملهم روح الإسلام الرحيمة بحسن معاملتها واعتباراتها الإنسانية، فتتشرب أرواحهم بشاشة الإسلام، وتتفتح بصائرهم للنور ..وعندئذ يحررهم الإسلام بالعتق في بعض الأحيان، أو بالمكاتبة إن تاقت نفوسهم إلى الحرية وسعوا إليها.
وبذلك تصبح الفترة التي يقضونها في الرق في الحقيقة فترة علاج نفسي وروحي، قوامه إحسان المعاملة لهم، وإشعارهم بآدميتهم المهدرة، وتوجيه أرواحهم إلى النور الرباني بغير إكراه.. ثم في النهاية يكون التحرير..
وذلك كله في حالة الاسترقاق. وليست هي السبيل الوحيد الذي يسلكه الإسلام، كما يتضح من آية التشريع، ومن السلوك العملي للرسول صلى الله عليه وسلم في مختلف الغزوات.
أما النساء فقد كرمهن - حتى في رقهن - عما كن يلقين في غير بلاد الإسلام. فلم تعد أعراضهن نهباً مباحاً لكل طالب على طريقة البغاء (وكان هذا هو مصير أسيرات الحروب في أغلب الأحيان) وإنما جعلهن ملكاً لصاحبهن وحده، لا يدخل عليهن أحد

غيره، وجعل من حقهن نيل الحرية بالمكاتبة، كما كانت تحرر من ولدت لسيدها ولداً ويحرر معها ولدها، وكن يلقين من حسن المعاملة ما أوصى به الإسلام.

* * *

تلك قصة الرق في الإسلام: صفحة مشرفة في تاريخ البشرية. فالإسلام لم يجعل الرق أصلاً من أصوله، بدليل أنه سعى إلى تحريره بشتى الوسائل، وجفف منابعه كلها لكي لا يتجدد، فيما عدا المنبع الواحد الذي ذكرناه وهو رق الحرب المعلنة للجهاد في سبيل الله. وقد رأينا أن الرق فيها ليس ضربة لازب، وأنه – إن حدث – فلفترة موقوتة تؤدي في النهاية إلى التحرير..

أما ما حدث في بعض العهود الإسلامية من الرق في غير أسرى الحروب الدينية، ومن نخاسة واختطاف وشراء لمسلمين لا يجوز استرقاقهم أصلاً، فإن نسبته إلى الإسلام ليست أصدق ولا أعدل من نسبة حكام المسلمين اليوم إلى الإسلام بما يرتكبونه من موبقات وآثام!

وينبغي أن نجعل بالنا إلى عدة أمور في هذا الموضوع.

الأول: هو تعدد منابع الرق عند الدول الأخرى بغير ضرورة ملجئة سوى شهوة الاستعباد، من استرقاق أمة لأمة، وجنس لجنس، واسترقاق للفقر. واسترقاق بالوراثة من الميلاد في طبقة معينة، واسترقاق بسبب العمل في الأرض إلخ، وإلغاء هذه المنابع كلها في الإسلام، فيما عدا المنبع الوحيد الذي شرحنا ظروفه من قبل.

والثاني: أن أوربا مع تعدد موارد الرق فيها بغير ضرورة، لم تلغ الرق حين ألغته متطوعة، وكتابهم يعترفون بأن الرق ألغي حين ضعف إنتاج الرقيق – لسوء أحوالهم المعيشية وفقدان الرغبة أو القدرة على العمل – بحيث أصبحت تكاليف العبد من إعاشة وحراسة أكثر من إنتاجه !!فهي إذن حسبة اقتصادية لا غير، يحسب فيها المكسب والخسارة، ولا ظل فيها لأي معنى من المعاني الإنسانية التي تشعر بكرامة الجنس البشري، فتمنح الرقيق حريته من أجلها !هذا بالإضافة إلى الثورات المتتابعة التي قام بها الرقيق فاستحال معها دوام استرقاقه.

ومع ذلك فإن أوربا حينئذ لم تمنحه الحرية. ولكنها حولته من رقيق للسيد إلى رقيق للأرض، يباع معها ويشترى، ويخدم فيها، ولا يجوز له أن يغادرها، وإلا اعتبر آبقاً وأعيد إليها بقوة القانون مكبلاً بالسلاسل مكوياً بالنار. وهذا اللون من الرق هو الذي بقي حتى حرمته الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر، أي بعد أن قرر الإسلام مبدأ التحرير بما يزيد على ألف ومائة عام.

والأمر الثالث: أنه لا يجوز أن تخدعنا الأسماء. فقد ألغت الثورة الفرنسية الرق في أوربا، وألغى لنكولن الرق في أمريكا، ثم اتفق العالم على إبطال الرق.. كل ذلك من الظاهر. وإلا فأين هو الرق الذي ألغي؟ وما اسم ما يحدث اليوم في كل أنحاء العالم؟ وما اسم الذي كانت تصنعه فرنسا في المغرب الإسلامي؟ وما اسم الذي تصنعه أمريكا في الزنوج، وانجلترا في الملونين في جنوب افريقيا؟

أليس الرق في حقيقته هو تبعية قوم لقوم آخرين، وحرمان طائفة من البشر من الحقوق المباحة للآخرين؟ أم هو شيء غير ذلك؟ وماذا يعني أن يكون هذا تحت عنوان الرق، أو تحت عنوان الحرية والإخاء والمساواة؟ ماذا تجدي العناوين البراقة

إذا كانت الحقائق التي وراءها هي أخبث ما عرفته البشرية من الحقائق في تاريخها الطويل؟

لقد كان الإسلام صريحاً مع نفسه ومع الناس فقال :هذا رق، وسببه الوحيد هو كذا، والطريق إلى التحرر منه مفتوح.

أما الحضارة الزائفة التي نعيش اليوم في أحضانها، فلا تجد في نفسها هذه الصراحة، فهي تصرف براعتها في تزييف الحقائق وطلاء اللافتات البراقة. فقتل مئات الألوف في تونس والجزائر والمغرب لغير شيء سوى أنهم يطالبون بالحرية والكرامة الإنسانية: حريتهم في أن يعيشوا في بلادهم بلا دخيل، وأن يتكلموا لغتهم، ويعتقدوا عقيدتهم، ولا يخدموا إلا أنفسهم. وحريتهم في التعامل المباشر مع العالم في السياسة والاقتصاد... قتل هؤلاء الأبرياء وحبسهم في السجون القذرة بلا طعام ولا ماء، وانتهاك أعراضهم والسطو على نسائهم، وقتلهن بلا مبرر وشق بطونهن للتراهن على نوع الجنين.. هذا اسمه في القرن العشرين حضارة ومدنية ونشر لمبادئ الحرية والإخاء والمساواة. أما المعاملة المثالية الكريمة التي كان يمنحها الإسلام للرقيق قبل ثلاثة عشر قرناً، تطوعاً منه وإكراماً للجنس البشري في جميع حالاته، مع إعلانه العملي بأن الرق وضع مؤقت وليس حالة دائمة، فهذا اسمه تأخر وانحطاط وهمجية.

وحين يضع الأمريكان على فنادقهم ونواديهم لافتات تقول: " للبيض فقط " أو تقول في وقاحة كريهة: " ممنوع دخول السود والكلاب "، وحين يفتك جماعة من البيض " المتحضرين " بواحد من الملونين، فيطرحونه أرضاً ويضربونه بأحذيتهم حتى يسلم الروح، ورجل الشرطة واقف لا يتحرك ولا يتدخل، ولا يهم لنجدة أخيه في الوطن وفي الدين واللغة فضلاً عن الأخوة في البشرية، كل ذلك لأنه – وهو ملون – تجرأ فمشى إلى جانب فتاة أمريكية بيضاء لا عرض لها – وبإذنها لا كرها عنها – يكون هذا هو أقصى ما وصل إليه القرن العشرون من التحضر والارتفاع.

أما حين يتهدد العبد المجوسي عمر بالقتل، ويفهم عنه عمر ذلك، ثم لا يحبسه ولا ينفيه من الأرض، ولا نقول يقتله، وهو مخلوق ناقص الآدمية حقا لأنه يعبد النار ويصر على عبادتها تعصباً منه للباطل بعد أن رأى الحق بعينيه، فما أشد همجية عمر، وما أشد ازدراءه لكرامة الجنس البشري لأنه قال: " تهددني العبد "! ثم تركه حراً حتى ارتكب جريمته فقتل خليفة المسلمين، لأنه لم يكن يملك عليه سلطاناً قبل أن يقترف الجريمة.

وقصة الملونين في أفريقيا، وحرمانهم من حقوقهم البشرية وقتلهم أو " اصطيادهم " حسب تعبير الجرائد الإنجليزية الوقحة، لأنهم تجرأوا فأحسوا بكرامتهم وطالبوا بحريتهم، هذا هو العدل البريطاني في قمته، والحضارة الإنسانية في أوجها، والمبادئ السامية التي تجيز لأوربا الوصاية على العالم. أما الإسلام فهو همجي جداً لأنه لم يتعلم " اصطياد " البشر، والتلهي بقتلهم لأنهم سود البشرة. بل وصل توغله في التأخر والانحطاط أن يقول: " اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة" ..

أما المرأة فلها حساب آخر.

كان الإسلام قد أباح للسيد أن يكون عنده عدد من الجواري من سبى الحرب [٣٩] يستمتع بهن وحده، ويتزوج منهن أحياناً إذا شاء. وأوربا تستنكر هذا اليوم وتتعفف عن هذه الحيوانية البشعة التي تعتبر الجواري متاعاً مباحاً، وأجساداً لا حرمة لها ولا كرامة، كل مهمتها في الحياة إشباع لذة بهيمية بغيضة، لرجل لا يرتفع عن مستوى الحيوان.
وجريمة الإسلام الحقيقية في هذا الأمر أنه لا يبيح البغاء! فقد كانت أسيرات الحرب في البلاد الأخرى يهوين إلى حمأة الرذيلة بحكم أنه لا عائل لهن، ولأن سادتهن لا يشعرن نحوهن بحمية العرض، فيشغلونهن في هذه المهمة البغيضة، ويكسبون من هذه التجارة القذرة: تجارة الأعراض. ولكن الإسلام – المتأخر – لم يقبل البغاء، وحرص على حفظ المجتمع نظيفاً من الجريمة، فقصر هؤلاء الجواري على سيدهن، عليه إطعامهن وكسوتهن وحفظهن من الجريمة، وإرضاء حاجتهن الجنسية – عرضاً – وهو يقضي حاجته.
أما ضمير أوربا فلا يطيق هذه الحيوانية... ولذلك أباحت البغاء ومنحته رعاية القانون وحمايته! وراحت تنشره عامدة في كل بلد وطئته أقدامها مستعمرة. فما الذي تغير من الرق حين تغير عنوانه؟ وأين كرامة البغي وهي لا تملك رد طالب – وما يطلبها أحد إلا لأقذر معنى يمكن أن تهبط إليه البشرية: دفعة الجسد الخالصة التي لا تلطفها عاطفة، ولا ترتفع بها روح؟ وأين من هذه القذارة الحسية والمعنوية ما كان بين السادة والجواري في الإسلام؟
لقد كان الإسلام صريحاً مع نفسه ومع الناس، فقال: هذا رق. وهؤلاء جوار. وحدود معملتهن هي كذا وكذا. ولكن الحضارة المزيفة لا تجد في نفسها هذه الصراحة، فهي لا تسمي البغاء رقا، وإنما تقول عنه إنه " ضرورة اجتماعية "!
ولماذا هو ضرورة؟
لأن الرجل الأوربي المتحضر لا يريد أن يعول أحداً: لا زوجة ولا أولاداً. يريد أن يستمتع دون أن يحتمل تبعة. يريد جسد امرأة يفرغ فيه شحنة الجنس. ولا يعنيه من تكون هذه المرأة، ولا تعنيه مشاعرها نحوه ولا مشاعره نحوها. فهو جسد ينزو كالبهيمة، وهي جسد يتلقى هذه النزوة بلا اختيار، ويتلقاها لا من واحد بعينه، ولكن من أي عابر سبيل.

هذه هي " الضرورة " الاجتماعية التي تبيح استرقاق النساء في الغرب في العصر الحديث. وما هي بضرورة لو ارتفع الرجل الأوربي إلى مستوى " الإنسانية " ولم يجعل لأنانيته كل هذا السلطان عليه.
والدول التي ألغت البغاء في الغرب المتحضر لم تلغه لأن كرامتها أوجعتها، أو لأن مستواها الخلقي والنفسي والروحي قد ارتفع عن الجريمة. كلا! ولكن لأن الهاويات قد أغنين عن المحترفات. ولم تعد الدولة في حاجة إلى التدخل!
وبعد ذلك يجد الغرب من التبجح ما يعيب به نظام الجواري في الإسلام، ذلك النظام الذي كان قبل ألف وثلثمائة عام – وعلى أنه نظام غير مطلوب له الدوام - أكرم بكثير وأنظف بكثير من النظام الذي يقوم اليوم في القرن العشرين، وتعتبره المدنية نظاماً

طبيعياً، لا يستنكره أحد، ولا يسعى في تغييره أحد، ولا يمانع أحد في أن يظل باقياً إلى نهاية الحياة!

ولا يقل قائل إن هؤلاء " الهاويات " يتطوعن دون إكراه من أحد وهن مالكات لحريتهن الكاملة. فالعبرة بالنظام الذي يدفع الناس بأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والروحية إلى قبول الرق أو الوقوع فيه. ولا شك أن " الحضارة " الأوربية هي التي تدفع إلى البغاء وتقره، سواء كان البغاء الرسمي أو بغاء المتطوعات الهاويات!

تلك قصة الرق في أوربا حتى القرن العشرين: رق الرجال والنساء والأمم والأجناس. رق متعدد المنابع متجدد الموارد، في غير ضرورة ملجئة، اللهم إلا خسة الغرب وهبوطه عن المستوى اللائق لبني الإنسان.

ودع عنك استرقاق الدولة الشيوعية لأفراد شعبها حتى لا يملك أحدهم حرية اختيار العمل الذي يريده، ولا المكان الذي يعمل فيه، واسترقاق أصحاب رؤوس الأموال للعمال في الغرب الرأسمالي حتى لا يملك أحدهم سوى اختيار السيد الذي يستعبده.

دع عنك هذا وذاك، فقد تجد المجادلين عنه والمنافحين. ويكفي ما سردناه من ألوان الرق الصارخة الصريحة، التي تتم باسم المدنية وباسم التقدم الاجتماعي! ثم انظر هل تقدمت البشرية في أربعة عشر قرناً، بعيداً عن وحي الإسلام، أم إنها ظلت تنحدر وتتأخر، حتى لتحتاج اليوم إلى قبس من هدي الإسلام، يخرجها مما هي فيه من الظلام؟!

[١١] سنناقش في الفصل التالي شبهة الإقطاع.

[١٢] سورة النساء: ٢٥.

[١٣] حديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي.

[١٤] حديث رواه مسلم وأبو داود..

[١٥] أخرجه الطبري في كتاب " آداب النفوس " " بإسناده عمن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ".

[١٦] سورة النساء٣٦: .

[١٧] سورة النساء ٢٥: .

[١٨] حديث رواه البخاري.

[١٩] رواه أبو هريرة.

[٢٠] يعتقد الهنود أن الرقيق (المنبوذين) خلقوا من قدم الإله، ومن ثم فهم بخلقتهم حقراء مهينون، ولا يمكن أن يرتفعوا عن هذا الوضع المقسوم لهم إلا بتحمل الهوان والعذاب، عسى أن تنسخ أرواحهم بعد الموت في مخلوقات أفضل! وبذلك تضاف إلى لعنة الوضع السيِّئ الذي يعيشون فيه لعنة أخرى روحية تقضي عليهم أن يرضوا بالذل ولا يقاوموه.

[٢١] ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين في الكلام عن حقوق المملوك، في حديث طويل قال إنه آخر ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٢٢] سورة النساء٩٢: .

] ٢٣ [عن " العدالة الإجتماعية في الإسلام ".
] ٢٤ [سورة التوبة: ٦٠.
] ٢٥ [انظر الفصول التالية.
] ٢٦ [يقول دعاة المذهب المادي إن الملابسات الخارجية هي التي (تخلق) المشاعر. ونحن لا نؤمن بذلك لأن فيه مغالطة صارخة. فهناك رصيد نفسي سابق في وجوده لهذه الملابسات، والملابسات (تكيف) هذا الرصيد، لكنها لا تخلقه من العدم.
] ٢٧ [أو روسياً في بعض البلاد الآن!
] ٢٨ [رواه البخاري.
] ٢٩ [جاء في الموسوعة التاريخية المسماة " تاريخ العالم Universal History of the World " : في ص ٢٢٧٣ ما ترجمته: " وفي سنة ٥٩٩ رفض الإمبراطور (الروماني) موريس ـ بسبب رغبته في الاقتصاد ـ أن يفتدي بضع ألوف من الأسرى وقعوا في يد الآوار فقتلهم خان الآوار عن بكرة أبيهم ".
] ٣٠ [سورة البقرة: ١٩٠.
] ٣١ [سورة الأنفال :٣٩.
] ٣٢ [سورة البقرة: ٢٥٦.
] ٣٣ [شهد بذلك مسيحي أوربي هو السيرت.و.أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام).
] ٣٤ [الأمثلة على ذلك كثيرة منها مثالان وردا في كتاب (الدعوة إلى الإسلام):
قال في صفحة ٥٨ " :وكذلك حدث أن سجل في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة :فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا " وقال: " فلما علم أبو عبيدة قائد العرب بذلك) بتجهيز هرقل لمهاجمته) كتب إلى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم بأن يردوا عليهم ما جبي من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى الناس يقول: " إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع. وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك. وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا إن نصرنا الله عليهم "
] ٣٥ [سورة الأنفال :٦١.
] ٣٦ [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي
] ٣٧ [سورة البقرة: ١٩٤.
] ٣٨ [سورة محمد: ٤.
٣٩ [بذلك يخرج من دائرة الإسلام كل ما كان يأتي من الجواري – أو العبيد – عن طريق الاختطاف من بلاد إسلامية ويباع ويشترى في سوق النخاسة.
المصدر : من كتاب شبهات حول الإسلام
الإسلام... والرق

الإسلام والرق
وهنا يثار موضوع الرق، وكيف أباحه الإسلام؟

ونقول: أن الإسلام لم يجئ بشرع الاسترقاق، بل جاء بشريعة الحرية، ورد الأرقاء إلى ساحتها التي فطرهم الله عليها، كما يقول الفاروق عمر: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".
|والقارئ للقرآن الكريم لا يجد فيه آية واحدة تبيح الاسترقاق والاستعباد، وإنما يجد الآيات المتعددة تنادي بتحرير الأرقاء وتحض على إعتاقهم، وتجعل هذا التحرير من أعظم القرب والطاعات الدينية| ثم تجعله كفارة تستر ما يقع فيه المسلم من بعض المخالفات الدينية. بل أنه يوجبه على الدولة الإسلامية، ويجعله عملاً من أعمالها، ومصرفاً من مصارف أموالها، ونفصل هذا الأجمال بعض التفصيل، فنقول:
أولاً ـ أن أسرى يخير القرآن فيهما بين أمرين لا ثالث لهما: المن عليهم بنعمة الحرية من غير مقابل، أو المن عليهم بها في مقابل فداء مالي أو شخصي، وهو ما يسمى الآن (تبادل الأسرى)١. يقول الله تعالى: (...فَإِمَّا مَنًّاً بَعدُ وَإِمَّا فِداءً حَتَّى تَضعَ الحَربُ أوْزَارهَا) (سورة محمد/ ٤).
كذلك إذا رجعنا إلى السنة النبوية وجدنا أن أقوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله تنطق بأنه ما جاء مسترقاً بل محرراً.
يحث على العتق ويحض عليه، فيقول: "من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار".
ويقول: "أيما رجل مسلم أعتق رجلاً مسلماً فأن الله عزّ وجل جاعل وفاء كل أعظم من عظامه عظماً من عظام محرره..."
وإذا كان الصحابة قد استرقوا في حروبهم فإنما كان ضرورة حربية لا محيص عنها، ومعاملة بالمثل حيث كان أعداؤهم يسترقون أسرى المسلمين، وتسهيلاً لاستخلاص هؤلاء الأسرى المسلمين من يد أعدائهم عن طريق التبادل.
وقد شرع الله سبحانه أحكامه التي تحقق المصالح الأصلية، وأباح الخروج عنها في أحوال الضرورة التي تقدر بقدرها ولا تعدوها. والله سبحانه وتعالى يقول: (وَقَدْ فَصلَ لَكُم مَّا حَرَّم عَليكُمْ إلاَّ مَا اضْطُررتُمْ إليهِ) (سورة الأنعام/١١٩).
ثم أن الله سبحانه وتعالى يشير إلى قاعدة المعاملة بالمثل في قوله تعالى: (فَمنِ اعتَدَى عَليكُمْ فَاعْتَدُوا عَليهِ بِمثلِ مَا اعتَدَى عَليكَمْ) وفي قوله تعالى: (الشَّهرُ الحَرَامُ بِالشَّهرِ الحرَامِ، وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) فمن انتهك حرمة من الحرمات، ولم يكن هناك مفر من مقابلته بمثل عمله، كانت المصلحة في معاملته بالمثل، وفي حدود الضرورة، حتى يرتدع، ولا يفل الحديد إلا الحديد، وأن أنت أكرمت اللئيم تمردا. والوقوف عند المثالية أحياناً أمام من لا يؤمنون ولا يتعاملون بها يضر ولا ينفع.
وبهذا ضيق الإسلام موارد الرق وأسبابه، التي وجدها قبله وكانت متعددة٢ ووقف بها وحصرها عند المعاملة بالمثل، وبقدر الضرورة من غير تجاوز ولا اعتداء.
ثانياً ـ لم يكتف الإسلام بذلك، بل وضع خطة حكيمة لإنهاء الرق وقد كان أساساً لنظام الحياة الاقتصادية والاجتماعية ـ تدريجياً من غير رجة اقتصادية أو اجتماعية.
فجعل عتق الرقبة كفارة للحنث في اليمين، يقول الله تعالى: (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا

تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ...) (سورة المائدة/٨٩).
كما جعله كفارة في الظهار، وهو تحريم الرجل زوجته على نفسه، ثم رغبته في العودة إليها.
يقول تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً...) (سورة المجادلة/ ٣-٤).
ثم جعله الله كفارة للقتل خطأ. يقول سبحانه: (وَمَا كَانَ لِمُؤمنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسلَّمةٌ إِلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنَ ...) (سورة النساء/ ٩٢).
وكفارة للإفطار المتعمد في نهار رمضان، فقد روي أبو هريرة أن رجلاً أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: فهل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا..."٣.
ويلاحظ أن العتق هو الواجب الأول في بعض هذه الكفارات قبل الصيام وهو من أسمى العبادات، وقبل الإطعام للفقراء، وما أشد حاجتهم إليه، وكأن رد الحرية إلى الرفيق وفيها حياته الحقيقية أولى وأهم.
ثم جعله كفارة لضرب العبد أو لطمه. يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "من لطم مملوكاً له أو ضربه فكفارته عتقه"٤.
ثم جعل تحرير العبيد مصرفاً من مصارف الزكاة في قوله تعالى: (إِنَّما الصَّدقَاتُ للفُقَراءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْها وَالمُؤلفةِ قُلوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمينَ وَفِي سَبيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضةً مِّن اللهِ وَاللهُ عَليمٌ حَكِيمٌ) (سورة التوبة/٦٠).
ثم دعا إلى تحرير الرقاب، قربة وطاعة لله: (فلاَ اقْتَحمَ العَقَبةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَو إِطعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغبةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكيناً ذَا مَتْربةٍ) (سورة البلد/ ١١-١٦).
فأن أبدى الرقيق رغبة في الحرية في مقابل مالى ، كان على مالكه الاستجابة لرغبته في الخروج إلى ساحة الحرية، وهو ما يسمى "المكاتبة" مع التخفيف عنه في هذا المال الذي يدفعه ومعاونته مالياً في أدائه. وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَالَّذينَ يَبتغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَأَتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذي أَتاكُمْ) (سورة النور/ ٣٣) ثم أن القرابة القريبة تتنافى مع الاسترقاق، ولهذا إذا ملك الشخص قريبه المحرم صار هذا القريب حراً. يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "ومن ملك ذا رحم محرم فهو حر".
وكذلك علاقة زوجية، فإذا ملك الزوج زوجته صارت حرة، وإذا ملكت الزوجة زوجها صار حراً. ثم إذا استولد المالك أمته، أي كان له منها ولد، كانت في سبيلها

إلى الحرية، فأن شاء حررها، وإلا حرم عليه التصرف في ملكيتها حتى يموت فتكون حرة، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "أيما امرأة ولدت من سيدها فأنها حرة إذا مات".
وإذا عتق نصيبه في عبد، عتق العبد، وكان على المالك تخليصه من ماله، فأن لم يكن له مال سعى العتيق في أداء المال إلى الشريك الآخر دون إرهاق، يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "من أعتق شقصاً٥ له في عبد فخلاصه في ماله أن كان له مال، فأن لم يكن له مال استسعى العبد غير مشقوق عليه" كذلك إذا أوصى المالك بعتق عبده لم يجز له الرجوع في الوصية وكان هذا العبد حراً بعد الوفاة، ولو تجاوزت قيمته ثلث التركة الذي تنفذ فيه الوصايا.
بل أن المالك إذا جرى على لسانه هازلاً إعتاق عبده، أصبح العبد حراً، فأن الحرية لا تتوقف على القصد والنية.
وهكذا تتعدد أسباب التحرير بصورة واضحة، وتترتب على بعض الأعمال والتصرفات المتكررة، وتكون مع ذلك في مسئولية الدولة الإسلامية والأفراد المسلمين، بحيث لو سارت الأمور سيراً طبيعياً ما بقي رقيق، وهو ما خطط الإسلام له، وتشوَّفَ إليه كما يقول الفقهاء.
فإذا جاء العالم اليوم بعد صحوة الرق٦، كان مستضيئاً بنور الإسلام ومقتبساً من روحه.
ومع هذا حرص الإسلام على معاملة الرقيق معاملة إنسانية أخوية كريمة، إلى أن يجعل الله له مخرجاً إلى الحرية.
يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إخوانكم خولكم، قد ملككم الله إياهم، ولو شاء لملككم إياهم، فأطعموهم مما تطعمون، وأكسوهم مما تكسون".
ويقول: "الله، الله، فيما ملكت أيمانكم" ويقول: "ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجراً في موازينك".
ويقول: "للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق" "هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوة تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فأن كلفتموهم فأعينوهم عليه".
وكان من وصاياه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد حضرته الوفاة ـ الوصية بالأرقاء قارناً لها بالمحافظة على الصلاة. يقول أنس: كانت عامة وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه: الصلاة وما ملكت أيمانكم٧.
وفوق هذا كان من الأدب القرآني والأدب النبوي تسمية العبد فتى والأمة فتاة، ابتعاداً عن معنى الاستعباد. يقول الله سبحانه: (وَمَن لّضم يَستطيعْ مِنكُم طَولاً أن يَنكحَ المُحصنَاتِ المُؤمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أيْمَانكُم مِّن فَتَيَاتِكم المُؤمِنَاتِ) (سورة النساء/ ٢٥) ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "لا تقل عبدي وأمتي، ولكن قل فتاي وفتاتي".
وكان من نتيجة معاملة المسلمين للأرقاء هذه المعاملة، اندماج الأرقاء في الأسر الإسلامية اخوة متحابين، حتى كأنهم بعض أفرادها.

يقول جوستاف لوبون:ـ "أن الذي أراه صادقاً هو أن الرق عند المسلمين خير منه عند غيرهم، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، وأن الأرقاء في الشرق يكونون جزءاً من الأسرة... وأن الموالي الذين يرغبون في التحرر ينالونه بإبداء رغبتهم.. ومع هذا لا يلجأون إلى استعمال هذا الحق"٨.

هوامش

١ وهذا النوع من الفداء هو الأولى، لأن فيه إطلاق الحرية للمسلمين غير المسلمين، ودين الحرية يحرص على الحرية بالنسبة لغير اتباعه كما يحرص عليها في اتباعه، لأن الحرية ـ عنده ـ كالماء والغذاء والهواء حقوق طبيعية لكل إنسان (وأنظر التمهيد لكتاب السير الكبير ط جامعة القاهرة للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ص٧٤).

٢ ومن ذلك أن المدين إذا عجز عن سداد الدين يصبح رقيقاً لصاحبه، بينما يشرع القرآن في ذلك إمهاله والتخفيف عنه "وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدقوا خير لكم أن كنتم تعلمون".

٣ نيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص.٢٩٣

٤ رواه مسلم.

٥ الشقص: الجزء والنصيب.

٦ تنص المادة الرابعة من إعلان حقوق الإنسان على أنه "لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها".

٧ أنظر نيل الإوطار جـ٧ ص.٣

٨ حضارة العرب ص٤٥٩ـ٤٦٠.

المصدر: عالم الفكر ـ المجلد الأول ـ العدد الرابع مارس ١٩٧١

===================

١٦٦ ـالتسري

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

هذا عن الرق فى التاريخ الإنسانى وفى الإسلام: الدين.. الحضارة.. والتاريخ..

أما التسرى ، فهو: اتخاذ مالك الأمة منها سَرِيَّةِ يعاشرها معاشرة الأزواج فى الشرع الإسلامى..

وكما لم يكن الرق والاسترقاق تشريعاً إسلامياً مبتكراً ، ولا خاصية شرقية تميزت به الحضارات الشرقية عن غيرها من الحضارات ، وإنما كان موروثاً اجتماعياً واقتصادياً إنسانياً ، ذاع وشاع فى كل الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.. فكذلك كان التسرى الذى هو فرع من فروع الرق والاسترقاق نظاماً قديماً ولقد جاء فى المأثورات التاريخية المشهورة والمتواترة أن خليل الله إبراهيم ، عليه السلام ، قد تسرى بهاجر المصرية ، عندما وهبه إياها ملك مصر ، ومنها وُلد له إسماعيل عليه السلام.. فمارس التسرى أبو الأنبياء ، وولد عن طريق التسرى نبى ورسول.. وكذلك جاء فى المأثورات التاريخية أن نبى الله سليمان عليه السلام قد تسرى بثلاثمائة سرية

!.. وكما شاع التسرىعند العرب قبل الإسلام ، فلقد مارسه ، فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، غير المسلمين مثل المسلمين..
وإذا كان التسرى ، هو اتخاذ مالك الأمة منها سريّه ، أى جعله لها موضعا للوطء ، واختصاصها بميل قلبى ومعاشرة جنسية ، وإحصان واستعفاف.. فلقد وضع الإسلام له ضوابط شرعية جعلت منه زواجاً حقيقياً ، تشترط فيه كل شروط الزواج ، وذلك باستثناء عقد الزواج ، لأن عقد الزواج هو أدنى من عقد الملك ، إذ فى الأول تمليك منفعة ، بينما الثانى يفضى إلى ملك الرقبة ، ومن ثم منفعتها..
ولقد سميت الأمة التى يختارها مالكها سرية له سُميت " سَرِيَّةً " " لأنها موضع سروره ، ولأنه يجعلها فى حالٍ تسرها " دون سواها ، أو أكثر من سواها.. فالغرض من التسرى ليس مجرد إشباع غرائز الرجل ، وإنما أيضاً الارتفاع بالأمة إلى مايقرب كثيراً من مرتبة الزوجة الحرة..
والإسلام لا يبيح التسرى أى المعاشرة الجنسية للأمة بمجرد امتلاكها.. وإنما لابد من تهيئتها كما تهيأ الزوجة.. وفقهاء المذهب الحنفى يشترطون لتحقيق ذلك أمرين:
أولهما: تحصين السرية ، بأن يخصص لها منزل خاص بها ، كما هو الحال مع الزوجة..
وثانيهماً: مجامعتها ، أى إشباع غريزتها ، وتحقيق عفتها.. طالما أنها قد أصبحت سرية ، لا يجوز لها الزواج من رقيق مثلها ، أو أن يتسرى بها غير مالكها..
ولأن التسرى إن فى المعاشرة الجنسية أو التناسل مثله مثل الزواج من الحرائر.. فلقد اشترط الإسلام براءة رحم الأمة قبل التسرى بها ، فإباحة التسرى قد جاءت فى آية إباحة الزواج: وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا) (١).. والتكليف الإسلامى بحفظ الفروج عام بالنسبة لمطلق الرجال والنساء ، أحراراً كانوا أم رقيقاً ، مسلمين كانوا أم غير مسلمين: (والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) (٢).. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا " أوطاس " أى حنين: [لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة..] (٣).
وكذلك الحال مع المقاصد الشرعية والإنسانية من وراء التسرى.. فهى ذات المقاصد الشرعية والإنسانية من وراء الزواج:
تحقيق الإحصان والاستعفاف للرجل والمرأة ، وتحقيق ثبوت أنساب الأطفال لآبائهم الحقيقيين.. ففى هذا التسرى كما يقول الفقهاء " استعفاف مالك الأمة.. وتحصين الإماء لكيلا يملن إلى الفجور ، وثبوت نسب أولادهن ". وأكاد ألمح فى التشريع القرآنى أمراً إلهياً بالإحصان العام للرجال والنساء ، أحرارًا كانوا أو أرقاء.. ففى سياق التشريع لغض البصر ، وحفظ الفروج ، جاء التشريع للاستعفاف بالنكاح الزواج للجميع.. وجاء النهى عن إكراه الإماء على البغاء ، لا بمعنى إجبارهن على الزنا فهذا داخل فى تحريم الزنا ، العام للجميع وإنما بمعنى تركهن دون إحصان واستعفاف بالزواج أو التسرى أكاد ألمح هذا المعنى عندما أتأمل سياق هذه الآيات القرآنية: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله

خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيَّة المؤمنون لعلكم تفلحون * وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) (٤). فالتشريع للاستعفاف والإحصان بالنكاح الزواج والتسرى عام وشامل للجميع..

بل لقد جعل الإسلام من نظام التسرى سبيلاً لتحقيق المزيد من الحرية للأرقاء ، وصولاً إلى تصفية نظام العبودية والاسترقاق.. فأولاد السرية فى الشرع الإسلامى ، يولدون أحراراً بعد أن كانوا يظلون أرقاء فى الشرائع والحضارات غير الإسلامية والسرية ، بمجرد أن تلد ، ترتفع إلى مرتبة أرقى هى مرتبة " أم الولد " ثم تصبح كاملة الحرية بعد وفاة والد أولادها..

وكما اشترط الشرع الإسلامى للتسرى استبراء الرحم ، كما هو الحال فى الزواج من الحرائر ، اشترط فى السرية ما يشترط فى الزوجة الحرة: أن تكون ذات دين سماوى ، مسلمة أو كتابية.. وأن لا تكون من المحارم اللاتى يحرم الزواج بهن ، بالنسب أو الرضاعة.. فلا يجوز التسرى بالمحارم ، بل ولا يحل استرقاقهم أصلاً ، إناثاً كانوا أم ذكوراً ، فامتلاكهم يفضى إلى تحريرهم بمجرد الامتلاك.. وفى الحديث النبوى الشريف: [من ملك ذا رحِمٍ مَحْرَمٍ فهو حر] (٥).

وكما هو الحال فى اختيار الزوجة الحرة ، استحسن الشرع الإسلامى تخير السرية ذات الدين ، التى لا تميل إلى الفجور ، وذلك لصيانة العرض. وأن تكون ذات عقل ، حتى ينتقل منها إلى الأولاد. وأن تكون ذات جمال يحقق السكينة للنفس والغض للبصر. فالتخيُّر للنُّطف وفق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: [تخيَّروا لنطفكم](٦) هو تشريع عام فى الحرائر والإماء (٧)..

وكما لا يجوز الاقتران بأكثر من أربع زوجات حرائر ، اشترط بعض الفقهاء الالتزام بذات العدد فى السرارى ، أو فيهن وفى الزوجات الحرائر.. وإذا كان جمهور الفقهاء لا يقيدون التسرى بعدد الأربعة ، فإن الإمام محمد عبده فى فتواه عن تعدد الزوجات قد قال عند تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى:(أو ما ملكت أيمانكم) (٨). " لقد اتفق المسلمون على أنه يجوز للرجل أن يأخذ من الجوارى ما يشاء بدون حصر ولكن يمكن لفاهم أن يفهم من الآية غير ذلك ، فإن الكلام جاء مرتبطاً بإباحة التعدد إلى الأربعة فقط..

" (٩).

ويؤيد هذا الاجتهاد ما كان عليه العمل فى صدر الإسلام ، إذ لم يكن الرجل يتسرى بغير سرية واحدة وكما يجب العدل بين الزوجات الحرائر عند تعددهن.. قال بعض الفقهاء: إن ما يجب للزوجة يستحب للسرية ، وجعل الحنابلة الإحصان للأرقاء ذكوراً وإناثاً أمراً واجباً.. (١٠).
هكذا رفع الإسلام ، بالشروط التى اشترطها فى التسرى ، من شأن السرارى ، وذلك عندما جعلهن فى الواقع العملى أقرب ما يكن إلى الزوجات الحرائر. وعندما جعل من نظام التسرى بابًا من أبواب التحرير للإماء ولأولادهن ، بعد أن كان رافداً من روافد الاسترقاق والاستعباد..
أما الواقع التاريخى ، الذى تراجع عن هذا النموذج الإسلامى للتسرى ، عندما كثرت السبايا ، وتعددت مصادر الاسترقاق.. فمن الخطأ البين بل والتجنى حمل هذا الواقع التاريخى على شرع الإسلام..
فالإسلام كما قدمنا فى الحديث عن الرق قد ألغى وجفف كل روافد ومصادر الاسترقاق ، ولم يستثن من ذلك إلا الحرب الشرعية المشروعة. ولذلك ، فإن تجارة الرقيق ، وأسواق الأرقاء ، وشيوع التسرى الذى جاء ثمرة لاختطاف الفتيات والفتيان ، وللحروب غير المشروعة ، وغيرها من سبل الاسترقاق التى حرمها الإسلام.. كل ذلك إن حُسب على " التاريخ الإسلامى " فلا يمكن أن يُحسب على " دين الإسلام ".. وعن هذه الحقيقة الهامة يقول الإمام محمد عبده: " لقد ساء استعمال المسلمين لما جاء فى دينهم من هذه الأحكام الجليلة ، فأفرطوا فى الاستزادة من عدد الجوارى ، وأفسدوا بذلك عقولهم وعقول ذراريهم بمقدار ما اتسعت لذلك ثرواتهم..
أما الأسرى اللاتى يصح نكاحهن فهن أسرى الحرب الشرعية التى قصد بها المدافعة عن الدين القويم أو الدعوة إليه بشروطها ، ولا يَكُنَّ عند الأسر إلا غير مسلمات..
وأما ما مضى المسلمون على اعتياده من الرق ، وجرى عليه عملهم فى الأزمان الأخيرة ، فليس من الدين فى شىء ، فما يشترونه من بنات الجراكسة أو من السودانيات اللاتى يختطفهن الأشقياء السَّلَبَة المعروفون "بالأسيرجية"، فهو ليس بمشروع ولا معروف فى دين الإسلام ، وإنما هو من عادات الجاهلية ، لكن لا جاهلية العرب بل جاهلية السودان والجركس.. " (١١).
وإذا كان من العبث الظالم حمل تاريخ الحضارة الغربية مع الرق والاسترقاق على النصرانية ، كدين ، فالأكثر عبثية والأشد ظلماً هو حمل التاريخ الإسلامى فى هذا الميدان على شريعة الإسلام !..
(١) النساء: ٣.
(٢) المؤمنون: ٥ ، ٦.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) النور: ٣٠ ٣٣.
(٥) رواه أبو داود.
(٦) رواه ابن ماجة.
(٧) انظر: [الموسوعة الفقهية] مادة " التسرى " طبعة الكويت ١٤٠٨ هجرية ١٩٨٨م.

(٨) النساء: ٣.
(٩) [الأعمال الكاملة] ج٢ ص ٩١ طبعة القاهرة ١٩٩٣م.
(١٠) المصدر السابق: ج٢ ٩١.
(١١) المصدر السابق: ج٢ ص ٩١، ٩٢.

١٦٧-هل تحريم زواج المسلمة بغير المسلم يُعد نزعة عنصرية ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
١ ـ صحيح أن الإسلام يجيز زواج المسلم من غير المسلمة (مسيحية أو يهودية) ولا يجيز زواج المسلمة من غير المسلم. وللوهلة الأولى يُعد ذلك من قبيل عدم المساواة ، ولكن إذا عرف السبب الحقيقى لذلك انتفى العجب ، وزال وَهْمُ انعدام المساواة. فهناك وجهة نظر إسلامية فى هذا الصدد توضح الحكمة فى ذلك. وكل تشريعات الإسلام مبنية على حكمة معينة ومصلحة حقيقية لكل الأطراف.
٢ ـ الزواج فى الإسلام يقوم على " المودة والرحمة " والسكن النفسى. ويحرص الإسلام على أن تبنى الأسرة على أسس سليمة تضمن الاستمرار للعلاقة الزوجية. والإسلام دين يحترم كل الأديان السماوية السابقة ويجعل الإيمان بالأنبياء السابقين جميعًا جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. وإذا تزوج مسلم من مسيحية أو يهودية فإن المسلم مأمور باحترام عقيدتها ، ولا يجوز له ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها والذهاب من أجل ذلك إلى الكنيسة أو المعبد. وهكذا يحرص الإسلام على توفير عنصر الاحترام من جانب الزوج لعقيدة زوجته وعبادتها. وفى ذلك ضمان وحماية للأسرة من الانهيار.
٣ ـ أما إذا تزوج غير مسلم من مسلمة فإن عنصر الاحترام لعقيدة الزوجة يكون مفقودًا. فالمسلم يؤمن بالأديان السابقة ، وبأنبياء الله السابقين ، ويحترمهم ويوقرهم ، ولكن غير المسلم لا يؤمن بنبى الإسلام ولا يعترف به ، بل يعتبره نبيًّا زائفًا وَيُصَدِّق ـ فى العادة ـ كل ما يشاع ضد الإسلام وضد نبى الإسلام من افتراءات وأكاذيب ، وما أكثر ما يشاع.
وحتى إذا لم يصرح الزوج غير المسلم بذلك أمام زوجته فإنها ستظل تعيش تحت وطأة شعور عدم الاحترام من جانب زوجها لعقيدتها. وهذا أمر لا تجدى فيه كلمات الترضية والمجاملة. فالقضية قضية مبدأ. وعنصر الاحترام المتبادل بين الزوج والزوجة أساس لاستمرار العلاقة الزوجية.
٤ ـ وقد كان الإسلام منطقيًّا مع نفسه حين حرّم زواج المسلم من غير المسلمة التى تدين بدين غير المسيحية واليهودية ، وذلك لنفس السبب الذى من أجله حرّم زواج المسلمة بغير المسلم.
فالمسلم لا يؤمن إلا بالأديان السماوية وما عداها تُعد أديانًا بشرية. فعنصر التوقير والاحترام لعقيدة الزوجة فى هذه الحالة ـ بعيدًا عن المجاملات ـ يكون مفقودًا. وهذا يؤثر سلبًا على العلاقة الزوجية ، ولا يحقق " المودة والرحمة " المطلوبة فى العلاقة الزوجية.

لحكمة من تحريم زواج المسلمة بغير المسلمالعنوان

بسم الله الرحمن الرحيم ،أنا أعمل في بلد أوربي و كنت في نقاش مع أحدهم ، أحدثه عن سماحة الإسلام وعن نظرة الإسلام لجميع الناس بمساواة ، فقال لي ماذا تفسر تحريم زواج المسلمة بغير المسلم ألا يُعد نزعة عنصرية ؟ فبماذا أجيبه ؟

وجزاكم الله خيراً السؤال

٢٠٠٦/٠٥/١٤ التاريخ

مجموعة من المفتين المفتي

الحل

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فيرى جمهور الفقهاء إباحة زواج المسلم من نساء أهل الكتاب، وأجمعوا على حرمة زواج المسلمة من غير المسلم، وهذا أمر تعبدي، وإذا أردنا أن نلتمس حكمة لذلك فيمكن أن يقال: إن الإسلام عندما أباح للرجل الزواج من الكتابية فإنه أمر الزوج أن يحترم دينها لأن المسلم يؤمن بجميع الأنبياء، أما غير المسلم إذا تزوج من مسلمة فإنه لا يحترم عقيدتها، ولا يؤمن بنبيها مما يوقد النار في المنزل ويمنع السكينة والرحمة التي عليها قوام البيوت، فلهذا منع الإسلام مثل هذا الزواج .

يقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: -

المسلمة لا تتزوج إلا مسلماً، والله تعالى يقول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) ثم استثنى فقال :(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) فأباح زواج المحصنات من أهل الكتاب ولم يجز زواج الرجال من نساء المسلمين.

وحكمة ذلك: أن المسلم يؤمن بكل الرسل بما فيهم موسى وعيسى عليهم السلام. وبكل الكتب بما فيها التوراة والإنجيل. بينما لا يؤمن أهل الكتاب إلا برسولهم وكتابهم. وقد أجاز الإسلام لزوجة المسلم الكتابية أن تذهب إلى أماكن عبادتها كالكنيسة والمعبد ، بينما لا يجيز هؤلاء الكتابيين للمسلمة ـ لو تزوجوها ـ أن تذهب للمسجد وتظهر شعائر الإسلام.

والأهم من ذلك: أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، والزواج ولاية وقوامة ، فيمكن أن يكون المسلم وليا وقواما على زوجته الكتابية ، بينما لا يمكن أن يكون غير المسلم وليا أو قواما على المسلمة، فالله تعالى يقول: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).
والزوجة عليها طاعة زوجها ، فلو تزوجت المسلمة غير المسلم لتعارضت طاعتها له مع طاعتها لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
ولعل هناك حكما أخرى كامنة فى منع زواج المسلمة من غير المسلم ، يعلمها الله تعالى ، العليم بما يصلح العباد (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)؟
وما على المؤمن بالله تعالى وبحكمته وعلمه ؛ إلا أن يقول:(سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)
أهـ
ويقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ :
رب البيت المسلم يستحيل أن يمر بخاطره أن يهين موسى أوعيسى ، إنه يحترمهما كما يحترم نبيه محمدا ، ويصفهما بالوجاهة والرسالة وقوة العزم وصدق البلاغ!
وهذا معنى يلقي السكينة في نفوس أتباعهما.
أما اليهود والنصارى فإن ضغائنهم على محمد أعيت الأولين والآخرين، وقد استباحوا قذفه بكل نقيصة.

وفي عصرنا هذا منحت إنجلترا أعظم جائزة أدبية لكاتب نكرة ،كل بضاعته شتم محمد والولوغ في عرضه والتهجم عل حرمه ! فكيف تعيش مسلمة في بيت تلك بعض معالمه؟

إن الزواج ليس عشق ذكر لمفاتن أنثى !!إنه إقامة بيت على السكينة النفسية والآداب الاجتماعي، في إطار محكم من الإيمان بالله، والعيش وفق هداياته، والعمل على إعلاء كلمته، وإبلاغ رسالاته. أهـ
وهذا الذي ذكر ما هو إلا محاولات لاستنباط الحكمة من المنع ، ويبقى الكثير الذي لا يدركه إلا الله ، على أن الفيصل في المسألة أنه أمر تعبدي محض.

وجاء في فتاوى الأزهر الشريف:
صحيح أن الإسلام يجيز زواج المسلم من غير المسلمة (مسيحية أو يهودية) ولا يجيز زواج المسلمة من غير المسلم. وللوهلة الأولى يُعد ذلك من قبيل عدم المساواة ، ولكن إذا عرف السبب الحقيقي لذلك انتفى العجب ، وزال وَهْمُ انعدام المساواة. فهناك وجهة نظر إسلامية في هذا الصدد توضح الحكمة في ذلك. وكل تشريعات الإسلام مبنية على حكمة معينة ومصلحة حقيقية لكل الأطراف.
الزواج في الإسلام يقوم على " المودة والرحمة " والسكن النفسي . ويحرص الإسلام على أن تبنى الأسرة على أسس سليمة تضمن الاستمرار للعلاقة الزوجية . والإسلام دين يحترم كل الأديان السماوية السابقة ويجعل الإيمان بالأنبياء السابقين جميعًا جزءاً

لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. وإذا تزوج مسلم من مسيحية أو يهودية فإن المسلم مأمور باحترام عقيدتها ، ولا يجوز له ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها، والذهاب من أجل ذلك إلى الكنيسة أو المعبد.
وهكذا يحرص الإسلام على توفير عنصر الاحترام من جانب الزوج لعقيدة زوجته وعبادتها. وفى ذلك ضمان وحماية للأسرة من الانهيار.

أما إذا تزوج غير مسلم من مسلمة فإن عنصر الاحترام لعقيدة الزوجة يكون مفقودًا. فالمسلم يؤمن بالأديان السابقة ، وبأنبياء الله السابقين ، ويحترمهم ويوقرهم ، ولكن غير المسلم لا يؤمن بنبي الإسلام، ولا يعترف به ، بل يعتبره نبيًّا زائفًا وَيُصَدِّق ـ في العادة ـ كل ما يشاع ضد الإسلام وضد نبي الإسلام من افتراءات وأكاذيب ، وما أكثر ما يشاع.

وحتى إذا لم يصرح الزوج غير المسلم بذلك أمام زوجته فإنها ستظل تعيش تحت وطأة شعور عدم الاحترام من جانب زوجها لعقيدتها. وهذا أمر لا تجدي فيه كلمات الترضية والمجاملة. فالقضية قضية مبدأ. وعنصر الاحترام المتبادل بين الزوج والزوجة أساس لاستمرار العلاقة الزوجية.

وقد كان الإسلام منطقيًّا مع نفسه حين حرّم زواج المسلم من غير المسلمة التي تدين بدين غير المسيحية واليهودية ، وذلك لنفس السبب الذي من أجله حرّم زواج المسلمة بغير المسلم.
فالمسلم لا يؤمن إلا بالأديان السماوية وما عداها تُعد أديانًا بشرية. فعنصر التوقير والاحترام لعقيدة الزوجة في هذه الحالة ـ بعيدًا عن المجاملات ـ يكون مفقودًا. وهذا يؤثر سلبًا على العلاقة الزوجية ، ولا يحقق " المودة والرحمة " المطلوبة في العلاقة الزوجية أهـ
===================
صور محظورة من الزواج المختلط

مما لا شك فيه أن استقرار الحياة الزوجية غاية من الغايات التي يحرص عليها الإسلام• وعقد الزواج إنما يعقد للدوام والتأبيد إلى أن تنتهي الحياة ليتسنى للزوجين أن يجعلا من البيت مهداً يأويان إليه وينعمان في ظلاله الوارفة بنعمة الاستقرار والسعادة، ومن أجل هذا كانت الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها، وليس أدل على قدسيتها من أن الله سبحانه وتعالى سمى العهد بين الزوج وزوجته بالميثاق الغليظ، قال تعالى في سورة النساء: (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً)•
وفي إطار اهتمامه بالزواج وما يترتب عليه من نتائج وآثار، بيّن الإسلام موانع الزواج التي تمنع المسلم من الاقتران بنساء معينات أو في حالات محددة لما قد ينتج عن هذا الاقتران من أضرار سلبية تتعارض ومقاصد الشرع الحكيم•

وإذا كانت موانع الزواج تنقسم إلى قسمين: موانع مؤبدة لا يمكن أن تزول وأخرى مؤقتة تمنع الزواج مادامت قائمة وتبيحه في حال ارتفاعها، فإن ما يعرف في الاصطلاح الحديث بالزواج المختلط، أي الزواج بالأجنبيات يدخل في بعض صوره ضمن الموانع المؤقتة، كما أن الزواج المختلط يتنوع بدوره إلى نوعين: الزواج المختلط الأصلي >مثل زواج المسلم بالكتابية< والزواج المختلط الطارئ >مثل إسلام زوج الكتابية< وهو بشطريه يشتمل على عدة صور منها ما هو جائز في حق المسلم ومنها ما هو محظور•

ولما كان الزواج المختلط قد أضحى في عصرنا هذا يشكل ظاهرة لافتة للانتباه خاصة في صفوف أبناء الجاليات والأقليات المسلمة في الغرب فإن المشكلات والانعكاسات السلبية التي يطرحها هنا وهناك قد أمست تتفاقم بحدة وتزداد تعقيداً خاصة على مستوى وقوع الكثير في الصور المحظورة من الزواج المختلط مما جاء منهياً عنه في الشريعة الإسلامية، ولذلك نقتصر في هذه العجالة على إيضاح وبيان هذه الصور المحظورة حتى يتنبه إليها من يهمه الأمر•

ويمكن تلخيص الصور المحظورة من الزواج المختلط في الحالات التالية:

الحالة الأولى

تحريم زواج المسلمة بغير المسلم، وهذا أمر أجمع عليه المسلمون استناداً إلى قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هنَّ حل لهم ولا هم يحلونَّ لهنَّ) الممتحنة:١٠•

والحكمة من تحريم زواج المسلمة بغير المسلم، هو أن الإسلام يأبى أن يكون المسلم تحت سلطان الكافر لأن عقد الزواج يستلزم أن يكون للرجل حق الطاعة والقوامة على المرأة، ونص الفقهاء أيضاً على أن الكافر قد لا يتحرج من سب دين زوجته المسلمة وتسفيه عقيدتها وقد يؤثر عليها فتنخلع من ربقة الإسلام، كما أن الأولاد يتبعون آباءهم في الدين والنسب وكل هذه الحيثيات جعلت الشارع الحكيم يمنع ويحظر هذه الحالة من الزواج•

الحالة الثانية

تحريم زواج المسلم بالمشركة، والمقصود بها المرأة التي لا تعتنق ديناً سماوياً، ويدخل في هذا المسمى كل من المرأة الوثنية التي تعبد الأوثان والأصنام مثل البوذيين والمجوس والبراهمة عبدة البقر، والملحدة التي تجحد الأديان كالشيوعية•

والحكمة من تحريم الزواج بالمشركة هو كونها تختلف عن المسلم اختلافاً بيناً في العقيدة مما يحول دون أي التقاء أو اتفاق يسمح بالسكن والمودة والرحمة التي هي من مقاصد الزواج•

الحال الثالثة

إسلام زوج المشركة، إذ لما كان المسلم لا يجوز له الزواج بالمشركة، فإنه إذا أسلم الرجل وكان في عصمته امرأة مشركة توجب عليه عرض الإسلام على الزوجة، فإن أسلمت أبقى عليها وإن امتنعت وعارضت لزمه فراقها•

الحالة الرابعة

إسلام زوجة الكتابي أو المشرك، وهذه الحالة تنبني على القاعدة المقررة وهي أن المسلمة لا يمكن أن ينعقد زواجها على غير المسلم، ولذلك فإنه إذا أسلمت الزوجة ورفض زوجها ـ كتابياً كان أو مشركاً ـ الدخول في الإسلام، فإنه يجب التفريق بينهما عند انتهاء عدة الزوجة التي هي استبراء من ماء الزوج الكافر بعد إسلام الزوجة•

الحالة الخامسة

ردة أحد الزوجين لأن إعلان أحد الزوجين ارتداده عن الإسلام يجعل الطرف الآخر مرتبطاً بزوج خارج عن الدين، وهو ما يستلزم التفريق بينهما بطلقة بائنة، والدليل على تحريم زواج المرتد أو المرتدة قوله تعالى: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر< الممتحنة:١٠، وقوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمِنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) البقرة:٢٢١•

إن الباعث من وراء التنبيه إلى هذه الصور المحظورة من الزواج المختلط هو كون كثير من المسلمين الذين يهاجرون إلى الغرب للعمل أو لطلب العلم تتفشى بينهم ظاهرة الزواج بالأجنبيات، فيقع بعضهم في الممنوع شرعاً طمعاً في تحقيق أغراض ومصالح شخصية كالحصول على الجنسية أو الطمع في ثروة المرأة الأجنبية أو غير ذلك من الإغراءات التي تجعل الواقع فيها لا يستحضر الدين والضوابط الشرعية

=================

حكم زواج غير المسلم بالمسلمة

سؤال أثاره عدد ممن قرأ في وسائل الإعلام فتوى يبيح فيها صاحبها زواج غير المسلم بالمسلمة، وقد نسب إليه أنه قال: إن تحريم هذا الزواج مجرد أقاويل وتخرصات وأوهام وتضليل، الهدف منها جر المرأة إلى الوراء .

وقبل هذا وردنا في المجلة سؤال من فضيلة الأخ الشيخ- أبو الكلام شفيق القاسمي المظاهري، أحد علماء الهند والأمين العام لقسم الإفتاء لجماعة أهل السنة والجماعة في جنوب الهند، عن صدور مثل هذه الفتوى -مع بعض الاختلاف - من شخص آخر في الهند .

وقد سبق أن أجبنا فضيلته عن هذا السؤال في كتيب اسمه (رسالة إلى أهل السنة والجماعة في جنوب الهند) تم توزيعه مع العدد السابع والستين من المجلة .

وسؤال آخر يتفرع من السؤال الأول حول دوافع هذه الفتوى وأمثالها، وأهداف أصحابها ومبتغاهم في هذه المرحلة التي تواجه فيها الأمة هجوماً على عقيدتها وتراثها .

والجواب عن هذين السؤالين من وجهين:

الوجه الأول: حكم زواج غير المسلم بالمسلمة .

هذا الحكم لا يحتاج إلى كثير من الاجتهاد. إذا كان الزوج مشركاً فالحَكَمُ فيه كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة. أما الكتاب فقول الله تعالى: ولا تنكحوا المشركين حتى" يؤمنوا (١). قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: "يعني تعالى ذكره بذلك أن الله قد حرم على المؤمنات ألا ينكحن مشركاً، كائناً من كان المشرك من أي أصناف الشرك كان، فلا تنكحوهن أيها

المؤمنون فإن ذلك حرام عليكم.. ثم قال: أخبرنا معمر عن قتادة والزهري في قوله: ولا تنكحوا المشركين قال لا يحل لك أن تنكح يهودياً أو نصرانياً ولا مشركاً من غير أهل دينك.. وعن عكرمة والحسن البصري قال: حرم على المسلمات رجالهم يعني المشركين" (٢).

وذكر الفخر الرازي أن قوله تعالى: ولا تنكحوا المشركين حتى" يؤمنوا فلا خلاف هاهنا أن المراد به الكل، وأن المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر البتة، على اختلاف أنواع الكفرة (٣). وذكر الإمام القرطبي في تفسيره في قوله تعالى: ولا تنكحوا المشركين حتى" يؤمنوا أي لا تزوجوا المسلمة من المشرك، وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه، لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام(٤).

وفي الكتاب أيضاً قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن (١). قال الإمام القرطبي قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن المراد إذا هاجرت المؤمنات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركن أزواجهن المشركين فامتحنوهن قيل: إنه كان من أرادت منهن إضرار زوجها فقالت: سأهاجر إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فلذلك أمر صلى الله عليه وسلم بامتحانهن. واختلف فيما كان يمتحنهن به، فقال ابن عباس: كانت المحنة أن تُستحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، ولا عشقاً لرجل منَّا؛ بل حُبّاً لله ولرسوله. فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك، أعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردّها؛ فذلك قوله تعالى: فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .

وقيل إن المحنة كانت أن تشهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ قاله ابن عباس أيضاً .

قوله تعالى: الله أعلم بإيمانهن أي هذا الامتحان لكم، والله أعلم بإيمانهن، لأنه مُتَولِّي السرائر. فإن علمتموهن مؤمنات أي بما يظهر من الإيمان. وقيل: إن علمتموهن مؤمنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن أي لم يحل الله مؤمنة لكافر، ولا نكاح مؤمن لمشركة. وهذا أدل دليل على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامُها لا هجرتها (٢).

وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وقال مجاهد فامتحنوهن فاسألوهن عما جاء بهن، فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيرة ولم يؤمنَّ فارجعوهن إلى أزواجهن، وقال عكرمة: يقال لها ما جاء بك إلا حب الله ورسوله، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله فامتحنوهن . وقال قتادة كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن، وقوله تعالى فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً. وقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد

كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنة النبي صلى الله عليه وسلم زينب -رضي الله عنها- وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر، بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا). ففعلوا فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يبعث ابنته إليه، فَوَفَى له بذلك وصَدَقَه فيما وعده، وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة -رضي الله عنه- فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر، وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان، فردها عليه بالنكاح الأول، ولم يحدث لها صداقاً"(١).

والسؤال في هذا المقام هل يعد الكتابي في حكم المشرك فيحرم زواج المسلمة منه ؟ يجيب عن هذا السؤال فريقان: الأول- يرى أن هذا التحريم هو الأصل القاطع الذي لا مجال للخلاف فيه، استدلالاً وعملاً بقول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (١). وقوله عز ذكره: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد (٢). وقوله: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (٣). واستدلالاً كذلك بأن عبدالله بن عمر لما سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال: "إن الله حرم المشركات على المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله"(٤). فإذا كان هذا في حق زواج المسلم منها فهو في حق زواج غير المسلم منها أولى وآكد، كما يستدل أيضاً بأن الكثير من العلماء على أن لفظ المشرك يندرج فيه الكفار من أهل الكتاب، وإن النقل قد تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يسمي كل من كان كافراً بالمشرك (٥).

وفي المقابل هناك من ينفي كون الكتابي مشركاً، ويحتج بأن الله فَصَل بين أهل الكتاب والمشركين في قوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى" والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على" كل شيء شهيد (١). وقوله: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (٢). وقوله عز وجل: إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (٣). وقوله ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين (٤). فهذا -كما يقول - عطف على معطوف عليه، والعطف هنا يقتضي المغايرة.

ومن يقول هذا قد يقول أيضاً إن اليهود ليسوا كلهم مشركين، وأن من يقول منهم إن عزير ابن الله هم طائفة صغيرة من أتباع فنحاص(٥) كما قد يقول إن النصارى ليسوا كلهم يعتقدون في ألوهية عيسى أو يشركونه مع الله ،وأن من يقول ذلك بعض طوائفهم. والأقوال في هذا لا تنتهي .

قلت: وأياً كانت الحجج والأقاويل في هذا، فإن سلف الأمة وخلفها من علمائها وفقهائها ومفسريها فهموا من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم تحريم نكاح المسلمة من الكتابي، ولم يمار في هذا الفهم أحد منهم، وقد أشرنا آنفاً إلى

ما قاله في ذلك علماء التفسير. أما في الفقه، ففي مذهب الإمام أبي حنيفة قال الإمام الكاساني: "إن المرأة إذا كانت مسلمة فلا يجوز إنكاح المؤمنة الكافر، بدلالة قوله تعالى: ولا تنكحوا المشركين حتى" يؤمنوا . ولأن في نكاح المؤمنة الكافر خوف وقوع المؤمنة في الكفر، لأن الزوج يدعوها إلى دينه، والنساء في العادة يتبعن الرجال فيما يؤثرون من الأفعال، ويقلدنهم في الدين ... إلى قوله: فلا يجوز إنكاح المسلمة الكتابي، كما لا يجوز إنكاحها الوثني والمجوسي، لأن الشرع قطع ولاية الكافرين عن المؤمنين بقوله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١). فلو جاز إنكاح الكافر المؤمنة لثبت له عليها سبيل، وهذا لا يجوز (٢).

وفي مذهب الإمام مالك قال في شرح منح الجليل فيمنع عقد النكاح لمسلمة، فلا ولاية لكافر سواء كان ذمياً أو حربياً أو مرتداً على مسلمة لقول الله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (٣). وقال ابن جزي إن نكاح كافر مسلمة يحرم على الإطلاق بإجماع(٤).

وفي مذهب الإمام الشافعي قال الإمام الماوردي في الحاوي: المسلمة لا تحل لكافر بحال، سواء كان الكافر كتابياً أو وثنياً (٥).

وفي مذهب الإمام أحمد قال الإمام ابن مفلح في المبدع: لا يحل لمسلمة نكاح كافر لا نعلم فيه خلافاً (٦). وفي المغني قال الإمام ابن قدامة: لا يجوز لكافر نكاح مسلمة. قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم (١).

وفي المذهب الظاهري قال الإمام أبو محمد علي بن حزم: ولا يحل لمسلمة نكاح غير مسلم أصلاً (٢).

قلت: هذه هي النصوص بحرفيتها كما وردت في الكتاب والسنة وفي كتب الأئمة، وحين ننقلها فإنما هو لبيان الحق وبراءة للذمة، وأياً كان القول حول كون الكتابي مشركاً أم غير مشرك فإن إجماع الأمة وسلفها وخلفها منعقد على تحريم زواج المسلمة بغير المسلم، أياً كانت صفته، والإجماع حجة ثابتة فهو المصدر الثالث لشريعة الله، وعامة العلماء على أن منكره يكفر .

الوجه الثاني: دوافع هذه الفتوى وأهدافها :

لا أحد يعرف على وجه التحديد دوافع هذه الفتوى التي صدرت من هذا الشخص أو ذاك، خاصة وأن هذه المسألة لم تكن قضية أو مشكلة بين المسلمين وأهل الكتاب، وأراد هذان الرجلان البحث عن حل لها؛ حتى الذين يتعصبون للمرأة ويقولون إنهم يدافعون عن حقوقها لم يطالبوا بما أفتى به هذان الرجلان.

نعم: نحن لم نفهم أن تحريم زواج المسلمة من غير المسلم يجرها إلى الوراء كما قال أحد الرجلين، بل إن هذا قول لا يقوله عاقل. قد يكون لهذا وأمثاله بواطن وسلوكيات لا نعرفها، وقد يكونون في مرحلة من الخلل الفكري الذي يحدث عندما تنحرف النفس فتختلط عليها الألوان فتراها على غير حقيقتها.

وربما يذهب الظن إلى أن هؤلاء إنما يبحثون عن منافع لا يستطيعون الوصول إليها إلا إذا أفتوا بمثل هذه الفتاوى، لتكون وسيلتهم للوصول إلى هذه المنافع، بعد أن ظنوا أن الأمة في حال من الضعف قد لا تستطيع فيه مواجهتهم، سيما وهي محاطة

بظروف دولية تبحث فيها عن مأمن من فوضى القوة والسيطرة التي تسود العالم أو بعض أجزائه .
والغالب أن هؤلاء إنما يبحثون فعلاً عن هذه المنافع رغم معرفتهم بخطأ فتاواهم وفسادها وبطلانها، وقد حدث مثل هذا حينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤسس الدولة، وكان هذا التأسيس يتطلب مواجهة المعادين لها؛ ففي تلك المرحلة كانت فئة من المنافقين تهتم بمصالحها الدنيوية مع المعادين لدين الله، ولم يكن يهمهم من هذا الدين ولا من الدولة إلا بقدر ما ينتفعون منه، وكان على رأس هؤلاء عبد الله بن أبي بن سلول، وكان هذا يسارّ المشركين واليهود خوفاً على مصالحه معهم، مع ظنه السيئ في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من دين الله، واعتقاده أن هذا الدين سوف يفشل، وأن الغلبة ستكون للمعادين له. ولم يدرِ هو وأضرابه أن الله يعلم أسرارهم ودواخلهم فأنزل فيهم قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى" أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على" ما أسروا في أنفسهم نادمين (١). ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٢).
ومع قوة القوى المعادية وسند المنافقين لها إلا أن الله نصر دينه وأعز رسوله، فأصبح عمل المنافقين مجرد تاريخ يتلى للاعتبار والاتعاظ فحسب.
هذا في الماضي، أما في الزمن المعاصر فقد عرف تاريخ الأمة الحديث مرزا غلام أحمد القادياني وجماعته من الجهلة والمارقين، وقد أجهد هذا نفسه وحاول إقناع المسلمين وغيرهم في الهند بوجوب طاعة المستعمر للهند آنذاك، والانقياد له، مدعياً أن هذا من طاعة الله، كما حاول تعطيل الجهاد ووصفه بما يتفق مع عقيدته ومبادئه المنحرفة. وقد عرف الناس من كان وراءه ومن كان يدفع له المال، ومع كل ما كان له من زخم دعاوى أضفاه عليه المستعمر، إلا أن الهنود رفضوا دعاواه، وجاهدوا بكل قوة لتحرير بلادهم، وكان من نتيجة هذا الجهاد تحرر الهند، وتكوين دولتي الباكستان وبنغلاديش المسلمتين، وبقي مرزا غلام أحمد مجرد اسم في تاريخ الردة وخدمة المستعمرين .
وفي الختام نقول: إن هؤلاء الذين يتجرؤون على الله بهذه الفتاوى، ويتوسلون بها إلى القوى الأجنبية، من أجل منافعهم الشخصية، إنما يرتكبون خطأ وإثماً كبيراً في حق دينهم وأمتهم.
أما قولهم بأنهم يجتهدون في الإسلام ويبينون أحكامه فهو قول باطل، وإثم مبين، وقد شدد الله في عقوبة من يحل ما حرمه أو يحرم ما أحله، فقال تعالى: ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (١)، متاع قليل ولهم عذاب أليم (٢). كما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمة ستبتلى بأقوام حدد صفاتهم وسلوكهم بقوله: (يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) (٣).

ولا يسعنا إلا أن نسأل الله عز وجل أن يعز دينه، ويعلي كلمته، وأن يرد كل ضالٍ إلى الحق. إنه سميع مجيب.

==================

زواج المسلمة من الكتابي
المؤلف الشيخ عبد الكريم مطيع الحمداوي
نص البحث
زواج المسلمة من الكتابي حرام ومستحله مرتد

عقد الزوجية في الإسلام ليس كعقدها في جميع الديانات الأخرى كتابية أو وثنية أو لادينية، بتميزه عنها جميعها ابتداء واستمرارا وانتهاء.
ولئن كان هذا العقد في غير الإسلام مجرد اتفاق بين ذكر وأنثى يباركه أو يوثقه بشر سواء كان رجل دين أورجل دولة، فإنه في الإسلام علاقة ربانية ينشئها الله تعالى ويشهد عليها ويأتمن الزوجين عليها ويسألهما ويحاسبهما يوم القيامة بها.
يقول تعالى:
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ١
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)٢
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)٣
(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)٤
هذه الوشيجة الربانية والعلاقة الإنسانية أبى الله عز وجل إلا أن يصفها بالميثاق الغليظ٥ بقوله:
(وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً) ٦
ومن العجيب أن هذا الوصف " الميثاق الغليظ" لم يطلق في القرآن إلا على معنيين :
أولهما ميثاق الله عز وجل مع النبيئين وأقوامهم على الإيمان والإسلام بقوله تعالى:
(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً)٧
(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً)٨
أما المعنى الثاني فخاص بالعلاقة الزوجية كما أسلفنا بقوله تعالى (وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظا)٩ ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع (فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ١٠)
وقال: (وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز وجل، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وبسط يديه وقال: ألا هل بلغت ألا هل بلغت،ثم قال: ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع)١١ . فكان من مقتضيات هذا الميثاق لقوته ومتانته وعظم مسؤوليته أن يجري بين الزوجين من

الاتحاد والامتزاج وحسن الصحبة والمعاشرة والولاء في الله ما يثقل كاهليهما ويحفظ أسرتهما وذريتهما ويبرئ ذمتهما عند المساءلة بين يدي الله تعالى.
كذلك أيضا نجد تعظيما آخر من الله عز وجل لهذه العلاقة في سورة الممتحنة، إذ جعلها أحد مَثَلين للولاء والبراء، مَثَل منها ومَثَل من إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.
ذلك أن محور هذه السورة الكريمة هو عقيدة الولاء والبراء، افتتحت بتحريم موالاة أعداء الله ومحبتهم بقوله تعالى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ) ١٢
وختمت كذلك بتحريم اتخاذ الكافرين أولياء في قوله تعالى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)١٣
وبين دفتي هذه السورة ضرب الله تعالى مَثَلين توضيحيين كاشفين لمدى خطورة هذه العقيدة في أهم مفاصلها، مفصل العلاقة مع الوالدين والقوم، ومفصل العلاقة بين الزوجة وزوجها، داعيا في الحالتين إلى اتخاذ الميثاق مع الله مقدما على أي رابطة أخرى، وحاكما عليها.
الأول في علاقة إبراهيم بأبيه وقومه إذ يقول تعالى (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) ١٤ ، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) ١٥
أما المَثَل الثاني ففي العلاقة الزوجية، إذ حرم الله عز وجل المرأة المسلمة على الكافر، بحيث لا تقوم هذه الآصرة حق قيامها إلا من خلال الرجل المسلم ذي أهلية تحمل أمانة الوفاء بهذا الميثاق الغليظ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ } ١٦
بهذه الآية الكريمة يكون اشتراط الإسلام في الرجل كي يكون أهلا للزواج من المسلمة ثابتا ثبوتا قطعيا بنص الكتاب. ولئن جادل بعضهم بمحاولة تأويل قوله تعالى(وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ١٧ ،
فلا حجة لهم فيما ذهبوا إليه، لأن هذه الآية نفسها تؤكد حكم تحريم زواج المسلمة من الكافر. وما محاولة ضرب آية سورة الممتحنة بآية سورة البقرة إلا من تلبيس الأهواء والغواية، والقول بأن أهل الكتاب ليسوا مشركين دعوى ساقطة لتعارضها

مع النقل الصحيح والعقل السليم، وما الداعي إليها إلا كفر بما جاء عن الله تعالى أو خضوع مذل ومداراة سفيهة ومسايرة وتزلف للتجبر الكتابي المعاصر.
إن الكفر في الشريعة الإسلامية هو تكذيب ما جاء عنه عز وجل بواسطة نبيه - صلى الله عليه وسلم - سواء كان هذا التكذيب جحودا للأسماء والصفات أو الربوبية والألوهية أو إنكارا للنبوة وما نقل عنها صحيحا، أو رفضا للشريعة وتعاليمها، وهو بذلك متضمن للشرك سواء كان الشرك بعبادة الأهواء أو الأشجار أو الأحجار أو الرهبان والأحبار، ويدخل فيه بهذه المعاني كلها اليهودي والنصراني والمشرك واللاديني، فيحرم لذلك على المسلمة الزواج بأي منهم. لاسيما وقد ورد لفظ " الكفار " في آية التحريم من سورة الممتحنة بصيغة الجمع المعرف ب" أل" وهي تفيد الاستغراق ، أي جميع أصناف الكفرة.
كما أن صريح الكتاب والسنة قد حسم هذا الأمر حسما قاطعا حين وردت النصوص المبينة أن أهل الكتاب كفار ومشركون. فقد قال تعالى:
(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ١٨
(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) ١٩
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } ٢٠
هذه الآيات صريحة في أن اليهود والنصارى مشركون، لاسيما عندما عقب على الآية الثالثة بقوله تعالى (وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، وعلى الثانية بقوله: (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ).
تبين هذه المعاني كلها وتؤكدها سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تواتر عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يسمي كل من كان كافرا بالمشرك وكان الكفار في عهده ما بين يهودي ونصراني وعابد وثن ومستشفع به ومنكر للبعث والتكليف.
كما روى الأعمش وسفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: سئل حذيفة عن قول الله عز وجل: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)، هل عبدوهم؟ فقال : لا ، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلّوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه . ٢١
وروى الترمذي عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "ما هذا يا عدي ؟ اطرح عنك هذا الوثن" ، وسمعته يقرأ من سورة براءة : اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، ثم قال: " أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرموه " ٢٢.

وفي رواية البيهقي: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فسمعته يقول اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، قال: قلت يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم، قال: أجل ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه فتلك عبادتهم لهم) ٢٣

وتقتضي هذه النصوص القطعية من الكتاب والسنة أن الكفر يتضمن الشرك مبنى ومعنى وشرعا، إذ لو كان غير ذلك لوجب أن يغفر الله عز وجل لأهل الكتاب بمقتضى قوله : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً } ٢٤. وهذا المعنى باطل بطلانا بينا.

كما أن قوله تعالى{ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }٢٥ يهدم ما ذهب إليه المبطلون لاسيما بتعقيب الله في نهاية الآية بقوله (أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) لأن علة التحريم في المشركين وهي الدعوة إلى النار قائمة في أهل الكتاب أيضا.

هذه المعاني كلها بينتها السنة النبوية المطهرة ولخصتها قولا وعملا، فقد أخرج ابن جرير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا "٢٦ وعند عبد الرزاق وابن جرير عن عمر بن الخطاب قال " المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة "٢٧ وعند عبد بن حميد عن قتادة قال " أحل الله لنا محصنتين محصنة مؤمنة ومحصنة من أهل الكتاب نساؤنا عليهم حرام ونساؤهم لنا حلال " ٢٨ .

إن تحريم زواج المسلمة بغير المسلم يعد من المسائل التي لم يختلف عليها المسلمون ، والتي تواتر إجماعهم عليها منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فرق بين بنته زينب وزوجها المشرك ثم ردها إليه بعد إسلامه ٢٩، إلى يومنا هذا، وما ذلك إلا لما فهموه من الكتاب والسنة قطعيا، ولم يشذ عن هذا الحكم إلا شرذمة من ذوي الأهواء والضلال، قدامى ومعاصرين ممن باعوا أنفسهم لغير الله تعالى.

إن زواج المسلمة بغير المسلم ولو كان جهلا منها لا استحلالا، يؤدي بها إلى الكفر مهما حاذرت وحرصت، لأن مآل هذا الزواج أن يخل بعقيدتها ولاء وبراء.

ذلك أن الولاء شرعا هو محبة الله ورسوله وطاعتهما ومحبة المسلمين في الله ونصرتهم، والبراء هو بغض من كفر بالله ورسوله وشريعة الإسلام، أو أنكر الرسالة ومرسلها والمرسل بها، أو حارب أهلها، بدليل قوله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) ٣٠.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٣١.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ) ٣٢.

(وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) ٣٣

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ٣٤
وعن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله فإذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استحق الولاء من الله وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم٣٥
وعن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحق العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله ٣٦
وعن معاذ أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان قال أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك ٣٧
وعن البراء بن عازب قال كنا جلوسا عند النبي صلى اللهم عليه وسلم فقال أي عرى الإسلام أوسط قالوا الصلاة قال حسنة وما هي بها قالوا الزكاة قال حسنة وما هي بها قالوا صيام رمضان قال حسن وما هو به قالوا الحج قال حسن وما هو به قالوا الجهاد قال حسن وما هو به قال إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله ٣٨
وعن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتدرون أي عرى الإيمان أوثق؟ قلنا الصلاة، قال: الصلاة حسنة وليست بذلك، قلنا الصيام، فقال مثل ذلك، حتى ذكرنا الجهاد فقال مثل ذلك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوثق عرى الإيمان الحب في الله عز وجل والبغض في الله ٣٩
وبما أن الزوجة المسلمة في الأصل بفطرتها ومقتضيات دينها تحب زوجها وتواليه وتطيعه وتنصره، فإن كان زوجها كافرا كان ولاؤها ومحبتُها له ونصرتهُا إياه محبةً ضمنية للكفر ونصرةً وطاعة لأعداء ربها ورسوله ومبغضيهما، وهذا يتعارض مع العقيدة السليمة ويهدمها.
خلاصة ما نصل إليه في هذا المبحث أن زواج المسلمة من غير المسلم، الكتابي٤٠ يهوديا كان أو نصرانيا، والمشرك واللاديني، لا يجوز شرعا، ومحرم بإجماع كل المذاهب الإسلامية على اختلافها، ولا يوجد رأي فقهي واحد يؤيد هذه المسألة، لا في كتب المتأخرين ولا المتقدمين ولا في أقوالهم
وأن إنكار حكم التحريم هذا يوجب ردة القائل به، لأنه معلوم من الدين بالضرورة، وغير خفي على عامة المسلمين وسوقتهم بله علمائهم وسراتهم، وغني عن البيان التذكير بحكمة هذا التحريم وضرورته لحفظ الأعراض دينا ونسلا ومجتمعا سويا وأمة قوية رائدة، وإن كانت النصوص المحرمة لزواج المسلمة من غير المسلم متضمنة كل هذه المعاني.

----

[١] - النساء ١
[٢] - الأعراف ١٨٩

[٣] - الروم ٢١
[٤] - الزمر ٦
[٥] - الواو والثاء والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام، والفعل : وثق به على وزن "ورث" ثقة وموثقا ووثاقة ووثوقا: ائتمنه، والميثاق هو العهد المحكم، والمواثقة المعاهدة، ، وأخذ الله ميثاق النبيئين أخذ العهد عليهم.
[٦] - النساء ٢١
[٧] - الأحزاب ٧
[٨] - النساء ١٥٤
[٩] - النساء ٢١
[١٠] - صحيح مسلم رقم ٢١٣٧ – ابن ماجه ٣٠٦٥ – الدارمي ١٧٧٨
- [١١] مجمع الزوائد
[١٢] - الممتحنة ١
[١٣] - الممتحنة ١٣
[١٤] - الممتحنة ٤
[١٥] - الممتحنة ٦
-[١٦] الممتحنة ١٠
[١٧] - البقرة ٢٢١
[١٨] - المائدة ٧٣
[١٩] - المائدة ٧٢
[٢٠] - التوبة٣٠ – ٣١
[٢١] - تفسير القرطبي ١٢٠/٨
[٢٢] - سنن الترمذي رقم ٣٠٢٠
[٢٣] - السنن الكبري للبيهقي ١١٦/١٠
[٢٤] - النساء ٤٨
[٢٥] - البقرة ٢٢١
[٢٦] - حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحاق الأزرقي عن شريك عن أشعث بن سوار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا ثم قال وهذا الخبر وإن كان في إسناده مافيه فالقول به لإجماع الجميع من الأمة عليه كذا قال ابن جرير رحمه الله . تفسير ابن كثير ٢٥٨/١ ، أقول وصحة معنى هذا الحديث تأتي من موافقته للقرآن عند عرضه عليه كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.
[٢٧] - تفسير الطبري ٢٧٨/٢ ، تفسير ابن كثير ٢٥٨/١
[٢٨] - عون المعبود ٩/٨، تفسير الطبري ١٠٨/٦
[٢٩] - المستدرك على الصحيحين ٢٥/٣.
[٣٠] - المجادلة ٢٢
[٣١] - المائدة ٥١
[٣٢] - آل عمران١٤٩

[٣٣] - هود ١١٣
[٣٤] - مصنف ابن أبي شيبة ١٧٢/٦
[٣٥] - أحمد مسند المكيين ١٤٩٩٨- ج ٤٣٠/٣، فتح الباري ٤٧/١، الفردوس بمأثور الخطاب ١٥٢/٥
[٣٦] - مجمع الزوائد ٨٩/١، رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف.
[٣٧] - أحمد مسند الأنصار ٢١١١٣، مجمع الزوائد ٦١/١
[٣٨] - أحمد مسند الكوفيين ١٧٧٩٣
[٣٩] - مسند الطيالسي١٠١/١، شعب الإيمان ٤٦/١
[٤٠] - أطلق لفظ" كتابي" على اليهود والنصارى لكونهم كانوا أصحاب كتاب منزل، ولكنهم حرفوه وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وهو ما أشارت إليه الآيتان ٣٠- ٣١ من سورة التوبة. وإلا فهم في الشرك مع المشركين سواء

في ظل إجماع الفقهاء قديما وحديثا على حكمه: زواج المسلمة بغير المسلم.. حرام
إعداد/ عبد القادر علي ورسمة

في ظل إجماع الفقهاء قديما وحديثا على حكمه: زواج المسلمة بغير المسلم.. حرام
إعداد/ عبد القادر علي ورسمة

إن زواج المسلمة بغير المسلم يعد من المسائل التي لم يختلف عليها الفقهاء، ومن المسائل التي قد أجمعوا على حرمتها، ولكن للأسف بدأنا نسمع أصواتاً ونقرأ لأناس لا دخل لهم بالعلم الشرعي يهرفون بما لا يعرفون ويفتون بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير حول زواج المسلمة من غير المسلم كتابياً كان أم مشركاً داخل البلاد الإسلامية أو خارجها فالحكم واحد، وقد حاول بعض المستشرقين ومن لف لفهم من العلمانيين سابقا ويحاولون الآن إثارة بعض الزوابع في كثير من المسائل الشرعية، ومنها قضية زواج المسلمة بغير المسلم، ونصوص الكتاب والسنة واضحة كل الوضوح في هذه المسألة حيث قال تعالى: -وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ، وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ. وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا، وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ. أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ، وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ- -البقرة/٢٢١.
ودلّت الآية بوضوح على تحريم زواج المسلمة من المشرك وحتى لو كان كتابياً، ولو أعجبها وأعجب أهلها، طالما بقي على شركه، وعلّة التحريم هي الشرك.
وزواج المسلمة من المشرك، محرم بنص الآية، ويشمل غير المسلمين جميعاً سواء كانوا كتابيين أم غير كتابيين.
قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: -والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم- يعني : والحرائر من الذين أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى الذين دانوا بما في التوراة والإنجيل من قبلكم أيها المؤمنون بمحمد من العرب وسائر الناس أن تنكحوهن أيضاً ، -إذا آتيتموهن أجورهن- يعني : إذا أعطيتم من نكحتم من محصناتكم ومحصناتهم أجورهن؛ وهي: مهورهن -تفسير الطبري ١٠٤/٦-.

وقال الإمام الطبري أيضاً: القول في تأويل قوله تعالى : -ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم- يعني تعالى ذكره بذلك : أن الله قد حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركاً كائناً من كان المشرك، ومن أي أصناف الشرك كان ، فلا تنكحوهن أيها المؤمنون منهم فإن ذلك حرام عليكم ، ولأنْ تُزَوّجُوهنّ من عبد مؤمن مصدق بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله خير لكم من أن تُزَوّجُوهنّ من حر مشرك ولو شرف نسبه وكرم أصله، وإن أعجبكم حسبه ونسبه.

عن قتادة والزهري في قوله تعالى: -ولا تنكحوا المشركين- قال : لا يحل لك أن تنكح يهودياً أو نصرانياً ولا مشركاً من غير أهل دينك . - تفسير الطبري ٣٧٩/٢

وأشار القرطبي في تفسيره إلى الإجماع على حرمة زواج المسلمة بكافر حيث قال في تفسير قوله تعالى -ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا- وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه، لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان: لا يجوز زواج المسلمة بغير المسلم عند جميع الفقهاء.

نساء أهل الكتاب

ويرى جمهور الفقهاء إباحة زواج المسلم من نساء أهل الكتاب، وأجمعوا على حرمة زواج المسلمة من غير المسلم ،وهذا أمر تعبدي ، وإذا أردنا أن نلتمس حكمة لذلك فيمكن أن يقال: إن الإسلام عندما أباح للرجل الزواج من الكتابية، فإنه أمر الزوج أن يحترم دينها لأن المسلم يؤمن بجميع الأنبياء، أما غير المسلم إذا تزوج من مسلمة فإنه لا يحترم عقيدتها، و لا يؤمن بنبيها مما يوقد النار في المنزل ويمنع السكينة والرحمة التي قوام البيوت عليها، ويمكن أن يخرجها عن دينها لما عنده من الكره والبغض للإسلام والمسلمين؛ فلهذا منع الإسلام مثل هذا الزواج، وقال تعالي : -ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم-.

المسلمة والكتابي

إن زواج المسلمة من الكتابي سواء كان يهودياً أم نصرانياً أم مشركاً غير كتابي لا يجوز شرعا، وذلك بإجماع كل المذاهب الإسلامية على اختلافها، ولا يوجد رأي فقهي واحد يؤيد هذه المسألة، لا في كتب المتأخرين ولا المتقدمين ولا في أقوالهم، ونطالب من أهل الأهواء الذين يدعون بجواز هذا الأمر بداعي العولمة ومساواة الجميع أن يأتوا بأي عالم من علماء المسلمين أفتى بجواز هذا الأمر، وإلا فليسكتوا عن إلقاء الشبهات التي لا تستند إلى شيء؛ لأن ديننا الإسلامي الحنيف لا يعتمد على الأهواء بل يعتمد على نصوص شرعية من الكتاب والسنة، وأقوال أهل العلم البعيدة عن الأهواء والبدع.

فتوى المجمع

وقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي فتوى عن استفسار ورد إليهم من قبل بعض المسلمين في الغرب، وكان كالتالي: ما حكم زواج المسلمة بغير المسلم خصوصاً إذا طمعت في إسلامه بعد الزواج حيث تدعي مسلمات كثيرات أنه لا يتوافر لهن الأكفاء من المسلمين في غالب الأحيان، وأنهن مهددات بالانحراف أو يعشن في وضع شديد

الحـرج؟ الجـواب : زواج المسـلمة بغيـر المسـلم ممنـوع شـرعاً بالكتـاب والسـنة والإجماع. وإذا وقع فهو باطل، ولا تترتب عليه الآثار الشرعية المترتبة على النكاح، والأولاد المولودون عن هذا الزواج أولاد غير شرعيين، ورجاء إسـلام الأزواج لا يغير من هذا الحكم شيئاً .

- وعليـه فـإن زواج المسلمة بغيـر المسلم محـرم بإجمـاع المسلمين، بـل وقـد يؤكـد العلماء بأن استحلال هذا الأمر قد يؤدي إلى الكفر والخروج من الإسلام.

وإلى حرمة نكاح المسلمة بغير المسلم وبطلان هذا النكاح يشير قول الله جل وعلا: -ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه- البقرة:/٢٢١.

وقول الله تعالى : -يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن- الممتحنة/١٠.

- وقد حرمت هذه الآية المسلمات على المشركين، وقد كان جائزا في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ثم نسخ بعد ذلك.

يقول الشافعي رحمه الله : فإن أسلمت المرأة، أو ولدت على الإسلام، أو أسلم أحد أبويها وهي صبية لم تبلغ حرم على كل مشرك كتابي ووثني نكاحها بكل حال.

مثل أولاد الزنا

وقد قرر فقهاؤنا السابقون أن من ينشأ عن هذه العلاقة المحرمة من أولاد فإن مثلهم مثل أولاد الزنا لا يثبت لهم نسب، ولا يتقرر لهم ميراث من الزاني، فإن ماء الزنا هدر لا يثبت به نسب ولا يتقرر به ميراث لقوله صلى الله عليه وسلم : -الولد للفراش وللعاهر الحجر- فالولد ينسب لصاحب الفراش الشرعي وهو الزوج ، وحيث لايوجد مثل هذا الفراش في هذه الواقعة لبطلان عقد النكاح فلا يثبت نسب، ولا يتقرر ميراث إلا بين الولد وبين أمه، أما بينه وبين الزاني فلا توارث وذلك لسببين : لاختلاف الدين من ناحية؛ لأن الولد مسلم بالتبعية لأمه، والزاني من أهل الكتاب، وقد قررت الشريعة المطهرة عدم التوارث عند اختلاف الدين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: -لا يتوارث أهل ملتين شتى-.

- وعليه نرى أن حكم الشرع في هذه المسألة واضح جداً، وأنه لا يوجد دليل واحد يدل على جواز هذا الأمر، وإن كان بعض أهل الأهواء من العلمانيين وغيرهم يحاولون إثارة الشبهات، حتى يتمكنوا من تغيير بعض ثوابت الدين عند المسلمين، وذلك لتكوين ثقافة عالمية واحدة،ودور الأمم المتحدة وتدخلها في شؤون المرأة ومحاولاتها إقناع العالم بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة وتدخلاتها السافرة في شؤون الدول واضح لكل ذي نظر، مما يدل على أن إثارة مثل هذه المواضيع في هذه الأيام يخدم أجندة خارجية تسعى إلى طمس ثوابت الأمة وهويتها وثقافتها، وهذا مخالف لمبادئ حقوق الإنسان التي يتبجح بها الغرب وأذنابه من العلمانيين، والتي تنص على وجوب احترام الثقافات والأديان.

- وعلى المسلم أن يكون حذراً من هذه الأفكار الهدامة وينبغي أن يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله، وعلى فهم سلف الأمة خير القرون قاطبة؛ قال تعالى: -وما كان لمؤمن

ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله، ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا- -الأحزاب-٢٦-.

١٦٨- هل صحيح أن الإسلام ضد حرية الاعتقاد ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

١ ـ لقد كفل الإسلام للإنسان حرية الاعتقاد. وجاء ذلك فى وضوح تام فى القرآن الكريم: (لا إكراه فى الدين) (١). فلا يجوز إرغام أحد على ترك دينه واعتناق دين آخر. فحرية الإنسان فى اختيار دينه هى أساس الاعتقاد. ومن هنا كان تأكيد القرآن على ذلك تأكيدًا لا يقبل التأويل فى قوله: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٢).

٢ ـ وقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم الحرية الدينية فى أول دستور للمدينة حينما اعترف لليهود بأنهم يشكلون مع المسلمين أمة واحدة.

ومن منطلق الحرية الدينية التى يضمنها الإسلام كان إعطاء الخليفة الثانى عمر بن الخطاب للمسيحيين من سكان القدس الأمان " على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم ، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه ".

٣ ـ لقد كفل الإسلام أيضًا حرية المناقشات الدينية على أساس موضوعى بعيد عن المهاترات أو السخرية من الآخرين. وفى ذلك يقول القرآن: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (٣). وعلى أساس من هذه المبادئ السمحة ينبغى أن يكون الحوار بين المسلمين وغير المسلمين ، وقد وجه القرآن هذه الدعوة إلى الحوار إلى أهل الكتاب فقال: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله * فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٤). ومعنى هذا أن الحوار إذا لم يصل إلى نتيجة فلكل دينه الذى يقتنع به. وهذا ما عبرت عنه أيضًا الآية الأخيرة من سورة (الكافرون) التى ختمت بقوله تعالى للمشركين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم: (لكم دينكم ولى دين) (٥).

٤ ـ الاقتناع هو أساس الاعتقاد: فالعقيدة الحقيقية هى التى تقوم على الإقناع واليقين ، وليس على مجرد التقليد أو الإرغام. وكل فرد حر فى أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنى لنفسه من الأفكار ما يريد ، حتى ولو كان ما يعتقده أفكارًا إلحادية. فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه ولا يؤذى بها أحدًا من الناس. أما إذا حاول نشر هذه الأفكار التى تتناقض مع معتقدات الناس ، وتتعارض مع قيمهم التى يدينون لها بالولاء ، فإنه بذلك يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة بإثارة الفتنة والشكوك فى نفوس الناس. وأى إنسان يعتدى على النظام العام للدولة فى أى أمة من الأمم يتعرض للعقاب ، وقد يصل الأمر فى ذلك إلى حد تهمة الخيانة العظمى التى تعاقب عليها معظم الدول بالقتل. فقتل المرتد فى الشريعة الإسلامية ليس لأنه ارتد فقط ولكن لإثارته الفتنة والبلبلة وتعكير النظام العام فى الدولة الإسلامية. أما إذا ارتد بينه وبين نفسه دون أن ينشر ذلك بين الناس ويثير الشكوك فى نفوسهم فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء ، فالله وحده هو المطلع على ماتخفى الصدور.

وقد ذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن عقاب المرتد ليس فى الدنيا وإنما فى الآخرة ، وأن ما حدث من قتل للمرتدين فى الإسلام بناء على بعض الأحاديث النبوية فإنه لم يكن بسبب الارتداد وحده ، وإنما بسبب محاربة هؤلاء المرتدين للإسلام والمسلمين (٦).

(١) البقرة: ٢٥٦.
(٢) الكهف: ٢٩.
(٣) النحل: ١٢٥.
(٤) آل عمران: ٦٤.
(٥) الكافرون: ٦.
(٦) راجع: الحرية الدينية فى الإسلام للشيخ عبد المتعال الصعيدى ص ٣،٧٢، ٧٣، ٨٨ ـ دار الفكر العربى ـ الطبعة الثانية (دون تاريخ).

حقوق الأفراد في ظل الإسلام

عبد الوهاب خلاف

لقد اعطى الاسلام الفرد حقوقا مثل الحقوق التي اعطته اياه المدنية المعاصرة ولكن حصرتها بقيود تتناسب والظروف الاجتماعية والبيئية التي يعيشها الفرد. وجميع هذه الحقوق على تعددها ترجع إلى أمرين عامين: الأول الحرية الشخصية، والثاني المساواة بين الأفراد في الحقوق المدنية والسياسية.

الحرية الشخصية

المراد من الحرية الشخصية أن يكون الشخص قادراً على التصرف في شؤون نفسه وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو مال أو مأوى أو أي حق من حقوقه، على أن لا يكون في تصرفه عدوان على غيره. ومن هذا التعريف يتبين أن الحرية الشخصية تتحقق بتحقق أمور؛ وأنها معنى مكون من حريات عدة وهي: حرية الذات، وحرية المأوى، وحرية الملك، وحرية الاعتقاد، وحرية الرأي، وحرية التعليم. ففي تأمين الفرد على هذه الحريات كفالة لحريته الشخصية، وهذا ما قرره الإسلام في شأن هذه الحريات.

الحرية الفردية أو حرية الذات

في أحكام الإسلام ما يقرر ويؤمّن الفرد على ذاته من أي اعتداء: وذلك أن الإسلام حد حدوداً بأوامره ونواهيه؛ وشرع لمجاوزة هذه الحدود عقوبات، بعضها مقدرة وهي الحدود، وبعضها موكول تقديره إلى ولاة الأمر وهي التعازير، فلا جريمة إلاّ في تعدي حدود الله، ولا عقوبة إلاّ على وفق شرع الله. واتفقت كلمة علماء الإسلام على أن العقوبات مما لا تثبت بالرأي والقياس وأنها لا تثبت إلاّ بالنص، وجاء في القرآن الكريم قوله عز شأنه: (فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) وقوله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ). ففي النهي عن العدوان إلاّ على ظالم، وفي الأمر بأن يكون الاعتداء على الظالم مماثلاً لاعتدائه لا يزيد، وفي قصر الجريمة على مخالفة حدود الله، ومنع تشريع العقوبات بالرأي والقياس كفالة للحرية الفردية وتأمين من الاعتداء على الذات. وجميع ما في كتاب الله وسُنة رسوله، من

النهي عن الظلم والإيذاء للمسلم والذمّي، يؤيد حرية الذات وأمان الإنسان من أذى غيره.
حرية المأوى
في أحكام الإسلام ما يكفل هذه الحرية. فإن النفي والإبعاد عقوبة لم يذكرها القرآن الكريم إلاّ جزاء للذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً. قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَآؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَو يُنفَوا مِنَ الأَرضِ ذَلِكَ خِزيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).
وفي القرآن الكريم والسنة تقرير حرمة المسكن قال تعالى: (يا أَيُّها الَّذِينَ أَمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ، فإِن لَّم تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ، وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارجِعُوا، هُوَ أَزْكَى لَكُمْ، واَللهُ بِمَا تَعْمَلونَ عَلِيمٌ).
وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع".
حرية الملكية
الإسلام أقر هذه الحرية وكفلها بأحكام عدة:
منها أن كل ما شرعه الله من التصرفات التي تفيد نقل ملكية العين أو منفعتها، من بيع وإجارة وقرض وغيره، جعل أساس صحته ونفاذه حرية المتصرف ورضاه واختياره. فالركن الأول لصحة المبادلات المالية التراضي والأصل في هذا قوله عز وشأنه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ إلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ).
ومنها النهي في مواضع عدة في القرآن والسنة عن التعدي على مال الغير وأخذه من مالكه بغير حق، قال تعالى: (وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) وقال عز شأنه: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَونَ سَعِيراً).
وليس تقرير عقوبة السارق وتضمين الغاصب إلاّ ضماناً لحرية الملكية. قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) وقال عليه السلام: "ولا يحل لأحد أن يأخذ متاع أخيه لاعباً ولا جاداً، فإن أخذه فليرده عليه" وقال: "على اليد ما أخذت حتى ترد".
ومما يؤيد حق الملكية في أحكام الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم لمن كان يغبن في المبادلات "إذا بايعت فقل: لا خلابة، ولي الخيار ثلاثة أيام" ونهيه عن بيع الغرر، فإن في تجويز شرط الخيار والنهي عن بيع الغرر ضمانة لتحقق رضا المالك بالتبادل وعدم خروج الملك من مالكه وفي نفسه شبهة قهر أو خداع له. بل إن تقرير حق الشفعة إذا نظر إليه من ناحية أنه لدفع الضرر عن الجار أو الشريك يؤيد احترام الملكية وإحاطة المالك بما يدفع عنه الضرر ويحول بينه وبين الانتفاع بملكه.
حرية الاعتقاد١
الإسلام أقر هذه الحرية، وترك لكل فرد الحرية التامة في أن يكّون عقيدته بناء على ما يصل إليه عقله ونظره الصحيح، وذلك أن الإسلام جعل أساس التوحيد والإيمان

البحث والنظر، لا القهر والإلجاء، ولا المحاكاة والتقليد. ففي كثير من آي الكتاب الكريم لفت الناس إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، ليهتدوا هم بهذا النظر إلى الإيمان الصحيح والدين الحق، كقوله تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء)وقوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ، فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)، وفي كثير من الآي الكريمة نعى على من آمن بطريق التقليد لا بطريق البحث والنظر، كقوله تعالى: (بل قالوا إنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)، وفي كثير من الآي نفي للإيمان بطريق الإكراه والقسر كقوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)، وكقوله تعالى: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وكقوله تعالى: (لكمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

فإذا كان أساس الاعتقاد في الإسلام النظر العقلي والبحث والتفكير في آيات الله ولا محاكاة، ولا تقليد، ولا إلجاء، ولا إكراه، فليس أضمن لحرية الاعتقاد من هذا. ويؤيده ما جاء في الكتاب الكريم من أنه لا سلطان للداعي غير سلطان التذكير والموعظة الحسنة، قال تعالى لرسوله: (فذَكِّر إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّستَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ).

هذا ما يؤيد حرية الاعتقاد في الإسلام وإما ما يقرره حماية إقامة الشعائر، فإن الإسلام جعل لغير المسلمين الحرية التامة في أن يقيموا شعائر دينهم في كنائسهم ومعابدهم وجعل لهم أن يتبعوا أحكام دينهم في معاملاتهم وأحوالهم الشخصية. والأصل في هذا قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الذميين: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" وجميع العهود التي كانت تعطى للمعاهدين كان يقرن فيها بالتأمين على الأنفس والأموال التأمين على العقائد وإقامة الشعائر، وفي عهد عمر لأهل إيليا ما نصه "أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم". فالإسلام في تكوين العقيدة أطلق للعقل عنان النظر، وفسح له في مجال البحث والتفكير في الآيات والدلائل وفي حماية عقائد المسلمين أحاطها بما يكفلها ويحفظها وترك أرباب كل دين وما يدينون به.

حرية الرأي

الإسلام في شأن هذا الحق نظر إلى موضوع الرأي: إما أن يكون أمراً دينياً، أو غير ديني.

فإن كان الأمر غير ديني، فلكل فرد أن يبدي رأيه فيه حسبما يراه، ويُعرب عنه بالوسيلة الميسورة له، وقد حدث في صدر الإسلام وبعده عدة حوادث تدل على حرية الرأي وإقراره في هذه المواضع: من ذلك أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أشار على المسلمين في بعض الغزوات أن ينزلوا موضعاً معيناً، فسأله أحد الصحابة: أهذا منزل أنزلكه الله؟ أو هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة... قال الصحابي للرسول: ليس هذا بمنزل... وأشار بإنزال المسلمين منزلاً

آخر، وتحولوا. واختلاف أبي بكر وعمر في حكم الأسرى على مسمع من الرسول خبره مستفيض. وكذلك اختلاف كبار الصحابة في شأن الخلافة وكثير من الشؤون.
وأما في الأمور الدينية فلكل واحد أن يجتهد فيها، ويرى الرأي الذي يوصله إليه اجتهاده، ما دام في غيره موضع النص، ورأيه في حدود أصول الدين الكلية ونصوصه الصحيحة: وذلك أن الإسلام جعل القياس أحد أصوله، ومصدراً من مصادر التشريع فيه، والقياس هو إلحاق الأشباه بالأشباه، والنظائر بالنظائر، لاستنباط الأحكام التي لم ينص عليها.. وفي هذا الإلحاق والاستنباط مجال فسيح للرأي، ومتسع عظيم للنظر، وفي جعله مصدراً تشريعياً اعتبار للرأي وتقرير لحقه.
وكذلك جاء في السنّة أن كل مجتهد مأجور: إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران. فالمثوبة على الاجتهاد ـ سواء أدى إلى خطأ أو صواب ـ دليل على تقدير الإسلام للرأي، وإقراره هذا الحق.
ويؤيد هذا ما ورد في كثير من النصوص من ذم التقليد والنعي على المقلدين الذين يهملون عقولهم ولا يحررونها من أسر التقليد، وما جاء على ألسنة كثير من المجتهدين من التصريح بأنهم ما اجتهدوا ليقلدوا، وأن آرائهم لأنفسهم وخطأهم عليها.
فليس في أصول الإسلام ونصوصه ما ينافي حرية الرأي بالمعنى الذي بيّناه، بل فيها ما يؤيده ويقرره. وأما ما ورد عن ابن عباس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، وما ورد عن أبي بكر من قوله: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله برأيي؟".. فهو محمول على الرأي الذي يستند إلى مجرد الهوى ولا يعتمد على مصلحة عامة ولا أصل ديني كلّي.
وأما ما حدث في الإسلام من سد باب الاجتهاد وإيجاب التقليد لأئمة معينين، فإن هذا ليس من مقتضى أصول الدين أو نصوصه وإنما هو علاج لجأ إليه المتأخرون سداً لباب الفوضى، فهو من قبيل ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين، ولو وفق المسلمون إلى علاج تلك الفوضى ما كان في الإسلام مانع من الاجتهاد.
حرية التعليم
الإسلام نص على أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ونفى أن يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولم ينص على أنواع معينة من العلوم وحظر ما عداها، فكل علم يوصل إلى مصلحة دنيوية أو دينية فهو مطلوب وهو حق مشاع بين أفراد الناس ذكورهم وإناثهم. وليس في أصول الإسلام ما يدل على أنه يضيق بعلم أو يقف في سبيل تعليم بل إن في حوادث التاريخ دليلاً على أن المسلمين وَسِعت صدورهم وبلادهم مختلف العلوم وطبقات العلماء الذين ما وجدوا في غير الإسلام متسعاً لعلومهم ونظرياتهم. وإن ما نقل إلى العربية من علوم الفرس على يد ابن المقفع وأضرابه، وما عرب من علوم اليونان في عهد المنصور والرشيد والمأمون، وما كانت عليه حال العلم والتعليم في معاهد بغداد وقرطبة وسمرقند، دليل على تقدير الإسلام لحرية العلم وتأييده للتعليم.
وكيف لا يتفق الإسلام وحرية التعليم، وأول أسس الإسلام أن يكون الإيمان عماده البرهان والحجة والنظر في ملكوت السماوات والأرض! وهذا النظر يحتاج إلى

مختلف العلوم وتعرف كثير من النظريات!... وكيف يكلف المسلمون بقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) إذا كان في الإسلام ما يقيد حريتهم في إعداد القوة بحظر البحث في أنواع من العلوم أو الفنون التي تتطلبها حاجات الإعداد في مختلف العصور.

فالحقيقة الثابتة أن الإسلام يقرر حرية العلم، بل يجعل طلبه فريضة محكمة على كل مسلم ومسلمة، وما يرمى به المسلمون من اضطهاد أنواع من العلوم في بعض العصور، فليس سببه أمراً في طبيعة الإسلام. وفيما كتبه الأستاذ الإمام في كتابه "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية" مقنع لمن في نفسه ريب.

المساواة

المساواة شعار من أظهر شعائر الإسلام، ونصوصه وأحكامه ناطقة بتقريرها على أكمل وجوهها: وذلك أن الإسلام لا يفرق بين واحد وآخر في الخضوع لسلطان قانونه، وليس فيه فرد فوق القانون مهما علت منزلته، وأمير المؤمنين والوالي وكل واحد من الأفراد متساوون في أحوالهم المدنية والجنائية، لا يمتاز واحد بحكم خاص ولا بطرق محاكمة خاصة بل جميعهم أمام القانون سواء.

وكذلك لا يميز الإسلام واحداً عن واحد في التمتّع بالحقوق: فلم يجعل منزلة أو ميزة حقاً لأفراد أسرة معينة، لا يستمتع بها سواه، بل ناط الأمر بالعمل له، ومهد السبيل لكل عامل، فكل مناصب الدولة من أمارة المؤمنين إلى أصغر منصب فيها حق مُشاع بين أفراد الأمة، لا يحول بينه وبينها نسب أو عصبية وينطق بهذا قوله صلى الله عليه وسلم "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى" وقوله صلى الله عليه وسلم لبني هاشم: "يا بني هاشم. لا يجئني الناس بالأعمال وتجيئوني بالأنساب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

وفي كثير من النصوص تقرير المساواة وجعلها من شعائر الإيمان، كقوله تعالى (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقوله صلى الله عليه وسلم "إخوانكم خدمكم" وقوله عليه السلام: "الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحمر على أسود ولا لعربي على عجمي".

وفي كثير من الأحكام تحقيق هذه المساواة: ففي الحج كلهم بلباس واحد عراة الرؤوس لا يلبسون مخيطاً، وفي الصلاة كلهم في صفوف متساوية، وفي التناصح للوضيع على الرفيع ما للرفيع على الوضيع وفي الجنايات النفس بالنفس والعين بالعين والجروح قصاص،... وهكذا في سائر الأحكام الإسلامية الناس سواسية. وقد كانت هذه المساواة في صدر الإسلام شعار المسلمين في حربهم وسلمهم، وكان الذميون والمعاهدون يستمتعون في بلادهم بنعمة هذه المساواة عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" وقوله صلى الله عليه وسلم: "من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة".

مركز المرأة في الحياة الإسلامية القرضاوي

المرأة أنثى

قدّر الإسلام أنوثة المرأة، واعتبرها ـ لهذا الوصف ـ عنصراً مكملاً للرجل، كما أنه مكمل لها، فليس أحدهما خصماً للآخر، ولا ندًّا له ولا منافساً، بل عوناً له على كمال شخصه ونوعه.
فقد اقتضت سُنَّة الله في المخلوقات، أن يكون الأزدواج من خصائصها، فنرى الذكورة والأنوثة في عالم الإنسان والحيوان والنبات، ونرى الموجب والسالب في عالم الجمادات من الكهرباء والمغناطيس وغيرها، حتى الذَّرَّة، فيها الشحنة الكهربائية الموجبة، والشحنة السالبة (الألكترون البروتون).
وإلى ذلك أشار منذ أربعة عشر قرناً فقال: (وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).
فالذكر والأنثى كالعلبة وغطائها، والشيء ولازمه، لا غِنَى لأحدهما عن الآخر.
ومنذ خلق الله النفس البَشرية الأولى ـ آدم ـ خلق منها زوجها ـ حوَّاء ـ ليسكن إليها، ولم يتركه وحده، حتى ولو كانت هذه الوحدة في الجنَّة، وكان الخطاب الإلهي لهما معاً، أمراً ونهياً: (أسكنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمينَ). (سورة البقرة / ٣٥).
فالمرأة ـ بهذاـ غير الرجل، لأنها تكمله ويكملها، والشيء لا يكمل نفسه، والقرآن يقول: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى) (سورة آل عمران/٣٦).
كما أن الموجب غير السالب، والسالب غير الموجب.
ومع هذا لم تُخلق لتكون نداً ولا خصماً، بل هي منه وله: (بعضكم من بعض) (سورة النساء/٢٥)، (والله جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً) (سورة النحل/٧٢).
واقتضت حكمة الله أن يكون التكوين العضوي والنفسي للمرأة يحمل عناصر الجاذبية للرجل وقابلية الانجذاب إليه.
وركَّب الله في كل من الرجل والمرأة شَهْوة غريزية فِطرية قوية تسوقهما إلى التجاذب واللّقاء حتى تستمر الحياة ويبقى النوع.
ومن ثَمَّ يرفض الإسلام كل نظام يصادم هذه الفِطرة ويعطلها، كنظام الرهبنة.
ولكنه حظر كل تصريف لهذه الطاقة على غير ما شرعه الله ورضيه من الزواج الذي هو أساس الأسرة، ولهذا حرَّم الزنى، كما حرَّمته الأديان السماوية كلها، ونهى عن الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وسدَّ كل منفذ يؤدي إلى هذه الفواحش، حماية للرجل والمرأة من عوامل الإثارة وبواعث الفتنة والإغراء.
وعلى هذا الأساس من النظر إلى فِطرة المرأة، وما يجب أن تكون عليه في علاقتها بالرجل، يعامل بالرجل، يعامل الإسلام المرأة، ويقيم كل نظمه وتوجيهاته وأحكامه.
إنه يرعى أنوثتها الفِطرية، ويعترف بمقتضياتها فلا يكبتها ولا يصادرها، ولكنه يحول بينها وبين الطريق الذي يؤدي إلى ابتذالها، وامتهان أنوثتها، ويحميها من ذئاب البشر، وكلاب الصيد، التي تتخطف بنات حوَّاء، لتنهشها نهشاً، وتستمتع بها لحماً، ثم ترميها عظماً.
ونستطيع أن نحدد موقف الإسلام من أنوثة المرأة فيما يلي:
١ـ إنه يحافظ على أنوثتها، حتى تظل ينبوعاً لعواطف الحنان والرِّقة والجمال، ولهذا أحلَّ لها بعض ما حُرِّم على الرجال، بما تقتضيه طبيعة الأنثى ووظيفتها، كالتحلي

بالذهب، ولُبْس الحرير الخالص، فقد جاء في الحديث: "إن هذين حرام على ذُكور أمتي حِلٌ لإناثهم"٢.

كما أنه حرَّم عليها كل ما يجافي هذه الأنوثة، من التشبه بالرجال في الزي والحركة والسلوك وغيرها، فنهى أن تلبس المرأة لِبْسة الرجل، كما نهى الرجل أن يلبس لِبْسة المرأة، وجاء في الحديث: "لعن الله الرجلَ يلبس لِبْسة المرأة، والمرأة تلبس لِبْسة الرجل"٣، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، مثلما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء٤، وفي الحديث: "ثلاثة لا يدخلون الجنَّة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة_المتشبهة بالرجال_والديُّوث"٥.
والديوث: الذي لا يبالي مَن دخل على أهله.
وفي الحديث الآخر: "لعن الله الرجُلة من النساء".٦
٢- وهو يحمي هذه الأنوثة ويرعى ضعفها، فيجعلها أبداً في ظل رجل، مكفولة النفقات، مكفية الحاجات، فهي في كنف أبيها أو زوجها أو أولادها أو إخوتها، يجب عليهم نفقتها، وفق شريعة الإسلام، فلا تضطرها الحاجة القاهرة إلى الخوض في لجج الحياة وصراعها ومزاحمة الرجال بالمناكب من أجل لقمة العيش، وهو ما فعلته المرأة الغربية بحكم الضرورة، حيث لا يرعاها أب ولا ابن أخ ولا عم، فاضطرت أن تقبل أي عمل، وبأي أجر، وقاية من الهلاك.
٣- وهو يحافظ على خُلُقها وحيائها، ويحرص على سمعتها وكرامتها، ويصون عفافها من خواطر السوء، وألسنة السوء ـ فضلاً عن أيدي السوءِ ـ أن تمتد إليها.
ولهذا يوجب الإسلام عليها:
(أ) الغض من بصرها والمحافظة على عفتِّها ونظافتها: (وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (سورة النور/٣١).
(ب) الاحتشام والتستر في لباسها وزينتها دون إعنات لها، ولا تضييق عليها: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (سورة النور/٣١).
وقد فسر: (ما ظَهَرَ مِنْهَا) بالكحل والخاتم، وبالوجه والكفين، وزاد بعضهم: القدمين.
(ج) ألا تبدى زينتها الخفية_كالشَعر والعنق والنَّحر والذراعين والساقين_ إلا لزوجها ومحارمها الذين يشق عليها أن تستتر منهم استتارها من الأجانب: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهِنَّ أَو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو أَبْنَائِهِنَّ أَو أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو إِخْوَانِهِنَّ أَو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَو نِسَائِهِنَّ أَو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَو الطِّفْلِ الذَّينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) (سورة النور/٣١).
(د) أن تتوقر في مشيتها وكلامها: (وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ) (سورة النور/٣١)، (فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) (الأحزاب/٣٢). فليست ممنوعة من الكلام، وليس صوتها عورة! بل هي مأمورة أن تقول قولاً معروفاً.
(هـ) أن تتجنب كل ما يجذب انتباه الرجل إليها، ويغريه بها، من تبرج الجاهلية الأولى أو الأخيرة، فهذا ليس من خُلُق المرأة العفيفة. وفي الحديث: "أيُمَا امرأة استعطرت ثم

خرجت من بيتها ليشم الناس ريحها فهي زانية"٧. أي تفعل فعلها، وإن لم تكن كذلك، فيجب أن تتنزَّه عن هذا السلوك.
(و) أن تمتنع عن الخلوة بأي رجل ليس زوجها ولا مَحْرَماً لها، صوناً لنفسها ونفسه من هَواجس الإثم، ولسمعتها من ألسنة الزور: "لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تسافرنَّ امرأة، إلا ومعها مَحْرم"٨.
(ز) ألا تختلط بمجتمع الرجال الأجانب إلا لحاجة داعية، ومصلحة معتبرة، وبالقدر اللازم، كالصلاة في المسجد، وطلب العلم، والتعاون على البر والتقوى، بحيث لا تُحرم المرأة من المشاركة في خدمة مجتمعها، ولا تنسى الحدود الشرعية في لقاء الرجال.
إنَّ الإسلام بهذه الأحكام يحمي أُنوثة المرأة من أنياب المفترسين من ناحية، ويحفظ عليها حياءها وعفافها بالبُعْد عن عوامل الانحراف والتضليل من ناحية ثانية، ويصون عِرْضها من ألسنة المفترين والمرجفين من ناحية ثالثة، وهو ـ مع هذا كله ـ يحافظ على نفسها وأعصابها من التوتر والقلق، ومن الهزَّات والاضطرابات، نتيجة لجموح الخيال، وانشغال القلب، وتوزع عواطفه بين شتَّى المثيرات والمهيِّجات.
وهو أيضاً ـ بهذه الأحكام والتشريعات ـ يحمي الرجل من عوامل الانحراف والقلق، ويحمي الأُسرة من أسباب التفكك، ويحمي الأُسرة من أسباب التفكك، ويحمي المجتمع كله من عوامل السقوط والانحلال.
* الاختلاط المشروع:
دخلت مجتمعنا الحديث كلمات أصبح لها دلالات لم تكن لها من قبل. من ذلك كلمة "الاختلاط" بين الرجل والمرأة. فقد كانت المرأة المسلمة ـ في عصر النبوة وعصر الصحابة والتابعين ـ تلقى الرجل، وكان الرجل يلقى المرأة، في مناسبات مختلفة، دينية ودنيوية، ولم يك ذلك ممنوعاً بإطلاق، بل كان مشروعاً إذا وُجِدت أسبابه، وتوافرت ضوابطه، ولم يكونوا يسمون ذلك "اختلاطاً".
ثم شاعت هذه الكلمة في العصر الحديث ـ ولا أدري متى بدأ استعمالها ـ بما لها من إيحاء، ينفر منه حس المسلم والمسلمة؛ لأن خلط شيء بشيء يعني إذابته فيه، كخلط الملح أو السكر بالماء.
المهم أن نؤكد هنا أن ليس كل اختلاط ممنوعاً، كما يتصور ذلك ويُصورِّه دعاة التشديد والتضييق، وليس كذلك كل اختلاط مشروعاً، كما يروِّج لذلك دعاة التبعية والتغريب.
والذي أود أن أذكره هنا: أنَّ الواجب علينا أن نلتزم بخير الهَدْى، وهو هَدْى محمد صلى الله عليه وسلم، وهَدْى خلفائه الراشدين، وأصحابه المهديين، الذين أُمِرنا أن نتبع سُنَّتهم، وأن نعض عليها بالنواجذ، بعيداً عن نهج الغرب المتحلل، ونهج الشرق المتشدد.
والمتأمل في خير الهَدْى يرى: أن المرأة لم تكن مسجونة ولا معزولة، كما حدث ذلك في عصور تخلف المسلمين.
فقد كانت المرأة تشهد الجماعة والجمعة، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها: صلاة العشاء وصلاة الفجر، وكان عليه الصلاة والسلام يحثهن على أن

يتخذن مكانهن في الصفوف الأخيرة خلف صفوف الرجال، وكلما كان الصف أقرب إلى المؤخرة كان أفضل، خشية أن تظهر من عورات الرجال شيء، وكان أكثرهم لا يعرفون السراويل، ولم يكن بين الرجال والنساء أي حائل من بناء أو خشب أو نسيج، أو غيره....

وكانوا في أول الأمر يدخل الرجال والنساء من أي باب اتفق لهم، فيحدث نوع من التزاحم عند الدخول والخروج، فقال عليه الصلاة والسلام: "لو تركنا هذا الباب للنساء"٩، فخصَّصوه بعد ذلك لهن، وصار يُعرف إلى اليوم باسم "باب النساء".

وكان النساء في عصر النبوة يحضرن الجمعة، ويسمعن الخُطبة، حتى إنَّ إحداهن حفظت سورة "ق" من فِي رسول الله صلى الله عليه وسلم من طول ما سمعتها من فوق منبر الجمعة.

وكان النساء يحضرن كذلك صلاة العيدين، ويشاركن في هذا المهرجان الإسلامي الكبير، الذي يضم الكبار والصغار، والرجال والنساء، في الخلاء مهلّلين مكبِّرين.

روى مسلم عن أم عطية قالت: "كنا نؤمر بالخروج في العيدين، والمخبأة والبِكر".

وفي رواية قالت: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرجهن في الفِطر والأضحى: العواتق والحُيَّض وذوات الخدور، فأما الحُيَّض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله؛ إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: "لِتُلْبِسْهَا أختها من جلبابها"١٠.

وهذه سُنَّة أماتها المسلمون في جُلِّ البلدان أو في كلها، إلا ما قام به مؤخراً شباب الصَحْوة الإسلامية الذين أحيوا بعض ما مات من السُنَن مثل سُنَّة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وسُنَّة شهود النساء صلاة العيد. وذلك في بعض البلدان الإسلامية التي قويت فيها الصَحْوة وارتفعت رايتها.

وكان النساء يحضرون دروس العلم، مع الرجال عند النبي صلى الله عليه وسلم، ويسألن عن أمر دينهن مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم، حتى أثنت عائشة على نساء الأنصار، أنهن لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، فطالما سألن عن الجنابة والاحتلام والاغتسال والحيض والاستحاضة ونحوها.

ولم يشبع ذلك نهمهن لمزاحمة الرجال واستئثارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلبن أن يجعل لهن يوماً يكون لهنَّ خاصة، لا يغالبهنَّ الرجال ولا يزاحمونهم وقلن في ذلك صراحة: "يا رسول الله؛ قد غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك" فوعدهنَّ يوماً، فلقيهنَّ فيه ووعظهنَّ وأمرهنَّ١١.

وتجاوز هذا النشاط النسائي إلى المشاركة في المجهود الحربي في خدمة الجيش والمجاهدين، بما يقدرنَ عليه ويحسنَّ القيام به، من التمريض والإسعاف، ورعاية الجرحى والمصابين، بجوار الخدمات الأخرى من الطهي والسقي وإعداد ما يحتاج إليه المجاهدون من أشياء مدنية.

عن أم عطية قالت: "غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى"١٢.

وروى مسلم عن أنس: "أن عائشة وأم سليم، كانتا في يوم أُحُد" مشمِّرتين، تنقلان القِرَب على متونهما (ظهورهما) ثم تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان

فتملآنها"١٣، ووجود عائشة هنا ـ وهي في العقد الثاني من عمرها ـ يرد الذين ادّعوا أنَّ الاشتراك في الغزوات والمعارك كان مقصوراً على العجائز والمتقدمات في السن، فهذا مُسَلَّم. وماذا تغني العجائز في مثل هذه المواقف التي تتطلب القدرة البدنية والنفسية معاً؟

وروى الإمام أحمد: أنَّ ست نسوة من نساء المؤمنين كنَّ مع الجيش الذي حاصر "خيبر": يتناولن السهام، ويسقين السويق، ويداوين الجرحى، ويغزلن الشَّعر، ويعنَّ في سبيل الله، وقد أعطاهنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نصيباً من الغنيمة١٤.

بل صحّ أن نساء بعض الصحابة شاركن في بعض الغزوات والمعارك الإسلامية بحمل السلاح، عندما أُتيحت لهنَّ الفرصة، ومعروف ما قامت به أُم عمارة نسيبة بنت كعب يوم "أُحُد" حتى قال عنها صلى الله عليه وسلم: "لمقامها خير من مقام فلان وفلان"١٥.

وكذلك اتخذت أم سليم خنجراً يوم "حُنَين"، تبقر به بطن مَن يقترب منها.

روى مسلم عن أنس ابنها: أنَّ أُم سليم اتخذت يوم "حُنَين" خنجراً، فكان معها، فرآها أبو طلحة (زوجها) فقال: يا رسول الله؛ هذه أُم سليم معها خنجر! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا الخنجر"؟ قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد المشركين بقرتُ به بطنه! فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك١٦.

وقد عقد البخاري باباً في "صحيحه" في غزو النساء وقتالهن.

ولم يقف طموح المرأة المسلمة في عهد النبوة والصحابة للمشاركة في الغزو عند المعارك المجاورة والقريبة في الأرض العربية كخبير وحُنَين، بل طمحن إلى ركوب البحار، والإسهام في فتح الأقطار البعيدة لإبلاغها رسالة الإسلام.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عند أُم حرام بنت ملحان (خالة أنس) يوماً، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أُمتي عُرِضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكاً على الأسِرَّة ـ أو مثل الملوك على الأسِرَّة"، قالت: فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها١٧.. فركبت أُم حرام البحر في زمن عثمان، مع زوجها عبادة بن الصامت إلى قبرص، فصُرِعت عن دابتها هناك، فتوفيت ودُفِنت هناك، كما ذكر أهل السير والتاريخ.

وفي الحياة الاجتماعية شاركت المرأة داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، كما قال تعالى: (وَالمُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ...) (التوبة/٧١).

ومن الوقائع المشهورة رد إحدى المسلمات على عمر في المسجد في قضية المهور، ورجوعه إلى رأيها علناً، وقوله: "كل الناس أفقه من عمر"!. وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة النساء ونسبها إلى أبي يعلى في مسنده، وقال: إسنادها جيد قوي١٨.

وفي رواية عند عبد الرزاق أن عمر قال: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته١٩!: أي غلبته.

وقد عيَّن عمر في خلافته الشِفاء بنت عبد الله العدوية محتسبة على السوق. والمتأمل في القرآن الكريم وحديثه عن المرأة في مختلف العصور، وفي حياة الرسل والأنبياء لا يشعر بهذا الستار الحديدي الذي وضعه بعض الناس بين الرجل والمرأة.

فنجد موسى - وهو في ريعان شبابه وقوّته - يحادث الفتاتين ابنتي الشيخ الكبير، ويسألهما وتجيبانه بلا تأثم ولا حَرَج، ويعاونهما في شهامة ومروءة، وتأتيه إحداهما بعد ذلك مرسلة من أبيها تدعوه أن يذهب معها إلى والدها، ثم تقترح إحداهما على أبيها بعد ذلك أن يستخدمه عنده؛ لما لمست فيه من قوة وأمانة.

لنقرأ في ذلك ما جاء في سورة القصص: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَئْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَئْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) (سورة القصص/٢٣-٢٦).

وفي قضية مريم نجد زكريا يدخل عليها المحراب، ويسألها عن الرزق الذي يجده عندها: (كلما دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالتَ هُوَ مِنَ عِنَد اللهِ أَنَّ اللهَ يَرْزُقُ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (سورة آل عمران/٣٧).

وفي قصة ملكة سبأ نراها تجمع قومها تستشيرهم في أمر سليمان:

(قَالَت يَأَيُّهَا المَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ، قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) (سورة النمل/٣٢-٣٤).

وكذلك تحدَّثت مع سليمان عليه السلام وتحدَّث معها: (فلما جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا العِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ، وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ) (سورة النمل/٤٢-٤٤).

ولا يُقال: إنَّ هذا شرع مَن قبلنا فلا يلزمنا؛ فإنَّ القرآن لم يذكره لنا إلا لأن فيه هداية وذكرى وعبرة لأُلى الألباب، ولهذا كان القول الصحيح: أنَّ شرع مَن قبلنا المذكور في القرآن والسُّنَّة هو شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه. وقد قال تعالى لرسوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (سورة الأنعام/٩٠).

إنَّ إمساك المرأة في البيت، وإبقاءها بين جدرانه الأربعة لا تخرج منه اعتبره القرآن - في مرحلة من مراحل تدرج التشريع قبل الفاحشة من نساء المسلمين، وفي هذا يقول تعالى في سورة النساء: (وَالَّتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَربَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهُنَّ المَوْتُ أو يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً) (سورة النساء/١٥).

وقد جعل الله لهنَّ سبيلاً بعد ذلك حينما شرع الحد، وهو العقوبة المقدَّرة في الشرع حقاً لله تعالى، وهي الجَلْد الذي جاء به القرآن لغير المحصن، والرجم الذي جاءت به السُّنَّة للمحصن.
فكيف يستقيم في منطق القرآن والإسلام أن يُجعل الحبس في البيت صفة ملازمة للمسلمة الملتزمة المحتشمة، كأننا بهذا نعاقبها عقوبة دائمة وهي لم تقترف إثماً؟
والخلاصة: أنَّ اللّقاء بين الرجال والنساء في ذاته إذن ليس محرَّماً، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل، من علم نافع أو عمل صالح، أو مشروع خير، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهوداً متضافرة من الجنسين، ويتطلب تعاوناً مشتركاً بينهما في التخطيط والتوجيه والتنفيذ.

هوامش
١ ملحوظة: يجب توضيح وتقييد هذا المعنى بأن قصد المؤلف أنه لا يجوز إجبار أحد على الدخول في الإسلام، ولكن بالنسبة للذين أسلموا أي المسلمين بالفعل فإنه لا يجوز للمسلم أن يبدل دينه ويرتد عن الإسلام فهو ملتزم به أمام الله والشريعة.
٢ رواه ابن ماجه ج ٢، برقم (٣٥٩٥) عن عليّ، وهو صحيح بجموع طرقه.
٣ رواه عن أبي هريرة: أبو داود (٤٠٩٨)، ونسبه المنذري للنسائي أيضاً، كما رواه أحمد: ٣٢٥/٢، وابن حِبَّان في صحيحه (الإحسان ١٩٠٤) والحاكم وصححه على شرط مسلم: ١٩٤/٤، ووافقه الذهبي.
٤ رواه عن ابن عباس البخاري في كتاب اللّباس، كما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير (٥١٠٠).
٥ رواه أحمد عن ابن عمر، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح (١٦٨٠)، ورواه النسائي: ٨٠/٥، والحاكم وصححه: ٧٢/١ بلفظ: "رَجُلة النساء"، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين ورجالهما ثقات: ١٤٨،١٤٧/٨.
٦ رواه أبو داود عن عائشة، صحيح الجامع الصغير (٥٠٩٦).
٧ رواه أبو داود عن أبي موسى (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي ج٨ ص١٥٣ في كتاب الزينة، ولفظه: "أيما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية".
٨ متفق عليه عن ابن عباس، اللؤلؤ والمرجان (٨٥٠).
٩ رواه أبو داود، جـ١ برقم (٤٦٢) عن أبن عمر، وفي رواية أخرى لأبي داود (٤٦٣) أن قائل ذلك هو عمر،قال وهو أصح.
١٠ أي تعيرها من ثيابها ما تستغني عنه، والحديث في كتاب "صلاة العيدين" في صحيح مسلم، جـ١، حديث رقم (٨٩٠).
١١ رواه البخاري في كتاب "العلم" من صحيحه: ٣٤/١، عن أبي سعيد.
١٢ رواه مسلم برقم (١٨١٢).
١٣ رواه مسلم برقم (١٨١١).
١٤ رواه أحمد: ٢٧١/٥، ٣٧١/٦، وأبو داود جـ٣ برقم (٢٧٢٩).
١٥ الطبقات: ٤١٥/٨، وسير أعلام النبلاء: ٢٧٨/٢ـ٢٧٩.

١٦ رواه مسلم برقم (١٨٠٩).
١٧ انظر الحديث رقم (١٩١٢) من صحيح مسلم.
١٨ تفسير ابن كثير: ٤٦٧/١، طبعه عيسى الحلبي، وأوردها الهيثمي في المجمع وقال: فيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وثق: ٤/. ٢٨٤
١٩ ذكرها ابن كثير أيضاً، المصدر السابق، وانظر: المصنف: ١٨٠/٦ برقم (١٠٤٢٠).

المصدر: السياسة الشرعية

==============

) قضية الحريات [الكاتب: عبد الآخر حماد الغنيمي]

هى النقطة الأخيرة في مناقشتنا لحكم لديمقراطية في الإسلام، حيث نرى الديمقراطية الغربية تفتح للناس باب الحريات على مصراعيه حتى لتكاد تكون بلا ضوابط.

ولا شك أن الإسلام هو دين الحرية بمعناها الصحيح إذ يضع الضوابط المثلى لممارسة الحريات، الأمر الذي لا يرضى به الديمقراطيون، وأضرب لذلك مثالاً واحداً وهو حرية الاعتقاد ففي ظل الديمقراطية يحق للإنسان طبقا لحرية الاعتقاد أن يغير عقيدته فينسلخ من دينه إلى دين جديد أو إلى لا دين.

أما حرية الاعتقاد في الإسلام فهي تختلف عن ذلك فالنصراني مثلاً يمكنه أن يبقى في دار الإسلام على دينه وهو آمن على نفسه وماله بشرط أن يؤدي ما يجب عليه طبقا للنظام الإسلامي، أما المسلم فليس له أن يغير دينه فيصير نصرانياً مثلا بدعوى حرية الاعتقاد، ومن فعل ذلك فحكمه في الشرع معروف: يستتاب وإلا قتل، ونحن نجد دعاة العلمانية في مصر مثلاً تثور ثائرتهم لمجرد الإشارة لمثل هذه القضية - قضية حد الردة - ويرون فيها نوعاً من الحجر على الحريات حتى اعتبر أحدهم(١٧) مسألة تغيير الدين حقاً يجب أن يتساوى فيه الجميع واستنكر أن يكون للقبطي الحق في تغيير عقيدته بينما يرفض ذلك الحق بالنسبة للمسلم ويقول: ((وقد سألت مرة العالم الجليل الدكتور فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق كيف يا سيدنا تطالبون بإعدام من يغير دينه من المسلمين لأي سبب؟ قال لي: لأنه أما وقد اختار الدين الإسلامي فيستحق العقاب إذا تركه. قلت: ومن قال إن ٩٠% من المسلمين قد اختاروا أن يكونوا مسلمين، نحن لم نكن كفاراً حتى أسلمنا لقد ولدنا ووجدنا أنفسنا مسلمين حسب شهادة ميلاد آبائنا وكذلك المسيحيون واليهود، وإذا كنت ترى أن من حقي أن أختار أن أكون مسلماً فلماذا لا تسمح للإنسان أن يختار غير ذلك؟)) (١٨)

وهذا الباطل الذي يقول به ذلك الكاتب وأمثاله سببه ما أشربوه من فهم مغلوط لعدة قضايا: فَهُم لم يفهموا الدين إلا أنه علاقة بين العبد وبين إلهه يختار لها الفرد أي صورة يشاء، ثم فهموا قضية الحريات على أنها مطلقة - على الأقل في باب الاعتقاد - فبنوا على ذلك أن للإنسان أن يغير اختياره متى شاء ولا يصح أن يحجر عليه أحد في ذلك الاختيار، ناهيك عن فهمهم لقضية المساواة بين الأديان والمعتقدات التي تجعلهم لا يفرقون بين دين هو الحق وبين أديان باطلة لا يرضاها الله عز وجل.

وهذا مثال واحد من أمثلة الخلاف بين الإسلام والديمقراطية في باب الحريات وغيره كثير.

----

(١٧) هو الكاتب اليساري عبد الستار الطويلة في كتابه أمراء الإرهاب ص ٣٤.
(١٨) المصدر السابق ص: ٣٤-٣٥.

===============

سنة كلها تشريع [الكاتب: يحيى هاشم حسن فرغل] موضوع السنة من الموضوعات القديمة الجديدة التي يحوم حولها أعداء الإسلام قديما، وحديثا ؛ يحاولون أن ينفذوا منها إلى هدم الشريعة ثم هدم الإسلام برمته، والمقصود بالسنة هنا أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته

وهي تتضمن الأحكام الشرعية الخمسة من الفرضية مثل صوم رمضان، أو الوجوب مثل صلاة الوتر عند الحنفية، ومن السنية أو الندب أوالاستحباب مثل صوم ست من شعبان، ومن التحريم مثل أكل الربا، ومن الكراهية التحريمية أو التنزيهية مثل أكل الثوم عند صلاة الجمعة، ومن الإباحة مثل البيع والشراء.

منذ زمن طويل أطلت برأسها فتنة الاكتفاء بالقرآن الكريم: قال رجل لعمران بن حصين لا تتحدث معنا إلا بالقرآن فقال له عمران: إنك لأحمق، هل في القرآن بيان عدد ركعات الفرائض أو اجهروا في كذا دون كذا؟ فقال الرجل لا، فأفحم الرجل.

وروى البيهقي أيضا في باب صلاة المسافر من سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سئل عن قصر الصلاة في السفر وقيل له: إنا لنجد في الكتاب العزيز صلاة الخوف ولا نجد صلاة السفر فقال للسائل: يا أخي: إن الله تعالى أرسل إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا، وإنما نفعل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله، قصر الصلاة في السفر سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم [١].

واليوم فإن من أظهر ما يدل على مدى التمزق والحيرة التي أصابت الساحة الثقافية – بفضل حركة التنوير - هو ما عليه المسلمون اليوم بالنسبة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهم اليوم أربعة أصناف متناحرة:

- صنف يتطرف برفض السنة كلها وهؤلاء خارجون عن الملة بالكلية.
- وصنف يأخذون بها جميعا ولكنه يتطرف فلا يفرق بين ما هو فرض ومندوب، وحرام ومكروه من الأحكام الخمسة.
- وصنف يزعم أن فيها ما هو للتشريع فيأخذ به وما ليس في التشريع فلا يأخذ به.
- وصنف يأخذ بالسنة كلها وأنها كلها تشريع يتفاوت حكمه بين الفرض والمندوب والتحريم والكراهة والإباحة.

أما الصنف الأول: الذي يزعم أنه يكتفي بالقرآن ولا يتقيد بالسنة فأمره واضح بين، إذ هو لا يلتزم بالسنة ولا بالقرآن معا، لأنه لوا التزم بالقرآن لالتزم بالسنة نزولا عند قوله تعالى: { من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا }،

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }، { وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى }.
وفي سنن ابي داود بسنده عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه)).
هؤلاء أمرهم بين، ينتسبون إلى الإسلام زورا وبهتانا.
يقول الإمام الشعراني: (سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: لولا أن السنة بينت لنا ما أجمل في القرآن ما قدر أحد أن يستخرج أحكام المياه والطهارة، ولا عرف كيف يكون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء أربعا، ولا كون المغرب ثلاثا، ولا كان أحد يعرف ما يقال في دعاء التوجه والافتتاح، ولا عرف صفة التكبير، ولا أذكار الركوع والسجود، والاعتدالين، ولا ما يقال في جلوس التشهدين ولا كان يعرف كيفية صلاة العيدين والكسوفين، ولا غيرهما من الصلوات كصلاة الجنازة، والاستسقاء، ولا كان يعرف الزكاة ولا أركان الصيام والحج، والبيع والنكاح والجراح والأقضية وسائر أبواب الفقه).
الصنف الثاني: وهو من يذهب إلى الطرف الآخر من القضية في أقصاه، فيلتزم بالسنة التي هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، ولكنه لا يفرق فيها بين الأحكام الشرعية الخمسة التي قدمناها فيخلط بين الفرض والمندوب، فيراه فرضا كله والمكروه والمحرم فيراه محرما كله، ويدخل المباح تارة هنا وتارة هناك.
فهؤلاء - مثلا – يستمعون إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في لعق الأصابع عند الأكل فيأخذون بذلك في جميع الأحوال كأنه فرض، ويستمعون إلى سنته صلى الله عليه وسلم في التوضؤ بحفنة من الماء فيأخذون بذلك في جميع الأحوال كأنه فرض كذلك.

لابد من النظر في ضوء أصول الفقه في تحديد معنى الأمر ومعنى النهي ومعنى الوجوب ومعنى الإباحة إلخ.
وفي ضوء أسباب الواقعة، التي تفسر معناها ولا تحبسه، يقول أستاذنا الدكتور موسى شاهين لاشين في بحثه القيم الذي اعتمدنا عليه في هذه المقال:
نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ بالمد أي بحفنة من الماء، وكان يغتسل بأربع حفنات فهذا تشريع ولكنه ليس للوجوب بالذات، وإنما هو يدور بين الوجوب والندب والإباحة بحسب الظروف، والملابسات. ولو عاش صلى الله عليه وسلم على ضفاف نهر مثلا لتوضأ بأكثر من حفنة ماء، ولاغتسل بأكثر من أربع حفنات.
وكان صلى الله عليه وسلم يعد سلاحه لملاقاة الأعداء بالسيف والرمح والنبل، فهذا تشريع ولكنه ليس للوجوب بالذات، ولكنه يدور بين أحكام الشريعة الخمس، بحسب

الملابسات، ولو عاش في زماننا لما قصر صلى الله عليه وسلم عن الإعداد بأقصى مظاهر القوة العسكرية الحديثة.
إن بعض مشكلات الإسلام اليوم هي في بعض أهله ممن يفرطون، أو يفرطون، فليس من الإسلام في شيء ما نسمع عنه اليوم من أن بعض الدعاة يذهب إلى أوربا أو أمريكا ليدعو إلى الإسلام فيأكل على الأرض، وبالأصابع، فالحق أن هذا تنفير من الإسلام وليس دعوة إليه ولا فهما له.
إن مشكلة الإسلام مع هؤلاء في أنهم يدخلون جميع أفعاله صلى الله عليه وسلم في باب الوجوب أو الإلزام، بينما هي قد تكون من التشريع بالندب، أو من التشريع بالإباحة، أو غير ذلك من أحكام التشريع.
والصنفان السابقان: من يرفضون السنة جملة وتفصيلا، ومن يأخذون بها دون تفرقة بين الأحكام الشرعية الخمسة ـ أمرهما هين في كشف خطرهما أو انحرافهما، فالأول الذي ينكر السنة في باب التشريع إجمالا، كافر غير مسلم، والثاني الذي لا يميز فيها بين الفرض والمندوب والمحرم والمكروه والمباح أمره خطير ولكنه أقل خطرا من أولئكم. فهم مسلمون متشددون فيما لا موضع للتشديد فيه، ويمكن كشف خطرهما بشيء من الفقه والتعليم.

وهناك صنف ثالث: برز في العقود الأخيرة يزعم أن منها ما هو للتشريع فيؤخذ به، ومنها ما هو لغير التشريع فلا يؤخذ به، وهذه مقولة بالغة الخطر، وخطرها من نعومتها وشدة التلبيس فيها.
يقول الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ردا على هؤلاء مبينا أن السنة كلها تشريع: " ولم يخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين طوال أربعة عشر قرنا، حتى كان النصف الثاني للقرن الرابع عشر للهجرة، فكان أول من قسم السنة إلى تشريع وغير تشريع فضيلة الشيخ محمود شلتوت في كتابه " الإسلام عقيدة وشريعة ".
يذهب الشيخ شلتوت: إلى أن ما ورد من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته قد يأتي بعضه: على ما سبيله سبيل الحاجة البشرية كالأكل والشرب والمشي والتزاور والمصالحة بين شخصين. وما سبيله التجارب والعادة الشخصية، أو الاجتماعية كالذي ورد في شئون الزراعة والطب وطول اللباس أو قصره. وما سبيله التدبير الإنساني في ظروف خاصة كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية. وكل هذه الأنواع ليس شرعا يتعلق به طلب الفعل أو تركه، وإنما هو من الشئون البشرية التي ليس مسلك الرسول فيها صلى الله عليه وسلم " تشريعا ولا مصدر تشريع ".
ويقول الشيخ موسى شاهين لاشين: وعن الشيخ شلتوت أخذ كثير من المعاصرين فيما كتبوه عن السنة وتقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية. والذين ساروا في ركاب الشيخ شلتوت هم حتى اليوم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة.وهؤلاء بحسن نية في بعض الأحيان يفتحون في الشريعة الإسلامية ثغرة يحسبونها هينة وهي منفذ خطير لأعداء الشريعة الإسلامية.

خصوصا وأن القضية بدأت أولا ؛ بإخراج ما سبيله الحاجة البشرية كالأكل والشرب من التشريع، ثم انتهت إلى إخراج كل ما يتعلق بالمعاملات التي لم ترد في القرآن الكريم، فيذهبون إلى أن المعاملات في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست خاضعة للتشريع، وإنما هي صادرة عن اجتهادات بشرية يجوز لمن يأتي بعده أن يجتهد مثله، وأن يخالفه في أفعاله وتقريراته وأفعاله وبخاصة ما جاء منها في المعاملات التي لم ترد في القرآن الكريم - ولو أدى اجتهاده إلى غير ما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم باجتهاده - وفقا لعبارة الدكتور عبد المنعم النمر في كتابه " السنة والتشريع ص ٤٦ " ويحصر السنة التشريعية في دائرة ضيقة بقوله: (نسارع فنقرر أن كل ما صدر عن الرسول من شئون الدين والعقيدة والعبادة والحلال والحرام والعقوبات والأخلاق والآداب لا شأن لنا به إلا من ناحية فهمه)، ثم يقول: (لكن هناك أحاديث كثيرة تتصل بمعاملات الناس في الحياة من بيع وشراء ورهن وإجارة وقراض وسلم)، كل ذلك لا يراه من التشريع وإن جاء في السنة، ثم يقرر أن المعاملات تخضع في الإسلام أولا وأخيرا لمبدأ المصلحة. وعلى هذا النحو جاءت كتابات العلمانيين من نحو نور فرحات، ومحمد خلف الله أحمد، وحسين أحمد [٢]

وهو لم يكتف بما اكتفى به الشيخ شلتوت من إخراج ما سبيله الحاجة البشرية كالأكل والشرب، وإنما أخرج المعاملات جميعا، ولم يفرق في ذلك بين واجب ومندوب، أو مباح ومحرم، أو مكروه، وحكم على ما يقرب من نصف السنة بأنه ليس من التشريع.

ومن الواضح ما يمثله هذا التوجه من خطر على الشريعة الإسلامية: ينسفها أولا في المعاملات، ويبقيها في العبادات ليجهز بعد ذلك على المعاملات والعبادات جميعا.

وهذه هي الغاية التي تنتهي إليها العلمانية في أقصى حالاتها. وهؤلاء يأتي الرد عليهم بعد نبذة سريعة عن الصنف الرابع.

الصنف الرابع: وهم المسلمون منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريب من عهدنا الحاضر، فهؤلاء يؤمنون بأن السنة كلها تشريع: إيمانا بما جاء عن ذلك في القرآن الكريم: { وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما }، { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب }، { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا }، { وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى }.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق: (كل ما تلفظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم – ما عدا القرآن – أو ظهر منه من ابتداء رسالته إلى نهاية حياته فهو من سنته، سواء ما أثبت حكما عاما لسائر أفراد الأمة، وهذا هو الأصل، أو ما أثبت حكما خاصا به أو ببعض أصحابه، وسواء أكان فعله جبليا أم كان غير جبلي، من قول أو فعل يصدر عنه إلا ويثبت حكما شرعيا، بقطع النظر عن كونه إيجابا أو ندبا أو تحريما أو كراهة أو إباحة).

يقول ابن تيمية رحمه الله: (كل ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم – بعد النبوة – أو أقرعليه أو فعله ولم ينسخ فهو تشريع. والتشريع يتضمن الإيجاب والتحريم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب، فإنه يتضمن إباحة الدواء، والانتفاع به فهو شرع لإباحته، وقد يكون شرعا لاستحبابه، والمقصود أن جميع أقواله يستفاد منه شرع).

لقد ذهب جمهور الأصوليين إلى أن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدل – على الأقل – على الإذن به، مطلق الإذن الذي يشمل الوجوب والندب والإباحة، ما لم يوجد دليل على تعيين واحد منها. وقال بعضهم: يفيد الوجوب ما لم توجد قرينة مانعة منه. وقال بعضهم يفيد الاستحباب ما لم توجد قرينة مبينة للوجوب. ومن ذلك يتبين الإجماع على كونه تشريعا.

إن أظهر ما يستدل به القائلون بأن بعض السنة ليس تشريعا هو ما يذكرونه في باب الأكل والشرب ؛ يقولون: إن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكل والشرب هي من باب الجبلة أو العادة والتجربة. فهي ليست تشريعا. وهو كلام منمق يتبين بطلانه بعد الفحص والنظر. فإذا ظهر بطلان دعواهم فيما جاء عن الأكل والشرب ظهر بطلان دعواهم في القضية كلها. وتبين رسوخ ما عليه جماعة المسلمين من كون السنة كلها تشريعا.

لقد حرم الله الميتة ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) فمن الذي أحل السمك الميت – وها نحن في قلب مسألة الأكل والشرب –؟

أليس هذا تشريعا؟

كيف يكون ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأكل والشرب صلى الله عليه وسلم في الأكل والشرب ليس تشريعا مع أن الله سبحانه وتعالى يقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) ١٥٧ الأعراف، أليس فعله صلى الله عليه وسلم أو قوله أو تقريره يعطي حكما شرعيا أقله رفع الحرج عن فعله؟ أكله صلى الله عليه وسلم للقثاء بالرطب ألا يفيد هذا إباحة هذا الفعل؟ أو لا يفيد؟ ألا يفيد هذا جواز الجمع بين لونين من الطعام؟ أو لا يفيد؟ وإليكم طائفة مما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأكل والشرب، بعضها واجب وبعضها مندوب:

فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: (كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك) كيف لا يكون هذا تشريعا يدخل في أحد الأحكام الخمسة؟

وفي ذم الشره والتنفير من الجشع في الأكل يقول صلى الله عليه وسلم: (المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء) [أخرجه البخاري]، كيف لا يكون هذا تشريعا يدخل في أحد الأحكام الخمسة؟

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن " الكرع " وهو الشرب منكفئا على الإناء وتناول الشراب بالفم كما تشرب البهائم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مررنا

على بركة فجعلنا نكرع فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تكرعوا ولكن اغسلوا أيديكم ثم اشربوا بها) [أخرجه ابن ماجة]، أليس هذا تشريعا يدخل في أحد الأحكام الخمسة؟

ونهى صلى الله عليه وسلم عن اختنات الأسقية – أي الشرب من الإناء الكبير – منعا من توارد الأفواه على المكان الواحد في الإناء، فعن عائشة رضي الله عنها (نهى صلى الله عليه وسلم أن يشرب من في السقاء – أي فم السقاء – لأن ذلك ينتنه) [أخرجه الحاكم بسند قوي]، أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء عند الشرب فقال: (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الماء) [أخرجه البخاري]. أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

ونهى صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الشراب عند الشرب فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ قال: (اهرقها). قال: فإني لا أروى من نفس واحد؟ قال: (فأين القدح إذن عن فيك) [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]. أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

ونهى صلى الله عليه وسلم عن الشرب في آنية الذهب والفضة. [أخرجه البخاري] أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

وأمر صلى الله عليه وسلم بتغطية أواني الطعام والشراب فقال: (أطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمروا الأطعمة والشراب) أي غطوها [أخرجه البخاري]، أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

ونهى صلى الله عليه وسلم عن الأكل من وسط الإناء فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافته، ولا تأكلوا من وسطه " [أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح]. أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

ورغب صلى الله عليه وسلم في المواساة بالطعام والمشاركة فيه والاجتماع عليه فقال: (طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية) [أخرجه مسلم]، أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

وحفاظا منه صلى الله عليه وسلم على أحاسيس الآخرين نجده صلى الله عليه وسلم: ما عاب طعاما قط، كان إذا اشتهى شيئا أكله وإن كرهه تركه، أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟ وقد اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا – في المسجد – لا يدخل عليهن بيوتهن – [أخرجه البخاري] أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

ولم يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة له ولا خادما قط [أخرجه أحمد]، أليس هذا تشريعا بأحد الحكام الخمسة؟

وكان صلى الله عليه وسلم يتوضأ بحفنة من الماء وغيره يتوضأ بعشر حفنات [أخرجه البخاري] أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي في الليل إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة [أخرجه البخاري]، أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وكان صلى الله عليه وسلم يصوم في السفر وبعض أصحابه يفطر، وكان يفطر وبعض أصحابه يصوم، كما أخرجه البخاري، أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتلحي في العمة – أي بتطويقها تحت الحنك – كما ذكره ابن قتيبة، أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وقد يحزن صلى الله عليه وسلم فيأتي في حزنه بما لا يعتبر واجبا ولكنه يعتبر تشريعا بالإباحة كالبكاء ودمع العينين.

وقد يضحك فيأتي في ضحكه بما يعتبر تشريعا بالتبسم صلى الله عليه وسلم، أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وقد يعبس صلى الله عليه وسلم أليس هذا تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وقد يغضب صلى الله عليه وسلم فيأتي في غضبه بما يعتبر تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وقد ينسى صلى الله عليه وسلم فيأتي بعد نسيانه بما يعتبر تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وإن ما يجري في الأكل والشرب يجري مثله في الأفعال الجبلية أو العادية الأخرى له صلى الله عليه وسلم كاللباس فلبسه صلى الله عليه وسلم للإزار، والرداء، والجبة الشامية، والقميص، والبرنس، والسراويل والعمامة، وتقنع، وعصب رأسه بخرقة فوق العمامة، ولبس على رأسه المغفر، والعمامة السوداء، والبردة النجرانية، والحبرة، والبردة اليمانية والشملة إلخ... أفلا يعتبر ذلك تشريعا بأحد الأحكام الخمسة؟

وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤمنون بذلك - أي بأن أفعاله تشريع -: لبس نعله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فلبسوا نعالهم، فلما خلع نعله – لسبب لا يعلمونه – خلعوا نعالهم.

ولما رأوه صلى الله عليه وسلم يمتنع عن أكل الثوم امتنعوا حتى أباح لهم.

ولما رأوه صلى الله عليه وسلم يمتنع عن أكل الضب – لسبب لا يعلمونه أيضا – أوشكوا أن يمتنعوا حتى أباح لهم.

وكانوا في الأفعال الجبلية يقضون حاجاتهم جماعات يرى بعضهم بعضا ويكلم بعضهم بعضا، فعلمهم التواري والتستر وعدم الكلام، وكان بعضهم يبول قائما فعلمهم الجلوس. [أخرجه النسائي وابن ماجة].

وإذا كان بعض الصحابة لم يصبغوا شيبتهم – مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى ذلك – مخالفة لليهود والنصارى – فليس معنى هذا أن سنته صلى الله عليه وسلم في ذلك ليست تشريعا بالمعنى العام، ولكن معناه أنه ليس تشريعا بالوجوب، ويظل بعد ذلك داخلا في التشريع بالندب أو التشريع بالإباحة

أليس إذا اختلف أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في فعل من الأفعال أنه محظور أو مباح ثم نقل الناقل في موضوع اختلافهم فعلا للنبي صلى الله عليه وسلم، ألا يدل ذلك على حسم الخلاف؟

وكانوا لا يؤاكلون الحائض ولا يأكلون مما عملت يداها ولا يخالطونها ولا يلامسونها فكان هو صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك كله – كما أخرجه مسلم – تشريعا بالإباحة؟
أليست الإباحة من أقسام الحكم الشرعي:
طبقا لتعريف الحكم الشرعي كما عرفه الأصوليون من أهل السنة بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا فإن الإباحة حكم شرعي، وهو على كل حال شيء والحرية شيء آخر، ومن الخطأ الاستدلال به على قيمة الحرية في الإسلام كما وجدنا في مناقشة هذا الموضوع في حلقة الشريعة والحياة بقناة الجزيرة [في ١١١٠٢٠٠٣].
المباح - كما عرفه الآمدي -: ما دل الدليل السمعي على خطاب الشارع بالتخيير فيه بين الفعل والترك، فهو إذن تشريع.
وهو - كما عرفه الجويني -: ما خير الشارع فيه بين الفعل والترك من غير اقتضاء ولا زجر ولا حكم عقلي قبل ورود الشرع.
فالإباحة حكم شرعي لم يخالف في ذلك إلا بعض المعتزلة.
والمراد بالاقتضاء الطلب سواء كان طلبا بالإيجاب، أو بالندب، أو بالتحريم أو بالكراهة.
والمراد بالتخيير ما كان تخييرا بين فعل الشيء أو تركه دون ترجيح لأحد الجانبين على الآخر، والذي يترتب على هذا هو الإباحة، فيصير المكلف مخيرا بين الفعل والترك ويسمى الفعل مباحا.
وقد أطلق بعض الأصوليين اسم الحكم التكليفي على الحكم التخييري – كما هو على الحكم الاقتضائي – ويرجع ذلك فيما يرى الأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور إلى عدة اعتبارات من بينها: أن المكلف ملزم باعتقاد إباحته، ولأنه يرد بأسلوب الأمر أحيانا كما في نحو قوله تعالى { كلوا واشربوا }، { إذا حللتم فاصطادوا }، وربما يرجع الأمر في هذا إلى ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور موسى شاهين لا شين من أن بعض أحكام الإباحة واجبة التناول في أصلها كالأكل والشرب لا يجوز الامتناع عنه بإطلاق، ويرى الكعبي من الأصوليين أن المباح مطلوب، بل واجب، بناء على أنه به يحصل ترك الحرام، وما يحصل به ترك الحرام فهو واجب.
ومن المعتزلة من ينفي أن الإباحة من الأحكام الشرعية - كما نقل عنهم الغزالي في المستصفى - إذ معنى المباح رفع الحرج عن الفعل والترك وذلك ثابت بالعقل قبل السمع، وقد ناقشهم الغزالي بما يثبت كون الإباحة داخلة في أحكام الشرع باعتبار أو آخر. وموقفنا في هذا المقال يركن إلى عدم الدخول في هذا الخلاف، لأن كلامنا في أن السنة كلها تشريع يتجه إلى ما جاء بالسنة لا إلى ما لم يأت بها، وهذا الأخير ما نترك التوسع فيه للأصوليين.
ومن هنا فإنه كما يرى الأستاذ الدكتور موسى شاهين لا شين في بحثه القيم في صميم هذا الموضوع [٣]: لا خلاف لنا هنا مع المعتزلة فيما جاء من الإباحة على الأصل المعقول قبل مجيء الشرع، وكلامنا فيما جاء فيه نص أو سنة، فهو مما اجتمع عليه الدليلان العقلي والنقلي معا.

إن الإباحة تعني تكليفا وتشريعا لا بأحد المباحات دون غيره، ولكنه تكليف بالتحرك في دائرته، يقول الإمام الشاطبي: (المباح وإن كان ظاهره الدخول تحت اختيار المكلف لكنه إنما دخل بإدخال الشارع له تحت اختياره)، أي إنه إنما كان مباحا بحكم الشارع لا بحكم المكلف.
وأليس المباح عندما يتناوله المسلم كما تناوله الرسول صلى الله عليه وسلم بنية الاقتداء به ومحبته ألا يعتبر عندئذ داخلا في حكم التشريع بالندب والاستحباب؟
وأليس المباح الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يظن البعض كالاكتحال وصبغ الشعر وتضفيره أفاد تشريعا بالإباحة لولاه لاجتهد مجتهدون بالتحريم أو الكراهة؟
وأليس تناول المباح موجبا للأجر إذا تناوله المسلم باعتباره مما أباحه الشارع، أو باعتباره مساعدا على البعد عن الحرام؟ إذن فهو تشريع، وهذا مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بسنده عن أبي ذر أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور. يصلون كما نصلي. ويصومون كما نصوم. ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: ((أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة. وكل تكبيرة صدقة. وكل تحميدة صدقة. وكل تهليلة صدقة. وأمر بالمعروف صدقة. ونهي عن منكر صدقة. وفي بضع أحدكم صدقة)) قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: ((أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)).
والمباح نفسه ألا يعني التكليف بوجه من الوجوه ؛
فالأكل والشرب واجب في أصله وجملته، يحرم الامتناع عنه مدة تعرض النفس للهلاك، والاختيار إنما هو في المأكول والبدائل والملابسات فيه.
واللباس واجب في أصله يحرم التجرد منه نهائيا، والاختيار إنما هو في بدائل الملبوس وملابساته { يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون }.
أما إذا كان المقصود بأن بعض أفعاله صلى الله عليه وسلم ليست تشريعا يعني أنها غير ملزمة أي غير واجبة فهذا صحيح بشروطه، ولا خلاف عليه إجمالا، لكنه لا يعني أنه لا يفيد حكما شرعيا على الإطلاق سواء بالوجوب أو بالندب أو بالكراهة إلخ، فهذا باب خطير من أبواب اختراق الشريعة الإسلامية بالاجتهاد المغلوط.

وكما يقول أستاذنا الدكتور موسى شاهين لاشين: (إن باب الشر المغلق إذا كسر غلقه لم يؤمن انفتاحه على مصراعيه، ومعظم النار من مستصغر الشرر، وسلب التشريع عن عشرة من أفعاله صلى الله عليه وسلم يتيح الفرصة لآخرين: تسلبها عن عشرين، ثم عن مائة، ثم عن المعاملات كلها، ثم عن الشريعة كلها) جزاه الله خيرا.

---

[١] الميزان للشعراني ج١ ص ٤٩.
[٢] أنظر بحث الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين السابق ص ٣٣.
[٣] بحث بعنوان " السنة كلها تشريع " بمجلة كلية الشريعة بجامعة قطر العدد العاشر.

----

١٦٩ ـ ما موقف الإسلام من الديمقراطية وحقوق الإنسان ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

١ ـ يُعد الإسلام أول من نادى بحقوق الإنسان وشدد على ضرورة حمايتها. وكل دارس للشريعة الإسلامية يعلم أن لها مقاصد تتمثل فى حماية حياة الإنسان ودينه وعقله وماله وأسرته. والتاريخ الإسلامى سجل للخليفة الثانى عمر بن الخطاب مواجهته الحاسمة لانتهاك حقوق الإنسان وقوله فى ذلك: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا " ؟.

٢ ـ تنبنى حقوق الإنسان فى الإسلام على مبدأين أساسيين هما: مبدأ المساواة بين كل بنى الإنسان ، ومبدأ الحرية لكل البشر. ويؤسس الإسلام مبدأ المساواة على قاعدتين راسختين هما: وحدة الأصل البشرى ، وشمول الكرامة الإنسانية لكل البشر. أما وحدة الأصل البشرى فإن الإسلام يعبر عنها بأن الله قد خلق الناس جميعًا من نفس واحدة. فالجميع إخوة فى أسرة إنسانية كبيرة لا مجال فيها لامتيازات طبقية. والاختلافات بين البشر لا تمس جوهر الإنسان الذى هو واحد لدى كل البشر. ومن هنا فهذه الاختلافات ينبغى ـ كما يشير القرآن الكريم ـ أن تكون دافعًا إلى التعارف والتآلف والتعاون بين الناس وليس منطلقًا للنزاع والشقاق: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (١).

أما القاعدة الأخرى للمساواة فهى شمول الكرامة الإنسانية لكل البشر. وقد نص القرآن على ذلك فى قوله: (ولقد كرمنا بنى آدم) (٢). فالإنسان بهذا التكريم جعله الله خليفة فى الأرض ، وأسجد له ملائكته ، وجعله سيدًا فى هذا الكون ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض. فالإنسان بذلك له مكانته ومكانه المفضل بين الخلق جميعًا. وقد منح الله هذه الكرامة لكل الناس بلا استثناء لتكون سياجًا من الحصانة والحماية لكل فرد من أفراد الإنسان ، لا فرق بين غنى وفقير وحاكم ومحكوم. فالجميع أمام الله وأمام القانون وفى الحقوق العامة سواء.

أما المبدأ الثانى الذى ترتكز عليه حقوق الإنسان فهو مبدأ الحرية. فقد جعل الله الإنسان كائنًا مكلفًا ومسئولاً عن عمارة الأرض وبناء الحضارة الإنسانية. وليست هناك مسئولية دون حرية ، حتى فى قضية الإيمان والكفر التى جعلها الله مرتبطة بمشيئة الإنسان (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٣).

وهكذا تشمل الحرية كل الحريات الإنسانية دينية كانت أم سياسية أم فكرية أم مدنية.

٣ ـ الحكم فى تعاليم الإسلام لابد أن يقوم على أساس من العدل والشورى. وقد أمر الله الناس فى القرآن بالعدل وألزمهم بتطبيقه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٤).

(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (٥). والآيات فى ذلك كثيرة. أما الشورى فهى مبدأ أساسى ملزم. وكان النبى (يستشير أصحابه ويأخذ برأى الأغلبية وإن كان مخالفًا لرأيه. وأظهر مثل على ذلك خروج المسلمين إلى غزوة أُحد. فقد كان الرسول يرى عدم الخروج ، ولكن الأكثرية كانت ترى الخروج. فنزل على رأيهم وخرج ، وكانت الهزيمة للمسلمين. ومع ذلك شدد القرآن على ضرورة الشورى فقال مخاطبًا النبى: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) (٦). ولا يلتفت فى هذا الصدد إلى رأى قلة من الفقهاء الذين يزعمون أن الشورى غير ملزمة. فهذا الزعم مخالف للنصوص الدينية الصريحة.
وقد ترك الإسلام للمسلمين حرية اختيار الشكل الذى تكون عليه الشورى طبقًا للمصلحة العامة. فإذا كانت المصلحة تقتضى أن تكون الشورى بالشكل المعروف الآن فى الدول الحديثة فالإسلام لا يعترض على ذلك. وكل ما فى الأمر هو التطبيق السليم مع المرونة طبقًا لظروف كل عصر وما يستجد من تطورات محلية أو دولية.
ومن ذلك يتضح مدى حرص الإسلام على حقوق الإنسان وصيانتها ، وحرصه على التطبيق السليم لمبدأ الشورى أو الديمقراطية بالمفهوم الحديث.
٤ ـ الإسلام أتاح الفرصة لتعددية الآراء ، وأباح الاجتهاد حتى فى القضايا الدينية طالما توافرت فى المجتهد شروط الاجتهاد. وجعل للمجتهد الذى يجتهد ويخطئ أجرًا وللذى يجتهد ويصيب أجران. والدارس لمذاهب الفقه الإسلامى المعروفة يجد بينها خلافًا فى وجهات النظر فى العديد من القضايا. ولم يقل أحد:
إن ذلك غير مسموح به. ومن هنا نجد أن الإسلام يتيح الفرصة أمام الرأى الآخر ليعبر عن وجهة نظره دون حرج مادام الجميع يهدفون إلى ما فيه خير المجتمع والحفاظ على أمنه واستقراره.
(١) الحجرات: ١٣.
(٢) الإسراء: ٧٠.
(٣) الكهف: ٢٩.
(٤) النحل: ٩٠.
(٥) النساء: ٥٨.
(٦) آل عمران: ١٥٩.

حقوق الإنسان التي كفلها له الإسلام
ملفات متنوعة
أضيفت بتاريخ : ١٧ ـ ٠٦ ـ ٢٠٠٣ نقلا عن : خاص بإذاعة طريق الإسلام نسخة للطباعة القراء : ٨٥٢٩
إن شريعة الإسلام مبنية بناءً متيناً حكيماً لأنها من العزيز الحكيم الحميد فما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وأرشدت إليه ودلت عليه ، ولذا اعتنت الشريعة بحفظ الضرورات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، فحياة البشر لا تستقيم وأمورهم لا تنتظم إلا بحفظ هذه الضرورات ، أليست هي من حقوق الإنسان التي كفلها له الإسلام.

« فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا موقف يبين قيمة الإنسان في الإسلام وأنه ليس بهيمة إنه إنسان سميع بصير جعل الله له حقاً ورأياً وكلمة:

(أتت ثياب من اليمن فوزعها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الناس لكل مسلم ثوب وبقي ثوب لأمير المؤمنين فلبسه فوصل الثوب إلى ركبتيه فقال لابنه عبد الله: أعطني ثوبك الذي هو حصتك فأعطاه إياه فوصل عمر ثوبه بثوب ابنه عبد الله ولبسهما وصعد يخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا لما سوف أحدثكم عنه...فيصرخ سلمان الفارسي: والله لا نسمع ولا نعي – رجل يقاطع الخليفة أمير المؤمنين رجل فارسي ليس بقرشي ولا هاشمي ولا عربي ولا هو من قرابة الخليفة–
فيقول عمر: ولم؟
فيرد سلمان: لأنك تلبس ثوبين وتلبسنا ثوباً واحداً ، أين العدالة؟
فقال عمر: يا عبد الله: قم فأجب.
فقام عبد الله والناس سكوت فقال: إن أبي رجل طويل لايكفيه ثوب فأعطيته ثوبي ، فوصله بثوبه ولبسهما.
فهنا قال سلمان: يا أمير المؤمنين الآن قل نسمع وأمر تـطع).

نعم إنها حقوق الإنسان إن من حقك أن تعيش محترماً في كلمتك وفي رأيك وفي بيتك وفي مالك لا تعيش خوفاً ولا بطشاً ولا إرهاباً ولا تخويفاً وهذا ما كفله الإسلام لجميع المسلمين على حد سواء لا فرق بين أبيض وأسود ولا غني وفقير ولا كبير وصغير ، الكل سواء في ميزان الإسلام.

فالله تعالى لا يضيع حق كل ذي حق وقد بعث رسله فبينوا الحقوق والواجبات وهاهو نبينا صلى الله عليه وسلم يقف في حجة الوداع ليذكر الناس بحقوقهم وواجباتهم فيقول: « أيها الناس إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم » ، وهي وصية سيكررها صلى الله عليه وسلم في آخر خطبته تأكيداً لها وإبرازاً لخطورة الاعتداء على الأموال والدماء فيوم عرفة هو يوم الإعلان عن حقوق الإنسان فيه أعلن أبو القاسم صلى الله عليه وسلم حق الإنسان في الحياة وفي الملكية وفصَّل حقوق النساء وأنها إنسانة لها شأنها في المجتمع فهي تمثل نصف الأمة وتلد النصف الآخر إذاً هي أمة كاملة كفل لها الإسلام حقوقها فلها حق العشرة الحسنة وحق التعليم وحق اختيار الزوج .... وغيرها من الحقوق.
إن الإسلام كفل للإنسان كل حقوقه فانظر لحرمة الكعبة فإن لها حرمة عظيمة ولكن حرمة المؤمن عند الله أشد حرمة من الكعبة.

================
حقوق الإنسان في الإسلام من التأصل إلى التقنين
الأستاذ محمّد دكير[١]
انتشار الوعي الحقوقي في العالم
تعد قضية حقوق الإنسان من أهم القضايا التي احتلت الصدارة والاهتمام العالمي والمحلي. وذلك مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت الحاجة للسلم العالمي، وضرورة خلق توازن دولي، إضافة إلى سعي عدد من الشعوب لتحقيق استقلالها، وشروعها في بناء الدولة الوطنية، هذه الدولة التي واجهتها عدة مشاكل وعقبات مهمة، كان على رأسها الاختيارات السياسية والاقتصادية والايديولوجية التي تبين أن لها علاقة مباشرة بموضوع حقوق الإنسان.
هذه الاختيارات كان لها وقع مزدوج داخل العالم الإسلامي، فهي إلى جانب إسهامها في إحداث تغييرات جذرية في جميع البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التقليدية، أحدثت تطوراً ملموساً في مجال الحقوق الإنسانية، إلاّ أنها، في المقابل، فجرت مجموعة من الإشكاليات التي عولجت، وتمت مناقشتها بشكل واسع تحت عناوين مختلفة مثل: الأصالة والمعاصرة، الخصوصية والعالمية، الهوية والغزو الثقافي، وغيرها من العناوين التي تدل على فداحة التحديات التي تعرض لها العالم الإسلامي، بعدما فقد السيطرة على حدوده السياسية والثقافية بالخصوص.
لقد وضع الإسلام في قفص الاتهام، مباشرة بعد الهزائم الحضارية التي توالت على العالم الإسلامي، واعتبر المسؤول الأول عن تخلف المسلمين. وطالبت فئات داخل العالم الإسلامي، منبهرة بالحضارة الغربية، بإبعاد الإسلام عن جميع مناحي الحياة، لأنه يشكل، من منظورها، عائقاً أمام التطور المطلوب. وقد وجدت هذه المطالبات من يدعمها على المستوى الفكري والأيديولوجي؛ إذ نجد أن مجموعة كبيرة من الكتابات التي أنجزت داخل مراكز البحث في الجامعات الغربية وخارجها، انصبت في إثارة الشبهات وتفجير القضايا الفكرية الحساسة، للتدليل على أن الإسلام يعد من أهم الأسباب في تخلف الأمة الإسلامية. وأن عدداً من تشريعاته ونظمه القانونية التقليدية المتوارثة، تسهم بشكل واضح في تكريس هذا التخلف عن ركب الحضارة.
كانت ردود الفعل مختلفة ومتعددة، بعد تحقيق التحرر السياسي وانطلاق عملية تجديد شاملة لجميع البنى، مواكبة في أحد جوانبها المهمة، عملية الدفاع عن الإسلام ونظمه التشريعية في مجالات الاقتصاد والسياسية والاجتماع، وتبرئته من الخلل الذي أصاب العقل المسلم الذي توقف عن الفعل الحضاري.
ومع التطور الذي عرفه مجال حقوق الإنسان، على المستوى العالمي، خلال العقود الخمسة الماضية، أضيف إلى التحديات السابقة تحد جديد، جعل الفكر الإسلامي الذي انشغل طويلاً بالدفاع عن النظم الإسلامية، يتوجه بسرعة نحو الإسهام بمعالجة قضايا حقوق الإنسان، لإبراز إسهام الإسلام في هذا المجال كذلك. وصولاً إلى تأكيد تفوق التشريع الحقوقي الإسلامي، وموافقة هذا التشريع ورؤاه الفكرية لحقوق الإنسان الشاملة.

لذلك فقد عرفت السنوات العشرون الأخيرة حركة نشطة في مجال التأليف الإسلامي في محاولة لتأصيل الحقوق الإنسانية. والكشف عن إسهام الإسلام في هذا المجال الذي حظي باهتمام كبير في الآونة الأخيرة.
وجاءت سرعة الاستجابة، من طرف الفكر الإسلامي، رد فعل مباشراً للتحدي الذي طرحته المواثيق والإعلانات العالمية، من جهة، وتصاعد وتيرة الاهتمام بحقوق الإنسان في العالم من جهة أخرى.
أهم التطورات العالمية في مجال حقوق الإنسان
الاهتمام بمجال حقوق الإنسان ليس وليد الآونة التي تلت الحرب العالمية الثانية، كما لا يمكن أن نرجعه إلى " حقبة زمنية معينة أو مترتبة عن أيديولوجية واحدة، ومحددة، وإنما هي (الحقوق) نتاج تراكمات تاريخية متتالية ومتعاقبة[٢]، و " ما خلفته العقائد الدينية من مبادئ تُبجِّل الإنسان وتعلي من قيمته وتنبذ العسف والظلم "[٣].
إلاّ أن الاهتمام الغربي المعاصر، بهذا المجال، على مستوى التنظير والممارسة، وصولاً إلى تقنينه في مواثيق وإعلانات عالمية، جعل هذا الاهتمام يأخذ بعداً عالمياً لم يسبق له مثيل من قبل، وكان من نتائجه المهمة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م.
إن التطور الذي عرفه مجال الحقوق الإنسانية، على المستوى النظري بالخصوص، يرجع بالأساس إلى التطور السياسي الذي عرفته أوروبا، ومحاولة عدد من المفكرين والفلاسفة، الوقوف في وجه الاستبداد السياسي للدولة والكنيسة، من دون إغفال الموروث اليوناني والروماني الذي شكل الخلفية الفكرية لهؤلاء المفكرين، وهم يضعون المباحث السياسية ويطورونها. لقد شهدت أوروبا آنذاك صراعات دامية وطويلة من أجل: " إسقاط بعض المفاهيم السياسية التي تؤسس للاستبداد السياسي والديني، وتتنكر على الإنسان الفرد كيانه وحقوقه "[٤]. كفكرة الحق الإلهي التي كانت الكنيسة تروج لها، أو فكرة العناية الإلهية التي قامت عليها الشرعية السياسية للملوك والأباطرة.
من هنا بدأ الفكر الأوروبي، بعد صراع سياسي واجتماعي طويل ومضن، يصل إلى بعض النتائج، وكان من أهمها فصل الدين عن السياسة، ومحاولة وجود بدائل وأفكار تؤسس لعلاقة جديدة بين الدولة والمجتمع، على أساس ديني أو غيبي، ولكن على أسس واضحة وموضوعية، وذلك ليس لتحجيم الاستبداد السياسي فحسب، ولكن لتحرير الإنسان من قوة الدولة وسيطرتها المجحفة والمنتهكة لحقوقه الذاتية والواقعية. ويمكن الحديث هنا عن ثلاث نظريات طورت المجال السياسي الغربي ودفعت به إلى الأمام، ما كان له التأثير الكبير، ليس على مجال حقوق الإنسان بشكل عام فحسب. ولكن على الواقع السياسي الغربي المعاصر الذي شكلت هذه النظريات خلفيته الفلسفية والفكرية.
النظرية الأولى: فكرة القانون الطبيعي التي عرفها اليونان، وكانت تعني عندهم " وجود قانون ثابت لا يتغير مستمد من الطبيعة، ويتمثل بكشف العقل عن روح المساواة والعدل الكامنة في النفس "[٥]. ثم انتقلت الفكرة إلى الرومان، لكنها

ستعرف تطوراً على مستوى المضمون؛ وذلك عبر إضفاء طابع اللائكية عليها، مع فقهاء القرن السابع عشر الميلادي.
النظرية الثانية: العقد الاجتماعي، وهي كما صاغها لوك (ت ١٧٠٤م) وروسو (ت ١٧٧٠م)، تقوم على مناهضة الحكم المطلق، في محاولة لترسيخ أسس الحكم الديمقراطي، وذلك باعتبارهما العقد الاجتماعي عقداً تبادلياً، يرتب حقوقاً وواجبات إزاء المحكومين والحاكمين[٦]. وقد أسهمت هذه النظرية في تطور المذهب الفردي، بإقرار وجود حريات وحقوق طبيعية سابقة على المجتمع المنظم، يجب على السلطة عدم الاعتداء عليها. كما أسهمت في وضع الضمانات الدستورية والسياسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وعموماً فقد جاءت الثورة الفرنسية معتمدة على مبادئ المذهب الفردي الحر. فأصدرت وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطن سنة ١٧٨٩م، متضمنة النص على الحرية والمساواة والملكية وحق الأمن وحق مقاومة الظلم[٧].
النظرية الثالثة: جاء منتسكيو، صاحب كتاب " روح القوانين "، ليعلن أن تحقيق العدل، داخل أي نظام سياسي، رهين بفصل السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.
ومع هذه التجارب، وما واكبها من بحوث ودراسات فكرية، اهتمت بميدان الحريات العامة وحقوق الإنسان، تبلورت الرؤية الخاصة لدى الغرب (الرأسمالي) في مجال حقوق الإنسان.
استفاد المذهب الليبرالي (الرأسمالي) من الانتقادات التي وجهها له المذهب الاشتراكي الذي بدأ يتبلور تنظيراً وممارسة، ما دفع به نحو التطور والتوسع ليشمل ميادين جديدة، ظهرت أهميتها مع التطور الصناعي، كالحقوق الاقتصادية والاجتماعية المتعددة للطبقات العاملة، ما أضاف أبعاداً جديدة لمفاهيم حقوق الإنسان، وأعاد النظر في بعض الحقوق من حيث الأولوية والأهمية. وأدخل حقوقاً جديدة لم تكن معتبرة من قبل وبالتالي فالتطور الفكري والسياسي الذي عرفته أوروبا، بشطريها الرأسمالي والاشتراكي، إضافة إلى التجربة السياسية الأمريكية، قد نجم عنه تراكم هائل على مستوى التجربة والتنظير في مجال حقوق الإنسان. دفع به ـ أي هذا التراكم ـ ليفرض نفسه على المستوى العالمي، لتصبح المطالبة بحقوق الإنسان والدعوة إلى احترامها دعوة عالمية، تتبناها المؤسسات الدولية والوطنية وتسعى لاحترامها وفرضها[٨].
أمامَ هذا التراكم، نجد أن مجال حقوق الإنسان قد عرف تطوراً لا مثيل له من قبل، وأن الوعي أصبح ذا بعد عالمي، يؤثر في جميع المشاريع والتشريعات والاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي تقوم بها الدول في العالم ككل. وهذا مما وسع مجال التحدي أمام الفكر الإسلامي، الذي وجد نفسه مضطراً للدخول في معالجات وسجالات متعددة المناحي والأوجه، سنطلع على بعض ملامحها بعد قليل.
أما في العالم الإسلامي، وعلاوة على أصالة الحقوق الإنسانية في الإسلام، فهذه الحقوق محل إجماع عدد لا بأس به من المفكرين المسلمين والعرب، كما أن الدعوة للاهتمام بالحقوق الإنسانية كانت قد واكبت عمليات التحرر السياسي، حيث كان

شعار الدفاع عن الحقوق الإنسانية، من أهم الشعارات التي رفعتها الحركات التحررية في وجه الاستعمار. وبعيد الاستقلال، عرفت هذه المطالب نوعاً من التوسع، وفجرت مشاكل وقضايا جديدة. يقول المحامي حسين ضناوى: " أصبحت قضية حقوق الإنسان داخلية وطنية تهدف لضمان عدم استبداد الحكام، وقيام أنظمة ديمقراطية ذات شرعية حقيقية "[٩] إلاّ أن الاهتمام بحقوق الإنسان في العالم الإسلامي، سواء على المستوى التنظيري أم على مستوى الممارسة، لم تتضح معالمه إلاّ خلال العقدين الأخيرين، وذلك مع انتشار موجه التأليف والتأصيل وتوسعها في هذا الميدان من جهة، وظهور منظمات وهيئات محلية تختص بالدفاع عن حقوق الإنسان من جهة أخرى. إضافة إلى تطور التشريعات القانونية المعمول بها. وحجم الضغوط الدولية التي كان من آثارها مصادقة عدد كبير من الدول الإسلامية على بعض المواثيق الحقوقية الدولية، وإدخال بنودها ضمن التشريعات والقوانين المحلية المعتبرة عند التطبيق[١٠].

لكن ما يلاحظ، وخصوصاً بالنسبة للعالم العربي، أن الاهتمام بهذا الميدان، وما أنتج، من مواثيق محلية، ومنظمات حقوقية[١١]، جاء من طرف بعض الشخصيات العلمية والأكاديمية، من حقوقيين ومفكرين. ولم يكن للدولة أو الأجهزة الرسمية أي نشاط فعال في هذا المجال، باستثناء الاهتمام المتواضع الذي أبدته جامعة الدول العربية، والذي أثمر إنشاء اللجنة الدائمة لحقوق الإنسان.

لكن، ومهما قيل عن تردي الوضع الحقوقي في العالمين العربي والإسلامي، فإن تطوراً إيجابياً يمكن تلمسه في صدور عدة بيانات حقوقية عربية وإسلامية، ومطالبة أصحابها بإدخالها ضمن التشريعات المحلية والنظم القانونية المعتبرة، وانتشار عدد كبير من المنظمات الحقوقية داخل العالم الإسلامي، وقد أخذت على عاتقها تطوير مجال الحقوق الإنسانية، بنشر الوعي الحقوقي، إلى جانب الكشف والتنديد بالخروقات التي تقع من طرف السلطات الحاكمة، أو غيرها من الجهات التي تملك وسائل القوة والقهر.

هذه التطورات، على المستويين العالمي والمحلي التي عرضنا لها باقتضاب، شكلت الخلفية الموضوعية، لانطلاق عملية التأصيل الإسلامي للحقوق الإنسانية، وتأثرت بإشكالاته التي يفجرها بين الحين والآخر.

ملاحظة لا يفوتنا ذكرها هنا، وتتعلق بالصحوة الإسلامية الشاملة التي اجتاحت العالم الإسلامي، منذ بداية هذا القرن، وصولاً إلى تشكل ملامحها الأساسية خلال العقدين الأخيرين. لأنها أسهمت إسهاماً فعلياً في تدعيم عملية التأصيل الحقوقي، وسرعت بتكاملها، لأن هذه الصحوة كانت قد عالجت عدداً من المواضيع في إطار دفاعها عن الإسلام والتبشير به، وتأكيد أفضليته من دون أن يكون العنوان الذي عولجت تحته هذه المواضيع حقوقياً. لكن توجه الفكر الإسلامي نحو التأصيل في مجال الحقوق، بخاصة، جعله يستفيد مما أنجز في مجالات فكرية إسلامية مختلفة.

إن قضية حقوق الإنسان مركبة ومتعددة الأبعاد والمداخلات، باختلاف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية والدينية. ومن ثم يمكن أن تدخل ضمن دائرة اهتمام العديد من فروع المعرفة وتخصصاتها[١٢].

لذلك فقد وجد الفكر الإسلامي نفسه، وهو يقوم بالتأصيل، يعرض للمذهب الإسلامي المتكامل في جميع مناحي الفعل الإنساني. لهذا كانت الصحوة الإسلامية التي سبقت هذا الاهتمام المتميز بهذا الحقل، رافداً مهماً ساعد، كما قلنا، في عملية التكامل السريع والشامل، وأنضج مبكراً عملية التنظير في هذا المجال. وصولاً إلى تقنين هذه الحقوق في مواثيق وإعلانات إسلامية، صدرت تباعاً خلال السنوات العشرين الماضية. وعليه لا بد من اعتبار الصحوة الإسلامية واقعاً موضوعياً داخلياً، أسهم إلى جانب التطور العالمي في بلورة المنظومة الحقوقية الإسلامية، التي سنعرض لأهم ملامحها بعد قليل.

التأصيل الإسلامي لحقوق الإنسان: الملامح والمميزات

قلنا، سابقاً، إن قضية حقوق الإنسان قضية مركبة ومتعددة الأبعاد، لذلك فقد وجد الفكر الإسلامي نفسه، وهو يقوم بعملية التأصيل لحقوق الإنسان، يعرض النظم الإسلامية في جميع المجالات. وهذه العملية فتحت عينيه على قضايا متعددة، وجعلته يتعرض لتحديات ذاتية جديدة. لأنه اصطدم، أثناء معالجة بعض القضايا الخاصة، بتجربة تاريخية طويلة، تعرض فيها تطبيق الإسلام، لمجموعة من الإخفاقات، إلى جانب بعض النجاحات بطبيعة الحال.

وقد شكلت هذه التجربة وموروثها الفكري، زخماً ساعد من جهة المفكر الإسلامي على الإحاطة بأبعاد التشريع الإسلامي عند التطبيق أو التنظير. لكنه وقف، من جهة أخرى، عائقاً أمام الفصل في عدد من القضايا، التي تبين أن التجربة التاريخية فيها كانت بعيدة جداً عن مقاصد الإسلام وشريعته، بالرغم من ترسانة التبريرات التي أوجدها العقل الاجتهادي الذي عايش هذه التجربة. لذلك يمكننا أن نؤكد على أن عملية التأصيل كانت تسير إلى جانب إعادة النظر في عدد من الوقائع التأريخية، بالتحليل والدفاع عن اجتهاد معين تارة، باعتباره يمثل وجهة نظر الإسلام الحقيقية التي طبقها المسلمون، أو بالنقد والرفض تارة أخرى. وفي مرات عدة ساد الاختلاف وبقيت مجموعة من المواضيع معلقة تنتظر الحسم.

لكن ظهرت بعض الكتابات التي انتهجت الموضوعية العلمية، لتؤكد على أن الانتقادات التي وجهت للإسلام، كان يجب في حقيقة الأمر أن توجه للتطبيقات الخاطئة التي وقعت، وإلى بعض الاجتهادات التي تأثرت بالظروف التاريخية الموضوعية. لذلك لا بد من التفريق هنا بين مبادىء النظام الإسلامي التي لا يشك أحد في أن مقاصدها تهدف إلى تحقيق واقع أفضل للإنسان في بعديه المادي والروحي، وبين وقائع التاريخ المحسوبة على الإسلام.

هذه الحقيقة التي أفصح عنها الفكر الحقوقي الإسلامي كانت مهمة جداً، لأنها ساعدت على تعميق المراجعة الشاملة التي يقوم بها الفكر الإسلامي، وهو يجدد نفسه، لمواكبة التطورات الحضارية، وينفض عنه غبار التقليد وتجارب الماضي السلبية.

نجد، مثلاً، أن البحث في الحقوق السياسية في الإسلام، يدفع بهذا الفكر إلى محاولة الكشف عن النظام السياسي في الإسلام بعيداً عن التجربة التاريخية، ومناقشة إشكالاته، كالحديث عن الشورى ومقارنتها بالديمقراطية الغربية، والتأكيد على ان نظام الشورى الإسلامي يضمن حقوق المشاركة السياسية للإنسان المسلم. إضافة إلى

الحديث عن حجم الحريات السياسية وطبيعة علاقة الحاكم بالمحكومين، وحقوق المعارضة وإنشاء الأحزاب. وكما قلنا، سابقاً، أدت معالجة هذه القضايا إلى إعادة النظر في عدد من الاجتهادات والتطبيقات التاريخية، انتهت إلى رفض الاستبداد السياسي، وتفنيد مسوغاته الفكرية، وقطع صلته بمبادىء دينية تلبست بلباس القداسة، واتخذها أعداء الإسلام مطية للطعن فيه وفي تشريعاته.

الحقوق الاقتصادية كان لها نصيب مهم في عملية التأصيل، لأنها ستكشف بدورها عن نظام الإسلام الاقتصادي، عند البحث في الحقوق الاقتصادية التي يقدمها الإسلام للإنسان فرداً وجماعة، وتشريعاته الاقتصادية التي تكفل الرخاء والرفاه للمجتمع المسلم. لكن التأصيل، في مجال الحقوق الاقتصادية، عانى من تحديات جمة لأن المذهب الاقتصادي في الإسلام غير متكامل من حيث التنظير والتفصيل، وملامحة تعاني من الغموض. مع قلة البحوث الاقتصادية المنجزة في الماضي، وتطور المجال الاقتصادي المعاصر وتعقيده وتفرعاته الكثيرة، التي جعلت المفكر الإسلامي يشعر بنوع من التخبط، لأنه لم يجد بين يديه سوى الأصول العامة، وبعض الأحكام الجزئية في قضايا اقتصادية متفرقة. لذلك كان عليه أن يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لعلاج نواقص هذا الموضوع بالذات. خصوصاً إذا علمنا أن المذاهب الاقتصادية التي تم استيرادها من الغرب، وطبقت في العالم الإسلامي، كان لها وقع سيء على الهوية الدينية، لأن هذه المذاهب حملت معها خلفيات عقائدية ومظاهر، على نقيض تام مع دين التوحيد، بل مناقضة لكل دين. لذلك فالتحدي في هذا المجال كان كبيراً.

إلى جانب البحث في الحقوق السياسية والاقتصادية، كان هناك اهتمام متميز وخاص بحقوق المرأة، تشهد على ذلك كثرة الكتابات والدراسات التي أنجزت في هذا الموضوع، سواء الكتابات العامة التي تحدثت عن موضوع المرأة في الإسلام، واهتمت بالرد على الشبهات والانتقادات التي يروج لها الغزو الفكري الغربي، وتجد بعض الآذان الصاغية لها داخل العالم الإسلامي، أم الكتابات المتخصصة في مجال الحقوق كما نصت عليها الكتابات الحقوقية الغربية، ومن ضمنها المواثيق والإعلانات الحقوقية العالمية. وموضوع المرأة في الإسلام، كان قد اكتسب صبغة ذات حساسية خاصة قبل التوجه الحقوقي، خلال العقود الأخيرة، لأن وضع المرأة بشكل عام كان من بين القضايا التي احتدم حولها النقاش مبكراً، مع وصول الجحافل الأولى للاستعمار الغربي وسيطرتها العسكرية على العالم الإسلامي. وبقي هذا الجدل محتدماً، وفي تصاعد مستمر، بعد انتهاء الحقبة الاستعمارية، لأن الغزو الثقافي عبر وسائط الإعلام والتعليم، ما فتىء يركز على هذا الموضوع ويثيره بين الحين والآخر. لذلك فقد وجدت المرأة المسلمة نفسها تتقاذفها التيارات والايديولوجيات المختلفة، بين منتصر لما تدعو له الحضارة الغربية من قيم وحقوق تخص المرأة، وبين قيم الإسلام التي امتزجت مع تقاليد المجتمعات الإسلامية وأعرافها. وقد استطاعت عملية التأصيل لحقوق المرأة أن تميط اللثام عن عدد من المغالطات الأيديولوجية، ووضعت في بعض جوانبها المتميزة، حداً بين ما يريده الإسلام من المرأة وما قدمه لها من حقوق، وبين الواقع التاريخي، أو وضع المرأة

المسلمة الحالي، الذي يحكمه التخلف وعدم الانسجام بين النظرة الإسلامية الحقوقية والواقع المعيش. لكن يمكن أن يقال إن عملية التأصيل في مجال حقوق المرأة قد بلغت شأواً من التقدم، تم فيه الاعتراف والانتباه لعدد كبير من الحقوق التي كانت، إلى عهد قريب، خارجة عن موضوع البحث أو المعالجة، بل كان النسيان والتجاهل يلفها ويلغيها من الوجود الواقعي. وبدأ الكلام عن حقوق تثير حساسية كبيرة داخل المجتمعات العربية والإسلامية، وهكذا بدأ الحديث عن الحقوق السياسية للمرأة وحقها في الولاية مثلاً؟.

لكن لا بد هنا من الإشارة إلى أن الفكر الإسلامي ما زال يتعامل مع الموروث الروائي المتعلق بالمرأة، بنوع من الحذر، وقلة الجرأة لمعالجته، لأنه مما لا شك فيه أن عدداً كبيراً من الأعراف والتقاليد قد استحالت عبر الوضع والكذب إلى أحاديث نبوية، كما أن التفسيرات التقليدية لكثير من الأحاديث، يجب إعادة النظر فيها، إذا أردنا فعلاً أن نكشف عن الوضع الحقوقي للمرأة كما جاء به الإسلام. وهذان الأمران: التردد والتخبط كثيراً ما يظهران في الكتابات العامة أو المختصة بحقوق المرأة في الإسلام.

وتفرع مجال التأصيل كثيراً، باعتباره استجابة للتحديات الحضارية المعاصرة التي كان من أهم إنجازاتها الإعلانات والمواثيق العالمية والإقليمية والوطنية، والمطالبة بالعمل على وضعها موضع التنفيذ والتطبيق، لذلك نجد أن مواضيع كثيرة قد نوقشت وتم علاجها سواء بشكل مفصل وكبير، أم بدراسات محدودة. ومن العناوين التي عولجت وكثر حولها التأليف نذكر: الحقوق الاجتماعية والإعلامية، الحريات العامة، الدستورية، الزوجية، العائلية، الأقارب، العمال، حقوق الجنين، الآباء، المتهم، الطفل، الأقليات إضافة إلى عناوين أخرى تعالج مواضيع جديدة، طرحها التطور العالمي في هذا المجال.

ومما لاحظناه، عند إنجازنا لببليوغرافيا خاصة بموضوع حقوق الإنسان[١٣] في الإسلام، أن الكتابات عن حقوق المرأة تأتي على رأس القائمة من حيث كثرتها وتفرعها، وهذا يؤكد حجم التحدي كما ذكرنا سابقاً، ثم تأتي الكتابات عن الحقوق السياسية، بعدها نجد أن موضوع الاقليات قد أخذ حيزاً كبيراً في مجال التأليف الحقوقي. وهذا يدل كذلك على حجم التحديات التي أثارها الإعلام الغربي حول الأقليات الدينية التي تعيش داخل العالم الإسلامي منذ قرون، وهو يروج أن التشريعات الإسلامية تضطهدها وتنتهك جملة من حقوقها. وأمام الهجمات المتكررة لهذا الاعلام، نجد أن الفكر الإسلامي استجاب بشكل إيجابي حينما عالج هذا الموضوع، وخصص له جهوداً محترمة في عملية التأصيل هذه.

هناك مواضيع حقوقية مهمة نلاحظ فيها بعض التقصير؛ إذ إن هذه العملية تعطيها حقها المطلوب، مع وجود موروث روائي لا بأس به يمكن أن يسهل هذه العملية، كموضوع حقوق الطفل، فالدراسات والبحوث قليلة جداً، وهذا يقلل من فرص وضع ميثاق حقوقي خاص بالطفل، لأن التراكم التنظيري متواضع جداً. لكننا نلاحظ أن العقل الإسلامي قد تحرر من محظوراته وكوابحه الذاتية والموضوعية، وانفتح على مصراعيه لمناقشة جميع القضايا التي لها علاقة بحقوق الإنسان وبحثها. وإن كنا

نسجل نوعاً من السبق الوقائعي والتنظيري للفكر الغربي في هذا المجال، فالعقل المسلم، بشكل عام، يظل منفعلاً وليس فاعلاً في أغلب القضايا التي توصلها له وسائط الاعلام الغربية، فيهرع لمعرفتها والرد عليها سلباً أو إيجاباً. لكننا نثمن سرعة الاستجابة في كثير من الأحيان، وكذلك الكم المعرفي في ميدان الحقوق الذي نجم عنها، لأنه سيشكل الأرضية والقاعدة الفكرية المتينة لانطلاق الأجيال القادمة نحو الإبداع والإنتاج وبلورة النظرية الإسلامية في جميع المجالات.

مميزات عملية التأصيل

من خلال القراءات المتعددة، للكتابات الإسلامية الحقوقية، تظهر بوضوح بعض المميزات والخصائص التي تكاد تشترك فيها مجمل هذه الكتابات والبحوث، ليس في مجال معين، كالاقتصاد أو السياسة، ولكن في أغلب المواضيع المبحوثة. أولى هذه الخصائص، الحديث عن مفهوم الحق في المنظور الإسلامي، وذلك في قبالة الحديث عن الخلفيات الفكرية والفلسفية التي انطلق منها الوعي الحقوقي الغربي، وشكلت الأرضية العقائدية التي تتحكم في تعريفه للحق الإنساني. وقد تحدثنا من قبل عن النظريات الثلاث التي شكلت الخلفية الفلسفية للفكر الحقوقي الغربي.

والحديث عن مفهوم الحق، لما له من أهمية كبرى يحتاج إلى شيء من التفصيل. إن الاختلاف الذي تبرزه بعض الحقوق المنصوص عليها في المواثيق العالمية، إنما يرجع في أساسه إلى النظرة الفلسفية والعقائدية للحق، من حيث مفهومه ومصادره. لذلك فمعالجة الفكر الإسلامي الحقوقي لهذه القضية تعد مهمة وأساسية.

الميزة، أو الخاصية الثانية، تظهر في النقد الذي وجهه الفكر الإسلامي الحقوقي للحقوق الإنسانية في الفكر الغربي بشكل عام، عندما اتجه لنقد المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الغربية، مستعيناً بطبيعة الحال ببعض المظاهر، حيث الإخفاق في مجال الحقوق أدى إلى كوارث إنسانية، تجاوزت حدود تأمين الاحتياجات الضرورية للإنسان إلى تعريض وجوده الإنساني ككل للخطر، فظواهر الانتحار والتفسخ العائلي والتحلل الأخلاقي، وانتشار الإلحاد. هذه الظواهر التي تجتاح الواقع الغربي، تكاد تعصف بالمكتسبات الحقوقية التي تم تحقيقها بعد معاناة طويلة.

طبعاً نحن، هنا، أمامَ إشكال له جانبه الحقوقي، لكنه قد يتجاوزه، ليتم الحديث عن الحاجة إلى الأديان السماوية، بوصفها بديلاً عن الأيديولوجيات الوضعية. وهذا ما نجد تلميحاً له أثناء معالجة الفكر الإسلامي لقضايا حقوقية جزئية، على اعتبار أن النظر إلى الظاهرة الإنسانية، لا يمكن معالجته بشكل جزئي، لأن النتائج النهائية لأي تطبيق ستفتقر إلى النظرة الكلية للإنسان، في إطار فلسفي عقائدي، لا يهمل المنطلقات، ويتحدث عن الغايات والمقاصد الوجودية الأساسية للإنسان، بشكل واضح ومفصل، ما يسهم بشكل فعال في تحقيق ما يصبو له الإنسان من حياة أفضل على الأرض.

وهذه النظرة التكاملية تدفع بنا إلى الحديث عن الخاصية الثالثة، وهي شمولية الحقوق الإنسانية في الفكر الحقوقي الإسلامي، والتي نظر لها من خلال: التشريع الإلهي (الوحي) الذي يعلم يقيناً الاحتياجات الحقيقية للإنسان وحقوقه الأساسية، إضافة إلى

نقطة مهمة تتلخص في كون التشريع الإلهي يمثل الحقيقة التي لا تتأثر بالمصالح الفردية أو الجماعية أو الفئوية، أو غيرها من التقسيمات التي يطغى تأثيرها في التشريعات الوضعية. وبالتالي فالحديث عن عالمية الحقوق، انطلاقاً من تشريعات وضعية، يعد تسويقاً لأيديولجيات غرضها الهيمنة لا غير.

هذه المميزات الثلاث، سنعرض لها بنوع من التفصيل، لأنها من القضايا المهمة التي ركز عليها الفكر الإسلامي الحقوقي أثناء عملية التأصيل، ولأنها محطات يمكن من خلالها معرفة المدى الذي توصلت إليه هذه العملية.

---

[١] كاتب من الغرب

[٢] الدكتور أحمد بلحاج السندك، حقوق الإنسان، رهانات وتحديات، الرباط، شركة بابل للطباعة، ١٩٩٦، ص٨.

[٣] أمينة البقالي، حركة حقوق الإنسان: من أجل أنسنة العمل السياسي، مجلة الوحدة، العدد ٦٤/٦٣، السنة السادسة، ١٩٩٠/٨٩، ص٧٥.

[٤] المحامي حسين ضناوي، وعي حقوق الإنسان: جذور التطور والحماية، جريدة النهار البيروتية، بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٧م، ص٢.

[٥] عمر ممدوح مصطفى، القانون الروماني، القاهرة، ط٣، ١٩٥٩م، ص١٦.

[٦] الدكتور محمّد خريف، حقوق الإنسان بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٤م، ص١٤.

[٧] أحمد البخاري وأمينة جبران، الحريات العامة وحقوق الإنسان، مراكش، وليلي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م، ص٦٩.

[٨] مثل منظمة العفو الدولية التي لديها الآن ما يزيد عن (٧٠٠ألف) عضو مشترك في نحو (١٥٠) بلداً في جميع أنحاء العالم، وما يزيد على (٤٢٠٠) مجموعة محلية في (٦٣) بلداً، إضافة إلى عدد كبير من المنظمات الوطنية التي تهتم بالدفاع عن حقوق الإنسان وفضح الانتهاكات المختلفة.

[٩] جريدة النهار البيروتية، م.س.، ص٩٠.

[١٠] اعترضت عدد من الدول الإسلامية على بعض البنود الواردة في الإعلانات التي طلب منها المصادقة عليها، واعتبرتها مسوغاً كافياً لعدم التصديق على هذه الإعلانات العالمية.

[١١] ظهرت في العالم العربي مجموعة من المنظمات الحقوقية، وقد صدر مؤخراً كتاب عن المعهد العربي لحقوق الإنسان في تونس يعد أهم دليل لمعرفة هذه المنظمات وعناوينها.

[١٢] حسين توفيق إبراهيم، حقوق الإنسان في الكتب والرسائل الجامعية وبعض الدوريات العربية، مجلة منبر الحوار، عدد٩، السنة ٣، ص٧٣.
[١٣] انظر: مجلة الكلمة، عدد ٢٠، ١٩٩٨م.
==================
حقوق الإنسان في الإسلام
مقدمــة:
- تعريف الحقوق.
- هل هذه الحقوق مستحقة للإنسان أم هي من تفضل الله تعالى عليه؟
- مظاهر التكريم الإلهي للإنسان.
الفصل الأول: خصائص ومميزات حقوق الإنسان في الإسلام.
١- حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية.
٢- حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية.
٣- حقوق الإنسان في الإسلام شاملة لكل أنواع الحقوق.
٤- حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة ولا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل.
٥- حقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية.
الفصل الثاني: أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان.
أولاً: حق الحياة.
ثانياً: حق الكرامة.
ثالثاً: حق الحرية.
رابعاً: حق التدين.
خامساً: حق التعليم.
سادسا: حق معرفة الحق.
سابعا: حق التملك والتصرف.
ثامنا: حق العمل.
الفصل الثالث: مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام وفي الوثائق الوضعية الدولية.
أولاً: من حيث الأسبقية والإلزامية.
ثانياً: من حيث العمق والشمول.
ثالثاً: من حيث الحماية والضمانات.
الفصل الرابع: مفهوم الغرب لحقوق الإنسان.
١- حرية التدين.
٢- حرية إقامة العلاقات الأسرية.
٣- حق الحرية.
٤- حق التملك.
مقدمــة:
- تعريف الحقوق:
تعريف الحقوق لغة:

قال الجوهري: "الحق: خلاف الباطل، والحق: واحد الحقوق، والحَقة أخص منه، يقال: هذه حقتي أي: حقي".
وقال الفيروز آبادي: "الحق: من أسماء الله تعالى أو من صفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق".
وقال المناوي: "الحق لغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره".
تعريف الحقوق اصطلاحاً:
الحقوق لها معنيان أساسيان:
١- فهي أولاً تكون بمعنى: مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص والأموال.
فهي بهذا المفهوم قريبة من مفهوم خطاب الشارع المرادف لمعنى (الحكم) في اصطلاح علماء الأصول، أو لمعنى (القانون) في اصطلاح علماء القانون.
وهذا المعنى هو المراد عندما نقول مثلاً: الحقوق المدنية، أو القانون المدني.
٢- وهي ثانياً تكون جمع حق بمعنى السلطة والمكنة المشروعة، أو بمعنى المطلب الذي يجب لأحد على غيره.
وهذا هو المراد في مثل قولنا: إن للمغصوب منه حق استرداد عين ماله لو قائماً، وأخذ قيمته أو مثله لو هالكاً، وإن للمشتري حق الرد بالعيب، وإن التصرف على الصغير هو حق لوليه أو وصيه ونحو ذلك.
ويمكن تعريف الحق بمعناه العام بأن يقال: الحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفاً.
- هل هذه الحقوق مستحقة للإنسان أم هي من تفضل الله تعالى؟
قال تعالى: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الروم:٤٧].
قال ابن كثير: "أي" حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرماً وتفضلاً".
وقال تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤].
قال القرطبي: "أي: أوجب ذلك بخبره الصادق ووعده الحق".
وقال ابن كثير: "أي: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً".
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقاً زائداً على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ}.
ولكن أهل السنة يقولون هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه، لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدّعون أنه واجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه القدرية والجبرية أتباع جهم والقدرية النافية".

وقال ابن القيم: "وقد أخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب على نفسه وأحق على نفسه، قال تعالى: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنينَ}، وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ}، وقال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوٰلَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءانِ} [التوبة:١١١]، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: ((أتدري ما حق الله على عباده؟)) وفيه: ((أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟))، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في غير حديث: من فعل كذا كان على الله أن يفعل به كذا وكذا في الوعد والوعيد، ونظير هذا ما أخبر سبحانه من قسمه ليفعلن ما أقسم عليه كقوله: {فَوَرَبّكَ لَنَسْـئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر:٩٢]، {فَوَرَبّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ} [مريم:٦٨]، وقوله: {لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [إبراهيم:١٣]، وقوله: {لأَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص:٨٥]، إلى أمثال ذلك من صيغ القسم المتضمن معنى إيجاب المقسِم على نفسه أو منعه نفسَه، وهو القسم الطلبي المتضمن للحظر والمنع، بخلاف القسم الخبري المتضمن للتصديق والتكذيب، قالوا: وإذا كان معقولاً من العبد أن يكون طالباً من نفسه فتكون نفسه طالبة منها لقوله تعالى: {إِنَّ ٱلنَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوء} [يوسف:٥٣]، وقوله: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} [النازعات:٤٠]، مع كون العبد له آمر ونهاه فوقه، فالرب تعالى الذي ليس فوقه آمر ولا ناهٍ كيف يمتنع منه أن يكون طالباً من نفسه فيكتب على نفسه، ويحق على نفسه، ويحرم على نفسه؟! بل ذلك أولى وأحرى في حقه من تصوره في حق العبد، وقد أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وكتابة ما كتبه على نفسه وإحقاق ما حقه عليها متضمن لإرادته ذلك ومحبته له ورضاه به وأنه لا بد أن يفعله، وتحريمه ما حرمه على نفسه متضمن لبغضه لذلك وكراهته له وأنه لا يفعله، ولا ريب أن محبته لما يريد أن يفعله وبغضه له يمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء، وهذا غير ما يحبه من فعل عبده ويكرهه منه، فذاك نوع وهذا نوع، ولما لم يميز كثير من الناس بين النوعين وأدخلوهما تحت حكم واحد اضطربت عليهم مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وبهذا التفصيل سفر لك وجه المسألة وتبلج صبحها".

- مظاهر التكريم الإلهي للإنسان:

١- خلقه في أحسن تقويم:

قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَـٰنَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين:٤].

قال ابن عباس: (في أعدل خلق).

قال ابن كثير: "إنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها".

٢- نفخ فيه من روحه:

قال تعالى: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} [السجدة:٩].

وقال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَـٰجِدِينَ} [ص:٧٢].

قال الواحدي: "وأضاف روح آدم إليه إكراماً وتشريفاً".

٣- أمر الملائكة بالسجود لآدم:
قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ} [البقرة:٣٤].
قال ابن كثير: "وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم، امتن بها على ذريته، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم".
٤- تعليم آدم الأسماء كلها:
قال تعالى: {وَعَلَّمَ ءادَمَ ٱلأسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ e قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ}. [البقرة:٣١، ٣٢].
قال ابن كثير: "هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم".
٥- جعل الإنسان خليفة في الأرض:
قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰئِكَةِ إِنّي جَاعِلٌ فِى ٱلأرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة:٣٠].
قال البغوي: "والصحيح أنه خليفة الله في أرضه؛ لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه".
قال ابن عاشور: "وقول الله هذا موجه إلى الملائكة على وجه الإخبار؛ ليسوقهم إلى معرفة فضل الجنس الإنساني على وجه يزيل ما علم الله أنه في نفوسهم من سوء الظن بهذا الجنس".
٦- تفضيل الإنسان على كثير من المخلوقات:
قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُمْ مّنَ ٱلطَّيّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء:٧٠].
قال الشوكاني: "أجمل سبحانه هذا الكثير ولم يبين أنواعه، فأفاد ذلك أن بني آدم فضلهم سبحانه على كثير من مخلوقاته... والتأكيد بقوله {تَفْضِيلاً} يدل على عظم هذا التفضيل وأنه بمكان مكين، فعلى بني آدم أن يتلقوه بالشكر ويحذروا من كفرانه".
٧- تسخير المخلوقات للإنسان:
قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِى ٱلأرْضِ جَمِيعاً مّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَـٰتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية:١٣].
قال ابن سعدي: "وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته".
الصحاح (١٤٦٠/٤).
القاموس المحيط (٢٢١/٣).
التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٨٧).
المدخل الفقهي العام (٩/٣-١٠) لمصطفى الزرقاء.
تفسير القرآن العظيم (٤٤٦/٣).
الجامع لأحكام القرآن (٤٣٥/٦).
تفسير القرآن العظيم (١٤٠/٢).

أخرجه البخاري في الجهاد، باب اسم الفرس والحمار (٤٨)، ومسلم في الإيمان (٣٠).
مفتاح دار السعادة (ص ٤٣٠-٤٣١) ببعض اختصار.
تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٤٨/١٠).
تفسير القرآن العظيم (٥٢٧/٤).
الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٥/٣).
تفسير القرآن العظيم (٨٠/١).
تفسير القرآن العظيم (٧٨/١).
معالم التنزيل (٧٩/١).
تفسير التحرير والتنوير (٤٠٠/١).
فتح القدير (٢٤٤/٣-٢٤٥).
تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٧٦).
الفصل الأول: خصائص ومميزات حقوق الإنسان في الإسلام:
١- حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية:
إن حقوق الإنسان في الإسلام تنبع أصلاً من العقيدة، وخاصة من عقيدة التوحيد، ومبدأ التوحيد القائم على شهادة أن لا إله إلا الله هو منطلق كل الحقوق والحريات، لأن الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الناس أحراراً، ويريدهم أن يكونوا أحراراً، ويأمرهم بالمحافظة على الحقوق التي شرعها والحرص على الالتزام بها، ثم كلفهم شرعاً بالجهاد في سبيلها والدفاع عنها، ومنع الاعتداء عليها وهذا ما تكرر في القرآن الكريم في آيات القتال والجهاد.
فحقوق الإنسان في الإسلام تنبع من التكريم الإلهي للإنسان بالنصوص الصريحة، وهو جزء من التصور الإسلامي والعبودية لله تعالى وفطرة الإنسان التي فطره الله عليها.
٢- حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية:
إن حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية منحها الله لخلقه، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله للإنسان.
٣- حقوق الإنسان في الإسلام شاملة لكل أنواع الحقوق:
من خصائص ومميزات الحقوق في الإسلام أنها حقوق شاملة لكل أنواع الحقوق، سواء الحقوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.
كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة.
٤- حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة ولا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل:
من خصائص حقوق الإنسان في الإسلام أنها كاملة وغير قابلة للإلغاء؛ لأنها جزء من الشريعة الإسلامية.

إن وثائق البشر قابلة للتعديل غير متأبية على الإلغاء مهما جرى تحصينها بالنصوص، والجمود الذي فرضوه على الدساتير لم يحمها من التعديل بالأغلبية الخاصة.
وقضى الله أن يكون دينه خاتم الأديان وأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ومن ثم فما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو باق ما دامت السماوات والأرض.
٥- حقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية:
ومن خصائص حقوق الإنسان في الإسلام أنها ليست مطلقة، بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وبالتالي بعدم الإضرار بمصالح الجماعة التي يعتبر الإنسان فرداً من أفرادها.
حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور محمد الزحيلي (ص ١٣٢-١٣٣) بتصرف.
حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور سليمان الحقيل (ص ٥٣).
حقوق الإنسان في الإسلام. د.سليمان الحقيل (ص ٥٣).
حقوق الإنسان للحقيل (ص ٥٣).
حرمات لا حقوق، لعلي جريشة.
حقوق الإنسان للحقيل (ص ٥٣).
الفصل الثالث: مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام وفي الوثائق الوضعية الدولية:
أولاً: من حيث الأسبقية والإلزامية:
لقد كان للشريعة الإسلامية الغراء فضل السبق على كافة المواثيق والإعلانات والاتفاقيات الدولية في تناولها لحقوق الإنسان وتأصيلها لتلك الحقوق منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وأن ما جاء به الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية اللاحقة ومن قبلها ميثاق الأمم المتحدة ما هو إلا ترديد لبعض ما تضمنه الشريعة الإسلامية الغراء.
فحقوق الإنسان المهددة اليوم والتي ندعو إلى حمايتها واحترامها قد أقرها الإسلام وقدسها منذ أربعة عشر قرناً فسبق بها سبقاً بعيداً عما قال به القرن الثامن عشر الذي عُد قرن حقوق الإنسان.
وحقوق الإنسان كما جاء بها الإسلام حقوق أصيلة أبدية لا تقبل حذفاً ولا تعديلاً ولا نسخاً ولا تعطيلاً، إنها حقوق ملزمة شرعها الخالق سبحانه وتعالى، فليس من حق بشر كائناً من كان أن يعطلها أو يتعدى عليها، ولا تسقط حصانتها الذاتية لا بإرادة الفرد تنازلاً عنها ولا بإرادة المجتمع ممثلاً فيما يقيمه من مؤسسات أياً كانت طبيعتها وكيفما كانت السلطات التي تخولها.
أما فيما يتعلق بالقيمة القانونية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان فهو ليس إلا مجرد تصريح صادر عن الأمم المتحدة غير ملزم.
فيتضح أن حقوق الإنسان في المواثيق الدولية عبارة عن توصيات أو أحكام أدبية، أما في الإسلام فحقوق الإنسان عبارة عن فريضة تتمتع بضمانات جزائية وليست مجرد توصيات أو أحكام أدبية، فللسلطة العامة في الإسلام حق الإجبار على تنفيذ

هذه الفريضة، خلافاً لمفهوم هذه الحقوق في المواثيق الدولية التي تعتبرها حقاً شخصياً مما لا يمكن الإجبار عليه إذا تنازل عنه صاحبه.
ثانياً: من حيث العمق والشمول:
حقوق الإنسان في الإسلام أعمق وأشمل من حقوق الإنسان في الوثائق الوضعية، فحقوق الإنسان في الإسلام مصدرها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما مصدر حقوق الإنسان في القوانين والمواثيق الدولية فهو الفكر البشري، والبشر يخطئون أكثر مما يصيبون، ويتأثرون بطبيعتهم البشرية بما فيها من ضعف وقصور وعجز عن إدراك الأمور والإحاطة بالأشياء، وقد أحاط الله بكل شيء علماً.
إن الحقوق في الإسلام تبلغ درجة الحرمات وهي في هذا تمر بدرجات، فالحقوق مُسَلَّمة، ومن بعدها تدعمها الواجبات، ومن بعد الواجبات تحميها الحدود، ومن بعد الحدود ترتفع إلى الحرمات.
وإذا كانت المواثيق البشرية قد ضمنت بعض الحقوق فإن الإسلام بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة شملا جميع أنواع الحقوق التي تكرم الله بها على خلقه.
ثالثاً: من حيث الحماية والضمانات:
إن حقوق الإنسان في القوانين الوضعية لم توضع لها الضمانات اللازمة لحمايتها من الانتهاك.
فبالرجوع إلى مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م نجده لم يحدد الوسائل والضمانات لمنع أي اعتداء على حقوق الإنسان وبخاصة ما يكون من هذه الوسائل والضمانات على المستوى العالمي.
كما تضمن الإعلان تحذيراً من التحايل على نصوصه أو إساءة تأويلها دون تحديد جزاء للمخالفة، وتضمنت أيضاً تشكيل لجنة لحقوق الإنسان تقوم بدراسة تقارير الدول الأطراف عن إجراءاتها لتأمين الحقوق المقررة، كما تتسلم التبليغات المقدمة من إحدى الدول الأطراف ضد أخرى بشأن أدائها لأحد التزاماتها المقررة بمقتضى الاتفاقية وذلك بشروط معينة.
وبالنظر إلى الحماية الدولية لحقوق الإنسان نجدها محاولات لم تصل إلى حد التنفيذ، وهي تقوم على أمرين:
١- محاولة الاتفاق على أساس عام معترف به بين الدول جميعاً.
٢- محاولة وضع جزاءات ملزمة تدين الدولة التي تنتهك حقوق الإنسان.
إن كل ما صدر عن الأمم المتحدة والمنظمات والهيئات بخصوص حقوق الإنسان يحمل طابع التوصيات ولا يعدو كونه حبراً على ورق يتلاعب به واضعوه حسبما تمليه عليهم الأهواء والشهوات.
أما في الإسلام فقد اعتمد المسلمون في مجال حماية حقوق الإنسان على أمرين أساسين، وهما:
١- إقامة الحدود الشرعية، إذ إن من أهم أهداف إقامة الحدود الشرعية في الإسلام المحافظة على حقوق الأفراد.
٢- تحقيق العدالة المطلقة التي أمر الله بها ورسوله صلى الله عليه وسلم وحثا عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَانِ} [النحل:٩٠].
قال ابن عطية: "والعدل هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق".
وقال تعالى: {وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ} [النساء:٥٨].
قال ابن كثير: "أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس".
وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه في إقامة العدل فكانت حياته كلها عدل، وعلم أصحابه العدل وأوصى أمته به وحذرهم من الظلم، ووضع منهج الإسلام في إقرار العدل والمساواة والمحافظة على الحقوق وحمايتها.
حقوق الإنسان للحقيل (ص ٨٧).
حقوق الإنسان للحقيل (ص ١٠٣).
حقوق الإنسان للحقيل (٨٨-٨٩).
حقوق الإنسان للحقيل (ص ٨٩).
حقوق الإنسان للحقيل.
المحرر الوجيز (٤١٦/٢).
تفسير القرآن العظيم (٥٢٨/١).
حقوق الإنسان للحقيل (ص ١٠٣-١٠٤).
الفصل الرابع: مفهوم الغرب لحقوق الإنسان:
لم تظهر فكرة حقوق الإنسان جزئياً بشكل رسمي عند الغرب إلا في القرن الثالث عشر الميلادي، الموافق للقرن السابع الهجري، أي: بعد نزول الإسلام بسبعة قرون، وذلك نتيجة ثورات طبقية وشعبية في أوروبا، ثم في القرن الثامن عشر في أمريكا لمقاومة التميز الطبقي أو التسلط السياسي أو الظلم الاجتماعي.
١- حرية التدين في الغرب:
جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن لكل شخص الحق في حرية الدين وحرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرية الإعراب عنها بالتعليم والممارسة.
فالإنسان عند الغرب حر في أن يختار الدين الذي يريده وحر في أن يغير دينه متى شاء.
وهذا يتعارض مع تعاليم الإسلام الذي لا يجيز للمسلم تغيير ديانته، بل يعتبر ذلك ردة ويجب إقامة الحد فيها؛ لأن السماح بالردة يشكل خطراً على أمن الدولة الإسلامية، ويخالف ما قصده الإسلام من حفظ للضروريات الخمس التي على رأسها ضرورة حفظ الدين الذي تقوم الدولة الإسلامية أساساً عليه.
٢- حرية إقامة العلاقات الأسرية:
جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين.
فيبيح للكافر التزوج بمسلمة وللمسلم التزوج بالكافرة بدون أي قيود على ذلك.
وهذا يخالف تعاليم الإسلام التي لا تجيز للمرأة المسلمة أن تتزوج بغير المسلم، وذلك صيانة للأسرة من الانحلال بسبب الاختلاف في الدين عند احترام الزوج بموجب

عقيدته لمقدسات زوجته لأن المرأة أحد عنصري الأسرة الأكثر حساسية في هذا الموضوع بسبب شعورها بالضعف أمام الرجل".

٣- حق الحرية:

جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق".

وفي اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية: "لكل فرد الحق في الحرية والسلامة الشخصية ولا يجوز حرمان أحد من حريته إلا على أساس من القانون وطبقاً للإجراءات المقررة".

وهذا الحق يكاد أن يكون نظرياً اليوم، ويعاني الأفراد والشعوب الويلات من الإفراط والتفريط بحق الحرية، والمتاجرة بها والتغني فيها وعدم ضبط الممارسات فيها وحولها، حتى قالت إحدى نسائهم: "كم من الجرائم ارتكبت باسمك أيتها الحرية".

٤- حق التملك:

تفاوت مفهوم حق التملك عند الغرب تفاوتاً هائلاً.

فالرأسمالية أطلقت حرية التملك إلى أبعد الحدود وجردته من كل قيد حتى استبد الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال بمقدرات الأمم والشعوب واستنزفت خيرات البلاد وطبقات الفقراء والعمال.

بينما تمادت الشيوعية في الإفراط والغلو وألغت الملكية الفردية وفرضت ملكية الدولة الكاملة، واستولت على جميع وسائل الإنتاج، وأصبح العمال مجرد آلات للعمل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ١٠١).

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ١٨١).

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ١٥٥-١٥٦) بتصرف.

حقوق الإنسان للحقيل (ص ٨٢).

حقوق الإنسان للحقيل (ص ١٦١).

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ١٦٩).

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ١٦٩).

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ١٧٠).

حقوق الإنسان للزحيلي (ص ٣١٥).

الإسلام والديمقراطية

الشيخ فتحي منصور

قاضي المحكمة الشرعية - القدس

'Sheikh Fathi Mansour

-Judge, Islamic Shari'a Court

Jerusalem

إن فكرة الديمقراطية في وقتنا الحاضر تغزو العالم عبر مساحات واسعة من النشاطات الإعلامية والثقافية سواء على مستوى الندوات أو المحاضرات أو اللقاءات المرئية أو صفحات الجرائد وغيرها، أو عبر الحملات العسكرية لغزو البلدان العربية والإسلامية لنشر (الديمقراطية) في هذه البلاد وقمع الأنظمة (الديكتاتورية).

ولا شك أن في هذه الفكرة بريقاً قوياً خاصة بالنسبة للشعوب التي تعاني من القهر والاستبداد، وقد حول هذا البريق فكرة (الديمقراطية) من بُعد فكري ونظري لترتيب السياسة في المجتمع الى ممارسات عملية تتعلق بحريات أساسية منها حرية التعبير والتنقل والتنظيم وغيرها.

فالناس عامة لا يكترثون في البحث عن الأسس الفلسفية أو الفكرية التي تنطلق منها الديمقراطية، بقدر ما يهتمون ببعض المظاهر والممارسات السياسية التي يرتاحون إليها ويثنون عليها ويودون أن تكون جزءاً من واقعهم لعلهم ينعمون ببعض (الخيرات) التي تنعم بها الشعوب التي أقامت نظماً سياسية ديمقراطية.

وقد ساد هذا الانطباع الجماهيري العام عن الديمقراطية في العالم الإسلامي والوطن العربي حتى بات المفهوم الشعبي لها مرادفاً (للحرية). ولا ينتبه الكثيرون من الناس أن الحرية قد تكون أكثر شمولاً أو أقل اتساعاً من الديمقراطية، وأن لكل مفهوماً خاصاً ربما يتقاطع مع الآخر ولا يلتقي معه بالضرورة. وربما أن هذا الأمر هو الذي قاد بعض المفكرين والباحثين المسلمين إلى القول بأن الإسلام (ديمقراطي) وأن القيم الديمقراطية قيم إسلامية يجب الدفاع عنها، وبدلاً من أن يركزوا على البحث في مجال الحريات في الإسلام، انطلقوا يتحدثون عن الحداثة الإسلامية في ثوب ديمقراطي.

* إذن ما المقصود بالديمقراطية:

لقد عرفت الديمقراطية لغوياً أنها حكم الشعب.

وقد نشأ هذا المفهوم في أثينا في الثقافة اليونانية القديمة ثم تجسدت هذه الفكرة في العصور اللاحقة في الفكر السياسي الغربي واتخذت نشاطاً نضالياً من أجل الديمقراطية بين الحكام والمحكومين بلغ أوجه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما استطاع البريطانيون من الحد من صلاحيات الملك بعد ثورتي ١٦٤٩ و ١٦٨٨.

وكان ل (جون لوك) دور بارز في الدعوة للديمقراطية بالمفهوم الغربي والذي عرفها بأنها (حق الأكثرية التي اكتسبت سلطة الجماعة بالاتحاد في استخدام تلك السلطة لتشريع القوانين وتنفيذها بواسطة موظفين عينوا لذلك).

أما الولايات المتحدة فلم تعرب النظام الديمقراطي إلا بعد الاستقلال (١٧٧٦) وتجسدت في إعلان حقوق الإنسان وحريته. رغم أن الديمقراطية الأمريكية بقيت مشوهة إلى اليوم حيث لا يحق مثلاً الترشيح للرئاسة إلا لفئة معينة من الشعب كالبروتستانت أو البيض أو الانكلوسكسون، كما أن الثروة المالية للمرشح مقدمة على أن نوع من الكفاءات الأخرى.

أما في فرنسا فقد انفجرت الثورة سنة ١٧٨٩ معلنة حقوق الإنسان والمواطن، حيث عرف جان جاك روسو الديمقراطية بما يلي:
"يستطيع صاحب السيادة في المقام الأول أن يعهد بأمانة الحكم إلى الشعب كله أو إلى الجزء الأكثر منه بحيث يكون هناك من المواطنين الحكام أكثر من المواطنين الأفراد ويطلق على هذا الشكل من الحكومة اسم ديمقراطية".
أما (مونتسكيو) ففي معرض تقسيمه للحكومات اعتبر الحكم الديمقراطي شكلاً من أشكال الحكم الجمهوري.
فالديمقراطية في راية تحكم على أساس الفضيلة السياسية وتعني حب الدولة وحب المساواة، وفي ظل النظام الديمقراطي فإن المواطنين يختارون وفقاً لمبدأ المساواة وإمكانياتهم وقدراتهم، والسلطة التشريعية يجب أن تكون بين الأفراد كما أن التصويت يجب أن يكون عاماً.

إذن، فالديمقراطية بالمعنى اللغوي (حكم الشعب): هي قاعدة لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع في حال من الأحوال، وهو الأمر الذي يؤكده (روسو) حيث يقول (وإذا أخذنا عبارة الديمقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديمقراطية الحقيقية لم توجد أبداً ولن توجد أبداً فيما يخالف النظام الطبيعية أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر هو المحكوم ولا يمكن أن نتصور بقاء الشعب مجتمعاً على الدوام للنظر في الشؤون العامة ونستطيع أن نرى بسهولة أنه لا يمكن إقامة لجان من أجل ذلك دون تغيير في شكل الإدارة.
أما المفهوم الاصطلاحي للديمقراطية فقد أصبح يشمل معان أخرى أضيفت إليه كإعطاء الحرية للناس في تشريع القانون واختيار من ينفذه من خلال الانتخابات العامة التي تكفل المساواة للأفراد في المشاركة في الحياة السياسية حيث يكون الرأي للأغلبية.
ولا شك أن الحرية والمساواة مفاهيم تتوق إليها النفس الإنسانية التي بطبيعتها ترفض العبودية والظلم، ولذا نجد التغني بالديمقراطية واعتبارها الحكم المنشود لكل شعب مضطهد مظلوم تنطلق من هذين الشعارين اللذين ترفعهما.
إذن فالديمقراطية تعتبر منهجاً في الحكم يرمي إلى وضع حد لثنائية الحاكم والمحكوم التي سادت تاريخ أوروبا القديم والوسيط، واقترنت بانتشار الحكم الفردي وسيطرة الكنيسة وغياب القانون.
ويهدف هذا المنهج إلى استبدال هذا الوضع القديم بآخر جديد هو وضع الدولة الحديثة التي يحكمها القانون باعتبارها معبرّاً عن إرادة الشعب وملزماً للرئيس والمرؤوس معا.
ولبلوغ هذا الهدف يعتمد المنهج الديمقراطي على جملة من المبادئ الأساسية التي تتولد عنها آليات وأجهزة دستورية تختلف صيغتها التفصيلية من نظام إلى آخر، ويمكن إجمالها فيما يلي:
١. الشعب صاحب السيادة ومصدر السلطات والشرعية.
٢. انبثاق السلطات بواسطة الانتخابات

٣. الإقرار للأغلبية بأن تحكم وللأقلية بأن تعارض
٤. التعددية الحزبية
٥. التداول السلمي على السلطة
٦. مراقبة الحكام وممارسة التأثير عليهم
٧. فصل السلطات
٨. ضمان حريات المعتقد والتعبير والعمل النقابي
٩. حفظ مصالح الضعفاء والأقليات
١٠. احترام حقوق الإنسان

مقارنة عامة لبعض المفاهيم بين الديمقراطية والإسلام
مصدر التشريع
يمتاز نظام الحكم في الإسلام بخصائص أهمها:
١- الحاكمية لله
٢- السيادة للأمة
٣- الدولة الإسلامية واحدة في المبادئ، متعددة في الأشكال حسب الزمان والمكان.

- الحاكمية لله؛ تعني أن مصدر التشريع هو الله سبحانه وتعالى وحده وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى بالوحي.
- الحاكم منفذ لأحكام الله تعالى في الأمة مجتهد في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأساسية.
- طاعة الحاكم واجبة ما لم يخالف نصاً صريحاً.
- قال تعالى: (أيا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)

وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).
وقال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك).
قال تعالى(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)

أما النظام الديمقراطي، فإن حق التشريع للشعب، فالدستور وسائر القوانين هي من صنع البشر ويمثل على أفضل تقدير وفي لحظات مثالية تحكم الأكثرية بالأقلية.
وشتان بين نظام وضعه خالق الإنسان والعالم بخفايا نفسه والقادر على وضع ما يصلها من القوانين التي توصل الإنسان إلى سعادته الحقيقية وبين نظام يستمد من

الإنسان الذي هو في أفضل حالات نزاهته وتجرده عن اللذات عرضة للخطأ الذي يذهب ضحيته البشر.

اختيار الحاكم

- حق اختيار الحاكم هو للأمة بواسطة أهل الحل والعقد، فالحكم بالإسلام هو عقد عن تراض بين الأمة والحاكم.
- البيعة تعني الطاعة والقبول
- الحاكم مقيد بتبني الأحكام الشرعية المستنبطة استنباطاً صحيحاً من الأدلة الشرعية ومقيد بالحلال والحرام.
- لا يخرج على الحاكم أو يعزل إلا إذا أظهر كفراً بواحاً.

عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المكره والمنشط، فبايعناه، فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان).

الشورى

- الشورى ضرورة إنسانية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلاقات الفردية.

قال عليه الصلاة والسلام (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه)

وهي في النظام السياسي في الإسلام من لوازم الإيمان بالله تعالى.

قال تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون).

- النظام السياسي في الإسلام نظام شوري يرفض جميع أشكال الحكم الاستبدادي وكل الأنظمة السياسية الغوغائية والفوضوية.
- قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين).
- الحاكم يمارس تنفيذ هذا النظام من خلال الوقوف على رأي فئة من الأمة تتصف بالذكاء والحنكة والتجربة والإخلاص للنظام والأمة، وهذه الفئة تمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً بجميع قطاعاتها وتحاسب الحاكم محاسبة من شأنها تسديد مسيرته ودعمه في اتجاهاته الخيرة وتعينه على اتخاذ القرارات المهمة والحسم في المواقف التي تواجهه.

لما سار رسول الله إلى بدر خرج فاستشار الناس فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه ثم استشارهم فأشار عليه عمر عنه فسكت فقال رجل من الأنصار إنما يريدكم، فقالوا يا رسول الله، "والله لا نكون كما قالت بنوا إسرائيل لموسى عليه

السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)، ولكن والله لو ضربت أكباد الإبل، حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك".
المرأة

- لقد وزع الإسلام الاختصاصات العملية توزيعاً يوافق طبائع الذكورة والأنوثة.
- كفل الإسلام للمرأة حقوقاً عديدة في المجالات السياسية، فقد أقر لها حق المشاركة السياسية من حيث إبداء الرأي، وأن الآية الكريمة (وأمرهم شورى بينهم) لم تخص الرجال دون النساء.

وقد شاركت أم سلمة في صلح الحديبية وهي التي أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحلق رأسه.
كما عارضت أسماء بنت أبي بكر بيعة بأنها عبد الله بن الزبير للأمويين.

- منح الإسلام للمرأة حق التعبير عن الرأي أسوة بالرجال.

فقد خطب عمر رضي الله فقال: (ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقالت إليه امرأة فقالت: يا عمر يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول (وآتيتم إحداهم قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً)، فقال عمر، أصابت امرأة وأخطأ عمر، وفي رواية فاطرق عمر ثم قال كل الناس افقه منك يا عمر، وفي رواية أخرى امرأة أصابت ورجل أخطأ وترك الإنكار.

- ساوى الإسلام بين الذكور والإناث في حق التعليم والثقافة
- فسح الإسلام أمام المرأة مجال العمل وراعى تركيبة المرأة البيولوجية وأنوثتها.

==================

يقول الأستاذ فهمي هويدي: "يظلم الإسلام مرتين: مرة عندما يقارن بالديمقراطية ومرة عندما يقال إنه ضد الديمقراطية، إذ المقارنة بين الاثنين خاطئة وادعاء التنافي خطيئة، الأمر الذي يحتاج إلى تحرير أولاً واستجلاء ثانياً".

مفهوم الديمقراطية وتاريخها
لقد عرفت الديمقراطية لغوياً أنها حكم الشعب.
وقد نشأ هذا المفهوم في أثينا في الثقافة اليونانية القديمة ثم تجسدت هذه الفكرة في العصور اللاحقة في الفكر السياسي الغربي واتخذت نشاطاً نضالياً من أجل الديمقراطية بين الحكام والمحكومين بلغ أوجه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما استطاع البريطانيون من الحد من صلاحيات الملك بعد ثورتي ١٦٤٩ و ١٦٨٨.
وكان لـ (جون لوك) دوراً بارزاً في الدعوة للديمقراطية بالمفهوم الغربي والذي عرفها بأنها (حق الأكثرية التي اكتسبت سلطة الجماعة بالاتحاد في استخدام تلك السلطة لتشريع القوانين وتنفيذها بواسطة موظفين عينوا لذلك).

أمـا الولايـات المتحـدة فلـم تعـرف النظـام الـديمقراطي إلا بعـد الاسـتقلال (١٧٧٦) وتجسدت في إعلان حقوق الإنسان وحريته. رغم أن الديمقراطية الأمريكية بقيت مشوهة إلى اليوم حيث لا يحق عملياً الترشيح للرئاسة إلا لفئة معينة من الشعب كالبروتستانت أو البيض أو الانكلوسكسون، كما أن الثروة المالية للمرشح مقدمة على أن نوع من الكفاءات الأخرى.

أما في فرنسا فقد انفجرت الثورة سنة ١٧٨٩ معلنة حقوق الإنسان والمواطن، حيث عرف جان جاك روسو الديمقراطية بما يلي:

"يستطيع صاحب السيادة في المقام الأول أن يعهد بأمانة الحكم إلى الشعب كله أو إلى الجزء الأكثر منه بحيث يكون هناك من المواطنين الحكام أكثر من المواطنين الأفراد ويطلق على هذا الشكل من الحكومة اسم ديمقراطية".

أما (مونتسكيو) ففي معرض تقسيمه للحكومات اعتبر الحكم الديمقراطي شكلاً من أشكال الحكم الجمهوري.

فالديمقراطية في راية تحكم على أساس الفضيلة السياسية وتعني حب الدولة وحب المساواة، وفي ظل النظام الديمقراطي فإن المواطنين يختارون وفقاً لبمدأ المساواة وإمكانياتهم وقدراتهم، والسلطة التشريعية يجب أن تكون بين الأفراد كما أن التصويت يجب أن يكون عاماً.

إذن، فالديمقراطية بالمعنى اللغوي (حكم الشعب): هي قاعدة لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع في حال من الأحوال، وهو الأمر الذي يؤكده (روسو) حيث يقول (وإذا أخذنا عبارة الديمقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديمقراطية الحقيقية لم توجد أبداً ولن توجد أبداً فيما يخالف النظام الطبيعية أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر هو المحكوم ولا يمكن أن نتصور بقاء الشعب مجتمعاً على الدوام للنظر في الشؤون العامة ونستطيع أن نرى بسهولة أنه لا يمكن إقامة لجان من أجل ذلك دون تغيير في شكل الإدارة.

مفهوم الديمقراطية حالياً

يقول الأستاذ راشد الغنوشي: مفهوم الديمقراطية مفهوم واسع يتسع لمعاني كثيرة، ولكنها قد تلتقي عند معنى أنها نظام سياسي يجعل السلطة للشعب، ويُمكّن المحكومين من القدرة على التأثير في حكامهم، بل قبل ذلك يعطيهم الحق في اختيار حكامهم وفي التأثير فيهم والضغط عليهم، وعند الاقتضاء إلى تغييرهم عبر آليات قد تختلف من نظام ديمقراطي إلى آخر، ولكنها تلتقي أيضاً عند آلية الانتخاب أي الاقتراع الحر عبر خطوات كثيرة وأشكال، وبالتالي يحقق هذا النظام التداول على السلطة عبر صناديق الاقتراع، ويمكّن الناس- أي المحكومين- من حريات كالتعبير، وتكوين الأحزاب واستقلال القضاء، وبالتالي فالديمقراطية هي شكل يعلن عن أن هذا النظام السياسي يقوم على سيادة الشعب، ومن جهة أخرى جملة من المضامين والقيم تقر بكرامة الناس وبمساواتهم لبعضهم، ويقر لهم بجملة من الحقوق وجملة من الحريات تجعلهم قادرين على اختيار حكامهم والضغط عليهم وتغييرهم بالوسائل السلمية، تعطيهم الحق في المشاركة في السلطة، وتجعلهم آمنين من الجور أو من الاستبداد.

الإسلام والديمقراطية
يقول الدكتور يوسف القرضاوي : "الحكم على الشيء فرع عن تصوره" ومن هنا كان لابد أن نعرف ما هي الديمقراطية ،الديمقراطية بجوهرها هذا لا تنافي الإسلام لأنها تقوم على عدة مبادئ:
أولاً: أن يختار الناس من يحكمهم: لا أن يقود الناس من يكرهونه ولا يرضون عنه، فإذا كان الإسلام قال فيحق الإمامة الصغرى –المقصود إمامة الصلاة-: "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً، أول هذه الثلاثة "رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون" (رواه ابن ماجه والترمذي والطبراني و إسناده حسن أو صحيح)فإذا كان هذا بالنسبة للإمامة الصغرى فما بالك بالإمامة الكبرى بقيادة الأمة وفي الحديث (الذي رواه مسلم وأحمد والطبراني): "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ،وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم"
ثانياً: المحاسبة: وهي أن يحاسب الناس هذا الشخص بعد اختياره إذ لا معصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلابد إذاً أن يقوَّم الخطأ وأن يعان على الصواب، سيدنا أبو بكر يقول: "أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة عليكم، إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني"، وابن الخطاب يقول على المنبر: "رحم الله امرئ أهدى إلى عيوب نفسي، مرحباً بالناصح أبد الدهر، مرحباً بالناصح غدواً وعشياً، من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقومه"، وهكذا فمن حق الأمة يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: "الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم" .
ولذلك حمل القرآن حملة شعواء على المتألهين في الأرض، نمروذ الذي قال لإبراهيم (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)، فرعون الذي قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى)، ومن مع فرعون؟ هامان وقارون، هامان السياسي الوصولي الذي يسند الطاغية المتجبر، والرأسمالي الإقطاعي الذي يسند هذا وذاك قارون، الإسلام حمل على هؤلاء يعني جميعاً، وحمل على الشعوب التي تتبع هؤلاء، ولذلك قال عن قوم فرعون: (وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً) وقال عن عاد قوم هود: (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)، لا يجوز للأمة أن تتبع.. وقال عن فرعون: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) (فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) حمل الشعوب المسؤولية، لأن الشعوب يجب أن تتحمل تبعاتها في اختيار الحاكم ومساءلته، لا أن تكون قطيعاً يسوقه الحاكم بعصاه.
ثالثاً: القيم الديمقراطية: كالحرية والكرامة وحقوق الإنسان ،هذه كلها مبادئ إسلامية، هي عندهم تسمى حقوقاً، عندنا تسمى فرائض، يعني ما يعتبر في الديمقراطية حقاً في الإسلام يعتبر فرضاً وليس حقاً يجوز التنازل عنه ومن أهم هذه الفرائض:
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فرض عليك أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، وإلا دخلت في الذين لعنوا كما لعن بنو إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم.. لماذا؟ (كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ).
- كرامة الإنسان في الإسلام : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)
- المساواة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

فكل المعاني التي قامت عليها الديمقراطية معاني يقرها الإسلام، فلذلك نحن في غنى أن نقول ديمقراطية، ولكن لأن الديمقراطية وصلت إلى صيغ وأساليب وضمانات لتحقيق هذه القيم السياسية التي جاء بها الإسلام، فنحن نقول البشرية في صراعها مع الطغاة والمستبدين طوال العصور استطاعت الوصول إلى تلك القيم فلماذا لا نستفيد منها.
الإسلام والديمقراطية...هل يكتب التوفيق لهذا الزواج-الجزء١

الحاجة إلى الديمقراطية
يقول الأستاذ راشد الغنوشي : غابت دولة الشورى في كل المستويات منذ القرن الأول (قال عليه الصلاة والسلام:الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً)وأصبحنا نورَّثَ إلى هؤلاء الملوك، و ساد التقليد وهو شكل من أشكال الاستبداد أيضاً ، وفي مجال التربية ساد التصوف الأعمى "المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي من يغسله"وهذا يلغي إرادة الناس يلغي إرادة من يسمون المريدين لصالح الشيخ.
فأصبحنا إذاً مجتمعنا ينتج الاستبداد ويتحرك في إطار الاستبداد.
فلما انفتحت النوافذ وجاء الهواء لم نستطع أن نتعايش مع الفكر الحديث، وبادرنا برفضه، على سبيل المثال انظر ما حصل في أفغانستان في التسعينات ، خرب البلد على يد مجاهدين، لماذا؟ لأنهم لو اتفقوا على الديمقراطية كآليات لحسم خلافاتهم لرجعوا للشعب الأفغاني واحتكموا له، ومن يرضى به الشعب يُقبل، ولكن هؤلاء كثير من مشايخهم يرفضون الديمقراطية لأنها حرام –بزعمهم- وأن الشعب ليس محل ثقة، ويقولون بنظام يتخيلونه واضحاً، ولكنها مجرد أسماء: يقولون نظام أهل الحل والعقد، من هم أهل أحل والعقد؟ كيف نختارهم؟ هؤلاء كانوا واضحين في مجتمع صغير كمجتمع المدينة، كيف نتوصل إليهم اليوم دون ممارسة الآليات الحديثة، آليات الديمقراطية في الانتخاب؟ فخرب البلد رغم أنهم قد يكونون صالحين ومجاهدين، لكنهم ورثوا هذا التخلف في فقهنا السياسي، فلم يتوفقوا إلى آليات لحسم خلافاتهم
في الحركة الإسلامية جوانب كثيرة للتجديد ، فالإسلام أقر مبدأ الشورى، وأمرنا ألا يقرر الفرد ولاالنخبة المستبدة في القضايا الكبرى ، وإنما الأمة كلها تُشارك في صناعة القرار.
فكرة المشاركة هذه فكرة أساسية جاء بها الإسلام، وأظن أن غيابها وإقصاء الأمة عن شأنها واستبداد الأفراد بالمجموع هو الذي أنهك حضارتنا وأسلمها إلى الانهيار، على حين توفق الغرب في أن يحول شورانا هذه- مبدأ الشورى المبدأ العظيم- أن يجعل له آليات تجعل من الشورى نظاماً يحقق التداول على السلطة، ويحقق الأمن من الجور، ويعطي للناس للشعب وسائل الضغط على الحكام، ويعطي وسائل النصح والتغيير، وبالتالي أمِن الغرب من الاستبداد، وبقينا نحن المسلمين لا أمل لنا في نصح حكامنا- فضلاً عن تغييرهم- إلا أن ننتظر زيارة ملك الموت لمستبد أو إعلان دبابة في الهزيع الأخير من الليل، وهذه كارثة على الحاكم والمحكوم بصراحة.

ويرى بعض المفكرين أن الابتعاد عن الديمقراطية يؤثر على الدور الرسالي للإسلام حيث يقول مراد هوفمان: إذا لم يتمكن العالم الإسلامي من تأكيد العنصر الديمقراطي الأصيل الكامن في تكوينه، وسيترتب على ذلك أن المسلمين لن يتمكنوا من تحقيق وتطوير إمكاناتهم في شتى المجالات: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، وسيعقب ذلك تخلفه وعجزه السياسي.

الشورى واجب إسلامي

أوجب الإسلام الشورى، الحاكم يجب أن يستشير الناس ولا يستبد بالرأي، والشورى كما قال الإمام ابن عطية في تفسيره: "من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين من الأمراء فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه".

وبين الدكتور البوطي أن الشورى تمتاز عن الديمقراطية بأنها "واجب في الوقت ذاته، كلف الله به الأمة، وحمل سائر أفرادها مختلف تبعاته.." وأوضح أن الشورى الشرعية أو التشريعية تعتبر "عبادة تعاونية محضة يبتغى منها الوصول إلى مرضاة الله".

و يقول الدكتور يوسف القرضاوي :إن الإسلام أقام الحياة السياسية على مبدأ الشورى، وهو مقرر في القرآن الكريم بقوله تعالى في وصف مجتمع المؤمنين (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) هذا في القرآن المكي، وفي القرآن المدني قال الله تعالى لرسوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) وإذا كان الرسول مأموراً بالمشاورة فغيره أولى بأن يشاور يعني قطعاً، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر الناس مشاورة، كما جاء في صحيح البخاري، أكثر الناس مشاورة لأصحابه، هو النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يعني معروف، شاور في غزوة بدر ، وشاور في غزوة أحد، وشاور في غزوة الخندق، وكثيراً ما نزل عن رأيه إلى رأي أصحابه.

في غزوة بدر شاور قبل الغزوة، وشاور في أثناء الغزوة، وشاور بعد الغزوة في مسألة الأسرى، في غزوة أحد شاور أيضاً الصحابة في الخروج إلى المشركين أم البقاء في المدينة، وكان رأيه ورأي كبار الصحابة أن يبقوا في المدينة، ولكن الشباب وهم جمهور الناس رفضوا ذلك، وقالوا: يعني ما دخل علينا فيها في الجاهلية. أفي الإسلام يدخلون علينا؟! وأبوا إلا أن يخرجوا، فنزل على رأيهم، في غزوة الخندق أيضاً استشار السعود: سعد بن معاذ، وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، وسعد بن مسعود من الأنصار حينما عرض عليه قبيلة غطفان أن يأخذوا ثلث ثمار المدينة أو نصف ثمار المدينة ويرجعوا وينفضوا عن قريش، وعرض الرسول عليهم هذا، وقال لهم: إن العرب رمتكم عن قوس واحدة، فلا مانع إن إحنا نقسم المهاجمين بأننا نصالح بعضهم وأن نتفرغ للبعض، ولكن هؤلاء السعود وهم يمثلون الأنصار رفضوا ذلك قالوا ما أخذوا منا تمرة في الجاهلية بعد أن أعزنا الله بالإسلام يأخذون منا؟ رفضوا ونزل النبي -صلى الله عليه وسلم- على رأيهم.

و يقول مراد هوفمان معلقاً: إن آية الشورى (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) جعلت واجب الشورى يمتد إلى المؤمنين كافة وليس الرسول وحده، وقرنت واجب الشورى بفرض الصلاة. وهذه الصيغة ذات أهمية قصوى ،حتى وإن كان فرض الأخذ بالشورى - كما هو الحال في الغرب - قد عطل وانتهى الأخذ به في التاريخ الإسلامي الذي يتسم بالتسلط، ولم يعد الأخذ بالشورى موضع تنفيذ منذ حكم الأسرة الأموية في دمشق عام ٧٥٠.انتهى
ومنذ تلك اللحظة بدأ فشل المسلمين السياسي وقد صدق عليه الصلاة والسلام إذ يقول: "لينتقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة"
وبهذا فلا يجوز للمسلمين أن يفتخروا بالممارسة السياسية التي مارسوها – أو بالأصح مارسها الملوك- بعد نهاية العقد الرابع للهجرة.

آليات الديمقراطية الإسلامية
يقول مراد هوفمان: أما أهم الشروط التي يجب توافرها في كيان حكم إسلامي صحيح، هو أن يسود فيه الإجماع على من يحكم وما يحكم، أي أن يتم الحكم بموافقة الغالبية، حتى يكون هناك عقد (بمفهوم روسو) يحكم العلاقة بين الشعب والحكومة، ويسمى العقد الاجتماعي، وهو في الإسلام البيعة.
وفي الجزائر مثلاً اقترح الشيخ محفوظ نحناح زعيم الحركة الإسلامية الجزائرية تسمية الشكل الإسلامي للديمقراطية، شورى قراطية أي النظام الشوروي).
وأعتقد أن على المسلمين بدلاً من الوقوف عند مفردات منفرة، وإضاعة الجهد في مجادلات كلامية، أن يتبينوا أن أهم أهداف الديمقراطية ووظائفها، إنما هي تأمين وجود رقابة منظمة على الحكومات لمنع أي ظلم وتسلط وسوء استخدام للسلطة، وما هذا إلا جوهر الأهداف الإسلامية.
ويتم تحقيق هذا في ديمقراطية إسلامية لها لبناتها.
وقد استخرجت من كلام هوفمان أهم تلك اللبنات:
- اللبنة الأولى: بجعل القرآن الكريم المصدر الأعلى للدستور
- اللبنة الثانية: يجب أن توضع جميع القوانين المستمدة من القرآن الكريم موضع اعتبار وقياس من قبل قانونيين مسلمين.
ملاحظة:وهذا لا يعارض ممارسة الديمقراطية فالديمقراطيات محكومة بالدساتير و الديمقراطية الإسلامية محكومة بدستور مستمد من شرع الله.
- اللبنة الثالثة: قيام حياة نيابية إسلامية بناءً على التوجيه القرآني بوجوب الشورى إذ لا ينكر أي مسلم في يومنا هذا وجوب الأخذ بالشورى، ولا نفكر حقيقة أن الشورى لا يمكن أن تتم في المجتمعات الحديثة ذات الكثافة العالية من خلال كل الأفراد، بل من خلال مجلس منتخب يمثل ناخبيه كما فعل موسى عليه السلام من قبل " وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا"

- اللبنة الرابعة (الاقتراع وسيلة الانتخاب): السؤال الذي يمكن أن يطرح من وجه نظر إسلامية ويكون موضع خلاف، ليس وجود مجلس للشورى، ولكن كيفية انتخاب أعضاء هذا المجلس.
فإذا قام الحاكم _كما هو متبع في كثير من البلدان الإسلامية _ بتعيين أعضاء هذا المجلس، فكأنما يقوم الحاكم الذي يجب مراقبته بمراقبة نفسه بنفسه. ولذلك هناك تأييد متزايد للانتخابات العامة الحرة لممثلي الشعب، ويحظى هذا الاقتراح بموافقة غالبية المسلمين.
هناك عقبة من المحتمل أن تعوض الممارسة الديمقراطية، وهي أنه يجب على المسلم أن يمتنع عن أن يطلب لنفسه منصباً سياسياً. ولقد كان هذا الأمر -أي أن يطلب المرء لنفسه منصباً سياسيا -موضع رفض بل ازدراء، حتى إن الرسول محمد لم يعين أحدا في منصب قيادي قد يكون طلبه لنفسه. (ولابد أن يصل المسلمون إلى اجتهاد مناسب لحل هذا الإشكال كأسلوب التزكية مثلاً الذي اقترحه د.القرضاوي)
- اللبنة الخامسة(الشورى الملزمة):وهو أمر سنأتي إلى شرحه تفصيلاً في فقرة اعتراضات على الديمقراطية.
- اللبنة السادسة(الإقرار بالتعددية): يذكر القرآن إمكانية اختلاف آراء ووجهات نظر المسلمين" فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا" ولكن للأسف يؤمن بعض المسلمين أن اختلاف وجهات النظر ما هو إلا دليل لسوء النوايا .
- اللبنة السابعة(السلطة التشريعية): هناك ضرورة لإصدار تشريعات لا تنظم فقط الجوانب الفنية لبناء الشوارع والتعريفة الجمركية والمسائل الصحية وضمانات العمل وغيرها ، بل أيضاً هناك ضرورة لإصدار أحكام تكميلية في مجال التعزير مثلاً. حدث هذا في عهد الخلافة العباسية، حيث وجد نظامان للأحكام، تزامنا معاً: أحكام الشريعة من ناحية، ومن ناحية أخرى نظام إدارة وأحكام متحرز نسبياتهم من خلاله استحداث عقوبات لم يذكرها القرآن، مثل دفع الغرامة نقداً، والسجن.
أما الأمور التي لا تقبل التأويل فيجب في النظام الإسلامي التنبيه أن "لا اجتهاد في مورد النص"
- اللبنة الثامنة : فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية .

الحرية بين الإسلام والديمقراطية
[الكاتب: أبو بصير الطرطوسي]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.
وبعد...
لا توجد كلمة تغنت بها الشعوب، واستهوتها قلوبهم ككلمة "الحرية"!
تنادوا بها في كل وادٍ ونادٍ، وفي كل خطبة ومقالٍ أو كتاب، ورفعوها شعاراً، وجعلوها غاية يرخص في سبيلها كل غالٍ ونفيس!

وفي كثير من الأحيان ينادون بها ولا يعرفون ما الذي يريدونه منها؟!
إلى أن أصبحت هذه الكلمة - لشدة فتنة الناس بها - مطية دهاقنة الحكم والسياسة إلى أهدافهم ومآربهم ومصالحهم الخاصة، وليصرفوا إليهم وجوه الناس!
وأصبحت الحرية - في كثير من الأحيان - ذريعة وسبباً لوأد الحرية، والحريات، وإعلان الحروب على كثير من الشعوب!
وصوروا أن الديمقراطية هي التي تحقق لهم الحرية، لأنها تقوم على الحرية، لذا جعلوا من لوازم مناداتهم بالحرية التنادي بالديمقراطية، وكأن كل واحدة منهما لازمة للأخرى ومؤدية إليها ولا بد، فمن كان محباً للحرية والتحرر لا بد من أن ينادي بالديمقراطية، ويكون محباً لها والعكس كذلك، وكل من كان عدواً للديمقراطية فهو عدو للحرية، كما زعموا!
والسؤال الذي يفرض نفسه بقوة:
هل الديمقراطية - كما تمارس في أرقى الدول الغربية الديمقراطية - فعلاً تحقق الحرية التي يحتاجها ويريدها الإنسان، وترقى به إلى المستوى المطلوب والمنشود من الحرية؟!
وما هي نوعية وصفة وحدود الحرية التي تحققها الديمقراطية للشعوب؟!
وهل الإنسان الأمريكي أو الأوربي فعلاً هو حر، وهل الحرية التي يعيشها في بلاده ومجتمعاته فعلاً هي الحرية، أو من الحرية؟!
وهل الإسلام يتعارض مع مبدأ الحرية، أم أنه يقرها ويدعو إليها؟!
ثم - إن كان يقرها - كيف ينظر للحرية، وكيف يمارسها، وما هو الممنوع منها وما هو المسموح؟!
وهل الحرية التي يريدها الإسلام هي ذات الحرية التي تريدها الديمقراطية، أم يوجد فارق بينهما؟!
ثم أيهما أصدق لهجة وواقعاً مع الحرية المنشودة، الإسلام أم الديمقراطية؟!
هذه الأسئلة وغيرها تحملنا على المقارنة بين الحرية كما يريدها الإسلام، وكما مارسها لأكثر من ألفٍ وأربعمائة سنة خلت، ولا يزال يمارسها ويدعو إليها، وبين الحرية كما تريدها الديمقراطية، وكما تمارس في واقع أرقى الدول والمجتمعات الديمقراطية المعاصرة، لنرى أيهما أجدى نفعاً، وأصدق لهجة، وأولى بالسلامة، وأقرب للحق والصواب!
فأقول:
الحرية في الديمقراطية، يقوم بتحديدها، وتحديد المسموح منها من الممنوع الإنسان القاصر الضعيف، وفق ما تملي عليه أهواؤه ونزواته وشهواته، وهذا يعني أن مساحة الحرية في الديمقراطية تتسع أحياناً وتضيق أحياناً، بحسب ما يرتئيه الإنسان المشرِّع في كل يوم أو ظرف، بحسب ما يظن فيه المصلحة!
وهذا يعني أن الشعوب تكون حقل تجارب، وهي في حالة تغيير وتقلب مستمر مع ما يجوز لهم ومالا يجوز لهم من الحرية!
بينما الحرية في الإسلام، الذي يقوم بتحديدها، وتحديد المسموح منها من الممنوع، هو الله تعالى وحده، خالق الإنسان المنزه عن صفات النقص أو الضعف والعجز،

العالم بأحوال عباده وما يُناسبهم وما يحتاجون إليه، وبالتالي فالحرية في الإسلام تمتاز بالثبات والاستقرار، فالذي يجوز من الحرية للإنسان قبل ألف وأربعمائة سنة يجوز له إلى قيام الساعة، فكل امرئٍ يعرف ما له وما عليه، والمساحة التي يمكن أن يتحرك بها كحق وهبه الله إياه!

كما أنها تمتاز بالحق المطلق والعدالة المطلقة؛ لأنها صادرة عن الله عز وجل، وهذا بخلاف الحرية في الديمقراطية الصادرة عن الإنسان الذي يحتمل الوقوع في الظلم والخطأ، والقصور!

الحرية في الديمقراطية، يكون الإنسان حراً في دائرة المباحات التي أذن له المشرعون من البشر أن يتحرك بها!

بينما الحرية في الإسلام، يكون الإنسان حراً في دائرة المباحات والمسموحات التي أذن الله بها، وأذن لعبده استباحتها والتنعم بها، والتحرك فيها!

الحرية في الديمقراطية، تحارب وتنكر الشر الذي يتفق عليه المشرعون من البشر بأنه شرٌّ، وهذا من لوازمه - بحكم جهلهم وقصورهم وعجزهم - أن يدخلوا كثيراً من الشر في دائرة الخير الجائز والمباح، كما من لوازمه أن يدخلوا كثيراً من الخير في دائرة الشر الممنوع والمحظور، عقلاً وشرعاً!

كم من أمر يجيزونه تحت عنوان الحرية ثم بعد ذلك يظهر لهم خطؤهم وظلمهم فينقضونه ويمنعونه، وكذلك كم من أمر يحرمونه ويمنعونه ثم يظهر لهم نفعه، فيجيزونه ويُبيحونه، وهذا كله يقلل من قيمة الحرية التي يدعونها!

بينما الحرية في الإسلام، تحارب وتنكر الشرَّ الذي حكم الله تعالى عليه بأنه شرٌّ، الذي ما بعده إلا الخير، وذلك لما ذكرناه آنفاً أن الله تعالى منزه عن الخطأ أو الزلل سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى لا يجيز إلا الخير والنافع، كما أنه لا يحرم إلا كل شرٍّ وقبيح!

فالله تعالى جميل يحب الجمال، وبالتالي فهو لا يُشرِّع إلا الجميل والجمال، فحاشاه سبحانه وتعالى أن يشرع القبيح أو يأذن به!

ومنه نعلم أن الحرية في الإسلام، تتحرك في جميع ميادينها مع الجميل والجمال، وتبتعد كل البعد عن الخبائث والقبائح!

الحرية في الديمقراطية، تعبد العبيد للعبيد، فتجعل العبيد منقادين لعبيد ربما يكونون أقل منهم شأناً، يُشرعون ويُقننون لهم، يُحرمون ويُحلون لهم، وليس على الآخرين إلا الطاعة والاستسلام والانقياد، والخضوع!

فأي حرية هذه، مع العبودية للمخلوق هذه؟!

بينما الحرية في الإسلام، فإنها تعمل على تحرير العباد - كل العباد - من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وحده سبحانه وتعالى!

فإن قيل: هي في نهاية المطاف عبادة وعبودية، فأين الحرية؟!

أقول: أجيب على هذا السؤال الساقط من أوجه:

منها: أن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان، وأنشأه ورباه، وهداه النجدين، وسخر له الكون كله، وبالتالي من حقه سبحانه وتعالى أن يُعبد، ومن الواجب على عباده أن يعبدوه ويُخلصوا في عبادته سبحانه وتعالى، وشكره، واتباع أوامره!

فعبادة العبد لخالقه وحده، عز، وفخر، ورفعة، وشرف ما بعده شرف، بينما عبادته للمخلوق العاجز الضعيف، ظلم، وذل، وضياع، وعذاب ما بعده عذاب!

ومنها: أن المرء فُطر على العبودية والتدين، فهو إن لم يكن عبداً لخالقه، فسيكون لا محالة عبداً للمخلوق وفي الباطل، أياً كانت صورة ونوعية هذا المخلوق!

ومنها: أن إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، هو عين التحرر من عبادة الآلهة الأخرى الوضيعة المكذوبة المزعومة!

الحرية في الديمقراطية، تُخضع الإنسان لكثير من المؤثرات والضغوط الخارجية التي تفقده كثيراً من حرية الاختيار والتفكير: ضغط الإعلام بجميع فروعه وتخصصاته ووسائله، ضغط إثارة الشهوات ووسائل اللهو بجميع أصنافها وألوانها، وما أضخمها، ضغط الحاجة والسعي الدؤوب وراء الرزق والكسب، ضغط سحرة الساسة والأحبار والرهبان ومدى تزويرهم للحقائق، ضغط المخدرات والمسكرات المنتشرة في كل مكان، وأخيراً التلويح باستخدام عصا الإرهاب والتهديد الجسدي والمادي لمن يستعصي على جميع تلك الوسائل والضغوطات، ولا يستعصي عليها إلا من رحمه الله، وما أقلهم!

فهذه الضغوط والمؤثرات تُسلب المرء صفة حرية الاختيار، والتفكير، واتخاذ المواقف التي يريدها ويرضاها بعيداً عن تلك المؤثرات الخارجية المصطنعة!

هذه الضغوط والمؤثرات التي يصعب الفكاك منها، تُسلب المرء حريته، وإن زعم بلسانه أنه حرٌّ، وظهر للآخرين بأنه حر!

لذلك نجد طغاة القوم ومستكبريهم، وأحبارهم ورهبانهم، لا يحتاجون إلى مزيد عناء عندما يريدون من شعوبهم أن تسير في اتجاه دون اتجاه، أو يريدون حملهم على استعداء جهة دون جهة، أو على اختيار شيء دون شيء، يكفي لتحقيق ذلك أن يُسلطوا عليهم قليلاً من تلك المؤثرات والضغوطات الآنفة الذكر، ولفترة وجيزة من الوقت!

هذه الضغوط والمؤثرات التي تسلب المرء حريته، هي المعنية من قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ليس مكر الليل وحسب، أو مكر النهار وحسب، بل هو مكر الليل والنهار وعلى مدار الوقت، بحيث لا يُعطى المرء منهم لحظة واحدة يخلد فيها للراحة والهدوء والتفكير، حتى لا يهتدي إلى الحق، ويعرف أين هو من الصواب!

بينما الحرية في الإسلام، تحرر المرء من جميع تلك المؤثرات الخارجية التي تقلل من حريته وحرية اختياره وقراره، وربما تسلبها كلها، لتعيد له جميع قواه النفسية والجسدية والمعنوية، وترفع عنه جميع الأغلال والقيود، ثم تقول له بعد ذلك: اختر الذي تريده، {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.

الحرية في الديمقراطية، تمر بصاحبها على الجيف المتآكلة، وعلى القبائح، وعلى الأمراض، وعلى الفساد، وعلى كل ما يُفسد الذوق الجميل، والطبائع السوية، فتجرئه على الشذوذ والاعتداء، والإدمان على ذلك!

ومثله كمثل الذي يقود سيارة بلا كوابح، ولا ضوابط، ولا مراعاة لحقوق طريق أو مار، فيصطدم بالجميع، ويمر على الجميع، ويعتدي على الجميع!
بينما الحرية في الإسلام، تمر بصاحبها على كل ما هو جميل أو طيب، كما أنها لا تسمح له أن يتعدى ذلك، ليمر على الخبائث والجيف والأمراض، لتحافظ على سلامة ذوقه، وتفكيره، وصحته، وإيمانه!
ومثله كمثل الذي يقود سيارة بكوابح وضوابط، ينطلق حيث ينبغي الانطلاق، ويقف حيث ينبغي التوقف، ويُعطي كل ذي حقٍّ حقه، من غير إفراطٍ ولا تفريط!
الحرية في الديمقراطية، تظهر وكأنها منحة يمن بها الإنسان على أخيه الإنسان، يعطيه منها ما يشاء ويسلبها منه متى يشاء!
بينما الحرية في الإسلام، حق وهبه الله تعالى لعباده، وفطرهم عليه، لا منة فيه لمخلوق على مخلوق، لا يجوز أن يُسلب أو يُنتقص منه شيء إلا بإذن الله، وبسلطانٍ بينٍ منه سبحانه وتعالى، يتجسد هذا المعنى في مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض أمرائه: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).
هذه هي الحرية في الديمقراطية، وهذه هي الحرية في الإسلام، فأي الفريقين أولى بالحرية، والسلامة، والحق؟!
الحرية في الديمقراطية أم الحرية في الإسلام؟!
{وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
عبد المنعم مصطفى حليمة؛ أبو بصير
١٤٢٣/٣/٨ هـ

١٧٠ـ ما موقف الإسلام من الفنون ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
١ ـ الإسلام دين يحب الجمال ويدعو إليه فى كل شىء. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: [إن الله جميل يحب الجمال] (١). والفن هو فى حقيقته إبداع جمالى لا يعاديه الإسلام. وغاية ما فى الأمر أن الإسلام يجعل الأولوية للمبدأ الأخلاقى على المبدأ الجمالى ، بمعنى أنه يجعل الثانى مترتبًا على الأول ومرتبطًا به. وهذا هو الموقف المبدئى للإسلام إزاء جميع أشكال الفنون. وهناك معيار إسلامى للحكم على أى فن من الفنون يتمثل فى قاعدة تقول: حَسَنُه حسن وقبيحه قبيح.
والقرآن الكريم فى العديد من آياته يلفت الأنظار إلى ما فى الكون من تناسق وإبداع وإتقان ، وما يتضمنه ذلك من جمال وبهجة وسرور للناظرين (٢). ومن هنا لا يعقل أن يرفض الإسلام الفن إذا كان جميلاً.
أما إذا اشتمل على القبح بما يعنيه ذلك من قبح مادى ومعنوى فإن الإسلام يرفضه ولا يوافق عليه.
٢ ـ وترتيبًا على ما تقدم فإن الفن إذا كان هدفه المتعة الذهنية ، وترقيق الشعور ، وتهذيب الأحاسيس ، فلا اعتراض عليه. ولكن إذا خرج عن ذلك وخاطب الغرائز

الدنيا فى الإنسان ، وخرج عن أن يكون فنًّا هادفًا فإنه حينئذ لا يساعد على بناء الحياة ، بل يعمل على هدمها ، وبذلك يخرج عن أن يكون فنًّا ، بل يصير نوعًا من اللهو المذموم والعبث المرفوض. وهذا أمر لا يقره الإسلام.
٣ ـ إذا كانت الموسيقى والغناء تحمل إلينا ألحانًا جميلة وكلمات مهذبة وأنغامًا راقية ، وأصواتًا جميلة ، فذلك لا يرفضه الإسلام طالما كان فى إطار المبدأ الأخلاقى ، أى طالما كان هدف الفن هو السمو بالإنسان وبأحاسيسه ووجدانه ومشاعره. وقد امتدح النبى صلى الله عليه وسلم صوت أبى موسى الأشعرى ـ وكان صوته جميلاً ـ وهو يتغنى بالقرآن. وكان النبى يختار من بين أصحابه للأذان أجملهم صوتًا. وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت الدف والمزمار دون تحرج. وفى يوم عيد دخل أبو بكر على ابنته عائشة زوجة الرسول ولديها جاريتان تغنيان وتضربان بالدفوف فاعترض أبو بكر على ذلك. ولكن النبى صلى الله عليه وسلم رفض ما أبداه أبو بكر من احتجاج فى هذا الصدد قائلاً: [دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد] (٣). وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه السيدة عائشة أن ترسل من يغنى فى حفل زفاف قريبة لها زُفت إلى رجل من الأنصار.
وهناك مرويات أخرى عديدة عن النبى صلى الله عليه وسلم تبين أن الغناء والموسيقى ليسا من المحرمات فى الإسلام ما لم يصحبهما أمور منكرة غير أخلاقية (٤).
٤ ـ أما الرقص: فالإسلام يفرق فيه بين رقص المرأة ورقص الرجل. فالرقصات الشعبية التى يؤديها الرجال مثلاً لا ضير فيها ، وقد سمح النبى صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة بمشاهدة الأحباش وهم يرقصون فى يوم عيد.
ورقص المرأة أمام النساء لا حرج فيه. أما رقصها أمام الرجال فذلك لا يقره الإسلام لما فيه من محاذير كثيرة.
٥ ـ أما التمثيل فإنه ليس حرامًا مادام فى إطار المبدأ الأخلاقى ، ولا ينكر أحد ما للتمثيل الهادف من دور فعال فى معالجة الكثير من المشكلات والقضاء على العديد من السلبيات فى المجتمع. ولا حرج أيضًا أن يشتمل التمثيل على ألوان من اللهو البرئ والترويح المقبول والترفيه الذى لا يخرج عن نطاق المعقول. وكذلك التصوير لا ضير فيه ، بل أصبح فى حياتنا المعاصرة يمثل فى أحيان كثيرة ضرورة لا غنى عنها.
٦ ـ أما النحت أو التماثيل المجسمة فهناك نصوص واضحة فى تحريمها. ويرجع السبب فى تحريم الإسلام لذلك بالدرجة الأولى إلى ما يخشى من توقير هذه التماثيل أو عبادتها كما كان يفعل عباد الأصنام قديمًا.
فإذا لم يكن ذلك واردًا على الإطلاق نظرًا لارتفاع درجة الوعى لدى الناس فلا ضرر منه ولا حرج فيه لانعدام سبب التحريم. غير أن الإسلام من باب سد الذرائع لا يريد أن يفتح هذا الباب لما يمكن أن يترتب عليه من محاذير فى أزمنة مستقبلية. فالإسلام يشرع لكل الأجيال ولمختلف العصور. وما يستبعد فى بيئة قد يقبل فى أخرى ، وما يعتبر مستحيلاً فى عصر قد يصبح حقيقة واقعة فى عصر آخر قريب أو بعيد.

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان.
(٢) انظر: الحجر: ١٦ ، النحل: ٦ ، فصلت: ١٢.
(٣) متفق عليه.
(٤) راجع: الحلال والحرام فى الإسلام للدكتور القرضاوى ص ٢٩١ وما بعدها ـ الدوحة ، قطر ١٩٧٨م ، والشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ج١ ص ١٧٤ وما بعدها.

١٧١ـما أسباب تفرق المسلمين رغم دعوة الإسلام للوحدة ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

١ ـ لا ينكر أحد أن الشعوب الإسلامية فى عصرنا الحاضر متفرقة ومتنازعة فيما بينها ، فهذا واقع ملموس لا يحتاج إلى برهان. ولكن هذا يُعد مرحلة فى تاريخ المسلمين شأنهم فى ذلك شأن بقية الشعوب والأمم الأخرى. ولا يعنى ذلك أنهم سيظلون كذلك إلى الأبد. وكما استطاعت الشعوب الأوروبية أن تتغلب على عوامل الفرقة والتنازع فيما بينها والتى أدت إلى حربين عالميتين شهدهما القرن العشرون ـ فإن الشعوب الإسلامية سوف تستطيع فى مستقبل الأيام أن تتغلب أيضًا على عوامل الفرقة فيما بينها ، والبحث عن صيغة ملائمة للتعاون المثمر من أجل مصلحة المجتمعات الإسلامية كلها.

وهناك محاولات مستمرة فى هذا الصدد وإن كانت بطيئة وذات تأثير محدود ومتواضع مثل منظمة المؤتمر الإسلامى التى تضم كل الدول الإسلامية ، إلا أنه يمكن تطوير العمل فى هذه المنظمة وغيرها من منظمات إسلامية أخرى للوصول بها إلى مرحلة متقدمة من التعاون الأوثق. وللأمة الإسلامية فى تعاليم الإسلام فى الوحدة والتعاون والتآلف والتكافل أعظم سند يضمن لها نجاح هذه المحاولات فى مستقبل الأيام.

٢ ـ فالإسلام فى مصادره الأصلية يدعو إلى الوحدة والتضامن ويحذر من الفرقة والتنازع (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) (١) ، ويدعو إلى الشعور بآلام الآخرين والمشاركة فى تخفيفها ، ويجعل الأمة كلها مثل الجسد الواحد ـ كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم ـ [إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى] (٢). ويعتبر الإسلام رابطة العقيدة بمنزلة رابطة الأخوة: (إنما المؤمنون إخوة) (٣). وحينما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ، فأصبحوا إخوة متحابين متضامنين فى البأساء والضراء. وآيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أكثر من أن تحصى.

٣ ـ هناك أسباب خارجية كثيرة أدت إلى الانقسام والفرقة بين المسلمين فى العصر الحديث. وترجع هذه الأسباب فى قدر كبير منها إلى الفترة التى هيمن فيها الاستعمار على بلاد العالم الإسلامى. وعندما رحل ترك مشكلات عديدة كان هو سببًا فيها مثل مشكلات الحدود ، وكانت القاعدة التى على أساسها خطط لسياساته هى مبدأ: " فَرِّق تَسُد ". ومن هنا عمل على إحياء العصبيات العرقية بين شعوب البلاد المستعمَرة.

وقام بنهب خيرات هذه البلاد ، وأدى ذلك إلى إفقارها وتخلفها الحضارى الذى لا تزال آثاره باقية حتى اليوم. ولا تزال معظم شعوب العالم الإسلامى تعانى من المشكلات التى خلفها الاستعمار.

٤ ـ انشغل المسلمون بالمشكلات الكثيرة التى خلفها الاستعمار وغفلوا عن تعاليم الإسلام فى الوحدة والتضامن.

ولكن الشعوب الإسلامية لا تزال تحن إلى وحدة جهودها ، وتضامنها فيما بينها ، وتجميع قواها فى سبيل الخير لهذه الشعوب جميعها. ولا يزال المسلم فى أى بلد إسلامى يشعر بآلام المسلمين فىمناطق العالم المختلفة بوصفه جزءاً من الأمة الإسلامية. وهذا من شأنه أن يعمل على توفير أساس راسخ لمحاولات إعادة التضامن والوحدة بين أقطار العالم الإسلامى ، بمعنى توحيد الجهود والتكامل فيما بينها فى ميادين الثقافة والاقتصاد والسياسة والأمن ، وتبادل الخبرات والمنافع ، وكل ما يعود على المسلمين بالخير ، مما يجعلهم أقدر على القيام بدور فعّال فى ترسيخ قواعد السلام والأمن فى العالم كله.

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) رواه الإمام مسلم وغيره (راجع: فيض القدير ج٥ ص ٥١٤ وما بعدها).

(٣) الحجرات: ١٠.

١٧٢ـ هل الإسلام مسئول عن تخلف المسلمين ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

١ ـ حقائق التاريخ تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام قد استطاع بعد فترة زمنية قصيرة من ظهوه أن يقيم حضارة رائعة كانت من أطول الحضارات عمرًا فى التاريخ. ولا تزال الشواهد على ذلك ماثلة للعيان فيما خلفه المسلمون من علم غزيز فى شتى مجالات العلوم والفنون ، وتضم مكتبات العالم آلافًا مؤلفة من المخطوطات العربية الإسلامية تبرهن على مدى ما وصل إليه المسلمون من حضارة عريقة. يضاف إلى ذلك الآثار الإسلامية المنتشرة فى كل العالم الإسلامى والتى تشهد على عظمة ما وصلت إليه الفنون الإسلامية.

وحضارة المسلمين فى الأندلس وما تبقى من معالمها حتى يومنا هذا شاهد على ذلك فى أوروبا نفسها.

وقد قامت أوروبا بحركة ترجمة نشطة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر لعلوم المسلمين. وكان ذلك هو الأساس الذى بنت عليه أوروبا حضارتها الحديثة.

٢ ـ يشتمل القرآن الكريم على تقدير كبير للعلم والعلماء وحث على النظر فى الكون ودراسته وعمارة الأرض. والآيات الخمس الأولى التى نزلت من الوحى الإلهى تنبه إلى أهمية العلم والقراءة والتأمل (١).

وهذا أمر كانت له دلالة هامة انتبه إليها المسلمون منذ البداية. وهكذا فإن انفتاح الإسلام على التطور الحضارى بمفهومه الشامل للناحيتين المادية والمعنوية لا يحتاج إلى دليل.

٣ ـ أما تخلف المسلمين اليوم فإن الإسلام لا يتحمل وزره ، لأن الإسلام ضد كل أشكال التخلف. وعندما تخلف المسلمون عن إدراك المعانى الحقيقية للإسلام تخلفوا فى ميدان الحياة. ويعبر مالك بن نبى ـ المفكر الجزائرى الراحل ـ عن ذلك تعبيرًا صادقًا حين يقول: " إن التخلف الذى يعانى منه المسلمون اليوم ليس سببه الإسلام ، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين ". فليست هناك صلة بين الإسلام وتخلف المسلمين.
٤ ـ لا يزال الإسلام وسيظل منفتحًا على كل تطور حضارى يشتمل على خير الإنسان. وعندما يفتش المسلمون عن الأسباب الحقيقية لتخلفهم فلن يجدوا الإسلام من بين هذه الأسباب ، فهناك أسباب خارجية ترجع فى جانب كبير منها إلى مخلفات عهود الاستعمار التى أعاقت البلاد الإسلامية عن الحركة الإيجابية ، وهذا بدوره ـ بالإضافة إلى بعض الأسباب الداخلية ـ أدى أيضًا إلى نسيان المسلمين للعناصر الإيجابية الدافعة لحركة الحياة فى الإسلام.
٥ ـ لا يجوز الخلط بين الإسلام والواقع المتدنى للعالم الإسلامى المعاصر. فالتخلف الذى يعانى منه المسلمون يُعد مرحلة فى تاريخهم ، ولا يعنى ذلك بأى حال من الأحوال أنهم سيظلون كذلك إلى نهاية التاريخ.
ولا يجوز اتهام الإسلام بأنه وراء هذا التخلف ، كما لا يجوز اتهام المسيحية بأنها وراء تخلف دول أمريكا اللاتينية.
إن الأمانة العلمية تقتضى أن يكون الحكم على موقف الإسلام من الحضارة مبنيًّا على دراسة موضوعية منصفة لأصول الإسلام وليس على أساس إشاعات واتهامات وأحكام مسبقة لا صلة لها بالحقيقة.
(١) العلق: ١ـ٥.

١٧٣ـ هل صحيح أن الصوم يقلل حركة الإنتاج ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
١ ـ الصوم من العبادات التى لم ينفرد بها الإسلام. فقد أخبر القرآن الكريم أن الصوم كان مفروضًا أيضًا على الأمم السابقة: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) (١). ولا تزال هناك ديانات أخرى حتى يومنا هذا تَعرف شعيرة الصوم. ولكن هناك فرقًا واضحًا بين الصوم فى الإسلام والصوم فى غيره من الديانات. ويتمثل هذا الفرق فى أن الصوم فى الإسلام يأتى فى شهر معين من العام طبقًا للتقويم الهجرى ، ويبدأ صيام كل يوم بالامتناع التام عن الطعام والشراب وعن كل الشهوات من طلوع الفجر حتى غروب الشمس. وهذا يعنى أن المسلم يقضى نهار يومه كله ـ وهو وقت العمل المعتاد ـ وهو صائم على النحو المشار إليه. ولعل هذا هو السبب الذى من أجله يتوهم البعض أن الصوم الإسلامى بهذه الطريقة يقلل حركة الإنتاج لدى الفرد والمجتمع.
٢ ـ والصوم فى حقيقة الأمر برئ من هذه التهمة. فالصوم يفترض فيه أنه يعمل على تصفية النفوس والتسامى بالأرواح. وهذا من شأنه أن يمد الفرد بطاقة روحية تجعله

أقدر على الإنتاج والعمل أكثر مما لو لم يكن صائمًا. وهذه الطاقة الروحية قوة لا يستهان بها. وقد حارب المسلمون فى غزوة بدر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وهم صائمون وانتصروا ، وحارب الجنود المصريون عام ١٩٧٣م وهم صائمون حيث كان ذلك فى شهر رمضان وانتصروا. ولم يقلل الصوم من نشاطهم ، بل كان العكس هو الصحيح تمامًا.

٣ ـ ما نراه فى بعض البلاد الإسلامية من قلة الإنتاج فى شهر الصوم يرجع إلى أسباب أخرى غير الصوم. فمن عادة الكثيرين أن يظلوا متيقظين فى شهر الصوم معظم الليل. ولا يأخذون قسطًا كافيًا من النوم ، فنجدهم ـ نظرًا لذلك ـ متعبين أثناء النهار. ومن هنا يقل إنتاجهم ، ويقبلون على أعمالهم ببطء وفى تثاقل. ويعتذرون عن ذلك بأنهم صائمون. وقد يكون اعتذارهم هذا فى أول النهار. فلو كان للصوم أى تأثير على النشاط ـ كما يزعمون ـ فإن ذلك لا يكون فى أول النهار ، بل يكون فى فترة متأخرة منه.

٤ ـ لقد ثبت أن للصوم فوائد كثيرة صحية وروحية واجتماعية وتربوية. فالمفروض أنه فرصة سنوية للمراجعة والتأمل والتقييم والنقد الذاتى على المستويين الفردى والاجتماعى بهدف القضاء على السلبيات والتخلص من الكثير من الأمراض الاجتماعية ، وهذا من شأنه أن يدفع حركة المجتمع بخطى أسرع ، وبإخلاص أكثر ، وبوعى أفضل.

(١) البقرة: ١٨٣.

----

١٧٤ ـ هل صحيح أن الزكاة تتيح للغنى فرصة عند الله أفضل من فرصة الفقير ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

١ ـ تُعد الزكاة فى الإسلام أول ضريبة نظامية فى تاريخ الاقتصاد فى العالم. فالذى كان يحدث قبل ذلك هو أن الحكام كانوا يفرضون الضرائب حسب أهوائهم ، وبقدر حاجتهم إلى الأموال تحقيقًا لأغراضهم الشخصية. وكان عبء هذه الضرائب يقع على كاهل الفقراء أكثر مما يقع على كاهل الأغنياء ، أو يقع على كاهل الفقراء وحدهم. ولما جاء الإسلام وفرض الزكاة قام بتنظيم جمعها وحدد لها نسبة معينة ، وجعلها تقع على عاتق الأغنياء والمتوسطين ، وأعفى منها الفقراء (١). وتشريع الزكاة ليس فقط نظامًا ماليًا ، وإنما هو فى الوقت نفسه عبادة كالصلاة والصيام والحج ، يؤديها المسلم القادر على دفعها ، ليس خوفًا من السلطة التنفيذية ، ولكن تقربًا إلى الله واستجابة لتعاليم دينه.

٢ ـ شعر الفقراء فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بعجزهم عن أداء الزكاة مثل الأغنياء. ورأوا أن هذا من شأنه أن يعطى للأغنياء ميزة الحصول على الثواب من الله بأدائهم للزكاة وحرمان الفقراء من هذا الثواب مع أنه لا ذنب لهم فى فقرهم. وقام الفقراء بعرض ما يشعرون به على النبى صلى الله عليه وسلم ، فأوصاهم بالتسبيح والتحميد والتكبير (أى بقول سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر) ثلاثًا وثلاثين مرة

عقب كل صلاة ، وبين لهم أن هذا من شأنه أن يرفع من درجاتهم عند الله ويجعل منزلتهم عنده لا تقل عن منزلة الأغنياء الذين يؤدون الزكاة (٢).
٣ ـ المعيار الذى اعتمده القرآن فى المفاضلة بين الناس بصفة عامة هو معيار التقوى والعمل الصالح كما جاء فى القرآن الكريم: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٣).
والتقوى مفهوم عام يشمل كل عمل يقوم به الإنسان ـ أيًّا كان هذا العمل دينيًا أم دنيويًا ـ طالما قصد به وجه الله ونفع الناس ودفع الأذى عنهم.
فالقرب من الله لا يتوقف على أداء الزكاة أو غيرها من الشعائر الإسلامية فحسب ، بل يتوقف أيضًا على التوجه العام من جانب الإنسان فى كل ما يقوم به فى حياته من أعمال ، وما يصدر عنه من سلوك وما يخرج من فمه من أقوال. والإسلام يعلق أهمية كبيرة على النية. فالأعمال بالنيات كما يقول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] (٤). وهذا يعنى أن الفقير الذى لا يستطيع إخراج الزكاة ويتمنى أن لو كان لديه مال ليزكى به فإنه يثاب على هذه النية مادامت صادقة. وقد يُخرج الغنى الزكاة ويقصد من وراء ذلك التظاهر أمام الناس والحصول على مكانة بينهم فلا يثاب على ذلك بشىء.
(١) راجع: محمد قطب: شبهات حول الإسلام ـ ص٩١ ـ مكتبة وهبة سنة ١٩٦٠م.
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٢ ص ٣٢٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. المطبعة السلفية.
(٣) الحجرات: ١٣.
(٤) البخارى. باب الوحى رقم ١ ، والإيمان ٤١ ، والنكاح ٥ ، والطلاق ١١ ، والترمذى فضائل الجهاد ١٦ ، والنسائى طهارة ٥٩.

----

١٧٥ ـلماذا حرّم الإسلام أكل لحم الخنزير ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف
الرد على الشبهة:
١ ـ لم يكن الإسلام أول الأديان التى حرمت أكل لحم الخنزير. فالديانة اليهودية تحرِّم أكل لحم الخنزير.
ولا يوجد حتى الآن يهودى فى أوروبا وأمريكا يأكل لحم الخنزير إلا فيما ندر. ولم يعب أحد على اليهود ذلك ، بل يحترم الغرب العادات الدينية لليهود. وعندما جاء السيد المسيح ـ عليه السلام ـ صرح ـ كما جاء فى الإنجيل ـ بأنه لم يأت لينقض الناموس بل ليكمله ، أى أنه لم يأت ليغير التشريعات اليهودية.
ومن بينها بطبيعة الحال تحريم أكل لحم الخنزير. والأمر المنطقى بناء على ذلك أن يكون الخنزير محرمًا فى المسيحية أيضًا (١).
٢ ـ عندما جاء الإسلام حرّم أيضًا أكل لحم الخنزير. وهذا التحريم امتداد لتحريمه فى الديانات السماوية السابقة. وقد نص القرآن الكريم عليه صراحة فى أربعة مواضع (٢). وهناك من ناحية أخرى ـ بجانب هذا التحريم الدينى ـ أسباب ومبررات أخرى تؤكد هذا التحريم. ومن ذلك ما أثبته العلماء المسلمون من أن أكل لحم الخنزير ضار بالصحة ولا سيما فى المناطق الحارة. وفضلاً عن ذلك فإن الآيات القرآنية التى ورد

فيها تحريم لحم الخنزير قد جمعت هذا التحريم مع تحريم أكل الميتة والدم. وضرر أكل الميتة والدم محقق لما يتجمع فيهما من ميكروبات ومواد ضارة ، مما يدل على أن الضرر ينسحب أيضًا على أكل لحم الخنزير.

وإذا كانت الوسائل الحديثة قد تغلبت على ما فى لحم الخنزير ودمه وأمعائه من ديدان شديدة الخطورة (الدودة الشريطية وبويضاتها المتكلسة) فمن الذى يضمن لنا بأنه ليست هناك آفات أخرى فى لحم الخنزير لم يكشف عنها بعد ؟ فقد احتاج الإنسان قرونًا طويلة ليكشف لنا عن آفة واحدة. والله الذى خلق الإنسان أدرى به ويعلم ما يضره وما ينفعه. ويؤكد لنا القرآن هذه الحقيقة فى قوله: (وفوق كل ذى علم عليم) (٣).

٣ ـ يحسب الإسلام حساب الضرورات فيبيح فيها المحرمات. وفى ذلك قاعدة مشهورة تقول: " الضرورات تبيح المحظورات ". ومن هنا فإن المسلم إذا ألجأته الضرورة الملحة ـ التى يخشى منها على حياته ـ لتناول الأطعمة المحرمة ومنها الخنزير فلا حرج عليه. كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم: (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) (٤). ولكن هذه الإباحة لا يجوز أن تتعدى حدود تلك الضرورة وإلا كان المسلم آثماً.

(١) راجع: الحلال والحرام للدكتور القرضاوى ص٤٢ ـ قطر ١٩٧٨م.
(٢) البقرة: ١٧٣ ، والمائدة: ٣ ، والأنعام: ١٤٥ ، والنحل: ١١٥ (٣) يوسف: ٧٦.
(٤) البقرة: ١٧٣.

----

١٧٦ ـ لماذا حرّم الإسلام الحرير والذهب على الرجال ؟

الكاتب: أ.د محمود حمدى زقزوق، وزير الأوقاف

الرد على الشبهة:

١ ـ يعتمد القول بتحريم لبس الحرير والتختم بالذهب للرجال فى الإسلام على العديد من المرويات عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء ـ وتتلخص وجهة نظرهم فى أن من طبيعة الرجل الصلابة والقوة. والإسلام يريد أن يتربى الرجال بعيدًا عن مظاهر الضعف ، وبعيدًا أيضًا عن مظاهر الترف الذى يحاربه الإسلام ويعده مظهرًا من مظاهر الظلم الاجتماعى ، وذلك حتى يكون الرجل قادرًا على الكفاح والانتصار فى معارك الحياة وميادين القتال أيضًا إذا اقتضى الأمر. ولما كان التزين بالذهب وارتداء الحرير يُعدان من مظاهر الترف فقد حرمهما الإسلام على الرجال. ولكنه أباحهما للمرأة مراعاة لمقتضى أنوثتها وما فطرت عليه من حب للزينة (١).

٢ ـ وعلى الرغم من هذا التحريم فإنه إذا كانت هناك ضرورة صحية تقضى بلبس الرجل للحرير فإن الإسلام يبيح له ذلك ولا يمنعه. فقد أذن النبى صلى الله عليه وسلم لكل من عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام فى لبس الحرير لأنهما كانا يشكوان من حكة فى جسمهما (٢).

٣ ـ وقد ذهب الإمام الشوكانى (توفى حوالى عام ١٨٤٠م) فى كتابه الشهير " نيل الأوطار " إلى القول بأن أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن لبس

الحرير تدل على الكراهية فقط وليس على التحريم. والكراهية هنا درجة أخف من التحريم. ويقوى الشوكانى رأيه هذا بأن هناك ما لا يقل عن عشرين صحابيًّا منهم أنس والبراء بن عازب قد لبسوا الحرير. ومن غير المعقول أن يقدم هؤلاء الصحابة على ما هو محرّم ، كما يبعد أيضًا أن يسكت عنهم سائر الصحابة وهم يعلمون تحريمه (٣).

٤ ـ أما التختم بالذهب أى اتخاذه كخاتم ونحوه للرجال فقد ذهب جمهور العلماء إلى تحريمه أيضًا اعتمادًا على بعض الأحاديث النبوية. ولكن هناك جماعة من العلماء ذهبوا إلى القول بكراهة التختم بالذهب للرجال كراهة تنزيه فقط. وكراهة التنزيه بعيدة عن التحريم وقريبة من الإباحة أو الجواز ، واعتمدوا فى ذلك أيضًا على أن هناك عددًا من الصحابة قد تختموا بالذهب منهم سعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وصهيب ، وحذيفة ، وجابر بن سمرة ، والبراء بن عازب. الذين فهموا أن النهى للتنزيه وليس للتحريم (٤).

(١) راجع: الحلال والحرام فى الإسلام للدكتور القرضاوى ص ٨٠ وما بعدها ـ الدوحة ـ قطر ١٩٧٨م.

(٢) راجع: نيل الأوطار للشوكانى ج٢ ص٨١ ـ دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣م.

(٣) نيل الأوطار ج٢ ص٧٣ وما بعدها. راجع أيضًا: فقه السنة للشيخ سيد سابق ج٣ ص ٤٨١ وما بعدها. بيروت ١٩٧١م.

(٤) راجع: فقه السنة للشيخ سيد سابق ـ المجلد الثالث ص ٤٨٢ وما بعدها ، ٤٨٨ وما بعدها.

-١٧٧

-١٧٨

-١٧٩

-١٨٠

====================

الباب السابع -الاحتفال بالمولد النبوي

١. منهج أهل السنة في تعظيم النبي - صلى الله عليه وسلم -

لربنا تبارك وتعالى أرفع القدر وأعظم الشأن؛ فله العظمة الكاملة التي تتجلى في ذاته وصفاته وأفعاله، في خلقه وأمره، في الآفاق والأنفس، أنَّى نظرت في خلقه رأيت ما يبهر العقول ويزيد الإيمان، ومهما تلوت من آي كتابه العظيم وقفت على دلائل عظمته، وأدلة قَدْره سبحانه. خضعت لعظمة ربي عز وجل المخلوقات، وذلت لجبروته الأرض والسماوات، واشتد نكيره تعالى على من أخل بتعظيمه، فقال سبحانه: {ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:٦٧]. فحقٌ على من عرف قدر الله وأراد تعظيمه أن يعظم ما عظمه - تعالى - قياماً بحقه من التوحيد والعبادة، وقياماً بحق كتابه وحق رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

وغير خاف على مسلم صادق في إسلامه تلك المنزلة الرفيعة التي حباها ربنا تعالى لصفوة خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله حبيبنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإلى شيء من جوانب تلك العظمة، وهدي السابقين والتابعين لهم بإحسان في تعظيمه -صلى الله عليه وسلم-... ذلك الحديث الذي تنشرح له صدور المؤمنين الصادقين، وتتطلع إليه نفوسهم، ويتمنون أن لو اكتحلت أعينهم برؤية حبيبهم صلى الله عليه وسلم؛ وتشنفت آذانهم بسماع صوته.

المراد بالتعظيم:

قال الله تعالى: {إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً} [الفتح:٨،٩]. فذكر تعالى: حقاً مشتركاً بينه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الإيمان، وحقاً خاصاً به تعالى وهو التسبيح، وحقاً خاصاً بنبيه صلى الله عليه وسلم وهو التعزير والتوقير.

وحاصل ما قيل في معناهما أن: التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

وهذه المعاني هي المراد بلفظ التعظيم عند إطلاقه، فإن معناه في اللغة: التبجيل، يقال: لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من التعزير والتوقير. والتعظيم أعلى منزلة من المحبة، لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظماً، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه، فإنها تدعوه إلى تعظيمه. والرجل يعظم لما يتمتع به من

الصفات العلية، ولما يحصل من الخير بسببه، أما المحبة فلا تحصل إلا بوصول خير من المحبوب إلى من يحبه.

مع المصطفى صلى الله عليه وسلم سيرة وخُلقاً:

لقد حبا الله تبارك وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم من الخصائص القوية والصفات العلية والأخلاق الرضية ما كان داعياً لكل مسلم أن يجله ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد كان لأهل السنة والجماعة قدم صدق في العناية بجمع خصائصه، وإبراز فضائله والإشادة بمحاسنه، فلم يخل كتاب من كتب السنة كالصحاح والسنن وغيرها من كتب مخصصة لم يخل من ذكر مآثره، كما أُفردت كتب مستقلة للحديث عنه وعن سيرته.

وقد اختار الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اسم (محمد) المشتمل على الحمد والثناء؛ فهو صلى الله عليه وسلم محمود عند الله تعالى، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام ومحمود عند أهل الأرض كلهم، وإن كفر به بعضهم؛ لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجحد؛ فصدق عليه وصفه نفسه حين قال: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد، تحته آدم فمن دونه ». وقد أغاث الله تعالى به البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والجهل والخرافة، فكشف به الظلمة، وأذهب الغمة، وأصلح الأمة، وصار هو الإمام المطلق في الهدى لأول بني آدم وآخرهم، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وكثَّر به بعد القلة، وأعزَّ به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة. عرّف الناسَ ربَّهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف، لا إلى من قبله، ولا إلى من بعده، بل كفاهم، وشفاهم، وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب: {أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: ٥١]، وعرفهم الطريق الموصلة إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع صلى الله عليه وسلم حسناً إلا أمر به، ولا قبيحاً إلا نهى عنه. وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشكلاً إلا بينه وشرحه، حتى هدى به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأي بشر أحق بأن يُحب؟ جزاه الله عن أمته أفضل الجزاء.

وقد وصف النبيَّ صلى الله عليه وسلم عدد من أزواجه وأصحابه كخديجة وعائشة، وأنس، وابن عباس، وعلي، وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم، ولما كان المقصود الإشارة إلى ذلك دون الاستقصاء آثرت نقل كلام ابن القيم الجامع لأوصافه، تحاشياً للإطالة وكثرة التخاريج.

قال ابن القيم: (ومما يحمد عليه صلى الله عليه وسلم ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه صلى الله عليه وسلم علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق، فإنه صلى الله عليه وسلم كان أعظم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً، كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة: (محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً).

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبداً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذبَّاً عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه، فهو أحق بقول القائل: بَرْدٌ على الأدنى ومرحمةٌ وعلى الأعادي مارنٌ جَلْدُ بواعث تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم: يدعو المسلم إلى ذلك أمور عدة، منها:

١- تعظيم العظيم سبحانه وتعالى، لأنه عظم نبيه صلى الله عليه وسلم؛ حيث أقسم بحياته في قوله:{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢]. كما أثنى عليه فقال:{وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، وقال:{ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٤]، فلا يُذكر بشر في الدنيا ويثنى عليه كما يُذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويثنى عليه.

٢- أن من شرط إيمان العبد أن يعظم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الغرض من بعثته صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً} [الفتح: ٨، ٩]، قال ابن القيم: (وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له؛ فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم). بل الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله).

٣- ما ميزه الله تعالى به - مما سبق ذكره - من شرف النسب، وكرم الحسب، وصفاء النشأة، وأكمل الصفات والأخلاق والأفعال.

٤- ما تحمله صلى الله عليه وسلم من مشاق نشر الدعوة، وأذى المشركين بالقول والفعل حتى أتم الله به الدين وأكمل به النعمة. مع الصحابة في تعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم له في حياته: نال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين شرف

لقاء النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لهم النصيب الأوفى من توقيره وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم، ولن يدركهم من بعدهم، ثم شاركوا الأمة في تعظيمه بعد موته صلى الله عليه وسلم. كان شأنهم في توقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال:(أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخمَّ نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له).!

وقد وُصف الصحابة حال جلوسهم واستماعهم للنبي صلى الله عليه وسلم بوصف عجيب جاء في أحاديث عدة، منها قول أبي سعيد الخدري: وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه:(وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه).

ولما زار أبو سفيان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها في المدينة، ودخل عليها بيتها، ذهب ليجلس على فراش رسول الله؛ فطوته، فقال: يا بنية! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت:(هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه). ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك:(إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير).

ولما نزل قول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير:(فما كان عمر يُسمِع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه)، وكان ثابت بن قيس جهوري الصوت يرفع صوته عند النبي صلى الله عليه وسلم فجلس في بيته منكساً رأسه يرى أنه من أهل النار بسبب ذلك، حتى بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة.

وللمحدثين نصيب:

للمحدثين رحمهم الله ورضي عنهم منهج رصين ورصيد ثري وإسهام قوي في إجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوقير مجلس الحديث، والتحفز لاستباق العمل به، تعظيماً له وهذه بعض الشواهد: حدث عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فكان مما قال: وما سمعته قط يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة، فنظرت إليه وقد حل إزاره وانتفخت أوداجه، واغرورقت عيناه، فقال:(أو نحو ذلك أو دون، أو قريباً من ذلك، أو شبه ذلك). وجعفر بن محمد، ومالك بن أنس، والأعمش، بل قد صار ذلك مستحباً عندهم، وكرهوا خلافه. قال ضرار بن مرة:(كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على غير وضوء). قال إسحاق: فرأيت الأعمش إذا أراد أن

يتحدث وهو على غير وضوء تيمم. وكان مالك يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويأخذ زينته للتحديث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن أبي الزناد: كان سعيد بن المسيب - وهو مريض - يقول:(أقعدوني؛ فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع). ومرّ مالك بن أنس على أبي خازم وهو يحدث فجازه، وقال:(إني لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا قائم). وكان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك، فإذا جاء الحديث خشع. وقال سعيد بن عامر:(كنا عند هشام الدستوائي فضحك رجل منا فقال له هشام الدستوائي: تضحك وأنت تطلب الحديث؟!)..

كيف نعظم النبي صلى الله عليه وسلم؟

إن الأمر بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه يعني أن ذلك عبادة لله عز وجل وقربة إليه سبحانه والعبادة التي أرادها الله تعالى ويرضاها من العبد هي ما ابتغي به وجهه، وكان على الصفة التي شرعها في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم. فأما الإخلاص في الأعمال وابتغاء وجه الله فيها فهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى. وأما متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فهي مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله، ولازم من لوازمها؛ إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً:(طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع).

وهذا كمال التعظيم، وغاية التوقير. وأي تعظيم أو توقير للنبي صلى الله عليه وسلم لدى من شك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه وعبد الله من غير طريقه؟! ولذا اشتد نكير الله تعالى على من سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها، فقال:{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١]. وقال صلى الله عليه وسلم:«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي مردود عليه.

ثم العبادة محلها القلب واللسان والجوارح:

ويتحقق تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالقلب بتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين؛ إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك، ثم إنه لا توقير ولا تعظيم بلا محبة. وإنما يزرع هذه المحبة معرفته لقدره ومحاسنه صلى الله عليه وسلم. وإذا استقرت تلك المحبة الصادقة في القلب كان لها لوازم هي في حقيقتها مظاهر للتعظيم ودلائل عليه، ومن صور ذلك التعظيم: الثناء عليه صلى الله عليه وسلم بما هو أهله، وأبلغ ذلك ما أثنى عليه ربه عز وجل به، وما أثنى هو على نفسه به، وأفضل ذلك: الصلاة والسلام عليه؛ لأمر الله عز وجل وتوكيده:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [الأحزاب: ٥٦]، وهذا إخبار من الله تعالى: (بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا)، وصلاة المؤمنين عليه هي الدعاء طلباً للمزيد من الثناء عليه. والصلاة عليه مشروعة في عبادات

كثيرة كالتشهد والخطبة وصلاة الجنازة وبعد الأذان وعند الدعاء وغيرها من المواطن. وأفضل صيغها: ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قالوا: أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
وغير خاف عليك ما في الصلاة عليه من الفوائد والثمرات من كونها سبباً لحصول الحسنات، ومحو السيئات، وإجابة الدعوات، وحصول الشفاعة، وصلاة الله على العبد، ودوام محبة النبي صلى الله عليه وسلم وزيادتها، والنجاة من البخل. ومن تعظيمه: التأدب عند ذكره صلى الله عليه وسلم بأن لا يذكر باسمه مجرداً، بل يوصف بالنبوة أو الرسالة، وهذا كما كان أدباً للصحابة رضي الله عنهم في ندائه فهو أدب لهم ولغيرهم عند ذكره، فلا يقل: محمد، ولكن: نبي الله، أو الرسول، ونحو ذلك.

وهذه خصيصة له في خطاب الله في كتابه الكريم دون إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يخاطبه تعالى قط باسمه مجرداً، وحين قال:{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب: ٤٠] قال بعدها:{وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}. يجيء التوجيه إلى هذا الأدب في قوله تعالى: {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً} [النور: ٦٣].
ومنه: الإكثار من ذكره، والتشوق لرؤيته، وتعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته، وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها، وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله، وما كان من أمور دعوته وسيرته وغزواته، والتمدح بذلك شعراً ونثراً.
وأسعد الناس حظاً بذلك: المحدثون والمشتغلون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
والشرط في ذلك: كونه في حدود المشروع، وسطاً بين الجفاء وبين الغلو والإطراء.
استشعار هيبته صلى الله عليه وسلم ولجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكراً لحقه من التوقير والتعزير، ومعترفاً به ومذعناً له، فالقلب ملك الأعضاء، وهي جند له وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم مستقراً في القلب مسطوراً فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة.
وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لماله من الحق والتكريم. وبرهان التعظيم الصادق هو تعظيم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة المتضمنة في الكتاب والسنة كما فهمها سلف الأمة، وذلك باتباعها والتزامها قلباً وقالباً، وتحكيمها في كل مناحي الحياة وشؤونها الخاصة والعامة؛ ومحال أن يتم الإيمان بدون ذلك:{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور:٤٧]..
فإن هذا هو مقتضى التعظيم الحقيقي والتوقير الصادق؛ إذ العبرة بالحقائق لا بالمظاهر والأشكال الجوفاء، ولذا قدم الله عز وجل هذا الأدب العظيم على سائر

الآداب الواجبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنهى عن التقدم بين يديه بأمر دون أمره أو قول دون قوله، بل يكونون تبعاً لأمره منقادين له مجتنبين نهيه، فقال في أول سورة الحجرات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:١]. ومن التقدم بين يديه: تقديم القوانين والتشريعات البشرية على شريعته، أو تفضيل حكم غيره على حكمه أو مساواته به، أو التزام منهج مخالف لهديه وسنته: {فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء:٦٥].

وأسعد الناس حظاً بسنته وأقربهم إلى الشرب من حوضه: أهل السنة والجماعة، فهم من أحيوا سنته واتبعوا شريعته وهديه. ومن توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم توقيره في آله، ومنهم أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين ورعاية وصيته بهم بمعرفة فضلهم ومنزلتهم وشرفهم بقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على إيمانهم، وبحفظ حقوقهم والقيام بها، فهم أشرف آل على وجه الأرض، وأزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات، قال الله تعالى: {إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: ٣٣]، وقد أوجب الله الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد في الصلاة.

ومنه: توقيره في سائر صحبه رضي الله عنهم جميعاً فإنهم خيرة الناس بعد الأنبياء، وخيرة الله لصحبة نبيه، وهم حماة المصطفى صلى الله عليه وسلم والأمناء على دينه وسنته وأمته، وذلك بمعرفة فضلهم، ورعاية حقوقهم، فإن الطعن فيهم أو تنقُّصهم عنوان الزندقة. ومنه: الأدب في مسجده، وكذا عند قبره، وترك اللغط ورفع الصوت، ولذا أنكر عمر رضي الله عنه على من رفع صوته فيه. فقال للرجلين:(ترفعان أصواتكما في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم؟! لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً).

ومن تعظيمه: حفظ حرمة بلده المدينة النبوية؛ فإنها مهاجره، ودار نصرته، وبلد أنصاره، ومحل إقامة دينه، ومدفنه، وفيها مسجده خير المساجد بعد المسجد الحرام. والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها، وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها، وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم فيتأكد فيها العمل الصالح وتعظم فيها السيئة؛ لشرف المكان.

صور من البخس:

بعد هذه الجولة الماتعة مع حق عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يسوغ أبداً لمنتسب إلى السنة أن يجفو في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فيخل بما يجب له من الإجلال والتوقير والتعظيم. ومن صور الإخلال: التقصير في معرفته أو معرفة سيرته وهديه أو فهم سنته أو الإخلال في تطبيقها غلواً أو جفاء. ومنها: إساءة العمل والتقصير في الصالحات، وخاصة ممن ينتسب لآل بيته الكرام. ومن العجيب مع تأكد هذا الحق العظيم أن يقع التعرض بسوء للمؤمنين الصادقين من آل البيت! وأعجب منه سب صحابته والنيل من أزواجه الطاهرات! وأكبر منها الإساءة إلى ذات النبي صلى الله عليه وسلم، والجرأة على نقده ولمز شريعته في ديار المسلمين!! ثم أين هو

من دين النبي صلى الله عليه وسلم من يستبدل شريعته بقوانين البشر، أو يهزأ من هديه، أو يتعالى على سنته؟!

وبعد: يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم! هل عظَّم نبيكم وحبيبكم صلى الله عليه وسلم من حلف به مع أنه صلى الله عليه وسلم يقول:«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، ويقول:«من حلف بغير الله فقد أشرك»؟! وهل عظَّمه من توسل بذاته مع أن الصحابة توسلوا بدعائه لا بذاته، كما في حديث عمر حين طلب من العباس الدعاء والاستسقاء والنبي صلى الله عليه وسلم عندهم في قبره؟! وهل عظَّمه من توجه إليه طالباً منه الشفاعة مع أن الله عز وجل بين للأمة أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه تعالى ورضاه، وأمر من أراد الشفاعة بطلبها بطاعته؟! وهل عظمه من استغاث به مع أنه بشر لا يملك من أمره شيئا؟! أليس هذا تنكراً لمحبته وتعدياً لشرعه وعصياناً لأمره؟ حيث قال:«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»؟!

وهل من تعظيمه الابتداع في دينه، والزيادة في شريعته من التمسح بحجرته أو الاحتفال بمولده بعد اتفاقنا على نصحه لأمته ودلالتها على كل حسن؟! فأي حسن في عمل احتفالات ساعات أو أيام ثم التقصير والإهمال في سائر العام؟! وأي حسن في الاحتفال بزمن توفي فيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؟! وأي حسن في مشابهة دين النصارى المفتونين بالاحتفالات؟! وأي حسن في التعدي على فقه الفاروق حين أرَّخ بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم رمز انتصار دينه، ولم يؤرخ بمولده ووفاته، تقديماً للحقائق والمعاني على الطقوس والأشكال؟! وأي حسن في تجديد دين الدولة العبيدية الباطنية الحاقدة التي ابتدعت ذلك الاحتفال؟! وأي حسن في عمل لم يشرعه الحبيب صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله أنصاره وحماة دينه وحملة رسالته رضي الله عنهم؟ أليسوا أصدق الناس حباً له؟! أليس فقه الراشدين وفهمهم وسنتهم مما أوصاكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم قائلا: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ؟! أليس فعل المولد مخالفة لأمره: وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة؟!

فأي تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الموالد التي صارت ركباً للمدعين، وحجة للبطالين؟! ألا ترون المولد بعد هذا تقصيراً في حق حبيبنا صلى الله عليه وسلم وظلماً له؟! اللهم اجعلنا من المعظمين رسولنا -صلى الله عليه وسلم- حق التعظيم المتبعين شرعه، السائرين على دربه، المهتدين بهديه، اللهم أحينا على سنته، ولا تحرمنا من مرافقته في الجنة.. آمين.

----

٢. في ذكرى المولد النبوي

خباب بن مروان الحمد

المقدمة

المبحث الأول: في حكم الاحتفال بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : ذكر أقوال لأهل العلم فيه.

المبحث الثالث : شبهـــات وردود.

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى الله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين..

أما بعد:

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

في مثل هذه الأيام يحتفل فئام من البشر بيوم مولد محمد صلى الله عليه وسلم، وهم من وقت ليس ببعيد يعدون العدة ويجهزون الأجهزة استعداداً للاحتفال لهذا اليوم، فالأضواء قد علقت في أعمدة الشوارع، والبيوت قد زينت بالزهور والورود، والحلويات قد أصبح لها سوق رائجة للبيع، وبعض الأمكنة استئجرت حتى يُفْعَل بها هذا الاحتفال، والمعازف والطبول والدفوف وأشياء كثيرة كثيرة قد نُفِضَ عنها الغبار استعداداً لذكرى المولد النبوي!!

فهل فعل هذا من الأمور التي ترضي الرب تبارك وتعالى؟ وما هو حكمه؟ وهل فعله السلف أو أقروه؟ إلى غير ذلك من الأشياء التي سأطرقها في هذا البحث اليسير.

وقبل أن أصول وأجول في ثنايا هذا البحث فإني سأذكر مقدمة يسيرة نافعة بإذن الله عز وجل لمن أراد الله هدايته وأبعده عن أسباب شقاوته، كلها من سلسبيل القرآن ومشكاة الحديث والسنة، فهما المنهل العذب الزلال على قلوب أهل الإيمان، والصواعق المردية لأهل الكفر والضلال.

فهذه مقدمة نافعة في الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة، ووجوب طاعة الله ورسوله، وأن مرجع أهل السنة والجماعة في استدلالهم هو كتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام لا إلى آراء الناس وعقول المشايخ، نقول فيها:

يا مَن يقرأ هذا الكلام المزبور والخط المسطور، قد أنزل الله علينا هذا القرآن ليكون الهادي لنا في ظلمات الحياة، ومنيراً للصراط المستقيم، وقائداً يدعو البشرية جمعاء إلى جنة خلد أعدت للمؤمنين. وقد ذكر الله عز وجل في هذا الكتاب العظيم آيات كثيرة بلغت ثلاثاً وثلاثين آية كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ قدس الله روحه ـ كلها في الأمر والحث على طاعة الله ورسله والتمسك بغرز القرآن والسنة فقد قال تعالى {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعض الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا} [الأحزاب: ٣٦].

فقد ذكر الله أنه لا يكون للمؤمنين إذا قضى الله ورسوله عليهم أي أمر، وتأمل هنا قوله تعالى {أمراً} فهي نكرة في سياق النفي فهي تعم كل أمر، فإذا قضى الله ورسوله أي أمر لا يكون لهم أن يتخيروا من أمرهم هذا غير الذي قضى فيهم ثم ذكر الله عزل وجل أن من عصى الله ورسوله فهو في ضلال بعيد؛ لأنه يأبى ما قضاه الله ورسوله عليه وخالف أمرهما.

وقال تعالى {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون* ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون} [النور: ٥١ ـ ٥٢].

وقال تعالى {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} [النور: ٦٣].
وقال تعالى {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا..} [الحشر: ٧].
وقال تعالى {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين} [المائدة: ٩٢].
وقد حذرنا الله عز وجل من الإشراك بطاعته فقال {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} [الأنعام: ١٢١]، وقال تعالى {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله..} [الشورى: ٢١]، وقال تعالى {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا..} [لقمان: ٢١]، وقال تعالى {وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً} [النساء: ٦١].
ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يوصينا بالتمسك بسنته فيقول: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة". (مسند أحمد ١٢٦/٤، وانظر صحيح الجامع ٢٥٤٦).
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته يوم الجمعة: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة". (صحيح مسلم٨٦٧).
وقال صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (رواه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨).
والعجب كل العجب ـ والله ـ أن ترى كثيراً ممن ينتسبون للإسلام ويقولون بألسنتهم نحن نحب الله ورسوله فإذا أنكرت عليهم شيئاً من منكرات في الدين ظاهرةٍ عليهم، جادلوك بألسنتهم وبدءوا يستندون بأقوال لبعض من ينتسب إلى العلم، وهي أقوال "ساقطة" وصدق من قال: "لكل ساقطة لاقطة"، ثم إذا قلت لهم قال الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجوا وأكثروا وقالوا أنت قرن مماحك، فوأسفاه على أناس أعرضوا عن الكتاب والسنة، وكأنّ هذين الأصلين من أول شريعتنا لا اعتبار لهما في مجرى حياتهم، ويأتي آخرون من هذا الصنف ثم يقولون وهل أنت أعلم من الشيخ الفلاني أو العالم الرباني فهم يرونا نفعل مثل هذه الأمور التي تدعون أنها منكرات وبدع ولم ينكروا علينا ما نفعله؟
وهذه طامة كبيرة وقارعة خطيرة حيث أن مثل هؤلاء قد أجّروا عقولهم لمشايخهم ولم يريدوا أن يطلبوا أدلة الكتابة والسنة؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لتركوا منكرات كثيرة وقعوا بها ولما أقلعوا عن البدع والمعاصي التي تحيط بهم. وأعيذك الله أخي وأنت يا أختاه أن تكونا من مثل هذا النوع فإن الهوى استحكم على قلوبهم فهم إما أن يناقشوك بآرائهم وأهوائهم أو بآراء مشايخهم بلا استناد للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وقد قال الشاعر ينكر على المحتجين بكلام شيوخهم:-
أقول قال الله قال رسوله *** فتجيب شيخي إنه قد قالَ
وأمثال هؤلاء قليل ـ إن شاء الله ـ وأسأله تعالى أن يهديهم ويصلح شأنهم.

وقد يحصل لك في النقاش مع مثل هذه النخبة من البشر أنهم يقولون لك هذه وجهة نظرنا وما ندين الله به وأنت يا من تناقشني برأيك هذه هي وجهة نظرك وما تدين الله به، والحمد لله كل على هدى مستقيم.
وهذه شبهة ألقاها عليهم شيخهم ـ إبليس الرجيم ـ وإلا فإن الجواب عن ذلك أن يقال: أن المرجع في النزاع والنقاش هو كتاب الله سبحانه وتعلى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل يقول {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً} [النساء: ٥٩].
وقال تعالى {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله..} [الشورى: ١٠].
نعم، هذا هو مرجعنا كتاب الله عز وجل..
لا تذكـــر الكتب الســـوالف *** طلع النهار فأطفئ القنديلا
إذاً ما يدعي به أهل الهوى من أنّ آرائهم هي التي يدينون الله بها فكلامهم هذا مردود عليهم، وعلى هذا فإن اليهود والنصارى يدينون الله بما هم عليه من الكفر والضلال ولن ينقذهم كلامهم هذا عند الله شيئاً.
وأنا الآن أطلب من القارئ الكريم والأخت الكريمة أن يتجردا للحق فالحق أحق أن يتبع فماذا بعد الحق إلا الضلال، وحذار حذار من الهوى فالله عز وجل يقول {ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله} [ص: ٢٦] وقال: {بل اتبع الذين ظلموا أهوائهم}.
وقد أحسن من قال:
إن الهوان هو الهوى قلب اسمه *** فإذا هَويتَ فقد لقيت هواناً
وأختم بقول الله سبحانه {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} [الأنعام: ١٥٣]، وليكن شعار كل مسلم طالب للحق مبتعد عن الباطل أن يقول ما قاله أحد المتقدمين ـ رحمه الله ـ:
كتــاب الله عــز وجــل قولي *** ومــا صحت به الآثــار ديني
فدع ما صدّ عن هذي وخـذها *** تكـن منها عـلى عين اليقين
المبحث الأول: في حكم الاحتفال بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم:
في يوم ١٢/ ٣ يحتفل جمع من الأمة الإسلامية بذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الحقيقة إن الاحتفال بمثل هذا اليوم واتخاذه عيداً بدعة منكرة قبيحة ولم يدل على جوازها كتاب ولا سنة ولا إجماع سلف الأمة.
بل الأمة الإسلامية في عهد القرون الثلاثة الأولى التي فضلها محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها مجمعة أنها لا تعرف احتفالاً ولا عيداً إلا الأضحى والفطر، أما سواهما من الأعياد والذكريات فهو لغو غير معدود ولا معروف عندهم، بل لا تشرئب إليها أنفسهم، ولا ترتفع إليها أعناقهم.
ذلك أنهم كانوا شديدي الإنكار على كل من خالف الإسلام بكفر أو بدعة أو معصية، ولقوة اعتصامهم بالكتاب والسنة خلت بيوتاتهم من البدع المنكرة، والأمور المحدثة.
وللقارئ أو القارئة أن يسألا ويقولا:
ما سبب حكمك على أن من احتفل بذكرى مولد النبي المختار محمد صلى الله عليه وسلم أنه قد أرتكب بدعة منكرة في الدين؟ فأقول وبالله التوفيق:

١ـ النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بمولده في حياته وهو المبلغ للدين، ولم يأمر بذلك.
٢ـ أن الخلفاء الراشدين لم يفعلوا هذا الاحتفال مع أنهم أحب للرسول صلى الله عليه وسلم منا.
٣ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصانا بالتمسك بسنته، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع، وذكرى المولد لو كان فيها خير لذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خبراً، ومن تعبّد الله بما لم يشرعه لعباده وعلى لسان رسوله، فقد اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصور أو بالتقصير في تبليغ دعوة الله.
٤ـ قال الإمام مالك بن أنس ـ نوّر الله ضريحه ـ: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، فما دام أن السلف لم يفعلوا مثل هذه البدعة المحدثة فحري بنا ألا نفعلها، وقد قال الناظم:
وكل خير في اتباع من سلف *** كل شر في ابتداع من خلف
٥ـ أن يوم المولد وليلته لو كان لها مزية لاختصت بفضل معين، ثم إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتذكر سيرته لا تكون في يوم واحد بل في كل الأيام نقرأ سيرته ونتبع ما شرعه لنا صلى الله عليه وسلم.
وقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم من شر ما يعلمه لهم".
٦ـ إن بعض الموالد فيها اختلاط الرجال بالنساء، وفيها الغلو بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى أنّ بعضهم قد يجعله في مقام الربوبية، وبعضهم يظن أن محمداً صلى الله عليه وسلم يحضر المولد فيقومون له محيين ومرحبين، ويكون كذلك من المنكرات مشاركة المعازف من الطبل والدف وآلات الموسيقى، وكذلك بعضهم يستغيث بمحمد صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه المدد والغوث وأنه يعلم الغيب. وكل هذه الأمور منكرة محرمة وبعضها فيها شرك بالله ـ عياذاً به سبحانه ـ فكيف إذا اجتمعت كلها.
٧ـ الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا في الحديث الصحيح فقال: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" رواه النسائي بسند صحيح. ولفظه: "كل" هنا للعموم فيكون معناها أن أية بدعة محدثة في الدين فهي بدعة وأمّا من يقول "كل" ليس المراد بها العموم فما رأيك بقول الله تعالى: {كل نفس ذائقة الموت} هل توجد أنفس من مخلوقات الله عز وجل لا تموت؟
٨ـ من فعل هذه البدعة فقد تشبه بأعداء الله فإن النصارى يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عيسى بن مريم، وقد سرت بدعتهم هذه للمسلمين فأصبحوا يحتفلون بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم، والرسول حذرنا من التشبه بأعداء الله فقال: "من تشبه بقوم فهو منهم" والحديث رواه أحمد وأبو داود وجوّد إسناده ابن تيمية، وحسنه ابن حجر.
٩ـ من احتفل بذكرى المولد فقد اتهم ديننا بالنقص، ولو كان قصد هذا المبتدع حسناً؛ فإن بدعته طعن في دين الله عز وجل وتكذيب لقوله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} [المائدة: ٣].

١٠ـ إن الكفار أعداء الله يفرحون بإقامة هذه البدع؛ لأنهم قرءوا كتبنا الإسلامية وعلموا أنه متى أحدث في الدين بدعة ماتت سنة من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، "وأوضح أنموذج لذلك ما ذكره الجبرتي من أن نابليون أمر الشيخ البكري بإقامة الاحتفال بالمولد وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنسي، وأمره بتعليق الزينات، بل وحضر الحفل بنفسه من أوله إلى آخره..." ويعلل الجبرتي اهتمام الفرنسيين بالاحتفال بالموالد عموماً بما "رآه الفرنسيون في هذه الموالد من الخروج عن الشرائع، واجتماع النساء، وإتباع الشهوات، والرقص، وفعل المحرمات" أ.ه. [حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال (١٥٥) المنتدى الإسلامي].
١١ـ إننا لو نقبنا في بداية تاريخ هذه البدعة ومن هو أول من فعلها فسنجد أنهم الفاطميون العبيديون، وهم من الباطنيين، وقد حكموا مصر وكان بدء حكمهم في مصر في القرن الرابع الهجري، وقد ذكر تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابة "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" (٤٩٠/١) أنه كان للفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، فذكرها وهي كثيرة جداً، ومنها مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ومولد علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة (٥٦٧هـ) وهي السنة التي انتهت فيها دولتهم بموت آخرهم العاضد، قال: "ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد..". [الرد على الرفاعي والبوطي، للعباد (٨٢ـ٨٣). وكتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، (٤٥١/٢ـ٤٥٢)].
وقال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقاً في كتابة "أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام" (٤٤ـ٤٥) : "مما حدث وكثر السؤال عنه الموالد فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة (٣٦١هـ)، فوصل إلى ثغر الإسكندرية في شعبان سنة (٣٦٢هـ) ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان فابتدعوا ستة موالد النبوي، ومولد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب...". [القول الفصل، إسماعيل الأنصاري (٤٥٧/٢ـ٤٥٨)].
وبعض أهل العلم ذكر أن أول من احتفل بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم هو الملك المظفر "أبو سعيد كوكبوري" ملك إربل في آخر القرن السادس أو أول القرن السابع الهجري، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ١٣٧) عن هذا الملك وهو أبو سعيد كوكبوري: "كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً.. [إلى أن قال:] قال السبط: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد أنه كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة آلف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى.. [إلى أن قال:] ويعمل الصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم" أ.ه [حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال (١٤٠)].

ويمكن الجمع بين قول من قال إن الاحتفال بالمولد النبوي أول من فعله الرافضة بنو عبيد القداح في القرن الرابع، وبين قول من قال أول من فعله هو ملك إربل في القرن السابع، أن يقال:
أن أول من فعله بنو عبيد القداح في مصر ثم سرت هذه البدعة إلى الشام والعراق في القرن السابع الهجري.
وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية عن الدولة الفاطمية (٣٤٦/١١): "هم كفار، فساق، فجار ملحدون، زنادقة، معطلون الإسلام جاحدون ولمذهب المجوسية معتقدون" ا.ه. [مجموعة الرسائل والتوجيهات، محمد جميل زينو (١٩٩/١)].
وقال ياقوت في معجمه (١٣٨/١) عن الملك المظفر صاحب إربل وقد كان من معاصريه: "طباع هذا الأمير متضادة، فإنه كثير الظلم، عسوف بالرعية، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها" ا.ه
إذاً علمنا علم اليقين أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة أن هذه البدعة تسربت للمسلمين من الكفار العبيديين ومن ملك إربل الظالم المتعسف المبتدع، فهل يجوز لنا أن نأخذ ديننا من مثل هؤلاء المبتدعة؟
١٢ـ ومن الأمور التي تجعلنا نقول إن الاحتفال بذكرى المولد بدعة، أن إحياء بدعة المولد يفتح الباب للبدع الأخرى والاشتغال بها عن السنن، ولهذا تجد المبتدعة ينشطون في إحياء البدع ويتكاسلون عن السنن ويبغضونها ويعادون أهلها. [حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال (١٤٢)].
والبدعة أحب إلى إبليس من مائة معصية؛ لأنها تجر الإنسان إلى الشرك بالله وقد لا يعلم ذلك، ولأن صاحبها يعتقد أنه على صواب ويجادل عن جواز بدعته، أما صاحب المعصية يعلم أن المعصية غير جائزة وقد يتوب منها ويستغفر الله عز وجل.
١٣ـ يُلزَم أصحاب بدعة المولد النبوي أن يفعلوا ذكرى لوفاته صلى الله عليه وسلم وذكرى ليوم بعثته في نشر دين الإسلام وهلم جراً، ثم أن محمداً صلى الله عليه وسلم توفي في شهر ربيع الأول "فلأي سبب يفرحون ـ أي أصحاب البدعة ـ بميلاده، ولا يحزنون بموته لولا قسوة القلب"، وعلى هذا الإلزام يكون في كل يوم ذكرى مولد أو وفاة لكل نبي وصالح وضاع ديننا بالموالد والذكريات.
المبحث الثاني: ذكر أقوال لأهل العلم في إنكار هذه البدعة:
١ـ قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" وفي رواية النسائي "وكل ضلالة في النار".
٢ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢): "وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً.. من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيداً. مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظيم له منا، وهم على الخير أحرص...".

وتأمل رعاك الله ما قاله "مع اختلاف الناس في مولده"؛ لأن بعض أهل العلم قال: ولد صلى الله عليه وسلم في يوم التاسع من ربيع الأول، وبعضهم قال ولد في يوم الثاني عشر. ولذا يلزم من يفعل هذه البدعة أن يحتفل كل يوم قيل إنه ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم حتى ينال ما يريده من موافقة اليوم الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم.

٣ـ وقد ألف الفاكهاني رسالة "المورد في عمل المولد" وأنكر هذه البدعة وقال: "لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون" إلى آخر ما قال رحمه الله (١/ ٨ـ٩) من كتاب "رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي"، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

٤ـ وألف الشيخ إسماعيل الأنصاري رسالة ضخمة بما يقارب (٦٠٠) صفحة وذكر أن الاحتفال بالمولد بدعة، وردّ على معظم الشبه التي يثيرها أدعياء هذه البدعة في رسالته "القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل".

٥ـ وممن أنكر هذه البدعة الإمام الشاطبي في كتابه "الاعتصام".

٦ـ والشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه "صيانة الإنسان".

٧ـ والشيخ ابن باز، ومحمد ابن إبراهيم وجمع من العلماء المتقدمين والمتأخرين ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ.

المبحث الثالث: شبهـــات وردود:

يستند بعض مقيمي مثل هذا المولد إلى شبهات يتعلقون بها ويجوزون بها فعل بدعتهم، ولذا فلا بد من عرض شيء منها مع أنها أوهى من بيت العنكبوت، وسأذكر أهم الشبه التي يتعلق بها هؤلاء وأناقشها، خاصة أن بعض من ينتسب إلى العلم ويقيم مثل هذه الموالد يلبّس على العوام بهذه الشبه ـ فلا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

كيف، لا أدري، لماذا؟ ربما *** أنني يوماً عرفت السببا

عالِمٍ يدعو بدعوى جاهل *** وليوث الحرب ترجو الأرنبا

الشبهة الأولى: أن إقامة مثل هذا المولد من قبيل البدعة الحسنة الجائزة في دين الإسلام.

ويجاب عن هذه الشبة بأن يقال: ليس في دين الإسلام بدعة تسمى بدعة حسنة، فإنه صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي مرّ بنا مراراً يقول: "وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"، وزاد النسائي "وكل ضلالة في النار".

وقد ذكر الشاطبي في كتابه "الاعتصام" (٢٨/١) أن "ابن الماجشون" قال: سمعت مالكاً يقول: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول {اليوم أكملت لكم دينكم} فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً".

ثم إنه صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث المتفق عليه: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي لفظ مسلم "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

فهل عمل بدعة الاحتفال بالمولد النبوي من دين الإسلام الذي ذكره الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم لنا، وهل فعل هذه البدعة كان عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذكر الإمام ابن بطة في كتاب "الإبانة" (٣٣٩/١) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة" وذكره محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة بسند صحيح.

ورحمة الله على الإمام مالك الذي كان كثيراً ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة *** وشر الأمور المحدثات البدع

ذكره الشاطبي في كتابه "الاعتصام" (١١٥/١).

الشبهة الثانية: يستند بعضهم إلى ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن قال: "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح"، ثم يقولون وكثير من المسلمين يستحسن فعل الاحتفال بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم.

والجواب عن ذلك:

١- أن هذا الكلام المنسوب لابن مسعود رضي الله عنه إنما أراد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يرد كل من هب ودب من المسلمين والمنتسبين إلى الإسلام، وكلامه صريح في ذلك، وهذا لفظه عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ".

وهذا مثل ما رآه الصحابة حسن من العلم بالتاريخ والابتداء به بالهجرة، ومثل وضع ديوان العطاء زمن عمر بن الخطاب، ومثل جمع المصحف في عهد أبي بكر، وأما ما رأوه سيئاً مثل التحلق والاجتماع على عد التسبيح والتحميد والتكبير، وقد أنكر ذلك ابن مسعود وأبي موسى الأشعري، ومثل إنكار الصحابة لبدعة الخوارج، ومثل إنكار علي رضي الله عنه على الرافضة في غلوهم فيه وإنكار الصحابة معه. [الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي لحمود التويجري (١٦٣-١٦٦)بتصرف].

٢- أن يقال إن أهل الإسلام يستقبحون البدع ويعتبرونها ضلالة، ومن ضمنها بدعة المولد النبوي.

٣- أن هذا الكلام الوارد عن ابن مسعود المراد به ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً لا ما رآه بعضهم واستحسنه وقد ذكر هذا الجواب أربعة من أئمة العلم، وهم ابن القيم والشاطبي وابن قدامة وابن حزم. [القول الفصل، الأنصاري (٥٩١/٢)].

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتبهم أو إلى المرجع السابق ذكره فقد ذكر الشيخ إسماعيل جميع أقوالهم.

الشبهة الثالثة: أن الاحتفال بالمولد يفعله الكثير من الناس بل يراه بعض المشايخ، ولو كان منكراً ما فعله هؤلاء.

والجواب عن هذه الشبهة:
١ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجتمع أمتي على ضلالة"، رواه أهل السنن إلا النسائي وهو حسن لغيره. (سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ١٣٣١).
٢ـ ذكر العلامة محمد ابن إبراهيم ـ رحمه الله ـ عن الإمام الشاطبي في كتاب "الاعتصام" أنه قال نقلاً عن بعض مشايخه: "إن الاحتجاج على تحسين البدع بهذه الدعوى ليس بشيء في أمر تركته القرون الثلاثة المقتدى بهم"، ثم قال الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ "ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول: "ولو كان هذا منكراً لما فعله الناس"، ثم قال ما ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: "من اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليها بناء على أن الأمة أقرتها ولم تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد، فإنه لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المستحدثة المخالفة للسنة..".
[رسائل في حكم الاحتفال بالمولد، رسالة الشيخ محمد ابن إبراهيم].
٣ـ أن فعل الكثير من الناس لأي شيء لا يدل على أنه حق بل إن الله ذم الكثرة في القرآن فقال {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله} [الأنعام: ١١٦]، وقال {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف: ١٠٣]، وقال {وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم} [الأنعام: ١١٩]، وقال تعالى {وإن كثيراً من الخلفاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا أو قليل ما هم} [ص: ٢٤].
٤ـ ويرد على من قال إن بعض المشايخ يقول بجوازه بل يفعله، بأن رسول الهدى يقول: "وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، ووالله إن قول رسول الله أحب إلينا من قول أمة كلها، وقد قال أبو بكر بن أبي داود:
ودع عنك آراء الرجال وقولهم *** فقول رسول الله أزكى وأشرح
ويقال لمن استدل بقول شيوخه، أيهما أحب إليك قول رسول الهدى صلى الله عليه وسلم أم قول مشايخك؟ فإن قال بل قوله عليه الصلاة والسلام أحبُّ إليّ، فيقال له: إن الله عز وجل يقول {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}، وقد ذكر ابن تيمية في كتاب العبودية قول الحسن البصري: "ادعى قوم محبة الله ورسوله فأنزل الله عليهم آية الممتحنة {قل إن كنتم تحبون الله..}، فامتحنهم الله بهذه الآية.
وقد قال الإمام الشافعي: "أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. [الرسالة (١٠٤)].
إن قال إن قول شيخي أحب إلي من قول رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، فإني أبشره بآية عظيمة {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً}. [النساء: ١١٥].
وقد قال ابن تيمية: "ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا بدينهم وكانوا شيعاً". [الفتاوى (٢٣٩/٢ـ٢٤٠)].
الشبهة الرابعة: دعوى بعضهم أن من لم يحتفل بمولده صلى الله عليه وسلم فإنه يكره الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحبه ولا يعظمه.
والجواب عن هذه الشبهة أن يقال:

١ـ بل إنكم أنتم يا من تدعون محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تعظموه ولا توقروا شرعه، والدليل على ذلك أنكم لا تقرؤون في الشمائل المحمدية ولا تكثرون الصلاة عليه ولا تتذكرونه إلا في هذا اليوم المبتدع.
٢ـ ويقال كذلك أنتم الذين تنقصتم محمداً صلى الله عليه وسلم، ورميتموه بالتقصير فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم" (أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (١٨٤٤) في كتاب الإمارة).
وقد نهانا محمد صلى الله عليه وسلم وحذرنا عن البدع كلها، فقال: "وكل بدعة ضلالة".
قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان" (١٠٢/١): "وكما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول صلى الله عليه وسلم، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة فإن يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله".
وإني أبشر السني بكلام عظيم لابن القيم قاله كذلك في إغاثة اللفهان (١١١/١) "وهذا المبتدع إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه لم يشبها بآراء الرجال ولا بشيء مما خالفها. فصبر الموحد المتبع للرسل على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صده على ما ينقمه الله ورسوله عليه من موافقة أهل الشرك والبدعة.
إذا لم يكن بد من الصبــر، فاصطبر *** على الحق، ذاك الصبر تحمد عقباه
وأختم بما ذكره أبو داود في سننه عن حذيفة رضي الله عنه قال: " كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإن الأول لم يترك للآخر مقال".
وقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٥٠) واللفظ له، وأخرجه كذلك أبو داود (٤٦١١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "فيوشك قائل أن يقول: ما هم بمتبعي فيتبعوني وقد قرأت القرآن؟! ثم يقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره! فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة..".
هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

----

٣. هل أنت تحب النبي صلى الله عليه وسلم؟!

ففي الصحيحين عن أنس رض الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال:(وماذا أعدت لها)، قال: ما أعدت لها كثير عمل إلا أنني أحب الله ورسوله قال النبي صلى الله عليه وسلم، (المرء مع من أحب). يقول أنس فما فرحنا بشي كفرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم:(المرء مع من أحب)، ثم قال: وأنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجوا الله أن أحشر معهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.
ولكن السؤال: هل أنت تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فتنعم بهذه الكلمة(المرء مع من أحب) أم لا؟

قبل التسرع في الإجابة ينبغي أن تسأل عن علامات المحبة. ما هي العلامات التي تنبغي أن تكون فيّ حتى أكون محب للنبي صلى الله عليه وسلم حقا لا إدعاءً؟
الجواب: أن هذه العلامات كثيرة ولكن سأذكر بعضها؛ ولكن قبل أن أذكرها ينبغي أن تعلم أن هذه العلامات ليست لأحكم عليك أو لتحكم أنت عليّ وإنما ليحكم كل منا على نفسه ويطالب بها نفسه؛ فكلنا يدعي حب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن من الصادق منا ومن الكاذب؟ نسأل الله أن نكون من الصادقين.
العلامة الأولى :- طاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر
قال تعالى:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وفى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)، فعلامة المحبة أن تطيع أمره وتجتنب نهيه.
تعصى الإله وأنت تزعم حبــه *** هذا لعمري فى القياس شنيع
لو كنت صادقا في حبه لأطعته *** إن المـحب لمن يحب مطيع
وها أنا أذكر لك بعض الأوامر لتطالب نفسك أيها المحب لله ورسوله بفعل هذه الأوامر التي أمرك بها الله عز وجل وأمرك بها النبي صلى الله عليه وسلم:
- أمرك حبيبك بأن تغض بصرك فلا تنظر إلى المتبرجات ولا إلى المسلسلات والأفلام فهل نفذت ما أمرك به حبيبك أيها المحب؟
- أمرك أيتها المحبة بالحجاب فهل ارتديته؟
- أمرنا نترك الغيبة والنميمة فهل تركتها؟
- أمرنا ببر الوالدين وصله الرحم والإحسان إلى الجار.
- أمرنا أمراً مهماً وهو صلاة الفجر فهل تؤديها في وقتها أيها المحب وأنت أيتها المحبة
العلامة الثانية الغيرة :-
إن أي محب يغار على محبوبه وله؛ فينبغي أيها المحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أن تغار إذا انتهكت حرمات الله.
انظر إلى اليهود حين استولوا على القدس في عام ١٩٦٧ عبروا عن فرحهم وخرجوا في مظاهرات عارمة وصاحوا قائلين(محمد مات مات خلف بنات) إن هذه الكلمات ينبغي أن تفجر في قلب كل محب لهذا الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم نار الغيرة عليه وله ليقوم ويصرخ ويقول لهؤلاء الكلاب – اليهود- محمد لم يمت ولم يخلف بنات، بل خلف وراءه رجالاً يحملون هَم هذا الدين ويضحون من أجله بالغالي والنفيس.
ولكن مجرد صرختك لن تصل إلى هؤلاء الكلاب – اليهود – وإنما يصل إليهم فعلك.
وينبغي أن يسألني كل من احترق قلبه وثارت فيه الغيرة ماذا أصنع وماذا عليّ؟
وأجيبك : إنهما أمران:
الأول: إصلاح نفسك فإنه بصلاحك يفسد على هؤلاء كثيراً من خططهم التي يخططونها لإفساد شباب المسلمين فلقد قال شيطانهم الأكبر صموئيل زويمر رئيس

جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين عام ١٩٣٥(إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدولة المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم!! إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله --) فأرجوا من الله أن تعي هذه الكلمات وأن تخيب آمالهم، وأرجوا أن تحافظ على الصلاة في المسجد وبالذات صلاة الفجر وأنقل كلام ذلك اليهودي وهو يقول: (لن تستطيعوا أن تغلبوننا حتى يكون عدد المصلين في صلاة الفجر كعددهم في صلاة الجمعة) فأنت واحد من هذا العدد.

وأرجوا منكِ أيتها المحبة أن ترتدي الخمار فإنه يقذف في قلوب الأعداء الخوف وفوق ذلك فإنه يرضي ربك وهذه هي الغاية

الثاني: إصلاح غيرك –أصحابك – إخواتك – جيرانك – أهلك..

وكيف ذلك؟ أريد أن أبذل ولا أدرى ماذا أفعل؟ أذكر لك بعض الوسائل الدعوية تفعلها مع كلامك لهم ونصحك إياهم:

١- توزيع الشرائط الإسلامية: ولو أن تخصص من مالك كل شهر ثمن شريط واحد تهديه لأحد الناس وقل له إن سمعته فأهديه لغيرك وهكذا.

٢- توزيع الكتيبات الإسلامية. كتيب واحد كل شهر على الأقل.

٣- تعليق بعض الورقات على باب العمارة التي تسكن فيها تتكلم عن حرمه ترك الصلاة أو حرمة التبرج أو عن حق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أو..

٤- عمل لقاء أسبوعي مع أهل بيتك أو مع أصدقائك تسمعوا فيه شريطاً أو تقرأوا فيه القران أو..

٥- نشر هذه الورقة وأمثالها.

٦- أن تقوم بالليل لتدعوا لهذه الأمة أن يحفظها الله وأن يحفظ لنا مشايخنا وعلماءنا.

٧- دعوة الآخرين لمجالس العلم في المساجد وعلى شبكة الإنترنت.

٨- أن تدعوا لمن تدعوه وتنصحه أن يهديه الله.

٩- وأخيراً هل جلست مع أمك أو أباك تكلمهم في أمر الدين!!

هم يقولون فماذا تقول أنت

يقول روبرت ماكس أحد أعمدة التنصير(لن يتوقف سعينا نحو تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في مكة ويقام قداس الأحد في المدينة) فماذا تقول أنت!؟

العلامة الثالثة مطالعة أخباره ودراسة سيرته في كل وقت

فإن من يحب أحد يريد أن يعرف عنه كل شيء فماذا تعرف أنت عن حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم، من أجمل الكتب في السيرة: الرحيق المختوم – وقفات تربوية في السيرة النبوية.

هناك علامات أخرى ولكن لا يتسع المقام لذكره

----

٤. هل احتفلوا؟!

الشيخ أحمد عبد العزيز الحمدان

سؤال يطرح نفسه كلما أقبل على المسلمين شهر ربيع الأول ، وهو : هل احتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمولد وهل احتفل صحابته رضوان الله عليهم ،

وهل احتفل سلف هذه الأمة الصالح رحمهم الله تعالى ؟ كما يفعله كثير من النَّاس في هذه الأزمنة ، أم أنَّهم تركوا الاحتفال ؟ نترك للعلماء الجواب عن ذلك :
قال العلامة عمر بن علي السكندري المالكي ، المشهور بالفاكهاني - رحمه الله تعالى - : " لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ، ولا يُنقل عملُه عن أحد من علماء الأمَّة ، الذين هم القدوة في الدين ... بل هو بدعة أحدثها البطَّالون " . وأقرَّه الشيخ العدوي المالكي - في حاشيته على مختصر سيدي خليل -والشيخ محمَّد عليش المالكي - رحمهما الله - في (فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك) .
وقال العلامة ابن الحاجّ المالكي -رحمه الله تعالى ،في (المدخل) عن المولد إذا خلا من جميع المنكرات-: "فإن خلا من كلِّ ما تقدم ، فهو بدعة بنفس نيته فقط ، إذ إنَّ ذلك زيادة في الدين ، وليس من عمل السلف الماضين ... ولم يُنقل عن أحد منهم أنَّه نوى المولد ، ونحن لهم تبع ، فيسعنا ما وسعهم".
وقال الحافظ ابن حجر الشافعي - رحمه الله تعالى-: "أصل عمل المولد بدعة، لم تُنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة".
وقال الحافظ السخاوي الشافعي - رحمه الله تعالى-: "عمل المولد لم يُنقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنَّما حدث بَعْدُ".
وقال الشيخ نصير الدين المبارك، الشهير بابن الطبَّاخ - رحمه الله تعالى-: "ليس هذا من السنن".
وقال الشيخ ظهير الدين جعفر التزمنتي - رحمه الله تعالى - : " هذا الفعل لم يقع في الصدر الأول من السلف الصالح ، مع تعظيمهم وحبِّهم له صلى الله عليه وسلم ، إعظاماً ومحبَّةً لا يبلغ جمعنا الواحد منهم ، ولا ذرة منه . "
قال إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - : " من أحدث في هذه الأمَّة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأنَّ الله يقول] اليوم أكملت لكم دينكم [فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً . "
وإن من أعظم الأمور - بعد ما ذكرناه - مما يدل على ما ذكر العلماء - رحمهم الله تعالى - أن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير متفق عليه بين العلماء ، إذ الخلاف فيه كبير ، خلافٌ في سنة ولادته صلى الله عليه وسلم ، وخلاف في شهر ولادته صلى الله عليه وسلم ، وخلاف في تاريخ ولادته صلى الله عليه وسلم ، وخلاف في يوم ولادته .
متى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإليكم ما قاله الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون لهم ، وعلماء الحديث من بعدهم ، وأهل التاريخ والسير .
أولاً : سنة ولادته صلى الله عليه وسلم : الأكثرون على أنَّ ولادته صلى الله عليه وسلم كانت عام الفيل ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ؛ قيل : بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً ، وهو قول السهيلي المالكي ؛ وقيل : بخمس وخمسين يوماً ،حكاه الحافظ الدمياطي الشافعي ؛ وقيل : بشهر ؛ وقيل : بأربعين يوماً ، حكاهما مغلطاي الحنفي وابن سيد النَّاس الشافعي ؛ وقال الإمام الزهري : بعد الفيل بعشر سنين ؛ وقيل : قبل الفيل بخمس عشرة سنة ؛ وقيل : غيره .

ثانياً : شهر ولادته صلى الله عليه وسلم :قيل :في شهر صفر؛ وقيل : في ربيع الآخر، حكاهما مغلطاي الحنفي ؛ وقيل : في رجب ؛ وقيل : في رمضان ، حكاه اليعمري الشافعي ومغلطاي الحنفي ، وهو مروي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وهو موافق لمن قال : إنَّ أمَّه حملت به في أيام التشريق ؛ وأغرب من قال : إنَّه ولد في أيام التشريق .
ثالثاً : يوم ولادته صلى الله عليه وسلم : قيل : غير معين ؛ وقيل : في ربيع الأول ، من غير تعيين اليوم ، نقله الحافظ القسطلاني الشافعي في (المواهب اللدنية) ؛ وقيل : يوم الإثنين ، والجمهور على هذا ؛ وقيل :لليلتين مضتا من ربيع الأول ،قاله ابن عبد البر المالكي ، ورواه الواقدي :عن أبي معشر نجيح المدني ؛ وقيل : لثمان ليال مضين منه ، رُوِي ذلك عن ابن عبَّاس وجبير بن مطعم رضي الله عنهم ، واختاره ابن حزم ، ونقل ابن عبد البر تصحيح أهل التأريخ له ، وقطع به الحافظ محمّد الخوارزمي ، ورجحه الحافظ ابن دِحية الكلبي الظاهري ، وقال : هو الذي لا يصح غيره ، وعليه أجمع أهل التأريخ ؛ وقال القطب القسطلاني : هو اختيار أكثر أهل الحديث ، وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن ؛ وحكى القضاعي إجماع أهل الزيْج (الميقات) عليه ؛ وقيل : لتسع خلون منه ، وهذا ما ذهب إليه الباشا الفلكي المصري ، وله رسالة علمية في هذا ، درس فيها الموضوع دراسة فلكية ؛ ورجحه الشيخ علي الطنطاوي ، وأثنى على رسالته ؛ وقيل : لعشر مضين منه ، وهو قول الشعبي ، ومحمد الباقر ، وصححه الحافظ الدمياطي الشافعي ؛ وقيل : لاثنتي عشرة مضت منه ، وهو قول ابن إسحاق ؛ وقيل :لسبع عشرة مضت منه ،نقله ابن دِحية عن بعض الشيعة ؛ وقيل : لثمان عشرة مضين منه ؛ وقيل : لثمان بقين منه ، رواه أبو رافع عن أبيه محمد بن حزم الظاهري .
رابعاً : وقت ولادته صلى الله عليه وسلم : قيل : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاراً ؛ وقيل : عند طلوع الفجر ؛ وقيل : عند طلوع أنجم الغفر ؛ وقيل : ولد ليلاً ، رواه الحاكم عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها . إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم لو كانوا يرون أنَّ ضبط تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم لو أهمية ما لما أهملوا ذلك ، ولما اختلفت أقوالهم فيه ، ولوجدناهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، مع أنَّهم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل صغيرة وكبيرة من أمر الدين ، فلما لم يسألوه ، تبين أن ذلك من الأمور التي لم يعيروها أي اهتمام ، ولم يكونوا يرون أنَّها حقيقة بالسؤال !
أخي الكريم ، علام يدل اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بضبط تاريخ مولد سيد المرسلين رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم؟
هذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

----

٥. ١٢ وقفة.. مع المحتفلين بيوم ١٢ ربيع الأول

حسن الحسيني

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، أما بعد : فهذه وقفات مع المحتفلين بميلاد خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم ، أسأل الله أن ينفع بها :

الوقفة الأولى

لقد أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم باتباع الشريعة الربانية ، وعدم اتباع الهوى ، قال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)، فالعبادات كلها توقيفيّة ، بمعنى أنه لا مجال للرأي فيها ، بل لا بد أن يكون المشرّع لها هو الله سبحانه وتعالى ، ولذلك أمر الله نبيّه في أكثر من موضع باتباع الوحي : (إن اتبع إلا ما يوحى إليّ) ، وقد قرّر العلماء أنّ : العبادات مبنيةٌ على الاتباع لا الابتداع .

الوقفة الثانية

لقد امتنّ الله تعالى على عباده ببعثة الرّسول صلى الله عليه وسلم وليس بميلاده ، قال تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (آل عمران:١٦٤) .

الوقفة الثالثة

السلف الصالح لم يكونوا يزيدون من الأعمال في يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأيام ، ولو فعلوا لنقل إلينا ! ولا يخفى لأنهم أشدّ الناس حبًّا وتعظيمًا واتباعًا .

قال العلامة / أبي عبد الله محمد الحفار المالكي : (ألا ترى أنّ يوم الجمعة خير يومٍ طلعت عليه الشمس ، وأفضل ما يفعل في اليوم الفاضل صومه ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة مع عظيم فضله ، فدلّ هذا على أنه لا تحدث عبادة في زمان ولا في مكان إلا إذا شرعت ، وما لم يشرع لا يفعل ، إذ لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أولها ... والخير كله في اتّباع السلف الصالح) المعيار المعرب ٧ / ٩٩ .

الوقفة الرابعة

انظر إلى فقه الفاروق عمر بن الخطاب حين أرَّخ بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم رمز انتصار دينه ، ولم يؤرّخ بمولده ووفاته ، أتدري لماذا ؟ تقديماً للحقائق والمعاني على الطقوس والأشكال والمباني !!

الوقفة الخامسة

إن أوّل من أحدث بدعة المولد : الخلفاء الفاطميون بالقرن الرابع للهجرة بالقاهرة ، فقد ابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي، ومولد الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين ، ومولد الخليفة الحاضر ، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش ، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله سنة ٥٢٤هـ بعد ما كاد الناس ينسونها .

فعلى هذا لم تعرف الأمة هذا المولد قبل هذه الدولة ، فهل هي أهلٌ للاقتداء بها ؟
والغريب أنّه وصل بالبعض ، تفضيل ليلة المولد النبوي على ليلة القدر !!
الوقفة السادسة
اختلف المؤرخون وأهل السير في الشهر الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل : ولد في شهر رمضان ، والجمهور : على أنه ولد في ربيع الأول ، ثم اختلف هؤلاء في تحديد تاريخ يوم مولده على أقوال :
فقيل : اليوم الثاني من ربيع الأول قاله ابن عبد البرّ ، وقيل : اليوم الثامن ، صححه ابن حزم ، وهو اختيار أكثر أهل الحديث ، وقيل : اليوم التاسع ، وهذا ما رجّحه أبو الحسن الندوي ، وزاهد الكوثري ، وقيل : اليوم العاشر ، اختاره الباقر ، وقيل : اليوم الثاني عشر ، نصّ عليه ابن إسحاق ، وقيل : السابع عشر من ربيع الأول ، وقيل : الثامن عشر من ربيع الأول ...
وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على عدم حرص الصحابة على نقل تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم إلينا ، فلو كان في ذلك اليوم عبادة ، لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها خلاف ، ولنقل إلينا مولده على وجه الدقة .
قال الشيخ القرضاوي : (إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من الناحية التاريخية : نجد أنّ الصحابة رضوان الله عليهم،لم يحتفلوا بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بذكرى إسرائه ومعراجه أو هجرته ، بل الواقع أنهم لم يكونوا يبحثون عن تواريخ هذه الأشياء ! فهم اختلفوا في يوم مولد النبي صلى الله عليه و سلم ، فإن اشتهر أنه الثاني عشر من ربيع الأول ، لكن البعض يقول : لا ، الأصح اليوم التاسع من ربيع الأول وليس يوم الثاني عشر ، وذلك لأنه لا يترتب عليه عبادة أو عمل ، ليس هنالك قيام في تلك الليلة ولا صيام في ذلك اليوم ، فلذلك المعروف أنّ الصحابة والتابعين والقرون الأولى وهي خير قرون هذه الأمة لم تحتفل بهذه الذكريات ! بعد ذلك حدثت بعد عدة قرون بدأت هذه الأشياء ..) .
ولمراعاة هذا الخلاف ، كان صاحب إربل يحتفل بالمولد ، سنةً في ثامن شهر ربيع الأول ، وسنةً في ثاني عشرة !!! (انظر ابن خلكان ١ / ٤٣٧) .
الوقفة السابعة
إنّ التاريخ الذي ولد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو بعينه التاريخ الذي توفي فيه ! : (يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول) ، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه ، نبّه على ذلك غير واحد من أهل العلم ، منهم ابن الحاج المالكي ، والإمام الفاكهاني .
قال ابن الحاج المالكي : (العجب العجيب : كيف يعملون المولد بالمغاني والفرح والسرور كما تقدّم ، لأجل مولده صلى الله عليه وسلم كما تقدّم في هذا الشهر الكريم ؟ وهو صلى الله عليه وسلم فيه انتقل إلى كرامة ربه عزّ وجل ، وفجعت الأمة وأصيبت بمصابٍ عظيم ، لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبدًا ، فعلى هذا كان يتعيّن البكاء والحزن الكثير ... فانظر في هذا الشهر الكريم ـ والحالة هذه ـ كيف يلعبون فيه ويرقصون) المدخل ٢ / ١٦ .
الوقفة الثامنة

من الملاحظ أنّ انتشار الاحتفال بالمولد النبوي بين المسلمين ، كان في البلاد التي جاور فيها المسلمون النصارى ، كما في الشام ومصر .. فالنصارى كانوا يحتفلون بعيد ميلاد المسيح في يوم مولده ، وميلاد أفراد أسرته ، فكان ذلك سببًا في سرعة انتشار تلك البدعة بين المسلمين تقليدًا للنصارى .
حتى قال الحافظ السخاوي مؤيدًا الاحتفال بالمولد : (وإذا كان أهل الصليب اتّخذوا ليلة مولد نبيّهم عيدًا أكبر ، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر) !! وقد تعقبه الملا علي القاري : (قلت : ممّا يردّ عليه أنّا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب) المورد الروي في المولد النبوي / ٢٩ .

الوقفة التاسعة

إنّ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا تتحقق بالاحتفال بمولده ، وإنّما تتحقق بالعمل بسنّته ، وتقديم قوله على كل قول ، وعدم ردّ شيء من أحاديثه ، ولنعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد وسعهم دين الله من غير احتفالٍ بمولده ، إذًا فليسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .
والفرح بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ، لا يمكن أن يقتصر على يومٍ واحدٍ ، بل بكل لحظة من لحظات حياة المسلم ، بالتزام أوامره واجتناب نواهيه ، والخضوع لكل ما جاء به من عند الله تعالى ، فلا تقف الفرحة أمام يومٍ واحدٍ ، بل نجعل لنا من كل يومٍ جديدٍ ، التزامًا أكثر بالسنة ، ، لنحوّل ضعفنا إلى قوةٍ ، ونرسي في أنفسنا قواعدَ عقيدتنا ، ومبادئ الإسلام العظيم .

الوقفة العاشرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله) البخاري .
أكثر تلك الموالد فيها إطراءٌ ومبالغة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، والغريب أنّه حتى المؤيدين للموالد ، قد أقرّوا بوجود الغلو الذي يصل إلى درجة الكفر !! خاصة عندما تجرّأ البعض على تأليف كتب عن المولد النبوي ، ثم وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! تأييدًا لذلك يقول عبد الله الغماري - أحد كبار الصوفية المعاصرين - :
(.. وكتب المولد النبوي ملأى بهذه الموضوعات ، وأصبحت عقيدةً راسخة في أذهان العامة ، وأرجو أن يوفّقني الله إلى تأليفٍ حول المولد النبوي ، خالٍ من أمرين اثنين : الأحاديث المكذوبة، والسّجع المتكلّف المرذول ... والمقصود أنّ الغلو في المدح مذمومٌ لقوله تعالى : {لا تغلوا في دينكم} ، وأيضًا فإنّ مادح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر لم يثبت عنه ، يكون كاذبًا عليه ، فيدخل في وعيد : " من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النار "
وليست الفضائل النبويّة مما يتساهل فيها برواية الضعيف ونحوه ، لتعلقها بصاحب الشريعة ونبي الأمة ، الذي حرّم الكذب عليه وجعله من الكبائر ، حتى قال أبو محمّد الجويني والد إمام الحرمين بكفر الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا فما يوجد في كتب المولد النبوي وقصة المعراج من مبالغات وغلوٍ لا أساس له من الواقع : يجب أن تُحرق ، لئلا يُحرق أصحابها وقارئوها في نار جهنّم ، نسأل الله السلامة والعافية) من نقده لبردة البوصيري ص ٧٥.

وقد جرت العادة في الموالد أن تختم بالعبارات البدعية والتوسلات الشركيّة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الوقفة الحادية عشرة

ما يدور في الموالد من المفاسد ، لا تخفى على مسلم ، من أهمها :

أنّ المحتفلين بالمولد يرمون المخالفين ـ وللأسف ـ بعدم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم !! متناسين بأنّ التعظيم والمحبة تكون بالاتباع لا الابتداع ، وكذلك : ما يجري داخل الموالد من إطفاء الأنوار وهزّ الرؤس وتمايل الأكتاف و .. ناهيك عن الأذكار المكذوبة والقصص الموهومة ، ويقول الشيخ علي محفوظ الأزهري : (فيها إسراف وتبذير للأموال ، وإضاعة للأوقات فيما لا فائدة منه ولا خير فيه) الإبداع / ٣٢٤ ، والقواعد الشرعية تقضي بأنّ المباح ـ وهذا على فرض أنه مباح ـ إذا أدّى إلى محرّم : فإنّه يحرم من باب سدّ الذرائع ، فكيف وهو يحوي على المنكرات !!

الوقفة الثانية عشرة

وقد أجمع المسلمون على بدعية الاحتفال بالمولد النبوي ، لكنهم اختلفوا في حسنه وقبحه ، فذهب البعض منهم إلى أنه بدعة حسنة : كابن حجر والسيوطي والسخاوي .. وغيرهم ، نظرا للمصلحة التي ظنوا حصولها !!

لكن العلماء المحققين ، المتقدّمين منهم والمتأخرين ، أفتوا بحرمة الاحتفال بالمولد ، عملاً بالأدلة الشرعية التي تحذّر من البدع في الدين ، والأعياد والاحتفالات من أمور الشريعة ، ووقفوا أمام فتح باب شر متيقّن لخيرٍ موهوم ؟ ثم ما وعاء هذا الخير المزعوم ، عملٌ لم يفعله الرسول ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان قروناً طويلة !! علمًا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يفرّق بين بدعة حسنة وأخرى سيئة ، بل قال : (كل بدعة ضلالة) !

قال الإمام مالك : (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة !! لأن الله يقول : " اليوم أكملت لكم دينكم " ، فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا) الاعتصام للشاطبي .

بعض العلماء الذين أفتوا ببدعية الاحتفال بالمولد النبوي :

• الإمام الشاطبي قال ببدعية المولد النبوي ؟ فقد ذكر بعض أنواع البدع في أول كتابه الاعتصام (٣٤/١) ، وعدّ منها اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً، وذمّ ذلك .

• الإمام الفاكهاني قال ببدعية المولد النبوي ، في رسالته المفردة / ٨-٩ .

• والعلامة ابن الحاج المالكي في المدخل قال ببدعية المولد النبوي (١١/٢-١٢) .

• وعلامة الهند أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي قال ببدعية المولد النبوي ، وكذلك شيخه العلامة بشير الدين قنوجي الذي ألف كتاباً سماه " غاية الكلام في إبطال عمل المولد والقيام " (انظر تعليقه على حديث : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " في سنن الدارقطني) .

• الشيخ العلامة / أبي عبد الله محمد الحفار المالكي ـ من علماء المغرب العربي ـ : (ليلة المولد لم يكن السلف الصالح ـ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم ـ يجتمعون فيها للعبادة ، ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يعظّم إلا بالوجه الذي شرع تعظيمه ، وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله ، لكن يتقرّب إلى الله جل جلاله بما شرع ..) المعيار المعرب ٧ / ٩٩ .

• الشيخ العلامة / محمد صالح العثيمين : (يقيمونها لأنهم كما يقولون يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويريدون إحياء ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نقول لهم : مرحباً بكم إذا أحببتم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرحباً بكم إذا أردتم إحياء ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن !! هناك ميزان وضعه أحكم الحاكمين وإله العالمين ، هناك ميزان للمحبة ألا وهو قول الله تعالى : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " .

فإذا كان الإنسان صادقاً في دعوى محبة الله ورسوله ، فليكن متبعاً لشريعة الله متبعاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يكن متبعاً له فإنه كاذب في دعواه ، لأن هذا الميزان ميزان صدق وعدل ، إذن فلننظر هل إحداث احتفال بليلة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم هل هو من شريعة الله ؟ هل فعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هل فعله الخلفاء الراشدون ؟ هل فعله الصحابة هل فعله التابعون لهم بإحسان هل فعله أتباع التابعين ؟ إن الجواب على كل هذه التساؤلات بالنفي المحض القاطع ، ومن ادعى خلاف ذلك فليأت به : " هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ") موقع الشيخ.

• الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي : (... وقالوا إن الذي ابتدع هذه الموالد وهذه الأشياء الفاطميون في مصر ، ومن مصر انتقل إلى بلاد أخرى ، وربما كان وراء ذلك أهداف سياسية معينة ! أنهم يريدون أن يشغلوا الجماهير والشعوب بهذه الموالد وهذه الاحتفالات ! حتى لا يبحث الناس في أمور السياسة ولا في أمور القضايا العامة إلى آخره ! ولذلك إذا نظرنا إلى الأمر باعتباره عبادة نقول : أنه لم ترد هذه العبادة ولم تصح) !! قناة الجزيرة .

• الشيخ محمد الغزالي أفتى ببدعية المولد النبوي ، في كتابه ليس من الإسلام / ٢٥٢ :

(والتقرب إلى الله بإقامة هذه الموالد عبادة لا أصل لها ... ومن ثمّ فنحن نميل إلى تعميم الحكم على هذه الموالد جميعاً ووصفها بأنها مبتدعات تُرفض ولا يُعتذر لها ... إن إلغاء الموالد ضرورةٌ دينية ودنيوية ... وهكذا انتظم الاحتفال بليلة المولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج ، وليلة النصف من شبعان ، وليلة القدر، ورأس السنة الهجرية .

وقد حددت لهذه الاحتفالات تواريخ كيفما اتفق ، وجُعل البذل فيها من مظاهر التديّن !! وأحياها العوام والخواص بمزيد من الكلام والطعام ، وهكذا تكون نصرة الإسلام !!) .

وفي الختام

وختامًا أسأل الله أن يأذنَ لهذه الورقات بالقبول عنده ، وأن يُنْتفع بها ، فإن المُنية الانتفاعُ بها ، وليس وراء القبول مُبْتغى، ولا سواه مُرْتَجى ، فاللهم إن مفزعَنَا إليك لا إلى غيرك، فثبت أقدامنا على الحق ، وبصِّرنا بأنفسنا ، ولا تجعل من عملنا لأحدٍ سواك شيئاً، والله الهادي إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

----

٦. المولد النبوي، ما وراءه؟!

مقدمة:
ليست القضية قضية احتفال بمولد النبي الكريم أو توسل به أو شد الرحل إلى قبره، فهذه القضايا محل خلاف بين العلماء، وإن كان الصواب منعها ..
بل القضية أبعد من ذلك..
في كل عام يدور جدل كبير ـ إذا حل شهر ربيع الأول ـ حول قضية المولد النبوي بين مؤيد ومعارض..
هذا الجدل يأخذ في كثير من الأحيان شكلا من أشكال التعصب واتباع الهوى، ويقينا أن المسلم يقصد الحق ويبتغي الثواب، لكن هذا القصد لا يغني ولا يجدي إلا إذا وافقه اتباع الشرعة المحمدية..
وإن قضية المولد في حد ذاتها ليست بتلك المشكلة التي يترتب عليها إيمان أو كفر، وإن كانت لا ريب محدثة، يدل على حدثانها:
تأخر ظهورها عن عصر النبوة والصحابة والتابعين والسلف، ومضي القرون الثلاثة الأولى المفضلة دون وقوعها..
وكل الخير في اتباع من سلف، وكل الشر في ابتداع من خلف، والأمة الراشدة هي التي يسعها ما وسع سلفها الصالح، لكن لا يعنينا في هذا المقام أن نبين أصل المولد ونشأته بالقدر الذي يعنينا فيه استشفاف الحقيقة الكامنة وراء هذا المولد..
أمامنا ثلاث قضايا كلها تتعلق بالنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه:
الأولى: المولد..
الثانية: التوسل به..
والثالثة: شد الرحل إلى قبره..
هذه الأمور الثلاثة صارت عند طائفة من الناس علامة على حب رسول الله، فمن احتفل بمولده وتوسل به وشد رحله إلى قبره فهو محب، ومن لم يفعل ذلك أو نهى عنه فهو فاقد الحب..
وقد قلنا من قبل إن إمامنا في كل قضية الكتاب والسنة وفقه السلف:
فهل الشرع دعا إلى شيء من ذلك؟..
وهل جعلها علامة على حب الرسول؟..
الثابت أن الشرع لم يأمر بالاحتفال بالمولد النبوي، لكنه في ذات الوقت لم ينه عن تدارس سيرة النبي واستخراج العبر منها في كل زمان ومكان، بل هو من المقربات إلى الله تعالى، والشرع لم يعلق حب الرسول على فعل تلك الأمور الثلاثة، بل علقه على اتباعه وتعظيمه..

وأما التوسل فإن الشرع لم يأمر بالتوسل بالنبي الكريم بعد مماته، وقد كان الصحابة يتوسلون به في حال حياته، أي يطلبون منه الدعاء، وكان هذا جائزا حينذاك، لكنه لما مات تركوا ذلك لعلمهم أن الميت ولو كان نبيا لا يملك أن ينفع أحدا..
لذا فإنهم لما قحطوا في عام الرمادة في عهد عمر استسقوا بالعباس عم النبي وما استسقوا بالنبي فقال عمر رضي الله عنه:
" اللهم إنا كنا نستسقيك بنبينا فتسقينا، وإن نستسقيك بعم بنبينا فاسقنا" البخاري، كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الأمام الاستسقاء إذا قحطوا، انظر: فتح الباري ٢/٤٩٤.
وفي خلافهم في سقيفة بني ساعدة حول الخلافة لم يتوسلوا به في حل ذلك الخلاف، ولا في المحنة التي تعرض لها عثمان رضي الله عنه، ولا في الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما..
فلو كان التوسل به ـ أي طلب الدعاء منه بعد مماته ـ جائزا لم يفرط الصحابة فيه، فعدم فعلهم ـ وهم الأحرص على الخير ـ يدل على المنع منه..
وأما التوسل بجاهه فذلك أمر لم يفعله الصحابة أبدا لا في حال حياته ولا بعد مماته، وما ورد من أثر يجيز التوسل بجاهه فهو ضعيف، وما عرف عن السلف مثل هذا النوع من التوسل، إلا ما كان من الإمام أحمد..
أما عن شد الرحل إلى قبره عليه الصلاة والسلام، فإنه نهى عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد فقال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) البخاري كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة انظر: فتح الباري٣/٦٣ـ٦٤
أي لا يجوز شد الرحل لأجل العبادة إلا لهذه المواطن الثلاثة..
أما من قصد غيرها لأجل العبادة فقد خالف الأمر ووقع في النهي، لكن قد يأتي من يخالف فيقول:
"ليس في الحديث النهي عن شد الرحل إلى القبر، وليس فيه ذكر القبور أصلا، فمن أين قلتم الحديث ينهى شد الرحل إلى القبر؟"..
فيقال: إنما ذكرت المساجد لأن المقصود هو العبادة، فالقاصد للمسجد إنما يقصده لأجل الصلاة وقراءة القرآن والذكر والاعتكاف، وهذه عبادات، وزيارة القبور لا ريب أنها عبادة لأن الشارع أمر بها..
وكل ما أمر به الشارع فهو عبادة..
وعلى ذلك فلا يجوز السفر من أجل زيارة القبر، لأن السفر لأجل العبادة لا يجوز إلا لهذه الثلاثة..
وليس في هذا الكلام منع لزيارة القبور، بل الزيارة مشروعة في كل حال، أما الممنوع فهو السفر لأجلها..
فإن لم يسلم المخالف بهذا فحينئذ الحَكَم الذي يحكم بين المسلمين إذا اختلفوا في فهم نص من نصوص الشرع هم السلف وعلى رأسهم الصحابة، فماذا يقول الصحابة في هذه المسألة؟..
ورد أن أبا هريرة خرج إلى الطور فلما بلغ ذلك بصرة بن أبي بصرة الغفاري قال له حين أقبل:

"لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت سمعت رسول الله يقول: فذكر الحديث" الموطأ، النسائي كتاب الجمعة باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، صححه الألباني..
وجاء رجل إلى ابن عمر فقال له:
" إني أريد الطور..
فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى فدع عنك الطور ولا تأته".. أحمد وعمر بن شبة في أخبار المدينة، انظر: فتح المجيد باب ماجاء في حماية المصطفى جناب التوحيد ص٢٨٩..
والطور ليست بمسجد بل هي بقعة مباركة، كلم الله فيها موسى عليه السلام، فالصحابة ما فهموا من الأثر أن المنع خاص بالمساجد، بل فهموا المنع لأجل العبادة، ولو فهموا أنه مخصوص بالمساجد لما أنكروا على من خرج إلى الطور يريد التبرك..
فهذه فتوى الصحابة في هذه المسألة، ولا أظن مسلما إلا هو يرضى بما ثبت عنهم ورضوه دينا، لأنهم هم الكمل، وهم خيار الأمة وقدوتها..
وكل حديث ورد في فضل زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فهو ضعيف كما ذكر الأئمة المحققون كابن تيمية، بل الذي ورد النهي عن اتخاذ قبره عيدا فقال: (لا تتخذوا قبري عيدا)..
أي تعادونه بالزيارة، والعيد في اللغة اسم لما يعتاد مجيئه، سمي عيد الفطر عيدا وكذا الأضحى والجمعة لكونها معتادة تجيء كل عام وكل أسبوع، فالذي يزور قبره في كل موسم أو عيد أو نحو ذلك فقد اتخذ قبره عيدا، وهذا هو ما نهى عنه الرسول الكريم..
وقد أنكر الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب اعتياد القبر فقد روى سعيد بن منصور في سننه عن سهيل بن أبي سهيل قال:
" أتى الحسن بن الحسن بن علي عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء..
فقلت: لا أريده..
فقال: مالي رأيتك عند القبر؟..
فقلت: سلمت على النبي..
فقال: إذا دخلت المسجد فسلم..
ثم قال: إن رسول الله قال:
(لا تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء" انظر: الفتاوى ١٨٩/٢٧. فتح المجيد باب حماية المصطفى جناب التوحيد ص٢٨٦..
فقد أنكر عليه زيارته القبر، وأرشده إلى السنة وهي أن من أراد السلام على رسول الله فإن في الأرض ملائكة سياحة تبلغه عن أمته السلام، فلا فرق بين القريب من القبر والبعيد عنه كما ذكر ابن رسول الله الذي هو أقرب الناس نسبا إليه، فالسنة لمن

أراد السلام عليه أن يسلم حين دخوله المسجد كما أرشد إلى ذلك النبي الكريم، والسنة أن يصلى ويسلم عليه في الصلاة، فهذا الذي يشق على نفسه بالسفر وإتيان القبر لأجل السلام يستوي هو ومن قعد في بيته في أقصى الأرض في بلوغ السلام، فلم هذا العناء ورسول الله لم يأمر بزيارة قبره؟..
وما عرف عن صحابته أنهم كانوا يعتادون القبر، بل لم يكونوا يزورونه إلا ما كان من ابن عمر كان إذا قدم من سفر أم القبر فسلم على رسول الله ثم أبي بكر ثم أبيه ..
انظر: المصنف لعبد الرزاق، كتاب الجنائز، باب السلام على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، والمصنف لابن أبي شيبة، كتاب الجنائز، باب من كان يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم..
قال عبيد الله بن عمر:
" لا نعلم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك " ..
انظر: مصنف عبد الرزاق، كتاب الجنائز، باب السلام على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فتح المجيد ص٢٨٨، الجواب الباهر ابن تيمية ٦٠ ..
إذن.. تعليق محبة رسول الله بفعل هذه الأمور الثلاثة إذا كان صادرا من جاهل لا يعلم حقيقة الأمر النبوي وما هو مشروع وما هو ممنوع فهو معذور لجهله وظنه ثبوت ما لم يثبت، وإن كان لا يعذر في ترك سؤال أهل العلم..
وأما إن كان صادرا من عالم يعلم عدم ثبوت ذلك في الشرع ويخفي وراءه اعتقادا خاصا وفكرا موروثا عن الأديان والنحل القديمة، يقصد به تقويض ملة الإسلام وهدم أركان الإيمان بالله فهنا نصل إلى لب القضية التي نريد أن نوقفكم على حقيقتها:
إننا أمام فكر خطير لا يمت إلى الإسلام بصلة، له قواعده وأركانه المستمدة من ثقافات أجنبية قديمة من قبل الإسلام، دخل إلى الإسلام باسم الزهد في أول أمره لما كان الزهاد من أرباب هذا الفكر يملؤون الدنيا، ثم تحول لاحقا إلى الدعوة إلى محبة رسول الله لما قل الزهادون منهم وكثر المترفون..
لذا فالذي نقوله هنا:
ليست القضية قضية احتفال بمولد النبي الكريم أو توسل به أو شد الرحل إلى قبره، فهذه القضايا محل خلاف بين العلماء، وإن كان الصواب منعها لما سبق من أدلة..
بل القضية أبعد من ذلك، إنها قضية فلسفية تخرج معتقدها من دائرة الإسلام وتدخله دائرة الإلحاد والزندقة، وللأسف، المتفطنون لهذا الأمر هم قلة والأكثر في غفلة عن الحقيقة، وتلك الغفلة تساهم بطريقة لا شعورية في ترسيخ هذه الفكرة المصادمة للإسلام، حين ينحصر البحث والجدل حول قضايا فرعية مع نسيان القضية الأساسية..
لذا كان من المهم إعطاء فكرة عن الأصل الذي انبثق عنه ادعاء محبة الرسول والنسبة إليها عند هؤلاء الذين سموا صوفية وأشغلوا العالم بهذه الدعوى، لكي نعلم هل هم صادقون في هذه المحبة، أم أن لهم غرضا آخر من الدعوة إليها؟..
الإنسان الكامل:
الإنسان الكامل، فكرة فلسفية صوفية كانت رائجة في الأمم المتصوفة من قبل الإسلام.. أطلق هذا اللقب من قبل الصوفية القدماء من أهل فارس والهند واليونان

على أول موجود وجد في الكون حسب نظريتهم... حيث زعموا أن هذا الموجود الأول فاض عن الله تعالى كما يفيض نور الشمس عن الشمس، لم يخلقه بل صدر عنه، فهو نور من نور، ونوره امتد إلى جميع ذرات الكون:
فبه قامت الحياة.. وهو الإله الذي صنع وخلق الموجودات.. وهو الواسطة بين الخالق والخلق لما له من شبه بهما.. فله صفات الإله وله صفات البشر..
ولأنه بهذه المرتبة فهو يعلم الغيب ويدبر أمر العالم، وربما سموه الروح الأعظم أو العقل الأول أو الفعال وغيرها من التسميات، هذه خلاصة فكرة الإنسان الكامل التي في تلك الثقافات القديمة قبل الإسلام..
انظر الإنسان الكامل، عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية ١٣٦/١، بنية العقل العربي، الجابري ص٣٧٨
ثم إن الله تعالى كتب لهذا الدين أن ينتشر في بلاد فارس والهند فدخل فيه كثير من حملة هذا الفكر أبناء تلك البلاد، ومع قلة الوعي بحقيقة الإسلام بقي كثير منهم على هذا الاعتقاد الفاسد ظانين عدم منافاته لما أنزل الله، فصاروا يدعون إليه بحسن نية وقصد..
لكن طائفة أخرى تعمدت نشر هذا الفكر بين المسلمين خبثا وكيدا لما كانت قلوبهم تنطوي على حقد عظيم على هذا الدين الذي أزال دولهم الظالمة الكافرة..
وبما أن لقب الإنسان الكامل غريب على المجتمع الإسلامي تحاشوا أن يصطدموا به فاتخذوا بدلا منه لقب الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي..
فإذا سمع السامع هذا اللقب تبادر إلى ذهنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن أعظم شخصية في تاريخ المسلمين هو محمد صلى الله عليه وسلم، وله خصائص ليست لغيره بإجماع المسلمين، وكثير من المسلمين ممن عدم الفقه والعلم لا يمانع من الزيادة والغلو في حقه عليه الصلاة والسلام..
هنا وظف هؤلاء هذه الشخصية لإبراز فكرة الإنسان الكامل من خلالها..
فقالوا عن رسول الله أنه:
أول موجود فاض عن الله تعالى كما يفيض نور الشمس عن الشمس..
وهو نور ونوره ممتد إلى جميع ذرات الكون..
وكل العلوم قطرة من بحره..
وهو محل نظر الإله..
له شبه بالصفات الإلهية والصفات البشرية..
فهو واسطة بين الخالق والخلق..
فصارت الحقيقة المحمدية هي حقيقة الإنسان الكامل بغير فرق... إلا أنهم ومحاولة منهم لترويج تلك الفكرة الفلسفية حرفوا الآيات واختلقوا الأحاديث للتدليل عليها..
(الحقيقة المحمدية = الإنسان الكامل)
والذي يثبت هذا التوافق ما يرد في أقوالهم وأشعارهم من أوصاف غالية في حق النبي الكريم لا يمكن أن تفسر إلا من خلال فكرة الإنسان الكامل، وهانحن نورد طرفا منها..

يقول ابن عربي: " بدء الخلق الهباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية" الفتوحات المكية ١١٨/١
ويقول الحلاج:
" أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوى نور صاحب الكرم... همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم... العلوم كلها قطرة من بحره.. والأزمان ساعة من دهره" الطواسين ١٣
وقال ابن الدباغ:
" اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضا من نور محمد، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليه لتهافتت وتساقطت" هذه هي الصوفية ص٨٧ نقلا عن محبة الرسول ص٢٠٣
يقول البوصيري في البردة:
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حدوث الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم
هذه هي الحقيقة المحمدية عندهم، فكل كلماتهم وأشعارهم تنطق بحقيقة الإنسان الكامل لايجادل في ذلك إلا جاهل أو ماكر.. وهم وإن كانوا قد استتروا خلف هذا اللقب المحمدي زمنا إلا أنهم عادوا وحنوا إلى لقبهم القديم فصاروا يصرحون به..
فهذا إمامهم الأكبر ابن عربي الطائي يطلق لقب الإنسان الكامل في كثير من مؤلفاته وله مؤلف بعنوان: "الإنسان الكلي"..
وهذا عبد الكريم الجيلي وهو منهم يضع كتابا بعنوان: "الإنسان الكامل"..
وهناك آخرون غيرهم قدماء ومحدثون..
الإنسان الكامل، الحقيقة المحمدية مرتبة عامة:
وإن المدقق في أقوالهم وأحوالهم يعلم يقينا أنهم لا يعظمون رسول الله ولا يحبونه، بل يتخذون محبته ذريعة إلى تحقيق فكرة الإنسان الكامل بين المسلمين.. ولذا فإنهم عندما يطلقون لقب الحقيقة المحمدية أو غيره مما يقوم مقامه لا يقصدون به ذات النبي عليه الصلاة والسلام خاصة، بل كل ذات تتحقق فيها الأهلية ـ حسب شروطهم ـ لأن تصير في مرتبة الإنسان الكامل..
فليست هذه المرتبة حكرا على النبي أو غيره من البشر، بل هي مشاعة ينالها كل من هذب نفسه وصفاها على طريقة فلسفية خاصة حتى تصل إلى مرحلة الاتحاد بذات الله تعالى كما يقولون، تعالى الله عما يقولون، فإذا صارت كذلك نالت مرتبة الإنسان الكامل..
لذا فإنهم يعتقدون في مشايخهم ما يعتقدونه في الإنسان الكامل، فهم نور، وهم يعلمون الغيب، ويدبرون شؤون الكون، ومن هنا نفهم لماذا يصرون على تعظيم أولئك المشايخ هذا التعظيم الغالي الذي لا يجوز أن يكون إلا لرب العالمين..
يقول الجيلي:

" اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمى باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان... فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم هو في صورة شيخي إسماعيل الجبرتي" الإنسان الكامل ٧٣/٢

قال بعضهم:

كل النبيين والرسل الكرام أتوا   نيابة عنه في تبليغ دعواه
فهو الرسول إلى كل الخلائق في   كل العصور ونابت عنه أفواه

(النفحات الأقدسية للبيطار ص١٧)

وإذا كنا قلنا إنهم لا يحبون رسول الله حقيقة، بل يتخذون المحبة ستارا لغاية علمناها من التفصيل السابق، فإننا نشير كذلك إلى أن لهم غاية أخرى يتوصلون إليها بهذه الدعوى ألا وهي: تعظيم ذواتهم، وإستذلال العباد، وتسخيرهم في شهواتهم.. وذلك حين يزعمون أن ذواتهم تمثل الحقيقة المحمدية، وقد مهدوا لذلك بقولهم إن هذه الحقيقة تظهر في كل زمان ومكان في صورة ولي من الأولياء..

ولعل هذا هو السبب الأول في الدعوة إلى محبة الرسول...

((فهم ينتقلون منها إلى تعظيم ذواتهم))..

يظهر ذلك جليا من حيث إنهم لا يقفون عن حد الاحتفال بمولد النبي الكريم والتوسل به وشد الرحل إلى قبره، بل: ((يجيزون ويدعون إلى الاحتفال بمولد كل شيخ من مشايخهم والتوسل بهم وشد الرحل إلى قبورهم للتضرع والسؤال))..

كما هو معلوم، تحت اسم الولاية والتعظيم وطلب البركة..

ولو فرضنا صدقهم لكان ينبغي لهم ألا يشركوا أحدا مع رسول الله في تلك القضايا الثلاث، ولو كانوا صادقين لنهوا أتباعهم عن دعاء النبي وسؤاله ما لايقدر عليه إلا الله، وحينذاك نقول: إنهم صادقون في المحبة، مخطئون اجتهادهم...

لكنهم ما فعلوا هذا ولا ذاك، بل جعلوا لكل شيخ مرتبة تضارع مرتبة النبي وتفوقه حتى تصل إلى مرتبة الإله، وأذنوا في تقديم القربات إليهم من دون الله، فهم مشركون زنادقة متبعون لأهواءهم:

{ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدي القوم الظالمين }...

(تلك هي الحقيقة.. لكن كثيرا منهم لا يعلمون)

فهذه هي حقيقة محبة رسول الله عند هؤلاء القوم، كما رأينا:

ليس فيها إلا تعظيم الذوات وإحياء دين الفلاسفة الوثنيين من فرس وهند ويونان، وفكرتهم تناقض الإسلام... فليس أحد فاض عن الله، بل كل الموجودات مخلوقة لله تعالى ليست من ذاته ولا من نوره.. وليس أحد من خلق الله يملك علم اللوح والقلم، ولا يقدر أحد على التصرف في الكون..

فمعتقد هذه الاعتقادات كافر بالله تعالى..

والحق أن كثيرا من أتباع هذه الفكرة لا يدركون حقيقتها..
وكثير من الذين يحتفلون بالمولد لا يعلمون أصل هذا الأمر..
بل كثير منهم صادقون في محبتهم وشعورهم تجاه الرسول لكنهم مخطئون حين لم يلتزموا المحبة الشرعية القائمة على الاتباع..
لكن البلية فيمن يعتنق هذا الفكر الإلحادي ويدعو إليه متخذا محبة رسول الله ستارا.. فهذا أصل الضلالة مصدر الغواية، إذن هذه هي الحقيقة، فمن جادلهم فليجادلهم فيها، وليحذر من الخديعة والحيلة فيظن أن القضية قضية مولد أو توسل أو سفر إلى قبر، بل القضية أخطر من تلك بكثير كما قد رأينا.

----

٧. الاحتفال بالمولد النبوي

يحيى بن موسى الزهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المؤمنين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . . . أما بعد :

فلقد كان العالم يغط في ظلام عميق ، وجهل سحيق ، فكان القتل ، والظلم ، وكثير من الكبائر والعظائم التي لا تجد من ينكرها ، أو يبطلها ، لقد أنت الشعوب قبل الإسلام أنيناً شديداً ، وجار العدوان والطغيان ، وأقيمت الحدود على الفقراء والضعفاء ، ونجا منها الأغنياء والأقوياء ، وبقي الناس على ذلك المر والعلقم حتى رحم الله البشرية ، بإرسال أفضل الرسل وخاتمهم وأرحمهم بأمته ، وهو نبينا وحبيبنا محمد صلى اله عليه وسلم ، وبعد مولده وشبابه ، ونضوجه ونبوته عادت البسمة للناس من جديد ، فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وحطم أسس الشرك ، وقضى على معالم الوثنية ، واستأصل شأفتها ، واجتث جرثومتها ، حتى أقيمت الحدود على الطغاة والبغاة ، واخذ الحق من الظالم ، وأعيد للمظلوم ، وهكذا عاشت الأمة في خير وهناء .

فقبل الشروع في المولد النبوي ، وقبل تفنيد ما فيه من الباطل ، يحسن بنا أن نتطرق إلى بعض الأمور التي قد يغفل عنها كثير من المسلمين ، وهي مما يتعلق به عليه الصلاة والسلام ، والتي ينبغي على المكلف معرفتها والاهتمام بها حتى يعرف أمر نبيه صلى الله عليه وسلم عليه ومن هذه الأمور :

أولاً : النبي صلى الله عليه وسلم رحمة :

فهو رحمة على أمته رحيم رؤوف بهم مشفق عليهم ، قال تعالى : [لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم] (التوبة ١٢٨) ، وقال تعالى : [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين] (الأنبياء ١٠٧)

وقد حث أمته على التراحم فيما بينهم والتعاطف والشفقة من بعضهم على بعض وأن يكونوا كالجسد الواحد يساعد بعضهم بعضا ويقف بعضهم مع بعض فهو كما وصفه

ربه سبحانه رحيم بالمؤمنين قال : ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)) وأشار بالسبابة والوسطى [البخاري وأبو داود والترمذي] ، وقال تعالى : [فأما اليتيم فلا تقهر] (الضحى ٩) .
وكذلك من الرحمة التي أوصى بها النبي العناية بالأرملة والمسكين وذوي الحاجات فعن أبي هريرة قال : قال النبي : ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)) [البخاري ومالك] ، وعن أبي هريرة أن رجلاً شكا إلى رسول الله قسوة قلبه فقال : ((امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين)) [رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح].
ومن رحمته بالفقراء قال فيهم : ((بئس الطعام طعام الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء)) [في الصحيحين] ، وقد أوصى بالإحسان إلى البنات والنساء والضعفاء وما ذاك إلا من رحمته وشفقته على أمته .
فعن أنس رضى الله عنه ، عن النبي قال : ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين)) [رواه مسلم] وجاريتين أي بنتين ، وقال : ((اللهم إني أحرَّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة)) [رواه النسائي بإسناد جيد] ومعنى أحرج أي أنه يُلحق الإثم بمن ضيع حق اليتيم والمرأة ، وقال : (هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم)) [رواه البخاري مرسلا وأورده بمعناه النسائي في صحيح سنن النسائي ٦٦٩/٢ برقم (٢٩٧٨)] ، وقال : ((من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)) [متفق عليه] ، وقال : ((من لا يَرحم لا يُرحم)) [متفق عليه].
ومن رحمته أنه أوصى بالرحمة بالحيوان فقال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)) [ابن حبان ومسلم والدارمي وغيرهم] .
وصور رحمته بأمته وشفقته عليهم كثيرة جداً ، فعليه الصلاة والسلام.
ثانياً : مولده صلى الله عليه وسلم :
ولد عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل ، قال أبو قتادة الأنصاري : سأل رجل أعرابي رسول الله فقال : ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ قال : [ذاك يوم ولدت فيه ، وفيه أوحي إلي] (مسلم) .
وعن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب ، قال : ولدت أنا ورسول الله عام الفيل] (الترمذي وإسناده حسن) انظر سير أعلام النبلاء ٣٣/١ .
ثالثاً : بشريته صلى الله عليه وسلم :
فهو بشر مثل بقية البشر قال تعالى : [قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً] (الإسراء ٩٣) ، وقال تعالى : [محمد رسول الله .....] (الفتح٢٩) وقال : ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي)) [متفق عليه] ، وهي دلالة على أن محمداً رسول الله إلى الناس كافة بل إلى الثقلين ـ الجن والإنس ـ وقال الله جل وعلا: [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى .....] (الشورى١٣) والمذكورون في هذه الآية هم أولو العزم من الرسل فهم بشر ولكن الله أكرمهم بالرسالة وغفر لهم جميعاً ، وقال الله جل وعلا : [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ....] (آل عمران٥٩) ، فهذه

الآيات تدل دلالة قاطعة لاشك فيها أن الأنبياء بشر والله هو خالقهم ، ولكنه اصطفاهم برسالاته عن بقية البشر، فلا يُعبدون من دون الله ويحرم الغلو فيهم أو التوسل بهم بعد موتهم ، لأن ذلك من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد والمخرج من ملة الإسلام والنبي محمد من أولئك الأنبياء الذين بعثهم الله عز وجل للعباد مبشرين ومنذرين قال تعالى: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] (آل عمران١٤٤) ، فلا يجوز الغلو فيه أو التوسل به بعد موته أو طلب العون أو المدد منه ، فإنه بشر مثل كل البشر فقد قال : ((سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ، قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة)) [البخاري ومسلم] .

فمن ذلك عُلم أن النبي بشر ولد وعاش ومات ، قال تعالى : [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين] (آل عمران١٤٤) ، وقال تعالى : [إنك ميت وإنهم ميتون] (الزمر٣٠) ، والخطاب للنبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

فالواجب على المؤمن أن يؤمن برسالة النبي ورسالة جميع الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، لأن ذلك ركن من أركان الإيمان ، الذي لو سقط لضعف إيمان المرء معه وقد يهوي إلى الهاوية والعياذ بالله .

رابعاً : فضله على جميع الخلائق :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)) [مسلم] .

وقيل أن السيد : هو الذي يفوق قومه في الخير، وقيل : هو الذي يُفزع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم .

وهو أفضل البشر على الإطلاق ، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم ، قال : ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)) [مسلم] ، فهو سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، ففي يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى منازع ولا معاند له ، بخلاف الدنيا فقد نازعه في سيادته ملوك الكفار وزعماء المشركين ، وقوله أنا سيد ولد آدم لم يقله فخراً ، بل إنه صرح بنفي الفخر فقال عليه الصلاة والسلام : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) [الترمذي]

وقوله أنا سيد ولد آدم ، كما قلنا لم يقلها مفاخرة بها وإنما قال ذلك لسببين:

الأول : امتثالاً لأمر ربه سبحانه عندما قال جل من قائل عزيز سبحانه : [وأما بنعمة ربك فحدث] (الضحى١١) .

الثاني : أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه لأمته ليعرفوه ويوقروه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضى ذلك الاعتقاد ويوقروه بما تقتضيه مرتبته .

فهو الذي يطلب من ربه ويسأله سبحانه يوم القيامة للفصل بين العباد وهو أول من يُشفع يوم القيامة ، فلهذا فهو أفضل الخلائق على الإطلاق ، صلوات ربي وسلامه عليه .
خامساً : معنى شهادة أن محمداً رسول الله :
معناها: طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب مانهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلاّ بما شرع.
فطاعته من طاعة الله عز وجل ، قال تعالى : [قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم] (آل عمران ٣٣١) .
وقال تعالى : [قل أطيعوا الله والرسول] (آل عمران ٣٢) ، وقال تعالى : [من يطع الرسول فقد أطاع الله] (النساء ٨٠) ، وتصديقه في الأخبار الماضية والمستقبلية مما كان من أمور الغيب التي أطلعه الله عليها ، وتصديقه في ذلك من أوجب الواجبات .
ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله اجتناب مانهى عنه النبي ، فكل مانهى عنه يجب اجتنابه وذلك مصداقاً لقوله تعالى : [وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا] (الحشر ٧) ، وقال : ((ما أمرتكم من أمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)) [مسلم] .
سادساً : عبوديته صلى الله عليه وسلم :
فالنبي عبد من عباد الله وهو مملوك لله عز وجل ووصفه الله تعالى بالعبودية الخاصة كما قال تعالى : [أليس الله بكافٍ عبده] (الزمر ٢٦) ، فأعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة فهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين قال تعالى : [تبارك الذي نزل الفرقان على عبده] (الفرقان١) ، فهو عبد لله تعالى ، أما الربوبية والإلهية فهما حق لله تعالى وحده لا يشركه في شي منهما أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فالنبي كما قلنا عبد الله ورسوله كما قال هو عن نفسه ((إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)) [ابن حبان] .
فلا يُرفع فوق منزلته عليه الصلاة والسلام ولا يكون له خصيصة من خصائص الألوهية فهو عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عز وجل عليه من الأمور الغيبية قال تعالى : [قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله] (النمل٦٥) ، وقال تعالى : [عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول] (الجن ٢٦ ، ٢٧) ، فقد أطلع الله عز وجل نبيه محمداً على بعض الأمور الغيبية ، لذلك فهو لا يعلم الغيب من تلقاء نفسه ، ودليل ذلك أنه عندما سأله جبريل عليه السلام عن الساعة قال : ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)) وقد علم مما أطلعه الله عليه أن ذلك السائل هو جبريل عليه السلام قال تعالى : [تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا] (هود٤٩) ، وقال تعالى : [ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمر وهم يمكرون] (يوسف ١٠٢) .

وكذلك فهو لا ينفع ولا يضر بنفسه ، ولا يُعتقد فيه أي أمر من أمور الألوهية أو الربوبية ولقد وصفه الله بالعبودية في أشرف المقامات فقال جل من قائل سبحانه [سبحان الذي أسرى بعبده] (الإسراء ١) .
فهو عبد الله ورسوله فلا يعطى ولا يرفع فوق منزلته هذه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)) [مسلم].
فهو عبد الله ورسوله ، وصلوات ربي وسلامه عليه .

سابعاً : حاجة الناس إلى رسول الله :
لما عاش الناس قبل بعثته في جاهلية جهلاء وظلمة دهماء خصوصاً بعدما حرفوا وبدلوا في الكتب المنزلة على أنبيائهم ، لذلك كله أحوج الله الخلائق كلهم إلى من يزيل عنهم تلك الغمة ، ويعيدهم إلى عبادة الله الخالق الواحد القهار ، فأرسل الله نبيه محمداً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم سبحانه وتعالى .
فأما حاجتهم إلى النبي في الدنيا فهي أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنفس ، لأنه مبشرهم بالجنان ومنذرهم من النيران ، وأما حاجتهم إليه في الآخرة فإنهم يستشفعون بالرسل إلى الله ليفصل بين الخلائق ، فكلهم يتأخر عن الشفاعة ، فيشفع لهم النبي محمد ، وهو الذي يستفتح لهم باب الجنة .
فلهذا كانت حاجة الناس إلى النبي حاجة ماسة وأكيدة في الدنيا والآخرة .
ثالثاً : الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم :
قبل الحديث عن المولد النبوي الكريم ، نتحدث عن فرقة من فرق الضلالة والتي بسببها وجدت مثل هذه البدع المنكرة والمكفرة ، فمن هذه الفرق :
الصوفية :
وأحسن ما قيل فيها أنها فرقة منسوبة إلى الصوف ، وأول ما ظهرت هذه الفرقة في البصرة ، وكانوا يبالغون في الزهد والعبادة والخوف ، ولبسوا الصوف تشبهاً بالمسيح بن مريم ، فلذلك أطلق عليهم الصوفية . وليس طريقهم مقيداً بلبس الصوف ، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر حالهم . ولكنهم بعد ذلك تشعبوا وتنوعوا ، وقيل أن التصوف تسرب إلى بلاد المسلمين ، من الديانات الأخرى كالديانة الهندية ، والرهبانية النصرانية .
يقول الشيخ / عبدالرحمن الوكيل :
إن التصوف أدنأ وألأم كيداً ، ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ولرسله . [مصرع التصوف] .
ويقول الشيخ / صالح الفوزان :
الصوفية دخيلة على الإسلام ، ويظهر ذلك في ممارسات المنتسبين إليها ، من ممارسات غريبة على الإسلام وبعيدة عن هديه ، وخصوصاً المتأخرين منهم ، الذين كثرت شطحاتهم ، وعظمت غلطاتهم ، وأما المتقدمون منهم فكانوا على جانب من الاعتدال ، كالفضيل بن عياض ، والجنيد ، وإبراهيم بن أدهم وغيرهم.

موقف الصوفية من العبادة والدين :
لقد تفاقم الوضع في هذه الأزمنة في عبادة الصوفية ، حتى أصبحت المنكرات ظاهرة للعيان ، كوضوح الشمس في رابعة النهار ، وكل ذلك من باب الزهد كما يدعونه ، وحبهم المفرط في النبي صلى اله عليه وسلم إلى غير ذلك من توافه الأمور ، ولقد اتخذ أهل التصوف وخصوصاً المتأخرين منهم صنوفاً من أصناف العبادة المبتدعة ، وتتلخص بدعهم فيما يلي :

١- قصرهم العبادة على المحبة :
يبنون عبادتهم لله على جانب المحبة ، ويهملون الجوانب الأخرى ، وهي جوانب عظيمة يعتمد عليها الدين اعتماداً كبيراً ، كجانب الخوف والرجاء ، وقد قال بعضهم : أنا لا أعبد الله طمعاً في جنته ، ولا خوفاً من ناره ، ولا شك أن هذا من الضلال ، فمن هو الذي لا يطمع في الجنة ، ومن هو الذي لا يخاف من النار ، وقد جاءت الآيات والأحاديث المشتهرة بذلك ، والذي لا يطمع في الجنة ، فبماذا يطمع إذن ، قال تعالى : " سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض " ، وقال تعالى : " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " ، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ بالله من أربع ، من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال ، ومن فتنة المحيا والممات . [رواه مسلم] ، فكيف يقول قائل بعد ذلك ، أنه لا يطمع في الجنة ولا يخاف من النار ، بل نقول نحن : اللهم إنا نسألك الجنة ، ونعوذ بك من النار .
فالعبادة ليست مقصورة على جانب واحد فقط ، قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .
ولهذا يقول بعض السلف :
من عبد الله بالحب وحده : فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده : فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده : فهو حروري ، ومن عبده بالحب والرجاء والخوف : فهو مؤمن موحد . ولهذا قال تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون "
وقال تعالى : " أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً " ، في هذه الآية أعظم دليل على كذب الصوفية وأهلها ، لأن كل إنسان يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه .

٢- عدم الرجوع للكتاب والسنة :
في غالب أمر الصوفية انهم لا يرجعون إلى الكتاب والسنة في دينهم وعبادتهم ، وغنما يرجعون على أذواقهم وما يرسمه لهم شيوخهم من الطرق المبتدعة ، والأذكار والأوراد الخاطئة الكاذبة ، وربما يستدلون بالحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتشبثون بها ، ومن المعلوم

أن العبـادة لا تكـون صـحيحة إلا إذا كانـت مبنيـة علـى مـا جـاء فـي الكتـاب والسـنة الصحيحة المحتج بها .
قال شيخ الإسلام : صراط الله واحد ، لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه ، وما عداه فهو سبل متفرقة تتفرق بمن سلكها ، وتبعده عن صراط الله المستقيم ، وهذا ينطبق على كل فرق الصوفية ، فإن كل فرقة لها طريقة خاصة تختلف عن طريقة الفرقة الأخرى ، ولكل فرقة شيخ يسمونه شيخ الطريقة ، يرسم لها منهاجاً يختلف عن منهاج الفرق الأخرى ، ويبتعد بهم عن الصراط المستقيم ، ويزعم هذا الشيخ انه يتلقى الأوامر من الله مباشرة ، ولا يخفى على كل ذي لب وعقل من الناس أن الرسالة قد انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو آخر الأنبياء والرسل ، وانقطع الوحي كذلك بموته عليه الصلاة والسلام ، ولهذا قال تعالى : " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء " ، قال القرطبي رحمه الله : ومعناه : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي أو يرسل . ٤٨/١٦ ،
يقول الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى : هناك قاعدة مهمة يجب على كل طالب علم معرفتها ، وأقول : لأنها تضع النقاط على الحروف ، وتزيل كثير من الران الذي غطى قلوب كثير من المبتدعة ، وتجعل طالب العلم قادراً بإذن الله تعالى على مجابهة مثل أولئك المبتدعة وأهل الضلالة .

والقاعدة تقول :
كل شيء كان سببه موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله ، ففعله بعده بدعة .

وقاعدة أخرى :
الأصل في العبادات الحظر ، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله ، والأصل في العادات الإباحة ، فلا يمنع منها إلا ما حرمه الله ورسوله .

مما سبق يتبين لنا أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان سببه موجوداً في عهد العهد النبوي ، ولكن لم يحتفل بمولده أحد من البشر في قرنه وفي القرون المفضلة من بعده ، وهي ثلاثة قرون ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم " ، قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك " .
مما سرى في المسلمين في هذا العصر وما سبقه من الأعصار من التشبه بالكفار ، التشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بالمولد النبوي ، يحتفل جهلة المسلمين أو العلماء المضلين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المعدة لذلك ويحضره جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم ، يعملون ذلك تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام . ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، وهى العلم

النافع والعمل الصالح ، ولم يقبضه إليه حتى أكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة كما قال سبحانه وتعالى : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] "المائدة٣ " فبين الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة أن الدين قد كمل والنعمة قد أتمت ، فمن زعم أن يُحدث حدثاً يزعم أنه مشروع وأنه ينبغي للناس أن يهتموا به ويعملوا به فلازم قوله أن الدين ليس بكامل بل هو محتاج إلى مزيد وتكميل ، ولا شك أن ذلك باطل ، بل من أعظم الفرية على الله سبحانه والمصادمة لهذه الآية الكريمة ، ولو كان الاحتفال بيوم المولد النبوي مشروعاً لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته لأنه أنصح الناس لهم ، وليس بعده نبي يبين ما سكت عنه من حقه ، لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وقد أبان للناس ما يجب له من الحق كمحبته واتباع شريعته والصلاة والسلام عليه وغير ذلك من حقوقه الموضحة في الكتاب والسنة ولم يذكر لأمته أن الاحتفال بيوم مولده أمر مشروع حتى يعملوا بذلك ولم يفعله صلى الله عليه وسلم طيلة حياته ، ثم الصحابة رضي الله عنهم أحب الناس له وأعلمهم بحقوقه لم يحتفلوا بهذا اليوم لا الخلفاء الراشدون ولا غيرهم ، ثم التابعون لهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة لم يحتفلوا بهذا اليوم .
أفتظن أن هولاء كلهم جهلوا حقه أو قصروا فيه حتى جاء المتأخرون فأبانوا هذا النقص وكملوا هذا الحق ؟ لا والله ، ولن يقول هذا عاقل يعرف حال الصحابة وأتباعهم بإحسان .
وإذا عُلم أن الاحتفال بيوم المولد النبوي لم يكن موجوداً في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أصحابه الكرام ولا في عهد أتباعهم في الصدر الأول ، ولا كان معروفاً عندهم . عُلم أن ذلك بدعه محدثة في دين الله لا يجوز فعلها ولا إقرارها ولا الدعوة إليها ، بل يجب إنكارها والتحذير منها عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة : { خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة } ، وقوله عليه الصلاة والسلام : { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة } ، وقوله عليه الصلاة والسلام : { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } ، وقوله صلى الله عليه وسلم :{ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد } ، فكل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو رد ومردود على صاحبه وعليه النكال وله الويل من الخالق سبحانه ، فمن كان عمله خارجاً عن الشرع المطهر وليس متقيداً به فهو مردود ولا يزيد صاحبه إلا بُعداً عن الله تعالى ، ولا يزيده إلا مقتاً وخساراً ، ويذهب ذلك العمل هباءً منثوراً لمخالفته الواضحة لدين الله تعالى ، والله جل وعلا قد تكفل بدينه وحفظه : [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] " الحجر٩ " .
فمن شرع لأولئك الفئام من الناس هذا الدين الذي ابتدعوه ؟ أهو الهوى ؟ أم الشيطان ؟ أم لهم شركاء وآلهة أخرى غير الله تُشرع لهم ديناً غير دين الله تعالى فتُحلل وتُحرم لهم ؟
قال تعالى : [أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله] "الشورى ٢١ " ، وقد ختم الله جل وعلا هذه الآية بقوله : [وإن الظالمين لهم عذاب أليم] ، فهؤلاء

ظلمة ، ظلمة لأنفسهم ، ظلمة لدينهم ، ظلمة لا خوانهم المسلمين الذين يأتون من بعدهم ، ويجدون تلك البدع والخرافات ، والأهواء والمنكرات ؟ فإن الله جلت قدرته قد حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً .
فمن أشد الظلم وأقبحه وأشنعه أن يتعدى الإنسان على ربه ، بأن يُشرّع للناس عبادة لم يأذن بها الله عز وجل ، ليحذر أولئك من شديد عقابه ، وأليم عذابه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الأمة على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وقد أوضح صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة قبل موته عليه الصلاة والسلام أنه ترك فيها ما إن تمسكت به فلن تَضل أبداً ، كتاب الله عز وجل وسنته صلى الله عليه وسلم ، فمن أراد أن يزيد في الدين ما ليس منه ، فالدين بريء منه وزيادته مردودة عليه ، وهو مأزور غير مأجور آثم ببدعته تلك .
قال صلى الله عليه وسلم : { تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك } (الترمذي وأبوداود والحاكم) .
وقال أبو ذر رضي الله عنه : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يحرك جناحيه في السماء إلا وقد ذكر لنا منه علماً .
وقال العباس رضي الله عنه : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً وأحل الحلال وحرم الحرام ، ونكح وطلق وحارب وسالم . ولو تصفحنا كتاب الله عز وجل صفحة صفحة وسطراً سطراً ، لمَا وجدنا آية فيه تدل على أنه يُحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في السنة لا يوجد حديث ولا أثر صحيح يُعتمد عليه يدل على ذلك .
فمن أين جاء أولئك الناس بهذا الاحتفال المبتدع في دين الله .
فكثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة ، إنما هو من ترك الاشتغال بأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترك اجتناب النواهي ، فلو أن من أراد أن يعمل عملاً في الدين سأل العلماء الربانيين ، علماء أهل السنة والجماعة ، عما شرعه الله في ذلك فامتثله وأطاعه ورضي به وانتهى عما فيه نهي ، لوقعت كل الأعمال مقيدة بالكتاب والسنة .
ولكن المصيبة والطامة الكبرى أن العامل يعمل بمقتضى رأيه وهواه ، فتقع الحوادث مخالفة لما شرع الله .
فمن امتثل أمر الله تعالى وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم واشتغل بذلك عما سواه حصلت له النجاة في الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وهواه وانقاد وراء المخططات الصهيونية والنصرانية وغيرها من مخططات أعداء الدين وقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم من حال أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم ، وابتداعهم في دينهم ، فكانوا فريسة وصيداً سهلاً في أيدي المسلمين آنذاك .
فهل نحذوا حذوهم ، ونقتفي أثرهم ، وهم على الباطل والضلال ، والزيغ والانحلال ؟ لا والله ؟ لا ينبغي هذا . بل الواجب التمسك بالدين الإسلامي الحنيف ، الذي لا نُصرة للمسلمين إلا بتمسكهم به ، ولا رفعة لهم إلا بتقيدهم به ، وأن نترك الابتداع في دين الله عز وجل .

فـأمور الأعيـاد المخالفـة للشـرع والاحتفـالات المصـادمة للـدين ليسـت مـن شـعار المسلمين بل أن : { من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه } (الترمذي وهو حسن) ، ويبتعد عن الشبهات ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .
فأمر ليس في كتاب الله وليس في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا يعنينا الاهتمام به ، ولا حتى النظر إليه ، ولا التفكير فيه ، فمن أراد عمله عليه قبل ذلك أن يسأل أهل العلم عن ذلك ، حتى يكون على بصيرة من دينه ، قال تعالى : [فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون]" النحل ٤٣" .
والسؤال هنا :
ماذا يحدث في هذا المولد ؟
إن غالب هذه الاحتفالات مع كونها بدعة مخالفة للدين فهي لا تخلوا من اشتمالها على منكرات أخرى مثل :
١ـ اختلاط الرجال بالنساء ، مما قد يُفضي إلى أمور محرمة بين الجنسين ، بل إن ذلك يحصل غالباً في هذه الأعياد المبتدعة المنكرة وكيف يدعي أولئك حُب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يخالفون أمره ، فيحصل الاختلاط بين الرجال والنساء ، وقد حذر عليه الصلاة والسلام من الدخول على النساء غير المحارم حتى أنه قال في الحمو : الحمو الموت .
فكيف يدّعون حبهم واحتفالهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وهم يُقدّمون في هذا الاحتفال كل ما فيه معصية له صلى الله عليه وسلم . فليتب أولئك من هذه الخرافات والخزعبلات قبل أن يحل بهم هادم اللذات ، وهم غرقى في الذنوب والشهوات ، ثم بعد ذلك لا تنفع الآهات والويلات .
٢ـ ذبح ذبائح في مثل هذه الموالد والأعياد المزيفة ولا شك ولا ريب أن الذبح لغير الله شرك قال صلى الله عليه وسلم : { لعن الله من ذبح لغير الله } (مسلم) ، واللعن : هو الطرد والإبعاد من رحمة الله عز وجل ، وإن الله عز وجل قد أمر بأن يكون الذبح له سبحانه ، في قوله تعالى : [قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين] " الأنعام ١٦٢، ١٦٣ " وقال تعالى : [فصل لربك وانحر] " الكوثر ٢ "
فالذبح لغير الله في الأضرحة والقبور وغيرها شرك أكبر ومن فعل ذلك فهو ملعون لما جاء في الحديث السابق ، وحكم هذه الذبائح حكم الميتة ولو ذكر اسم الله عليها ، لأنها لم تكن لله عز وجل .
٣ـ ضرب الدفوف والطبول واستعمال الأغاني والمعازف والله جل وعلا قد حرم المعازف والغناء المصحوب معها سواءً كان ما جناً أم غير ماجن ، قال تعالى : [ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين] " لقمان ٦ " وقد أقسم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الصحابي المعروف عن المقصود بلهو الحديث ، فقال : { والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء } . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم : { ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعزف } (البخاري) ، إنه والله لأمر تأسف له النفوس ، وتضيق له القلوب ممن لا ينطبق عملهم على قولهم ، بل عملهم يكذب قولهم ولا

يصدقه يقولون نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحتفل بمولده ، ثم في ذات الوقت يعصونه ولا يطيعونه يرتكبون ما نهى عنه ، ويجتنبون ما أمر به فأي حب هذا ؟ وأي اتباع له صلى الله عليه وسلم الذي يدعيه أولئك المبتدعة ؟
٤ـ شرب الخمور والمسكرات والدخان وأكل القات ، وغير ذلك من المشروبات المحرمات .
والله تعالى حذرهم ونهاهم عنها ، فقال جل وعلا : [يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون] ، ثم ختم الله عز وجل هذه الآيات بالآية الدالة على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لأن في طاعتهما الفلاح والنجاح ، وفي معصيتهما الخسران والحرمان ، فقال تعالى : [وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين] " المائدة ٩٠،٩١ ، ٩٢" .
٥ـ يعتقد من يحتفل بالمولد النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر المولد ، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين ، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ولا يتصل بأحد من الناس ، ولا يحضر اجتماعهم ، بل هو مقيم في قبره ولا يخرج إلى يوم القيامة وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال تعالى :[ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون] " المؤمنون ١٥ ،١٦ " وقال عليه الصلاة والسلام : { أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأنا أول شافع وأول مشفع } (مسلم) .
فهذا قول الله تعالى يقول عن نبيه صلى الله عليه وسلم : [إنك ميت وإنهم ميتون] " الزمر " فلا إله إلا الله ـ أين عقول أولئك الناس عن قول الله عز وجل ، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم . ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا أجدبوا واحتبس عنهم المطر ، فإنهم يطلبون من نبيهم أن يدعو الله لهم ، فكان يفعل ، ولكن بعد موته عليه الصلاة والسلام ، لم ينقل عن أحد منهم أنه كان يدعو النبي في قبره ويستغيث به ، بل كما جاء عن عمر بن الخطاب أنه دعا العباس عم رسول الله ، فقال : اللهم إنا كنا نستشفع بنبينا فتسقينا ، فها نحن نستشفع بعم نبينا فأسقنا ، فقال : قم يا عباس فادع الله لنا ، ولم يستشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ، لأنه عرف أنه لم يعد يملك لهم شيئاً بعد موته .
٦ـ ما يحدث في هذه الموالد من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أو الغلو فيه والتوسل به أو الغلو في الأولياء ، وهذا هو الشرك الأكبر المحبط للأعمال والمدخل للنيران ـ أعاذنا الله من ذلك ـ فيحصل فيها دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستعانة والاستغاثة به ، أو طلب المدد منه عليه الصلاة والسلام ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يفعلها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ممن يسمونهم بالأولياء .

وإن الله تعالى قد حرم الدعاء لغيره سبحانه ، فالدعاء حق من حقوقه تعالى فلا يُصرف إلا لله ، قال تعالى : [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً] " الجن ١٨ " وقال تعالى : [إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين] " الأعراف ١٩٤" ، وإلى أصحاب العقول والأفهام هذه الآية التي تبطل كل المزاعم من أن الأموات يسمعون دعاء الغير ، هذه الآية قاطعة وجازمة بأن الميت لا يسمع ولا ينفع ولا يضر ، قال تعالى : [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير] " فاطر ١٣ ـ ١٤ " ، فمن دعا غير الله عز وجل بجلب نفع أو دفع ضر أو غير ذلك فقد أشرك بالله شركاً أكبر مخرجاً من الملة ، فلا يُدعى إلا الله عز وجل لأنه سبحانه بيده دفع الضر وكشفه وإسباغ النعمة وإفاضة الخير على عباده وغير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله .
وقال جل وعلا : [ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] " الأحقاف ٥ـ٦ " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما : { إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله } (الترمذي) .
فلا يسأل الإنسان إلا ربه ، ولا يستعين إلا به ، فهو سبحانه الذي يستطيع النفع والضر وبيده خزائن كل شيء ، لذلك قال تعالى : { وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] " غافر ٦٠" ، وقال تعالى : [قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً] " الإسراء ٥٦" .
ولو كان أولئك الأموات يملكون نفعاً أو ضراً لنفعوا أنفسهم ولما ما توا ، ولدفعوا عن أنفسهم الموت وما يحصل بهم من ضر ، فكيف ينفعون غيرهم أو يضرونهم ـ فعجباً !! لأولئك الناس الذين تركوا عقولهم سلعة رخيصة يلعب بها شياطين الإنس والجن ، حتى ضلوا عن جادة الصواب ، فعبدوا العباد ، بدلاً من أن يعبدوا رب العباد ، واتجهوا إلى عبادة القبور والأضرحة التي لا تنفع ولا تضر فما هي إلا كومة من تراب ولو قدر الله عز وجل وبعث أحد أولئك الأموات ، ووجد الناس رجالاً ونساءً جماعات وفرادى يطوفون حول قبره ويتبركون به ويطلبون المدد منه ويذبحون تقرباً إليه ، والله لما وسعه إلا أن يدعوهم إلى عبادة الله ولبين لهم أنه إنسان مثلهم لا ينفع ولا يضر وإلا لنفع نفسه قبل ذلك ، ولو وجدهم على حالهم هذه لسخر منهم واستهزأ بهم ولتبرأ إلى الله مما يفعلون ، فالله عز وجل أنعم عليهم بنعم شتى ، فوهبهم العقل والسمع والبصر ، ومع ذلك فنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، يعرفون الباطل فلا يجتنبونه ، ويعرفون الحق فلا يتبعونه وقد قال لهم ربهم : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] " الذاريات ٥٦ " .
وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار } (أحمد والبخاري) ، وفي رواية مسلم : { من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار } .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تعظيمه فقال : { لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا } (مسلم وأبو داود وابن ماجة) ، وقال صلى الله عليه وسلم : { لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } (في الصحيحين) ، قالت عائشة رضي الله عنها : {يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجداً } . وقال عليه الصلاة والسلام : { ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنها كم عن ذلك } (مسلم) ، وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم : { لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها } . وروى أهل السنن عن بن عباس رضي الله عنهما قال : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج } ، وذكرت أم سلمة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : { أولئك إذا مات فيهم الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله } (البخاري ومسلم) .

وقال صلى الله عليه وسلم : { ولا تجعلوا قبري عيداً } (أبو داود) وروى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } وقال صلى الله عليه وسلم : { لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله } (البخاري) .

فيحرم الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم أو التوسل به أو دعاؤه أو طلب المدد منه صلى الله عليه وسلم فهو ميت وقد قال تعالى : [إنك ميت وإنهم ميتون } " الزمر ٣٠ " وقال تعالى : [وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأين مت فهم الخالدون] " الأنبياء٣٤ " ، فإذا كان هذا يحرم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيره من باب أولى ، لأنهم لا ينفعون ولا يضرون فيحرم الطواف حول قبور أولئك الأموات ويحرم الذبح عندها أو التقريب لها ، أو طلب المدد منها أو التبرك بها والتمسح بها أو غير ذلك من الأمور المحرمة ، فكل من فعل ذلك فهو داخل في قوله تعالى : [إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء] " النساء ١١٦ " وقوله تعالى : [وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً] " الفرقان ٢٣" ، وقوله تعالى : [الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً] " الكهف ١٠٤" ، لأنهم خالفوا ما خلقوا من أجله وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

فاجتماع الناس لإحياء ليلة المولد وقراءة قصته صلى الله عليه وسلم بدعة محدثة منكرة في دين الله عز وجل ، ومن أباطيلهم وكذبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر هذه المجالس ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد توفي وغسل وكفن وصلي عليه صلاة الجنازة ودفن كغيره ، وهو أول من يبعث يوم القيامة من قبره .

ومن البدع المنكرة التي يجب إنكارها ، الاحتفال بالنصف من شعبان ، وعيد الميلاد ، وبلوغ الشخص ٢١سنة وعيد الأم وغير ذلك من البدع التي أحدثها أعداء الله ليشوشوا على المسلمين عقيدتهم ويبعدوهم عن دينهم فيقعوا فريسة لأهواء الأعداء ، فأين أفئدتهم وأبصارهم .

فقد نقل الصحابة رضوان الله عليهم ، عن نبيهم صلى الله عليه وسلم كل شئ تحتاجه الأمة ولم يفرطوا في شئ من الدين ، بل هم السابقون إلى كل خير فلو كان الاحتفال بمولده مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم أنصح الناس ، وقد بلغ البلاغ المبين ، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ، ويباعد من النار إلا بينه للأمة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : { ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم } (مسلم) وقال تعالى : [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً] " الأحزاب ٢١" وقال تعالى : [والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم] " التوبة ١٠٠ " .

وقال صلى الله عليه وسلم : { إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين } . فلو كان تعظيم هذا المولد والاحتفال به من دين الله ، لفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكتمه ، فلما لم يقع شئ من ذلك ، عُلم أن الاحتفال بهذا المولد وتعظيمه ليس من الإسلام في شئ فهو بدعة منكرة في دين الله عز وجل ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يأذن بها الله تعالى ، فقد أكمل الله تعالى الدين وأتم النعمة على عباده : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] " المائدة ٣ " ، وقال تعالى : [أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم } " الشورى ٢١ ".

وقال صلى الله عليه وسلم : { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } (متفق عليه) ، وقال عليه الصلاة والسلام : { من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد } (مسلم) وفي صحيح مسلم ، قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة : { أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة } وزاد النسائي بسند جيد : { وكل ضلالة في النار } . وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، فأوصنا : { أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة } (أحمد وغيره) .

فلقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والسلف الصالح التحذير من البدع ، والترهيب منها ، وذلك لأنها زيادة في دين الله عز وجل ، وفي البدع تشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم وابتداعهم في دينهم زيادة لم يأذن بها الله ، ففي ذلك من الفساد العظيم والمنكر الشنيع ما لا يعلم إلا به الله .

وفي تلك البدع والاحتفالات مصادمة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

أسأل الله تعالى أن يمن علينا بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، وأن يجنبنا البدع الظاهرة والباطنة ، وأن يتم علينا نعمة الدين المستقيم ، دين الإسلام الحنيف ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، نبينا محمد الأمين

----

٨. شهر ربيع الأول

أول من أحدث بدعة المولد النبوي:
لا شك أن الصحابة رضي الله عنهم هو أشد الناس محبة للرسول صلى الله عليه وسلم وأحرصهم على اتباعه وأعلم الناس بالسنة ، وهم رضي الله عنهم مع حرصهم وشدة محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤثر عنهم على الإطلاق إن أحدا منهم احتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤثر كذلك عن القرون المفضلة الأولى أن أحدا احتفل بالمولد . فلم تسجل حادثة واحدة في كتب التاريخ تدل على وجود مثل هذا الأمر في تلك القرون .
ما يعني أن أمر هذا الاحتفال استحدث بعد هذه القرون المفضلة .
وأول من أحدث هذه البدعة هم الباطنية وبالأخص قوم يعتبرون من المؤسسين للدعوة الباطنية يقال لهم بني القداح ويسمون أنفسهم بالفاطميين ، وينتسبون زوراً إلى ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فجدهم هو ميمون ابن ديصان القداح وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وميمون هذا من الأهواز وهو أحد مؤسسي المذهب الباطني الخبيث وذلك بالعراق ، ثم ارتحل إلى المغرب ، وانتسب هناك إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنه من نسله ، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرافضة ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبلوا ذلك منه على الرغم من أن محمد ا بن إسماعيل بن جعفر الصادق مات وليس ذرية . وممن تبع ابن ديصان القداح رجل يقال له : حمدان قرمط وإليه تنسب القرامطة .
ثم لما توالت الأيام ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسمه ونسبه وقال لأتباعه : أنا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فظهرت فتنته بالمغرب .
قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: (وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب).
وفي سنة ٤٠٢ هـ كتب جماعة من العلماء والقضاة ، والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين ، محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين – العبيديين - وشهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو : منصور بن نزار الملقب ب" الحاكم " حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار – ابن معد بن إسماعيل بن عبدالله بن سعيد –لا أسعده الله – فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله ، وتلقب بالمهدي ، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج ، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور . وأنهم لا يعلمون أحدا من أهل بيوتات علي بن أبي طالب رضي الله عنه توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبه ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا في الحرمين ، وفي أول أمرهم بالمغرب ، منتشرا انتشارا يمنع أن يدلس أمرهم على أحد ، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه ، وأن هذا الحاكم بمصر –

هو و سلفه – كفار فساق فجار ، ملحدون زنادقة ، معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون ، وقد عطلوا الحدود ، وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية، كتب في سنة ٤٠٢ هجرية وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير . ا.هـ

فأول من قال بهذه البدعة – بدعة الاحتفال بالمولد النبوي – هم الباطنية الذين أرادوا أن يغيّروا على الناس دينهم ، وأن يجعلوا فيه ما ليس منه ؛ لإبعادهم عما هو من دينهم فإشغال الناس بالبدع طريق سهل لإماتة السنة ، والبعد عن شريعة الله السمحة وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المطهرة.

وقد كان دخول العبيديين مصر سنة ٣٦٢ هـ في الخامس من رمضان ، وبدعة الاحتفال بالمولد عموما ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا إنما ظهرت في عهد العبيديين ، ولم يسبقهم أحد إلى ذلك .

قال المقريزي : (ذكر التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي) :

- موسم رأس السنة
- وموسم أول العام
- ويوم عاشوراء
- ومولد النبي صلى الله عليه وسلم
- ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ومولد الحسن رضي الله عنه
- ومولد الحسين رضي الله عنه
- ومولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها
- ومولد الخليفة الحاضر
- وليلة أول رجب
- وليلة النصف من رجب
- وليلة أول شعبان
- وليلة النصف من شعبان
- وموسم ليلة رمضان
- وغرة رمضان
- وسماط رمضان
- وليلة الختم
- وموسم عيد لفطر
- وموسم عيد النحر
- وعيد الغدير
- وكسوة الشتاء
- وكسوة الصيف
- وموسم فتح الخليج

• ويوم النيروز
• ويوم الغطاس
• ويوم الميلاد
• وخميس العدس
• وأيام الركوبات
ثم تكلم المقريزي عن كل موسم من هذه المواسم ، ومراسم الاحتفال فيه .
فهذه شهادة ظاهرة واضحة من المقريزي – وهو من المثبتين انتسابهم إلى ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن المدافعين عنهم – أن العبيديين هم سبب البلاء على المسلمين وهم الذين فتحوا باب الاحتفالات البدعية على مصراعيه ، حتى إنهم كانوا يحتفلون بأعياد المجوس والمسيحيين وهذا من الأدلة على بعدهم عن الإسلام ومحاربتهم له ، وإن لم يجهروا بذلك ويظهروه .
وفي ذلك دليل أيضا على أن إحياءهم للموالد الستة المذكورة ومنها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ليس محبة له صلى الله عليه وسلم كما يزعمون وكما يظهرون للعامة والسذج من الناس ، وإنما قصدهم بذلك نشر خصائص مذهبهم الإسماعيلي الباطني ، وعقائدهم الفاسدة بين الناس ، وإبعادهم عن الدين الصحيح ، والعقيدة السليمة بابتداعهم هذه الاحتفالات ، وأمر الناس بإحيائها ، وتشجيعهم على ذلك وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك .
موقف أهل السنة والجماعة من بدعة المولد
اتفق العلماء من السلف الصالح - رحمهم الله – على أن الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من المواسم غير الشرعية ، أمر محدث مبتدع في الدين ، ولم يؤثر ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ، ولا عن التابعين وتابعيهم ، ولا علماء الأمة المشهورين كالأئمة الأربعة ونحوهم .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :
(وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول ، التي يقال إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار، فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف، ولم يفعلوها، والله سبحانه وتعالى أعلم).
وقال – أيضا – في – " اقتضاء الصراط المستقيم " : ((فصل.. ومن المنكرات في هذا الباب: سائر الأعياد والمواسم المبتدعة ، فإنها من المنكرات المكروهات سواء بلغت الكراهة التحريم ، أو لم تبلغه ؛ وذلك أن أعياد أهل الكتاب والأعاجم نهي عنها ؛ لسببين :
أحدهما: أن فيها مشابهة للكفار .
والثاني : أنها من البدع . فما أحدث من المواسم والأعياد هو منكر ، وإن لم يكن فيها مشابهة لأهل الكتاب ؛))
وقد ذكر رحمه الله تعالى توجيه ذلك فقال : ((أن ذلك داخل في مسمى البدع والمحدثات ، فيدخل فيما رواه مسلم في صحيحه عن جابر – رضي الله عنهما – قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرّت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد

غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، ويقول : ؛" بعثت أنا والساعة كهاتين – ويقرن بين إصبعيه : السبابة والوسطى - ويقول :" أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " وفي رواية للنسائي: "وكل ضلالة في النار")).
وبين رحمه الله تعالى أن الزمان ثلاثة أنواع ويدخل فيها بعض أعياد المكان والأفعال:
أحدها : يوم لم تعظمه الشريعة الإسلامية أصلا ، ولم يكن له ذكر في السلف ، ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه ، مثل أول خميس من رجب ، وليلة تلك الجمعة التي تسمى الرغائب .
النوع الثاني : ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره ، من غير أن يوجب ذلك جعله موسما ، ولا كان السلف يعظمونه : كثامن عشر ذي الحجة الذي خطب النبي صلى الله عليه وسلم بغدير خم مرجعه من حجة الوداع ...
وكذلك ما يحدثه بعض الناس : إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع – من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدا مع اختلاف الناس في مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع فيه لو كان خيرا ، ولو كان خيرا محضا أو راجحا لكان السلف – رضي الله عنهم – أحق به منا ، فإن كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا ، وهم على الخير أحرص . وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره ، وإحياء سنته ظاهرا وباطنا ، ونشر ما بعث به ،والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان .
وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حرّاصا على أمثال هذه البدع – مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد – تجدهم فاترين في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أمروا بالنشاط فيه ، وإنما هم بمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه ، أو يصلي فيه قليلا ، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة ، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي تُشرع ، ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع بما يفسد حال صاحبها .

المراجع :

- كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي
- كتاب البدع الحولية لعبد الله بن عبد العزيز التويجري

المصدر المفكرة الإسلام

----

٩. المولد النبوي بين المشروعية والبدعية

المولد النبوي بين المشروعية والبدعية
فهد عبد الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فمع كل إقبال شهر ربيع الثاني يثار الجدل والنقاش حول مشروعية الاحتفال بمولد النبي من عدم مشروعيته وتكثر الرسائل والكتب من الطرفين المجيزين والمانعين وتتنوع بين الصغيرة والكبيرة والمطولة والمختصرة، ومع هذا فقد أحببت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع وأن أوضح بعض القضايا التي أرى من الضروري فهمها واستيعابها وتجليتها وبيانا للحق وكشفا لغيره مما قد يلبس لبوس الحقيقة وهو عنها بمعزل.

وقد قسمت البحث إلى :

المقدمة: فقبل أن أدخل في صلب الموضوع مهدت له بجملة تمهيدات هي في الحقيقة مقدمات ضرورية ومفيدة يظهر من خلالها حكم المولد وترسم الطريق لكيفية التعامل مع هذه المسألة وغيرها مما يقاربها أو يشابهها .

الفرع الأول: أدلة المانعين.

الفرع الثاني: أدلة المجيزين.

الفرع الثالث: القول الراجح.

الخاتمة.

المقدمة

وهنا أذكر بعض القضايا التي تصور بعض جوانب هذه المسألة وتساعد على فهمها وإعطائها الحكم الصائب.

١- تاريخ المولد النبوي:

يرجع البعض الاحتفال بالمولد النبوي إلى الدول الباطنية والتي يسميها أتباعها بالفاطمية والتي حكمت مصر ردحا من الزمن وكانت هذه الدولة تعتنق الدين الإسماعيلي وينتسب قادتها إلى شخص يسمى عبيد الله بن ميمون القداح يذكر عنه بعض المؤرخين بأنه مجوسي دس نفسه في المسلمين مريدا زعزعة دينهم وخلخلته من الداخل بإحداث بعض البدع والخرافات والعقائد المناقضة للإسلام.

ويذكرون أن الدولة الباطنية أحدثت المولد النبوي ضمن موالد واحتفالات وأعياد أخرى كثرت مع الزمن ونكتفي بذكر الموالد التي نقل احتفالهم بها وهي: مولد النبي، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن والحسين ، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر [١]

في حين يرجع آخرون وهم المؤيدون للمولد بأن أول من عمله لم يكن باطنيا أو إسماعيليا بل كان ملكا عادلا ويعرف بالمظفر أبي سعيد ملك إربل وحكي عنه أنه في بعض الموالد كان يمد في السماط خمسة آلاف رأس مشوى، وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى وأنه كان يحضر عنده في هذه الموالد أعيان العلماء(!) والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم(!!!)[٢]، ولكن مما أيد به أصحاب القول الأول قولهم أن تاريخ فعل هذا الملك متأخر عن فعل الباطنية مما يعني أنهم أول من أحدثه، وأن هذا الملك فلدهم جهلا.

وعلى كل فالجميع متفقون على أنه جاء متأخرا بحيث مرت القرون الثلاثة الأولى وهي القرون المفضلة دون ذكر للاحتفال بالمولد أو إقامته، وهذا هو المطلوب أي

الإقرار بأن المولد حدث متأخرا، لأننا سنبني على هذا شيئا آخر، ولا يهمنا في هذا المقام كون أول من احتفل بالمولد سنيا أو شيعيا، إنسيا أو جنيا أو غيره.
وهذا ما صرح به العلماء حيث ذكروا أن الاحتفال بالمولد لم يكن في السلف قال الحافظ السخاوي في فتاويه :"عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعد".أهـ[٣]
وإن مما يجدر ذكره والتنبيه عليه أن فترة ظهور المولد كانت فترة التقليد وانقضاء المجتهدين، ومن المعلوم أن استحباب فعل ما أو إيجابه اجتهاد بلا شك؛ لأن التقليد هو التزام قول الغير دون زيادة أو نقصان بخلاف الاجتهاد الذي يعني بذل الوسع في استنباط حكم شرعي وهذا بعينه هو ما قالوه بشأن استحباب المولد فكيف يتواءم هذا مع ما نظروا له من تحريم الاجتهاد وإغلاق بابه وشن الغارة على بعض الأكابر ممن هو أهل للاجتهاد بتضليله لكونه نزع ربقة التقليد، إنه حقا لأمر غريب، أقول هذا وإن كانت قناعتي بأن إقفال باب الاجتهاد لم يكن واقعيا إلى حد كبير فدعوى إغلاق باب الاجتهاد وانقراض عصر المجتهدين وإن منعت علماء أكابر من الاجتهاد في مسائل مهمة وكانت سيفا مصلتا على كثيرين إلا أنها في الواقع لم تمارس عمليا بشكل كبير فقد كان الكثير من الفقهاء يجتهدون بل ومن وصموا بأنهم مقلدين، ولسنا في مقام بسط هذا إنما أحببت أن أشير إلى هذه النكتة إذ إن بعضهم مع تحريمه الاجتهاد على جلة من العلماء الكبار إذا به يجتهد هو نفسه، وللأسف أنه حين يجتهد يكون اجتهاده غالبا مجانبا للصواب فيما يتعلق بما يشابه قضايا المولد والذكر ونحوها مما له علاقة بالتصوف والذي دخلت فيه الكثير من الدخائل.
٢- السنة والبدعة:
كثر الكلام عن البدعة وتعددت تعاريف العلماء لها فمنها المتشابه ومنها المتغاير ومنها المتداخل، وقد حاول كل صاحب تعريف أن يدلل لتعريفه وينقض تعريف الآخرين، والسبب الأكبر في هذا الاختلاف هو أن كل صاحب تعريف يصوغ تعريفه بما يتلائم وأقواله الفقهية وتوجهاته الاستنباطية والمذهبية فهو يصوغ التعريف بعين وينظر بالعين الأخرى إلى الفروع، محاولا ألا يعود تعريفه بإبطال بعض أقواله وفتاويه أو فتاوى مدرسته الفقهية التي ينتمي غليها.
ومع هذا تجد أحيانا هذه التعاريف مطاطة عامة لا تستطيع أن تمسكها، فإذا ما جئتها من طرف فرت عليك من طرف آخر، وكمثال على هذا يعرف بعضهم البدعة بأنها "إحداث ما لم يكن في عهد الرسول]"٤] فترى أن هذا التعريف واسع يشمل كل ما لم يكن في عهد النبي سواء كان في إطار التعبدات أو العادات، وهكذا تجد الكثير من التعاريف، يرد عليها هذا الإشكال ولهذا تفادا أصحاب التعريف السابق ما قدر يرد على تعريفهم من إشكالات بأن قسموا البدعة إلى: بدعة حسنة وأخرى سيئة، وقسمها آخرون كالعز بن عبد السلام وتبعه كثيرون إلى الأحكام الخمسة: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، ولكن يرد هذا التقسيم حديث: "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"[٥] ومن المعلوم أصوليا أن (كل) من ألفاظ العموم وأضيفت إلى نكرة فتعم كل بدعة، ولهذا فتقسيم البدعة على هذا الشكل يتناقض تماما والنص النبوي.

والصواب أن البدعة لها إطلاقان الأول لغوي والثاني شرعي ، فأما الإطلاق اللغوي فتعني البدعة إحداث ما ليس له مثال سابق وفي هذا الإطار يدخل تعريف العز ونحو قول عمر رضي الله عنه بشأن التراويح: نعمت البدعة هذه، مراده البدعة بالمعنى اللغوي للبدعة لا المعنى الاصطلاحي.

فالبدعة بالمعنى اللغوي تشمل ما كان دنيويا كاختراع الكهرباء والسيارات والطائرات، إذ كلها أحدثت على غير مثال سابق.

كما يدخل ضمنها المصالح المرسلة كجمع القرآن وتدوين العلوم وبناء المدارس والأربطة ونحوها.

أما المعنى الاصطلاحي للبدعة فالذي نرتضيه إلى حد كبير هو تعريف الإمام الشاطبي في كتابه القيم الاعتصام والذي عرف البدعة بأنها "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"[٦] فيخرج بهذا التعريف ما كان دنيويا وما كان مصلحة مرسلة.

بقيت نقطة أود توضيحها لها تعلق بموضوع البدعة ويحتج بها البعض في تجويز واستحباب بدعة ما وهو قولهم: إن له أصلا في السنة كما فعل بعضهم في مسألة المولد بأن قال إنه خرجه على أصل ثابت في الصحيحين من أن النبي قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى"[٧].

ويكفي في الرد على هذا أن نذكر قصة عبدالله بن مسعود لما جاء إلى أولئك القوم المتحلقين في المسجد، ومعهم حصى، يعدون بها التكبير والتهليل والتسبيح، فقال لهم :"فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمدٍ! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم متوافرونَ، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملةٍ أهدى مِن ملةٍ محمدٍ أو مفتتحو باب ضلالةٍ.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن؛ ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه" [٨]

فرغم أن الشارع قد حث على الذكر ورغب فيه ووردت فيه الكثير من الأدلة الصحيحة والصريحة بما لم يرد شيء منه في المولد ومع هذا فقد وصفهم ابن مسعود بأنهم لم يصيبوا الخير، وهذا دليل واضح في المسألة.

ارتكبت الكثير من البدع ونَفَذَت العديد من الخرافات، تحت عنوان له أصل في السنة مع أن ما زعموه أصلا لا يتفق مع ما يفعلوه، كم أنه لو لم يكن إلا تعارض حديث (كل بدعة ضلالة) والذي يدل على التحريم والأصل الذي يذكرونه لكان الأخذ بالتحريم هو الصواب وهو ما ذكره العلماء في التعارض من علم الأصول، هذا إذا تنزلنا وقلنا بوجود تعارض وإلا فالأمر ليس كذلك بتاتا.

إن البدعة تعني الاستدراك على الشارع بتشريع ما لم يشرعه والله يقول :الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً]المائدة:٣[فدين الله كامل لا يحتاج إلى زيادة، ويكفينا أثر ابن مسعود حيث قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة"[٩].

٣- تصوير زائف:

يحاول البعض تصوير الخلاف بين من يحرمون الاحتفال بالمولد والمجيزين له بأنه خلاف بين من يحب النبي ومن لا يحبه بل تأخذ بعضهم فورة الغضب فيقول : إن بين القوم -أي المحرمين لهذه البدعة- والنبي شيء وأن غرضهم إنما هو نزع محبة النبي من القلوب!!! ولست أدري هل كان بين خير القرون ورسول الله شيء، وهل أراد سلف الأمة بعدم احتفاله نزع محبة النبي من القلوب.

أقول يؤخذ على هذا التصوير وتبعاته الكلامية مآخذ:

أ- ليس من أدب الخلاف أن نرمي الآخر بمثل هذا الكلام الذي لا يمت إلى الموضوع بصلة.

ب- يقول سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور[١٠] فالله وحده هو من يعلم ما تخفيه الصدور وما تنطوي عليه القلوب، فقوله بأن غرضهم... علم بالغيب ورد لهذه الآية، هذا وقد ثبت في مسلم أن زيد بن ثابت قتل رجلا في حرب بعد نطقه الشهادتين فعنفه رسول الله فقال زيد إنما قالها خوفا من السلاح، فقال رسول الله: أفلا شققت عن صدره"[١١] ونقول لهذا القائل أفلا شققت عن صدور المخالفين حتى علمت أغراضهم.

ت- أن الخلاف ليس حول مسألة عقدية بل هي مسألة فرعية هذا في حالة كون بالمولد مجردا عن بدع أخرى لها أحكامها الأخرى، فتهويلها بالشكل السابق فيه مجانبة للحقيقة بل يزعم بعضهم بأن المحرمين يقولون بأن من يحتفل بالمولد مشرك!!! هكذا ولست أدري ما الذي يدفع إلى هذا القول الذي ليس له من الحقيقة أدنى نصيب.

ث- في قولهم بأن بين المحرمين والنبي شيء...الخ ولا أدري ما هذا الشيء إلا أنني استغرب هذه المقولة ممن يدعي التصوف ويدعو إلى حسن الظن بالمسلمين ومعاملتهم باللين وعدم رفع الخلافيات والفرعيات إلى القطعيات ونحو هذا الكلام الذي اكتشفت أخيرا بعده عن واقعه وانعدام أثره في تطبيقه العملي وما نحن فيه خير مثال على ذلك.

ج- إن المقولة السابقة تعني تكفير المحرمين، لأن من يكون بينه وبين النبي شيء ويريد أن ينزع محبة النبي من القلوب فالكفر غير بعيد عليه، في حين أنه يتهم المحرمين بأنهم هم من يكفر الناس !!!

ح- عندما يفلس القائل من كل الحجج المقنعة بحيث لا يجد ما يؤيد مقولته يضطر إلى قول مثل هذا الكلام الدعائي الذي لا تتوفر فيه المعايير الموضوعية ولا ينطلق وفق المناهج العلمية في التدليل وتنعدم عنده كل أشكال الاستدلال.

خ- يريد المجيزون أن يتفهم الآخرون موقفهم وهم لم يتفهموا موقف غيرهم، فالمحرمون قالوا بتحريم الاحتفال بالمولد بناء على أدلة صحت عندهم والتي سنذكرها لاحقا فاتهامهم بتهم غير لائقة لا يمت إلى التدين ولا إلى أدب الخلاف بصلة.

الفرع الأول: أدلة المحرمين لإقامة المولد النبوي

استدل المحرمون بجملة أدلة أذكرها فيما يلي:

١- أن هذا الفعل لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ولا فعله صحابته ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأولى وإنما ظهر- كما تقدم- على أيدي أناس هم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان وهم الباطنيون.

إذا تقرر هذا فالذي يفعل هذا الأمر داخل ضمن الوعيد الذي توعد الله عز وجل صاحبه وفاعله بقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) والذي يفعل ما يسمى بالمولد لاشك انه متبع لغير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

٢- أن الذي يمارس هذا الفعل واقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال " إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" وجاء في رواية أخرى (وكل ضلالة في النار).

فقوله (كل بدعة ضلالة) عموم لا مخصص له يدخل فيه كل أمر مخترع محدث لا أصل له في دين الله والعلماء مجمعون على انه أمر محدث فصار الأمر إلى ما قلنا أنه بدعة ضلالة تودي بصاحبها إلى النار أعاذنا الله وإياك منها.

٣- أن فاعل هذه البدعة غير مأجور على فعله بل مردود على صاحبه لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ولا يكفي حسن النية بل لابد من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[١٢]

والقول بأن المولد عبادة يتعبد لله تعالى بها فيه تكذيب بهذه الآية .

كما أن فيه استدراك على الله وعلى رسوله بأنهم لم يدلونا على هذه العبادة العظيمة التي تقرب إلى الله والرسول .

٥- أن فاعل المولد معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقا خاصة على وجوه وكيفيات خاصة وقصر الخلق عليها بالأوامر والنواهي وأخبر أن الخير فيها والشر في مجاوزتها وتركها لأن الله اعلم بما يصلح عباده، وما أرسل الرسل ولا أنزل الكتب إلا ليعبدوه وفق ما يريد سبحانه والذي يبتدع هذه البدعة راد لهذا كله زاعم أن هناك طرقا أخرى للعبادة وان ما حصره الشارع أو قصره على أمور معينة ليس بلازم له فكأنه يقول بلسان حاله إن الشارع يعلم وهو أيضا يعلم بل ربما يفهم أن يعلم أمرا لم يعلمه الشارع.

٦- أن في إقامة هذه البدعة تحريف لأصل من أصول الشريعة وهي محبة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه ظاهرا وباطنا واختزالها في هذا المفهوم البدعي الضيق الذي لا يتفق مع مقاصد الشرع المطهر إلى دروشة ورقص وطرب وهز للرؤوس لأن الذي يمارسون هذه البدعة يقولون إن هذا من الدلائل الظاهرة على محبته ومن لم يفعلها فهو مبغض للنبي صلى الله عليه وسلم

وهذا لاشك تحريف لمعنى محبة الله ومحبة رسول لان محبة الله والرسول تكون باتباع سنته ظاهرا وباطنا كما قال جل وعلا قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله][١٣]

فالذي يجعل المحبة باقامة هذه الموالد محرف لشريعة الله التي تقول ان المحبة الصحيحة تكون باتباعه صلى الله عليه وسلم ، بل محو لحقيقة المحبة التي تقرب من الله وجعلها في مثل هذه الطقوس التي تشابه ما عند النصارى في أعيادهم وبهذا يعلم أنه (ما أحييت بدعة إلا وأميتت سنة).

٧- أن هذا المولد فيه مشابهة واضحة لدين النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح وقد نهينا عن التشبه بهم كما قال صلى الله عليه وسلم "ومن تشبه بقوم فهو منهم"[١٤][١٥]

٨- أن الفرح بهذا اليوم والنفقه فيه وإظهار الفرح والسرور فيه قدح في محبة العبد لنبيه الكريم إذ هذا اليوم باتفاق هو اليوم الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يفرح فيه.

وأما يوم مولده فمختلف فيه ،فكيف تكون عبادة عظيمة تقرب إلى الله واليوم الذي يحتفل فيه غير مجزوم به .

ويقول ابن الحاج [١٦]:" ثم العجب العجيب كيف يعملون المولد للمغاني والفرح والسرور لأجل مولده عليه الصلاة والسلام كما تقدم في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام فيه انتقل إلى كرامة ربه عز وجل وفجعت الأمة فيه وأصيبت بمصاب عظيم لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبداً فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير وانفراد كل إنسان بنفسه لما أصيب به ......". أهـ

٩- اشتمال هذه الموالد على كثير من كبائر وعظائم الأمور والتي يرتع فيها أصحاب الشهوات ويجدون فيها بغيتهم مثل: الطرب والغناء واختلاط الرجال بالنساء، ويصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل أن يشرب فيها الخمر وكذلك إظهار ألوان من الشعوذة والسحر ومن يحضر هذه الأماكن بغير نية القربة فهو آثم مأزور غير مأجور فكيف إذا انضم إليه فعل هذه المنكرات على أنها قربة إلى الله عز وجل فأي تحريف لشعائر الدين أعظم من هذا التحريف[١٧].

الفرع الثاني: أدلة المجيزين ومناقشتها

استدل الميزون بجملة أدلة نذكرها فيما يلي مع مناقشة وجه الاستدلال:

١) قال تعالى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا [يونس ٥٨].

فالله عَزَّ وجَّل طلب منا أن نفرح بالرحمة، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم رحمة، وقد قال تعالى: وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين [الأنبياء ١٠٧].

الجواب:

بعد الرجوع إلى كتب التفسير المشهورة كتفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير وتفاسير القرطبي والبغوي والبيضاوي والنسفي وابن الجوزي لم أعثر على شيء من هذا القبيل ويكفي في توضيح معنى الآية أن أذكر كلام شيخ المفسرين إذ لو نقلت عن الجميع لطال المقام.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بك ، وبما أنزل إليك من عند ربك : بفضل الله أيها الناس الذي تفضل به عليكم وهو الإسلام ، فبينه لكم ودعاكم إليه ، وبرحمته التي رحمكم بها فأنزلها إليكم ، فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه ، فبصركم بها معالم دينكم ؛ وذلك القرآن .
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يقول : فإن الإسلام الذي دعاهم إليه والقرآن الذي أنزله عليهم ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[١٨] .
يظهر من هذا أن الآية تتحدث عن شيء آخر ولا يدخل فيها نصا أو دلالة ما ذكروه أن النبي هو المراد بالرحمة هنا، كما أن في هذا إغفال تام لسياق الآية.
ثم حتى وإن سلمنا بأن المراد بالرحمة هو النبي فما دخل المولد بالفرح به، إن المولد يعني الاحتفال في يوم معين من السنة أو بصورة مستمرة بأسلوب مخصوص، والآية تأمر بالفرحة دون توقيت، كما أنها فرحة كذلك بما أنزل على النبي من تشريع والذي هو كذلك رحمة للناس ولا علاقة للمولد بهذا كله.
٢) قال الله تعالى: وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك [هود١٢٠] والمولد النبوي الشريف يشتمل على أنباء النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذكره تثبيت لأفئدة المؤمنين.
الجواب:
أولا: لا علاقة لهذه الآية بالمولد كما هو ظاهر.
ثانيا: تثبيت الفؤاد يكون بما ثبت في القرآن والسنة حاشا الخزعبلات من القصص التي تهز الإيمان بدلا من تثبيته.
ثالثا: من المعلوم أن السيرة النبوية وذكر قصص الأنبياء كما هو وارد في القرآن وصحيح السنة مما هو مطلوب طوال العام وبدون طقوس ومظاهر خاصة.
٣) قوله تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليهما السلام: ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين [المائدة ١١٤].
وقوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا [مريم:٣٣].
هذه الآية والتي قبلها وغيرهما من الآيات ، حافلة بالإشارات إلى ميلاد المسيح عليه السلام، ومدحه ومزاياه التي مَنَّ الله بها عليه، وهي بمجموعها شاهدة وداعية إلى الاحتفال بهذا الحدث العظيم.
وما كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم بأقل شأناً من ميلاد عيسى عليه السلام، بل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم منه، لأنه صلى الله عليه وسلم أكبر نعمة، فيكون ميلاده أيضاً أكبر وأعظم.
الجواب:
يجاب عن هذا الاستدلال من وجوه:
أ- إننا أمة الإسلام ليس لنا سوى عيدين لا غير.

ب-	الآية الأولى لا تذكر الاحتفال ولا تدل عليه لا دلالة ولا اقتضاء، وإنما تتحدث عن المائدة التي أنزلها الله من السماء لبني إسرائيل من أتباع عيسى.
ت-	فيه مشابهة للنصارى ومن المعلوم أن من مقاصد الشرع مخالفتهم في شعائرهم.
٤)	قال تعالى: لتؤمنوا بالله ورسوله، وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا [الفتح٩].
الجواب:
ليس من توقيره أن نبتدع في دينه غير ما شرعه وجاء به، بل التوقير الحق هو اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وقد نهانا عن الابتداع، فوجب اتباعه إيمانا وتوقيرا.
٥)	قال الله تعالى: لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [آل عمران:١٦٤].
٦)	قوله سبحانه وتعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. والاحتفال بالمولد تطبيع النفس على كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم رجاء أن ينطبع حبه وحب آله في القلوب .
٧)	قوله سبحانه وتعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير.
الجواب:
كل الآيات السابقة لا تدل على مشروعية المولد، كما أن المراجع لكتب التفسير يجد لهذه الآيات سياقات ودلالات أخرى لا تتفق وما أرادوا التدليل عليه، وإنني لأستغرب كيف حشرت هذه الآيات في غير موضعها للتدليل على ما لا تدل عليه، وتذكرني هذه الاستدلالات بمناظرة جرت لابن حزم مع بعضهم فاستدل مناظره بآية لا تدل على المراد فما كان من ابن حزم إلا أن قال: إذا كان هذا دليلك فدليلي قل أعوذ برب الناس
٨)	عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذاك يوم ولدتُ فيه، وفيه أنزل علي" [١٩]
وهذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام طعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي أو سماع شمائله الشريفة
الجواب:
أ-	أن المولد ليس فيه صيام بل إن القائلين به يكرهون صيامه ويجعلونه عيدا وينزلون عليه أحكام العيد ويقولون: " يكره صوم يوم المولد النبوي الشريف لإلحاقه بالأعياد"[٢٠] وقال آخر: " ويكره أيضا صوم يوم المولد النبوي لأنه شبيه بالأعياد"[٢١]
ب-	أن النبي صام يوم الاثنين، والمولد قد يكون السبت أو الأحد أو غيرهما فهل يستحب صومه، هم لا يقولون بهذا ولا غيرهم، وإذا ما قاله بعضهم فهو مخالف لما استدلوا به لأن الدليل في الاثنين المتكرر كل أسبوع لا في غيره.

ت- كما أن صومه للاثنين لم يكن لشهر ربيع الثاني أو غيره اختصاص فكيف قصره المجيزون على هذا الشهر.

٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نحن أولى بموسى منكم" وأمر بصومه[٢٢].

الجواب:

أن الرسول قد صام يوم عاشوراء وحث على صيامه فكان صيامه سنة وهذا لم يحدث بشأن يوم ولادته الذي هو الثاني عشر من ربيع الأول كما يذهب بعضهم إلى هذا، فهو لم يشرع فيه شيئاً فوجب ألا نشرع فيه شيئا لا صيام ولا قيام فضلا عن الاحتفال[٢٣].

١٠) عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات.

الجواب:

تكلم الإمام النووي عن هذا الحديث في المجموع فقال: "أما الحديث الذي ذكره ـ أي الشيرازي ـ في عق النبي عن نفسه فرواه البيهقي بإسناده عن عبدالله بن محرر بالحاء المهملة والراء المكررة عن قتادة عن أنس "أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه نفسه بعد النبوة" وهذا حديث باطل ، قال البيهقي هو حديث منكر"[٢٤] كما ضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح[٢٥] والتلخيص[٢٦].

" هل ثبت أن العقيقة كانت مشروعة لأهل الجاهلية وهم يعملون بها حتى نقول إن عبد المطلب قد عق عن ابن ولده ؟

ثم هل أعمال أهل الجاهلية يعتد بها في الإسلام؟ حتى نقول إذا عق النبي عن نفسه شكراً لا قياماً بسنة العقيقة، إذا قد عق عنه ؟

سبحان الله ما أعجب هذا الاستدلال وما أغربه ، وهل إذا ثبت أن النبي ذبح شاة شكراً لله تعالى على نعمة إيجاده وإمداده يلزم من ذلك اتخاذ يوم ولادته عيداً للناس ؟

و لم لم يدعُ إلى ذلك رسول الله ويبين للناس ماذا يجب عليهم فيه من أقوال وأعمال ؟ كما بين ذلك في عيدي الفطر والأضحى .

أنسي ذلك أم كتمه ، وهو المأمور بالبلاغ ؟

سبحانك اللهم إن رسولك ما نسي ولا كتم ولكن الإنسان كان أكثر شيء جدلاً"[٢٧].

١٠) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا:

والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لهم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عزَّ وجل يباهي بكم الملائكة"[٢٨].

١١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال: أي آية؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة٣].

فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذين نزلت فيه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بعرفة يوم الجمعة[٢٩].

الجواب:

في هذا اتباع لليهودي الذي ذكر طبعهم من كونهم يحتفلون بالوقائع والحوادث والذي يريد منا المستدل بهذا الدليل أن نتبعهم فيه، ولم يلق بالا إلى أن عمر رضي الله عنه رغم معرفته بزمان ومكان نزول الآية إلا أنه لم يكترث لقول اليهودي ولم يدفعه هذا لأن يحتفل بذلك اليوم ولا غيره، فيا ترى أمرنا باتباع بهدي الخلفاء الراشدين أم بمقولات اليهود، أم أن اليهودي كان أفقه من عمر وصحب رسول الله ﷺ!!!

١٢) إن الاحتفال بالمولد يشتمل على كثير من أعمال البر كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والصدقة، ومدح وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذكر شمائله الشريفة وأخباره المنيفة، وكلٌ هذا مطلوب شرعاً ومندوب إليه.

وما كان يبعث ويساعد على المطلوب شرعاً فهو مطلوب، لذا قال تعالى مخبراً أنه هو وملائكته يصلون على النبي: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [الأحزاب ٥٦].

الجواب:

قد يحتوي المولد على ما هو مرغب فيه كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسماع بعض الفوائد العلمية وقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم، وهذه كلها مرغب فيها بلا شك، ولهذا ليس الإشكال هنا بل في نقطة أخرى وهي تخصيص أسلوب ووقت وهيئة مخصوصة بحيث يصبح الذكر والصلاة على النبي مع غيرها بمثابة عمل واحد له صفته المخصوصة التي يتقرب بها على جهة التعبد، وهذا هو ما أخرج المولد من المشروعية إلى البدعية.

الفرع الثالث: سبب الخلاف والترجيح:

أولا: سبب الخلاف:

من خلال ذكر أدلة الفريقين يظهر أن الخلاف في مسألة المولد تنبع من سببين:

الأول: هل الاحتفال بالمولد يسلك به مسلك العبادات أو العادات؟!

فالعبادات الأصل فيها التوقف والاتباع، بخلاف العادات .

فالمحرمون رأوا أن المولد من باب التعبدات والتي لا يجوز الزيادة فيها وأننا متعبدون بما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم، في حين نظر المجوزون إلى أنه من باب العادات التي لا تحتاج إلى توقيف، فمثلها مثل الدروس التي تقام في المسجد هل نقول إذا كانت ثابتة في زمن معين بأنه بدعة وأنه يجب أن تكون كما كان يفعل رسول الله، فالتعليم وجد مقتضاه في عهد النبي صلى اله عليه وسلم بل هو معلم العالمين ومع هذا فلم يكن يقيم دروسا ثابتة فهل يكون من البدعة أن نفعل نحن كذلك بالطبع لا، وكذلك حال المولد.

قد يجاب عن هذا بأن النبي كان يعلم أصحابه وأن التدريس الآن ما هو إلا ترتيب وتنظيم ولكن سيقال بأن هذا الكلام مثله مثل قولنا : له أصل، وهذا مما عبتموه علينا فكيف تقولون به الآن، كما أننا نفعل ذلك إذ المولد ليس إلا ترتيب وتنظيم.

الثاني: إن الموالد الآن لا تقتصر على ما هو مندوب ومرغب فيه بل اشتملت على جملة من البدع، منها ما هو أصلي ومنها ما هو إضافي، زد على ذلك ما قد يصاحبه من المعاصي .

وقبل أن يعترض أحدهم فيقول بعدم وجود معاصي وآثام مما ذكره الكثير من العلماء أسارع بالقول إن طقوس الاحتفال بالمولد لا تمضي عل شكل ونسق واحد في كافة المناطق والطرق التي تعمله بل يختلف ويتفاوت بحسب لأسباب كالجهل والبعد كما في بلاد العجم وبعيدا عن نقل كلام الفقهاء كالشيخ ابن تيمية وابن الحاج وغيرهما ممن ذكروا وقوع الكثير من المعاصي وهم مصدقون إلا أن المشاهدات الواقعية الحية ووسائل الاتصال الحديثة لا تدع مجالا لمكذب، إذ يصبح المولد عند بعضهم وخاصة بلاد العجم مرتعا للفسق وانتهاك الحرمات والإغراق في البدع الإلحادية في أحيان كثيرة، كما يصبح مباءة للفسقة والسحرة والذين يضحكون على بعض العامة وهم كثر باسم الولاية وبركة المولد فينتهكون حرماتهم وشرفهم، ويسود الاختلاط بل ترى رقص النساء كاشفات عن أجزاء من أجسامهن أمام ومع الرجال إما تحت مسمى الوجد أو التعبد وإظهار الذل والانكسار وطلبا للشفاعة، وكم من مآسي ترتكب باسم المولد الذي ليس من الدين لا في ورد ولا صدر.

هذه الأعمال وغيرها يستصحبها الفقيه عندما ينزل عليها الحكم الشرعي وهذا ما حدث للمحرمين فعندما وجدوا ما يحدث في هذه الموالد من البدع والفجور، حكموا بحرمتها.

في حين يرى بعض من لا يجيز ما سبق ويستنكره أن نفصل بين حكم المولد وما يحدث فيه من بدع فنجيز المولد ونحرم البدع، وكون المولد قد احتوى على ضلالات لا يعني هذا البتة تحريمه .

والصحيح أن المحرمين لم يكن دليهم الوحيد هو سد الذريعة أو بسبب ما يحدث في المولد من مخالفات فقط بل لأدلة وأسباب أخرى كذلك كما سبق بيانه، ومع هذا فمن نافلة القول هنا أن نذكر أن نظرة المحرمين تتفق ونظرة الإمام مالك في سد الذريعة بخلاف نظرة المجيزين في بالفصل بين جواز المولد وحرمة ما قد يقع فيه وأننا نجيز المولد وننهى عن المخالفات والتي هي نظرة الإمام الشافعي، ولكن كما قلت هذه

نظرة أو قاعدة المذهبين في مسألة سد الذريعة، لكن الجميع لم يقولوا بجواز المولد بل كانوا متفقين على نبذ البدع.
كما أن المولد قد ارتبط بالبدع لدرجة يصعب الفصل بينه وبين المخالفات الواقعة فيه إذ إن البعض لا يعتبر المولد مولدا مقبولا!! إلا بما يحدث فيه من ضلالات.

الترجيح:
أولاً: أود أن أسجل هنا جملة ملاحظات على استدلالات المجيزين وهي كما يلي:
١. أنه مع كثرة الأدلة التي ساقها المجيزون للتدليل على جواز بل واستحباب الاحتفال بالمولد النبوي إلا أن كل استدلال لا يخلو من انتقاد وجيه.
٢. أن كل ما استدلوا به من الأدلة القرآنية والحديثية لا تفيد ندب الاحتفال بالمولد النبوي فكلها خارج محل النزاع.
٣. أن بعض الأحاديث النبوية التي استدلوا بها ضعيفة جدا مما لا يصح أن يحتج به.
٤. فيه محاولة مستميتة لإثبات الاحتفال بأي وجه ولو كان عن طريق لي معاني النصوص أو الاستدلال بما لا يصح الاستدلال به أو رفع درجة بعض الأحاديث الواهية إلى درجة الضعيفة ممن ليس لهم خبرة في الحديث وعلومه، رغم أنها كذلك لا تفيد المراد وهذا مما يحزن فبدلا من النظر في الأدلة ثم إطلاق الحكم على المولد حدث العكس إذ نظر إلى المولد أولا باعتباره مشروعا بل ومندوبا بل غالى بعضهم ممن ليس له حصيلة علمية كبيرة فجعله واجبا ثم راحوا يبحثون عن أدلة لهذا الحكم.
ثانيا: تحديد ولادة النبي:
يقام الاحتفال بالمولد النبوي في الثاني عشر من ربيع الثاني باعتبار أنه يوم ولادته ونحن إذا ما بحثنا عن حقيقة هذا التاريخ نجد أنه لا يوجد نص نبوي يدل على هذا التاريخ، فلم يتكلم النبي البتة عن تاريخ ميلاده بل الذي ورد أنه ولد في يوم إثنين أما ما وراء ذلك من التحديديات فلا تصح.
ثم إذا ما فتشنا كتب السيرة النبوية محاولين معرفة تاريخ مولده سنجد أن كتاب السيرة يختلفون حوله إلى أقول هي كما يلي:
- يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.
- ثامن ربيع الأول.
- عاشر ربيع الأول.
- ثاني عشر ربيع الأول.
- قال الزبير بن بكار : ولد في رمضان.
و ذلك عام الفيل بعده بخمسين يوما و قيل بثمانية و خمسين يوما و قيل بعده بعشر سنين و قيل : بعد الفيل بثلاثين عاما وقيل : بأربعين عاما[٣٠] ولهذا السبب لم يذكر ابن اسحق تاريخ ولادته حاشا ما رواه عن قيس بن مخرمة قال : ولدت أنا و رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الفيل كنا لدين[٣١].
يظهر لنا مما سبق :
١- لم يثبت نص في تحديد تاريخ مولده.

٢-	أن النبي بعدم تنصيصه على تاريخ وفاته أراد عمدا أن لا يعرف كي لا يحدث معه كما حدث للمسيح ويدل لهذا الأمر بمخالفة النصارى في شعائرهم.
٣-	أنه ليس من الشرع إذ لو كان كذلك لذكر التاريخ فما من أمر فيه خير إلا ودلنا عليه.
٤-	أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا النبي مما يدل أنه لم يكن يعني لهم شيئا كبيرا.
٥-	أن هذا الخلاف بين علماء السيرة يدل على عدم وجود دليل صحيح صريح في هذه المسألة بحيث يتفقون على يوم محدد.

ثالثا: يمكن أن نقسم الموالد إلى قسمين:

١- مولد صاحبته البدع والخرافات.
٢- مولد لم تصاحبه أية بدعة كأن يكون مقتصرا على سماع درس أو محاضرة مثلا.

فالنوع الأول لا شك في تحريمه لما يصاحبه من الضلالات والبدع.

وأما النوع الثاني إذا جعلناه من باب العبادات فهو بلا شك لا يجوز لأن إحداث عمل تعبدي زائد لا يجوز.

وإذا جعلناه من باب العادات والتي نجد فيه فرصة لتعليم سيرة النبي ونحوها فيمكن أن يقال بالجواز نظرا لهذا المعنى، لكن يبقى على هذا إشكالات هي:

١-	أن تاريخ مولده ليس متفقا عليه.
٢-	أنه قد يفتح بابا لما لا يجوز شرعا كأن تدخله بعض البدع.
٣-	قد يعتقد الناس مندوبيته واستحبابه الشرعي في حين أن الأمر ليس كذلك، وإذا كان الإمام مالك قد ترك بعض السنن كالقبض في الصلاة خشية أن يظن العامة وجوبها فهذا أولى.
٤-	سيفتح هذا بابا لأن يقال إن هناك أياما مهمة في حياة النبي كالبعثة والتي فيها اتصلت الأرض بالسماء وبشر النبي بالنبوة وأمر بالإنذار فهي كذلك تستحق الاحتفال، والهجرة والانتصارات في حياته وأيام نجاته من المؤامرات وغيرها مما لن ينتهي.
٥-	أن فيه مشابهة للنصارى، وقد علم من نصوص الشرع طلب مخالفتهم،إلا ما نص الشارع على مشروعيته فنحن نتبع الشرع سواء وافق النصارى أو غيرهم أم لا، أما ما لم يرد به الشرع وفيه المشابهة فالمطلوب فيه المخالفة.

وبناء على ما سبق فالذي يظهر رجحانه هو التحريم سواء كان بدون بدع ومخالفات أو معها، وكلما زادت البدع كلما قوي التحريم، فتحريم المولد الخالي من البدع من باب تحريم الوسائل وتحريم المولد الحافل بها من باب تحريم المقاصد وبينهما فرق كبير إلا أنهما لا يخرجان عن دائرة التحريم

وبناء عليه يحرم:

١-	إقامة المولد والتعاون على ذلك.
٢-	الإنفاق عليه وفيه، لأنه ليس من أوجه البر التي يؤجر عليها المسلم
٣-	كل ما من شأنه إحياؤه واستمراره ودوامه كالوقف عليه وغيره.

والله أعلم..

الخـاتمـة:

مر المولد بمراحل فبينما بدأ احتفالا تنفق فيه الكثير من الأموال دخلت بعد ذلك جملة من الطقوس فزاد السبكي -مثلا- القيام وقت المولد عند ذكر النبي□، واعتقد البعض أنه □ يحضر المجلس ولهذا سميت الحضرة بهذا الاسم أي لحضور النبي□ وقد أخذ الفقهاء المقلدة بفعل السبكي وقالوا يكفي في جواز هذا الفعل والعمل به فعل هذا الإمام، وتناسوا أن المرجع الوحيد للتشريع هو النبع الصافي القرآن والسنة.

كما أنه رغم تصريح بعضهم بأن النبي□ لا يحضر وأن القيام إنما هو احترام وإجلال له□ إلا أن الكثيرين يعتقدون حضوره □ ومشاركته ومباركته.

وزادت البدع مع إقامة الموالد عند القبور، كما أن المساجد بيوت الله لم تخل من مفاسد هذه الاحتفالات، ثبت في مسلم[٣٢] أن صحابيا قام في المسجد ينشد ضالة، يريد أن يعلم الناس أن من وجدها فليردها إليه وربما كان لا يمتلك غيرها، فقال رسول الله□: " من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا" فإذا كان هذا الرد من هذا حالة فكيف بمن يجعل المسجد مزبلة للقمامات وبقايا الأطعمة والوساخات، نقول له إن المساجد لم تبن لهذا.

كيف بمن يجعل من المسجد مسرحا يصفق ويرقص فيه كما يفعل المهرجون في السيرك ثم يسمي هذا شكرا لله على دين الإسلام الذي هو بريء من البدع النكراء هذه والتي تقام في أطهر وأقدس بقاع الأرض، فحري أن يقال لهؤلاء إن المساجد لم تبن هذا.

أين احترام النبي□ والفرح بمولده كما يقولون وهم يخالفونه جهارا نهارا ، بألوان شتى من المخالفات.

إن الأعياد الشرعية والتي ورد الترغيب في الفرح فيها لا يجوز فيها ما يعمل في الموالد من ضلالات وخرافات وتبذير وعبادات بدعية وبعد هذا يُرجى الأجر والثواب.

لقد ولدت لنا عصور الانحطاط تدينا مزيفا بعيدا كل البعد عن دين الإسلام، وبدلا من أن نطيع الله ونمتثل أوامره ونجتنب نواهيه في سائر حياتنا المنزلية والمالية والسياسية وغيرها أصبح الدين كله بضعة رقصات وليلة نحيب وأناشيد لا تمت إلى الذكر بصلة.

وأصبح يوم المولد هو اليوم التي تكفر فيه الخطايا والسيئات، ثم لم يكتف بيوم في السنة حتى جعلوه احتفالا دائما ليصبح يوميا تقسم فيه الأيام على القبور، وفق جدول معين.

كما أن من أراد احتفالا دينيا أقام مولدا.

وإذا أراد الرجل أو المرأة شيئا دنيويا نذر أو نذرت مولدا.

ومن أردا طرد الجن من منزله فأفضل نصيحة له أن يقيم مولدا.

ومن أراد أن يزيل الصرع (المس) عن نفسه ويخرج منها الشياطين التي ركبته فليَدَع الأطباء جميعا وليجتنب القرآن وإن وصفه الله بأنه شفاء إذ إن شفاءه حتما سيكون في المولد، وفيه ترى الجنون بعينه.

أهذا دين الله الذي جاء به محمد ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهداية .
أهذا دين الإسلام الذي أمرنا بتوحيده سبحانه وعبادته بما شرع هو وحده سبحانه.
أهذا هو دين الإسلام الذي فتح الشرق والغرب ودخلت فيه الملايين من الشعوب الغارقة في ظلمات الوثنية والجهل بعد أن رأت نوره الساطع.
أهذا دين الله الذي أمرنا بالأخذ بسنن الكون والتعامل معها وفقا لما أراد وشرع.
حتما إنه ليس كذلك.
ملاحق البحث
ملحق١
الأحاديث الضعيفة والموضوعة في المولد
"إن محمدًا أول المخلوقات" وما ذاك إلا لنشر حديث جابر المكذوب "أول ما خلق الله نورُ نبيك يا جابر خلقه من نوره قبل الأشياء"، فهذا الحديث لا أصل له مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مخالف للكتاب والسنة.
أما حديث: "كنت أول النبيين في الخلق وءاخرهم في البعث" فهو ضعيف(كما نقل ذلك المحدثون وفيه بقية ابن الوليد وهو مدلس، وسعيد بن بشير وهو ضعيف.
أما حديث: "كنت نبيًّا وءادم بين الماء والطين"، و: "كنت نبيًّا ولا ءادم ولا ماء ولا طين" فلا أصل لهم). ولا حاجة لتأويلهم فإنه لا حاجة لتأويل الآية أو الحديث الصحيح لخبر موضوع لا أصل له.
* ومن الكذب الذي انتشر في بعض كتب المولد قولهم: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك فقد حكم عليه المحدثون بالوضع.
* وكذلك ما روي أن جبريل عليه السلام كان يتلقى الوحي من وراء حجاب، وكُشف له الحجاب مرة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم يوحي إليه فقال جبريل: "منك وإليك"، فهذا من الكذب الشنيع المخالف لقوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان [سورة الشورى].
* وكذلك من الكذب ما روي في بعض كتب المولد عن أبي هريرة قال: سأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا جبريل كم عمرتَ من السنين؟، فقال: يا رسول الله لا أعلم، غير أن في الحجاب الرابع نجمًا يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة،رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب.
ملحق٢
المورد في حكم المولد
للشيخ الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله ت ٧٣٤ هـ
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لاتباع سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين، ويسر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين.
أحمده على ما منَّ به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، سيد

الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد تكرر سؤال جماعة من المُباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه: المولد:

هل له أصل في الشرع ؟ أو هو بدعة وحدث في الدين ؟

وقصدوا الجواب عن ذلك مٌبيَّناً، والإيضاح عنه معيناً.

فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بِدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكالون، بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا:

إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً.

وهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون

- فيما علمت- وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت.

ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين.

فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً، أو حراماً، وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين، والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام: فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، سُرُجُ الأزمنة وزَيْن الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يُعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يؤلمه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل، من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد، والنساء الغاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات، والرقص بالتثني والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف.

وكذا النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾]سورة الفجر:١٤[.

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يَحِلُّ ذلك

بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات،

لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإن لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ.

ولله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازَناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ ـمعروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدةٍ وصار أهل الجهل في رتبة
حادوا عن الحق فما للذي سادوا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة

ولقد أحسن أبو عمرو بن العلاء حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه النبي ﷺ - وهو ربيع الأول- هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه.

وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله تعالى نرجو حسن القبول .

....

[١] الخطط للمقريزي ٤٩٠/١

[٢] البداية والنهاية ١٣٧/١٣

[٣] نقلا عن سبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٣٩/١) ط. وزارة الأوقاف المصرية .

[٤] تهذيب الأسماء واللغات ٢٢/١

[٥] مسلم ٥٩٢/٢

[٦] الاعتصام ٥١/١

[٧] البخاري ١٤٣٤/٣، ومسلم٧٩٥/٢

[٨] سنن الدارمي ٦٨/١-٦٩

[٩] سنن الدارمي ٨٠/١

[١٠] غافر ١٩

[١١] مسلم ٩٦/١

[١٢] المائدة ٣

[١٣] آل عمران ٣١

[١٤] أبو داود ٤٤٢/٢

[١٥] انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٥٨١/٢.

[١٦] المدخل ١٥/٢

([١٧]) انظر هذه الأدلة وغيرها في المولد النبوي للحنيني، وانظر القول الفصل للشيخ إسماعيل الأنصاري.

[١٨] جامع البيان ٥٦٨/٦.

[١٩] مسلم ٨١٨/٢

[٢٠] فقه العبادات على مذهب الإمام مالك ٣٢٤/١

[٢١] الفقه على المذاهب الأربعة٨٩٩/١

[٢٢] البخاري ١٤٣٤/٣ ومسلم ٧٩٥/٢

[٢٣] انظر الإنصاف فيما قيل في المولد للجزائري٦٣

[٢٤] المجموع ٤١٢/٨

[٢٥] ٥١٩/٩
[٢٦] ١٧٤/٤
[٢٧] الإنصاف ٦١
[٢٨] مسلم برقم (٢٧٠١)
[٢٩] البخاري ٢٥/١ ومسلم ٢٣١٢/٤
[٣٠] انظر الفصول في السيرة ٩١،
[٣١] سيرة ابن إسحاق ٢٥
[٣٢] ٣٩٧/١

----

١٠. مجموعة فتاوى عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي وما يتصل به

الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والبدعة الحسنة!
المفتي:
الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
س ١٤٧ يقول السائل: بالنسبة للاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول من كل عام، أنا أعرف أنه بدعة، ولكنني سمعت من يقول بأن هناك بدعة حسنة أو بدعة مستحبة، وهناك من يعملونه في كل عام هجري في شهر ربيع الأول، فأرجو إيضاح ذلك، بارك الله فيكم؟

الجواب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:
فإن الاحتفال بالمولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم أمر قد كثر فيه الكلام، وكتبنا فيه كتابات متعددة، ونشرت في الصحف مرات كثيرة، ووزعت مرات كثيرة، وكتب فيه غيري من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، وبيَّن أولئك العلماء أنه بدعة، وأن وجوده من بعض الناس لا يبرر كونه سنة، ولا يدل على جوازه ومشروعيته.
وقد نص على ذلك أيضا الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام، وكتب في هذا أيضا شيخنا العلامة الكبير محمد بن إبراهيم رحمه الله كتابة وافية، وليس في هذا والحمد لله شك عند من عرف الأصول وعرف القاعدة الشرعية في كمال الشريعة والتحذير من البدع، وإنما يُشكل هذا على بعض الناس الذين لم يحققوا الأصول ولم يدرسوا طريقة السلف الصالح دراسة وافية كافية، بل اغتروا بمن فعل المولد من بعض الناس فقلدوه، أو اغتروا بمن قالت إن في الإسلام بدعة حسنة.
والصواب في هذا المقام أن الاحتفال بالموالد كله بدعة، بمولده عليه الصلاة والسلام وبمولد غيره، كمولد البدوي أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو غيرهما، لم يفعله السلف الصالح، ولم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم احتفالا بمولده، وهو المعلم المرشد عليه الصلاة والسلام، وقد بلغ البلاغ المبين، ونصح الأمة وما ترك سبيلا

يقرب من الله ويدني من رحمته إلا بيَّنه للأمة وأرشدهم إليه، وما ترك سبيلا يباعد من رحمة الله ويدني من النار إلا بيَّنه للأمة وحذرهم منه، فقد قال الله سبحانه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة: ٣].

وقد أقام عليه الصلاة والسلام في مكة ثلاث عشرة سنة وفي المدينة عشر سنين ولم يحتفل بهذا المولد، ولم يقل للأمة افعلوا ذلك، ثم صحابته رضي الله عنهم وأرضاهم لم يفعلوا ذلك، لا الخلفاء الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة، ثم التابعون لهم بإحسان من التابعين وأتباع التابعين من القرون المفضلة كلهم على هذا السبيل، لم يفعلوا شيئا من هذا؛ لا قولا ولا عملا.

ثم أتى بعض الناس في القرن الرابع ممن ينسب إلى البدعة من الشيعة الفاطميين المعروفين، حكام مصر والمغرب فأحدثوا هذه البدعة، ثم تابعهم غيرهم من بعض أهل السنة جهلا بالحق، وتقليدا لمن سار في هذا الطريق، أو أخذا بشبهات لا توصل إلى الحق.

فالواجب على المؤمن أن يأخذ الحق بدليله، وأن يتحرى ما جاءت به السنة والكتاب حتى يكون حكمه على بينة وعلى بصيرة، وحتى يكون سيره على منهج قويم.

والله يقول: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ [الشورى: ١٠]، ويقول عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: ٥٩].

وإذا نظرنا فيما يفعله الناس من الاحتفالات ورددناها إلى القرآن العظيم لم نجد فيه ما يدل عليها، وإذا رددناه إلى السنة لم نجد فيها ما يدل على ذلك لا فعلا ولا قولا ولا تقريرا، فعلم بذلك أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة بلا شك يجب تركها ولا يجوز فعلها، ومن فعل ذلك من الناس فهو بين أمرين: إما جاهل لم يعرف الحق فيعلم ويرشد، وإما متعصب لهوى وغرض، فيدعى للصواب ويدعى له بالهداية والتوفيق، وليس واحد منهما حجة؛ لا الجاهل ولا المتعصب، وإنما الحجة فيما قاله الله ورسوله لا في قول غيرهما.

ثم القول بأن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة وإلى محرمة وواجبة؛ قول بلا دليل، وقد رد ذلك أهل العلم واليقين وبينوا خطأ هذا التقسيم، واحتجوا على هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد يعني: فهو مردود (متفق على صحته)، وروى مسلم رحمه الله في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد يعني: فهو مردود.

وفي الصحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته: أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة ولم يقل البدعة فيها كذا وكذا؛ بل قال: كل بدعة ضلالة. وقد وعظ أصحابه فقال: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

والبدعة شرعا إنما تكون في أمور الدين والتقرب إلى الله سبحانه، لا في أمور الدنيا، أما أمور الدنيا مثل المآكل والمشارب فللناس أن يحدثوا بمآكلهم وطعامهم وشرابهم صناعات خاصة، يصنعون الخبز على طريقة والأرز على طريقة، وأنواعا أخرى على طريقة، لهم أن يتنوعوا في طعامهم، وليس في هذا حرج.
وإنما الكلام في القربات والعبادات التي يتقرب بها إلى الله، هذا هو محل التبديع، وكذلك الصناعات، وآلات الحرب للناس أن يحدثوا أشياء يستعينون بها في الحرب، من القنابل والمدافع وغير ذلك، وللناس أن يحدثوا المراكب والطائرات والسفن الفضائية والقطارات، ليس في هذا شيء، إنما الكلام فيما يتقرب به إلى الله، ويعده الناس قربة وطاعة يرجون ثوابها عند الله.
هذا هو محل النظر، فما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم هو ولا أصحابه، ولم يدل عليه صلى الله عليه وسلم، ولم يرشد إليه، بل أحدثه الناس وأدخلوه في دين الله فهو بدعة؛ شاء فلان أم غضب فلان، فالحق أحق بالاتباع.
ومن هذا الباب ما أحدثه الناس من بناء المساجد على القبور واتخاذ القباب عليها، فهذه من البدع التي وقع بها شر كثير، حتى وقع الشرك الأكبر وعبدت القبور من دون الله؛ بأسباب هذه البدع، فيجب على المؤمن أن ينتبه لما شرعه الله فيأخذ به، وعليه أن ينتبه لما ابتدعه الناس فيحذره؛ وإن عظّمه المشار إليهم من أهل الجهل، أو التقليد الأعمى، والتعصب.
فلا عبرة عند الله بأهل التقليد الأعمى، ولا بأهل التعصب، ولا بأهل الجهل، وإنما الميزان عند الله لمن أخذ بالدليل واحتج بالدليل وأراد الحق بدليله، هذا هو الذي يعتبر في الميزان، ويرجع إلى قوله، ونسأل الله للجميع الهداية والتوفيق.

حكم الاحتفال بالمولد النبوي وحضوره
المفتي:
الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
س ١٤٨ يقول السائل: ما حكم المولد النبوي؟ وما حكم الذي يحضره؟ وهل يعذب فاعله إذا مات وهو على هذه الصورة؟
الجواب:
المولد لم يرد في الشرع ما يدل على الاحتفال به؛ لا مولد النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره، فالذي نعلم من الشرع المطهر وقرره المحققون من أهل العلم أن الاحتفالات بالموالد بدعة لا شك في ذلك، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أنصح الناس وأعلمهم بشرع الله، والمبلغ عن الله لم يحتفل بمولده صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، لا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم، فلو كان حقا وخيرا وسنة لبادروا إليه ولما تركه النبي صلى الله عليه وسلم ولعلمه أمته أو فعله بنفسه ولفعله أصحابه، وخلفاؤه رضي الله عنهم، فلما تركوا ذلك علمنا يقينا أنه ليس من الشرع، وهكذا القرون المفضلة لم تفعل ذلك، فاتضح بذلك أنه بدعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال عليه الصلاة والسلام: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد في أحاديث أخرى تدل على ذلك.

وبهذا يعلم أن الاحتفالات بالمولد النبوي في ربيع الأول أو في غيره، وكذا الاحتفالات بالموالد الأخرى كالبدوي والحسين وغير ذلك؛ كلها من البدع المنكرة، التي يجب على أهل الإسلام تركها، وقد عوضهم الله بعيدين عظيمين: عيد الفطر وعيد الأضحى ففيهما الكفاية عن إحداث أعياد واحتفالات منكرة مبتدعة.
وليس حب النبي صلى الله عليه وسلم يكون بالموالد وإقامتها، وإنما حبه صلى الله عليه وسلم يقتضي اتباعه والتمسك بشريعته، والذبِّ عنها، والدعوة إليها، والاستقامة عليها، هذا هو الحب الصادق كما قال الله عز وجل: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران: ٣١]، فحب الله ورسوله ليس بالموالد ولا بالبدع.
ولكن حب الله ورسوله يكون بطاعة الله ورسوله وبالاستقامة على شريعة الله، وبالجهاد في سبيل الله، وبالدعوة إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمها والذب عنها، والإنكار على من خالفها، هكذا يكون حب الله سبحانه وحب الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون بالتأسي به؛ بأقواله وأعماله، والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام، والدعوة إلى ذلك، هذا هو الحب الصادق الذي يدل عليه العمل الشرعي، والعمل الموافق لشرعه.
وأما كونه يعذب أو لا يعذب هذا شيء آخر، هذا إلى الله جل وعلا، فالبدع والمعاصي من أسباب العذاب، لكن قد يعذب الإنسان بسبب معصيته وقد يعفو الله عنه؛ إما لجهله، وإما لأنه قلد من فعل ذلك ظنا منه أنه مصيب، أو لأعمال صالحة قدمها صارت سببا لعفو الله أو لشفاعة الشفعاء من الأنبياء والمؤمنين أو الأفراط.
فالحاصل أن المعاصي والبدع من أسباب العذاب، وصاحبها تحت مشيئة الله جل وعلا إذا لم تكن بدعته مكفرة، أما إذا كانت بدعته مكفرة من الشرك الأكبر فصاحبها مخلد في النار -والعياذ بالله-، لكن هذه البدعة إذا لم يكن فيها شرك أكبر وإنما هي صلوات مبتدعة، واحتفالات مبتدعة، ليس فيها شرك، فهذه تحت مشيئة الله كالمعاصي، لقول الله سبحانه في سورة النساء: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وأما الأشخاص الذين يجعلون لأنفسهم عيدا لميلادهم فعملهم منكر وبدعة كما تقدم، وهكذا إحداث أعياد لأمهاتهم أو لآبائهم أو مشايخهم كله بدعة يجب تركه والحذر منه.
وأما ما أحدثه الفاطميون المعروفون، فإن ذلك كان في مصر والمغرب في القرن الرابع والخامس، وقد أحدثوا موالد للرسول صلى الله عليه وسلم، وللحسن والحسين، وللسيدة فاطمة، ولحاكمهم، ثم وقع بعد ذلك الاحتفال بالموالد بعدهم من الشيعة وغيرهم، وهي بدعة بلا شك، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم المرشد، وأصحابه أفضل الناس بعد الأنبياء، وقد بلغ البلاغ المبين، ولم يحتفل بمولده عليه الصلاة والسلام، ولا أرشد إلى ذلك، ولا احتفل به أصحابه أفضل الناس، وأحب الناس للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة الثلاثة.

فعلم أنه بدعة، ووسيلة إلى الشرك والغلو في الأنبياء وفي الصالحين، فإنهم قد يعظمونهم بالغلو والمدائح التي فيها الشرك بالله، الشرك الأكبر، كوصفهم لهم بأنهم يعلمون الغيب، أو أنهم يدعون من دون الله، أو يستغاث بهم، وما أشبه ذلك، فيقعون في هذا الاحتفال في أنواع من الشرك وهم لا يشعرون، أو قد يشعرون.
فالواجب ترك ذلك، وليس الاحتفال بالمولد دليلا على حب المحتفلين بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلى اتباعهم له، وإنما الدليل والبرهان على ذلك هو اتباعهم لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، هذا هو الدليل على حب الله ورسوله الحب الصادق، كما قال عز وجل: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران: ٣١].

فمن كان يحب الله ورسوله فعليه باتباع الحق، بأداء أوامر الله، وترك محارم الله، والوقوف عند حدود الله، والمسارعة إلى مراضي الله، والحذر من كل ما يغضب الله عز وجل، هذا هو الدليل، وهذا هو البرهان، وهذا هو ما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان.
أما الاحتفال بالموالد للنبي صلى الله عليه وسلم، أو للشيخ عبد القادر الجيلاني، أو للبدوي، أو لفلان وفلان، فكله بدعة وكله منكر يجب تركه، لأن الخير في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع أصحابه والسلف الصالح، والشر في الابتداع والاختراع ومخالفة ما عليه السلف الصالح، هذا هو الذي يجب وهذا هو الذي نفتي به، وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة ولا عبرة لمن خالف ذلك وتأول ذلك، فإنما هدم الدين في كثير من البلدان، والتبس أمره على الناس بسبب التأويل والتساهل، وإظهار البدع، وإماتة السنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله - والله المستعان.

الرد حول حكم الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من الموالد
المفتي:
الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.
في يوم الخميس الموافق ١٨ / ٣ / ١٣٧٨ هـ اطلعت على مقال محمد أمين يحيى نشرته صحيفة الأضواء في عددها الصادر يوم الثلاثاء الموافق ١٦ / ٣ / ١٣٧٨ هـ، ذكر فيه الكاتب المذكور أن المسلمين في كافة أقطار الأرض يحتفلون بيوم المولد النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، بشتى أنواع الاحتفالات وأنه يجب علينا قبل غيرنا أفرادا وجماعات أن نحتفل به احتفالا عظيما، وعلى الصحف أن تهتم به وتدبج به المقالات، وعلى الإذاعة أن تهتم بذلك وتعد البرامج الخاصة لهذه المناسبة الذكرى الخالدة. هذا ملخص المقال المذكور.
وقد عجبت كثيرا من جرأة هذا الكاتب على الدعاية - بهذا المقال الصريح - إلى بدعة منكرة تخالف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والسلف الصالح التابعون لهم بإحسان في بلاد إسلامية تحكم شرع الله وتحارب البدع، ولواجب النصح لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين رأيت أن أكتب كلمة على هذا المقال؛

تنبيها للكاتب وغيره على ما تقتضيه الشريعة الكاملة حول الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فأقول: لا ريب أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وهما العلم النافع والعمل الصالح، ولم يقبضه إليه حتى أكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة، كما قال سبحانه وتعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا [سورة المائدة، الآية: ٣]،

فأبان سبحانه بهذه الآية الكريمة أن الدين قد كمل والنعمة قد أتمت، فمن رام أن يحدث حدثا يزعم أنه مشروع وأنه ينبغي للناس أن يهتموا به ويعملوا به فلازم قوله إن الدين ليس بكامل بل هو محتاج إلى مزيد وتكميل، ولا شك أن ذلك باطل، بل من أعظم الفرية على الله سبحانه والمصادمة لهذه الآية الكريمة.

ولو كان الاحتفال بيوم المولد النبوي مشروعا لبيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته؛ لأنه أنصح الناس، وليس بعده نبي يبين ما سكت عنه من حقه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وقد أبان للناس ما يجب له من الحق كمحبته واتباع شريعته، والصلاة والسلام عليه وغير ذلك من حقوقه الموضحة في الكتاب والسنة، ولم يذكر لأمته أن الاحتفال بيوم مولده أمر مشروع حتى يعملوا بذلك ولم يفعله صلى الله عليه وسلم طيلة حياته، ثم الصحابة رضي الله عنهم أحب الناس له وأعلمهم بحقوقه لم يحتفلوا بهذا اليوم، لا الخلفاء الراشدون ولا غيرهم، ثم التابعون لهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة لم يحتفلوا بهذا اليوم.

أفتظن أن هؤلاء كلهم جهلوا حقه أو قصروا فيه حتى جاء المتأخرون فأبانوا هذا النقص وكملوا هذا الحق؟ لا والله، ولن يقول هذا عاقل يعرف حال الصحابة وأتباعهم بإحسان.

وإذا علمت أيها القارئ الكريم أن الاحتفال بيوم المولد النبوي لم يكن موجودا في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أصحابه الكرام ولا في عهد أتباعهم في الصدر الأول، ولا كان معروفا عندهم، علمت أنه بدعة محدثة في الدين، لا يجوز فعلها ولا إقرارها ولا الدعوة إليها، بل يجب إنكارها والتحذير منها عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الجمعة: خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة

وقوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليه بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وقوله عليه الصلاة والسلام: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي لفظ: من عملا عملا ليس عليه أمرنا فهو رد والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ومعلوم عند كل من له أدنى مسكة من علم وبصيرة أن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بالبدع كالاحتفال بيوم المولد، وإنما يكون بمحبته واتباع شريعته وتعظيمها والدعوة إليها ومحاربة ما خالفها من البدع والأهواء، كما قال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [سورة آل عمران، الآية: ٣١]. وقال سبحانه: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [سورة الحشر، الآية: ٧].

وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل يا رسول الله ومن يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى خرجه البخاري في صحيحه.
وتعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أن يكون في وقت دون الآخر، ولا في السنة مرة واحدة، بل هذا العمل نوع من الهجران، وإنما الواجب أن يعظم صلى الله عليه وسلم كل وقت بتعظيم سنته والعمل بها والدعوة إليها والتحذير من خلافها، وببيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة والأخلاق الزاكية والنصح لله ولعباده، وبالإكثار من الصلاة والسلام عليه وترغيب الناس في ذلك وتحريضهم عليه، فهذا هو التعظيم الذي شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للأمة ووعدهم الله عليه الخير الكثير والأجر الجزيل والعزة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة.
وليس ما ذكرته هنا خاصا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، بل الحكم عام في سائر الموالد التي أحدثها الناس، وقد قامت الأدلة على أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بدعة منكرة لا يجوز إقرارها فغيره من الناس أولى بأن يكون الاحتفال بمولده بدعة، فالواجب على العلماء وولاة أمر المسلمين في سائر الأقطار الإسلامية أن يوضحوا للناس هذه البدعة وغيرها من البدع، وأن ينكروها على مَن فعلها، وأن يمنعوا من إقامتها نصحا لله ولعباده، وأن يبينوا لمن تحت أيديهم من المسلمين أن تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين إنما يكون باتباع سبيلهم والسير على منهاجهم الصالح، ودعوة الناس إلى ما شرعه الله ورسوله، وتحذيرهم مما خالف ذلك، وقد نص العلماء المعروفون بالتحقيق والتعظيم للسُنّة على إنكار هذه الموالد والتحذير منها، وصرحوا بأنها بدع منكرة لا أصل لها في الشرع المطهر ولا يجوز إقرارها.
فالواجب على من نصح نفسه أن يتقي الله سبحانه في كل أموره وأن يحاسب نفسه فيما يأتي ويذر، وأن يقف عند حدود الله التي حدها لعباده، وأن لا يُحدِث في دينه ما لم يأذن به الله.
فقد أكمل الله الدين وأتم النعمة، وتوفي الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ترك أمته على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.
والله المسئول أن يهدينا وسائر المسلمين صراطه المستقيم، وأن يعصمنا وإياهم من البدع والأهواء، وأن يمن على الجميع بالتمسك بالسنة وتعظيمها والعمل بها والدعوة إليها والتحذير مما خالفها، وأن يوفق ولاة أمر المسلمين وعلماءهم لأداء ما يجب عليهم من نصر الحق، وإزالة أسباب الشر، وإنكار البدع والقضاء عليها، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حكم الاحتفال بالموالد

المفتي:

الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

ـ ٢٨٦ ـ الحمد لله والصلاة ، والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فقد اطلعت على كلمة نشرتها جريدة المدينة بعددها الصادر في يوم الاثنين الموافق ٢٨ / ١٢ / ١٤٠١ هـ مضمونها أن الأخ جمال محمد القاضي رأى في برنامج أبناء الإسلام الذي يبث من التلفاز السعودي حلقة تشتمل على الاحتفال بعيد الميلاد . ويسأل جمال هل عيد الميلاد يجيزه الإسلام؟... إلخ .
والجواب :
لا ريب أن الله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين عيدين يجتمعون فيهما للذكر والصلاة ، وهما : عيد الفطر والأضحى بدلا من أعياد الجاهلية ، وشرع أعيادا تشتمل على أنواع من الذكر والعبادة كيوم الجمعة ويوم عرفة وأيام التشريق ، ولم يشرع لنا سبحانه وتعالى عيدا للميلاد لا ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره ، بل قد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على أن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدين ومن التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم ، فالواجب على أهل الإسلام ترك ذلك والحذر منه ، وإنكاره على من فعله وعدم نشر أو بث ما يشجع على ذلك أو يوهم إباحته في الإذاعة أو الصحافة أو التلفاز لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد متفق عليه ، وقوله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أخرجه مسلم في صحيحه وعلقه البخاري جازما به ، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبة الجمعة : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وفي مسند أحمد بإسناد جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من تشبه بقوم فهو منهم وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة وفي لفظ شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن
وفي هذا المعني أحاديث أخرى كلها تدل على وجوب الحذر من مشابهة أعداء الله في أعيادهم وغيرها ، وأشرف الخلق وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بمولده في حياته ، ولم يحتفل به أصحابه بعده رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة ، ولو كان الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم أو مولد غيره خيرا لسبقنا إليه أولئك الأخيار ، ولعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحثهم عليه أو فعله بنفسه ، فلما لم يقع شيء من ذلك علمنا أن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدين التي يجب تركها والحذر منها امتثالا لأمر الله سبحانه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وذكر بعض أهل العلم أن أول من أحدث الاحتفال بالموالد هم الشيعة الفاطميون في المائة الرابعة، ثم تبعهم بعض المنتسبين إلى السنة في هذه البدعة جهلا وتقليدا لهم ولليهود والنصارى ، ثم انتشرت هذه البدعة في الناس ، والواجب على علماء المسلمين بيان حكم الله في هذه البدع وإنكارها والتحذير منها ، لما يترتب على وجودها من الفساد الكبير وانتشار البدع واختفاء السنن ، ولما في ذلك من التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم من أصناف الكفرة الذين يعتادون مثل هذه

الاحتفالات ، وقد كتب أهل العلم في ذلك قديما وحديثا ، وبينوا حكم الله في هذه البدع فجزاهم الله خيرا ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان .
وهذه الكلمة الموجزة أردنا بها التنبيه للقراء على هذه البدعة ليكونوا على بينة ، وقد كتبت في ذلك كتابة مطولة نشرت في الصحف المحلية وغيرها غير مرة ، ولا ريب أن الواجب على المسئولين في حكومتنا وفي وزارة الإعلام بوجه أخص وعلى جميع المسئولين في الدول الإسلامية منع نشر هذه البدع والدعوة إليها أو نشر ما يوهم الناس إباحتها أداء لواجب النصح لله ولعباده ، وقياما بما أوجب الله من إنكار المنكر ، ومساهمة في إصلاح أوضاع المسلمين وتطهيرها مما يخالف الشرع المطهر ، والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يوفقهم للتمسك بكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، والحذر من كل ما يخالفهما ، وأن يصلح قادتهم ويوفقهم لتحكيم شريعة الله في عباده ومحاربة ما خالفها إنه ولي ذلك والقادر عليه .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .
مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
....
حكم زواج المرأة بمن يحضر الموالد وعنده بعض البدع
السؤال:
لدي سؤال صعب ، فأخت زوجتي ستتزوج قريباً ، وهي متخوفة من نوعية الشخص الذي ستتزوج به ، وحتى أكون واضحاً معك ، فقد سألتني ما إذا كان يصح الزواج برجلٍ يؤيِّد بشدة المولد أو الاحتفال بمولد النبي – صلى الله عليه وسلم - أنا أفهم أن هذا العمل في ذاته بدعة في الإسلام ، لكن ، الصعوبة تكمن في ما إذا كان يمكن للمسلمة أن تتزوج بمن يقيمون الموالد ، وفي البلد الذي أقيم فيه فإن الناس الذين يقيمون هذا العمل يفعلونه كعبادة ، وفي هذه المناسبة يدعى الناس لحضور الاحتفال حيث تقرأ بعض الأحاديث وتُغنى بعض الأغنيات ويقال الدعاء ، والناس في الحقيقة يقفون ويغنون ! وأنا أتمنى أن يكون هذا هو الفعل الذي تشير إليه الفتوى في موقعك . أما عن السؤال فهو : هل يجوز للمسلمة الزواج بمن يفعل هذا الفعل ؟ والسؤال الأصعب والذي أخشى من طرحه هو : هل مَن يفعل هذا الفعل يعتبر مسلماً ؟ .
الجواب:
الحمد لله وبعد :
* فأما ما يتعلق بحكم المولد ، وهل يعتبر فاعله مسلم: فالجواب تجده بالتفصيل في زاوية "مواضيع في المناسبات" من هذا الموقع ، وخلاصته : أن الذين يفعلون هذا الأمر هم أصناف كثيرة بحسب ما يقومون به من أعمال - وإن كان المولد في حد ذاته بدعة - لكن الحكم على فاعله يختلف بقدر ما يرتكبه في هذا المولد من مخالفات ، وبالتالي فقد يصل الأمر إلى حد الشرك والخروج من الملة ؛ إذا ارتكب في هذا المولد شيئاً مِن المكفرات المعلومة ، كدعاء غير الله ، أو وصف النَّبي صلى الله عليه وسلم بصفات الربوبية ، أو ما شابه ذلك ، وأما إن كان لم يصل إلى هذا الحد فهو

فاسق وليس بكافر ، ويتفاوت فسقه بقدر ما يرتكب في هذا المولد من مخالفات وبدع .

* وأما مسألة الزواج من الرجل الذي يشارك في مثل هذه الموالد فحكمه يختلف بحسب حال هذا الرجل ؛ فإن كان يقع في المكفرات فلا يجوز الزواج منه بحال من الأحوال لأن الله يقول { وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُم } البقرة/٢٢١ والعقد يعتبر باطلاً ، وهذا بإجماع أهل العلم .

* وأما إن كان المبتدع لم يصل ببدعته إلى حد الكفر ؛ فإن العلماء قد حذروا من مناكحة أهل البدع تحذيراً شديداً ، ولذا قال الإمام مالك رحمه الله : " لا ينكح أهل البدع ؛ ولا ينكح إليهم ، ولا يسلم عليهم .. " المدونة " ١ / ٨٤ ، وقريب منه قول الإمام أحمد رحمه الله .

* وقد قررّ الأئمة الأربعة رحمهم الله أن مسألة الكفاءة في الدين بين الرجل والمرأة في النكاح من الأمور المعتبرة ؛ فالفاسق ليس بكفؤ للمسلمة المتدينة المستقيمة لأن الله قال : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) ولاشك أن البدعة في الدين من أشد أنواع الفسق ، ومعنى اعتبار الكفاءة في الدين : أنه لو اكتشفت المرأةُ أن الزوج فاسقٌ أو تبيَّن لأوليائها أن الزوج فاسق بعد أن تمَّ العقد فإنه يحق للمرأة أو لأوليائها الاعتراض على هذا العقد وطلب فسخه ، أما إذا أسقطوا هذا الحق برضاهم فإن العقد صحيح .

* ولذا فينبغي الحذر من مثل هذا النكاح ؛ خصوصاً وأن القوامة تكون للرجل فربَّما ضايق المرأة ؛ وأجبرها على ارتكاب بعض البدع ، أو ألزمها بمخالفة السنَّة في بعض الأمور ؛ أما الأولاد فشأنهم أخطر ، فهم عرضة لأن يربيهم على بدعته فينشئون مخالفين لأهل السنَّة ، وفي هذا من الحرج والضيق على الأم المتبعة لمنهج أهل السنة والجماعة ما فيه .

* وخلاصة القول : أن نكاح المرأة لرجل مسلم من أهل البدع مكروه عند أهل السنة كراهة شديدة ، لما يترتب عليها من المفاسد ، وتعطيل كثير من المصالح .

ومن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه .

والله أعلم .

راجع " موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع " د . إبراهيم الرحيلي (١ / ٣٧٣ – ٣٨٨).

الإسلام سؤال وجواب (www.islam-qa.com)

• • • • • • • •

الحكم في قراءة المولد

السؤال:

"اللهم صلي صلاةً كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي (الذي كما ينطق بها بعضهم) تنحل به العقد، وتتفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس"

ما ورد أعلاه يسمى بالصلاة النارية في الهند وتقرأ ٤٤٤٤ مرة إذا وقعت فاجعة أو كارثة في إحدى البيوت حيث يؤتى بالعديد من التلاميذ ورئيس المدرسة .
١- ما هو معنى الكلمات الواردة أعلاه ؟
٢- يقول الناس بأنه إذا كانت الكلمات لا تحتوي على شرك، فلا مانع من الاستمرار في قراءتها لأنها ليست ضارة فهي نوع من أنواع الذكر وأنها تذكرهم بالله وأننا نقوم بنوع من الدعاء الاضافي ليقربنا من الله وليبعد عنا بعض المصائب.
٣- ما هو الحكم في قراءة المولد، هل هناك أي ضرر من قراءته على نحو دوري من قبل تلاميذ المدرسة أو من إمام المسجد؟ .
الجواب:
الحمد لله
١. الكلمات الواردة في الصلاة المبتدعة واضحة ، ولا بأس من بيانها أكثر :
"تنحلُّ به العقد": أي: يجد المخرج لما يواجهه من تعقيدات وأمور يصعب حلّها عليه.
وقد يراد به : يسكن به الغضب.
"تنفرج به الكُرب": أي : يزول الغم والحزن من النفس .
"تقضى به الحوائج": أي : يحصل ما يريده ويسعى قضائه .
"تنال به الرغائب وحسن الخواتيم": أي : تتحقق أمنياته سواء ما في الدنيا أو ما في الآخرة، ومنه: أن يختم له بخير.
" يستسقى الغمام بوجهه الكريم " : أي : يطلب منه دعاء الله تعالى بإنزال المطر . والغمام : السحاب .
٢. ما قاله لكم بعض الناس أن هذه الصلاة لا تحوي شركاً ، وأنه يجوز لكم الاستمرار بها .. إلخ : باطل وذلك لما احتوته تلك الصلاة المزعومة من مخالفات شرعيَّة واضحة منها :
أ. أنه جعلها تقال عند المصائب ، وهذا من اختراع الأسباب في إحداث العبادة .
ب. أنه جعل لها حدّاً (٤٤٤٤) مرة ! وهذا من اختراع الكم في إحداث العبادة .
ت. أنه جعل قراءتها جماعية ، وهذا من اختراع الكيف في إحداث العبادة .
ث. أن فيها عبارات مخالفة للشرع ، وشرك وغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبة أفعال له لا يصح أن تنسب إلا لله عز وجل ، كقضاء الحوائج ، وحل العُقد ، ونيل الرغائب ، وحسن الخاتمة . وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) ،
ج. أنه ترك ما جاء به الشرع ، وذهب ليخترع صلاة ودعاءً من عنده ، وفي هذا اتهام للنبي صلى الله عليه وسلم بالتقصير في بيان ما يحتاجه الناس ، وفيه استدراك على الشرع .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : "منْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" .
رواه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) ، وفي رواية "مسلم" (١٧١٨) : "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله : وهذا الحديث أصلٌ عظيمٌ مِن أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أنَّ حديث "الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات" ميزانٌ للأعمال في باطنها، فكما أنَّ كلَّ عملٍ لا يُراد به وجهُ الله تعالى ؛ فليس لعامله فيه ثوابٌ ، فكذلك كلُّ عملٍ لا يكون عليه أمر الله ورسوله؛ فهو مردودٌ على عامله، وكلُّ مَن أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس مِن الدين في شيءٍ.أ.هـ "جامع العلوم والحكم" (١/١٨٠)

وقال النووي رحمه الله : وهذا الحديث قاعدةٌ عظيمةٌ مِن قواعد الإسلام ، وهو مِن جوامع كَلِمه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنَّه صريحٌ في رد البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة وهي: أنَّه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعةٍ سُبق إليها، فإذا احتُج عليه بالرواية الأولى - أي: " مَن أحدث " - يقول: أنا ما أحدثتُ شيئاً، فيُحتج عليه بالثانية - أي : "مَن عمل" - التي فيها التصريح بردِّ كلِّ المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سُبق بإحداثها... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به.

"شرح مسلم" (١٢/١٦).

٣. أما بالنسبة للمولد : فإن عمله بدعة ، ولو كان خيراً لسبقنا أكثر الناس حبّاً للنبي صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة رضي الله عنهم ، وما يُقرأ فيه فأكثره ضعيف أو موضوع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه غلوٌّ بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وهذه أقوال العلماء :

أ. سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن يعمل كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم هل ذلك مستحب أم لا ؟

فأجاب :

الحمد لله ، جمع الناس للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة ، وهو من شعائر الإسلام التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين وإعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من فطَّر صائما فله مثل أجره " ، وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت ، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر " .

وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال إنها ليلة المولد ، أو بعض ليالي رجب ، أو ثامن عشر ذي الحجة ، أو أول جمعة من رجب ، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال " عيد الأبرار " ، فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها والله سبحانه وتعالى أعلم .

" الفتاوى الكبرى " (٤ / ٤١٥) .

ب. قال ابن الحاج :

وقد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر الشريف - أي : ربيع الأول - تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة وغيرهما كما تقدم .

فمن كان باكيا فليبك على نفسه وعلى الإسلام وغربته وغربة أهله والعاملين بالسنة .

ويا ليتهم لو عملوا المغاني ليس إلا بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالهنوك والطرق المهيجة لطرب النفوس فيقرأ عشرا ، وهذا فيه من المفاسد وجوه :

منها : ما يفعله القارئ في قراءته على تلك الهيئة المذمومة شرعاً والترجيع كترجيع الغناء ، وقد تقدم بيان ذلك .

الثاني : أن فيه قلة أدب وقلة احترام لكتاب الله عز وجل .

الثالث : أنهم يقطّعون قراءة كتاب الله تعالى ويقبلون على شهوات نفوسهم من سماع اللهو بضرب الطار والشبابة والغناء والتكسير الذي يفعله المغني وغير ذلك .

الرابع : أنهم يظهرون غير ما في بواطنهم وذلك بعينه صفة النفاق وهو أن يظهر المرء من نفسه شيئا وهو يريد غيره اللهم إلا فيما استثني شرعاً ؛ وذلك أنهم يبتدئون القراءة وقصد بعضهم وتعلق خواطرهم بالمغاني .

الخامس : أن بعضهم يقلل من القراءة لقوة الباعث على لهوه بما بعدها وقد تقدم .

السادس : أن بعض السامعين إذا طول القارئ القراءة يتقلقلون منه لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه من اللهو ، وهذا غير مقتضى ما وصف الله تعالى به أهل الخشية من أهل الإيمان لأنهم يحبون سماع كلام مولاهم لقوله تعالى في مدحهم { وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين } فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر وبعض هؤلاء يستعملون الضد من ذلك فإذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بعده إلى الرقص والفرح والسرور والطرب بما لا ينبغي فإنا لله وإنا إليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب يعملون أعمال الشيطان ويطلبون الأجر من رب العالمين ، ويزعمون أنهم في تعبد وخير ويا ليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس ولكن قد عمت البلوى فتجد بعض من ينسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله وكذلك بعض من ينسب إلى المشيخة أعني في تربية المريدين وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر .

ثم العجب كيف خفيت عليهم هذه المكيدة الشيطانية والدسيسة من اللعين ، ألا ترى أن شارب الخمر إذا شربه أول ما تدب فيه الخمرة يحرك رأسه ساعة بعد ساعة فإذا قويت عليه ذهب حياؤه ووقاره لمن حضره وانكشف ما كان يريد ستره عن جلسائه .

فانظر رحمنا الله وإياك إلى هذا المغني إذا غنى تجد من له الهيبة والوقار وحسن الهيئة والسمت ويقتدي به أهل الإشارات والعبارات والعلوم والخيرات يسكت له وينصت فإذا دب معه الطرب قليلا حرك رأسه كما يفعله أهل الخمرة سواء بسواء كما تقدم ، ثم إذا تمكن الطرب منه ذهب حياؤه ووقاره كما سبق في الخمرة سواء بسواء فيقوم ويرقص ويعيط وينادي ويبكي ويتباكى ويتخشع ويدخل ويخرج ويبسط يديه ويرفع رأسه نحو السماء كأنه جاءه المدد منها ويخرج الرغوة أي الزبد من فيه وربما مزق بعض ثيابه وعبث بلحيته .

وهذا منكر بيِّن ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن إضاعة المال ولا شك أن تمزيق الثياب من ذلك هذا وجه .

الثاني : أنه في الظاهر خرج عن حد العقلاء إذ أنه صدر منه ما يصدر من المجانين في غالب أحوالهم .
" المدخل " (٢ / ٥ -٧) .
ج. قالت اللجنة الدائمة :
إقامة احتفال بمناسبة مولده صلى الله عليه وسلم لا يجوز لكونه بدعة محدثة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا غيرهم من العلماء في القرون الثلاثة المفضلة .
" فتاوى اللجنة الدائمة " (٣ / ٢) .
د. سئل الشيخ ابن باز :
هل يحل للمسلمين أن يحتفلوا في المسجد ليتذكروا السيرة النبوية الشريفة في ليلة ١٢ ربيع الأول بمناسبة المولد النبوي الشريف بدون أن يعطلوا نهاره كالعيد؟ واختلفنا فيه ، قيل : بدعة حسنة ، وقيل: بدعة غير حسنة ؟
فأجاب :
ليس للمسلمين أن يقيموا احتفالا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة ١٢ من ربيع الأول ولا في غيرها ، كما أنه ليس لهم أن يقيموا أي احتفال بمولد غيره عليه الصلاة والسلام؛ لأن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بمولده في حياته صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ للدين والمشرع للشرائع عن ربه سبحانه وتعالى ولا أمر بذلك ولم يفعله خلفاؤه الراشدون ولا أصحابه جميعا ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة ، فعلم أنه بدعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " متفق على صحته ، وفي رواية مسلم - وعلقها البخاري جازما بها - : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " .
والاحتفال بالموالد ليس عليه أمره صلى الله عليه وسلم بل هو مما أحدثه الناس في دينه في القرون المتأخرة فيكون مردودا ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول في خطبته يوم الجمعة : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " رواه مسلم في صحيحه ، وأخرجه النسائي بإسناد جيد وزاد : "وكل ضلالة في النار".
ويغني عن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم تدريس سيرته عليه الصلاة والسلام وتاريخ حياته في الجاهلية والإسلام في المدارس والمساجد وغير ذلك ، ويدخل في ذلك بيان ما يتعلق بمولده صلى الله عليه وسلم وتاريخ وفاته من غير حاجة إلى إحداث احتفال لم يشرعه الله ولا رسوله ولم يقم عليه دليل شرعي..
والله المستعان ونسأل الله تعالى لجميع المسلمين الهداية والتوفيق للاكتفاء بالسنة والحذر من البدعة . " فتاوى الشيخ ابن باز " (٤ / ٢٨٩) .
والله أعلم.
الإسلام سؤال وجواب (www.islam-qa.com)
....
حكم المشاركة في بعض الاحتفالات السنوية

محمد الحمود النجدي
السؤال:
ما حكم الشرع في المشاركة في بعض الاحتفالات والمناسبات السنوية مثل اليوم العالمي للأسرة ، واليوم الدولي للمعاقين والسنة الدولية للمسنين ، وكذا بعض الاحتفالات الدينية كالإسراء والمعرج والمولد النبوي والهجرة وذلك بإعداد بعض النشرات أو إقامة المحاضرات والندوات الإسلامية لتذكير الناس ووعظهم ؟

الجواب:
الحمد لله...
الذي يظهر لي أن هذه الأيام التي تتكرر في كل سنة والاجتماعات هي من الأعياد المحدثة ، والشرائع المبتدعة التي لم ينزل الله تعالى بها من سلطاناً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم .
وقال أيضاً : (إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) متفق عليه.
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام طويل في (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) في ذم المواسم والأعياد المحدثة التي لا أصل لها في الشرع الحنيف، وأن ما تشتمل عليه من الفساد في الدين ليس كل أحدٍ بل ولا أكثر الناس يُدرك فساد هذا النوع من البدع، ولا سيما إن كانت من جنس العبادات المشروعة، بل أولو الألباب هم الذين يدركون بعض ما فيه من الفساد.
وأن الواجب على الخلق : اتباع الكتاب والسنة ، وإن لم يدركوا ما في ذلك من المصلحة والمفسدة.
وأن من أحدث عملاً في يوم كإحداث صوم أو صلاة أو صنع أطعمة أو زينة وتوسيع في النفقة ونحو ذلك، فلا بد أن يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب ، وذلك لأنه لا بد أن يعتقد أن هذا اليوم أفضل من أمثاله ، إذ لولا قيام هذا الاعتقاد في قلبه ، أو قلب متبوعه ، لما انبعث القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة فإن الترجيح من غير مرجح ممتنع.
وأن العيد يكون اسماً لنفس المكان ولنفس الزمان ، ولنفس الاجتماع ، وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء .
أما الزمان فثلاثة أنواع، ويدخل فيها بعض بدع أعياد المكان والأفعال .
إحداهما : يوم لم تعظمه الشريعة أصلاً ، ولم يكن له ذكر عند السلف ، لا جرى فيه ما يوجب تعظيمه .
النوع الثاني : ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره ، من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً، ولا كان السلف يعظمونه .
وإن من فعل ذلك فقد شابه النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً أو اليهود ، وإنما العيد شريعة فما شرعه الله اتُبع ، وإلا لم يُحدث في الدين ما ليس منه .

وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً .. فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له ، وعدم المانع فيه لو كان خيراً ...
النوع الثالث : ما هو معظم في الشريعة كيوم عاشوراء ويوم عرفة ويومي العيدين وغيرها ، ثم يحدث فيه أهل الأهواء ما يعتقدون أنه فضيلة وهو منكر ينهى عنه ، مثل إحداث الروافض التعطش والحزن في يوم عاشوراء وغير ذلك ، من الأمور المحدثة التي لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من السلف ولا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع أو الشهور أو الأعوام غير الاجتماعات المشروعة ، فإن ذلك يضاهي الاجتماع للصلوات الخمس وللجمعة وللعيدين وللحج ، وذلك هو المبتدع المحدث .
وأصل هذا : أن العبادات المشروعة التي تتكرر بتكرر الأوقات ، حتى تصير سنناً ومواسم ، قد شرع الله منها ما فيه كفاية العباد ، فإذا أحدث اجتماع زائد على هذه الاجتماعات معتاد ، كان ذلك مضاهاة لما شرعه الله وسنه ، وفيه من الفساد ما تقدم التنبيه على بعضه بخلاف ما يفعله الرجل وحده أو الجماعة المخصوصة أحياناً . انتهى ملخصاً .
وبناء على ما سبق : لا يجوز للمسلم المشاركة في هذه الأيام التي يحتفل بها في كل عام ، وتتكرر في كل سنة ، لمشابهتها لأعياد المسلمين كما مر معنا ، أما إن كانت غير متكررة ، وقدر فيها المسلم على بيان الحق الذي يحمله وتبليغه للناس فلا حرج عليه إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .
المرجع : مسائل ورسائل /محمد الحمود النجدي ص٣١ .
(www.islam-qa.com)

----

١١. بمناسبة شهر ربيع: هذا بيان منزلة النبي.. وأهل الغلو فيه..

بمناسبة شهر ربيع: هذا بيان منزلة النبي.. وأهل الغلو فيه..
جاءت النصوص مبينة أمرين مهمين في حق النبي صلى الله عليه وسلم:
الأول: بشريته، وكونه خلقا من خلق الله تعالى، من ولد آدم، ولد وعاش ومات كغيره من بني آدم.
الثاني: أنه أفضل البشر، وأحسنهم، وأعلاهم، وأقربهم إلى الله تعالى.
فمن النصوص في المعنى الأول قوله تعالى:
{قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}.
{قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا * قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشد * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا}..
{قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحي إلي وما أنا إلا نذير مبين}.

{ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين}..
{ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون}..
والآيات في المعنى كثيرة، أما الأحاديث فمنها:
ما رواه الإمام البخاري بسنده عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
(لا تُطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مرين، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله) .
وما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم:
(ما شاء الله وشئت! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أجعلتني والله عدلا؟!بل ما شاء الله وحده).
وما رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال:
(يا محمد! يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا، وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس! عليكم بتقواكم، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله) .
وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه رضوان الله عليهم على هذا المعنى، وهو أن النبي - مهما بلغ – فلن يبلغ أن يكون إلهاً وربا مسؤولا، فكان حرصهم رضوان الله عليهم على طلب مرضاة الله تعالى وسؤاله والرغبة إليه فوق كل شيء، ولم يكن في قلوبهم الرغبة إلى المخلوق أو طلب الحسْب منه مهما كان شأنه، ومن أمثلة ذلك:
ما رواه الإمام البخاري في حادثة الإفك بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت:
" فلما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: (يا عائشة! أما الله عز وجل فقد برأك)، فقالت لي أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله تعالى" .
وما رواه الإمام البخاري – أيضا - بسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبته قال: "فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك)، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟، فقال: (لا، بل من عند الله)" .
و لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله فقال كما روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما:" أما بعد:
فمن كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله:
{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين}" .
ذلك فيما يتعلق بالأمر الأول، وهو بشريته صلى الله عليه وسلم.

أما فيما يتعلق بالأمر الثاني، وهو أفضليته صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق، فاصطفاؤه بالرسالة الكاملة الخاتمة الشاملة، وتقديمه على الخواص من الأنبياء والرسل، واتخاذه خليلا، وجعله سيد ولد آدم، واختصاصه بأنواع من الشفاعة، روى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(لو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) .
وروى مسلم - أيضا – بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع) .
وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد المطلب بن ربيعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ألا إن الله خلق خلقه، فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلني من خيرهم بيتا، وأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا) .
ويكفي من ذلك كله أن الله تعالى شهد له بالعبودية الكاملة، ووصفه بها في أشرف المواطن، في الإسراء والمعراج في أول سورة الإسراء، وفي مقام التحدي في سورة البقرة، وفي مقام الدعوة في سورة الجن.
فقد وصف بالعبودية في هذه المواطن الشريفة، مما يدل على أن هذا الوصف هو وصف تشريف وتكريم، وليس انتقاصا كما قد يظن من يظن.
فالنبي صلى الله عليه وسلم عبد رسول، كما وصف هو نفسه بذلك في قوله الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
(إنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله) .
وفي هذا رد على طائفتين غاليتين:
الأولى: مفْرِطة، رفعته فوق منزلته، فجعلته فوق مرتبة العبودية، في مرتبة الربوبية والألوهية، حتى صار عندها إلها وربا مسؤولا.
الثانية: مفَرّطة، لم تعرف منزلته ولا قدره ولا حقوقه، فعاملته كسائر البشر، فلم ترفع بهديه رأسا.
فوصفه بالعبودية رد على الطائفة الأولى، ووصفه بالرسالة رد على الطائفة الثانية، وهذا هو التوسط، وهو خير الأمور، وبذلك نعطي النبي حقه ومنزلته، دون غلو أو إجحاف.
فمن كلام الغالين في حق النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله البوصيري في البردة التي يرددها ملايين الصوفية في العالم، في كل آن، خاصة في الموالد النبوية في شهر ربيع:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علوم اللوح والقلم

فهذا هو الغلو بعينه، بل هو الشرك والكفر الأكبر، حيث استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فقد استغاث به وهو ميت، والميت لا يستغاث به، فهو لا يقدر على شيء..

ثم إنهم زعموا أن هذه الاستغاثة إنما تكون يوم القيامة..

ولو فرضنا الأمر كما قالوا، فكيف لهم أن يتقدموا بهذه الاستغاثة في الدنيا قبل حلول الآخرة؟..

إنهم استغاثوا به حال موته، وهذا هو المحرم.

ثم الزعم أن الدنيا والآخرة إنما هما من جود النبي صلى الله عليه وسلم:

فهل هما من جود النبي؟..

هل أوجدهما النبي؟..

أم وجدا لأجل النبي؟...

أما الأول فباطل لا ريب، فلا خالق إلا الله..

أما الثاني فهو الغلو بعينه، ومن أين لهم أن الدنيا والآخرة ما وجدتا إلا لأجل النبي صلى الله عليه وسلم؟، بل عندنا أن الله ما خلق الخلق إلا لعبادته، قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.

ثم القول بأن من علوم النبي علم اللوح والقلم، فذلك معناه أن علم النبي زيادة على ما في اللوح والقلم، إذن هو يعلم ما كان وما لم يكن، وزيادة، وهذا باطل، فالنبي لا يعلم ما في غد، إلا شيئا علمه الله، والله تعالى لم يعلمه كل شيء، وقد قال الله تعالى:

{قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}.

أما هؤلاء فيزعمون أن النبي يعلم كل شيء في اللوح وزيادة، ويدعون أن الله علمه، وذلك باطل، ولم يكن، ولو كان لما أخبر النبي عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولما مسه السوء..

وهؤلاء بلاياهم وغلوهم كبير في النبي، فهذا ابن عربي يقول:

" بدء الخلق الهباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية" الفتوحات المكية ١١٨/١

ويقول الحلاج:

" أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوى نور صاحب الكرم... همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم... العلوم كلها قطرة من بحره.. والأزمان ساعة من دهره" الطواسين ١٣

وقال ابن الدباغ:

" اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضا من نور محمد، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليه لتهافتت وتساقطت" هذه هي الصوفية ص٨٧ نقلا عن محبة الرسول ص٢٠٣

فمثل هذا هو الغلو، وهو رفع للنبي فوق منزلته، والله لا يرضى بذلك، ولا النبي صلى الله عليه وسلم..

----

١٢. حول المولد النبوي

مرزوق سالم الغامدي

مما لاشك فيه أن أياماً كثيرة وعظيمة في حياة الأمة الإسلامية، فرح بها المتقدمون، ويفرح بها المسلمون المتأخرون إلى يوم القيامة، ومن هذه الأيام يوم المولد النبوي، يوم الإسراء والمعراج، ويوم فتح مكة، ويوم الانتصار في بدر، وأيام أخرى مجيدة.
ولاشك أيضاً أن كل مسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ـ ، قد يحزن حزناً عميقاً يوم وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، ويود المسلم المحب لنبيه حباً حقيقياً لو أنه خسر ماله وأهله ليحظى برؤية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو ساعة من نهار ، كما صح الخبر الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ له قال: (من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله).

* فما هي الكيفية التي يحزن بها ، أو يفرح بها المسلم ؟
* وما هي حدود الفرح والحزن ؟ وبمن نقتدي في التعبير عن ذلك في خلال حياتنا ؟.

ولكي نتعرف على الإجابة الصحيحة ، لابد أن نعرف ما يلي :

• لقد منع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل المدينة من اتخاذ يومين يلعبون فيهما كل عام ، على حسب العادة المتبعة عندهم ، وقال لهم : (إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه، إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه. هذا من جهة.

• ومن جهة أخرى: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طول حياته ـ وهو الحريص على ما ينفع أمته ويسعدهم في الدنيا والآخرة ـ لم يأمر قرابته ولا صحابته ـ رضي الله عنهم أجمعين • بالاجتماع أو الاحتفال والفرح في ذكرى يوم مولده، أو يوم الإسراء والمعراج، أو يوم سبعة عشر رمضان، أو أي يوم آخر من الأيام التي يحتفل بها الآن ، ولا في غيرها من المناسبات العديدة ، مع وجود الداعي والمقتضي لذلك، وعدم وجود مانع لإقامة الاحتفال أو الاجتماع .

• من ذلك ومن غيره من الأدلة فهم العلماء من سلفنا الصالح : أن اتخاذ يوم للاحتفال أو الاجتماع لا يكون إلا عن طريق الوحي ، وأن ذلك تشريع وليس من العادات المباحة التي يحق للناس فعلها ، فمثل ذلك مثل القبلة ، والصيام ، ومشاعر الحج ، والآذان والإقامة ، والغسل من الجنابة... إلخ.

• والعيد: هو اسم لكل ما يعود من الاجتماع ، فلا يصح تخصيص يوماً للاجتماع للحزن ، أو للذكر ، أو للفرح والسرور ، إلا بدليل شرعي ثابت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو إجماع الصحابة ، ولا يتوفر ذلك الدليل إلا ليومي : الفطر والأضحى من كل عام ، وليوم الجمعة من كل أسبوع .

فهذه الأيام الثلاثة هي أعيادنا نحن أمة الإسلام لا رابع لها البتة .

• ولقد مرت القرون الثلاثة وجزء من القرن الرابع الهجري والأمة كلها على هذا الأمر ، لا تعرف إلا عيدين حوليين وعيد أسبوعي حتى ظهرت الدولة العبيدية في مصر ، والتي تمت بالدولة الفاطمية ، فأقاموا احتفالات المولد النبوي ، وعدة موالد أخرى ، كما ذكر ذلك أهل العلم ومنهم : المقريزي في كتابه - الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - .

قال ابن كثير - رحمه الله - في كتابه البداية والنهاية - الجزء الحادي عشر - عن تلك الدولة العبيدية : (ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد ، وقلَّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد) . ثم ذكر فتوى علماء القرن الخامس عن حكام تلك الدولة ، والتي جاء فيها : (أن هؤلاء أدعياء خوارج ولا نسب لهم في ولد علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ولا يتعلقون بسبب ، وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين ، وأن هذا الحاكم بأمر الله وسلفه كفار فساق فجار ملحدون ، زنادقه معطلون ، وللإسلام جاحدون .... ا.هـ .) .

فهؤلاء الحكام العبيديون أبناء اليهودي : عبيد الله بن ميمون القداح ، هم أول من احتفل بالمولد النبوي . فهل ترضى أخي المسلم أن يكون هؤلاء العبيديون قدوتك فتحتفل بالمولد النبوي ؟ .

وإنني أتساءل : هل هؤلاء العبيديون أبناء اليهودي : ابن ميمون القداح ، حقاً يحتفلون فرحاً بالمولد النبوي كل عام في الثاني عشر من ربيع الأول ؟ أم هم يحتفلون فرحاً بموت النبي ؟ لأن اليهود يعتبرون أنفسهم قتلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالشاة المسمومة .

فهم عليهم لعنة الله والملآئكة والناس أجمعين ، يفرحون بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وإن من العجيب أن يكون أول من ضع بذرة عقيدة التشيع والرفض هو اليهودي : عبدالله بن سبأ ، وأول من ابتدع بدعة المولد النبوي هم العبيديون أبناء اليهودي عبيد الله بن ميمون القداح !!!

• وإن مما يلفت الانتباه أيضاً ، عدم ثبوت تاريخ يوم ولادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأيضاً عدم ثبوت يوم الإسراء والمعراج ، وهذا فيه دلالة واضحة على أنه لم يخصص النبي - صلى الله عليه وسلم - لهذين اليومين اجتماعاً أو احتفالاً فكانت تمر هذه الإيام كغيرها من الأيام .

وكذلك كان في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي عهد الأئمة المحدثين ، وفي عهد الأئمة الأربعة ومنهم الفقيه الهاشمي المطلبي : محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنهم ورحمهم رحمة واسعة - ، فهل هؤلاء على الصواب أم العبيديون ؟!! . (أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم) .

• إذاً الأولى للمسلمين ترك ما تركه النبي - صلى الله عليه وسلم - متركٍ ما تركه آل بيته وصحابته - رضي الله عنهم أجمعين وترك ما تركه العلماء المحدثون - البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وابن ماجة وإسحاق وابن المبارك وسفيان - ،

وترك ما تركه الأئمة الأربع ـ رحمهم الله أجمعين . فهؤلاء هم القدوة وعلى رأسهم سيدنا وأسوتنا وقدوتنا محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم .

• إن الواقع الذي تعيشه الأمة يبين لنا أن تصنيف الناس في طريقة تعبيرهم للفرح بالمولد النبوي ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المتمسكون بالسنة النبوية المتبعون للحديث النبوي الثابت . هؤلاء يقرأون السيرة ويستفيدون منها ويعلمونها لأولادهم ، مستقيمون على شرع الله قدر المستطاع ، ويجتنبون ما نهى الله عنه ، لا يفعلون أي قربة إلا إذا ثبت بالدليل الصحيح . يصلون على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلاً ونهاراً ويذكرونه في كل أوقاتهم ، لا يغيب عنهم منهجه وسنته وسيرته ، يتمنون رؤيته ولو خسروا أموالهم وأولادهم ، وقافين عند سنته لا يتجاوزونها ، لسان حالهم يقول : نفعل ما فعله ونترك ما تركه رجاء أن تدركنا شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

القسم الثاني : هم أهل الأهواء ، وأصحاب الفرق الضالة ، وأصحاب الأفكار الهدامة كالعلمانية والبعثية ، وأصحاب السلطة التي تحكم بغير ما أنزل الله وتوالي أعداء الله ولا تطبق شرع الله وتعادي الصالحين والمصلحين ، وكل من يعلن الفسق والفجور باسم الفن ، إلى غير هؤلاء من الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا الاسم ، أو ما هو مكتوب في هوياتهم فقط من أصحاب الملل التي خلعت ربقة الإسلام من أعناقها . نسأل الله العافية.

فأصحاب هذا القسم يهتمون اهتماماً بالغاً بالاحتفالات بالموالد وغيرها من المناسبات البدعية ، ويمارسون خلال هذه الاحتفالات بعض المنكرات ، ويستغيثون بالأموات ، ويعتقدون أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحضر هذه الاحتفالات ـ أو روحه الشريفة فقط هي التي تحضر كما يزعم بعضهم ـ . وكل هذه الأمور عشتها وشاهدتها بنفسي حينما كنت من أحد الأتباع قبل أن يمن الله عليَّ بالهداية . فقدوة هؤلاء هم العبيدون وعبد الله بن سبأ ، وتلاميذ أرسطو وأفلاطون كالبسطامي وابن عربي والحلاج ، وقدوتهم أيضاً الكنيسة والرهبان . والعياذ بالله من ذلك .

وأصحاب هذا القسم إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، شعار أكثرهم : الغاية تبرر الوسيلة ، يخادعون الله والذين آمنوا ، ويستهزئون بالصالحين، أسأل الله العظيم أن يهدي جميع المسلمين للصراط المستقيم.

القسم الثالث : أناس طيبون ، غلب عليهم حب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحب آل بيته الطاهرين وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ، فاجتمعوا يوم المولد وذكروا الله وقرأوا السيرة أو بعضاً منها ، وصلوا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم انفضوا وانصرفوا من مجلسهم راجين من الله القبول ، متمنين أن ينالوا الشفاعة من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فهؤلاء يقال لهم : عسى أن يثيبكم على نيتكم وأن يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم ، ولكن نذكرهم بالثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليفعلوا مثله حتى يرافقوه في الجنة ، فحينما علموا عبادة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقالوها وقالوا : هذا النبي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وقال أحدهم : لا أصوم الدهر

أبداً ، وقال الثاني : أقوم الليل أبداً ، وقال الثالث : لا أتزوج النساء . ـ أرادوا بذلك التقرب إلى الله وحصد الحسنات ـ . فحينما علم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك ، غضب وقام خاطباً وقال : (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ؟ ألا إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم أفطر ، ،اصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني).
وهذا فيه دلالة عظيمة على أن القربات لا يكفي فيها حسن النية ، ولا تكون بالرغبات الشخصية ، ولا بالآراء و الأذواق وإنما تكون بما وافق سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الثابتة عنه ليس إلا.
من هذا الموقف ومن غيره من المواقف التي لا يسع المجال لذكرها عرف الصحابة معنى الإلتزام بسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فهذا عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يرى في المسجد جماعة قد تحلقت وقد ترأس عليها أحدهم ، وقد جمعوا حصى أمام كل واحد منهم ، فيقول زعيمهم هذا سبحوا مائة ، هللوا مائة ، وهم ينفذون أمره ويعدون تسبيحهم وتهليلهم بالحصى . فماذا قال لهم أبو عبد الرحمن ـ رضي الله عنه ـ ؟ قال : (عدوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبلى ، وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالتين؟) قالوا : والله ما أردنا إلا الخير . فقال : (وكم من مريد للخير لا يدركه أو لا يصيبه) ، ثم فرقهم .
وكذلك فهم التابعون والعلماء المحدثون والأئمة الأربعة ـ رحمهم الله جميعاً ـ . هذا رجل قام يصلي ركعات بعد السنة الراتبة في الفجر ، فنهاه أحد الحاضرين في المسجد ، فقال الرجل : هل يعذبني الله على الصلاة ؟ فقيل له : لا ، ولكن يعذبك على مخالفة السنة .
وآخر يريد أن يحرم من عند قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنهاه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وقال له : أحرم من حيث من أحرم رسول الله ، إني أخشى عليك الفتنة، فقال الرجل : وأي فتنة في أميال أزيدها ؟ فقال له الإمام : أي فتنة أعظم من أنك ترى أنك هديت إلى أمر قصر عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ .
إني سمعت الله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أتصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . ثم أنني أوجه هذه الأسئلة لأصحاب القسم الثالث ولغيرهم :
س١/ ألا يوجد في السنة النبوية ما يحقق لهم الزيادة في محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويحقق لهم شفاعته ؟
س٢/ ألم يحقق الصحابة والآل ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون الاحتفال بيوم مولده ؟
س٣/ ألا يمكن دراسة السيرة والشمائل طوال العام لنتعظ بها ونتخذها نبراساً لنا في الحياة ؟
س٤/ أليس لنا في رسول الله أسوة حسنة ؟ وأليس في صحابته وآل بيته قدوة لنا ؟
يا أيها الأخ المسلم : إن كنت من القسم الأول فاحمد الله على ذلك ، فإنه يرجى لك الفوز والنجاة ، وعليك أن تنكر على كل مبتدع على حد سواء ، فلا ينبغي لك أن

تنكر على بدعة ما ، وتسكت على أخرى تزلفاً لسلطان أو وطنية أو عصبية جاهلية ، فدعاء ختم القرآن في صلاة التراويح بدعة ، والدعاء للسلاطين والحكام بالتعيين بالاسم على منابر الجمعة بدعة ، وكذلك الدعاء لهم في دعاء القنوت بدعة ، والمهرجان بدعة ، والنيروز وشم النسيم بدعة ، واليوم الوطني بدعة ، وكل الأيام الوطنية أو العالمية أو المرورية أو الصحية أو غيرها من المسميات كلها بدع وأعياد محدثة ما أنزل الله بها من سلطان ، وكذلك اليوبيل الفضي والذهبي والماسي كلها أعياد بدعية .

جاء في الفتوى الصادره من دار الإفتاء برقم ١٧٧٧٩ وتاريخ ١٤١٦/٣/٢٠هـ < ... لا تجوز إقامة الحفلات وتوزيع الهدايا وغيرها بمناسبة مرور سنين على ولادة الشخص أو فتح محل من المحلات أو مدرسة من المدارس أو أي مشروع من المشاريع لأن هذا من إحداث الأعياد البدعية في الإسلام ولأنه تشبه بالكفار في عمل مثل هذه الأشياء ، فالواجب ترك ذلك ، والتحذير منه > .

أما إذا كنت أخي المسلم من القسم الثالث ، فعليك ألا تعادي أهل القسم الأول ، واحذر من اتهامهم بالتقصير في محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أن ترميهم بما ليس فيهم ، وإنما عليك أن تبغض أهل الصنف الثاني المذكورين سابقاً ، وألا تغتر بما يظهرونه أو يقولونه عن محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاحتفال بمولده فتتغاضى عن بلاويهم وطاماتهم لأنهم اتفقوا معك في بدعة الاحتفال بليلة المولد ، وعليك أن تزن الأمور بميزان الشرع ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، وعليك موالاة من يقيمون شرع الله في نفوسهم وقلوبهم وحياتهم واضعاً نصب عينيك قول الله تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) .

أسأل الله العظيم أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

منا قشة بعض الشبه:

من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان ، أن كل صاحب بدعة بعد أن يبتدع بدعته يبحث في القرآن والسنة وينقب عن أي شيء ليتخذه دليلاً ـ بزعمه ـ على بدعته ليظهر أمام الناس أنه ممن يتبع الدليل ويستجيب لأمر الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولو نظرت أخي المسلم فيما يشغب به المستدلون على جواز الاحتفال بالمولد النبوي لوجدت أن أدلتهم لا تخرج عن أحد أربع حالات :

١ـ أدلة صحيحة لا تصلح للاستدلال على مرادهم .

٢ـ الاستدلال بالكذب والبهتان .

٣ـ الاستدلال بفعل الكفار .

٤ـ شبه متفرقة .

والآن نناقش بعض ما أوردوه على جواز الاحتفال بالمولد باختصار :

١ـ أدلة صحيحة لا تصلح للاستشهاد بها:

من هذه الأدلة قولهم : قال الله تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وحيث إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمةً للعالمين ، والله قد أمرنا بالفرح به ، فلذلك نحن نفرح ونحتفل بيوم مولده .
والرد على هؤلاء بأن يقال لهم : من قال أن الفرح في هذه الآية معناه الاحتفال بالمولد ؟ انظروا إلى كتب التفسير كلها فهي موجودة ومتوفرة والحمد لله ، فإنها لم تذكر هذا المعنى الذي تذكرونه أنتم ـ هذا من جهة ـ ومن جهة أخرى يقال لهم:
ألم تنزل هذه الآية على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فلماذا لم يفعل هذا المولد استجابة لأمر الله ؟ ولماذا لم يأمر أصحابه وآل بيته بذلك ؟ وهو الحريص على أمته بأن يعلمهم ما ينفعهم ويقربهم إلى الله . ثم لماذا لم يفهم هذا الفهم الذي فهمتموه من هذه الآية كبار التابعين والمفسرين ، وكذلك العلماء والمحدثون ، وكذلك الأئمة الأربعة ؟ فهل هؤلاء قصروا عن أمرٍ وفهمٍ أنتم يالخلوف توصلتم إليه ؟ .
وما قيل عن هذا الاستدلال ، يقال أيضاً عن الأدلة الأخرى مثل قول الله تعالى: (وذكرهم بأيام الله). وصيام يوم الاثنين من كل أسبوع الذي كان يصومه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحينما سئل عنه قال : (ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه) . فالصحابة والآل والعلماء والمحدثون والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة كلهم فهموا من هذا الحديث مشروعية صيام يوم الاثنين من كل أسبوع وخاصة أنه جاء حديث آخر يبين أن الأعمال تعرض يومي الاثنين والخميس ، فكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصومهما شكراً لله ولأنه يحب أن يعرض عمله وهو صائم . وأصغر طالب علم أيضاً فهم هذا الفهم ، أما أهل البدع فحولوه إلى أن المراد به الاحتفال بالمولد النبوي ، بينما لا يوجد ما يفيد ذلك لا من قريب ولا من بعيد في هذا الحديث ولا في حديث صيام يوم عاشوراء . فالاستدلال باطل ، والقياس فاسد والحجة واضحة والحمد لله .
وإنني أسأل هؤلاء المبتدعة عن هذه الأسئلة :
س/ هل هذا الفهم والقول الذي تستدلون به علم به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ وهل هذا الأمر علم به الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ؟ وهل هذا الذي تقولونه علم به أصحاب الكتب الستة ، والأئمة الأربعة ، وعلماء القرون الثلاثة المفضلة ؟
فإن أجبتم بنعم علموا ذلك . أقول لكم هل احتفلوا بيوم مولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم تركوا ذلك ؟ والإجابة بالتأكيد : أنهم تركوا ذلك ولم يحتفلوا . إذاً نقول لكم : يسعكم ما وسع القوم ، وعليكم أن تقدوا بهم في ترك ما تركوا فإن في اتباعهم السلامة .

٢ـ الاستدلال بالكذب والبهتان .
من هذه الأدلة قولهم : أن أبا لهب يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين ، لأنه أعتق ثويبة حينما بُشر بولادة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإذا كان هذا الكافر يخفف عنه العذاب وهو في جهنم لفرحه بمولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف بالمؤمن الموحد . وقبل أن أذكر الرد على هذه الفرية أنقل لكم ما رواه البخاري في كتاب النكاح الباب (١٩) عن عروة بن الزبير حيث قال : (قال عروة : وثويبة مولاة

لأبي لهب ، وكان أبو لهب أعتقها . فأرضعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما مات أبو لهب أُريه بعض أهله بشرحبية ، قال له : ماذا لقيت ؟ قال له أبو لهب : لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بإعتاقتي ثويبة . أ . هـ) .
وجاء في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : أن ثويبة التي أرضعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي مولاة أبي لهب ، كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلها وهي بمكة وكانت خديجة تكرمها وهي على ملك أبي لهب وسألته أن يبيعها ، فلما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعتقها أبو لهب ..... إلخ أ . هـ .
يلاحظ من هاتين الروايتين عن ثويبة ما يلي :
١/ أن أبا لهب عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لم يعتق ثويبة يوم مولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وليس في الرواية حتى إشارة من بعيد تشير إلى ذلك ، إنما أعتقها بعد الهجرة .
٢/ أن عروة روى رؤيا منام عن شخص مجهول ، قيل أن سبب عدم ذكر اسمه لأنه مشرك .
٣/ أن عروة تابعي . والتابعي لا تقبل روايته عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يذكر اسم الصحابي الذي أخبره بالرواية عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهذا أمر معروف عن طلاب العلم ، فكيف إذا كانت الرواية من تابعي ، عن مجهول ، تحكي رؤيا منام ؟؟؟ ظلمات بعضها فوق بعض .
٤/ وهل يصح أن يرد المسلم أمراً شرعياً ثابتاً بالقرآن والسنة برؤيا منام؟ فالكافر المعاند المكابر ليس له في الآخرة إلا العذاب الشديد في جهنم . وأبو لهب نزل عليه الحكم بأنه سيصلى ناراً ذات لهب وهو حي يرزق ، لأنه كان يكره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويكره الإسلام والمسلمين . فهل نرد ذلك كله برؤيا منام !!!
فلاحظ أيها الأخ المسلم كيف تجرأ هؤلاء المبتدعة على تلفيق هذا الخبر وتفصيله على حسب هواهم ، فلا أدري هل هم يقتدون بأبي لهب أيضاً .
٣- الاستدلال بأفعال الكفار:
مثل الاستدلال بفعل النصارى واحتفالهم بعيد الميلاد ؟ على اعتبار أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل الرسل ، فمن باب أولى أن يحتفل بعيد ميلاده ، والاستدلال بما تفعله دول الكفر في تمجيد وتعظيم زعمائها وكبرائها ، فمن باب أولى أن يمجد سيد ولد آدم ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنقول له : من أسلم طريقة ؟ من يقتدي بهؤلاء الكفار ، أمن يقتدي بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وعبدالله ابن عباس وبقية الآل والصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ؟؟ .

٤- شبه متنوعة:
أ- الاستدلال بجزء من حديث ، وهو : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) .
فنقول لهم : أولاً : عليكم الاطلاع على الحديث من أوله إلى آخره ، والقصة التي وقعت وكانت سبباً في ذكره ، وشرح العلماء له ، وفقه الحديث وما يدل عليه حتى يتم الاستشهاد به في الموضع الصحيح .

وثانياً : تكملة الحديث : (ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها .... إلخ) ، فنقول : وما يدرك أيها المبتدع أن ما تفعله سنة حسنة أم سنة سيئة ؟ وهل لديك من الله برهان على ذلك ؟ .

ب- الاستدلال باجتماع الصحابة في عهد عمر - رضي الله عنهم أجمعين - في صلاة التراويح في رمضان ، وبجمع المصاحف في مصحف واحد في عهد عثمان - رضي الله عنه - وبأمور أخرى فعلها الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - .

فالجواب على ذلك : أن نقول لهم : يا أيها المبتدعة لقد أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقتدي بأبي بكر وعمر . وأمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين كما هو معروف ومعلوم للجميع .. فهل تضعون أنفسكم في منزلتهم ؟ وهل تعتبرون أنفسكم من الخلفاء الراشدين ؟ وتريدون من الناس اتباعكم ؟؟؟

ج- قال أحد المذيعين في برنامج في قناة فضائية ، حينما اتصل به شخص ليلة الاحتفال بالمولد النبوي هذا العام ١٤٢٢هـ مبيناً أن في بلده يحصل منكرات عظيمة وظاهرة ، وفساد كبير في أماكن الاحتفالات بالمولد النبوي .. فقاطعه المذيع وقال : حتى في عيد الأضحى وعيد الفطر يحصل منكرات فهل نلغي العيدين ؟ وهذا فيه من المغالطة ما فيه ، لأن المسلمين في عيد الفطر أو عيد الأضحى يغتسلون ويتطيبون ويخرجون مهللين ومكبرين ، ثم يجتمعون للصلاة ، وبعد أداء الصلاة يعودون إلى بيوتهم .. هذا هو العيد عندنا نحن أمة الإسلام ، بالإضافة إلى النحر في عيد الأضحى المبارك ، ورمي جمرة العقبة والطواف والسعي بالنسبة للحجاج .. هذا هو العيد وهذه شعائره . فأين المنكرات في هذا أيها المذيع ؟ وإن كنت تقصد ما يفعله الناس بعد العيد ، فيما يسمى سهرات ليالي العيد ، فهذا ليس من العيد ولا يسمى هذا الفعل عيداً . بينما الذي يفعل في الموالد من منكرات وأمور مخالفة للشرع ، يكون في وقت الاحتفال وفي مواقع الاحتفال ، وهذا أمر مشتهر ومنتشر في كثير من بلدان المسلمين مع الأسف الشديد . فأين هذا من ذاك أيها المذيع ؟!!!

- وأخيراً : أليس من الأجدر والأولى أن يكون الاحتفال بمولد الشخص في حياته ثم إذا مات يتم الامتناع عن الاحتفال بمولده ، خاصة إذا كان يوم وفاته هو يوم ولادته !!! فاعتبروا يا أولى الأبصار.

كـــذب وبهتان:

إن سبب تركي اتباع الصوفية - والحمد لله - هو اعتماد الكبراء والزعماء ومن شايعهم على الأكاذيب والخرافات والمنامات ، ولكن كل مطلع على السيرة الصحيحة والأحاديث الصحيحة والتفسير الصحيح يكتشف مدى ما وصل إليه هؤلاء من الجرأة والكذب على الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً - فمن الأكاذيب التي يرددونها دائماً قولهم :

١/ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خلق من نور ، وأنه إذا مشى في الشمس ليس له ظل . وهذا القول مخالف لقول الله تعالى : (قل إنما أن بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد) ، وغيرها من الآيات والأحاديث التي تثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بشر ، وأن البشر كلهم خلقوا من طين ، وأن الذين خلقوا من نور هم الملائكة

. وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس من الملائكة . هذا من ناحية . أما من ناحية أخرى فأقول لهؤلاء : كيف يكون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس له ظل ، ولا يذكر ذلك الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وهم قد وصفوه وصفاً دقيقاً ؟ ثم ألم يكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرتدي لباساً أم كانت الملابس التي عليه هي الأخرى ليس لها ظل ؟!!!
٢/ ومن بهتانهم قولهم : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم الخمس التي في قوله تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير).
وأيضاً قولهم : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في قبره يعلم ما في قلوب من يقفون عند قبره ويعرف أسمائهم ويردد السلام بصوت مسموع يسمعه كل من يسلم عليه !!!
سبحانك ربي هذا بهتان عظيم . فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يعلم من الغيب إلا ما يطلعه الله عليه ، قال تعالى : (قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) وقال تعالى على لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) .
وبالرجوع إلى السنة الصحيحة والسيرة الثابتة يتضح أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يعلم الغيب ، ولم يكن يعلم من خلف الباب حينما يطرق للاستئذان للدخول عليه . بل إن الكلب دخل بيته ، مما سبب منع دخول جبريل عليه السلام ، وهو لا يدري عنه . وكانت تحدث بعض الأمور للصحابة لا يعلم عنها ، مثل زواج عبد الرحمن بن عوف ، وموت المرأة التي كانت تقم المسجد .. إلى غير ذلك من الأحداث الكثيرة التي لا يسع المجال لذكرها . فإذا كان هذا في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فكيف وهو في القبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
أما رد السلام بصوت مسموع فهذه فرية لا تستحق منا قشتها ، لوضوح الكذب فيها وضوح الشمس في رابعة النهار.
٣/ ومن بهتانهم أيضاً ، الإلحاد في أسماء الله سبحانه وتعالى حيث يدّعون أن أسماء الله الحسنى هي أسماء للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ويشغبون على الناس بما ورد في القرآن من صفات للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، مثل : بشير ونذير ورؤوف ورحيم وسراج منير . وفي هذا مغالطة واضحة .
لقد وصف الله الإنسان في سورة الإنسان بقوله تعالى : (إنا حلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) ، فهل يقال لكل إنسان أن من أسمائه السميع والبصير ؟ لا أظن عاقلاً يقول ذلك ، فهاتان صفتان لكل إنسان . والسميع والبصير اسمان للرحمن سبحانه وتعالى . وقد قال الله : (سبح اسم ربك الأعلى)، وقال لموسى: (إنك أنت الأعلى)، فهل { الأعلى } اسم من أسماء موسى ؟ كلا إنه صفة لما سيكون عليه أمر موسى– عليه السلام – أمام فرعون – عليه لعنة الله ـ.
ولو فرضنا أن الصفات التي جاءت في القرآن تصف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه سراج منير ورؤوف رحيم إلى آخرها ، لو فرضنا أنها أسماء للنبي

ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يزعمون ، فلماذا لا يقفون عندها فقط ؟ لماذا يقولون أن الأسماء الإلهية هي أسماء للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهل يرضى المسلم أن يقول للنبي أنه هو الله ، الرحمن ، المهيمن ، الجبار ، المتكبر ، البارئ، المصور، المحيي، المميت، الرزاق، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى؟! سبحان الله عمّا يشركون.

٤/ ومن كذبهم اتهام الملائكة بأنهم خروا سجداً وبكيّاً حينما رأوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المعراج ، وأصغر طالب علم إذا قرأ الحديث الصحيح الذي فيه وصف المعراج ، ينكشف له زيف وكذب هذا الإدعاء ، فالملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . فلا يجوز في حقهم محقرات الذنوب حتى يوصموا بالسجود لغير الله عز وجل .

ولقد كان سجود الملائكة لآدم طاعة لله الذي أمرهم بالسجود له . وهو تشريق لآدم - عليه السلام-. فهم يطيعون أمر الله ويسبحونه ليلاً ونهاراً لا يفترون . فمن أين لهؤلاء اتهام الملائكة كلهم بالسجود للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع البكاء ؟!!

٥/ ادعاؤهم كذباً وزوراً أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحضر إلى مكان الإحتفالات بمولده – أو أن روحه فقط هي التي تحضر كما يقول بعضهم - . فحينما كنت أحضر تلك الاحتفالات معهم ، وعندما يذكر القاص قصة المولد ويذكر خروج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بطن أمه للدنيا، ننهض نحن الحاضرون واقفين مرددين بصوت مرتفع:

مرحباً يا نور عيني مرحباً مرحباً جد الحسين مرحباً

ويرش ماء الورد على الجميع ، ويؤتى بالبخور ، ونستمر في هذا الوضع ما يقارب خمس دقائق ثم نعود ونجلس في أماكننا ويكمل الاحتفال . فكأن هؤلاء هم الذين يتحكمون في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيخرجونه من قبره عند ذكر ولادته ليحضر إليهم . أو هم الذين يتحكمون في روحه الشريفة ، وينزلونها من الفردوس الأعلى لتحضر احتفالاتهم !!! نسأل الله العافية .

وللحق أقول أن بعض الأتباع لا يرضى بهذه الأمور ولا يعتقدها . فهم لا ينطبق عليهم ما ذكرته عن الصوفية ، بل إن من هؤلاء الاتباع أناساً صالحين مصلحين ، ومنهم العباد والزهاد والذين يحافظون على الصلاة في المسجد والذين يحسنون إلى الناس ويتصدقون على الفقراء . وإنما يفعلون هذه الاحتفالات أو يشاركون فيها ظناً منهم أن هذا من الخلاف الجائز بين العلماء ، وأنه من الأمور الاجتهادية التي يسع الناس فعلها . ولكن إذا ما عرف بعضهم الحق واطلع على عقائد هؤلاء الصوفية آب ورجع وتاب إلى الله من المشاركة في تلك الاحتفالات .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا و اجعلنا من عبادك الصالحين ، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا واجعل خير أيامنا يوم لقائك ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

----

١٣. دلائل محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين السنة والبدعة

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول - صلى الله عليه وسلم- أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.
* قال الله تعالى:(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) [التوبة:٢٤].
قال القاضي عياض في شرح الآية: فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها -صلى الله عليه وسلم- ، إذ قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى:(فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله(١).
* وقال الله تعالى:(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)[الأحزاب: ٦].
* وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"(٢).
* وقال أيضاً: "الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"(٣).
* وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك"، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر"(٤).
آثار محبته -صلى الله عليه وسلم-:
المحبة عمل قلبي اعتقادي تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله ومن علامات ذلك:
أولاً: تعزير النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيره:
قال الله تعالى:(إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً)[الفتح:٩].
ذكر ابن تيمية أن التعزير: (اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه). والتوقير: (اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار)(٥).
وتوقير النبي -صلى الله عليه وسلم- له دلائل عديدة، منها:
١ - عدم رفع الصوت فوق صوته:
قال الله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)[الحجرات: ٢].
وعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين

أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٦).

٢ -الصلاة عليه:

قال الله تعالى:(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)[الأحزاب: ٥٧].

قال ابن عباس: يصلون: يُبرّكون(٧).

وفي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب، لهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ"(٨).

وقال: " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ "(٩).

ثانياً: الذ ب عنه وعن سنته:

إن الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله تعالى:(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)[الحشر: ٨].

ولقد سطر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه).(١٠).

ومن الذب عن سنته -صلى الله عليه وسلم-: حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، وقد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله: " نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مُبلّغ أوعى من سامع ".(١١).

والتهاون في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الذب عن سنته وشريعته، من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

ثالثاً: تصديقه فيما أخبر:

من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلامته من الكذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالى:(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[النجم: ١٤].

والجفاء كل الجفـــاء، بل الكفــر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله:(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالميــن، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقيــن بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)[يونس: ٣٧-٣٩].

ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليلة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: " بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما "(١٢).

رابعاً: اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه:

الأصل في أفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقواله أنهـــا للاتباع والتأسي، قال الله تعالى:(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)[الأحزاب: ٢١].

قــال ابن كثير: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فــي أقـــواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل.(١٣).

وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر: ٧].

وجعل الله عز وجل طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من طاعته سبحانه، فقال:(من يطع الرسول فقد أطاع الله)[النساء: ٨٠].

وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال:(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) [النساء: ٥٩].

وتواتـــرت النصـوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشديـــن المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".(١٤).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "صلوا كما رأيتموني أصلي"(١٥).

وقال: "لتأخذوا عني مناسككم"(١٦).

فطاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي المثـــال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهـذا قال الله عز وجل:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)[ال عمران: ٣١].

فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:
تعصى الإله وأنت تزعم حبه *** ذاك لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن أحب مطيع
خامساً:التحاكم إلى سنته وشريعته:
إن التحاكم إلى سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أصـــل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال الله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [النساء: ٦٥].
وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنفـاق الإعــراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، قال الله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنــوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) [النساء: ٦٠،٦١].
الغلو في محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:
انحرف بعض الناس عن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغيروا وبدلوا، وغلوا في محبتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم، الذي قال الله عز وجل فيه:(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[الأنعام: ١٥٣].
وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على حماية جناب التوحيد، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها:
* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله«(١٧).
* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »لعنة الله على اليهــود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أني أنهاكم عن ذلك يحذر ما صنعوا«(١٨).
* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: »جعلتني لله عدلاً، بل قل ما شاء الله وحده«(١٩).
* وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل«(٢٠).
ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: »من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ«(٢١).
حقيقة المولد النبوي:

ظهرت هذه الفكرة في عصر الدولة العبيدية الباطنية، إظهاراً منهم لدعوى محبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم انتشرت في كثير من دول العالم الإسلامي، إلى يومنا هذا فأصبح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عيداً مشهوداً عند كثير من المبتدعة يجتمعون فيه لإنشاد المدائح النبوية والأوراد الصوفية، وإقامة الحفلات والرقصات، وقد يقترن بذلك بعض الشركيات من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- والاستغاثة بـه، وقد يحدث الاختلاط بين الرجال والنساء والاستماع إلى الملاهي.
إن تحويل الإسلام إلى طقوس وثنية من الأهازيج الشعرية والطبول والمزامير والتمايل والرقص، وبالتالي الانحراف بـه عن صفائه ونقائه، هو من قبيل جعله إلى العبث والخرافة أقرب منه إلى الدين الحق.
وحينما تكون هذه العقلية الساذجة المنحرفة حاكمة للعالم الإسلامي يكون رد الفعل الرئيس لدخول خيول نابليون إلى الأزهر الشريف هو اجتماع الشيوخ للتبرك بقراءة حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- من صحيح البخاري! وكلما ازدادت الدائرة على المسلمين ازدادت الدروشة، وتمايلت الرؤوس وبحت الأصوات بالأناشيد والأوراد والمدائح النبوية.
إن الاحتفال بالمولد النبوي أصبح عند بعض النـاس مـن العامة والخاصة الآية الرئيسة لمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأذكر أنني كنت قبـل سنوات في بلد إسلامي في أوائل شهر ربيع الأول، والناس منهمكون في التجهيز والإعداد لليوم الثاني عشر، تحدثت مع أحد كبار الأساتذة الجامعيين عن هذه البدعة، وبعد أن بح صوتي بذكر الأدلة والشواهد، قال لي: هذا صحيح، ولكن هذا سيدنا النبي!! عندها تذكرت قول غلاة الصوفية: »من أراد التحقيق فليترك العقل والشرع!«(٢٢)، وصدق ابن تيمية حينما قال عن غلاتهم: »كلما كان الشيخ أحمق وأجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم«(٢٣).
ومن المفارقات التي تدعو إلى التأمل، أن بعض الناس قد يعصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلاً ونهاراً، ويتهاون في تعظيم أوامره، فضلاً عن الالتزام بسنته، ومع ذلك فهو يحتفي بيوم المولد، ويوالي فيه ويعادي، وكأن غاية الحب عنده هو إحياء هذا اليوم بالمدائح والأوراد، وبعد ذلك ليفعل ما يشاء...؟! يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: »من تتبع التاريخ يعلم أن أشد المؤمنين حباً واتباعاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- أقلهم غلواً فيه ولاسيما أصحابه رضي الله عنهم ومن يليهم من خير القرون، وأن أضعفهم إيماناً وأقلهم اتباعاً له هم أشد غلواً في القول وابتداعاً في العمل«.
وليس عجيباً أن يحظى هذا اليوم باحتفاء رسمي من الحكومات العلمانية وتسخر له كافة الإمكانات الرسمية، وتجري تغطية فعالياته من جميع وسائل الإعلام، لأنها تعلم يقيناً أن غاية هؤلاء الدراويش لا تتجاوز الأوراد والمدائح حتى إن النذور والقرابين التي ترمى على القبور والأضرحة والمزارات أصبحت مصدر دخل رئيس لوزارات الأوقاف والسياحة، ولهذا كان حافظ إبراهيم يقول متهكماً:
أحياؤنا لا يرزقون بدرهم*** وبألف ألف يرزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة قامت** على أحجارها الصلوات؟!(٢٤)

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل نصرة دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، ولا يوجد بين محبي الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكان للعجزة النائحين، وما أجمل قول أنس بن النضر رضي الله عنه لما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه«(٢٥).

============

هوامش:

(١)الشفا بتعريف أحوال المصطفى ١٨/٢.

(٢)أخرجه البخاري ٥٨/١، ومسلم ٦٧/١.

(٣)أخرجه البخاري ٥٨/١.

(٤)أخرجه البخاري ٥٢٣/١١.

(٥)الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٢٢.

(٦)أخرجه البخاري ٥٦٠/١.

(٧)أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به ٥٣٢/٨.

(٨)أخرجه أحمد ٢٠١، والترمذي ٥٥١/٥.

(٩)أخرجه أحمد ٢٥٤/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٢٠، والترمذي ٥٥٠/٥.

(١٠)أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٤/٧.

(١١)أخرجه أحمد ٤٣٧/١، والترمذي ٣٤/٥، وابن ماجة ٨٥/١.

(١٢)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: ١٥٢/٦ و ١٨/٧ و ٤٢.

(١٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٥/٣.

(١٤)أخرجه أحمد ١٢٦/٤،١٢٧، وأبو داود ١٣/٥-١٥، والترمذي ٤٤/٥، وابن ماجة ١٦/١.

(١٥)أخرجه البخاري ١١١/٢ و ٤٣٨/١٠.

(١٦)أخرجه مسلم ٩٤٣/٢.

(١٧)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها ٤٧٨/٦.

(١٨)أخرجه البخاري ١٤٠/٨، ومسلم ٣٧٧/١.

(١٩)أخرجه أحمد ٢١٤/١ و ٢٨٣ و ٣٤٧.

(٢٠)أخرجه أحمد ١٥٣/٣ و ٢٤١.

(٢١)أخرجه مسلم ١٣٤٤/٣.

(٢٢) مجموع الفتاوى ٢٤٣/١١.

(٢٣) مجموع الفتاوى ١٧٤/٢.

(٢٤)الديوان، ج١، ص ٣١٨.

(٢٥)أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٥/٧ ومسلم ١٥١٢/٣.

* من تعليقاته على كتاب »صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان« للسهسواني.

مجلة البيان

----

١٤. ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي وآثارها.. مصر أنموذجًا

ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي وآثارها
- مصر أنموذجاً -
عبد الكريم الحمدان

كيف؟ لا أدري. لماذا؟ *** ربما أنني يوماً عرفت السَبَبَا
عالمٌ يدعو بدعوى جاهلٍ!! *** وليوثُ الحربِ ترجو الأرْنَبَا!!

سؤال مبهم في مطلعه، لكنه محير في خاتمته!! والإجابة عنه تختلف باختلاف ما يدور السؤال حوله من مبهمات حياتنا التي كثرت، وكل منها يحتاج إلى أسئلة لكنها أحوج إلى إجابات تشفي.

كيف تصبح محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيدةً عن دينه وهديه؟

كيف تصاغرت همم الناس للاشتغال بذكر شمائل رسولهم -صلى الله عليه وسلم- ومآثره في يوم أو بعض يوم من العام، ثم يُتناسى ويُهجر ذكره سائر العام؟!

ولماذا تنفق الأموال وتسير الجموع إلى مثل هـــذه المواقف؛ والمسلمون في كل أرض يُتخطفون؟!

أسئلة تطرح نفسها مع كل موسم يتنادى فيه القوم لاحتفال من احتفالاتهم، والتي من أشهرها: الاحتفال بمولد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- الذي أجروه مجرى الواجبات، حتى أصبـــح من (الشعائر) التي يعزّ عليهم إغفالها أو ترك القيام بها؛ مع تفريطهم في كثير من فروض الأعيان والكفايات فضلاً عن السنن والمستحبات.

إن هناك موالد أخرى كثيرة تولدت عن مسألة الاحتفال بالمولد النبوي، وكلها أصبحت تُعَظَّم، وتُمارَس فيها أمور بدعوى التقرب إلى الله، هذه الموالد في مصر وحدها أصبحت ستة إلى جانب ٢٢ موسماً آخر؛ بخلاف موالد من يدّعي فيهم الولاية(١) والله أعلم بما كانوا يعملون.

وأصبح تضخيم تلك الاحتفالات وحبك الأساطير حولها ثم إشاعتها بين العوام وأشباههم - ليتلهوا بها - من الوسائل التي يلجأ إليها الحكام لصرف الناس عن الدين الحق؛ فما أن يفرغ الناس من مناسبة حتى يلاحَقوا بغيرها، وهكذا دواليك.

من المعروف أن أول من توسع في الاحتفال بالموالد في مصر هم العبيديون المسمَّوْن بـ(الفاطميين) وقد كانت لهم ذرائع ودوافع في إحياء الاحتفال بالموالد، جُلها لا تمت إلى محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- بصلة؛ وهي - مع التأمل - الذرائع والدوافع نفسها التي لا تزال وراء الاحتفال بالمولد إلى يومنا هذا.

أسباب النشأة وتفاعلاتها الاجتماعية:

من خلال التتبع الواقعي لتاريخ الاحتفال بالمولد في مصر واستقراء ما يجري فيه من وقائع يمكن أن نجمل الدافع إلى ذلك في عدة أسباب هي:

١ - نشر العقائد الشيعية من خلال التذرع بحب آل البيت والارتباط بهم؛ وهذا ما صنعه العبيديون من قبل ويفعله أحفادهم والمتأثرون بهم في كثير من البلاد.

٢ - نيل الشهرة والصيت؛ وهذا يختص بفئة تنفق على هذه الموالد وترعاها من الأغنياء والموسَرين.

٣ ـ كسب الولاء الديني وهو الدافع الذي يدفع (مشايخ الطرق) للتسابق في إقامة السرادقات، والمشي في المسيرات من أجل الاستزادة من الأتباع.
٤ ـ الارتزاق وهو ما يقوم به طائفة عريضة من تجار الحلوى وبائعي(أمور أخرى) ومؤجري الألعاب والملاهي والبائعين الجوالين، بل مشايـــخ الطرق المنتفعين بما يجري في الأضرحة، والمداحين والقصاصين والمنشدين والمغنين والراقصات! وأمثالهم.
٥ ـ إتاحة الفرصة أمام الفساق والفجار الذين يسعون وراء الحرام؛ فإذا ما سمعوا بمولد قالوا: هلموا إلى بغيتكم؛ حيث يتسنى لهم فيها قضاء مآربهم.
٦ ـ التعمية على بعض الممارسات المعادية للدين الحق. وقد تطور هذا في العصور المتأخرة إلى وسائل أكثر تعمية كأن تفتتح في الموالد بعض المشاريع الكبرى وتقام المهرجانات الدينية! من أجل الاحتفال بسيد المرسلين! -صلى الله عليه وسلم-، وتكون الرسالة التي يراد لها أن تبلغ الجميع أنه ليس أغير على النبي -صلى الله عليه وسلم- ودينه من هؤلاء، ويُقدَّم الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أدبياتهم على أنه شخصية تاريخية كان لها أثرها في تاريخ الأمة العربية! شأنها شأن العظماء، ومع انتهاء الحفل يسدل الستار حتى إشعار آخر.
وأوضح أنموذج لذلك ما ذكره الجبرتي من أن نابليون أمر الشيخ البكري بإقامة الاحتفال بالمولد وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنسي، وأمره بتعليق الزينات، بل وحضر الحفل بنفسه من أوله إلى آخره (٢)، ويعلق عبد الرحمن الرافعي قائلاً: فنابليون قد استعمل سياسة الحفلات ليجذب إليه قلوب المصريين من جهة، وليعلن عن نفسه في العالم الإسلامي بأنه صديق الإسلام والمسلمين(٣).
مشاهد من الاحتفال:
تختلف صور الاحتفال تبعاً للفئة المحتفلة وأفكارها وأهدافها، ويمكننا في هذا المقام التفريق بين أربع فئات درجت على الاحتفال بالمولد في العقود الأخيرة:
أولها: الجهات الحكومية وهي التي كانت تمثل رسمياً في هذه الاحتفالات؛ حيث كانت وزارة الأوقاف ترعى الاحتفال السنوي الذي كان يحضره الملك في أيام الملكية، ثم أصبح يحضره الرؤساء في عهد الجمهورية، وفي العادة فإن الملوك والرؤساء يلقون في هذا اليوم خطبة، كما يحضره شيخ الأزهر وعدد من الوزراء والشخصيات العامة، وتوزع فيه جوائز على الفائزين في مسابقة تقام احتفالاً بالمولد النبوي، كما توزع فيه الجوائز التقديرية على بعض الحضور باسم تكريم العلم والعلماء، كما تقام احتفالات في كافة المدن ترعاها فرق من الشرطة.
وفي وقتنا الحاضر تحتفل إذاعة القرآن الكريم في مصر بالمولد على مدى شهر كامل هو ربيع الأول. ومع أن كثيراً من البرامج لا غبار عليها إلا أن ارتباطها بموسم لم يقره الشرع يبقى نقطة مؤاخذة إضافة إلى بعض البرامج والفقرات التي لا تخلو من غلو في شخصه -صلى الله عليه وسلم- مثل قول المنشد:
ميلاد طه أكرم الأعياد   ونذير كل الخير والإسعاد
٢- الجهات شبه الرسمية: ويمثلها تقليدياً في الاحتفالات المجلس الصوفي الأعلى والطرق التابعة له ووكلاؤه في كل المدن؛ إذ ينص قانون تنظيم الطرق الصوفية

الصادر ١٩٧٦م على اختصاص هذا المجلس بإصدار تصاريح إقامة الموالد! ومجالس الذكر وسير المواكب والاحتفالات في المواسم والأعياد الدينية(٤)، وتقيم المشيخة الصوفية هذا الاحتفال الذي تحضره مواكب الشرطة، ويحضره مندوب رسمي عن رئيس البلاد، وتعزف فيه الموسيقى، وتنطلق المسيرة تحت الرايات طريقة بعد أخرى في موجة من الإنشاد مبتدئة من مسجد الجعفري مشياً على الأقدام بالشوارع لتنتهي إلى المشهد الحسيني الذي يقف الجميع أمامه في خشوع لقراءة الفاتحة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم تُدَبَّج الخطب وتلقى الأناشيد والأشعار. ويبدأ الحفل الشعبي من حيث انتهى الحفل الرسمي الذي تنقله الإذاعة والتلفزيون عادة.

ويدخل كل (شيخ طريقة) خيمته، وتعقد حلقات الذكر أو الشطح والرقص والتدخين والإنشاد والتشبيب إلى جنب المراقص وملاعب القمار وأماكن مشبوهة، وإذا ما قدر لامرئ أن يرى أنواع الشر مجتمعة فما أحسب أنه سيجد مكاناً يُجملها مثل هذه المواطن التي تمارس فيها المعاصي على أنها طاعة، والخرافة على أنها حقيقة، والجهل على أنه علم. ويمكنك أن تلمس هذا وأنت تسمع لمنشد يهذي بين أدعياء المحبة فيقول:

سعد السعود علا في الحل والحرم *** نور الهدى قد بدا في العرب والعجم

بمولد المصطفى أصل الوجود ومن *** لولاه لم تخرج الأكوان من عدم

ويطلب القوم المزيد فيسمعهم حُلُوليَّات ابن الفارض:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة *** فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

ويستزيدونه حتى يقول:

أنا فيكمو أنا فيكمو *** ولكني خفي عنكمو

وهنا يتصايح الناس ويسقط بعضهم ويسكر بعضهم ويظل يهذرم بكلام لا يعني إلا الحلول، أو ما يسميه بعضهم بالحضرة الإلهية على اختلافٍ بينهم.

والحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستترة؛ ففي ساحاتها الواسعة ينتشر الرقعاء دون خجل، ويختلط النساء بالرجال في المأكل والمشرب وغيرها؛ حيث تكثر جرائم الزنا واللواط، ويدخن الحشيش، وتسمع الأغاني الخليعة والموسيقى الصاخبة، وتختفي روح الجد، وتفيض روح الفوضى وعدم النظام، كما تختفي النظافة من المساجد وتضطرب أوقات الصلوات والجماعات، ودعك من أن أكثر الوافدين على هذه الساحات لهم عقائد غريبة؛ فربما ضن أحدهم على أمه بقروش يبرها بها في الوقت الذي يبسط يده بالنفقة هنا! وبعضهم يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقات للذكر ودروساً للعلم وتلاوة للقرآن وإطعاماً للفقراء والمساكين، وكل هذه الآثام ينتعش وجودها في هذا الجو الاحتفالي المبتدَع الذي ما أنزل الله به من سلطان، ومع هذا يدعي أهله أنهم يحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحيون ذكراه! ولو خلت الموالد من هذه الآثام التي سقناها آنفاً، لوجب تعطيلها أيضاً؛ لمظاهر التدُّين الفاسد التي تسودها؛ فحلقات الذكر ضروب من الهوس وألوان من الرقص الذي يسودُّ له وجه أهل الدين!

أما القرآن المتلو في هذه الساحات فما ينتفع به قائل ولا سامع؛ إنه ضرب من غناء مملول النغم يتصنع له بعض السامعين من الإقبال ريثما يفرغ منه، وكذلك الوعظ في

دروس الوعظ والإرشاد التي تنظمها بعض المؤسسات الدينية لا تكاد تظفر بفائدة هما يراد نشره بين الجماهير المحتشدة في هذه الموالد.
تلك محاولات عابثة وإهدار لقيمة الذكر الحكيم والحديث الشريف.
ولو افترضنا وجود بعض الخير بين الأعمال التي تمارس في المولد فإنها لا تسوِّغ إقامة الموالد بعدما أضحت الشرور المتيقنة التي تكتنفها أكثر بكثير من تلك الفوائد المظنونة؛ وقانون الشريعة في هذا: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (٥).
وثالث الفئات المحتفلة بالمولد هم عامة الناس: الذين كانوا يمثلون زخماً قوياً لاحتفالات الصوفية حتى وقت قريب، لكن الإقبال قل كثيراً نتيجة عدد من العوامل منها:
١ - الأثر الذي أحدثته الصحوة الإسلامية المباركة وتمثل في توعية الناس؛ فلا شك أن ذلك كان له أثر كبير في محاربة البدع.
٢ - ارتفاع نسبة التعليم والتثقيف الذي أدى إلى سقوط كثير من الأوهام والخرافات.
٣ - الهجوم العلماني وما يشيعه من سلوكيات مادية - ولا يخفى أن منطلق هجومه عقلاني وليس شرعياً - فهو يحارب الدين بصورة فجة ثم يرفع شعاراً مشوهاً للدين تمثله الموالد ونحوها من أجل إسقاط سلطانه كلياً، ولا شك أنه قد اجتذب قطاعاً من المجتمع لا يستهان به.
٤ - كثرة وسائل الترفيه من وسائل إعلام وغيرها مما اجتذب الفئة التي كانت تحتفل بالمولد من أجل الترفيه والترويح؛ فقد وجدت ما يغنيها ويزيد في هذه الوسائل، ومع هذا فيبقى احتفال قطاع عريض من العامة بالمولد محصوراً في شراء حلوى المولد ومشاهدة الاحتفالات في التلفاز، وإن كانت الاحتفالات لا تزال بالمدن التي فيها الأضرحة الكبرى كطنطا ودسوق وقنا وأسيوط.
ورابع هذه الفئات: هي بعض الاتجاهات الإسلامية(٦) التي تحتفل بالمولد بإقامة الأمسيات الدينية التي تذكّر بهديه -صلى الله عليه وسلم-. ولو لم يكن في ذلك غير موافقة المبتدعة أو إثبات شبهة سنية الاحتفال أو شرعيته لدى العوام لكفى بها ضرراً؛ فكيف إذا انضاف إلى ذلك قصرهم للخطب في ذلك اليوم على مولد الرسول -صلى الله عليه وسلم- مما يدعو إلى تعظيم ذلك اليوم على وجه التقرب. والغريب أن بعضهم يقيس ذلك الاحتفال على احتفال النصارى بعيد الميلاد أو احتفال القوميين برموزهم السياسية ويقولون: النبي -صلى الله عليه وسلم- أولى بالتعظيم. إن من الظلم مساواة النبي -صلى الله عليه وسلم- بهؤلاء، أو الاحتجاج على شرعية ذلك بصنيع هؤلاء وقد أُمِرنا بمخالفتهم.
البعد الاعتقادي للاحتفال بالمولد:
يعتقد قطاع عريض من المتصوفة أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد خُلِقَ من نور (أي أزلي) ويسمون ذلك بـ (الحقيقة المحمدية) التي سبقت خلق آدم ثم حلت فيه حين خلق، وما زالت تنتقل من آدم إلى من بعده من الأنبياء حتى بلغت شخصه -صلى الله عليه وسلم-، وهي التي يستمد منها جميع الأولياء - عندهم - علمهم وقوتهم وتصرفهم، أو هي التي تنتقل بما يعرف عندهم بـ (القطب الغوث)، وهذا الكلام تلفيق

بين اليونانية وفق نظرية الفيض النوراني وبين الخرافات الهندوكية التي تقول بتناسخ الأرواح.

والواقع أن ثمة رابطاً قوياً بين نظرية الحقيقة المحمدية(٧) وبين احتفالهم بالمولد هي أن الحقيقة تجسدت في شخص النبي -صلى الله عليه وسلم- في مولده، وهذا ما يهم القوم. أما الشريعة التي جاءت بعد البعث فليست لهم؛ لأن علمهم لدنيٌّ مستمد من هذه الحقيقة.

ولهذا، فهم يقدسون أولياءهم الذين استمدوا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- العلم والتصريف، ولأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- - كما يعتقدون - حي في قبره، وأن الحقيقة قد انتقلت إلى مَنْ بَعدَه من الأولياء، فلماذا يُحرق عليه وهو لم يمت(٨)؟ ولهذا لا نعجب إذا حدثوا أن الرفاعي (صاحب الطريقة الرفاعية) قد مد له النبي -صلى الله عليه وسلم- يده من القبر فصافحه وأعطاه العهد، أو قالوا قريباً من ذلك عن البدوي أو الدسوقي أو الشاذلي. لكل هذا فهم يقدسون يوم المولد دون غيره.

وتعجب بعد هذا من مسائل يثيرونها(٩): هل يوم المولد أفضل، أم ليلة القدر؟ ويُصطنع لها أقوال ينتصر في آخرها لقولهم وهو واه جداً.

ومثال آخر/ هو قولهم حول وجوب إظهار الفرحة بيوم المولد مثل أيام العيدين.

وتفرع عن هذا مسألة هي: ما حكم صيام يوم المولد؟

دعوات الإصلاح:

كان لبعض علماء الأزهر وغيرهم جهود مشكورة في توعية هؤلاء المحتفلين بالمولد والإنكار عليهم، وتقدمهم في ذلك رهط من العلماء والمشايخ -رحمهم الله- جميعاً كان من أبرزهم: الشيخ علي محفوظ، والشيخ حسنين مخلوف، والشيخ المراغي، بالإضافة إلى عدد من رجال الدعوة والإصلاح مثل: الشيخ حسن البنا الذي حاول أن يُحَمِّل الأزهر ووزير الأوقاف المسؤولية؛ إذ كان يرى أن التصوف بهذا الشكل قد أضر بالدين على تلك الصورة الدخيلة فأصبح شراً لا يطاق.

ومنهم الشيخ محمد رشيد رضا الذي شدد كثيراً على ممارسات التصوف، لكنه كان يشارك أحياناً في الاحتفال بالمولد بإلقاء الكلمات أو تأليف الرسائل في بيان مكانته -صلى الله عليه وسلم- وواجب الأمة نحوه.

كما ساهمت جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر في ذلك من خلال مؤلفات مشائخها: محمد حامد الفقي، وعبد الرحمن الوكيل، وجميل غازي، ومن جاء بعدهم، وعلى صفحات (الهدي النبوي) ومجلة التوحيد.

وكان للجمعية الشرعية كذلك جهود مشكورة وإن لم تكن في مستوى جماعة أنصار السنة، وكان ممن تكلم في بدع الموالد: الشيخ عبد اللطيف مشتهري - رحمه الله - ويضاف إلى هذا جهود الدعوة السلفية التي حملت على عاتقها أيضاً الرسالة نفسها.

وفي السنوات الأخيرة، أثمرت تلك الجهود المباركة أثراً ملموساً في توعية الناس بمضار الابتداع وثمار الاتباع، وهكذا يُقال للدعاة في كل بلد ابتلي بالمبتدعة: اجتهدوا في تبصير الناس بالحق، فعلى الحق نور لا تطيقه خفافيش الجهالة والظلام.

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [التوبة:١٠٥].

==========
الهوامش:
(١) انظر: السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام الشقيري، ص ١٤٣، والإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاب، ص ١٨١.
(٢) انظر تاريخ الجبرتي: ٢٠١/٢ - ٢٠٢، ويعلل الجبرتي اهتمام الفرنسيين بالاحتفال بالموالد عموماً (لما رآه الفرنسيون في هذه الموالد من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والرقص وفعل المحرمات).
(٣) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم لعبد الرحمن الرافعي، ص ٢٥٨ - ٢٦١.
(٤) المادة ١٢ من الباب الأول من اللائحة التنفيذية، وهذا يعني أن الدولة تعترف رسمياً بسلطة هذا المجلس.
(٥) الكلام للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - نقلاً عن (الوثنية في ثوبها الجديد) لسمير شاهين، ص ١٠٦ - ١٠٧.
(٦) وكأن هذه الفئات ظنت أن ذلك حل وسط بين بدعية هؤلاء وما ظنوه مجافاة لحق صاحب النبوة -صلى الله عليه وسلم-، ولئن سلمنا لهم بالتفريق مع عدم صحته يبقى أن بدعة العادة لا تنطبق على اتخاذ الأعياد لما فيها من التشريع وكونها خصوصية شرعية.
(٧) انظر على سبيل المثال الكلام عن الحقيقة المحمدية ونقدها في كتاب (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للأستاذ عبد الله عبد الخالق).
(٨) يعتقدون أنه لم يمت لأنه حقيقة نورانية كالملائكة، الله توحيد وليس وحدة، محمد الأنور البلتاجي، ص ٤٣٢ وما بعدها، التصوف الإسلامي لزكي مبارك، ص ٢٠٦ - ٢١٠، وخطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، ص٥٢.
(٩) انظر هذه المسائل في الكتاب القيم: القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل -صلى الله عليه وسلم-
مجلة البيان.

----

١٥. الأعياد والمناسبات..المعتبرة في الإسلام

محمد عثمان
الأعياد جمع عيد. والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع أو بعود الشهور، أو نحو ذلك. فالعيد يجمع أموراً، منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة.
ومنها: اجتماع فيه.
ومنها: أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات وقد يختص ذلك بمكان بعينه.
وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً (١).
فالزمان كقوله - صلى الله عليه وسلم - ليوم الجمعة: "إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً" (رواه ابن ماجه).

والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس: "شهدت العيد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.." (متفق عليه). والمكان كقوله - صلى الله عليه وسلم -:"لا تتخذوا قبري عيداً".

وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع العيد والعمل فيه وهو الغالب كقوله - صلى الله عليه وسلم-:"دعهما يا أبا بكر!؛ فإن لكل قوم عيداً وإن هذا عيدنا" (متفق عليه).

لقد أكثر الناس القول في اعتبار المناسبات في الإسلام وعدم اعتبارها، ووقع فيها الإفراط والتفريط، وإذا نظرت إلى شريعة الإسلام وأحداثه عامة وخاصة؛ تجد المناسبات أو الأعياد على قسمين:

مناسبة معتبرة عني بها الشرع لما فيها من عظة وذكرى تتجدد مع تجدد الأيام والأجيال وتعود على الفرد والجماعة بالتزود منها.

ومناسبة لم تعتبر، إما لاقتصارها في ذاتها، أو عدم استطاعة الأفراد مسايرتها.

فمن الأول يوم الجمعة، وقد عني بها الإسلام في الحث على القراءة المنوه عنها في صلاة الفجر، وفي الحث على أدائها والحفاوة بها من اغتسال وطيب وتبكير إليها، ولكن من غير غلو ولا إفراط. فقد جاء النهي عن صوم يومها وحده دون أن يسبق بصوم قبله أو يلحق بصوم بعده. كما نهى عن إفراد ليلتها بقيام، والنصوص في ذلك متضافرة ثابتة معلومة.

فكان يوم الجمعة مناسبة معتبرة مع اعتدال وتوجه إلى الله بدون إفراط أو تفريط. وذلك أن يوم الجمعة هو يوم آدم عليه السلام، فيه خلق، وفيه خلقت فيه الروح، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تِيبَ عليه، وفيه تقوم الساعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - بهذه المناسبة: "إن قراءة سورة السجدة وسورة الإنسان معاً في يوم الجمعة لمناسبة خلق آدم في يوم الجمعة ليتذكر الإنسان في هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - مبدأ خلق أبيه ادم، ومبدأ خلق عموم الإنسان، ويتذكر مصيره ومنتهاه ليرى ما هو عليه من دعوة الرسول وهل هو شاكر أو كفور؟) [أضواء البيان].

وكما قيل يوم الجمعة يوم آدم، قيل في يوم الاثنين يوم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم - أي فيه وُلد، وفيه أنزل عليه، فقد جاء عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه سئل عن صيام يوم الاثنين. فقال: "هذا يوم ولدت فيه وعليَّ فيه أنزل" (٢) وكان يوم وصوله المدينة في الهجرة.

أما ما يفعله كثير من الناس في هذه الأزمنة من احتفالات ومظاهر فقد حدث ذلك بعد أن لم يكن لا في القرن الأول ولا الثاني ولا الثالث وهي القرون المشهود لها بالخير كما جاء الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". والذين أحدثوا هذه البدعة هم الفاطميون في القرن الرابع. يقول الشيخ محمد أمين الشنقيطي - رحمة الله عليه -: (وقد افترق الناس في هذا الأمر إلى فريقين: فريق ينكره وينكر على من يفعله، لعدم فعل السلف إياه ولا مجيء أثر في ذلك. وفريق يراه جائزاً لعدم النهي عنه، وقد يشدد كل فريق على الآخر في هذه المسألة ولشيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" كلام وسط في غاية الإنصاف. نورد موجزه لجزالته والله الهادي إلى سواء السبيل.

قال - رحمه الله - في فصل قد عقده للأعياد المحدثة فذكر أول جمعة من رجب، وعيد غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة حيث خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - وحث على اتباع السنة وأهل بيته ثم أتى إلى عمل المولد.
وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في عيد ميلاد المسيح، وإما محبة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولده -صلى الله عليه وسلم- عيداً مع اختلاف الناس في مولده أي في ربيع أو في رمضان فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع له.
يضيف شيخ الإسلام: (ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف - رضي الله عنهم - أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص.
وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سننه باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.
وأكثر هؤلاء الذين تراهم حرصاء على أمثال هذه البدع - مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة - تجدهم فاترين في أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة وأمثال هذه الزخارف الظاهرة - التي لم تشرع - ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها" ا.هـ (اقتضاء، ص٢٩٥).
وليس بصحيح ما يزعمه بعض المبتدعة من تسمية المولد إحياءً لذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ فالله أحيا ذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث قرن ذكره مع ذكره - تعالى - في الشهادتين ومع كل أذان وكل إقامة لأداء صلاة وفي كل تشهد في فرض أو نفل مما يزيد على الثلاثين مرة.
ومن المناسبات المعتبرة: شهر رمضان المبارك بكامله لكونه أنزل فيه القرآن:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ) [البقرة:١٨٥].
ومن المناسبات ليلة القدر لبدء نزول القرآن فيها لقوله - تعالى -:(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) ومَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)) [القدر]، ثم بين مقدارها (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) وبين خواصها (تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤))، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحتفي بها ويلتمسها في العشر الأواخر وفي الوتر من العشر الأواخر، فكان -صلى الله عليه وسلم- يعتكف العشرة كلها التماساً لتلك الليلة. روى البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر".
ومن المناسبات يوم عاشوراء، فلقد كان لهذا اليوم تاريخ قديم، وكانت العرب تعظمه في الجاهلية وتكسو فيه الكعبة، ولما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة وجد

اليهود يصومونه؛ فقال لهم: لِمَ تصومونه؟ فقالوا: يوماً نجى الله فيه موسى من فرعون فصامه شكراً له، فصمناه. فقال -صلى الله عليه وسلم-: نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه".
روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسُئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه نبي الله موسى وبني إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "نحن أولى بموسى منكم، فأمر بصومه".
إن نجاة نبي الله موسى من عدو الله فرعون مناسبة عظيمة، نصرة الحق على الباطل وانتصار جند الله وإهلاك جند الشيطان. وهذا بحق مناسبة يهتم لها كل مسلم؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: "نحن أحق بموسى منكم؛ نحن - معشر الأنبياء - أبناء علات، ديننا واحد".
وقد كان صيام عاشوراء فرضاً حتى نُسخ بفرض رمضان وهكذا مع عظيم مناسبته من إعلان كلمة الله ونصرة رسوله كان ابتهاج موسى عليه السلام به في صيامه شكراً لله.
ومن هذه المناسبات المعتبرة عيد الفطر وعيد الأضحى وهما مناسبتان عظيمتان لحديث أنس بن مالك الذي رواه أبو داود في سننه: "قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى" (رواه أبو داود والحديث على شرط مسلم).
ومما يعتبر ذا صلة بهذا المبحث في الجملة ما نقله الإمام ابن كثير في تفسيره - عند قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً) [المائدة:٣] - قال عندها:
"روى الإمام أحمد عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا - معشر اليهود - نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية؟ قال: قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)؛ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذين نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والساعة التي نزلت فيها عشية عرفة في يوم الجمعة" (رواه البخاري ومسلم).
وروي عن كعب قوله: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه.
الأعياد غير المعتبرة في الإسلام:
عيد الميلاد:
يحتفل النصارى بيوم ولادة عيسى ويظهرون الأفراح والسرور ويعطلون الدوائر والأعمال، ويهنئ بعضهم بعضاً، ويتزاورون ويظهرون شعار دينهم، وقد قلدهم وشابههم كثير من جهال المسلمين وذوي الرئاسة والسياسة. ففي أعمال كثير من المسلمين في هذا العيد أنهم يعطلون الدوائر الحكومية والشركات وبعض التجار الكبار تعظيماً لهذا اليوم، احتراماً له ويزورون أصدقاءهم النصارى ويرسلون لمن

كان منهم بعيداً بطاقات تهنئة. والرؤساء والملوك يرسلون برقيات تهنئة للدول التي تزعم أنها تدين بالمسيحية.
وهذا العيد وغيره من الأعياد التي ابتلي بها كثير من البلاد الإسلامية - كعيد الوطن، وكعيد العلم، وعيد الأم وعيد الشجرة وعيد النظافة، وعيد الولادة، وعيد الأسرة، وعيد الأولياء -كلها محرمة في دين الإسلام؛ لمشابهتها الكفار في أعيادهم ولا شك أن في هذا إحياءً لسنن الجاهلية، وإماتة الشرائع الإسلامية في قلوب المسلمين، وإن كان أكثر الناس لا يشعرون بذلك لشدة استحكام ظلمة الجاهلية في قلوبهم، ولا ينفعهم ذلك الجهل عذراً بل هو الجريمة التي تولّد عنها كل الجرائم من الكفر والفسوق والعصيان.
قال شيخ الإسلام: إن أعياد أهل الكتاب والأعاجم نهي عنها لسببين:
١- أحدهما: أن فيها مشابهة للكفار.
٢- والثاني: أنها من البدع.
فما أحدث من المواسم والأعياد هو منكر؛ وإن لم يكن فيه مشابهة لأهل الكتاب من وجهين:
أحدهما: أن ذلك داخل في مسمى البدع والمحدثات؛ فيدخل فيما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد.. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد. وشر الأمور محدثاتها. وكل بدعة ضلالة" (اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٦٦).
وحديث أبي سعيد في الصحيحين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم". قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟!، قال: فمَن؟! ".
بدع الشهور:
هناك بدع كثيرة يصعب حصرها في هذه العجالة ولكني أذكر نبذة منها:
١- استقبال الرافضة شهر محرّم بالحزن والهم والخرافات والأباطيل، فيصنعون ضريحاً من الخشب مزيناً بالأوراق الملونة يسمونه ضريح الحسين أو كربلاء. وخلال هذا الشهر تمنع الزينة فتضع النسوة زينتهن ولا يأكل الناس اللحوم وتشعل النيران ويتواثب الناس عليها والأطفال يطوفون الطرقات يصيحون: يا حسين!.. يا حسين!.
٢- بدع صفر: كان بعض الناس يمتنعون فيه عن السفر أو إقامة أي حفل، ويظهرون التشاؤم والتطير.
٣- ربيع الأول: بدعة المولد، أي إقامة احتفالات لمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- وكذلك ما يسمونه بليلة الإسراء والمعراج فتقام الولائم وتضاء الشموع وتصلّى النوافل.
٤- وفي شعبان: ما يسمونه ليلة النصف من ليلة البراءة؛ حيث يعتقدون غفران الذنوب وإطالة الأعمار وزيادة الأرزاق.

٥- بدع شهر رمضان: اهتمام الناس بالجمعة الأخيرة منه فيصلي مَن كان لا يصلي بقية أيامه.
والصواب - الذي عليه المحققون من أهل العلم - النهي عن إفراد هذا اليوم بالصوم، وعن
هذه الصلاة المحدثة، وعن كل تعظيم لهذا اليوم من صنع الأطعمة وإظهار الزينة ونحو ذلك حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من بقية الأيام وحتى لا يكون له مزيَّة أصلاً.
الخلاصة:
خلاصة القول أننا نستفيد من هذه العجالة أموراً:
* منها أن الإسلام لم يشرع الاحتفال بولادة أو بموت أحد.
* ومنها: أن هذه المناسبات قد تعددت حتى غدا الإسلام احتفالات وأعياداً. فقد يقول قائل: أنا أحتفل بيوم ولادة النبي - عليه الصلاة والسلام - وقد يقول آخر: أحتفل بيوم الهجرة؛ لأنه بالهجرة فرَّق الله بين الحق والباطل واعتز المسلمون وصارت لهم دولة؛ فتستحق الاحتفال بها، وإظهار التعظيم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم -.
وقد يقول آخر: أنا أحتفل بيوم بدر؛ لأنه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، يوم أن نصر الله المسلمين على المشركين. وقد يقول آخر: أنا أحتفل بيوم فتح مكة يوم دخل الناس في دين الله أفواجاً. وقد يقول آخر: أنا أحتفل بيوم وفاته يوم انتقل إلى الرفيق الأعلى...
وهكذا تتعدد الآراء ويتفرق الناس على غير هدى، ومن غير دليل شرعي يحسم النزاع، ويوفر الجهد.
===========
الهوامش:
١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٨٩، ط. دار المعرفة.
٢ - مسند الإمام أحمد، ج٥، ص٢٧٩-٢٩٩، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام.
مجلة البيان

----

١٦. قوادح عقدية في بردة البوصيري

قوادح عقدية في بردة البوصيري
د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن ميميه البوصيري - المعروفة بالبردة - من أشهر المدائح النبوية وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، ولذا تنافس أكثر من مائه شاعر في معارضتها، فضلاً عن المشطّرين والمخمِّسين والمسبِّعين، كما أقبل آخرون على شرحها وتدريسها، وقد تجاوزت شروحها المكتوبة خمسين شرحاً، فيها ما هو محلى بماء الذهب! وصار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن.

يقول الدكتور زكي مبارك : وأما أثرها في الدرس، فيتمثل في تلك العناية التي كان يوجهها العلماء الأزهريون إلى عقد الدروس في يومي الخميس والجمعة لدراسة حاشية الباجوري على البردة، وهي دروس كانت تتلقاها جماهير من الطلاب، وإنما كانوا يتخيرون يومي الخميس والجمعة، لأن مثل هذا الدرس لم يكن من المقررات فكانوا يتخيرون له أوقات الفراغ(١).

وقد أطلق البوصيري على هذه القصيدة البردة من باب المحاكاة والمشاكلة للقصيدة الشهيرة لكعب بن زهير - رضي الله عنه - في مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ؛ فقد اشتهر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطى كعباً بردته حين أنشد القصيدة - إن صح ذلك - (٢) فقد ادعى البوصيري - في منامه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ألقى عليه بردة حين أنشده القصيدة !!

وقد سمى البوصيري هذه القصيدة أيضاً ب الكواكب الدرية في مدح خير البرية(٣).

كما أن لهذه البردة اسماً آخر هو البرأة ؛ لأن البوصيري كما يزعمون برئ بها من علته، وقد سميت كذلك بقصيدة الشدائد ؛ وذلك لأنها - في زعمهم - تقرأ لتفريج الشدائد وتيسير كل أمر عسير.

وقد زعم بعض شراحها أن لكل بيت من أبياتها فائدة ؛ فبعضها أمان من الفقر، وبعضها أمان من الطاعون(٤).

يقول محمد سيد كيلاني - أثناء حديثه عن المخالفات الشرعية في شأن البردة -: ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة، بل وضعوا لقراءتها شروطاً لم يوضع مثلها لقراءة القرآن، منها : التوضؤ، واستقبال القبلة، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، وأن يكون القارئ عالماً بمعانيها، إلى غير ذلك. ولا شك في أن هذا كله من اختراع الصوفية الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس، وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراء البردة، كانت تُستدعى في الجنائز والأفراح، نظير أجر معين(٥).

وأما عن مناسبة تأليفها فكما قال ناظمها : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني خِلط فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة، فعملتها، واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وكررت إنشادها، وبكيت ودعوت، وتوسلت ونمت، فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت فيّ نهضة ؛ فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء، فقال لي : أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقلت : أيّها؟ فقال : التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولّها، وقال : والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فرأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يتمايل وأعجبته، وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام(٦).

ففي هذه الحادثة تلبّس البوصيري بجملة من المزالق والمآخذ، فهو يستشفع ويتقرب إلى الله - تعالى - بشرك وابتداع وغلو واعتداء - كما سيأتي موضحاً إن شاء الله -.

ثم ادعى أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- دون أن يبيّن نعته ؛ فإن من رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- حسب صفاته المعلومة فقد رآه، فإن الشيطان لا يتمثل به - كما ثبت في الحديث -.
ثم ادعى أن النبي في -صلى الله عليه وسلم- مسح على وجهه وألقى عليه بردة، فعوفي من هذا الفالج، فتحققت العافية بعد المنام دون نيل البردة! ثم التقى البوصيري - في عالم اليقظة - بأحد المتصوفة وأخبره بسماع القصيدة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- تمايل إعجاباً بالقصيدة، وهذا يذكّرنا بحديث مكذوب بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تواجد عند سماع أبيات حتى سقطت البردة عن منكبيه وقال: ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب.
قال شيخ الإسلام : إن هذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسنته وأحواله(٧).
وأما عن استجابة دعاء البوصيري مع ما في قصيدته من الطوامَّ، فربما كان لاضطراره وعظم فاقته وشدة إلحاحه السبب في استجابة دعائه.
يقول شيخ الإسلام : ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة أن الرجل منهم قد يكون مضطراً ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله، وان كان تحري الدعاء عند الوثن شركاً، ولو استجيب له على يد المتوسل به، صاحب القبر أو غيره لاستغاثته، فإنه يعاقب على ذلك ويهوي به في النار إذا لم يعفُ الله عنه، فكم من عبد دعا دعاء غير مباح، فقضيت حاجته في ذلك الدعاء، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة(٨).
وأما عن التعريف بصاحب البردة فهو : محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى بلدته أبو صير بين الفيوم وبني سويف بمصر، ولد سنة ٦٠٨ه، واشتغل بالتصوُّف، وعمل كاتباً مع قلة معرفته بصناعة الكتابة، ويظهر من ترجمته وأشعاره أن الناظم لم يكن عالماً فقيهاً، كما لم يكن عابداً صالحاً ؛ حيث كان ممقوتاً عند أهل زمانه لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح، كما أنه كثير السؤال للناس، ولذا كان يقف مع ذوي السلطان مؤيداً لهم سواء كانوا على الحق أم على الباطل.
ونافح البوصيري عن الطريقة الشاذلية التي التزم بها، فأنشد أشعاراً في الالتزام بآدابها، كما كانت له أشعار بذيئة يشكو من حال زوجه التي يعجز عن إشباع شهوتها!
توفي البوصيري سنة ٦٩٥هـ وله ديوان شعر مطبوع(٩).
وسنورد جملة من المآخذ على تلك البردة التي قد تعلّق بها كثير من الناس مع ما فيها من الشرك والابتداع. والله حسبنا ونعم الوكيل.
١- يقول البوصيري :
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة مَن لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم
ولا يخفى ما في عَجُز هذا البيت من الغلو الشنيع في حق نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، حيث زعم البوصيري أن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله -صلى الله عليه وسلم-، وقد قال - سبحانه: ((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) [الذاريات:٥٦]، وربما عوّل أولئك الصوفية على الخبر الموضوع : لولاك لما خلقت الأفلاك(١٠).

٢ـ قال البوصيري :
فاق النبيين في خَلق وفي خُلُق ولـم يـدانوه في عـلم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
أي أن جميع الأنبياء السابقين قد نالوا والتمسوا من خاتم الأنبياء والرسل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فالسابق استفاد من اللاحق! فتأمل ذلك وقارن بينه وبين مقالات زنادقة الصوفية كالحلاج القائل : إن للنبي نوراً أزلياً قديماً كان قبل أنه يوجد العالم، ومنه استمد كل علم وعرفان ؛ حيث أمدّ الأنبياء السابقين عليه.. وكذا مقالة ابن عربي الطائي أن كل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي يأخذ من مشكاة خاتم النبيين(١١).
٣ـ ثم قال :
دع ما ادعته النصارى في نبيهمُ واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ منتقداً هذا البيت : ومن المعلوم أن أنواع الغلو كثيرة، والشرك بحر لا ساحل له، ولا ينحصر في قول النصارى ؛ لأن الأمم أشركوا قبلهم بعبادة الأوثان وأهل الجاهلية كذلك، وليس فيهم من قال في إلهه ما قالت النصارى في المسيح ـ غالباً ـ : إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، بل كلهم معترفون أن آلهتهم ملك لله، لكن عبدوها معه لاعتقادهم أنها تشفع لهم أو تنفعهم فيحتج الجهلة المفتونون بهذه الأبيات على أن قوله في منظومته : دع ما ادعته النصارى في نبيهم مَخْلَصٌ من الغلو بهذا البيت، وهو قد فتح ببيته هذا باب الغلو والشرك لاعتقاده بجهله أن الغلو مقصور على هذه الأقوال الثلاثة(١٢).
لقد وقع البوصيري وأمثاله من الغلاة في لبس ومغالطة لمعنى حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- : لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله(١٣)، فزعموا أن الإطراء المنهي عنه في هذا الحديث هو الإطراء المماثل لإطراء النصارى ابن مريم وما عدا ذلك فهو سائغ مقبول، مع أن آخر الحديث يردّ قولهم ؛ فإن قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله تقرير للوسطية تجاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فهو عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذب، والمبالغة في مدحه تؤول إلى ما وقع فيه النصارى من الغلو في عيسى ـ عليه السلام ـ، وبهذا يُعلم أن حرف الكاف في قوله -صلى الله عليه وسلم- : كما أطرت هي كاف التعليل، أي كما بالغت النصارى(١٤).
ويقول ابن الجوزي ـ في شرحه لهذا الحديث ـ : لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه ؛ لأنَّا لا نعلم أحداً ادعى في نبينا ما ادعته النصارى في عيسى ـ عليه السلام ـ وإنما سبب النهي فيما لم يظهر ما وقع في حديث معاذ بن جبل لما استأذن في السجود له فامتنع ونهاه ؛ فكأنه خشي أن يبالغ غيره بما هو فوق ذلك فبادر إلى النهي تأكيداً للأمر(١٥).
٤ ـ وقال أيضاً :
لو ناسبت قدره آياته عِظماً أحيا اسمه حين يُدعى دارس الرمم

يقول بعض شرّاح هذه القصيدة : لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله - تعالى - وكل قربه وزلفاه عنده لكان من جملة تلك الآيات أن يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه وحرمة ذكره(١٦).

يقول الشيخ محمود شكري الآلوسي منكراً هذا البيت : ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغلو ؛ فإن من جملة آياته -صلى الله عليه وسلم- القرآن العظيم الشأن ؛ وكيف يحل لمسلم أن يقول : إن القرآن لا يناسب قدر النبي -صلى الله عليه وسلم-، بل هو منحط عن قدره ثم إن اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنى إذا ذكرها الذاكر لها تحيي دارس الرمم؟(١٧).

٥- وقال أيضا :

لا طيب يعدل ترباً ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقد جعل البوصيري التراب الذي دفنت فيه عظام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أطيب وأفضل مكان، وأن الجنة والدرجات العلا لمن استنشق هذا التراب أو قبَّله، وفي ذلك من الغلو والإفراط الذي يؤول إلى الشرك البواح، فضلاً عن الابتداع والإحداث في دين الله - تعالى -.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يقبله، وهذا كله محافظة على التوحيد(١٨).

٦- ثم قال :

أقسمتُ بالقمر المنشق إنّ له   من قلبه نسبة مبرورة القسم

ومن المعلوم أن الحلف بغير الله - تعالى - من الشرك الأصغر ؛ فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك(١٩).

وقال ابن عبد البر - رحمه الله-: لا يجوز الحلف بغير الله - عز وجل - في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه... إلى أن قال: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها، لا يجوز الحلف بها لأحد(٢٠).

٧- قال البوصيري :

ولا التمست غنى الدارين من يده   إلا استلمت الندى من خير مستلم

فجعل البوصيري غنى الدارين مُلتَمساً من يد النبي -صلى الله عليه وسلم-، مع أن الله - عز وجل - قال : ((ومَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)) [النحل:٥٣]، وقال - سبحانه - : ((فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ واعْبُدُوهُ)) [العنكبوت:١٧]، وقال - تعالى - : ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ)) [يونس:٣١]، ((قُلِ ادْعُوا الَذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ الله لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ)) [سبأ:٢٢] .

وأمر الله نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة المذكورة في قوله - تعالى - : ((قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الغَيْبَ ولا أَقُولُ لَكُمْ إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إلَيَّ)) [الأنعام:٥٠].

٨- قال البوصيري :

فإن لي ذمة منه بتسميتي   محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

وهذا تخرُّص وكذب ؛ فهل صارت له ذمة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمجرد أن اسمه موافق لاسمه؟! فما أكثر الزنادقة والمنافقين في هذه الأمة قديماً وحديثاً الذين يتسمون بمحمد!

و يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - تعقيباً على هذا البيت : قوله : فإن لي ذمة... إلى آخره كذب على الله وعلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- فليس بينه وبين اسمه محمد ذمة إلا بالطاعة، لا بمجرد الاشتراك في الاسم مع الشرك(٢١).

فالاتفاق في الاسم لا ينفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة(٢٢).

٩- وقال البوصيري :

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي   فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

والشاعر في هذا البيت ينزل الرسول منزلة رب العالمين ؛ إذ مضمونه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- هو المسؤول لكشف أعظم الشدائد في اليوم الآخر، فانظر إلى قول الشاعر، وانظر في قوله - تعالى - لنبيه -صلى الله عليه وسلم- : ((قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) [الزمر:١٣].

ويزعم بعض المتعصبين للقصيدة أن مراد البوصيري طلب الشفاعة ؛ فلو صح ذلك فالمحذور بحاله، لما تقرر أن طلب الشفاعة من الأموات شرك بدليل قوله - تعالى - : ((ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنفَعُهُمْ ويَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ ولا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [يونس:١٨]، فسمى الله - تعالى - اتخاذ الشفعاء شركاً(٢٣).

١٠- وقال :

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

يقول الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - تعقيباً على هذا البيت -: فتأمل ما في هذا البيت من الشرك :

منها : أنه نفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث إلا النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا هو.

ومنها : أنه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية(٢٤).

وانتقد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب هذا البيت قائلاً : فعظم البوصيري النبي -صلى الله عليه وسلم- بما يسخطه ويحزنه؛ فقد اشتد نكيره - صلى الله عليه وسلم - عما هو دون ذلك كما لا يخفى على من له بصيرة في دينه ؛ فقصر هذا الشاعر لياذه على المخلوق دون الخالق الذي لا يستحقه سواه ؛ فإن اللياذ عبادة كالعياذ، وقد ذكر الله عن مؤمني الجن أنهم أنكروا استعاذة الإنس بهم بقوله: ((وأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)) [الجن: ٦]، أي طغياناً، واللياذ يكون لطلب الخير، والعياذ لدفع الشر، فهو سواء في الطلب والهرب(٢٥).

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - عن هذا البيت : فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . إنا لله وإنا إليه راجعون(٢٦).

١١- وقال البوصيري :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تحلى باسم منتقم

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : سؤاله منه أن يشفع له في قوله : ولن يضيق رسول الله... إلخ، هذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوهم وهو الجاه والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، وأيضاً فإن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله فلا معنى لطلبها من غيره ؛ فإن الله - تعالى - هو الذي يأذن للشافع أن يشفع لا أن الشافع يشفع ابتداءاً(٢٧).

١٢- وقال أيضا :

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وإفضاله، والجود هو العطاء والإفضال ؛ فمعنى الكلام : أن الدنيا والآخرة له -صلى الله عليه وسلم-، والله - سبحانه وتعالى - يقول : ((وإنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ والأولَى)) [الليل:١٣](٢٨).

وقوله : ومن علومك علم اللوح والقلم. في غاية السقوط والبطلان ؛ فإن مضمون مقالته أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم الغيب، وقد قال - سبحانه - : ((قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللَّهُ)) [النمل:٦٥] وقال - عز وجل - : ((وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ ويَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ والْبَحْرِ ومَا تَسْقُطُ مِن ورَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)) [الأنعام:٥٩]، والآيات في هذا كثيرة معلومة(٢٩).

وأخيراً أدعو كل مسلم عَلِقَ بهذه القصيدة وولع بها أن يشتغل بما ينفع ؛ فإن حق النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما يكون بتصديقه فيما أخبر، واتباعه فيما شرع، ومحبته دون إفراط أو تفريط، وأن يشتغلوا بسماع القرآن والسنة والتفقه فيهما ؛ فإن البوصيري وأضرابه استبدلوا إنشاد وسماع هذه القصائد بسماع القرآن والعلم النافع، فوقعوا في مخالفات ظاهرة ومآخذ فاحشة.

وإن كان لا بد من قصائد ففي المدائح النبوية التي أنشدها شعراء الصحابة -رضي الله عنهم- كحسان وكعب بن زهير ما يغني ويكفي.

اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ؛ إنك حميد مجيد. (*)

==============

الهوامش :

(١) المدائح النبوية، ص ١٩٩.

(٢) يقول ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية (٤ /٣٧٣) : ورد في بعض الروايات أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعطاه بردته حن أنشده القصيدة.. وهذا من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أر ذلك في شيء، من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه ؛ فالله أعلم .

(٣) انظر مقدمة محقق ديوان البوصيري، ص ٢٩.
(٤) انظر المدائح النبوية لزكي مبارك، ص ١٩٧.
(٥) مقدمة ديوان البوصيري، ص ٢٩، ٣٠.
(٦) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، ٢٥٨/٢.
(٧) مجموع الفتاوى، ١١ /٥٩٨.
(٨) اقتضاء الصراط المستقيم، ٦٩٢/٢، ٦٩٣، باختصار.
(٩) انظر ترجمته في مقدمة ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص ٥ - ٤٤، وللمحقق كتاب آخر بعنوان : البوصيري دراسة ونقد .
(١٠) انظر : الصنعاني في موضوعاته، ص ٤٦ ح (٧٨)، والمسلسلة والموضوعة للألباني، ٢٩٩/١، ح(٢٨٢).
(١١) انظر تفصيل ذلك في كتاب محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعبد الرؤوف عثمان، ص ١٦٩ ـ ١٩٦.
(١٢) الدرر السنية، ٨١/٩، وانظر ٤٨/٩، وانظر : صيانة الإنسان للسهسواني (تعليق محمد رشيد رضا)، ص ٨٨.
(١٣) أخرجه البخاري، ح ./٣٤٤٥.
(١٤) انظر القول المفيد، ١ /٣٧٦، ومفاهيمنا لصالح آل الشيخ، ص ٢٣٦، ومحبة الرسول لعبد الرؤوف عثمان، ص ٢٠٨ .
(١٥) فتح الباري، ١٢ /١٤٩.
(١٦) غاية الأماني للآلوسي، ٢ /٣٤٩.
(١٧) غاية الأماني للآلوسي، ٢/ ٣٥٠، باختصار وانظر الدر النضيد لابن حمدان، ص ١٣٦.
(١٨) الرد على الأخنائي، ص ٤١.
(١٩) رواه أحمد، ح. /٤٥٠٩، والترمذي، ح./ ١٥٣٤.
(٢٠) التمهيد، ٣٦٦/١٤، ٣٦٧ .
(٢١) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٢.
(٢٢) انظر الدرر السنية، ٩ /٥١.
(٢٣) انظر الدرر السنية، ٤٩/٩، ٨٢، ٢٧١.
(٢٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٢١٩، ٢٢٠.
(٢٥) الدرر السنية، ٩/ ٨٠، وانظر ٤٩/٩، ٨٤، ١٩٣، ومنهاج التأسيس والتقديس لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ص ٢١٢.
(٢٦) الدر النضيد، ص ٢٦.
(٢٧) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٢٠، وانظر الدرر السنية، ٥٢/٩.
(٢٨) انظر الدرر السنية، ٤٩، ٥٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٢٦٨.
(٢٩) انظر الدرر السنية، ٥٠/٩، ٦٢، ٨١، ٨٢، ٢٦٨، ٢٧٧.
(*) نقلا عن قرص مجلة البيان عدد ١٣٩

----

١٧. رسالة "حكم الاحتفال بالمولد والرد على من أجازه"

رسالة "حكم الاحتفال بالمولد والرد على من أجازه "
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه.
أما بعد:
فإن مما أحدث بعد القرون المشهود لها بالخير بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وقد تجاهل محمد مصطفى الشنقيطي ذلك؛ حيث برر البدعة في مقالته المنشورة في جريدة (الندوة) (عدد ١١١٢) الصادر في ٧ / ٤ / ١٣٨٣ هـ بأمور:
أحدها: دعوى تلقي الأمم الإسلامية هذا الاحتفال بالقبول منذ مئات السنين.
الثاني: تقسيم العز بن عبد السلام البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة.
الثالث: قول عمر بن الخطاب في قضية التراويح:(نعمت البدعة).
الرابع: قول عمر بن عبد العزيز:(تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور).
الخامس: دعوى الكاتب: أن في إقامة الاحتفال بالمولد صون عرض المملكة العربية السعودية عن أن تنسب إلى تنقص النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يذاع عنها تنقصه وإحراق كتب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.
فلهذا وجب نقض هذه الشبه التي أتي بها هذا الشخص أولاً، وبيان حكم المولد ثانياً.
فنقول وبالله التوفيق:
أما دعوى الشنقيطي: أن الاحتفال بذكرى المولد النبوي ـ وإن كان بدعة ـ فقد تلقته الأمة بالقبول، فمن أقوى الأدلة على جهالته؛ لأمور:
أحدها: أن الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة، والبدعة في الدين بنص الأحاديث النبوية ضلالة، فمقتضى كلام الشنقيطي: أن الأمة اجتمعت في قضية الاحتفال بالمولد على ضلالة.
الثاني: أن الاحتجاج على تحسين البدع بهذه الدعوى ليس بشيء في أمر تركته القرون الثلاثة المقتدى بهم، كما بينه الشاطبي في(الاعتصام) نقلاً عن بعض مشايخه، ثم قال:
(ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول: لو كان هذا منكراً لما فعله الناس)، ثم قال:(وما أشبه هذه المسألة بما حُكي عن أبي علي بن شاذان بسند يرفعه إلى أبي عبد الله ابن إسحاق الجعفري قال: كان عبد الله بن الحسن ـ يعني: ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ـ يكثر الجلوس إلى ربيعة، فتذاكروا يوماً، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا، فقال عبد الله: أرأيت إن كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكام أفهم الحجة على السنة؟ فقال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ":
(من اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليها بناءً على أن الأمة أقرتها ولم تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد، فإنه لم يزل في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المستحدثة المخالفة للسنة)، قال:(ولا يجوز دعوى إجماع بعمل بلد أو بلاد من بلدان المسلمين، فكيف بعمل طوائف منهم!)، قال:(وإذا كان أكثر أهل العلم لم

يعتمدوا على عمل أهل المدينة وإجماعهم في عصر مالك، بل رأوا السنة حجة عليهم كما هي حجة على غيرهم مع ما أُتوه من العلم والإيمان، فكيف يعتمد المؤمن العالم على عادات أكثر من اعتادها عامة، أو من قيدته العامة، أو قوم مترئسون بالجهالة لم يرسخوا في العلم، ولا يعدون من أولي الأمر، ولا يصلحون للشورى، ولعلهم لم يتم إيمانهم بالله وبرسوله، أو قد دخل معهم فيها بحكم العادة قوم من أهل الفضل عن غير روية أو لشبهة، أحسن أحوالهم فيها أن يكونوا فيها بمنزلة المجتهدين).
ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الاحتجاج بمثل هذه الحجة ـ وهي دعوى الإجماع على العادات المخالفة للسنة ـ ليس طريقة أهل العلم؛ لكن لكثرة الجهالة قد يستند إلى مثلها خلق من الناس حتى من المنتسبين إلى العلم والدين، وذكر أن الاستناد إلى أمور ليست مأخوذة عن الله ولا رسوله ليس من طريقة أولي العلم والإيمان، ثم قال:(والمجادلة المحمودة إنما هي بإبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال، وأما إظهار الاعتماد على ما ليس هو المعتمد في القول والعمل فنوع من النفاق في العلم والجدل والكلام والعمل).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في " الاقتضاء ": (ما أكثر ما قد يحتج بعض من يتميز من المنتسبين إلى علم أو عبادة بحجج ليست من أصول العلم التي يعتمد في الدين عليها). وذكر أن التعلق في تحسين البدع بما عليه الكثير من الناس إنما يقع ممن لم يحكم أصول العلم؛ فإنه هو الذي يجعل ما اعتاده هو ومن يعرفه إجماعاً، وإن لم يعلم قول سائر المسلمين في ذلك ويستنكر تركه.
وذكر الشاطبي في " الاعتصام ": أن منشأ الاحتجاج بعمل الناس في تحسين البدع الظن بأعمال المتأخرين وإن جاءت الشريعة بخلاف ذلك، والوقوف مع الرجال دون التحري للحق.
الأمر الثالث: ما سنذكره عن علماء المسلمين من احتواء الاحتفال بالمولد على المحرمات، وبيان أن ما لم يحتو على المحرمات منه بدعة.
وأما تقسيم الشنقيطي البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة، وتمثيله للبدعة الواجبة بنقط حروف القرآن وتشكيلها وبناء مدارس العلم.
فالجواب عنه: أن هذا التقسيم في غاية المناقضة لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: " أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة "، وفي رواية النسائي: " وكل ضلالة في النار" وروى أصحاب السنن عن العرباض بن سارية، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّو عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة ".
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في " الاقتضاء ":(لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلية، وهي قوله: " كل بدعة ضلالة " بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل)، وقال:(إن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله

صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم)، وذكر شيخ الإسلام: أن تخصيص عموم النهي عن البدع بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع لا يقبل، فالواجب التمسك بالعموم.

وقال الشاطبي في " الاعتصام " في رد تقسيم البدعة إلى أحكام الشرع الخمسة:

(أن هذا التقسيم أمر مخترع، لا يدل عليه دليل شرعي)، قال:(هو ـ أي: هذا التقسيم ـ في نفسه متدافع؛ فإن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي؛ لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هناك من الشرع ما يدل على وجوب أو ندب أو إباحة؛ لما كان ثم دعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها، أو المخير فيها.

فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متناقضين.

أما المكروه منها والمحرم؛ فمسلم من جهة كونها بدعاً لا من جهةٍ أخرى، إذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته؛ لم يثبت ذلك كونه بدعة؛ لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم إلا الكراهية والتحريم).

وممن تعقب تقسيم العز بن عبد السلام البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة العلامة زروق في " شرح رسالة القيرواني "، قال بعد ذكر هذا التقسيم:

(قال المحققون: إنما تدور ـ أي البدعة ـ بين محرم ومكروه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: " كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " وكلام العلماء في رد هذا التقسيم كثير.

وأما التمثيل بنقط المصحف وتشكيله وبناء المدارس للبدعة الواجبة فليس بمسلم؛ لأن ما ذكر ليس من البدعة في الدين، فإن نقط المصحف وتشكيله إنما هما لصيانة القرآن من اللحن والتحريف، وهذا واجب شرعاً.

وأما بناء المدارس للعلم فيقول الشاطبي في " الاعتصام " رداً على التمثيل به للبدعة ما نصه:(أما المدارس؛ فلا يتعلق بها أمر تعبدي يقال في مثله: بدعة؛ إلا على فرض أن يكون من السنة أن لا يقرأ العلم إلا في المساجد، وهذا لا يوجد، بل العلم كان في الزمان الأول يبث بكل مكان؛ من مسجد، أو منزل، أو سفر، أو حضر، أو غير ذلك، حتى في الأسواق فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعين بإعدادها الطلبة؛ فلا يزيد ذلك على إعداده له منزلاً من منازله، أو حائطاً من حوائطه، أو غير ذلك، فأين مدخل البدعة ههنا؟!

وإن قيل: إن البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره، فالتخصيص هنا ليس بتخصيص تعبدي، وإنما هو تعيين بالحبس كما تتعين سائر الأمور المحبسة).

وأما استدلال الشنقيطي على أن البدعة في الدين تكون حسنة بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قضية التراويح:(نعمت البدعة هذه) فاستدلال ليس في محله، فإن عمر لم يقصد بذلك تحسين البدعة في الدين.

قال الشاطبي في " الاعتصام ":(إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله

عنه لا أن هذه بدعة من حيث المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي)، قال:(وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم ":(أما قول عمر:(نعمت البدعة هذه) فأكثر المحتجين بهذا؛ لو أردنا أن نثبت حكماً بقول عمر الذي لم يخالف فيه؛ لقالوا:(قول الصاحب ليس بحجةٍ)، فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ومن اعتقد قول الصاحب حجة؛ فلا يعتقده إذا خالف الحديث.
فعلى التقديرين: لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب).
ثم قال:(ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية؛ فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي).
ثم قال:(فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دل على استحباب فعلٍ، أو إيجابه بعد موته، أو دل عليه مطلقاً، ولم يعمل به ألا بعد موته، ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبوبكر رضي الله عنه، فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته، صح أن يسمى بدعة في اللغة؛ لأنه عمل مبتدأ.
قال: وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم:(كل بدعةٍ ضلالة) لم يرد به كل عمل مبتدأ؛ فإن دين الإسلام، بل كل دين جاءت به الرسل؛ فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم).
قال:(وإذا كان كذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى، وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا: " إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن يفرض عليكم، فصلوا في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة "، فعلل صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضي للخروج قائم، وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم، فلما كان في عهد عمر؛ جمعهم على قارئ واحدٍ، وأسرج المسجد فصارت هذه الهيئة ـ وهي اجتماعهم في المسجد وعلى إمامٍ واحدٍ مع الإسراج ـ عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى بذلك، وإن لم يكن بدعة شرعية، لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض، وخوف الافتراض زال بموته صلى الله عليه وسلم، فانتفى المعارض).
وقال شيخ الإسلام أيضاً في " الاقتضاء ":(أما صلاةَ التراويح فليست بدعة في الشريعة، بل هي سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله، فإنه قال: " إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه "، ولا صلاتها جماعة بدعة، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين، بل ثلاثاً.
وصلاها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات، وقال: " إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة "، لما قام بهم حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح.

رواه أهل السنن، وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال الانفراد.
وفي قوله هذا ترغيب في قيام شهر رمضان خلف الإمام، وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقاً، وكان الناس يصلونها جماعة في المسجد على عهده صلى الله عليه وسلم و يقرهم، وإقراره سنة منه صلى الله عليه وسلم).
وأما استدلال الشنقيطي على استحسان الابتداع في الدين بما عزاه إلى عمر بن عبد العزيز أنه قال:(تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور) يقصد الشنقيطي بذلك: القياس، أي: فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور.
فقد أجاب الإمام الشاطبي في " الاعتصام " عن هذا الاستدلال بأمور:
أولها: أن هذا قياس في مقابلة النص الثابت في النهي عن الابتداع، وهو من باب فساد الاعتبار.
الثاني: أن هذا قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي.
الثالث: أن هذا الكلام على فرض ثبوته عن عمر بن عبد العزيز لا يجوز قياس إحداث العبادات عليه؛ لأن كلام عمر إنما هو في معنى عادي يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم؛ كتضمين الصناع، أو الظنة في توجيه الأيمان دون مجرد الدعاوى، فيقول: أن الأولين توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة، فلما حدثت أضدادها أختلف المناط، فوجب اختلاف الحكم، وهو حكم رادع أهل الباطل عن باطلهم، فأثر هذا المعنى ظاهر مناسب، بخلاف ما نحن فيه فإنه على الضد من ذلك، ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلاً عن النوافل ـ وهي ما هي من القلة والسهولة ـ فما ظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها ويحضون على استعمالها، فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى تؤدي إلى أعظم من الكسل الأول وإلى ترك الجميع، فإن حدث للعامل بالبدعة هو في بدعته أو لمن شايعه فيها فلا بد من كسله عن ما هو أولى، قال: فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو أولى منها بالإبطال أو الإخلال، وقد مر أنه ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنة ما هو خير منها.
الرابع: أن هذا القياس مخالف لأصل شرعي، وهو طلب النبي صلى الله عليه وسلم السهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد، فزيادة وظيفة لم تشرع تظهر ويعمل بها دائماً في مواطن السنن هي تشديد بلا شك، فليس قصد عمر بن عبد العزيز بهذا الكلام على فرض ثبوته عنه فتح السبيل إلى إحداث البدع.
وقال العلامة قاسم بن عيسى بن ناجي المالكي في " شرح رسالة القيرواني"
في معنى(تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور) قال:(معناه: ما أحدثوا من الفجور مما ليس فيه نص)، وقال: قال التقي السبكي في الكتاب الذي ألفه في شأن رافضي جاهر بلعنة أبي بكر الصديق، وقال فيه: عدو الله، فقتله القاضي المالكي، قال في هذه الكلمة بعدما عزاها إلى مالك بن أنس بلفظ:(يحدث للناس أحكام بقدر ما يحدثون من الفجور): لا نقول إن الأحكام تتغير بتغير الزمان، بل باختلاف الصورة الحادثة، فإذا حدثت صورة على صفة خاصة علينا أن ننظر فيها، فقد يكون مجموعها يقتضي الشرع له حكماً، على هذا حمل التقي السبكي هذه الكلمة، وذكر

أنها منطبقة على قضية الرافضي؛ لكون صورتها مجموعة من إظهار سب الصديق في ملأ من الناس ومجاهرته وإصراره عليه وإعلاء البدعة وغمض السنة، ونقل السيوطي هذا التأويل عن السبكي في " الحاوي ".
ومن هذه النقول يعلم أن عمر بن عبد العزيز لم يقصد بهذه الكلمة فتح أي باب يناقض الشريعة، وكيف ينسب إلى عمر بن عبد العزيز فتح باب الابتداع في الدين، وهو الذي يقول حينما بايعه الناس بعدما صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه:(يا أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة، ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإن الحلال ما أحله الله في كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع).

وأما دعوى الشنقيطي: أن عدم احتفال المملكة السعودية بالمولد النبوي يعرضها إلى أن تُنسب من قبل الدول الأخرى إلى تنقص الرسول صلى الله عليه وسلم وازدرائه حيث تحتفل بغيره ولا تحتفل لمولده، ويذاع عنها ذلك، كما يذاع عنها أنها تحرق كتب الصلاة عليه، فهذا من عندياته، وذلك لأمور:
أحدها: أن الحكومات الإسلامية كلها تعترف للحكومة السعودية بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، مع علمها بأنها لا تحتفل بالمولد النبوي مخافة من الابتداع، وأقرب شاهد في زماننا هذا على ذلك إقبال وفودها على المؤتمر الإسلامي الذي يعقد بمكة، فإنه لا يتصور ذلك الإقبال الشديد على من يتهم بما ذكره الشنقيطي، وكذلك على الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتلك الإشاعات التي يشير إليها الشنقيطي إنما حاول المبطلون التنفير بها عن دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. وكان الشيخ يجيب عن كل ذلك بقوله:(سبحانك هذا بهتان عظيم).
وكان يذكر أن ما ينسب إليه من إحراق كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليس له أصل، إلا أنه نصح بعض من يتعلق بكتاب " دلائل الخيرات " بأنه لا يصير هذا الكتاب أجل في قلبه من كتاب الله، فيظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن، ورغم هذه الافتراءات أبى الله إلا أن يظهر الحق ويبطل الباطل، ويعلي الدعوة التي حاول أولئك المبطلون التنفير عنها بمثل تلك الإشاعات الباطلة.
الثاني: أن القائل بـ: أن تارك الاحتفال بالمولد متنقص للنبي صلى الله عليه وسلم، إن أراد بقوله هذا أن ذلك اعتقاد التارك فقد كذب وافترى، وإن أراد أن ذلك تنقيص للنبي صلى الله عليه وسلم عما يستحقه شرعاً فالمرجع في ذلك إلى الكتاب والسنة، وما عليه القرون المشهود لها بالخير فنحاكم كل من يطالبنا بهذا إلى ذلك، فإن جاء بدليل صحيح صريح، وإلا فنحن مستمسكون بقول النبي صلى الله عليه وسلم:(كل بدعة ضلالة)، وبما روى أبو داود في سننه، عن حذيفة رضي الله عنه قال:(كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإن الأول لم يترك للآخر مقالاً)، ولا نصون أعراضنا في الدنيا بالتقرب إلى الله تعالى بما لم يشرعه.
الثالث: أن أكثر ما يقصد من تلك الاحتفالات التي تقام للرؤساء إحياء الذكرى، والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله في حقه:(ورفعنا لك ذكرك)(سورة الانشراح: ٤)،

فذكره مرفوع في الأذان والإقامة والخطب والصلوات وفي التشهد والصلاة عليه وفي قراءة الحديث واتباع ما جاء به، فهو أجل من أن تكون ذكراه سنوية فقط، ولكن الأمر كما قال السيد رشيد رضا في كتابه " ذكرى المولد النبوي " قال:(إن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم - أي البشر - في أمر الدين أو الدنيا؛ لأن هذا تعظيم لا مشقة فيه على النفس، فيجعلونه بدلاً مما يجب عليهم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا، و إنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم، والنصح له، والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ويعتز دينه إن كان رسولًا، وملكه إن كان ملكًا، وقد كان السلف الصالح أشد ممن بعدهم تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم للخلفاء، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني، ولاشك أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم، وليس من التعظيم الحق له أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تبديل أو تغيير لأجل تعظيمه به، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية.
ومازالوا يبتدعون بقصد التعظيم وحسن النية حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسلهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا، وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع لضاع أصل ديننا أيضًا، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل، فالواجب علينا أن نرجع إليه ونعض عليه بالنواجذ) اهـ.
هذا مع أن الاحتفال بالمولد النبوي إذا كان بطريق القياس على الاحتفالات بالرؤساء صار - أي النبي صلى الله عليه وسلم - ملحقاً بغيره وهذا ما لا يرضاه عاقل.
* حكم المولد
قسم العلماء الاجتماع الذي يعمل في ربيع الأول ويسمى باسم: المولد إلى قسمين:
أحدهما: ما خلا من المحرمات فهو بدعة لها حكم غيرها من البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " الفتاوى الكبرى ": أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي شهر رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال: عيد الأبرار - فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف الصالح ولم يفعلوها.
وقال في " الاقتضاء ":(إن هذا - أي اتخاذ المولد عيداً - لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه)، وقال:(ولو كان هذا خيراً محضًا، أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص).
وقال ابن الحاج في " المدخل ":(فإن خلا - أي المولد - منه - أي من السماع وتوابعه - وعمل طعامًا فقط، ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان، وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط، إذ إن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين، وإتباع السلف أولى، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه، لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيما له ولسنته صلى الله عليه وسلم، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد،

ونحن لهم تبع، فيسعنا ما وسعهم، وقد علم أن إتباعهم في المصادر والموارد، كما قال الشيخ أبو طالب المكي ـ رحمه الله ـ في كتابه.
وقد جاء في الخبر:(لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً)، وقد وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما يأتي بعد؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة، ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر، فإنا لله وإنا إليه راجعون) ا.هـ.
وقال العلامة تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندراني المشهور بـ:(الفاكهاني) في رسالته في المولد المسماة بـ " المورد في عمل المولد ": (لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكالون، بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً.
وهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة الندب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون ـ فيما علمت ـ وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت.
ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين. فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً، أو حراماً).
ثم صور الفاكهاني نوع المولد الذي تكلم فيه بما ذكرنا بأنه: هو أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام، قال:(فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، سُرُجُ الأزمنة وزَيْن الأمكنة) اهـ.
ويرى ابن الحاج في " المدخل ": أن نية المولد بدعة، ولو كان الاشتغال في ذلك اليوم بصحيح البخاري، وعبارته:(وبعضهم ـ أي المشتغلين بعمل المولد ـ يتورع عن هذا ـ أي سماع الغناء وتوابعه ـ بقراءة البخاري وغيره عوضاً عن ذلك، هذا وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير، لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق به على الوجه الشرعي لا بنية المولد، ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى، ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لها لكان مذموماً مخالفاً، فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها).
هذا ما بينه المحققون في هذا النوع من المولد.
وقد حاول السيوطي في رسالته " حسن المقصد في عمل المولد " الرد على ما نقلناه عن الفاكهاني، لكنه لم يأت بشيء يقوى على معارضة ما ذكره الفاكهاني؛ فإنه عارضه بأن الاحتفال بالمولد النبوي إنما أحدثه ملك عادل عالم قصد به التقرب إلى الله، وارتضاه ابن دحية، وصنف له من أجله كتاباً وهذا ليس بحجة؛ فإن البدعة في الدين لا تقبل من أي أحد كان بنصوص الأحاديث، فلا يمكننا أن نعارض الأحاديث

المحذرة من الابتداع في الدين بعمل أبي سعيد كوكبري بن أبي الحسن علي بن بكتكين الذي أحدث الاحتفال بالمولد في القرن السادس، وعدالته لا توجب عصمته.
وقد ذكر ابن خلكان أنه يحب السماع، وأما ابن دحية فلا يخفى كلام العلماء فيه، وقد اتهموه بوضع حديث في قصر صلاة المغرب كما في تاريخ ابن كثير.
* وأما القسم الثاني من عمل المولد وهو: المحتوي على المحرمات، فهذا قد منعه العلماء وبسطوا القول فيه، وإليك بعض عباراتهم في ذلك:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتوى له:(فأما الاجتماع في عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك واتخاذه عبادة، فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان في أن هذا من المنكرات التي ينهى عنها، ولا يستحب ذلك إلا جاهل أو زنديق).
وقال الفاكهاني في رسالته في المولد:(الثاني ـ أي من نوعي عمل المولد ـ أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يؤلمه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل، من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات، ويرقصن بالتثني والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذا النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى:(إن ربك لبالمرصاد)(سورة الفجر: ١٤).
وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يَحِلُّ ذلك بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإن لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ. ولله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ ـمعروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدةٍ وصار أهل الجهل في رتبة
حادوا عن الحق فما للذي ساروا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة

قال الفاكهاني:(ولقد أحسن أبو عمرو بن العلاء حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو ربيع الأول ـ هو بعينه الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه، وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله تعالى نرجو حسن القبول).
وقال الشيخ أبو الحسن ابن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي في كتابه " المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا " في ترجمة القاضي أبي عبدالله محمد بن عبد السلام المنستيري:(إن الأمير أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة والمثول بين يديه ليلة الميلاد الشريف النبوي، إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة الغريبة من الاحتفال في الأطعمة وتزيين المحل بحضور

الأشراف، وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة، فحين كمل المقصود من المطلوب، وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه، والناس على منازلهم بين قاعد وقائم هز المسمع طاره، وأخذ يهنؤهم بألحانه، وتبعه صاحب يراعه كعادته من مساعدته، تزحزح القاضي أبو عبد الله عن مكانه، وأشار بالسلام على الأمير، وخرج من المجلس، وتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به، فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجتهم، فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم، وأعلم الوزير ـ الموجه لما ذكر ـ القاضي بالغرض المأمور به، فقال له: أصلحك الله، هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها، وجمعنا السلطان ـ أبقاه الله ـ من أجلها لو شهدها نبينا المولد فيها صلوات الله وسلامه عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على ما نحن فيه من مسامحة بعضنا لبعض في اللهو، ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء، وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة، إلا أن تمس إليها حاجة؛ كالإقرار بما يوجب الحد أو الكفارة، فليسلم لنا الأمير ـ أصلحه الله ـ في القعود بمسجده هذا إلى الصباح، وإن كنا في مطالب أخر من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور، لكنا كما شاء الله في مقام الاقتداء، لطف الله بنا أجمعين بفضله. فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى وأعلمه بالقصة، فأقام يسيراً وقام من مجلسه، وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه، ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد، وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء، وإرفاق الفقراء؛ شكراً لله. انتهى كلام النباهي.

وقد ذكر ابن الحاج في " المدخل " مما احتوى عليه الاحتفال بالمولد في زمانه ـ فكيف بزماننا هذا ـ ما يلي:

١ـ استعمال الأغاني وآلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك.

قال ابن الحاج: (مضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله وعظمها ببدع ومحرمات)، وذكر ابن الحاج قول القائل:

يا عصبة ما ضر أمة أحمد   وسعى إلى إفسادها إلا هي

طار ومزمار ونغمة شادنٍ   أرأيت قط عبادة بملاهي

٢ ـ قلة احترام كتاب الله عز وجل، فإنهم يجمعون في هذه الاحتفالات بينه وبين الأغاني، ويبتدئون به قصدهم الأغاني.

قال ابن الحاج:(ولذلك نرى بعض السامعين إذا طول القارئ القراءة يتقلقلون منه؛ لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه من اللهو)، وقال:(وهذا غير مقتضى ما وصف الله تعالى به أهل الخشية من أهل الإيمان؛ لأنهم يحبون سماع كلام مولاهم؛ لقوله تعالى في مدحهم:(وإذا سمعوا مآ أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنآ ءامنا فاكتبنا مع الشاهدين)(سورة المائدة: ٨٣)، فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر، وبعض هؤلاء يستعملون الضد من ذلك، فإذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بعده إلى الرقص والفرح والسرور والطرب بما لا ينبغي، فإنا لله وإنا إليه راجعون على عدم الاستحياء من

عمل الذنوب، يعملون أعمال الشيطان، ويطلبون الأجر من رب العالمين، ويزعمون أنهم في تعبد وخير).
قال:(ويا ليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس، ولكن قد عمت البلوى، فتجد بعض من ينسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله، وكذلك بعض من ينتسب إلى المشيخة ـ أعني في تربية المريدين ـ وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر، ثم العجب كيف خفيت عليهم هذه المكيدة الشيطانية والدسيسة من اللعين؟!).
٣ ـ الافتتان بالمردان؛ فإن الذي يغني في الاحتفالات ربما يكون شاباً نظيف الصورة، حسن الكسوة والهيئة، أو أحداً من الجماعة الذين يتصنعون في رقصهم، بل يخطبونهم للحضور، فمن لم يحضر منهم ربما عادوه ووجدوا في أنفسهم عليه، وحضوره فتنة، سيما وهم يأتون إلى ذلك شبه العروس، لكن العروس أقل فتنة؛ لأنها ساكنة حيية، وهؤلاء عليهم العنبر والطيب يتخذون ذلك بين أثوابهم، ويتكسرون مع ذلك في مشيهم إذ ذاك، وكلامهم ورقصهم، ويتعانقون فتأخذهم إ ذاك أحوال النفوس الرديئة من العشق والاشتياق إلى التمتع بما يرونه من الشبان ويتمكن منهم الشيطان، وتقوى عليهم النفس الأمارة بالسوء، وينسد عليهم باب الخير سداً.
قال ابن الحاج:(وقد قال بعض السلف: لأن أؤتمن على سبعين عذراء أحب إليَّ من أن أؤتمن على شاب، وقوله هذا ظاهر بين؛ لأن العذراء تمتنع النفوس الزكية ابتداءً من النظر إليها بخلاف الشاب؛ لما ورد أن النظرة الأولى سهم، والشاب لا يتنقب ولا يختفي بخلاف العذراء، والشيطان من دأبه أنه إذا كانت المعصية كبرى أجلب عليها بخيله ورجله ويعمل الحيل الكثيرة).
قال ابن الحاج:(وبعض النسوة يعاين ذلك على ما قد علم من نظرهن من السطوح والطاقات وغير ذلك؛ فيرينه وسمعنه وهن أرق قلوباً وأقل عقولاً فتقع الفتنة في الفريقين).
هذا بعض ما ذكره ابن الحاج من المحرمات التي تحصل في احتفال الرجال بالمولد.
ثم ذكر من المفاسد المتعلقة بالنساء ما يلي:
١ ـ افتتان الرجال بالنساء؛ لأن بعض الرجال يتطلع عليهن من بعض الطاقات والسطوح، وتزداد الفتنة برفع أصواتهن، وتصفيقهن بالأكف، وغير ذلك مما يكون سبباً إلى وقوع المفسدة العظمى.
٢ ـ افتتانهن في الاعتقاد؛ وذلك لأنهن لا يحضرن للمولد إلا ومعهن شيخه تتكلم في كتاب الله وفي قصص الأنبياء بما لا يليق، فربما تقع في الكفر الصريح وهي لا تشعر؛ لأنها لا تعرف الصحيح من السقيم والحق من الكذب، فتدخل النسوة في الغالب وهن مؤمنات، ويخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين.
٣ ـ خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات هناك من الاختلاط وغيره، ويذكر ابن الحاج: أن هذه المفسدة من آثار بناء البيوت على المقابر قال:(إذ لو امتثلنا أمر الشرع في هدمها لانسدت هذه المثالم كلها وكفي الناس أمرها)، قال:(فبسبب ما هناك من البنيان والمساكن وجد من لا خير فيه السبيل إلى حصول أغراضه الخسيسة ومخالفة الشرع)، قال:(ألا ترى ما قد قيل من العصمة أن لا تجد، فإذا هَمَّ

الإنسان بالمعصية وأرادها وعمل عليها ولم يجد من يفعلها أو وجده، ولكن لا يجد مكاناً للاجتماع فيه فهو نوع من العصمة، فكان البنيان في القبور فيه مفاسد:
منها: هتك الحريم بخروجهن إلى تلك المواضع، فيجدون أين يقمن أغراضهن، هذا وجه، الثاني: تيسير الأماكن لاجتماع الأغراض الخسيسة، فتيسير المساكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك.
٤ ـ فتح باب الخروج لهن لغير ضرورة شرعية؛ فإنهم ـ أي: أهل زمانه ـ ضموا لأيام المولد النبوي الثلاثة، يوم الاثنين لزيارة الحسين، وجعلوا يوم الأربعاء لزيارة نفيسة، فالتزمن الزيارة في تلك الأيام لما يقصدن من أغراض، الله أعلم بها. قال ابن الحاج: ولو حكي هذا عن الرجال لكان فيه شناعة وقبح فكيف به في النساء؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.
هذا ما ذكره ابن الحاج في " المدخل " من مفاسد الاحتفالات بالمولد في زمانه بالنسبة لمن يقصدون المولد، ثم قسم الذين يعملون المولد في ذلك الزمن لا لقصد المولد إلى خمسة أقسام:
أحدها: من له فضة عند الناس متفرقة قد أعطاها لهم في بعض الأفراح والمواسم فيعمل المولد ليستردها، قال ابن الحاج: فهذا قد اتصف بصفة النفاق، وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن، إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة، وباطنه أنه يجمع به فضته.
الثاني: من يتظاهر من ذوي الأموال بأنه من الفقراء المساكين، فيعمل المولد لتزيد دنياه بمساعدة الناس له، فيزداد هذا فساداً على المفاسد المتقدم ذكرها، ويطلب مع ذلك ثناء الناس عليه بما ليس فيه.
الثالث: من يخاف الناس من لسانه وشره وهو من ذوي الأموال، فيعمل المولد ليأخذ من الناس الذين يعطونه تقية على أنفسهم وأعراضهم، قال ابن الحاج:(فيزداد من الحطام بسبب ما فيه من الخصال المذمومة شرعاً، وهذا أمر خطر؛ لأنه زاد على الأول أنه ممن يخاف من شره، فهو معدود بفعله من الظلمة).
الرابع: من يعمل المولد وهو ضعيف الحال ليتسع حاله.
الخامس: من له من الفقراء لسان يخاف منه ويتقى لأجله، فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ممن يخشاه ويتقيه، حتى أنه لو تعذر عن حضور المولد الذي يفعله أحد معارفه لحل به من الضرر ما يتشوش به، وقد يؤول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاة الأمور؛ قاصداً بذلك حط رتبته بالوقيعة فيه أو نقص ماله.. إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف.
قال ابن الحاج بعد بسط الكلام على هذه المفاسد: (هذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة، وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الإنس والجن مما يتعذر حصره، فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع، وفقنا الله لذلك بمنه).
وذكر ابن الحاج: أن سكوت من سكت من العلماء على إنكار ما ذكر ليس بدليل؛ لأن الناس كانوا يقتدون أولاً بالعلماء، فصار الأمر بعد ذلك بالعكس، وهو: أن من لا علم عنده يرتكب ما لا ينبغي فيأتي العالم فيقتدي به في ذلك، قال: (فعمت الفتنة،

واستحكمت هذه البلية، فلا تجد في الغالب من يتكلم في ذلك، ولا من يعين على زواله أو يشير إلى ذلك أن ذلك مكروه أو محرم) اهـ.
وقد ذكر ابن حجر الهيتمي في " الفتاوى الحديثية ": أن الموالد التي تفعل عندهم في زمنه أكثرها مشتمل على شرور لو لم يكن منها إلا رؤية النساء الرجال الأجانب لكفى ذلك في المنع، وذكر أن ما يوجد في تلك الموالد من الخير لا يبررها ما دامت كذلك؛ للقاعدة المشهورة المقررة: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. قال: (فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم، وبفرض أنه عمل في ذلك خيراً فربما خيره لا يساوي شره، ألا ترى أن الشارع صلى الله عليه وسلم اكتفى من الخير بما تيسر، وفطم جميع أنواع الشر، حيث قال: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه "، فتأمله تعلم ما قررته من أن الشر وإن قلَّ لا يرخص في شيء منه، والخير يكتفى منه بما تيسر.
هذا ما ذكره أهل العلم في بحث الاحتفال بالمولد النبوي، ولم يخل عصر من العصور المتقدمة منذ أحدث من عالم يبين الحق فيه، ولم يزل المتبصرون من أهل العلم في وقتنا هذا ينكرون ما يقع في تلك الأيام من البدع والمحرمات.
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم.
انتهت رسالة " حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازه "
للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله
ويليها ملحق في إنكار ذلك.

----

١٨. ملحق رسالة "حكم المولد والرد على من أجازه"

ملحق رسالة "حكم المولد والرد على من أجازه"
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله
(بعد ما نشر ردنا على الشنقيطي كتب مرة أخرى في الموضوع رددنا عليها بالرد التالي:
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه وسلم.
أما بعد:
فقد نشرت جريدة الندوة في العدد الصادر يوم السبت ١٦ / ٤ / ١٣٨٢ هـ للشنقيطي محمد مصطفى العلوي في تبرير الاحتفال بالمولد النبوي مقالاً آخر تحت عنوان:(هذا ما يقوله ابن تيمية في الاحتفال المشروع بذكرى المولد النبوي)، مضمون ذلك المقال: أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى الاحتفال بالمولد النبوي، واعتمد الشنقيطي في تلك الدعوى على ثلاثة أمور:
١ - قول شيخ الإسلام في " اقتضاء الصراط " في بحث المولد: (فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم؛ لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قدمت أنه يستحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد).

يقول الشنقيطي: فكلام شيخ الإسلام ـ يقصد هذه العبارة ـ صريح في جواز عمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم، الخالي من منكرات تخالطه.
٢ ـ قول شيخ الإسلام في " الاقتضاء " أيضاً: (إذا رأيت من يفعل هذا ـ أي المنكر ـ ولا يتركه إلا إلى شر منه، فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه).
يقول الشنقيطي: (من الجدير بالذكر ما أشار إليه شيخ الإسلام أن مرتكب البدعة لا ينهى عنها إذا كان نهيه عنها يحمله إلى ما هو شر منها، ومن المعلوم عند العموم: أن أكثر أهل هذا الزمان يضيعون الليالي وخصوصاً ليلة الجمعة في سماع أغاني أم كلثوم وغيرها من حفلات صوت العرب الخليعة مما يذيعه الراديو والتلفزيون، فلا يخفى على مسلم عاقل أن سماع ذكر صفة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من سماع الأغاني الخليعة والتمثيليات الماجنة).
٣ ـ دعوى أن شيخ الإسلام ابن تيمية لا ينكر الابتداع في تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكر الشنقيطي أن أكبر شاهد على ذلك تأليفه كتاب " الصارم المسلول ".
هذا ما ذكره الشنقيطي مما برر به هذه الدعوى الباطلة.
والحق أنه إنما أُتي من سوء فهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وسيرته، وفي نوع ما وقع فيه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب " الاستغاثة ":
(الوهم إذا كان لسوء فهم المستمع لا لتفريط المتكلم لم يكن على المتكلم بذلك بأس، ولا يشترط في العلماء إذا تكلموا في العلم أن لا يتوهم متوهم من ألفاظهم خلاف مرادهم، بل ما زال الناس يتوهمون من أقوال الناس خلاف مرادهم)، وهذا هو عين ما وقع للشنقيطي في عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية. وإلى القراء بيان ذلك فيما يلي:
أما قول شيخ الإسلام: (فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم؛ لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم)، فليس فيه إلا الإثابة على حسن القصد، وهي لا تستلزم مشروعية العمل الناشئة عنه؛ ولذلك ذكر شيخ الإسلام أن هذا العمل ـ أي الاحتفال بالمولد ـ يستقبح من المؤمن المسدد، ولكن الشنقيطي أخذ أول العبارة دون تأمل في آخرها، وفي أول بحث المولد في " اقتضاء الصراط المستقيم " فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الذين يتخذون المولد عيداً محبة للنبي صلى الله عليه وسلم(ص ٢٩٤، ٢٩٥):(والله تعالى قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيداً، مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان).
فهذا تصريح من شيخ الإسلام بأن إثابة من يتخذ المولد عيداً محبة للنبي صلى الله عليه وسلم من ناحية قصده لا تقتضي مشروعية اتخاذ المولد عيداً ولا كونه خيراً، إذ

لو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا؛ لأنهم أشد محبة وتعظيماً لرسول الله منا. ثم بعد ذلك صرح شيخ الإسلام بذم الذين يتخذون المولد عيداً، فقال في(ص ٢٩٥، ٢٩٦):
(أكثر هؤلاء تجدهم حرصاء على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة، تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من يتخذ المسابح والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويصحبها من الرياء الكبير والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها).
وقال شيخ الإسلام في " الاقتضاء "(ص ٣١٧):(من كانت له نية صالحة أثيب على نيته وإن كان الفعل الذي فعله ليس بمشروع إذا لم يتعمد مخالفة الشرع).
وصرح في(ص ٢٩٠) بأن إثابة الواقع في المواسم المبتدعة متأولاً أو مجتهداً على حسن قصده(١) لا تمنع النهي عن تلك البدع والأمر بالاعتياض عنها بالمشروع الذي لا بدعة فيه، وذكر أن ما تشتمل عليه تلك البدع من المشروع لا يعتبر مبرراً لها.
كما صرح في كلامه على مراتب الأعمال بأن العمل الذي يرجع صلاحه لمجرد حسن القصد ليس طريقة السلف الصالح، وإنما ابتلى به كثير من المتأخرين، وأما السلف الصالح فاعتناؤهم بالعمل الصالح المشروع الذي لا كراهة فيه بوجه من الوجوه، وهو العمل الذي تشهد له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:(وهذا هو الذي يجب تعلمه وتعليمه، والأمر به على حسب مقتضى الشريعة من إيجاب واستحباب)، أضف إلى هذا أن نفس كلام شيخ الإسلام:(فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له أجر عظيم لحسن قصده).. الخ، إنما ذكره بصدد الكلام على عدم محاولة إنكار المنكر الذي يترتب على محاولة إنكاره الوقوع فيما هو أنكر منه، يعني أن حسن نية هذا الشخص ـ ولو كان عمله غير مشروع ـ خير من إعراضه عن الدين بالكلية.
ومن الأدلة على عدم قصده تبرير الاحتفال بالمولد تصريحاته في كتبه الأخر بمنعه، يقول في " الفتاوى الكبرى ":(أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال: عيد الأبرار فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف الصالح ولم يفعلوها).
وقال في بعض فتاواه:(فأما الاجتماع في عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك، واتخاذه عبادة، فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان أن هذا من المنكرات التي ينهى عنها، ولا يستحب ذلك إلا جاهل أو زنديق).
وأما قول شيخ الإسلام:(إذا رأيت من يعمل هذا ـ أي المنكر ـ ولا يتركه إلا إلى شر منه فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه).
فمن غرائب الشنقيطي الاستدلال به على مشروعية الاحتفال بالمولد ما دام شيخ الإسلام يسمي ذلك منكراً، وإنما اعتبر ما يترتب على محاولة إزالته من خشية

الوقوع في أنكر منه عذراً عن تلك المحاولة من باب اعتبار مقادير المصالح والمفاسد، وقد بسط شيخ الإسلام الكلام على هذا النوع في رسالته في " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "، ومن ضمن بحثه في ذلك قوله:(ومن هذا الباب ترك النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور؛ لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه، ولهذا لما خطب الناس في قضية الإفك بما خطبهم به واستعذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه حمي له سعد بن عابدة ـ مع حسن إيمانه وصدقه ـ وتعصب لكل منهما قبيلته حتى كادت أن تكون فتنة).

ومن هذا يُعلم أن لا ملازمة بين ترك النهي عن الشيء لمانع وبين إباحة ذلك الشيء كما تخيله الشنقيطي. وقد فاته أن هذه العبارة التي نقلها عن شيخ الإسلام في عدم النهي عن المنكر إذا ترتب عليه الوقوع في أنكر منه لا تصلح جواباً لمن سأل عن حكم الإنكار على من اتخذ المولد عيداً إذا ترتب على الإنكار الوقوع في أنكر منه.

كما فاته أن ما ذكره من جهة أغاني أم كلثوم وما عطفه عليها لا يعتبر مبرراً للابتداع، فإن الباطل إنما يزال بالحق لا بالباطل، قال تعالى:(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)(سورة الإسراء: ٨١)، وليس النهي عن الاحتفال بالمولد من ناحية قراءة السيرة، بل من ناحية اعتقاد ما ليس مشروعاً مشروعاً، والتقرب إلى الله تعالى بما لم يقم دليل على التقرب به إليه، ومن أكبر دليل على عدم اعتبار ما ذكره الشنقيطي أن المواضع التي تقام فيها الاحتفالات بالموالد ما حالت بينها وبين الاستماع لأغاني أم كلثوم وما عطف عليها، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم أرفع من أن لا تقرأ في السنة إلا في أيام الموالد.

وأما دعوى الشنقيطي فتح شيخ الإسلام ابن تيمية باب الابتداع فيما يتعلق بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، فكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية تدل أوضح دلالة على بطلانها، فقد قرر فيها أن كيفية التعظيم لا بد من التقيد فيها بالشرع، وأنه ليس كل تعظيم مشروعاً في حق النبي صلى الله عليه وسلم، فإن السجود تعظيم، ومع ذلك لا يجوز لغير الله، وكذلك جميع التعظيمات التي هي من خصائص الألوهية لا يجوز تعظيم الرسول بها، كما قرر في غير موضع من كتبه أن الأعمال المضادة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإن قصد فاعلها التعظيم، فهي غير مشروعة؛ لقوله تعالى:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، ويستدل كثيراً بما جاء في النصوص من النهي عن الإطراء، وكلامه في ذلك كثير لا يحتاج إلى الإطالة بذكره ما دامت المراجع بحمد لله موجودة، هذا على سبيل العموم.

أما ما يخص مسألة اتخاذ المولد النبوي عيداً بدعوى التعظيم فقد تقدم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه: إنه لم يفعله السلف مع قيام المقتضي وعدم المانع منه، قال:(ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن

هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) اهـ.
وتمثيل الشنقيطي بـ: " الصارم المسلول " لدعواه فتح شيخ الإسلام ابن تيمية لباب الابتداع في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، إنما نشأ من عدم تدبر كلام شيخ الإسلام في مقدمته، فإنه قد بين فيها أن مضمون الكتاب " الصارم المسلول " بيان الحكم الشرعي الموجب لعقوبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر بياناً مقروناً بالأدلة، ومن نظر إلى الأدلة التي سردها شيخ الإسلام في هذا الكتاب من نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة ـ تبين له أن دفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحماية لجنابه من التعرض له بما لا يليق به، وهذا لا صلة له بالابتداع.
هذا وليت الشنقيطي فكر في تعذر الجمع بين الأمور التي استدل بها على تبرير الاحتفال بالمولد، فإن كون الشيء الواحد مشروعاً ومنكراً بدعة في آن واحد لا يتصور، لكن من تكلم فيما لا يحسنه أتى بالعجائب.
هذا ما لزم بيانه وبالله التوفيق
انتهى ملحق رسالة " حكم المولد والرد على من أجازه "
للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه.
نقله أبو معاذ السلفي
....
(١) لكن هذا القدر لا يمنع كراهتها والنهي عنها والاعتياض عنها بالمشروع الذي لا بدعة فيه، كما أن الذين زادوا الأذان في العيدين هم كذلك، بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضاً فوائد؛ وذلك لأنه لا بد أن تشتمل عباداتهم على نوع ما مشروع في جنسه، كما أن قولهم لا بد أن يشتمل على صدق مأثور عن الأنبياء، ثم ذلك لا يوجب أن تفعل عباداتهم أو تروى كلماتهم؛ لأن جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير، إذ لو كان خيرها راجحاً لما أهملتها الشريعة، فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها، وذلك هو الموجب للنهي.

----

١٩. حوار حول الاحتفال بالمولد النبوي.. الشيخ الألباني

حوار حول الاحتفال بالمولد النبوي
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
دار الحوار التالي بين الإمام الألباني رحمه الله تعالى وبين أحد الإخوة:
الشيخ الألباني:
الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هل هو خير أم شر؟
محاور الشيخ:
خير.
الشيخ الألباني: حسناً، هذا الخير هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجهلونه؟
محاور الشيخ:

لا.
الشيخ الألباني:
أنا لا أقنع منك الآن أن تقول لا بل يجب أن تبادر وتقول: هذا مستحيل أن يخفى هذا الخير إن كان خيراً أو غيره على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونحن لم نعرف الإسلام والإيمان إلا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم؛ فكيف نعرف خيراً هو لم يعرفه! هذا مستحيل.
محاور الشيخ:
إقامة المولد النبوي هو إحياء لذكره صلى الله عليه وسلم وفي ذلك تكريم له.
الشيخ الألباني:
هذه فلسفة نحن نعرفها، نسمعها من كثير من الناس وقرأناها في كتبهم؛ لكن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما دعا الناس هل دعاهم إلى الإسلام كله أم دعاهم إلى التوحيد؟
محاور الشيخ:
التوحيد.
الشيخ الألباني:
أول ما دعاهم للتوحيد، بعد ذلك فُرضت الصلوات، بعد ذلك فُرض الصيام، بعد ذل فُرض الحج، وهكذا؛ ولذلك امش أنت على هذه السنة الشرعية خطوة خطوة.
نحن الآن اتفقنا أنه من المستحيل أن يكون عندنا خيرٌ ولا يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فالخير كله عرفناه من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه لا يختلف فيها اثنان ولا ينتطح فيها كبشان، وأنا أعتقد أن من شك في هذا فليس مسلمًا.
ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تؤيد هذا الكلام:
١. قوله صلى الله عليه وسلم:((ما تركتُ شيئاً يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به)).
فإذا كان المولد خيراً وكان مما يقربنا إلى الله زُلفى فينبغي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دلنا عليه.
صحيح أم لا؟ أنا لا أريد منك أن توافق دون أن تقتنع بكل حرف مما أقوله، ولك كامل الحرية في أن تقول: أرجوك، هذه النقطة ما اقتنعت بها.
فهل توقفت في شيء مما قلتهُ حتى الآن أم أنت ماشٍ معي تماماً؟
محاور الشيخ:
معك تماماً.
الشيخ الألباني:
جزاك الله خيراً.
إذاً((ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به))
نحن نقول لجميع من يقول بجواز إقامة هذا المولد:
هذا المولد خيرٌ – في زعمكم -؛ فإما أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دلنا عليه وإما أن يكون لم يدلنا عليه.
فإن قالوا: قد دلنا عليه.

قلنا لهم:(هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً أبداً.
ونحن قرأنا كتابات العلوي [١] وغير العلوي في هذا الصدد وهم لا يستدلون بدليل سوى أن هذه بدعة حسنة!! بدعة حسنة!!
فالجميع سواء المحتفلون بالمولد أو الذين ينكرون هذا الاحتفال متفقون على أن هذا المولد لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة الكرام ولا في عهد الأئمة الأعلام.
لكن المجيزون لهذا الاحتفال بالمولد يقولون: وماذا في المولد؟ إنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلاة عليه ونحو ذلك.
ونحن نقول: لو كان خيراً لسبقونا إليه.
أنت تعرف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) وهو في الصحيحين. وقرنه صلى الله عليه وسلم هو الذي عاش فيه وأصحابه، ثم الذين يلونهم التابعون، ثم الذين يلونهم أتباع التابعين. وهذه أيضاً لا خلاف فيها.
فهل تتصور أن يكون هناك خير نحن نسبقهم إليه علماً وعملاً؟ هل يمكن هذا؟
محاور الشيخ:
من ناحية العلم لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن كان معه في زمانه إن الأرض تدور.
الشيخ الألباني:
عفواً، أرجو عدم الحيدة، فأنا سألتك عن شيئين علم وعمل، والواقع أن حيدتك هذه أفادتني، فأنا أعني بطبيعة الحال بالعلم العلم الشرعي لا الطب مثلاً؛ فأنا أقول إن الدكتور هنا أعلم من ابن سينا زمانه لأنه جاء بعد قرون طويلة وتجارب عديدة وعديدة جداً لكن هذا لا يزكيه عند الله ولا يقدمه على القرون المشهود لها؛ لكن يزكيه في العلم الذي يعلمه، ونحن نتكلم في العلم الشرعي بارك الله فيك. فيجب أن تنتبه لهذا؛ فعندما أقول لك: هل تعتقد أننا يمكن أن نكون أعلم؛ فإنما نعني بها العلم الشرعي لا العلم التجربي كالجغرافيا والفلك والكيمياء والفيزياء. وافترض مثلاً في هذا الزمان إنسان كافر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لكن هو أعلم الناس بعلم من هذه العلوم هل يقربه ذلك إلى الله زُلفى؟
محاور الشيخ:
لا.
الشيخ الألباني:
إذاً نحن لا نتكلم الآن في مجال ذلك العلم بل نتكلم في العلم الذي نريد أن نتقرب به إلى الله تبارك وتعالى، وكنا قبل قليل نتكلم في الاحتفال بالمولد؛ فيعود السؤال الآن وأرجو أن أحضى بالجواب بوضوح بدون حيدة ثانية.
فأقول هل تعتقد بما أوتيت من عقل وفهم أنه يمكننا ونحن في آخر الزمان أن نكون أعلم من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في العلم الشرعي وأن نكون أسرع إلى العمل بالخير والتقرب إلى الله من هؤلاء السلف الصالح؟
محاور الشيخ:

هل تقصد بالعلم الشرعي تفسير القرآن؟
الشيخ الألباني:
هم أعلم منا بتفسير القرآن، وهم أعلم منا بتفسير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، هم في النهاية أعلم منا بشريعة الإسلام.
محاور الشيخ:
بالنسبة لتفسير القرآن ربما الآن أكثر من زمان الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فمثلاً الآية القرآنية((وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ))(النمل:٨٨) فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد في زمانه إن الأرض تدور هل كان سيصدقه أحد؟! ما كان صدقه أحد.
الشيخ الألباني:
إذاً أنت تريدنا – ولا مؤاخذة – أن نسجل عليك حيدةً ثانية. يا أخي أنا أسأل عن الكل لا عن الجزء، نحن نسأل سؤالاً عاماً:
الإسلام ككل من هو أعلم به؟
محاور الشيخ:
طبعاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته.
الشيخ الألباني:
هذا الذي نريده منك بارك الله فيك.
ثم التفسير الذي أنت تدندن حوله ليس له علاقة بالعمل، له علاقة بالفكر والفهم. ثم قد تكلمنا معك حول الآية السابقة وأثبتنا لك أن الذين ينقلون الآية للاستدلال بها على أن الأرض تدور مخطئون لأن الآية تتعلق بيوم القيامة ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ). لسنا على كل حال في هذا الصدد.
وأنا أسلّم معك جدلاً أنه قد يكون رجلاً من المتأخرين يعلم حقيقة علمية أو كونية أكثر من صحابي أو تابعي الخ؛ لكن هذا لا علاقة له بالعمل الصالح؛ فاليوم مثلاً العلوم الفلكية ونحوها الكفار أعلم منا فيها لكن ما الذي يستفيدونه من ذلك؟ لا شيء. فنحن الآن لا نريد أن نخوض في هذا اللا شيء، نريد أن نتكلم في كل شيء يقربنا إلى الله زلفى؛ فنحن الآن نريد أن نتكلم في المولد النبوي الشريف.
وقد اتفقنا أنه لو كان خيراً لكان سلفنا الصالح وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم به منا وأسرع إلى العمل به منا؛ فهل في هذا شك؟
محاور الشيخ:
لا، لا شك فيه.
الشيخ الألباني:
فلا تحد عن هذا إلى أمور من العلم التجريبي لا علاقة لها بالتقرب إلى الله تعالى بعمل صالح.
الآن، هذا المولد ما كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم - باتفاق الكل – إذاً هذا الخير ما كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين،

كيف خفي هذا الخير عليهم؟!
لابد أن نقول أحد شيئين:
علموا هذا الخير كما علمناه – وهم أعلم منا –، أو لم يعلموه؛ فكيف علمناه نحن؟!؛
فإن قلنا: علموه؛ - وهذا هو القول الأقرب والأفضل بالنسبة للقائلين بمشروعية الاحتفال بالمولد - فلماذا لم يعملوا به؟! هل نحن أقرب إلى الله زلفى؟! –
لماذا لم يُخطيء واحدٌ منهم مرة صحابي أو تابعي أو عالم منهم أو عابد منهم فيعمل بهذا الخير؟!
هل يدخل في عقلك أن هذا الخير لا يعمل به أحدٌ أبداً؟! وهم بالملايين، وهم أعلم منا وأصلح منا وأقرب إلى الله زُلفى؟!
أنت تعرف قول الرسول صلى الله عليه وسلم _ فيما أظن _:
((لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَهُ)).
أرأيت مدى الفرق بيننا وبينهم؟!
لأنهم جاهدوا في سبيل الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقوا العلم منه غضاً طرياً بدون هذه الوسائط الكثيرة التي بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم، كما أشار صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا المعنى في الحديث الصحيح: ((من أحب أن يقرأ القرآن غضاً طرياً فليقرأهُ على قراءة ابن أم عبد)) يعني عبد الله بن مسعود.
" غضاً طرياً " يعني طازج، جديد.
هؤلاء السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم لا يمكننا أن نتصور أنهم جهلوا خيراً يُقربهم إلى الله زلفى وعرفناه نحن وإذا قلنا إنهم عرفوا كما عرفنا؛ فإننا لا نستطيع أن نتصور أبداً أنهم أهملوا هذا الخير.
لعلها وضحت لك هذه النقطة التي أُدندنُ حولها إن شاء الله؟
محاور الشيخ:
الحمد لله.
الشيخ الألباني:
جزاك الله خيراً.
هناك شيء آخر، هناك آيات وأحاديث كثيرة تبين أن الإسلام قد كَمُلَ _ وأظن هذه حقيقة أنت متنبه لها ومؤمن بها ولا فرق بين عالم وطالب علم وعامِّي في معرفة هذه الحقيقة وهي: أن الإسلام كَمُلَ، وأنه ليس كدين اليهود والنصارى في كل يوم في تغيير وتبديل.
وأذكرك بمثل قول الله تعالى:((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً))
الآن يأتي سؤال: وهي طريقة أخرى لبيان أن الاحتفال بالمولد ليس خيراً غير الطريقة السابقة وهي أنه لو كان خيراً لسبقونا إليه وهم – أي السلف الصالح – أعلم منا وأعبد.
هذا المولد النبوي إن كان خيراً فهو من الإسلام؛ فنقول: هل نحن جميعاً من منكرين لإقامة المولد ومقرِّين له هل نحن متفقون - كالاتفاق السابق أن هذا المولد ما كان في

زمان الرسول صلى الله عليه وسلم – هل نحن متفقون الآن على أن هذا المولد إن كان خيراً فهو من الإسلام وإن لم يكن خيراً فليس من الإسلام؟
ويوم أُنزلت هذه الآية:((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)) لم يكن هناك احتفال بالمولد النبوي؛ فهل يكون ديناً فيما ترى؟
أرجو أن تكون معي صريحاً، ولا تظن أني من المشائخ الذين يُسكّتون الطلاب، بل عامة الناس: اسكت أنت ما تعلم أنت ما تعرف، لا خذ حريتك تماماً كأنما تتكلم مع إنسان مثلك ودونك سناً وعلماً. إذا لم تقتنع قل: لم أقتنع.
فالآن إذا كان المولد من الخير فهو من الإسلام وإذا لم يكن من الخير فليس من الإسلام وإذا اتفقنا أن هذا الاحتفال بالمولد لم يكن حين أُنزلت الآية السابقة؛ فبديهي جداً أنه ليس من الإسلام.
وأوكد هذا الذي أقوله بأحرف عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال:
" من ابتدع في الإسلام بدعة – لاحظ يقول بدعة واحدة وليس بدعاً كثيرة – يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ".
وهذا شيء خطير جدًا، ما الدليل يا إمام؟
قال الإمام مالك: اقرؤا إن شئتم قول الله تعالى:
((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً))
فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً. انتهى كلامه.
متى قال الإمام مالك هذا الكلام؟ في القرن الثاني من الهجرة، أحد القرون المشهود لها بالخيرية!
فما بالك بالقرن الرابع عشر؟!
هذا كلامٌ يُكتب بماء الذهب؛ لكننا غافلون عن كتاب الله تعالى، وعن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أقوال الأئمة الذين نزعم نحن أننا نقتدي بهم وهيهات هيهات، بيننا وبينهم في القدوة بُعد المشرقين.
هذا إمام دار الهجرة يقول بلسانٍ عربيٍ مبين: "فما لم يكن يومئذٍ ديناً؛ فلا يكون اليوم ديناً".
اليوم الاحتفال بالمولد النبوي دين، ولولا ذلك ما قامت هذه الخصومة بين علماء يتمسكون بالسنة وعلماء يدافعون عن البدعة.
كيف يكون هذا من الدين ولم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين ولا في عهد أتباع التابعين؟!
الإمام مالك من أتباع التابعين، وهو من الذين يشملهم حديث:
((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)).
يقول الإمام مالك: " ما لم يكن حينئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً، ولا يَصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صَلَح به أولها ".
بماذا صلح أولها؟ بإحداث أمور في الدين والُتقرب إلى الله تعالى بأشياء ما تقرب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!
والرسول صلى الله عليه وسلم هو القائل:
((ما تركتُ شيئاً يُقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به)).

لماذا لم يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحتفل بمولده؟! هذا سؤال وله جواب:
هناك احتفال بالمولد النبوي مشروع ضد هذا الاحتفال غير المشروع، هذا الاحتفال المشروع كان موجوداً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعكس غير المشروع،مع بَون شاسع بين الاحتفالين:
أول ذلك: أن الاحتفال المشروع عبادة متفق عليها بين المسلمين جميعاً.
ثانياً: أن الاحتفال المشروع يتكرر في كل أسبوع مرة واحتفالهم غير المشروع في السنة مرة.
هاتان فارقتان بين الاحتفالين: أن الأول عبادة ويتكرر في كل أسبوع بعكس الثاني غير المشروع فلا هو عبادة ولا يتكرر في كل أسبوع.
وأنا لا أقول كلاماً هكذا ما أنزل الله به من سلطان، وإنما أنقل لكم حديثاً من صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبي قتادة الأنصاري قال:
جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:
يا رسول الله: ما تقول في صوم يوم الاثنين؟
قال:((ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه، وأُنزل القرآن عليَّ فيه.))
ما معنى هذا الكلام؟
كأنه يقول: كيف تسألني فيه والله قد أخرجني إلى الحياة فيه، وأنزل عليَّ الوحي فيه؟!
أي ينبغي أن تصوموا يوم الاثنين شكراً لله تعالى على خلقه لي فيه وإنزاله الوحي عليَّ فيهِ.
وهذا على وزان صوم اليهود يوم عاشوراء، ولعلكم تعلمون أن صوم عاشوراء قبل فرض صيام شهر رمضان كان هو المفروض على المسلمين.
وجاء في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ فسألهم عن ذلك؛ فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وجنده فصمناه شكراً لله؛ فقال صلى الله عليه وسلم:((نحن أحق بموسى منكم)) فصامه وأمر بصومه فصار فرضاً إلى أن نزل قوله تعالى:
((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)). فصار صوم عاشوراء سنة ونسخ الوجوب فيه.
الشاهد من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم شارك اليهود في صوم عاشوراء شكراً لله تعالى أن نجى موسى من فرعون؛ فنحن أيضاً فَتَح لنا باب الشكر بصيام يوم الاثنين لأنه اليوم الذي وُلد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واليوم الذي أُوحي إليه فيه.
الآن أنا أسألك: هؤلاء الذين يحتفلون بالمولد الذي عرفنا أنه ليس إلى الخير بسبيل أعرف أن كثيراً منهم يصومون يوم الاثنين كما يصومون يوم الخميس؛ لكن تُرى أكثر المسلمين يصومون يوم الاثنين؟
لا، لا يصومون يوم الاثنين، لكن أكثر المسلمين يحتفلون بالمولد النبوي في كل عام مرة! أليس هذا قلباً للحقائق؟!
هؤلاء يصدق عليهم قول الله تعالى لليهود:

((أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ))
هذا هو الخير: صيام متفق عليه بين المسلمين جميعاً وهو صيام الاثنين ومع ذلك فجمهور المسلمين لا يصومونه!!
نأتي لمن يصومه وهم قلة قليلة: هل يعلمون السر في صيامه؟ لا، لا يعلمون.
فأين العلماء الذين يدافعون عن المولد لماذا لا يبينون للناس أن صيام الاثنين هو احتفال مشروع بالمولد ويحثونهم عليه بدلاً من الدفاع عن الاحتفال الذي لم يُشرع؟!!
وصدق الله تعالى: ((أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ))
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال:
((لتتبعنَّ سَنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه))
وفي رواية أخرى خطيرة:((حتى لو كان فيهم من يأتي أمه على قارعة الطريق لكان فيكم من يفعل ذلك)).
فنحن اتبعنا سنن اليهود؛ فاستبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير، كاستبدالنا المولد النبوي الذي هو كل سنة وهو لا أصل له بالذي هو خير وهو الاحتفال في كل يوم اثنين وهو احتفال مشروع بأن تصومه مع ملاحظة السر في ذلك وهو أنك تصومه شكراً لله تعالى على أن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وأنزل الوحي فيه.
وأختم كلامي بذكر قوله صلى الله عليه وسلم:
((أبى الله أن يقبل توبة مبتدع)).
والله تعالى يقول: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))
وقد جاء في صحيح مسلم أن أحد التابعين جاء إلى السيدة عائشة
محاور الشيخ:
قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أليس تكريماً له؟
الشيخ الألباني:
نعم
محاور الشيخ:
فيه ثواب هذا الخير من الله؟
الشيخ الألباني:
كل الخير. ما تستفيد شيئاً من هذا السؤال؛ ولذلك أقاطعك بسؤال: هل أحد يمنعك من قراءة سيرته؟
أنا أسألك الآن سؤالاً: إذا كان هناك عبادة مشروعة، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما وضع لها زمناً معيناً، ولا جعل لها كيفية معينة؛ فهل يجوز لنا أن نحدد لها من عندنا زمناً معيناً، أو كيفية معينة؟ هل عندك جواب؟
محاور الشيخ:
لا، لا جواب عندي.
الشيخ الألباني:
قال الله تعالى:((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ))

وكذلك يقول الله تعالى:
((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) التوبة:٣١
((لما سمع عدي بن حاتم رضي الله عنه هذه الآية – وقد كان قبل إسلامه نصرانياً – أشكلت عليه فقال: إنا لسنا نعبدهم قال:(أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟)، فقال: بلى. قال:(فتلك عبادتهم))).
وهذا يبيِّن خطورة الابتداع في دين الله تعالى.
========
(*) مفرغ مع بعض الاختصار من أحد أشرطة سلسلة الهدى والنور للشيخ الألباني رحمه الله تعالى. رقم الشريط ١/٩٤
والشريط موجود على الشبكة العنكبوتية في موقع طريق الإسلام
[١] المراد هو: محمد بن علوي المالكي. أحد القائلين بمشروعية الموالد.
----

٢٠. ميلاد نبي.. مولد أمة

ميلاد نبي.. مولد أمة
د. عبد الستار إبراهيم الهيتي
في فترة من فترات التاريخ الغابرة، وعلى ثرى البقعة المباركة التي اختارها الله لتكون مثابة للناس وأمنا، وفي ظل أجواء مليئة بالجهل والظلم، وتحكم الغني بالفقير، وسيطرة القوي على الضعيف كان العالم كله يرقب ولادة جديدة تنتشل الأمة من وهدتها، وتطيح بالظلم والطغيان لتضع الأمور في نصابها وتعيد للإنسانية كرامتها وترتفع بالبشرية من حياة الذل والضياع متطلعة بها إلى حياة العزة والمجد.
وسط هذه الأجواء الملبدة بغيوم الجهل والشرك والوثنية كانت الولادة المرتقبة، فانتبهت مكة على إيقاع صوت الحق ينطلق من بين أزقتها، وأفاقت تلك المدينة المقدسة الوادعة على أنغام الترحاب بالوليد اليتيم الذي لم يكن يخطر ببال أحد أنه سيكون منقذا لأمة ومؤسسا لحضارة ومعلما للبشرية وقائدا لركب الإيمان والتوحيد.
إنه في صبيحة الثاني عشر من ربيع الأول كان العالم على موعد مع العلم والفضيلة والحضارة التي انطوت جميعها فتمثلت بالميلاد الميمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت كانت فيه البشرية بأمس الحاجة إلى تصحيح الأفكار وبناء العقائد وبرمجة الرؤى والتوجهات، بحيث أصبح ذلك الميلاد علامة مضيئة في التاريخ الإنساني ليس للمسلمين فحسب وإنما للإنسانية جمعاء على اختلاف مللها وتعدد نحلها، ويؤكد هذا المعنى ما أشار إليه أحد الشعراء المسيحيين بقوله:
أمحمد والمجد بعض صفاته   مجّدت في تعليمك الأديانا
بعث الجهاد لدن بعثت وجردت   أسياف صحبك تفتح البلدانا
رفعت ذكر الله في أمية   وثنية ونفحتها الإيمانا
مرحا لأمي يعلم سفره   نبغاء يعرب حكمة وبيانا
إني مسيحي أحب محمدا   وأراه في فلك العلا عنوانا

لم يكن ميلاد محمد بن عبد الله العربي القرشي حدثا تاريخيا عابرا يمر عليه المؤرخون مرورا وإنما مثّل من خلال نبوته ورسالته أبرز دعوات الإصلاح والتربية في دنيا البشرية على الإطلاق، فقد استطاع أن يجعل من جزيرة العرب مصدر إشعاع فكري وثقافي وحضاري، قدمت الأمة من خلاله للعالم صياغة روحية ومادية حملت بين طياتها معالم البعد الرسالي لدعوة الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، حيث تمكن محمد «صلى الله عليه وسلم» أن يتبوأ قمة الهرم ليكون على رأس المصلحين الذين كان لهم أثر بارز في توجيه البشرية نحو الفضيلة والرشاد، وفي هذا يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

المصلحون أصابع جمعت يدا هي أنت بل أنت اليد العصماء

ففي ميدان الإصلاح العقائدي والفكري كان لمحمد «صلى الله عليه وسلم» الفضل الكبير في ترسيخ معالم عقيدة التوحيد التي تعني إفراد العبودية لله تعالى ونبذ الشرك والوثنية والإطاحة بعبادة الأصنام لتخليص الفكر البشري من سفاهات العقائد الباطلة والترفع به عن عبادة البشر أو الحجر:

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة للحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة نادى بها سقراط والحكماء

وفي ميدان الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي كان لمحمد «صلى الله عليه وسلم» الباع الطويل في بناء نظرية اقتصادية ترعى الفقراء وتهتم بشؤونهم وتحافظ على حقوقهم من أن يتعدى عليها المتنفذون وأصحاب رءوس الأموال، كما كان له الفضل الكبير في تحقيق العدالة والمساواة بعيدا عن التمايز الطبقي أو التفاوت الاجتماعي:

جاءت فوحّدت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنسانا تخيّر ملّة ما اختار إلا دينَك الفقراء

أما السياسة والقيادة عند محمد «صلى الله عليه وسلم» فلها نمط آخر وصيغة متقدمة لم يستطع العالم الذي يعيش اليوم أوج حضارته وقمة تقدمه الحضاري أن يصل إلى ذلك النهج السوي من حيث الوضوح في الطرح والصدق في التعامل والأمانة في العهود والعدل في الحكم، فمزج بذلك السياسة بالأخلاق والقيادة بالرحمة والإمارة بالمساواة، فتحقق بذلك حلم الفلاسفة القدماء وآمال المفكرين الحكماء:

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء

وعلى أساس هذه الثوابت شيّد «محمد النبي والرسول» قواعد حضارة عربية إسلامية، وبنى مجداً وعزاً وعلماً لا يزال العالم ينهل منه ويفيد من طروحاته ويرجع إليه عند اشتداد الأزمات واحتلاك الخطوب، فالمصدر رباني إلهي، والصياغة محمدية نبوية، وآلية التطبيق عربية إسلامية عاش العالم في ضلالها ردحا طويلا من الزمن ينعم بالأمن والأمان والخير والسلام، فلا ظلم ولا طغيان، ولا انتهاك ولا عدوان، الجميع تحت مظلة القانون سواسية، فكلكم لآدم وآدم من تراب،

فلا ميزة لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا فرق بين مسلم أو يهودي أو نصراني من حيث الحقوق والواجبات، فلهم مالنا وعليهم ما علينا، ومحمد يقول: من آذى ذميا فقد آذاني، ويقول: إنه قد أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، وهكذا قدم «محمد» برنامج عمل وصياغة قانونية لدولة العدل والتسامح والمساواة قبل أن يعرف العالم بوادر النهضة الحديثة وقبل أن تبرز طلائع الثورة الفرنسية التي يفخر الغرب بها وبطروحاتها حتى كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ميلاد أمة بكاملها شادت حضارة وأقامت دولة ونشرت في ربوع العالم العلم والمعرفة.
إذا كانت هذه هي المعاني السامية التي قدمها محمد للعالم كافة وللعرب والمسلمين خاصة، فإن الأمة اليوم مطالبة ببرمجتها على أرض الواقع وتقديمها كحلول ناجعة للخلاص من حالة الضياع والتشرذم الذي آلت إليه أحوالها في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وإذا كان العامة من أبناء الأمة ملتزمين بالكثير من هذه المفاهيم والمعاني الكبيرة في علاقاتهم الدينية والأخلاقية، فإن خاصتها من المثقفين والسياسيين وأصحاب القرار يحتاجون إلى مراجعة حثيثة لأنفسهم ولخطواتهم ولقراراتهم لتأتي متفقة مع الإرث الحضاري الذي خلفه محمد بن عبد الله لهذه الأمة ولتحظى بالمكانة السامية التي حظي بها أسلافنا يوم سادوا العالم وقدموا له أفضل برامج الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وإلى أن يتحقق ذلك فإن أولي الأمر في هذه الأمة وعلماءها ومثقفيها مطالبون بجهد كبير وسعي حثيث لتصحيح علاقاتهم مع الله أولا ومع شعوبهم ثانيا عن طريق الحوار الهادف البناء والمرونة في الطرح والتعامل والمشاركة الحقيقية لشعوبهم في آمالهم وآلامهم ليكونوا جزءا من الأمة وليس في أبراج عالية بعيدة عنها

----

٢١. تعريف البدعة لغة وشرعًا

تعريف البدعة لغة وشرعًا
البدعة لغة: الشيء المخترع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ ٱلرُّسُلِ} [الأحقاف:٩]، ومنه قول عمر رضي الله عنه: (نعمت البدعة)([١])، وقول الشافعيّ: "البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنّة فهو مذموم"([٢]).
قال ابن رجب: "وأمّا ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنّما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لمّا جمع النّاس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك، فقال: (نعمت البدعة هذه)"([٣]).
والتعب والكلال ومنه أنّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أبدع بي فاحملني ([٤])، فقال: ((ما عندي)) فقال رجل: يا رسول الله! أنا أدّله على من

يحمله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله))([٥]).
والبدعة شرعًا: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعيّة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى([٦]).
(طريقة في الدين) الطريقة والطريق السبيل، وقيَّدت بالدين لأنَّها فيه تُخترع، وإليه يضيفها صاحبُها.
(مخترعة) أي طريقة ابتدعت على غير مثال سابق.
(تضاهي الشرعيّة) يعني: أنَّها تشابه الطريقة الشرعيَّة من غير أن تكون في الحقيقة كذلك؛ من التزام كيفيَّات وهيئات معيَّنة.
(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى)؛ لأنّ أصل الدخول فيها يحثّ على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك([٧]).
قال ابن رجب: "فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين منه بريء"([٨]).
وقال: "والمراد بالبدعة: ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأمّا ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة"([٩]).
قال ابن حجر: "والمراد بقوله: ((كل بدعة ضلالة)) ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام"([١٠]).
مقارنة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للبدعة:
المعنى اللغوي أعمّ من المعنى الشرعي، فالعلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ إذ كل بدعة في الشرع يطلق عليها لغة أنها بدعة، وليس كل ما يطلق عليه في اللغة أنه بدعة بدعةً في الشرع.
والبدعة في الشرع ملازمة لصفة الضلالة؛ للحديث الوارد: ((كل بدعة ضلالة))([١١])، وأما البدعة بمعناها اللغوي فليست كلها ملازمة لوصف الضلالة.

الهوامش:
([١]) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠١٠).
([٢]) انظر: فتح الباري (٢٥٣/١٣).
([٣]) جامع العلوم والحكم (١٢٨/٢).
([٤]) جامع العلوم والحكم (١٢٨/٢).
([٥]) أخرجه مسلم (١٨٩٣).
([٦]) الاعتصام (٣٧/١).
([٧]) انظر: علم أصول البدع لعلي حسن (ص ٢٤-٢٥).
([٨]) جامع العلوم والحكم (١٢٨/١).
([٩]) جامع العلوم والحكم (١٢٧/٢)
([١٠]) فتح الباري (٢٥٤/١٣).
([١١]) تقدم تخريجه (ص ١).

----

٢٢. ملحقات بموضوع المولد النبوي

أوّل احتفال عُمِل لمولد للنبيّ صلى الله عليه وسلم:
قال المقريزي: "ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم تتسع بها أحوال الرعيّة وتكثر نعمهم؛ كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعيادٌ ومواسمُ، وهي موسم رأس السنّة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه...) إلى آخر سرده لتلك الأعياد والمواسم([١]). وقد ذكر ذلك أيضًا القلقشندي في صبح الأعشى([٢]).
وأكّد هذه النسبة إلى الفاطميين من المعاصرين العلامة محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية (المتوفى سنة ١٣٥٤هـ)، بل ذكر أنّ أوّل من أحدثها بالتحديد منهم المعز لدين الله الفاطمي([٣]).
واتفق العلامة محمد بخيت المطيعي الحنفي مع الأستاذ علي محفوظ على أنَّ الملك المظفر أبا سعيد إنما أحدث المولد النبوي بمدينة إربل في القرن السابع بعد الفاطميين([٤]).
وهؤلاء الفاطميّون لم يعترف بنسبهم إلى أهل البيت أحد من أهل العلم الثقات، بل ألّفوا في الطعن والقدح فيهم الكتب والمحاضر، وشهدوا عليهم بالإلحاد والزندقة والإباحيّة. قال الباقلاني: "هم قوم يظهرون الرفض، ويبطنون الكفر المحض"([٥]).
وكانوا يُحدِثون في هذه الاحتفالات أمورًا شنيعة ذكرها المقريزي في خططه عقّب عليها العلامة محمد بخيت المطيعي بقوله: "وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميّون في المولد النبوي جزمت بأنّه لا يمكن أن يحكم عليه بالحلّ"([٦]).
فهذا الاحتفال لا شكّ في أنّه محدث بعد القرون الثلاثة، وأنّ الذين أحدثوه هم من أخبث الفرق التي انتسبت إلى الإسلام إن لم تكن أخبثها.
قاموا على هذه الاحتفالات بُغية التأثير على العامة المحرومين، ظنًا منهم أنّ هذه الموالد ستؤكد نسبهم المزعوم، فوسعوا على الناس فيها، وصرفوا الأموال الطائلة عليها، فأقبل النّاس على تلك الموائد العظيمة التي كانت تُعَدُّ لهم، وصاروا ينتظرونها كلّ عام بنفس مستشرفة، وهكذا توالت السنوات، وتعارف الناس عليها؛ حتى صارت عقيدة يموت عليها الكبير، وينشأ عليها الصغير، ثم انتهت دولة بني عبيد ولكن الاحتفال بها استمر، وصار لها سلطان على العلماء لجريان عمل الناس عليها.
هل الحق يعرف بالرجال؟
إنَّ الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق، إنّ الحق مرتبط بالدليل، ولا تعلق له بذوات الخلق قلة أو كثرة، وهذا هو المذهب الحق الذي مشى عليه السلف الصالح، فلم يكن الحق عندهم يجري على لسان أحد غير النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يقرّون إلا ما دلّ عليه الدليل.
يقول مالك بن أنس وهو يشير إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم: "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر"([٧])،وأخبر أبو حنيفة أن الحق لا يتعلق به فقال:

"حرامٌ على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي؛ فإننا بشرٌ، نقول القول اليوم، ونرجع عنه غدًا"([٨]).
وقال الشافعي: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"([٩])، وقال: "أجمع المسلمون على أنَّ من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد"([١٠]).
وقال أحمد: "لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي والثوري، وخذ من حيث أخذوا"([١١]).
وعليه؛ فما أعظم خيبة من يأتي إلى مجموع كلامٍ لشيخ الإسلام ابن تيمية، الإمام الذي قمع الله به البدع والمحدثات، ويُلفِّق منه كلامًا يوهم به عامة الناس أن ابن تيمية عليه رحمة الله تعالى يقول بمشروعية المولد ظنًا منه أنّ القائلين ببدعية المولد سيتركون قولهم؛ لقول شيخ الإسلام لكونه معظمًا عندهم.
كالذي صنعه صاحب رسالة (حول الاحتفال) حينما عنون فيها لفصل بعنوان: رأي ابن تيمية في المولد، ثم ساق فيه كلامًا لابن تيمية بتر فيه أوَّله وآخره، لأنها قاضية على بطلان دعوته، ونصّ كلام ابن تيمية فيه كما نقله في رسالته "قد يثاب بعض الناس على فعل المولد، وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع. ثم قال: واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع، وفيه أيضًا شر من بدعة وغيرها، فيكون ذلك العمل شرًا بالنسبة إلى الإعراض عن الدين بالكلية كحال المنافقين والفاسقين.
هذا وقد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة، فعليك هنا بأدبين:
أحدهما: أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطنًا وظاهرًا في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر.
الثاني: أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان، فإذا رأيت من يعمل هذا، ولا يتركه إلا إلى شرٍّ منه، فلا تدعو إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه أو بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان البدعة نوع من الخير فعوِّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان إذ النفوس لا تترك شيئًا إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيرًا إلا إلى مثله أو إلى خير منه، ثم قال: فتعظيم المولد، واتخاذه موسمًا قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمته لك؛ إنه يحسن من الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار، ونحو ذلك، فقال: دع، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب أو كما قال.
مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة، وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط، وليس مقصود أحمد هذا، وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضًا مفسدة كره لأجلها" ([١٢]).
ولنا مع هذا النقل الذي نقله عن شيخ الإسلام وقفتان:
الأولى: عدم الأمانة في النقل، وهذه تتمثل في نقطتين:

١ ـ إضافة جمل لم يقلها شيخ الإسلام مثل قوله في أول النقل: "قد يثاب بعض الناس على فعل المولد" فهذا الكلام غير موجود في النقل الذي نقله عن شيخ الإسلام.
٢ ـ حذفه كلام شيخ الإسلام الذي هو نصٌ في بدعية المولد، فعند قوله في أول النقل: "والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع" بتر الناقل الكلام الذي بعده وهذا نصه: "من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشدَّ محبَّة لرسول الله وتعظيمًا له منّا، وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان"([١٣]).
فهذا الذي حذفه صاحب رسالة (حول الاحتفال) هو رأي شيخ الإسلام في المولد، وأنها بدعة محدثة.
الثانية: قول شيخ الإسلام: "فتعظيم المولد واتخاذه موسمًا قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمته".
إنَّ البدعة لو كانت شرًا محضًا لما قبلها الناس، ولما انتشرت إلا عند المبطلين الزنادقة، ولكنها تروج ويقبلها النّاس لما فيها من الحق الذي اختلط بالباطل، فشيخ الإسلام يقول: (أن من يفعل قد يثاب) و(قد) هنا على بابها للتقليل فهو قد يثاب على ما في بدعة المولد من الأمور المشروعة كإطعام الطعام، وعلى ما في قلبه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وقصد حسن، ولكنه أيضًا آثم بإحداثه هذا الأمر، وهذه المسألة مسألة أنه قد يكون مثابًا آثمًا في آن واحد لانفكاك الجهة لها نظائر، كالمصلي في الأرض المغصوبة.
والبدع والمحدثات ليست طريقًا لإظهار الحب والتعظيم، بل الحب والتعظيم كل التعظيم إنما يكون في الاتباع وهو الذي تحقق كماله لدى الصحابة الذين لم يزيدوا على هدي النبي صلى الله عليه وسلم قدر أنملة، فكانوا أكمل الناس محبة وتعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم.
هل المولد يخلو من المنكرات؟
إن المولد لا يخلو أبدًا من المنكرات، قال السيد محمد رشيد رضا: "فالموالد أسواق الفسوق، فيها ضيام للعواهر، وخانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس، وبعض هذه الموالد يكون في المقابر، ويرى كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة، التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقدون الشموع الكثيرة احتفالاً باسم صاحب المولد، ويهنئ بعضهم بعضًا بهذا العمل الشريف في عرفهم"([١٤])، وإن خلا من اختلاط الرجال بالنساء، وارتكاب المحرمات، وكثرة الإسراف فإنه لا يخلو من أعظم المنكرات، وهو الشرك بالله، واتهام النبي صلى الله

عليه وسلم بالإخلال بالتبليغ، والشريعة بالقصور والنقص، فإذا قمنا باستعراض سريع للكتب المشهورة العمد نجد أنها لا تخلو أبدًا من الخرافات والاعتقادات الفاسدة والأحاديث الموضوعة الباطلة.

خذ مثلاً مولد ابن الديبع الذي قام على طبعه صاحب (حول الاحتفال) جاء فيه كما ينقل الشيخ محمد رشيد رضا: "فسبحانه تعالى من ملك، أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره، قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب، وعرض فخره على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء، وأجل الأصفياء، وأكرم الحبائب".

علق الشيخ محمد رشيد قائلاً: "فهذا كذب صريح لم يروه المحدثون"([١٥])، قال السخاوي منبهًا على ما في تلك الموالد: "أكثر ما بأيدي الوعاظ منه ـ أي مما يقرأ في المولد ـ كذب واختلاق، بل لا يزالون يولدون ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانه إنكاره، والأمر بترك قراءته"([١٦]) ، وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "لم نطَّلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف إلا ورأينا فيها كثيرًا من الأخبار الموضوعة"([١٧]).

وفيما يقرأ أيضًا تلك الليلة الشرك الصراح، كقصيدة البوصيري المشتملة على الشرك الأكبر، كقوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي   فضلاً وإلا فقل يا زلَّة القدم
فإنّ من جودك الدنيا وضرَّتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

ويقرأ أيضًا قول البكري:

ولذ به في كل ما ترتجي   فإنه المأمن والمعقل
وناده إن أزمة أنشبت   أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه   وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة   فرَّجت كربًا بعضه يعضل
عجل بإذهاب الذي أشتكي   فإن توقفت فمن ذا أسأل

وفي المولد الذي ألَّفه ابن حجر الهيتمي من الشرك قوله: "ولا غاية لاستيعابه ـ أي خصائصه صلى الله عليه وسلم ـ وسيرة سيدنا ومولانا وذخرنا وملاذنا وملجئنا وممدنا ومنقذنا ومكملنا وناصحنا"([١٨])، فإذا كان صلى الله عليه وسلم هو الملاذ والملجأ فأين الله؟!

أما المنكرات الأخلاقية والاجتماعية فحدث ولا حرج، ودعوى أنه يمكن إقامة مولد خال منها ليس لها حقيقة. وهو الحق الذي شهد به أصحاب الموالد أنفسهم حيث قال ابن حجر الهيثمي في الموالد التي تفعل في زمانه: "أكثرها مشتمل على خير؛ كصدقة وذكر، وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه، وعلى شر، بل شرور لو لم يكن منها إلاَّ رؤية النساء للرجال الأجانب، وبعضها ليس فيه شر، لكنه قليل ونادر"([١٩]).

ومن طريف ما يذكر من منكرات هذا المولد أن السيوطي ذكر في كتابه الحاوي: أن الملك المظفر مبتدع بدعة المولد([٢٠]) قد أعد سماطًا في أحد الموالد التي يقيمها، وضع عليه خمسة آلاف رأس غنم مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة فرس، ومائة

ألف زبديَّة، وثلاثين ألف صحن حلوى، وأنه أقام سماعًا للصوفية من الظهر إلى الفجر، وكان يرقص فيه بنفسه مع الراقصين([٢١]).
قال الشيخ أبو بكر الجزائري: "فكيف تحيا أمة ملوكها دراويش يرقصون في حفلات الباطل؟! وإنا لله وإنا إليه راجعون"([٢٢]).
القيام في المولد:
القيام الذي يكون في المولد يسمّى بـ(الفزة) ومرادهم منه القيام بسرعة، وذلك عند ورود ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا، ويسمّى عندهم أيضاً بـ (الحضرة)؛ لأنّ كثيرًا منهم يزعم أنّ روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر عندها، ويقولون: (حضر، حضر)، ويتركون النافذة مفتوحة لتدخل روح النبي صلى الله عليه وسلم منها، فجمعوا بين البدعة وبين إساءة الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ يجعلونه مخالفاً لما أمر الله به في كتابه قال تعالى: {لَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا} [البقرة:١٨٩].
وهذا القيام قد استحبَّه صاحب رسالة (حول الاحتفال)([٢٣]) مع أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حال حياته نهى عنه وكرهه من الصحابة، فكيف يقع استحبابه عليه في بدعة الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم.
قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال: ((لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضًا))([٢٤]).
وقال أنس رضي الله عنه: (ما كان شخص أحب إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم،وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك)([٢٥]).
فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد كره القيام له، ونهى عنه وأخبر أنه من فعل الأعاجم، فكيف بالقيام عند ذكر ولادته وخروجه إلى الدنيا؟! فهذا أولى بالنهي لجمعه بين البدعة والتشبه بالأعاجم.
والقوم لا يقفون عند هذا الحد، بل يزعمون أن هذا القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم لأجل أن روح النبي تحضر في ذلك الوقت، وأنه يصافح المجتمعين في المجلس، وهو اعتقاد ليس عليه كتاب ولا سنة ، ولا أثر عن خير القرون.
الأشعار الشركية التي تتلى في المولد:
إن الأشعار التي فيها الشرك الصراح؛ لا يرى القوم في روايتِها شيئًا من ذلك؛ لأنّهم يرون أنّ الكاف في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم)) للتمثيل، أي: لا تقولوا فيَّ قول النصارى في عيسى، وقولوا ما سوى ذلك؛ لذلك يقول البوصيري:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطق بنعم

والصحيح أن الكافَ في الحديث للتعليل وليست للتشبيه كقوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً} [البقرة:١٥١]، وقوله تعالى: {وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ} [البقرة:١٩١]، فالنبي صلى الله عليه وسلم ينهى أمته عن إطرائه الموصل إلى الغلو؛ لأجل ما حصل للنصارى، فقالوا: عيسى ابن الله.

ويبين ذلك ويوضحه ما حكاه عبد الله بن الشخير، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: ((السيد هو الله تبارك وتعالى)). قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: ((قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان))([٢٦]).

فهم يتقربون إلى الله بالشرك، ويمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم بما حارب عليه المشركين، فما أشدّ ضلالهم وأبعدهم عن الهُدى.

أمور لا تشترط في البدعة:

١. لا يشترط في البدعة ألا يوجد لها بعض الفوائد، بل قد توجد لبعض البدع بعض الفوائد؛ إذ ليست البدع من قبيل الباطل الخالص الذي لا حق فيه، ولا من الشر المحض الذي لا خير فيه.

قال ابن تيمية: "لأنّ جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شرّ راجح على ما فيها من الخير؛ إذ لو كان خيرها راجحًا لما أهملته الشريعة، فنحن نستدل بكونها بدعة على أنّ إثمها أكثر من نفعها، وذلك هو الموجب للنهي، وأقول إنّ إثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض؛ لاجتهاد أو غيره"([٢٧]).

٢. لا يشترط في البدعة أن تفعل على وجه المداومة والتكرار، بل إنّ الشيء قد يفعل مرّة واحدة دون تكرار ويكون بدعة، وذلك كالتقرب إلى الله بفعل المعاصي أو بالعادات.

٣. لا يشترط في البدعة أن تفعل مع قصد القربة والتعبد، بل إنّ الشيء ربما كان بدعة دون هذا القصد، فلا يشترط ـ مثلاً ـ قصد التعبد في البدع الحاصلة من جهة الخروج على نظام الدين؛ كالتشبه بالكافرين، ولا في الذرائع المفضية إلى البدعة، إلا أنّ غالب البدع ـ خاصة في باب العبادات ـ تجري من جهة قصد القربة.

٤. لا يشترط في البدعة أن يوصف فاعلها بسوء القصد وفساد النية، بل قد يكون المبتدع مريدًا للخير، ومع ذلك فعمله يوصف بأنه بدعة ضلالة، كما ورد ذلك في أثر ابن مسعود رضي الله عنه، قال: (وكم من مريد للخير لن يصيبه)([٢٨]).

٥. لا يشترط في البدعة أن تخلو من دلالة الأدلة العامّة عليها، بل قد تدل الأدلة العامة المطلقة عليها من جهة العموم، ولا يكون ذلك دليلاً على مشروعيتها من جهة الخصوص؛ إذ إنّ ما شرعه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بوصف العموم والإطلاق لا يقتضي أن يكون مشروعًا بوصف الخصوص والتقييد، كقوله تعالى: {يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً} [الأحزاب: ٤١]، فإنه لا يقتضي بعمومه مشروعية الأذان للعيدين على وجه الخصوص.

الآثار الناتجة عن بدعة المولد:

١. التعبد لله تعالى بما لم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما حكم بأنّه ضلالة.

٢. القدح في كمال الشريعة الإسلامية، وردّ قول الله تعالى: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة:٣].
٣. الطعن في أمانة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يؤدِ الأمانة، ولم ينصح الأمة.
٤. تصيير هذا اليوم عيدًا يحرم فيه الصوم ويُمنع، كما أفتى بذلك ابن عبَّاد وابن عاشر، كما بيَّنه الحطَّاب في مواهب الجليل (٤٠٦/٢).
وقال أحمد بن بابا: (قال ابن عباد في رسائله: كنت قدمًا خرجت يوم مولده صلى الله عليه وسلم إلى ساحل البحر، فوجدت هناك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه، فأراد منّي الآكل، فقلت: إني صائم، فنظر إلى السيد الحاج نظرة منكرة، وقال: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم، كالعيد، فتأملت مقاله فوجدته حقًا، وكأنه أيقظني من النوم) ([٢٩]) .
٥. الطعن في محبة الصحابة رضي الله عنهم له صلى الله عليه وسلم، حيث لم يقيموا له مولداً.
٦. التشبه بالنصارى في احتفالهم بعيد ميلاد عيسى عليه السلام، جاء في التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي([٣٠]) في معرض تقريره أن الاحتفال يوافق اليوم الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر".
فتعقبه الملا علي قاري في المورد الروي في المولد النبوي بقوله: "مما يرد عليه أنّا أُمِرنا بمخالفة أهل الكتاب"([٣١]).
٧. اعتقاد ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر، وهو ما قرره القسطلاني([٣٢])، فردَّ عليه الملا علي قاري بقوله: "أغرب القسطلاني، وقال: ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها، حيث لا يفيد الإطلاق مع أن الأفضلية ليست إلا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النص القرآني، {لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر:٣]، ولا تعرف هذه الأفضلية لليلة مولده صلى الله عليه وسلم، لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا عن أحد من علماء الأمة"([٣٣]).
٨. الإسراف في المولد النبوي إسرافًا شديدًا جدًا، حتى قال محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية: "وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميُّون ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه بالحل"([٣٤]).
٩. ما اشتملت عليه هذه البدعة من المنكرات الأخلاقية، مثل:
أ- استعمال الأغاني وآلات الطرب، قال ابن الحاج: "مضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله، وعظمها ببدع ومحرمات"([٣٥]).

يا عصبة ما ضرَّ أمَّة أحمد   وسعى على إفسادها إلاَّ هي
طار ومزمارٌ ونغمة شادنٍ   أرأيت قط عبادةً بملاهي؟!

ب- قلة احترام كتاب الله؛ فإنهم يجمعون بينه وبين الأغاني.

ج- الافتتان بالمردان؛ فإن الذي يغني في الاحتفالات ربما يكون شابًا جميل الصورة نظيف الكسوة حسن الهيئة.
د- اختلاط الرجال بالنساء.
١٠. تصيير المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، بسبب وقوعه في هذه الليلة.
١١. رواية الأحاديث الموضوعة المنكرة، مما يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار))([٣٦])، وقوله: ((من حدَّث عني بحديث يُرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين)) ([٣٧]).
١٢. اعتقادهم أن في هذا اليوم ساعة لا يوافقها عبدٌ بالدعاء إلا أجيبت دعوته، قياسًا على يوم الجمعة.
١٣. تلاوة الأشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على ما فيها من معانٍ شركية صارخة.

مراجع للتوسع في الموضوع:
١. المورد في عمل المولد للإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهانِي.
٢. حكم الاحتفال بالمولد النبوي، والردّ على من أجازه للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
٣. حكم الاحتفال بالمولد النبوي للشيخ عبد العزيز بن باز.
٤. الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن العلوي، وبيان أخطائهم في المولد النبوي للشيخ حمود بن عبد الله التويجري.
٥. الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف للشيخ أبي بكر الجزائري.
٦. القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري.
٧. الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع لمحمد بن شقير البخاري([٣٨]).
٨. البدع الحوليَّة لعبد الله بن عبد العزيز التويجري.
٩. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام.
١٠. الاعتصام للشاطبي.
١١. الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ.
١٢. أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنّة والبدعة من الأحكام لمحمد بخيت المطيعي الحنفي.
١٣. قواعد معرفة البدعة لمحمد بن حسين الجيزانِي.
١٤. حوار مع المالكي للشيخ عبد الله بن منيع.
....
الهوامش:
([١]) الخطط (٤٩٠/١).
([٢]) (٤٩٨/٣).
([٣]) انظر: أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام لمحمد بخيت (ص٤٤، ٤٥).

([٤]) انظر أحسن الكلام (ص ٥٢)، والإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ (ص ١٢٦).
([٥]) نقلاً عن ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٧/١١).
([٦]) أحسن الكلام (ص ٥٢).
([٧]) انظر: منهاج السنة النبويّة (٥٠٣/٣).
([٨]) تاريخ ابن معين، وانظر: صفة صلاة النبيّ صلى الله عليه وسلم للألباني (ص ٤٦).
([٩]) انظر: المجموع (١٣٦/١).
([١٠]) انظر: إعلام الموقعين (٧/١).
([١١]) انظر: إعلام الموقعين (١٨٢/٢).
([١٢]) حول الاحتفال بالمولد المولد النبوي الشريف (ص ١٩ـ ٢١)، وأحال على الاقتضاء.
([١٣]) الاقتضاء (٢٩٤/١).
([١٤]) تفسير المنار (٧٤/٢-٧٥).
([١٥]) انظر: فتاوى السيد محمد رشيد رضا (٤٦٤/٢).
([١٦]) نقلاً عن الملا علي قاري في المورد الروي (ص ٣٢).
([١٧]) فتاوى السيد محمد رشيد رضا (١٢٤٣/٤).
([١٨]) مولد النبي صلى الله عليه وسلم، لابن حجر الهيتمي، (ص ٣٣).
([١٩]) الفتاوى الحديثية (ص ١٠٩).
([٢٠]) أخذها عن حكام بني عبيد.
([٢١]) انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٦٨١ ـ ٦٨٢).
([٢٢]) الإنصاف (ص ٣٦٢) مطبوعة ضمن مجموعة رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي.
([٢٣]) حول الاحتفال (ص ٢٤-٣١).
([٢٤]) أخرجه أحمد (٢١٦٧٧)، وأبو داود (٥٢٣٠).
([٢٥]) أخرجه أحمد (١١٩٣٦).
([٢٦]) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٢١).
([٢٧]) الاقتضاء (٢٩٠/١).
([٢٨]) أخرجه الدارمي (٦٨/١ ـ ٦٩).
([٢٩]) الديباج المذهب في أعيان المذهب (ص ٧١).
([٣٠]) (ص ١٤).
([٣١]) (ص ٢٩ ـ ٣٠).
([٣٢]) المواهب اللدنية (١٣٥/١، ١٣٦).
([٣٣]) المورد الروي (ص ٩٧).
([٣٤]) سبقت الإشارة إليه.
([٣٥]) انظر: القول الفصل (ص ٦٥٤).

([٣٦]) أخرجه البخاري (١٠٧)، ومسلم (٢).
([٣٧]) أخرجه مسلم في المقدمة (ص ٩).
([٣٨]) هذه الرسائل السبع طبعت مجموعة في مجلدين بدار العاصمة.
----

٢٣. حوار مع شيخ الإسلام عن بدعية الاحتفال بالمولد النبوي

حوار مع شيخ الإسلام عن بدعية الاحتفال بالمولد النبوي
راشد بن عبد الرحمن البداح
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:
فإننا في هذه السطور تنشرح منا الصدور، لأننا أمام إمام همام، ومجاهد ببنانه وسنانه، قد قاتل أعداء الله وجاهد في الله حق جهاده بسلاحين حملهما بيده، أحدهم: السيف والرمح، وثانيهما القرطاس القلم، فكأن أحمد بن الحسين عناه بقوله:
الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
إنه شيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني.
وما يعنينا هنا هو أمر منافحته عن دين الله بقلمه ولسانه، ومناظرته ومقابلته للطوائف الضالة والمبتدعة، وقوة اطلاعه على مذاهب القوم، وقوة حجته، وتمكنه من الرد الرصين الذي يزهق معه الباطل.
ولقد قال فيه ابن الزملكاني إمام الشافعية في زمن ابن تيمية:
(كانت الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء، ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله).
ولنأخذ نموذجاً واحداً من قوة حجته وسرعه بديهته، واستحضار جوابه، حين يكون الموقف مستدعياً لذلك: جاء إنسان إلى الشيخ يوماً بخبز يابس فقال: يا سيدي قد جِبتُ هذا من صماط الخليل على اسمك فقال له: (مالي به حاجة، أنا حاجتي إلى الدين الذي عليه الخليل، ومتابعة ملة الخليل الذي أمر الله أمه محمد بمتابعته، مالي حاجة بهذا الخبز، والخليل ما عمل هذا ! ولا أمر بهذا العدس ! ولا كان يطعم ويضيف غير اللحم، قال تعالى (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين)، وأما العدس فإنه شهوة اليهود وقد سئل عبد الله بن المبارك رضي الله عنه - فقيل له: جاء في الحديث أن العدس قدَّسه سبعون نبي، فقال: (لن ولا نصف نبي) (ص ١٣٩) من الجامع لسيرة ابن تيمية
ومواضع العجب في هذا الموقف القوي الذكي ما يلي:
١- قوله: أنا حاجتي إلى الدين الذي عليه الخليل ! لقوله تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا).
٢- قوله: والخليل ما عمل هذا لقوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)
٣- قوله: وأما العدس فإنه شهوة اليهود، لقوله تعالى: (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسه....)

٤- قوله: ولا كان يطعم ويضيف غير اللحم، واستدلاله بقوله تعالى: (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين)
٥- إيراده لقول ابن المبارك (لن، ولا نصف نبي) ليبين أن الحديث موضوع مكذوب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
فهذه خمس حجج قابلة للزيادة من موقف يسير عابر لابن تيمية مع هذا الرجل الجاهل، فما بالك إذا استوفز واستعد للرد فسيكون - بلا شك - أكثر تمكناً وتنفيد.
وإن من البدع التي قام شيخ الإسلام بردِّها والاعتذار عما حصل من أهله، ما يسمى ببدعة الاحتفال بليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي يعتقد الجهال أنه يشرع الاحتفال به، وأنها توافق الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول من كل سنة.

وقد صُغْتُ مقابلةً مع شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فتصورت شيخ الإسلام جالساً على كرسي الإفتاء وهو بحرّان في الشام، وتحت كرسيه بعض الذين يحيون - بل يميتون - ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، وتخيلت أنهم يسألونه أسئلة ويجيبهم عليه.
علماً أنني ذكرت كلام شيخ الإسلام بنصه وفصِّه، ولم أغير منه شيئاً إلا ما استدعى الاختصار فقط وهو يسير، وإنما أنزلت على تقريرات شيخ الإسلام أسئلةً رأيتها تطابق ما قرره - رحمه الله تعالى -.
فما أسئلة أهل المولد النبوي، وما إجابات شيخ الإسلام المسددة الموفقة؟! فإلى ذلك اللقاء الحافل أذهب بكم وأترككم هناك مع المقدم للقاء والمنسق له.
يبتدئ المقدم قائلاً: قد وردَتنا أسئلة كثيرة وشبهات من الذين يعتقدون سنية إحياء ليلة المولد النبوي، فنتركم أعزائي القراء ومع ما يطرحون من إشكالات واستفسارات.
س١: البدع التي يقع فيها الناس، ما سبب انتشارها وظهوره؟
أصل الضلال في أهل الأرض؛ إنما نشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله، أو تحريم ما لم يحرمه الله..فالأصل في العبادات: أن لا يشرع منها إلا ما شرع الله، والأصل في العادات: أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله، وهذه المواسم المحدثة؛ إنما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذي يتقرب به(ص ٣٦٩)
س٢: كيف تمنعوننا من إحياء ليلة المولد، وقد اعتدنا عليها في بلادنا وأفتى بها كثير من علمائنا وشارك فيها معظم عبادنا، فما ردّكم؟
المخصص هو الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع نصاً واستنباط، وأما عادة بعض البلاد أو أكثره، وقول كثير من العلماء أو العباد أو أكثرهم ونحو ذلك؛ فليس مما يصلح أن يكون معارضاً لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يعارض به.(ص ٢٧١)
س٣: نحن نسمع من مشايخنا أن (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ومادام أن ليلة المولد قد أجمع الناس عليها فهي إذاً أمر حسن، فما ردَّكم؟
ج: من اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليه، بناء على أن الأمة أقرَّتها ولم تنكره؛ فهو مخطئ في هذا الاعتقاد؛ فإنه لم يزل ولا يزال في كل وقت من

ينهى عن عامة العادات المحدثة المخالفة للسنة.ولا يجوز دعوى إجماع بلد أو بلدان من بلدان المسلمين فكيف بعمل طوائف منهم؟ !...
والاحتجاج بمثل هذه الحجج، والجواب عنها معلوم أنه ليس طريقة أهل العلم، لكن كثرة الجهالة قد يستند إلى مثلها خلق كثير من الناس.(ص ٢٧١ + ٢٧٢)
س٤: نعم ! نحن نقرأ أن ليلة المولد بدعة لم تفعل في عهد الصحابة رضي الله عنهم، لكنها بدعة حسنة؛ وليست قبيحة، فحينئذ لا ينهى عنه؟
ج: هَبْ أن البدع تنقسم إلى حسن وقبيح ! فهذا القدر لا يمنع أن يكون هذا الحديث(كل بدعة ضلالة) دالاً على قبح الجميع، لكن أكثر ما يقال: إنه أذا أثبت أن هذا حسن يكون مستثنى من العموم، وإلا فما الأصل أن كل بدعة ضلالة؟ ! (ص ٢٧٤)
س٥: هل يمكن أن تعطينا قاعدة منضبطة نقيس عليها هذه الأمر الذي تفتي بأنه بدعة وضلالة؟
جـ - كل أمر يكون المقتضي لفعلـــه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موجوداً لوكان مصلحـة، ولم يفعل: أنه ليس بمصلحة.(ص ٢٧٩)
س٦: لو سلّمنا يا إمام أن المولد النبوي بدعة، فما الضرر الحاصل من جراء ذلك؟
جـ - الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث..وفعل هذه البدع تناقض الاعتقادات الواجبة، وتُنازع الرسلَ ما جاءوا به عن الله، وأنها تورث نفاق، ولوكان نفاقاً ضعيف..فمن تدبر هذ: " علم يقيناً ما في حشو البدع من السموم المضعفة للإيمان.ولهذا قيل: إن البدع مشتقة من الكفر (ص ٢٨١ و ٢٨٩)
س٧: يا أيها الإمام: ولماذا نلام على فعلها وقد فعلها قوم كرام، وهم في الفضل والمكانة بالمقام الأرفع؟!
جـ - إذا فعلها قوم ذوو فضل؛ فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهته، وأنكرها قوم كذلك.وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعله، فليسوا دونهم في الفضل.ولو فرضوا دونهم في الفضل، فتكون حينئذٍ قد تنازع فيها أولو الأمر؛ فترد إذاً إلى الله والرسول.وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لا مع من رخص فيه، ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكِرين.(ص ٢٩١)
س٨: لكن يا أيها الشيخ المبجل الموصوف بشيخ الإسلام: ألا ترى ما في إحياء هذه الليلة من المصالح والمنافع، ومنها كثرة الصلاة والسلام على رسول الله، وكثرة الصدقات على الفقراء، واجتماع كثير من المسلمين، ولقاء بعضهم ببعض، وغيرها من المصالح والمنافع؟
جـ - أما مافيها من المنفعة: فيعارضه ما فيها من مفاسد البدعة الراجحة، منها - مع ما تقدم - من المفسدة الاعتقادية والحالية -: أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس.(ص٢٩١)
س٩: إذ: هل نفهم من خلال كلامكم السابق كلّه أن الذي يحيي هذه الليلة مأزور غير مأجور؟

جـ - تعظيم المولد واتخاذه موسم، قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم؛ لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم..والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع (ص ٢٩٧ و ٢٩٤)
س١٠: إذاً لماذا تنكرون علينا هذا الإنكار، ولنا في عملنا بعض الأجر يا إمام؟
ج - أكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على أمثال هذه البدع؛ مع مالهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يُرجى لهم به المثوبة: تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يُحلّي المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه...
ويَحسن من بعض الناس ما يُستقبح من المؤمن المسدَّد، ولهذا ((قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: دَعْهُ؛ فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب)) أو كما قال، مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة...وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه مفسدة كره لأجله، فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا هذا الفساد الذي لا صلاح فيه.(ص٢٩٧و٢٩٦)
س١١: هل يمكن أن توضح لنا - رحمك الله - كلامك الأخير: أهو موافقة لنا أم ماذا ؟
جـ - التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر، وجنس الدليل وغير الدليل يتيسر كثير، فأما مراتب المعروف والمنكر ومراتب الدليل؛ بحيث تقدم عن التزاحم أعرف المعروفَين فتدعو إليه، وتنكر أنكر المنكرَين، وترجح أقوى الدليلين؛ فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين....وهؤلاء خير ممن لا يعمل عملاً صالحاً مشروعاً ولا غير مشروع، أو من يكون عمله من جنس المحرم، كالكفر والكذب والخيانه والجهل.
س١٢: إذ: هل نحن أفضل أم الذين يعتقدون بدعية المولد النبوي؟
جـ- من تعبّد ببعض هذه العبادات المشتملة على نوع من الكراهة، كالوصال في الصيام..أو قصد إحياء ليالٍ لا خصوص له..؛ قد يكون حاله خيراً من حال البطّال الذي ليس فيه حرص على عبادة الله وطاعته، بل كثير من هؤلاء الذين ينكرون هذه الأشياء، زاهدون في جنس عبادة الله..لكن لا يمكنهم ذلك في المشروع، فيصرفون قوّتهم إلى هذه الأشياء، فهم بأحوالهم منكرون للمشروع وغير المشروع، وبأقوالهم لا يمكنهم إلا إنكار غير المشروع.
ومع هذ: فالمؤمن يعرف المعروف وينكر المنكر، ولا يمنعه من ذلك موافقة بعض المنافقين له ظاهراً في الأمر بذلك المعروف، والنهي عن ذلك المنكر، ولا مخالفة بعض علماء المؤمنين. (ص ٢٩٩)
س١٣: لكن نرى من إخواننا الذين ينكرون علينا هذا الأمر نوعاً من الشدة والغلظة في الإنكار، فما وصيتكم لنا ولهم؟
جـ- هذا قد ابتلى به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة، فعليك هنا بأدبين: أحدهم: أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر
الثاني: أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان، فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه، فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ماهو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرّ من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير؛

فعوِّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان.إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خير منه.فإنه كما أن الفاعلين لهذه البدع معيبون قد أتوا مكروه؛ فالتاركون أيضاً للسنن مذمومون..وكثير من المنكرين لبدع العبادات تجدهم مقصرين في فعل السنن..ولعل حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العادات المشتملة على نوع من الكراهة..فتفطن لحقيقه الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد؛ بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند المزاحمة؛ فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل (ص ٢٩٦ - ٢٩٨).

س١٤: هل معنى ما تقدم من تحذيركم من المولد، ألا نمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نتذكر سيرته، ولا نجتمع على ذلك في أي ليلة من ليالي السنة؟

جـ الاجتماع لصلاة تطوع، أو استماع قرآن، أو ذكر الله ونحو ذلك: إذا كان يُفعل ذلك أحياناً فهذا أحسن...فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور والأعوام، غير الاجتماعات المشروعة؛ فإن ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس وللجمعة والعيدين والحج، وذلك هو المبتدع المحدث. ففرق بين ما يتخذ سنة وعادة؛ فإن ذلك يضاهي المشروع..

عن الكوسج أنه قال لأبي عبد الله [الإمام أحمد]: يكره أن يجتمع القوم يدعون الله، ويرفعون أيديهم؟ قال: ما أكره للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمد، إلا أن يكثروا)) وإنما معنى أن لا يكثروا: أن لا يتخذوها عادة حتى يكثروا.. فقيَّد أحمد الاجتماع على الدعاء بما إذا لم يُتخذ عادة..

فإذا أحدث اجتماع زائد على هذه الاجتماعات معتاد: كان ذلك مضاهاة لما شرعه الله وسنّه..وقد ذكرتُ فيما تقدم- أنه يكره اعتياد عبادة في وقت إذا لم تجئ بها السنة، فكيف اعتياد مكان معين في وقت معين؟! (ص ٣٠٣و ٣٠٤و ٣٠٦ و ٣٧٧).

مقدم ومنسق اللقاء:

نشكر للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية تفضله بهذا التبيين والتقعيد لهذه المسألة، والتي لم يدع بعدها شكاً لمرتاب يدّعي سُنِّيَّته، وإنما يخرج القارئ - بإذن الله - بأن إحياء ليلة المولد النبوي بدعة في الدين وضلالة يجب تركها وإنكارها والإنكار على من فعله.

فجزى الله شيخ الإسلام عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورفع الله منزلته في عليين، وحشرنا في زمرته غير مغيرين ولا مبدلين ولا مبتدعين في الدين؛ بل متبعين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

* ملحوظة مهمة: جميع ما نقلته عن شيخ الإسلام إنما هو موجود بنصه في كتاب الحافل العظيم: ((اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)) ط: الكتب العلمية ووضعت بعد كل نقل رقم الصفحة.

----

٢٤. المورد في حكم المولد للفاكهاني

للشيخ الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله . ت:٧٣٤ هـ

الحمد لله الذي هدانا لا تباع سيد المرسلين ، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين ، ويسر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين ، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين ، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين .
أحمده على ما منَّ به من أنوار اليقين ، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين .
أما بعد : فقد تكرر سؤال جماعة من المُباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ، ويسمونه : المولد : هل له أصل في الشرع ؟ أو هو بدعة وحدث في الدين ؟
وقصدوا الجواب عن ذلك مُبيَّناً ، والإيضاح عنه معيناً .
فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة ، الذين هم القدوة في الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها البطالون ، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكالون ، بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا :
إما أن يكون واجباً ، أو مندوباً ، أو مباحاً ، أو مكروهاً ، أو محرماً .
وهو ليس بواجب إجماعاً ، ولا مندوباً ؛ لأن حقيقة المندوب : ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشرع ، ولا فعله الصحابة ، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون ـ فيما علمت ـ وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت .
ولا جائز أن يكون مباحاً ؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين .
فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً ، أو حراماً ، وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين ، والتفرقة بين حالين :
أحدهما : أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله ، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ، ولا يقترفون شيئاً من الآثام : فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة ، الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام ، سُرُجُ الأزمنة وزَيْن الأمكنة .
والثاني : أن تدخله الجناية ، وتقوى به العناية ، حتى يُعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه ، وقلبه يؤلمه ويوجعه ؛ لما يجد من ألم الحيف ، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى : أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف ، لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل ، من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد ، والنساء الغاتنات ، إما مختلطات بهم أو مشرفات ، والرقص بالتثني والانعطاف ، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف .
وكذا النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الإنشاد ، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد ، غافلات عن قوله تعالى : (إن ربك لبالمرصاد) (سورة الفجر : ١٤) .
وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان ، وإنما يَحِلُّ ذلك بنفوس موتى القلوب ، وغير المستقلين من الآثام والذنوب ، وأزيدك أنهم

يرونه من العبادات ، لا من الأمور المنكرات المحرمات ، فإن لله وإنا إليه راجعون ، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ .
ولله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازَناه :

قد عرف المنكر واستنكر الـ ـمعروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدةٍ وصار أهل الجهل في رتبة
حادوا عن الحق فما للذي سادوا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة

ولقد أحسن أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب ، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم - وهو ربيع الأول - هو بعينه الشهر الذي توفي فيه ، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه .
وهذا ما علينا أن نقول ، ومن الله تعالى نرجو حسن القبول.

----

٢٥. البراهين على ألا بدعة حسنة في الدين

البراهين على ألا بدعة حسنة في الدين
والرد على شبه المخالفين
جمع وإعداد/أبي معاذ السلفي
sasb@ayna.com
المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدصلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
وبعد:
فإنه لا يخفى على متمسك بالسنة أن من أهم ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد التوحيد التمسك بالسنة ومحاربة البدعة، ومن الأدلة على ذلك تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من البدع في خطبة الحاجة التي كان يبدأ بها خطبه عليه الصلاة والسلام، وهي التي بدأت بها مقدمتي لهذه الرسالة والحمد لله.
ورغم ذلك كله فإن الناظر في أحوال الأمة الإسلامية يجد أن البدع قد انتشرت فيها وللأسف في مجال العقيدة والعبادات والمعاملات المختلفة، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار تلك البدع اعتقاد الكثير أن البدع تنقسم إلى قسمين!!
بدع سيئة وبدع حسنة!!
وقد واجه كثير من أهل العلم جزاهم الله خيرًا تلك البدع فحذروا منها في خطبهم وكتبهم بل ألفوا كتب خاصة في التحذير من البدع عموماً، ومن بعض البدع خصوصًا.

وقد وفقني الله وله الحمد والمنة بجمع بعض الفوائد من بعض تلك الكتب في هذه الرسالة والتي رأيت من المفيد أن أجمعها حتى يسهل مراجعتها، وحرصت قدر الإمكان أن تكون سهلة العبارة، وسميت هذه الرسالة بـ"البراهين على ألا بدعة حسنة في الدين والرد على شبه المخالفين".

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله أن ينفعني بهذه الرسالة؛ ومن يطلع عليها، كما أسأله أن يجعل جميع أعمالي خالصة لوجهه الكريم؛ موافقة لهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله على نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملاحظة: قد عزوت بعض الأحاديث والآثار إلى مصادرها الأساسية بواسطة بعض المراجع، وذلك بسبب عدم توفر تلك المراجع الأصلية عندي أثناء جمع مادة هذه الرسالة، ورأيت أنه من الأمانة العلمية أن أبقيها كما هي.

مدخل:

معنى البدعة

(قال الإمام الطرطوشي- رحمه الله - في "الحوادث والبدع" (ص٤٠): "أصل هذه الكلمة من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غيرِ أصلٍ سبق، ولا مثال احتذي، ولا ألف مثله.

ومنه قوله تعالى:(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض) (البقرة: ١١٧)، وقوله (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) (الأحقاف:٩)؛ أي: لم أكن أول رسول إلى أهل الأرض".

أما تعريف البدعة شرعا فهي:

"طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية".

كذا اختاره الإمام الشاطبي في "الاعتصام" (٥١/١)، وهو من أجمع تعاريف "البدعة" وأشملها)(١).

وبهذا التعريف خرجت البدع الدنيوية كالسيارات، والطائرات، وأشباه ذلك، وهي التي تقبل التقسيم إلى الأحكام الخمسة "الوجوب - التحريم - الاستحباب - الكراهة- الإباحة" لا البدعة الدينية، وسيأتي زيادة بيان لذلك فيما بعد إن شاء الله.

الفصل الأول:

البراهين على أن كل بدعة ضلالة وليس فيها شيء حسن:

إن تقسيم البدع إلى حسنة وقبيحة، تقسيم لا مستند له في الشرع، وكيف يكون له أصل وهو ينافي صريح القرآن وصحيح الأحاديث؟!

وهاك البيان على وجه التفصيل:

أولاً: إن من أصول الدين الواجب اعتقادها، ولا يصح إيمان المرء دونها، أن الإسلام دين أتقن الله بناءه وأكمله، فمجال الناس التطبيق والتنفيذ "السمع والطاعة" وهذا أمر أدلته ظاهرة) (١).

(يقول الله تعالى ممتناً على عباده:)الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً( ]المائدة:٣[.

فهذه الآية الكريمة تدل على تمامِ الشريعة وكمالها، وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق الذين أنزل الله قوله فيهم: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)]الذاريات:٥٦[.

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره" (١٩/٢):

"هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلاّ ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه".

فأي إحداث أو ابتداع إنما هو استدراك على الشريعة، وجرأة قبيحة ينادي بها صاحبها أنَّ الشريعة لم تكف، ولم تكتمل!، فاحتاجت إلى إحداثه وابتداعه!!

وهذا ما فهمه تمامًا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعدهم؛ فقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:"اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة" (١). وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال:"يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا".

وخلاصة القول:"إن المستحسِن للبدع يلزمه عادة أن يكون الشرع عنده لم يكمل بعد، فلا يكون لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم) معنى يعتبر به عندهم" (٢).

"فإذا كان كذلك؛ فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه؛ لم يبتدع، ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال الإمام الشوكاني في "القول المفيد" (ص٣٨) مناقشاً بعض المبتدعين في شيء من آرائهم: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه صلى الله عليه وسلم فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟!

إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم (!) وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟!

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم، وتدحض به حججهم".

إذ " كل ما أحدث بعد نزول هذه الآية؛ فهو فضلة، وزيادة، وبدعة" (١)) (٢).

ثانياً:(إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان لزامًا عليه أن يقوم بحق الرسالة، فيبلغ الإسلام غير منقوص قال تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ( ]النحل:٤٤[ولقد فعل صلى الله عليه وسلم وإلا فما بلغ رسالته - وحاشاه - فما أنتقل إلى جوار ربه راضيًا مرضيًا إلا والدين كامل لا يحتاج إلى زيادة) (٣).

وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:(إنه لم يكن نبي قبلي إلاّ كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم). رواه مسلم.

وأخرج الطبراني في "معجمه الكبير"(١٦٤٧) بسند صحيح عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار؛ إلا وقد بين لكم).

وقال أيضاً قال صلى الله عليه وسلم: "قد تركتكم على البيضاء،ليلها كنهارها،لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) رواه ابن ماجة (٤).

وقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:"من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه)]المائدة:٦٧[" رواه البخاري مسلم.

ولهذا لما قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه:"إني أرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة؟

قال: أجل، أمرنا أن لا نستقبل القبلة، وأن لا نستنجي بأيماننا، ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار، ليس فيها رجيع ولا عظم" رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة.

وقال ابن الماجِشون: سمعت مالكا يقول: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فما لم يكن يومئذ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا"(١).

ثالثاً: إنَّ التشريع حق لرب العالمين، وليس من حق البشر، (لأن الله الذي وضع الشرائع، ألزم الخلق الجري على سنتها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون.

ولو كان التشريع من مدركات الخلق لم تتنزل الشرائع، ولم تبعث الرسل، وهذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه ندا لله، حيث شرع مع الله، وفتح للاختلاف باباً ورد قصد الله في الانفراد بالتشريع)(٢) قال الله عز وجل: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)]الأعراف:٣[.

وقال تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ)]الشورى:٢١[.

وقال عز وجل: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)]الأنعام:١٥٣[.

قال الإمام مجاهد- رحمه الله - وهو من كبار التابعين في تفسير قول الله تعالى: (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ):"البدع والشبهات"(١).

وقال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد" متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" رواه مسلم.

(والرسول صلى الله عليه وسلم وهو من هو معرفة وحكمة وعلمًا لم يكن يحكم باستحسانه ويشرع بنفسه؛ قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس بِمَا أَرَاكَ اللَّه)]النساء:١٠٥[،

وقال الله عز وجل: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاس مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)]النحل:٤٤[؛ وقال:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)]النجم:٣- ٤[)(٢).

وقال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي...)]الأعراف:٢٠٣[.
وقال تعالى:(اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)]الأنعام: ١٠٦[.

وقد ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يفعلون أموراً لم يأمرهم بها الله ولم يحثهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبل، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره.ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل".

(فمن ابتدع عبادة من عنده - كائنا من كان -؛ فهي ضلالة ترد عليه؛ لأن الله وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يتقرب بها إليه.

لذا؛ فإن صحة الاستدلال بالقواعد العلمية تقتضي أن نقول كما قال العلامة ابن القيم في كتابه العجاب "إعلام الموقعين" (٣٤٤/١): "ومعلوم أ نه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا تأثيم إلا ما أثم الله ورسوله به فاعله، كما أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، فالأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر، والأصل في العقود والمعاملات الصحة (١)حتى يقوم دليل على النهي".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في "مجموع الفتاوى " (٣٥/٣١):
"باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله، فليس لأحد أن يجعل شيئاً عبادة أو قربة؛ إلا بدليل شرعي".

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره" (٤٠١/٤) مناقشاً مسألة إهداء ثواب القراءة للموتى، حيث جزم بعدم وصولها، معللاً سبب المنع:"إنه ليس من عملهم، ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً؛ لسبقونا إليه.

وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء" وعلى هذا جرى السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين)(١): (فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:"لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه" رواه أبو داود(٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قبل الحجر الأسود:"إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك؛ ما قبلتك" رواه البخاري ومسلم.

وقالت امرأة لعائشة رضي الله عنها: أتقضي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟

فقالت رضي الله عنها:"أحرورية أنت؟ كنا نحيض في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله" رواه البخاري ومسلم.

وروى الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم)٢٦٥/٤-٢٦٦ وغيرهما بسند حسن عن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: الحمد لله، والسلام على رسوله! قال ابن عمر:"وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال".

فهذه أحاديث نبوية وآثار سلفية من صحابة كرام، تبين المنهج الصحيح في تلقي الشرع، وأنه لا مجال لتحسين العقل فيه، أو لتزيين الرأي به، وأن مورد ذلك كله النصوص الشرعية.

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله في كلمته المشهورة التي نقلها عنه أئمة مذهبه وعلماؤه كالغزالي في "المنخول" (ص٣٧٤)، والمحلي في "جمع الجوامع-٣٩٥/٢ بحاشيته": "من استحسن فقد شرع ") (١).

رابعاً: إنَّ الابتداع (اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعًا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة؛ وأنت تعلم ما في أتباع الهوى وأنه ضلال مبين.

ألا ترى قول الله تعالى: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) ص:٢٦[.

فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجرداً إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك.

وقال: (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)]الكهف:٢٨[فجعل الأمر محصوراً بين أمرين، اتباع الذكر؛ واتباع الهوى، وقال: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ( ]القصص:٥٠[)(٢).

وقال الله عز وجل: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)]الجاثية:١٨[.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:(خطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا خطًا، ثم قال: " هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله وقال: "هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ:(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)" رواه احمد والحاكم(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأمر" أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٩٦/١).

خامساً: إنَّ الإخلاص لا يكفي في العمل حتى يكون متقبلاً لأن (دين الإسلام مبني على أصلين: أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نعبده بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل)(٢).

فشروط العمل الصالح المتقبل هي:

أولاً: الإخلاص.

وثانياً: متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ:"إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً؛ لم يُقبل، وإذا كـان صـواباً ولـم يكـن خالصـاً لـم يُقبـل والخـالص إذا كـان لله عـز وجـل والصواب إذا كان على السنة"(٣).

وقال الإمام ابن كثير- رحمه الله ـ في "تفسيره"(٥٧٢/١) عند تفسير قولـه تعـالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)]النساء:١٢٥[:()وَمَنْ أَحْسَنُ دِينـاً مِمَّنْ َسْلَمَ وَجْهَـهُ لِلَّـهِ) أي أخلص العمل لربـه عز وجل فعمل إيمانـاً واحتسـاباً (وَهُوَ مُحْسِنٌ) أي اتبـع فـي عملـه مـا شرعه الله لـه ومـا أرسل بـه رسـوله مـن الهدى وديـن الحـق، وهـذان الشـرطان لا يصـح عمـل عامـل بـدونهما أي يكـون خالصـاً صـواباً والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظـاهره بالمتابعـة، وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد... الخ)).

والأدلـة علـى هـذين الشـرطين كثيـرة: فمن أدلـة وجـوب إخـلاص العبـادة لله قولـه تعالى:(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)]البينة:٥[.

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر؛ ما لـه؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا شـيء لـه " فأعادهـا ثـلاث مرات، يقول لـه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: "لا شـيء لـه". ثم قـال: "إن الله لا يقبل من العمل؛ إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه " رواه النسائي (١).

ومن أدلة وجوب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

قولـه تعـالى:(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّـونَ اللَّـهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(]آل عمران:٣١[.

وقال تعالى: (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ( ]الأعراف:١٥٨[.

وروى البخـاري ومسلم عن انس رضـي الله عنـه أنـه قـال: (جـاء ثلاثـة رهط إلـى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليـه وسلم فلما أخبروا بها، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبـي صـلى الله عليـه وسـلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا؛ فأنا أصلي الليل أبداً، وقـال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النسـاء فلا أتزوج أبداً، فجـاء رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فقـال: " أنـتم الـذين قلـتم كـذا وكـذا؟! أمـا والله؛ إنـي لأخشاكم لله، وأتقاكم لـه، لكنـي أصـوم وأفطـر، وأصـلي وأرقـد، وأتـزوج النسـاء، فمـن رغب عن سنتي؛ فليس مني".

وقد صح عن معاوية رضي الله عنه أنه كان يستلم أركان الكعبة الأربعة، فقـال لـه ابن عباس رضي الله عنه (إنه لا يستلم هذان الركنان)، فقال معاوية: "ليس شيءٌ من البيت مهجوراً" رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

وزاد أحمد:فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فقال معاوية رضي الله عنه:"صدقت".

(ولا أدل على ذلك من قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما جـاء إلـى أولئك القوم المتحلقين فـي المسجد، ومعهم حصـى، يعدون بهـا التكبيـر والتهليـل والتسـبيح، فقال لهم رضي الله عنه:"فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسـناتكم شـيءٌ، ويحكـم يـا أمـة محمـدٍ! مـا أسـرع هلكـتكم! هـؤلاء صـحابة نبـيكم صـلى الله عليـه وسـلم

متوافرونَ، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملةٍ أهدى مِن ملةٍ محمدٍ أو مفتتحو باب ضلالةٍ". قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن؛ ما أردنا إلا الخير. قال:"وكم من مريدٍ للخيرِ لن يصيبه" رواه الدارمي في "سننه" (١/٦٨-٦٩) وأبو نعيم وغيرهما، وسنده صحيح.

قلت: فهذه قصة جليلة، ترى فيها بجلاء كيف كان علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتعاملون مع العبادات بوسائلها ومقاصدها ونيات أصحابها، وبيان ذلك فيما يلي:

أ - قوم يذكرون الله تعالى، تكبيراً، وتهليلاً، وتسبيحاً.

ب - استعملوا في ذكرهم حصى كـ (وسيلة) لعد هذا التكبير والتسبيح.

ج - نياتهم في عملهم هذا حسنة، يريدون به، عبادة الله، وذكره، وتعظيمه.

د - ومع ذلك؛ أنكر عليهم ابن مسعود هذا العمل ضمن هذه الوسيلة؛ لأنه لم يعهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ رغم وجود المقتضي له في عصره.

هـ - رتب على عملهم المحدث هذا الإثم لمخالفتهم السنة، ومواقعتهم البدعة.

و - لم يجعل - رضي الله عنه - حسن نياتهم سبيلاً للتغاضي عن عملهم، أو دليلاً على صحة فعلهم، إذ النية الحسنة لا تجعل البدعة سنة، ولا القبيح حسناً، بل لا بد أن يكون مع النية الحسنة والإخلاص: موافقة للسنة، ومتابعة للسلف) (١).

وعن سعيد ابن المسيب - رحمه الله -: أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثرَ من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه! فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟ قال:"لا ولكن يعذبك على خلاف السنة" (٢).

قال الألباني- رحمه الله- في"الإرواء"(٢/٢٣٦):"وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها ذكر وصلاة، ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك" ا.هـ.

وقال (١) رجل للإمام مالك: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟

قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.

قال: لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة.

فقال: وأي فتنة في هذه؟! إنما هي أميال أزيدها!!

قال: وأي فتنةٍ أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلةٍ قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال تعالى:(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)]النور:٦٣[.

فهذه الأدلة تدل على أن إخلاص أولئك في نيتهم لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا التابعين ومن تبعهم من الإنكار عليهم بسبب عدم متابعتهم في أعمالهم تلك للرسول صلى الله عليه وسلم.

سادساً: إن الأدلة الصحيحة جاءت بذم البدع مطلقاً، ولم تقسم البدع إلى بدع حسنة مستحبة و إلى بدع سيئة مكروهة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمور محدَثاتها، وكل محدَثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة؛ "وكل ضلالةٍ في النار". أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي والزيادة له.

وقال صلى الله عليه وسلم: "فإن من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ،وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم (١).

وقال صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد " متفق عليه.

وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " رواه مسلم.

(فهذه الأحاديث لم تفرق في الحكم بين بدعةٍ وبين بدعةٍ أخرى، فالنكرة إذا أضيفت؛ أفادت العموم، والعموم لا يخص إلا باستثناء، و أين الاستثناء هنا؟! - وما قد يظنه البعض دليل على الاستثناء سيأتي الجواب عنه فيما بعد إن شاء الله - وهذا ما فهمه السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:" كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة "(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"أيها الناس! إنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة؛ فعليكم بالأمر الأول"(١). فكلاهما أخذ معنى (البدعة) على عمومه، دون تفريق بين ما يسمى بدعة حسنة أو بدعة سيئة! وهو الذي لا ينبغي سواه)(٢).

(وقد ثبت في الأصول العلمية أن كل قاعدة كلية أو دليل شرعي كلي؛ إذا تكررت في مواضع كثيرة وأوقات متفرقة وأحوال مختلفة، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها العام المطلق.

وأحاديث ذم البدع والتحذير منها من هذا القبيل، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يردد من فوق المنبر على ملأ من المسلمين في أوقات كثيرة وأحوال مختلفة أن " كل بدعةٍ ضلالة " ولم يأت في آية ولا حديث تقييد ولا تخصيص ولا ما يفهم منه خلاف ظاهر الكلية من العموم فيها، فدل ذلك دلالة واضحة على أنها على عمومها وإطلاقها.

وقد أجمع السلف الصالح على ذمها وتقبيحها والهروب عنها وعمن اتسم بشيء منها، ولم يقع منهم في ذلك توقف ولا استثناء، فهو - بحسب الاستقراء - إجماع ثابت يدل دلالة واضحة على أن البدع كلها سيئة ليس فيها شيء حسن)(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في"مجموع الفتاوى" (٣٧٠/١٠):(إن المحافظة على عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بدعةٍ ضلالة " متعين وأنه يجب العمل بعمومه).

سابعاً: (إن معرفة البدعة المدعى حسنها متعذرة، لأن الأمر قد يكون ظاهره طاعة وهو معصية وقد يكون الأمر بالعكس وقد يحسن كثير من العقول بمجردها أن

تصلي الظهر خمساً عند النشاط والرغبة في مناجاة الله ويحسن أن تصلي ركعة عند التعب والإعياء وتراكم الأشغال وهكذا يقال في سائر الفروض.

فيقال لمحسني البدع أنتم في حاجة شديدة أن تميزوا البدعة الحسنة من القبيحة، ونحن على اتفاق أنه ليس كل ما ظاهره طاعة يكون في الواقع طاعة، ولا كل ما ظاهره معصية يكون في الواقع معصية، وغاية الأمر أن يكون هذا المحدث المبتدع دائراً بين أن يكون حسنًا مثابًا عليه، وأن يكون قبيحاً معاقباً عليه، وإذا كان كذلك فلا يجوز أن تدعوا أنه من القسم الأول إلا بدليل خارج، والدليل إذا كان من الكتاب؛ أو السنة الصحيحة؛ أو الإجماع؛ فما هو من البدعة، فظهر أن القول بالبدعة الحسنة باطل لتعذر معرفتها.

وسر البرهان أننا نقول لمن أشار إلى عمل محدث وقال هذه بدعة حسنة: من أين عرفت أنها حسنة ولعلها قبيحة؟

وكم نشاهد من الأعمال ما نظنه حسناً وهو قبيح، فمثلاً ما يدريك ـ لولا ما جاء في "صحيح مسلم"عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: (ثلاث ساعاتٍ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيهن، أو أن نقبر فيهن موتانا؛ حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب) ـ أن الصلاة بعد صلاة الفجر وقبل غروب الشمس وفي وقت الظهيرة غير جائزة؟

وما يدريك ـ لولا ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:"أول ما فرضت الصلاة ركعتين، فأقرت صلاة السفر و أتمت صلاة الحضر"ـ أن إتمام الصلاة في السفر غير جائز، وأن الفاعل لذلك معذب؟ وقد قال بتعذيبه كثير من العلماء.

وما يدريك ـ لولا قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ثلاثاً ثلاثاً: "هكذا الوضوء، فمن زاد علّى هذا فقد أساء وظلم" ـ أن الزيادة في الوضوء كأن يغسل المتوضئ خمساً لا تجوز،

وما يدريك ـ لولا ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا" ـ أن قراءة القرآن في الركوع والسجود غير جائزة بل مكروهة؛ والإمام أبو حنيفة قائل بذلك؟ وكثير في الشريعة ما نظنه طاعة يثاب عليه وهو معصية يعاقب عليه وكذلك العكس)(٢).

قال عبد الله القصيمي في كتابه "شيوخ الأزهر والزيادة في الدين" (٢٠ـ ٢١):

(خاطبت يوما شيخاً من شيوخ الأزهر الذين يقولون: إن في الدين بدعة حسنة؛ قلت له: ما الفاصل بين البدعة الحسنة والبدعة القبيحة الذي يعتمد عليه المسلم فيأخذ الحسن ويترك القبيح؟

فامتقع لونه وقال (وليته ما قال): البدعة الحسنة هي الجائزة ديناً، والقبيحة هي الممنوعة ديناً!

قلت له: ما صنعت شيئاً، بأي شيء نعرف الجائزة والممنوعة؟ وهو سؤالي.

فامتقع أكثر وقال: الجائزة هي الحسنة، والممنوعة هي السيئة!!

قلت له: هذا هو الدور الممنوع لدى المعممين كافة، إذ لا نعرف الحسن إلا بكونه حلالاً، ولا الحلال إلا بكونه حسناً، ولا القبيح إلا بكونه حراماً، ولا الحرام إلا بكونه قبيحاً.

ثم نشط عقله من عقاله وقال: البدعة الحسنة التي لا ضرر فيها، والقبيحة هي ذات الضرر.

قلت له: ما تقصد بالضرر؟

أتقصد ضرر الدنيا أم ضرر الدنيا والأخرى، أم ضرر الأخرى فحسب؟

إن قصدت الأول: فأي ضرر في أن نصلي الظهر خمساً والمغرب أربعاً والفجر ستاً وأن نجعل السجود في الصلاة قبل الركوع، والركوع قبل القيام، والقيام قبل الجلوس، والتشهد قبل الاستفتاح، وأن نصوم شعبان بدل رمضان إذا خفنا أن لا يدركنا رمضان أو يشغلنا شاغل، وأن نصوم في الليل؟

هل في واحدة من هؤلاء ضرر دنيوي تراه؟ لا ضرر سوى مخالفة الشرع.

وإن قصدت الثاني والثالث فما العلامة أن هذه الحادثة فيها ضرر علينا في الدار الآخرة وعقاب لفاعليها؟ هذا وأنت من الذين ينفون التقبيح والتحسين العقليين، فانتهى هنا.

والنهاية أن من لم يأخذ بظواهر هذه الأخبار تحير وقال أقوالاً باطلة) ا.هـ.

والدليل على هذا أن كثيراً من الذين قالوا بالبدع الحسنة قد أنكروا أعمالا في ظاهرها الحسن، بل إنك لتجد أحد العلماء يقول في بدعة ما أنها حسنة تجد عالماً آخر وهو ممن يقول بالبدع الحسنة ينكرها أشد الإنكار وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ـ العز بن عبد السلام وهو من أشهر من قال بتقسيم البدع إلى بدع حسنة وبدع سيئة يقول في كتابه "الفتاوى" (ص٣٩٢):(ولا يستحب رفع اليد في القنوت كما لا ترفع في دعاء الفاتحة، ولا في الدعاء بين السجدتين، ولم يصح في ذلك حديث، وكذلك لا ترفع اليدان في دعاء التشهد؛ ولا يستحب رفع اليدين في الدعاء إلا في المواطن التي رفع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ولا يمسح وجهه بيديه عقيب الدعاء إلا جاهل، ولم تصح الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القنوت، ولا ينبغي أن يزاد على صلاة رسول الله في القنوت بشيء ولا ينقص) اهـ.

وقال في"الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة"(ص٧ـ ٨):(فإن الشريعة لم ترد بالتقرب إلى الله تعالى بسجدةٍ منفردةٍ لا سبب لها، فإن القرب لها أسباب، وشرائط، وأوقات، وأركان، لا تصح بدونها.

فكما لا يتقرب إلى الله تعالى بالوقوف بعرفة ومزدلفة ورمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة من غير نسكٍ واقعٍ في وقته بأسبابه وشرائطه؛ فكذلك لا يتقرب إليه بسجدةٍ منفردةٍ، وإن كانت قربةً، إذا لم يكن لها سبب صحيح.

وكذلك لا يتقرب إلى الله عز وجل بالصلاة والصيام في كل وقتٍ وأوانٍ، وربما تقرب الجاهلون إلى الله تعالى بما هو مبعد عنه، من حيث لا يشعرون) اهـ.

وهذا الكلام صدر من العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ أثناء إنكاره لصلاة الرغائب المبتدعة؛ وقد أنكر هذه الصلاة بالإضافة إلى العز بن عبد السلام كثير من العلماء القائلين بالبدعة الحسنة مثل الإمام النووي في "فتاوى الإمام النووي"

(ص٥٧) وعبد الله الغماري في "حسن البيان في ليلة النصف من شعبان"؛ مع العلم أن بعض العلماء قال باستحبابها مثل ابن الصلاح وأبو حامد الغزالي في "الإحياء" وأبو طالب المكي في "قوت القلوب" وعدوها من البدع الحسنة.

وقال أيضاً العز بن عبد السلام كما في "فتاوى العز بن عبد السلام" (ص٢٨٩):(ومن فعل طاعة لله تعالى، ثم أهدى ثوابها إلى حي؛ أو ميت لم ينتقل ثوابها إليه إذ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)]النجم:٣٩[فإن شرع في الطاعة ناوياً أن يقع عن ميت لم يقع عنه إلا فيما استثناه الشرع كالصدقة، والصوم، والحج) انتهى كلامه، ومعروف أن كثيراً من العلماء قالوا بجواز إهداء كثير من الطاعات للأموات وإن لم يرد دليل على ذلك وإنما قياساً على ما ورد!.

وقال أيضاً في (ص١٩٧- ١٩٩):(أما مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلم بعض الناس الدعاء فقال في أوله: " قل اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة " وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصوراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خُص به تنبيهاً على علو درجته ومرتبته) انتهى كلامه رحمه الله، وكثير ممن قلده في تقسيم البدع تجده يخالفه في هذه المسألة! فيقول بجواز الإقسام على الله بغير النبي صلى الله عليه وسلم مع العلم أن الراجح عدم جواز ذلك مطلقاً(١).

٢- الإمام أبو شامة - رحمه الله - أنكر في "الباعث على إنكار البدع والحوادث" كثيراً من بدع الجنائز مثل قول القائل أثناء حمل الجنازة: استغفروا له غفر الله لكم، كما أنكر أن يكون للجمعة سنة قبلية (ص٢٥٨- ٣٠٤)، وأنكر كذلك صلاة الرغائب (ص١٣٨- ١٩٦)، وأنكر كذلك صلاة ليلة النصف من شعبان (ص١٣٤- ١٣٨)، ومع كل ذلك قال (ص٩٥) بأن الاحتفال بالمولد النبوي يعتبر بدعة حسنة!!.

٣- وأما الإمام النووي - رحمه الله - وهو من القائلين بتقسيم البدع، فقد قال في"المجموع" (١٠٢/٨):(قال الشيخ أبو محمد الجويني:رأيت الناس إذا فرغوا من السعي؛ صلوا ركعتين على المروة.

قال: وذلك حسن، وزيادة طاعة، ولكن لم يثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا كلام أبي محمد!!

وقال أبو عمرو بن الصلاح: ينبغي أن يكره ذلك؛ لأنه ابتداء شعار، وقد قال الشافعي - رحمه الله -: ليس في السعي صلاة. - ثم قال النووي - وهذا الذي قاله أبو عمرو أظهر، والله أعلم) اهـ.

وقال أيضاً في "الأذكار" (ص١٣٦):(قال الشافعي وأصحابنا رحمهم الله يكرهون الجلوس للتعزية؛ قالوا: يعني بالجلوس لها: أن يجتمع أهل الميت في بيتٍ ليقصدهم من أراد التعزية، بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم،ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها..الخ).

٤ ـ وأما السيوطي- رحمه الله ـ فقد أنكر في كتابه "الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع" الصلاة في المساجد المبنية على القبور! وكذلك إيقاد السرج على القبور والمزارات (ص١٣٤) وأنكر صلاة الرغائب (ص١٦٦) وأنكر الاجتماع للعزاء (ص٢٨٨) وأنكر التلفظ بالنية قبل الصلاة (ص٢٩٥) وغير ذلك من البدع مع أنه قرر في كتابه هذا بأن البدع تنقسم إلى بدع حسنة وبدع سيئة!.

٥ ـ محمد متولي الشعراوي المفسر المصري أنكر رفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان كما يفعله كثير من المؤذنين في كثير من البلاد الإسلامية فقد وجه إليه سؤال كما في "الفتاوى"(ص٤٨٧):(جرت العادة في معظم المساجد أن يؤذن المؤذن وعقب الانتهاء من الآذان يقول: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله جهراً، فهل الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم جهراً عقب الآذان هي من صلب الآذان أم أن هذه زيادة عما ورد نرجو الإفادة؟

ج: هذا حب لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكن أنت تحبه بمشقة، هو قال: "إذا سمعتم المؤذن وانتهى من أذانه فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، وللمؤذن وللذي سمع نصلي عليه في سرنا، لكن المؤذن ليس له أن يوجد شيئاً بصوت الأذان الأصلي وبلهجة الأذان الأصلية؛ حتى لا يفهم الناس أن ذلك من صلب الأذان) انتهى كلامه، وفي المقابل نجده يقول بجواز الاحتفال بالمولد النبوي (ص٥٤٤-٥٤٥)!.

٦ ـ أما حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً فيقول بمشروعية رفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من قبل المؤذنين بعد الأذان في كتابه "فتاوى شرعية وبحوث إسلامية"

(ص٢٦٥-٢٦٧)؛ مع أنه قال في (ص٢٩٠) جواباً على سؤال: هل في الشريعة الغراء صلاة تسمى صلاة الشكر؟:(لم يرد في الكتاب ولا في السنة نص يفيد مشروعية هذه الصلاة لا فرادى ولا جماعة. وأمر العبادات يقتصر فيه على ما ورد عن الشارع، ولا سبيل فيه إلى القياس، ولا مجال فيه للرأي، وإنما الذي أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم السجود لله تعالى شكرا إذا أتاه ما يسره أو بُشر به.. الخ).

فظهر بهذه النقول أنه لا يوجد ضابط معين يميز بين البدعة الحسنة ـ المزعومة ـ والبدعة السيئة؛ حتى عند القائلين بهذا التقسيم، ولا يسلم الشخص من الوقوع في هذا الاضطراب إلا بمتابعة السنة وترك الابتداع في الدين.

ثامناً:(يستدل كثير من الناس بالنصوص العامة لتسويغ بدعهم، والتدليل على واقعهم!

وهذا خطأ كبير، يناقض قاعدة مهمة في علم الأصول، سيأتي تقريرها ـ بعد ـ

فمثلاً: لو أن عدداً من الناس قَدِموا مسجداً للصلاة فيه، فما أن دخلوا؛ حتى اقترح أحدهم عليهم أن يصلوا تحية المسجد جماعة!! فجابهه بعض أصحابه بالإنكار والرد!! فاستدل عليهم المقترح بحديث "صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل)!! فافترقوا رأيين!! بعضهم وافق على هذا الاستدلال، والبعض الآخر خالف؛ لأن هذا الدليل إنما مورده في غير هذا المقام!

فما هو القول الفصل؟

قال الإمام ابن تيمية في "مقدمة في أصول التفسير" (ص٨-٩):(يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)]النحل:٤٤[يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن و العلم جميعاً.

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلَّ في أعيننا. وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين - قيل ثمان سنين - ذكره مالك.

وذلك أن الله تعالى قال:(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)]ص:٢٩[. وقال:(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)]النساء:٨٢[وقال:(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ)]المؤمنون: ٦٨[. وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.

وكذلك قال تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)]يوسف:٢[، وعقل الكلام متضمن لفهمه ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك.

وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه

فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟) اهـ.

وقال الإمام الشاطبي في "الموافقات" (٧٢/٣) رداً على من يستدل بالأدلة العامة على خلاف فهم السلف والدعاء إلى العمل به على غير الوجه الذي مضوا عليه في العمل به

ما ملخصه: "لو كان دليلاً عليه؛ لم يعزب عن فهم الصحابة والتابعين ثم يفهمه هؤلاء، فعمل الأولين كيف كان مصادم لمقتضى هذا المفهوم ومعارض له، ولو كان ترك العمل.

فما عمل به المتأخرون من هذا القسم مخالف لإجماع الأولين، وكل من خالف الإجماع؛ فهو مخطئ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالةٍ، فما كانوا عليه من فعلٍ أو تركٍ؛ فهو السنة والأمر المعتبر، وهو الهدى، وليس ثم إلاَّ صواب أو خطأ فكل من خالف السلف الأولين؛ فهو على خطأ، وهذا كافٍ ...

ومن هنالك لم يسمع أهل السنة دعوى الرافضة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي أنه الخليفة بعده؛ لأن عمل كافة الصحابة على خلافه دليل على بطلانه أو عدمِ اعتباره؛ لأن الصحابة لا تجتمع على خطأ.

وكثيراً ما تجد أهل البدع والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة؛ يحملونهما مذاهبهم، ويغبرون بمشتبهاتهما على العامة، ويظنون أنهم على شيء".

ثم قال (٧٧/٣):"فلهذا كله؛ يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل".

وقال الإمام الحافظ ابن عبد الهادي - رحمه الله - في "الصارم المنكي في الرد على السبكي" (ص٣١٨):(ولا يجوز إحداث تأويل في آيةٍ أو سنةٍ لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة؛ فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر) اهـ.

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"

(١٢٨/٢ مختصره):"إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف ".

إلا عند ساقطٍ رقيعٍ يقول في مثل هذا المقام:"نحن رجال وهم رجال"!!

فمثل هذا المغرور قد سقط معه الخطاب، وسد في وجهه الباب!!

والله الهادي إلى نهج الصواب!

قلت: فإذا وضحت هذه القاعدة ظهر لك أي الفريقين أهدى في المثال الذي صدرنا لك الكلام به!

إذ ذاك الدليل العام لم يجرِ عليه عمل السلف رضي الله عنهم أو فهمهم؛ استدلالاً به على الجماعة في غيرِ الوارد؛ كالفرائض أو التراويح ونحوهما. فهو جرى- إذاً - على جزءٍ من أجزاء عمومه لا على جميع أجزائه.

ومثال آخر تطبيقي سلفي:

روى أبو داود في "سننه" (رقم ٥٣٨) بسند حسن عن مجاهد؛ قال:" كنت مع ابن عمر، فثوب رجل في الظهر أو العصر، فقال: اخرج بنا؛ فإن هذه بدعة" !

و"معنى التثويب: هؤلاء الذين يقومون على أبواب المساجد، فينادون: الصلاة؛ الصلاة".

كما قال الطرطوشي في "الحوادث والبدع" (ص١٤٩).

فلو جاء أحد قائلاً: هل من ضيرٍ على من ذكر بالصلاة والله يقول:(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)]الذريات:٥٥[؟!

لما قبل قوله، بل رد عليه فهمه، إذ لم يفهم السلف رضي الله عنهم من هذه الآية هذا الإطلاق وهذا العموم، ومعلوم عن ابن عمر رضي الله عنهما شدة اتباعه، ودقة التزامه.

ومثال آخر وقد مر معنا فيما سبق: وهو ما رواه الترمذي، والحاكم وغيرهما عن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: الحمد لله، والسلام على رسوله قال ابن عمر:"وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حالٍ " فقد أنكر ابن عمر رضي الله عنهما على هذا الرجل مع أن عموم قولِ الله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً( ]الأحزاب:٥٦[تدخل فيه تلك الصلاة ولكن، ما هكذا فهمها الصحابة فمن بعدهم وما هكذا طبقها السلف الصالح رضي الله عنهم، وفهمهم أولى، ومرتبتهم أعلى.

ورحم الله الإمام الأوزاعي حيث قال:"اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم" (١).

وعليه نقول:"الحذر الحذر من مخالفة الأولين! فلو كان ثَمَّ فضل ما؛ لكان الأولون أحق به، والله المستعان")(١).

تاسعاً:(يستلزم من القول بالبدع الحسنة لوازم سيئة جدًا:

أحدها: أن تكون هذه البدع المستحبة - حسب زعمهم - من الدين الذي أكمله الله لعباده ورضيه لهم. وهذا معلوم البطلان بالضرورة، لأن الله تعالى لم يأمر عباده بتلك البدع، ولم يأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يفعلها ولا فعلها أحد من الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وعلى هذا فمن زعم أنه توجد بدع حسنة في الدين فقد قال على الله وعلى كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم.

الثاني: أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم قد تركوا العمل بسنن حسنة مباركة محمودة، وهذا مما ينزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم.

الثالث: أن يكون القائمون بالبدع الحسنة المزعومة قد حصل لهم العمل بسنة حسنة مباركة محمودة لم تحصل للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا لأصحابه رضي الله عنهم، وهذا لا يقوله من له أدنى مسكة من عقل و دين)(٢).

الفصل الثاني:

ذكر الشبه التي يستدل بها من يقول بتقسيم البدع:

الشبهة الأولى: فهمهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء " رواه مسلم.

والجواب عن هذه الشبه هو (ما قاله الإمام الشاطبي - رحمه الله - في "الاعتصام" (٢٣٣/١- ٢٣٦) مختصراً مع بعض الإضافات:

"ليس المراد بالحديث: الاستنان بمعنى الاختراع، وإنما المراد به العمل بما ثبت بالسنة النبوية، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن السبب الذي جاء لأجله الحديث هو الصدقة المشروعة؛ بدليل ما في "صحيح مسلم" من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال:" كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار؛ قال: فجاءه قوم حفاةً عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف. عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر. فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج. فأمر بلالا فأذن وأقام.

فصلى ثم خطب فقال:" (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)]النساء:١[إلى آخر الآية (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) والآية التي في الحشر:(اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ)]الحشر:١٨[تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال: "ولو بشق تمرةٍ

قال:"فجاء رجل من الأنصار بصرةٍ كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس.حتى رأيت كومين من طعام وثياب.حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غيرِ أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنَة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده.من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

فتأملوا أين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة؛ تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه، حتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة..إلخ. فدل على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابي، وهو العمل بما ثبت كونه سنة.

فظهر أن السنة الحسنة ليست بمبتدعةٍ".

ووجه ذلك:(أن كل ما فعله الأنصاري إنما هو ابتداؤه بالصدقة في تلك الحادثة، والصدقة مشروعة من قبل بالنص أفترون هذا الصحابي أتى ببدعة حسنة؟!.

وحث عليها - أي على الصدقة - الرسول صلى الله عليه وسلم في القصة نفسها.

وعليه فالسنة الحسنة هي إحياء أمر مشروع لم يعهد العمل به بين الناس لتركهم السنن)(١).

(ويدل على هذا حديث: (من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس؛ كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة فعمل بها، كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئاً) رواه ابن ماجة(٢).

مع ملاحظة أن النبي صلى الله عليه وسلم أضاف السنة إليه فقال:(من سنتي) بينما أطلق الكلام في البدعة فقال: (ومن ابتدع بدعة) ولم يقل بدعة سيئة.

ثانياً: أن قوله: (من سن في الإسلام سنةً حسنةً ومن سن في الإسلام سنةً سيئةً) لا يمكن حمله على الاختراع من أصلٍ؛ لأن كونها حسنةً أو سيئةً لا يعرف إلا من جهة الشرع؛ لأن التحسين والتقبيح مختص بالشرع، لا مدخل للعقل فيه وهو مذهب جماعة أهل السنة، وإنما يقول به المبتدعة - أعني: التحسين والتقبيح بالعقل -.

فلزم أن تكون "السنة" في الحديث: إما حسنةً في الشرع، وإما قبيحةً بالشرع، فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة وما أشبهها من السنن المشروعة.

وتبقى السنة السيئة منزلةً على المعاصي التي ثبت بالشرع كونها معاصي؛ كالقتل المنبه عليه في حديث ابن آدم، حيث قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري ومسلم: (لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل)) وعلى البدع، لأنه قد ثبت ذمها والنهي عنها بالشرع)(٢).

ثالثاً: (لا يمكن أن يكون معنى: (من سن في الإسلام سنةً حسنةً)ً أي من ابتدع في الإسلام بدعة حسنة" لأن بهذا يكون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: كل بدعة ضلالة "كل سنة ضلالة ".

فمن جعل هذا هو معنى ذاك فقد أبعد النجعة وحرف الكلم عن مواضعه)(١).

رابعاً: (لو كان هذا الذي يفهمه الناس الفهم الصحيح للحديث لصار في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فمن رغب عن سنتي فليس مني) تناقضاً واضحاً وتحريضاً على الإعراض عن السنة. وثناءً منه على من رغب عن سنته.

فبينما يقول: فعليكم بسنتي داعياً إلى التمسك بها والعض عليها بالنواجذ والقبض على الجمر يدعونا هنا إلى الأخذ بأي سنة يسنها من شاء من المسلمين لا بالتقيد بسنته صلى الله عليه وسلم وحده!)(٢).

الشبهة الثانية: فهمهم لأثر"ما رآه المسلمون حسناً؛ فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً؛ فهو عند الله سيئ " أخرجه أحمد وغيره.

الجواب:

أولاً:هذا الحديث لا يصح مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو ثابت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الزيلعي في"نصب الراية" (١٣٣/٤) نقلاً من "اللمع" للسحيباني (ص٢٨):

"غريب مرفوعًا، ولم أجده إلا موقوفًا على ابن مسعود".

(وقال ابن الجوزي في "الواهيات" (رقم٤٥٢):"هذا الحديث إنما يعرف من كلام ابن مسعودٍ".

وقال ابن عبد الهادي كما في "كشف الخفاء" للعجلوني (١٨٨/٢):

"(وروي) مرفوعاً عن أنس بإسنادٍ ساقطٍ، والأصح وقفه على ابن مسعودٍ".

وقال ابن القيم في "الفروسية" (ص٦١):"ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يضيفه إلى كلامه من لا علم له بالحديث، وإنما هو ثابت عن ابن مسعودٍ")(١).

وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٧/٢):"لا أصل له مرفوعاً، وإنما ورد موقوفاً على ابن مسعود" اهـ.

ثانياً:(قال الشيخ الألباني في "السلسة الضعيفة" (١٧/٢):

(إن من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن في الدين بدعةً حسنةً، وأن الدليل على حسنها اعتياد المسلمين لها!!

ولقد صار من الأمرِ المعهود أن يبادر هؤلاء إلى الاستدلال بهذا الحديث عندما تثار هذه المسألة، وخفي عليهم:

أ - أن هذا الحديث موقوف - أي على الصحابي - فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص المرفوعة - أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم - القاطعة في أن (كل بدعةٍ ضلالة) كما صح عنه صلى الله عليه وسلم.

ب - وعلى افتراض صلاحية الاحتجاج به، فإنه لا يعارض تلك النصوص لأمور:

الأول: أن المراد به إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر، كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابن مسعودٍ رضي الله عنه به على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر خليفةً (حيث قال:"إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد، بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون

على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً، فهو عند الله سيئ" أخرجه أحمد (٣٧٩/١)، وروى الحاكم الجملة الأخيرة، وزاد: "وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر")(١).

وعليه؛ فاللام في "المسلمون" ليس للاستغراق كما يتوهمون، بل للعهد.

الثاني: سلمنا أنه للاستغراق، ولكن ليس المراد به قطعاً كل فردٍ من المسلمين، ولو كان جاهلاً لا يفقه من العلم شيئاً؛ فلا بد إذن من أن يحمل على أهل العلم منهم، وهذا مما لا مفر لهم منه فيما أظن).

قلت: ومما يزيد كلامه - حفظه الله - وضوحاً الأمور التالية:

١ - أنه قد بوب له جماعةٌ من أهل الحديث في "باب الإجماع"، كما في "كشف الأستار عن زوائد البزار" (٨١/١)، و "مجمع الزوائد" (١٧٧/١)، وغيرهما.

٢ - استدل به كثير من العلماء على الإجماع:

قال ابن كثير:"وهذا الأثر فيه حكايةُ إجماعٍ عن الصحابة في تقديم الصديق، والأمر كما قاله ابن مسعودٍ".

وقال ابن القيم في "الفروسية"(ص٦٠) بعد إيراده، رداً على المستدلين به:" في هذا الأثر دليل على أن ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً؛ فهو عند الله حسن، لا ما رآه بعضهم! فهو حجة عليكم".

وقال ابن قدامة في"روضة الناظر"(ص٨٦):"الخبر دليل على أن الإجماع حجة، ولا خلف فيه".

وقال الشاطبي في "الاعتصام" (٦٥٥/٢):(إن ظاهره يدل على أن ما رآه المسلمون بجملتهم حسناً؛ فهو حسنٌ، والأمة لا تجتمع على باطلٍ، فاجتماعهم على حسن شيءٍ يدل على حسنه شرعاً؛ لأن الإجماع يتضمن دليلاً شرعياً")(١).

وقال الإمام ابن حزم في "الإحكام في أصول الأحكام" (١٩٧/٦):بعد أن ذكر أثر ابن مسعود رضي الله عنه: (فهذا هو الإجماع الذي لا يجوز خلافه لو تيقن، وليس ما رآه بعض المسلمين أولى بالاتباع مما رآه غيرهم من المسلمين، ولو كان ذلك لكنا مأمورين بالشيء وضده، وبفعل شيء وتركه معاً، وهذا محال لا سبيل إليه) اهـ.

وقال العز بن عبد السلام في "فتاوى العز بن عبد السلام"(ص٣٧٩):"إن صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمراد بالمسلمين أهل الإجماع" اهـ.

(وهنا نقول لمن استدل بهذا الأثر على أن هناك بدعة حسنة: هل تستطيع أن تأتي ببدعة واحدة أجمع المسلمون على حسنها؟!

إن هذا من المستحيل ولا شك، فليس هناك بدعة أجمع المسلمون على حسنها ولله الحمد.

ثالثاً: كيف يستدل بكلام هذا الصحابي الجليل على تحسين شيء من البدع، مع أنه رضي الله عنه كان من أشد الصحابة نهياً عن البدع وتحذيراً منها، وهو القائل كما مر معنا: "اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، وكل بدعةٍ ضلالة" رواه الدارمي في سننه)(١).

الشبهة الثالثة: (يقولون: ليست (كل) في حديث:(كل بدعةٍ ضلالة) على عمومها، بدليل أن الله سبحانه يقول:(تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)]الأحقاف:٢٥[والريح لم تدمر (كل) شيءٍ، فدل على أن (كل) ليست على عمومها!.

الجواب: إن (كل) على عمومها هنا أيضاً، إذ هي دمرت (كل) شيءٍ أمرها به ربها، لا (كل) شيءٍ في الدنيا!!

وعلى هذا قول المفسرين:

قال ابن جريرٍ في "تفسيره" (٢٧/٢٦/١٣):(وإنما عنى بقوله:(تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ)

مما أرسلت بهلاكه؛ لأنها لم تدمر هوداً ومن كان آمن به) اهـ.

وقال القرطبي في "تفسيره" (٢٠٦/١٦):"أي كل شيءٍ مرت عليه من رجال عادٍ وأموالها".

وكذا قال آخرون، وانظر "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٢٧٤-٢٧٥).

فلا حجة في هذا الاستدلال ألبتة)(١).

الشبهة الرابعة: فهمهم لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"نعمت البدعة هذه" رواه البخاري.

الجواب:

أولاً: (لو سلمنا جدلاً بصحة دلالته على ما أرادوا من تحسين البدع - مع أن هذا لا يسلم - فانه لا يجوز أن يعارض كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل:(كل بدعةٍ ضلالة) بكلام أحد من الناس، كائنًا من كان.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر")(١).

ثانياً: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال هذه الكلمة حين جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح و (صلاةَ التراويح ليست بدعةً في الشريعة، بل هي سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله في الجماعة.. ولا صلاتها جماعة بدعةً، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين، بل ثلاثًا.

وقال:(من قام مع الإمام حتى يَنصرف، فإنه يعدل قيام ليلةٍ) رواه الترمذي وابن ماجة.

كما قام بهم حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح. رواه أهل السنن.

وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال الانفراد.

وفي قوله هذا ترغيب لقيام رمضان خلف الإمام وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقة،

وكان الناس يصلونها جماعاتٍ في المسجد على عهده صلى الله عليه وسلم وهو يقرهم، وإقراره سنة منه صلى الله عليه وسلم).

بل إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون التراويح في عهد عمر رضي الله عنه قبل أن يقول كلمته هذه، فقد روى البخاري ومالك وغيرهما عن عبد الرحمن بن عبد القارى رضي الله عنه قال:(خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعاً متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصَلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحدٍ لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعبٍ. ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر:"نعمت البدعة هذه").

ثالثاً:(إذا علمت - رحمك الله - ما تقدم، فمفهوم البدعة الشرعية لا ينطبق على فعل عمر، وإنما أراد - رضي الله عنه - بقوله المذكور البدعة اللغوية، فالبدعة في الشرع لا تستخدم إلا في موضع الذم، بخلاف اللغة فإن كل ما أحدث على غير مثال سابق بدعة، سواء أكان محموداً أو مذموماً)(٢).

(وعلى هذا حمل العلماء قول عمر رضي الله عنه فقد قال الإمام ابن كثير- رحمه الله- في "تفسيره" عند تفسير (سورة البقرة:١١٧):"البدعة على قسمين: تارة تكون بدعة شرعية؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: "كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة" وتارة تكون بدعة لغوية؛ كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: "نعمت البدعة هذه".

وقال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (ص٢٣٣):"وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية..." ثم ذكر رحمه الله قول عمر رضي الله عنه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/٥٩٢-٥٩٣):

"وأما قول عمر رضي الله عنه :"نعمت البدعة هذه" فأكثر المحتجين بهذا؛ لو أردنا أن نثبت حكماً بقول عمر الذي لم يخالف فيه؛ لقالوا:"قول الصاحب ليس بحجةٍ!"، فكيف يكون حجةً لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

ومن اعتقد أن قول الصاحب حجة؛ فلا يعتقده إذا خالف الحديث.

فعلى التقديرين: لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب.

ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعةً، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثالٍ سابقٍ، وأما البدعة الشرعية؛ فما لم يدل عليه دليل شرعي.

فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دل على استحباب فعلٍ، أو إيجابه بعد موته، أو دل عليه مطلقاً، ولم يعمل به ألا بعد موته، ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه ، فإذا عمل ذلك العمل بعد موته، صح أن يسمى بدعة في اللغة؛ لأنه عمل مبتدأ، كما أن نفس الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يسمى محدثاً في اللغة؛ كما قالت رسل قريشٍ للنجاشي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين إلى الحبشة:"إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دين الملك، وجاؤوا بدينٍ محدثٍ لا يعرف".

ثم ذلك العمل الذي دل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سمي بدعة في اللغة.

وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل بدعةٍ ضلالة) لم يرد به كل عمل مبتدأ؛ فإن دين الإسلام، بل كل دين جاءت به الرسل؛ فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم).

قلت: وقد سبق بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بأصحابه في رمضان ثلاث ليالٍ، ثم خاف أن تفرض عليهم، فتركها.

"فلما كان في عهد عمر رضي الله عنه ؛ جمعهم على قارئ واحدٍ، وأسرج المسجد فصارت هذه الهيئة - وهي اجتماعهم في المسجد وعلى إمامٍ واحدٍ مع الإسراج - عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعةً؛ لأنه في اللغة يسمى بذلك، ولم يكن بدعةً شرعيةً، لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض، وخوف الافتراض زال بموته صلى الله عليه وسلم، فانتفى المعارض" (١)) (٢).

الشبهة الخامسة: فهمهم لقول الله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُم فاسقونْ)]الحديد: ٢٧[.

الجواب: (ليس في هذه الآية دليل على استحسان البدع من كل الوجوه المحتملة، فإذا كان قوله تعالى: (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) يرجع إلى قوله تعالى:(ابْتَدَعُوهَا)؛ فمعناه أن الله لم يكتبها عليهم؛ إلا أنهم ابتدعوها بقصد زيادة التقرب إلى الله، وفي هذا ذم لها؛ لأن الله لم يفرضها عليهم، ويزداد التقبيح أنهم مع اختراعهم لها لم يرعوها حق رعايتها، وقصروا فيما ألزموا أنفسهم به، وهذا ضرب من التقبيح والتشنيع المضاعف.

وإذا كان راجعاً إلى قوله:(مَا كَتَبْنَاهَا)؛ فمعناه أنهم ألزموا أنفسهم بابتداعها، فكتبها الله عليهم، أي أصبحت ديناً مشروعاً من لدن أحكم الحاكمين، وهذا ضرب من التقرير، وقد حدث مثله في ديننا، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقر أصحابه على أقوال وأفعال يأتون بها، لم تكن مشروعة من قبل، وبتقريره لها تصبح شرعاً يعبد الله به، وأمثلة ذلك في السنة كثير.

أما بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن الشرع لم يعد بحاجة إلى زيادة؛ لأن الله أتمه وأكمله، ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً مما يقربنا من الجنة إلا وقد أمرنا به، ولم يدع أمراً يقربنا من النار إلا وقد نهانا عنه صلى الله عليه وسلم.

وجملة القول أن هذه الآية من شرع ما قبلنا، والراجح في علم الأصول أنه ليس شرعاً لنا؛ لأدلة كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي... فذكرها، وآخرها: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة " أخرجه البخاري ومسلم.

وعلى فرض صحة قول من قال:"شريعة من قبلنا شريعة لنا" فذلك مشروط بشرطين:

الأول: أن يثبت أن ذلك شرع ارتضاه الله لهم بنقل موثوق.

الثاني:أن لا يكون في شرعنا ما يخالفه.

وعليه؛ فالآية لا حجة فيها لمحسني البدع، لأن الإسلام بين أن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)(١).

الشبهة السادسة: جمع القرآن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الجواب:

أولاً:(القرآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مكتوباً في الصحف؛ لقوله تعالى:(يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً)]البينة:٢[وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"لا تكتبوا عني.ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" .أخرجه مسلم، لكنها كانت مفرقة، كما يدل على ذلك قول زيد بن ثابت رضي الله عنه في قصة جمع القرآن التي رواها البخاري: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال".

ثانياً: إن جمع القرآن لم يأت به الصحابة من تلقاء أنفسهم، بل هو تحقيق لوعد الله تعالى أيضاً بجمعه؛ كما وعد بحفظه:(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)]القيامة:١٧[.

فإذا جمعنا بين الآيتين؛ تبين لنا يقيناً أصل عظيم وهو أن الذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة، فكما أن حفظ القرآن غاية شرعها الله، كذلك جمعه وسيلة بينها الله، فكان على عهد النبوة مكتوباً في الصحف التي هي العسب واللخاف وكذلك صدور الرجال، فلما رأى الصحابة أن القتل استحرَّ بالقراء يوم اليمامة؛ لجؤوا إلى الوسائل الأخرى التي كان القرآن مكتوباً فيها، فجمعوها، وكان ذلك إيذاناً من الله بتحقيق جمع القرآن وحفظه.

ثالثاً: إن اتفاق الصحابة وقع على جمع القرآن وذلك إجماع منهم وهو حجة بلا ريب كيف وهم القوم لا يجتمعون على ضلالة؟!

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتي على ضلالة" رواه الترمذي.

رابعاً: إن حاصل ما فعله الصحابة وسائل لحفظ أمر ضروري، أو دفع ضرر اختلاف المسلمين في القرآن، والأمر الأول من باب "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، والأمر الثاني من باب "درء المفاسد، وسد الذرائع" وهي قواعد أصولية مستنبطة من الكتاب والسنة)(١).

(فإن قيل: فلماذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لوجود المانع، وهو أن القرآن كان يتنزل عليه طيلة حياته، وقد ينسخ الله سبحانه منه ما يريد، فلما انتفى المانع؛ فعله الصحابة رضوان الله عليهم باتفاق)(٢).

و"ما رأى المسلمونَ حسناً؛ فهو عند الله حسنٌ ".

الشبهة السابعة: يقول البعض أن قول الرسول:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد" مخصص لحديث (كل بدعة ضلالة) ومبين للمراد منها؛ إذ لو كانت البدعة ضلالة بدون استثناء؛ لقال الحديث: من أحدث في أمرنا هذا شيئاً؛ فهو رد!! لكن لما قال:(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد)؛ أفاد أن المحدث نوعان: ما ليس من الدين، بأن كان مخالفاً لقواعده ودلائله؛ فهو مردود، وهو البدعة الضلالة، وما هو من الدين، بأن شهد له أصل، وأيده دليل؛ فهو صحيح مقبول، وهو السنة الحسنة!!

الجواب:

(معلوم من قواعد العلم ومبادئه أن روايات الأحاديث النبوية يفسر بعضها بعضاً، ويشرح بعضها ما غمض من بعضها الآخر.

فهذه الرواية يوضحها ويزيل لبسها المتوهم فيها ما يلي:

أولاً: الرواية الأخرى للحديث نفسه، وهي:(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد).

فهذا إيضاح جلي للرواية ذاتها، يكشف صورة العمل المحدث المردود، ويبين أنه كل عمل ليس عليه الدين؛ فهذا شامل للكيفية والصفة والهيئة إذا لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إذ إعراب (ليس عليه أمرنا) أنها في محل نصبِ صفةٍ لـ (عملاً)، فصفة المحدَثِ أنه ليس عليه أمرُ النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أن تطبيق السلف وفهمهم - وهم القوم لا يشقى الآخذ بقولهم - لهذا الحديث لم يكن على هذا الوجه المستنكر، وإنما كان على الجادة الموافقة لأصول اللغة، وقواعد الاستدلال.

ففي روايات كثيرة عنهم - رحمهم الله - تراهم يستنكرون أعمالاً مشروعة الأصل محدثة الكيفية والصفة، ويصفونها بالابتداع) (١).

الشبهة الثامنة: استدلالهم بما جاء عن غضيف بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: "بعث إلي عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء إنا قد جمعنا الناس على أمرين، قلت: وما هما؟

قال:رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر.

فقال: أما إنهما أمثل بدعكم عندي، ولست مجيبك إلى شيء منهما.

قال: لم؟

قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة" فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة" أخرجه أحمد.

الجواب:

(أولاً: إن هذا الأثر لا يثبت، بل هو ضعيف، لأن في إسناده أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف، ضعفه أحمد، وأبو داود، وأبو حاتم، وابن معين وأبو زرعة، وابن سعد، وابن عدي، والدارقطني، انظر ترجمته في "تهذيب التهذيب" (٢٨/١٢-٢٩)، و"تقريب التهذيب" (٣٩٨/٢)، و"ميزان الاعتدال" (٤٩٨/٤)، و"سير أعلام النبلاء" (٦٤/٧))(١).

(ثانياً: على افتراض صحة هذا الأثر، فإنه قد سبق التنبيه على أنه لا يجوز أن يعارض كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام أحد من الناس كائناً من كان.

ثالثاً: أن غضيف بن الحارث رضي الله عنه رفض الاستجابة لهذه البدع، وردها، ولو كانت حسنة، لما امتنع من الأخذ بها.

رابعاً: إن قوله:"أمثل بدعكم"، أمر نسبي، أي هي بالنسبة للبدع الأخرى أخف شراً، وأقل مخالفة.

خامساً: استدل غضيف رضي الله عنه - على فرض صحة الأثر والحديث- على ترك هذه البدع بحديث: (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة) فلو كانت هذه

البدعة حسنة، لم يرفع من السنة مثلها، لأن رفع السنة عقوبة، والحسن لا يعاقب عليه)(١).

الشبهة التاسعة: زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه للأذان قبل الأذان الشرعي يوم الجمعة.

الجواب:

أولاً:(لقد فعل عثمان ذلك لمصلحة، وهو أن الناس عندما كثروا؛ وتباعدت منازلهم عن المسجد؛ رأى هذا الأذان نافعاً لاتساعها وكثرة أهلها، فيدعوهم ذلك إلى الاستعداد)(١)، يدل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد أنه قال: "كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما. فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء".

(وقد نقل القرطبي في "تفسيره" (١٠٠/١٨) عن الماوردي قوله: (فأما الأذان الأول فمحدث، فعله عثمان رضي الله عنه ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها) انتهى كلامه - رحمه الله - فمن صرف النظر عن هذه العلة، وتمسك بأذان عثمان رضي الله عنه مطلقاً لا يكون مقتديا به، بل هو مخالف له حيث لم ينظر بعين الاعتبار إلى تلك العلة التي لولاها لما كان لعثمان رضي الله عنه أن يزيد على سنته عليه الصلاة والسلام وسنة الخليفتين من بعده.

ولهذا قال الإمام الشافعي في كتابه"الأم"(١٧٣/١):"وقد كان عطاء ينكر أن يكون عثمان أحدثه، ويقول: أحدثه معاوية، وأيهما كان فالأمر الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي، فإن أذن جماعة من المؤذنين والإمام على المنبر، وأذن كما يؤذن اليوم أذان قبل أذان المؤذنين إذا جلس الإمام على المنبر كرهت ذلك له، ولا يفسد شيء من صلاته" اهـ)(١).

ففعل عثمان رضي الله عنه يعتبر من المصلحة المرسلة (و"المصلحة المرسَلة" في تعريف الأصوليين هي:"الأوصاف التي تلائم تصرفات الشارع ومقاصده، ولكن لم يشهد لها دليل معين من الشرع بالاعتبار أو الإلغاء، ويحصل من ربط الحكم بها جلب مصلحةٍ أو دفع مفسدةٍ عن الناس".

وسميت "مرسلة"؛ لعدم وجود ما يوافقها أو يخالفها في الشرع؛ أي: أرسلت إرسالاً وأطلقت إطلاقاً.

والضابط الذي تتميز به المصلحة المرسلة من البدع المحدثة هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٥٩٤/٢):(والضابط في هذا- والله أعلم - أن يقال: إن الناس لا يحدثون شيئاً إلا لأنهم يرونه مصلحة، إذ لو اعتقدوه مفسدةً؛ لم يحدثوه؛ فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين.

فما رآه الناس مصلحةً؛ نظر في السبب المحوج إليه:

فإن كان السبب المحوج إليه أمراً حدث بعد النبي لكن من غير تفريط منه؛ فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه.

وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن تركه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارضٍ زال بموته وأما ما لم يحدث سبب يحوج إليه، أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد فهنا لا يجوز الإحداث.

فكل أمرٍ يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موجوداً، لو كان مصلحةٍ ولم يُفْعَل: يُعْلَم أنه ليس بمصلحةٍ.

وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخالق؛ فقد يكون مصلحةً..الخ).

وخلاصةُ القول: أن "حاصل المصالح المرسلة يرجع إلى حفظ أمرٍ ضروري، أو رفع حرجٍ لازم في الدين".

وليست البدع - عند من يدعيها- هكذا بيقين)(١) لأن المبتدع إنما يفعل البدع بقصد زيادة التقرب إلى الله وإن لم يكن هناك حاجة لإحداث ذلك الفعل.

ثانياً: أن عثمان رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فإن من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثِيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدَثات الأمور؛ فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة " . رواه أحمد وأبو داود.

الشبهة العاشرة: قول الإمام الشافعي- رحمه الله -:"البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة، فهو محمود، وما خالف السنة، فهو مذموم" واحتج بقول عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: "نعمت البدعة هذه" رواه أبو نعيم في"حلية الأولياء" (١١٣/٩).

وقوله: المحدثات من الأمور ضربان: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه بدعة ضلالة.وما أحدث من الخير لا خلاف لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة.قد قال عمر في قيام رمضان: "نعمت البدعة هذه".

يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى.أخرجه البيهقي في "مناقب الشافعي"(٤٦٩/١).

الجواب:

قال الشيخ سليم الهلالي في "البدعة وأثرها السيئ في الأمة" راداً على من يستدل بقول الشافعي هذا (ص٦٣- ٦٦):

(أولاً: بالنسبة لما أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١١٣/٩) ففي سنده عبدالله بن محمد العطشي، ذكره الخطيب البغدادي في "تاريخه" والسمعاني في"الأنساب" ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وأما بالنسبة لما أخرجه البيهقي ففيه محمد بن موسى الفضل، لم أجد له ترجمة(١).

ثانياً: قول الشافعي إن صح لا يصح أن يكون معارضاً أو مخصصاً لعموم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والشافعي نفسه - رحمه الله - نقل عنه أصحابه أن قول الصحابي إذا انفرد ليس حجة، ولا يجب على من بعده تقليده، ومع كون ما نسب إلى الإمام الشافعي فيه نظر

بدليل ما في "الرسالة " للشافعي (ص٥٩٧- ٥٩٨)، فكيف يكون قول الشافعي حجة، وقول الصحابي ليس بحجة؟!

ثالثاً: كيف يقول الشافعي رحمه الله بالبدعة الحسنة وهو القائل: "من استحسن فقد شرع".

والقائل في "الرسالة" (ص٥٠٧):"إنما الاستحسان تلذذ".

وعقد فصلاً في كتابه "الأم" (٢٩٣/٧- ٣٠٤) بعنوان:"إبطال الاستحسان".

لذلك؛ من أراد أن يفسر كلام الشافعي- رحمه الله - فليفعل ضمن قواعد وأصول الشافعي، وهذا يقتضي أن يفهم أصوله، وهذا الأمر مشهود في كل العلوم، فمن جهل اصطلاحات أربابها جهل معنى أقاويلهم، وأبعد النجعة في تفسيرها.

إن المتأمل في كلام الشافعي- رحمه الله - لا يشك أنه قصد بالبدعة المحمودة البدعة في اللغة، وهذا واضح في احتجاج الشافعي- رحمه الله - بقول عمر رضي الله عنه، وعلى هذا الأصل يفسر كلام الشافعي، وأنه أراد ما أراده عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي: البدعة اللغوية (كما سبق بيانه) لا الشرعية؛ فإنها كلها ضلالة؛ لأنها تخالف الكتاب، والسنة، والإجماع، والأثر) انتهى كلامه بتصرف.

الشبهة الحادية عشر: أن بعض العلماء قسم البدعة إلى خمسة أقسام، واجبة كالرد على أهل الزيغ؛ وتعلم العلوم الشرعية وتصنيف الكتب في ذلك، ومندوبة كإحداث الربط والمدارس والأذان على المنائر وصنع إحسان لم يعهد في الصدر الأول، ومكروهة زخرفة المساجد، ومباحة كالتوسع في المأكل والمشرب، ومحرمة وهي ما أحدث لمخالفة السنة ولم تشمله أدلة الشرع العامة ولم يحتو على مصلحة شرعية.

الجواب:

أولاً: بالنسبة إلى تقسيم البدع إلى خمسة أقسام فالجواب عنه: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل بدعةٍ ضلالة) وهذا الحديث عام لم يدخله التخصيص كما سبق بيان ذلك.

ثانياً: قال الإمام الشاطبي في "الاعتصام" (٢٤٦/١) عن هذا التقسيم:

(إن هذا التقسيم أمرٌ مخترع، لا يدل عليه دليلَ شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي؛ لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوبٍ أو ندبٍ أو إباحةٍ؛ لما كان ثَمَّ بدعةٌ، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها، أو المخير فيها.

فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمعٌ بين متنافيين.

أما المكروه منها والمحرم؛ فمسلم من جهة كونها بدعاً لا من جهةٍ أخرى، إذ لو دل دليل على منع أمر ما أو كراهته؛ لم يثبت ذلك كونه بدعة؛ لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة، إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه).

هذا بالنسبة إلى التقسيم المذكور، أما بالنسبة إلى الأمثلة التي ذكروها لهذا التقسيم فالجواب عنها ما يلي:

(أما الرد على أهل الزيغ فإنه من إنكار المنكر لأن البدع هي أعظم المنكرات بعد الشرك بالله، وهو أيضاً من الجهاد في سبيل الله ومن النصيحة للمسلمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبيٍ بعثه الله في أمةٍ قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ". رواه مسلم.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلمعلى الثلاثة الذين قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أما والله؛ إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني".

وأنكر ابن مسعود وأبو موسى رضي الله عنهما على الذين اجتمعوا للذكر بطريقة غير مشروعة؛ كما سبق بيانه، ولما خرج الخوارج وأظهروا بدعتهم أنكر ذلك الصحابة وقاتلوهم، ولم يخالف أحد من الصحابة رضي الله عنهم في إنكار بدعتهم ووجوب قتالهم. وقد وردت الأحاديث الكثيرة في ذمهم والأمر بقتالهم إذا خرجوا)(١).

وأما بالنسبة للتصنيف في جميع العلوم النافعة فالأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" رواه البخاري، وقوله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءًا سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقهٍ غير فقيهٍ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه" (٢)، ومن وسائل التبليغ تصنيف الكتب الشرعية.

(وقد كان بعض الصحابة يكتب الأحاديث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد جاء في سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب"، وذكر أهل السير أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون له الوحي وغيره)(٣).

بل قد حث النبي صلى الله عليه وسلم على كتابة العلم فقال: "قيدوا العلم بالكتابة" (٤).

(أما بالنسبة لإحداث الربط فلا نقول بأنه ليس له عهد لدى سلفنا الصالح، فأين أنتم عن الصفة وأهل الصفة، فهي رباط على فقراء الصحابة، وهي أصل في مشروعية وقف الأربطة على الفقراء)(٥).

(وأما المدارس؛ فلا يتعلق بها أمر تعبدي يقال في مثله: بدعة؛ إلا على فرض أن يكون من السنة أن لا يقرأ العلم إلا بالمساجد، وهذا لا يوجد، بل العلم كان في الزمان الأول يبث بكل مكان؛ من مسجد، أو منزل، أو سفر، أو حضر، أو غير ذلك، حتى في الأسواق فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعين بإعدادها الطلبة؛ فلا يزيد ذلك على إعداده له منزلا من منازله، أو حائطاً من حوائطه، أو غير ذلك فأين مدخل البدعة ها هنا؟!

وإن قيل: إن البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره والتخصيص ها هنا ليس بتخصيص تعبدي وإنما هو تعيين بالحبس كما تتعيَّن سائر الأمور المحبسة، وتخصيصها ليس ببدعة،فكذلك ما نحن فيه)(١).

(وأما الأذان على المنارة فلا يدخل في مسمى البدعة لأن البدعة في الأذان هي الزيادة في ألفاظه مثل قول الرافضة أشهد أن علياً ولي الله وقول بعضهم أشهد أن علياً حجة الله، وقولهم حي على خير العمل وتكريرهم قول لا إله إلا الله مرتين في آخر الأذان ورفعهم الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الآذان، فهذا هو المبتدع في الأذان. وأما الأذان على المكان المرتفع فهو مروي عن بلال رضي الله عنه فقد روى أبو داود والبيهقي عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت: "كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، وكان بلال يؤذن عليه الفجر"وقد ترجم له أبو داود بقوله: "الأذان فوق المنارة" وترجم له البيهقي بقوله: "الأذان في المنارة")(٢).

(وأما صنع الإحسان فإنه من المعروف وليس من البدع سواء كان معهوداً في الصدر الأول أو لم يكن معهوداً فيه.

وقد قال الله تعالى:(إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالإِحْسَانِ)] النحل:٩٠[وقال تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين)]البقرة:١٩٥[والآيات والأحاديث الصحيحة في الحث على الإحسان كثيرة جداً، ولم يحدد صور معينة للإحسان بحيث لا يجوز فعل غيرها، وإنما يذم منه ما تجاوز الحد وكان من التبذير)(١).

(وأما زخرفة المساجد فكيف يقال أنها من البدع المكروهة، وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على النهي عنها، وقد نهى عنها عمر أيضا، فهي منهي عنها نصاً.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أمرت بتشييد المساجد" قال ابن عباس:"لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى" أخرجه أبو داود (٢) وأمر عمر ببناء المسجد وقال:"أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس")(٣).

(وأما بالنسبة للتوسع في المأكل والمشرب فهذه من الأمور المباحة ولا يقصد باستعمالها أمر تعبدي، فهي مشمولة بالنص النبوي الكريم: "أنتم أعلم بأمور دنياكم رواه مسلم؛ وقوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)]الأعراف:٣١[فما استحدثه الناس في أمور حياتهم مما لا يتعارض مع النصوص العامة في مراعاة الاقتصاد والإباحة العامة، فلا يعتبر بدعًا، فقد عرف العلماء البدعة بأنها طريقة محدثة في الدين)(٤).

وأما البدع المحرمة وهي حسب تعريفهم: ما أحدث لمخالفة السنة، ولم تشمله الأدلة العامة؛ ولم يحتو على مصلحة شرعية.

فالجواب عن ذلك: أن هذه الشروط مخالفة للأحاديث النبوية والآثار السلفية التي جاءت في التحذير من البدع عموماً دون تخصيص أو تفصيل بين ما أحدث خلاف السنة أو غيره وإليك البيان:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة" وهذا الحديث عام في إنكار جميع البدع كما سبق بيان ذلك.

٢ - أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن وقوع الاختلاف بعده فقال: "فإن من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً" وارشد من يدرك هذا الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده فقال: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ" ولم يقل لهم: فعليكم بما يوافق سنتي وسنة الخلفاء الراشدين ولم يخالفها مثلاً، ثم حذرهم من المحدثات عموماً فقال: "وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة" ولم يقل: وإياكم ومحدثات الأمور المخالفة لسنتي، فإن كل محدثة مخالفة لسنتي وسنة الخلفاء بدعة؛ وكل بدعة مخالفة لذلك فهي ضلالة.

٣ - قال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة" ولم يخصص بدعة من أخرى.

٤ - وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :"أيها الناس! إنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدَثة؛ فعليكم بالأمرِ الأول".

٥ - وقد مر معنا إنكار ابن عمر رضي الله عنهما زيادة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد العطاس! بحجة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمهم ذلك؛ وكذلك إنكار عائشة رضي الله عنها على المرأة التي سألتها عن سبب أن المرأة الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بقضاء الصلاة وإنما أمرهم بقضاء الصيام.

وكذلك مر معنا إنكار الإمام النووي- رحمه الله - صلاة الركعتين بعد السعي!.

فهذه الأدلة وغيرها تبين فساد تلك الشروط التي اشترطوها في البدعة المنكرة حسب زعمهم.

(والحاصل من جميع ما ذكر فيه قد وضح منه أن البدع لا تنقسم إلى ذلك الانقسام بل هي من قبيل المنهي عنه إما كراهةً وإما تحريماً)(١).

الشبهة الثانية عشر: يقول البعض: إن ترك الرسول صلى الله عليه وسلم للفعل لا يدل على التحريم إلا إذا جاء في ذلك دليل صريح، فكيف يحتج على إنكار البدع الحسنة - حسب زعمهم - بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك؟

الجواب:

(أولاً: أن الله تعالى قال فيما امتن به على عباده: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)]المائدة:٣[وفي هذه الآية دليل على أنه لا يجوز إحداث البدع لأنها ليست من الدين الذي أكمله الله تعالى لهذه الأمة في حياة نبيها ورضيه لهم.

ثانياً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتتن وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدةً " قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي" رواه الترمذي (١) وهذا الحديث يدل على أن إحداث البدع لا يجوز لأنها من الأعمال التي لم يكن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم)(٢).

ثالثاً:("من المقرر عند ذوي التحقيق من أهل العلم أن كل عبادةٍ مزعومةٍ لم يشرعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله، ولم يتقرب هو بها إلى الله بفعله، فهي مخالفة لسنته.

لأن السنة على قسمين: سنة فعلية، وسنة تركية.

فما تركه صلى الله عليه وسلم من تلك العبادات؛ فمن السنة تركها.

ألا ترى مَثلاً أن الأذان للعيدين ولدفن الميت مع كونه ذكراً وتعظيماً لله عز وجل لم يجز التقرب به إلى الله عز وجل، وما ذاك إلا لكونه سنة تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد فهم هذا المعنى أصحابه صلى الله عليه وسلم، فكثر عنهم التحذير من البدع تحذيراً عاماً؛ كما هو مذكور في موضعه".

ولتقرير قاعدة السنة التركية أقول: أصل قاعدة (السنة التركية) مأخوذ من عدة أدلةٍ؛ منها:

حديث الثلاثة نفر الذين جاؤوا إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم ... الخ وقد ذكرته فيما سبق.

فقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم، ورد فعلهم، مع أن أصل العبادات التي أرادوا القيام بها مشروعة، ولكن لما كانت الكيفية والصفة التي قام بها هؤلاء الثلاثةُ في هذه العبادات (متروكةً) في تطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير واردةٍ فيه، أنكر ذلك عليهم.

فهذه ترجمة عملية منه صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا (ولم يقل من عمل عملاً عليه نهينا) فهو رد".

فهذا عمل مشروع الأصل، لكن ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم وهديه، فهو مردودٌ على صاحبه، غير مقبول منه.

وخلاصة القول:"إن الترك - مع حرصه عليه السلام على إحراز فضيلة النفل - دليل الكراهة" كما قاله الإمام العيني كما في "إعلام أهل العصر" للعظيم آبادي (ص٩٥) ومن أمثلة ذلك ما سبقت الإشارة إليه في أول هذا المبحث: الأذان لصلاة العيد:

فالأذان مشروع في أصله، لكن لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، وتركوه، فتركهم له سنة يجب اتباعهم فيها.

وكذا الأذان للاستسقاء والجنازة ونحوهما.

فمن فعل من التعبديات والقربات ما تركوه؛ فقد واقع البدعة، وتلبس بها.

قال الحافظ ابن رجب في "فضل علم السلف" (ص٣١): "... فأما ما اتفق السلف على تركه؛ فلا يجوز العمل به؛ لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل به".

وللشيخ العلامة الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣١٧/٦-٣٢٠) مبحثاً ماتعاً في أن الترك فعل؛ فهذا يؤكد أن "الترك سنة"، إذ تعريف السنة أنها: "ما وَرَدَ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ ".

فتمام اتباع السنة يكون بترك ما وَرَدَ تركه، وفعل ما وَرَدَ فعله، وإلا فباب البدعة يفتح؛ عياذاً بالله تعالى.

ولابن القيم - رحمه الله - تفصيل بديع ماتع فيما نقله الصحابة رضي الله عنهم لتركه صلى الله عليه وسلم؛ قال رحمه الله: "أما نقلهم لتركه؛ فهو نوعان، وكلاهما سنة:

أحدهما: تصريحهم بأنه ترك كذا وكذا ولم يفعله؛ كقوله في شهداء أحد: "ولم يغسلهم،
ولم يصل عليهم"؛ وقوله في صلاة العيد: "لم يكن أذان، ولا إقامة، ولا نداء"، وقوله في جمعه صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين: "ولم يسبح بينهما ولا على إثر واحدةٍ منهم"... ونظائره.

والثاني: عدم نقلهم لما لو فعله؛ لتوفرت هممهم ودواعيهم، أو أكثرهم أو واحد منهم، على نقله، فحيث لم ينقله واحدٌ منهم ألبتة، ولا حدث به في مجمعٍ أبداً؛ عُلم أنه لم يكن...".

ثم ذكر رحمه الله عدة أمثلةٍ على ذلك منها: تركه صلى الله عليه وسلم التلفظ بالنية عند دخول الصلاة، وترك الدعاء بعد الصلاة على هيئة الاجتماع ... وغير ذلك، ثم قال:"... ومن ها هنا يعلم أن القول باستحباب ذلك خلاف السنة؛ فإن تركه صلى الله عليه وسلم سنة كما أن فعله سنة، فإذا استحببنا فعل ما تركه؛ كان نظير استحبابنا ترك ما فعله، ولا فرق ")(١).

تنبيه: قال الشيخ علي الحلبي - حفظه الله - في "علم أصول البدع" (ص١١٤-١١٨):

(كتب الغماري المبتدع رسالةً موجزةً سماها "حُسْنَ التفهم والدَّرْك لمسألةِ الترْك"، تكلم فيها بكلامٍ غير سديدٍ، خالطاً بين المسائل الأصولية خلطاً قبيحاً، يترفع عنه صغار الطلبة.

ومجال تعقبه وتحقيق القول في المسائل التي أوردها في رسالته كبير جدًا، أفردت له رسالة خاصة، عنوانها "دفع الشك في تحقيق مسألة الترك" يسر الله إتمامها.

ولكي لا أخلي المقام هنا من إشارةٍ تكشف انحرافه وتناقضه أقول:

ذكر في مواضع من كتابه (ص٩) وغيرها تأصيل مسألة الترك؛ قائلاً:

"فمن زعم تحريم شيءٍ بدعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله؛ فقد ادعى ما ليس عليه دليل، وكانت دعواه مردودةً".

وقال (ص١٢٤):"ترك الشيء لا يدل على منعه؛ لأنه ليس بنهي".

وقد ذكر (ص١٥١) أمثلةً على الترك مستحسناً لها؛ منها:

١- الاحتفال بالمولد النبوي.

٢- تشييع الجنازة بالذكر.

٣- إحياء ليلة النصف من شعبان. وغيرها!

لكنه - من قبل و من بعد - ناقض نفسه، فعد بعض المحدثات التي هي جارية على أصوله مساق الحسن والاستحسان: بدعاً قبيحةً، ومحدثاتٍ سخيفةٍ!!

فقد قال (ص٣٧):"وأما المغاربة؛ فزادوا بدعةً أخرى، وهي إقامة الجمعة في المساجد على التوالي والترتيب... وهذا اتساع في الابتداع، لا يؤيده دليل!!
ولا تشمله قاعدة!!".

كذا قال ناقضاً ما أصله قبل!

وماذا؟! اتساع في الابتداع!!

فأين أدلة استحساناتك وقواعد محدثاتك؟!

وقال (ص٣٨):"بعض الأئمة الجهلة يخطب الجمعة ويصليها في مسجدٍ، ثم يذهب إلى مسجدٍ آخر، فيخطب فيه الجمعة، ويصليها أيضاً، فيرتكب بدعةً قبيحةً، ويصلي جمعةً باطلةً، يأثم عليها ولا يثاب".

كذا!! وهو تناقض عجاب!!

وقال (ص٣٨- ٣٩):"شاع في المغرب الأذان للظهر مرتين، بينهما نحو ساعةٍ، والأذان للعصر مرتين بينهما عشر دقائق، وفي تطوان يؤذن للعشاء مرتين أيضاً، وهذه بدعةٌ سخيفةٌ، لا توجد إلا في المغرب، ولم يشرع الأذان؛ إلا عند دخول الوقت للإعلام بالصلاة، والأذان بعده لاغٍ غير مشروعٍ".

وغير هذا وذاك من أمثلةٍ تجعل كتابه كله عَلَى (شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ)]التوبة: ١٠٩[.

فما هو الذي جعل هذه المحدثات منكرةً عندك وهي مستحسنة عند أصحابها؟!

فلماذا رفضتها أنت منهم بلا ضابطٍ؟!

ولماذا هم لا يرفضون - أيضاً - مستحسناتك؟!

ثم ألا تدخل هذه المحدَثات كلها التي أنكرتها تحت العمومات القرآنية التي أشرت إليها فيصدر رسالتك الشوهاء (ص١١) جاعلاً إياها الأصل في استحسان البدع؛ كمثل قوله تعالى: (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)]الحج: ٧٧[... وغيرها؟!

فلماذا تصف تلك الفعال - وهي خير - بالسخافة وتشنع على أصحابها بالإنكار؟!

وأنت القائل (ص١١):"فمن زعم في فعل خيرٍ مستحدثٍ أنه بدعةٌ مذمومةٌ؛ فقد أخطأ وتجرأ على الله ورسوله، حيث ذم ما ندبا إليه في عموميات الكتاب والسنة"!

فهذا حكم منه على نفسه أوقعه على أم رأسه! وإبطالٌ لكتابه من أسه وأساسه!

وأوضح من السابق كله ما قاله (ص٣٩) في حكم إرسال اليدين في الصلاة، حيث صرح بقوله:"لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة؛ فهو بدعة لا شك".

ووصفَها (ص٤٠) بأنها: "زلةٌ قبيحةٌ، حيث جعلوا البدعة مندوبة، والسنة مكروهةً!!".

قلت - القائل الشيخ علي الحلبي -: وبيان كبير زلله في هذا الموضع أن (عدم الفعل) هو عين (الترك)!!

فاستدل بمجرد (الترك) على الحكم بالبدعية والوصف بقبح الزلة!!

وهل غير هذا نقول؟!

أم أنه الانحراف عن الجادة؟ والخلط في تخريج الفروع على الأصول!!

وما أحسن كلامه (ص٥١) مقلوباً على نفسه:"وأغلب أخطاء هؤلاء المبتدعة - وما أكثرها- تأتي من جهة جهلهم بالأصول، وعدم تمكنهم من قواعده، مع ضيق باعهم، وقلة اطلاعهم"!!

فلا قوة إلا بالله، ولا رب سواه.

وصفوة القول في هذه المسألة العظيمة ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى تقعيداً وتأصيلاً كما في "فتح الباري" (٤٧٥/٣):"ولكنا نتبع السنة فعلاً أو تركاً") انتهى كلام الشيخ علي الحلبي جزاه الله خيراً.

الشبهة الثالثة عشر: أن بعض الصحابة قد فعلوا أمورا تعبدية ولم يكن فيها دليل خاص؛ ومع ذلك أقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولم ينكر عليهم ذلك، كقصة خبيب بن عدي رضي الله عنه التي رواها البخاري وفيها أن المشركين لما أرادوا أن يقتلوه طلب منهم أن يتركوه لكي يصلى ركعتين قبل القتل فقال أبو هريرة راوي القصة:"فكان خبيب هو الذي سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً"، وقصة بلال رضي الله عنه عندما كان يصلي ركعتين بعد كل وضوء.

فدل ذلك على جواز إحداث أمور تعبدية وإن لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم.

الجواب:

(أن فعل الصحابة موقوفاً على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم له، وكان فعلهم قبل نزول آية كمال الدين وتمام النعمة.

وأما بعدها مما ابتدعه الخلف فمن أين لهم أن يعلموا إن كان النبي صلى الله عليه وسلم يقره أو ينهى عنه؟

أبالكشف الصوفي؟!

ولئن أقر النبي صلى الله عليه وسلم فعل خبيب وبلال في الصلاة بعد كل وضوء فإنه لم يقر البراء بن عازب على خطئه في الدعاء الذي علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: (آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت) فقال البراء:"فجعلت استذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم" : لا، وبنبيك الذي أرسلت" رواه البخاري ومسلم.

ولم يقر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون على التبتل وسماه رهبنة، ولم يقر الصحابة الذين سألوا عن عبادةِ النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟

قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا؛ فأنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله؛ إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني" رواه البخاري وقد مر معنا سابقاً.

فمن أين تضمنون إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لبدعكم وقد مات؟ وقد بلغكم قبل موته أن كل بدعة في الدين مردودة؟)(١).

وكل هذا يدل على أن ما أحدثه بعض الصحابة من أمور تعبدية أصبح سنة بإقرار الرسول صلى الله عليه وسلملا بمجرد فعل الصحابة.

وقد قال عبد الفتاح أبو غده(٢)؛ بعد ذكره لقصة خبيب بن عدي رضي الله عنه :

(قال العلامة القسطلاني في "إرشاد الساري" (١٦٥/٥):"وإنما صار فعل خبيب سنةً، لأنه فعل ذلك في حياة الشارع صلى الله عليه وسلم واستحسنه".

وقال أيضاً (٢٦١/٥):"وإنما صار ذلك سنةً، لأنه فعل في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسنه و أقره".

وقال أيضاً(٣١٤/٦):"واستشكل قوله: "أول من سن"، إذ السنة إنما هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله، وأجيب بأنه فعلهما في حياته صلى الله عليه وسلم واستحسنهما" انتهى كلام القسطلاني.

- ثم قال أبو غدة -: وواضح من حديث أبي هريرة وقصة قتل خبيب فيه:

"أن لفظ (السنة) ولفظ (سن) معناه: الفعل المشروع المتبوع في الدين، وعلى هذا فلا يصح لمتفقهٍ أن يستدل على سنية صلاة الركعتين عند القتل، بأن الحديث جاء فيه لفظ "سن"، فتكون صلاتهما سنةً مستحبةً، لأن حكم السنية لصلاة ركعتين هنا استفيد من دليلٍ آخر خارج لفظ "سن" بلا ريب وهو إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لفعله)(١).

الخاتمة: وتحتوي على طريق الخلاص من البدع

(بعد أن ظهر جلياً أن "كل بدعة ضلالة"، فما هو طريق الخلاص من البدع التي هي مفتاح الضلال؟

فالجواب هو ما قاله الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم: " تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي" رواه مالك في "الموطأ" والحاكم.

وقال الموفق ابن قدامة في "ذم التأويل" (ص٣٥) بعد أن ذكر أدلةً كثيرةً في لزوم اتباع السلف الصالح:"قد ثبت وجوب اتباع السلف رحمة الله عليهم بالكتاب والسنة والإجماع، والعبرة دلت عليه؛ فإن السلف لا يخلوا من أن يكونوا مصيبين أو مخطئين، فإن كانوا مصيبين؛ وجب اتباعهم؛ لأن اتباع الصواب واجبٌ وركوب الخطأ حرامٌ، ولأنهم إذا كانوا مصيبين كانوا على الصراطِ المستقيم ومخالفهم متبعٌ لسبيل الشيطان الهادي إلى صراط الجحيم،وقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وصراطه، ونهى عن اتباع ما سواه، فقال: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)]الأنعام:١٥٣[.

وإن زعم زاعم أنهم مخطئون؛ كان قادحاً في حق الإسلام كله؛ لأنه إن جاز أن يخطئوا في هذا؛ جاز خطؤهم في غيره من الإسلام كله، وينبغي أن لا تنقل الأخبار التي نقلوها، ولا تثبت معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي رووها، فتبطل الرسالة، وتزول الشريعةُ ولا يجوز لمسلم أن يقول هذا أو يعتقده".

إذن؛ "الطريق الوحيد للخلاص من البدع وآثارها السيئة هو الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعِلماً وعملاً" محوطاً ذلك كله بالاهتداء بهدي السلف وفهمهم ونهجهم وتطبيقهم لهذين الوحيين الشريفين؛ فهم - رحمهم الله - أعظم الناس حباً وأشدهم اتباعاً، وأكثرهم حرصاً، وأعمقهم علماً، وأوسعهم درايةً.

بهذا الطريق - وحسب - يتمسك المسلم بدينه مبرءاً من كل شائبة، بعيداً عن كل محدثةٍ ونائبة.

فعضوا عليه بالنواجذ؛ تهتدوا وترشدوا.

وهذا الطريق يسيرٌ على من يسره الله له، وسهل على من سهله الله عليه، لكنه يحتاج إلى جهودٍ علميةٍ ودعويةٍ متكاتفةٍ متعاونةٍ، ساقها الصدق، وأساسها الحب والأخوة - بعيداً عن أي حزبيةٍ أو تكتلٍ أو تمحورٍ -، ومنطلقها العمل بأمره تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)]المائدة:٢[.
والله الهادي - وحدَه - إلى سواءِ السبيل)(١) والحمد لله رب العالمين.

المراجع/

١- "الاعتصام" للإمام الشاطبي تحقيق سليم الهلالي. دار ابن عفان بالخبر ط١

٢- "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية.تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل. مكتبة الرشد بالرياض ط٥.

٣- "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٤- "الباعث على إنكار البدع والحوادث" للإمام أبي شامة تحقيق مشهور حسن آل سلمان.دار الراية بالرياض ط.

٥- "ما جاء في البدع" للإمام محمد بن وضاح القرطبي تحقيق بدر البدر. دار الصميعي بالرياض ط١.

٦- "الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع" للسيوطي تحقيق مشهور حسن آل سلمان. دار ابن القيم بالدمام ط١.

٧- "علم أصول البدع" للشيخ علي بن حسن الحلبي. طبعة دار الراية بالرياض ط٢.

٨- "البدعة وأثرها السيئ في الأمة" للشيخ سليم الهلالي.دار الهجرة بالدمام ط٣.

٩- "اللمع في الرد على محسني البدع" لعبد القيوم السحيباني. مكتبة الخضيري ط١.

١٠- "حقيقة البدعة وأحكامها" لسعيد الغامدي. مكتبة الرشد بالرياض ط٢.

١١- "شيوخ الأزهر والزيادة في الدين" لعبد الله القصيمي. مطبعة المنار بمصر ط١.

١٢- "الموقظة من السنة على ألا بدعة حسنة" لمحمد بن أحمد مود الشنقيطي. مكتبة الأقصى بالدوحة ط١.

١٣- "إشراقة الشرعة في الحكم على تقسيم البدعة" لأسامة القصاص.المكتب الإسلامي ببيروت

١٤- "الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة" للعلامة الألباني.المكتب الإسلامي ببيروت ط٢.

١٥- "مختصر كتاب الاعتصام" لعلوي بن عبد القادر السقاف.دار الهجرة بالرياض ط١.

١٦- "حوار مع المالكي في رد منكرته وضلالاته" للشيخ عبد الله بن منيع ط٢.

١٧- "الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي" للعلامة حمود التويجري. دار اللواء بالرياض ط١.

١٨- "القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل" للعلامة إسماعيل الأنصاري طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالسعودية الأولى.
١٩- "مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة" بتحقيق الألباني والشاويش.المكتب الإسلامي ببيروت ط٢.
٢٠- " موسوعة أهل السنة" للشيخ عبد الرحمن دمشقية. دار المسلم بالرياض ط١.
٢١- "مقدمة في أصول التفسير" لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محب الدين الخطيب.المكتبة السلفية بالقاهرة ط٥.
٢٢- "الأذكار" للإمام النووي.طبعة المكتبة العلمية ببيروت ط٢.
٢٣- "تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير. دار المعرفة ببيروت ط٩.
٢٤- "المجموع شرح المهذب"للإمام النووي تحقيق محمد المطيعي دار إحياء التراث العربي.
٢٥- "السنة" للإمام محمد بن نصر المروزي تحقيق سالم بن أحمد السلفي.مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ط١.
٢٦- "السنة" للإمام ابن أبي عاصم تحقيق الشيخ الألباني. المكتب الإسلامي ببيروت ط٣.
٢٧- "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للإمام اللالكائي تحقيق أحمد بن سعد الغامدي.دار طيبة بالرياض ط٥.
٢٨- "فتاوى الإمام النووي" تحقيق محمد الحجار دار البشائر الإسلامية ببيروت.
٢٩-"فتاوى العز بن عبد السلام" للعز بن عبد السلام تحقيق محمد جمعة كردي.مؤسسة الرسالة ببيروت ط١.
٣٠- "الإحكام في أصول الأحكام" للإمام ابن حزم. دار الكتب العلمية ببيروت.
٣١- "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للعلامة الألباني. مكتبة المعارف بالرياض.
٣٢- "سلسلة الأحاديث الضعيفة" للعلامة الألباني. مكتبة المعارف بالرياض ط١.
٣٣- "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل" للعلامة الألباني. المكتب الإسلامي ببيروت ط٢.
٣٤- "صحيح سنن أبي داود" للعلامة الألباني. مكتبة المعارف بالرياض ط١.
٣٥- "صحيح سنن ابن ماجة" للعلامة الألباني. مكتبة المعارف بالرياض ط١.
٣٦- "صحيح سنن النسائي" للعلامة الألباني. مكتبة المعارف بالرياض ط١.
٣٧- "السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني" لعبد الفتاح أبو غدة.مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ط١.
٣٨- "فتاوى شرعية وبحوث إسلامية" حسنين محمد مخلوف. دار وهدان ط٤.
٣٩- "الفتاوى" لمحمد متولي الشعراوي. دار الندوة الجديدة ببيروت.

----

٢٦. أدبُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم

أدبُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ محمد زايد

قال الله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) (الفتح:٨،٩)فأوجب عز وجل تعزيره وتوقيره صلى الله عليه وسلم، وألزم إكرامه وتعظيمه، قال المبرد:(وَتُعَزِّرُوهُ): ((تبالغوا في تعظيمه))، ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام، فقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ) في إهمال حقه، وتضييع حرمته (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

وقال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (الحجرات:١-٤)، إلى غير ذلك من آيات الذكر الحكيم الآمرة بالأدب العالي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأوامر الإلهية، فحفظوا حقوق سيد البرية، وتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم بما يليق بمقامه الشريف، وفضله المنيف.

ففي قصة صلح الحديبية أن عروة بن مسعود (جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال ((فو الله! ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له))، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: ((أي قوم! والله! لقد وفدت على الملوك؛ وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله! إن رأيت ملِكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا) الحديث.رواه البخاري (٥/٣٣٠- فتح)، وأبو داود (٢٧٦٥)، وأحمد (٤/٣٢٣-٣٣١)،وانظر: ((فتح الباري))(٥/٣٤١).

وفي نفس القصة أن عروة بن مسعود دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يحدثه، ويشير بيده إليه، حتى تمسَّ لحيته، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى عليه وسلم بيده السيف، فقال له: ((اقبض يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع إليك!)) فقبض يده عروةُ. رواه البخاري (٥/٣٣٠- فتح)، وأبو داود (٢٧٦٥)، وأحمد (٤/٣٢٣-٣٣١)،وانظر: ((فتح الباري))(٥/٣٤١).

وُروي أن عمر عمد إلى ميزابٍ للعباس على ممر الناس، فقلعه، فقال له: ((أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه في مكانه))، فأقسم عمر: ((لتصعدنَّ على ظهري، ولتضعنه موضعه)).أخرجه أحمد (١/٢١٠)، وابن سعد (٤/٢٠)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر لانقطاعه، رقم (١٧٩٠) تحقيق ((المسند)).

وعن أبي رزين قال: قيل للعباس))أنت أكبرُ أو النبي صلى الله عليه وسلم؟)) قال))هو أكبر، وأنا ولدتُ قبله)).عزاه الهيثمي في ((المجمع))(٩/٢٧٠)إلى الطبري، وقال))رجاله رجال الصحيح)).

ولما قدم رسول الله المدينة، نزل على أبي أيوب، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم السفل، ونزل أبو أيوب العلو، فلما أمسى، وبات؛ جعل أبو أيوب يذكر أنه على ظهر بيتٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه، وهو بينه وبين الوحي، فجعل

أبو أيوب لا ينام يحاذر أن يتناثر عليه الغبار، ويتحرك فيؤذيه، فلما أصبح غدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يارسول الله! ما جعلت الليلة فيها غمضًا أنا ولا أم أيوب))، فقال: " ومم ذاك يا أبا أيوب؟ " قال: ((ذكرت أني على ظهر بيتٍ أنت أسفل مني، فأتحرك، فيتنار عليك الغبار، ويؤذيك تحركي، وأنا بينك وبين الوحي)) الحديث.رواه أحمد (٤١٥/٥)، ومسلم (٢٠٥٣)، والطبراني في ((الكبير))(٣٩٨٦)، والحاكم (٤٦٠/٣-٤٦١)، وصححه على شرط مسلم(!)، ووافقه الذهبي(!).

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: (لما نزل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: ((بأبي وأمي إني أكره أن أكون فوقك، وتكون أسفل مني))، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أرفق بنا أن نكون في السُّفل لما يغشانا من الناس "، فلقد رأيت جرَّة لنا انكسرت، فأهريق ماؤها، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة (القطيفة: كساء له خمل) لنا، وما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء فَرَقـًا (الفَرَق: الخوف) من أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منا شئ يؤذيه)الحديث.رواه مسلم (٢٠٥٣)، والطبراني في ((الكبير)) رقم (٣٨٥٥)، واللفظ له.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ((.. وما كان أحدٌ أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجلَّ في عينيَّ منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقتُ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه)).رواه مسلم رقم (١٢١)(١١٢/١).

ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجَّهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى، وقال: ((ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم)).انظر:) (سير أعلام النبلاء))(٣ك٢٩٠-٢٩١).

وفي حديث قـَيْلة: ((فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا القرفصاء أرْعِدتُ من الفـَرَق، وذلك هيبة له وتعظيماً)).انظر: ((الإصابة))(٨٣/٨-٨٧).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((إن كان ليأتي عليَّ السنةُ، أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ، فأتهيَّبُ منه، وإن كنا لنتمنى الأعراب)).عزاه الحافظ في ((المطالب العالية))(٣٢٥/٣) إلى أبي يعلى، وسكت عليه البوصيري في ((مختصر إتحاف السادة المهرة))(٢٨/١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كانت أبواب النبي صلى الله عليه وسلم تُقـْرعُ بالأظافير)).رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) رقم(١٠٨٠)، وصححه الألباني في ((الصحيحة)) رقم (٢٠٩٢).

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: (أنه كان في مجلس قومه وهو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يقبل على بعض يتحدثون، فغضب، ثم قال: (انظر إليهم أحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم يقبل على بعض؟! أما والله، لأخرجن من بين أظهركم، ولا أرجع إليكم أبداً، فقلت له: ((أين تذهب؟))، قال: ((أذهب فأجاهد في سبيل الله)).رواه الطبراني في ((الكبير))(٥٨٦٦/٦،٥٦٥٦).

كتاب: ((حرمة أهل العلم))، للشيخ الدكتور: محمد أحمد إسماعيل المقدم _عفا الله عنه_

----

٢٧. مَوْلِدٌ جَدِيدٌ

مَوْلِدٌ جَدِيدٌ

السيد: حسن بن علي البار

قام من نومه فزعاً!! إنها الساعة الثامنة صباحاً. ركض باتجاه خزانة ملابسه، وأخذ منها ملابس مُناسِبة. ثم توقف ونظر في المرآة، وأصلح من هندامه، واندفع نحو الباب يريد الخروج. يا الله! تذكَّر أنه كاد أن يخرج من البيت وهو لم يغسل وجهه بعد، نعم! فاليوم هو مستعجل ومشغول، يحتاج(محمد) في هذا اليوم أن يُنجز الكثير من الأعمال مبكراً كي يفرغ في المساء، فالليلة(مولد النبي -صلى الله عليه وسلم-) ، وإن لم يُبكِّر في إنجاز أعماله. ربما حَلَّ عليه المساء وهو بعدُ في مشاغله فيفوته التبكير لحضور(المولد). رجع محمد فغسل وجهه ثم خرج واستقل سيارته متوجهاً إلى عمله، وانهمك في مهامِّه ومشاغله. وفي أثناء انشغاله بإنجاز أوراق كانت بين يديه جاءته رسالة جوال. ترك ما في يده، وفتح الرسالة فإذا فيها: «أخي! هل تحب الله، هل تحب الرسول؟» قال في نفسه: نعم! وماذا بعد؟ واصل القراءة: «إن محبة الله ومحبة رسوله أوثقُ عرى الإيمان». يا الله! ما أجملها من كلمات! تمضي الرسالة: «إن كانت محبتهما بهذه المنزلة؛ فهل يمكن أن يكون(المولد) من وسائل محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يتركنا دون أن يبيّنه لنا؟» علّق قائلاً: ما هذا؟ ما أدري، ماذا يقول هذا الرجل؟ آهِ إنه(صالح) هداك الله يا صالح!

ترك محمد هاتفه الجوال متجاهلاً ما جاء في الرسالة وعاد لإكمال ما بيده.

وفجأة تذكر أنه لم يُصَلِّ الصبح. توقَّف قليلاً، وتعجَّب من نفسه ما الذي ذكَّره بها الآن، مع أنه في أحيان كثيرة لا يصليها!! قام محمد مباشرة وترك ما في يده، ووجد في نفسه همة ونشاطاً لأنْ يصلي الصبح لم يكن يعرف مثلها من قبل.

وفي آخر اليوم أتم محمد جميع أعماله، واستعد للذهاب إلى(المولد) وعندما ركب سيارته أطلق لفكره العنان يتذكر ما مر به في يومه من أحداث. تذكر الرسالة، وتذكر صلاته للصبح، وتذكر استعجاله للخروج حتى إنه نسي أول الأمر أن يغسل وجهه. ضحك من نفسه، ووجد في صدره راحة وأُنساً وانشراحاً؛ فحمد الله على نعمته. رجع محمد إلى نفسه يحاسبها على هذا التقصير في سنواته الماضية في الصلوات، وخصوصاً صلاة الصبح. وبدأ يحدث نفسه: تُرى هل أجد هذا الاطمئنان وهذه الراحة باستمرار إن داومتُ على هذه الصلاة؟!

تذكَّر محمد الشيخ خالد الذي اتصل به وأكَّد عليه التبكير للمولد. وهذا ديدن الشيخ خالد ـ جزاه الله خيراً ـ يتصل بي سنوياً يذكّرني بهذه المناسبة المهمة.

ـ نعم! ـ حدثته نفسه ـ: ولكنَّ الشيخ خالد هذا لم يذكِّرك مرةً بصلاة الفجر، أو يعرض عليك أن يصطحبك إليها مثلما يفعل في شأن(المولد)! إنه يظل طوال عامه مشغولاً، غير مهتم بك حتى إذا جاء هذا الوقت من كل سنة تذكَّرك!

ـ أعوذ بالله، ما هذه الخواطر المزعجة؟ إن الشيخ خالد رجل صالح، من أولياء الله، وهو يفعل ذلك حباً للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وتعظيماً لمقامه الشريف.

ـ حُبّاً... نعم حُباً! آه ما أجمل الكلمات التي قرأتها في الرسالة اليوم!

عاد محمد إلى هاتفه الجوال، واستخرج منه الرسالة التي جاءته اليوم من صديقه صالح وأعاد قراءة ما فيها: «أخي! هل تحب الله، هل تحب الرسول؟ إن محبة الله ومحبة رسوله أوثقُ عرى الإيمان».
نعم! ـ قال محمد ـ: ألم يقل -صلى الله عليه وسلم-: «أوثق عرى الإيمان الحُب في الله والبغض في الله؟»(١).
وواصل القراءة: «إنْ كانت محبتهما بهذه المنزلة؛ فهل يمكن أن يكون(المولد) من وسائل محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يتركنا دون أن يبيّنه لنا؟ ».
ـ(صالحٌ) هذا صديق قديم، عرفتُه منذ الصغر في أيام الدراسة، وكنت أعرف فيه دائماً الجدَّ والتعَقُّلَ في الأمور كلها، وهو مع احترامه للناس إلا أنه لا يوكل عقله ومهمة التفكير عنه لأحد!! نعم! أتذكر مرة لما قال لنا المدرس أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخرج يده من القبر الشريف لمصافحة أحد الأولياء، وكيف أنه لم يقتنع، وظل يناقش الأستاذ عن مصدر هذه المعلومة، ويؤكّد أن ذلك لم يقع مع كبار الصحابة؛ فكيف يقع للأولياء بعدهم؟ وكنا نتعجب منه، ومن قوة رأيه وشخصيته.
ـ نعم! صالح رجل عاقل، ولكني أنا أيضاً عاقل، ولا أتابع صالحاً في كل ما يقول، صالح يمشي مع مشايخ متشددين لا يحبون رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
ـ عجباً والله! كيف أقول عن صالح وعن أصحابه: لا يحبون رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو مَن أرسل لي هذه الرسالة الرقيقة عن حبه -صلى الله عليه وسلم-؟ وأتذكَّر في الشهر الماضي أني صليت الجمعة عند أحد هؤلاء الشيوخ فوجدته ينافح ويدافع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويطلب من الناس تحمُّل مسؤولياتهم في مقاطعة كل الدول التي تُسيء إليه -صلى الله عليه وسلم-، ولم يكن في ذلك الوقت أحدٌ من الناس يذكر هذه القضية إلا هؤلاء، ثم تتابع الناس من بعدهم في الاهتمام بهذه القضية. وحتى الشيخ خالد لمَّا زرته لم يعرِّج على هذه القضية أبداً. وكذلك أنا أرى صالحاً وأصحابه يهتمون بسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى إنه مرة أشار لي إلى واحدٍ منهم، وأخبرني أنه كتب عن سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- كتاباً ليس فيه إلا الأحاديث الصحيحة، وكذلك أذكر صديقنا سليمان الذي كتب مجموعة من القصص النبوي على هيئة قصص ميسَّرٍ للأطفال.هل هؤلاء لا يحبون الرسول -صلى الله عليه وسلم-؟ هل يمكن لمسلم يفعل السنن ويجتنب البدع، ويجعلُ اتّباعَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هاجسه وشاغله، ويقدِّر سنته وسيرته وشريعته حق قدرها ألا يُحبَّ هذا الرجلَ العظيمَ والرسولَ الكريمَ -صلى الله عليه وسلم-؟.. واللهِ إن صَدَّقتُ يوماً أن هناك من الناس من يكون بهذه الدرجة من القسوة وغلظ القلب فلا يمكن أن أصدِّق أن قاسياً من الناس يكون أقسى من أن تؤثِّر فيه سيرة الرسول العطرة، وأقسى من أن تُحمد عقباه إذا اتبع سننَه، وهديَه -صلى الله عليه وسلم-. إي واللهِ! فبركةُ صلاتي للصبح اليوم أعقبت لي هذا الرشد، وهذه السعادة؛ فكيف بمن هو مترسِّمٌ لما جاء به -صلى الله عليه وسلم- في ليله ونهاره.
ـ على كل حال الاحتفال بمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- فِعلُ خير، وما هو إلا ذكرٌ، وصلاةٌ على النبي -صلى الله عليه وسلم-، واجتماع على الخير، وتحريمه،

والقول بأنه بدعة تشددٌ لا داعي له.. تشدد لا داعي له.. تشدد لا داعي له... أخذ يكررها متأملاً في مضمونها.
ـ لحظة! هل الذي لا داعي له، فعلُ ما تركه الرسولُ -صلى الله عليه وسلم-، وخيارُ المسلمين من بعده فلم يفعلوه؛ أم أن فعلَ ما تركوه هو الذي لا داعي له؟
ـ آااه! أشعر والله بإرهاق من هذا التفكير.
توقف محمد، ونزل إلى حديقة عامة كي يُمضي فيها بعض الوقت، ويتناول مشروباً يُنعشه. جلس محمد جانباً، وطلب كوباً من عصير الليمون بالنعناع، وشعر بالاسترخاء، وأعجبته روعة المكان، وأعجبه جمال الحديقة وحُسن تنسيقها. ولم يكدِّر عليه صفوه إلا مجموعة من الأولاد ممن ناهز الاحتلام، وهم يقومون بأعمال مريبة.. نظر إليهم محمد وإذا السباب والشتائم هي تحية بعضهم لبعض. وبعد قليل وقع بينهم تشاجر ارتفعت فيه الأصوات، وانقسموا على إثره فريقين، ويا للعجب! أخرج بعضهم آلات حادة، وسكاكين للاعتداء على الآخرين، وكادت أن تقع مقتلة لولا لطف الله؛ حيث وقفت سيارة شرطة في مكان قريب، وترجل الشرطي منها قاصداً الحديقة ليشرب هو أيضاً كوباً من العصير؛ فلما رآه الصغار مقبلاً ولَّوْا مُدبرين.
ـ قال محمد لنفسه: الحمد لله... كادت أن تقع هنا مقتلة لولا أن الله سلّم. كان يجب أن يكون هنا مراقب لهذا المكان الجميل لئلا يقع فيه ما لا تُحمد عقباه، فإن لم يكن فإغلاق الحديقة خير من تركها لتكون مدرسة جريمة يتأذى المجتمع بخريجيها في مستقبل الأيام. نعم! الشيء الذي يغلب شره على خيره يجب أن يُنظر فيه إلى ما غلب عليه.
ـ وهنا عاد محمد يناقش نفسه: صحيح؛ وكذا الكثير من الموالد التي يكثر فيها الشر والفساد، واللهِ إنهم يشربون الخمر والحشيشة باسم مولد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكم يقع في بعض الموالد من هتك لحرمات الله: رقص واختلاط، واللهِ ما هذه بمحبة صادقة..
ولكن الحمد لله؛ فالمولد الذي أحضره، والذي يُقام عند أهلي وعشيرتي مولدٌ سالمٌ من كل هذه البدع!
ـ البدع.. ماذا قلتُ أنا؟ بدع!! كيف قلتُ هذه الكلمة!!.. نعم! والله إنها لبدع!
ـ ولكن يا محمد! ألا تظن أن مولدكم الخالي من هذه المنكرات، قد يتضمن منكرات أخرى لا تراها أنت بدافع إلفك لها، وتعوُّدِك عليها؟ ثم ألا يمكن أن يتطور مولدكم يوماً ليلحق بالموالد التي قلت عنها إنها موالد بدع؟
ـ بالطبع لا، وهذه موالدنا، نحن وشيوخنا وآباؤنا منذ سنين طويلة لم يتغير فيها شيء، ولم نصل إلى شيء من هذه البدع والحمد لله.
ـ ألا تذكر يا محمد المولد الذي يقيمه(عبد الله)؟ أتتذكر ما الذي كان عليه، وأنه كان مثل مولدكم تماماً، أما تشعر أنهم صاروا الآن يستخدمون الدفوف ضمن احتفالهم بالمولد، ولقد سمعت أحد أقارب عبد الله يتحدث عن إدخال الناي في مراسم المولد..
ـ نعم! هذا صحيح أنا أذكر ذلك. هم مُخطئون في ذلك ولا شك.

ـ ولكن لماذا هم مخطئون؟ ألا يمكن أن نكون نحن المخطئين، وأنه كان يجب علينا أن نفعل مثلهم؟
ـ لا، لا، هم المخطئون، لا أقولها تعصباً، ولكن الذي فعلوه تغييراً لما كان عليه أسلافنا.
ـ طيب أليس المولد كله تغيير لما كان عليه الأسلاف الأوائل؟!
ـ نعم! ـ قالها وقد ضاق بهذا النقاش ذرعاً ـ: هو كذلك، ولكنه فعل خير.
هنا بدأ محمد يشعر بالضيق، وعدم الرغبة في الذهاب مبكراً إلى المولد، وتمنى لو أنه يلقى صالحاً فيناقشه في الأمر. ولكن أين صالح وكيف يمكن الوصول إليه؟!
قلَّب محمد في رسائل هاتفه الجوال؛ فإذا رسالة قديمة كان صالح قد أرسلها له قبل أيام، وإذا فيها: «أنت لا تُوَكِّل غيرك في شراء سيارةٍ لك، ولا في اختيار بيت تستأجره مما تتجمَّل به ويعبِّر عن شخصيتك، بل تقوم بذلك بنفسك..». تواصِلُ الرسالة: «فلِمَ توكل إلى غيرك اختيار ما تتجمل به أمام الله ـ تعالى ـ من أمر دينك؟».
لا، والله! لا أريد أن أعمل أعمالاً أصرف فيها القليل من وقتي وعمري الذي أجعله للعبادة؛ ثم تكون هذه الأعمال لا نافعة، ولا مرضيَّةً عند الله!!
أليس في الواضح الأكيد، الصافي من كل كدر من العبادات أليس فيه غنية عن كل متشابه، قد يكون بدعة وقد يكون سنة؟
أما آن لي أن أسمع ممن اعتدت أن أسمع لهم من مشايخي، ولكن لا أُصِمُّ أُذنيَّ عن سماع غيرهم ممن قد يأتي بالحق بدليله فينشرح له صدري، وتقبله نفسي؟
وهنا بدأت معالم الصورة تتضح أمام محمد، وبدأ يرسم خطة جديدة لحياته، وإذا بالقرارات تنثال عليه وكأنه قد أعدها مسبقاً:
١ ـ أنا لن أعبد الله بالمتشابه، الذي لا أعلم أيرضاه مني أم لا؟ وفي الدين الواضح والمحجة البيضاء غنية وكفاية، وعسى أن أقوم بحقوقها وتكاليفها فإن في ذلك لشُغلاً.
٢ ـ لن أحضر احتفال المولد اليوم، ولا بعد اليوم، وقد أبدلني الله به مولداً جديداً هو مولدي أنا!! فأنا من اليوم إنسانٌ جديد، ومن اليوم سأحتفل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في كل حين؛ سأحتفل بتطبيق سنته، سأحتفل بالاقتداء به وبالمحافظة على صلاة الفجر في وقتها، وكذا بقية الفرائض، سأحتفل بتحكيمه -صلى الله عليه وسلم- في كل شؤون حياتي، و والله إني لأشعر بِلَذَّةِ ذلك من الآن، وكأنها حلاوة أتطعَّمُها في فمي، ونِعم المولد مولدٌ أعيشه وأتبع فيه حبيبي -صلى الله عليه وسلم-، وأحيا معه في كل حركةٍ وسكون.
٣ ـ أهل العلم يجب أن نأخذ منهم، وأن نوقِّرهم، ولكن دون أن نُلغي عقولنا؛ فالحساب يوم القيامة سيكون فردياً، يجب أن أفهم أن ما أتَّبعهم فيه يجب أن يكون سنة لا بدعة، وأن يكون مقرِّباً إلى الله؛ فالعالم قد يُخطئ وقد يتبع العادة أو الهوى. ولا، واللهِ لا أُنزل أحداً من العالمين منزلة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اتباعه في الأمر كله.
٤ ـ أرجو أن ينفعني الله بقول نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما من شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم» فماذا بقي أرجو بعد هذا؟

ومضى محمد شاكراً لنعمة الله عليه بالتبصير في الدين، وركب سيارته وأدار المذياع؛ فإذا بالشيخ سعود الشريم ينساب صوته عذباً: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [الأنعام: ١١٥ - ١١٧].

أخي الكريم! هذه قصة جرت لرجل من الناس جعل الله له نوراً بتحكيمه للسنة على نفسه، وبتعظيمه هدي المصطفى وجَعْلِهِ إماماً؛ فقد فاز - واللهِ - من اتخذ مع الرسول سبيلاً بطاعته واتباعه، وتجنب الإحداث في دينه.

إن معيار الحق والعدل الذي يحبه الله ويرضاه لا يُعرف باستحسانِ ذوق، ولا بتوارثِ أجيال، ولا بفعلِ الجم الغفير من الناس، ولا بالتحاكمِ إلى عقلٍ لم يستنر بنور الشريعة، ولا بتقليدٍ لمن لم يأتِ ببرهانٍ من الله على ما يقوله. ولكنْ مَنْ طَلَبَ الهداية بصدق، ثم سلك طريقها الذي أمر اللهُ به وأمر به رسولُه -صلى الله عليه وسلم- متبعاً لا مبتدعاً فأحرِ به أن ينال مراده؛ فالله يقول: «يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهْدِكم». ويقول عن اتّباع الطرق غير الموصلة للحق: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣] ، ويقول عن قوم ذامّاً لهم: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم: ٢٣].

إن شأن المولد إذا تأمل فيه مَنْ هو خالي الذهن غير مائلٍ لطرف من آراء الناس فيه إذا تأمل فيه وفي أدلة كمال الشريعة، علم أنه أي المولد - قَصْدُ خيرٍ، ولكنه ليس بهدى ولا خير؛ فإحداث هذا الاحتفال بحدِّ ذاته إحداثٌ في الدين، ثم إنه غالباً في أكثر بلدان المسلمين ينضاف إليه أنواع من الأمور المستنكرة والأفعال القبيحة. وأخفهم إحداثاً من يقوم أثناء الحضرة فجأة، وقد أعدوا العدة سابقاً لهذا القيام فيقومون قومة رجل واحد، ويُدخلون الطيب، ويُنشِدون بصوت مُنَغَّمٍ شجي: «مرحباً يا نور عيني.. مرحباً، مرحباً. مرحباً جد الحسين.. مرحباً مرحباً»، وفي موالد أخرى يقع ما أشارت إليه القصة من المنكرات، وفي بعضها يقع الكفر الصراح، كما نقل الشيخ عبد الرحمن الوكيل، وهو ممن كان له بالمتصوفة علاقة.

ولذا فهذه البدعة التي يعدُّها بعض الناس يسيرة ولا تستحق النقاش - تؤول إلى أن تكون مجمعاً لبدع كثيرة لا تقوم إلا بها، ويكون المولد هو الفلك الذي تدور حوله، وهو الموسم الذي تنتشر فيه، وهذا ما يسميه أهل العلم بالبدعة المركبة. ولمعرفة جانب مما يقع في الموالد يمكن مراجعة كتاب:(الموالد في مصر) ، وهو لجندي إنجليزي يُدعى(مكفرسون) نزل مصر واستوطنها، واهتم بقضية الموالد فزار كثيراً منها، وكتب عمَّا رأى، ووصف، وهو غير متَّهم فيما ينقل؛ إذ كان يتحدث عن ذلك كله حديث المُعجَب به ويعتبره من عادات المجتمعات الشرقية، وهو ليس له هوى في إثبات المولد ولا في نفيه، وإنما انحصر دوره في النقل والوصف. وقد ذكر موالد كثيرة شاهدها تستغرق بمجموعها أيام السنة بكمالها. وبمثل هذه الدَّرْوَشات تُستغرق الأعمار، ويرضى الشيطان، وتُضَيَّع حقائق الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا أهل العلم! هـذه دعوة للمراجعة والتصحيح، ولا يمنعنكم رأي ارتأيتمـوه فـيما مضى مـن الأيام إن استبان لكم الحق في غيره أن تراجعوا الحق فإن الحق قديم، والحق أحق أن يُتَّبع. إن المحبة عمل قلبي تظهر آثاره بما تنبعث به الجوارح، وليست ادعاءات بأن قوماً يحبون الرسول أكـثر مـن غيـرهم، أو أن من لا يفعل فعلنا فهو غير مُحِبٍ للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد مضى الزمن الذي يُصدِّق الناس فيه ما يقال عن(أهل السنة) دون تمحيص، كيف وقد ملؤوا السهل والجبل، وأقاموا الدين في كل ناد، وقاموا في مقامات الصدق في نصرة دين الله وحبيب الله -صلى الله عليه وسلم-. وليس على هذا المعوَّل في التزكية، ولكنه على الاتباع، وحُسن التأسي، وإنما أردنا مخاطبة القوم بالطريقة التي يعرفون. وليس أضر على الإسلام من المنافحة بالباطل، والتعصُّب لما يحبه قوم، أو ضد ما يأمر به قوم آخرون، وأي لُعبة يفرح بها الشيطان ويتلعَّب بها بالإنسان أعظم من هذه؟! إنَّ مِن إخلاص العبودية لله أن تقبل الحق، وإن كان مُرّاً، وأن تأخذ به ولو جاء به أبغضُ الناس إليك؛ وكذا أن تردَّ الباطل ولو كانت لك فيه مصلحة أو شهوة، وأن لا تلتفت إليه وإن قام به أبوك وأخوك وأقربوك. وإياك أن تَضِن بهؤلاء أن يكونوا أخطؤوا الحق، وأن ذلك يُزري بك وبهم؛ فيحملك ذلك على أن تتابعهم في الباطل؛ فإن جدالك عَمّا هم عليه بعدما تبيَّن هو الذي يُزري بك وبهم، ويمد المستكبر في عمايته، ويزيده طغياناً كبيراً، والعياذ بالله. قال -جل شأنه -: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} [الزخرف: ٢٠ - ٢٤].

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ تَأَمَّر عليكم عبد، وإنه مَنْ يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وقال حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -: « كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا تتعبدوا بها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء! خذوا طريق من كان قبلكم »(٢).

وقال ابن الماجشون: «سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- خان الرسالة؛ لأن اللّه يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] ، فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»(٣).

«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.. اهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

....

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ١٠١/١، وهو حديث صحيح، صحيح الجامع للألباني، رقم ٢٥٣٩.

(٢) الاعتصام للشاطبي ٣٨٦/١.
(٣) الاعتصام للشاطبي ٢٣/١.
----

٢٨. احتفاليات ربيع الأول!!

احتفاليات ربيع الأول!!

الدكتور رشاد لاشين**

يأتينا شهر ربيع الأول بعبق رائع ونفحات طيبة لطالما نشتاق إليها، ونَحِنُّ لقدومها والنهل من معينها والارتقاء إلى أهدافها وتحقيق مراميها على أرض الواقع، يأتينا ربيع الأول باحتفاليات رائعة على عدة محاور ما أعظمها وما أحوجنا إليها..

الاحتفال بأعظم الخلق صلى الله عليه وسلم

أتى رسول الله حاملا مشعل النور والهداية للعالم أجمع وبأعظم منهج وأشرف رسالة، أتى محمد صلى الله عليه وسلم فأنشأ خير أمة أخرجت للناس، أمة الرحمة والأخلاق والعدالة والإنسانية.

فهيا نحتفل بالحبيب صلى الله عليه وسلم بطريقة عملية تجلب لنا حبه ورضاه:

* نحتفل برسول الله بجعله لنا زعيمًا وقائدًا وقدوة ورائدًا في كل شئون حياتنا، فنعمل بسنته ونطبق تعليماته ونتبع هداه.

* نحتفل برسول الله صلى الله عليه وسلم بتعظيم العبادة لله، فقد كان رسولنا الحبيب أعبد الناس في كل نواحي الحياة.

* نحتفل برسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بأخلاقه الطيبة التي جمعت شمائل الخير كلها.

* نحتفل بإيجاد روابط إسلامية قوية على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول والأمة كلها، والاهتمام بشئون المسلمين ونصرتهم.

* نحتفل بالحبيب صلى الله عليه وسلم بنشر هداه والأخذ بيد العالم الحائر المضطرب الذي يموج بالغواية والضلال ويتعذب بنيران المادية والشهوات، ويغرق في مستنقع الفواحش والمنكرات إلى نهجه القويم وهديه العظيم.

* نحتفل بالحبيب صلى الله عليه وسلم بتأديب المجرمين، وتطهير ديار المسلمين من دنس المحتلين، وإجلاء يهود بني صهيون عن كل شبر من أرضنا الحبيبة، ونصرة المستضعفين في كل مكان.

الاحتفال بإجلاء الحصون المنيعة

ففي شهر ربيع الأول من العام الرابع الهجري تم إجلاء يهود بني النضير عن مدينة رسول الله بعد حصار ديارهم الحصينة من قبل جند الله تعالى، وخروجهم أذلة صاغرين بعد غطرسة القوة ونفشة الباطل المحتمي بتلك الحصون، التي طالما أبدع اليهود في إنشائها والتغني بقوتها.

لقد مثل هذا الجلاء درسًا كبيرًا على مدى التاريخ؛ ليعلم العالم أننا حينما نحتمي بالله تعالى ونأخذ بالأسباب فإنه يمكننا من تحقيق إنجازات تخالف كل التوقعات السياسية والحسابات العسكرية، وأن هذه الحصون المنيعة لبني صهيون لا بد أن يكون مصيرها كمصير بني النضير.

وقد ذكر لنا الله تبارك وتعالى التقديرات الإستراتيجية لموقف الحرب آنذاك على كلا الطرفين، بعد أن نسب الفعل إلى نفسه في تقدير النصر.. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا} هذا تقدير الموقف من جانب المسلمين، {وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّـهِ} (الحشر: ٢)، وهذا تقدير الموقف من اليهود المجرمين؛ الاحتماء بالحصون المنيعة.

فماذا كانت النتيجة {فَأَتَاهُمُ اللَّـهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} (ختام نفس الآية).

ما أحوجنا اليوم إلى هذا الدرس العظيم ونحن نرى غطرسة القوة اليهودية الأمريكية أن نكون على يقين من أن الله تعالى الذي بث الرعب في قلوب يهود بني النضير قادر على أن يبث الرعب في قلوب يهود بني صهيون فلسطين، شريطة أن ننصر الله في كل ميادين الحياة.

الاحتفال بتحريم الخمر وتطهير العقل

في ربيع الأول من العام الرابع الهجري حرم الله تعالي الخمر التحريم النهائي الحاسم بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} (المائدة: ٩٠-٩١).

لذا يجب أن نحرص على أن يكون شهر ربيع الأول من كل عام هو المحطة التي ننطلق منها لمكافحة المكيفات بكافة أنواعها: (السجائر، الشيشة، القات، الخمور، والمخدرات،.. وغيرها)، وذلك عبر الآتي:

- توضيح أضرار المكيفات على كل مجالات الحياة سواء الصحية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.
- توضيح الحكم الشرعي في المكيفات من خلال آراء الفقهاء والعلماء والمجامع الفقهية.

وأن نوظف هذه الحملة من خلال:

١- وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة.
٢- خطب الجمعة ودروس المساجد.
٣- عقد الندوات في النوادي والمدارس والجمعيات ومراكز الشباب.
٤- توزيع الملصقات المحذرة في الأماكن العامة ووسائل المواصلات.
٥- الرعاية النفسية والاجتماعية لأصحاب المكيفات، والأخذ بأيديهم نحو الإقلاع.
٦- حسن تربية الأبناء ورعايتهم بالتربية الوقائية حتى لا ينجرفوا في هذا المستنقع الرهيب.

الاحتفال بتأصيل مبدأ الشورى

في ١٢ ربيع الأول ١١هـ - ٨-٦-٧٣٣م، وبعد تلقي المسلمين الخبر الفاجع بوفاة رسول الله لم يستمروا في مصابهم الجلل، ولم يفلت منهم زمام الأمور؛ فإذا بهم بعد سويعات قليلة يدبرون أمرهم ويسعون لشغل مقعد القيادة الذي شغر؛ وذلك قبل دفن

أعز الخلق عليهم؛ ففي أقرب وقت اجتمعت مجموعة من صحابة رسول الله تمثل أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة للتشاور في اختيار قائد وخليفة للمسلمين بعد رسول الله.

ومن خلال المناقشة تبين أن المرشحين أربعة هم: سعد بن عبادة، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، وبنتيجة الحوار والمناقشة والشورى تم اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

في اليوم الثاني دعي الشعب والأمة إلى المسجد لقبول أو رفض الخليفة الجديد؛ حيث لا تنعقد قيادته إلا بموافقة الشعب والأمة، فما كان منهم إلا أن قبلوه وبايعوه، وبذلك أصبح قيادة شرعية بترشيح أهل الحل والعقد وقبول واختيار الشعب بعيدًا عن القهر أو التسلط، وهذا أحد أنساق الشورى التي مورست عبر تاريخ المسلمين المشرف العظيم.

فهي دعوة للناشطين في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان أن يظهروا الوجه المشرق الرائع العظيم لإسلامنا الحنيف بتوضيح أهمية وقيمة الشورى في الإسلام؛ فريضة ومبدأ وممارسة وتطبيقًا.

الاحتفال بردع قوة التهديد واستثمار الشباب

في ربيع الأول ١١هجرية وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولية قائد جديد لم تنكمش الأمة على نفسها أو تقف عاجزة عن مواجهة أعدائها؛ بل من أول قرارات القائد الجديد تحريك جيش عظيم إلى بلاد الشام كان قد شكله رسول الله صلى الله عليه وسلم لردع الروم إحدى القوتين الكبيرتين في المنطقة آنذاك؛ وذلك لتربصهم بالمسلمين وتهديدهم لمن يدخل في الدين الجديد.

كان لزامًا على القيادة الجديدة أن تقوم بعمل إستراتيجي؛ للحد من كبرياء هذه الدولة، وكسر غطرستها وتحطيم جبروتها من جانب ولإعادة الثقة إلى قلوب العرب المقيمين على حدود تلك الدولة من جانب آخر.

وهذا ما يعرف بـ (بعث أسامة)؛ جيش يقوده شاب لم يتجاوز عمره ١٨ عامًا؛ لتأديب وردع قوة كبرى تهدد المسلمين؛ ليتعلم شبابنا قيادة الأمة، وكيف يعتد الإسلام بالشباب ويتيح لهم الفرصة، وكيف كان الشباب جديرين بتحمل المسئولية في صغرهم.

لقد أصرت القيادة على إنفاذ بعث (أسامة بن زيد) في وقت حرج صعب بعد وفاة رسول الله وارتداد كثير من العرب عن الإسلام، والتهديدات تحيك بالأمة من الداخل والخارج، ولكنها النظرة الإستراتيجية الثاقبة المهتدية بنور الله.

فما أحوجنا اليوم إلى استثمار طاقة الشباب وتأهيله وإتاحة الفرصة له بعد أن عانت الشعوب العربية والإسلامية الأمرين بسبب تسلط الحكام وتوارث الحكم.

الاحتفال ببدء توحيد الأمة على يد صلاح الدين الأيوبي

في ٢٩ من ربيع الأول ٥٧٠هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ١١٧٤م، وفي وقت خفتت فيه شمس الأمة وادلهم الظلام عليها بتفرق أهلها وتسلط أعدائها، يسطع نجم صلاح الدين الأيوبي فيبدأ في تبديد الظلام والعمل لبدء بزوغ شمس الإسلام من جديد؛ وتكون أول خطواته التي استمرت على مدى ١٨ عامًا لإصلاح الأمة وإعادة بنائها.

كانت أهم الخطوات توحيد صفوف الأمة وجمع شتاتها، وتأديب الشارد منها أو المتحالف مع أعدائها، وقد تحين صلاح الدين الفرصة لتوحيد الأمة؛ فحينما علم بوجود بعض الاضطرابات والمشاكل في الشام، استخلف أخاه "العادل" على مصر، واتجه على رأس جيشه إلى الشام فدخل دمشق في ٢٩ من ربيع الأول ٥٧٠هـ= ٢٩ من أكتوبر ١١٧٤م، وكانت هذه أولى خطواته لتوحيد الأمة.
وقد تلت خطوته السابقة خطوات أخرى بضم وتوحيد مدن جديدة، مثل "حمص" و"حماة" و"حلب"، واستطاع بعد ذلك أن يحسن إدارة البلاد التي قام بتوحيد صفوفها، ثم مد جسور التواصل مع جسم الخلافة الأم، حتى اعترف به الخليفة العباسي وأقر له بالسيادة على مصر واليمن وبلاد الشام.

لقد استطاع صلاح الدين أن يحقق ضلعين من مثلث النصر؛ قوة الوحدة والارتباط بعد قوة العقيدة والإيمان، ثم نجح تباعًا في تحقيق الضلع الثالث ألا وهو قوة الساعد والسلاح، وبعد هذا الإعداد الرائع استطاع القائد الفذ العظيم أن يحقق النصر، وأن يحرر القدس الشريف، وأن يطهر الأمة من رجس لحق بها قرابة المائة عام.
فما أحوج أمتنا اليوم إلى أن تعي درس الوحدة والارتباط، وأن تجمع صفوفها وتلملم شأنها وتعتصم بحبل ربها؛ حتى تقوم من كبوتها وتعود إلى سؤددها وسالف مجدها العظيم.

** ماجستير طب الأطفال - جامعة الزقازيق وليسانس الشريعة الإسلام

----

٢٩. "مولد الهادي".. احتفال إيماني

"مولد الهادي".. احتفال إيماني

صبحي مجاهد**

ذكرى عطرة تعود علينا كل عام تنتظرها القلوب، وتهفو إليها النفوس، ونتلمس فيها النور النبوي، إنها ذكرى مولد سيد الأنام، ونور الهدى، وطبيب القلوب سيدنا ونبينا ومولانا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.
ويقف المسلم مع هذه الذكرى النورانية حائراً، في كيفية الاحتفال بها؟، وكيف يجعل من مجتمعه ساحة للاحتفال الإيماني بالنبي الهادي.. أسئلة حملناها إلى عدد من علماء الأمة الإسلامية في مختلف الأقطار، فأجابوا عنها بمشاعر فاضت بالنور والحب للرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم.
فهناك العديد من المعاني الإيمانية التي تحييها هذه الذكرى العطرة؛ أهمها ما أوضحه الدكتور محمد البشاري- رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا، أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي؛ قائلا: "من المهم سؤال النفس عما قدمته في السنة الماضية؟ وماذا فعلت من أجل رضا الله ورسوله؟ لأنها ذكرى تحيي روح التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم.
ويعيب د. البشاري على من يجعل الاحتفال بمولد الهادي ليوم واحد في العام، ويقول: "ينساق عالمنا اليوم إلى إحياء اليوم الواحد في الذكريات العامة والدينية؛ حيث جعلنا

يوما للمرأة ويوما للعمل، وصار الاحتفال بالرسول يوما في حين أنه يجب أن يكون يوميا؛ بالاقتداء به كل يوم في حياتنا، وجعله أحب إلينا من أنفسنا وأرواحنا وأزواجنا".
ولمسلمي الغرب وسائل متميزة في الاحتفال الإيماني بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يوضحه د. البشاري بقوله: "لهم فرصة كبرى في عقد اللقاءات الروحية المستمرة احتفاءً بالنبي صلى الله عليه وسلم كل يوم؛ لأن الرموز الدينية تدعم الجانب الروحي لمسلمي أوروبا. وفي هذا العام سنعقد لقاءً إيمانيا في "تمبكتو" بدولة مالي حيث نحيي ذكرى المولد النبوي".
ويضيف البشاري: "يعد الاحتفال فرصة لجمع المسلمين على قلب رجل واحد، ويجب أن نستغل حادث الدانمارك، وما أفرزه من ثورة إيمانية في تحريك القلوب وتوجيه الغضب واستثماره بشكل إيجابي في واقعنا".
احتفال ٥ مرات يوميًا
ويلتقط الدكتور إبراهيم أبو محمد- رئيس المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية- أطراف الحديث، فيرجع أهمية استمرار الاحتفال على الدوام؛ إلى اختلاف شخص الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل الشخصيات، خاصة أن الله تعالى جعل له احتفالًا ربانيًا يتم خمس مرات في اليوم والليلة، عندما نقول في صلواتنا "السلام عليك أيها النبي"، إذ جعلت صيغة الصلاة عليه بصيغة المخاطب الحاضر، لتؤكد أن النبي يجب أن يكون حاضرا في حياة الأمة والفرد والمجتمع خمس مرات في اليوم والليلة.
ولا يمكن أن يكون الاحتفال بكلمات تلهب المشاعر دون عمل حقيقي؛ وهذا ما أكد د. أبو محمد أمرا على أهمية تغييره، ويوضح أن خير احتفال برسول الله صلى الله عليه وسلم إحياء منهجه وسنته والعيش على ضربه، وجعله يعيش في حياتنا وكأنه السيد المطاع بين السادة الأتباع.
ويحتاج المؤمن إلى دائمًا إحياء حب الرسول في قلبه؛ وعن هذا يقول د. أبو محمد: "لا بد أن يعبر الاحتفال بالمولد عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن القلب لا يموت وفيه حب الرسول، وإذا ماتت محبة الرسول من قلب المؤمن ضاع وتاه وضل الطريق".
وعليه فلابد وأن نفرق بين الحب والاتباع، حيث يقول تعالى لنبيه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (آل عمران: ٣١).
فلم يقل "فأحبوني"؛ وكأن الاتباع الحقيقي للرسول صلى الله عليه وسلم هو ثمرة للحب، وكلما ازداد هذا الحب عمقا، وازداد شعاعه تألقا؛ اقترب المسلم من مرضات الله، وأصبح أهلا لرحماته".
وعن الاحتفال هذا العالم؛ يشير د. أبو محمد: "يشهد المسلمون إهانة نبيهم، وتطاولا لا يستند إلى قيم أو أخلاق، ومن ثم لابد أن يكون احتفالهم معبرا عن نصرة نبيهم".

ويرى الدكتور محمد فؤاد البرازي -رئيس الرابطة الإسلامية بالدانمرك- أن هذه النصرة يجب أن تبتعد عن بدع الاحتفال، وقصرها على الدروس والمحاضرات التي تثري المعرفة بشمائله وسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم.
ويتابع البرازي: "تحيي ذكرى المولد النبوي في النفوس مشاعر الحب للرسول، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى بذل الوسع في تعريف صفاته بكل لغات العالم، وباستخدام كل الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية، كي يعرف العالم من هو رسول الله؟ وماذا يعني ميلاده من فضل ورحمة للبشرية جمعاء؟".
تدريب اجتماعي
هناك حاجة إلى تدريب الأفراد على كيفية الاحتفال الجماعي بذكرى مولد الهادي.
هذا ما توضحه الدكتورة سهير عبد العزيز- أستاذة علم الاجتماع وعميدة كلية الدراسات الإنسانية الأسبق بجامعة الأزهر بنات.
وتشير إلى أن الاحتفال الجماعي بذكرى المولد النبوي يكون من خلال التواصل الاجتماعي، واغتنام الفرصة في الترابط بين الناس، والتذكير بما كان عليه رسول الله من عطف على الفقير وإشعاره بالسعادة.
وتؤكد الدكتورة سهير: "من المهم أن يكون الاحتفال بالمولد النبوي فرصة لجمع الأهل، وتقريب صلة الرحم، وتوسيع المودة بين الأقارب والأصدقاء والجيران؛ في زمن تباعدت فيه المودة والتقارب بين الناس. كما يثري الاحتفال بالمولد حياتنا الاجتماعية عندنا نتذكر الرسول الإنسان، وكيف كان يتصرف في كل أموره، ويعمل بإخلاص، ويستثمر كل لحظة في الخير".
وترى الدكتورة سهير أن الاحتفال الجماعي بالمولد النبوي يحقق الاستقرار النفسي للإنسان، ويغذي مشاعر الفرد في هذا الزمن، كما يحمي من القلق الذي يعاني منه غير المسلمين؛ الذين لا يجتمعون على مشاعر إيمانية في احتفال جامع.
وتستطرد قائلة: "ينبغي أن تكون تحية الرسول صلى الله عليه وسلم اجتماعيا بطريقة يرضى عنها الله ورسوله، والبعد عن السلبيات الاجتماعية التي تحدث في الاحتفال بذكرى المولد النبوي، والتي تتمثل في نسيان الشخصية التي يتم الاحتفال بها، وجعل الاحتفال به صلى الله عليه وسلم مجرد مرح، ويوم إجازة نلهو ونلعب فيه".

**صحفي مصري

==================

الفهرس العام :

من هنا بدأ الفكر الأوروبي، بعد صراع سياسي واجتماعي طويل ومضن، يصل إلى بعض النتائج، وكان من أهمها فصل الدين عن السياسة، ومحاولة وجود بدائل وأفكار تؤسس لعلاقة جديدة بين الدولة والمجتمع، على أساس ديني أو غيبي، ولكن على أسس واضحة وموضوعية، وذلك ليس لتحجيم الاستبداد السياسي فحسب، ولكن لتحرير الإنسان من قوة الدولة وسيطرتها المجحفة والمنتهكة لحقوقه الذاتية والواقعية. ويمكن الحديث هنا عن ثلاث نظريات طورت المجال السياسي الغربي ودفعت به إلى الأمام، ما كان له التأثير الكبير، ليس على مجال حقوق الإنسان بشكل عام فحسب. ولكن على الواقع السياسي الغربي المعاصر الذي شكلت هذه النظريات خلفيته الفلسفية والفكرية. ٨٤٤

النظرية الأولى: فكرة القانون الطبيعي التي عرفها اليونان، وكانت تعني عندهم " وجود قانون ثابت لا يتغير مستمد من الطبيعة، ويتمثل بكشف العقل عن روح المساواة والعدل الكامنة في النفس "[٥]. ثم انتقلت الفكرة إلى الرومان، لكنها ستعرف تطوراً على مستوى المضمون؛ وذلك عبر إضفاء طابع اللائكية عليها، مع فقهاء القرن السابع عشر الميلادي. ٨٤٤

النظرية الثانية: العقد الاجتماعي، وهي كما صاغها لوك (ت ١٧٠٤م) وروسو (ت ١٧٧٠م)، تقوم على مناهضة الحكم المطلق، في محاولة لترسيخ أسس الحكم الديمقراطي، وذلك باعتبارهما العقد الاجتماعي عقداً تبادلياً، يرتب حقوقاً وواجبات إزاء المحكومين والحاكمين[٦]. وقد أسهمت هذه النظرية في تطور المذهب الفردي، بإقرار وجود حريات وحقوق طبيعية سابقة على المجتمع المنظم، يجب على السلطة عدم الاعتداء عليها. كما أسهمت في وضع الضمانات الدستورية والسياسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وعموماً فقد جاءت الثورة الفرنسية معتمدة على مبادئ المذهب الفردي الحر. فأصدرت وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطن سنة ١٧٨٩م، متضمنة النص على الحرية والمساواة والملكية وحق الأمن وحق مقاومة الظلم[٧]. ٨٤٥

النظرية الثالثة: جاء منتسكيو، صاحب كتاب " روح القوانين "، ليعلن أن تحقيق العدل، داخل أي نظام سياسي، رهين بفصل السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية. ٨٤٥

ومع هذه التجارب، وما واكبها من بحوث ودراسات فكرية، اهتمت بميدان الحريات العامة وحقوق الإنسان، تبلورت الرؤية الخاصة لدى الغرب (الرأسمالي) في مجال حقوق الإنسان. ٨٤٥

استفاد المذهب الليبرالي (الرأسمالي) من الانتقادات التي وجهها له المذهب الاشتراكي الذي بدأ يتبلور تنظيراً وممارسة، ما دفع به نحو التطور والتوسع ليشمل ميادين جديدة، ظهرت أهميتها مع التطور الصناعي، كالحقوق الاقتصادية والاجتماعية المتعددة للطبقات العاملة، ما أضاف أبعاداً جديدة لمفاهيم حقوق الإنسان، وأعاد النظر في بعض الحقوق من حيث الأولوية والأهمية. وأدخل حقوقاً جديدة لم تكن معتبرة من قبل وبالتالي فالتطور الفكري والسياسي الذي عرفته أوروبا، بشطريها الرأسمالي والاشتراكي، إضافة إلى التجربة السياسية الأمريكية،

هذا الموضوع، سواء الكتابات العامة التي تحدثت عن موضوع المرأة في الإسلام، واهتمت بالرد على الشبهات والانتقادات التي يروج لها الغزو الفكري الغربي، وتجد بعض الآذان الصاغية لها داخل العالم الإسلامي، أم الكتابات المتخصصة في مجال الحقوق كما نصت عليها الكتابات الحقوقية الغربية، ومن ضمنها المواثيق والإعلانات الحقوقية العالمية. وموضوع المرأة في الإسلام، كان قد اكتسب صبغة ذات حساسية خاصة قبل التوجه الحقوقي، خلال العقود الأخيرة، لأن وضع المرأة بشكل عام كان من بين القضايا التي احتدم حولها النقاش مبكراً، مع وصول الجحافل الأولى للاستعمار الغربي وسيطرتها العسكرية على العالم الإسلامي.
وبقي هذا الجدل محتدماً، وفي تصاعد مستمر، بعد انتهاء الحقبة الاستعمارية، لأن الغزو الثقافي عبر وسائط الإعلام والتعليم، ما فتىء يركز على هذا الموضوع ويثيره بين الحين والآخر. لذلك فقد وجدت المرأة المسلمة نفسها تتقاذفها التيارات والايديولوجيات المختلفة، بين منتصر لما تدعو له الحضارة الغربية من قيم وحقوق تخص المرأة، وبين قيم الإسلام التي امتزجت مع تقاليد المجتمعات الإسلامية وأعرافها. وقد استطاعت عملية التأصيل لحقوق المرأة أن تميط اللثام عن عدد من المغالطات الأيديولوجية، ووضعت في بعض جوانبها المتميزة، حداً بين ما يريده الإسلام من المرأة وما قدمه لها من حقوق، وبين الواقع التاريخي، أو وضع المرأة المسلمة الحالي، الذي يحكمه التخلف وعدم الانسجام بين النظرة الإسلامية الحقوقية والواقع المعيش. لكن يمكن أن يقال إن عملية التأصيل في مجال حقوق المرأة قد بلغت شأواً من التقدم، تم فيه الاعتراف والانتباه لعدد كبير من الحقوق التي كانت، إلى عهد قريب، خارجة عن موضوع البحث أو المعالجة، بل كان النسيان والتجاهل يلفها ويلغيها من الوجود الواقعي. وبدأ الكلام عن حقوق تثير حساسية كبيرة داخل المجتمعات العربية والإسلامية، وهكذا بدأ الحديث عن الحقوق السياسية للمرأة وحقها في الولاية مثلاً؟. ٨٤٨
لكن لا بد هنا من الإشارة إلى أن الفكر الإسلامي ما زال يتعامل مع الموروث الروائي المتعلق بالمرأة، بنوع من الحذر، وقلة الجرأة لمعالجته، لأنه مما لا شك فيه أن عدداً كبيراً من الأعراف والتقاليد قد استحالت عبر الوضع والكذب إلى أحاديث نبوية، كما أن التفسيرات التقليدية لكثير من الأحاديث، يجب إعادة النظر فيها، إذا أردنا فعلاً أن نكشف عن الوضع الحقوقي للمرأة كما جاء به الإسلام.
وهذان الأمران: التردد والتخبط كثيراً ما يظهران في الكتابات العامة أو المختصة بحقوق المرأة في الإسلام. ٨٤٩
وتفرع مجال التأصيل كثيراً، باعتباره استجابة للتحديات الحضارية المعاصرة التي كان من أهم إنجازاتها الإعلانات والمواثيق العالمية والإقليمية والوطنية، والمطالبة بالعمل على وضعها موضع التنفيذ والتطبيق، لذلك نجد أن مواضيع كثيرة قد نوقشت وتم علاجها سواء بشكل مفصل وكبير، أم بدراسات محدودة.
ومن العناوين التي عولجت وكثر حولها التأليف نذكر: الحقوق الاجتماعية والإعلامية، الحريات العامة، الدستورية، الزوجية، العائلية، الأقارب، العمال،

فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقبه وحقوقه(٦)

الباب الثامن – شبهات وردود

(١) زواج الرسول صلى الله عليه وسلم

أ.د. بكر بن زكي عوض

السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حدثني أحد الأصدقاء الثقات أنه دخل على إحدى غرف الدردشة الصوتية ووجد فيها مسلمين ونصارى يتناقشون عن الديانتين، ولاحظ أن أكثر موضوع كان يحرج المسلمين هو زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم - من تسع نساء، وسؤالي هو: هل يمكن أن أجد لديكم شرحاً مفصلاً لهذه الزيجات وظروفها والحكمة منها؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب:

الحمد لله، وبعد:

أخي السائل: إن تعدد الزوجات معروف في الرسالات السابقة كما هو معروف في رسالة الإسلام وحياة الرسول –عليه الصلاة والسلام-.

وإذا كنت تناقش نصرانياً أو تريد أن تناقشه فإليك الآتي:

(١) إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد عددوا الزوجات ووصل الأمر بهم إلى الزواج من مئة مثل داود الذي لم يكتف بتسع وتسعين حتى تزوج تمام المئة بعد موت زوجها، وسليمان كانت له ثلاثمائة زوجة وأربعمائة جارية كما في العهد القديم مصدر التشريع الأول عند النصارى(ما جئت لأنقص بل لأكمل).

(٢) كافة نصوص العهد القديم تأذن بالتعدد وتبيحه للأفراد رسلاً أو بشراً.

(٣) لم يرد نص واحد يحرم التعدد في النصرانية وقد تأثر النصارى بالبلاد التي نشروا فيها النصرانية، ففي أفريقيا يأذنون بالتعدد ويبيحون الزواج للقساوسة، وفي أوروبا يحرمون التعدد ويحرمون الزواج على القساوسة ويبيحون الصداقة.

(٤) النص الذي يستشهد به النصارى على تحريم التعدد هو(أما علمتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فما جمعه الله لا يفرقه إنسان). فجعلوا من ضمير الإفراد في قوله: "امرأته" أن الرجل لا يتزوج إلا بامرأة واحدة. والنص قد فهم على غير وجهه، فالمسيح حين سئل "أيحل لأحدنا أن يطلق امرأته لأي علة كانت..." كانت إجابته كما سبق.

(٥) أن الإجابة لا صلة لها بالتعدد بل بالنهي عن الطلاق لا التزوج.

(٦) المسيحية تأذن بالتعدد بالتتابع ولكنها ترفضه بالجمع وينتهي التعدد عند الرابعة متتابعاً حتى لا يكون الإنسان غاوياً، وتسمح بالخلة والصديقة بدون حد ولا عد.

(٧) كان العرب يجمعون بين أربعين امرأة في وقت واحد كدليل على الرجولة وطلب للولد.
(٨) بالنسبة لتعدد زوجات الرسول –صلى الله عليه وسلم- فإنه يرجع إلى أسباب اجتماعية وتشريعية وسياسية يمكن بيانها –والله أعلم- على النحو التالي:
أولاً: الأسباب الاجتماعية:
(١) زواجه من خديجة – رضي الله عنها- وهذا أمر اجتماعي أن يتزوج البالغ العاقل الرشيد وكان – عليه الصلاة والسلام - في سن الخامسة والعشرين وظلت معه وحدها حتى توفيت وهو في سن الخمسين.
(٢) تزوج بعدها بالسيدة سودة بنت زمعة وكانت أرملة لحاجة بناته الأربع إلى أم بديلة ترعاهن وتبصرهن بما تبصر به كل أم بناتها.
(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها بعد وفاة زوجها إكراماً لأبيها سـ٣هـ.
(٤) زينب بنت خزيمة استشهد زوجها في أحد فتزوجها سـ ٤هـ.
(٥) أم سلمة هند بنت أمية توفى زوجها ولها أولاد فتزوجها سـ٤هـ.
ثانيا: الأسباب التشريعية:
(١) زواجه من عائشة – رضي الله عنها - فلقد كان بوحي، حيث رآها في المنام ورؤيا الأنبياء وحي.
(٢) زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة الذي كان يدعى زيد بن محمد بالتبني فنزل قول الله تعالى: (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) [الأحزاب: ٤] (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) [الأحزاب: ٥] وبعد خلاف مع زوجها طلقت منه وأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم - أن يتزوجها لإقامة الدليل العملي على بطلان التبني، وذلك سنة خمسة للهجرة.
ثالثاً: الأسباب السياسية:
- كان لبعض زيجات الرسول – صلى الله عليه وسلم - بعداً سياسياً من حيث ائتلاف القلوب والحد من العداوة وإطلاق الأسرى... إلخ، ومن هن:
(١) جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من خزاعة وقعت في الأسر، تزوجها سنة ٦ هـ.
(٢) أما حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تنصر زوجها وبقيت على إسلامها، وكان للزواج منها كبير الأثر في كسر حدة أبي سفيان في العداء للإسلام، حتى هداه الله.
(٣) صفية بنت حيي بن أخطب كانت من سبي خيبر أعتقها الرسول وتزوجها سـ٧هـ.
(٤) ميمونة بنت الحارث تزوجها سـ ٧هـ.
مات من هؤلاء اثنتان في حياة الرسول وهما خديجة وزينب بنت خزيمة وتوفى الرسول – صلى الله عليه وسلم - عن تسع.
وأما الجواري فهما مارية القبطية التي ولدت إبراهيم وتوفى صغيراً، وريحانة بنت زيد القرطية.

إذن التعدد بدأ في سن الثالثة والخمسين من عمره فهل هذا دليل الشهوة، ومن يشتهِ هل يتزوج الثيبات وأمهات الأولاد والأرامل، كيف وقد عرض عليه خيرة بنات قريش فأبى!
إن التعدد كله لحكم منها – فضلاً عما سبق - بيان كل ما يقع في بيت النبوة من أحكام عملاً بقوله تعالى: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) [الأحزاب: ٣٤]، وإذا كان الحكم الشرعي لا يثبت بخبر الواحد غالباً فإن للتعدد أثره في إثبات الأحكام بالتواتر، كما أن زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم - اختلفت أحوالهن بين غنى وفقرٍ وحسب ونسب وبساطة لكل من يتزوج بأي صورة من هذه الصور قدوة في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم - مع زوجته التي تطابق حال زوجه وتعددهن فيه بيان لكل ما يمكن أن يقع من النساء داخل البيت كالغيرة والصبر والتآمر وطلب الدنيا؟ والتواضع ونشر العلم والرضى... إلخ.
إن بسط الكلام في هذا الأمر متعذر في هذه العجالة واقرأ زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم - لبنت الشاطئ. تعدد الزوجات لأحمد عبد الوهاب. الرحيق المختوم (الجزء الثاني) للمباركفوري.
----

(٢) حول عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف القرآن من العصمة

أ.د محمود حمدي زقزوق
هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ ، ويقدمون الأدلة على ذلك بسورة [عبس وتولى] وكذلك عندما جامل الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته، ونزلت الآية الكريمة التي تنهاه عن ذلك (انتهى).
الرد على الشبهة:
إن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك عصمة كل الرسل - عليهم السلام - يجب أن تفهم في نطاق مكانة الرسول.. ومهمة الرسالة.. فالرسول: بشر يُوحَى إليه.. أي أنه - مع بشريته - له خصوصية الاتصال بالسماء ، بواسطة الوحي.. ولذلك فإن هذه المهمة تقتضى صفات يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه ، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إلى صاحبها.
والرسول مكلف بتبليغ الرسالة، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله على الناس طاعة هي جزء من طاعة الله - سبحانه وتعالى-(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، (قل أطيعوا الله والرسول)، (من يطع الرسول فقد أطاع الله)، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا البلاغ الإلهي الذي اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلاً عن النقل - تحكم بأن مُرْسِل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذي يضفى الصدق على رسالته ، كان عابثًا.. وهو ما يستحيل على الله، الذي يصطفى من الناس رسلاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهي.. والحُجة على الناس بصدق هذا الذي يبلغون.
وفى التعبير عن إجماع الأمة على ضرورة العصمة للرسول فيما يبلغ عن الله، يقول الشيخ محمد عبده عن عصمة الرسل - كل الرسل-: "... ومن لوازم ذلك بالضرورة:

وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئًا من هذه الصفات، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن من حكمة الصانع الحكيم - الذي أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم - أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها، بمحض فضله، بعض مَنْ يصطفيه من خلقه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطرة السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب ، فهم في الدنيا كأنهم ليسو من أهلها ، هم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها.. أما فيما عدا ذلك - [أي الاتصال بالسماء والتبليغ عنها] - فهم بشر يعتريهم ما يعترى سائر أفراده ، يأكلون ويشربون وينامون ويسهون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، ويمرضون وتمتد إليهم أيدي الظلمة ، وينالهم الاضطهاد ، وقد يقتلون".
فالعصمة - كالمعجزة - ضرورة من ضرورات صدق الرسالة ، ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل - عليهم السلام -..
وإذا كان الرسول - كبشر - يجوز على جسده ما يجوز على أجساد البشر.. وإذا كان الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهاد والشورى وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل في مناطق وميادين الاجتهاد التي لم ينزل فيها وحى إلهي.. فإنه معصوم في مناطق وميادين التبليغ عن الله - سبحانه وتعالى - لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى في مناطق وميادين التبليغ عن الله لتطرق الشك إلى صلب الرسالة والوحي والبلاغ ، بل وإلى حكمة من اصطفاه وأرسله ليكون حُجة على الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطًا ضروريًا من شروط رسالة جميع الرسل - عليهم السلام -.. فالرسول في هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى). وبلاغة ما هو بقول بشر، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله، وبغير العصمة لا يتأتى له هذا المقام.
أما اجتهادات الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا وحى فيه، والتي هي ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية، فلقد كانت تصادف الصواب والأولى ، كما كان يجوز عليها غير ذلك.. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة، رضوان الله عليهم في كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه - قبل الإدلاء بمساهماتهم في الرأي - هذا السؤال الذي شاع في السُّنة والسيرة:
"يا رسول الله، أهو الوحي؟ أم الرأي والمشورة؟.." فإن قال: إنه الوحي. كان منهم السمع والطاعة له ، لأن طاعته هنا هي طاعة لله.. وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو

خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم، لأن علم الله - مصدر الوحي - مطلق وكلى ومحيط، بينما علمهم نسبى، قد تخفى عليه الحكمة التي لا يعلمها إلا الله.. أما إن قال لهم الرسول - جوابًا عن سؤالهم -: إنه الرأي والمشورة.. فإنهم يجتهدون ، ويشيرون ، ويصوبون.. لأنه صلى الله عليه وسلم هنا ليس معصومًا ، وإنما هو واحد من المقدمين في الشورى والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة في كتب السنة ومصادر السيرة النبوية - في مكان القتال يوم غزوة بدر.. وفى الموقف من أسراها.. وفى مكان القتال يوم موقعة أحد.. وفى مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.. إلخ.

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا).

وحتى لا يقتدي الناس باجتهاد نبوي لم يصادف الأولى، كان نزول الوحي لتصويب اجتهاداته التي لم تصادف الأولى، بل وعتابه - أحيانًا - على بعض هذه الاجتهادات والاختيارات من مثل: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى). ومن مثل: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير). ومن مثل: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم).

وغيرها من مواطن التصويب الإلهي للاجتهادات النبوية فيما لم يسبق فيه وحى، وذلك حتى لا يتأسى الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأولى.

فالعصمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يبلغ عن الله شرط لازم لتحقيق الصدق والثقة في البلاغ الإلهي، وبدونها لا يكون هناك فارق بين الرسول وغيره من الحكماء والمصلحين، ومن ثم لا يكون هناك فارق بين الوحي المعصوم والمعجز وبين الفلسفات والإبداعات البشرية التي يجوز عليها الخطأ والصواب.. فبدون العصمة تصبح الرسالة والوحي والبلاغ قول بشر، بينما هي - بالعصمة - قول الله - سبحانه وتعالى - الذي بلغه وبينه المعصوم - عليه الصلاة والسلام -.. فعصمة المُبَلِّغ هي الشرط لعصمة البلاغ.. بل إنها - أيضًا - الشرط لنفى العبث وثبوت الحكمة لمن اصطفى الرسول وبعثه وأوحى إليه بهذا البلاغ

----

(٣) دعوى: خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام

أ.د محمود حمدي زقزوق

زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس برسول. وبنوا هذا الزعم على أربع شعب هي:

١. إن العهد والنبوة والكتاب محصورة في نسل إسحق لا إسماعيل.؟!

٢. إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزات.؟!
٣. إن القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية ، فليس هو معجزاً(١)؟!
٤. إن الكتب السابقة - التوراة وملحقاتها والأناجيل - خلت من البشارة برسول الإسلام؟!

الرد على الشبة:

ولكن قبل أن نواجهها مواجهة مباشرة أريد أن أقدم كلمة موجزة بين يدي هذه المواجهة ، رأيت أن تقديمها من أوجب الواجبات في هذا المجال.

وجود "البشارات" وعدمها سواء.. أجل: إن وجود البشارات وعدمها في الكتب المشار إليها آنفًا سواء، وجودها مثل عدمها، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ليست في حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل "الخارجي" بطلت - لا سمح الله - تلك الرسالة؛ فهي رسالة دليلها فيها، ووجود البشارات بها في كتب متقدمة - زمنا - عليها لا يضيف إليها جديداً، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئاً قط.

فهي حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغني عما سواها. ودليلها قائم خالد صالح للفحص في كل زمان ومكان، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب، ظهر ولم يختف، قوى ولم يضعف. علا ولم يهبط، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء في هذا الدليل "القرآن العظيم" حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله المكرمون..

فلا يظنن أحدُ أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن في حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام في دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس في حاجة إلى "تلك البشارات" حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظ به رسول غيره.

وستعالج البشارة به صلى الله عليه وسلم على قسمين:

١- بشاراته صلى الله عليه وسلم في التوراة.
٢- بشاراته صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

أولاً: البشارات في التوراة تعددت البشارات برسول الإسلام في التوراة وملحقاتها، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه صلى الله عليه وسلم ومع هذا فقد بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها "الأصلي" من حملها على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال.

فهي أشبه ما تكون برسالة مغلقة محي "عنوانها" ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد فضها - أن يثبت اختصاصها به ، لأن الكلام " الداخلي " الذي فيها يقطع بأنها " له " دون سواه؛ لما فيها من "قرائن" وبينات واضحة ونعرض - فيما يلى - بعضاً منها:

"وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته".

فقال: "جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران"(٢).

في هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:

الأولى: نبوة موسى عليه السلام التي تلقاها على جبل سيناء.

الثانية: نبوة عيسى عليه السلام وساعير هي قرية مجاورة لبيت المقدس ، حيث تلقى عيسى عليه السلام أمر رسالته.
الثالثة: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبل فاران هو المكان الذي تلقى فيه - عليه الصلاة والسلام - أول ما نزل عليه من الوحي وفاران هي مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم.
وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبراً وبشارتين:
فالخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولاً.
والبشارتان:
الأولى: خاصة بعيسى عليه السلام.
والثانية: خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم.
وموقف اليهود منهما النفي: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم ولا الثانية بشارة برسول الإسلام.
أما موقف النصارى فإن النفي - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم في ذلك مغالطات عجيبة ، حيث قالوا إن "فاران" هي "إيلات" وليست مكة. وأجمع على هذا "الباطل" واضعو كتاب: قاموس الكتاب المقدس. وهدفهم منه واضح إذ لو سَلَّمُوا بأن "فاران" هي مكة المكرمة ، للزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام ، وهذا عندهم قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له!! أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس ، ولم يقتصر ورود ذكر "فاران" على هذا الموضع من كتب العهد القديم ، فقد ورد في قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: إن إبراهيم عليه السلام استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل وطردها هي وابنها فنزلت وسكنت في "برية فاران"(٣). على أنه يلزم من دعوى واضعي قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران بإيلات أن الكذب باعترافهم وارد في التوراة. لأنه لم يبعث نبي من "إيلات" حتى تكون البشارة صادقة. ومستحيل أن يكون هو عيسى عليه السلام ؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلات.
فليست " فاران " إلا " مكة المكرمة " وباعتراف الكثير منهم ، وجبل فاران هو جبل " النور " الذي به غار حراء ، الذي تلقى فيه رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بدء الوحي.
وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة " فاران " أشهر من الشمس.
وترتيب الأحداث الثلاثة في العبارة المذكورة:
جاء من سيناء وأشرق من ساعير وتلألأ من فاران. هذا الترتيب الزمني دليل ثالث على أن " تلألأ من جبل فاران " تبشير قطعي برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
وفي بعض " النسخ " كانت العبارة: "واستعلن من جبل فاران" بدل "تلألأ".
وأياً كان اللفظ فإن "تلألأ" و"استعلن" أقوى دلالة من "جاء" و"أشرق" وقوة الدلالة هنا ترجع إلى "المدلولات " الثلاثة. فالإشراق جزء من مفهوم "المجيء" وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام).
أما تلألأ واستعلن فهذا هو واقع الإسلام ، رسولا ورسالة وأمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه المغالطة (فاران هي إيلات) لها مثيل حيث تزعم التوراة أن هاجر أم إسماعيل عندما أجهدها العطش هي وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه "سارة" طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيا ملاك " الرب " في المكان المعروف الآن " ببئر سبع " ؟! وأنها سميت بذلك لذلك..؟! وكما كذبت فاران دعوى "إيلات" كذَّبت "زمزم الطهور" دعوى "بئر سبع"؟ وستظل فاران - مكة المكرمة - وزمزم الطهور "عملاقين" تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى.

ويجيء نص آخر في التوراة لا محمل له إلا البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم مهما غالط المغالطون.

وهو قول الله لموسى حسب ما تروى التوراة:

"أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه"(٤).

حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى في آخر عهده بالرسالة ، وكان يهمه أمر بني إسرائيل من بعده ، فأعلمه الله - حسب هذه الرواية التوراتية - أنه سيبعث فيهم رسولا مثل موسى عليه السلام.

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد وقف أهل الكتابين - اليهود والنصارى - موقفين مختلفين هدفهما واحد ، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام.

أما اليهود فلهم فيه رأيان:

الأول: أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هي نفي ، ويقدرون قبل الفعل "أقيم" همزة استفهام يكون الاستفهام معها "إنكارياً" وتقدير النص عندهم هكذا " أأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك؟!

بطلان هذا الرأي وهذا الرأي باطل ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك ؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكاري محذوفة هي في قوة المذكور لكان الكلام نفياً فعلاً.. ولو كان الكلام نفياً لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك:

"ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه " ؟! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النبي الذي وعد به المقطع الذي قبله. فدل هذا " العطف " على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لا نفي. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام..؟!

الثاني: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا لا مانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً ، ولكنه ليس المقصود به عيسى ابن مريم عليه السلام ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، بل المراد به نبى من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى، أو صموئيل..؟!

موقف النصارى:

أما النصارى فيحملون البشارة في النص على عيسى عليه السلام وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وقد علمنا قبلا أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام.

وللنصارى مغالطات عجيبة في ذلك إذ يقولون إن النبي الموعود به ليس من بنى إسماعيل بل من بنى إسرائيل. ومحمد إسماعيلي فكيف يرسل الله إلى بنى إسرائيل رجلاً ليس منهم.؟! كما قالوا إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله. وقد رددنا على هذه الفرية فيما تقدم.

الحق الذي لا جدال فيه:

والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل. باطل. ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه. أما الحق الذي لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وإليكم البيان:

إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبي الموعود به فيه بشرطين:

أحدهما: أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى عليه السلام صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله وهذان الشرطان لا وجود لهما لا في يوشع بن نون ، ولا في صموئيل كما يدعى اليهود في أحد قوليهم.

ولا في عيسى عليه السلام كما يدعى النصارى.

أما انتفاء الشرط الأول فلأن يوشع وصموئيل وعيسى من بنى إسرائيل وليسو من وسط إخوة بنى إسرائيل.

ولو كان المراد واحداً منهم لقال في الوعد: أقيم لهم نبياً منهم.. ؟! هذا هو منهج الوحي في مثل هذه الأمور كما قال في شأن النبي صلى الله عليه وسلم:

(هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم...)(٥). وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم...)(٦).

وأما انتفاء الشرط الثاني ، فلأن: لا صموئيل ولا يوشع ولا عيسى ابن مريم كانوا مثل "موسى" عليه السلام.

فموسى كان صاحب شريعة ، ويوشع وصموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل لم يكن واحداً منهم صاحب شريعة ، وإنما كانوا على شريعة موسى عليه السلام.

وحتى عيسى ما جاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً فشريعة موسى هي الأصل. إن عيسى كان مذكراً لبنى إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدى من شريعة موسى عليه السلام !! فالمثلية بين هؤلاء - وهي أحد شرطيْ البشارة - وبين موسى عليه السلام لا وجود لها؟!

الشرطان متحققان في رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفي الشرطان بهما عمن ذكروا من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم:

فهو من نسل إسماعيل ، وإسماعيل أخو إسحق ، الذي هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من وسط إخوة بنى إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطيْ البشارة:

ومحمد - عليه الصلاة والسلام - صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بنى إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التي لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى عليه السلام.
وبهذا يتحقق الشرط الثاني من شرطى البشارة وهو " المثليه " بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه) ، فعلى القارئ أن يتأمل ثم يحكم.
في المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام وردت كثير من العبارات التي لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام. ومن ذلك قول داود كما تروى التوراة:
" أنت أبرع جمالاً من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ، جلالك وبهاؤك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة.. بتلك المسنونة في قلب أعداء الملك - يعنى الله - شعوب تحتك يسقطون.. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك " (٧).
اسمعي يانيت وأميلي أذنك ، وانسي شعبك وبيت أبيك ، فيشتهي الملك الملك حسنك ؛ لأنه هو سيدك فاسجدي له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها مطرزة ، تحضر إلى الملك في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك. عوضاً عن آبائك يكون بنوك نقيمهم رؤساء في كل الأرض اذكر اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والآبد " وقفة مع هذا الكلام في المقطع الأول (أ) لا تنطبق الأوصاف التي ذكرها داود إلا على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
فهو الذي قاتل بسيفه في سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم.
وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء ؛ لأنه خاتم النبيين ، ورسالته عامة خالدة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(٨).
ولم يترك رسول هدى وبيانا مثلما ترك رسول الإسلام في القرآن الحكيم ، وفي أحاديثه وتوجيهاته ، التي بلغت مئات الآلاف ، وتعددت المصادر التي سجلتها ، وفيها من روائع البيان ، وصفاء الألفاظ ، وشرف المعاني ما ليس في غيرها.
أما المقطع الثاني (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهي التي تترضاها الأمم بالهدايا. وهي ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة ، وهي التي يذكر اسمها في كل دور فدور وتأتيها قوافل" الحجيج " رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع في " قصر الملك " ويحمدها الناس إلى الأبد؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن. بل والملائكة. وفي مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة. خالدة: لم ينته العمل بها بوفاة رسولها، كما هو الحال فيما تقدم. وإنما هي دين الله إلى الأبد الأبيد.
وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم ملئ بالإشارات الواضحة التي تبشر برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولولا المنهج الذي أخذنا به هنا وهو عدم

التطويل لذكرنا من ذلك الكثير؛ ولذا فإننا نكتفي بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول:

" قومي استنيري؛ لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك.. لأنه ها هي الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى. فتسير الأمم في نورك ، والملوك في ضياء إشراقك.

ارفعي عينيك حوالي وانظري. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدي ، حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع ؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر ، ويأتي إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ، وعيفة كلها تأتي من شبا. تحمل ذهبًا ولبانًا ، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي، وأزين بيت جمالي.

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتى من بعيد ، وفضتهم وذهبهم معهم لا سم الرب إلهك...(٩).

وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك.. وتفتح أبوابك دائما نهاراً وليلاً لا تغلق ، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم...(١٠).

دلالة هذه النصوص:

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة.

فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد. ألم يشر النص إلى غنم قيدار، وقيدار هوولد إسماعيل عليه السلام الذي تشعبت منه قبائل العرب. ثم ألم ينص على المذبح الذي تنحر عليه الذبائح؟ كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة. وتلك الإشارات هي طرق حضور الحجاج إليها. ففي القديم كانت وسائل النقل: ركوب الجمال. ثم السفن. أما في العصر الحديث فقد جدت وسيلة النقل الجوى "الطائرات" وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتي:

١- الجمال ، قال فيها: تغطيك كثرة الجمال!!

٢- السفن ، قال فيها: وسفن ترشيش تأتي ببنيك من بعيد!

٣- النقل الجوى، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها؟!!

أليس هذا أوضح من الشمس في كبد السماء.

على أن النص ملئ بعد ذلك بالدقائق والأسرار ، ومنها أن مكة مفتوحة الأبواب ليلاً ونهاراً لكل قادم في حج أو عمرة!!

ومنها أن خيرات الأمم تجبى إليها من كل مكان ، والقرآن يقرر هذا المعنى في قول الله تعالى: (أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء)(١١).

ومنها أن بنى الغريب (يعنى غير العرب) يبنون أسوارها. وكم من الأيدي العاملة الآن، وذوي الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت في محنة من أهلها أو من غير

أهلها إلا هذه "العاصمة المقدسة"، فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين، ومثلها المدينة المنورة.
ومنها كثرة الثروات التي مَنَّ الله بها عليها. أليس البترول من ثروات البحر العظمى التي تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيوناً دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم. أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة.
والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام ؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدي بعثته صلى الله عليه وسلم.
هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة "صهيون" ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم. ولكننا نضع الأمر بين يدي المنصفين من كل ملة. أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة "صهيون".
لقد خرب " بيت الرب " في القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء ، ثم أين ثروات البحر والبر التي تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم. وأين هي المواكب التي تأتى إليها براً وبحراً وجَوّاً ، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً ، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها.
وما صلة غنم قيدار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذي يشق عنان السماء منها.. وأين.. وأين..؟ إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق ، ونحن يكفينا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى ، ولا يهمنا أن يذعن القوم لما نقول فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق الذي تدافع عنه.
والفاصل بيننا ـ في النهاية ـ هو الله الذي لا يُبدل القول لديه.
وتنسب التوراة إلى نبي يدعى "حبقوق" من أنبياء العهد القديم ، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات.
تنسب إليه التوراة نصوصاً كان يصلي بها. تضمنها الإصحاح الثالث من سفره. وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وإليكم مقاطع منه: "الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران ـ سلاه ـ جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يديه شعاع ، وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوبأ. وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القوم.
مسالك الأزل يسخط دست الأمم ، خرجت لخلاص شعبك... سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق... سلكت البحر بخيلك..(١٢).
دلالات هذه الإشارات:
لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعاني التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فالجهتان المذكورتان في مطلع هذا المقطع وهما: تيمان: يعنى اليمن، وجبل فاران: يعنى جبل النور الذي بمكة المكرمة التي هي فاران. هاتان الجهتان عربيتان. وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التي كانت مسرحاً أولياً لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

فليس المراد إذن نبياً من بنى إسرائيل؛ لأنه معلوم أن رسل بنى إسرائيل كانت تأتى من جهة الشام شمالاً. لا من جهة بلاد العرب. وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة ، التي تقدم ذكرها من سفر التثنية ، وقد ذكرت أن الله: تلألأ أو استعلن من جبل فاران.
بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى عليه السلام والتبشير بعيسى عليه السلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم أما بشارة حبقوق فهي خاصة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. ولو لم يكن في كلام حبقوق إلا هذا "التحديد" لكان ذلك كافياً في اختصاص بشارته برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى:

- منها: الإشارة إلى كثرة التسبيح حتى امتلأت منه الأرض.. ؟!
- ومنها: دكه صلى الله عليه وسلم لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة.
- ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر ، وهذا لم يحدث إلا في ظل رسالة الإسلام.

على أن كلام حبقوق ملئ بالرمز والإشارات مما يفيدنا في هذا المجال ولكننا نتجاوزه لأمرين:
أحدهما: أن في الإشارات الصريحة غناء عنها.
وثانيهما: عدم التطويل ـ هنا ـ كما اتفقنا.
بشاراته صلى الله عليه وسلم في العهد الجديد أسفار العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التي يتعين أن تكون "بشارات" برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
تلك البشارات تعلن أحياناً في صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات. وأحيانا أخرى بالروح القدس. ومرات باسم المعزى أو الفارقليط ، وهي كلمة يونانية سيأتي فيما بعد معناها ، تلك هي صورة البشارات في الأناجيل في صيغها المعروفة الآن.
ففي إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى عليه السلام المسمى في الأناجيل: يوحنا المعمدان. وفيها يقول: "توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات"(١٣).
فمن هو ملكوت السماوات الذي بشر به يحيى؟! هل هو عيسى عليه السلام ـ كما يقول النصارى؟!
هذا احتمال.. ولكن متَّى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى عليه السلام نفس العبارة: "توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات"(١٤).
فلو كان المراد بملكوت السماوات ـ هذه ـ عيسى عليه السلام لما وردت هذه "البشارة" على لسان عيسى؛ إذ كيف يبشر بنفسه ، وهو قائم موجود ، والبشارة لا تكون إلا بشئ محبوب سيأتي، كما أن الإنذار ـ قسيمه ـ لا يكون إلا بشيء "مكروه" قد يقع.
فكلاهما: التبشير والإنذار ـ أمران مستقبلان.

إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى عليهما السلام.
فدل ذلك على أن المراد بملكوت السماوات رسول آخر غير عيسى. ولم يأت بعد عيسى ـ باعتراف الجميع ـ رسول غير رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السماوات في عبارة عيسى عليه السلام ـ قولاً واحداً ـ وباحتمال أرجح في عبارة يحيى؛ إذ لا مانع عندنا ـ أن يكون يحيى عليه السلام قد بشر بها بعيسى عليه السلام.
أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل ـ القطعي ـ على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.
وفي صيغة الصلاة التي علمها المسيح لتلاميذه ـ كما يروي مَتَّى نفسه ـ بشارة أخرى بنبي الإسلام. وهذا هو نص مَتَّى في هذا "فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك"(١٥).
ووردت هذه الصيغة في إنجيل لوقا هكذا: "متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك.."(١٦).
ويذكر لوقا أن المسيح جمع تلاميذه، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين، ويشفون الأمراض ثم قال: "وأرسلهم ليكرزوا ـ أي يبشروا ـ بملكوت الله"(١٧).
أما مرقس فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول: "جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله " (١٨).
فهؤلاء ثلاثة من التلامذة يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذي اقترب.
فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم؟! وأكاد أجزم بأن عبارة "المسيح ، قد كمل الزمان" لا تعني سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة وإقبال الرسالة الخالدة!!
أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل. فإنه يذكر هذه البشارات في مواضع متعددة من إنجيله. ومن ذلك ما يرويه عن المسيح عليه السلام " الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى (اسم فاعل من الفعل المضعف العين عزى)(١٩) الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم"(٢٠).
كما يروي يوحنا قول المسيح ـ الآتي ـ مع تلاميذه: "إنه خير لكم أن انطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى بر وعلى دينونة"(٢١).
ويروي كذلك قول المسيح لتلاميذه: "وأما إذا جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه. بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ".. ؟!(٢٢).
فمن هو المعزى أو روح القدس أو روح الحق الذي بشر به المسيح عليه السلام حسبما يروى يوحنا؟!

إن المسيح يقول: إن ذلك المُعَرِّى أو الروح القدس لا يأتي إلا بعد ذهاب المسيح، والمسيح ـ نفسه ـ يُقِرُّ بأن ذلك المُعَرِّى أو الروح أَجَلُّ منه شأنا، وأعم نفعاً وأبقى أثراً، ولذلك قال لتلاميذه: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَرِّى.
وكلمة "خير" أفعل تفضيل بمعنى أكثر خيراً لكم ذهابي ليأتيكم المعزى ولو كان "المُعَزَّى" مساويًا للمسيح في الدرجة لكانا مستويين في الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق.
ومن باب أولى لو كان "المعزَّى" أقل فضلاً من المسيح. فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه ، لا مساوٍ له ولا أقل.
ثم يصف المسيح ذلك المُعَرَّى أو الروح بأوصاف ليست موجودة في المسيح نفسه عليه السلام.
ومن تلك الأوصاف:
أ ـ إنه يعلم الناس كل شيء. وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح في الدنيا والدين. وذلك هو الإسلام.
ب ـ إنه يبكت العالم على خطية. والشاهد هنا كلمة " العالم " وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر ، عربا وعجماً ، في كل زمان ومكان. ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام.
جـ ـ إنه يخبر بأمور آتية ، ويذكر بما مضى. وقد تحقق هذا في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.
فأخبر بأمور آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذي كان على يديه صلى الله عليه وسلم فكم في القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر ، وكم فيه من الإخبار بما سيكون في الحياة الآخرة من أوصاف الجنة ، والنار ، والبعث ، وعلامات الساعة ، وتخاصم أهل النار ، وحوار أصحاب الجنة مع " رجال الأعراف " ، وندم من باعوا دينهم بدنياهم... إلخ.
وذكر بما مضى من أحوال الأمم ، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء ، ومسلك بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذي دار بين المحقين وأهل الباطل ، وعاقبة بعض المكذبين... إلخ.
ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فأرست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة ، ووضعت أصول التشريع في كل ما هو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها ، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق ، وبين الناس بعضهم بعضاً. وحررت العقول ، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة. أي أنها أرشدت إلى كل شيء. وعلمت كل شيء مما يحتاج تعلمه إلى وحي وتوقيف..!
ذلك هو الإسلام ، ولا شيء غير الإسلام.
وشهدت ـ فيما شهدت ـ للمسيح عليه السلام بأنه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بنى إسرائيل، وأنه عبده ورسوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون)(٢٣).

وشهادة رسول الإسلام لعيسى عليه السلام منصوص عليها في بشارات عيسى نفسه به (صلى الله عليه وسلم). فاسمع إلى يوحنا وهو يروى عن المسيح عليه السلام قوله الآتي: "ومتى جاء المعزَّى الذي سأرسله " أنا " إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي.. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء"(٢٤).

روح القدس هذا، أو المعزَّى ، أو روح الحق لا يمكن أن يكون عيسى ؛ لأن عيسى لم يبشر بنفسه ، وهو كان موجوداً ساعة قال هذا ولا يمكن أن يكون المراد به نبياً بعد عيسى غير محمد (صلى الله عليه وسلم) لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبي قبل رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

فتعين أن يكون روح القدس ، أو المعزَّى ، أو روح الحق تبشيرا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذ فيه تجتمع تلك الأوصاف ، كما يتحقق فيه معنى "الأفضلية" إذ هو خاتم النبيين، الذي جاء بشريعة خالدة عامة، وعلى هذا حملنا قبلا قول عيسى: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّى " وهذا إقرار من عيسى بأن المبشر به أفضل من المُبَشِّر وكفي بذلك شواهد.

أما البشارة باسم "الفارقليط" فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس.

ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع للترجمات وطبعات متعددة ؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافا بيناً.

وتحت يدي ـ الآن ـ نسختان من الطبعات العربية كلتاهما خاليتان من كلمة الفارقليط، وموضوع مكانها كلمة المعزى.

بيد أنني وجدت أن ابن القيم ، وابن تيمية ، كل منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصاً فيها التصريح باسم "الفارقليط" كما أن الشيخ رحمت الله الهندي (رحمه الله) نقل في كتابه "إظهار الحق" نصوصاً "عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام: ١٨٢١ ـ ١٨٣١ ـ ١٨٤٤م وتمت في لندن معنى "الفارقليط": كلمة يونانية معناها واحد مما يأتي:

الحامد ـ الحماد ـ المحمود ـ الأحمد. أو معناها كل ما تقدم. فمعنى "فارقليط" يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها.

وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فهو الحامد والحمّاد والمحمود والأحمد ، والمحمد.

وفي الطبعات ـ اللندنية ـ المتقدم ذكرها ورد النص هكذا: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر، ليثبت معكم إلى الأبد".

"الفارقليط" روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم"(٢٥).

ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذي نقلناه آنفا عن إنجيل يوحنا من الطبعات العربية الحديثة تريك أن الطبعات الحديثة حذفت كلمة " الفارقليط " ووضعت مكانها كلمة " المعزى " كما تريك أن الطبعات الحديثة حذفت جملة: " ليثبت معكم إلى الأبد " وهو نص على خلود الإسلام على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة " المعزى " التي في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجم عن كلمة

يونانية لفظاً ومعنى وهي " باراكليتس " ومعناها المعزى ، وليست " فارقليط " أو " بارقليط " التي معناها الحماد والحامد... والتي يتمسك بها المسلمون!
وهذه المحاولات مردودة لسببين:
أولهما: ليس نحن - المسلمين - الذين قاموا بعمل بالطبعات القديمة التي فيها " الفارقليط " وإنما طبعها النصارى قديماً. فعملهم حجة على الطبعات الحديثة، وهم غير متهمين في عملهم هذا.
وثانيهما: ولو كانت الكلمة "هي: الباراكليتس" فلماذا خلت منها الطبعات القديمة والنسخ المخطوطة؟!
بل ولماذا خلت منها الطبعات الحديثة؟!
وأيًا كان المدار: فارقليط ، أو باراكليتس ، أو المعزى ، أو الروح القدس فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التي أجريت عليها. مثل يعلمكم كل شيء - يمكث معكم إلى الأبد.
فهذه الأوصاف هي لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومهما اجتهدتم في صرفها عنه فلن تنصرف.
ولهم " شبهة " أخرى يحلو لهم ترددها وهي: محمد صلى الله عليه وسلم عربي الجنس واللسان ، فكيف يرسله الله إلى أمم وأجناس غير عربية.. وكيف يكلف الله الناس برسالة لا يعرفون لغتها ولا عهد لهم بالتحدث معها. وكيف يستطيعون أن يفهموا القرآن ، وتوجيهات رسول الإسلام ، وهما باللغة العربية؟!
رد الشبهة:
نرد عليها من طريقين:
الأول: وهو مستمد من واقع القوم أنفسهم. فهم يدعون تبعاً لما قال "بولس" أن عيسى عليه السلام مرسل لخلاص العالم كله. وأنه أمر حوارييه أن يكرزوا كل العالم برسالة الخلاص ، وفي أيامنا هذه كثرت المنشورات التي تقول: المسيح مخلص العالم. وهنا نسأل القوم سؤالاً: أية لغة كانت لغة المسيح عليه السلام وحوارييه ؟! هل هي العبرانية أم اليونانية؟! وأيا كان الجواب فإن المسيح كان يتكلم لغة واحدة. وأوحى إليه الإنجيل بلغة واحدة.. فعلى أي أساس إذن قلتم: إنه منقذ لكل العالم؟! هل كل العالم كان وما يزال يعرف لغة المسيح ؟! أم أن العالم أيام المسيح كان يتكلم بعدة لغات.. والآن يتكلم بمئات اللغات؟!
فإن كنتم قد ادعيتم أن المسيح هو منقذ كل العالم مع تسليمكم بأنه كان يتكلم بلغة واحدة فلماذا تنكرون على رسول الإسلام أن يكون مرسلاً لكل العالم.؟! وما الفرق بين رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام حتى تحظروا عليه ما استبحتموه للمسيح؟! أهذا عدل.. أهذا إنصاف!!
وإن تنازلتم عن عالمية المسيح فأنتم مدينون!!
الثاني: وهو مستمد من طبيعة الإسلام. ومن تاريخه الطويل الحافل بكل عجيب.
نعم: إن محمداً صلى الله عليه وسلم عربي اللسان ، والجنس ، والقرآن العظيم الذي جاء به عربي اللسان، عالمي التوجيه والتشريع والسلطان. ووحدة اللغة في الإسلام مثل وحدة العقيدة فيه. ولم يحل دون انتشار الإسلام بين الأمم والشعوب غير العربية

أن لغة رسالته عربية ورسوله عربي ورواده الأوائل عرب. هذه الاعتبارات لم تحل دون نشر الإسلام لجميع شعوب الأرض باختلاف لغاتها وعقائدها وأجناسها.
وكان سلوك الدعوة إلى الإسلام حكيمًا، وهذه أبرز ملامحه:
أولاً: إن صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم أرسل رسله يحملون رسائله وكتبه إلى كل رؤساء القبائل وملوك الأمم والشعوب ، وقد بدأت هذه الطريقة بعد وقوع صلح الحديبية ، وكل حامل رسالة أو كتاب إلى رئيس أو ملك كان على علم بلغة من هم المبعوث إليهم.
فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل دحية بن خليفة الكلبي.
وأرسل إلى المقوقس عظيم القبط بمصر حاطب بن أبى بلتعة. وأرسل إلى كسرى عبد الله بن حذافة السهمي.
وأرسل إلى الحارث بن أبى شمر الغساني شجاع بن ذهب الأسدى. وكان هؤلاء الرسل عالمين بلغات من أرسلوا إليهم.
كما كان صلى الله عليه وسلم يحتفظ بمترجمين يترجمون له ما يرد من رسائل لغتها غير العربية.
ثانياً: إن الملوك والرؤساء كان لديهم مترجمون ـ كذلك ـ يترجمون لهم ما يرد من رسول الإسلام أو يقومون بالترجمة من العربية إلى غيرها ، ومن غير العربية إلى العربية في حالة ما إذا كان " المرسل " وفداً يحمل رسائل شفوية للتبليغ.
ثالثاً: إن اليهود وكثيراً من النصارى كانوا يعرفون اللسان العربي ، ومن النصارى من هم عرب خلص كنصارى نجران ، كما أن العجم من الفرس والروم كان من بينهم عرب يعايشونهم ويقيمون بينهم.
رابعاً: كان صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم يحض أصحابه على تعلم لغات الأمم ومما يروى عنه ـ عليه الصلاة السلام ـ قوله: من تعلم لغة قوم أمن غوائلهم.
خامساً: لما اجتازت الدعوة مرحلة الدعوة بالرسالة والكتاب والوفد ، والبعث ، ودخلت في مرحلة الفتح كان الجنود المسلمون ينشرون اللغة العربية كما ينشرون الإسلام نفسه. وما من أرض حل بها الإسلام إلا وقد حلت بها اللغة العربية تعضده ، وتؤازره في انسجام عجيب ، فقضت اللغة العربية على لغات الأمم والشعوب وحلت هي محلها. قضت على القبطية في مصر وعلى الفارسية في الشام وعلى البربرية في شمال غرب أفريقيا كما قضت على السريانية وغيرها من اللغات ، وأصبحت هي لغة الحياة والإدارة والكتابة والنشر والتأليف.
سادساً: قام العرب المسلمون بترجمة ما دعت إليه المصلحة من تراث الأمم المفتوحة ، ففتحوا نوافذ الفكر ، والثقافة ، والمعرفة لمن لا يعرف غير العربية من العرب المسلمين. كما ترجموا من الفكر الإسلامي ما يصلح ضرورة لغير العرب من المسلمين فنقلوه من العربية إلى غير العربية وفاءً بحق الدعوة والتبليغ.
سابعاً: أقبل غير العرب من الذين دخلوا الإسلام على تعلم العربية وتركوا لغاتهم الأصلية وأصبحوا عربي اللسان واللغة. ومن هؤلاء أعلام لا يحصون كان لهم فضل عظيم في إنماء الفكر الإسلامي منهم اللغويون ، والنحويون ، والبيانيون ، والفقهاء ، والأصوليون ، والمفسرون ، والمحدثون ، والمتكلمون ، والفلاسفة ،

والمناطقة ، والرياضيون ، والأطباء ، والفلكيون ، بل والشعراء والأدباء والرحالة والجغرافيون ، وغيرهم ، وغيرهم.
إن كل مجال من مجالات النشاط العلمي في الإسلام نبغ فيه كثير من غير العرب بعد تعلمهم اللغة العربية التي كانوا فيها مثل أنجب وأحذق وأمهر أبنائها. ولو رحنا نحصى هؤلاء لضاق بنا السهل والوعر ، فلتكن الإشارة إليهم نائباً عن ذلك التفصيل غير المستطاع.
إن وحدة اللغة في الإسلام لم تحل دون نشر الإسلام ، فلم يمض طويل من الزمن حتى بلغت الدعوة مشارق الأرض ومغاربها.
وصلت إلى الهند والصين في أقصى الشرق ، وإلى شواطئ المحيط الأطلسي في أقصى الغرب وإلى بلاد النوبة جنوباً وإلى جبال البرانس جنوبي فرنسا شمالاً.
وتوطدت في قلب الكون:
الحجاز واليمن والشام وفارس وبلاد ما بين النهرين وما وراء النهرين ومصر وجنوب الوادي، وتركت اللغة العربية الواحدة آثارها في كل قطر أشرقت فيه شمس الإسلام ، وحتى ما فارقه الإسلام ـ كأسبانيا ـ ما تزال حضارة الإسلام وآثار العربية تغزو كل بيت فيها.
وكما استوعب الإسلام مناهج الإصلاح في كل مجالات الحياة الإنسانية استوعبت شقيقته الكبرى " اللغة العربية " كل أنماط التعبير ووسعت بسلطانها كل وسائل التسجيل والتدوين.. وامتلكت ناصية البيان الرائع الجميل ، فهي لغة علم ، ولغة فن ومشاعر ، ووجدان. وقانون وسلام وحرب ، ودين ودنيا.
إن أكثر من ألف مليون مسلم ينتشرون في ربوع الأرض الآن لم يعجز الكثير منهم من غير العرب عن حفظ كتاب الله " القرآن العظيم " ويتلونه كما أنزل بلسان عربي فصيح. فإذا عاد إلى حديثه اليومي لجأ إلى لغة أمه وأبيه وبيئته.
ومسلم غير عربي استطاع أن يحفظ أو يقرأ القرآن بلغته العربية الفصحى لهو قادر ـ لو أدى المسلمون العرب واجبهم نحو لغة التنزيل ـ أن يقرأ بها كتب الحديث، والفقه، والتشريع، والنحو، والصرف ، والبلاغة ، والأدب وسائر العلوم والفنون.
ولكنه ذنب العرب المسلمين لا ذنب اللغة. فهي مطواعة لمن يريد أن يتقنها إن وجد معلماً مخلصاً. والأمل كبير ـ الآن ـ في أن يلتقي كل المسلمين على لغة واحدة ، كما التقوا على عقيدة واحدة.
إن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم عالمي الدعوة وإن كان عربي اللسان والجنس.
وإن الإسلام الحنيف عالمي التوجيه والسلطان وإن كانت لغة تنزيله عربية ورسوله عربياً ، ورواده الأوائل عرباً.

----
(١) رددنا على هذه الادعاءات في " الإسلام في مواجهة الاستشراق في العالم " مرجع سبق ذكره.
(٢) سفر التثنية: الإصحاح (٣٣) الفقرات (١-٢).
(٣) سفر التكوين (٢١ - ٢١).

(٤) سفر التثنية: الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨ - ١٩).
ويكون المعنى عليه: كيف أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ؟ أي لا أفعل هذا.
(٥) الجمعة: ٢.
(٦) البقرة: ١٢٩.
(٧) المزمور (٤٥) الفقرات (٢ - ١٧) مع الحذف اليسير. (٨) الأنبياء: ١٠٧.
(٩) مكان النقط هنا كلام لم نذكره هو " قدوس إسرائيل لأنه مجدك " ؟! وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر!!
(١٠) سفر أشعياء الأصحاح (٦٠) الفقرات (٤-١٢) مع حذف يسير.
(١١) القصص: ٥٧.
(١٢) (٣ -٣ -١٥) مع الحذف.
(١٣) الإصحاح (٣) الفقرة (٢).
(١٤) الإصحاح (٤) الفقرة (١٧).
(١٥) الإصحاح (٦) الفقرة (٩-١٠).
(١٦) الإصحاح (١١) الفقرة (٢).
(١٧) الإصحاح (٩) الفقرة (٢).
(١٨) الإصحاح (١) الفقرة (١٤ -١٥).
(١٩) هذا إيضاح وليس من النص.
(٢٠) الإصحاح (١٤) الفقرات (٢٤ - ٢٦).
(٢١) الإصحاح (١٦) الفقرتان (٧ -٨).
(٢٢) الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣).
(٢٣) مريم: ٣٤.
(٢٤) الإصحاح (١٥) فقرتا (٢٦ - ٢٧).
(٢٥) انظر كتاب " إظهار الحق " ص ٥٢٨ للشيخ رحمت الله الهندي تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا. نشر دار التراث.

----

(٤) قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم زناة من أصحاب الجحيم!

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:

ما ذنب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يقع قومه ومن أرسل إليهم في خطيئة الزنا أو أن يكونوا من أصحاب الجحيم؟!! مادام هو صلوات الله وسلامه عليه قد برئ من هذه الخطيئة ولاسيما في مرحلة ما قبل النبوة، وكانت مرحلة الشباب التي يمكن أن تكون إغراءً له ولأمثاله أن يقعوا في هذه الخطيئة؛ لاسيما وأن المجتمع الجاهلي كان يشجع على ذلك، وكان الزنا فيه من الأمور العادية التي يمارسها أهل الجاهلية شبانًا وشيبًا أيضًا. وكان للزنا فيه بيوت قائمة يعترف المجتمع بها، وتُعلق على أبوابها علامات يعرفها بها الباحثون عن الخطيئة، وتعرف بيوت البغايا باسم أصحاب الرايات.

ومع هذا الاعتراف العلني من المجتمع الجاهلي بهذه الخطيئة، ومع أن ممارستها للشباب وحتى للشيب لم تكن مما يكره المجتمع أو يعيب من يمارسونه؛ فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يقع فيها أبدًا، بل شهدت كل كتب السير والتواريخ له صلى الله عليه وسلم بالطهارة والعفة وغيرهما من الفضائل الشخصية التي يزدان بها الرجال وتحسب في موازين تقويمهم وتقديرهم، وأرسله الله سبحانه ليغير هذا المنكر. هذه واحدة، والثانية: أن الرسالة التي دعا بها ودعا إليها محمد صلى الله عليه وسلم حرّمت الزنا تحريماً قاطعاً وحملت آياتها في القرآن الكريم عقاباً شديداً للزاني والزانية يبدأ بعقوبة بدنية هي أن يجلد كل منهما مائة جلدة قاسية يتم تنفيذها علناً بحيث يشهدها الناس لتكون عبرة وزجراً لهم عن التورط فيها كما تقول الآية الكريمة: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (١).

فإذا كان الزانيان محصنين أي كل منهما متزوج ارتفعت العقوبة إلى حدّ الإعدام رمياً بالحجارة حتى الموت.

ولا تقف العقوبة عند ذلك، بل نرى أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تضع مَنْ يمارسون هذه الخطيئة في مرتبة دونية من البشر حتى لكأنهم صنف منحط وشاذ عن بقية الأطهار الأسوياء فتقول الآية الكريمة عنهم: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (٢).

من الذي يحمل المسئولية عن الخطيئة؟ فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد طهر من هذه الخطيئة في المجتمع الذي كان يراها عادية ومألوفة، ثم كانت رسالته صلى الله عليه وسلم تحرمها التحريم القاطع والصريح، وتضع مرتكبيها في مرتبة الانحطاط والشذوذ عن الأسوياء من البشر..

فلِمَ يُعَيّر محمد صلى الله عليه وسلم بأن بعض قومه زناة؟ وهل يصح في منطق العقلاء أن يعيبوا إنساناً بما في غيره من العيوب؟!! وأن يحملوه أوزار الآخرين وخطاياهم؟!!

وهنا يكون للمسألة وجه آخر يجب التنويه إليه وهو خاص بالمسئولية عن الخطيئة أهي فردية خاصة بمن يرتكبونها؟ أم أن آخرين يمكن أن يحملوها نيابة عنهم ويؤدون كفارتها؟!

إن الإسلام يمتاز بأمرين مهمين:

أولهما: أن الخطيئة فردية يتحمل من وقع فيها وحده عقوبتها، ولا يجوز أن يحملها عنه أو حتى يشاركه في حملها غيره وصريح آيات القرآن يقول: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليه ما اكتسبت)(٣). ثم: (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)(٤). وورد هذا النص في آيات كثيرة.

أما الأمر الثاني: فيما أقره الإسلام في مسألة الخطيئة فهو أنها لا تورث، ولا تنقل من مخطئ ليتحمل عنه وزره آخر حتى ولو بين الآباء وأبنائهم وفي هذا يقول القرآن الكريم: (واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً)(٥).

(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت)(٦).

(ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب)(٧).

(يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها)(٨).
(ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)(٩).
(كل نفس بما كسبت رهينة)(١٠).

وغير هذا كثير مما يؤكد ما أقرَّه الإسلام من أن الخطايا فردية وأنها لا تورث ولا يجزى فيها والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

وما دام الأمر كذلك فلِمَ يُلام محمد صلى الله عليه وسلم ويعاب شخصه أو تعاب رسالته بأن بعض أهله أو حتى كلهم زناة مارسوا الخطيئة التي كان يعترف بها مجتمعه ولا يجزى فيها شيئاً أو ينقص الشرف والمروءة أو يعاب بها عندهم من يمارسها؟!

وحسب محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يقع أبداً في هذه الخطيئة لا قبل زواجه ولا بعده، ثم كانت رسالته دعوة كبرى إلى التعفف والتطهر وإلى تصريف الشهوة البشرية في المصرف الحلال الذي حض الإسلام عليه وهو النكاح الشرعي الحلال، ودعا المسلمين إلى عدم المغالاة في المهور تيسيراً على الراغبين في الحلال، حتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يزوج الرجل بأقل وأيسر ما يملك من المال، وأثر عنه صلى الله عليه وسلم أن شاباً جاءه يرغب إليه في الزواج وما كان معه ما يفي بالمراد فقال له صلى الله عليه وسلم: [التمس ولو خاتماً من حديد](١١).

أكثر من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان يزوج بعض الصحابة بما يحفظ من القرآن الكريم.

لهذا لم تقع خطايا الزنا في المجتمع في العهد النبوي كله إلا في ندرة نادرة، ربما لأن الحق سبحانه شاء أن تقع وأن يقام فيها الحد الشرعي ليسترشد بها المجتمع في مستقبل الأيام؛ كتشريع تم تطبيقه في حالات محددة يكون هادياً ودليلاً في القضاء والحكم.

هذا عن اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بأن أهله زناة، وهو كما أوضحنا اتهام متهافت لا ينال من مقام النبوة ولا يرتقى إلى أقدام صاحبها صلى الله عليه وسلم. وقد أتينا عليه بما تستريح إليه ضمائر العقلاء وبصائر ذوى القلوب النقية.

أما عن اتهامه صلى الله عليه وسلم بأن أهله من أصحاب الجحيم، فهي شهادة لجلال التشريع الذي أنزله الحق - على محمد فأكمل به الدين وأتم به النعمة.

بل إن ما يعيبون به محمداً صلى الله عليه وسلم من أن أهله من أصحاب الجحيم ليس أبداً عيبًا في منطق العقلاء ذوى النصفة والرشد؛ بل إنه وسام تكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم ولرسالته الكاملة والخاتمة في أن التشريع الذي نزلت به سوَّى بين من هم أقرباء محمد صلى الله عليه وسلم وبين من هم غرباء عنه في جميع الأحكام ثواباً وعقوبة.

بل إن التشريع الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم نص صراحة على التزام العدل خاصة حين يكون أحد أطرافه ذا قربى فقال القرآن: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)(١٢). وقوله: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)(١٣).

أما في السنة النبوية فحديث المرأة المخزومية - من بني مخزوم ذوى الشرف والمكانة - التي ارتكبت جريمة السرقة وهى جريمة عقوبتها حدّ السرقة وهو قطع يد السارق كما تنص عليه آيات القرآن، وشغل بأمرها مجتمع المدينة لئلا يطبق عليها الحدّ فتقطع يدها وهى ذات الشرف والمكانة فسعوا لدى أسامة بن زيد – حبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يشفع لها لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها](١٤).

وعليه فكون بعض آل محمد وذوي قرباه من أصحاب الجحيم كأبي لهب عمه الذي نزلت فيه سورة المسد: (تبت يدا أبى لهب وتب)(١٥) وغيره ممن كان نصيرًا لهم مع بقائه على شركه..

كون هؤلاء من أصحاب الجحيم لأنهم بقوا على شركهم ولم تنفعهم قرابتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم هو في الواقع شهادة تقدير تعطى لمحمد ورسالته التي سوَّت في العدل بين القريب وبين الغريب، ولم تجعل لعامل القرابة أدنى تأثير في الانحياز ضد الحق لصالح القريب على الغريب. وما قاله المبطلون هو في الحق وسام وليس باتهام.

وصلى الله وسلم على النبي العظيم.

----

(١) النور: ٢.
(٢) النور: ٣.
(٣) البقرة: ٢٨٦.
(٤) الأنعام: ١٦٤.
(٥) البقرة ٤٨.
(٦) يونس: ٣٠.
(٧) إبراهيم: ٥١.
(٨) النحل: ١١١.
(٩) الجاثية: ٢٢.
(١٠) المدثر: ٣٨.
(١١) رواة البخاري [كتاب النكاح].
(١٢) التوبة: ١١٣.
(١٣) الأنعام: ١٥٢.
(١٤) رواة البخاري [كتاب أحاديث الأنبياء].
(١٥) المسد: ١.

----

(٥) مات النبي صلى الله عليه وسلم بالسم

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:
حين تصاب القلوب بالعمى بسبب ما يغشاها من الحقد والكراهية يدفعها حقدها إلى تشويه الخصم بما يعيب، وبما لا يعيب، واتهامه بما لا يصلح أن يكون تهمة، حتى إنك لترى من يعيب إنساناً مثلاً بأن عينيه واسعتان، أو أنه أبيض اللون طويل القامة، أو مثلاً قد أصيب بالحمى ومات بها، أو أن فلاناً من الناس قد ضربه وأسال دمه؛ فهذا كأن تعيب الورد بأن لونه أحمر مثلاً؛ وغير ذلك مما يستهجنه العقلاء ويرفضونه ويرونه إفلاسًا وعجزًا.
إن محمداً صلى الله عليه وسلم قدمت له امرأة من نساء اليهود شاة مسمومة فأكل منها فمات صلى الله عليه وسلم.
وينقلون عن تفسير البيضاوي: أنه لما فتحت خيبر واطمأن الناس سألت زينب بنت الحارس - وهى امرأة سلام بن مشكم (اليهودي) - عن أي الشاة أحب إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقيل لها: إنه يحب الذراع لأنه أبعدها عن الأذى، فعمدت إلى عنزة لها فذبحتها، ثم عمدت إلى سمّ لا يلبث أن يقتل لساعته فسمَّت به الشاة، وذهبت بها جارية لها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له: يا محمد هذه هدية أهديها إليك.
وتناول محمد الذراع فنهش منها.. فقال صلى الله عليه وسلم: ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع والكتف تخبرني بأنها مسمومة؛ ثم سار إلى اليهودية فسألها: لم فعلت ذلك؟ قالت: نلت من قومي ما نلت... وكان ذلك بعد فتح "خيبر" أحد أكبر حصون اليهود في المدينة، وأنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عنها.
ثم يفصحون عن تفسير البيضاوي: أنه صلى الله عليه وسلم لما اقترب موته قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: "يا عائشة هذا أوان انقطاع أبهري(١).
فليس في موته صلى الله عليه وسلم بعد سنوات متأثرًا بذلك السُّم إلا أن جمع الله له بين الحسنيين، أنه لم يسلط عليه من يقتله مباشرة، وعصمه من الناس، وأيضًا كتب له النجاة من كيد الكائدين، وكذلك كتب له الشهادة ليكتب مع الشهداء عند ربهم، وما أعظم أجر الشهيد.
وأيضًا.. لا شك أن عدم موته بالسم فور أكله للشاة المسمومة وحياته بعد ذلك سنوات يُعد معجزة من معجزاته، وعَلَمًا من أعلام نبوته يبرهن على صدقه، وعلى أنه رسول من عند الله حقًا ويقينًا.
وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يموت في الأجل الذي أجّله له رغم تأثره بالسم من لحظة أكله للشاة المسمومة حتى موته بعد ذلك بسنوات.
....
(١) الأبهران: عرقان متصلان بالقلب، وإذا قطعا كانت الوفا
----

(٦) تعدد زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم

أ.د محمود حمدي زقزوق

قالوا إنه صلى الله عليه وسلم:

- تزوج زوجة ابنه بالتبني (زيد بن حارثة).

- أباح لنفسه الزواج من أي امرأة تهبه نفسها (الخلاصة أنه شهواني).

الرد على الشبهة:

الثابت المشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر.

والثابت كذلك أن الزواج المبكر كان من أعراف المجتمع الجاهلي رغبة في الاستكثار من البنين خاصة ليكونوا للقبيلة عِزًّا ومنعة بين القبائل.

ومن الثابت كذلك في سيرته الشخصية صلى الله عليه وسلم اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها " رايات " ليعرفها طلاب المتع المحرمة.

ومع هذا كله ـ مع توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة ـ لم يُعرَف عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان.

ويُرْوَى في ذلك أن بعض أترابه الشباب أخذوه ذات يوم إلى أحد مواقع المعازف واللهو فغشَّاه الله بالنوم فما أفاق منه إلا حين أيقظه أترابه للعودة إلى دورهم.

هذه واحدة..

أما الثانية فهي أنه حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البكر" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالي خمسة عشر عامًا، ثم إنها ليست بكرًا بل هي ثيب، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين؛ وهي السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها ـ من خلال مباشرته لتجارتها ـ من أمانته وعفته وطيب شمائله صلى الله عليه وسلم.

والثالثة أنه صلى الله عليه وسلم بعد زواجه منها دامت عشرته بها طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها ـ رضي الله عنها ـ زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعًا إلا إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية" القبطية.

والرابعة أنه صلى الله عليه وسلم عاش عمره بعد وفاتها ـ رضي الله عنها ـ محبًّا لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهي مآثر لها خصوص في حياته وفي نجاح دعوته فيقول في بعض ما قال عنها: [صدقتني إذ كذبني الناس وأعانتني بمالها]. بل كان صلى الله عليه وسلم لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها.

أما تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها:

أولاً: كان عُمْرُ محمد صلى الله عليه وسلم في أول زواج له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهي السنّ التي تنطفئ فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنيًّا، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتي تركتهم خديجة ـ رضي الله عنها ـ.

وفيما يلي بيان هذا الزواج وظروفه.

الزوجة الأولى: سودة بنت زمعة: كان رحيل السيدة خديجة - رضي الله عنها - مثير أحزان كبرى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي محيط الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفاقًا عليه من الوحدة وافتقاد من يرعى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب نصيره وظهيره وسُمِّيَ العام الذي رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عام الحزن.

في هذا المناخ.. مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة فأجاب صلى الله عليه وسلم: [أجل كانت أم العيال وربة البيت]، فقالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك ؟.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ولكن – من بعد خديجة ؟! فذكرت له عائشة بنت أبى بكر فقال الرسول: لكنها ما تزال صغيره فقالت: تخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج.. قال الرسول ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها صلى الله عليه وسلم بمكة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفي عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، وكان ذلك في رمضان سنة عشر من النبوة.

وعجب المجتمع المكي لهذا الزواج لأن "سودة" هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلفًا لأم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها جميلة وضيئة وحسيبة تطمح إليها الأنظار.

وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هي الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة، فهي مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قَبِلَ الرسول زواجها حماية لها وجبرًا لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة.

وليس الزواج بها سعارَ شهوة للرسول ولكنه كان جبرًا لخاطر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفي زوجها وتركها امرأة تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

الزوجة الثانية بعد خديجة: عائشة بنت أبى بكر الذي يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من آمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام..".

ومعروف من هو أبو بكر الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن عطائه للدعوة " ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبى بكر "، وأم عائشة هي أم رومان بنت عامر الكناني من الصحابيات الجليلات، ولما توفيت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبرها واستغفر لها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم"، وقال عنها يوم وفاتها:

"من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان" ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين؛ بل استقبلته كما تستقبل أمرًا متوقعاً؛ ولذا لم يجد أي

رجل من المشركين في هذا الزواج أي مطعن - وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلكوه ولو كان زورًا وافتراء.
وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عامًا ليس بدعا ولا غريبًا لأن هذا الأمر كان مألوفًا في ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد صلى الله عليه وسلم - جعلوا من هذا الزواج اتهامًا للرسول وتشهيرًا به بأنه رجل شهواني غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعًا في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما في هذه النماذج:
- فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم من هالة بنت عم آمنة التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله - والد الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وتزوج عمر بن الخطاب ابنة على بن أبى طالب وهو أكبر سنًّا من أبيها.
- وعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشابة " حفصة " وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفي صلى الله عليه وسلم وبين " عائشة " (١).
كان هذا واقع المجتمع الذي تزوج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة. لكن المستشرقين والممتلئة قلوبهم حقدًا من بعض أهل الكتاب لم ترَ أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتي جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريرة العذراء (٢).
قاتل الله الهوى حين يعمى الأبصار والبصائر!
الزوجة الثالثة: حفصة بنت عمر الأرملة الشابة: توفي عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمي وهو صحابي جليل من أصحاب الهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته في غزوة أُحد حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهي شابة.
وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يومًا بعد يوم..
وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذي لا يتردد فيه الرجل من أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها..
بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق " أبى بكر " يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو بالسلب.
فيتركه عمر ويمضى إلى ذي النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض..
فتضيق به الدنيا ويمضى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره بما حدث فيكون رد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه هو قوله: [يتزوج حفصة خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان خيرًا من حفصة] (٣).
وأدركها عمر - رضي الله عنه - بفطرته إذ معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم.

وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة وارتياح القلب إلى أن الله قد فرّج كرب ابنته.
الزوجة الرابعة: أم سلمة بنت زاد الراكب: من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. جاءت إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم كزوجة بعد وفاة " أم المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية " بزمن غير قصير.
سليلة بيت كريم، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحد في سفر إلا كفاه زاده.
وزوجها الذي مات عنها صحابي من بني مخزوم ابن عمة المصطفي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت هي و زوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معًا وقد حدث لها ولطفلها أحداث أليمة ومثيرة ذكرتها كتب السير. رضي الله عن أم سلمة..
ولا نامت أعين المرجفين.
الزوجة الخامسة: زينب بنت جحش: لم أرَ امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبديلا إلا لنفسها في العمل الذي تتصدق وتتقرب به إلى الله عز وجل؟(٤).
هكذا تحدثت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن " ضرّتها " زينب بنت جحش. أما المبطلون الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا: أُعْجِب محمد صلى الله عليه وسلم ـ وحاشا له ـ بزوجة متبناه " زيد بن حارثة " فطلقها منه وتزوجها.
ويرد الدكتور هيكل في كتابه "حياة محمد"(٥) صلى الله عليه وسلم على هذا فيقول: إنها شهوة التبشير المكشوف تارة والتبشير باسم العلم تارة أخرى، والخصومة القديمة للإسلام تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية هي التي تملى على هؤلاء جميعًا ما يكتبون.
والحق الذي كنا نود أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.. هو أن زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة ـ عادة التبني ـ التي هي في الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها في واقع الناس والحياة آثار غير حميدة.
ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت في مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبي الرسالة الخاتمة نفسه صلى الله عليه وسلم ليتم على يديه وفي بيته الإعلان العلمي عن إبطال هذه العادة.
وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التي جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيرًا للتشريع الجديد في هذه ـ المسألة و في موضوع الزواج بزينب حيث تقول: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(٦).

(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم)(٧).
(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا وكان أمر الله مفعولاً)(٨).
مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب لم تكن وراءه أبدًا شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمرًا من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبني من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلاً من أصوله وتقليدًا مستقرًا فيه، فكان السبيل لأبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم.
وقد فطنت السيدة " زينب بنت جحش " نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهي به ضراتها وتقول لهن:" زوجكن أهاليكن وزوجني ربي من فوق سبع سمَاوات"(٩).
أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معربًا عن رغبته في تطليق زينب؛ فلم يكن - كما زعم المرجفون - أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له..
ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه؛ ذلك أن زينب بنت جحش لم تنس أبدًا - وهي الحسيبة الشريفة والجميلة أيضًا أنها أصبحت زوجًا لرجل كان رقيقًا عند بعض أهلها وأنه - عند الزواج بها - كان مولىً للرسول صلى الله عليه وسلم أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة.
فهو - وإن تبناه محمد وبات يسمى زيد بن محمد في عرف المجتمع المكي كله، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضا ما يزال - كما كان بالأمس - الأسير الرقيق الذي لا يمثل حُلم من تكون في مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء.
ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ في نفسه توهج السعادة هو الآخر، وبات مهيأ النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو زينب إليه كما جاء في البخاري من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له: [أمسك عليك زوجك واتق الله](١٠) قال أنس: لو كان النبي كاتمًا شيئًا لكتم هذا الحديث.
لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول له كما حكته الآية: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها.
وزينب بنت جحش هي بنت عمة الرسول صلى الله عليه وسلم - كما سبقت الإشارة – وهو الذي زوجها لمولاه "زيد" ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه؛ وخاصة أنه رآها كثيراً قبل فرض الحجاب، وكان النساء في المجتمع الجاهلي غير محجبات فما كان يمنعه – إذًا – من أن يتزوجها من البداية؟! ولكنه لم يفعل.

فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعًا: لا لزينب ولا لزيد ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه أمر قدري شاءته إرادة الله لإعلان حكم وتشريع جديدين في قضية إبطال عادة "التبني" التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك.
يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التي تعلقت بالموضوع في سورة الأحزاب.
أما الجملة التي وردت في قوله تعالى: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)(١١). فإن ما أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب ـ يومًا ما ـ ستكون زوجًا له؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبني(١٢).
الزوجة السادسة: جويرية بنت الحارث الخزاعية: الأميرة الحسناء التي لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول صلى الله عليه وسلم بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بني المصطلق (التي هي منهم).
كانت ممن وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود في الغزوة المسماة باسمهم. وكاتبها من وقعت في أسره على مال فذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لها: "أو خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: وقد أفاقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله. قال: قد فعلت"(١٣).
وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول صلى الله عليه وسلم قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق وقائدهم في هذه الغزوة..
معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بني المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأنهم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم تجسد في إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بني المصطلق وهم يقولون: أصهار رسول الله، فلا نبقيهم أسرى.
ومع أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذي جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.
ويقولون: إنه نظر إليها.
وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه ـ وربما كان نظره إليها ضارعة مذعورة – هو الذي حرك في نفسه صلى الله عليه وسلم عاطفة الرحمة التي كان يأمر بها بمن في مثل حالتها ويقول: [ارحموا عزيز قوم ذل]، فرحمها وخيرها فاختارت ما يحميها من هوان الأسر ومذلة الأعزة من الناس.
على أن النظر شرعًا مأذون به عند الإقدام على الزواج ـ كما في هذه الحالة ـ وكما أمر به صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه عند رغبته في الزواج ـ قائلاً له: [انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما](١٤).
وقد توفيت في دولة بنى أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهي في السبعين من العمر ـ رضي الله عنها.

الزوجة السابعة: صفية بنت حُييّ ـ عقيلة بنى النضير: إحدى السبايا اللاتي وقعن في الأسر بعد هزيمة يهود بني النضير أمام المسلمين في الوقعة المسماة بهذا الاسم، كانت من نصيب النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها: فماذا في ذلك؟! ولم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعًا في ذلك؛ وإنما كان موقفًا جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق.

فلم يكن هذا الموقف إعجابًا بصفية وجمالها؛ ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التي يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمة والرفق بمن أوقعتهن ظروف الهزيمة في الحرب في حالة الاستضعاف والمذلة، لا سيما وقد أسلمن وحسن إسلامهن.

فقد فعل ذلك مع "صفية بنت حُيىّ" بنت الحارس عقيلة بني النضير (اليهود) أمام المسلمين في الموقعة المعروفة باسم (غزوة بني قريظة) بعد انهزام الأحزاب وردّهم مدحورين من وقعة الخندق.

الزوجة الثامنة: أم حبيبة بنت أبى سفيان نجدة نبوية لمسلمة في محنة: إنها أم حبيبة "رملة" بنت أبى سفيان كبير مشركي مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه.

كانت زوجًا لعبيد الله بن جحش وخرجا معًا مهاجرين بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف أن الحبشة في عهد النجاشي كانت هي المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم؛ فإذا هم يجدون في – ظل النجاشي – رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيماني جعله يرحب بأتباع النبي الجديد الذي تم التبشير بمقدمه في كتبهم على لسان عيسى بن مريم– عليه السلام – كما تحدث القرآن عن ذلك في صورة الصف في قوله: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد)(١٥).

لكن أم حبيبة بنت أبى سفيان كانت وحدها التي تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله في النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت في محنة مضاعفة: محنتها في زوجها الذي ارتد وخان..

ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقته مغاضبة إياه في مكة منذ دخلت في دين الله (الإسلام)..

وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رزقت بها من بعد وأسمتها "حبيبة".. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن!!

لكن عين الله ثم عين محمد صلى الله عليه وسلم سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسّر العين ويهون الخطب، وعادت بنت أبى سفيان تحمل كنية جديدة، وبدل أن كانت " أم حبيبة " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين ـ صلوات الله وسلامه عليه.

والحق أقول: لقد كان نجاشي الحبشة من خلّص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبى سفيان بصفة خاصة. فأنفذ في أمرها مما بعث به إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها له.
وكانت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة بنت أبى سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة في الغربة؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر صلى الله عليه وسلم؛ وعوضتها عن غضب الأب "أبى سفيان" برعاية الزوج الحاني الكريم صلوات الله عليه.
كما كانت هذه الخطبة في مردودها السياسي ـ لطمة كبيرة لرأس الكفر في مكة أبى سفيان بن حرب الذي كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو قوله: "إن هذا الفحل لا يجدع أنفه"؛ كناية عن الاعتراف بأن محمدًا لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر.
كان هذا الاعتراف من أبى سفيان بخطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون: تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح.
فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.
وتقدم أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله قائلاً: " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فهلا جعلت له ما يحل عقدته ويسكن حقده وغيظه، فقال صلوات الله وسلامه عليه في ضمن إعلانه التاريخي الحضاري العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه:

- من دخل داره فهو آمن.
- ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.
- ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن "(١٦).

وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجًا. وفي مناخ النصر العظيم.. كانت هي سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم.
تلكم هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان التي أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربة ووضعتها في أعز مكان من بيت النبوة.
الزوجة التاسعة: ميمونة بنت الحارث الهلالية أرملة يسعدها أن يكون لها رجل: آخر أمهات المؤمنين.. توفي عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزّى العامري؛ فانتهت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث بنى بها الرسول ـ في " سرف " قرب " التنعيم" على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها.
وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين..)(١٧).

كانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه.

----

(١) تراجم لسيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ: ص ٢٥٠ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ ص ٣٢٤ (٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل.
(٥) حياة محمد ص ٢٩.
(٦) الأحزاب: ٤٠.
(٧) الأحزاب: ٥.
(٨) الأحزاب: ٣٧.
(٩) رواه البخاري (كتال التوحيد ٦١٠٨).
(١٠) رواه البخاري (كتاب التوحيد).
(١١) الأحزاب: ٣٧.
(١٢) انظر فتح الباري ٨ / ٣٧١ عن سيدات بيت النبوة لبنت الشاطئ ص ٣٥٤.
(١٣) رواه البخاري: فتح الباري _ كتال النكاح باب ١٤.
(١٤) رواه البخاري: فتح الباري ـ كتاب النكاح باب ٣٦.
(١٥) الصف: ٦.
(١٦) رواه البخاري – فتح الباري – " كتاب المغازي ".
(١٧) الأحزاب: ٥٠.

----

(٧) محاولة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الانتحار

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:

الحق الذي يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التي استندتم إليها ـ يا خصوم الإسلام ـ ليست صحيحة رغم ورودها في صحيح البخاري ـ رضي الله عنه ـ؛ لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة، ولكن أوردها تحت عنوان "البلاغات" يعني أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ، ومعروف أن البلاغات في مصطلح علماء الحديث: إنما هي مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن(١).

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري(٢) بقوله: "إن القائل بلغنا كذا هو الزهري، وعنه حكى البخاري هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الكرماني: وهذا هو الظاهر".

هذا هو الصواب، وحاشا أن يُقدم رسول الله ـ وهو إمام المؤمنين ـ على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه.

وعلى كلٍ فإن محمداً صلى الله عليه وسلم كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيًا للألوهية.

والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان صلى الله عليه وسلم يعتني بها، وقد قال القرآن الكريم في ذلك: (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً)(٣).

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادى لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته صلى الله عليه وسلم.
وحين فتر (تأخّر) الوحي بعد أن تعلق به الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محبّ للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة، فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد صلى الله عليه وسلم في كل ما يأتي وما يدع؟ وإذا كان أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يستندون إلى الآية الكريمة: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (٤).
فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بسبب صدود قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الله، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.
وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن على لسانه صلى الله عليه وسلم اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين-: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه). فكان رده: (سبحان ربى) متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم: (هل كنت إلا بشراً رسولاً)(٥).
أما قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً.
حيث ثبت في صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام حتى يكفي الجم الغفير، وله معجزة دائمة هي معجزة الرسالة وهى القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه فَحُفِظَ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه في كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه.
(١) انظر صحيح البخاري ج٩ ص ٣٨، طبعة التعاون.
(٢) فتح الباري ج١٢ ص ٣٧٦.
(٣) الإسراء: ٩٣.
(٤) الشعراء: ٣.
(٥) الإسراء: ٩٣.

----

(٨) ولادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عادية

أ.د محمود حمدي زقزوق
الرد على الشبهة:

لأن ولادة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ تمت على هبة من الله تبارك وتعالى للسيدة العذراء مريم ـ عليها السلام ـ وليس من خلال الزواج بينها وبين رجل. فبعض أهل الكتاب (النصارى منهم خاصة) يتصورون أن كل نبي لا بد أن يولد بمثل هذه الطريقة.

وإذا كانت ولادة محمد صلى الله عليه وسلم مثل غيره من ملايين خلق الله فإن هذا عندهم مما يعيبونه به صلى الله عليه وسلم ويطعنون في صحة نبوته.

١- فلم يدركوا أن بشرية محمد صلى الله عليه وسلم هي واحدة من القسمات التي شاركه فيها كل رسل الله تعالى منذ نوح وإبراهيم وغيرهما من بقية رسل الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ الذين ولدوا جميعاً من الزواج بين رجل وامرأة. ولم يولد من غير الزواج بين امرأة ورجل إلا عيسى ـ عليه السلام ـ وكان هذا خصوصية له لم تحدث مع أي نبي قبله، ولم تحدث كذلك مع محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- كانت ولادة محمد صلى الله عليه وسلم إعلاناً لكونه بشراً من البشر يولد كما يولد البشر ويجرى عليه من الأحوال في أكله وشربه، وفي نومه وصحوه، وفي رضاه وغضبه وغير ذلك مما يجرى على البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضاً.

٣- كان محمد صلى الله عليه وسلم يعتز بهذه البشرية ويراها سبيله إلى فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها، وقد اعتبر القرآن ذلك ميزة له في قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)(١).

٤- كما أعلن محمد صلى الله عليه وسلم اعتزازه بهذه البشرية وعجزها حين أعلن قومه أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا فجّر لهم ينابيع الماء من الأرض، أو أن يكون له بيت من زخرف، أو أن يروه يرقى في السماء وينزل عليهم كتاباً يقرأونه، فكان رده صلى الله عليه وسلم كما حكاه القرآن: (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً)(٢).

٥- لقد قرر القرآن قاعدة كون الرسل من جنس من يرسلون إليهم؛ بمعنى أن يكون المرسلون إلى الناس بشراً من جنسهم، ولو كان أهل الأرض من جنس غير البشر لكانت رسل الله إليهم من نفس جنسهم وذلك في قوله تعالى: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً)(٣).

وعلى المعنى نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك)(٤). وقوله تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا)(٥). وقوله تعالى: (لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم)(٦). وقوله تعالى: (فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله..)(٧). وقوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم)(٨).

وغير هذا كثير مما أكده القرآن وهو المنطق والحكمة التي اقتضتها مشيئته ـ تعالى ـ لما هو من خصائص الرسالات التي توجب أن يكون المرسل إلى الناس من جنسهم حتى يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتى يستأنسوا به ويفهموا عنه.

ومن هنا تكون "بشرية الرسول" بمعنى أن يجري عليه ما يجري على الناس من البلاء والموت ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعى لنجاح البلاغ عن الله.

----

(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) الإسراء: ٩٣.
(٣) الإسراء: ٩٥.
(٤) البقرة: ١٩٥.
(٥) البقرة ١٥١.
(٦) آل عمران: ١٦٤.
(٧) المؤمنون: ٣٢.
(٨) الجمعة: ٢.

----

(٩) يحتاج محمد صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة عليه

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:

الحق أن الصلاة على محمد، صلى الله عليه وسلم، من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة، بل هي مظهر تكريم واعتزاز وتقدير له من الحق سبحانه، وتقديرًا له من أتباعه، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه؛ لأن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

لأن أية مقارنة منصفة بين ما كان عليه، صلى الله عليه وسلم، وبين غيره من أنبياء الله ورسله ترتفع به ليس فقط إلى مقام العصمة؛ بل إلى مقام الكمال الذي أتم به الله الرسالات، وأتم به التنزيل، وأتم به النعمة، فلم تعد البشرية بعد رسالته، صلى الله عليه وسلم، بحاجة إلى رسل ورسالات.

لذلك فإن رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي الخاتمة والكاملة حملت كل احتياجات البشرية وما يلزمها من تشريعات ونُظم ومعاملات، وما ينبغي أن تكون عليه من أخلاق وحضارة مما افتقدت مثل كماله كل الرسالات السابقة.

وحسبُ رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، أنها جاءت رحمة عامة للبشرية كلها، كما قال القرآن: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)(١).

فلم تكن كما جاء ما قبلها رسالة خاصة بقوم رسولهم، كما قال تعالى:

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)(٢).

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)(٣).

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)(٤).

وهكذا كل رسول كان مرسلاً إلى قومه..

وكانت رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى العالمين وإلى الناس كافة، كما جاء في قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)(٥).

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرًا)(٦).
ورسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت فوق كونها عالمية، فقد كانت هي الخاتمة والكاملة التي ـ كما أشرنا ـ تفي باحتياجات البشر جميعاً، وتقوم بتقنين وتنظيم شئونهم المادية والمعنوية عبر الزمان والمكان بكل ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.
وفي هذا قال الله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)(٧).
وقال في وصفه لإكمال الدين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم (الإسلام): (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً)(٨).
إن عموم رسالة محمد إلى العالمين، وباعتبارها الرسالة الكاملة والخاتمة؛ يعني امتداد دورها واستمرار وجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ مصداقاً لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)(٩).

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.
(٢) الأعراف: ٦٥.
(٣) الأعراف: ٧٢.
(٤) الأعراف: ٨٥.
(٥) الأنبياء: ١٠٧.
(٦) سبأ: ٢٨.
(٧) الأحزاب: ٤٠.
(٨) المائدة: ٣.
(٩) التوبة: ٣٣ ، الفتح: ٢٨ ، والصف: ٩.

---

(١٠) محمد صلى الله عليه وسلم أمّي فكيف علّم القرآن؟!

أ.د محمود حمدي زقزوق
الرد على الشبهة:
والأمّي إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذًا من " الأمية "، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذًا من " الأممية "؛ حسب المصطلح اليهودي الذي يطلقونه على من ليس من جنسهم.
فإذا تعاملنا مع هذه المقولة علمنا أن المراد بها من لا يعرف القراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول، بل لعله أن يكون تأكيدًا ودليلاً قويًا على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحي أُوحي إليه من الله لم يقرأه في كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه.
وقد ردّ القرآن على هذه المقولة ردًا صريحًا في قوله:
(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)(١).

وحسبُ النبي الأمي ـ الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ـ أن يكون الكتاب الذي أُنزل عليه معجزًا لمشركي العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة؛ بل ومتحديًا أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله.

كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به ـ كما قال بعض كبارهم ـ " ليس من سجع الكهان، ولا من الشعر، ولا من قول البشر ".

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد (إنه " أمّي " على معنى أنه من الأميين ـ أي من غير اليهود ـ فما هذا مما يعيبه. بل إنه لشرف له أنه من الأميين أي أنه من غير اليهود.

ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالي على من عداهم من " الأميين "، واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار ـ كما يزعمون. كل هذا مما يتنافي تمامًا مع ما جاء به محمد (من المساواة الكاملة بين بني البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن؛ الذي اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو لمجرد التعارف والتمايز؛ لكنه ـ أبدًا ـ لا يعطي تميزًا لجنس على جنس، فليس في الإسلام ـ كما يزعم اليهود ـ أنهم شعب الله المختار.

ولكن التمايز والتكريم في منظور الإسلام إنما هو بالتقوى والصلاح؛ كما في الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)(٢).

....

(١) الفرقان: ٥ ـ ٦.

(٢) الحجرات: ١٣.

----

(١١) تعلّم محمد صلى الله عليه وسلم من غيره

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:

وهى من أسوأ المفتريات على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي قال ربه عز وجل عنه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(١).

لكن الحقد حين يتمكن من قلوب الحاقدين يدفعهم إلى المنكر من القول ومن الزور؛ حتى إنهم ليتجرءون على قولٍ لا يقبله عقل عاقل، ولا يجرؤ على مثله إلا المفترون.

في هذه المقولة زعموا أنه حين كان ينزل عليه الوحي بالآيات التي أثبت العلم الحديث المعاصر أنها من أبرز آيات الإعجاز العلمي في القرآن فيما تتصل بمراحل خلق الإنسان من سلالة من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلقة ثم يكون إنشاؤه خلقًا آخر..

زعموا أن كاتب وحيه قال مادحًا مَنْ هذا خلقه: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(٢).

ثم أفرطوا في زعمهم؛ فقالوا إن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له: اكتبها فهكذا نزلت علىّ..

وهنا لابد من وقفة:

فأولاً: مما هو ثابت أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا نزل عليه الوحي يأخذ العرق يتصبب من جسده، ويكون في غيبة عمن حوله.. فإذا انقضى الوحي أخذ في ذكر وتلاوة ما نزل عليه من القرآن، وهذا ما تقرّره كل كتب السيرة.
ثانياً: معنى ما سبق أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأخذ في الإملاء على كاتب وحيه إلا بعد اكتمال نزول الوحي، واكتمال نزول الآيات المتعلقة بمراحل خلق الإنسان في سورة " المؤمنون ".
ثالثًا: وبهذا يتضح كذب المقولة أن كاتب وحيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي أملاها عليه وأنه أمر بإثباتها.
رابعًا: إن لفظة " تبارك الله " تكررت في القرآن الكريم تسع مرات، تلتقي جميعها في مواضع يكون الحديث فيها عن قدرة الخالق فيما خلق من مثل قوله تعالى:
(أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(٣).
(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)(٤).
(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً)(٥).
(وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)(٦).
(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٧).
فلماذا تعلّم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كاتب وحيه آية " المؤمنون " دون غيرها مما جاء في بقية السور؟!!
....
(١) النجم: ٣ ـ ٤.
(٢) المؤمنون: ١٤.
(٣) الأعراف: ٥٥.
(٤) الفرقان: ١.
(٥) الفرقان: ٦١.
(٦) الزخرف: ٨٥.
(٧) الملك: ١.

----

(١٢) محمد صلى الله عليه وسلم يُعظّم الحجر الأسود

أ.د محمود حمدي زقزوق
الرد على الشبهة:
إنهم في هذه المقولة ـ يريدون أن يتهموه بأنه كان يُعظّم الحجر الأسود ـ بل ويُعظّم الكعبة كلها بالطواف حولها، وهي حجر لا يختلف ـ في زعمهم ـ عن الأحجار التي كانت تُصنع منها الأوثان في الجاهلية، وكأن الأمر سواء!!
وحقيقة الأمر أن من بعض ما استبقاه الإسلام من أحوال السابقين ما كان فيه من تعاون على خير أو أمر بمعروف ونهي عن منكر، من ذلك ثناء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حِلف كان في الجاهلية يسمى " حِلف الفضول "، وهو عمل إنساني كريم كان يتم من خلاله التعاون على نصرة المظلوم، وفداء الأسير، وإعانة الغارمين، وحماية الغريب من ظلم أهل مكة، وهكذا..

وقد أثنى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هذا الحلف، وقال: "لو دعيت إلى مثله لأجبت".
وأيضًا كان مما استبقاه الإسلام من فضائل السابقين مما ورثوه عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ تعظيمهم للبيت الحرام وطوافهم به؛ بل وتقبيلهم للحجر الأسود.
وهناك بعض مرويات تقول إن هذا الحجر من أحجار الجنة.
وهنا فقط لا يكون أمامنا إلا ما ثبت من أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُقبل الحجر الأسود عند طوافه بالبيت، وهو ما تنطق به الرواية عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال عن تقبيله لهذا الحجر: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يُقبلك ما قبلتك).
وهنا نقول:
من المستحيل أن يكون تقبيل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للحجر الأسود من باب المجاراة أو المشاكلة لعبدة الأصنام فيما كانوا يفعلون.
ومستحيل أيضًا أن يكون ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد فعل ذلك ـ أي تقبيل الحجر الأسود ـ دون وحي أو إلهام وجّهه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى تقبيل الحجر بعيدًا بعيدًا عن أية شبهة وثنية أو مجاراة لعبدة الأصنام.
ولأنه صلى الله عليه وسلم قال: [خذوا عنى مناسككم]؛ فقد أصبح تقبيل الحجر الأسود من بعض مناسك الحجاج والعمّار للبيت الحرام.
كما أن تعظيم الحجر الأسود هو امتثال لأوامر الله الذي أمر بتعظيم هذا الحجر بالذات، وهو سبحانه الذي أمر برجم حجر آخر كمنسك من مناسك الحج؛ فالأمر بالنسبة للتعظيم أو الرجم لا يعدو كونه إقرارًا بالعبودية لله تعالى وامتثالاً لأوامره عز وجل واستسلامًا لأحكامه.

----

(١٣) كاد محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتن

أ.د محمود حمدي زقزوق
الرد على الشبهة:
أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً)(١).
بعض ما قيل في سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول، صلى الله عليه وسلم، أجّلنا سنة حتى نقبض ما يُهدى لآلهتنا من (الأصنام)، فإذا قبضنا ذلك كسّرناها وأسلمنا؛ فهَمّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقبول ذلك فنزلت الآية.
قوله تعالى: " كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ " أي هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضوه عليك؛ لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة، ولو فعلت لعذبناك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات؛ يعني: قاربت أن تستجيب لما عرضوه، لكنك بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك.

وكل مَنْ هُمْ على مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن " الهمّ " ـ أي المقاربة لشيء دون القيام به أو الوقوع فيه ـ لا يُعتبر معصية ولا جزاء عليه، وهو مما وضِع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قوله:
(وضِع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به)؛ وعليه.. فإنه لا إثم ولا شيء يُؤخذ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك.
....
(١) الإسراء: ٧٣-٧٥.
----
(١٤) قاتَلَ محمد صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام
أ.د محمود حمدي زقزوق
الرد على الشبهة:
وذلك لما ورد في آيات سورة البقرة:
(يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (١).
والمسلمون جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها، واعتبار القتال فيها حدثًا كبيرًا أو كأنه كبيرة من الكبائر..
لكن ما الذي يفعله المسلمون إذا ما ووجهوا من أعدائهم من المشركين بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض، ليس هذا فحسب بل ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وهم أولى به من غيرهم ؟!
إن قانون " الدفع الحضاري " الذي يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارى واليهود أيضًا، والذي عبّرت عنه الآيتان الكريمتان: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ)(٢). وقوله: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(٣). هذا القانون القرآني ـ وليس قانون من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ـ هو وحده الذي يحمي الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين.
وذلك على أساس أن من يمكّن الله لهم في الأرض بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم يجب ـ وبحسب القانون القرآني ـ أن يكونوا صالحين وأخيارًا؛ بمعنى: أن يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم لا في الطغيان والتجبر، ولكن في حماية القيم النبيلة التي يُحمى بها العدل والحق وتمكّن لكل ما هو خير، وتنفي كل ما هو شر حتى تنعم البشرية بالأمن والاستقرار، وتعتدل أمور الحياة والناس.

وهذا ما جاءت الآية التالية للآيتين السابقتين لتقره؛ حيث يقول الله عز وجل: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(٤).

ولأن إقرار حقوق عباد الله في أرض الله وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم؛ فقد أبيح القتال فيها لمن ظُلموا من المسلمين ومن فُتنوا في دينهم وأُخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدوانًا.

وهذا ما تقرره الآية: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)(٥).

....

(١) البقرة: ٢١٧.
(٢) البقرة: ٢٥١.
(٣) الحج: ٤٠.
(٤) الحج: ٤١.
(٥) البقرة: ٢١٧.

----

(١٥) محمد صلى الله عليه وسلم مذنب كما في القرآن

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:

أخذوها من فهمهم الخاطئ في مفتتح سورة "الفتح": (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا)(١). فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب!!

وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم كتاب كبير مفتوح استوفي فيه كُتَّاب سيرته كل شيء في حياته. في صحوه ونومه وفي حربه وسلمه، وفي عبادته وصلواته، في حياته مع الناس بل وفي حياته بين أهله في بيته.

ليس هذا فحسب، بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثًا أو يذكرون له عملاً يصفونه صلى الله عليه وسلم وصفًا بالغ الدقة وبالغ التحديد لكافة التفاصيل حتى ليقول أحدهم: قال صلى الله عليه وسلم كذا وكان متكئاً فجلس، أو قال كذا وقد امتلأ وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته صلى الله عليه وسلم بالصوت والصورة..

ثم جاء القرآن الكريم فسجّل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة المهداة إلى عباد الله: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(٢). ووصفه بأنه الرؤوف الرحيم بمن أرسل إليهم: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(٣). ثم لخص القرآن مجمل شمائله صلى الله عليه وسلم في قوله: (وإنك لعلى خلق عظيم)(٤).

أكثر من هذا أن تكفل القرآن بإذاعة حتى ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذي بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه على نحو ما جاء في سورة الأحزاب في

أمر الزواج بزينب بنت جحش، والذي كان القصد التشريعي فيه إبطال عادة التبني من قوله تعالى: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذ قضوا منهن وطرًا و كان أمر الله مفعولاً)(٥).

أقول: مع أن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم هي كتاب مفتوح لم يخفِ التاريخ منه شيئاً، بل وتدخل القرآن ليكشف حتى ما يحدث به نفسه صلى الله عليه وسلم مما لا يطلع عليه الناس، ولم يذكر له صلى الله عليه وسلم ذلةً ولا ذنبًا في قول أو عمل.

أفبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا: إنه "مذنب"؟!!!

ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم على شيء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلى بقية سورة الفتح، والتي كانت كلها تثبيتاً للمؤمنين وللرسول وتبشيرًا لهم بالتأييد والنصر.. لو كان محمد صلى الله عليه وسلم - كما ادعيتم – من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالى ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطًا مستقيماً؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين.

ونقف أمام الذنب في منطوق الآية: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فالذنب هنا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام؛ لأن سنة الله تبارك وتعالى هي عصمة جميع أنبيائه وفي قمتهم خاتمهم صلى الله عليه وسلم. وهذا مما يعرفه ويقرّه ويقرره أتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحرّفي الكلم عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا في رسل الله وأنبيائه بما هو معروف.

فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنباً على مستوى مقام نبوته صلى الله عليه وسلم ذنبًا مما تقدره الحكمة الإلهية، لا ما تحدده أعراف الناس.

ومع هذا كله فإن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به صلى الله عليه وسلم من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب، حتى كان معروفًا بينهم بالصادق الأمين.

أفبعد هذا لا يستحي الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا: إنه مذنب؟!! (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)(٦).

....

(١) الفتح: ٢.
(٢) الأنبياء ١١٧.
(٣) التوبة: ١٢٨.
(٤) القلم: ٥.
(٥) الأحزاب: ٣٧.
(٦) الكهف: ٥.

----

(١٦) محمد صلى الله عليه وسلم يحرّم ما أحل الله

أ.د محمود حمدي زقزوق

الرد على الشبهة:
استند الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم في توجيه هذا الاتهام إلى ما جاء في مفتتح سورة التحريم من قوله تعالى: (يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم)(١).
وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلى أمر حدث في بيت النبي صلى الله عليه وسلم عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعامًا لا يوجد في بيوتهن، فأسر إلى إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فعاتبنه فحرّم صلى الله عليه وسلم تناول هذا الطعام على نفسه ابتغاء مرضاتهن. والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرّم ما أحل الله هو تصيّد للعبارة وحمل لها على ما لم ترد له..
فمطلع الآية (لم تحرم ما أحل الله لك) (هو فقط من باب "المشاكلة" لما قاله النبي لنسائه ترضية لهن؛ والنداء القرآني ليس اتهامًا له صلى الله عليه وسلم بتحريم ما أحل الله؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذي يعلم تبارك وتعالى أنه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه أن يحرّم شيئًا أو أمرًا أو عملاً أحلّه الله؛ ولكنه يشدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالي الكريم.
ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال: (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين)(٢).
وعليه فالقول بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم يحرّم ما أحل الله من المستحيلات على مقام نبوته التي زكّاها الله تبارك وتعالى وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى)(٣).
فمقولة بعضهم أنه يحرّم هو تحميل اللفظ على غير ما جاء فيه، وما هو إلا وعد أو عهد منه صلى الله عليه وسلم لبعض نسائه، فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله.
....
(١) التحريم: ١.
(٢) الحاقة: ٤٤- ٤٧.
(٣) النجم: ٣- ٤.

----

(١٧) الشيطان يوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم

أ.د محمود حمدي زقزوق
الرد على الشبهة:
الظالمون لمحمد صلى الله عليه وسلم يستندون في هذه المقولة إلى أكذوبة كانت قد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلاة بالناس سورة "النجم"، فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى* ومناة الثالثة الأخرى)(١)؛ تقول الأكذوبة:
إنه صلى الله عليه وسلم قال: ـ حسب زعمهم ـ تلك الغرانيق(٢) العلى وإن شفاعتهن لترتجى.

ثم استمر صلى الله عليه وسلم في القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين، وأضافت الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين!!
وذاعت الأكذوبة التي عرفت بقصة "الغرانيق" وقال - من تكون إذاعتها في صالحهم-: إن محمداً أثنى على آلهتنا وتراجع عما كان يوجهه إليها من السباب. وإن مشركي مكة سيصالحونه وسيدفعون عن المؤمنين به ما كانوا يوقعونه بهم من العذاب.
وانتشرت هذه المقولة حتى ذكرها عدد من المفسرين؛ حيث ذكروا أن المشركين سجدوا كما سجد محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا له: ما ذكرت آلهتنا بخير قبل اليوم. ولكن هذا الكلام باطل لا أصل له.
وننقل هنا عن الإمام ابن كثير في تفسيره الآيات التي اعتبرها المرتكز الذي استند إليه الظالمون للإسلام ورسوله وهي في سورة الحج حيث تقول: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم)(٣)، وبعد ذكره للآيتين السابقتين يقول: "ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير ممن هاجروا إلى الحبشة، ظنًّا منهم أن مشركي مكة قد أسلموا".
ثم أضاف ابن كثير يقول: "ولكنها - أي قصة "الغرانيق" - من طرق كثيرة مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح، ثم قال ابن كثير(٤): عن ابن أبى حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير قال: "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة "سورة النجم"، فلما بلغ هذا الموضع: (أفرأيتم اللات والعزّى * ومناة الثالثة الأخرى). قال ابن جبير: فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى. فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم.. فأنزل الله هذه الآية: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عزيز حكيم) ليقرر العصمة والصون لكلامه سبحانه من وسوسة الشيطان".
وربما قيل هنا: إذا كان الله تعالى ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته فلماذا لم يمنع الشيطان أصلاً من إلقاء ما يلقيه من الوساوس في أمنيات الأنبياء؟! والجواب عنه قد جاء في الآيتين اللتين بعد هذه الآية مباشرة:
أولاً: ليجعل ما يلقيه الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض من المنافقين والقاسية قلوبهم من الكفار، وهو ما جاء في الآية الأولى منهما: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض)(٥).
ثانياً: ليميز المؤمنين من الكفار والمنافقين، فيزداد المؤمنون إيمانًا على إيمانهم؛ وهو ما جاء في الآية الثانية: (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم)(٦).
هذا: وقد أبطل العلماء قديمًا وحديثًا قصة الغرانيق. ومن القدماء الإمام الفخر الرازي الذي قال ما ملخصه(٧): "قصة الغرانيق باطلة عند أهل التحقيق، وقد استدلوا على بطلانها بالقرآن والسنة والمعقول؛ أما القرآن فمن وجوه: منها قوله تعالى: (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد

عنه حاجزين)(٨)، وقوله سبحانه: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى)(٩)، وقوله سبحانه حكاية عن رسوله صلى الله عليه وسلم: (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ)(١٠).
وأما بطلانها بالسنة فيقول الإمام البيهقى: روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة "النجم" فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث "الغرانيق"، وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها البتة حديث الغرانيق.
فأما بطلان قصة "الغرانيق" بالمعقول فمن وجوه منها:
أ - أن من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه صلى الله عليه وسلم كان لنفي الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثني عليها؟!
ب - ومنها: أننا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا فرق - في منطق العقل - بين النقصان في نقل وحى الله وبين الزيادة فيه.
....
(١) النجم: ١٩ -٢٠.
(٢) المراد بالغرانيق: الأصنام؛ وكان المشركون يسمونها بذلك تشبيهًا لها بالطيور البيض التي ترتفع في السماء.
(٣) الحج: ٥٢.
(٤) عن: التفسير الوسيط للقرآن لشيخ الأزهر د. طنطاوى ج٩ ص ٣٢٥ وما بعدها.
(٥) الحج: ٥٣.
(٦) الحج: ٥٤.
(٧) التفسير السابق: ص ٣٢١.
(٨) الحاقة: ٤٤ - ٤٧.
(٩) النجم: ٣- ٤.
(١٠) يونس: ١٥.
----
(١٨) عصمة الرسول – صلى الله عليه وسلم –
د. سلمان بن فهد العودة
السؤال:
لقد تناقشت مع أحد الإخوة في مسألة عصمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان مما قلته له: إنه - صلى الله عليه وسلم - معصوم من كل زلل، وذلك الأخ - غفر الله لنا وله - أنكر عليَّ هذا، وأورد عليَّ قصته - صلى الله عليه وسلم - مع (ابن أم مكتوم) في (عبس وتولى). حقيقة يا شيخي لم أجد جواباً، فأسعفنا بعلمك - دلنا الله وإياك إلى سبيل الرشاد - وأفتنا في هذا الأمر الذي أشكل علينا!!
الجواب:
الرسول - صلى الله عليه وسلم - معصوم فيما يبلغ عن الله؛ لقوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [النجم : ٣-٤]. ولهذا قال تعالى: (ولو تقوّل علينا

بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين)، [الحاقة : ٤٤-٤٧]. والأدلة في هذا المعنى متوافرة متكاثرة متواترة على أنه - صلى الله عليه وسلم - معصوم فيما يبلغ عن ربه - عز وجل - لا يقع منه خلاف ذلك لا عمداً ولا سهواً. ولا يشكل على هذا ما ورد في قصة الغرانيق المشهورة – التي أخرجها الضياء في المختارة (٢٤٧) فهو إفك مفترى، وباطل مفتعل، والكلام في سورة الحج، وبيان حقيقة معناها له موضع آخر غير هذا، ولا يشكل عليه أيضاً كونه - صلى الله عليه وسلم - ينسى الآية أحيانًا، فإن هذا ليس نسياناً مطبقاً مطلقاً، بمعنى أنه لا يتذكرها، كلا، بل هو قد قرأها وحفّظها أصحابه، ودونها الكُتّاب، ولكنها عزبت عنه تلك اللحظة فأسقطها، أو وقف يتذكرها، وهذه جبلّة بشرية، ولهذا قال تعالى: (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) [الأعلى: ٦-٧]. فهذا مما شاء الله، ومما شاء الله أن ينساه - صلى الله عليه وسلم- ما نسخت تلاوته من آي القرآن الكريم.
أما ما اجتهد فيه -صلى الله عليه وسلم- فإنه لا يقر إلا على صواب، ولذلك "عوتب في شأن الأسرى ببدر (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض...) الآية، [الأنفال ٦٧]). انظر الترمذي (٣٠٨٤) عن عبد ا لله بن مسعود، وأبو داود (٢٦٩٠) عن عبد الله بن عباس.
وعوتب في شأن ابن أم مكتوم: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) [عبس: ١-٢]. انظر الترمذي (٣٣٣١) عن عائشة.
وعوتب في شأن زيد بن حارثة وزينب بنت جحش (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه...) الآية، [الأحزاب: ٣٧]، انظر البخاري (٤٨٨٧) عن أنس.
فكان - صلى الله عليه وسلم - يعلن ذلك لأصحابه، ويحفظه لهم، ويتلوه عليهم، ويتعبدهم بتلاوته، ولم يعبأ بمقالة اليهود والمنافقين، ولا باضطراب ضعفاء النفوس؛ لأن دين الله أعظم من ذلك كله، وهذا من أعظم كمالاته التي حلاّه الله بها، وقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤].
فصلى الله وسلم وبارك عليه، وأدخلنا في شفاعته، وأوردنا حوضه، وارزقنا اتباعه ومحبته وإياكم وجميع المسلمين.

----

(١٩) عصمة الرسول – صلى الله عليه وسلم

د.مساعد بن سليمان الطيار

السؤال:

فيما يتعلق بعصمة الرسول - صلى الله عليه وسلم-، هل هو معصوم من الخطأ؟ أو معنى العصمة هنا أن الله عصمه من الناس -صلى الله عليه وسلم-، وإذا كان معصوماً من الخطأ صلوات ربي وسلامه عليه، فما هو التفسير الصحيح لحادثة الأعمى التي نزل فيها قول الله –تعالى- "عبس وتولى" وجزاكم الله خير ونفع بكم.

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فـإنَّ القـول بـأن الرسـول -صـلى الله عليـه وسـلم- لـم يقـع منـه خطـأ، مخـالف لظـاهر القرآن؛ لأن الله سبحانه ـ الذي أرسله بالحق، وهو أعلم به ـ قد عاتبه في غير ما آيـة، ولا يكون العتاب إلا بسبب وقوع خطأ منه -صلى الله عليه وسلم- وقد يستعظم بعض الناس القول بهذا، زاعمًا أن ذلك ينقص من قدر النبي -صلى الله عليه وسلم- وليس الأمر كذلك؛ فحق الله أعظم، والإيمان بكلامه الذي نقله الرسول -صلى الله عليه وسلم- أولى من هذا الزعم، ولو كان في هذه العتابات الإلهية له ما ينقص من قدره لما ذكرها الله –سبحانه- في حقِّ خليله محمد -صلى الله عليه وسلم- والمسلم مطالب بالأخذ بظاهر القرآن، ومن تأول مثل هذه العتابات الإلهية فإنه سيقع في التحريف والتكذيب بخبر الله –سبحانه- وقد ذكرت في كتابي "تفسير جزء عمَّ" تعليقًا على قوله –تعالى- :"وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ" [الشرح: ٢ ـ ٣] ما يتعلق بأمر العصمة، وهذا نصُّه : "قال : مجاهد من طريق ابن أبي نجيح : "ذنبك"، قال قتادة من طريق سعيد ومعمر: (كانت على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له)، وكذا قال ابن زيد. وهذه مسألة تتعلق بالعصمة، وللناس فيها كلام كثير، وأغلب الكلام فيها عقلي لا يعتمد على النصوص، وهذا النص صريح في وقوع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شيء من الذنوب التي قد غفرها الله له، ولكن لم يبيِّن الله نوع هذه الذنوب، ولذا فلا تتعدى ما أجمله الله في هذه النصِّ، وقُلْ به تسلمْ .ولا تفترض مصطلحاً للعصمة من عقلك تحمل عليه أفعال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فتدخل بذلك في التأويلات السمجة التي لا دليل عليها من الكتاب ولا السنة؛ كما وقع من بعضهم في تأويل قوله –تعالى-: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" [الفتح : ٢]، قال : ما تقدم : ذنب أبيك آدم، وما تأخر: من ذنوب أمتك، وانظر الشبه بين هذا القول وبين قول النصارى في الخطيئة، فالله يقول: "ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك"، وهذا يقول هو ذنب غيره ! والله المستعان". واعلم أنَّ في الرسول جانبان : جانب بشري، وجانب نبوي، أمّا الجانب البشري فهو فيه كالبشر: يحب ويكره، ويرضى ويغضب، ويأكل ويشرب، ويقوم وينام ... إلخ، مع ما ميَّزه الله به في هذا الجانب في بعض الأشياء؛ كسلامة الصدر، والقوة في النكاح، وعدم نوم القلب، وغيرها من الخصوصات التي تتعلق بالجانب البشري. ومن هذا الجانب قد يقع من النبي – صلى الله عليه وسلم ـ بعض الأخطاء التي يعاتبه الله عليها، ولك أن تنظر في جملة المعاتبات الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم ـ؛ كعتابه بشأن أسرى بدر، وعتابه بشأن زواجه من زينب – رضي الله عنها ـ، وعتابه في عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه ـ، وغيرها، وقد نصَّ الله على هذا الجانب في الرسل جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم، ومن الآيات في ذلك : "قل سبحان ربي هل كنت إلاَّ بشراً رسولاً " [الإسراء : ٩٣]، ومن الأحاديث قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع، من حق له أخيه شيئاً، فلا يأخذ، فإنما أقطع له من النار" (رواه البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣)من حديث أم سلمة –رضي الله عنها-. وتكمن العصمة في هذا الجانب في أنَّ الله يُنبِّه نبيه – صلى الله عليه وسلم ـ على ما وقع منه من خطأ، وهذا ما لا يتأتَّى لأحد من البشر غيره، فتأمله فإنه من

جوانب العصمة المُغفلة . وأما الجانب النبوي، وهو جانب التبليغ، فإنه لم يرد البتة أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم - خالف فيه أمر الله؛ كأن يقول الله له: قل لعبادي يفعلوا كذا فلا يقول لهم، أو يقول لهم خلاف هذا الأمر، وهذا لو وقع فإنه مخالف للنبوة، ولذا لما سُحِرَ النبي – صلى الله عليه وسلم - لم يُؤثِّر هذا السِّحْرُ في الجانب النبوي، بل أثَّر في الجانب البشري انظر ما رواه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة – رضي الله عنها-، ومن ثَمَّ فجانب التبليغ في النبي – صلى الله عليه وسلم - معصوم، ويدل على هذا الجانب قوله تعالى : "وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى" [النجم: ٣-٤] الله أعلم.

----

(٢٠) شبهة تعري النبي صلى الله عليه وسلم أثناء بناءِ الكعبةِ

أبو عبد العزيز سعود الزمانان

في الصحيحين من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ: "أَنَّ رَسُولَ اللـهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ. فَقَالَ لَـهُ الْعَبَّاسُ، عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي! لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ، فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ، دُونَ الْحِجَارَةَ. قَالَ: فَحَلَّهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ. قَالَ فَمَا رُؤِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَاناً".

وبدأ أهل البدع يشنعون؛ كيف تعرى النبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا كذب على النبي – صلى الله عليه وسلم – كما يزعمون، والرد على هؤلاء يكون بما يأتي:

أولاً: هذا الحديث صحيح الإسناد لا غبار عليه، فقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٤) كتاب الصلاة – باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها.

فهذا الحديث قبل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال الزهري – رحمه الله-: "لما بنت قريش الكعبة لم يبلغ النبي عليه الصلاة والسلام الحلم".

ثانياً: التعري عند أهل العلم يجوز إن كان لمصلحة شرعية راجحة، كجواز التعري أثناء العلاج، بل لا خلاف على جواز أن ينظر الطبيب إلى موضع المرض من المرأة عند الحاجة ضمن ضوابط شرعية مع تقوى الله وصلاح النية، والضرورات تقدر بقدرها، فتعري النبي – صلى الله عليه وسلم – كان قبل البعثة أولاً، وثانياً كان لمصلحة لكي يضع ثوبه على عاتقه لكي يتقوى بها على حمل الحجارة، وعلى قربة يتقرب بها لله جل وعلا وهي بناء الكعبة.

كما حدث لنبي الله موسى عليه السلام لما اتهمه قومه برجولته فبرّأه الله مما قالوا، وهذا كما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: "كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سوأة بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إلا أَنَّهُ آدَرُ (أي ذو فتق) قال: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ! فَجَمَعَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى نَظَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سوأة مُوسَى فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه فأخذ مُوسَى فطفق ثَوْبَهُ بِالْحَجَرِ ضرباً؟ فوالله إنَّ بِالْحَجَرِ نَدَباً سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ"(١).

وقد ثبت هذا الحديث عند الرافضة ورواه إمامهم ووصيهم السادس المعصوم كما يزعمون، وقد أخرجه مفسرو الشيعة في تفاسيرهم أيضًا:

- ففي تفسير القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع): "أن بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس، فكان يوماً يغتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه، فعلموا أنه ليس كما قالوا، فأنزل الله: (يَـأَيُّـهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَكُونُـواْ كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَاللهِ وَجِيهًا) [الأحزاب/٦٩](٢).

ثم إن مفسرهم الطبرسي في مجمع البيان أثبت هذا الحديث فقال: "إن موسى عليه السلام كان حيياً ستيراً يغتسل وحده، فقال ما يتستر منّا إلا لعيب بجلده إما برص وإما أدرة، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، فمر الحجر بثوبه، فطلبه موسى عليه السلام، فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقًا، فبرأه الله مما قالوا"(٣).

قال رئيس علمائهم نعمة الله الجزائري في قصصه (ص ٢٥٠): "قال جماعة من أهل الحديث: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح، وإن رؤيتهم له على ذلك الوضع لم يتعمده موسى عليه السلام، ولم يعلم أن أحدًا ينظر إليه أم لا، وإن مشيه عرياناً لتحصيل ثيابه مضافاً إلى تبعيده عما نسبوه إليه، ليس من المنفرات".

ثالثاً: ونقول نحن كذلك أهل السنة والجماعة كما قال: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح، وإن رؤيته له على ذلك الوضع لم يتعمده النبي – صلى الله عليه وسلم - فليس ذلك من المنفرات.

رابعاً: ليس في الحديث أنه تعرى أمام الناس – صلوات ربي وسلامه عليه – فالتعري أمام الناس متعمداً من خوارم المروءة، فأين الدليل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مشى أمام الناس عارياً لا لشيء وإنما من أجل التعري فقط وأن الكل ينظر إليه!!

فليس في هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مشى وتعرى أمام الناس، وهذا القول له شاهد عند الطبراني في كما ذكر ذلك الحافظ في "الفتح": "لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة، فكنت أنا وابن أخي، جعلنا نأخذ أزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة، فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا، فبينما هو أمامي إذ صرع، فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء قال فقلت لابن أخي: ما شأنك؟ قال: نهيت أن أمشي عريانًا، قال: فكتمته حتى أظهر الله نبوته".

خامساً: على افتراض أن التعري لمصلحة ظهرت لمن تعرى أنه ذنب، ولكنه ليس من الكبائر، وعقيدتنا أن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب ومن خوارم المروءة، لذلك حينما تعرى أمام عمه فقط لم يقر على ذلك وأغشي عليه وما رؤي عريانًا بعد ذلك.

سادساً: نقول للرافضة: ما شأنكم وشأن كشف العورات؟! فدينكم دين جنس ودعوة للتعري والفاحشة وهذه حقيقة.

وسأذكر بعض الأمور التي تؤكد هذا الادعاء:

١ - يتهمون النبي بأنه كان ينظر إلى عورات النساء ويخون المؤمنين، وينظر إلى امرأة رجل مسلم وهي تغتسل عريانة!!!

ففي بحار الأنوار(٢١٧/٢٢): "قال الرضا: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قصد دار زيد بن حارثة في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل فقال لها: "سبحان الذي خلقك"!!!

٢ - يروون عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا ينام حتى يضع وجهه بين ثديي فاطمة"، وفاطمة امرأة كبيرة بالغة، فكيف يضع النبي – صلى الله عليه وسلم – وجهه بين ثدييها – رضي الله عنها-.

٣ - يزعمون أن إمامهم المعصوم الثاني عشر الغائب عندما يظهر أنه سيكون عارياً بدون ثياب!! وهذا ما رواه الشيخ الطوسي والنعماني عن الإمام الرضا: "أن من علامات ظهور المهدي أنه سيظهر عارياً أمام قرص الشمس". حق اليقين (ص ٣٤٧).

٤ - الرافضة عندهم الدبر ليس من العورة، وهذا ما رواه الكليني في الكافي (٥١٢/٦) عن أبي الحسن عليه السلام قال: "العورة عورتان القبل والدبر، فأما الدبر مستور بالإليتين، فإذا سترت القضيب والبيضتين فقد سترت العورة".

٥ - جواز النظر إلى العورات من غير المسلمين، فعن جعفر الصادق قال: "النظر إلى عورة من ليس بمسلم مثل نظرك إلى عورة الحمار". الكافي (٥١٢/٦).

٦ - يزعمون أن إمامهم المعصوم الخامس محمد الباقر كان يدخل الحمام ويكشف عورته أمام الناس، فعن عبيد الله الدابقي قال: "دخلت حمامًا بالمدينة... فقلت: لمن هذا الحمام؟ فقال لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت: كان يدخله؟ قال: نعم، فقلت: كيف كان يصنع؟ قال: كان يدخل يبدأ فيطلي عانته وما يليها ثم يلف على طرف إحليله ويدعوني فأطلي سائر بدنه، فقلت له يوماً من الأيام: الذي تكره أن أراه قد رأيته" - يقصد عورته المغلظة-. (الكافي ٥٠٨/٦).

----

(٢١) الرد على شبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل طعامًا ذبح على الصنم والنصب

أبو عبد العزيز سعود الزمانا

الرد على شبهة أن النبي – صلى الله عليه وسلم - أكل طعاما ذبح على الصنم والنصب:

تعريف النصب: هي الأصنام والحجارة التي كان الكفار يذبحون عليها.

أخرج الإمام أحمد (١٩٠/١) قال: حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة هو وزيد بن حارثة فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل فدعواه إلى سفرة لهما فقال يا ابن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب قال فما رئي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أكل شيئًا مما ذبح على النصب قال قلت يا رسول الله إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك ولو أدركك لآمن بك واتبعك فاستغفر له قال نعم سأستغفر له فإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة".

الشبهة:

قال المبتدعة والزنادقة كيف يذبح الرسول على النصب والأصنام، وكيف يأكل مما ذبح عليها؟
الرد:
- أولاً: رواية (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم قال: فما رؤي النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب) منكرة ولا تصح.
- قال الشيخ الألباني – رحمه الله-: "أخرجه الإمام أحمد (رقم ٥٣٦٩) من حديث ابن عمر، وقد رواه أيضا من حديث سعيد بن زيد بن عمرو (١٦٤٨) وفيه زيادة منكرة، وهي تتنافي مع التوجيه الحسن الذي وجه به الحديث المؤلف وهي قوله بعد: (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم) قال: فما رؤي النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب، وعلة هذه الزيادة أنها من رواية المسعودي وكان قد اختلط وراوي هذا الحديث عنه يزيد بن هارون سمع منه بعد اختلاطه، ولذلك لم يحسن صنعا حضرة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر حيث صرح في تعليقه على المسند أن إسناده صحيح، ثم صرح بعد سطور أنه إنما صححه مع اختلاطه لأنه ثبت معناه من حديث ابن عمر بسند صحيح يعني هذا الذي في الكتاب، وليس فيه الزيادة المنكرة، فكان عليه أن ينبه عليها حتى لا يتوهم أحد أن معناها ثابت أيضاً في حديث ابن عمر".
- ثانياً: حكم على هذه الزيادة بالنكارة الإمام الذهبي أيضا، فالرواية أخرجها البزار(٢٧٥٥) والنسائي في الكبرى (٨١٨٨) والطبراني (٤٦٦٣) وأبو يعلى (٧٢١١) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة قال خرجت مع رسول الله... الحديث.
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢١/١-٢٢٢):" في سنده محمد – يعني ابن عمرو بن علقمة - لا يحتج به، وفي بعضه نكارة بينة ".
- ثالثاً: وهذا العبارة منكرة: "شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا..." وهي نكارة بينة كما قال الذهبي، وهذا نص في أنهم ذبحوها للنصب لا عليه فقط، وهذه الجملة لا تحتمل ولا تليق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وفي سندها محمد بن عمرو بن علقمة قال فيه الحافظ:" صدوق له أوهام " وقال الجوزجاني وغيره:" ليس بقوي"[١] وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢١/١-٢٢٢): "لا يحتج به".
- رابعاً: الرواية الصحيحة هي كما جاءت في صحيح البخاري، قال البخاري (٥٤٩٩) حدثنا معلّى بن أسد قال: حدثنا عبد العزيز يعني ابن المختار قال: أخبرنا موسى بن عقبة قال: أخبرني سالم: أنه سمع عبد الله يحدث، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنه لقي زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَحَ،-(مكان في طريق التنعيم، ويقال: هو واد) - وذاك قبل أن يُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فقُدِّم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال: "إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا مما ذُكر اسم الله عليه".
وقال البخاري(٣٨٢٦) حدثني محمد بن أبي بكر قال: حدثنا فضيل بن سليمان قال: حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثنا سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر رضي الله

عنهما:" أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله. إنكارا لذلك وإعظامًا له".

- قال ابن بطال – رحمه الله -:" كانت السفرة لقريش فقدموها للنبي – صلى الله عليه وسلم – فأبى أن يأكل منها، فقدمها النبي – صلى الله عليه وسلم – لزيد بن عمرو، فأبى أن يأكل منها، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً: "إنا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم "(عمدة القاري ٥٤٠/١١).

- خامساً: أين ما يدل في الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أكل من هذه السفرة؟ فليس في الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – أكل منها، وإنما غاية ما في الحديث أن السفرة قدمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولزيد ولم يأكلا منها.

- سادساً: فهذا هو الثابت في الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عرضت وقدمت له السفرة فامتنع أن يأكل منها، نعم جاء عند أحمد (٦٩/٢) من طريق عفان عن وهيب عن موسى. وأخرجه أحمد (٩٠/٢) من طريق يحيى بن آدم عن زهير عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر بلفظ:" فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال: "إني لا آكل ما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه ".

فمما سبق بيانه يتضح أن رواية صحيح البخاري أن السفرة قدمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – فرفض أن يأكل منها، ثم قدمت لزيد ولم يأكل منها، فلا وجه لطعن طاعن أو لمز لامز ولله الحمد.

ولو افترضنا صحة الرواية التي جاءت عند أحمد، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قدم السفرة لزيد، فكذلك لا يوجد دليل على أنها ذبحت على نصب أو ذبحت لصنم، وإن كان قد يفهم منها هذا ولكنها ليست صريحة.

- سابعاً: قال الخطابي في " أعلام الحديث " ١٦٥٧/٣:" امتناع زيد بن عمرو من أكل ما في السفرة إنما كان من أجل خوفه أن يكون اللحم الذي فيها مما ذبح على الأنصاب فتنزه من أكله، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يأكل من ذبائحهم التي كانوا يذبحونها لأصنامهم، فأما ذبائحهم لمأكلتهم فإنا لم نجد في شيء من الأخبار أنه كان يتنزه منها، ولأنه كان لا يرى الذكاة واقعة إلا بفعلهم قبل نزول الوحي عليه، وقبل تحريم ذبائح أهل الشرك، فقد كان بين ظهرانيهم، مقيماً معهم، ولم يُذكر أنه كان يتميز عنهم إلا في أكل الميتة، وكانت قريش وقبائل من العرب تتنزه في الجاهلية عن أكل الميتات، ولعله – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يتّسع إذ ذاك لأن يذبح لنفسه الشاة ليأكل منها الشلو أو البضعة، ولا كان فيما استفاض من أخباره أنه كان يهجر اللحم ولا يأكله، وإذا لم يكن بحضرته إلا ذكاة أهل الشرك ولا يجد السبيل إلى غيره، ولم ينزل عليه في تحريم ذبائحهم شيء، فليس إلا أكل ما يذبحونه لمأكلتهم بعد أن تنزه من الميتات تنزيهاً من الله عز وجل له، واختياراً من جهة الطبع

لتركها استقذاراً لها، وتقززاً منها، وبعد أن يجتنب الذبائح لأصنامهم عصمة من الله عز وجل له لئلا يشاركهم في تعظيم الأصنام بها".
- ثامناً: قال السهيلي:" فإن قيل: فالنبي – صلى الله عليه وسلم – كان أولى من زيد بهذه الفضيلة، فالجواب أنه ليس في الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – أكل منها، وعلى تقدير أن يكون أكل، فزيد إنما كان يفعل ذلك برأي يراه لا بشرع بلغه، وإنما كان عند أهل الجاهلية بقايا من دين إبراهيم، وكان في شرع إبراهيم تحريم الميتة، لا تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام، والأصح أن الأشياء قبل الشرع لا توصف بحل ولا بحرمة، مع أن الذبائح لها أصل في تحليل الشرع واستمر ذلك إلى نزول القرآن... ".
- وقال القاضي عياض في عصمة الأنبياء قبل النبوة:" إنها كالممتنع، لأن النواهي إنما تكون بعد تقرير الشرع، والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن متعبداً قبل أن يوحى إليه بشرع من قبله على الصحيح...".
- تاسعاً: ومن التوجيهات كذلك كما قال الشيخ الألباني – رحمه الله -:" توهم زيد أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يطعم ذبائح الأصنام، ولكن أراد الإستيثاق لنفسه والإعلان عن مذهبه، وقد حفظ محمد له ذلك وسرّ به"[٢].
- عاشراً: قال الذهبي – رحمه الله-:" لو افترض أن زيد بن حارثة هو الذي ذبح على النصب فقد فعله من غير أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا أنه كان معه، فنسب ذلك إليه، لأن زيداً لم كن معه من العصمة والتوفيق ما أعطاه لنبيه، وكيف يجوز ذلك وهو عليه السلام قد منع زيداً أن يمس صنماً، وما مسه هو قبل نبوته، فكيف يرضى أن يذبح للصنم، هذا محال".
وقال أيضا: "أن يكون ذبح لله واتفق ذلك عند صنم كانوا يذبحون عنده"[٣]
- نتيجة البحث:
- ١-: ليس في الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذبح على النصب أو أكل مما ذبح على النصب، وغاية ما في الحديث أن السفرة قدمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولزيد ولم يأكلا منها.
٢-: الرواية التي في صحيح البخاري أن السفرة قدمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – فرفض أن يأكل منها، ثم قدمت لزيد ولم يأكل منها، فلا وجه لطعن طاعن أو لمز لامز ولله الحمد.
٣-: جاءت رواية عند أحمد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قدم السفرة لزيد، وامتنع زيد أن يأكل منها، وكذلك لا يوجد أي دليل على الذبح للنصب أو للصنم، وإن كان يفهم منها هذا ولكنها ليست صريحة.
٤-: امتناع زيد بن عمرو من أكل ما في السفرة إنما كان من أجل خوفه أن يكون اللحم الذي فيها مما ذبح على الأنصاب فتنزه من أكله، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يأكل من ذبائحهم التي كانوا يذبحونها لأصنامهم.
٥-: قال الذهبي – رحمه الله-: "لو افترض أن زيد بن حارثة هو الذي ذبح على النصب فقد فعله من غير أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا أنه كان معه، فنسب

ذلك إليه، لأن زيداً لم يكن معه من العصمة والتوفيق ما أعطاه الله لنبيه، وكيف يجوز ذلك وهو عليه السلام قد منع زيداً أن يمس صنماً، وما مسه هو قبل نبوته، فكيف يرضى أن يذبح للصنم، هذا محال".

٦-: أما ما جاء في بعض الروايات التي فيها (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم) قال: فما رؤي النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب) وهذه الرواية منكرة، حكم عليها بالنكارة الإمام الذهبي والإمام الألباني – رحمهما الله -.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

....

[١] المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٨٧٩.

[٢](فقه السيرة ص ٨٢).

[٣](سير أعلام النبلاء ١/١٣٥).

----

(٢٢)شبهة حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش والرد عليها

أبو عبد الله الذهبي

الحمد لله والصلاة و الصلاة و السلام على رسول الله، ثم أما بعد:

أحبتي في الله شاء الله عز وجل ولا مرد لمشيئته أن يطلق زيد بن حارثة زوجته حينما تعذر بقاء الحياة الزوجية بينه و بينها على الوجه المطلوب، و مضت سنة الله في خلقه أن ما رسخ في النفوس بحكم العادة لا يسهل التخلص منه، فقد كانت عادة التبني لا تزال قائمة في نفوس الناس، و ليس من السهل التغلب على الآثار المترتبة عليها، و من أهم هذه الآثار أن الأب لا يتزوج امرأة من تبناه بعد وفاته أو طلاقه لزوجته، فاختار الله تعالى لهذه المهمة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم و أمره بالزواج من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد.

و بعد أن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها، أثار هذا الزواج أحاديث همز و لمز و أقاويل كثيرة من قبل المشركين والمنافقين، فقد قالوا: تزوج محمد حليلة ابنه زيد بعد أن طلقها، كما وأن للمستشرقين و من شايعهم في العصر الحاضر، أحاديث في هذا الموضوع، فاتخذوا من هذه الحادثة ذريعة للطعن في رسول الله صلى الله عليه و سلم.

والذي أريد أن أتحدث عنه اليوم هو الرد على هؤلاء المستشرقين الذين اتخذوا من هذه القضية مدخلاً للطعن في نبي الله صلى الله عليه وسلم، كما و أنهم تناولوا زواجه صلى الله عليه وسلم بهذا العدد، فجعلوا منه مادة للنيل منه صلى الله عليه وسلم، و وصفوه بأشياء ينبو عنها القلم.

و لما كان هذا الأمر من الخطورة بمكان لتعلقه بأشرف خلق الله على الإطلاق - و كان كل من يطلق لسانه في هذا الصدد يقول: لسنا نبتدع شيئاً، فها هي كتب التفسير و كتب السير تحكي ذلك -، لذا سأقوم الآن بعرض تلك الروايات التي اعتمدوا عليها

رواية رواية، متبعاً كل رواية منها ببيان ما وجّه لأسانيدها من نقد، ثم أتبع ذلك بنقدها جميعاً من جهة متونها، و موقف الأئمة المحققين من هذه الروايات.
يقو الله تعالى: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، و تخفي في نفسك ما الله مبديه، و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً} [الأحزاب/٣٧]
إن السبب في طلاق زيد لزينب ومن ثم زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها؛ هو ما كان بين زيد و بين زينب من خلافات، و أنه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه أن تبقى الحياة الزوجية بينهما، فطلقها بمحض اختياره و رغبته، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك، و قد كان الله عز وجل قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زيداً سيطلق زينب، و أنه ستكون زوجة له، و أنه صلى الله عليه وسلم كان يخفي هذا و يخشى من مقولة الناس، أنه تزوج مطلقة من كان يدعى إليه، فعاتبه ربه على ذلك.
انظر: جامع البيان للطبري(١١/٢٢) و تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤٨٩/٣)، و انظر البخاري(برقم ٤٧٨٧).
خلاصة ما جاء في كتب التفسير والتي استدل بها المستشرقون أن هناك سبباً آخر لطلاق زينب، هو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى زينب فجأة و هي في ثياب المنزل فأعجبته، و وقع في قلبه حبها، فتكلم بكلام يفهم منه ذلك، إذ سمعه زيد فبادر إلى طلاقها تحقيقاً لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أن زيداً شاوره في طلاقها، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك، لكن في قلبه ضد هذا، و أنه كان راغباً في طلاق زيد لها ليتزوجها، و فوق ذلك فقد أقر الله رسوله على ما فعل، بل عاتبه لِمَ يخفي هذا والله سيبديه.
و رغم شناعة ما جاء في هذه الروايات، و هذا الفهم للآية الكريمة التي تتحدث عن طلاق زيد لزينب و زواج النبي صلى الله عليه وسلم بها، إلا أنه قد جاز على أئمة فضلاء، ففسروا به الآية الكريمة، وأثبتوا ذلك صراحة في كتبهم وتفاسيرهم.
ومن هؤلاء الأئمة: ابن جرير الطبري في كتابه جامع البيان(١٢/٢٢)، عند تفسيره الآية ولم يذكر غيره.
و منهم: الرازي في تفسيره(١٨٤/١٣)، حيث ذكر نحواً من كلام ابن جرير.
ومنهم: ابن القيم في كتابه الجواب الكافي(ص ٢٤٧)، حيث ذكره في معرض سوقه لحكايات في عشق السلف الكرام والأئمة الأعلام.
ومنهم: الزمخشري في تفسيره(٢٦٢/٣).
وأحسن ما يعتذر به عن هؤلاء الأئمة وأتباعهم ممن ذهب يفسر الآية بهذا، أنهم عدوا هذا منه صلى الله عليه وسلم من عوارض البشرية، كالغضب والنسيان، و لكنهم لم يستحضروا شناعة هذا التفسير للآية، و نسبة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يدققوا في الروايات التي وصلتهم من جهة أسانيدها و متونها كما فعل غيرهم، ونحن نسأل الله أن يثيبهم على اجتهادهم وأن يغفر لهم.
والآن إلى نقد الروايات..

الرواية الأولى ذكرها ابن سعد في طبقاته(١٠١/٨) و من طريقه ساقها ابن جرير في تاريخه(١٦١/٣): قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه، و كان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول: "أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، و تقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلاً أي وهي لابسة ثياب نومها -، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل، و إنما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولى و هو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا: سبحان مصرّف القلوب، فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئاً؟ قالت: سمعته يقول حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه، و سمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت؟ بأبي وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله: "احبس عليك زوجك"، ففارقها زيد واعتزلها و حلت يعني انقضت عدتها قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة، إلى أن أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشية، فسري عنه و هو يبتسم و هو يقول: "من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء؟" وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك..} الآية، القصة كلها.

قالت عائشة: فأخذني ما قرب و ما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها، زوجها الله من السماء، و قلت: هي تفخر علينا بهذا، قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتد فتحدثها بذلك، فأعطتها أوضاحاً حلي من الفضة عليها.

وإسناد هذه الرواية فيه علل ثلاث، واحدة منها تكفي لرد هذه الرواية:

العلة الأولى: أنها مرسلة، فمحمد بن يحيى بن حبان تابعي، يروي عن الصحابة، و يروي أيضاً عن التابعين، كعمر بن سليم و الأعرج، و غيرهما،(ت ١٢١ هـ) و عمره(٧٤ سنة)، فهو لم يدرك القصة قطعاً و لم يذكر من حدثه بها. التهذيب(٥٠٧/٩-٥٠٨).

العلة الثانية: عبد الله بن عامر الأسلمي، ضعيف بالاتفاق، بل قال فيه البخاري: ذاهب الحديث، و قال أبو حاتم: متروك. التهذيب(٢٧٥/٥)، و ميزان الاعتدال(٤٤٨/٢).

العلة الثالثة: محمد بن عمر، و هو الواقدي، إخباري كثير الرواية، لكنه متروك الحديث، ورماه جماعة من الأئمة بالكذب و وضع الحديث. ميزان الاعتدال(٣/٦٦٤).

الرواية الثانية: ذكرها ابن جرير في تفسيره(١٣/٢٢) قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش بنت عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشفت و هي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كرهت الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: "مالك؟ أرابك منها شيء؟" قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، فذلك قول الله تعالى { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه }، تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

و هذه الرواية فيها علتان:

العلة الأولى: أنها معضلة، فابن زيد و هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ليس بصحابي ولا تابعي، فقد سقط من الإسناد راويان أو أكثر.

العلة الثانية: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا ضعيف باتفاق المحدثين، بل صرح بعضهم بأنه متروك الحديث، قال البخاري وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جداً، وقال أبو حاتم: كان في الحديث واهياً، و جاء عن الشافعي أنه قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن سفينة نوح طافت بالبيت و صلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم. و لهذا لما ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً قال له: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح. و أقوال الأئمة في تضعيفه كثيرة، و هو رجل صالح في نفسه لكنه شغل بالعبادة والتقشف عن حفظ الحديث فضعف جداً. التهذيب(٦/١٧٨). و يروى عنه شيء كثير في التفسير، فما كان من رأيه في فهم القرآن، فهذا ينظر فيه، وأما ما يرويه مسنداً فغير مقبول، فكيف إذا أرسل الحديث؟!.

الرواية الثالثة: ذكرها أحمد في مسنده(٣/١٤٩-١٥٠)، قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت عن أنس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل زيد بن حارثة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته زينب، وكأنه دخله لا أدري من قول حماد أو في الحديث فجاء زيد يشكوها إليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك واتق الله، قال: فنزلت { واتق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه } إلى قوله { زوجناكها } يعني زينب.

مؤمل بن إسماعيل قواه بعض الأئمة، و وصفه أكثرهم بأنه كثير الخطأ يروي المناكير، قال يعقوب بن سفيان: حديثه لا يشبه حديث أصحابه، و قد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه، فإنه يروي المناكير عن ثقات شيوخه، و هذا أشد، فلوا كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنا نجعل له عذراً. و قال محمد بن نصر المروزي:

المؤمل إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف و يتثبت فيه، لأنه كان سيء الحفظ كثير الغلط. التهذيب(١٠/٣٨١).
و حديثه هذا قد رواه جماعة من الثقات من أصحاب حماد فلم يذكروا أول الحديث، وإنما ذكروا مجيء زيد يشكوا زينب، و قول النبي صلى الله عليه وسلم له، و نزول الآية. البخاري(برقم ٧٤٢٠) والترمذي(برقم ٣٢١٢) والنسائي(برقم ١١٤٠٧).
الرواية الرابعة: رواها ابن جرير في تفسيره(١٣/٢٢)، قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة: { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه } و هو زيد أنعم الله عليه بالإسلام: { وأنعمت عليه } أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم: { أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه }، قال: وكان يخفي في نفسه ودّ أنه طلقها، قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد منها قوله { واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه }، و لو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها { وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه }، قال خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس.
و روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هذه القصة مختصرة، قال: جاء زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إن زينب اشتد عليّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قال: والنبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يطلقها و يخشى مقالة الناس. فتح الباري(٨/٥٢٤).
وقتادة هو بن دعامة السدوسي أحد الأئمة الحفاظ، مشهور بالتفسير، فما فسره من فهمه للآيات فينظر فيه، وما ذكره رواية فإن العلماء أخذوا عليه كثرة التدليس، فاشترطوا لصحة حديثه أن يصرح بالسماع، و هذا إذا ذكر الإسناد، فإما ما يرسله ولا يذكر بعده في الإسناد أحداً كما في روايته لهذه القصة فهو ضعيف جداً، قال الشعبي: كان قتادة حاطب ليل، و قال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شيء، يأخذان عن كل أحد. التهذيب(٨/٣٥١-٣٥٦). و كان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزهري وقتادة شيئاً، و يقول: هو بمنزلة الريح. جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي(ص ١٠١).
على أن روايته لتفسير الآية ليس فيه تفصيل كما في الروايات الأخرى، و يمكن رد روايته إلى الروايات الصحيحة في تفسير الآية، فيكون معنى(أحب) و(ودّ) أي علم أن زيداً سيطلقها ولا بد بإلهام الله له ذلك، وتكون خشيته من مقالة الناس حينئذٍ أن يقولوا: تزوج حليلة ابنه.
الرواية الخامسة: ذكرها القرطبي في تفسيره(١٤/١٩٠) قال مقاتل: زوّج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حيناً، ثم إنه عليه السلام أتى زيداً يوماً يطلبه، فأبصر زينت قائمة، و كانت بيضاء جميلة جسيمة من أتمّ نساء قريش، فهويها وقال: "سبحان الله مقلب القلوب"، فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد، ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبراً، تعظم عليّ و تؤذيني بلسانها، فقال عليه السلام: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، و قيل: إن الله بعث ريحاً فرفعت الستر و زينب مُتَفَضِّلَه في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه،

و وقع في نفس زينب أنه وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جاء يطلب زيداً، فجاء زيد فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيد أن يطلقها.
هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً إلى مقاتل، و لو صحت إلى مقاتل لم يفدها شيئاً، فإن مقاتلاً وهو مقاتل بن سليمان فيما يظهر قد كذبه جمع من الأئمة ووصفوه بوضع الحديث، و تكلوا في تفسيره. أنظر ترجمته في التهذيب(١٠/٢٧٩-٢٨٥).
الرواية السادسة: قال ابن إسحاق: مرض زيد بن حارثة فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده و زينب ابنة جحش امرأته جالسة عن رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طأطأ رأسه، فقال: "سبحان مقلب القلوب والأبصار"، فقال زيد: أطلقها لك يا رسول الله، فقال: لا"، فأنزل الله عز وجل { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه...} إلى قوله {وكان أمر الله مفعولاً }. تعدد نساء الأنبياء و مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام اللواء أحمد عبد الوهاب(ص ٦٨).
هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً، و لم أقف عليها في سيرة ابن هشام.
و بعد أن تبين ضعف هذه الروايات وسقوطها من جهة أسانيدها، فلننظر فيها من جهة متونها وما فيها من اضطراب ونكارة، من عدة وجوه:-
الوجه الأول: تناقض الروايات المذكورة، ففي بعضها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار زيد بن حارثة و هو غائب فاستقبلته زينب، و في بعضها أن زيداً كان مريضاً، فزاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم جالساً هو و زيد و زينب، فكيف يكون زيد غائباً و مريضاً في فراشه في وقت واحد.؟!
الوجه الثاني: والروايات التي ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار زيداً اختلفت في كيفية رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لزينب رضي الله عنها، فرواية تقول بأنه كان واقفاً بالباب فخرجت إليه، و رواية بأنه كان واقفاً بباب زيد فرفعت الريح ستر الشعر فرآها فأعجبته.
الوجه الثالث: تتفق الروايات على أن إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم بزينب ووقوع حبها في قلبه جاء متأخراً، أي بعد أن تزوجها زيد رضي الله عنه، و هذا شيء عجيب، فلقد ولدت زينب ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاوز الثانية عشرة من عمره، و شبت وترعرعت أمامه، فهي ابنة عمته، ألم يلحظ مفاتنها إلا متأخراً، و بعد أن صارت زوجة لدعيّه، و هو الذي زوجها له، والحجاب لم ينزل بعد، فقد نزل صبيحة عرسها، ألا يكون شاهدها، فلوا كان يهواها أو وقعت في قلبه لما منعه شيء من زواجها، فإشارة منه صلى الله عليه وسلم كافية لأن يقدموها له، بل قد ورد أنه وهبت نفسها له. أنظر كلام ابن العربي حول هذا الوجه في كتابه أحكام القرآن(١٥٤٣/٣).
الوجه الرابع: لو افترضنا جدلاً أن حبها وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم متأخراً بعد رؤيته لها عند زيد بن حارثة، فبأي شيء يمكن تفسير ما صدر منه صلى الله عليه وسلم و فهم منه زيد و زينب أنها وقعت في قلبه، سواء كان ذلك تسبيحاً أو طأطأة للرأس، أو غير ذلك؟! كيف ذلك و هو الذي نهي عن أن يخبب الرجل امرأة غيره

عليه؟ أفيعمل ما قد نهي أمته عنه؟! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا) أبو داود(برقم ٥١٧٠) بسند صحيح.

ولو افترضنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد إفهامها ذلك، وإنما صدر منه ذلك عفواً دون قصد، فكيف بما ذكروا أنه عقد عليه قلبه من محبته و رغبته أن يطلقها زيد ليتزوجها؟ ولو نسب ذلك إلى آحاد المسلمين لكان ينبغي تبرئته من ذلك.

وفوق ذلك كله كيف يعاتبه الله كما تقول هذه الروايات لأنه أخفي ذلك عن الناس و لم يعلن أنه يحب زوجة زيد، وأنه يود لو طلقها ليتزوجها؟ تَصَوّرٌ مثل هذا كاف في ظهور بطلان هذه الروايات.

الوجه الخامس: هذه الروايات التي فسروا بها الآية لو لم يرد غيرها لم يصح أن يفسر بها كتاب الله تعالى، لسقوطها إسناداً ومتناً، فكيف و قد وردت روايات أخرى في تفسير الآية تفسيراً منطقياً لا إشكال فيه ولا نكارة، فالذي يخفيه صلى الله عليه وسلم هو ما أعلمه ربه أنه ستصبح زوجة له، و الذي يخشاه هو مقولة الناس إنه تزوج حليلة من كان يدعى إليه.

والغريب في الأمر أن بعض المفسرين ترك هذه الروايات الصحيحة و التي لا مطعن فيها، و ذكر تلك الروايات الشاذة الغريبة، و منهم من لم يذكرها لكنه ذهب يفسر الآيات على ضوئها.

و إذا اتضح الآن سقوط تلك الروايات سنداً و متناً فإنه لا يفوتني هنا أن أسجل مواقف بعض الأئمة المحققين من المفسرين وغيرهم الذي وقفوا أمام هذه الروايات موقفاً حازماً صلباً، فمنهم من ذكرها و فندها، و منهم من أضرب عنها صفحاً بعد الإشارة إلى ضعفها و نكارتها.

قال ابن العربي بعد أن ذكر ملخص هذه الروايات، و بين عصمة النبي صلى الله عليه وسلم: هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. أحكام القرآن(١٥٤٣/٣).

قال القرطبي بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه صلى الله عليه وسلم، وما الذي كان يخشاه من الناس: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. فأما ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المُجّان لفظ عشق فهذا إنما صدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. الجامع لأحكام القرآن(١٩١/١٤).

وقال ابن كثير بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها، و قد روى الإمام أحمد هاهنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً. تفسير القرآن العظيم(٤٩١/٣).

و قال ابن حجر بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: و وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبـي حـاتم والطبـري و نقلهـا كثيـر مـن المفسـرين لا ينبغـي التشـاغل بهـا. فـتح الباري(٨/٥٢٤).
و هناك ثُلة كبيرة من علماء الإسلام في العصر الحاضر تفطنوا لمثل هذه الأخبار، ورمقت أبصارهم ما تنطوي عليه من مداخل خطيرة لا تليق بمقام الأنبياء، فأنـار الله بصائرهم لكشف النقاب عن هذه الآثار الدخيلة، فكان لهم الفضل في التنبيه وإيقاظ الفكر الإسلامي للتصدي لكل دسيسة يراد منها النيل من قداسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تشويه الحقائق التاريخية في تراث الإسلام.
يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، و يجب صيانة النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الترهات التـي نسبت إليه زوراً و بهتاناً. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم(ص ٢٧٥).
و خلاصة الأمر..
كان زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري و هي بنت خمس وثلاثين. ابن سعد في الطبقات(٨/١١٤).
روى البخاري في صحيحه(برقم ٧٤٢٠): أن زيداً جاء يشكو زوجته، فجعل النبـي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قالت عائشة: لو كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً، لكتم هذه، فكانت تفخر على أزواج النبـي صلى الله عليه وسلم، تقول: زوجكن أهاليكن، و زوجني الله من فوق سبع سماوات.
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

----

(٢٣) علة كثرة زواج النبي صلى الله عليه وسلم

* الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى......وبعد:
أخرج البخاري في كتاب النكاح:
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ:{هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ لَا. قَالَ: فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً}.
قال في الشرح:
قوله (فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء) قيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام، فإنه كان أكثر نساء، وكذلك أبوه داود، ووقع عند الطبراني من طريق أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " تزوجوا فإن خيرنا كان أكثرنا نساء " قيل المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل. والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم، وبالأمة أخصاء أصحابه؛ وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح، إذ لو كان راجحًا ما آثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره، وكان النبي صلى الله عليه وسلم - مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به - يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالبا، وإن وجد كان يؤثر بأكثره، ويصوم كثيرًا ويواصل، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن، وقوة البدن

تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب، وهي عنده نادرة أو معدومة. ووقع في " الشفاء " أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية، إلى أن قال: ولم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن وكأنه أراد بالتحصين قصر طرفهن عليه فلا يتطلعن إلى غيره، بخلاف العزبة فإن العفيفة تتطلع بالطبع البشري إلى التزويج، وذلك هو الوصف اللائق بهن.

* والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه تقدمت الإشارة إلى بعضها.

أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: للزيادة في تألفهم لذلك.

رابعها: للزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزاد أعوانه على من يحاربه.

سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

سابعها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

ثامنها: ما تقدم مبسوطًا من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه صلى الله عليه وسلم.

تاسعها وعاشرها: ما تقدم نقله عن صاحب " الشفاء " من تحصينهن والقيام بحقوقهن، والله أعلم.

جمعه ورتبه وكتبه الفقير

د/ السيد العربي بن كمال.

----

(٢٤) شبهات وتهم ضد مقام النبوة

شبهات وتهم ضد مقام النبوة(١)

قال الله تبارك وتعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا) [الأحزاب : ٥٧].

ما من نبي ولا رسول أرسله الله عز وجل إلا واجه أعداء يكذبونه ويشككون الناس في صدق نبوته وهذه سنة من سنن الله عز وجل قال تعالى: (كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) [الأنعام : ١١٢].

ولم يكن نبينا صلى الله عليه وسلم بدعاً بين الرسل فقد واجه ما واجهه إخوته من الأنبياء من التكذيب والعناد والقتال والتشريد والسجن والطرد والاستهزاء ولكن ذلك لم يثنه عن دعوته ولم يفلَّ في عزيمته بل كان ثابتاً كالطود الأشم فصبر وهانت عليه نفسه في سبيل الله عز وجل حتى نصره الله عز وجل ورفع له ذكره إلى يوم القيامة.
وقد اتهم نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه كاذب وقيل شهواني وقالوا عنه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون وأتهم بأنه عدواني ومتعصب وإرهابي وهذه التهم مجرد شبهات واهية تسقط عند أول وهلة من التعرف على شخصيته ودراسة سيرته وتتبع سنته صلى الله عليه وسلم.
وفيما يلي نستعرض كل شبهة أثيرت حول نبينا صلى الله عليه وسلم ونفندها بحجج منيرة كالشمس في رائعة النهار.
الشبهة الأولى: قولهم عنه: (كاذب):
الشبهة الثانية:قولهم عنه (ساحر، كاهن، مجنون):
الشبهة الثالثة: (قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا):
الشبهة الرابعة: وهي من شبه المستشرقين الحديثة وصفهم له صلى الله عليه وسلم بأنه (شهواني):
الشبهة الخامسة: من أعظم الشبه والافتراء: وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه (إرهابي دموي سفاك للدماء):
الشبهة الأولى: قولهم عنه: (كاذب):
هذه أضعف فرية افتريت على نبينا صلى الله عليه وسلم وأضعف شبهة يمكن أن يتشبث بها أحد قديماً أو حديثاً، وذلك لما اشتهر عنه صلى الله عليه وسلم منذ طفولته من صدق الحديث وأمانة في الخلق حتى كانت من أوضح صفاته وأخلاقه التي تميز بها، حتى أنه كان يسمى في الجاهلية بالأمين لصدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم ومما يثبت ذلك ما جرى في قصة بناء قريش للكعبة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم واختلافهم على وضع الحجر الأسود حتى كادوا يقتتلون بسبب إرادة كل قبيلة أن تفوز بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه ولما اشتد الخلاف فيما بينهم وأصرت كل قبيلة على الفوز بهذا الشرف أراد أحد عقلائهم أن يضع حداً للخلاف فقال لهم حكموا بينكم أول داخل عليكم من باب الصفا فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوه مقبلاً قالوا: هذا محمد الأمين رضينا به حكماً. ففي هذه القصة وقد حدثت قبل البعثة أكبر دليل على اشتهاره بالصدق والأمانة فيما بينهم.
ومما يثبت اشتهاره بالصدق بين قريش وعدم شكهم في صدق حديثه حديث أبي سفيان مع هرقل وسؤال هرقل حينما سأل أبا سفيان: هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: لا ثم رد هرقل في آخر الحديث بحكمة قل من يفطن لها إذ قال: وسألتك أتتهمونه بالكذب فقلت: لا فعلمت أنه لن يدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله تعالى و الحديث في صحيح البخاري..
ومما يثبت نفي الكذب عنه ما ورد في حديث ركانة بن عبد يزيد في السنن بإسناد فيه كلام. وكان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال يوماً للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي بلغني عنك أمر ولست بكذاب فإن صرعتني علمت

أنك صادق، لقد أثبت صدقه بنفي الكذب عنه مع شدة العداوة وكثرة استهزاءه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في السير. وقد روى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فيهم: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) [الأنعام : ٣٣].
وقد اشتهر بين قريش صدقه صلى الله عليه وسلم حتى إن أبا طالب لما أخبره نبينا صلى الله عليه وسلم بخبر الصحيفة التي كتبتها قريش وأن الأرضة قد أكلتها ولم تترك فيها إلا كلمة واحدة هي (باسمك اللهم) قام أبو طالب يحاجّ قريش حتى فتحوا الكعبة وأخرجوا الصحيفة ووجدوها حقاً كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم فوبخهم أبو طالب بقوله شعراً في هذا:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ***متى ما يخبر غائب القوم يُعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم*** وما نقموا من ناطق الحق مُعرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً*** ومن يختلق ما ليس بالحق يُكذب
وقد كانت علامات الصدق تلوح على محياه صلى الله عليه وسلم حتى قال عبد الله بن سلام الحبر اليهودي في قصة إسلامه أنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ونظر في وجهه قال: فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب).(رواه ابن ماجه وغيره).
ولو لم تكن فيه آيات مبينة**** كانت بديهته تأتيك بالخبر
....
شبهات وتهم ضد مقام النبوة(٢)
الشبهة الثانية:قولهم عنه (ساحر، كاهن، مجنون):
وهذه الصفات التي وصفه بها كفار قريش لما جاءهم بالحق ولم يستطيعوا له رد فجنحوا إلى هذه التهم والأوصاف حتى يصدوا الناس عنه إذ أنه لا يجلس إليه أحد فيعرض عليه الإسلام ويقرأ القرآن على مسامعه إلا أخذ بلب جليسه وأسر قلبه فأراد المعاندون بإثارة هذه الشبهة أن يصدوا الناس عن الجلوس إليه وسماعه خاصة في المواسم التي يجتمع فيها الناس من أنحاء الجزيرة العربية.
هذا عتبة بن ربيعة جاء مندوباً لقريش لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يترك دعوته فيقول له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، ثم عرض عليه المال والملك وعرض عليه ما استطاعه من الإغراء حتى إذا فرغ عتبة من كلامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إليه فقال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم:
بسم الله الرحمن الرحيم (حـم* تنزيل من الرحمن الرحيم). [فصلت ١ : ٢].
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وقد ألقى عتبة يديه وراء ظهره معتمداً عليهما وهو يسمع منصتاً حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد، ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك) سيرة ابن هشام.!!

وعاد عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله قد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، أطيعوني واجعلوها لي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم.
فهذا عتبة بن ربيعة وهو من صناديد قريش وسادتهم بعدما سمع القرآن وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينفي أن يكون شاعراً أو كاهناً أو ساحراً.
وهذا النضر بن الحارث سيد آخر من سادة قريش وكبير من كبرائهم ممن كفر حسداً وحقداً يقوم في قريش ذات يوم ويقول: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، فقد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب. وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. قلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل لكم أمر عظيم. فهذه شهادتين من أعدى أعداءه تثبت كذبهم وافتراءهم عليه سيرة ابن هشام..
الشبهة الثالثة: (قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا):
اتهم المشركون نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه جمع أساطير الأولين من الرواة الذين كانوا يتناقلونها ثم كتبها فهو يلقيها عليهم ليدعي بذلك الوحي.
وقد بيّن القرآن الكريم الرد على مثل هذه الشبهة ومفاده أنه كان صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب. وأنه لم يخرج من مكة ولم يسافر إلى البلاد التي تكثر فيها هذه القصص والأساطير التي ادعتها عليه قريش ثم إن ما جاءهم به محكم لا لبس فيه ولا اختلاف ولا عجمة ولا اعوجاج فيه على عكس ما كان يتناقل في عصرهم من أساطير يكذب بعضها بعضاً.
وتحداهم أن يأتوا بمثله فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر آيات مثله، ولن يستطيعوا ولو اجتمع الجن كلهم والإنس على أن يأتوا بمثله، وما زال التحدي قائمًا ليفضح عجزهم وكذبهم وبهتانهم، وهذه الأمم وصلت في العصر الحديث إلى اقتحام الفضاء وتطويع الكائنات فهل يستطيعون ولو اجتمعوا أن يأتوا بآية مثله؟
(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا) [الإسراء : ٨٨].
(أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [يونس : ٣٨].
(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [هود : ١٣].

وأنى لهم أن يأتوا بمثله وهو تنزيل من رب العالمين الحكيم العليم وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير.
الشبهة الرابعة: وهي من شبه المستشرقين الحديثة وصفهم له صلى الله عليه وسلم بأنه (شهواني):
حين تزوج إحدى عشرة امرأة بينما منع أتباعه من الزيادة على أربع نساء.
والجواب على هذه الشبهة:
أنه ينبغي أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً قط إلا عائشة – رضي الله عنها – كما أنه صلى الله عليه وسلم إبان شبابه وفتوته لم يتزوج سوى خديجة – رضي الله عنها – حين كان عمره خمساً وعشرين سنة وهي امرأة كبيرة فلو كان ذا شهوة لما اكتفى بها وهي المرأة الكبيرة في السن فلم يتزوج عليها حتى توفيت – رضي الله عنها.
وكان زواجه بعائشة – رضي الله عنها – إكراماً لصديقه وأحب الناس إليه وأوفاهم له وأكثرهم إخلاصاً له ولدعوته.
وكذلك كان زواجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب إكراماً لأبيها ثاني رجل في الإسلام وثاني وزراءه وإذا لم يكرم عمر بن الخطاب فمن يكرم إذاً؟! وأما زواجه بأم حبيبة وأم سلمة وسودة وميمونة وأم المساكين وهن أرامل فكان إيواءً لهن لما فقدن أزواجهن ولما أصابهن من عذاب واضطهاد في ذات الله تعالى.
وزوّجه ربه تبارك وتعالى زينب بنت جحش وهو كاره لذلك خشية من قول الناس: «محمد تزوج امرأة ابنة زيد» الذي تبناه قبل الإسلام فأراد الله عز وجل أن يهدم قاعدة التبني التي كانت متأصلة في المجتمع الجاهلي حيث كان للابن المتبنى عند العرب في الجاهلية جميع الحرمات والحقوق التي كانت للابن الحقيقي سواء بسواء، فكان أقوى معول لهدم هذه القاعدة أن أمر الله عز وجل نبيه أن ينكح زوجة زيد بعدما طلقها وقد كان ابناً له بالتبني في الجاهلية ليستقر عند العرب عدم جواز التبني.
وكان زواجه لصفية وجويرية مسحاً لدموعها وإذهاباً لحزنهما لموت زوجيهما في معركة قتال دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين رجالهما.
كما أن من فوائد زواجه صلى الله عليه وسلم ما كان شائعاً عند العرب من احترام للمصاهرة إذ كانوا يرون مناوأة ومحاربة الأصهار سبة وعاراً على أنفسهم. فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة المخزومية لم يقف خالد بن الوليد المخزومي من المسلمين موقفه الشديد الذي وقفه بأحد، وكذلك أبو سفيان قائد المشركين لم يواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي محاربة بعد زواجه بابنته أم حبيبة،وكذلك لا نرى من قبيلتي بني المصطلق وبني النضير أي استفزاز وعداء بعد زواجه بجويرية وصفية.
ومن أعظم وأجل مقاصد نكاحه صلوات ربي وسلامه عليه أنه كان مأموراً بتزكية وتعليم الناس ولما كان من المبادئ التي قام عليها بناء المجتمع المسلم ألا يختلط الرجال بالنساء كانت الحاجة داعية إلى وجود نساء مختلفات الأعمار والمواهب (وهن أمهات المؤمنين) فيزكيهن النبي صلى الله عليه وسلم ويربيهن ويعلمنهن ليقمن

من بعده بتربية نساء المسلمين فيكفين مؤنة التبليغ في النساء، وقد كان لأمهات المؤمنين فضلٌ كبير في نقل أحواله صلى الله عليه وسلم المنزلية للناس.
أفترى رجلاً يدع الزواج في شبابه من النساء ويقتصر على امرأة كبيرة في السن كخديجة أو كسودة حتى يصل الخمسين من عمره ثم فجأة يجد في نفسه شهوة عارمة فيتزوج بمثل هذا العدد الكبير من النساء؟!.
اللهم إن هذا لا يقولـه إنسان عاقل بل لا يقولـه إلا مكابر فاجر.
الشبهة الخامسة:من أعظم الشبه والافتراء: وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه (إرهابي دموي سفاك للدماء):
وهذه التهمة إنما يذيعها المستشرقون في العصر الحديث تشكيكاً في دعوته وصدق نبوته صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره الشيء الكثير جداً.
وكل حليم عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يزدد مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً، قالت عائشة – رضي الله عنها: ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها أخرجه البخاري، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضىً.
وقد كان من أعظم دلائل نبوته التي وردت في كتب أهل الكتاب. والتي آمن على مثلها من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما أن حلمه يسبق غضبه.
وقد كان العفو والصفح أحب إليه من الانتقام كما في القصص التالية:
* تصدى لـه غورث بن الحارث ليفتك به صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مطرح تحت شجرة وحده
قائلاً (من القيلولة وهو نوم وسط النهار) دون حرس، وأصحابه قائلون كذلك. وذلك في غزاة، فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وغورث قائم على رأسه، والسيف مصلتٌ في يديه وقال: من يمنعك مني؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الله». فسقط السيف من يد غورث، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «من يمنعك»؟ قال غورث: كن خير آخذ فتركه وعفا عنه. فعاد إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس. (أخرجه الإمام أحمد وهو في البخاري مختصراً).
* لما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالات قريش جالسين مطأطي الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتح فيهم، فقال: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم»؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (حسن إسناده ابن حجر في فتح الباري) فعفا عنهم بعدما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقادر قدره، ولا يحصى عده، ومع هذا فقد عفا عنهم ولم يعنف ولم يضرب. ولم يقتل فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.
* سحره لبيد بن الأعصم اليهودي (القصة في صحيح البخاري)، فعفا عنه ولم يؤاخذه. بل لم يثبت أنه لامه أو عاتبه مجرد لوم أو عتاب. فضلاً عن المؤاخذة والعقاب.

* تآمر عليه المنافقون وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة تآمروا عليه ليقتلوه وعلم بهم وقيل له فيهم فعفا عنهم، وقال: (لا يُتحدث أن محمداً يقتل أصحابه) (القصة في صحيح البخاري).
* لم يذكر في غزوة من الغزوات أنه اعتدى على أحد أو غزا قوماً مسالمين بل كانت غزواته وسراياه موجهة إلى من بدأه بالعداوة وحاول الكيد للإسلام والمسلمين، وكان يأمر أمراءه إذا أرسلهم أن لا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا عجوزاً ولا راهباً معتزلاً في صومعته وكان ينهاهم عن التحريق بالنار وإفساد الزرع.
وقد غيّر النبي صلى الله عليه وسلم أغراض الحروب وأهدافها التي كانت تضطرم نار الحرب لأجلها في الجاهلية، فبينما كانت الحرب عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغي والعدوان وأخذ الثأر والفوز بالوتر وكبت الضعيف وتخريب العمران وتدمير البنيان وهتك حرمات النساء والقسوة على الضعيف والولائد والصبيان وإهلاك الحرث والنسل والعبث والفساد في الأرض في الجاهلية، إذ صارت هذه الحرب في الإسلام جهاداً في تحقيق أهداف نبيلة وأغراض سامية وغايات محمودة يعتز بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان وغدت الحرب جهاداً في تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان.
إن تحول المجتمع إلى نظام العدل والنصف بدلاً عن نظام يأكل فيه القوي الضعيف، حتى يصير المجتمع إلى نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتى يؤخذ الحق منه وصارت بذلك الحرب جهاداً لتخليص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً. وصارت جهاداً في تطهير أرض الله من الغدر والخيانة والإثم والعدوان وغدت وسيلة لبسط الأمن والسلامة والرأفة والرحمة ومراعاة الحقوق والمروءة.
أومن قام بتبديل الحرب من شرٍّ محضٍ إلى خيرٍ محضٍ يكون إرهابياً أو سفاكٍ للدماء؟.
أفترى من يأمر بهذا العدل والإنصاف والرحمة والرأفة حتى مع العدو أثناء القتال يمكن أن يوصف بأنه إرهابي أو قاتل أو سفاك للدماء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!!
علماً بأن جميع البلاد التي فتحها بالسيف ظهر فيها الإسلام وانتشر وثبت أهلها على الإسلام، مما يؤكد أن انتشار الإسلام وثباته لصفاته الذاتية فيه وليس انتشاره عائداً إلى نشره بالقوة والسيف فقط كما أن أكثر بقاع الإسلام وبلاده مما فتح سلماً دون حرب أو قتال كما ثبت ذلك في دواوين السيرة وكتب التاريخ.
إن هذه الشبه والتهم التي يطلقها أعداء الإسلام على نبينا صلى الله عليه وسلم لم تكن يوماً لتوهي من عضد الرسالة أو الرسول الذي بعث بها: (يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) [التوبة : ٣٢].
بل ربما كانت هذه الشبه فأل خير لهذا الدين إذ أنه ومنذ ظهور فجر النبوة المحمدية كانت هذه الشبه والاتهامات سبباً وباعثاً قوياً في إقبال الناس على دعوته صلى الله عليه وسلم فكلما زادت التهم زاد تحري الناس وسؤالهم عن الرسول والرسالة فيقودهم ذلك إلى الانبهار بأضواء النبوة حتى يسلمهم ذلك إلى الدخول في دين الله أفواجاً والحمد لله أولاً وآخراً.

وقولنا لمن يروج هذه الشبه والتهم هو ما قاله حسان ابن ثابت في المنافحة عن النبي صلى الله عليه وسلم والذب عنه وهو أجمل ما قيل في الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستطع أحد أن يحلق إلى ما دون هذا فضلاً عن أن يساميه وأنّى لهم ذلك وهو المؤيد بروح القدس، يقول – رضي الله عنه:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه **** وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوت مباركاً براً حنيفاً **** أمين الله شيمته الوفاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفء؟**** فشركما لخير كما الفداءُ
فإن أبي ووالده وعرضي *** لعرض محمد منكم وقاءُ

وإذا كان هذا ما قاله مؤمن به، فإن ما ورد عن أعداءه من الثناء عليه كثيرٌ جداً – والحق ما شهدت به الأعداء – فهذا الدكتور مايكل هارت الذي ألف كتاب (المائة الأوائل) يضع في المقام الأول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويعلل ذلك بقوله: ((إن اختيار المؤلف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إن هذا الاختيار ربما أدهش الكثير من القراء (يقصد بهم القراء من غير المسلمين الذين ألف لهم الكتاب، وإلا فإن المسلمين يعتقدون عقيدة جازمة بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو خير الثقلين) إلى حد قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.

لقد أسس محمد صلى الله عليه وسلم ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قوياً وعارماً))*.

---

*كتاب (المائة الأوائل في المقدمة) للدكتور مايكل هارت

----

(٢٥) الآثـار النبويـة

المجيب د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

السؤال

أثناء زيارتي لتركيا رأيت في متحف (طوب قابي سراي) في اسطنبول قاعة للأمانات المقدسة، تضم آثاراً نبوية؛ شعرات للرسول صلى الله عليه وسلم، ورسالته للمقوقس، وبردته، وأشياء أخرى، ولم ألاحظ ما يدل على ثبوت ذلك تاريخياً.
فما حقيقة هذه الآثار، و هل يصح أنها نبوية؟

الجواب

ليس هنالك ما يدل على ثبوت صحة نسبة هذه الآثار ونحوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال صاحب كتاب (الآثار النبوية) المحقق أحمد تيمور باشا ص ٧٨ بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالقسطنطينية (اسطنبول): (لا يخفى

أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك) الخ.
ولا شك في مشروعية التبرك بآثار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته، ولكن الشأن في حقيقة وجود شيء من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر.
وإن مما يضعف هذه الحقيقة ما جاء في صحيح البخاري(١٨٦/٣) عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً، ولا عبداً ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة) فهذا يدل على قلة ما خلّفه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته من أدواته الخاصة .
وأيضاً فقد ثبت فقدان الكثير من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم على مدى الأيام والقرون؛ بسبب الضياع، أو الحروب، والفتن ونحو ذلك.
ومن الأمثلة على ذلك فقدان البردة في آخر الدولة العباسية، حيث أحرقها التتار عند غزوهم لبغداد سنة ٦٥٦هـ ، وذهاب نعلين ينسبان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في فتنة تيمور لنك بدمشق سنة ٨٠٣هـ .
ويلاحظ كثرة ادعاء وجود وامتلاك شعرات منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من البلدان الإسلامية في العصور المتأخرة، حتى قيل إن في القسطنطينية وحدها ثلاثاً وأربعين شعرة سنة ١٣٢٧هـ ، ثم أهدي منها خمس وعشرون، وبقي ثماني عشرة.
ولذا قال مؤلف كتاب (الآثار النبوية) ص٨٢ بعد أن ذكر أخبار التبرك بشعرات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أصحابه رضي الله عنهم: (فما صح من الشعرات التي تداولها الناس بعد بذلك فإنما وصل إليهم مما قُسم بين الأصحاب رضي الله عنهم ، غير أن الصعوبة في معرفة صحيحها من زائفها).
ومن خلال ما تقدم فإن ما يُدّعى الآن من وجود بعض الآثار النبوية في تركيا أو غيرها سواءً عند بعض الجهات، أو عند بعض الأشخاص موضع شك، يحتاج في إثبات صحة نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى برهان قاطع، يزيل الشك الوارد، ولكن أين ذلك؟ ولاسيما مع مرور أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان على وجود تلك الآثار النبوية، ومع إمكان الكذب في ادعاء نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للحصول على بعض الأغراض، كما وُضعت الأحاديث ونسبت إليه صلى الله عليه وسلم كذباً وزوراً.
وعلى أي حال فإن التبرك الأسمى والأعلى بالرسول -صلى الله عليه وسلم- هو اتباع ما أثر عنه من قول أو فعل، والإقتداء به، والسير على منهاجه ظاهراً وباطناً.

----

(٢٦) الرد على شبهة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالدنيا والغنائم

الكاتب: الشبكة الإسلامية

من الشبه التي أثارها أعداء الإسلام، وروَّجوا لها بهدف تشويه شخصية محمدٍ صلى الله عليه وسلم، للوصول إلى الطعن في دعوته، وإبعاد الناس عنها، ما يدَّعونه من أنه كان صاحب مطامع دنيوية، لم يكن يظهرها في بداية دعوته في مكة، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب التي خاضها هو وأصحابه، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية.
وممن صرح بذلك "دافيد صمويل مرجليوث " المستشرق الإنجليزي اليهودي، حيث قال: "عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب.. وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي أثرت على نفس محمد، والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد ".
والحق، فإن الناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم، والمتأمل في تاريخ دعوته، يعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسعى من وراء كل ما قام به إلى تحقيق أي مكسب دنيوي، يسعى إليه طلاب الدنيا واللاهثون وراءها، وهذا رد إجمالي على هذه الشبهة، أما الرد التفصيلي فبيانه فيما يلي:
١-أن ما ذُكر في هذه الشبهة لا يوجد عليه دليلٌ في واقع حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان كما قيل لعاش عيش الملوك، في القصور والبيوت الفارهة، ولاتخذ من الخدم والحراس والحشم ما يكون على المستوى المتناسب مع تلك المطامع المزعومة، بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك، إذ كان في شظف من العيش، مكتفياً بما يقيم أود الحياة، وكانت هذه حاله صلى الله عليه وسلم منذ أن رأى نور الحياة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى..، يشهد لهذا أنّ بيوته صلى الله عليه وسلم كانت عبارة عن غرف بسيطة لا تكاد تتسع له ولزوجاته.
وكذلك الحال بالنسبة لطعامه وشرابه، فقد كان يمر عليه الشهر والشهران لا توقد نارٌ في بيته، ولم يكن له من الطعام إلا الأسودان - التمر والماء-، فعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: (ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نارٌ، فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء) متفق عليه. وسيرته صلى الله عليه وسلم حافلة بما يدل على خلاف ما يزعمه الزاعمون.
٢-ثم إن هذه الشبهة تتناقض مع الزهد الذي عُرف به النبي صلى الله عليه وسلم، وحث عليه أصحابه، فقد صح عنه أنه قال: (إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) متفق عليه، وقرن في التحذير بين فتنة الدنيا وفتنة النساء، فقال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم.
٣-ومما يدحض هذه الشبهة وينقضها من أساسها أن أهل مكة عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال والملك والجاه من أجل أن يتخلى عن دعوته، فرفض ذلك كله، وفضل أن يبقى على شظف العيش مع الاستمرار في دعوته، ولو كان من الراغبين في الدنيا لما رفضها وقد أتته من غير عناء.
٤-أنّ الوصايا التي كان يزود بها قواده تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن طالب مغنم ولا صاحب شهوة، بل كان هدفه الأوحد والوحيد إبلاغ دين الله للناس،

وإزالة العوائق المعترضة سبيل الدعوة، فها هو يوصي معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن بقوله: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس) رواه البخاري.

فهو صلى الله عليه وسلم لم يقاتل أحداً، قبل دعوته إلى الإسلام، الذي تصان به الدماء والحرمات.

٥-ومما يُرد به على هذه الفرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتحل من الدنيا ولم يكن له فيها إلا أقل القليل، ففي الصحيح عن عمرو بن الحارث قال : (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة) رواه البخاري، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي) متفق عليه.

٦-وكما قيل: فإن الحق ما شهدت به الأعداء، فقد أجرى الله على ألسنة بعض عقلاء القوم عبارات تكذب هذه الشبهة، من ذلك ما قاله "كارليل" : "أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره، حمق وأيم الله، وسخافة وهوس ".

ويقول: "لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله.. فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائباً في نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة، أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهوة ".

٧-وما زعمه المستشرق اليهودي "مرجليوت" من أن انتقام رسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة كان لأسباب مصطنعة وغير كافية، فجوابه أن الواقع خلاف ذلك، إذ أبرم النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود معاهدة تقرهم على دينهم، وتؤمنهم في أنفسهم وأموالهم، بل تكفل لهم نصرة مظلومهم، وحمايتهم، ورعاية حقوقهم، ولم يكن في سياسته صلى الله عليه وسلم إبعادهم، ومصادرة أموالهم إلا بعد نقضهم العهود والمواثيق، ووقوعهم في الخيانة والمؤامرة.

وبعد: فلا حجة لمن يدعي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب مطامع دنيوية، يحرص عليها، ويسعى في تحصيلها، وإنما هي دعوة صالحة نافعة، تعود بالخير على متبعيها في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين

----

(٢٧) مشكلة الفكر الغربي مع نبي الإسلام صلى الله عليه و سلم

د. باسم خفاجي

يمثل نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم مشكلة حقيقية ومتكررة في أدبيات الفكر الغربي. ويظهر من حين لآخر هجوم عنيف على شخص النبي عليه الصلاة والسلام. يعتبر البعض أن هذا الهجوم حالة شاذة من قبل أفراد بأعيانهم، ويحاول طرف آخر أن يلقي باللائمة على نظريات المؤامرة، ويدعو ثالث إلى أن نتغير نحن

حتى لا يهاجم رموزنا الآخرون. يرى الكاتب – من خلال الأدلة التاريخية والفكرية - أن الموقف الغربي من النبي عليه الصلاة والسلام لم يتغير بالمجمل، وأنه كان دائماً يغلب عليه صبغة العداء والاستهزاء، وإن اختلفت صور التعبير عن هذا الموقف بين فئات المجتمع الغربي المختلفة. يهدف المقال كذلك إلى التعرف على الأسباب الفكرية لهذا الموقف الغربي، وكيف يمكن مقاومة هذا الموقف عملياً للدفاع عن رموز الأمة الإسلامية.

مقدمة

شهدت الفترة الماضية ارتفاع نبرة المواجهة مرة أخرى بين العالم الإسلامي من ناحية، وبين أوربا من ناحية أخرى في ما يتعلق بالهجوم على شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ورغم أن هذا الهجوم تكرر كثيراً خلال الأعوام الماضية، وبصور متعددة، إلا إن العالم العربي والإسلامي لا يزال مصراً على التعامل مع كل حالة من تلك الحالات التي يهاجم فيها خير البشر، وكأنها حالة منعزلة وفردية، ويجب أن تعامل في هذا السياق. ويغيب عن الكثير من أبناء الأمة أن الموقف الفكري الغربي من النبي صلوات ربي وسلامه عليه كان دائماً موقفاً عدائياً، وإن اختلفت صور التعبير عن هذا العداء.

قصور في الفهم

يلقي البعض اللوم على الأمة الإسلامية لتخاذلها وضعفها من ناحية، أو لتكرار حوادث العنف التي تتبناها بعض فصائل الأمة تجاه الغرب. يرى البعض أن ما يسمى بالإرهاب الإسلامي هو سبب هجوم الغرب على الإسلام وعلى نبي الإسلام. ونسأل هؤلاء .. وهل كان الغرب يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، أو حتى يسكت عن إيذاء شخصه الكريم وإهانته عندما كانت الأمة الإسلامية في حالة وفاق وسلام تام مع دول الغرب؟ إن الغرب لم يتوقف عن الهجوم على رسول الإسلام طوال القرون الماضية، وهو موقف عام لم يشذ عنه إلا القليل من المفكرين والمتدينين.

يرى البعض الآخر أن الهجوم على الإسلام أو على نبيه الكريم ليس إلا حالات فردية لمن يبتغون الشهرة، أو من يحملون أحقاداً على الإسلام. ويقوم هؤلاء بسرد بعض النقولات التاريخية أو المعاصرة لمفكرين غربيين يمدحون شخص النبي، ويعتبرون أو وجود هؤلاء يقدح في فكرة وجود عداء فكري عام في الغرب تجاه الإسلام أو شخص الرسول الكريم. والحقيقة أن الاستشهاد ببعض الأقوال – مع حذف السياق التاريخي لها – يمكن أن يكون مقنعاً بوجود إعجاب من بعض المفكرين الغربيين بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن ما يغيب عن هذه الرؤية، ويعيبها أيضاً .. أن الفكر الغربي يتحرك وفق مجموعة من المسلمات الأساسية التي تخالف بقوة الدعوة المحمدية في المبادئ والمسلمات، وبالتالي فإن الأصل في العلاقة الفكرية بين الغرب وبين الإسلام لم يكن يوماً ما التوافق وإنما كانت العلاقة دائماً من النواحي الفكرية تميل إلى المواجهة وعدم الاتفاق. ويجب هنا أن نفصل بين أمرين: الأول هو العلاقات بين الشعوب، والتي كانت في كثير من الأحيان تميل إلى السلام والوئام، وكذلك العلاقات السياسية التي تتبدل وتتغير وفق المصالح. أما الأمر الثاني فهو الرؤى الفكرية تجاه النبي، والتي

لم تتغير كثيراً في الغرب منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحتى التاريخ المعاصر، وكانت في مجملها رؤى ومواقف معادية وصدامية. إن الأحكام الفكرية لابد وأن تنطلق من الرؤى المشتركة والمستمرة عبر فترات زمنية طويلة، ولا تقاس على ما شذ من الأقوال أو الأفكار. والغرب عبر تاريخه الطويل من المواجهة الفكرية والدينية مع العالم الإسلامي كان دائماً يميل إلى الطعن في شخص النبي، وهو ما لم يتغير عبر قرون طويلة من العلاقة مع الغرب، ولذلك أسباب سيأتي بيانها في هذا المقال.

هل الغرب كيان فكري واحد؟

إن من المهم قبل دراسة الموقف الفكري الغربي من النبي صلى الله عليه وسلم أن نبين أن الغرب ليس كياناً واحداً فيما يتعلق بالسياسات وطبائع الشعوب، ومواقف الدول من العالم العربي والإسلامي. كما أن الغرب ليس كياناً واحداً أيضاً فيما يتعلق باهتماماته الدينية ومدى اقترابه أو ابتعاده عن دعوة ورسالة نبي الله عيسى عليه السلام. فليس كل الغرب متديناً وليس كل الغرب علمانياً أيضاً، وهناك فوارق كبيرة بين المدارس والمذاهب الدينية المختلفة داخل المسيحية في الغرب.

لكن رغم كل هذا التباين والاختلاف في السياسات والطبائع والتوجهات، إلا أن الغرب يكاد يكون كياناً واحداً عندما يتعلق الأمر بالجوانب الفكرية المتعلقة بعلاقاته مع الحضارات الأخرى والديانات التي تختلف عن ديانات الغرب. فرغم تعدد المدارس الفلسفية والفكرية في الغرب، إلا أن هناك قدر مشترك وواضح من المفاهيم الفكرية الأساسية عندما يتعلق الأمر بالرؤى المقابلة حول مستقبل البشرية وهدف الإنسان من الحياة على الأرض. لذلك فإن من الممكن أن يتم الحديث عن الغرب بوصفه كياناً واحداً عندما يتعلق الأمر بالحياة الفكرية الغربية في مقابل الحضارات الأخرى.

وسوف تتعامل هذه الدراسة مع الغرب ككيان فكري واحد من ناحية المنطلقات الأساسية للحضارة الغربية، والمبادئ التي قامت هذه الحضارة عليها، وعلاقة ذلك بموقف الغرب من النبي صلى الله عليه وسلم.

مشكلات الفكر الغربي مع نبي الإسلام

لكي ننجح في فهم علاقة الغرب فكرياً بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فلابد أن نبتعد قليلاً عن المواقف، وندرس المبادئ. إن المواقف ليست إلا تعبيرات واقعية عن الأفكار الكامنة في الشخصية الغربية، والتي تكونت عبر قرون طويلة من التأثير الفكري الذي كون قناعات راسخة لا تتزعزع داخل الشخصية الغربية فيما يتعلق بعلاقتها بالخالق، وعلاقتها بالكون والطبيعة والآخرين من البشر. وهذه القناعات تتصادم بشدة مع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك نشأ العداء وليس من المتوقع أن يقل أو ينتهي في القريب. وهذه مجموعة من الأسباب الفكرية التي ساهمت في تكون علاقة العداء على المستوى الفكري.

مركزية الله أم مركزية الإنسان

إن المشكلة الرئيسة في علاقة الغرب فكرياً بالعالم الإسلامي، وعداء الغرب للنبي صلى الله عليه وسلم، هو مركزية الله تعالى في الكون لدى المسلمين، والتي تتجسد

في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي دين الإسلام وفي واقع الأمة الإسلامية بصرف النظر عن درجة تدين والتزام أفراد هذه الأمة.
إن الغرب في المقابل ينطلق فكرياً – وبكل فئات مجتمعاته وكل مفكريه – من فكرة مركزية الإنسان في الكون، وأن الفرد هو مركز الاهتمام الرئيس، وأن تطلعات الفرد وحقوقه وحرياته تقدم على أي أمر آخر، وحتى أمور العبادة وعلاقة الفرد بالإله.
إن الغرب يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قدم مفهوماً يمكن أن يهدم الفكر الغربي من أساسه .. وهو مركزية الله تعالى في حياة البشرية مقابل نظريات الغرب التي تقوم على مركزية الإنسان. لذلك اختار الغرب أن يجعل عداء الإسلام ضمن منظومة قيمه الرئيسة لأنه بذلك يتمكن من إبقاء الفرد مركزاً للكون في مواجهة دعوة محمداً صلى الله عليه وسلم التي حافظت على مكانة الخالق جل وعلا ومركزيتها في حياة البشر.
وحول ذلك تحدثت المؤلفة البريطانية كارين أرمسترونج – صاحبة كتاب "محمد" قائلة: "علينا أن نتذكر أن الاتجاه العدائي ضد الإسلام في الغرب هو جزء من منظومة القيم الغربية، التي بدأت في التشكل مع عصر النهضة والحملات الصليبية وهي بداية استعادة الغرب لذاته الخاصة مرة أخرى. فالقرن الحادي عشر كان بداية لأوروبا الجديدة وكانت الحملات الصليبية بمثابة أول رد فعل جماعي تقوم به أوروبا الجديدة."[١]
بين محمد والمسيح
تمحور الفكر الغربي حول شخصية المسيح عليه السلام. وتحولت شخصية المسيح بعد تحريف الدين المسيحي إلى تجسيد للفكر الغربي حول مركزية الفرد في الكون. فقد تحول الإله في نظر المتدينين إلى شخص .. إله في صورة فرد .. دفع دمه ثمناً مقدماً لجميع خطاياهم القادمة. وعندما سيطر الفكر النفعي على الشخصية الغربية، أصبح التعلق بشخص المسيح يمثل قمة النفعية لمن اختاروا التدين، فهو قد قام بدفع فاتورة خطاياهم حتى قبل أن يقعوا فيها، وأبقى لهم الحياة لكي يمارسوا فيها ما شاءوا من أفعال طالما أن محبة المسيح – كفرد وكإله – تسيطر على مشاعرهم. أما من تركوا الدين المسيحي بأكمله، وأصبحوا لادينيين أو ملحدين، فقد كان المسيح – بعد تحريف الدين – أيضاً مركزياً في مواقفهم الفكرية .. فهو فرد، وبالتالي لا يمكن أن يختلف عن غيره من البشر، وبالتالي فليس هناك إله – بزعمهم. كما أن المسيح بصورته التي قامت الكنيسة الغربية بتصويرها رحيم منعزل عن حياة الناس .. يقبل بكل معايير الحياة الإنسانية، ولا يدعو إلا إلى الحرية والمساواة .. وهي أهم قيم العلمانية ولا تصادم من تركوا الدين، وبالتالي فلا حاجة إلى مصادمة المسيح.
أما العلاقة مع محمد فهي علاقة تصادمية مع كل من التيار الديني والعلماني في الغرب على المستوى الفكري. فمحمد – صلى الله عليه وسلم – حرص على أن يكون فرداً .. إنساناً بكل معاني الإنسانية، ورفض أن يكون إله في صورة إنسان، وبالتالي فهو يناقض فهم المتدينين من الغرب للإله الذي عرفوه، وبالتالي تكونت الكراهية والضيق من كل ما يمثله محمداً صلى الله عليه وسلم .. فهو ليس على شاكلة المسيح .. في نظرهم. وهو يناقض أيضاً مشاعر ورغبات غير المتدينين، لأنه يطلب

من البشر – كما أمره خالقه – بالكثير من العبادات والأعمال والالتزامات، ويقدم حرية المجتمع على حرية الفرد، ويضحي بالمساواة من أجل العدالة ومن أجل صلاح المجتمع. كل ذلك ساهم في تكوين صورة سلبية وقاسية عن نبي الإسلام.
إن المتدينين في الغرب – كما في الشرق أيضاً - يعشقون فكرة المعجزة لأنها خلاص من مواجهة واقع يطحن أحلامهم .. لذلك انتشر في التدين الغربي قصص المعجزات والخوارق وكرامات القديسين، وأصبح ذلك مكوناً رئيسيا من مكونات التدين المسيحي الغربي. أما محمداً صلى الله عليه وسلم فقد جسد إمكانية انتصار الإنسان دون حاجة إلى المعجزات .. لقد كانت حياة الرسول – في نظرهم – خالية من المعجزات، والحياة الغربية قاسية، والتدين فيها يسمح للفرد أن يحلم بالمعجزة للفرار من الواقع، ونبي الإسلام لا يعد بالمعجزات، وإنما بحياة مليئة بالجهد والجد والمعاناة من أجل آخرة يمكن فيها الاستمتاع بالجنة.
لقد نجح من حرفوا دين المسيح أن يقنعوا أنصار المسيح في الفكر الغربي، أن لهم أن يجمعوا بين كل متع الدنيا – فقد دفع ثمن ذلك المسيح – وأن يجمعوا معها أيضاً النجاة في الآخرة لأنهم أحبوا المسيح. وهكذا يتفرغ المتدين للحياة دون الحاجة الحقيقية للعمل فإن محبة المسيح كافية للجنة. أما محمداً فإن دينه ودعوته تطلب من الإنسان الكثير، ولا تعد بالمقابل إلا بأمل في رحمة الله. كيف إذن لمن يعتنق الفكر النفعي أن يحب محمداً؟
ويروي الكاتب العربي هشام جعيط في تحليله للشخصية الأوربية كيف أنها نظرت للعالم الإسلامي ولدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "يسير تاريخ الإسلام لا وفق ديناميكيته الخاصة، بل كانعكاس شاحب ومعكوس لتاريخ الغرب. لنأخذ مثلا على ذلك: شخصية محمد. نلاحظ أنه ضمن كل تحليل لهذه الشخصية تنساب عملية مقارنة مع المسيح. إذا كان محمد غير صادق فذلك لأن المسيح كان صادقا؛ وإذا كان متعدد الزوجات وشهوانيا، فلأن المسيح كان عفيفا؛ وإذا كان محمد محاربا وسياسيا فذلك استنادا إلى يسوع مسالم، مغلوب ومعذب"[٢].
تجذر فكرة النبوة الكاذبة
قامت الكنيسة الغربية تحديداً منذ بداية الإسلام بالطعن في صدق نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا يزال هذا الموقف هو السمت المشترك لمعظم المفكرين المتدينين الغربيين، رغم أن بعضهم قد تنازل ووصف النبي ببعض الصفات الإيجابية كقائد سياسي، أو مصلح إنساني، أو إنسان طموح، ولكن ليس كنبي يوحى إليه. وأخطأ كثير منا في فهم دلالة العبارات، والتي تطير بها وكالات الأنباء العربية والإسلامية، وكأنها تمثل تحولاً فكرياً في نظرة الغرب للنبي. فكم تغنينا بعبارة أن "العظماء مائة وأعظمهم محمد" وغيرها من العبارات التي يكثر تقديمها في هذا السياق.
كما تسببت هذه الرؤية في كذب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في تكوين فكرة مسيحية استقرت في أذهان الكثير من المفكرين الدينيين في الغرب. هذه الرؤية تتصور أن هذه النبوة الكاذبة في ظنهم قد أوقفت تطور الإنسانية باتجاه المسيحية.

يقول أحدهم: "لقد أمكن لمحمد أن يكون إمبراطورية سياسية ودينية على حساب موسى والمسيح".[٣]
ويلحظ أحد المفكرين أن فكرة أن النبي لم يكن نبيا حقيقيا صادقا قد تجذرت دون أن يصدها أي ريب أو شك أو حتى محاولة للتفهم الحقيقي للرسالة الإسلامية عند مفكرين عديدين من القرون الوسطى، أمثال ريمون مارتن، وريطولدو، ومارك دي تولاد، وروجيه بيكون. وتحولت دعوة الإسلام في نظر هؤلاء إلى رسالة ناسوتية أملتها مشاريع المصالح السوداء الدنيوية والشخصية. أما القرآن فليس سوى مجموعة من الخرافات مستعارة من التوراة وبشكل مشوه في نظر هؤلاء.
ولذلك يبقى الإسلام في نظر الغالبية العظمى من مفكري الغرب ديناً زائفاً مهما بلغت نجاحاته، ومهما ادعى أنه أفضل من الدين المسيحي الذي تركه معظم الشعب الأوربي عملياً، ولكنه لا يزال يحرك معتقداته الفكرية في التعامل مع الآخرين بقوة.
هوس فكري
إن كل تساؤل وانشغال كبير بالآخر إنما يعكس في طياته هوساً بهذا الآخر. وقد قدم الإسلام منذ ظهوره ذلك "الآخر" الذي عرفت أوربا نفسها وطموحاتها من خلال مقابلته والمصادمات معه. فرغم أن الإسلام في بداية انتشاره لم يول الغرب أي اهتمام – لتخلف الغرب حينها- إلا أن الإسلام وشخصية النبي محمد بوصفها تجسيداً للكمال الإنساني لدى أنصار الإسلام قد أصبحا محور الهجوم المستمر لمفكري الغرب لتأكيد فكرة أن الغرب أفضل من الشرق. حقاً أن أوربا قد تخلت عن الفكرة المسيحية، ولكنها لا تستطيع أن تتحرر مطلقاً من أثر الفكر المسيحي على شعوبها.
وهذا الفكر المسيحي الغربي قد توحد عبر القرون الماضية حول فكرة معاداة الإسلام، وتقديم نموذج شخصية المسيح عليه السلام – بعد تحريفها- في مواجهة شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما يفسر الهوس الغربي بالهجوم على النبي.
أما بالنسبة للاتجاه غير المتدين – كما يذكر أحد المفكرين العرب- الذي يؤثر أكثر فأكثر في الحقيقة الاجتماعية الأوربية بمرور الزمن. فمنذ أن تحررت الفكرة العلمانية من الضغط المسيحي على التأمل العقلاني وعلى الممارسة السياسية، انفتحت نظرة جديدة للكون. هذه النظرة الجديدة مكنت من رؤية الإسلام بعمق، كجزء متمم وهام من الحياة الإنسانية، ولكنه أيضاً خصم سياسي وعسكري عنيد تمثل في ذلك الوقت في الإمبراطورية العثمانية.
لذلك استمر العداء رغم اختلاف القوى المحركة له، واستمر الهوس بالعالم الإسلامي. وظهرت الانتقائية الفكرية الغربية التي ترى أن الإمبريالية ليست إلا مهمة حضارية للارتقاء بشعوب الأرض، وأن مقاومتها من قبل المسلمين الذين يتمثلون شخصية نبيهم ليسوا إلا برابرة يجب القضاء عليهم من أجل استمرار المهمة الحضارية نحو هدفها في تنقية الجنس البشري من كل أنواع البرابرة، وعلى رأسهم أنصار محمداً.
مرآة داكنة لواقع الغرب

يرى البعض في الغرب في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً متكاملاً لنوع من الكمال الإنساني الذي لا يمكن للغرب بأفكاره ونظرياته وممارساته أن يصل لها. وعند هذا الفريق من الغربيين، يصبح القضاء على هذا النموذج هماً حقيقياً بذاته. فكأن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تمثل ذلك الضمير الذي يوخز الغرب في جنباته، وكأنه مرآة داكنة توضح لهم بالدليل الواقعي مدى التردي الذي وصل إليه حال الشخصية الغربية نتيجة لابتعادها عن النموذج المحمدي.

قد يعترض بعض المفكرين العرب بل والمسلمين على تصوير واقع الشخصية الغربية بهذا الشكل المأساوي، ولكن الحقيقة أن هناك فراغ روحي ضخم في الغرب بالعموم، ويظهر ذلك من ارتفاع معدلات الجريمة والإدمان والانتحار وانتشار الرذائل، بل وتصديرها إلى كل أنحاء العالم. وفي المقابل تظهر الشخصية المسلمة التي يمثلها النبي صلى الله عليه وسلم كمقابل حاد في مواجهته لتلك الشخصية الغربية. ومنها هنا نجد الهجوم الشديد والمتكرر على شخص النبي صلى الله عليه وسلم.

مشروع مواز للغرب

إن أحد مشكلات عداء الغرب التاريخي للنبي صلى الله عليه وسلم، هو أنه جاء بنظام سياسي وفكري متكامل ينازع الغرب في المسلمات الأساسية، وكذلك في طرق التنظيم والإدارة وسياسة المجتمعات، وأخيراً في نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وبين المجتمعات المختلفة. إنه ببساطة نظام متكامل مواز للنظام الغربي، ولا يلتقي معه، وإنما يقدم بديلاً قوياً وخطيراً له.

وكما يذكر أحد المفكرين العرب فإن "الخوف من قوة الإسلام المحركة يأخذ في اللحظات التراجيدية شكل الدفاع والصراع والمشاجرة، أحد أكثر الأشكال الانفعالية في التاريخ. لقد أبرز مفهوم الإسلام السياسي كتهديد متواتر، ومفهوم الدين السياسي كبنية تاريخية في أصول الإسلام. يقول غولديهر: إن الإسلام قد جعل الدين دنيوياً لقد أراد أن يبني حكماً لهذا العالم بوسائل هذا العالم."[٤]

لذلك هاجم المفكرون الغربيون بشدة المشروع الحضاري الإسلامي، واعتبروه خطراً كبيراً يهدد سيادة الفكر الغربي وانتصار الحضارة الغربية، ونهاية التاريخ. ولم يبدأ هذا الأمر مع أحداث سبتمبر، أو مع نشوء فكرة صدام الحضارات أو نظرية نهاية التاريخ، وإنما سبق ذلك بقرون عديدة، واستمر يغذي الشخصية الغربية بمبررات العداء للعالم الإسلامي ولشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وأنظر إلى أحدهم عندما يقول منذ أكثر من قرنين من الزمان: "يجب القول إن من بين كل الذين تجرءوا على سن القوانين للشعوب، لم يكن واحد منهم أجهل من محمد. و بين كل الإبداعات الخرقاء للفكر الإنساني، لم يكن هناك أتعس من كتابه. وما يحدث في آسيا منذ ألف ومائتي سنة يمكن أن يكون البرهان، لأننا لو أردنا الانتقال من موضوع خاص إلى ملاحظات عامة، لكان من السهل البرهان أن الاضطرابات في الدول، وجهل الشعوب في هذه المنطقة من العالم إنما هو تأثير مباشر، إلى حد ما، للقرآن ولأخلاقه."[٥]

إحياء فكرة المواجهة

يرى الكثير من المفكرين الغربيين أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو من تسبب في إحياء روح المقاومة والمواجهة في حياة العرب والمسلمين، وأن الدين الإسلامي هو المحرك الرئيس لجميع أفكار المقاومة الموجودة في أفكار وتصرفات الشعوب الإسلامية. والمقاومة هنا – ليست فقط فكرة مقاومة العدوان – وإنما كل أشكال الانتصار على النفس وعلى الآخر.

يرى المفكرون الغربيون أن رسالة محمد، وأفكار محمد، ودعوة محمد تقديم الرصيد الفكري والنفسي والعقدي لجهد المسلم في الانتصار على نفسه وعدم التسليم لشهوات الحياة ومتع الدنيا التي يتفنن الغرب في محاولة تقديمها للأمة. كما أن المقاومة تمتد لتمنع الكثير من محاولات الهيمنة الفكرية والثقافية على الحياة الإسلامية والعربية من قبل الغرب.

والعجيب أن هذه القوة في الإسلام قد فسرها بعض مفكري القرون الوسطى أنها تدل على زيف الإسلام. يقول لنا دانيال: "إن استعمال القوة، كان تقريبا معتبرا بالإجماع كخاصية كبيرة وأساسية للدين الإسلامي، وبالتالي فهو دلالة بديهية على ضلال الإسلام."[٦]

ورغم كل ذلك تظهر المقاومة في شكل تضحيات إنسانية ضخمة لا يقدمها شعب آخر أو أمة أخرى في سبيل الحفاظ على أرضها ومقدساتها، والرغبة في الدفاع عن أراضيها، وهو ما يصادم الفكر الغربي الذي يعلي من شأن الحياة الدنيا. إن الأعمال الاستشهادية وكل صور المقاومة الأخرى – حتى وإن لم تكن موفقة أو شرعية - تشكل إشكالاً فكرياً عميقاً يصادم الفكر الغربي بقوة، ويقدح في مسلماته الأساسية، ويلقي مفكرو الغرب باللائمة على محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك.

إن الفكر الغربي المعاصر غير قادر على تقديم أي تفسير مادي أو عقلاني للمقاومة الفلسطينية أو للعمليات الاستشهادية أو المسلحة في العراق، أو إصرار الشعوب العربية التي تظهر أنها ضعيفة ومتخلفة على رفض النموذج الغربي للحياة بإصرار يتزايد مع الوقت دون تفسير مقنع إلا بإلقاء اللوم والحقد على محمد – صلوات الله وسلامه عليه. إن النجاحات المتتالية لمشروع المقاومة تستنفر في الغالب موجات جديدة من الهجوم على شخص النبي، وهو ما يفهم على المستوى الفكري – ولا يقبل بأي حال من الأحوال أو يبرر.

الخلاصة

إن عداء الغرب للنبي محمداً هو عداء مفهوم من المنطلقات الفكرية، وإن كان غير مقبول على الإطلاق تحت أي مبرر أو تفسير. كان هدف هذه الدراسة هو توضيح أهم المعالم الفكرية لمشكلة الغرب مع نبي الإسلام. فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد جسد صورة مخالفة تماماً للإنسان عن الصورة التي ارتبط بها المسيحيون عن المسيح كما يصورونه. أنه جسد إمكانية انتصار الإنسان دون الحاجة لمعجزات .. بينما الفكر المسيحي المعاصر في الغرب يرى أهمية المعجزة للهروب من مواجهة الكثير من مصاعب الحياة في الغرب.

إن محمداً قد أحيا فكرة القوة وعدم الخوف من المواجهة، وهي فكرة خطيرة في نظر أصحاب مشروعات الهيمنة والسيطرة على واقع الأمة الإسلامية وثرواتها

ومستقبلها. أن محمداً قد حارب من أجل أن ينتصر الإنسان على ذاته .. لا أن يخضع لها، وهذا الأمر يحارب ويصادم تحويل كل شيء في الكون إلى سلعة، وتحويل كل فرد إلى مستهلك.
لقد قدم رسول الله نموذجاً متكاملاً لحياة موازية للغرب .. لا تلتقي معه اضطرارا .. ولا تتنازل له خوفاً. والأهم من كل ذلك أنه محبوب بشدة من المسلمين .. معروف لكل العالم .. نجح بكل المعايير الغربية .. ولكنه رفض كل مفاهيم الغرب .. هو نموذج يجب القضاء عليه .. ويبدو أن ذلك غير ممكن لأن إرادة الخالق أقوى من عبث المخلوقين.

....

[١] كاتبة بريطانية تدين الغرب وتتهمه بالتجني على الإسلام، القاهرة: جمال شاهين، الشرق الأوسط، الأربعاء ١٨ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ ١٨ يناير ٢٠٠٦ العدد ٩٩١٣

[٢] "أوروبا والإسلام"، "صدام الثقافة والحداثة"، هشام جعيط، دار الطليعة، ٢٠٠١، ص٤٠.

[٣]

[٤] "أوروبا والإسلام"، "صدام الثقافة والحداثة"، هشام جعيط، دار الطليعة، ٢٠٠١، ص٨٥.

[٥] Voyage en Syrie et en Egypte Pendant les annees ١٧٨٣ _١٧٨٥، Paris، ١٧٨٧، PP. ٣٠١ _٣١٠.

[٦] Norman Daniel, Islam and the west, The making of an Image, Edinburgh, ١٩٦٠, P.١٤٦

----

(٢٨) الإساءة إلى الإسلام في الغرب.. حرية تعبير أم وجدان صليبي

د. محمد مورو

لوحظ في السنوات الأخيرة ارتفاع نبرة الإساءة إلى الإسلام والهجوم على رموزه في الأوساط الثقافية والفكرية بل والسياسية في الغرب. وفي الحقيقة فإن الكيد للإسلام والإساءة له ليس أمراً جديداً على الغرب ، الجديد فقط هو ارتفاع تلك النبرة والأمر لا يرتبط هنا بحالة رد الفعل المزعومة بسبب أحداث ١١ سبتمبر ولكنه يضرب في جذور تلافيف العقل الغربي قبل سبتمبر ٢٠٠١ وبعده ، فالجندي الإيطالي الذي كان يذهب إلى ليبيا لاحتلالها كان ينشد لأمه:

أماه..
أتمي صلاتك..
لا تبك، بل أضحكي وتأملي،
أنا ذاهب إلى طرابلس،
فرحاً مسروراً
سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة
سأحارب الديانة الإسلامية

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن. [١]
وكتبت جريدة فرنسية سنة ١٩٢٦ تقول: "لقد استسلم عبد الكريم الخطابي من غير شروط، وخضع لحماية فرنسا، ذلك ما كنا نبغي، فالحادث مهم، فهو يضرب الإسلام في الصميم، وبوسعنا الآن أن نفتك بهذا الدين الفتك الذريع".[٢]
والجنرال بيجو القائد العسكري الفرنسي في الجزائر حدد هدف الغزو " أن أيام الإسلام الأخيرة في الجزائر قد اقتربت " ، وكان يقتل الرجال والنساء ويأتي بالأطفال ويسلمهم إلى القسيس بريمو " الذي صاحب الغزو الفرنسي " قائلاً له " حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين " ، ويلخص نفس الجنرال المسألة بكاملها قائلاً " إن العرب لن يكونوا لفرنسا إلا حينما يصبحون مسيحيين ".[٣]
وقبل ذلك فإن المسألة برمتها يلخصها قول الأب أربان الثاني مفجر الحروب الصليبية في مجمع كلير مونت عام ١٠٩٥ م "أيها الجنود المسيحيون . . . اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الأشرار ، اذهبوا واغسلوا أيديكم بدماء أولئك المسلمين الكفار". [٤]
نحن إذن أمام وجدان صليبي وعداء وحقد على الإسلام قديم جديد وليست عملية الإساءة إلى الإسلام إلا الجزء الطافي من جبل الجليد بل إن عملية محاولة اجتثاث الإسلام ذاته هي محاولة لم تتوقف قط منذ مئات السنين وشهدت عمليات إبادة ، مذابح تبشير ، حرب ثقافية – غزوات... إلخ.
وأعتقد أن السبب الرئيسي لتلك المحاولات المستمرة لتشويه الإسلام والإساءة إلى رموزه بالإضافة إلى الحقد الصليبي المعروف هو نوع من الهزيمة الداخلية في العقل المسيحي الغربي فالخوف من انتشار نور الإسلام ، وبسبب صحة العقيدة الإسلامية بكل المقاييس العقلية والنفسية والعلمية والأدبية دفعت دهاقنة الغرب لمحاولة تشويه الإسلام ومن ثم حجب نوره عن أعين الأوروبيين .
والإساءة إلى الإسلام لا تتم في الغرب فقط ، بل يقوم بها أيضاً عملاء محليين يدفع لهم الغرب هذا الثمن من الأموال والجوائز والمنح العلمية والأدبية... إلخ، وهؤلاء ما هم إلا طابور خامس يردد أقول مستشرقي الغرب كالببغاء ، وهم بالطبع لا يحزون باحترام أهاليهم ، ولا احترام الغرب ذاته لأنهم مجرد عملاء .
....
بالنسبة لنا كمسلمين فإن الإساءة إلى الإسلام هي نوع من الكفر البواح ، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بحرية التعبير المزعومة ، وتقتضي بالطبع عقوبة يقررها العلماء المسلمون ولكن الغرب يزعم أن حرية التعبير هي الدافع وراء هذا السيل من الإساءات للإسلام ، وأنه من ثم لا يستطيع أن يصدر قرارات إدارية بمنع ذلك لأن ذلك يتعارض مع الحرية التعبير المزعومة ، وفي الحقيقة فإن ذلك كذب وخداع ، فحرية التعبير المزعومة تلك لم تمنع بلداً كفرنسا من مصادرة كتب أحمد ديدات في فرنسا ولم تمنع من محاكمة روجيه جارودي لمجرد أنه شكك في أرقام الضحايا اليهود في أفران هتلر .
وهي أمور تدخل في باب السب والقذف وليس حرية التعبير نفس الأمر ينطبق على تصريحات قساوسة النصارى في أمريكا أمثال بات روبرتسون وجراهام بل الذي

وصف رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بالهمجية والعدوان ، وتنطبق على حاخامات اليهود من أمثال " عوفاديا يوسف " الذي وصف المسلمين بالصراصير والحشرات التي ينبغي سحقها بالأقدام .
الإساءة للإسلام لم تتوقف عند هذا الحد ، ولكنها وصلت إلى تمزيق المصاحف وتلويثها بالنجاسات والسير عليها بالأقدام في معسكر جوانتانامو – واعترفت الإدارة الأمريكية بذلك ! ! . وكذلك نفس الشيء في سجن "مجدو" الإسرائيلي ، الأمر الذي دفع المعتقلين الفلسطينيين إلى الإضراب عن الطعام لوقف الإساءة إلى رموز الإسلام .
والحملة الصحفية في الدانمارك والتي تم فيها التطاول على الإسلام ورسول الإسلام تأتي في نفس الإطار فإذا أصبح المسلمون زعمت حكومات الغرب أن ذلك خارج إطار سلطاتها لأنه يدخل في باب حرية التعبير المزعومة ، والحقيقة أنه سب وقذف حتى بمعايير الغرب وقوانينه ذاتها .
والحديث الغربي عن الحرية والديمقراطية أصبح حديثاً مفضوحاً ، بعد ما حدث في جوانتانامو وأبو غريب وقلعة جانجي بأفغانستان وغيرها مما رصدته واعترفت به منظمات حقوقية دولية لا يمكن اتهامها بالانحياز إلى الإسلام مثلاً .
ولكن على أي حال سنجاري الغرب في أكاذيبه حول حرية التعبير ، ونقبل أن نأخذ بمعاييره مؤقتاً للحكم على سبيل الإساءات للإسلام في الغرب .
فالمدعو سلمان رشدي مثلاً الذي احتفى به الغرب ومنحه الحماية والجوائز والتقدير لم يقدم كتاباً مثلاً في مناقشة الأفكار الإسلامية بل قدم قذفاً صريحاً في حق أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم ، وأساء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وافترى على الجميع افتراءات منحطة وكلها أمور تخضع للعقوبة في أي قانون غربي ، فحرية التعبير غير السب والقذف والافتراء والكذب بالطبع .
نفس الأمر ينطبق على المدعوة " تسليمة نسرين " وهي كاتبة بنغالية الأصل حذت حذو سلمان رشدي .
في الإطار نفسه سمعنا تصريحات من رئيس الوزراء الإيطالي " بيرلسكوني " الذي وصف الحضارة الإسلامية بالانحطاط والكاتبة الإيطالية " إيريا فلاشيا " التي وصفت الإسلام بكل الأوصاف المنحطة من أنه دين متخلف ووثني وعدواني بل ومقيد ! ! .
والحقيقة المريرة أن هناك أولاً ضعف عام لدى المسلمين وحكوماتهم وجماعاتهم وهيئاتهم الدينية والدبلوماسية على حد سواء تغري الآخرين بامتهان المقدسات الإسلامية والإساءة إلى الرموز الدينية ووصل الأمر إلى حد الدعوة لضرب الكعبة الشريفة وهدم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي دعوة تكررت كثيراً في الصحف الأمريكية .
والسؤال الآن . . . أين الحكومات العربة ، أين الأزهر أين المؤسسات الدينية . . . أين منظمات المجتمع الأهلي التي تقيم الدنيا وتقعدها إذا حدث اعتداء مزعوم على مسيحي أو يهودي ! ! .

أين المعتصم الذي سير الجيوش لمعاقبة الرومان لمجرد الاعتداء على سيدة واحدة مسلمة ، والتي هتفت في عمورية " وامعتصماه " فاستمع إليها الخليفة المعتصم في بغداد على بعد مئات الأميال ، واستجاب لندائها ولكن حكام العرب والمسلمين لم يعد فيهم معتصم ولا حول ولا قوة إلا بالله .
{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة:٣٢].

الهوامش:

(١) محمد جلال كشك . . القومية والغزو الأمريكي

(٢) ٢٨ / ٥ / ١٩٢٦ – da depeche de constasntine

(٣) د / محمد مورو – الجزائر تعود لمحمد – المختار الإسلامي – ١٩٩٢

(٤) د / سيد عبد الفتاح عاشور – الحروب الصليبية – مكتبة الأنجلو المصرية

----

(٢٩)

=====================

الباب التاسع- مواضيع المتطاولون وعاقبتهم

١. كيف انتقم الله من الذين سبوا الرسول صلى الله عليه وسلم عبر التاريخ؟!

بقلم: د. عادل باناعمة.

قصة كسرى وقيصر المشهورة مع النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بالتأمل، فقد كتب إليهما النبي صلى الله عليه وسلم، فامتنع كلاهما من الإسلام، لكن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأكرم رسوله، فثبت الله ملكه، وكسرى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتله الله بعد قليل، ومزق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك. (الصارم المسلول: ١٤٤)

وكان من أثر ذلك ما ذكره السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيمًا له، وهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سبطه، فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكنه من تقبيله فامتنع، ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتابًا قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خِرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا.

وإليكم هذا الخبر العجيب!

كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينّه في ربه سبحانه وتعالى، فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد (هو يكفر) بالذي دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك".
ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك". قال: يا بني، والله ما آمن عليك دعاءه!
فساروا حتى نزلوا بالشراة وهي أرضٌ كثيرة الأسد، فقال: أبو لهب إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع فشمَّ وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه!! فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت من دعوة محمد!! (تفسير ابن كثير).
وذكر الكتانيّ في ذيل مولد العلماء (١٣٩/١) أنه ظهر في زمن الحاكم رجلٌ سمّى نفسه هادي المستجيبين، وكانوا يدعون إلى عبادة الحاكم، وحُكيَ عنه أنّه سبَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وبصق على المصفح، فلما ورد مكة شكاه أهلها إلى أميرها، فدافع عنه، واعتذر بتوبته، فقالوا: مثل هذا لا توبة له! فأبى، فاجتمع الناس عند الكعبة وضجوا إلى الله، فأرسل الله ريحًا سوداء حتى أظلمت الدنيا، ثم تجلت الظلمة وصار على الكعبة فوق استارها كهيئة الترس الأبيض له نور كنور الشمس، فلم يزل كذلك ترى ليلاً ونهارًا، فلما رأى أمير مكة ذلك أمر بـ"هادي المستجيبين" فضرب عنقه وصلبَه.
وذكر القاضي عياض في الشفا (٢١٨/٢) قصة عجيبة لساخر بالنبي صلى الله عليه وسلم! وذلك أن فقهاء القيروان وأصحابَ سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فأمر القاضي حيى بن عمر بقتله وصلبه، فطُعن بالسكين وصُلب مُنكسًا، وحكى بعضُ المؤرخين أنه لما رُفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحوَّلته عن القبلة فكان آيةً للجميع، وكبر الناسُ، وجاء كلبٌ فولغ في دمه!!
وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبًا فصيحًا مفوهًا أراد أن يثني على أحد كبار المسؤولين لأنه احتفى بطه حسين فلم يجد إلا التعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقال في خطبته: جاءه الأعمى فما عبس وما تولى!!
قال الشيخ أحمدُ: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي ـ بعد بضع سنين، وبعد أن كان عاليًا منتفخًا، مستعزًا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء ـ رأيته مهينًا ذليلاً، خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار!!
وذكروا أن رجلاً ذهب لنيل الشهادة العليا من جامعة غربية، وكانت رسالتُهُ متعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان مشرفه شانئًا حانقًا، فأبى أن يمنحه الدرجة حتى يضمن رسالته انتقاصًا للمصطفى صلى الله عليه وسلم، فضعفت نفسه، وآثر الأولى

على الآخرة. فلما حاز شهادته ورجع إلى دياره فجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ.
لا إله إلا الله.
صدق الله.. {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}.
وليعلم أن كفاية الله لنبيه ممن استهزأ به أو آذاه ليست مقصورة على إهلاك هذا المعتدي بقارعة أو نازلة.
بل صور هذه الكفاية والحماية متنوعة متعددة..
فقد يكفيه الله عز وجل بأن يسلط على هذا المستهزئ المعتدي رجلاً من المؤمنين يثأر لنبيه صلى الله عليه وسلم، كما حصل في قصة كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، واليهودية التي كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم فخنقها رجل حتى ماتت (أبو داود) وأم الولد التي قتلها سيدها الأعمى لما شتمت النبي صلى الله عليه وسلم (أبو داود)، وأبي جهل إذ قتله معاذ ومعوذ لأنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخطّمية التي هجت النبي صلى الله عليه وسلم فانتدب لها رجل من قومها (الصارم المسلول ٩٥)، وأبي عَفَك اليهودي الذي هجا النبي صلى الله عليه وسلم فاقتصه سالم ابن عمير (الصارم المسلول ١٠٢)، وأنس بن زُنَيم الذي هجا النبي صلى الله عليه وسلم فشجه غلام من خزاعه (الصارم المسلول ١٠٣)، وسلام ابن أبي الحقيق إذ ثأر للنبي صلى الله عليه وسلم منه عبد الله بن عتيك وصحبه (الصارم المسلول ١٣٥).
ولعل أغرب وأعجب وأطرف ما وقفت عليه في هذا الباب ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفه المشهور (الصارم المسلول على شاتم الرسول) (ص: ١٣٤)، قال رحمه الله: وقد ذكروا أن الجن الذين آمنوا به، كانت تقصد من سبه من الجن الكفار فتقتله، فيقرها على ذلك، ويشكر لها ذلك!
ونقل عن أصحاب المغازي أن هاتفًا هتف على جبل أبي قبيس بشعر فيه تعريض بالنبي صلى الله عليه وسلم، فما مرت ثلاثة ايام حتى هتف هاتف على الجبل يقول:
نحن قتلنا في ثلاث مسعرا إذ سفه الحق وسن المنكرا
قنّعتُهُ سيفًا حسامًا مبترا بشتمه نبينا المطهرا
ومسعر ـ كما في الخبر ـ اسم الجني الذي هجا النبي صلى الله عليه وسلم.
ومن صور كلاءة الله لنبيه ممن تعرض له بالأذى أن يحول بين المعتدي وبين ما أراد بخوف يقذفه في قلبه، أو ملك يمنعه مما أراد.. وقد روي أن غورث بن الحرث قال لأقتلن محمدًا، فقال له أصحابه، كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به. فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشمّه، فأعطاه إياه فرعدت يده، فسقط السيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حال الله بينك وبين ما تريد" (الدر المنثور ١١٩/٣).
ومثل ذلك ما ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٣٠/٤) من أن أبا جهل قال لقومه: واللات والعزى لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه! فقيل: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولاً

وأجنحة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا".

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجالاً من قريش اجتمعوا في الحجر، ثم تعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف أن لو قد رأوا محمدًا لقد قمنا إليه مقام رجل واحد فقتلناه قبل أن نفارقه، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: هؤلاء الملأ من قومك لقد تعاهدوا لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل واحد إلا قد عرف نصيبه من دمك. فقال: "يا بنية آتيني بوضوء"، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخفضوا أبصارهمن وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم منهم إليه رجل، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم، وأخذ قبضة من التراب ثم قال: "شاهت الوجوه"، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصا حصاةٌ إلى قتل يوم بدر كافرًا. (دلائل النبوة ٦٥/١).

لا إله إلا الله..

صدق الله.. {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئينَ}.

ومن صور حماية الله لنبيه، وكفايته إياه استهزاء المستهزئين أن يصرف الشتيمة والذم والاستهزاء إلى غيره.. فإذا بالشاتم يريد أن يشتمه فيشتم غيره من حيث لا يشعر!!

قال صلى الله عليه وسلم: "ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمدٌ"! (البخاري)، قال ابن حجر (الفتح ٥٥٨/٦): كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمونه باسم الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم. ومذمم ليس اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم مصروفًا إلى غيره!

لا إله إلا الله..

صدق الله.. {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئينَ}.

ومن صور الحماية الربانية أن يغير الله السنن الكونية صيانة لنبيه صلى الله عليه وسلم ورعاية له.

وشاهد ذلك قصة الشاه المسمومة، فهذه زينب بنت الحارث جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم، بشاة مشوية دست فيها سمًا كثيرًا، فلما لاك النبي صلى الله عليه وسلم منها مضغة لم يسغها، وقال: "عن هذا العظم يخبرني أنه مسموم"! ثم دعا باليهودية فاعترفت.

فانظر كيف خرم الله السنن الكونية من جهتين:

أولاهما: أنه لم يتأثر صلى الله عليه وسلم بالسم الذي لاكه.

وثانيتهما: أن الله أنطقَ العظم فأخبره عليه الصلاة والسلام بما فيه.

ومن صور الكفاية الربانية لنبي الهدى صلى الله عليه وسلم ممن آذاه أن يقذف الله في قلب هذا المؤذي المعتدي الإسلام، فيؤوب ويتوب، حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين!!

ومن أعجب الأمثلة في ذلك قصة أبي سفيان بن الحارث أخي النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع، وكان يألف النبي صلى الله عليه وسلم أيام الصبا وكان له تربًا، فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم عاداه أبو سفيان عداوةً لم يعادها أحدًا قط، وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجا أصحابه.. ثم شاء الله أن يكفي رسوله صلى الله عليه وسلم لسان أبي سفيان وهجاءه، لا بإهلاكه وإنما بهدايته!! قال أبو سفيان عن نفسه: ثم إن الله ألقى في قلبي الإسلام، فسرت وزوجي وولدي حتى نزلنا بالأبواء، فتنكرت وخرجت حتى صرت تلقاء وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ملأ عينيه مني أعرض عنّي بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحولت إلى ناحية وجهه الأخرى.

قالوا: فما زال أبو سفيان يتبعُهُ، لا ينزلُ منزلاً إلا وهو على بابه ومع ابني جعفر وهو لا يكلمه، حتى قال أبو سفيان: والله ليأذنن لي رسول له أو لآخذن بيد ابني هذا حتى نموت عطشًا أو جوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما فدخلا عليه. (انظر سيرة ابن هشام ٤١/٤). فسبحان من حوّل العداوة الماحقة إلى حب وتذلل، وملازمة للباب طلبًا للرضا!!

لا إله إلا الله..

صدق الله.. {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

----

٢. وللكافرين أمثالها

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِهِ تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك،ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب – يعني المغرب- حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين" انتهى.

الصارم المسلول ص ١١٦-١١٧

----

٣. عاقبة القرطاء البكريين.. استهزءوا بكتاب رسول الله فأصابهم العته

بعث الرسول إلى القرطاء البكريين وهم حي في نجد يدعوهم للإسلام بكتاب، فاستهزءوا به وبكتابه، وأخذوا الكتاب الذي يدعوهم للتوحيد وغسلوه من حبر الكتابة ثم رقعوا به دلو لهم مخروم وضحكوا من الكتاب وسخروا من الرسول، فما الذي جرى لهذا الحي كله، كل من شرب من هذا الدلو المرقوع بخطاب النبي أخذته رعدة

وعجلة واختلاط في كلامه واعوج لسانه وأصبحوا أهل سفه وخفة لا يحسنون الكلام ولا يفهموه من يسمعه واستمر ذلك حتى في نسلهم.

وإذا ما أتتهم من محمد آية　　　محوها بماء البئر فهي عصير
وأعرضوا عن الحق بعد بيانه　　　سفاهة منهم فكان الكلام عسير

----

٤. عاقبة الصليبى الشهير أرناط أمير الكرك

يعتبر الأمير الصليبي "رينالد دي شاتيون" المشهور في المراجع العربية باسم "أرناط"، من أشد الصليبيين عداوة وغدراً وحقداً على الإسلام والمسلمين، قضى حياته كلها في محاربة المسلمين تديناً منه، ووقع في الأسر عدة مرات، ويفتدى نفسه ليخرج لمحاربة المسلمين مرة أخرى، وكان أميراً على حصن الكرك وكان دائم الإغارة على قوافل المسلمين، وذات مرة هاجم أرناط قافلة حجاج مسلمين فقتلهم وسرق متاعهم وأثناء اقترافه هذه الجريمة الشنيعة أخذ في سب النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول للمسلمين "أين محمدكم لينقذكم؟".

وقد فكر هذا الخنزير الأحمق في الهجوم على مكة والمدينة النبوية وأعد أسطولاً لذلك وقام بغارات مجرمة على قوافل الحجيج، فأقسم "صلاح الدين" على أن يقتل هذا الكلب بيده إذا ظفر بيده، وجاء يوم الوفاء يوم "حطين" العظيم سنة ٥٨٣ هجرية، حيث وقع هذا الكلب في الأسر، وقال صلاح الدين بعزة المؤمن المدافع عن نبيه وأمته: أنا أنوب عن الأمة في الانتصار لرسولها ثم ضرب عنق أرناط بسيفه فأطارها وأطار معها أفئدة باقي الأسرى الصليبيين .

٥.عاقبة أحمد القادياني (النجاسة تخرج من فمه عند موته)

هذا الدجال الكاذب المحتال الذي ادعى النبوة غلام أحمد ميرزا القادياني، العميل الإنجليزي الذي تم تجنيده لإفساد عقائد المسلمين، كان هذا الدجال يفضل نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول عن نفسه :

له خسف القمر المنير وإن لي　　　غسا القمران المشرقان أتنكر

ويرفع نفسه فوق النبي صلى الله عليه وسلم ويقول إنه أكمل وأعظم من الرسول صلى الله عليه وسلم، فهلك هذا الدجال بالطاعون وجاءه أجله المقدور في بيت النجاسات وهو يقضي حاجته، وكانت النجاسة تخرج من فيه قبل موته وذلك في ٢٦ مايو ١٩٠٨ ميلادية .

والقائمة طويلة والمصير المحتوم ينتظر كل طاعن ومستهزئ وإن تخلفت الأمة عن نصرة نبيها فالكون كله لنبيه سينتصر،وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

٦.عاقبة كسرى ملك الفرس (يمزق خطاب النبي فيتمزق ملكه)

وهو كبير الفرس المجوسي الذي كان يعتقد أنه إله البشر وسيدهم، يأتيه خطاب من الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوه للإسلام، مع عبد الله بن حذافة السهمي فبمجرد أن يسمع أن الرسول قد بدأ الخطاب باسمه قبل اسم كسرى، فيمزق الكتاب ويقول بكبر مجوسي بغيض عبد من عبادي يبدأ كتابه بنفسه قبلي، ويطرد السفير، فلما

وصل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [مزق ملكه]، فيعدو على كسرى أقرب الناس إليه "شيرويه" ابنه الكبير فيقتله، ثم ما يلبث أن يُقتل هو، ثم يقتل من قتله، وحتى تمزق ملك كسرى حتى أخذه المسلمون وفتحوا بلاده كلها في عهد الراشدين .

وكسرى إذ تقاسمه بنوه   بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم   أتى ولكل حاملة تمام

----

٧. عاقبة عبد الله بن قمئة (التيس ينتصر لرسول الله)

وهو المشرك العنيد الذي ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرحه في غزوة أحد وهو يقول "خذها مني وأنا ابن قمئة" فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم [أقمأك الله] أي قطعك الله، فلما عاد لأهله بعد الغزوة خرج إلى غنمه ليرعاها فوافاها على ذروة جبل شامخ فشد عليه تيس فنطحه نطحة أرداه بها من شاهق الجبل فسقط أسفله متقطعا. وسبحان الله مشرك حقير لا يليق بقتله إلا تيس الغنم!!

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَمِئَةَ ، رَمَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَشَجَّهُ فِي وَجْهِهِ ، وَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ وَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِئَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ مِنْ وَجْهِهِ : " مَا لَكَ ؟ أَقْمَأَكَ اللَّهُ " . فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ فَلَمْ يَزَلْ يَنْطِحُهُ حَتَّى قَطَّعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً *رواه الطبراني في الشاميين برقم (٤٤٠و٣٣٦٠) وفي المعجم الكبير برقم (٧٤٧٧)

----

٨. عاقبة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس (صاعقة السماء تحرق المتآمرين)

كان عامر بن الطفيل شيطان نجد الذي غدر بأصحاب بئر معونة ومعه شيطان مثله هو أربد بن قيس، قد اتفقا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم غدراً وغيلة، بحيث يشغل عامر بن الطفيل بالحديث ويأتي أربد بن قيس من خلفه ويطعنه بالخنجر، ولكن الله عز وجل حبس يد أربد وشلها، ونجا الله رسوله من غدر الكافرين، وفي طريق عودتهما أرسل الله على أربد بن قيس وجمله الذى يركبه صاعقة من السماء فأحرقته، أما عامر بن الطفيل فأصيب بغدة في عنقه فصار يخور مثل البعير المنحور حتى هلك.

٩.عاقبة عقبة بن أبي معيط (وضع رجله على عنق النبي فقطعت عنقه)

هو أشقى المشركين قاطبة والذي تجرأ على فعلة لم يجرؤ عليها ولا حتى أبا جهل، حيث جاء والرسول ساجد خلف المقام بالكعبة فوضع رجله على عنق الرسول وغمزها فما رفعها حتى كادت تخرج عينا الرسول من مكانها، ثم جاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على كتف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فجاءت فاطمة فطرحته عن كتف أبيها.

فتكون عاقبته أن يقع أسيراً في غزوة بدر ويؤخذ من بين الأسرى وتضرب عنقه ثم يلقى في قليب بدر العفن، وهكذا جزاء من سولت له نفسه وضع قدمه على العنق المبارك الشريف تقطع عنقه ويلقى في المزابل.

----
١٠. عاقبة المستهزئ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم (رجل يلد مثل المرأة)!!
روى ابن كثير في تاريخه وابن خلكان في تراجمه في أحداث سنة ٦٦٥ هجرية، أن رجلاً من أهل بصرى اسمه "أبو سلامة" كان فيه مجون واستهتار واستهزاء بكل شيء، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال: "والله لا أستاك إلا في المخرج يعني دبره، ثم أخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو ألم البطن ثم وضع ولداً على صفة الجرذان له أربع قوائم ورأسه كرأس السمكة وله أربعة أنياب بارزة وذنب طويل، ولما وضعه صاح هذا الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأس الحيوان فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه هذا المسخ يومين ومات في الثالث وهو يقول "هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي"

١١.عاقبة شاتم الرسول (القربان الصليبي)
أثناء الحملة الصليبية السادسة على دمياط سنة ٦١٥ هجرية، وبعد أن احتل الصليبيون دمياط وأقام الأمير الأيوبي محمد الكامل معسكره في المنصورة قبالة دمياط لمقاومة العدوان الصليبي، كان كل يوم يخرج كلب صليبي ويقف قبالة المعسكر الإسلامي ثم يبدأ في سب النبي صلى الله عليه وسلم بأقذع الشتائم والسباب، وظل يفعل ذلك كل يوم، وكان الأمير محمد يود أن يأسر هذا الصليبي الحاقد وقد حفر شكله في ذاكرته ومخيلته، ولما انتهت الحملة الصليبية بالفشل سنة ٦١٨ هجرية، عاد الصليبيون إلى بلادهم، ولكن هذا الكلب الصليبي الحاقد لم يرجع بل توجه إلى الشام لمحاربة المسلمين هناك وذلك من شدة عداوته للإسلام والمسلمين، وهناك يقع في الأسر ويعرفه الأمير محمد الكامل فيأخذه من بين الأسرى ويرسل به إلى المدينة النبوية، لينحر أمام الحجرة الشريفة يوم الجمعة وذلك سنة ٦٢٥ هجرية، جزاءً له على سبه للرسول صلى الله عليه وسلم .

----
١٢. انتقص النبي تزلفًا لنصراني فأهلك الله أهله وأولاده!!
فهذا أحدهم ذهب لنيل شهادة الدكتوراه خارج بلده ، فلما أتم دراسته وكانت تتعلق بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، طلب منه أستاذه من النصارى أن يسجل في رسالته ما فيه انتقاص للنبي عليه الصلاة والسلام وتعريض له ، فتردد الرجل بين القبول والرفض ، فأختار دنياه على آخرته، وأجابه إلى ما أراد طمعاً في تلك الشهادة ، فما أن عاد إلى بلده حتى فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مروع ، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى.

١٣.عاقبة عتبة بن أبي لهب الأسود تنتصر لرسول الله
هو الكافر بن الكافر الذي تجرأ وتفل في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وطلق ابنته وأذاه أشد الإيذاء وذلك قبل أن يخرج إلى الشام للتجارة، فدعا النبي فقال (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك) فلما ذهب للشام خاف أبوه أبو لهب من دعوة النبي، فأنزل ولده

في صومعة راهب وجعل فراشه الذي ينام عليه خلف المتاع ليكون بمثابة الستار له، وأين الفرار من المصير المحتوم لكل من أذى رسول الله، فناموا وجاء أسد بالليل يسعى فطاف على كل النائمين يشمهم ثم يعرض عنهم لأنه قد جاء لمهمة محددة، حتى وثب فوق المتاع وشم وجه اللعين فضربه ضربة قاتله ثم أخذه يجره من رأسه وذهب به بعيداً ليأكله ، وانظر كيف أخذه من وجهه لأنه تفل في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يأخذه من يديه أو رجليه إنما من وجهه الذي تجرأ به على النبي .

من يرجع العام إلى أهله   فما أكيل السبع بالراجع

----

١٤. إمام عرض بالنبي فأصبح حارس الأحذية!!

ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عن والده محمد شاكر ، وكيل الأزهر في مصر سابقاً ، أن خطيباً مفوها فصيحا كان يمدح أحد الأمراء في مصر عندما أكرم طاه حسين الذي كان يطعن في القرآن وفي العربية ، فلما جاء طاه حسين إلى ذلك الأمير قام هذا الخطيب المفوه يمدح ذلك الأمير قائلا له:

جاءه الأعمى فما عبس بوجه وما تولى

وهو يقصد من شعره هذا إساءة النبي عليه الصلاة والسلام ، لأن الله قال عن قصته عليه الصلاة والسلام مع ابن أم مكتوم " عبس وتولى أن جاءه الأعمى " فلما صلى الخطيب بالناس قام الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد شاكر رحمهما الله ، وقال للناس : أعيدوا صلاتكم فإن إمامكم قد كفر، لأنه تكلم بكلمة الكفر، قال الشيخ أحمد شاكر: ولم يدع الله لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى ، فأقسم بالله أنه رآه بعينه بعد بعض سنين ، بعد أن كان عالياً منتفخاً مستعزاً ، مهيناً ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة ، يتلقى نعال المصلين ليحفظها في ذلة وصغار.

----

١٥. عاقبة المرتد المستهزئ بالرسول الأرض تلفظه من بطنها

أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما بألفاظ متقاربة عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا فَكَانَ يَقُولُ مَا يَدْرِى مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا . فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ . فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ ، وَأَعْمَقُوا لَهُ فِى الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا ، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ

وهكذا الأرض تقول للرسول صلى الله عليه وسلم سمعاً وطاعة، فلا مكان في بطني لمن استهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم .

١٦.عاقبة المحاكي الساخر بأفعال الرسول

أخرج البيهقي بسنده في دلائل النبوة ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ فُلانٌ يَجْلِسُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَإِذَا تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِشَيْءٍ اخْتَلَجَ وَجْهُهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : كُنْ كَذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُخْتَلَجُ حَتَّى مَاتَ ،

----

١٧. عاقبة المتكبر على النبي صلى الله عليه وسلم : (الشلل السريع)

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع قال: [أكل رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كل بيمينك قال لا أستطيع "قالها كبراً وترفعًا" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا استطعت، فما رفعها إلى فيه]

----

١٨. عاقبة أبي جهل : (الأطفال تنتصر لرسول الله)

أبو جهل هو فرعون هذه الأمة وأكثرها معاندة ومحاربة للرسول وأكثرهم طعناً وشتماً وسباً للرسول صلى الله عليه وسلم، قضى حياته كلها في حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف كانت نهايته؟

في غزوة بدر يروى لنا "عبد الرحمن بن عوف" كيف تم ذلك فيقول: [إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما، يقصد أقوى منهما، فغمزني أحدهما فقال يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضا مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء] وهكذا ينتصر الأطفال ممن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا يكون مصرع هذا الفرعون المتكبر على يد أطفال صغار .

****

الفهرس العام

الباب العاشر – ما قيل فيه من شعر صلى الله عليه وسلم

مقدمة

النبيُّ العظيم بين حِقْدِ أعْدائه وحبِّ أبنائه

د.عدنان علي رضا النحوي

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) [الأحزاب : ٥٧]

لقد اعتاد المجرمون في الأرض أن يحاربوا الحق والهدى بوسائل شتَّى . والهجوم على رسول الله وعلى الإسلام تاريخ طويل ابتدأ به كفار قريش ، وكان آخره ما حدث في الدنمارك حين نشرت إحـدى صحفها صوراً مسيئة للرسول محمد ، وما تلا ذلك من أحداث كشفت حقيقة الحقد الدفين . ولكن مهما بذل المجرمون في هذا السبيل فإنه لا يُنقص من المترلة العالية لمحمد عند الله وعند المؤمنين . وقد توعد الله المستهزئين ، وذلك بقوله سبحانه وتعالى :

(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [الحجر:٩٥]

فقد كان نفر من قريش يستهزئون برسول الله فأهلكهم الله جميعاً ، وكذلك في الآية المذكورة أعلاه :

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) [الأحزاب : ٥٧]

وعيد شديد يُنْزِل الله به عليهم اللعنة في الدنيا والآخرة ويعدُّ لهم عذاباً مهيناً، وكذلك آيات أخـرى في هذا الصدد .

وحَسْبُ الرسول المصطفى أنْ مدحه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وأعلـى ذكـره في الأرض والسماء أبد الدهر ، ثناءً لم ينله أحد من خلقه . وتدافع الشعراء والمؤمنون يمدحون رسـول الله مديحاً امتدَّ من حياة الرسول الكريم إلى يومنا هذا ، وما اجتمع لأحد من خلق الله أن ينال هذا المديح الممتد ولا جزءاً منه ، مديحاً أفرغ فيه المؤمنون شديد إيماهم وعظيم حبِّهم وروائـع بيـاهم ، لتظلَّ أنشودة الدهر ، ولآلئ البيان .

ولعلَّ أول من بدأ بمدح رسول الله من الشعراء الأعشى الكبير ميمون ابن قيس في قصيدته التي مطلعها :

أ لم تَغْتمِضْ عيناك ليلة أرمدا   وعادك ما عاد السليم المسهَّدا

وقصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه حين تاب واعتذر وألقى بين يدي رسول الله قصيدته الرائعة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ   مُتيمّ إثرها لم يُفْدَ مكبول

وأنا أعدُّ هذه القصيدة من روائع الأدب العالمي . واندفع بعض الصحابة الشعراء رضـي الله عنـهم يمدحون رسول الله يدافعون عنه أمام هجوم قريش كعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين . ولكن حسان بن ثابت كان أطولهم باعاً وأشدهم إيذاءً لقـريش وشعرائها . وإنا لنجد في وصف أم معبد التي مسح رسول الله ضرع شاة خلَّفها الجهد ، فدرَّت لبناً روي منه الرسول وأبو بكر رضي الله عنه والذين معه ، نجد في وصفها لرسول الله قطعة أدبيَّـة عالية ، تقول فيها :

" رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق .... ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلَّم سماه وعلاه البهاء ...." هذا البيان الرائع دفعه التأثُّر الصادق العميق حين رأت وجه النبـوَّة دون أن تعرفه .

وتوالى الشعراء على مرِّ العصور يدفعون لآلئ قرائحهم وغنيّ بيانهم في مديح سيّد الخلق ، حـتى لا يكاد يخلو عصر من أحد منهم . وقد جمع الشيخ يوسف سعيد النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠ه كلَّ مـا قيل في مدح الرسول الكريم في " المجموعة النبهانية ، في المدائح النبوية " في أربع مجلدات تضمُّ أكثر من ألف وخمسمائة صفحة . وجاء الشعراء في العصر الحديث يبدعون في هذا المـديح مثـل محمود سامي البارودي في قصيدته : " كشف الغمة في مدح سيد الأمة" في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتاً ، وأحمد محرم في ديوانه مجد الإسلام ، وشوقي في قصيدتيه البائية والهمزية . وشـعراء كـثيرون يضيق المجال عن ذكرهم في هذه الكلمة الموجزة .

ولم يقتصر مديح الرسول على المسلمين ، فإنَّ عدداً من الشعراء النصارى مـدح الرسـول المصطفى ، من مثل : إلياس قنصل ، والشاعر القروي رشيد سليم خوري ، ورشيد أيوب ، ورياض المعلوف ، وإلياس طعمة الذي أسلم وسمَّى نفسه الوليد . ولقد تشرَّفتُ بمديح سيد المرسلين بقصيدة بعنوان : " رسول الهدى " في سبعة وأربعين بيتاً أذكر هنا منها :

أَنْتَ مَعْنَى الوَفَاءِ : ذِكْرُكَ في الأَرْ
لا تَـكـادُ الـشُّـهُودُ تَملأ عَيْنَيْ
حَـسْبُكَ المَدْحُ أَنْ تكون عَلَى خُلْ   ضِ حـمـيـدٌ وفي السَّماءِ حَميدُ
هـا فَـيُغْضِي مِنَ الجَلاَل الشُّهُودُ
قٍ عَـظيمٍ يُتْلَى بِهِ الكِتابُ الُمجيدُ

فما بال بعض النصارى ، أو المنتسبين إلى رسالة عيسى عليه السلام ، بعد أن حرَّفوه وبدَّلوا وغيَّروا ، ما بالهم يحملون الأحقاد على الإسلام والمسلمين ، وعلى رسول الله . فلا تكاد تهدأ فتنة حتى تثور

فتنة . وقد نبَّأنا الله في كتابه الحكيم أنه قد جعل لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين ، من شـياطين الإنـس والجن :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) [الأنعام : ١١٢]

وقد بدأت العداوة لمحمد من قريش من لحظة ابتعاثه ، وبعد ذلك من اليهود ، ثمَّ امتدَّ الحقـد مـع الزمن حتى تولَّى كبر ذلك : المشركون والكافرون والمنافقون والظالمون من أهل الكتاب في إيذاء بعد إيذاء عبر التاريخ ، حتى الحروب الصليبية ، وحتى ظلمهم وعدوانهم على مسلمي الأندلس ، و كلما واتت فرصة لذلك !

وجاءت الحادثة الأخيرة بنشر الصحيفة الدنماركية الصور المهينـة والمؤذيـة لرسـول الله . واعتبرت الدولة أنَّ هذا من باب حريّة الرأي ، وكأنَّها اعتبرت الناس بلا عقول حتى يصدّقوا أنَّ هذا من باب حريّة الرأي . وإن كان الأمر كذلك فعلى دولة الدنمارك أن تراجع قوانينها ، وأن تتعلَّم من الإسلام ، ومن محمد ، حدود حريّة الرأي ، وأدب الرأي ، وحقوق الإنسان .

لم يكن الأمر مصادفة أو زلّة رسَّام ! فلقد أرسل المحرّر الثقافي في الجريدة دعواتٍ إلى أربعين رسَّـاماً يدعوهم إلى رسم النبيّ ، فأجاب الدعوة اثنا عشر رساماً فقط . وكانت ملكة الدنمارك " مارغاريت " الثانية ، قد اعتبرت أنَّ الإسلام يمثّل تهديداً على المستويين المحلي والدولي ، وحثَّت حكومتها علـى عدم التسامح مع المسلمين والإسلام ! ودون مبالاة لما قد تثير هذه السياسة من غضب خارجي ! إنها لغة التهديد والإثارة بكل الاعتبارات اللغوية والسياسية والرسمية . ويرفض رئـيس وزراء الـدنمارك مقابلة السفراء المسلمين الرسميين في بلده . وتتولى أجهزة الدولة والصحافة صياغة المسوِّغات لهـذا العمل ، فكانت الأعذار أقبح من الذنب . عدوان إثر عدوان . وكان أوقح ما في هـذه الأسـاليب قول الصحيفة : " إننا لا نعتذر عن عمل هو جزء طبيعي من النشاط الإعلامـي ...." . الصـحيفة الدنماركية هي صحيفة " يولاند بوستن " ، والصحيفة النرويجية هي : " مغازينات " ! وكـذلك امتدَّت الهجمة على الإسلام بإعادة إذاعة هذه الصور الكاذبة في صحف فرنسا وإسـبانيا وألمانيـا وسويسرا . وربما تمتدُّ الهجمة إلى أبعد من ذلك .

ولا ننسى ذلك المخرج الهولندي الذي أخرج فيلماً مسيئاً إلى الرسول الكريم وإلى الإسلام ، والذي أثار ضجّة كبيرة . ولا ننسى كذلك قضية المؤسسة التي أصدرت كتاباً أسمته " الفرقان " تزوّر فيـه جملاً وكلمات تحريفاً لآيات الله في القرآن الكريم ، وطعناً في الإسلام والإيمان والتوحيد . يضاف إلى ذلك جهود الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي ، وما تقوم به من محاولات لصرف المسلمين عن دينهم ، وتشويه صورة الإسلام ، وإثارة الفتن !

إنَّ هذا كلّه ليدلّ دلالة واضحة على أنَّ القوم يمضون على نهج وخطة وليس على عمل ارتجالي . ولا بدَّ للمسلمين أن يجابهوا ذلك بعمل منهجي مدروس يجمع جهود الأمة كلها .

القضيّة قديمة ، بدأت ، كما تذكر بعض الصحف ، قبل ثلاثة أشهر ، واشتدَّ التفاعل ضـــدّ هـــذه الإهانة الكبيرة منذ أسبوع أو أسبوعين . وإن كان قد بدأت محاولات هادئة لا تتناسب مع عظـــم الجريمة . إنها حقاً جريمة ، وجريمة كبيرة في ميزان الإسلام . أين المسلمون ؟! وأين المليار من المسلمين ؟!

أُمـــة الحقِّ ! ما دهاكِ فأصْبح

كلما رُمْتِ ملتقىً كُنتِ في السا   تِ شظايا تطايرتْ في النجاد

حة أوهى من حفنة من رماد(١)

لقد هان المسلمون في الأرض ، وأصبحوا غثاءً كغثاء السيل ، كما جاء في حديث رسول الله يرويه ثوبان رضي الله عنه : (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها " . فقـــال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم كثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولـــينزعنَّ الله مـــن صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟! قال : حبُّ الدنيا وكراهية الموت) !(٢)

وأول سبب أجده لهوان المسلمين هو تمزّقهم أقطاراً ومصالح وأهواءً ، وشيعاً وأحزاباً ، يخالفون بذلك ما أمرهم الله به ورسوله :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ....) [آل عمران : ١٠٣]

(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِـــيمٌ) [آل عمران : ١٠٥]

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَـــانُوا يَفْعَلُونَ)[الأنعام : ١٥٩]

وآيات كريمة أخرى تنذر المسلمين إن تفرّقوا إنذاراً شديداً . وحسبك هذا الإنذار في الآية السابقة : " وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " !

وأهم سبب لهذا التمزّق والهوان ، هو عدم التزام الإسلام التزاماً أميناً ، وعدم التزام الكتاب والســـنَّة التزاماً أميناً ، وبذلك عدم طاعة الله ورسوله :

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٤٦]

إنَّ الغرب ماضٍ في حربه ضدَّ الإسلام والمسلمين بصورة خفيّة ، وإنَّ عداءهم هذا امتدَّ حتى اليوم لم يتوقّف ، وإنَّ عمل الصحيفة الدنمركية لم يتوقف في الدنمارك ، فسرعان ما تبنته النرويج ، ثمَّ فرنسا ،

ثمَّ أخذت عواطف بعض الناس في تلك الدول تتأجج ضدّ المسلمين . و لم يكن ذلك ليتمَّ لولا الدعاية السيئة التي أشاعتها أجهزة الإعلام ضدَّ المسلمين .

والأمر العجيب أن الدول الغربية كلها لا تنظر في جرائم إسرائيل في فلسطين ، ولا في انتهاكها لحقوق الإنسان ، ولا في عدم التزامها بقرارات هيئة الأمم المتحدة ، ولا في ما تملكه من أسلحة نووية ، أو أسلحة دمار شامل . كلُّ ما تفعله إسرائيل من جرائم يغضون الطرف عنه ، ويغضون الطرف عما ترتكب الدول الغربية نفسها من جرائم بحق الشعوب ، في تاريخ طويل مليء بالمجازر والتدمير .

إنها قصة التاريخ الممتدّ منذ أن بُعِثَ محمد ، بدأت عداوة المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يؤذيهم أو يعتدي عليهم . دعاهم إلى الله الذي لا إله إلا هو ، دعوة سلم وخير. فلم يُجْدِ السلم ولا الخير ، وإنما بادروا بالإيذاء والعدوان . وكذلك اليهود الذين عاملهم الرسول أطيب معاملة قابلوا ذلك بالغدر والحرب والفتن . ومنذ ذلك العهد حتى اليوم فإنَّ الحرب ضدّ الإسلام لم تتوقف ، ولن تتوقف . فإنها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ، يمحص به عباده لتقوم عليهم الحجة يوم القيامة أو تقوم لهم .

وإنا إذ نُحَيِّي النفوس المؤمنة التي غضبت لرسول الله ، والنفوس المؤمنة التي تداعت إلى النصرة بوسائل متعددة ، فكلنا مع نصرة الله ورسوله.

لذلك فإنا ننصح بأن يراجع المسلمون أنفسهم لينظروا في واقعهم ، ويروا كم يُرضون الله بما هم عليه ، وبما يفعلون . ومن أهم مسؤوليات المسلمين أن يبلِّغوا رسالة الله ودين الإسلام إلى الناس كافَّة . فهل بلَّغ أحد هذا الدين إلى رئيس وزراء الدنمارك أو غيره من رجال الدولة ، أو رؤساء الدول الأخرى ، حتى نعذر أنفسنا بين يدي الله يوم القيامة .

مع أهمية المقاطعة لبضائعهم والمظاهرات التي عمَّت العالم الإسلامي إلا أن هذا وحده لا يكفي .فلا بدِّ من معالجة أخطائنا وتقصيرنا بحقِّ هذا الدين العظيم ونبيِّه العظيم .

فإن أدرك المسلمون جوانب الخلل في واقعنا اليوم ، فليبادروا إلى إصلاح كل خلل يغضب الله ، وإلى صدق التوبة والإنابة ، عسى أن يكون الله معنا فيما نجابه من أحداث ، لن نقوى على مجابهتها دون نصر يتنزَّل من عند الله :

(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ....) [النور : ٣١]

ومن خلال ذلك فلا بدَّ أن يقف المسلمون في العالم الإسلامي كله وقفة واحدة ، لردِّ هذا الاعتداء ، فهو اعتداء على كلِّ مسلم في الأرض ، ولإشعار هؤلاء أنَّ المسلمين ما زالوا أقوياء يفدون دينهم بكل شيء .

وهنا نقف أمام خيارين : إمَّا أن نطيع الله ورسوله ، وننصر ديننا فننال رحمة الله وعونه ، وإما أن نتهاون في هذا الأمر ، فَيُنْزِل الله غضبه علينا . وإنها مسؤولية جميع مستويات الأمة المسلمة كلها

ابتداءً من الفرد المسلم ، على خطة إيمانيَّة واعية ونهج مدروس شامل ، يعالج الواقع ويبني المســـتقبل بإذن الله .

الهوامش:

١ د . عدنان النحوي : ملحمة أرض الرسالات . ص : (١٣٤) .

٢ أبو داود : ٤٢٩٧/٥/٣١ الجامع الصغير وزيادته رقم : (٨١٣٨)

****

أترى ستنفع في القلوب عظات؟!

سليمان بن أحمد بن عبد العزيز الدويش

أترى ستنفعُ في القلوبِ عظاتُ؟ أم هل ستحسم أمرنا العبرات؟

أم سوف يرفعنا من الذل الذي عشنا به التنديد والآهات؟

الأرض منا قد علتها تخمة أعدادنا ضاقت بها الجنبات

يا ألف مليون وخمس مئينها ولهم بكل فجاجها أنَّات

يا ألف مليون غثاءٌ كلهم متشتتون مع الشتات سبات

موتى إذا عبث العدو بدينهم أحياء هم لكنهم أموات

وتراهمُ عند الحطام ضياغما وكأنها في فتكها الحيات

الذل فيهم ضاربٌ أطنابه وله بهم ياويحه صولات

والوهن شاه الوهن بئس ضجيعهم من بطشه يتعذر الإفلات

هم ألف مليون ولكن ليت لي من كل ألف واحد إن فاتوا

يا ألف مليون تسنّم ظهره الأوغاد والأنذال والعاهات

حتَّام ترضون الدناءة والردى؟ وإلامَ هذا الذل والإخبات؟

لا خير في عيش بغير كرامة لا خير في دنيا بها أقتات

شمخت فراخ البغي فوق رؤوسنا ولهم بوسط جباهنا بصمات

سخروا من القرآن أي مهانة خير لحرٍ دون ذاك ممات

بل صوّروا المختار أقبح صورة أوّاه مما ضمّت الصفحات

جعلوه رمزا للتخلف والردى شتموه حتى بُحَّتِ الأصوات

وعلى بني الإسلام صبُّوا حقدهم غَزَوُا البلاد وهددوا بالناتو

والمسلمون عن المكائد غُيبوا الدين يجمعهم وهم أشتات

وحِمَاهُمُ كلأٌ مباحٌ للعدا وكأن حق حماهمُ اللعنات

جالَ العدو به وصالَ ولم يجد إلا الهوى والتيه والقنوات
بالأمس أفغان الكرامة دُمّرت واليوم بغداد لنا وفرات
يا أمة الإسلام هل من عودة عجلى فما فوق الرفات رفات
هبوا فدين الله خير تجارة أما الحطام فما عليه فوات

==================

أَتَسْخَرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

أَتَهْزَأُ بِالْمُخْتَارِ يَا سَوءَةَ الدَّهْرِ وَيَا قِمَّةَ التَّضْلِيْلِ وَالْخُبْثِ وَالْغَدْرِ
أَتَسْخَرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُوْلٌ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْيُسْرِ
رَسُوْلٌ حَبَاهُ اللهُ نُوْرًا وَحِكْمَةً وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ فِيْ سَاعَةِ الْعُسْرِ
تَحَلَّى بِأَخْلاَقِ الْكِرَامِ وَإِنَّهُ رَؤُوْفٌ رَحِيْمٌ مَنْبَعُ الْفَضْلِ وَالصَّبْرِ
مَحَا ظُلُمَةَ الطُّغْيَانِ وَالْجَهْلِ وَالْهَوَى بِعَدْلٍ وَإِحْسَانٍ وَبِالرِّفْقِ فِي الأَمْرِ
وَمَا الصَّفْحُ إِلاَّ شِرْعَةٌ وَسَجِيَّةٌ لَدَى الْمُصْطَفَى مِنْ دُوْنِ مَنٍّ وَلاَ كِبْرِ
كَرِيْمٌ حَلِيْمٌ مَا تَوَانَى عَنِ الْوَفَى وَلاَ ضَاقَ ذَرْعًا مِنْ عَنَاءٍ وَلاَ فَقْرِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ وَأَخْزَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ يَاخِنْزَبَ الْعَصْرِ
رَكِبْتَ عَلَى مَوْجٍ مِنَ الْخِزْيِ فَارْتَقِبْ دُوَيْهِيَةً سَوْدَاءَ غُوْلِيَّةَ الْقَعْرِ
حَيَاتُكَ فِيْ ذُلٍّ وَوَقْتُكَ جَمْرَةٌ وَفِكْرُكَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّاءِ وَالضُّرِّ
فَمَنْ رَامَ نَقْصَ الْمُصْطَفَى قَذَفَتْ بِهِ خُطُوْبُ الرَّزَايَا فِيْ سُجُوْنٍ مِنَ الذُّعْرِ
وَزَجَّتْ بِهِ الآَفَاتُ فِيْ كُلِّ مِحْنَةٍ وَصَارَ عَلَى دَرْبٍ مِنَ الذُّلِّ وَالْقَهْرِ
خَسِرْتَ وَلَمْ تَكْسَبْ سوى الضيم وَالرَّدَى خَسِئْتَ فَأَنْتَ الشَّيْنُ وَالْمَيْنُ لَوْ تَدْرِيْ
وَأَنْتَ سَقِيْمُ الْفِكْرِ وَالْقَلْبُ مَيِّتٌ وَأَنْتَ لَئِيْمُ الطَّبْعِ تَرْتَاحُ لِلْوِزْرِ
أَتَاكُمْ رَسُوْلُ اللهِ بِالنُّوْرِ وَالْهُدَى وَأَنْذَرَ مَنْ يَعْصِيْهِ بِالْوَيْلِ فِي الْحَشْرِ
وَعَلَّمَكُمْ دَرْبَ النَّجَاةِ مُبَيِّنًا لِمَا جَاءَ فِي التَّنْزِيْلِ سَطْرًا عَلَى سَطْرِ
ضَلَلْتُمْ وَحَرَّفْتُمْ كِتَابَ هِدَايَةٍ وَمِلْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ عِنَادًا إِلَى الشَّرِّ
وَآمَنَ مِنْكُمْ بِالنَّبِيِّ أُولُوا النُّهَى أُولُوا الْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَالْفَهْمِ وَالْفِكْرِ
وَكَمْ شَهِدَتْ مِنْكُمْ رِجَالٌ بِنُبْلِهِ وَأَخْلاَقِهِ الْعَلْيَاءِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ
فَهَلاَّ تَأَمَّلْتُمْ بِعَيْنٍ بَصِيْرَةٍ وَفِكْرٍ مُنِيْرٍ مُنْصِفٍ بَاسِمِ الثَّغْرِ
وَرَاجَعْتُمُ التَّارِيْخَ فِيْ نَعْتِ أَحْمَدٍ فَإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ كَالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
مُضِيْئًا مُنِيْرًا هَادِيًا وَمُبَشِّرًا هَدَانَا بِفَضْلِ اللهِ لِلْخَيْرِ وَالأَجْرِ

وَأَنْقَذَنَا مِنْ ظُلْمَةِ الظُّلْمِ وَالْهَوَى   بِدِيْنٍ قَوِيْمٍ مَنْبَعِ الصِّدْقِ وَالطُّهْرِ
أَلَمْ تَقْرَإِ الْقُرْآنَ مُعْجِزَةَ الْوَرَى   أَلَمْ تَسْتَمِعْ يَوْمًا لآيٍ مِنَ الذِّكْرِ
أَلَمْ تَتَأَمَّلْ فِيْ ثَنَايَا سُطُوْرِهِ   وَمَاحَمَلَتْهُ الآيُ مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ
فَفِيْهِ نِظَامٌ شَامِلٌ مُتَكَامِلٌ   يَفِيْ بِاحْتِيَاجِ الْخَلْقِ يَكْفِيْ مَدَى الْعُمْرِ
وَفِيْهِ عُلُوْمُ الأَوَّلِيْنَ وَيَنْطَوِيْ   عَلَى كُلِّ آتٍ فِيْ فَلاَةٍ وَفِيْ بَحْرِ
تَلاَهُ رَسُوْلُ اللهِ فِيْ كُلِّ مَجْمَعٍ   وَكَانَ هُوَ الأُمِّيُّ فِيْ مَعْشَرِ الْكُفْرِ
فَمَاحَادَ عَنْ آيٍ وَلاَ كَانَ لاَحِنًا   وَلَكِنَّهُ وَحْيٌ أَتَى النَّاسَ بِالْبِشْرِ
فَصَدَّقَهُ قَوْمٌ لِصِدْقِ حَدِيْثِهِ   وَعَانَدَهُ قَوْمٌ فَمَاتُوا عَلَى الْخُسْرِ
وَيَا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ   قِفُوا وَقْفَةَ الآسَادِ فَالْكُفُرُ مُسْتَشْرِيْ
أَيَسْخَرُ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْقَذَى   بِسَيِّدِنَا الْمُخْتَارِ يَا أُمَّةَ الذِّكْرِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ احْتِقَارَ نَبِيِّنَا   هُوَ الطَّعْنُ فِي التَّشْرِيْعِ فِي الْبَطْنِ وَالظَّهْرِ
وَأَيُّ حَيَاةٍ وَالشَّرِيْعَةُ تُرْتَمَى   بِسَهْمٍ مِنَ التَّشْكِيْكِ وَالْهُزْءِ وَالسُّخْرِ
فَسُدُّوا عَلَى الأَعْدَاءِ بَابَ سَفَاهَةٍ   وَبُشْرَاكُمُ يَا قَوْمُ بِالْفَوْزِ وَالنَّصْرِ
وَصَلُّوا عَلَى طَهَ الْمُشَفَّعِ فِي الْوَرَى   وآلٍ وَأَصْحَابٍ شَفَى بَأْسُهُمْ صَدْرِيْ

=================

إشراق دمعة

د.عبد المعطي الدالاتي

يشرقُ دمعي فأواريهِ   يخفقُ قلبي فأداريهِ
تشهدُ عيني أنكَ فيها   يشهدُ قلبي أنك فيهِ
سأكلمُ صحبي عن حبي   سأكلم.. يا رحمةَ ربي
يشهدُ قلبي أنكَ قلبي   أنكَ عمري و أمانيهِ
يا منْ قد أرسله اللهُ   يا من لا أتبعُ إلا هو
وهداهُ قد شـــعّ سناهُ   يَشغَلُ فكري بمعانيهِ
سُنتُكَ العصماءُ دليلي   تهديني في كل سبيلِ
جيلٌ يتعلمُ من جيلِ   ويُعلمُ سيرتكَ بنيهِ

====================

أطلقيني يا مدينة

د.عبد المعطي الدالاتي

أطلقيني يا مدينةُ من حدودي   ثم زيدي في انطلاقي.. ثم زيدي

ذوِّبيني بالنجاوى زلزليني كلما زُلزلتُ حقّقتُ وجودي
إنّ روحي بالنجاوى حلّقتْ واستحمَّتْ ثم عادت من جديد
كدتُ والأعضاءُ مني سُجَّدٌ أملكُ الأكوانَ في رِقِّ السجودِ
أجتلي الأفكارَ ، أَرتادُ السَّنا أرشفُ الأنوارَ من نبعِ الخلودِ
أَيُّ نورٍ في علاكِ قد سباني أيُّ طهرٍ.. أيُّ عطرٍ.. أيُّ جودِ؟!
طبتِ بالمختارِ في هجرتهِ طبتِ يا طيبةُ في يومِ السعودِ
حَبَّذا الأنصارُ من أهلٍ.. ويا حَبَّذا المختارُ من جارٍ جديدِ
حلّقي بي يا مدينةُ وارفعيني أطلقيني.. أَعتقيني من قيودي

====================

الدفاع عن داعية السلام "صلى الله عليه وسلم"

محمد عبد الله ولد محمد سالم ولد محمد بيَّاه:

تبوَّأتَ العُلوَّ من المقـــــام وأسْبغْتَ السَّـــــــــلامَ على الأنامِ
وألَّفْتَ القلوب بكل حُـــــــبٍّ وما قصَّرْت في صنع الـــكـــرامِ
زَرَعْت السِّلم في الثَّقلَيْن طُرًّا فعـــاشَـــا في أمـــانٍ واحتـــــرامِ
وحاربْتَ الغُـــلُوَّ وكنْتَ سَمْحًا تُـــربِّـــي بالـــمـــودَّةِ والوئـــــامِ
ولم تكُ قطُّ في الأفعـــال فظًّا ولا مُتـــغـــلِّـــظًـــا وقْـــت الكلامِ
بحَسْبِكَ ما رَسَمت من المعالي ظَـــفرتَ وخـــابَ رَسَّـــام الظَّلامِ
طَغَى برُسُومه شُـــلَّـــتْ يَـــداهُ وشُـــلَّ الغـــربُ عَـــامًا بعْد عَـــامِ
حبــــــيي يا رســـول الله إنَّـــا فِـــــداكَ ودون عِرضِكَ كالسِّـــهامِ
فلن نرضى المذلَّـــةَ في حيـــاةٍ ولن نرضى الدَّنـــيَّـــةَ في مُـــقامِ
فكلُّ مُوَحِـــدٍ صَحَّـــتْ وتَمَّـــتْ عَقِـــيدَتُـــهُ فِـــــدَاكَ على الـــدَّوامِ
ستبْقى رغْمَ أنْفِ الغرْبِ طُـــرًّا على الأعْداءِ والحُسَّـــادِ سَـــــامي
جَـــزاك الله عـــنَّا كلَّ خيْـــــرٍ فـــقـــد كنْتَ المُبَـــشِّـــرَ بالتَّـــمامِ
وأحْيَـــيْتَ الأنام وكنت حَـــقًّـــا بـــحَمْدِ اللهِ داعِـــيَـــةَ الـــسَّـــلاَمِ

=====================

الردّ المبكي للمجرم الدانماركي

الشيخ / محمد بن علي آدم "حفظه الله"

"المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة"

١/١/١٤٢٧هـ

لَــقَدْ سَــاءَنِي جُــرْمٌ أَتَانِيَ خُبْرُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ الْبَغْضَاءِ قَدْ حَاقَهَا الظُّلَمْ
لَقَدْ سَاءَنِي وَسَــاءَ مَــنْ كَــانَ قَلْبُهُ مُحِبًّا لِخَيْرِ الْخَلْقِ مَنْ سَادَ بِالْحِكَمْ
صَنِيعٌ أَتَى بِهِ شَيَاطِينُ دَوْلَــــــــةٍ تَعِيشُ عَلَى الْفَسَادِ وَالْكُفْرِ وَالأَصَمْ [١]
فَيَا لَيْتَهُــمْ شُلَّــتْ يَمِينٌ بِــهَا افْتَرَوْا وَآذَانُهُمْ صُمَّتْ وَأَعْمَاهُمُ الْغُمَــمْ
فِــدَاءً لَهُ أَبِــي وَأُمِّــي وَمُهْجَتِــي فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ قَدْ حَاطَهُ الْكَرَمْ
فَيَا مَنْ كَفَى الْمُسْتَهْزِئِينَ حَبِيبَــــهُ لِتُنْزِلْ عَلَيْهِمُ عَذَابًا قَدِ اصْطَلَــــمْ
يَعُمُّهُمُ وَمَنْ غَدَا نَاصِرًا لَــــــهُمْ وَيَضْحَكُ مَعْهُمُ إِذِ الْكُــلُّ قَدْ ظَلَمْ
فَسُنَّتُكَ الَّتِي خَــلَتْ قَبْــلُ تَنْــزِلُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَبْغِي وَيُؤْذِي أُولِي الْقِيَمْ
فَيَا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ قُومُــوا عَلَــى الْعِدَا بِكُلِّ الَّذِي لَكُــمْ لِسَــانًا أَوِ الْقَلَمْ
فَقَدْ نَزَلَتْ فِيكُــمْ مُصَائِبُ لَوْ أَتَتْ عَلَى الرَّاسِيَاتِ الشُّمِّ أَرْكَانُهَا انْهَدَمْ
فَإِنْ لَــمْ تَرَوْا هَذِي مُصَابًــا مُجَلَّلاً فَإِنَّكُمُ مَوْتَى وَإِنَّ الْهُدَى انْصَــرَمْ
وَإِنْ تَسْكُتُوا بِالْعِلْــمِ فَالْوَيْلُ قَــادِمٌ وَقَدْ ضَلَّتِ الآمَالُ وَالشَّرُّ قَدْ نَجَمْ
وَلاَ شَكَّ أَنَّهَا مَضَى قَبْلُ مِثْلُهَــــا تَوَلَّى قِيَادَهَا أُولُو الْحِقِدِ وَالسَّقَــمْ
تَعَدَّى أَبُو جَهْلٍ وحَمَّــالَــةٌ طَغَتْ وَمَنْ تَبَّتِ الْيَدَانِ مِنْهُ قَدِ اضْطَرَمْ [٢]
فَذِي سُنَّةُ الإِلَهِ فِي الْخَلْقِ قَدْ جَرَتْ فَيَمْتَحِنُ الأَخْيَارَ بِالْفِرْقَةِ اللَّــــوَمْ [٣]
لِيَرْفَــعَ قَــدْرَهُمْ وَيُعْلِيَ ذِكْرَهُــمْ وَيَعْرِفَ فَضْلَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الأُمَــمْ
فَلَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِي الْعُودِ لَمْ يَفُحْ لَهُ عَرْفُهُ الشَّذِي لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَشَمْ
وَلَيْسَ احْتِجَابُ الْعُمْيِ للشَّمْسِ ضَائِرًا فَرِفْعَةَ قَدْرِهَا لِذِي الْبَصَرِ ارْتَسَــمْ
فَقَدْرُ رَسُولِ اللهِ فِــي الْخَلْقِ ظَــاهِرٌ فَمَا ضَرَّهُ قَوْمٌ أَضَلُّ مِنَ الْبَهَــمْ [٤]
لَــقَدْ رَفَــعَ الإِلَــهُ قَــدْرَ مُحَمَّدٍ فَقَرَّبَهُ زُلْفَــى وَحَــلاَّهُ بِالنِّعَــمْ
وَيَبْعَثُهُ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ شَافِعًــــا لِفَصْلِ الْقَضَا بِهَا فَمَا أَعْظَمَ الْكَرَمْ
وَقَدْ شَــرَحَ اللَّطِيفُ صَدْرًا وَأَوْدَعَهْ بَدَائِعَ حِكْمَةٍ فَيَــا وَيْلَ مَنْ هَضَمْ [٥]
وَشَقَّ لَــهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ مِــنَ السَّمَا وَشَاهَدَهُ كُــلٌّ بِلَيْلٍ قَــدِ ادْلَهَمّْ
وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجِذْعُ لَــوْلاَ احْتِضَانُــهُ لَمَا فَارَقَ الْبُكَــا إِلَى سَاعَةِ النَّدَمْ
شَكَى الْعِيرُ ضُرَّهُ وَسَلَّمَهُ الصَّفَ [٦] فَيَا وَيْلَ أَقْوَامٍ أَضَلُّ مِــنَ النَّعَــمْ
رَسُولُ الْهُدَى أَحْيَى الْقُلُوبَ بِذِكْرِهِ قُلُوبَ ذَوِي الأَلْبَابِ وَالنُّورِ وَالشِّيَمْ
هُــوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ كَــمَا أَخْبَرَ اللهُ الْــكَرِيمُ فَلْيُغْتَنَــمْ
فَمِنْ تَبِــعَ الرَّسُــولَ كَــانَ مُعَزَّزًا بِذِي الدَّارِ وَالأُخْرَى مُعَافًى مِنَ النِّقَمْ
وَمَنْ لَمْ يَرَ الْهُدَى لَدَيْهِ فَقَدْ جَنَى عَلَــى نَفْسِهِ الْوَبَالَ قَــدْ نَالَهُ الْغُمَمْ

فَيَــا رَبِّ أَحْيِنَــا عَلَى حُبِّهِ إِلَــى مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا وَنَحْنُ عَلَــى النِّعَــمْ
وَيَــــا رَبِّ أَهِّلْنَا لِإِحْيَــاءِ شَرْعِهِ وَنَنْشُرُهُ فِي الْعُرْبِ أَيْضًا وَفِي الْعَجَمْ
وَنَدْفَعُ عَــنْ حَرِيمِــهِ كُــلَّ مُفْتَرٍ مَرِيدٍ مُعَــانِدٍ وَبِالْفُحْشِ قَــدْ جَرَمْ
صَــلاَةٌ مِــنَ الرَّحْمَنِ ثُمَّ سَلاَمُهُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الْمُحَبَّبِ فِي الأُمَمْ
وَآلٍ لَهُ أَهْــلِ الْمُرُوءَةِ وَالْهُــدَى وَأَصْحَابِــهِ أُولِي الْمَعَارِفِ وَالْكَرَمْ
يَقُــولُ مُحَمَّدٌ أَيَارَبِّيَ ارْحَمَــــا إِذَا الأَجَلُ انْقَضَى وَحَبْلِي قَدِ انْصَرَمْ

---

[١] ــ محركة الحقد والحسد والغضب اهــ "ق".

[٢] ــ أي التهب.

[٣] ــ اللَّوَمُ محرّكةً: كثرة العذل، وهو هنا على حذف مضاف، أي ذوي اللوم، أو وُصــفوا بــه مبالغة.

[٤] ــ محرّكةَ، تُسكّن هاؤه أيضًا: أولاد الضأن والمعز والبقر، أفاده في "القاموس".

[٥] ــ هَضَم من باب قتل: إذا كسر، ويقال: هضمه: إذا دفعه، وكسره، أفاده في "المصباح"، والمراد هنا انتهك حرمة النبيّ، ودنّس عرضه، وانتهكه.

[٦] ــ جمع صَفَاة، وهو الحجر الصَّلْد.

=================

السيّفُ أُشْهِرَ والليوثُ ضواري

بقلم: أبي عبد الله سعد بن ثقل العجمي

فجر الجمعة

٢٧/ذو الحجة/١٤٢٦

٢٧/ يناير /٢٠٠٦

ذوداً عن حياض المصطفى بأبي هو وأمي التي ولغت فيها كلاب الدانمارك

السيّفُ أُشْهِرَ والليوثُ ضواري ذَوّادةً عن سيدِ الأبرارِ
يا قائدَ الأحرارِ دونك أمةٌ فاقذفْ بجندك ساحة الكفارِ
واضربْ بنا لججَ المهالكِ غاضباً حـــــتى نُركّع سطوةَ التيارِ
وتقحمنّ بنا الحتوفَ تغطرسا فهي الحياةُ بشِرعة الأحرارِ
الفرسُ والرومُ العلوجُ تدمروا منّا فكيف ب(إخوة الأبقارِ)
دَنمَرْكُ قد خضتِ الهلاك حماقة والآن صرتِ بقبضة الجبّارِ
دَنمَرْكُ يا بنتَ الصليب تجهّزي فليخطبنك قاصفُ الأعمارِ

دَنِمَرْكُ هل تستهزئين بأعظم الـــ عظماء في بَلَهٍ وفي استهتارِ
أو ما علمتِ بأنه قاد الورى للمجد للعلياء للإعمارِ
أعلى بناء حضـــارةٍ قدســـــيةٍ والغربُ كان حبيسَ جرفٍ هارِ
شهدَ الفلاسفةُ العِظامُ بأنه ربُ النهى ومؤدلجُ الأفكارِ
وإذا أتى الأرضَ الخرابَ تزيّنت لقدومه بأطايبِ الأزهارِ
وجرى عليها من نَميرِ عطائه ماءُ الحياة زبرجداً ودراري
وإذا تبسّم فالصباحُ بثغرهِ سَحَرَ القلوب وليس بالسّحارِ
وإذا غزا فالرفقُ يغزو قبلهُ والرفقُ أعتى جحفلٍ جرارِ
الفاتحُ الدنيا بأبطال الوغى يرمي بهم قُضُب الكفاح عواري
الملبسُ الدنيا ثيابَ تحررٍ المُبْدِلُ الظلماءَ بالأنوارِ
الواهبُ الدنيا شموس هدايةٍ نبويةٍ لألاءة الأفكارِ
تفدي جنابَك ألفُ ألفُ دويلةٍ حكمت رباها سلطةُ الفجارِ
تفدي جنابك ألفُ ألفُ عمامةٍ مدسوسةٍ خوفاً من الأخطارِ
تفدي جنابك كلُ نفسٍ حرةٍ عافت حياة الشر والأشرارِ
تفدي جنابَك يا رسول الله يا خير البرية أمةُ المليارِ

===================

ألم تغتمض عيناك ليلةأرمدا

شعره في مدح الرسول عند مقدمه عليه

أعشى بني قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم أن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم صحبة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تغتلي مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أين يممت فإن لها في أهل يثرب موعدا

فإن تسألي عني فيا رب سائل حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدت برجليها النجاء وراجعت يداها خنافا لينا غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
وآليت لا آوي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله ندى
نبيا يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرا من بائس ذي iضرارة ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

================

المختار يا أمة المليار!

يوسف مسعود :

يا أُمَّةَ المِلْيَــارِ أَيْــنَ رِجــالُكِ أيْنَ النَّفيــرُ وأيْنَ صَوْتُ الحادِي؟
فَالنَّذْلُ يَهْزَأُ بالنَّبيِّ وما انْتَهَى رُغْمَ النَّكيرِ فَيا لَــهُ مِنْ عَــادِي!!
يا أُمَّةَ المِلْــيَارِ مَنْ أَغْرَى بنَا أبــناءَ قِــرْدٍ حِــفْــنَةَ الأوْغـــادِ؟
يا أُمَّةَ المِلْيَارِ أَيْــن أُســودُكِ الْغَضْبَــى لِتَــثْأَرَ لِلنَّبِــيِّ الهادِي؟
يا أُمَّـــةَ المِلْيارِ أَيْــنَ شَبيبَةٌ تَهْفُــو لِحَمْزَةَ أَوْ خُطَى الْمِــقْدَادِ؟
يَا أُمَّةَ المِلْيارِ أَيْــنَ صَفِيَّــةٌ أَيْــنَ بَنُــو الخَنْسَــاءِ لِلأَحْــفَادِ؟
لَوْ كَانَ فِينــَا خَالِدٌ أَوْ طَارِقٌ لأَتَــى السَّفيــهُ يُــرِيدُ لَثْمَ أَيَادِي

**************************يا أُمَّــةَ المِلْيَــارِ تِلْكَ رُبُوعُــنا لَبِسَــتْ لِعَهْــدِ الْعِــزِّ ثَوْبَ حِـــدَادِ

يا أُمَّةَ المِلْيَارِ هَلْ مِــنْ عِبْــرَةٍ مِــنْ حَالِ أَنْدَلُــسٍ وَمِــنْ بَغْــدَادِ؟
عَجَباً نَرى أهلَ الضلالِ تَحالَفوا وَالخُلْفُ مَزَّقَ سَهْلَــنَا والــوَادِي!
يا أُمَّةَ المِلْــيَارِ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ؟ فَالْكُفْــرُ أَظْهَــرَ كَامِــنَ الأَحْــقادِ
يا أُمَّــةَ المِلْيارِ أَيْــنَ نَبِيُّــنا فِي قَلْبِ حَاضِرِ قَوْمِــنا وَالْبَــادِي؟
حب النبي فريضة وبدونــها ركــن العــقيــدة ذاهــب كرمــاد
عَجَــباً نَقــولُ نُحِبُّــهُ وَنُجلُّهُ وَالفِعْــلُ يَرْمِــي قَوْلَــنا بفَســادِ!
يا أُمَّةَ المِلْــيارِ كَيْفَ مَحَبَّــةٌ وَالقَلْبُ هــامَ بمَوْقِــعٍ وَنَــوَادِي؟
يا أَمَّةَ المِلْــيارِ كَيْفَ مَحَبَّــةٌ وَقَدِ اشْتَكَى المِحْرَابُ هَجْــرَ عِبَادِ؟
يا أُمَّةَ المِلْيَارِ كَيْــفَ مَحَبَّــةٌ وَالْمَالُ يَشْكُــو مِن رباً وَفَسَــادِ؟
يا أُمَّةَ المِلْــيَارِ أَيْــنَ فَقِيرُنَا أَحَــبَاهُ جَمْــعُ المُوسِــرِينَ بِزَادِ؟
أَيْنَ النِّسَاءُ حِجَابُهَا وَعَفَافُهَا؟ قَذَفَتْ بها نَحْوَ الضَّيَاعِ عَــوَادِي
يا أُمَّــةَ المِلْيارِ يَبْكِــي طِفْلُنَا أُمَّاً تَخَلَّتْ عَنْــهُ بَيْــنَ بَوادِي!
يا أُمَّةَ المِلْيارِ أَيْــنَ سُجُــودُنَا باللــيْلِ بَيْــنَ قَــوَافِلِ العُبَّادِ؟
يا أُمَّــةَ المِلْيارِ أَيْنَ صِيَامُــنَا نَفْلاً نُحَاكِــي مَوْكِــبَ الزُّهَّادِ؟
يا أُمَّــةَ القُرْآنِ أَيْــنَ كِتَابُــكِ أَلْهَتْكِ عَنْهُ رَبَابَــةٌ أَمْ شَادِي؟
يا أُمَّةَ الُمخْتَارِ أَيْنَ عُلُومُــهُ؟ هُجِرَتْ وَبَاءَتْ سُوقُهَا بِكَسَــاد!
مَنْ كَانَ حِــبّاً للرَّسُــولِ فَكُلُّهُ بُغْضٌ لِخَصْمٍ للرســول يُعَادِي
مَن رامَ نَصْراً للرَّسُولِ فَمَا لَهُ غَيْرُ الرَّسُولِ وَهَدْيُهُ مِنْ حَادِي
ا أُمَّةَ المِلْــيَارِ أَيْــنَ حِسَابُــنَا للنَّفْسِ قَبْــلَ رَحِيلِــنَا وَمَعَــادِ؟
كَثُــرَ الكَلامُ فَأَيْنَ فِعْــلٌ حَــازِمٌ لِيَلُــوذَ جَمْــعٌ آبِــقٌ بِرَشَــادِ؟
طَالَ الشِّقَاقُ فَأَيْنَ صَفٌّ وَاحِــدٌ لِيَفُلَّ حَــدَّ عِصَــابَةِ الإِلْحَــادِ؟
يا أُمَّةَ المِلْيَارِ هَــلْ مِنْ تَوْبَــةٍ فالحَقُّ يَدْعُو وَالرَّسُولُ يُنَادِي؟
يا أُمَّةَ المِلْيَارِ هَلْ مِنْ نَهْضَــةٍ أَوْ صَحْــوَةٍ مِنْ غَفْلَةٍ وَرُقَــادِ؟
يا أُمَّةَ الإِسْلامِ هَلْ مِــنْ هِمَّــةٍ نَحْــوَ الفَلاحِ وَعِــزَّةٍ وَرِيَــادِ؟
يا أُمَّةَ الإِسْلامِ هَلْ مِــنْ عَوْدَةٍ لِهُدَى الرَّسُولِ بِقُوَّةٍ وَسَــدَادِ؟؟

====================

إلى الأنصار قد وصل الرسولُ

د.عبد المعطي الدالاتي

(ووصل المهاجرون إلى الأنصار، يحملون لهم الهِداية لا الهَدايا ..

فاستقبلوهم بالحب والإيثار..

ولولا الأنصار، لما عُرف معنى الإيثار..

ولولا الهجرة ، لكان محمدٌ من الأنصار..

وقبل الهجرة في الأرض، كان المعراج في السماء ..

وبهما يتعلم المسلم من المهاجر الأكرم صلى الله عليه وسلم ،

كيف يهاجر على كافة المحاور).

إلى الأنصار ترتحلُ الحُمولُ مهاجرةً ، وقائدُها الرسولُ
فيثربُ تنتشي السّعَفاتُ فيها ومكةُ تشـــتكي فيها الطلولُ
أيرحلُ بدرُها في الليل منها؟! سَلوا التاريخَ عن هادٍ يقولُ
لصاحبه:(أبا بكرٍ! تصبّرْ ولا تحزنْ، فثالثنا الجليلُ)
دليلُ الدرب في البيداء يسري مع المختارِ في دربٍ تطولُ
دليلَ الدرب! تدري، لستَ تدري بهذا الدربِ أيّكما الدليلُ !
ألم تبصرْ ؟!.. له الآفاقُ ترنو وبين يديهِ تَرتعشُ السبيلُ !
خُطى القَصواء في الصحراء تحكي بُراقاً في سماواتٍ يجولُ
خُطى التاريخ قد وطأتْ خُطاها ليبدأ بعدها عهدٌ جميلُ
همُ الأنصارُ .. قائلُهم يقولُ: أيا بُشرى لقد وصل الرسولُ
همُ الأنصارُ .. إيثارٌ وحبٌ وأحمدُ في قلوبهمُ نزيلُ
همُ الأنصارُ .. قائلُهم يقولُ : (وربِّك يا محمدُ لا نقيلُ..)
همُ الأنصارُ .. إيمانٌ ونصرٌ وراياتٌ.. وتاريخٌ يطولُ
وحولَ محمدٍ حامتْ قلوبٌ و طافتْ حول ناقتهِ الخيولُ
وها إنـــّا و إنْ كنا غفلنا فإنّـــا بعد صحوتنا نقولُ:
هو الإسلامُ دينُ الله يبقى ويحمل صرحَه جيلٌ فجيلُ
وإنّا في العقيدة قد غُرسنا كما غُرستْ بطيبتنا النخيلُ
مع الهادي وصُحبتِه هوانا وشرحُ الحبِّ أمـــرٌ يستحيلُ
مهـــاجرةً وأنصاراً سنحيا رعيلُ الفتحِ يتبعُهُ الرعيلُ

=================

إمام المرسلين فداك روحي...

صالح بن علي العمري

ردّا عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقياما ببعض حقّه...

إمامَ المُرسلينَ فداكَ رُوحي وأرواحُ الأئمةِ والدُّعاةِ
رسولَ العالمينَ فداكَ عرضي وأعراضُ الأحبّةِ والتُّقاةِ
ويا علم الهدى يفديك عمري ومالي.. يا نبي المكرماتِ!!
ويا تاج التُّقى تفديك نفسي ونفسُ أولي الرئاسةِ والولاةِ
فداكَ الكون يا عَطِرَ السجايا فما للناس دونك من زكاةِ..
فأنتَ قداسة ٌ إمَّا استُحلّتْ فذاكَ الموتُ من قبل المماتِ!!
ولو جحد البريّةُ منك قولاً لكُبّوا في الجحيم مع العُصاةِ
وعرضُك عرضُنا ورؤاكَ فينا بمنزلة الشهادةِ والصلاةِ
رُفِعْتَ منازلاً.. وشُرحت صدرا ودينُكَ ظاهرٌ رغمَ العُداةِ
وذكرُكَ يا رسولَ اللهِ زادٌ تُضاءُ بهِ أسَاريرُ الحَيَاةِ
وغرسُك مُثمرٌ في كلِّ صِقعٍ وهديُكَ مُشرقٌ في كلِّ ذاتِ
ومَا لِجنان ِ عَدنٍ من طريقٍ بغيرِ هُداكَ يا علمَ الهُداةِ
وأعلى اللهُ شأنكَ في البَرَايا وتلكَ اليومَ أجلى المُعجزاتِ
وفي الإسراءِ والمعراج ِ معنى لقدركَ في عناقِ المكرماتِ
ولَمْ تنطقْ عنْ الأهواءِ يوما وروحُ القدسِ مِنكَ على صِلاتِ
بُعثتَ إلى المَلا برّاً ونُعمى ورُحمى.. يا نبيَ المَرْحَماتِ
رَفَعْتَ عن البريّةِ كلُّ إصرٍ وأنتَ لدائها آسي الأُساةِ
تمنّى الدهرُ قبلك طيفَ نورٍ فكان ضياكَ أغلى الأمنياتِ
يتيمٌ أنقذ َ الدّنيا.. فقيرٌ أفاضَ على البريّةِ بالهِبَاتِ
طريدٌ أمّنَ الدنيا.. فشادت على بُنيانهِ أيدي البُنَاةِ..
رحيمٌ باليتيمة والأُسارى رفيقٌ بالجهولِ وبالجُنَاة
كريمٌ كالسحابِ إذا أهلّت شجاعٌ هدَّ أركانَ البُغَاةِ
بليغٌ علّم الدنيا بوحيٍ ولم يقرأ بلوحٍ أو دواةِ
حكيمٌ.. جاءَ باليُسْرى.. شَفيقٌ فلانتْ منهُ أفئدة ُ القُساةِ
فمنكَ شريعتي.. وسكونُ نفسي ومنكَ هويتي.. وسمو ذاتي
ولي فيكَ اهتداءٌ .. واقتفاءٌ لأخلاقِ العُلا والمَكْرماتِ
وفيك هدايتي.. وشفاءُ صدري بعلمكَ أو بحلمكَ والأناةِ
ومنك شفاعتي في يومِ عَرْضٍ ومن كفيّكَ إرواءُ الظُّماةِ
ومنك دعاءُ إمسائي وصحوي وإقبالي وغمضي والتفاتي

رسولَ اللهِ قد أسبلتُ دَمْعي ونزَّ القلبُ من لَجَجِ البُغَاةِ
فهذي أمّةُ الإسلام ضجّتْ وقد تُجبى المُنى بالنائباتِ!!
هوانُ السيفِ من هُونِ المُباري ولِينُ الرمحِ من لِينِ القناةِ
وقد تَشفى الجسومُ على الرزايا ويعلو الدينُ من كيدِ الوشاةِ!!
وفي هزِّ اللواءِ رؤى اتحادٍ ولمُّ الشملِ من بعد الشتاتِ !!
وقد تصحو القلوبُ إذا استُفزّتْ ولَفحُ الثّارِ يوقظُ من سُبَاتِ!!
ألا بُترتْ روافدُ كلِّ فضٍّ تمرّغَّ في وحولِ السيئاتِ
ألا أَبْلِغْ بَني عِلمان عنّي وقد عُدَّ العميلُ من الجُنَاةِ !!
أراكمْ ترقصونَ على أسانا وتَسْتَحْلون مَيْلَ الغانياتِ!!
وإن مسَّ العدوَ مَسيسُ قَرحٍ رفعتمْ بيننا صوتَ النُّعاةِ!!
وإنْ عَبستْ لكم "ليزا"* خَنَعْتمْ خُنوعَ المُوفضينَ إلى مَناةِ !!
وإن ما هَاجتْ الشُبُهاتُ خُضْتم بألسنةٍ شِحاحٍ فاجراتِ !!
"حوارُ الآخرِ " استشرى فذبّوا عن المعصوم ألسنةَ الجُفاةِ !!
وصوت "الآخرِ " استعلى فردّوا عن الهادي سهامَ الإفتئاتِ ..
رميتمْ بالغلو دُعاة ديني فهل من حُجّةٍ نحو الغُلاة ؟!!
أكُرّارٌ على قومي كُماة وفي عينِ المصيبةِ كالبناتِ ؟!!
ومن يرجو بني علمان عوناً كراجي الروحِ في الجسدِ الرُّفاتِ!!
رسولَ الحُبِّ في ذكراك قُربى وتحتَ لواكَ أطواقُ النجاةِ
عليك صلاةُ ربِّكَ ما تجلى ضياءٌ .. واعتلى صوتُ الهُداةِ
يحارُ اللفظُ في نجواكَ عجزا وفي القلب اتقادُ الموريات
ولو سُفكتْ دمانا ما قضينا وفاءك والحقوقَ الواجباتِ...

==================

إن كانَ فيكم نخوةٌ ومـــروءةٌ

قرأت موضوعاً يدعو لنصرة المصطفى عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة والسلام
أحسست ناراً تحرق قلبي فكانت هذه القصيدة

هبِّي عذاباً يا ريـــاحُ وهدِّمـــي بالثَّأرِ دار الفســـقِ والفجّـــار
لا تتركـــي أثـــراً لأيِّ رذيلـــةٍ وتفنَّني بمواكـــبِ الإعصـــارِ
هدماً وقتلاً بالصواعق فانزلي وزلازلاً ومقامعـــاً مـــن نـــارِ
ودعي البحارَ تشدُّ في هيجانِها لتدكَ كلَّ شواطـــئِ الأشـــرارِ

آن الأوانُ لسحقِهم هيَّا افزعي لرسول ربِّكِ كامــلِ الأنــوارِ
فمحمدٌ خيرُ الأنامِ على المدى متعرضٌ للشَّتــمِ مــن كفــارِ
ينشقُّ قلبي صارخاً ومناديــاً أهــلَ الأمانــةِ ثلَّــةَ الأخيــارِ
أن دافعوا عن حبِّنا وشفيعِنــا وتكاتفوا في ثــورةِ الأحــرارِ
إن كانَ فيكم نخوةٌ ومــروءةٌ لا تحجموا عن نُصرةِ المختــارِ

==================

دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدكتور ثامر القحطاني:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيطيبُ مُمْسىً أو يروقُ صَباحُ وجَنابُ أحمدَ للطَّغامِ مُتاحُ؟
كُتبَ الصيامُ عن الْمُزاح فما لنا بعد السباب تفكّهٌ ومُزاح
إنا إذا سِيمَ الرسولُ أذيةً تلفى لدينا أُهبةٌ وكفاحُ
وإلى المنيةِ مُسلمين نُفوسَنا نُلْفى وللجُرْدِ العِتَاقِ ضُبَاحُ
هذى جحافلُ خالد قد أقبَلتْ فيها لجُند الكافرين ذُباحُ
تَفدِي الرسولَ طِرافُنا وتِلادُنا وحَريمنا دون الرسول مُباحُ
ودماؤنا دون الرسول رخيصةٌ ففداؤه الْمُهَجاتُ والأرواحُ
قل للذي شتمَ الرسولَ محمداً ستَنالُ منكَ أسنةٌ ورماحُ
وتداسُ بالأَقدامِ دونَ هَوادةٍ وتُزالُ منكَ قَوَادِمٌ وجَناحُ
أفَبَعْدَ شَتْمِ الكــافريــنَ مــحمَّداً يُرجى السَّلامُ ويُبْتَغى الإصلاحُ؟
هيهاتَ ليس سِوى الأَسِنَّةِ مَركَبٌ ســيْفٌ يُــسَلُّ وغارَةٌ مِلْحَاحُ
وطِرادُ يومِ كريهةٍ يُخزَى بهِ حِزْبُ الصّلِيب فَمَقْتَلٌ وجراحُ
يا أيها البلدُ الحقيرُ تُراثُهُ ورجالُه الأَقْزَامُ والأشباحُ
ونساؤُهُ الرجْسُ الخبائثُ طينةً أعمارُهنَّ قَذارةٌ وسِفاحُ
أتَطاولَ الأوْغادُ فيكَ على الذي ملأ الوجودَ عَبيرُه الفَوّاحُ؟
وأنارَ ضوءُ كتابه وصراطِه كلَّ البرَى فيه الظّلامُ مُزاحُ
مَنْ جاءَ بالدينِ الحَنيفِ مُخَلِّصاً فَــلَنَا بِــقَــفْوِ سَــبيلِهِ إنْجاحُ
هذا الكتابُ الْمُسْتبينُ ومِثْلُهُ سُنَنٌ حِسانٌ تُحْتَذَى وصِحَاحُ
خيرُ البريَّةِ كُلِّها وإِمَامُها وسراجُها الوَهَّاجُ والمِصْباحُ

والرحمةُ المُهْداةُ والعَلَمُ الذي بمَقامه يوْمَ النُّشُورِ نُراحُ
يا بُؤْرَةً للخِزْيِ ساءَ قرارُها للكَوْنِ منها أَنَّةٌ وصِيَاحُ
أتقِرُّ شَتْمَ الهاشِمِيِّ دِيَانَةٌ؟!! لا سِفْرَ يَرْضاهُ ولا إِصْحاحُ
لا عقْلَ يقبله ُ ولا مَدَنِيَّةٌ إلا لديكِ فَلَيْسَ فيهِ جُناحُ
والدانمرك بُلَـيْدَةٌ ملعونـة فيها لمجتمع الكلاب نباحُ
خُبْثٌ تأصلَ في النفوسِ جبِلّةً قِدْماً وكُفْرٌ فوقَ ذاك بَواحُ
وخلائقٌ وصفَتْ حقارةَ معدِنٍ ما إنْ لهمْ عنها الزمانَ براحُ
ليس الجزاءُ فحسْبُ حَظْرَ بضائعٍ مِـنهنّ تُجْـنَى فـيكمُ الأَرْباحُ
بل سوف تَلْقَون النَّكالَ مُعَجَّلاً وتسيلُ منكمْ بالدماء بِطاحُ
وتغَصُّ بالأشْلاءِ مِنْـكمْ بُقْعـةٌ لَخِنَتْ وساءَ غُدوُّها ورَواحُ
وتُبَدَّلُ الأفْـراحُ فيـكم مـأْتمًا يَغْشاهُ مِنْ ليلِ المُصابِ جَناحُ
خطب ٌ يُجلِّلُ جَمعكمْ ويُذيقكمْ خِزْياً يَظَلُّ على المَدى يَنْداحُ
أيَطيبُ نَـومٌ أو يَلَذُّ لمسـلمٍ عَيشٌ وعِرْضُ الهاشميِّ مُباحُ؟!
لعبتْ به بينَ الأنامِ أصابعٌ فلهنّ فيهِ مَسْرحٌ ومُراح
يا مسلمون كفاكمُ نوماً فقدْ صاح النذير وصَرَّحَ الإصباحُ
أوَما كَفاكُمْ أنَّهمْ قد دَنَّسُوا عَلنًا مَصاحفَ حَشْوهنَّ فَلاحُ!!
واليوم صالوا صَوْلَةً هَمجيّةً هُزْءًا بمَنْ هُوَ للهُدى مِفتاحُ
تالله لن يصِلوا إليهِ بكيدهمْ ما للكلابِ سوى النِّباحِ سلاحُ
يا خيرَ مَنْ وَطِئَ الحصى وأجلَّ مَنْ بَرأَ الإلهُ ومنْ هداهُ صلاحُ
يا منْ تكِلُّ عن الوفاءِ بحقِّهِ دُرَرُ البديعِ وتعْجزُ الأمْداحُ
يا قُرةَ العينينِ يا بَرْدَ الحَشا يا منْ تُزاحُ بوجههِ الأتراح
إنا كذلك لا نزالُ على الذي تَرضى وإنْ مكرَ العُداةُ وصاحُوا
نحنُ الفداءُ وقلَّ ذلك عندنا المالُ والمُهَجَاتُ والأرواحُ
ستحطِّمُ الطاغوتَ خيلُك عاجلاً وتَهُبُّ للنَّصرِ المبين رياح

=================

أيها المسلمون في كل قطر

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل:

أطبـق الليل واختفـت أضـواء وتـوالى عـلى النفـوس البـلاء
ودموع همـتْ كأمطـار مُـزْنٍ واقْشَعَـرَّتْ بسيـطـة وسـمـاء

وبـــحـــار بمـــائـــهـــا وجبـــال راسيات جثـــى عليـــهـــا الوبـــاء
وسحـــاب تمـــر مـــر غضـــوب ليس مـــاء يـــزينـــهـــا أو هـــواء
نعـــمٌ تصطلـــي برمضـــاءِ قَحْط هي عطشـــى ومـــا هنـــالك مـــاء
وانظـــر الورد والزهـــور بـــروض مسها الضر واعـــتـــراهـــا الحيـــاء
شجـــر مـــذبـــل ودوح تهـــاوى وزروع مـــن الـــونى حـــدبـــاء
ها هي الشمس في السماء اكْفَهَرَّتْ وانحنى البـــدر والْتَـــوَتْ جـــوزاء
كـــل شبـــر على البسيطـــة يشكو من أنـــاس كمـــا يقـــال غـــثـــاء
دينـــهـــا يعتـــدى عليـــه جهـــارًا ورســـــول يـــسبـــه الجهـــلاء
كيف نـــرضى مـــذلـــة وهـــوانـــاً كيف نرضى الخضوع أين الإبـــاء
أي نصـــر ونحـــن في بئـــر لـــهـــو أي عـــز وقـــد غـــزانـــا الربـــاء
أي نصـــر ومنـــتـــدانـــا المخـــازي أي نصـــر وثـــوبـــنـــا الكبريـــاء
أيهـــا المسلمـــون في كـــل قـــطـــر أيـــهـــا الأتـــقـــيـــاء والأوليـــاء
سددوا السهـــم فالعـــدو تـــمـــادى لا تـــذلـــوا فـــأنـــتـــم العليـــاء
ارشـــقـــوا بـــالنـــبـــال كل عتـــل حربـــه الصالـــحون والأنبـــيـــاء
وحـــدّوا صفـــكـــم بجـــد وعـــزم وانصـــروا الله أيـــهـــا الأوفيـــاء
قاطعوا المنتجـــات صبـــوا عـــذابـــاً لا تـــلينـــوا وللرســـول أســـاءوا
دانـــمـــركي مـــا رســـمت لَـــرُزْءٌ وخـــطـــوب وغـــارة شَـــعْـــوَاءُ
دانـــمـــركي نلـــت ذلاً وخســـفًا كل عرض لعـــرض طـــهَ فـــداء
سيـــد الـــمرسليـــن خير البـــرايـــا قـــائـــد الـــغـــر رحمـــة وهـــداء
صـــلِ ربي عـــلى الـــرســـول وآل وصحـــاب مـــا غـــردت ورقـــاء

==================

في مرثيته الرسول

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان يترل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها أتاها البلى فالآي منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبرا بها واراه في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى لها محصيا نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره ولكن لنفسي بعد ما قد توجد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثنى جناحه إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودا إلى الله راجعا يبكيه حق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها فقيد يبكيه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ديار وعرصات وربع ومولد
فبكى رسول الله يا عين عبرة ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمد

فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلا لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى ... وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا ... دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا ... وعودا غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليدا فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ولا يلقى لقولي عائب ... من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعا عن ثنائه ... لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

=================

تحية ودفاع عن عرضه صلى الله عليه وسلم

محمد بن عائض القرني :

ما بالُ مكةَ قد ضجت نواحيها؟! ... ودمع طيبةَ يجري من مآقيها؟
ما للجزيرةِ قد مادت بساكنها؟! ... فاهتز شامخُها وارتج واديها!
ما للعروبةِ والإسلامِ روَّعَها ... خَطبٌ ألَمَّ وظُلمٌ من أعاديها؟!
أيسخرون من الهادي الذي شرفت ... به البريةُ قاصيها ودانيها؟!
أيسخرون من الأنوارِ قد كشفت ... مجاهلَ الظلم فانزاحت غواشيها
أيسخرون من المجدِ الذي خضعت ... له الجبابرُ حتى ذل طاغيها
أيهزءون به؟! شُلت أكفُّهُمُ ... ودمر الله ما تجني، وجانيها
أعداءُ كلِّ نبي جاء يُنقذُهم ... من الضلالةِ لما أُركسوا فيها
محمدٌ خيرُ من سارت به قدم ... وأكرمُ الناس ماضيها وباقيها
أوْفَى الخليقةِ إيماناً وأكملُها ... ديناً، وأرجحُها في وزن باريها
من مثلُه في الورى براً ومرحمةً؟! ... ومن يشابهُه لطفاً وتوجيها؟!
جاءت رسالتُه للناس خاتمةً ... وجاء بالنعمة المسداةِ يهديها
أحيا الحنيفيةَ الغراءَ متبعاً ... نهجَ الخليلِ ولم يخطئْ مراميها
وسار في كنفِ الرحمنِ يكلؤه ... إلى الحسانِ من الأخلاقِ يبنيها

هو البشيرُ لمن أصغى لدعوتِه   هو النذير لمغرور يعاديها
كسرى تَكَسَّرَ إذعاناً لهيبته   قصورُ قيصرَ هُدت من أعاليها!
وأقبلت أممٌ شتى مبايعةً   تُمد للعدلِ والإحسانِ أيديها
نالت بدعوته نُعمى ومكرُمةً   وأسعد الله بعد البؤسِ ناديها
في الهندِ والصينِ والقوقازِ طائفةٌ   تذود عن عرض خير الناس تتريها
وفي (أُورُبَّةَ) أقوامٌ قلوبُهُمُ   بدين أحمدَ قد نالت أمانيها
الصامدون بوجهِ الكُفرِ ما ضَعُفُوا   يجابهون المنايا في تحديها
يفدون عرضَ رسولِ الله ما بخلوا   وبالنفوس إذا نادى مناديها!
حتى إذا نشر الأنذالُ حقدَهُمُ   وبارزوا اللهَ من عدوانهم تيها
تؤزُّهم زُمَرٌ ضاقت نفوسُهم   لهم عيونٌ شُعاعُ الحق يُعشيها
بنو اليهودِ ومن ساءت سريرتُه   فأبدل الصدقَ تزويراً وتمويها
أيسخرون من المعصومِ ويلهُم؟!   ويطلبون له ذماً وتشويها؟!
من جاء بالملةِ البيضاءِ صافيةً   نقيةً؛ وبنور الوحي يحييها
أقام بالعدلِ مجداً لا زوال له   وأمَّةً كنفُ الرحمنِ يحميها
من بئرِ زمزمَ سُقياها ومطعمُها   من تمر طيبةَ قد طابت مغانيها
أرواحُها بظلالِ البيتِ هائمةٌ   من دونه تُرخِصُ الدنيا وما فيها!
فداءُ عرضِ رسولِ الله أنفسُنا   وكلُّ نفس وما تحويه أيديها
وصلِّ يا ربِّ ما هبَّ النسيمُ على   معلمِ الأممِ الحَيرَى وهاديها
تحيةً لرسولِ الله أبعثُها   ويومَ هجرتِه الغراءِ أهديها

================

أُهدي إليكَ نشيداً رحتُ أخفيهِ

عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل:

تشطير قصيدة د. عبد المعطي الدالاتي

وقد تميزت قصيدة د. الدالاتي أن جعلت بين قوسين

(أُهدي إليكَ نشيداً رحتُ أخفيهِ)   فخالص الحب مَرُّ الطيف يؤذيه
ذاب الفؤاد كمزن الماء مستترا   (بين الدموعِ .. حلاواتُ الهوى فيهِ)
(أهدي إليك فؤاداً راح يسكنهُ)   محض من الود روح الصدق ترويه
تَضَوُّع المسك في الآفاق يغلبه   (عطرُ الحبيبِ فما أزكى معانيهِ)
(لو كنتُ أدري حديثَ الركب إذ رحلوا)   لطرت شوقا وحزن الأرض أطويه

سرت بهم نجب لو أدر حين سروا (نحو الحجاز هوىً لو كنت أدريهِ)
(شَدّوا الرحالَ وفي أرواحهم طرَبٌ) والشوق مشتعل والدمع يذكيه
والفكر صاغ قصيد السير حين غدا (يحدو الجِمالَ فيطوي الدربَ حاديهِ)
(ساروا إليكَ وكان الشوقُ يحملهمْ) والشوق إن حرَّ بالآمال نطفيه
وكم من الشوق خفت منه شعلته (لكنّ شوقي أنا حارتْ أمانيهِ)
(ساروا إليكَ وراح القلبُ يسألهمْ) طريقَ طيبة قد لا حت خوافيه
مرت ليال وقلبي حائر قلق (لو يعلمُ القلبُ أن الدربَ يبغيهِ)
(أوْ يعلمُ الركبُ أن الروحَ تَسبقهمْ) إلى نبي الهدى بالروح نفديه
يا حاديا إن سرت روحي على عجل (نحو الحبيبِ فهل حقاً تلاقيهِ)
(روحي تطير وتهوي عند مسجدهِ) أمانيا أن نصلي في أراضيه
أرى الفؤاد طروبا عند مسجده (من أخبرَ الروحَ أن المصطفى فيهِ)

================

جئنا إليـــكَ رســـولَ اللهِ نعتـــذرُ!!

ماجد بن عبد الله الغامدي.. الخبر

جئنا إليـــكَ رســـولَ اللهِ نعتـــذرُ ممّـــا تجـــرّأ ذاكَ الفاجـــرُ الأشِـــرُ
فأنتَ مؤتمنُ الرحمـــنِ إذ خُتمـــت بكَ الرسالاتُ واستهدت بك البشرُ
جاهدْتَ في اللهِ إذ بلّغـــتَ دعوتَـــهُ فالكفرُ مندحرٌ والشـــركُ منكسـِــرُ
صلّيتَ بالرُسلِ في مسراكَ كنتَ بهم كما يزيّنُ ضـــوءَ الأنجـــمِ القمـــرُ
تركتَ فينـــا كتـــابَ اللهِ ننهجـــهُ وسُنّةً فُسّرَتْ في ضوئِهـــا السُـــوَرُ
ففي جبينكَ "نورٌ يُشرقُ القمـــرُ" وفي حديثِكَ ذاكَ الهـــديُ ينهمـــرُ
وفي سجاياكَ يا خيرَ الـــورى مثَـــلٌ وفي حياتِكَ ذاكَ المقتـــدى الأثـــرُ
قد كنتَ قلباً لنشرِ الدينِ مجتهـــداً وكنتَ كفّاً لبـــذلِ الخيـــرِ تبتـــدرُ
إذا وهبـــتَ فـــلا مَـــنٌّ ولا قَتَـــرٌ وإن دُعيتَ فلا مَطْـــلٌ ولا ضجـــرُ
وكنتَ قرءاننا يمشي بخيـــرِ هـــدىً ماذا نقولُ وماذا فيـــكَ نختصـــرُ؟!
يا ناصرَ الدينِ.. يا وحيَ الإلـــهِ بـــهِ يرفرفُ القلبُ والأرواحُ والفِكَـــرُ
يا أشرفَ الخلقِ لن نرضى بما اقترفوا هذي القلوبُ تكادُ اليـــومَ تنفطـــرُ
وجداننا في جحيمِ الغيظِ مشتعـــلٌ قلوبُنا بلهيـــبِ الإفـــكِ تستعـــرُ
يا مَـــن أضـــاءَ بنـــورِ اللهِ سنّتَـــهُ للمقتدينَ فتلـــكَ الأنجـــمُ الزُهـــرُ
مناقبُ النصرِ في أرجاءِ دعوتِهِ الـــ ـــغرّاءِ فيها قلوبُ الشركِ تنبهـــرُ

ما بينَ مستترٍ عنهــا ومنكســرٍ تلكَ الفلــولُ بعــونِ اللهِ تندثــرُ
هُداكَ زلزلَ كسرى فــي مدائنــهِ وخرَّ قيصــرُ إذ لــم تُغنــهِ النُــذرُ
يا خاتمَ الرسلِ لم نجزعْ لِما كتبــوا فالجهلُ يُغوي وهذا شأنُ مَن كفروا
غُلّتْ أياديهمُ إذ صدّقــوا خَرِفــاً شُلّتْ يداهُ.. وتبّاً للــذي نشــروا
يقينُنا أننــا نفــدي بمــا مَلَكــت أيمانُنا إن توالــت حولَــكَ الزُمَــرُ
بــل تفتديــكَ وايــمُ اللهِ أفئــدةٌ لِنُصرةِ الحــقِ والقــرءانِ تعتصــرُ
أرواحُنــا ودمانــا فيــك نبذلُهــا نــذودُ عنْكَ.. بقــولِ اللهِ نأتــمــرُ
لا نرتضي قولَهم.. كلاّ وما فَتئــتْ ضراغمُ الحقِ لا جُبــنٌ ولا خَــوَرُ
فكم لَقينا ولــم تضعــفْ عزائمُنــا وكم تغيّــرَتِ الأفــلاكُ والسِّيَــرُ
لكنَّ إيمانَنا بــاقٍ ومــا ضَعُفَــت مّنا العزائمُ إن ضجّوا وإن سخروا
فالنّورُ إيمانُنــا.. والنــارُ نِقمتُنــا نارٌ تُبيدُ فــلا تُبقــي ولا تــذرُ!!
جئنا نلبّيك لا لــن ننثنــي أبــداً جئنا نفدّيك لا خوفٌ ولا حــذرُ!
إيمانُنــا أنَّ وعــدَ اللهِ مدرِكُهــم وأنَّ موعــدَ ذاكَ المُفتــري سَقَــرُ
وأنّكَ المصطفى البشرى النذيرُ وقد ذُكرتَ إذ أُنزلَ الإنجيــلُ والزُبــرُ
أدّيتَ فينا أماناتٍ وقــد شهــدت لكَ القلوبُ وذاكَ السمعُ والبصــرُ
عزاؤنا أنَّ عقبــى الــدارِ موعدُنــا طوبى لَمن آمنوا.. بُشرى لِمَن صبروا
صلّى عليكَ إلهُ الكــونِ ــ نسألــهُ لكَ الوسيلةَ ــ والشيطانُ مندحــرُ

=================

جلَّ من ربَّاك

محمد بن عبد الرحمن المقرن

ربَّاكَ ربُّكَ.. جلَّ من ربَّاكا ورعاكَ في كنفِ الهدى وحماكا
سبحانه أعطاك فيضَ فضائلٍ لم يُعْطها في العالمين سواكا
سوّاك في خلقٍ عظيمٍ وارتقى فيك الجمالُ.. فجلّ من سوَّاكا
سبحانه أعطاك خيرَ رسالةٍ للعالمين بها نشرْتَ هُداكا
وحباكَ في يوم الحساب شفاعةً محمودةً.. ما نالها إلاّكا
اللهُ أرسلكم إلينا رحمةً ما ضلَّ من تَبعتْ خطاه خُطاكا
كنّا حيارى في الظلامِ فأشْرقتْ شمسُ الهدايةِ يومَ لاحَ سناكا
كنّا وربي غارقين بغيِّنا حتى ربطنا حَبْلَنا بعُراكا
لولاك كنا ساجدين لصخرةٍ أو كوكبٍ.. لا نعرفُ الإشراكا

لولاك لم نعبدْ إلــهًا واحدًا حتى هدانا اللهُ يومَ هداكا
أنتَ الذي حنَّ الجمادُ لعطفهِ وشكا لك الحيوانُ يومَ رآكا
والجذعُ يُسمعُ بالحنين أنينُه وبكاؤُه شوقًا إلى لُقياكا
ماذا يزيدُك مدحُنا وثناؤُنا واللهُ في القرآنِ قد زكّاكا؟!
ماذا يفيدُ الذّبُّ عنك وربُّنا سبحانه بعيونه يرعاكا؟!
"بدرٌ" تحدثنا عن الكفِّ التي دمتِ الطغاةُ فبوركت كفاكا؟!
و"الغارُ" يخبرُنا عن العين التي حفظتك يوم غفت به عيناكا
لم أكتبِ الأشعارَ فيك مهابةً تغضي حروفي رأسَها لحلاكا
لكنها نارٌ على أعدائكم عادى إلهَ العرشِ مَن عاداكا
إني لأرخصُ دون عرضِك مهجتي روحٌ تروحُ ولا يُمسُّ حماكا
شُلّتْ يمينٌ صوَّرتك وجُمِّدتْ وسطَ العروقِ دماءُ من آذاكا
ويـــلٌ فـــويلٌ ثـــم ويـــلٌ للـــذي قد خاضَ في العِرضِ الشريفِ ولاكا
يا إخوةَ الأبقـــارِ هـــن ســـباتـــكم "مَن في القطيع سيصبح الأفّاكا؟!"
النارُ يا أهلَ السباقِ مصيرُكم وهناك جائزةُ السباق هناكا!!
تتدافعون لقعرها زمرًا ولن تجدوا هناك عن الجحيمِ فكاكا
هبوا بني الإسلام نكسر أنفهم ونكون وسطَ حلوقِهم أشواكا
لك يا رسولَ الله نبضُ قصائدي لو كانَ قلبٌ للقصيد فداكا
هم لن يطولوا من مقامك شعرةً حتى تطولَ الذّرةُ الأفلاكا!!
والله لن يصلوا إليك ولا إلى ذراتِ رملٍ من تراب خُطاكا
هم كالخشاش على الثرى ومقامُكم مثلُ السماك.. فمن يطولُ سماكا؟!!
روحي وأبنائي وأهلي كلهم وجميع ما حوت الحياةُ فداكَ

=================

حوار بين سلعة دانمركية وأخرى أمريكية

لفضيلة الشيخ / حامد بن عبد الله العلي

قالتْ سلعةُ الدنمركِ وهي على الرفّ تبكي..
لأختِها الحسينةِ البهيةْ بضاعةٍ بالقربِ أمريكيةْ ..
أختاه أنّي سوفَ أُحْرق عــــمّا قــليلٍ بعدما أُمزّقُ
ماذا جنيتُ قولي يا شقراءُ أجاءني لوحديَ الشقاءُ ؟!..
فقالت تلكُمُ الذكيّةْ برقة تهتزّ كالصبيّةْ..

أمَا علمتِ أنّكمْ رسمتمْ جنايةً عظيمةً جَنيمْ ..
ثم ألقت بشعرها كذا بغُنْجها ضاحكةً قالت: وذا
تطاولٌ على نبيّ أمةٍ عظيمةٍ بفعلة لئيمةٍ!
وسوف يعلنون قعقعهْ! ويضربون شعبكم مقاطعهْ ..
قالت تلكمُ الشقيهْ فأنتِ يا عاهرةٌ دنيهْ ..
ما بالهُمُ تركوكِ لا عقابُ ينالكِ اليومَ ولا سبابُ؟!..
قالتْ ويحَكِ ويحَ أمُّكِ أمريكيّة أنا ما أَلمكِ؟!
نحن الذين مزّقُوا المصاحفَ وبالكلاب تلحسُ الصحائفَ ..
في "باغرام" نفعل ما نشاءُ وهاهنا في (غونتنامو) لا مراءُ
وقد شتمنا ربّهمْ ودينهمْ عرضهمْ تراثهمْ نبيّهمْ!
وفي العراق نقصف المساجدَ نذيقهم من بأسنا الشدائدَ.
ومن عقودٍ ندعم الصهاينهْ بــنجدة دائــمةٍ وبائنهْ
ليقتلوهم يهتكوا نساءهم وبالصَّغار يحكموا فضاءهم!
مساجدُ قد حُوِّلتْ مراقصا والمسجد الأقصى بدا مُنكَّصا
وكلّ يومٍ نشتم الرسولا ونُظهر التوراة والإنجيلا..
نحاربُ الشريعة المطهّرهْ سياسةً محكمةً مقررهْ
وننشر الفسادَ في الأخلاقِ ونحنُ واليهود في سباقِ
ويشترون منّا ما نحبُّ وعندنا أموالهمْ تُصبُّ !!
ورضخُوا للجزية الجليه.. منظمة التجارة الدوليه..
قالت تلك السلعة الدنمركيهْ ويحكِ فكيف أصيرُ أمريكيهْ
فهزّت الأُخرى خصرها: لن تعدوَ الدنمرك قدرَها
فغضبت الأولى عليها حاقدهْ: سلط الله عليك القاعدهْ

====================

شّهِدَتْ بِفَضْلِ مَقَامِكَ الأَكْوَانُ

الشيخ/ حامد بن عبد الله العلي

شّهِدَتْ بِفَضْلِ مَقَامِكَ الأَكْوَانُ وَتَرَنّمتْ فَرَحاً بكَ الأَزْمَانُ
وَتَبَاشَرَتْ كُلّ السّمَاءِ وَكَبّرتْ وَالأَرْضُ فِي عُرْسٍ كَذاً الأَرْكَانُ
وَتَزَلْزَلَ الطّغْيَانُ فِي أَرْجَاءِهَا فَبِسَيْفِ دِينكِ يُهْزَمُ الطّغْيَانُ
وَتَثَقّفَ الإِنْسَانُ أَعْلاَمَ الهُدَى لَوْلاَكَ ضَلّ بِجَهْلِهِ الإِنْسَانُ

كَمُلَتْ صِفَاتُكَ فِي الأنَامِ فَكُلّهَا نُورٌ تُضِيءُ يَمُدّها الإِيْمَانُ
سَبْحَانَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ مَحَاسِناً مِنْ نُورِ نُورِكَ يَنْبُعُ السّبْحَانُ
وَعَلاَ بِذِكْرِكَ حَامِداً وَمُحَمّداً وَباسْمِ أَحْمَدَ تَشْهَدُ الرّهْبَانُ
جِبْرِيلُ يَشْهَدُ وَالملائِكَةُ العُلاَ وَالأَنْبِيَاءُ بِصِدْقِهِمْ قَدْ دَانوا
أَنْتَ الّذِي أُوتِيتَ كُلّ فَضِيلةٍ وَالْمُعْجزَاتِ عَظِيْمُها القُرْآنُ
أَنْتَ الْمُقرّبُ وَالْمُشَفّعُ للورَى يَوْمُ الشّفَاعَةِ أَحْمَدُ العُنْوَانُ
أَنْتَ الخَلِيلُ وَأنْت أَعْظَمُ نِعْمَةً وَالآيَةُ العُظْمَى كذَا الفُرْقَانُ
وَبِنورِ وجْهِكَ تُمْطِرُنَا السّمَا وَبِفَضْلِ جُودِكَ عَمّنا الإِحْسَانُ
عَرْشُ الإلَهِ يَرَى مَقَامِكَ عَالِياً أَدْنَاكَ مِنْهُ بِفَضْلِهِ الرّحْمَنُ
مَا ضَرّ تّاجُ الكَوْنِ فِي عِلْيائه مَا ضَرّهُ أنْ يَنْبَحَ الشّيْطانُ
وَتَطاوِلِ (الدنمرك)فِي أَحْقَادِهِمْ سَتُذِيقُهُمْ حَرَ اللّظّىَ النّيرانُ
سَيُصِيبُهُمْ مِنّا لّهيبٌ حَارِق فَيَدُكّهمْ وَتَلُفُّهُمْ أَحْزَانُ

================

صلّى عليك الله

ميسون قصاص :

ريح الصّبا تزكي الصّبابة في الحشــــا عند الهبوب
وتحرّك الأشواق تطـــــوي بالمـــنى بُعدَ الدّروب
فإذا الحيــــــاة بمرّها تحلو وتنســـاها الكروب
وتهون في الدّرب الصّعاب وينجلي ليل الخطوب
يا أحمـــدَ الهادي ويا نوراً أطلّ على القلـــــوب
من كلِّ شيءٍ حُســـنَهُ آتاك علام الغيــــوب
فالشّمسُ حُزْتَ ضياءها والغيمُ مدمعَه السّكوب
والطّيرُ أهدت شدوها والزّهرُ أهداك الطّيــوب
أهدى الصّباح حياته وســـكينةً أهدى الغروب
يا منذراً ومبشّـــراً من عند علام الغيـــــوب
يا داعيـــــاً وسراجَ نورٍ قد أضـــاء لنا الدّروب
ذكراك تحيينا وحبّـــك غيثنـــا يروي القلـــوب
وحديثك الهادي رياض ليس فيـــــها من لغوب
صلّى عليك الله يا من ذكره يمحـــــو الذّنوب

=================

في مدح حبيبي رسول الله صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم

ابن جابر الأندلسي

قصيدة للشاعر أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن غلي الهواري المالكي الأندلسي النحوي المعروف بابن جابر الأندلسي ، و قد كانت من أجمل ما كتب على الإطلاق في مدح حبيبي رسول الله صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم و يكمن سحرها بوجود التورية بسور القرآن الكريم

في كل فاتحة للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث بالبقرة
في آل عمران قدما شاع مبعثه رجالهم و النساء استوضحوا خبره
من مد للناس من نعماء مائدة عمت فليست على الأنعام مقتصرة
أعرف نعماه ما حل الرجاء بها إلا و أنفال ذاك الجود مبتدره
به توسل إذ نادى بتوبته في البحر يونس و الظلماء معتكره
هود و يوسف كم خوف به أمنا و لن يروع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوه إبراهيم كان و في بيت الإله و في الحجر التمس أثره
ذو أمه كدوي النحل ذكرهم في كل قطر فسبحان الذي فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى و به بشرى ابن مريم في الإنجيل مشتهرة
سمّاه طه و حض الأنبياء على حج المكان الذي من أجله عمره
قد افلح الناس بالنور الذي عمروا من نور فرقانه لما جلا غرره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا كالنمل إذا سمعت آذانهم سوره
و حسبه قصص للعنكبوت أتى إذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدما أمره و به لقمان وفق للدر الذي نثره
كم سجدة في طلى الأحزاب قد سجدت سيوفه فأراهم به عبره
سباهم فاطر السبع العلا كرما لمن بياسين بين الرسل قد شهره
في الحرب قد صفت الأملاك تنصره فصار جمع الأعادي هازما زمره
لغافر الذنب في تفصيله سور قد فصلت لمعان غير منحصره
شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها مثل الدخان فيعشي عين من نظره
عزت شريعته البيضاء حين أتى أحقاف بدر و جند الله قد نصره
فجاء بعد القتال الفتح متصلا و أصبحت حجرات الدين منتصرة
بقاف و الذاريات الله أقسم في أن الذي قاله حق كما ذكره
في الطور أبصر موسى نجم سؤدده و الأفق قد شق إجلالا له قمره

أسرى فنال من الرحمن واقعة | في القرب ثبت فيه ربه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها | و في مجادله الكفار قد أزره
في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في | صف من الرسل كل تابع أثره
كف يسبح لله الحصاة بها | فاقبل إذا جاءك الحق الذي قدره
قد أبصرت عنه الدنيا تغابنها | نالت طلاقا و لم يصرف لها نظره
تحريمه الحب للدنيا و رغبته | عن زهرة الملك حقا عندما نظره
في نون قد حقت الأمداح فيه بما | أثنى به الله إذ أبدى لنا سيره
بجاهه سال نوح في سفينته | سفن النجاة و موج لبحر قد غمره
و قالت الجن: جاء الحق فاتبعوا | مزملا تابعا للحق لن يذره
مدثرا شافعا يوم القيامة هل | أتى نبي له هذا العلا زخره؟
في المرسلات من الكتب انجلى نبأ | عن بعثه سائر الأخبار قد سطره
ألطافه النازعات اليم في زمن | يوم به عبس العاصي لما ذعره
إذ كورت شمس ذات اليوم و انفطرت | سماؤه و دعت ويل به الفجرة
و للسماء انشقاق و البروج خلت | من طارق الشهب و الأفلاك مستترة
فسبح اسم الذي في الخلق شفعه | و هل أتاك حديث الحوض إذ نهره
كالفجر في البلد المحروس غرته | و الشمس من نوره الوضاح مستنره
و الليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم | نشرح لك القول في أخباره العطرة
و لو دعا التين و الزيتون لا ابتدرا | إليه في الحين و اقرأ تستبن خبره
في ليله القدر كم قد حاز من شرف | في الفجر لم يكن الإنسان قد قدره
كم زلزلت بالجياد العاديات له | أرض بقارعه التخويف منتشرة
له تكاثر آيات قد اشتهرت | في كل عصر فويل للذي كفره
ألم تر الشمس تصديقا له حبست | على قريش و جاء الروح إذ أمره
أرأيت أن إله العرش كرمه | بكوثر مرسل في حوضه نهره
و الكافرون إذا جاء الورى طردوا | عن حوضه فلقد تبت يدا الكفرة
إخلاص أمداحه شغلي فكم فلق | للصبح أسمعت فيه الناس مفتخرة
أزكى صلاتي على الهادي و عترته | و صحبه و خصوصا منهم عشره

===================

في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم

أحمد محمد سعد

أمطرينا يا سماء الله جمرًا واحرقي الإحساس منا.. قد تبلد
وارجمينا يا جبال الأرض صخرًا وارجمي منا لسانًا قد تجمد
كيف يهنينا الطعام وقد صرعنا واستبيح القدس والصرح الممرد
كيف ينعشنا النسيم وقد سمعنا مَن بأرض الكفر يسخر من محمد
أي ضيم فاق ضيم الناس طرًّا أي كفر صار يحمي أو يمجد؟!
ألف مليون بلا وزن ترانا ما ترى فينا صليلاً يتردد
يدفع الباغين عن عرض نبي نوره يهدي إلى الخير المسدد
جاء للدنيا فأشرق في رباها فاستقت منه الهدى دومًا لتسعد
أدب الشرك وأرداه طريدًا دون مأوى في البراري يتشرد
علم الناس السعادة كيف تهدى لفقير من لظى الفقر مهدد
وسرى في روحنا يروي قلوبًا من ظلام الكفر والإجرام جلمد
يوم مكة في رؤى التاريخ يوم رحمة الهادي الحبيب به تجدد
حين قال لمن بغى يومًا قريبًا "أنتم الطلقاء" في الأرض تردد
يا بلاد الله هل شاهدت يومًا في جبين الدهر إنسانًا كأحمد؟!
من تبارى فيه أهل الحب جمعًا عشقه للصب أمجادٌ وسؤدد
حين تنسى الروح أن الحب يروي نستقي من حبه حبًا يمدد
والليالي في محبته ضياء والضياء بحبه خُلد وسرمد
يا نبيًا شُلَّ كلُ الجسم مني إن سكتُّ على الإساءة يا محمد!
ما الذي يبقى لنا بعد رسولي ليس تنفعنا صلاة إن تهدد
يا رجال الحق بالإيمان قوموا واقطعوا الكفر الجبان بلا تردد
ذاك عرض المصطفى يُجتاح جهرًا ذاك عرض المجتبى الهادي محمد
إن صمت الناس خزيًا وانكسارًا منه كل الكون والأحياء تفسد

===================

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلَمِ أحَلّ سفْكَ دمي في الأشهر الحُرُمِ
رمى القضاءُ بعيْني جُؤذَار أسداً يا ساكن القاع، أدرك ساكن الأجم
لما رَنا حدّثتني النفسُ قائلةً يا وَيْحَ جنبكَ ، بالسهم المُصيب رُمِي
جحدتها ، وكتمت السهمَ في كبدي جُرْحُ الأحبة عندي غيرُ ذي ألم
رزقتَ أسمح ما في الناس من خُلق إذا رُزقتَ التِمَاس العذْر في الشِّيم

يا لائمي في هواه – والهوى قدرٌ –   لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل و لم تلم
لقد أنلْتُك أُذناً غير واعيةٍ   ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ في صَمم
يا ناعس الطرفِ؛ لاذقْتَ الهوى أبداً   أسهْرتَ مُضناك في حفظِ الهوى ، فنم
أفديك ألفاً ، ولو آلو الخيالَ فِدىً   أغراك بالبخل مَن أغراه بالكرام
سرَى ، فصادف جُرحاً دامياً ، فأسا   ورُبَّ فضل على العشاق للحُلُم
مَنْ الموائسُ باناً بالرُّبَى وقَناً   اللاعبات بُروحي، السافحات دمِي؟
السافِراتُ كأمثال البُدور ضُحىً   يغرنَ شمسَ الضُّحى بالحَليْ والعِصْم
القاتلات بأجفانٍ بها سَقَمٌ   وللمنيةِ أسبابٌ من السّقم
العاثراتُ بألبابِ الرجال، وما   أُقلِنَ من عثراتِ الدَّلِّ في الرَسم
المضرماتُ خُدوداً، أسفرت وجَلتْ   عن فِتنة ، تُسلِمُ الأكبادَ للضرَم
الحاملاتُ لواء الحسنِ مختلفاً   أشكالهُ، وهو فردٌ غير منقسِم
من كلِّ بيضاء أو سمراء زُيِّنتا   للعينِ ، وللحُسنُ في الآرامِ كالعُصُم
يرعنَ للبصرِ السامي ، ومن عجب   إذا أشرَن أسرن الليثَ بالعَتم
وضعتُ خدِّي، وقسمتُ الفؤادَ رُبىً   يَرتَعنَ في كُنُسٍ من وي أكم
يا بنت ذي اللِّبَدِ المحميِّ جانبُه   ألقاكِ في الغاب ، أم ألقاكِ في الأطُم؟
ما كنت أعلم حتى عنّ مسكنه   أن المُنى والمنايا مضربُ الخِيم
مَنْ أنبتَ الغصن مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ؟   وأخرج الريمَ مِن ضِرغامة قرِم؟
بيني وبينك من سُمْرِ القنا حُجُب   ومثلُها عِفَّةٌ عُذرِيةُ العِصَم
لم أغش مغناكِ إلا في غصونِ كرى   مَغناك أبعدُ للمشتاقِ من إرَم
يا نفسُ ، دنياكِ تُخفي كلَّ مُبكيةٍ   وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسِمَ
فُضِّي بتقواكِ فاهاً كلما ضَحكتْ   كما يفضُّ أذى الرقشاءِ بالثَّرَم
مخطوبةٌ ـــ منذُ كان الناسُ – خاطبةٌ   من أول الدهر لم ترمِل، و لم تَئم
يفنى الزمانُ ، ويبقى من إساءتها   جرحٌ بآدم يبكي منه الأدم
لا تحفلي بجناها ، أو جنايتها   الموتُ بالزَّهر مثلُ الموت بالفحَم
كم نائمٍ لا يراها ، وهي ساهرةٌ   لولا الأمانيُّ والأحلامُ لم ينم
طوراً تمدك في نُعمى وعافيةٍ   وتارةً في قرار البؤس والوَصَم
كم ضلَّلتكَ ، ومَن تُحجَبْ بصيرتُه   إن يلقَ صابا يرد ، أوعلقماً يَسُم
يا ويلتاهُ لنفسي ! راعها ودَها   مُسودَّةُ الصحف في مبيضةِ اللّمَم
ركضتها في مريع المعصياتِ ، وما   أخذت من حمية الطاعات للتُّخَم

هامت على أثرِ اللَّذاتِ تطلبهُها والنفس إن يدعُها داعي الصِّبا تَهِم
صلاحث أمركِ للأخلاقِ مرجعُه فقوِّم النفسَ بالأخلاقِ تستقم
والنفسُ من خيرها في خير عافيةٍ والنفسُ من شرها في مرتعٍ وخِمِ
طغي إذا مُكِّنَتْ من لذَّةٍ وهوىً طغيَ الجيادِ إذا عَضَّت على الشُّكُم
إنْ جَلَّ ذَنبي عن الغُفران لي أملٌ في الله يجعلني في خير معتصم
أُلقي رجائي إذا عزَّ المُجيرُ على مُفرِّج الكرب في الدارينِ والغمَم
إذا خفضتُ جَناحَ الذُّلِّ أسأله عِزَّ الشفاعةِ ؛ لم أسأل سوى أمَم
وإن تقدّم ذو تقوى بصالحةٍ قدّمتُ بين يديه عَبْرَةَ الندَم
لزِمتُ بابَ أمير الأنبياءِ، ومَنْ يمسكْ بمفتاح باب الله يغتنم
فكلُّ فضلٍ ، وإحسانٍ ، وعارفةٍ ما بين مستلم منه ومُلتزم
علقتُ من مدحهِ حبلاً أعزُّ به في يوم لا عزَّ بالأنسابِ واللُّحَم
يُزري قَريضي زُهيراً حين أمدحُه ولا يقاسُ إلى جودي لدَى هَرِم
محمدٌ صفوةُ الباري ، ورحمته وبغيةُ الله من خلقٍ ومن نَسَم
وصاحبُ الحوض يومَ الرُّسلُ سائلةٌ متى الورودُ ؟ وجبريل الأمين ظَمي
سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةً فالجِرمُ في فلكٍ ، والضوء في عَلَم
نُمُوا إليه ، فزادوا في الورى شرَفاً ورُبَّ أصلٍ لفرع في الفخار نُمي
حَواه في سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم نوران قاما مقام الصُّلبِ والرَّحِم
لما رآه بَحيرا قال: نعرفُه بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيم
سائل حِراء، وروحَ القدس: هل عَلما مَصونَ سِرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِم؟
كم جيئةٍ وذهاب شُرِّفتْ بهما بَصحاءُ مكة في الإصباح والغَسَم
ووحشةٍ لابن عبد الله بينهما أشهى من الأُنس بالأحباب والحشم
يُسامر الوحيَ فيها قبل مهبطه ومَن يبشِّرْ بسشِمَى الخير يَتَّسِم
لما دعا الصّحبُ يسيسقونَ من ظمإٍ فاضتْ يداه من التسنيم بالسَّنِم
وظَلَّلته، فصارت تستظلُّ به غمامةٌ جذَبَتْها خيرةُ الديَم
محبةٌ لرسول الله أُشرِبَها قعائدُ الدَّيْرِ ، والرُّهبانُ في القِمم
إنّ الشمائلَ إن رَقَّتْ يكاد بها يُغرى الجَمادُ ، ويغرى كلُّ ذي نَسمَ
ونودي: اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قبل مَن قيلتْ له بفم
هناك أذَّنَ للرحمنِ ، فامتلأت أسماعُ مكَّةَ مِن قُدسيّةِ النَّغم
فلا تسلْ عن قريش كيف حيرتُها ؟ وكيف نُفْرُتها في السهل والعَلَم؟

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألَمَّ بهم رمَى المشايخَ والولدانَ باللّمم
يا جاهلين عللى الهادي ودعوته هل تجهلون مكان الصادقِ العَلم؟
لقّبتموهُ أمينَ القومِ في صغرٍ وما الأمينُ على قولٍ بمتهم
فاقَ البدورَ ، وفاق الأنبياء، فكمْ بالخلق والخَلق مِن حسنٍ ومن عِظم
جاء النبيون بالآيات ، فانصرمت وجئتنا بحكيمٍ غيرِ مُنصَرِم
آياتُه كلّما طالَ المدَى جُدُدٌ يزينُهنّ جلالُ العِتق والقِدم
يكاد في لفظة منه مشرَّفةٍ يوصيك بالحق ، والتقوى وبالرحم
يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً حديثُك الشّهدُ عند الذائقِ الفهِم
حلَّيتَ من عطلٍ جيدَ البيانِ به في كلِّ مُنتَثِرٍ في حسن مُنتظِمِ
بكلِّ قولٍ كريمٍ أنت قائلُه تُحيي القلوبَ، وتحْيي ميِّتَ الهِمم
سَرَتْ بشائِرُ بالهادي ومولِده في الشرق والغرب مَسْرى النور في الظلم
تخطَّفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ وطيَّرت أنفُسَ الباغين من عجم
ريعت لها شُرَفُ الإيوان، فانصدعت من صدمة الحق، لا من صدمة القُدم
أتيتَ والناسُ فَوضَى لا تمرُّ بهم إلا على صَنم ، قد هام في صنم
والأرض مملوءةٌ جوراً ، مُسَّخَرَةٌ لكلّ طاغيةٍ في الخلق مُحتكِم
مُسَيْطِرُ الفرسِ يبغي في رعيّتِه وقيصر الروم من كبرٍ أصمُّ عَمِ
يُعذِّبان عبادَ اللهِ في شُبهٍ ويذبحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم
والخلقُ يَفْتِك أقواهم بأضعفِهم كاللَّيث بالبهم، أو كالحوتِ بالبَلَم
أسرَى بك اللهُ ليلاً ، إذ ملائكُه والرُّسْلُ في المسجد الأقصى على قدَم
لما خطرتَ به التفُّوا بسيّدِهم كالشُّهبِ بالبدرِ ، أو كالجُند بالعَلم
صلي وراءك منهم كلُّ ذي خطرٍ ومن يفُز بحبيبِ الله يأْتمم
جُبتَ السمواتِ أو ما فوقهم بهم على منوّرةٍ دُرِّيَةِ اللُّجُم
ركوبة لك من عزٍّ ومن شرفٍ لا في الجيادِ ، ولا في الأيْنُق الرسُم
مَشيئةُ الخالق الباري ، وصنعتهُ وقدرةُ الله فوق الشك والتُّهَم
حتى بلغت سماءً لا يُطارُ لها على جناحٍ ، ولا يسعى على قَدم
وقيل: كلُّ نبيٍّ عند رتبتهِ ويا محمدُ ، هذا العرشُ فاستلم
خطَطت للدين والدنيا علومهما يا قارئ اللوح ، بل يا لامِسَ القَلمْ
أحطْتَ بينهما بالسرِّ ، وانكشفتْ لك الخزائنُ من عِلم، ومن حِكم
وضاعَفَ القُربُ ما قُلِّدْتَ من مِنَنٍ بلا عدادٍ، وما طُوِّقتَ من نعم

سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغارِ سائمةً لو لا مطاردةُ المختار لم تُسم
هل أبصروا الأثر الوضَّاء، أم سمِعوا همْسَ التسابيحِ والقرآن من أمَم؟
وهل تمثّل نسجُ العنكبوتِ لهم كالغاب ، والحائماتُ الزُّغب كالرخم؟
فأدبروا ، ووجوهُ الأرضِ تلعنُهم كباطلٍ من جلال الحق منهزِم
لولا يدُ اللهِ بالجارَيْنِ ما سلما وعينهُ حولَ ركن الدين؛ لم يقم
توارَيا بجناحِ اللهِ، واستترا ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَم
المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ لصاحبِ البُرْدةِ الفيحاءِ ذي القَدَم
مديحُه فيك حبٌّ خالصٌ وهوىً وصادقُ الحبِّ يُملي صادقَ الكلم
للهِ يشهدُ أني لا أُعارضُه من ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرِم؟
وإنَّما أنا بعض الغابطين ، ومَن يغبطْ وليَّك لا يذمَمْ ، ولا يُلَم
هذا مقامٌ من الرحمنِ مُقتَبسٌ ترمي مهابتُه سحبان بالبَكَمَ
البدرُ دونكَ في حسنٍ وفي شرفٍ والبحرُ دونك في خيرٍ وفي كرم
شُمُّ الجبالِ إذا طاولتَها انخفضت والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تسِم
والليثُ دونك بأساً عند وثبته إذا مشيت الى شاكي السلاح كَمِيْ
تهفو إليكَ – وإن أدميتَ حبَّتَها في الحرب – أفئدةُ الأبطالِ والبُهَم
محبةُ اللهِ ألقاها، وهيبته علىابن آمنةٍ في كلِّ مُصطَدَم
كأن وجهَك تحت النَّقع بدر دجىً يضيء ملتثماً أو غير ملتثم
بذرٌ تطلَّعَ في بدرٍ فغرته كغُرَّةِ النصر ، تجلوا داجيَ الظلمَ
ذكرْت باليتْم في القرآن تكرمةً وقيمةُ اللؤلؤالمكنونِ في اليُتم
اللهُ قسّم بين الناس رزقهُمُ وأنت خُيِّرْتَ في الأرزاق والقِسم
إن قلت في الأمر لا ، أو قلت فيه نعم فخيرةُ اللهِ في لا منك أو نعم
أخوك عيسى دَعا ميتاً ، فقام له وأنت أحييتَ أجيالاً مِن الرمم
والجهْل موتٌ ، فإن أُوتيتَ مُعجزةً فابعثْ من الجهل، أوو فابعث من الرَّجَم
قالوا : غزوت ، ورسلُ اللهِ ما بعثوا لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفكِ دم
جهلٌ ، وتضليلُ أحلام ، وسفسطةٌ فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لكَ عفواً كلُّ ذي حَسَبٍ تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَم
والشرُّ إن تلقهُ بالخيرِ ضقتَ به ذرعاً ، وإن تلقهُ بالشرِّ يَنحسِم
سلَ المسيحيّة الغراء: كم شربت بالصّاب من شَهوات الظالم الغَلِم
طريدةٌ الشركِ ، يؤذيها ، ويوسعها في كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَدَم

لولا حُماةٌ لها هبُّوا لنصرَهَا   بالسيف ؛ ما انتفعت بالرفق والرُّحَم
لو لا مكانٌ لعيسى عند مُرسِلِه   وحرمةٌ وجبتْ للروح في القدم
لسُمِّرَ البدَنُ الطُّهرُ الشريفُ على   لوحين، لم يخشَ مؤذيه ، و لم يجم
جلَّ المسيحُ ، وذاق الصَّلب شانئهُ   إن العقاب بقدرِ الذنب والجرُمُ
أخو النبي، وروح الله في نزل   فوق السماءِ ودون العرشِ محترم
علذَمتهم كلذَ شيءٍ يجهلون به   حتى القتالَ وما فيه من الذِّمِم
دعوتَهم لجهادٍ فيه سؤددُهُمْ   والحربُ أُسُّ نظامِ الكونِ والأُمم
لو لاه لم نر للدولاتِ في زمن   ما طالَ من عمد، أو قرّ من دَعَم
تلك الشواهِدُ تترى كلَّ آونةٍ   في الأعصر الغُرّ ، لا في الأعصُر الدُّهُم
بالأمس مالت عروشٌ، واعتلت سُرُرٌ   لولا القذائفُ لم تثلم ، و لم تصم
أشياعُ عيسى أعدُّوا كلَّ قاصمةٍ   و لم نعد سوى حالات منقصِم
مهما دعيتَ الى الهيجاءِ قمتَ لها   ترمي بأُسدٍ ، ويرمي اللهُ بالرُّجُم
على لوائِكَ منهم كلُّ مُنتقِمٍ   لله ، مستقتِلٍ في الله ، معتزم
مُسبِّحٍ للقاءِ اللهِ، مضطرمٍ   شوقاً ، على سابخ كالبرقِ مضطرِم
لو صادفَ الدهر يبغي نقلةً، فرمى   بعزمِهِ في رحالِ الدهرِ لم يَرِم
بيضٌ ، مفاليل من فعل الحروب بهم   من أسيفِ اللهِ ، الهندية الخُذُم
كم في التراب إذا فتَّشت عن رجلٍ   من ماتَ بالعهد ، أو م مات بالقسم
لو لا مواهبُ في بعضِ الأنام لما   تفاوت الناسُ في الأقدار والقِيَم
شريعةٌ لك فجرت العقول بها   عن زاخرٍ بصنوفِ العلم ملتطِم
يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها   كالحلي للسيف أو كالوشْي للعَلَم
غرّاءُ ، حاملت عليها أنفسٌ ، ونُهىً   ومن يَجدْ سَلسَلاً من حكمةٍ يَحُم
نورُ السبيل يساس العالمون بها   تكفَّلتْ بشباب الدهرِ والهَرَم
يجري الزّمانُ وأحكامُ الزمانِ على   حُكم لها ، نافذٍ في الخلق، مرتسِم
لما اعتلت دولةُ الإسلامِ واتسَعت   مشتْ ممالِكَهُ في نورها التَّمم
وعاّمتْ أُمةً بالقفر نازلةً   رعيَ القياصرِ بعد الشاءِ والنَّعَم
كم شَيَّد المصلِحُون العاملون بها   في الشرق والغرب ملكاً باذخ العِظَم
سرعان ما فتحوا الدنيا لِملَّتِهم   وأنهلوا الناسَ من سَلسالها الشَّبِم
ساروا عليها هُداةَ الناس، فهي بهم   الى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العَظَم
لا يهدِمُ الدَّهرُ رُكناً شاد عدلُهُمُ   وحائط البغي إن تلمسْهُ ينهدِم

نالو السعادةَ في الدَّارين ، واجتمعوا على عميم من الرضوان مقتسم
دعْ عنك روما، وآثينا ، وما حَوَتا كلُّ اليواقيت في بغدادَ والتُّوَم
وخلِّ كِسرى ، وإيواناً يدِلُّ به هوى كل أثَرِ النيران والأيُم
واتركْ رعمسيسَ، إن الملكَ مَظهرهُ في نهضة العدل ، لا في نهضة الهرَم
دارُ الشرائع روما كلّما ذُكِرَتْ دارُ السلام لها ألقتْ يد السَّلَم
ما ضارَعَتها بياناً عند مُلْتَأم ولا حَكَتها قضاءً عند مُختصَم
ولا احتوت في طرازٍ من قياصِرها على رشيدٍ ، ومأمونٍ ، ومُعتصِم
من الذين إذا سارت كتائبهم تصرّفوا بحدود الأرض والتخُم
ويجلسونَ الى علمٍ ومَعرفةٍ فلا يُدانَوْن في عقل ولا فَهَم
يطأطئ العلماءُ الهامَ إن نَسَبوا من هيبةِ العلْم ، لا من هيبة الحُكُم
ويمطرون ، فما بالأرضِ من مَحَلٍ ولا بمن بات فوق الأرضِ من عُدُم
خلائفُ الله جلُّوا عن موازنةٍ فلا تقيستّ أملاكَ الورى بهم
من في البرية كالفاروق مَعْدَلَةً ؟ وكان عبد العزيز الخاشعِ الحشم؟
وكالإمام إذا ما فَضَّ مزدحماً بمدمع في مآقي القوم مزدحم
الزاخر العذْب في علْم وفي أدبٍ والناصر النَّدْب في حرب وفي سلم؟
أو كابن عفّانَ والقرآنُ في يدِهِ يحنو عليه كما تحنو على الفُطُم
ويجمع الآي ترتيباً وينظمُها عقداً بجيد الليالي غير منفصِم؟
جُرحان في كبدِ الإسلام ما التأما جُرْحُ الشهيد، وجرحٌ بالكتاب دمي
وما بلاءُ أبي بكر بمتَّهم بعد الجلائل في الأفعال والخدم
بالحزم والعزم حاطَ الدين في محنٍ أضلَّت الحلم من كهلٍ ومحتلم
وحِدْن بالراشد الفاروق عن رشدٍ في الموت ، وهو يقينٌ غير منبَهم
يجادِلُ القومَ مُسْتَلاً مهنَّدَه في أعظم الرسْلِ قدراً ، كيف لم يدم؟
لا تعذلوه إذا طاف الذهولُ به مات الحبيبُ ، فضلَّ الصَّبُّ عن رَغَم
يا ربِّ صِلِّ وسلِّم ما أردتَ على نزيل عرشك خير الرسْل كلِّهم
مُحيي الليالي صلاةً ، لا يقطعها إلا بدمع من الإشفاق مُنسجم
مسبحاً لك جنح الليل ، محتملاً ضُرّاً من السُّهد، أو ضُرّاً من الورَم
رضيَّة نفسُه ، لا تشتكي سأماً وما مع الحبِّ لإن أخلصت مِن سَأم
وصلِّ ربِّي على آلٍ لهُ نُخَبٍ جعلتَ فيهم لواء البيتِ والحرم
بيضُ الوجوه ، ووجهُ الدهر ذو حَلَكٍ شُمُّ الأُنوف، وأُنفُ الحادثات حمي

وأهد خيرَ صلاةٍ منك أربعةً   في الصحب ، صُحبتُهم مرعيَّةُ الحُرَم
الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم   ما هال من جَلَلٍ، واشتد من عَمَم
الصابرين ونفسُ الأرض واجفةٌ   الضاحكين الى الأخطار والقُحَم
يا ربِّ، هبتْ شعوبٌ من منيّتها   واستيقظت أُمَمٌ من رْقدة العدم
يعدٌ ، ونحسٌ ، ومُلكٌ أنت مالكه   تديلُ مِنْ نِعَم فيه ، ومِنْ نقم
رأى قضاؤك فينا رأْيَ حكمته   أكرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقم
فالطُفْ لأجلِ رسول العالمين بنا   ولا تزدْ قومَه خسفاً ، ولا تُسم
يا ربِّ ، أحسنت بَدء المسلمين به   فتمِّم الفضلَ ، وامنحء حُسنَ مُخْتَتَم

===============

وُلد الهدى، فالكائناتُ ضـــــــــــــــــياءُ

وُلد الهدى، فالكائناتُ ضــــــــــــــــياءُ ....وفمُ الزّمان
تبسُّــــــــــــــمٌ وثناءُ
الرُّوحُ والملأُ الملائكُ حَــــــــــــــــــــــولَهُ ....للدِّين والدنيا به
بُشــــــــــــــــراءُ
والعرشُ يزهو والحظيرةُ تزدَهي ....والمنتهى والسِّدرَةُ العصماءُ
وحديقةُ الفرقان ضاحــكةُ الربى ....بالترجمانِ شــــذيَّةٌ غــــــــــــــنَّاءُ
والوحيُ يقطرُ سلسلاً من سلسلٍ ....واللوحُ والقــــــــــــــــلمُ البديعُ رُواءُ
نُظِمَتْ أسامي الرُّسلِ فهي صحيفة ....في اللوح واسمُ محمدٍ طغراءُ
اسم الجلالة في بديع حروفه ....ألفٌ هــــــــــنالك ،واسم طه الباءُ
يا خير من جاءَ الوجودَ تحية ....من مُرسلينَ الى الهدى بك جاؤوا
بيت النبيين الذي لا يلتقـــــي ....إلا الحــــــنائف فيه
والحــــــــــــــــــنفاءُ
خيرُ الأبوةِ حــــــــــــــازهم لكَ آدمٌ ....دونَ الأنامِ واحرزتْ
حــــــــــــــــــــــوَّاءُ
هم أدركوا عزَّ النبوَّةِ وانتهــــت ....فيها إليكَ العزَّةُ
القــــــعـــــســــــــــــاءُ
خُلقتْ لبيتك وهو مخلوقٌ لها ....إن العظائِمَ كفؤها العظمــــــــــــــــــاءُ
بك بشَّر اللهُ السماء فزُيِّنت ....   .وتضوَّعت مسكاً بك
الغــــــــــــــــــبراءُ

وبدا مُحيَّاك الذي قسماتُه ....حـــــــــــــــــــــــــقّ وغرَّته هُدىً
وحياءُ

وعـــــــــليه من نورِ النبوَّةِ رونقٌ ....ومن الخليل وهديِه
سيمـــــــــــــــــــــــاءُ

أثنى المسيحُ عليه خلف سمائه ....وتهلَّلت واهتزت
العـــــــــــــــــــــــــــذراءُ

يومٌ يتيهُ على الزمان صباحُه ....
....ومســــــــــــــــــــــــــــــاؤه بمحمدٍ وضَّاءُ

الحقُّ عالي الركن فيه مظفَّر ....في المــــــلكِ لا يعـــــــــــــــــــلو عليه لواءُ
ذُعرت عروشُ الظالمين فزلزلت ....وعلتْ على تيجــــــــــــــــــــــــانهم أصداءُ
والنارُ خاوية الجوانب حولُهُمْ ....خَمَدَت ذوائبُها وغــــــــــــــــــــــاض الماءُ
والآيُ تترى والخوارق جمَّةٌ ....جـــــــــــــــبريلُ رواح بها
غـــــــــــــــــــــــداءُ

نِعمَ اليتيمُ بدت مخايلُ فضله ....واليُتمُ رزقٌ بعضُه
وذكـــــــــــــــــــــــــــاءُ

في المهد يُستسقى الحيا برجائه ....وبقصده تُستدفعُ البأســــــــــــــــــــــــــــاءُ
بسوى الأمانة في الصبا والصدقِ لم ....يعرفه أهــــــــــــــــــــــــلُ الصدقِ والأمناءُ

يا مَنْ له الأخلاقُ ما تهوى العلا ....منها وما يتعشَّقُ
الكــــــــــــــــــــــــــبراءُ

لو لم تُقم ديناً لقامت وحدَها ....ديناً
تُضـــــــــــــــــــــــــــيءُ بنوره الآناءُ

زانتك في الخلقِ العظيم شمائلٌ ....يُغرى بهنَّ ويولعُ
الكرمـــــــــــــــــــــــــــاءُ

أما الجمالُ فأنت شمسُ سمائه ....وملاحـــــــــــــــــــــــــــةُ الصديقِ منك أياءُ

والحسن من كرم الوجوه وخيره ....ما أوتي القوادُ
والزعمـــــــــــــــــــــــــــاءُ

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى ....وفعلت ما لا تفعـــــــــــــــــــــــــــل
الأنواءُ

وإذا عفوت فقادراً ومقدّراً ....لا يستهين بعفوك الجُهــــــــــــــــــــــلاءُ

وإذا رحمت فأنت أمٌّ أو أبٌ ....هذان في الدنيا هما الرُّحماءُ

وإذا غضبت فإنما هي غضبةٌ ....في الحـــــــــــــقّ لا ضغنٌ ولا بغضاءُ

وإذا رضيت فذاك في مرضاته ....ورضى الكـــــــــــــــــــــثير تحلمٌ ورياءُ

وإذا خطبت فللمنابر هـــــــــــــزةٌ ....تعرو النَّديَّ وللقلوب

بكـــــــــــــــــاءُ

وإذا قضيت فلا ارتياب كأنّما ....جاء الخصوم من السماء قضاءُ

وإذا حميتَ الماء لم يورد ولو ....أنّ القياصر والملوك ظمـــــــــــــــــــــاءُ

وإذا أجرت فأنت بيت الله لم ....يدخل عليه المستجير عداءُ

وإذا ملكت النفس قُمْتَ ببرِّها ....ولو أن ما ملكت يداك الشـــــــــــــاءُ

وإذا بنيت فخير زوجٍ عشرةً ....وإذا ابتنيت فـــــــــــــــــــــــــــدونك

الآباءُ

وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما ....في بردك الأصحـــــــــــابُ والخلطاءُ

وأذا أخذت العهد أو أعطيته .... فجميع عهدك ذمةٌ ووفـــــــــــــــــــــاءُ

وإذا مشيت الى العدا فغضنفرٌ ....وإذا جـــــــــــــــــــــــريت فإنكَ النكـــــــــباءُ

وتمدُّ حلمكَ للسفيهِ مُدارياً ....حتى يضيق بعرضك السفهاءُ

في كل نفسٍ من سطاك مهابةٌ ....ولكل نفسٍ في نداك رجـــــــــاءُ

والرأي لم ينضَ المهَّندُ دونه ....كالسيف لم تضرب به الآراءُ

يأيها الأمِّي حسبكَ رتبةً ....في العلم أن دانت بك العلماءُ

الذكرُ آية ربكَ الكبرى التي ....فيها لباغي المعجزات غناءُ

صدرُ البيانِ له إذا التقت اللُّغى ....وتقدّم البلغاءُ والفصحـــــــــــــــــــــاءُ

نُسخـــتْ به التوراةُ وهي وضيئةٌ ....وتخلف الإنجيلُ وهو ذكــــــــــــــــاءُ

لما تمشى في الحجاز حكيمهُ ....فضَّت عُكاظُ به وقام حِـــــــــــــــراءُ

أزرى بمنطق أهله وبيانهم ....وحـــــــــــــيٌ يقصرُ دونه البلغاءُ

حسدوا فقالواشاعرٌ أو ساحرٌ ... .ومن الحسود يكون الاستهزاءُ

قد نال بالهادي الكريم وبالهدى ... .ما لم تنل من سؤدد سيناء

أمسى كأنك من جلالك أمةٌ ....وكأنه من أنســـــــه بيداءُ

يوحي إليك الفوز في ظلماته ....متتابعاً تجلى به الظلماءُ

دينٌ يشيد آيةً في آية .... .لبنائه الســـــــــــــوراتُ والأضواءُ

الحق فيه هو الأساس وكيف لا ....والله جـــــــــــلَّ جلاله البناءُ؟

أما حديثُكَ في العقول فمشرعٌ .... .والعلم والحكمُ الغوالي الماءُ
هو صبغةُ الفرقان نفحة قدسه ....والسين من سوراته والراءُ
جرتِ الفصاحةُ من ينابيع النُّهى ....من دوحه وتفجى الإنشاء
في بحره للسابحين به على ....أدب الحياة وعلمها إرساءُ
أنت الدهورُ على سُلافته و لم .... ..تَفْنَ السلافُ ولا سلا الندماءُ
بك يا ابن عبد الله قامتْ سَمْحَةٌ ....بالحقِّ من مللِ الهدى غراءُ
بنيتْ على التوحيد وهي حقيقةٌ ... .نادى بها سقراطُ والقدماءُ
وجد الزعافَ من السموم لأجلها . ...كالشهد ثم تتابعَ الشهداءُ
ومشى على وجه الزمان بنورها ....كهانُ وادي النيل والعرفاءُ
إيزيسُ ذاتُ الملك حين توحَّدَتْ .. ..أخذت قوام أمورها الأشياءُ
لما دعوتَ الناسَ لبىَ عاقلٌ ....وأصمَّ منك الجاهلين نداءُ
أبوا الخروج إليك من أوهامهم .. ..والناسُ في أوهامهم سجناءُ
ومن العقول جداولٌ وجلامدٌ ... .ومن النفوس حرائرٌ وإماءُ
داءُ الجماعة من ارسطاليس لم ... .يوصف له حتى أتيتَ دواءُ
فرسمتَ بعدَك للعبادِ حكومةً .. ..لا سوقةٌ فيها ولا أمراءُ
الله فوق الخلق فيها وحده ... .والناسُ تحت لوائها أكفاءُ
والدِّينُ يسرٌ والخلافةُ بيعةٌ . ..والأمرُ شورى والحقوقُ قضاءُ
الاشتراكيون أنتَ إمامهم .. ....لولا دعاوى القوم والغلواءُ
داويت متئداً وداووا طفرةً . ...وأخفُّ من بعض الدواءِ الداءُ
الحربُ في حقٍّ لديك شريعةٌ .. ....ومن السُّمومِ الناقعاتِ دواءُ
والبرُّ عندك ذمةٌ وفريضةٌ ....لا منَّةٌ ممنونةٌ وجـــــــــــــباءُ
جاءت فوحدت الزكاةٌ سبيله ... ..حتى التقى الكرماءُ والبخلاءُ
أنصفتَ أهلَ الفقر من أهل الغنى ... .فالكلُّ في حقِّ الحياة سواءُ
فلو أنَّ إنســـــــــــاناً تخير ملةً ....ما اختار إلا دينكَ الفقراءُ
يأيها المسرى به شرفاً الى ....ما لا تنالُ الشمسُ والجوزاءُ
يتساءلون وأنتَ أطهرُ هيكل ....بالروح أو بالهيكل الإسراءُ ؟
بهما سموتُ مطهرين كلاهما ....نورٌ وريحانيَّة وبهـــــــــــــاءُ
فضلٌ عليك لذي الجلال ومنةٌ ... .والله يفعل ما يرى ويشاءُ
تغشى الغيوب من العوالم كلما ... .طويتْ سماءُ قلدتْكَ سماءُ

في كل منطقةٍ حواشي نورها ....نونٌ وأنت النقطةُ الزهراءُ

أنت الجمالُ بهاوأنت المجتلي ....والكفُّ والمرآةُ والحسناءُ

الله هيأ من حظيرة قدسه ....نزلاً لذاتك لم يجزه علاءُ

العرشُ تحتكَ سُدَّةً وقوائماً ....ومناكبُ الروح الأمين وطاءُ

والرسلُ دون العرش لم يؤذن لهم ....حاشا لغيرك موعدٌ ولقاءُ

الخيلُ تأبى غير أحمد حامياً ....وبها إذا ذكر اسمه خيلاءُ

شيخُ الفوارس يعلمون مكانه ....إن هيجت آسادها الهيجاءُ

وإذا تصدى للظبي فمهندٌ ....أو للرّماح فصعدةٌ سمراءُ

وإذا رمى عن قوسه فيمينه ....قدرٌ وما ترمي اليمينُ قضاءُ

من كل داعي الحق همَّةُ سيفه .. ..فلسيفه في الراسيات مضـــــاءُ

ساقي الجريح ومطعمُ الأسرى ومن ....أمنت سنابكَ خيلهِ الأشلاءُ

إن الشجاعة في الرجال غلاظة ....ما لم تزنها رأفةٌ وسخاءُ

والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا ....فالمجـــــــــــد مما يدعون براءُ

والحربُ يبعثها القويُّ تجبُّراً ....وينوءُ تحت بلائها الضعفاءُ

كم من غزاةٍ للرسول كريمةٍ ....فيها رضىً للحقِّ أو إعلاءُ

كانت لجند الله فيها شدةٌ ....في إثرها للعالمين رخاءُ

ضربوا الضلالة ضربةً ذهبت بها ....فعلى الجهالة والضلال عفاءُ

دعموا على الحرب السلام وطالما ....حقنت دماءً في الزمان دماءُ

الحقُّ عرضُ الله كلُّ أبيةٍ ....بين النفوس حمىً له ووقاءُ

هل كان حول محمدٍ من قومه ....إلا صبيٌّ واحـــــــــــــــد ونساءُ؟

فدعا فلبى في القبائل عصبةٌ ....مستضعفون قلائلٌ أنضاءُ

ردوا ببأس العزم عنه من الأذى ....ما لا تردُّ الصخـــــــــرةُ الصمّاءُ

والحقُّ والإيمان إن صبَّا على ... .برد ففيه كتيبةٌ خرســـــــــــــاءُ

نسفوا بناء الشرك، فهو خرائبٌ ... .واستأصلوا الأصنام فهي هباءُ

يمشون تغضي الأرضُ منهم هيبةً ....وبهـــــــــــم حيالَ نعيمها إغضاءُ

حتى إذا فتحت لهم أطرافها ....لم يطغـــــــهم ترفٌ ولا نعماءُ

يا من له عزُّ الشفاعة وحدهُ ....وهو المنزهُ ما له شـــــــفعاءُ

عرش القيامة أنت تحت لوائه ... .والحوضُ أنتَ حيالهُ السَّقاءُ

تروي وتسقي الصالحين ثوابهم ....والصـــالحات ذخائرٌ وجـــــزاءُ

ألمثل هذا ذقت في الدنيا الطوى . ...وانشقَّ من خلقٍ عليك رداءُ؟
لي في مديحك يا رسولُ عرائسٌ .. ..تيمنَ فيك وشاقهنَّ جـــــــــــــلاءُ
هنَّ الحسانُ فإن قبلت تكرماً ....فمهورهنَّ شفاعةٌ حسناءُ
أنت الذي نظمَ البريَّةَ دينُهُ ....ماذا يقول وينظم الشعراءُ؟
المصلحون أصابعٌ جمعت يداً ....هي أنت بل أنت اليدُ البيضاءُ
ما جئتُ بابكَ مادحاً بل داعياً ....ومن المديح تضرُّعٌ ودعاءُ
أدعوك عن قومي الضعاف لأزمةٍ .. ..في مثلها يلقى عليك رجاءُ
أدرى رسول الله أن نفوسهم ....ثقةٌ ولا جمع القلوب صفاءُ
رقدوا، وغرهم نعيمٌ باطلٌ ....ونعيمُ قومٍ في القُيود بلاءُ
ظلمُوا شريعتك التي نلنا بها ... .ما لم ينل في رومة الفقهاءُ
مشتِ الحضارة في سناهاواهتدى ... .في الدِّين والدُّنيا بها السعداءُ
صلى عليك الله ما صحب الدُّجى ....حــــــــــادٍ وحنَّت بالفلا وجناءُ
واستقبل الرضوان في غرفاتهم ....بجنان عدنٍ آلك السُّمحاءُ
خيرُ الوسائل منْ يقع منهُم على ....سبب إليك فحسبي الزهراءُ

====================

ملحمة النبي صلى الله عليه وسلم

عمر أبو ريشة

أي نـــجوى مـــخضلة الـــنعماء رددتـــهـــا حـــناجر الـــصحراء
سمعتها قريش فا نتفضت غضبى وضـــجـــت مـــشبوبة الأهـــواء
ومـــشت في حمى الضلال إلى الـــكعبة مـــشي الطريدة البلهاء
وارتـــمت خـــشعة عـــلى اللات والعزى وهزت ركنيهما بالدعاء
وبـــدت تـــنحر الـــقرابين نحرا فـــي هـــوى كـــل دمية صماء
وانـــثنت تضرب الرمال اختيالا بـــخـــطى جـــاهـــلية عـــمياء
عـــربدي يا قريش وانغمسي ما شـــئت فـــي حمأة المنى النكراء
لـــن تزيلي ما خطه الله للأرض ومـــا صـــاغه لـــها مـــن هناء
شـــاء أن يـــنبت النبوة في القفر ويـــلقي بـــالوحي مـــن ســـيناء
فـــسلي الربع ما لغربة عبد الله تـــطوى جـــراحها فـــي العزاء
مـــا لأقـــيال هاشم يخلع البشر عـــلـــيها مـــطـــارف الـــخيلاء
انـــظريها حـــول الـــيتيم فراشا هـــزجا حـــول دافـــق الـــلالاء

وأبــو طالب على مذبح الأصنام يــزجي لــه ضــحايا الــفداء
هــو ذا أحمد فيا منكب الغبراء زاحــــم مــنــاكب الــجوزاء
بــسم الــطفل للحياة وفي جنبيه ســـر الــوديــعة الــعصماء
هــب مــن مــهده ودب غريبَ الــدار فــي ظــل خيمة دكناء
تــتبارى حــليمةٌ خــلفه تــعدووفــي ثــغرها افــترار رضاء
عــرفت فيه طلعة اليمن والخير إذا أجــدبــت ربــــى الــبيداء
وتــجلى لــها الــفراق فاغضت فــي ذهــول وأجــهشت بالبكاء
عـــاد لــلــربع أيــن آمــنةٌ والحب والشوق في مجال اللقاء
ما ارتوت منه مقلة طالما شقت عــلــيه ســتــائر الــظــلماء
يــا اعــتداد الأيتام باليتم كفكف بــعــده كــل دمــعة خــرساء
أحــمد شــب يــا قريش فتيهي في الغوايات واسرحي في الشقاء
وانفضي الكف من فتى ما تردى بــــرداء الأجــــداد والآبــاء
أنــت ســميته الأمين وضمخت بــذكــراه نــــدوة الــشــعراء
فــدعي عــمه فــما كان يغريه بــما فــي يــديك مــن إغراء
جاءه متعب الخطى شارد الآمال مــابــيــن خــيــبة ورجـــاء
قال هون عنك الأسى يابن عبد الله واحــقن لــنا كــريم الدماء
لا تــسفه دنــيا قــريش تبوئك مــــن الــمــلك ذروة الــعلياء
فــبكى أحمد وما كان من يبكي ولــكــنــها دمــــوع الإبــــاء
فــلــوى جــيده وســار وئــيدا ثــابت الــعزم مــثقل الأعــباء
وأتــى طــوده الــموشح بالنور وأغــفى فــي ظــل غار حراء
وبــجفنية مــن جــلال أمــانيه طــيــوف عــلــوية الإســراء
وإذا هــاتف يــصيح بــه اقرأ فــيــدوي الــوجود بــالأصداء
وإذا فــي خــشوعه ذلك الأمي يــتــلــو رســالــة الإيــحــاء
وإذا الأرض والــســماء شــفاه تــتــغنى بــســيد الأنــبــياء
جــمعت شــملها قريش وسلت لــلأذى كــل صــعدة ســمراء
وأرادت أن تنقذ البغي من أحمد فـــي جــنــح لــيــلة لــيلاء
ودرى ســرها الــرهيب عــلي فــاشتهى لــو يكون كبش الفداء
قــال : يــا خاتم النبيين أمست مــكــة دار طــغــمة ســفهاء
أنــا بــاق هــنا ولــست أبالي مــا ألاقــي من كيدها في البقاء

سـيروني على فراشك والسيف أمـامـي وكـل دنـيا ورائـي
حـسبي الله فـي دروب رضاه أن يـرى فـيّ أول الـشهداء
فـتـلقاه أحـمد بـاسم الـثغر عـليما بـما انطوى في الخفاء
أمـر الـوحي ان يـحث خطاه فـي الـدجى لـلمدينة الزهراء
وسـرى واقـتفى سراه أبو بكر وغـابا عـن أعـين الـرقباء
وأقـاما في الغار والملأ العلوي يـرنـو إلـيـهما بـالـرعاء
وقـفت دونـه قـريش حيارى وتـنزهت جـريحة الـكبرياء
وانـثنت والرياح تجار والرمل نـثير فـي الأوجـة الـربداء
هـللي يـا ربـا المدينة واهمي بـسـخي الأظـلال والأنـداء
واقـذفـيها الله أكـبـر حـتى يـنتشي كـل كـوكب و ضاء
واجمعي الأوفياء إن رسول الله آت لـصـحـبة الأوفـيـاء
وأطـلّ النبي فيضا من الرحمة يـروي الـظماء تـلو الـظماء

====================

أبو الزهراء خيــرُ المرسَلينـــا

الأستاذ الشاعر : خير الدين وانلي رحمه الله

أبو الزهـراء خيـرُ المرسَلينـا وأشـرفُ قـدوةٍ للمُهتدينـا
إلـهُ العـرشِ أعطـاهُ مَـقامـاً وخلَّد ذكـرَه فـي العالَمينـا
تُحـكِّمـه قريـشٌ فـي نـزاعٍ وقد سَمَّتْه مِـنْ قبـلُ الأَمينـا
دعا الأَقوامَ لَـمْ يَحفِـلْ بصَـدٍّ و لم يَأْبَهْ بمَنْ ظنّـوا الظّنونـا
تحمَّـلَ مـنْ مناوِئـه عذابـا وسخريـةً وتضييقـاً مُهينـا
وأشفقَ مِنْ دعاءٍ حيـن سالـتْ دمـاهُ بـل دَعـا للمعتدينـا
ليهديَهـم صراطـا مُستقيمـا إلـهٌ ناصـرٌ للمـرسَلـينـا
وعـادَ لفتـحِ أفـئـدةٍ غـلاظٍ فلانَـتْ (مكـةٌ) للفاتحينـا
وأيـدهُ عـلـى فـرسٍ و رومٍ إلـهٌ يكـرهُ الُمستضعَفينـا
وسارتْ خيلُ أَحمدَ في الصحاري ووجَّـهَ للمحيطـاتِ السَّفينـا
فلم يَمْضِ سـوى زمـنٍ يسيـرٍ ليغزوَ جيشُـه هِنـداً وصينـا
وتلهـجَ باسمِـه الدنـيـا نـداءً يدوّي فـي المـآذنِ أَجمعينـا
ويذكرَه المصلّـي فـي صـلاةٍ وإبراهيـمَ جـدِّ المـرسَلينـا
ومنْ خطِيءَ الصلاةَ عليه يوْمـاً يكنْ في الحشرِ بينَ الخاسرينا

ومَنْ لَــمْ يتبِّعْــه يحــدْ شمــالاً		عنِ الشرعِ المكمَّــل أَو يَمينــا
فسنتُه هـــي الأَهـــدى صِراطـــاً		ومنهجُه هـــو الأَسمـــى يَقينـــا
أَتانـــا بالكتـــابِ الحـــقِّ وحْيـــاً		عليهِ لْم يكـــنْ يومـــاً ضَنينـــا
وعلّمنـــا الشرائـــعَ واضحـــاتٍ		وكانَ لجهلِنـــا النـــورَ المبينـــا
فصرنْا مَشعـــلَ الدنيـــا علومـــاً		نُنيـــرُ بـــه دروبَ السالكينـــا
وأَصبحنـــا أساتـــذةً عظـــامـــاً		ومصباحَ الهُـــدى دنيـــا ودينـــا
وتلكَ ثمـــارُ جهـــدٍ واصطبـــارٍ		من المختارِ خيرِ الصّابرينـــا
فصلّـــى اللهُ ذو الإكـــرامِ ربـــي		على خيـــرِ البريـــةِ أجمعينـــا
أَبي الزهراء ما حي كلَّ شـــرْكٍ		ويَنبـــوعِ الهـــدى للظامئينـــا
وسلَّـــمَ ربُّـــنـــا أزكـــى ســـلامٍ		علـــى آلٍ وصحـــبٍ خالدينـــا

===================

يا إمام الرسل يا أحمدْ

شعر الأستاذ : خير الدين وانلي رحمه الله

يا إمامَ الرُّسْلِ يا أحمـــدْ		يا لواءَ الخيرِ والرَّحمهْ
أنتَ في ظلمائِها الفَرْقَـــدْ		نعمةٌ ما فوقهـــا نعمـــهْ
يا زعيمَ الأمةِ الأوحـــدْ		جئتَنا بالنورِ والحكمـــهْ
مَنْ يَسِرْ في دربِها يَسْعَدْ		إنها النبـــراسُ للأُمَّـــهْ

. . . .

أنتَ للأخـــلاقِ تجسيـــدُ		أنتَ مشكاةُ الهُدى فينا
أنـــتَ إرشـــادٌ وتَسديـــدُ		أنـــتَ للعَلْيـــا تُناديـــا
دينُـــك الإســـلامَ تأكيـــدُ		لرســـالاتِ النبـــيِّينـــا
شرعُك القـــرآن تأييـــدُ		للمعالي نورُ ماضينـــا

. . . .

جئتَنا في ظلمـــةِ الدهـــرِ		فأنرتَ القلبَ والفِكْـــرا
قدْتَنـــا باللـيـــنِ واليســـرِ		فاقتلعَتَ الشرَّ والكفْـــرا
أنتَ رمزُ الحلمِ والصبـــرِ		ناشرٌ بَين الوَرى بشْرا
أيُّ ســـرٍّ أنـــتَ لا أدري		فَلْتُسامِحْني أبا الزَّهْـــرا

==================

إلا الرسول

غيـــرَ الـــحــــقــــيقـــةِ لا أقـــــول*********** قد خابَ مَن شَتَـــمَ الرسول

شُـــــــتِـــمَ الـــنَّـــبــــيُّ مُـــــحـــمـــدٌ ************مِـــن كـــافـــرٍ وقِـــــحٍ جَـــهـــول

تَـــــبـــــاً لـــــقـــــــوم سُــــذَّجٍ *************قــــد أحــدثوا أمـــــراً مَـــهول

خـــاضـــوا بِـــعِـــرضٍ طـــاهـــرٍ********** سُـــفـــهاءَ لـــيس لهم عُـــقـــول

قـــــــد صَـــــــوَّروه بـــمـــنـــظـــرٍ*********** صـــوراً أراها بـــــلا أُصُـــــول

شُـــــلَّـــت يـــمينُ الراســـميـــنَ*********** المـــــارِقـــــيـــنَ هـــمُ الـــذَّيـــول

قـــالـــوا لـــنـــا حُـــــــريــــــةٌ *************والـــغربُ قـــد دقَّ الـــطُّـــبُول

ربــــــاه زَلــــزلــــهـــم*************** ولا تُـــبـــقـــي لـــهـــــم أبـــداً فُـــلُـــول

يـــا ويـــحهـــم يـــا ويـــــلـــهـــم*********** يــــومَ الـــتَّـــفـــرقِ والـــذُّهُـــول

فهُـــمُ الـــبُغـــاةُ الـــحاقـــدونَ************ مـــن الـــحُـــثـــالـــةِ والسُّـــفُـــول

وتـــراهُـــمُ فـــــي غَـــــيــــــهـــم ***********أحـــفـــــادَ قَـــيـــصَرَ والمـــغُـــول

هـــل تَـــعـــلـــمُـــونَ بـــأنـــهـــــم ***********لا يملكونَ سِوى العُجـــول؟

لا تـــــشـــــتـــروا أجـــبـــانـــهـــم*********** واســـتـــبـــدلـــوها بـــالـــبُـــقُـــول

وعـــــصـــيـــرُهم وحـــلـــيـــبُـــهم*********** هـــذا الطَّـــعامُ من الفُـــضُـــول

بـــل قَـــاطِـــعـــوا إنـــتـــاجَـــهم*********** نَـــــصـــراً وحُــــبـــاً للـــرســـول

إنَّـــــا لَـــــنَــــطْـــلُـــبُ نَـــصْـــــرَه ***********دومـــــاً بـــأوقـــــاتِ الـــنُّـــزول

فالله مُـــــنـــــتـــــقـــــــمٌ لـــــــه ***********والـــظُّـــلمُ أبـــــداً لن يـــطـــول

فكـــــفـــاه شـــــرَّ الـــهـــازئـــيـــن*********** العـــابـــثيـــنَ ذَوي الـــغُـــلُـــول

ذاك الـــنَّـــبـــيُّ الـــمُـــصْـــطَـــفى ********المُـــتواضِعُ السَّـــهلُ الوَصُول

الـــــطَّـــــاهِـــــرُ الـــمُـــتـــطـــهِّـــرُ ***********عـــنـــه الـــمَـــكَارِمُ لا تَــــزُول

كَـــــرَماً يَـــــجُـــــودُ بِـــــفَضـــلِـــه*********** كـــالسُّـــحْبِ مِغداقٌ هَـــطُول

يـــا مُـــســـلـــمـــون لِـــتـــدفـــعُـــوا********** ولتحـــفظوا عِرضَ الرسول

وامـــضُوا لـــنُصْـــرَةِ دِيـــنِـــكـــم ***********وشِـــعَـــارُكـــم إلاَّ الـــرســـــول

وأقـــــولُ قَـــــولـــــةَ صـــــادقٍ ******** ***واللهُ يَـــــشْـــهَـــــدُ مـــا أقُـــــــول

رُوحـــــي فِـــــــداءُ مُـــحـــمـــــدٍ ***** ******والله أســـــألُـــــه

الـــــقَـــــبـــول

شعر : محمد بن حسن النعمي

الاثنين ٦ / ٢ / ١٤٢٧هـ

=================

البردة للبوصيري

هذه القصيدة وبعض القصائد الأخرى فيها غلو أحيانا بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعول عليه

مولاي صلـــــــــي وسلـــــــم دائمـــــاً أبـــــــدا علـــــى حبيبـــــــك خيـــــر الخلق كلهـــم

أمن تذكـــــــــــــر جيــــــــــــرانٍ بذى ســــــــــــلم مزجت دمعا جَرَى من مقلةٍ بــــــــــدم

مْ هبَّـــــــــت الريـــــــــحُ مِنْ تلقاءِ كاظمـــةٍ وأَومض البرق في الظَّلْماءِ من إِضم

فما لعينيك إن قلت اكْفُفا همتـــــــــــــــــــــــــــــــا وما لقلبك إن قلت استفق يهـــــــــــــــم

أيحسب الصب أن الحب منكتـــــــــــــــــــــــم ما بين منسجم منه ومضطـــــــــــــــرم

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طـــــــــــللٍ ولا أرقت لذكر البانِ والعلـــــــــــــــــــمِ

فكيف تنكر حباً بعد ما شـــــــــــــــــــــــهدت به عليك عدول الدمع والســــــــــــــقمِ

وأثبت الوجد خطَّيْ عبرةٍ وضـــــــــــــــــنى مثل البهار على خديك والعنـــــــــــــم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقنـــــــــــــي والحب يعترض اللذات بالألـــــــــــــــمِ

يا لائمي في الهوى العذري معـــــــــذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلـــــــــــــــــمِ

عدتك حالي لا سري بمســــــــــــــــــــــتتر عن الوشاة ولا دائي بمنحســـــــــــــــم.

محضتني النصح لكن لست أســــــــــمعهُ إن المحب عن العذال في صـــــــــــممِ

إنى اتهمت نصيح الشيب في عـــــــــــذلي والشيب أبعد في نصح عن التهـــــــتـــمِ

في التحذير من هوى النفس

مولاي صلـــــــــي وسلـــــــم دائمـــــاً أبـــــــدا علـــــى حبيبـــــــك خيـــــر الخلق كلهـــم

فإن أمارتي بالسوءِ ما أتعظـــــــــــــــــــــــــــت من جهلها بنذير الشيب والهــــــــرم

ولا أعدت من الفعل الجميل قـــــــــــــــــــــرى ضيف ألم برأسي غير محتشـــــــــــــم

لو كنت أعلم أني ما أوقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــره كتمت سراً بدا لي

منه بالكتـــــــــــــــــــمِ

من لي بردِّ جماحٍ من غوايتهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا كما يردُّ جماح الخيلِ

باللُّجـــــــــــــــــــمُ

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتهـــــــــــــــــــــــــا إن الطعام يقوي شهوة

النَّهـــــــــــــــــــــــم

والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَّ علــــــــــى حب الرضاعِ وإن تفطمهُ ينفطـــــــــــم

فاصرف هواها وحاذر أن توليـــــــــــــــــــــه إن الهوى ما تولى يصم أو يصـــــــــــم

وراعها وهي في الأعمالِ ســـــــــــــــــــائمةٌ وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذةً للمرءِ قاتلــــــــــــــــــــــــــــــــــــة من حيث لم يدرِ أن السم

في الدسم

واخش الدسائس من جوعٍ ومن شبع فرب مخمصةٍ شر من التخـــــــــــــــــــــــــــم

واستفرغ الدمع من عين قد امتــــــــلأت من المحارم والزم حمية النـــــــــــــــدمِ

وخالف النفس والشيطان واعصهمـــــا وإن هما محضاك النصح فاتَّهِـــــــــــــم

ولا تطع منهما خصماً ولا حكمـــــــــــــــــــــاً فأنت تعرف كيد الخصم

والحكـــــــــــــم

أستغفر الله من قولٍ بلا عمـــــــــــــــــــــــــــــــــــلٍ لقد نسبتُ به نسلاً لذي

عُقـــــــــــــــــــمُ

أمْرتُك الخير لكن ما ائتمرت بـــــــــــــــــــــه وما اســـــــــــــتقمت فما قولى لك

استقمِ

ولا تزودت قبل الموت نافلـــــــــــــــــــــــــــــــةً و لم أصل سوى فرض و لم

اصـــــــــــــم

في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

مولاي صلــــــــــي وسلـــــــــم دائمـــــــاً أبــــــــدا علــــــى حبيبـــــــــك

خيــــــر الخلق كلهـــم

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلــــــــــــــــــــــــــى أن اشتكت قدماه الضر مـــــــــــــن

ورم

وشدَّ من سغب أحشاءه وطـــــــــــــــــــــوى تحت الحجارة كشحاً متـــــــــــــرف

الأدم

وراودته الجبال الشم من ذهـــــــــــــــــبٍ عن نفسه فأراها أيما

شــــــــــــــــــــــــــمم

وأكدت زهده فيها ضرورتـــــــــــــــــــــــــــه إن الضرورة لا تعدو على

العصـــــــــم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة مـــــــن لولاه لم تخرج الدنيا من العـــــــــــــــــــدمِ

محمد ســـــــــــــــــــــــــــيد الكونين والثقليـــ ن والفريقين من عرب ومن

عجـــــــمِ

نبينا الآمرُ الناهي فلا أحـــــــــــــــــــــــــــدٌ أبر في قولِ لا منه ولا

نعـــــــــــــــــــــــــم

هو الحبيب الذي ترجى شـــــــــــــــــفاعته لكل هولٍ من الأهوال

مقتحـــــــــــــــــــــم

دعا إلى الله فالمستسكون بـــــــــــــــــــــــــه مستمسكون بحبلٍ غير

منفصـــــــــــــــــــم

فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلـــــــــــــــــــُقٍ و لم يدانوه في علمٍ ولا

كـــــــــــــــــــــــرم

وكلهم من رسول الله ملتمـــــــــــــــــــــــسٌ غرفاً من البحر أو رشفاً من

الديـــــــمِ

وواقفون لديه عند حدهـــــــــــــــــــــــــــم من نقطة العلم أو من شكلة

الحكـــــــم

فهو الذي تـــ ـــــــــــــم معناه وصورتـــــــــــــــه ثم اصطفاه حبيباً باريءُ

النســـــــــــــــــــم

منزهٌ عن شريكٍ في محاســـــــــــــــــــــــنه فجوهر الحسن فيه غير

منقســـــــــــــــــم

دع ما ادعته النصارى في نبيهـــــــــــم واحكم بماشئت مدحاً فيه واحتكـــــــــــــــم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شـــــــرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظـــــــــم

فإن فضل رسول الله ليس لــــــــــــــــــــــــه حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ

بفـــــــــــــــــــــــــــم

لو ناسبت قدره آياته عظمـــــــــــــــــــــــاً أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمـــــم

لم يمتحنا بما تعيا العقول بـــــــــــــــــــــه حرصاً علينا فلم نرْتب و لم

هَـــــــــــــــمِ

أعيا الورى فهم معناه فليس يـــــــــــــرى في القرب والبعد فيه غير منفحـــــــــــــم

كالشمس تظهر للعينين من بعُــــــــــــــدٍ صغيرةً وتكل الطرف من

أمـــــــــــــــــم

وكيف يدرك في الدنيا حقيقتـــــــــــــــــــــه قومٌ نيامٌ تسلوا عنه

بالحلـــــــــــــــــــــــمِ

فمبلغ العلم فيه أنه بشـــــــــــــــــــــــــــــــــرٌ وأنه خير خلق الله

كلهـــــــــــــــــــــــــــــــمِ

وكل آيٍ أتى الرسل الكرام بهـــــــــــــــــــا فإنما اتصلت من نوره

بهـــــــــــــــــــــــــم

فإنه شمس فضلٍ هم كواكبهــــــــــــــــــــــا يظهرن أنوارها للناس في الظلـــــــــــم

أكرم بخلق نبيّ زانه خلـــــــــــــــــــــــــــــقٌ بالحسن مشتمل بالبشر

متســــــــــــــــــم

كالزهر في ترفٍ والبدر في شـــــــــــرفٍ والبحر في كرمٍ والدهر في همــــــــــــــم

كانه وهو فردٌ من جلالتـــــــــــــــــــــــــــــــــه في عسكر حين تلقاه وفي

حشـــــــــــــم

كأنما اللؤلؤ المكنون في صـــــــــــــــــدفٍ من معدني منطق منه ومبتســـــــــــــــــم

لا طيب يعدل تُرباً ضم أعظمـــــــــــــــــــــــــهُ طوبى لمنتشقٍ منه

وملتثـــــــــــــــــــــــــمِ

في مولده عليه الصلاة والسلام

مولاي صلـــــــــــي وسلـــــــــم دائمـــــــاً أبـــــــــدا علـــــــى حبيبـــــــــك

خيــــــر الخلق كلهـــم

أبان مواله عن طيب عنصـــــــــــــــــــــــــــره يا طيب مبتدأ منه

ومختتـــــــــــــــــــــــــــم

يومٌ تفرَّس فيه الفرس أنهـــــــــــــــــــــــــــــــم قد أنذروا بحلول البؤْس

والنقـــــــــــــــم

وبات إيوان كسرى وهو منصـــــــــــــدعٌ كشمل أصحاب كسرى غير ملتئـــــــــم

والنار خامدة الأنفاس من أســـــــــــــــفٍ عليه والنهر ساهي العين من ســـدم

وساءَ ساوة أن غاضت بحيرتهــــــــا ورُد واردها بالغيظ حين ظمـــــــــــــــــي

كأن بالنار ما بالماء من بــــــــــــــــــلل حزناً وبالماء ما بالنار من ضـــــــــرمِ

والجن تهتف والأنوار ساطعـــــــــــــــــــةٌ والحق يظهر من معنى ومن كلـــــــــم

عموا وصموا فإعلان البشائر لــــــــــــم تسمع وبارقة الإنذار لم تُشــــــــــــــــــَم

من بعد ما أخبره الأقوام كاهِنُهُــــــــــــــــــمْ بأن دينهم المعوجَّ لم

يقــــــــــــــــــــــــــــــمِ

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهـــب منقضةٍ وفق ما في الأرض من صنم

حتى غدا عن طريق الوحى منهــــزمٌ من الشياطين يقفو إثر منـــــــــــــــــــــهزم

كأنهم هرباً أبطال أبرهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــةٍ أو عسكرٌ بالحصى من راحتيه

رمـــى

نبذاً به بعد تسبيحٍ ببطنهمـــــــــــــــــــــــــــــــــــا نبذ المسبِّح من أحشاءِ

ملتقـــــــــــــــــــــــم

في معجزاته صلى الله عليه وسلم

مولاي صلــــــــــي وسلــــــــم دائمـــــــاً أبـــــــدا علــــــى حبيبــــــــك

خيـــــر الخلق كلهـــم

جاءت لدعوته الأشجار ســـــــــــــــاجدة تمشى إليه على ساقٍ بلا قــــــــــــــــــــــدم

كأنَّما سطرت سطراً لما كتـــــــــــــــــــــــبت فروعها من بديع الخطِّ في اللقـــــــــــــم

مثل الغمامة أنَّى سار سائـــــــــــــــــــــرة تقيه حر وطيسٍ للهجير

حَـــــــــــــــــــــــم

أقسمت بالقمر المنشق إن لـــــــــــــــــــــــــه من قلبه نسبةً مبرورة

القســــــــــــــــــــــمِ

وما حوى الغار من خير ومن كـــــــرم وكل طرفٍ من الكفار عنه عـــــــــــــــــــــم

فالصِّدْقُ في الغار والصِّدِّيقُ لم يرما وهم يقولون ما بالغار مـــــــــــــــــــــــن أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت علـــــى خير البرية لم تنسج و لم تحـــــــــــــــــــــــم

وقاية الله أغنت عن مضاعفـــــــــــــــــــــةٍ من الدروع وعن عالٍ من الأطـــــــــــــــُم

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يضـــــــــــــــــــــــــم

ولا التمست غنى الدارين من يـــــــــده إلا استلمت الندى من خير مســــــتلم

لا تنكر الوحي من رؤياه إن لـــــــــــــــه قلباً إذا نامت العينان لم

ينـــــــــــــــــــــــم

وذاك حين بلوغٍ من نبوتـــــــــــــــــــــــــــــــــه فليس ينكر فيه حال

محتلـــــــــــــــــــــــــــــم

تبارك الله ما وحيٌ بمكتســـــــــــــــــــــــــــــبٍ ولا نبيٌّ على غيبٍ

بمتهـــــــــــــــــــــــــــــــــم

كم أبرأت وصباً باللمس راحتـــــــــــــــــــــــه وأطلقت أرباً من ربقة

اللمـــــــــــــــــــــــــــــم

وأحيتِ السنةَ الشهباء دعوتـــــــــــــــــــــــه حتى حكت غرة في الأعصر الدهــــم

بعارضٍ جاد أو خلت البطاح بهـــــــــــــا سيبٌ من اليم أو سيلٌ من العــــــــرمِ

في شـــــــــــــرف الــــــــقرآن ومدحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه

مولاي صلـــــــــي وسلـــــــم دائمـــــــاً أبـــــــدا علـــــى حبيبــــــــك

خيــــر الخلق كلهـــم

دعني ووصفي آيات له ظهـــــــــــــــرت ظهور نار القرى ليلاً على علــــــــــم

فالدُّرُّ يزداد حسناً وهو منتظـــــــــــــــــــمٌ وليس ينقص قدراً غير منتظـــــــــــم

فما تطاول آمال المديح إلـــــــــــــــــــــــــى ما فيه من كرم الأخلاق والشِّيـــــــــم

آيات حق من الرحمن محدثـــــــــــــــــــــــةٌ قديمةٌ صفة الموصوف بالقـــــــــــدم

لم تقترن بزمانٍ وهي تخبرنــــــــــــــــــــا عن المعادِ وعن عادٍ وعــــــــن إرَم

دامت لدينا ففاقت كلَّ معجـــــــــــــــــــزةٍ من النبيين إذ جاءت و لم

تـــــــــــــدمِ

محكّماتٌ فما تبقين من شبـــــــــــــــــــــــهٍ لذى شقاقٍ وما تبغين من حكـــــــــم

ما حوربت قط إلا عاد من حَـــــــــــــــرَبٍ أعدى الأعادي إليها ملقي الســــلمِ

ردَّتْ بلاغتها دعوى معارضهـــــــــــــــــا ردَّ الغيور يد الجاني عن الحــــــرم

لها معانٍ كموج البحر في مـــــــــــــــــددٍ وفوق جوهره في الحسن والقيــمِ

فما تعدُّ ولا تحصى عجائبهـــــــــــــــــــا ولا تسام على الإكثار

بالســـــــــــأمِ

قرَّتْ بها عين قاريها فقلت لـــــــــــــــــه لقد ظفرت بحبل الله فاعتصـــــــــــــم

إن تتلها خيفةً من حر نار لظـــــــــــــــــى أطفأت حر لظى من وردها الشـــم

كأنها الحوض تبيض الوجوه بـــــــــــه من العصاة وقد جاؤوه كالحمــــــــــم

وكالصراط وكالميزان معدلـــــــــــــــــــــةً فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

لا تعجبن لحسودٍ راح ينكرهـــــــــــــــــا تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهــــــــــم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماءِ من ســــــــــــــقم

في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

مولاي صلـــــــــي وسلــــــــم دائمــــــاً أبــــــــدا علـــــــى حبيبــــــــك

خيــــــر الخلق كلهـــم

يا خير من يمم العافون ســــــــــــــــاحته سعياً وفوق متون الأينق الرســــــــــم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبـــــــــــــــــرٍ ومن هو النعمةُ العظمى لمغتنــــــــــــم

سريت من حرمٍ ليلاً إلى حــــــــــــــــــرمٍ كما سرى البدر في داجٍ من الظـــلم

وبت ترقى إلى أن نلت منزلــــــــــــــــــةً من قاب قوسين لم تدرك و لم تــــــرم

وقدمتك جميع الأنبياء بهـــــــــــــــــــــــــا والرسل تقديم مخدومٍ على

خـــــــــدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهـــــــــــــم في مركب كنت فيه صاحب العلـــــــــم

حتى إذا لم تدع شأواً لمســــــــــــــــــتبقٍ من الدنوِّ ولا مرقى

لمســــــــــــــــــتنم

خفضت كل مقامٍ بالإضــــــــــــــــــــافة إذ نوديت بالرفع مثل المفردِ

العلــــــــــم

كيما تفوز بوصلٍ أي مســــــــــــــــــــتترٍ عن العيون وسرٍ أي

مكتتــــــــــــــــــــم

فحزت كل فخارٍ غير مشــــــــــــــــــــتركٍ وجزت كل مقامٍ غير

مزدحـــــــــــــــم

وجل مقدار ما وليت من رتــــــــــــــــــبٍ وعز إدراك ما أوليت من

نعــــــــــــمِ

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنـــــــــــــا من العناية ركناً غير منهـــــــــــــــــدم

لما دعا الله داعينا لطاعتــــــــــــــــــــــــه بأكرم الرسل كنا أكرم

الأمـــــــــــــــــم

في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

مولاي صلـــــــــي وسلــــــــم دائمــــــاً أبــــــــدا علـــــــى حبيبــــــــك

خيــــــر الخلق كلهـــم

راعت قلوب العدا أنباء بعثتــــــــــــــــــــــه كنبأة أجفلت غفلا من

الغنــــــــــــــــمِ

ما زال يلقاهمُ في كل معتـــــــــــــــــــــــركٍ حتى حكوا بالقنا لحماً على وضـــم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون بـــــــــــــــــه أشلاءَ شالت مع العقبان والرخـــــــم

تمضي الليالي ولا يدرون عدتهـــــــــــــا ما لم تكن من ليالي الأشهر الحُرُم

كأنما الدين ضيفٌ حل ســـــــــــــــــــاحتهم بكل قرمٍ إلى لحم العدا

قــــــــــــــــــــــرم

يجر بحر خميسٍ فوق ســــــــــــــــــــابحةٍ يرمى بموجٍ من الأبطال ملتطـــــــــــــم

من كل منتدب لله محتســـــــــــــــــــــــــــبٍ يسطو بمستأصلٍ للكفر

مصــــــــــطلمِ

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهـــــــــــم من بعد غربتها موصولة الرحـــــــــم

مكفولةً أبداً منهم بخـــــــــــــــــــــــــير أبٍ وخير بعلٍ فلم تيتم و لم

تئـــــــــــــــــــــمِ

هم الجبال فسل عنهم مصادمهـــــــــــــــم ماذا رأى منهم في كل مصـــــــــطدم

وسل حنيناً وسل بدراً وسل أُحـــــــــــــداً فصول حتفٍ لهم أدهى من الوخم

المصدري البيض حمراً بعد ما وردت من العدا كل مسودٍ من اللمـــــــــــــــمِ

والكاتبين بسمر الخط ما تركـــــــــــــــت أقلامهم حرف جسمٍ غير منعجـــــمِ

شاكي السلاح لهم سيما تميزهـــــــــــــــم والورد يمتاز بالسيما عن الســـــلم

تهدى إليك رياح النصر نشرهـــــــــــــــم فتحسب الزهر في الأكمام كل كـــــم

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربــــــــــــــــاً من شدة الحَزْمِ لا من شدة الحُزُم

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقـــــــــاً فما تفرق بين الْبَهْمِ والْبُهـــــــــــــــــُمِ

ومن تكن برسول الله نصـــــــــــــــــــــرته إن تلقه الأسد في آجامها تجـــــــــــمِ

ولن ترى من وليٍ غير منتصـــــــــــــــــــرٍ به ولا من عدوّ غير منفصــــــــــــــم

أحل أمته في حرز ملتـــــــــــــــــــــــــــــه كالليث حل مع الأشبال في

أجــــــــــــم

كم جدلت كلمات الله من جـــــــــــــــــــدلٍ فيه وكم خصم البرهان من خصـــم

كفاك بالعلم في الأُمِّيِّ معجـــــــــــــــــــــزةً في الجاهلية والتأديب في اليتـــــــــــم

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

مولاي صلــــــــــي وسلـــــــــم دائمـــــــاً أبـــــــدا علـــــــى حبيبــــــــك

خيـــــر الخلق كلهـــم

خدمته بمديحٍ استقيل بـــــــــــــــــــــــــــــــه ذنوب عمرٍ مضى في الشعر والخدم

إذ قلداني ما تخشي عواقبـــــــــــــــــــــــه كأنَّني بهما هديٌ من النعـــــــــــــــــــــــم

أطعت غي الصبا في الحالتين ومـــــــا حصلت إلا على الآثام والنــــــــــــــــــــدم

فياخسارة نفسٍ في تجارتهـــــــــــــــــــــــا لم تشتر الدين بالدنيا و لم تســــــــــــم

ومن يبع آجلاً منه بعاجلـــــــــــــــــــــــــهِ يَبِنْ له الْغَبْنُ في بيعٍ وفي ســـــــــــلمِ

إن آت ذنباً فما عهدي بمنتقـــــــــــــــض من النبي ولا حبلي بمنصـــــــــــــــــــرم

فإن لي ذمةً منه بتســـــــــــــــــــــــــــميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمـــــــــم

إن لم يكن في معادي آخذاً بيـــــــــــــدى فضلاً وإلا فقل يا زلة القـــــــــــــــــــدمِ

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمـــــــــــــه أو يرجع الجار منه غير محتـــــــــــرمِ

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحـــــــــــــــــــــه وجدته لخلاصي خير ملتـــــــــــــــــــــــزم

ولن يفوت الغنى منه يداً تربـــــــــــــــت إن الحيا ينبت الأزهار في الأكـــــــــــم

و لم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفـــــــــت يدا زهيرٍ بما أثنى على هـــــــــــــــــــــرمِ

في المناجاة وعرض الحاجات

يـــــــارب بالمصطفى بلغ مقاصدنـــــــا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ بـــــــــــــه سواك عند حلول الحادث العمـــــــــــم

ولن يضيق رسول الله جاهك بـــــــــــــي إذا الكريم تحلَّى باسم منتقـــــــــــــــــــــم

فإن من جودك الدنيا وضرتهـــــــــــــــــا ومن علومك علم اللوح والقلـــــــــــــم

يا نفس لا تقنطي من زلةٍ عظمـــــــــــت إن الكبائر في الغفران كاللمـــــــــــــــــــم

لعل رحمة ربي حين يقســـــــــــــــــــــمها تأتي على حسب العصيان في القسم

يارب واجعل رجائي غير منعكـــــــسٍ لديك واجعل حسابي غير منخـــــــــرم

والطف بعبدك في الدارين إن لـــــــــه صبراً متى تدعه الأهوال ينهـــــــــــزم

وائذن لسحب صلاةٍ منك دائمـــــــــــــــةٍ على النبي بمنهلٍ ومنســـــــــــــــــــجم

ما رنّحت عذبات البان ريح صـــــــــــبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

ثم الرضا عن أبي بكرٍ وعن عمـــــــــــرٍ وعن عليٍ وعن عثمان ذي الكـــــرم

والآلِ وَالصَّحْبِ ثمَّ التَّابعينَ فهـــــــــــــــــم أهل التقى والنقا والحلم والكـــــــــــــــرمِ

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصـــــــــــــــــدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر إلهي لكل المسلميــــــــــــــــــن بمـــــــا يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

بجاه من بيتـــــــــــــه في طيبـــــــــــــةٍ حرمٌ واسمُهُ قسمٌ من أعظـــــــــــــــم القســـــــــــم

وهذه بُـــــــــــردةُ المُختــــــــار قد خُتمـــــــــــت والحمد لله في بــــــــــدء وفي ختــــــــــــم

أبياتها قـــــــــــــد أتت ستيـــــــــن مع مائـــــــــةٍ فرِّج بها كربنا يا واسع الكــــــــــــــــــرم

=================

الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

amartharrafi@yahoo.fr

رسول الله خير الخلق يلقى **** من الأعداء في الدنمرك نابا

وأمّته الجريحة في شتات **** تراه على صحيفتهم سِبابا

فلا تقوى على التأديب ثأرا **** سوى التنديد بالأقوال نابا

وما عبنا التجهّم من حديث **** ولكن حبّذا الأقوى اقتضابا

تفطّرت السماء وخرّ صخرُ **** وأرعدت الغيوم صدىً غضابا

وهمّ الأخشبان بدكّ قومٍ **** أساؤوا للحبيب هوىً كِذابا

فلو فعلوا الذي فعلوه قِدْما **** وكان العهد في الماضي مُهابا

رأيتَ الأسْدَ في البيداء هبّتْ **** تردّ العزّ للهادي غلابا

هنالكَ سهمُ حمزةَ صار برقا **** وسيف ابن الوليد غدا لهابا

وثمّة رمح وحشيٍّ قنيص **** لمن شتم الرسول عَدًا وعابا

أيغدو الوهن فينا اليوم يسري **** وقد أغثى بنا الوادي حبابا

فنلقى العجْم في خترٍ و وَجْرٍ **** أهانوا الدين والنسل العرابا

وهمّوا بالرسول و لم ينالوا **** سوى الآثام تمحقهم يبابا

تُرى ماذا جنى المختار طه **** إزاء الناهشين له عقابا ؟!

أ لم يكُ في البرية خير إنسٍ **** رحيم عادل يتلو الكتابا ؟

ويعفو في سماحٍ عن أناسٍ **** له كانوا خصوما أو ذئابا !!

ويرفق بالأسارى ..لو سألتم **** هدى التاريخ تلقون الجوابا

هلمّوا للزمان سلوه حقّا **** عن الأخلاق والتزموا الصوابا

شمائله الزكية قد تسامتْ **** إلى العلياء تخترق السحابا

وناطحت النجوم هدىً وصارتْ **** ثرياتٍ جميلاتٍ شهابا

وأخرجنا من الظلمات طرّا **** إلى الأنوار حيث الأنس طابا

كفاكِ صحيفة الدنمرك هزءاً **** وحسبكِ ما فتحتِ اليوم بابا

سننفذ منه في ألمٍ وحنقٍ **** ببركان سنسكبه انسكابا

أراكِ الآن في ضحكٍ وزهْوٍ **** وقهقهة تنادين الشرابا

مهٍ " يولاندُ " ربّ البيت يصغي **** ويمهلُ ما اجترحتِ غداً حسابا

ستلقين الجزاء المرّ دهرا **** فتحترمي المآذن والقبابا

كذاك القول للنرويج مثلٌ **** " مغازيناتُ " لم ترع الجنابا

وأيمُ الله يأتي اليوم غُرّ **** يعّم الدين في الأرجا رحابا

=================

عاد محمد صلى الله عليه وسلم

أيسخر كف الليل بالنـــــــــــــــــــــــور هازئا = ويضحك في سخفٍ صليبٌ وغرقدُ

أيشتم مشكاة النبوة والهـــــــــــــــــــــــــــــدى= وفي عرقنا

نبـــــــــــــــــــــض تلألأ يوقـــــــــــدُ

أ ترسم أيـــــــــــــــــــد حاقدات رسولــــــــــــــنا = لها في ذيوع الشر و الكفر

مقصـــــــــــــدُ

تطاول عشـــــــــاق الدنية فامتطــــــــــــــــــــوا = صحيفة خبث في

السخـــــــــــــــــافة تفندُ !!!

أباحوا حمى الإسلام بالإفك جهـــْــــــــرة = على المصطفى عيثا أساؤوا وأفسدوا

وما يرعوي الأوغاد إن صحتَ باكيا = على الفعلــــــــــــــــــــــــــة النكرا تنـــــزّه أحمدُ

وما تنتهي الأحقـــــــــــــــــــــــــاد ذاكم دفينهم = تجلّى على مرآى العوالم

يشهـــــــــــــــــــدُ

تصدّع كل الكـــــــــــــون من خطب راسم = دَعِيٍّ

سفيــــــــــــــــــــــــــــــــهٍ للحصافة يفقد

تئنّ مجـــــــــــــــــــــــــرا ت الفضاء تقطــــّعا = وتنتحب الذرّات والقلب
أكمـــــــــــــــــــــــــدُ
ويشتعل البركان من حرّ غضبـــــــــــــــــــةٍ = وينهمـــر الطوفان يـــــــــــــــــــــرغي
ويزبدُ
وتنتفض الحيتان في البحـــــــــــــر ريثما = قصاصٌ يردّ العـــــــــــــــــــــــزّ يحيي
وينجدُ
ألا ليت شعري كم تــُعـــــــــــــــــــــدّ جسومنا = فنعجز كا لموتـــــــــــــور في الردع
يزهدُ
أم الغفلة الصمـــــــــــــــــــــّاء طاب وسادها = على أعذب الأحـــــــــــــــــــلام نغفو
ونرقدُ
لعمري هو الإسلام نعـــــــــــــــــرف نهجه = ولكننا نأبى
الســـــــــــــــــــــــــــــــلا لم نصعدُ
وما الرفض رفض للعقيـــــــــــــــــــــــدة إنما = كسالى إلى الأهـــــــــــــــواء نسعى ونخفدُ
فمن ذا الذي يأبى السعــــــــــــــــــــادة غاية = وكـــــــــــــــــــــــــــــــــــل المنى فيها
تهيم وتسعدُ
ولكن جنان الله صعـــــــــــــــــــــــــــــب مناها = غلتْ سلعـــــــــــــــــــــة تشرى
كذا قال أحمدُ
هي الصحوة العصماء نور بوهجـــها = تسير على نهـــــــــــــــــــــــــج الحبيب وترشدُ
إذا لم تكن منا ففـــــــــــــــــــــــــي نسلنا الذي = سنشبعـــــــــــــــــــــــه من حب " طه"
ونعهدُ
سنغرس هـــــــــــــذا الحب في كل أسرة =
منــارة إسلام علينا تُشيّدُ
ويصبح مولود العيـــــَايــــــــــــــــِــــــــــــل راضعا = معين الهدى قد صــــــــار بالدين
يعضدُ
وينمو هزبرا بين كتْفيه لبـــــــــــــــــــــــــــــــدة = يرصّع
يمنـــــــــــــــــــــــــــاه الحسام المهنـــّدُ
ويحمل قلبا لا مثيل لعطـــــــــــــــــــــــــــــــــفه =
صفـــــــــــــــــــــــــــــــــــاء وودا لا يكيد ويحقدُ

وترجع أسراب الطيـــــــــــــــــــــــــــــور بنغمها = مغردة أحلى

التـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــراتيل تنشدُ

وتنفتق الأكمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــام وردا معطّرا = يضوع

أريجـــــــــــــــــــــــــــا في المساجد ينفدُ

فيا أيها الغرب الغريـــــــــــــــــــــــــــــــــــــر تمردا = على أمة الإسلام تمضي

تُهـــــــــــــــــــــــــــدِّدُ

كفاك الغرور قد دنـــــــــــــــــــــــــــــوتَ بسفرةٍ = إلى المـــــــــــــــــــــــــــوت قد

أغواك هذا التعنّدُ

إذا لم تتب هذا المصيـــــــــــر مصيركم : =" ترابٌ يواري سوءة الغرب ملحـــــــــــــــــدُ"

ويا أمتي هذا خلاصـــــــــــــــــــــــــــــكِ فالزمي = سفينة نـــــــــــــــــــــــــــــــوح

قادها الحِبّ أحمدُ

بشائركِ الكبرى تلوح من السمـــــــــــــــــا = على الشفـــــــــــــــق الورديّ :" عاد محمّدُ "

==================

أصـــمـــى العروبةَ والإسلامَ جُهّالُ

رام الإســـاءة لـــلـــمـــخـــتار أنذالُ فـــي الـــغـــيّ مسبحهم يأتيه ضُلاّلُ

رمـــزا يـــهـــدّد بالإرهاب يَغتالُ ؟ حـــوبا عظيما من الأوزار قد نالوا

فـــي عـــين شانئه المغرور: قتّالُ!! مـــن نـــســـل آدم ترى منه أجيالُ

الإســـلام مـــن كـــرمٍ، والعزّ ينهالُ والـــمـــال في الأمن مهما زاد إقلالُ

مـــن " طـــه " منبعها فخرٌ وإجلالُ لا الـــطـــفـــل في عُمُرِ الأيّام يُغتالُ

والـــقـــاصرون كما النسوان أمثالُ أعـــمـــتْ بـــصيرته بالسفه يحتالُ

غـــيـــمـــا ، يَدرّ حشاهُ الثرَّ هطّالُ وانـــظـــرْ مـــسيرته فالشهم رئبالُ

زهـــدٌ ، حـــياءٌ ، جوادٌ منه تصهالُ قـــد هـــابه في وغى الميدان أبطالُ

طـــلْـــقُ المُحيّا، على المنسيِّ سآلُ ذكـــر الـــحكيم وعذبُ الآي سلسالُ

والـــجـــذعُ حنّ بشوقٍ ساءه الحالُ والـــمِـــثْلُ من شجرٍ في ذاك أقوالُ

والإنـــسُ والـــجنّ والمشكوم بخّالُ إنّ الـــمـــحـــبّـــة للمحبوب أشكالُ

مـــالـــم تـــتـــرجمه بالصدق أفعالُ عـــزّ بـــنصرته ، في الساح بَذّالُ

إنّـــا إلـــى دُرُج الـــعـــلـــياء قُفّالُ مـــا عـــاد لـــلنوم بعد الصحْوإقبالُ

و هـــاجـــرالخيلَ في الأدواء عُقّالُ نـــحـــو الـــهـــداية والمختارمفضالُ

هـــبّـــوا جميعا إلى من جاء يختالُ فـــالـــديـــن نـــاصـــرنا والله فعّالُ

=================

عائدون يارسول الله

أيّ رمحٍ رموه جهــْراً نهــارا ؟ = يحمل الإفك في السنان شعارا

طعنوا المسلمين في صلب ديــن = عبثا بالرســول واستهتــارا

نقرأ الحقد لاسواه ونرثي = ذلنا لا يزيــد إلاّ انكســارا

يُشتم الشافع المشفع فينـــا = ثم نجثو على الصعيد حيــارى

كيف تغدو الحياة بعــد انبطاح = مرّغ الأنف في التراب شنارا ؟!

نصرة الدين فوق كلّ هــواء = في رئات المليار يسري مِــرارا

أخرس الوهن أمــة الخير لما = نخر الصدّ عظمــها فتــوارى

كالحلازين رخــوة صيّـــروها = جرّدوها لتلبس الأخطــارا

أعرضتْ عن كتــاب ربي فنالتْ = من جزاء الفِعــال خزيا وعــارا

كيف تقوى على القصاص بــردع = وهي تخطو بمنسميـــن عِثــارا ؟!

كيف ترضى رسولها في هوان = في رسوم حقيرة تتبـــارى

حول جاه وعالمية صيتٍ = وفلوس تضفي لها استكـــبارا ؟!

حسبنا الشتم بالكلام سبابا = في خطاب مزخرف أشعارا

حسبنا الشجب والتظـــاهر سلما = والصراخ المولول استنكارا

إنما يقظة الشعــوب بحبّ = عارم للرســول يجلي الستارا

باقتداءٍ واهتـــداءٍ وسعْي = نحو خطو الدليــل ليلا نهارا

عندها يلتقـــي المحيـــط فروحا = بالخلـــيج السعيد رتقا جوارا

ويرى " الدانمركُ " كم كان أغبى = مابنى هدّموهُ...صـــار قفارا !

ويعود " النرويج" يبكـــي على ما = فات ...هل نقبل الإعتذارا ؟

تتوالى هزائم الغرب تتـــرى = ويحها لم تطق علينا اقتدارا

لم تعد أمة الحبيب كمـــا كانت بذلّ فقد نفضنا الغبــارا

أصبحتْ باتــباع أحمــد حصنا = من صياصي الهدى بنت أســوارا

خفقتْ راية الإله بتوحيدٍ ترفرف ينتشي الإنتصـــارا

كلنا للفداء نمضي أســودا = ـــ لك يا أكرم الأنـــام ـــ هُصارى

إننا عـــائدون للـــه بشرى = لفلسطــين والعراق بشــارا

هكذا نصنع الحيـــاة شموســا = من فتيل الرســوم صرنا منــارا

مكروا بالرسول والمكـــر سمّ = يقتـــل الماكرين هودا نصـــارى

آية المكـــر في الكتاب دليـــل = تصدقُ القول فافتحوا الأبصارا

يا هنانا بالحبيب لما يرانا = قد رفعنـــا لواءهُ أنصارا

وهنانا برفقـــة منه لمّا = نلتقي في الجنان صحبا جوارا

تمت بعون الله وتوفيقه يوم ٢٠فبراير ٢٠٠٦م

شعر : عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

=====================

يـــحمل الإفك في السنان شعارا

يـــحمل الإفك في السنان شعارا عـــبـــثـــا بـــالرسول واستهتارا

ذلـــنـــا لا يـــزيـــد إلاّ انكسارا ثـــم نجثو على الصعيد حيارى

مرّغ الأنف في التراب شنارا ؟! فـــي رئات المليار يسري مِرارا

نـــخـــر الـــصدّ عظمها فتوارى جـــرّدوهـــا لـــتـــلبس الأخطارا

مـــن جزاء الفِعال خزيا وعارا وهـــي تخطو بمنسمين عِثارا ؟!

فـــي رســـوم حـــقـــيرة تتبارى وفـــلوس تضفي لها استكبارا ؟!

فـــي خـــطاب مزخرف أشعارا والـــصـــراخ المولول استنكارا

عـــارم لـــلرسول يجلي الستارا نـــحـــو خطو الدليل ليلا نهارا

بـــالـــخـــليج السعيد رتقا جوارا مـــابـــنى هدّموهُ...صار قفارا !

فـــات ...هـــل نقبل الإعتذارا ؟ ويـــحـــها لم تطق علينا اقتدارا

كـــانـــت بذلّ فقد نفضنا الغبارا من صياصي الهدى بنت أسوارا

تـــرفـــرفَ يـــنتشي الإنتصارا لـــك يـــا أكـــرم الأنام هُصارى

لـــفـــلـــســـطين والعراق بشارا مـــن فتيل الرسوم صرنا منارا

يـــقـــتل الماكرين هودا نصارى تـــصدقُ القول فافتحوا الأبصارا

قـــد رفـــعـــنـــا لـــواءه أنصارا نـــلتقي في الجنان صحبا جوارا

===============

القصيدة المحمدية للإمام البوصيري

محمد أشرف الأعراب والعجم محمد خيـــــــــــــــــــر من يمشي على قـــــــــــــدم

محمـــــــد باسط المعروف جامعه محمـــــــــــــــد صاحب الإحســـــان والكـــــــــــــرم

محمـــــــد تاج رسل الله قاطبـــــــــــــة محمـــــــــــــــــــد صـــــــــــــــادق

الأقوال والكلـــــــــم

محمـــــــــــد ثابت الميثاق حافظـــه   محمـــــــــــــــد طيـــب

الأخـــلاق والشيـــــم

محمـــــــد رُوِيَت بالنور طينتُـــــــهُ   محمـــــــــد لم يـــــــزل

نـــــــــــوراً من القِدم

محمـــــــــد حاكم بالعدل ذو شرفٍ   محمـــــــــــد معـــــــدن الأنعام

والحكـــــــــــم

محمد خير خلق الله من مضـــــــــــر   محمـــــــــد خيـــــر رســـــــــل

الله كلهـــــــــم

محمـــــــــــد دينه حـــــق نديـــــن بـــــه   محمـــــــــــــــــد

مجمـــــــــلاً حقاً على علـــــــم

محمـــــــــد ذكـــــره روح لأنفسنـــــــــــــــــا   محمد شكره

فـــــــــرض على الأمـــــــــم

محمد زينة الدنيا وبهجتهـــــــــــــــــــــــــــا   محمـــــــــــــــــــــــد

كاشـــــــــــف الغمات والظلم

محمـــــــــد سيـــــــــــــــد طابت مناقبـــــــــهُ   محمـــــــــد صاغه

الرحمـــــــــــــن بالنعـــــــــــم

محمـــــــــد صفـــــوة الباري وخيرتـــــــــــه   محمـــــــــد

طاهـــــــــــــــر من سائر التهـــــــم

محمـــــــد ضاحـــــــــك للضيف مكرمـــــــــه   محمـــــــــــــــــــــــــد

جـــــــــــــــاره والله لم يضـــــــم

محمـــــــد طابـــــــــت الدنيـــــــا ببعثتـــــــــه   محمـــــــــــــد

جـــــــاء بالآيـــــــات والحكـــــــــــــــم

محمـــــــــد يـــــــوم بعث النـــــــــاس شافعنـــــــا   محمـــــــــــــــد

نوره الهـــــــــادي من الظلـــــــــم

محمـــــــــــــــــد قائـــــــــــــــــــم لله ذو همـــــــــــــــــــم

محمـــــــــــــــــد خاتـــــــــــــــم للرســـــــــــــل كلهـــــــــم

====================

القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية

للإمام البوصيري

والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا   يا رب صل على المختار من مضر
وصحبه من لطي الدين قد نشروا   وصـــــل رب على الهادي وشيعتـــــــــه
وهاجروا وله آووا وقد نصـــــرواوجاهدوا معـــــه في الله واجتهــــــــــدوا
لله واعتصمـــوا بالله فانتصـــــــــروا   وبينوا الفرض والمسنون واعتصبوا
يعطر الكون ريًّا نشـــرها العطـــــــرُ   أزكى صـــــلاة وأنمـــــاها وأشرفهــــــــا
من طيبهـــــا أرج الرضوان ينتشـــــر   معبوقة بعبيــــــــق المســــــــك زاكيـــــــــةً
نجمُ السما ونبـــات الأرض والمدر عدَّ الحصى والثرى والرمل يتعبها
يليـــــــه قطـــــــر جميـــع الماء والمطرُ وعـــدّ وزن مثاقيـــــــل الجبـــــــال كمـــــا
وكُلِّ حـــرفٍ غدا يُتلـــى ويستطــــــــر   وعــــــد ما حوت الأشجار مـــن ورقٍ
يليهم الجنُّ والأمـــــــــــلاكُ والبشـــــــرُ   والوحش والطير والأسماك مع نعم
والشعروالصوفُ والأرياشُ والوبرُ والذر والنمل مع جمع الحبـــوب كذا
جرى به القلـــــــــمُ المأمـــــــورُ والقدرُ   وما أحاط به العلمُ المُحيــــــــــــط
ومـــــــا
على الخلائـــــــقِ مذ كانوا ومذ حُشـــــروا   وعــــــــــدَّ نعمائك اللاتي مننـــــــــت
بهـــــــا
به النبيـــــــــــون والأمـــــــلاك وافتخـــــــروا   وعدَّ مقدارهِ السامي الذي
شرُفـــــــــت
وما يكـــــــون إلى أن تُبعـــــــــثَ الصـــــــورُ   وعدَّ ما كان في الأكوانِ يا
سنـــــــــــدي
أهل السماوات والأرضين أو يـــــــــــذروا   في كل طرفةَ عينٍ يطرفـــــــــــــون بهـــــا
الفرش والعرش والكرسي وما حصروا   ملء السماوات والأرضين مع جبـــل
ـــــــــــــدوماً صلاةً دوامـــــــاً ليس تنحصـــــــــــر ما أعدم الله موجوداً وأوجد
معـــــــــــــ
تُحيـــــــــطُ بالحـــــــــد لا تبقـــي ولا تـــــــــــذرُ   تستغرق العد مع جمع الدهور كما
ولا لهـــــا أمـــــــــــدٌ يُقضى فيُعتبــــــــــــــــــــرُ لا غايةً وانتهـــــــاءً يا عظيـــــــــمُ
لهـــــــا
مع ضعف أضعافـــه يامن له القــــــــــدرُ   وعدَّ أضعاف مـــــا قد مـــر من عدد
أمرتنـــــــــا أن نُصلِّي أنـــــــــت مقتـــــــــــدرُ   كما تُحبُّ وترضى سيــــــــــــدي
وكما

ربي وضاعفهما والفضـــــــل منتشـــــرُ مع السلام كما قد مر مـــــن عـــــــــدد

أنفاسِ خلقك إن قلوا وإن كثـــــــــــــروا وكل ذلك مضـــــروبٌ بحقـــــك فـــي

والمسلميـــــــــــن جميعـــــاً أينما حضـــــــرُوا يا رب واغفر لقاريهـــــا وسامعهـــا

وكلنـــــــــا سيـــــــــــدي للعفـــــــــو مفتقـــــــــر ووالدينـــــــــا

وأهلينـــــــــــا وجيرتنـــــــــــا

لكـــــــــــن عفـــــوك لا يُبقـــــــــي ولا يـــــَذرُ وقد أتيـــــــت ذنوبـــــــاً

لا عداد لهـــــــا

وقـــــــــــد أتى خاضعاً والقلــــبُ منكســـــــرُ والهم عن كل ما أبغيــــــه

أشغلـــــــــني

بجـــــــــــاه من في يديه سبـــــــح الحجـــــــــــــرُ أرجوك يارب في الدارين ترحمنا

فـــــــــــإن جودك بحر لـــــــــــيس ينحصـــــــــرُ يا رب أعظم لنا أجـــــــــراً

ومغفـــــــرةً

وفـــــــــرج الكـــــــــرب عنــــــا أنت مقتـــــدرُ واقضِ ديوناً لهـــــــــا الأخلاق

ضائقةٌ

لُطفاً جميلاً بـــــه الأهـــــــوال تنحســـــــرُ وكن لطيفاً بنـــــــــا في كـــــــــل

نازلـــــــــــةً

جلالةً نزلـــــــــــت في مـــــــــــــدحه السورُ بالمصطفى المجتبى خير الأنام ومن

شمس النهار وما قد شعشـــــــــع القمرُ ثم الصلاةُ على المختـــــــار ما طلعت

من قـــــامَ من بعدِهِ للديـــــــــن ينتصـــــــرُ ثم الرضـــــــا عن أبي بكـــــــــر

خليفتـــــــــه

من قـــــــولُهُ الفصلُ في أحكامـــــهِ عُمَرُ وعن أبي حفصٍ الفاروقِ صاحِبِـــــــهِ

له المحاسنُ في الـــــــــدارين والظَّفرُ وجُد لعثمان ذي النورين من كمُلت

أهلُ العباءِ كما قد جـــــــاءنا الخبـــــــرُ كـــــــــذا علـــــــيٌّ مع ابنيـــــــه

وأُمهمـــــــــــا

عبيـــــــــــــدةٍ وزُبيــــــــــــرٌ ســــــادةٌ غُـــــــرَرُ سعـــــــدٌ سعيدُ بن عوفٍ

طلحـــــةٌ وأبُو

ونجلـــُــــهُ الحبــــرُ من زالـــت به الغيرُ وحمـــــــزةٌ وكذا العبـــــــــــاسُ سيدُنـــــــا

ماجـــــن ليلُ الدياجي أو بدا السحـــــــرُ والآلُ والصحـــبُ والأتباعُ قاطبـــــــــةً

===================

تاج المدائح في حبيبنا و رسولنا محمد عليه الصلاة و السلام

عائض القرني

أنــصـــت لميــمـــة مـــن أمـــــــم مدادها مـــن معانـــي نـــون و القلـــمِ

سالت قريحـــة صـــب فـــي محبتكـــم فيضـــاً تدفـــق مثـــل الهاطـــل العمـــمِ

كالسيل كالليل كالفجر اللحـــوج غـــدا يطوي الروابي ولا يلوي علي الأكـــمِ

أجش كالرعد في ليـــل السعـــود و لا يشابه الرعد في بطش و فـــي غشـــمِ

كدمع عيني إذا مـــا عشـــت ذكركـــم أو خفقِ قلبٍ بنار الشـــوق مضطـــرمِ

يـــزري بنابغـــة النعمـــان روانقهـــا و مَنْ زهير ؟ و ماذا قال فـــي هـــرمِ

دع سيف ذي يزنٍ صفحـــاً ومادحـــه و تبّعـــا وبنـــي شـــــداد فـــــي إرمِ

و لا تعرّج علـــي كســـرى و دولتـــه وكـــل أصيـــد أو ذي هالـــة و كمـــي

و انسخْ مدائح أرباب المديـــح كمـــا كانـــت شريعتـــه نســـخـــا لدينـــهـــمِ

رصّعْ بهـــا هامـــة التأريـــخ رائعـــة كالتاج في مفـــرق بالمجـــد مرتســـمِ

فالهجر و الوصل و الدنيا وما حملـــتْ و حبُ مجنـــونِ ليلـــى ضلـــة لعمـــي

دع المغاني و أطـــلال الحبيـــب و لا تلمح بعينـــك برقـــاً لاح فـــي أضـــمِ

و انسَ الخمائـــلَ و الأفنـــان مائلـــة وخيمـــةً و شويهـــان بـــذي ســـلـــمِ

هنـــا ضيـــاء هنـــا ري هنـــا أمــــلٌ هنـــا رواء هنـــا الرضـــوان فاستلـــمِ

لو زُينتْ لامرء القيس انزوى خجـــلاً ولو رآهـــا لبيـــدُ الشعـــرِ لـــم يقـــمِ

ميمية لـــو فتـــي بوصيـــر أبصرهـــا لعـــوذوه بـــرب الـــحـــل و الـــحـــرمِ

سل شعرَ شوقي أيروي مثل قافيتـــي أو أحمد بن حسين فـــي بنـــي حكـــمِ

ما زار سوقَ عكـــاظ مثـــلُ طلعتِهـــا هامتْ قلوبٌ بها مـــن روعـــة النغـــمِ

أُثني علي منْ ؟ أتدري من أجلـــه ؟ أمـــا علمـــت بمـــن أهديتـــه كلمـــي

في أشجع الناسِ قلبـــاً غيـــر منتقـــم و أصدق الخلق طـــراً غيـــر متهـــمِ

أبهى من البدر في ليل التمـــام و قـــل أسخى من البحر بل أرسى من العلـــمِ

أصفى من الشمسِ في نطق و موعظةٍ أمضى من السيف في حكم و في حكمِ

أغرٌ تشـــرق مـــن عينيـــه ملحمـــةٌ من الضياء لتجلـــو الظلـــم و الظلـــمِ

في همة عصفت كالدهـــر و اتقـــدتْ كم مزقت من أبي جهل و من صنـــمِ

أتي اليتيـــم أبـــو الأيتـــام فـــي قـــدَرٍ أغنـــى لأمتـــه مـــا كـــان مـــن يُتـــمِ

محرر العقـــل بانـــي المجـــد باعثنـــا من رقدة في دثار الشـــرك و اللمـــمِ

بنـــور هديـــك كحلـــنـــا محاجـــرنـــا لمـــا كتبنـــا حروفنـــا صغتهـــا بـــدمِ
من نحـــن قبلـــك إلا نقطـــةٌ غرقـــتْ في اليم بل دمعة خرساء فـــي القـــدمِ
أكـــاد أقتلـــع الآهـــات مـــن حُرقـــي إذا ذكرتـــكَ أو أرتـــاعُ مـــن ندمـــي
لما مدحتـــك خلـــتُ النجـــمَ يحملنـــي و خاطري بالسنـــا كالجيـــش محتـــدمِ
شجعـــتُ قلبـــي أن يشـــدو بقافـــيـــة فيك القريض كوجه الصبـــح مبتســـمِ
صه شكسبير من التهريـــج أسعدنـــا عن كل إلياذة ما جـــاء فـــي الحكـــمِ
الفرسُ و الرومُ و اليونان إن ذكـــروا فعنـــد ذكـــراه أسمـــال علـــى قـــزمِ
هـــم نمّقـــوا لوحـــة للـــرق هائمـــةً و أنت لوحـــك محفـــوظ مـــن التهـــمِ
أهديتنا منبـــر الدنيـــا و غـــار حـــرا و ليلـــة القَـــدر و الإســـراء للقمـــمِ
و الحوضَ و الكوثرَ الرقراق جئت به أنت المزمل في ثـــوب الهـــدى فقـــمِ
الكـــونُ يســـأل و الأفـــلاكُ ذاهـــلـــة و الجنُ و الإنسُ بين الـــلاء والنعـــمِ
و الدهر محتلـــف و الجـــو مبتهـــجٌ و البدر ينشـــق و الأيـــام فـــي حلـــمِ
سربُ الشياطينِ لما جئتنـــا احترقـــتْ و نار فارس تخبو منـــك فـــي نـــدمِ
و صفد الظُلْم و الأوثان قـــد سقطـــت و مـــاء ســـاوة لمـــا جئـــت كالحمـــمِ
قحطان عدنان حازوا منـــك عزهـــم بـــك التشـــرّفُ للتأريـــخ لا بـــهـــمِ
عقود نصرك في بـــدر و فـــي أحـــد و عدلاً فيـــك لا فـــي هيئـــة الأمـــمِ
شـــادوا بعلمـــك حمـــراء و قرطبـــة لنهرك العذب هب الجيل و هو ظمـــي
و من عمامتك البيضـــاء قـــد لبســـت دمشـــق تـــاج سناهـــا غيـــر منثلـــمِ
رداء بغـــداد مـــن برديـــك تنسجـــه أيدي رشيـــد و مأمـــون و معتصـــمِ
و سدرة المنتهـــى أولتـــك بهجتهـــا علي بســـاط مـــن التبجيـــل محتـــرمِ
دارستَ جبريل آيـــات الكتـــاب فلـــم ينس المعلـــم أو يسهـــو و لـــم يهـــمِ
اقـــرأ و دفتـــرك الأيـــام خـــط بـــه وثيقة العهد يا من بـــر فـــي القســـمِ
قربـــت للعالـــم العـــلـــوي أنفســـنـــا مسكتنا متـــن حبـــل غيـــر منصـــرمِ
نُصرتَ بالرعب شهراً قبـــل موقعـــة كأن خصمك قبل الحرب فـــي صمـــمِ
إذا رأوا طفـــلاً فـــي الجـــو أذهلهـــم ظنوك بين بنود الجيـــش و الحشـــمِ
بك استفقنـــا علـــي صبـــح يؤرقـــه بلال بالنغمـــة الحـــرّا علـــى الأطـــمِ
إن كان أحببت بعـــد الله مثلـــك فـــي بدو و حضر و من عرب و من عجمِ
فلا اشتفى ناظري من منظـــر حســـن ولا تفـــوه بالقـــول السديـــد فـــمـــي

=================

ربيع الهدى

بقلم: محمد ضياء الدين الصابوني (شاعر طيبة)

تجلى مولد "الهادي" علينا   فضاء الكون وابتهج الزمان
وعاد البشر يملأ كل قلب   كما غمر الهدى وعلى الأذان
ربيعك قد زهت فيه الأماني   وطاب الشدو وانطلق اللسان
محبة"أحمد" كتر عظيم   ففيها الفوز حقا والجنان
محبته تحقق كل خير   ويحلو الود فيها والحنان
تزود من معين الحب تسمو   فما لحوادث الدنيا أمان
لقد شرف (الربيع) وكم تباهى   "بأحمد"مثلما شرف الزمان!!
وأنت لنا على خلق عظيم   ومنك الفضل والمنن الحسان
وأسوتنا "رسول الله"حقا   ففيها عزنا وبها نزان
ولو أنا نهجنا نهج "طه"   لكنا مثلما الأجداد كانوا
ولنا سادة الدنيا فلما   هجرنا الدين حل بنا الهوان
فهلا عودة ترجى لماض   يسود العدل فيها والأمان ؟
"محمد"سيد الكونين طرّ عم   وجاء بمدحه السامي القران

================

رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم الدكتور عدنان علي رضا النحوي

عانقي المجد واخفقي يا بيدُ = كل يوم على رمالك عيدُ
راية بعد راية وزحوف = في ميادينها وفجر جديدُ
لا يزال التاريخ يدفعه النصـــ = ـــر ويبنيه مؤمن وشهيدُ
والنبوات آية الله يُجْلَى الحـــ = ـــقُّ في نورها ويُجْلَى الوجودُ
تصل الأرض والزمان فتمتـــ = ـــد مواثيق أمة وعهودُ
يا لَحَقٍّ جذورُهُ ضربت في الأ = رض وامتد ساقه والعودُ
إنه جوهر الحياة وفيض = عبقري وفاؤه والجودُ
إنه الوحي والرسالة للنا = س وهذا رسولها المشهودُ
سيد الناس بين نصر من اللَّـــ = ـــه وعز لواؤه معقودُ
إنه أحمد النبي فبشرى = بين آيات ربه ووعيدُ
فمن الله كل فضل عليه = آية الحق والهدى التوحيدُ

يا جلال الإسراء يحمله الشـــ = ـــوق وجبريل والبراق الشديدُ
والفضاء الممتد ينشر أنوا = راً فتنشق ظلمة وسدودُ
أيُّ نور يطوف بالكون تُجْلَى = من سناه أحناؤنا والكبودُ
إنه المصطفى أطلَّ فهبَّت = للقاه نبوة وجدودُ
وإذا السيد العظيم إمام = وجلال يحوطه وحشودُ
وإذا أنت يا فلسطين نور = يتلألأ وجوهر وعقودُ
فاخشعي يا ربى فهذي دروب = لجنان ومحشر وخلودُ
ورباط لله تحرسه العيـــ = ـــن وقلب ووثبة وزنودُ
يا ظلال الأقصى! نداك غنيٌّ = بالرجا، صادق الوفاء، رغيدُ
كل شبر به مواقع وحي = وجهاد على الزمان جديدُ
إن داراً يحوطها الله تأبى = أن يُخانَ الوفا وتُطوى الوعودُ
إن أرضاً لله لا يتولى = عن حماها فتى أبرُّ جلودُ
من يخن عهده مع الله يرهقـــ = ـــه عذاب من ربه وصعودُ
يا رسول الهدى! سلام من اللّـــ = ـــه ومن مؤمن له ترديدُ
وصلاة عليك تخشع فيها = أضلعٌ أسلمت وهذي الكبودُ
كل فتح بلغته هو آيا = ت من الله خيرها ممدودُ
غير أن القلوب أقسى على الفتـــ = ـــح وأغلى سبيلُها والجهودُ
فسبيل القلوب هدْيٌ من اللّـــ = ـــه سبيل البلاد سيف حديدُ
فإذا ما التقى على الحق سيف = وبلاغ فذاك فتح مجيدُ
فبنيت الذي تقصِّر عنه = عبقريات أعصر وحشودُ
أمة لم تزل إلى الله تسعى = هي فتح منه ونصر فريدُ
يا رسول الهدى! سلام من اللّـــ = ـــه ومنا الوفاء والتوحيدُ
وصلاة عليك نعبد فيها اللّـــ = ـــه نرجو رضاءه ونعيدُ
رحمة أنت للعباد من اللّـــ = ـــه وفضل مُهدًى وخير مديدُ
فاذكري (أُمَّ مَعبدٍ) قصة الشـــ = ـــاة وقد جفَّ ضرعها والوريدُ
مسح الضرع في يديه رسول الـــ = لّـــه فاشتد درُّها والجودُ
روي الصحب وانثنوا وكأن الضَّـــ = ـــرع تدعو: لئن ظمئتم فعودوا
آية الله في يديه وذكر اللّـــ = ـــه في قلبه خشوع وحيدُ
إن روى الصَّحْبَ كفُّهُ فهداه = يرتوي منه صاحب وبعيدُ

يرتوي الدهر من هداه فيدنو = مؤمن خاشع وينأى كنودُ
أيها المصطفى! تفرَّدتَ في الخلـــ = ـــق نبياً عُلاك أفق فريدُ
أنت معنى الوفاء: ذكرُك في الأر = ض حميد وفي السماء حميدُ
زانك الله، حسن وجهك إشرا = ق وإشراقه جلال ودودُ
لا تكاد الشهود تملأ عينيـــ = ـــها فيغضي من الجلال الشهودُ
ذروة البأس في فؤادك في الحر = ب إذا احمرَّ بأسُها ورعودُ
لو تنادوا مَن الفوارس في الدهـــ = ـــر لقالوا: ذا الفارس المعدودُ
أنت في الحرب يحتمي بك أبطا = ل ويأوي لظلك الصنديدُ
حسبك المدح أن تكون على خُلْـــ = ـــق عظيم يُتلى به الكتاب المجيدُ
كل آي من الكتاب وذكر = هو ذكر على الزمان جديدُ
يا رسول الهدى! حملت إلى النا = س سلاماً يرعاه دين وصيدُ
كم مسحتَ الدموع آسيتَ محزو = ناً فحنَّتْ إليك منهم كبودُ
ودفعت الأسى ورعشة خوف = فاطمأنت إلى الوفاء العهودُ
أنت أرجعت لابن آدم حقاً = كم أضاعته فتنة وجحودُ
وعتاة بغوا على الناس حتى = تاه في الدرب جائع وطريدُ
يا حقوق الإنسان! هذا هو الحـــ = ـــق سواه فباطل مردودُ
إنها منحة من الله، حق = لم تشرعه عصبة وعبيدُ
فاستقيموا لله نَبْنِ سلاماً = لم تخالطه فتنة ووعودُ
يا رسول الهدى! عدلتَ وساويـــ = ـــتَ فما جار سيد ومسودُ
جمع الله أمة الحق إخوا = ناً فهبَّت عزائم وجهودُ
غير أن الزمان حال فعادت = للشياطين دولة وجنودُ
أشعلوا الأرض فجروها براكيـــ = ـــن فمادت ذراً وماد عمودُ
صاح من هول مكرهم كل جبا = ر وجن اللهيب (والأخدودُ)
غير أن اليقين يبقى ويمضي = موكب الحق يجتلي ويرودُ
كيف أرقى إلى مديحك لكن = غلب الشوق والحنين الشديدُ
غلب الشوق رهبتي، وصراع = في فؤادي يغيب ثم يعودُ
كلما لجَّ في فؤادي شوق = دفع الشوق رهبتي فتزيدُ
وإذا بالخشوع يرفع أشوا = قي فتصفو وترتقي فتجودُ
إنما الله والرسول هما الحـــ = ـــب ولله وحده التوحيدُ

يا لدربٍ شققته (في سبيل الـــ = لّـــه) عهد على الزمان جديدُ

ماج فيه من الهداية نور = وسرايا تتابعت وحشودُ

---

(١) ألقيت هذه القصيدة في مؤتمر حول (المدائح النبوية تاريخها وأساليبها) . أورانج أباد في الهند خلال الفترة : (٢٦ ــ ٢٨)/٢/١٤٠٩هــ الموافق (٧ــ٩)/أكتوبر ١٩٨٨م ثم جعلت هذه القصيدة جزءاً من ملحمة الأقصى وديوان مهرجان القصيد . وقدّمت في هذا المؤتمر بحثاً حول (الإِطار الصحيح والأسلوب الأمثل للمدائح النبوية) .

(٢) صَعُـــود : جَبَلُ في جهنم ، عقبة شاقة .

(٣) (أمُّ معبد) صاحبة الخيمة التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسألان لحماً وتمراً يشتريانه منها . فلم يصيبوا شيئاً . فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرع شاة خلفها الجهد عن الغنم ودعا وسمى الله تعالى ، فتفاجَت عليه وذرت وروي الجميع . فآمنت وبايعت على الإسلام

=====================

سيدي يا رسول الله ...!!

صالح محمد جرار

ها أنا ذا أقف بين يدي ذكراك المجيدة ، والبيان ضعيف الجناح ، لا يستطيع التحليق عالياً ليبلغ علاك !!

فكيف للهباءة أن تصف الشمس ؟ وكيف للسفح أن يرنو إلى القمة الشماء ؟

وكيف للقطرة أن تتحدث عن المحيط العظيم ؟

بل كيف للإنسان الملطخ برذائل الدنيا أن يقف بين يدي ذكرى سيد الأنبياء والمرسلين ؟

ولكنك ، يا سيدي ، يا رسول الله ، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وإنك لعلى خلق عظيم !

وهل نحن مثلنا بين يدي ذكراك الكريمة تائبين إلى الله ، مستغفرين ، نرجو شفاعتك يوم الدين، فننال بها – إن شاء الله – دار المتقين !!

وصلى الله عليك وسلم ، يا من بعثت رحمة للعالمين !!

في ذكرى المولد النبوي الشريف

لـمـــــن الـــضياء أطـل مـــن عليــاء ؟	لـمـــــن الــبـهـــــاء بليلـــة غـــرّاءِ ؟!
لـمـــــن الـــبشاشة فـــاض نبـــع بهائهـــا	وافـتــــــرّ ثغـــر الكـــون عـــن لألاءِ ؟!
لـــــمن البشـــائر في الوجـــود تراقصـــت	مــــــا بـــــين ذي الغـــبراء والخضــــراءِ
لــمـــن الــــبشائر أرّجـــت كــل الــدنا	فــتـــضــــــاءل المعطـــــار في اســـتحياءِ

ولد الحبيب محمد ببهائه	ميلاد فجرٍ بعد طول رجاءِ!!
ولد الذي غرس الحياة فضائلاً	واختطّ درب رشادها بحراءِ!
ولد الذي لولاه ما خفقت لنا	هذي القلب بخشية ورجاءِ!
هيّا اشكروا الرّحمن فهو يعمّنا	بالنعمة المهداةِ والأنداءِ!
هيا اشكروا رب الوجود فإنه	رحم الوجود بسيد الرّحماءِ!
صلى عليك الله يا علم الهدى	ما أشرقت شمسٌ من العلياءِ
صلى عليك الله يا خير الورى	ما أولج الأنْوار في الظّلماءِ
صلى وسلم ما أقام بكونه	سنناً تقوم بقدرة البناءِ
قد شاء ربك أن تكون رسوله	للعالمين ورحمة الأحياءِ
قد شاء ربك أن تكون مبشراً	للمؤمنين ومنذر السفهاءِ
فرعاك في الأزل المغيب ذرّةً	حتى ولدت فكنت خير عطاءِ
وحباك من خلق السّماء رفيعها	حتى عرِفْتَ بأشرف الأسماءِ
وشببت في البلد الحرام مطهّراً	من كل رجسٍ عمّ في الأرجاءِ
ودعاك قومك بالأمين وإنهم	بهرتهم الأخلاق بهر ذُكاءِ
لكنهم –يا ويحهم– عبدوا الهوى	حتى عموا عن أوضح الأشياءِ
فلقد أتيتهم بشرع إلههم	فتنكّروا للشّرعة السمحاءِ
أسْمَعْتَهُم آيات ربك فانتضوا	سيفَ الجهالة يا لسوءِ جزاءِ
عرفوك كالشمس المنيرة فوقهم	لكنهم صدّوا عن الأضواءِ
وصبرت يا خير الأنام على الأذى	حتى هُدُوا للسّمحةِ البيضاءِ
لو كنت فظاً جافياً لتفرّقوا	عما دعوتَ إليه من نعماءِ
لكنك المختار من بين الورى	لتكون فيهم أرحم الرحماءِ
فلقد بذذتَ العالمين مروءةً	وحباك ربك صفوة الفضلاءِ
قد جاء في التنزيل ذكرك عالياً	فلأنت مفطور على العلياءِ
علّمتَ صحبك أن، تكون حياتهم	لله خالصةً بلاأقذاءِ
ووضعتَ في أيمانهم علم الهدى	كيما يرفرف في سما الأحياءِ
فتركتَ فيهم هادِيين على المدى	ذاك الكتاب وسنةَ المعطاءِ
حملوا الأمانة مخلصين لربهم	وتجردوا للدعوةِ الغرّاءِ
بالحكمة المثلى وحسن فعالهم	وبحدّ سيف الحق في الهيجاءِ
دانت لهم دول تتيه ببأسها	وهوَت عروشُ الكفرِ والظلماءِ

وبـدوحـــةِ الـــدين الحنيــف تفيّــأَتْ	تــلـــك الــشـــعوبُ بنعمـــةٍ وصـــفاءِ
ويـــدور دولاب الـــزمان فمـــا نــرى	لــلـعـــزّة الـقـعـــساءِ أيَّ لـــواءِ
أيـــن الـــذيـــن بــهـــمّةٍ بلغـوا بنـا	كــبـــد الـســـماء وقبـــة الحـــوراءِ ؟
أيـــن الألـــى اعتصـموا بحبـــل إلههـم	حـتـــى غـــدوا كـــالطود في النكبـــاءِ؟
أيـــن الألى طـــاروا نســـوراً في العـــلا	بــجـنـــاح إيـــمانٍ وصـــدقِ فـــداءِ؟!
أيـــن الـــذيـــن فتـوحهم شـــهدت لهـم	بـــالـرحـمـــة المســـداة للضـــعفاءِ؟!
أيـــن الـخـلـــيفة حـين جـــاء مكبّـراً	مـــن روضـــة الهـــادي إلى" إيليـــاءِ"
لـــتكون قـــدس المســـلمين علـــى المـدى	وتُـــذَكّـــرَ الـحـنـــفاءَ بالإســـراءِ!
بـــل أين أنـــت أيـــا صـــلاحُ لكـــي تـرى	مـــا حـــلّ بالأقصـــى مـــن الأرزاءِ؟!
قـــد غـــاب عنــه الصـــادقون فمـــا تـرى	إلا نـــفـــاقَ الـطـغـــمةِ الحمقـــاءِ!
وتـــرى شـعـوبـــاً ذُلّلَـــت أعناقُهـــا	بـــالـبـطـــش والتقتيـــل والإفنـــاءِ!
قـــد غـــاب جنـــد الله عـــن ســـاح الفـدا	وأتـــى عـبـيـــدُ المـــالِ والأهـــواءِ
قـــد غـــاب أحـــرارٌ مَضَـــوْا بشـــهامةٍ	وأتـــى الـعـبـيـــدُ بذلّـــةٍ وغبـــاءِ!
فـــأولـئـــك الأطـــهارُ فـــاحَ أريجهـم	والـيـــومَ يـخـلُـــفُهُم كريـــهُ بـــذاءِ!
مـــاذا أقـــول أيـــا طـــبيب قلوبنـــا	والله يـعـلـــمُ مـــا بِـــنا مـــن داءِ؟!
مـــاذا أقـــول وقـــد تـــركنا شـــرعةً	هـــي شِـرْعَـــةُ الـــرّحمنِ للأحيـــاءِ
فـيـهـــا لمـــا في الصـــدرِ طـــبٌّ نـــاجعٌ	لاطـــبَّ يـشـــفي غـــيرُ وحـــي سمـــاءِ
هـــا قـــد أضـعـــنا قدسَـــنا وبلادَنـــا	مـــن بـعـــد هجـــر شـــريعةٍ سمْحـــاءِ
هـــا قـــد تـحـــوّلـــنا غثـــاءً طافيـــاً	فـــوق الـســيـــولِ بغـــير مـــا اسمـــاءِ
لـــم يـبـــق مـــن شـــيم الكـــرام ســـجيةٌ	فـــي مـدّعـــي الإســـلامِ والعربـــاءِ
إنـــا لـبـســـنـــا عـــارَنا بجـــدارةٍ	حـتـــى غـــدَوْنـــا ســـبّةَ الأحيـــاءِ
مـــالي أطلْـــتُ القـــوْلَ في وصـــف الـــدّجى	ويـلـــوحُ نجـــمٌ في حشـــى الظلمـــاءِ؟!
مـــا الـنـجـــمُ إلا فتيـــةٌ نشـــؤوا علـــى	حـــبّ الإلـــهِ وديـنـــهِ الـــمعطاءِ!
عـمـــروا المســـاجدَ مخلصـــين لـــربّهم	وتـنـزّلـــوا كـتـــنزّلِ الأنـــداءِ!!
فـلـقـــد أضـــاؤوا ليلنـــا بشـــعاعهم	حـتـــى ارتـقـــبنا دولـــةَ الأضـــواءِ
مـــا ضـــلّ ســـعيُ المســـلمين إذا اهتـــدوا	بـــشعاع شـمـــسِ المصـــطفى الوضّـــاءِ
إنـــي أتـيـتـــكَ يـــا حبيـــب قلوبنـــا	بـنـجـــومِ شـــبّانٍ وضـــوءِ رجـــاءِ
إنـــا أتـيـنـــا مـــطرقينَ رؤوســـنا	مـمـــا عـلـيـــه القـــومُ مـــن غلـــواءِ
وإلـــى ريـــاضك جـــاء يســـعى جمعنـــا	وإلـــى ريـاضـــكِ رحلـــةُ السّـــعَداءِ

أنـــــت الـــــرحيم بنـــا وصــــدرك واســـعٌ غـــفـــرانـــك اللهم فـــارحم جمعَنا	فـــكـــــــن الـــشـــفـــــيعَ لأمّـــةِ الغربـــاءِ وكـــن الـــنـــصيرَ لنا على الأعداءِ

=====================\

صلاة الله وسلامه على الهادي

الإمام الشيخ صالح الجعفرى

على الهادى رسول الله   صلاة الله سَلام الله
للمختار قد زُرْنَا   لدار الخلد قد جئنا
وشاهدنا رسولَ الله   وفى الرّوضات صَلّيناً
وبحر الحبِّ أمْواجا   رأيتُ الناسَ أفواجَا
لحُبٍ فى رسول الله   ودمع الشوق ثجّاجَا
وعطر النّدِّ فواحُ   وفى رؤياه أفراحُ
وسامَحَهُم رسولُ الله   وأهل الحبِّ قد باحوا
وجاء الخيرُ والبرٌّ   ولاح النّور والسرٌّ
برؤياهم رسولَ الله   وأهل الله قد قرّوا
وقد زاروا رسولَ الله   حبيب الله يلقاهم
لمن للمصطفى زاروا   وغفرانٌ و أسرارُ
من الهادى رسول الله   عليهم تبدو أنوارٌ
وأقمارُ الهدى هلّت   جيوش النفس قد ولّت
لمن زاروا رسولَ الله   وسحبُ الخير قد عمّت
إلى الخلاّق بارينا   وشمس الدين تَهدينا
أتينا يا رسولَ الله   رسولُ الله داعينا
بإقبال وإسعاد   جمالُ المصطفى بادى
و شاهدنا رسولُ الله   وعطرُ رَوَّحَ الوادى
بتوفيق بلا حجْب   ونلنا غاية القرب
أبا القاسم رسولَ الله   وزرنا سيدَ العُرْب
لدى المختار هاديها   وهز الروحَ باريها
شهوداً فى رسول الله   فنالت من أمانيها
وسلّمنا على طه   رياض الخلد نلناها

بإمدادٍ رسول الله وروح الحبِّ حَيّاها
على المختار ذى الذكر صلاةُ الله كالقطر
و آلٍ من رسول الله وصحبٍ سادةٍ غُرَّ
مديح المصطفى كرَّرْ متى ما الجعفرى حَرّرْ
بنورٍ من رسول الله ووجه الحبَّ قد نوّر

===================

صلى الإله وسلمـــــــــا

شعر الأستاذ / عبدالسلام المآخذي ــ صنعاء

والآل من ورثوا الكتاب المحكما صلى الإله على النبي وسلمـــــا
سعــــــد المصلـــــــــي بالنبـــي وأكرمـــاصلوا عليه وسلمـــوا وترحمـــــوا
و بآلــــــــه فـــي دينـــــــه مستعصمـــــــا طوبى لمن أضحى بطه مغرمـــا
و توسلاً صلى جـــوارك محرمـــــــا طوبى لمن قصد المدينة زائراً
تعلو رياضك طيبها يروي الضما طــــــــه عشقنـــــــــــا قبـــــــةً نبـــويــــــــةً
إني لشـــــــــوق لقائهـــــا أبكــــــــــي دمـــا طـــه عشقنـــــــــــا تربـــــــةً
قدسيــــــــــةً
يعلو النجوم البدر في كبــــــــد السمـــا الأنبياءُ علوهمـــــــــــم فضـــلاً كمـــا
ظهر البراق مشاهداً غيب السمــــــا هيهات أن يرقى سواك ويعتلي
طابت لنا الدنيــــــــا بذكـــــــرك دائمـــا يارحمة الرحمن يا نـــور الهـــدى
لولاك مـــا صلـــــــى التقي وأحرمـــا يا حجة الباري على كل الورى

================

عذراً.. رسول الله!..

عبيد الشحادة

عبيد الشحادة

عَـجـــولٌ لا ســـعـــادُ ولا طُلولُ تُـشـــاغـــلـــني وقد أزِفَ الرحيلُ
فَـمـــنْ لـــي صوبَهُ نُجُبُ المطايا تَـغُـــذُّ الـــســـيرَ غايتُها الوصول
أتـــيـــتُـــكَ مـــرسَلاً بهوانِ قومي فـــرقـــاً بـــالمُرَاسلِ يا رسول!
ولـــســـتُ بـــطـــالبٍ جاهاً ومالاً فـــأصـــغـــرُ همي العَرَضُ القليل

أبوءُ بذنبِ تقصيرٍ عظيم   وطرفي منه منكسرٌ ذليل
لأسكبَ من دموعي منتهاها   وحتى لو جرتْ منها سيول
أتغسلُ عارَ مَنْ هانوا وذَلوا؟   وكيف ينظّفُ العارَ الغسيل؟!
رسولَ اللهِ عذراً عن قصورٍ   وأنّى يُقبَلُ العذرُ الخجول؟!
قعدْنا دون نُصرتكَ انخذالاً   وما من علةٍ إلا الخمول
شُغلنا بالسفاسفِ من أمور   وأشغلَ هَمَّنا الهمُّ البديل
فصار السيِّدَ المحسودَ فينا   كثيرُ المال رابيه.. الكَسول؟
وذو الجاه المزركشُ بالتعالي   كطاووسٍ له ذيلٌ طويل!
رسولَ الله معذرةً.. فقومي   لديهم قد تكسّرَتِ النُّصول
وألقَوا بالرماح وكل قوسٍ   وأُنزِلَ عن مُقلَّدِهِ الصقيل
وما عادت مراكبُهم خيولاً   يُشَنِّفُ أُذنَهم منها الصّهيلُ
ولا الصّهواتُ تغريهم رُكوباً   سواءٌ عندهم ثَورٌ وفِيل!
ففرسانُ الخيولِ غدوا عظاماً   بكتهم في مرابطها الخيول..
إذا رُكبَ الجوادُ بدا جياداً   كأنَ ظِلالَ واحدها رعيل
تسيرُ مهابةً منهم وفيهم   فلا حَزَنٌ يُهاب ولا سهول
نفوسٌ تعشق الإقدامَ حتى   يُحاذر بأسَها الموتُ الذليل
بأطراف الأسنّة مبتغاها   ويُطربُها من النغمِ الصليل
أولئك من يحامي عن نبيٍ   ويثبتُ لا يحيد ولا يميل
ويصمدُ والمنايا مُحدقاتٌ   فإما قاتلٌ هو أو قتيل
ويصدقُ إن يفديه بروحٍ   قؤولٌ صادقٌ.. بَرٌّ فَعول
رجالٌ أُرضِعوا لبناً صريحاً   فنِعمَ الأصلُ واللبنُ الأصيل
فكانوا كالأسودِ على حماها   تصولُ عزيزةً وبها تجول
وأما نحنُ: إمَّا زِيرُ عشقٍ   وإما مُتخَمٌ شَرِهٌ أكُول
رضيعُ البِيْدِ قَسورةٌ جَسورٌ   ورُضَّعُنا من (النيدو) عُجول..
رسولَ الله عذراً قد كُنا رؤوساً؟   وإنّا الآنَ في الناس الذُيول
وكُنَا أمةً وسطاً كراماً   يميزُنا بوسْطِ الناس طُول
وكُنّا مضربُ الأمثالِ فينا   ومنَّا ينبعُ الخُلُقُ النبيل

فـيـا خـجلي إذا بكَ جِيءَ يوماً وأنـت شـهـيـدُنـا وبـنا كفيل
ويـا خـجـلـي إذا ناديتَ يوماً إلـيـه كـلُّـنـا حـتـماً نؤول
وقـلـتَ أريـدُ أحـبـابي بقربي وقـربُـك يـومـهـا شأنٌ جليل
فكيف نراكَ قُربَ الحوضِ ظَمأى؟! وحـوضُـكَ يـرتوي منه الغليل
بـمـاذا نـدَّعـي زوراً ونـذي؟ ومـاذا عـن مـواقـفـنا نقول؟!
أكـنّـا أمـةً نَـخـلاءَ؟ عـوداً فـخـارَ بـعـزمنا الجسَدُ النحيل
أو أنّـا أمـةً فـقـراءُ؟ رزقـاً وجـانـبَ قـوتَنا الخيرُ الجزيل
نَـعُـولُ عـوائـلاً وبها انشغلنا فـأورثـنـا الـمـذلَّة مَنْ نعولُ
أو إنَّ نـسـاءَنـا تـخشى علينا فـبِـئـسَ غـنـيمةً تلك البُعول
أم أنـا أمـةٌ كـثُـرتْ عـداداً وتـعـدادُ الـرجـالِ بـهـا قليل
تـفـرَّق أمـرُهـا شيَعاً وأضحى لـكـل فـي سـيـاسـته ميول
فـفـيـنـا مُـرجفٌ خافي النوايا وفـيـنـا مِـنْ أكـابـرنا عميل
أيـعـجـزُنـا سـفيهٌ ابنُ بغيٍ؟ ومـا كـانـتْ لـتُعجزَنا النُّغُول
فـيـهـزأُ بـالـنبيِّ بنشر رسمٍ يـؤيِّـدُه مـن الـقـوم الـقبول؟
بـداعـي أنـه حـرٌ وأنّـا تـمـاهـت فـي عواطِفنا العقول
وأنّـا نـركـبُ الإرهـابَ درباً ويـجـدرُ مـسـلكاً عنه العُدول
عـلـوجٌ فـي زرائـبها عجولٌ تـخـورُ.. ولـيس للبقر الصهيلُ
أيـعـجـزُنـا ونـحنُ حماةُ دينٍ يـقـومُ بـه عـلى الناس الدليل
لـقـد كـانـتْ قريشُ عتاةَ شِركٍ وكـانَ الـشـركُ في دمها يسيل
وكـان الـرومُ أقـوى مَنْ عليها وأمـكـنَ فـي بـلادهم الدُخول
بـصـدق عـقـيدةٍ وطلاقِ دنيا وقـومٍ مـا اسـتـقـرَّ بهم رحيل
يـطـوفـون الـبـلادَ ومستحيلٌ يـرونَ أمَـامـهـم مـا يستحيل
رسـولَ اللهِ مـعـذرةً وعـذراً إذا لـم يـبـقَ عندي ما أقول!!..

===============

فدى لرسول الله

شعر معتصم إبراهيم الحريري

تـــأجّـــج أيـــها الشعر التهابا ومن عينيك فاستبكي السحابا
وأطـــلــــق للقوافي ما أرادت مـــن الآلام واســـقـــيها عذابا
وقف مثل الحزين وقوف آسٍ كـــســـير النفس مكتئباً مصابا
لـــعلّك من سبات الذلّ تصحو وتُـــشـــرع من مآسيك الحرابا
فـــمـــا بعد الذي قد قيل قولٌ وما بعد الذي قد صاب صابا
وما بعد الرسول سوى المنايا وأن نـــرِدَ الـــمكاره والصعابا
فـــقـــد جـــاز الأعادي كلّ حدٍّ ولـــم يدعوا إلى الإصلاح بابا
ألـــم يـــكـــفـــيهم التقتيل فينا ومـــا عـــاثـــوا بأمتنا انتهابا
وتـــقـــسيم البلاد على هواهم فـــأمـــست من مكائدهم خرابا
وكـــم مـــن غصّةٍ منهم طوينا عـــليها القلب صبراً واحتسابا
فـــظـــنّـــونـــا بأنا إذ صمتنا بـــأنـــا لا نـــطيق لهم جوابا
وأنّـــا أمـــة هُـــزمت وغابت حـــضـــارها وأَبعدت اغترابا
وما علموا بأنّ الأرض تُؤوي بـــراكـــيناً تُرى حيناً هضابا
لأجـــل مـــحـــمّدٍ تغدوا جبالاً مـــن النيران تنسكب انسكابا
فـــدىً لك يا رسول الله نفسي وأهـــلي والعشيرة والصّحابا
فـــدىً لـــك أمّةٌ بك قد تعالت عـــلـــى الدّنيا وأودعت الكتابا
ألست المصطفى خير البرايا وأكـــمـــلـــهم جمالاً وانتسابا
بـــنـــورك أشرق الإيمان فينا ولـــم يـــترك ضباباً أو حجابا
فـــبـــدّد ظـــلمة الأهواء عنّا وأطـــلـــق في دياجرنا الشّهابا
فصرنا في رياض الدين نزهو و حـــبّ الله في الأعماق ذابا
لـــنـــغسل في جداوله الخطايا و نـــغـــترف السعادةَ والثوابا
نـــبـــيّ الله حـــبّك في الحنايا كـــماء المُزن ينصبّ انصبابا
تـــعانقهُ السّرائرُ وهي عطشى فـــيـــسقيها من الشّجن القِرابا
نـــســـيم الشوق يلثمها بعطرٍ إذا مـــا شـــمّـــه قـــلبٌ أجا
با
كـــأنّ شذاهُ في الأرواح خمرٌ مـــن الـــجنّات تشربه شرابا
شذاً من ورد أحمد ليت شعري على الأغصان قد أزكى وطابا
على غصن النبوّةِ حيث تشدوا

تـــرقّ لـــها المشاعر باكياتٍ طـــيـــور الـــدّين ألحاناً عِذابا
وتـــنـــبـــعث القصائد حانياتٍ وينساب الحنين لها انسياب ا
فـــهـــذا أحمدٌ لا شيء يحوي قـــوافـــيـــهـــا وأدمعها سكا
با
ولـــســـت بـــمادحٍ لكنّ قلبي شـــمـــائـــلـــه بياناً أو خطابا
عـــلـــى قومٍ بصائرهم تعامت تـــمـــرّد غـــاضـــباً ممّا أنابا
وغـــرّتـــهـــم أمـــانيهم فقاموا عـــن النّور الذي ملأ الرّحابا
بـــلا عـــقلٍ ولا شرفٍ كريمٍ يـــخُـــطّـــون الشتائم والسّبابا
ســـلـــوهـــم أيـــهم يدري أبيهِ ومـــن ذا يُبلغ الشّرف الكلابا
إذا أبـــصـــرتـــمُ قـــوماً لئاماً ومـــن يـــشـــري لأمّهم الثّيابا
فمهلاً يا بني''الدنمرك'' جُزتم بـــلا أصـــلٍ يُـــرجّى أويُهابا
تـــراضـــعتم مع الأبقار حتّى مـــراعـــيـــكـــم وأبقاراً حِلابا
وقـــد كـــانـــت لكم فيها غناءٌ جُـــنـــنتم لا عقول ولا صوابا
دعـــوا''اللورباك'' تنفعكم فإنّا بـــألاّ تـــقصدوا البحر العُبابا
خـــذوهـــا واشبعوا لبنا وزبداً عـــزمـــنـــا أن نصيّرها ترابا
وإن كـــان اليهود لكم صِحاباً وفي الميزان فالتمسوا الحسابا
فـــإنّـــا أمـــةٌ لا خـــيـــر فينا فـــبـــيعوهم ولا ترجوا ثوابا
ويـــومـــاً مـــا سنأتيكم غُزاةً إذا مـــا لـــم نزل منكم غِضابا
فـــإنّ الله مـــولانـــا وأنـــتـــم ونـــســـقي من حليبكم الشّعابا
وأنـــا أمـــة ''الخبّاب'' نبقى بُـــغـــاةٌ ذلّ مـــن يبغي وخابا
نـــجـــود لأحمدٍ بالروح خوفاً عـــلـــى آثـــاره نضع الرّكابا
لإصـــبـــعه الحبيبة أن تُصابا

===============

وللذود عن عرض الرسول قصائدي

حـــيـــي يصون النفس عن كل فاسد
وأنـــت بـــحـــمـــد الله فوق المحامد
ونـــبـــعـــك فـــيـــاض ثري الموارد

وأنـــت شـــفـــيع الخلق عند الشدائد

وصـــرت إلـــى الـــعلياء فوق المعاقد

وبـــدر الـــلـــيـــالي بين تلك الفراقد

بـــه ســـارت الأمـــثـــال في كل آمد

بـــمـــدحـــك لن أرقى لنيل مقاصدي

أذود بـــه شـــر الـــعـــدو الـــمـــعاند

عـــلـــى الـــقـــوم في آدابهم والعوائد

فـــقـــد نـــســـبـــوا لـــله فعل التوالد

ثـــلاثـــة أربـــابٍ وكـــلٌّ كـــواحـــد

تـــنـــزهـــت ربـــي عن شبيه منادد

وقـــد أركـــســـوا فـــي غيهم والمكائد

فـــهـــم فـــيـــه أحرار الخنا والتسافد

وكـــم أفـــســـدوا في كلّ حيٍّ وجامد

فـــلـــم يـــطعموها غير فضل الموائد

ومـــن دمـــنـــا بـــترول تلك القواعد

ويـــا نـــفس عيشي بالأسى والتلاهد

وفـــي مـــنـــهـــج القرآن كل الفوائد

وألـــقـــت لـــنـــا الدنيا زمام المقا لد

وهـــم أولـــى مـــنا باقتراف المفاسد

ومـــن نـــكـــث الأيـــمان بعد التعاهد

ومـــن رجسهم ضجت عذارى المعابد

وأضـــغـــان قـــسٍّ يرتدي ثوب زاهد

ســـوى أنـــهـــا جاءت بشر المقاصد

مـــلـــوك وأجـــنـــاد بـــعرض الفدافد

وقـــد دمـــروا بـــالقدس كل المساجد

وكـــم نـــكـــلوا في عرضنا والولائد

ومـــصـــر دهـــتـــها داهيات الشدائد

ومـــن ثـــم لـــم الـــشمل بعد التباعد

وأعـــمـــل سيف الحق في كل جاحد

فـــكـــان بـــحـــق مـــن سليل الأماجد
عـــلـــى عـــجـــل والقبر أكبر شاهد
ســـنـــحـــمـــي نبينا بالسيوف الحدائد
صـــلاح الـــذي قـــد كان خير مجاهد
بـــحـــطـــيـــن والأيـــام خير شواهد
وحـــرر مـــســـرانـــا بسمر السواعد
بـــه ســـارت الأمـــثال في عفو قائد
حـــرام وإجـــرام ونـــكـــران حـــاسد
بـــأنـــدلـــسٍ شـــدنـــا طوال العمائد
وقـــرطـــبةٌ أضحت هوى كل قاصد
كـــمـــا يُطفئ الخيرات جرذالحواصد
فـــمـــا حلّ فيها فوق وصف القصائدِ
وبـــيـــعٌ لـــحـــرّاتٍ بـــسوق المرابد
وقـــتـــل وتـــنـــكيل على كل صاعد
أنـــيـــسٌ وصـــحبٌ من كريمٍ وماجدِ
إلـــى الـــيـــوم والزّوراء أكبر شاهد
ونُـــســـقـــى من الغصّات سمّ الأساود
ويـــقـــذفـــنـــا بـــالـــموبقات العدائد
وصـــرنـــا لأطـــماع العدا كالطرائد
فـــمـــا أنـــت إلا مـــن ســـلالة حاقد
بـــســـوء وبـــهـــتان وخبث الجرائد
وتـــفـــديـــك مـــنـــا ناعمات الخرائد
بـــمـــدح لـــه بـــل فوق كل المساند
رجـــال الحمى صدق الوغى والتجالد
وزاد الـــذي فـــيـــنـــا افتراء ملاحد
لـــهـــانـــوا بـــعين الحاقدين الأباعد
عـــلـــى الـــقوم في إنتاجهم والمقاصد
وفـــيـــها الذي نخشاه من جلب فاسد
وفـــيـــهـــا بـــحار النفط جارٍ وخامد

وأنـــهـــار مـــاءٍ رافـــدٌ إثـــر رافـــد
ونـــحـــن شـــهـــود الله يـــوم التوافد
بـــكـــل الـــذي نـــحتاجه من موارد
خـــطـــى نـــقتفيها في جميع المشاهد
مـــن الأرض في أتلاعها والمراصد
ويـــشـــفع فينا المصطفى في الشدائد
ولـــكـــن بصدق الفعل من كل واحد
تـــرد لـــنـــا روحـــا من المجد خالد
****

في ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية ... نظمها الدكتور يوسف القرضاوي في ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٧٠هـــ ، ١٩٥٠ م في القاهرة .. وقد نشرت في مجلة الدعوة التي كانت تصدر في القاهرة ... وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتا .

هو الرسول فكن في الشعر حسّانا وصغ من القلب في ذكراه ألحانا
ذكرى النبي الذي أحيا الهدى وكسا بالعلم والنور شعبا كان عريانا
أطل فجر هداه والدجى عمم باتَ الأنام وظلوا فيه عميانا
هذا يصور تمثالا ويعبده وذاك يعبد أحبارا وكهانا
الكون بحر عميق لا منار به لم يدر فيه بنو الإنسان شطئانا
ويل الصغير !وقد صار الورى سمكا يسطو الكبير عليه غير خشيانا !
فدولة الروم حوت فاغر فمه يطغى على تلكم الأسماك طغيانا
ودولة الفرس حوت مثله كشرت أنيابه للورى بغيا وعدوانا
وحشية عمت الدنيا أظافرها ! جهالة أصلت الأكوان نيران !
الليل طال ! ألا فجر يبدده؟ رباه أرسل لنا فلكا وربانا !
هناك لاح سنا المختار مؤتلقا يهدي إلى الله أعجاما وعربانا
يتلو كتاب هدى كان الإخاء له بدءا وكان له التوحيد عنوانا
لا كبر– فالناس إخوانا سواسية لا ذل ، إلا لمن سواك إنسانا
يقود دعوته في اليم باخرة تقل من أمها شيبا وشبانا
السلم رايتها والله غايتها لم تبغ ، إلا هدى منه ورضوانا
جرت بركبالها لا الريح ، زلزلها ولا يد الموج مهما ثار بركانا

وكم أراد العدا إضلالها عبثا وحاولوا خرقها بالعنف أزمانا
واها ! أتخرق والرحمن صانعها ؟ والله حارسها من كل من خانا !
أم هل تضل سفين "بيت أبرهما" وحي من الله يهدي كل حيرانا ؟!
أم كيف لا تصل الشطئان باخرة ربانها خير خلق الله إنسانا ؟َ!
تلك الرواية والهفي ممثلة في العالم اليوم في بلدانه الآنا
إن يختلف الاسم فالموضوع متحد مهما تلونت الأشخاص ألوانا
فالناس قد اتخذوا الأهواء آلة إن كان قد تخذ الماضون أوثانا
الشعب يعبد قوادا تضلله كما يضلل ذو الإفلاس صبيانا
والحاكمون غدا الكرسي ربهم يقدمون له الأوطان قربان
إن ماتت الفرس فالروسيا تمثلها أما ستالين فهو اليوم كسرانا
وان تزل دولة الرومان فالتمسوا في الانجليز وفي الأمريك رومانا
وإن يمت قيصر فانظر لصورته في شخص آتلي ومولاه ترومانا
سياسة الكل إن يبقى الورى سمكا وأن يكونوا همو في البحر حيتانا

* * *

يا خير من ربت الأبطال بعثته ومن بنى بهمو للحق أركانا
خلفت جيلا من الأصحاب سيرتهم تضوع بين الورى روحا وريحانا
كانت فتوحهمو برا ومرحمة كانت سياستهم عدلا وإحسانا
لم يعرفوا الدين أورادا ومسبحة بل اشربوا الدين محرابا وميدانا
فقل لمن ظن أن الدين منفصل عن السياسة: خذ ياغر برهانا
هل كان أحمد يوما حلس صومعة ؟ أو كان أصحابه في الدير رهبانا؟
هل كان غير كتاب الله مرجعهم ؟ أو كان غير رسول الله سلطانا؟
لا بل مضى الدين دستورا لدولتهم وأصبح الدين للأشخاص ميزانا
يرضى النبي أبا بكر لدينهمو فيعلن الجمع: نرضاه لدنيانا

* * *

يا سيد الرسل طب نفسا بطائفة باعوا إلى الله أرواحا وأبدانا
قادوا السفين فما ضلوا ولا وقفوا وكيف ولا ! وقد اختاروك ربانا؟!
أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم والناس تزعم نصر الدين مجانا
أعطوا ضريبتهم صبرا على محن صاغت بلالا وعمارا وسلمانا
عاشوا على الحب أفواها وأفئدة باتوا على البؤس والنعماء إخوانا

الله يعرفهم أنصار دعوته والناس تعرفهم للخير أعوانا
والليل يعرفهم عباد هجعته والحرب تعرفهم في الروع فرسانا
دستورهم لا فرنسا قننته ولا روما ، ولكن قد اختاروه قرآنا
زعيمهم خير خلق الله لا بشر إن يهد حينا يضل القصد أحيانا
"الله اكبر".. مازالت هتافهمو لا يسقطون ولا يحيون إنسان

* * *

نشكو إلى الله أحزابا مضللة كم أوسعونا إشاعات وبهتانا
ما زال فينا ألوف من أبي لهب يؤذون أهل الهدى بغيا ونكرانا
ما زال لابن سلول شيعة كثروا أضحى النفاق لهم وسما وعنوانا
يا رب إنا ظلمنا ، فانتصر ، وأنر طريقنا ، واحبنا بالحق سلطانا
نشكوا إليك حكومات تكيد لنا كيدا، وتفتح للسكسون أحضانا
تبيح للهو حانات وأندية تؤوى ذوي العهر شرابا ومجانا
فما لدور الهدى تبقى مغلقة ؟ يمسي فتاها غريب الدار حيرانا
يا رب نصرك ، فالطاغوت أشعلها حربا على الدين إلحادا وكفرانا

يا قوم قد أيد التاريخ حجتنا وحصحص الحق للمستبصر الآنا
إنا أقمنا على إخلاص دعوتنا وصدقها إلف برهان وبرهانا
لقد نفونا فقلنا : الماء أين جرى يحيي الموات ويروي كل ظمآنا
قالوا: إلى السجن، قلنا : شعبة فتحت ليجمعونا بها في الله إخوانا
قالوا: إلى الطور، قلنا: ذاك مؤتمر فيه نقرر ما يخشاه أعدانا!
فهو المصلى نزكى فيه أنفسنا وهو المصيف نقوي فيه أبدانا
معسكر صاغنا جندا لمعركة ومعهد زادنا للحق تبيانا
من حرموا الجمع منا فوق أربعة ضموا الألوف بغاب الطور أسدانا!
راموه منفى وتضييقا ، فكان لنا بنعمة الحب والإيمان بستانا!
هذا هو الطور شاءوا أن نذوب به وشاء ربك أن نزداد إيمانا

****

تَعْــذِرَنَا رَسُــــولَ اللهِ إِنَّـــا

تَعْــذِرَنَا رَسُــــولَ اللهِ إِنَّـــا *** نُعَانِــي تَحْــتَ أَهْــوَالٍ عِظَامِ

أَمَاتُــوا أُمَّـــةً هَانَتْ وَنَــادُوا *** بِــأَنَّ سُبَاتَنَـــــا لِلدِّيـــنِ حَـــامِ
وَهُمْ أَعْــدَاؤُنَا سِـــرّاً وَلَكِـــنْ *** هُنَــاكَ تَفَــاوُتٌ عِنْـــدَ الصِّدَامِ
فَبَعْضٌ فِي التُّرَابِ يَدُسُّ رَأْساً *** وَيَشْمَـــخُ باسْتِـــهِ مِثْـــلَ النَّعَامِ
وَآخَرُ يَدَّعِي الإِسْـــلاَمَ زَيْفـــاً *** يَسُوسُ النَّـــاسَ قَسْراً بالحُسَامِ
يَرَوْنَ دِمَاءَنَـــا لِلسَّفْـــكِ حِـــلاً *** قُسَـــاةً يَلْهَثُـــــونَ بِـــلاَ أُوَامِ
غَدَاةَ السِّلْـــمِ كُلُّهُـــمُ صُقُـــورٌ *** وَعِنْدَ الحَـــرْبِ أَشْبَـــهُ بالحَمَامِ
يَدُوسُونَ النُّفُـــوسَ بلاَ حَيَـــاءٍ *** وَقَدْ جُبِلُوا عَلَى سَحْـــلِ الأَنَامِ
غِثَاءُ السَّيْلِ صَارَ لَنَا شَبِيهـــاً *** نَهِيمُ بِلاَ هُـــدَىً مِثْلَ السَّـــوَامِ
رَسُـــولَ اللهِ لاَ تَأْبَـــهْ لِرَسْـــمٍ *** شَنِيـــعٍ صَاغَـــهُ بَعْـــضُ اللِئَامِ
تَصَدَّى نُـــورُ وَجْهِكَ دُونَ لأْيٍ *** مَـــعَ الإِيمَـــانِ جَهْـــراً لِلظَّلاَمِ
فَزَالَ الكُفْرُ عَنْ قَيْسٍ وَأَضْحَتْ *** بِـــكَ الرُّكْبَـــانُ تَرْفُـــلُ بالسَّلاَمِ
وَهَا شَاهَدْتَ فِي الأَجْسَادِ نَزْفِي *** وَقَدْ كَـــرُّوا عَلَى المَوْتِ الزُّؤَامِ
شَبَـــابٌ لاَ يَخَافُـــونَ المَنَايَـــا *** تَداعُـــوا لِلَّـــظَى وَالأُفْـــقُ دَامِ
فِدَاكَ أَبِي وَرُوحِي دُونَ مَـــنٍّ *** أُقَدِّمُهَـــا إِلَـــى مَرْمَـــى السِّهَامِ
وَلَوْ قَدْ كَانَ لِي رَهْطٌ وَخَيْـــلٌ *** لأَسْمَعْتُ الأُلَى خَسِئُـــوا كَلاَمِي
وَلَكِـــنْ لاَ سِـــلاَحَ لَـــهُ نُفُـــوذٌ *** سِـــوَى قَلَمِـــي لإِيقَـــاظِ النِّيَامِ
فَلَيْتَ لَنَا بجَوْفِ الغِمْدِ سَيْفـــاً *** وَلَيْتَ لَنَـــا وَرَاءَ القَـــوْسِ رَامِ
جَمِيلُ الفِعْلِ لَيْسَ هُنَاكَ شَـــكٌّ *** نَزِيـــهٌ أَنْـــتَ عَـــنْ كُـــلِّ اتِّهَامِ
نِدَائِـــي يَا رَسُـــولَ اللهِ يَوْمـــاً *** بِأَنْ أُشْفَى بحَوْضِكَ مِنْ سَقَامِي
بِمَدْحِكَ أَرْتَجِي وَالوَيْـــلُ خَلْفِي *** وَقَدْ عَاثَ العِدَى حُسْـــنَ الخِتَامِ

===================

يَا عَينُ جُودِي بِدَمعٍ مِنكِ مُنسَكِبِ

يَا عَينُ جُودِي بِدَمعٍ مِنكِ مُنسَكِبِ *** وَابكِي عَلَى الفَضلِ وَالأَخلاقِ وَالأَدَبِ
وَاستَفرِغِي الدَّمعَ لا تُبقِيهِ قَد عَظُمَت *** مُصِيبَةُ الكَونِ سُبَّ المُصطَفَى العَرَبِي
سَبُّوا نَبِيَّ الهُدَى وَاستَهزَؤُوا عَلَنًا *** بالهَاشِمِيِّ المُفَدَّى طَاهِرِ النَّسَبِ
سَبُّوهُ وَاستَهزَؤُوا وَاستَمطَرُوا غَضَبًا *** فَليَرقُبُوا عَن قَرِيبٍ ثَورَةَ الغَضَبِ
يَا وَيحَهُم أَيُّ جُرمٍ قَد أَتوهُ أَمَا *** لِلحِقدِ حَدٌّ وَزُورِ القَولِ وَالكَذِبِ
يَا وَيحَهُم أَينَ مَا كَانُوا إِلَيهِ دَعَوا *** فِي مجلِسِ الأَمنِ مِن سِلمٍ وَمِن رَحَبِ
أَينَ الحِوَارَاتُ أَمْ أَينَ القَرَارَاتُ أَمْ *** أَينَ الوُعُودُ التِي صِيغَت مِنَ الذَّهَبِ

أَمْ أَنها دُولَةٌ بَينَ اليَهُودِ وَمَنْ *** أَمسَى عَلَى دَربهِم مِن عَابدِي الصُّلُبِ
تَبًّا لها مِن حِوَارَاتٍ وَتَبًّا لَهُ *** سِلْمًا يُدَانُ بِهِ إلا مَعَ العَرَب
بالأَمسِ أَبدَوهُ تحقِيقًا لِمَصلَحَةٍ *** كَانَت تُدَارُ وَأَخفوا غَيضَ مُرتَقِب
وَاليَومَ فَاهُوا بما تُخفِي صُدُورُهُمُ *** مِن إحنَةٍ زَالَ عَنهَا مُظلِمُ الرِّيَب
الحِقدُ قَد بَانَ وَالبَغضَاءُ قَد ظَهَرَت *** وَالكُرهُ قَد شَبَّ في الطَّاغِينَ كَالجَرَب
يُمسِي ببَلدَةٍ أَوغَادٍ وَيُصبِحُ قَد *** أَلقَى بأُخرَى رِحَالَ القَصدِ عَن كَثَب
أَغرَى بِهِ سَاسَةُ الأَبقَارِ إخوَتَهُم *** فَاستَجمَعُوا النَّطحَ في هَرجٍ وفي صَخَبِ
لم يَرقُبُوا مَوثِقًا فِينَا وَمَا اكتَرَثُوا *** يَومَ استَخَفُّوا بدِينٍ أَو بعِرضِ نَبِي
لَكِنْ لَنَا اللهُ مَولانَا نُؤَمِّلُهُ *** عِندَ الرَّخَاءِ وفي الشِّدَّاتِ وَالنُّوَب
رَبًّا يَغَارُ وَمَن يَطْــلُبْهُ يُدرِكْهُ لا *** أَرضٌ تَقِيهِ وَلا قَصدٌ إلى هَرَب
وَهْوَ الحَسِيبُ وَكَافِينَا وَنَاصِرُنَا *** في كُلِّ خَطبٍ فَلا نَخشَى مِنَ الغَلَبِ
اليَومَ نَبكِي بِدَمعٍ سَاجِمٍ وَغَدًا *** قَد يَضحَكُ الدَّهرُ مِن أُنسٍ وَمِن طَرَبِ

========================

أطبــق الليل واختفــت أضـــواء

أطبــق الليل واختفــت أضــواء *** وتــوالى عــلى النفــوس البــلاء
ودموع همــتْ كأمطــار مُــزْنٍ *** واقْشَعَــرَّتْ بسيــطــة وســمــاء
وبــحــار بمــائــهــا وجبــال *** راسيات جثــى عليــهــا الوبــاء
وسحــاب تمــر مــر غضــوب *** ليس مــاء يــزينــهــا أو هــواء
نعــم تصطلــي برمضــاءِ قَحْط *** هي عطشــى ومــا هنــالك مــاء
وانظــر الورد والزهــور بــروض *** مسها الضر واعــتــراهــا الحيــاء
شجــر مــذبــل ودوح تهــاوى *** وزروع مــن الــونى حــدبــاء
ها هي الشمس في السماء اكْفَهَرَّتْ *** وانحنى البــدر والْتَــوَتْ جــوزاء
كــل شبــر على البسيطــة يشكو *** من أنــاس كمــا يقــال غــثــاء
دينــهــا يعتــدى عليــه جهــارا *** ورســــول يــسبــه الجهــلاء
كيف نــرضى مــذلــة وهــوانــا *** كيف نرضى الخضوع أين الإبــاء
أي نصــر ونحــن في بئــر لــهــو *** أي عــز وقــد غــزانــا الربــاء
أي نصــر ومنــتــدانــا المخــازي *** أي نصــر وثــوبــنــا الكبريــاء
أيهــا المسلمــون في كــل قــطــر *** أيــهــا الأتــقــيــاء والأوليــاء
سددوا السهــم فالعــدو تــمــادى *** لا تــذلــوا فــأنــتــم العليــاء

أرشـــقـــوا بـــالنـــبـــال كل عتـــل *** حربـــه الصالـــحون والأنبـــيـــاء
وحـــدوا صفـــكـــم بجـــد وعـــزم *** وانصـــروا الله أيـــهـــا الأوفيـــاء
قاطعوا المنتجـــات صبـــوا عـــذابـــا *** لا تـــلينـــوا وللرســـول أســـاؤا
دانـــمـــركي مـــا رســـمت لَـــرُزْءٌ *** وخـــطـــوب وغـــارة شَـــعْـــوَاءُ
دانـــمـــركي نلـــت ذلا وخســـفا *** كل عرض لعـــرض طـــه فـــداء
سيـــد الـــمرسليـــن خير البـــرايـــا *** قـــائـــد الـــغـــر رحمـــة وهـــداء
صـــل ربي عـــلى الـــرســـول وآل *** وصحـــاب مـــا غـــردت ورقـــاء

====================

أَيَا زُمْـــرَةَ الْكُفْرِ جيْلَ التُّخَمْ

أَيَا زُمْـــرَةَ الْكُفْرِ جيْلَ التُّخَمْ *** وَرَمْـــزَ السَّفَاهَةِ رَمْـــزَ النِّقَـــمْ
أَلَمْ تَهْجَعُوا مِنْ عَدَاءِ الرَّسُوْلِ *** وَسُـــوْءِ التَّعَامُـــلِ مُنْذُ الْقِـــدَمْ
أَمَـــا آنَ لِلظُّلْـــمِ أَنْ يَنْتَهِيْ *** أَمَـــا آنَ لِلشَّـــرِّ أَنْ يُخْـــتَـــرَمْ
سَخِرْتُمْ بِشَخْصِ النَّبِيِّ الْكَرِيْمِ *** وَأَضْرَمْتُـــمُ النَّـــارَ بَيْنَ الأُمَـــمْ
أَتَهْزَأُ يَا غُـــدْرُ بِـــالْمُصْطَفَى *** إِمَـــــامُ النَّبِيِّيْنَ طَـــوْدٌ أَشَـــمْ
رَسُوْلُ عَلَـــى خُلُـــقٍ نَـــيِّـــرٍ *** وَدِيْنٍ قَـــوِيْـــمٍ وَرَمْزِ الْهِمَـــمْ
أَنَرْوِيْـــجُ أَسَّسْتِ مَـــوْقُوْتَـــةً *** بَنَيْتِ مِـــنَ الْجَهْلِ أَعْتَى لَغَـــمْ
وَكُنْتِ عَنِ الشَّرِّ فِيْ مَعْـــزِلٍ *** لَبِسْتِ مِـــنَ السُّخْرِ ثَوْبَ التُّهَمْ
وَالدَّانَـــمَرْكِيُّ شَيْنُ الْـــوَرَى *** تَعَـــدَّى الْحُـــدُوْدَ بِـــرَسْمِ الْقَلَمْ
أَسَاءَ إِلَـــى الْمُصْطَفَى مُعْلِنًا *** رِضَـــاهُ وَأَوْغَـــلَ فِيْنَـــا الأَلَـــمْ
وَسَـــــدَّدَ سَهْـــمًـــا إِلَى أُمَّةٍ *** تَحَلَّتْ بِنُـــوْرِ الْهُـــدَى وَالْقِيَـــمْ
ومَـــوْجُ الْعُتَـــاةِ أَتَى مُعْلِنًـــا *** بِنَقْضِ الْعُهُـــوْدِ وَنَكْثِ الْقَسَـــمْ
أَيَا أُمَّةَ الدِّيْـــنِ مَـــاذَا الْـــوَنَى *** فَذُلُّ التَّـــوَانِيْ بِنَـــا قَـــدْ أَلَـــمّْ
شَبَابٌ تَـــرَبَّى عَلَـــى غَفْلَـــةٍ *** وَرَقْصٍ وَلَهْـــوٍ وَتَـــرْكِ الْقِيَـــمْ
تَرَبَّى عَلَـــى نَغْمَةِ الْفَاتِنَـــاتِ *** فَأَيْـــنَ الإِبَـــاءُ وَأَيْـــنَ الشِّيَـــمْ
أَيَسْخَـــرُ مِنْ شَرْعِـــنَا زُمْـــرَةٌ *** قَـــدِ اغْتَالَهَا سُوْءُ فِكْـــرٍ أَصَمّ
وَأَنْتُمْ عَلَـــى مَوْجِ بَحْرِ الْهَوَى *** فَأَيْنَ الْعُـــهُـــوْدُ وَأَيْنَ الذِّمَـــمْ
فَتُوْبُوا فَفِي الدِّيْنِ عِزٌّ لَكُـــمْ *** ونصرٌ وفخرٌ وفضلٌ وكم

****

أَيَـــا أُمَّـــةَ الدِّيْـــنِ مَاذَا أَرَى *** دَيَاجِــيْرَ ظُلْـــمٍ وَلَيْـــلاً أَطَـــمّْ
أَرَى مَـــوْجَةَ الشَّرِّ قَدْ آذَنَتْ *** بِحَـــرْبٍ عَـــلَى دِيْنِنَـــا الْمُحْتَرَمْ
أَرَى مَوْجَةَ الظُّلْمِ قَدْ خَيَّمَتْ *** عَلَى حَافَةِ الدِّيْنِ دِيْـــنِ الْقِيَـــمْ
وَنَحْنُ عَلَى جُـــرُفِ الْهَاوِيَاتِ *** نُغَـــازِلُ بُرْكَـــانَ هَـــمٍّ وَغَـــمّْ
أَمَا آنَ لِلَّيْـــلِ أَنْ يَنْــجَـــلِيْ *** وَمَا آنَ لِلْبَـــدْرِ يَبْـــدُوْ أَتَـــمّْ
أَفِيْقُوا فَـــإِنَّ الْعَـــدُوَّ اعْتَدَى *** عَلَى سَيِّـــدِ الْخَلْقِ مَاحِي الظُّلَمْ
رَسُوْلِ الْهُدَى وَالنَّبِيِّ الْكَرِيْمِ *** وَتَـــاجِ التُّقَى وَالْـــوَفَى وَالْكَرَمْ
أَفِيْقُوا فَـــإِنَّ الْعَـــدُوَّ اعْتَدَى *** وَأَضْـــرَمَ نَـــارًا وَفِي النَّارِ سَمّْ
فَأَعْطُـــوْهُ مِنْ دَرْسِكُمْ حِصَّةً *** لِتَهْوِيْ بِهِ فِيْ عَمِيْـــقِ النَّـــدَمْ
وَحُطُّوا عَـــنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا *** بِـــمَـــالٍ وَنَفْـــسٍ وَإِلاَّ فَلَـــمْ

======================

السيّفُ أُشْهِرَ والليوثُ ضـــــــــــــــواري

السيّفُ أُشْهِرَ والليوثُ ضـــــــــــــــــــــــواري *** ذَوّادةً عن سيدِ الأبـــــــــــــــــــــــرارِ

يا قائدَ الأحـــــــــــــــــــــــــــــرار دونك أمةٌ *** فاقذفْ بجندك ســـــــــــــــــــــــــاحةَ الكفارِ

واضربْ بنا لججَ المهالكِ غاضباً *** حتى نُركّع سطــــــــــــــــــــــــــــــــــوةَ التيارِ

وتقحمنّ بنا الحتوفَ تغطـــــــــرساً *** فهي الحياةُ بشِرعـــــــــــــــةِ الأحرارِ

الفرسُ والرومُ العلوجُ تدمروا *** منّا فكيف بـــ(إخوة الأبقـــــــــــــــــــــارِ)

دَنمَرْكُ قد خضتِ الهلاك حماقةً *** والآن صرتِ بقبضـــــــــــــــــةِ الجبّارِ

دَنمَرْكُ يا بنتَ الصليب تجهّزي *** فليخطبنّـــــــك قـــــــــــــاصفُ الأعمارِ

دَنمَرْكُ هل تستهزئين بأعظم الـــ *** ـــــعظمـــــــــاءِ في بَلَهٍ وفي استهتارِ

أو ما علمـــــــــــــــتِ بأنه قاد الورى *** للمجـــــــــــــــــــــد للعليــــــــــــــــــاء للإعمارِ

أعلى بنـــــــــــــــــــــــــاءِ حضارةٍ قدسيةٍ *** والغـــــــــــــــــربُ كان حبيسَ جُرفٍ هارِ

شهـــــــــــــــــدَ الفلاسفةُ العِظامُ بأنه *** ربُ النهـــــى ومـــــــــــؤدلجُ الأفكارِ

وإذا أتى الأرضَ الخرابَ تزينت *** لقـــــــــــــــــــــــدومه بأطايـــــبِ الأزهارِ

وجرى عليها من نَميــــــــرِ عطائه *** مــــــــــــــــــاءُ الحياة زبرجداً ودراري

وإذا تبسّــــــــــــــــــــــــــــــــم فالصباحُ بثغرِهِ *** سَحَرَ القلــــــــوب وليس بالسّحارِ

وإذا غــــــــــــــــــــــــــزا فالرفقُ يغزو قبلهُ *** والرفــــــــــــــــــــــــقُ أعتق جحفلٍ جرارِ

الفاتــــــــــــــــــــــــــــــــــــحُ الدنيا بأبطال الوغى *** يرمي بهم قُضُـــــــــب الكفاح عواري

الملبــــــــــــــــــــــــــــــسُ الدنيا ثيابَ تحررٍ *** المُبْــــــــــــــــــــــــــــــــــــدِلُ الظلماءَ بالأنوارِ

الواهــــــــــــــــــــــبُ الدنيا شموس هدايةٍ *** نبــويةٍ لألاءة الأفكارِ

تفدي جنابَك ألفُ ألفُ دويلةٍ *** حكمــــــــــــــــــــت رباها سلطةُ الفجارِ

تفدي جنابك ألفُ ألفُ عمامةٍ *** مدســــــــــــــــوسةٍ خوفاً من الأخطارِ

تفدي جنابك كلُ نفسٍ حرةٍ *** عافت حيــــــــــاة الشر والأشرارِ

تفدي جنابَك يــــــا رسول الله *** يا خير البرية أمــــــةُ المليارِ

====================

مديحك يا مختار

بقلم: محمد ضياء الدين الصابوني (شاعر طيبة)

مديحك يا "مختار" حلو وشائق   وذكرك مثل المسك في الكون عابق

فما أنت إلا الشمس عم ضياؤه   وما أنت إلا للعوالم سابق

مدحتك يا "مختار"أرجو شفاعة   وأنت لها في ساحة العرض سامق

فإنك للشمس التي بك نستضي   وإنك للبدر المنير المعانق

وانك فخر للوجود ورحمة   وإنك للبحر الذي هو دافق

تبسمت الآمال بعد عبوسها   وجادت لنا الأيام والمجد شاهق

أعادت لنا ذكر "الحبيب"وطيبة   وأيام أنس زينتها الحدائق

بنفسي تلك الذكريات حبيبة   وإني لهاتيك المنازل عاشق

هفونا لمرآها البهيّ كما هفا   لمحبوبه في حلكة الليل طارق

عواطف قد سجلتها ومشاعر   حكت شعر (حسان) ومعناه شائق

إذا الشعر لم يسعفك إلا تكلفا   فما هو إلا صنعة وتشادق

وأجمله ما كان ينساب رقة   كمثل انسياب الماء، والماء رائق

وما كل من رام المعالي نالها   ولا كل شعر في المدائح صادق

وكم قد رأينا من دعاة أكارم وقد حال في التبليغ منهم عوائق
ألا إنما الإسلام دين ودولة وليس كما يحجو الجهول المنافق
ولا يستبين النصح إلا موفق ولا ينكر الإصلاح إلا المنافق
فكونوا جميعا تحت(راية أحمد) فما النصر الا اتباع موافق
ولا بد للإسلام من عودة له وإنا لنرجو أن يسود التوافق
لكم في رسول الله أحسن أسوة عليه سلام الله ما لاح بارق

==================

حبّ الرّسولِ تذكّرٌ وتدبّر

بقلم محمد خير الدين اسبير

زالَ الضّلالُ بِهَدْيِ أحمَدَ مُذْ بدا وبِشَرعِهِ الباهي الرّفيعِ تَفَــرَّدا
قَدْ أظْهَرَ الحقَّ الّذي هوَ نَهْجُـــهُ وبدينِهِ نَشَرَ المَكارِمَ والهُـــدَى
لِمكارِمِ الأخلاقِ جاءَ مُتَمِّمـــاً بَلْ أنْشأَ الأخـــلاقَ لَمّا قَدْ بَـــدا
مِنْ كُلِّ عِلْمٍ صَدْرُهُ كَنْزاً حَوَى مِنْ كُلِّ فَضْلٍ قَلْبُـــهُ قَـــدْ أورَدا
وجمالُهُ فاقَ البُدورَ إضـــــاءَةً وكمالُهُ في الكَوْنِ أضْحَى مُفْرَدا
لَمْ يَلْتَفِتْ لِزَخارفِ الدُّنيا ولَمْ يَخْتَرْ جِبالاً "حينَ خُيِّـــرَ "عَسْجَدا
ما جاءَنـــا تاللّهِ إلاّ رَحمَـــــةً فجباهُنا للّهِ شُكْـــراً ، سُجَّــــــدا
بالسَّيْفِ والبُرْهانِ قامَ مُجاهِـــداً ولِظُلْمَةِ الإشْراكِ كانَ مُبَـــدِّدا
شَهِدَتْ لَهُ الدّنيا بِرفعةِ قَـــدْرِهِ حتَّى الّذي بالكُفْـــرِ كانَ مُعاندا
أفلا يَحِقُّ لِمُصْطَفَىً مِنْ رَبِّـــــهِ أنْ تَصْطَفِيْهِ قلوبُنـــا ، فَنُمَجّـــدا
كَمْ مِنْ أُناسٍ قَدْ أقاموا حَفْلَـــةً لِكِبارِهِمْ ، ولَكَمْ أقاموا مَوْلِـــدا
فهوَ الأحَقُّ وقَدْ رأينا الكَوْنَ في آياتِ مَولِدِهِ مُضيـــئاً مُنْشـــدا
حَفَلاتُ مَوْلِدِ حِبِّنا ذِكْـــرَى لنا نَسْتَذْكِرُ الأسْمَى الرَّسولَ الأحْمَدا
فَنُجَدِّدُ الذِّكْرَى بِذِكْـــرِ صِفاتِـــهِ وفِعالِهِ ، نَثْراً وشِعْراً أغْـــــرَدا
ونُضيءُ أنوارَ المَحَبَّةِ والهَنــــــا مِنْ غَيْرِ إسفافٍ يُشينُ المَقْصَدا
فالحُبُّ لَيسَ (تَشَنّجاتٍ) تَعْتَــري أجسامَنا في مَحْفِلٍ قَدْ عَرْبَـــدا
بِدَعٌ لِبَعْضِ النّاسِ ، عَيْنُ جَهالَةٍ لَمْ يأتِها مَنْ قَدْ أحَـــبَّ مُحَمّـــدا
صِدْقُ المَحَبَّـــةِ باتّباعِ حبيبِنـــا بِفِعالِــــهِ نأتي بها طولَ المَدَى
لاحُبَّ يَعلوْ فوْقَ حُـــبِّ إلهِنــــا هوَ مُوجِدٌ وأحَبَّ مَنْ قَدْ أوجَـــدا

إنّا نُحِـــبُّ لِمَنْ أحَـــبَّ، وإنّنـــــا في حُبِّ أحْمَدَ قَدْ أطَعْنا المُوْجِـــدا
فهوَ الحبيبُ ، وحُبُّهُ في مُهجــــتي روحي ونَفْسي والفؤادُ لَهُ الفِـــدا
إنّي لأرجوْ الّلهَ مِنْكَ شَفاعـــَةً لي والأحِبَّةِ حينَ ألقاهُمْ غَــــــدا
وأفِضْ علينا نَهْلَةً يومَ الظّمـــا فالحَوْضُ وِرْدٌ كانَ فيهِ المَــوْرِدا
فَعليْكَ خَيْرُ تحيّةٍ مِسْكِيّــــــــةٍ مامؤمِنٌ ناجَى الإلهَ مُوحّـــــــدا
والآلِ والأصحابِ أقطابِ الهُـــدَى مابُلْبُلٌ في الرّوْضِ صاحَ مُغـــَرِّدا

=================

مولد الهادي

شعر : منير محمد خلف

الـــبـــدرُ لـــولا ســنـــاهُ مـــا ألفناهُ والـــلـــيـــلـــةَ البدرُ يشدو ما حفظناهُ
مـــن خـــالص الحبِّ للمختار سيّدِنا مـــحـــمّـــدٍ أشـــرقـــتْ أحلى مزاياهُ
قـــلـــبـــي يـــبعثرني من فرط لهفته إلـــى لـــقـــاء حـــبـــيـــبٍ قد عشقناهُ
وكيف نشقى وهل غير الحبيب هوىً يـــســـقـــي الـــفؤادَ ويحمي ما بنيناهُ
لـــولاهُ مـــا اكـــتحلتْ ألوانُ فرحتنا لـــولاه مـــا زفّـــتِ الأعـــيـــادُ لولاهُ
يـــا حـــسرة الشعر لا تبدو محاسنه إنْ لـــم يـــكن عابقاً من طيبِ ذكراهُ
الـــيـــومَ مـــولدُ فجري والهوى تعبٌ مـــن شـــدّة الـــشوقِ يخشى ما تمنّاهُ
إنّ الـــحـــياة غرامٌ في دمي.. ودمي مـــثـــل الـــبـــراكينِ لا تطفيه أمواهُ
حـــبـــيـــبيَ المصطفى قلبي يحمِّلني آهـــات شـــوقٍ وحـــولـــي كـــلُّهُ آهُ
مـــاذا أقـــول لفرط النار في جسدي والـــحـــبُّ لـــولا ضـــرامٌ ما عرفناهُ
قـــد يسلك القلبُ غيرَ الحبِّ منعطفاً لـــكـــنْ هـــواهُ غـــرامٌ مـــا نـــسيناهُ
يـــا أيّـــهـــا الـــقمر الملتاع من سفرٍ خـــذْنـــي إلـــيـــهِ فإنّي الدهر أهواهُ
خـــذْ لـــلـــحبيب غرامي إنني كلفٌ فـــي حـــبّـــهِ وخـــذ التسبيح أحلاهُ
خـــذْ كلّ ما فيَّ من حزنٍ ومن فرحٍ ولـــلـــحـــبـــيـــب صلاتي حين تلقاهُ
يـــا خـــيـــر مَنْ أثمرتْ في كفّه لغةٌ مـــا ازّيّـــنـــتْ حولنا الأفلاكُ لولاهُ
آهٍ عـــلـــيّ..عـــلى قلبي وما اقترفتْ يـــداه مـــن إثـــم مـــا كـــنّا زرعناهُ
لا تعجبوا شعريَ المغسول من فرحٍ هـــو الـــســـعـــادةُ لا مـــالٌ ولا جاهُ
إنْ كـــان حـــزني حراماً عند صبِّكمُ فـــأعـــمق الوحي كان الحزنُ فحواهُ

لا تـــطـــفئوا ظمئي فالعشقُ ملتهبٌ أيُـــطـــفـــئُ الملحُ جرحاً قد رضعناهُ
الـــكـــلُّ يـــســـعـــى إليه عند رؤيـته والـــخـــيـــرُ الخيرُ فيما اختارهُ اللّهُ

نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم

شعر: أحمد القاضي

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَارِي الْكَوْنِ إِحْسَانَا ***** وَمُرْسِلِ الرُّسْلِ بِالْآيَاتِ تِبْيَانَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَآلِهِ********* أُضَمِّنُهَا رَوْحًا وَرَيْحَانَا
نُورٌ تَلَاشَتْ بِهِ الظُّلْمَاتُ وَانْدَثَرَتْ **** بِهِ الْمَآثِمُ وَالشِّرْكُ الَّذِي هَانَا
أَنْعِمْ بِهِ مِنْ رَسُولٍ قَدْ هَدَى أُمَمًا *****كَانُوا بلَا قَائِدٍ صُمًّا وَعُمْيَانَا
زَكَّاهُ رَبِّي عَلَى مَنْ مَرَّ مِنْ رُسُلٍ *****فَفَاقَ كُلَّ الْوَرَى جِنًّا وَإِنْسَانَا
قُلْ لِلَّذِي يَفْتَرِي فِي الرُّسْلِ فِرْيَتَهُ**** تَبًّا لِمِثْلِكَ فَاخْسَأْ زِدْتَ كُفْرَانَا
فَمَا يَضُرُّ عُوَاءُ الْكَلْبِ فِي أَسَدٍ***** وَمَا يَضُرُّ وَضِيعٌ عَابَ سُلْطَانَا
سَبُّوا النَّبِيَّ فَمَاذَا يَرْقُبُونَ سِوَى**** أَنْ يُؤْخَذُوا بَغْتَةً مَثْنَى وَفُرْدَانَا
صَبَّ الْإِلَهُ عَلَيْكُمْ لَعْنَةً تَرَكَتْ****** حَلِيمَكُمْ بَعْدَ طِيبِ الْقَلْبِ حَيْرَانَا
يَا وَيْحَ دِنْمَارْكَ إِنْ أَوْدَى الْإِلَهُ ***بِهَا لَأَصْبَحُوا لِلرَّدَى وَالتِّيهِ عُنْوَانَا
أَوْ يَضْرِبُ اللَّهُ مَأْوَاهُمْ وَشَوْكَتَهُمْ* فَيُصْبِحُ الْمُكْتَسِي فِي الْقَوْمِ عُرْيَانَا
أَوْ يَحْطِمُ اللَّهُ مَرْعَاهُمْ وَمَأْكَلَهُمْ****** أَوْ يَأْخُذَنَّ مِنَ الْبُنْيَانِ أَرْكَانَا
كَلَّا بَلِ اللَّهُ لَوْ شَاءَتْ مَشِيئَتُهُ***** لَأَصْبَحَ الزَّرْعُ فِي النَّرْوِيجِ نِيرَانَا
نَصِيحَةٌ لِلْأُلَى جَرُّوا مُصِيبَتَهُمْ ****** أَنْ جَهِّزُوا لِانْتِقَامِ اللَّهِ أَكْفَانَا
أَوْلَى لَكُمْ مِنْ بَلَايَاكُمْ وَفِرْيَتِكُمْ***** أَنْ تُنْعِمُوا الرَّأْيَ إِفْصَاحًا وَتِبْيَانَا
أَنْ تَعْلَمُوا شِرْعَةَ الْهَادِي وَمَا شَمِلَتْ مِنَ الْكَرَائِمِ وَالْفَضْلَ الَّذِي زَانَ
فَتِلْكَ شِرْعَتُنَا فِي الْأُفْقِ رَاسِخَةً******** وَذَاكَ قُرْآنُنَا وَاللَّهُ مَوْلَانَا
فَسَيِّدِي أَيْ رَسُولَ اللَّهِ دِينُكَ**** فِي قُلُوبِنَا وَعَلَى الْجَبْهَاتِ تِيجَانَا
فِدَاكَ نَفْسِي – وَمَا نَفْسِي تُجَاهَك* بَلْ فِدَاكَ كُلُّ الْوَرَى رُوحًا وَأَبْدَانَا
صُنْتُ اللِّسَانَ عَنِ الْإِفْكِ الَّذِي صَنَعُوا *** أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَجْتَرَّ بُهْتَانَا
رَبِّي لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا أَبَدًا ***** فَاكْتُبْ لَنَا الْخَيْرَ أُولَانَا وَأُخْرَانَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ صَلَاةً مِنْكَ بَالِغَةً***** عَلَى الْحِبِيبِ بِهَا نَرْجُوكَ رِضْوَانَا

===================

يــا حبيبـــــــــي هــــــــاكَ نحـــــــــري

فجـــــــــــأةً شـــــــاعَ الخبـــــــــرْ *** هـــــــــــزَّ قلبـــــــي مـــــذْ
خَطَــــــرْ

قلــــتُ فـــي نفســـي عســـى *** كِـــــــــذْبُ إعـــــــــــلامٍ
عبَــــــــــــــرْ

فاستعــــدتُ الحـــسَّ منّـــــي *** مُـــــــــــــدركـــاً
فحـــــــــــــوى الخبـــرْ

هـــزَّنـــي صـــوتُ المذيـــعِ *** (آذوا) أحمـــــــــدْ يـــــــــــــا
بشـــــــرْ

حســــــرةٌ بانــــتْ لعينـــــي ***بعـــــــــدها الدمـــــــعُ
انهمــــــــــــرْ

قمـــــتُ مذعـــــوراً أنـــــادي *** هـــــلْ بهـــــــذا
نُختبـــــــــــــــرْ؟

يـــــاحبيبـــــي هاكَ نحــري *** دونــــــــــكَ القـــلبُ
انفطـــــــــــــرْ

يـــــا حبيبـــــي يـــا شفيعــي*** أنـــتَ قلبــــــــــــــي و
النظــــــــــرْ

يـــــا حبيـــــبَ اللـهَ صبــــراً*** حــــانَ ميعـــــادُ
الظفَـــــــــــــــرْ

قـــــــدْ صحـــونـــا منْ رُقـــادٍ *** وانتبهنـــــــــــــــــــــا
للخطــــــــــــرْ

واجتمعنـــا بعـــــدَ نــــــــأيٍ *** بعــــــدَ مـــــا كنّــــا
زُمَـــــــــرْ

يــــاحـــمـــاةَ الديـــنِ هيّـــا *** فانصــــــروا خيــــرَ
البشـــــــــرْ

مزّقـــــــــــوا كـــلّ كفـــــــــــــــــورٍ *** نـــاشـــــــــــراً ذاكَ
الخبــــــــــــــــــــــــــــرْ
مزّقـــــــــــــوهُ كــــــــيْ يكـــــــونَ *** عِبــــــــــــــــــرةً فيمـــــــــــــــــنْ
عـــــــــــبـــــــرْ
قـــــاطعـــــوا كـــــــلَّ نِتـــــــــاجٍ *** فيــــــــــــــــــــــهِ أيـــــــــــــــدي منْ
كفـــــــــرْ
مـــــزّقـــــوا كـــــــلَّ الجرائدْ *** قطّـــــعـــــــــــوا كـــــــــــــلَّ
الصـــــــــــــــــــــــورْ
واحرقـــــــــــواحتـــــى الهواءَ *** وادفنـــــــــــــوهـــــمْ فـــــــــي
الحُفـــــــــــــــــــــرْ
وانصـــــــــروا خـــيرَ البرايا *** مـــــنْ لــــــــــــــــهُ انشـــــــــــــــــــقَّ
القمـــــــــــــــــــــرْ
مـــــنْ لـــــهُ الأفلاكُ دانـــــــتْ *** مـــــــنْ لـــــــــــــــهُ الكــــــــــــــــونُ
انحســــــــــــــرْ
هـــــــــلْ جـــــــزاءُ التائبيـــــنَ *** غيــــــــــــــرَ حـــــــــــــــــــــــورٍ و
سُــــــــــــــرَرْ
هـــــــلْ جـــــــزاءُ الصابرينَ *** غيــــــــــــــرَ طلــــــــْــــــــحٍ و
نَهــَـــــــــــــــــــــــرْ
مُنتهـــــــــى حُـــــــــــــبُّ النبـــــــــيّ *** ســـــــــــــــجدةٌ عـــــــــــــــــــــندَ
الســـــــــــــــــحرْ
يــــــاجنـــــــــــودَ اللـــــهِ ارمـــــــــــــي *** واقـــــذفيــــــــــــهمْ
بـــــالشـــــــــــــــــــــرَرْ
كُــــــلُّـــــــــــــنا جُـــــندٌ لطــــــــــــــــــــــــــهَ *** كُــــــلُّــــــنا أضحــــــــى
عُمــــــــــــــــرْ
للشاعر الإسلامي عبد الناصر رسلان

================

مــن نبــع هديــك تستقــي الأنــوار

مــن نبــع هديــك تستقــي الأنــوار * وإلــى ضيائــك تنتــمــي الأقــمــار

رب العبـــاد حبـــاك أعظـــم نعـــمـــة * ديـــنـــا يـــعـــزُّ بـــعـــزِّه الأخـــيــــــار
حُفظت بك الأخـــلاق بعـــد ضياعهـــا ** وتسامقـــت فـــى روضهـــا الأشجـــار
وبُعثـــت للثقلـــيـــن بعـــثـــة ســـيـــد* صدقـــتْ بـــــه وبديـــنـــه الأخـــبـــار
أصغت اليـــك الجـــن وانبهـــرت بمـــا *** تتلـــو، وعَـــمَّ قلوبـــهـــا استبـــشـــار
يا خير من وطيءَ الثـــرى وتشرفـــت *** بمســـيـــره الكثـــبـــان والأحـــجـــــار
يا من تتـــوق إلـــى محاســـن وجهـــه ****** شمـــسٌ ويفْـــرَحُ أن يـــراه نـــهـــار
بأبي وأمـــي أنـــتَ ، حيـــن تشرَّفـــت * بـــك هجـــرة وتـــشـــرَّفَ الأنـــصـــار
أنْشَـــأْتَ مدرســـة النبـــوة فاستقـــى ***** مـــن علمهـــا ويقينـــهـــا الأبـــــرار
هـــي للعلـــوم قديمـــهـــا وحديثـــهـــا *** ولمنهـــج الديـــن الحنـــيـــف مـــنـــار
لله درك مـــــرشـــــدا ومـــعـــلـــمـــا ** شَرُفَـــتْ بـــــه وبعلـــمـــه الآثـــــار
ربَّيْـــتَ فيهـــا مـــن رجالـــك ثُـــلَّـــةً **** بالحـــقِّ طافـــوا فـــي البـــلاد وداروا
قـــوم إذا دعـــت المطامـــع أغلـــقـــوا *** فمها ، وإن دعـــت المكـــارم طـــاروا
إن واجهـــوا ظلمـــاً رمـــوه بعدلهـــم *** وإذا رأوا ليـــل الـــضـــلال أنـــــاروا
قـــد كنـــت قرآنـــاً يسيـــر أمامـــهـــم * وبـــك اقتـــدوا فأضـــاءت الأفـــكـــار
عمروا القلوب كما عَمَرْت، فما مضوا *** إلا وأفـــئـــدة الـــعـــبـــاد عَـــمَـــــار
لو أطلـــق الكـــونُ الفسيـــحُ لسانـــه * لســـرتْ إليـــك بمـــدحـــه الأشـــعـــار
لو قيل : مَنْ خيرُ العبـــادِ ، لـــردَّدتْ ******* أصواتُ مَنْ سمعوا : هـــو المختـــارُ
لِمَ لا تكون ؟ وأنـــتَ أفضـــلُ مرســـلٍ ***** وأعزُّ من رسموا الطريـــق وســـاروا
ما أنـــت إلا الشمـــس يمـــلأ نورُهـــا **** آفاقَنـــا ، مهـــمـــا أُثـــيـــرَ غـــبـــار
مـــا أنـــت إلا أحمـــد المحمـــود فـــى *** كـــل الأمـــور ، بـــذاك يشهـــد غـــار
والكعبـــة الغـــرَّاءُ تشـــهـــد مثلـــمـــا ** شهـــد المقـــامُ وركنـــهـــا والـــــدَّار
يا خير من صلى وصام وخيـــر مـــن *** قـــاد الحجيـــج وخيـــر مـــن يَشْتَـــارُ
سقطـــت مكانـــة شاتـــم ، وجـــزاؤه *** إن لـــم يتـــب ممـــا جـــنـــاه الـــنـــار
لكأننـــي بخطـــاه تـــأكـــل بعضـــهـــا ** وهنـــاً ، وقـــد ثَقُلَـــتْ بـــهـــا الأوزار
مـــا نـــال منـــك منافـــق أو كـــافـــر ** بـــل منـــه نالـــت ذلـــــة وصَـــغَـــار
حلّقت في الأفـــق البعيـــد، فـــلا يـــدٌ * وصلـــت إليـــك ، ولا فـــمٌ مـــهـــذار
وسكنت فى الفردوس سُكْنَى من بـــه *** وبـــديـــنـــه يتـــكـــفَّـــل الـــقـــهَّـــار
أعـــلاك ربـــــك هـــمـــة ومكـــانـــة** فلـــك السمـــو وللحـــســـود بـــــوار
إنـــــا ليؤلمـــنـــا تـــطـــاول كـــافـــر * مـــلأت مشـــارب نفـــســـه الأقــــذار

ويزيـــدنـــا ألـــمـــاً تــخــاذل أمـــــةٍ ** يشكـــو اندحـــار غثائهـــا المليـــار
وقفت على باب الخضـــوع، أمامهـــا *** وهــن القلـــوب، وخلفهـــا الكـــفـــار
يـــا ليتهـــا صانـــت محـــارم دارهـــا *** مـــن قبـــل أن يتحـــرك الاعـــصـــار
يا خير من وطيء الثرى، في عصرنا *** ******جيـــش الرذيلـــة والهـــوى جـــــرَّار
في عصرنا احتدم المحيط ولـــم يـــزل *** **متخبِّطـــاً فـــــي مـــوجـــه البـــحَّـــار
جمحتْ عقول الناسِ، طاشَ بها الهوى ****** ومـــن الهـــوى تتســـرَّب الأخـــطـــار
أنت البشيـــر لهـــم، وأنـــت نذيرهـــم * نعـــم البـــشـــارةُ مـــنـــك والإنـــــذار
لكنهـــم بهـــوى النفـــوس تشـــربـــوا *** فأصابهـــم غَبَـــشُ الظنـــونِ وحـــاروا
صبغوا الحضـــارةَ بالرذيلـــةِ فالْتقـــى ** ** بالذئـــبِ فيهـــا الثَّعْـــلـــبُ المَـــكَّـــارُ
ما (دانمركُ) القوم، ما (نرويجهـــم)؟ ******* يُصغـــي الرُّعـــاةُ وتفهـــم الأبـــقـــار
ما بالهـــم سكتـــوا علـــى سفهائهـــم ****** حتـــى تمـــادى الشـــرُّ والأشـــــرار
عجبـــاً لهـــذا الحقـــد يجـــري مثلمـــا **** يجري (صديدٌ) في القلـــوب ،و(قَـــارُ)
يا عصرَ إلحاد العقـــولِ، لقـــد جـــرى *** بـــك فـــي طريـــق الموبقـــاتِ قطـــار
قَرُبَت خُطاك مـــن النهايـــة، فانتبـــهْ **** فلربَّـــمـــا تتـــحـــطَّـــم الأســـــــوار
إنـــي أقـــول ، وللـــدمـــوع حكـــايـــةٌ* عـــن مثلهـــا تتـــحـــدَّث الأمـــطـــار:
إنَّـــــا لنعـــلـــم أنَّ قَـــــدْرَ نبـــيِّـــنـــا ** أسمـــى ، وأنَّ الشانئـــيـــنَ صِـــغَـــارُ
لكـــنـــه ألـــــم المـــحـــب يـــزيـــــده ** شرفـــاً، وفيـــه لمـــن يُحـــب فخـــار
يُشقي غُفـــاةَ القـــومِ مـــوتُ قلوبهـــم ** ويـــذوق طعـــمَ الـــرَّاحَـــةِ الأغْـــيـــار

====================

إمام المرسلين فداك روحي...

ردّا عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقياما ببعض حقّه...

صالح بن علي العمري- الظهران

إمـــامَ المُرسليـــنَ فـــداكَ رُوحـــي وأرواحُ الأئـــمـــــةِ والـــدُّعــــــاةِ
رسولَ العالميـــنَ فـــداكَ عرضـــي وأعـــــراضُ الأحـــبّـــةِ والتُّـــقـــاةِ
ويا علم الهـــدى يفديـــك عمـــري ومالـــي.. يـــا نبـــي المكرمـــاتِ!!
ويـــا تـــاج التُّقـــى تفديـــك نفســـي ونفـــسُ أولـــي الرئاســـةِ والـــولاةِ
فداكَ الكون يـــا عَطِـــرَ السجايـــا فما للنـــاس دونـــك مـــن زكـــاةِ..
فأنـــتَ قداســـةٌ إمَّـــا استُحـــلّـــتْ فذاكَ الموتُ مـــن قبـــل الممـــاتِ!!

ولـــو جحـــد البريّـــةُ منـــك قـــولاً لكُبّوا فـــي الجحيـــم مـــع العُصـــاةِ
وعرضُـــك عرضُنـــا ورؤاكَ فينـــا بمنـــزلـــة الشـــهـــادةِ والـــصـــلاةِ
رُفِعْتَ منازلاً.. وشُرحـــت صـــدرا ودينُـــكَ ظاهـــرٌ رغـــمَ الـــعُـــداةِ
وذكـــرُكَ يـــا رســـولَ اللهِ زادٌ تُضـــاءُ بـــهِ أسَـــاريـــرُ الحَـــيَـــاةِ
وغرسُك مُثمرٌ فـــي كـــلِّ صِقـــع ٍ وهديُـــكَ مُشـــرقٌ فـــي كـــلِّ ذاتِ
ومَا لِجنـــان عَـــدنٍ مـــن طريـــقٍ بغيـــرِ هُـــداكَ يـــا علـــمَ الـــهُـــداةِ
وأعلـــى اللهُ شأنـــكَ فـــي البَرَايـــا وتلـــكَ اليـــومَ أجلـــى الُمعجـــزاتِ
وفي الإسراءِ والمعـــراجِ معنـــى لقـــدركَ فـــي عنـــاقِ المكرمـــاتِ
و لَمْ تنطـــقْ عـــنْ الأهـــواءِ يومـــا وروحُ القدسِ مِنكَ علـــى صِـــلاتِ
بُعثتَ إلـــى المَـــلا بِـــرّاً ونُعمـــى ورُحمى.. يـــا نبـــيَ المَرْحَمَـــاتِ
رَفَعْتَ عـــن البريّـــةِ كـــلَّ إصـــرٍ وأنـــتَ لدائهـــا آســـي الأُســـاةِ
تمنّى الدهـــرُ قبلـــك طيـــفَ نـــورٍ فكـــان ضيـــاكَ أغلـــى الأمنيـــاتِ
يتيـــمٌ أنقـــذَ الدّنـــيـــا.. فقـــيـــرٌ أفـــاضَ علـــى البريّـــةِ بالهِبَـــاتِ
طريـــدٌ أمّـــنَ الدنيـــا.. فـــشـــادت علـــى بُنيانِـــهِ أيـــدي البُـــنَـــاةِ..
رحيـــمٌ باليتيـــمـــة والأُســـارى رفيـــقٌ بالجـــهـــولِ وبالجُـــنَـــاةِ
كريـــمٌ كالســـحـــابِ إذا أهـــلّـــت شجـــاعٌ هـــدَّ أركـــانَ البُـــغَـــاةِ
بليـــغٌ عـــلّـــم الدنـــيـــا بـــوحـــيٍ ولـــم يـــقـــرأ بـــلـــوحٍ أو دواةِ
حكيمٌ.. جـــاءَ باليُسْـــرى.. شَفيـــقٌ فلانـــتْ منـــهُ أفـــئـــدةُ القُـــســـاةِ
فمنكَ شريعتي.. وسكـــونُ نفســـي ومنـــكَ هويتـــي.. وسمـــو ذاتـــي
ولـــي فيـــكَ اهتـــداءٌ.. واقتفـــاءٌ لأخـــلاقِ الـــعُـــلا والمَكْـــرمـــاتِ
وفيك هدايتي.. وشفـــاءُ صـــدري بعلـــمـــكَ أو بحلـــمـــكَ والأنـــــاةِ
ومنك شفاعتي في يـــومِ عَـــرْضٍ ومـــن كفـــيّـــكَ إرواءُ الظُّـــمـــاةِ
ومنك دعـــاءُ إمسائـــي وصحـــوي وإقبالـــي وغمـــضـــي والتفـــاتـــي
رســـولَ اللهِ قـــد أسبلـــتُ دَمْعـــي ونزَّ القلـــبُ مـــن لَجَـــجِ البُغَـــاةِ
فهـــذي أمّـــةُ الإســـلام ضـــجّـــتْ وقـــد تُجبـــى الُمنـــى بالنائبـــاتِ!!
هوانُ السيفِ من هُـــونِ الُمبـــاري ولِيـــنُ الرمـــحِ مـــن لِيـــنِ القنـــاةِ
وقد تَشفى الجسومُ علـــى الرزايـــا ويعلو الدينُ مـــن كيـــدِ الوشـــاةِ!!
وفـــي هـــزِّ اللـــواءِ رؤى اتحـــادٍ ولَمُّ الشملِ من بعـــد الشتـــاتِ !!
وقد تصحو القلـــوبُ إذا استُفـــزّتْ ولَفحُ التَّارِ يوقـــظُ مـــن سُبَـــاتِ!!

ألا بُتِــرتْ روافــدُ كــلِّ فـــضٍّ تمــرّغَ فــي وحــولِ السيــئــاتِ
ألا أبْلِــغْ بَنِــي عِلمــان عــنّــي وقد عُدَّ العميــلُ مــن الجُنَــاةِ !!
أراكــمْ ترقصــونَ علــى أسانــا وتَسْتَحْلــون مَــيْــلَ الغانــيــاتِ!!
وإن مسَّ العــدوَ مَسيــسُ قَــرحٍ رفعتــمْ بيننــا صــوتَ النُّعــاةِ!!
وإنْ عَبستْ لكــم "ليــزا"* خَنَعْتــمْ خُنوعَ المُوفضيــنَ إلــى مَنــاةِ !!
وإن ما هَاجتْ الشُبُهــاتُ خُضْتــمْ بألسنــةٍ شِحــاحٍ فــاجــراتِ !!
"حوارُ الآخــرِ " استشــرى فذبّــواعن المعصــومِ ألسنــةَ الجُفــاةِ !!
وصوت "الآخرِ " استعلــى فــردّوا عن الهــادي سهــامَ الإفتئــاتِ ..
رميتــمْ بالغلــو دُعــاة دينــي...فهل من حُجّــةٍ نحــو الغُــلاة ؟!!
أكُــرّارٌ علــى قومــي كُــمــاةٌ...وفي عينِ المصيبــةِ كالبنــات ؟!!
ومن يرجو بنــي علمــان عونــاً كراجي الروحِ في الجسدِ الرُّفات!!
رسولَ الحُبِّ فــي ذكــراك قُربــىوتحــتَ لــواكَ أطــواقُ النــجــاةِ
عليك صــلاةُ ربِّــكَ مــا تجلّــى ضياءٌ .. واعتلى صــوتُ الهُــداةِ
يحارُ اللفظُ فــي نجــواكَ عجــزا وفــي القلــب اتقــادُ المــوريــاتِ
ولو سُفكــتْ دمانــا مــا قضينــا وفــاءك والحقــوقَ الواجبــاتِ...

====================

تحية ودفاع عن عرضه – صلى الله عليه وسلم–

محمد بن عائض القرني

ما بالُ مكةَ قد ضجت نواحيهــا؟ ودمع طيــبةَ يجــري من مآقيها؟
ما للجزيرةِ قد مــادت بساكنهــا؟ فاهــتز شامخُــها وارتج واديهــا!
ما للعــروبةِ والإســلامِ روَّعَهــا خَطبٌ أ لَمَّ وظُــلمٌ من أعــاديهــا؟
أيسخرون من الهادي الذي شرفت بــه البــريةُ قاصيــها ودانيــها؟!
أيسخرون من الأنوارِ قد كشــفت مجاهلَ الظلم فــانزاحت غواشيــها
أيسخرون من المجدِ الذي خضعت له الجــبابــرُ حتى ذل طــاغيــها
أيهــزؤون بــه؟ شُــلت أكفُّــهُمُ ودمــر الله ما تجــني، وجانيــها
أعــداءُ كــلِّ نبي جــاء يُنقــذُهم من الضــلالةِ لما أُركســوا فيــها
محمدٌ خــيرُ من ســارت به قــدم وأكــرمُ الناس ماضيهــا وباقيــها
أوْفَى الخليــقةِ إيمــانــاً وأكملُــها ديــناً، وأرجحُــها في وزن باريها

من مثلُه في الورى براً ومرحمةً؟ ومن يشـــابهُه لطــفاً وتوجيـــها؟
جـــاءت رســـالتُه للناس خـــاتمـــةً وجـــاء بالنعـــمة المســـداةِ يهديها
أحـــيا الحـــنيفـــيةَ الغـــراءَ متبـــعاً نهـــجَ الخليلِ و لم يخطـــئْ مراميها
وســـار في كـــنفِ الرحمنِ يكلـــؤه إلى الحســـانِ من الأخـــلاقِ يبنيها
هو البشـــيرُ لمن أصغى لدعـــوتِـــه هو النـــذير لمغـــرور يعـــاديـــها
كســـرى تَكَسَّـــرَ إذعـــاناً لهيـــبته، قصورُ قيصرَ هُـــدت من أعاليـــها!
وأقبـــلت أمـــمٌ شتـــى مبـــايعـــةً تُمد للعـــدلِ والإحســـانِ أيديـــهـــا
نـــالت بدعـــوتـــه نُعمى ومكـــرُمةً وأســـعد الله بعـــد البـــؤسِ ناديـــها
في الهندِ والصينِ والقوقـــازِ طائفةٌ تذود عن عرض خير الناس تتريها
وفي (أُورُبَّـــةَ) أقـــوامٌ قلـــوبُهُـــمُ بدين أحـــمدَ قـــد نـــالت أمـــانيـــها
الصامدون بوجهِ الكُـــفرِ ما ضَعُفُوا يجـــابهـــون المـــنايـــا في تحديهـــا
يفـــدون عرضَ رسولِ الله ما بخلوا وبالنفـــوس إذا نـــادى منـــاديـــها!
حتى إذا نشر الأنـــذالُ حقـــدَهُـــمُ وبارزوا اللهَ من عـــدوانهـــم تيـــها
تـــؤزُّهـــم زُمَـــرٌ ضاقت نفوسُـــهم لهم عـــيونٌ شُـــعاعُ الحق يُعشـــيها
بنو اليهـــودِ ومن ســـاءت سريرتُه فأبـــدل الصـــدقَ تزويراً وتمويـــها
أيسخـــرون من المعصـــومِ ويلهُم؟ ويطلـــبون لـــه ذمـــاً وتشـــويها؟
من جـــاء بالملةِ البيضـــاءِ صـــافيةً نقـــيةً؛ وبنـــور الـــوحي يحييـــها
أقـــام بالعـــدلِ مجـــداً لا زوال لـــه وأمَّـــــةً كـــنفُ الرحمنِ يحميـــها
من بئرِ زمزمَ سُقـــياها ومطعمُـــها من تمر طيبةَ قد طـــابت مغانيـــها
أرواحُهـــا بظـــلالِ البـــيتِ هائمـــةٌ من دونه تُرخِصُ الدنـــيا وما فيها!
فـــداءُ عرضِ رســـولِ الله أنفسُـــنا وكـــلُّ نفـــس وما تحـــويه أيديـــها
وصلِّ يا ربِّ ما هبَّ النسيمُ على معـــلمِ الأمـــمِ الحَـــيرَى وهاديـــها
تحـــيةً لـــرســـــولِ الله أبعثُـــهـــا ويـــومَ هجـــرتِه الغـــراءِ أهديهـــا

=================

جلَّ من ربَّاك

محمد بن عبد الرحمن المقرن

ربَّاكَ ربُّكَ.. جلَّ من ربَّاكا *** ورعاكَ في كنفِ الهدى وحماكا
سبحانه أعطاك فيضَ فضائلٍ *** لم يُعْطها في العالمين سواكا
سوّاك في خلقٍ عظيمٍ وارتقى *** فيك الجمالُ.. فجلّ من سوَّاكا

سبحانه أعطاك خيرَ رسالةٍ *** للعالمين بها نشرْتَ هُداكا

وحباكَ في يوم الحساب شفاعةً *** محمودةً.. ما نالها إلاّكا

اللهُ أرسلكم إلينا رحمةً *** ما ضلَّ من تَبعتْ خطاه خُطاكا

كنّا حيارى في الظلامِ فأشْرقتْ *** شمسُ الهدايةِ يومَ لاحَ سناكا

كنّا وربي غارقين بغيِّنا *** حتى ربطنا حَبْلَنا بعُراكا

لولاك كنا ساجدين لصخرةٍ *** أو كوكبٍ.. لا نعرفُ الإشراكا

لولاك لم نعبدْ إلــهًا واحدًا *** حتى هدانا اللهُ يومَ هداكا

أنتَ الذي حنَّ الجمادُ لعطفهِ *** وشكا لك الحيوانُ يومَ رآكا

والجذعُ يُسمعُ بالحنين أنينُه *** وبكاؤُه شوقًا إلى لُقياكا

ماذا يزيدُك مدحُنا وثناؤُنا *** واللهُ في القرآنِ قد زكّاكا؟!

ماذا يفيدُ الذّبُّ عنك وربُّنا *** سبحانه بعيونه يرعاكا؟!

"بدرٌ" تحدثنا عن الكفِّ التي *** دمتِ الطغاةُ فبوركت كفّاكا؟!

و"الغارُ" يخبرُنا عن العين التي *** حفظتك يوم غفت به عيناكا

لم أكتبِ الأشعارَ فيك مهابةً *** تغضي حروفي رأسَها لحلاكا

لكنها نارٌ على أعدائكم *** عادى إلهَ العرشِ مَن عاداكا

إني لأرخصُ دون عرضِك مهجتي *** روحٌ تروحُ ولا يُمسُّ حماكا

شُلّتْ يمينٌ صوَّرتك وجُمِّدتْ *** وسطَ العروقِ دماءُ من آذاكا

ويلٌ فويلٌ ثم ويلٌ للذي *** قد خاضَ في العِرضِ الشريفِ ولاكا

يا إخوةَ الأبقارِ هن سباتكم *** "مَن في القطيع سيصبح الأفّاكا؟!"

النارُ يا أهلَ السباقِ مصيرُكم *** وهناك جائزةُ السباقِ هناكا!!

تتدافعون لقعرها زمرًا ولن *** تجدوا هناك عن الجحيمِ فكاكا

هبوا بني الإسلام نكسر أنفهم *** ونكون وسطَ حلوقِهم أشواكا

لك يا رسولَ اللهِ نبضُ قصائدي *** لو كانَ قلبٌ للقصيد فداكا

هم لن يطولوا من مقامك شعرةً *** حتى تطولَ الذّرةُ الأفلاكا!!

والله لن يصلوا إليك ولا إلى *** ذراتِ رملٍ من ترابِ خُطاكا

هم كالخشاش على الثرى ومقامُكم *** مثلُ السماكِ.. فمن يطولُ سماكا؟!!

روحي وأبنائي وأهلي كلهم *** وجميع ما حوت الحياةُ فداكَ

==============

حاشى لوجهك أن يأتي به القلم

أقولُ فيكَ ودَمــعُ العَيــنِ يَنسَجِــمُ *حاشَا لِوَجهكَ ، لا يَأتــي بــه القَلَــم
حاشا لِوَجهٍ كَشَمــسِ الأرضِ طالِعَــةً *أن تَستَقيــمَ بإشراقــاتِــهِ الــرُّسُــمُ
حَاشا لِشَخصِيــكَ أن تَغتابَــه صُــوَرٌ*حَاشــا لِذِكــركَ أن تَنتابَــه التُّهَــمُ
كيف استَطابَ يَــراعٌ رَســمَ هَيئَتِــهيا* ذلكَ الحَــدَثُ المَشنــوءُ والجُــرُمُ
لو كانَ يَعلَمُ مــن قــد راحَ يَرسُمُــهُ* لَقامَ فــي خَجَــلٍ يَــذوي ويَنقَسِــمُ
و قامَ عن كلِّ خَــطٍّ منــه مُعتَــذِراً * والحُزنُ يَعصُرُهُ و السُّخــطُ والنَّــدَمُ
يُنَزَّهُ الجِسمُ عن وصفٍ وعــن صُــوَرٍ*تُنَــزَّهُ الــرأسُ و الاردانُ والــقَــدَمُ
لو كانَ يَعرِفُكَ الكُتّــابُ لارتَكَسُــوا *و قــامَ مُعتَــذِراً عنهــم يَراعُــهُــمُ
لو يُنصِفونَــكَ قالــوا أنــتَ سَيِّدَنــا*أو يَفهَمونــكَ عَــزَّ الدِّيــنَ عِندَهُــمُ
قد صَنَّفوكَ عَظيــمَ الأرضِ واحِدَهــا*لكنَّهم جَهِلوا من بعــدِ مــا عَلِمــوا
يا وَيلَ ما كَسَبَــت أقلامُهُــم هُــزُواً*يا ويلَ ما اكتَسَبَت أيمَانُهــا العَجَــمُ
كَيف استَساغُوا بِأن يَحووهُ فــي وَرَقٍ *يا قُبحَ ما فَعَلوا يا وَيلَ مــا رَسَمــوا
كُلُّ الشَّمائِلِ قامَت تَحــتَ صُورَتِــهِ *العَــزمُ والفَخــرُ والإقــدَامُ والهِمَــمُ
ما أظلَمَ الغَربَ في إفكٍ يَخــوضُ بــهِ *أيُّ البُغاةِ هُــمُ .... أيُّ الجُنــاةِ هُــمُ
يا ويحَكُــم أبِخَيــرِ الخَلــقِ لَمزُكُــمُ* أما وَجَدتُّم سوى المَعصــومِ وَيلَكُــمُ
تَخَبَّطَ الغَربُ من مَــسِّ الجُنــونِ بــهِ *و أوهَنَ الغَربَ فــي تَخريفِــهِ الهَــرَمُ
يا سَيِّدَ الناسِ قــد غَالَــت غوائِلُهُــم *فَصَــوَّروكَ بما لا تَقبــلُ الشِّــيَــمُ
لكنّ مثلَــكَ مــا ضَــرُّوا بإظفَــرِهِ* مهما رَمَتــكَ بــهِ الغربــانُ والبُــوَمُ
ما ضَرَّهُ البَــدرُ ســارٍ فــي مَهَابَتِــهِ *إن عارَضَتــهُ بإطــلالاتِــهِ الــدِّيَــمُ
فالنّورُ أنتَ و أنت النُّــورُ مَصــدَرُهُزالَ الظَّلامُ بــهِ و الظُّلــمُ و الظُّلَــمُ
لولاكَ يــا حِليَــةَ الدُّنيــا و زينتَهــا*ما تَأمَنُ الذِّئبَ فــي تَسريحِهــا الغَنَــمُ
لولاكَ لــم تَعــرِف الدُّنيــا مَكارِمَهــا *ماالجُودُ ماالنُّبلُ ماالإحسانُ ماالكَــرَمُ
لولاكَ يا مــن بــهِ المَولــى تَدَارَكَنــا*لَكانَ يُعبَــدُ نَجــمُ اللّيــلِ والصّنَــمُ
فَدِينُكَ اليَومَ ســارٍ فــي حَواضِرِنــا*تعاقَبــا نَشــرَهُ الإصبــاحُ والغَسَــمُ
و كُلِّ أرضٍ بها مــن نُــورِهِ قَبَــسٌ *وَحيٌ بِهِ تُحفَظُ الأعــراضُ و الحُــرَمُ
لَولاهُ ظَلَّــت بــلادُ الغَــربِ غَابِــرةً *عَصرُ العَبيدِ بها و الأعصُــرُ الدُّهُــمُ
إذا ادلَهَمَّت علــى الأعــلامِ مُعضِلَــةٌ* فإنَّ رأيَكَ فيهــا الفَصــلُ و الحَكَــمُ
ما الناسُ لــولا رَســولُ اللهِ بينَهُــمُ *ما الأرضُ لولاهُ ما الإنسانُ ما الأمَــمُ

ضَجَّت له الأرضُ والأخـــلاقُ ثائِـــرَةً* العُرفُ و النُّبلُ و الأعـــراقُ و القِيَـــمُ
تَفديـــهِ أفئِـــدَةٌ تَفـــنـــى لِنُصـــرَتِـــهِ *لا تَشتَفـــي أبَـــداً حَتـــى يُـــراقَ دَمُ
تَبتَزُّهـــا غَـــدَراتُ الـــرّومِ سَيِّدَهـــا *كالمَشرَفِيَّـــةِ إذ تَبتَـــزّهـــا اللّـــجُـــمُ
تَحِـــنُّ للبَشَـــرِ المَبـــعـــوثِ أمَّـــتُـــهُ *كَمـــا تَحِـــنُّ إلـــى أُمَّاتِهـــا الفُطُـــمُ
هذي المَسيراتُ في الدُّنيـــا تُذَكِّرُهُـــم* بِأنَّـــهُ حَـــرَمٌ ، وذِكـــــرُهُ حَـــــرَمُ
يا ابنَ الخِيارِ خِيارِ العُربِ مـــن مُضَـــرٍ* ساداتِ يَعـــرُبَ كـــلٌ سَيِّـــدٌ عَلَـــمُ
لّمّا أتيتَ وَقد غَنّـــى الرَّبيـــعُ رِضـــىً* و استَبشَرَ النَّخلُ والـــزُّراعُ والأكَـــمُ
صاحَت وُحوشُ البَراري وانتَشَت فَرَحاً *النَسرُ والصَّقـــرُ والعُقبـــانُ والرَّخَـــمُ
الوَحيُ هَـــلَّ و هَـــلَّ الخَيـــرُ يَعقُبُـــهُ *النُّـــورُ والهَـــديُ والنَّعمـــاءُ والنِّعَـــمُ
عَزَّت قُريشُ بِهذا الأمـــرِ وافتَخَـــرَت *فَخرَ المُلـــوكِ فـــلا كِنـــدَا ولا لَخَـــمُ
البَحرُ و البَـــرُّ فـــي طَـــه سَعادَتُهُـــم *الجِنُّ و الإنسُ و الأحيَـــاءُ و الرِّمَـــمُ
إنّ الحَضـــارَةَ بالعَدنـــانِ مَبـــدؤُهـــا* فَهـــوَ المُؤسِّـــسُ لا عـــــادٌ ولا إرَمُ
و كلّ خَيرٍ مـــن الإصـــلاحِ أصَّلَـــهُ *في كُلِّ أمـــرٍ فـــلا قَيـــسٌ ولا هَـــرِمُ
يا سَيِّدَ النـــاسِ إنـــي اليـــومَ أعلِنُهـــا* حَرباً على الشِّركِ فيها الشِّعرُ يَنتَقِـــم
ما قيلَ فيكَ مـــن المُـــدَّاحِ مُقتَضَـــبٌ *ما كان فيكَ يَفيهِ القَـــولُ و الكَلِـــمُ
في مثلِ طَه و هَل مـــن مِثلِـــهِ أحَـــدٌ *يَحلو النَّشيدُ و يَحلو الشِّعرُ والنَّغَـــمُ
فكلّ نَظـــمٍ بِـــهِ مُستَعـــذَبٌ حَسَـــنٌ * فالمَدحُ فيهِ كمـــا الياقـــوتُ يَنتَظِـــمُ
فقـــد أفـــاضَ أميـــرُ الشِّعـــرِ بُردَتَـــهُ *تَشيبُ منها نواصِي الشَّعـــرِ واللِّمَـــمُ
و ثَجَّ من مُعصِـــراتِ الجَـــوَى وَدَقـــاً* كأنّـــهُ دِيـــمَـــةٌ مِـــــدرارَةٌ تَـــثِـــمُ
نَفيسَـــةٌ سَكَنـــت أصـــدَافَ لُؤلُـــؤةٍ *إن النّفائِـــسَ فـــي أصدَافِهـــا التُّـــوَمُ
في بَطنِها لُجَـــجٌ مِـــن تَحتِهـــا لُجَـــجٌ *في سَطحِها قِمَمٌ مِـــن فَوقِهـــا قِمَـــمُ
فمـــا ذَكَرتُـــكَ يـــا طَـــهَ بقافِـــيَـــةٍ *إلا و قَلبـــيَ و العَينـــانُ تَختَـــصِـــمُ
فمـــا يُفَـــرِّقُ غَيـــرَ الدَّمـــعِ بينَهُمـــا *يَجري سَخيناً عَلى الخَدَّيـــنِ يَزدَحِـــمُ
و النَّفـــسُ بينَهُمـــا مَقهـــورَةٌ كَمَـــداً* ما بيـــنَ مُعتَـــرَكِ الأعضـــاءِ تَلتَطِـــمُ
يا سَيِّدَ النّاسِ قَسْـــراً عـــن أنُوفِهِـــمُ *إن أخرَجَت أشَـــراً سَاداتِهـــا الأمَـــمُ
إنـــي أهَابُـــكَ فـــي قَولـــي و قافِيَتـــي* فالشِّعرُ فيكَ مَنيعُ الجَنـــبِ مُعتَصِـــمُ
أقسَمتُ باللّـــهِ لا أنفَـــكُّ مُمتَدِحـــاً* لا يشفَعُ الفِعلُ إن لم يَشفَـــعِ القَسَـــمُ
حُبّاً إليـــكَ رَســـولَ اللّـــهِ قَافِيَتـــي* والحُبُّ يُنجي وَبَعضُ الحُبِّ ما يَصِـــمُ
جَاهَدتُ كِتمانَها فـــي مُهجَتـــي زَمَنـــاً *حَتّى تأبَّـــت فليـــسَ اليـــومَ تَنكَتِـــمُ

وَ يَسأَمُ القَلبُ مِــن أمــرٍ يُسِــرُّ بِــهِ *يا وَيحَ مُضغَةِ صَدري طَبعُهــا السَّــأمُ
كــلُّ الجِبــالِ و إن كانــت مُغَلَّظَــةً *ما كانَ فيها بغَيــرِ الحُــبِّ يَنصَــرِمُ
لَهُ صُنُــوفٌ بِأَسبَــارِ الجَــوَى عَــدَدٌ *مِنها الشُّخوصُ و مِنهَا البَانُ والعَلَــمُ
أقــلُّ تَقدِمَتــي شِعــراً نَقَمــتُ بِــهِ *و الشِّعرُ يُسعِفُ إن لم تُسعِفِ النِّقَــمُ
لا بَارَكَ اللهُ فــي شِعــرِ تَلــوكُ بِــهِ *و لم يَكُــن بصِــراطِ الحَــقِّ يَلتَــزِمُ
القَــولِ بالهَــدي أو لا قُلتَــهُ أبَــداً *فكلُّ ما قيلَ في غَيــرِ الهُــدى لَمَــمُ
كُلُّ الرِّجالاتِ من عُربٍ ومن عَجَــمٍ *بِبَــابِ أحمَــدَ حُجَّــابٌ لَــهُ خَــدَمُ
يا أمّةَ الغَربِ صَرحُ الشِّــركِ مُهتَــرِئٌ * و كُل صَرحٍ بغَيــرِ الدِّيــنِ مُنهَــدِمُ
أمــا قَرأتُــم مــن التَّــوراةِ هَيئَتَــهُ* ألــم يُبَشِّــر بِــهِ الإنجيــلُ عِندَكُــمُ
أمــا عَلِمتــم بــــأنّ الله نــاصِــرُهُ* يَكفيهِ هُزوَ شِــرارِ النّــاسِ مثلَكُــمُ
لَم تَسمَعوهُ وَقَــد شُــقَّ الهِــلالُ لَــهُ *و كَيفَ يَسمَعُ من في سَمعِــهِ صَمَــمُ
إنّ انتِفاشَ حَضاراتِ العِــدا عَــرَضٌ *و الدّاءُ يَظهَرُ مــن أعراضِــهِ الــوَرَمُ
فاربأ بِبَطنِــكَ أن يَقتــاتَ حاجَتَهُــم *أقــلُّ حَربهُــمُ فــي بَيتِــكَ اللُّقَــمُ
فَكَيفَ يُفلِــحُ قــومٌ سُــبَّ سَيِّدُهُــم *وَ لَم يَثورُوا علــى هــذا وَ يَنتَقِمــوا
فالزَم تُــراثَ رَســولِ اللّــهِ سُنَّتَــهُ *فالدِّيــنُ مُعتَصَــمٌ و الحَــقُّ مُلتَــزَمُ
كُــلُّ المَبــادِئِ والأَعــرافِ سَائِبَــةٌ *من غَيــرِ أحمَــدَ لا عَهــدٌ ولا ذِمَــمُ
إن قَامَ قــامَ أريــجُ المِســكِ يَلحَقُــهُ* نَوَاشِرُ الطِّيبِ مــن جَنبَيــهِ تُنتَسَــمُ
أو قــالَ أجمَــعَ بالإحكــامِ مَنطِقَــهُ *فَصلُ الخِطابِ وفَصلُ القَولِ والحِكَــمُ
بِــه بَيــانٌ حَــلالُ السِّحــرِ فِتنَتُــهُ* يُستَنطَقُ الصَّخرُ من مَبنــاهُ و البُكُــمُ
تَفَجَّــرَ المــاءُ مــن إبهَــامِ إصبَعِــهِ *كَأنَّــهُ نَهَــرٌ أو هَــاطِــلٌ عَــــرِمُ
أهلُ السَّماءِ وأهــلُ الأرضِ تَذكُــرُهُ *و الجِذعُ حَنَّ لَــهُ و الحِــلُّ و الحَــرَمُ
مــا قــامَ قاصِــدُهُ فيمــا يُؤمِّــلُــهُ* إلا و تَسبقُــهُ فــي سُــؤلِــهِ نَــعَــمُ
وَ مَا تَحَدَّثَ نَحــوَ النَّــاسِ مُبتَــدِراً *إلا وَ يَظهَرُ نُــورُ اللَّــوحِ و القَلَــمُ
يَهديكَ لِلحَقِّ من غيــرِ الدُّعــاءِ لَــهُ *بَبَسمَةِ الوَجهِ حَــولَ الثَّغــرِ تَرتَســمُ
قد أسلَمَ ابنَ جَريــرِ طُــولُ نَظرَتِــهِ* يُقَلِّبُ الطَّــرفَ فــي خَدَّيــهِ يَبتَســمُ
سَالَ الغَمامُ بِهِ من بَعدِ مــا قَحَطَــت *سَعدُ بنُ بَكرٍ و دَرَّ الشَّــاءُ و النَّعَــمُ
عَــمَّ الرَّضيــعُ بَنــي سَعــدٍ بِطَلَّتِــهِ* و أقحَطَت مُضَــرٌ وأقفَــرَت جُشَــمُ
قد أثخَنوهُ جراحَ الحَربِ فــي أحُــدٍ *و هيَ الّتــي برَســولِ اللّــهِ تَلتَئِــمُ
يَشفي السَّقيمَ إذا ما جــاءَ مُشتَكِيــاً* بريقِــهِ فيَــزولُ السُّــمُّ و السَّــقَــمُ

كَساهُ سَمــتٌ وَقــاراً لا غُلُــوَّ بِــهِ *عَلاهُ حُســنٌ بسيمــا الخَيــرِ يتَّســمُ
لَمّا رأَتــهُ قُرَيــشٌ صَــاحَ صَائِحُهــا* وَتوشِكُ الحَربُ تَضري ثــم تَضطَّــرِمُ
هــذا الأميــنُ أميــنُ القَــومِ نَقبَلُــهُ *هذا الصَّدوقُ و هذا الرُّكــنُ يَستَلِــمُ
بَنى بِــهِ الحَجَــرَ المُســوَدّ مَوضِعَــهُ *بَنى بِــهِ قَبلَــهُ مــن بَينَهــم رَحِــمُ
فــلا تَحُــدُّ دروسُ العِلــمِ سيرَتَــهُ *و لا يُحيــطُ بِــهِ شَــرحٌ و لا كَلِــمُ
و كلّ ما ذَكَــرَ التّاريــخُ مُختَصَــرٌ *ما خَطَّــهُ قَلَــمٌ أو قــالَ عنــهُ فَــمُ
فــي عُقــرِ دارهِــمُ نَرنــو لِمَلحَمَــةٍ *لو كانَ يَقصُدُ شَيخُ الحَــربِ دارَهُــمُ
حتّــى نُعيــدَ إلــى سِبتِمبَــرِ حِقَبــاً* كانت رَحَاهَا لَهيبُ النَّــارِ و الحِمَــمُ
فاغزُ رَعــاكَ إلــهَ الكَــونِ أرضَهُــمُ *و ابدأ هَــداكَ إلــى رَدِّ العِــدا بِهِــمُ
ما بَالُ صَيــدِكَ قــد زادَت طَرائَــدُهُ *يا ذلكَ اللّيثُ هل ضَاقَت بِك الأجَــمُ
لِيَفهــمَ الغَــربُ أنَّ الحَــقَّ مُعتَصِــمٌ* و يَفهَمَ الموتَ إن لــم يَفهَــمِ الفَهِــمُ
فَللسِّــلاحِ إلــى أجسادِهِــم وَلَــعٌ *و لِلسُّــوفَ إلــى أعناقِهِــم قَــــرَمُ
وَاهاً علــى زَمَــنٍ صُنَّــاهُ مُحتَرَمــاً* فيــهِ الكَنائِــسُ و الأديــانُ تُحتَــرَمُ
دَكَّت خُيولُ بَنــي مَــروانَ مَغرِبَهُــم* و استَنهَضَتهُم إلــى عَليائِهــا الهِمَــمُ
الغَافِقِــيُّ علــى أبوَابِهِــم وَثِــــبٌ *و البَربَريُّ الَّذي سارَت بِــهِ التُّخُــمُ
لَنا مَعــادٌ بِــلادَ الغَــربِ فَارتَقِبــوا *لَم يُلهِنــا عَنكُــمُ بُعــدٌ وَ لا قِــدَمُ
ما قَصَّرَت عَنهُ خَيلُ المُسلِمينَ مَضَــتَدعُ *وإلَيــهِ هُنــاكَ الأينُــقُ الرُّسُــمُ
سَــارَت قَوافِلُهَــا بالدِّيــنِ تَنشُــرُهُ *ما أعجزَ السَّيفَ لَم يَعجــز لَــهُ الأدَمُ
إنا رَضَعنــا قَتــامَ الحَــربِ أغلِمَــةً *و البَعضُ يَبلُغُهُ فــي ساحِهــا الحُلُــمُ
يَشِبُّ ناشِئُنــا حتــى يَشيــبَ بهــا* و المــوتُ يَفطِمَنــا عنهــا فننفَطِــمُ
القابِضــونَ علــى جَمــرٍ عَقيدَتَهُــم *مُستَمسكون برُكــنٍ لَيــسَ يَنفَصِــمُ
لا يُنصَرُ الحَقُّ إن لــم يَحتَــرِب زَمَنــاً* فالحَربُ تَفعَلُ مــا لا يَفعــلُ السَّلَــمُ
أزكَى صَــلاةً رَســولَ اللّــهِ يَبعَثُهــا* قَولي وَقَلبي بِهــا مُستَعــذِبٌ شَبِــمُ
مولايَ صــلِّ وَسَلِّــم دائمــاً أبَــدَاً *على صَفِيِّــكَ خَيــرِ الخَلــقِ كُلِّهِــمُ
مولايَ صَلِّ وبارِك مــا أرَدتَّ علــى * مُحَمَّدٍ من بِهِ الأخيــارُ قــدخُتِمــوا

===========

نفحات الهجرة

صالح بن علي العمري

شعّ الهدى، و البشرُ في بسماتهِ *** و اليُمن و الإيمان في قسماتهِ
و تفجرت فينا ينابيع الهدى *** و استيقظ التأريخ من غفواتهِ
" إقرأ و ربُّك" في حراء تحررت *** و الدهر غافٍ في عميق سباتهِ
جبريل حاملها و أحمد روحها *** إن الحديث موثّقُ برواتهِ
مُهج الملائك بالتلاوة تنتشي *** فتُقَبّل الكلماتِ فوق شفاتهِ
صلى عليك الله يا من ذكره *** قربى . . ونورُ الله من مشكاتهِ
يا من كساه الله حلّة سمته *** و كساهُ بالقرآن حُلّة ذاتهِ
لّما أضاء الله مهجة قلبه *** هانت عليه الروحُ في مرضاتهِ
غسل الكرى عن أعين الدنيا كما *** يُجلى الدُّجى بالفجر في فلقاتهِ
و أنار بالآيات كلّ بصيرةٍ *** فكأن نور الشمس من قسماتهِ
و اقتاد للجنّات أسمى موكبٍ *** "إياك نعبدُ " تمتماتُ حداتهِ
إقرأ معاني الوحي في كلماته *** في نسكهِ و حياتهِ و مماته
لو نُظّمت كلّ النجوم مدائحا *** كانت قلائدهن بعض صفاته
يا من بنى للكون أكرم أمّةٍ *** من علمه . . من حلمه و أناته
صاروا ملوكا للأنام بعيد أن *** كانوا رعاءَ الشاءِ في فلواته
فسل العدالة و الفضيلة و الندى *** وسل المعنّى عن مُلمٍّ شتاته
و سل المكارم و المحارم والحيا *** من غضّ عن درب الخنا نظراته؟!
من حطّم الأصنام في تكبيره *** من عانق التوحيد في سجداتهِ
من أطلق الإنسان من أغلاله *** من أخرج الموءود من دركاته؟!
من علّم الحيران درب نجاتهِ *** من أورد العطشان عذب فراتهِ؟!
من هدّ بنيان الجهالة و العمى *** وبنى الأمان على رميم رفاتهِ؟!
فإذا بأخلاق العقيدة تعتلي *** زور التراب و جنسه و لغاتهِ
وإذا لقاء الله يأسر في رضا *** وتشوّقٍ من كان عبد حصاته
ورأى جنان الخلد حقّا فازدرى *** دنياه . . و استعلى على لذّاتهِ
أرأيت إقدام الشهيد و قد سعى *** للحتف معتذراً إلى تمراته !!
حملوا الهدى للكون في جفن الفدا *** فتحرر الوجدان من شهواتهِ
خيّالة المجد المؤثل و العلا *** فكأنما ولدوا على صهواتهِ
سمّارة المحراب في ليل ، وإن *** نادى الجهاد فهم عُتاة كماته
في الهجرة الغراء ذكرى معهدٍ *** نستلهمُ الأمجاد من خطراته

تاريخ أمتنا . . و منبع عزّنا *** و دروبنا تزهو بإشراقاته
فيه الحضارة والبشارة والتقى *** ومُقِيل هذا الكون من عثراته
فتألقي يا نفس في نفحاته *** واستشرفي الغايات من غاياته..

==================

شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني

تعجب الخلق من دمعي ومن ألمي * وما دروا أن حبي صغته بدمي
استغفر الله ما ليلي بفاتنتي * ولا سعاد ولا الجيران في أضمِ
لكن قلبي بنار الشوق مضطرم * أف لقلب جمود غير مضطرم
منحت حبي خير الناس قاطبة * برغم من أنفه لا زال في الرغم
يكفيك عن كل مدحٍ مدحُ خالقه * وأقرأ بربك مبدأ سورة القلم
شهم تشيد به الدنيا برمتها * على المنائر من عرب ومن عجم
أحيابك الله أرواحاقداندثرت*في تربة الوهم بين الكأس والصنم
نفضت عنها غبار الذل فاتقدت * وأبدعت وروت ما قلت للأمم
ربيت جيلا أبيا مؤمنا يقظا * حسو شريعتك الغراء في نهم
محابر وسجلات وأندية * وأحرف وقواف كن في صمم
فمن أبو بكر قبل الوحي من عمر * ومن على ومن عثمان ذو الرحم
من خالد من صلاح الدين قبلك * من مالك ومن النعمان في القمم
من البخاري ومن أهل الصحاح * ومن سفيان والشافعي الشهم ذو الحكم
من ابن حنبل فينا وابن تيمية *** بل الملايين أهل الفضل والشمم
من نهرك العذب يا خير الورى اغترفوا*** أنت الإمام لأهل الفضل كلهم
ينام كسرى على الديباج ممتلئ *** كبرا وطوق بالقينات والخدم
لا هم يحمله لا دين يحكمه *** على كؤوس الخنا في ليل منسجم
أما العروبة أشلاء ممزقة *** من التسلط والأهواء والغشم
فجئت يا منقذ الإنسان من *** خطر كالبدر لما يجلي حالك الظلم
أقبلت بالحق يجتث الضلال *** فلا يلقى عدوك إلا علقم الندم
أنت الشجاع إذا الأبطال ذاهلة *** والهندواني في الأعناق واللمم
فكنت أثبتهم قلبا وأوضحهم *** دربا وأبعدهم عن ريبة التهم

بيت من الطين بالقرآن تعمره *** تبا لقصر منيف بات في نغم
طعامك التمر والخبز الشعير *** وما عيناك تعدو إلى اللذات والنعم
تبيت والجوع يلقى فيك بغيته *** إن بات غيرك عبد الشحم والتخم
لما أتتك "قم الليل" استجبت لها *** العين تغفو وأما القلب لم ينم
تمسى تناجي الذي أولاك نعمته *** حتى تغلغلت الأورام في القدم
أزيز صدرك في جوف الظلام سرى *** ودمع عينيك مثل الهاطل العمم
الليل تسهره بالوحي تعمره *** وشيبتك بهود آية "استقم"
تسير وفق مراد الله في ثقة *** ترعاك عين إله حافظ حكم
فوضت أمرك للديان مصطبرا *** بصدق نفس وعزم غير منثلم
ولّى أبوك عن الدنيا و لم تره *** وأنت مرتهن لا زلت في الرحم
وماتت الأم لمّا أن أنست بها *** و لم تكن حين ولت بالغ الحلم
ومات جدك من بعد الولوع به *** فكنت من بعدهم في ذروة اليتم
فجاء عمك حصنا تستكن به *** فاختاره الموت والأعداء في الأجم
ترمي وتؤذى بأصناف العذاب *** فما رئيت في كوب جبار ومنتقم
حتى على كتفيك الطاهرين رموا *** سلا الجزور بكف المشرك القزم
أما خديجة من أعطتك بهجتها *** وألبستك ثياب العطف والكرم
عدت إلى جنة الباري ورحمته *** فأسلمتك لجرح غير ملتئم
والقلب أفعم من حب لعائشة *** ما أعظم الخطب فالعرض الشريف رمي
وشج وجهك ثم الجيش في أحد *** يعود ما بين مقتول ومنهزم
لما رزقت بإبراهيم وامتلأت به *** حياتك بات الأمر كالعدم
ورغم تلك الرزايا والخطوب وما *** رأيت من لوعة كبرى ومن ألم
ما كنت تحمل إلا قلب محتسب *** في عزم متقد في وجه مبتسم
بنيت بالصبر مجدا لا يماثله *** مجد وغيرك عن نهج الرشاد عمى
يا أمة غفلت عن نهجه ومضت *** تهيم من غير لا هدى ولا علم
تعيش في ظلمات التيه دمرها *** ضعف الأخوة والإيمان والهمم
يوم مشرقة يوم مغربة *** تسعى النيل دواء من ذوي سقم
لن تهتدي أمة في غير منهجه *** مهما ارتضت من بديع الرأي والنظم
ملح أجاج سراب خادع خور *** ليست كمثل فرات سائغ طعم
إن اقفرت بلدة من نور سنته *** فطائر السعد لم يهوى و لم يحم

غني فؤادي وذابت أحرفي *** خجلا ممن تألق في تبجيله كلمي

يا ليتني كنت فرد من صاحبته *** أو خادم عنده من أصغر الخدم

تجود بالدمع عيني حين أذكره *** أما الفؤاد فللحوض العظيم ظمي

يا رب لا تحرمني من شفاعته *** في موقف مفزع بالهول متسم

ما أعذب الشعر في أجواء سيرته *** أكرم بمبتدأ منه ومختتم

أبدعت ميمية بالحب شاهدة *** أشدوا بها من جوار البيت والحرم

بقدر عمرك ما زادت وما نقصت *** والفضل فيها لرب الجود والكرم

تغنيك رائعتي عن كل رائعة *** مما سيأتي ومما قيل في القدم

لأنها من سليل البيت أنشدها *** لجده في بديع الصوت والنغم

إن كان غيري له من حبكم نسب *** فلي أنا نسب الإيمان والرحم

إن حل في القلب أعلى منك منزلة *** في الحب حاشا إلهي بارئ النسم

فمزق الله شرياني وأوردتي *** ولا مشت بي إلي ما أشتهي قدم

===================

لك في مهمة التجلي البهاء

أبو الهدى الصيادي أندلسي

١. لك في مهمة التجلي البهاء يانبيا نوابه الأنبياء

٢. أنت روح القلوب طيا ونشرا بك لاذ الأموات والأحياء

٣. لمعت شمسك المنيرة في الكون فضاءت بنورها الظلماء

٤. وتدلت آيات هديك للناس فسارت بهديها الأتقياء

٥. كان قبل البروز كوكبك اللماع يجلى وكل باد خفاء

٦. أشرقت منه في زوايا خبايا الغيب تلك الفجاج والأنحاء

٧. واستنارت عوالم الملاء الأعلى وضاء الدجنة السوداء

٨. عنك قد شق في البطون رداء حشوة الخارقات ذاك الرداء

٩. قمت في برجك المشعشع شمسا ظل ينحط عن علاها العلاء

١٠. بك طافت أرواحها انبياء الله غيبا فبايعوك وجاؤا

١١. عنك نابوا وبشروا بك اصناف البرايا وصحت الأنباء

١٢. جئت ختما لهم فها أنت في النظم ختام وفي الكيان ابتداء

١٣. أنت سلطانهم وقد تعرض الجند ابتداء وتعقب الأمراء

.١٤ ما طووا حكمة من السر إلا أنت معراجها وأنت البناء
.١٥ شمل الكل من لوائك أمن وعليهم ما زال ذاك اللواء
.١٦ وتباهى بك الخليل رعاك الله إبنا باهت به الآباء
.١٧ يا لفرع كسا الأصول فخارا أبديا لا يعتريه انقضاء
.١٨ نال منه أبوه آدم عزا وقبولا وأمه حواء
.١٩ وتدلى من حضرة الأفق للأرض هبوطا مضمونة الارتقاء
.٢٠ والعلامات قبل أن جاء جاءت بشؤن لاحت لها أضواء
.٢١ وتوالت عجائب الغيب يروي طورها عنه ما طواه الغطاء
.٢٢ راقبته القلوب في الكون والأبصار من نوره عليها غشاء
.٢٣ رب نور يغشى العيون بستر إنما غاية الظهور الخفاء
.٢٤ هذه يا أبا البتول معانيك التي انشق عن سناها السناء
.٢٥ حير القوم شأن قدسك في مهد التجلى فطاشت الآراء
.٢٦ راح عرافهم لتلك العلامات وتعلوه حيرة بحتاء
.٢٧ صولة من سرادق الغيب للناس تدلت برفعها الآلاء
.٢٨ هي آلاء ربنا والذي يقضيه ماض وفاعل ما يشاء
.٢٩ حققت ذلك الهواتف والأحبار م والكاهنون والعرفاء
.٣٠ وبمر الظهران راهبهم إذ قص هذا وللصباح ضياء
.٣١ وانقضاض النجوم والنار إذ صاوت رمادا وحين غار الماء
.٣٢ رد أمن المجوس خوفا نذير الغيب إذ جاء عكس ما هم شاؤا
.٣٣ ورمى الغي والضلال شهاب اج منه للجاحدين انمحاء
.٣٤ ضاء والكائنات طمس فعم النور واستبصرت به الأشياء
.٣٥ وتبدت أشكالها بعد أن عنه م ببرج الأبراز قام انجلاء
.٣٦ ملأ الكون هيبة وجلالا شأن سلطانه وعم البهاء
.٣٧ نسجت عنه بالبشارات أمراط غبار تثيره الهيجاء
.٣٨ كتبت للهدى سطورا ببيض سال منها على الحواشي الدماء
.٣٩ جردت ثم أودعت في كنوز الغييم قدما وأهلها الخلصاء
.٤٠ ورآى الموبذان هذا مناما راع كسرى كما قضاه القضاء
.٤١ وسطيح لما أتاه ابن عمرو وبه من أسقامه إعياء
.٤٢ نص حكم التورية في الأمر والإنجيل م نصا ما شابه ايماء

٤٣. ذاكرا صاحب الهراوة والحق مبين وما هناك مراء
٤٤. ومياها فاضت وغاضت وفي الأمرين م للعارفين سين وراء
٤٥. ليت شعري هل يجحد الشمس إلا مقلة عن شعاعها عمياء
٤٦. كل شيء له انتهاء وطه فمعاليه ما لهن انتهاء
٤٧. نقطة في معالم القدس دارت فاستديرت بنمطها العلياء
٤٨. برزت في العلى بطالع قدس ملئت من أضوائه الخضراء
٤٩. فالإشارات أعربت عنه معنى والبشارات ما لها استقصاء
٥٠. ضجة في محاضر الملكوت انشق م عن شمسها الوضاح العماء
٥١. فبدت والاكوان ترقب منها سر غيب وما بذاك امتراء
٥٢. نشأة الطي حين تبرز في النشر يرى ما بطيها النبهاء
٥٣. يشهد القوم بالبصائر من كنه طواها ما يشهد البصراء
٥٤. تلك آيات ربنا وله الحكم م وأحكامه لها الإمضاء
٥٥. كيف لا تشهد العيون ضياء من حجاب تلوح فيه ذكاء
٥٦. منه مس القلوب وارد خوف مد في الأرض ما طوته السماء
٥٧. هيبة عمت الوجود فكل فوقه من جلالها سيماء
٥٨. طرفت مقلة العيان بضوء دون نبراس لمعه الأضواء
٥٩. دولة تعرب البراهين عنها بينات ما نابها إخفاء
٦٠. راع كسرى سلطانها ولكسر سوف يأتيه قد تداعى البناء
٦١. أيها المستميح بردة عتم عن منار له الشموس حذاء
٦٢. رحت تستكشف الشؤن من الكهان والأمر شمسه بلجاء
٦٣. ما قرأت التورية أو ما تدبرت م نصوصا أشاعها شعياء
٦٤. وفصول الزبور أو ما تلاه من نصوص الأنجيل يوحناء
٦٥. قول متى ما فيه لو ولا ليت م وللحق طلعة وضاء
٦٦. أوشككت الشكوك منك بسهم الحق م أبصرت والحظوظ عطاء
٦٧. نشر الله ذكر أحمد بالآيات م قدما فلم يصبه انطواء
٦٨. وتدلى من برجه يتجلى م بتدل تحقيقه إعلاء
٦٩. قلبته الأقدار في الظهر والبطن م بقوم هم قادة نجباء
٧٠. أنبياء وأولياء وأخيار م وشوس وسادة شرفاء
٧١. لم يشنهم كالجاهلية في الحكم م سفاح أو خلة شنعاء

٧٢. حرستهم عين العناية والعبد م إذا صين فالشؤن صفاء

٧٣. كلهم سيد حسيب نسيب أريحي آباؤه كرماء

٧٤. نور شمس الهدى تنقل فيهم فأضاءت منهم به الأجزاء

٧٥. عمهم نوره لذا أخلصوا التوحيد م نهجا فكلهم حنفاء

٧٦. بالعمودين أشرف الخلق أصلا أمهات النبي والآباء

٧٧. خيرة الله هم من الخلق للمختار م أهل أعاظم كبراء

٧٨. قد حباهم خلاقهم واصطفاهم وكذا المصطفى له الإصطفاء

٧٩. وانتهى مظهر البروز بمجلى بنت وهب فضاءت الأرجاء

٨٠. ولدته العذراء آمنة النور م أمينا وقومه أمناء

٨١. غبطتها العذراء مريم فيمن رزقته وقبلها حواء

٨٢. وبوهب الكريم أنجب عبد الله م مولى أتباعه النجباء

٨٣. يا لحظ مؤيد أعظمته للتجلي الخضراء والغبراء

٨٤. شب في سدرة الفخار يتيما ويد القدس لليتيم وقاء

٨٥. لاحظته الأقدار وهو صغير ولديه تصاغر الكبراء

٨٦. زق بالعلم من سرادق غيب الله م وهبا فطاب منه النماء

٨٧. يا له في محافل الفضل أمي م عظيم خدامه العلماء

٨٨. أدب يبهر النسيم العراري م وبأس تجلى به البأساء

٨٩. وجلال تهابه الشمس في قرص م سناها غشى علاه الحياء

٩٠. وجمال يحيى به الميت إذ يبدو وتفنى وجدا له الأحياء

٩١. وكمال تنسقت فيه آيات م غيوب ما نالها الأنبياء

٩٢. قام والدين مقعد في كمين طلسمي وللأعادي اعتداء

٩٣. وطريق الأقوام محض ضلال وعناد وغلظة وجفاء

٩٤. فنفى الشرك والضلال بهدي أحكمته المحجة البيضاء

٩٥. وانجلى نوره فعم الوجودات م وطاب الشعوب والأحياء

٩٦. لمع البرق منذرا وبشيرا منه فانهد ركنها الرقباء

٩٧. قيل جاء النبي بالبعثة الزهراء م فاستبشرت به العرفاء

٩٨. ملأ الأرض بالهدى وبحق كمل الدين تمت النعماء

٩٩. وأضاءت بطحاء مكة لما قومت من سكانها العوجاء

١٠٠. وسرى سره ليثرب بالعز م فطابت وطاب فيها الثواء

١٠١. وأفاض الهدى على ساكني الأقطار م والغي نابه إمحاء
١٠٢. وبدت معجزاته البيض تتلى وتباهت بنصها القراء
١٠٣. حينما انشق في العلا القمر الطالع م ليلا شقت قلوب هواء
١٠٤. وتمادى الركبان سيرا إلى الله م مذ امتد ستره الإسراء
١٠٥. نطق الجذع باسمه سبح الماء م بكفيه هلل الحصباء
١٠٦. وله الظبي قد تكلم والأشجار م سارت ولانت الصماء
١٠٧. وروى جيشه بحفنة ماء يا بماء العيون ذاك الماء
١٠٨. أشبع القوم من قليل طعام فانطوى فيه للجميع الشفاء
١٠٩. بعيوني تراب نعليه للروح حياة وللسقام دواء
١١٠. قد طوى الله دولة الكون في طية م برديه وانجلى الإبداء
١١١. كان ذاك الكساء كنزاً لذرات م البرايا يا نعم ذاك الكساء
١١٢. علة الخلق في رقائق حكم الطي م والنشر حيث كل هباء
١١٣. مد بسط الإرشاد لله بالحكمة م حتى اهتدت به الحكماء
١١٤. أثبت العدل حكمه الفصل إذ فيه م تساوى الضعاف والأقوياء
١١٥. وأتى بالقرآن آية حق حين تتلى خرش لها الفصحاء
١١٦. عقله سيد العقول وخدام م حواشي أعتابه العقلاء
١١٧. ومعاليه والأيادي بعد وحساب فما لها استيفاء
١١٨. نصرته بالرعب غارة قدس فأريعت بسرها الأعداء
١١٩. أقلق الحاسدين منه شعاع ما طووه إلا اجتلاه انجلاء
١٢٠. يخفض الحاسد العلي خيالا ومن الله حظه الإعلاء
١٢١. وإذا داركت يد الحفظ عبدا فدواء مضمونها الأدواء
١٢٢. أيد الله عبده الطهر طه فانتحت عن طريقه الأسواء
١٢٣. خدمته الأملاك دارت به الأفلاك م غشى الأحلاك منه ضياء
١٢٤. وقضى الحق أنه علة الخلق وطرز الورى لذا إيماء
١٢٥. هو لولاه ما هي الأرض أرض وذووها ولا السماء سماء
١٢٦. سبب شقت الوجودات عنه بانفتاق أرتاقها الطمساء
١٢٧. فتذكر حديث جابر يبدو لك مكنون سره الإبتداء
١٢٨. يا له من خطير سر ابتداء ما لعلياه والفخار انتهاء
١٢٩. كل أطوار عمره معجزات أحمد واتضاعه فاعتلاء

١٣٠. ذل لله طارحا ما سوى الله م فذلت لعزه العظماء

١٣١. رحمة للوجود جاء ونورا وأمانا إذ تجزع الاصفياء

١٣٢. عزمه سلم القلوب إلى الله م ومن باب دينه الإرتقاء

١٣٣. والذي حاد عن طريق هداه فضلال طريقه وعماء

١٣٤. يا بروحي أفديه من هاشمي شرفت من جنابه الأسماء

١٣٥. محكمات آياته بينات ما عليهن للبصير غطاء

١٣٦. ألفتها العقول لا منكرات عسرات ولا بها إيذاء

١٣٧. مجملات مفصلات رقاق كلهن اليتمية العصماء

١٣٨. رقرقت كأس حكمة بمعان سرهن الساري رحيق صفاء

١٣٩. ما أحيلا مذاقها فيه للنفس م فناء وللفؤاد بقاء

١٤٠. ونصوص أحكامها باهرات أعظمت شأن حقها البعداء

١٤١. كم طوى الدهر من شؤون جسام ومعانيه ما لهن انطواء

١٤٢. أبد الله عزه وله الحكم م تعالى سلطانه والعلاء

١٤٣. هو فرد في الملك ذاتا وشأنا ما لعالي جنابه نظراء

١٤٤. أبرز الله مفردا نوره الفياض م والمرسلون طين وماء

١٤٥. هو إخوانه النبيون لكن من سناه قبل الكيان استضاؤه

١٤٦. وعليهم له شريف أياد ولهم من فيوضه استجداء

١٤٧. أصلهم آدم ولما دعا الله تعالى به استجيب الدعاء

١٤٨. وغدا حين يذهل الكل طرا ترتجيه الشفاعة الشفعاء

١٤٩. ليت شعري هل تبصر الركب عيناي م وللنوق للحجازه رغاء

١٥٠. وأراها لطيببة تتهادى ويرش القيعان مني البكاء

١٥١. يثقل السير بالجمال جهارا ديمة من مدامعي وطفاء

١٥٢. فولوه ولوعة وهيام وغرام ومهجة حراء

١٥٣. وأنين وذهلة وحنين واصطلام ودمعة حمراء

١٥٤. وفؤاد يطير قبل نياق الركب والعين ما لها إغفاء

١٥٥. وفناء بحت لشمة أعتاب ثراها به الشفا والثراء

١٥٦. وانقطاع عن الوجود بوصل لحمى منه كالسماء الفناء

١٥٧. آه والوعتي وطول أنيني مثقل بالذنوب مني الخطاء

١٥٨. أتمنى وأين ما أتمناه ووزري مؤزري والشقاء

١٥٩. عل من نفحة الرسول لقيدي فك قفل به يتم الرجاء
١٦٠. وعساها عناية الطهر تجلو عن فؤادي ما بث فيه العناء
١٦١. وأراني بعد الشقاء سعيدا بنبي عبيده السعداء
١٦٢. وأرى قبره المنير وللسر سرور يعد النوى وهناء
١٦٣. وعلى بابه أرى حر وجهي تجتليه من مسه غبراء
١٦٤. ودموعي تسيل وجدا وشوقا ولظهري من الخشوع انحناء
١٦٥. وقفول العشاق من كل فج مثل شأني لهم إليه التواء
١٦٦. هزهم وأرد الغرام فأرواح تناجيه دينها الإلتجاء
١٦٧. وعقول هامت به فهي إلا عن معاني جماله ذهلا
١٦٨. لم يفتني الإسعاف قط وأني لي إليه بالانتساب ارتقاء
١٦٩. رفعتني له عقود جدود عن سوى الله أقلعوا وتناؤا
١٧٠. رحم واصل بأكرم مولى دونه في البرية الرحماء
١٧١. كوكب في مطالع القدس منه ملأ الكون رونق وضياء
١٧٢. وإمام للعالمين وهاد وولي إذ تنتحي الأولياء
١٧٣. وحسام قد أصلتته يد القدرة بالله باتر مضاء
١٧٤. وحبيب لله مقبول جاه عند مولاه كائن ما يشاء
١٧٥. يا رسول الرحمن دعوة مغلوب يناجيك ما له نصراء
١٧٦. غيرت حاله الذنوب فوجه ذو سواد ولمة بيضاء
١٧٧. فأعتقنه من ربقة الذنب يا من كم لسحاج جوده عتقاء
١٧٨. وتدارك بالغوث عبدا غريبا فبعلياك تلجأ الغرباء
١٧٩. مسني الضر فانتدب لي بعون عل تمحو ضرائي السراء
١٨٠. خذ بثاري يا أغير الخلق من أعدإ مجد لي بالتجري أساؤا
١٨١. واحم فضلا قرابتي فلعمري أنت من يحتمي به الأقرباء
١٨٢. وإذا مت صل حبالي بقرب منك إني صحيفتي سوداء
١٨٣. لا تدعني رهن السؤال فإني عن جوابي قوالتي بكماء
١٨٤. أنت سيفي وناصري ومعيني وأماني إذ تبعد القرباء
١٨٥. أنا يا سيدي وأهلي ضعاف لك آل آذاهم الأدعياء
١٨٦. أعقوقي يضيع منك حقوقي وعطاياك دونها الأنواء
١٨٧. عجبا للألى لمدحك راموا بعض حد ظنا وبالعجز باؤا

١٨٨. ما لمداحك الكرام سوى نظم عقود يفتر عنها الثناء
١٨٩. وخضوع وذلة وارتباط بك تغنى بفيضه الفقراء
١٩٠. سيدي سيدي بكل حبيب لك منهم ساداتنا الأوصياء
١٩١. بصحاب علمتهم كل خير قام منهم لصوننا الخلفاء
١٩٢. وزراء الهدى وفي الناس حينا ناب عن ذات نورك الوزراء
١٩٣. بجناب الصديق صاحبك المقبول من أحكمت به السمحاء
١٩٤. والذي بعد أن قضيت ارتضاه أمناء الصحابة الأصدقاء
١٩٥. والذي رد بالسيوف أولي الردة حطما مذ هاجت الهيجاء
١٩٦. برجال من كل ليث كسيف الله محو بسيفه الغرماء
١٩٧. رب فتك فحل أخاضته بالموت ضحوكا طمرة جرداء
١٩٨. مصلتا أبيضا قد احمر تتلوه لدى البطش صعدة سمراء
١٩٩. من أبي بكر اجتلته صباحا يد عزم تجلى به الغماء
٢٠٠. أفضل السادة الصحابة والكل نجوم وسادة فضلا
٢٠١. قلب صدق مضمونه الصدق في الله وأذن فيها له إصغاء
٢٠٢. سيد العارفين بالله والصحب لعمري جميعهم عرفاء
٢٠٣. حب طه خليله صاحب الغار الموالي إذ شحت الأسخياء
٢٠٤. باذل الكل في هوى سيد الكل ويتلو صدق الغرام السخاء
٢٠٥. شيم تنضح العبير ومنها لاح للعين جنة خضراء
٢٠٦. وبجاه الفاروق ثاني الوزيرين الذين لذ حبه والولاء
٢٠٧. فاتح الأرض ناصر الشرع والدين ومن طوره التقى والوفاء
٢٠٨. والذي وافق الكتاب كتاب الله من نص قلبه الآراء
٢٠٩. أي غوث للدين أي أمير بعض خدام بابه الأمراء
٢١٠. ما ذكرنا منه المناقب إلا أسكرتنا من دورها صهباء
٢١١. شرف تخجل الكواكب إذ يبدو وتطوى بذيله الجوزاء
٢١٢. وبجاه الشهيد عثمان ذي النورين من زان مشهديه الحياء
٢١٣. صهر طه على ابنتيه وفي هذا اختصاص من ربه وانتقاء
٢١٤. ذو الأيادي مجهز الجيش في العسرة والعسر في الخطوب بلاء
٢١٥. قرشي زاكي الشمائل وضاح محيا مهذب معطاء
٢١٦. أكتسبته شهادة الدار في الله حياة وهكذا الشهداء

.٢١٧ وبجاه الأمير حيدرة الكرار من حبه لروحي جلاء
.٢١٨ الوصي السامي الذرى كافل الزهراء نعم الوصي والزهراء
.٢١٩ أسد الله سيد الآل مخطوب المعالي وللعلي العلاء
.٢٢٠ أنبأتنا الأنباء عن قدره العالي ويكفي للموقن الأنباء
.٢٢١ كم شهدنا لعزمه خارقات شاكل المعجزات منها المضاء
.٢٢٢ قال ذو الحقد مادح الصهر أطراه ونزر في مدحه الإطراء
.٢٢٣ قد رأينا العلياء تعلي رجالا وعلي تعلو به العلياء
.٢٢٤ حينما استعرض الصفوف ببدر كر من عضبه عليهم وباء
.٢٢٥ ودحا الباب يوم خيبر فالحصن تداعى وانهز منه البناء
.٢٢٦ باب علم الرسول ذخري أو السبطين عزمي إذ تثقل الأعباء
.٢٢٧ كم أناديه والنوائب ليل مدلهم فيعتريها انجلاء
.٢٢٨ حسدته أولو الضغائن حقدا وكثيرا ما تحسد الحسناء
.٢٢٩ وبجاه السبطين شبليه عيني عصبة فوقها أستدير العباء
.٢٣٠ سيدي سادة الائمة والكل لعمري أئمة نجباء
.٢٣١ أمة من بني النبي استظلت بحماها الأبدال والنقباء
.٢٣٢ حسرتي هم طول المدى ولكم من حسرات ماتت بها كرماء
.٢٣٣ آه والوعتي عليهم إذا ما خطرت لي البقيع أو كربلاء
.٢٣٤ ذو احتراق إذ يذكر النجف الأشرف قلبي المضنى وسامراء
.٢٣٥ فرقتهم يد التجلي فطوس دارهم والبطاح والزوراء
.٢٣٦ شرفوا كل بقعة قدسوها ومع الله صبحهم والمساء
.٢٣٧ وبجاه الأمير خالد سيف الله من صح لي إليه انتماء
.٢٣٨ ألهزبر الفحل الذي أيد الدين ولانت بسيفه الأقسياء
.٢٣٩ والذي دوخ الألى من أولي الردة فاستسلموا له ثم فاؤا
.٢٤٠ والذي عز في فتوحاته الأقطار دين الهدى وطال اللواء
.٢٤١ وبجاه الصحب الكرام جميعا نعم جيش النبي والرفقاء
.٢٤٢ قلبتهم يد الرسالة نورا بعد عتم وهذه الكيمياء
.٢٤٣ أسد الله والذي لأجل الله منهم طوعا أبيح الدماء
.٢٤٤ شيدوا الدين بالمواضي وهدوا ما بناه من الغوى القدماء
.٢٤٥ ومضوا إذ قضوا كراما بأصحاب النبيين ما لهم أكفاء

.٢٤٦ كم ببدر من حزبهم لاح بدر يتجلى سماؤه البيداء
.٢٤٧ كم حنين لصفهم بحنين ناب ظهر العدا به إحناء
٢٤٨. وبحدب لهم مخضبة الأطراف بيض كم قومت حدباء
.٢٤٩ جاء منهم كالأنبياء رجال ما لوها عن ربها الأشياء
.٢٥٠ وبجاه الأئمة الغر من عنهم أتتنا الشريعة الغراء
.٢٥١ علماء الكتاب والسنة البيضاء أعيان ديننا الفقهاء
.٢٥٢ وبجاه المشايخ الزهر من هم عظماء الطريقة الأولياء
٢٥٣. سادة هذبوا النفوس بدين الطهر طه فانجاب عنها الغطاء
.٢٥٤ زهدهم قد زوى الوجودات عنهم فلعمري حقا هم العقلاء
.٢٥٥ فزعت منهم القلوب إلى الله فذكر زمانهم ودعاء
.٢٥٦ وصلاة بصدق حال وصوم طرق الخوف كله والرجاء
٢٥٧. وبجاه الغوث الكبير الرفاعي من تجلت له اليد البيضاء
.٢٥٨ سيد ناب عن نبي البرايا بشؤن حارت لها النظراء
.٢٥٩ علم الشرق كوكب الصدق فياض الأيادي والفلذة الخضراء
.٢٦٠ مدد يرفع الوضيع وسر قد أقيمت بحاله العرجاء
.٢٦١ وخلال حميدة وفيوض هي والعارض الملح سواء
.٢٦٢ وبأولاده الهداة فهم قوم كرام أماجد صلحاء
.٢٦٣ بيت مجد إلى علي تعالت من ذويه الأبناء والآباء
.٢٦٤ شرف ينطح النجوم وصيت ملئت من معطاره الأرجاء
.٢٦٥ وبجاه انكسار كل محب خالص مسه من الحب داء
.٢٦٦ .بمعان على القلوب أضاءت فاستنارت وزيح عنها الغشاء
.٢٦٧ بإشارات كل عبد نزيه جذبته للصانع الآلاء
٢٦٨. رضي الله كافلا ووليا فاطمأنت من سره الأحشاء
.٢٦٩ بدموع للعاشقين إذا مس فقد كالسحب منها الماء
.٢٧٠ بأنين للوالهين لديه زفرات تبكي لها الصماء
.٢٧١ بعقول قد أدركت غاية السر ومنها لربها إسراء
.٢٧٢ بفهوم قد هزها الوجد حتى نطقت من صميمها الخرساء
٢٧٣. بالخفي الجلي ذي الغارة المهدي من عمني به الإهتداء
.٢٧٤ مظهر الحق باهر السر من طاب لقلبي بهديه الإقتداء

٢٧٥. وارث المرتضى ومجلى هداه من علاه ضمن الظهور الخفاء

٢٧٦. برجال الديوان حيا وميتا ولعمري أمواتهم أحياء

٢٧٧. خذ حنانا يا مصطفى بعناني فالأعادي لها بشأني اعتناء

٢٧٨. رب إني مدحت عبدك طه وبطه يستشفع الفقراء

٢٧٩. نق سري يا رب من كل سوء فبسري من زلتي اصداء

٢٨٠. وتدارك عجزي بقدرتك العظمى فإني مطيتي هزلاء

٢٨١. سار أهل القلوب لله والذنب دهاني وهمتي عثراء

٢٨٢. كلما قلت أجتلي النور طمت منهجي ظلمة الهوى الظلماء

٢٨٣. تب علي انتصر إلي فإني غلبتني الأعداء والأهواء

٢٨٤. وأغثني مما أهم فرأيي ضمن سيل الذنوب شيء غثاء

٢٨٥. واجتذبني إلى طريق أمان فطريقي فجاجه وعثاء

٢٨٦. أنا عبد قد أثقلتني المعاصي وأعنائي وملني النصحاء

٢٨٧. ألغياث الغياث يا رب فالركب أمام والعزم مني وراء

٢٨٨. ألغياث الغياث فرج كروبي وارض عني فمنك يرجى الرضاء

٢٨٩. يا إلهي هذا الزمان تمادى وبدت منه هجمة واعتداء

٢٩٠. كدر الصفو فيه أحقاد قوم أقلقتهم بغيها الشحناء

٢٩١. وقلوب لهم تربع فيها قسوة تغلب النهى وجفاء

٢٩٢. ضيق الأرض يا غيور عليهم وامض فيهم من القضا ما تشاء

٢٩٣. وأعذني من شر كل حسود وقرت في ضميره البغضاء

٢٩٤. واحي قلبي برحمة منك إني ما لناري بغيرها إطفاء

٢٩٥. وأفنني بالنبي حتى أراني لي فناء بحبه وبقاء

٢٩٦. وأراني له رفيقا وجارا منه يجري فضلا علي العطاء

٢٩٧. فهو روح الأرواح سرا وجهرا هب من نشره عليها شذاء

٢٩٨. نسجت للألباب منه معان روضة في طرازها فيحاء

٢٩٩. هو في الكون نقطة الباء يبدو حين يجلى ما افتر عنه الباء

٣٠٠. كم أعاد الباري به من أفانين علوم لم يبدها الإبداء

٣٠١. جاء بالحق والقلوب بها موت فعاشت وهزها الإحياء

٣٠٢. وبدا نوره فأصبح للحشر منيرا بضوءه يستضاء

٣٠٣. يا إلهي يا واسع الجود يا من شأنه الوضع جل والإعلاء

.٣٠٤ يا عظيم النوال يا واهب الآمال يا من لبابه الإلتجاء

.٣٠٥ يا مجيب المضطر حين يناجيه ولليل عتمة فحماء

.٣٠٦ يا مغيثا بلجة البحر إن ما هتفت باسم قدسه الغرقاء

.٣٠٧ قد رجوناك فاسبل الستر والطف عل يروي ظما القلوب الرواء

.٣٠٨ وعلى المصطفى فصل وسلم ما استمال الغصن الرطيب هواء

.٣٠٩ وانطوى بالخفاء نشر ولاحت بارقات لها المعاني غطاء

.٣١٠ وعلى آله الذين اصطفاهم ربهم للعلى فهم أصفياء

.٣١١ سادة الناس أكرم الخلق طرا شرفاء الخلائق الأذكياء

.٣١٢ وعلى السادة الصحابة من هم سادتي حين تذكر الأسماء

.٣١٣ ما حدا الركب في المهامه حاد هيمته الطلول والأرجاء

.٣١٤ وسرى في عوالم الله سر وارتقت في المنابر الخطباء

.٣١٥ واستهلت بشرى بحسن ختام وطوى شقة العناء الرضاء

====================

عيون الأفاعي

حسن إبراهيم الأفندي

كأنّ نجوماً أومضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب

إذا كان قلب المرء في الأمر حائراً فأضيق من تسعين رحب السباسب

وتشغلني عني وعن كل راحتي مصائب تقفوا مثلها في المصائب

إذا ما أتتني أزمة مدلهمة تحيط بنفسي من جميع الجوانب

تطلبت هل من ناصر أو مساعد ألوذ به من خوف سوء العواقب

فلست أرى الا الذي فلق النوى هو الواحد المعطي كثير المواهب

ومعتصم المكروب في كل غمرة ومنتجع الغفران من كل هائب

مجيب دعا المضطر عند دعائه ومنقذه من معضلات النوائب

معيد الورى في زجرة بعد موتهم لفصل حقوق بينهم ومطالب

ففي ذلك اليوم العصيب ترى الورى سكارى ولا سكر بهم من مشارب

حفاة عراة خاشعين لربهم فيا ويح ذي ظلم رهين المطالب

فيأتوا لنوح والخليل وآدم وموسى وعيسى عند تلك المتاعب

لعلهمُ أن يشفعوا عند ربهم لتخليصهم من معضلات المصاعب

فما كان يغني عنهموا عند هذه نبي ولم يظفرهمُ بالمآرب
هناك رسول الله يأتي لربه ليشفع لتخليص الورى من متاعب
فيرجع مسرورا ً بنيل طلابه أصاب من الرحمن أعلى المراتب
سلالة إسماعيل والعرق نازع وأشرف بيت من لؤي بن غالب
بشارة عيسى والذي عنه عبروا بشدة بأس بالضحوك المحارب
ومن أخبروا عنه بأن ليس خلقه بفظ وفي الأسواق ليس بصاخب
ودعوة إبراهيم عند بنائه بمكة بيتا فيه نيل الرغائب
جميل المحيا أبيض الوجه ربعة جليل كراديس أزج الحواجب
صبيح مليح أدعج العين أشكل فصيح له الاعجام ليس بشائب
وأحسن خلق الله خلقا وخلقة وأنفعهم للناس عند النوائب
وأجود خلق الله صدراً ونائلا ً وأبسطهم كفا على كل طالب
وأعظم حر للمعالي نهوضه إلى المجد سام للعظائم خاطب
ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره إذا احمرّ بأس في بئيس المواجب
وآذه قوم من سفاهة عقلهم ولم يذهبوا من دينه بمذاهب
فما زال يدعو ربه لهداهم وإن كان قد قاسى أشد المتاعب
وما زال يعفو قادراً عن مسيئهم كما كان منه عند جبذة جاذب
وما زال طول العمر لله معرضاً عن البسط في الدنيا وعيش المزارب
بديع كمال في المعالي فلا امرء يكون له مثلا ولا بمقارب
أتانا مقيم الدين من بعد فترة وتحريف أديان وطول مشاغب
فيا ويل قوم يشركون بربهم وفيهم صنوف من وخيم المثالب
ودينهمُ ما يفترون برئيهم كتحريم حام واختراع السوائب
ويا ويل قوم حرفوا دين ربهم وأفتوا بمصنوع لحفظ المناصب
ويا ويل قوم من أطرى بوصف فسماه رب الخلق إطراء خائب
ويا ويل قوم قد أبار نفوسهم تكلف تزويق وحب الملاعب
ويا ويل قوم قد أخف عقولهم تجبر كسرى واصطلام الضرائب
فأدركهم في ذاك رحمة ربنا وقد أوجبوا منه أشد المعائب
فأرسل من عليا قريش نبيه ولم يك فيما قد بلوه بكاذب
ومن قبل هذا لم يخالط مداس أل يهود ولم يقرأ لهم خط كاتب
فأوضح منهاج الهدى لمن اهتدى ومنّ بتعليم على كل راغب

وأخبر عن بدء السماء لهم وعن   مقام مخوف بين أيدي المحاسب
وعن حكم رب العرش فيما يعينهم   وعن حكم تروى بحكم التجارب
وأبطل أصناف الخنى وأبادها   وأصناف بغي للعقوبة جالب
وبشر من أعطى الرسول قياده   بجنة تنعيم وحور كواعب
وأوعد من يأبى عبادة ربه   عقوبة ميزان وعيشة قاطب
فأنجى به من شاء ربي نجاته   ومن خاب فلتندبه شر النوادب
فأشهد أن الله أرسل عبده   بحق ولا شيء هناك برائب
وقد كان نورالله فينا لمهتد   وصمصام تدمير على كل ناكب
وأقوى دليل عند من تم عقله   على أن شرب الشرع أصفى المشارب
تواطيء عقول في سلامة فكره   على كل ما يأتي به من مطالب
سماحة شرع في رزانة شرعة   وتحقيق حق في إشارة حاجب
مكارم أخلاق وإتمام نعمة   نبوة تأليف وسلطان غالب
نصدق دين المصطفى بقلوبنا   على بينات فهمها من غرائب
براهين حق أوضحت صدق قوله   رواها ويروي كل شب وشائب
ومن ذاك كم أعطى الطعام لجائع   وكم مرة أسقى الشراب لشارب
وكم من مريض قد شفي من دعائه   وإن كان قد أشفى لوجبة واجب
ودرت له شاة لدى أم معبد   حليبا ولا تسطاع حلبة حالب
وقد ساخ في أرض حصان سراقة   وفيه حديث عن براء بن عازب
وقد فاح طيبا كف من مس كفه   وماحلّ رأسا جنس شيب الذوائب
وألقى شقي القوم فرث جزورهم   على ظهره والله ليس بعازب
فألقوا ببدر في قليب مخبث   وعم جميع القوم شؤم المداعب
وأخبر أن أعطاه مولاه نصرة   ورعبا الى شهر مسيرة سارب
فأوفاه وعد الرعب والنصر عاجلا   وأعطى له فتح التبوك ومآرب
وأخبر عنه أن سيبلغ ملكه   إلى ما رأى من مشرق ومغارب
فأسبل رب الأرض بعد نبيه   فتوحا تواري مالها من مناكب
وكلمه الأحجار والعجم والحصى   وتكليم هذا النوع ليس برائب
وحن له الجذع القديم تحزنا   فإن فراق الحب أدهى المصائب
وأعجب تلك البدر ينشق عنده   وما هو في إعجازه من عجائب
وشق له جبريل باطن صدره   لغسل سواد بالسويداء لازب

وأسرى على متن البراق إلى السما فيا خير مركوب ويا خير راكب
وراعت بليغ الآي كل مجادل خصيم تمادى في مراء المطالب
براعة أسلوب وعجز معارض بلاغة أقوال وأخبار غائب
وسمّاه رب الخلق أسماء مدحة تبيّن ما أعطى له من مناقب
رؤوف رحيم أحمد ومحمد مقفى ومفضال يسمى بعاقب
إذا ما أثاروا فتنة جاهلية يقود ببحر زاخر من كتائب
يقوم لدفع البأس أسرع قومه بجيش من الأبطال غر السلاهب
أشداء يوم البأس من كل باسل ومن كل قرم بالأسنة لاعب
توارث إقداما ونبلا وجرأة نفوسهمُ من أمهات نجائب
جزى الله أصحاب النبي محمد جميعا كما كانوا له خير صاحب
وآل رسول الله لازال أمرهم قويما على إرغام أنف النواصب
ثلاث خصال من تعاجيب ربنا نجابة أعقاب لوالد طالب
خلافة عباس ودين نبينا تزايد في الأقطار من كل جانب
يؤيد دين الله في كل دورة عصائب تتلو مثلها من عصائب
فمنهم رجال يدفعون عدوهم بسمر القنا والمرهفات القواضب
ومنهم رجال يغلبون عدوهم بأقوى دليل مفحم للمغاضب
ومنهم رجال بينوا شرع ربنا وما كان فيه من حرام وواجب
ومنهم رجال يدرسون كتابه بتجويد ترتيل وحفظ مراتب
ومنهم رجال فسروه بعلمهم وهم علمونا ما به من غرائب
ومنهم رجال بالحديث تولعوا وما كان فيه من صحيح وذاهب
ومنهم رجال مخلصون لربهم بأنفسهم خصب البلاد الأجادب
ومنهم رجال يهتدى بعظاتهم قيام إلى دين من الله واصب
على الله رب الناس حسن جزاءهم بما لا يوافي عده ذهن حاسب
فمن شاء فليذكر جمال بثينة ومن شاء فليغزل بحب الربائب
سأذكر حبي للحبيب محمد إذا وصف العشاق حب الحبائب
ويبدو محياه لعيني في الكرى بنفسي أفدّيه إذاً والأقارب
وتدركني في ذكره قشعريرة من الوجد لا يحويه علم الأجانب
وألفي لروحي عند ذلك هزة وأنسا وروحا فيه وثبة واثب
وإنك أعلى المرسلين مكانة وأنت لهم شمس وهم كالثواقب

وصل إلهي كلما ذرّ شارق على خاتم الرسل الكرام الأطايب

=========================

كشف الغمة في مدح سيد الأمة

محمود سامي البارودي

١٢٥٥-١٣٢٢ هـ / ١٨٣٩-١٩٠٤ م

محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري، أول ناهض بالشعر العربي من كبوته، في العصر الحديث، وأحد القادة الشجعان، جركسي الأصل من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخي برسباي).

نسبته إلى (إيتاي البارود)، بمصر، وكان لأحد أجداده في عهد الالتزام مولده ووفاته بمصر، تعلم بها في المدرسة الحربية.

ورحل إلى الآستانة فأتقن الفارسية والتركية، وله فيها قصائد دعاء إلى مصر فكان من قواد الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا.

الأولى في ثورة كريد سنة١٨٦٨، والثانية في الحرب الروسية سنة ١٨٧٧، وتقلب في مناصب انتهت به إلى رئاسة النظار، واستقال.

ولما حدثت الثورة العرابية كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان.

حيث أقام سبعة عشر عاماً، أكثرها في كندا تعلم الإنجليزية في خلالها وترجم كتباً إلى العربية وكفَّ بصره وعفي عنه سنة ١٣١٧ه فعاد إلى مصر.

أما شعره فيصح اتخاذه فاتحة للأسلوب العصري الراقي بعد إسفاف النظم زمناً غير معتبر.

له (**ديوان شعر** –ط)، جزآن منه، (**ومختارات البارودي** –ط) أربعة أجزاء.

كشف الغمة في مدح سيد الأمة

يا رَائِدَ البَــرقِ يَمّــمْ دارَةَ العَلَــمِ وَاحْدُ الغَمامَ إلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ
وَإِن مَرَرتَ عَلى الرَّوحَاءِ فَامْرِ لَها أَخلافَ ســارِيَةٍ هَتّانَــةِ الــدِّيَمِ
مِنَ الغِــزارِ اللَّــواتي في حَوالِبِهــا رِيُّ النَّواهِلِ مِن زَرعٍ وَمِن نَعَــمِ
إِذا استَهَلَّت بِأَرضٍ نَمْنَمَتْ يَــدُهَا بُرْداً مِنَ النَّوْرِ يَكسُو عارِيَ الأَكَمِ

تَرى النَّباتَ بها خُضْراً سَنابِلُهُ   يَختَالُ في حُلَّةٍ مَوشِيَّةِ العَلَمِ
أَدعُو إِلى الدَّارِ بالسُّقيا وَبي ظَمَأٌ   أَحَقُّ بالرِّيِّ لَكِنّي أَخُو كَرَمِ
مَنازِلٌ لِهَواها بَينَ جانحَتي   وَدِيعَةٌ سِرُّها لَمْ يَتَّصِلْ بِفَمِي
إِذا تَنَسَّمتُ مِنها نَفحَةً لَعِبَت   بيَ الصَبابَةُ لِعبَ الريحِ بِالعَلَمِ
أَدِر عَلى السَّمعِ ذِكراها فَإِنَّ لَها   فِي القَلبِ مَنزِلَةً مَرعِيَّةَ الذِمَمِ
عَهدٌ تَوَلّى وَأَبقى فِي الفُؤادِ لَهُ   شَوقاً يَفُلُّ شَباةَ الرَأيِ وَالهِمَمِ
إِذا تَذَكَّرتُهُ لاحَت مَخائِلُهُ   لِلعَينِ حَتّى كَأَنّي مِنهُ فِي حُلُمِ
فَما عَلى الدَّهرِ لَو رَقَّت شَمائِلُهُ   فَعادَ بالوَصلِ أَو أَلقَى يَدَ السَّلَمِ
تَكاءَدَتني خُطُوبٌ لَو رَمَيتُ بِها   مَناكِبَ الأَرضِ لَم تَثبُتْ عَلى قَدَمِ
فِي بَلدَةٍ مِثلِ جَوفِ العَيرِ لَستُ أَرى   فيها سِوَى أُمَمٍ تَحنُو عَلَى صَنَمِ
لا أَستَقِرُّ بِها إِلاّ عَلى قَلَقٍ   وَلا أَلَذُّ بِها إِلاّ عَلَى أَلَمِ
إِذا تَلَفَّتُّ حَولي لَم أَجِد أَثَراً   إِلا خَيالي وَلَم أَسمَع سِوى كَلِمي
فَمَن يَرُدُّ عَلى نَفسي لُبانَتَها   أَو مَن يُجيرُ فُؤادِي مِن يَدِ السَّقَمِ
لَيتَ القَطا حِينَ سارَت غُدوَةً   عَنّي رَسائِلَ أَشواقي إِلى إِضَمِ
مَرَّت عَلَينا خِمَاصاً وَهيَ قارِبَةٌ   مَرَّ العَواصِفِ لا تَلوي عَلى إِرَمِ
لا تُدرِكُ العَينُ مِنها حينَ تَلمَحُها   إِلا مِثالاً كَلَمْعِ البَرقِ فِي الظُّلَمِ
كَأَنَّها أَحرُفٌ بَرقِيَّةٌ نَبَضَت   بالسِّلكِ فَانتَشَرَت فِي السَّهلِ
لا شَيءَ يَسبِقُها إِلاّ إِذا اعتَقَلَت   بَنانَتِي فِي مَديحِ المُصطَفى قَلَمِي
مُحَمَّدٌ خاتَمُ الرُسلِ الَّذي خَضَعَت   لَهُ البَرِيَّةُ مِن عُربٍ وَمِن عَجَمِ
سَميرُ وَحيٍ وَمَجنى حِكمَةٍ وَنَدى   سَماحَةٍ وَقِرى عافٍ وَرِيُّ ظَمِ
قَد أَبلَغَ الوَحيُ عَنهُ قَبلَ بِعثَتِهِ   مَسامِعَ الرُسلِ قَولاً غَيرَ مُنكَتِمِ
فَذاكَ دَعوَةُ إِبراهيمَ خالِقَهُ   وَسِرُّ ما قالَهُ عِيسى مِنَ القِدَمِ
أَكرِم بِهِ وَبِآباءٍ مُحَجَّلَةٍ   جاءَت بِهِ غُرَّةً فِي الأَعصُرِ الدُّهُمِ
قَد كانَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ مُدَّخراً   لِدَعوَةٍ كانَ فيها صاحِبَ العَلَمِ
نُورٌ تَنَقَّلَ فِي الأَكوانِ ساطِعُهُ   تَنَقُّلَ البَدرِ مِن صُلبٍ إِلى رَحِمِ
حَتّى استَقَرَّ بِعَبدِ اللهِ فَانبَلَجَت   أَنوارُ غُرَّتِهِ كَالبَدرِ فِي البُهُمِ
وَاختارَ آمِنَةَ العَذراءَ صاحِبَةً   لِفَضلِها بَينَ أَهلِ الحِلِّ وَالحَرَمِ
كِلاهُما فِي العُلا كُفءٌ لِصاحِبِهِ   وَالكُفءُ فِي المَجدِ لا يُستامُ بِالقِيَمِ
فَأَصبَحَت عِندَهُ فِي بَيتِ مَكرُمَةٍ   شِيدَت دَعائِمُهُ فِي مَنصِبٍ سَنِمِ
وَحِينَما حَمَلَت بِالمُصطَفى وَضَعَت   يَدُ المَشيئَةِ عَنها كُلفَةَ الوَجَمِ

وَلاحَ مِن جِسمِها نُورٌ أَضاءَ لَها   قُصُورَ بُصرى بِأَرضِ الشَّأمِ مِن
وَمُذ أَتى الوَضعُ وَهوَ الرَّفعُ مَنزِلَةً   جاءَت بِرُوحٍ بِنُورِ اللهِ مُتَّسِمِ
ضاءَت بِهِ غُرَّةُ الإِثنَينِ وَابتَسَمَت   عَن حُسنِهِ في رَبيعٍ رَوضَةُ الحَرَمِ
وَأَرضَعَتهُ وَلَم تَيأَس حَليمَةُ مِن   قَولِ المَراضِعِ إِنَّ البُؤسَ في اليَتَمِ
فَفاضَ بِالدَّرِّ ثَدياها وَقَد غَنِيَت   لَيالِياً وَهيَ لَم تطعَم وَلَم تَنَمِ
وَانهَلَّ بَعدَ اِنقِطاعٍ رِسْلُ شارِفِها   حَتّى غَدَت مِن رَفِيهِ العَيشِ في
فَيَمَّمَت أَهلَها مَملُوءَةً فَرَحاً   بِما أُتيحَ لَها مِن أَوفَرِ النِّعَمِ
وَقَلَّصَ الجَدبُ عَنها فَهيَ طاعِمَةٌ   مِن خَيرِ ما رَفَدَتْها ثَلَّةُ الغَنَمِ
وَكَيفَ تَمحَلُ أَرضٌ حَلَّ ساحَتَها   مُحَمَّدٌ وَهوَ غَيثُ الجُودِ وَالكَرَمِ
فَلَم يَزَل عِندَها يَنمُو وَتَكلَؤُهُ   رِعايَةُ اللهِ مِن سُوءٍ وَمِن وَصَمِ
حَتّى إِذا تَمَّ مِيقاتُ الرَّضاعِ لَهُ   حَولَينِ أَصبَحَ ذا أَيدٍ عَلَى الفُطُمِ
وَجاءَ كَالغُصنِ مَجدُولاً تَرِفُّ عَلى   جَبِينِهِ لَمحاتُ المَجدِ وَالفَهَمِ
قَد تَمَّ عَقلاً وَما تَمَّت رَضاعَتُهُ   وَفاضَ حِلماً وَلَم يَبلُغ مَدى الحُلُمِ
فَبَينَما هُوَ يَرعى البَهْمَ طافَ بِهِ   شَخصانِ مِن مَلَكُوتِ اللهِ ذي
فَأَضجَعاهُ وَشَقّا صَدرَهُ بِيَدٍ   رَفِيقَةٍ لَم يَبِت مِنها عَلى أَلَمِ
وَبَعدَ ما قَضَيا مِن قَلبِهِ وَطَراً   تَوَلَّيا غَسلَهُ بِالسَّلسَلِ الشَّبِمِ
ما عالَجا قَلبَهُ إِلا لِيَخلُصَ مِن   شَوبِ الهَوى وَيَعِي قُدسِيَّةَ الحِكَمِ
فَيا لَها نِعمَةً للهِ خَصَّ بِها   حَبِيبَهُ وَهوَ طِفلٌ غَيرُ مُحتَلِمِ
وَقالَ عَنهُ بَحِيرا حِينَ أَبصَرَهُ   بِأَرْضِ بُصرى مَقالاً غَيرَ مُتَّهَمِ
إِذ ظَلَّلَتهُ الغَمامُ الغُرُّ وَانهَصَرَت   عَطفاً عَلَيهِ فُرُوعُ الضّالِ وَالسَّلَمِ
بِأَنَّهُ خاتَمُ الرُّسلِ الكِرامِ وَمَن   بِهِ تَزُولُ صُرُوفُ البُؤسِ وَالنِّقَمِ
هَذا وَكَم آيَةٍ سارَت لَهُ فَمَحَت   بِنُورِها ظُلمَةَ الأَهوالِ وَالقُحَمِ
ما مَرَّ يَومٌ لَهُ إِلا وَقَلَّدَهُ   صَنائِعاً لَم تَزَل فِي الدَّهرِ كَالعَلَمِ
حَتّى اسْتَتَمَّ وَلا نُقصانَ يَلحَقُهُ   خَمساً وَعِشرِينَ سِنُّ البارِعِ الفَهِمِ
وَلَقَّبَتهُ قُرَيشٌ بِالأَمينِ عَلَى   صِدقِ الأَمانَةِ وَالإِيفاءِ بِالذِّمَمِ
وَدَّت خَدِيجَةُ أَن يَرعى تِجارَتَها   وِدادَ مُنتَهِزٍ لِلخَيرِ مُغتَنِمِ
فَشَدَّ عَزمَتَها مِنهُ بِمُقتَدِرٍ   ماضِي الجِنانِ إِذا ما هَمَّ لَم يَخِمِ
وَسارَ مُعتَزِماً لِلشَّأمِ يَصحَبُهُ   فِي السَّيرِ مَيسُرَةُ المَرضِيُّ فِي
فَما أَناخَ بِها حَتّى قَضى وَطَراً   مِن كُلِّ ما رامَهُ فِي البَيعِ وَالسَّلَمِ
وَكَيفَ يَخسَرُ مَن لَولاهُ ما رَبِحَت   تِجارَةُ الدِّينِ في سَهلٍ وَفِي عَلَمِ

فَقَصَّ مَيسُــرَةُ المَــأمونُ قِصَّــتَهُ ... عَلَى خَديجَةَ سَرداً غَيرَ مُــنعَجِمِ
وَما رَواهُ لَــهُ كَهــلٌ بِصَــومَعَةٍ ... مِنَ الرَّهابينِ عَن أَسلافِهِ القُــدُمِ
في دَوحَةٍ عاجَ خَيرُ المُرسَلينَ بِهــا ... مِن قَبلِ بِعثَتِهِ لِلعُــربِ وَالعَجَــمِ
هَذا نَبِيٌّ وَلَــم يَــنزِل بِســاحَتِها ... إِلا نَبِيٌّ كَرِيمُ الــنَّفسِ وَالشِّــيَمِ
وَسِيرَةَ المَلَكَــينِ الحــائِمَينِ عَلــى ... جَبينِــهِ لِــيُظِلاَّهُ مِــنَ الــتَّهَمِ
فَكانَ ما قَصَّهُ أَصلاً لِما وَصَــلَت ... بِهِ إِلى الخَيرِ مِن قَصــدٍ وَمُعتَــزَمِ
أَحسِن بِها وصلَةً فِي اللَّهِ قَد أَخَذَت ... بِها عَلى الدَّهرِ عَقداً غَيرَ مُنفَصِمِ
فَأَصبَحا في صَفاءٍ غَــيرِ مُنقَطِــعٍ ... عَلى الزَّمانِ وَوِدٍّ غَــيرِ مُنصَــرِمِ
وَحِينَما أَجمَعَت أَمراً قُرَيشُ عَلــى ... بِنايَةِ البَيتِ ذي الحُجّابِ وَالخَدَمِ
تَجَمَّعَت فِرَقُ الأَحلافِ وَاقتَسَمَت ... بِناءَهُ عَن تَراضٍ خَــيرَ مُقتَسَــمِ
حَتّــى إِذا بَلَــغَ البُنيــانُ غايَتَــهُ ... مِن مَوضِعِ الرُّكنِ بَعــدَ الكَــدِّ
تَسابَقوا طَلَباً لِلأَجــرِ وَاختَصَــمُوا ... فِيمَن يَشُدُّ بِناهُ كُــلَّ مُختَصَــمِ
وَأَقسَمَ القَومُ أَن لا صُلحَ يَعصِمُهُم ... مِن اقتِحامِ المَنايــا أَيَّمــا قَسَــمِ
وَأَدخَلوا حينَ جَدَّ الأَمرُ أَيــدِيَهُم ... لِلشَرِّ في جَفنَــةٍ مَملُــوءَةٍ بِــدَمِ
فَقالَ ذُو رَأيِهِم لا تَعجَلُوا وَخُــذُوا ... بِالحَزمِ فَهوَ الَّذي يَشفِي مِنَ الحَزَمِ
لِيَرضَ كُلُّ امرِئٍ مِنّا بِــأَوَّلِ مَــن ... يَأتِي فَيَقسِطُ فِينا قِسطَ مُحــتَكِمِ
فَقالَ كُلٌّ رَضينا بِــالأَمينِ عَلــى ... عِلمٍ فَأَكرِم بِهِ مِن عادِلٍ حَكَــمِ
فَكــانَ أَوَّلَ آتٍ بَعــدَما اتَّفَقُــوا ... مُحَمَّدٌ وَهوَ فِي الخَيراتِ ذُو قَدَمِ
فَأَعلَمُوهُ بِما قَد كانَ وَاحتَكَمُــوا ... إِلَيهِ في حَلِّ هَذا المُشكِلِ العَمَــمِ
فَمَدَّ ثَوباً وَحَطَّ الرُّكنَ فِي وَسَــطٍ ... مِنهُ وَقالَ اِرفَعُوهُ جانِبَ الرَّضَــمِ
فَنالَ كُلُّ امرِئٍ حَظّاً بِما حَمَلَــت ... يَداهُ مِنهُ وَلَم يَعتِب عَلى القِسَــمِ
حَتّى إِذا اِقتَرَبوا تِلقــاءَ مَوضِــعِهِ ... مِن جانِبِ البَيتِ ذي الأَركــانِ
مَدَّ الرَّسُولُ يَــداً مِنــهُ مُبارَكَــةً ... بَنَتهُ فِي صَدَفٍ مِن بــاذِخٍ سَــنِمِ
فَليَزدَدِ الرُّكنُ تِيهاً حَيثُ نالَ بِــهِ ... فَخراً أَقامَ لَهُ الدُّنيا عَلَــى قَــدَمِ
لَو لَم تَكُن يَدُهُ مَسَّتهُ حِــينَ بَنَــى ... ما كانَ أَصبَحَ مَلثُوماً بِكُلِّ فَــمِ
يا لَيتَني وَالأَماني رُبَّمــا صَــدَقَت ... أَحْظَى بِمُعتَنَــقٍ مِنــهُ وَمُلتَــزَمِ
يا حَبَّذا صِبغَةٌ مِن حُسنِهِ أَخَــذَت ... مِنْهَا الشَّبِيبَةُ لَونَ العُذرِ وَاللَّمَــمِ
كَالخالِ في وَجنَةٍ زِيدَت مَحاسِنُها ... بِنُقطَةٍ مِنهُ أَضعافاً مِــنَ القِــيَمِ
وَكَيفَ لا يَفخَرُ البَيتُ العَتيقُ بِــهِ ... وَقَد بَنَتــهُ يَــدٌ فَيّاضَــةُ الــنِّعَمِ
أَكرِم بِهِ وازِعــاً لَــولا هِدايَتُــهُ ... لَم يَظهَرِ العَدلُ في أَرضٍ وَلَم يَقُمِ

هَذا الَّذي عَصَمَ اللَّهُ الأَنامَ بِهِ   مِن كُلِّ هَولٍ مِنَ الأَهوالِ مُختَرِمِ
وَحِينَ أَدرَكَ سِنَّ الأَربَعينَ وَما   مِن قَبلِهِ مَبلَغٌ لِلعِلمِ وَالحِكَمِ
حَباهُ ذُو العَرشِ بُرهاناً أَراهُ بِهِ   آياتِ حِكمَتِهِ في عالَمِ الحُلُمِ
فَكانَ يَمضي لِيَرعى أُنسَ وَحشَتِهِ   في شاسِعٍ ما بِهِ لِلخَلقِ مِن أَرَمِ
فَما يَمُرُّ عَلى صَخرٍ وَلا شَجَرٍ   إِلّا وَحَيّاهُ بِالتَّسليمِ مِن أَمَمِ
حَتّى إِذا حانَ أَمرُ الغَيبِ وَانحَسَرَت   أَستارُهُ عَن ضَميرِ اللَوحِ وَالقَلَمِ
نادى بِدَعوَتِهِ جَهراً فَأَسمَعَها   في كُلِّ ناحِيَةٍ مَن كانَ ذا صَمَمِ
فَكانَ أَوَّلُ مَن في الدِّينِ تابَعَهُ   خَدِيجَةٌ وَعَلِيٌّ ثابِتُ القَدَمِ
ثُمَّ استَجابَت رِجالٌ دُونَ أُسرَتِهِ   وَفي الأَباعِدِ ما يُغني عَنِ الرَّحِمِ
وَمَن أَرادَ بِهِ الرَّحمنُ مَكرُمَةً   هَداهُ لِلرُّشدِ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
ثُمَّ استَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ مُعتَزِماً   يَدعُو إِلى رَبِّهِ في كُلِّ مُلتَأَمِ
وَالنّاسُ مِنهُم رَشيدٌ يَستَجيبُ لَهُ   طَوعاً وَمِنهُم غَوِيٌّ غَيرُ مُحتَشِمِ
حَتّى استَرابَت قُرَيشٌ وَاستَبَدَّ بِها   جَهلٌ تَرَدَّت بِهِ في مارِجٍ ضَرِمِ
وَعَذَّبوا أَهلَ دِينِ اللَّهِ وَانتَهَكوا   مَحارِماً أَعقَبَتهُم لَهفَةَ النَّدَمِ
وَقامَ يَدعُو أَبو جَهلٍ عَشِيرَتَهُ   إِلى الضَّلالِ وَلَم يَجنَح إِلى سَلَمِ
يُبدِي خِداعاً وَيُخفِي ما تَضَمَّنَهُ   ضَمِيرُهُ مِن غَراةِ الحِقدِ وَالسَّدَمِ
لا يَسلَمُ القَلبُ مِن غِلٍّ أَلَمَّ بِهِ   يَنقى الأَديمُ وَيَبقى مَوضِعُ الحَلَمِ
وَالحِقدُ كَالنّارِ إِن أَخفَيتَهُ ظَهَرَت   مِنهُ عَلائِمُ فَوقَ الوَجهِ كَالحُمَمِ
لا يُبصِرُ الحَقَّ مَن جَهلٌ أَحاطَ بِهِ   وَكَيفَ يُبصِرُ نُورَ الحَقِّ وَهوَ عَمِ
كُلُّ امرِئٍ وَاجِدٌ ما قَدَّمَت يَدُهُ   إِذا اِستَوى قائِماً مِن هُوَّةِ الأَدَمِ
وَالخَيرُ وَالشَّرُّ في الدُّنيا مُكافَأَةٌ   وَالنَّفسُ مَسؤولَةٌ عَن كُلِّ مُجتَرَمِ
فَلا يَنَم ظالِمٌ عَمّا جَنَت يَدُهُ   عَلى العِبادِ فَعَينُ اللَّهِ لَم تَنَمِ
وَلَم يَزَل أَهلُ دِينِ اللَّهِ في نَصَبٍ   مِمّا يُلاقُونَ مِن كَربٍ وَمِن زَأَمِ
حَتّى إِذا لَم يَعُد في الأَمرِ مَترَعَةٌ   وَأَصبَحَ الشَّرُّ جَهراً غَيرَ مُنكَتِمِ
سارُوا إِلى الهِجرَةِ الأُولى وَما قَصَدوا   غَيرَ النَّجاشِيِّ مَلكاً صادِقَ الذِّمَمِ
فَأَصبَحُوا عِندَهُ في ظِلِّ مَملَكَةٍ   حَصِينَةٍ وذِمامٍ غَيرِ مُنجَذِمِ
مَن أَنكَرَ الضَّيمَ لَم يَأنَس بِصُحبَتِهِ   وَمَن أَحاطَت بِهِ الأَهوالُ لَم يُقِمِ
وَمُذ رَأى المُشرِكون الدِّين قَد   سَماؤُهُ وَانجَلَت عَن صِمَّةِ الصِّمَمِ
تَأَلَّبُوا رَغبَةً في الشَّرِّ وَائتَمَرُوا   عَلى الصَّحيفَةِ مِن غَيظٍ وَمِن وَغَمِ
صَحِيفَةٌ وَسَمَت بِالغَدرِ أَوجُهَهُم   وَالغَدرُ يَعلَقُ بِالأَعراضِ كَالدَّسَمِ

فَكَشَّفَ اللَّهُ مِنــها غُمَّــةً نَزَلَــت ... بالمُؤمِنِينَ وَرَبِّي كاشِفُ الغُمَــمِ
مَن أَضمَرَ السُّوءَ جازاهُ الإِلَــهُ بِــهِ ... وَمَن رَعى البَغْيَ لَم يَسْلَم مِـــنَ
كَفى الطُّفَيلَ بنَ عَمرٍو لُمعَةٌ ظَهَرَت ... فِي سَوطِهِ فَأَنارَت سُدْفَةَ القَــتَمِ
هَدى بِها اللَّهُ دَوساً مِن ضَــلالَتِها ... فَتابَعَت أَمرَ داعِيها وَلَــم تَهِــمِ
وَفِي الإِراشِــيِّ لِلأَقــوامِ مُعتَبَــرٌ ... إِذْ جاءَ مَكَّةَ فِي ذَودٍ مِنَ الــنَّعَمِ
فَباعَها مِـــن أَبِي جَهــلٍ فَماطَلَــهُ ... بِحَقِّهِ وَتَمادى غَــيرَ مُحتَشِــمِ
فَجاءَ مُنتَصِــراً يَشــكُو ظُلامَتَــهُ ... إِلى النَّبِيِّ ونعمَ العَــونُ فِي الإِزَمِ
فَقــامَ مُبتَــدِراً يَســعى لِنُصــرَتِهِ ... وَنُصرَةُ الحَقِّ شَأنُ المَرءِ ذِي الهِمَمِ
فَدَقَّ بابَ أَبِي جَهــلٍ فَجــاءَ لَــهُ ... طَوعاً يَجُرُّ عِنانَ الخائِفِ الــزَّرِمِ
فَحِينَ لاقَى رَسُولَ اللَّــهِ لاحَ لَــهُ ... فَحْلٌ يَحُدُّ إِلَيهِ النَّابَ مِن أَطَــمِ
فَهالَهُ مــا رَأى فَارتَــدَّ مُترَعِجــاً ... وَعادَ بِالنَّقدِ بَعدَ المَطلِ عَن رَغَمِ
أَتِلكَ أَمْ حِينَ نادى سَرْحَةً فَأَتَــت ... إِلَيهِ مَنشُورَةَ الأَغصانِ كَــالجُمَمِ
حَنَّت عَلَيهِ حُنُوَّ الأُمِّ مِــن شَــفَقٍ ... وَرَفرَفَت فَوقَ ذاكَ الحُسنِ مِــن
جاءَتهُ طَوعاً وَعادَت حينَ قالَ لَها ... عُودِي وَلو خُلِّيَتْ لِلشَّوقِ لَم تَرِمِ
وَحَبَّذا لَيلَةُ الإِسراءِ حِــينَ سَــرى ... لَيلاً إِلى المَسجِدِ الأَقصى بِلا أَتَمِ
رَأى بِهِ مِن كِرامِ الرُّســلِ طائِفَــةً ... فَأَمَّهُم ثُمَّ صَلَّى خاشِــعاً بِهِــمِ
بَل حَبَّذا نَهضَةُ المِعراجِ حينَ سَــما ... بِهِ إِلى مَشهَدٍ فِي العِزِّ لَــم يُــرَمِ
سَما إِلى الفَلَكِ الأَعلى فَنــالَ بِــهِ ... قَدراً يَجِلُّ عَنِ التَّشبِيهِ فِي العِظَــمِ
وَسارَ فِي سُبُحاتِ النُّــورِ مُرتَقِيــاً ... إِلى مَدارِجَ أَعيَت كُــلَّ مُعتَــزِمِ
وَفازَ بِالجَوهَرِ المَكنونِ مِــن كَلِــمٍ ... لَيسَــت إِذا قُرِنَــت بِالوَصــفِ
سِرٌّ تَحارُ بِــهِ الأَلبــابُ قاصِــرَةً ... وَنِعمَةٌ لَم تَكُن فِي الدَّهرِ كَالنِّعَمِ
هَيهاتَ يَبلُغُ فَهمٌ كُنهَ مــا بَلَغَــت ... قُرباهُ مِنهُ وَقَد ناجاهُ مِــن أَمَــمِ
فَيا لَها وصلَةً نالَ الحَبِيــبُ بِهــا ... ما لَم يَنَلهُ مِنَ التَّكرِيمِ ذُو نَسَــمِ
فاقَت جَمِيعَ اللَّيالِي فَهــيَ زاهِــرَةٌ ... بِحُسنِها كَزُهُورِ النّارِ فِي العَلَــمِ
هَذا وَقَد فَرَضَ اللَّهُ الصَّلاةَ عَلــى ... عِبادِهِ وَهَداهُم واضِــحَ اللَّقَــمِ
فَسارَعُوا نَحوَ دِينِ اللَّهِ وَانتَصَــبُوا ... إِلى العِبادَةِ لا يَأْلُونَ مِــن سَــأَمِ
وَلَم يَزَل سَيِّدُ الكَــونَينِ مُنتَصِــباً ... لِدَعوَةِ الدِّينِ لَم يَفتر وَلَم يَجِــمِ
يَستَقبِلُ النّاسَ فِي بَدوٍ وَفِي حَضَــرٍ ... وَيَنشُرُ الدِّينَ فِي سَهلٍ وَفِي عَلَــمِ
حَتّى اسْــتَجابَت لَــهُ الأَنصــارُ ... بِحَبلِهِ عَن تَراضٍ خَيرَ مُعتَصَــمِ
فَاستَكمَلَت بِهِمُ الــدُّنيا نَضــارَتَها ... وَأَصبَحَ الدِينُ فِي جَمعٍ بِهِم تَمَمِ

قَومٌ أَقَرُّوا عِمادَ الحَقِّ وَاصــطَلَمُوا بِبَأسِهِم كُلَّ جَبَّــارٍ وَمُصــطَلِمِ
فَكَم بِهِم أَشرَقَت أَســتارُ داجِيَــةٍ وَكَم بِهِم خَمَدَت أَنفاسُ مُختَصِمِ
فَحينَ وافى قُرَيشاً ذِكــرُ بَيعَــتِهِم ثارُوا إِلى الشَّرِّ فِعلَ الجاهِلِ العَرِمِ
وَبادَهُوا أَهلَ دِينِ اللَهِ وَاهتَضَــمُوا حُقُوقَهُم بِالتَّمادِي شَرَّ مُهتَضَــمِ
فَكَم تَرى مِن أَسيرٍ لا حِــراكَ بِــهِ وَشارِدٍ سارَ مِن فَــجٍّ إِلى أَكَــمِ
فَهاجَرَ الصَّحبُ إِذ قالَ الرَّسُولُ لَهُم سيرُوا إِلى طَيْبَةَ المَرعِيَّــةِ الحُــرَمِ
وَظَلَّ فِي مَكَّــةَ المُختــارُ مُنتَظِــراً إِذْناً مِنَ اللهِ في سَــيرٍ وَمُعتَــزَمِ
فَأَوجَسَت خيفَةً مِنهُ قُــرَيشُ وَلَــم تَقبَلْ نَصِيحاً وَلَم تَرجِعْ إِلى فَهَمِ
فاستَجمَعَت عُصَباً في دارِ نَــدوَتِها تَبغي بِهِ الشَّرَّ مِن حِقدٍ وَمِن أَضَمِ
وَلَو دَرَتْ أَنَّهــا فِيمــا تُحاوِلُــهُ مَخذولَةٌ لَم تَسُمْ في مَرتَعٍ وَخِــمِ
أَولى لَها ثُمَ أَولى أَن يَحيــقَ بِهــا ما أَضمَرَتهُ مِنَ البَأساءِ وَالشَّــجَمِ
إِنّي لَأَعجَبُ مِن قَــومٍ أُولي فِطَــنٍ بَاعُوا النُّهَى بِــالعَمَى وَالسَّــمْعَ
يَعْصُونَ خالِقَهُم جَهــلاً بِقُدرَتِــهِ وَيَعكُفُونَ عَلَى الطَّاغُوتِ وَالصَّنَمِ
فَــأَجمَعُوا أَمــرَهُم أَن يَبْغَتُــوهُ إِذا جَنَّ الظَّلامُ وَخَفَّت وَطْأَةُ القَــدَمِ
وَأَقبَلُوا مَوهِنــاً في عُصــبَةٍ غُــدُرٍ مِنَ القَبائِلِ باعُوا النَّفسَ بِــالزَّعَمِ
فَجاءَ جبريــلُ لِلــهادِي فَأَنبــأَهُ بِما أَسَرُّوهُ بَعدَ العَهدِ وَالقَسَــمِ
فَمُذ رَآهُم قِيامــاً حَــولَ مَأمَنِــهِ يَبغُونَ ساحَتَهُ بِالشَّــرِّ وَالفَقَــمِ
نادى عَلِيّاً فَأَوصــاهُ وَقــالَ لَــهُ لا تَخشَ وَالبَس رِدائي آمِناً وَنَمِ
وَمَرَّ بِالقَومِ يَتْلُو وَهْــوَ مُنصَــرِفٌ يَس وَهيَ شِفاءُ النَّفسِ مِن وَصَمِ
فَلَم يَرَوهُ وَزاغَت عَنــهُ أَعيُــنُهُم وَهَل تَرى الشَّمس جَهراً أَعــيُنُ
وَجاءَهُ الــوَحيُ إِيــذاناً بِهِجرَتِــهِ فَيَمَّمَ الغارَ بِالصِّدِّيقِ في الغَسَــمِ
فَمَــا اسْــتَقَرَّ بِــهِ حَتّــى تَبَــوَّأَهُ مِنَ الحَمائِمِ زَوجٌ بــارِعُ الــرَّنَمِ
بَنى بِــهِ عُشَّــهُ وَاحْتَلَّــهُ سَــكَناً يَأوي إِلَيهِ غَداةَ الــرِّيحِ وَالــرَّهَمِ
إِلفانِ ما جَمَــعَ المِقــدارُ بَينَهُمــا إِلّا لِسِرٍّ بِصَــدرِ الغَــارِ مُكْتَــتَمِ
كِلاهُما دَيــدَبانٌ فَــوقَ مَربــأَةٍ يَرعَى المَسالِكَ مِن بُعدٍ وَلَم يَــنَمِ
إِن حَنَّ هَذا غَراماً أَو دَعــا طَرَبــاً بِاسمِ الهَديلِ أَجابَت تِلكَ بِالنَّغَمِ
يَخالُها مَن يَراها وَهــيَ جاثِمَــةٌ في وَكرِها كُرَةً مَلساءَ مِــن أَدَمِ
إِن رَفرَفَت سَكَنَت ظِلّاً وَإِن هَبَطَت رَوَت غَليلَ الصَّدى مِن حــائِرٍ
مَرقُومَةُ الجِيدِ مِن مِســكٍ وَغالِيَــةٍ مَخضُوبَةُ الساقِ وَالكَفَّينِ بِالعَنَمِ
كَأَنَّما شَرَعَت في قــانِئٍ ســربٍ مِن أَدمُعِي فَغَدَت مُحمَرَّةَ القَدَمِ

وَسَجفَ العَنكَبُوتُ الغارَ مُحتَفِياً ... بخَيمَةٍ حاكَها مِن أَبدَعِ الخِيَمِ
قَد شَدَّ أَطنابَها فَاِستَحكَمَت ... بالأَرضِ لَكِنَّها قامَت بلا دِعَمِ
كَأَنَّها سابِريٌّ حاكَهُ لَبِقٌ ... بأَرضِ سابُورَ في بحُبوحَةِ العَجَمِ
وَارَت فَمَ الغارِ عَن عَينٍ تُلِمُّ بِهِ ... فَصارَ يَحكي خَفاءً وَجهَ مُلتَثِمِ
فَيا لَهُ مِن سِتارٍ دُونَهُ قَمَرٌ ... يَجلُو البَصائِرَ مِن ظُلمٍ وَمِن ظُلَمِ
فَظَلَّ فيهِ رَسولُ اللَّهِ مُعتَكِفاً ... كَالدُرِّ في البَحرِ أَو كَالشَّمْسِ في
حَتّى إِذا سَكَنَ الإِرْجَافِ وَاحْتَرقَت ... أَكْبَادُ قَومٍ بنَارِ اليَأسِ وَالوَغَمِ
أَوحى الرَّسولُ بِإِعدادِ الرَّحيلِ إِلى ... مَن عِندَهُ السِّرُّ مِن خِلٍّ وَمِن
وَسارَ بَعدَ ثَلاثٍ مِن مَباءَتِهِ ... يَؤُمُّ طَيْبَةَ مَأوى كُلِّ مُعتَصِمِ
فَحِينَ وَافى قُدَيداً حَلَّ مَوكِبُهُ ... بأُمِّ مَعبَدَ ذاتِ الشَّاءِ وَالغَنَمِ
فَلَم تَجِد لِقِراهُ غَيرَ ضائِنَةٍ ... قَدِ اقشَعَرَّت مَراعِيها فَلَم تَسُمِ
فَما أَمَرَّ عَلَيها داعِياً يَدَهُ ... حَتّى اسْتَهَلَّت بِذِي شَخبَيْنِ
ثُمَّ استَقَلَّ وَأَبقى في الزَّمانِ لَها ... ذِكراً يَسيرُ عَلَى الآفاق كَالنَّسَمِ
فَبَينَما هُوَ يَطوِي البيدَ أَدرَكَهُ ... رَكضاً سُراقَةُ مِثلَ القَشعَمِ الضَّرِمِ
حَتَّى إِذا ما دَنَا سَاخَ الجَوادُ بِهِ ... في بُرقَةٍ فَهَوَى لِلسَّاقِ وَالقَدَمِ
فَصَاحَ مُبتَهِلاً يَرجُو الأَمانَ وَلَو ... مَضَى عَلَى عَزْمِهِ لانْهَارَ في رَجَمِ
وَكَيفَ يَبلُغُ أَمراً دُونَهُ وَزَرٌ ... مِنَ العِنايَةِ لَم يَبلُغهُ ذُو نَسَمِ
فَكَفَّ عَنهُ رَسولُ اللَّهِ وَهْوَ بِهِ ... أَدْرَى وَكَمْ نِقَمٍ تفتَرُّ عَن نِعَمِ
وَلَم يَزَل سائِراً حَتّى أَنافَ عَلى ... أَعلامِ طَيبَةَ ذاتِ المَنظَرِ العَمَمِ
أَعظِم بِمَقدَمِهِ فَخراً وَمَنقَبَةً ... لِمَعشَرِ الأَوسِ وَالأَحياءِ مِن جُشَمِ
فَخرٌ يَدُومُ لَهُم فَضلٌ بذِكرَتِهِ ... ما سارَت العِيسُ بالزُّوّارِ لِلحَرَمِ
يَومٌ بِهِ أَرَّخَ الإِسلامُ غُرَّتَهُ ... وَأَدرَكَ الدِّينُ فيهِ ذِروَةَ النُّجُمِ
ثُمَّ ابتَنَى سَيِّدُ الكَونَينِ مَسْجِدَهُ ... بُنيانَ عِزٍّ فَأَضحى قائِمَ الدِّعَمِ
وَاختَصَّ فيهِ بلالاً بالأَذانِ وَما ... يُلفى نَظيرٌ لَهُ في نَبرَةِ النَّغَمِ
حَتّى إِذا تَمَّ أَمرُ اللهِ وَاجْتَمَعَت ... لَهُ القَبائِلُ مِن بُعْدٍ وَمِن زَمَمِ
قامَ النَّبِيُّ خَطيباً فيهِمُ فَأَرى ... نَهجَ الهُدى وَنَهى عَن كُلِّ مُجتَرَمِ
وَعَمَّهُم بِكِتابٍ حَضَّ فيهِ عَلى ... مَحاسِنِ الفَضلِ وَالآدابِ وَالشِّيَمِ
فَأَصبَحُوا في إِخاءٍ غَيرِ مُنصَدِعٍ ... عَلى الزَّمانِ وَعِزٍّ غَيرِ مُنهَدِمِ
وَحِينَ آخى رَسُولُ اللَّهِ بَينَهُمُ ... آخى عَلِيّاً وَنِعمَ العَونُ في القُحَمِ
هُوَ الَّذي هَزَمَ اللَّهُ الطُغاةَ بِهِ ... في كُلِّ مُعتَرَكٍ بالبِيضِ مُحتَدِمِ

فَاسْتَحْكَمَ الدِّينُ وَاشْتَدَّت دَعائِمُهُ   حَتّى غَدا واضِحَ العِرنينِ ذا شَمَمِ
وَأَصبَحَ النَّاسُ إِخواناً وَعَمَّهُمُ   فَضلٌ مِنَ اللهِ أَحياهُم مِنَ العَدَمِ
هَذا وَقَد فَرَضَ اللَّهُ الجِهادَ عَلى   رَسُولِهِ لِيَبُثَّ الدِّينَ فِي الأُمَمِ
فَكانَ أَوَّلُ غَزوٍ سارَ فيهِ إِلى   وَدّانَ ثُمَّ أَتى مِن غَيرِ مُصطَدَمِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّت سَرايا الدِّينِ سابِحَةً   بِالخَيلِ جامِحَةً تَستَنُّ بِاللُّجُمِ
سَرِيَّةٌ كانَ يَرعاها عُبَيدَةُ فِي   صَوبٍ وَحَمزَةُ فِي أُخرى إِلى
وَغَزوَةٌ سارَ فيها المُصطَفى قُدُماً   إِلى بُواطٍ بِجَمعٍ ساطِعِ القَتَمِ
وَمِثلَها يَمَّمَت ذاتَ العُشَيرَةِ فِي   جَيشٍ لُهامٍ كَمَوجِ البَحرِ مُلتَطِمِ
وَسارَ سَعدٌ إِلى الخَرّارِ يَقدُمُهُ   سَعدٌ وَلَم يَلقَ فِي مَسراهُ مِن بَشَمِ
وَيَمَّمَت سَفَوانَ الخَيلُ سابِحَةً   بِكُلِّ مُعتَزِمٍ لِلقَرنِ مُلتَزِمِ
وَتابَعَ السَّيرَ عَبدُ اللَّهِ مُتَّجِهاً   تِلقاءَ نَخلَةَ مَصحُوباً بِكُلِّ كَمِي
وَحُوِّلَت قِبلَةُ الإِسلامِ وَقتَئِذٍ   عَن وِجهَةِ القُدسِ نَحوَ البَيتِ ذي
وَيَمَّمَ المُصطَفى بَدراً فَلاحَ لَهُ   بَدرٌ مِنَ النَّصرِ جَلَّى ظُلمَةَ الوَخَمِ
يَومٌ تَبَسَّمَ فيهِ الدِّينُ وَانهَمَلَت   عَلَى الضَّلالِ عُيونُ الشِّركِ
أَبلَى عَلِيٌّ بِهِ خَيرَ البَلاءِ بِما   حَباهُ ذُو العَرشِ مِن بَأسٍ وَمِن
وَجالَ حَمزَةُ بِالصَّمصامِ يَكسؤُهُم   كَسأً يُفَرِّقُ مِنهُم كُلَّ مُزدَحَمِ
وَغادَرَ الصَّحبُ وَالأَنصارُ جَمعَهُمُ   وَلَيسَ فيهِ كَمِيٌّ غَيرُ مَنهَزِمِ
تَقَسَّمَتهُم يَدُ الهَيجاءِ عادِلَةً   فَالهامُ لِلبِيضِ وَالأَبدانُ لِلرَّخَمِ
كَأَنَّما البِيضُ بِالأَيدي صَوالِجَةٌ   يَلعَبنَ فِي ساحَةِ الهَيجاءِ بِالقِمَمِ
لَم يَبقَ مِنهُم كَمِيٌّ غَيرُ مُنجَدِلٍ   عَلى الرّغامِ وَعُضوٌ غَيرُ مُنحَطِمِ
فَما مَضَت ساعَةٌ وَالحَربُ مُسعَرَةٌ   حَتّى غَدا جَمعُهُم نَهباً لِمُقتَسِمِ
قَد أَمطَرَتهُم سَماءُ الحَربِ صائِبَةً   بِالمَشرَفِيَّةِ وَالمُرّانِ كَالرُّجُمِ
فَأَينَ ما كانَ مِن زَهوٍ وَمِن صَلَفٍ   وَأَينَ ما كانَ مِن فَخرٍ وَمِن شَمَمِ
جاؤُوا وَلِلشَّرِّ وَسمٌ فِي مَعاطِسِهِم   فَأُرغِمُوا وَالرَّدى فِي هَذِهِ السِّيَمِ
مَن عارَضَ الحَقَّ لَم تَسلَم مَقاتِلُهُ   وَمَن تَعَرَّضَ لِلأَخطارِ لَم يَنَمِ
فَما اِنقَضى يَومُ بَدرٍ بِالَّتِي عَظُمَت   حَتّى مَضى غازِياً بِالخَيلِ فِي
فَيَمَّمَ الكُدرَ بِالأَبطالِ مُنتَحِياً   بَنِي سُلَيمٍ فَوَلَّت عَنهُ بِالرَّغَمِ
وَسارَ فِي غَزوَةٍ تُدعى السَّوِيقَ بِما   أَلقاهُ أَعداؤُهُ مِن عُظمِ زادِهِمِ
ثُمَّ انتَحى بِوُجُوهِ الخَيلِ ذا أَمَرٍ   فَفَرَّ ساكِنُهُ رُعباً إِلى الرَّقَمِ
وَأَمَّ فَرعاً فَلَم يَثقَف بِهِ أَحَداً   وَمَن يُقيمُ أَمامَ العارِضِ الهَزِمِ

وَلَفَّ بالجَيشِ حَتَّي قَينُقاعَ بما   جَنَوا فَتَعساً لَهُم مِن مَعشَرٍ قَزَمِ
وَسارَ زَيدٌ بِجَمعٍ نَحوَ قَردَةَ مِن   مِياهِ نَجدٍ فَلَم يَثقَف سِوى النَّعَمِ
ثُمَّ اِستَدارَت رَحا الهَيجاءِ فِي أُحُدٍ   بِكُلِّ مُفتَرِسٍ لِلقِرنِ مُلتَهِمِ
يَومٌ تَبَيَّنَ فيهِ الجِدُّ وَاِتَّضَحَت   جَلِيَّةُ الأَمرِ بَعدَ الجَهدِ وَالسَّأَمِ
قَد كانَ خُبراً وَتَمحيصاً وَمَغفِرَةً   لِلمُؤمِنِينَ وَهَل بُرءٌ بِلا سَقَمِ
مَضى عَلِيٌّ بِهِ قُدماً فَزَلزَلَهُم   بِحَملَةٍ أَورَدَتهُم مَورِدَ الشَّجَمِ
وَأَظهَرَ الصَّحبُ وَالأَنصارُ بَأسَهم   وَالبَأسُ فِي الفِعلِ غَيرُ البَأسِ فِي
خاضُوا المَنايا فَنالُوا عِيشَةً رَغَداً   وَلَذَّةُ النَّفسِ لا تَأتِي بِلا أَلَمِ
مَن يَلزَمِ الصَّبرَ يَستَحسِن عَواقِبَهُ   وَالماءُ يَحسُنُ وَقعاً عِندَ كُلِّ ظَمِ
لَو لَم يَكُن فِي اِحتِمالِ الصَّبرِ مَنقَبَةٌ   لَم يَظهَرِ الفَرقُ بَينَ اللُّؤمِ وَالكَرَمِ
فَكانَ يَوماً عَتِيدَ البَأسِ نالَ بِهِ   كِلا الفَرِيقَينِ جَهداً وَارِيَ الحَدَمِ
أَودى بِهِ حَمزَةُ الصِّندِيدُ فِي نَفَرٍ   نالوا الشَّهادَةَ تَحتَ العارِضِ
أَحسِن بِها مَيتَةً أَحيَوا بِها شَرَفاً   وَالمَوتُ فِي الحَربِ فَخرُ السّادَةِ
لا عارَ بِالقَومِ مِن مَوتٍ وَمِن سَلَبٍ   وَهَل رَأَيتَ حُساماً غَيرَ مُنثَلِمِ
فَكانَ يَوم جَزاءٍ بَعدَ مُختَبَرٍ   لِمَن وَفا وَجَفا بِالعِزِّ وَالرَّغَمِ
قامَ النَّبِيُّ بِهِ فِي مَأزِقٍ حَرِجٍ   تَرعى المَناصِلُ فيهِ مَنبتَ الجُمَمِ
فَلَم يَزَل صابِراً فِي الحَربِ يَفثَؤُها   بِالبِيضِ حَتّى اِكتَسَت ثَوباً مِنَ
وَرَدَّ عَينَ اِبنِ نُعمانَ قَتادَةَ إِذ   سالَت فَعادَت كَما كانَت بِلا لَتَمِ
وَقَد أَتى بَعدَ ذا يَومُ الرَّجِيعِ بِما   فِيهِ مِنَ الغَدرِ بَعدَ العَهدِ وَالقَسَمِ
وَثارَ نَقعُ المَنايا فِي مَعُونَةَ مِن   بَنِي سُلَيمٍ بِأَهلِ الفَضلِ وَالحِكَمِ
ثُمَّ اشْرَأَبَّت لِخَفرِ العَهدِ مِن سَفَهٍ   بَنُو النَّضِيرِ فَأَجلاهُم عَنِ الأُطُمِ
وَسارَ مُنتَحِياً ذاتَ الرِّقاعِ فَلَم   تَلقَ الكَتائِبُ فيها كَيدَ مُصطَدِمِ
وَحَلَّ مِن بَعدِها بَدراً لِوَعدِ أَبِي   سُفيانَ لَكِنَّهُ وَلّى وَلَم يَحُمِ
وَأَمَّ دَومَةَ فِي جَمعٍ وَعادَ إِلى   مَكانِهِ وَسَماءُ النَّقعِ لَم تَغِمِ
ثُمَّ اسْتَثارَت قُرَيشٌ وَهيَ ظالِمَةٌ   أَحلافَها وَأَتَت فِي جَحفَلٍ لَهِمِ
تَستَمرِئُ البَغيَ مِن جَهلٍ وَما   أَنَّ الجَهالَةَ مَدعاةٌ إِلى النَّدَمِ
وَقامَ فيهم أَبُو سُفيانَ مِن حَنَقٍ   يَدعُو إِلى الشَّرِّ مِثلَ الفَحلِ ذِي
فَخَندَقَ المُؤمِنُونَ الدّارَ وَاِنتَصَبُوا   لِحَربِهِم كَضَوارِي الأُسدِ فِي
فَما استَطاعَت قُرَيشٌ نَيلَ ما طَلَبَت   وَهَل تَنالُ الثُّرَيّا كَفُّ مُستَلِمِ
رامَت بِجَهلَتِها أَمراً وَلَو عَلِمَت   ماذا أُعِدَّ لَها فِي الغَيبِ لَم تَرُمِ

فَخَيَّبَ اللَّهُ مَسعاها وَغادَرَها … نَهبَ الرَّدى وَالصَّدى وَالرِّيحِ
فَقوَّضَت عُمُدَ التَّرحالِ وَانصَرَفَت … لَيلاً إِلى حَيثُ لَم تَسرَح وَلَم تَسُمِ
وَكَيفَ تَحمَدُ عُقبى ماجَنَت يَدُها … بَغياً وَقَد سَرَحَت في مَرتَعٍ وَخِمِ
قَد أَقبَلَت وَهيَ في فَخرٍ وَفي جَذَلٍ … وَأَدبَرَت وَهيَ في خِزيٍ وَفي سَدَمِ
مَن يَركَبِ الغَيَّ لا يَحمَد عَواقِبَهُ … وَمَن يُطِع قَلبُهُ أَمرَ الهَوى يَهِمِ
ثُمَّ اِنتَحى بِوُجُوهِ الخَيلِ ساهِمَةً … بَني قُرَيظَةَ في رَجراجَةٍ حُطَمِ
خانُوا الرَّسُولَ فَجازاهُم بِما كَسَبُوا … وَفِي الخِيانَةِ مَدعاةٌ إِلى النِّقَمِ
وَسارَ يَنحُو بَني لِحيانَ فَاِعتَصَمُوا … خَوفَ الرَّدى بِالعَوالي كُلَّ
وَأَمَّ ذا قَرَدٍ في جَحفَلٍ لَجِبٍ … يَستَنُّ في لاحِبٍ بادٍ وَفي نَسَمِ
وَزارَ بِالجَيشِ غَزواً أَرضَ مُصطَلِقٍ … فَما اتَّقُوهُ بِغَيرِ البِيضِ فِي الخَدَمِ
وَفي الحُدَيبِيَةِ الصُّلحُ اِستَتَبَّ إِلى … عَشرٍ وَلَم يَجرِ فيها مِن دَمٍ هَدَمِ
وَجاءَ خَيبَرَ في جَأواءَ كَالحَرَّةٍ … بِالخَيلِ كَالسَّيلِ وَالأَسيافِ
حَتّى إِذا اِمتَنَعَت شُمُّ الحُصونِ عَلى … مَن رامَها بَعدَ إِيغالٍ وَمُقتَحَمِ
قالَ النَّبِيُّ سَأُعطِي رايَتِي رَجُلاً … يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ اللَّهَ ذا الكَرَمِ
ذا مِرَّةٍ يَفتَحُ اللَّهُ الحُصونَ عَلَى … يَدَيهِ لَيسَ بِفَرّارٍ وَلا بَرِمِ
فَما بَدا الفَجرُ إِلّا وَالزَّعيمُ عَلَى … جَيشِ القِتالِ عَلِيٌّ رافِعُ العَلَمِ
وَكانَ ذا رَمَدٍ فَارْتَدَّ ذا بَصَرٍ … بِنَفثَةٍ أَبرَأَت عَينَيهِ مِن وَرَمِ
فَسارَ مُعتَزِماً حَتّى أَنافَ عَلَى … حُصُونِ خَيبَرَ بِالمَسلُولَةِ الخُذُمِ
يَمضِي بِمُنصُلِهِ قُدماً فَيَلحَمُهُ … مَجرى الوَرِيدِ مِنَ الأَعناقِ وَاللِّمَمِ
حَتّى إِذا طاحَ مِنهُ التُّرسُ تاحَ لَهُ … بابٌ فَكانَ لَهُ تُرساً إِلى العَتَمِ
بابٌ أَبَت قَلبَهُ جَهداً ثَمانِيَةٌ … مِنَ الصَّحابَةِ أَهلِ الجِدِّ وَالعَزَمِ
فَلَم يَزَل صائِلاً فِي الحَربِ مُقتَحِماً … غَيابَةَ النَّقعِ مِثلَ الحَيدَرِ القَرِمِ
حَتّى تَبَلَّجَ فَجرُ النَّصرِ وَانتَشَرَت … بِهِ البَشائِرُ بَينَ السَّهلِ وَالعَلَمِ
أَبشِر بِهِ يَومَ فَتحٍ قَد أَضاءَ بِهِ … وَجهُ الزَّمانِ فَأَبدى بِشرَ مُبتَسِمِ
أَتى بِهِ جَعفَرُ الطَّيّارُ فَابتَهَجَت … بِعَودِهِ أَنفُسُ الأَصحابِ وَالعُزَمِ
فَكانَ يَوماً حَوى عِيدَينِ فِي نَسَقٍ … فَتحاً وَعَودَ كَرِيمٍ طاهِرِ الشِّيَمِ
وَعادَ بِالنَّصرِ مَولى الدِّينِ مُنصَرِفاً … يَؤُمُّ طَيبَةَ فِي عِزٍّ وَفِي نِعَمِ
ثُمَّ اسْتَقامَ لِبَيتِ اللَّهِ مُعتَمِراً … لِنَيلِ ما فاتَهُ بِالهَدي لِلحَرَمِ
وَسارَ زَيدٌ أَميراً نَحوَ مُؤتَةَ في … بَعثٍ فَلاقى بِها الأَعداءَ مِن كَثَمِ
فَعَبَّأَ المُسلِمُونَ الجُندَ وَاقتَتَلُوا … قِتالَ مُنتَصِرٍ لِلحَقِّ مُنتَقِمِ

فَطاحَ زَيدٌ وَأَودى جَعفَرٌ وَقَضى ... تَحتَ العَجاجَةِ عَبدُ اللَّهِ في قُدُمِ
لا عارَ بِالمَوتِ فَالشَّهمُ الجَريءُ يَرى ... أَنَّ الرَّدى في المَعالي خَيرُ مُغتَنَمِ
وَحِينَ خاسَت قُرَيشٌ بِالعُهُودِ وَلَم ... تُنصِف وَسارَت مِن الأَهواءِ فِي
وَظاهَرَت مِن بَني بَكرٍ حَليفَتَها ... عَلى خُزاعَةَ أَهلِ الصِّدقِ فِي
قامَ النَّبيُّ لِنَصرِ الحَقِّ مُعتَزِماً ... بِجَحفَلٍ لِجُمُوعِ الشِّركِ مُختَرِمِ
تَبدُو بِهِ البيضُ وَالقَسطالُ مُنتَشِرٌ ... كَالشُّهبِ في اللَّيلِ أَو كَالنّارِ فِي
لَمعُ السُّيُوفِ وَتَصهالُ الخُيولِ بِهِ ... كَالبَرقِ وَالرَّعدِ في مُغدَودِقٍ هَزِمِ
عَرمرَمٌ يَنسفُ الأَرضَ الفَضاءَ إِذا ... سَرى بِها وَيَدُكُّ الهَضبَ مِن خِيَمِ
فِيهِ الكُماةُ الَّتي ذَلَّت لِعِزَّتِها ... مَعاطِسٌ لَم تُذَلَّل قَبلُ بِالخُطُمِ
مِن كُلِّ مُعتَزِمٍ بِالصَّبرِ مُحتَزِمٍ ... لِلقِرنِ مُلتَزِمٍ في البَأسِ مُهتَزِمِ
طالَت بِهِم هِمَمٌ نالُوا السِّماكَ بِها ... عَن قُدرَةٍ وَعُلُوُّ النَّفسِ بِالهِمَمِ
بِيضٌ أَساوِرَةٌ غُلبٌ قَساوِرَةٌ ... شُكسٌ لَدى الحَربِ مِطعامونَ في
طابَت نُفُوسُهُمُ بِالمَوتِ إِذ عَلِمُوا ... أَنَّ الحَياةَ الَّتي يَبغُونَ في العَدَمِ
ساسُوا الجِيادَ فَظَلَّت في أَعِنَّتِها ... طَوعَ البَنانَةِ في كَرٍّ وَمُقتَحَمِ
تَكادُ تَفقَهُ لَحنَ القَولِ مِن أَدَبٍ ... وَتَسبِقُ الوَحيَ وَالإِيماءَ مِن فَهَمِ
كَأَنَّ أَذنابَها في الكَرِّ أَلوِيَةٌ ... عَلَى سَفِينٍ لِأَمرِ الرِّيحِ مُرتَسِمِ
مِن كُلِّ مُنجَرِدٍ يَهوي بِصاحِبِهِ ... بَينَ العَجاجِ هَوِيَّ الأَجدَلِ اللَّحِمِ
وَالبِيضُ تَرجُفُ في الأَغمادِ مِن ظَمَأٍ ... وَالسُّمرُ تَرعدُ في الأَيمانِ مِن قَرَمِ
مِن كُلِّ مُطَّرِدٍ لَولا عَلائِقُهُ ... لَسابَقَ المَوتَ نَحوَ القِرنِ مِن ضَرَمِ
كَأَنَّهُ أَرقَمٌ في رَأسِهِ حُمَةٌ ... يَستَلُّ كَيدَ الأَعادي بِابنَةِ الرَّقَمِ
فَلَم يَزَل سائِراً حَتّى أَنافَ عَلى ... أَرباضِ مَكَّةَ بِالفُرسانِ وَالبُهَمِ
وَلَفَّهُم بِخَمِيسٍ لَو يَشُدُّ عَلى ... أَركانِ رَضوى لَأَضحى مائِلَ
فَأَقبَلوا يَسأَلُونَ الصَّفحَ حِينَ رَأَوا ... أَنَّ اللَّجاجَةَ مَدعاةٌ إِلى النَّدَمِ
رِيعُوا فَذَلُّوا وَلَو طاشُوا لَوَقَّرَهُم ... ضَربٌ يُفَرِّقُ مِنهُم مَجمَعَ اللِّمَمِ
ذاقُوا الرَّدى جُرَعاً فَاستَسلَمُوا جَزَعاً ... لِلصُّلحِ وَالحَربُ مَرقاةٌ إِلى السَّلَمِ
وَأَقبَلَ النَّصرُ يَتلُو وَهوَ مُبتَسِمٌ ... المَجدُ لِلسَّيفِ لَيسَ المَجدُ لِلقَلَمِ
يا حائِرَ اللُّبِّ هَذا الحَقُّ فَامضِ لَهُ ... تَسلَم وَهَذا سَبيلُ الرُّشدِ فَاستَقِمِ
لا يَصرَعَنَّكَ وَهمٌ بِتَّ تَرقُبُهُ ... إِنَّ التَّوَهُّمَ حَتفُ العاجِزِ الوَخِمِ
هَذا النَّبِيُّ وَذاكَ الجَيشُ مُنتَشِرٌ ... مِلءَ الفَضا فَاستَبِق لِلخَيرِ تَغتَنِمِ
فَالزَم حِماهُ تَجِد ما شِئتَ مِن أَرَبٍ ... وَشِم نَداهُ إِذا ما البَرقُ لَم يُشَمِ

وَاحلُل رِحالَكَ وَانزِل نَحوَ سُدَّتِهِ ... فَإِنَّها عصمَةٌ مِن أَوثَقِ العِصَمِ
أَحيا بِهِ اللَّهُ أَمواتَ القُلوب كَما ... أَحيا النَّباتَ بفَيضِ الوابِلِ الرَّذِمِ
حَتّى إِذا تَمَّ أَمرُ الصُلحِ وَانتَظَمَت ... بِهِ عُقودُ الأَماني أَيَّ مُنتَظَمِ
قامَ النَّبِيُّ بِشُكرِ اللَّهِ مُنتَصِباً ... وَالشُّكرُ فِي كُلِّ حالٍ كافِلُ النِّعَمِ
وَطافَ بِالبَيتِ سبعاً فَوقَ راحِلَةٍ ... قَوداءَ ناجيَةٍ أَمضى مِنَ النَّسَمِ
فَما أَشارَ إِلى بُدٍّ بِمِحجَنِهِ ... إِلّا هوَى لِيَدٍ مَغلُولَةٍ وَفَمِ
وَفِي حُنَينٍ إِذ اِرتَدَّت هَوازِنُ عَن ... قَصدِ السَّبيلِ وَلَم تَرجِع إِلى الحَكَمِ
سَرى إِلَيها بِبَحرٍ مِن مُلَملَمَةٍ ... طامي السّراة بِمَوجِ البِيضِ مُلتَطِمِ
حَتّى اِستَذَلَّت وَعادَت بَعدَ نَخوَتِها ... تُلقي إِلى كُلِّ مَن تَلقاهُ بِالسَّلَمِ
وَيَمَّمَ الطّائِفَ الغَنّاءَ ثُمَّ مَضى ... عَنها إِلى أَجَلٍ فِي الغَيبِ مُكتَتَمِ
وَحِينَ أَوفى عَلى وادِي تَبُوكَ سَعى ... إِلَيهِ ساكِنُها طَوعاً بِلا رَغَمِ
فَصالَحُوهُ وَأَدَّوا جزيَةً وَرَضُوا ... بِحُكمِهِ وَتَبِيعُ الرُشد لَم يَهِمِ
أَلفى بِها عَينَ ماءٍ لا تَبِضُّ فَمُذ ... دَعا لَها اِنفَجَرَت عَن سائِغٍ سَنِمِ
وَراوَدَ الغَيثَ فَاِنهَلَّت بَوادِرُهُ ... بَعدَ الجُمودِ بِمُنهَلٍّ وَمُنسَجِمِ
وَأَمَّ طَيبَةَ مَسْروراً بِعَودَتِهِ ... يَطوي المَنازِلَ بِالوَخّادَةِ الرُّسُمِ
ثُمَّ استَهَلَّت وُفُودُ الناسِ قاطِبَةً ... إِلى حِماهُ فَلاقَت وافِرَ الكَرَمِ
فَكانَ عامَ وُفودٍ كُلَّما اِنصَرَفَت ... عِصابَةٌ أَقبَلَت أُخرى عَلى قَدَمِ
وَأَرسَلَ الرُّسلَ تَترى لِلمُلوكِ بِما ... فِيهِ بَلاغٌ لِأَهلِ الذِّكرِ وَالفَهَمِ
وَأَمَّ غالِبُ أَكنافَ الكَديدِ إِلى ... بَني المُلَوَّحِ فَاِستَولى عَلى النَّعَمِ
وَحِينَ خانَت جُذامٌ فَلَّ شَوكَتَها ... زَيدٌ بِجَمعٍ لِرَهطِ الشِّركِ مُقتَثِمِ
وَسارَ مُنتَحِياً وادي القُرى فَمَحا ... بَني فَزارَةَ أَصلَ اللُّؤمِ وَالقَزَمِ
وَأَمَّ خَيبَرَ عَبدُ اللَّهِ فِي نَفَرٍ ... إِلى اليَسيرِ فَأَرداهُ بِلا أَتَمِ
وَيَمَّمَ اِبنُ أُنَيسٍ عُرضَ نَخلَةَ إِذ ... طَغا اِبنُ ثَورٍ فَاصماهُ وَلَم يَخِمِ
ثُمَّ استَقَلَّ اِبنُ حِصنٍ فَاحتَوَت يَدُهُ ... عَلى بَني العَنبَرِ الطُّرّارِ وَالشُّجُمِ
وَسارَ عَمرو إِلى ذاتِ السَّلاسِلِ فِي ... جَمعٍ لُهامٍ لِجَيشِ الشِّركِ مُصطَلِمِ
وَغَزوَتانِ لِعَبدِ اللَّهِ واحِدَةٌ ... إِلى رِفاعَةَ وَالأُخرى إِلى إِضَمِ
وَسارَ جَمعُ اِبنِ عَوفٍ نَحوَ دَومَةَ ... يَفُلُّ سَورَةَ أَهلِ الزُّورِ وَالتُّهَمِ
وَأَمَّ بِالخَيلِ سيفَ البَحرِ مُعتَزِماً ... أَبُو عُبَيدَةَ فِي صُيّابَةٍ حُشُمِ
وَسارَ عَمرو إِلى أُمِّ القُرى لِأَبي ... سُفيانَ لَكِن عَدَتهُ مُهلَةُ القِسَمِ
وَأَمَّ مَدينَ زَيدٌ فَاِستَوَت يَدُهُ ... عَلى العَدُوِّ وَساقَ السَّبيَ كَالغَنَمِ

وَقامَ سالِمُ بالعَضب الجُراز إِلى … أَبي عُفَيكٍ فَأَرداهُ وَلَم يَجمِ
وَانقَضَّ لَيلاً عُمَيرٌ بالحُسامِ عَلى … عَصماءَ حَتّى سَقاها عَلقَمَ العَدَمِ
وَسارَ بَعثٌ فَلَم يُخطِئ ثُمامَةَ إِذ … رَآهُ فَاحتازَهُ غُنماً وَلَم يُلَمِ
ذاكَ الهُمامُ الَّذي لَبّى بِمَكَّة إِذ … أَتى بِها مُعلِناً فِي الأَشهُرِ الحُرُمِ
وَبَعثُ عَلقَمَةَ اِستَقرى العَدُوَّ ضُحىً … فَلَم يَجد فِي خِلالِ الحَيِّ مِن أَرِمِ
وَرَدَّ كُرزٌ إِلى العَذراءِ مَن غَدَرُوا … يَسارَ حَتّى لَقَوا بَرحاً مِنَ الشَّجَمِ
وَسارَ بَعثُ اِبنِ زَيدٍ لِلشَّآمِ فَلَم … يَلبَث أَنِ انقَضَّ كَالبازي عَلى
فَهَذِهِ الغَزَواتُ الغُرُّ شامِلَةً … جَمعَ البُعُوثِ كَدُرٍّ لاحَ فِي نُظُمِ
نَظَمتُها راجياً نَيلَ الشَّفاعَةِ مِن … خَيرِ البَرايا وَمَولى العُربِ وَالعَجَمِ
هُوَ النَّبِيُّ الَّذي لَولاهُ ما قُبِلَت … رَجاةُ آدمَ لَمّا زَلَّ فِي القِدَمِ
حَسبِي بِطَلعَتِهِ الغَرّاءِ مَفخَرَةً … لَمّا اِلتَقَيتُ بِهِ فِي عالَمِ الحُلُمِ
وَقَد حَبانِي عَصاهُ فَاِعتَصَمتُ بِها … فِي كُلِّ هَولٍ فَلم أَفزَع وَلَم أَهِمِ
فَهِيَ الَّتِي كانَ يَحبُو مِثلَها كَرَماً … لِمَن يَوَدُّ وَحَسبِي نِسبَةً بِهِمِ
لَم أَخشَ مِن بَعدِها ما كُنتُ أَحذَرُهُ … وَكَيفَ وَهِيَ الَّتِي تُنجِي مِنَ الغُمَمِ
كَفى بِها نِعمَةً تَعلُو بِقِيمَتِها … نَفسِي وَإِن كُنتُ مَسلُوباً مِنَ
وَما أُبَرِّئُ نَفسي وَهْيَ آمِرَةٌ … بِالسُّوءِ ما لَم تَعُقها خِيفَةُ النَّدَمِ
فَيا نَدامَةَ نَفسي فِي المَعادِ إِذا … تَعَوَّذَ المَرءُ خَوفَ النُطقِ بِالبَكَمِ
لَكِنَّنِي واثِقٌ بِالعَفوِ مِن مَلِكٍ … يَعفُو بِرَحمَتِهِ عَن كُلِّ مُجتَرِمِ
وَسَوفَ أَبلُغُ آمالي وَإِن عَظُمَت … جَرائِمِي يَومَ أَلقى صاحِبَ العَلَمِ
هُوَ الَّذي يَنعَشُ المَكرُوبَ إِذ عَلِقَت … بِهِ الرَّزايا وَيُغنِي كُلَّ ذِي عَدَمِ
هَيهاتَ يَخذُلُ مَولاهُ وَشاعِرَهُ … فِي الحَشرِ وَهوَ كَرِيمُ النَّفسِ
فَمَدحُهُ رَأسُ مالِي يَومَ مُفتَقَرِي … وَحُبُّهُ عِزُّ نَفسِي عِندَ مُهتَضَمِي
وَهَبتُ نَفسِي لَهُ حُبّا وَتَكرِمَة … فَهَل تَرانِي بَلَغتُ السُّؤلَ مِن
إِنِّي وَإِن مالَ بِي دَهرِي وَبَرَّحَ بِي … ضَيمٌ أَشاطَ عَلى جَمرِ النَّوى
لَثابِتُ العَهدِ لَم يَحلُل قُوى أَمَلِي … يَأسٌ وَلَم تَخطُ بِي فِي سَلوَةٍ قَدَمِي
لَم يَترُكِ الدَّهرُ لِي ما أَستَعِينُ بِهِ … عَلى التَّجَمُّلِ إِلّا ساعِدِي وَفَمِي
هَذا يُحَبِّرُ مَدحِي فِي الرَّسولِ وَذا … يَتلُو عَلى الناسِ ما أُوحِيهِ مِن
يا سَيِّدَ الكَونِ عَفواً إِن أَثِمتُ فَلِي … بِحُبِّكُم صِلَةٌ تُغنِي عَنِ الرَّحِمِ
كَفى بِسَلمانَ لِي فَخراً إِذا انتَسَبَت … نَفسِي لَكُم مِثلَهُ فِي زُمرَةِ الحَشَمِ
وَحسنُ ظَنِّي بِكُم إِن مُتُّ يَكلَؤُنِي … مِن هَولِ ما أَتَّقِي فِي ظُلمَةِ الرَّجَمِ

تَاللَّهِ ما عاقَني عَن حَيِّكُم شَجَنٌ   لَكِنَّني مُوثَقٌ في رِبقَةِ السَّلَمِ
فَهَل إِلى زَورَةٍ يَحيا الفُؤادُ بها   ذَريعَةٌ أَبتَغيها قَبلَ مُختَرَمِي
شَكَوتُ بَثِّي إِلى رَبِّي لِيُنصِفَني   مِن كُلِّ باغٍ عَتِيدِ الجَورِ أَوهكمِ
وَكَيفَ أَرهَبُ حَيفا وَهوَ مُنتَقِمٌ   يَهابُهُ كُلُّ جَبّارٍ وَمُنتَقِمِ
لا غَروَ إِن نلتُ ما أَمَّلتُ مِنهُ فَقَد   أَنزَلتُ مُعظَمَ آمالي بذي كَرَمِ
يا مالِكَ المُلكِ هَب لِي مِنكَ مَغفِرَةً   تَمحُو ذُنُوبي غَداةَ الخَوفِ وَالنَّدَمِ
وَامنُن عَلَيَّ بلُطفٍ مِنكَ يَعصِمُني   زَيغَ النُّهى يَومَ أَخذِ المَوتِ
لَم أَدعُ غَيرَكَ فِيما نابَني فَقِني   شَرَّ العَواقِبِ وَاحفَظني مِنَ التُّهَمِ
حاشا لِراجيكَ أَن يَخشى العِثارَ وَما   بَعدَ الرَّجاءِ سِوى التَّوفيقِ لِلسَّلَمِ
وَكَيفَ أَخشى ضَلالاً بَعدَما سَلَكَت   نَفسِي بنُورِ الهُدى في مَسلَكٍ قِيَمِ
وَلِي بحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ مَنزِلَةٌ   أَرجُو بها الصَّفحَ يَومَ الدِّينِ عَن
لا أَدَّعي عِصمَةً لَكِن يَدِي عَلِقَت   بسَيِّدٍ مَن يَرِد مَرعاتَهُ يَسُمِ
خَدَمتُهُ بمَديحي فَاعتَلَوتُ عَلى   هامِ السِّماكِ وَصارَ السَّعدُ مِن
وَكَيفَ أَرهَبُ ضَيماً بَعدَ خِدمَتِهِ   وَخادِمُ السَّادَةِ الأَجوادِ لَم يُضَمِ
أَم كَيفَ يَخذُلُني مِن بَعدِ تَسمِيَتِي   باسمٍ لَهُ فِي سَماءِ العَرشِ مُحتَرَمِ
أَبكانيَ الدَّهرُ حَتّى إِذ لَجئتُ بِهِ   حَنا عَلَيَّ وَأَبدى ثَغرَ مُبتَسِمِ
فَهوَ الَّذي يَمنَحُ العافِينَ ما سَأَلُوا   فَضلاً وَيَشفَعُ يَومَ الدِّينِ فِي الأُمَمِ
نُورٌ لِمُقتَبِسٍ ذُخرٌ لِمُلتَمِسٍ   حِرزٌ لِمُبتَئِسٍ كَهفٌ لِمُعتَصِمِ
بَثَّ الرَّدى وَالنَّدى شَطرَينِ فَانبَعَثا   فِيمَن غَوى وَهَدى بالبُؤسِ وَالنِّعَمِ
فَالكُفرُ مِن بَأسِهِ المَشهورِ فِي حَرَبٍ   وَالدِّينُ مِن عَدلِهِ المَأثُورِ فِي حَرَمِ
هَذا ثَنائِي وَإِن قَصَّرتُ فيهِ فَلي   عُذرٌ وَأَينَ السُّها مِن كَفِّ مُستَلِمِ
هَيهاتَ أَبلُغُ بالأَشعارِ مدَحتَهُ   وَإِن سَلَكتُ سَبيلَ القالَةِ القُدُمِ
ماذا عَسى أَن يَقُولَ المادِحُونَ وَقَد   أَثنى عَلَيهِ بفَضلٍ مُنزِلُ الكَلِمِ
فَهاكَها يا رَسُولَ اللَّهِ زاهِرَةً   تُهدِي إِلى النَّفسِ رَيّا الآسِ وَالبَرَمِ
وَسمتُها باسمِكَ العَالي فَأَلبَسنَها   ثَوباً مِنَ الفَخرِ لا يَبلى عَلى القِدَمِ
غَريبَةٌ في إِسارِ البَينِ لَو أَنِسَت   بنَظرَةٍ مِنكَ لاستغنَت عَنِ النَّسَمِ
لَم أَلتَزِم نَظمَ حَبّاتِ البَديعِ بها   إِذ كانَ صَوغُ المَعاني الغُرِّ مُلتَزِمِي
وَإِنَّما هِيَ أَبياتٌ رَجَوتُ بها   نَيلَ المُنى يَومَ تَحيا بَذَّةُ الرِّمَمِ
نَثَرتُ فِيها فَرِيدَ المَدحِ فَانتَظَمَت   أَحسِن بمُنتَثِرٍ مِنها وَمُنتَظِمِ
صَدَّرتُها بنَسِيبٍ شَفَّ باطِنُهُ   عَن عِفَّةٍ لَم يَشِنها قَولُ مُتَّهِمِ

لَم أَتَّخِذهُ جُزافاً بَل سَلَكتُ بِهِ   فِي القَولِ مَسلَكَ أَقوامٍ ذَوِي قَدَمِ
تابَعتُ كَعباً وَحَسّاناً وَلِي بِهِما   فِي القَولِ أُسوَةُ بَرٍّ غَيرِ مُتَّهَمِ
وَالشِّعرُ مَعرَضُ أَلبابٍ يُروجُ بِهِ   ما نَمَّقَتهُ يَدُ الآدابِ وَالحِكَمِ
فَلا يَلُمنِي عَلى التَّشبِيبِ ذُو عَنَتٍ   فَبُلبُلُ الرَّوضِ مَطبُوعٌ عَلَى النَّغَمِ
وَلَيسَ لِي رَوضَةٌ أَلهُو بِزَهرَتِها   فِي مَعرَضِ القَولِ إِلّا رَوضَةُ الحَرَمِ
فَهيَ الَّتِي تَيَّمَت قَلبِي وَهِمتُ بِهَا   وَجْداً وَإِن كُنتُ عَفَّ النَّفسِ لَم
مَعاهِدٌ نَقَشَت فِي وَجنَتَيَّ لَها   أَيدِي الهَوى أَسطُراً مِن عَبرَتِي
يا حادِيَ العِيسِ إِن بَلَّغتَنِي أَمَلِي   مِن قَصدِهِ فَاقتَرِحْ مَا شِئتَ
سِر بِالمَطايا وَلا تَرفَق فَلَيسَ فَتىً   أَولى بِهَذا السُّرَى مِنْ سَائِقٍ حُطَمِ
وَلا تَخَف ضَلَّةً وَانظُر فَسَوفَ تَرى   نُوراً يُرِيكَ مَدَبَّ الذَّرِ فِي الأَكَمِ
وَكَيفَ يَخشى ضَلالاً مَن يَؤُمُّ حِمى   مُحَمَّدٍ وَهوَ مِشكاةٌ عَلَى عَلَمِ
هَذِي مُنايَ وَحَسبِي أَن أَفوزَ بِها   بِنعمَةِ اللَّهِ قَبلَ الشَّيبِ وَالهَرَمِ
وَمَن يَكُن راجِياً مَولاهُ نَالَ بِهِ   ما لَم يَنَلهُ بِفَضلِ الجِدِّ وَالهِمَمِ
فاسجُد لَهُ وَاقتَرِب تَبلُغ بِطاعَتِهِ   ما شِئتَ فِي الدَّهرِ مِن جاهٍ وَمِن
هُوَ المَلِيكُ الَّذِي ذَلَّت لِعِزَّتِهِ   أَهلُ المَصانِعِ مِن عادٍ وَمِن إِرَمِ
يُحيِي البَرايا إِذا حانَ المَعادُ كَما   يُحيِي النَّباتَ بِشُؤبُوبٍ مِنَ الدِّيَمِ
يا غافِرَ الذَّنبِ وَالأَلبابُ حائِرَةٌ   فِي الحَشرِ وَالنارُ تَرمِي الجَوَّ
حَاشَا لِفَضلِكَ وَهوَ المُستَعاذُ بِهِ   أَن لا تَمُنَّ عَلَى ذِي خَلَّةٍ عَدِمِ
إِنّي لَمُستَشفِعٌ بِالمُصطَفى وَكَفى   بِهِ شَفِيعاً لَدَى الأَهْوَالِ وَالقُحَمِ
فَاقبَل رَجائِي فَما لِي مَن أَلوذُ بِهِ   سِواكَ فِي كُلِّ ما أَخشاهُ مِن فَقَمِ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى المُختارِ ما طَلَعَت   شَمسُ النَّهارِ وَلاَحَتْ أَنجُمُ الظُّلَمِ
وَالآلِ وَالصَّحبِ وَالأَنصارِ مَن تَبِعُوا   هُداهُ وَاعْتَرَفُوا بِالعَهدِ وَالذِّمَمِ
وَامنُن عَلَى عَبدِكَ العانِي بِمَغفِرَةٍ   تَمحُو خَطاياهُ فِي بَدءٍ وَمُختَتَمِ

عذراً رسول الهدى

الشاعر / عبد الله بن غالب الحميري

اليمن ـــ ٢٧/ ١٢/ ١٤٢٦ هـــ

كفر تنفس عنه الغرب لاكانا تكاد تنهدُّ منه الأرض أركانا
وقُبْح وجه أزاحوا عن صفافته زيف الستار فبان اليوم عريانا
شلت يداه بما خطت وما رسمت في حق أكرم خلق الله إنسانا
وقُبِّحَت أمة فاهت صحافتها بالنيل من شخصه المعصوم عدوانا
بني العقيدة لا كانت مواقفكم حتى تُفَجَّر نحو الغرب بركان
ولا استقر لنا عيش ولا اكتحلت بالنوم عين إذا ما جانب لانا
أيُزْدَرَى برسول الله بينكمُ جهراً ويمتهن القرآن إعلانا
ويشتم الله في وضْح النهار فلا تثور ثائرة منّا لمولانا
ورغم ذلك نستبقي مودهم ونجتبي سلع الكفار أطنانا
هيا انهضوا أمة التوحيد وانتصروا لله واتحدوا في الدين إخوانا
وأسمعوا " دنمركًا" في وقاحتها ما يردع الكافر الموتور أزمانا
حتى تُدين كلاب الغرب فعلتها ويذعن الصاغر المأفون إذعانا
ألا نغار على عرض الرسول فهل نرجو الشفاعة يوم الحشر مجانا
ومن أبى وادعى منا محبته فإنه مُدّعٍ زوراً وبهتانا
ماذا نؤمل من قومٍ عداوقم معلومة قد بدت سرًّا وإعلانا
وما اتخاذهم الإسلام مسخرة إلا على ما حكاه الله برهانا
إن العلاقة لا تُبنى مجردة من الثوابت في شيء وإن هانا
فلا تسامح إن مُسّت عقيدتنا أو اقتضى الأمر إيماناً وكفرانا
عذراً رسول الهدى المختار إن وهنت منا العزائم شبّانا وشيبانا
فلم يعد يرهب الأعداء صولتنا وما أقاموا لنا وزناً ولا شانا
ولوا أطعناك ما هنَّا وما اجترءوا على مقامك أو كان الذي كانا
لكن عصيناك في جل الأمور فلم نفلح بشيء ولا حُلّت قضايانا
عذراً، فداك رسول الله أنفسنا وما ملكناه أرواحاً وأبدانا
عذراً، فداك خليلَ الله كل أبٍ وكل أم بما أسديت عرفانا
فدىً لك الأهل والأبناء قاطبة وسائر الناس عجماناً وعربانا
فداك كل كفور في الدّنا عميت عيناه عنك وقد أُرسلت تبيانا
فداك كل يهود والدنا معها وأمة ألّهت في الأرض صلبانا
فدى تراب نعال كنت تلبسها عند الأذى أمة الدنمرك قربانا

حاشاك حاشاك يا خير الورى رتباً مما رموك به ظلماً وعدوانا
وأنت أكرم من يمشي على قدم وأرجح الرسل عند الله ميزانا
وأطهر الخلق من عيب ومن دنس وإنّ شانئك المبتور لا كانا

====================

لأجله فقط ...

ريوف الشمري

الشمس تاهت وغيم الدمع حاجبها والطير ما عاد يطرِب لحنه أسماعي
فوقي سما ضاع كوكب من كواكبها و أطى على تراب مثل الجمر لذّاعِ
أجرت عيوني من اللوعات ساكبها و أفشى ضميري لنجمٍ ساير أوجاعي
يا ليت روحي معي بالضحك أغالبها و ياليت قلبي على النسيان مطواعِ
أرض (الدنمارك) لا طابت ملاعبها كثر العنا و العذاب الساكن أضلاعي
يوم أطلقت ريشة الراسم عقاربها على الرسول الأمين الخاتم الداعي
من باب حرية الفكره و صاحبها لبْست عرايا الجرايم ثوب الإبداعِ
الله على مجرم الرسمة و كاتبها و الله على من سعى في نشره و باعِ
يكرم رسول الهدى عن كذب كاذبها النجم عالي و دود القاع بالقاعِ
يا خير من لا بكى الدنيا و ذاهبها وأعزّ من حاز بالفردوس مرباعِ
يا صاحب الحوض.. يروى دوم شاربها يــا أول الــخلق عند الله شفّاعِ
يا أعظم الناس راجلها و راكبها يا من لحبه عنيد القلب خضّاعِ
النفس ضاقت من الحسره مذاهبها ما بان ردٍ يبرّد قلب ملتاعِ
أحس أنا الشمس تصرخ في مغاربها (إلا محمد) و من للشمس سمّاعِ
هو وين ملياااار أعاجمها و أعاربها و ين الزعامات من حكام و أتباعِ
نرسل تواقيع ... بالتوبه نطالبها نحسب عِدانا من التوقيع ترتاعِ!!!
وقّع ... و عَبّ الورق و إملا جوانبها و ابصم بعد فوقها وبعشر الأصباعِ
الشمس ما ردّت كفوفك لواهبها و الذيب يغنم إذا ما بالحمى راعي

====================

مالي أراكَ كسيرَ الطّرفِ يا قمرُ؟

مالي أراكَ كسيرَ الطّرفِ يا قمرُ؟ وأدمعُ العينِ همي منكَ تنهمِرُ؟
ما لي أرى السحُبَ السوداءَ تجعلها كمن يريدُ بها سِتراً فتستَتِرُ؟

ما لي أراكَ حزينَ القلبِ منكسراً ... تكادُ من هولِ ما تشكوهُ تنشطِرُ؟
ما للطيورِ تجوبُ الأفْقَ غاضبةً؟ ... وكيف باتَ بلا أوراقِهِ الشجرُ؟
ما للجبالِ كأنّ اللهَ زلزلها ... ترى الصخورَ بها تهوي وتنحدِرُ؟
وما لشمسِ الضحى تاهتْ أشعّتُها ... فليس يسعدُ في أنوارِها الزّهَرُ؟
فصَدّ عني كأني لا أحادِثُهُ ... وظلّ من هول ما يُخفيهِ يعتصِرُ
وقال لي – وحروفُ الحزنِ باكيةٌ ... الوهنُ بادٍ بها والضعْفُ والخوَرُ
تملّكَ الضيمُ قلبي لا يفارقُهُ ... إني أكادُ من الأحزانِ أنتحِرُ
وفَلَّ صبْريَ أمرٌ لا عزاءَ لهُ ... فلا أكادُ لهولِ الأمرِ أصطبِرُ
الهمّ طوّحَ بي والغمّ أرّقني ... فقلتُ:ماذا جرى؟ ما الخطبُ؟ ما الخَبَرُ؟
دهى العقيدةَ أمرٌ لو تدبّرَهُ ... قلبُ التّقيِّ لكادَ القلبُ ينفطِرُ
فقلتُ:حسبي إلهي ما الذي نطَقَتْ ... بهِ شِفاهُكَ؟ أفصِحْ أيها القمَرُ
فقالَ:عِرضُ الرسولِ البَرِّ دنّسَهُ ... علوجُ كفرٍ هُمُ الأرزاءُ والقَذَرُ
هُمُ العلوجُ فلا عِزٌّ ولا كرمٌ ... وكيفَ يكرُمُ من أسيادُهُمْ بَقَرُ؟
ترى الكِلابَ إذا شبّهْتَها بِهِمُ ... تثورُ تصرُخُ لا نرضى فذا جَوَرُ
"قومٌ لِئامٌ أقلَّ اللهُ عِدّتَهمْ ... كما تناثَرَ حولَ الفقحَةِ البَعَرُ"(١)
لَوَ انّهُمْ ذُكروا عندَ الحميرِ ترى الـ ... ـحميرَ تخجَلُ منهم ثمّ تستَتِرُ
سَبُّوا الرسولَ فيا قومي أليسَ بكمْ ... من يُلقِمُ الكفرَ أحجاراً ويبتَدِرُ؟
سَبُّوا الذي لو تناسَتْهُ القلوبُ قَسَتْ ... وحينَ تذكُرُهُ تزهو وتزدَهِرُ
لم يبقَ غيرُ علوجِ الكفرِ تنهش من ... عِرضِ الرسولِ بهِ تهزا وتحتَقِرُ؟!!
لا باركَ اللهُ في أعراضِنا أبداً ... إذا قُضِي بحبيبي دونَهَا الوَطَرُ
إنّ الرسولَ لنورٌ فازَ قابسُهُ ... إنّا بشِرْعَتِهِ نسمو ونفتَخِرُ
إنّ الرسولَ سماءٌ لو لها جمعوا ... كلَّ الغبارِ لما ضَرُّوا وما كَدِروا
صلّى عليكَ إلهُ الكونِ خالِقُنا ... فداكَ روحي فداكَ السمعُ والبَصَرُ
فداكَ عِرضي وعِرضُ الناسِ كُلِّهِمُ ... فداكَ أهلي فداكَ الخلقُ والبَشَرُ

أسامة العتيك (بريدة)

الأحد

١٤٢٦/١٢/٢٢ هـ

(١) وجدتُ بيتَ حسانَ بنِ ثابتٍ –رضي الله عنه – هذا مناسباً لهذا الموضع – أجلّكمُ الله !

==============

محمد المبعوث للنـــــاس رحمةً

مدح الرسول

الشيخ جمال الدين الصرصري

يقول الشيخ جمال الدين الصرصري والذي قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية ج٦ص٢٩٩ : الصرصري المادح ، الماهر ، ذو المحبة الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشبه في عصره بحسان بن ثابت رضي الله عنه وقد قتله التتار حينما دخلوا بغداد سنة ٦٥٦هـــ. يقول:

محمد المبعوث للنـــــاس رحمةً   يشيِّد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبَّحت صُمُّ الجبــال مجيبةً   لداود أو لان الحديــد المصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه   وإن الحصـــــا في كفه لُيسَبِّح
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا   فمن كفه قد أصبح المـــاء يَطفح
وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً   سليمان لا تألـــو تروح وتسرح
فإن الصبـــا كانت لنصر نبينا   ورعبُ على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتي الملكَ العظيم وسخِّرت   لـــه الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنـــــوز بأسرها   أتته فرَدَّ الـــــــزاهد المترجِّح
وإن كـــان إبراهيم أُعطي خُلةً   وموسى بتكليم على الطور يُمنح
فهـــذا حبيب بل خليل مكلَّم   وخصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض الرَّواء وباللِّوا   ويشفع للعـــاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّب نـــاله   عطـــــــاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح
وبالرتبة العليـــا الوسيلة دونها   مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهْوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ   لــــه بــابها قبل الخلائق يُفتَح

===============

هو المختارُ " صلى الله عليه وسلم "

د.عبدالرحمن العشماوي

هو المختارُ :" اللهم إني أحببـــتك وأحببت نبـــيك عليه الصلاة والسلام حباً صادقاً أرجو أن تغفر به الذنب ، وتُسعد به القلب ، اللهم تقـــبّلْها دفاعاً عن ســـيِّد الأبرار "

مـــن نبـــع هديـــك تستقـــي الأنـــوار   وإلـــى ضيائـــك تنتـــمـــي الأقـــمـــار
رب العبـــاد حبـــاك أعظـــم نعـــمـــة   ديـــنـــا يـــعـــزُّ بـــعـــزِّه الأخـــيـــار
حُفظت بك الأخـــلاق بعـــد ضياعهـــا   وتسامقـــت فـــى روضهـــا الأشجـــار
وبُعثـــت للثقلـــيـــن بعـــثـــة ســـيـــدٍ   صدقـــتْ بـــــه وبديـــنـــه الأخـــبـــار

أصغت اليك الجن وانبهرت بما ... تتلو، وعَمَّ قلوبها استبشار
يا خير من وطيءَ الثرى وتشرفت ... بمسيره الكثبان والأحجار
يا من تتوق إلى محاسن وجهه ... شمسٌ ويفْرَحُ أن يراه نهار
بأبي وأمي أنتَ ، حين تشرَّفت ... بك هجرة وتشرَّفَ الأنصار
أنْشَأْتَ مدرسة النبوة فاستقى ... من علمها ويقينها الأبرار
هي للعلوم قديمها وحديثها ... ولمنهج الدين الحنيف منار
لله درك مرشدا ومعلما ... شَرُفَتْ به وبعلمه الآثار
ربَّيْتَ فيها من رجالك ثُلَّةً ... بالحقِّ طافوا في البلاد وداروا
قوم إذا دعت المطامع أغلقوا ... فمها، وإن دعت المكارم طاروا
إن واجهوا ظلماً رموه بعدلهم ... وإذا رأوا ليل الضلال أناروا
قد كنت قرآناً يسير أمامهم ... وبك اقتدوا فأضاءت الأفكار
عمروا القلوب كما عَمَرْت، فما مضوا ... إلا وأفئدة العباد عَمَار
لو أطلق الكونُ الفسيحُ لسانه ... لسرتْ إليك بمدحه الأشعار
لو قيل : مَنْ خيرُ العبادِ ، لردَّدتْ ... أصواتُ مَنْ سمعوا : هو المختارُ
لِمَ لا تكون ؟ وأنتَ أفضلُ مرسلٍ ... وأعزُّ من رسموا الطريق وساروا
ما أنت إلا الشمس يملأ نورُها ... آفاقَنا ، مهما أُثيرَ غبار
ما أنت إلا أحمد المحمود فى ... كل الأمور ، بذاك يشهد غار
والكعبة الغرَّاءُ تشهد مثلما ... شهد المقامُ وركنها والدَّار
يا خير من صلى وصام وخير من ... قاد الحجيج وخير من يَشْتَارُ
سقطت مكانة شاتم ، وجزاؤه ... إن لم يتب مما جناه النار
لكأنني بخطاه تأكل بعضها ... وهناً ، وقد ثَقُلَتْ بها الأوزار
ما نال منك منافق أو كافر ... بل منه نالت ذلة وصَغَار
حلّقت في الأفق البعيد، فلا يدٌ ... وصلت إليك ، ولا فمٌ مهذار
وسكنت فى الفردوس سُكْنَى من به ... وبدينه يتكفَّل القهَّار
أعلاك ربك همة ومكانة ... فلك السمو وللحسود بوار
إنا ليؤلمنا تطاول كافر ... ملأت مشارب نفسه الأقذار
ويزيدنا ألماً تخاذل أمةٍ ... يشكو اندحار غثائها المليار
وقفت على باب الخضوع، أمامها ... وهن القلوب، وخلفها الكفار
يا ليتها صانت محارم دارها ... من قبل أن يتحرك الاعصار

يا خير من وطيء الثرى، فى عصرنا ... جيش الرذيلة والهوى جرَّار
فى عصرنا احتدم المحيط ولم يزل ... متخبِّطاً في موجه البحَّار
جمحتْ عقول الناسِ، طاشَ بها الهوى ... ومن الهوى تتسرَّب الأخطار
أنت البشير لهم، وأنت نذيرهم ... نعم البشارةُ منك والإنذار
لكنهم بهوى النفوس تشربوا ... فأصابهم غَبَشُ الظنونِ وحاروا
صبغوا الحضارةَ بالرذيلةِ فالْتقى ... بالذئبِ فيها الثَّعْلبُ المَكَّارُ
ما (دانمركُ) القوم، ما (نرويجهم)؟ ... يُصغي الرُّعاةُ وتفهم الأبقار
ما بالهم سكتوا على سفهائهم ... حتى تمادى الشرُّ والأشرار
عجباً لهذا الحقد يجري مثلما ... يجري (صديدٌ) فى القلوب ،و(قَارُ)
يا عصرَ إلحاد العقول، لقد جرى ... بك في طريق الموبقاتِ قطار
قَرُبَت خُطاك من النهاية، فانتبهْ ... فلربَّما تتحطَّم الأسوار
إني أقول ، وللدموع حكايةٌ ... عن مثلها تتحدَّث الأمطار:
إنَّا لنعلم أنَّ قَدْرَ نبيِّنا ... أسمى ، وأنَّ الشانئينَ صِغَارُ
لكنه ألم المحب يزيده ... شرفاً، وفيه لمن يُحب فخار
يُشقي غُفاةَ القومِ موتُ قلوبهم ... ويذوق طعمَ الرَّاحَةِ الأغْيارُ

=================

نِدَاءُ اسْتِغَاثَة

صلاح الدين الغزال :

لِتَعْذِرَنَا رَسُولَ اللهِ إنَّا ... نُعَاني تَحْتَ أَهْوَالٍ عِظَامِ
أَمَاتُوا أُمَّةً هَانَتْ وَنَادُوا ... بِأَنَّ سُبَاتَنَا لِلدِّين حَامِ
وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا سِرّاً وَلَكِنْ ... هُنَاكَ تَفَاوُتٌ عِنْدَ الصِّدَامِ
فَبَعْضٌ فِي التُّرَابِ يَدُسُّ رَأْساً ... وَيَشْمَخُ بِاسْتِهِ مِثْلَ النَّعَامِ
وَآخَرُ يَدَّعِي الإسْلاَمَ زَيْفاً ... يَسُوسُ النَّاسَ قَسْراً بِالحُسَامِ
يَرَوْنَ دِمَاءَنَا لِلسَّفْكِ حِلاًّ ... قُسَاةً يَلْهَثُونَ بِلاَ أُوَامِ
غَدَاةَ السِّلْمِ كُلُّهُمُ صُقُورٌ ... وَعِنْدَ الحَرْبِ أَشْبَهُ بِالحَمَامِ
يَدُوسُونَ النُّفُوسَ بِلاَ حَيَاءٍ ... وَقَدْ جُبِلُوا عَلَى سَحْلِ الأَنَامِ
غِثَاءُ السَّيْلِ صَارَ لَنَا شَبِيهاً ... نَهِيمُ بِلاَ هُدَىً مِثْلَ السَّوَامِ
رَسُولَ اللهِ لاَ تَأْبَهْ لِرَسْمٍ ... شَنِيعٍ صَاغَهُ بَعْضُ اللِئَامِ
تَصَدَّى نُورُ وَجْهِكَ دُونَ لأْيٍ ... مَعَ الإيمَانِ جَهْراً لِلظَّلاَمِ

فَزَالَ الكُفْرُ عَنْ قَيْسٍ وَأَضْحَتْ بكَ الرُّكْبَانُ تَرْفُلُ بالسَّلاَمِ
وَهَا شَاهَدْتَ فِي الأَجْسَادِ نَزْفِي وَقَدْ كَرُّوا عَلَى المَوْتِ الزُّؤَام
شَبَابٌ لاَ يَخَافُونَ المَنَايَا تَداعُوا لِلَّظَى وَالأُفْقُ دَام
فِدَاكَ أَبِي وَرُوحِي دُونَ مَنٍّ أُقَدِّمُهَا إِلَى مَرْمَى السِّهَامِ
وَلَوْ قَدْ كَانَ لِي رَهْطٌ وَخَيْلٌ لأَسْمَعْتُ الأُلَى خَسِئُوا كَلاَمِي
وَلَكِنْ لاَ سِلاَحَ لَهُ نُفُوذٌ سِوَى قَلَمِي لإِيقَاظِ النِّيَام
فَلَيْتَ لَنَا بجَوْفِ الغِمْدِ سَيْفاً وَلَيْتَ لَنَا وَرَاءَ القَوْسِ رَام
جَمِيلُ الفِعْلِ لَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ نَزِيهٌ أَنْتَ عَنْ كُلِّ اتِّهَامِ
نِدَائِي يَا رَسُولَ اللهِ يَوْماً بِأَنْ أُشْفَى بحَوْضِكَ مِنْ سَقَامِي
بِمَدْحِكَ أَرْتَجِي وَالوَيْلُ خَلْفِي وَقَدْ عَاثَ العِدَى حُسْنَ الخِتَامِ

===================

نَصْرُ المُخْتار ودَحْر الفُجَّار!

يوسف مسعود قطب حبيب :

نَبحتْ شِرَارُ الخَلْقِ تَقْذِفُ بالتُّهَمْ لِتَعِيبَ مَنْ أَرْسَى المَبادِئَ والقِيَمْ
أيْنَ النُّباحُ وإن تكاثَرَ أَهْلُهُ مِنْ نَيْلِ بَدْرٍ قَدْ سَما فَوْقَ القممْ
أو نَيْلِ نَجْمٍ ساطِعٍ يَهْدِي الوَرَى سَعِدَتْ به وَبِنُورِهِ كُلُّ الأُمَمْ
جَادَ الكَرِيمُ بِهِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ فَتَحَ القُلوبَ بِهِ وأَحْيا مِنْ عَدَمْ
قَدْ تَمَّمَ الأَخْلاقَ بَعْدَ ضَياعِها وَشَفَى العَلِيلَ بِهِ وأَبْرَأَ من سَقَمْ
بالعَدْلِ وَالإِحْسانِ قامَتْ شِرْعَةٌ والفُحْشُ والبَغْيُ البَغيضُ قَد انْهَدَمْ
فَغَدا ظَلامُ الكَوْنِ صُبْحاً مُشْرِقا لَمّا اسْتَضاءَ بِنورِ أَحْمَدَ وابْتَسَمْ
سَحّاءُ كَفُّ مُحَمَّدٍ بِعَطائِها كَالْغَيْثِ عِنْدَ عُمُومِهِ لا بَلْ أَعَمْ
مَن ذا يُطاوِلُ رَحْمَةً فِي قَلْبِهِ مَنْ ذا يُباري في السَّماحَةِ والكَرَمْ؟
فَلْتَسأَلِ الثِّقلينِ عَنْ أخلاقِهِ بَلْ سائِلِ الطيرَ المُحَلِّقَ بالقِمَمْ
مَنْ صاحَ بالأصحابِ رُدّوا فَرْخَهَ كَيْ يَسْعَدَ العُشُّ الحزينُ وَيَلْتَئِمْ
بَلْ سائِلِ الجَمَلَ الْبَهِيمَ إذِ اشْتَكَى لِمُحَمَّدٍ بِدمُوعِهِ مُرَّ الأَلَمْ
فَوَعَى الخِطابَ وقامَ يُعْلِنُ غاضِبًا لا يَرْحَمُ الرحمنُ إلا مَن رَحِمْ
وَعَفا عَنِ الخَصْمِ اللَّدودِ وَسَيْفُهُ بِيَمِينِهِ، وَالخَصْمُ قَدْ أَلْقَى السَّلَمْ
هَلاّ رَأيتمْ مِثلَ عَفْوِ محمدٍ عَنْ أهلِ مكةَ عَبرَ تاريخِ الأُمَمْ؟

****

يا جاحِداً لِلْحَقِّ هل بدِيارِكُمْ لم يَبْقَ ذِكْرٌ لَلْعَدالةِ أو عَلَمْ؟!
هلاّ أقَمْتَ لِما افْتَرَيْتَ دَليلَهُ إنَّ الدَّليلَ لِكُلِّ قَوْلٍ يُلْتَزَمْ
هَلْ يَقْتُلُ الُمخْتارُ شَيْخاً فانِيًا هَلْ يَقْبَلُ الُمخْتارُ نَقْضاً لِلذِّمَمْ؟!
هَلْ مَثَّلَ المختارُ أو قَتَلَ النِّسا هَلْ أَهْلَكَ الُمخْتارُ شَعباً وانتقَمْ؟!
فَهُوَ الطَّبِيبُ بِحَرْبِهِ وبِسَلْمِهِ يَجْتَثُّ أسْبابَ الشِّكَايَةِ والسّقَمْ
فِيُزِيلُ أنظمةً تُجَرِّعُ شَعْبَها كَأْسَ المَذَلَّةِ والعِبادَةِ لِلصَّنَمْ
كَيْ يُشْرِقَ التّوْحِيدُ فِي أرْجائِها ولِيَشْكُرَ المَخْلوقُ مَنْ أسْدَى النِّعَمْ
هذا جهادُ نَبِيِّنا وَمُرَادُهُ فاذْكُرْ مَقاصِدَ حَرْبِكُمْ كُلَّ الأُمَمْ
ولْتَسْألِ (الْبوسْنا) تُجبْكَ نساؤها الثْـــ ـــثَكْلَى وَقَبْرٌ جامِعٌ وبحارُ دَمْ
بَلْ سائلِ (الشّيشانَ) مَنْ أَوْرَى بِها ناراً أحَاطتْ بِالسِّهولِ وبالقِمَمْ؟!
والمسجدُ الأقصى يَئِنُّ بِجُرْحِهِ بَيْنَ الجماجمِ سائلاً: أينَ القِيَمْ؟!
مَنْ أجَّجَ الحَرْبَيْنِ فتكا بِالوَرَى أَمُحَمَّدٌ أمْ هُمْ أساطِينُ الْعَجَمْ؟!

يوسف مسعود قطب حبيب
Yhabeeb@awq.gov.qa

=================

نظم الميمية في الذود عن خير البرية

تبا لرســـــــــــــــام الضلال وبئسما خطت يداه بشأن ذا المعصموم
أنى لذي الطرف الحسير الأرمد إبصار شمس ضحوة ونجــــــوم
لو كان للجرو السفيـــــــــه مروءة تثنيه عن هزء ونشر رســـــــوم
إن النبي لفيء نستظـــــــــــــــــــل به بشـــــــــــــــــــفاعة لمقصر وأثيـــم
من أنقذ الجنس اللطيف وأمـــــــة تئد الإنـــــــــــــــــاث وتحتفي بزنيم
من طهر البيت الحــــــــــــــرام مبددا ســـــــــحب الجهالة باترا لرجـــــــــوم
البيت دنس بالتفســـــــــــخ والمكـــــا ء أي الصفير وبوءوا بعظيـــــــــــــــــم
هل غير أحمد للرقاب مخلصــــــــا من ظلم أسياد وحـــــــــــــر جحيـــــــم
يا خنفس الدنمارك بؤت بغضبة تشقيك أنت بفـــــــــــادح وهمـــــــوم
الغرب قد أمضى عصور تخلف جـــــــــن الضلال عليهمو بغيـــــــــوم
فأزاح ذا الجهل المركب عنهمو قبســـــات وحي قد هدت لعلوم
طب ابن سينا لم يزل نبراســـــهم أس الدواء ومحتذى لفهـــــــــــوم
أسلافنا خاضوا الفنون فأبحروا فجنـــــــــــــــــــــاها غرب آنفا بكلـــوم

أنى لجرو نابـــــــــــــــــــــــــــح متورك نيلا لعلياء الســـــــــــــــــــــــماء نؤوم

نفسي وأهلي والخليقة كلـــــــــــــــها دون النبي وهجـــــــــــــــوه برسوم

=====================

في الذب عن عرضه صلى الله عليه وسلم

حسان بن ثابت:

هجوت محمدًا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمدًا برًّا تقيًّا رسول الله شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

ثكلت بنيتي إن لم تروها تثير النقع من كنفي كداء

يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء

فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لضراب يوم يعز الله فيه من يشاء

وقال الله: قد أرسلت عبدًا يقول الحق ليس به خفاء

وقال الله: قد يسرت جندًا هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء

فمن يهجو رسول الله منك ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

=================

بأبي وأمي

رمضان عمر:

هذا المداد بمسك أحمد قد همى وازدان فيه مع النسيم مثالُ

أزهو به في رقة أشدو بها ليطيب في مدح الحبيب مقالُ

أقفو به كعب الأوائل ليتني كنت الذي آبت به الآمالُ

فتصيبني بعض الشفاعة حينها فأكون أسعد من حوته رمالُ

أفديك يا خير الخلائق كلها إن شط قوم أو بغى الدجالُ

بأبي وأمي كيف لا أفديك إذ بدأ القتال ودقت الأطبالُ

وتطاولت عصب الكلاب وأنفث من كل سم ناقع ريغالُ

قد زاد حد الحد حتى لم يعد يجدي مع الفعل الشنيع جدالُ

وتمرد الأزلام حتى أثخنوا طعنًا وكيدًا والحروب سجالُ
كذبوا ولو صدقوا لقالوا: إنه سحر الوجود فلن يعاب كمالُ!
خير البرية رغم أنف أنوفهم حاشا لمثلك أن يسيء مقالُ
فالقول دونك في المديح وإن علا ولشسع نعلك تسقط الأقوالُ
فليخسئوا، ولبئس ما جاءت به صفر الوجوه الخسة الأنذالُ
الراتعون مع الشياه كأنما شاهت وجوه الغرب فهي سمالُ
القاصرون عن الفضائل ما ارعووا واللؤم فيهم شيمة وخصالُ
شر البرية يا أشر خليقة خجلت لمثل فعالهن بغالُ
أحضارة الدجل السخيف أهكذا تؤتى المكارم؟! بئسما الأفعالُ
أخزى الذي سمك السماء بناءكم يا أيها السفهاء والأنذالُ
أحلام هرطقة، وخسة قاصر رَسَمَ الحقيرُ وشَبَّه المحتالُ
لا ليس في رسم الخسيس بلاغة إن البلاغة في الحبيب تقالُ
فهو الكريم إذا الكرام تعاظمت عند الزحام، وعزت الأحمالُ
وهو الفصيح إذا الفصاحة أينعت سالت بعذب حديثه الأقوالُ
فبذكره كان الغدو رياضنا ومع الغدو تمازجت آصالُ
وبمدحه مهج القلوب ترنمت وتراقصت طربًا له الأوصالُ
يا أيها المختار حسبك رتبة مهما تعملق لم يصلك خيالُ
فالكل خلفك واجمون كأنهم كبتوا تشد وجومهم أحبالُ
خيرت بين الخمر واللبن الذي فطرت عليه من الورى الأجيالُ
فاخترت فطرة أمة لمّا تزل خير القرون فتية تختالُ
وبنيت للإسلام صرحًا شامخًا طال السماء، فكيف ذاك يزالُ
أضحت به بغداد نجمة عصرها ضاءت إذا غرب الجنوب شمالُ
ومشى السحاب لكي يفارق أرضها فمشت توازي ظله الأجيالُ
وتتابع العلماء حتى أزبدت سوح البطاح فحملهن ثقالُ
ذاك ابن سينا والفرابيُّ الذي لو زِين زانت عُشْرُهُ الأثقالُ
ولدحية الكلبي إذ بسطت له شم القياصر كبرها الأمثالُ
لغسلت دون الكعب، لو سنحت لنا لقيا الأمين وفي اللقاء جمالُ
أقرئ نبيك يا دحية أنه حان الزمان وملكنا سيزالُ
سيزول ليل الظلم حتى تنضوي كل المكائد تختفي الأدغالُ

ويعم كل الكون عدل محمد ويذوب بغي ينتهي الأهوالُ
يا أمة المليار هل من عضبة نذكي النفوس كأنها المرجالُ
تجتث شأفة حاقد من أصله حتى يثوب مع الردى الدجالُ
فالصافنات من الجياد على الذرى قد أسرجت، وتقدّم الخيالُ
والعاديات الضبح تبرق في الدجا والموريات القدح والأجمالُ
يا سيدي ما إن رموك بسهمهم حتى تدافع للوغى الأبطالُ
وتعالت الرايات تعلن زحفها للنصر يعلو فوقهن هلالُ
من قبة الإسراء تغزل عزمها أتذود بالعزم الفتي نِصالُ
وتريق من دمها الزكي جداولاً نعم الدماء فداك حين تُسالُ
دقت به جند الحماس حصونهم فمشى النعي يقوده الإعوالُ
والسمهري بها يغذ خطوطه فهوت عروشٌ حُطمت أغلالُ
وتقهقر الأسطول أسطول الخنا والبُش يصرخ أن هلمَّ تعالوا
وتناقص الشيطان لا يلوي إلى ما قد دعا وتقطعت أحبالُ
وتشرذموا فرقًا تجر خيولهم أذيال نكستهم، وآل مآلُ
لا تفرحوا.. أما فطنتم أنما سنجزّ رأسًا لن يطول نزالُ
ويباع في سوق النخاسة بشكم حتى تدوس جبينه الأطفالُ
يا أيها الغرب الكسيح رويدكم إن المعامع حملهن ثقالُ
ولنا خلقن ولن تسار لغيرنا تلك المكارم أيها الجهالُ
إنا قدحنا بالحماس نفوسنا فاستنفرت شررًا بنا الأوصالُ
وتضاعفت أحقادنا حتى إذا حمي الوطيس أتاكم الزلزالُ
سنهز عرش الكفر نكسر أنفه هذي الجموع يقودها الرئبالُ
هذي الجموع تدافعت نحو الردى تفدي الحبيب نفوسها والمالُ
سنغيّر التاريخ نصلح أمره حتى تعود لهديها الأجيالُ
وندق روما ثم نزوي بعدها كل المدائن لن يدوم ضلالُ
وعد النبي فكيف يخلف وعده كل الوعود مع النبي تُنالُ
هذه حقائق هدينا نسمو بها نحن الأشاوس نسوة ورجالُ
مهما بطشتم يا قساوسة الفنا فالحرب كرّ تارة وسجالُ
والحرب شم خيارنا إنا لها نحن الألى مهروا الوعى الأبطالُ
نحن الألى باعوا النفوس لربها فهو الذي قضيت به الآجالُ

فالموت إما أن يجيء فمرحبا يا موت حيّ ففي المنون منالُ
فهو الطريق إلى لقاء محمد ولقاء احمد بغية آمالُ

====================

إلى الحبيب الأعظم

د. زاهر الحسن :

هم يحسبونَ وقد سكتُّ غَضوبا صمتي وجرحي ، يا حبيبُ، ذنوبا
هم يزعمون بأنــي لــم أشتعــلْ غضباً ، و لم أُشعِلْ فداكَ حروبــا
هم يزعمون بأنــي لــم أرتحــلْ شوقاً إليكَ ، ولــم تــكُ المحبوبــا
هم يسلكون إلى رضاكَ دروبَهــم وأنا أطير ومــا سلكــتُ دروبــا
واللهُ يعلم لو قسمــتُ مشاعــري بين القلــوبِ لمــا بقيــنَ قلوبــا

===================

ولقد سمعنا ما يسوءُ قلوبنا من دولةِ الأبقارِ والأجبانِ

ماجد بن محمد الجهني الظهران

عرضي فدا عرض الحبيب محمدٍ وفداه مهجةُ خافقي وجَناني
وفداه كلُّ صغيرنا وكبيرنا وفداه ما نظرت له العينانِ
وفداه ملكُ السابقين ومَنْ مضوا وفداه ماسمعت به الأذنانِ
وفداه كلُّ الحاضرين وملكهم وفداه روحُ المُغْرمِ الولهانِ
وفداه ملكُ القادمين ومن أتوا أرواحنا تفديه كلَّ أوانِ
خيرُ البريةِ والتُّقى محرابه تسمو محبَّتُهُ على الألحانِ
أزكى رسولٍ بالهدى قد جاءَنا وخليلُ ربي الواحدُ الرحمنِ
صلى عليه الربُّ في عليائه إذ زانه بالصدق والإيمانِ
واللهُ أعلا شانَهُ في آيهِ وَلَدِينُهُ يعلو على الأديان
أخزى به ربي ضلالةَ مُشركٍ وأذلَّ أهلَ الغيِّ والصلبان
أعداؤه في نكسةٍ وبغلّهم يصلونَ قَسْراً ضحضحَ النيرانِ
أعداؤه بُكْمٌ وصُمٌّ مارأوا أعداؤه هم أخبثُ العُميانِ
أهداهمُ إبليسُ من نزواتِهِ فتقَحَّموا في النارِ كالقُطْعانِ
تبتْ يدٌ لما أساءَت رسمها شُلَّت يمينُ المُجرمِ الفتَّانِ
اللهُ مُخزيهم ومُوبقُ سعيهم والله ذو بطشٍ وذو سلطانِ

يكفي الإلهُ نبيَنا من جُرمهم والله منتقمٌ عظيمُ الشانِ
حُبُّ الحبيبِ محمدٍ أُهزوجةٌ يشدو بها قلبي مع الخفقانِ
واللهِ ماجاد النساءُ بمثله أكْرِم به من مُرسلٍ رباني
نورُ البريةِ عمَّنا بضيائِهِ فهو البشيرُ بصادقِ البرهانِ
من سبَّ هادينا وسبَّ إمامنا فلقد غدا دمه بلا أثمانِ
في حكم ملتنا وهدي كتابنا من سَبَّهُ في أسفلِ النيرانِ
مَنْ دنسوا حرماتنا قد أسرفوا عن بغيهم يتحدثُ الثقلانِ
قد دنسوا قُرآننا في أمسهم أواه يا أسفي ويا أحزاني
حتى المساجدُ مالها قدسيةٌ في عُرف أهل الظلمِ والعدوانِ
ولقد سمعنا مايسوءُ قلوبنا من دولةِ الأبقارِ والأجبانِ
من دولةِ الدَّنْمركِ ساء مقيلُها أخبارها جاءت مع الركبانِ
ولدولةِ النرويجِ في ناقوسهم سهمٌ من التهريجِ والهذيان
والله قد هزُلت وبان هزالُها لما غدونا مطمعَ الفئرانِ
دولٌ كمثل الذرِّ في مقدارها دولٌ مدهدهةٌ على الجُعْلانِ
الشانئون لسيرةٍ قد عُطرت بالمسك والأزهارِ والريحانِ
أخزى الذي سمك السماءَ بناءَهم وأحالهم عِبَرَاً مدى الأزمانِ
الشانئون له تعاظم مكرهم كلٌّ له حِممٌ من الأضغانِ
كم منتدىً للكفر يُعلنُ جهرةً بقبيح قولٍ من بذيء لسانِ
كم في السجون من الزبانية التي هزأت بسيد أمةِ القرآنِ
كم في الصحافة من وضيع مفكرٍ جمع الضغينةَ في لبوسٍ ثانِ
متعالمٌ متحذلقٌ متفذلكٌ متدثرٌ بالزور والبهتانِ
أخزاهمُ ربي وفرَّقَ شملَهم وأقضَّ مضجعهم بكلِّ مكانِ
يا أمةَ الإسلام أين نفيركم؟ أعلو منائر سنةِ العدناني
أعلو منائر سنةٍ وتمسكوا بالهدي والتنزيل والفرقانِ
ذبُّوا عن المختار وارعوا حَقَّه لا يُلْهينكم زخرفُ الشيطانِ
أموالكم ضيعاتكم أولادكم ليست أعزَّ من النبيِّ الحاني
فالسُنَّةُ الغراء نِيلَ إمامُها فلتغضبوا لله يا إخواني
فبكم نظنُّ الخيرَ يا أحبابنا أحيوا مواقفَ عزةِ الشجعانِ
هذا قصيدي والقصيدُ مُقصرٌ قد قلتُ مافي الجُهدِ والإمكانِ

والله قد شرُفَ القصيدُ وإنه شرفٌ لكلِّ قصيدةٍ وبيانِ
شرفٌ بأن نجري له أقلامَنا شرفٌ لكلِّ فُلانةٍ وفُلانِ
تمت وأثنوا بالصلاةِ ومثلِها ما لاحَ غيمٌ أو بدا القمرانِ

====================

طه إمام المرسلين

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل:

يَا دَانَمَرْكُ النَّازِيَهْ يَا بِئْرَ فُحْشٍ عَاتِيَهْ
يَا رَأْسَ فِسْقٍ فِي الدُّنَا يَاذِي الْقُلُوْبِ الْقَاسِيَهْ
خَطَّتْ يَدَاكِ جَرِيْمَةً أَوْدَتْ بهَا فِي الْهَاوِيَهْ
فَلِمَ السَّفَاهَةُ وَالْخَنَا مَاذَا اسْتَفَدْتِ وَمَا هِيَهْ
نَارُ الْمَذَلَّةِ فَاصْطَلِيْ يَا دَانَمَرْكُ الْوَاهِيَهْ
مِلْيَارُ قَلْبٍ أَضْمَرُوا أَنْ يَقْذِفُوْكِ بدَاهِيَهْ
وَالْخَسْفُ آتٍ يَا زَنِيْمُ فَلَمْ تَذُوْقِيْ عَافِيَهْ
جَاءَتْ شَرِيْعَةُ أَحْمَدٍ مِنْ ذِي الْجَلَالِ إِلَهِيَهْ
فِيْهَا الْهُدَى مُتَجَلِّيًا عَمَرَ الْقُلُوْبَ الْخَاوِيَهْ
وَمَحَى دَيَاجِيْرَ الْهَوَى فَبَدَتْ عُقُوْلٌ صَافِيَهْ
طَه إِمَامُ الْمُرْسَلِيْنَ فَيَا لِرُوْحٍ سَامِيَهْ
بَرٌّ رَحِيْمٌ سَيِّدٌ رُوْحِيْ فِدَاهُ وَمَالِيَهْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا سَمِعَ الْمُصَلِّيْ الْوَافِيَهْ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ هُمُ النُّجُوْمُ الْعَالِيَهْ

==================

واستمطروا غضبًا

عبدالله البصري :

يَا عَينُ جُودِي بِدَمعٍ مِنكِ مُنسَكِبِ وَابكِي عَلَى الفَضلِ وَالأَخلاقِ وَالأَدَبِ
وَاستَفرِغِي الدَّمعَ لا تُبقِيهِ قَد عَظُمَت مُصِيبَةُ الكَونِ سُبَّ المُصطَفَى العَرَبي
سَبُّوا نَبِيَّ الهُدَى وَاستَهزَؤُوا عَلَنًا بِالهَاشِمِيِّ المُفَدَّى طَاهِرِ النَّسَبِ
سَبُّوهُ وَاستَهزَؤُوا وَاستَمطَرُوا غَضَبًا فَلْيَرقُبُوا عَن قَرِيبٍ ثَورَةَ الغَضَبِ
يَا وَيحَهُم أَيُّ جُرمٍ قَد أَتوهُ أَمَا لِلحِقدِ حَدٌّ وَزُورِ القَولِ وَالكَذِبِ

يَا وَيحَهُم أَينَ مَا كَانُوا إِلَيهِ دَعَوا   في مجلِسِ الأَمنِ مِن سِلمٍ وَمِن رَحَبِ
أَينَ الحِوَارَاتُ أَمْ أَينَ القَرَارَاتُ أَمْ   أَينَ الوُعُودُ التِي صِيغَت مِنَ الذَّهَبِ
أَمْ أَنها دُولَةٌ بَينَ اليَهُودِ وَمَنْ   أَمسَى عَلَى دَربِهِم مِن عَابِدِي الصُّلُبِ
تَبًّا لها مِن حِوَارَاتٍ وَتَبًّا لَهُ   سِلْمًا يُدَانُ بِهِ إلا مَعَ العَرَبِ
بالأَمسِ أَبدَوهُ تحقِيقًا لِمَصلَحَةٍ   كَانَت تُدَارُ وَأَخفَوا غَيظَ مُرتَقِبِ
وَاليَومَ فَاهُوا بما تُخفِي صُدُورُهُمُ   مِن إِحنَةٍ زَالَ عَنهَا مُظلِمُ الرِّيَبِ
الحِقدُ قَد بَانَ وَالبَغضَاءُ قَد ظَهَرَت   وَالكُرهُ قَد شَبَّ في الطَّاغِينَ كَالجَرَبِ
يُمسِي بِبَلدَةِ أَوغَادٍ وَيُصبِحُ قَد   أَلقَى بِأُخرَى رِحَالَ القَصدِ عَن كَثَبِ
أَغرَى بِهِ سَاسَةُ الأَبقَارِ إِخوَتَهُم   فَاستَجمَعُوا النَّطحَ في هَرجٍ وفي صَخَبِ
لم يَرقُبُوا مَوثِقًا فِينَا وَمَا اكتَرَثُوا   يَومَ استَخَفُّوا بِدِينٍ أَو بِعِرضِ نَبِي
لَكِنْ لَنَا اللّهُ مَولانَا نُؤَمِّلُهُ   عِندَ الرَّخَاءِ وفي الشِّدَّاتِ وَالنُّوَبِ
وَهْوَ الحَسِيبُ وَكَافِينَا وَنَاصِرُنَا   في كُلِّ خَطبٍ فَلا نَخشَى مِنَ الغَلَبِ
اليَومَ نَبكِي بِدَمعٍ سَاجِمٍ وَغَدًا   قَد يَضحَكُ الدَّهرُ مِن أُنسٍ وَمِن طَرَبِ

================

يا أيّها الدنمارك .. إلا رسولَ اللهِ

مصطــفــى العــانـــي :

إلا رســـولَ اللهِ يــا أقــــزامُ أوَ يُستباحُ محمّـــدٌ ويُضـــامُ ؟
أوَ يستهانُ بسيِّـــدٍ دانَـــتْ لـــه كُلُّ الرقابِ وذلَّتِ الأصنـــامُ؟
يا أيُّها الجبنـــاءُ إنَّ رسومَكـــم في حَقِّ أحمدَ كلُّهـــا إجـــرامُ
لا، لن تَطالَ محمداً وجنـــودَه مادام مصدرَ عزِّنـــا الإســـلامُ
إنّا جنودُ محمَّـــدٍ لـــو ســـاءَهُ سُوءٌ فنحنُ الواثبُ الضرغـــامُ
لو شاكَهُ شـــوكٌ فإنّـــا دونَـــه وفـــداؤُه الأرواحُ والأجســـامُ
يا أيُّها (الدَّنمَرْكُ) سوف نذيقُكُم طعمَ الهوانِ وساءَ ذا الإيـــلامُ
يا أيُّها الأنذالُ ليس يضيرُنـــا قـــولٌ ولا رســـمٌ ولا أفـــلام
أنتم عبيدٌ للعجـــولِ وروثِهـــا بـــل أنتـــمُ الأبقـــارُ والخُـــدّامُ
لسنا إلى أبقارِكم في حاجـــةٍ أو منتجـــاتٍ صاغهـــنّ لِئـــامُ
إنَّـــا وإنْ كَثُـــرَ العِـــدا لكنّنـــا سيفٌ لأحمدَ صارمٌ صَمصـــامُ
سنذودُ عنـــه يقودُنـــا قرآنُنـــا وتراثُـــه والحـــبُّ والإعظـــامُ
يا أيُّها (الدَّنمَرْكُ) ليس يسوؤُنا هـــذا الثغـــاءُ لأنَّكُـــم أغنـــامُ

إنَّ النبيَّ بقلـــبِ كـــلِّ موحِّــدٍ ومساسُه فَتْـــكٌ بكـــم وحِمـــامُ
إنَّ الحبيبَ ذرىً وليسَ يضيره تلكَ الرســـومُ فكُلُّهـــا أوهـــامُ
قد راعكُم دينٌ أطاحَ بصرحِكم وأخافكُم ذا المعـــولُ الهـــدّامُ
فلكلِّ من يؤذي النبيَّ وصحبَه ونساءَه، التقتيـــلُ والإضـــرامُ
سَنَشِنُّ حملتَنا نقاطعُكُـــم بهـــا ولنـــا بذلـــكَ رفِعـــةٌ ووســـامُ
لا لن نلينَ وَقَدْ بَدَتْ أحقادُكُـــم رُفِعَت بذاكَ الصُّحْفُ والأقلامُ
"إلا رسولَ الله" فهي شعارُنـــا ومحمّـــدٌ عِـــزٌّ لنـــا وإمـــــامُ

=================

يا نـــبيّ الله عُــــــذرًا.... !!!

صفاء رفعت:

يا نبـــيّ الله عُـــذرًا.. فلـــك الفضـــل وأكثـــر
يـــا نبـــيّ الله عُـــذرًا.. فبِـــك العليـــاء تفخـــر
بِتُّ في الحزن سُهادي.. وأنيـــن القلـــب يـــزأر

. . . .

قـــد منحـــتَ للبرايـــا رحمـــةً بالهَـــدْي تُؤثَـــر
ولسانـــًا جامعـــًا للخـــيـــر كاللـــؤلـــؤ يُنـــثَـــر
وأزاهيـــرَ مـــن النـــور ورَيْحـــانـــًا مُعـــطّـــر
وطريقـــًا للخـــلاصِ إن وعاهـــا الحُـــرُّ يظفـــر
وعهـــودًا مـــن ســـلامٍ عاجـــلَ الخيـــرِ مُيسّـــر
وقلوبـــًا فـــــي رحـــــاب الخـــيـــرِ تُـــؤطَـــر
بِـــــــودادٍ وربـــــــاطٍ لـــيـــــس يُـــكـــسَـــــر

. . . .

وتواضعـــت فكُنتَ.. أُســـوةٌ تُحكَـــى و تُعْبَـــر
وتلقَّيْـــتَ قلوبـــًا صاديـــة بالكـــفـــر تجـــهـــر
تُضمرُ الحقد وتعدوا في ابتغاء الظلـــم تسمـــر
فغدت في الحق نورًا في التماس الخيـــر تسهـــر
وتحمّلت خطوبًا يهوِي لهـــا الصخـــر ويُقْهَـــر
وأبيْـــتَ أن تكـــون داعيـــًا بالـــشـــرِّ يُنـــصَـــر

***

فحباك الله ذكْرًا فــي الــورى أنــدى وأعطــر
صرت في العلْيَا سراجــًا.. إن نــور الله أنضــر

....

كيف يأتي اليوم عبــدٌ جاهــلٌ.. لا ليــس يُذكــر
يدّعي من فــرط جهــلٍ أن شمــسَ الله تُخفَــر
يبتغي بالبغــيِ مُلكــًا زائــلاً كالجمــر يُسعَــر
إنْ أُقيــم الــــوزن يــــوم الــديــن يخــســر
كيف يزعم أنَّ نور الهدي وهمٌ.. أن عهد الله أصغر
يدّعي السوءَ بسُكر.. ومن نبــي الله يسخــر؟!

....

يا رسول الله عــذرًا.. فلــك الفضــل وأكثــر
يا نبــيّ الله عــذرًا.. فبــك العليــاء تفخــر
إن نقضنا اليوم عهدك.. فلنا الخزيُ وأحقــر
في سبيل الله نمضــي.. إن جُنــد الله أصبــر
في سبيل الله نسعــى.. لا نحيــدُ و لا نُؤخِّــر
إن عهــد الله أبقــى.. وحــدود الله أكــبــر

==================

على أبواب المدينة

شعر: يحيى بشير حاج يحيى

هَــبَّــتْ نــسائمُ طيبةِ الأطيابِ   فــلــقــيتُها بالبشر والتَّرحابِ
وتَــضوَّعتْ، فإذا الشآم عبيرُها   فــمــضيتُ مُشتاقاً أشدُّ ركابي
دارُ الــكرام إذا وصلتَ قباءها   أصبحتَ في أهلٍ وفي أصحابِ
يُــنسيكَ لُقياها اغترابكَ والأسى   والــشــوقَ للأوطانِ والأحبابِ
يَمَّمتُ وجهي نحوَ مسجدها الذي   تُشفى القلوبُ به من الأوصابِ
ووقفتُ في روضِ النبيِّ مُسَلِّماً   أهْــفــو إلى الصِّدِّيقِ والخَطّابِ
ومــؤمّــلاً نيلَ الشفاعةِ في غدٍ   ومــشــاعري مَشبوبةٌ ورغابي
يــا ربِّ قد بذلَ الألى أشعارَهم   فــي اللهو والإفسادِ والإغضابِ

وبـــذلـــتُـــها نصْراً لدينِ محمدٍ　　　ووهـــبْتُه عُمري وزهوَ شبابي
فـــامـــننْ عليَّ بتوبةٍ أنجو بها　　　مِـــنْ سوءِ أعمالي بيومِ حسابي
أيـــامُ عُـــمـــري آذنتْ بخريفها　　　فمتى يكونُ إلى رضاكَ إيابي؟!

=================

ما بين الهجرة والهجمة

سيد سليم سلمي

مما قلته للأحباب في خطبة الجمعة ولا زلت أردده : نصر الله حبيبه ــ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ــ بعد ضيق في مكة وفي مكان ضَيِّقٍ (غار ثور) {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم } ٤٠التوبة

وها نحن نعيش في غار فسيح ، يحاصرنا الضيق رغم السعة ، ويعمنا العسر رغم اليسر ، ويلفنا (الظلام ؛ بسبب بعدنا عن النورين) كتاب الله وسنة نبيه) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) مما أغرى شرار الناس بنا ، وسلط علينا أخس البشر وأسوأ الناس ، فبعد أن فعلوا ما فعلوه بأمتنا هاهم يختبرون إحساسنا عن طريق السخرية بأعظم الرسل وسيد الكائنات ــ صلى الله عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى جميع عباد الله الصالحين ــ وإذا كانت آية الغار قد بينت حال ما حدث من نصر في الضيق داخل الغار ، فإن هذه الآية ــ آية اتخاذ أهل البغضاء بطانة قد بينت وتبين ما يحدث لحكامنا ولنا الآن ــ أتمنى من الجميع حفظها وتمعنها ــ وهي قوله تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من) أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون } (١١٨ ــ آل عمران والله أكبر والنصر قادم ، وإذا جاء رد الحكام ضعيفا ، فقد جاء رد الشعوب قوياً والحمد لله { يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}(٨-٩ الصف) صدق الله العظيم ، وصلى . (الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عـــام أتـــى مـــســـتـــنـــطقاً لفؤادي
مـــا بـــيـــن عـــامٍ قد مضى ويناديمـــا شـــاده الـــمـــخـــتار من أمجاد

ويـــهـــزنـــي نـــحـــو المدينة ذاكراً وغـــدوت أصـــل الـــعـــيد للأعياد
يـــا يـــوم هـــجرة أحمد زنت الدنا أرض الـــســـلام ومـــوطـــن الرُوَّاد
قـــد ودع الـــمـــخـــتار مكة قاصداً والـــوعـــد وعـــد الله خـــيـــر عتاد
فـــي الـــغـــار نصر الله رافق عبده لـــتـــكـــون عـــوناً للحبيب الهادي
فـــانـــظـــر إلى جند العزيز تسابقت ولْـــتـــمـــنـــعـــوا الكفار نيل مراد
أوحـــي الإلـــه أن ادفـــعوا كيد العدا كـــحـــديـــد صـــلـــب في يد السراد
الـــعـــنـــكـــبوت تجيد نسج خيوطها لـــلـــمـــاكـــريـــن يـــفوق كل عناد
وحـــمـــائـــم باضت لتجعل بيضها أوحـــى فـــأغـــشى أعين الأرصاد
إنـــا رفـــيـــق الغار في كنف الذي بـــمـــعـــيـــةٍ هـــي أعـــظم الأجناد
اثـــنـــان والله الـــمـــهـــيـــمن ثالث لـــلـــســـلـــم والـــتـــوحيد والإسعاد
لـــمـــا أتـــى الـــمختار طيبة داعيا كـــغـــرام مـــوعـــودٍ عـــلـــى ميعاد
خـــرج الـــجـــميع مصدق ومكذبٌ فـــي طَـــيْـــبـــة تسعى إلى الأمجاد
هـــذا هـــو الـــمـــخـــتار يبني أمةً لا فـــرق بـــيـــن أكـــابـــرٍ وســـواد
يـــبني حضارتها على أسس الهدى لا فـــرق بـــيـــن أحـــبـــة وأعادي
ديـــن بـــنـــى صرح العدالة شامخاً فـــيـــهـــا مـــن الأخلاق خير الزاد
يـــا مـــن بنيت على السماحة دولةً كـــم حـــرر الإنـــســـان من أصفاد
ورحـــمـــت كـــل الـــعالمين بمنهجٍ أنـــعـــم بـــهـــم مـــن ســـادةٍ رواد
وصـــنـــعت من دنيا الرجال أماجداً ولـــدى الـــوغـــى فـــي قوة الآساد
رهـــبـــان لـــيـــل فـــي عبادة ربهم كـــان الـــتـــوحـــد شـــيمة الأجداد
مـــا بـــالـــنـــا صـــرنا شتاتاً بعدما ويـــبـــث مـــا يـــنـــبي عن الأحقاد
الـــغـــرب يـــسخر من طبيب قلوبنا صـــرنـــا بـــأعـــيـــنـــهم كذر رماد
يـــا ســـيـــد الـــهـــاديـــن عذراً إننا بـــئـــر الـــعـــدو كـــأســـوأ الوراد
لـــمـــا تـــركـــنا نبعك الصافي إلى نـــبـــع الـــهـــدى والنور والإرشاد
يـــا أمـــة الإســـلام هـــذا ديـــنـــكم فـــيـــه الـــجـــهـــاد لرد كيد العادي
وصـــمـــوه بـــالإرهـــاب حاشا إنما أيـــن الـــتـــحرر صانعي الأصفاد ؟
قـــد غـــلّـــفـــوا باسم التحرر خبثهم قـــد جـــاء بـــالـــتـــحقيق والإسناد
نـــقـــد الـــيـــهود جريمةٌ حتى وإن هـــبُّـــوا فـــلـــيس الوقت وقت رقاد

يــا قـــادة الإســـلام طـــال ســـباتكم مــــــدعـــومـــةٍ بـــتـــآلـــفٍ ووداد
واســـتـــقـــبـــلــــوا كيد العدو بوحدةٍ فـــالـــخـــبـــث والإجرام طي فؤاد
إن الـــعـــدو وإن بـــدا مـــتـــبـــسماً وقـــلـــوبـــهـــم مـــحـــشـــوة بسواد
بـــدت الـــعـــداوة فـــي تفلّت لفظهم فـــي ســـقـــطـــةٍ أو ما تخط أيادي
والله كـــاشـــف مـــا تكن صدورهم خـــبـــتـــم فـــرب العرش بالمرصاد
إن رمـــتـــم إطـــفـــاء نـــور نـــبينا ومـــؤيـــدٌ بـــالـــعـــون والأجـــنـــاد
الله نـــاصـــره ومـــظـــهِـــر ديـــنه نـــبـــح الـــكـــلاب وهجمة الأوغاد
مـــا ضـــر بـــدر الـــتـــم في عليائه بـــدر الـــدجـــى يـــا أســـوأ الحساد
لن تطفئوا شمس الضحى لن تخسفوا مـــشـــفـــوعـــةً بـــســـلام دون نفاد
مـــولاي صـــل عـــلـــى النبي وآله

====================

يا حبيبَ الروح !

شعر :

د. كمال أحمد غنيم

kghonem@mail.iugaza.edu

عندما كنتُ صغيراً؛

لم أعانِ اليتمَ مثلكْ !

بل ضياعاً في لجوءٍ مسَّ شعبكْ.

كنت أمضي من رصاصات المنايا

نحو مسراك وقدسكْ.

بدأتْ هجرة روحي

منذ ميلادي... لنبضك.

عجنتني مع دموعي

بمزيجٍ من تراب قدسيٍّ مسَّ وجهك.

* * *

كنتَ حُلْمي حين أصحو،

وحنيني حين أغفو،

ويقيني حين أكبو،

وضياءً يحتويني عند ذكرك.

كنتَ نوراً... يهتدي دربي بعطرك!

* * *

سرتُ في إثرك وحدي في دروبٍ،

عرفتها خطواتُ الصدق بعدك.

يا حبيبَ الروحِ عفوَك !

قد تَلفَتُّ، فأدركت بأني لست وحدي...

سارت الدنيا بإثرِك.

***

لم تعدْ في الغارِ وحدَك !

لم تعد في شِعْبِ من قد حاصروا،

أو طاردوا،

أو صوّبوا سيفَ المنايا نحو صدرِك.

صارت الدنيا دار أرقمَ تصغي...

هزّها الشوق لهمسك !

لا تبالي بحكايات أُبَيٍّ وسلولٍ،

ورسومٍ نفثتها عنكبوتُ الحقد ضدّك...

* * *

عندما كنت صغيراً

علمتني وقفاتُ الحِلْمِ درسَك !

لا تبالي ببقايا شلْوِ حقدٍ،

قد رماه الجهل فوقك !

وتزيح الشوك من أطراف ثوبك.

كان بالإمكان أن يرتاح قلبك...

ويثور الأخشبانِ قبل أن يرتدّ طرفَك.

كان بالإمكانِ، لكنْ...

ليس بالإمكانِ أن يهتزّ صبرك.

باسمٌ والموتُ يضحك .

راحمٌ والحقد نارٌ قد أذابت حامليها،

وربوع الكون تسعى نحو مجدك.

* * *

يا حبيبَ الروحِ... عفوَك!

كانت الراحةُ ملكَكْ،

رغم ريحٍ من سَمومٍ بصقتها البومُ حولك.

يا حبيبي ظلّ بالإمكان أن يرتاحَ قلبك.

لن يمسّوك بسوءٍ...

وعبيرُ النورِ يسري في ربوعِ الكون حولك،

... زارعاً في الناسِ حبك

... باعثاً في الناس (بدرك)

... رافعا في الناسِ ذكرك

* * *

يا حبيبي...

صار بالإمكانِ أن يرتاحَ قلبك !

===============

مولد الهادي

شعر : منير محمد خلف . سورية

mner-l@scs-net.org

البدرُ لولا سناهُ ما ألفناهُ ... والليلةَ البدرُ يشدو ما حفظناهُ

من خالص الحبِّ للمختار سيّدِنا ... محمّدٍ أشرقتْ أحلى مزاياهُ

قلبي يبعثرني من فرط لهفته ... إلى لقاء حبيبٍ قد عشقناهُ

وكيف نشقى وهل غير الحبيب هوىً ... يسقي الفؤادَ ويحمي ما بنيناهُ

لولاهُ ما اكتحلتْ ألوانُ فرحتنا ... لولاه ما زفّتِ الأعيادُ لولاهُ

يا حسرة الشعر لا تبدو محاسنه ... إنْ لم يكن عابقاً من طيبِ ذكراهُ

اليومَ مولدُ فجري والهوى تعبٌ ... من شدّة الشوقِ يخشى ما تمنّاهُ

إنّ الحياة غرامٌ في دمي.. ودمي ... مثل البراكينِ لا تطفيه أمواهُ

حبيبيَ المصطفى قلبي يحمِّلني ... آهات شوقٍ وحولي كلُّهُ آهُ

مــاذا أقــول لفرط النار في جسدي والــحــبُّ لــولا ضــرامٌ ما عرفناهُ

قــد يسلك القلبُ غيرَ الحبِّ منعطفاً لــكــنْ هــواهُ غــرامٌ مــا نــسيناهُ

يــا أيّــهــا الــقمر الملتاع من سفرٍ خــذْنــي إلــيــهِ فإنّي الدهر أهواهُ

خــذْ لــلــحبيب غرامي إنني كلفٌ فــي حــبّــهِ وخــذ التسبيح أحلاهُ

خــذْ كلّ ما فيَّ من حزنٍ ومن فرحٍ ولــلــحــبــيب صلاتي حين تلقاهُ

يــا خــيــر مَنْ أثمرتْ في كفّه لغةٌ مــا ازّيّــنــتْ حولنا الأفلاكُ لولاهُ

آهٍ عــلــيّ..عــلى قلبي وما اقترفتْ يــداه مــن إثــم مــا كــنّا زرعناهُ

لا تعجبوا شعريَ المغسول من فرحٍ هــو الــســعــادةُ لا مــالٌ ولا جاهُ

إنْ كــان حــزني حراماً عند صبِّكمُ فــأعــمق الوحي كان الحزنُ فحواهُ

لا تــطــفئوا ظمئي فالعشقُ ملتهبٌ أيُــطــفــئُ الملحُ جرحاً قد رضعناهُ

الــكــلُّ يــســعــى إليه عند رؤيته والــخــيــرُ الخيرُ فيما اختارهُ اللّهُ

==================

نور العين

فدوى محمد سالم جاموس

فِداؤكَ – سيّديْ –ولَديْ ونفْسيْ وما ملَكتْ يديْ .. يا تاجَ رأسيْ

وأميّ- سيّدي-وأبيْ ، وقَوميْ ويَــوميْ سيّدي وغدي وأمسيْ

أهــابُ سَناكَ ! كيفَ سأجْتَليهِ بــلــفظٍ لا يَفيْ لِشُعاعِ شَمسٍ!؟

وإبــداعــيْ هَــزيلٌ فيكَ حتّى لــو اســتَخرجْتُه مِن كلِّ جِنسِ

ولــكــنْ غــرّنــيْ طَمَع بأنّ بــمدحكَ يَزدهيْ شِعريْ وحِسّيْ

وتَــرتــعش القوافيْ في ابتهاجٍ وتَــأنَسُ مُهجَتيْ بكَ أيّ أُنسِ!

ضياءَ الروحِ ،يا مصباحَ قلبيْ حَــلا بكَ يا حَبيبُ مَذاقُ كأسيْ

وطــابَ بــكَ الكلامُ وكان مرّاً ونَــثَّ حَــلاوةً في كلِّ جَرْسِ

أنــورَ نُــبــوّة رشَفتْ حروفيْ وبــاحَ بسرّها قلَميْ لِطِرسي!؟

فــدِبــيّ يا سَعادةُ في عُروقيْ دَبيبَ النورِ ، بَعدَ ضنىً ويأسِ

أبـــوالزهراءِ،نورُالعينِ،تَسريْ مَـــحـــاسِنُه بشِعري دونَ لَمْسِ
وتَـــخـــتـــلجُ الفَرائِصُ والحَنايا بـــضوءٍ وَمْضُهُ أصداءُ هَمْسِ
حَبيبي، روحَ روحيْ قلبَ قلبيْ بـــلـــمسَةِ راحَتَيكَ يَزولُ بُؤسيْ

====================

ونحري يا رسول الله درع

شعر: يحيى بشير حاج يحيى

أيُشتَمُ خيرُ مَنْ صَلّى وصَاما ويُـــهْزَأ بالذي أرْسى السلاما
وأوْرَقَ هَـــدْيُهُ في كُلِّ أرضٍ مُـــســـاواةً وعَدْلاً واعْتِصاما
ولـــم تَـــعْرِفْ لَهُ الدُّنيا مَثِيلاً وَمَـــا ا تَخَذَتْ سِواهُ لها إماما
ودَعْـــوَتُـــهُ تُـــظَلِّلُ كُلَّ حيٍّ وَقَـــدْ عَـــدَلَتْ فأَنْقَذَتِ الأَنَاما
وَتَـــعْجَبُ بعدَ ذلكَ إنْ غَضِبْنا لِـــرِفْـــعَـــةِ مَن بدينِ اللهِ قاما
وأنـــتـــم تَذْرِفونَ الدمعَ زُوراً عـــلـــى صَنَمٍ لَبُوذا كاليتامى
وآذَيْـــتُـــم رســـولَ اللّهِ فِينا بـــرَسْـــمٍ زائفٍ هَتَكَ الحَراما
فـــأيُّ مُـــقَـــدَّسٍ مِنْ بعْدِ هَذا تُـــقـــيم له البَرايا الاحتراما
فَنَحْري_ يا رسول اللهِ_ دِرْعٌ تَـــقي، وتَرُدُّ مَنْ رامَ ا قْتِحاما
أَمَرْتَ فكنتَ أفضلَ مَنْ دعانا لإنـــصـــافٍ وعَدْلٍ لا يُسَامَى
أرَيْـــناهُم صُنوفَ العدلِ دِيناً و لم نَرْضَ المَظالِمَ والظَّلاما
وأنْـــصَـــفْنا بَني الأديانِ طُرّاً وســـامَـــحْـــنا وسالَمْنا كِراما
ورُبَّ كَـــنيسةٍ عاشَتْ زَمَاناً ولـــولا عَدْلنا صارَتْ حُطاما
وَعـــمَّتْ رَحمةُ الإسلامِ فيهم ولـــم نَـــخْفِرْ لهم يوماً ذِماما
وبالحُسْنى _و لم نُكْرِهْ شُعوباً_ دَعَـــوْنـــاهم لدِينٍ قدْ تَسامَى
فَـــلَسْنا نَرْتَضي الإكراهَ دِيناً لـــمـــخـــلوقٍ وإنْ فينا أَقاما
فَـــتَـــحْـــتُمْ للعداوةِ شرَّ باب وزِدْتُـــمْ نـــارَ فِتْنَتِكُمْ ضِراما
وبـــالـــتَّهديد أخرَسْتُم شُعوباً ولـــلإرهـــابِ أرْسَيْتُمْ نظاما
رســـولُ الله أنْـــصفكم بعدلٍ ولـــم يُشهِرْ بوَجْهِكُمُ الحُساما
ســـيـــبقى خالداً في كُلِّ نفسٍ ولـــو ذاقَتْ لنُصْرَتِهِ الحِمَامَا

=====================

رسول الله الهدى

د.عدنان علي رضا النحوي

عَانقي المجْدَ وَاخفقي يَا بيدُ   كُلُّ يَوْمٍ عَلى رِمَالِكِ عِيدُ
رَايَةٌ بَعْدَ رَايَةٍ وَزُحُوفٌ   في مَيَادِينها وَفَجْرٌ جَدِيدُ
لاَ يَزَالُ التّاريخُ يَدْفَعُهُ النَّصْـ   ـرُ ويَنيهِ مُؤمِنٌ وشَهيدُ
وَالنُّبُوَّاتُ آيَةُ اللهِ يُجْلَى الحَـ   ـقُّ في نُورِها ويُجْلَى الوُجُودُ
تَصِلُ الأَرْضَ والزَّمَانَ فَتمتَـ   ـدُّ مَواثِيقُ أُمَّةٍ وَعُهُودُ
يَا لَحَقٍّ جُذُورُهُ ضَرَبَتْ في الأَ   رْضِ وامْتَدَّ سَاقُهُ والعُودُ
إنَّهُ جَوْهَرُ الحَيَاةِ وَفَيْضٌ   عَبْقَرِيٌّ وَفاؤُهُ وَالجُودُ
إنّهُ الوَحْيُ والرِّسَالَةُ لِلنَّا   سِ و هذا رَسُولُها المَشْهودُ
سَيِّدُ النَّاسِ ! بَيْنَ نَصْرٍ من اللَّـ   ـهِ وَعِزٌّ لِوَاؤُه مَعْقُودُ
إنَّهُ أَحْمَدُ النّبِيُّ ! فَبُشْرَى   بَيْنَ آياتِ رَبِّهِ وَوَعِيدُ
فَمِنَ اللهِ كُلُّ فَضْلٍ عَلَيْهِ   آيَةُ الحقِّ والهُدَى التّوحِيدُ

*   *   *   *   *   *

يَا جَلالَ الإِسْراءِ : يحْمله الشـ   ـوْقُ وَجِبْرِيلُ والبُرَاقُ الشَّديدُ
والفَضَاءُ المتَدُّ يَنْشُرُ أَنْوا   راً فَتَنَشَقُّ ظُلْمَةٌ وسُدُودُ
أيُّ نُورٍ يَطُوفُ بالكَوْنِ تُجلى   مِنْ سَنَاه أَحْنَاؤُنَا و الكُبُودُ
إنه المُصْطَفَى ! أطلَّ فَهَبَّتْ   لِلِقَاهُ نُبُوَّةٌ وَجُدُودُ
وإذا السَّيِّدُ العَظِيمُ إمَامٌ   وجَلاَلٌ يَحُوطهُ وحُشودُ
وإذا أَنْتِ يا فِلَسْطِينُ نُورٌ   يَتَلالأَ وَجَوْهَرٌ وَعُقُودُ
فاخْشَعِي يا رُبَى فهذِي دُرُوبٌ   لِجِنَانٍ وَمَحْشَرٌ وخُلُودُ
وَرِبَاطُ لِلهِ تَحْرُسُهُ العَيْـ   ـنُ و قَلْبٌ ووَثْبَةٌ وَزُنُودُ

*   *   *   *   *   *

يَا ظِلاَلَ الأَقْصَى ! نَدَاكِ غَنِيٌّ   بالرَّجَا ، صَادِقُ الوَفَاءِ ، رَغِيدُ
كلُّ شِبْرٍ بِهِ مَوَاقِعُ وَحْيٍ   وَجِهادٌ عَلَى الزّمَانِ جَدِيدُ

إنَّ دَاراً يـحَـوطُـهـا اللهُ تـأْبـى أَنْ يُـخَانَ الوَفَـا وتُطْـوَى الوُعُـودُ
إن أَرضـاً لـلـه لاَ يَـتَـوَلّـى عـن حِمَـاهَـا فتـىً أَبَـرُّ جَلـودُ
مَـنْ يَخُـنْ عَهْـدَهُ مَعَ اللهِ يُـرْهِقْـ ـهُ عَـذَابٌ مِنْ ربِّـهِ وَصَعُـود (٢)

*   *   *   *   *   *

يَـا رَسُـولَ الهُـدَى ! سَلاَمٌ مِنَ اللَّـ ـهِ ومِـنْ مُـؤمِـنٍ لَـهُ تَـرْديـدُ
وصَـلاةٌ عَـلَـيْـكَ ، تَخْشَعُ فِيهـا أَضْـلُـعٌ أَسْلَمـتْ وهـذِي الكُبُـودُ
كُـلُّ فَتْـح بَـلـغْـتَـهُ هَـو آيـا تٌ مِـن اللهِ خَـيْـرُهـا مَـمـدودُ
غَـيْرَ أَنَّ القُلـوبَ أقسى على الفَتْـ ـحِ وَأَغْـلـى سبيلُـهـا والجهُـودُ
فَسَبيـلُ القُلـوبِ هَـدْيٌ مـن اللـ ـه ، سَبيلُ البلادِ سَيْـفٌ حَـدِيـدُ
فـإذا مَـا التَقى على الحـقِّ سَيْـفٌ وَبَـلاغٌ فَـذَاك فَـتـحٌ مَـجِـيـدُ
فَـبَنَيْتَ الَّـذي تُـقَـصِّـرُ عَـنْـهُ عَبْقَـرِيـاتُ أَعْـصُـرٍ وَحُـشـودُ
أُمّـةُ لـمْ تَـزَلْ إِلـى اللهِ تَـسْعَـى هـي فَتْـحٌ مِنْـهُ وَنَصْـرٌ فَـريـدُ

*   *   *   *   *   *

يَـا رَسُولَ الهُـدَى ! سَـلاَمٌ مِن اللَّـ ـهِ ومِـنّـا الـوَفـاءُ والتوحِـيـدُ
وَصَـلاةٌ عَـلَيكَ نَعْبُـد فِـيهـا اللَّـ ـهَ نـرجـو رضـاءَه ونُـعـيـدُ
رَحْـمـةٌ أَنْـتَ لِلعِـبَـادِ مِـنَ اللَّـ ـهِ وفَضْـلٌ مُهْدًى وَخَيْـرٌ مَدِيـدُ
فـاذْكُرِي " أُمَّ مَعْبَـدٍ " قِصَّـة الشَّـ ـاةِ وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُها والوَريـدُ (٣)
مَـسَحَ الضَّرْعَ في يَدَيْه رَسُـولُ الـ لَّـه فـاشَـتـدَّ دَرُّهَـا والـجُـودُ
رَوي الصَّحْبُ وانْثَنَوا وكـأَنّ الضَّـ ـرعَ تَـدْعـو : لَئِن ظَمِئتُمْ فعـودوا
آيـةُ اللهِ فـي يَـدَيْـهِ وَذِكْـرُ الـ ـلـه في قَلْبِـهِ خُـشُـوعُ وَجِـيـدُ
إن رَوَى الـصَّحْبَ كَـفُّـهُ فَـهُـدَاه يَـرْتَـوِي مـنـه صَاحِـبُ وَبَعيـدُ
يَـرْتوي الدَّهْـرُ من هُـدَاه فَيَـدْنُـو مـؤمِنُ خَـاشِـعُ وَيَنْـأَى كَـنُـودُ

*   *   *   *   *   *

أَيُّها المصطفى ! تَفَـرَّدْتَ في الخَلْـ ـقِ نَـبِيّـاً عُـلاَكُ أُفْـقُ فَـريـدُ
أَنْـتَ مَعْنَى الوَفَاءِ : ذِكْـرُكَ في الأَرْ ضِ حـمـيـدٌ وفي الـسَّـماء حَميـدُ
زَانَـكَ اللهُ ! حُسْـنُ وَجْهـكَ إِشْـرَا قٌ وإِشْـرَاقُـهُ جَـلاَلٌ وَدُودُ
لا تَـكـادُ الشُّهُـودُ تَمـلأُ عَيْنَيْـ ـهـا فَـيُغْضِي مِنَ الجَلاَل الشُّهُـودُ

ذِرْوَةُ الــبَأْسِ فِي فُــؤادك فِي الحَــرْ   ب إذا احْــمــرَّ بــأَسُــهُــا وَرُعُــودُ
لَــوْ تَــنَادَوا مَن الفَوَارِسُ فِي الدَّهْــ   ــــر لَقالُوا : ذا الفَــارِسُ المَعْــدُودُ
أَنْتَ فِي الحَــرْب يَحْتَمي بِــكَ أَبْطــا   لٌ وَيــأْوي لِــظِــلِّــكَ الصِّــنـديــدُ
حَسْبُــكَ المَدْحُ أَنْ تكون عَلَى خُــلْــ   ــقٍ عَظيــمٍ يُتْلَى بِهِ الكِتابُ المُجيــدُ
كُــلُّ آيٍ مِــنَ الــكِــتــابِ وَذِكْــرٍ   هُــوَ ذِكْــرٌ علــى الزَّمَــانِ جَــدِيــدُ

* * * * * *

يَــا رسُولَ الهُدَى ! حَمَلْتَ إلى النَّــا   سِ سَــلاماً يَــرْعــاه دِيــنٌ وصِيــدُ
كــم مَسحْــتَ الــدُّمُوعَ آسيتَ مَحْزَو   نــاً فَحَنَّــتْ إليــك مِنْهُــمْ كــبُــودُ
وَدَفَعْــتَ الأَسَــى وَرَعْشَــة خَــوفٍ   فاطمــأَنْت إلى الــوَفــاءِ العُــهــودُ
أَنْــتَ أَرجَــعْــتَ لابــنِ آدَمَ حَــقّــاً   كَــمْ أَضــاعَتْــهُ فِتــنــةُ وجُــحُــودُ
وَعُــتأةٌ بَغَــوا عَلى الــنّــاس حَتَّــى   تَــاهَ في الــدرْب جَائــعٌ وطَــريــدُ
يــا حُقُوقَ الإنسان ! هذا هــو الحَــ   ــقُّ ! سِــواهُ فــبــاطِــلٌ مَــرْدودُ
إِنَّــهــا مِــنْــحَــةٌ مِــن الله ! حَــقٌّ   لــمْ تُــشَرِّعْــهُ عُصْبَــةٌ وَعَــبــيــدُ
فــاسْــتَقيمــوا لله نَــبْــنِ سَــلامــاً   لــمْ تــخــالِطْــهُ فِتْنَــةٌ ووعــــودُ

* * * * * *

يَــا رَسُولَ الهُدَى ! عَدَلْتَ وسَــاوَيْــ   ــتَ فَــمَــا جَــارَ سَيِّــدٌ ومَــسُــودُ
جَــمَــعَ الــلَّهُ أُمَّــةَ الحَــقِّ إخْــوَا   نــاً فَــهــبَّــتْ عَــزائِــمٌ وَجُهــودُ
غَيْرَ أَنَّ الــزَّمَــانَ حَــالَ فَــعَــادتْ   لــلــشّيــاطِــيــن دَولَــةٌ وجُــنــودُ
أَشْعَلُــوا الأَرْضَ فَجَّــروهَــا بَرَاكِيــ   ــنَ فَــمَــادَتْ ذُراً ومَــادَ عَــمُــودُ
صاحَ من هَوْل مَكْــرِهم كُــلُّ جَبّــا   رٍ وَجُــنَّ الــلَّهــيــبُ " والأُخــدودُ "
غَيرَ أَنَّ اليقيــنَ يَبْقَــى ويــمضــي   مَــوكِــبُ الحَــقِّ يَجْتَلــي وَيَــرودُ

* * * * * *

كَيْــفَ أَرْقَــى إلــى مَديحِــكَ لكــنْ   غَــلَــبَ الشَّــوقُ والحَنــينُ الشّديــدُ
غَلَــبَ الشــوقُ رَهْبَتي ، وصِــرَاعٌ   فــي فُــؤادِي يَغيــبُ ثُــمَّ يَــعُــودُ
كُــلَّــمــا لَــجَّ فــي فُــؤادِيَ شَــوْقٌ   دَفَــعَ الشَّــوْقُ رَهْبَــتــي فَتَــزيــدُ
وإذا بــالــخُشُــوعِ يَــرْفَــعُ أَشْــوَا   قي فَتَصْفُــو وتَــرْتَــقــي فَــتَجُــودُ
إنما الله وَ الرَّسُــولُ هُــمَــا الــحُــ   ــــبٌّ وَ لــله وَحْــدَه الــتَــوحِــيــدُ

يا لِـدَرْبٍ شَقَقْتَـهُ " في سَبِيـلِ الـ ـلّهِ " عَهْـدٌ عَلَى الـزَّمَانِ جَـدِيـدُ
مَـاجَ فِيـهِ مِـنَ الـهِـدَايـةِ نُـورٌ وسَـرَايَـا تَـتَـابَعَـتْ وحُـشُـودُ

(١) ألقيت هذه القصيدة في مؤتمر حول (المدائح النبوية تاريخها وأساليبها) . أورانج أباد في الهند خلال الفترة : (٢٦ ــ ٢٨)/١٤٠٩/٢هـ الموافق (٧ــ٩)/أكتوبر ١٩٨٨م ثم جعلت هذه القصيدة جزءاً من ملحمة الأقصى وديوان مهرجان القصيد . وقدّمت في هذا المؤتمر بحثاً حول (الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل للمدائح النبوية) .

(٢) صَعُـود : جَبَلٌ في جهنم ، عقبة شاقة .

(٣) (أمُّ معبد) صاحبة الخيمة التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسألان لحماً وتمراً يشتريانه منها . فلم يصيبوا شيئاً . فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرع شاة خلفها الجهد عن الغنم ودعا وسمى الله تعالى ، فتفاجَت عليه وذرت وروي الجميع . فآمنت وبايعت على الإسلام

==========

بلد الأبقار

د.عثمان قدري مكانسي

٤٧othman@hotmail.com

يـا مـسلمـون : حبيـبُ قـلبِكُـمُ النبي يـؤذيـه قـوم عـلى الإفساد قد سـاروا
يحيَـوْن للكـفـر لا ديـنٌ ولا مُـثُـلٌ ولا مـروءة ، بـل فُـحـشٌ وديـنـارٌ
تـاهـوا وضـلّـوا ، وكُرْهُ الحقّ دَيْدنُهم وشـتـمُ ديـنِكمُ فـي شـرعهـم ثـارٌ
لا يـرقـبـون – كما قـال الإلـهُ– بنا إلاًّ وعـهـداً وفـي عـدوانـهـمْ جاروا
يبغـون منـا عـلى الأيام غـفـلـتـنـا كـي يـنـفـثـوا حـقدَهم والغدرُ دوّارٌ
يـسـعَـوْن فـيـنـا على الأزمانِ منقصةً ومـرجـل الـغـيـظ فـي الأحشاء أوّارٌ
ونـحـن فـيـهـمْ إذا ذلّـوا على كـرمٍ أو يـظـهَـروا فـالـدِّما في الساح أنهار
فـي ديـنـنـا نحتفي بالرّسْل قـاطـبـةً وذكـرُهـمـ سـامـقٌ والقـدر مـوّارٌ
ولـن تـرى لنـبـيّ فـضـل سابـقـةٍ فـي غـيـر إسـلامـنـا ، حبٌّ ومقدارٌ
وفـي الأنـاجـيـل والتـوراة مهـزلـةٌ إذ حُـرّفـتْ فـرجـالُ الله أشـرارٌ !!

لـم يـنـجُ مـن إفكهـم إنْسٌ ولا مَلَـكٌ ... والـرسْـل واحـسـرتـا في القوم فُجّارٌ!
لـو أنـهـم عـقلوا مـا في كـتـابِهِـمُ ... مـن وصـف طـه لـكانوا للهدى طاروا
فـإن عـيـسـى عـلـى الأشهاد بشّرهم ... بـالـمـصـطـفى، دينُه شمسٌ وأنوارٌ
والـيـوم ويـحـهُـمُ يرمون سـيدَهـم ... مَـن جـاءهـم رحـمةً – حاقت بهم نار
أم كـنـت تـرجـو من الخِنّوْص مكرمةً ... أو كـان يـرقـى إلـى الأفـهام "[1]أبقارٌ"
هـم مـثـلُ مـا عـايشوا ثيرانُ مزرعةٍ ... يـحـدوهـمُ مُـرقُصٌ والقـسّ خمّـارٌ
لـن نـقـبـل الـعـذر منهم إنهم" نجس" ... ولـو أتـوْنـا ومـلءُ الأرض أعـذارٌ
والـمـسـلـم الحقَ مَن يهوى " محمّدَه " ... ويـنـصـرالـديـن . من للدين أنصارٌ؟
صـلّـوا عـلـيـه وصونوا الدهر ملتـَهُ ... فـالـنـصـر غـالٍ وأهل الدين أحرارٌ
يـا رب هـبـهْ الـعـلا ثـم الوسيلة في ... جـوار فـضـلـك ، نعم الفضل والجار

======================

في نصرة الحبيب الأعظم

(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)

محمد عبد الرحمن باجرش

أيـطـفـئُ الشمسَ في عليائها قزمُ ... أم يـحـجـبُ النورَ في آفاقه سَخمُ
مـا بـالُ أعـمى على الأنوارِ نقمتُه ... ضـلَّ الطريقَ وفيه الحمق والسقمُ
مـا بـالُ أعـورَ في وحلٍ يخامره ... يـقـول أيـن الذي تسمو به القممُ
مـا بـال ألـعـوبةَ الشيطان يملؤها ... جـمـرُ الـضغينةِ بالأحقاد تضطرمُ
يُـثْـنـي العزيز وهذا الغرّ ينكرهُ ... يـردَّ فـي الـقول والقهار منتقمُ
قـد جـاءوا جـرماً تعاظمَ أن نردده ... شـلـت قواهم لما قالوا وما رسموا
تـنـؤ مـن حملهِ أرضٌ وما حملت ... وفـوقـهـا الـسبعُ والأملاكُ والقلمُ
لـيـت الـقـريضَ له نارٌ تقاذفَها ... ريـحُ الـعذابِ فترمي شؤمَها إرمُ
فـدتـهُ أرواحُـنـا لا شِيك في قدمٍ ... ولا أسـاءَهُ مـن أفـواههم نسمُ
فـهـو الحبيبُ الذي في كل ما نَفَسٍ ... يـزداد حـبـاً لـه الأرواحُ تبتسمُ

فـــكـــان فـــي عـــالم الأرواح يُبهجها ... وبـــعـــدهـــا عـــالـــم الأبدان يحتكم

فـــهـــو الذي في مرايا الكون يملأها ... نـــوراً تُـــلألـــؤه الآيـــاتُ والحِكم ُ

فـــقـــلـــبه ثبَّت الدنيا إذ اضطربتْ ... و حـــضـــنـــهُ رحمةٌ يخبو لها الألَمُ

كـــم مِـــنَّـــةٍ مـــنـــهُ بعد اللهِ تغمرنا ... تـــزيـــدُ فـــي عـــدِّهـــا الآلاءُ والنعمُ

فـــديـــتـــه أبـــداً قـــد حـــل أُحْـــجِـ
ية ... ظـــلّـــت ضلالاتُها في الدهر تحتدمُ

و أيـــأس الشركَ أن يرقى له صنم ُ

وأرَّق الـــجـــهلَ والشيطانَ في سكنٍ ... مـــع الـــخفافيش يشقى، دهرُهُ الظلمُ

وأرهـــب الـــدنسَ المغشيِّ في قذرٍ ... وطـــيَّـــب الـــكـــونَ ذكـــرٌ كلُّه كرمُ

مـــخـــلَّـــد حـــبـــه لا عـــاش شانئُهُ ... ويـــســـتضيئ لهم من نوره الحرم ُ

ينسى الورى بؤسَهم في قرب روضته ... وســـابـــق العربَ فيه السودُ و العجمُ

تـــزيـــد أعـــداد مـــن لـــبوا لدعوته ... وتـــحـــكـــي الشوقَ لما يعجز الكلمُ

تـــبـــثُّ أرواحُـــهم للروح لوعتها ... لـــكـــنـــه الـــحبُ يَطْغَى سيلهُ العرمُ

رويـــدك.. الـــعقل ينفي ما نعقت به ... هـــل يعرفوا غير ما قد تشتهي البَهَمُ

حـــمـــرَ الخنازيرِ سلهم عن معارفهم ... تـــمشي الرؤوسُ ويحكي الذيلُ والقدمُ

تـــصـــدروا الـــناس فانقلبت سجيتهم ... وكـــانت أسماعهم عن سُعدهم صمم ُ

فـــكـــانـــ في سيرهم عنتٌ يعذبُهم ... فـــكـــان فـــي ردهـــم الـــلؤم والندمُ

فـــمـــدَّ خـــيـــرُ الورى كفاً لينقذهم ... حـــتـــى يـــجـــئ إلى إخمادهم عدم ُ

فـــلـــيـــتـــهم سكتوا في قعرهم كمداً ... تـــهـــب فـــي نصرةٍ فيها لهم قسم ُ

لاثـــوا الـــحـــقيقة فانبلجت فوارسُها ... لـــكـــنـــه جـــاء فـــيـــكم وابلٌ هَدِم

الـــحـــلـــم ُيأتي على الجُهالِ مكرمةً ... تـــجـــري لـــهـــا ســـنةٌ ما شاء تنتقمُ

يـــروعـــكم أنكم في قبضةٍ غَضِبت

=================

بحب رسول الله

شاعر طيبة

محمد ضياء الدين الصابوني

عضو رابطة الآدب الإسلامي العالمية

بـــحـــبِ (رســـولِ اللهِ) قـــلبي مُتيَّمُ وإنـــي فـــي حُـــبِّ الـــحبيبِ لَمغرمُ
وحـــبُّ رســـولِ اللهِ رأسُ ســـعادتي أفـــوزُ بـــهـــا عـــندَ الصراطِ وأسْلَمُ
ولا يـــكـــمُـــلُ الإيـــمـــانُ إلا بحبهِ وحُـــبُّـــكَ يـــا (مـــختارُ) للقلبِ بَلسمُ
تـــقرَّبْ إلى مولاكَ في حُبِّ (أحمدِ) فـــفـــي حـــبِّـــهِ جـــنّاتُ عدنٍ وأنعمُ
وأيُّ امـــرئٍ يـــجـــفـــو أخاهُ فمجرمُ فـــكـــيفَ بمَنْ يؤذي النبيّ ويُجرمُ؟
حـــبـــيـــبي (رسولَ اللهِ) إنّا فِداؤُكم فـــإنّـــكَ شـــمـــسٌ والصحابةُ أنجُمُ
مـــقـــامُ (رســـولِ اللهِ) حـــيّاً وميتاً مـــقـــامٌ عـــظـــيمٌ، عظّموهُ وكرّموا
وسَـــبُّ (رســـولِ اللهِ) كُفرٌ بشرعِنا فـــيـــا عـــلماءَ الدينِ ثوروا وحَطّموا
ألا غـــضـــبـــةٌ مـــضـــريّةٌ (لنبينا) فـــكـــلُّ امرئ منكم لدى الحقِّ ضَيغَم
ويـــا عـــلـــمـــاءَ العصرِ هذا نبيّكم فـــمـــن يسكُتَنْ عن شتمهِ فهو مجرمُ
ويـــا أيـــهـــا (الحكّامُ) أينَ دفاعُكمْ؟ فـــأنـــتـــم حـــماةُ الدينِ والأمرُ فيكمُ
فثوروا على من سبَّ شخصَ (محمدٍ) فـــإنْ أنـــتـــمُ قـــصّـــرتـــمُ فـــجهنَّمُ
حـــرامٌ عـــلـــيـــنا إنْ رضينا مَهانةً لـــســـيـــدنا (الهادي) أيرضاهُ مسلِمُ؟
ويـــا عُـــصـــبةَ الأوغادِ مالي أراكمُ ركـــبـــتمْ مُتونَ الغدرِ والجهلُ مظلمُ؟
سخرتم بشخص (المصطفى) وهزئتمُ ســـيـــنـــتقمُ الجبّارُ منكمْ ألا اعلموا
فـــأنـــتـــم لـــئـــامٌ حـــاقدونَ ودأبكمْ إثـــارةُ شـــحـــنـــاءِ غـــدتْ تتضرّمُ
ألا لـــعـــنـــةُ الـــقـــهّارِ دوماً عليكمُ ولابـــدَّ يـــومـــاً أن تـــذِلوا وتندموا
لـــئن كانَ (عيسى) أحيا ميتاً (بإذنهِ) فـــإنَّ حـــنـــيـــنَ الجِذعِ للحبِ أعظم
رأوا ســـيـــدَ الـــساداتِ تعشقُهُ الدُنى فـــجُنّوا وراحوا يسخرونَ وقد عَموا
وقـــد رأوا الـــتقصيرَ والضعفَ فيكمُ فساروا على نفسِ الطريقِ وأجرموا
فـــأينَ (صلاحُ الدينِ) يحمي رسولَهُ يُـــذيـــقُـــهمُ كأسَ الردى وهو علقم؟
وإنـــي لأرجـــو أن نـــقـــاطعَ دولةً طـــغـــتْ وبَغتْ والمكرُ عشَّشَ فيهمُ

==================

إلا محمدا رسول الله

فيصل بن محمد الحجي

(إلا محمداً) استثناء ليس على إطلاقه..! بل هو استثناء مقيد بالمفهوم من واقع الحال، والمستثنى منه هو: الخسائر المادية والبشرية التي تعرّض لها المسلمون على يد الدول الاستعمارية وصنيعتهم إسرائيل.

أتـــعـــجـــبُ أنَّ الليثَ أرغى وأزبدا ... وأبـــرقَ زلـــزالُ الـــجـــهادِ وأرعدا؟
وثـــارتْ جموعُ الصابرين على الأذى ... عـــقـــوداً.. وحـــلـــمُ المسلمينَ تَبدَّدا؟
غـــدا الـــحلمُ يُغري المعتدين، فأوغلوا ... بـــإيـــذائـــنـــا مـــن أجـــل أن نتعودَا
ومـــن ألـــفَ الإطـــراقَ لـــلـــذلِّ علَّهُ ... يـــزولُ بـــعـــفوٍ من ظلومٍ مع المدى
فـــقـــد عـــاشَ فـــي الدنيا ذليلاً مخلداً ... ويـــحـــيـــا مـــع الأخرى ذليلاً مخلدا
فـــمـــزّقْ لـــجـــامَ الحلمِ في غيرِ أهلِهِ ... فـــهـــم يـــفـــهمونَ الحلمَ عجزاً مؤكّدا
يـــقـــولـــون لـــي: حرية فاقبلوا بها! ... ألا بـــئـــســـمـــا حـــرية تشتم الهدى!
ومـــا مـــنـــحَ الإنـــسانُ حريةً سوى ... إذا قـــاربَ الـــخـــطوَ الرشيدَ وسدّدا
فـــيـــا أمـــةَ الإســـلامِ قـــولي لنائمٍ: ... ألا امـــســـح عن العينينِ نوماً وإثمدا
ألا انـــهـــضْ فـــإنَّ العارَ كفَّنَ غافلاً ... تـــجـــاهـــل وغـــداً قد تجبّر واعتدى
لـــقـــد أسرفوا ظلماً.. فما عذرُ قومنا ... وقـــد أســـرفوا بالصبر حتى تجمّدا؟
ألـــم يـــبدؤوا استعمارنا دونَ رحمةٍ؟ ... ألـــم يـــزعـــمـــوا فضلاً لهم متجددا؟
مـــلأتـــم خـــيالَ الشعبِ ذكرى قبيحة ... وصـــيّـــرتـــم وجـــهَ الحضارةِ أسودا
أســـرتـــم، ضـــربتم، أو قتلتم وطالما ... تـــطـــاولَ عـــلـــجٌ في حمانا وعربدا
ســـرقـــتـــم، نهبتم، بل جحدتم حقوقنا ... إلـــى أن غـــدا الـــفقرُ الخدينَ المُنَكَّدا
غـــرزتم قذى صهيون في عينِ أمتي ... فـــأضـــحـــى منارُ العين أجهرَ أرمدا
حصدتم جمالَ الروضِ بغياً، فلا ترى ... زهوراً ووردا بل عِضاها وغرقدا(١)
وجـــئـــتـــم –بغاةَ العصر– بالإفك علّهُ ... يـــزِّيـــنُ لـــلأغـــرار قـــبحاً مجسّدا
وألـــبـــســـتـــم الـــعدوان ثوباً مزيفاً ... وســـمـــيـــتـــم الإجـــرامَ نهجاً مسدّدا
وآخـــرُ عـــدوانٍ شـــتـــمـــتم محمدا ... خـــســـئـــتم.. يهونُ الكلّ إلا محمدا!
هـــنا ينهض الصمصام عصفاً مزلزلاً ... وتـــحـــلـــو لـــصـــنديدٍ معانقةُ الردى
هـــنـــا يُحضر الأحفادُ ذكرى جدودهم ... ويـــصـــيـــحُ شبلُ اليومِ كالليثِ أصيدا
فـــلا ينحني.. هيهاتَ! ليثٌ وينحني؟! ... ولا يـــنـــثـــنـــي! هيهاتَ أن يترددا!
لـــديـــكـــم طـــعـــامٌ فاحفظوه.. فعند ... إبـــاءٌ يـــغـــذيـــنـــا، ويغني عن العِدا

نا

فإنا –بني الصحراءِ– يُسكرنا الظما ... ويُتخمنا الجوعُ المعطّرُ بالفِدى

ويحلو لنا الصبرُ المريرُ.. ومن دعا ... لنقتاتَ (حلواكم) فدعوتُهُ سُدى

فلا ترجموا باللومِ إلا سفيهكم ... ولا تقذفوا بالجهلِ إلا مؤيدا

ومن يجحد الأفضال يحصدْ مرارة ... ومن يشتم الأشرافَ يَخْنُسْ مهددا

ألا سائلِ التاريخ يا جاحدَ الندى ... إذا أنت لم تنصت سيصفعكَ الصدى

طلعنا على الدنيا شموسَ هدايةٍ ... أضاءت لكلِ الناس درباً مُلبّدا

نشرنا لواء العدلِ فانتعشت به ... شعوبٌ ظماء للعدالةِ والهدى

فكم سَعِدوا لمّا أحبوا محمدا ... وحُق لناجٍ أن يعزّ ويَسعدا

وقد نهلوا ماءَ الحضارةِ صافياً ... فلا ظلمَ.. لا استعمارَ أضنى وأفسدا

عرضنا –بلا إكراهَ– دينَ محمدٍ ... فلبّوا نداءَ الحقِّ شيخاً وأمردا

وغشّى على الدنيا سلامٌ وعفّةٌ ... سلامٌ حقيقيٌّ وليسَ (مقلّدا)!

خسئتم –وربِّ البيتِ– هذا حبيبُنا ... بنا وبأهلينا يُصانُ ويُقتدى

* * *

لئن صنعَ (الغربُ) الوسائلَ كلّها ... ورامَ صُعوداً في الفضاءِ وأبعدا

فما عنده إلا: غروبٌ وظلمةٌ ... وما يُرتجى الإنصافُ منهُ ولا الندى

وما (الغربُ) إلا الليلُ يبدو.. ويختفي! ... ويُشرقُ إسلامي إلى آخر المدى!

(١) العِضاه: شجر له شوك، والغرقد: شجر اليهود كما جاء في الحديث الشريف، وله شوك أيضاً.

============

أبا الزهراء

د. حيدر الغدير

إلى مقام الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الذي تطاول عليه البغاث من علوج الدانمرك والنرويج.

فداؤك قبل قافيتي الجَنانُ ... وقبل السيف روحي والبيانُ

وقــبـــل الــنـــاس سيدهم تلظّى عـــلـــيـــه جـــلالـــه والصولجانُ
مـــضـــوا لـــلـــثأر يسبقهم هديرٌ تـــنـــاقـــلـــه الـــبوادي والرِّعانُ

* * * * * *

ســـتـــبـــقى النورَ ما بقي الزمانُ ومـــا زان الـــريـــاضَ الأقحوانُ
ومـــا طـــلعت على الآفاق شمسٌ ومـــا صـــدح الـــمـــؤذنُ والأذانُ
وأمـــا شـــانـــئـــوك فـــهم بغاثٌ وفـــريـــة أحـــمق، هانت وهانوا
ســـتـــطـــويـــهم ضلالتهم ليغدوا نـــفـــايـــاتٍ يـــطـــاردهـــا اللِّعانُ
إذا طـــلـــع الـــصباح فلن يراهم فـــهـــمْ وهـــمٌ تـــبـــدد أو دخـــانُ
وإن ســـأل الأنـــامُ الـــدهرَ عنهم أجـــابـــ: شراذمٌ كانوا فحانوا(١)

* * * * * *

عِـــداك وأيـــن هم؟! هلكوا وبادوا وبـــادَ ضـــجـــيـــجـــهم والهيلمانُ
أبـــو جـــهـــل، أبو لهب، سجاحٌ مـــســـيـــلـــمـــةٌ، حُييٌّ الأفعوانُ
قـــريـــظـــةُ، والـــنضيرُ، وقينقاعٌ وكـــعـــبٌ وهـــو بـــاغٍ ثـــعلبانُ
ومـــن جـــاءت إلـــيك وراحتاها بـــهـــا حطبٌ ومهجتها اضطغانُ
فـــطـــوَّقَ جـــيـــدَهـــا مسدٌ فتبّتْ يـــداهـــا والـــمـــآقـــي والـــجَنانُ
وكـــســـرى جـــاء يـــهديه كتابٌ ومـــزّقـــه فـــمـــزقـــه الـــزمانُ
أراهـــم فـــي الدنى أضغاثَ حلم ومـــا تـــدري بـــه حـــتى الجفانُ
وإن الله -جـــــلّ اللهُ- بـــاقٍ لـــيـــخزي كل من مكروا وخانوا
ويـــبـــقي بعض ما صنعوا وقالوا عـــظـــاتٍ لـــيس يخطئها العيانُ
كـــمـــا أبـــقى لنا فرعونَ موسى يـــشـــيـــر إلـــيه في العظة البنانُ

* * * * * *

وأرنـــاطٌ(٢) تـــســـوَّره غـــرورٌ غـــداة دعـــتـــه أحـــقـــادٌ تُـــشانُ
ســـقـــاه الـــوهـــم والشيطان كأساً فـــطـــاش بـــه انـــتفاشٌ وافتتانُ
رنـــا لـــلـــمـــســـتحيل رنوَّ قردٍ تـــســـخّـــره الـــعـــصا والبهلوانُ
فـــعـــاد يـــســـوقـــه وذويه رعبٌ فـــهـــم فـــي لجّه العاتي دِفانُ(٣)
ويـــخـــطـــو ثـــم يـــكبو ثم يحبو وشـــلَّ الـــقـــلـــب مـــنه واللسانُ
عـــفا الشهم الصلاح عن الأسارى وجـــنـــدلـــه فـــذلـــوا واستكانوا

فقال لهم لكم مني سلامي ... وعفوي والحفاوة والعِوانُ(٤)

لكم مني أماني دون هذا ... فليس لناقضٍ عهداً أمانُ

قتلتُ الناكث العهد احتساباً ... وربي –وهو حسبي– المستعانُ

* * *

* * *

... وأنت الطهر نضراً والحنانُ

ويا عيسى فديتك جئتُ أشكو ... وعاثوا بالنبوة واستهانوا

أذاة ذويك قد جهلوا وضلوا ... وأمك وهي طاهرة حَصانُ

نعظمك احتساباً لا كِذاباً ... وهم لأخيك من سفهٍ شِنانُ(٥)

وحبك في الجوانح والمآقي ... ذويك فأنكروا البشرى وخانوا

ويا عجباً به بشَّرتَ قِدْما ... ومنهم قد برئتَ غداةَ مانوا(٦)

وأنت نبينا وهم الدعاوى ... غداً يدرون من منا المُدانُ

* * *

إذا طال الخصام بنا هتفنا ... إلى الغضب الوفاءُ فما أبانوا

* * *

وأخزى الله أقواماً دعاهم ... لدى الجُلَّى وآلهتهم قِيانُ

لقد صمتوا وإن الصمت لؤمٌ ... وملء قلوبهم ذامٌ ورانُ

عليهم من مخازيهم غواشٍ ... وهم جِيَفٌ عليها الطيلسانُ

* * *

فهم موتى وإن ذهبوا وراحوا ... لقد كنتِ الوفية لا تُشانُ

* * *

سلاماً أمةَ الهادي وشكراً ... وهبّ مع الزمان لك المكانُ

غضبتِ لأحمدٍ ونهضتِ عجلى ... كفايته وللسهم الكِنانُ

ولا عجبٌ فأنت لكل خطبٍ ... ويفرق في مخاوفه الجبانُ

ويقتحم الشجاع ذرى الرزايا ... وبين المجد والجد اقترانُ

* * *

وبين المجد والعجز افتراقٌ ... فإن الوهن للهلكى عِنانُ

* * *

ويا قومي حذار من التواني ... ولكنَّ الغِلابَ هو الضمانُ

"وما نيل المطالب بالتمني"(٧) ... إذا ركبوا المخاطر واستهانوا

"وما استعصى على قوم منالٌ"(٨) ... وهمّتُها الشواهق والقِنانُ

ســتــبــقــى أمتي ظئرَ المعالي وسِــفــرُ الــحرب يشهد والزمانُ
وفي الأخطار تنهض وهي أقوى وإن الــمــعــتــدين لها امتحانُ
فــإن الــعــســر يــمنحها حياةً كــأن بــلاءَهُــنّ لــهــا مِــرانُ
تــجــدِّدهــا وتــصــقلها الرزايا فــردتــهــا يــجــلّــلها الهوانُ
ســلــوا عــنها الغواشي كابدهَا مــن الأشــلاء عاث بها الطِّعانُ
فــهــا هــي حــين ننظرها بقايا طــعــامــاً والــيبابُ هو الخُوانُ
غــدت لــلدود في الدُمن البوالي غــداة دعــتــنيَ الحرب العَوانُ

* * *

"أبا الزهراء قد جاوزت قدري"(٩) وطــرتُ أقــول: لا عاش الجبانُ
لــنصرك فانتضيتُ دمي وروحي هــم الــخــيل العِرابُ ولا حِرانُ
وقــبــلــي مــعشر كُرموا وجلوا يــســيــر بها إلى السبق الرهانُ
وأمــتــكَ الــولــود وأفــتــديها كــمــا شــاء الــعلى والعنفوانُ
ســلــوا عــنــها الحفاظ ألم تكنه وأمــجــاداً يــطــول بها الكيانُ
بــلــى.. كــانــتــه أفعالاً وقولاً يــقــول بــشــيــره آن الأوانُ

* * *

أبــا الــزهراء.. إن النصر آتٍ ومــن نــهــدوا سراعاً أو أعانوا
فِــداك أبــي وأمــي والــغوالي فــزانــتــهــم وزانــوها فكانوا
ومــن كــانــت حــميتهم مَضاءً وخــيــلاً أقــبلت ولها إرانُ(١٠)
شــمــوس هــدايةٍ وليوث غابٍ وفــي الــنادي الندى والمهرجانُ
هــم الأصــداءُ لــلــجلى دعتهم وفــي الــســلم السماحة والحنانُ
وفــي الحرب الشريفة مسعروها وأهــوال الــشــدائــد والــليانُ
تــســاوى عــنــدهم نصر وقتل ســجــايــاهم غضبن فما توانوا
دعــتــهــم لــلــوفاء وهم بنوه وكــانــوا السيفَ يظفر أو يُصانُ
حــموكَ –حماهم المولى– فعزّوا وفــعــل الــخير إن دينوا ودانوا
أمــانــيــهــم مــنــادمة المنايا فــرائــده الــهــدايــة لا الجُمانُ
ويــا مــولايَ أنــت الحق عقداً إذا اســتــقــصى مداهن الجنانُ
وأنــت مــكــارمٌ عــزّت، ويعيا ويــقــصــر دونــه إنسٌ وجانُ

لك الشرف الذي يعلو ويزكو   * * *
* * *   فلي عذري إذا عجز البيانُ
أبا الزهراء دونك كل قول   لآلئه وهنّ مُنىً حِسانُ
وإن حَسُنَ القصيد فأنت مُهدٍ   وكان القلب يملي لا اللسانُ
كتبتُ قصيدتي بدمي وروحي   ودمعي، والوفاء ليَ امتحانُ
وكان مدادها غضبي وحبي   شغوفاً وهي عني الترجمانُ
وكنت بها معنّىً مستهاماً   يكون ليَ الشفيعَ فلا أدانُ
عساي أنالها في الحشر ذخراً   * * *
* * *   وجاءت وهي نصرٌ إضحيانُ
أبا الزهراء أمتك استفاقت   ولمع البيض والسُّمرُ اللِّدانُ
تسير به إلى الدنيا المذاكي   ويعدو فيه كالبرق الحصانُ
تناقله الأماني والمنايا   * * *
* * *   عليه مع الوسامة عنفوانُ
غد الإسلام يا مولاي مجد   مآثره اللواتي لا تشانُ
وخير النصر ما زانت حُلاهُ   وعهدٌ في مآقيهم يُصانُ
ونصر الخيِّرين هدىً وعدلٌ   وبعضٌ رحمة فيها الأمانُ
وبعض النصر في الدنيا شقاءٌ   تضوعُ شذاً وأخلاقٌ حِسانُ
ونصر المسلمين غداً فَعالٌ   وبعد النبل يحميه الضمانُ
وقبل السيف تحميه السجايا   بعين عِداكَ سيف أو سنانُ
وبالرعب انتصرتَ فكل شيء   لُهاماً(١١) لا يُشقُّ له عنانُ
وكان الرعب قبل الجيش جيشاً   * * *
* * *   لك المليارُ أخلصه الجنانُ
ويا مولاي حمّلني سلاماً   وهم صدقٌ وأفئدةٌ هِجانُ(١٢)
وعهداً أن يُفدّوكَ احتساباً   لها في الخطب إقدامٌ وشانُ
وأسيافٌ مظفرةٌ وخيلٌ   فإن ذويك بالله استعانوا
إذا الباغون قد حشدوا الرزايا   وهم قدرٌ يسير به الزمانُ
فهم في اللوح سطرٌ أن يفوزوا   * * *

*   *   *

وأقـــدار الإلـــه جـــرت وتجري — فـــنـــاجٍ أكـــرمـــتـــه أو مـــهانُ

ومـــن يـــحـــســـب لدورتها أفولاً — جَـــهـــولٌ عـــربـــدت فيه الدّنانُ

*   *   *

ويـــا مـــولاي أغـــلـــى ما نُرَجّي — ونـــأمـــلُ أن تـــنـــاديـــنا الجنانُ

ونـــلـــقـــى الأمـــنيات وأنت فيها — ذؤابـــتـــهـــا وهـــنّ الـــمهرجانُ

ونـــبـــصـــر ربّـــنـــا بدراً تماماً — جـــهـــاراً لا يـــضـــام لـــنا عِيانُ

الهوامش:

١- هلكوا.

٢- هو رينودي شاتيون، وتسميه الرواية العربية أرناط، كان من قادة الصليبيين الكبار وكان شجاعاً مقداماً، وفاتكاً غداراً، نكث بالعهود وسطا بقافلة الحجاج، وتوهم أنه سيصل إلى المدينة المنورة والقبر الشريف، وعمل على ذلك وقد أقسم صلاح الدين الأيوبي أن يقتله بنفسه، وفعل ذلك بعد انتصاره في معركة حطين.

٣- مدفونون.

٤- عون، ٥ - كراهية، ٦- كذبوا، ٧ و٨ و٩- شوقي، ١٠- نشاط، ١١- قوي، ١٢- خالصة.

=============

صلّى عليك الله

ميسون قصاص

ريح الصّبا تزكي الصّبابة في الحشـــا عند الهبوب

وتحرّك الأشواق تطـــــوي بالمـــنى بُعدَ الدّروب

فإذا الحيـــــاة بمرّها تحلو وتنســـاها الكروب

وتهون في الدّرب الصّعاب وينجلي ليل الخطوب

يا أحمـــدَ الهادي ويا نوراً أطلّ على القلـــــوب

من كلِّ شيءٍ حســـنَهُ آتاك علّام الغيـــــوب

فالشّمسُ حزت ضياءها والغيمُ مدمعَه السّكوب

والطّيرُ أهدت شدوها والزّهرُ أهداك الطّيـــوب
أهدى الصّباح حياته وســـكينةً أهدى الغروب
يا منذراً ومبشّـــراً من عند علّام الغيـــــوب
يا داعيـــــاً وسراجَ نورٍ قد أضـــاء لنا الدّروب
ذكراك تحيينا وحبّــك غيثنـــا يروي القلـــوب
وحديثك الهادي رياض ليس فيـــــها من لغوب
صلّى عليك الله
يا من ذكره يمحـــــو الذّنوب
صلّى عليك . . صلّى عليك
=================

يا حبيب

إيمان رمزي بدران
bent_alquran@hotmail.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الكلمات إلى سيدي ومولاي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أهدي هذه
وأرجو أن يكون مديحه في ميزان حسناتي يوم ألقى الله تعالى

يـــا مـــن بـــوصفك للقلوب حبيبها — يـــا مـــن بـــمــــدحك للعليل طبيبُ
أتـــقـــاس بـــالـــبدر المنير إذا بدا؟ — أم هـــل بـــعطر فاح منه الطيبُ؟
كـــيـــف السبيل إلى المديح لسيدي — خـــيـــر الأنام، أ للمديح أصيب؟!
يـــا صـــاحب الخلق العظيم ورتبة — فـــوق الـــمـــلاك ولـــلإلـــه قريب
ومـــؤيـــدٍ بـــالآي من رب الورى — وبـــرحـــمـــة هـــو للقلوب حبيبُ
حـــقـــا وصـــدقـــا ناطقا عن ربنا — ومـــبـــلـــغـــا بـــالوحي منه يجيبُ
من ذا يماري في الحبيب المصطفى — من ذا يناور في الحبيب يريب ؟؟
مـــن ذا يـــشـــكك في مسيرة أحمد — مـــن ذا يـــعادي الحق فيه يعيب؟
تـــفـــديك نفسي يا حبيب ومهجتي — يـــفـــديـــك صـــدر بالدماء سكوب
تـــفـــديك عين ضرها ما قد جرى — فـــأحـــيـــل دمـــع قد بكاك لهيبُ!
ولـــســـوف تـــبقى يا محمد منهلا — ذي راحـــتـــيك يفوح منها الطيب

=======================

أترى ستنفعُ في القلوبِ عظاتُ؟

هذه الأبيات للشيخ الدويش جادت بها قريحته يقول فيها :

أترى ستنفعُ في القلوبِ عظاتُ؟ أم هل ستحسم أمرنا العبرات؟

أم سوف يرفعنا من الذل الذي عشنا به التنديد والآهات؟

الأرض منا قد علتها تخمة أعدادنا ضاقت بها الجنبات

يا ألف مليون وخمس مئينها ولهم بكل فجاجها أنّات

يا ألف مليون غثاءٌ كلهم متشتتون مع الشتات سبات

موتى إذا عبث العدو بدينهم أحياء هم لكنهم أموات

وتراهمُ عند الحطام ضياغما وكأنها في فتكها الحيات

الذل فيهم ضاربٌ أطنابه وله بهم ياويحه صولات

والوهن شاه الوهن بئس ضجيعهم من بطشه يتعذر الإفلات

هم ألف مليون ولكن ليت لي من كل ألف واحد إن فاتوا

يا ألف مليون تسنّم ظهره الأوغاد والأنذال والعاهات

حتّام ترضون الدناءة والردى؟ وإلامَ هذا الذل والإخبات؟

لا خير في عيش بغير كرامة لا خير في دنيا بها أقتات

هاهم فراخ البغي شاخوا فوقنا ولهم بوسط جباهنا بصمات

سخروا من القرآن أي مهانة خير لحرٍ دون ذاك ممات

بل صوّروا المختار أقبح صورة أوّاه مما ضمّت الصفحات

جعلوه رمزا للتخلف والردى شتموه حتى بحّت الأصوات

وعلى بني الإسلام صبوا حقدهم غزوا البلاد وهددوا بالناتو

شمخت فراخ البغي فوق رؤوسنا ولهم بوسط جباهنا بصمات

والمسلمون عن المكائد غُيبوا الدين يجمعهم وهم أشتات

وحماهم كلأ مباحا للعدى وكأن حق حماهم اللعنات

جال العدو به وصال و لم يجد إلا الهوى والتيه والقنوات

بالأمس أفغان الكرامة دُمّرت واليوم بغداد لنا وفرات

هبوا فدين الله خير تجارة أما الحطام فما عليه فوات

ياأمة الإسلام هل من عودة عجلى ومافوق الرفات رفات

****

أحـــبــــــك يا رسول الله

د.صالـــــــــح بن عبدالله الفريح

صفي الله يا علم الرشاد وخير المرسلين إلى العباد
رفيع القدر يا نجم الثريا شفيع الخلق في يوم التنادي
تعالى الله من أحذاك فضلا فكنت المصطفى يا خير هاد
احبك يا رسول الله حبا تغلغل في الجوانح والفؤاد
أحبك صادقا حتى كأني فريدٌ في المشاعر والوداد
وإني يا رسول الله روحي ووالدتي ومالي والتلاد
وإخواني ووالدنا وزوجي وأخوالي وآبائي الشداد
وكل "أُخيّةٍ" لي قد تمادي بقلبي حبها كل التمادي
وكل "بُنيّةٍ" لي قد سباني وإبنٍ حبهم دون اجتهاد
فداءٌ دون عرضك يا خليلي يموت الكل في نحر الأعادي
ويسلم عرضكم ويخيب غرٌ يريد مقامك العالي المُشاد
لقد أزرى بنا الأعداء حتى أذاقونا البلاء بكل واد
تشتت شملهم إلا علينا فأضحى قهرنا عين المراد
نصرتم ضدنا في القدس "قرداً" فجاهدنا بأنواع الجهاد
وأموالٌ لنا أُخِذت بقهرٍ وبالأموال أحياناً نهادي
أتيتم أرضنا حرباً وضرباً بأصناف الجحافل والعتاد
وخنتم كل ميثاق وعهد وصرتم للمظالم شر ناد
قتلتم نسوةً وفتىً وطفلاً وشيخاً بل رضيعاً في المهاد
وأقوام بسوقٍ أو بعرسٍ فكل الأمر ضغط بالزناد
سكتنا أو تغاضينا لأمرٍ وبعض الأمر يأتي باضطهاد
ولكن صفوة الأكوان : كلا وألف ثم ألف بازدياد
أتأتون الرسول النجم كيما يَمسُ مقامهُ نَجِسُ الأيادي
فلا والله لا نرضى ولكن يسل السيف في أرض الجلاد
تجرأتم ورب البيت أدرى وحكمة ربنا عين السداد
تمهل أيه الغربي وانظر فدون رسولنا خرط القـــتاد
أتسخر بالرسول وتزدريه فما تدري! وهل يدري المعادي؟!

أهجوه وترجو العفو منا فلا عفو إلى يوم المعاد
تركت العالمين بغير ضر وجئت لخير مبعوث تعادي
لتؤذيه!!! فلا والله ... خبتم وهل ضر النجوم أذى القُراد؟!
وهل ضر الكواكب في عُلاها قبيح الصوت أو قُبح المنادي؟!
أيا إخوان ديني فلتهبوا وقوموا دون سيدنا نفادي
نحب المصطفى ونذب عنه بأرواح وأموال وزاد
فلا والله لا عفو ولكن "مقاطعةٌ" وصدٌ اقتصادي
أندفع مالنا لمن استهانوا بسيدنا بألسنة حداد؟!!
أيشتم سيدي وأقول هاكم؟!!! فلا والله حتى بالرماد
فلا قرت عيونٌ إن عفونا ولا سلمت عيونٌ من سهاد
سوى إن قام شعبهم ينادي : ألا قبحاً لأرباب الفساد
وقال مليكهم في الأمر قولاً يرد المجرمين إلى الحياد
وقال رئيسهم قولاً صريحاً وجاف السخف أو ذاك العناد
وجاء بيانهم بالصدق زاهٍ صريحاً صارماً يلغي التعادي
نسالم إن سلمنا من أذاهم ونردع ظالماً منهم وعادٍ

الاستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى عضو مجلس إدارة الجمعية السعودية للدراسات

****

المختار صلى الله عليه وسلم

شعر / صالح مصلح المالكي - جدة

لا شك فيك بانك المختار قد سبحت في كفك الاحجار
تسمو بأخلاق الرسالة عاليا تسمو على ما قاله الكفار
بقر المراعي قد تظل طريقها ويقودها بسياطه الجزار
لا ندفع الاشرار عن قطعانها نحو المزالق ساقها السمسار
دعها لتشرب من نتاج حليبها ونيالها في العالمين صغار
دعها لتأكل جبنها في لهفة نزلت عليها ذلة وحصار
دعها تخور فانها مجنونة في الرب فعلا جنة الابقار
المسلمون استنكروا لفعالها ثأرت لعرض رسولنا الابرار

هذا عدو الله دس سمومه بانت لنا من مكرهم اسرار

انا سنبقى للحبيب أسوده ما جن ليل واستنار نهار

يا امة الإسلام هيا عبروا انا لعرض محمد لنغار

هبوا جميعا نحو نصرة أحمد ان السكوت على الاهانة عار

شدوا الوثاق وحاصروا اعداءكم ان العدو يهزه دينار

مهما تأسف قومهم عن سبه في المصطفى لا تقبل الاعذار

شلت يد رسمتك يا خير الورى زفرت له مما جناه النار

ان الجزيرة شعبها حكامها تفدى الرسول صغارها وكبار

حصن منيع لا يهز جداره جعلوا العدو أمامه يحتار

قد أحدث الدنمارك زوبعة الخنا وتوحدت في صدها الاقطار

****

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

د. صابر عبدالدايم

ماذا أقول وقد أتت ذكراك حطمت حبك أم وأدت هداكا؟

ماذا أضيء وليس حولي ومضة أسمو بهدي رجائها لعلاكا؟

أأردد النبض القديم وفي دمي بكر الرؤى نضجت بنار هواكا؟

لكن بركان الهوى في خاطري ما زال لا يدري متى يلقاكا؟

أين الطريق إليك في زمن تنا.. .. فس كل ما فيه لمحو خطاكا؟

لكنها في الأرض أصل ثابت وفروعها تتبوأ الأفلاكا

خطرت على السيف المشع محبة للعالمين وقوضت أعداكا

فإذا الحياة – كما أردت – حديقة وثمارها غرس سقته يداكا

وإذا العقول – كما بنيت – منارة   وإذا النفوس – كما هويت– فداكا

تمضي القرون وأنت أنت محمد تهب الوجود المر فيض شذاكا

صنعوا من الصخر الأصم وجودهم فغدوا دمى لا تستطيع حراكا

ورفضت حتى أن نرى لك صورة فبقيت والقرآن سر بقاكا

ما الخلد أن تبقى أمام عيوننا لكنه أن لا نحب سواكا

ومن المحبة أن تظل قلوبنا برضاك مثمرة وعطر نداكا

****

يا واهب الأكوان خير رسالة إنا نعيش على صدى نجواكا

السارقون النور من أرواحنا ظنوا التقدم مدفعاً فتاكا
هبوا جياعاً والعقيدة صيدهم هل ينصر الديان من عاداكا؟
قد تمهل الأقدار غراً حاقداً لكنها لا تنصر الإشراكا
إنا نسير على السيوف إليك في عصر يحرق من يروم هداكا
نار الخليل نخوض في أفيائها في كل يوم والنجاة لقاكا
(وأنا النبي لا كذب وأنا ابن عبدالمطلب) تتحديان عداكا
تتحديان المغمضين قلوبهم والرافضين سبيل من قواكا
تتكاثران مع الزمان فكلنا حرب على من يستبيح حماكا
هي صيحة لك في حنين حطمت جيش الغرور وخلدت دعواكا
كانت بسيف ابن الوليد مضاءة والنصر ظل محارب يهواكا
وعلى الأسنة كان نور لهيبها حمما تشل طريق من آذاكا
وتنقلت عبر القرون صواعقا سحقت حصون البغي وهي صداكا
***
يا أيها المسرى به للمسجد الأ... .. قصى أضاع خلافنا مسراكا!!
كنت الإمام لكل صاحب دعوة واليوم واقعنا يَضِلُّ رؤاكا!!
خارت عزائمنا وغاض يقيننا وتشبعت أيامنا بسواكا
حتى فقدنا طعم كل حقيقة أمن اليسير اليوم أن ننساكا
ولقد نُسينا والهوان سعى بنا للذكريات و لم نعش ذكراكا
حتى غدونا للذئاب فريسة والغاب شرعة كل من عاداكا
أنظل في قلب الجليد بلا هدى يحيي موات قلوبنا لتراكا؟
فالحلم يسخر من تبلد روحنا والأمنيات أسيرة لرضاكا؟
فمتى رضاؤك عن بقايا أمة لم تستطع ان تستعيد ثراكا؟
غابت وراء الشمس وهي حسيرة لم تستجب في بأسها لهداكا
***
أين الطريق إليك في زمن تنا.. ..فس كل ما فيه لمحو خطاكا؟
لكنها في الأرض أصل ثابت وفروعها تتبوأ الأفلاكا
****

أهواء الطغاة

صالح بن جمعان الغامدي

وشم على وجهِ الحقائقِ يلمعُ ومواجعٌ حرّى تروح وترجعُ
فالكونُ قبوٌ للحليم وقلبهُ في مرجلٍ مما يراهُ ويسمعُ
ماذا أحقاً يزدري بنبينا وهو الذي فوق المكارم يسطعُ
تباً لأهواء الطغاة وإنّما أهواءهم قتمٌ يُزال ويُقشع
فالنَّجم في متن السماء لنوره ألقٌ يشعُ على الوجود وموقعُ
والبدرُ بالآفاق يسخر حينما يرنو إلى الظلمات وهي زوابعُ
فنبينا مهما خنازير الورى قالوا ومهما صوروه وشيعوا
لمترهٌ لا يرتقي لمقامه أحدٌ ولو كره الطغاة ومانعوا
أخلاقه القرآن زكاه الذي خلق الورى فسما عليهم أجمع
وهو النبي المصطفى من هديه تحيا قلوب الغافلين وتشبعُ
أرسى صروح العدلِ تعلن أننا من أمة وسطا تطيع وتسمعُ
وبنى لأهل الأرض خير حضارةٍ من عدلها ترضى النفوس وتقنعُ
حتى النصارى واليهود بظلها عاشوا وهم في مأمنٍ أن يفزعوا
عاشوا بأرض المسلمين و لم يروا ظلما وكانوا في الرخا يتمتعوا
دخلوا بدين الله طوعاً عندما علموا بعدل المسلمين وبايعوا
فالفخر أنا أُمةٌ لا تنحني أبداً لغير إلهها أو تركعُ
لم تجعل الحانات أرقى وجهةٍ فيها المكارم تستباح وتصرع
ونساؤنا لا ينتشين بمرقصِ فيه الكؤوس على الموائد تترعُ
إن الحجاب لهن أعظم مكسبٍ والطهرُ يسري بينهن وينبع
من سيرة المختار بتن حرائراً في عفةٍ من فاجر يتطلعُ
أخلاقنا تسمو بهدي نبينا وبها نفاخرُ من يحيفَ ويخدع
والنقد أولى أن يكون لحالهم كفرٌ وعهرٌ بينهم يتوزعُ
حتى البهائم لا تجاريهم بما فعلوه في تلك البقاع وضيعوا
قومٌ يعدون الشذوذ حضارة وعلى الفساد تجمهروا وتجمعوا
لا غرو أن يأتي السفاه بحقدهم زبداً له أفواههم تتجرع
فحضارةٌ مثل الحظيرة إنها نحو الأفول نرى خطاها تسرع
مازادنا سب النبي ونهجه إلا اقتداءً وهو فينا الأرفع
أرواحنا تفدي النبي وكلنا تبع نذود عن الحبيبِ وندفع
مليارُ نفسٍ لا تنامُ بمهجعٍ أو تستلذ بمأكلٍ أو ترتعُ

حتى نرى نار الصليبِ رمائداً وهلالنا فوق الغياهبِ يسطعُ
****

أيها المسلمون في كل قطر

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

أطبــق الليل واختفــت أضــواء *** وتــوالى عــلى النفــوس البــلاء
ودموع همــتْ كأمطــار مُــزْنٍ *** واقْشَعَــرَّتْ بسيــطــة وســمــاء
وبــحــار بمــائــهــا وجبــال *** راسيات جثــى عليــهــا الوبــاء
وسحــاب تمــر مــر غضــوب *** ليس مــاء يــزينــهــا أو هــواء
نعــم تصطلــي برمضــاءِ قَحْط *** هي عطشــى ومــا هنــالك مــاء
وانظــر الورد والزهــور بــروض *** مسها الضر واعــتــراهــا الحيــاء
شجــر مــذبــل ودوح تهــاوى *** وزروع مــن الــونى حــدبــاء
ها هي الشمس في السماء اكْفَهَرَّتْ *** وانحنى البــدر والْتَــوَتْ جــوزاء
كــل شبــر على البسيطــة يشكو *** من أنــاس كمــا يقــال غــثــاء
دينــهــا يعتــدى عليــه جهــارا *** ورســـول يــسبــه الجهــلاء
كيف نــرضى مــذلــة وهــوانــا *** كيف نرضى الخضوع أين الإبــاء
أي نصــر ونحــن في بئــر لــهــو *** أي عــز وقــد غــزانــا الربــاء
أي نصــر ومنــتــدانــا المخــازي *** أي نصــر وثــوبــنــا الكبريــاء
أيهــا المسلمــون في كــل قــطــر *** أيــهــا الأتــقــيــاء والأوليــاء
سددوا السهــم فالعــدو تــمــادى *** لا تــذلــوا فــأنــتــم العليــاء
أرشــقــوا بــالنــبــال كل عتــل *** حربــه الصالــحون والأنبــيــاء
وحــدوا صفــكــم بجــد وعــزم *** وانصــروا الله أيــهــا الأوفيــاء
قاطعوا المنتجــات صبــوا عــذابــا *** لا تــلينــوا وللرســول أســاؤا
دانــمــركي مــا رســمت لَــرُزْءٌ *** وخــطــوب وغــارة شَــعْــوَاءُ
دانــمــركي نلــت ذلا وخســفا *** كل عرض لعــرض طــه فــداء
سيــد الــمرسليــن خير البــرايــا *** قــائــد الــغــر رحمــة وهــداء
صــل ربي عــلى الــرســول وآل *** وصحــاب مــا غــردت ورقــاء
****

بُشرى من الله

شعر: نواف أحمد عثمان حكمي

ما مِثلَ سِيرتِكَ الغَرّاءِ تُمتدَح ولا كوجهكَ وَجْهٌ زانَه الوَضَح
يا سَيدي دُونَك الآمالُ مُشرَعةٌ أبوابُها ، وبعينيكَ المَدى فُسَح
ولَجْتَ عالَمَنا المَجهولَ فانفلقَتْ صُخورُهُ ، وجَرى مِنْ بينها الفَرح
وصُغتَ مِنْ رحلةِ الإسراءِ مَلحمةً أعيتْ قُريشاً حَقيقتُها وما بَرِحوا ..
جاءتْ رسالتُك السَمْحاءُ مُعلِنةً في الكونِ مِيلادَ نُورٍ ليس يُكتسَح
يَحدو رَكائبَها الإيمانُ شَامِخةً والوَحيُ يحملُها لا الزيفُ والشطح
(اقرأ) صَدْعتَ بها فاغتمَّ جاحِدُها وظلَّ يَحنَقُ مِنها الفاجرُ الوَقِح
أقبلتَ في فَمِكَ الإقدامُ مُتّقِدٌ وفي حَناياكَ وَعْدٌ كُلُّهُ مِنَح
وبين جَنبيكَ إصْرارٌ ومَقدِرةٌ بها تحدّيتَ مَنْ مَالوا ومَنْ جَنحوا
غَسَلْتَ بالطُهرِ أوضارَ الحَياةِ، وقدْ تدنّستْ حِقبةً ، وانتابَها الوَذَح
بُشرى مِن اللهِ سِيقتْ، باتَ فَيلَقُها يُضيءُ دُنيا بليلِ الجَهلِ تتشِح
بُشرى من اللهِ ما زالتْ تَنِزُّ سَناً وتنتشي أَلَقاً ، لَمْ تُثنِها البُرَح
يا سَيدي يا بنَ عبدِ الله ، كمْ هتفتْ لَكَ البِطاحُ ، وأدنى قُوسَهُ قُزَح
أرضُ الجزيرةِ كان الظلمُ يحكُمُها وفَجأةً إذْ بباب العَدْلِ ينفتِح
لولا وُجودُكَ بين الناس ما انتشرتْ جَحافلُ الحَقِّ ، تأوي كُلَّ مَنْ نَزحوا
ولا تَنفّسَ صُبْحٌ ظلَّ مَشرِقُهُ يُخزي الدُجى حيثُ باتَ الليلُ يُفتَضَح
يا سيّدي إنّ مَنْ خذلوكَ قد خَسِرتْ نفوسُهمْ ، بَيدَ مَنْ نصرُوك قدْ رَبحوا
أبي وأُمّي أيا (طَهَ) فداك فلا نامتْ عُيونٌ تُسيءُ إليكَ تجترِح
هُمْ يقدحون إمامَ الخلْقِ، خَيرَ فتىً فاللعنةُ اللعنةُ الكبرى لِمَنْ قَدَحوا
هُمْ يَنعَقونَ بأبواقٍ مُدنّسةٍ تموجُ حِقْداً ، يَفيضُ بحقدِها القَدَح
شُلّتْ يدٌ شَوّهتْ بالرَسْمِ صُورتَهُ وأُخرِستْ ألسُنٌ تَهذي وتقترِح
إنَّ الذين أتوا بالشرِّ شِرذِمةٌ مِن الطُغاةِ لعمرُ اللهِ قدْ كُبِحوا
إنّا ليحزنُنا أنّا نرى أُمَما ما حرّكوا ساكِناً أغواهُمُ المَرَح
ما ضَرَّ لو أنّهمْ مَدّوا أياديَهم لِيُنصفوا المصطفى ، ما ضَرَّ لو نصحوا
مُحمدٌ أنتَ في مَثواكَ مُنتصِرٌ كالنَخلِ يُرْمَى فيَهوي التَمْرُ والبَلَح
فَنمْ عليك صَلاةٌ كُلّما هَطلتْ سَحابةٌ ، أو حُداةٌ بالغ

****

حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

بطيبة رسم للرسول ومعهد * * * منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة * * * بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم * * * وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان يترل وسطها * * * من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها * * * أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده * * * و قبرا بها واراه في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت * * * عيون ومثلاها من الجفن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى * * * لها محصيا نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد * * * فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره * * * ولكن لنفسي بعد ما قد توجد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها * * * على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت * * * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا * * * عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين * * * عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة * * * عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم * * * وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه * * * ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك * * * رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه مترل الوحي عنهم * * * وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به * * * وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا * * * معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفوا عن الزلات يقبل عذرهم * * * وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله * * * فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم * * * دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى * * * حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثني جناحه * * * إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا * * * إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودا إلى الله راجعا * * * يبكيه حتى المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها * * * لغيبة ما كانت من الوحي تعهد

قفارا سوى معمورة اللحد ضافها * * * فقيد يبكينه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده * * * خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت * * * ديار وعرصات وربع ومولد
فبكي رسول الله يا عين عبرة * * * ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي * * * على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي * * * لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد * * * و لا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة * * * و أقرب منه نائلا لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد * * * إذ ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى * * * وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا * * * دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا * * * وعودا غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليدا فاستتم تمامه * * * على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه * * * فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ولا يلقى لقولي عائب * * * من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعا عن ثنائه * * * لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره * * * وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد
وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما بال عينك لا تنام كأنما * كحلت ما فيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدي أصبح ثاويا * يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
وجهي يقيك الترب لهفي ليتني * غيبت قبلك في بقيع الغرقد
بأبي وأمي من شهدت وفاته * في يوم الاثنين النبي المهتدي
فظللت بعد وفاته متبلدا * متلددا يا ليتني لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم * يا ليني صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلا * في روحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقي طيبا * محضا ضرائبه كريم المحتد
يا بكر آمنة المبارك بكرها * ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدي
يا رب فاجمعنا معا ونبينا * في جنة تثني عيون الحسد

في جنة الفردوس فاكتبها لنا * يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله اسمع ما بقيت بهالك * إلا بكيت على النبي محمد
يا ويح أنصر النبي ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا * سودا وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره * وفضول نعمته بنا لم نجحد
والله أكرمنا به وهدى به * أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد
وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
نب المساكين أن الخير فارقهم * مع النبي تولي عنهم سحرا
من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي * ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى جنادعه * إذ اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور نتبعه * بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده * وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحدا * و لم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم * وكان أمرا من أمر الله قد قدرا
واقتسم الفيء دون الناس كلهم * وبددوه جهارا بينهم هدرا
وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه سلم:
آليت ما في جميع الناس مجتهدا * مني إليه بر غير إفناد
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت * مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته * أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به * مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما * يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد * أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي
يا أفضل الناس إني كنت في نهر * أصبحت منه كمثل المفرد الصادي
****

حقاً رسول الله نيل جنابه؟!

شعر: د. محمد يحيى غيلان

نبأٌ سرى فاستصرخت لمقاله كل الانام مجرمين لفاله

بالكف غطى الشمس في تجهاله والجهل يردي المرء في أفعاله
لا تنتهي السوءات في أنجاله بل في أبيه وفي هوى أخواله
عبث السفيه – مع الجهالة – مرة ما كان يدري أو يخال بباله
ماذا يجر – إذا تجرأ رسمه – من فتنة في أهله أو واله
لما تعدى للحدود مجاهرا في ظل أسماء الزمان الواله
حرية تدعى بزور أناسها وترى السفاهة في أصول مقاله
****

زمن الجسارة لا يزال مصعدا في العالمين بشره وضلاله
حتى تجاوز في السفاهة هائما رب الانام وعاث في تطواله
وأتى إلى الرسل الكرام بهفوة خرقاء تصدر من هوى أو حاله
بل نال من خير البرية كلها وأتى إلى المختار في تجواله
فأقام رسما قد تعاظم لؤمه بنوي التهكم قد أساء لحاله
بل قد أساء إلى الانام جميعهم والارض صرعى من لئيم فعاله
ملأت مساءته الفضاء وجاوزت كل الوجود بسوئه وجماله
****

وقفت حلوم العالمين فلم تحر للبهت دفعا من خسيسة حاله
ماذا تقول وقد تجرأ جاهل حتى أتى السوءات في أفعاله
رسم النبي محمدا فاستصرخت كل الخلائق ما جرى في باله
حقا رسول الله نيل جانبه؟ يا للجناية في عظيم مجاله
يا للمساءة في طهاره شخصه يا للجهالة في الجهول بحاله!
يا للكرامة يا لأمة أحمد! أين الاعزة أين أهل مآله؟
اين الذين اذا اصيب بشوكة قاموا يمينا أو حيال شماله؟
اين الذين إذا أهاب بجمعهم لبوه مثل الليث في أشباله؟
اين الذين إذا بدا أعداؤه فدوه بالآباء من أقياله؟
أين الكماة وأين كل مبجل يحمى الذمام بنفسه وبماله؟
ويقوم في وجه اللئام كرامة نصرا لخير الخلق في أعماله؟
***

إني أزف من المآثر قطرة كيما نراه البحر في أفضاله
لما أراد الله مولد أحمد كان الضياء هو الدليل لحاله

بل قد تهدم للأكاسر ركنهم وأدال دولات الكتاب وآله
ما كان كسرى أن يدوم وقيصر لما أتتنا شمسه بهلاله
شمس تبدت في السماء ونورت في العالمين وزيد في أفضاله
هو رحمة للعالمين جميعهم هو منذر ومبشر بمقاله
هو خير خلق الله في تبيانه أو سمته وجماله وفعاله
وبه أجاب الله دعوة صادقٍ لما اراد الخير في انحاله
قال الخليل إلهنا وأبعث لهم منهم رسولاً صادقا في حاله
كيما يعلم – من أراد هداية – منك الكتاب وحكمة بمقاله
موسى الكليم اشار في أسفاره ومبشر عيسى به في قاله
والفيل مال بأهلهم في وجهة لم يخطر البيت العتيق بخاله
كيف المنال من البناء وحوله سيقوم خير الخلق في أعماله
***

لما أهاب بأهل مكة قائلا دين الإله وهذا من أقواله
قرآنه من وحيه وكتابه فيه البيان لنهيه وحلاله
فيه الصراط المستقيم حقيقة والدين في طياته ومجاله
نادى الرسول وفي المقال هداية من يوم مبعثه ليوم مآله
إني رسول العالمين جميعهم أدعو الإله معظما لجلاله
قولوا معي التوحيد إني صادق كل سيأتي الله في أثقاله
لا والد يغني ولا مولده يغنيه شيئا من هدى اعماله
كونوا عبادا للإله جميعكم في بحره أو سهله وجباله
أبناء آدم لا فوارق بينكم كل لآدم في النشوء وحاله
لا ينبغي التفضيل في ألوانكم أو في اللغات ولا الغني بماله
إن التفاضل بالتقي ميزان من زان السماء بنجمه وهلاله
****

كم من مريد الذل في ارجائنا وإذا به خير اضاء لواله
وغدا بإذن الله مكر عصابة في المسلمين مذكرا بخلاله
أذكيت شعلة عزة في أمة سكرى بإبليس اللئيم وآله
فتجمعت في كلمة محمودة بل صوتت بالحق في أجياله
نحن الفداء ولا نقول سوى الذي يرضي الإله بكتبه ومقاله

****

يا سيد الثقلين عفوا هذه عذرا تقدم من قليل خياله
يا سيد الثقلين عذرا إنني أبني القريض مدافعا بجماله
والله أرجو ان أكون مسددا ومتابعا للحق في أقواله
ونصرت في شعري الرسول محمدا خير الأنام بدينه وخلاله
يارب صل على النبي محمد مع صحبه والتابعين وآله
عد النجوم ورمل كل فسيحة في الأرض أو قطر السحاب وناله
****

دائماً أنتَ بقلبي

شعر: عبدالرحمن بن صالح العشماوي

دائماً أنتَ بقلبي يا نبيًّاً لك حُبِّي
أنتَ في الأَعماقِ تحيا قُدْوَةً ترْسُمُ دربي
يا أبا القاسمِ، إنِّي لم أَزَلْ أُشْهِدُ رَبِّي
دائماً أنتَ بقلبي
أَيُّها الهادي البَشيرُ أنتَ نِبْراسٌ ونُورُ
أنتَ للدنيا ضياءٌ وَجْهُكَ الوجهُ المنيرُ
أنتَ للخير مثالٌ قَدْرُهُ فينا كبيرُ
دائماً أنتَ بقلبي
حبُّنا لله أَغْلَى وبه الإيمانُ أَحْلَى
نحن وَجَّهْنَا إليه شُكْرَنا روحاً وعَقْلا
فهو أَهداكَ إلينا رَحْمَةً منه وفَضْلا
دائماً أنتَ بقلبي
أنتَ للرحمةِ كَنْزُ أنتَ للأخلاقِ رَمْزُ
أنتَ علَّمْتَ البرايا أنَّ تقوى الله عِزُّ
أنتَ أَسْمَى من عَدُوٍّ همُّه غَمْزٌ ولَمْزُ
دائماً أنتَ بقلبي
أنتَ خيرُ الأنبياءِ أنتَ عنوانُ الوفاءِ
أنتَ طرَّزْتَ المعالي بخيوطٍ من ضياءِ
أنتَ يا أَحمدُ نورٌ فاضَ من غارِ حراءِ

أنتَ نَهْرٌ سوف يَبْقَى جارياً دونَ غُثاءِ
دائماً أنتَ بقلبي
لَكَأنِّي بالتِّلالِ مِثْلَ حَبَّاتِ الرِّمالِ
مِثْلَ أزهار الرَّوابي مِثْلَ هاماتِ الجبالِ
حينما تمشي عليها ترتدي ثوبَ الجلالِ
دائماً أنتَ بقلبي
سيِّدَ الخلقِ مُحمَّدْ خاتمَ الرُّسْلِ المجَّدْ
عِشْتَ محموداً حميداً صَانَكَ اللهُ وسدَّدْ
عشْتَ كالغيثِ جَواداً وبقَاعُ الأرضَ تَشْهَدْ
دائماً أنتَ بقلبي
مُصْطَفَى اللهِ المُبجَّلْ أنتَ يا أفْضَلَ مُرْسَلْ
لم تدعْ للخير باباً في وجوهِ النَّاس يُقْفَلْ
فبكَ الرحمنُ أعْلَى جانبَ الدِّينِ وأكملْ
دائماً أنتَ بقلبي
لم أزلْ أَسمعُ لَحْنَا قد سَمَا لفظاً ومعنَى
ملأَ القلبَ صفاءً وشفا الصَّدْرَ وأَغْنَى
كان لحناً كالشُّعاعِ طار في كلِّ البقاعِ
طلع البدْرُ علينا من ثنيَّاتِ الوداعِ
دائماً أنتَ بقلبي
كنتَ في الدنيا لطيفاً لم تكُنْ فيها عنيفاً
كنتَ للناسِ مُحِبَّاً وبهم برَّاً رؤُوفا
هكذا عشْتَ كريماً رافعَ الرَّأسِ شريفا
دائماً أنتَ بقلبي
جلَّ من أَعطاكَ قَلْبَا ظلَّ بالإيمانِ رَحْبَاَ
لم يكنْ يحمل إلاَّ ما سَمَا عَطْفَاً وحُبَّا
وَسِعَ النَّاسَ جميعاً عَجَماً منهم وعُرْبا
دائماً أنتَ بقلبي
نَهْرُكَ الكَوْثَرُ يجري بين أشجارٍ وزَهْرِ
شَرْبَةٌ تُداوي كلَّ مَا يَشكوه صَدْري

طِيْنُه مِسْكٌ وعَنْبَرْ والحَصَى دُرٌّ وجَوْهَرْ
كَوْثرٌ يُصْرَفُ عنه مَنْ تمادى وتكبَّرْ
نسألُ اللهَ تعالى شَرْبَةً تُنْعِمُ بَالا
نرتوي منها ونغدو عندها أحسنَ حالا
دائماً أنتَ بقلبي
يا أبا القاسمِ، إنِّي بكَ قد زَيَّنْتُ فنِّي
وبإحساسي وحبِّي لك، قد أَحْسَنْتُ ظَنِّي
أنتَ في قلبي مقيمٌ لم تَغِبْ واللهِ عنِّي
دائماً أنتَ بقلبي
أنتَ أهديتَ العبادا من كتابِ اللهِ زادا
ومن السُّنَّةِ نَبْعَاً صافياً يُروي الفُؤادا
ومَلأْتَ الكون صدقاً وصلاحاً ورَشادا
دائماً أنتَ بقلبي
كيف تَروي كلماتي ما جرى من مُعجزاتِ
ما روى الرَّاوي علينا من أحاديثِ الثِّقاتِ
وعن الخندق لما كنتَ كالطود أشما
حين فَجَّرْتَ صخوراً نُورُها في الأُفْقِ عَمَّا
حينما أَعَطَيْتَ فيها عن فتوحاتِكَ عِلْمَا
دائماً أنتَ بقلبي
للحَصَى صوتٌ جميلُ فيه تَسبيحٌ جليلُ
بين كفَّيكَ تَجلَّى ناطقٌ منها أصيلُ
دائماً أنتَ بقلبي
أَطْلَقَ الجِذْعُ الحَنينا راجياً ألاَّ تَبينا
كيف لا يَحزَنُ جِذْعٌ سمع الوحيَ المبينا
دائماً أنتَ بقلبي
خابَ مَنْ آذى الرسولا وأتى أمراً مَهُولا
لم يكنْ مُؤذيه إلاَّ فاقدَ الحِسِّ جَهُولا
بأبي أَفدي وأُمِّي مَنْ هَدَى مِنَّا العقولا
دائماً أنتَ بقلبي

إنَّه الكُفْرُ وَبَالُ فيه للعقل خَبَالُ
فيه خُسْرانٌ مُبينٌ وضياعٌ وانحلالُ
كيف يُؤْذَى مَنْ هَدانا وإلى اللهِ دعانا
يا أبا القاسمِ، إنِّي فيك لا أرضى الهوانا
دائماً أنتَ بقلبي
سَيِّدَ الخَلْقِ اهتَدَيْنا حينما جئْتَ إلينا
جئْتَ والدُّنيا ضَلالٌ دامسٌ يَسْطُو علينا
جئتَ نَهْراً من يقينٍ فوردنا واستقينا
جئتَ بالإسلام هَدْياً فاتَّبعْنا واقتدينا
في سماءِ المجدِ لَمَّا جئْتَ بالحقِّ ارتقينا
دائماً أنتَ بقلبي
رَفَعَ اللهُ المقاما حينما صِرْتَ إماما
حينما أَحْيَيْتَ فينا منهجاً يرعى الأَناما
عاجزٌ عن وصفِ حبي لك يا مَنْ يتسامى
غير أنِّي سوف أبقى رافعاً بالحبِّ هَامَا
أنتَ عَبْدُ اللهِ تبقى خَيْرَ مَنْ صلَّى وصاما
إنني أُهديك حُبَّاً وصلاةً وسلاما
دائماً أنتَ بقلبي..
دائماً أنتَ بقلبي
****

رسول الهدى عذراً!

رسول الهدى عذراً، فهذا هو الكفر جميع فعال منه، يا سيدي، نكر
لقد قلتها قبلا، وإنك صادق فلا بعده ذنب، ولا بعده وزر
شريعته حقد دفين مؤصل ومبدؤه التضليل، والإفك، والغدر
هو الكفر، يا مولاي، مكر مخبأ ولله رب الخلق من فوقه مكر
وهم أهله.. حتى وإن قيل هادنوا فما ذاك إلا الكر، في الحرب، والفر
تداعوا إلى الدين الحنيف بهجمة وهيهات منهم أن يحيق به ضر
إذا ما رأوا من منفذ فيه سالك رجوا انه الإذلال للدين والقهر
رموه، وظنوا أنه الصيد سانحاً وفيه تمنوا أن يبيعوا وأن يشروا

لأصلب عوداً أن يلين لغامز وأقوى جناباً أن يُرام له كسر
سيظهر هذا الدين رغم أنوفهم فوعد له التمكين في الأرض والنصر
وإن سرّنا فعل أتوا فيه واحد لقد ساءنا من فعلة لهم عشر
فتاريخهم خزي وعار مجلل وحاضرهم هذا هو السكر والعهر
رسول الهدى، ما أحدثوه جريمة أشد وأنكى أن يكون لها عذر
فمذ كنت فيهم طاولتك شرورهم إلى اليوم لم يقطع لفجارهم شر
فتبت أياديهم وما هي سطرت وحق لها من بعد فعلتها البتر
ولا تأس، يا مولاي، من سوء فعلهم ولا تبتئس منه.. فذاك هو الكفر
****

صورة المصطفى "صلى الله عليه وسلم"

عبدالرحمن صالح العشماوي

سكت السيف عن حديث الجهاد فابرقي يا بوارق الإنشاد
واركضي يا خيول شعري، جواداً في دروب اليقين إثر جواد
ملّ من نفسه الحديث المسجّى بثياب الخضوع والإخلاد
فانطلق للجهاد يا صوت شعري ربّ شعرٍ يهدّ ركن الفسادي
يصبح الشعر صارماً وسناناً حين تغفو السيوف في الأغماد
أنا والشعر عند أصفى معينٍ كلّنا رائح إليه وغادي
نستقي منه، لا نبالي بقيظٍ يشتكي من جفافه كلّ صادي
هكذا تعلم القصائد أنّي لست ممّن يهيم في كلّ وادي
أنشد الشعر دعوةً للمعالي وحداءً في ركب خير العباد
ربما أيقظ النشيد غفاةً خيرهم همّةً عريض الوساد
قال "كعب": بانت سعاد، ولكن لم تبن، منذ عانقتني سعادي
أنا ما زلت يا حبيبة أحظى منك بالحب والرّضا والوداد
أسعّدتني منك ابتسامة حبٍّ لم تزل في تألّقٍ وامتداد
أنت عانقتني عناقاً جميلاً   وتغلغلت في صميم فؤادي
أنت يا شرعة المهيمن ظلّي في دروب الأسى، ومائي وزادي
دوحة أنت، ظلّها يحتوينا وإلى جنيها تمدّ الأيادي
أنت في القلب، راحة ويقين وثبات لنا أمام القوادي
ساقك المصطفى إلينا ضياءً في دياجي الضلال والإشاد

فرأينا القرآن فجراً مضيئاً وسمعنا صوت الأذان ينادي
وارتوينا سعادةً وصفاءً وشعوراً يذيب صمّ الجماد
ساقك المصطفى شريعة حقٍ رفعتنا إلى ذرى الأمجاد
يا بنفسي فديت خير نبيٍّ وبروحي فديت أكرم هادي
وبشعري نافحت عنه ابتغاءً لمقام النّجاة يوم التّنادي
دون عرض النبيّ، عرضي ووجهي وحياتي وطارفي وتلادي
صورة المصطفى تضيء بهديٍ ويقينٍ وحكمةٍ وسداد
نوّر الله وجهه، فهو بدر يتجلّى لحاضرٍ ولبادي
صورة المصطفى أجلّ وأسمى من يد لوّثت بشرّ مداد
أين أهل الفردوس من أهل كفرٍ وضلالٍ وغفلةٍ وعناد؟!
إنّه المصطفى الحبيب تسامى وهو حيّ عن سورة الأحقاد
هو –والله– في السماء مقيم في الرفيق الأعلى، رفيع العماد
في المقام المحمود عند إلهٍ صانه من تآمر الحسّاد
شاتم المصطفى سيشرب ناراً وسيصلى بجمرها الوقّاد
كلّما حاولَ القيامَ تَراخى وتَهاوى، فوجهُهُ في الرمادِ
خَسرَ الكافرُ المعاندُ دُنيا قبل أُخرى، وذاقَ طعمَ الكسادِ
إنْ تمادى فسوفَ يشربُ كأسًا من صديدٍ جزاءَ هذا التمادي

***

يا دعاة الخذلان فينا، أفيقوا أوما تبصرون جور الأعادي
قد مددنا أكفّنا بزهورٍ لعدوٍّ يمدّ شوك القتاد
ورفعنا أكفّنا بالتحايا وأكفّ الأعداءِ فوقَ الزنادِ
في فلسطين والعراق دليل تمسح القدس فيه دمع "الرّمادي"
تسقط الأمة العظيمة لّما ترتمي في محاضنِ الأوغاد

***

ربّ هذا جهد المقلّ، وقلبي أنت أدرى به فحقّق مرادي
قال حسّان –ذات يومٍ– عَدِمنا خيلنا إن تأخّرت عن جلاد
وأنا قلتها: عدمنا قلوباً إن توارت عن حبّها للرشاد
وعدمنا أرواحنا إن توارت عن ميادين دعوةٍ وجهادِ
هكذا تبرز المكارم فينا حين تغلي مراجلُ الحساد

****

عرضي فـــــــــداك ..

عرضي فــــــداك ونفسي أيها المــَثـــــــــــَــلُ * أيـــــــــــــــــــــــــــــــــا نبيَّ الهدى
يـــا أيها البـــطـــــــــلُ

إذا عـــــزائمُ مَن يهجـــــــــــوكَ قد قَصُـــرَتْ * فدونَـــهُ عـــنـــــــــك عِـــــرضي لَـــقْفَ ما
يصِـــلُ

تجشمـــوا الصعبَ يا تعســــــــــــاً لحـــظِهِمُ *ســــــــــــبُّوا النبيَّ وهـــــــــذا لـــيـــــسَ
يُـــحتَـــمَــــلُ

فـــلـــيرقبوا ســـــوء محصودٍ لما زرعوا *كذاك عـــــــاقــبـــــــــــةُ الحمقى إذا
خَطِـــــــــــــلوا

تجاهـــــلوا قدرَ خيرِ الخلق قـــــــــــــاطبــــــةً * واستكبروا وطغوا في الرأي بل سفلوا

لم يجهــــلوك وهـــاهم أعــــذروا ســــــلـــفاً * و لم يكونــــوا بأعــــــــــــــداءٍ
لـــــمـــــــا جَهِلوا

ولن يضـــــيركَ إن ســـبّوا وإن شــــتموا *لكـــنـــــَّــهُ ضــرَّنـــــــــا ..
فـــالــــفـــــكــــر منشغِـــلُ

روحي فــــــداك.. فما عذري إذا وهنت * آمــــــــــــــــــــالُ أمــتـــنِـــــا .. أو قـــلَّتِ
الحِـــيَـــــلُ؟

نفسي فـــــداك وأبنـــــــــــــــائي وخـــالصتي * وأمتي دون مـــــــا قــــالــــوا وما
فعـــلـــــوا

ســـــــــفـــاهةٌ مـــن عـــلوجٍ كالعجولِ غدوا * بين الـــبـــهـــــــــــــــــائم في عيشٍ فهم
هَـــمَـــلُ

تـــبقى طبائعـــُـــهم تحـــــكي مـــــــــــذاودَهـــم * على القـــــــــــــــــــذارة قد شبّوا
وقد جُـــبِـــــلوا

عـــــــــــــــاشوا لأبقــــارهم يرعونها زمــنا * وأشـــــــرِبــوا طبعـــَـهـــــا
حـــُـبَّــــــــاً وقد ثملوا

فمن يعـــش بـــين قــــومٍ صـــــــــار مثلَهِـــمُ * وهم كذاكَ وعن
أحـــــوالـــــــــــــهم غـــفـــلوا

يا ربِّ ســـلِّـــط على أبـــقــــارهم مرضــــاً * مـــــن الجـــــــــــــــــونِ فمـــا
تنـــفــكُّ تــقــتـــتــــِـــلُ

وتنطحُ الـــــنـــاسَ لا تبقي على أحـــــــــدٍ *ويبسّ الضرعَ .. والثـــــــــيرانُ تنخـــبــــــــــلُ

واجعـــــلهمُ عِـــبرةً للنـــــــــــــــاسِ كـــلِّهـــمُ * كي يعـــــــرفوا قـــــــدر هادينا وينخــــــــذِ لوا

تلك (الدنيمرك)و(النرويج) في دعةٍ * للعيش لم يشـــــــــكروا ربـّــــــــــاً ويبتهـــلوا

بل أعلنوا كـــفـــــرهم حربــــــــاً لبارئـــهم * فهل من الشكر ما قالوا ومـــا نَحَــــلــوا ؟

يا ربِّ بدّل بأهـــــــــار الحلـــــيـــب لـــــــهم * أهـــــــــــــــارَ قيحٍ وبؤسٍ لـــيـــــس ينتَـــقِــــلُ

هبُّـــوا أيا أمتي .. أحــــيـــــوا عزائمــكم * حتى نرى النصرَ في الآفــــــــاق يكتمـــلُ

هيا ارفعوا رأسكم أبدوا كرامـــَتـــــنــــا * قــــد آنَ يـــــــــــــــــا أمتي أن يبـــــدأ العـــمـــــلُ

وأنذروا النــــاس أنُّــا لم نمت أبــــــــــداً * لكـــنـــنــــــــــــا ربما نـــغــفـــــــــو ونـــنـــشـــــــــغِـــلُ

إذا تكالبتِ الأعـــــــــــــــــداءُ واجتمعــــتْ *فمــــا لنـــــا لا نحاكي بعض ما عـــملـــوا ؟

فلا التشـــــرذمُ يحـــيــــــنــــا وينصفــُنــا *ولا الـــتــــــــــــــــــــواكلُ ينجيـــــنــــــا فـــنـــــتـــكِـــلُ

لـــكـــنَّـــهـــا صرخةُ الإنـــذارِ ترعِـــبُــهـــــم *وتـــبــعـــــثُ الـــنبــضَ فــيــــنـــــــــا ثم نشـــتعِـــلُ

فنصرةُ المصطفى تحـــيي عزائمَـــنـــا * واللّهُ نــــــــــاصــــــرُ مـــن بالحــــقِّ يشـــــتغِـــلُ

وصلِّ ربي على المختـــار ما نطـــقتْ *عُـــجـــــْــمٌ وعُـــــربٌ وما جادت به المُــقـــَــلُ

أحمد الطارش ٢٩ـــ١٢ـــ١٤٢٦هـــ

****

فدتك ملايين الأباة

زايد الشنقيطي

هلم حماة الدين فالجرح أوجع وافظع من كل الجروح واشنع

لقد بلغ السيل الزبى.. فحثالة لئام تنال الهاشمي فتقذع

وفاق الخيال الحقد لما تناولوا ببهتانهم خير الانام فأوجعوا

بلى.. جعلوا الهادي الامين دريئة الى صدرها ينثال ما يتنخع

ألا يا رسول الله خير منبا عليك صلاة الله لست تروع

فدتك ملايين الأباة يحثها يقين بأن الدين دينك امنع

وانك معصوم من الناس كلهم وانك عن كل العيوب مرفع

ألست نبي الله اكمل مرسل ألست الذي يوم اللقاء يشفع

ألست رفيق الروح جبريل حينما سرى بك والرسل الكرام تجمعوا

تؤمهم ثم ارتقيت إلى العلى الى جنة المأوى إلى حيث ترتع

الست الرؤوف البر من قال داعياً غداة الاذى جاز المدى تتضرع

إلهي اخرج من ظهورهم غدا من الخلق من يغدو لوجهك يخشع

ألست الذي حاز المحامد كلها وفيك يقول الرب ما هو أروع

على خلق بين الخلائق كلها عظيم؟ بلى والحق أبلج أنصع

وقال العليم العدل عنك ممجداً رؤوف.. وعلم الله احوط اوسع

فكل مديح بعد فيك ففوقه مقامك يا خير الخليقة ارفع

وان شنأ الغرب الكفور محمداً ففي كل وادٍ آتن تتزقع

ولكن كيل الفحش قد فاض حينما تجرأ اوغاد الظلام فشنعوا

فقمنا نذود البغي عن حوض ديننا بكل مباحٍ في المعارك ينفع

كما كان في بدء الرسالة معشر على عرش ايذاء النبي تربعوا

يغالون في كل الاذى فتجردت تجالدهم اسلافنا عنه تدفع

هو الكفر كفر في القديم وانه الى اليوم كفر لا ارى يتنوع

وان دفاع المؤمنين عن الهدى لفرض وما يوماً عن الفرض مترع

عليك صلاة الله يا خير مرسلٍ صلاة بها في ما جنيت تشفع

****

فلق الحق

حسن محمد الزهراني

تهلل وجه هذا الكون بشرا وزف الى القلوب البيض بُشرى

وسبّحتِ الملائكةُ ابتهاجاً وفاحت "مكة" الإسلام عِطرا

لقد وُلِدَ "الحبيب" فأي يوم كهذا اليوم في التاريخ قدرَا

وأشرق نوره في كل شبر من الدنيا كسا براً وبحرَا

وزُلْزِل عرشُ "قيصر" فرط خوفٍ وخرَّ مهابةً إيوانُ "كِسرى"

وأطفأ بردُهُ نيرانَ قومٍ اضاعوا العمر حول النار هدرا

حبيبُ اللهِ جاء لِسانُ صدقٍ لِنهرِ الخيرِ بين يديهِ مجرى
طفولتهُ البريئةُ سِفْرُ حزنٍ يجرُّ بها حِصان اليتمِ عُسرا
ولُقّبَ "بالأمين" وكان حقًّا أميناً صادقَ الإحساسِ حُرًّا
إلى "الغار" المطهّر كان يأوي ويقضي الوقتَ تفكيراً وشُكرا
ولّما جاءه "جبريلُ" يُهدي إليهِ من الإلهِ الحقِّ (اقرا)
تحمّل عِبئها ومضى بحزمٍ وإيمانٍ يُحيلُ الصّخرَ تِبرا
وأُسري بالحبيب على "براقٍ" فسبحان الذي بالحقّ أسرى
إمامُ الأنبياءِ وأيُ فخرٍ تمدُّ له حِبالُ المجدِ فخراً
وفي "المعراج" ما يشفي فؤاداً تقلبَ في جحيم الهمِّ دهرا
دنا من ربه الجبّار يُصغي إليه لِيملأ الأنفاسَ نَشْرا
وعاد فكذبوه وكم دليل رأوهُ فزادهم غيًّا ومكرا
"وهاجر" من أحبّ الأرض قرباً إليه وبالهدى الوضاح فرًّا
سلامٌ يا "مدينة" خيرِ وجهٍ أطلّ على الوجودِ يضيء بشرا
أتاك مهاجراً عن جورِ قومٍ عَتوَا عن هدي ربّ الناسِ كفرا
فدى قدميهِ روحي حين يمشي مع "الصدّيق" في الرّمضاءِ شهرا
ويحتمل المصاعبَ دونَ شكوى لِيرفعَ للإله الحقِ ذكرا
ويُخْرِجنا من الظلماتِ حتى نرى نورَ اليقين يفيضُ طُهرا
أقام هنا. وللأنصار فضلٌ وهم بالشكر والعرفان أحرى
فقد كانوا له أهلاً وأهدوا رِقاباً صاغت الأمجاد: سمرا
فأسس دولة الإسلام يزهو بها التاريخ طولَ الدهر كِبرا
وعمّ هداه في الأرجاء حتّى غدا طعمُ الخطايا منه مرّا
بنى في كل قلبٍ بات يرجو لقاء الله بالقرآنِ قصرا
وأجرى في قِفار اليأس فينا بتقوى الواحد الديان نهرا
وطهَّرنا بضوءِ الصدقِ خوفاً علينا أن نخالف فيه أمرا
وسنَ لنا سبيل الفوز حتى بلغنا غاية في المجد كبرى
وعادت " روحه" في يوم حزنٍ الى الرحمن والأكباد حرّى
عليه صلاةُ ربى ما أطلت علينا الشمسُ تُهدي الليلَ بدرا
هنا قبرُ الحبيب فليتَ صدري إليك موثقاً بالحب إصرا
وفاضت أدمعي الخرساء همي على خدي إذ أجهشتُ سِرًّا

وعاتبني (الرفاقُ) على بكائي وهم برهَافة الإحساس أدرى
صحوت إذا (اليراعةُ) في يميني أسطر فيك للأيام شعرا
سيرهق شاسع الأوراق بوحي ولو أضحت بحارُ الأرض حبرًّا
(وذو الخلق العظيم) أجلُّ شأناً سيُعجزُ وصفُهُ شِعراً ونثرا
أتيتك يا حبيب الله أشدو   فعذراً ان كبا التعبير عذرا
****

صلوا على الهادي وردوا على الفور

في مولده آية.. وفي بعثته نور بالصدق بين الناس والطيب للجار
والأمر بالمعروف عن كل محضور من عرق صافي سيد الناس الاحرار
اشرف بني آدم وفي غيره قصور بيت الكرم والدين ياكل مختار
ذرية إبراهيم من بيت معمور نذير كل الخلق في كل الأقطار
يا ويل من عادى النبي وانتخى العور هادي البشر للحق في سر واجهار
الناصح الى بين الحق والجور اختاره الله للرسالة في الغار
وانزل مع جبريل من رق منشور رسالة الإسلام وامحى به اسفار
إعلان بالقرآن وابليس مقهور رسول رب البيت تفديه الأعمار
شفيعنا من يتبعه صار مسرور صلى عليه الله وله زود مقدار
بين البشر بالصدق والجود مشهور من قبل يبعث سيرته مثل الأنهار
في مولده آية وفي بعثته نور مشهور من قبل الرساله بالآثار
يا بخت من صاحبه في جنة الحور لما حضر حلف الفضول ابهر الدار
والا الحجر يومه لهم يفتل الشور عظم خلقه الرب عن فكر فجار
يحميه رب البيت ذا نزل الطور دعا لدين الله وانذر من النار
انذر قريش أول وما خالف الدور أذاه قومه يوم جاهم بالإنذار
ما صدقوا صادق على الصدق مخبور ما راق لابو جهل واغتر باحجار
نادى هبل ما جاوبه ذاك مبتور وابو لهب ملعون للحق نكار
من حقد قلبه صار بالكفر دكتور في شعب عامر طوقوا حوله احصار
هاجر مع الصديق وانشد جبل ثور انشده من خفاه عن شوف الأنظار
يوم السيوف القانيه تلهب الزور حماه رب البيت من كل الاضرار
هاجر على يثرب وطالبه مثبور من عقبها في بدر والسيف بتار

دارت على الكفار والدين منصور وغزوة الخندق سلوا سيف الانصار
والعز بالأحزاب تاريخ ممهور من للشجاعة في ميادين الأخطار
غير النبي ما هاب من كل مغرور في خيبر التاريخ زاهي بالأخبار
وفي تبوك المعركة تبري الضور جاهد بسيفه واصطفى الله له اخيار
ساروا على نهجه وعدوانهم بور بنوا لنا تاريخ من طيب وازهار
ياعل كارههم على جمر تنور صحابة أحمد كنهم حوله اقمار
من نوره اهداهم وما بنوا اقصور ساروا على نهج الوفا حسب الأشوار
ذاك امرهم ما بينهم سعي مشكور اعوذ بالله من فتن تلهب اشرار
حتى الرسول يحاربونه بمنشور قولوا لمن عادى محمد بالإصدار
عاديت رب البيت يا عقل منخور يا عذرة الخنزير ما سقت الأعذار
زبدتك ملعونة وملعون الانكور شل من ذنوبك وانحرق بين الأوزار
يا عابد الشيطان يا عش زنبور يا معتدي بالزور يا بعرة حمار
يا (...) عرضك بيننا صار مهدور من أنت يا معتوه يا (...) الفار
لقيط ما تسوى نفايات دبور والله لولا العيب لا شغل الحار
واكتب مجلد بالمسبات قنطور هذا جنون القاف عند ابن منشار
ينوض غيضه متجه ديرة الزور تفكون يا شعار سوقوا له اجمار
سيف الكلام امضى وللشعر جمهور الله يالدنمرك يكسيك بالعار
ويخذل النرويج ويهد بالفور يا قاف خلك للعداء مثل الإعصار
اهج العلوج ومثلك اليوم معذور خل امة المليار في شجب وانكار
مثل الغثاء والقلب يا ناس مقهور علا بني صهيون والغرب باقمار
لكن دين الله لا شك منصور يالله تذل اجيوشهم فوق الانبار
وتحرر القدس وترجع لنا الطور واحفظ بلدنا من هوى كيد الأشرار
يا ناصر المظلوم في بر وبحور هذا الهجاء مسموح عن سيد الأبرار
صلوا على الهادي وردوا على الفور

فلاح بن منشار

لك روحي تُنذر

شعر: علي إبراهيم حملي

مهداة إلى سيدي نبي البشرية (محمد صلى الله عليه وسلم) نصرة مما أُفتري عليه من الكفرة الناقمين.

لك يا بن عبدالله روحي تنذر يا خير خلق الله فيك المفخر
يا من وطأت بساط ربي عندما جبريل أوقف فالتقدم يحظر
أقدم (محمد) من إلهك أطلقت أنت الصفي الخاتم المتفكر
يا لسمو وعزة من عزة الرحمـــ ـــن في كل العصور تعزر
يا سيد الأكوان يا شذو الدنا يا صادق الأقوال خلقك أعطر
أنت الأمين وقبل بعث رسالة أنت المحكم فارتضاك المعشر
إني لأشهد بل ومن بك مؤمن إن الذي أوتيته لا يقهر
لله أديت الرسالة صابراً مستعذباً كل الصعاب تكبر
أظهرها السمحاء حتى لألأت دنيا البرية فاستضاء الأكثر
(مليار) مسلم رددت أصواتهم أن لا إله سوى الإله واشهروا
ما ذاك الا باحتمالك للأذى عند البداية من كمثلك يصبر؟
أدموا لك العقبين جاءك نصره ملكان للإهلاك أمرك يصدر
قلت ارجعا ادعو لهم بهداية وعسى من الأصلاب يأتي الأخير
صلى عليك الله قلبك طاهر والصدر نظف ما لحقد يوغر
هي رحمة للعالمين منحتها ما مثلها غرست وطاب الجوهر
قلبي اسير هواك يا خير الورى يا نور عيني من احبك يظفر
حزت المناقب والكرامات انبرت لجنابك الأعلى ووجه يزهر
تبكي لك (الأخشاب) عند فراقها واللحم، ينطق إن سمّي يقطر
(والماء) ينبع إذ بسطت أصابعاً و(الثدي) يحلب من عشار يزخر
والمعجزات تواردت وأجلها قرآن ربك بالتحدي يجهر
للإنس للجن وان يتجمعوا لن يستطيعوا آية لو فكروا
إن الذي آتاك (سبعاً) قدست متكفل طول الحياة يسيطر
أميت كل المرسلين تقودهم يوم اللقاء وقد أهال المحشر
لو أن (موسى) قلت عاصر بعثة ما كان يوسعه سواه ويجدر
أسديت أصحاباً نجوماً شعشعت كل البسيطة للجبابرة انبروا
للغرب شلو فاستقر مقامهم للشرق حتى الصين لم يتقهقروا
هل أكبر الأعداء قدرك وانزووا في خسة شاهت وجوه تقتر
شلت أناملهم قذارات الدنا أينال منك المخمرون البوّر
التافهون الماجنون حياتهم تأبى البهائم ان بهم تتقدر

تبا لك (الدنمارك) يا ذات الخنا يا دولة الاسفاف وجهك أفجر
أو قد حسبت (محمداً) ألعوبة لتصوريه والجرائد تنشر
هذا (ابن عبدالله) سيدنا ارتقى فوق الخلائق من براه يصور
جازفت أسخطت الإله وخلقه يأتيك سخط الله حتماً يصهر
ستدوسك الأقدام دوس حذائها لنجاسة الكلب البذيء تطهر
أتباع خير المرسلين حياتهم لنبيهم مرهونة تتفجر
يا اخوة الإسلام قال الهكم أنتم بها (الأعلون) لا من يكفر
ان مر هذا الاعتداء على النبي دون انتصار رادع لا يغفر
فغداً تكال المخزيات لديننا من كافريه والسكوت يبرر
قد قالها ملك البلاد (إمامنا) اثنان حاشا ان تسام ونصبر
دين أعز به الإله عباده وطن بهذا الدين لا يتغير
ولأمره بالسحب أعظم غضبة من مؤمن برسوله يتعطر
يا سيدي الهادي تجلك أنفس تأبى الخنوع عن الحياض تزمجر
وصلاة ربي والسلام على النبي خير البرية واللقاء الكوثر

هو الرحمة المهداة

جمال بن صالح الجارالله

مقامك من كل المقامات ارفع وسيفك من كل الصوارم أقطع
ووجهك نور والسجايا حميدة وقولك في كل الميادين أوقع
شمائلك المعروف والحلم والتقى وأخلاقك القرآن أصل وأفرع
محجتك البيضاء هدى ورحمة ومازاغ الاهالك...يتلعلع
لواؤك معقود على العزم والمضا وحوضك مورود فطوبى لمن دعوا
ويابؤس من ذيدوا عن الحوض يومها وقيل لهم بعداً فلا ثم موضع
....
أتيت وهذى الأرض بغي وظلمة فاشرق نور اذا طلعت يشعشع
وماقمر إلاك شع ضياؤه و مازال في ليل الملمات يسطع
تلألأ في كل النواحي فأشرقت به كل أرض بالهدى تتلفع
ونادى مناد في السماء مدوياً محمد من كل الخليقة أروع
هو الرحمة المهداة للناس كلهم ومافاز الا من لأحمد يتبع

" هو البحر من أي النواحي اتيته فلجته المعروف " والفضل أوسع
ترفع عن كل الدنايا و لم يزل وأصحابه عن كل غى ترفعوا
مقامك محمود تفردت سيداً ألست الذي يوم القيامة يشفع ؟
مقامك عال ياحبيبي وسيدي وتباً لمأفون أتانا يجعجع
....
وكافيك رب البيت من كل مفترٍ تنكب درب الخير للشر ينزع
وشانيك بالخسران باء صنيعه وليس له إلا جهنم مرتع
.....
تفديك كل المؤمنين نفوسهم وأرواحهم دون انتقاصك تنزع
ففي نصرة الهادى سمٌو وعزة ولو أجلب الباغون والناس أجمع
هنيئاً لكم يامن نصرتم نبيكم فسيروا على درب النبي وقاطعوا
وتباً لكل الخائنين نبيهم قلوبهم من حقدها تتقطع
....
ألا يا أخي الكفر حاذر فإنه محمدنا الهادي شفيع مشفع
فما نلت منه غير أن قلوبنا إذا أوذي المختار تغلى وتفزع
وأبشر بما يخزيك ياشر معتد على خير معصوم فقد حان مصرع
ومانال أسباب المعالي أرذال وهل يعتلى بين الخلائق ضفدع ؟
.....
أيا خاتم الرسل الكرام تحية نرددها عبر الزمان ونصـــــدع
عليك صلاة الله ياخير مرسل وياليتنا مع صفوة الخلق نجمع
تهون علينا أنفس ونفائس ولسنا لحق المرسلين نضيع
شعر الدكتور جمال بن صالح الجارالله
١٢ محرم ١٤٢٧

وعاد هدوئي بكـــل ضجـــر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بعد انقطاع طويل عن الكتابة لأسباب يعلمها الله وظروف خاصة
أتيت لأكتب هذه الأبيات رغم كل الظروف وضيق الوقت
في الذب عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وكلي أمل أن تحوز على بعض رضائكم..

خجلت الكلمات من صمتها في هذا الموقف

فنطقت رغم كل شيء ..!

وعاد هدوئي بكـــل ضجـــر وعادت حروفي بقلبٍ حجـــر

لأكتب وصفٍ لبعض البقـــر ويخضع شعري لسيد البشر

محمد رسولُ لنـــا يا غجـــر ويشهد بذالك حتى الشجـــر

افديه روحي وكـــل العمـــر واهديه قلبي وحتى البصـــر

وتطغون في وصفه بالصور ولا تؤمنون بحكـــم القـــدر

فمن عاد منكم لكي يعتـــذر لأجل الحياة ومـــالٍ خســـر

ومن كان بالمصطفى قد كفر فقد جاء بالفسق شيء نكـــر

فأين المصير وأيـــن المقـــر ويومُ الأذانُ سيصلى سقـــر

يزمجر صمتي يثور القهـــر بما يفعل الجاهلـــون البقـــر

فعذراً حبيبي إليـــك العـــذر رسول الإله شفيـــع البشـــر

فهبو وذبو لهـــادي البشـــر وصلو عليه بطـــول الدهـــر

يا صاحب الدنمرك

أ. د. ظافر بن علي القرني

تأتـــي إلى خير البـــريَّـــة كلِّـــها فتـــعيبه أومـــا تخيبُ وتخـــســـرُ

هـــذا رســـول الله خيـــرُ معـــلّمٍ ومـــؤدّبٍ فبـــأيٍّ أمـــرٍ تســـخـــرُ

هذا الّذي دحـــر الرَّذيـــلة بعـــدما أضحت تزمجـــرُ في البلاد وتزأرُ

هذا الذي نشـــر الفضـــيلةَ بعـــدما طويـــت فما عـــادت لعينٍ تظهرُ

يا صـــاحب الدنمرك دونـــك هذه كتبُ الفضائل بالمعـــارف تزخر

فيها مقال المصطـــفى فاقـــرأ (م) تنـــوَّرْ أيُّـــها المتكبِّـــر المتعـــثِّر

أولســـتَ تعلـــمُ أنَّ أصل العلم (م) درسٌ من معينٍ يُســـتـــفاد ويؤثرُ

أومـــا يقـــول معلمـــوك: على (م) القراءة يســـتقيم العـــالِمُ المتحضِّرُ

اقـــرأ أو اقعـــد جاهـــلاً متحـــدِّثًا بالتّرهـــات ولا بشـــيءٍ تظـــفرُ

اقرأ وقـــل بعـــد القراءة ما تشـــا إنَّـــا نحكِّـــمُ كلَّ رشـــــدٍ يثـــمرُ

أمَّا التَّحبّث في المقال فشـــيمة (م) الخبثاء في الأفعـــال مهما تســـترُ

إنَّا بأفضـــل منهجٍ في الأرض (م) نحمد من حبانا الصالحات ونشكرُ

الله جلَّ جلاله الفـــرد المجيــد (م) يذل ربُّك مــن يشـــاء وينصـــرُ

هو ربنا ذو الطول والجبروت (م) والمكر الشـــديد بمن يخون ويمكرُ

القـــاهر الصَّمد المهيمن والعزيز (م) الواحـــد المتفـــضـــل المتـــكبِّرُ

من حارب المِلِكَ العظيمَ تعاظمت نكبـــاتـــه وإلى جـــهنَّـــم يحشـــرُ

يـــا ســيد الثّـــقلين بـــارت أُمَّـــةٌ كانت بما أُمِـــرتْ تقـــوم وتـــأمرُ

حتَّى إذا حمي الوطيس تقاعســـت علـــنًا فبـــاتت تُـــســـتباح وتُنـــحرُ

اليـــوم صحَّ العزم بعـــد الهزم (م) ماذا بعد نرقب في الحيـــاة وننظرُ

ها نحن نكتب مـــا علمنا منك (م) قدر الجهـــد في كلِّ البقاع وننشرُ

ونُزيِّن الشَّبكات بالذّكر الحكيم (م) فتبصـــر الدُّنيا بـــها مـــا نســـطرُ

نهـــدي عبـــاد الله للرِّشـــد الذي عمـــر القلوب وغيـــر ذلك يعمـــرُ

مـــن مكّة البلد الحرامِ أتى الهدى ونـــما النَّـــدى فتيسَّـــر المتعسِّـــرُ

منـــها نؤم النَّاس بالحسنى إلى (م) الحســـنى ونصدع بالفلاح ونجهرُ

ونقول والنَّرويج كالدّنـــمرك من يهجـــوك يـــا خـــير البريّة يُكسرُ

يارسول الله عذرا

محمد محمود أحمد

يارسول الله عذراً .. قالت الدنمارك كفراً

قد أساؤا حين زادوا .. في رصيد الكفر ُفجراً

حاكها الأوباش ليلاً .. واستحلوا القدح جهراً

حاولوا النيل ولكن .. قد جنوا ذلاً وخسراً

كيف للنملة ترجو .. أن تطال النجم قدراً

هل يعيب الطهر قذفٌ .. ممن استرضع خمراً

دولة نصفها شاذٌ .. ولقيطٌ جاء عهراً

آهٍ لو عرفوك حقاً .. لاستهاموا فيك دهراً

سيرة المختار نورٌ .. كيف لو يدرون سطراً

لو دروا من أنت يوماً .. لاستزادوا منك غمراً

قطرةٌ منك فيوضٌ . تستحق العمر شكراً

يارسول الله نحري .. دون نحرك .. أنت أحرى

أنت في الأضلاع حيٌ .. لم تمت والناس تترى

حبك الوردي يسري .. في حنايا النفس نهراً
أنت لم تحتج دفاعي . أنت فوق الناس ذكراً
سيد للمرســــــلينا .. رحمة جاءت وبشرى
قدوة للعــــــــالمينا .. لو حبت لم نجن خيراً
يارسول الله عذراً .. قومنا للصمت أسرى
ندد المغوار منهم .. وسواد الناس سكرى
أي شيءٍ قد دهاهم .. مالهم يحنون ظهراً
لم يعد للصمت معنىً .. قد رأيت الصمت وزرا
ملت الأسياف غمداً .. ترتجي الآساد ثأراً
إن حيينا بهوان .. كان جوف الأرض خيراً
يؤلم الأحرار سبٌّ .. لرسول الله ظُهراً
ويزيد الجرح أنّا .. نسكب الآلام شعراً
فمتى نقذف ناراً .. تدحر الأوغاد دحراً
يا جموع الكفر مهلاً .. إن بعد العسر يسراً
****

إِلاَّ رَسُوْلَ اللهِ..

الشاعر عيسى جرابا

أَشْرَقْتَ مِنْ قَلْبَ الدُّجَى فَتَبَدَّدَا   وَهَطَلْتَ فَانْتَعَشَ اليَبَابُ وَغَرَّدَا
وَسَرَيْتَ تَمْنَحُ كُلَّ بَارِقَةٍ فَماً   يَفْتَرُّ بِالبُشْرَى وَيَرْسُمُ مَوْلِدَا
أَسْرَجْتَ خَيْلَ الــحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِلا   كَلَلٍ تَدُكُّ مِنَ الضَّلالِ مُشَيَّدَا
وَتَلَوْتَ آيَ الذِّكْرِ لَحْناً خَالِداً   مُتَرَقْرِقاً مَا ضَلَّ فِيْهِ مَنِ اهْتَدَى
وَلَوَيْتَ أَعْنَاقَ الــهَوَى فَتَصَاغَرَتْ   ذُلاًّ وَمَا أَحْنَتْ لِغَيْرِكَ سَيِّدَا
وَتَفَتَّقَتْ هِمَمٌ رَوَيْتَ غِرَاسَهَا   بِيَدَيْكَ جَاوَرَتِ النُّجُوْمَ تَفَرُّدَا
وَسَرَتْ قَوَافِلُ مِنْ ضِيَاءٍ أَلْــهَبَتْ   ظَهْرَ الطَّرِيْقِ تَأَلُّقاً وَتَوَقُّدَا
تَقْفُو خُطَاكَ وَتَسْتَنِيْرُ بِحِكْمَةٍ   أَسْدَيْتَهَا هَدْياً فَصَارَ لَهَا حُدَا
وَسَمَتْ كَمَا لَوْ لَمْ تَكُنْ طِيْناً وَمَا   أَسْمَاهُ يَعْصِفُ بِالــهَوَى مُتَمَرِّدَا!
فَتَلأْلأَتْ رَغْمَ الدُّجَى كَكَوَاكِبٍ   أَنَّى لَهَا تَخْبُو وَأَنْتَ لَهَا مَدَى؟!
يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ مُهْجَةُ أَحْرُفِي   ثَارَتْ فِدَىً فَرَأَتْكَ أَعْظَمَ مُفْتَدَى
وَافَتْكَ خَجْلَى كَيْفَ لا وَأَمَامَهَا   خَيْرُ البَرِيَّةِ رَحْمَةً وَتَوَدُّدَا؟

رَكَضَتْ تَذُوْدُ وَلِلصَّفَاقَةِ أَلْسُنٌ نَفَثَتْ سُمُوْمَ الكُفْرِ حِقْداً أَسْوَدَا
بَاتَتْ تُشِيْرُ إِلَيْكَ أَطْمَعَهَا تَخَا ذُلُ أُمَّةٍ مِلْيَارُهَا يَهْذِي سُدَى
إِلاَّ رَسُوْلَ اللهِ مَا أَعْرَاضُنَا وَدِمَاؤُنَا أَلاَّ تَكُوْنَ لَهُ فِدَى؟!
بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ دُوْنَكَ مُهْجَتِي فِي صَدْرِ مَنْ سَلَقُوْكَ أَغْرِسُهَا مُدَى
تَاللهِ مَا عَرَفُوْكَ إِلاَّ رَوْضَةً غَنَّا تَطِيْبُ جَنَىً وَتَعْذُبُ مَوْرِدَا
لَكِنَّهُ كِبْرُ الطُّغَاةِ فَمَا بِهِ مِنْ مُبْصِرٍ إِلاَّ وَأَصْبَحَ أَرْمَدَا
يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ كَمْ قَلْبٍ يَئِــ ـــنُّ أَسَىً! وَكَمْ طَرْفٍ يَبِيْتُ iiمُسَهَّدَا!
وَالنَّاعِقُوْنَ فَمٌ مَرِيْضٌ مُتْرَعٌ زَيْفاً كَأَعْمَى بَاتَ يَرْجُو مُقْعَدَا
خَاضُوا كَمَا بِالإِفْكِ خَاضَتْ عُصْبَةٌ مِنْ قَبْلُ وَاتَّخَذَتْ هَوَاهَا مِقْوَدَا
فَإِذَا بِنُوْرِ الوَحْيِ يَكْشِفُ سَوْءَةَ الـ ـــأَفَّاكِ لِلدُّنْيَا وَيَصْدُقُ مَوْعِدَا
مَا أَنْقَصُوْكَ فَأَنْتَ أَنْتَ أَجَلُّ خَلْـ ـــقِ اللهِ مَنْزِلَةً وَأَكْمَلُ سُؤْدَدَا
يَكْفِيْكَ أَنَّ الــحَقَّ مِنْ عَيْنَيْكَ فَا ضَ سَنَاً فَأَتْهَمَ فِي القُلُوْبِ وَأَنْجَدَا
وَانْسَابَ فَاهْتَزَّ الوُجُوْدُ وَأَزْهَرَتْ آمَالُهُ وَبِغَيْرِ حُبِّكَ مَا شَدَا
أَيُلامُ صَبٌّ أَنْ تَسَاقَتْ لَوْعَةً عَيْنَاهُ غَصَّ بِهَا فَأَمْسَى مُجْهَدَا؟!
يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ حَسْبِي أَنَّنِي قَلْبٌ إِلَى لُقْيَاكَ ذَابَ تَوَجُّدَا
مَا لاحَ بَدْرُ التَّمِّ تَزْدَانُ السَّمَا ءُ بِنُوْرِهِ إِلاَّ ذَكَرْتُ مُحَمَّدَا
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا ارْتَفَعَ الأَذَا نُ عَلَى القِبَابِ وَبِاليَقِيْنِ تَرَدَّدَا
مَا صَارَ هَذَا الكَوْنُ كَالــخَبَرِ الــمُفِيْـــ ـــدِ وَتَمَّ إِلاَّ حِيْنَ كُنْتَ الــمُبْتَدَا

****

إلى الحبيب الأعظم

د. زاهر الحسن :

هم يحسبونَ وقد سكتُّ غَضوبا صمتي وجرحي ، يا حبيبُ، iiذنوبا
هم يزعمون بأننـــي لـــم iiأشتعـــلْ غضباً ، و لم أُشعِلْ فداكَ حروبـــا
هم يزعمون بأننـــي لـــم iiأرتحـــلْ شوقاً إليكَ ، ولـــم تـــكُ المحبوبـــا
هم يسلكون إلى رضاكَ iiدروبَهـــم وأنا أطير ومـــا سلكـــتُ iiدروبـــا
واللّهُ يعلم لو قسمـــتُ مشاعـــري بين القلـــوبِ لمـــا بقيـــنَ iiقلوبـــا

****

بأبي وأمي

رمضان عمر:

هذا المداد بمسك أحمد قد همى وازدان فيه مع النسيم مثالُ
أزهو به في رقة أشدو بها ليطيب في مدح الحبيب مقالُ
أقفو به كعب الأوائل ليتني كنت الذي آبت به الآمالُ
فتصيبني بعض الشفاعة حينها فأكون أسعد من حوته رمالُ
أفديك يا خير الخلائق كلها إن شط قوم أو بغى الدجالُ
بأبي وأمي كيف لا أفديك إذ بدأ القتال ودقت الأطبالُ
وتطاولت عصب الكلاب وأنفث من كل سم ناقع ريغالُ
قد زاد حد الحد حتى لم يعد يجدي مع الفعل الشنيع جدالُ
وتمرد الأزلام حتى أثخنوا طعنًا وكيدًا والحروب سجالُ
كذبوا ولو صدقوا لقالوا: إنه سحر الوجود فلن يعاب كمالُ!
خير البرية رغم أنف أنوفهم حاشا لمثلك أن يسيء مقالُ
فالقول دونك في المديح وإن علا ولشسع نعلك تسقط الأقوالُ
فليخسئوا، ولبئس ما جاءت به صفر الوجوه الخسة الأنذالُ
الراتعون مع الشياه كأنما شاهت وجوه الغرب فهي سمالُ
القاصرون عن الفضائل ما ارعووا واللؤم فيهم شيمة وخصالُ
شر البرية يا أشر خليقة خجلت لمثل فعالهن بغالُ
أحضارة الدجل السخيف أهكذا تؤتى المكارم؟! بئسما الأفعالُ
أخزى الذي سمك السماء بناءكم يا أيها السفهاء والأنذالُ
أحلام هرطقة، وخسة قاصر رَسَمَ الحقيرُ وشَبَّه المحتالُ
لا ليس في رسم الخسيس بلاغة إن البلاغة في الحبيب تقالُ
فهو الكريم إذا الكرام تعاظمت عند الزحام، وعزت الأحمالُ
وهو الفصيح إذا الفصاحة أينعت سالت بعذب حديثه الأقوالُ
فبذكره كان الغدو رياضنا ومع الغدو تمازجت آصالُ
وبمدحه مهج القلوب ترنمت وتراقصت طربًا له الأوصالُ
يا أيها المختار حسبك رتبة مهما تعملق لم يصلك خيالُ
فالكل خلفك واجمون كأنهم كبتوا تشد وجومهم أحبالُ
خيرت بين الخمر واللبن الذي فطرت عليه من الورى الأجيالُ
فاخترت فطرة أمة لّما تزل خير القرون فتية تختالُ
وبنيت للإسلام صرحًا شامخًا طال السماء، فكيف ذاك يزالُ

أضحت به بغداد نجمة عصرها ضاءت إذا غرب الجنوب شمالُ
ومشى السحاب لكي يفارق iiأرضها فمشت توازي ظله الأجيالُ
وتتابع العلماء حتى أزبدت سوح البطاح فحملهن ثقالُ
ذاك ابن سينا والفرابيُّ الذي لو زِين زانت عُشْرُهُ الأثقالُ
ولدحية الكلبي إذ بسطت له شم القياصر كبرها الأمثالُ
لغسلت دون الكعب، لو سنحت iiلنا لقيا الأمين وفي اللقاء جمالُ
أقرئ نبيك يا دحية أنه حان الزمان وملكنا سيزالُ
سيزول ليل الظلم حتى تنضوي كل المكائد تختفي الأدغالُ
ويعم كل الكون عدل محمد ويذوب بغي ينتهي الأهوالُ
يا أمة المليار هل من عضبة نذكي النفوس كأنها المرجالُ
تجتث شأفة حاقد من أصله حتى يثوب مع الردى الدجالُ
فالصافنات من الجياد على الذرى قد أسرجت، وتقدّم الخيالُ
والعاديات الضبح تبرق في iiالدجا والموريات القدح والأجمالُ
يا سيدي ما إن رموك بسهمهم حتى تدافع للوغى الأبطالُ
وتعالت الرايات تعلن زحفها للنصر يعلو فوقهن هلالُ
من قبة الإسراء تغزل عزمها أتذود بالعزم الفتي نِصالُ
وتريق من دمها الزكي جداولاً نعم الدماء فداك حين تُسالُ
دقت به جند الحماس حصونهم فمشى النعي يقوده الإعوالُ
والسمهري بها يغذ خطوطه فهوت عروشٌ حُطمت أغلالُ
وتقهقر الأسطول أسطول الخنا والبُش يصرخ أن هلمَّ تعالوا
وتناقص الشيطان لا يلوي إلى ما قد دعا وتقطعت أحبالُ
وتشرذموا فرقًا تجر خيولهم أذيال نكستهم، وآل مآلُ
لا تفرحوا.. أما فطنتم أنما سنجزّ رأسًا لن يطول نزالُ
ويباع في سوق النخاسة بشكم حتى تدوس جبينه الأطفالُ
يا أيها الغرب الكسيح رويدكم إن المعامع حملهن ثقالُ
ولنا خلقن ولن تسار لغيرنا تلك المكارم أيها الجهالُ
إنا قدحنا بالحماس نفوسنا فاستنفرت شررًا بنا الأوصالُ
وتضاعفت أحقادنا حتى إذا حمي الوطيس أتاكم الزلزالُ
سنهز عرش الكفر نكسر أنفه هذي الجموع يقودها الرئبالُ

هذي الجموع تدافعت نحو iiالردى   تفدي الحبيب نفوسها والمالُ
سنغيّر التاريخ نصلح أمره   حتى تعود لهديها الأجيالُ
وندق روما ثم نزوي بعدها   كل المدائن لن يدوم ضلالُ
وعد النبي فكيف يخلف وعده   كل الوعود مع النبي تُنالُ
هذه حقائق هدينا نسمو بها   نحن الأشاوس نسوة ورجالُ
مهما بطشتم يا قساوسة الفنا   فالحرب كرّ تارة وسجالُ
والحرب شم خيارنا إنا لها   نحن الألى مهروا الوعى الأبطالُ
نحن الألى باعوا النفوس لربها   فهو الذي قضيت به الآجالُ
فالموت إما أن يجيء فمرحبا   يا موت حيّ ففي المنون منالُ
فهو الطريق إلى لقاء محمد   ولقاء احمد بغية آمالُ

****

حدّثْ صديقي عن جمال محمدٍ

د.عبد المعطي الدالاتي:

هاتِ الحديثَ مِزاجُه الأشواقُ   وصِفِ الحبيبَ فكلُّنا توّاقُ
هوى الحروفَ تعطّرتْ iiأردانُها   بشذا الأحبةِ .. والهوى iiأذواقُ
فغدا يُحدّثُ عن جلال iiالمصطفى   فتوضأتْ بدمــــوعها الأحداقُ
يَحكي بشوقٍ عن جمال محمدٍ   أحلى اللُّغى ما قالتِ الأشواقُ
عن قلبه ،عن حبه ،عن لطفهِ   عن كل ما قد جادتِ الأخلاقُ
تحيا بذكر محمدٍ ترنيمةٌ   في القلب تسري والهوى خفّاقُ
طوبى لمن عن نهجهِ لم iiيَغفلوا   يوماً، وذاقوا في الهوى ما iiذاقوا
طوبى لمن في دربهِ قد iiأوْغلوا   ناموا على أحلامهم وأفاقوا
ساروا إليه تحثهم آمالُهم   وأنا الأسيرُ، فهل يُفكُّ iiوثاقُ؟!
طالتْ وطالتْ غربتي يا iiإخوتي   وحبيبُ قلبي دونه الآفاقُ
طال الطريقُ فكيف أبدأ iiرحلتي   وأنا الضعيفُ وما لديَّ بُراقُ ii؟!
لا تُطرقي يا نفسُ هيّا فاذهبي   وتحسّسي.. لا ينفعُ الإطراقُ
يا نفسُ جِدّي إنْ يشأْ ربُّ الورى   لا يلبثِ الأحبابُ أن يتلاقوا

****

ذاك رسول الله محمد

محمد بن حسن أحمد النعمي

alnuami_ya@yahoo.com

هذا رسولُ الله محمدْ = معتصمٌ بالله مؤيَّدْ

كان أميناً كان رحيماً = أفضلُ خلقِ الله محمدْ

جاء بشيراً جاء نذيراً = يدعو الناس لربٍ أوحدْ

بلّغ دينَ الله إلينا = وعلى ذلك إني أشهدْ

ودعا سراً ودعا جهراً = للحقِ الواضحِ قد أرشدْ

حاربَ جيشَ الكفرِ بحزمٍ = ومحا كلَّ الظلمِ وبدَّدْ

من فقرٍ أبداً لا يخشى = بل يُعطي عطاءً لا ينفدْ

لم يشبع من خبزِ شعيرٍ = قد عاشَ كفافاً وتزهَّدْ

وهلالٌ من بعد هلالٍ = في بيتهِ نارٌ لا تُوقدْ

رباه ارزقني طاعته = بالرحمةِ رباه تغمَّدْ

واحشرني في الجنةِ معه = أكرمْني بشفاعةِ أحمدْ

ذاك رسولُ الله إلينا = ذاك رسولُ الله محمدْ

****

َصْرُ الُمخْتار ودَحْر الفُجَّار!

يوسف مسعود قطب حبيب :ن

نَبحتْ شِرَارُ الخَلْقِ تَقْذِفُ بالتُّهَمْ — لِتَعِيبَ مَنْ أَرْسَى المَبادِئَ والقِيَمْ

أيْنَ النُّباحُ وإن تَكاثَرَ أَهْلُهُ — مِنْ نَيْلِ بَدْرٍ قَدْ سَما فَوْقَ القممْ

أو نَيْلِ نَجْمٍ ساطِعٍ يَهْدِي الوَرَى — سَعِدَتْ بِه وَبِنُورِهِ كُلُّ الأُمَمْ

جَادَ الكَرِيمُ بِهِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ — فَتَحَ القُلوبَ بِهِ وأَحْيا مِنْ عَدَمْ

قَدْ تَمَّمَ الأَخْلاقَ بَعْدَ ضَياعِها — وَشَفَى العَلِيلَ بِهِ وأَبْرَأَ من سَقَمْ

بالعَدْلِ وَالإِحْسانِ قامَتْ شِرْعَةٌ — والفُحْشُ والبَغْيُ البَغيضُ قَد انْهَدَمْ

فَغَدا ظَلامُ الكَوْنِ صُبْحاً مُشْرِقا — لَمّا اسْتَضاءَ بنورِ أحْمَدَ وابْتَسَمْ

سَحّاءُ كَفُّ مُحَمَّدٍ بِعَطائِها — كَالْغَيْثِ عِنْدَ عُمُومِهِ لا بَلْ أَعَمْ

مَن ذا يُطاوِلُ رَحْمَةً فِي قَلْبِهِ — مَنْ ذا يُبارِي فِي السَّماحَةِ iiوالكَرَمْ؟

فَلْتَسأَلِ الثِّقلينِ عَنْ أخلاقِهِ — بَلْ سائِلِ الطيرَ المُحَلِّقَ بالقِمَمْ

مَنْ صاحَ بالأصحابِ رُدّوا فَرْخَهَ — كَيْ يَسْعَدَ العُشُّ الحزينُ وَيَلْتَئِمْ

بَلْ سائِلِ الجَمَلَ الْبَهِيمَ إذِ اشْتَكَى — لِمُحَمَّدٍ بدمُوعِهِ مُرَّ الأَلَمْ

فَوَعَى الخِطابَ وقامَ يُعْلِنُ غاضِبًا — لا يَرْحَمُ الرحمنُ إلا مَن رَحِمْ

وَعَفا عَنِ الخَصْمِ اللّدودِ وَسَيْفُهُ بيَمينِهِ، وَالخصْمُ قَدْ ألْقَى السَّلَمْ
هَلاّ رَأيتمْ مِثلَ عَفْوِ محمدٍ عَنْ أهلِ مكةَ عَبرَ تاريخِ الأُمَمْ؟

****

يا جاحِداً لِلْحَقِّ هل بدِيارِكُمْ لم يَبْقَ ذِكْرٌ لَلْعَدالةِ أو عَلَمْ؟!
هلاّ أقَمْتَ لِما افْتَرَيْتَ دَليلَهُ إنَّ الدَّليلَ لِكُلِّ قَوْلٍ يُلْتَزَمْ
هَلْ يَقْتُلُ الُمخْتارُ شَيْخاً فانيًا هَلْ يَقْبَلُ الُمخْتارُ نَقْضاً لِلذِّمَمْ؟!
هَلْ مَثَّلَ المختارُ أو قَتَلَ النِّسا هَلْ أَهْلَكَ الُمخْتارُ شَعباً وانتقَمْ؟!
فَهُوَ الطَّبيبُ بحَرْبِهِ وبِسَلْمِهِ يَجْتَثُّ أسْبابَ الشِّكَايَةِ والسّقَمْ
فيُزيلُ أنظمةً تُجَرِّعُ شَعْبَها كَأْسَ الَمذَلَّةِ والعِبادَةِ لِلصَّنَمْ
كَيْ يُشْرِقَ التَّوْحِيدُ فِي أرْجائِها ولِيَشْكُرَ الَمخْلوقُ مَنْ أسْدَى النِّعَمْ
هذا جهادُ نَبِيِّنا وَمُرَادُهُ فاذْكُرْ مَقاصِدَ حَرْبِكُمْ كُلَّ الأُمَمْ
ولْتَسْألِ (الْبوسْنا) تُجبْكَ نساؤها الثــ ـــثَكْلَى وَقَبْرٌ جامِعٌ وبِحارُ دَمْ
بَلْ سائلِ (الشّيشانَ) مَنْ أَوْرَى iiبها ناراً أحَاطتْ بالسّهولِ وبالقِمَمْ؟!
والمسجدُ الأقصى يَئِنُّ بجُرْحِهِ بَيْنَ الجماجمِ سائلاً: أينَ القِيَمْ؟!
مَنْ أجَّجَ الحَرْبَيْنِ فتكا بالوَرَى أمُحَمَّدٌ أمْ هُمْ أساطِينُ الْعَجَمْ؟!
****

طال ابتهالُ المصطفى

د.عبد المعطي الدالاتي:

الأرض تضرع iiللسماءْ صحراؤها من غير iiماءْ
والجاهليةُ عربدتْ ظلماً ، وسفكاً للدماء!
عبدوا الحجارَ وأفسدوا ظلموا الصغارَ مع النساءْ
أخنى الظلامُ عليهمُ والجهلُ خيّمَ و الغباءْ
هل رحمةٌ وهدايةٌ تمحو ظلام الأشقياء ؟
هل من نبيٍ مرسلٍ ؟ طال انتظارُ الأنبياءْ
ومحمدٌ .. لهفي لهُ لهفي لنجوى الأنقياءْ
متوحدٌ في غاره يرنو إلى جهة السماءْ
يدعو و يسأل ربَّه بالحب يدعو والرجاءْ
طال ابتهالُ المصطفى أمّن يجيب له الدعاءْ ii؟

ما لِلحجاز تفجرّت فيها ينابيع العطاءْ!
هاقد أطلّتْ زمزمٌ والوحيُ يهبط في iiحراءْ
والمصطفى حاز iiالهدى والله يعطي من يشاءْ
****

في زمن الردة والبهتان

فاروق جويدة كتب فاروق جويدة قصيدة معبرة أيما تعبير أيام الإساءة التي وجهها سلمان رشدي إلى الإسلام والمسلمين في كتابه "آيات شيطانية" فقال:

في زمن الردة والبهتان
اكتب ما شئت ولا تخجل فالكفر مباح
ضع ألف صليب وصليب فوق القرآن
وارجم آيات الله ومزقها في كل لسان
لا تخش الله ولا تطلب صفح الرحمن
فزمان الردة نعرفه.. زمن العصيان بلا غفران
إن ضل القلب فلا تعجب أن يسكن فيه الشيطان
لا تخش خيول أبي بكر.. أجهضها جبن الفرسان
وبلال الصامت فوق المسجد.. أسكته سيف السجان
أتراه يؤذن بين الناس بلا استئذان؟!
أتراه يرتل باسم الله ولا يخشى بطش الكهان
فاكتب ما شئت ولا تخجل.. فالكل مهان
واكفر ما شئت ولا تسأل فالكل جبان
الأزهر يبكي أمجادًا ويعيد حكايا ما قد كان
والكعبة تصرخ في صمت بين القضبان
والشعب القابع في خوف ينتظر العفو من السلطان
والناس تهرول في الطرقات يطاردها عبث الفئران
والباب العالي يحرسه بطش الطغيان
أيام الأنس وبهجتها والكأس الراقص والغلمان
والمال الضائع في الحانات يسيل على أيدي الندمان
فالباب العالي ماخور يسكنه السفلة والصبيان
يحميه السارق والمأجور ويحكمه سرب الغربان

جلاد يعبث بالأديان وآخر يمتهن الإنسان

والكل يصلي للطغيان.. أسالك بربك يا سلمان:

هل تجرؤ أن تكسر يومًا أحد الصلبان؟!

أن تسخر يومًا من عيسى أو تلقي مريم في النيران!!

ما بين صليب.. وصليب أحرقت جميع الأديان

فاكتب ما شئت ولا تخجل فالكل مهان

خبرني يومًا.. حين تفيق من الهذيان: هل هذا حق الفنان؟!

أن تشعل حقدك في الإنجيل وتغرس سمك في القرآن!!

أن ترجم موسى أو عيسى أو تسجن مريم في القضبان!!

أن يغدو المعبد والقداس وبيت الله مجالس لهو للرهبان؟!

أن يسكر عيسى في البارات ويرقص موسى للغلمان

هل هذا حق الفنان؟!

أن تحرق دينًا في الحانات، لتبني مجدك بالبهتان؟!

أن تجعل ماء النهر سمومًا تسري في الأبدان؟!

لن يشرق ضوء من قلب لا يعرف طعم الإيمان

لن يبقى شيء من قلم يسفك حرمات الإنسان

فاكفر ما شئت ولا تخجل ميعادك آتٍ يا سلمان

دع باب المسجد يا زنديق.. وقم واسكر بين الأوثان

سيجيئك صوت أبي بكر ويصيح بخالد: قم واقطع رأس الشيطان

فمحمد باقٍ ما بقيت دنيا الرحمن

وسيعلو صوت الله.. ولو كرهوا في كل زمان.. ومكان

****

كنا ولكن "كان" فعلٌ ناسخٌ

محب الفأل "سعد" ١٤٢٦/١٢/٢٤هـ

من مُبْـلــغٌ عنّـا بـأنّـا أمـةُ شَبَـهُ الـرجال ولا نطيق تكلّفـا

نحن اللذين تداعت الأقوام حــو ل قصـاعهم تبغي الثريد لتغرفا

كنّـا ولكن "كـان" فعلٌ نـاسـخٌ صرنا وصار الأمر حقًا مؤسفًا

نحيـا السبـات ولو تبدت يقظة كالحلم.. نجتر المآثر من قفـا

ورءوسنا من تحت مقصلة العدا تختـار في دعةٍ هدوء الأحنفـا

ونرى التمدن في الخنوع وكلمـــا قـــالوا هتفنا ذاك قـــولاً منصفـــًا

ونبـــرر الـــزلات وهي جريئـــة مقصودة التوجيـــه ليست في الخفا

حتى تطاول منهـــم الأقـــزام فـــي سفـــهٍ ونـــالوا قدسنا والمصحفـــا

وتجـــاوزوا من حقدهم في غيـــهم عرض الـــرسول تهكمـــًا وتعسفا

إعـــلامهم شـــنّ الضروس مؤيـــدٌ من حَبْـــرِهم ودعيّـــهم والأُسْـــقُفا

ولـــنـــا دويـــلات وأعلامٌ غـــزا كـــل الفضاء وكان طبـــلاً أجوفا

كالببغـــاء يقلـــد الأصوات فـــي بلـــهٍ وسخفٍ لا يحس وإن هفـــا

يتسابقـــون العهـــر في قنـــواتنا وصفوا الفضيلة والعفاف تخلفـــا

وإذا لـــدغنـــا من دعيٍّ فـــاجـــرٍ وهنوا وما احتملـــوا الدفـــاع تزلفا

وإذا هفـــــا أو مـــال أي مُبَـــلّـــغٍ ملئـــوا المنابـــر بالحديث تفلســـفـــًا

ورموا الجميـــع بفريـــة مقصـــودةٍ تصف التديـــن والحجـــاب تطرفـــًا

فـــإلام نـــرضى بـــالدنيـــةِ ننحنـــي والله أكـــرمنـــا بمن قـــد شـــرّفـــــا

دستـــورنـــا ونبينـــا ورســـالـــــةٌ للكـــون قاطبـــة وليس بهـــا جفـــــا

نحـــن الفـــدا لـــمحمـــدٍ إن رامـــه نجـــسٌ وإن زاد الهجـــوم وأسرفـــا

خيـــــر الأنـــام شهـــادة من ربـــه في محكم التنزيـــل صيغت أحـــرفًا

****

هذا رسول الله

سليم السالم

كذبوا وقالوا ماتَ فينا أحمدُ

.... كذبوا لعمر الله لا لن يهتدوا

هذا رسول الله شُلَّ لساننا

.... إن نحن لم ننطقْ و لم تضربْ يدُ

هذا رسول الله ملء فؤادنا

.... يا كـــــــون إنـــــّـــا دونه نستشهد

هذا رسول الله فينا هَدْيُهُ

.... نوران ملء الكون أين المرشدُ

هذا رسول الله في أطفالنا

.... ذكرٌ يجوب به النداءُ الخالدُ

هذا رسول الله هتف طفلتي

.... إن الأحبَّ من الوجود محمدُ

هذا رسول الله يا من يبتغي

.... عزا فذا عز منيع سيدُ

هذا رسول الله يا مليارنا

.... إنـــَّا لغير الله لا نُسْـــتَـــعْـــبَـــدُ

هذا رسول الله يا مليارنا

.... هُـــبُّـــوا بِجِدٍ تبّروا ما شيدوا

هذا رسول الله يا مليارنا

.... مَنْ مثله أحيا القلوب فيُحْمَدُ

هذا رسول الله يا مليارنا

.... قد شتتوكم آن أن تتوحدوا

هذا رسول الله يا مليارنا

.... ملَّـــت رقادكمُ يا قـــــــومُ وسائدُ

هذا رسول الله نحيا ذكره

.... نورًا مزيدًا لا يُمَلُّ يُخَـــلـــَّدُ

هذا رسول الله نفدي ذكره

.... بالمال بالأولاد ما بَـــقِـــيـــَّتْ يَـــــدُ

هذا رسول الله في كل الدنى

.... نجمٌ أضاء فيرتجيه الفرقدُ

هذا رسول الله رغم غبائهم

.... ما نيلَ منه بل الـــمُـــنالُ الأبعدُ

****

يحتاج لمراجعة

الفهرس العام

****

الباب الحادي عشر – مقالات وخطب حول ردود فعل المسلمين

أتسخرون من الحبيب صلى الله عليه وسلم ؟!!

الكاتب: عزة عبد الرحيم سليمان

قالوا سُحر . . قالوا تزوج وأنجب ... وضُرب وأذي ...أهذا نبي ؟!!

وهل كان نبي على غير هذا ؟!

(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (الذاريات : ٥٢)

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) (الرعد : ٣٨)

(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ) (الأنعام : ٣٤)

فهي شنشنة قديمة من يوم سار ركب الأنبياء بنور الله ، حين يعجز أهل الكفر عن نقض الرسالة يوجهون سهامهم لحاملي الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

والعجب العجاب الذي يأخذ بالألباب . أن أحدا ممن عاصروا النبي محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتكلم فيه بما يسوءه ... لم نسمع أن أحدا ممن عادوه كذَّبه ، أو أن أحدا رماه بالزنا والفحش ، أو أن أحدا قال عنه ما يقال اليوم .. أو شيئا منه .

مضى الجيل الذي عاصر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يشهد له بأنه الصادق الأمين ، ووقف اليهود له بكل طريق كي يسجلوا عليه خطئا يقدح في نبوته وما استطاعوا . بل أقروا رغما عنهم .. أنطقتهم فعاله .

أقول : كانت إحدى الأدلة على إثبات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي الاستدلال بأخلاقه قبل البعثة النبوية وبأحواله بين الناس ، وتدبر قول الله تعالى وهو يخاطب المكذبين لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) (سبأ : ٤٦)

(وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) (التكوير : ٢٢)

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (النجم : ٢)

يقول أهل العلم : عبّر بلفظ صاحبكم ولم يستخدم أي لفظ آخر ليقول لهم أنه هذا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي صحبتموه وعرفتموه معرفة الصاحب بصاحبة . فلا جنون ، ولا ضلال ، بل صادق أمين كما سميتموه .

يصوروه أسود أشعث أغبر أحول . وما كان هكذا ـ صلى الله عليه وسلم ـ

رأته أعرابية عجوز في الصحراء وهو مطارد تتبعه قريش ومن معها يوم الهجرة فقالت في وصفه ، وهي لا تعرفه : أبهى الناس وأجملهم من بعيد ، وأحسنهم من قريب غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود .

وصدق حسان :

أحسن منك لم تر قط عيني * * * وخير منك لم تلد النساء

خلقت مبرئا من كل عيب * * * كأنك قد خلقت كما تشاء

والسؤال : من أين أتى من يسخرون اليوم ويتهكمون على الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكلامهم هذا ؟

قوم لا يعرفون العربية ... ولا يحسنون قراءة القرآن .. وجل شهد له أعدائه قبل محبوه ... ومضى بخير سيرة عرفتها البشرية .

ثم يقولون كان نبيكم وكان . . .

من أين ؟؟

إنه الحسد ليس إلا .

هل جهلوا أوصاف نبينا . لا والله . فنبينا ولد في الشمس وعاش بين الناس ، وخبره موصول إلينا بأوثق الطرق وأوكدها . نعرف عنه كل شيء ... يعرف أحدنا عن محمد صلى الله عليه وسلم ما لا يعرفه عن أبيه .

فكيف تنكرون صفاته ؟.

تجاهُلا وَهْوَ عينُ الحاذِقِ الفَهِمِ *** لا تَعجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنكِرُهَا

ويُنكِرُ الفَمَ طعمَ الماءِ مِن سَقَمٍ *** قد تُنكِرُ العينُ ضَوْءَ الشمسِ مِن رَمَدٍ

مابي من طاقة للكلام عن أخلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوالله كلما هممت بالكتابة عن خلق رأيت أن كلمات تشينه لا تزينه ، وأن كلماتي أقل من أن تعبر عن أوصاف الحبيب ، ولكن دونكم الكتب . فقط أردت أن أبين لكل من يقرأ أن من يتكلمون عن الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما يغرفون من وعاهم ، ولا سند لهم ممن عاصروا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونبينا كل الكمال ، وجملة الجمال صلى الله عليه وسلم .

=====================

أخطر عقائد القرن

الكاتب: د. جمال الحسيني أبو فرحة

يؤمن كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين بعقيدة المسيح المنتظر إلا أن مسيح اليهود في عقيدتهم لم يولد بعد، أما مسيح المسيحيين والمسلمين فهو المسيح عيسى عليه السلام.

وهناك اختلافات كثيرة في صفات ذلك المنتظر الجسدية والنفسية والخلقية، وفي الدور الذي سيؤديه على الأرض، ليس بين أهل الأديان الثلاثة فقط ولكن بين أبناء كل دين كذلك، حتى ذهب بعض المسلمين والمسيحيين إلى القول بعدم نزوله عليه السلام ماديًا، وأولوا نزوله بغلبة روحه وروح تعاليمه في آخر الزمان من انتشار المحبة والتسامح والسلام – وإن كان في ذلك إيماءة إلى أن الإسلام لا يحتوي على تلك الروح وهو ما نأباه ونعجب من وقوع بعض علمائنا فيه- .

وعلى كل فليس في كل ما سبق خطورة كبرى ولكن الخطورة تتأتى من بعض الطوائف المسيحية المنتشرة في الغرب، والتي تدعمها إسرائيل وتروج لها بأشكال عديدة، حيث تؤمن بهذه العقيدة جاعلة للمسيح عليه السلام صفات لم تكن قط له من القسوة والغلظة ومحبة الدمار، زاعمة كذلك أنه عليه السلام إنما سينزل على اليهود فهم قومه، وسيحارب بهم العالم حربًا نووية من مكان في فلسطين يدعى "هرمجدّون" (أي : جبل مجدّون) يفنى فيها ثلثا البشر، ويعود العالم على إثرها إلى حالة بدائية كما كانت الحال بعد الطوفان واندثار مدنية ما قبل الطوفان.

وبعد المعركة يكبل الشيطان ويتوج المسيح ملكًا على العالم، ويبدأ الحكم الألفي للمسيح وفيه يعيش اليهود بعد اعترافهم بالمسيح في أورشليم حياة كاملة بلا ألم أو ضيق أو شر مدة ألف سنة هم وكل المسيحيين الذين آووهم أثناء شتاتهم الأخير وساعدوهم ووقفوا بجانب إقامة دولتهم في فلسطين لتكون محطة لابد منها لنزول المسيح عليه السلام.

وبناء على ذلك يؤمن هؤلاء بأن الله لا يريدهم أن يعملوا من أجل السلام وإنما يريد منهم الإعداد لهذه الحرب.

وبناء على ذلك أيضًا يؤمن هؤلاء بأن الوقوف في طريق قيام إسرائيل وتوسعها ولو حتى بنقضها هو وقوف في طريق إرادة الله التي قدرت جمع بني إسرائيل في فلسطين قبل نزول المسيح؛ وانطلاقًا من هذه العقيدة نجد على سبيل المثال:

- أن أمريكا تجعل نصيب إسرائيل من مساعداتها أكثر من نصيب بعض ولاياتها والتي هي في حجم إسرائيل.

- وأن فرنسا بلد الحرية والديمقراطية المزعومة يوافق برلمانها بأغلبية ٥٨% على قانون "جيسو فابيوس" الذي يعطي لليهود حقوقًا فوق سائر البشر حتى الفرنسيين أنفسهم؛ حيث ينص على حرية الفكر والبحث والنقد في تاريخ كافة الأمم وفي كافة

العقائد حتى وإن أنكر الباحث وجود الله تعالى . أما إن تعلق البحث بالنقد لأي من الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل – مهما كانت الأدلة – فيعاقب الباحث بالسجن والغرامة؛ ومن هنا جرت المحاكمة الشهيرة للمفكر الفرنسي "جارودي" لمخالفته لهذا القانون الذي وصفه وزير العدل آنذاك، والرئيس الفرنسي " جاك شيراك " – عمدة باريس وقتئذ – بأنه وصمة عار على جبين فرنسا؛ هذا قليل من كثير لا يتسع المقام إلا للتمثيل له.

ونحن نقول لهؤلاء:

إن المسيح عليه السلام لم يكن ولن يكون ذلك الفظ المدمر قط ؛ فهذا مسيح لا يعرفه الكتاب المقدس الذي تؤمنون به؛ إن المسيح الذي يعرفه الكتاب المقدس مسيح رحمة وسلام، إنه المسيح الذي يقول يوحنا على لسانه: "سلامًا أترك لكم سلامي أعطيكم" يوحنا ١٤: ٢٧ .. والذي يقول متى على لسانه : "أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم........لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم" متى : ٥: ٤٤-٤٨ .

ونقول لهم كذلك : إن اليهود قد رفضهم الله ولعنهم للأبد ولا يمكن أن ينزل المسيح على هؤلاء الملاعين؛ يقول الرب عن بني إسرائيل وفي كتابهم الذي يؤمنون به "هأنذا أنساكم نسيانًا وأرفضكم من أمام وجهي .....وأجعل عليكم عارًا أبديًا وخزيًا أبديًا لا ينسى" إرميا : ٢٣: ٣٩: ٤٠ .. وهو ما يؤكده المسيح عليه السلام بقوله لبني إسرائيل: "إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثمره" متى : ٢١: ٤٣ .

وأما قول أصحاب هذه العقيدة بأن الوقوف في طريق إقامة إسرائيل هو وقوف أمام إرادة الله فهو منطق مخادع؛ يخلط بين إرادته تعالى وأمره؛ والنبوءة بالشر لا تعني تحريم مقاومة وقوعه، ولا تدعو للاستسلام له وتشجيعه في أي عقل وفي أي دين؛ فعلمنا بأننا بشر والموت قدرنا، لا يعني تحريم مقاومتنا للموت بالتداوي وتجنب المخاطر وكافة السبل.

أضف إلى ذلك أن ما يقال عنه إنه "مقاومة للقدر" هو في الحقيقة جزء من القدر فكل ما يبرز إلى الوجود قد سبق به القدر، ولا يجوز أن نسمي جزءًا من القدر "قدرًا" وجزءًا "مقاومة القدر" فالقدر لا يقاوم " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" الأعراف : ٣٤ . . وسيحاسب الإنسان على عمله خيرًا كان أو شرًا، ولن يقبل الله احتجاج محتج بالقدر.

د. جمال الحسيني أبو فرحة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

gamalabufarha@yahoo.com

==================

أريد أن أقول ثورة الغضب الإسلامية

رضا محمد لاري

واعلن الفاتيكان أن الحرية لا تعطي الحق في إهانة المعتقدات الدينية، وأكد الحاخام الأكبر في فرنسا جوزيف سيتروك انه يعارض مهاجمة الاديان، وتقف الجالية اليهودية في تركيا ضد التطاول على الانبياء.

تطاولت صحيفة بلاندس بوستن الدينماركية في شهر سبتمبر من العام الماضي ٢٠٠٥م، على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم باثني عشر رسماً كاريكاتورياً تحت مظلة مسابقة بين راسمي الكاريكاتور في كوبنهاجن. ليس غريباً أن تقام هذه المسابقة في بلد، ملكتها مارجريت الثانية «طرطورة» لأنها تملك ولا تحكم، واعلنت عن معادتها للإسلام بدون سبب، وعن كرهها للمسلمين بدون مبرر، وصرحت لصحيفة الديلي تلجراف اللندنية في شهر ابريل من العام الماضي ٢٠٠٥م، بقولها «إن الإسلام يتحدانا محلياً وعالمياً، وكنا في الماضي متسامحين وكسلانين في الرد على هذا التحدي لفترة زمنية طويلة وقد حان الوقت للوقوف بكل قوة ضد الإسلام بمعارضة أحكامه وان استلزم الأمر بمحاربته في داخل وطننا وفي كل مكان بالأرض لأنه عدو لدود لنا.

رفض رئيس الوزارة الدينماركي اندريه فوج راسموسن مقابلة سفراء الدول الإسلامية المعتمدين في بلده عن ظهور كارثة الكاريكاتور بحجة لا شأن للحكومة في ما تنشره الصحف، غير انه اضطر إلى مقابلتهم لمواجهة الخسارة الفادحة التي نزلت على الدينمارك ووصلت إلى ٢ مليار يورو من بداية المقاطعة إلى الآن، ومن المتوقع أن تصل إلى ٣٩ مليار يورو، لو استمرت المقاطعة الإسلامية لستة أشهر قادمة، وكلما زادت مدة المقاطعة تضاعفت الخسارة التي تنزل بالدينمارك، لأن سدس سكان الأرض ١٥٠٠ مليون نسمة يقاطعونها، ولكن وزير الخارجية الدينماركي بير ستيج مولر أخبر سفراء الدول الإسلامية بأن رئيس الوزارة لن يعتذر عن ما بدر من الصحيفة لأن بلادهم تتمتع بالديمقراطية التي تعطي الصحف التمتع بحرية التعبير عن آرائهم بدون قيود أو حدود، وفي ظل هذه الديمقراطية يقوم التسامح بين الاديان والاحترام بين الحضارات نهجت النرويج المسلك الدينماركي وسارعت إلى إعادة نشر الاثني عشر كاريكاتورياً بإحدى صحفها الصادرة في أوسلو، وبرر هذا التعاطف بين مجموعة الدول الاسكندافية على احترام الحريات والالتزام بالديمقراطية، وهدفهم الحقيقي من ذلك تعدد الدول التي نشرت الكاريكاتورات وتتضح هذه المؤامرة من تتابع الدول غير الاسكندافية في نشرها حتى يتعذر على المسلمين مقاطعة منتجات دول العالم، ولكن المقاطعة الشعبية الإسلامية اخذت تتسع لتشمل منتجات كل الدول التي تتطاول على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قامت صحيفة لابدانيا الايطالية لسان حال حزب عصبة الشمال الايطالي بتقديم رسوم كاريكاتورية جديدة مسيئة إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكتف حزب عصبة الشمال الايطالي المتطرف بما نشرته صحيفة لابدانيا وانما تظاهر اعضاء من الحزب بقيادة الوزير المتشدد روبيرتو كالديروني وعضو البرلمان الاوروبي ماثيو سالفيني، وتجمع المتظاهرون امام القنصلية العامة الدينماركية في ميلانو ليعلنوا تعاطفهم مع الدينمارك وزايدوا بالاعلان عن طبع كل الرسوم الكاريكاتورية على قمصان توزع مجاناً على الشباب تحدياً للمقاطعة الشعبية الإسلامية، لنثبت للمسلمين أننا احرار في حكم بلادنا بدون تدخل منهم، ودعا الوزير روبيرتو كالديروني الرسامين الكاريكاتوريون إلى الاتحاد ليمارسوا بحرية مطلقة انتقاد من يشاؤون بما في ذلك محمد «صلوات الله وسلامه عليه» رغم أنف كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لنفرض عليهم احترام الحرية والديمقراطية.

في فرنسا قامت صحيفة فرانس سوار «المسائية» باعادة رسم الكاريكاتوريات الساخرة، وقامت أيضاً صحيفة ليبراسيون الباريسية بفتح ملف أزمة مسابقة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وادعت أن الحرية والتمسك بها تلزمنا بمناقشة هذه القضية لأن الصمت يخرجنا عن حريتنا ويفقدنا الاحترام للديمقراطية التي نؤمن بها، وقالت صحيفة ليبراسيون بأنها اكتفت باعادة نشر رسمين من الاثني عشر رسماً لتكون وثيقة لهذه المناقشة ودخلت في لعبة الحرية صحيفة اللوموند التي لا تنشر صوراً أو رسوماً كاريكاتورية على صفحاتها مما جعلها تتناول هذه القضية في افتتاحيتها يوم الجمعة الماضية ٣ فبراير من عامنا الحالي ٢٠٠٦م قالت فيها من الممكن أن يصاب الإنسان المسلم بالصدمة من نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لهم ولعقيدتهم الدينية ولكننا لا نستطيع أن نقبل تحت مظلة الديمقراطية التي نؤمن بها والحرية التي نتمتع بممارستها الموافقة على اقامة «بوليس على الرأي» لأننا نرفض أن ندعس بأقدامنا حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية وهي قيم ومبادئ فكرية لا يمكن التخلي عنها.

يتضح من كل الاتجاهات المختلفة في التطاول على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم التركيز على الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في تبرير الرسوم الكاريكاتورية والدفاع عنها، وهو في مجمله حديث افك لأن الحرية المطلقة تؤدي إلى الفوضى، ويتفق الفكر الغربي بأن الحرية تنتهي عند بداية انوف الآخرين والديمقراطية لا تقر العدوان على الغير وإلا تحولت إلى ديكتاتورية، وحقوق الإنسان تحترم كل حق له وفي مقدمة هذه الحقوق حرية العقيدة مما يجعل السخرية من أي عقيدة دينية اعتداء على حق الإنسان في عقيدته، وهو ما فعلته الدول التي شاركت الدينمارك في اثم التطاول على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخذ بمنطق الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان التي تتحدث عنها الدول الغربية يجعلنا نطالب في ظل هذه الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان بحق الحديث عن الهولوكوست الذي اباد اليهود في

ألمانيا النازية وندعو إلى الغاء «البوليس على الرأي» الذي فرضه الفكر الغربي على ما جاء في كتاب أساطير اليهود للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، وما جاء في كتاب الهولوكوست للمؤرخ البريطاني الدكتور ديفيد ايفرينج، والسماح للكتابين بالتداول بين الناس وفتح صفحات الصحف الاوروبية والامريكية لمناقشة قضية اليهود في الهولوكوست تحت مظلة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

امتناع أمريكا عن الخوض في قضية مسابقة الرسوم الكاريكاتورية لتنفي عن نفسها الاساءة إلى الإسلام حتى تخفي دورها العدائي له مما يؤكد قيام مؤامرة أمريكية أوروبية ترمي إلى القضاء على الإسلام بعد أن وصفه المفكر الامريكي صمويل هينتيجتون بالعقيدة الدموية العدوانية واصدر كتابه «صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي» في عام ١٩٩٣م بعد انتهاء الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩١م، ليؤكد فيه سمو الحضارة الغربية التي تتطلب لفرض سيادتها دحر الفكر الإسلامي.

دعم هذا الرأي مفكر أمريكي آخر فرانسيس فوكوياما الذي يعمل في مركز ابحاث تابع للقوات الجوية الامريكية، بكتابه «نهاية التاريخ» الذي يذهب فيه إلى أن الرأسمالية تمثل قمة التطور الحضاري للإنسان بعد انتصارها في الحرب الباردة على الفكر الشيوعي، وألقى فرانسيس فوكوياما محاضرة في باريس قبل ايام معدودة هاجم فيها الإسلام لفقدانه التسامح والديمقراطية مما يجعله عدواً للفكر الإنساني المعاصر ويشكل تهديداً للحضارة الغربية وطالب بالاسراع إلى توجيه ضربة مبكرة للإسلام للحد من خسائر الغرب عند الصراع بين الحضارات، لأنه يرى في الفكر الإسلامي منافساً خطيراً للفكر الغربي.

لا يزال العالم يذكر كيف وصف الرئيس جورج بوش الحرب التي يخطط لها بعد احداث ١١ سبتمبر من عام ٢٠٠١م بالحرب الصليبية CRUSADE فلما اختنق بهذا الاعلان للحرب الصليبية ادعى انه يقصد الصليب CROSS ليدعو سيارات الاسعاف لانقاذ الجرحى تحت الانقاض فلم يصدقه احد من اعدائه وحلفائه.

دعوة توم تانكريدو العضو الجمهوري بالكونجرس في يوم ٤ يوليو من عام ٢٠٠٥م إلى ضرب مكة المكرمة بالقنبلة النووية لمنع هجوم إرهابي على أمريكا ووصفه الامريكيون الذين اعتنقوا الإسلام «إبرهة» القرن الواحد والعشرين وقالوا أن اعصار وطوفان كاترينا في نيو اورلينز، وكذلك اعصار وطوفان ريتا في تكسس كولورادو هو عقاب الله على التفكير بضرب مكة المكرمة نووياً، وشبهوهما «بالطير الابابيل» التي صدت إبرهة وافعاله عن هدم الكعبة.

لا يعقل النظر إلى العداء السافر للإسلام الذي صعدته الدينمارك ووقفت معه اوروبا، وتبرأت منه امريكا «لغرض في نفس يعقوب» على انه مجرد تعبير عن الحرية والاخذ بالديمقراطية، وانما هو مؤامرة غربية تقودها أمريكا لبدء الصراع بين الحضارات، وهو عدوان مدبر ضد الإسلام لتنفرد الحضارة الغربية بفرض مبادئها على العالم، واعلن الفاتيكان أن الحرية لا تعطي الحق في إهانة المعتقدات الدينية، وأكد الحاخام

الأكبر في فرنسا جوزيف سيتروك انه يعارض مهاجمة الاديان، وتقف الجالية اليهودية في تركيا ضد التطاول على الانبياء.

ثورة الغضب الإسلامية الشعبية الساعية إلى مقاطعة المنتجات الدينماركية وكذلك مقاطعة منتجات الدول التي تؤازرها، نقف مع هذا التوجه الشعبي الإسلامي وندعمه في مسعاه، ولكننا نذكر بالمثل الشعبي «الدبره في الحصان جيبوا الحمار نكويه»، وهذا المثل يدعونا إلى مقاطعة المنتجات الامريكية بعد أن اتخذت واشنطون الإسلام عدواً لها، وسمت المسلمين إرهابيين، وجعلت المرأة تأم الرجال في الصلاة، واصدرت قرآناً جديداً سمته «فرقان الحق» وهو الباطل بعينه، وانتهكت كتاب الله القرآن الكريم وتطاولت على رسول الله في سجن ابوغريب بالعراق، وسجن جوانتينامو في كوبا وفي غيرهما من سجون امريكية معروفة ومجهولة ونطالب بمقاطعة كل من يعادي الإسلام وفي مقدمتهم أمريكا، ونذكر بالتاريخ الذي تقول صفحاته بأن الهند نالت استقلالها وحريتها بمقاطعة منتجات المستعمر البريطاني.

============

تأملات في الغضب الإسلامي

محمد بن علي المحمود

إن اللغة التي يعبر بها الكاتب أو المفكر عن موقفه من هذا الحدث، لابد أن تكون على درجة عالية من الانضباط بمعايير الكتابة العلمية التي لا تترك مجالاً لتوظيفها خارج سياق الكاتب. لابد أن تكون الاستثناءات واضحة، ومقرونة بالتفاصيل التي تحدد رؤية الكاتب الخاصة، دون ترك مساحات من المعنى فارغة، يستطيع أن يملأها من يشاء بما يشاء

لايزال الغضب الإسلامي عارماً؛ جراء محاولة بعض المتطرفين الإساءة إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم. وقد تمظهر هذا الغضب الإسلامي في صور شتى، منها ما يأخذ منحى التعبير المجرد عن عاطفة صادقة الإيمان، ومنها ما يتجاوز ذلك إلى مناح عملية واقعية؛ تحاول استثمار الحدث في مسارات إيجابية لصالح الإسلام والمسلمين، ومنها ما ليس إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ من تجار العمل السياسي والاقتصادي المحترف.

وبما أن هذا الغضب الإسلامي العام، إيجابي في عمومه - بصرف النظر عن التفاصيل -؛ فإن هذه الإيجابية لا تعني عدم التوقف عند هذا الغضب؛ توقف القارئ لما تحمل هذه الموجة الغاضبة من دلالات وإشكالات، بل إن هذا الإلحاح على التساؤل والمساءلة، يمكن اعتباره جزءاً من مكونات هذا الغضب، ومن ملامح الإيجابية فيه، إذ هو غضب عام، يُسائل بعضه بعضا، ويتهم الغاضب غضبه بالدرجة التي يتهم بها (الآخر) مصدر الغضب.

حينما نتجاوز أنفسنا - بكوننا غاضبين - إلى التأمل الناقد في تمظهرات هذه الموجة الغاضبة؛ فإننا نلاحظ ما يلي:

١- غياب الاستراتيجية الواضحة التي تحدد الأهداف العملية من وراء هذه الموجة الغاضبة. فمع أن الباعث هو الانتصار لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -من الإساءة المتعمدة، فإن الانتصار هو مبرر وحافز، لكنه ليس هدفاً تتجه إليه فعاليات الغضب الإسلامي. الهدف الاستراتيجي لابد أن يكون واضحاً في أذهاننا ونحن نمارس حقنا في الاحتجاج والحوار والمقاضاة. وما لم يكن الهدف محدداً وواضحاً؛ فإن ما نقوم به لا يعدو كونه - في محصلته النهائية - تعبيراً ساذجاً عن حالة عاطفية، حالة سوف تتوارى بعد أن تأخذ مداها السيكولوجي؛ أيا كانت درجتها من الصدق والتسامي.

إننا نشاهد ونسمع على امتداد العالم الإسلامي الغاضب، بيانات الغضب التي تتفاوت في أفقها الذي تتغياه. المقاطعة - كأحد مظاهر الغضب - لم يستطع القائمون بها أن يرسموا لها حدوداً في الواقع. البعض يريد مجرد اعتذار واضح من الصحيفة، والبعض الآخر يريد اعتذاراً رسمياً من الحكومة الدنماركية، وآخرون لا يرضون بغير معاقبة المجرمين المباشرين عن طريق القضاء. بل إن هناك من يعلن أن الذنب فوق المغفرة، وأن العقاب (المقاطعة) سيستمر دون توقف؛ مهما كانت درجة الاعتذار!

ما هو الحد الأدنى الذي نقبل به كمسلمين؟ هذا ما لا يستطيع الغضب الإسلامي تحديده بوضوح، خاصة وأن المواجهة قد اتخذت شكل المقاطعة الاقتصادية التي هي بطبيعتها ذات منحى عملي، يبحث عن نتيجة ملموسة. ولا قيمة لهذه المقاطعة فيما لو تخاذل عنها كثير من القائمين بها؛ جراء رضاهم بحد أدنى من حدود الاعتذار، لا ترضى به بقية الأطياف.

لاشك أن هذا جزء من إشكالياتنا العامة في التفكير، والتي تتسم في الغالب بغياب الهدف أو غموضه، وأننا - في الغالب - لا نعرف ماذا نريد، حتى في قضايانا الكبرى والمصيرية.

إن هذه الحيرة والاضطراب في مثل هذا الحدث تجعل الآخر المقابل لا يتعاطى مع احتجاجاتنا على نحو جدي، بل يجد نفسه لا يعرف كيف يرضينا؛ فيما لو أراد إرضاءنا!، وأن ما يقدمه من اعتراف واعتذار و.... الخ، لا قيمة له عند بعضنا الغاضب. وبهذه العشوائية، نصبح وكأننا نخوض معركة مضنية؛ لأجل المعركة ذاتها، وكأن المعركة هي الوسيلة والهدف!

٢- في سياق هذا الغضب الإسلامي ظهر نفسٌ جديد، نفس غير معهود في سياقات الخطاب الإسلامي المعاصر. هذا النفس الجديد الإنساني لم يكن غائباً تمام الغياب، ولكنه كان هامشياً - ومهمشاً -. لقد أصبح الخطاب الإسلامي يطرح - بإلحاح - على الآخر، مفردات التسامح واحترام الآخر، وأهمية مراعاة عقائد الآخرين. وهو في هذا يريد - من ناحية - الاحتجاج بها على الغربي المسيء، باعتباره من أبرز دعاتها على امتداد

الحضارات البشرية، ومن ناحية أخرى، يريد أن يؤكد أن هذه المفردات محل احترام وإجلال في منظومته.

هذا المنحى الايجابي الذي هيمن على خطاب الاحتجاج والغضب الإسلامي أتى متأخراً، أي في غير أوانه. فمع ايجابية دخول هذه المفردات - بقوة - إلى الخطاب الإسلامي المعاصر، إلا أنها - للأسف - لم تظهر إلا عندما أصبحنا محتاجين إليها في تبرئة أنفسنا من الإرهاب، أو في إدانة الآخر بأنه ينتهكها في حقنا.

رائع أن نكون مشدودين إلى هكذا مفردات، مفردات متخمة بالإنساني. لكن، للأسف، نطرحها في الوقت الذي نطرح فيه - على يد الإرهابيين من أبنائنا - ذبح الأسرى من الوريد إلى الوريد على شاشات التلفاز، مقرونة بذكر الله والتكبير، وبخلفية من شهادة الإسلام بحيث تعطي هوية صارخة للمشهد الإجرامي. إننا نطرحها، في الوقت الذي تسير فيه المسيرات الغوغائية الهائجة إلى السفارات الأجنبية، فتشعل فيها النيران، وفي الوقت الذي تسير في الرعاع إلى الكنائس، فتدمرها على عبادها الأبرياء.

إننا نتكلم عن احترام الرسل جميعاً، وأننا نقدسهم دون تفريق، ونرفض أن يسيء إليهم أحد ولو بكلمة عابرة. هذه هي الروح العامة عند جميع المسلمين. لكن، هل ننكر، أو نستنكر، ما ورد في كتاب رائج عندنا، نوصي به أبناءنا، ككتاب (إغاثة اللهفان) مع أن مؤلفه - في معرض رده على النصارى، وتأكيده على بشرية المسيح - عليه السلام - يصف المسيح في قصيدة له، بأوصاف بلغت قمة البذاءة، كما في قوله (أقام هناك تسعاً من شهور.. البيتين. ج، ص٣٥٠)، ولا استطيع كتابة البيتين هنا؛ لما فيهما من إسفاف وانحطاط، بل وانعدام في الذوق العام.

لا يمكن أن نكون صادقين - ونقنع الآخرين بصدقنا - في دعاوى احترام الآخر، ونحن نوصي أبناءنا بمثل هذه الكتب التي كتبت في عصور الصراع العقائدي، دون تنقية لها من هذا العفن الشائن. لن نكون مقنعين؛ إلا عندما نبدأ بغربلة تراثنا، وفحص مناهجنا، وجعل احترام الآخر سلوكاً عاماً لنا، وليس مجرد شعارات جوفاء، نجأر بها؛ للاستهلاك الإعلامي العابر.

من السهل أن نقول، ومن السهل أن نحتج بما نقول. ولكن من الصعب أن نقنع الآخرين بصدقنا فيما نقول؛ مادمنا نحتضن - وإلى هذه اللحظة - مراجع الكراهية والتفسيق والتبديع، ونؤسس عقائدياً - من خلالها - لكره الآخر من بني ديننا، فما بالك بالآخر من غيرنا، من غير المسلمين!

إننا نعلم أن كثيراً من التجمعات الإسلامية في الما وراء إسلامي - في أوروبا وأمريكا خاصة - قد تجاوزت هذه الشرنقات التصنيفية، وهي في سبيلها إلى التخلص من ما بقي من عقابيلها، وطرحها الفكري المتجاوز في الإسلاميات يشي بروح حضارية صاعدة. لكن، المعاقل التقليدية في البلاد الإسلامية، لازالت كما كانت قبل ألف سنة أو تزيد، تبحث المسائل نفسها، وتقترح الحلول ذاتها.

٢- ظهر جلياً الاستخدام المسيس لهذا الغضب الإسلامي السامي. كثير من الأحزاب والتيارات، بل والدول، باتت تمسرحُ الحدث لمصالحها الخاصة، على حساب الفكرة العامة للغضب. لقد غدا الاحتجاج الغاضب يوجه - وفق شعارات خاصة - في هذا الحشد السياسي أو ذاك، والجماهير تساق إلى هذا التعبير أو ذاك، وهي تفعل؛ مادام أنها في انتظار ما تفعله من عقود ولا تجد.

تيارات المواجهة، أو التي اضطرتها الظروف الاقليمية إلى المواجهة، ليس من أولوياتها الانتصار لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولكنها وجدت ما تجعله وقود عداوتها للآخر؛ لتفرض على الاخر خيارات ليست بالضرورة هي خيارات الغاضبين السذج، بل ربما كانت - في مؤداها النهائي - على الضد من آمال وتطلعات تلك الجماهير.

يخيل إليك - أحياناً - أن بعض أطياف الإسلاموية مبتهجة بالحدث؛ لما تراه من تقاطع كثير من الأصوات الغاضبة مع شعاراتها. وإذا كنا لابد أن نغضب - مهما استخدم غضبنا لغير ما نأمل ونريد - فإننا لابد أن نكون حذرين غاية الحذر في لغة الإدانة التي نختارها؛ كيلا نسهم في الحشد والتجييش لفصائل ليست من خياراتنا الحضارية، بل تقف - من خلال مجمل مضامينها - على الضد من المنحى الإنساني الذي تجتمع عليه قوى التقدم والتحرر الإنساني.

إن اللغة التي يعبر بها الكاتب أو المفكر عن موقفه من هذا الحدث، لابد أن تكون على درجة عالية من الانضباط بمعايير الكتابة العلمية التي لا تترك مجالاً لتوظيفها خارج سياق الكاتب. لابد أن تكون الاستثناءات واضحة، ومقرونة بالتفاصيل التي تحدد رؤية الكاتب الخاصة، دون ترك مساحات من المعنى فارغة، يستطيع أن يملأها من يشاء بما يشاء.

٤- ظهر هذا الحدث الصاخب، وكأنه موقف (يجب!) على الجميع المشاركة فيه، وخاصة من قبل ذوي الإسهام في الشأن العام. بدا، وكأن هناك من يريد أن يمارس عملية (امتحان) لإيمان كل كاتب وكل إعلامي وكل اقتصادي. من أعلن مشاركته في حملة الغضب فقد برأت ساحته، ومن لم يشارك فهو في دائرة الاتهام في موقفه من نبي الإسلام. وهذا موقف في غاية الخطورة؛ لأن المشاركة لابد أن تكون ذات جدوى عملية، وإلا فلا ضرورة لها. وهناك من يرى أن ما لديه لا يستحق التقديم؛ فلا يتقدم في مثل هذه الحال بشيء، فهل يتم وضعه - في هذه الحال - في دائرة الاتهام؟!، ومن هو المخول بممارسة هذا الدور البابوي؟!

أحد الأعزاء، ممن يقف مني موقف الأعراف بين إحسان الظن بي وإساءته، قال لي بعد مقال الخميس الماضي: لقد كنت متوقفاً؛ أنتظر، وبقلق كبير عليك، هل ستشارك في هذا الموضوع أم لا؟، أما وقد كتبت؛ فقد أبعدت سوء الظن عنك، ونفيت عنك الشُّبَه!!!

ومع تقديري العميق لمثل هذه العواطف؛ إلا أنني أرفض أن أضع إيماني على محك الامتحان من قبل أي أحد. إنني لست بحاجة إلى شهادة من أي أحد لي بالايمان، أو بما

يضـاد ذلـك مـن تـهم. هـذه مسـألة شخصـية، لا تخـص أحـداً سـواي. وعنـدما أكتـب، فإنمـا أتوسل العلمية - قدر الإمكان - ولا أنتظر فيما اكتبـه تزكيـة ايمانيـة من أي كهنـوت كـان، أيـا كانـت عباءتـه التـي يرتـديها. وهـذا مـا يجـب أن يكـون عليـه الجميـع فـي سـياق هـذا الابتزاز.

لكن، المشكلة في هذا السياق، أن هناك من يقلقه - بـل مـا يفزعـه غايـة الفـزع - مثـل هـذا الامتحان العقائدي، الذي يمارس محاكمته التفتيشية القروسطية، ويخضـع طـائعاً لمثـل هـذا الابتزاز؛ فيسـارع لإثبـات إيمانـه فـي مثـل هـذه المناسـبات، خاصـة عنـدما يسـمع التسـاؤل الابتزازي التقليدي عن سبب صمته.

قد يمتحن الإنسان في أي شيء، في أخلاقه، فـي علميتـه، فـي مهاراتـه.. الـخ، وقـد يحتـاج إلى شهادات الآخرين له في كل هذا. لكن، في مسألة الإيمان لا يمكن أن يكون محل تقييم الآخرين؛ لأن المسألة الإيمانية لا يطلع عليها إلا عالم الغيب والشهادة - سبحانه -.

٣ تعليقات

١

لشعوب الإسلامية اتحدت بسلاح المقاطعة!.. فهل تتحد الحكومات لنصـرة الحبيـب صـلى الله عليه وسلم؟

مشكور... ولكن... ألسنا نقرأ ونسمع.. عن اتحـادات دول متقدمـة كالاتحـاد الأوربـي.. والكمولث، و.. واتحاد التجارة العالمية... و... و... و. و.؟

وما نشأت تلك الاتحادات إلا بعد سنوات طويلة من التخطيط والدراسة، والجهود.

لكن الشعوب المسلمة اتحدت بسرعة البرق لنصـرة الحبيـب صـلى الله عليـه وسـلم، فهـل تستثمر الحكومات هذا الاتحاد وتقوم بدورها تجاه الحبيـب صـلى الله عليـه وسـلم، وتجـاه مسئولياتها ككل وهي - أي الحكومـات المسلمة- تعرف حجم المسئولية والأمانـة الملقـاة علـى عاتقهـا؟ {إنـا عرضـنا الأمانـة علـى السموات والأرض فـأبين أن يحملنهـا وحملهـا الإنسان} والحكومات المسلمة تعلم أيضـا قول الحبيب صـلى الله عليـه وسلم [كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته] فهل نرى تحركا حكوميا من قبل الحكومـات المسلمة لنصـرة الحبيب ؟؟؟ فما زلنا منتظرين.

نعم المملكـة بـادرت بسـحب سـفيرها مـن الـدنمرك فـي بـادرة عظيمـة وتبعتهـا الكويـت وإيران.. وسوريا... فهل يكفي هذا... منها؟

وما دور باقي الحكومات الإسلامية... إن هذه الإساءة امتحان حقيقي للولاء والبراء عند الشعوب والحكومات الإسلامية... فهل تتحد الـدول الإسـلامية، وتحـول المحـن إلـى منـح، والمصائب إلى انتصارات... فقد آن الأوان لذلك...

وجزاك الله كل خير على هذه الكلمات.. الرائعة التي أسأل الكريم الأكـرم... أن يثقـل بهـا ميزان حسناتك، لترى بكل كلمة حسنات كالجبال، آمين...

مقال اتمنى ان يفعل، وأن يُرى على أرض الواقع...

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠٦:٥٩ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٢

ودي

كعادتك دائما أستاذ محمد..

تثير كثيرا من الأسئلة اللذيذة والجميلة...

كثرة هي ملاحظاتي على هذا المقال، ولكن اكثر ما شدني هو نقطتك التي ذكرت بها عدم وضوع الرؤية والغائية من هذه المقاطعة.

انت تعلم سيدي أن كل هذه المشاعر هي نفثات مصدورين وتفاعل عشوائي وردة فعل غير محسوبة للغضب للرسول عليه السلام وذلك لانعدام مؤسسات المجتمع المدني والتظيمات الأجتماعية التي تؤطر الحماس الجماهيري وتصبه في خانة الأيجاب.

ولذلك تنعدم مقولة الأستراتجية الموحدة والواضحة التي تنادي بها -على الأقل هنا- لأنعدام ما ذكرت سابقا..

لذيك فهناك عشرون مليون استراتيجية وراي للتفاعل مع موضوع الأساءة لو سلمنا جدلا ان هناك عشرون مليون مقاطع للسلع الدنماركية!!..

شكرا لك

ابراهيم عسيري

٠٣:٢٩ مساءً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٣

تأثير الأقلام محدود

ماحدث من غضب عارم لم يكن للاقلام اثر يذكر لان الحدث اكبر من التأثير اما الدور الذي لعبتة الأقلام حيال هذة القضية دور متفاوت ومتباين بعض الشىء فمن الاقلام من يرى التخفيف من الحده زاعماً اثر قلمة فى وقف الغضب وكأن الامر بسيطاً كما يعتقد ومنهم من يرى العكس ويطالب بالقصف الأعلامي المستمر على الذين يستهزؤن برسولنامحمد صلى الله علية وسلم من منطلق ان هذا الامر لايحتاج إلى حلول وسط فالمطلوب التوقف عن الأساة والأعتذار من أعلى المستويات اما الاستمرار بنشر الصور فلابد ان يواجه بالقصف الاعلامي المضاد ليكون وسيلة لأفشال مخططات الغرب الذين توقعو ان يستمرو بغيهم ويتم مقابل ذلك المطالبة بالتوقف عن ردود الافعال المضاده ليكون الاحتقان مابين العرب والمسلمين وحكوماتهم عند ذلك يتفرجون على

المسرحية فيما بيننا والتهم التى ستحدث لو بقينا اسرى للأكاذيبهم فهل سنقول لبعضنا ان الهدوء مطلوب لنحترق نحن بأدواتهم هذا انتحار لانهم لو لديهم نويا حسنة لتوقفو ويبدو انهم اى (الغرب) سيجدو مخرج قريبا بعد ان فشلت مخططاتهم لجعلنا نتناحر بالتهم فى التخلى عن نصرة نبينا نتيجة التحلى بالهدوء وضبط النفس التى تعني فى قواميس الغرب التقاتل فيما بيننا لان التوقيت افشل مخططاتهم عندما هب الاعلام فى نصرة نبينا محمد صلى اللع علية وسلم اما الطرح الجانبي لايخدم مثل تلك القضية بل يسىء لها ويدم من يريد نقل المعركه فى اوطاننا.

طارق بن محمد

٠٣:٢٣ صباحاً ١٠/٠٢/٢٠٠٦

====================

أسباب ودوافع دينية وثقافية ونفسية وراء ما حدث من سب للنبي صلى الله عليه وسلم

كتب - مندوب «الرياض»:

تساءل الدكتور محمد بن عبدالله السحيم، جامعة الملك سعود باستغراب: لماذا يتطاول رئيس تحرير جريدة غربية على مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟ إن بينهما من الفاصل الزمني بعداً سحيقاً، وبينهما من الفاصل الجغرافي البعد الشاسع، انك حينما تقرأ هذه التجاوزات والانتهاكات تتسائل لماذا كل هذا؟! وإذا أراد المنصف أن يتتبع أسباب ذلك ودوافعه؛ وقف على شيء كثير من ذلك، ومنها:

- الخلفية الدينية: التي يؤصلها ويغذيها (الكتاب المقدس) التوراة والانجيل المحرفان ففيهما من التطاول على الله الشيء الكثير، ومعلوم أن النصارى يقدسون العهد القديم بالإضافة للعهد الجديد، ومن درس هذا الكتاب علم كثرة التجاوز والافتراء، ففيه أن الله سبحانه يندم، ويأسى وانه تصارع مع يعقوب وصرعه يعقوب، وفيه أنه ينام.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وفيه أيضاً الكذب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ووصفهم بأقبح الصفات من الكفر والشرك وعبادة الأوثان والزنى ببناتهم وبالآخريات ووصفوهم بشرب الخمر والسرقة والمخادعة، حتى إن المسيح لم يسلم من ذلك فوصف بعقوق والدته وبشرب الخمر.. وحاشا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من ذلك.

وأضاف د. السحيم: الخلفية الثقافية التي تربى عليها منذ نعومة أظفاره فكل من اطلع على كتب المستشرقين علم ما اشتملت عليه من افتراء على الله سبحانه وتعالى وعلى أنبيائه ورسله وكتبه، ووصفه لهذه الشرائع بالتخلف والرجعية إذ هي محط سخريتهم ولمزهم، وقد خصصوا لنبينا محمد ولرسالته وكتابه وسنته من ذلك الشيء الكثير إذ شككوا في أصل رسالته وفي طريقة حفظ القرآن وفي نقل السنة ومصدريتها، وهي شبه قديمة يقلبونها بين آونة وأخرى قال تعالى: {وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه

وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزوراً ؟ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ؟ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض}.

كما أن من تصفح كتاب الأستاذ إدريس الدريس المعنون ب (صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم) استحضر مدى ما يتلقونه في مدارسهم عنا وعن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعن ديننا وعن حضارتنا وأوطاننا.

- الخلفية التاريخية: إذ يحمل التاريخ في ثنايا صفحاته سجلاً حافلاً بالصراع بين الإسلام والنصرانية الغربية منذ معركة اليرموك إلى حروب العصر الحديث وهذا الصراع يحمل المتحامل على البذاءة والشطط والغلو في القول والفعل. وهم لم ينسوه ويدركون أبعاده النفسية ولذا أرسلوا قبل سنوات معدودات مجموعة من أبناء المحاربين الصليبيين إلى الشرق الأوسط بدء من تركيا لمقابلة بعض الأسر المسلمة وبعض المسئولين هناك للغرض نفسه، كما نشرت ذلك جريدة الشرق الأوسط.

- الأثر الاستشراقي: فقد أسهم المستشرقون في صياغة الصورة النمطية عن الشرق وتعبئة المتلقي الغربي بكل حقد وغلو على الشرق وأهله وأديانه وكتبه وحضارته وقد جلا معالي د. علي النملة في كتابه الرائع (محددات العلاقة بين الشرق والغرب) هذا الأثر مع غيره من المؤثرات في هذه العلاقة.

- أما الأثر النفسي فيقول د. السحيم: فكيف يحتمل الغربي أن يرى دينه يترنح وأهله ينصرفون عنه وكنائسه تعرض في المزاد.. ثم يجد الإسلام لا تزيده الأيام إلا توهجاً ولا المحن إلا انتشاراً ولا التقنية إلا تقدماً ولا العلوم إلا توافقاً ولا تقادم الأعوام إلا حفظاً لمصادره وقبولا لتعاليمه.. ألا يدفعه ذلك للحسد والغيرة قال تعالى: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق}.

- البغي والطغيان وهما مطية كل مستكبر، وسبيل كل جبار فبعد ما تبين لهم الحق اعرضوا عنه ورغبوا فيما عداه، وحسدوا أهله، قال تعالى: {ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} فمن بغيهم ما يودون أن ينزل الله علينا خيراً قط. وأخبر سبحانه عن موقفنا منهم وموقفهم منا فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ؟ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظم إن الله عليم بذات الصدور}.

ويضيف د. السحيم وبعد معرفة أسباب هذا التطاول قد يسأل متسائل هل يعرفون حقيقة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، فنقول هب أنهم لا يعرفونه، إلا تقتضي المنهجية العلمية

أن يبحث فيما بين يديه من المصادر ومواقع الشبكة عن المعلومات الصحيحة عن هذه الشخصية العالمية التي لا تخفى سيرتها على مطلع قبل أن يكتب مقاله ويجري مسابقته.

ولكن الحقيقة البدهية تقول إن المعلومات المتوافرة لدى الباحثين منهم كثيرة جداً بل تحدوا بالكثيرين منهم إلى الانصاف وآخرين إلى الإسلام وفريق ثالث مستكبر إلى البغي والعناد، فقد كتب المستشرق جورج بوش - وهو جد للرئيس الحالي - كتابه (محمد نبي المسلمين ومؤسس أمبراطورية المسلمين) وهو في هذا الكتاب لا يفتر عن الكذب ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم ب (الدعي) ومع ذلك قال في كتابه: «إن هذا الرجل حقق هو وأصحابه خلال ثمانين سنة ما عجزت عن تحقيقه اوروبا خلال ثمانية قرون). ومن يطالع الكتب التي تعني بأخباره صلى الله عليه وسلم في العهد القديم والعهد الجديد (الكتاب المقدس) يجد فيها الشهادات العظيمة له صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى منوهاً بها وبما يعرفونه منها: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}.

وهذا الموقف المتعجرف من هذه الصحيفة ومن الحكومة الدنمركية يوقفنا على حقيقة ما رُمينا به كثيراً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من أننا ندعو للغلو ونرعاه وندافع عنه؟! فأقول رمتني بدائها وانسلت. إن الغلو في الإسلام مرفوض شرعاً، وممنوع حكماً ومحارب سياسياً وممقوت اجتماعياً وشعبياً، فلا تجد غالياً في بلاد الإسلام إلا وهو محل التشنيع والطرد والإبعاد، فلا تعترف به الشريعة، ولا تقره الدولة، ولا تدعو إليه المؤسسات الدينية، ولا يرضاه الناس. بينما الغلو في الغرب - كما في هذه الصورة - وفي غيرها كثير - ينطلق من مؤسسات رسمية وتدافع عنه الدولة وتمنحه الصفة القانونية، ولا تستحي أن تصفه بأنه حرية كفلها القانون، وتضحي من أجله بمصالحها الاقتصادية.

ويؤكد د. السحيم أن هذا الموقف المتعجرف من هذه الصحيفة ومن الحكومة الدنمركية يوقفنا أيضاً على النظر في دعوى حمّلت زورا التسبب في أحداث الحادي عشر من سبتمبر الا وهو مبدأ (الولاء والبراء)! فمن الذي حملته مبادئه على التطاول والافتراء والتنقص بل وإجراء المسابقات لبلوغ ذلك. إن هذا المبدأ قيمة فطرية لا يمكن أن تتخلى عنه أي أمة حتى الأنعام في فلواتها لا تتخلى عنه، ولكن ينبغي أن يكون هذا المبدأ يحفظ الأمة من الذوبان ويمنعها من الاعتداء، ويوجب عليها مسؤولية الدعوة.

وقبل الختام يحسن بنا أن نتذكر أن هذا دين الله وهذا رسوله صلى الله عليه وسلم والله ناصر دينه، وحافظ نبيه في حياته وبعد مماته، وقد قال تعالى: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} وقال سبحانه: {إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ؟ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} وإن من نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه الوقفة المباركة من هذه الدولة حفظها الله حكومة ورجال أعمال وشعب، وإن من نصر الله أيضاً أن تنشر الصحيفة التي نشرت الإساءة فزع الدنمركيين من هذه الوقفة المباركة وتحذرهم من مغبة ما صنعت؟! فيا للحمق ولكنه

مكر الله وكيده، فلكأنما هي تقول بلسان حالها لهم: انظروا المآسي التي أوقعتكم بها؟؟ أو تدبروا أمركم للخروج منها.

وأخيراً ينبغي ألا يمر هذا الحدث دون أن نخرج منه بدروس عملية تلهمنا كيف نتعامل مع أزماتنا تعاملا إيجابيا، ينتقل من حيز ردات الفعل المؤقتة إلى أعمال تتبناها المؤسسات الرسمية والإعلامية والاقتصادية والعملية.

وأخشى ما أخشاه أن تخرج علينا أقلام ما بين محتسبة أو مأجورة تقلل مما صنعوا وتدعو إلى إعادة النظر في جدوى هذه المقاطعة التي أرعبتهم وأفزعتهم وهي اللغة التي يفهمومنها، وتبرر هذه الأقلام موقفها بأن المتضرر من هذه المقاطعة تجار مسلمون يرعون أسراً مسلمة و وو.. فلا ينبغي أن تنطلي هذه على القارئ الفطن.

=======================

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

الكاتب: د. جمال الحسيني أبوفرحة

يزعم كثيرون من غير المسلمين أن القرآن الكريم إنما هو من تأليف نبينا –عليه أفضل الصلاة والتسليم- ويستدلون على ذلك بما يزعمونه أدلة وبراهين، وما هي في الحقيقة سوى أوهام وأباطيل.

ومن أشهر براهينهم الكاذبة على دعواهم تلك الباطلة قولهم بأن القرآن الكريم إنما جاء مصورًا للبيئة العربية القديمة، محصورًا بمعطياتها، ولا يمكنه أن يتعامل مع غيرها من بيئات لم يطلع عليها نبي الإسلام –صلى الله عليه وسلم- وهو ما لا يمكن قبوله في كتاب سماوي يعلن ختمه كتب السماء وعموم خطابه لأهل كل زمان ومكان، ويمثلون لذلك بحديث القرآن عن عظمة خلق الإبل في معرض حديثه عن عظمة خلق الكون من: سماوات مرفوعة، وجبال منصوبة، وأرض مسطوحة، في قوله تعالى:{ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت } [الغاشية : ١٧ : ٢٠]، ويقولون: إنما اختار محمد –صلى الله عليه وسلم- (الإبل) على وجه الخصوص لأنها من مفردات البيئة الصحراوية التي عاش فيها.

وقولهم باطل: وذلك أن كلمة (إبل) تفسر في كتاب الله تعالى على وجهين:

الوجه الأول:(إبل): جمع مؤنث لا واحد له من لفظه، مفرده:"جمل أو بعير"؛ وقد جاء هذا المعنى في كتاب الله في قوله تعالى { ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين } [الأنعام : ١٤٤].

الوجه الثاني:(إبل) بمعنى: "السحاب" ؛ كما في الآية التي استشهدوا بها.

وإن كان من الممكن تفسير (الإبل) أيضًا في تلك الآية بمعنى: " الجمل أو البعير" ولكل تفسير وجهة.

فالتفسير الذي رأى أصحابه أن (الإبل) هنا تعني: " السحاب " احتجوا بالسياق اللاحق لهذه اللفظة؛ يقول تعالى:{أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت }؛ فقالوا: إن الآيات هنا تحثنا على النظر فوقنا؛ فنرى عظمة الخلق في السحاب، ثم ما فوقه من سماء، ثم ننظر حولنا؛ لنرى عظمة الخلق في الجبال، ثم ننظر أسفل منا؛ لنرى عظمة الخلق في الأرض؛ وهكذا لا يكون الخطاب هنا مقصورًا على الأمم التي عرفت الإبل واعتمدت عليها في معيشتها؛ بل يكون لكل الأمم؛ فالسحاب تقر بعظمة خلقه كل الأمم.

وأما التفسير الثاني الذي رأى أصحابه أن المراد بـ (الإبل) هنا: "الجمل أو البعير" فاحتجوا أيضًا في فهمهم هذا بالسياق ولكنه في هذه المرة السياق السابق؛ يقول تعالى : { في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ... } الخ [الغاشية : ١٠ : ١٧]؛ فقالوا: إن الدعوة إلى النظر في خلق(الإبل) هنا إنما جاءت تفسيرًا لقوله تعالى: { وسرر مرفوعة }؛ فكأنها إجابة على سؤال: كيف نعتلي هذه السرر ؟ . . والإجابة هي: كما نعتلي الإبل؛ فهي تبرك حتى يتمكن راكبها من ركوبها ثم تعتلي به؛ كما أضاف أصحاب هذا التفسير أن اختيار "الجمل" موضوعًا للتأمل دون غيره من حيوان في هذه الآيات؛ فلأنه أعجب الحيوانات: يؤكل لحمه، ويشرب لبنه، ويبرك ويركب، وتحمل عليه الأحمال الثقيلة، ويسافر عليه المسافات البعيدة؛ وهي خصائص لعلها لا تجتمع لحيوان آخر.

ومن هنا يتبين لنا أنه حتى على هذا التفسير فإن اختيار كلمة (الإبل) بمعنى: الجمل، موضوعًا للتأمل له ما يبرره بعيدًا عن مزاعم هؤلاء (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) .. غافر:٥٦.

وبقليل من التأمل يتبين لنا كذلك ألا تعارض بين المعنيين، وليس هناك ما يمنع أن يكونا مرادين معًا؛ فكلاهما يشير إليه السياق إشارة قوية؛ وهو وجه من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ينأى به بعيدًا عن مظنة التأليف البشري (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا)..النساء ٨٢.

د. جمال الحسيني أبوفرحة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

gamalabufarha@yahoo.com

========================

ألا شاهت الوجوه وتبت الأيادي

الكاتب: د. علي بن حسن التواتي

ألا شاهت وجوه من تهاونوا في حرمة جمعة المسلمين وأمتدت أياديهم الآثمة إلى دمائنا وأرزاقنا، ألا تبت أياديهم وتبّ أولئك الذين يتحركون بتناغم واضح مع تصريحات وأفعال يفوح منها عفن المؤامرة، فمن مساندة واضحة لصحافة صفراء مسيئة لأهم رمز من رموزنا الدينية والتاريخية إلى تفجيرات لاغتيال أفراح عائلات مسلمة بريئة في فنادق اردنية إلى تصريحات متكررة للاستغناء عن نفطنا لأنه يأتي من مناطق غير آمنة، إلى محاولة قدح شرارة حرب طائفية أهلية في العراق إلى حشد الجهود للتخطي على الشرعية اللبنانية والنفخ على جمر الحرب الأهلية الخامدة من بوابة خلع رئيس الدولة إلى تهريب إرهابيي القاعدة الأجانب من السجون اليمنية.

سلسلة متسارعة من الأحداث التي لا يمكن ان يقبل أي عقل ناقد بفصلها عن بعضها البعض فهي متصلة بخيط رفيع شفاف يمكن لكل ذي بصيرة ان يتبينه كما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

ولربما اجاد من دبّر للتفجير في كافة مراحل الاعداد من تدريب للإرهابيين وتفخيخ للعربات المستخدمة وتمكين من التسلل ولكنه أخطأ في أمرين مهمين أحدهما تكتيكي يتمثل في يقظة رجال الأمن البواسل الذين تمكنوا من احباط العملية بوقت قياسي أما الأمر الآخر فقد كان استراتيجيا تمثل في الخطأ الفادح في توقيت العملية، فالمملكة تعيش الآن أفضل أيامها تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله الذي استهل عهده باعلان أكبر ميزانية في تاريخ البلاد آثر فيها التركيز على استكمال مشاريع البنية الأساسية وتطوير وصيانة القائم منها، وانحاز في مخصصاتها للفقراء وأصحاب الدخول الثابتة والمحدودة في اطار خطة متكاملة للاصلاح الاقتصادي والسياسي الذي بدأت بوادر نجاحه في الظهور بازدياد حجم السيولة في أيدي المواطنين وتمكنهم من الاستثمار وتنمية المدخرات والاكتتاب في شركات جديدة ستسهم في توسيع القاعدة الاقتصادية للبلاد وتستوعب الآلاف من الأيدي الوطنية العاملة.

أما من يحاول ان يشيع الفوضى ويخلط الأوراق في المنطقة لاشغالنا بأنفسنا واستكمال مخطط الهيمنة والتفرد لاطالة أمد بقائه في المنطقة فلا يمكن ان نصدق انه استغنى فعلا عن نفطنا، لقد تعلمنا من متابعة السياسات الخارجية للدول المهيمنة انها لا تنطلق في تعاملاتها مع هذه المنطقة من منطلقات انسانية وحضارية بل من منطلقات مصلحية نفعية بحتة لا مكان فيها للرحمة ولا للمساومة، ولتبين ما أرمي اليه لم لا نرى أي اهتمام بمذابح وسط افريقيا أو بمجاعة اثيوبيا او بفقر بنجلاديش؟

وتبقى المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عقبة كأداء وبناء شامخا صلبا في وجه التيارات المتلاطمة التي تجتاح المنطقة ولذلك كان لا بد من تذكيرها بان الارهاب ورقة لم تحترق بعد وأنه يمكن أن يطل برأسه البشع من وقت لآخر في محاولة بائسة لاجبارها على الامتثال لما يملى عليها.ولكن ليعلم الجميع أننا في هذه البلاد نصطف بثبات تحت راية التوحيد خلف الزعيم العادل وسنتحمل معه كافة النتائج المترتبة على مواقفه المشرفة في مساندة الفلسطينيين والعراقيين وغيرهم من

الأشقاء المحتاجين والمنكوبين ومد جسور الصداقة والمحبة باتجاه الشرق وكافة الشعوب الأخرى المحبة للسلام، وغيرها من المواقف المشرفة المستقلة التي يريد من ورائها الحفاظ على كرامتنا وعلى تماسكنا كشعب وكأمة اسلامية اثبتت للعالم من خلال ردود أفعالها الشعبية على الاساءات بحق نبيها ورمزها الأسمى ان جماهيرها لم تعد كماً مهملاً لا قيمة له بل أصبحت بايمانها العميق برسالتها الحضارية ودفاعها عنها عملاقاً فتياً يزيد قيادتها المخلصة قوة على قوتها ومنعة على منعتها.

وليعلم الجميع في أقاصي الدنيا وأدناها ان هذه البلاد لا يمكن ان تؤتى من جبهتها الداخلية ولا يمكن أن تهتز ثقتها بقيادتها من خلال تفجير هنا أو جريمة اغتيال هناك وان الطريق الأمثل لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية في التعامل معنا لا يمكن ان يمر بغير البوابة الأمامية فقط، تلك البوابة التي لا نسمح بالعبور عبرها الا لمن يحترم اختياراتنا ويراعي مصالحنا ويكن لنا المودة والكثير الكثير من الاحترام.

صحيفة عكاظ السعودية

========================

ألا شاهت وجوه الأعداء

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

الأنبياء في كل أمة من الأمم هم قادتها ورسلها وأمناء الوحي في مابين الأمة وبين الله تعالى ، يكفيهم شرفاً أن الله اختارهم للرسالة ، واصطفاهم لهذه الأمة ، وأمنهم على وحيه . فكان لهم شرف البلاغ ، وهداية الناس . أفضل الأنبياء على الإطلاق نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي . قال عليه الصلاة والسلام مبيناً ذلك : إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية : فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وُضِعَت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . وقال صلى الله عليه وسلم : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وخُتم بي النبيون . رفع الله تعالى ذكره وأعلى شأنه قال تعالى : (ورفعنا لك ذكرك) قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وكان من فضله وشرفه أن جعل الله تعالى محبته واجبة على هذه الأمة . روى عنه ذلك أنس رضي الله عنه فقال قال صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين . وتحدث عبد الله بن هشام فقال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر يارسول الله : لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم : الآن ياعمر . ورحم الله ابن القيم حين قال : وإذا كانت سعادة

العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين ، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس في هذا بين مستقل ، ومستكثر ، ومحروم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . اهـ

هذه بعض فضائل وخصائص ذلك النبي العظيم صلى الله عليه وسلم ، وفي سيرته جوانب من العظمة يستحيل أن تأتي عليها أسطر كهذه . ندوّن هذه الأسطر اليوم بعد إن صُوِّرعليه الصلاة والسلام في الصحف الدنمركية والنرويجية بصور تستهزئ بمقامه ، وتسخر برسالته ، وتعيب مواقفه ، وتزري به أمام العالم كله . وهذا الحدث يصنعه الأعداء تشفياً من ذلك القدوة ، وطعناً في الرسالة ، واحتقاراً للمسلمين على وجه الأرض فيا لله كم هي المصيبة والعار والفضيحة أن يذبح عرض أكرم من مشى على وجه الأرض ! وتسفك قيم الدين بسفك قدواته ! وتعلن الحرب على ديننا من خلاف الوقوع في عرض رسولنا صلى الله عليه وسلم !.

أخي الحبيب : هذه الوقيعة التي دونتها الصحف جريمة عظيمة ، وقف القرآن منها موقفاً صارماً ، وسجل أهل العلم رحمهم الله تعالى في بيان أخطارها وآثارها بياناً واضحاً جلياً . لقد قرّر الله تعالى في كتابه الكريم اللعنة على من آذى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) وقال تعالى : (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) ونقل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول بياناً في ذلك فقال : إن من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله . هذا مذهب عامة أهل العلم ، قال ابن المنذر رحمه الله تعالى : أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل ... اهـ وقال الخطابي رحمه الله : لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله . اهـ ، وقال محمد بن سحنون : أجمع العلماء على أن شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم المتنقّص له كافر ، والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر . اهـ ، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل وأرى أن يقتل ولا يستتاب . اهـ ، وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : ... فعلم أن السب جناية زائدة على الكفر ... على وجه يقطع العاقل أن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم جناية لها موقع يزيد على عامة الجنايات بحيث يستحق صاحبها من العقوبة مالا يستحقه غيره وإن كان كافراً حربياً مبالغاً في محاربة المسلمين ، وأن وجوب الانتصار ممن كان هذا حاله كان مؤكداً في الدين ، والسعي في إهدار دمه من أفضل الأعمال وأوجبها وأحقها بالمسارعة إليه وابتغاء رضوان الله تعالى فيه ، وأبلغ الجهاد الذي كتبه الله على عباده وفرضه عليهم . اهـ

أخي الحبيب : إن هذه الصور التي عرضها الأعداء لا يريدون منها سوى إذابة هذه الشخصية العظيمة في نفوس المسلمين ، والطعن في رسالتهم ، والقدح في قدوتهم ،

وعلينا تجاه هذه الحملة المغرضة ، التي تعرّض فيها نبينا صلى الله عليه وسلم لأعظم القوادح أن نتخذ موقفاً حازماً نرد به على الأعداء ، نرضي به ربنا تعالى ، وننصر به نبينا عليه الصلاة والسلام . ومن أهم هذه المواقف ما يلي :

أولاً : تجديد قضية البراء من الكفار ، إن هذا ليس بغريب على الأعداء ، وقد أوضح الله تعالى موقفهم من الإسلام في كتابه الكريم فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) وقال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ومثل ذلك لا يستغرب من الأعداء . وعلينا أن نجدد البراء منهم ، وأن نغرس ذلك منهجاً واضحاً في حياة أبنائنا . واستغلال الحدث لتعميق هذه المفاهيم في نفوس المسلمين من خلال عرض آيات القرآن الكريم ، ومواقف اليهود والنصارى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيرة . وطرح نواقض الإسلام وشرحها خاصة ما يتعلّق بالكافرين وموقف الدين منهم.

ثانياً : مراجعة استقامتنا على وفق منهج هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ورسم معالم الاقتداء بسيرته وسنته صلى الله عليه وسلم من جديد . ما أحرانا أيها الحبيب اليوم من أن نبين عن شرفنا بهذه السيرة وذلك من خلال الاقتداء الفعلي بشخصية هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . على كل واحد منا أن يراجع تأسيه واقتدائه بهذا الرسول ليرى أين هو من معالم هذه السيرة ؟ وأين أثر القدوة في حياته . وحين يرانا الأعداء في أين مكان يشرقون بهدينا ، ويضيقون بتأسينا ، ويأسفون على أن جددوا بيننا وبين نبينا صلى الله عليه وسلم الولاء .

ثالثاً : فتّش حفظك الله تعالى عن آثار هذا الاعتداء الآثم في قلبك ؟ قلّب صفحات حياتك حين ولج أذنيك مثل هذا الخبر هل صدمت ؟ أو تأثرت ؟ هل قلق قلبك أن أوذي رسولك صلى الله عليه وسلم ؟ هل فاضت عيناك بالدموع حين علمت أنه نيل من عرضه وهو في قبره ؟ هل وجدت مس الألم يعصر بفؤادك ؟ إنني متأكد من كل ذلك وهو أقل حب تجده في قلبك ومشاعرك لنبيك صلى الله عليه وسلم . وإنني أدعوك ألا تقف عند هذا . أدعوك لأن تكون رقماً مؤثراً في الحدث بالكتابة

عن موقفك ، والتعبير عن رأيك بكل الوسائل الممكنة . استنكر الحدث بكل قوة ، وشارك في نصرة نبيك صلى الله عليه وسلم بما تستطيع . ويمكنك ذلك كله من خلال المشاركة بإرسال خطابات الشجب والاستنكار ، وإعلان موقفك بكل شجاعة . وتجد بين طيات الشبكة العنكبوتية مواقع تساعدك في ذلك كله ، كموقع الردادي ، وصيد الفوائد ، وغيرها من المواقع التي تجد فيها العناوين التي تسهم في إرسال صوتك واضحاً معبراً .

رابعاً : علينا أن نبدأ اليوم بتقليب كتب السيرة ، وإعادة ترتيبها من جديد ، ووضع آلية لقراءتها قراءة المتأسي بمواقفها ، الباحث عن القدوة من خلالها . ويمكن لنا أن نرتّب درساً يومياً أو أسبوعياً مع أبنائنا وأسرنا داخل البيوت للتعرّف على هذه السيرة ،

وتعميق أثر القدوة في حياتهم جميعاً . ويمكن أن يوسّع الدور ليشمل المسجد ، والمدرسة ، والمنتديات ، والقنوات ، والإذاعات ، والصحف كل حسب طاقته وقدر جهده . ولعل من أهم الكتب التي يمكن أن تبين عن هذه الجوانب : كتاب الشمائل المحمدية للترمذي أو مختصره للألباني ، وكتاب الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض أو تهذيبه لصلاح الشامي ، وكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لا بن القيم ، وكتاب السيرة النبوية لمهدي رزق الله أو فقه السيرة للغزالي . وغير ذلك من كتب السيرة المعروفة.

خامساً : إن مما ينبغي أن نتخذ موقفاً حازماً للرد على الأعداء وذلك بالمقاطعة الاقتصادية للبضائع الدنمركية والنرويجية ، واتخاذ موقفاً واضحاً تجاه صادرات هذه الدولة . وتقديم البرهان الواضح على تأثير رقم المسلمين في العالم كله . وليس هذا فحسب بل تربية أبنائنا على تعميق هذه الحرب ، والمشاركة في المقاطعة .

وأخيراً : لا تنس أيها الحبيب من الدعاء لقادة هذه البلاد المباركة الذين أبانوا عن موقفهم بكل شجاعة ، ورسموا منهجاً لدول العالم الإسلامي في السير على منهجهم ، فإنهم والله رأساً في الخير ، وأعلاماً فيه سدد الله خطوهم وبارك فيهم ، وأصلح لهم دينهم ودنياهم . وعليك حفظك الله تعالى أن تمد الشكر إلى علماء هذه البلاد والذين شاركوا في الحدث بفاعلية ، وإلى قناة المجد الفضائية التي دعت لنصرة هذا النبي الكريم من أوسع الأبواب . وفتحت باباً للحدث شارك فيه العلماء ، وطلاب العلم ، وعامة المسلمين . سائلاً الله تعالى أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويرد كيد الأعداء ، ويجمع شمل المسلمين . إنه ولـــــــــــي ذلـــــــــــك والقـــــــــــادر عليـــــــــــه .

======================

أهكذا نقف من إهانات أعدائنا لرسولنا؟!

د.عبدالله قادري الأهدل

احتلوا بلداننا، دنسوا مقدساتنا، حاولوا تشكيكنا في قرآننا وألفوا قرآنا جديدا، ليقولوا لنا: أنتم تقولون: إن القرآن معجز لا يأتي أحد بمثله فهانحن أتينا بقرآن غيره وفيه سور وليست سورة واحدة، غمزوا نبينا ولمزوه بأوصاف سيئة كثيرة، حتى قال اليهود: محمد مات وخلف بنات، لم يبقوا شيئا مقدسا عندنا إلا نالوا منه.

فعلوا كل ذلك وغيره ووجدونا نصيح يوما أو يومين، ثم نهدأ ونسكت فعرفوا بأن إيماننا إنما هو مجرد عواطف لا يثير فينا غيرة تجعلنا ندافع عن ضرورات حياتنا بموقف جاد يجبرهم على الكف عن إهاناتنا وإذلالنا والسخرية بما يجب أن يكون أحب إلينا من أنفسنا.

بل وجدونا بعد الحماس العاطفي نعانقهم ونصافحهم ونظهر لهم ما يطمئنهم على محبتنا لهم والتقرب إليهم، ولا نكترث بإساءاتهم المتكررة.

ونحن نملك من الوسائل السلمية ما لو اتخذنا بعضا منها بصفة جادة مستمرة حتى نخضعهم بها لأرسلوا قادتهم إلينا يعتذرون لنا ويكفوا عن إساءاتهم لإلهنا ونبينا وقرآننا ورسولنا:

من ذلك الاحتجاجات المتواصلة في أجهزة إعلامنا، وسحب سفرائنا و مقاطعتنا الاقتصادية لما يصدرونه إلى بلداننا، وفي أي بلد نوجد فيه، ولكن لا يليق بنا أن نرفع شعارات لا حقيقة لها في الواقع، ولا أن نعمل بشعاراتنا يومين أو ثلاثة، ثم ننام قبل أن نسمع من الدول التي تمت الإساءات لنبينا صلى الله عليه وسلم فيها اعتذارا صريحا لا لف فيه ولا دوران.

وإن أقل ما نستطيع تهديدهم به هو المقاطعة لاقتصادهم ولكل ما نتبادله معه من مصالح تعود علينا أو عليهم.

وإنني أذكر أتباع رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بأمور:

الأمر الأول: أن الطعن فيه صلى الله عليه وسلم، هو طعن في ذات الله تعالى الذي اختاره واصطفاه، فبعثه إلى كافة الناس في جميع الأمكنة والأزمنة، إلى يوم قيام الساعة، ولا يقبل الله بعد بعثته صلى الله عليه وسلم دينا غير دين الإسلام.

وطعن كذلك في دين الإسلام الذي أكمله الله لنا قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، وهو طعن في كتاب الله القرآن الكريم الذي لولا حفظ الله له ليكون مرجعنا في مسيرة حياة أجيالنا إلى أن تقوم الساعة، فإذا لم نقف الموقف الذي ندافع به عن رسولنا صلى الله عليه وسلم، فقد فرطنا في كل ما سبق.

الأمر الثاني: أن ندرك ما لاقاه صلى الله عليه وسلم من العنت والمشقة في سلمه وحربه، لينقل لنا هذا الدين، ليسعدنا برضا الله عنا، وينقذنا من سخطه وعذابه.

الأمر الثالث: أن نذكر ما أوجبه الله له من النصر والتوقير والأدب معه صلى الله عليه وسلم، ولهذا قرن الله تعالى حق هذا النبي الكريم، بحقه في كتابه وفي شعائر عبادته، فقال تعالى:

((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (١٠)) [الفتح] فقد ذكر بعض المفسرين أن ضميري الغائبين المفردين في قوله تعالى: (وتعزروه وتوقروه) فقد قرن الله بين الإيمان به الإيمان برسوله، خص رسوله على هذا التفسير بالتعزير – وهو النصر – والتوقير، ثم خص نفسه بالتسبيح.

واعتبر الله بيعة المسلمين لرسوله بيعة له تعالى في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)

وأوجب الله تعالى الأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم في خفض الأصوات عنده كما يحصل من بعضهم عند بعض، وحرم رفعه وجعل ذلك محبطا أعمال من فعله، وأنكر على الأعراب مناداته من خارج حجراته، كما قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) الحجرات

قال القرطبي في تفسير هذه الآيات – بعد أن ذكر أمثلة في الحديث في سبب نزول الآية :-

"قال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به.

وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا" [الأعراف: ٢٠٤]. وكلامه صلى الله عليه وسلم من الوحي، وله من الحكمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه.

ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون. وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جَرْسِه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر وقال تعالى في امتنانه عليه بإكرامه له: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) [الشرح (٤)]

ولهذا شرع ذكره صلى الله عليه وسلم مع ربه في الأذان وفي التشهد، وفي الدعاء للموتى.

الأمر الرابع: نفى الرسول صلى الله عليه وسلم نفيا مؤكدا بالقسم بربه، الإيمان الشرعي الصادق عمن لم أحب عنده من أقرب المقربين إليه من أهله، كالوالد والولد، فضلا عن غير أقاربه من الناس.

روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) وفي رواية أنس: (والناس أجمعين). والحديث في صحيح مسلم.

بل ثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الآن يا عمر)

ففي هذا الحديث: وجوب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلى المؤمن من نفسه.

وهنا يجب على المسلمين أفرادا وجماعات وأحزابا، ودولا، أن يسألوا أنفسهم: هل معاملة من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهان به وسخرمنه، في العلاقات السياسية والاجتماعية والدبلوماسية والاقتصادية والإعلامية، ومع إصراره على موقفه ممن هو أحب إلى أنفسنا، هل هم مؤمنون إيمانا صادقا.

ونسأل من لا يقاطع اقتصاد الدول التي حصلت إهانة رسولنا صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به، أي الأمرين أحب إليك يا مسلم رسولك أم جوال؟ بل أيهما أحب إليك نبيك أم قطعة قماش تستريها؟

إن المسلم لا يليق به أن يتعامل مع من استهان برسوله صلى الله عليه وسلم في بيع أو شراء، وبخاصة إذا كانت السلع التي يحتاجها موجودة في السوق من دول أخرى، إن المسلم ولو كان غير ملتزم بدينه كما ينبغي ولو كان يتعاطى شرب الخمر المحرم عليه، والذي يجب عليه الإقلاع عنه فورا، فإذا أصر على ارتكاب هذا المحرم، فلا يليق به أن يشتريه ممن أهان رسوله صلى الله عليه وسلم، أسواق غير تلك الدول مندوحة.

وإن من الأسئلة التي يجب أن نوجهها لمن يؤمنون بالرسول صلى الله عليه وسلم، سواء كان فردا أو جماعة أو دولة:

ما ذا ستفعل لو وجهت الإهانات إلى والدك أو ولدك أو علم بلادك أو دولتك ونظامها؟

وهل ولدك ووالدك وعلم بلادك ونظامها ونفسك أحب إليك من نبيك، فتنتصر لها ولا تنتصر لرسول الله حبيبه؟

نحن لا نطلب من كل تلك الفئات أن تقاتل الدول التي حصل فيها الاستهزاء برسولنا، ولا بخطف رعاياهم وقتلهم في بلداننا، وإنما نطلب فقط أن نغيظهم بما يؤثر فيهم وهو العلاقات بأنواعها، لا بالكلام فقط؟

إن كلامنا عندهم لا يساوي صفرا على اليسار، ما داموا يحصلون على مصالحهم المادية منا.

يا مسلمون! كل عدوان على ديننا واستهزاء بربنا أو قرآننا أو رسولنا صلى الله عليه وسلم، يمر بدون وقفة صادقة في الدفاع عن ذلك سيجرئ أعداءنا علينا، فاختاروا لأنفسكم إرضاء أعداء نبيكم، أو إرضاء ربكم، وأنتم إليه راجعون، فينبئكم بما عملتم.

==========================

أي حرية وأي ديمقراطية؟

أ.د. محمد خضر عريف

ان سياسة الكيل بميكالين اصبحت سمتاً شاملاً في الممارسات الغربية كافة، وقد انتقلت عدواها المميتة من اقاصي الارض في العالم الجديد إلى الجزء الغربي من العالم القديم، وما عاد الغربيون يستحيون من العمل بها في وضح النهار وعند كل مناسبة فهاهم يصرحون بأن ما اقدمت عليه الصحف الدنماركية والنرويجية وتبعتها فيه الصحف الفرنسية، انما هو ممارسة لحق مضمون في النظم الديمقراطية الغربية وهو حق حرية التعبير وحرية الرأي، وها هم يؤكدون ان الحكومات لا تستطيع الحجر على الصحافة والاعلام مهما كانت تجاوزاتها استناداً إلى مبدأ حرية الرأي، وعليه فقد تبجحت صحيفة (فرانس سوار) بعد إعادة نشر الرسوم المشينة، وقالت (انه يحق لها الاستهزاء بالله قبل ان يحق لها الاستهزاء بمحمد) والعياذ بالله و(الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون).

ومن هذا المنطلق فان الاتحاد الاوروبي أكد انه سيقف مع الدنمارك في حال اعلان مقاطعة رسمية من بعض الدول الإسلامية، وسيرفع الاتحاد القضية إلى منظمة التجارة العالمية لتتخذ ما هو مناسب لأن الاتحاد يعتبر اي اجراء رسمي متخذ ضد الدنمارك اعتداءً على الاتحاد الاوروبي برمته.

ذلك موقف الاتحاد الاوروبي من القضية، اذ يحترم الاوروبيون رأي من كانوا خلف هذه الرسوم وان كانوا لا يمثلون الشعب الدنماركي كله او غالبيته فماذا كان موقف الاتحاد الاوروبي كله ومن قبله امريكا من رأي الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني الذي انتخب حركة حماس لتحكمه في انتخابات نزيهة وسلمية ونموذجية؟

لقد وقف الغرب كله وقفة واحدة - والكفر ملة واحدة - في وجه حرية الرأي هذه ليضعوا كافة العراقيل في وجه هذه الممارسة الديمقراطية الفريدة في العالم العربي في سعي حثيث لافشال مشروع حماس السياسي وجعل من المستحيل تشكيل حكومة فلسطينية بقيادة حماس، حتى لو كانت تمثل الكثرة الكاثرة من فئات الشعب الفلسطيني، وعليه فان الكونجرس الامريكي سارع إلى وضع مشروع قانون لتجميد المساعدات الامريكية للفلسطينيين وسيمضي القانون دون ادنى شك، ومن قبل ذلك سارع الاتحاد الاوروبي الى فرض املاءات عسيرة على حماس كي تحظى بمساعدات الدول الاوروبية اهمها الاعتراف باسرائيل وحقها في الوجود، فاين مبدأ حرية الرأي؟ الذي يتيح للاعلام الاوروبي التطاول على نبي مليار ونصف من البشر ويحجر على رأي شعب باكمله بعد ان قال كلمته في انتخاباته الحرة النزيهة وما اريد ان اضيفه أيضاً هو ان ما تناقلته وسائل الاعلام الاوروبية والامريكية من ان الانظمة الغربية لا تمنع الاستهزاء برسل كعيسى وموسى وسواهما، فكيف تستطيع ان تمنع الاستهزاء بمحمد (صلى الله عليه وسلم)؟ جزء من كذبة كبيرة يريد اليهود والنصارى لها ان تنطلي على عامة المسلمين فقد شهدت بنفسي مواقف كثيرة تصدى فيها الاوروبيون حكومات وشعوباً لأي مساس

بعيسى عليه السلام خصوصاً في القنوات الاعلامية فقد كنت في امريكا حين ظهر فيلم:(غواية المسيح الأخيرة (The last temptation of christ

الذي يصور المسيح والعياذ بالله على انه فاسق فاجر مرتاد للمواخير ويلصق به اقذع الصفات وافظعها واذكر ان تسع دور فقط من دور السينما في امريكا سمحت بعرضه من بين الاف الدور المنتشرة في انحاء امريكا، ثم كان ان خرج المتظاهرون بالالاف امام تلك الدور التسع في صخب شديد حاملين لافتات كتب عليها، اوقفوا هذا التجديف او هذا الكفر:(stop that blasphomy) وواصلت وسائل الاعلام الضغط على دور السينما حتى توقف عرض الفلم بعد ايام قليلة.

وحصل الموقف نفسه بشكل اشد من قبل اليهود بعد عرض فلم :(موسى المقدس) (holy Moses) الذي يسخر من موسى عليه السلام ووقف اليهود كذلك في وجه عرض فيلم: (عذابات المسيح) الأخير الذي يتهمهم صراحة بتهمة الوقوف خلف صلبه (من وجهة نظر النصارى) ولو اتسع المقام لسقت عشرات المواقف المشابهة التي تبين بما لا يدع مجالاً للشك ان حرية التعبير في الغرب لا تصل إلى حد المساس بالانبياء والرسل والمعتقدات الدينية وان الدماء يمكن ان تسيل لديهم جراء ذلك كما انهم مارسوا ضغوطاً اكبر بكثير من التي يمارسها المسلمون اليوم لوقف تلك التجاوزات منها المقاطعة ان الديمقراطية كذبة كبيرة وحرية الرأي المزعومة كذبة اكبر منها، ولن يكون اليهود والنصارى بإذن الله اكثر غيرة منا نحن المسلمين على انبيائهم ومقدساتهم.

أيعقل أن تعظم شركة آرلا مؤتمر البحرين أكثر من بعض المسلمين١

الكاتب: الشيخ رائد حليحل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وبعد:

لقد تنامي إلى مسامعي في الآونة الأخيرة انتقادات لتوصية المؤتمر العالمي لنصرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي قضت بضرورة إيقاف المقاطعة عن منتجات شركة (آرلا) والملاحظ أن الناقدين على ضربين.

الأول:

علماء أفاضل وأجلاء، نحترمهم ونحترم رأيهم إلا أننا نرى أنهم لم يستجمعوا كل ملابسات القضية، ولم يعوا تفاصيل الواقع الغربي السائد مما جعل نظرهم قاصرا وبالتالي ما نراه هو خطأ اجتهادهم.

الثاني:

أناس وكأنهم يتصيدون بالماء العكر، لصالح حسابات خاصة فلا أملك لهؤلاء إلا الدعاء لهم بالرحمة والهداية وأذكرهم قائلا (ما هكذا يا سعد تورد الإبل).

ولكن عموما فإنني أقدر وبشكل كبير المشاعر الجياشة والعواطف العارمة، والحب الكبير لشخص النبي المصطفى والحرص على توظيف كل الإمكانات وقد تصور البعض أنها محصورة بالمقاطعة فقط والاستفادة من كل ما من شأنه رد الاعتبار لمقام النبي المختار، إلا أنني أرى أن العاطفة وحدها، ليست الخيار الأفضل، بل لا بد من ضبطها بمعيار الشرع الذي حث على تحقيق مناط أي حكم، والنظر في الواقع، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ولمعرفة المرجحات لرأي المؤتمر العالمي ولجنة المتابعة المنبثقة عنه، لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلا، ولا بد من الإجابة على أسئلة مهمة تسلط الضوء على خفايا الأمور: تحديد المسيء؟ من هو، ومن دعمه وأيده وسانده؟ من الذي برر الإساءة ودافع عنها؟ ومن الذي عارضها وبذل ما يمكنه لإضعاف أهلها؟ ما العمل المطلوب من شرائح المجتمع الدانمركي على اختلاف أطيافه؟

سنجد، وبشكل واضح أن الذي تولى كبر القضية هي جريدة (اليولاند بوسطن) التي نشرت الرسومات المسيئة في ٢٠٠٥/٠٩/٣٠ للميلاد، وهي جريدة مستقلة، حرة وإن كانت قريبة جدا في ميولها من التيار اليميني الحاكم ولا يتعب المتابع كثيرا ليرى مدى التناغم الكبير بينهما، ولكن لم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل تعاملت الحكومة مع القضية بشكل أشعر المراقبين بأنها متواطئة، متعاونة، موافقة، غير كارهة ولا عابئة ولا حتى ممتعضة من عمل الصحيفة؟ وبالتالي أصبح للجريدة شريكا ألا وهو الحكومة الحالية. وبقى الشعب على الحياد بحجة أن ثقافته لا توجب عليه التدخل في هذه القضية فظهر بمظهر اللا مبالي.

ومرت الأيام، بل الشهور وكأن شيئا لم يكن -وهذا للأسف على صعيد العالم الإسلامي- ولحكمة يعلمها الله مرت ثلاثة شهور ونصف، وبعدها هبت العاصفة التي لا يستطيع أحد -مهما كان دوره- أن يدعي فضل تأجيجها، إذ الفضل لله وحده، إظهارا لكرامة المصطفى ومقامه الكريم واللافت للانتباه أن عامة الناس هم الذي أخذوا قرار المقاطعة، مستبقين الفتاوى من العلماء، ولا شك أنه كان عملا مهيبا، أحيى في الأمة الأمل من جديد، فهي أمة قال عنها قائدها أن خيرها لا ينقطع، يكفي في تلك الهبة العارمة أنها دلت، بما لا يدع مجالا للشك، على أن الأمة محبة ومعظمة وموالية لنبيها وإمامها وأسوتها وقائدها، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم. ومرت الأيام ولا بد لنا أن نلقي نظرة فاحصة على واقعنا كمسلمين داخل الدانمرك وخارجها لنجد التالي، والذي لا يليق بنا تجاهله عند حكمنا.

على صعيد الدانمرك:

فإن شيئا ما لم يتغير على صعيد الحياة اليومية، بل أحيانا يظن الناظر في الواقع أن شيئا لم يكن، اللهم إلا إن كان يستمع للأخبار.

أما الجريدة فلم تعتذر ولم تقدم ما يشعر بندمها بل كانت مصرة على موقفها حتى الرمق الأخير، أما الحكومة فقد تحلت بالصبر حتى تمر الأزمة وهي ماضية في موقفها متذرعة بعدم إمكانية إدانتها لعمل الصحيفة لأن قانون الحريات يكفل لها ذلك، فكذبها الله وأدانت عمل شركة (آرلا) واصفة إياه بأنه ركوع للمسلمين.

أما الشعب الدانمركي فبقي على بروده المعتاد دون حراك، اللهم إلا مظاهرات بسيطة متواضعة لا ترتقي إلى مستوى الفعل وردات الفعل عليه وكذا بعض البيانات الصادرة من هنا أو هناك.

وما له علاقة بشركة (آرلا) فإنها كانت بين مطرقة المقاطعة في العالم الإسلامي وسندان مقاطعة سابقة داخل الدانمرك، أفضت إلى استبدال الكثير من الأسواق لمنتجاتها بمنتجات أخرى ولأسباب داخلية وجدت نفسها تدفع ثمن فعلة غيرها فحارت بين النظر إلى مصالحها والنظر إلى مصالح الوطن كما أوهم البعض من ضرورة ثباتها وعدم خذلانها لأنصار الحرية كما زعموا.

وعلينا أن لا ننسى أن شركة (آرلا) ليست شركة وطنية، بالمصطلح العربي، فليست هي الحكومة حتى تتحمل مسؤولية عمل الأخيرة وليست تابعة للجريدة أو داعمة لها، وقبل ذلك لا بد أن نعرف أن الحكومة لم تعد الشركة بتعويضات لأنها تراهن على عقود فيها بنود جزائية والتزامات تجارية، قد تخرج الدانمرك من أزمتها، ويتحمل بعد ذلك المسؤولية عن هذه الخسائر جهات أخرى ولا يستبعد أن يكون المسلمون هم الدافعون لتلك الضريبة.

إلى جانب أن الحكومة الدانمركية كانت تعول آمالا على دعم لها من الاتحاد الأوروبي، بل صرح المسؤولون فيها مرارا أن المقاطعة لم تضر بها وذلك لأن صادراتها للعالم الإسلامي لا تتجاوز العشرة في المائة.

وخلاصة القول:

أن المقاطعة آذت الدانمركيين ولكنها لم تضرهم وعليه فلا يصح العتاب الآن بأن يقال لماذا قاطعنا إذن؟ بل يقال يكفي المقاطعة أنها عبرت عن الحب الكبير لنبينا ولديننا وعلينا أن لا ننسى أن المقاطعة خيار شعبي وهو لا يملك غير ذلك والله لا يكلف نفسا إلا وسعها، يكفيها أنها حركت مشاعر الأمة، ونبهت خصومها إلى ثبات الأمة واحترامها لمقدساتها. فالخلل لم يكن بالمقاطعة ولن يكون برفعها بل الخلل كله في جعل المقاطعة السبيل الأوحد وعدم رفده بما يشكل ضغطا على المعتدي ليرد الحق إلى أصحابه ولذلك فإني أناشد الإخوة في الله أن يكونوا موضوعيين هذه المرة وأن ينظروا للقضية من كل جوانبها ولئن ساءهم وقف المقاطعة بعد وقوعها فقد كان الأولى أن يسوءهم ما لم يقع أصلا وكان مؤثرا أكثر، فالتقصير كبير وعلى شتى المستويات.

أما على صعيد العالم الإسلامي:

فإن التوصية برفع المقاطعة عن منتجات شركة (آرلا) بعد خطابها الواضح والصريح، كان قرارا عاقلا وحكيما بل ومنسجما مع قواعد الشريعة الغراء. وخطأ المعترضين أنهم رأوا القذاة في عيون الدعاة ولم يروا الجذع في عيون غيرهم، وإن المتابع لمجريات الأحداث في عالمنا الإسلامي يجد معوقات أمام المقاطعة كانت كفيلة بزوالها دون تحقيق شيء من المصالح والمكتسبات، فإنه مما أثخن في المقاطعة وأوهنها أمور:

١- ظهور بعض الأصوات التي قللت، للأسف، يومها من شأن المقاطعة، سواء من أفتى بحرمتها وبعضهم صرح ببدعيتها وغير ذلك مما عودنا البعض على سماعه عند كل معضلة ونازلة، أو من جهة من قلل من شأن المقاطعة وصورها وكأنها مسعرة حرب ونحن بأمس الحاجة للسلام فرفع شعار الحوار على أنه أوحد خيار، فساهمت تلك الدعوات بدفن الأمل الذي سرى في أوساط الأمة، ورغم هول المصاب وفداحة الموقف وما قابله من حرقة عظيمة وفورة في المشاعر وإقبال من الناس لنصرة الحبيب المصطفى، في تلك اللحظات الحاسمة جاءت تلك الدعوات، من بارزين في مجتمعنا، لتقوم بدور الفرامل، كابحة جماح ثورة عارمة، فكانت تلك الأصوات بل بعض الممارسات موهنة للعزائم مثبطة للهمم مطفئة لجذوة الغيرة، ألا فسامح الله من عمل ذلك وهو يظن أنه يحسن صنعا.

٢- إن المتتبع لأحوال المسلمين اليوم ولا سيما عند المحن ليعجب كل العجب من حالنا، إلا من رحم الله، أمة سرعان ما تنتفض ثم تنطفئ، تبدأ أعمالها بشكل انفعالي عاطفي، تفرغ معه شحنتها كاملة ثم لا تلبث أن يدب إليها التراجع واليأس مع أننا كلنا يعلم أن النصر مع الصبر، وديننا علمنا أن أفضل الأعمال أدومها وأن الله لا يمل حتى يملوا. وأنا عندما أقول ذلك لا أفشي سرا، فإن الدانمركيين صرحوا به قبل مؤتمر البحرين بل في وقت الذروة والنشوة للمقاطعين وقالوا: سنصنع كسنبلة القمح ننحني للعاصفة حتى تمر وقد عودنا المسلمون أنهم سرعان ما تفتر عزائمهم. يا سبحان الله وكأني بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحاكي واقعنا (عجبت لجد الفاجر وعجز الثقه) فإلى الله المشتكى وهنا يحسن بنا التذكير أن المقاطعة لم تكن سوى ردة فعل عاطفية متأخرة وغير مدروسة ولا مخطط لها وهذا بحد ذاته لم يكن مبشرا، فالمخاوف كانت تشوب المقاطعة حتى قبل وجودها لعدم توفر المناخات المناسبة.

٣- عمليا: لم تكن المقاطعة أمرا واقعيا مطبقا في أرجاء عالمنا الإسلامي، اللهم إلا في بعض البقاع المباركة وهي محدودة، عودتنا دائما التفاعل الإيجابي مع قضايا المسلمين، بينما بقية العالم فلم يكن يعنيه الأمر شيئا وقد تكشفت بعض الحقائق حول هذا الأمر أخيرا.

٤- وهنا بيت القصيد أن المقاطعة لم تكن تستند إلى أرضية ثابتة، أعني أن ارتباط الجهات الرسمية بمعاهدات وعقود وعلاقات جعلتها مكبلة لا تقدر على أخذ موقف واضح معلن، وبالتالي فإن المقاطعة التي كنا نفخر في بدايتها أنها شعبية محضة لم يعد ذلك محل فخر واعتزاز فقد آن الأوان لتبنيها وتقنينها ودعمها لتكون فاعلة ومؤثرة فالله

عز وجل يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وعليه فإن الحمل كان ثقيلا على الاقتصاديين وحدهم لأنه كان لزاما على الأمة بشتى أطيافها أن تقف موقفا واحدا وواضحا ليكون ذا أثر، أما حصر القضية بالتاجر والمستهلك فمعناه أننا حرمنا على أنفسنا طعاما لسبب، نحترمه، ولكن لم نطور من عملنا ليكون ضاغطا للإصلاح والتغيير، وبصراحة تامة فإن الغاية من المقاطعة لم تتحقق بل أصبح، ضمن هذه الظروف، تحقيقها ضربا من المحال أو الخيال، وعليه فرفع المقاطعة لا سيما عن المتبرئ ليس هو السبب في ضياع حقنا بل السبب هو هواننا على الناس فإلى الله المشتكى وعليه التكلان.

٥- لو نظرنا لواقعنا نظرة متفحص وبإخبار الثقات من الغيورين المتابعين للواقع، تبين أن البضاعة الدانمركية عادت لكثير من أسواق المسلمين دون قرار ولا رأي ولا توصية بل حتى ولا فتوى، اللهم إلا إذا استثنينا بعض البلاد التي لم تفعّل فيها المقاطعة أصلا فبقيت بضائعهم على رفوفها. فاللوم إذن ليس على التوصية نفسها لأن العلماء أخذوا بها لما وجدوا أنفسهم أمام مفترق طرق إما أن يتجاهلوا بيان شركة (آرلا) أوانهم يتعاطون معه بما يلزم. وإما أن يلحظوا واقع المسلمين وضعفهم ويستفيدوا من تلك الفرصة ليكون عود البضائع بيدهم ويستفيدون منه ويوظفوه لصالح القضية أو أن تخرج أوراق اللعبة من أيديهم ويعود كل شيء إلى مكانه دون مراجعتهم ودون تحقيق أي من المكتسبات وبذلك يضعون أنفسهم موضعا يصدق فيه "ويقضى الأمر حين تغيب تيم....ولا يستشهدون وهم شهود"

٧- بعض المظاهر السلبية والأفعال غير المنضبطة التي واكبت المقاطعة، مما جعل الجميع -ما دام معترضا- في خانة يسعى للبراءة منها (الإرهاب) والذي أراه والله أعلم، بعد كل ما أوردت وغيره مما قد لا يحسن إيراده، وبما أنني معني بالأمر ومطلع عليه عن قرب فأنا ابن هذه المحنة وأرى أن قرار الدعاة إلى الله كان قرارا حكيما وعاقلا جدا ومع كل ذلك فإنه لا يسعنا إلا أن نحترم وجهة النظر الأخرى وأرجو من الله أن يكون لكلينا نصيب من شفاعة الرسول الكريم كما تكرم الله على فريقين من الحجاج (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى) جعلنا الله من المتقين الذابين عن سيد المرسلين.

أسباب وجيهة تستدعي رفع المقاطعة عن شركة (آرلا) لا عن سواها:

الأول: لا بد لنا أن نتنبه أن شركة (آرلا) شركة غذائية مساهمة فهي ليست تابعة للجريدة المسيئة ولا الحكومة المتواطئة وبالتالي فليست شركة (آرلا) مسيئة للمسلمين ولا داعمة لمن أساء إليهم، وعليه فتحميلها مسؤولية عمل غيرها ليس من العدل ولا من الإنصاف.

الثاني: شركة (آرلا) كغيرها من مواطني الدانمرك فإنه بعد أن استبانت الأمور وانجلت الحقائق فإنها لا تملك إلا الإدانة والبراءة من عمل الصحيفة وإعلان ذلك، ليقل الظهير ويضعف النصير للمسيء، وإن المتابع لما ذكرته الشركة في بيانها المنشور على

صفحات الجرائد والصحف العالمية بل وعلى المحطات المرئية والمنصوص عليه في موقعها وباللغات الثلاث "العربية والانجليزية والدانمركية" من قرأه بتمعن يجده تصريحا واضحا لا لبس فيه، مما يجعل المسلمين إزاءه في حرج شرعي فرفض ما صرحوا بإدانته أمر يجانب الصواب، وقبوله ليس له معنى إلا رفع الضرر عنهم وإعانتهم على حل مشكلاتهم. والكلمة الأخيرة للإنسان فله الخيار الكامل، لأن توصية العلماء ليس فيها إلزام كما لم تكن المقاطعة أصلا على وجه الإلزام.

الثالث: أن تصريح شركة (آرلا) بأنها ستبذل ما بوسعها لمساعدة المسلمين في كل ما من شأنه أن يعيد لهم اعتبارهم ويحقق لهم احترام دينهم، يعتبر عملا إيجابيا لا يجوز التغافل عنه أبدا.

الرابع: أن توجيهها الخطاب إلى العلماء والدعاة المجتمعين في البحرين يجعل العلماء أمام التزام أدبي، إذ ليس من أدب الإسلام إذا ما استجارك أحد أن لا تجيره، كيف وقد ميز نفسه عن المسيئين، فبأي حق يلحق بهم مع براءته ويأخذ حكمهم مع إدانته، إلى جانب ما فيه من لغة الاحترام والتقدير للعلماء المجتمعين هناك.

الخامس: إن موقف الحكومة من كلام شركة (آرلا) بأنها ركعت للمسلمين، خير دليل على أن كلامها بل موقفها قد أدى ما نطمع إليه من تكثير المساندين لنا داخل المجتمع الدانمركي، ويقلل من أنصار المسيئين والمتعاونين معهم، فإن لم يكن في كلام (آرلا) إلا أنه أغاظ الحاقدين فكفى به شرفا لنا أن نجد نصيرا لنا من بينهم.

السادس: إن موقف العلماء العاقل والمتزن سيشجع أمثال (آرلا) لعمل مشابه، بل سيكون له أثره الدعوي الكبير إن لم يكن على المدى المنظور فلا شك أنه مستقبلا سيكون أمرا جيدا لصالح الإسلام ودعوته في تلك الديار، فالموقف كان رسالة متوازنة تماما ولسان حالنا يقول نحن لسنا غوغائيين كما تصورون حتى نعادي من سالمنا وكذلك لسنا بهذه الدرجة من الهوان حتى نسالم من يعادينا، فرسالتنا واضحة سلم على من سالمنا وحرب على من عادانا وبهذا يتضح للجميع لماذا قاطعنا ومن قاطعنا وما غايتنا من المقاطعة وما الحكمة منه، فهي ليست غاية في نفسها بل عملت لغاية وإن نبل الغاية لن ينسينا نبل الوسيلة أيضا. فالمقاطعة وسيلة لا غاية.

السابع: أن تجاهلنا لكلام (آرلا) سيسجل علينا لا لنا، ويظهرنا بمظهر غير المنصف ولا العادل بل ولا الإيجابي المتفهم لواقعه، وسيضعف موقفنا فنصبح في موقع المتأثر بالأحداث لا المؤثر فيها ويكفي ذلك مفسدة لأنه سيكون تجاهلا غير مبرر.

الثامن: أن الموقف الحكيم هذا كان له أثر إيجابي على واقع المسلمين في الدانمرك في وقت حاول الإعلام تصويرهم بأنهم مؤججوا نار فبدا للجميع أنهم عناصر إطفاء بل إنقاذ وإنهم يسالمون من سالمهم وهم متوازنون بين الحرص والغيرة والمحافظة بل والاستمرار بمطالبتهم بحقهم والذي من أعظمه احترام دينهم ونبيهم صلى الله عليه

وسلم، وفي نفس الوقت الذي يطالبون فيه بحقوقهم، يؤدون حقوق الآخرين، ولا يظلمون أحدا بجريرة غيره.

وبصراحة تامة، فإننا لا نخجل من موقفنا هذا لأن الله يعلم ويشهد أننا ضحينا وثبتنا في وقت قل فيه النصير وعز فيه الظهير، وكان وسيبقى شغلنا الشاغل إعزاز ديننا الذي دونه المهج ولا نخجل من استدلالنا بقول الحق (ألا تزر وازرة وزر أخرى) ولو استخدمت كثيرا في غير محلها، لكن المقام هنا واضح لا لبس فيه.

ولرب معترض يقول: ما دام الأمر كذلك فلماذا قوطع هؤلاء أساسا، فأقول مضيفا لما تقدم أن هذا الموقف "أعني المقاطعة" كان لا بد منه في أول الأمر. أما بعد اتضاح السبيل ومعرفة المجرم المسيء والمتعاون معه من المحايد بل الرافض فعلينا أن لا نجعلهم سواء وهم من قال الله عنهم "ليسوا سواء".

التاسع: أن شركة (آرلا) نفسها ولو كانت منطلقاتها مادية إلا أنهم أيضا محل لدعوتنا فإذا ما أحسوا بعدلنا وإنصافنا الذي خاطبونا به فلا شك سيكون له أثر دعوي عليهم وعلى أمثالهم ولن يفوتني هنا أن بعض الشركات بدأت بالاتصال باللجنة العالمية لتسوية وضعه أسوة بآرلا.

وللاطمئنان أكثر فإن جريدة اليولاند بوسطن وبتاريخ ١٤-٠٥-٢٠٠٦ ذكرت (مستهجنة) أن شركة آرلا مارست كثيرا من الضغوط على رئيس الوزراء ليدين الرسوم ويعتذر من العالم الإسلامي. وتتهمها بأنها بالغت في أرقام الخسائر الناتجة عن المقاطعة لتستعطف الناس وتحملهم على الخضوع لرغبات المسلمين فيقدموا لهم الاعتذار الذي يكفل لهم رفع المقاطعة.

وختاما: نحن مسلموا الدانمرك لم نقل هذا تحت أي ضغط إلا رعاية لمصلحة دعوية بحتة ولأننا نرى أن ديننا يأمرنا بذلك ولو كان الضغط هو الدافع لطالبنا برفع المقاطعة مطلقا كما كان يطلب منا -إن من الخصم أو حتى من الصديق- ولكنا نقولها بفخر واعتزاز، دون خوف ولا وجل: أعز شيء على قلوبنا "حبيبنا ونبينا" ونفتديه بكل شيء، ولو كنا نعلم سبيلا يفضي إلى احترامه وتوقيره، حتى عند الكافرين، لسلكناه مهما كان صعبا.

فإن عبرت المقاطعة عن الحب فرفعها عن آرلا يعبر عن الإتباع الكامل له، وهو معلمنا أن لا نظلم أحدا أيا كان، فالتوصية برفع المقاطعة عن (آرلا) لا عن سواها فقط لموقفها لا يجوز اعتباره تفريطا بحق من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا فيه تمام العدل إذ أن المؤتمر قرر الرفع على الجهة التي أدانت الرسومات وتبرأت منها وأظهرت الرغبة في التعاون مع المسلمين لإيجاد المخرج المناسب لهذه القضية، ونلاحظ أن المؤتمر لم يوص برفع المقاطعة عن الجميع مطلقاً حتى يتهم بأنه أوهن المقاطعة وأضعفها، كيف لا وهو الذي قدم دراسة تأصيلية فيها التدليل على شرعية المقاطعة وأنها أسلوب حضاري ينبغي تفعيله والاستفادة منه بضوابط لا بد من رعايتها.

فبدل أن نقضي الأوقات في جدل لا يقدم ولا يؤخر لم لا نقبل جميعا على ما يجب علينا أن نمضي به في سبيل نصرتنا لرسولنا فإن سبيل النصرة ما زال مشرعا أمامنا، يحتاج منا أن نلجه لا أن نقف على أعتابه متعاتبين.

فالإساءة هي هي لم تتغير فهلا ابتكرنا ما يمكننا من تغيير المنكر وإزالته فضلا عن إنكاره، اللهم وفق الجميع لما تحبه وترضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين.

رئيس اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية

====================

أيّهما أولى بالمقاطعة ؟

تاريخ الإجابة ٠٥/١١/٢٠٠٠

موضوع الفتوى السياسة الشرعية

بلد الفتوى - السعودية

نص السؤال أيّهما أولى بالمقاطعة – منتج تنتجه بالكامل دولة أجنبية: فرنسا أو ألمانيا أو الصين أو تايلاند – أم منتج لبضاعة أمريكية معروفة لكنّه ينتج في دولة عربية أو إسلامية وتقوم هذه الشركة بتوظيف بعض المسلمين فيها كما تحصل الدولة على بعض المزايا لكن الجزء الأكبر من الأرباح يذهب للشركة الأمريكية في صورة أرباح على رأس المال أو للأبحاث والتطوير أو للمديرين الكبار أو ما يسمّى (إتاوة المبيعات)؟

نص الإجابة

اتفق جمهور الفقهاء على جواز التجارة مع الحربيين(١) – وهم غير المسلمين الذين لا توجد بينهم وبين المسلمين عهود. ومن باب أولى أنّ التجارة جائزة مع غير المسلمين الذين توجد بيننا وبينهم عهود، وهذا يشمل اليوم كلّ دول العالم المرتبطة بميثاق الأمم المتحدة والمواثيق المتفرّعة عنه. ولم يستثنِ الفقهاء من ذلك إلاّ أمرين: -

الأول: الاتجار بالمحظورات الشرعية كالخمور والخنازير وسائر المنكرات.

الثاني: تصدير السلاح أو الأدوات التي يصنع منها.

وبناءً على ذلك فإنّ الأصل الشرعي هو جواز المتاجرة مع جميع الدول الأجنبية كفرنسا وألمانيا والصين واليابان وتايلاند وغيرها ..

أمّا فتوى مقاطعة البضائع الأميركية التي أطلقها علماء وقادة الحركة الإسلامية فهي مبنية على أنّ الولايات المتحدة الأميركية تساعد إسرائيل بالمال والسلاح، وهي التي تمكّنها من الاستمرار في احتلال فلسطين وتشريد ٤ ملايين من أهلها في بقاع الأرض، وإذلال واستغلال من بقي منهم هناك. وتدفع الولايات المتحدة سنوياً أربع مليارات دولار لإسرائيل كمساعدة رسمية. ومعنى ذلك أنّ الدولار الذي تربحه أميركا من التجارة مع

المسلمين يذهب رصاصة في صدور الفلسطينيين. وهذا ليس فقط خذلاناً لإخواننا، بل هو مساعدة للعدو ضدّهم، والرسول صلّى الله عليه وسلّم ينهى عن ذلك بقوله: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ..)

إنّ مقاطعة البضائع الأمريكية تحتاج إلى دراسة تفصيلية من أهل الاختصاص حتىّ تحقق الغاية منها. وممّا لا شكّ فيه أنّ مقاطعة البضائع المصنوعة في أميركا كالسيارات والآلات وغيرها أهمّ بكثير من مقاطعة البضائع المصنوعة في بلادنا برخصة أميركية، لأنّ الأرباح المتحصّلة للاقتصاد الأميركي في النوع الأول أكبر منها في النوع الثاني.

ولا يقال أيّهما أولى بالمقاطعة؟ بضائع منتجة بالكامل في دولة غير مسلمة كفرنسا أو ألمانيا أو غيرها، أو بضائع منتجة في بلاد عربية أو إسلامية برخصة أميركية، لأنّ الأصل الإباحة لجميع أنواع البضائع الأجنبية، وفتوى مقاطعة البضائع الأميركية بُنيت على أمر عارض وهو المساعدة الهائلة من الولايات المتحدة لإسرائيل، فأيّ دولة تقدّم مثل هذه المساعدة، فإنّ الواجب الشرعي يقتضينا مقاطعة بضائعها. فالأولوية لا تكون بين حرام ومباح، وإنّما هي بين حرام أشدّ وحرام أخفّ. فيمكننا أن نقول مثلاً: إنّ شراء البضائع المصنوعة في الولايات المتحدة أشدّ حرمة من البضائع المصنوعة في بلاد أجنبية برخصة أميركية، وهذه أشدّ حرمة من نفس البضائع المصنوعة في بلاد إسلامية برخصة أميركية لأنّ استفادة الاقتصاد الأميركي من النوع الأول أكبر من استفادته من النوع الثاني، وهذه أكبر من النوع الثالث، وبالتالي فإنّ استفادة العدوّ الصهيوني من شرائنا البضائع الأميركية ناتجة عن مدى استفادة الاقتصاد الأميركي من هذه البضائع، وهذا أمر يحتاج إلى دراسة علمية من قبل أهل الاختصاص وليس هناك أيّ مبرّر للموازنة بين البضائع الأميركية – بكلّ أنواعها – إذ يحرم التعامل بها بناءً على هذه الفتوى، وبين البضائع الأخرى سواء كانت فرنسية أو ألمانية أو يابانية أو غيرها لأنّ التعامل بها يبقى على أصل الإباحة، إلاّ إذا تبيّن أنّ هذه الدول تقدّم أيضاً مساعدات للعدوّ الصهيوني، فينتقل أمر بضائعها من الإباحة إلى التحريم، وعند ذلك يُبحث في مدى شدّة هذا التحريم في ضوء مدى استفادة العدوّ من مساعدات هذه الدولة أو تلك.

كافة الفتاوى المنشورة على شبكة "إسلام أون لاين.نت" تعبر عن اجتهادات وآراء أصحابها من السادة العلماء والمفتين، ولا تعبر بالضرورة عن آراء فقهية تتبناها
====================

إدانة الحكومة الدنمارك على خلفية الرسوم الكاريكاتيرية

الكاتب: --في تقرير رسمي :

كوبنهاغن- أدينت حكومة الدنمرك في تقرير رسمي بسبب إساءتها إلى الدول الإسلامية التي احتجت على نشر الرسوم الكاريكاتيرية عن النبي محمد، الصحيفة الدنمركية التي قامت بنشر تلك الرسوم لأول مرة ذكرت ذلك في موقعها على الإنترنت.

وكان رئيس الوزراء الدنمركي أندرز فوغ راسموسن قد رفض في أكتوبر ٢٠٠٥ مقابلة أحد عشر سفيراً من سفراء الدول الإسلامية طلبوا مقابلته بعد نشر الرسوم الكاريكاتيرية لأول مرة في صحيفة يلاندز بوستن الدنمركية اليومية.

وقد نقل الموقع عن دراسة تم إجراؤها بتكليف من الحكومة قولها "إن الطريقة التي اتبعتها الحكومة الدنمركية في إدارة أزمة الرسوم الكاريكاتيرية تسببت في مشكلة أكبر من مشكلة الرسوم الكاريكاتيرية نفسها، وقد كان من واجب رئيس الوزراء أن يتحاور مع سفراء الدول الإسلامية".

وكتب الباحثون الجامعيون الذين قاموا بإعداد الدراسة "أن الدنمرك من الناحية العملية، لم تكن ترغب في الحوار. فهي لم تتقبل وجهات نظر الطرف الآخر (أي الدول الإسلامية) ورأت في الانفتاح على الحوار مساومة على قيمها".

لقد اعتبر المسلمون تلك الرسوم الكاريكاتيرية مسيئة لدينهم.

وتم نشر تلك الرسوم على نطاق واسع في الصحف الأوربية، مما أدى إلى إثارة اضطرابات في كافة أنحاء العالم قتل فيها عدد من الناس.

وقد ركزت الدراسة على "المبادرة العربية" وهو مشروع طرحته الحكومة الدنمركية المحافظة في عام ٢٠٠٣ لتحسين الحوار مع الدول العربية.

وقد أصيب المشروع بالجمود بعد حادثة الرسوم الكاريكاتيرية التي أدت إلى توتر العلاقة بين الدنمرك والعالم الإسلامي، غير أن كوبنهاغن أعربت الآن عن رغبتها في إعادة تنشيط تلك المبادرة.

وفيما يلي ملخص للمبادرة :

وزارة الخارجية الدنمركية - مايو ٢٠٠٦

تحليل المبادرة العربية ومقترحات للمرحلة التالية

يشتمل ملخص هذا التقرير على أهم التجارب التي تمخضت عنها المرحلة التجريبية (٢٠٠٤-٢٠٠٥) من المبادرة العربية، ويقدم مقترحات للاستمرار في المبادرة. وقد تم إعداد هذا التقرير بواسطة وزارة الخارجية من خلال مادة تحليلية واسعة حول تطور الأوضاع في المنطقة العربية، ونشر استبيان بين المنظمات الدنمركية، وكذلك إجراء دراسة لمعرفة نظرة الشعب العربي تجاه الدنمرك بعد قضية الرسوم الكاريكاتيرية، بالإضافة إلى الاستماع للكثير من المصادر الدنمركية، وكذلك الممثلين الدنمركيين في المنطقة.

لقد بدأت المبادرة العربية في عام ٢٠٠٣، وتشمل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، من المغرب غرباً إلى إيران شرقاً، وهي جزء متكامل للسياسة الخارجية الدنمركية. وتشتمل المبادرة على مسارين: والهدف من تعدد المسارات هو لتقوية جهود المنتدى متعدد الأطراف، وخصوصاً جهود الاتحاد الأوربي فيما يتعلق بدعم عملية الإصلاح في

المنطقة. بينما الهدف من المسار الثنائي هو لتقوية حوار الدنمرك مع الدول في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وكذلك لدعم عمليات إصلاح محددة قامت بها بعض العناصر الفاعلة في المنطقة.

غالبية مشاريع هذه المبادرة لا تزال في المرحلة الابتدائية، ولا يزال الوقت مبكراً جداً للحكم على أثر المبادرة العربية على عملية الإصلاح في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وقد لوحظ في المنطقة أن هنالك رغبة كبيرة للمشاركة في المبادرة، وأن الدنمرك مدعوة لكي تتعاون في بعض عمليات الإصلاح، التي يُحتمل أن تسهم في إيجاد بعض الإصلاحات بعيدة المدى. والمبادئ الأساسية للمبادرة، في بناء برامج ثنائية للشراكة والحوار مع كل بلد على حدة بناء على طلبه، كانت حاسمة على نحو إيجابي لمصلحة المبادرة العربية في المنطقة. ولكن مع ظهور قضية الرسوم الكاريكاتيرية تعرضت صورة الدنمرك للتغيير، وهو ما أدى إلى تغيير الأسس اللازمة لتطوير المبادرة. ولا يزال هنالك اهتمام بين الحكومات والمنظمات والشعوب بأهمية الانخراط في حوار متكافئ وتعاون متبادل مع الدنمرك. فضلاً عن ذلك، تقدم التحليلات بعض وجهات النظر التي يجب أخذها في الاعتبار من أجل استمرار المبادرة. وهذه الأمور تتراكم في سلسلة من الأسئلة التي يجاب عليها بمقترح واحد أو عدة مقترحات، عن أهمية أي منها:

التركيز على المبادرة العربية دون المساس بالشركاء الرئيسيين الذين يملكون التأثير النهائي عند اختيار الجهود، ولا بأس من الأخذ بها:

• التركيز بشكل أساسي على:

١. الحرية في نيل الحقوق والتمتع بالحكم الجيد.

٢. إنشاء نظام تعليمي ومجتمع متعلم.

٣. تعزيز المساواة، وتشجيع مشاركة المرأة في حياة المجتمع.

• اختيار الحكومات الشريكة في المنطقة يتم على أساس تقييم نية الحكومة في تحقيق تقدم ضمن هذه الموضوعات الثلاث.

• الاتفاقيات الثنائية تعقد كأقصى حد مع ٦ من ١٨ دولة في المنطقة يحتمل ان تشارك. فبالإضافة إلى برامج الشراكة القائمة مع كل من المغرب والأردن واليمن، المبادرة الأولى أخذت على عاتقها مهمة إقامة برامج شراكة مع كل من الجزائر ولبنان.

• ومن ذلك لم يتم تنفيذ أي نشاطات ثنائية مع إيران.

• التعاون مع مصر مستمر من خلال معهد الحوار الدنمركي المصري، وفي مشاريع فردية أخرى ضمن المواضيع الثلاثة المهمة.

• البرامج الإقليمية تلي المواضيع الثلاث، ولكنها أيضاً تتضمن مشاركة المجتمع المدني في المنطقة برمتها بما فيها العراق وإسرائيل (الأقلية العربية) والمناطق الفلسطينية الخاضعة للحكم الذاتي.

• المواضيع الثلاث تسير في المسار متعدد الأطراف، خصوصاً في الاتحاد الأوربي، ولكن أيضاً في المنتدى من أجل المستقبل (Forum for the Future) ومنظمة الأمن والتعاون في أوربا (OSCE)، وكذلك التعاون بين المسارين الثنائي والمتعدد الأطراف يبدو أكثر فاعلية.

• اشتمال المسار متعدد الأطراف على المزيد من العناصر ذات الطبيعة الأمنية والسياسية مع أهميتها الإستراتيجية تتم مراقبتها بحذر من أجل تقوية حرية الناس في التمتع بحقوقهم في المنطقة، بما في ذلك مشاركتهم في تعزيز هيكل الأمن الإقليمي وأن يتم ذلك من خلال الإصلاحات الديمقراطية في قطاع الأمان.

واعترافاً بتطورها الاجتماعي والمالي، من الضروري بالنسبة للدول العربية أن تعمل للتصدي للتحديات التي تواجهها، ومن المستحسن بالنسبة للحكومة أن تقوم بالمبادرات التالية إلى جانب المبادرة العربية:

• إعفاء المنظمات الدنمركية غير الحكومية من القيود المفروضة على المنظمات غير الحكومية الأخرى لكي تتقدم للمشاركة في مشاريع المبادرة العربية التي تُعنى بمعالجة الفقر في الدول الشريكة في المسار الثنائي.

• الاستمرار في برنامج التواصل بين الشركات في مصر.

لقد أثبتت قضية الرسوم الكاريكاتيرية أن هنالك حاجة ماسة إلى إجراء حوار عالمي. ولذلك يستحسن الآتي:

• التركيز على ضرورة حرص المبادرة العربية على إجراء حوار عالمي. ولكن لابد لمثل هذا الحوار أن يقوم أساساً على أجندة ثابتة ترعى المصالح المشتركة وتراعي مناطق التركيز الأساسية الثلاث.

ولكي نمنح المنظمات غير الحكومية والقواعد الشعبية هامشاً أوسع في المبادرة، يستحسن الآتي:

• يجب فرض مساهمات محدودة على طلبات المنظمات غير الحكومية في المناطق المعنية.

مع إدراك أن الغرب والدنمرك ودوائر أخرى واسعة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا متهمة بازدواجية المعايير ولا ترقى إلى مستوى القيم التي يقوم عليها مجتمعنا، وهي حقوق الإنسان الأساسية، وتميل إلى انتهاج سياسة ذات نوايا خفية لا تتفاعل مع المشاكل الفعلية في المنطقة، يستحسن إتباع الآتي:

• المزيد من جهود الدبلوماسية الشعبية للتعبير عن الدوافع والقيم ومصداقية الدنمرك في الشرق الأوسط، ولتقديم مبادرة الشرق الأوسط على أنها جزء من السياسية الخارجية للدنمرك تجاه الشرق الأوسط، وهي تعطي الأولوية للجوانب الأمنية والاجتماعية والمالية- بنفس الدرجة العالية.

• البرامج الإقليمية تشتمل على مشاركة المنطقة برمتها، بما فيها العراق وإسرائيل (الأقلية العربية) ومناطق الحكم الذاتي الفلسطينية.

فيما يتعلق باستخدام المورد الذي يوجد لدى الدنمركيين والمهاجرين الذين تعود جذورهم إلى المنطقة، يستحسن الآتي:

• يجب القيام بعمل منظم لإشراك الدنمركيين وهؤلاء المهاجرين الذين تعود جذورهم إلى الشرق الأوسط كمصادر يعتمد عليها في تطبيق المشروع.

====================

إذا رمُتُ العُلا

الكاتب: أبو عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

* إذا رمُتُ العُلا *

هاك القصيدَ له جحيمُ يُلهبُ يُصلّي به ذاك الشقيُّ الأجربُ
من كلِّ أقلفَ قام يُبدي حقده شيطانُهُ يوحي إليه فيكتِبُ
ويلُ لمن خط الأذى يزهو بهِ عقبى الجريرةِ لا محالة تنشُبُ
دع كلَّ ممدوحٍ غدا في ساحته متملقُ يشري القريضَ ويخطبُ
إن القوافي إن رأت من ربها صدقاً من الأعماق جاءت تركبُ
ومتيمُ قد سربلته غوايةٌ في حب من يهوى وراح يشّببُ
فإليك عنهم وارشُفَنَّ مديحَ من تحيا القلوب بهديه وتطبّبُ
إني إذا رمتُ العلا في صورةِ يممتُ طرفي للرسولِ أقلّبُ
ذو سؤددٍ وأرُومةٍ المقتدى ومؤسسُ عهد الهدى يُتَهيَّبُ
بك يتقي الأبطالُ يوم وقيعةٍ والرعبُ منك إلى العدوِّ يواكبُ
ويمينُهُ دَرُّ الغمامةِ إلها أرواحَ من ردَّ الهداية تسلُبُ
قد قام في بطحاءِ مكّة هادياً وإلى الصراط المستقيم يُرغِّبُ
وطفقت تهدِمُ شركَهَم بعقيدةٍ صرمت عُرىَ للجاهلية تنسَبُ
فأغاض عبادُّ الحجارة مارأوا وتوطؤوا أن يفتكوا وتكتبوا

ردَّ الإلهُ عن النبي مرادهم مكروا ومكر الله دوماً يغلبُ
هاجرت والصديقَ تنشدُ بقعةً غرساً لدينٍ أبغضوا وحاربوا
مدت يداها طيبةً لعناقكم وغدت مقاماً طيباً ومحببُ
ومضيت تدعو للرشادُ مُعَلِّماً هل أنتَ إلا للهداية تندُبُ
لم تألونْ في أن تبلّغ شِرْعَةً حتى أتى وقتُ الرحيلِ الأطيبُ
ورجعتَ للمولى رضيَّاً راضياً قد كنتَ تصبو للقاءِ وترقُبُ
نفذَ القضاءُ فحلَّ في ساحَتِنا كلُّ النفوس إلى المليكِ ستذهَبُ
كتبها / أبو عمر
بليـــــــــغ بـــــــــن مطهـــــــــــر بــــــــــن حمـــــــــــود العطـــــــــــاب
======================

إسرائيل وقضية الرسوم الكاريكاتورية

الكاتب: حلمي موسى

ما إن ظهرت إلى العلن قضية الرسوم الكاريكاتورية ضد الإسلام ومقدساته، حتى بدا السجال في إسرائيل مزدوج الاتجاه. فمن جهة، هناك في إسرائيل كما في الغرب والعالم بأسره، من يؤمن وينظّر لصراع الحضارات، وهناك من يخالف هذا المعتقد. ولكن إلى جانب كل أولئك الذين يناقشون الأمر من زاويته الأيديولوجية، ثمة في إسرائيل، ربما أكثر من أي مكان آخر، من ينظرون إليه من زاويته السياسية.

ويتصارع في إسرائيل على الصعيدين الأيديولوجي والسياسي، على وجه العموم، خطان. أحدهما يعتبر أن الصراع القائم الآن بين الغرب والعالم الإسلامي يفيد إسرائيل كثيراً لأنه يظهرها بمظهر من كان على حق دائما وأن الأوروبيين لم يفهموه. ويؤمن هؤلاء بنظرية "التراث المسيحي اليهودي المشترك" كنقيض للتراث الإسلامي. والآخر يرى أن تغذية الصراع الإسلامي المسيحي يضع اليهودية عموماً وإسرائيل خصوصاً في طريق الفيلة، الأمر الذي قد لا يجلب لها إلا الضرر.

وفي ثنايا سجال المدرستين ملامح خلاف سياسي داخلي يحاول الإفادة ولو بشكل تكتيكي ومؤقت من اللحظة الراهنة. فاليمين المتشدد في إسرائيل، الذي طور علاقات وثيقة مع اليمين المسيحي في أميركا وأوروبا، يحاول الإفادة من صراع الكاريكاتير في سجاله حول خطة الفصل. ويرى أن أوروبا أخطأت بالضغط على إسرائيل للتجاوب مع المطالب العربية وأن ما تواجهه أوروبا اليوم ليس سوى محصلة لهذا الضغط. ولذلك يحسن بالغرب العودة عن ضغوطه وتشجيع إسرائيل على حسم الصراع مع الفلسطينيين والعرب والمسلمين بالطريقة التي تجيدها وهي استخدام القوة.

ويقفز كثيرون في إسرائيل في هذا السجال عن واحدة من قواعد الاستشراق التي حاولت طوال الوقت مطالبة المستعمرين الغربيين بالحذر فقط عند التعامل مع جانبي الدين والمرأة لدى الشرقيين. وكانت تلك القواعد تقول بأن الشرقي عموماً يستطيع تقبل كل ظلم اقتصادي أو اجتماعي أو معنوي إلا إذا لامس دينه وعرضه. ومع ذلك فإن السجال في إسرائيل قفز عن هذه القاعدة مثلما قفز عن قواعد أخرى.

إذ دأب المتنورون اليهود، على العموم، على رؤية كل تمييز ضد الآخرين تمييزاً ضدهم. ولذلك وقفوا في الغالب ضد كل أشكال التمييز ضد الآخرين لأنهم كانوا يشعرون بأنهم من الطرف الضعيف. ولكن الحال تغير في العقود الأخيرة بعد "اكتشاف" الإرث الثقافي "المسيحي اليهودي" المشترك وغدا اليهود في أميركا على وجه الخصوص في موضع القوة.

ومهما يكن الحال فإن قسماً من "المستشرقين" الإسرائيليين الجدد صاروا يضعون أنفسهم في موضع التنظير على أوروبا في الميدان الأيديولوجي. وقد كتب مؤخرا في "يديعوت" غاي بخور أن قضية الرسوم الكاريكاتورية فندت الاعتقاد الشائع بأن الشرق الأوسط هو العنصر المبادر في "صراع الحضارات في كل ما يتعلق بالإسلام". ويرى أن الرأي القائل بأن سبب الصراع هو النزاع الإسرائيلي الفلسطيني قد "انقلب رأساً على عقب أمام أعيننا: تصادم الحضارات يندلع في أوروبا وأصداؤه الارتدادية تصل إلى الساحة الشرق أوسطية. وخط التماس المعروف لا يمر عبر إسرائيل فقط، وإنما في الأساس في غرب أوروبا. قلب الصراع ينتقل إلى باريس وكوبنهاغن".

ويؤمن بخور بأنه "لم يعد بالإمكان دفن الرأس في الرمل واتهام إسرائيل، كما حاول الأوروبيون في قمة ديربن عام ٢٠٠١ آملين أن يقوم النمر الإسلامي بافتراس إسرائيل وليس هم". ويخلص إلى أن وجود إسرائيل بات يشكل للأوروبيين "ميزة" ديمغرافية.

ويرى يحيئاف نجار في "معاريف" أن الرسوم الكاريكاتورية ضد الإسلام لا يمكن مقارنتها بالرسوم الكاريكاتورية ضد السامية. "فالرسوم الكاريكاتورية التي أمامنا لا تهدف إلى بث البغض للإسلام، ولا يلحظ أنها رسمت صدوراً عن توجه معاد للإسلام. صحيح أنها تنقد الإسلام لكن هذا نقد مناسب وشجاع". ويخلص نجار إلى أن "جوهر القضية أمامنا هو كيف تتصرف حضارة متقدمة مع حضارة متدنية. تمتاز الحضارة المتدنية باستعمال القوة، وتمتاز الحضارة المتقدمة بضبط النفس. وها نحن أولا رأينا كيف استعملت الرسوم الكاريكاتورية تشخيصاتها استعمالا دقيقا، مثلا ذلك الرسم الذي رسم فيه محمد وعلى رأسه قنبلة. ما هو رد العالم الإسلامي؟ استعمال القوة، وإحراق السفارات، واختطاف الأوروبيين ومقاطعة المنتجات وأشباه ذلك. وبإزاء ثقافة القوة، لا يحل الانسحاب إلى موقف شبه مشايع. الرد المناسب هو كرد أجهزة تحرير الصحف في فرنسا وألمانيا وهو الحرب. وكرد الاتحاد الأوروبي، وهو التهديد باستعمال مقاطعة الدول التي أزالت منتجات الدنمارك عن الرفوف فيها".

وقد عبرت افتتاحية "هآرتس" عن موقف "محايد" بعض الشيء بإصرارها في الوقت نفسه على إدانة الرسوم الكاريكاتورية وإحراق السفارات. وقالت الصحيفة انه رغم ذلك لا يمكن عدم تفهم "مشاعر الإهانة التي لحقت بالمسلمين في أرجاء العالم بما في ذلك مسلمو المناطق وإسرائيل. التنظير الغربي للتعددية الثقافية كقيمة عليا لا يمكن أن يُحمل على محمل الجد إذا لم يشمل في إطاره المتدينين والعلمانيين وأبناء الطوائف والأقليات الدينية من مسلمين ومسيحيين على حد سواء. لا يمكن لأي مجتمع أن يقف مكتوف الأيدي أمام نشر صور مُهينة لقيم مقدسة عند مجموعة في داخله".

====================

إلا تنصروه فقد نصره الله

حمود بن محسن الدعجاني

فإن من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن جعلها خير الأمم كما قال تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}وجعل نبيها محمد - صلى الله عليه وسلم - أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، وجعل رسالته عامة للناس أجمعين عربهم وعجمهم إنسهم وجنهم، كما قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } وجعل الله تعالى الفلاح في الدنيا والآخرة في الإيمان به صلى الله عليه وسلم واتباعه ونصرته، كما قال تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وتوعد الله المكذبين لرسوله - صلى الله عليه وسلم - الذين يؤذونه ويستهزئون به، قال تعالى: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ}وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} (٥٧) سورة الأحزاب، وقال تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً في الصحيحين أنه قال: (إن الله تعالى قال: مَنْ عادى لله ولياً فقد آذنته بالحرب) وإذا كان هذا في أولياء الله المؤمنين فكيف بنبيه وصفوته من خلقه صاحب المقام المحمود والحوض المورود، لا شك أنه أولى بهذا الوعيد الشديد، وقد سمعنا وشاهدنا ما حصل مؤخراً من جرأة بعض الصحف في الدنمارك والنرويج على صاحب الجناب الرفيع والمقام العظيم سيد الأولين والآخرين وقائد الغر المحجلين نبينا وإمامنا محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فما أعظم ما يتجرأ عليه هؤلاء من الباطل وما أقبح ما وقعوا فيه من الاستهزاء والتنقص بخير البرية مما تحرمه وتجرمه كافة الشرائع السماوية وتنفر منه الفطر السوية وتأباه العقول السليمة!!!.

وهذا التعدي الشنيع والجرم الفظيع يدل على خبثهم ويظهر عداءهم السافر للإسلام والمسلمين وهذه الرسوم التي تخيلوها لا توجد إلا في عقولهم المريضة وليست بغريبة

من صحف الخلاعة والمجنون وأبواق الكفر والإلحاد ومنابر الظلم والعدواء، أما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو أخشى الناس لله وأتقاهم له وأنصحهم لعباده، وأكمل الناس ديناً وأحسنهم خُلقاً وخَلقاً وأوفرهم عقلاً وأرفعهم قدراً وأطيبهم نفساً وأعلاهم مقاماً وأعظمهم تواضعاً وأشجعهم قلباً وأعفهم لساناً وأفصحهم بياناً وأجودهم عطاءً وأبعدهم عن سفاف الأمور ورذائلها نشهد أنه بلَّغَ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ودلها على كل خير وحذرها من كل شر، فصلوات ربي وسلامه عليه والإسلام دين الله وهو - بحمد الله - ماضٍ رغم أنف الكفار والملحدين إلى يوم القيامة.وواجب المسلمين أن يتمسكوا بدينهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ويذبوا عن دينهم وعرض نبيهم ويقدموا ذلك على المال والنفس والأهل والولد، فلا يكمل الإيمان إلا بذلك وعليهم أن يستقيموا على أمر الله ويجتنبوا ما حرم الله ويوالوا أولياءه ويتبرأوا من أعدائه.نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ورسوله ويعلي كلمته وينصر أولياءه ويذل أعداءه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(*) داعية وإمام مسجد الصرامي بحي الشهداء بمدينة الرياض

إلا رسول الله

د.عبدالوهاب بن ناصر الطريري* ١٤٢٣/٨/٩

٢٠٠٢/١٠/١٥

مع كل الجنايات التي تتوالى على المسلمين، والبغي والعدوان بألوان وصنوف شتى فما زال المسلمون يواصلون الاحتمال والصبر ولو على مضض، إلا رسول الله أن ينال فلا نغضب له، ويساء إليه فلا ننصره، ويتعدى عليه فلا ندافع عنه، فها هي تتوالى بذاءات وإهانات للمسلمين في جناب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – تطلقها عصابة من قساوسة الكنيسة الإنجيلية في أمريكا (جيري فاويل، بات روبرتسون ، فرانكلين جراهام، جيري فاينز) ومجملها وصفهم للنبي – صلى الله عليه وسلم- بأنه إرهابي ورجل عنف وحرب، وتزوج ١٢ زوجة، أما تفصيلها فبذاء وتفحش، وتسفل في العقل والخلق.

وهذه القيادات الكنسية ذات علاقة قوية بالرؤساء الأمريكيين الجمهوريين، ففرانكلين جراهام هو الذي تلى الأدعية في حفل تنصيب الرئيس الأمريكي،وبات روبنسون هو الذي نال المنحة المالية من البيت الأبيض، كما أن الرئيس الأمريكي خاطب عبر الأقمار الصناعية مؤتمر الكنيسة المعمدانية الذي ألقى فيه القس جيري فاينز تهمه الفاحشة على النبي – صلى الله عليه وسلم-.

-وهذه ليست أوّل مرة ينال فيها من مقام النبوة، أو يساء فيها إلى الجناب الكريم فقد صدر مثل ذلك من مستشرقين وصحفيين وفنانين وغيرهم كثيرين، ولكن جانب الفظاعة أن يصدر ذلك من قادة دينيين كبار، و بشكل شبه جماعي من هؤلاء القسس، وهي قيادات دينية ذات صلة بالقيادة السياسية الأمريكية ولهذا كله دلالاته التي لا يمكن تجاهلها.

- إن هؤلاء يتكلمون عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي علّم البشرية تعظيم أنبياء الله وتوقير رسله:(لا نفرق بين أحد من رسله) وأن الإيمان برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يصح ولا يقبل إلا مع الإيمان برسالة عيسى – عليه السلام- ومن سبقه من المرسلين.

- وعندما كان اليهود يصفون المسيح بأقبح الأوصاف كان محمد – صلى الله عليه وسلم- يعلم البشرية: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين)، (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل).

- وعندما كان اليهود يصفون المحصنة العذراء بأفحش الصفات كان محمد – صلى الله عليه وسلم- يعلّم البشرية: (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين).

- وإن هؤلاء الذين يشتغلون بالوقيعة في النبي العظيم بمثل أوصاف السفّاح والقاتل إنما يصفون بذلك نبي الرحمة الذي علم البشرية: (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) والذي علم البشرية الرحمة والعدل حتى في حال الحرب والقتال، وكان ذلك في وقت البربرية والتوحش العالمي حيث لا هيئات ولا مواثيق ولا قوانين عالمية فجاء إلى هذا العالم بقوانين العدل في السلم والحرب: (لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً).

- إن إلقاء هذه التهم من هؤلاء القسس دلالة على إفلاسهم؛ لأنهم لم يجدوا ما يثيرونه إلا اجترار تهم قديمة سبق المستشرقون من قبل إلى إثارتها، وقد تهافتت وأفلست وانتهت صلاحيتها ودحضتها الأجوبة الموضوعية التي كتبت عنها في حينها.

كما له دلالة أخرى وهو مقدار الجبن والتضليل الذي يتلبس به هؤلاء القسس، أما كيف ذلك؛ فإننا عندما نعلم أن قسّيساً يؤمن بالعهد القديم ومع ذلك يطعن في النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه تزوج اثنتي عشرة امرأة. ونحن نعلم أنه يعلم من العهد القديم الخبر عن سليمان – عليه السلام- أنه كان لديه سبعمئة زوجة وثلاثمئة محظية (سفر الملوك الإصحاح الحادي عشر).

وفي (سفر صموئيل الإصحاح الخامس) أن داود – عليه السلام- اتخذ لنفسه زوجات ومحظيات ومثله عن يعقوب – عليه السلام -؛ فما بال تعدد الزوجات عند هؤلاء الرسل والمذكور في العهد القديم الذي تؤمن به الكنيسة الإنجيلية ؟ أم هو الجبن والخوف إلى حد الذعر من اليهود أن يُنَال أنبياؤهم وآباؤهم؟

ثم انظر إلى وصفهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بالقتل وأنه سفاح؛ مع أن في العهد القديم الذي يؤمنون به أنّ داود – عليه السلام – خطب ابنة الملك شاؤول فطلب إليه مهراً مئة غلفة من غلف الفلسطينيين، فانطلق داود مع رجاله فقتل (مئتي) رجل من الفلسطينيين، وأتى بغلفهم وقدمها للملك، فزوجه شاؤول عندئذ من ابنته ميكال، وأدرك

شاؤول يقيناً أن الرب مع داود (سفر صموئيل الإصحاح الثامن عشر) وما جاء فيه أيضاً أن يوشع هاجم مدن عجلون وحبرون ودبير وقتل ملوكها وكل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج (سفر يوشع ٣٤).

وأن موسى قال للإسرائيليين: (الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً) (سفر العدد ٣١).

ويتجاهل إلى حد العمى ما ورد في الإنجيل منسوباً إلى المسيح: (لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض، ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته) إنجيل متى الإصحاح (٣٤) .

ويتجاهل ما ورد في العهد القديم من كتابهم المقدس من الأمر بقتل الكفار وحرق ممتلكاتهم ورجمهم بالحجارة حتى الموت وكلها موجودة في العهد القديم في مواضع منها (سفر الخروج الاصحاح ٣٤، سفر التثنية الأصحاح ١٣، ١٧).

فأين الكلام عن القتل وسفك الدماء هناك؟ أم هو الذعر المخرس من معاداة السامية، والمقاييس الانتقائية الجبانة، والتعصب الأعمى المقيت؟

- أين الكلام عن القتل الذي مارسته الكنيسة ضد المسلمين واليهود في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش؟

-أين الكلام عن القتل وسفك دماء المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ في هيروشيما ونجازاكي وفيتنام وغيرها؟

-أين الكلام عن سفك الدماء الذي يمارسه اليهود ضد الأطفال والصبايا في فلسطين؟

-إن هؤلاء يصنعون الإرهاب ويقذفون بالنار إلى صهاريج الوقود ، فالنيل من جناب النبوة استفزاز واستنفار لكل مسلم، ودونه أبداً مهج النفوس، وفداه الأمهات والآباء، وإن جمرة الغضب التي يوقدها هؤلاء في قلب كل مسلم لا يمكن التنبؤ بالحريق الذي ستشعله ولا كيف ولا أين . وسيدفع هؤلاء برعونتهم هذه البشرية إلى أتون سعير متواصل من الصراعات والثارات .

ولإن احتمل المسلمون ألواناً من البغي، وتقبلوا تبريرات متنوعة للعدوان فلن يوجد من يحتمل البغي على النبي – صلى الله عليه وسلم- ولن يمكن تبرير أي حماقة من هذا النوع .

-ألا يطرح هذا سؤالاً كبيراً عن هذه الحملة: هل هي محاولة لدفع المواجهة التي تخوضها أمريكا مع العالم الإسلامي باتجاه ديني، أم أنها كشف للوجه الحقيقي للحملة الأمريكية؟ وسيجيب كلٌ على هذا السؤال وفق ما لديه من معطيات .

-إن هؤلاء القسس يجرّون أمريكا إلى بؤرة خطرة لم تجربها من قبل، وسيكون عاقبة أمرها خسراً، إذ قد تستطيع تغيير الأنماط الاجتماعية والاقتصادية في بعض البلاد الإسلامية، أما مقام النبوة في نفوسهم فأخطر من أن يمس، وأبعد من أن ينال.

-إن اليهود قد استطاعوا أن يرهبوا أوروبا وأمريكا، وأن يكمموا الأفواه دون ما يسمونه معاداة السامية، وأصبحت هذه الوصمة رعباً لا يستطيع أحد تجاوزه، فإذا فكر وقدر تكالبت عليه أجهزة الإعلام بهجوم عنيف يقضي على كيانه وقيمته، فهل تعجز الملايين المملينة من أتباع محمد – صلى الله عليه وسلم- أن تدفع أو تدافع، فتحرك ساكناً وتحدث أثراً .

-وبعد فإن عظمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نفوسنا أعلى من قبّة الفلك، ولن ينال منها مثل هذا التواقح الجبان (والذي يبصق على السماء عليه أن يمسح وجهه بعد ذلك)، ولكن الذي يعنينا هنا واجبنا نحن تجاه مقام النبوة، والانتصار لجناب الرسول – صلى الله عليه وسلم- والذبّ عن شريف مقامه.

- فهذا نداء إلى كل مؤمن بالله ورسله، إلى كل قلب يخفق حباً لنبيه – صلى الله عليه وسلم -، وإلى كل مهجة تتحرق شوقاً إليه ، إلى كل مسلم يعلم أنه لولا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - لكنا حيارى في دياجير الظلمات، ولولا رسول الله لكنا فحماً في نار جهنم، إلى كل مسلم يقول من أعماق قلبه: فدى لرسول الله نفسي، وفدى لأنفاسه أبي وأمي، إلى كل مسلم تضج جوانحه تعظيماً وتوقيراً، وإجلالاً وتقديساً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا نداء لنصرة النبي أمام هذا التواقح الفاحش والتسفل البذيء، ولن يعدم كل غيور أن يجد له مكاناً ومكانة، وأن يبذل فيه جهداً ولو قل، وكل كثير منّا فهو في حق النبي قليل. وذلك بإعلان الاستنكار لهذا التهجم والهجوم والاحتجاج القوي عليه، والرد بعزة ووثوق على شبههم المستهلكة، وأن يعلم هؤلاء ومن يلحد إليهم عظيم جنايتهم وتجنيهم على مشاعر المسلمين، وأن يُعلموا أن مكانة النبي – صلى الله عليه وسلم – في نفوس المسلمين أعظم مما يتصورون، والمساس بها أخطر مما يقدرون، كل ذلك مع ملاحظة حصر الخطأ فيمن صدر منه، فليس من العدل ولا من العقل توسيع دائرة الخطأ لتشمل غير من صدر منه، وإن كانوا يشتركون في قواسم أخرى. كما أن تعميم الخطأ يعيق عملية التصحيح والإيضاح، كما أنه ينبغي ألا يوقف الحملة المضادة ولايضعفها الاعتذارات الواهنة التي صدرت من أحدهم ويمكن أن تصدر من آخرين، فالخطيئة أكبر من أن يمحوها اعتذار باهت.

وسيترتب على هذه الحملة في نصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – مصالح أخرى تابعة لذلك منها تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، ونشر الإسلام ، ومقاومة الحملة اليهودية على المسلمين، ومقاومة المد التنصيري وغير ذلك .

ويمكن أن تأخذ الحملة لنصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – طرائق متنوعة منها:

١٠الاحتجاج على الصعيد الرسمي على اختلاف مستوياته، واستنكار هذا التهجم بقوة،وإننا نعجب أن الشجب والاستنكار الذي نحن أهله دائماً لم يستعمل هذه المرة، ونعجب أخرى أن يستنكر هذه الإساءة وزير خارجية بريطانيا، سابقاً بذلك آخرين كانوا أحق بها وأهلها.

٢٠الاحتجاج على مستوى الهيئات الشرعية الرسمية كوزارات الأوقاف، ودور الفتيا، والجامعات الإسلامية.

٣٠الاحتجاج على مستوى الهيئات والمنظمات الشعبية الإسلامية وهي كثيرة.

٤. إعلان الاستنكار من الشخصيات العلمية والثقافية والفكرية والقيادات الشرعية، وإعلان هذا النكير من عتبات المنابر وأعلاها ذروة منبري الحرمين الشريفين.

٥٠المواجهة على مستوى المراكز الإسلامية الموجودة في الغرب بالرد على هذه الحملة واستنكارها.

٦٠المواجهة على المستوى الفردي، وذلك بإرسال الرسائل الإلكترونية المتضمنة الاحتجاج والرد والاستنكار إلى كل المنظمات والجامعات والأفراد المؤثرين في الغرب، ولو نفر المسلمون بإرسال ملايين الرسائل الرصينة القوية إلى المنظمات والأفراد فإن هذا سيكون له أثره اللافت قطعاً .

٧٠استئجار ساعات لبرامج في المحطات الإذاعية والتلفزيونية تدافع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وتذب عن جنابه، ويستضاف فيها ذوو القدرة والرسوخ، والدراية بمخاطبة العقلية الغربية بإقناع، وهم بحمد الله كثر.

٨٠كتابة المقالات القوية الرصينة لتنشر في المجلات والصحف -ولو كمادّة إعلانية- ونشرها على مواقع الإنترنت باللغات المتنوعة .

٩٠ إنتاج شريط فيديو عن طريق إحدى وكالات الإنتاج الإعلامي يعرض بشكل مشوق وبطريقة فنية ملخصاً تاريخياً للسيرة، وعرضاً للشمائل والأخلاق النبوية، ومناقشة لأهم الشبه المثارة حول سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم-، وذلك بإخراج إعلامي متقن ومقنع.

٠١٠ طباعة الكتب والمطويات التي تعرف بشخصية النبي – صلى الله عليه وسلم- ويراعى في صياغتها معالجة الإشكالات الموجودة في الفكر الغربي.

٠١١ عقد اللقاءات، وإلقاء الكلمات في الجامعات والمنتديات والملتقيات العامة في أمريكا لمواجهة هذه الحملة .

٠١٢ إقامة مؤتمرات في أمريكا وأوروبا تعالج هذه القضية وتعرض للعالم نصاعة السيرة المشرفة وعظمة الرسول – صلى الله عليه وسلم-.

١٣. إصدار البيانات الاستنكارية من كل القطاعات المهنية والثقافية التي تستنكر وتحتج على هذه الإساءة والفحش في الإيذاء.

١٤. تبادل الأفكار المجدية في هذه القضية، وإضافة أفكار جديدة والتواصي بها، وسيجد كل محب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – معظم لجنابه مجالاً لإظهار حبه وغيرته وتعظيمه ، فهذا يأتي بفكرة، وذاك يكتب مقالة وآخر يترجم، وآخر يرسل، وآخر يمول في نفير عام لنصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولسان حالهم كل منهم يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي ... ...

لعرض محمد منكم وقاء

اللهم اجعل حبك وحب رسولك أحب إلينا من أنفسنا وأبنائنا ومن الماء البارد على الظمأ، اللهم ارزقنا شفاعة نبيك محمد وأوردنا حوضه، وارزقنا مرافقته في الجنة، اللهم صلى وسلم وبارك أطيب وأزكى صلاة وسلام وبركة على رسولك وخليلك محمد وعلى آله وصحبه.

---

*المشرف على المكتب العلمي لموقع الإسلام اليوم www.islamtoday.net

==============================

(إلا محمد)

عبد الله عبد الرحمن سليمان العايد

إن الاعتداء على رسولنا الكريم وهو رمز من رموز الإسلام، بل هو الهادي البشير من لدن عليم حكيم هو اعتداء على الإسلام وبالتالي غضبتنا هذه هي غضبة على الإسلام ومحارمه. والاستهزاء خُلق من أخلاق أعداء الله، تخلّق به الكفار والمشركون، وتخلّق به المنافقون الذين احترقت أحشاؤهم على دين الله وأهله، لذلك كشف الله تعالى هذا الخُلُقَ النبيل لنبيه محمدژ وأصحابه الكرام الذين قضوا بالحق وبه يعدلون. ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تبيّن موقف الأنبياء والرسل من الاستهزاء والاحتقار، بل صرحت هذه الآيات بكفر هؤلاء الهازلين المستهزئين.

والأمر ثابت من سيرة رسول الله ژ أنه أرحم الناس بالناس، وأقبل الناس عذراً للناس، ومع ذلك كله لم يقبل عذراً لمستهزئ، ولم يلتفت لحجة ساخر ضاحك، فحين سخر به وبأصحابه من سخر في مسيره لمعركة تبوك وجاء الهازلون يقولون: إنما كنا نخوض ونلعب: لم يقبل ژ لهم عذراً، بل أخذ يتلو عليهم الحكم الرباني الذي نزل من فوق سبع سماوات: {قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (٦٦) سورة التوبة.

ولكي ندرك خطورة وفداحة ما ارتكبوه: ننظر إلى ملابسات حالهم، فنجد أنهم قد خرجوا في الغزو مع رسول الله ژ وتركوا الأهل والأزواج والأولاد والأوطان، وكان خروجهم في فصل الصيف، وشدة حرارته المعروفة وتعرضوا للجوع الشديد والعطش الأليم، ومع هذا كلّه لم يشفع لهم حال من هذه الأحوال حين استهزؤوا برسول الله ژ ومَن معه من الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي هذه الأيام وخصوصاً أنها ليست أول مرة يستهزؤون على نبينا الكريم ولا آخر مرة قبلها في السويد وفي هولندا وفي النمسا والآن في الدنمارك أطلت علينا صحيفة غربية أو قناة تلفزيونية هنا أو هناك بتطاول سافر على رموزنا الدينية الإسلامية وغالباً ما يكون الهدف هو شخص الرسول المصطفي محمد ژ خاتم المرسلين، وآخر حلقة في هذه السلسلة ذلك التطاول على شخص الرسول الكريم محمد ژ من جانب صحيفة (يولاند بوستن) الدنماركية التي نشرت رسماً مزعوماً لشخص الرسول عليه الصلاة والسلام، مما أثار حفيظة المسلمين في كل مكان، والمشكلة تكمن في أنه لا يوجد أي ردة فعل بمعنى الكلمة ولكن كل الردود مواقف فردية صغيرة، ومهما كان هذا الاستهزاء من عدمه أو تضخيمه إلا أنه يذكرنا بموقف (قالت فيه الذبابة للنخلة يوماً استمسكي بنفسك إني ذاهبة عنك فقالت النخلة لم أشعر بك وأنت هابطة علي فكيف أشعر بك وأنت ذاهبة عني). ولا شك أن الحرب الشعواء التي تشنّ على رموز الإسلام لم تكن حديثة عهد، بل هي من قديم الزمن فقد قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليهودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍ وَلاَ نَصِيرٍ} (١٢٠) سورة البقرة. ما حدث من استهزاء بالرسول ژ جريمة بكل المقاييس يجب أن تجد صداها في العالم الإسلامي. منذ أسابيع تناقلت الصحف خبراً عن مسابقة أجرتها إحدى الصحف لفن الكاريكاتير، وتم اختيار الرسم الفائز للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، رسمه أحدهم باعتباره إرهابياً يمسك قنبلة يدوية، ومهما احتج أي مسؤول أو أي شخص ما إلا وجاء الرد من أن هناك متعللاً بحرية التعبير وهذا الرد فيه استهانة بالعقول، لأننا نعرف جميعاً أن هناك في أوروبا قوانين وأوضاع تعاقب من يخوض في الأديان أو الأعراق، أو يشكك في المحرقة، أو يتعرّض من قريب أو من بعيد للسامية التي تعني هناك اليهود فقط، لكن الأمر يبدو أنه مختلف بالنسبة للإسلام والمسلمين. وهذا يعني أن العالم الآن تبرز فيه ظاهرة جديدة، خطيرة على الإنسانية بكل أطرافها الظاهرة ومضمونها الخوض في العقائد والهجوم على الأديان مما يؤجّج وينذر بحروب ثقافية، دينية، سيسفر عنها أعمال عنف متمثلة في الحروب والأعمال اليائسة.

وفي الختام لا أملك إلا أن أقرأ قوله تعالى: يقول الله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} (٣٦) سورة القلم. وقوله سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أولئك فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأغلبنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِي عَزِيزٌ} (٢١) سورة المجادلة. لقد تأملت الآيات العظيمة التي وردت في كتاب الله تعالى والتي ذكر فيها سبحانه عقوبة المستهزئين وعقاب الله الأليم المحيط بهم، فوجدت أمراً

عظيماً تتفطّر منه الأكباد، وتنخلع لهوله الأفئدة لا سيما خزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة. سدَّد الله الخطى وبارك في الجهود، والله من وراء القصد

@hotmail.com٢٢shabib

=====================

إن شانئك هو الأبتر

عبدالرحمن بن عمر بن حسين

الحمد لله الذي أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا، وجعله للبشرية جمعاء سراجا وقمرا منيرا، وأنزل عليه القرآن الكريم أفضل كتبه، وجعله خاتم أنبيائه ورسله، وأسرى به إلى السماوات العلى، ورأى هناك آيات عظيمة لاتدركها الأفهام، وجمع له في بيت المقدس إخوانه الأنبياء فتقدم وكان هو الإمام، ورفع له ذكره في الأولين والآخرين، وأمر أن لا ترتفع أصوات المؤذنين بذكر اسم رب العالمين، إلا ومعها اسم الرسول الأمين، وبشرت به كتب الأنبياء والمرسلين، وآتاه الله المقام المحمود، والحوض المورود، فصلاة ربنا وسلامه على هذا النبي الكريم، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، لايزيغ عنها إلا الهالكون، ولاينأى عنها إلا الضالون.

لقد ضرب نبي الإسلام أروع الأمثلة في دعوته الناس إلى دين الإسلام، وتحلى بأخلاق رفيعة بهرت العقول، حتى قال عنه المولى في كتابه المبين: { وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم: ٤). وأيده سبحانه بآيات باهرة، ودلائل معجزة، تدل على صدق ماجاء به، وأنه رسول رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، ومع ذلك أبي الجاهلون إلا عنادا، وارتضوا سبيل جهنم لهم مهادا، واتهموا النبي الطاهر، بأنه رجل ساحر، أو مجنون ساخر، أو بليغ شاعر، وأجابهم القوي الجبار في كتابه الخالد: {وما صاحبكم بمجنون} (التكوير: ٢٢)، {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون} (الذاريات: ٥٢)، {وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون} (الحاقة: ٤١).

لقد حسد اليهود الضالون، والنصاري الظالمون، محمدا صلى الله عليه وسلم على ما أنعم به عليه من اصطفائه بالرسالة الخاتمة، التي نسخ الله بها الأديان السابقة، فلايقبل دين عندالله إلا دين الإسلام {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (آل عمران: ٨٥). وقد كشف الله في كتابه عن خبث طويتهم وأنهم لايرضون عن محمد صلى الله عليه وسلم ولاعن أتباعه إلا إذا تركوا دين الإسلام واتبعوا ملة الباطل: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} (البقرة: ١٢٠)، ومن أجل ذلك كله كان أشد الناس عداوة لأهل الإسلام اليهود والنصارى {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا} (المائدة: ٨٢). إن ما حدث

فـي «الـدنمارك» و«النـرويج» مـن تعـرض لجنـاب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم هـو نموذج من حقد دفين تجاه سيد البشرية تفوه بـه حثالـة من البشر، لايزيـد صـاحبه إلا ذلـة وهوانا، وضلالا وخسرانا، يريدون الطعن به في دين الإسـلام لإخمـاد نـوره الـذي دخل ديارهم، وأرهب - لجهلهم - قلـوبهم {يريـدون أن يطفئـوا نـور الله بـأفواههم ويـأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} (التوبة: ٣٢).

اللهم صل وسلم على الحبيب المصطفى، والنبى المجتبى، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنـوا صـلوا عليه وسلموا تسليما} (الأحزاب: ٥٦).

اللهم ابتر شانئ محمد صلى الله عليه وسلم، واجعل ذاكره بسوء عبرة للمعتبرين، وآيـة في العالمين، واحفظ مقام المصطفى عليه السلام من ألسنة المـاكرين، وعبـث الحاسـدين، واقطع دابرهم كالأولين، وأرنا فيهم عجائب قدرتك يارب العالمين

====================

إنا كفيناك المستهزئين...

١٤٢٦/١٢/٢٤

أ.د/ ناصر بن سليمان العمر

الحمـد لله وكفـى، ثـم الصـلاة والسـلام علـى عبـاده الـذين اصـطفى، ورسـله الـذين اجتبـى، وبعد..

فإن من سنة الله فيمن يؤذي رسولـه، صـلى الله عليه وسـلم، أنـه إن لـم يجـاز فـي الـدنيا بيد المسلمين، فإن الله سبحانه ينتقم منه ويكفيه إياه، والحوادث التي تشير إلى هذا في السيرة النبويـة وبعد عهـد النبـوة كثيـرة، وقـد قـال الله تعـالى: (فاصـدع بمـا تـؤمر وأعـرض عـن المشركين إنا كفيناك المستهزئين) [الحجر:٩٥].

والقصة في سبب نـزول الآيـة وإهلاك الله لهؤلاء المستهزئين واحدا واحدا معروفـة قد ذكرهـا أهل السـير والتفسير وهـم علـى مـا قيـل نفـر مـن رؤس قـريش: مـنهم الوليـد بـن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسودان ابن المطلب وابن عبد يغوث، والحارث بن قيس.

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصـر، وكلاهمـا لـم يسلم، لكن قيصـر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأكرم رسوله، فثبت ملكه.

قال ابن تيمية في الصـارم: "فيقال: إن الملك بـاق فـي ذريتـه إلـى اليـوم"، ولا يـزال الملك يتوارث في بعض بلادهم.

وأما كسرى فمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزأ برسـول الله صـلى الله عليه وسلم، فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق، فلم يبق للأكاسـرة ملـك، وهـذا والله

أعلم تحقيق لقوله تعالى: (إن شانئك هو الأبتر) [الكوثر: ٣]، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه، فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وقد قيل: إنها نزلت في العاص بن وائل، أو في عقبة بن أبي معيط، أو في كعب بن الأشرف، وجميعهم أخذوا أخذ عزيز مقتدر.

ومن الكلام السائر، الذي صدقه التاريخ والواقع: "لحوم العلماء مسمومة"، فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام؟

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة" فكيف بمن عادى الأنبياء؟

يا ناطح الجبل العالي ليثلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

إن من عقيدة أهل السنة أن من آذى الصحابة ولاسيما من تواتر فضله فإسلامه على شفا جرف هار، يجب ردعه وتأديبه، فكيف بمن آذى نبياً من الأنبياء، فكيف بمن آذى محمداً صلى الله عليه وسلم؟ (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) [الأحزاب:٥٧].

وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء، وقابلوهم بقبيح القول أو العمل، وهكذا بنو إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله ولم يكن لهم نصير لقتلهم الأنبياء بغير حق، مضموماً إلى كفرهم كما ذكر الله ذلك في كتابه، فقال عز شأنه: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [آل عمران:١١٢]. فحري بمثل هذا المستهزء المستهتر أن يُتمثل له قول الأعشى:

أَلستَ مُنتَهِياً عَن نَحتِ أَثلَتِنا وَ لَستَ ضائِرَها ما أَطَّتِ الإِبِلُ

كَناطِحٍ صَخرَةً يَوماً لِيَفلِقَها فَلَم يَضِرها وَأَوهى قَرنَهُ الوَعِلُ

ولعل وقيعة بعض الغربيين في النبي الكريم مشعر بتهالك حضارتهم وقرب زوالها، فإنهم ما تجرأوا ولا عدلوا إلى الانتقاص وأنواع الشتم إلاّ بعد أن فقدوا المنطق، وأعوزتهم الحجة ...

لا تَقعُدَنَّ وَقَد أَكَّلتَها حَطَباً تَعُوذُ مِن شَرِّها يَوماً وَتَبتَهِلُ

إن مجرد إخراج النبي رفع للأمان وإيذان بحلول العذاب، ولهذا قال الله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً) [الاسراء:٧٦]، فإذا كان هذا جزاء الإخراج فكيف بالأذى والسخرية والاستهزاء؟ لعلك لا تجد أحدا آذى نبيا من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولابد أن تصيبه قارعة، وقد قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رجل نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانيا وكان يقول

لا يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبحوا وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه، وهذا حديث صحيح ثابت عند البخاري وغيره. ...

ثم قال الإمام ابن تيمية معلقاً: "وهذا أمر خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذه عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد إذا كان عامة المرتدين لا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه وكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد. ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحة وتيسر ولم يكد يتأخر إلاّ يوماً أو يومين أو نحو ذلك ثم يُفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة. قالوا حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه. وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات؛ أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين".

وقال في موضع آخر: وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة.

وقد قال أصدق القائلين سبحانه مبينا تكفله بكفاية شر هؤلاء: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: ١٣٦-١٣٧]. فما أوسع البون بين أهل الإسلام الأتقياء الأنقياء الذين يؤمنون بجميع الرسل ويعظمونهم ويوقرونهم، وبين غيرهم الذين ناصبوا رسلهم العداء قديماً وحديثاً، وورثوه كابراً عن كابر.

ولاشك أن ساسة الدول الذين يغضون الطرف عن سفهائهم الواقعين في أعراض الأنبياء ليسوا عن الذم بمعزل، فإن الله سبحانه تأذن بإهلاك المدن والقرى الظالمة، ولعل من أظلم الظلم الاعتداء على الأنبياء وتنقصهم، فإن ذلك يخالف التشريعات السماوية، كما أنه مخالف للنظم والقوانيين الوضعية الكافرة الأرضية. والدول الغربية إذا لم تقم العدل لم تبق من مقومات بقائها كثير أعمدة.

ولعل وقيعة بعض الغربيين في النبي الكريم مشعر بتهالك حضارتهم وقرب زوالها، فإنهم ما تجرأوا ولا عدلوا إلى الانتقاص وأنواع الشتم إلاّ بعد أن فقدوا المنطق، وأعوزتهم الحجة، بل ظهرت عليهم حجة أهل الإسلام البالغة، وبراهين دينه الساطعة،

فلم يجدوا ما يجاروها به غير الخروج إلى حد السب والشتم، تعبيراً عن حنقهم وما قام في نفوسهم تجاه المسلمين من المقت، وغفلوا أن هذا يعبر أيضاً عما قام في نفوسهم من عجز عن إظهار الحجة والبرهان، والرد بمنطق وعلم وإنصاف. فلما انهارت حضارتهم المعنوية أمام حضارة الإسلام عدلوا إلى السخرية والتنقص والشتم.

وإنك لتعجب من دول يعتذر حكماؤها لسفهائها بحجة إتاحة الحريات، مع أن شأنهم مع من عادى السامية أو تنقصها يختلف! وحسبك أن تقرير الحريات الأمريكي الأخير أشاد بحادثة تحقيق وإدانة في الدنمارك لمعادات السامية، وببعض جهود الدولة في ذلك، ولامها في بعض التقصير –وفق رؤيتهم- وفي معرض ذلك عرض بالمسلمين، فضلاً عن تغافله عن حوادث السخرية بالإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم المتكررة هناك.

ومن هنا يتبين أن مسألة الديمقراطية وقضية الحريات وقوانين الأمم المتحدة التي تزعم احترامها وحمايتها وبالأخص الدينية منها، أمور ذات معاير مختلفة عند القوم، والمعتبر عندهم فيها ما وافق اعتقادهم ودينهم وثقافتهم.

وإذا تقرر هذا فليعلم أن من واجب المسلمين أن يذبوا عن عرض رسول الله بما أطاقوا قولاً وعملاً، وأن يسعوا في محاسبة الظالم وفي إنزال العقوبة التي يستحقها به، كما قال الله تعالى: (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) [الفتح:٩]، وقال: (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ)[التوبة:٤٠]، ومن المفارقات الظاهرة التي وقع فيها بعض المسلمين، تقصيرهم في الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنك ترى الموالد الحاشدة المكتظة بدعوى المحبة، فهل ياترى عبرت تلك الحشود التي ربما رمت غيرها بعدم محبته صلى الله عليه وسلم عن حبها بذبها عن رسولها صلى الله عليه وسلم؟ وهل أنصف النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم أولئك الذين يحاولون تصوير مسألة تنقصه –مجاملة للغرب- على أنها مسألة لاتنبغي لأنها من قبيل الحديث في الأموات؟ هل هذا علاج صحيح للقضية؟ وهل هذا هو حجمها عند المسلمين؟ أرأيتم لو استهزأ بحاكم أو ملك أو رئيس، أوَ تبقي بعدها تلك الدولة المستهزؤ بحاكمها علاقة مع الدولة التي يُستهزؤ فيها تحت سمع وبصر الساسة باسم الحريات؟ أويقبل مسلم أن تقطع دولة إسلامية علاقتها مع دولة غربية لأسباب يسيرة وقضايا هامشية ثم لا تحرك ساكنا تجاه السخرية بنبي الأمة صلى الله عليه وسلم؟

لقد كان الذب عنه صلى الله عليه وسلم، ومجازاة المعتدي وردعه من هدي الصحابة والسلف الكرام، بالعمل والقول وربما بهما جميعاً، وكم جاد إنسان منهم بنفسه في سبيل ذلك، إلاّ أنه لايتوجب على المسلم أن يُعَرِّض نفسه للهلكة في سبيل ذلك، بل له في السكوت رخصة إذا لم تكن له بالإنكار طاقة، وفي خبر عمار –رضي الله عنه- في الإكراه ونزول قول الله تعالى: (إلاّ من أكره) الآية ما يشهد لهذا، وكذلك حديث جابر في قتل محمدُ بن مسلمة كعبَ بن الأشرف، فهو يشهد لهذا المعنى، وغيره مما هو معروف عند أهل العلم.

ومن كان هذا شأنه فلا يقتله الأسى وليعلم أن الله منتقم لنبيه، وأن المجرم إذا تداركته فلتة من فلتات الدهر في الدنيا فلم تمض فيه سنة الله في أمثاله، فإن وراءه:

يوم عبوس قمطرير شره في الخلق منتشر عظيم الشان

وحسبه من خزي الدنيا أن يهلك وألسنة المليار ومن ينسلون تلعنه إلى يوم الدين، فإن المسلمين قد ينسون أموراً كثيرة ويتجاهلون مثلها، ولكنهم لاينسون ولا يغفرون لمن أساء إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم وإن تعلق بأستار الكعبة، وخاصة بعد موته صلى الله عليه وسلم وتاريخهم على هذا شاهد.

هذا والله أسأل أن يعجل بالانتصار لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يعز الإسلام وأهله إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال من يكره من؟

الكاتب: فهمي هويدي

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: لماذا لا تعلن حكومات الدول الإسلامية استهجانها واستنكارها لموقف حكومة الدنمارك بشكل صريح وحازم، أسوة بموقف منظمة المؤتمر الإسلامي التي دعت إلى مقاطعة المؤتمر الدنماركي عن الشرق الأوسط، ذلك أن مثل ذلك الطعن الجارح إذا وجه إلى أي رئيس دولة في منطقتنا لقامت الدنيا ولم تقعد

صدمة الرسوم الدنماركية الفاحشة التي أهانت نبي الإسلام وسخرت منه وحطت من شأن كل ما يمثله، ينبغي ألا تمر من دون أن نتوقف عند وقائعها ونستخلص دروسها، لأنها تشكل نموذجاً للكيفية التي تتعامل بها بعض الحكومات والنخب في الغرب مع الإسلام، وللكيفية التي ترد بها الأطراف الإسلامية على الإهانات التي توجه إلى عقيدتهم ونبيهم.

خلاصة الوقائع على النحو التالي: في الثلاثين من شهر سبتمبر (أيلول) الماضي نشرت صحيفة «يولاندز بوسطن»، وهي من أوسع الصحف اليومية انتشاراً في الدنمارك، ١٢ رسماً كاريكاتورياً للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، أقل ما توصف بها أنها بذيئة ومنحطة إلى أبعد الحدود، ومع الرسوم نشرت الصحيفة تعليقاً لرئيس تحريرها عبر فيه عن دهشته واستنكاره إزاء القداسة التي يحيط بها المسلمون نبيهم، الأمر الذي اعتبره ضرباً من «الهراء الكامن وراء جنون العظمة»، ودعا الرجل في تعليقه إلى ممارسة الجرأة في كسر ذلك «التابو»، عن طريق فضح ما اسماه «التاريخ المظلم» لنبي الإسلام، وتقديمه إلى الرأي العام في صورته الحقيقية (التي عبرت عنها الرسوم المنشورة).

كـان لنشـر الصـور الكاريكاتوريـة وقـع الصـاعقة علـى المسـلمين الـذين يعيشـون فـي الدنمارك (١٨٠ ألف نسمة، يمثلون حوالي ٣% من السكان البالغ عددهم ٥.٤ مليون شخص)، كما كان لـه نفس الصدى في أوساط ممثلي الدول الإسلامية في كوبنهاجن، فعقد ١١ دبلوماسياً منهم اجتماعاً بحثوا فيه الأمر، وقرروا مطالبة الصحيفة بالاعتذار للمسلمين عن إهانة نبيهم، ولكن رئيس تحريرها رفض الاعتذار، فطلبوا مقابلة رئيس الوزراء الدنماركي لإبلاغه باحتجاجهم على نشر الصور، فرفض مقابلتهم بدوره، وأبلغهم من مكتبه بأن الأمر يتعلق بحرية التعبير التي لا تتدخل فيها الحكومة، وقيل لهم إن بوسعهم اللجوء إلى القضاء إذا أرادوا.

حين علم بالأمر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور اكمل الدين احسان أوغلو، فإنه وجه خطابات إلى رئيس وزراء الدنمارك والمسؤولين في الاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي دعاهم فيها إلى التدخل لوقف حملة الكراهية ضد المسلمين، واتخاذ موقف حازم إزاء الإهانات التي توجه ضد نبيهم، وكان محور الردود التي تلقاها ـ خصوصاً من رئيس الوزراء الدنماركي ـ أن قضية حرية التعبير تمثل ركناً أساسياً في الديمقراطية الدنماركية، الأمر الذي اعتبر رفضاً لاتخاذ موقف إزاء الحملة، في الوقت ذاته تحرك سفراء الدول الإسلامية في جنيف، وقدموا شكوى إلى مفوضية حقوق الإنسان في العاصمة السويسرية، اعتبروا فيها موقف الصحيفة الدنماركية محرضاً على العنصرية والكراهية للمسلمين، فقررت المفوضية تحري الأمر وإعداد تقارير عن الموضوع يفترض أن ينتهي إعدادها يوم ٢٤ من الشهر الحالي.

أدرجت المسألة ضمن جدول أعمال القمة الإسلامية التي عقدت في مكة في السابع من شهر ديسمبر (كانون الأول) الماضي، وبناء على ذلك عبرت إحدى توصيات المؤتمر عن القلق إزاء الحملات الإعلامية المسيئة إلى الإسلام ونبي المسلمين، وأشارت إلى مسؤولية جميع الحكومات عن ضمان احترام الديانات المختلفة، وعدم جواز التذرع بحرية التعبير للإساءة إلى الأديان والمقدسات.

بعد ثلاثة أشهر من التجاهل والصمت، وفي أعقاب التفجيرات التي حدثت في لندن، علق على قضية الرسوم الكاريكاتورية المفوض العدلي بالاتحاد الأوروبي فرانكو فراتيني، قائلاً إن نشرها لم يكن تصرفاً حكيماً، باعتبار أنه من شأن ذلك أن يشيع الكراهية ويشجع على التطرف في أوروبا.

بينما الرسائل يتم تبادلها بين الأطراف المختلفة، انتقد ٢٢ سفيراً دنماركياً، أغلبهم عملوا في البلاد العربية موقف حكومة بلادهم من المسألة، وقام وفد من مسلمي الدنمارك يمثلون ٢١ مركزاً إسلامياً ومنظمة بزيارة إلى القاهرة، التقوا خلالها شيخ الأزهر والأمين العام لجامعة الدول العربية، وانتقد وزراء خارجية الدول العربية سلبية الحكومة الدنماركية إزاء الإهانة التي لحقت بنبي الإسلام، ووجد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أنه لا مفر من اتخاذ موقف عملي يوصل رسالة الاحتجاج والغضب إلى حكومة الدنمارك، التي تعاملت مع الحدث بقدر لافت للنظر من عدم الاكتراث

واللامبالاة، ولذلك قرر إعلان مقاطعة المنظمة لمشروع دنماركي، يتمثل في إقامة معرض كبير تحت عنوان «انطباعات عن الشرق الأوسط» تغطي حكومة كوبنهاجن جزءاً من تكاليفه، ويفترض أن تسهم الدول العربية (الخليجية) في تغطية بقية النفقات، وبعث الدكتور اكمل الدين أوغلو رسالة بهذا المعنى إلى الجهة المعنية في كوبنهاجن، أبلغها فيها بأن منظمة المؤتمر الإسلامي طلبت من كل الأعضاء مقاطعة المشروع، احتجاجاً على موقف بلادهم الرسمي من إهانة نبي الإسلام.

أخيراً، في أعقاب كل تلك التطورات، تطرق رئيس وزراء الدنمارك إلى الموضوع في بيان رأس السنة الميلادية، الذي بثه التلفزيون قال فيه إن حكومته تدين أي تعبير أو تصرف يسيء إلى مشاعر أية جماعة من الناس، استناداً إلى خلفياتهم الدينية أو العرقية، وبهذه الإشارة المخففة، تصور الرسميون في كوبنهاجن أنه تمت تسوية الأمر، في الوقت الذي بدا فيه لكل ذي حس سليم أن الجرح أكبر وأعمق بكثير من أن يداوى بكلمات عامة وخجولة من ذلك القبيل.

من ناحية أخرى، كانت بعض المنظمات الإسلامية في الدنمارك قد رفعت قضية ضد الصحيفة التي تبنت الإساءة البذيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن المدعي العام رفض القضية معتبراً أن نشر الرسوم الكاريكاتورية تم في إطار حرية التعبير التي يحميها القانون، وفي حين اختص رئيس تحرير صحيفة «يولاندز بوسطن» بالقرار، فإن صدوره شجع صحيفة مسيحية محافظة أخرى في الترويج «مجازينت» على إعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية الاثني عشر، ومن ثم الترويج لحملة السخرية البذيئة من نبي المسلمين ودينهم.

ولا يزال الملف مفتوحاً، حيث قدم مسلمو الدنمارك طعناً في قرار المدعي العام، وثمة مشاورات حول الموضوع ما زالت جارية بين ممثلي الدول الإسلامية في جنيف ولدى منظمة اليونيسكو، وليس معروفاً بعد كيف سيكون موقف ممثلي تلك الدول من المسألة.

إن ما يثير دهشتنا واستياءنا ليس فقط أن يتطاول شخص أو منبر إعلامي على نبي الإسلام ومقدسات المسلمين، فالمتعصبون والموتورون والحاقدون والمغرضون، موجودون في كل مجتمع، وهم كثر في الغرب، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بالشأن الإسلامي، ومن أسف أن أصوات هؤلاء طغت على أصوات العقلاء والمنصفين من مثقفي الغرب، لكن ما يثير الدهشة والاستياء أيضاً وبدرجة أكبر هو مسلك الحكومة والقضاء في الدنمارك، حيث يفترض أن تتنزه مواقفهما عن الهوى والغرض، وأن يكون تعبيرهما أكثر التزاماً بمعايير الإنصاف وبمقتضيات المصلحة العامة.

فليس صحيحاً أن السخرية والطعن في نبي الإسلام ورموز المسلمين يعد من قبيل ممارسة حرية التعبير، لأن الذي تعلمناه في دراسة القانون أنه لا توجد حرية مطلقة إلا فيما يخص حرية الاعتقاد والتفكير، أما التعبير فهو سلوك اجتماعي يرد عليه التنظيم في أي مجتمع متحضر، وعند فقهاء القانون في النظام الأنجليسكسوني وفي النظم اللاتينية،

فضلاً عن الشريعة الإسلامية، فإن حرية التعبير يسبغ عليها القانون حمايته طالما ظلت تخدم أية قضية اجتماعية، ولا تشكل عدواناً على الآخرين، وللمحكمة الدستورية العليا في الولايات المتحدة أحكام متواترة بهذا المعنى، والعبارة المتكررة في تلك الأحكام تنص على أن حماية حرية التعبير تظل مكفولة طالما تضمنت حداً أدنى من المردود الاجتماعي النافع، ونصها بالإنجليزية كما يلي:

A minimum of social redeaming value

إن كل القوانين تجرم سب الأشخاص والقذف في حقهم، حيث لا يمكن أن يعد ذلك نوعاً من حرية التعبير، لأن السب في هذه الحالة يعد عدواناً على شخص آخر، ومن ثم فأولى بالتجريم سب نبي الإسلام الذي يؤمن بنبوته ورسالته ربع سكان الكرة الأرضية، وحين حدثت في الأمر الدكتور أحمد كمال أبوالمجد وهو خبير قانوني دولي، أيد ما ذكرت وأضاف أنه حتى إذا سلمنا بأنه لا توجد نصوص في التشريعات الدنماركية تعاقب على سلوك الصحيفة المشين، فإن هناك التزاماً أخلاقياً وسياسياً يفرض على المسؤولين في الدولة إدانة ذلك المسلك، انطلاقاً من الحرص على حماية المعتقدات الدينية ودفاعاً عن فكرة التعددية الثقافية.

إضافة الدكتور أبوالمجد بأن عدم اتخاذ موقف صريح وحازم من جانب حكومة الدنمارك إزاء الطعن في نبي الإسلام يفتح الباب لشرور كثيرة، من بينها فتح الأبواب واسعة لإشعال حروب ثقافية لا مصلحة لأحد فيها، الأمر الذي يهيئ المناخ لإحلال القطيعة بين الشعوب والثقافات محل التواصل، والصراع محل التعاون، وليس معقولاً أن يكون ذلك ما تسعى إليه حكومة الدنمارك.

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: لماذا لا تعلن حكومات الدول الإسلامية استهجانها واستنكارها لموقف حكومة الدنمارك بشكل صريح وحازم، أسوة بموقف منظمة المؤتمر الإسلامي التي دعت إلى مقاطعة المؤتمر الدنماركي عن الشرق الأوسط، ذلك أن مثل ذلك الطعن الجارح إذا وجه إلى أي رئيس دولة في منطقتنا لقامت الدنيا ولم تقعد، ولسحب السفير وتهددت العلاقات الدبلوماسية فضلاً عن المصالح الاقتصادية للقطيعة، فهل نستكثر على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام أن نغضب لشخصه ولكرامته بما هو دون ذلك بكثير؟ وألا يخشى إذا استمر الصمت الرسمي في العالمين العربي والإسلامي، أن يخرج علينا من يطرح العنف بديلاً عن المعالجة الدبلوماسية الرصينة، فيفتي مثلا بإهدار دماء محرر الصحيفة الدنماركية ورساميها، وتكون هذه شرارة فتنة جديدة لا يعلم إلا الله مداها؟

أخيراً فإن الواقعة تجدد سؤالاً آخر طالما طرحناه حينما كان يفتح باب الحديث عن عداء المسلمين المزعوم للغرب، هو: من حقاً يكره من؟

اعتراضٌ وإنكارٌ على الإساءة النرويجية نحو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

نشرت جريدة المدينة في ملحق الرسالة في ١٤٢٦/١٢/٢٠هـ

======================

اعتراضٌ وإنكارٌ على الإساءة النرويجية نحو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

خالد بن عبدالرحمن بن حمد الشايع

الحمد لله العليِّ العزيز ، وصلَّى الله وسلَّم على من خاطبه ربُّ العالمين فقال : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء : ١٠٧

أما بعد :

فها هو الغَرْبُ النصراني المتطرِّف ، والذي تتغنَّى عواصمه بالتحضر والتمدن ، ويتشدق مثقفوه بالمعاني الإنسانية ، ها هو يكشف يوماً بعد يوم عن حقيقته ، من خلال أفعال بغيضة في حق كثيرٍ من الناس ، وخاصةً موقفهم من الإسلام والمسلمين .

ويتجلى ذلك باقترافهم أحطَّ الأعمال وأشنع الأفعال ، عسكرية كانت أو اقتصادية أو سياسية أو إعلامية ، حيث يشترك تطرفهم في بغي آلتهم العسكرية الباطشة بالأبرياء ، مع اقتصادهم المجوع للأطفال والنساء ، مع عجرفة سياساتهم وبغي تعاملاتهم .

وكانت أبغض أفعالهم ما تقترفه ثقافة وإعلام متطرفيهم ، المتمثلة في معاداة مُعَلِّم البشريَّة وهادي الإنسانية وخاتم رسل الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم. وصدق الله جلَّ وعلا : (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)]التوبة : ٨

. لقد تمادت وسائل إعلام غربية عديدة ، وتناوب منهم أشخاص موتورون على الاستهزاء برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وتكررت منهم محاولات الإساءة إليه بألفاظ نابية ورسوم بغيضة كاذبة ، وكان ذلك منهم على ملأٍ واستعلان في المجتمعات الغربية النصرانية ، في أوروبا وأمريكا ، من خلال وسائل إعلام متعددة ، دون أن يُجابه ذلك بالاعتراض والنكير ، برغم فداحته .

وكان من أواخر ذلك:

١) ما صدر عن القساوسة (جيري فالويل) و (بات روبرتسون) و (فرانكلين جراهام) و (جيري فاينز) من إساءات مرفوضة وكلام ساقط نحو دين الإسلام ونحو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

٢) ما صدر عن منظمة (رابطة الرهبان لنشر الإنجيل) التنصيرية المدعومة بأموال هائلة من الفاتيكان . حيث تعد من أهم مؤسسات الفاتيكان ومقرها روما ، وتضم نحو مليون فرد ، يعملون ليل نهار ، وفي كل مكان ، من أجل وقف انتشار الإسلام في العالم بكل قوة بزعمهم ، وعلى تشويه صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونَعْتِه بأبشع الصفات ، من خلال مشروع أطلقوا عليه : (مليون ضد محمد) .

٣) ما صدر عن الصحيفة الدنمركية (جيلاندز بوستن /Jyllands–Posten،) من السوء حين نشرت (١٢) رسماً (كاريكاتيرياً) أو ساخراً يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ / ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ تصور الرسول صلى الله عليه وسلم في أشكال مختلفة، وفي أحد الرسوم يظهر مرتدياً عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه !!.

٤) وهاهي المجلة النصرانية النرويجية (ماغازينت/ Magazinet) تنضم لهذا الاتجاه الآثم ، وتعيد نشر تلك الصور الكاذبة الخاطئة تحت شعار حرية التعبير، في يوم عيد الأضحى ١٤٢٦هـ الموافق ١٠ يناير ٢٠٠٦ .

وفي هذا يقول رئيس تحرير تلك المجلة (فيبيورن سيلبك / Vebjrn Selbekk) يقول : «لقد ضقت ذرعاً شأني شأن يلاندز بوسطن من تآكل حرية التعبير الذي يحدث خفية» ويقول : «لقد فعل العديدون بالفعل الكثير لكي لا يتم وأد هذه القضية، وبهذه الرسوم نود أن نقدم مساهمتنا الصغيرة».

هكذا يتتابع الأشرار في الاستهزاء بأطهر البشر ، وأزكى الخلق محمد عليه الصلاة والسلام ، وأحيل هنا على مقالي السابق في الرد على صحيفة (جيلاندز بوستن/Jyllands–Posten،) المنشور مختصراً بجريدة المدينة والحياة ، وكاملاً في موقع صيد الفوائد . (/http://saaid.net/Doat/shaya.htm١)

وأؤكد على أن المسلمين والعالم أجمع مسئولون مسئولية تاريخية عن تفنيد تلك الأباطيل ، حتى تكون الأمور في نصابها الصحيح ، فهذه الأباطيل مؤذنة بالسوء على العالم أجمع ما لم يتم تفنيدها .

وإنني لأتوجه باللّوم الكبير والاستهجان الشديد للمنظمات الدولية : وخاصة الأمم المتحدة وجمعيات حقوق الإنسان وغيرها ، والتي لم تُبْدِ اعتراضاً واضحاً تجاه هذه المساوئ نحو نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، كما تصنع عادة في قضايا معاداة السامية أو إنكار ما يسمى هولوكوست ، ونحوهما من القضايا الهامشية !!.

فأي حق للإنسان ستدافع عنه تلك المنظمات إذا لم تدافع عن أطهر إنسان ؟!.

وأي مبدأ سيُحترم في حياة البشر إذا كان أصحاب المبادئ الكريمة الحقّة ، وهم الأنبياء ، يُستهزأ بهم دون أي نكير؟! . بل يُستهزأ بأفضلهم وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام .

وأما رئيس تحرير مجلة (ماغازينت / Magazinet) ، فأقول له :

إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم هو أطهر البشر وأزكاهم ولن يضيره مثل هذه التفاهات :

Mohammed صلى الله عليه وسلم . is truly the purest of the mankind breed. Any ridiculing acts, no matter how many in volume and number they are, they would not change this fact that billions of people believe in. Allah, the Almighty reported this in the Glorious Quran

وأقول له ولمن هو على شاكلته : إن دعوى حرية التعبير لا تجيز الإساءة لأحد بلا حق .

The claim of "freedom-of-speech" does not entitle anyone to attack others and harms them.

e privacy, dignity and honor and principles of others.All worlds' constitutions and international organizations insist on and demand to respect all the Prophets and Messengers of Allah, the Almighty. Moreover, they confirm the necessity to respect the Divine Messages, respect others and do not attack th

وأقول له ولقومه : هذا الاستهزاء لا يخدم مصالح النرويج ولا مصالح أوروبا .

Ridiculing important figures does not serve the interests of Norway or even Europe.

وأقول له : إن الاستهزاء بالأنبياء مسلك الأشرار ، ولذلك توعدهم الله بالانتقام .

Ridiculing the Prophets is truly the way of evil-minded people.

Those who attempt to harm the Prophets are promised with Allah's revenge.

وأقول له : إن التاريخ لا ينصت للأدعياء ولا للموتورين ولا للأفَّاكين ، ممن يحاربون الأنبياء ودعاة الهدى ، فهؤلاء مصيرهم الخسارة الفادحة ، ولكن التاريخ ينصت لأصحاب العدل والنُّبْل ، الذين اعتبروا عملك هذا من أكبر الحماقات ، واقرأ بعض ما قال هؤلاء :

The British writer and critique, Bernard Show, in his book Mohammed, which was ordered to be burnt by the British authorities, says, 'This world is in a bad need for a man with the ١thinking style and ability of that of Mohammed. (

ill find great accommodation in Europe.'This Prophet who always placed his religion in a respectable and honorable position. This religion is the strongest to digest all civilizations and be an eternal religion. I notice that many British citizens embraced Islam justify dir="rtl" fully. This religion w

The clergy men in the middle ages, as a result of discrimination .and ignorance, had painted a dim picture for Mohammed

They considered him an enemy for Christianity. However, after .researching his personality, I discovered that he was a great man

sperity for the entire humanity.I concluded that he was never an enemy for Christianity; rather he should be called the savior of the humanity. In fact, if he is given the leadership in our world today, he will resolve the entire world problems in a manner that secure peace and pro

nd cheater.'The English philosopher, Thomas Carlyle, the Nobel Prize winner says in his book, 'The Heroes', 'It is extremely shameful to anyone to believe that Islam is nothing but a bunch of lies. And, it is equally shameful to believe that Mohammed is a ٢liar a (

of people lived and died by were a mere lie and trick!?We must fight such shameful rumors. The mission that Mohammed achieved and fulfilled is still the lit candle for the past twelve centuries for approximately two-hundred-million people. How would one believe that the principles, which this huge number

Why then to say, write or publish harmful items that destroy and U These ‹ إ¸ dG¸آ Y¸آا Sh‹harm instead of construct and benefit ¼¸ were some excerpts of the some of the renowned international scholars of the world concerning Prophet Mohammed

وأقول لرئيس تحرير مجلة (ماغازينت) : إنـه من لمن الحسرة والبؤس أن يكون غاية علمكم بهذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم هو مجرد الاستهزاء ، وأدعوك وغيرك ممن استفزهم الشيطان لأن تشرفوا أنفسكم بالاطلاع على سيرته عليه الصلاة والسلام، لتطلعوا على كمال الإنسانية في شخصه صلى الله عليه وسلم.

is the bit they ridiculed him for. Allah, the Almighty told the truth , 'Woe be to mankind! Never a ٣٦:٣٠saying in the Glorious Quran Sh‹messenger was sent to them except they ridiculed him.' ¼¸ U itself and its' editors and editor-in-chief, and also for ‹ إ¸ dG¸آ Y¸آا the entire Norway government that the only information they have about Mohammed (Magazinet) It is rather extremely disappointing and depressing for the

the net that easily testify to that and support this fact. The following sites are some examples: ves a favor by reading the best biography of a man on-the-face-of-earth ever. He is the perfect man, the perfect leader, the perfect teacher, the perfect

human being, the perfect father and the perfect all–in–all man. There are thousands of sites onI call upon these ridiculing people, who ridiculed Allah's Messenger SAAW, and I call upon the non–Muslims to do–themselves–a–favor, to read the noble biography of the honorable Prophet and Messenger of Allah, the Almighty. They will be doing themsel

وبعد :

فنبرأ إلى الله من كل إساءة نحو نبينا محمد عليه الصلاة ، وإنه لواجب على الحكومات والمنظمات والجمعيات الإسلامية في العالم أجمع أن تنكر هذا الباطل العظيم .

وأن توضح للشعوب غير المسلمة حقيقة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأن تعرفهم بدينه ، ذلك أن الإعلام الغربي من خلال سيطرة الصهاينة وأعوانهم من النصارى المتطرفين قد بذلوا جهودهم الشريرة في تشويه دين الإسلام وتشويه حياة نبينا محمد صلى الله وسلم ودعوته .

وهذا هو البريد الإلكتروني لهذه المجلة النرويجية (ماغازينت /Magazine‘) للإنكار والاعتراض على باطلهم والمطالبة بالاعتذار والكفِّ عن هذا الغيّ .

وهذا أيضاً البريد الإلكتروني لرئيس تحرير المجلة (فيبيورن سيلبك / Vebjrn Selbekk) :

vebjorn@magazinet.no

وختاماً : أذكر بقول الله تعالى : (وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ) »يوسف : ٢١«

. وقوله تعالى مخاطباً عباده المؤمنين بعد أن بين شدة عداوة المشركين : (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)

» آل عمران : ١٢٠«

وإن من الصبر والتقوى أن نرد عليهم إفكهم كلما أعلنوه ، وأرجو أن يتحقق بهذا المقال شيء من ذلك.

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد .

==========================

الأساقفة الشواذ يهاجمون رسول الإسلام!

محمد جمال عرفة ١٤٢٣/٤/٧

٢=٢٠٠/٠٦/١٨

من عجائب هذا الزمان أن يأتي قساوسة شواذ يمارسون الفجور مع الأطفال النصارى وفضيحتهم على رؤوسهم .. ثم يتكلمون في السياسة ، ويهاجمون نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام !؟ ومن عجب العجاب أن هؤلاء القساوسة المنحرفين جنسيًا والذين صوَّت مجلس الأساقفة الأميركيين لطرد ٣٠٠ منهم من عملهم الكهنوتي، أصبحوا ناصين لإدارة الرئيس الأمريكي بوش !.

فخلال الاجتماع السنوي للكنيسة المعمدانية الأمريكية الجنوبية، والذي عقد مؤخرا في مدينة سانت لويس بولاية ميسوري الأمريكية ، افترى أحد هؤلاء الشواذ -وهو القس جيري فاينز - الرئيس السابق للمؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية على الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وأتهمه بأقذع التهم والشذوذ والتي لا تنطبق سوى على شواذ الكنيسة الذين تم طردهم هذا الأسبوع من الكهنوتية المسيحية اتقاءً للفتنة بعدما كشفت إحصاءات الفاتيكان أن إعراض الأوروبيين عن الكنيسة بسبب فضائح الكهنة يتزايد !.

وقال هذا القس – أخزاه الله- مفسرًا سر زواج رسول الإسلام عدة مرات بأنه : "شاذ يميل للأطفال ويتملكه الشيطان، تزوج من ١٢ زوجة أخراهم طفلة عمرها تسع سنوات" .!

وأضاف القس الشاذ (فاينز) أن "الله (الذي يؤمن به المسلمون) ليس الرب (الذي يؤمن به المسيحيون). فلن يقوم الرب بتحويلك إلى إرهابي يحاول تفجير الناس وأخذ أرواح آلاف مؤلفة من البشر" !.

ولأنه إذا كان رب البيت بالدف ضاربًا ..فشيمة أهل البيت الرقص ، فقد أيد قادة الكنيسة المعمدانية الجنوبية تصريحات فاينز، وأعلنوا تأييدهم له فيما قال عن النبي العدناني !.

وقد أرسل نهاد عوض المدير العام لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية خطابا رسميا إلى الرئيس الأمريكي يطالبه فيه "بالتدخل المباشر لإدانة تصريحات القس جيري فاينز المعادية للإسلام" خلال المؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية خاصة وأن الرئيس قد خاطب الحاضرين بالمؤتمر من خلال الأقمار الصناعية.

وقال عمر أحمد رئيس مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير): إن " التصريحات المتهورة والمعادية للإسلام الصادرة عن أفراد يعتبرون قادة في مجتمعاتهم الدينية سوف تضر بصورة أمريكا ومصالحها عالميا وسوف تؤدي إلى انقسام أمريكا خلال الأزمة الراهنة".

ولكن مرت الأيام ولم يصدر أي إدانة من جانب الرئيس (المتدين) بوش على أقوال كبير شواذ الكنيسة رغم حديث بوش المتكرر عن احترام الأديان !

تصويت سري !

والغريب أن تصدر هذه التصريحات ضد الإسلام ونبيه في الوقت الذي تثار فيه ضجة كبيرة في أمريكا تحديدًا وبقية دول اوروبا حول شذوذ رجال الكنيسة الذي لم يمس فقط النساء والفتيات ، ولكنه امتد إلى الأطفال الأبرياء ، مما دعا بعض العقلاء في الغرب للقول إن التهجم على رسول الإسلام ما هو إلا وسيلة للتغطية على فضائح الكنيسة المدوية والتي أدت لطرد المئات من الكنيسة.

حيث تم هذا الأسبوع اعتماد ما سمي "النص النهائي "للميثاق من أجل حماية الأطفال والأحداث" بالتصويت السري من جانب مجلس القساوسة الأمريكان ب ٢٣٩ صوتا مقابل ٣٩ . وقال رئيس مؤتمر الأساقفة الكاثوليك الأميركيين ، الأسقف بيلفيل ويلتون غريغوري "لقد اعتمدنا اليوم وثيقة مهمة في تاريخ مؤتمرنا الاسقفي". واضاف "اعتبارا من اليوم.. كل من يعرف عنه (من القساوسة) أنه تعاطى الدعارة مع طفل يمنع من العمل في كنيسة الولايات المتحدة الكاثوليكية". ؟! .

وجاء هذا القرار للرد على الفضيحة التي طاولت الكهنة ، بعدما حاولوا في البداية التستر على هؤلاء الكهنة المنحرفين (!) ، إذ قامت اللجنة المختصة المكلفة بصياغة الميثاق الجمعة بتشديد مشروع البيان واعتمدت صيغة "عدم التسامح" مع أي كاهن تثبت إدانته بالاستغلال الجنسي ليطرد من الكنيسة ويعاد إلى الحياة العلمانية بعدما كان النص يدور حول " إمكانية أن يبقى في سلك الكهنوت أي كاهن مارس الاستغلال الجنسي في الماضي لكنه لم يذنب إلا مرة واحد !" .

أو أن يبقى "إذا تلقى علاجا مناسبا " ؟! .

وكانت صحيفة "دالاس مورنينغ نيوز" قد ذكرت أن ثلثي الأساقفة الأميركيين (١١١) في ١٧٨ ابرشية قاموا على مدى سنوات بالتغطية على تصرفات الكهنة الذين يستغلون الأطفال جنسيًا واكتفوا بنقلهم من ابرشية إلى أخرى أو إخضاعهم لعلاج نفسي.

ورغم هذا فقد اثار هذا التعديل أيضا غضب الضحايا الذين طالبوا بعقوبات تأديبية بحق أولئك الأساقفة. وقال بيتر ايسلي المسؤول عن شبكة الناجين من الاستغلال الجنسي الذي يقوم به الكهنة "انه "أمر فاضح أخلاقيًا بكل بساطة".

الثقة في الكنيسة تتراجع

وقد جاءت هذه النتائج في الوقت الذي كشف فيه استطلاع للرأي أجري في الولايات المتحدة عن تراجع ثقة الأمريكيين في الكنيسة حيث أشار الاستطلاع إلى أن نصف الأمريكيين –فقط- لديهم انطباعا إيجابيا عنها .

وقالت وكالة أسوشيتدبرس الأمريكية إن عدد القساوسة الذين سلمت أوراقهم إلى الشرطة قد ارتفع إلى ٢٦٠ قسا منذ تكشف أبعاد الفضيحة التي يقوم بها القساوسة منذ أكثر من ستة أشهر .

ويشير المسح الذي أجرته الوكالة إلى أن ٥٥٠ شخصا قد رفعوا قضايا ضد رجال دين مسيحيين في ولايتي ماسوشيستس ومين فقط بسبب سلوكياتهم الأخلاقية الفاضحة !.

وقد دفعت رائحة الفضيحة العطنة بابا الفاتيكان لعقد اجتماع مع الكرادلة الأمريكيين مؤخرا "لعلاج عدم الانسجام في السياسة الكنسية تجاه الفضيحة" !. وقد قوبل الاجتماع بانتقادات بسبب عدم صدور قرار صريح عنه يجيز عزل القساوسة الذين يثبت اعتداؤهم على الأطفال.

وكان بابا الفاتيكان قد عقد جلسة خاصة حول هذا الموضوع مع ممثلي قيادات الكنيسة الكاثوليكية بروما تابع فيها نتائج التحقيقات التي أفضت إلى كشف هذه الفضيحة وأعرب البابا عن "بالغ الحزن والأسى لهذا السلوك غير الأخلاقي من رجال دين دورهم مكافحة الرذيلة وتقوية القيم والسلوك السوي لأتباع الكنيسة".

ولا يقتصر الشذوذ والسقوط من جانب القساوسة على أمريكا فقط ، ولكنه يمتد إلى كل كنائس أوروبا التي اصبحت تعاني فراغا واعراض الجمهور عنها .

وكمثال ، فقد سعت الكنيسة الكاثوليكية في بلجيكا إلى تكثيف جهودها لمكافحة الاعتداء الجنسي على الأطفال من جانب القساوسة وموظفي الكنائس. وشكّل أساقفة الكنيسة الكاثوليكية في مؤتمر عقدوه في بروكسل العام قبل الماضي لجنة تحقيق داخلية مستقلة لهذا الغرض.. حسبما أعلنت وكالة الأنباء الكاثوليكية "كاث برس".

ونظرت اللجنة في شكاوى الضحايا المعنيين، ودرست إجراءات تأديبية بحق عناصر الكنيسة المتورطين في ممارسات لا أخلاقية بحق الأطفال. وجاء هذا الإجراء عقب الكشف عن حالات اعتداء جنسي عديدة تورَّط فيها قساوسة كاثوليك في بلجيكا خلال السنوات القليلة الماضية. وتقول الدوائر الكاثوليكية: إنّ الكثير من الضحايا لا يطالبون في العادة بإنزال عقوبات قانونية ضد رجال الكنيسة المتورطين في جرائم من هذا النوع، وإنما يأملون في الاكتفاء بإجراءات تأديبية داخلية. وتلقّى هاتف خصصته الكنيسة في بلجيكا منذ عام ١٩٩٧ لتلقّي اتصالات الضحايا العشرات من البلاغات حتى الآن، وجاء ذلك الإجراء على أثر تزايد فضائح الاعتداء الجنسي على الأطفال في الأروقة الكنسية !!

المسيحية تنحسر في أوروبا

وقد صدرت إشارات تحذير من بعض الكنائس بتزايد إعراض الجمهور المسيحي الأوروبي عنها بسبب الفضائح والخواء الروحي ، وجاءت خطوات إبعاد الشواذ كمحاولة للتغلب على أحد عناصر إعراض الشباب والأطفال عن الكنيسة .

فقد أعلن الكاردينال "كورمك ميرفي أوكونور" رئيس الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا وويلز "أن المسيحية أوشكت على الانحسار في بريطانيا، وأن الدين لم يعد يؤثر في الحكومة، أو في حياة الناس" . وقال في يوليه ٢٠٠١: "إن الموسيقى والمعتقدات المستحدثة والحركة البيئية والتنجيم والسحر واقتصاد السوق الحر حلت محل السيد المسيح عليه السلام"، ودعا إلى ما أسماه "فكر ثوري" يستهدف الوصول إلى جموع الشباب الكاثوليك وإلى المارقين والملحدين منهم.

كذلك قال تقرير لراديو لندن: "إن الفضائح المتعلقة بالجنس لعدد من القساوسة كانت أحد الأسباب التي دفعت الناس إلى الابتعاد عن الدين المسيحي الذي لم يعد بالنسبة للمسيحيين يجيب عن الكثير من الأسئلة التي يطرحها الشباب، وهو ما دفعهم إلى الاتجاه نحو الحركات الحديثة، كحركة المحافظة على البيئة والحركات الاجتماعية التي تنمي طاقاتهم". وأشار إلى أن استطلاعا للرأي قد أظهر مؤخرا أن الكثيرين ممن يترددون على الكنيسة يعتقدون بأنه لا تتاح لهم الفرصة للإجابة عن الأسئلة التي يطرحونها بشأن الدين، وقد أدى هذا كله إلى ثقافة بديلة عن الدين . وكان أسقف كانتربري قد ذكر أيضا أن الناس كانوا يلجؤون في الماضي إلى القسيس للتعبير عن مشاكلهم وقلقهم النفسي، أما الآن فيلجؤون إلى الأطباء، ويعتبرون أن الدواء ربما يكون سببا لإسعادهم، وأضاف: "ويلجأ بعضهم إلى الجنس والمخدرات والخمور اعتقادا منهم بأن فيها علاجا لراحتهم وإسعادهم بدلا من الدين المسيحي".

كذلك كشف استطلاع للرأي أنّ ثقة الشعب النمساوي في الكنيسة تعاني من التراجع الحاد. فبينما أبدى ٤٨% من النمساويين ثقتهم بالكنيسة عام ١٩٩٠، أصبحت هذه النسبة حاليًا ٣٨% فقط. ورغم هذا التراجع في الثقة بالمؤسسة الكنسية فقد بين الاستطلاع أنّ الدوافع الدينية لدى النمساويين مالت إلى الازدياد بشكل ظاهر في السنوات العشر الأخيرة؛ بسبب حالة القلق والكآبة التي يعاني منها الناس في أوروبا عموما بسبب الخواء الروحي .

وكانت دراسة سويدية نشرت الأسبوع الماضي قد أكدت ارتفاع نسبة الانتحار في البلدان الاسكندنافية بشكل ملحوظ وأن أسباب تجرع زجاجة السم ما عادت تقتصر على العزلة والكآبة فقط لأن الخوف من " بهدلة " آخر العمر تدفع العديدين للانتحار بسبب الفردية وعدم الترابط الاجتماعي في المجتمع !.

لم يجد القساوسة إذًا – بعد انصراف الأمريكيين والأوروبيين عنهم – سوى مهاجمة الإسلام كي تعود لهم اضواء الشهرة (!) .

وهو نفس ما فعله من قبل حلف الأطلنطي عندما لم يجد له عدوا يواجهه بعد انهيار الشيوعية فاختار الإسلام عدوًا بديلاً خشية انفراط عقد الحلف كما انفرط عقد حلف وارسو الشيوعي !.

==========================

الإساءة للرسول.. بداية نصر جديد لو تعلمون

١٤٢٦/١٢/٢٨

معمر الخليل

وعد الله _عز وجل_، بنصر أوليائه من المؤمنين في الأرض ولو بعد حين "وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" (الروم: من الآية٤٧)، وتكفّل بحفظ القرآن العظيم "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر:٩)، وتعهّد بنصر رسوله الكريم _صلى الله عليه وسلم_ "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئينَ" (الحجر:٩٥)، و"فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"(البقرة: من الآية١٣٧).

ووعد الله _تبارك وتعالى_ (ووعده الحق) أن يخرج الحي من الميت، ومن الظلمات إلى النور، وأن يجعل بعد عسر يسراً، وبعد الضيق فرجاً "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا"(الروم: من الآية١٩)، و"فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً" (الشرح:٥)

وبين يدي المسلمين اليوم فرصة ذهبية، مهّدها الله بقدرته وعظيم صنعه وتقديره، لكافة المسلمين.. على اختلاف ألوانهم ولغاتهم.. ومهّد لغيرهم من الأمم الأخرى فضول الاستماع لما يقوله المسلمون.

فالإساءة التي قامت بها إحدى الصحف اليمينية المتطرفة في الدنمرك من رسومات كاريكاتوريا لا تليق بشخص الرسول الكريم _صلى الله عليه وسلم_، أثارت فتنة عظيمة في نفوس المسلمين، حتى ودّ البعض أن يوغل في الرد عليهم إلى حد القتل، وغيرها.

ولكن وقفة تأمل منّا قد تجعل من هذه الأزمة انفراجة طال انتظارها، وبركة ينشرها الله _تبارك وتعالى_ بين الناس.

ويجب ألا تعمي الإساءة أعيننا عن اغتنام الفرصة، ويكفي أصحاب الرأي والهمة أن يتذكروا ما قاله _عليه الصلاة والسلام_ حينما هجاه بعض الكفار، ذاكرين اسم "مذمم" بدلاً عن "محمد" زيادة في الذم، فكان قوله _صلى الله عليه وسلم_ لصحابته الذين ساءتهم مقالة الكفار " لا تعجبون كيف يصرف الله عني أذى قريش وسبهم، هم يشتمون مذمماً وأنا محمد". رواه البخاري. فهم هنا رسموا رسومات لشخصيات وهمية في أذهانهم، وهي ليست -بلا شك- رسومات للنبي _عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم_.

دون أن ننتقص من حق الرد على هذه الإساءة، مثلما حدث حين هجا بعض الكفار رسولنا الكريم _صلى الله عليه وسلم_ فقال له حسان بن ثابت: "أتأذن لي يا رسول الله أن أهجوهم" فأذن له.

ولطالما كتب الله _تبارك وتعالى_، نصراً للدعوة ولدين الإسلام، خلال نائبات الدهر والأحداث الجسام، واستفاد الرسول _صلى الله عليه وسلم_، وصحابته، من ذلك، في نشر الدعوة، وتوصيل رسالة الدين إلى بقية الأمم، كمثل إسلام النجاشي (ملك الحبشة) في أضيق أوقات المسلمين من هجرتهم بعد طول إيذائهم. وحين كتب الله لرسالة نبيه الظهور والانتشار، بعد أن هاجر عليه الصلاة والسلام، من مكة المكرمة، مكرهاً، حين مكر كفارها لقتله. وضاقت به الأرض.. فكانت المدينة التي أنارها الرسول بوصوله أول موطئ لدولة الإسلام، التي انتشرت حتى وصلت أطراف الأرض.

ومنها دخول أعداد كبيرة من الناس في الإسلام بعد أن منعت قريش رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وصحابته من دخول مكة المكرمة للعمرة عام ٦ للهجرة (عام الحديبية)، وضاقت الأرض على المسلمين، وقال عمر بن الخطاب للنبي: "ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل..." (الحديث) رواه البخاري. حيث استفاد _عليه الصلاة والسلام_ من الهدنة التي وقعها مع قريش بعد تلك الواقعة، في تعزيز الإسلام ونشره بين الناس في المدينة، فيما كانت تقدم عليه أفواج من المسلمين من مكة وغيرها.

وما يجب أن يدركه المسلمون اليوم هو أن هذه المحنة التي أنزلها الله علينا، بداية خير كثير، لو استفاد منها المسلمون بطرق عديدة. وأن شعاعاً عظيماً من الأمل والنصر قد أشرق من جنباتها المظلمة. فماذا ننتظر؟

يقول الله _تبارك وتعالى_: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ" (يوسف: ١١٠).

اليوم.. يهتم الكثير من الغرب بما يحدث من إساءة لنبي المسلمين، ويترقبون ما يصدر عن المسلمين من أقوال وأفعال لا تخرج (في رأيهم) عن الإساءة للصحيفة والحكومة الدنمركية، والإساءة للنصارى ودينهم، والتهديد بالقتل والوعيد بالثأر، بما فيها المحاكمات القضائية، فضلاً عن المنحى الرسمي الذي يتخذ طابع "التنديد والاستنكار!".

وقد استطاع الإعلام العربية والإسلامية (على اختلاف وسائله المتلفزة والمطبوعة والإذاعية والإلكترونية) أن يحدث ضجة إعلامية حقيقية، أثارت فضول الملايين من الأمم الأخرى لمعرفة "ماذا سيقول المسلمون رداً عن هذه الإساءة العظيمة".

وهذه بحد ذاتها نعمة أنعمها الله _تبارك وتعالى_ أن جعل الأمم الأخرى مستعدة لسماع ما نقوله.. فماذا يجب أن نقول؟

هنا يجب أن يغتنم المسلمون هذه النعمة العظيمة، وينتقلوا من حالة "الدفاع عن الرسول" بالطرق التقليدية، إلى "حالة الهجوم"، بالطرق غير التقليدية.

وأن يصبح توجههم إلى الغرب بهدف "الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنى".. وهناك درس عظيم في تاريخنا يمكن الرجوع إليه، والاستفادة منه في تحقيق هذه الغاية، فكما قال _صلى الله عليه وسلم_: "لأن يهدي الله بك أحد، خير لك من حمر النعم".

وهي قصة إسلام النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب _رضي الله عنه_ عندما استطاع أن يوجد خطاباً دعوياً بالغ الرقي، يخاطب به ملكاً يدين بالنصرانية، أدخله في الإسلام ببركة الحدث والوقت والخطاب التي هيأها الله _تبارك وتعالى_.

الخطاب الذي ينتظره النصارى من المسلمين اليوم، خطاباً يحمل في طياته انتقاصاً من دينهم، وإساءة لأحبارهم ورهبانهم، وهجوماً على معتقداتهم وأفكارهم.. يحمل في طياته حقداً وتهديداً وتطرفاً..

فلم لا نجعل خطابنا لهم، سهماً نطلقه بعناية، لعلّ الله أن يمنّ علينا بنصر في الأرض، ونور من ظلام، وصدّ عن نبينا بدخول أمم أخرى في دين نبينا _صلى الله عليه وسلم_.

ولعل ذلك يتأتى -بإذن الله- بخطاب يتضمن ما تضمنه كلام جعفر بن أبي طالب، من عرض المشترك بين دين الإسلام، والمسيحية التي يؤمن بها غالبية أهل الغرب، وعرض الآيات من القرآن الكريم، وسنة نبيه المصطفى _صلى الله عليه وسلم_ التي تحث المسلمين وتأمرهم باحترام نبي الله عيسى _عليه السلام_ وأمه الصديقة _عليها السلام_، وغيرها.

وأذكر أنني حضرت خطبة جمعة في مسجد، التقينا بعدها برجل أمريكي أسلم حديثاً، فحدّثنا عن إسلامه، وأنه كان في طائرة يجلس إلى جانبه رجل مسلم، دخلا في نقاش حول الأديان، فذهل عندما سمع من المسلم قوله: "عيسى عليه السلام"، و"مريم العذراء عليها السلام" فسأله، أو مؤمن أنت بما تقول، فقال له المسلم: "نعم.. قرآننا وديننا يأمرنا بذلك"، وعرض عليه ما يقوله القرآن ونبي الله في عيسى _عليه السلام_ وأمه الطاهرة، وأخبره أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال في حديثه الصحيح: " إن الله منزل عيسى _عليه السلام_ في آخر الزمان، يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد، على ملة أبينا إبراهيم. وتحاشى ذكر أن المسيح سوف يدعوا إلى الإسلام "وقد كان إبراهيم حنيفاً مسلماً كما أخبرنا الله تبارك وتعالى"، تحاشياً من نفور رفيقه الأمريكي، وتدرّجاً معه في الدعوة إلى الإسلام. فبدأ الأمريكي في قبول الدين الإسلامي على أنه دين سماوي، وأزال الحاجز الذي بداخله ضد كل ما هو مسلم، فكانت هذه بداية طريق هدايته، فكان أن فتح الله قلبه للإسلام بعد أن اطلع على تعاليمه وأوامره وأخلاقياته وأخلاقيات الرسول _صلى الله عليه وسلم_.

الدعوة مفتوحة لجميع المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، بكل لغاتهم، بتوجيه رسائل دعوية، لا تتضمن إلا ما يقرّب النصارى من دين الإسلام، وما يكشف لهم من تقارب بين الدين الإسلامي والمسيحية التي يؤمنون بها، وما يحمل كل احترام لنبي الله عيسى _عليه السلام_، ومريم _عليها السلام_.

كأن تتضمن نصاً من هذا القبيل، موجّه إلى النصارى، يترجم إلى لغات عدة، وينشر في كل المنتديات الغربية، ويرسل إلى أكبر قدر من القوائم البريدية:

تحاول بعض الجهات المتطرفة إيجاد حالة من الخلاف بين المسلمين والنصارى، بتشويه صورة نبي الإسلام محمد _صلى الله عليه وسلم_ ويتحجج البعض منهم أن الدين المسيحي يأمرهم بذلك.. رغم أن ديننا الإسلامي يأمرنا باحترام نبي الله عيسى _عليه السلام_ ، وأمه مريم العذراء_عليها السلام_ ، حيث يقول قرآننا الكريم: "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ"(النساء: من الآية١٧١).

ويقول عن مريم العذراء: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران:٤٢)

ويقول نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_: "ما كملت من النساء إلا أربع" وذكر أول واحدة منهن مريم العذراء.

وأعلمنا نبينا _صلى الله عليه وسلم_ أن الله _تبارك وتعالى_، سيرسل عيسى _عليه السلام_ آخر الزمان، فيقاتل الشر، ويدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، على ملة أبينا إبراهيم _عليه السلام_.

فندعوك يا من تدين بالطاعة لله _عز وجل_، وتقر بعبوديتك له، وولاءك للمسيح عيسى _عليه السلام_ بأن تساهم في التصدي لحملات التشويه التي تنال من نبي الإسلام محمد _صلى الله عليه وسلم_ راجياً أن يكون ذلك مما يؤلف بين قلوبنا، ويرضي الله _تبارك وتعالى_ عنا، حيث قال الله _تبارك وتعالى_ في كتابه: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ"(آل عمران: من الآية٦٤) صدق الله العظيم.

=====================

الإسلام.. والغرب.. حرب مجددة؟!

هل بدأ تفجير التاريخ بين الغرب والإسلام لتعود حرب الهلال مع الصليب أو المسيحي مع المسلم؟ وهل من قاموا بتشويه صورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مارسوا حرية مدمرة اقتضت التصعيد وحرب الكلمات التي هي مقومات صدام قادم؟..

قالوا إنهم فعلوا ذلك مع المسيحية، واليهودية، والبوذية، دون أن تثير أي حساسيات كما حدثت مع المسلمين، لكن كيف نقبل بهذا التبرير وتشريع عالمي قاده الغرب بأن من يضع الصهيونية كحركة عنصرية يدخل في معادات السامية التي عقوبتها لا توازي أي جزاء آخر؟ ثم إذا كان شتم الأنبياء ترف باسم الحرية، فهل الصهيونية أشرف منهم، أو أن من يرفع، ولو تحدياً، اسم النازية وهتلر يصنف بعدو السلام والبشرية، والفصل العنصري؟.

وإذا كان تعريف الحرية فضفاضاً يتسع لأقلام الغرب بأن تمارس حقاً مرفوضاً، فكيف لا يكون للقداسات قانون يحميها من الاعتداء المعنوي أسوة بحماية اليهود مثلاً؟..

الزوبعة كبيرة، وحدودها لا تقف عند شخص، أو صحيفة، أو عاصمة كبرى، إذا كان استثارة ما يزيد عن مليار ونصف مليار مسلم، هي مجرد حالة عابرة و ظّفت لتكون اختبار قوة بين طرفي نزاع تاريخي، وحروب مدمرة مسلمين ومسيحيين يمكن قبولها في هذا العصر، بتوليد عداوات لا ندري ما العائد المادي، والمعنوي من جلبها من الماضي، لتكون تصعيداً خطيراً؟ ثم إذا كنا مسلمين وغير مسلمين نواجه مداً إرهابياً يضع نفسه فوق القوانين والأعراف، والشرائع، فهل ما فعلته صحف الغرب يساهم بردع الإرهاب إذا كانوا يمارسون إرهاباً آخر باسم حرياتهم؟ أم أنهم أضافوا بفعلهم جبهة أخرى تلتقي مع تلك القوى؟..

مقولة أنه من السهل البدء في الحرب، لكن من الصعب اطفاؤها تنطبق على هذه القضية، والبادئ إعلام غربي لا يزال يحمل بذور التعالي على الشعوب والأديان، ويدعي حماية الحقوق التي لا ندري مقاييسها القانونية والأخلاقية. إذا كان الأنبياء مستهدفين بالشتيمة؟

لا أحد ينكر أن معظم الدول الإسلامية تمارس سياسات تجاه شعوبها يمكن أن توصف بالتعسف والاستبداد، لكن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يمارس أو يشرّع لهذه الأعمال أو يعطي إذناً بجعل الإرهاب جزءا من هوية الدين الإسلامي، ولعل ما يجري من فوضى حادة يعتبر اختراقاً لمحرم، فهل يعي من أعطى الأوامر بنشر تلك (الكاريكاتيرات) أن النار من مستصغر الشرر؟..

١٨ تعليق

١

لا فض فوك أستاذي الكريم، لو عرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم لأسلموا ولأحبوه

أشكر لك هذا المقال القيم، وأسأل الله لك السداد والتوفيق، وأن يشفع فيك الحبيب صلى الله عليه وسلم.

أما قولهم (قالوا إنهم فعلوا ذلك مع المسيحية، واليهودية، والبوذية، دون أن تثير أي حساسيات كما حدثت مع المسلمين...)

فينبغي أن نقول لهم.. الفرق بيننا وبين النصارى والبوذيين كبير جداً... من ذلك أننا نحن المسلمين... من أركان إيماننا أن نؤمن بعيسى وبموسى ونحبهما كما نحب محمداً.. وندافع عن الأنبياء كلمهم كما ندافع عن محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا ليس عند غير المسلمين!!!

أليس نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة وجد اليهود يصوم يوم عاشوراء ،، فقال نحن أحق بموسى منكم! كما روى عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه أنَّ

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَدِمَ المَدينة فوجدَ اليهودَ صياماً، يومَ عاشوراء. فقالَ لهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:« مَا هَذَا اليوم الّذي تصومونهُ؟ »فقالوا: هذا يومٌ عظيم، أنجى اللهُ فِيهِ موسى وقومَهُ، وغرَّقَ فرعونَ وقومَهُ، فصامَهُ موسى شكراً، فنحنُ نصومُهُ. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: [فنحنُ أحقُّ وأولى بِمُوسى مِنكم] رواه مسلم. فصامَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأمرَ بصيامِه.

بل لو كان النصارى مؤمنين بعيسى حقاً لأسلموا.. لأنه بشر بمحمد كما قال الله تعالى {ومبشرا برسول يأتي من بعدي أسمه أحمد}

ولو كان اليهود مؤمنين بموسى حقاً لأسلموا... فنحن المسلمون.. على دينا النبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى... أسأل أن يوفق الجميع.

أخوكم/ أبو عاصم

abo-aseem@maktoob.com

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠٦:٤٢ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٢

نعم : الحرب وان كانت اعلاميه من الصعب اطفاؤها

مع ان الحق كان دائما معنا - كامة مسلمة قوية الايمان بدينها تتمحور حول رسالةمحمدصلى الله عليه واله وصحبه وسلم - في التصدي لما ينشر وله مساس بالعقيدة اوشخص الرسول الكريم ولكن في الاخير نفاجا باتساع االموضوع عالميا وقد ياتي منا من يؤنبنا على مساهمة ا لتصدي في الانتشار فنقبل مجرد الخروج او السكوت بلا اصابات جديده. لماذا ؟ لان العاطفه والعفويه تحكم تحركنا وليس خطط مدروسه وموثقه باتفاقات رسميه لارجوع عنهامع الدول الاسلاميه وليس بتقدير متوازن للعواقب يحصر التصدي في حدود مضمونة النتائج بحكم ضعف امكانياتنا الاعلاميه في العالم...حتى الان.

عبدالرحمن بن علي

٠٦:٤٦ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حذاري من التشتت

الحمد لله وحده وبعد استمروا في المقاطعة وما يحدث الآن من قبل الصحافة الغربية هو محاولة لتشتيت الأمة والرضوخ للأمر الواقع ركزوا الآن على اول من بدأ بالشر (والبادي اظلم) وهي الدنمرك حتى تذعن لمطالبنا ومن اهم مطالبنا سن قوانين لديهم في

دساتيرهم تحرم التهكم والسخرية على الأديان و الرسل اما فرنسا وغيرها فان اللعبه مكشوفة المطلوب من اخواننا المسلمين في فرنسا تسيير مظاهرات سلميه يوميه بحكم ان المظاهرات هناك لها فعلها و لعل هذه الهجمة الباغية تزيل الغشاوة من على عيون كثير من المسلمين حتى يقفوا بانفسهم على الحرية المزعومة وحقوق الأنسان المفصلة حسب أهوائهم لكنني اناشد كل المسلمون الحذر من العنف والإعتداء ، لذا لابد من التعقل والرد بطريقة متزنه. فبإذن الله اذا استمرينا في المقاطعة ليذعن عباد البقر لمطالبنا ولو بعد حين. وحينها سيأتي الدور على بقية عصابة الشر وفي مقدمتها فرنسا.نريد جهة مخولة للتفاوض والرد معهم ولتكن رابطة العالم الإسلامي او منظمة المؤتمر الإسلامي وانا اعتبر ما يحدث فتح للإسلام والمسلمين ومجال خصب خصب جدا للدعوة للإسلام فمن مبدأ احترام جميع الرسل واجلالهم واولهم موسى وعيسى فليكن انطلاقنا من هذا المعتقد لدينا نحن المسلمون

alawifi@hotmail.com

العويفي

٠٧:٣٦ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٤

ثمار الحرب على الارهاب

هذا ما زرعه بوش وبلير من الحرب على الارهاب(المسلمين) من كره وحقد وتعالي على الامة الاسلاميه وهذه هي باكورة الحصاد بداية بحرب كلاميه بين الشعوب ومن ثم حروب الله اعلم الى اي مدى تفضي اليه الكل يعلم ما هي الديموقراطيه والكل يعلم ما هي حدودها ولكن بأسمها عذرا بدءة الحرب واشتعلت والى الامام امة الاسلام.

محمود

٠٧:٣٨ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٥

بالفعل الحرب بدأت والبترول سلاحنا السلمي الأول.

لله درك يا كاتب هذه السطور..

بالفعل فقد مارسوا الإرهاب بتلك الفعلة بدعوى حرية الرأي، ولكنهم لم يمارسوا ذات الحرية في موضوع المحرقة وهتلر.. حتراما للسامية..

أي شعارات زائفة تلك التي يتغنون بها، فلقد كشر الغرب عن وجهه القبيح، وآن للمسلمين أن ينهضوا وأن يفيقوا من سباتهم العميق، لقد بدأت الحرب ولن تنتهي إلا بانتهاء أحد الطرفين..

في رأيي أن أول سلاح سلمي يجب أن نلوح به حاليا هو البترول، وقطعه عنهم، ثم بعد ذلك بدأ الجهاد، الجهاد لإعلاء كلمة الله..

شكرا مرة أخرى لكاتب هذه السطور..

أحمد الأحمد

٠٩:٠٢ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٦

حرية التعبير ام حرية التخريب

بارك الله فيكم على المقال الرائع ويكشف المكيالين الموجودين في اوروبا الغير منطقي ولنسأل ولنحلل هذه الظاهره المرضية ولو جزئيا من حيث الوقت المكان والاسباب والنتائج

-هناك صورة مشوهة عن العالم العربي والاسلامي نحن شاركنا في صنعها بتطبيق نظم شمولية لا تحترم الانسان وزادت من تخلفه وفقره وانتجت ارهابيين وميليشيات ارهابية ثم اننا مجتمعات مستهلكة وغير منتجة وندعي باننا مسلمين وايضا (زاد البلة طين) قتل الابرياء في كثير من البلدان الغربية وامريكا.

-اكثر الذين اساؤا للرسول(صلى الله عليه وسلم) وللاسلام من اليمين المتطرف في اوروبا لكي يزجوا المسلمين في الارهاب والعنف وبهذا يدعون ان الاسلام دين ارهاب

-ثم ان اليمين المتطرف في اوروبا يريدون ان يضعفوا الحكومات الغير اليمينية اقتصاديا ويحلوا محلها ويضعوا شروطا على العالم الاسلامي وعلى المهاجرين اذا استلموا.

-علينا ان نكون حكيمين ونستخدم القنوات القانونية لانها حملة مدروسة من قبل اعداء الانسانية والاسلام واعداء الدول الفقيرة وعلينا ان نعمل على نصرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) في تطبيق شرعه باحترام الانسان وتطبيق لا اكراه في الدين والصدق في المعاملة والاتقان في العمل لنصبح امة منتجة محترمة.

د. هشام النشواتي

١٠:١٦ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٧

ADL

There is an international organization called ADL (Anti Defamation Leage) protects the jewish culture. Muslim world may ! need to have a similar one

Mohamed Kandil

١٠:٤١ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

٨

وهل بهذا الاسلوب ندافع

نعم ننكر وبشده الاستهزاء باي نبي من انبياء الله.ونصر علي ان من يستخدم عبارات او رسوم لهذا الغرض اما جاهلا او سخيف. نبينا عليه افضل الصلاة والسلام اشرف واطهر من ان يمسة متطاول او مجنون او مريض عقلي. المساس بشعور الامم ليس حريه راي اة اعلام.بل سخافة من اقزام تتطاول ويجب ان تبقي في حجمها الحقيقي لا ان نزيد من طولها وصيتها.

لكنني استغرب ان يتم تجاهل مواقف الحكومات بل وتقزيمها من طرف بعض المنافقين الذي وجدوها فرصة لتصفية حساباتهم وبالذات مع الحكومة السعوديه. المشاهد لقناة العالم الايرانيه والمنار اللبنانيه.يجزم بان وراء الاكمة ماورائها. الموضوع ليس دفاع عن نبينا علية افضل الصلاة والسلام. الموضوع تم تحويره الي الدفاع عن الحكومة الايرانيه.واستخدام عواطف العامه للاستعداء علي حكوماتها. ولي وقفة مع الشيخ القرضاوي الذي يصرخ بالزعيق عن تخاذل الحكومات العربيه عن الدفاع عن سيد الخلق ؟ ماذا يريد القرضاوي وابواق ايران.هل يريدوننا ان نستخدم سلاح البترول لمنع اصدار قرار دولي ضد ايران ؟ هل اصبح ديننا سلعة رخيصه للاصطياد في الماء العكر.

وثمة سؤال لهوؤلاء المتطاولين علي المملكه وحكومتها. ماذا ستفعلون عندما تنشر صحف اخري سخافات ربما تكون اسواء مما نشر.وانتم تعلمون ان ملايين الصحف تصدر يوميا.

ماذا سنفعل عند ما نجعل انفسنا وسيلة سهله لطالبي الشهره والمغموريين.

وهل يجب تركيع العالم لارادة ايران.

ان ماشاهدته في قناتي ايران هو ليس دفاع عن النبي بل لم يقتصر علي مهاجمة الرئيس بوش وحكومة امريكا؟؟ واستعداء للغرب بكل وضوح.وانما دعوة مباشرة لاستعداء الشعوب علي حكوماتها.

التصرف الحضاري بمقاطعة المتجات الدنماركيه امر رائع. لكن اطلاق الرعاع لتصفية حساباتهم وكيل التهم للاسباب معروفه ومبطنه مسبقا امر لانقره.

المملكه ليست بحاجة شهادة براءة من ايران ولا من القرضاوي.

الشاوي

١٠:٥١ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

من واجبنا ان ندافع عن نبينا وعن الاسلام...

عاطفيا فرحت كثيرا بالهبة الاسلامية الكبيرة التي بثتها وسائل الاعلام الدولية... ولكن بعد بعض التأمل، بدأ تفكيري يجول يمينا ويسارا، وتسائلت اينا كنا عندما نشرت كتب في امريكا تتهجم على خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام واين ردودنا على المسؤولين الامريكيين الذين وصفوا رسولنا الحبيب بالرهابي، واين ردودن عن القس الامريكي الذي قال ان الرسول عليه الصلاة والسلام ارهابي، اليست هذه بصور كاريكاتورية ايضا.

اين تعليقنا عن الاهانات التي تتم يوميا من طرف السملمين وغير المسلمين للاسلام الذي كانت رسالة حبيبنا محمد...

الا تعتقدون ان الذي وصلنا اليه هو نتيجة حتمية لتصرفاتنا وافعالنا،،، كيف سيتصرف الاخر عندما يعرف اننا غيرنا من مناهج تعليمنا لاننا اكتشفنا انها تدعوا للكراهية... كيف يتصرف معنا هذا الكافر عندما يعرف ان الدول الاسلامية وضعت تقنين لخطب الجمعة...

انا لاريد ان اقلل من حجم المشكلة والازمة، كما انني ادعوا الى التعامل مع الموضوع بكل مسؤولية وحزم...

الحبيب عليه الف سلام... لا يهاني ولا يجأ احد على اهانته ولكن ان كانت هناك إهانة صدلارت من هنا وهناك فهي بسببنا نحن، الذين اعطينا اعظم واكبر الصور في الانحطاط الاخلاقي والاجتماعي والسياسي... هم حكموا على تاريخنا انطلاقا من حاضرنا ورسموه على شكل كاريكاتيرات...

اعتقد من الضروري ان نصحح حالنا وواقعنا لكي نشرف انفسنا واسلافنا، وحينها لن يكون هناك مجال لاحد ان يشوه ماضينا.والله يعلم

رضا بدر الدين

١١:٤٩ صباحاً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٠

لجم الطابور الخامس يخرس الغرب

كما هي عادة الغرب يطبق مقولة اكذب اكذب إلى ان تصدق اكذوبتك ففشل عندما حاول التدخل بـإلاعلام عندما حاول ان يسن قانون عبر مجلس الامن لايحدد مسار الأعلام وخصوصاً الذى يدعو للتطرف حسب زعمة والان يقومون بتلك الحملة على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تحت ذريعة الرأى الحر والسبب نحن وليس هم لاننا نقوم بدور الغرب عندما يقوم بعضاً من أبناء المسلمين بأعمال ارهابية واجرامية يضل

اعلامنا يبحث عن الاسباب وكأن الجرائم والاعمال الارهابية لم تحدث بالتاريخ الحديث والقديم من جميع الملل لكن الاخر عندما يقوم بأعمال اجرامية تمحى من الذاكرة وهذا ما جعل الاخر يستهين بنا لاننا نسير معه بدون أعطاء تفسير واضح للأرهاب والحرب الجادة عليه بكل أشكالة ان كان ذا طابع رسمي او فردى اسلامي اومسحي لايهم المهم ان يكون الرفض لجميع الجرائم والعقاب يطال الجميع عند ذلك يصمت الغرب والطابور الخامس لاكثرهم الله.

طارق بن محمد

١٢:٤١ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١١

هؤلاء اما ملاحدة او ارهابيين صليبيين حاقدين!!!

اصحاب الكاريكاتور، ومن تعاطف معهم او لم يفهم مدى تأثير ذلك على شعور المسلمين، اما ان يكونوا ملاحدة لا تهمهم المشاعر الدينية قاطبة (اسلامية ونصرانية ويهودية)، واما ارهابيين فكريين من الصليبيين الحاقدين، ولا اقول النصارى لأن منهم من تقزز من هذا العمل وكأنه مسه مباشرة لعلمهم ان للحرية حدود لا يجب ان تتعداها، لكن من ليس له مبدأ او ان الحقد ملأ قلبه، فنتوقع منه الكثير!

شخصيا لا استغرب ان يقوم حاقد بما قام به لأن الرئيس بوش نفسه، قدوة المحافظين الجدد راعي الحرية والديموقاطية (!!!)، نفّس عن ما يكنه صدره وما يخفيه عقله الباطن من ان الحرب على الارهاب التي اطلقها هي حرب صليبية!

نعم ان اول الحرب كلام، الله يكفينا شرها، ويحفظ علينا ديننا، ويحمي لنا اوطاننا، ويديم علينا امننا وامانا.

ابراهيم

ابراهيم اسماعيل

٠١:٠٩ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٢

التركيز على الدنمارك فقط

نعم يا اخوان التركيز على الدنمارك فقط ولا نتشتت فتفشل مقاطعتنا الشعبيه وتتوسع الدائره ويضعف موقفنا فلا ناخذ بعدها لا حق ولا باطل الدنمارك فقط الدنمارك

ابو ياسر

٠٤:٢٣ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٣

لغرب والحريه\الحريه التى وصل اليها الغرب المتقدم بتداء من رفض سيطرت الكنيسه على كل شى الى التهجم على الا نبياء عليهم السلام

لقد وصل الغرب الى ا كبر من الوقاحه بدء با السماح بممارست الشذوذ الجنسى

وزواج المحارم والا حتجاج على الله تعالى الله عن ما يقولون علوا كبير ليس جديد

فمعظم هذا كله تجده فى كتب العهد القديم وكل ذالك نتج عن تعسف الكنيسه فى القرون الوسطى

وقد كانت الكنيسه هى القوه المسيطره على الحياهحتى انها ترفض العم والتعليم

وقد كان مصير كثير من العلماء القتل اوالحرق حسب تعاليم الكنيسه فى ذالك

العصر وبعد فصل الدين عن السياسه عن ضهور العلمانيه اصبح كل شى مباح

حتى الكنيسه والقساوسه الذين كانو يرفضون الزواج ومتع الحياه تغيروا فمنهم

من فضل الزواج ومن هم زاول الشذوذ وهذا نتيجت الكبت

وتسلط الكنيسه فى ذلك الوقت اما الان فان الحريه عندهم لاحدود لها

وما حث فى المانيا قبل عدت اسابيع عند ما قا بعض الا لمان برسم ملكة

بريطانيا والرئيس بش وبلير فى منظر مسى للخلاق على احد جدران برلين

وقدا راد مجموعه من المتطرفين ان يجروا المسلمين الى مواجهه مع العالم

الغربى وهم يعلمون ان المسلمون لن يرضوا بان ينال احد من سيد البشر

محمدصلى الله عليه وسلم وانه سوف يكون لهاذ الامر تداعيات خطيره

اولا تصفيت حسابات بين الشركات التى تسيطر على المال

وضرب مصالحها فى العالم الاسلامى ثانيا استدراج الجاليات الا سلاميه

للقيام با اعمال عنف لكى يتم ضربها ونبذها من المجتمعات الغربيه

وتوسعت شقة الخلاف بين المسلمين ووصمهم با الارهاب كا العاده

وقد كان هذا الامر مد وس بعنايه ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل

نحن نملك اموالنا ونقول لن نشترى بعد اليوم من اى بلد يريد ان ينال من

رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم احرار ونحن احرار ان نشتر ممن نريد

ونقاطع من نريد.

ابو مهند

alsauf@msn.com

ابو مهند

٠٥:٠٤ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٤

دعم التعريف بالاسلام خير من المقاطعة !؟

ليس اكبر من شيء يرفع الراس بين العالمين من حميا الامة المسلمة في هذا البلد المقدس لكل ما يمس الاسلام و المسلمين في العالم و لو كره المبطلون.

و لعلها الغضبة اليعربية الاسلامية من شعب نبيل يهوى التضحيات و يعشق التحديات.

لكننا لا نزر وازرة بازر اخرى و من تعاليمنا كل نفس بما كسبت رهينة و ان ليس للانسان الا ما سعى و لا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلو.. والله يحب المقسطين.

و لو كنا نفكر او يفكر لنا لعلمنا الفرق بين استثمار الاحداث للاضافة الى رصيد الامة بين اهل النرويج و الدنمارك و بين زيادة اعداد اعدائنا او جر غيرهم الى معاداتنا تعصبا و نصرة لقطعة قماش دسناها باقدامنا و لم تشفنا لنا غليلا و لا حققت لنا مكسبا.

و لماذا لا نعامل الناس بما عاملهم النبي نفسه عليه الصلاة و السلام حيث تقول عائشة رضي الله عنها انه لم يغضب لنفسه قط.

ايها الاحباب الغاضبين مهلا فليس بالغضب سادت رسالة محمد و انما بتلك التعاليم التي قالها النبي صلى الله عليه و سلم حين قال اوصاني ربي بتسع منها العدل في الغضب و الرضى و ان اعفو عن من ظلمني و ان احسن الى من اساء الي و ان اصل من قطعني.

والى ان نعي ان دعم الدعوة و التعريف بالاسلام في المجتمعات الغربية و الجاليات المسلمة هناك و منها النرويج و الدنمارك هو خير لنا من مقاطعتها سيعلم الفارق بين النضج و عدمه و سيعلم ان لنا عقولا تفكر و تعلم مكر اعداء الاسلام بجرهم الى معاداة الشعوب من اجل صحيفة مغرضة ماكرة و بالله التوفيق.

علي الجهني

٠٥:٣٤ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٥

نعم للمقاطعة ولننذر بالقرآن

سلاح المقاطعة حاد ونتائجه فعالة لكن أرجو أن لا نضع الغرب باكمله في كفة واحدة وأن ننذر بالقرآن كما أمر الحق جل وعلا (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد).

فهيم منذر

٠٥:٥٨ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٦

الحمد لله تعالي أن العالم بأجمعه اعترف بأن الدينمارك هي البادئة بالشر

الحمد لله تعالي لم نغلط علي الدينمارك ولم نبادؤها بأي عداء ولا بغيره... الحمد لله أن العالم كله رأي بأم عينه بأن الدينمارك هي من اعتدت علينا أولا ونحن لم نخطأ مع الدينمارك بأي خطأ. دائما كان الغربيون والمتحررون من أبناء جنسنا يتهموننا زورا وبهتانا كمسلمين بأننا ضيقوا الأفق ولا نتقبل الآخر وليس عندنا مرونة في تقبل الآخرين و جامدون ولا نستطيع التعايش السلمي مع من يخالفنا في الدين و و و و و و و... الخ. ولكن وبحمد الله تعالي فقد شاهد العالم بأم عينه أننا كمسلمين لم نخطأ علي الدينمارك بشئ ولم نسؤها بأي شئ بأي شئ بأي شئ ومع ذلك هي التي اعتدت علينا واستمرت بغيها دون أن نفعل لها شئ وباصرار وحقد أسود ودفين... الحمد لله تعالي أنه سقط القناع الزائف التي كانت تلبسه الدينمارك وغيرها من الدول التي تزعم الحرية واحترام الآخر وقبلها كانت فرنسا التي لم تتحمل حرية اختيار بنات الإسلام للبس الحجاب وفرضت عليهن خلعه وإلا. وبالأمس يسأل أحد المذيعون إعلامية بريطانية كانت تتكلم عن الحرية إن كانت تستطيع أن تمارس هذه الحرية في التشكيك في المحرقة اليهودية فردت قائلة بما معناه:" صحيح نحن نلاحظ أن الحريات في بلدنا تمارس مع طرف دون الآخر " يعني أنها تستطيع أن تمارس الحرية بالتعرض الإسلام ولكنها لا تستطيع ممارسة الحرية في التعرض لليهود... فأي حرية هذه ؟

وأنا أوجه سؤالا لدعاة التحرر والحرية في بلدنا: ما رأيكم فيما قامت به الدينمارك من إساءة لنا دون أن نتعرض لها بأي سوء؟ هل هذه الحرية والتحضر التي تنادون بها وتفاخرون بها في هذه الدول الغربية؟ من منا لم يحترم الآخر ؟ نحن أم الدينمارك؟ من منا لم يكن مرنا في تقبل الآخر؟ نحن أم الدينمارك؟ من منّا تهجم عي الآخر؟ نحن أم الدينمارك؟ من منا ضاق بالآخر؟ نحن أم الدينمارك ؟ وخاصة أن الدينمارك تبعتها الدول الأوربية (المتحضرة) كفرنسا والنرويج وأسبانيا في الهجوم والإستهزاء بنا... لم تكن الدينمارك حالة استثنائية وشاذة.

ولكننا نركز بالمقاطعة علي الدينمارك لكي لا نشتت جهودنا ولأنها أول من سن هذه السنة السيئة.

عبدالعزيز

٠٨:٠١ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٧

انا اريد ان اعرف من هو المتورط في قنوات التلفزة بوجود فتيات عاريات مع العلم السعودي مكتوب عليها لااله الا الله محمد رسول الله،يجب على العالم الاسلامي ان يعرف هذه الجريمة لانها اكثر جرما من كاريكاتور الدانمارك

خليل بوقب

٠٩:٤١ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

١٨

إلا حبيبنا محمد-صلى الله عليه وسلم-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...أمابعد:-

بصراحه تامة.

لقد كنت افكر في جميع النقاط الساخنه المذكورة هنا من قبل اخواني الاعزاء،

وكنت مشغولا في كيفية ان استطيع ذكرها مرتبه ومن يكون الأول ومن يكون التالي،،،

ولكن-ماشاءالله عليكم- جميع كلماتكم البراقه والهادفه والنابعه من قلب غيور في جسد كل مؤمن محب لدينه ولنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-،

لكل منكم موضوعه الهادف اللامع في سماء هذه القضية الحساسه، القضية الاكثر اهمية التي تحتاج الا قلوب نابضه بالايمان والمحبه والموده،والعقول الراكده المفركه بكيفية المدافعه بعقلانيه بحته وعدم التهجم العشوائي،

فلم استطع ان اضيف شيئا جديدا على ماذركتوه هنا،

ولكن اقول بعبارة واحده وبصرخة المسلم المؤمن المجاهد بقلمه المدافع عن دينه

وهي عبارة(إلا حبيبنا محمد-صلى الله عليه وسلم-)، كل شئ في هذه الدنيا الزائله، كل شئ يهووون إلا ان يمسوا حبيبنا -صلى الله عليه وسلم- بكلمة واحده،

لو قلنا انها مجرد اقلام ولن تؤثر بديننا بشي، فسوف يستخف الغرب بنا،فيتركون الاقلام ويأتوا بشي اشد منه وهكذا تدريجيا حتى لايكون هناك دين اسمه الاسلام على وجه الكره الارضيه،صحيح مسلمون ولكن لو سكتنا عن هذه السخريه الناجمه عن عقول صغيره مصيرها جهنم باذن الله ، فلن نسمى مسلمين بعدها ان لم ندافع عنه - صلى الله عليه وسلم - فعن من ندافع،

أحبائي لا اريد الاطاله ولا اريد ان اكون ثقيل الظل عليكم هذا ماستطعت ذكره،

فان اخطات فمن نفسي والشيطان، وان اصبت فمن الله.

لكم خالص حبي. اخوكم الصغير.

أحمد

١٠:٥٣ مساءً ٠٤/٠٢/٢٠٠٦

=====================

رضا أحمد صمدي

تمهيد:

لا يبدو لنا جليا بداية التاريخ الدلالي لكلمة الإسناد ومتى ابتدأ أول استعمال لهذا الاصطلاح؟ لكن إطلاق كلمة الإسناد -الذي هو مصدر أسند- على سلسلة رواة الخبر يشير إلى تطور اصطلاحي منهجي في نقل الكلمة من معنى لغوي حقيقي إلى معنى عرفي لم يكن شائعا ليصبح لغة يعرفها الصغير والكبير بل الجاهل والعالم.

ولن نهتم كثيرا بالبحث الدلالي لكلمة الإسناد بقدر ما سنعتني – إن شاء الله – بالبحث التاريخي لنشأة الإسناد وتطوره تنظيرا وتطبيقا.

فنظرية الإسناد هي من أهم نظريات النقد عند المحدثين وسنطيل النفس في تنظير هذه القضية ولم شتات ما قيل فيها إن شاء الله تعالى.

ونبدأ بتأريخ الإسناد وتأصيله شرعا ثم نعرج بتأريخ نهاية تطبيق الإسناد كآلية لنقل ورواية الأحاديث.

البداية والنهاية

نشأة الإسناد

حول تاريخ نشأة الإسناد تبرز نظريتان شهيرتان في الأوساط العلمية، سأحاول عرضهما ثم مناقشتهما وترجيح ما تقتضيه الوثائق والنصوص المعتمدة.

النظرية الأولى: الاختلاق

مضمون هذه النظرية أن أكبر جزء من الأسانيد في كتب الحديث اعتباطي وأن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري... وأن الأسانيد كانت تلصق بأدنى اعتناء. [١]

وتَزَعَّم هذه النظرية وروج لها فذاعت في أوساط المستشرقين بل في الوسط العلمي العربي بأسره المستشرقُ "شاخت" حيث زعم أنه درس أسانيد كتب السيرة والفقه

وتوصل من خلال دراساته إلى نظرية سماها "القذف الخلفي" أو : Projecting Bac

وأن هذه النظرية هي التي أدته إلى اكتشاف تاريخ اختلاق الإسناد.

وقد امتدح المشرقون نظرية "شاخت"، ووصفوها بأنها إسهام قيم جدا لدراسة التطورات في الأحاديث النبوية ، لأن هذا المنهج لا يعطينا فقط التاريخ الذي نسب فيه حديث ما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،بل يعطي المدلول الدقيق لتلك الأسانيد ،وهو أن الجزء السفلي من الأسانيد صحيح بينما الجزء العلوي الموصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم خيالي وزائف. [٢]

ولم تكن دراسات "شاخت" هي الوحيدة في إطار جهود المستشرقين، فقد ابتدأت هذه الجهود في القرن الثامن عشر، حيث برز "الأمير كايتاني" توفي سنة ١٩٢٦ و"ميور" توفي ١٩٠٥ و"شبرنجرا" توفي١٨٩٣، واهتم الثلاثة بتاريخ السنة، واعتقدوا نظرية الشك في صحة الأحاديث ،وسعوا للكشف عما أسموه المادة الأصلية للحديث.

ثم تولى كِبْرَ هذه النظرية مِنْ بعدهم اليهودي المجري "جولدزيهر" الذي استعان بمنهج النقد التاريخي الأوروبي في دراسة الحديث ، حيث توصل إلى فكرة تطور الأسانيد والمتون في الفكر الإسلامي، ويرى أن وضع الحديث بدأ في جيل الصحابة المبكر وإن كان يثبت وجود مادة أصلية كما ذهب كايتاني وشبرنجر وميور.

ولقد صارت دراسات "جولدزيهر" دستورا للمستشرقين من بعده، وقليل ما هم الذين انتقدوها، أما الأكثرية الساحقة فاكتفوا بتعميق آرائه بإضافة براهين جديدة، فكان منهم "فنسنك" الذي ركز على أحاديث العقيدة، و"جوزيف شاخت" الذي ركز على أحاديث الأحكام. [٣]

وسنعرض لنموذج واحد من دراسات أولئك المستشرقين ونتناولها بالمناقشة لنعرف قيمتها العلمية، وسنركز على فكرة الاختلاق المتمثل في نظرية القذف الخلفي عند "شاخت" باعتبارها من أقوى الاتجاهات التي سادت أوساط المستشرقين بل وبعض الباحثين المسلمين في العصر الحاضر.

نظرية القذف الخلفي:

خلاصة نظرية القذف الخلفي عند "شاخت" أنه يفترض وجود راو واحد في سلسلة الإسناد هو محوره، وهو واضع الإسناد من الجزء العلوي والحديث أيضا، وأما من فوق هذا المحور فلا وجود له في الواقع ،وإنما هو من اختلاق هذا الراوي المحور، واستند إلى هذه الفرضية بناء على دراسة لإسناد واحد في كتاب "اختلاف الحديث للشافعي" نلاحظ أن ذلك الحديث ورد بالأسانيد الآتية

فقد لاحظ شاخت أن عمرو بن أبي عمرو هو الراوي المشترك في الأسانيد كافة وانه من الصعوبة بمكان أن يكون عمرو قد تردد بين مولاه وبين رجل مجهول (من بني سلمة) ليكون سنده المباشر. [٤]

ولقد ناقش الأستاذ الأعظمي "نظرية شاخت" بأسلوب علمي راق وأثبت ما يلي:

أولا: أن "شاخت" جاء بمثال واحد فقط لإثبات نظريته مع ادعائه تعميم هذه الظاهرة في الأحاديث، وهو مخالف لمنهج الاستقراء العلمي.

ثانيا: أن هذا النموذج الذي بني عليه "شاخت" دراساته أو نظريته عليه مآخذ منها:

١- أن "شاخت" أخطأ في تشجير الإسناد، وكان حريا أن يجعل شيوخ عمرو اثنان لا ثلاثة وتكون شجرة الإسناد هكذا:

وإنما عمد شاخت إلى تكثير شيوخ عمرو لإحداث تأثير كاذب ليثبت نظرية القذف الخلفي.

٢- أن "شاخت" لم يمعن النظر في نصوص الشافعي في كتاب: "اختلاف الحديث" أو لم يفهمها، فقد أراد الشافعي من سوق تلك الأسانيد والمقارنة بينها إثبات أن تلاميذ عمرو رووا الحديث عن شيخ واحد فقط وهو عمرو نفسه، ولكن الذي سمى شيخ عمرو أنه رجل من بني سلمة إنما هو طريق عبد العزيز، وأما إبراهيم وسليمان فطريقهما سمى شيخ عمرو أنه المطلب واعتبر الشافعي إبراهيم -وهو ابن أبي يحي- أقوى في الحفظ من عبد العزيز وتابعه على ذلك سليمان وأن الرواية عبد العزيز خطأ.

ومن هنا يتضح -كما يرى الأستاذ الأعظمي- أن هناك إسنادا واحدا وعن طريقه روى عمرو بن أبي عمرو هذا الحديث عن المطلب وعلى هذا ينبغي أن تكون شجرة الإسناد هكذا: [٥]

يقول الأستاذ الأعظمي: لذلك.. فكل ما قاله شاخت وما بنى عليه من البيانات والادعاءات ذهب سدى.. ثم يقول: "وبعد.. فإن سلمنا ادعاء شاخت بأن عمرو بن أبي عمرو ادعى أنه روى هذا الحديث عن عدة أشخاص وهو الراوي الوحيد عن هؤلاء جميعا، فهذه حادثة فردية، ولا يبدو إطلاقا أن شاخت بذل وقتا كافيا في بحث أسانيد أكثر الأحاديث، الأمر اللازم لتكوين نظرية من هذا النوع فضلا عن دراسة لظاهرة أسانيد الأحاديث الفقهية كافة، وإلا فتكوين نظرية وإعطاؤها صبغة الوقوع الغالبي والاعتيادي بناء على هذه الدراسة الضئيلة الهزيلة ليس ذا قيمة في مجال البحث العلمي.." ثم يقول: "هذا النوع من الأسلوب اللاعلمي في البحث يثبت في الواقع جنوح شاخت إلى الهوى بدلا من البحث العلمي النزيه" [٦].

والواقع أن المستشرقين كافة صدروا عن جهل محقق بنظام الإسناد وروحه واعتمدوا على دراسات خاطئة في المنهج العلمي والاستقراء مع ضميمة العجمة في اللغة مما أوقعهم في كثير من الاستنتاجات المتناقضة [٧].

والواقع أن هناك أسبابا كثيرة تبطل نظرية الاختلاق وتثبت أن الأسانيد نشأت نشأة طبيعية في الوسط العلمي الإسلامي وباستلهام لفكرة الإسناد من روح النصوص الشرعية نفسها التي حثت على تبني هذه الطريقة في حفظ النقول وتبليغها.

ومن الأسباب التي تبطل نظرية الاختلاق:

١- كثرة الأسانيد. فطرق الأحاديث تبلغ مئات الألوف إن لم يكن أكثر، ولو اعتبرنا عملية حسابية في الإسناد مبنية على التضاعف العددي للرواة لمدة ثلاثة أجيال رووا حديثا واحدا لعلمنا ضخامة العدد. وهذه الكثرة قرينة قوية على استحالة الاختلاق إذ يبعد أن يكون الانتحال صفة مشتركة بين آلاف الرواة في كل جيل ثم لا يأتي ما يفيد هذا التواطؤ الواضح.

٢- تشابه الكثير من المتون مع أن أسانيدها مختلفة ورواتها متباعدون إقليميا. فتجد الكثير من الأحاديث التي تشترك في لفظ واحد مع أن مخارجها عن صحابة مختلفين متفرقين في الأمصار والذين رووا عنهم أيضا من أماكن متفرقة بعيدة عن بعضها، والقول بالاختلاق يعني ضرورة عقد مؤتمر دائم يضم الرواة من الشام ومصر والعراق والحجاز وخراسان وغيرها، وهذا مع أنه لم ينقل حدوثه فهو مستحيل يعرفه كل من طالع التاريخ الإسلامي.

٣- أخلاقيات الرواة التي اشتهرت وذاعت، ومآثرهم الذي لم يجحدها جاحد، تمنع من اتهامهم باختلاق الأحاديث، والمستشرقون يعلمون أن الرواية العربية تحفظ المثالب كما تحفظ المناقب، وإذا كانت فرية افتراءها أعرابي على حضري أو سرقة ارتكبها شاعر في قصيدة عن غير قصد، تنقل بين الرواة حتى تبلغ الآفاق، أفلا يكون اختلاق آلاف الأسانيد حدثا جديرا بنقله عن أولئك الرواة المختلقين.

٤- روح ونظام الإسناد، وأخلاقية منهج الرواية والنقد عند المحدثين – والتي سيأتي بيانها – تحيل حدوث اختلاق مقصود ثم تداوله على أنه صحيح معتمد.

النظرية الثانية :تطور الإسناد

تعني هذه النظرية أن آلية الإسناد أو نظامه لم يأخذ الهيئة الكاملة ولم يعتمد بصورته التامة إلا عبر مراحل زمنية متعاقبة.

لكن ينبغي التنبيه إلى نقطة مهمة متعلقة بفكرة تطور الإسناد، وهو أن بعض المستشرقين قالوا بهذه النظرية، لكنهم اعتبروا تطور الإسناد بمعنى اختلاقه أيضا وانتحاله عبر بعض الرواة، وقد استخدموا كلمة التطور لإثبات نظرية الاختلاق التي تكلمنا عنها، [٨] أما التطور الذي نعنيه هنا فالمراد به مرور الإسناد بمراحل زمنية تفاوت فيها اهتمام النقلة والرواة في الالتزام بالهيئة الكاملة للإسناد.

وتعتمد هذه النظرية على أثر لمحمد بن سيرين يقول فيه: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم". [٩]

وواضح من الرواية أن محمد بن سيرين – وهو تابعي معروف توفي ١١٠هـ – انه أرخ بداية الاهتمام بالإسناد عند وقوع الفتنة.

ونلفت الانتباه إلى أن هذا الأثر إنما أرخ لبداية الاهتمام بالإسناد، ولبداية الجرح والتعديل، حيث ورد في الإشارة إلى السؤال عن أحوال الرجال.

كما أن الأثر واضح في أن الإسناد كان موجودا قبل هذه المرحلة، وغاية ما حدث هو بداية الاهتمام به والسؤال والتفتيش عنه.وسنحاول التعرف على تاريخ الفتنة التي ابتدأ اهتمام الإسناد عندها عند الكلام عن نظرية الجرح والتعديل لكننا نشير إشارة بسيطة إلى استنتاجات بعض الباحثين ونرجئ مناقشتها إلى الموضع المذكور .

لقد ذهب الأستاذ أكرم العمري أن المراد بالفتنة المذكورة في أثر ابن سيرين هو زمن مقتل عثمان حيث ظهر الوضع وبرزت الانشقاقات عن الجماعة، ويفسر أثر محمد بن سيرين السابق بأثر آخرله استعمل فيه كلمة الفتنة، وهي قوله: « ثارت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف لم يخف منهم أربعون رجلا [١٠].

ويعتمد الأستاذ محمد الأعظمي على نفس أثر ابن سيرين في الفتنة ويجزم بأن المراد بها فتنة علي بن أبي طالب ومعاوية [١١].

لكن الأستاذ الأعظمي ينبه إلى ما أ شرنا إليه في بداية المبحث وهو أن كلام ابن سيرين يفهم منه "أن استعمال الأسانيد كان موجودا ومعروفا كل ما هنالك أن الناس ما كانوا يدققون فيستفسرون وكان الأمر متروكا للراوي نفسه إذا أراد أن يبين شيخه أولا " [١٢].

لكننا نرى أن في كلام لأستاذ الأعظم توسعا ، لأن معنى عدم التدقيق و الاستفسار وأن ذكر الشيخ كان متروكا للراوي .. معنى ذلك عدم وجود حقيقة الإسناد فيكون كلامه متناقضا حيث أنه أثبت في بداية العبارة وجود الأسانيد واستعمالها وشهرتها .

و الأولى أن يقال في تفسير أثر ابن سيرين إن الأسانيد كانت موجودة ومستعملة لأنها كانت منبعثة من روح الشريعة كما سنعرف ، لكن الالتزام بالهيئة الكاملة للإسناد والتفتيش عن الدجال وتلمس احتمالات الكذب لم يكن ملتزما في الصدر الأول لتعاملهم في مسألة نقل الشرع على البراءة ، إذ لم يتفش الكذب ، بل يكن يتصور أحد أن يكذب أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك أثر أنس ابن مالك حيث يقول :"ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه ولكن حدثنا أصحابنا ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضا " [١٣]. وقال البراء بن عازب : "ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحدثنا أصحابنا عنه ،كانت تشغلنا عنه رعية الإبل " [١٤] وفي رواية :"ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب" [١٥].

أصل الإسناد .التأصيل الشرعي

لقد وجدت نصوص كثيرة تثبت أن الإسناد لم يكن إلا تطبيقا طبيعيا لما دلت عليه تلك النصوص وأرشدت إليه .

فمبدأ إحالة القول إلى قائله عن طريق الرواة والنقلة – وهو روح الإسناد – موجود في أصل أدلة الشرع.

فالآيات تصرح بان جبريل كان هو الواسطة في الوحي بين الله تعالى وبين النبي صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: (نزل به الروح الأمين على قلبك..)

وقال تعالى : (إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى. ذو مرة ...) وهو جبريل عليه السلام . وقال الله تعالى : (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم).

ولعلنا بهذا التخريج نفهم سر بدء البخاري أبواب صحيحه بباب بدء الوحي، حيث أورد فيه حديث هيآت الوحي التي كان يأتي بها جبريل عليه السلام. فالسر والله أعلم أن بيان السنة من الوحي [١٦] ،وأن الوحي يتلقى بالإسناد و النقل عن الثقة الأمين وهو في الحديث جبريل عليه السلام، فكأنه إشارة إلى تأصيل مبدأ الإسناد من إرشاد الشرع إلى اعتماده طريقة في نقل الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأولى بالمكلفين أن يعتبروه وسيلة في تداوله بينهم على نفس الجادة والطريقة.

وقد وردت أحاديث أخرى تفيد الإشارة إلى استعمال الإسناد في تبليغ الوحي ونقل النصوص. فعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها، فَرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " [١٧].

ويروى أيضا عن زيد بن ثابت [١٨] وجبير بن مطعم [١٩] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تسمعون ويسمع منكم، ويسمع ممن يسمع منكم" [٢٠]، ويروى عن ثابت بن قيس أيضا [٢١].

ومما يدل على أن مبدأ الإسناد كان شائعا حديث ضمام بن ثعلبة، وهو أعرابي كان في البادية، جاءه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الإسلام، فجاء ضمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق..قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا . قال: صدق..." [٢٢] .

وفي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد على المنبر فقال: "أيها الناس : حدثني تميم الداري أن أناسا من قومه كانوا في البحر .."الخ حديث الجساسة المشهور [٢٣].والشاهد في إسناده صلى الله عليه وسلم القصة إلى قائلها ، وذُكِر هذا الحديث مثالا لرواية الأكابر عن الأصاغر.ومن تطبيقات ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقن القرآن لأصحابه كما تلقاه من جبريل عليه السلام ، وكان يحفظ عنه الصحابة ويكتبون ، وعندما جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما اعتمد زيد بن ثابت في نقد مصادر الآيات القرآنية فكان يعتمد على ما وجد مكتوبا ومحفوظا معا ويشترط توافر اثنين يحفظان القراءة التي يراد إثباتها في المصحف الإمام [٢٤] . فكان هذا التوجيه النبوي والتطبيق العملي من الصحابة من أسس نظرية الإسناد ، إذ استوحى المحدثون منه فكرة صحة النص بناء على توافر شرط النقل المتصل عن العدول الضابطين، وغدا بمثابة الأصل العام الذي استحضره منهج النقد عند المحدثين في كل طور من أطواره.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» [٢٥] .فإن هذا الحديث المتواتر الذي رواه العشرات من الصحابة دليل على فشو الإسناد بينهم ، وهو النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكن إسناد القول إلى قائله أمرا

شائعا وطريقا مسلوكة لما كان لهذا الحديث معنى. ولأجل هذا الحديث تزايد حرص الصحابة وتثبتهم في نسبة أي شئ إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

فمن هؤلاء الذين ثبت عنهم الاحتياط في قبول الأخبار : أبو بكر الصديق [٢٦] وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب [٢٧] .

إن النصوص والآثار التي سقناها تثبت وجود الإسناد منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أخذ ينمو من حيث المادة والاهتمام به عبر الأجيال حتى أخذ مكانته اللائقة والمحورية كعلو وأساس في منهج نقد الآثار والنصوص على يد علماْ القرن الثاني الهجري.

نهاية تطبيق مبدأ الإسناد في الرواية

أما وقد انتهينا إلى أن نظرية الإسناد نشأت مع النصوص الشرعية ذاتها، وأن صورته لم تنشأ متأخرة أو تتطور بالاختلاف كما زعم الزاعمون، فنحتاج إلى أن نؤرخ لنهاية الإسناد كآلية مستخدمة في نقل وحفظ الروايات .

ويجب أن نؤكد على قضية بالغة الأهمية قبل التعرض للمسألة المذكورة، ألا وهي أن الإسناد كما علمنا من خصائص هذه الأمة المباركة [٢٨] كما ذكر غير واحد من أهل العلم ، لذا فإن ديمومة وجود الإسناد أمر يجب ألا يكون محل تشكيك أو تهوين، فأسانيد المصنفات وكتب العلم الشرعي التي ضمنت فيه النصوص الشرعية مازالت متداولة حتى عصرنا الحالي ، وأهميتها تكمن في البعد التوثيقي للمصنفات، وبذلك تتميز هذه الأمة عن كل الأمم بأن كتبها تتوثق على مر العصور نسبتها فيؤمن الانتحال فيها ويستيقن من نسبتها لأصحابها [٢٩]

لكننا في الوقت نفسه يجب أن نعترف أنه بعد انتهاء عصر الرواية لم يعد إسناد المتأخرين هذا هو مجال النقد ،فالنقد العلمي ينصب أساسا على الإسناد الوارد في المصنف الذي صحت نسبته لمؤلفه إلى صاحب الخبر أو النص ،ولهذا نحتاج إلى تأريخ زمان انتهاء عصر الرواية، وانصرام تطبيق نظرية الإسناد عمليا .

من المتفق عليه بين النقاد أن أسانيد المتأخرين في هذه العصور إلى المصنفات المشهورة مثل صحيح البخاري وسنن أبي داوود ومسند أحمد وصحيح ابن حبان لم تعد محل دراسة أو مجال نقد، لأن البحث فيها لا طائل إذ اشتهار تلك المصنفات وذيوعها وتعدد نسخها في العالم ضمين بعدم حصول انتحال لأي جزء منها أو زيادة أو نقص فيها.

ولو تعد أسانيد المتأخرين يراعى فيها ما يراعى في أسانيد المتقدمين من شروط الضبط والإتقان والتيقظ ونحو ذلك.

يقول ابن الصلاح: «إذا وجدنا فيما يروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثا صحيح الإسناد ولم نجده في أحد الصحيحين ولا منصوصا على صحته في شئ من مصنفات

أئمة الحديث المعتمدة المشهورة فإنا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته، فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد ، لأنه ما من إسناد من ذلك إلا وتجد في رجاله من اعتمد في روايته على ما في كتابه جريا عما يشترط في الصحيح من الحفظ والضبط والإتقان، فآل الأمر إذا في معرفة الصحيح والحسن إلى الاعتماد على ما نص عليه أئمة الحديث في تصانيفهم المعتمدة المشهورة التي يؤمن فيها لشهرتها من التغيير والتحريف، وصار معظم المقصود بما يتداول من الأسانيد خارجا عن ذلك إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة زادها الله شرفا.آمين» [٣٠]

ويبين ذلك في موضع آخر قائلا :" أعرض الناس في هذه الأعصار المتأخرة عن اعتبار مجموع ما بينا من الشروط في رواة الحديث ومشايخه، فلم يتقيدوا بها في رواياتهم لتعذر الوفاء بذلك على نحو ما تقدم ، وكان عليه ما تقدم ،ووجه ذلك ما قدمناه في أول كتابنا هذا من كون المقصود المحافظة على خصيصة هذه الأمة في الأسانيد، والمحاذرة من انقطاع سلسلتها ، فليعتبر من الشروط المذكورة ما يليق بهذا الغرض على تجرده ، ولْيُكْتَفَ في أهليه الشيخ بكونه مسلما بالغا عاقلا غير متظاهر بالفسق والسخف ،وفي ضبطه بوجود سماعه مثبتا بخط غير متهم ، وروايته من أصل موافق لأصل شيخه، وقد سبق إلى نحو ما ذكرنا الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى، فإنه ذكر فيما رويناه عنه توسُّعَ مَنْ توسَّعَ في السماع من بعض محدثي زمانه الذين لا يحفظون حديثهم ولا تحسنون قراءته من كتبهم ولا يعرفون ما يقرأ عليهم بعد أن تكون القراءة عليهم من أصل سماعهم، ووجه ذلك بأن الأحاديث التي قد صحت أو وقعت بين الصحة والسقم قد دُونت وكُتبت في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث ، ولا يجوز أن يذهب شئ منها على جميعهم ، وإن جاز أن يذهب على بعضهم لضمان صاحب الشريعة حفظها، قال البيهقي: ومن جاء بحديث معروف عندهم فالذي يرويه لا ينفرد بروايته، والحجة قائمة بحديثه برواية غيره ، والقصد من روايته والسماع منه أن يصير الحديث مسلسلا بحدثنا وأخبرنا، وتبقى الكرامة التي خصت بها الأمة شرفا لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم" [٣١].

وقد ذهب الذهبي إلى انتهاء عصر الجرح بانتهاء المتقدمين، واعتبر الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس الثلاثمائة [٣٢]. فما بعد عام ٣٠٠ هـ يعتبر عند الذهبي من المتأخرين، ولا يدخل فيما يجب معرفته فيه من جرح وتعديل على الوجه المطلوب في المتقدمين، وما ذلك إلا لانتهاء عصر الرواية في تلك الفترة غالبا، وصار من يصنف إنما يعول على رواية كتب بإسناده إليها، وأمن تخليطه فيما يروي لاعتماده على نص مدون مشهور معروف متداول .

ولكن هذا لا يعني أن المحدثين تخلوا عن نظرية الإسناد في تلك الفترة التي حدها الذهبي فاصلا بين المتقدمين والمتأخرين، بل باستقراء عصر ابن الصلاح نفسه- الذي نقلنا كلامه آنفا -وجدنا أنه ما زال هناك البعض ممن يعتبرون الإسناد في رواية الحديث، ومنهم الحافظ ضياء الدين المقدسي صاحب الأحاديث المختارة، [٣٣] فإنه ألف كتابه

في استدراك الأحاديث الصحيحة التي ليست في الصحيحين، ومعلوم أنه كان يعتبر إسناده في رواية تلك الأحاديث.

ويمكننا أن نعتبر الحافظ ضياء الدين المقدسي من آخر المصنفين للكتب على طريقة الإسناد، بمعنى أنه وضع مصنفه في الأحاديث كاملا على وفق نظرية الإسناد رواية وتطبيقا –نقدا- ويكون منتصف القرن السابع الهجري هو آخر عهد الإسناد.

وهذا لا يفيد نفي وجود الأحاديث أو الآثار المسندة في بطون المصنفات، فإنه وجدت الأحاديث المسندة في بطون كتب الرجال والفقه والتاريخ والأجزاء الحديثية الصغيرة، ولكن التصنيف لم يأت على هيئة الإسناد وعلى وفق نظريته في كامل الكتاب إلا كما في كتاب ضياء الدين المقدسي.

وقد تبين لي باستقراء الاتجاهات العلمية الحديثية أنه عندما ابتدأت نظرية الإسناد في الاندثار رواية ؛ أن المؤلفات في كتب الرجال قد ابتدأت في النشاط والنمو، وصارت جهود المحدثين مصروفة إلى تتبع رجال أسانيد المتقدمين، مما يوحي بأن الأوساط العلمية قد أدركت عقم التعويل على أسانيد المتأخرين ، وأن الأجدى الاقتصار على دراسة ما اشتهر من أسانيد المتقدمين وتسليط جهود الفحص والنقد والتفتيش إليها .

ولا يدل ذلك على بخس لقيمة نظرية الإسناد عند المتأخرين، بل إنهم حافظوا على الإسناد كتقليد علمي مصون لتوثيق المصادر والكتب لكنهم لم يعولوا عليه في نقد النص، فصار التعويل على أسانيد المتقدمين مما أتاح نشوء فترة علمية ازدهرت فيها علوم النقد، وتطور التأليف وتنوع على وجه لم يحدث في أي علم من العلوم الأخرى .

وقد عنى المحدثون بدراسة كل المصنفات التي اعتمدت الرواية بالإسناد وقاموا بتصنيفها على حسب جودة أسانيدها، فاعتمد جمهورهم الكتب الستة -صحيحي البخاري ومسلم وسنن النسائي –المجتبى- وأبي داود والترمذي وابن ماجة، مع مسند أحمد وموطأ مالك وسنن الداري وصحيح ابن خزينة وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم - اعتبروا هذه المصنفات هي الأصول الأصيلة التي جمعت جل المادة الحديثية المروية بأسانيد معتبرة أو قابلة للاعتبار.

ثم قاموا بجمع ما ورد من تراث المتقدمين في نقد الرجال على هيئة معاجم تذكر فيها كل المعلومات المتعلقة بالرواة مثل الكمال في أسماء الرجال لابن ماكولا وثقات العجلي وتهذيب الكمال للمزي ومصنفات الذهبي وابن حجر وقُطْلُوبَغَا في التراجم والرجال مما يعد من مفاخر الحضارة الإسلامية.

ومع ضميمة ذلك وجدت كتب الفهارس التي تعين على معرفة أطراف الحديث وزوائده مثل أطراف المزي والمطالب العالية لابن حجر ومجمع الزوائد للهيثمي.

وقد برع المحدثون بتصنيف كتب معينة في مجال النقد مثل كتب الأنساب والأسماء المشتبهة والمدلّسين والمختلِطين والعلل والمصطلح ، بحيث يندر أن توجد كلمة في إسناد أو متن إلا وقد استوفوه بالبيان .

ثم ارتقت عناية المحدثين بابتكار كتب تخريج الأحاديث ، وهي التي تعنى ببيان مواضع ودرجات الأحاديث التي وردت في كتب الفقه والتفسير الشهيرة ، تيسيرا على الفقهاء والعلماء في العلوم الأخرى الذين لا باع لهم في علوم النقد. [٣٤]

وبهذا نعلم أن الإسناد وان انتهى تطبيقا في مجال الرواية إلا أنه ظل المجال الذي يعتمد عليه المحدثون في عمليات النقد.

الخلاصة:

١- نشأة الإسناد نشأة طبيعية مع النصوص الشرعية نفسها إذا اقتضى الأمر حفظها ونقلها، فاستخدم الإسناد وسيلة لذلك.

٢- بطلان نظرية اختلاق الإسناد التي قال بها المستشرقون، والتي بنوها على دراسة خاطئة لمادة الأسانيد في العصور المبكرة.

٣- تفاوت الرواة - في بداية عهد الإسناد - في الاهتمام بهيئة الإسناد فكان الجمهور ملتزما بصورته ومادته ثم تطور الاهتمام بهيئة الإسناد حتى غدا تقليدا علميا صارما فيما بعد.

٤- انتهى عصر تطبيق نظرية الإسناد في منتصف القرن السابع الهجري، بمعنى عدم الاعتماد على الإسناد في الرواية وتناقل النصوص، وصار المعول على المصنفات المشهورة التي جمعت تلك النصوص واعتمدت الأسانيد الواردة فيها كتكون مجالا للنقد.

٥- نشطت المؤلفات المنية بنقد الأسانيد حتى غدت فترة نهاية تطبيق الإسناد رواية من أكثر عصور النقد الحديثي ازدهارًا.

الإسناد في منظومة المعرفة الإسلامية .التأصيل والتنظير:

إن كل هذه النصوص استدعت اهتمام المحدثين ونادت على قريحة نقادهم فصاغوا معانيها في عبارات تنظيرية وجمل تأصيلية توحي بتنبههم منذ وقت مبكر إلى خطر الإسناد فغدت عباراتهم بمثابة دستور لهذه النظرية وأساسا لبنائها الشامخ.

وسنورد هنا جملة من تلك العبارات التي نظر بها المحدثون النقاد لمبدأ الإسناد حضور هذه النظرية في فكرهم النقدي، وأن منهجهم قام على أسس نظرية عميقة كما أسلفنا في المقدمة.

يقول عبد الله بن المبارك:«الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء ولكن إذا قيل له: من حدثك؟ بَقِيَ» [٣٥].

قال تلميذ ابن المبارك الذي روى عنه هذه الرواية :" ذكر ابن المبارك هذا عند ذكر الزنادقة وما يضعون من الأحاديث".

وقال عبد الله بن المبارك أيضا :« بيننا وبين القوم – أي المبتدعة والكذبة- القوائم –يعني الإسناد-». [٣٦]

وعن إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال :" قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء:« إن البر من بعد أن تصلي لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صومك»، فقال عبد الله : يا أبا إسحاق: عمن هذا ؟ قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش، قال : ثقة ، عمن؟ قلت : عن الحجاج بن دينار، قال ثقة ، عمن ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يا أبا إسحاق بين الحجاج بن دينار وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاوز ينقطع أعناق المطي، ولكن ليس في الصدقة خلاف" [٣٧].

وعن علي بن حجر قال: سمعت ابن المبارك يقول : " إن الله حفظ الأسانيد على أمة محمد صلى الله عليه وسلم" [٣٨].

شرح عبارة ابن المبارك :«الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، ولكن إذا قيل له : من حدثك ؟ بقي»

تأتي أهمية هذه العبارة في أنها تنص على جلالة الإسناد، وترد أصوله إلى الدين نفسه، وذلك على ضوء ما ذكرنا من النصوص الشرعية التي تنوه بمبدأ الإسناد في نقل النصوص الشرعية.

واستعمال عبد الله بن المبارك لكلمة «الإسناد » دليل على حصول صورة الإسناد في ذهنه ووعيه لمدلولها.

وجعل الإسناد من الدين تنبيه إلى دستورية «الإسناد » - لو جاوز التعبير – ، فليس الإسناد عند ابن المبارك مجرد تقليد فني اعتمدته طائفة المحدثين من عنديات فنونهم أو بنيات أفكارهم وقرائحهم ، بل هو نفس هذا الدين أي ناشئ عنه ومعمول به لمقتضى النصوص التي نوهت به وأرشدت إليه وحضت عليه، أو المراد أن الالتزام في نقل النصوص بالإسناد دليل على ديانة الراوي وأنه ليس من أصحاب السمر والقصص والقيل والقال، وأنه باستعماله الإسناد قد انخرط في سلك من يعتمد عليهم من أهل الديانة في تبليغ نصوص الوحي المطهر.

وقد قصد ابن المبارك بالإسناد مطلق الإسناد، سواء كان رجاله ثقات أو غيرهم ، فعبارته تحض على معرفة سند الرواية وحفظ هذا السند وتبليغه مع الرواية بعض النظر عن حال رجال السند، وذلك أن ابن المبارك يُنَظِّرُ مبدأً يسير عليه كل الرواة والنقلة ، وليس مجرد النقاد والخبيرين بمنهج الجرح والتعديل، مما يدل على ذلك قوله في نفس العبارة:«فإذا قيل له: من حدثك؟ بقي» [٣٩]، أي أنه يجزئه أن يذكر من نقل عنه الرواية وحدثه ليخرج من العهدة جريا على المبدأ المعروف عند المحدثين أن « من أسند فقد أحال » .

وقد ظن الإمام أبو إسحاق الشاطبي أن قول ابن المبارك :" الإسناد من الدين " ليس معناه قول المحدث : حدثني فلان عن فلان مجردا ، بل يريدون ذلك لما تضمنه من معرفة الرجال الذين يحدث عنهم حتى لا يسند عن مجهول ولا مجروح ولا متهم إلا

عمن تحصل الثقة بروايته، لأن روح المسألة أن يغلب على الظن من غير ريبة أن ذلك الحديث قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم [٤٠] .

وليس ما ظنه الشاطبي بصحيح بل إن ابن المبارك قصد مجرد قول المحدث : حدثني فلان عن فلان، وأن في عناية الراوي بهذا السند ضمانة لمعرفة الصحيح والسقيم.

ومما يدل على ذلك أن الحافظ أبا حاتم الرازي كان في مجلس فقال : « لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار نبيهم وأنساب سلفهم إلا في هذه الأمة ، فقال له رجل: يا أبا حاتم، ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح ، فقال أبو حاتم : علماؤهم يعرفون الصحيح والسقيم فروايتهم ذلك-أي الحديث الواهي – للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها » [٤١]

فأبو حاتم يعتبر حفظ الإسناد ولوكان واهيا سببا لتمكن النقاد بعد ذلك من تمييز الصحيح من السقيم ، وهذا هو لب نظرية الإسناد :لأنه يعتمد الإسناد آلية لنقل النصوص وقالبا يوضع فيه كل الرواة الذين نقلوا النص طبقة عن طبقة ، حتى إذا ما أراد ناقد دراسة هذا النص ومعرفة أصالته أو زيفه استطاع أن يجد المجال الذي يجري فيه نقده وبحثه.

ومما يدل على ذلك أيضا أن ابن المبارك نفسه سئل عن الأحاديث الموضوعة التي يرويها الوضاعون بالأسانيد ، فقال : "تعيش لها الجهابذة" [٤٢].

فالنقاد هم الذين يتصدرون لتلك الأسانيد الضعيفة والموضوعة ويغربلونها ويعرفون من الذي وضعها أو من الذي أخطأ فيها ، وإذا لم ترو هذه الأسانيد ولم تنقل كما هي فكيف سينقد النقاد ، وما هي الوسيلة إذن لمعرفة الصحيح والسقيم ؟

وممن نظر لمبدأ الإسناد ونوه به أبو عمرو الأوزاعي حيث قال : « ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد » [٤٣]

وقال شُعبة ابن الحجاج أبو بِسْطَام الواسطي البصري:"كل حديث ليس فيه حدثنا أو أخبرنا فهو خَلٌّ وبَقْل " [٤٤].

وكان ابن شهاب الزهري إذا حدث أتى بالإسناد ويقول : «لا يصلح أن يرقى السطح إلا بدرجه» [٤٥].

وكان الأعمش – سليمان بن مِهْرَان – يحدث بالحديث ثم يقول :« بقي رأس المال : حدثني فلان قال : فلان عن فلان » [٤٦].

وكان بَهْزُ ابن أسد يقول :" لا تأخذوا الحديث عمن لا يقول : ثنا " وكان بهز إذا ذكر له الإسناد الصحيح يقول : « هذه شهادات العدول المرضيين بعضهم على بعض » وإذا ذكر الإسناد فيه شئ -أي ضعف- قال : « هذا فيه عُهْدَة » ويقول : « لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحده لم يستطع أخذها إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول » [٤٧]

وعن عُتْبَة بن أبي حكيم أنه كان عند إسحق بن عبد الله بن أبي فروة - أحد الضعفاء المتروكين – وعنده الزهري، فجعل ابن أبي فروة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة ، ما أجرأك على الله ، لا تسند حديثك ، تحدثنا بأحاديث ليس لها خُطُمٌ ولا أزمَّة». [٤٨]

هذه النقول السابقة جملة مما ورد عن السلف المتقدمين في بيان أهمية الإسناد مما يدل على إدراكهم لدوره في مجال نقد الحديث.

وقد اقتبس النقاد من هذه النقول فحوى نظرية الإسناد عند المسلمين، وصاغوا فلسفتها منذ وقت مبكر .

قال الحاكم في معرفة علوم الحديث : « فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لَدَرَسَ منارُ الإسلام ، وتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تَعَرَّتْ عن وجود الإسناد فيها كانت بُتْراً » .[٤٩]

وهذه صياغة راقية -مبكرة - لفلسفة الإسناد ، فالحاكم يعتبر الإسناد قطعة من الخبر نفسه ، فإذا ذكر الخبر دون إسناده كان أبتر، والأبتر والأقطع لا قيمة له .

« وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدَّغُولِي السَّرْخَسِي : سمعت محمد ابن الحاتم بن المُظَفَّر يقول : إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد ، وإنما هي صُحُفٌ في أيديهم ، وقد خلطوا بكتبهم أخبارَهم ، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات ، وهذه الأمة الشريفة - زادها الله شرفا بنبيها - إنما تنص الحديث- أي ترويه وترفعه- عن الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ، ثم يبحثون أشد البحث، حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقصر مجالسة ، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها - أي طريقا- وأكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا ، فهذا من أفضل نعم الله على هذه الأمة، فنستوزع اللهَ شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه، ونسأله التثبيت والتوفيق لما يقرب إليه ويُزْلِفُ لديه ، ويمسكنا بطاعته إنه ولي حميد [٥٠].

وقال ابن حزم في الفِصَل الملل والنحل: "نقل الثقة عن الثقة حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال ، ويخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه ، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غَضًّا جديدا على قديم الدهور، يدخل في طلبه إلى الآفاق البعيدة مَنْ لا يُحصِي عددَهم إلا خالقُهم ، ويواظب على تقييده من كان الناقل قريبا منه . قد تولى الله حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شئ من النقل إن وقعت لأحدهم ولا يمكن فاسقا أن يقحم كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر. وأما مع

الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكنهم لا يَقْرُبُون فيه من موسى عليه الصلاة والسلام قُربَنًا من محمد صلى الله عليه وسلم ، بل يقفون بحيث يكون ببينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا في أزيد من ألف وخمسمائة عام ، وإنما يبلغون بالنقل إلى شمعون ونحوه ، وأما النصارى فلبس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط، على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه ، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى. وأما أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب بني أصلا ولا إلى تابع له، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص " [٥١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن خصيصة الإسناد في الأمة الإسلامية استقرت في تراث أهل ألسنة على وجه الخصوص دون سائر الفرق من أهل البدع والأهواء.

وقد نبه إلى هذه الحقيقة شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في منهاج السنة : «الإسناد من خصائص هذه الأمة وهو من خصائص الإسلام ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة، والرافضة اقل عناية به إذ لا يصدّقون إلا ما يوافق أهواءهم ، وعلامة كذبه – أي عندهم – أنه يخالف هواهم ، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي : أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم . وأهل البدع سلكوا طريقا أخرى ابتدعوها واعتمدوها ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتماد » [٥٢].

ويعلق على هذا الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة قائلا: « هذا الاهتمام العظيم بالإسناد خاص بأهل السنة ولم يكن لدى الشيعة الأمامية اهتمام بالإسناد لأنهم يقولون: إن أحاديثنا كلها قطعية الصدور عن المعصوم وما كان كذلك فلا يحتاج إلى ملاحظة سنده. نقله عنهم أحد كبار علماء الشيعة عبد الله المامقاني المتوفى سنة ١٣٥١هـ في كتابه « تنقيح المقال في علم الرجال » (١٧٧/١) ثم نازع هو في قبول هذا القول بوجود الحاجة إلى ملاحظة أحوال الرجال . وجاء في كتاب « تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة» للدكتور عبد الله فياض في ص ١٤٠ قوله : ولما كان الإمام معصوما عند الإمامية ، فلا مجال للشك فيما يقول . وفي ص ١٥٨ قوله أيضا : إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الحال عند أهل السنة» [٥٣].

ويشرح خصيصة الإسناد لدى الأمة العلامة مصطفى صبري التوقادي – خاتمة شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية – ضاربا المثال بصحيح الإمام البخاري رحمه الله يقول : « الطريقة المتبعة في الإسلام لتوثيق الأحاديث النبوية أفضل طريق وأعلاها لا تدانيها في دقتها وسموها أي طريقة علمية غريبة اتبعت في توثيق الروايات ، ففي صحيح البخاري مثلا ألفان وستمائة واثنان من الأحاديث المسندة سوى المكررة انتقاها البخاري من مائة ألف حديث صحيح يحفظها وفيه قريب من ألفي راو اختارهم من نيف وثلاثين ألفا من الرواة الثقات الذين يعرفهم وكتاب البخاري البالغ أربع مجلدات كبيرة يبقى بعد حذف

أسانيده على حجم مجلد واحد متوسط الحجم فهل سمعتم وسمعت الدنيا أن كتاب تاريخ في هذا الحجم يروى مافية سماعا من ألفي رجل ثقة يعرفهم المؤلف وغيره من أهل العلم بأسمائهم وأوصافهم على أن تكون كل جملة معينة من الكتاب مؤلفة من سطر أو أكثر أو أقل تقريبا سمعها فلان وهو من فلان إلى أن تصل – الإسناد والسماع – بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقام لكل سطر من سطور الكتاب تقريبا شهود من الرواة يتحملون مسؤولية روايته» [٥٤].

ويظهر مما سبق أن الإسناد قد استقر في وجدان المسلمين عامة وأهل العلم خاصة أنه خصيصة الأمة وروح الرواية وجوهر النقل الذي تحتاجه نصوص الشرع.

ومن ثم لم يتردد المحدثون في اعتباره واجبا دينيا يجب على المسلمين القيام به والمحافظة علية.

يقول ابن حجر العسقلاني في شرح النخبة: « ولكون الإسناد يعلم به الحديث الموضوع من غيره ، كانت معرفته من فروض الكفاية» [٥٥].

ويؤكد ذلك الشيخ على القارئ فبقول: « أصل الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة من السنن المؤكدة بل من فروض الكفاية» [٥٦].

وفرض الكفاية كما هو معروف عند الأصوليين: ما يجب على مجموع الأمة فإذا قام به البعض -قياما كافيا - سقط عن الباقين [٥٧] .

خصائص الإسناد:

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة: " وقد نشأ عن اهتمام المحدثين بالإسناد ووضوح أهميته في تلقي المنقول أن اشترط –الإسناد- في تلقي سائر العلوم الإسلامية كالتفسير والفقه والتاريخ والرجال والأنساب واللغة والنحو والأدب والشعر والحكايات ،حتى دخل في سياق الكلمة الواحدة من أخبار الحمقى والمغفلين وأخبار المضحكين ونوادر الطفيليين، كما دخل في سياق الكلمة الواحدة في التفسير..." [٥٨].

إن نظرية الإسناد صارت مرتكزا علميا في معظم العلوم الشرعية جعلت الإمام الشافعي ينظر لهذا المرتكز في أبيات شعرية يقول فيها:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه: قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين

ولقد سرت تطبيقات نظرية الإسناد إلى كل العلوم الأخرى لأنها كانت السمة العلمية المعتبرة في ذلك الوقت، ويمكننا أن نجمل خصائص نظرية الإسناد فيما يلي:

أولا: أكسبت نظرية الإسناد في منهج النقد عند المحدثين وجاهة بين العلوم الشرعية كما علمنا، فتسارع أصحاب العلوم الأخرى إلى اقتباس تلك النظرية وتطبيقها في كل الفروع.

ثانيا: أعطت نظرية الإسناد للنقد العلمي شفافية لا يمكن أن تتوفر بدونها، فصار النقد العلمي سهلا ومباشرا وواضحا.

ثالثا: جمع الروايات بأسانيدها وطرقها المتعددة لم يكن ترفا علميا أو مفاخرة بالكثرة كما ظن البعض، بل كان مقصودا لدى جهابذة النقد لتحقيق منهج النقد على أسس عملية سلمية، وكانت مقولتهم الشهيرة التي تختصر المنهج في كلمتين وهما: " قَمِّشْ ثم فَتِّشْ" أي اجمع ثم افحص وانقد.

رابعا: لم تقف نظرية الإسناد عند مجرد الرواية، بل عمل المحدثون على تطوير منهج النقد حتى يكون أكثر تقعيدا وتأصيلا، وتسلم من احتمالات الخطأ أو تقل احتمالاته فيه.

خامسا: صاحب الإسناد في كل أجياله – طبقاته- عملية توثيقية بالغة الإتقان في الرواية -تحملا وأداء- والكتابة -تصحيحا وتدقيقا- وفي الرواة - جرحا وتعديلا- وفي معرفة الروايات -نقدا وتعليلا- فصارت نظرية الإسناد بناء متكاملا، وعلى أساسه بنيت كل العلوم الشرعية الأخرى.

سادسا: لقد أتاحت نظرية الإسناد للنقاد أن يتناولوا النصوص والآثار بالبحث في صحتها عن طريق الملاحظات الدقيقة بحيث تبعد أحكامه عن نطاق الخرص والرجم بالغيب ، وتكون مبنية على أعلى شروط من الدقة والموضوعية والأمانة، ولم يكن ثمة بديل آخر لهذه الأمة عن طريق الإسناد في حفظ النصوص، وإلا كان شأنها شل شأن الأمم السابقة التي انفلتت منها أسانيد كتبها فتفرقت نصوصها أيادي سبأ.

سابعا: لقد كان الإسناد هو المحور الذي تطور حوله جهود المحدثين في تعلية منهج النقد، فكل محاولة في تهذيب هذا المنهج وتلافي قصوره أو ابتكار ما يزيده تقه وشفافية إنما كان يعتمد على مبدأ وجود الإسناد ولولاه كانت تلك الجهود التي بذلت في التصنيف في الجرح والعلل جهودا غير ذات موضوع، لأنها فقدت المحور الذي تعتمد عليه ومنه تنبثق.

إن كل هذه الخصائص غفل عنها أصحاب منهج النقد الأوروبي وهم يدرسون نظرية الإسناد عند المحدثين، فلقد أشار" شبر نجر" إلى تعاسة نظام الإسناد وأن اعتبار الحديث شيئا كاملا سندا ومتنا قد سبب ضررا كثيرا وفوضى عظيمة١.

وأما "ميور" معاصر "شبر نجر" فينتقد طريقة اعتماد الأسانيد في تصحيح الحديث لاحتمال الدس في سلسلة الرواة [٥٩].

ولا يخفي "مرغليوث" تبرمه وإعجابه معا من نظرية الإسناد وحين يقول: "ولكنه بالرغم من أن نظرية الإسناد سببت متاعب لا نهاية لها أحيانا بسبب الأبحاث التي ينبغي القيام بها لتوثيق كل راو، وإلفهم وضع لأحاديث وتقليدها أحيانا في سهولة ، لا يمكن الشك في قيمتها في قيمتها في ضمان الصحة، والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث". [٦٠]

تدوين الأسانيد وحفظها

في بدايات القرن العشرين اشتهرت في الأوساط العلمية دراسات «جولدزيهر» و «شاخت» وأضرابهما من المستشرقين، وقد تركزت أهمية دراساتهم حول مصادر التلقي عند المسلمين، وبخاصة حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ووجدت هذه الشهرة أصداءها جنبات الأكاديميات العلمية في أرجاء العالم الإسلامي، وأعجب بها الكثير من الكتاب والمفكرين المسلمين، وكان من أكثر القضايا التي أحدثت ضجيجا قضية تدوين السنة.

فقد اشتهرت دراسات المستشرقين الألمان بخاصة بعمق وتحليل أضفى على أبحاثهم الوجاهة لدى العلماء والمفكرين، وتجدر الإشارة إلى دراسات «وشبرنجر» و«جولدزيهر» و «شاخت» .

وقد صدرت معظم هذه الدراسات عن قناعة من أصحابها بأن « التدوين للسنة لم يبدأ إلا في القرن الثاني الهجري» وأن هذه الفترة التي عول فيها المحدثون على الرواية الشفهية كانت فترة حافلة بعمليات وضع واختلاق الحديث بدوافع سياسية وكلامية ومذهبية [٦١].

وممن تأثر بهذا الاتجاه الفكري وتبنى طرحه في صورة الأدب والتاريخ والبحث العلمي كُتَّابٌ في العالم الإسلامي نذكر منهم أحمد أمين وأبا رية وغيرهما [٦٢].

ولضراوة الهجمات التي مارسها المستشرقون ومن اقتنع برأيهم من المسلمين صارت قضية تأخر تدوين السنة من القضايا المسلمة لدى الباحثين، ومع كثرة ترداد قضية اختلاق ووضع السنة صارت الجمهرة من المثقفين المسلمين على قناعة بان أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كلها موضوعة، أو محل شك كبير على أقل تقدير. ولكن مع مضي النصف الأول من القرن العشرين صدرت مجموعة من الدراسات ذات القيمة العلمية العالية ، قام بها باحثون مسلمون وكانت معظمها في أكاديميات غربية، وخلصت تلك الدراسات- التي اعتمدت على وثائق محققه ومدروسة بعناية- إلى أن السنة قد دونت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم شأنها شأن القرآن ، وأن الأجيال المتعاقبة من لدن الصحابة حتى عصر التدوين المتوسع كانت تقوم بكتابة الأحاديث على نطاق متأصل ، لكنه لم يأخذه مداه وبعده المتوسع كتقليد علمي إلا في عصر التدوين الذي يبتدئ في نفايات القرن الأول الهجري.

ومن الدراسات القيمة في هذا الصدد والتي تجدر الإشارة إلى قيمتها العلمية ودراسات كل من:

١- الأستاذ محمد الأعظمي صاحب: « دراسات في الحديث النبوي » والذي كان أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كامبردج . وقد اعتمد الأستاذ الأعظمي في دراساته على مخطوط قديم يعود إلى منتصف القرن الأول الهجري وهي "نسخة سُهيل بن أبي صالح "إضافة إلى استقصاء واسع لكل المصادر الحديثية بغية الوصول إلى

إشارات تاريخية عن مدونات حديثية مبكرة، قد توصل إلى مئات النصوص الواضحة الصريحة التي تثبت وجود تدوين للسنة منذ عهد مبكر. وقد تناول الأستاذ الأعظمي دراسات المستشرقين وبالأخص « جوزيف شاخت» وحاول معرفة سبب النتائج الخاطئة التي وصلوا إليها فأشار إلى أن من أهم الأسباب عدم الاعتماد على منهج علمي واستقراء كاف ،مع وجود نصيب كبير من الهوى والحقد [٦٣].

٢ـ ا ... لأستاذ محمد عجاج الخطيب صاحب « السنة قبل التدوين »، وقد كانت نتائج بحثه شبيهة بنتائج أبحاث الأستاذ الأعظمي.

٣ـ الأستاذ امتياز أحمد الذي أجرى دراسات معمقة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أدنبره ببريطانيا عن أطروحته: « دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث».

٤ـ الأستاذ محمد حميد الله صاحب « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. دار النفائس .ط ١٤٠٥هـ .

٥ـ الأستاذ فؤاد سزكين . الباحث الشهير، والذي أجرى دراسات بلغت الغاية في الدقة والاستقصاء وتوصل إلى نتائج أبعد مدى من السابقين حيث استنتج من دراسات أسانيد البخاري وبعض المصنفات الأخرى أن جملة المرويات الشفوية التي تداولها المحدثون في مصنفاتهم عبر سلاسل الإسناد تشير في الواقع إلى مصادر تحريرية حتى ولو ظهر في بادئ الأمر أنها تدل على الرواية الشفوية.

وقد أودع دراساته هذه في بحث خاص عن صحيح البخاري طبع بالألمانية، وفي ثنايا موسوعته الكبرى عن «تاريخ التراث العربي».

لقد تكفلت هذه الدراسات بدفع الفرية الكبرى التي ظلت تحتل مكانة مرموقة في الأوساط العلمية في أوروبا وفي العالم الإسلامي وهي أن « السنة لم تدون إلا في عصر متأخر مما أدى إلى سهولة سريان حركة الاختلاق إلى مادتها» لكن هذه الدراسات كلها اتفقت على مبدأ التدوين على حساب التهوين من مبدأ الرواية الشفوية التي كانت تعتمد على الحفظ ، أعني حفظ الصدر الذي يعتمد على الذاكرة [٦٤].

والملاحظ أن نظرية أولئك الباحثين كانت أشبه برد نعل عكسي ومضاد لافتراآت المستشرقين ، فقد أقام المستشرقون أبحاثهم على أساس أن المحدثين كانوا يعتمدون على الرواية الشفوية التي مبناها على الحفظ والذاكرة [٦٥] وذلك لأجل إثبات وقوع الاختلاف والتحريف فكانت أبحاث العظمي وسيزكين وغيرهما تصب في اتجاه إثبات العكس بغية درء تهمة الاختلاف والتحريف.

وقد حاول الأستاذ سيزكين رد الفهم الخاطئ للمستشرقين في هذا الباب إلى عدم إدراكهم لمعاني الاصطلاحات الحديثية مثل « حدثنا » و «أخبرنا » و « عن» إذ يرى – سيزكين – أن هذه الألفاظ لا تدل بالضرورة على روايات شفوية، بل إن بعضها قد يستخدم في الإجازة والنقل عن مرويات تحريرية [٦٦].

والواقع أن أحكام المستشرقين التي دارت حول قضية الحفظ والذاكرة ناشئة بالدرجة الأولى عن الآراء المسبقة التي تشبع بها المستشرقون أو عن التراث الحضاري الغربي الذي بفكر به المستشرقون وبه يبحثون ويدرسون ... ثم يحكون.

والى هذه النقطة المهمة يشير مستشرق اشتهر بدراساته التاريخية عن التراث الإسلامي وهو فرانز روزنتال إذ يقول : "إن نقطة البداية التي ننطلق منها لفحص تاريخ علم التاريخ أمة أو فترة هي آراؤها الخاصة عن وظيفة التاريخ وواجب المؤرخ، وهذه الآراء هي نتائج زماننا أي لقرنين ونصف القرن الأخيرة من « التاريخية » وهذه الآراء من خصائص المدنية الغربية الحديثة، وعلم التاريخ في أي مجتمع لا يكون جزءا من المدنية الغربية الحديثة، بل يخضع لعوامل محيطية مختلفة وتكيفه قيم فكرية تختلف موازينها اختلافا كبيرا، ويجدر بنا أن نتذكر هذه الحقيقة طوال بحثنا في علم التاريخ الإسلامي» [٦٧].

والعجيب أن روزنتال نفسه أول المخالفين أو المتغافلين عن خصوصيته المعرفة الإسلامية فطفق يهون من شأن قضية الحفظ والذاكرة في كتابه : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي : « إن العلماء المحدثين – أي المعاصرين – الذين يعيشون في عالم لم تعد فيه أهمية للعلم المحفوظ في الذاكرة يبالغون في الاهتمام بما يسمعونه من أخبار عن قوة الذاكرة التي كان يتميز بها العلماء المسلمون ، بأنهم -كذا - يشعرون أن هذه الظاهرة تتوفر لهم احسن الظروف لدراسة أهمية الرواية الشفوية في نقل الأخبار الدينية والدبية .. نعم إن حفظ القرآن غيبا إلى جانب عدد كبير من الأحاديث والشعار والقصص حقيقة حرية بالاعتبار، ولكن بعد أن وفرت الطباعة طبع المحفوظات على نطاق واسع فإنه إرهاق الذاكرة أصبح من وجهة نظر العالم أمرا لا طائل تحته» [٦٨].

إن هذا الكلام صادر عن قناعة واضحة بآلية معينة في تناول العلوم لم تدرك بعد عمق قضية الحفظ والذاكرة وحقيقتها في منظومة المعرفة الإسلامية.

ليس هذا وجهة نظر فردية بل اتجاه علمي أوروبي غير مقتنع بمنهج المسلمين في حفظ المعلومات عن طريق الذاكرة يقول لانجلوا في « المدخل إلى الدراسات التاريخية»: « هناك طريقة أوغل في الوحشية لن نذكرها إلا من باب الإضراب وتتلخص في تسجيل الوثائق في الذاكرة دون تقيد شئ كتابة ، وهناك من استخدموها ، فبعض المؤرخين الذين وهبوا ذاكرة ممتازة وكسولا (كذا) قد لذ لهم هذا الوهم، وكانت النتيجة أن معظم اقتباساتهم وإشاراتهم إلى المراجع غير حقيقة فالذاكرة جهاز تسجيل بالغ اللطافة لكنه قليل الدقة، ولهذا فان مثل هذه المخاطرة ليس لها أي مبرر» [٦٩].

ويعتبر مرغليوث طريقة الذاكرة- عند المسلمين – سببا لعرقلة جهود هؤلاء الذين حاولوا أن يضمنوا الصحة عن هذا الطريق. [٧٠]

وأشار الأستاذ حسين نصار إلى أن الروايات الكثيرة التي كانت تعتمد غالبا على الذاكرة سببت بعض وجوه من النقص والفوضى، فان النسيان اعترى بعض هؤلاء المؤرخين فجعل بعض رواياتهم تضطرب. [٧١]

لكن الأستاذ شاكر مصطفى يعترف بوجوب هذه الحلقة – الذاكرة- في دائرة التدوين ألا أنه يجزم بأن« حفظ العلم لم يكن له إلا أضأل الأثر ولا كان له في نقله إلا الدور القصير المحدود» [٧٢] ، لقد كان اتجاها أشبه بالقوانين الخفية يندر أن نجد من يخالفها من الباحثين.

وقد تبنى الأستاذ سيزكين [٧٣] هذه القناعة وبني عليها كل ما وجده من نصوص تشير إلى قوة الحفظ الخارقة عند المحدثين داعيا « إلى استخراج الدلالة الصحيحة للأخبار الكثيرة التي تروي أن هذا المحدث أو ذاك، قد حفظ مائتي ألف حديث ونحن نفسر اليوم مثل هذا معجبين بقوة ذاكرة الإنسان في تلك العصور أو معتبرين هذا نوعا من المبالغة أو مطرحين هذا جانبا وكأنه من قصص الكرامات ورغم أن المبالغة في هذا الرقم بديهية في معظم الأحوال إلا أننا نعرف من البحث الدقيق لكتب الحديث أن الروايات المختلفة تدخل أيضا في هذا الحساب وهذه الروايات لا تختلف إلا اختلافا يسيرا يتناول الإسناد وكانت تعد كل رواية قائمة برأسها وبهذا بلغ عدد النصوص بضعة آلاف» ثم يورد الإسناد سيزكين بعضا من الروايات التي تفيد خطأ الرواة الذين اعتمدوا على حفظهم موحيا أن « سائر المحدثين كانوا يلاحظون بسهولة اختلاف الأحاديث المروية من الذاكرة والأخرى المروية عن نص مدون» [٧٤] .

ويشعر المرء أحيانا أن مثل أولئك الباحثين – على نفاسة دراساتهم – يعتقدون أن الحفظ والذاكرة عند المحدثين أسطورة أو خرافة ، أو سبة يجب أن يوجد السبيل لإزالتها ومحو آثارها.

ولا شك أن أبحاث أولئك الباحثين المسلمين كانت ذات قيمة عالية ونتائج حاسمة في أبحاث التدوين المبكر لأسانيد والأحاديث لكنها أغفلت جانبا لا يمكن إنكاره وهو أن الحفظ والذاكرة أو رواية الصدر شكلت أهم الآليات التي اعتمد عليها المحدثون في نقل وحفظ الأسانيد والنصوص وأن التدوين هو الذي كان شأنا ثانويا وذلك في عصر الرواية على الأقل.

وليست الروايات التي تذكر حفظ الأئمة لمئات الآلاف من الأحاديث مجرد كرامات أو قصص أسطورية أو أرقام مبالغ فيها.

وما تأوله الإسناد سزكين من أن تكرار الروايات والأسانيد المتشابهة يختزل العدد إلى بضعة الآلاف لا يدفع وجه العبقرية في أن المحدثين استطاعوا أن يحفظوا هذا العدد من الروايات والأسانيد المتشابهة ذوات الفروق البسيطة بحيث لا يختلط إسناد في إسناد ولا نص في نص مع دقة التشابه ،ولقد كان هذا الحفظ هو عماد النقاد في معرفة الرواية

الراجحة عبر الموازنة بين الأسانيد والروايات لمعرفة وجه الخطأ وانتقاء الصواب من ركام الروايات التي يتخلل فيها الخطأ البسيط فيستطيع النقاد تصفية ذلك.

ونستطيع أن نستثني ا الأستاذ محمد عجاج الخطيب والأستاذ صبحي صالح من أولئك الباحثين الذين لم يغفلوا عن دور الذاكرة وحفظ الصدر حيث نبها إلى أن المحدثين « اجتهدوا وسعهم لحفظ الحديث بأسانيد ه في مصنفات ومسانيد تكفل لأهل العلم معرفة القوى الضعيف» [٧٥] .

والدليل على أن الحفظ ورواية الصدر أو الاعتماد على الذاكرة استمر هو التقليد المتبع في رواية الأحاديث الأمور الآتية:

... ... أولا : أن العصور المتأخرة هي التي عولت على المدونات والمصنفات يقول ابن الصلاح [٧٦]:« فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بادراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد لأنه ما من إسناد من ذلك إلا وتجد رجاله من اعتمد في روايته على ما في كتابه عريا عما يشترط في الصحيح من الحفظ والضبط والإتقان» .

... ... ثانيا : أن المحدثين قد نصوا في علم المصطلح على أن الرواية الصحيحة المقبولة هي « التي يرويها العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه بدون شذوذ ولا علة» وفسروا الضبط بأنه نوعان :« ضبط صدر وضبط كتاب»، ثم فسروا ضبط الصدر بأنه « الحفظ في الذاكرة بأن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء، وضبط الكتاب "بصيانته لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه". [٧٧]

وواضح أن ضبط الصدر يعتمد على الحفظ والذاكرة ومع ذلك فكان الراوي الذي يعتمد على حفظ الكتاب إذا روى من حفظ صدره ضعف ، ونجد في كتب الرجال مصطلحات من قبيل: "صحيح الكتاب" أو "ثقة إذا حدث من كتابه".

وتصحيح الرواية من الكتاب هو الذي استقر عليه عرف المحدثين بعد أن كانت المدرسة الحديثية التقليدية ترفض ذلك وتأباه.

فقد قال أشهب لمالك : الرجل يخرج كتابه وهو ثقة، فيقول: هذا سماعي إلا أنه لا يحفظ؟ قال: " لا يسمع منه" . قال يونس بن عبد الأعلى الراوي عن أشهب : " لأنه إن أدخل عليه لا يعرف". وفي رواية أخرى لمالك قال: " لا يؤخذ منه أخاف أن زاد في كتبه ". [٧٨]

وعن أحمد ابن حنبل قال: لا ينبغي للرجل إذا لم يعرف الحديث - أي يحفظه- أن يحدث. ثم قال : صار الحديث يحدث به من لا يعرفه ثم استرجع. هذا مع أن أحمد ابن حنبل كان لا يحدث إلا من كتابه كما قال علي ابن المديني.

وقال هيثم : من لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحاب الحديث ، يجيء أحدهم بكتاب كأنه سجل مكاتب. [٧٩]

ويعلق الخطيب البغدادي على ذلك قائلا:" ونرى العلة التي لأجلها منعوا صحة السماع من الضرير والبصير الأمي هي جواز الإدخال عليهما ما ليس من سماعهما وهي العلة التي ذكرها مالك فيمن له كتب وسماعه صحيح فيها غير أنه لا يحفظ ما تضمنت، فمن احتاط في حفظ كتابه ولم يقرأ إلا منه وسلم من أن يدخل عليه غير سماعه جازت روايته"... ثم ذكر روايات السلف في ذلك. [٨٠]

والدليل على أن الأصل في قبول رواية الراوي هو حفظه: أن المحدثين لم يقبلوا رواية سيء الحفظ إلا بما رواه من أصل كتابه.

فمن ذلك أن يزيد بن زُريع سئل عن هَمّام فقال: كتابه صالح وحفظه لا يسوى شيئا. وقال ابن عمار: شَريك -يعني القاضي- كتبه صحاح، فمن سمع من كتبه فهو صحيح، قال: ولم يسمع من شريك من كتابه إلا إسحاق الأزرق. وقال يحي بن سعيد: إذا حدثكم المعتمر بن سليمان بشيء فاعرضوه فإنه سيء الحفظ. [٨١]

ثالثا: لو اعتبرنا أن الرواية في العصور المبكرة كانت تعتمد على المصادر المدونة في الغالب كما يقول سيزكين وغيره فإن كل ما دونه علماء الحديث من جرح وتعديل وعلل يكون غير ذي موضوع، لأن الرواية عن الكتب تكون مضمونة عن الأخطاء في الغالب ، ولا يعقل أن تحدث تحريفات أو زيادات في الروايات التي تداولها المحدثون عن الكتب في طول سلسلة الإسناد.

رابعا: إن نظرية الإسناد قامت أساسا على مبدأ الحفظ في الذاكرة، إذ لو كان السلف يعتمدون على المدونات والكتب لتداولها دون تحديث أو مشافهة، لكن النشاط العلمي عندهم كان مبنيا كله على المشافهة، وهذا بعرفه من له أدنى إلمام بتاريخ العلوم الإسلام. ولذلك اشتهر عندهم ذم من يعتمد على الصحف في العلوم، ولهم في ذلك مقولات شهيرة.

يقول الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه " الحث على حفظ العلم ": « فإن الله عز وجل خص أمتنا بحفظ القرآن والعلم ، وقد كان من قبلنا يقرءون كتبهم من الصحف ولا يقدرون على الحفظ، فلما جاء "عزير" فقرأ التوراة من حفظه قالوا :هذا ابن الله ! فكيف نقوم بشكر من خولنا أن ابن سبع سنين منا يقرأ القرآن عن ظهر قلب، ثم ليس في الأمم ممن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله على وجه تحصل به الثقة إلا نحن، فإنه يروي الحديث منا خالفٌ عن سالف، وينظرون ثقة الراوي إلى أن يصل الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأمم يروون ما يذكرونه عن صحيفة لا يدرى من كتبها ولا يعرف من نقلها ، وهذه المنحة العظيمة -أي الرواية- نفتقر إلى حفظها، وحفظها بدوام الدراسة ليبقى المحفوظ...» [٨٢].

خامسا:تشير روايات كثيرة [٨٣] إلى أن كتب المحدثين كانت تبلغ قدرا كبيرا جدا يجعل من المستحيل تصور أن المحدثين كانوا يصطحبونها معهم في كل مجالس تحديثهم،

فالمتوجه أن نفترض أن مجالس الحديث كانت تعقد بالاعتماد على الحفظ والذاكرة في الغالب والتحديث من الكاتب كان هو الطارئ.

سادسا: إن دراسة كثير من مصطلحات المحدثين تنبئ بحقيقة مكانة حفظ الصدر عندهم، فمن ذلك اصطلاحهم على تسمية الرواية التي رويت على الوجه الصحيح بالموافقة لروايات الثقات بأنها الرواية"المحفوظة" ، ومن ذلك أيضا استعمالهم اصطلاحات من قبيل :" ضعيف،له أوهام، بغلط" كل ذلك منصرف إلى الحفظ ليس غير، ويمكن للعين الملاحظة أن تدرك المساحة الكبيرة التي تحتلها تلك الاصطلاحات في علم الرجال والعلل وهما عماد علم النقد عند المحدثين.

وقد أبعد الأستاذ سيزكين النجعة حين اعتبر تزكية الأئمة لراو وتلقيبه بـ" صاحب حفظ" أن ذلك مجرد تكريم له [٨٤]، بل إن ذلك له علاقة وطيدة بمنهج نقد الروايات والجرح والتعديل كما يعلم كل خبير بهذا الفن.

سابعا: قال الإمام الترمذي في كتابه :" العلل الصغير ": " وإنما تفاضل أهل العلم بالحفظ والإتقان والتثبت عند السماع..." [٨٥].

كل هذه الأمور تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن حفظ الصدر والذاكرة عند منهج المحدثين في النقد كانت تشكل بعدا عميقا في نظرية الإسناد بحيث يصعب الفصل بين هذه العناصر : (الحفظ، الإسناد،النقد).

الخلاصة.

١- احتل الإسناد مكانته العالية وتم التنظير العلمي له منذ وقت مبكر على يد المحدثين، وأشهر من نظر له من المتقدمين عبد الله بن المبارك.

٢- تميز الإسناد بخصائص ذاتية أهلته أن يكون السمة العلمية التي يتميز بها أصحاب العلوم، كما أنه صار الأساس الذي بني عليه منهج النقد عند المحدثين

٣- لقد تم تدرين الأحاديث وأسانيده منذ عصر مبكر، لكن حفظ الذاكرة كان عنصرا مهما في صيانة تلك الأسانيد إلى جانب المدونات، وقد قام منهج النقد عند المحدثين على اعتبار هذا الجانب في ضبط الراوي الذي يستخدم الإسناد في نقل النصوص حتى غدا معيارا لقبول أو رفض روايات النقلة.

---

[١] - دراسات في الحديث النبوي محمد الأعظمي (٤٢٢/٢).

[٢] - السابق (٤١٦/٢) ولقد ركز "جوزيف شاخت "(بريطانيا يهودي) في دراسته على أحاديث الأحكام وأعلن عن نظريته في اختلاق الأسانيد في كتابه: أصول الشريعة المحمدية: The Origin of Mohammedan Jurispro dunce وكتابه الآخر

مقدمه في الفقه الإسلامي: Introduction to Islamic Law انظر موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية. أكرم العمري ص٧٣

[٣] - أنظر: موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية. أكرم العمري. ص٣٥-٣٨ ودراسات في تاريخ السنة المشرفة له أيضا ص٤٩ ودراسات في الحديث النبوي محمد الأعظمي (٢/٤٢٠)

[٤] - دراسات في الحديث النبوي، محمد الأعظمي (٢/٤٩٦-٤٩٧) والرسم البياني (شجرة الإسناد) المنقولة هنا هو النموذج الذي تصوره شاخت.

[٥] - الواقع أن رواية عبد العزيز عن عمرو بن أبي عمرو عن رجل من بني سلمة خطأ، والإسناد الخطأ يطرحه نقاد الحديث ما دام وجد الإسناد الذي روي على الجادة، ولا يصحح الخطأ على وفق الرواية الصحيحة ليعتبر قرينا لها، انظر: الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات. طارق عوض الله. ص٥٠.

[٦] - دراسات في الحديث النبوي. محمد الأعظمي (٢/٤١٦-٤٢٠).

[٧] - انظر موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية. أكرم العمري ص٥٢. وفي قضية العوائق التي أدت إلى وقوع المستشرقين في كثير من الأخطاء العلمية أنظر: السنة قبل التدوين. محمد عجاج الخطيب ص٣٨٢ وموقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية لأكرم العمري ص٧٦. وتاريخ الثلاث الغربي فؤاد سزكين(١/٢٢٥).

[٨] - وهذا هو الذي عناه الأستاذ الأعظمي في نتائج دراساته عن نظرية القذف الخلفي لشاخت حيث استنتج أنه "لم يكن هناك تطور وتحسين في الأسانيد" أنظر: دراسات في الحديث النبوي (٢/٤٣٧)

[٩] - رواه مسلم في مقدمة الصحيح (١/١٥) الترمذي في العلل الصغير ص٨١ بشرح ابن رجب والخطيب البغدادي في الكفاية ص١٢٢.

[١٠] - رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/٣٥٧) و قال الأستاذ العمري : بسند صحيح وانظر : (بحوث في تاريخ السنة المشرفة لأكرم العمري ص ٤٤)

[١١] - دراسات في الحديث النبوي (٢/٣٩٥)

- [١٢] السابق (٢/٣٩٧)

[١٣] - رواه الخطيب في الكفاية ص ٣٨٦

[١٤] - رواه أحمد في المسند (٤/٢٨٣) و الحاكم في المستدرك (١/٩٥) والخطيب في الكفاية ص ٣٨٥

[١٥] - رواها الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٢٣٥

[١٦] - فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني.(١/٨)

[١٧] - رواه الشافعي في كتاب« الرسالة» ص٤٠١ وأحمد بن حنبل في المسند (٤٣٧/١) والترمذي في السنن(٣٧٢/٣) وابن ماجة (٥٢/١) وابن حبان في صحيحه (٢٢٦/١-٢٢٧) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤٠/١) وقد أورده السيوطي في الأزهار المتناثرة و الكتاني في نظم المتناثرة وكذلك الزبيدي في لقط اللآلئ . وانظر : لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة . محمد مرتضى الزبيدي ص١٦١.ط بيروت ١٩٨٥ م.

[١٨] - رواه أحمد (١٨٣/٥) وأبو داود (حديث رقم ٣٦٦٠) والترمذي (٣٧٢/٣) وابن ماجة (٥٢/١) وابن حبان (٢٢٥/١) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٨) وابن عبد البر (٣٩/١).

[١٩] - رواه أحمد (٨٠/٤) والحاكم في المستدرك (٨٦/١-٨٧) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٩) .

[٢٠] - رواه أحمد (٣٤٠/٤) والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٢٠٦.

[٢١] - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٢٠٦ وضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (١٩٦/١٠)

[٢٢] - رواه البخاري(١/ ٢٤٢٥)

[٢٣] - صحيح مسلم (٢٢٦٥/٢) حديث رقم ٢٩٤٢. فؤاد عبد الباقي.

[٢٤] - انظر : مقدمة تفسير القرطبي (٤٩/٢-٥٩).

[٢٥] - رواه البخاري في مواطن منها (٥٢/١) ومسلم(١٠/١) وابن حبان في صحيحه (٢١٤/١) والحاكم في المستدرك (١٤٩/١) والترمذي في السنن(٣٥/٥) وضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة(٢٢٢٨٧/٣). وقد حكم الكثير من الحفاظ عليه بأنه حديث متواتر، انظر: لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة محمد مرتضى الزبيدي. تحقيق محمد عطا.ص٢٢٦١ ط دار الكتب العلمية .بيروت ١٩٨٥.

[٢٦] - قال الحاكم في المدخل ص ٤٦ عن أبي بكر الصديق :« هو أول من وقى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢/١) : « وهو أول من احتاط في قبول الأخبار».

[٢٧] - قال ابن حبان في المجروحين (ص٣٨) : «إن عمر وعليا أول من فتشا عن الدجال في الرواية وبحثا عن النقل في الأخبار ثم تبعهم ناس على ذلك».

[٢٨] - ذكر ذلك لبن الصلاح في المقدمة ص١٢، ونص على خصيصيتها الزرقاني في شرح المواهب اللدنية (٣٩٨/٥ــــ٤٤٤٧٧٤)

[٢٩] - يراجع الباب الرابع من فهارس علماء المغرب ص ٤٢١-٤٩٤. د عبد الله المرابط الترغي . وتشتهر عند المحدثين مقولة أن » الأسانيد أنساب الكتب » وانظر : التأصيل . بكر أبو زيد .ص ٧٥.

[٣٠] - علوم الحديث لابن الصلاح ص١٢

[٣١] - علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٣٢

[٣٢] - ميزان الاعتدال. الحافظ الذهبي .(١١٥/١)

[٣٣] - هو الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي واسم كتابه "الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما "مرتب على حروف المعجم ولم يكمله توفي عام ٦٤٣هج وهي السنة التي توفي فيها ابن الصلاح.

[٣٤] - وقد استوفى مصنفات المحدثين في خدمة السنة والأسانيد العلامة الكتاني في كتابة الرسالة المستطرفة . ويوجد استقصاء مبدع لكتب السنة ومصنفات المحدثين عند حاجي خليفة في كشف الظنون، وقد عني صديق حسن خان ببيان مناهج كتب السنة الشهيرة في كتابه الحطة في ذكر الصحاح الستة، و استوفى تاريخ التأليف عند المحدثين الأستاذ فؤاد سزكين في الجزء الأول من تاريخ التراث العربي ولبروكلمان مادة واسعة عن مصنفات المحدثين لكنها منثورة في أجزاء الكتاب.

[٣٥] - رواه مسلم في مقدمة صحيحه (٨٧/١) والترمذي في العلل الصغير ص ٨٧ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٧/١) ولبن حبان في كتاب الضعفاء (١٧/١) والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٢٠٩ والحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٦ والخطيب النغدادي في الكفاية ص٣٩٣ وشرف أصحاف الحديث ص ٤٠ والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٤٧/٢) وابن عبد البر في مقدمة التمهيد (٥٦/١) وأوردها ابن الصلاح في علوم الحديث ص٢١٥ ، وابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٩٦/٤) وابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٢٦٨، والذهبي في تذكرة الحفاظ (١٠٥٤/٤) والتاج السبكي في طبقات الشافعية (١٨٧/٥) والسخاوي في فتح المغيث ص ٣٣٥ والزرقاني في شرح المواهب اللدنية(١٨٧/٥).

[٣٦] - رواه مسلم في مقدمة صحيحه (ص١٢).

[٣٧] - شرح عن الترمذي لابن رجب ص ٨٨

[٣٨]- السابق وقد ذكرنا النقول التي وقفنا عليها لبن المبارك وجمعناها قبل غيرها لأهميتها في تنظير مبدأ الإسناد ولأن عباراته أعمق من غيرها . وخاصة قوله :«الإسناد من الدين ..».

[٣٩] - أي بقي ساكتا مفحما مبهوتا منقطعا. قال الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة: « وهذا أسلوب معروف الاستعمال في محاورات أهل القرن الثاني والثالث والرابع ثم غاب وغمض معناه. انظر : الإسناد من الدين . عبد الفتاح أبو غدة ص٥٣)

[٤٠] - الاعتصام للشاطبي (٢٢٥/١).

[٤١] - المواهب اللدنية للزرقاني (٤٥٤/٥) والأجوبة الفاضلة لعبد الحي اللكنوي ص ٢٤

[٤٢] - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٣٧ وأبو وليد الباجي في التعديل والتجريح (٢٩١/١) وذكر السيوطي في تدريب الراوي (٢٨٢/١) وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٥٣/٣): «جهبذ بكسر الجيم والباء الموحدة وبالذال المعجمة هو الفائق في تمييز جيد الدراهم من رديئها والجمع جهابذة وهي عجمية وقد تطلق على البارع في العلم استعارة» .

[٤٣] - رواه ابن عبد البر في مقدمة التمهيد (٥٧/١)

[٤٤] - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٩٧ والخطيب البغدادي في الكفاية ص٢٨٣

[٤٥] - شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٨٨

[٤٦] - رواه ابن حبان في المجروحين ص ٢٧

[٤٧] - شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٨٨-٨٩

[٤٨] - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٦ والخطم والأزمة جمع خِطام وزمام : يا يقاد به البعير .

[٤٩] - السابق نفس الصفحة.

[٥٠] - شرح المواهب اللدنية للزرقاني (٤٥٤/٥)

[٥١] - الفصل في الملل والنحل . ابن حزم الأندلسي (٨١/٢-٨٢)

[٥٢] - منهاج السنة النبوية . أحمد بن تيمية . (٣٧/٧) تحقيق محمد رشا وسالم

[٥٣] - الإسناد من الدين . عبد الفتاح أبو غدة ص٣٠

[٥٤] - موقف العقل والعلم والعالم من رب العلمين وعباده . مصطفى صبري.(٨٧/٤)

[٥٥] - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . علي القاري (٢/١...-٠٨)

[٥٦] - شرح شرح النخبة على القارئ ص.١٩٤

[٥٧] - انظر : اللمع في أصول الفقه لأبي اسحق الشيرازي ص٢٣ وإعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣٥٣/١) والموافقات لأبي إسحاق الشاطبي (٧٦/١) والإبهاج في شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه للسبكي (١٠٠/١)

[٥٨] - لمحات من التاريخ السنة وعلوم الحديث. عبد الفتاح أبو غدة ص٧٦ وقد أغفل الأستاذ أبو غدة ذكر اهتمام القراء بقضية الإسناد باعتبارها شرطا أساسا من شروط

إثبات قرآنية النص أو القراءة وأن هذا الشرط بكل تفاصيله لا يخرج عما قرره منهج النقد عند المحدثين.

١ - موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، أكرم العمري ٤٠.

[٥٩] - السابق ص ٤٠-٤١

[٦٠] - دراسات عن المؤرخين العرب .مرغليوث بترجمة حسين نصار ص٣٠ ويقول فرانز روزنتال: "لماذا نبدي سخطنا على كاتب يجمع أسانيد تبعث على الضجر، أسانيد لا حصرها لها تتعلق بسيرة رجل أو براوية من رواة الحديث الذين عاشوا في دمشق أو مروا بها لماما، نحن (يشير إلى الباحثين الغربيين) إذا قرأنا في مثيل هذا في كتاب من كتب الغرب قلنا صوابا: إنه عمل عملي وإن صاحبه قام بخدمات علمية جليلة ؟! " (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. فرانز روزنتال. ص١٩) وعبارات هؤلاء المستشرفين تنبئ عن تقصير في دراسة نظرية الإسناد لدى المحدثين، ولا يمكن لأحد أن يدرك فائدة آلاف الأسانيد المروية في كتب الحديث ما لم يتفهم روح نظرية الإسناد ويقف على تاريخه من لدن نشوئه.

[٦١] - موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية. أكرم العمري ص ٣٦

[٦٢] - الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمي. ص٨ و ص ٧٢

[٦٣] - دراسات في الحديث النبوي . محمد العظمي . ٤٨٥/٢ فما بعدها و(٤١٦/٢).

[٦٤] - انظر مثلا تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين . (٢٤٠/١-٢٤٣) وفيه يقول : « وعلى كل حال فقد كانت العادة المألوفة في الرواية أن تذكر عبارة «إملاء من حفظه» إذا كانت الرواية تعتمد على الذاكرة وحدها، هذا أمر استثنائي » . وأيضا دراسات في الحديث النبوي. محمد الأعظمي (٣٢٧/٢)

[٦٥] - يمكننا استثناء قرار روزنتال الذي قال في كتابه « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » ترجمة أنيس فريحة ص ٢٦: « كان المؤرخون المسلمون كما كان علماء الدين أيضا يعتمدون على الوثائق المدونة ولم يكن للمعارف التي تعتمد الذاكرة شأن في تأليفهم » وسيأتي مناقشة مضمون الجملة الخيرة لروزنتال.

[٦٦] - تاريخ التراث العربي فؤاد سيزكين (٢٤٣/١-٢٤٤)

[٦٧] - علم التاريخ عند المسلمين . فرانز روزنتال ترجمة صالح احمد العلي ص ١٦ وفي كتابه « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي» يقرر أن آراء الغربيين عن الحضارة الإسلامية كثيرا ما يشوهها شعورهم بالتفوق والعلو شعورا لا يرتكز على منطق وأن من المزالق التي وقع فيها الباحثون الغربيون أنهم يضعون مقاييس صارمة يحكمون بموجبها على ما أنتجه الفكر الاسلامي .انظر ص ١٨-١٩ من الكتاب المذكور.

[٦٨] - مناهج العلماء المسلمين في بحث العلمي . فرانز روزنتال ترجمة أنيس فريحة ص ٢٢

[٦٩] - مدخل إلى دراسات التاريخية . لانجلوا و سينوبوس. ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٧٨

[٧٠] - دراسات عن المؤرخين العرب . مرغليوث . ترجمة حين نصار ص٣٢

[٧١] - نشأة التدوين التاريخي عند العرب . حسين نصار .ص.٧٠ والواقع لأن معظم أفكار هذا الكاتب كانت مجرد صدى لكتاب مرغليوث الذي ترجمته هو نفسه .

[٧٢] - التاريخ العربي والمؤرخون. شاكر مصطفى (٧٧/١)

[٧٣]- الأستاذ فؤاد سيزكين باحث تركي مخضرم هاجر من بلده تركيا لأسباب سياسية- كما يذكر ذلك في مقدمة كتابه « تاريخ التراث العربي» وتتلمذ علىكثير من المستشرقين في ألمانيا حيث حط رحاله، وابتدأ من هناك رحلاته العالمية في البحث عن المخطوطات الإسلامية لتاريخ « التراث العربي » وثقافته- مع ما فيها من ولاء صادق للمسلمين وللتراث الإسلامي – إلا أنها تأثرت بشوب من التراث الحضاري الأوروبي يغتفر له في خضم محاسنه.

[٧٤] - تاريخ التراث العربي. فؤاد سيزكين.(٢٢٢٤٠/١-٢٤٣)

[٧٥] - راجع السنة قبل التدوين محمد عجاج الخطيب ص ٣٨٠. وعلوم الحديث ومصطلحه صبحي صلح ص ٢٣-٣٠.

[٧٦] - علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٣.

[٧٧] - نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني ص٨٦-٨٣

[٧٨] - الكفاية في علم الرواية. الخطيب البغدادي ص٢٢٧.

[٧٩] - أيضا.

[٨٠] - السابق ص٢٢٩ وانظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٤٤

[٨١] - أنظر الكفاية في علم الرواية. الخطيب البغدادي ص٢٢٣.

[٨٢] - الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ. أبو الفرج ابن الجوزي .ص ١١

[٨٣] - انظر: منهج النقد عند المحدثين محمد الأعظمي ص٧٢

[٨٤] - تاريخ التراث العربي. فؤاد سيزكين (٢٤٢/١)

[٨٥] - علل الترمذي ص ١٤٧ بشرح ابن رجب.

======================

منهج المحدثين في توثيق الإسناد ونقده.

لقد قامت نظرية الإسناد على أساس إتاحة أكبر قدر من عنصر الملاحظة لنقد الخبر

والرواية، بحيث ينأى النقد عن مجرد الافتراضات والظنون والأوهام ، ولعل هذا ما يميز منهج المحدثين في النقد عن منهج الغربيين في النقد التاريخي.

فإن منهج النقد التاريخي عند الأوروبيين في أساسه منهج استردادي كما قال اندريه لالاند [١]، ومعنى ذلك أنه لا نصيب له من الملاحظة والتجربة، وهذا ما يعترف به لانجلوا و سينوبوس ، فهما يقولان: " والخاصة المميزة للوقائع التاريخية هي أنها لاتدرك مباشرة، بل وفقا لآثارها ، ولهذا فإن المعرفة التاريخية هي بطبيعتها معرفة غير مباشرة، ولهذا السبب ينبغي أن يختلف منهج علم التاريخ اختلافا أساسيا عن منهج العلوم المباشرة.. وعلم التاريخ مهما قيل فيه ليس علم ملاحظة" [٢].

فالمؤرخون الأوروبيون قطعوا الأمل في حصول أي نوع من أنواع الملاحظة المباشرة للواقعة التاريخية، والمحدثون قد أدركوا هذه الاستحالة في الواقع العملي لكنهم حاولوا أن يوفروا مجالا لتحقق نوع من أنواع الملاحظة المباشرة حتى يخرج هذا العلم عن حيز الخرص والأوهام.

يقول الأستاذ عثمان موافي:" فمنهج الملاحظة غير المباشرة الذي هو أساس كل بحث تاريخي في عصرنا الحاضر من الصعوبة بمكان أن نصل منه إلى اليقين، بينما المعرفة الإسلامية التي أساسها منهج الملاحظة المباشرة في درجة أقرب إلى العلم واليقين لأنها كما أشرنا ترتد أصلا إلى رؤية حسية مباشرة للظاهرة موضوع البحث والدرس، وهي ليست يقينية تماما وإنما في درجة أقرب إلى اليقين".

وقد أشار الأستاذ موافي إلى أن المنهج الإسلامي في رواية الخبر اعتمد التجربة وذلك بالموازنة بين الروايات ومعارضة المكتوب على السماع [٣].

لقد كان الإسناد هو المعمل أو المختبر الذي تجري فيه الملاحظة المباشرة ، ليس للواقعة التاريخية ولكن لمن شاهدوا الواقعة التاريخية .

يقول مرغليوث : " والمنهج الثاني لضمان الصحة - في تسجيل الأحداث - هو الإسناد ، وهو سلسلة الرواة الذين يمكن تتبع آثار الرواية عن طريقهم إلى شاهد العيان الأصلي" [٤].

إن الملاحظة شبه المباشرة التي تولد اليقين نظر لها المحدثون في مناهج نقدهم ، واعتبروا أن الخبر الذي ورد بإسناد صحيح في ميزان نقدهم "يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار" [٥].

وجعلوا من الأخبار التي تفيد العلم النظري بالقرائن ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحها مما لم يبلغ حد التواتر ، ومنها المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريبا ، كالحديث الذي يرويه أحمد بن حنبل مثلا ويشاركه فيه غيره عن الشافعي ويشاركه فيه غيره عن مالك بن أنس، فإنه يفيد العلم عند سامعه بالاستدلال من جهة جلالة رواته، وأن فيهم من الصفات اللائقة الموجبة للقبول ما يقوم مقام الكثير من غيرهم [٦].

واعتبر المحدثون أن الإسناد الذي ينقده العالم المتبحر في الحديث العارف بأحوال الرواة المطلع على العلل يفيد العلم بصدق الخبر ويسوغ القطع بوقوعه [٧].

لقد عرف منهج النقد التاريخي الأوروبي فكرة الإسناد، لكنه لم يتخيل أصلا إمكانية نقد الخبر عن طريق الإسناد في الواقع العملي .

يقول لانجلوا وسينوبوس :" هذا البحث عن المشاهد الأصلي ليس غير معقول من الناحية المنطقية فمجاميع الروايات العربية القديمة تعطي أسانيد الرواية، لكننا في الواقع العملي نفتقر دائما إلى معلومات عن السند تصعد بنا إلى المشاهد الأصلي فتظل المشاهد مجهولة الصاحب". [٨]

ولا نغالي إذا قلنا إن المنهج الأوروبي تخبط أيضا في آلية الرواية ونقلها عبر الرواة، ففي موضع من كتابهما يعتبر لانجوا وسينوبوس الأحداث التاريخية شديدة التعقيد وأنه من غير المحتمل مطلقا أن يرويها مشاهدان مستقلان بنفس الطريقة" [٩]. لكن سينوبوس في رسالة له في النقد التاريخي يبدو أكثر نفهما حين يقول: " فالأقوال إذا اتفقت ، فإن اتفاقها ليس من الممكن عمليا أن يقع إلا لأنها تتفق مع الحقيقة الواقعية" [١٠].

إن هذا التخبط يعكس حجم المعوقات التي تخيلها المؤرخون الأوربيون حائلة بين المؤرخ وبين الملاحظة المباشرة ، ولقد فطن المحدثون لكل تلك المعوقات وذللوها وهيئوا للنقد مجالا علميا دقيقا وشفافا إلى أبعد الحدود.

إذا تبين لنا تفرد منهج النقد عند المحدثين بخصيصة الإسناد الذي جعلهم أقدر على الفحص والملاحظة المباشرة للرواية من غيرهم، نبين هنا مادة الإسناد وما يتكون منه ، ونبين الجهود التوثيقية [١١] المصاحبة للرواية منذ صدورها عن صاحبها حتى تدوينها في الكتاب، ثم الجهود التوثيقية الأخرى التي ضمنت المحافظة على الرواية المدونة من الانتحال أو التحريف أو التصحيف.

ومن العرض الذي سنقدمه سندرك أن نظرية الإسناد قامت على توفير أكبر قدر ممكن من الدقة في التوثيق الرواية من بداية السند على قسمين :

o القسم الأول : توثيق الرواية منذ حدوثها إلى تدوينها.

o القسم الثاني: توثيق الرواية منذ تدوينها إلى نشرها وتداولها عن طريق الأوساط العلمية.

وينبغي أن يتنبه إلى أن الإسناد كان حاضرا في الحالتين بصفته القالب العلمي الذي تمارس مت خلاله أي عملية توثيقية .

القسم الأول: توثيق رواية الواقعة التاريخية منذ حدوثها إلى تدوينها

إن عبقرية نظرية الإسناد تكمن في أنها أتاحت للناقد أن يتوغل في الزمان المجرد، ويتدخل بآلته في النقد كأنه طبيب يفحص حالة كل راو لتلك، ويلاحظ بنفسه قدرة كل راو على نقل تلك الرواية "على وجهها".

يمكننا تقسيم الإسناد منذ حدوث الرواية إلى تدوينها على ثلاثة أقسام: طرفان ووسط.

الطرف الأول: هو بداية السند، أي المشاهد للواقعة وليس بالضرورة أن يكون صحابيا، فإن أي واقعة مروية بالسند يكون المشاهد لها والراوي لتفاصيلها هو طرف السند الأول.

الطرف الثاني: وهو المصنف الذي دون الواقعة، ويرويها في كتابه بإسناده إلى الطرف الأول.

الوسط: وهي سلسلة الإسناد بين ذينك الطرفين من الرواة الذين شاركوا في نقل الرواية عن بعضهم حتى وصلت عن طريقهم في الطرف الأول إلى الطرف الثاني.

لقد اشترط المحدثون شروطا كثيرا لضمان توثيق هذه المراحل، جزء منها متعلق بنظرية الجرح والتعديل وهي الصفات التي يجب توافرها في مادة الإسناد أي الرواة والنقلة لضمان عدم حدوث الخطأ منهم، ولكن حتى يتمكن الناقد من القيام بهذه العملية التوثيقية فإنه يحتاج إلى أن يصل إليه الإسناد بمادته الأصلية دون تحريف، ومن ثم يتاح له إعمال النظر في أحوال الرواة بمقتضى نظرية الجرح والتعديل التي ستأتي بعد هذا الباب.

لكن التوثيق الخاص بمادة الإسناد يصطحب الرواية منذ حدوثها إلى تدوينها.

وسنعرض على النحو الآتي:

أولا: توثيق المشاهد للواقعة (الطرف الأول من الإسناد).

استقرت كلمة المحدثين على ضرورة أن يكون المشاهد للواقعة في حالة تسمح له بروايتها دون أي عوائق تؤثر في صحة المشاهدة.

وعبروا عن ذلك بضرورة وجود صفة التمييز أي فهم الخطاب ورد الجواب.

قال ابن الصلاح بعد أن ذكر خلاف المحدثين في سن التحمل: « والذي ينبغي في ذلك أن يعتبر في كل صغير حاله على الخصوص، فإن وجدناه مرتفعا عن حالة من لا يعقل فهما للخطاب وردا للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه وإن كان دون خمس سنين، وإن لم يكن كذلك لم نصحح سماعه وإن كان ابن خمس بل ابن خمسين». [١٢]

والتمييز الذي اشترطه المحدثون في مشاهد الواقعة يتناسب طردا مع نوع الحادثة التي شاهدها، فلا يجدي مجرد التمييز في وصف حرب أو معركة أو واقعة معقدة التفاصيل.

لذلك أحال المحدثون روايات عبد الله بن عباس للوقائع المكية إلى روايات صحابة أخذ عنهم ابن عباس لأنه لم يكن في سن تتيح له أن يروي ويصف بعض الوقائع المعقدة وهو إذ ذاك بمكة صغير. [١٣]

وهذا الشرط الذي وضعه المحدثون أدق من الأسئلة غير المنطقية التي يضعها لانجلوا وسينوبوس في عملية النقد الباطني السلبي، لأن شرط المحدثين عام، ثم تراعى خصوصيات كل واقعة بما يناسبها، أما أسئلة أصحاب النقد التاريخي فإنها قد تكون عقيمة أو معقدة في بعض الظروف. [١٤]

أما عمليات فحص حالة الراوي المشاهد للواقعة فسيأتي تناولها في نظرية الجرح والتعديل، لكننا نشير ههنا إلى أن الخطأ المحتمل في مشاهدة الواقعة وارد على كل الرواة بما فيهم الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا أمر منفصل عن قضية عدالة الصحابة.

ثانيا: توثيق نقل الرواية عبر طبقات السند.

تعتبر هذه المرحلة من أكثر المراحل صعوبة وتعقيدا، لأنها تتناول كل طبقات السند حتى يتم تدوين الرواية، والمطلوب تحصيل أعلى قدر ممكن من الدقة والأمانة في نقل الرواية عبر طبقات السند.

ويلاحظ أن التوثيق ينصب على الإسناد بالدرجة الأولى، أما الرواية نفسها أو الواقعة أو المتن (كما يسميه المحدثون) فهي تابعة للسند، لذلك كان الحرص على توصيل الإسناد بكامل الفنيات التي مارسها الرواة في التوثيق لتصل للناقد دون تحريف.

وفي سبيل ذلك حرر المحدثون كيفيات نقل الرواية وبينوا الصفة المعتبرة منها وغير المعتبرة.

وحاصل كيفيات الرواية تعود إلى طريقتين:

الطريقة الأولى: الأخذ المباشر بين الرواة، بمعنى سماع الرواية على وجه التحقيق بالمشافهة بينهم وتتفرع إلى طريقتين أيضا:

الأولى: سماع التلميذ لفظ شيخه، سواء كان إملاء من الشيخ أو بدون إملاء. [١٥] وسواء كان من كتاب الشيخ أو من حفظه. وهذه الطريقة هي أرفع الأقسام وأعلاها عند المحدثين.

واصطلحوا لهذه الطريقة ألفاظا خاصة تدل عليها مثل: سمعت وسمعنا وحدثني وحدثنا واخبرني واخبرنا [١٦] وأنبأني وأنبأنا. [١٧]

وهم تفريق بين ما يسمع في وقت التعليم والرواية المعتبرة وبين ما يسمع في وقت المذاكرة أي المباحثة، واستحبوا التمييز باصطلاح معين. [١٨]

الثانية: القراءة على الشيخ ويسميها أكثر المحدثين "عرضا" سواء قرأ التلميذ بنفسه على الشيخ أو قرأ غيره وهو يسمع من كتاب أو من حفظ سواء حفظ الشيخ أم لم يحفظ، غير أنهم اشترطوا إذا لم يكن الشيخ حافظا أن تكون القراءة عليه من كتاب ويكون الكتاب بيد موثوق به، إلا لم تعتبر الرواية. [١٩]

وللمحدثين تدقيقات في هذا الباب تدل على كمال الإتقان، فمن ذلك أنه إذ كثر التلاميذ واحتج الشيخ إلى مستمل ليسمع من بعد فإن التلميذ لا يجوز له أن يروي الكلام عن شيخه إذا سمعه من المستملي، وألزمه النقاد أن يبين ما هو من سماعه من الشيخ وما هو من سماعه من المستملي. [٢٠] والعجيب أن هذا التيقظ والإتقان كان موجودا منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ففي صحيح البخاري [٢١] عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « يكون اثنا عشر أميرا» فقال كلمة لم أسمعها، فسألت أبي، فقال: « كلهم من قريش» فقد بين جابر ما كان سماعه وما كان من سماع غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الطريقة الثانية: الأخذ بغير طريق المشافهة. مثل الإجازة بالرواية على أنواعها [٢٢]، والمناولة [٢٣]، والكتابة [٢٤]، والإعلام [٢٥]، والوصية [٢٦]، والوجادة [٢٧].

ولقد تناول المحدثون قضية التحمل والداء، والدقة في تبليغ صيغهما لأجل نقل الإسناد بحاله إلى التاقد حتى يتهيأ له أكبر قدر من الملاحظة المباشرة، مع أن الفارق بينهما ضعيف، ومن قبله منعوا منعا جازما استبدال "حدثنا" بـ "عن"، لأن ذلك يؤثر فيما لو كان الراوي مدلسا. [٢٨]

ولقد كانت هذه السلسلة من الاحتياطات الدقيقة جزءا من عمليات التوثيق المتعاقبة، والتي تحتف بالرواية منذ حدوثها حتى تدوينها وتداولها.

وهذا كله تمهيد لعملية النقد التي سيجريها الناقد من خلال آليات أخرى أكثر تعقيدا وسنتعرض لها في محلها من نظريتي: الجرح والتعديل، والعلل.

فإذا دونت الرواية في كتاب واستقر نقل تلك الرواية عن طريق الكتاب، فإن المحدثين جعلوا للنقل والرواية حينئذ آلية توثيقية أخرى، هي القسم الثاني من عمليات التوثيق التي تستمر في سلسلة الإسناد حتى منتهاه.

القسم الثاني : توثيق الرواية منذ تدوينها إلى نشرها وتداولها عن طريق الأوساط العلمية.

تمر هذه العملية بمرحلتين :

المرحلة الأولى: ضبط مادة الكتاب (الوثيق) عن طريق إتقان كتابة محتوياتها ومقابلتها على النسخ الصحيحة المعتمدة.

المرحلة الثانية: المحافظة على تداول الكتاب رسميا عن طريق سماعه كله أو بعضه أو التنصيص عليه في الإجازات [٢٩].

المرحلة الأولى: ضبط مادة الكتاب

إن الفنيات التي ابتكرها المحدثون لكتابة المصنفات ونسخها نعطيهم سبقا تاريخيا يقينيا في ابتكار قواعد الكتابة والإملاء [٣٠] .

ولم يكن هذا الأمر مجرد هواية، بل تقليدا عميا منصوصا عليه- بتفاصيله- في مؤلفات القوم [٣١].

يقول ابن الصلاح:"ثم إن على كتبة الحديث وطلبته صرف الهمة إلى ضبط ما يكتبونه أو يحصلونه بخط الغير من مروياتهم على الوجه الذي رووه شكلا ونقطا يؤمن معهما الالتباس، وكثيرا ما يتهاون بذلك الواثق بذهنه وتيقظه، وذلك وخيم العاقبة، فإن الإنسان معرض للنسيان، وأول ناس أول الناس، وإعجام المكتوب يمنع من استعجامه، وشكله يمنع من إشكاله" [٣٢].

ويفيد هنا أن نذكر بعض تلك التفصيلات الفنية التي نص عليها المحدثون ليتبين لنا مستوى التوثيق في هذه المرحلة [٣٣].

يقول ابن الصلاح [٣٤]: وهذا بيان أمور مفيدة في ضبط الكتاب:

أحدهما: ينبغي أن يكون اعتناؤه من بين ما يلتبس بضبط الملتبس من أسماء الناس أكثر، فإنها لا تستدرك بالمعنى ولا يستدل عليها بما قبل وبعد.

الثاني: يستحب في الألفاظ المشكلة أن يكرر ضبطها، بأن يضبطها في متن الكتاب ثم قبالة ذلك في الحاشية مفردة مضبوطة، فإن ذلك أبلغ في إبانتها وأبعد من التباسها.

الثالث: يكره الخط الدقيق من غير عذر يقتضيه، والعذر في ذلك مثل أن لا يجد في الورق سعة أو يكون رحالا يحتاج إلى تدقيق الخط ليخف عليه محمل كتابه ونحو هذا.

الرابع: يختار له في خطه التحقيق(التأني في الكتابة) دون المشق(السرعة في الكتابة).

الخامس: كما تضبط الحروف المعجمة بالنقط كذلك ينبغي أن تضبط المهملات غير المعجمة بعلامة الإهمال لتدل على عدم إعجامها.

السادس : ينبغي أن يصطلح مع نفسه كتابه بما لا يفهمه غيره فيوقع غيره في حيرة، كفعل من يجمع في كتابه بين روايات مختلفة ويرمز إلى رواية كل راو بحرف واحد من اسمه أو حرفين وما أشبه ذلك.

السابع: ينبغي أن يجعل بين كل حديثين دائرة تفصل بينهما وتميز.

الثامن: يكره له في مثل "عبد الله بن فلان بن فلان" أن يكتب "عبد" في آخر سطر والباقي في أول السطر، وكذلك في سائر الأسماء المشتملة على التعبيد لله تعالى .

التاسع: المختار في كيفية تخريج الساقط في الحواشي – ويسمى اللحق بفتح الحاء – أن يخط من موضع سقوطه من السطر خطا صاعدا إلى فوق ثم يعطفه بين السطرين عطفه يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق، ويبدأ في الحاشية بكتابة اللحق مقابل للخط المنعطف وليكن ذلك في حاشية ذات اليمين، وإن كانت تلي وسط الورقة إن اتسعت له فليكتبه صاعدا إلى أعلى الورقة لا نازلا به إلى أسفل .

العاشر: من شأن الحذاق المتقنين العناية بالتصحيح والتضبيب أو التمريض .

أما التصحيح فهو كتابة " صح " على الكلام أو عنده، ولا يفعل ذلك إلا فيما صح رواية ومعنى غير انه عرضة للشك أو الخلاف فيكتب عليه " صح " ليعرف انه لم يغفل عته ، وأنه قد ضبط وصح على ذلك الوجه.

وأما التضبيب ويسمى أيضا التمريض فيجعل على ما صح وروده كذلك من جهة النقل غير انه فاسد لفظا أو معنى أو ضعيف أو ناقص، مثل أن يكون غير جائز من حيث العربية أو يكون شاذا عند أهلها يأباه أكثرهم أو مصحفا، أو ينقص من جملة الكلام كلمة أو أكثر وما أشبه ذلك، فيمد – على ما هذا سبيله – خط أوله مثل الصاد ولا يلزق بالكلمة المعلم عليها كيلا يظن ضربا، وكأنه صاد التصحيح بمدتها دون حائها كتبت ليفرق بين ما صح مطلقا من جهة الرواية وغيرها وبين ما صح من جهة الرواية دون غيرها فلم يكمل عليه التصحيح، وكتب حرف ناقص على حرف ناقص إشعارا بنقصه ومرضه مع صحة نقله وروايته وتنبيها بذلك لمن ينظر في كتابه على انه قد وقف عليه ونقله على ما هو عليه، ولعل غيره قد يخرج له وجها صحيحا أو يظهر له، بعد ذلك في صحته ما لم يظهر له الآن، ولو غير ذلك وأصلحه على ما عنده لكان متعرضا لما وقع فيه غير واحد من المتجاسرين الذين غيروا وظهر الصواب فيما أنكروه والفساد فيما أصلحوه [٣٥].

الحادي عشر: إذا وقع في الكتاب ما ليس منه فإنه بنفي عنه بالضرب أو الحك أو المحو، أو غير ذلك، والضرب خير من الحك والمحو، وقد اعتبر المحدثون الحك تهمة.

الثاني عشر: ليكن فيما تختلف فيه الروايات قائما بضبط ما تختلف فيه في كتابه جيد التمييز بينها كيلا تختلط وتشتبه فيفسد عليه أمرها.

وسبيله أن يجعل أولا متن كتابه على رواية خاصة ثم ما كانت من زيادة لرواية أخرى ألحقها، أو من نقص اعلم عليه، أو من خلاف كتبه إما في الحاشية و إما غيرها معينا في كل ذلك من رواه ذاكرا اسمه بتمامه، فإن رمز إليه بحرف أو أكثر فعليه أن يبين المراد بذلك في أول كتابه أو في آخره كيلا يطول عهده به فينسى أو يقع كتابه إلى غيره فيقع من رموزه في حيرة وعمى" [٣٦] .

العرض والمقابلة:

ثم تأتى خطوة مهمة في هذه المرحلة من ضبط الكتاب وهي خطوة عرضه على اصل صحيح ونسخة معتمدة . يقول ابن الصلاح [٣٧]:

على الطالب مقابلة كتابه بأصل سماعه وكتاب شيخه الذي يرويه عنه وإن كان إجازة، روينا عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال لابنه هشام: كتبت ؟ قال: نعم، قال: عرضت كتابك؟ قال : لا، قال: لم تكتب.

ثم إن أفضل المعرضة أن يعارض الطالب بنفسه كتابه بكتاب الشيخ مع الشيخ في حال تحديثه إياه من كتابه لما يجمع ذلك من وجوه الاحتياط والإتقان من الجانبين... والصحيح انه لا يشترط أن يقابله بنفسه بل يكفيه مقابله نسخته بأصل الراوي وإن لم يكن ذلك حالة القراءة وإن كانت المقابلة على يدي غيره إذا كان ثقة موثوقا بضبطه، وجائز

أن تكون مقابلته بفرع قد قوبل المقابلة المشروطة بأصل شيخه : أصل السماع، وكذلك إذا قابل بأصل أصل الشيخ المقابل به أصل الشيخ لأن الغرض المطلوب أن يكون كتاب الطالب مطابقا لأصل سماعه وكتاب شيخه، فسواء حصل له ذلك بواسطة أو بغير واسطة.

ولا يقلد غيره ولا يكون بينه وبين كتاب الشيخ واسطة وليقابل نسخته بالأصل بنفسه حرفا حرفا حتى يكون على ثقة ويقين من مطابقتها له، لكن هذا من طريقة أهل التشديد التي لم تستخدم في العصور المتأخرة [٣٨].

أما إذا لم يعارض كتابه بالأصل أصلا فلا يجوز رواية الكتاب إلا بثلاثة شروط:

- الشرط الأول: أن تكون نسخته نقلت من الأصل .
- الشرط الثاني: أن يكون ناقل النسخة من الأصل غير سقيم النقل بل صحيح النقل قليل السقط [٣٩].
- الشرط الثالث :ثم إذا نسخ الكتاب فلا ينقل سماعه إلى شئ من النسخ أو يثبته فيها عند السماع ابتداء إلا بعد المقابلة المرضية بالمسموع كيلا يغتر أحد بتلك النسخة غير المقابلة إلا أن يبين مع النقل وعنده كون النسخة غير مقابلة. وبعد هذه العملية التوثيقية تأتي مرحلة أكثر دقة ومشقة وهي سماع الكتاب على الشيخ إما بالقراء عليه أو السماع من لفظه أو من لفظ من يقرأ عليه [٤٠].

السماع

لقد جرت سنة المحدثين السلف أن يتلقوا الحديث عن شيوخهم سماعا بالإسناد المتصل من شيوخهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لما ألفت الكتب – طبعا – أسانيد من طريق شيوخه أيضا تصله بالنبي صلى الله عليه وسلم، فيتم لهم اتصال السند بالنبي صلى الله عليه وسلم عن هذا المنوال.

وهذه السنة أو الطريقة في تلقي الحديث الشريف وكتبه بالسند لا تكاد تتخلف عن كتاب من كتب السنة المطهرة، صغر ذلك الكتاب فجاء في صفحات معدودة أو كبر فجاء في مجلدات ضخام تبلغ العشرة أو العشرين أو تنقص قليلا أو تزيد قليلا.

فالأجزاء الحديثية – وهي ما يبلغ الواحد منها تقديرا نحو عشرين صفحة أو أكثر أو أقل – والكتب الحديثية – وهي ما يبلغ الواحد منها المجلد أو المجلدات الكثيرة – كلها تتجلى بإسناد سماعها من مؤلفها أو ممن روى عن مؤلفها من قرب أو بعد، فتكون تامة الصلة بين مؤلفها وراويها أو رواتها عنه، بشكل مطمئن إلى صحة نسبتها ونقلها وتلقيها وضبطها. [٤١]

ومن المهم أن ننقل هنا نموذجا من تلك السماعات التي تبين مستوى ما وصل إليه جهود المحدثين في توثيق النصوص وحفظها من الانتحال والتحريف.

سماع سنن البيهقي.

سنن البيهقي.. هذا الكتاب العظيم، والديوان الحديثي الفقهي الاستدلالي الحافل الضخم الكبير النادر المثال، يأتي في حوالي عشرة مجلدات ضخام، هذا الكتاب الضخم الفخم حظي بعناية الحافظ ابن الصلاح وقراءته وسماعه منه من أوله إلى آخره في ٧٥٧ مجلس، وسمع المجلد الثامن منه عدد كبير: ٩٣ محدثا في ٩٠ مجلسا في مدينة دمشق في دار الحديث الأشرفية، التي بناها الملك الأشرف رحمه الله تعالى، وكان الحافظ ابن الصلاح أول من درس الحديث فيها.

وقد حفظت سماعات سنن البيهقي على الحافظ ابن الصلاح بل وطبعت [٤٢]، ويمكننا أن نلاحظ فيها ما يلي:

١. الضبط لعدد مجالس السماع.

٢. تعيينها بخط الشيخ ابن الصلاح المقروءة عليه كالشهادة منه بذلك.

٣. ذكر السامعين منه بألقابهم وكناهم وأسمائهم وأنسابهم تعريفا بهم.

٤. ضبط أحوال السامعين: من سمع المجالس كلها بغير فوات، ومن سمعها بفوات، ومن سمعها مع نوم في بعضها أو إغفاء أحيانا، ومن سمعها وهو يتحدث خلال السماع، ومن سمعها وهو ينسخ خلال ذلك، ومن سمع وقد جمع كل ذلك وتعيين حال كل واحد منهم.

٥. تاريخ الفراغ من إسماع الشيخ ابن الصلاح هذا المجلد.

٦. تعيين المكان الذي أسمع فيه هذا الكتاب.

٧. تعيين اسم كاتب السماع ومثبت السماع وذكره أن محضر السماع المكتوب هو بخطه. [٤٣]

مؤلفات خاصة بكيفية السماع:

هذا وتجدر الإشارة إلى أن المحدثين أولوا قضية الرواية بالسماع أهمية قصوى واعتبروها من أهم وسائل توثيق الروايات لأنها سبيل حفظ النقل – الذي الإسناد آلته – من التحريف والتصحيف والانتحال.

لذلك ألف فيه العلماء على مدى القرون، واهتموا ببيان كل ما له علاقة بحفظ السماع والرواية من شائبة الخطأ. ومن أهم من أفرد هذه المسألة بالتصنيف:

١. القاضي الحسن بن عبد الرحمان الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) حيث ألف كتابه: "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" ويعتبر من أقدم ما ألف في مصطلح الحديث.

٢. الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) حيث ألف كتابه: "الكفاية في علم الرواية" وكتابا آخر سماه "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع".

٣. القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) حيث ألف كتابه: "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع".

والملاحظ على المصنفات المذكورة الاهتمام بفنيات الرواية أكثر من الاهتمام بالنقد العلمي الحديثي، إن كانت مادة الكفاية للخطيب البغدادي أخذت من جانب الدراية (النقد) بنصيب لا بأس به، إلا أن اسم الكتاب مبني باتجاه التأليف فيه.

وقد صنف العلماء بمصنفات الخطيب في علوم الحديث، قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: "ولا شبهة عند كل لبيب أن المتأخرين من أصحاب الحديث عيال على أبي بكر الخطيب.

ونورد ههنا بعض الاصطلاحات الفنية التي ابتكرها المحدثون لدرء خطر الانتحال والتزييف [٤٤].

الرواية على الوجه:

والمقصود بذلك تحمل الرواية وأداؤها كاملة دون انتخاب أو اختبار .

وهو مأخوذ من قوله تعالى: " أن يأتوا بالشهادة على وجهها" [٤٥] أي كاملة دون انتقاص. وهو اصطلاح استخدمه المحدثون للدلالة على إتقان الراوي إذا كان دقيقا في حفظ ورواية مروياته [٤٦].

قال الخطيب البغدادي في كتابه: " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" [٤٧]: " باب: القول في انتقاء الحديث وانتخابه لمن عجز عن كتبه على الوجه واستيعابه.. ثم أورد بعض الآثار عن المحدثين وعلق قائلا: إذا كان المحدث مكثرا وفي الرواية متعسرا [٤٨] فينبغي للطالب ان ينتقي حديثه وينتخبه، فيكتب عنه ما لا يجده عند غيره ويتجنب المعاد من رواياته، وهذا حكم الواردين من الغرباء الذين لايمكنهم طول الإقامة والثواء، وأما من لم يتميز للطالب معاد حديثه من غيره وما يشارك في روايته فلأولى أن يكتب حديثه على الاستيعاب (أي على الوجه كما بوب) دون الانتقاء والانتخاب".

وفي كتاب المجروحين لابن حبان عن يحيى بن معين حين سئل عن سماعه لكتب حماد بن سلمة فقال:" سمعتها على الوجه من سبعة عشر نفسا" [٤٩].

الطباق [٥٠]

وهي الشهادة الخطية التي يثبتها الشيخ – الذي سمع عليه الكتاب- أو من ينوب مكانه في إثبات السماع ثم يوقع الشيخ على ذلك [٥١].

وتثبت هذه الشهادة في أول النسخة المسموعة على الشيخ [٥٢]، ويبين فيها أسماء من حضر السماع ومن غاب ومقدار الفوات في حق من حضر أو غاب، ويذكر مكان السماع وعدد مجالسه وتاريخ كل كما مثلنا في سماع سنن البيهقي على ابن الصلاح.

ويحفظ هذا الطباق مع النسخة المسموعة في خزانة المدرسة التي سمع فيها الكتاب، ولم يكن ذلك تقليدا رسميا في كل مدرسة لكنه انتشر في القرون المتأخرة فيما أظن، وقد كان ينشط بعض المجتهدين من طلبة العلم في كتب الطباق في نسخته مبنيا سماع من حظر ومن غاب، وكان هذا الطباق بمثابة الشهادات الدراسية الرسمية، بحيث يجب على من

حاز الطباق أن يبذل النسخة المسموعة المضبوطة لمن حضر السماع وورد اسمه في الطباق.

وبلغت أهمية الطباق أن من كان يمنع هذا الإثبات يلجأ إلى القضاء لينتزع له حقه في نسخ الكتاب المسموع. [٥٣]

فمن ذلك أن رجلا قدم رجلا إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي، فادعى عليه أن له سماعا في الحديث في كتابه وأنه قد أبى أن يعيره، فسأل إسماعيل المدعى عليه، فصدقه وقال: له في كتابي سماع ولست أعيره، فأطرق إسماعيل مليا، ثم رفع رأسه إلى المدعى عليه، فقال له: عافاك الله، إن كان سماعه في كتابك بخطك فيلزمك أن تعيره، وإن كان سماعه في كتابك بخطك فيلزمك أن تعيره، وإن كان سماعه في كتابك بخط غيرك فأنت أعلم. قال: سماعه في كتابي. بخطي ولكنه يبطئ برده علي، فقال: أخوك في الدين، أحب أن تعيره، وأقبل على الرجل فقال: إذا أعارك شيئا فلا تبطئ به. [٥٤]

قال الأستاذ أبو غدة: ويتجلى للقارئ من هذه الوقائع والأقضية قيمة (السماع) العلمية ، فغن السماع شهادة صادقة تمثل الكلمة العلمية المنقولة توثيقا وتحقيقا وفهما وضبطا وتحملا و أداء وإذا كانت الأسانيد انساب الكتب فالسماعات هي البينات الناطقة وشهادات العدول الثقات لها، فلذا كان الحرص عليها شديدا، وتدخل القضاء في الحكم فيها كما علمت [٥٥].

كيفية كتابة الطباق

في مقدمة ابن الصلاح:" ذكر الخطيب الحافظ أنه ينبغي للطالب أن يكتب بعد البسملة اسم الشيخ الذي سمع الكتاب منه وكنيته ونسبه ثم يسوق ما سمعه منه على لفظه، قال: وإذا كتب الكتاب المسموع فينبغي أن يكتب فوق سطر التسمية أسماء من سمع معه وتاريخ وقت السماع، وإن أحب كتب ذلك في حاشية أول ورقة من الكتاب فكلا قد فعله شيوخنا [٥٦] . ثم يعقب ابن الصلاح قائل: كتبة التسميع جنب ذكره أحوط له وأحرى بأن لا يخفى على من يحتاج إليه، ولا بأس بكتبته آخر الكتاب وفي ظهره وحيث لا يخفى موضعه، وينبغي أن يكون التسميع بخط [٥٧] شخص موثوق به غير مجهول الخط ولا ضير حينئذ في ألا يكتب الشيخ المسمع خطه بالتصحيح. وهكذا لا بأس على صاحب الكتاب إذا كان موثوقا به أن يقتصر على إثبات سماعه بخط نفسه، فطال ما فعل الثقات ذلك [٥٨] .

قال السيوطي:وينبغي لكتاب الطباق أن يكتب إجازة الشيخ عقب كتابة السماع، وذلك لاحتمال وقوع شئ من الانشغال من المستمعين أو العجلة أو الهيمنة فينجبر بذلك(أي ينجبر النقص في السماع بالإجازة فيسوغ أن يروي الكتاب بعدئذ) [٥٩] .

قال ابن الصلاح :" ثم إن على كاتب التسميع التحري والاحتياط وبيان السامع والمسموع منه بلفظ غير محتمل، ومجانبة التساهل فيمن يثبت اسمه، والحذر من إسقاط اسم واحد

منهم لغرض فاسد. فإن كان مثبت السماع غير حاضر في جميعه لكن أثبته معتمدا على إخبار من يثق بخبره من حاضريه فلا بأس بذلك إن شاء الله" [٦٠].

أي يجوز لكتاب الطباق أن يعتمد على إخبار الثقات بحضور البعض ليثبت أسماءهم في الطباق.

منهج المحدثين في نقد الإسناد:

قد آل بنا البحث إلى ضرورة معرفة منهج المحدثين في نقد الإسناد وما هي قواعدهم وأصولهم في هذا المضمار؟

وسبق أن عرفنا في ضوء عرض نظرية الإسناد عند المحدثين أن النقد قد وجدله مجال يمكن أن يمارس فيه على أساس يشبه الملاحظة والتجربة، وقد احتف بذلك جملة من القواعد العملية في الجرح والتعديل والعلل (يأتي الكلام عليها)... كل ذلك صاغه المحدثون في سياق منظومة واضحة للنقد العلمي.

لكننا نجتزئ هنا ما له علاقة مباشرة بالإسناد الفرد، وذلك أن منهج النقد عند المحدثين يتدرج من البسيط إلى المركب على نسق تصاعدي.

ثم نعرج بعد ذلك على منهجهم في دراسة الأسانيد المتعددة أو المركبة لنصل إلى فهم تلك المنظومة من النقد العلمي للإسناد عند المحدثين.

وقد نص المحدثون على شروط السند الصحيح الذي يعتبر من المقبول في حيز الاحتجاج.

فاشترطوا له شروطا تتعلق بسلامة ظاهر السند من القوادح الواضحة، وهي:

١. أن يكون السند متصلا بين رواته.

٢. أن يرويه العدول الذين لا قدح في ديانتهم والضابطون الذين لا قدح في حفظهم.

وشرطان لبلوغه درجة الصحة التامة ومرتبة صلاحية الاحتجاج به، وهو من أدق شروطهم في هذا الباب. وهو: أن يكون سالما من الشذوذ والعلة. [٦١]

وعلى ضوء هذه الشروط انبنى نقد المحدثين للأسانيد، حيث اعتبروا الصفات التي تقدح في ظاهر الإسناد إما أن ترجع إلى اتصال السند أو إلى اختلال في عدالة الرواة وضبطهم.

وسنتحدث إن شاء الله عن منهجهم في معرفة عدالة الرواة وضبطهم عند الكلام عن نظرية الجرح والتعديل.

أما الآن فنبسط الكلام في الصفات التي تقدح في شرط سلامة ظاهر الإسناد، وهو سقط الرواة. [٦٢]

والسقط الذي يطرأ على السند أخذ صورا متعددة يمكن حصرها في صورتين:

الأولى: السقط الواضح ويشتمل الصور الآتية:

١. الإسناد المنقطع.

٢. الإسناد المعضل.

٣. الإسناد المرسل.

٤. الإسناد المعلق.

الثانية السقط الخلفي ويشتمل:

- الإرسال الخفي.
- المدلس.

وتأتي قوادح أخرى في السند لكنها لا تعرف في السند الواحد بمفرده بل عن طريق الموازنة بين الأسانيد، ومن صور تلك القوادح:

١. الشذوذ والنكارة والعلة، وسيأتي الكلام فيها عند مباحث نظرية العلم.

٢. الزيادة في الأسانيد والاضطراب والإدراج والقلب. وسيأتي الكلام فيها عند الكلام عن منهج المحدثين في نقد ودراسة الأسانيد المتعددة.

أما القوادح الظاهرة [٦٣] المتعلقة بالسقط في الإسناد المفرد فهي ما يلي:

١. الانقطاع: وهو سقط راو واحد في السند بحيث يظهر أن أحد الرواة لا يعاصر من فوقه بحال.

٢. الإعضال: وهو سقط راويين في السند على التوالي.

٣. الإرسال: وهو سقوط الصحابي بين التابعي والنبي صلى الله عليه وسلم.

٤. التعليق: وهو سقوط راو أو أكثر من بداية السند خاصة.

كيفية معرفة السقط الظاهر في الإسناد

استعان المحدثون منذ وقت مبكر بمعرفة تواريخ المواليد والوفيات لكل راو، فما من راو إلا وقد ذكروا ذلك في ترجمته – إلا القليل النادر جدا – فاستخدموا هذا التاريخ في كشف الاتصال بين الرواة.

يقول السيوطي: " هو فن به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين.. سأل الحاكم محمد ابن حاتم الكسي عن مولده لما حدث عن عبد ابن حميد، فقال: سنة ستين ومائتين، فقال: هذا سمع من عبد بعد موته بثلاث عشرة سنة."

قال حفص بن غياث القاضي: إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين يعني سنه وسن من كتب عنه.

وقال سفيان الثوري: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ. وقال: حسان بن يزيد: لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، نقول للشيخ: سنة كم ولدت؟ فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه. [٦٤]

تتبع الأسانيد لمعرفة الأخطاء

وعن طريقة التتبع للطرق والمعرفة التامة بالأسانيد وعللها استطاع النقاد من المحدثين معرفة القوادح الأخرى مثل:

١- الإرسال الخفي: وهو الانقطاع ما بين الراويين مع ثبوت المعاصرة كل منهما للآخر لعدم السماع مع ثبوت اللقاء، أو لعدم سماع ذلك الخبر بعينه مع سماع غيره.

وطريق معرفة ذلك:

أ- إما بنص الأئمة عليه.

ب- بإخبار الراوي عن نفسه.

ج- لمجيئه من وجه آخر بزيادة شخص في السند. [٦٥]

وقد يأتي إسناد على العكس من الإسناد الذي فيه إرسال خفي وهو أن يأتي بزيادة في طبقة من طبقات السند، فقد تكون هذه الزيادة وهما من أحد الرواة فيبين النقاد ذلك. [٦٦]

وقد يشتبه الأمر على من لا اضطلاع له بين الإرسال الخفي الذي هو نقص في الإسناد وبين المزيد في الأسانيد لأنه ربما كان الحكم للزائد وربما كان للناقص والزائد وهم، ولا يدرك ذلك إلا النقاد. [٦٧]

٢- التدليس: هو أن يروي الراوي عمن سمع منه ما لم يسمع منه من غير أن يذكر أنه سمعه منه، قال أبو الحسن القطان: والفرق بينه وبين الإرسال الخفي أن الإرسال روايته عمن لم يسمع منه.

ويستخدم الراوي المداس لفظا لا يقتضي التصريح بالسماع نحو: "عن" أو" أن فلانا قال".

والذي استقر عليه منهج المحدثين في النقد أن المدلس إذا كان ثقة فما رواه بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع فحكمه حكم المرسل، وما بينه كسمعت وحدثنا وأخبرنا وشبهها فمقبول محتج به [٦٨] ولا بد في هذا الباب أيضا من تتبع الأسانيد والطرق لأنه قد يصرح المدلس الثقة بالسماع في طريق ولا يصرح به في آخر فالاكتفاء بالطريق الواحد في الحكم على المدلس لا يكفي. [٦٩]

٣-الاضطراب: وهو الذي يروي على أوجه مختلفة من راو واحد مرتين أو أكثر أو من راويين أو رواة مع التساوي حيث لا مرجح.

فإن رجحت إحدى الروايات بحفظ راويها أو كثرة صحبته أو غير ذلك من وجوه الترجيحات فالحكم للرواية الراجحة ولا يكون الحديث مضطربا. [٧٠]

وسبيل معرفة ذلك أيضا هو جمع الطرق والموازنة بينها.

٤-الإدراج: وهو أن يذكر الراوي كلاما لنفسه أو لغيره فيرويه من بعده متصلا بالحديث من غير فصل فيتوهم أنه من تتمة الحديث.

ويدرك ذلك بوروده منفصلا في رواية أخرى أو بالتنصيص على ذلك من الرواية أو بعض الأئمة المضطلعين أو باستحالة كونه صلى الله عليه وسلم يقول ذلك. وقد يكون الإدراج في السند أيضا.

٥-والإدراج كله حرام، قال السمعاني: "من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة وممن يحرف الكلمة عن مواضعه وهو ملحق بالكذابين" [٧١].

٦-القلب:وهو أن يكون الحديث مشهورا براو فيجعل مكانه أخرا في طبقته وقد يقع القلب في المتن أيضا بتبديل جملة مكان أخرى.

وقد يقع القلب قصدا ويسميه المحدثون سرقة الحديث، وقد يقع غلطا، وعلى الاحتمالين فهو خطأ بقدح في الحديث، وقد أفرغ المحدثون جهدهم في تتبع ذلك عن طريق التفتيش في الأسانيد و الطرق . [٧٢]

وبقي من القوادح:الشذوذ و العلة و النكارة و سنفردها بالحديث إن شاء الله في نظرية العلة.

ونشير هنا إلى أن تتبع الأسانيد والطرق ليس مقصودا لذاته،ولاكن بقصد الموازنة بينها والمقابلة بين أفرادها لتلمس وجه الخطأ فيها وسنتعرض لتفصيل ذلك عند الفصل الخاص بمرتكزات المركز إن شاء الله تعالى.

الحديث المرسل و موقف المحدثين منه [٧٣]

لقد كان الحديث المرسل من أكثر الإشكاليات تعقيدا في نظرية الإسناد، ولم أقف حتى الآن على دراسة تفسير وجود المرسل أو جنوح البعض للاحتجاج به مع استقرار نظرية الإسناد في وسط المحدثين.

وسنحاول من خلال هذا المبحث أن نتعقب نشأة الحديث المرسل وقضية الاحتجاج به لنحاول معالجة هذه الإشكالية في ضوء منهج النقد عند المحدثين.

لقد علمنا أن الإسناد نشأ مع انتشار النصوص الشرعية في عهد النبوة ووجدت النصوص التي تحصن على تبني مفهوم نظرية الإسناد.

لكن اعتماد التنصيص على رجال السند أمر لم يستقر في العهد المبكر لنشوء نظرية الإسناد، فكان الإسناد موجودا على الحقيقة ولكن في مقام الرواية كان يحدث بعض التساهل في ذكر السند.

وأساس ذلك أن الرعيل الأول لم يعرف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل احتاط من ذلك اشد الحيطة وخاف منه أشد الخوف حتى إنهم أقلوا من الرواية حذرا من الوقوع في الخطأ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عبد الله بن الزبير لأبيه (الزبير بن العوام): إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان ، قال : أما وإني لم أفارقه، ولكني سمعته يقول : "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار" [٧٤].

وقال ابن أبي ليلى : كنا إذا أتينا زيد بن أرقم، فنقول : حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: " إنا قد كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد". [٧٥]

وقال شُرَحْبيل بن السمط لكعب :" يا كعب ابن مرة حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر". [٧٦] وكان عمران ابن الحصين يتجنب التحدث كثيرا لئلا يقع في الخطأ [٧٧].

وكان بعضهم يثق في رواية بعض، وعولوا على رواية من كان يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان لا يحضر انشغالا بجهاد أو معاش أو نحو ذلك.

قال البَراء بن عازب:" ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب" [٧٨].

وهذه الثقة في عدم وجود من يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلتهم يحدثون عن الوسائط ثم يرفعون الحديث دون ذكر هذه الوسائط لأنه تحصيل الحاصل.قال انس ابن مالك :" ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضا" [٧٩]

وليس معنى هذا أن كل ما حدثوه كان عن وسائط فهذا مستحيل يمنعه استقراء بسيط لصيغ التحمل التي استخدموها مثل قولهم سمعت رسول الله ، رأيت رسول الله، سألت رسول الله، ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن هذا لا يمنع أن للصحابة مراسيل اسقطوا فيها الوسائط، ولم تكن تلك الوسائط إلا صحابة أيضا – لأنه يبعد أن يروي صحابي فيها حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولذلك أجمع نقاد الحديث على قبول مراسيل الصحابة لاحتجاج بها، ومنع الاحتجاج بمراسيل الصحابة قول مرذول قالت به شرذمة لا تنتمي إلى المحدثين فلا يعتد بمخالفتهم في استقراء منهج المحدثين [٨٠].

فلما جاء عصر التابعين جروا على هذا المنهج في الوثوق بصحابة رسول الله صلى الله عليه ، وكان ذلك بصورة قليلة ومن بعض التابعين- كبارهم على الخصوص- وليس جميعهم.

فلما وقعت الفتن في أواخر عهد الصحابة وبداية انقراض وجودهم وابتدأ ظهور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف التابعون جميعا وقف حازمة من قضية الإرسال وإسقاط الواسطة وابتدأ التنصيص على رجال السند جميعا كأنه واجب يقتضيه تبليغ الحديث نفسه [٨١] .

ولكن عجزوا عن تداول ما حدثوا به من قبل على صفة الإرسال فمنهم من صار ينص على الصحابي الذي كان يسقطه ومنهم من كان يشك هل سمعه من صحابي أو غيره صحابي فيسكت عما أرسله قديما [٨٢] فبقيت روايته المرسلة متداولة على إرسالها، ومن أسند شاعت روايته المرسلة المسندة، ومن التابعين من كان يثق في من يروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا وإن لم يكن صحابيا فلما حدثت الفتن ارتابوا فيما رووه عن المجاهيل فلم يعودوا لرواية ما سمعوه عنهم لكن كانت مراسيلهم تلك قد انتشرت أيضا [٨٣].

وعلى هذا يمكننا تقسيم أنواع المراسيل من حيث رجوع أصحابها عن روايتها على صورة الإرسال إلى ثلاثة أقسام :

الأول : مراسيل من كان لا يرسل إلا عن صحابي ، فكان يرسل تارة ويسند تارة ، فلما حدثت الفتن وظهر الكذب امتنع عن الإرسال ولم يحدث إلا بالمسند، وعلى هذا تحمل مراسيل سعيد ابن المسيب ، فإنه لم يكن يحتاج إلى الرواية عن التابعين وقد لقي العشرة المبشرين بالجنة فضلا عن المئات من الصحابة [٨٤]، ولذلك عندما تتبع المحدثون مراسيله وجدوها مسندة.

الثاني: مراسيل من كان يشك أو كان يحدث أحيانا من غير الصحابة فلما امتنع عن الإرسال لم يسند إلا ما تيقن أنه عن صحابي، ومن بعده روى عنه على هيئة الإرسال دون أن يوجد له طريق مسند، وعلى ذلك تحمل مراسيل مثل الحسن البصري، فإن منها مراسيل لم توجد لها طرف مسندة البتة [٨٥].

الثالث: مراسيل من كان يحدث عن بعض المجاهيل [٨٦] فلما احتاط امتنع عن تكرار التحديث عنهم لكن رويت عنه تلك الروايات وانتشرت على هيئة الإرسال وعلى ذلك تحمل مراسيل مثل الزهري والأعمش.

ويوجد احتمال رابع يشمل كل تلك الحالات،وهي أن المراسيل كانت أحاديث تروى في مقام المذاكرة السريعة أو الموعظة المختصرة فكانت السرعة والاختصار في الموعظة تتطلب اختصار السند فينتشر عندئذ على هيئة الإرسال.

لعل هذا التفسير لتاريخ الإرسال وأسبابه يبين علة وجود المرسل مع استقرار نظرية الإسناد.

ولا يمكننا أن نذهب إلى أن نظرية الإسناد لم تكن واضحة المعالم بعد، أو أن التابعين تهاونوا في تطبيقها، لأن كل من أن أرسل من التابعين فإرساله هو النادر وإسناده هو

الأكثر، فكيف نفسر الكثير بالقليل والنادر؟ إن الأوفق أن نحكم بالكثير على القليل لان النادر لا حكم له.

بل إن النظر السديد والتأمل العميق يؤدي إلى القول بان في وجود المرسل دليلا على استقرار نظرية الإسناد لا على اضطرابها وعدم وضوحها.

فاجتماعهم على تحبيذ الإسناد وعلى جعل المرسل هو الطارئ دليل على أنهم مزية الإسناد وفضيلته وما كان لأحد أن ينزع إلى المفضول مع قدرته على بلوغ الفاضل إلا عن ضرورة ملجئة أو علة وجيهة أو عذر من الأعذار يستوجب رفع المذمة ودرء النقيصة.

وهناك مسالك وجيهة لتفسير وجود المرسل لا يصح أن نضرب عن ذكرها صفحا، فإنها وإن كانت قاعدة عن تبرير جواز الإرسال صناعة إلا أنها ناهضة لتسويغ إعذار من أرسل تساهلا.

فمن ذلك ما روى الترمذي في العلل الصغير عن الأعمش قال: قلت لإبراهيم النخعي: أسند لي عن عبد الله ن مسعود، فقال: إبراهيم : إذا حدثتك عن الرجل عن عبد الله فهو الذي سميت، و إذا قلت: قال عبد الله فهو عن غير واحد [٨٧] .فهذا منهج خاص واصطلاح مستقل للنخعي في الإرسال، أنه لا يرسل إلا حين يستفيض الرواة في النقل عمن يروى دلالة على بلوغ المنتهى في الثقة بالمنقول فيرويه عنه على هيئة المرسل اطمئنانا إلى صحة واستغناء بشهرته عن إسناده.

وعلى هذا المسلك درج آخرون منهم الحسن البصري، قال الخطيب ابن ناصح: كان الحسن إذا حدثه رجل واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث ذكره، فإذا حدثه أربعة بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ألقاهم وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٨].

وروى ابن عبد البر عن الحسن البصري قال: ما حدثني به رجلان قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٩] . ومع ذلك كله فإن منهج النقد عند المحدثين لم يقف بوقف المتفرج تجاه هذه الإشكالية بل إنه تعامل معها بصرامة تتناسب وسمة التثبت التي اتصف بها هذا المنهج فلنستعرض كلام أصحاب المنهج في ذلك.

حكم الاحتجاج بالمرسل:

قال أبو داود في رسالته لأهل مكة:" أما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي حتى جاء الشافعي فتكلم فيه وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره.." [٩٠]

وقال ابن رجب الحنبلي في شرح العلل:" وقد ذكر ابن جرير وغيره أن إطلاق القول بأن المرسل ليس بحجة من غير تفصيل بدعة حدثت بعد المائتين " [٩١]. ويفهم من

كلام ابن جرير أن قبول المرسل بالقيود كان قولا مشهورا قبل المائتين،ثم نشأ قول برد المرسل مطلقا.

وما تحصل لي في هذه المسألة أن المرسل لم بتكلم فيه أحد بقبول أورد قبل الشافعي، وإنما كانوا يروون المرسل وهم يعملون انقطاع السند ولكنهم يحتجون بمضمونه فقط كما قال ابن رجب في شرح علل الترمذي.

ثم جاء الشافعي ورد المرسل مستثنيا مراسيل سعيد وبعض المراسيل التي تتوافر فيها شروط أخرى [٩٢].

لكن جل النقاد من مدرسة أهل الحديث رفض أي استثناء واعتبر الإسناد المرسل ناقصا غير مقبول حتى يرد كاملا موصولا من طريق أخرى، وما روى عن أحمد في قبوله بعض مراسيل التابعين أو الاحتجاج ببعض المراسيل التي توافرت فيها بعض الشروط فليس من باب صناعة الحديث أو النقد الحديثي، ولكن قاله تفقها لأنه كان يواجه مدرسة الرأي، فنظر بأن الأخذ والاحتجاج بصحاح المراسيل أولى من العمل بالرأي، وهذا معنى احتجاج الفقهاء بمضمون المرسل وليس اعتقادا منهم بصحة نسبة الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انقطاع السند.

وصفوة القول إن هناك فرقا بين الاحتجاج بالمرسل وبين صحة الحديث المرسل ، فالإسناد إذا صح إلى التابعي الذي لا يروي إلى عن صحابة أو توافر شروط أخرى تفيد الثقة بمراسيله يكون بذلك صالحا للاحتجاج ولكن لا يطلق ولكن لا يطلق القول بصحة الحديث من هذا الطريق المرسل، فالمرسل صورة ناقصة للإسناد ولم تختلف كلمتهم على ضعف الحديث المرسل، أي ضعف نسبته(كلاما) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما اعتماده (احتجاجا) بديلا عن الرأي فهذا عمل غالب المحدثين والفقهاء [٩٣] .

وبهذا التخريج يلتئم منهج النقد عند المحدثين ويتناسق ، ولا تبدو قضية المرسل فيه نشازا او شذوذا ينال من اتساق قواعده وأحكامه.

الخلاصة

١- قام منهج النقد عند المحدثين على أساس تحقيق اكبر قدر من الملاحظ المباشرة، وذلك عبر وجود الإسناد الذي هيأ للناقد تواصلا مع الرواية التاريخية لم يتوافر لمنهج النقد التاريخي عند الأوروبيين.

٢- موت عملية نقد الروايات وصيانتها من الانتحال بمرحلتين أتاحت توثيق الأسانيد بأكبر قدر ممكن من الاحتياط والتثبت والتدقيق حتى تصل (الأسانيد) إلى الناقد على وجه يتيح له الرواية من خلالها.

وهاتان المرحلتان هما :

١. توثيق الرواية منذ حدوثها إلى تدوينها

٢. توثيق الرواية منذ تدوينها إلى نشرها وتداولها عن طريق الأوساط العلمية .

٣- تظهر عبقرية منهج المحدثين من خلال الدقة المتناهية في الإرسال التي ابتكروها في تحمل وأداء الأسانيد وتصحيحها.

٤- تبنى منهج النقد عند المحدثين مبدأ البحث عن وجود سقط في الإسناد أو انقطاع بين الرواة، واعتبروا هذا القادح الظاهر سببا في اطراح الرواية لعدم وجود الاتصال في المسند وابتكروا لذلك طرقا فريدة في الكشف عن الانقطاع بين الرواة .

٥- وجدت أسباب تاريخية أدت إلى وجود صورة الحديث المرسل، وقد عالج المحدثون إشكالية المرسل لأنها تحتل خصوصية في سياق نظرية الإسناد، فاعتبروا هيئة الحديث المرسل مرفوعة من حيث صورة الإسناد المنقطع، لكنهم احتجوا بمضمون المرسل بشروط معينة.

---

[١] - مناهج البحث عند مفكري الإسلام . علي سامي النشار. ص٣٧٥

وينبغي الإشارة إلى خطأ الدكتور النشار في تصنيف علم مصطلح الحديث تحت المنهج الاستردادي باعتباره صنو المنهج البحثي التاريخي الحديث كما عرفه لانجلوا و سينوبوس، فمن عرضه يستبين أنه لم تحصل له صورة واضحة عن منهج المحدثين في النقد ا، إذ لم يزد على أن قال: " وقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل أليه علماء مناهج البحث التاريخي..." وأثبت مجرد السبق ، لكن منهج المحدثين تفرد بنظريات ومجالات لم يتطرق إليها المنهج الأوروبي أصلا كما أنه يخالفه في البيئة التي نشأ فيها ويفارقه ببعد ديني وعمق أخلاقي فريد.

[٢] - المدخل إلى الدراسات التاريخية لانجلوا سينوبوس.ص ٤٣

[٣] - السابق ص٩٠

[٤] - دراسات عن المؤرخين العرب. مرغليوث. ترجمة حسين نصار .ص.٣٠. وانظر التاريخ عند المسلمين . محمد عبد الغني حسن صفحات ٦٣،٦٧،،١١،٥٣. والواقع أن الحقيقة العلمية في يقينها بالنسبة للمشاهد والملاحظ ولغيره لا تختلف عن الرواية التاريخية، فقوانين الجاذبية مثلا يقينية في حق الممارس لها العارف بها، وإخباره عن يقينها للجاهل بها مثل إخبار المشاهد للواقعة التاريخية من لم يشاهدها. فارتدت المعرفة لدى كليهما بالنسبة لغير الملاحظ والمشاهد بنفسه إلى مجرد الإخبار، فلا بد من معايير النقد الأخلاقية التي انفرد بها منهج المحدثين.

[٥] - نزهة النظر شرح نخبة الفكر لبن حجر ص ٧٣

[٦] - السابق ص ٧٤-٧٧

[٧] - السابق ص ٧٧. ونسجل في المقابل، أن المنهج الأوروبي في النقد التاريخي لما كان استردادا فإنه انبنى على التركيب والتخييل، يقول سينوبوس في رسالة له في النقد التاريخي:" والمسلك الذي تفرضه طبيعة مادة المعرفة في التاريخ هو البدء من الوثيقة وهي الأثر المادي الوحيد عن الماضي ، ثم الارتفاع في سلسلة العمليات النفسية : الكتابة، اللغة، والمعنى المجازي والمعنى الحقيقي وتمثيل الشيء في نفس المؤلف حتى نصل إلى الواقعة التي= =عرفها " النقد التاريخي ترجمة عبد الرحمن بدوي ص (ج) ويراجع ما أشار إليه الأستاذ حسن الشافعي والأستاذ محمد الجليند من تأثر التفكير التاريخي الغربي بالرومانسية . المنطق و مناهج البحث . للأستاذين المذكورين ص ١٧١ فما بعدهما.

[٨] - المدخل إلى الدراسات التاريخية. لانجلوا وسينوبوس .ص.١٣٩

[٩] - السابق ص ٧١

[١٠] - رسالة سينوبوس في النقد بعثها لأحد أصدقائه وترجمها وطبعها عبد الرحمن بدوي ضمن مجموع النقد التاريخي ص (و).

[١١] - المقصود بالتوثيق في عرضنا لمنهج المحدثين : عملية التثبت واكتساب الثقة في الرواية ، وليس المراد المعنى اللغوي الظاهر أو الاصطلاحي في الجرح والتعديل وهو جعل أو اعتبار الراوي ثقة.وآثرنا استخدام هذا الاصطلاح الخاص للإيحاء بالمعنى العلمي المعاصر للتوثيق وهو فن معالجة المعلومات غير العددية ويقوم علي أساس سلسلة من العمليات في التجميع والتحليل والبحث والبث لأن ثمة أوجها من الشبه بين التوثيق عند المحدثين وهذا المعنى العلمي المعاصر. انظر (أصول التوثيق. جاك شومييه. ترجمة أنطوان عبده ص ١٩. ط لبنان غير مؤرخة.

[١٢] - علوم الحديث لابن الصلاح ص١٣٩ بحاشية العراقي. واعتمده النووي في التقريب (٦/٢) وصححه القسطلاني في كتاب المنهج وقرره السيوطي. انظر تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي (٦/٢-٧).

[١٣] - "إخبار الصحابي عن شيء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نحوه مما يعلم أنه لم يحضره لصغر سنه أو تأخر إسلامه فمحكوم بصحته على المذهب الصحيح الذي قطع به الجمهور". أنظر تدريب الراوي للسيوطي (٢٠٧/١).

[١٤] - لقد بنى أصحاب النقد التاريخي الأوروبي منهجهم على مبدأ الشك والارتياب المسبق والمطلق في كل رواية تاريخية محاولين بذلك تطبيق الشك المنهجي عند ديكارت لإضفاء صبغة العلم على التاريخ، وقد يكون الشك المنهجي مناسبا لخطوات البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة لدراسة الفروض والاحتمالات، على ضوء المعطيات الموجودة، لكن منهج النقد التاريخي الأوروبي كان مفلسا من أية فرصة للملاحظة، ومن أية معطيات موجودة، فغدا يطبق شكه على تيك الفروض والاحتمالات دون أي نسق علمي واضح، وإنما هو الذوق الذي يبنى عليه التركيب التاريخي في

الجملة. أنظر مدخل إلى الدراسات التاريخية لانجلوا سينوبوس ص١٢٢ وأسس الفلسفة د. توفيق الطويل ص٢٩٩ فما بعدها. وسيأتي مزيد تناول لهذه القضية أثناء عرض منهج المحدثين في التوثيق.

[١٥] - لقد كان التقليد العلمي عند المحدثين استخدام الطريقتين (التحديث بإملاء وبغير إملاء) وإن كان الأكثر في عصور الرواية الأولى والمبكرة التحديث بدون إملاء، ثم ظهر الإملاء كتقليد خاص عندما كثر التدوين وكثر النقلة والمحدثون. أنظر دراسات في الحديث النبوي الشريف. محمد الأعظمي (٣٥٠/٢-٣٥٩) وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص١٣.

[١٦] - أكثر ما يستعمل في هذه الطريقة: حدثنا ثم أخبرنا وكان هذا قبل أن يشبع تخصيص أخبرنا بالقراءة على الشيخ (كما سيأتي). أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٤١.

[١٧] - وهو قليل في الاستعمال. انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٤١

[١٨] - استحبوا إذا كان السماع حال المذاكرة أن يقول: قال لنا أو ذكر لنا، لأنه لائق بسماع المذاكرة وبه أشبه. أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٤٢ وتدريب الراوي للسيوطي (١١/٢).

[١٩] - أنظر تدريب الراوي للسيوطي (١٩/٢)

[٢٠] - السابق (٢٥/٢)

[٢١] - صحيح البخاري (٢٦٤٠/٦) تحقيق مصطفى البغا.

[٢٢] - أي الإذن بالرواية ولها أنواع كثيرة. أنظر تدريب الراوي (٢٩/٢-٤٣)

[٢٣] - المناولة أن يدفع الشيخ لتلميذه مروياته سواء أذن له بالرواية منها أو لم يأذن، ولها صور. أنظر تدريب الراوي (٤٤/٢-٥٥)

[٢٤] - هي أن يكتب الشيخ مروياته لحاضر أو غائب بخطه أو بأمره ولها أضرب. انظر تدريب الراوي (٥٥/٢-٥٨)

[٢٥] - إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه، مقتصرا على ذلك. أنظر تدريب الراوي (٥٨/٢-٥٩)

[٢٦] - أن يوصي الشيخ عند موته أو سفره بكتاب يرويه. أنظر تدريب الراوي (٥٩/٢-٦٠)

[٢٧] - بكسر الواو مصدر لوجد مولد غير مسموع من العرب، وهي أن يقف على أحاديث بخط راويها الواجد، فله أن يقول وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه.. حدثنا فلان ويسوق الإسناد والمتن. أنظر تدريب الراوي (٦٠/٢-٦٣). وكل هذه الطرق خلاف الأصل في الرواية عند المحدثين، لأنها لا مشافهة فيها، لذلك حصل فيها خلاف

بين العلماء والنقاد ولم يستقر إجماع على شيء منها بخلاف المشافهة، والملاحظ أن غالب هذه الطرق استخدمها المحدثون في الصدر الأول من عصور الرواية بقلة شديدة، ثم إنهم يبينون ما كان من جنس هذه الطريقة أو تلك، ثم توسع المتأخرون في تلك الطرق لاستقرار التدوين وشهرة المصنفات، وإنما توسعوا في الرواية بها إبقاء لخصيصة الإسناد في الأمة.

[٢٨] - تدريب الراوي للسيوطي (٢٢/٢).

[٢٩]- إن كثيرا من العمليات التوثيقية التي ذكرناها ساقطة تماما من مجرد التفكير فيها- فضلا عن تطبيقها – لدى المنهج النقدي عند الأوروبيين، فكما أسلفنا أن نقدهم يبدأ منذ وجد أن الوثيقة أما قبل ذلك فهم على العكس من تراث المسلمين، يواجهون قدرا عظيما من الانتحال والتزييف والكذب يصل لدرجة تثير الشفقة، حتى إننا لا نتعجب حين نراهم- لتلك الأسباب- يمرون في مراحل النقد بعمليات فحص شديدة الوعورة والتعقيد، مع ابتناء منهجهم – كما في الوثيقة. يقول لانجلوا:" إن انتحال الكتب اليوم نادر، يحرمه القانون ويلطخ صاحبه بالعار أما قديما فقد كان عادة جارية مقبولة، لايعاقب صاحبها". مدخل إلى الدراسات التاريخية.لانجلوا سينوبوس.ص٧٠. ونحن لن نندهش كثيرا من هذه الأخلاقيات المتدنية، فإن الشعوب التي لم تستطع أن تحافظ على نسختين متشابهتين من كتابهم المقدس(الإنجيل) جديرون بأن يتقنوا الانتحال والكذب والتزييف لما هو أقل قدسية.

[٣٠]- على خلاف المشتهر بين الأوساط العلمية أن الأوربيين هم السابقون في ذلك، شأن الكثير من السبوق العلمية التي يثبت التاريخ حوزتها للمسلمين.

[٣١] - في كل كتب المصطلح الحديث بلا استثناء يفردون فصلا، وبعضهم يسميه علما أو نوعا من علوم الحديث وهو: كتابة الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقييده. وينبغي أن ننوه أن الخط العربي على وجه العموم بلغ الغاية في الإتقان من حيث المنهج العلمي وتقعيد ضوابط كتابته وفق نظريات حسابية وهندسية.

[٣٢] - علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٧١.

[٣٣]- اختصرنا مادة هذا المبحث وانتقيناها من الفصل الذي أفرده ابن الصلاح في مقدمته، وقد قام الأستاذ أحمد شاكر –المحدث المعروف- بطبع هذا الفصل مستقلا ليعرض فيها منهج المسلمين في ضبط الكتاب مقترحا أن تكون فنيات المحدثين في تقييد الكتاب منهجا علميا يلتزم به مصححوا الكتب ومحققوها في عالم اليوم.انظر: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب: أحمد شاكر.ط مكتبة السنة بمصر ١٤١٠هج

[٣٤] - علوم الحديث لابن الصلاح من ص ١٧٢ إلى ص١٨٣ بتصرف.

[٣٥] - وللمحدثين تفصيل أوسع في التصحيفات والتحريفات ضمنوه نوع " معرفة المصحف" من علوم الحديث، ولهم فيها تصنيفات خاصة مثل مصنف الدارقطني وأبو

احمد العسكري(انظر: تدريب الراوي ٢/١٩٣) وهو شبيه بكشاف التحريفات الذي ابتكره ووضعه أصحاب المنهج الأوروبي في النقد التاريخي لإعانة العلماء المحصلين – محققي المخطوطات – على كشف الخطاء ومعرفة الاحتمالات الصائبة فيما غمض. (انظر: المدخل إلى الدراسات التاريخية.لانجلوا و سينوبوس. ص. ٥٨)

[٣٦] - الجدير بالذكر أن مثل هذه الفنيات الدقيقة وجد كثير من تفاصيلها منذ القرن الرابع الهجري عند الرامهرمزي في كتابه" المحدث الفاصل" والخطيب البغدادي في كتابيه "الكفاية" و "الجامع"، لكن فرانز روزنتال (من المستشرقين المعنيين بالتراث الإسلامي) اختار كتاب الشيخ عبد الباسط العلموي المتوفى سنة ٩٨١هج واسمه " المعيد في أدب المفيد والمستفيد " ليكون مثالا لدراسة مركزة ومنظمة حول طريقة التأليف والتصنيف ومعالجة فنيات الكتابة والخط وكان حريا به أن ينوه على ان هذا الفن قد وجد في الحضارة الإسلامية منذ عصر مبكر (انظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي فرانز روزنتال .ت:أنيس فريحة ص).

[٣٧] - السابق.

[٣٨] - قضية كلام ابن الصلاح أن ذلك كان شائعا في العصور المتقدمة، أي عصور الرواية بالمشافهة . انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٧٧

[٣٩] - علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٧٧

[٤٠] - السابق ص ١٨٥

[٤١] - صفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين. عبد الفتاح أبو غدة. ص٩٩. وقد اشتهر عند المحدثين قولهم:" الأسانيد أنساب الكتب" أنظر: التأصيل بكر أبو زيد ص٧٥.

[٤٢] - طبع مع السنن ألحقت السماعات بها (طبعة الهند في مدينة حيدر آباد الدكن)، ثم أفرده الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة بطبعة مستقلة مصدرة بدراسة وسماها: صفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين. ط حلب بسورية سنة ١٤١٢هـ.

[٤٣] - هو كاتب الطباق وسيأتي بيان معناه.

[٤٤] - نقتصر على اصطلاحين ذوي صلة بمسألة التوثيق هما: الرواية على الوجه والطباق. ولأنني لم أجد تعريفا شافيا في كتب المحدثين فبحث عن لدلالتها من خلال تضاعيف التراجم وكتب الرجال وبعض كتب المصطلح.

[٤٥] - المائدة ١٠٨

[٤٦] - أخطأ الأستاذ فؤاد سيزكين حين ظن أن مصطلح : الرواية على الوجه يدل على السماع والقراءة على الشيخ فقط(تاريخ التراث العربي ٢٤٠/١) واستشهد بقول ابن سعد في الطبقات (٣٢٨/٧) عن عبد الله بن عبيد الرحمن أنه روى كتب الثوري على وجهها، وبما في تاريخ بغداد (١٦٣/٤) عن أحمد بن أبي خيثمة أنه كان يشترط على من

يسمع ويروي عنه تاريخه أن يسمعه ويرويه على الوجه، وقد تعقبه الأستاذ اكرم العمري في كتاب: (دراسات تاريخية ص ٢٣٩) بأن من المحتمل والجائز أن يكون المرد بمصطلح الرواية على الوجه أنه الرواية الكاملة وقال:" إنه احتمال بدا له" وطلب ممن له دراية بالمعنى أن يوضحه. وما احتمله وجوزه هو الصحيح لما ذكرنا أعلاه، وما أورده الأستاذ فؤاد سيزكين عن طبقات لبن سعد وتاريخ بغداد ظاهر فيما وجهناه.والله أعلم.

[٤٧] - الجامع لخلاق الراوي وآداب السامع. الخطيب البغدادي(١٥٥/٢).

[٤٨] - أي متمنعا غير سهل في بذل الرواية، وقد كان بعض المحدثين على هذه الصفة ضنا بعلمهم عمن لا يستحقه.

[٤٩] - الضعفاء والمجروحين لابن حبان البستى(٣٢/١) ..

[٥٠] - الطباق جمع طبقة. هكذا استعمله بعض الباحثين (انظر القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية٢١/١-٢٢ نقل اعن أبي غدة) ولعله موجود في بعض التراجم، والأوجه عندي تخريجه على المصدرية لا على الجمع، من طابق طباقا ومطابقة) ويمكن توجيه (طباق جمع طبقة) على طبقات السامعين للكتب ومراتبهم وفيه تكلف. والله أعلم .

[٥١] - توهم المؤرخ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقي في مقدمة " القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية" (٢١/١) أن الإجازة المثبتة في آخر النسخة المسموعة هي نفس الطباق، وليس بصحيح، فالطباق هو قيد السماء وتفصيلات السماع من عدد مجالس ومكان وزمان ونحو ذلك، أما الإجازة فهي الإذن بالرواية لمن ثبت سماعه على نحو ما هو مثبت في الطباق، ولم تكن هذه الإجازة مع الطباق في القديم بل حدثت في نحو القرن السادس الهجري وأول من كتب الإجازة مع الطباق –فيما ذكر الحافظ العراقي- هو أبو طاهر إسماعيل بن عبد المحسن الأنماطي. قال ابن عتاب الأندلسي: لاغنى في السماع عن الإجازة لنه قد يغلط القارئ ويغفل الشيخ أو السامعون فينجبر ذلك بالإجازة. قال الحافظ العراقي: ولقد حصل به نفع كبير، فقد انقطع بسبب ترك ذلك وإهماله اتصال بعض الكتب في بعض البلاد بسبب كون بعضهم كان له فوت ولم يذكر في طبقة السماع إجازة الشيخ لهم، فاتفق أن كان بعض المفوتين آخر من بقي ممن سمع بعض ذلك الكتاب فتعذر قراء الكتاب عليه كأبي الحسن بن الصواف الشاطبي راوى غالب النسائي عن ابن باقا . انظر تدريب الراوي(٢٥/٢).

[٥٢] - وقد تكتب في آخر النسخة وسيأتي كيفية كتابة الطباق.

[٥٣] - أنظر المحدث الفاصل للرامهرمزي ص ٥٨٩، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢٤١/١) والإلماع فى معرفة أصول الرواية وآداب السماع ص ٢٢٣ ومقدمة ابن الصلاح ص ١٨٤.

[٥٤] - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. الخطيب البغدادي (٢٤١/١).

[٥٥] - صفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين. عبد الفتاح أبو غدة. ص.١٤٩

[٥٦] - علوم الحديث. ابن الصلاح ص ١٨٣

[٥٧]- استحبوا أن يكتب الطباق بخط قوي أمانا من الحك(أي التزوير). ورد في ترجمة سنجر ابن عبد الله التركي في معجم المحدثين للذهبي(١٠٦/١):"عني بالرواية وصار له أنسة بالفن وكتب الطباق بخط قوي".

[٥٨] - أي المشهورون بالرواية والأخذ عن الشيوخ. وكلام ابن الصلاح يوحي بوجود مأخذ فيما لو كتب الطباق بخط نفسه، وهو صحيح، لأن فيه تهمة، حيث اتهم بعض الرواة بتزوير الطباق.ففي ترجمة أحمد بن سعيد العسكري أبو الحارث في ميزان الاعتدال (٢٣٧/١) قال الذهبي: متأخر حدث عن الترسي،يزور الطباق. وفي ترجمة راو آخر في سير أعلام النبلاء(١٠٩/٢٢) نقل الذهبي عن ابن النجار قوله في ذلك الراوي، قال: سماعاته بخطوط المعروفين صحيحة فأما ما كان بخطه فلا يعتمد عليه كان يلحق اسمه في الطباق لكن تعقبه ابن حجر في لسان الميزان(٦/٤) بأنه يجوز أنه كان يوجد اسمه فيه أما فقدان الأصول فلا ذنب للشيوخ فيه.وقد كانوا يستدلون على كذب السماعات بما في الطباق. ففي وفيات السلامي (٢٩٦/١) قال عن أحد الرواة:" قد أخبروه بسماع جميع الكتاب (صحيح البخاري) من قطب العارفين محمد بن أبي البركات، قال السلامي: فأخذت البخاري جميعه وقرأت الطباق فوجدت المجلد الأول ليس عليه طبقة بالكلية بل على الخمسة، وجميع الطباق بخط العلامة فخر الدين التوزري، فأما المجلد الرابع والخامس فسمعهما واسمه على كل مجلد، وأما المجلد الثاني والثالث فيحتمل أنه سمعهما ويحتمل لا، وسماعه للمجلد الثالث أظهر من سماعه للثاني وسبب ذلك أنه مكتوب في المجلد الرابع والخامس اللذين سمعهما محققا على هذه الصفة وهي (وعيسى ومحمد ولدا الحجي) وأما المجلد الثالث فمكتوب: (وعيسى ومحمد...) وباقي السطر لما رَثَّ لُصِقَ عليه ورقة فليس ببعيد أن يكون بعد قوله"(ومحمد ولدا الحجي ...)فعلى هذا والله أعلم يكون المذكور قد سمع جميع البخاري إلا هذا الفوت المعين وإلا جميع المجلد السادس وأوله كتاب الدعوات وآخره آخر الكتاب"

[٥٩] - انظر تدريب الراوي للسيوطي(٢٥/٢)

[٦٠] - علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٨٤.

[٦١] - نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ص٨٢. وسيأتي في نظرية العلة التفريق بين الشاذ والمعلل، لكن نشير هنا إلى أن الشاذ عند المحدثين يتوقفون فيه لأن الشاذ هو الذي خالف فيه الثقة من هو أوثق منه، ومنهم من لا يحتج به، والفقهاء والأصوليون لا يعتبرون شروط الشذوذ. أنظر نكت ابن حجر على ابن الصلاح ص٦٣-٦٤.

[٦٢] - الأمور التي تقدح في الخبر إما أن تعود إلى نظام اتصال السند وهو سقط الرواة، أو إلى ضعف في الرواة ذواتهم وهو ما يتعلق بجرحهم وتعديلهم أو إلى خطأ خارج عن المعتاد من نظام الإسناد والجرح والتعديل وهو العلة. ونحن قد قسمنا الكلام عن منهج المحدثين في نقد الأسانيد على هذه الأقسام التي تمثل كبرى نظريات النقد عندهم.

[٦٣] - ومما اختلف فيه المحدثون النقاد حول شرط اتصال السند قضية لقاء الرواة ومعاصرتهم، حيث شرط جمهور المتقدمين وكثير من المحققين ثبوت اللقاء ولو مرة بين الراوي وشيخه ليثبت اتصال السند وإلا فإنه يتوقف فيه أو يحكم بانقطاعه، واشهر من ذهب إلى ذلك علي بن المديني والبخاري، وذهب جمهور المتأخرين وعليه العمل عند جماهير المحدثين والمحققين أن ثبوت المعاصرة بين الراويين كاف في ثبوت اتصال السند وإن عنعن الراوي ما لم يكن مدلسا فإنه لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث، واشهر من ذهب إلى هذا الإمام مسلم في مقدمة صحيحه وشنع فيه على المخالف. أنظر: شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي ص٢٦٨

[٦٤] - انظر تدريب الراوي (٣٤٩/٢-٣٥٠).

[٦٥] - تدريب الراوي (٢٠٥/١-٢٠٦).

[٦٦] - السابق (٢٠٣/١).

[٦٧] - السابق (٢٠٦/١).

[٦٨] - تدريب الراوي (١/ ٢٢٣-٢٣١) ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة تتعلق بأنواع التدليس ترجع كلها في النهاية إلى ما ذكرنا.

[٦٩] - انظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. عبد الرحمن المعلمي (١/ ٨٢).

[٧٠] - تدريب الراوي (٢٦٢/١-٢٦٧).

[٧١] - السابق (٦٢٨/١-٢٧٤)

[٧٢] - تدريب الراوي(٢٩١/١-٢٩٥)

[٧٣] - المرسل لغة من قوله: أرسلت كذا إذا أطلقته و لم تمنعه، فكأن المرسل أطلق الإسناد ولم يقيده براو معروف ويحتمل أن يكون من قولهم: جاء القوم أرسالا أي قطعا متفرقين،ويجوز أن يكون المرسل من قولهم:ناقة مرسال أي سريعة السير وفي الاصطلاح له ثلاثة معاني :الأول :هو ما رفعه التابعي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو إقرار سواء كان التابعي صغيرا أو كبيرا. الثاني: وهو ما رفعه التابعي الكبير إلي رسول الله صلي الله عليه و سلم.نحو سعيد بن المسيب. الثالث: هو ما سقط راو من إسناده واكثر في أي موضع كان، فعلى هذا فهو و المنقطع سواء. وإلى المعني الأول ذهب جمهور المحدثين، و هو الذي سيدور عليه هذا المبحث.انظر معرفة

علوم الحديث للحاكم النيسابوري ص٢٥ وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ٤٧. وأهم المؤلفات في المرسل: ١- المراسيل لابن أبي حاتم. ٢- المراسيل لأبي داود. ٣- جامع التحصيل لأحكام المراسيل للحافظ العلائي.

[٧٤] - رواه البخاري (٥٢/١)

[٧٥] - رواه ابن ماجة في المقدمة حديث رقم ٣

[٧٦] - رواه ابن ماجة (٨٤٣/٢)

[٧٧] - رواه أحمد بن حنبل في المسند(٤٣٣/٣)

[٧٨] - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٢٣٥

[٧٩]- رواه الخطيب في الخطيب في الكفاية ص ٣٨٢

[٨٠] - تدريب الراوي. السيوطي(٢٠٧/١)

[٨١] - وغلى هذا يشير قول محمد بن سيرين وهو من التابعين: " كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة..." ومضى تخريجه.

[٨٢]- وعليه يحمل قول يحيى بن سعيد القطان:" لوكان فيه إسناد لصاح به" أي انه لشكه تورع عن ذكر الإسناد فاهمله ولم يعد لروايته. وهذا الحمل أولى من حمله على أنه رواه عن غير ثقة وأنه أسقطه تعمية(كما قال ابن رجب الحنبلي) لأن هذا يعد من تدليس التوبة ولم يقل أحد من أهل العلم أن من أرسل فهو مدلس ، والتدليس يضعف به الراوي (خاصة التسوية) ولم يعرف عن أحمد ممن أرسل من التابعين أنه ضعف لذلك . (انظر : شرح ابن رجب لعلل الترمذي ص ٢٢٦).

[٨٣] - وعلى هذا يحمل قول محمد بن سيرين :" كان أربعة يصدقون من حدثهم : أبو العالية والحسن وحميد بن هلال ورجل آخر سماه " (شرح ابن رجب لعلل الترمذي ص ٢٢٩).

[٨٤] - وروى البخاري في التاريخ الكبير عن عبيد الصيد قال : قال الرجل للحسن إنك لتحدثنا : قال النبي صلى الله عليه وسلم، فلو كنت تسند لنا ؟ قال : والله ما كذبناكم ولا كذبنا، لقد غزوت إلى خراسان غزوة معنا فيها ثلاثمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحسن فكيف بسعيد ؟قال ابن رجب : " وهذا يدل على أن مراسيل الحسن أو أكثرها عن الصحابة" (شرح علل ص ٢٢١) .

[٨٥] - قال أبو زرعة الرازي " كل شئ يقول الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت له أصلا ثابتا ما خلا أربعة أحاديث" .شرح العلل ص٢٢٦

[٨٦] - قال الشافعي: إرسال الزهري عنده ليس بشئ وذلك إنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم وقال مهنا لحمد : لم كرهت مرسلات الأعمش ؟ قال : كان الأعمش لا يبالي عمن حدث .شرح العلل ص ٢٢٦ و ٢٣٩.

- [٨٧] العلل الصغير للترمذي ص ٢٢٣بشرح ابن رجب

[٨٨] - شرح ابن رجب لعلل الترمذي ص ٢٢٧

[٨٩] - التمهيد لابن عبد البر (٥٧/١)

[٩٠] - رسالة أبي داود لأهل مكة ص ٢٤

[٩١] - شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي ص ٢٣٣

[٩٢] - السابق ص ٢٣٤-٢٣٩

[٩٣] - قال ابن رجب الحنبلي :" واعلم أنه لا تنافي بين كلام الحفاظ وكلام الفقهاء في هذا الباب، فإن الحفاظ يريدون صحة الحديث المعين إذا كان مرسلا، وهو ليس بصحيح على طريقتهم لانقطاعه وعدم اتصال إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وأما الفقهاء فمرادهم صحة ذلك المعين الذي دل عليه الحديث (المضمون) فإذا عضد ذلك المرسل قرائن تدل على أن له أصلا قوي الظن بصحة ما دل عليه فاحتج به مع ما احتف به من القرائن وهذا هو التحقيق في الاحتجاج بالمرسل عند الأئمة كالشافعي وأحمد وغيرهما مع أن في كلام الشافعي ما يقتضي صحة المرسل حينئذ " شرح علل الترمذي ص ٢٣٢

=========================

الانتصار لرسول الله محمد أزكى البشرية

الكاتب: خالد بن عبدالرحمن الشايع

ماذا تنقم حكومة الدنمرك وصحافتها على محمد خاتم رسل الله عليه الصلاة والسلام ؟

دفاع عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من استهزاء صحيفة دنمركية

ما موقف المسلمين حكومات ورجال أعمال وشعوباً نحو هذه الإساءة ؟

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده ، نبينا محمد ، وعلى إخوانه من النبيين ، وآل كلٍّ ، وسائر التابعين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فهذا بيانٌ مِدَادُهُ دُمُ قلبي ، ورقعته مُهْجَةُ نفسي ، أحرره دفاعاً عن أحبِّ حبيب ، وأرقُمه ذوداً عن أزكى مخلوق وأطهر بشر : محمد بن عبدالله ، رسول رب العالمين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فياربِّ تقبَّل مني إنك أنت السميع العليم .

لقد اطلعت على ما تناقلته بعض وكالات الأنباء من اقتراف الصحيفة الدنمركية (جيلاندز بوستن / Jyllands-Posten،) لخطأ شنيع وانحرافٍ فظيع بنشرها (١٢) رسماً (كاريكاتيرياً) أو ساخراً يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ / ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ تصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أشكال مختلفة، وفي أحد الرسوم يظهر مرتدياً عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه !!.

وإمعاناً في غيها طلبت الجريدة من الرسَّامين التقدم بمثل تلك الرسوم لنشرها على صفحاتها .

ولما بلغني الخبر كدَّرني كثيراً وأصابني بهمٍّ كبير ، وأحزنني حزناً عظيماً ، وقد عمدتُ بنفسي للنظر في موقع الصحيفة المذكورة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ، حتى وقفت على موقع الجريدة (Jyllands-Posten،) في صفحاتها الصادرة بتاريخ (٢٩. September٢٠٠٥) فكان الخبر ليس كالمعاينة ، حيث هالني ما رأيته ، واقشعر جسمي ، وبلغ بي ذلك كل مبلغ في النكير والاستهجان والامتعاض .

وهكذا كان الشأن عند عامة أهل الإسلام ممن بلغهم الخبر ، حيث كان هذا العمل محل انتقاد واستهجان لديهم ، ولدى غيرهم من العقلاء في أرجاء الأرض .

وقد عمد إخواننا المسلمون في الدنمرك ، ومعهم غيرهم من المواطنين الدنمركيين ، وكذلك غيرهم من المقيمين في الدنمرك إلى إنكار هذه السخرية التي نالت أشرف إنسان في التاريخ ، فكُتبت المقالات ووُجهت الرسائل إلى الحكومة الدنمركية وإلى الصحيفة المعنية ، مطالبين بالاعتذار عن هذا العمل والكَفِّ عن مثله مستقبلاً ، وقد تظاهر في شهر أكتوبر الماضي أكثر من (٥٠٠٠) مسلم وغيرهم من المتعاطفين معهم في العاصمة كوبنهاجن ضد الصحيفة وطالبوها بالاعتذار.

غير أن السلطات الدنمركية ومسئولي الصحيفة رفضوا ذلك بمبررات حرية الإعلام والتعبير ، وأنه لا شيء يستثنى من شموليته وحريته .

ولا زال مسئولو صحيفة (جيلاندز بوستن/Jyllands-Posten،) والحزب الحاكم الذي تنتمي إليه يرفضون الاعتذار ، وينوون الاستمرار في منهجهم المتهجم على الرسول الكريم الذي قال الله له : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء : ١٠٧] .

متجاهلين بذلك المواثيق والأعراف الدولية ، غير مبالين بالاعتراضات المقدمة إليهم ، فرأيت أن من الواجب عليَّ ، وعلى غيري ممن حمَّلهم الله أمانة البيان والبلاغ البيان في ذلك ، خاصةً وأنني أشرف بالانتساب للمملكة العربية السعودية التي فيها قبلة المسلمين ، وبها مسجد رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام الشريف ، وذلك عملاً بقوله سبحانه : (وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ) [آل عمران : ١٨٧] .

وإذا تأملنا في خلفيات هذه التهجمات فلنا أن نقف الوقفات التالية :

أولاً : محمد أزكى البشرية :

أذكِّر الشعب الدنمركي وغيره من الشعوب النصرانية وغيرهم من أمم الأرض أن هذه السخريات ما هي إلا محض افتراء وكذب ، فمحمدٌ رسول الله هو أطهر البشرية جمعاء وأزكاها ، ولن تضيره هذه السخرية مهما عظمت أو تكاثرت ، كما أخبرنا بذلك ربُّنا في القرآن العظيم .

ونحن نعتقد أن الله سبحانه سيحمي سمعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ويصرف عنه أذى الناس وشتمهم بكل طريق ، حتى في اللفظ ، ففي " الصحيحين" عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا ترونَ كيف يَصْرِفُ الله عنِّي شَتْمَ قريشٍ ولعنَهم ، يشتمون مُذَمَّمَاً ، ويلعنون مُذَمَّمَاً ، وأنا مُحَمَّدٌ ! " .

فنَزَّه الله اسمَه ونَعْتَه عن الأذى ، وصرف ذلك إلى من هو مُذَمَّم ، وإن كان المؤذِي إنما قصد عينه".

قال الإمام العالم الحافظ ابن حجر رحمه الله : قوله : " يشتمون مُذَمَّمَاً " : كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمونه باسمه الدال على المدح ، فيعدلون إلى ضده ، فيقولون : مُذَمَّم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا : فَعَلَ الله بمذمم .

ومُذَمَّم ليس هو اسمه عليه الصلاة والسلام ، ولا يُعرف به ، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره .

أقول : وهكذا تلك الرسوم التي دعت الجريدة الرسامين لرسمها ونشرتها على صفحاتها ، إنها قطعاً لا تمثل رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، لا في رسمها ، ولا في رمزها :

لا في رسمها : أي ملامح الوجه ، فوجه محمد هو الضياء والطهر والقداسة والبهاء ، وجهه أعظم استنارةً وضياءً من القمر المسفر ليلة البدر ، وجه محمد يفيض سماحة وبشراً وسروراً ، وجه محمد له طلعة آسرة ، تأخذ بلب كل من رآه إجلالاً وإعجاباً وتقديراً .

ولا في رمزها : فمحمد صلى الله عليه وسلم ما كان عابساً ولا مكشراً ، وما ضرب أحداً في حياته ، لا امرأة ولا غيرها ، تقول عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها : ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها " رواه البخاري ومسلم .

وإنه لمن الحسرة والبؤس على الصحيفة الدنمركية وعلى حكومة الدنمرك أن يكون مجرد علمهم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما استهزؤوا به ، مما أوحت به إليهم الأنفس الشريرة ، وصدق الله : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) [يس : ٣٠] .

وأدعو هؤلاء المستهزئين برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وأدعو غير المسلمين لأن يشرفوا أنفسهم بالاطلاع على سيرته عليه الصلاة والسلام ، ليطلعوا على كمال الإنسانية في شخصه عليه الصلاة والسلام ، وهناك آلاف المراجع والمواقع الإلكترونية في هذا المجال ، ومنها على سبيل المثال :

١&startno=٥٧.php?vPart=٢/archive/index٢islamweb.net/ver
&thelang=E

١٤٢٤islamonline.net/English/In_Depth/mohamed/
.shtml٠١/biography/article

وقد شرفني الله بالتأليف في هذا المجال ، ومن ذلك : كتابي " نفح العبير من شمائل البشير النذير ، صلى الله عليه وسلم " وكتابي : " مواقف من بيت النبوة " .

وقد شهد لمحمد عليه الصلاة والسلام عقلاءُ البشر ومثقفوهم ، حتى من أهل الملل الأخرى ، شهدوا له بالنُّبل والطهر والفضائل الجمَّة ، وسأورد طرفاً من تلك الشهادات في آخر هذا البيان .

ثانياً : السخرية بالأنبياء لن تزيد العالم إلا شقاءً :

لا يخفى أن العالم اليوم يشهد اضطرابات عديدة ، أريقت فيها الدماء وأزهقت الأرواح ، بغياً وعدواناً ، بما يجعلنا أحوج ما نكون لنشر أسباب السلم والعدل ، وخاصةً احترام الشرائع السماوية واحترام الأنبياء والمرسلين ، فهذا المسلك يتحقق به حفظ ضرورات البشر في أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ، وغير ذلك من حقوقهم ومقومات عيشهم الكريم .

وإن مثل هذه الأطروحات العدائية والاستفزازية لن تزيد العالم إلا شقاءً وبؤساً ، ذلك أننا جميعاً بحاجة لمصادر الرحمة والهدى ، والتي يسَّرها رب العالمين على يدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان المستهزئون به عليه الصلاة والسلام ، المشوهون لحقيقة حياته ورسالته ممن يصد الناس عن الخير ويمنع من استقرار العالم وطمأنينته ، وهذا الصنف من الناس توعده الله في كتابه وندد بسوء فعالهم : (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ) [إبراهيم : ٣] .

وإنَّه لمن المؤسف لحال البشرية اليوم ، مع ما وصلت إليه من التقدم في مجالات عديدة من علوم الدنيا ، بما تتضمنه من الاكتشافات المبهرة ، ثم يأتي في هذا الخضم من العواصم التي تدَّعي التحضر أصواتٌ مبحوحة وكتابات ساقطة تتردى معها تلك المجتمعات بسبب إسقاطات أخلاقية نحو المقدسات .

ثالثاً : دعوى حرية التعبير لا تجيز الإساءة لأحد :

إن ادعاء صحيفة (Jyllands-Posten) حرية التعبير في نشرها لتلك الرسوم الساخرة من محمد رسول الله، ادعاءٌ غير مسلَّم ولا مقنع ، لأن جميع دساتير العالم ومنظماته تؤكد على احترام الرسل ، وعلى احترام الشرائع السماوية ، واحترام الآخرين وعدم الطعن فيهم بلا بينة .

وقد جاء في ميثاق شرف المجلس العالمي للفيدرالية الدولية للصحفيين ما نصه :

(على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي.

ـ سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره على أنه تجاوز مهني خطير : الانتحال،التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أو لإخفاء المعلومات.

ـ على الصحافيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها. ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة) .

ولذلك حين نطالب الصحيفة والحكومة الدنماركية بالاعتذار وبمنع تلك الإساءات لاحقاً فإننا نعتمد أيضاً على ميثاق صحفي شريف ، جاء فيه : (سيقوم الصحافي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد بأنها غير دقيقة على نحو مسيء) .

ولا شك أن ما نشرته صحيفة (Jyllands-Posten) الدنماركية مسيءٌ لأكثر من مائتي ألف من مواطني الدنمارك ، ومسيء لأكثر من مليار وثلاثمائة مليون شخص ، ومعهم غيرهم من المنصفين من أصحاب الملل الأخرى ، كلهم يعظمون رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وسيبقى ذلك العمل مسيئاً لكل المسلمين ما بقيت هذه الحياة على وجه الأرض ، وستبقى الدنمارك ـ إذا لم تعالج هذه الإساءة ـ مصدر قرف واشمئزاز من عقليات تقطن فيها ، وتعادي الرسل والشرائع السماوية وتسخر بها .

رابعاً : هذا الاستهزاء لا يخدم مصالح الدنمارك ولا مصالح أوروبا :

إن العقلاء في البلاد الغربية النصرانية ينبغي أن يدركوا كم في تلك الكلمات والاستفزاز من الأخطار الكبيرة على رعاياهم ومصالحهم في أقطار الأرض ، بل وفي بلدانهم ، وأنها قد تؤدي لمزيد التوتر ، بما يتعين معه الكف عن هذا الغيِّ والبهتان .

فقد تأخذ الحميةُ بعض المتحمسين للثأر ممن وقع في رسول رب العالمين ، ومئات الملايين يفرحون أن يموتوا دفاعاً عن نبيهم وعن مكانته الشريفة أن تمتهن . ولكن من ضمن هؤلاء من لا يَقْدِر أن يصفِّي حسابه مع من استهزأ وقال الإفك والبهتان لبُعده عنه ؛ فيعمد إلى من يراهم يدينون بالنصرانية حوله فينتقم منهم ومن ممتلكاتهم لقربه منهم ، مع أن هذا العمل الأخير لا يجوز ، وقد حرمه ومنع منه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقال : " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة " رواه البخاري .

والمراد بالمعاهد : من له عهد مع المسلمين ، سواء كان بعقد جزية أو هُدنة من سلطان ، أو أمانٍ من مسلم ، ويدخل في ذلك ما له صلة بالأعراف الدبلوماسية التي التزمت بها الدول وتعارفت عليها .

وأعمال التحريض والاستفزاز تلك ستؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح ومزيد الاضطراب والتوتر .

ونذكر في هذا المقام بالقرار الذي تبنته لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ، (بتاريخ ١٤٢٦/٣/٣ هـ - الموافق٢٠٠٥/٤/١٢ م) الداعي إلى محاربة تشويه الأديان ، لاسيما الإسلام ، الذي زادت وتيرة تشويهه في الأعوام الأخيرة .

خامساً : أين الحكماء من النصارى ؟

أذكِّر الشعب الدنمركي ، وغيره من الشعوب النصرانية ، وغيرهم من أمم الأرض ، أذكرهم جميعاً بالمواقف السابقة لأسلافهم من النصارى ، وكيف كان تعاملهم مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان موقفهم حضارياً حكيماً متعقلاً ، بعيداً عن التشنجات النفسية أو الانحرافات الأخلاقية ، فكانت عاقبة أمرهم إلى خير ، في الدنيا ، أو في الدنيا والآخرة .

فقد بعث رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم رسائل إلى كِسرى ملك الفرس وإلى قيصر ملك الروم ، وكلاهما لم يُسْلِم ، لكنَّ قيصر أكرم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكرم رسوله ، فثَبَتَ ملكُه ، واستمر في الأجيال اللاحقة ، وأما كِسرى فمزَّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستهزأ برسول الله ، فقتله الله بعد قليل ، ومزَّق مُلكَه كلَّ مُمَزَّق ، ولم يبق للأكاسرة ملكٌ .

وقد ذكر المؤرخون كيف كانت ملوك النصارى يعظِّمون ذلك الكتاب الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا يقول الإمام العالم الحافظ ابن حجر : ذكر السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيماً له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة ، ثم كان عند سِبطه ، فحدثني بعضُ أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب ، فلما رآه استعبر ، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله فامتنع .

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب ، فأخرج منه مقلمة ذهب ، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه ، وقد التصقت عليه خِرقة حرير ، فقال : هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر ، ما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وأوصانا آباؤُنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا " انتهى .

ثم أمَا للشعب الدنمركي النصراني وغيرهم من النصارى أسوةٌ بالملك النصراني النجاشي ملك الحبشة ، فإنه لما قرأ عليه الصحابي جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - صدراً من سورة مريم بكى النجاشي حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا - واللهِ - والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . رواه الإمام أحمد في "المسند".

ولقد نقل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحاه الله إليه في القرآن الكريم من ثناء الله جل وعلا على أولئك النصارى الذي صدقوا في دينهم وفي أمانتهم ، وهو قول الله في القرآن الكريم : (وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [سورة المائدة : ٨٣].

ونذكر الشعب الدنمركي وقادة الرأي والمثقفين فيه والقائمين على صحيفة (جيلاندز بوستن) نذكرهم بما قاله أحد علمائنا ، وهو الإمام أحمد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قال : " وما زال في النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له مزية على غيره في المعرفة والدين ، فيعرف بعض الحق ، وينقاد لكثير منه ، ويعرف من قَدْرِ الإسلام وأهله ما يجهله غيره ، فيعاملهم معاملة تكون نافعةً له في الدنيا والآخرة " .

سادساً: الاستهزاء بالأنبياء مسلك الأشرار :

إن تلك الإساءة التي نشرتها صحيفة (جيلاندز بوستن) لم تخرج عن طريقة أصحاب المناهج الشريرة ، الذين الذي حاربوا الأنبياء والمصلحين ، وهذا ما أخبرنا الله به عنهم في القرآن الكريم : فقال تعالى : (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) [آل عمران : ١٨٤] .

وقال سبحانه عن اليهود : (كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) [المائدة : ٧٠] .

وقال الله عزَّ وجلَّ : (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ) [الأنعام : ٣٣ و ٣٤].

سابعاً : المؤذون للأنبياء توعدهم الله بالانتقام :

لقد كانت صحيفة (Jyllands-Posten ،) ومحرروها في عافية من دنياهم وانهماك في شهواتهم قبل أن يتعمدوا الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم بما نشروه وكتبته أيديهم قد أدخلوا أنفسهم ومن تواطأ معهم في الوعيد الإلهي المسطر في القرآن الكريم : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) [الكوثر : ٣] أي : إنَّ مبغضك يا محمد ، ومبغض ما جئتَ به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين (هُوَ الأَبْتَرُ) : الأقل الأذل المنقطع كل ذِكرٍ له .

فهذه الآية تعم جميع من اتصف بهذه الصفة من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم أو سعى لإلصاق التهم الباطلة به ، ممن كان في زمانه ، ومن جاء بعده إلى يوم القيامة .

وفي هذا يقول أحد علمائنا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول ، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما

حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك،ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه " انتهى.

والأيام بيننا وبين أولئك المبطلين المستهزئين ، لننظر من تكون له العاقبة ، ومن الذي يضل سعيه ، ويكذب كلامه ، وتظهر للعالمين أباطيله وافتراءاته ، فقد قالها أمثالهم ، فلمن كانت العاقبة ؟ وأين آثارهم وأين مثواهم ؟ قال الله جل شأنه في القرآن الكريم : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة : ٦١] ، وقال الله سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً) [الأحزاب : ٥٧] .

وقال الإمام العالم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

" ومن سُنة الله أن من لم يُمكن المؤمنين أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإنَّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه ، كما قدمنا بعض ذلك في قصة الكتاب المفترى ، وكما قال الله سبحانه : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [الحجر : ٩٤ و ٩٥].

والقصة في إهلاك الله المستهزئين واحداً واحداً معروفة ، قد ذكرها أهلُ السِّيَر والتفسير.

وهذا والله أعلم تحقيق قوله تعالى : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) [الكوثر : ٣] ؛ فكُلُّ من شَنَأَهُ أو أبغضه وعاداه فإنَّ الله تعالى يقطع دابره ، ويمحق عينه وأثره .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً ، فقد بارزني بالمحاربة " فكيف بمن عادى الأنبياء ؟ ومن حَارَبَ الله تعالى حُرِبَ .

وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أُهلكوا حين آذوا الأنبياء وقابلوهم بقبيح القول ، أو العمل .

وهكذا بنو إسرائيل إنما ضربت عليهم الذِّلة وباؤوا بغضِبٍ من الله ، ولم يكن لهم نصير ؛ لقتلهم الأنبياء بغير حق ، مضموماً إلى كفرهم ، كما ذكر الله ذلك في كتابه .

ولعلك لا تجد أحداً آذى نبياً من الأنبياء ثم لم يَتُبْ إلا ولا بد أن يصيبه الله بقارعة .

ثامناً : هذه أقوال المنصفين في رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام :

إن المنصفين من المشاهير المعاصرين عندما اطلعوا على سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يملكوا إلا الاعتراف له بالفضل والنبل والسيادة ، وهذا طرفٌ من أقوال بعضهم :

١/ يقول (مهاتما غاندي) في حديث لجريدة "ينج إنديا" : " أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول ، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

٢/ يقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه " محمد النبيّ " : " لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة.

فهناك محمد النبيّ، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا ".

٣/ يقول المستشرق الكندي الدكتور (زويمر) في كتابه " الشرق وعاداته " : إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء.

٤/ يقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) في كتابه "الشرقيون وعقائدهم" : كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبيُّ بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد ، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية ، وهما : العدالة والرحمة.

٥/ ويقول الانجليزي (برناردشو) في كتابه "محمد" ، والذي أحرقته السلطة البريطانية: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال ، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمَّى

منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

٦/ ويقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية ، في كتابه "تاريخ حياة محمد" : إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ.

٧/ ويقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه "ديانة العرب" : ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

٨/ ويقول (مايكل هارت) في كتابه "مائة رجل في التاريخ" : إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها.

٩/ ويقول الأديب العالمي (ليف تولستوي) الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية : يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعة محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

١٠/ ويقول الدكتور (شبرك) النمساوي: إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته.

١١/ ويقول الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه الأبطال : " لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خدّاع مزوِّر .

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من

الناس ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟!.

١٢/ جوتة الأديب الألماني : " "إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".

تلك بعض أقوال مشاهير العالم ، في محمد نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام ، فلماذا المزايدات التي تضر ولا تنفع ، وتهدم ولا تبني .

وختام هذا البيان موجه لإخواني المسلمين في أقطار الأرض :

أولاً : اعلموا أن سمعة الإسلام وسمعة النبي صلى الله عليه وسلم مسئولية كل واحدٍ منكم ، ذكوراً وإناثاً ، فينبغي على كل أحد أن يكون سفير خير ومنبر هدى في بيان حقيقة دين الإسلام ، وحقيقة دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : أتوجه للتجار ورجال الأعمال أن يكون لهم موقفهم الحازم غيرة على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فينبغي أن يوقفوا كل التعاملات التجارية مع الدنمارك ، حتى يتم الاعتذار وبشكل علني ورسمي من ذلك العمل الذي أقدمت عليه صحيفة (-Jyllands Posten،) ، وليتذكروا أن المال زائل ، لكن المآثر باقية مشكورة في الدنيا والآخرة ، وأعظمها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والانتصار له ، ولهم أسوة في الصحابي الجليل عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول ، في موقفه الحازم من أبيه ، عندما آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا منعه من دخول المدينة ، في الحادثة التي سجلها القرآن الكريم : (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [المنافقون : ٨] .

وثبت في الصحيحين أنَّ المنافق عبدالله بن أُبيٍّ بن سلول تكلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام سيء ، حيث قال : " والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " الحديث ، وفيه في رواية الترمذي أنَّ ابنه الصحابي عبد الله بن عبد الله قال لأبيه : " والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ، ولم يأذن لأبيه بدخول المدينة حتى اعتذر ورجع عنه قوله، وقال : إنه الذليل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو العزيز .

فهل يستجيب رجال الأعمال المسلمين لهذا الواجب في الغيرة على نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وهل يكفُّون عن التعمل التجاري مع الدنمارك حتى يتم تقديم الاعتذار الرسمي ، واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة .

ثالثاً : أدعو إخواني المسلمين في كل مكان إلى إرسال استنكارهم والمطالبة بالاعتذار إلى الجريدة على عناوينها التالية:

- مملكة الدنمرك ، صحيفة (Jyllands - Posten) .
- الهاتف والفاكس : (+٤٥ ٨٧ ٣٨ ٣٨ ٣٨) و (+٤٥ ٣٣ ٣٠ ٣٠ ٣٠) .
- البريد الإلكتروني : (jp@jp.dk) .

رابعاً : يجدر التواصل من قبل الشعوب الإسلامية مع وزارة الخارجية الدنمركية لإشعارها بالامتعاض والاستنكار لمساس الصحيفة المذكورة بمقدساتنا . وبيان أن ذلك لن يخدم تطور العلاقات القائمة على الاحترام فيما بين الشعوب الإسلامية والشعب الدنمركي .

وهذا هو العنوان البريدي والإلكتروني للخارجية الدنمركية على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت):

(Ministry of Foreign Affairs of Denmark (www.um.dk

Asiatisk Plads ،٢

Copenhagen K ١٤٤٨DK-

Tel. + ٤٥ ٣٣ ٩٢ ٠٠ ٠٠

Fax + ٤٥ ٣٢ ٥٤ ٠٥ ٣٣

E-mail um@um.dk

خامساً : لما كان المسئولون بالدنمارك غير مبالين بدعوات السلام والبيان التي وجهت إليهم ، وبالنظر للإصرار على الحرية المزعومة في الاستهزاء والإساءة برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، أو بأي من إخوانه النبيين ، عليهم الصلاة والسلام ، فأرى أنه من غير اللائق أن يتوجه الناس لاقتناء أي سلعة منشأها الدنمرك ، وهم يجدون بديلاً آخر ، حتى يكفوا عن هذه السخرية ويعتذروا منها علناً ، ويتعهدوا بعدم تكرارها .

وبعد :

فيارب هذا جهدي القليل ، في الدفاع والانتصار لخاتم رسلك محمد عليه الصلاة والسلام ، لا تؤاخذني بما فيه من خلل أو تقصير . وبارك فيه بفضلك ومَنِّك ليكون نافعاً للناس ، وليكون مقرباً لي لمرضاتك ، وسبباً في صحبة نبيك يوم القيامة .

ويارب لا تعاقبنا بتقصيرنا في حق خليلك ورسولك محمد ، ووفقنا للإيمان به والعمل بما دلّنا عليه ، وإلى الذود عنه وعن شريعته.

اللهم وصلِّ وسلّم عبدك ورسولك محمد ما تعاقب الليل والنهار ، وصلِّ اللهم عليه وسلّم كلما ذكره الذاكرون الأبرار ، بمنك وكرمك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حرر بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية حرسها الله

في ٥ ذو القعدة ١٤٢٦هـ

==================

الانتصار للنبيِّ المختار صلى الله عليه وسلم

عبد المنعم مصطفى حليمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد تناهى إلى مسامعنا تطاول بعض الجرائد المحلية الرسمية الدنمركية على سيد الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ من خلال رسمه في صور كاريكاتيرية ساخرة .. ورغم ما يمثل هذا الحدث الدنيئ المتخلف من اعتداء سافر على الإسلام والمسلمين .. تأبى الجريدة " Jyllands Posten " أن تقدم أي اعتذار عن سوء صنيعها هذا .. كما وتأبى الحكومة الدنمركية أن توجه أي خطاب تأنيب واستنكار للجريدة .. أو حتى اعتذار للمسلمين!

نبينا صلوات ربي وسلامه عليه لا يحتاج مني ولا من غيري إلى أن ندافع عنه ـ وكأن الطعن بحقه محتمل! ـ أو أن نُظهر محامد خصاله وأخلاقه .. فهو أكبر وأعظم من ذلك .. يكفيه فخراً وعظمة أن الله تعالى من فوق سبع سماوات يصفه بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم:٤]. وقوله تعالى : { إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ } [الحج:٦٧]. وقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء:١٠٧] . فأي تزكية تعلو أو توازي هذه التزكية .. وما قيمة ثناء وتزكية المخلوق تجاه ثناء وتزكية الخالق سبحانه وتعالى ؟!

لكن ماذا يعني هذا الحدث الجلل .. وكيف يفهمه ويفسره المسلمون ؟!

هذا الحدث الجلل يعني أموراً عدة :

منها: أن هذا الطعن بشخص النبي صلى الله عليه وسسلم هو طعن بجميع أنبياء الله تعالى ورسله: إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وغيرهم من الأنبياء والرسل؛ لأنهم كلهم يصدقون بعضهم بعضاً، ويُلزمون أتباعهم بالإيمان والتصديق بجميع الأنبياء والرسل من جاء قبلهم ومن يأتي بعدهم؛ وبالتالي فإن تكذيب أي نبي من أنبياء الله تعالى أو الطعن به، هو تكذيب لجميع الأنبياء والرسل، وطعن بهم، قال تعالى: { قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة:١٣٦] . وقال تعالى : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة:٢٨٥] .

والطعن والاستهزاء بالأنبياء والرسل هو استهزاء وطعن بالله عز وجل الذي زكى أنبياءه ورسله، وأثنى عليهم خيراً، لذلك عُد النفر الذين استهزؤوا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم في مسيرهم نحو تبوك، هو استهزاء بالله وآياته، ورسوله، كما قال تعالى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [التوبة:٦٥-٦٦] .

ومنها: أن هذا الاعتداء على شخص النبي صلى الله عليه وسلم هو اعتداء على جميع المسلمين في الأرض، وعلى مشاعرهم، وعقيدتهم .. وهو أشد عليهم من الاعتداء المباشر على أنفسهم وأموالهم .. والصليبيون يُدركون هذا المعنى؛ وهو المراد من وراء طعنهم وتشهيرهم - المتكرر بين الفينة والأخرى - بشخص النبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها: أن اللجوء لمثل هذا الطعن، والاستهزاء .. هو علامة من علامات الإفلاس الفكري والحضاري، والثقافي لدى النصارى الصليبيين .. وحضارتهم .. فيُعوضون عن هذا النقص والإفلاس بمثل هذا الطعن، والسب، والاستهزاء !

ومنها : أن الشعار المرفوع حول حوار الأديان والحضارات هو شعار كاذب؛ له ما له من الغايات والمقاصد المريبة الخبيثة .. لا وجود له على الحقيقة والتحقيق !

فالغرب النصراني الصليبي بتواطؤه على مثل هذا الطعن والاستهزاء بشخص النبي صلى الله عليه وسلم .. يفقد المصداقية، والرغبة الصادقة في الحوار والتفاهم مع المسلمين، ومع حضارة الإسلام .. إذ كيف ينهضون للحوار والجلوس مع المسلمين وهم يطعنون ويستهزئون بنبي الإسلام، وبأقدس ما عند المسلمين ؟!

فالتواطؤ على مثل هذا الطعن والاستهزاء لا شك أنه يوسع من ساحة عدم التفاهم والتعايش السلمي والآمن بين الشعوب والحضارات !

ومنها: أن مثل هذا الطعن والاستهزاء .. والتواطؤ عليه من قبل الجهات الرسمية .. يدل على ازدواجية المعايير والقوانين المعمول بها في بلاد الغرب النصراني؛ فهم إذ يسنون القوانين التي تُحارب إثارة الكراهية والعنصرية بين الشعوب كما يزعمون، تراهم هم أول من ينقض ويُخالف هذه القوانين، وبخاصة عندما تكون إثارة هذه الكراهية موجهة ضد الإسلام والمسلمين .. وتسير في الاتجاه الذي يرغبونه ويهوونه!

عندما تكون إثارة الكراهية والعداوة موجهة ضد الإسلام والمسلمين .. فهذه حرية مصونة الجانب لا يجوز المساس بها أو الاقتراب منها .. وعندما تُثار الكراهية في الاتجاه الذي لا يرضونه ولا يلامس هواهم .. فحينئذٍ تُصبح إجراماً مخالفة للقانون، يؤخذ صاحبها بالنواصي والأقدام !

ومنها: أن مثل هذا الطعن والاستهزاء .. والتواطؤ عليه .. يُعد تعبيراً صادقاً عما يُضمره القوم من حقد، وكراهية، وعداوة وبغضاء للإسلام والمسلمين .. وإن تظاهروا بخلاف ذلك .. وأنهم من دعاة الإنسانية .. والحرية .. وعدم التعصب للأديان !

صدق الله العظيم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ } [آل عمران : ١١٨] .

هكذا يفهم المسلمون هذا الحدث الجلل .. وهكذا يفسرونه .. وفي الختام أود أن أذكر إخواني المسلمين بحقيقة ساطعة ماثلة للعيان طالما ذكرتهم بها، وهي: أنكم رعية بلا راعٍ .. ووالله لو كان لكم دولة وسلطان يحترم نفسه، ودينه، وأمته .. لما تجرأ القوم على التطاول على نبيكم؛ نبي الإسلام والرحمة - صلوت ربي وسلامه عليه - وعلى أقدس مقدساتكم .. ولكن لما وجدوكم رعية متفرقين بلا راعٍ يرعاكم، ويذود عنكم وعن دينكم .. طمعوا بكم .. وتكالبوا عليكم .. وعلى دينكم .. وأمتكم .. كما تتكالب الأكلة على قصعتهم !

ما هو موقف حكامنا من هذا الحدث الجلل .. وما موقف إعلامهم المشغول بتوافه زائفة ؟!

لا شيء؛ وكأن الأمر لا يعنيهم في شيء .. وكأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس نبيهم .. والإسلام ليس دينهم !

لو تعرض أحدهم - من قِبل أي دولة - لنوع استهزاء أو طعن وتجريح .. لاستدعى سفيره، وهمَّ بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية، والتجارية مع تلك الدولة .. ولتحركت جميع وسائل الإعلام للذود عن الطاغوت .. أما أن يتعرض شخص النبي صلى الله عليه وسلم - الذي لولاه، ولولا أن منَّ الله به علينا لما كنا نساوي شيئاً - للطعن والاستهزاء .. والتحقير .. فهذا لا يستدعي شيئاً من هذا المقاطعة أو المحاربة .. أو القلق .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أما أنتم أيها المسلمون افعلوا كل شيء، وأي شيء متاح ومشروع .. من أجل نبيكم .. والذود عن حرمات وعِرض نبيكم .. تقبل الله منكم، وغفر الله لنا ولكم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد المنعم مصطفى حليمة

١٤٢٦/١٢/٢٢ هـ / ٢٠٠٦/١/٢٢م.

التدين رد عملي على الإساءة

الكاتب: محمود كمال

بدأت أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في الغرب، وكانت الأكثر تأثيرا على مسلمي الغرب، وكان رد فعلهم مشرفا ومفخرة للإسلام. هذا ما أكده لنا فضيلة الشيخ سالم الشيخي، خطيب ومستشار المركز الإسلامي بمانشستر، ورئيس الهيئة القضائية ببرمنجهام، وأستاذ الفقه المقارن بكلية لندن المفتوحة، والأمين العام للجنة الفتوى ببريطانيا، وعضو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث؛ في الحوار التالي:

* كانت لأزمة الرسوم المسيئة آثار عظيمة على جميع شعوب العالم، فما أثرها على مسلمي بريطانيا تحديدا؟ وكيف تفاعلوا معها إيمانيا؟.

ـ كانت الرسوم المسيئة محنة في طياتها منحة، حيث ذكرت المسلمين بواجبهم تجاه نبيهم صلى الله عليه وسلم، وتجلى ذلك بوضوح في المجتمع الإسلامي ببريطانيا؛ حيث ظهر على الساحة عدد من المشاريع الإيمانية في المراكز والمساجد كلها؛ تدعو إلى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وتربية الأبناء على الهدي المحمدي. ولقد تفاعل مسلمو بريطانيا مع هذه الأزمة بشكل منظم، وتوهج التعلق الروحي بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ وأظهروا التفاعل الاجتماعي والاعتراضات على تلك الرسوم، كما اعتصموا أكثر من مرة، ويقومون الآن بنشاط ضخم للتعريف بالنبي من خلال الندوات والمعارض، بالإضافة إلى إرسال المكاتبات والخطابات للحكومة الدانماركية للاعتراض على هذه الرسوم.

* وكيف ترى تصرفات المسلمين عامة تجاه هذه الأزمة؟ وهل كانت على مستوى الأخلاق الإسلامية؟.

ـ أفرزت الأزمة عدة جوانب إيجابية؛ فهي تكاد تكون القضية الأولى منذ سنوات طويلة التي يتفق فيها أهل الإسلام جميعا على قول واحد. غير أن ردود الفعل السلبية ـكحرق السفارات وتحطيم السيارات- لا تمت للخلق الإسلامي بصلة، ومن فعلوا ذلك قلة لا يمثلون التيار الإسلامي؛ إذ كانت الغلبة عقلانية وملتزمة، وطالب المسلمون بقانون عالمي يردع العدوان على مكانته صلى الله عليه وسلم.

* هناك من يرى أن ضعف إيمان المسلمين في الغرب سبب في التطاول على النبي، فما تعليقك على ذلك باعتبارك ممن يعيش بالغرب؟.

ـ أبدا.. لا توجد علاقة بين هذا وذاك؛ فالذين أثاروا الأزمة مجموعة من المتطرفين العنصريين الذين يريدون سحب أهل الإسلام في الغرب إلى المواجهة المسلحة مع الحكومات القائمة. كما أن الواقع الإسلامي في الغرب يبشر بالخير؛ فالأسرة المسلمة متماسكة، ومنحنى الإسلام في زيادة؛ في مقابل مشاكل أسرية واجتماعية تفكك العلاقات في الغرب. وأعتقد أن من قاموا بالتخطيط للأزمة رأوا الخير للوجود الإسلامي في أوربا، وعجزوا عن مواجهته، فلجئوا إلى جر بعض المسلمين إلى تصرفات لا تحمد عقباها؛ حتى تسن قوانين ضد الوجود الإسلامي في الغرب، ويصطدم المجتمع الإسلامي المصغر مع المجتمع الأوربي المكبر.

جراح دينية

* يشير البعض إلى أن أزمة الرسوم فتحت جراحا دينية في قلوب المسلمين من تصرفات الغرب؛ إذ نشرت إحدى الكنائس البريطانية الرسوم في نشرتها.. ثم اعتذرت عنها، فما رأيك في ذلك؟.

- لم تولد الأزمة أي جراح دينية؛ لأن الذين دعموا الرسوم لم ينطلقوا من أبعاد دينية أو تاريخية، كما أن الكنيسة الإنجليكية في بريطانيا والفاتيكان -وهما أكبر مرجعيتين مسيحيتين في الغرب- كان لهما مواقف إيجابية، إذ أدانتا ما حدث، وأكدتا على عدم جواز الإساءة للأنبياء. ومن ثم؛ فإنه يجب التذكير دائما أن البعد في قضية الرسوم هو بعد عنصري، وليس دينيا، حيث قام بها مجموعة من العنصريين الذين لا يرفضون ثقافة الإسلام، وإنما يتحيزون ضد كل ما هو مغاير ومخالف لجنسهم.

* ظهرت نغمة جديدة في الغرب تقول إن أزمة الرسوم تخص مسلمي الدانمارك وحدهم لأنها نتيجة علاقاتهم مع الحكومة الدانماركية، فكيف نرد هذه الدعوى؟.

- لو كانت المسألة خاصة بمسلمي الدانمارك لصار الوضع مختلفا، ولكن القضية عقدية، والعقيدة ليس لها أرض، ونقول لمن يدعي ذلك: "لو حدث عدوان على قيمة أو مبدأ نصراني في أي بقعة من العالم، فإن النصراني سيعتبره قضية عقدية يدافع عنها"، ومن ثم فإن الإساءة للرسول لا تعني اعتداء على مسلمي الدانمارك، وإنما على كل مسلم يؤمن برسالته صلى الله عليه وسلم.

* هناك من يرى أن ثورة المسلمين لنبيهم لا تنبع من إيمان حقيقي، وإنما مجرد دفاع عن رمز ديني؟.

- هذا تصور خاطئ؛ فالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفصل عن الإيمان به وبمحبته، كما أن الإيمان بالنبي لا يمكن أن ينفصل عن عمل يؤيد هذا الإيمان، فلا يوجد فصل بين الإيمان به صلى الله عليه وسلم، وبين نصرته، ورد الاعتداء على مقامه الكريم يعد منطلقا من الإيمان به.

* إذن ما الرد الذي تراه كفيلا بشفاء غليل قلوب المسلمين تجاه الإساءة لنبيهم؟.

- اعتقد أن الرد الذي يهدئ ثورة القلوب المسلمة لنبيها هو إصدار قانون على مستوى الدول الأوربية يحمي المقدسات الدينية، ويمنع الاعتداء عليها بأي صورة من الصور.

* وكيف يمكن أن ينصر المسلمون نبينا صلى الله عليه وسلم؟.

- تكون نصرة النبي صلى الله عليه وسلم بنصرة دعوته قبل كل شيء، وهناك أدوار يمكن أن يقوم بها المسلمون في هذا الصدد، أهمها إعادة الحيوية من جديد للدعوة إلى الله، والتعريف بالنبي، وبرسالته. فلقد تعرض الرسول طيلة وجوده في مكة للأذى والتشويه؛ ولكن كان المرتكز الأساسي له هو الإبقاء على محور الدعوة الإسلامية، والتعريف برسالة الله عز وجل.

مشروع إيماني متكامل

* وكيف نقوي إيمانيات مسلمي الغرب؛ ليكونوا مفخرة الإسلام أمام الآخر؟.

- ما ينقص إيمانيات المسلمين في المجتمع الغربي هو المشروع الإيماني المتكامل، وفي الحقيقة فقد قمت منذ ٣ سنوات بطرح مشروع إيماني في ثماني دول أوربية سميته

المشروع الإيماني للأسرة المسلمة في ديار الغرب، وهو ينطلق من تفعيل شُعب الإيمان المتمثلة في قوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان". ولو استطعنا تفعيل هذه الشُعب في ديار الغرب حمينا الإيمان في القلوب، ولقد قمت في سبيل تحقيق ذلك بتقسيم هذه الشُعب إلى ١٠ فصائل، ثم قسمتها إلى مجموعة من مجالات العمل، وذلك من خلال مشروع الأسرة المسلمة، حيث لاقى هذا المشروع تفاعلا كبيرا وأثرا في كل الأسر التي تعرفت عليه، وأخذت دورات فيه.

* بناء على ما ذكرته هل تعتقد أن أسس تقوية الأخلاق داخل المجتمع الأوربي قائمة بالدرجة الأولى على الأسرة فقط؟.

- هناك ٣ عوامل يمكن من خلالها تقوية الأخلاق للمسلمين في ديار الغرب؛ أولها: الأسرة باعتبارها حلقة مهمة في بناء الأخلاق، وثانيها: مجتمع المسلمين المصغر، وما فيه من مؤسسات إسلامية كالمسجد والأندية الشبابية، والمراكز الإسلامية.

أما العامل الثالث فهو الصحبة، ولقد طرحنا مشروعا لإحياء الصحبة الصالحة في الغرب، ونستهدف منه تربية الشباب والفتيات على القيم التربوية والأخلاق الإسلامية، وقمنا بتطبيق هذا المشروع في مركزنا الإسلامي بمانشستر.

ونعد فتيات مربيات من أعمار ١٤ إلى ١٩ عاما؛ بحيث تتربى البنت لمدة عامين وتدرس هذا المشروع، وتستوعب كل أطرافه الإيمانية، ثم تتولى بعد ذلك تربية بنات من سن ٩ إلى ١٢ سنة لزرع القيم الإسلامية في نفوسهن من خلال مصاحبتهن، وأصبح لدينا الآن ٧٦ بنتا من المربيات.

الانحلال الخلقي

* تظهر في المجتمعات الغربية صور من الانحلال الخلقي، ومنها العلاقات المثلية، فما مدى أثر هذه الصور على أخلاقيات مسلمي أوربا؟.

- هناك حالة من النفور والاشمئزاز بين أبنائنا في الغرب تجاه الإباحية، رغم وقوع بعض حالات الانحراف منهم.

* وكيف يمكن أن نحقق تواصلا إيمانيا بين الأقليات الإسلامية والعالم الإسلامي؟.

- عندنا مشاريع لإحداث هذا التواصل، فنحن نعطي الفرصة لشبابنا في الغرب أن ينظموا مخيمات داخل الدول الإسلامية؛ لتكون بمثابة فرصة لتغذية الإيمان في نفوسهم، والتواصل مع المجتمعات الإسلامية. وكان آخر هذه الجهود مؤتمر كشفي بالسعودية؛ ضم عددا من مسلمي أوربا وأمريكا وكندا. ونأمل أن تحتضن الدول الإسلامية أبناءنا في الغرب؛ من خلال برنامج إيماني لمدة شهر أو شهرين يعينهم على التواصل والتربية الإيمانية والدينية، وزيارة الأماكن التي تذكرهم بتراثهم الإسلامي.

وقمنا في بريطانيا برحلة إلى مراكز التراث الإسلامي مثل الشام والأندلس والمغرب، ونظمنا عددا كبيرا من الرحلات يخرج فيها شباب الجامعة لزيارة هذه الأماكن لمدة أسبوع، ومعهم شخص يشرح لهم ارتباط هذه المراكز بتاريخ المسلمين؛ وهو ما يكون رافدا أساسيا لتقوية الإيمان في نفوس أبنائنا وبناتنا في ديار الغرب.

إسلام أون لاين

التصدي للغارة على الحبيب صلى الله عليه وسلم

د. تنيضب الفايدي

إن مشاعر الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوب المؤمنين ثابتة، ويبقى الحب متقداً، حيث إن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب، ويصدقه العمل وفق سنته صلى الله عليه وسلم مما يبقي الشوق وجذوته في مشاعر المسلم وأحاسيسه طوال حياته، لأن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكمن في كل قلب مؤمن به صلى الله عليه وسلم، بل إن حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم قوت القلوب، وغذاء الأرواح المؤمنة، وحبه صلى الله عليه وسلم شرط الإيمان، فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، ومن هذه الثلاثة من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما».

وفيما يلي بعض الخطوات الإجرائية لمقابلة الغارة الشرسة والحرب الطاغية الظالمة على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومقابلة نار الفتنة التي كلما خبت زادها المتربصون بالإسلام اشتعالاً:

أولاً: تعميق محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين ولا سيما الطلاب والطالبات وذلك عن طريق:

- الأسرة: يتناول أفراد الأسرة جانباً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بين فترة وأخرى سواء من حيث كمال صفته، ونسبه، ودعوته، ورحمته وجوده، وكمال صبره، وعدله، وتواضعه، وكمال آدابه، ودراسة غزواته ونتائجها وجهاده في سبيل الله لتبليغ الرسالة، وقيادته وشجاعته.. وعلاقته مع الدول المعاصرة لبعثته صلى الله عليه وسلم، وفضل الصلاة والسلام عليه وتطبيق ذلك.

- المؤسسات التربوية من مدارس ومعاهد وكليات: تقوم كل مؤسسة تربوية بتقديم قبس من سيرته وتقديم الجوائز العلمية للبحوث التي تتناول هذه السيرة بأسلوب مميز وعصري، وتوظيف النشاط باختلاف أنواعه سواء النشاط المستقل أو النشاط المصاحب للمادة وذلك للاهتمام بصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام واختيار بعض كلمات حب المصطفى صلى الله عليه وسلم ضمن كل إشعار يصل إلى يد الطالبة أو الطالب، سواء كان ذلك حديثاً أو حكمة أو أي عبارة تدل على ذلك الحب.

ـ توظيف وسائل الإعلام باختلاف أنواعها (المسموعة والمرئية والمقروءة) حيث تركز في برامجها على جوانب من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والحب والتقدير الذي يحمله أصحابه بين جوانحهم ونماذج من الحب، ويكون ذلك بلغات مختلفة ولا سيما الانجليزية والألمانية، والفرنسية، والاسبانية وخاصة أن معدي البرامج ومقدميها ومخرجيها يمثلون الصفوة المثقفة وهم غيورون على ديننا ونبينا صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: لنا في رسولنا الكريم القدوة الحسنة عند مقابلة هذه الفتنة فقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنواع الأذى فلم يزده ذلك إلا صبراً وتحملاً، كما لم يزده جهل الآخرين عليه صلى الله عليه وسلم إلا حلماً وعفواً حيث لم يُعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تجاوز على أحد ولو بكلمة أو زلة ولم تحفظ عنه صلى الله عليه وسلم أي هفوة ذلك لأنه كما قال صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» لذا فقد تأدب بأدب ربه حيث وصل من قطعه وعفا عمن ظلمه أو تجاوز عليه، وأعطى من حرمه، ويعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى لكل خُلُق فاضل ليتمثل به أصحابه ولمن تبعهم من المسلمين الصادقين في الأولين والآخرين، وهو القدوة في الحلم والصبر حيث تعددت صور حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم، لذا يحتاج الأمر إلى نشر نماذج من الصور المشرقة مع ترجمتها لمواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أساء إليه:

ـ حيث عفا عن من حاول قتله فقد روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده مصلتاً فقال من يمنعك مني، فقلت الله ثلاثاً، ولم يعاقبه وجلس، علماً بأن هذا الرجل لم يسلم حيث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه الحادثة: أتشهد أن لا إلا إله إلا الله، قال: لا، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلوك.

ـ كما عفا عن اليهودية التي أرادت قتله صلى الله عليه وسلم بالسم حيث روى الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها فجيء بها فقبل ألا تقتلها فقال: لا.

ثالثاً: إن المعاملة بالمثل ورد الكلمة بأكبر منها أو بتصرف غير منظم وليس له مرجعية مسؤولة يؤدي ذلك إلى نشر ثقافة الكره والحقد والغلظة، وترديد الوعد والوعيد في وسائل الإعلام لا يمثل الأسلوب الأمثل ولا سيما عند دراسة السيرة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلوب التعامل المميز مع الآخرين ولا بد من التحرك ضمن إطار مخطط له وإظهار أمثلة من تعامله مع أهل الكتاب والمشركين وعفوه عنهم (مترجمة بلغاتهم)، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك

وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم} ويتم ذلك بالسلوك والتصرف الذي يقدم النموذج والقدوة الحسنة.

ولوجود قاعدة «درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة «وقاعدة» عدم سب المشركين خوفاً من أن يسبوا الله سبحانه وتعالى وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدْواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون}. لذا فإن إشاعة هذا الهجوم وتوصيف (الكاريكاتير) في وسائل الإعلام بما في ذلك وسائل الإعلام العربية والإسلامية باختلاف أنواعها تزيد من جراحات المسلمين، لذا وجب عدم تكرار الوصف، ويكتفى بعبارات عامة واتباع أساليب أخرى مثل المقاطعة الاقتصادية التي أتت ثمارها حالياً ولله الحمد. أما إشاعة الهجوم وترديد الكلمات والوصف لما يقولون للرد عليه فإن ذلك يزيد الأمر سوءاً كما هو حاصل الآن حيث إن جميع الرسائل الإعلامية ولا سيما الصحف الأوروبية وغيرها أشاعت بين جماهيرها ما عمدت إليه الصحيفة الدنماركية ونحن - المسلمين - نؤمن إيماناً كاملاً بأن الله سبحانه وتعالى قد كفى رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين. قال تعالى: {إنا كفيناك المستهزئين}.

رابعاً: نظراً لأن الإسلام يواجه عداء أهل الديانات المحرفة وإجماعهم واجتماعهم على ذلك، وبين فترة وأخرى تشن ضده غارات مختلفة، فأحياناً يهان كتاب الله «القرآن الكريم» وأحياناً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحقد على الإسلام يتجدد من كنيسة أو كنيس حيث يعمل منسوبوها إلى إيقاد جذوة (الحروب الصليبية) ورؤساء بعض الدول أعادوها (جذعة) لأن كرههم للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم التصق بأفئدتهم وأعادوا صياغة العالم بأكمله وفق خططهم فقط ضمن إطار موحد لا تخرج عنه أي دولة في الكرة الأرضية ويسمى هذا الإطار «العلاقات الدولية» وما تفرع عن ذلك من العولمة ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة الدول الأوروبية التي تستعدي بها الدنمارك حالياً ضد العالم الإسلامي وقد نجحت في ذلك.

لذا يجب مقابلة ذلك بأسلوب متزن وحكيم مرة بعد أخرى مع (الترجمة بعدة لغات) موقف الإسلام من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بما هم أهله من التوقير والاحترام والإيمان بهم عليهم السلام، حيث إن ذلك من أركان الإيمان كما هو معروف، وتناول القرآن الكريم مواقفهم مع أممهم في سبيل نشر العقيدة وتوحيد الله سبحانه وتعالى، لذا فإن إظهار الإيمان بهم وحب المسلمين لهم وذلك في وسائل الإعلام المختلفة وفي المواقع الإلكترونية والبرامج الموجهة وإظهار دور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في تعظيمه لأولئك المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا سيما سيدنا عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم - رسول الله للنصارى - وسيدنا موسى عليه السلام وسيدنا يوسف عليه السلام وهما من رسل الله إلى بني إسرائيل وغيرهم من الرسل فقد كان يعظمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمل لهم الثناء والتقدير وكمثال لذلك قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيدنا يوسف عليه السلام: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

====================

التميز الإداري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢/١)

إسلام عبد الله

الإدارة ..هي فن قيادة الآخرين، فالإنسان يتشكل من مجموعة من العواطف والمشاعر، لذا فهو بحاجة إلى مرونة كاملة في التعامل معه، لذا فالواجب على الإدارة أن تكون مرنة، وعلى المدير الناجح أن يلاحظ ذلك جيداً ..

ولنا في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة في كل نواحي الحياة على وجه الخصوص في قيادة الآخرين على الأسس السليمة التي رسخها الإسلام، وفي الرفق والتعاون حيث يقول الله -عز وجل- في كتابه الكريم: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).

ولقد رسخ الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- أسس ومبادئ الإدارة وفن قيادة الآخرين من خلال مواقفه مع أصحابه، فكل موقف كان يرسخ مبدأ جديداً في كيفية إنجاز الأعمال بنجاح وتميز دون إهدار حقوق الغير، ودون التقليل من المهام الموكولة للآخرين، بل يصبح تقسيم العمل والتعاون والاستماع للآخرين من الصفات التي ينبغي أن نتحلى بها في تعاملنا نحن في أعمالنا .

وقد كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- أكبر الأثر في توجيه صحابته وتحفيزهم على العمل بكفاءة ،وبذلك فنجده صلى الله عليه وسلم قد وضع هذه الأسس قبل أن نكتب فيها بأربعة عشر قرناً فمن أولى هذه المبادئ :

مهارة تحفيز وتشجيع فريق العمل

يصف الواقدي تحركات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم- بجيشه نحو حُنين حيث ينقل قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه : "ألا فارس يحرسنا الليلة ؟" إذ أقبل أنيس بن أبي مرثد الغنوي على فرسه فقال : أنا ذا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم : "انطلق حتى تقف على جبل كذا وكذا فلا تنزلن إلا مصلياً أو قاضي حاجة ، ولا تغرن من خلفك".

قال : فبتنا حتى أضاء الفجر وحضرنا الصلاة فخرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: " أأحسستم فارسكم الليلة ؟".

قلنا لا والله، فأقيمت الصلاة فصلى بنا ، فلما سلّم رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينظر خلال الشجر، فقال : "أبشروا جاء فارسكم " وعندئذ جاء (أي الفارس) وقال :

يا رسول الله إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصلياً أو قاضي حاجة حتى أصبحت ، فلم أحس أحداً قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "انطلق فانزل عن فرسك وأقبل علينا، فقال : ما عليه أن يعمل بعد هذا عملاً".

كان من منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأداء أنه كان دائما ما يعمد إلى التخيير وبث روح المنافسة بين فريق عمله .. "ألا فارس يحرسنا الليلة ؟".

كما أنه استقبل حديث "أنيس " وهو يتحدث عن دوره وإجادته في تنفيذه بنفس طيبة " قال : يا رسول الله إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصليًا أو قاضي حاجة حتى أصبحت فلم أحس أحداً ".

فلم يتهمه النبي -صلى الله عليه وسلم - وهو يعرض موقفه بنقص في إخلاصه لا سيما وأنه يدلي بهذا الحديث أمام جمع من صحابته -رضوان الله عليهم - ، ثم يبادر النبي بتشجيعه وتحفيزه : "ما عليه أن يعمل بعد هذا عملا" .

وفي هذا الثناء والتشجيع والإشادة بالموقف .. ما يدعو كل مشرف أو مدير إلى استنفاذ طاقة فريقه وتفانيهم في العمل ، كما أن الرسول أتقن فن التحفيز والتشجيع من خلال الأوصاف المتميزة على صحابته، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق – رضي الله عنهما- كما ذكر محمد أحمد عبد الجواد في كتابه "أسرار التميز الإداري والمهاري في حياة الرسول".

مهارة بناء العلاقات مع الآخرين .. والتعامل مع الناس

إذا كانت الإدارة الناجحة في حقيقتها .. هي فن إدارة الآخرين لتحقيق هدف معين؛ فإن مناط نجاحها هو التعامل الأمثل مع هؤلاء البشر الذين يراد بهم تحقيق هذا الهدف ..

ومن ثم تصبح من المسلمات لكل من يتولى مهمة الإدارة أو يتصدى لقيادة الآخرين أن يجيد هذا الفن، حيث إنه سيواجه أصنافاً من البشر تختلف عن بعضها في الأمزجة والميول والمشارب والاتجاهات، وإذا تأملنا هذه الصفة في سيد الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- وجدناها جلية واضحة ..

يقول الإمام البخاري - رحمه الله - :

".. فدخل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على خديجة - رضي الله عنها - فقال زملوني .. زملوني " فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : "لقد خشيت على نفسي "، فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .. "إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق .. " .

لننظر في هذه الصفات ولنتأمل فيما قالته السيدة خديجة -رضي الله عنها- عن رسول الله ، ولكي ندرك أكثر هذه المهارة ونتعامل بها؛ فإن هنا بعض المنطلقات التي ينبغي الإيمان بها حتى تكون حركتنا في هذا المجال راشدة ومهدفة :

* في بناء العلاقات لابد من معاملة كل فرد على أنه مهم - وهو بالفعل كذلك- فلا يوجد إنسان بلا قيمة، وأنت لا تعرف من ستحتاج إليه غداً، كما أن العالم صغير حقيقة لا مجازاً، وستدهش عندما تكتشف أن كثيرين ممن تعرفهم سيتقلدون مناصب مهمة لم تكن تتوقعها .

* في مجال التعامل مع الآخرين ينبغي أن ننتبه إلى أن أنهم ليسوا نمطاً واحداً، وفي نفس الوقت مطلوب منا أن نتعامل معهم جميعاً، ومن ثم كان علينا أن نعرف الجهد في تنمية مهارات التعامل معهم بأنماطهم المختلفة، وليس الحكم عليهم وتقييمهم؛ لأننا لن نعدم أن نجد بعض نقاط التميز حتى في الشخصيات التي نختلف معها .

وفي حديث السيدة خديجة جعلت من صفات الرسول شخصية مجمعة؛

فهو يحمل الكلّ، ويكسب المعدوم، وفي هاتين الصفتين إشارة إلى ما ينبغي أن يتمتع به من يدير الآخرين تجاههم من عاطفة جياشة تجعله يسعى إلى خدمتهم والسهر على راحتهم والمسارعة في بذل الخير لهم، وهو صلى الله عليه وسلم يقري الضيف؛ لذا لابد للمدير الناجح أن يكون دائما كريمًا وجواداً يحسن استقبال ضيفه .

مهارة التفويض الفعال .. وتوزيع المسؤوليات

إن الأكتاف القوية لا تنمو إلا بالتدريب، والمساعدون الأكفاء لا يولدون من فراغ، والمؤسسات القوية هي التي تحسن إدارة عملية تفويض المسؤوليات والاختصاصات، ولا تعتمد على مستوى إداري واحد تحسن إعداده فحسب؛ وإنما تبني كل منطلقاتها وحركتها على إدارة عملية التفويض، حتى لا يمر في أية مرحلة من مراحله بمنعطفات أو مشكلات تنبع من عدم وجود المستوى المؤهل لتناول القيادة من سابقه ، كما أن نجاح المدير أو المشرف يكمن في إدراكه لهذا الأمر في مؤسسته أو إدارته .

ولقد أدرك الرسول -صلى الله عليه وسلم- أهمية هذا الأمر، ومن ثم : أوجد النبي لكل طاقة ما يناسبها من عمل، ووزع المسؤوليات، وفرض المهام ومنح أجزاء متساوية من المسؤولية والسلطة لأصحابه رضي الله عنهم؛ ففي عهده صلى الله عليه وسلم تولى على بن أبي طالب وعثمان بن عفان كتابة الوحي ، كما كان يقوم بذلك أيضاً أثناء غيابهما "أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يقومان بكتابة أموال الصدقات ، وكان حذيفة بن اليمان يعد تقديرات الدخل من النخيل، وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان الميزانيات والمعاملات بين الناس .

وفي هذا إشارة إلى أصحاب المسؤوليات في تفويض المهام، وأن يعهد ببعض مهامه إلى أحد معاونيه، ويعطيه سلطة اتخاذ القرارات اللازمة للنهوض بهذه المهمة على وجه مُرضٍ.

ومما لاشك فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أدى هذه الأدوار؛ فإنه سيكون أسرع وأفضل ، ولكن على المدى القصير، وسيتحمل أكثر من طاقته، ويغرق في كثير من التفاصيل الروتينية وتصبح المسؤولية عبئاً ثقيلاً .

ومن ثم أدرك الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن قدرته على تحقيق النتائج ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأداء أصحابه .

وقد ظهر تفويض السلطة في عهد الخلفاء الراشدين حينما كان سيدنا عمر بن الخطاب يطلق الحرية لعماله في الشؤون الوظيفية، ويقيدهم في المسائل العامة، أي يفوضهم بعضاً من السلطات ويراقب عملهم في حدود ذلك التفويض، وكان يختبر موظفيه بين الحين والآخر ليتأكد من كفاءاتهم وقدرتهم .

ويبدو ذلك جليًا في موقفه مع (كعب بن سور) حينما كان جالسًا عند عمر فجاءته امرأة تشكو زوجها فقال " لكعب : اقض بينهما فلما قضي قضاءه قال لكعب : "اذهب قاضيًا على البصرة" .

وهنا لا ينبغي للمشرف أن ينظر إلى التفويض على أنه تهرب من المسؤولية؛ لأنه المسؤول في النهاية عن نتائج إدارته، ومن ثم فهو يفوض طريقة العمل ولا يفوض المسؤولية .

كما أن التفويض ليس تخلصاً من المهام غير الممتعة، بأن يعهد بها المدير إلى أحد مرؤوسيه؛ إنما ينبغي أن ننظر إلى التفويض على أنه إيجاد البدائل القادرة على القيام بالصورة المثلى في المستقبل مستصحبة في أدائها الفعال ما سبق لها من تجربة ناضجة في أدائه .

التميز الإداري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم(٢/٢)

إسلام عبد الله ١٤٢٤/٨/٥

٢٠٠٣/١٠/٠١

نحن نعقد الاجتماعات لكي يعبر كل فرد فيها عن وجهة نظره في القضايا المطروحة ، وحتى يتاح للمجتمعين هذا الأمر لابد من التركيز على الجوانب الإنسانية في الاجتماعات، وعدم الوقوف عند الجوانب الشكلية في الاجتماع ، ومن ثم كان جواز المرور لأي مدير فعال في إدارة اجتماعاته هو أن يدع كل فرد يعبر عما يؤرقه، وأن يجمع الآخرين حوله، ولا ينحاز لأحد داخل الاجتماع؛ بل يسعى جاهداً في أن يجعل مجموعته صفًا واحداً .

والمتأمل في مواقف النبي -صلى الله عليه وسلم- في إدارته لاجتماعاته يلمح هذا الأمر جلياً؛ فقد كان الرسول في اجتماعاته ومجالسه "لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها (أي اختصاص كل واحد بمجلس معين في المسجد أو غيره) وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه

نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه (وقف معه قائمًا) في حاجة صابَره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول ".

أما عن سيرته في جلسائه : فقد " كان الرسول دائم البِشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ (سيئ الخلق)، ولا غليظ، ولا سخاب (صياح)، ولا فحاش ولا عياب، ولا مزّاح .. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه ..".

فقد ترك نفسه من ثلاث : المراء (الجدل) ، والإكثار ، وما لا يعنيه .

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه .

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فإذا تكلم سكتوا، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده (أي لا يتكلمون سوياً) ، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ .

مهارة المتابعة وتقويم الأداء

إن وجود هدف مخطط له في أية مؤسسة أو في أي عمل من أعمال الفريق لا يعني أن الهدف قد تحقق .

ومن ثم كان على المدير أو المشرف أن يقوم بمجموعة من الأساليب والإجراءات لكي يتأكد من أن ما تم إنجازه مطابق لما يجب أن يكون، ومحققا له ، ولك أن تتخيل ماذا يحدث لو تركنا كل شئ يجري دون أن نتأكد من أن ما يتحقق أو ما تحقق مطابق للأهداف .

فالمدير الناجح أو المشرف الناجح مثل قائد السفينة، لا يمكن ولا يصح أن يترك عملية الرقابة حتى يكتشف أنه ضاع أو تاه؛ بل يجب عليه أن يتأكد أن سفينته في طريقها للهدف المحدد لها بالكفاءة المحددة مقدماً .

وقد تواترت المواقف النبوية التي تشير إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قد أولى المتابعة أهمية خاصة ، وصحح من خلالها كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها الصحابة -رضوان الله عليهم-، وتعددت مناهج هذه المتابعة؛ فتارة نجدها قبل العمل، وتارة أثناء العمل، وتارة أخرى بعد انتهاء العمل .

في قصة "كعب بن مالك" وتخلفه عن غزوة تبوك قدوة ومثل؛ فقد جاء كعب بن مالك فلما سلم عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال له : تعال قال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه؛ فقال لي " ما خلّفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟" فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت إني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله عني، والله ما كان

لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك؛ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك" فقمت .

كان من نهج النبي- صلى الله عليه وسلم- في تعامله مع صحابته المتابعة وتقويم الأداء، فهو يسأل " كعب بن مالك " عن سبب تخلفه في الغزوة "ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟" فما كان رسول -الله صلى الله عليه وسلم- يترك كل فرد يتصرف من تلقاء نفسه، وإنما كان يتابع ويُسائل وإن كانت هناك فكان يحاسب .

ومن ثم كان على المدير أن يتابع وأن يقوّم أداء فريقه؛ لأنه إذا تُركت الأمور بغير متابعة فسوف تختلط الأمور ، ويضيع جهد العاملين ..، غير أن هذه المتابعة لا ينبغي أن تكون في كل دقائق أمورهم؛ فإن ذلك يبعث على النفور، ويشعرهم بأنهم في حصار مستمر، ومن ثم يضطرون لإخفاء الحقائق أو التورية، فيها ويفقده ذلك ثقته بنفسه .

فلا ينبغي للمشرف أن يجعل فريقه يصل إلى هذه الحال حرصاً على سلامة قلوبهم وصدق حديثهم وتحرر أفئدتهم ووجدانهم ، وقد عزل النبي "العلاء بن الحضرمي" عمله في البحرين؛ لأن وفد عبد القيس شكاه وولى إبان بن سعيد، وقال له : "استوص بعبد القيس خيراً ، وأكرم سراتهم ".

وكان صلى الله عليه وسلم يستوفي الحساب على العمال، ويحاسبهم على المستخرج والمصروف ، وقد استعمل صلى الله عليه وسلم مرة رجلاً على الصدقات، فلما رجع حاسبه .

وعن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله استعمل رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم، فلما جاء بالمال حاسبه فقال الرجل هذا لكم وهذا هدية أُهدي إليّ؛ فقال النبي: "فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ! " ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدي إلي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ؟ والذي نفس محمد بيده لا نستعمل رجلاً على العمل بما ولانا الله فيغفل منه شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه ".

فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحاسب عماله، ويناقشهم من أين لهم ما يملكون؟ ومن أي طريق وصل إليهم؟

كما سار على هذا النهج عمر -رضي الله عنه -، أخرج البيهقي وابن عساكر عن طاووس أن عمر -رضي الله عنه- قال : أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمر بالعدل أقضيت ما عليّ ؟ قالوا : نعم ! قال لا حتى أنظر في عمله أعمِل بما أمرته أم لا؟ ..فهذه كانت بعض من تعاليم المدرسة النبوية في فن قيادة الآخرين..

==========================

التنديد والاستنكار لا يُغنيان عن التبصير والحوار

الكاتب: محمد سعيد رمضان البوطي

إنكار المنكر والتنديد به واجب ديني أمر به الله ضمن شروط، وهو من أولى ثمرات البغض في الله. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «أوثق عرى الإيمان بالله الحب في الله والبغض في الله». وملاقاة صاحب المنكر لدعوته إلى الإقلاع عنه، والسعي إلى إقناعه بذلك عن طريق الحوار، واجب ديني آخر لا معنى للاستنكار والتنديد من دونه، وحسبك دليلاً قاطعاً على ذلك قوله تعالى: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن».

ومن المعلوم أن أصواتاً كثيرة من مسؤولين وغيرهم، ارتفعت في الدنمارك بعد ازمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تدعو علماء المسلمين والدعاة إلى هذا الواجب الذي أناطه الله بأعناقهم، وإلى التلاقي لبحث هذا الموضوع، وفتح باب الحوار حول حقيقة الإسلام وما ينبغي أن يعرفوه من سيرة رسول الله. وسئلت من قبل بعض من وجهت إليهم هذه الدعوة عن رأيي في الاستجابة لها، فقلت: إذا دعينا إلى التباحث والحوار حول الإسلام أو ما يتعلق به، فلا خيار لنا في الأمر، والاستجابة للدعوة واجبة، والخطاب القرآني في ذلك قاطع. غير أني علمت من بعد أن في الإسلاميين (وأنا لا أحب التعامل مع هذا المصطلح، لكنني أستعمله الآن على سبيل المشاكلة) مَن حذّر من الاستجابة لهذه الدعوة، وأصرّ على أن الحوار مرفوض وغير وارد وبذل جهداً كبيراً للصدّ عن هذا السبيل!

وبصرف النظر عما تم بعد ذلك من توجه ثلة من الناشطين في أعمال الدعوة الإسلامية إلى الدنمارك، ومن اللقاءات الحوارية التي تمت، والآثار المحمودة التي نجمت عن ذلك، فإني أود أن أسأل أولئك الذين ضاقوا ذرعاً بالحوار وحذروا إخوانهم منه، وذهبوا في استنكار سعيهم إلى ذلك قريباً من استنكارهم للذين تطاولوا على رسول الله: أهو استنكار منكم لمشروعية الحوار مع الآخرين، أم هو قناعة منكم بأن الذين توجهوا للقيام بهذا الواجب غير مؤهلين له، وبأن سياسة الدعوة إلى الله ومحاورة الآخرين عن طريق الدعوة وقف على منظمة أو جمعية، أنتم دون غيركم سدنتها، وإليها دون غيرها كلمة الفصل في قرار الاستجابة وعدمها؟

نفترض أولاً أن الموقف هو إنكار مشروعية الحوار مع الآخرين عموماً، أو مع الذين تورّطوا في التطاول على رسول الله خصوصاً. ولا بد أن نبدي في هذه الحال دهشتنا من تجاهل ما هو معلوم بالبداهة من أوامر القرآن وما هو معلوم لكل مسلم مثقف من سيرة رسول الله. اذ كيف يتأتى طيّ الدعوة إلى الحوار أمام قول الله تعالى: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»؟ وفي القرآن مشاهد كثيرة للحوار العقلاني مع الآخرين، لا يجهلها من هو على صلة مّا بالقرآن. بل كيف يتأتى الإعراض عنه والتهوين من شأنه وقد علمنا أن رسول الله ضحى بسبعة من عيون أصحابه يوم الرجيع في سبيل الحوار مع المشركين، ثم ضحى في العام ذاته بسبعين من

أخلص أصحابه على طريق الحوار مع المشركين في نجد، لم ينج منهم إلا واحد أبقاه الله ليعود إلى رسول الله بخبر ما جرى لإخوانه؟

وقد دل عمله عليه الصلاة والسلام على أنه لم يكن يشترط لمشروعية الحوار أن يكون ناجحاً أو يغلب عليه النجاح، بل كان ينطلق إليه استجابة لأمر الله، بصرف النظر عن النتائج. إنّ نجاح الحوار مع الآخرين، في يقينه، أن يتم على النهج الذي أمر الله به، سواء هدي الآخرون إلى الحق بسببه أم أصرّوا على باطلهم وتمسكهم به. إنه الإبلاغ الذي لا بديل عنه، وهو الواجب المراد لذاته، بصرف النظر عن النتائج. ثم إن الإعراض عن الدعوة التي توجه إلى المسلمين للتلاقي من أجل الحوار، لا بدّ أن يحمل في طياته الدلالة على أن كلاً من الاستنكار والتنديد مطلوب لذاته، وليس وسيلة لحل مشكلة أو أداة للإقلاع عن منكر. ومعاذ الله أن يحتضن الإسلام مثل هذه الدلالة.

وصفوة القول أن محاورة الآخرين هو العمود الفقري لسائر أعمال الدعوة إلى الله، وحسبك من قدسية أعمال الدعوة إليه عز وجل قوله في محكم تبيانه: «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين». فمن وقف في وجه الحوار أو فنّده أو استخف به، فليعلم أنه إنما اتخذ هذا الموقف من واجب الدعوة إلى الله عز وجل.

على أن تلاقي علماء المسلمين ودعاتهم مع الآخرين أياً كانوا على مائدة المباحثة والحوار، له آثار ونتائج أخرى ذات أهمية بالغة. اذ يزيل كثيراً من اللبس الذي يرسخه ويضخمه تجافي الأطراف عن اللقاء، ويكشف عن كثير من النقاط الغامضة والأمور المجهولة التي تسبب الوحشة وتفتح أمام العدو المشترك مجالاً رحباً للإيقاع بين الأطراف. وعلى سبيل المثال، فإن الالتباس القائم بين حرية التعبير عن الرأي والمعتقد، وحرية إيذاء الآخرين بالهمز واللمز وتمزيق الكرامة، في ذهن كثير من الناس في الغرب، إنما يزيله التلاقي والحوار. وعلى سبيل المثال أيضاً من المفيد جداً أن يستبين لكل من الجالية الإسلامية في أوروبا والقائمين بالحكم وإدارة الأمور السياسية فيها، ما يلعبه طرف ثالث من دور خفي وخطير للإيقاع بين تلك الجالية والممْسِكين بأزمّة الحكم هناك. وقد كان هذا الدورُ إلى الأمس القريب خفياً، وكان أبطاله يتوارون عن أعين الرقباء في الظل. لكن كُلاً من الدور وأصحابه باتا اليوم جليين ومكشوفين، ويتلخصان في ما أقدمت عليه الصهيونية العالمية من سلسلة محاولات، إثر النتيجة التي انتهى إليها الاستفتاء في المجتمعات الغربية كلها قبل خمس سنوات، والذي كانت نتيجته أن إسرائيل هي الدولة الإرهابية الأولى في العالم، وهي أيقنت أن ما جاء بهذه النتيجة غير المتوقعة إنما هو نشاط الجاليات الإسلامية المتزايد في أوروبا عددياً وتغلغلاً حضارياً.

وسرعان ما وقعت إسرائيل على العلاج الذي يدرأ هذا الخطر الكبير عنها. إنه علاج واحد لا ثاني له، هو العمل بكل الوسائل الممكنة على الإيقاع بين دوائر الحكومات الأوروبية والجاليات الإسلامية فيها. كانت الوسيلة الأولى إلى ذلك إثارة مسألة الحجاب الإسلامي وتحريك أصحاب القرار للعمل على منعه، ثم أعقبتها الوسيلة الثانية اليوم، وهي استثارة غيظ المسلمين عن طريق دفع بعضهم إلى التطاول على شخص رسول الله

عن طريق الرسوم. والكشف عن هذه الحقيقة لا سبيل له إلا الحوار، مشفوعاً بعرض الوثائق والدلائل. وسيتضح حينئذ أن الطرفين، الأوربيين والمسلمين، إنما يراد لهما أن يكونا ضحيتين لهذا المكر. ومعرفة الخفايا في مثل هذه الحال هي السبيل إلى حلّ المشكلة وإنهاء التوتر.

هذا هو الافتراض الأول في السبب الذي دعا أولئك الناس إلى أن ينكروا على إخوة صالحين لهم استجابتهم للدعوة التي تلقوها من كثير من المسؤولين الدنماركيين للتلاقي على مائدة الحوار. أما الافتراض الثاني فهو قناعة أولئك أن الذين هَبُّوا للاستجابة، وتوجهوا، من دون أي استئذان منهم إلى مائدة المناقشة والحوار، غير مؤهلين لذلك، وأن القيام بمثل هذا العمل ينبغي أن يكون وقفاً على جماعة أو منظمة بخصوصها، ومن ثم فإن تجاوزها شق لعصا الجماعة وعقوق لمقتضى الانتماء. ونقول تعقيباً على هذا الافتراض: لو كانت الخلافة الإسلامية بأيامها المزدهرة ممتدة إلى يومنا هذا، إذن لقلنا: إن خليفة المسلمين وإمامهم هو المرجع الأول في معالجة هذه المشكلة واتخاذ القرار المناسب لحلّها، وإن على سائر العاملين في الحقل الإسلامي من علماء الإسلام والداعين إليه، أن يهتدوا بهديه وأن يلتزموا تعاليمه، ولقلنا إن أي شرود عن تعاليم الخليفة شقٌّ لعصا المسلمين حقاً وفتح لثغرات الخلاف في بنيان الوحدة الإسلامية.

لكن عصور الخلافة الإسلامية طويت -كما هو معلوم – عن حياتنا اليوم، وعادت الدولة الإسلامية دويلات شتى، وأصبح علماء المسلمين والدعاة إلى الإسلام جماعات متنوعة. ولا يتأتى في هذه الحال أن تزعم جماعة منها أن لها سلطة القيادة والتوجيه على الجماعات الأخرى. ومهما تمكنت من جمع شتات العلماء وضفرهم في جماعة واحدة، فإن عليّ أن أعلم كما قال الإمام مالك للمنصور: ان من وراء جماعتي هذه علماء أفذاذاً كثيرين منتشرين في أصقاع الدنيا كلها، لا سلطان لي على شيء من أفكارهم واجتهاداتهم، وليس لي من سبيل إليهم إلا الأخوة في سبيل الله والتعاون على مرضاة الله، بل عليّ أن أعلم أيضاً أن ليس لي من سلطان على الناس الذين انضووا في جماعتي. إن لهم أن يكونوا أعضاء في جماعتي اليوم، وأن يتحولوا عنها غداً، وإن لهم أن يتّفقوا اليوم معي في اجتهاد رأيته، وأن يخالفوني إلى اجتهاد آخر يرونه غداً.

فإن أنا أبيت إلا اتباع الناس كلهم للجماعة التي اصطفيتها، وأصررت على أن أتهم المخالفين لي بشق عصا المسلمين، لا سيما في أمر لم يشرد المخالفون فيه عن أمر الله ورسوله، بل انقادوا فيه لأمر كل منهما، فذلك دليل ناطق بأني اتخذ من عصبيتي الفردية أو الجماعية حاكماً على شرعة الله وهديه. ولا أعلم في الدنياكلها ابتلاءً يطوف بالفئة الداعية إلى الله، شرّاً من الابتلاء بمشاعر العصبية للذات أو الجماعة، إنها إن هيمنت على صاحبها أحالت شرعة الله وأحكامه إلى مطية ذلول تدار على خدمتها، أي خدمة العصبية وتغذيتها بغذاء الاستكبار والاعتداد بالذات.

أخيراً، وبصرف النظر عن هذين الاحتمالين والتعليق عليهما، فإن الحوار الذي دعت إليه فئات من المسؤولين وغيرهم في الدنمارك تم كما هو معلوم، وحقق كثيراً من ثماره.

وإنه لَعبادة مأجورة حتى ولو لم يحقق شيئاً من ثماره، فكيف وقد حقق الكثير منها. ولَتمنيت أن لم تَحُلْ موانع دون اشتراكي مع الذين تقربوا إلى الله بهذا الجهاد الفكري المبرور. ولقد عشت حياتي الغابرة كلها وأنا أقدس الحوار وأدعو إليه واستجيب له، ورأيت بعيني آثاره الحميدة، ودوره في تبديد غاشية الوحشة مع الآخرين، ومدً نسيج الأنس في مكانها معهم.

لقد استنكرت الكفر الذي تنطوي عليه المادية الجدلية، ولكني ترجمت استنكاري لها بدرسها وهضمها والتأمل في قوانينها ومقولاتها، ثم أقبلت إلى قادتها ومنظّريها أناقشهم فيها، على ضوء موازين العلم وحده، فكان من وراء ذلك الخير العظيم والتلاقي على الحق. واستنكرت الكفر الذي تنطوي عليه الفلسفة الوجودية، وجربت حظي في التطاول على الآخذين بها والمنتسبين إليها، وفي تسخيفهم والاستهانة بأفكارهم، فلم أعد من تلك التجربة إلا وقد حُمِّلت أضعاف ما اتهمتُهم به من السخافة في الفكر والضياع في الانتماء. عندئذ أقبلت إلى الوجودية أعكف على درسها، وأحمّل نفسي وعقلي أثقال سخافتها، ثم عدت إلى الذين أوسعوني اتهاماً بالجهل والتخلف والفكر المشيخي الضيق، أحاورهم فيها وأجادلهم في مقولاتها، فكان أن تحول التقاذف بيننا بتهم السخافة والكفر والجهل، إلى التواصل والتآنس من خلال جسور الحوار العقلاني، ثم تفتحت خلال الحوار فرص الحديث عن الإسلام وحقيقته ومصدره، وتجلى للجميع في أكثر من لقاءٍ مصداق قول الله تعالى: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق».

شرط واحد ينبغي أن يلاحظه ويلتزم به المسلم الداعي إلى الله عند محاورته للآخرين، هو أن يقف منهم موقف الندّ من الندّ، ولا يجوز أن يتعالى عليهم أو أن يقف منهم موقف المرشد من مريده أو موقف الناصح من المتنكب عن الجادة. وحصيلة القول أن واجب التنديد والاستنكار لا يغني عن واجب التبصير والحوار. وإذا كان الإخلاص لله هو السائق والحادي، فلسوف ينبثق من تلاقي هذين الواجبين خير كبير يعم سائر الأطراف.

صحيفة الحياة اللندنية

=========================

الجرائم الغربية

الكاتب: د. رقية بنت محمد المحارب

تابعنا الخبر المصاحب لمقاطع الفيديو والصور التي بثت لتظهر الجريمة البريطانية التي ارتكبها بعض العلوج البريطانيين في حق صبية ضربوهم بوحشية، بعد أن استاقوهم إلى ملاذ ظنوه آمناً من العيون، فإذا به يظهر الفضيحة على رؤوس الأشهاد ليراه العالم كله، فما قول السادة غير المحترمين الذين زكموا أنوفنا وهم يطبلون ببقاء العلوج في ديارنا، ويغسلون عقولنا بمقالاتهم الصفراء والخضراء مدافعين عن الثقافة الأمريكية الأوروبية التي تحمل لنا التقنية، وتقدم لنا الرقي والتطور والديمقراطية على طبق من ذهب...

إلى كل من شاهد أحداث ضرب الصبية حتى الموت بكل ما تعنيه كلمة البشاعة من معنى أقول أليس هذا إرهاب، أليس موت السجناء في سجن أبو غريب تحت التعذيب إرهاب، أليس احتجاز السجناء دون محاكمة أو موتهم في غوانتانامو إرهاب..

أم أن الإرهاب عندنا محصور فيمن عافت نفسه زبدة الدنمرك وجبنتها، وهو يتخيل رسوماً مشينة لخير البرية الذي نتقرب إلى الله بحبه وتعزيره وتوقيره، وهو لنا دين ..

أم أن الإرهاب جمع الكلمة ليكون لنا صوت فقط!.. صوت يقول للعالم المتعدي على مشاعرنا لا أسمح أن تهين رسولي!.

إني لأعجب كل العجب وأنا أقرأ مقالات لكتبه يمارسون تضليلاً فكرياً وقحاً، ويخونون أمانتهم حينما يصبون جهودهم في مصالح عدو أمتهم التي أرضعتهم وعلمتهم واحتضنتهم، فهل تملي عليهم المصلحة الشخصية هذا الفعل لقاء ما يتقاضونه من أموال مغرية.. وهل تستحق أموال الدنيا أن أطأ عنقاً حملتني، وأقطع يداً أطعمتني، وأفقأ عيناً رعتني وسهرت لأجلي..

يقول الحق سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ).

نزلت هذه الآية في حاطب بن بلتعه حين بعث من يخبر قريشاً بنية النبي صلى الله عليه وسلم غزوهم ليستعدوا له، ويريد بذلك أن يتخذ عليهم يداً ومعروفاً يحفظون له بها ماله ولده.. وقد عد ذلك الصحابة خيانة طلبوا بها إهدار دمه وحكموا عليه بالنفاق.. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له وعفا عنه بشهوده بدر، وأخبر عن رضا الله تعالى عن أهل بدر ولعله اطلع عليهم وقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم.. وقد ذم الله تعالى من يعرّض مصالح الأمة المسلمة للخطر، وإن أعظم مصلحة للمسلمين هي مصلحة ظهور عزتهم، وغلبة دينهم وحفظ عقيدتهم..

ومضة..

ساءني جداً خرق بعض المشائخ إجماع الأمة على مقاطعة البضائع الدنمركية مع حبي لهم وتقديري لتاريخهم، إلا أن موقفهم هذا لم يكن مدروساً!! ولم يتحققوا فيه، مع أن من المهم لمن كان من أهل المنابر أن يتريث قبل أن يصرح برأي حتى يرى أبعاد رأيه، لاسيما إذا كانت القضايا عامة تهم الأمة جمعاء..

لا أعتقد أبداً أنه ساءكم أن تروا قوة أمتكم، ولا أزعجكم قلق الغرب من ردة الفعل الإسلامية التي جعلتهم يتحسسون أنفسهم، ويبادرون إلى التخلي عن الدنمرك بعد أن حاولوا الوقوف معها وتبديد الحصار المضروب عليها.. كما ظهر ذلك من المفوضية الأوروبية بانتقادها تصرف الدنمرك..

موقف الدنمرك الذي لا أحد يحسدها عليه صنعه الاطباق الإسلامي على المقاطعة، والموج الكاسح لجميع شرائح المجتمع ومؤسساته الذي شكل طوفاناً أرعب الغرب، يعيد

لنا الثقة بأننا مازلنا نملك قوة تحفظ لنا بعض عزتنا المفقودة، وتعيد جزءً من هيبتنا في نفوس الآخرين، وكم تحقق لنا هذه السياسة الشعبية من مصالح لحكوماتنا وأمتنا وشعوبنا لو تعلمون..

وتأملوا قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم}

وتأملوا قوله تعالى {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}

وهل أقوى من الاجتماع على الكلمة، وهل أضر وأدعى للفشل من التفرق وشق الصف{وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}والله من وراء القصد

=======================

الحرية الحقة

د. نجاح بنت أحمد الظهار

ينددن الغرب بكل ما أوتي من فصاحة، بأنه زعيم دعاة حرية الإنسان والحارس الامين لحرية الرأي والتعبير، ودليل ذلك انه ماجاء للعراق، وأقام تلك الموائد الحافلة بجثث النساء والاطفال والشيوخ الا ليكفل لهم الحرية وهم في اكفان الموتى.

ومن منافحته عن حرية الرأي والتعبير، انه لا يرى بأسا في ايذاء مشاعر الشعوب، واستثارة حنقها وغضبها بالتعدي على مقدساتها، والنيل من اديانها فلو رجعنا إلى وثائق هؤلاء، المشرعين الوضعيين الغربيين في مجال حرية الرأي بعد تجاربهم الطويلة فاننا سنجدهم ينقسمون قسمين:

قسم يرى حرية القول دون قيد الا فيما يمس النظام العام، وهؤلاء لا يعيرون الاخلاق أي اهتمام. وتطبيق رأيهم يؤدي دائما إلى التباغض والتنابذ والتحزب ثم القلاقل والثورات وعدم الاستقرار.

وقسم يرى تقييد حرية الرأي في كل ما يخالف رأي الحاكمين ونظرتهم للحياة، وتطبيق رأي هؤلاء يؤدي إلى كبت الآراء الحرة، وابعاد العناصر الصالحة عن الحكم، ويؤدي في النهاية إلى الاستبداد، ثم القلاقل والثورات.

اما الدين الإسلامي دين الوسطية، فانه يجمع بين الحرية والتقييد، فلا يسلم بالحرية على اطلاقها، ولا بالتقييد على اطلاقه.

فالقاعدة الاساسية هي حرية القول، واهم القيود على هذه الحرية:

١- ان لا يكون في القول عدوان، وان يكون طيبا بعيدا عن الفحش والقبح وبذاءة اللسان، يقول المولى عز وجل: " وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد" الحج ٢٤.

٢- الدعوة إلى الرأي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، لقوله تعالى: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" النحل: ١٢٥

٣- ان يكون الكلام مطابقا للحقيقة صادقا مثبتا. بعيدا عن الظن، فان الأصل في حرية القول هو الصدق في الأقوال؟ لان الكذب قبيح مذموم، فقد حث الإسلام على توخي الصدق لقوله تعالى: " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" التوبة ١١٩

٤- ان لا يسمح بالمساس بالقواعد الخلقية، ولا يسمح بتحسين الأقوال أو الأفعال القبيحة كالنفاق وتعاطي الرشوة، والتعامل بالربا، وفعل المنكرات.

٥- عدم السماح بتشكيك الناس بمعتقداتهم، ونشر الالحاد في المجتمع، والعمل على تفريق الأمة والشعوب، كي تصبح شيعا يقاتل بعضها بعضا.

٦- عدم الاجتراء على الاديان السماوية، والاضرار بالاسلام واهله عامة إذ تجب العقوبة حدا وتعزيرا في هذه الحالة على المفسد المسيء لاستخدام الحرية.

٧- تحري الحق والعدل، وترك المحاباة والمجاملة التي تعلي الباطل وتزهق الحق هذه الحرية الحقة المقننة بكل دقة لها ثمراتها على الفرد والمجتمع إذ هي تنشر الثقة بين افراد الأمة، وتؤدي إلى نمو الاخاء والحب والاحترام بين الافراد والشعوب، كما تؤدي إلى قوة بناء الأمة وتماسكها وتضامنها فلا يطمع فيها عدوها وتجعل من أمة الإسلام هي الأمة الداعية إلى الخير والسلام في العالم أجمع.

٨- وان من نتاج هذه الحرية ان الإسلام كفل حرية الاديان التي انطوت تحت لواء حكمه وخاصة الاديان السماوية، فالاسلام قد قرر هذه الحرية دون ان يخوض تجارب سلبية دامية كتجربة محاكم التفتيش في العصور الاوروبية الوسطى.

٩- كذلك الاسبان عندما غلبوا المسلمين على الاندلس، خيروهم بين ترك الاندلس أو الدخول في دين النصرانية او القتل، فقضوا بهذه الحرية الجائرة على ملايين المسلمين ومنعوا ان يذكر اسم الله في دولة كاملة عاش المسلمون فيها ثمانية قرون.

اما حرية الإسلام فانها تعلن انه " لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " البقرة: ٢٥٦

وفي هذا ما يدحض تلك الافتراءات القائلة بان الدين الإسلامي انتشر بحد السيف، وآخرها تلك الرسومات البشعة الكاذبة التي نشرتها الصحف الدنماركية ومن تبعها فاظهرت سيد الخلق واشرفهم واكرمهم صلى الله عليه وسلم وهو يعتم بعمامة مليئة بالقذائف اشارة إلى الإرهاب.

كيف يكون ذلك وهو المبلغ لقول المولى عز وجل: " فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ" الشورى: ٤٨ فهذه الآية الكريمة تلزم الناس ان يحترموا حق الغير في اعتقاد ما يشاء، وفي تركه يعمل طبقا لشريعته، فليس لأحد ان يكره آخر على

اعتناق عقيدة ما اوترك أخرى. وان كان عليه اقناعه بالحسنى فان قبل عن قناعة كان له ذلك، والا فانه يكفي صاحب العقيدة المضادة انه ادى واجبه فبين الخطأ وارشد إلى الحق بالحسنى.

والإسلام دين الحرية الحقة هو الذي امن غير المسلمين على شعائرهم الدينية وتركهم يمارسونها بشكل لم يعرف له مثيل في أي دين أو نظام آخر، فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، يدعو إلى تركهم وما يدينون واليهود والنصارى يترددون على كنائسهم وبيعهم في ظل الدولة الإسلامية ولم يعرف ان حاكما مسلما هدم كنيسة أو اقفل بيعة أو حولها إلى مسجد، ومن سماحة الإسلام ان المسلم إذا كانت تحته كتابية فلا يمنعها من ممارسة شعائر دينها.

ولنقارن بين هذه الحرية الحقة التي دعا اليها الإسلام على يد اشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وبين الحرية المعاصرة التي لبست وجوها واقنعة كثيرة مبهرجة لخداع الناس، ولنستعين بذاكرة التاريخ، ونرى ما فعلته الشيوعية وامثالها بالمسلمين في كل انحاء المعمورة ، فالبستهم لباس الجوع والخوف ومنعتهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وهدمت المساجد ومنعت الأذان ، واجبرتهم على تغيير هويتهم الاسلامية، حتى الأسماء الشخصية والحروف العربية لم تسلم من ذلك الجبروت.

======================

الحرية المطلقة .. كيف نفهمها

الكاتب: بشرى ماروق

إن لكل شعب الحق المطلق في ممارسة حريته داخل بلده ،لكن ما نحب أن نلفت الانتباه إليه، هو أن هناك حرية بالمعنى الراقي للحرية، وهي الحرية التي لها خطوط حمراء لا تتجاوزها. وهناك حرية سلبية وهي الحرية المطلقة. وهذه الأخيرة لا يقبل بها الكل نظرا لمساوئها الكثيرة، ومن يقبل بها ويقرها فلا بد من أن يكتوي بنار سلبياتها، لكن ليس له الحق في أن يكوي بها غيره من الشعوب، إلا أن أن يقبلوا، ونحن كمسلمين لا نقبل بأن نكتوي بهذه النار وهذا حقنا. لأننا لانؤمن بوجود حرية مطلقة في أي مجال من المجالات. ونقول للشعوب التي تؤمن بالحرية المطلقة إذا كنتم تؤمنون بها حقا، فلماذا تسنون قوانين وتبنون محاكم وسجون وتكونون محامين وقضاة ... أليس هدا اعتداء على الحرية.

ولتقريب الصورة نضرب مثلا ، لنفرض أننا في بلد يؤمن بالحرية المطلقة فإذا بشخص يسب جاره وقد يتهجم عليه بغير سبب حتى إذا سئل عن سبب الاعتداء أجاب: هذا ليس اعتداء وإنما هي حرية وأنا في بلد الحرية وقد آن لجاري أن يعرف ما معنى حرية، وهذا شخص آخر يسوق سيارته بسرعة قياسية دون أن يتوقف عند الضوء الأحمر وقد يتسبب في حادثة حتى إذا سئل عن ذلك أجاب و بكل بساطة : أنا حر وأنا في بلد يؤمن

بالحرية. فهذه هي الحرية المطلقة التي نعتبرها اعتداء على الآخر و هي حرية قد تدخل الأفراد والجماعات في دوامة من الصراعات... الخ.

قد تقول هذه الشعوب إننا لا نؤمن بهذا النوع من الحريات، لذلك سننا قوانين زاجرة هي بمثابة خطوط حمراء...حتى نضمن أمن الافراد والجماعات وبنينا السجون والمحاكم... لكننا في المقابل نؤمن بالحرية المطلقة في التعبير والمتمثلة أساسا في حرية الصحافة. لنقول لهم إنكم لا تؤمنون بحرية الاعتداء بالفعل وتؤمنون بحرية الاعتداء بالقلم رغم أن الامر سواء والضرر واحد. فإذا كنتم تعتبرون الاعتداء ولو بالقلم حرية فإننا نعتبر رد الاعتداء حرية أيضا.

لنضرب لكم مثلا موسعا لنبرز سوء استغلال الحرية المطلقة في التعبير لنفرض أن هناك من يرغب في تأليف كتاب في التاريخ، هذه حرية لكن لو علمنا أن في هذا الكتاب تم تزوير حقائق تاريخية.فهذه هي الحرية المطلقة التي لا نقرها بل نعتبرها تزويرا للحقيقة.وهذا شخص آخر وضع نظرية أو يؤمن بنظرية معينة فألف كتابا ليثبت صحتها وعرض فيه نتائج بحث علمي وصور لتجارب علمية كدليل على صحتها فهذه حرية لكن إذا علمنا بأن تلك الصور مزورة و بأن نتائج البحث محرفة وأن

القارئ يجهل هذا التحريف فهذه هي الحرية المطلقة التي نرفضها لأننا نعتبرها تحريفا للحقائق العلمية و تأخيرا لتطور العلوم .

وهذا آخر يريد أن يترجم معاني القرآن الكريم لتفهمه فئة معينة هذه حرية لكن لوعلمنا بأن تلك الترجمة لا علاقة لها بالنسخة الاصلية، فهذه هي الحرية المطلقة التي نعتبرها تحريفا لكلام الله عز وجل. وهناك أيضا من يرغب في عرض حياة شخص بالصور أو بالكلمات، هذه حرية لكن عندما نعلم أنه عرضها بشكل محرف وبطريقة مقززة للتأثير على الرأي الآخر وجعله ينفر من هذه الشخصية، وعندما نعلم أكثر بأن هذا الشخص هو رسول الله عليه الصلاة والسلام فهذه هي الحرية المطلقة التي ثرنا لها نحن كمسلمين، وسعينا في اتخاذ الكثير من الاجراءات للرد عنها لأننا نعتبرها تضليلا ولأننا نعتبر هذا النوع من الحريات إذا لم يحد بحدود من شأنه أن يدخل الشعوب في صراعات لانهاية لها.

قد يقول أحدهم إن الاساءة استهدفت شخصا واحدا وليس كل المسلمين واننا لانفهم سر غضب كل المسلمين.لنقول لهم إنكم لم تعتدوا على أي شخص بل اعتديتم على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإن باعتدائكم هذا كأنكم تقولون إن الملايين الملايين... من المسلمين الذين اتبعوه منذ البعثة إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة، ناقصي عقل وأنهم يؤمنون بخزعبلات، ويتبعون رجلا كله عيوب مع العلم أن فيهم علماء سجل ويسجل وسيسجل التاريخ أسماءهم قد تركوا آثارهم في تطور العلوم.

وكأنكم تقولون إن السنة النبوية ما هي إلا أساطير مع العلم أنها أخبرتنا عن حقيقة الوجود من قبل الخلق و إلى أن تقوم الساعة و وصفت لنا مشاهد عن الحياة البرزخية،

وحياة ما بعد البعث ووصفت لنا تفاصيل الزمان الذي نعيشهه الآن فرأينا الكثير من تلك التفاصيل تتجسد على أرض الواقع مما زاد من إيماننا.

وكأنكم تقولون أن السيرة النبوية الشريفة كما وصفتم تحمل في طياتها الكثير من العيوب مع العلم أننا لو عرضناها كاملة وبصورتها الحقيقية على أي عاقل فإنه لا يملك سوى أن يقر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو أعظم شخصية عرفها التاريخ وكأنكم تقولون أن القرآن الكريم معجزة رسول الله ص ليس كلام الله مع العلم أن الملايين الملايين...من غير المسلمين أقروا بأنه كلام الله.

ولحد الآن لازال العلماء يكتشفون حقائق علمية ويعتبرونها آخر المكتشفات في ظل التطور العلمي ليجدوا أنها قد ذكرت في كتابنا منذ ما يقارب ١٥ قرنا...وكأنكم تقولون وتقولون...

قد يقول أحدهم إننا لم نقصد الاساءة إنه مجرد تعبير حر ويجب أن تفهموا حريتنا. لنقول لهم هل حاولتم في المقابل فهم عقيدتنا... قد يقول البعض إن هذا خطأ تتحمله صحيفة أو صحفي فلماذا تعتذر الحكومة.فنجيب بأن الصحيفة أخطأت تحت شعار الحرية المطلقة للصحافة .هذه الحرية التي يقرها الشعب ككل والشعب الذي يؤمن بهذه الحرية هو الذي قد جعل من الديمقراطية شعارا له. والديمقراطية تعني حكم الشعب للشعب. والحكومة هي من اختيار الشعب كممثل له وناطق بلسانه.فعندما نطالب الحكومة بلاعتذار فإننا ضمنيا نطالب الشعب بلإعتذار عن إقراره لحرية دون وضعه لإطار معقول لها يحمي من خلاله حضارات باقي الشعوب ومقدساتهم من التحريف والتزوير والعرض المشوه البعيدعن الحقيقة. لكن ما ينفع الإعتذار مع التكرار.

إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد بلغ من جمال وكمال الخلقة قدار لا يقل عن كمال خلقه.ومع ذلك فإنه لم يخلف لنا صورة له ولا تمثالا ليس من قلة نحاتين ساعتها ولكن لحكم كثيرة نذكرمنها أنه لم يكن قائدا عسكريا همه اجتياح العالم لإبراز قوته.ولا ملكا يطمع في توسيع رقعة حكمه وبسط سيطرته على الارض.أو شخصية مصابة بجنون العظمة همها الخلود في الارض بأي شكل من الاشكال.أو...بل كان رسولا لله عزوجل همه تبليغ رسالته لكل الناس.و لأنه لو أجاز أن تؤخذ له صورة فقد يأتي زمن على عدد من المسلمين يبلغ بهم الامر من شدة حبهم له أن يسجدوا له من دون الله أو أن يجعلوه وساطة بينهم وبين ربهم.أو قد يبلغ بهم الامر أن يعبدوه من دون الله.وكما نعلم أن البشر كلهم من آدم ولا يجوز لبشر أن يعبد بشرا مثله و لو كان رسولا. ولا أن يسجد له ولا حتى أن يجعله وسيطا بينه وبين ربه.وقد حرص رسول الله على تجنيب المسلمين الوقوع في ذلك...

والمسلمون كاتباع لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يقبلون برسم صور له و لو لوصفه فما بالك للإساءة إليه. وأقول لمن تولوا مهمة رسمه. لو علمتم حقيقة الرجل الذي وصفتموه لتمنيتم لو لم تخلق لكم أصابع من الاصل.. ولو كان رسول الله عليه الصلاة

والسلام حيا اليوم وبلغته إساءتكم لما دافع عن نفسه. ولما أمر بحرق ولا قتل ولكن لبعث لكم برسول يدعوكم إلى الاسلام ليبلغكم حقيقة هذا الدين التي تظهر صوركم مدى جهلكم المطلق بعظمته.

إن رد فعل المسلمين ليس نابعا عن كراهية لشعب من الشعوب، ولكنه إشارة منهم الى أنه ليس هناك حرية مطلقة في أي مجال من المجالات. وأن الحرية الحقيقية للصحافة هي عرض الحقيقة كل الحقيقة كماهي لا تشويهها أو تحريفها بغرض التأثير على الآخر بأي شكل من الاشكال. وهذا من شأنه أن يجرد مهنة الصحافة من أخلاقياتها ويدخل القارئ في حالة شك دائم في مدى صحة المادة الاعلامية...مما يضطره إلى البحث عن الحقيقة من مصادرها. وهنا نتساءل ماذا سيكون دور الصحافة بعد ذلك. وما ندعوا إليه اليوم كمسلمين أنه من أراد التعرف على حقيقة الاسلام فعليه أخذه من المصادر الموثوق بها. ونقول للإعلام العالمي كفى تشويها لهذا الدين.فمهما شوهتم فإنكم لاتزيدونه إلا علوا لان الله وعد بنصره...

وأخيرا أريد أن أقول لغير المسلمين، إن من حق أي إنسان أن يعرف الحقائق الكبرى من غير تحريف ولا تزوير. كسبب وجوده في هذه الحياة هل كان دلك مجرد صدفة و أن حياته تنتهي بموته؟ أم أن له خالقا أوجده لأداء رسالة و أنه سيحاسبه عليها بعد موته ؟ من أراد الجواب على هذه الاسئلة وغيرها فإنه سيجد عند العلماء المسلمين أجوبة تخاطب العقل قبل القلب لأن الاسلام دين عقل ودين، علم ودين عمل...

الحرية حين تكون سلوكاً إرهابياً

ونشرت جريدة الرياض في كلمتها في ١٤٢٦/١٢/٢٩هـ:كلمة الرياض ========================

الحرية حين تكون سلوكاً إرهابياً

من المستحيل أن يتعرض أي من أنبياء الديانات التوحيدية لنقد أو سب من قبل المسلمين بجميع طوائفهم وتنوعاتهم الجنسية والقومية، لأن الروادع تأتي من القرآن الكريم نفسه الذي يجسد معنى احترام المقدسات والأنبياء، لكننا نرى أنه باسم الحرية التي يضعها الغربُ المقدسَ الأهم يباح انتهاك حقوق الإنسان والشعوب، ونحن لا نجد تفسيراً موضوعياً أن تقدم صحافة الدنمارك على تشويه صورة نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، إلا أنه نوع من الإرهاب المضاد وكسب الشهرة باسم دساتير وقوانين الحرية، والتي لا ندري إذا كان الاعتداء على حرية معتقد يبيح هذا السلوك الهمجي بكل ما يعنيه من معنى..

السؤال هل تجرؤ صحافة أخرى تملك نفس الحقوق والتشريعات أن تقدم على إنكار المحرقة، أو التطهير اليهودي؟، وهل لو جرى هذا الفعل في الدنمارك أن لا تسارع

الحكومة ومنظماتها إلى ان تستنكر وتحاكم، وربما تفصل المتسببين بهذه الأفكار، لأن الطرف الإسرائيلي لديه وسائل الضغط التي لا تقاومها مشاريع الحرية؟..

العالم الإسلامي مستنفر بكل جبهاته وهيئاته أمام السخرية من نبيهم العظيم، لكن إذا أخذنا بالادعاء بجوهر الحرية، فهل من المنطقي إباحة زواج ذكر من آخر، وأنثى من أخرى لتحقيق هذه العدالة باسم حرية الغرائز، والتي تنفر منها مملكة الحيوان؟..

إذا آمنا أن ذلك مخالفة لجوهر قيم الإنسان وطبيعته البشرية، فإن استسهال هذا الأمر يدفع بأطراف دنماركية أو أوروبية لأن تعتدي على معتقدات الشعوب الأخرى التي لا تتطابق معها، بالمقابل ألا يكون ذلك تنمية لتفجير أحقاد شعوب تدفع للتطرف أو الدفاع عن حق منتهك؟..

الدنماركيون وضعوا أنفسهم أمام بؤر النار المشتعلة، وقد تكون مقاطعة بضائعهم مقدمات صغيرة، لفعل أكبر طالما خلقت مبادرة تحدي مشاعرهم من دولة ليست في حصانة من غضب ما يزيد على مليار مسلم لم يبادروا بالاعتداء، بل كانت طبقات المثقفين ترى في الدول الاسكندنافية بؤر التوازن في احترام الشعوب ومقدساتهم، لكن أن تتجه الصورة بشكل مغاير، فإن الحرية بقدر ما هي حق للإنسان، فهي ليست سلطة على رقاب الآخرين تنتهك باسمها الحريات، ولعل الحكومة الدنماركية التي تشعر أنها أمام مفترق طرق بين الالتزام بقوانينها، وصدمة انفجار العالم الإسلامي ضدها، ليس أمامها إلا أن تفاضل بين مصلحة وطن وسلوك أفراد، لأن تداعيات المشكلة ليست دبلوماسية تحل بواسطة الحوارات واللقاءات طالما الغضب انتشر بين القوى الإسلامية بمختلف مستوياتها، وهو مرشح لأن يتسع ويفجر هذه القوى بمختلف ردود الأفعال..

تعليق

١

الغرب المسيحي عبيدا للاحقاد الصهيونية

الحرية الغربية الغت كل الضوابط والمحرمات الدينية والاخلاقية فاصبحوا لا يحتشمون من شيء ولا يتورعون عن قول شيء حتى ولو كان ذلك القول يمس الذات الالاهية التي يعبدون؛ الا الاها واحدا لديهم وهم اليهود؛ فلا يجرؤون حتى على مناقشة الحقائق الثابتة في كتبهم ؛

فمع ان اليهود يحتقرون المسيحين وينعتون السيدة مريم العذراء والنبي عيسى عليهم السلام باقبح الاوصافف بعكس المسلمين الذين يخرجون من الاسلام لو انكروا او اساؤ الى احد من انبياء الله ؛الا ان يهوديا واحدا في بلد غربي يحسب له الف حساب اكثر من مليار مسلم؛

ولكن ليس ذلك هو السبب الرئيسي لوقاحة الحكومة الدنمركية وتخاذلها في ردع تلك الصحيفة ولكن قائد الحملة الصليبية على الاسلام والمسلمين يطلب من العالم المسيحي المشاركة في هذه الحرب عسكريا ونفسيا

فالعالم المسيحي سلم القيادة الصليبية الى امريكا ذات المال والقوة والعناد التي تشن حربا مفتوحة على الاسلام بقيادة المحافظين الجدد الذين يعتبرون اليهود اولاد انبيا مقدسين وجورج بوش صاحب خلفية دينية تعود الى جده الذي الف اكثر الكتب قبحا في وصف الاسلام ورسول الاسلام صلى الله عليه وسلم

والا ماالذي يجعل الدنمارك وبلجيكا وغيرها من البلدان الاوربية والتي كان يسودها الهدؤ فليس بها جماعات اسلامية ولم يصبها اذا من المسلمين تقفز فجاة بهذه الحدة ضد الاسلام ونبي الاسلام وتبرر موقفها بعذر قبيح مثل حريتهم

يحي الحربي

٠٦:٠٥ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٢

الاقتصاد هو الحل

ما ان يحدث خلاف مع الدول الغربية إلا وتتصدر العقوبات الاقتصادية اولى الحلول من وقف التبادل الاقتصادي او وقف المعونات للدول الممنوحة.

وعلى الرغم من هذة الممارسات الدائمة نجد من يحاول ان يقول ان التلويح بالاقتصاد لايجب القيام به خشيه على مشاعر الاخر الذى قد يتبادر إلى ذهنه ان المال لدى الدول العربية يستغل للعقوبات لحل القضايا وعلينا التنبه لذلك وعلى رغم ان من بيننا من مثقفين يحاولو ان يفكرو بغير مايقوم به الغرب حين يختلف مع اى دوله من الدول تجد اولى التهديدات الاقتصاد بطبيعة الحال ولدينا التسفيه لمن يقوم بذلك.

طارق بن محمد

٠٧:٥٢ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٣

وهكذا نكران الجميل !

بعث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وهادياً للبشر أجمعين، ومعيداً الأمور إلى أنصبتها، جاء بالعدل، وحكم بالعدل، وأمر بالعدل، وبيّن كيف يكون العدل.

كان عليه الصلاة والسلام عادلاً مع نفسه، عادلاً مع أتباعه، عادلاً من أعدائه، عادل مع القريب والبعيد، عادلاً مع كل شيء حتى الحيوانات والجمادات.

جاء فأنصف عيسى عليه السلام مما رماه به أعداؤه اليهود، حين اتهموا أمه العذراء بالزنا، وأنه ولد زنا، وأنصفه من غلو من غلا فيه وجعله الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فقال للغلاة: ((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم))، وأنصفه ممن أنكر نبوته من اليهود، وجعل الإيمان بعيسى قرين الإيمان به، والكفر بعيسى قرين الكفر به، ولا يصح إيمان عبد إلا إذا آمن بعسى عليه السلام، وأثبت معجزاته، وبيّن أنه أدى رسالة ربه، وأنه من ذوي العزم من الرسل عليهم السلام.

فبماذا كافأه النصارى، هل اعترفوا بفضله، هل راعوا انصافه، هل أقروا بنصرته لعيسى عليه السلام؟ للأسف الشديد، الواقع يقول: لقد أنكروا معروفه، وجحدوا فضله، وكذبوا بشارة عيسى عليه السلام به، وما هذه الرسوم الساخرة إلا دليل على تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، ودليل على نكرانهم للجميل، ودليل أنهم لم يصدقوا عيسى عليه السلام في بشارته بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

أحسنت يا جريدة الرياض بهذا الطرح، فسيري معبرة عن مشاعر المسلمين، وكوني مجس نبضهم، ولسان حالهم، ودليلاً لشخصيتهم. والله الموفق.

أحمد بن عبد العزيز السليمان

٠٧:٥٩ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٤

وهذا نفهم من الحريه التي يزعمون بها،، هي حريتهم فقط بما يحلو لهم،،

وذلك عندما اجتمع العرب المسلمون للتعبير عن رأيهم طردو واتهمتم الدنمارك بالخائنين،، ،،

ولكن هذا لا يضر الامة الاسلاميه بل يقويها ويلم اطرافها ووحدها بقيادة حكومتنا الرشيده،، حيث نلقن من يغالط على الاسلام درسا ونحن لسنى بحاجه الى احد كل الدول الاسلاميه تكمل بعضها اقتصاديه وسياسيا ولسنى بحاجه الى تلك الدول التي هي بأمس الحاجه الينا،،،

ولله العزه ولنبيه ثم حكومتنا الرشيده وسياستها السمحه المتوازنه،،

للمراسله،،

ibrahim.qahtani@gmail.com

إبراهيم الأشاعرة

٠٨:٤٣ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٥

هكذا يكون متابعة الحدث يا جريدة الرياض.

شعارات الغرب زائفة، ونظريات لا يمكن أن تطبقها.. شعارات يحاولون من خلالها الوصول إلى مبتغاهم، وما أن يتحقق هذا المبتغى حتى يرمى بهذا الشعار في سلة النفايات، ثم يتم البحث عن شعار آخر لمبتغى وهدف آخر..

محمد صلى الله عليه وسلم لا يضره شيء من ذلك، إنما الضرر الأكبر متوجه إلى تدمير الحياة البشرية السلمية..

شكرا جريدة الرياض، واتمنى من زاوية (كلمة الرياض) مثل تلكم المقالات المتابعة للحدث أولا بأول حيث أن الإساءة من صحف الدانمارك حدثت منذ ثلاثة أشهر.. وقد غضبت الشعوب رغم التغييب الإعلامي لذلك.. مما يدل على أنه يجب تغيير موازين ومفاهيم الإعلام لدينا..

شكرا..

أحمد الأحمد

٠٩:٢٩ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٦

شكرا لكم

هكذا يكون الرد

مقال تشكرون عليه والى المزيد

ابو زيد

١٠:٣٧ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٧

اللعنه عليهم

دار النشر في الدنمارك انتهت من طبع كتاب جديد عن حياه الرسول الكريم مرفوق بالصور الاكثر اساءه للنبي الكريم ومن بين الصور للسيده عائشه وهيه جالسه بحجر الرسول وسوف يكون الكتاب بالاسواق بعد ايام اللهم بلغت اخوكم من الدنمارك

احمد عبد اللطيف جبر

١٠:٣٩ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٨

أيها المسلمون: إنْ تخاذلنا عن نصرة نبينا صلى الله عليه وسلم، فإن الله ناصر نبيه، معلٍ ذكره، رافعٌ شأنه، معذب الذين يؤذنه في الدنيا والآخرة.

قال الله سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا }

يقول الله جل الله: { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

وأنتم أيها المسلمون.. أتعجزون عن مقاطعة منتجاتهم، غيرة لنبيكم صلى الله عليه وسلم؟! حتى يعلم أولئك الأوغاد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنصاراً؛ لا يرضون أن يدنّس جنابه، أو أن يمسّ بسوء عرضه، ودون ذلك حزٌّ الرؤوس..

اللهم عليك بالنصارى الحاقدين، واليهود المفسدين..

اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اكفناهم بما تشاء يا سميع الدعاء

@yahoo.fr٥٥٥collo_

عبد العزيز belgique

١١:٠٢ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٩

أيها العرب إن لم نقف لنصرة نبيينا وديننا فعلي الدنيا السلام

اولا اتمني من كل الحكام العرب مقاطعة الدنمرك سياسيا واقتصاديا وسحب السفراء فورا ولكي تكون عضة لكل من تسول له نفسه المساس بعقيدتنا ونبينا صلي الله علية وسلم واحذوا ان لم نفعل لماتت عزيمتنا و دمرت هيبة المسلمين في كل العالم وسوف يتكرر هذا الفعل المهين. أناشد كل مسلم غيور ان يفعل ما يرضي ربة و يقابل به رسوله يوم الحساب.

للمراسلة

elahmadi@yahoo.com

أمير عبد الماجد بشير الاحمدي

١٢:٠١ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٠

شكرا لك

جزاك الله الف خير على هذا المقال وهكذا تكون الكتابة في الدفاع عن سيد البرية

علي الزهراني

١٢:٢٨ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١١

صح لسانك

صح لسانك وأبقاك الله

بندر المنصور

١٢:٤٧ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٢

الكيل بمكيالين ليست حرية راي والاعتداء على شخصية عظيمة عند الانسانية يعتبر ارهاب وسلوك همجي بكل ما يعنيه من معنى..

"الكيل بمكيالين" في مجتمع متحضر غير منطقي ذلك انه "عندما يتعلق الامر بمعاداة السامية تنقلب الدنيا رأسا على عقب، ولكن عندما يطعن اكثر من مليار مسلم في رموزهم ودينهم، لا احد يتكلم او يتحرك". ان مايكل هاردت يقول عن محمد (صلى الله عليه وسلم) (الشخصية الأولى من مائة شخصية غيرت وجه التاريخ، والمسيح لم يكمل مهمته فخطفته الأحداث) فكيف بهذه الشخصية المحترمة والمقدسة من قبل مليار انسان على الاقل يعتدى عليها بدون منطق فقط لمارب ومنها زج المسلمين في العنف؟ الاسلام دين سلام ومحبة ودين احترام للانسان الذي يحترم نفسه.

د. هشام النشواتي

١٢:٥٧ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٣

بداية إنهيار الغرب وحضارتهم الزائفه

إ بشروا هذه بداية إنهيار الغرب وحضارتهم الزائفه وعلوا الاسلام وأهله

أبو محمد الفهد

٠١:٢٣ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٤

هذا ما انتظرناه كثيرا يا صحيفتنا الغراء.

أحسنت صنعاً يا صحيفة الرياض. بطرح مثل هذا الموضوع. وإن كان متأخراً... لكن. شيء ((ولو متأخر)) ولا نبقى بلا شيء!!!

فبفضل الله جاء التحركي السعودي بدأ من مقام خادم الحرمين بسب السفير السعودي.. وعلى مستوى مجلس الشورى ومجلس الوزراء، وبيان سماحة المفتي العام... وعلى مستوى الشعب.

ولم يبقى إلا دور الإعلام. فهاهو الآن... ينضم... فالحمد لله على اكتمال العقد...

أسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين، ويرد كيد الكائدين في نحورهم، ويحمي حوزة الدين، ويوفق ويسدد ولاة أمورنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠١:٣٤ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٥

هل تمثال بوذا اهم من نبي الاسلام!

الجميع يتذكر حال قادة العالم العربي والاسلامي، السياسيين والدينيين، وحال القادة الدوليين و الصحافة العالمية المقروءة مها والمسموعة والمشاهدة، عندما هبوا جميعا لمنع حكومة الطالبان الافغانية من دك تمثال بوذا، وهو مجرد تمثال، لأن تدمير التمثال يمثل اهانة لشخص بوذا الذي يعتقد به البعض، ولا يمثل هذا العمل حرية حكومة (حتى وان اختلفنا معهم في فعلهم) تريد ان تزيل "صنما" يعبد من دون الله من ارضها، بينما لم نسمع مثل هذا الضجيج عندما تهين حفنة من الحاقدين كرامة نبي السلام والحب والاخاء، وكرامة اكثر من مليار وثلاثمائة مليون مسلم يكنون الحب والولاء ليس لهذا النبي فحسب بل لكافة انبياء الله رسله كمعتقد لا كحرية فردية!

فهل يا ترى تمثال بوذا اهم من نبي الاسلام؟!

انا لله وانا اليه راجعون.

ابراهيم

ابراهيم اسماعيل

٠٢:٠٥ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٦

فلنهب جميعا لنصرة الرسول الكريم

ان اقل مايمكن عمله مقابل هذه الهجمة الشرسة المجنونة على شخص رسولنا الكريم عليه افضل السلام واتم التسليم ان نقوم جميعنا مسلمين في شتى بقاع الارض لنصرة خير البشر وان لم تقم الحكومات بعمل ما، على غرار مافعلته الحكومة السعودية مشكورة،فيجب علينا افراد وجماعات مقاطعة جميع المنتجات الدانماركية والنرويجيية وتسجيل الاحتجاجات لدى وزارة الخارجية الدانماركية على البريد الالكتروني um@um.dk

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يرد كيد الخائنين وان يشغلهم في انفسهم وان ينصر دينه دين الحق وصلى الله وسلم وبارك على اشرف الانبياء والمرسلين

ابو احمد

٠٢:٢٢ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٧

المقاطعة نعم المقاطعه

يقول قائل وما الجدوى من المقاطعه الاقتصاديه لو لم تكن المقاطعه ذات جدوى لما تصدرت الصحف ونشرات الاخبار لدى الدنمارك ونرى امريكا تهدد ايران بالمقاطعه الاقتصاديه والسياسيه وهي ذات جدوى فالاستمرار مطلوب استمروا في المقاطعه المنظمه ومعرفة منتجات الدنمارك والنرويج في الطريق

ابو ياسر

٠٢:٥٢ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

==========================

الحوارُ الحضاريّ بعد أزمة الرسوم

الكاتب: د.مسفر بن علي القحطاني

بعد مرور أكثر من ستة أشهر على أزمة الرسوم المسيئة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وبعدما انجلى الغبار عن هذه المحنة التي مسّت أعز مقدساتنا الإسلامية، وبعدما شهدت ساحتنا الفكرية والشعبية ردود فعل غاضبة على ما حدث من اعتداء .. أعتقد أنه آن الأوان لدراسة هذه الحالة التي أيقظت الأمة، وأحيت ضميرها المغيّب، وأشعلت جذوة الغيرة في الأنفس بعد صدمات الذلة والانكسار. ولابد عند تأمل هذه الظاهرة أن نفكر بعيداً عن العواطف والانفعالات التي شهدتها مجتمعاتنا الإسلامية إبّان الأزمة.. وأحب أن أساهم في رصد هذه الحالة من خلال تأملات خاصة، هي رجع الصدى لأفكار منثورة على صفحة هذا المقال:

أولاً: عمق المشاركة الشعبية لنصرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من كافة الفئات ومختلف الشرائح؛ إذ ضربت أروع الأمثلة في الحب والتضحية، مصداق ذلك ما شاهدناه من تحرك وعمل فاق في حجمه وأثره الدور المرتجى من النخب المثقفة في مجتمعاتنا الإسلامية؛ وهي التي تمتلك ناصية الخروج على الفضائيات أو صفحات الجرائد والمجلات. وأظن أن تلك النخب مرت باختبار حقيقي كشف عن حجمها أو أثرها في أزمات الأمة وقضايا المجتمع الساخنة. فلا ننكر أن هناك من تماشى مع ردود الفعل الغاضبة، ونصّب نفسه إماماً للمسلمين أو قاضياً لمعاقبة المعتدين، وقد وُظّفت تلك التصرفات عكس ما هدفت إليه نصرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهناك من كتم رأيه في حمّى الغضب الجماهيري مع قناعته بأن تلك التصرفات الغاضبة مِن قتل وإحراق وظلم في المقاطعة لغير المعنيين تصرفات خاطئة وغير مسؤولة، لكن خوفه من غضب الجمهور و معاكسة إرادة الحشود جعله يكتم النصح الحقيقي والنظرة المعتدلة والفقه اللازم في مثل هذه الظروف، كما برز أصحاب التثاقل والتوهين لمشاعر المسلمين والمتغيظين من هبّة الغيورين؛ وصدق الله العظيم في وصفه لحالة أولئك :(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَة وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)[التوبة: من الآية٤٧].

إن النخب المثقفة وأصحاب الرأي في الأمة لا يجوز لهم تأخير البيان عن وقت الحاجة، وترك الشعوب تمور من الغضب اللاواعي؛ مما أفقدنا كثيراً من مكتسبات تلك الأزمة، وتوظيفها في مصالح الأمة.

ثانياً: هذا التأزّم حرّك المجتمع العالمي إلى فريق النصرة والغضب دفاعاً عن مقدسات ومعتقدات أكثر من مليار مسلم، وإلى فريق المدافعة عن حرية الرأي وحق التعبير من غير شرط أو قيد. وأثار لدى الكثير من المراقبين والمحللين إمكانية العودة لنظرية الصدام الحضاري التي بشّر بها في الغرب هنغتون وفوكوياما. وتأجّجت مشاعر المسلمين في تحميل الغرب والشرق عداوتهم الأبدية للإسلام، وكانت معطيات الصراع الديني والحضاري متوفرة في ثنايا تلك الأزمة من خلال بعض التصريحات الغربية ومحاولة إعادة نشر الرسوم المسيئة. وأظن أن صيحات بعض الخطباء والمنادين بحرب الغرب قد طغت عن تفكيك الحالة الغربية وموقفها من احترام المقدسات الإسلامية. بل أغفلت أن هناك في أوروبا وحدها أكثر من خمسين مليون مسلم أكثرهم مواطنون في تلك الدول. ونسيت الهدف الأساس من وراء تأجيج هذه النزعة الصدامية، ولا أدري: هل كان المراد منها شن الحرب على أوروبا كما شنتها القاعدة على أمريكا التي مازلنا نتحمل تبعات تلك التشنجات المتطرفة؟! ثم أتساءل: هل الغرب كله يحمل هذا العداء السافر حتى نحمّل مئات الملايين من الشعوب، ومئات المؤسسات المعتدلة تبعات ما قامت به بعض الصحف أو القنوات الإعلامية المعادية أو سفاهة بعض المسؤولين و المثقفين الغربيّين؟! وهل من العدل أن نحاكم أمة كاملة بتصرفات سفهائها، ونحن نطالبهم بنظرة العدل والإنصاف، في حين لا ننظر إليهم بها كذلك؟! ثم هل نقدر فعلاً أننا نمارس عداوة أو قطيعة كاملة مع تلك الدول في عصر لا يمكن أن نتعايش إلا بالتبادل التجاري والتقني والتحالف السياسي والعسكري، وغيرها من المشتركات الحاجية بين الشعوب في ظل انفتاح الأسواق وتهاوي الحدود بين المجتمعات؟! ثم لماذا نحسن في إلقاء اللوم على المتآمرين ضدنا، وننسى أننا صنعنا صورتنا المشوّهة في أذهانهم من خلال تصرفات بعض أبنائنا هناك أو زوّارنا إليهم؟! هذه الأسئلة وغيرها لا يمكن أن نسارع في الإجابة عنها من خلال موقف عارض، أو واقع نجهل تفاصيله، أو غفلة عن إدراك المنطلقات الدافعة لهذه التصرفات والمآلات المترتبة عليها؟! والهروب من الإجابة عنها قد يكلفنا جهداً يضيع أو يحملنا عبء تكرار الأخطاء.

ثالثاً: تحتاج الأمة في الفتن أن ترجع لأهل العلم الراسخ والنظر الثاقب، وتحذر من خطيب مصقع، وواعظ جاهل يشوّه الحقائق، ويغطي العقل بلهب العواطف، وقد جاء في الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قوله: "شرّ الناس في الفتنة كل راكب موضع، وكل خطيب مصقع"! ويقول الحسن البصري -رحمه الله-: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل".

ولا شك أن أهل العلم والفكر إذا اجتمعوا على أمر رشدٍ أنه أدعى إلى الصواب وأقرب إلى النجاة. وأزمة الرسوم المسيئة كانت تحتاج إلى مثل هذا الدور الذي يصنع الفعل

الحضاري، ولا يخضع للانفعال الوقتي أو المعادي، ويُستثمر الحدث لصالح المسلمين، ولا يُوظّف ضدّهم. ولا يمكن أن نجد فعلاً حضارياً إلا وقد تأسس على فكرة جوهرية تنطبع على عقول الأفراد تدخلهم نحو مدارج النهضة والتقدم. وهذا الطريق الطويل الشاقّ هو الدور الذي فعله الأنبياء والرسل، وهو الدور الذي ينبغي أن يكمله ورثتهم، والسائرون على دروب نهضتهم.

(الإسلام اليوم)

(الحَج بقايا الوثنية ، والدعاء تَسول)

الكاتب: عبدالله بن منور الجميلي

في الوقت الذي تتفاعل فيه المقاطعة الاقتصادية في البلاد الإسلامية لكل ما هو دنمركي ؛ جراء الرسوم الكاريكاتيرية الكرتونية hالمسيئة لنبي الهدى محمد عليه الصلاة والسلام التي نشرتها بعض الصحف هناك ؛ نجد أن من المسلمين أنفسهم من يسيء إلى الدين في مؤلفاته أو مقالاته ، ويسخر من ثوابته وأركانه ؛ بحجة الفلسفة أو أنه من تيار اليسار الإسلامي ؛ ومع ذلك تُشرّع له أبواب التكريم ، وتستقبله القُبلات والأحضان الدافئة من الجهات الرسمية ؛ وأنا هنا أتحدث عن أحد ضيوف شَرف المملكة في حج هذا العام ؛ الذي قدّمت له وزارة الثقافة والإعلام الدعوة الشرفية ليحج على حسابها تحت وَهَج وبريق ألقابه فهو يتأبط شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون العريقة ، وهو أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة وبالتالي هو (حسن حنفي) العالم والمفكر والفيلسوف الكبير كما يصف نفسه ؛ هذا الرجل عندما رجع من حجه كتب مقالة في العدد (٦٥٤) من صحيفة أخبار الأدب التي تصدر عن دار أخبار اليوم للطباعة والنشر في القاهرة ؛ وذلك يوم الأحد ٢٢/١/٢٠٠٦م .

في تلك المقالة التي عنوانها (خواطر حاج بين تهنئة بالسفر و تهنئة بالعودة) مارس الكاتب وهو يجتر ذكريات رحلته ألوناً من السخرية والاستهزاء بالدين تحت غطاء من العِبارات والنظريات الفلسفية ؛ بألفاظٍ مباشرة أو جمل إيحائية ذات مدلول بعيد ؛ المقال بدأ هذا المسلسل التهكمي بالتعرض للدعاء وأنه حِيلةٌ و أسلوب العاجزين ؛ فما أن علم أقرباؤه وأصدقاؤه بأمر حجه حتى أمطروه بوابل من الدعوات يحملها معه ، يقول : (وتجمعت في ليلةٍ حاجات المجتمع المصري وإحباطاته ، وعَجْزه عن تحقيق ما يريد فلم يبق له إلا الدعاء في الحرم المكي أو المسجد النبوي كملجئٍ أخير، بالرغم من وصف إقبال الدعاء بأنه سؤال وشحاذة ، ومن يريد شيئا عليه أن يحققه بنفسه وجهده) ، وفي المطار يسخر من لباس الإحرام وأنه تأصيل للمظهرية ؛ فاللباس العادي بزعمه أقرب للتواضع وإخفاء النوايا يقول لا فُضّ فوه : (كانت الحيرة يوم السفر بأي ملابس يسافر الحاج، باللباس العادي ثم يغيره بعد الوصول إلي ملابس الإحرام، وهو أقرب إلي التواضع وإخفاء النوايا وأقرب إلي التقوى أم لبس الإحرام منذ مغادرة المنزل ؟ وفضل " الأستاذ " ـ لاحظوا النرجسية وتعظيم الذات التي ستُعَرى لاحقاً ـ الخيار الأول وغادر

بالملابس العادية ، ووجد الناس في المطار وقد فضلوا الخيار الثاني زي الإحرام ... وتذكر العَالِم – أيضاً يُبَجل ذاته - قول المسيح: إذا أردت أن تصلي فلا تصل أمام الناس حتى لا تأخذ جزاءك منهم بل ادخل إلي غرفة وأغلق الباب وصل لله حتى لا يراك إلا أبوك الذي في السماوات . والشعائر تظاهر أمام الناس ؛ وأكثر الشعائر مظهرية مناسك الحج) .

وفي وصف الكعبة المشرفة والطواف حولها يواصل الكاتب الكبير إدعاءاته وسخرياته فيقول ما نصه : (والكعبة بناء أسود مغطى بقطيفة سوداء مذهبة عالية البنيان، عريضة الحائطين ، يلف الناس حولها؛ توحي للناظر بالوثنية القديمة في العصر الجاهلي ... ربطاً للجديد بالقديم، وللمسلمين بالحنفاء، وللرسول بإبراهيم ، من بقايا الوثنية القديمة بعد تهذيبها) . وفي إصرار منه على وصف شعائر الحج أو بعضها على الأقل بالوثنية يقول عند حديثه عن الجمرات : (وإلي مني تتحرك الملايين لرمي الجمرات من علي الجسور أو الأنفاق ...، ومكانها من فوق الجسر إلي أسفله أو في النفق أمام الحائط المبني كالتمثال في الجاهلية) .

المقال في أغلب جُمَله ملطخ بدماء الإساءة للدين وشعائر الحَج ولعلي أختم بنقل هذا النص : (وفي النهاية يتم التحلل من الإحرام ، وكان حَرَاماً قبلها الحلق أو التطيب أو الاستحمام بصابون ذي رائحة طيبة أو حتى عند البعض دعك الأسنان بمعجون به رائحة النعناع أو الفواكه حتى لا ينعم الحاج بطيب الحياة وهو مُحْرِم ، وكأن النظافة ليست من الإيمان، وكأن الإسلام ليس دين النظافة، وكأن النظافة ليست أساس الطهارة ، وفي الحلق، يفضل البعض حلق شعر الرأس كلية فيصبح الحاج أصلعاً ... والأنوار ساطعة فوق الرؤوس بدل أن تخرج منها) .

أعزائي ربما هذه المغالطات والتجاوزات لجهلها وتفاهتها لا تحتاج إلى ردّ ، وإن كان مِن ردود فإني أتركه لأهل الاختصاص .

ولكن هناك نقطة أخرى ؛ فمَن يتطاول على الدين من باب أولى أن يقابل الإحسان بالإساءة ، والجميل بالتهكم والنكران ؛ وهذا ما فعله ذلك الفيلسوف في عدة مواضع من مقالته منها قوله : (وتم الوصول إلي فندق السلام " هوليداي إن " لفظ عربي يوحي بدلالات سياسية معاصرة ، ولفظ وافد يوحي بصناعة أمريكية) . وفي معرض وصفه للقاء خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – يمارس لغة التهكم والتطاول فيقول : (وكان خطاب الملك تقليدياً دينياً خالصاً يخلو من موضوعات الساعة التي تشغل بال المثقفين والإعلاميين والعلماء) . وفي مكان آخر يقول مظهراً الحقد الدفين على هذه البلاد وأهلها ؛ رغم أنها كَرّمته وشرفته بالحج المجاني ذي الخمس نجوم : (وكما بدأ الحج بتهنئة الأقارب والأصدقاء انتهي أيضا بالتهنئة بسلامة الوصول خاصة بعد أنباء شهداء الحجيج الذين سقطوا فوق جسر الجمرات بالمئات بالتدافع طبقا للرواية الرسمية ، وبدفع رجال الأمن الحجيج لإفساح الجسر لمرور شخصية كبيرة مسئولة ، والناس طبقات وأصحاب البلاد لهم الأولوية في الحج علي عامة المسلمين) .

أعزائي أعتذر عن كثرة النقولات ، ولكن أستأذنكم بنقل نصٍ أخير يكشف زيف الألقاب والشهادات التي يحتمي بها هؤلاء ويخفون خلفها جهلاً مركباً بمبادئَ وتشريعاتٍ من الدين لا تخفى على العامة البسطاء (وفي طريق العودة، بالرغم من أن الوفد كان بدعوة رسمية من وزارة الثقافة والإعلام، وهي التي حددت موعد السفر وموعد العودة إلا أن سلطات المطار رفضت مغادرة الوفد لأن مناسك الحج لم تنته بعد . فكيف نغادر فجر اليوم الثالث وينقصنا رمي الجمرات الوسطى في اليوم الثاني الأربعاء، والصغرى في اليوم الثالث الخميس ، والمفروض أن نعود من المناسك يوم الجمعة ويبدأ الفوج الأول للمغادرة يوم السبت ؛ فلابد من إذْن من وزارة الحج بأن أداء المناسك قد اكتمل ؛ فالدين أساس الدولة . وبعد أن وافقت السلطة الدينية علي الخروج وافقت السلطة الأمنية) .

وفي الختام عدة أسئلة أرجو أن نسمع إجابتها قريباً من وزارة الثقافة والإعلام ؛ فإذا كان العالم الإسلامي يقف صفاً واحداً تجاه من يسيء للإسلام من غير المسلمين ، فكيف تكرم الوزارة هذا وأمثاله ممن لهم سوابق في سجل التهكم بالدين الإسلامي وثوابته ومؤلفاتهم وكتاباتهم خير شاهد ويمكن الرجوع في ذلك لمقالاته في جريدة الاتحاد الإماراتية ؟

ثم ما الغرض والفائدة من دعوة هذا وأمثاله ، وكذا زمرة الفنانين والراقصات للحج أو العمرة ؟ هل نحتاج لألسنتهم المسمومة ، وإمكانياتهم البارزة ؟ وإذا كان ولابد من هذه الدعوات المجانية أليس الفقراء بها أولى ؟

aaljamili@yahoo.com

==================================

الدعاة ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم

الكاتب: شيماء سيد

- د. الفرماوي: المطلوب إحياء سنته والاقتداء به
- د. البري: علينا الالتزام بتعاليمه وسيرته

لكل إنسان قدوةٌ يقتدي بها ويتخذها مثلاً أعلى له، وغالبًا ما يتخذ الشبابُ آباءَهم أو أمهاتِهم قدوةً لهم.. أما المسلمون فلهم في رسول الله القدوة والأسوة الحسنة، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- كان قدوةً في كل مجالات الحياة.

فإذا كنت فقيرًا تستطيع أن تقتدي به، عندما كان يسأل أزواجه الطعام فإذا لم يجد يصمت.

وإذا كنت غنيًّا تستطيع أن تقتدي به وهو يوزع الغنائم بين أصحابه.

وإذا كنت زوجًا تستطيع أن تقتدي به وهو يعامل زوجاته وكيف كان يعدل بينهن.

وإذا كنت أبًا تستطيع أن تقتدي به وهو يعامل ابنته فاطمة، وكيف كان يقبِّلها كلما دخلت عليه.

وإذا كنت جدًّا تستطيع أن تقتدي به وهو يقصر في الصلاة عند سماع بكاء حفيديه الحسن والحسين.

وإذا كنت سياسيًّا تستطيع أن تقتدي به وهو يأخذ برأي أصحابه، فمثلاً وافق على فكرة سيدنا سلمان الفارسي لحفر الخندق، الأمر الذي كان سببًا في انتصار المسلمين وسُميت بغزوة الخندق نسبةً لفكرة سيدنا سلمان، وما من موقفٍ في حياتنا إلا سنجد له موقفًا مشابهًا تعرَّض له، فقد مات له أولاده وزوجاته لنتعلم منه الصبر ويكون قدوةً لنا في الشدائد.. لذلك يستطيع كل إنسان- وليس المسلمون فقط- أن يتخذوا سيدنا محمدًا- صلى الله عليه وسلم- قدوةً لهم؛ لأنه وباختصار شديد تميَّز في كل مجالات الحياة كسياسي وكاقتصادي وكحاكم وكمحكوم، فإنه وبحق أعظم شخصية في التاريخ.

حاولنا في هذا التحقيق طرح تساؤل حول نصرة النبي- صلى الله عليه وسلم- وماذا فعل الدعاة خاصةً؟!

الاقتداء به

يرى الدكتور عبد الحي الفرماوي- الأستاذ بجامعة الأزهر- أنه من الواجب على كل فرد أن يقوم بدور لنصرة النبي- صلى الله عليه وسلم- من خلال وسائل متعددة، كإحياء سنته، والاقتداء به، وتطبيق أثره، وتعليم الإسلام للأفراد، وعندما ينشأون بهذا الشكل يكونون أفرادًا صالحين وأسرًا صالحة، وللدولة دور مهم أيضًا في نصرة النبي- صلى الله عليه وسلم- بأن تُعلن غضبها من خلال مؤتمر قمة طارئ لا يكون على مستوى الوزراء فقط لأن العمل إنما يكون على مستوى قادة الدول وزعمائها، أما الشعوب فقد قامت بدور كافٍ من خلال المظاهرات السلمية التي تمَّ عملها ونشر غضبهم من خلال الوسائل المتداولة على الإيميل.

ويطالب الدكتور الفرماوي بالمقاطعة الاقتصادية المستديمة ليست للدنمارك، فحسب، بل كل من يؤيدها ويساندها، وسوف تكون تلك نقطة بداية للاقتصاد الإسلامي والاعتماد على نفسها.

أما على المستوى الثقافي فيشير الدكتور الفرماوي إلى ضرورة عرض الإسلام على الدول الأوروبية بشكلٍ جدي وسهل بلغة البلد المدعو فيها واستكتاب المسلمين داخل هذه البلد لنشر الصورة المشرقة للدين الإسلامي.

كما لا بد من تربية أبنائنا قولاً وعملاً منذ الصغر على منهج ودين الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- من خلال تكثيف الجرعة للطلاب في مناهج مادة التربية الدينية وجعلها مادةً أساسيةً مضافةً للمجموع وعليها درجات كبيرة، والتغيير في صورة الإعلام المرئي والمسموع وتحويله إلى إعلام إسلامي لا غربي وعند توافر هذه الأشياء

يكون سهلاً على البيوت تربية أبنائها تربيةً إسلاميةً سليمةً قادرين على أن يواجهوا أو يقفوا أمام كل مَن يتصدى للدين الإسلامي.

هذا دور المسلمين كأفراد ولكن كشعوب الأمر يختلف فلا بد من أن تقف الأمة يدًا واحدةً، ولذلك كان أول أساس من أساسيات الإسلام عدم التشرذم "التقسيم" والتمزق.. ويقول: لا بد من لفت النظر إلى قول مالك بن أنس: "إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها".

ويشير الدكتور الفرماوي إلى هذا المعني قائلاً: كان عمر بن الخطاب يحكم مشارق الأرض ومغاربها، وقال فيه أحد خصومه عندما رآه نائمًا في ظل شجرة: "حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر"، ويناشد جميع المسلمين توحيد المشاعر والعواطف.

ويتلخص دور الحكومة في المقاطعة لكل بضاعةٍ من أعداء الإسلام وحكم من لا يقاطع أنه خائن وجدير به أن يبتليه الله بما يؤذيه، وهذا لضعف الإيمان وواجب على الدولة الاكتفاء الذاتي.

إحياء سنته

ويناشد الدكتور محمد عبد المنعم البري- أستاذ الثقافة الإسلامية والدراسات العليا بكلية الدعوة بجامعة الأزهر- الجميع إحياء سنة الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- والالتزام بعهده ومحاولة ربط القلب والفؤاد بحبه، من منطلق الحديث الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله ووالده والناس أجمعين".

واجب على الجميع

ويضيف الدكتور رجب أبو مليح- دكتوراه في الشريعة الإسلامية- أن نصرة النبي- صلى الله عليه وسلم- واجبة على كل مسلمٍ رجلاً كان أو امرأة، شيخًا كان أو شابًا، فردًا كان أو مؤسسةً أوحكومةً، كل على قدر إمكاناته وقدراته، فهي نوع من الجهاد يجب على كلِّ مسلمٍ بقدره يجدنا حيث أمرنا ويفتقدنا حيث نهانا...

وعلى مستوى الشعوب والمجتمعات تجب نصرة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وتتحقق بالإضافةِ لما سبق بإخراج نموذج عملي للمجتمع الذي أسسه النبي- صلى الله عليه وسلم- أو محاولة محاكاة هذا النموذج الفريد، أن تشيع بيننا روح التعاون والألفة والمحبة، أن نصير معًا كما شبهنا النبي- صلى الله عليه وسلم- كالبنيان يشد بعضه بعضًا...، وأن نصير معًا كالجسد الواحد "إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

ويضيف الدكتور أبو مليح أن دور الحكومات الإسلامية على مستويين في الداخل وهو زرع هذه القيم والمبادئ والأخلاق النبوية في المجتمع وحمايته من الضياع ثم يأتي دورها في الخارج بالتعريف بالرسول- صلى الله عليه وسلم- والتركيز على القيم الحضارية التي جاء بها النبي- صلى الله عليه وسلم- في مجتمع كان يفتقر إلى هذه القيم،

ليعلم كل الناس كيف كان يتعامل الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع مَن يخالفونه في الرأي أو المعتقد، أما على مستوى الأفراد فيشير إلى نصرة النبي- صلى الله عليه وسلم- بالتأسي بتطبيق قوله- صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ...".

وكذلك تكون النصرة بالتخلق بأخلاقه الكريمة فنتحلى بهذه الأخلاق الفاضلة، ونتخلى عن كلِّ الأخلاق الرذيلة التي نهى عنها النبي- صلى الله عليه وسلم-، فقد كان النبي رغم ذلك يسمح لأهل هذه المعتقدات بممارستها وهو يعلم أنها غير صحيحة.

ويضيف: إن هناك أشكالاً لنصرة النبي من خلال الأفراد والشعوب والحكومات اقتصاديًّا بالمقاطعة وهذه أضعف الإيمان، وتمتد لبذل المال بسخاء من أجل التعريف بالرسول- صلى الله عليه وسلم- وقيم الإسلام بشتى لغات العالم، وبكافة الوسائل المسموعة والمرئية والمقروءة، ويمكننا نصرته ثقافيًّا بالتمسك بثقافتنا والاختيار من ثقافة الآخرين فنأخذ منها وندع وفْق ما يتناسب مع منظومة القيم والأخلاق التي أتى بها الإسلام، ونبذ ما لا يتناسب مع ثوابتنا وقيمنا وأخلاقنا، وعلى المسلمين في الداخل والخارج أن يكون صورةً مشرفةً للإسلام ونبي الإسلام عليهم أن يكونوا صورة مشرقة يهتدي الناس بنورها ويحبوا النبي من أجلها ويتعرفوا عليه من خلال نموذجٍ عمليٍّ يرونه أمامهم ولو عرفوه لأحبوه، والإنسان عدو ما يجهل.

التربية

أما تربية الأولاد على حب الحبيب- صلى الله عليه وسلم- فواجب أن يشترك فيه الأفراد والشعوب والمجتمعات والحكومات، هو واجب الأسرة في البيت بزرع هذا الحب ورعايته في قلوب الأبناء، وواجب المجتمع بأن يعلي من أخلاقه- صلى الله عليه وسلم- ويساعد على شيوعها في المجتمع وواجب الحكومة من خلال وسائل التربية في مراحل التعليم المختلفة ووسائل الإعلام نشر سيرة النبي- صلى الله عليه وسلم- وتعريف الأبناء به بطريقة مشوقة محببة إلى نفوسهم، ففي غزوة بدر وجدنا مثالاً واضحًا يرويه لنا عبد الرحمن بن عوف عندما وجد شابين صغيرين هما إلى سن الطفولة أقرب منه إلى سن الشباب يسأله كل منهما أن يدله على أبي جهل ذلك الرجل الذي كان يؤذي النبي في مكة فلما دلهما عليه غمسا سيفيهما في جسده ثم عادا قريرا العين وقد انتصروا للرسول- صلى الله عليه وسلم-، وهذا لم يأتِ من فراغ لكنه أتي من خلال زرع محبة النبي- صلى الله عليه وسلم- في قلوب الأطفال فشبوا عليها واختلطت محبته بقلوبهم ودمائهم.

يقول الشيخ أكرم كساب- باحث شرعي-: إن هذه الصور البذيئة، جاءت بردود أفعال غاضبة أسفرت عن إيمان مخدر لدى الشعوب، وحب دفين لدى الأفراد، يحتاج فقط إلى من يوقظ هذا الإيمان المخدر، ويُفعل هذا الحب الدفين.

ويطالب الأمة الإسلامية بأن تقف يدًا واحدةً أمام التيار الذي يريد أن يسيء إلى الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وإلى المسلمين أجمعين فكل فرد له دور يمتد ليطول الحكومات مع الشعوب.

ويلخص أكرم كساب دور الأفراد في التعرف الحقيقي على سيرة النبي- صلى الله عليه وسلم- والعمل على أن يكون الفرد نموذجًا يُجسد الإسلام مع التعريف بسيرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وسنته والدعوة إليها والمشاركة الفعالة فيما يدور حوله من ندوات ومحاضرات ومسيرات تؤكد هذه المعاني مع التجاوب الفعال مع المقاطعة التي دُعي إليها تجاه الدول المسيئة.

ويضيف: أما المؤسسات والتجمعات فيتلخص دورها في استغلال هذا الحدث استغلالاً جيدًا والاستفادة منه من خلال إقامة الندوات والمحاضرات التي تشرح عظمة الرسول مع إقامة المسابقات التي تربط الأفراد بالرسول- صلى الله عليه وسلم- والإنفاق عليها بسخاء إضافةً إلى تبني النابغين النابهين في مجال السنة عمومًا والسيرة النبوية خصوصًا ونشر المقالات والنشرات والمجلات التي تعرف بالرسول- صلى الله عليه وسلم- ومكارم أخلاقه مع ترجمة العديد من المقالات والنشرات والمجلات التي تُعرف بالرسول وتفعيل الجانب الفني في هذا المجال ولكن بالضوابط الشرعية، ومن ذالك: أعمال كرتونية للأطفال تشرح بعض مواقف العظمة في شخصية الرسول.

ويضيف: أما على مستوى العلماء فضروري إبراز شخصية الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبيان محاسنها التي لا تعد، وإظهار محاسن الدين الإسلامي الذي دعا إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- والرد على الشبهات والأباطيل التي تُثار بين الفينة والأخرى حول الرسول- صلى الله عليه وسلم- مع استخدام لغة العصر وما جد فيه من تكنولوجيا حديثة في نشر الخطاب الإسلامي مع توحيد الجهود حتى لا نكرر العمل، وكأننا نحرث في البحر.

ويطالب بدور أكبر للحكومات من خلال التفاعل مع الشعوب حتى لا تداس (الحكومات) بالأقدام، أو تركل بالأرجل، وطالب بسحب السفراء من الدول المسيئة ومخاطبة هؤلاء السفراء وإخبارهم بجرم ما فعلوا مع العمل على استصدار قوانين تجرم الإساءة إلى الإسلام خصوصًا وكل الأديان عمومًا.

==========================

الدعوة للفصل بين الكنيسة والدولة أكذوبة تفندها الوقائع

إبراهيم عباس

يرى العديد من المراقبين أن تصريحات بعض الساسة الأوروبيين التي وصلت إلى حد دعوة أحد الوزراء في الحكومة الإيطالية إلى استخدام القوة العسكرية ضد المسلمين بسبب ردود الفعل الإسلامية الغاضبة على إثر نشر صحيفة دنماركية لصور مسيئة للإسلام بأنها لا تخرج فقط عن الإطار الدبلوماسي المفترض لها وحسب ، وإنما تتناقض

مع مطالب الغرب للمسلمين بتوخي خطاب الاعتدال والوسطية والتسامح في الوقت الذي لا يتقيدون فيه بقواعد هذا الخطاب . وكان يعتقد أن توجه أوروبا في العصر الحديث نحو الديمقراطية واعتناقها لمبادئ المساواة والحرية وحقوق الإنسان ستحد من النزعة العنصرية التي شكلت السمة البارزة في هذا الخطاب بدءًا من العصور الوسطى من خلال الحروب الصليبية وبعد ذلك على يد المستشرقين الحاقدين على الإسلام والمسلمين أمثال مرجليوث وجولدتسهر ويوسف شاخت وماسينيون وجب وصولاً بتلك القائمة الطويلة إلى برنارد لويس الذي يعتبر أحد المنظرين الرئيسيين للمحافظين الجدد والذي يقف جنبًا إلى جنب مع كارل روف في تخطيط سياساتهم التي لا تخفي عداءها للإسلام والمسلمين .

وما يدعو إلى التعجب أن بعض ساسة أوروبا الذين يبدون دهشتهم من ردود الفعل الإسلامية الغاضبة على الرسومات الكرتونية المسيئة لنبي هذه الأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والتي تبارت عشرات الصحف الأوروبية في إعادة نشرها إمعانا في استفزاز المسلمين أن الغرب نفسه الذي يتبجح بحرية التعبير يحذو الحذو نفسه عندما يتعلق الأمر بالدين أو الإساءة للكنيسة رغم تظاهره بالتمسك بمبدأ الفصل بين الدين والدولة . ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة على ذلك ردود الفعل الغاضبة التي أعقبت تصوير مادونا لأغنية (كمن يصلي) في الثمانينيات التي سخرت فيها من الكنيسة مثيرة ردود فعل عنيفة في أوساط الكنيسة والرأي العام المسيحي في أوروبا وأمريكا على حد سواء . وأيضًا ما ذكره كمبرلي بلاكر في كتابه "أصول التطرف - اليمين المسيحي المتطرف في أمريكا" حول سطوة اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة على الإعلام ضاربًا مثالاً لذلك "الرابطة الكاثوليكية للحقوق الدينية والمدنية" التي يصنفها بأنها هيئة دينية تكرس جهودها لخدمة القانون الكنسي ١٣٦٩ الذي ينص على معاقبة كل من يجدف أو يستثير الكراهية أو الازدراء ضد الدين أو الكنيسة" . ويذكر بهذا الصدد أن صحيفة "بالم بيتش بوست" سبق وأن استهدفت من قبل هذه الرابطة على إثر نشرها كاريكاتير لدون رايت يتضمن رسمًا لامرأة تصلي وتتمتم بألفاظ تنتقد فيها الكنيسة. وقد بدأت الرابطة على الفور بمعركة مع الصحيفة مطالبة ليس فقط بالاعتذار ، وإنما أيضًا بفصل رايت عن عمله .

ويعتقد البعض أن الاستغراب حول ردود الفعل الإسلامية الغاضبة لا ينبغي أن تصدر عن بعض ساسة الغرب الذي يتشدق بحرية الرأي والتسامح مع الآخر وغير ذلك من المفردات التي لا يكفون فيها عن مطالبتهم المسلمين الأخذ بها ، وإنما من بعض المواقف التي تصدر عنه وتتناقض مع هذا المبدأ ، وحيث يتعرض للملاحقة القانونية والاعتقال كل من ينكر الهولوكوست أو يشكك في أرقامه التي تعتبر الرقم ٦ مليون يهودي رقم مقدس لا ينبغي لأحد التجرؤ على المساس به. وأبسط الأمثلة على ذلك روجيه جارودي وفريسون .

وقد حكم بالسجن لمدة ستة أشهر على صاحب إذاعة "راديو الإسلام" التي تبث من السويد بسبب برنامج نقلته إذاعته حول الهولوكوست بالرغم من أن التشكيك جاء من قبل ضيوف البرنامج (الغربيين) الذين تحدثوا عن خرافة هذا الموضوع . ولعل أكثر النكات مدعاة للسخرية اتهام الأستاذ بجامعة نيويورك الحكومية د. نورمان فنكلشتاين (صاحب كتاب صناعة الهولوكوست) باللاسامية بالرغم من إنه يهودي.

استعداء أوروبا للمسلمين على هذا النحو يقلب الطاولة على أكذوبة حرية الرأي التي تزعمها ، ويؤكد على أن الكراهية والتعصب ورفض الآخر واستفزاز مشاعره لغة جديدة في قاموس الحوار العربي الأوروبي ليس من شأنها أن تؤدي إلى تعثر هذا الحوار وحسب ، وإنما أيضًا إلى انقسام جديد في أوروبا ، ليس على أساس أوروبا الجديدة وأوروبا العجوز الذي نشب على إثر الغزو الأمريكي للعراق ، وإنما على أساس أوروبا المتسامحة مع الإسلام وأوروبا المتحاملة عليه بعد موجة نشر الرسومات المسيئة للإسلام التي اجتاحتها.

====================

الدفاع عن حبيب الله

الدفاع عن سيّد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واجب على كل مسلم ومسلمة ، وما صدر من سفه من خلال الرسوم الكاريكاتورية التى أساءت للرسول محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم فى الدنمارك والتى على إثرها سحبت المملكة العربية السعودية سفيرها من هناك وكذلك فعلت بعض الدول ، راجيا ان تفعل نفس الشىء بقية الدول العربية والإسلامية وهذا أضعف الإيمان ،لأن ما صدر من سفه بالإساءة الى سيدنا محمد إساءة لمشاعر اكثر من مليار مسلم يعيشون فى المعمورة من اقصاها الى اقصاها.

وكم اثلجت صدورنا الغضبة العارمة التى تفجرت فى الشارع العربى والإسلامى وخطب صلاة الجمعة الماضية وتحرك منظمة مؤتمر العالم الإسلامى بدعوة وزراء خارجية الدول العربية والإسلامية لمناقشة هذا التطاول على سيد الخلق ، كل هذا اثبت ان امة محمد بخير .

ان المكانة التى يتربع فيها شفيعنا فى قلوبنا ناهيك عن مكانته التى وصفه فيها الله عز وجل بالخلق العظيم وأنه ارسل عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ، لكل هذه الأسباب وغيرها يجب الا نتهاون فى الرد على هذه الإساءة بالمقاطعة الإقتصادية على مستوى العالم العربى و الإسلامى، لأننا بهذا ندافع عن رمز الدين الإسلامى وهادى البشرية شفيعنا وحبيبنا سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، لأن الحديث عن الأنبياء والرسل يتطلب بل ويفرض قدرا كاملا من التأدب عند الحديث عنهم لكى لايكون هناك سبب فى بث روح الكراهية وتأجيج صراع الحضارات وعنصرية الأديان .

وهنا أود ان اذكّر بأن مكانة ودور النبى محمد عليه الصلاة والسلام لم يكتشفها المسلمون فقط ، بل اكتشفها ايضا ذوو الحجا من مفكرى الغرب من غير المسلمين مثل :

- اديب روسيا " تولستوى " الذى كان من اشد المعجبين بسيدنا محمد وبشخصيته ومنجزه ، لدرجة انه كان يردد دائما " ...ان رجلا مثل النبى محمد جدير بالاحترام والتبجيل" .

- شاعر المانيا " جوته " ... مجّد الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم فى شعره وقال : (تحت وطأة قدميه تنبت فى الوادى زهور ، وتحيا من انفاسه زهور).

- مايكل هارت الأمريكى الجنسية اعتبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم الشخصية الأكثر تأثيرا فى تاريخ البشرية .

- برنارد شو.. وقف مشدوها امام شخصية الرسول ليقول :

- " لو حكم هذا العالم رجل كمحمد لقدم له الحلول لمشكلاته، بل لفتح كل مستغلق فى وقت وجيز "

لابد ان نتحرك وبسرعة لأن هذا أمر يجب الا نتهاون فيه وكفانا تهاوناً وهواناً اوصلنا الى مانحن فيه .

ان الشجب والاستنكار الذى جبلنا عليه ليس وقته الآن لأن التطاول الذى حدث من الصحيفة الدنماركية وغيرها من الصحف على نبينا الكريم بدون اى سبب وبدون اى مقدمات اسفر عن وجه ونوايا قبيحة لا تنسجم مع ظننا أنهم أمة متحضرة بل جعلتنا نتيقن انهم بفعلتهم النكراء وخصوصا ان ملكتهم ورئيس وزرائهم اعتبروا ان ماحدث يندرج تحت حرية التعبير الشخصية ،كل هذا اكد لنا انهم تراجعوا الى الوراء آلاف السنين ايام كانت الحروب الداخلية والفساد ينهش بحضارتهم الحديثة ، ثم اى حرية شخصية وأى ديموقراطية التى تسعى لحظر بعض القنوات الإسلامية والعربية بالدنمارك وذلك لمعاداتها للسامية كما يدّعون ! ثم هل يجرأون فى ظل ديموقراطيتهم وحريتهم الشخصية نشر اى شيىء له علاقة بالمحرقة النازية الـ .. " holocaust" ؟

ولنتذكر معاً مصير من تطاول وأستهزأ برسول الله وما أصابهم من خزى ونكال وذلة ومهانة وعقوبة ، اين صناديد قريش عندما اشعلوا نار الفتنة ؟ إنهم فى مزبلة التاريخ وفى الدرك الأسفل من النار ، يقول الله فى محكم تنزيله : (تبت يدا ابى لهب وتب * ماأغنى عنه ماله وماكسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد).

ان من أعتقدوا انهم سخروا بسيد البشر واستهزأوا بالدين العظيم ظانين انهم يرسون دعائم الديموقراطية ،فإن الله قادر على بتر السنتهم وقادر على خزيهم فى الدنيا والآخرة .

المطلوب الان من حكومات العالم وهيئاته ومؤسساته وعلمائه ان ينتصروا لسيد الخلق و لردع المفترى وكفه عن ضلاله وبغيه وان يطالبوا بحق المسلمين حتى لاتتكرر هذه المسالك القذرة .

قبل الختام :

لابد ان اشيد بالتفاعل الذى كان منتظرا من معظم شركات الدول العربية والإسلامية لمقاطعتها الفورية لكافة المنتجات الدنماركية ، ولعلّ القادم اكثر .

فداك نفسى وأبنائى وأمى وأبى يا حبيب الله وصلى الله عليك صلاة يقبل بها دعائى ويحقق بها رجائى بنصر مؤزر لأمتك من الله سبحانه وتعالى انه سميع مجيب .

سامى عباس خميّس - جدة

sami@khumaiyes.com

الدنمارك والهجوم على الرسول

العربية نت:

الجمعة ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥م، ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ

=======================

الدنمارك والهجوم على الرسول

محمد الباهلي

كثيرة هي الدراسات والكتابات والأصوات التي تحدثت طويلاً عن العداء الغربي للإسلام والمسلمين، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكثيرة هي الندوات واللقاءات والمؤتمرات والحوارات التي عقدت طوال السنوات الماضية لمعالجة إشكالية هذا العداء بين الغرب والإسلام وإشكالية الربط بينه وبين الإرهاب، حتى أصبح "حوار الحضارات" مادة أساسية في كل لقاء بين العرب والمسلمين والغرب• ورغم كل هذه الجهود، فإن نزعة الكراهية في جسد الجسم السياسي الغربي لم تتوقف، حيث إن هناك نوعاً من الإصرار في الغرب، وبالأخص في أوروبا وأميركا، على تصعيد حالة الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين والعرب بكل الوسائل، وتحويل هذا الموضوع إلى حالة من المرض والقلق والخوف والهستيريا في المخ الغربي ضد الإسلام والمسلمين والعرب• وكلما حاول العرب والمسلمون معالجة هذه الإشكالية بصورة حضارية عالية المستوى، وذلك من خلال التعاون البناء ودعم الحوار بين الطرفين بهدف توضيح الصورة وإزالة الشكوك، يصر المخ الغربي والآلة الإعلامية الغربية والنخب الفكرية هناك، على الاستمرار في إشعال الفتنة بين الطرفين بصورة بغيضة والإصرار على تحويل موضوع الكراهية والحقد ضد الإسلام إلى "صناعة مسمومة"، صناعة كريهة تدر عليهم مليارات الدولارات، وذلك من خلال المنتجات الإعلامية التي يتم تعليبها في

صورة "أفلام ومسلسلات وبرامج إذاعية ورسوم كاريكاتيرية ولوحات فنية" ومنتجات ثقافية في صورة "مقالات وكتب ودراسات وقصص وروايات ونصوص مدرسية ومناهج تعليمية وكتابات ساقطة"، كلها تعمل على تشويه صورة العرب والمسلمين في عيون الرأي العام الغربي، وكلها تعمل على تعمية بصيرة الغرب وتجهيله عن الإطلاع بوضوح على الإسلام وحضارة العرب والمسلمين، وكلها تصر جاهدة على استمرار تفريخ صورة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، وتصر على قذف منتجاتها الإعلامية والثقافية في سوق الغرب على هيئة قنابل حارقة تنفجر بصورة هستيرية في المخ الغربي لترسخ في داخله صورة هذا العداء•

المشكلة الآن هي أن هذه "الصناعة الكريهة" قد تجاوزت كل الحدود والخطوط الحمراء، ووصلت إلى درجة أن تسخر من عقيدة مليار وثلاثمائة مليون مسلم، حيث وصل الأمر إلى الإساءة والسخرية من القرآن الكريم ورسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يتعرض الرسول الكريم منذ ٣٠ سبتمبر الماضي إلى هجوم حاد وسخرية مسيئة في الصحافة الدانماركية، حيث بدأت الأزمة كما يصورها المسلمون هناك عندما أراد مؤلف كتب أطفال دانماركي أن يضع على غلاف كتابه صورة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ورفض رسام الكاريكاتير المكلف بإعداد الغلاف رسم هذه الصورة، فقرر المؤلف إقامة مسابقة لرسم الرسول، حيث تقدم لها ١٢ رسام كاريكاتير أرسلوا ١٢ صورة مسيئة لرسولنا الكريم• ثم تواصل نشر هذه الصور المسيئة في صحيفة "بيو لاندز بوستن" اليمينية المتطرفة والتابعة للحزب الحاكم، وانتقل الأمر إلى شبكة الإنترنت• ورغم أن المسلمين هناك والبالغ عددهم ٢٠٠ ألف مسلم حاولوا الاحتجاج على القرار وذلك عن طريق رفع مذكرة إلى الحكومة الدانماركية، إلا أن الجواب كان هو الرفض وإصرار الحكومة على دعم حملة الهجوم تحت مسمى "حرية التعبير"•

إن المطلوب الآن هو أن نقوم بحملة واسعة لمواجهة هذا الهجوم الذي يتعرض له رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، أن نعمل بقوة على دعم إخواننا المسلمين في الدانمارك وأن نقف معهم في مواجهة هذا الهجوم، وأن تحول الدول الإسلامية ومنظمة العالم الإسلامي والجامعة العربية والأزهر الشريف ومؤسساتنا الدينية والثقافية، لغة الاستنكار إلى خطوات عملية ملموسة ضد هذا التجاوز الخطير الذي أصبح يمارس بكل وقاحة في دول الغرب، خاصة بعد أن فشلت كل المحاولات والحوارات الحضارية البناءة معهم• لابد أن تقدم دولة الدانمارك اعتذارها لمليار وثلاثمائة مليون مسلم•

* نقلا عن جريدة "الاتحاد" الاماراتية

تعليقات حول الموضوع

الفران دستوري وسنة النبي حبيبي سيفي

ابو عمر |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٧:٥١ (السعودية)، ١٤:٥١ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علي نبينا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وعلي اصحابه الارار الميامين اما بعد نحن في غزو من الدول الغربيه عموم وقد هاجموانا في مصطلح الارهاب وماهو الارهاب الارهاب ليس موجود في ديننا الحنيف والاسلام برياء منه وقال الرسوال صلي الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه وويده وبارك الله فيكم وفي موقعكم وجعلكم الله اصحاب راي جاد وحوار جاد ولانرضاء احد يسب النبي الحبيب المصطفي وسيرو الي الحق ونحن معكم والسلام خير الختام

نرفض الاساءه الى دين

ماجد |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٨:٣٠ (السعودية)، ١٥:٣٠ (جرينيتش)

اى انسان متحضر يرفض الاساءه الى معتقدات الاخرين فلابد ان يحترم كل انسان الاخر المختلف ولايسى الى عقيدته التى يعتز بها ولكنى ليس مع الكاتب فى اتهامه للغرب بالبدء فى العداء الى المسلمين .فهم لايستطيعون ان يجدوا تفسيرا واضحا للعمليات الانتحاريه الموجوده فى العالم كله والغريب انه لاتوجد ادانه واضحه من شيوخ المسلمين فى احداث ١١ سبتمبر ومدريد ولندن وشرم الشيخ والاردن وغيرها فعلها مسلمين وفى الاحداث التى وقعت فى الخارج صفق وهلل المسلمين لها.فانا كمصرى كنت ارى الشماته فى اعين اخوتى المسلمين فى الامريكان فى احداث ١١ سبتمبر .

كفانا سلبيه!!!!

الأمين |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٨:٤٢ (السعودية)، ١٥:٤٢ (جرينيتش)

ان رئيس الوزراء الدنماركي اندروز فوغ اسموسن رفض لقاء عدد من بعثات الدول الإسلامية الديبلوماسية في كوبنهاغن لسماع وجهة نظرها إزاء الرسومات، واقتصر رده على هذه البعثات بأن الدنمارك دولة ديمقراطية تحترم مبدأ الحرية و الرسومات تدخل ضمن هذا النطاق وعلى المتضرر أن يلجأ للقضاء.....وأقول لهذا المنافق وغيره ماذا يحصل لو حاول احدهم كتابه مقال معاد للساميه او مقال يشجع فيه العمليات الاستشهاديه في اسرائيل !!؟؟ وأقول لكم بحسره يا ليت الإساءة للرسول تقتصر على هذه الرسومات فقط ولكنها امتدت لتشمل إساءات اشد ...مثل ما نشرته صحيفة هيوستن برس الأمريكية الأسبوعية في ولاية تكساس إعلان عن دار عرض أمريكية تعرض فيلما إباحيا بعنوان`الحياة الجنسية للنبي محمد`.!!!ورغم الاحتجاجات التي تلقتها دار السينما من مسلمي ولاية تكساس إلا أنها رفضت إيقاف عرض الفيلم واستعانت بالشرطة لصد المتظاهرين....يجب التخلي عن المواقف السلبية المتمثلة في السكوت والتخاذل فكلما

سكتنا كلما زادت الإساءة و هذه الإساءة ليست لأشخاصنا فقط و لكن لديننا ونبينا الحبيب الذي وصفه ربه فقال(وانك لعلى خُلق عظيم)....

حزين لحال الاسلام

اسلام |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٩:٩ (السعودية)، ١٦:٩ (جرينيتش)

والله ان جل ما اريد معرفته مدى التأثير الذي سيحدثه قيام ذلك الكاتب بعمل قصه عن اساطير وخرافات المحارق اليهوديه فى دوله شقيقه لدولتهم بل ملاصقه لها او عن المجازر اليهوديه لاخواننا الفلسطنيين او عن الكثير من موازينهم المقلوبه وهل كان التصريح الحكومى لتلك الدوله بنفس العبارات ؟؟؟ لاو الله لانهم يعرفون مدى قسوة الرد اليهودى الصهيونى فى الدفاع عن اكاذيبهم اما نحن فنتكاسل حتى فى الدفاع عن حقوقنا وديننا وشرائعنا ، اين منظمات الدول الاسلاميه الحكوميه والشعبيه ؟؟؟؟ ان ما يخفف من وطأة الخبر فى نفسى هو قيام هؤلاء المتشدقين بحب المسيح والتسامح الانسانى هم انفسهم من رسموا السيدة مريم عليها رضوان الله فى صورة العاهرات وصوروا السيد المسيح فى صورة القواد وغير ذلك ، ان مثل هؤلاء مثل زبد البحر فأن من لا يحترم مبادئه ومعتقداته هانت عليه معتقدات الاخرين

هيا يا عرب

المنقذ |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٩:١٣ (السعودية)، ١٦:١٣ (جرينيتش)

ارجو من العربيه النشر.....بسم الله الرحمن الرحيم....ارجو من الرؤساء جمعينا الاتصال في الحكومه الدنيماركيه لتعرف تلك الدوله ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو نبينا وقره اعيننا وان من يتحدث عنه بسوء يتحدث عن الاسلام كله وعن كل مسلم غيور على اسلامه وعلى دينه . وارجو من الملك عبد الله خادم الحرمين الشريفبن التوجه والاتصال شخصيا بالرئيس الدينيماركي لحل هذه المشكله الماسه بالاسلام وعدم تكرارها وخاصه ان السعوديه تعتبر من كبرى الدول العربيه الاسلاميه.

اساءة لمن؟

khaled |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٩:٢٧ (السعودية)، ١٦:٢٧ (جرينيتش)

لمن لقد ندسو القرأن الكريم والأن تصل مواصيلهم الى الرسول (ص)الى أين تظنون نفسكم ستصلون الى لا شيىء و مصيرهم أكد جهنم وبأس المير

وبالحق انزلنه وبالحق نزل

على العتر |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٠:٢٢ (السعودية)، ١٧:٢٢ (جرينيتش)

كان يجب على المسلمين اثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد بمكة المكرمة ان يوجة تحذير للدنمارك وغيرها ممن يتطاولون على دين اللة ورسولة الكريم انة ما يحدث ليس حرية تعبير وانما هو (قلة ادب) والحادممن ليس لهم دين ولا ملة وانة اذا لم يرتدعوا والعودة الى الصواب واحترام الاديان فقطع العلاقات بكافة اشكالها هو الجزاء لمثل هؤلاء

بدون تعليق

علاء حسن |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٠:٥٥ (السعودية)، ١٧:٥٥ (جرينيتش)

يكفينا شرف أن رسولنا عليه الصلاة والسلام كان امي علمه شديد القوى وجاء بمعجزة خالدة إلى يومنا هذا فليأت المكذبون والمضللون بكتاب مثله ويأتي بأطفال العالم جميعا ويطلب منهم ان يحفظوا الكتاب الذي ألفوه لن يستطيعوا ولا يوجد كتاب في العالم في مثل حجم القرآن الكريم بأي ديانه كانت يستطيع أن يحفظه طفل في السادسة أو رجل مسن أو امرأة أو شاب . نعم رسولنا الكريم جاء بمعجزة جعلت الحاقدين وأصحاب الشهوات الخبيئة يعيبون عليه لأنه جاء بالطهارة والنقاء وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيرا

ياحبيبي يارسول الله

مسلم |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢١:٢٠ (السعودية)، ١٨:٢٠ (جرينيتش)

أرجو من جميع المسلمين اشخاصا ومؤسسات ودول ان يوقفوا تعاملهم مع هذه الدولةالكافرة فوالله ماقوانا باتحاد كلمتنا والله أكبر

حسبي الله ونعم الوكيل !

أحمد |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢١:٣١ (السعودية)، ١٨:٣١ (جرينيتش)

إحنا الوصلنا نفسنا لكدا مهو لو وحدنا كلمه الإسلام وبطلنا نخاف ونقول رأينا بصرااحه يا ألف خساره علي الي رااح وياريت هنعرف نرجعه أحنا بقينا مسخه لدرجه ان المسحيين الي فبلدنا لما بيهزرو مع بعض بيقولو لبعضهم بسخريه (يا عم روح انت شايفني مسلم) حسبي الله ونعم الوكيل في الخنازير !

----

where are you eslam

lover of eslam for ever |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢١:٣٩ (السعودية)، ١٨:٣٩ (جرينيتش)

if there is any moslem in this word then why you are waiting tell know every body hates us and we are waiting from where you are isn t you moslens dont wait or we will cry for our life in the future

----

المدينة المنورة

عادل صنفيري |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢١:٤١ (السعودية)، ١٨:٤١ (جرينيتش)

ارجوا مناقشة الموضوع على قناتنا المميزة العربية في اسرع وقت وشن حملة اعلامية مضادة - انا لله وانا اليه راجعون

اين اهل الغيره

احمدالشمري |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٢:٥٠ (السعودية)، ١٩:٥٠ (جرينيتش)

المسلم طبعه الغيره وما من غيره اشد من الغيره عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ونحن كمسلمين لانملك بعد الله الا اوامر ولاه الامور فنتقدم لولاه امو المسلمين عامه بالتدخل في هذا الموضوع باسرع وقت ونناشد خادم الحرمين الشريفين خاصه بالتدخل السرع ونقول له انت الخير والبركه وانت امامنا وولي امرنا فانصرنا بعد الله

ما هي الا ايام

رشيد |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٣:٥ (السعودية)، ٢٠:٥ (جرينيتش)

الى كل الدنماركيين حكومة وشعبا ام ان ترجعوا عن هذه المهزلة والا فالمنتقم ينتقم لدينه ولستم وحدكم في هذه المهزلة بل كل حاكم مسلم يمنعنا وان غدا لناظره لقريب

الأسباب ... والنتائج

أحمد عبدالرحمن |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٣:١٣ (السعودية)، ٢٠:١٣ (جرينيتش)

بدلاً من الوعيد والتهديد والسب والندب والتباكى على تطاول الآخرين على مقدساتكم .. هل تسائل أحد منكم عن الأسباب ؟؟؟

يا حبيبي يا رسول الله

نزهة |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٣:٣٩ (السعودية)، ٢٠:٣٩ (جرينيتش)

و اخيرا وصلت بهم الوقاحه الى شخص رسول الله اين الغيرة ...اين العزة ..اين هو حب رسول الله الغريزي في نفوس المسلمين ما يسعنا الل قول لا حول ولا قوة الا بالله................

لماذا هذا التصرف الاحمق

رافت الظاهر |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ٢٣:٤٦ (السعودية)، ٢٠:٤٦ (جرينيتش)

كفى عصبية و تعصب ايها الغربيون اسالوا انفسكم من دمر اوروبا قبل ستون عاما في الحرب العالمية ٢ فاحرى بكم ان ترسموه في كركتارتكم

الدنمارك والهجوم على الرسول

بو عبدالله - البحرين - مدينة حمد |٢٠٠٥/١٢/٢٥ م، ٢٠:٥٣ (السعودية)، ١٧:٥٣ (جرينيتش)

بي أبي و أمي يارسول الله مدام نستو القران و الصلاة و تربية الآبناء و الصلاة الفجر ٠٠٠٠٠ الله يرحمكم يا مسلمين

لن ننسى ما فعلت يادنمارك

ابو عواد |٢٠٠٥/١٢/٣٠ م، ٢٠:٤٧ (السعودية)، ١٧:٤٧ (جرينيتش)

لاحل الا المقاطعة يجب ان تنظم حملة واسعة لمقاطعة هؤلاء الشرذمة

أنت ربنا ومولانا يالله

ابو حصة |٢٠٠٦/٠١/٠١ م، ١٤:٣٥ (السعودية)، ١١:٣٥ (جرينيتش)

ياعزيز ياقوي ياكبير قهار اللهم أرينا فيهم مالم تراهو العيون اللهم ياسامع الصوت ارينا فيهم عجائب قدرتك .... ها نحن ندعوك فستجب لنا كما امرتنا

لابد من مقاطعة بضائعهم

مسلمة |٢٠٠٦/٠١/٠٨ م، ٢٢:٠ (السعودية)، ١٩:٠ (جرينيتش)

لابد أن يتخذ المسلمون وقفة فالإقتصاد أكثر مايؤثر على مثل هذه الدول نقاطع البضائع الدنمركية حسبنا الله عليهم

لا للعصيان

محمد عارف |٢٠٠٦/٠١/١١ م، ١٦:٣٠ (السعودية)، ١٣:٣٠ (جرينيتش)

هؤلاء العصاة يريدون ان يشوهوا صورة الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم لكن ذلك بعيد عن هؤلاء الكفره وحسابهم عند الله عسير و أليم يوم القيامة والسلام عليكم

هذه هى سنته

spider٥٠٠ |٢٠٠٦/٠١/١٨ م، ١٢:٢٢ (السعودية)، ٩:٢٢ (جرينيتش)

الهم أغفر لهؤلاء القوم فانهم لا يعلمون أنظروا الى معلمنا و قدوتنا حين أشتد به إيذاء قومه ماذا فعل؟ دعا الله لقومه بالهدايه والمغفره و لو شاء لدعا الله فأهلكهم جميعا أن كنا لا نملك القدره على المغفره فإننا نملك القدره على الصبر هذه هى سنته صلى الله و سلم وبارك عليك يا خير خلق الله

لقد بلغ الحقد عندهم ما بلغ

غيور |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ١٣:٧ (السعودية)، ١٠:٧ (جرينيتش)

اللهم لم شمل المسلمين

الجانب المشرق

ناصر |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ١٤:١٥ (السعودية)، ١١:١٥ (جرينيتش)

سبحان الله ..... الدنماركيون سوف يقراؤن عن الرسول الكريم فتكون سببا لدخوله الدين العظيم........ ((رب ضاره نافعة))

ابشروا بالفتح

فايز - مصر |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ١١:٢٣ (السعودية)، ٨:٢٣ (جرينيتش)

ابشروا يا أمة المليار بالفتح القريب بعد سب الحبيب هذه سنة الله فى أعداء حبيبة بعد ان يقعوا فى عرضة الشريف يأتى النصر عليهم مع ملء قلوبنا غيظا مما قالوا وكتبوا

وصدق الحبيب لما قال عن رب العزة ((من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب)) والله ولى المؤمنين و محمد صلى الله عليه وسلم أول المؤمنين

لاسكوت على مثل هذا

راشدالدوسري |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ١٣:٢٦ (السعودية)، ١٠:٢٦ (جرينيتش)

بسمالله الرحمن الرحيم كل مافعل هؤلاءالمجرمون تجاه رسولنا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم لايسكت عنه بل من كان لديه رد تجاههم فعليه بالمبادره والقيام بما يقدر عليه واسال الله ان يجزل لكل من شارك بما يقدر عليه تجاههم الاجر العظيم

النصر قادم

مسلمة |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢:٣٦ (السعودية)، ٢٣:٣٦ (جرينيتش)

إن الغد لناظره قريب

مؤسف

ناصر |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٧:٣٤ (السعودية)، ٤:٣٤ (جرينيتش)

تأجيج للارهاب وآمل من الله ان يطولهم بمشئة عموما لن يضر حبيبنا صلى الله عليه وسلم ماكتبه ورسمه الكلاب

المسلم العاقل

مسلم غيور |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٨:٣٦ (السعودية)، ٥:٣٦ (جرينيتش)

لقد ادى النبي صلى الله علية وسلم رسالتة فقد احسن تربيتنا وعلمنا العلم الفاضل فنحن كمسلمون يجب علينا ان ننظر الى هديه وان نأخذ عنة اسلوب التعامل فلم يكن الرسول صلوات الله علية يرد على الاساءة بالاساءة بل كان لطيف التعامل حسن الخلق فلو نظرنا الى كيف كان يتعامل مع جارة اليهودي الذي كان يرمي القذرات امام منزلة فلما توقف هذا اليهودي فلم يأنبة بل زارة عندما توقف عن رميها فاكتشف ان سبب توقفة هو مرضة فما كان من اليهودي الا ان يدخل في دين الاسلام لما وجدة من كرم وحسن تعالم الرسول صلى الله علية وسلم بي ابي هو وامي وهذة والذي كان خلقة القرآن. فحري بنا ايها المسلمون ان نصدق في تعاملنا وان نتأدب بأداب الاسلام فو والله وان نتبع كتاب الله وسنة رسولة فهذة كفيلة برفع راية الاسلام والمسلمين، فالاسلام دين عمل وليسى دين ردود افعال فاين نحن مما يمارسة البعض منا من قلة صلاة واكل محرم وطرب ولهو

وفسوق وما نشاهدة على قنوات ... `الاسلامية` فو الله يجب علينا ان نخجل اولا مما نعمل ونشاهد ولو اصلحنا مما بنا لكنا امة مسلمة حقة. نسأل الله لنا وللجميع حسن العمل والتقوى وان يرد كيد الكأدين في نحورهم انة ولي ذلك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتة

لا حول ولا قوة الا بالله

لا حول ولا قوة الا بالله |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٠:١٠ (السعودية)، ٧:١٠ (جرينيتش)

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

اليهود هم اليهود ....

أختكم ورد |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٠:١٣ (السعودية)، ٧:١٣ (جرينيتش)

لانستعين بالمحاكم الدولية ولا غيرها لأني مؤمنة أنه كما يقال (حاميها حراميها) إنما أوجه حديثي للمسلمين أنفسهم للحكام الذين يرسمون تلك الابتسامات العريضة والرضى كل الرضى عن أحفاد القردة والخنازير وأوقن أنه لاحياة لمن تنادي!! لذا أبث نفثي وحديثي للشباب المقلد والمحب للغرب العاشق الراضي ،،الشباب الذي سلم نفسه لخزعبلات الموضة تراه يسير وأنت تظن ان الذي أمامك شِبه امرأة ولو هفته نسمة وقع على أرض التميع ظاناً نفسه أنه قد اعتلى علو الجبال ولاأحدمثله سوى أمثاله .... تراه يسير وهو يلبس بنطالاً يكاد أن يصل لركبتيه ومن نظر إليه من ذوي البصيرة يشعر بتقزز المنظر وغثيان الصورة .. لمَ ؟؟ يقول لك هذه الموضه !! أي موضة ودينك مستهان به .؟ أي موضة ورسولك يُسب ؟ تخيل نفسك وأنت تسير متميعاً مطبقاً برتوكلاتهم ومخططاتهم وكأنك تقول اعملوا ماشئتم فأنا عنكم راضٍ .. القضية ليست في هؤلاء الأنجاس !!! إنما فينا نحن .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم أوذي وهو في حياته .. أوذي وهو يصلي وهو ساجد ويرمى على ظهره الطاهر القاذورات فهل ينجو من هذا الأذى وهو ميت (فداه أبي وأمي) له رب يحميه وله الفئة المؤمنة التي تدافع عنه (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) فموعدهم قريب .. ولكن القضية فينا نحن كما أسلف قلمي وهو ماموقفنا ؟ لذا وبعد هذا كله لابد من وقفة صادقة مع أنفسنا .. أولا : ومن أجل الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لابد أن نُري الله من أنفسنا خيراً وهو أقل شئ نقدمه لديننا أن نقاطع منتاجاتهم وبشدة وندعو لمقاطعتهم . ثانياً : نشر المقالات الممثاله لهذه في كل مكان خاصة المنتديات لتبصير الأمة خاصة الشباب فمهما وصل شبابنا من متابعة لنعيقهم لابد من وجود البذرة الطيبة في قلوبهم .. ثالثاً : المشاركة في الرد لمثل هذه المواقف ومقاومتها ومواجهتها والثقة والثبات في تحقيق الأهداف التي تعبر عن كره أهل الكفر ومحاربتهم رابعا: وقفة صادقة مع أنفسنا وأن الدين ينادينا وينادي صدق فطرتنا ولنسأل أنفسنا دائماً (ماذا قدمتُ لهذا الدين) سترى

الجواب مخجلاً أمام نفسك أخيراً ومضة ساخنة لي أنا ولكل من أحب من المسلمين (وإن تتولوا يستبدل الله قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) تحياتي ورد

هذا ما جنت عليه يداكم

أمجد زياد العباسي |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٠:٢١ (السعودية)، ٧:٢١ (جرينيتش)

دائما نعود لنقول ان المشكلة ليست فيمن تطاول على نبي العالمين عليه الصلاة والسلام ولكن المشكلة في من يدعون انهم ينتمون الى دين هذا النبي مسلسل الاحقاد متواصل ولن ينفك يوماً .... ما نريد بحثه هنا .. هو ما ذا علينا ان نفعل لنسكت هذه الاصوات (العلنية على الاقل) على المدى البعيد ؟ ولربما أقل ما يقال هو المحاولة قدر المستطاع مقاطعة بضائع هذه الدول .. الكثير منا سيقول ان شراءه ببضعة دراهم او ريالات او جنيهات من منتجات هذه الدولة لن يؤثر في الامر طالما انه يظن انه هو وحده فقط من يقاطع .. بينما هناك الآلاف ولربما الملايين ممن يشاركونه المقاطعه .. فعلينا ان لا ننتظر مقاطعة الآخرين لنبدأ نحن بالمقاطعه ... وريال مع ريال وجنيه مع جنيه ودولار مع دولار بامكانهم عمل الكثير لصد هذه الهجمات ... إبدأ بنفسك ولا تنتظر الآخرين .

يال العجب العجاب!!!!!!!!

احمد صلاح حيدر |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٠:٢٢ (السعودية)، ٧:٢٢ (جرينيتش)

ماذا ساكتب؟ وماذا افعل؟ فكرت كثيرا ولكن ما الحل؟ انعيب زماننا؟ نعيب زمانن والعيب فينا وما لزمانن عيب سوانا ونهجو ذا الزمان بغير حق ولو نطق الزمان لنا هجانا الم وحسرة في قلبي الى هذا الحد من الضعف الذي وصل المسلمون اليه فرسول الله يصبح مهانا ولا نتحرك يال هذا العار ان اي انتقاص من شخصية الرسول هي انتقاص للاسلام فمعجزته صلى الله عليه وسلم هي كتاب المسلمين وسيرته هي تاريخ للمسلمين واخلاقه هي الانموذج الذي يقتدي به المسلمون فالمسلمون لم يرتضو ان يشتم احد الرسول وكانو في اشد فترات الضعف وقلة العدد فها هو حمزة يضرب احد سادات قريش بقوس السهام ويقول له اتسب محمدا وانا على دينه؟ فما بالنا اليوم فنحن في العدد كثيرون وفي العدة مجهزون فنحن منبع نفط العالم وارضنا سلة لغذاء العالم وبعد كل هذا نسب في ديننا؟ فيال العجب العجاب

سؤال فقط

نسائم الجنان |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٣:٤٤ (السعودية)، ٢٠:٤٤ (جرينيتش)

لكل ابي محب ماذا تفعل لو ان شخص سب امك او شتم اباك او انتقص من عرقك اوقبيلتك ؟؟؟؟؟ ثم اقول كيف ومن سب وشتم اغلا من الاب والام بل والنفس كيف ومن سب هو حبيبنا وهادينا من االعيون مقره وسويداء القلب محله من شج راسه الشريف وكسرت رباعيته وقتل اصحابه وشرد اتباعه ورميت زوجته الطاهره كل هذا وهو صابر محتسب يعلم ان اصحابه واحبائه نحن سوف ننتصر له ((((((((سيد وحبيبي اشهد الله اني اتبراء اليك مما فعل هؤلا واشهدك يارب ان روحي فداء وعرضي لعرضه فداء ومالي وولدي له فداء فجعلها لي وجاء يوم القيامه مما قصرت فيه فاني لا استطيع يارب غيره)))))))) والى الشرذمه الصليبيهاقول ما قال حسان: هجوت محمد ولست له بندا فشركم لخيركم الفداء اللهم عليك بهم فانهم لايعجزونك عليك بهم فانهم لايعجزونك عليك بهم يا رب فانهم لا يعجزونك

==============================

فسيكفيكهم الله

مساعد علي آل الطوير الشهري |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٣:٤٩ (السعودية)، ٢٠:٤٩ (جرينيتش)

ماذا تنتظرون من اعداء الدين ولكن ابشركم ان الله مهلكهم وقد قال الله تعالى ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون)) تفسير الطبري ج١٧:ص٢٩ فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزءون يقول جل ثناؤه حل بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم يستهزءون يقول جل ثناؤه فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم. وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ((إنا كفيناك المستهزئين))تفسير السعدي ج١/ص٤٣٥ إنا كفيناك المستهزئين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزئون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتله ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله فإنهم أيضا يؤذون الله الذين يجعلون مع الله إلها آخر وهو ربهم وخالقهم ومنه برهم فسوف يعلمون غب أفعالهم إذا وردوا القيامة ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون لك من التكذيب والاستهزاء فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب والتعجيل لهم بما يستحقونه ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم .

المقاطعه

دكتور على التركى |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٣:٥٥ (السعودية)، ٢٠:٥٥ (جرينيتش)

على كل مسلم ان يستنصر لحبيبة محمد رسول الله فقاطعوا كل منتجات الدنمارك وهية الاتى زبدة لوبارك وحليب نيدو وجبن انكور واى جبن دنماركى قاطعوهم ولاتكونوا كالخراف لو ان دنماركى تجرا ورسم بوذا لقام السيخ وحرقوا كل ماهوة دنماركى وهم يعلمون ذلك جيدا

.htm١١١/١http://www.gooh.net/oiii-

-http://www.gooh.net/oiii١١١/١| ٢٠٠٦/٠١/٢٣.htm م، ٠:٤٦ (السعودية)، ٢١:٤٦ (جرينيتش)

انصرو حبيبكم عبر هذا الرابط

محمد رسول الله

مواطن |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١:٣٩ (السعودية)، ٢٢:٣٩ (جرينيتش)

ايها المسلمون اني ادعوكم الى الجهاد في سبيل الله ومحمد عليه الصلاة والسلام وان كان محمد لايستدعي منك التحرك فلا تنسوا ان محمد علية الصلاة والسلام قدم كل رخيص وغال في سبيل الله اولا وسبيل الأسلام ثانيا وفي سبيل المسلمين ثالثا ورسول الله ينظر لما ما ستفعلون انصروا الله ورسوله اللهم اني بلغت اللهم اني بلغت اللهم اني بلغت والسلام على رسول الله وهو رسول الله رغم انوف الكفار المعتدين.

بيكفي سكوت بيكفي

`| mahmod٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١:٥٠ (السعودية)، ٢٢:٥٠ (جرينيتش)

لوا ان العرب متحدين بالشرع والدين المتين وسنة الرسول الامين لما حدث واتا رعاع الغرب ليقولوا كلمة بل واقول حسبي الله ونعم الوكيل عليكم يا حكام العرب على سكوتكم وعلى واحترامكم للغرب الزائف والزائل بعون الله ومذا نقول يا اخوتي بالله اذا رائينى مئات الجرائم الشارونية والاسرائيلة والامريكيه في غونتانامو وسجون اسرائيل ايضا من اهانة المصحف الشريف وماذا رئينا من حاكم عربي واحد ان كان صوتنا هنا سيبقا هنا فل نسكت جميعا والا فالنقوم قومة رجل واحد ولنكبر ولنرفع اسم الله ورسوليه الكريم اما بعد كل الاحترام والتقدير للغيورين على دينهم واقول اشعلوا من هم قريبين منكم بالدين وما يحدث فنا متاكد هناك اناس لا يعلمون شيئا بالموضوع وكتير من المواضيع اعملوا على بناء اسلام حنيف بالقلوب يقوم بعدها على ارض باذن الله

==========================

إنا كفيناك المستهزئين

أبو عاصم الأزدي |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١:٥٩ (السعودية)، ٢٢:٥٩ (جرينيتش)

يقول أحد علمائنا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ` إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول ، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلْنا فتحه وتيَسَّر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك،ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه ` وقال الإمام العالم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ` ومن سُنة الله أن من لم يُمكن المؤمنين أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإنَّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه ، كما قدمنا بعض ذلك في قصة الكتاب المفترى ، وكما قال الله سبحانه : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) ويقول الدكتور (شبرك) النمساوي: إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته. جوتة الأديب الألماني : ` `إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد`. تلك بعض أقوال مشاهير العالم ، في محمد نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام ، فلماذا المزايدات التي تضر ولا تنفع ، وتهدم ولا تبني .

مسابقة رسم

فتاة مسلمة |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٨:٢٣ (السعودية)، ١٥:٢٣ (جرينيتش)

نعلن لمن يرغب دخول مسابقة لرسم ملكة الدنمارك الرسم الذي يليق بها .... رداً على مسابقة رسم رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم

ويمكرون والله خير الماكرين

مصطفى |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢١:٧ (السعودية)، ١٨:٧ (جرينيتش)

والله لعذابهما أت لا محال انشاء الله أشد العذاب يا رب .

حسبي الله ونعم الوكيل

ام الشهداء |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢١:٣٣ (السعودية)، ١٨:٣٣ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم حسبي الله ونعم الوكيل في كل من شارك في هذه الاساءة واقول رب خذهم اخذ عزيز مقتدر وقول كما سمعت على الجزيرة يا حكام العرب والعالم لو ان احدا اساء الى حضراتكم فماذا سيكون الرد ولكن الله ينصر الاسلام والمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم

نحن لانقبا ذالك على حبيبنا رسول الله

محب الرسول صلى الله عليه وسلم |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٣:٥٠ (السعودية)، ١٠:٥٠ (جرينيتش)

اللهم من سخر برسولك صلى الله عليه وسلم واعتدى على حرمته فأعم بصره وشل يده واجعله عبرة للمعتبرين . أبشروا بالنصر والتأيد ياأهل الأسلام فإن الله سيدافع عن نبيه صلى الله عليه وسلموسيعلي راية هذا الدين ولو كره المشركون. قال تعالى : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) وقال تعالى :(إن الله يدافع عن الذين آمنوا....) وأخيرا أقول اللهم أجب دعاأنا وأقر عيوننا بنصرت دينك العالمين

إلى كل من طلب شفاعة الرسول الكريم

مسلم محب للرسول الكريم |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٣:٥٣ (السعودية)، ١٠:٥٣ (جرينيتش)

يا أمة الإسلام، يا أمة القرآن، يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، إلى متى الهوان والذل، هل بعد هذا شيء، يحاربون الإسلام، ويدنسون القرآن، ويسبون رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، هل بعد ذلك شيء، استحلفكم بالله، لو أحداً سب أختك هل تسكت؟ أجبني هل تسكت؟ لماذا لا ترد؟ ان الجواب واضح؟ إذا كنت لا تسكت، فلماذا تسكت على سب أشرف الخلق والمرسلين؟ هل أختك أعز عليك من الرسول؟؟ هل ترجو شفاعة الرسول وأنت تسكت على سبه، ماذا ستقول له يوم تلقاه عند الحوض؟ عندما يسألك هل سكتّ على سبي، ماذا ستقول له؟ الصحابة الكرام كانوا يفدونه بدمائهم وأنفسهم ومالهم وأهلهم، ونحن نبخل عليه بأن نثأر لسبه، لو أنه موجود أمامك وسبه أحد هل ستسكت، طبعاً لا، فلماذا وهو غائب في جنات النعيم نسكت على سبه، هل الثأر له

من أجل وجوده وحضوره، أم من أجل محبته ورجاء شفاعته يوم الشفاعة، خاب من كانت أمه وأخته وأبوه وعرضه أعز عليه من الرسول الكريم. يا أمة الإسلام، اطلبوا الشفاعة ممن يحبكم، أحبوه وأثبتوا له محبتكم له بالذود عنه والدفاع عن عرضه، أرى النصارى وغير المسلمين غيورين على سبه، فلماذا لا نكون أغير عليه منهم. ابذلوا كل ما في وسعكم لتنالوا الشفاعة والفوز، لا تستهينوا بالأمر، فالصحابة كانوا يفدونه بكل ما اوتوا من جهد طلباً للجنة، أليست هذه طريق للجنة؟ لو أن أبا بكر أو عمر كانوا الآن، ماذا كانوا سيفعلون؟ والذي نفسي بيده لكانوا أعدوا جيوشاً للدفاع عن سيد الخلق، قاطعوا كل المنتجات الدنماركية، لا تستهينوا بالأمر، فهذا أضعف الإيمان، وكل يحاسب على قدر نيته وعمله. اللهم شلّ يد من رسم صورة الرسول الكريم، واجعله عبرة لكل الخلق. اللهم لا تمته حتى يكون تنفسه عذاباً له وطعامه عذاباً له وشرابه عذاباً له، وانتقم لرسولك الكريم، فإنك على كل شيء قدير.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله

محمد الزهراني |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٤:١٦ (السعودية)، ١١:١٦ (جرينيتش)

إن الرسول لنور يستضاء به ٨٨٨٨٨٨مهند من سيوف الله مسلول بأبي أنت وأمي يا رسول الله اللهم اهلك من سب نبك محمد صلى الله عليه وسلم وأرنا فيه عجائب قدرك عاجلا غير ىجل يارب العالمين.

العزة للاسلام

ياسين |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٥:١٣ (السعودية)، ١٢:١٣ (جرينيتش)

السلام على من اتبع الهدى و الهداية لمن أرادها

لعنة الله عليهم

من مكة |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٥:٣٣ (السعودية)، ١٢:٣٣ (جرينيتش)

إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا قول من رب العالمين على مدار القرون ٠ فالله كفيل بهذا ولعنة الله وسخطه وغضبه سينزل بهم إن شاء الله وكما وعد على من قبلهم من الأمم فهذا خيرته من خلقه والمقرب إليه من أنبيائه وشفيع عباده عنده ٠ حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله ونعم الوكيل وأفوض أمري إلى الله ٠

" ألا لعنة الله على الكافرين "

نصـر الدين مـن الجزائـر إحـدى أراضــي الله |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٥:٤٧ (السـعودية)، ١٢:٤٧ (جرينيتش)

قبحكم الله وشوه صوركم، رسولنا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، هدانا لطريق الحق المبين ، ووعدنا بجنة ونعيم و موعدكم أنتم كل أشكال العذاب في نار الحميم ، يا سي محمد هذا أضعف أيماننا جزاك الله خير الجزاء ، ندعو الله السداد لحكامنا وأن يرفع عنهم غشاوة الخمول وغظ الطرف عن أعداء الإسلام ... أما صورة نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام فهي أحسن صورة نرسمها في أعماقنا ، ويكفينا فخرا واعتزازا به وبما أتى به لا إله إلا الله محمد رسول الله

القمص زكريا

ام طلال |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٢:٥٢ (السعودية)، ٩:٥٢ (جرينيتش)

على فكره ليس الاوربين فقط اللذين يسبون الرسول فهناك القمص زكريا في قناة الحياه كل يوم يتلذذ في سب الرسول ويطلب من كبار رجال الدين ان يواجهوه في حقيقة دينهم ولكن لال يوجد من يوقفه عند حده والله انه يقول كلام اقبح واشنع من ما يقوله الدنماركيون في عظمة الرسول الحبيب

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

مسلم والحمد لله |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٣:١٣ (السعودية)، ١٠:١٣ (جرينيتش)

الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أشرف الخلق والمرسلين، من تجرأ على الاستهزاء به فهو حقير، جبان وضعيف، لأنه لو كان الرسول حياً لما تجرأ على ما فعل، إذا لم يكن جباناً فليرسم صورة ملكة الدنمارك أو صورة أحد رؤساء الدول الأوروبية، لن يجرؤ على ذلك، إذاً النتيجة أنه جبان حقير. وأقول له: لو فررت من العقاب في الدنيا، فلن تفرّ من عذاب الآخرة، (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون). اللهم عليك الكافرين فإنهم لا يعجزونك يا رب العالمين، يا رب إنك تسمع الدعاء اللهم استجب.

ولسوف تعلمون

ناصر الحبيب |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٣:٥٦ (السعودية)، ١٠:٥٦ (جرينيتش)

يا شباب حان وقت الجد لازم نردعهم ونقاطعهم فقد تعدوا على رمز المسلمين على قائد الغر المحجلين

نحرنا دون نحرك يارسول الله

ophelia | ٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٤:٤٠ (السعودية)، ١١:٤٠ (جرينيتش)

تفيض اعيننا من الدمع عندما لانرى سوى قناة المجد هي القناة الفضائية الوحيدة التي تتصدى لهذه الحملة المنحطة والحقيرة أما بقية القنوات والسعودية خاصة مثل روتانا ،والmbcالتي يحز علينا ان لا تعرض برنامجا يذود عن نبي الامة الذي قال فية المولى (وانك لعلى خلق عظيم) أم صار همكم عرض اخر الفيديو الكليبات للفنانات العاريات اين الغيرة على الدين وهل اصبحت حرية التعبير للغرب حلال وعلينا حرام بل عليكم الى متى وانتم في سبات اين النتصرون لك يارسول ام انهم رحلوا برحيلك اين عمر وابوبكر وعثمان وعلي اما يوجد فين أمثالهم

لا والله يارسول الله لن نسكت

عاشقة الرسول |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٥:٥ (السعودية)، ١٢:٥ (جرينيتش)

يكفينا ذل وهوان أين غيرتنا على رسولنا ؟لقد سبوا احب الخلق إلينا نبينا وحبيبنا وقرة اعيننا بابي هو وامي ... لكن واااااالله لن نسكت سنقاطع منتجاتهم ونهز اقتصادهم فنحن امة المليار سنرفع اكفنا في ثلث الليل الخير وندعوا عليهم ليكونوا عظه لغيرهم وعلى حكوماتنا الرشيده في كل الدول الاسلاميه ان تسحب سفيرها في الدنمارك وان تقطع العلاقات

نصرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

عبدالله الغامدي |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٥:٥١ (السعودية)، ١٢:٥١ (جرينيتش)

قال الله تعالى(كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز) لذلك نقول حسبنا الله ونعم الوكيل وانا لله وانا اليه راجعون أسأل المولى عزوجل ان يرين فيهم يوما اسودا عاجلا غير آجل وان يبتليهم بالامراض والزلازل والكوارث انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير ياحي ياقيوم اجب دعائنا آمين يارب العالمين

لاحول ولا قوة الابالله

حسن الغامدي |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١١:٣ (السعودية)، ٨:٣ (جرينيتش)

ان مثل هؤلاء القوم يوصفون بعدم العقل والجهل وعدم احترام الديانات الاخرى التى منزله من الله ولاحول ولاقوة الا بالله

فداك روحي يارسول الله

الغربة |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٢:٤ (السعودية)، ٩:٤ (جرينيتش)
بأبي أنت وأمي يارسول الله................والله نفديك بأرواحناوأولادنا

أمة محمد بخير

ابو الياس |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٢:١٧ (السعودية)، ١٩:١٧ (جرينيتش)
الذي يقرأ هذه التعلبقات يقول ما زالت امة محمد صلى الله عليه وسلم بخير بوركتم والامة بخير ما دامت الغيرة فيها فان سلبت فأقرا عليها السلام

مانرد على هؤولاء العجول الدنمركية

ابو احمد |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٣:٨ (السعودية)، ٢٠:٨ (جرينيتش)
يجب مقاطعة مثل هؤلاء العجول حتى يعلموا ان وراء الرسول رجال يحبونه ويقدمونه على انفسهم واولادهم

أين صحوة الامة

سالم الدوسري |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٣:١٧ (السعودية)، ٢٠:١٧ (جرينيتش)
لن أتكلم عن أولئك الكفرة الملحدين فليس بعد الكفر ذنب ولكني أقول للمسلمين ماذا قدمتم للاسلام هل مجرد التسمي به أم ماذا ياللعار كيف يستهزأ بنبيكم وأنتم تتفرجون وكأن اللجم قد اللجمت لكم ءأصبحتم مطايا أم أذنابا كيف يستهزأ بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ولم يتكلم أحد أقصد بهم روساء الدول العربيه والاسلامية يجب أن يكون هناك ردا صارخا رادعا وأن يحاكم من فعل ذلك سواء أشخاص أو مؤسسات أو حتى حكومات فكفى بهذا حدا لصحوة المسلمين من سبات عميق تذكروا ماذا فعل رسولكم الكريم ليبين الهدى للناس ويرسم الطريق المستقيم فكان يقابل بالاساءة ولكنه صبر على ذلك حتى أوصل الاسلام والمسلمين الى أفضل مكانة وهيبة ثم خلف بعده الخلفاء الراشدين من بعده وساروا على دربه واقتفوا أثره ثم توالت عصور المسلمين وهم في قوة وهيبة وعزة وكبرياء وعظمة ثم بعد ذلك أصبحت القوة والهيبة تتضاءل شيئا فشيئا الى أن وصلت الامة الاسلامية الى ماوصلت اليه الان من ذل وصغار حتى وصل الامر الى أن يتطاول أخوان القردة والخنازير أن يستهزؤن بنبينا الكريم فأقول لكم يا أيها المسلين أجمعوا كلمتكم وكونوا على قلب رجل واحد وقفوا أمام عدوكم وكونوا لهم بالمرصاد ....يارب أن رسولك الكريم صلى الله عليه وسلم كان لاينتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله تعالى اللهم فانتقم له من أولئك الذين أستهزوأ به وأنتقم للمسلمين منهم فهم قد تتطاولوا على الاسلام والمسلمين وبالشرائع السماوية وبالاديان

التي ليست محلا لحرية الرأي كما يزعمون قاتلهم الله أنى يؤفكون .....أرجوا أذا كان هناك خطأ في ماكتبت مراسلتي وتوجيهي على أيميلي_sogl١٢٣@hotmail.com

----

المقاطعة وسحب السفير السعودي بدأت تتفاعل في الدانمارك

مسلم من الدانمارك |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٣:٥٠ (السعودية)، ٢٠:٥٠ (جرينيتش)

بدأت إعادة الحسابات والخوف من المقاطعة وعد المليارات التي تحصل عليها الدانمارك من التصدير إلى السعودية وغيرها من الدول العربية بدأت على شاشات التلفاز والمجلات فقد كان الخبر الأول في التلفاز الدانمركي اليوم عن إستدعاء السفير السعودي للتشاور وخبر دعوات علماء المسلمين للمقاطعة والخوف من الخسائر المادية والمعنوية بسبب الرسوم وقالت شركة أرلا الدنماركية أن تعاملها مع المملكة يقدر سنوياً ب ٣ مليار وأن هذه خسائر وقد تمتد المقاطعة للدول المجاورة بسبب دعوات العلماء

أعوذ بالله من فعلتهم الشنيعة

بنت الإسلام |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٣:٥٤ (السعودية)، ٢٠:٥٤ (جرينيتش)

حسبي الله ونعم الوكيل .اللهم إني أعوذ بك مما فعل أحفاد القردة والخنازير . (فلنكن يدا بيد ضد منتجاتهم الدنماركية) حتى نثبت لهم قوة الإسلام و أهله للدفاع عن أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ليس بعد الكفر ذنب

سعيد احمد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٠:٧ (السعودية)، ٢١:٧ (جرينيتش)

اعزائي الكرام القائمين على هذا الموقع لكم مني اجل تحية واحترام لن اتكلم عن اولئك المنكرين المتنكرين لله تعلى فهم وصفهم الله بقتلة الانبيا فهم يقتلون انبياء الله المرسلين اليهم فكيف بحبيبنا النبي الامي العربي عليه افضل الصلاة والاسلام ولاكن اريد من الامه الاسلاميه بان لا تتكتفي بمقاطعة الدنمرك بل تقتل هذا العين الذي تجراء على الحبيب وان تحرق مقر تلك الصحيفه وان الله على نصرناء لقدير اذا غيرنا ما بانفسنا واتجهنا الى الله عز وجل بالاخلاص في العباده ووحدنا صفوفنا وكنا امة واحده

السعودية

فتحي الولدي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٠:١٢ (السعودية)، ٢١:١٢ (جرينيتش)

إن هذه الإساءة والحملة البغيضة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لهو تعبير ورسااالة واضحة للعرب والمسلمين بكره الغرب واليهود كافة لهم وينسبون الارهاب للمسلمين متناسين اكبر الارهابين (شارون) لعنه الله وامثاله بوش وبلير. فلابد من قادة العرب ان يسحبو كل سفراءهم لدى هذه الدولة المعلونة باذن الله ومقاطعة جميع صادراتها لنا من منتوجات غذائية او صناعية فلابد من الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو الشفيع لنا يوم القيامة وهذا اختبار لنا فمن لم يدافع عن الرسول اليوم فلا يدافع عنه ويشفع له يوم القيامة.

لعنة الله على الاعداء

محمد العواجي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٠:١٣ (السعودية)، ٢١:١٣ (جرينيتش)

حبيبي يا رسول الله بأبي وأمي انت يانور البشرية أما هولاء الحاقدين لعنهم الله وأبطل أفعالهم فيجب على كل منا كامسلمين الوقوف ضد هولاء الجبناء ومقاطعة منتجاتهم وانا من هذه اللحظة لن استخدم اي منتج لهم مدى عمري لانه ذنب" لايغتفر مهما قدموا من أعتذارت كاذبه تخفي حقد قلوبهم كما يجب على الحكومة الوقوف موقف الحسم من هذا الموضوع الذي اساء لحبيبنا ورسولنا وكذلك الدعاء على هولاء الكفار الفجرة لاقام لهم راية وجعلهم لمن خلفهم آيه أمين يارب العالمين

الضربة القاضية لهم

عبدالله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٠:١٦ (السعودية)، ٢١:١٦ (جرينيتش)

ان المقاطعة لمنتجاتهم سوف تكون بمثابة الضربة القاضية لهم ومن يتساهل في ذالك فغيرته على النبي الحبيب معدومه

لا تدعوها تمر مرور الكرام

محمد السواجي ، الرياض |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٠:٢٢ (السعودية)، ٢١:٢٢ (جرينيتش)

لو جعلناها تمر مرور الكرام فلا نلوم انفسنا اذا استمر الدينماركييون او غيرهم بالاستهزاء في المستقبل واتمنى ان تحذو الدول الاسلامية خطى المملكة العربية السعودية في استدعاء سفراءها من الداينمرك حتى نثبت لهم كبر حجم الموضوع وانه يتعدى حدود حرية التعبير والرأي بكثير . وفي نظري ان السخرية لم تمس سيد الخلق فقط وانما مست كل مسلم على وجهه الارض فالرسول عليه الصلاة والسلام قد قبضت روحه لكن الاسلام باقي والعمامة السوداء التي كان يعتمرها الرسول الكريم في الكاريكاتير الحقير انما ترمز للدين الاسلامي وليس لذات الرسول عليه الصلاة والسلام .

رؤوساء المسلمين

رؤوساء المسلمين |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٠:٤٥ (السعودية)، ٢١:٤٥ (جرينيتش)

اين ردود رووساء المسلمين اين النخوه والغيره علي الاسلام انا من رأي ان اول اجراء يتم اتخاذه من البدايه ان تغلق كل السفارات الدنماركيه في الدول المسلمه وتقطع كل العلاقات مع هذه الدول الكافره لكي تكون عبره لغيرها وشكرا

لابد من ان نقاطع هذي الدولة

هل من منادي؟ |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١:٢١ (السعودية)، ٢٢:٢١ (جرينيتش)

نحن مسلمون وابناء مسلمون وسيدنا وحبيبنا هو رسول الله صلى الله علية وسلم فيجب على كل مسلم صادق يحب الرسول صلى الله علية وسلم ان يقاطع هذي الدوله الكاافرة التي قام بهاا اخس البشر واحقر الناس بان يرسم رسول الله صلى الله علية وسلم اين وقفت المسلمون الان لابد مناا جميعاا ان نقف وقفت رجل واحد وجسم واحد ضد هذي الدولة الكافرة وهي ان نقاطع جميع منتجاتهاا التي نستوردهاا من عندهم فنحن مسلمون في هذي الوقفه الجادة واريد من احد الاخوان هناا ان يبحث عن الاشركات التي تستورد من هذي الدوله الكاافرة الكي نعرف هذي المنتجاات و نسال الله العظيم الكريم القادر على كل شي ان ياخذهم اخذ عزيز مقدتر امين امين

اه اه ياالقهر

ابو رغد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١:٢٢ (السعودية)، ٢٢:٢٢ (جرينيتش)

لعنة الله عليهم وصلة الموصيل ان الكفار يستهزون بالرسول صلى الله عليه وسلم ونحن كمسلمون نشتري منتجاتهم ونرفع اقتصادهم والله ان المفروض ندافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بكل مانملك من قوة ونحارب كل من يستهز بالرسول صلى الله عليه وسلم . اللهم عليك بالدنمارك والنرويج اللهم ارناعجاب قدرتك فيهم ودمرهم يارب العالمين اللهم انصر المسلمين في كل مكان .

الباركود

عبدالمنعم |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١:٣٩ (السعودية)، ٢٢:٣٩ (جرينيتش)

هل تعلم أخي المسلم بأن الباركود للمنتجات الدنمركية لاي منتج لهم يبدأ ب رقم ٥٧ نتمني العزيمة والإصرارفي مقاطعة المنتجات الدنمركية.

بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ويزداد

بيجول |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٤:٢٢ (السعودية)، ١:٢٢ (جرينيتش)

المسلمون الان يعانون من الازدراء؟؟؟!!!!! لعلهم يعرفون ماهى مرارته وكم استهزأوا ويستهزئون بالمسيحية واليهودية وليس عندهم حجة للازدراء الا انه محرف انه محرف فاليهود والنصارى كتبهم محرفه وهم فقط السليم كفى وافيقوا واشربوا من نفس الكأس

المسألة مسألة مادة

مسلم في الدنمارك |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٤:٣٩ (السعودية)، ١:٣٩ (جرينيتش)

اذا اردنا ان نرد فلا مقاطعة، ولا هجوم مسلح، ولا غيره،،، العين بالعين والسن بالسن،،، ولكنا لسنا بحقارتهم، مبلغ صغير لرسام يرسم كاريكاتيرات عن الذي رسم كاريكاتير عن نبينا محمد (ص)، و يتم دفع المبالغ المحتمة لنشره في اكبر الجرائد وهكذا يكون حتى يعرفون ان ما يفعلون ممكن يدور عليهم

ياحبيبي يارسول الله

عربية |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٦:٢٨ (السعودية)، ٣:٢٨ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم...أما بعد...فمن قد قام بهذا الفعل العظيم علية غضب من الله والناس اجمعين...وأما بالنسبة لنا كأفراد مسلمين فالله يشهد باننا غير راضين عما حدث ويحدث لنا سواء بالتطاول على عقيدتنا...أو على القرأن الكريم...او على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولانملك بكل أسف الا الدعاء على هؤلاء الفجرة الكفرة..اللهم عليك بهم...اللهم عليك بهم..أنزل عليهم سخطك...وأحل عليهم غضبك...اللهم أهلكهم...اللهم أهلكهم ومن والاهم... ماذا عساهم يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم...ماذا سيقولون في من قال (أدبني ربي فأحسن تأديبي)...ماذا عساهم يقولون في من قال عنه رب العزة والجلال (انك لعلى خلق عظيم) ماذا يقولون في رجل قبل أن تلده أمه رأت نورا يخرج منها يمتد من الأرض الى السماء...ماسيقولون في رجل أمي أصطفاه ربه ليكون أخر الأنبياء وخاتم الرسل...ماعساهم يقولون في من قال(من رأني في المنام فقد رأني فان الشيطان لايتمثل بي)...ماعساهم يقولون في رجل كان عرقه مسك تطيب به النساء أبنائها في الأعياد...ماذا سيقولون عن رجل كسرت رباعيته في معركة أحد فزادته جمالا على جماله...وشج صدغه صلى الله عليه وسلم فزاده ذلك بهاء وجلال...ماذا سيقولون عن رجل أنشق له القمر ولازال الأثر ظاهرا عليه الى اليوم...ماعساهم يقولون في رجل نزل عليه القرأن.....وكفى.. فوالله لو أن هؤلاء الكفرة الفجرة قد قرأو عن، صفاته صلى الله عليه وسلم لأهتزت الأرض تحت أقدامهم.... ماذا عسى ان يقولون في حبيب

الله...في أجمل خلق الله...وأكمل خلق الله... اللهم صلي وسلم وبارك على نبيك وحبيبك محمد وعلى أله وصحبه أجمعين. أخيرا أقول لبيجول كان حري بك أن تسمي نفسك بغول...قبحك الله كيف تجرؤ على السخرية من رسول الله وكتاب الله الذي لم ولن يحرف ويكفينا أيها الغبي قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون).. فوالله أيها البيجول البغول لولا أحترامي لرأي وأدب بعض الأخوة المسيحيين هنا لكنت كلت عليك من السباب والشتائم مايجعلك تدفن رأسك الغارغ تحت التراب

مقاطعة المنتجات الدانمركيه

hany | ٢٠٠٦/٠١/٠٤ م، ١٦:٥٣ (السعودية)، ١٣:٥٣ (جرينيتش)

كل مارجوه من كل من يقرا هذه الرساله ان يقاطع كل المنتجات الدانمركيه من البان مجففه نيدو،انكور وغيرها أو زبده لورباك أو جبن او غيرها. وارجو من كل تاجر ان يوقف استيراد هذه البضائع. ارجوكم يا جماعه فالامر جدا خطير فلقد تجاوزت هذه الدوله كل الحدود ، ولا تنسوا انكم سوف تلقون رسول الله يوم القيامة على نهر الكوثر فماذا ستقولون له وقد علمتم ماعلمتم ؟ ارجوكم ياشباب لاتجعلوا الامر يمر عليكم مرور الكرام وتخيلوا لو ان احدهم سب امك اواختك فماذا سيكون رد فعلك؟ وهل اهلك وذويك احب اليك من رسول الله ؟ ارسل هذه الرساله الى كل من تعرف ... او ارسلها على هيئة رسائل قصيرة ...بلغ اصحابك جيرانك اطبع ورق ووزعه ا افعل كل ماهو ممكن ومتاح فكر ولن تعجزك الوسيله ولتكن قدوتك فى هذ الامر اصحاب رسول الله اللذين دافعوا عنه باموالهم ودمائهم وانفسهم واجعل شعار ك قول وقدوتك ابا طلحه حين قال وهو يدافع عن رسول الله يوم بدر `نحرى دون نحرك يارسول الله` وصدق حسان ابن ثابت حين قال: فان ابي ووالدتى وعرضى لعرض محمد منكم فداء

واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما صدق الله العظيم

ثائر الشحاتيت |٢٠٠٦/٠١/٠٧ م، ١٥:٧ (السعودية)، ١٢:٧ (جرينيتش)

هل حدث يوما واستهزأت احد الصحف المسلمه بأحد الانبياء؟ الجواب كلا . لان ديننا هو الدين الكامل الشامل لا نفرق بين احد من رسله صدق الله العظيم اين الاحترام للاديان اين ما يدعونه التقدم

بلاد التوحيد (السعودية)

طاهر |٢٠٠٦/٠١/١٢ م، ٠:٤٨ (السعودية)، ٢١:٤٨ (جرينيتش)

انا كشعوب مسلمة لن نسكت على هذا التصرف ونطالب القادة من ملوك ورؤساء الدول الاسلامية للتدخل ومطالبة هذاالدولة الكافرة بمحاكمت كل من كانت له يدفي هذا الموضوع واني أبرأ الى ممافعل هؤلاء الكفرة لعت الله عليهم

آآه ... اصحوا يا أصحاب محمد

حسبي الله وحده |٢٠٠٦/٠١/١٧ م، ٢:٢٦ (السعودية)، ٢٣:٢٦ (جرينيتش)

اللهم عليك بأعداء الملة والدين ، اللهم العنهم لعنا شديدا

فداك العالمين يارسول الله

solid |٢٠٠٦/٠١/١٧ م، ٢٢:٥٤ (السعودية)، ١٩:٥٤ (جرينيتش)

يا أهل الأسلام ياأهل الغيرة ماذا بقي لكم بعد رسول الله ٠ لاعذر لاحد ان يتخلف عن نصرته والذب عنه فوسائل الاتصال متوفره وسهام الليل لاتخطئ والمقاطعه مهمه ونشر الاستياء العام في كافة وسائل الاعلام٠٠٠٠ اللهم انا نعتذر اليك مما صنع المبطلون بحرمة نبيك الكريم ونستغفرك من تقصيرنا نحوه

فجر أجيالنا قادم

لينة محمد نور زينو |٢٠٠٦/٠١/١٩ م، ٢١:٣ (السعودية)، ١٨:٣ (جرينيتش)

إلى كل من غرّه ضعفنا الآن ،هذا وعد من شباب الإسلام و من كل مسلم يعلم عدل دينه و صلاحه لكل الدنيا و أن الله ما أرسله إلا لأنه دين الرحمة للدنيا هذا وعد منا باسمي وباسم كل مسلم شعر بذلك : لكل عدو لله و الله سنعود أبطالا كما كنا حماة للأرضو الدنيا ز سوف يسلمنا الله عز و جل مفاتيح الدنياكما و عد إذ قال جل جلاله { فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا و جوهكم و ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة و ليتبروا ما علو تتبيرا } ... هذا وعد الله لنا و هذا وعدنا للأمة آتون يا أمة الإسلام ... ابن من أبناء الإسلام

دعاء

أبو عبد الرحمن إبراهيم جابر |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ١٩:٢٦ (السعودية)، ١٦:٢٦ (جرينيتش)

اللهم انصر الاسلام والمسلمين واخذل الكفرة والمشركين والمنافقين والمنافقين والمنافقين ٠

المقاطعة

ابو سلطان |٢٠/٠١/٢٠٠٦ م، ٢٢:٢٤ (السعودية)، ١٩:٢٤ (جرينيتش)

المقاطعة هي الحل الأمثل لمثل هؤلاء السفلة

أظهرو عزتكم وإباءكم يا مسلمين ..

عبدالله |٢٠/٠١/٢٠٠٦ م، ٢٢:٣٦ (السعودية)، ١٩:٣٦ (جرينيتش)

لابد لكل مسلم ألا يجعل هذا الموضوع أن يمر مرورا عاديا بل لابد من إظهار عزته وإبائه ورفضه كل ما ينقص من قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وأن يدافع عنه بكل ما يستطيع من جهد ، فمن ما يمكن القيام به لإبراز موقف المسلمين نحو هذا العمل الكفري ما يلي : ١- للخطباء : أن يركزوا على هذا الموضوع ويحذروا العامة من القنوات التي تدعو إلى مثل هذه الأمور . ٢- للقنوات : لابد أن يعمل برنامج للرد على هؤلاء المجرمين من خلال علماء فضلاء و تكثيفها هذه الأيام . ٣- للآباء والمربين : جهدهم لازم في التوجيه والتحذير من هذه الترهات وهذه السخافات . ٤- للكتاب : فهم أصحاب الرسائل الواعية التي تسطر فتوعي وترشد وتحذر . ٥- لكل مسلم : توعية الأهل والأقارب والجيران وزرع فيهم روح المدافعة عن الحبيب صلى الله عليه وسلم ، ونشر الرسائل القصيرة التي تدعو إلى مقاطعة المنتجات الدنماركية . لابد من تحذير هؤلاء المجرمين من إعادة هذا الفعل عبر موقع الجريدة الدنماركية صاحبة المسابقة الخبيثة .

الدنمارك تريد لفت النظر عن ما اشتهرت به

النور |٢١/٠١/٢٠٠٦ م، ١٩:٤٥ (السعودية)، ١٦:٤٥ (جرينيتش)

ان امثال هده الأفعال هي التي تعجل خطى حامل القنبلة وتجعل المكظوم يفز وترسخ في دهن الصغير ان لاحوار بين الأمم فضلا عن الأديان ان الأمم التي لاتحترم عقائد ومبادئ الأمم الأخرى لن ولم يكون لها شأن تسمو وتفخر به(الأبقار الدنماركية) مادام هدا ديدن حكومتها والتي استمدت هده الصحف منها شرعية عملها والدليل على دلك سكوت الحكومة وحق لنا كرد فعل بسيط عدم احترامها والوقوف منها موقف العدو حتى تعتدر

نواجه بكل قوه

عبدالعزيز _| taif٢١/٠١/٢٠٠٦ م، ١٩:٤٧ (السعودية)، ١٦:٤٧ (جرينيتش)

اناشد كل افراد المجتمع من كاتب وصحفي ومدرس وشاعر وشيخ وعالم واب وام وامير وحاكم وكل من يمثل الاسلام والمسلمين ان نواجه وبكل قوه كل من اساء الى

الرسول صلى الله عليه وسلم كلا بتخصصه و مكانه وان نرسل لهم ردودنا بقوه الاسلام وبحبنا لرسول الله وان نكون يد واحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد

عدل الاسلام

احمد الشمراني |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ١٩:٥٥ (السعودية)، ١٦:٥٥ (جرينيتش)

الاسلام دين لا تهزه مثل ما يفعلة بعض الدبش من هؤلاء الفارغين الذين شغلهم الشاغل هو الارتقاء على اكتاف اي شيء عظيم ولكن هم يحسبون انهم الان ارتقوا الى النجومية ولا يعلمون انهم انحدروا الى اسفل السافلين بحقارتهم وعدم احترامهم للاديان الاخرى فديننا عظيم ويامرنا بعدم سب اي دين كان بل باحترامه وتقديره واي دين نعرفه يستحيل بتاتا ان يكون في طيات اخلاقه انتقاص وعدم احترام الاديان الاخرى والا فسوف يكون دين بلا اخلاق ونحن لا ننتقص اي دين ينتمون اليه وانما ننتقص نفس الاشخاص ومعقولياتهم التافهة وتغذيتهم المسمومة ضد ديننا الاسلامي السمح والعادل والذي دعا اليه نبينا محمد عليه السلام الذي ينتقصونه ويرسمونه بالرسومات التافهة التي تدل على وضاعتهم وشكرا

حسبنا الله ونعم الوكيل

ابن الاسلام |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢٠:٥٤ (السعودية)، ١٧:٥٤ (جرينيتش)

اخوتي في الله ان مصابنا في اهانت الرسول عظيم فكيف يهان حبيبنا ورسول ربنا ونحن لفعلهم جامدون فيا راجي الشفاعه كن ناصرا لرسول ربنا محمدا الامين وحسبنا الله ونعم الوكيل

سيكون الرد عنيفا

قادم |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢٠:٥٥ (السعودية)، ١٧:٥٥ (جرينيتش)

الا ان للحبيب عليه الصلاة و السلام مكانة لو وزنت بالكون لرجحت كفته عليه الصلاة والسلام

حسبنا الله ونعم الوكيل

أبو أويس |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢١:٣٦ (السعودية)، ١٨:٣٦ (جرينيتش)

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون)

الجواب ما تروه لا ما تسمعوه

مازن |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢٢:٨ (السعودية)، ١٩:٨ (جرينيتش)

١/ محبة الرسول زادت في قلوبنا أكثر ووووو ٢/ سنعلم أبنائنا سيرة الرسول المصطفى حتى يكونوا سيوفا في أعناق هؤلاء الكفرة ٣/ هذه بداية النهاية لهؤلاء الكفرة

سيكون الرد عنيفا

قادم |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٥:٥٩ (السعودية)، ١٢:٥٩ (جرينيتش)

أقل شيء نفعله مقاطعة المنتجات الدنمركية .. اجعلها اخى اخيتى توقيع لك

بابى انت وامى يا رسول الله

خالد عقده |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٦:٥٧ (السعودية)، ١٣:٥٧ (جرينيتش)

ما حدث فى الدنمارك ما هو الا افصاح عن عقيده كفريه ضغينه وكل هذا عند كل كافر ولكن الجديد انهم افصحوا عن ذلك فى العلن لانهم لم يجدوا احد من المليار والثلاثمائه يددافع عن اى حاجه من المقدسات الاسلاميه القدس محتله ولا حد يدافع والحكام يحكومن بغير شرع الله اذن الحل هو الحكام يحكموا بشرع الله وان تعود الخلافه الاسلاميه اى ان خليفه واحد يحكم الدول الاسلاميه كلها نعبد رب واحد ونؤمن برسول واحد ونقرأ من كتاب واحد ونصلى الى قبله واحده اذن لماذا لا يكون لنا خليفه واحد عمله واحده جيش واحد حدود واحده الحل هو العوده الى شرع الله وسنه رسول الله الارض ارض الله والشرع شرع الله ونحن عباد الله ولن تعود لنا نحن عباد الله العزه الا اذا حكمنا انفسنا بشرع الله قال الله تعالى(ان الله لا يغير قوما ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) صدق الله العظيم

عليكم لعنة الله

أحمد حسن |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٨:٥٠ (السعودية)، ١٥:٥٠ (جرينيتش)

عليكم لعنة وغضب الله لقد جاتم باعز خلق الله انه الرسول الكريم وما اسال الله الا ان يخسف بهم الارض وهم لا يشعرون

لن يكتفوا بذلك ؟

عمر عبد الله |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٩:٣٠ (السعودية)، ١٦:٣٠ (جرينيتش)

(ولن ترضى عنك اليهود و النصارى حتى تتبع ملتهم) . . . نعم لن بكنفوا بذلك من نار تتأجج في صدورهم . . وهذا مصداق لما جاء في القران الكريم ، حياة رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم كانت كلها جهاد لأعلاء كلمة الله و صبر على أكثر من ذلك لولا إن لمحمد حيزا كبيرا في تفكيرهم لما لجئوا لذلك ندعوا لهم بالهدايه و لكل ضال سبيل الرشاد ، هكذا علمنا حبيب الله محمد (إدعوا الى سبيل ربك بالحكمة و الموعضة الحسنة)

اين الاعلام

ابو ربى |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٠:٥٢ (السعودية)، ٧:٥٢ (جرينيتش)

حسبي الله ونعم الوكيل، يجب ان اتكون هناك ردة الفعل قوية متناسبة مع مكانة سيد الخلق عند المسلمين بحيث تكون على جميع المستويات الشعبية والمؤسسات والحكومات. وأرى ان المؤسسات الاعلامية الاسلامية لم تقدم شيئا ذكر.

الله ما اذل الشرك والمشركين

اليمني |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٢:٨ (السعودية)، ٩:٨ (جرينيتش)

ليس من الغريب او من المستغرب ان نرى ونسمع بمثل هذه الاشياء فنحن قوم اضعف من الضعيف ولا حول ولا قوة الا بالله فلمشركين من قبل ذالك الغصبو ارضنا وسرقو ثرواتنا وغتصبو اعرضنا وليس من المفاجا ان نرى انهم يسؤون علي الرسول صلى الله علية وسلم

يا ويحهم نصبوا منارا من غضب

شمري غيور على رسوله لى الله عليه وسلم |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٣:٢٧ (السعودية)، ١٠:٢٧ (جرينيتش)

يقول الشيخ / عائض القرني حفظه الله تعالى : (فيما معناه) لو أن دولة من دول الكفر أحرق علمها لقامت قيامتها ... ونحن المسلمون يجب أن نقوم ولا نقعد إلا بعد أخذ الثأئر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب على العالم الرد وعلى الشاعر أن يهجوهم بشعره وعلى التاجر وعلى الصغير والكبير ،،، يجب نعم يجب علينا جميعاً أن نرد عليهم ويعلموا أن محمد صلى الله عليه وسلم خلفا رجالاً ، رجلاً أكفاء يحمون عرضه صلى الله عليه وسلم بكل ما يملكون وبالغالي والنفيس . واخيراً : اللهم من اعتدى على نبينا صلى الله عليه وسلم بالسب أو أقل من ذلك اللهم فاهده إلى الدخول في هذا الدين العضيم

وإلا فأخرص لسانه وأعمي بصره وشل أطرافه واجعله عبرة للمعتبرين آمين آمين آمين
.

قاطعو المنتجات الدنماركية

عبدالله الحربي |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٤:٨ (السعودية)، ١١:٨ (جرينيتش)

يجب على كل مسلم غيور على دينه مقاطعة المنتجات الدنماركية ومن اهمها زبدة لورباك عشان البقر يبطلو يدللو انفسهم

٠٠رب ضارة نافعه...ولكن

احمدالقرني |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٤:١١ (السعودية)، ١١:١١ (جرينيتش)

ان هذا الموضوع قد المنا كثيراًولكن رب ضارة نافعه ولكن لابد ان يتخذالمسلمون ردة فعل واستباق فعل فى هذا الموضوع لنشرالدين فى هذا البلد المنحرف فكريا ويفتقد القدوة التى سيراها في حبيبنا وسيدنا محمد عليه افضل الصلاه والسلام حتى نراهم يدخلون انشاء الله فى الاسلام افواجا باذن المولى عزوجل ونقاطع منتجاتهم وارجوا توضيحها للعامه ويتم مقاطعتها فى اسرع وقت ممكن ليعلمو ا ان المسلمين لايعتدون ولكن لايهنوا وهم الاعلون

كيف نرد

قادم |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٤:١٦ (السعودية)، ١١:١٦ (جرينيتش)

نحتاج الى مقاطعة هده المنتوجاة الدنماركية يا اخواني تجدونها داخل هدا الموقع www.khayma.com

----

أدعو إخواني المسلمين في كل مكان إلى إرسال استنكارهم

ياسر |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٤:٢٤ (السعودية)، ١١:٢٤ (جرينيتش)

أدعو إخواني المسلمين في كل مكان إلى إرسال استنكارهم والمطالبة بالاعتذار إلى الجريدة على عناوينها التالية: مملكة الدنمرك ، صحيفة (Jyllands - Posten) . الهاتف والفاكس : (٠٠٤٥٨٧٣٨٣٨٣٨) و (٠٠٤٥٣٣٣٠٣٠٣٠) البريد الإلكتروني : (jp@jp.dk) . رابعاً : يجدر التواصل من قبل الشعوب الإسلامية مع وزارة الخارجية الدنمركية لإشعارها بالامتعاض والاستنكار لمساس الصحيفة المذكورة بمقدساتنا . وبيان أن ذلك لن يخدم تطور العلاقات القائمة على الاحترام فيما بين

الشعوب الإسلامية والشعب الدنمركي . وهذا هو العنوان البريدي والإلكتروني للخارجية الدنمركية على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت): Ministry of Foreign Affairs of Denmark www.um.dk Asiatisk Plads DK-٢ ١٤٤٨, Copenhagen K Tel. + ٤٥ ٣٣ ٩٢ ٠٠ ٠٠ Fax + ٤٥ ٣٢ ٥٤ ٠٥ ٣٣ E-mail um@um.dk

----

نحن أتباع النبي (صلى الله علية وسلم)

خالد الحارثي |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢١:٢٨ (السعودية)، ١٨:٢٨ (جرينيتش)

السلام عليكم ورحمة الله....وبعد لقد تهجمت هذه الصحف الرذيله الى اشرف البشر وخاتم النبيين وحبيبنامحمد صلى الله علية وسلم وأساءت إليه فهل من صحوة اخواني المسلمين الى متى تكون قلوبنا غلف وأذاننا صماء وايدينا مكتوفه واقلامنا جف الحبر منها لو تم السكوت على هذا الامر فلن نستحق ان نكون من حمله هذا الدين ولا نكون من اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاقل الايمان ان نحارب هذه الدوله في اقتصادها فنقاطع كل المنتجات الدنماركيه وكل المنتجات التي تسئ الى الاسلام مما يجعل هذا الامر قوة لنا لمحاربه هذه الدوله الساقطه التي تتلفظ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يكن في قلبه غيرة وتصدي ومقاتله عن هذا الدين والتوحيد فلي منا نحن امه شرفها الله بالتوحيد له وشرفها بأن انزل علينا افضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفنا بالقران الكريم فكل هذا الشرف ينبغي منكم يامه محمد صلى الله عليه وسلم بالدفاع عنه وعن آل بيته الشريف . اللهم اني بلغت اللهم فشهد...اللهم اني بلغت اللهم فشهد...اللهم اني بلغت اللهم فشهد ولااله الا الله وان محمد رسول الله عليه افضل السلام والتسليم. والسلام وعليكم ورحمة الله وبركاته

لايضر السحاب نبح الكلاب

الخنساء |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢١:٤٣ (السعودية)، ١٨:٤٣ (جرينيتش)

بأبي أنت وأمي يارسول الله........ فعلوا قريش مافعلوا في زماانهم مع حبيبنا محمد وانظروا ماحل بهم رساالتي هذه مو جهه لكل من عبث بعرض رسولنا الكريم......... انكم مهما فعلتم وقلتم ايها الكلااب لن تظروا رسولنا بشيئ بل انتم تضرون انفسكم اولا واخيرا ورسولناله رب يحميه ويذود عن عررضه فساعروا بالتوبه قبل فوات الاوان وقبل ان يحل بكم ماحل باسلافكم من المشركين اما نحن فواجبنا معرووف وهو الانكار بشده انا اريد ان اسأل لو ان احدكم قد سب اباه او امه او قبيلته الاا تثوور ثائرته فكيف يسب حبيبنا بابي هو وامي ونفق ساكتين لاابد من مقاطعة منتجاالتهم وعدم التعامل معهم حتى يكفوا عن فعلهم وايضا تشن عليهم حملاات في كل مكان وخاصة الانترنت وهذا اضعف الايمان

الا لعنة الله على القوم الكافرين

أبو زيد |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢٢:٢٧ (السعودية)، ١٩:٢٧ (جرينيتش)

اللهم عليك بهم اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر أخواني اكثر من الصلاتي والسلام على رسول الله ولا تنسو الدعاء عليهم الكفرة حطب جهنم

احنا السبب

ام طلال |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢٣:٢ (السعودية)، ٢٠:٢ (جرينيتش)

المشكله يا جماعه فينا وليس في الدنمارك الارهبين تسسببوا في سب الرسول بما فعلوه من قتل وتنكيل في اجانب ليس لهم دخل في السياسه ما نقول الا لا حول ولا قوة الا بالله اللهم انصرنا على الكفرة الفجره من اعداء الاسلام

هذا ما ارادة الارهابيون................تشوية صورتنا امام الغرب

غيداء |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢٣:٢٨ (السعودية)، ٢٠:٢٨ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل ...الله ينتقم منهم الخنازير.... والواجب على كل مسلم ان يضرب ضربة موجعة لمن يتعدى على حبيبنا ورسول الامة وشفيعنا محمد صلى الله علية وسلم واذا لم نوقفهم عند حدهم سوف يقوم غيرهم بالتعدي على الاسلام ولن يهابونا لنكن كلنا ضد من يكن الكراهية للرسول علية صلوات الله وارجوا من الذين يضعون المنتجات الدنماركية التأكد منها قبل نشرها..............

حب الرسول

حمد سعود العجمى |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٠:٦ (السعودية)، ٢١:٦ (جرينيتش)

قال الله تعالى (انك لعلى خلق عظيم) صدق الله العظيم والله ثم والله ان الشخص الذى لاينكر ما يحصل من هولاء الكفار سواء حكومات او اشخاص والله سوف يحاسبه الله يوم القيامه فيجب عمل مظاهرات لسفارات هولاء الكفار فى بلادنا حتى يكون الرسول صلى الله عليه احب الينا من انفسنا ومصالحنا ....ولنقل بصوت واحد ((((نحورنا واهلينا دون نحرك يارسول الله))))

لوكان بيدى

حنان ناجى |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١:١ (السعودية)، ٢٢:١ (جرينيتش)

اليك يافضل الخلق محمد رسول الله الى من تعب لاجل العالم كله الى الرحمه والخير لو كان بيدى ان اقف فى وجه من اساء اليك لوقفت وانا مرفوعه الراس بك ويشهد علىما اقول رب كل شى وشهيده الله عزوجل ولكنى اقول لمن اساء اليك وعزه الحى القيوم لو عرفتموه لندمتواعلىما فعلتو وان الله خير من ياخذ بحق حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم من اتباع خير الخلق وعلى سنته الى اخر يوم فى حياتها حنان

قوة إيمان

محمد أبوطالب |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١:١٤ (السعودية)، ٢٢:١٤ (جرينيتش)

والله يا اخواني المسلمين انه اختبار لإيماننا وولاءنا لحبيبنا علي الصلاة والسلام . من أبكته غيرته لحبيبنا ؟ من تسلّح بقلمه للذود عنه ؟ من ابتهل في الدعاء ؟ من قاطع سلعهم ؟ من أهمه الأمر عن الملذات والمسليات ؟ اسأل نفسك أخي الحبيب

جعل الله كيدهم في نحرهم

عوض الطاهر المهدي |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١:٤٥ (السعودية)، ٢٢:٤٥ (جرينيتش)

نشهد ونري عند مطلع شمس يوم جديد هجوم علي العقيدة والديانة الاسلامية السمحاء ، ذلك لان المؤمن مصاب وكل هذا يقوي من عزيمتنا لقهر هولاء اليهود وجعل الله كيدهم في نحرهم واذاقهم الوان العذاب في الدنيا والاخرة

حبيبنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام

مشتاقه لرؤية الله ورسوله |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢:٣٧ (السعودية)، ٢٣:٣٧ (جرينيتش)

إذا بقينا هكذا في غفلة سوف نرى ما يريدون هؤلاء الكفرة الحاقدون على ديننا ....لبد لنا ان نقاطع منتجاتهم ويجب على التجاااار المقاطعة ولماذا لم يقف العالم المسلم اجمع على هؤلاء ؟؟؟؟؟؟؟ لكن اين حكماء المسلمين وعلمائهم عن اعداء محمد عليه افضل الصلاة والسلام ؟؟؟؟؟؟؟ لبد ان نكون يدا واحدة في الدفاع عن حبيبنا (محمد صلى الله عليه وسلم) لكن مانقول وما نفعل هو الدعاء عليهم اللهم أشل ايديهم واجعل الارض تتزلزل من تحت ارجلهم اللهم ارزقهم المرض في جلودهم ودمر هم واجعل كيدهم في نحورهم وأرنا فيهم عجائب قدرتك ياحي ياقوم يا ذا الجلا والإكرام اللهم

حسبنا الله

بو عبد الرحمن |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢:٤٨ (السعودية)، ٢٣:٤٨ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل وندعو الله سبحانه وتعالى ان يسلط عليهم من بني جلدتهم

أين انتم شيوخ هذه الامة وقادتها أين انت يامليكنا ميما يقال ...

الساعدي -مدافع عن رسول الله |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢:٥٧ (السعودية)، ٢٣:٥٧ (جرينيتش)

نسمع ونرى ولكن من يسمعنا ويرانا نسمع مايقال في حبيبنا رسول الله ونرى مارسم عنه ولكن من الذى يسمعنا ويرانا نحن نكتم في أنفسنا من الغيض والكره والعداء لمن تجراء على حبيبنا ولكن أين انتم ياشيوخ هذه الأمه وقادتها أليس لكم الكلمه المسموعه لايقاف هذا العداء اين انت يامليكنا لتدافع عن رسولنا نحن نشد بك سواعدنا ونستند اليك بعد الله فأرننا مافعلك بهم وماصنيعك بمن يجرو بحبيبك واخيرا ومابوسعي الا ان اقول حسبي الله و نعم الوكيل اللهم ارنا بهم عجائب قدرتك .

محمد صلى الله عليه وسلم

فتاة مسلمة |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢٠:٣٥ (السعودية)، ١٧:٣٥ (جرينيتش)

الرسول الكريم محمد بن عبدالله أكرم وأفضل من كل الحاقدين ولانقول إلا المثل العربي الشهير (لايضر السحاب نبح الكلاب)

الله المستعان احترق قلبي لسبك يا رسول الله

ولد الرس |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢٠:٥١ (السعودية)، ١٧:٥١ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل هذه اول كلمة اتكلم بها .... اللهم مكنا ممن سب رسولنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ياخواني ياشباب واقصد اللذين داخل السعودية ارسلو بجوالتكم على اصدقائكم واقربائكم بطلب مقاطعت المنتجات الدنماركية وحتسبو الاجر بدل ان ترسل غرامية تذكر ان هذه الرساله هي للمدافعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه مجربه لدينا بالقصيم فقد اتتني رساله بهذه الطريقة وارسلت لجميع الارقام الخاصه التي بجوالي واطلب من اخواني المقيمين ان يفعلو نفس هذه الطريقه لاهلهم في البلدان العربية والاسلامية حتى نصل الى ضرب الاقتصاد الدنماركي وباذن الله سوف ننجح ..... اعذروني ان لم اكن اجيد التعبير عن مافي داخلي لان الامر اكثر من ذلك .... ولا اول مرة اكتب على الانتر نت .

حسبنا الله ونعم الوكيل

Night Dews |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢١:٤٦ (السعودية)، ١٨:٤٦ (جرينيتش)

اللهم يا احد ياصمد، يا حي يا قيوم، ارنا فيهم عجائب قدرتك، وسلط عليهم عقابك. حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل

الخلافة هي الحل

محمد الحربي |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٢٣:٢٣ (السعودية)، ٢٠:٢٣ (جرينيتش)

لا خير في حلم إذا لم تكن لـه.... بوادر تحمي صفوه أن يكدر ما دمنا ممزقين مشتتين تنابلة نعيش عالة على شعوب الأرض فلن يأبه بنا أحد ، نأكل مالا نزرع و نلبس ما لا ننسج ، نستخدم حواسيب ليست من إبتكارنا و نتراسل بجوالات ليست إختراعنا ، عجزنا عن ترجمة العلوم الى لغتنا بل عجزنا عن تدريسها لأبنائنا . نتواصى بمقاطعة الدنمرك ، الم نتواصى من قبل بمقاطعة أمريكا فماذا كانت النتيجة؟ هل نحن حقا غاضبون ؟ و الآ متى يستمر هذا الغضب ؟ هل نسيتم سلمان رشدي و آيات الشيطان ؟ أم نسيتم هدم المسجد البابري في الهند؟ أم تتغافلون أن الفلبين و سحقها للمسلمين في مندناو ؟ أم لا تعرفون إقليم فطاني في تايلند ؟ و هل في بالكم تركستان الشرقية تحت نير الشيوعية الصينية؟ و ماذا عن الشيشان ؟ و اسرائيل و تهويدها للقدس الشريف؟ و هل نسيتم المتجات الإطالية التي كتبت لفظ الجلالة على الأحذية؟ و هل الفلم الهولندي (الإذعان) أصبح نسيا منسيا ؟ و محاربة الحجاب في فرنسا هل غاب عن الذاكرة؟ بل و احسرتاه هل غفلتم عن تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية أربعة قرون و ما آل اليه حالها؟ أنا إتجهت الى الإسلام في بلد..... تلقاه كالطير مقصوص جناحاه إن مشاكلنا لا بد لها من حلول جذرية ، منها الإعتصام بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، و نشر التعليم و توطين التقنية و الاعتماد على النفس و نشر اللغة العربية و التي هي لسان الوحدة الإسلامية، و الدعوة لإحياء الخلافة الاسلامية لقطع الطريق على من يدعون لمزيد من التفتت و التشرذم بحجة دعم الأقليات الكردية و الامازيغية ، وهم لا إرب لهم سوى إجاد مسلمين لا يقدرون فهم القرآن و من ثم ي}ل حالهم الى ما آلت اليه دولة بني عثمان. أما عرض نبينا الكريم فمصون ومن حثى التراب على الشمس إرتد التراب الى وجهه و ظلت الشمس ناصعة نقية

يجب علي كل الدول الاسلامية قطع العلاقات الدبلوماسية مع كل دولة تسي للاسلام ورسولنا صلى الله عليه وسلم صراحة

خضر احمد عبدالمجيد |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٥:١٢ (السعودية)، ١٢:١٢ (جرينيتش)

ان الدنيا تقوم ولاتقعد عندما يتحدث شخص عن اسرائيا ويتهم بمعاداة السامية ويا ويله اذا نفى محرقة اليهود كما حدث للرئيس الايراني متي يكون لنا نحن المسلمين الاعتداد بديننا وهو الدين الحق ومتي تتون لنا العزة ونحن نصمت ونسكت على اساءة رسولنا وحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠ اولا ينبغي ان نبدا باضعف الايمان وهو الاتي

١- مقاطعة اقتصادية لمنتجان الدنمارك بالاسواق وهناك بدائل غيرها ٢- تكوين لجان اسلامية بتصنيف الدول المعادية للاسلام على قرار المعادية للسامية حسب ما تعمل به امريكا ٣ - طرد سفراء الدنمارك من الدول الاسلامية ٤- رفع دعوى قضائية من الدلل الاسلامية عبر الامم المتحدة ضد الصحف التي تكتب وتسئ للاسلام بالغرب ٥ - مقاطعة التكنولجيا الغربية والاتجاه شرقا لدول كلهند والصين ودول شرق اسيا وهي تحترم عقائد المسلمين وبها مانحتاج اليه من تكنلوجيا ونتمنى ان تجمع كل الدول على ذلك كاجماع دول الغرب على قضياها وانسياق المسلمين خلفها

حسبنا الله

ايناس |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٥:٣٤ (السعودية)، ١٢:٣٤ (جرينيتش)

حسبنا الله

كيف تجرؤ على ذلك

سعد اليامي |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٥:٣٨ (السعودية)، ١٢:٣٨ (جرينيتش)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد ان هؤلا الشرذمة الدنماركية لو فعلو ما فعلوا لن يضر ذلك في سمعة رسول الله اي شي ولا يجب علينا السكوت على ذلك وهم لم يفعلوا ذلك الا بعد رؤيتهم لتهوننا في ديننا ولاكنهم سوف يرون غير ذلك انشاء الله هم الذين بدأو فلو حصل لديهم اي اعتداآت او تفجير قالو هؤلا المسلمون وهم من يبحثون عنها لاكن انشاء الله يرون شيا غير الذي توقعوه . وفي الختام نوصيكم بالدعاء عليهم في كل صلاة ومقاطعتهم ومنتجاتهم من اجبان والبان ولحوم وغيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام عليكمن ورحمة الله وبركاته .

بْأقتصادهم نداويهم

عيسي العنزي(الكويت) |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٥:٤٥ (السعودية)، ١٢:٤٥ (جرينيتش)

أن كانت الصحيفة حكومية فسوف أبدأ منى اليوم في مقاطعة أي شي دانمركي . وان كانت خاصة فنرجوا من الحكومة الدانمركية اتخاذ اقصي العقوبات بحق الصحيفة ومدير تحريرها والكاتب والرسام .

نصره الحبيب صلى الله عليه وسلم

راجي الشفاعه...... |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٥:٥٥ (السعودية)، ١٢:٥٥ (جرينيتش)

يجب علينا انكار مثل هذه الاشياء التي نشرتها ايدي الغرب ويجب الرد عليها كي لا يتمادوا بها ويجب مقاطعة مايتصدر الينا من هؤلاءويجب علينا كمسلمين نشر امجاد النبي صلى الله عليه وسلم.........

فرصة حقيقية

ابو منال |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٦:١ (السعودية)، ١٣:١ (جرينيتش)

نعم تعتبر هذة المناسبة فرصة حقيقية لكي نري العالم الغربي ان من يتطاول علينا في ديننا يجد أمة غيورة علي دينها وسوف يجني علي نفسة خراب أمرة . والله ولي التوفبق .

" قل موتوا بغيظكم "

إبن الأرض المباركة |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٦:٣٧ (السعودية)، ١٣:٣٧ (جرينيتش)

` يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ` القافلة تسير و الكلاب تنبح .. لا يضير السحاب نباح الكلاب مغيوظين من تشريفنا بالاسلام و حبيبنا محمد الله مولانا و لا مولى لهم محمد خاتم الأنبياء و سيد البشر أجمعين و ليخسأ الخاسئون .. و التحيات لله و الصلاة على محمد و على أنبياء الله و عباد الله الصالحين و الحمد لله رب العالمين .

هلموا يامسلمون لذود عن نبيكم

شاكر الهتاري |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٦:٥١ (السعودية)، ١٣:٥١ (جرينيتش)

هي هذه الحياة وما نراه اليوم هو تكرار لكثير من المواقف التي تعرض لها رسولنا الكريم في حياته..ولكنهم مهما فعلوا فلن يستطيعوا ان يحجبوا نور هذا النبي ورسالته الخالدة الاسلام. والحل الذي نملكه في يدنا هي المقاطعة لمنتجاتهم ارجو فتح الرابط:

دعاء

عادل |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٦:٥٥ (السعودية)، ١٣:٥٥ (جرينيتش)

اللهم ارنا فيهم عجائب قدرتك فإنهم لايعجزونك .اللهم أرسل عليهم الجراد والضفادع والقمل ياذا الجبروت والقوة والعظمة .اللهم فالعنهم لعناً كثيرا.اللهم ياقوي فإخسف بدورهم وانزل عليهم البلاء من كل صوب وجابب.اللهم من سب نبيك فشل أركانه وييبس الدماء في عروقه يارب العالمين .

بحبك يا رسول الله

عزة أحمد محمد |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٦:٥٩ (السعودية)، ١٣:٥٩ (جرينيتش)

بحبك وبحب كل من حبك وبأكره كل من اساء اليك وفى كل لحظة بأحمد ربنا انى مسلمة و بأدعو كل مسلم ومسلمة أن يغيروا على دينهم وعلى نبينا محمد (ص) يا أيها المسلمون فى كل بقاع الأرض قاطعوا هذه المنتجات وهذا اضعف الايمان وادعو لدين نبينا محمد بالنصر وأن يزلزل هذه البلدان بأذن الله

والله كلنا لفداء

سامية حكمي ** |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٣:٦ (السعودية)، ١٠:٦ (جرينيتش)

إن الاستنكار والتنديد والتشجيب لم يعد يؤدي إلى نتيجة ، بل لا بد من تحرك واسع على أعلى المستويات ، ولن ننسى ما فعلوه ولو بعد حين ، إن الغضب الإسلامي اليوم أصبح أكبر مما يعتقدون بل إن قلوبنا أصبحت ملئ من الغيظ على هؤلاء الذين مافتيؤا يهينون كتابنا الكريم حتى يتبع طريقهم هؤلاء الشرذمة من الذين انطوت قلوبهم على الحقد والكراهية لهذا الدين العظيم بإهانة رسول الأمة محمد صلوات الله عليه وسلامه . بأبي أنت يارسول الله أتهان ونحن أمة المليار أو نزيد ، كلا والله .. لن نخذلك أيها الكريم .. ولنأخذ بحقك من أعين هؤلاء حتى وإن قدمنا أرواحنا ودمائنا لأجلك فلن نرتد أو نهون .. جراحنا الممتدة لن تنزف أكثر من ذلك بعد الآن ، فقد آن لنا أن نعود .. آن لنا أن نعود .. فيا شباب الأمة .. ويا نساء هذه الأمة المباركة .. لقد بدأت ساعة الصفر .. فهل ستتخاذلون عن نصرة هذا الدين !! أما يكفي ما فعلوه بأبنائنا .. والله لقد قهرونا حتى في ديننا فوالله لن نعود إلى المهادنة ، وإلى الذل والرضوخ بعد أبدا .. إنني أناصر هذه الحملة للدفاع عن رسول الأمة .. فلا نامة أعين الجبناء ..

افيقوا ايها المسلمون

مهدى على مهدى |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٣:٢٨ (السعودية)، ١٠:٢٨ (جرينيتش)

تنتهك اراضيكم ولا تحركون ساكنا وتنتهك اعراضكم ولا تحركون ساكنا والأن تنتهك حرمه الإسلام ويتهجم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا تحركون ساكنا الى متى الضعف والهوان الى متى الذل امام اعداء الله كفا بنا كلمة نفسى نفسى واتحدوا لعل الله يجعل لكم مخرجا من هذه المهانه اسال الله العلى العظيم ان يمنحنا القوة على ان نتحد اولا لان باتحادنا مخافة لاعداء الله والله ما جعل من هؤلاء الشرزمة رجال الا زلنا قاطعوا وهاجموا واستنكروا نصرة لرسول الله

اعدا الدين كثر

ابو عبد الله الفيفي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٣:٣٨ (السعودية)، ١٠:٣٨ (جرينيتش)

ما علينا الا انقول حسبنا الله ونعم الوكيل @واقول من اراد الا سلام والمسلمين بمضره نقول اشغله الله في نفسه@ ومما توصلت اليه هذه النخبه الفاجره الكافره با الدين و با الله وبرسوله صلى الله عليه وسلم نقول واضهار عليه ما ليسى فيه وحاشاه انما يرجع قولهم على انفسهم واسئل الله بأن يا خذ حق رسوله المعصوم من العيوب والكلام البذيئ ويخذ حق خلقه كامله من انفسهم واموالهم واولا دهم وبا لله التوفيق @@@@@@

ماذا كانو يريدون من سب الرسول

عيسى بن علي المغربي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٥ (السعودية)، ١١:٥ (جرينيتش)

ربما كانت لهم اهداف دنيويه او اهداف سياسيه من هذه الفعله الشنعاء؟ ربما كانو يرون انهم اذا سبو الرسول انهم سوف تعلو اسهمهم عند جميع الديانات؟ الا تذكرون المرءه التي صلت بالناس في امريكا الم تكن هناك ضجه في كل الاوساط ربما كانو يريدون ضجه من هذا القبيل هم انا س لايعرفون عن الاسلام شيئا سوا اننا ارهابيون؟ لماذا لاندعوهم الا الاسلام بالحكمه والموعضه الحسنه ؟ في زمن الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان يعرض للاذى من المشركين وكان يصبر عليهم لماذا لانواجه هذه المحنه بالصبر والدعوه الا الله لكي نهزم كل من حاول ان يستهزء بنا او بديننا او برسولنا عليه افضل الصلاه والتسليم]]] ربنا لا تؤاخذا ان نسينا او اخطئنا واعفو عنا وارحمنا انت مولانا فنصرنا على القوم الكافرين[[[[[[اخوكم عيسى المغربي

ضعف هيبة المسلمين

The Phantom of Islam |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٦ (السعودية)، ١١:٦ (جرينيتش)

الصحافة الأمريكية تخشى التطرق للأمريكان السود افريقيوا الأصل بأي استهزاء أو سخرية عبر الصحف أو غيرها من وسائل الإعلام وذلك لأن ردة فعلهم قوية تجاه الحكومة والصحافة لذا يحسب لهم ألف حساب ونحن المسلمين ليس لنا أي قيمة أو ردة فعل تجاه الإستهزاء إلى رمز من رموز الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين وأكمل البشر محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم لذا يجب على كل مسلم غيور حسب القدرة المتاحة لنا وهي أن نحاربهم اقتصادياً وذلك بمقاطعة منتجاتهم حيث أن نصف صادرات الدنمارك متجهه نحو السعودية فعليكم بهم يا مسلمين وأي منتج العلامة المسجلة عليه تنتهي بالرقم ٥٧ فهذا منتج دنماركي لذا أعزفوا عنه وجزاكم الله خيراً أخوكم أبو سليمان

الله يمهل ولكنه سبحانه لا يهمل

محمد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٢٦ (السعودية)، ١١:٢٦ (جرينيتش)

أسال الله العزيز القدير العالم بما يفعله هولاء الكفره أن ينزل بهم سخطة ويجعلهم عبرة لمن غيلرهم انه سميع قدير....آمين

ان شانئك هو الأبتر

ابو جازي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٣١ (السعودية)، ١١:٣١ (جرينيتش)

بسم الله . زالصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه تسليماً كثيرا ..... أن الدين ظاهر والباطل زائل . ونصرة الله لنبية ودينة حاصل بنا أو بغيرنا اللهم بنا .... لا امثلهم الا (ككناسيين بشارع يريدون أن يثيرو الغبار لحجب نور الشمس الساطع بهذا الغبار) ، ولا يضرون الا أنفسهم. يجب علينا نصرة نبينا بكل ما أوتينا من قوة بالكلمة . بتطبيق سنتة ، بنشر سيرتة وتوعية ابناءنا بحب النبي ، بالمقاطعة فهم لا يؤمنون الا بالمادة. بأبي انت وأمي يااااااااااا رسول الله .

قاطعو المنتجات الدنماركيه

محمد الشهري |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٣٩ (السعودية)، ١١:٣٩ (جرينيتش)

اخواني المسلمين في كل مكان ارجوكم ان تقاطعو المنتجات الدنماركيه من زبده لورباك وارجو من التجار بعدم بيع المنتجات النماركيه عليم لعنه الله وانا لله وانا اليه لراجعون

لماذا غضبنا على من استهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم ؟

عبدالله آل هادي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٤٧ (السعودية)، ١١:٤٧ (جرينيتش)

لماذا غضبنا على من استهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ولم نغضب على من استهزاء بدينه ؟ لقد استهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم منذ بعثته ولن يضره ذلك شيء لقوله تعالى ((إن شانئك هو الأبتر)) ولكن هنك اناس من بني جلدتنا ويتحدثون بلغتنا ويزعمون أنهم ينتمون لهذا الدين ويستهزؤون بديننا عبر القنوات والصحف ولا نجد من يحرك ساكنا بل يصفق لهم ويضحك لهم ، ومنها البرنامج الفكاهي الساخر بسنه الرسول صلى الله عليه وسلم ودينه ، ويعرض هذا البرنامج في أفضل الشهور (في شهر رمضان المبارك) يومياً عبر القنوات ولقد صدر فيه عدة فتاوى من العلما ء بحرمته وحرمة متابعته وعلقت الفتاوى على أبواب المساجد ويقرأونها من يرعمون أنهم يحبون محمد وينصرفون لمشاهدتة هذا البرنامج الساخر (طاش ما طاش) والضحك على ما يقدم فيه من أستهزاء بأمور ديننا . وبعد هذا نغضب على من سب الرسول

ونكيل بمكيالين . وماذا نرتجي من الكفار ؟ أن يحبوا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم !!!! فيجب علينا أن يكون لدينا تقوى ذاتية داخلية ولا يكون تفاعلنا مع الأحداث تبعا للقنوات والإعلام إذا تحدث تفاعلنا وإذا صمت ركنا . وفي الختام أقول : أن أقل ما يجب علينا مقاطعة كل من إستهزاء بديننا ورسولناصلى الله عليه وسلم للأبد وليس مع توجه الإعلام ، ونصرة نبينا صلى الله عليه وسلم بالتمسك بدينه وسنته .

بدون تعليق

الزارع |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٤:٥٤ (السعودية)، ١١:٥٤ (جرينيتش)

العرب للأسف في طي النسيان!!!!!!!!!!!!!!!!!!

الله المستعان

حسن |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ١:٢٨ (السعودية)، ٢٢:٢٨ (جرينيتش)

لا يسعنا سوى القول :اللهم ان هذا منكر وأنا لا أرضى به والله المنتقم الجبار

لا يجب أن تكون الأساءة .... بتلك الأمور للأسلام ....((عيب))

سودانى من أصل مصرى |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ١:٥٠ (السعودية)، ٢٢:٥٠ (جرينيتش)

نحن كمسيحيين نرفض رفضا باتا الأساء' للمسلمين بأى صورة من الصور .... والمساس بألاديان ... مرفوض((شكلا وموضوعا))... لماذا تحدث مثل تلك الأمور غير المنضبطة ... وغير المسئولة ...... المسيحية ترفض الأذدراء بالأديان والمعتقدات ... والمسلمين أصدقاء وأحباء لا نرضى أى تجريح لهم ..... ويجب مساءلة أولئك .. على تلك الفوضى ... وأيقافها ..... بكل الطرق الممكنة .... شكرا للعربية لهذا الطرح ... وشكرا للقراء الأعزاء . ...

وقاحة و جبن

housni_٠٠١@hotmail.com| ٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٢:٢٦ (السعودية)، ٢٣:٢٦ (جرينيتش)

مادا ننتظر أكثر من هدا . مسابقة للكاريكاتور لرسم الرسوا عليه السلام.ولا من متحرك بينما عندما يتعرض مفكر أو ما شابه دلك للانتقاد الكل ينتفض دفاعا عنه. الرسول عليه السلام في غنى عنا لقد بلغ رسالته ولقي ربه وسيلقى ماوعد به. بعد أن عدب و عانى العداب ةالجوع والنفي من أجلنا لكن الخوف أن يرى عليه السلام فينا الخدلان. ربما كنا

سنحاسب لكن عزائي أنه ليست لي سلطة ولا صوت مؤثر للدفاع عنه لكن من سيحاسب بشدة هم كل من توفرت لهم الفرصة ولم يتحركوا ولا عزاء للمتخادلين والمنتفعين والحكاااام

نداء لولاة أمورنا....

ابو أمين |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٢:٣٦ (السعودية)، ٢٣:٣٦ (جرينيتش)

كرامة و سمعة نبينا تهان في صحف الكفار ونحن قابعون ساكتون...! فاتحدوا ولو مرة واحدة وأقطعوا العلاقات الدبلوماسية مع هذا البلد ...! ليكونوا عبرة للآخرين ...ولله لسوف تسألون امام الله و نبيه ماّذا فعلتم ضد هؤلاء الكفرة...

الحبيب (صلى الله عليه وسلم)و الذندقة

حسن فكرى مصر |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٢:٣٨ (السعودية)، ٢٣:٣٨ (جرينيتش)

دعوا جميع المسلمين في جميع أقطار العالم الى مقاطعة البضائع و المنتجات الدنماركية وهي انشاء الله وسيلة جيدة للدفاع عن المقدسات الاسلامية و زلك نظرا لتطاول الدنمارك على الرسول عليه لفضل الصلاة و السلام

صدقت يا رسول الله

هانى على |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٢:٥٨ (السعودية)، ٢٣:٥٨ (جرينيتش)

(بسم لله الرحمن الرحيم) (لن ترضى عنك اليهود والنصرى حتى تتبع ملتهم) لن ترضى عنا الملل الاخرة حتى نتبع الضلال معهم فى كل شىء الله عز وجل يقول للرسول(صلى الله عليه وسلم) لن يرضوى عنك لانك انت الحق من ربك فى كل امور الدنية والاخرة . صدق المصدق حيث قال الرسول (صلى الله علية وسلم)(ستتكالب عليكم الامم مثلما تتكالب الاكله على قصعته قالو او من قلة نحن يا رسول الله قال بلى ولكن انتم كثيركغوساء السيل) نعم نحنو كثير بلا فائدة ولكن يعلم الله بمن سيأتى ويجمع شمل الامه الاسلامية من جديد وانة لاتى أن شاء الله .

ان الاوان

محمود احمد |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ٣:٢٤ (السعودية)، ٠:٢٤ (جرينيتش)

ان الاوان ان نقف وقفه رجل واحد ضد اى معتدى على الاسلام والمسلمون ونتكاتف يدا واحده..وان ينصركم الله فلا غالب لكم.

حسبي الله وكفى

ابن هزاااااااااااان |٢٠٠٥/١٢/٢٥ م، ١٨:١٣ (السعودية)، ١٥:١٣ (جرينيتش)

بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على افضل خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحابته وسلم تسليما كثيرا ان الامر لجلل ها نحن ياالخواني المسلمين اتحدنا بقلوبنا وبغيرتنا على ديننا وعلى مقدساتنا فمتى والله نتحد كدولة واحدة كمجتمع واحد نرد الصاع ١٠٠صاع ان هواننا على الناس لاننا اصبحنا بدون فائدة لماذا لان اكثر من مليار ونصف مسلم الا من رحم ربي لايستطيعون ان يردوووووووووو الاساءة عن افضل خلق الله اللهم صلي وسلم عليه اتمنى لو وافقنا الاخت رباب وقاطعنا جميع المنتجات المستوردة من دول الشر وليس هذا وحسب بل ان نضايقهم ونغلظ عليهم في جميع معاملاتهم ومصالحهم وفي النهايه اقول بابي انت وبامي ونفسي واولادي وكل من عرفت ومن لااعرف يارسول الله الله هم صلي على سيدنا محمد عدد ماذكرة الذاكرون وغفل عنه الغفلون واخر دعوانا ان الحمد لله

يمهل ولا يهمل

صفاء عيد |٢٠٠٦/٠١/٠٥ م، ١٧:٤٠ (السعودية)، ١٤:٤٠ (جرينيتش)

مهما عملوا و مهما قالوا الاسلام هيزيد و التدين هيزيد و انابقولهم يومكم قرب جدا و ربنا يشمتنا فيكم بمرض لعين ينزل يهلكم امميييييييييييييييين

ديننا اكبر من تفاهاتكم

ل . م . ز |٢٠٠٦/٠١/٠٩ م، ٠:٢٥ (السعودية)، ٢١:٢٥ (جرينيتش)

إذا نطق السفيه فلا تجبه *** فخير من اجابته السكوت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لايحتاج إلى تعريف برسالته ولا بخُلُقِه فقد قال الله تعالى ((وإنك لعلى خلق عظيم)) ... المهم في الموضوع أنه لمن السخف وقلة الأدب أن يتكلم أي شخص من أي دين بسوء عن أي رسول من رسل رب العالمين ونحن كمسلمون مأمورون في ديننا بأن نحترم كل الرسل وكل الرسالات ....وكفى واللبيب بالإشارة يفهمُ...

الله اكبر عليهم

ياحبيبي يارسول الله صلي الله عليه وسلم |٢٠٠٦/٠١/١٣ م، ٩:٢٨ (السعودية)، ٦:٢٨ (جرينيتش)

حسبي الله عليهم الله .....الله قادر على ان يخسف فيهم انشالله ان الله يمهل ولا يهمل

الله يرد عن رسوله

محمود |٢٠٠٦/٠١/١٦ م، ٠:٨ (السعودية)، ٢١:٨ (جرينيتش)

عندما حاول ابرهه هدم الكعبة وأعد الجيش الكبير لذلك وهو في الطريق الى مكة قابل قطيع غنم لعبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم فأخذوا غنم عبد المطلب ، وعندما علم بذلك اسرع لأبرهه ليسأله عن غنمة فتعجب ابرهه وقال له حسبتك تدافع عن البيت الحرام ولكنك جئت من اجل قطيع غنم . فقال مقولته المشهورة : اما الغنم فأنا ربها واما البيت فلله بيت يحميه . فإذا كان الله قد حمى بيته الحرام فكيف برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم الذى قال في حقه (ورفعنا لك ذكرك) اللهم استخدمنا لنصرة دينك ولا تستبدلنا

سحقا سحقا

أبو أسامة |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ١٥:٦ (السعودية)، ١٢:٦ (جرينيتش)

(وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) الله أكبر كيف يجرء الكافر على الاستهزاء بالله ورسوله . ((قل اابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون))

ان غدا لناظره قريب

عبدالعزيز |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ١٥:١٧ (السعودية)، ١٢:١٧ (جرينيتش)

انتظروا سماع الآذان فىكوبنهاجن

لن ترضى عنك اليهود أو النصارى

محمد ابراهيم |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ١٨:٣٩ (السعودية)، ١٥:٣٩ (جرينيتش)

كثر فى هذه الايام التطاول على الاسلام والمسلمين نظرا لاحتكار الغرب لنا و استهوانه بنا لما نحن فيه من ضعف وهوان بسبب انكبابنا على الدنيا كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس من قلة ولكن لما نحن فيه من حب الدنيا والشهوات والله يرحمنا برحمته ليس لنا سواها ويجب على كل مسلم مقاطعة الكفرة من جميع الاجناس بقدر المستطاع فى المنتجات وعلى اغنياء المسلمين مقاطعتهم فى الاستيراد والله ان شاء الله سوف يرينا فيهم عجائب قدرته ولكن لابد من ان يبدأ كل فرد بنفسه فى الاصلاح أولا وحسبنا الله ونعم الوكيل يا حبيبى يا رسول الله يا محمد يا رسول الله أنت اسمى من فى الوجود وسيد الاسياد من خلق آدم بأبى أنت و امى يا محمديا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

نرجو تبيين منتجاتهم لكي نقاطعها

ابو عمر |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ١٦:٣ (السعودية)، ١٣:٣ (جرينيتش)

بسم اللله الرحمن الرحيم نرجوا ممن لديه اسماء بعض منتجاتهم ان يوضحها للاخوة ويا حبذا بعض الصور ان وجدت وجزاكم الله خير

بأبى انت وامى ياخير من وطىء الثرى

الساجدة لله |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١١:٥٧ (السعودية)، ٨:٥٧ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل /لنا الله مادام انقطع لسان المسلمون فى الدفاع عن الحبيب صلى الله عليه وسلم بابى هو وامى اللهم اجعلنا خداماً له فى الجنة من غير سابقة عذاب اوعتاب

المنتجات الدنماركية - قاطعها وانشر

أرض الجنوب |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٣:٢٦ (السعودية)، ٠:٢٦ (جرينيتش)

١-الألبان الكويتية الدانماركية (كي دي دي) ٢-بانج آند أولفسون، الشركة الدانماركية الرائدة في مجال تصنيع الأجهزة الصوتية وأجهزة الفيديو. ٣-نو؟و نورديسك الشركة الرائدة في العالم في رعاية مرض السكر ٤-شركة [تي دي سي الدانماركية] للجوالات متعاونة مع دولة عمان وقطر ٥-شركة ألبان `جين بلاس` الدانماركية [معلومة هذه الشركة تم حضرها من المملكة عام ٢٠٠٢ لأنها تحتوي البانها على زيت تشحيم ورقائق صلب] . ٦-زبدة لورباك ٧-أجبان البقرات الثلاث ٨- شركة بوك .. دانماركية ٩-شركة سدافكو (حليب السعودية - وغيره من منتجات سدافكو) ١٠-قشطة وادي فاطمة ١١-حليب دانو بودرة ١٢-لحم لانشون دجاج ((روبيرت)) . • معلومة هامة : إذا أردت معرفة البضائع الدنماركية لمقاطعتها .. فأنظر في الشريط التعريفي للسلعة .. حيث تبدأ المنتجات الدنماركية .. بالرقمين من اليسار (((٥٧))) ولا تنسى المنتجات النرويجية كذلك فقد اساؤوا لنبي محمدصلى الله عليه وسلم وإليك هذه الروابط للإطلاع على مزيد من المواضيع المهمة http://www.saaid.net/Doat/shaya/١٥.htm وهذا http://www.saaid.net/Doat/shaya/١٥.htm<SPAN< a> dir=rtl> فاكس السفارة الدنماركية بالمملكة العربية السعودية -٠١٤٨٨١٣٦٦ وهذا بريد المجلة magazinet@magazinet.no وبريـــــــد أحـــــــد رســـــــامي الكـــــــاركتير vebjorn@magazinet.no تذكر أن البديل متوفر بكثرة في السوق وبجودة أفضل وقبل هذا وذاك تذكر فضل نصرة نبيك إن كان عندك انتماء حقيقي لدينه وحب حقيقي له ... ولكم جزيل الشكر .. وادعو لأخيكم بمرافقة نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة...

لا حول ولا قوة الا بالله

أحمد |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٣:٤٦ (السعودية)، ٠:٤٦ (جرينيتش)

بأبي أنت و أمي يا سيدي و سيد الخلق يا رسول الله لااله الا الله محمد رسول الله

!Ignorance and Stupidy in Denmark

Hamid and Theresa |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٤:١٥ (السعودية)، ١:١٥ (جرينيتش)

Assalamu alaikum; I am sending this email to you with the hopes that my thoughts will go out to the world.What was painted and said in Denmark about our prophet(PBUH) is something that should never have been said.This shows me the stupidy of some in the world and do not understand Islam,Muslims and our prophet.This person needs to open their eyes before painting and open their minds before speaking.Obviously Denmark has nothing better to do but amuse themselves with Islam and our religion is not something to amuse the world with,our religion is about truth,honesty and a perfect way of life and we should never need to sit idle and deal with such ignorance.It`s time for other members of the Muslim community in the world to voice their opinions,acknowledge what Denmark has said and done and let Denmark know that this is uncalled for and their ignorance cannot .be justified,not in our eyes

----

بأبي أنت وأمي يارسول الله صلى الله عليه وسلم

عيد السبيعي |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٥:٥٤ (السعودية)، ٢:٥٤ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم..........والصلاة والسلام على حبيبنا وسيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.........ان افضل من خلق الله سبحانه وتعالى هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو سيد الخلق وأطهرهم وأشرفهم بأبي هو وأمي .... فالواجب على كل مسلم ان يرد على تللك الامور اما بكلمه اوشعر او اي نوع من المشاركه .... فمقام الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم و أشرف من أبائنا وأمهاتنا والناس أجمعين كافه السابقون والالحقون.....

هذا شفيعكم

ام ياسر |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٧:٤٨ (السعودية)، ٤:٤٨ (جرينيتش)

لا تسكتوا وقوموا قومة رجل واحد ودافعوا عن رسولكم بكل الطرق وعليكم بمقاطعة كل ماهو دنماركي وقولوا نحرنا دون نحرك يارسول الله

المقاطعة التجارية

محمد الفيل سودانى |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٩:٥٤ (السعودية)، ٦:٥٤ (جرينيتش)

حسبنا الله و نعم الوكيل ، أدعوا كل أحبة النبى صلى الله عليه و سلم و أحبة أصحاب النبى عليهم رضوان الله ، أدعوهم جميعا لمقاطعة البضائع الدنماركية جملة و تفصيلا، عبدة الدرهم و الدينار هؤلاء لا يردعهم إلا نقص أموالهم و دخولهم ، فتعالوا نقاطع بضائعهم و منتجاتهم، تعالوا نقول لهم إن أحباء النبى صلى الله عليه و سلم يقاطعون من يسىء إلى حبيبهم، تعالوا نفعلها فنحن قادرون على ذلك. سوق المسلمين من أكبر الأسواق العالمية فلماذا لا يستخدم المسلمون سوقهم فى الدفاع عن حبيبهم و عن معتقداتهم ؟ ` يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، و الله متم نوره و لو كره الكافرون`. صدق الله العظيم

إلى متى الصمت ؟

المبتدي |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٢:٢٨ (السعودية)، ١٩:٢٨ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. إن كانت هناك ملامة فنحن المسلمون الملومين أولاً وآخيراً وليس من يرسم أو من يكتب أو من من يصور أو حتى من من يصفع أويقتل ....الخ . فنحن آخر نسل للمسلمين ونختلف عن المسلمين بأنهم لايخافون إلامن الله سبحانه ونحن نخاف من كل شي وفي المقدمه أصحاب القرار الاول والاخير والعذر هكذا تكون السياسة .... وكأننا وجدنا في هذه الدنيا من أجل السياسة وأرضاء أعداء الله . أتحدى أي مسلم أن يقول انا راضي بأساءة المسلمين في أي مكان من قبل أعداء الله ..... فقليلاً علينا كلمة جبناء

هذه محنة كبرى والعاقبة لرسول الله وأتباعه

ابوبكر |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٢:٣٨ (السعودية)، ١٩:٣٨ (جرينيتش)

هي لهم في الدنيا ووالله ليتمن الله هذا الدين الذي جاء به رسول الله بعز عزيز أو بذل ذليل ولكن نبرأ إلى الله من هذه الإساءة لشخص رسول الله الطاهر الشريف الكريم،

ونحتسب عند الله تعالى هذه النصرة وأسأل الله أن لايبقي من الكافرين أحد،(لعائن الله تترى على هذه الدولة الدنماركية الكافرة).

خير امة اخرجت بين الأمم..

ابوسيف السهلي - السعوديه |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٢:٤٢ (السعودية)، ١٩:٤٢ (جرينيتش)

بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمداً عليه افضل الصلاة واتم التسليم.. اما بعد / احبتي ف الله لن اطيل بتعليقي ولكن كل مافي الأمر اننا وبلا شك لن نرضى / ولن ننسى .. هذه الحادثه المريره والتي الله اسأل بأن يشل اعضاء كل من تطاول على حبيبنا صلى الله عليه وسلم.. اخواني الكرام .. انا مع كل من اقترح المقاطعه وهذا واجب علينا .. اما من قال ان نتطاول على رجال ديانتهم ف هذا امر لن يصب في مصلحة الامه والسبب اننا سنتعرض ل الإساءه من الجميع وحتى من لم يسيء لمصطفانا سيقف بصفهم .. وحتى انه عليه الصلاة والسلام نهى عن سب المشرك وسب دينه ومقدساته .. ارجو البحث في هذا الأمر بحكمه .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد

عبيد الدراهم

ابو محمد من ارض الوطن |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٣:٢٨ (السعودية)، ٢٠:٢٨ (جرينيتش)

لعنهم الله واذلهم امام الاسلام والمسلمين ولكن علينا بالمقاطعة لانهم عبدة الدينار والدرهم........اكرم الله المسلمين وكلما زادت المقاطعة سوف ينقص اقتصادهم بأذن الله لانهم يبحثون عن الربح المادي

عليهم اللعنه

عبدالله المهاجر إليه |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٣:٤١ (السعودية)، ٢٠:٤١ (جرينيتش)

إن كثرة الكلام لضعاف والمساكين عكسنا تماما فنحن أقوياء بالله تعالى المسأله جديه ويتطلب موقف جدي مابأيدينا الآن هو مقاطعة منتجاتهم وهذا أمر لابد منه . ثانيا / دعم أخواننا المسلمين في الدنمارك ثالثا / مناشدة أهل العلم والمؤسسات الدينية ورابطة العالم الاسلامي هلموا بنا ياأمة محمد صلى الله عليه وسلم جعلها الله في موازين حسناتكم

حسبي الله ونعم الوكيل

محمد عبدالله |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٣:٥١ (السعودية)، ٢٠:٥١ (جرينيتش)

ليست المرة الأول التي يتهج بها الكفار على محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الله فوقهم وحسبس الله ونعم الوكيل . يا أخوان عليكم بدعاء في اخر الليل .

كلنا فداء للدين والرسول (فداءك ابي وامي ياحبيبي يارسول الله)

محمد ابولبن |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ٢٣:٥٨ (السعودية)، ٢٠:٥٨ (جرينيتش)

كلنا فداء للدين والرسول (فداءك ابي وامي ياحبيبي يارسول اللة) تحملت عنا الكثير ياحبيبي يارسول الله ونحن الان نلتجئ وندعوا الى العلي القدير ان يرسل عليهم جنودا من عنده كالطير الابابيل وان يسخط بهم الارض كقوم لوط وليس ذلك على الله ببعيد. اخواني اخواتي ارجوا من كل من يقراء هذا ان يطلب من كل مسم ومن نفسه يالتوجه بقلبه الى الله بالدعاء الصادق لنصرة الاسلام والمسلمين والانتقام من الكفرة والاكثار من الاستغفار - قال الله تعالى `ادعوني استجب لكم` الرجاء على كل مسلم التوجه الصادق الى الله بالدعاء الصادق والاستغفار وخصوصا في الثلث الاخير من الليل. اخواني اخواتي اقل ما نقوم به اليوم الدعاء الصادق من قلب مجروح (الاسلام عزيز ولاعز لنا الا بالاسلام).

الصحوة الصحوة

فضيلة ضاهر |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٠:٤ (السعودية)، ٢١:٤ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم (إن كفيناك المستهزئين) صدق الله العظيم... نداء إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم : الصحوة الصحوة قبل أن يأتي يوم لانصر من الله فيه ... إنه نبيكم محمد الذي يطلع على أعمالكم في كل ليلة جمعة ، فما أنتم فاعلون ؟؟ ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ واجب عليكم الإضراب العام في كافة البلاد الإسلامية للضغط على السفارات الدانماركية والنيروجية لتنكب منكسرة أمام عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم إعتذارها لمليار وثلاثمائة مليون مسلم في العالم ... ونهيب بالعلماء الكرام وأصحاب كلمة الحق بفعل كل ما يستطيوا لنصرة الرسول الكريم محمد ودين محمد وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .... (وقل اعملوا وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العظيم

بشرى لمن تطاول على النبي المصطفى

حمدان الغامدي |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٠:٤ (السعودية)، ٢١:٤ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم اذا ما بلغ الظلم حده فسيتلوه نهارا تقع معه كل الاصنام واقول لكل من تطاول على حبيبي وسيدي رسول الله فداه الاهل والمال والولد لقد بلغ بكم المكر

والكيد والجراءة ان تتطاولوا على سيد ولد بني ادم فاني مبشركم باذن الله تعالى بعذاب قريب وان شاء الله ستكونون عبرة تتحدث عنها الجرائد والقنوات ليس لثلاثة اشهر بل الى يوم الدين اللهم رب العرش العظيم رب جبريل والملائكة والجان والناس والخلق اجمعين اسألك باعظم اسم هو لك سميت به نفسك واحتفظت به في علم الغيب عندك ان ترينا فيهم ما يشفي صدورنا ويكونوا عبرة لكل كافر ملحد يظهر او يبطن لحبيبنا محمد رسول الله ذرة حقد او غل يارب العالمين

حسبي الله عليهم

مسلمه غيوره ومحبه لرسولها ولدينها |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٠:٤٦ (السعودية)، ٢١:٤٦ (جرينيتش)

اولا ماراح نقول غير حسبي الله ونعم الوكيل والله يأخذهم اخذ عزيز مقتدر واوصي كل مسلم غيور على دينه ورسوله بأنه يقاطع اي منتج لهذه الدولهالدنمارك وان شاء الله ان الدين والاسلام هو اللي راح ينتصر وفي نهاية كلامي مااقول غير النصر لنا وللمسلمين يأعداء العررررب

حسبنا الله

ام احمد |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٨:٠٠ (السعودية)، ١٥:٠٠ (جرينيتش)

اعلموا انكم لن تنالوا من مكانة نبينا في نفوسنا شيئا وانما تؤذون انفسكم وسوف تعلمون. (رجاء ايصالها للمعنيين في الدنمارك جزيتم خيرا

حسبي الله عليهم

عبدالغني لحمدي |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٨:١٩ (السعودية)، ١٥:١٩ (جرينيتش)

علينا نحن المسلمين نصرة رسول الله هيا يامسلمون

الدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم

worldsun٢٠٠٦@hotmail.com |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٨:٢٢ (السعودية)، ١٥:٢٢ (جرينيتش)

نحب رسولنا ونحب كل من يحبه ونقاطع كل من يتطاول على سيد البشر رسول الإنسانية الذي بعثه الله رحمة للعالمين فكان حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم

والواجب يحتم علين جميعا مقاطعة المنتجات الدنماركية والله يوفق الجميع إلى مافيه خير الدين والدنيا ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

قاطعوهم تنصروا الإسلام

نوال السعودية |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٩:٨ (السعودية)، ١٦:٨ (جرينيتش)

المقاطعة المقاطعة ثم المقاطعة هي القشة التي ستقصم ظهر البعير . شفيعنا فداك روح ومال كل من قال لا إله إلا الله .

الرسول قدوتنا وحبه واجب على كل مسلم

ماجد الحسني |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٩:٢٨ (السعودية)، ١٦:٢٨ (جرينيتش)

انا استغرب موقف حكام المسلمين الذين ماسمعنا احدهم ينطق ببنت شفة اوحتى يعلق على هذا الموضوع الذي يمس فيه نبيهم صلى الله عليه وسلم ، نحن لانريدمنهم المستحيل اقل شيءعلى الحكومات العربية والاسلامية فعله هو ان يخصصوا حلقة في اجهزة الاعلام عندهم للتوعية بخطر هذا الفعل ويظهروا عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ويتركوا العمل والحركة لهذه الشعوب وليجلسوا هم في بيوتهم كالنساءءءءءءءءءءءءءءءءءءءءءءءء والله حسبنا ونعم الوكيل.

حسبنا الله ونعم الوكيل

احمد عبد المنعم محمد اسماعيل مصر |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٩:٤١ (السعودية)، ١٦:٤١ (جرينيتش)

مقاطعه كل المنتجات الدنماركيه لان اقتصادهم قائم علينا فى الدرجة الاولى

دعاء

الفارس ١٣٩٩ |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ١٩:٥٢ (السعودية)، ١٦:٥٢ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل

الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

ابو الحارث |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢٠:١٩ (السعودية)، ١٧:١٩ (جرينيتش)

الله أكبر الله أكبر الله أكبر سلام على من أتبع الهدى أم بعد الى متى يامسلمون ونحن في هذا الذل والهوان والله ان بطن الارض خير لنا من ضهرها اذا اعتدي على ديننا وعلى حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فداه أرواحنا هو بأمي وأبي ونقول لكلاب الدنمارك والنروج وكل من سب ديننا الجواب فيما ترونه مالا تسمعونه

سياتى يوما ستعلمون من هم فى ضللاً مبين

حسن سليمان القطان |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢٠:٥٧ (السعودية)، ١٧:٥٧ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد نحترم شعب الدنمارك لأنه شعب معطاء ومنتج ونحب الكثير من منتجاته التي تميزت بالجودة والتي يتوق إلي شرائها الكثير من الشعب السعودي والعربي ٠ وفجأة نسمع أن احد الصحف الدنماركية تعرضت بالإساءة إلى أعظم من خطى على الأرض إلى رسولنا وقائدنا وحبيبنا محمد صلى الله علية وسلم ٠ ولتدرك الدنمارك أهمية وعظم مكانة هذا الإنسان بين المسلمين لما له من فضل علينا فى هدايتنا إلى طريق الخير والسلام والذي نكن له كل الحب والتقدير لدرجة تفوق محبتنا لابناءنا وآباءنا كيف لا وهو خاتم الأنبياء سيد الرسل شفيع الأمة محمد صلى الله علية وسلم وهو من أرسى بداخلنا أهمية الحذر من انتهاك حرمات الغير واهم من ذلك احترام ديانات الآخرين وأرسى أهم قاعدة فى التعامل مابين الأمم وهى (لكم دينكم ولي دين) ومن هذا المنطلق ننوه باستنكارنا وغضبنا من مساس ذلك الإرث الإسلامي القيم والاستهانة بشخصه الكريم صلى الله علية وسلم فى إحدى الصحف وبشكل يسيء لكل مسلم بل لكل من يحمل دينه بعزة وكرامة لايرضى بالإساءة إليه ٠ لذلك وددنا أن ننوه بأهمية تقدم الدنمارك بالاعتذار لكل مسلم على وجه الكرة الأرضية وإلا سيتم مقاطعة تلك المنتجات الدنماركية والتي نعلم إن الكثير من الدول العربية والمسلمة يقع عليها ترويج تلك المنتجات واستفادة الدنمارك اقتصاديا منها٠ وفى النهاية لايسعنا إلا أن نقول انه سيأتي يوم ستعلمون من هم فى ضللاً مبين٠ المرسل/ المسلم حسن سيلمان القطان المدينة المنورة بجوار قبر النبي صلى الله علية وسلم المملكة العربية السعودية

دعاء واستنكار

اميره |٢٠٠٦/٠١/٢٤ م، ٢٠:٥٩ (السعودية)، ١٧:٥٩ (جرينيتش)

اللهم ياقوي ياعزيز ارنا فيهم عجائب قدرتك وانصر رسولك على اعدائه واعدائنا اعداء المسلمين كافة ولا يسعنا نحن الى بمقاطعة منتجاتهم وهذا ادنى مانستطيع فعله مع الدعاء والسير على منهج رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم

ولينصرن الله من ينصره

مجروح |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٦:٥٩ (السعودية)، ١٣:٥٩ (جرينيتش)
`محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم`

رد عليهم

أبوعمر |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٧:١ (السعودية)، ١٤:١ (جرينيتش)

إخواني في الله لقد شاهدت اليوم قبل أن أدخل قاعة الإمتحانات شيئا لم أره من قبل وللأسف ثلاثة طلاب يجلسون على كتاب الحديث ويرمون أوراق فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم في القمامة أكرمكم الله وتقبلوا خالص تحياتي ابوعمر khalid-ali-ali-@naseej.com٢٠٠٦yusuf@hotmail.com

----

يارب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خذهم أخذ عزيز مقتدر

أبوعبدالحمن دبور |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٨:٢٦ (السعودية)، ١٥:٢٦ (جرينيتش)

ربنا ويارب أشرف من خلقت من الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم، فإن أمته خير أمةٌ أخرجتها للناس ، فقد أهينت خيريتها بنشر ذلك الرسم البذي تعال عنه حبيبنا صاحب المقام المحمود ، قائد الغر المحجلين ، وأنت سبحانك قد قضيت بخيريتيها ، فأسقط على هؤلاء الغادرين بإمة حبيبك محمد صلى الله عليه كسفاً من السماء ، وزلزل الأرض من تحت أرجلهم وأجعلهم عبرة لمن يعتبر ، فقد خارت قوة إيمان أمة مصطفاك صلوات الله وسلامه عليه إلا من رحمته بنور الإيمان ، فلن يُشفا لنا غليلاً إلا بسوط عذابك المبين في الدنيا والآخرة ، فانت القادر المقتدر ، فأنت ملك الملوك وقاهر الجبابرة والظالمين، فحسبي الله عليهم ونعم الوكيل.

اين الاخوه

سالى |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٨:٢٧ (السعودية)، ١٥:٢٧ (جرينيتش)

ان تعدى مجله على الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان يوقظ الكثير من الغفله التى نحن فيها فاليوم التعدى على الرسول اذن فمن التالى ....؟ ان الامر سوف يزداد سواء اذا لم نستيقظ يجب على كل مسلم ان يقاطع المنتجات للدول المعاديه للاسلام كما يجب مقاطعه اليمن لان لها الكثير من تعديها على الاسلام اما انا فاناشد الاخوه المسيحين بالوقف كاخوه لان لايوجد هناك مسلم يقبل على اهانه الدين المسيحى من قبل فنحن اخوه لا نقبل باهانه الديانات السماويه مهما كانت وما حدث هو تعدى عن حقوق المسلمين ومخالف للقانون الدولى الذى لايسمح باهانه اى المعتقدات

والاديان السماويه فمعن لمحاربه هؤلاء الهمجين الذين يدعون السلام وهم فى الحقيقه يدعون الى القتل والعنف والارهاب افيقوا يا امه محمد

مسلسل التطاول على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم يتواصل

يــاربي اشــكثر اعــاني & عــروس القصــيم _ عنيــزة _ عنــد البــاب شــجرة صــغيرة |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٩:٢٩ (السعودية)، ١٦:٢٩ (جرينيتش)

ليس غريبا أن تطالعنا الصحف والقنوات وغيرها من وسائل الإعلام الغربية عن هذا الحقد الدفين في نفوسهم تجاه الإسلام والمسلمين ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم . وهذا يدل على التخوف الذي بات يضج مضاجع كل فئات المجتمع الغربي من الإسلام كنظام يرعى شؤون المسلمين ، وما خطاب الرئيس الأمريكي بوش الأخير إلا دليل على ذلك . فالمسلمون محتاجون في الوقت الراهن إلى دولة تجمع كلمتهم من المغرب إلى المشرق وتحمي كيانهم وتعزهم وتذل كيد الحاقدين ، وليس ذلك على الله بعزيز ٨٢٢٨m@hotmail.com *^^ بدر ^^* ٠٥٥٧٣٥٥٩٨٤]]------------- لمناقشة الموضوع بالتفصيل (الشباب مانبيهم بس البنات هههاااي) من الساعة ١٢ ليلا حتى الفجر

ياشفيعنا

بنت الاسلام من السعوديه |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٩:٣٠ (السعودية)، ١٦:٣٠ (جرينيتش)

حسبي الله ونعم الوكيل بالمستهزين بالرسولنا وشفعينا محمد عليه الف الصلاه والتسليم ويشهد الله اننا معارضين عل الي صار والله يسلط عليهم غضبه وعذابه واعداءهم الله ياخذهم اخذة عزيز مقتدر

قطع العلاقات مع الدانمارك

احمد السعودي |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٩:٤٣ (السعودية)، ١٦:٤٣ (جرينيتش)

ارجو من حكومتنا الرشيده قطع العلاقات مع الدانمارك وترحيل السفير الدينامركي حتى يتم الاعتذار الرسمي امام وسائل الاعلام المقروءه والمسموعه كما ارجو من اخواني واخواتي القراء ابتداءا من اليوم مقاطعة المنتجات الدينماركيه بشتى انواعها والله ولي التوفيق واسال الله ان ينصر الاسلام ويعلي كملة الحق لا اله الا الله محمد رسول الله

العمل وليس القول

ايناس العماري ---اليمن |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١٣:١٢ (السعودية)، ١٠:١٢ (جرينيتش)

بجب على كل المسلمين القيام بمضاهره ضد السفارات الدنماركيه وطردها يجب مقاطعه المنتجات الدنمركيه يجب مراسله موقع الجريده و الرد عليهم

لاحول ولا قوه الاباالله

نايف سلمان |٢٦/٠١/٢٠٠٦ م، ١٣:٢٠ (السعودية)، ١٠:٢٠ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل

ألا لعنة الله علي الظالمين

أبو أحمد |٢٦/٠١/٢٠٠٦ م، ١٣:٢٦ (السعودية)، ١٠:٢٦ (جرينيتش)

اللهم رد كيدهم في نحرهم وانتقم منهم وأنصر أمة الحبيب صلي الله عليه وسلم بأبي وأمي أنت يارسول الله

مندوبية تحفيظ العرضية الشمالية

علي بن سلطان السهيمي |٢٦/٠١/٢٠٠٦ م، ١٣:٤١ (السعودية)، ١٠:٤١ (جرينيتش)

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على رسول الهدى وبعد: إن ماقامت به المجلة الدنمركية من تشويه سمعة أطهر البشرية شيئ حقير ولكن ليعلم كل واحد أن هذا لن يزيدنا إلا تمسكا بهدي نبينا وقائدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإني داع فأمنوا : اللهم عليك بصاحب الفكرة ومنفذها وراسمها وكاتبها وناشرها ومؤيدها الله شل أطرافهم وأعمي أبصارهم .. اللهم وعليك بالدنمرك اجعل كيدهم في نحورهم وادمر اقتصادهم ياقوي وياعزيز .. اللهم اجعل أعراضنا وأنفسنا فداء لحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم . وإني أهيب بالجميع بمقاطعة جميع النتوجات الدنمركية حتى ولو متنا جوعا .. والحمد لله رب العامين

حسبنا الله ونعم الوكيل

ابو عبدالرحمن |٢٧/٠١/٢٠٠٦ م، ٢:١٧ (السعودية)، ٢٣:١٧ (جرينيتش)

عليكم بالمحاربة الاقتصادية وهي مقاطعة المنتجات

تبوك

محمد العنزى |٢٧/٠١/٢٠٠٦ م، ٢:٢٦ (السعودية)، ٢٣:٢٦ (جرينيتش)

يجب على كل مسلم مؤمن يحب الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقاطع المنتجلت الدنماركيه

أعشقوا الراحه

عبدالرحمن |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٤:٤٨ (السعودية)، ١:٤٨ (جرينيتش)

يا حبيبي خلكم مكانكم احسن ووفروا اصواتكم بس كلام في كلام والله يا ليتني مو من العرب اقول حطوا راسكم في الطين وبوسوا رجل بوش وبلير اقووووول مالت علينا كلنا والله اتمنى اكون افريقي سنيغالي مسلم ولا اني اكون عربي مصخره

الفرج يا الله

أحمد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٦:٥٥ (السعودية)، ٣:٥٥ (جرينيتش)

الصلاة و السلام على نبي الله المختار الهادي سيدنا أبو القاسم محمد و آله و سلم تسليما كثيرا وعجل الله فرجهم و أللعن أعدائهم يا رب الحقيقة ضعف حالة المسلمين بالعالم شيء مخزي و هذا الهجوم الحقيقة مرتب من تحالف يستعد لمحاربة و أبادة الأسلام بكل صورة لمعرفة ردود الفعل قبل الخطوات القادمة ولكن تأكدوا أن سيدنا محمد عزيز عندالله و الله يعلم شتات رأي المسلمين و ضعف حالهم وسوف ينتقم منهم شر أنتقام مثل ما فعل بكل من تعرض لسيدنا محمد بالشتم و الأساء كأحد الأدلة سورة المسد عندما رد الله على عم الرسول. وكل مرة ينقلب السحر على الساحر حاولوا أخراج المسلمين من الدين بجعل الزنا شيء سهل لهم وشرب الخمر و القمار و اللهو و بث القنوات اللأباحية الموجة الى العالم الأسلامي ولكن فشلوا لله الحمد الآن المسلمين أكثر تمسك بالدين من قبل و شوف العالم كلة حركات أسلامية و توجة أسلامي لولا خروج بعض الأرهابين كمثل أبن لادن و جماعة تخصص قتل المسلمين قبل المشركين أعداء الأسلام وهذي أحدى أفرازات خطط الغرب محاربة الأسلام بالأسلام ونقلبت مخططاتهم عليهم لله الحمد وهذا أصبح الطفل الذي يعض الأم. تمسكوا بحديث النبي أني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي طبقوا هذي النصيحة من سيدنا محمد وسوف تكون لنا الغلبة أنشاءالله وليس أتباع كل شخص يعمل أنقلاب او يعين من الغرب رئيس ويتكلم بأسم الله و الشعب اللهم لايكون سيدنا محمد أقل شئن من فصيل ناقة صالح اللهم هيئنا على الأخذ بحق نبيك اللهم هيئا بالأخذ بحق نبيك و اهل بيت النبي وعجل فرجهم و اللعن أعدائهم يارب

حسبنى اللة ونعم الوكيل

بوسعود العازمي من الكويت |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٧:٤٤ (السعودية)، ٤:٤٤ (جرينيتش)

ان الرسول علية الصلاة والسلام مثل المسلمين الأعلى و حبيب كل مسلم فم يسيئ إليه كأنه يسيئ لكل مسلم وقطع كل العلاقات مع هذه الدول يجب أن يكون بسرعه تامه من كل مسلم يغيير على مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم والأسلام والمسلمين

ما أعظم مصيبتنا في فقدك يارسول الله

العجميه |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٨:٠٧ (السعودية)، ٥:٠٧ (جرينيتش)

نشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ...وانك يامحمد عبده وصفيه ورسوله صلى الله عليه وسلم ..لقد طفح الكيل يا أمة محمد واعداء الاسلام يحاربوننا في ابداننا واوطاننا ومعتقداتنا بكل قوه.. ولكن هيهات الاسلام باق مادامت الحياة وذكر الله خالدمااختلف ليل ونها..ونحن على نبراسك ياحبيبنا محمد سائرون....وانتم ياعبدة المال والشيطان ...نعرف اداة سلحكم القاتل ونقطة ضعفكم..انه المال..هبوا يامة محمد لمقاطعة منتوجاتهم الرخيصه العفنه...ارفعوا رايات الاستنكار .وطالبوا بالاعتذار الرسمي من ديار الكفر..والا فإن رسولنا هو عزتنا وحياتنا وحبنا واملنا ونورنا....كلنا فدءك يا رسول الله بأبي انت وامي

عار علينا السكوت

نايف راشد المصربي السبيعي العنزي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١١:٠٧ (السعودية)، ٨:٠٧ (جرينيتش)

الى كل غيور على دينه الى كل مسلم يعبد الله ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم يجب ان نقاطع جميع المنتجات الدنمركية

حبيبنا ....

نور مكة |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١١:١٦ (السعودية)، ٨:١٦ (جرينيتش)

لاأقول إلا حسبي الله ونعم الوكيل اللهم دمرهم عاجلا غير أجل

الي متي يامة محمدالسكوت الي متي

الرواق |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢:٠٥ (السعودية)، ٢٣:٠٥ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم منذ العصور الاولي لدين الا سلام والحقد والبغضا الند بالند لهذا الدين ولنبيه صلي الله عليه وسلم ولاكان كان في العصور الاول لهذا الدين رجال صدقوا معاهدو الله عليه رضوان الله عليهم جميعا واستطاعو دحر الحاقدين ورد كيدهم في

نحورهم بقوة من الله ثم قوة ايمانهم امثال عمر وسعد وزيد سيف الله المسلول وغيرهم رضوان الله عليهم.اخواني لقد حل بنا منذ زمن مصيبه من اعظم المصايب وهيه فقدان الغيره علي المسلم ودينه ونرا النكبات علي الشعوب المسلمه من الشعوب الغربيه التي تفتك بالمسلمين ودينهم واعراضهم واموالهم مثل الشعب الفلسطيني ويقتلون وتنتهك الاعراض ونحن لاقوة ولاناصربس الله امنصر الشعب الفلسطينيوها نحن نرا رسولنا الكريم يسب عيان بيان خير البريه يسب الله الله من هولا الخنازير والحيله لدينا الشجب والاستنكار اخواني اخواني اخواني هذه ساعة الحزم انا لاطلب منكم قصفهم بالطيران والدبابه لوكان بودي ولاكان؟؟؟؟؟؟...... اخواني عليكم بمقاطعة جميع المنتجات الدنماركيه بجميع اصنافها لن الدول الاسلاميه لاتقدر تعمل هذه المقاطعه فلابد ان اتحرك انا وانت والجميع لمقاطعه منتجات هذه الدوله اللعينه بس لمده شهرين او ثلاثه فقط وسوف نرا هذه الصحيفه قد اغلقة بس سوف نرا بس المقاطعه المقاطعه لابد المقاطعه هذا العمل لن يساوي مثقال ذره في محبه الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم اخواني الا نقدر علي هذا العمل الانقدر من اين اجل النصره لدين والرسول من اين عليكم بالحزم الحزم وامعتصماه فل نذكر والحمد لله رب العالمين.

حسبنا الله ونعم الوكيل

خادم ومحب رسول الله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:١٩ (السعودية)، ١٩:١٩ (جرينيتش)

ليس بوسعنا كافراد سوى التعليق على ما تم من قبل هذا الصغير الذي استهزأ برسول الله (ص) سوى انه مهما حاول الاستهزاء فان الله موجود وهو العالم بكل شئ وهو الذي سينتقم لنا من هذا السافل الحقير وأسأل الله أن يؤينا يومه عاجلاً آجلاً . حسبنا الله ونعم الوكيل ..

لاحول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

نوال |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:٣٧ (السعودية)، ١٩:٣٧ (جرينيتش)

اللهم عليك بكل من اراد الأسأة برسول الله و بالاسلا م والمسلمين وأول دولة الدنمارك .اللهم وأرنا أية فيهم و خذهم أخذ عزيز مقتدر .وأهدي أمة حبيبك محمد صلى اله عليه وسلم إلى ماتحب وترضى.

سحقاً للدنمارك

الاحمدية |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:٣٨ (السعودية)، ١٩:٣٨ (جرينيتش)

لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم اجعل كيدهم في نحورهم واجعل تدبيرهم في تدميرهم يا سميع الدعاء اللهم من أراد بمحمد صلى الله عليه وسلم وبأمته فعليك به يا ارحم الرحمين

ان تنصروا الله ينصركم

محمد عبد الحميد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:٤٥ (السعودية)، ١٩:٤٥ (جرينيتش)

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ` ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم` صدق الله العظيم هذه هى البدايه ولا بد من كل مسلم ان يتدبر معنى هذه الآيه الكريمه لانها هى السبيل للخلاص وعوده الاسلام الى مكانته بين الامم وان شاء الله قريبا سيكون النصر `الا ان تصر الله قريب`

نفداك بأرواحنا و اجسادنا و أموالنا و انفسنا يا رسول الله اللهم صلي وسلم علية

ابو المهند |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:٤٩ (السعودية)، ١٩:٤٩ (جرينيتش)

كلمة تذكارية لأخواننا المسلمون الذينا يعتذرون بعدم القدرة على المقاطعة بئي حجة من الحجج الواهية فنقول لهذى الصنف من المسلمون أتقو الله فقد كان رسولكم صلى الله علية وسلم (يربط على بطنه حجر من شدة الجوع ونحنو عند أقل حق من حقوق رسول الهدى علية الصلاة والسلام و الذي أحي على يدية امم لأنسنتطيع ان نقوم بهذى الحق فما لنا الى أن نقل لكل مسلم و مسلمة من لا ينصر رسول الله علية الصلاة والسلام في هذا الموقف فمتا ننصرة بأبي أنت و أمي علية الصلاة والسلام

وذلك أضعف الأيمان

ابو عبدالله ....عبدالعزيز |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٣:٤ (السعودية)، ٢٠:٤ (جرينيتش)

أعلم بأن تسطيري لهذه الكلمات لايعتبر سوى من اضعف الأيمان.فداك ابي وأمي وكلي ياصفوة خلق الله اجمع يانبي الله محمد عليك صلاة الله وتسليمه ولعل انكاري لكل من تجرء نفسه الدنيئه على ان يمسك بأذا يارسول الله هو الشي الذي اقدمه لك يحبيب الله لعل الله ان يرحمني بشفاعتك يوم العرض عليه .

سنقاطع .. ..

غادة |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٥:٠ (السعودية)، ١٢:٠ (جرينيتش)

سنقاطع ونحن قادرون على ذلك

الحمد لله

غسان المسلم |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٦:١ (السعودية)، ١٣:١ (جرينيتش)

الحمد لله الذي اعزنا بهذا الدين وكما قال الشاعر اذا اتتني المذمة من ناقص فهذا الدليل على اني كامل

يمكرون والله خير الماكرين

منصور محمد الشحي الإمارات |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٦:١٣ (السعودية)، ١٣:١٣ (جرينيتش)

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) المقاطعة هي الحل الأمثل لمثل هؤلاء السفلة اللهم يا احد ياصمد، يا حي يا قيوم، ارنا فيهم عجائب قدرتك، وسلط عليهم عقابك. حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل أقل شيء نفعله مقاطعة المنتجات الدنمركية ..

إن الله يمهل ولايهمل

محمد بن مختار بن ياسين |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٦:٥٤ (السعودية)، ١٣:٥٤ (جرينيتش)

لاتظن أن الله لايعلم عما يفعل الكفرة المشركون من سب نبيه افضل الصلاة والسلام عليه وتدنيس مقدسات المسلمين بالإضافة الى هذا التجرؤ الشديد عل التنقص من شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأبي وأمي افضل الأنبياء والمرسلين ولكن لانقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته

ان ربك لبالمرصاد

المدمر |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٦:٥٨ (السعودية)، ١٣:٥٨ (جرينيتش)

بوركت يابن أثال إذ قاطعتهم فالكفر يخضع عند قطع الدرهم هذا رسول الله نحن له فدا نفديه بالقلب المتيم والدم قد افصح الدنمارك عن أحقادهم ومآل كل الكفر قعر جهنم قاطعهوهم وقاطعوا قبلهم امريكا اللتي جرّأت العام على المسلمين ان كان الدنمارك قد سبوا الحبيب فلقد دنس الامريكان كتاب ربنا جل وعلا. فانتصروا لربكم ونبيكم صلى الله عليه وسلم `ان تنصروا اله ينصركم ويثبت اقدامكم`

الله غايتنا والرسول زعيمنا

عربي غيور |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٥:٢٤ (السعودية)، ١٢:٢٤ (جرينيتش)

صح لسانك ياسيد محمد الباهلي،فيجب أن تقوم كافة القوى الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بحملة لمواجهة هذا الهجوم،الذي يستهدف الدين الإسلامي في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأقولها والذي نفسي بيده صادقا:إن المسؤولين في الدنمرك لا يريدون من خلال ذلك إلا الشر ،للإسلام والمسلمين...ولكن هيهات لهم ما أرادوا.فمحمد صلى الله عليه وسلم هو رسول من عند الله،بلغ الرسالة وأدى الأمانة،ونصح الأمة وجاهد في الله عز وجل حق الجهاد،حتى أتاه اليقين.ورسالته ستظل خالدة في قلوب المسلمين في العالم إذ هي رسالة المحبة والرحمة والسلام. قال تعالى:(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم). وقال تعالى:(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

هذه ليست حريه

مسيحي مصري |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٦:٤٥ (السعودية)، ١٣:٤٥ (جرينيتش)

انا مسيحي و ارفض الإستهزاء بالمعتقدات الدينيه لأي دين سواء اليهوديه او المسيحيه او الإسلام او البوذيه او اي دين اخر و الحريه لا تعني التحقير من ايمان الآخرين و اقترح رفع دعوى ضد المجله و الحكومه الدنماركيه في الدنمارك و لو لم يمكن هذا يجب على الدول الإسلاميه رفع الأمر لمحكمه دوليه او ما شابه

الله ينصر الاسلام

رباب(لبنان) |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٦:٤٩ (السعودية)، ١٣:٤٩ (جرينيتش)

أدعوا جميع المسلمين في جميع أقطار العالم الى مقاطعة البضائع و المنتجات الدنماركية وهي انشاء الله وسيلة جيدة للدفاع عن المقدسات الاسلامية(نرجو النشر)

اين انتم يامسلمون

تامر العربي |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٧:٤ (السعودية)، ١٤:٤ (جرينيتش)

ما سوف نقوله الي رسول الله يوم الموقف العظيم عما كان دورنا لنصرة الاسلام نجحت امريكا وتابعيها للتسويق لحرب ضد الاسلام وهم علي باطل ولم ننجح لتسويق اسلامنا ونحن علي حق اين علماء المسلمين هل مازالو في غفلتهم افيقو يا عباد الله افيقو يا علماء الاسلام سب رسولنا اهين اسلامنا ....فمازا ننتظر بعد؟

الله اكبر

بريطاني |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٧:٢٤ (السعودية)، ١٤:٢٤ (جرينيتش)

`ان للكعبة رب يحميها` وان لحكام المسلمين رب ينتقم منهم، والعزة لله ورسوله، وخسئ الكافرون الحاقدون

محمد، ذلك العملاق

عربي |٢٠٠٥/١٢/٢٣ م، ١٧:٣٤ (السعودية)، ١٤:٣٤ (جرينيتش)

إن كل محاولات الإساءة للرسول محمد (ص) مآلها الفشل الذريع. لأن أي شخص موضوعي، مهما كانت قناعاته الدينية، لو درس تاريخ العرب لأدرك في قرارة نفسه قيمة ذلك الرجل العملاق الذي وحد قبائل متناحرة متخلفة لتولد أمة عظيمة قهرت أعتى قوتين في العالم في ذلك الوقت ولتظهر حضارة أنارت العالم برحمتها و تسامحها وعدلها في موقف القوة وتقدمها الروحي و المادي. صحيح أننا الآن متخلفون. ولكن السبب في ذلك هو أننا ابتعدنا عن جوهر ما علمه لنا محمد (ص) و لم ننفك نضيع وقتنا في صغائر الأمور.

.Victory, will come soon

fatima from Morocco |٢٠٠٥/١٢/٢٤ م، ١٣:١٦ (السعودية)، ١٠:١٦ (جرينيتش)

The victory of the light over the black is imminent, did not fear, our religion will only leave there stronger. Never they can extinguish the light of our ALLAH, it is the hatred which .encourages them to do that

----

وما اقبح جرأتكم على رسولنا!!!!

فهد |٢٠٠٥/١٢/٣١ م، ٠:٢١ (السعودية)، ٢١:٢١ (جرينيتش)

ألا تعرفونة قبل أن تسبوة ! أنة خاتم الأنبياء و شفيعنا يوم القيامة والذي قال فيه ربنا (وانك لعلى خلق عظيم) فيا أمة محمد لا تسكتوا عن هذا الهراء وردوا بكل الوسائل الممكنة حتى يعلم كتاب هذه المجلة الحمقى أن لمحمد أتباعا لن يسكتوا الى يوم القيامة .

عزيزى بيجول

شريف بدر |٢٠٠٦/٠١/٠٤ م، ١٢:٣٤ (السعودية)، ٩:٣٤ (جرينيتش)

عزيزى بيجول ذكرت فى ردك انه ان الاوان لكى يشرب المسلمون من نفس كاس الازدراء و التى تزعم ان المسلمون قد ازدروا بقية الاديان بقولهم بتحريفها. اذا كان الازدراء هو شيمة المسلمون كما ذكرت فهل و جدت رد واحد من هذه الردود الغضبة الغيورة على دينها و على رسولها الكريم صلى الله عليه و سلم من طالب بان نقوم بالرد بالمثل اى تكليف احد رسامى الكاريكاتير بتشويه صورة السيد المسيح ؟ طبعا لم تجد و لن تجد فهل سالت نفسك لماذا ؟ الاجابة هى : اولا من صميم و صحيح عقيدة اى مسلم هى الايمان بالسيد المسيح عليه السلام و موسى عليه السام و ما انزل عليهما اى اننا نؤمن بالانجيل و التوراة و لكن ليس اناجيلكم و توراتكم و يرجى مراجعة قساوستك فى امر انجيل متى و لوقا كما يرجى منك مراجعة تاريخ بولس الرسول و هو صاحب نظرية تأليه السيد المسيح.و اخيرا فانى ادعو الله عز و جل ان يهديك الى طريق الصواب و يجعلك ترى ما لا تراه

مهما قيل عنك فأنت الرسول الكريم

الرسول المنتصر |٢٠٠٦/٠١/١٤ م، ٢٣:٢ (السعودية)، ٢٠:٢ (جرينيتش)

الا لعنة الله على القوم الكافرين

الغرب الأعمى

إبراهيم أبو مصطفى |٢٠٠٦/٠١/٢٠ م، ٠:٥١ (السعودية)، ٢١:٥١ (جرينيتش)

إذا كان الغرب الأعمى(إن أحسنا الظن بهم) لا يرى المسلمين المعتدلين في الجانب الآخر و لا يرون إلا كل قبيح من المسلمين، وإذا كانوا يعتبرون أن كل المسلمين إرهابيين إذن فبمنطقهم : - كل الغرب زناة. - كل الغرب سكارى . - كل الغرب ذوي ميول عنصرية لكل ماهو غير مسيحي ` ليبيا .. أفغانستان .. العراق .. فلسطين .. السودان .. سوريا .. إيران .... - كل الغرب و. مش كده ولا إيييييه

هم الأعداء

عبدالعزيز |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٠:٨ (السعودية)، ٢١:٨ (جرينيتش)

لا صداقة لحكومة تناصر وتؤيد من يعادينا، ولاصدقة لشعب يحمل كل هذا الكره لديننا ولهادينا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي عليه الصلاة والسلام. قاطعوهم هم ومنتجاتهم ((بوك ، نيدو ، أنكور ، والأجبان الدنماركية)).

حسبي عليهم؟؟

علي محمد جبران |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ١:٤١ (السعودية)، ٢٢:٤١ (جرينيتش)

لو أحد سب والدك لقاطعته فكيف لو رسم صورته على أبشع شكل فما بالكم برسول الله عليه الصلاه وأتم التسليم

قاطعوا المنتج الدنماركي

شملان العبدالهادي |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢:٢٩ (السعودية)، ٢٣:٢٩ (جرينيتش)

في رأيي ،،، ليس هناك أوجع من ضربة اقتصادية لمثل تلك الدول ، والتي الآن باتت الدنمارك تتطلع وتحاول أن تكون بمصاف الدول الكبرى اقتصاديا ، ومحاولاتها الحثيثة في القفز بمؤسساتها وشركاتها على مؤشرات البورصات العالمية ،، كما أنها فتحت أبواب الاستثمار الأجنبي على مصراعيه ، وحجم قروضها للانتاج الصناعي في تزايد ،،، فتخيلوا لو قاطع المسلمون المنتج الدنماركي ،، ما الذي سيحدث؟؟ أتوقع لو قاطع ٢٠ بالمئة من المسلمون المنتجات الدنماركية ،، ستتكبد الدنمارك خسائر قد تتجاوز ١٥ إلى ٢٥ بالمئة من صادراتها ،، أي المليارات ،، بخلاف ما سيلحق المصانع والمصالح الداخلية والخارجية من ركود وبطالة ،، لنلقن هؤلاء السفهاء أصحاب الديمقراطية التي تجاوزت حدودها ، ووصلت إلى مقدساتنا ، درسا موجعا وكي نكون يوم القيامة ، بمن يناديهم رسولنا الكريم ، ويقول : هؤلاء هم أمتي وكي يفخر بنا الرسول الكريم

السعودية

ابو عبدالملك |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢٣:٨ (السعودية)، ٢٠:٨ (جرينيتش)

(اللهم صلي على محمد وعلى ال محمد) اكثروا من الصلاة على الحبيب المختار وغيروا هذا المنكر بالمقاطعة والدعاء عليهم نسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان ينصر الاسلام والمسلمين وان يذل الشرك والمشركين

حسبي الله ونعم الوكيل

عبدالرحمن |٢٠٠٦/٠١/٢١ م، ٢٣:٥٧ (السعودية)، ٢٠:٥٧ (جرينيتش)

اخواني المسلمين في كل بقاع المعموره هل نرضى بما فعلوا لتشويه صورة خاتم الأنبياء والمرسلين اضعف مانقوم به هو مقاطعت المنتجات الدنمركيه ورفع القضياء على الحكومه والمجله واهم شي هي المقاطعه والحاق الضرر بهم حتى يتم معاقبه المتسبب تكفون ياأمه محمد لاترضون على نبيكم الاهانه الله اهم عليك به

قاتلهم الله أنى يؤفكون

أبو محمد |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٨:٠ (السعودية)، ٢١:٨ (جرينيتش)

بأبي أنت وأمي يارسول الله اللهم عليك بمن تقوّل على رسولك وبمن استهزأ بدينك . اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك انتقاما لحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم أرنا فيهم يوما أسودا كيوم فرعون وهامان وقارون وأمية بن خلف

حسبنا الله ونعم الوكيل

بنت الآسلام |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٥١:٠ (السعودية)، ٢١:٥١ (جرينيتش)

`الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا و قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل`

حبيييييييييييييييييييييييييييييييي

فاطمة |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٠:١ (السعودية)، ٢٢:٢٠ (جرينيتش)

لن نرضى بسب الرسول مهما كانت الإفتراأت ولن نسكت عما كتبتة الصحف الدنمركية التي أسأت لحبيبنا محمد صلى الله علية وسلم أعجب لمن قال *حتى لانكون مسخرة * ماهذا العنوان بدلا من الرد والمخاطبة والدفاع عن رسول وحبيبنا تقول حتى لانكون مسخرة لاأأبة بك ولا بكلام غيرك من الذين كتبوا بأن سبب سبهم لرسول هو ضعفنا وهذا أمر لاإستغراب فية ثكلتكم أمهاتكم أي سب الرسول وأنتم تتبادلون الخييات وتتذكرون العثرات بدلا من الرد السريع على هذة الأقاويل المجحفة في حق نبينا الكريم إخواني وأحبتي أذكركم بقول الله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود لا النصارى حتى تتبع ملتهم) ولن نسكت مهما كلفنا ذلك من أمر فأين الخيرة فينا إذا لم أدافع عن رمز قوتنا وعزتنا والله أسأل أن يرد كيد الكافرين إلى نحورهم وأن يزلزل الأرض من تحت أقدامهم ،وأن يجعل في يد من رسم هذة الصور عبرة من أراد أن يتعظ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتة

السعودية

ابو عبدالمجيد |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ١٧:٢١ (السعودية)، ١٨:١٧ (جرينيتش)

اللهم شل يد من رسم هذا الكركتير واعم بصره اللاهم آآآآآآآآآآآآآآآآمين

لن ننساها لهم

سيف الدين العراقي |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٢:٣٨ (السعودية)، ١٩:٣٨ (جرينيتش)

اولا / نقول (حسبنا الله ونعم الكيل) . ثانيا / نقول لهم لن ننساها لكم والايام دول يوم لك ويوم عليك فحسبنا ان ياتي يومنا .

الرد على من يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبو عبد الله مسلم مصرى |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٢:٤١ (السعودية)، ١٩:٤١ (جرينيتش)

ان اساليب السباب طريق للمرتزقة لتحصيل ماربهم الدنيوية وهذا مافعلته تلك الصحيفة وهذا الذى اخبرنا به ربنا سبحانه وتعالى وعلينا أن نعى جيدا ان الله قال فى كتابه الكريم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وان استغرب من بعض علماء الاسلام اللذين يقولون أن محمد صلى الله عليه وسلم مات ولم يرد وأين أنت يا عالم الاسلام من ردك على هذا السباب وانكارك الا تتقى الله وتعام أنك ستسأل جزى الله كل من أنكر هذا السباب خيرا وأبشرو فا ن الله سبحانه وتعالى أخبرنا (وما تخفى صدورهم أكبر).

ربنا ارنا يوما في الكافرين

المسلمة دنيا من المغرب العربي |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٢:٥٢ (السعودية)، ١٩:٥٢ (جرينيتش)

اين المسلمين اين الانصاراين احبت الرسول .لسوف ترون لسوف ترون تبا لكم تبا لكم تبا لكم يااا لعنكم الله لعنكم الله ما عسايا اقول حسبي الله ونعم الوكيل

الله اكبر

مسلمة |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٢:٥٧ (السعودية)، ١٩:٥٧ (جرينيتش)

اللهم صلي على رسولك محمد لقد تمادوا هؤلاء الكفرة الفجرة لقد نسوا من اذاقهم نعيم الحضارة اذ كانوا يعيشون في غياهب الظلمة والجهل والتخلف و القذارة في وقت كانت الحضارة الاسلامية تنعم فيه بالعلم والتطور والنظافة في كافة ارجائها التي امتدت من الاندلس غربا حتى بلاد الهند والسند والصين شرقا ولم تجعل الامة هذا التطور حكرا لها بل قام المسلمين بنشره في كافة ارجاء اوروبا وعلموا علمهم لتلامذتهم الاوروبيون والان نسي هؤلاء ماذاقتهم الحضارة الاسلامية وتطاولوا على نبيها الطاهر الذي قد ادى الامانة ونشر الرسالة واخيرا اهيب بجميع المسلمين واصدقائهم ان يقاطعوا المنتجات الدنماركية لان الاقتصاد هو نقطة ضعفهم والسلام عليكم .

حبيبي يا رسول الله

أم سعد |٢٠٠٦/٠١/٢٢ م، ٢٣:١١ (السعودية)، ٢٠:١١ (جرينيتش)

لن نرضى على حبيبنا المصطفى ، خسئتم يا أعداء الدين ...... اللهم رد كيدهم عليهم فإنهم آذوا حبيبك يارحمن.. اللهم زلزل الأرض تحت أقدامهم يارب....

لا حول ولا قوة إلا بالله

مسلمة |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٥:٨ (السعودية)، ١٢:٨ (جرينيتش)

الله أكبر الله أكبر أللة أكبر ختم الله عز وجل الانبياء والرسل بسيدنا محمد صلى الله علية وسلم الذي جاءت دعوتة للناس كافة رحمة من عند الله سبحانة وتعالى. وهذة ليست المرة الأولى التي يهاجمون فيها نبينا العظيم ، فقد كان لأسلافهم الصليبيين المحاولة للوصول إلى قبر النبي صلى الله علية وسلم ونبش قبره الكريم إلا أن الله سبحانة وتعالى رد كيدهم . نقول لهم موتو ا بيغيظكم ، سنعيش مسلمين أحرار تحت راية الاسلام ندافع عن أمتنا العربية .

المقاطعه هى الحل

على التركى مصرى |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٥:٣٧ (السعودية)، ١٢:٣٧ (جرينيتش)

ياحباب رسول الله هيا استنصروا لحبيبكم محمد ياراجين شفاعتة يامن ينتظر ان يشرب من يدة شربة لايظمأبعدها ابدا قاطعوا منتجاتهم قاطعوا حلبي نيدو وجبن انكور وزبدة لورباك ومنتجات الالبان الدنماركى فوالله لو قاطعناهم ليعملوا لنا الف حساب ولكننا كالخراف لاصوت لنا ولا وزن فلو احد تطاول على بوذى او يهودى لقامت الدنيا واحترقت لكن ماذا اقول حسبى الله ونعم الوكيل فى كل مسلم يستعمل اى شئ دنماركى من اليوم واستنصروا لرسولكم ياحباب رسول الله

هؤلاء كفرة ملحدين

ابو ثائر |٢٠٠٦/٠١/٢٣ م، ١٧:٣٧ (السعودية)، ١٤:٣٧ (جرينيتش)

ارجو مقاطعة جميع البضائع الدينماركية الى الدول العربية والاسلاميةمقاطعة تامه

يجب أن نستغل الفرصه

محمد عبدالله |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٣:٢٨ (السعودية)، ٠:٢٨ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة و السلام على أشرف الآنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أتوقع من هده الحمله هدف يراد به الوصول الى استثارة المسلمين ودلك لتمرير بعض القرارت ضد المسلمين المقيمين في تلك البلاد وبدلك يزداد التضييق على المسلمين في أوروبا ووقف أنتشار الاسلام بالتخلص من بعض المسلمين الفاعلين في مجال الدعوه في أوروبا. ويجب علينا تفويت هده الفرصه عليهم ودلك بعدم الانسياق وراء هده الاستثاره وجعلهم ينالون ما يريدون ولدلك أقترح أن يكون الرد على الشكل التالي ١) إستشارة بعض العلماء والنشطين في مجال الرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يكون العمل منظم ودا تأثير قوي. ٢) إستغلال هدا الهجوم لأنه بالتأكيد سيثير فضول الكثيرين منهم لمعرفة الحقيقه عن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ولهدا السبب سوف يلجأ الكثير منهم للقراءه عن شخصيته وبدلك تكون الفرصه مواتيه لنشر بعض الكتب المترجمه عن سيرته. أقترح جمع التبرعات لترجمة وطباعة هده الكتب إرسالها وتوزيعها في تلك الدول. وبدلك نكون قد أخدنا زمام المبادره وفرضنا عليهم قواعد اللعبه. ٣) أرجو من إعلامنا السلبي أن يتحرك ويكون مفيد لهده الأمه لما للآعلام من دور مؤثر يستطيع أن يلعبه في مثل هده الظروف. ولدلك أقترح من إداعة العربيه لما لها من وزن أن تخصص برنامج بالتنسيق مع احد الإداعات الدنماركيه بتخصيص برنامج من عدة حلقات لمناقشة الموضوع وإستخدام حرية ارآي التي يدعونها للدفاع عن مواقفنا. أظن أننا قادرون كأمه على القيام بدلك وليكون لنا في اليهود مثل، حيث أنهم قادرون بالتأثير على حرية الرأي التي يدعيها الاوروبيون في كثير من الموقف. ودلك بأستخدام أدوات مختلفه من ضمنها الإعلام.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

مسلم |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٧:١٢ (السعودية)، ٤:١٢ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قاطعوهم قاطعوهم قاطعوهم قاطعوهم قاطعوهم قاطعوهم قاطعوهم قاطعوهم

مسلم غيور |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ٨:٣٥ (السعودية)، ٥:٣٥ (جرينيتش)

يا أخوان وأخواتي هؤلاء الغرب أناس ماديين ولا بد من مقاطعتهم ولا يردعهم إلا محاربتهم كشعوب مسلمة ولا ننتظر قادات الدول الاسلامية لأننا انشاالله بمقاطعتهم سوف نحاربهم. ليسأل الجميع ويسعى ويبحث عن منتجاتهم كي نعرفها ولا نشتريها

اكثرووووو من الدعاء عليهم

ابو طارق النجمي |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٠:٣٢ (السعودية)، ٧:٣٢ (جرينيتش)

اللهم عجل عليهم العذاب يارب العرش العظيم ولا تبقي منهم احد . ارجو من المسلمين ومن كل من يحب الله ورسوله ان يكثر من الدعاء عليهم في اوقات الستجابه خاصه وفي كل وقت عامه وارجو منكم مقاطعتهم في كل شي

لا إله إلا الله محمد رسول الله

مسلم عربي |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١٠:٣٥ (السعودية)، ٧:٣٥ (جرينيتش)

قولوا: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده.

مدافع عن الرسول محمد بن عبدالله

الشيخ خالد السرحان |٢٠٠٦/٠١/٢٥ م، ١١:٢٥ (السعودية)، ٨:٢٥ (جرينيتش)

ان اهذا الأمر الذي قامت به الصحيفة الدنماركية في الإستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم أمر لا يرتضى مما يسمى باإنسانية فلا يعني انهم لا يدينون بدين محمد صلى الله عليه وسلم انهم يهاجمونه في عرضه فهذا لا يعتبر من أحترام الديانات .... والله أعلم..

حسبنا الله على طغيانهم فهي اقوى من عتاد وعدد

بنت مكه |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٠:١٧ (السعودية)، ٢١:١٧ (جرينيتش)

اللهم اخسف بهم الارض نعتذر لك يانبي الله عما فعلوا ونبراء اليك يارب منهم اللهم ان هذا حبيبك هكذا فعلوبة الله انت حسب نبيك

مقاطعه المنتجات الدنماركيه

عمرو المصرى |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٠:٣٥ (السعودية)، ٢١:٣٥ (جرينيتش)

يجب على كل المسلمين مقاطعه جميع المنتجات الدنماركيه حتى يشعر هؤلاء الكلاب بان الشعوب الاسلاميه لها القدره على تؤثر على اقتصادهم وهم شعوب لا يهتمون الا بالمادة و يجب على كل مختص فى اى مجال ان ينشر لنا عن الاصناف التى يمكن ان نقاطعها فعلى سبيل المثال بالنسبه للادويه الدنماركيه توجد شركتين الاولى هى شركه ليو والتى تنتج ماهم الفيوسيدين بانواعها و حبوب وان الفا لعلاج هشاشه العظام مرهم دايفونكس لعلاج الصدفيه و مضاد حيوى سليكسيد و قطرات العيون فيوسيثالميك و ايضا توجد شركه نوفو نورديسك لتصنيع الانسولين مثل ميكستارد و اكترابيد وايضا

حبوب نوفو نورم لعلاج السكر و يجب على الاطباء و الصيادله عدم التعامل مع تلك المنتجات و استخدام البدائل و هى كثيره و نرجو من اى مسلم غيور على دينه و يعلم اى اصناف اخرى فى اى مجال اخر ان يعلنها لكل المسلمين و يجب ان يعلم الدنماركيون ان اعتزارهم لن نقبله بل يجب ان يقدموا الى المحاكمه بتهمه ازدراء الاديان و صدقونى لو كنت انا القاضى لقتلتهم جميعا هؤلاء الكلاب

السعوديه ...ينبع

شعاع |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٠:٣٧ (السعودية)، ٢١:٣٧ (جرينيتش)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ليس غريباً على أخوان القرده والخنازير هذه التصرفات ....لقد عملوا بنهج آبائهم من قبل ....فلقد وصف الرسول الكريم منذ سابق العهد بعدة كلمات (مجنون ...كاهن ..ساحر...شاعر) وهذه الأوصاف لاتعبر سوى عن ما يكنه العداء في محرقة قلوبهم المتشبعه بالغل والحسد على ديننا الحنيف ...واليوم نرى ونشاهد نسخه قد نسخها ابناء مستر خنزير ومستر قرد من محرقة قلوب آبائهم فأصبحوا يلوحون بها ....لا يعلم هؤلاء البغال أن هذه الأفعال سوف تزج بهم إلى أشباح ليليه تزورهم في مضاجعهم من الرعب الذي سوف يلقونه من التهديد من أخواننا الغيورين على دينهم ..هذا في الدنيا ....أما في الآخره فلهم عذاب إليم بما كانو يستهزئون ...أخيكم شعاع من السعوديه ....

الرد اللازم

أحمد |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٠:٥٢ (السعودية)، ٢١:٥٢ (جرينيتش)

حسبنا الله و نعم الوكيل

يمهل الله ولا يهمل

فتاة الاسلام |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١:٢٣ (السعودية)، ٢٢:٢٣ (جرينيتش)

حسبي الله ونعم الوكيل اللهم يارب العالمين اخسف بهم الارض اللهم عاججلا وليس اجلا

اللهم انصر اكرم رسلك

احمد جماح |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ١:٣٧ (السعودية)، ٢٢:٣٧ (جرينيتش)

اللهم يا من اخرجت يونس من بطن الحوت العظيم ويامن نصرت نوح بالطوفان ويا من فلقت البحر لموسى البحر ويامن سخرت الجن لسليمان ويامن جعلت نار ابراهيم بردا

وسلاما هذا اكرم رسلك قد خاضت في شخصه اقلام الكفر ولهجت بسبه اللاذع السنة عبدة الطاغوت وضحكت من اجل ذلك اشداقهم اللهم اني اسلك باسمك الاعظم الذي اذا سؤلت به اعطيت ان تنزل بهم سخطك وان توقع بهم اشد عقابك وان تجعلهم عبرة للعالمين اللهم عجل بذلك ياسميع الدعاء

بيان من جبهة التوافق العراقية

محمد العراقي |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٦:٤ (السعودية)، ٣:٤ (جرينيتش)

أصدرت جبهة التوافق العراقية بيانا حول الإساءة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم

المقاطعة للأبد

عدو الدنمارك |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٠:٨ (السعودية)، ١٧:٨ (جرينيتش)

علما قبل ايام عما فعله اعداء الله سبحانه وتعالي واعداء الدين واعداء الرسول صلي الله عليه وسلم واعداء الامة الاسلامية جميعا فلعنة الله عليهم فيجب علينا نحن جميعا كمسلمين مقاطعة كل كل ما ينتجهه هولاء الصهاينة مقاطعة ابدية `لعنة الله عليهم` اللهم انصر دينك وعليك باعداء الدين اللهم امين

الله يكفيك يارسول الله

لحظة غروب |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢٠:٥٨ (السعودية)، ١٧:٥٨ (جرينيتش)

ان الله يمهل ولا يهمل وسوف نرى نصره للرسول صلى الله عليه وسلم عاجلا غير آجل وضوح الشمس في وسط النهار

واجبنا نحوك يارسول الله هو...

علي |٢٠٠٦/٠١/٢٦ م، ٢١:٢ (السعودية)، ١٨:٢ (جرينيتش)

هو أن نقول الآن واجب واجب واجب علينا مقاطعة جميع منتجاتهم وهذا أقل مانعمل لرد حق رسول الله صلى الله عليه وسلم

نصر الله قادم بإذن الله

احمد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٧:٣٨ (السعودية)، ١٤:٣٨ (جرينيتش)

ابشروا يا أمة سيدي وحبيبي محمد -عليه افضل الصلاة وأتم التسليم - فنصر الله قادم انشاء الله فهذا الهجوم الذي شنوه الكفار على خير الأنام انما هو والله أعلم جاء ليجعل قلوب المسلمين في جميع اقطار المعمورة تصحو من بعد غفلة فأناشدكم الله ان تبذولو كل المساعي والجهود لمحاربة الكفار الظالمين الحاقدين على هذا الدين العظيم فيا أخواني المسلمين شدوا العزم والله ينصرنا على القوم الظالمين ياعزيز ياقدير يا أكرم الأكرمين .

الحل الأقوى

ام عبد الله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٨:٤٤ (السعودية)، ١٥:٤٤ (جرينيتش)

لا شك أن جرأة هولاء تحدي لكل مسلم . و أن الرد عليهم لابد أن يكون رادعا لكل من قد تسول له نفسه بمثل هذا الفعل العظيم ؟ ومن ذلك: ١- مقاضات الصحيفة والسعي لإغلاقها. ٢_ السعي بقوة لأستصدار قانون ينص على عقوبة لكل من أساء للأنبياء أو الاسلام . ولسنا أقل من أولئك القوم الذين استصدرو قانونا ضد من يعادي السامية_ كما زعموا _. ٣_ سحب كل الدول المسلمة سفاراتها من هذه الدول للضغط عليهم إذ كان موقفهم باردا .. ميتا . ٤- ضرب اقتصاد تلك الدولة بكل سبيل لفترة غير محدودة وليس حماسة وقتية تترجم بمقاطعات من أفراد بينما التجار والشركات في صد عن ذلك.

واسلاماه....

عمار |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٨:٤٧ (السعودية)، ١٥:٤٧ (جرينيتش)

ليست المشكله وليده اللحظة......نحن من اضاع الاسلام.....نحن من تهاون في الاسلام..كلنا خاطئ..نحن اساس الكارثه..اضعنا اسلامنا..فاذلنا الله...عوقبنا بكرامتنا..بعزتنا..بعروبتنا..بديننا... بنبينا...رحماك ياالله...واسلاماه

اللعنة على الدنماركيين

ابو أسامة |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٩:٠ (السعودية)، ١٦:٠ (جرينيتش)

يامسلمين علينا جميعاً مقاطعة الدنماركيين ومنتوجياتهم .. وليس كما يقول رئيس وزرائهم لعنة الله (ديمقراطية وحرية) أي حرية مع الاستهزاء بخاتم النبيين ونبي هذه الأمة الإسلامية (ألأ لعنة الله عى الكافرين) .. زور الموقع وقاطعوهم

والله لا ينام المسلمون حتى يثأروا لرسولهم الكريم

بشار الحطاب من العراق |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٩:١١ (السعودية)، ١٦:١١ (جرينيتش)

والله المستعان على مايصفون وحسبنا الله ونعم الوكيلا . ادو كل حاكم مسلم غيور على امته ودينه ان يقطع كل التعاملات مع الدنمارك وان يطالب بتقديم المجرمون الذين تجاوزو على رسول الامة وشفيعها حبيبنا المصطفى ابى القاسم محمد صلى الله عليه وسلم .وان تنصرو الله ينصركم ان تنصروا الله فلا غالب لكم .

يارسول الله

ناصر علي الغامدي |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٩:١٦ (السعودية)، ١٦:١٦ (جرينيتش)

بأبي وأمي انت يارسول الله اللهم اكفنا فيهم ياقوي ياعزيز

واه إسلاماه واه إسلاماه واه إسلاماه

قاهر الدنمارك |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ١٩:٥٤ (السعودية)، ١٦:٥٤ (جرينيتش)

ال السلام على من اتبع الهدى اعلموا ايها الدنمركيون ان التاريخ يشهد عندما كان المسلمون يتزعمون العالم يعيش في سلام وامان وعندما ضاعت زعامة المسلمين للعالم وقع العالم في الظلم والحروب وضاعت الفضيله جاءت براثم الرزيله والقوي ياكل الضعيف وذلك بعد ان جاء منقذ البشريه وسيدها محمد صلى الله الذي اخرجه من الظلمات الى النور قام هاؤلاء الاوغاد بلإساءة اليه ،. ابشركم ايها الدنمركيون والنروجيون بأن الله ناصر لدينه ومعلي كلمته ومدافع عن نبيه وسوف تلحقكم بإذن الله العقوية في الدنيا و الآخره الغوث الغوث يا أمة الإسلام بمقاطعة المنتجات الدنمركية والنرويجية نرجوا من جميع المتاجر أبو حر ب متجر المستهلك وطني بنده ---الخ بمقاطعة المنتجات كمتجر العثيم جزاه الله خيرا سلام على من اتبع الهدى

بابي انت وامي يا حبيب الله

الفقيره الى الله تعالى |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٠:١٩ (السعودية)، ١٧:١٩ (جرينيتش)

بابي انت وامي يا رسول الله بابي انت وامي ياحبيب الله بابي انت وامي ياخيرخلق الله اللهم دمرهم اللهم اهلكهم اللهم انزل عليهم باسك وانصر خاتم رسلك ياحي ياقيوم يارب العالمين منتجاتهم يجب علا المسلمين مقاطعتها وهي سن توب سن كويك جبنه البقرات الثلاث انكور نيدو لورباك واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

شل اللة ايد يهم

مطلق حداد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٠:٤٣ (السعودية)، ١٧:٤٣ (جرينيتش)

اللهم اخرس ألسنتهم وشل ايديهم ولا تشفي مرضاهم اللهم ارنا عجائب قدرتك فيهم اللهم اخسف بهم الارض اللهم ارسل عليهم عذابك الذي لايرد عن القوم الظالمين اللهم زلازل الارض من تحت اقدامهم قال تعالى [انا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحياة الدنيا]

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون

حفيد رسول الله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٠:٥٥ (السعودية)، ١٧:٥٥ (جرينيتش)

الى جدي وسيدي ورسولي محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ... نعلم أنك منصور وذكرك محفوظ ولكن هذا إبتلاء من الله تعالى (لبيلوكم أيكم أحسن عملا) فغدا كلنا يجد عمله أمام حوضك يا رسول الله .. إما أن يشرب .. وإما والعياذ بالله أن يكب على وجهه في جهنم .. يا رسول الله سوف نرضيك .. والله إن أعمالنا تعرض عليك كل يوم إثنين وخميس .. والله لسوف ترضى عن إخوانك وأحفداك بأبي أنت وأمي .. سنريهم كما فعل أصحابك ... فنحن إخوانك فأنت بكيت علينا لأنك لم تلقانا .. فهل نبكي عليك لكي نلقاك ؟؟؟ نعم نبكي ونبكي وبنكي لا دموعا بل دما فداء لك يا رسول الله . يا ودود .. يا ودود .. يا ودود .. يا ذا العرش المجيد .. يا فعالا لما تريد .. أسألك بنور وجهك الذي أضاءت له أقطار عرشك .. وبقدرتك التي قدرت بها على خلقلك ... وبرحمتك التي وسعت كل شيئ .. لا إله إلا أنت سبحانك .. اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا .. اللهم جازي هؤلاء الفئه الذين أساؤوا في حق حبيبك وحبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقدر محبتك فيه . اللهم إحفظ عبادك من أن يفتنوا وأن يضلوا . ولله الأمر من قبل ومن بعد . والله غالب على أمره .

النهاية ياأعداء محمد

ابو نواف من السعودية |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٠:٥٩ (السعودية)، ١٧:٥٩ (جرينيتش)

قريباً ان شاء الله يحل هزه اقتصادية بدولة الدنمارك بسبب الحقد الدفين الذي ظهر هذه الأيام على صحافتهم

طبت حيا وميتا ياحبيب يامصطفى

من الكويت |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٧ (السعودية)، ١٨:٧ (جرينيتش)

أرجو من الجميع ارسال رسالة احتجاج على الرسومات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم بالجرائد الدنماركية والنرويجية على ايميل السفاره الدنماركية. Dkconkwi@qualitynet.net

----

ردا على ماقيل في الرسول الكريم

faysal | ٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٨ (السعودية)، ١٨:٨ (جرينيتش)

السلام عليكم انني واحد من أبناء هذه الأمة الخيرية أغار على عرض رسول الله(ص) وأناشد وأدعو من كل مسلم غيور على هذ ا الدين أن يقف مع نفسه لحظات ليرى ما قدم لهذا الدين ولرسوله الكريم، وأدعو الجميع الى المقاطعة الاقتصادية لأن الكفار عبدة الدينار والدرهم وسيتأثرون بذلك أيما تأثر. عباس صبان طالب جامعي من الجزائر و السلام عليكم

لن نرضى بهذه الإهانة

ابو حمد |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٩ (السعودية)، ١٨:٩ (جرينيتش)

قيل اذا قابلك شخص بالاساءة فقابله بالحسنة الا اذى تعرض لدينك وعقيدتك فما بالك بالذي يسب حبيبك ورسولك محمد فأنا شخصيا لا أرضى إلا بالجهاد والغزو على هؤلاء الكفرة ونأمل من الله أن ينصرنا إلى ذلك

اين من يحمل هم الرسالة

ياسر محمد توفيق |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٢٣ (السعودية)، ١٨:٢٣ (جرينيتش)

الى مليار وثلاثمائة مسلم اين غيرتكم لحبيبكم محمد صلى الله عليه وسلم وباى وجهه سوف تلقونه فى عرصات يوم القيمه وكيف ترجون من الله شفاعة ولم يتمعر وجه احدكم غضبا لنصرته اجعلوا من ادعياء الحرية فى الدنمارك عبرة لغيرهم قاطع منتاجتهم مقاطعه لا رجعه فيها ماحيينا وحسابنا الله ونعم الوكيل فاين انتم يامسلمون

اهدار دمه

المسلمة |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٢٦ (السعودية)، ١٨:٢٦ (جرينيتش)

السلام عليكم احب ان اؤكد مع اخوتي على واجبنا اتجاه هذا العدو بمواجهته بكل السبل بالمقاطعة والكتابة والحديث في كل مكان ونشرها عبر العالم والمطالبة بهدر دم المسؤول عن هذا الاستهزاء كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام بهدر دم من شتمه ،، نحن المسلمين نعلم بمدى شناعة هذا الفعل ولكن يجب ايصاله للغرب حتى يسمعوا من هم المسلمين وكيفية قدرتنا على الدفاع عن ديننا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم وتكون الدنمارك عبرة لغيرها ،، وحتى نثير لديهم الفضول في البحث عن هذا الانسان الذي يدافع عنه الملايين من امته ،، ونسال الله ان تكون في هذه المصيبة عزة لديننا ونصرة له وسبب لاسلام الكثير .. هذه رسالة لكل من لديه القدرة على ايصال كلمته للغرب سواء

من المغتربين او المهاجرين او بايصالها عن طريق الانترنت الذي قررب كل المسافات ،، علينا بالدخول الى مواقعهم في الشبكة ،، واسال من الله التوفيق والسداد وان لا تهبط عزيمتنا ولا تفتر في سبيل الله ،، اللهم عليك باعدائك واعداء حبيبك صلى الله عليه وسلم .. الله كما حميته ونصرته في حياته انصره بنا في مماته وبلغنا شفاعته واجعله يفخر بنا ويسقنا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها .. والحمدلله رب العالمين!!!!

لبيك ياخاتم الانبياء

لبيك يارسول الله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٢٩ (السعودية)، ١٨:٢٩ (جرينيتش)

انه والله لكبيره على امة المليار ووالنصف مسلم يسب رسولهم وهم يتفرجون ولا يملك اكثرهم الا الدعاء . الدعاء وحده لا يكفي وانما علينا جميعا مقاطعة جميع بظائع هذه الدولة المقيته حتى تندم على ما اقترفت يداها من تطاول على رسول الاسلام فالله الله في انفسكم واجلو من المقاطعه درس لجميع الامم

هذا ليس بالغريب

ماهر |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٣١ (السعودية)، ١٨:٣١ (جرينيتش)

ايها الأخوان والأخوات ماحدث في الدنمارك ليس بالغريب وليس من المستغرب أن يحدث في اي من بلاد الكفر فالكل يعلم مدى كراهيتهم للأسلام وللمسلمين ولكن الغريب والغريب جدا أن نجد من المسلمين من يشجع صناعاتهم وتجارتهم على حساب منتجات وطنيه منتجه في دول اسلاميه ، والمقاطعه هي اقل القليل واقل ما نملك فعله للدفاع عن حبيبنا ، يرجى زياره موقع شبكه اللجنه العالميه لنصره خاتم الأنبياء لمعرفه ١٠٠ وسيله لنصره النبي عليه الصلاه والسلام www.icsfp.com

----

الدنمارك والهجوم على الرسول

لا إلـــه إلا الله محمـــد رســـول الله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٣٨ (السـعودية)، ١٨:٣٨ (جرينيتش)

ويلهم من رب العباد يوم القيام سيرسمون ب قيحم و دمائهم أنفسهم طلبا للرحمة من الله

فلا نامت أعين الجبناء

إسـماعيل عبـده إسـماعيل البطـر |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٣٩ (السـعودية)، ١٨:٣٩ (جرينيتش)

ما سمعناه وما قرأناه لم يكن إلا إضهارا للنوايا البائته من قبلهم قاتلهم الله وجعل كيدهم في نحورهم ، أتمنى من كل مسلم ان يفعل ما يقدر على فعله واقل شيئ يمكنه فعله هو مقاطعة البضائع الدنماركية ولنتوكل على الله في أن يرد عليهم فهم لا يعجزونه .

واسفاه

صقر |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٤٥ (السعودية)، ١٨:٤٥ (جرينيتش)

ايها الاخوة واله العلي الذي لا اله الا هو ان هذا الذي يحدث ماهوا الا علامة من علامات النصر وان النصر قريب وليس ببعيد وان وعد الله حق وانهم ليذوقوا من العذاب مالم يتوقعوه بحياتهم على ايدي المؤمنينفاوالله اننا نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانافابشر ياحبيبي يارسول الله.....

لا حول ولا قوة الابالله

ابو احمد (السعوديه) |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢١:٥١ (السعودية)، ١٨:٥١ (جرينيتش)

بسم الله الرحمن الرحيم نداء الى جميع المسلمين ماذا تنتظروا قال رسول الله (ص) لمن راى منكم منكرا ليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان. ما بالكم اذا كان الرسول الكريم يتعرض لمثل هذا الهجوم لذلك يايها المسلمون يجب ان تتخذوا موقفا ضد هؤلاء الكفره بشتى الوسائل ابسطها مقاطعة منتجاتهم والمشاركه بالاعتراض وعدم الرضى حتى يتباهى عليه السلام امام اصحابه والملائكه بكم ويقول انظروا اتباعي يدافعو ن عن نبيهم ولم يروني.

حسبي الله ونعم الوكيل

محبة الرسول |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:٤ (السعودية)، ١٩:٤ (جرينيتش)

اللهم انصر الاسلام والمسلمين واذل الشرك والمشركين اللهم اجعل النصر قريب للحبيبنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورد كيد الاعداء في نحورهم ...... اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا وحبيبنا محمد وعلى زوجاته وذرياته اجمعين في العالمين انك حميد مجيد ....

اللهم دمرهم

محبة رسول الله |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:٤ (السعودية)، ١٩:٤ (جرينيتش)

حسبنا الله ونعم الوكيل فيمن استهزء برسول الله صلى الله عليه وسلم

حسبنا الله و نعم الوكيل

مسلمون |٢٠٠٦/٠١/٢٧ م، ٢٢:١٢ (السعودية)، ١٩:١٢ (جرينيتش)

نحن اساس ما يحدث في الدنمارك فلولا تهاوننا في التمسك بديننا و نبينا وتساهلنا مع عدونا ما كان هذا ليحدث،فلندعوا من الله العزيز الكريم ان تستيقظ امة الاسلام قريبا

الذبّ عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

جريدة الرياض ١٤٢٦/١٢/٣٠هـ

=============================

الذبّ عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل

د. م. حبيب بن مصطفى زين العابدين

هل هو في حق القادر فرض أو واجب أو مستحب؟ في اعتقادي أنه فرض على القادر وإذا لم يقم القادرون بهذا الفرض أثمت الأمة بكاملها.. ولقد تجرأ الغرب على القرآن العظيم ولم يجدوا من المسلمين من يذب عن أعظم ما نزل على البشرية من كتب رب العالمين وكان الرد ضعيفاً وهزيلاً لا يرقى إلى حجم الإهانة التي أهين بها كتاب رب العالمين الذي يعتبره المسلمون أعظم نعم الله عليهم.. إذ يربطهم بخالقهم وبارئهم الذي صاغ لهم حياتهم الدنيوية والأخروية فيه على النحو الذي يرضى به عنهم.

واليوم يتجرأ الغرب في الدنمارك وجارتها ليتطاولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سكوت المسلمين على إهانة القرآن العظيم وما عساهم فاعلين بعد سكوتنا على إهانة رسولنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد شهد أشد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم في عهده على صدقه وأمانته وهاجر من مكة المكرمة حين هاجر وأمانات غير المسلمين في حوزته تركها عند ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليردها إلى أصحابها.. لقد وُصف صلى الله عليه وسلم عند حضرة النجاشي ملك الحبشة من جعفر بن أبي طالب عندما حاولت قريش استعادة من هاجر إليها من الصحابة بقوله: (أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن

المحـارم والـدماء، ونهانـا عـن الفـواحش، وقـول الـزور، وأكـل مـال اليتـيم وقـذف المحصـنات،..) (سيرة ابن هشـام) هـذا هـو الرسـول الـذي يصـوره صـحفيو الـدنمارك وأعوانهم بأبشـع صـورة وأسوأ حـال.. ولقد كـان أبـو سـفيان وغيـره مـن المشـركين قبـل إسـلامهم لا يتهمونـه فـي شـيء مـن أمانتـه وإخلاصـه وصـدقه بـل كـانوا عـدلاء لا يبعـد وصفهم له عن الوصف السابق له وأعظم شيء كانوا يعيبونه عليه هو دعوته لهم بتوحيد الله ونبذ الأصنام وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار.

وعلى مرّ التـاريخ وفـي كتابـات المستشـرقين وفـي كتابـات النصـارى العـرب فـي العهـود الحديثة لم نعهد قط أن أحداً سقط هذا السقوط الذي تناول به الصحفيون الدنماركيون ومن على شاكلتهم سيرة المصطفى عليه السلام وتشويه صورته على هذا النحـو بـل المشـهود أن بعض هؤلاء كانوا يثنون على النبي صـلى الله عليـه وسلم ويعتبرونـه عبقـري العـرب وأشـد مـا كـان يؤخـذ علـيهم تشـكيكهم فـي نبوتـه أو التقليـل مـن شـأنه عـداك عمـن أعطـى المصطفى عليه السلام حقه وأنصفه من الأوروبيين والنصارى واليهود الذين أسلموا في العهود القريبة أمثال محمد أسد، وروجيه جارودي وغيرهما.

لقد عدّه مايكل هـارت فـي كتابـه العظمـاء مائـة.. أعظمهـم محمـد صـلى الله عليـه وسـلم، ويقول برنـاردشو في كتابه محمد منقذ الإنسانية (إن العالم أحوج مـا يكـون إلـى رجـل فـي تفكير محمد الذي وضع دينه موضع الاحترام) ويضـيف قـائلاً: (ولـذلك يمكننـي أن أؤكـد نبـوءتي فـأقول: إن بـوادر العصـر الإسـلامي الأوروبـي قريبـة لا محالـة، وإنـي أعتقـد أن رجـلاً كمحمـد لـو تسـلم زمـام الحكـم المطلـق فـي العـالم بأجمعـه اليـوم، لـتم لـه النجـاح فـي حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام..).

ويقول العالم الفرنسي لومارتين في كتابـه (تـاريخ تركيـا) بعـد أن ذكـر الكثيـر مـن صـفاته صلى الله عليه وسلم (.. هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم، بالنظر لكل مقـاييس العظمـة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟).

ويقول السيد مـوير العـالم الانكليـزي فـي كتابـه (تـاريخ محمـد) (إن محمـداً أسـمى مـن أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم) هذا غيض من فيض مما كُتب ويُكتب في التاريخ في الثناء على محمد صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين.

ولقد توعد الله الذين يؤذون الله ورسوله يقول تعالى: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً} الأحـزاب ٥٧، وسـتطال اللعنـة الـدنماركيين وأمثالهم وسينالون عذاب الدنيا قبل الآخرة.. ولكن واجب المسلمين الـذين رَخُـص علـيهم رسـولهم وقـرآنهم وديـنهم وزخـوانهم المسـلمين والمسـلمات هـم الـذين يُخشـى علـيهم مـن التقصير في حق الله ورسوله وحق الإسلام والمسلمين.

لا يشك أحد في أنه على مستوى الأفراد والمجتمعات والملوك والرؤساء لو أن أحداً أهين في نفسه أو والده أو زوجه أو ابنه لثار ثورة عظيمة ولحاول أن يثأر ولغلي كالبركان. أما أن يهان القرآن ويهان رسول الإسلام فإن الغضب باهت والثورة باردة والعتاب على استحياء.. أين محبة الله ورسوله؟! وأين محبة القرآن؟ إن هانت علينا فستهون علينا أنفسنا وأهلونا وأوطاننا وأموالنا شئنا أم أبينا!!. أما إن عز علينا الله ورسوله والقرآن والإسلام والمسلمين فسيعز الله كل من ذبه عن عرض رسوله وعن عرض القرآن العظيم وعن الإسلام والمسلمين في أهله ونفسه وماله ووطنه.

إن الواجب أمام الله لا أمام أحد سواه يستلزم أن يكون التفاعل على مستوى الحدث وأن نثأر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل على قدر استطاعته.. أما أن يتغنى المسلمون بمحبة الله ورسوله دون أن يبرهنوا على هذه المحبة كما كان يفعل صحابة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حين فضلوه على أهلهم وأنفسهم وفدوه بالغالي قبل الرخيص.. عندما كان خباب بن الأرت على حبل المشنقة وسأله المشركون هل تتمنى أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم مكانك؟ قال لا والله ما أتمنى أن يشاك محمد بشوكة وهو في مكانه..!! ولا يسع المجال لتعداد الأمثلة العظيمة لمحبة الصحابة لرسولهم كتلك المرأة التي فقدت والدها وأخاها وزوجها في غزوة من الغزوات وكان همها الأول أن تطمئن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تراه بعينها سليماً معافى فقرّت عيناها بذلك واطمأنت وهان عليها مصابها الجلل بفقد أعز الناس عليها وقالت كلمتها الشهيرة الخالدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (وكل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل).

حفنة من الصهاينة استطاعوا أن يدرجوا الاعتداء على السامية ضمن الجرائم المستحقة للمقاضاة عليها عالمياً ودولياً.. واستصدروا بذلك قرارات عالمية وحاكموا كثيرين على أساسها..!! ما لم يطالب المسلمون حكاماً وتجاراً وأصحاب نفوذ وجاه ومن معهم من المسلمين وهم أكثر من مليار مسلم بأن تصدر الأمم المتحدة قانوناً دولياً يعتبر الإساءة إلى الأنبياء والرسل والقرآن العظيم جريمة يعاقب عليها ويلاحق عليها قضائياً في أي مكان في العالم.. فالاستهزاء سيستشري والاستهانة ستزداد والمهانة ستطال الجميع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن القادر منا على أن يذب عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة، بمقال بتنديد، بشجب، بمقاطعة.. يجب أن يبادر إلى ذلك بأقصى ما يستطيع وبأعلى درجة وتقاعسه عن ذلك دليل على قلة محبته لله ولرسوله وقلة إيمانه.. والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وولده والناس أجمعين صدق رسول الإسلام العظيم. أما غير القادرين فلا أقل من أن يضرعوا إلى الله يبكون وإليه يلجأون وهو المستعان وإليه المشتكى يسألونه أن يؤهل أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتكون منيعة ممتنعة من كل من تسول له نفسه أن يعتدي على رسولها أو على قرآنها أو على أراضيها أو على المستضعفين منها وأن تهاب الأمم المساس بمقدساتها أو النيل من اعراضها والله يستجيب والله قدير وبالإجابة جدير وما ذلك على ربنا بعزيز.

تعليقان

١

مفخرنا بنبينا الذي بعثه الله لنا بديننا

الشكر لله ثم للدكتور على موضوعةالمنسق والمتزن... قبل كل شئ أقول تاريخ هجرته غدا فكيف ننسى حبيبنا الذي بعثه الله لنا بديننا دافعوا عن اليقين فلا فخر سواه... ولا عيش بلاه...ولا جنة مثواه لمن نسي دينه بدنياه هونبينا وديننا الذ ي أتنا معاه ولا نريد سواه بطلنا وقدوتنا نبي الله..نبي الأمة..هبوا يا مسلمين ودافعوا عن اليقين أي دنيا تحيا بأهانة وذل عيشوا شرفاء وأبعدوا عن الغباء

مريم عبد الكريم بخاري

٠٦:٠٨ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

٢

هنيئاً لك لقد تشرفت بالدفاع عن الحبيب صلى الله عليه وسلم

وما أعظمه من شرف أسأل أن يشفعه فيك وفي والديك.

آمل أن تستمر في العطاء فهذه الموهبة نعمة من الله. ومن حق المنعم الشكر {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم} لأزيدنكم} وأعظم الشكر استعمال هذه الموهبة وهذا القلب وهذا الأسلوب الرائع في نشر الإسلام وعظمة الإسلام.. وتعاليم الإسلام، ونشر سيرة الحيب صلى الله عليه وسلم، في الصحف السعودية، والأجنبية وفي منتديات الانترنت الغربية بتقل مقالات ينشرها موقع الشيخ محمد صالح المنجد لمنتدياتهم ف[لئن يهيد الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من حمر النعم] كما آمل الذب عن عرضه بالتي هي أحسن، فأله الله في هذا الثغر العظيم

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠٨:٠٧ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

الرابحون والخاسرون من قضية الكاريكاتير

د. عبدالله بن إبراهيم العسكر

لم يكن في نيتي العودة إلى موضوع رسومات الكاريكاتير المنشور في الصحيفة الدنماركية يولاندس بوستن لولا استمرار تصاعد تداعيات الحدث، وتأثر الدين الإسلامي والمسلمين سلباً بتلك التداعيات. وكنت أشرت في مقال الأسبوع ماقبل الماضي إلى أن جهات سياسية وتجارية إسلامية ودنماركية استثمرت الحدث لمآربها الخاصة. وهذا وأيم الحق هو الضرر الكبير الذي يضر بالدين الإسلامي والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة، وبالمسلمين في الغرب على وجه الخصوص.

وقرأت مقالة جيدة للسيد عادل درويش في صحيفة الشرق الأوسط ليوم السبت ٢٠٠٦/٢/١١م ينقل فيها أخباراً لا تسر عن قيام جماعة مجهولة في أحد بلدان العالم الإسلامي، نسقوا مع أمثالهم من مسلمي الدنمارك لإدارة حملة إعلامية، قامت تلك المجموعتان بتمويل وطبع وتوزيع منشورات عليها رسومات كاريكاتيرية تسيء إلى الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. ثم أخذوا في توزيع تلك المنشورات في بلدان العالم الإسلامي من المغرب إلى الفلبين، زاعمين أنها رسومات تم ارسال الآلاف منها لكل الدنماركيين بالبريد. وهو خبر كاذب، يتحمل وزره تلك المجموعات المجهولة. لكن ضرره كبير، إذ ألب آلاف المسلمين في افريقيا وآسيا الذين وصلتهم تلك المنشورات.

وقلت في مقالتي السابقة أن بعض قادة العمل الإسلامي استثمروا الحدث بصورة لا تنم عن سلامة طوية أو حق وصدق. واليوم اطلعت على خبر رواه لي من أثق به، وفيه أن أحد زعماء الجالية الإسلامية في الدنمارك ظهر على محطة تلفزيون الجزيرة يؤيد ويدعو المسلمين إلى مقاطعة المنتجات الدنماركية، ثم ظهر هذا الزعيم على محطة تلفزيون دنماركية يدين فيها المقاطعة الإسلامية، ويصفها بالغوغائية، ويقول أنها لا تمثل الإسلام في شيء. فتأمل رعاك الله كيف تدار أمورنا الدينية والسياسية بيد مسلمين يجلبون الشر والضرر.

على أن أخطر ما يمكن توقعه هو أن تكون القاعدة في أوروبا قد اخترقت بعض الجماعات الإسلامية في الدنمارك وقامت بنشر أكاذيب وتأليب الرأي العام الأوروبي من أجل هدفها المتمثل في توسعة الشق بين المسلمين والغرب، أو ما يسمى بصدام الحضارات. وهو هدف طالما نادى به الظواهري. لهذا ليس بعيداً أن تكون الأخبار صحيحة تلك التي تسربت من مصادر مخابرات أوروبية، وفيها أن ناشطين من الدنمارك يتعاونون مع بلد أفريقي من أجل زعزعة أي تعاون أو تفاهم غربي - إسلامي. على أن السؤال الكبير الذي لازال عالقاً هو: من أين جاءت الأموال الطائلة التي صرفها (أئمة كوبنهاجن) على حملة طباعة المنشورات ومن ثم توزيعها في عرض البلاد الإسلامية وطولها. هذا سؤال لا نجد له اجابة شافية من قبل دوائر العمل السياسي في العالم الإسلامي..

ومثل هذا السؤال يمكن أن يُقال عن التظاهرات السياسية والتدمير الذي طال بعض السفارات أو المصالح الغربية. من الذي يقف وراءها، خصوصاً في بلدان إسلامية لا تسمح أنظمتها بالتظاهرات السياسية، ناهيك عن أعمال التخريب والتدمير. هل نقول ان أجندة سياسية محددة أرادت استثمار الرسومات الكاريكاتيرية لأغراض سياسية دنيئة.

إنه ليحزنني أن تُستغل قضية دينية لمآرب سياسية. وهذا ما حدث بالضبط، فبعض المعارضين السياسيين والاقتصاديين في أوروبا، لم تكن معارضتهم نابعة عن صدق، بل لمنافسة حزبية قميئة، ومنافسة تجارية واضحة، لا تنطلي إلاّ على السذج. ولهذا كان على حكماء المسلمين أن لا ينخدعوا بخطط الصاعدين على أكتاف الحدث، والذين

يطمعون في تحقيق مصالح مادية أو شخصية. كان على حكماء الأمة الإسلامية توضيح ذلك لعامة الشعوب الإسلامية. من ذلك مثلاً تزويدهم بمعلومات صادقة وحيادية، ونشر ثقافة الاحتجاج السلمي، بدل العنف الذي ظهر على شاشات التلفاز البريطاني، حيث صُور المسلمون وهم يحملون الفؤوس والسواطير، ويحملون شعارات الموت الزؤوم للنصارى، ويدعون لقتل عدد كبير من النصارى على حد تعبير شعاراتهم المسيئة للإسلام والمسلمين. كان على علماء المسلمين التصدي للفتاوى التي تسيء للدين الإسلامي، مثل فتوى عويلم كويتي قال فيها باستباحة دم رسام الكاريكاتير الدنماركي.

إنني والله لأعجب أشد ما يكون العجب من أمة كرمها الله بالقرآن، وأرسل إليها رسول الهدى والحكمة أن تنجرف إلى هذا القدر من غياب العقل والحق. فما كان يجب تعميم الذنب ومعاقبة الكل. وما كان يجب أن تصدر ردود أفعالنا السياسية بناء على عواطف شعبية، لا نعرف من يديرها ويثيرها، وما كان يجب أن تُغيّب الحقائق هكذا. لماذا لا تنشر الصحافة الإسلامية مقابلات مع مسلمين من أوروبا لنعرف موقفهم، لأنهم هم مع الإسلام في أوروبا هما المتضررون أولاً وأخيراً من ردود أفعالنا. لماذا لا نسأل هذا السؤال البسيط: من الذي أثار الرأي العام الإسلامي بخصوص الرسومات بعد نشرها بثلاثة أشهر. نعم ثلاثة أشهر لم يعرف عنها المسلمون في آسيا وأفريقيا وبعض بلدان أوروبا شيئاً يذكر. وهي نشرت في صحيفة لا يقرؤها إلا من يجيد اللغة الدنماركية، وهم قلة مقارنة بمن يقرأ بالانجليزية أو الاسبانية أو الفرنسية .من وراء الحدث يا ترى؟

أسئلة كثيرة عالقة. ويهمني أن أقول بصراحة ان المتشددين والمتطرفين في أوروبا والعالم الإسلامي سواء بسواء هم من يغذي مثل هذه المواقف. والحق أن هذا الحدث المشين لم يكن الأول ولن يكون الأخير، فمنذ بزوغ الإسلام ونبيه يتعرض في كل عصر ومصر لحملات هوجاء، ولم يضره في حياته، ولن يضره في مماته. وأنبياء الله يتعرضون لسخرية واسعة في الإعلام الغربي والسينما الغربية والمؤلفات الغربية. ولن تقف تلك السخرية إلا بسن قوانين صارمة من قبل المشرعين الغربيين، تُجرم تلك الأفعال. أما تأليب الرأي العام الإسلامي بهذه الصورة، فلا أظن أنها مفيدة، ولن تحقق ما نرجوه، بل أضرارها كثيرة، وقد تكون قاتلة وتؤدي إلى صدام حضاري بيننا وبين الغرب. وهو ما يسعى إليه المتطرفون الجاهلون من قبل الطرفين. والله أعلم.

==========================

الرابحون والخاسرون من قضية الكاريكاتير

الكاتب: د. عبدالله بن إبراهيم العسكر

لم يكن في نيتي العودة إلى موضوع رسومات الكاريكاتير المنشور في الصحيفة الدنماركية يولاندس بوستن لولا استمرار تصاعد تداعيات الحدث، وتأثر الدين الإسلامي والمسلمين سلباً بتلك التداعيات. وكنت أشرت في مقال الأسبوع ماقبل الماضي إلى أن

جهات سياسية وتجارية إسلامية ودنماركية استثمرت الحدث لمآربها الخاصة. وهذا وأيم الحق هو الضرر الكبير الذي يضر بالدين الإسلامي والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة، وبالمسلمين في الغرب على وجه الخصوص.

وقرأت مقالة جيدة للسيد عادل درويش في صحيفة الشرق الأوسط ليوم السبت ٢٠٠٦/٢/١١م ينقل فيها أخباراً لا تسر عن قيام جماعة مجهولة في أحد بلدان العالم الإسلامي، نسقوا مع أمثالهم من مسلمي الدنمارك لإدارة حملة إعلامية، قامت تلك المجموعتان بتمويل وطبع وتوزيع منشورات عليها رسومات كاريكاتيرية تسيء إلى الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. ثم أخذوا في توزيع تلك المنشورات في بلدان العالم الإسلامي من المغرب إلى الفلبين، زاعمين أنها رسومات تم ارسال الآلاف منها لكل الدنماركيين بالبريد. وهو خبر كاذب، يتحمل وزره تلك المجموعات المجهولة. لكن ضرره كبير، إذ ألب آلاف المسلمين في افريقيا وآسيا الذين وصلتهم تلك المنشورات.

وقلت في مقالتي السابقة أن بعض قادة العمل الإسلامي استثمروا الحدث بصورة لا تنم عن سلامة طوية أو حق وصدق. واليوم اطلعت على خبر رواه لي من أثق به، وفيه أن أحد زعماء الجالية الإسلامية في الدنمارك ظهر على محطة تلفزيون الجزيرة يؤيد ويدعو المسلمين إلى مقاطعة المنتجات الدنماركية، ثم ظهر هذا الزعيم على محطة تلفزيون دنماركية يدين فيها المقاطعة الإسلامية، ويصفها بالغوغائية، ويقول أنها لا تمثل الإسلام في شيء. فتأمل رعاك الله كيف تدار أمورنا الدينية والسياسية بيد مسلمين يجلبون الشر والضرر.

على أن أخطر ما يمكن توقعه هو أن تكون القاعدة في أوروبا قد اخترقت بعض الجماعات الإسلامية في الدنمارك وقامت بنشر أكاذيب وتأليب الرأي العام الأوروبي من أجل هدفها المتمثل في توسعة الشق بين المسلمين والغرب، أو ما يسمى بصدام الحضارات. وهو هدف طالما نادى به الظواهري. لهذا ليس بعيداً أن تكون الأخبار صحيحة تلك التي تسربت من مصادر مخابرات أوروبية، وفيها أن ناشطين من الدنمارك يتعاونون مع بلد أفريقي من أجل زعزعة أي تعاون أو تفاهم غربي - إسلامي. على أن السؤال الكبير الذي لازال عالقاً هو: من أين جاءت الأموال الطائلة التي صرفها (أئمة كوبنهاجن) على حملة طباعة المنشورات ومن ثم توزيعها في عرض البلاد الإسلامية وطولها. هذا سؤال لا نجد له اجابة شافية من قبل دوائر العمل السياسي في العالم الإسلامي..

ومثل هذا السؤال يمكن أن يُقال عن التظاهرات السياسية والتدمير الذي طال بعض السفارات أو المصالح الغربية. من الذي يقف وراءها، خصوصاً في بلدان إسلامية لا تسمح أنظمتها بالتظاهرات السياسية، ناهيك عن أعمال التخريب والتدمير. هل نقول ان أجندة سياسية محددة أرادت استثمار الرسومات الكاريكاتيرية لأغراض سياسية دنيئة.

إنـه ليحزننـي أن تُستغل قضـية دينيـة لمـآرب سياسـية. وهـذا مـا حـدث بالضـبط، فبعض المعارضين السياسيين والاقتصاديين في أوروبا، لم تكن معارضتهم نابعة عن صدق، بل لمنافسة حزبية قميئة، ومنافسة تجارية واضحة، لا تنطلي إلاّ على السذج. ولهذا كان على حكماء المسلمين أن لا ينخدعوا بخطط الصاعدين على أكتاف الحدث، والذين يطمعون في تحقيق مصالح مادية أو شخصية. كان على حكماء الأمة الإسلامية توضيح ذلك لعامة الشعوب الإسلامية. من ذلك مثلاً تزويدهم بمعلومات صادقة وحيادية، ونشر ثقافة الاحتجاج السلمي، بدل العنف الذي ظهر على شاشات التلفاز البريطاني، حيث صُور المسلمون وهم يحملون الفؤوس والسواطير، ويحملون شعارات الموت الزؤوم للنصارى، ويدعون لقتل عدد كبير من النصارى على حد تعبير شعاراتهم المسيئة للإسلام والمسلمين. كان على علماء المسلمين التصدي للفتاوى التي تسيء للدين الإسلامي، مثل فتوى عويلم كويتي قال فيها باستباحة دم رسام الكاريكاتير الدنماركي.

إنني والله لأعجب أشد ما يكون العجب من أمة كرمها الله بالقرآن، وأرسل إليها رسول الهدى والحكمة أن تنجرف إلى هذا القدر من غياب العقل والحق. فما كان يجب تعميم الذنب ومعاقبة الكل. وما كان يجب أن تصدر ردود أفعالنا السياسية بناء على عواطف شعبية، لا نعرف من يديرها ويثيرها، وما كان يجب أن تُغيّب الحقائق هكذا. لماذا لا تنشر الصحافة الإسلامية مقابلات مع مسلمين من أوروبا لنعرف موقفهم، لأنهم هم مع الإسلام في أوروبا هما المتضررون أولاً وأخيراً من ردود أفعالنا. لماذا لا نسأل هذا السؤال البسيط: من الذي أثار الرأي العام الإسلامي بخصوص الرسومات بعد نشرها بثلاثة أشهر. نعم ثلاثة أشهر لم يعرف عنها المسلمون في آسيا وأفريقيا وبعض بلدان أوروبا شيئاً يذكر. وهي نشرت في صحيفة لا يقرؤها إلا من يجيد اللغة الدنماركية، وهم قلة مقارنة بمن يقرأ بالانجليزية أو الاسبانية أو الفرنسية .من وراء الحدث يا ترى؟

أسئلة كثيرة عالقة. ويهمني أن أقول بصراحة ان المتشددين والمتطرفين في أوروبا والعالم الإسلامي سواء بسواء هم من يغذي مثل هذه المواقف. والحق أن هذا الحدث المشين لم يكن الأول ولن يكون الأخير، فمنذ بزوغ الإسلام ونبيه يتعرض في كل عصر ومصر لحملات هوجاء، ولم يضره في حياته، ولن يضره في مماته. وأنبياء الله يتعرضون لسخرية واسعة في الإعلام الغربي والسينما الغربية والمؤلفات الغربية. ولن تقف تلك السخرية إلا بسن قوانين صارمة من قبل المشرعين الغربيين، تُجرم تلك الأفعال. أما تأليب الرأي العام الإسلامي بهذه الصورة، فلا أظن أنها مفيدة، ولن تحقق ما نرجوه، بل أضرارها كثيرة، وقد تكون قاتلة وتؤدي إلى صدام حضاري بيننا وبين الغرب. وهو ما يسعى إليه المتطرفون الجاهلون من قبل الطرفين. والله أعلم.

صحيفة الرياض السعودية

==========================

الرسوم الدنماركية المسيئة واستبداد الاعلام المتسلّط

الكاتب: احميدة النيفر

تختزل قضية الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية وما انجرّ عنها من مضاعفات لا تكاد تنتهي أزمةً مركّبةً وخانقةً بين أطراف واسعة من العالم العربي الإسلامي وجانب مهم من نخب الغرب الأوروبي. لذا يصعب القول إن الموضوع في حقيقته صراع بين حداثة غربية لا يمكن أن تتخلّى عن حرية التعبير والتفكير وبين شرق مسلم لا يريد التنازل عن مقدّساته ولا يسمح بإهانة رموزه الدينية. عرض القضية بهذا التعميم لا يساعد على التوقف للكشف عما يعتمل في الفضاءين (العربي - الإسلامي والغربي الأوروبي) من انسدادات وعوائق وما يثار بينهما في خصوص نظرتهما إلى العالم والذات والمستقبل. لا يعني ذلك أن حريّة التعبير ليست من المحددات الحضارية في الغرب، كذلك فإن ليس من قصدنا دعم مقولة بعض النخب العربية التي لم تستهجن تلك الرسوم ولم تر فيها إساءة الى المسلمين. ما نودّ لفت النظر إليه في المقام الأول هو أن لا تناقض البتّة بين حرية الصحافة والتعبير وبين احترام المعتقدات الدينية، ذلك أن ما أكّده أكثر من كاتب ومعلّق هنا وهناك اختار اتجاهاً معاكساً ينطلق من ضرورة تحديد موقف واضح: إما مع الحرية وإما مع التديّن. لا أدلّ على تهافت مثل هذا الرأي مما وقع في الصحيفة الدنماركية ذاتها: الـ «يولاندس بوستن» التي كانت رفضت في نيسان (ابريل) ٢٠٠٣ نشر رسوم كاريكاتورية للسيد المسيح اعتبرتها مسيئة إليه وإلى أتباعه. إلى هذا نذكر أن هيئة تحرير الصحيفة قد وجدت نفسها في خريف ٢٠٠٥ عند الشروع في مناقشة نشر الرسوم الكاريكاتورية منقسمة بين مؤيد للنشر ومعارض له. يُثبت هذان المثالان أن حرية التعبير تظل محكومة بضوابط حدود الحياة المدنية وما تتطلبه من توازن وتفاهم، تضاف إلى ذلك حالات أخرى كثيرة في «الغرب الديموقراطي» تؤكد ما أصبح يُعرف بـ «استبدادية الاتصال» التي تعرّي الواقع الفعلي للسلطة الإعلامية المتحكّمة في صنع الخبر وتبادله. ما نريده من هذه الأمثلة هو أننا نحتاج في حديثنا عن حرية التعبير إلى قدر أكبر من تنسيب في الرؤية والموضوعية في الأحكام. الأمر، إذاً، أعقد من أن يُعرَض في صيغة «مانوية» تبسيطية تدفع إلى ضرورة الاختيار بين حرية التعبير وبين التديّن، أي ضرورة الإقرار بالتناقض الجوهري بين عالمين: «عالم التسامح والتحرر» و «فضاء الإيمان والتديّن». على رغم هذا فإن ما نشره من أيام قليلة اثنا عشر كاتباً بينهم سلمان رشدي وتسليمة نصرين وبرنار آنري ليفي يؤكد في سذاجة مذهلة هذا التوجه وينافح عنه. في هذا البيان - النموذج الذي أصدرته صحيفة أسبوعية فرنسية أعادت نشر الرسوم الدنماركية دعوة منها للتصدي إلى «الشمولية الإسلامية» والوقوف إلى جانب «قيم العلمانية والحرية والدفاع عنها». ان يقع هذا من جانب بعض مثقفي فرنسا المتشبثين إلى الآن بعلمانية استئصالية ترفض ما يعتبرونه «حرماناً للمسلمين من حقوقهم في المساواة والحرية والعلمانية باسم احترام الثقافة أو التقاليد»، مثل هذا الموقف يمكن أن يُفهَم من دون أن تكون له حظوظ في التفهّم. أما أن ينضم إليهم لفيف من كتاب

وصحافيين تتحدر غالبيتهم من عالم إسلامي أحد إعاقاته الكبرى صنعتها نخبه التحديثية المكرّسة للقطيعة مع مجتمعاتها وثقافتها المحلية، فتلك هي الشناعة بعينها. إن أول ما يثير الاستهجان في تلك الرسوم الكاريكاتورية وما تولّد عنها من ردود فعل بين «الشرق» و «الغرب» هو أن الذين يعتبرون أنفسهم خصوم العقائد الشمولية والأصوليات الأيديولوجية لا يفعلون شيئاً آخر سوى تقوية ذلك التيار ونشره. يحصل ذلك لأنهم يستميتون في الدفاع عن قضية تتوالى الأحداث موضوعياً في إثبات فشلها لكونها أفضت إلى أصناف من القهر والتعسف حالا دون أي إبداع أو تحرر. لا غرابة إن شهدنا منذ عقدين من الزمن سقوط مقولة العلمنة اللادينية في العالم الإسلامي والغربي على السواء. ما جرى في إيران الشاه ثم ما تحقق في تركيا أتاتورك بعد ذلك بأسلوب آخر يقضي بنهاية العلمنة المناضلة كأحد أبعاد عملية التحديث. على المستوى العالمي، كان سقوط الاتحاد السوفياتي في جانب من أهم جوانبه إلغاء للفكرة القائلة بأن التحديث يؤدي بالضرورة إلى إقصاء الدين. كيف – والحال هذه - لم ينتبه ناشرو الرسوم الدنماركية ومؤيدوهم الى أنهم يسيرون ضد حركة التاريخ وأن علاقة الدين بالسياسة علاقة تمايز ترفض القطيعة والإقصاء؟ من جهة أخرى، فإن الرسوم الكاريكاتورية تثير تساؤلاً آخر موصولاً بقضية الحدود الفاصلة بين المجتمعات والثقافات والأديان. ما تفضي إليه الثورة المعلوماتية ووسائل الاتصال المتطوّرة هو تغيير حتمي للعلاقات بين الدول والمجتمعات والثقافات والمعتقدات. من ثم، فإن الحديث عن عالم واحد وحضارة واحدة للجميع ليس شعاراً أجوف، بل هو حقيقة تفرض نفسها تدريجاً على الحواجز القديمة وما يرتبط بها من مفاهيم

كالاستقلالية الكاملة والسيادة المطلقة والعوالم المنفصلة. ضمن هذا السياق يكون السؤال الأنجع: كيف تساهم الخصوصيات العرقية والثقافية والدينية في التأسيس لعالم تصاغ فيه الحدود القديمة في شكل يحقق تعايشاً على رغم الاختلاف بل وبفضله؟إن ما تجاهلته الرسوم الدنماركية الأوروبية وأعرضت عنه غالبية ردود الفعل العنيفة هو أننا أصبحنا مدعوّين إلى أن نعيش معاً ومختلفين. ما اقترفته الرسوم الدنماركية وأصرّ عليه أصحاب بعض الصحف الأوروبية هو رفض لواقع مستقبلي هو قيد التشكّل بخطى وئيدة وأكيدة تتجه نحو عالمية ثقافية تأسس لحداثات مختلفة وكونيات متحاورة، من أبرزها حداثة وكونية إسلامية. ما صنعه واضعو الرسوم وناشروها كان أكثر كاريكاتوريّة من الرّسوم نفسها لأنه كشف عن جهل فاضح وسوء تقدير لمسيرة التاريخ البشري في راهنيته. ذلك أن معنى الرسوم – من الزاوية الحضارية المعاصرة – هو أن أصحابها يفكرون من داخل حصون افتراضية متداعية يعلو فيها بكاء على عالم يتجه إلى الانقراض، عالم شعاره: «الشرقُ شرقٌ والغرب غرب ولن يلتقيا». كاريكاتورية الرسوم أعادت السحرَ على الساحر لأنها عبّرت عن سذاجة القائلين بحداثة واحدة ووحيدة يسعى إلى النيل منها «البرابرة» من أبناء محمد وبناته. منتهى ما يمكن أن نقترحه من جانبنا العربي الإسلامي كإضافة الى الرسوم وكتعليق عليها وعبارة نقتبسها من كتاب تداولناه قديماً

بيننا: «حصوننا مهددة من الداخل».يبقى بعد هذا الطرف المقابل وكيف عبّر عن موقفه من الإساءة التي انضافت إلى سلسلة طويلة من الإهانات والاستباحات؟ غالب ردود فعل الطرف العربي المسلم كانت إما غير مقنعة وإما مثبتة لصفة الهمجية التي عمل على إلصاقها أصحاب الرسوم الدنماركية بالمسلمين.هذا الصنف الأول من المواقف والكتابات كان تعبيراً عن فجيعة قديمة –متجددة لقسم مهم من المسلمين. إنها – بحسب عبارة صاحب سراج الملوك - الفجيعة «من الدهر الخؤون، دهر ذهب صفوه وبقي كدره. فالموت تحفة لكل مسلم...». نسبة أقل من ردود الفعل كانت مغايرة في طبيعتها ووجهتها لما انساقت فيه الجموع الغاضبة المفجوعة. من بين هذه الأقلية الواعدة ارتفع شعار: «... إلا رسول الله» تعبيراً واعياً عن رفض الإساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا أولاً. ثم لأن في هذا الموقف قبولاً بحضارة كونية تعبُر الثقافات والمجتمعات لا ينبغي أن يفضي إلى التنميط وإلغاء الاختلاف. عبارة «إلا رسول الله» ترفض دخول الحداثة القهقرى، دخول السخط على الأزمنة الحديثة والتبرّم من الدهر الخؤون. إنها عبارة تعلن الاشتراك في صنع عالم حديث بمقاييس مرجعية مختلفة. أخيراً، «إلا رسول الله» رفض للرسوم الدنماركية لأنها رسوم عنصرية - شيطانية. إن من أشد ما يؤذي في تلك الرسوم أنها ربطت ربطَ تأبيد بين العنف والعدوانية وبين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه. مؤدى الرسوم أن الإسلام شرٌّ محض وأن جوهر المسلمين لا يقبل ارتقاء أو تغييراً. إنه الخطاب ذاته الذي اعتمده إبليس حين تمرّد ورفض قبول الآدمي لكونه مخلوقاً دونيّاً لا يمكنه التغلب على جوهره الترابي. تلك هي الرسوم في رؤيتها الجوهرانية للإسلام ومؤسسه وأتباعه، إنهم جميعاً في حضيض التدنّي والهمجية لا يستطيعون منهما براحاً. تأمّل الرسوم الدنماركية في ضوء مقولة: «إلا رسول الله» يوصلنا إلى جانب أساس من أصالة الرسالة المحمدية كما صاغها القرآن الكريم. أصالةٌ جاءت الرسوم لتطمسها، في حين أن الرسالة المحمدية ما تحققت إلا نتيجة ثقة في الآدمي وقدراته فاتحة آفاقاً غير محدودة للبشرية. ما أبرزته الرسوم من عنف يقوم به بعض المسلمين فيه تجاهل لتداخل العناصر المؤدية إلى ذلك العنف بحصرها في جهة واحدة هي جهة المسلمين وحدهم. الأخطر من هذا هو هذه اللوثة الشيطانية التي تجعل ديانة كبرى مصدراً للشر الذي لا ينضب. يحصل هذا بينما يتميّز الخطاب القرآني برهان دائم على آدمي له من القدرات ما يتيح له أخطاء وصعوداً عبر الحرية التي أعطاه إياها الخالق. هكذا تندرج عنصرية المركزيات الثقافية المعاصرة في جوهرانية البؤس الإبليسي، إنها في اعتقادها بتفوّقها الذي لا يُطاول لا ترى في الآخر إلا مجموعة من الثوابت والطبائع المتناقضة الحاجزة عن كل تغيير. في مواجهة هذا تأتي مقولة «إلا رسول الله» مع مواقف قليلة أخرى لتضيء دروب مستقبل للإنسانية أكثر رحابة وثراء. باحث تونسي صحيفة الحياة اللندنية

==============================

الرسوم الكاريكاتيرية علامة على الإجحاف العميق في أوربا الغربية

الكاتب: توميك كرزيزوستانياك

الرسوم الكاريكاتيرية الاثنا عشر للنبي محمد، والتي نشرت في سبتمبر الماضي بصحيفة يلاندز بوستن اليومية، ثم أعيد نشرها في عدد من الصحف الرئيسية في النرويج وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا وهولندا، أثارت غضباً شديداً في كافة أنحاء العالم الإسلامي. وقد تضاعفت الاحتجاجات نهاية الأسبوع الماضي في عدد من الدول في الشرق الأوسط، حيث اندلعت أعمال العنف التي أدت إلى إشعال مقرات البعثات الدبلوماسية الدنمركية والنرويجية. الكثيرين من المسلمين يعترضون على هذه الرسوم لأن الإسلام يحرم رسم أي صورة للنبي، ولأن الرسوم الكاريكاتيرية صورت محمد في صورة إرهابي. وقد اختلط الغضب بمشاعر الدهشة لدى الذين كانوا يتخيلون أوروبا أرضاً متسامحة وودودة.

وقد تعرض هذا الملجأ الخيالي إلى الارتباك بفعل أعمال الشغب التي شهدتها فرنسا العام الماضي. فإذا كانت أوروبا متسامحة جداً من الناحية الثقافية، لماذا تشعر العديد من الأقليات فيها بالانزعاج؟.

غير أن الأوربيين من الدول السلافية يدركون تركيبة تفوق أوربا الغربية أفضل من غيرهم. حيث أن عمي أندريج ليواندويسكي، كغيره من رجال الأعمال البولنديين، يواجه في أسفاره تعليقات مستهترة ومعاملة سيئة بشكل دائم من نظرائه الفرنسيين والألمان. ومع أن بولندا عضو كامل العضوية في الاتحاد الأوربي، إلاّ أن الدول الأوربية الغربية وضعت قيوداً على قدرة البولنديين في العمل والدراسية فيها. كما وصف الرئيس الفرنسي جاك شيراك بولندا ودولاً أخرى من أوروبا الشرقية بأنها دول "غير مسؤولة" و"بدائية" بسبب مواقفها من العراق، وهي كلمات قل ما تستخدم في مخاطبة الأنداد والحلفاء.

إن معاملة السلافيين محترمة جداً إذا ما قورنت بالسلوك تجاه غير المسيحيين وغير البيض. والأدلة على ذلك واضحة جداً في ملاعب كرة القدم. حيث أنه في بريطانيا المشهورة بلباقتها، أشارت مصادر إخبارية دولية أن أحد اللاعبين السود تعرض للسخرية من قبل مشجعين يقلدون أصوات القرود. وكان من المفترض أن يؤدي هذا المسلك إلى صدمة البعض، لولا أنه أمر يحدث مرات لا حصر لها في إيطاليا وإسبانيا وهولندا.

ومع أن الكثيرين من المشجعين قادرين على التسامح مع اللاعبين طالما أن أداءهم لا يزال جيداً في الميدان، إلاّ أنهم يظهرون ألوانهم الحقيقية عند التصويت. ففي النمسا، حزب الحرية جزء من التحالف الحاكم، وهو حزب يميني شعبي يعارض الهجرة والتجارب متعددات الثقافات. وفي فرنسا أحد المرشحين المتطرفين فاز بنسبة ١٨% من أصوات الناخبين في الانتخابات الرئاسية التي جرت عام ٢٠٠٢. كما أن لدى كلاً من

الدنمرك والنرويج، حيث بدأت مهزلة الرسوم الكاريكاتيرية، تمثيلاً مقدراً في البرلمان للأحزاب المعادية للمهاجرين بنسبة (١٢% و١٥% لكل من البلدين على التوالي). وفي ألمانيا الحزب الوطني الديمقراطي وهو حزب النازيين الجدد خاض انتخابات عام ٢٠٠٢ وحصل على ١.٦ % من الأصوات. وبالرغم من أن الأرقام لا تزال صغيرة، إلاّ أن تزايد شعبية أحزاب اليمين المتطرفة أمر يدعو إلى القلق، بل أن أداءها في الانتخابات المحلية كان أفضل. ففي عام ٢٠٠٤، تمكن الحزب الوطني الديمقراطي من الحصول على ٩.٢% من إجمالي الأصوات في انتخابات الولايات، واستولى على اثنا عشر مقعداً في برلمان ولاية سكسونيا.

هنالك أمثلة لا تعد ولا تحصى للعنصرية والتعصب في أوروبا الغربية، من حكومات تمنع الحجاب إلى حوادث تفجير المعابد اليهودية في بروكسل وأنتريب. وهذه النماذج العنصرية في المناطق التي ينظر إليها على أنها متسامحة، تذكرني بمدينة ماديسون التي أعيش فيها بولاية ويسكنسن. ومدينة ماديسون التي ينظر إليها في باقي البلاد على أنها معقل الحرية، لا تخلو هي الأخرى من مثل هذه الأمور. ففي الشهر الماضي عندما كانت هنالك مباراة بين مدرسة ميدلتون الثانوية (التي يهيمن عليها أبناء البيض والأثرياء) ومدرسة شرق ماديسون (التي يهيمن عليها أبناء الملونين والفقراء)، كان مشجعي مدرسة ميدلتون يصيحون (Oscar Meyer)...(food stamps) في إشارة إلى الوضع الاقتصادي لخصومهم. وقد قدم هؤلاء الطلاب جراء ذلك اعتذارات فاترة ولم يتعرضوا للعقاب من إدارة المدرسة. ومع أن هذا شيء لا يذكر مع القنابل الحارقة والعنف، إلاّ أنه يكشف عن حقيقة محزنة لمجتمع متسامح.

وطالما أن الأقليات العرقية والاقتصادية وغيرها، لا تزال قليلة، فسيحلو للمواطنين البيض أن يتحدثوا بملء أصواتهم عن قبول الآخر والمساواة، ولكن في اللحظة التي يظهر فيها واحد أو أكثر من هؤلاء، تظهر مشاعرهم الحقيقية. وبالرغم مما تتصف به هذه الرسوم الكاريكاتيرية من غباء، إلاّ أنها لا تعدو أن تكون مجرد جزء من مشكلة أكبر.

ترجمة موقع إسلام ديلي

===============================

الرسوم المسيئة جهل أم استفزاز؟

الكاتب: د. عادل الصفتي

الرسوم المسيئة التي نشرت في صحيفة دانمركية، والتي أدت إلى مظاهرات غاضبة نتج عنها مصرع ٤٠ من الأبرياء، لم تكن صراع حضارات في رأيي بقدر ما كانت صراع جهل واستفزاز.

و"فليمنج روز" رئيس تحرير الصحيفة الدانمركية والذي كان سببا في كل ما حدث في الأصل، أدلى بتصريح قال فيه إنه يستطيع أن يظهر الاحترام للأديان ولكنه لا يستطيع أن يراعي "تابوهاتها" أو محرماتها.

ولكن الحقيقة أنه وغيره من رؤساء التحرير في الصحف الأوروبية يقومون بمراعاة "التابوهات" التي يتم فرضها عليهم بواسطة القانون بدليل أن "روز" هذا نفسه قال إنه لا يستطيع أن ينشر رسما كرتونيا يمثل رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون وهو يخنق طفلا عربيا لأن هذا الرسم سيعتبر "عنصريا"، كما قال في تصريح آخر إنه لن يسمح لصحيفته بطبع رسوم كرتونية عن الهولوكوست. وفي الحقيقة أن ما يقوله هو بالضبط مضمون شكوى العرب. فهؤلاء يرون أن الأوروبيين يعتقدون أن من الخطر من الناحية السياسية والقانونية السخرية من معتقدات اليهود أما معتقدات المسلمين فليس هناك ما يمنع الإساءة إليها بزعم حرية التعبير التي يقول رئيس تحرير الصحيفة الدانمركية إنه أراد أن يحافظ عليها كقيمة من قيم المجتمع الغربي في حين أن حرية التعبير ليست معرضة للتهديد لا في الدانمرك، ولا في أي مكان آخر في أوروبا.

والدليل على ذلك أن "روز" نفسه يعترف بأنه لم يجد صعوبة في نشر تلك الرسوم المسيئة، وأن الصعوبة التي واجهته هي فهم رد فعل العالم الإسلامي على الرسوم.

وإذا ما كان "روز" يرى أن العالم الإسلامي لم يكن يفترض أن يغضب كل هذا الغضب بسبب تلك الرسوم المسيئة فهو إذن لا يفهم الإسلام ولا يفهم المسلمين. وباعتباره مسؤولا عن الصفحة الثقافية في صحيفة تسوق نفسها باعتبارها صحيفة الدانمرك الدولية فإنه كان يجب أن يعرف أن جهله بالإسلام كان لابد وأن ترتب عليه مسؤوليات باعتباره رئيسا لتحريرها.

وهذا التفسير هو التفسير الذي يتم تبنيه على نطاق واسع ليس فقط في العالم الإسلامي وإنما في أماكن أخرى. فقد كتب صحفي أميركي هو "كريستوفر بولين" في صحيفة" أميركان فري برس" الأسبوعية أن "روز" له علاقات واضحة بـ"المحافظين الجدد" من الصهاينة، وأنه يكن إعجابا خاصا لدانييل بايبس وأنه زار الأخير في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٤ كما كتب عنه مقالة إيجابية وتتضمن هجوما لاذعا على الإسلام "الجهادي".

وصحيفة "واشنطن بوست" أيضا من ضمن صحف التيار العام ذات النفوذ التي ترى أن الرسوم الكرتونية كانت عملا متعمدا من أعمال الاستفزاز حيث كتب رئيس تحريرها يقول "إن نشر الرسوم تلك كان عملا محسوبا مقصودا به إهانة المسلمين من قبل صحيفة تنتمي إلى التيار اليميني في دولة يعتبر التعصب فيها ضد الأقلية المسلمة مشكلة كبيرة وإن لم تكن معترفا بها".

وفي الحقيقة أن نشر تلك الرسوم المسيئة عرض من أعراض جهل بعض الأوروبيين بالمجتمعات الإسلامية التي تعيش بين ظهرانيهم، وجهل الديماغوجين الأوروبيين الذي

يلقون باللوم على الجاليات المهاجرة باعتبارها المسؤولة عن الكثير من الويلات السياسية والاجتماعية في الدول الأوروبية.

وهذا الجهل امتد للأسف إلى المؤسسات الأوروبية غير القادرة حتى الآن على التعامل مع الوجه المتغير لأوروبا ولا على فهم تشعبات التعددية الثقافية.

علاوة على أن تلك الإساءة ضد المسلمين يجب النظر إليها ضمن سياق أكبر هو احتلال العراق وأفغانستان وفلسطين، والفظائع التي حدثت في أبوغريب، ووقائع تدنيس القرآن. وإذا ما تم النظر إليها في هذا السياق فسندرك أن المظاهرات المناهضة للرسوم هي في جوهرها عن غضب المسلمين وعدم قدرتهم على مواجهة كل تلك الإساءات والإهانات.

ولكن العنف مع ذلك ليس هو الإجابة على ذلك في رأيي.. فالعنف استجابة قصيرة النظر للاستفزاز الجاهل، وهو لا يعالج المشكلة من قريب أو من بعيد، وإنما يؤدي إلى التدمير وإلى التنفير، كما أنه يغمر صوت العقل، ويغلق إمكانية الحوار الرشيد، ويقوض السعي من أجل التفاهم.

صحيفة الإتحاد الإماراتية

==============================

الرسوم المسيئة حملة مدبرة وليست رصاصة طائشة

الكاتب: أ.د. سليمان صالح

شرفني الله بالمشاركة في المؤتمر العالمي لنصرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في البحرين حيث اجتمع أكثر من ٣٠٠ من علماء الأمة ومفكريها. جاء هؤلاء العلماء من كل أنحاء الأرض كتعبير رمزي عن عالمية الإسلام، وفي قاعة المؤتمر كان هناك جميع الألوان والأجناس كتعبير على أن الإسلام وحده هو الذي يحقق المساواة بين البشر، ولأنه لا حرية بدون مساواة فإن الإسلام وحده هو الذي يحقق الحرية للبشرية.. الحرية من الظلم والطغيان والعنصرية، وهو وحده الذي يمكن أن يحقق العدل لكل البشر بتحريرهم من العبودية لغير الله.

جاء العلماء والمفكرون من كل القارات يعبرون عن حب الأمة لرسولها، وأن هذا الحب من أهم مقومات وجودها، وكان شعار المؤتمر كلمة الصديق رضي الله عنه «ومن نفسي يا رسول الله». وكان اختيار الشعار تعبيرا عن مرحلة جديدة في حياة الأمة.

تحليل عميق للأزمة

شهدت قاعة المؤتمر تحليلا لأزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول الكريم، حيث كشف هذا التحليل بعض الحقائق المهمة، منها أن جريدة اليولاندز بوسطن هي جريدة دينية متطرفة، وفي الوقت نفسه فإنها مدعومة من الحكومة الدنماركية حيث تتلقى دعما من الحكومة بلغ ٢،١٠ مليون كراون، وبالتالي فإن الحكومة مسؤولة عما نشرته تلك

الصحيفة فهي ليست مستقلة، وبالتالي لا يمكن أن يعتبر ما نشرته تعبيرا عن حرية الرأي.

ولذلك يقول الدكتور جهاد الفرا إن هذه الرسوم كانت جزءا من حملة عامة ضد الإسلام يقوم بها الإعلام الدنماركي المدعوم من الحكومة. كما أن الجريدة كانت تعرف النتائج التي يمكن أن تترتب على نشرها للرسوم حيث استشارت أحد خبراء الأديان الذي أوضح لها خطورة النشر.

كما أن القانون الدنماركي يعاقب على سب أي دين معترف به بالغرامة والسجن، لكن المشكلة أن الإسلام دين غير معترف به في الدنمارك. وهذه الرسوم لا تندرج تحت إطار حرية التعبير، ولكنها تعبير عن العنصرية. كما أن نشر تلك الرسوم يشكل ظلما للشعب الدنماركي الذي تتركز اهتماماته على الفن والأزياء والأمور الحياتية البسيطة، وبالتالي فإن جهل هذا الشعب يجعله أسيرا للمعلومات التي يحصل عليها من وسائل الإعلام.

لم تكن رصاصة طائشة

قدم الشيخ رائد شفيق حليحل إمام مسجد الدنمارك عرضا لتطور القضية موضحا أنها لم تكن رصاصة طائشة ولكنها كانت عملا مدروسا تعرف الجريدة والحكومة الدنماركية أنه سيؤدي إلى انتفاضة في العالم الإسلامي، فالجريدة أصرت على توجيه الإهانات للإسلام، وربط تلك الإهانات بالحرب ضد الإرهاب.

كما قدم عدد من العلماء منهم الدكتور جعفر شيخ إدريس عرضا للتطور التاريخي للعداء الغربي للإسلام، وأن هذا العداء كان نتيجة لرغبة الغرب في أن تظل حضارته مهيمنة على العالم ماديا وثقافيا، وهم يخافون من عودة الإسلام، وأن يكون له قوة مادية يستخدمها المسلمون في المحافظة على مواردهم الطبيعية، وفي تحقيق الاستقلال.

إن الغرب يدرك أن الإسلام له قوة ثقافية كبيرة، وخوفهم الحقيقي ليس من الإرهاب، ولكن من انتشار الإسلام فهم يصرحون بأنه أكثر الأديان انتشارا. وهم يخافون من قوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي يتأسى به المسلمون في معتقداتهم ومعاملاتهم، بينما لايوجد إنسان يقتدي به الغربيون أو يتأسون به.

القوة الثقافية للإسلام

كان هناك إدراك حقيقي في قاعة المؤتمر لقوة الإسلام الثقافية، وضرورة تحويل تلك القوة لتفجير الطاقات الحضارية للأمة. لذلك فإن تلك الأزمة لابد أن تشكل بداية لوعي الأمة بقوتها الثقافية والحضارية، وصياغة استراتيجية شاملة للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتحقيق نهضة شاملة للأمة الإسلامية.

ولأن الثقافة هي أساس قوة الحضارات، فإن القوة المادية هي التي تنقص المسلمين، والبشر يمكن أن يصنعوا القوة المادية عندما يمتلكون الوعي والإرادة والاعتزاز بهويتهم وذاتيتهم الثقافية، لذلك فإن انتفاضة المسلمين دفاعا عن رسولهم، ومشاعر الحب التي

تفجرت في نفوس المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم والغضب على من وجهوا له تلك الإهانة قد وضعت الأمة الإسلامية على الخريطة السياسية الدولية كما قال نهاد عوض. لكن تلك المشاعر يجب أن تتحول إلى طاقة إيجابية توظف القدرات الإنسانية لمليار ونصف من البشر، وتجعلهم يشعرون بالمسؤولية عن إنقاذ الشعوب الغربية الغارقة في التسلية من جهلها. إن إدراك تلك القوة الثقافية والحضارية يمكن أن تتحول بداية لصياغة مشروع حضاري جديد.

القوة الإعلامية

لكننا نعيش في عصر ثورة الاتصال، والقوة الإعلامية هي أهم مصادر القوة، لذلك قال أستاذنا وشيخنا العلامة يوسف القرضاوي إن الأمة في حاجة إلى جيوش من الإعلاميين المدربين للتعريف برسولنا - جيوشنا الآن يجب أن تكون جيوشا إعلامية تعليمية توجيهية تثقيفية، ويجب أن يكون قوامها عشرات الألوف بل مئات الألوف.

إن تشكيل جيش الإعلاميين المؤهلين علميا وثقافيا ومهنيا للتعبير عن الأمة هو بداية حقيقية لتحويل نصرة الرسول الكريم إلى عمل دائم ومستمر، ولإعادة الأمة للقيام بوظيفتها الحضارية، وتحقيق الاستقلال الشامل.

والغرب يحاول أن يضعفنا إعلاميا حتى نظل نتلقى بشكل سلبي رؤيته للأحداث، لذلك فإن بناء صناعة إعلامية واتصالية مستقلة هو أهم وسائل تحقيق التقدم الاقتصادي والسياسي والتعليمي والثقافي.

إن الصناعة الإعلامية المستقلة يمكن أن تلعب دورا مهما في تشكيل مستقبل جديد للأمة الإسلامية، ولذلك فإنه لابد من الربط بين تعليم الإعلام والدعوة الإسلامية عن طريق زيادة قدرات الدعاة علي التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة، وفي الوقت نفسه أصبحت الأمة تحتاج إلى تعليم كل شاب علوم الإعلام والاتصال الحديثة في المدارس والجامعات، لذلك يقول عمرو خالد: هناك آلاف من الشباب المسلم منعزل عن قضايا الأمة، ولابد أن يتم إعطاء الفرصة للشباب القادرين على فهم العقلية الغربية للقيام بالدعوة للإسلام.

إن طاقات الشباب يمكن تفجيرها، وتحويلها إلى قوة إيجابية عن طريق تعليمهم علوم الإعلام والاتصال الحديثة، وبالتالي يمكن أن يتحولوا إلى مصدر لقوة الأمة الإعلامية. وهذا لابد أن يحتل مكانه داخل المشروع الحضاري الإسلامي، فكل شاب يمكن أن يتحول إلى منتج للمضمون وقائد للرأي وقائم بالاتصال.. وعندئذ سيتحول الحلم إلى واقع.

وحدة الأمة

لقد كانت الأزمة اختبارا لقوة الأمة الإسلامية، ولو أن الأمة لم تنتفض دفاعا عن رسولها لاستمرت الإهانات بشكل متواصل، وبالرغم من أن الأمة لم تستخدم سوى المظاهرات والمقاطعة فإن النتائج السياسية والاقتصادية والثقافية حتى الآن واضحة.

ومع ذلك فإن قوة الأمة الحقيقية لم تتضح بعد، فقوة الأمة في وحدتها.. لذلك يقول جاسم الياسين إن المطلوب من الدعاة هو أن يستنهضوا الأمة ويوحدوها، ويجمعوا المليار ونصف على ثوابت.

والثوابت لدى الأمة الإسلامية يمكن أن تشكل أساسا لوحدتها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أهم تلك الثوابت. فحبه في قلوب المسلمين يعلو على كل عوامل الفرقة والاختلاف، وعندما يهان رسول الله يجب أن تختفي الاختلافات المذهبية، واختلافات المصالح.

لذلك وجه الشيخ محمد الراوي رسالة لولاة الأمر قال فيها: إن الأمة سوف تضع ولاة الأمر فوق رؤوسها عندما ترى منهم ترابطا يعز دينها وينصر رسولها.

لكن الوحدة تحتاج إلى حوار إيجابي طبقا لتعبير الشيخ محمد علي التسخيري يقوم على اكتشاف المساحات المشتركة بين المسلمين، ويهدف إلى تعميقها، والحوار يجب أن يقوم على مجموعة من الثوابت من أهمها أن حبنا لرسولنا مقوم لكل وجودنا.

الحوار مع الغرب

هناك قبول عام للحوار مع الغرب، والبحث عن وسائل للتعايش معه، لكن ذلك الحوار لابد أن يقوم على أساس فهم حقيقي للعقلية الغربية. كما أن احترام مقدساتنا كما يقول الشيخ عبدالله بن بيه هو البداية لتحقيق التعايش بيننا وبين الغرب.

والبداية الحقيقية للحوار هي زيادة القوة الثقافية والمادية للحضارة الإسلامية، فالغرب يريد حوارا يفرض فيه هيمنته وسيطرته علينا، والأمة الإسلامية تريد حوارا يتيح إمكانية اكتشاف أساليب التعايش السلمي بدون هيمنة أو قهر أو سيطرة. إن زيادة قوة الأمة الإسلامية هو البداية الصحيحة لحوار الحضارات، ونزع فتيل الصدام بينها.

لابد أن نتحاور على أساس الاحترام المتبادل، والرغبة في المساهمة في تطوير الحضارة الإنسانية بدلا من أن يدمر الغرب تلك الحضارة بعنصريته واستعلائه وغروره.

الحوار الإيجابي يحتاج إلى صياغة علاقة جديدة بين الغرب والإسلام، وهذه العلاقة تحتاج تطوير مصادر القوة الإسلامية، وتفجير طاقات الأمة لبناء عالم جديد يقوم على العدل والمساواة ورفض العنصرية والغرور والخرافات العرقية.

الحوار بين الإسلام والغرب ممكن ولكن بشرط احترام المقدسات الإسلامية، وصياغة علاقة جديدة تقوم على احترام ثوابت الأمة وحقها في النهضة والتقدم والاستقلال.

ربما تكون تلك هي أهم رسائل المؤتمر العالمي لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يمكن أن يتحول إلى بداية نهضة جديدة للأمة عام ٢٠٠٦ الذي سيكون عام التعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم في أمريكا وكندا.

صحيفة الشرق القطرية

==============================

الرسوم المسيئة والرد عليها ... السلوكيات المؤسِّسة

الكاتب: حسين عبدالعزيز

طرحت قضية الرسوم المسيئة التي نشرتها صحف دنماركية وأوروبية، ورد الشارع العربي عموماً والسوري خصوصاً، أسئلة صعبة ليس على سلوك الطرفين الأوروبي والعربي فحسب، بل أيضاً على المنظومة الفكرية المؤسسة لهذين السلوكين، ما يدفعنا الى تفحص المرجعية الفكرية الأوروبية والعربية – الاسلامية على السواء لفهم أقوى لهذين السلوكين. يتطلب فهم المجال الثقافي التداولي في العقل الأوروبي، العودة الى الصراع الذي حكم القارة الأوروبية طوال عشرة قرون بين السلطتين السياسية والكهنوتية. اذ أدرك الأوروبيون انهم لن يدخلوا بوابة الحداثة الا من خلال القضاء على الثنائية التي حكمت العصور الوسطى، والتي جعلت من المجتمع وحدة موحدة خاضعة لمركزية لاهوتية قسرية، ولنظام كلي مستقل عن الأعضاء الذين يؤلفونه. ووفق هذه الرؤية الايديولوجية، فإن الخير على سبيل المثال لا يفرض نفسه على الأفراد بصفتهم أفراداً، بل يصدر عن النظام المتعالي، وما على الأفراد الا أن يبذلوا جهداً للتصرف وفق المنظور الخاص لهذا النظام، ما يعني أننا نقف أمام ايديولوجية أو رؤية ميتافيزيقية لمذهب اجتماعي وأخلاقي وسياسي يقدم تصورات مسبقة للحياة المدنية. ويتطلب فك الارتباط عن الفكر القروسطي هذا فك ارتباط من نوع آخر بين الدين والسياسة أو الكنيسة والدولة، وهو فصل ما كان ليتم لولا المحاولات الفكرية المترافقة مع ثورات دموية. وليست عملية الفصل هذه، أو العلمنة، سوى محاولة لإنكار سلطة السماء المتسامية على الشؤون الدنيوية، تلك العملية التي بدأت مع دانتي، ودونس سكوت ومحاولته نسف التصور الثنائي القروسطي للوجود، الى مارسيل دوبادو ومحاولته فصل الدين عن الدولة، وارجاعه الجماعة السياسية الى جماعة اجتماعية لا يمكن فصل استقلالها السياسي عن استقلال المجتمع المدني كمقابل للمجتمع الديني، الى توماس مور والتشديد على القوة الطبيعية والعمل الانساني بصفتهما أساساً للترتيب السياسي، الى ديموقراطية الطوائف عند مارتن لوثر وأتباعه، الى القوة السيدة عند بودان، والجهاز السياسي المتسامي والعقد الاجتماعي عند هوبز ولوك وروسو، الى وسطية العقل عند ديكارت، وإفراغ التجربة من الظواهر عند كانط، الى شوبنهاور وإعادة توحيد مظهر الشيء مع الشيء نفسه، الى هيغل وفيبر وفوكو... الخ. باختصار ان الصراع الذي عرفته أوروبا في العصور الوسطى بين الكنيسة والامبراطور، ثم لاحقاً بين الكنيسة والنبالة الاقطاعية، ثم بين الكنيسة والدولة، ثم أخيراً بين الكنيسة ورجال الدين الاصلاحيين، أدت الى الفصل الحاد الذي نشهده اليوم في المنظومة الثقافية الأوروبية بين ما هو ديني وما هو دنيوي. لكن الأمر تطور الى أبعد من ذلك. فإذا كانت الحداثة الأوروبية أعلنت موت القداسة، فإن ما بعد الحداثة أعلن موت القيم من خلال تدنيس كل

ما هو متسامٍ ومقدس، أي انها مرحلة العدمية التي تحول البشر فيها ذرات يلتمسون أقصى درجات الربح ليس في الاقتصاد فحسب بل في الاجتماع أيضاً. في الجانب المقابل، لا وجود لهذه الظاهرة في التجربة الحضارية العربية – الاسلامية، بل انها منبوذة تماماً. وهذا يعود ليس الى طبيعة الدين الاسلامي فحسب، بل أيضاً الى التجربة التاريخية التي تطور من خلالها الدين الاسلامي بالمقارنة مع التجربة الأوروبية: في أوروبا وجدت الدولة أولاً، ثم ظهر الدين في كنفها. أما في التجربة العربية فظهر الاسلام أولاً ثم وجدت الدولة ثانياً، أي أن الثانية أسست على الأولى، ما يعني أن الممارسة الدينية لم تكن ممارسة صوفية، بقدر ما هي ممارسة اجتماعية واقتصادية وسياسية في آن. ففي وقت كان الاسلام يبلور مجاله الديني كان يبلور بالتوازي منه مجاله السياسي، ولهذا يعيش المسلم الحال كحال انطولوجية، ومن هنا تبدو عملية التقديس للدين مضاعفة أكثر. لكن هذا التقديس لم يقتصر على الدين وحده، اذ كرست مركزية مقدسة في الفكر العربي الاسلامي بمختلف تياراتها الاسلامية والعلمانية على غرار تلك التي كرست في العصور القروسطية الأوروبية، مركزية هرمية غايتها تثبيت البنيات السياسية والاجتماعية والثقافية القائمة منذ الاستبداد العربي الإقطاعي وحتى هذه المرحلة. لقد استبدلت الثنائية الأوروبية القروسطية هناك بأحاديات متعددة هنا مع الحفاظ على الغاية الايديولوجية، وهي تكوين رؤية ميتافيزيقية لمذهب اجتماعي وأخلاقي وسياسي يقدم تصورات مسبقة للحياة المدنية. واستبدلت قيم الشورى والعدالة والمساواة مع الموروث القرآني، بقيم أخرى وجدت معينها المعرفي والتاريخي من موروث آخر، جاء مع الدولة الامبراطورية (الأموية والعباسية)، ثم مع الدولة الاستبدادية الحديثة والمعاصرة. من هنا يمكن فهم ما شهدته العواصم العربية والاسلامية من احتجاجات خصوصاً في دمشق. صحيح ان ارادة المجموع بحسب السوسيولوجيين ليست نتاجاً

حسابياً لإرادات الأفراد الداخلين في هذا المجموع، أي أن الجماعة تتخذ في لحظات معينة ارادة مختلفة عن الارادات الكامنة فيها، بحيث تسلك سلوكاً غرائزياً قطيعياً يحمل في طياته قوة من العنف أعلى بكثير من المعدلات التقليدية في الصراعات الاجتماعية والسياسية، وصحيح ان هذه الفئات أيضاً قد تعود في أكثريتها العددية الى تلك الفئات المهمشة من الحقل الاقتصادي، لكن الصحيح أيضاً أن هذا السلوك انما يعبر تعبيراً دقيقاً عن واقع هذه الشعوب وفضائها المعرفي ومخيالها الاجتماعي أيضاً، وعن تلك الثقافة العربية القروسطية والحديثة التي قامت بعملية قلب ايديولوجي لأبستمية المفاهيم الاسلامية. ظهرت هذه الثقافة القروسطية في أبهى صورها في تظاهرات دمشق، ولن نجد في المجتمع السوري تظاهرة للمطالبة بالحقوق أو المساواة أمام القانون، أو بتفعيل العمل الديموقراطي. اذ ان عقلوية الفرد السوري لا تقوَّم بمفاهيم الديموقراطية وحقوق الانسان والعدل والمساواة أمام القانون، بل بالمقولات الميتافيزيقية التي فرضتها مركزية السلطة – الدولة السورية: مقولات الدولة الأمنية، الوحدة الوطنية، الإمبريالية

والصهيونية المتربصة بنا، ما يعني أن أي محاولة لكسر مركزية هذه المقولات ستعتبر تهديداً حقيقياً ليس للسلطة – الدولة، بل أيضاً لفعل الوجود ذاته على اعتبار أن الدولة في هذه المركزية ناموس أو عقل لكل ما هو موجود. * كاتب سوري صحيفة الحياة اللندنية

==============================

الرسوم المسيئة ورقة في أيدي المتطرفين

الكاتب: باسكال بونيفاس

تفاقمت تفاعلات الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة لنبي الإسلام التي نشرتها صحيفة "يولاندن بوستن" الدانماركية، لتأخذ أبعاداً دولية خطرة، لامست الجوانب الاستراتيجية في العلاقات الدولية. فهل سيتضاعف حجم القضية لتحتل مكانة مركزية في العلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي، وتساهم بذلك في تغذية الجدل الدائر قبل مدة حول صدام الحضارات؟ ففي هذا الإطار أرى البعض يتشبث بحرية التعبير على أنها جوهر الديمقراطية التي لا تقبل التضييق أو الاختزال، بينما يصر البعض الآخر على الطبيعة المهينة للرسوم بما تشكله عند المسلمين من تعبير صريح عن الحقد الدفين تجاه العالم الإسلامي، وتعميقاً للهوة بين الطرفين إلى حد اتساع الرقع على الراقع. إلى ذلك لا أحد يجادل أن صورة المسلمين والعرب في الصحافة الغربية سيئة للغاية، إذ تميل في كثير من الأحيان إلى الخلط بين الإسلام والإرهاب. والمؤسف في الأمر أن مثل هذا الخلط المجحف لا يقتصر فقط على الصحافة الصفراء، بل يمتد أيضا إلى بعض المنابر الإعلامية الرصينة التي تدعي معرفتها الفرق بين أغلبية المسلمين من جهة وبين أقلية من العناصر الإرهابية من جهة أخرى.

لكن بالنسبة لوسائل الإعلام الغربية التي تفضل أن تغطي المواضيع الساخنة وتعطيها العناوين المثيرة مثل "خطر الملتحين" و"تهديد صعود الإسلام" لا ترى في ذلك ضرراً من الوجهة السياسية بقدر ما تعتبره فرصة لزيادة حجم المبيعات وتحقيق المزيد من الأرباح. الصحيفة الدانمركية مع الأسف لم تقتصر فقط على تصوير النبي محمد، وهو ما يحرمه الإسلام، بل قامت بما هو أفظع عندما وضعت قنبلة فوق عمامة الرسول مساهمة في تكريس الصورة النمطية لدى الغرب التي يصبح فيها الإسلام مرادفاً للإرهاب، وفي ترسيخ نظرية صدام الحضارات. وإذا كانت الإساءة الصادرة عن الصحيفة الدانمركية قد عمقت الهوة بين الغرب والمسلمين، إلا أن ردة الفعل الإسلامية جاءت قوية وعنيفة لتغذي الكثير من المخاوف الكامنة لدى المواطنين في الغرب، ولتساهم في توسيع دائرة الخلاف بين العالمين الغربي والإسلامي وزرع المزيد من الشقاق بين الجانبين.

الصحافة الغربية تعمل في استقلال تام عن الحكومات، وتتمتع بحرية طرق الموضوعات وتناولها دون رقابة، ونفس الشيء ينطبق أيضا على الرسوم الساخرة التي

تطال شتى الميادين دون حرج. وللحيلولة دون انزلاق الصحافة وانحدارها إلى درك التشهير العرقي أو السب الشخصي سنت الدول الأوروبية مجموعة من التشريعات التي تعاقب على القذف والتشهير، وهي قوانين وإن كانت تختلف من بلد لآخر، إلا أنها تتفق على ضرورة احترام كرامة الأشخاص وعدم المس بها. وبالنظر إلى السلوك الأرعن للصحيفة الدانمركية المتمثل في إقدامها على نشر صور تمتهن كرامة الآخر وتحط من معتقداته، فإن الرد الأمثل على ذلك هو انخراط المسلمين في احتجاجات سلمية تشجب الرسوم وتعبر عن غضبهم المشروع إزاء صور تمس بالمقدسات الإسلامية، لكن دون الانخراط في أعمال العنف ودعاوى الحقد والكراهية التي أطلقتها بعض الجهات، علما أن العنف لم يؤد سوى إلى تقديم خدمة جليلة إلى المحرضين في المعسكر الغربي الذين ينتظرون الفرصة لإشعال نار الفرقة بين العالمين الإسلامي والغربي. وقد نظر الأوروبيون إلى الاحتجاجات العنيفة التي شهدتها بعض الدول على أنها أمثلة ساطعة على التخلف ومناهضة الديمقراطية السائدين في العالم الإسلامي، في وقت ناضل فيه الأوروبيون طيلة قرون مديدة لانتزاع الحرية والانعتاق من هيمنة الكنيسة الكاثوليكية.

بيد أن الغربيين بإصرارهم على حرية التعبير كمبدأ أساسي يحكم الصحافة استشعر العديد من المسلمين سياسة المعايير المزدوجة التي يدمن عليها الغرب. وقد عبر عن ذلك الشعور بشكل واضح عمرو موسى، الأمين العام للجامعة العربية الذي أعلن متسائلا: "ماذا عن حرية التعبير عندما يتعلق الأمر بالعداء للسامية؟ بالطبع يعتبر الأمر جريمة في هذه الحالة، لكن عندما يتعرض الإسلام للسب، فإن المسألة لا تعدو حرية التعبير". لذا فإن الدعوة التي أطلقت في العالم الإسلامي لمقاطعة المنتجات الدانمركية جاءت في إطار الاحتجاج غير العنيف، حيث تركت للناس حرية الانخراط الطوعي في مقاطعة البضائع الدانمركية على قاعدة التعبئة الشعبية. أما أعمال العنف التي عمت الشارع الإسلامي فقد جاءت غير متناسبة مع حجم القضية وخلفت انطباعا بعدم الارتياح لدى الغرب. وإذا كان من السهل الهجوم على بلد مثل الدانمرك بدل الدخول في مواجهة مع بلد أكثر قوة، فإنه من غير المفهوم حدوث ردة فعل بهذه الحدة ضد رسوم كاريكاتيرية، مهما بلغت إساءتها، وتجلت ردة الفعل هذه في حشد الجماهير المدعومة من قبل الحكومات إلى درجة فاقت احتجاجات ستكون مفهومة أكثر ضد قضايا ملحة كالحرب على العراق، أو ما يجري في معتقلي "أبوغريب" وغوانتانامو. وهي موضوعات جديرة بالاحتجاج، فضلاً عن أنها تجمع بين النشطاء العرب الديمقراطيين من جهة ونظرائهم الغربيين المناهضين للسياسة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط من جهة أخرى. ثم لماذا اقتصرت المقاطعة على المنتجات الدانمركية وحدها بينما يستمر المسلمون في استهلاك البضائع الأميركية مثل كوكاكولا وغيرها؟

ولئن كنا نفهم جيدا مشاعر الغضب والاستياء التي اجتاحت شرائح واسعة من المسلمين نتيجة للرسوم المشينة، غير أن الحكمة كانت تقتضي عدم الوقوع في فخ النظرة التعميمية التي تعاملت مع الغرب على أنه كتلة واحدة، فضلا عن الهجوم غير الموفق

على حرية التعبير. نقول هذا لأن ردة الفعل العنيفة في العالم الإسلامي منحت مبرراً للمتطرفين في الغرب لتصوير المسلمين وكأنهم أعداء للحرية والديمقراطية التي يتم استغلالها في الكثير من الأحيان للتهجم على المسلمين، رغم أنهم ليسوا الوحيدين في ذلك بعدما أصبحت الرموز المسيحية أيضاً محط سخرية وتندر. وحتى لو التأم الجرح الذي خلفته قضية الرسوم في الجسمين الإسلامي والغربي بعدة فترة قصيرة، إلا أن الندوب ستظل ماثلة أمامنا تذكرنا بمدى الهوة التي تفصل بين عالمينا والتصورات الخاطئة التي ما فتئت تتعمق لدى الجانبين. ورغم أننا نعيش في عصر العولمة، إلا أن التواصل بيننا بات أصعب من ذي قبل فاتحاً المجال أمام المتطرفين في الجهتين معا لتعزيز مواقفهما من خلال الخطاب المحرض على العنف والكراهية التي جاءت لتؤكده الأحداث الأخيرة المؤسفة. ولئن كان بعض المسلمين قد شعروا فعلا بالإساءة، كما شعر بعض الغربيين بخضوعهم للرقابة، إلا أن المتطرفين في كلا الجانبين ساهموا في تأجيج تلك المشاعر عبر نفخ وتضخيم مقولات احترام المعتقدات، والدفاع عن حرية التعبير.

صحيفة الإتحاد الإماراتية

السر العصيّ

الكاتب: د. باسم عبد الله عالِم

منذ الانتفاضة الأخيرة للعالم الإسلامي في مواجهة الاعتداءات الأخلاقية والإنسانية التي حاولت النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم والغرب في حالة من الانزعاج والقلق تجاه هذه الانتفاضة وما تضمنته من مؤشرات توحي إلى الغرب بوجود خطأ فادح في خطوتهم المشؤمة ونتائجها المتوقعة. ويعني ذلك اضطرار الغرب الأطلسي إلى إعادة تقييم خططه في مواجهة العالم الإسلامي بعد أن ظن أن هذه الانتفاضة يمكن احتوائها من خلال تصريحات فضفاضة ومجاملات دبلوماسية. وسرعان ما أكتشف الاتحاد الأوربي أن الأمر أكبر من ذلك فندب إلينا السيد/ خافيير سولانا الذي زار المنطقة بصفته الرسمية وباعتباره المسئول الأوربي الأول عن الشئون الأمنية والسياسية. ولكنه ما أن حط رحاله حتى راح يتصرف كعامل الصيانة الذي انتدبته شركته ليفهمنا كيف يجب أن نتعامل مع الجهاز المعقد المركب الذي اشتريناه منهم ولم نعرف بعد أسرار تشغيله أو نتمكن من حسن استخدامه. راح يشرح مفهوم الحرية وكيف أن سباب الآخر حق مشروع وكيف أنه منطقي وطبيعي أن يفحش الغرب القول لنا ولنبينا ولديننا مع البقاء على احترامه لمعتقداتنا وكيف أن انزعاجنا دليل على عدم قدرتنا على التفاعل مع الآخر وتفهم منطلقاته وتقبل الإختلاف معه.

وفي هذه الفترة الوجيزة تتابعت الاتصالات والاستفسارات من قبل الإعلام الغربي لمحاولة فهم ما يجري وقد أبدى الكثيرون اندهاشهم، فهم لم يتوقعوا رد فعل واسع النطاق وشديد التعبير عن التأثر والغضب الذي اجتاح العالم الإسلامي. وكانت تساؤلاتهم تحمل في طياتها الكثير من الاستفهام الممزوج بالاستنكار وكلاهما يعكس

نفسية مضطربة قد دبت فيها الحيرة جراء ما يحدث. إن ما حدث يعتبر فشلاً حقيقياً يستدعي إعادة تقييم وتغيير جذري للخطط الغربية تجاه العالم الإسلامي، فالحملات العسكرية والغربنة والعولمة والهيمنة السياسية والهيمنة الاقتصادية والتوجيه الإعلامي. وجميع محاولات إعادة صياغة العقل العربي المسلم جميعها باءت بالفشل الذريع حيث انهارت أمام أول اختبار من شأنه أن يثبت انفصال المسلم عن ثوابته وذلك في مراحل متقدمة في المسيرة التي رسمها له الغرب تجاه التبعية الفكرية والهيمنة الحضارية المطلقة. وزاد من حيرتهم الخلل الذي وجدوه حاضراً جلياً من خلال تباين ردود فعل العالم الإسلامي تجاه الكثير من الأحداث الدموية التي أقترفها الغرب وذلك مقارنة برد الفعل الناجم عن المساس بمقام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم. وقد يعتقد الغرب أن ردود الفعل السابقة تمثل ضعفاً وانهياراً لمقومات الأمة وقدرتها على المواجهة الجماعية كما تعكس (بحسب ظنهم) ما أعتبره الغرب نجاح مخططاتهم التي استهدفت تدجين ومسخ العقل العربي المسلم. ولكنه فوجئ بهذه الهبة الجماعية فأخذ يبحث عن أسبابها بل وأسرارها. وقد سُئلت عما حدث وأنتظر القوم مني جواباً فرحت أقلب الأمر وأتدبره محاولاً معرفة الجواب ومنطقته. فأخذت أقلب في صفحات التاريخ القريب لمعرفة أسرار التحرك الجماعي وآلياته فإذا بي أمام حالة فريدة لم توجد خارج عالمنا العربي والإسلامي من قبل، وهي غضب الإنسان المسلم والعربي لأجل مبدأ أو مفهوم روحي يخرج عن إطار الحسيات والماديات التي تمس الإنسان مساساً مباشراً في حياته اليومية أو مصادر الرزق أو الأنظمة الحاكمة التي تحد من حركته أو تؤثر في مستقبله. بل ويزيد على ذلك أن هذه الحالة إنما طرأت على أمر غير ملموس إذ ليس أمامنا ما نشهده من انتهاك مباشر للإنسان العربي المسلم على غرار ما نراه في العراق وفلسطين وأفغانستان وغوانتانامو وغيرها من البؤر المظلمة في تاريخ الإنسانية المعاصرة.

أن الحقيقة، في ما أرى، تكمن في السر الإلهي الذي وضعه رب العباد في كتابه وشرعته (سواء أنزله وحياً أو أنطقه وحياً على لسان نبيه) فالإسلام في إطار وجوده كدين إلهي للبشرية جمعاء غُرس فيه سر الهي يدخل في تكوين الشخصية المسلمة التي تستصحب معها هذا السر مهما ابتعدت عن الجادة ومهما تنكبت الطريق. فالدين ورموزه يشكلان لدى الشخصية المسلمة طوق النجاة والملاذ الآمن. ومهما غامر المسلم وذهب بعيداً عن الشاطئ فإنه وطالما بقي يقبض على طوق النجاة يشعر أن بإمكانه العودة سالماً أن شاء. وهذه الشخصية في أسوأ ظروفها وأحلك لحظاتها يمكنها أن تتحمل الأذى الشخصي والرهق الذي يسومه لها الغرب كما يمكنها السكوت على مضض في بعض الأحيان أو الانخداع في أحيان أخرى لنصائح الغرب ومحاولاته للظهور بمظهر الناصح الأمين ليعلمنا كيفية الإمساك بطوق النجاة أو ضرورة تحديث طوق النجاة من خلال محاولاته لتحوير ديننا وتدجينه. ولعل المسلم إن سكت على ذلك أو قبل به سواء كان على مضض أو منخدعاً فإنما يشعر بأن ثمة ورقة توت لا تزال تغطي عورة الحقيقة التي تفضح نوايا الغرب وتجسدها دونما تورية. أما في الحالة الراهنة فإن ما حدث

يوازي محاولة الغرب انتزاع طوق النجاة أو تحطيمه ظناً منه بأن المسلم لم يعد بحاجة إليه و لم تعد له رغبة في أن يعود يوماً ما إلى بر الأمان و لم يعد يعتمد بعد اليوم في عقله الباطن على طوق النجاة الذي لا يزال يمسك به بيده. وفي هذه اللحظة الحرجة الحاسمة تكشفت الحقائق وظهرت الحسابات الحقيقية لدى كل طرف. ولعلها ملائمة هذا الدين بل وتطابقه تطابقاً تاماً مع الفطرة السليمة هو الذي يجعل الإنسان المسلم يقاتل بشراسة منقطعة النظير إذا ما كان الهدف هو الاجتثاث الكامل لكيانه ووجوده بل ولأمله وطوق نجاته في دنياه وآخرته. ويزيد على ذلك أن وسائل الاستهداف هذه المرة لم تكن وسائل مبطنة أو محاطة بزخرف من القول يغررون به. فقد كانت الوسيلة واضحة مباشرة وكان الهدف واضحاً فلم يكن بالإمكان للمعتدي أن ينكر استهدافه ولم يكن بالإمكان للمعتدي عليه أن يدفن رأسه في التراب أو يعلل أو يجد العذر.

ولأن الأمر كله جاء على حين غفلة فلم تستطع وسائل الإعلام المحلية والعالمية كما لم تستطيع الحكومات أن تحتوي الأزمة من خلال إسباغ صبغة سياسية عليها أو فذلكة في إخراجها، فيتم التفريق بين الحكومات ووسائل الإعلام الغربية أو حتى التوجيه بمنع وسائل الإعلام العربية ومنابر المساجد من التطرق إلى هذا الأمر. لقد وجدت الفكرة أمثل وسيلة لتبنيها وأمثل أداة لتحريك الأمة وذلك من خلال المساجد والتي استتبعها تحرك جماهيري على نطاق واسع مستخدمين جميع الطاقات والإمكانيات الحديثة بعد أن تم تقعيد الأمر توطئته من قبل المسجد ومن على منبره. وهنا مكمن الحقيقة في أسباب التحريك الجماعي وإنجاحه إذ أن مؤسسات المجتمع المدني في صياغتها الحالية منفصلة عن إرث الأمة الحضاري والإنساني فلا تقوى على تعبئة الشارع وتحريكه ولم يبق في المجتمع المسلم مؤسسة مدنية منبثقة من عمق إرث الإنسان المسلم سوى المسجد.

وإنني أدعو اليوم كما دعوت سابقاً إلى وجود مؤسسات مدنية تشكل في مجملها أعمدة المجتمع المدني و بأن هذه المؤسسات يجب أن تبنى على قواعد راسخة من تراثنا وأن تصاغ في إطار مفاهيم مستمدة من هذا التراث بحيث لا تبدو لرجل الشارع العربي المسلم أمراً غريباً أو مستهجناً يصعب قبوله أو تفهمه بفطرة وتلقائية ودون عناء. إذ يبدو اليوم أن مؤسسات مجتمعنا المدني (إن وجدت) قد صيغت في إطار غريب عن مفهوم رجل الشارع فانحصرت في إطار المثقفين أو أولئك الذين جاءوا بها ومعها من الغرب فظنوا أنها سوف تلاقي رواجاً وقبولاً في المجتمع ولكنهم كمن يحدث القوم بلغة لا يفهمونها ولا يتقبلونها مهما اشتد حماس المتحدث ومهما صحت نيته فالمجتمع ليس مطالباً بأن يتحدث باللغة التي يخاطبه بها المثقف ولكن المثقف هو المطالب بأن يتحدث إلى قومه باللغة التي يفهمها المجتمع ويتقبلها ويتفاعل معها.

والله من وراء القصد،

E-mail: alim@alimlaw.com

نشرت بالعدد (١٥٦٦١) من جريدة المدينة، يوم الجمعة بتاريخ ١٠ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ١٠ مارس ٢٠٠٦م، بصفحة الرأي.

==========================

السّنة النبوية :إضاءات ضروريّة

أ. د. عماد الدين خليل

[١]

من بين العديد من الباحثين الغربيين الذين كتبوا عن سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- يبدو ليوبولد فايس (محمد أسد) أكثرهم اهتماماً واقتراباً من جانب حيوي من أكثر جوانبها أهمية، ذلك هو" السنة ": ما الذي تعنيه، وما مكانها في خارطة التشريع الإسلامي، ومدى التوثيق الذي حظيت به، وما هي طبيعة التعامل التي يجب أن تنظم العلاقة بينها وبين المسلم، وردود الأفعال التي تمخّضت عن هذا التعامل عبر التاريخ.

يعرّف "فايس" السنة بأنها: " المثال الذي أقامه لنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أعماله وأقواله. إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حياً وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتّبع الذي قد بلغ الوحي(١).

فهذا التعريف ـ على إيجازه ـ يكاد يلّم بسائر عناصر المصطلح المقصود، فهناك أفعال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأقواله، أي معطياته كافة على مستوى الممارسة والتعليم، وهناك التمثيل الحي لكتاب الله في واقع الحياة من خلال هذه المعطيات التي تمارس دوراً لا يقل أهمية، وهو التفسير الذي يوضّح ويفصّل ما ورد في القرآن الكريم موجزاً، مركزاً .. وهناك ـ أخيراً ـ ما تتضمنه السنة من إلزام باعتبارها القناة، أو الطريق الوحيد المفضي إلى تنفيذ أمر الله كما بلّغه الوحي الأمين، وكما تمثل في كتاب الله.

والسنة بهذا المعنى ليست مجرد حشود من المفردات السلوكية، أو مجموعة متفرقة من التعاليم والإرشادات. إنها وحدة مركبة وبرنامج عمل يتميز بالشمولية والترابط، ويوازي حياة المسلم نفسها بكل تفاصيلها ونبضاتها، بل إنه ـ بعبارة أكثر دقة ـ يتعاشق معها كما تتعاشق الروح مع الجسد البشري، مع جملته العصبية، ودمه، وخلاياه و" كما أن حياة المسلم يجب أن تقوم على التعاون التام المطلق بين ذاته الروحية وذاته الجسدية، فإن هداية النبي ـ صلى الله عليه وسلم- يجب أن تضمّ الحياة على أنها وحدة مركبة، أي على أنها مجموع أعمق المظاهر الخلقية والعملية والشخصية والاجتماعية، وها هو أعمق معاني السنة "(٢).

وإذا كانت السنة على هذا الأساس، هي التعبير المتكامل عن الإسلام، يصبح العمل بها لزماً لكل مسلم يتوخى التعامل مع هذا الدين بالجدّ المطلوب، من أجل أن تتوحد المبادئ والتعاليم، بالممارسة والسلوك، ويلتقي الفكر بالحياة، ويتمكن الإسلام ـ بالتالي ـ من أن

يشق طريقه متحققاً في مجرى الواقع، متقدماً بأتباعه إلى الأمام، من خلال برنـامج عمل لا يكاد يغفل صغيرة ولا كبيرة. ومن هذا المنطلق يلحظ "فايس" كيف " أن العمل بسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وأن ترك السنة هو انحلال الإسلام". كما أنه يجد في السنة " الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام". ويتساءل: " إنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدهشك أن يتقوّض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟ "(٣).

وعلى هذا المستوى، أي على مستوى الإلزام التشريعي والسلوكي والاجتماعي للسنة، يمضي "فايس" إلى تأكيد حقيقة أن " سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- تالية للقرآن، وهي المصدر الثاني للشرع الإسلامي وللسلوك الشخصي والاجتماعي.. إنها التفسير الوحيد لتعاليم القرآن الكريم، والوسيلة الوحيدة لاجتناب الخلاف في تأويل تلك التعاليم وتطبيقها في الحياة العملية.. إن تفكيرنا يقودنا حتماً إلى أنه ليس ثمة حكم، فيا يتعلق بالتأويل العملي لتعاليم القرآن الكريم، أفضل من الذي أوحيت إليه هذه التعاليم هدى للعالمين. إن التعبير الذي يتردّد اليوم على مسامعنا كثيراً: "لنرجع إلى القرآن الكريم، ولكن يجب ألاّ نجعل من أنفسنا أتباعاً مستعبدين للسنة، ينكشف بكل بساطة عن جهل للإسلام. إن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلاً يريد أن يدخل قصراً ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب"(٤).

وذلك ـ بإيجاز ـ هو جوهر الموضوع: إن السنة هي المفتاح الأصلي الذي يمكننا من الدخول إلى عالم الإسلام، وبدونه فإننا سنظل واقفين على الأبواب، ولن تكون سائر الدعاوى التي تنادي بالتحرّر من السنة!! قادرة على أن تجعلنا مسلمين بحق.

[٢]

ولكن ما مدى مصداقية السنة على مستوى التوثيق التاريخي؟؟ وهل أن ما نقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- من أقوال وأفعال هي نفسها التي تحققت وقيلت في حيته بالفعل، أو قريباً منه؟ وإذا كان القرآن الكريم يحمل ـ وبشكل مطلق ـ مصداقيته كنص إلهي محفوظ، لم ولن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما مدى حظ السنة من هذا الأمر؟ لا سيما، وأنها تحمل هذا القدر الكبير من الأهمية والإلزام في الحياة الإسلامية؟

إن "فايس" لا يجعل هذه التنازلات تفلت من بين يديه، وتبقى معلقة في الفضاء.. ونحن ـ كمسلمين نعرف جميعاً الإجابة عليها، تلك التي حرص الأجداد بسلسلة موصولة من الجهد والهمّ والمتابعة على تقديمها موثقة منقحة لأجيال المسلمين. ولكن المطلوب هو مخاطبة العقل الغربي.. العقل العلماني الذي لا يسلّم بسهولة بأمر كهذا.. ومن ثم فإن استنتاجات "فايس" بهذا الصدد تحمل قيمتها؛ لأنها تتحدث بالمفردات نفسها التي يدركها العقل، وقد يقتنع بها أيضاً.

فهو يشير مثلاً إلى" الأثر العظيم الذي تركته شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم- في أولئك الرجال الذين صحبوه باعتبارها حقيقة من أبرز حقائق التاريخ الإنساني " وأنها " فوق ذلك ثابتة بالوثائق التاريخية " ويتساءل: " هل يمر في خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد لأن يضحوا بأنفسهم وما يملكون في سبيل رسول الله ، كانوا يتلاعبون بكلماته؟ "(٥).

ويمضي "فايس" إلى القول بأن " الذين عاشوا في صحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم- رأوا جميعهم في أقواله وأعماله أعظم الأهمية، لا لأن شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - أثرت فيهم فخلبت ألبابهم فقط، بل لأنهم كانوا أيضاً على اعتقاد جازم بأن ذلك كان أمراً من الله تعالى لتنظيم حياتهم حتى في أدق تفاصيلها. كل ذلك اهتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وإقتداء به. من أجل لك لم يستطيعوا أن يتناولوا الأحاديث بلا اكتراث، بل جربوا أن يتعلموها وأن يحفظوها عن ظهر قلب.. "(٦).

وهو، على ضوء الجهود التوثيقيّة المذهلة التي بذلها رجال الحديث في العصور التالية للصحابة والتابعين، والتي وضعت أصول منهج صارم في التوثيق والبحث العلمي، بطرح تحدّيه إزاء العقل الغربي: أن يدعم انتقاداته العاطفية لمصداقية الأحاديث النبوية بدليل علمي مقنع: " إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدّي الحديث على أنه نظم ما، فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعموا انتقادهم العاطفي الخالص بنتائج من البحث العلمي. وأنه من الصعب أن يفعل أحد ذلك، لأن الجامعين لكتب الحديث الأولى وخصوصاً الإمامين البخاري ومسلماً، قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضاً أشد كثيراً من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوربيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم "(٧).

ثم يخلص إلى القول بأن " رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو أقساماً، ليس حتى اليوم إلاّ قضية ذوق، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء "(٨).

فهي - إن - الميول والأهواء تسعى لأن تقول كلمتها في واحدة من أشد مرتكزات الإسلام أهمية، حتى إذا ما أتيح لها أن تفرض كلمتها، قدرت على هدم الإسلام نفسه، بعد أن رأينا ذلك الارتباط الصميم بين السنة وبين الدين الذي ترجمته إلى وقائع وممارسات. ولكنها لن تقدر إذ إن هناك، في الجهة الأخرى للظن والهوى: المنهج، والعلم، والنقد الجاد التي قادت العقل البشري وستقوده دوماً إلى التسليم بمصداقية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٣]

سنكتفي بهذا القدر من الحديث عن مسألة التوثيق هذه التي أشبعت بحثاً، ولنتابع "فايس" وهو يتحدث عن طبيعة التعامل مع السنة. عن صيغ هذا التعامل التي تتأرجح بين الآلية

التي لا تكاد تتمخض عن شيء وبين التمثل الذي قاد أجيالاً من المسلمين إلى أن يكونوا تعبيراً صادقاً عن كتاب الله، وإلى أن يصنعوا المستحيل بالتالي.. ففي " اللحظة التي ينحط فيها العمل بالسنة إلى عمل آلي، تفقد السنة قيمتها المثقفة فقداناً تاماً، وكذلك كان شأن المسلمين في العصور الأخيرة. أما الصحابة والتابعون الذين قاموا بكل مسعى لجعل كل دقيقة في حياتهم موافقة لما كان عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- فإنهم فعلوا ذلك مع الفهم التام بأنهم أسلموا أنفسهم إلى إرادة هادية تجعل حياتهم مطابقة لروح القرآن الكريم "(٩).

[٤]

كيف يتم ذلك التطابق الباهر بين الحياة وتعاليم الله سبحانه؟ يجيب "فايس" بأن " العمل بالسنة يجعل كل شيء في حياتنا اليومية مبنياً على الاقتداء بما فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم - وهكذا نكون دائماً، إذا فعلنا أو تركنا ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله الماثلة لأعمالنا هذه، وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طول الحياة "(١٠).

[٥]

والحديث عن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقودنا إلى الحديث عن شخص رسول الله نفسه.. النبي، والقائد والمعلم.. عن علاقة المسلمين على مرّ العصور به.. عن محبتهم له .. عن عشقهم لأفعاله وكلماته.. وعن ردود الأفعال الإنسانية، وجدانية وسلوكية، تلك التي تصادت على مدار الزمن، مؤكدة أنه ما من أمة أحبّت رسولها، واقتدت به، كأمة الإسلام، وأنه - أيضاً - ما من أمة كهذه الأمة لم تجرفها المحبة الطاغية إلى مواقع الشرك والتأليه والصنمية، وما كانت الاستثناءات بقادرة على أن تغطي على القاعدة، أبداً.. إنه ليس هناك من رجل ، يقول "فايس"، " مضى على وفاته أكثر من ألف وثلاثمائة سنة، قد أصاب مثل هذا الحب، ومن قبل هذا العدد من الأفئدة، مثل ذلك إلى من يرقد تحت القبة العظيمة الخضراء. ومع ذلك فإنه لم يدع يوماً إلاّ أنه بشر، ولم ينسب المسلمون إليه الألوهية قط، كما فعل الكثيرون من أتباع الأنبياء الآخرين (عليهم السلام) بعد وفاة نبيهم. والحق أن القرآن نفسه يزخر بالآيات التي تؤكد إنسانية محمد - صلى الله عليه وسلم - .. ولا ريب في أن من حوله لم يحبوه مثل هذا الحب إلا لأنه لم يكن سوى بشر فحسب، ولأنه عاش كما يعيش سائر الناس، يتمتع بملذات الوجود البشري ويعاني آلامه. ولقد بقي هذا الحب بعد وفاته، وهو لا يزال حيّاً في قلوب أتباعه حتى اليوم كنشيد تعدد النغمات "(١١).

هذا الموقف الإنساني الملتاع بالمحبة.. هذه الجلود المؤمنة التي تقشعر كلما وجدت نفسها قبالة الرسول - صلى الله عليه وسلم-) بعقولها ووجدانها، وهو يقودها ويعلمها ويهديها..

هذه العيون التي تدمع كلها لجأت إلى نبي الله، تطلب من يده الحانية أن يكفكف بها دمع العيون ويمسح بها جرح القلب.. وما أغزرها وأعمقها في كل زمن ومكان.

هذه وتلك تحمل أهميتها القصوى ها هنا ونحن نتحدث عن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- .. لأنها تعكس، بإقناع يكاد يكون كاملاً، كيف تمكن المسلمون من حماية سنة نبيهم من الضياع، وكيف قدروا في الوقت نفسه على أن يعيشوها ويتمثلوها، بدرجة أو أخرى، فيتيحوا بذلك للإسلام نفسه أن يتحقق وأن يواصل الطريق..

والآن وبعد مرور أربعة عشر قرناً على لحاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بالرفيق الأعلى، واستقرار جسده الشريف في المدينة فإن " وجوده الروحي لا يزال حيّاً هنا كما كان يوم ذاك.. ولقد كان من أجله وحده أن أصبحت مجموعة القرى التي كانت تُدعى في ما مضى يثرب، مدينة أحبها المسلمون حتى يومنا هذا كما لم تُحب مدنية غيرها في أي مكان آخر من العالم. وليس لها حتى اسم خاص بها. فمنذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً وهي تعرف بمدينة النبي فحسب، وطيلة أكثر من ثلاثة عشر قرناً التقت هنا سيول لا تُحصى من الحب، بحيث اكتسبت مع الأشكال والحركات نوعاً من التشابه العائلي، وجميع الفروق في المظاهر تتّحد في لحن مشترك واحد "(١٢).

الهوامش:

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروخ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٩٦٥ م، ص ٨٨.

(٢) نفسه ، ص ٨٩.

(٣) نفسه ، ص ٨٧.

(٤) نفسه ، ص ٩٠ ـ ٩١.

(٥) نفسه ، ٩٤.

(٦) نفسه ، ٩٥.

(٧) نفسه ، ص ٩٢.

(٨) نفسه ، ص ٩٧.

(٩) نفسه ، ص ١٠٦.

(١١) نفسه ، ص ١٠٩.

(١٢) نفسه ، ص ٢٩٧.

الصحف المتطاولة على الرسول خائنة لأمانة القلم

نشــــــــرت جريــــــــــدة الــــــــــوطن فـــــــــي ١٤٢٦/١٢/٣٠هـــــــــ
==========================

الصحف المتطاولة على الرسول خائنة لأمانة القلم

ليس لدى الإنسان المسلم شيء أغلى عنده من خالقه ومعتقده ونبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ولا شك بأن المساس بذات الرسول صلى الله عليه وسلم والنيل من شخصيته صلى الله عليه وسلم والتطاول على سيرته ببذيء الكلام وساقط القول إنما يعكس أثرا جليا عن رداءة الجهة المعتدية وسوء الأيدي التي توجهت إلى ذلك، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون، وهو نيل من كرامة كل مسلم على وجه الأرض وتحت أديم السماء.. فماذا نحن فاعلون؟، هل الصمت في هذه الحالة إلا ذل وهوان ونكوص يمجه الدين والعقل؟ ولقد انبرى عدد قليل هنا وهناك للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسائل الإعلام المقروءة ورد الهجمة الخرقاء

وليس بمستغرب ذلك الخذلان الذي نقل عبر صحافتهم فالعداوة قديمة وأزلية وقد فند القرآن الكريم مزاعمهم وبين تربصهم بدين الإسلام وكرههم لأهله ومعتقديه، ولقد أعجبني كلاما نفيساً سمعته على لسان داعية إسلامية في بلادنا أثناء خطبته لصلاة الجمعة الماضية حيث أدان تلك الصحف الشاذة التي نالت من شخصية أعظم بشر مشى على وجه الأرض الرسول الأمين والمصطفى الصادق عليه الصلاة والسلام وأكد على خيانة تلك الصحف لأمانة القلم وأمانة اللسان يوم أن فقدت الأمانة وليس بعد الكفر ذنب واختتم قوله داعيا وناصحا الأمة الإسلامية بضرورة التمسك بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته وأخلاقه واقتفاء أثره، والإكثار والتفاني في الصلاة والسلام عليه وفي ذلك أعظم رد على افتراءاتهم وبين بأن الأمة لم تعرف السلام والراحة والاطمئنان إلا عن طريقه وسلوكه وما قيمة الأمة بغير مشيها على أثره وسلوكها في ركاب رسالته صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين) ويقول عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) فحري بكل مؤمن أن يكون ذلك دافعا له لمزيد من الحب والإقبال والتمسك والمرابطة والدفاع عن حياض دينه ورسوله وأمته.

معاذ الحاج - جازان

==========================

الصفات الخلقية لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

وصف جامع للرسول صلى الله عليه وسلم

صفة النبي صلى الله عليه وسلم

صفة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعضائه
صفة لون رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة شعر رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفة لحيته صلى الله عليه وسلم
خاتم النبوة
ذكر شيب النبي صلى الله عليه وسلم وخضابه
الكفان
الذراعان و المنكبان
القدمان
الساقان
فصاحة لسانة صلى الله عليه وسلم
ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم
صفة يده الشريفة صلى الله عليه وسلم
صفة صوته الشريف صلى الله عليه وسلم
صفة صدره وبطنه وظهره صلى الله عليه وسلم
بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم
صفة قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم
صفة قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم
صفه شعره الشريف صلى الله عليه وسلم
صفة طول الشريف صلى الله عليه وسلم
كلمات في وصفه صلى الله عليه و سلم
طيب ريحه وعرقه وفضلاته صلى الله عليه وسلم
هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم ظل؟
الكلام على صفة خاتم النبوة
صفة النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كأن الشمس تجري في جبهته وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلي القمر، فلهو عندي أحسن من القمر

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهم قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة

وصف جامع للرسول صلى الله عليه وسلم

وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لابن أبي هالة : عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي_ وكان وصافًا_ عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال:كان صلى الله عليه وسلم فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه كتلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذ هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن، ينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور ويعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج سهل الخدين

ضليع الفم أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه كجيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك سواء، موصول البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، خمصان الإخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء

إذا زال زال تقلعًا، ويخطو تكفأ، ويمشي هونًا سريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت معًا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره لملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام

قلت: صف لي منطقه

قال : كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثًا، ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة، وإن دقت لا يذم ذواقًا ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تعرض للحق لم يعرف أحدًا، ولم يقم لغضبه شيء، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كله، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب وأعرض أشاح، وإذا ضحك غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانًا ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئًا

قال الحسين: لقد سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان دخوله لنفسه مأذونًا له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء: جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزأ نفسه بينه وبين الناس، فيرد ذلك العامة بالخاصة، فلا يدخر عنهم شيئًا، فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بأذنه، وقسمتهم على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم ويخبرهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياي؛ فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روادًا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة، يعني على الخير

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

فقال : كان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا ما يعنيه، ويؤلفهم ولا يفرقهم، أو قال: ولا ينفرهم، فيكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة

فسألته عن مجلسه فقال : كان صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته، متعادلين متواصين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذوي الحاجة، ويحفظون الغريب

قال: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟

قال : كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فاحش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يوئس منه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء (الجدال) والإكثار (أي الإكثار من الكلام أو المال) وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيبه، ولا يطلب عورته (أي لا يكشف عورة أحد أو لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه عن الناس) ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم

يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة (أي الجفاء والغلظة) في منطقه ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة فأرشدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ (أي مقتصد في المدح غير متجاوز اللائق به)، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز (أي يجاوز الحق ويتعداه) فيقطعه بنهي أو قيام

قال: قلت: كيف كان سكوته؟

قال : كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر. فأما تقديره: ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تذكره أو قال تفكره: ففيما يبقى ويفنى

وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاد الرأي فيما أصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم في الدنيا والآخرة. رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني في الكبير

صفة لون رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان ربعة من القوم لا بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قط ولا سبط رجل

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشربًا بياضه بحمرة

وقال ابن أبي خيثمة رحمه الله في صفته صلى الله عليه وسلم: كان أزهر اللون، والأزهر الأبيض الناصع البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شئ من الألوان

وقد نعته بعض من نعته بأنه كان مشرب حمرة، وقد صدق من نعته بذلك ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح؛ فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر لا يشك فيه أحد ممن وصفه بأنه أبيض أزهر

صفة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعضائه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا، فكان وجهه كالقمر والشمس مستديرًا

وكان صلوات الله وسلامه عليه عظيم العينين أهدب الأشفار، مشرب العينين حمرة، أشكل أسود الحدقة، أدعج، أكحل العينين، دقيق الحاجبين، سابغهما، أزج، أقرن، أبلج

واسع الجبين، أغر، أجلي كأنه يتلألأ، وكان العرق في وجهه كاللؤلؤ، وكان أسيل الخدين سهلهما، أقني الأنف، ضليع الفم، حسن الثغر، براق الثنايا، إذا ضحك كاد يتلألأ

وفيما يلي باقة عطرة من وصف الواصفين لرسول الهدي صلى الله عليه وسلم ممن حضره وشاهده تدلل على ما ذكرناه

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير

وعن أبي إسحاق قال: سئل البراء: أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا، بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا

وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه في نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "... كان أسود الحدقة أهدب الأشفار

وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مشربا حمرة أدعج العين، سهل الخد

وعن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم"ضليع الفم أشكل العين منهوس العقبين

قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟

قال: عظيم الفم

قال: قلت: ما أشكل العين؟

قال: طويل شق العين

قال: قلت: ما منهوس العقب؟

قال: قليل لحم العقب

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، في وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الثغر

صفة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفة لحيته صلى الله عليه وسلم

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس

وعنه رضي الله عنه في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم اللحية

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر اللحية

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية

صفة شعر رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد سواد الشعر

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أنصاف أذنيه

وعنه رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرًا رجلاً، ليس بالجعد ولا البسط، بين أذنيه وعاتقه

عن ابن العباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد

ذكر شيب النبي صلى الله عليه وسلم وخضابه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعه: فرأيت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه و سلم فإذا هو أحمر فسألت فقيل: من الطيب

وعن ثابت رضي الله عنه قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت

وقال: لم يختضب، وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم، واختضب عمر بالحناء بحتا

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا دهن ومشط لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين

عن إياد بن أبي رمثة رضي الله عنهما قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قال لي: هل تدري من هذا؟

قلت: لا

قال: إن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لا يشبه الناس، فإذا هو بشر ذو وفرة بها ردع من حناء، وعليه بردان أخضران

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السبتية ويصفر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعل ذلك

عن عبد الله بن عقيل قال: قدم أنس بن مالك المدينة وعمر بن عبد العزيز وال عليها، فبعث إليه عمر

وقال للرسول: سله هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإني رأيت شعرا من شعره قد لون

قال أنس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد متع بالسواد، ولو عددت ما أقبل عليه من شيبة في رأسه ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة شيبة، وإنما هذا الذي لون من الطيب الذي كان يطيب به شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الذي غير لونه

فائدة

يلحظ مما تقدم من الأحاديث ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خضب، مثل حديث أبي رمثة وحديث ابن عمر رضي الله عنهم، ومنها ما ينفي ذلك مثل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

ومن الأحاديث أيضا ما حدد عدد شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حديث أنس الآنف الذكر؛ فإنه حدد الشيب بإحدى عشرة شيبة، بينما وردت أحاديث أخر دلت على أن الشيب أزيد من هذا العدد، مثل حديث ابن عمر

وقد جمع العلماء رحمهم الله بين هذه الأحاديث ورجحوا ما يأتي

أولاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خضب

قال ابن كثير، رحمه الله: ونفي أنس للخضاب معارض بما تقدم عن غيره من إثباته، والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي، لأن المثبت معه زيادة علم ليست مع النافي

ثانياً : أن إثبات غير أنس من الصحابة لأزيد مما ذكر من الشيب مقدم لا سيما ما جاء عن ابن عمر الذي يظن أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة؛ ذلك أن اطلاعها أتم من اطلاع أنس؛ لأنها ربما فلت رأسه الكريم عليه الصلاة والسلام

صفات أخري لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أولاً : خاتم النبوة

عن عاصم عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما، أو قال ثريداً قال: فقلت استغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم ولك ثم تلا هذه الآية: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ - سورة محمد آية ١٩

قال: ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، عند ناغض كتفيه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثاليل

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: ".. كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الشمس والقمر مستديرا، ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده

ثانياً : المنكبان

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين

ثالثاً : الذراعان

عن أبي هريرة رضي الله عنه في نعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان شبح الذراعين

رابعاً : الكفان

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين، حسن الوجه، لم أر بعده ولا قبله مثله وكان بسط الكفين

عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والكراديس، طويل المسربة

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كان عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

خامساً : الساقان

عن سراقة بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنوت منه وهو على ناقته جعلت أنظر إلي ساقه كأنها جمارة

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: دفعت إلي النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالأبطح في قبة كان بالهاجرة، فخرج بلال فنادى بالصلاة، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع الناس عليه يأخذون منه، ثم دخل فأخرج العنزة، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأني أنظر إلي وبيص ساقيه، فركز العنزة ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، يمر بين يديه الحمار والمرآة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تبسما وكان في ساقيه حموشة

سادساً : القدمان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين

وعنه رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم شثن القدمين

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهوس العقبين

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان يطأ بقدميه جميعا ليس له أخمص

سابعاً : ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم

عن سهل بن سعد: أن علي بن أبي طالب اشتكى عينيه يوم خيبر، فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع

ومج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر ففاح منها رائحة المسك، وبزق في بئر في دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها

ومسح بيديه الشريفة صلى الله عليه وسلم، بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عينيه وبطنه وكان به شري، فما كان يشم أطيب منه رائحة

ثامناً : فصاحة لسانة صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يقول: أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم

وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد طفت في العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك

قال: أدبني ربي، ونشأت في بني سعد بن بكر

تاسعاً : صفة صوته الشريف صلى الله عليه وسلم

كان صوته صلى الله عليه وسلم يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره

فعن البراء قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العوائق في خدورهن

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا، فسمعه عبد الله بن رواحه وهو في بني غم فجلس مكانه

عاشراً : صفة يده الشريفة صلى الله عليه وسلم

قال يزيد بن الأسود: ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحا من المسك

وعن أنس رضي الله عنه: مامسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن بطال: كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما، غير أنها مع ضخامتها كانت لينة

وعن أبي زيد الأنصاري قال: مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله

قال الراوي عنه: فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهة حتى مات - رواه البيهقي وغيره

حادي عشر : بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه

ثاني عشر : صفة صدره وبطنه وظهره صلى الله عليه وسلم

وصفه علي رضي الله عنه فقال: ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة

وصفت بطنه أم هانئ فقالت: ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعض

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صبغ من فضة، رجل الشعر، فضاض البطن، عظيم مشاش المنكبين مفاض البطن واسعه

المشاش: رؤوس العظام

وعن محرش الكعبي قال: اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا، فنظرت إلي ظهره كأنه سبيكة فضة

وروى البخاري: كان صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين

وعن أبي هريرة: رحب الصدر

ثالث عشر :صفة قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم

قد صح أن جبريل عليه السلام شقه، واستخرج منه علقة، فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده في مكانه قال أنس: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره - رواه مسلم

رابع عشر : صفة قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم

وعن ميمونة بنت كردم قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه - رواه الإمام أحمد وغيره

وقال أبن أبي هالة: خمصان الأخمصين مسيح القدمين

والأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء

والخمصان: البالغ منه

ومسيح القدمين: أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق

وعن عبد الله بن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قدما

خامس عشر : صفة طول الشريف صلى الله عليه وسلم

قال علي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو على الطول أقرب - رواه البيهقي

وقال أبن أبي هالة: أطول من المربوع وأقصر من المشذب

والمشذب: البائن الطول في نحافة، وهو مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالطول المغط، أي المتناهي في الطول

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلي الربعة إذا مشي وحده، ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طالة صلى الله عليه و سلم، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الربعة - رواه البيهقي وعلي وزاد ابن سبع في (الخصائص): أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين صلى الله عليه وسلم

ووصفه ابن أبي هالة: بأنه معتدل الخلق بادن متماسك

سادس عشر : صفه شعره الشريف صلى الله عليه وسلم

عن قتادة رضي الله عنه قال: سألت أنس عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا بين شعرين، لا رجل سبط ولا جعد قطط، وكان بين أذنيه وعاتقه

وفي رواية: كان رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه

وفي أخري: كان شعر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلي أنصاف أذنيه

وفي حديث البراء: يضرب إلي منكبيه، وفي حديث أنس: كان إلي أذنيه

وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم فوق الوفرة ودن الجمة

والجمة: هي مجتمع الشعر الذي نزل إلي المنكبين

والوفرة: ما نزل إلي شحمة الأذن

واللمة: التي ألمت بالمنكبين

قال القاضي عياض: والجمع بين هذه الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، والذي يلي أذنيه وعاتقيه وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه، قال: وقيل بل لاختلاف الأوقات فإذا غفل عن تقصير شعره بلغ المنكب، وإذا قصره كان إلي أنصاف الأذنين فكان يطول ويقصر بحسب ذلك

وعن أبن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رءوسهم وكان أهل الكتاب يسدلون شعورهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤم فيه بشئ ثم فرق صلى الله عليه و سلم رأسه - رواه الترمذي وفي صحيح مسلم نحوه

وسدل الشعر: إرساله، والمراد هنا إرساله على الجبين، واتخاذه كالقصة، وأما الفرق: فهو فرق الشعر بعضه عن بعض

قال العلماء: والفرق سن لأنه هو الذي رجع إليه صلى الله عليه وسلم

والصحيح جواز الفرق والسدل، يكون الفرق أفضل - والقصة: شعر الناصية يقص حول الجبهة

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وله أربع غدائر - رواه الترمذي

الغدائر: هي الذوائد، والمفرد: غديرة

وعن أنس رضي الله عنه: كان في لحيته صلى الله عليه وسلم شعرات بيض - رواه مسلم

وعنه رضي الله عنه: ما كان في رأسه صلى الله عليه وسلم ولا لحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء وعن ابن عمر: نحو عشرين

وفي الصحيحين: أن ابن عمر رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة

قال الثوري: المختار أنه صبغ في وقت وتركه في أوقات كثيرة، فأخبر كل بما رأى، وهو صادق

وعن أنس رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم حلق شعره الشريف في غير نسك حج أو عمرة فتكون تبقية الشعر في الرأس سنة، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته

وأما العانة: ففي حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور، وكان إذا كثر شعره حلقه

طيب ريحه وعرقه وفضلاته صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضي الله عنه: ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبر أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم - رواه أحمد

وعنه رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق - رواه أبو ليلي وغيره

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب من وراء الحائط فنظر يمنيا وشمالا فلم ير

أحدا فحسي دمه (أي شربه) حتى فرغ ثم أقبل، فنظر في وجهه فقال: ويحك ما صنعت بالدم؟ قال: قلت: غيبته من وراء الحائط

قال: أين غيبته؟

قلت: يا رسول الله عز علي دمك أن أهرقه في الأرض فهو في بطني

فقال: اذهب، فقد أحرزت نفسك من النار

وعن أم أيمن قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل إلي فخار في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا أم أيمن قومي فأهرقي ما في تلك الفخارة

فقلت: قد والله شربت ما فيها

قالت: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال: أما والله لا توجعن بطنك أبدا

كلمات في وصفه صلى الله عليه و سلم

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: بأبي وأمي لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه و سلم

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

وأكمل منك لم تلد النساء ... ... وأجمل منك لم تر قط عيني

كأنك قد خلقت كما تشاء ... ... خلقت مبرءا من كل عيب

وقال حسان أيضا

ولا في جنان الخلد مثلك أخر ... ... فما ولدت حواء من صلب آدم

وقال أخر

ينكس الحسن رأسه خجلا ... ... أن جاء الحسن كي يقاس به

وقال القرطبي: لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه و سلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه و سلم

الكلام على صفة خاتم النبوة

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إن ابن أخي وقع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلي خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة - رواه البخاري

ووقع في رواية ابن حبان من طريق سماك بن حرب: كبيضة النعامة. ونبه على أنها غلط

وعند ابن حبان من حديث ابن عمر: مثل النائتة من اللحم

وعند الترمذي: كبضعة ناشزة من اللحم

وأما ورد من أنها كانت كأثر المحجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها: محمد رسول الله، أو سر فإنك المنصور، أو نحو ذلك فلم يثبت منها شئ

وقال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه صلى الله عليه وسلم الأيسر، إذا قلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر قدر جمع اليد، والله أعلم

السر في خاتم النبوة كان عند كتفه الأيسر

وقال: وقع في حديث عبد الله بن سرجس عند مسل أن خاتم النبوة كان بين كتفيه عن نغض كتفه اليسري

ثم قال العلماء: السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة، وقد ورد في خبر مقطوع أن رجلا سأل ربه أنه يريه موضع الشيطان، فرأي الشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه، له خرطوم كالبعوضة - أخرجه أبن عبد البر يسند قوي إلي ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز فذكره، وذكره أيضا صاحب (الفائق) في مصنفه

وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يعلي وأبن عدي ولفظه: أن الشيطان واضع خطمه على قلب أبن آدم: الحديث

وأورد أبن أبي دواد في كتاب (الشريعة) من طريق عروة بن رويم أن عيسي عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من أبن آدم، وقال فإذا برأسه مثل الحية، وأضع رأسه على تمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا غفل وسوس

وقال السهيلي: موضع خاتم النبوة عند نغض كتفه صلى الله عليه وسلم الأيسر لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع يدخل منه الشيطان ليوسوس لأبن آدم

خاتم النبوة ليس أثراً الشق الصدر

قال الحافظ في (الفتح): وداعي عياض هنا أن الخاتم هو أثر شق الملكين لما بين كتفيه وتعقبه النووي قال: هذا باطل لأن الشق إنما كان في صدره وبطنه، وقال القرطبي: أثره إنما كان خطا واضحا من صدره إلي مراق بطنه كما في الصحيح، ولم يثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت مسربته إلي مراق بطنه قال: بهذه غفلة من هذه الإمام، ولعله ذلك وقع من بعض نساخ كتابه، فإنه لم يسمع عليه فيما عملت، كذا قال

وقد وقفت على مستند القاضي وهو حديث عتبة بن عبد السلمي الذي أخرجه أحمد والطبراني وغيرهما عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم: كيف كان بدأ أمرك؟ فذكر القصة في ارتضاعه في بني سعد، وفيه أن الملكين لما شقا صدره صلى الله عليه و سلم قال أحدهما للأخر: "خطة فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة" انتهي

فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل ذلك عياض على أن الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى التأم كما كان وقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الشق

وفهم النووي وغيره أن قوله: (بين كتفيه) متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق بأثر الختم، ويؤيده ما في حديث شداد بن أوس عند أبي يعلي في (الدلائل) لأبي نعيم أن الملك لما أخرج قلبه وغسله ثم أعاده ختم عليه بخاتم في يده من نور فامتلأ نورا وذلك نور النبوة، فيحتمل أن يكون ظهر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب في تلك الجهة

وفي حديث عائشة عند أبي دواد الطيالسي وأبن أبي أسامة في (الدلائل) لأبي نعيم أيضا: أن جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث (هبط جبريل فسلق لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقاني، وخيم في ظهري حتى وجدت برد الخاتم في قلبي، وقال: أقرا) الحديث هذا مستند القاضي فيما ذكره وليس بباطل.

الخاتم لم يكن موجودا حين ولد صلى الله عليه وسلم

ثم قال الحافظ: ومقتضي هذه الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجودا حين ولادته صلى الله عليه وسلم، ففيه تعقيب على من ذهب وزعم أنه ولد به، وهو قول نقله أبو الفتح اليعمري بلفظ: قيل ولد به وقيل حين وضع، نقله مغلطاي عن يحي بن عائذ، والذي تقدم أثبت

احتمال أن الخاتم وقع في موضعين من جسده

ثم قال: ووقع مثله في حديث أبي ذر عند أحمد والبيهقي في (الدلائل) وفيه: وجعل خاتم النبوة بين كتفيه كما هو الآن

وفي حديث شداد بن أوس في المغازي لابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر: وأقبل وفي يده الخاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه" الحديث. وهذا قد يؤخذ منه أن الخاتم وقع في موضعين من جسده، والعلم عند الله

هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم ظل؟

قال ابن سبع: كان من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان نورا، وكان إذا مشي في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل والله أعلم بالحقيقة

قال القاري: وسمي الله النبي صلى الله عليه وسلم نورا فقال: قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ قيل المراد بالنور محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه: وَسِرَاجاً مُّنِيراً أي شمسا مضيئا، سمي بذلك لوضوح أمره، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ، وما ظهر من الأنوار والأسرار بسببه

قال الحلبي: ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ربه أنه يجعل في جميع أعضائه وجهاته نورا، وقوله: واجعلني نورا، ما قاله من أنه صلى الله عليه وسلم كان من خصائصه أنه كان نوراً

وقال العلامة على بن محمد القاري: وفي حديث أبن عباس: لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل، ولم يقم مع الشمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه ضوء السراج ذكره ابن الجوزي وذكره المناوي في (شرح الشمائل) وقال: ذكره في الوفاء بأسانيده

==============================

الصّراع الفكريّ بين الإسلام والغرب على القارّة السوداء"

نايف ذوابه ١٤٢٥/٦/٢٢

٢٠٠٤/٠٨/٠٨

قبل خمسة عشر عامًا قرأت كتابًا عن الإسلام في إفريقيا صادرًا عن سلسلة دار المعرفة الكويتيّة، وقد أثلج صدري، وأبهج نفسي ما قرأته من صفَحَات مضيئة من جهاد المسلمين الأفارقة للحفاظ على هويّة القارّة الإسلاميّة في مِنطقة القرن الإفريقيّ التي شهدت معارك طاحنة مع القوّات الإيطاليّة وغيرها من قوّات الحلفاء في نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ.

ولقد كنت أقرأ صفَحَات الكتاب، وكلّما طويت صفحة كنت أشعر بالزّهو والفخر لهذا الكفاح العنيد، والجهاد الصادق الذي بذله إخوتي هناك للوقوف في وجه الاستعمار الغربي (الذي كان ينشد احتلال الأوطان والأدمغة ونهب الثروات) على قلّة إمكاناتهم، وضخامة إمكانات أعدائهم؛ لكنّهم أبدَوْا إرادة خلاقة تستحوذ على إعجاب من يتتبّع هذه الأحداث، وهذا ما شفى نفسي وأبرأ سُقْمها من أحداث أخرى كانت تدور رحاها في الشرق العربيّ؛ حيث وجد المستعمر الكافر ضالّته في نفر من المسلمين المغفّلين باعوا أنفسهم للهوى؛ كانوا ينتحرون سياسيًّا ويتعاونون مع المستعمر الكافر لدقّ آخر إسفين في نعش دولة الخلافة العثمانيّة التي كانت آخر من يمثل سلطان الإسلام ووجوده في الموقف الدّوليّ، والعلاقات الدوليّة . وكان ما كان؛ إذ لفظت دولة الخلافة العثمانيّة أنفاسها في نهاية الحرب العالميّة الأولى ، وتداعت عليها قوى الكفر، ووقعت المِنطقة بأسرها تحت هيمنة الكفار المستعمرين: فرنسيين وإنجليز بعد أنْ غيّبت أحداث الحرب العالميّة الأولى المسلمين عن الساحة الدوليّة ، وقامت بريطانيا وفرنسا باقتسام تركة الرجل المريض (الدولة العثمانيّة) وفق اتفاقيّة سايكس - بيكو المشؤومة، ثمّ وعد بلفور المشؤوم . وباء الذين تعاونوا مع الإنجليز بالخسران المبين؛ فلا هم حافظوا على ملكهم الذي كانوا عليه، ولا منحهم الإنجليز ما وعدوهم به.

لا أريد أنْ أخوض في تفاصيل الإطار التاريخيّ للأحداث السياسيّة وحسبي ما ذكرت لأعود ثانية إلى القارة " البيضاء" فتح الله علينا بها، والتي هي الآن ميدان الصراع الرّهيب بيننا وبين الغرب الذي يخشى من اكتساح الإسلام لهذه القارة والتي أقر

المنصّرون "بأنّ الإسلام يلقى فيها الترحيب الحارّ" لكنّهم لم يسألوا أنفسهم: لماذا يلقى الإسلام الترحيب الحارّ من سكان القارّة الإفريقيّة كما في غيرها!

وقبل أنْ أستطرد في هذا الموضوع أعود للكتاب الذي قرأته فأتحدّث عن حادثة اهتزت لها نفسي، وخفق لها جناني، وجعلتني أكثر شموخًا وثقة بهذا الدين الذي أنتسب إليه. وهذه الحادثة كما يذكرها الكتاب تتلخّص في أنّ الإمبراطور الحبشيّ النّصرانيّ في تلك الحقبة من نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ هداه الله للإسلام؛ فجمع كبار رجال الدّين المسيحيّ من بطارقة وكرادلة وقساوسة... وصارحهم بما أصبح عليه من الإسلام، وحاجّهم ودعاهم إلى الإسلام، فما كان منهم إلا الرّفض، وعزموا على عزله وضحّى الإمبراطور المهتدي بمُلكه رغبة في الإسلام وقدّم مثلاً رائعًا في التضحية بالدنيا وما فيها حبًا في الله ومحبّة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا المشهد النزيه الذي انقاد فيه الإمبراطور الحبشيّ لسلطان الحقّ الذي قاده إليه عقله ذكرّني بموقف جدّنا العظيم سعد بن معاذ رضي الله عنه حينما نما إليه أُناسٌ أنّ مصعب بن عمير يدعو للإسلام في المدينة ويفتن النّاس عن دين آبائهم وأجدادهم؛ فجاء سعد إلى مصعب مغضبًا وقال له : إنْ كان لك بنفسك حاجة يابن أخي فارحلْ عن هذا المكان ! فما كان من السّفير الداعية (مصعب) إلا أنْ قال له : أوَ تسمع؟ فإنْ سمعت ما تكره كففنا عنك ما تكره .فقال سعد : أنصفت ! وركز حربته في الأرض، وجلس يستمع إلى كلام الله من مصعب، ولم يمنعه هوى، ولا كبر، ولا استخفاف بهذا الغريب من الإنصات لنداء العقل والحقّ، وسمع معاذٌ القرآن، وهل من عاقل يسمع القرآن، ولا يدرك أنّه حق(إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وما أن انتهى مصعب من قراءته حتى فعل القرآن فعله في سعد بن معاذ وسأل سعد مصعبًا : وماذا يفعل من يدخل في دينكم ؟ واغتسل سعد وتشهّد ودخل في دين الله، وكان إسلامه فتحا على الإسلام ، وعلى إثره قام الكيان الإسلاميّ في المدينة.

وهذا الموقف الإيجابي من سعد بن معاذ الذي استسلم لسلطان العقل، ولم يحجزه الهوى عن السّماع ثم الاتباع أقارنه بموقف أتذكره للجاسوس البريطاني "هنفر" الذي بعثته بريطانيا إلى إستانبول (ولم يزل حدثًا صغير السنّ، وإنّما أرادوا أنْ يتربّى في أحضان البلاد التي سيعمل فيها ليتعرّف على عادات القوم وأخلاقهم ، ودينهم، وتفاصيل حياتهم؛ ليسهل عليه انخراطه في مجتمعهم)؛ وذلك للتجسّس على الدولة العثمانيّة وتقويض أركانها من الداخل. وقد لازم "هنفر" شيخًا تركيًّا كان يعمل نجارًا، وادّعى "هنفر" الإسلام، وأخذ يتعلّم الإسلام من الشيخ، وقد أُعجب "هنفر" بالإسلام وبالشيخ الذي تمثل الإسلام تمثلاً صادقًا: استقامة، وأمانة، ورقة قلب، وحسن خلق. وبدأت نفسه تراوده أنْ يسلم حقيقة لا ادّعاءً ،ودخل مع هواه في صراع رهيب ، وكلّما عزم "هنفر" على الإسلام تذكّر المهمّة التي جاء من أجلها لخدمة التاج البريطانيّ، وهكذا انتصر الهوى وحال بينه وبين الإسلام ، وقد صدق من قال : إنّ الهوى من الهوان !

إنّ الإسلام عقيدة عقليّة، وهنا تكمن قوّة الإسلام؛ فهو يخاطب العقل، ويقنعه بخلاف المسيحيّة التي تتناقض مع العقل سواء في فكرة التثليث، أو فكرة الخلاص والفداء ،فضلا عن أنّ الفكرة الإسلاميّة تملأ القلب والفطرة طمأنينة؛ فيغدو المرْء معها مرتاح البال، هادئ النّفس، قرير العين وتتحوّل معه الحياة إلى سعادة دائمة.

أمّا الجانب الإنساني في الفكرة الإسلاميّة فكان مثالاً حيًّا جعلت الشعوب تستقبله، وتنصهر فيه، ثمّ تحمله من خلال جيوش الفتح الإسلاميّ.

ومن هنا فإنّ الإسلام فكر ديناميّ حي مؤثّر في النفوس، يهز العقول، ويوقظ العواطف النبيلة، ولا قِبل لأيّ فكر عرفته البشريّة أنْ يتحدّى الإسلام وقد أبدى المؤرخ البريطاني"أرنولد توينبي" ذهوله من الفترة القياسيّة التي استطاع فيها الإسلام الظهور؛ إذ تحدّى أكبر إمبراطوريتين في عصره بل وهزمهما وقهرهما وأقصاهما من الموقف الدولي حينئذ بعد معركتي اليرموك و القادسيّة أي بعد مضي قرابة خمسة عشر عامًا من قيام الدولة الإسلاميّة في المدينة.

والغرب يراقب المِنطقة عن كثب، وقد صبّ كل إمكانياته الاستخباراتيّة والعسكريَّة للإحاطة بالمِنطقة، وضبط إيقاع الأحداث فيها و"نيسكون" أشار في كتابيه " نصر بلا حرب" و " الفرصة السانحة" إلى أنّ الإسلام سيصبح قوّة جيوبوليتيكيّة خطيرة، ولا سيّما مع التزايد السّكاني، والإمكانيّات الضخمة لبلاد المسلمين. وقد برّرت "مارغريت تاتشر" ضرورة استمرار وجود حلف الناتو بعد سقوط الاتحاد السوفيتي لوجود الخطر الإسلاميّ.

بل إنّ أحد المحللين السياسيين في المِنطقة وهو "جورج طرابيشي" في حوار له مع قناة الجزيرة قبل نشوب الحرب الأخيرة لم يُخْف الغرض الرئيس من تصميم أمريكا على إسقاط نظام صدّام، وهو الخشية من وقوع العراق بأيدي أصوليّة، وأنّ صدّام و البعثيين ليسوا هم الخطر الحقيقيّ الذي تخشاه أمريكا، وإنّما القوى السياسيّة الإسلاميّة التي تعمل بدأب لاستلام السلطة في المِنطقة!

أمّا المشهد المذهل الذي سآتي عليه – وهو لا شكّ قد روّع المفكّرين والسياسيّين الغربيّين- فهو ذلك اللّقاء الذي أجرته قناة الشارقة الفضائيّة في رمضان الماضي مع سيّدة أمريكيّة مسلمة تحكي قصّة إسلامها فقالت: إنّها كانت مسيحيّة متديّنة، وكانت تحرص على تنشئة أبنائها على الدّين المسيحيّ لكن العقدة التي واجهتها في الدّيانة المسيحيّة كانت في فكرة التثليث التي لم يتقبلها عقلها، وظلّت تنتظر أجوبة لأسئلة كثيرة محيّرة لم تستطع الدّيانة المسيحيّة الإجابة عنها، وكانت تذهب إلى الغابات تتأمل قدرة الله في مخلوقاته، وقد قيّض الله لها بوساطة جيران لها ومعارف – مسلمًا عربيًا- أجابها عن أسئلتها التي تقلقها وتقضّ مضجعها؛ فشعرت بالرّاحة النفسيّة بعد ذلك، وأخذت تتعرّف على الإسلام، وتقرأ عنه حتى اطمأنّ قلبها للإسلام، فدخلت في دين الله، وخرجت من حياتها تاركة زوجها وأولادها الذين كانت تدعو لهم بالهداية.

لقد كنت أستمع لقصة إسلام هذه المرأة وأنا في غاية التأثر والنّشوة، لقد كنت أسمعها، وأشعر أنّها في غاية السعادة بعد أنْ هداها الله لنور الإسلام.

أما المشهد الأخير الذي سأختم به مقالي فهو ما عرضته قناة الشارقة أيضاً لمجموعة من الفتيان والفتيات الأوروبيّات ومن جنوب إفريقيا يتحدثون عن قصّة إسلامهم، وأعمارهم ما بين السادسة عشرة والحادية وعشرين، يهتدون للإسلام وهم في سن المراهقة. يا إلهي! الفتى أو الفتاة في هذه السنّ يبحث عن المتعة والشّهوة، وهؤلاء يبحثون عن الحقيقة التي لم يجدوها في ديانتهم المسيحيّة، ولا في حضارتهم الغربيّة الرأسماليّة. لا شك أنّ المفكرين الغربيّين تدهشهم هذه المشاهد، وتهزهم من الأعماق، وهم يدركون أنّ الفراغ الروحيّ والفكريّ الذي تعيشه مجتمعاتهم لا يملؤه إلا الإسلام .

وفي النهاية أقول: مهما حشد الغرب من قوى لإعادة تنصير العالم أو لاكتساب نصارى جدد، فإنّ الغرب يخوض معركة خاسرة؛ لأنّ عقيدته باطلة وفكرته ضعيفة، ناهيك عن أنّ جنوده الذين جنّدهم في المعركة ضعفاء فاقدون للقناعة، وفاقد الشيء لا يعطيه، والغرب جرّد عقيدته من حقائق التوحيد وأصبحت عقيدته عقيدة وثنية تعبد العلم، ولا تعترف بغير حقائق العلم، ومجتمعاته مجتمعات ماديّة خاوية خُواءً رهيبًا ، وأجزم أنّ على "فوكوياما" أنْ يراجع ما كتبه في كتابه "نهاية التاريخ" ؛ لأنّ الغرب وحضارته وعقيدته وليبراليّته في مأزق خطير وصدق الله العظيم (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...)[الأنبياء: من الآية١٨]

==============================

العلاقة السرية بين الحكومة الدانماركية والبقر

الكاتب: ناصر بن عبدالرحمن بن ناصر الحمد *

إن الناظر إلى المنتجات الدانماركية في العالم يجد أن أكثر ماتشتهر به(المنتجات البقرية..الزبدة ..الأجبان ..الحليب) وهذا بلاشك يجعل عندنا تفكيرا عميقا في العلاقة السرية بين البقر والحكومة الدانماركية لابد أن يكون هناك وجه شبه فكرت مليا في الشبه بينهما فوجدت العلاقة الوطيدة بين الجانبين إنها (علة الفهم)و(علة اللغة)هناك دراسات لفهم الحيوانات ولغاتها ولعل منها البقر ولابد لكل دارس أن يعرفنا لغة البقر حتى نفهم ماتريد الحكومة الدانماركية ومما زادني يقينا في معرفة العلاقة السرية بين الجانبين أن رئيس الوزراء الدانماركي رد أحد عشر سفيرا من دول عربية أرادوا النقاش معه وهذا يدل أن له لغة خاصة لايفهم فيها لغة البشر وحين نعلم أن اقرب لغة له هي لغة البقر فلابد أن نعلم أن البقر لاتفهم إلا بالجزاء والعقاب ويؤثر فيها جدا ولذا ينبغي للمسلمين أن يفهموا ذلك جيدا ولو فكرنا ماحيلتنا نحن لانفهم لغة البقر إلا مانعرفه عند رعيها وذلك بالحرمان والعقاب علمنا أن مقاطعة الحكومة الدانماركية شعوبا وحكومات إسلامية هو حل لابأس به ليؤدبها بعض الشيء وربما نحتاج لأن ندفع بعض

الأموال إلى من يجيد لغة البقر فيأطرها على الصواب أطرا وذلك من خلال المحاكمة التي تردعها بعض الشيء ولكن علينا أن نفهم أن هناك (انفلونزا بقري)ربما سبب مرضا في بعض البشر ممن يدافعون عن البقر ممن يكتبون في صحافتنا العربية فيسبون المصطفى صلى الله عليه وسلم من طريق ملتوية فلنحذر منهم ولنعالج البقر قبل أن يستفحل شره ولنري الله تعالى خيرا .

أمة الإسلام أيها البشر الكرام أيستهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم ونحن نرى ونسمع بلا مسمع ونحن نسقي هذا العدو للنبي صلى الله عليه وسلم بأموالنا من حيث لانشعر نحب أن نشعر فقط أننا ندافع ولو بالقليل عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأينا زبدة لورباك وتذكرنا حسن طعمها ذكرنا مر شتم النبي صلى الله عليه وسلم وأثره على قلوبنا نفديه بآبائناوأمهاتنا وذرارينا وأهلينا وجميع من على الأرض لا أريد الإطالة فإني أخاف أن لاأستطيع جمع العبارات مع العبرات لأكون منها عبارة تغني لكن يكفينا قول مولانا تعالى (لقدجائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

أضع بين يدي الغيور بعض مايجب علينا وفاء لحق النبي الكريم

أولا : الدعاء على من ناوئه وعاداه وشتمه فرب دعوة تصدع ماالتئم وتقطع ماجتمع .

ثانيا : اتباع سنته وترك الابتداع وهذه هي حقيقة المحبة ليست المحبة في أهازيج ولا قصائد ولا احتفالات موالد بل هي (إن المحب لمن يحب مطيع) .

ثالثا : الدفاع عن سنته وشخصه الكريم ولو كلفنا أرواحنا فصلاتنا وزكاتنا وحجنا وعباداتنا كلها على ماجاء به المصطفى عن ربه تعالى وماسواها فهو مردود (وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم كان قادرا على أن يطلب من ملك الجبال أن يطبق الأخشبين وقادرا أن يدعوا على قومه فيهلكهم الله لكنه بالعكس من ذلك طلب من ربه تعالى أن لايهلك أمته بعام فأجاب الله دعوته أفلا نستحي على أنفسنا أن نبقى مكتوفي اليدين عن نصرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كل بقدر مايستطيع (قلم..لسان .. مقاطعة .. بغض مبغضيه..) .

رابعا : محبة صحابته الأبرار وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين ثم العشرة ثم المهاجرين ثم الأنصار ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم فمن أراد الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم فليدافع عن أصحابه (لاتسبوا أصحابي .....الحديث) .

خامسا : محبة آل بيته الأطهار وعلى رأسهم علي وفاطمة والحسن والحسين وزوجاته عليهم السلام فإن لهم علينا حق كبير (اوصيكم الله في آل بيتي ...الحديث) وكل من كان من سلالته من آل علي او جعفر او ابي طالب أو عقيل من أهل الإسلام لابد أن نكرمهم ونحترمهم ونقوم بخدمتهم مااستطعنا .

سادسا : إظهار سيرته ونشرها لنقطع على أهل الزيغ زيغهم وإن كانوا ليعلمون أنه الحق من ربهم كما قال تعالى (يعرفونه كمايعرفون أبنائهم)ولكن إمعانا في الإبلاغ ولابد من تعليم ابنائنا ونشأنا على سيرته فإن المسقبل الغامض يوحي بأخطار .

سابعا : بذل الأموال لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد سررت حين قرأت عن الأخ الغيور حسن آل مهدي أنه مستعد لمحاكمة هذه الصحف المجرمة فجزاه الله خيرا .

ثامنا : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة عند ذكره وكثير من الناس يجهل أنه واجب عليه عند ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم او سماع اسمه ان يصلي عليه (وجوبا) .

تاسعا : مقاطعة المنتجات التي تدعم الدانمارك في اقتصادها وهذا جهد المقل والله المستعان .

عاشرا : لابد من أناس يتهيئون لمواجهة هذا الفكر النجس في الاعتداء على الرسل عليهم السلام عامة وعلى المصطفى صلى الله عليه وسلم خاصة .

اللهم أعز دينك وانصر كلمتك وانتصر لنبيك

*إمام وخطيب جامع الإمام بن ماجه رحمه الله

==============================

الغرب بين حريّة سبّ الإسلام وحرمة الحديث عن الهولوكست.

كتب يحي أبوزكريا / ستوكهولم

تجيز القوانين الغربية للمواطن الغربي أن يعيش الحريّة بكل تفاصيلها و أن يتحررّ من كل القيود التي تكبلّه وبناءا عليه أصبحت الحريّة الجنسية المقرفة و الحرية السياسية و الحرية الإقتصادية في متناول الجميع ، و هناك كمّ هائل من القوانين الرئيسية والفرعية التي تكفل مبدأ الحرية للمواطن الغربي الذي يحقّ له أن يستهين بالقيم الدينية و بالأنبياء ، وعلى الرغم من ذلك فإنّ مناقشة موضوع الهولكست تعتبر محرمة ولا يجوز مطلقا الخوض فيها أو الحديث عنها أو الدعوة إلى إعادة قراءة ظاهرة الهولوكست فإنّ ذلك يعتبر محرما ويعرّض الداعي إلى إعادة قراءة هذه الظاهرة إلى الملاحقات القانونية و الإعتقالات ، كما حدث مع روجي غارودي وفريسون في فرنسا وكما حدث مع أحمد رامي في السويد الذي سجن ستة أشهر بسبب تناول إذاعته راديو الإسلام موضوع الهولوكست و أستضاف شخصيات غربية تحدثت في راديو الإسلام عن خرافة الموضوع .

و للإشارة فإنّه في تاريخ ١٩ مارس / آذار ٢٠٠٥ أقام الكيّان الصهيوني معرضا في تل أبيب أطلق عليه معرض الهولوكست المحرقة العظيمة و دعت الحكومة الإسرائيلية إلى هذا المعرض آلاف الشخصيات و الزعماء الدوليين التي لبّت الدعوة و حتى الأمين العام

للأمم المتحدة كوفي عنان لبّى الدعوة وزار المعرض متناسيا جرائم الكيّان الصهيوني في قانا وجنين و غيرها من المجازر الصهيونية .

وقد تعرض الكثير من الكتّاب الغربيين إلى الإعتقال في ألمانيا وهولندا و النمسا بسبب حديثهم عن الهولوكست و تفنيذ مزاعم الرواية الإسرائيلية للمحرقة اليهودية .

وفي الدانمارك سمحت جريدة رسمية لنفسها بتصوير رسول الله – ص – في رسوم كاريكاتورية ، بينما تلتزم كل الصحف الدانماركية بمبدأ عدم جواز الحديث عن الهولكوست أو حتى الحركة الصهيونية .

و للإشارة فإنّ

السويد

وعندما دعت الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي صاحب كتاب آيات شيطانية رحبّت كل وسائل الإعلام السويدية بقدومه و أتاحت له فرصة واسعة لمخاطبة الجمهور السويدي ، و في نفس زمن وجوده في السويد دعت جمعية عربية الكاتب الفرنسي المعروف بطروحاته ضدّ الحركة الصهيونية فوريسون وقامت الدنيا ولم تقعد ضدّ فوريسون المعادي للصهيونية و قوبل بتظاهرات مضادة الأمر الذي جعل البعض يقول لماذا الحرية متاحة لسلمان رشدي و الذي تهجمّ على المسلمين وشبّه طوافهم حول الكعبة بمثابة طواف الزناة حول بيت الزانية ، و غير متاحة لرجل كفوريسون أو روجي غارودي بمجرّد حديثهم عن الحركة الصهيوينة و أكاذيبها .

وفرنسا

التي حظرت الحجاب و تصف المسلمين بأخس النعوت فإنّه لا يسمح مطلقا الحديث عن الهولوكست و غرف الغاز و أبرز من تعرض للإيذاء في هذا المجال الكاتب الفرنسي الراحل روجي غارودي الذي أنكر في كتابه المسألة اليهودية غرف الغاز Marp والتي مات فيها أكثر من ٦ ملايين يهوديا أو يزيد . و ظل غارودي محل ملاحقة منذ سنة ١٩٩٨ فرض عليه عندها حصارا متعددّ الوجوه وفي كل المجالات بمجرّد أنّه تنكرّ للهولوكست و أعتبره من إنتاج مخيلة الإستراتيجيين اليهود والحاخامات الذين كرسوا الحركة الصهيونية من خلاله وكسبوا تعاطف الرأي العام الرسمي و الشعبي في الغرب .

اتمنى من الله جل جلاله ان تتحد الامه جميعها وتبقى يدا واحده للوقوف ضد هذه الاستفزازات التى يرتكبونها ضد الاسلام والمسلمين وهاهم بعد ان القوا بالمصاحف فى دورات المياه وداسوها بالاقدام ولم يتحرك احد ولكن شجبنا ..ولكن حين حصلت المقاطعه التجاريه اسرعوا بالاعتذار ...وما فائده الاعتذار ..يجب علينا الاعتماد على انفسنا وبضائعنا العربيه ومقاطعة كل ماهو مصنع بالغرب ..واذكركم بما حدث لمن سب ملة اخرى ؟؟؟!

اقول ان اعتزارهم جاء بعد اربعه اشهر من نشر هذه الصور ... ولننظر ماذا فعلوا بمن هاجم الساميه او مايدعونه بالمجزره اليهوديه ..او التطرق للشواذ او المثليين لذا يجب علينا الان ان نتوحد فى وجه هذه الحملة الشعواء بعيدا عن العصبيه والاميه السياسيه ونتخذ قرارات تصون معتقداتنا وافراد الامه الاسلاميه جميعها حتى لانكون امثالهم فى افعالهم التى تذكرنى بما حدث للاسلام فى بدايته من تنكيل وتعذيب وسفك دماء ...انهم يخافون من انتشار الاسلام السريع الذى حدث بعد احداث سبتمبر ...وياليتنا نكون قدوة حسنه فى هذه اللحظات حتى ينضم للاسلام اكبر عدد منهم عن اقتناع بان ديننا هو دين الحق والعدل والسلام والمساواه بين البشر فهنيئا لمن كان سببا فى اسلام ولو شخص ...وهنيئا لكل من نصر دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ...

وقدمت الصحيفه الحمقاء اعتزارا عبيطا باللغه العربيه حتى تحفظ ماء وجهها مع شعبهم وقرائها ..

ولكن مميأسف له أن صحفا عربيه نشرت نفس الصور واحده في الاردن وأخري في اليمن وأخرى في الجزائرفهل يعقل هذا فمثل هذا العمل يزيد الغرب علينا حده .

وبلاشك فهم ربما من عملائهم أو غير مسلمين حقا وان كانوا اسما

==========================

الفاتيكان رأس حربة للصهيونية

السيد أبو داود ١٤٢٥/٥/٨

٢٠٠٤/٠٦/٢٦

حملة "مليون ضد محمد" التي أطلقها الفاتيكان ليست آخر موقف للفاتيكان ضدّ الإسلام ونبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فقد أصدر الفاتيكان مؤخّراً بيانا يحذّر فيه النّساء الكاثوليكيّات من الزواج بمسلمين سواء في أوروبا أو خارجها، لأنّ المسلمين متوحّشين ضد النساء، وأن المسيحيّة التي سوف تتزوج من مسلم ستحرم من حقوقها.

فالفاتيكان له حساباته الخاصّة في أوروبا ، فهو يعلم أنّه ضعيف على مستوى الوجود العام، ولذلك يريد أن يركب موجة العِداء للإسلام التي تثار كثيرًا في مؤسسات صناعة القرار في الغرب لكي يستعيدَ بعض توازنه المفقود.

وذلك يذكرنا بما حدث في أوروبا منذ عشرين عامًا عندما ركب موجة العداء للشيوعيّة وحرّك الكنائس الكاثوليكيّة في أوروبا الشرقيّة ضد الشيوعيّة.

وكان الفاتيكان هو الذي حرّض نقابة " تضامن " في بولندا، حيث كانت هي المبادرة بإسقاط النظام الشيوعيّ.

ولأن الفاتيكان يعلم أنّ الشّعار المرفوع الآن هو محاربة الإسلام تحت دعاوى مواجهة الإرهاب، فهو يريد أن يلعب مع الإسلام نفس الدور الذي لعبه مع الشيوعية في السّابق.

والغريب أن القوم يتحدثون عن الحِوار بين الأديان والمحبّة والتّسامح ، فكيف يستقيم الحِوار مع هذه المواقف السلبيّة التي كانت حملة " مليون ضد محمد " أعنفها وأفحشها؟.

والفاتيكان يعلم أنّه ضعيف في أوروبا ولذلك ضغط مؤخّرًا للاعتراف بالجذور المسيحيّة في الدستور الأوروبيّ بعد أنْ تجاهله السّاسة ولم يشيروا إلى هذا الأمر.

والغريب في الأمر أنّه في الوقت الذي يعلن فيه الفاتيكان الحرب على الإسلام نجد المؤسسات الإسلاميّة في البلاد العربيّة والإسلاميّة عاجزة عن العمل وتكاد تكون مشلولة، حتى في الدّعوة الدّاخلية، لأنّها مقيّدة تحت دعوى محاربة الإرهاب.

و من غرائب الأمور أيضا أنّه بينما يسيطر اليمين المسيحيّ على السياسة في أوروبا ... ويرفع بوش شعارات الدين في الانتخابات ويقول: إنّه مرشّح المسيحيّة.. بينما يحدث ذلك يحذّرنا الغرب وأتباعه في ديارنا من التداخل بين الدّين والسياسة!!

مُحارَبةُ الإسْلام

إنّ الضّغينة والحُنق على الإسلام والرّغبة العنيفة في إقصائه هي أهمّ أهداف الحملة الصّليبيّة على جنوب السودان، إنّها تدرك أنّه لو نفذ الإسلام إلى هناك فإنّ ذلك مدعاة لانتشاره في كامل القرن الإفريقي ومنابع النيل ومنطقة البحيرات، وهي مناطق استراتيجية هامّة ومفصل حركة القارّة، وهذه ميادين لا مساومة فيها؛ ومن ثَمّ سعت الكنيسة إلى نفي كل أثر يتعلق به من الجنوب، لقد كتب (اللورد كتشنر) عام ١٩٨٢م قائلاً: "ليس من شك في أن الدين الإسلامي يلقى ترحيباً حاراً من أهالي هذه البلاد فإذا لم تقبض القوى النّصرانيّة على ناصية الأمر في إفريقيا فأعتقد أنّ العرب سيخطون هذه الخطوة، وسيصبح لهم مركز في وسط القارة يستطيعون منه طرد كافة التأثيرات الحضارية إلى الساحل، وستقع البلاد في هذه العبودية". ويشرح القس (أرشيد كون شو) الأمر فيقول عام ١٩٠٩م: "إنْ لم يتمّ تغيير هذه القبائل السوداء في السنوات القليلة القادمة فإنّهم سيصيرون محمّديّين؛ إذ إنّ هذه المِنطقة مِنطقة استراتيجيّة لأغراض التنصير، إنّها تمتد في منطقة شرق إفريقيا في منتصف الطريق بين القاهرة والكاب". ثم يقول: "إنْ كانت الكنيسة في حاجة إلى مكان لإيوائها فهو هنا لصدّ انتشار الإسلام، والقضاء على تعاليم النبيّ الزائف". ونحن نقول: وهو تماماً ما تمت التوصية به في المؤتمر الإرسالي العالمي بأدنبرة عام ١٩١٠م: "إنّ أول ما يتطلب العمل إذا كانت إفريقيا ستكسب لمصلحة المسيح أن نقذف بقوة تنصيريّة قويّة في قلب إفريقيا لمنع تقدّم الإسلام".

التنصير وسيلتهم الخبيثة

التّنصير حركة سياسيّة استعماريّة بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبيّة بغية نشر النصرانيّة بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامّة، وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السّيطرة على هذه الشعوب .

ويساعدهم في ذلك انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلاميّ، والنفوذ الغربيّ في كثير من بلدان المسلمين، وضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم أو ييسرون لهم السّبل رغبًا ورهبًا أو نفاقًا لهم .

ويعد "ريمون لول" أول نصرانيّ تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبيّة في مهمتها؛ إذ إنّه قد تعلم اللّغة العربيّة بكل مشقة وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين .

ومنذ القرن الخامس عشر وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى إفريقيا وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيريّة البروتستانتيّة إنجليزيّة وألمانيّة وفرنسيّة .

وكان للمنصّر "هنري مارتن "ت ١٨١٢م يد طُولى في إرسال المنصّرين إلى بلاد آسيا الغربيّة وقد ترجم التوراة إلى الهنديّة والفارسيّة والأرمنيّة .

وفي عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التنصيريّة وتبعتها أخريات في اسكوتلاندة ونيويورك .

وفي سنة ١٨١٩م اتفقت جمعيّة الكنيسة البروتستانتيّة مع النصارى في مصر وكوّنت هناك إرسالية عُهد إليها نَشْر الإنجيل في إفريقيا .

وفي سنة ١٨٤٩م أخذت ترد إرساليات التبشير إلى بلاد الشام وقد قامت بتقسيم المناطق بينها .

وفي سنة ١٨٥٥م تأسست جمعية الشبان المسيحية من الإنجليز والأمريكان وقد انحصرت مهمّتها في إدخال ملكوت المسيح بين الشّبان كما يزعمون .

وفي سنة ١٨٩٥م تأسّست جمعيّة اتحاد الطلبة المسيحيّين في العالم ، وهي تهتم بدراسة أحوال التلاميذ في كل البلاد مع العمل على بثّ روح المحبّة بينهم (المحبة تعني نَشْر النصرانيّة) .

وجاء "صموئيل زويمر" وكان رئيس إرساليّة التنصير العربيّة في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشّرق الأوسط، وكان يتولى إدارة مجلّة العالم الإسلاميّ الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م وما تزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد ، دخل البحرين عام ١٨٩٠م ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل . وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسّسها "زويمر" كان في حقل التطبيب في مِنطقة الخليج، وتبعا لذلك فقد افتتحت مستوصفات لها في البحرين والكويت ومسقط وعمان، ويُعَدّ " زويمر" من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث وقد أسس معهدا باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.

خلف "كنيث كراج " "صموئيل زويمر" على رئاسة مجلة العالم الإسلاميّ ، وقام بالتدريس في الجامعة الأمريكيّة بالقاهرة فترة من الوقت، وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي، في هارتيفورد بأمريكا وهو معهد للمنّصرين ومن كتبه (دعوة المئذنة) صدر عام ١٩٥٦م .

أما "لويس ماسينيون" فقد قام على رعاية التنصير في مصر وهو عضو مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، كما أنّه مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا .

ويرى بابا الفاتيكان بعد سقوط الشيوعية أنّ من مصلحة الكنيسة ومصلحة رجال السياسة توجيه عموم الشعب المسيحي نحو خصم جديد يخيفه به وتجنده ضده والإسلام هو الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور في المقام الأول، ويقوم البابا بمغادرة مقره بمعدل أربع رحلات دوليّة لكسب الصّراع مع الأيديولوجيّات العالميّة وعلى رأسها الإسلام ، وتوجد بلايين الدولارات تحت تصرّفه للإنفاق منها على إرسال المنصّرين، وإجراء البحوث، وعقد المؤتمرات، والتخطيط لتنصير أبناء العالم الثالث وتنظيم وتنفيذ ومتابعة النشاط التنصيريّ في كل أحاء العالم وتقويم نتائجه أوّلا بأوّل .

مّنْعُ الوَحدة الإسلاميّة هدفُهمg

يقول "القس سيمون" : "إنّ الوَحدة الإسلاميّة تجمع آمال الشعوب الإسلاميّة وتساعد على التملّص من السيطرة الأوروبيّة، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نَحُول بالتنصير باتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية" .

ويقول "لورنس براون": " إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربيّة أمكن أن يصبحوا لعنة علىالعالم وخطرا ، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له ،أما إذا بقوا متفرقين فإنّهم يظلون حينئذ بلا وزنٍ ولا تأثير" .

ويقول "مستر بلس" : إنّ الدّين الإسلاميّ هو العقبة القائمة في طريق تقدم النصرانيّة في إفريقيا" . كما دأب المنصّرون على بث الأكاذيب والأباطيل بين أتباعهم ليمنعوهم من دخول الإسلام وليشوّهوا جمال هذا الدين .

يقول "هنري جسب" الأمريكي : "المسلمون لا يفهمون الأديان ،ولا يقدّرونها قدرها إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون، وإنّ التنصير سيعمل على تمدينهم" .

أما "لطفي ليفونيان" وهو أرمني ألّف بضعة كتب للنّيْل من الإسلام يقول: "إنّ تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح".

و"أديسون" يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم: "محمد لم يستطع فهم النّصرانيّة ولذلك لم يكن في خياله إلا صورة مشوّهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب" .

المنصّر" نلسن" يزعم بأن الإسلام مقلد، وأنّ أحسن ما فيه إنما هو مأخوذ من النصرانيّة وسائر ما فيه أخِذ من الوثنيّة كما هو أو مع شيء من التّبديل" .

المبشر" ف.ج هاربر" يقول : "إنّ محمدا كان في الحقيقة عابدَ أصنام ؛ذلك لأن إدراكه في الواقع كاريكاتور" .

المنصّر "جسب" يقول : "إن الإسلام مبنيّ على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء" .

ويقول كذلك : ا"الإسلام ناقص والمرأة فيه مستعبدة" .

المنصّر "جون تاكلي" يقول : "يجب أنْ نُريَ هؤلاء الناس أن الصّحيح في القرآن ليس جديدا، وأنّ الجديد فيه ليس صحيحًا .

أما القس "صموئيل زويمر" فيقول في كتابه العالم الإسلامي اليوم: يجب إقناع المسلمين بأنّ النصارى ليسوا أعداء لهم .

ويقولون أيضاً: تنصير المسلمين يجب أن يكون بوساطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

تحالف الكنائس العالميّة والصهيونيّة

الصهيونيّة العالميّة ومعها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي استبدلوا العدو الغربي القديم بصناعة عدو جديد؛ ليحققوا من خلاله أهدافهم الاستراتيجيّة قريبة وبعيدة المدى، وأرادوا أنْ يضربوا أكثر من عصفور بحجر واحد على النحو التالي:

* يقومون بتصعيد حربهم التاريخيّة ضد الإسلام والمُسلمين بأيدي آخرين، على أن يتمّ تفضيل توريط أفراد ومؤسسات وتنظيمات "ذات واجهة إسلامية" حتى تحدث الفتنة بين المُسلمين وبين بعضهم البعض في الداخل، ومن ناحية ثالثة يوجدون بذلك مُبرّرات للغرب لكي يتدخل في الشؤون العربيّة والإسلاميّة، ويعملون على تحريض دعاة العنف على أوطانهم، واحتضانهم وتغذيتهم بالأموال والسلاح، والدفع بهم إلى داخل بلادهم لارتكاب جرائم غير إنسانيّة، باسم الدين مرة، وأخرى تحت وهم العمل السياسي المُعارض.

* الاستمرار في شَغْل العرب في صراعات مع الغير، حتى يمنحوا الفرصة لإسرائيل لتحقيق مآربها في المِنطقة العربيّة، وتنفرد بسياسة يهوديّة تفرضها داخل الأراضي الفلسطينيّة على الوجه الأخص.

* السعي لهز أمن واستقرار المِنطقة العربيّة من حولها، ليقولوا للعالم الغربي :إنّ إسرائيل مُهدّدة من جيرانها العرب، وإنّ عدم استقرار الأمن في المنطقة العربية ينعكس عليها، وبذلك يقومون بتعطيل ووأد مُبادرات السلام، أو عودة الحقوق الفلسطينيّة المشروعة.

* البحث عن جبهات جديدة بعد أن تم تحييد دور كل من مصر والأردن وبعض الدول الخليجية "نسبيًا" في الصّراع العربيّ الإسرائيليّ، وبذلك ترتاح إسرائيل من وجود وَحدة موقف عربيّ يؤثر على مخططاتها، ويحرجها أمام الرأي العالميّ، وفي ذات الوقت

يحرم العرب من استمالة المواقف الأوروبيّة التي هي أفضل نسبيًّا، مقارنة بموقف الولايات المتحدة الأمريكيّة، تجاه القضية الفلسطينيّة.

* إفساد العلاقات السياسيّة والتعاون والصداقة بين الدول العربيّة والإسلاميّة والغرب، بتحريك ملفّات تعتمد على النماذج الغربيّة، سياسيًّا واجتماعيًّا، والقيام بتحريض المؤسسات السياسيّة الغربيّة في شكل حثها على فرض مطالب من العرب والمسلمين، تصل لحد التدخل في الشؤون الداخلّة لدول المنطقة.

إنّ خبراءهم يقولون: إنّه توجد خُطّة سرّية لتحويل الأراضي المُقدسة الإسلاميّة في كل أنحاء العالم إلى مناطق" مُغلقة معزولة"، يتمّ فيها ممارسة الشعائر الدينيّة، على أنْ تديرها مؤسّسات دينيّة لا تكون لها علاقات بالسياسات الدوليّة، باستثناء ما يرتبط بأمور الدين البحتة، والقضايا التي تؤثر عليه، وذلك اقتداء بنموذج "الفاتيكان" في إيطاليا، كما أنّ النصائح السياسيّة والتقارير التي تخرج من عباءة المنظمات اليهوديّة وعلى رأسها" الإيباك" في أمريكا، تطلب من الإدارات السياسية الأوروبيّة والأمريكيّة إقامة أنظمة سياسيّة جديدة أكثر مرونة "في مِنطقة الخليج العربيّ" للتعاون بإيجابيّة أكثر تطوّرًا مع أمريكا والغرب.

==============================

الفوائد الجنية من الهجرة النبوية

سلمان بن يحي المالكي
@hotmail.com٩٥٥slman_

مقدمة السلسلة:

في جوٍ مشحونٍ بزيفِ الباطل وركامِ الجاهلية، يسوسُ الناسَ جهلهم، ويحكمُهم عرفُهم وعاداتُهم، قتلٌ وزنا، عُهُرٌ وخَنا وأدٌ للبنات، تفاخرٌ بالأحساب والأنساب، سادَ في البِقاع قانونُ الغاب، فالبقاءُ للقوي، والتمكينُ للعزيز، تُغِيرُ القبيلةُ على الأخرى لأتفهِ الأسباب، تقومُ الحروبُ الطاحنةُ، تُزهق الأرواحُ، وتُهلَك الأموال، وتُسبى النساءُ والذراري، وتدومُ السنون وتتعاقبُ الأعوام، والحربُ يرثها جيلٌ بعد جيلٍ، وأصلها بعيرٌ عُقر، وفرسٌ سبقتْ أخرى، أو قطيعُ أغنامٍ سيقٌ وسرْق، ساد في ذلكمُ المجتمعُ عاداتٌ غريبةٌ عجيبة، فعند الأشراف منهم كانتِ المرأة إذا شاعتْ جمعتِ القبائلَ للسلامِ وإن شاءت أشعلتْ بينهم نارَ الحربِ والقتال، بينما كان الحالُ في الأوساطِ الأخرى أنواعٌ من الاختلاطِ بين الرجلِ والمرأةِ لا نستطيعُ أن نعبرَّ عنه إلا بالدَعارةِ والمجونِ والسِفاح والفاحشةِ، كانت الخمرُ مُمتَدحُ الشعراء، ومَفخَرةُ الناس، فهي عندهم سبيلٌ من سُبُلِ الكرم، ناهيك عن صورِ الشركِ وعبادةِ الأوثان، التي تُصورُّ كيف كانَ أولئكَ يعيشون بعقولٍ لا يفكرون بها، وأعينٍ لا يبصرون بها، وأذانٍ لا يسمعون بها إنْ هُمْ إلاَّ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ في هذه الأثناءِ حدث حادثٌ عجيبٌ لمكة وحرمِها، رأى أبرهةُ نائبَ

النجاشي على اليمنِ أن العربَ يحجونَ الكعبة، فبنى كنيسةً كبيرةً بصنعاءَ ليصرفَ حجَّ العربِ إليها، وسمع بذلك رجلٌ من بني كِنانة، فدخلها ليلاً ولطَّخَ قِبلتها بالعَذِرة، ولما علم أبرهةُ بذلك ثار غضبه وسارَ بجيشٍ عرمرمٍ عدده ستونَ ألفَ جنديٍ إلى الكعبةِ ليهدمها، واختار لنفسه فيلاً من أكبرِ الفيلةِ، وكان في الجيشِ قُرابة ثلاثة عشر فيلاً، وتهيأ لدخولِ مكة فلما كان في وادي محسِّرٍ بين مزدلفة ومنى بركَ الفيلُ ولم يقُم، وكلما وجهوه إلى الجنوبِ أو الشمالِ أو الشرقِ قام يهرول، وإذا وجهوه قِبَلَ الكعبةِ بركَ فلم يتحرك، فبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل أمثالُ الخطاطيف مع كل طائرٍ ثلاثةُ أحجارٍ مثلُ الحُمُص، لا تصيبُ أحدًا منهم إلا تقطعت أعضاؤه وهلك، وهربَ مَن لم يصبه منها شيءٌ يموجُ بعضهم في بعض، فتساقطوا بكلِ طريقٍ، وهلكوا على كل مهلكٍ، وأما أبرهةُ فبعثَ الله عليه داء تساقطت بسببه أنامِلُه، ولم يصِل إلى صنعاءَ إلا وهو مثلُ الفرخِ، وانصدع صدرُه عن قلبِه ثم هلك، وكانتْ هذه الوقعة قبل مولدِ النبي بخمسين يومًا أو تزيد، فأضحت كالتقْدُمةِ قدَّمها الله لنبيه وبيتِه، وبعد أيامٍ من هلاكِ ذلكم الجيشِ أشرقت الدنيا وتنادت ربوعُ الكونِ تزُّفُ البشرى بولدِ سيدِ المرسلين، وإمامِ المتقين، والرحمةِ للعالمين في شِعْبِ بني هاشمٍ بمكة صبيحة يومُ الاثنين التاسعِ من ربيعٍ الأولِ لعامِ الفيل، وُلد خيرُ البشر، وسيدُ ولدِ آدم، ولد الرحيمُ الرفيقُ بأمته، أطلَّ على هذه الحياةِ محمدُ بنُ عبد الله بنُ عبد المطلبِ الهاشمي القرشي، أرسله الله إلى الناس جميعًا ليقول للناس: (إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون). جاء النبيُ صلى الله عليه وسلم يدعوا الناسَ إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بكل ما تضمنته هذه الشهادة من معنى، جاء نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يدعو الناسَ إلى العفافِ والطهرِ والخلقِ الكريم والاستقامةِ وصلةِ الأرحام وحسنِ الجوار والكفِّ عن المظالم والمحارم، يدعوهم إلى التحاكم إلى الكتابِ العزيز لا إلى الكهان وأمرِ الجاهلية، وجعْلِ الناس كلهم أمام شريعةِ الله سواءً يتفاضلون بالتقوى، روى ابنُ جريرٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال " لما مرضَ أبو طالبٍ دخلَ عليه مشيخةٌ من قريشٍ فيهم أبو جهلٌ فقالوا: إنَّ ابنَ أخيك يشتُمُ آلهتَنَا ويفعلُ ويفعلُ ويقولُ ويقولُ فأنْصِفْنَا من ابنِ أخيك، فلْيَكُفَّ عن شتمِ آلهتِنا وندَعُهُ وإلهُهُ، فقال أبو طالبٍ: يا ابنَ أخي ما بالُ قومِكَ يشكُونَكَ ويزعُمُون أنكَ تشتُمُ آلهتَهم..؟ قال يا عم: أريد أن يقولوا كلمةً تَدِينُ لهم بها العربُ، وتؤدي لهم بها العجم الجزية، فقال أبو جهل: نقولُها وعشرًا، فقال عليه الصلاة والسلام: قولوا لا إله إلا الله، ففزعوا وولوا مدبرينَ وهم ينفُضُون ثيابَهم ويقولون: (أجعل الآلهة إلهً واحدًا إنّ هذا لشيء عجاب) نعم.. لقد دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ كلَّهم إلى هذا المعنىَ العظيم، وقام بهذا الواجبِ الكبيرِ الذي هو أكبرُ واجبٍ في تاريخ البشريةِ كلها، دعا إلى دينٍ قويمٍ يرقى به الإنسانُ إلى أعلى المنازلِ، ويسْعَدُ به في الآخرةِ سعادةً أبديةً في النعيم المقيم، فاستجاب له

القلة المؤمنة المستضعفة في مكة، فأذاقَهُمُ المشركونَ أنواعَ العذاب، ووقف في وجههِ ثلاثةُ أنواعٍ من الناس: المستكبرونَ الجاحدونَ العالمونَ بالحق، والحاسِدونَ المحترقون، والجهالُ الضالون، وكوّنَ هذا الثالوثُ جبهةَ عنيدةً وحربًا وحزبًا شيطانيًا لا يترُكُ من سبيلٍ ولا وسيلةٍ إلا سلكها للصد عن سبيل الله. (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)، واشتدَّ الكربُ بمكة وضُيِّقَ الخِناقُ على الدينِ الإسلامي، وائتمرَ المشركونَ بمكة أن يقتلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام " إن الله أذن لك يا محمد بالهجرةِ إلى المدينةِ فلا تَبِتْ هذه الليلة في فراشك " ورصده المشركونَ عند بابه ليضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ ليتفرقَ دمَه بين القبائل، فخرج عليه الصلاةُ والسلام عليهم وهو يتلو صدرَ سورةِ يس وذرى على رؤوسهمُ الترابَ وأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يروه، وأخذهمُ النعاسَ، واختبأ هو وصاحبَه أبو بكر الصديقِ في غارِ ثورٍ ثلاثة أيامٍ حتى هدأ الطلبُ، ففتشتْ عنه قريشٌ في كلِ وجْهَةٍ، وتتبعوا الأثرَ حتى وقفوا على الغارِ فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسولَ الله لو أن أحدَهم نظر إلى موضعِ قدميه لأبصرنا، فقال: " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " ولقيا الدليلَ بعد ثلاثٍ براحلتيَهما، ويمّما المدينةَ فكانت هجرةُ المصطفى صلى الله عليه وسلم نصرًا للإسلام والمسلمين حيثُ أبطلَ الله مكرَ المشركينَ وكيدَهم في تفكيرهِمُ القضاءَ على الإسلامِ بمكة وظنهَّمُ القدرةَ على قتلِ رسول الله.

من أهمِّ الدروسِ أيها الأحبة التي ينبغي التأملُ فيها وخاصةً من يَسْبُرُ أوراقَ السيرةِ، ذلكم الأمرُ المهمُ في حياةِ النبي صلى الله عليه وسلم، ألا وهو أمرُ الهجرةِ وما أدراكم ما الهجرة.

إن الهجرةَ النبوية في حدِّ ذاتِها بغَضِّ النظرِ عن أحداثِها تستحقُ الوقفة المتأنيَة، تستحقُ الوقفة الثاقبة، تستحقُ النظرَ الدقيق، فهي ليستْ نزهةً بريةً ولا وسياحةً بحرية، الهجرةُ النبويةُ ليست للتفرج والإطلاع، ولا للنظرِ والمعاينةِ، ولا للسفرِ والتحصيلِ في مُتَعِ هذه الدنيا وملذاتِها، وإنما هي نقلةٌ جديدةٌ وانتقالٌ وطيدٌ من أجلِ الحفاظِ على العقيدةِ، الحفاظ على الركنِ الأساس، والأسِّ المتينِ مع التضحيةِ بالنفسِ والمالِ والأهلِ والولدِ، نعم.. إنه الحفاظُ على العقيدةِ والمحافظةِ عليها، فهو مبدؤها وهدفُها وأملُها وغايتُها ونهايتها.

إن الهجرةَ النبوية حدثٌ غيّرَ مجرى التأريخ، حدثٌ حملَ في طياتِه معانيْ الشجاعةِ والتضحيةِ والإباءِ والصبرِ والنصرِ والفداءِ والتوكلِ والقوةِ والإخاءِ والاعتزازِ بالله وحده.

إنَّ حدثَ الهجرةِ النبويةِ حدثٌ جعلَه الله سبحانه طريقاً للنصرِ والعزةِ ورفعِ رايةِ الإسلامِ وتشييدِ دولتِه وإقامةِ صرحِ حضارتِه، فما كانَ لنورِ الإسلامِ أن يشّعَ في جميعِ أرجاءِ المعمورةِ لو بقيَ حبيساً في مهده، إنه حدثٌ شاملٌ كاملٌ متكاملٌ لمن أحسنَ الاستفادةَ منه وأخذَ العبرةَ والعظة على أحسنِ وجه، إنه في الحقيقةِ حدثٌ يعرضُ منهجَ النبيِ صلى الله عليه وسلم، منهجَ المعصومِ صلى الله عليه وسلم، منهجَ من لا ينطقُ عن الهوى، مهجَ

المؤَيَّدِ من ربِ العالمين، فليست الهجرةُ حدثاً عادياً، ولا أمرا طبيعيًا، بل هي أمرٌ جللٌ يستحقُ منا الاهتمام بما تحويه هذه الهجرة وما بداخلها من كنوز.

إن بين أيدينا هجرةُ الرسول صلى الله عليه وسلم، بين أحضاننا هجرةُ النبي صلى الله عليه وسلم وفيها الدواءُ الناجعُ لكثيرٍ من أمراضِنا وأوضاعِنا وعللنا.

إن في هذه الهجرةِ المباركةِ من الآياتِ البيناتِ والآثارِ النيراتِ والدروسِ والعبرِ البالغاتِ ما لو استلهمَتْه أمةُ الإسلامِ اليومَ وعملتْ على ضوئِه وهي تعيشُ على مُفْتَرَقِ الطرقِ لتحققَ لها عِزُّهَا وقوتُها ومكانتُها وهيبتُها، ولعلمت علمَ اليقينِ أنه لا حلَّ لمشكلاتِها ولا صلاحَ لأحوالِها إلا بالتمسكِ بإسلامِها والتزامِها بعقيدتِها وإيمانها، فو الذي بعثَ محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحقِ بشيراً ونذيراً ما قامتِ الدنيا إلا بقيامِ الدينِ ولا نالَ المسلمونَ العزةَ والكرامةَ والنصرَ والتمكينَ إلا لما خضعوا لربِّ العالمين وهيهاتَ أن يَحُلَّ أمنٌ ورخاءٌ وسلامٌ إلا باتباعِ نهجِ الأنبياءِ والمرسلين، ومن هنا جئنا لنتحدثَ هذه الليلة حولَ بعضِ المفاهيمِ والدروسِ والعبرِ والعظاتِ المجتناةْ من هجرةِ المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإني لمَّا كنتُ أُقلِّبُ صفحات هذه الهجرةِ المباركةِ عرضتُ أتذكرُ حكمةً عربيةً قديمةً تقول " من أخْصَبَ تخيّر " أي من وجدَ الأرضَ الخِصبة الوفيرةَ تخيَّرَ المرعى، فرأيتُ الحكمة تنقلبُ عليَّ فإني لم أعُدْ أجدُها وأنا أقلبُ صفحات هذهِ الهجرة " من أخصب تخير "

ولكني وجدتها " من أخصب تحير " فماذا أقول الليلة وماذا أدع..؟ فلا أكتمُكم أحبتي أنني وقفتُ أمامَ المفاهيمِ والدروسِ التي اطلعْتُ عليها، واحترت: نعم.. احترتُ أيَّ مفهومٍ من هذه المفاهيم آخُذ؟ وأيها أترُك؟ أيها أدعُ؟ وأيها ألتمس؟ ووصَلَتْ معي هذه المفاهيم وهذه الدروسُ عددا وكمّا كبيرًا، ولكن مراعاةً للوقت، وتركيزاً على بعضِ النقاط، وإلا لا أقولُ "على المهم، أو الأهم " فكلُ هجرةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم مهمة، وتركيزاً على بعضِ النقاطِ التي تزدادُ حاجتنا إليها؛ سأذكرُ بعضَ الوقفات، وبعضَ المفاهيم وبعضَ الدروس التي أخذتها من استيعابِ هذه الهجرةِ المباركة، فما أجملَ أن نُشيرَ إشاراتٍ عابرةٍ لعددٍ من القضايا المهمةِ الجديرة بالإشادةِ والتذكيرِ في هجرة رسولِ العالمين الذي أسأل الله بمنه وكرمه أن يُلحقنا به وأن يحشرَنا في زمرته وأن يُسقِيَنَا من حوضه شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا .

أولاً.. لماذا الهجرة..؟

إني لما نظرتُ إلى تأريخ الهجرةِ، ونظرتُ إلى الإعِدادِ الذي أعدّهُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم ونظرتُ إلى الأسبابِ والأساليبِ التي اتخذَها، ابتداءً من إذْنِه بالهجرةِ للصحابةِ، وانتهاءً بوُصُولِه إلى المدينة، وما بينهما من أسبابٍ بشريةٍ كثيرةٍ، فيها الاختفاءُ والسِّريةُ، فيها كثيرًا من الأسبابِ البشرية، تساءلتُ: ألم يُسْرَ بالرسولِ صلى الله عليه وسلم قبلَ عامٍ فقطٍ إلى بيتِ المقدس، ويُعرَج به إلى السماءِ؟ ألم يأتِ إليه جبريلُ على الصلاةُ والسلامُ وهو مُسْنِدٌ ظهره الشريف للكعبة بالبراقِ ليرحلَ هو وإياهُ من مكة

المكرمة إلى بيتِ المقدس ومن هناك إلى السموات..؟ سبحان الله! يُسْرى به إلى بيتِ المقدس، ويُعرج به إلى السماءِ، ويرْجِع في ليلةٍ واحدةٍ، ويجلس عدَّةَ شهورٍ صلى الله عليه وسلم ويتَّخِذ كثيرًا من الأسبابِ والوسائلِ لهذه الهجرةِ! لماذا..؟ ما السبب..؟ لِمَ لمْ تكن تلك الهجرةِ كذاكَ الإسراء..؟ يُمْسي في مكة ويصبحُ في المدينةِ النبويةِ بأمرِ الله سبحانه وتعالى وبقدرته؟ أليس الله قادرٌ على ذلك..؟ أيُعْجِزُه سبحانَه وتعالى شيءٌ في الأرض والسماء..؟ كيف لا.. والمعجزاتُ تتنزلُ عليه عليه الصلاة والسلام، لكنني بعدَ التأمُلِّ وجدتُ أن الله سبحانه وتعالى أراد منا ومن أمةِ النبي صلى الله عليه وسلم أن نفقه هذا الدين فِقْهًا دقيقاً، أرادنا أن نفقهَ هذه الدعوة المحمدية فقها سديدًا، فهذه الدعوةُ أيها الأحبابُ هي وربي منهجٌ للبشر، ربنا جل وعلا قادرٌ أن يأخذ رسوله صلى الله عليه وسلم في لحظةٍ واحدة، وينقُله من مكة إلى المدينة، لا يحتاجُ إلى إعداد، لا يحتاج إلى اختفاء، لا يحتاج إلى مئونة، لا يحتاج إلى مطاردةٍ، لا يحتاج إلى مصاحبةٍ، لكن الأمرَ أعمقَ من ذلكَ وربي وأبعدَ بكثير، إنه الدينُ..! أراده الله ليكونَ منهجاً للبشريةِ، لماذا..؟ لأنه لو فُعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءَ بعدَه من الدعاةِ ممن تواجهُهُم مثلُ هذه المشاكلِ، مشاكلِ الاضطهاد، ومعاناةِ العذاب في سبيلِ تبيينِ الدعوةِ وإخراج الناسِ من عبادةِ العباد إلى عبادةِ ربِ العبادِ فأين حينَها يجدُونَ الحلَّ؟ كيف يجدونَ المخرج؟ إلى من يلتجئون..؟ أولئك الذين يُضطهدونَ في دينهم، أولئكَ الذينَ يحارَبونَ في عقيدتهم، أولئك الذين تُمتَهَنُ كرامتُهم عليهم أن يأخذوا الدروسَ العظيمَة من هذه الهجرةِ.

إذًا..

نحن في هذه الهجرةِ بجميع مراحلِها، نتبينُّ من خلالِها الدروسَ العظيمة للدعاةِ وللمسلمينَ، فلو تمَّتْ هذه الهجرةُ بين عشيةٍ وضحاها؛ لخسرنا تلكَ الدروسَ، ولخسرنا تلكَ المواقفَ، وهذا أمرٌ لا ينتبه له كثيرٌ من الناس، ويكفي التاريخَ شرفاً أن سطَّرَ بأحرفهِ الذهبيةِ هذه السيرةِ العطرةِ، وهذه الهجرة المباركة، لنلجأ إليها كمخرجٍ من كُرباتِنا، وحلٍ لأزماتِنا، وشِفاءٍ لأمراضنَا، بعد الله جل وعلا.

في هذه الهجرةِ يعرفُ الداعيةُ كيف يأخذُ بالأسبابِ، كيف يفرقُ بين التوكلِ والتواكُلِ، يأخذ الحذرَ والحِيطة، يعرفُ المسلمُ من هذه الهجرةِ النبويةِ أنه لا يستكينُ ولا يستهينُ ولا يقْبَلُ الذلة في دينه، ولا في عقيدته أبدا، نعم.. إن هذه الهجرةَ العظيمة منهجٌ للبشر، ولو خرجْتُ عن الموضوعِ من جهةٍ أخرى في درسٍ عظيمٍ أربِطُهُ بهذا الموضوع، وهو " قضيةُ المنافقين " فلقد وقفتُ كثيراً وتأمّلتُ بتمعُّنٍ قصة علاجِ الإسلامِ لقضيةِ المنافقين، وكيف عالج الرسولُ صلى الله عليه وسلم قضيتهم حتى انتهت، ابتداءً من الهجرةِ وحتى وفاتِه صلى الله عليه وسلم مروراً بالأطوارِ التي مرت بها قضيةُ المنافقينَ وأثرُهم في المدينة، وتساءَلْتُ وقلتُ: الله جلا وعلا قادرٌ على أن يُعْلِمَ نبيهَ صلى الله عليه وسلمَ بعض أسماء المنافقينَ لِيَسْتَتِيَبهم؛ فإن تابوا، وإلا قُتلوا، أو طُردوا (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) نعم.. لا تعلمهم كلهم

نحن نعلمهم، لأن الله لم يُردْ إبلاغَه إياهم؛ لأن الله تعالى لو أخبرَ رسولَه صلى الله عليه وسلم بهذهِ الأسماء، نحنُ الذينَ نأتي من بعدِه من سيخبرُنا بالمنافقينَ الذين يعيشونَ بيننا؟ كيف نعالجُ مُشْكِلَتِنَا معهم وهم من بني جلدتِنا؟ إذا

لا بدَّ من اللجوءِ بعد الله تعالى إلى سيرةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، إلى هجرةِ الرسول صلى الله عليه وسلم، فَمِثْلَمَا عالجَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم تلكَ المشكلة وتلكَ الفتنة داخلَ الصفِّ المسلم، ووقفَ على تلكَ الخياناتِ التي ارتُكبتْ في داخلِ هذا الصفِّ؛ سنجدُ حينها علاجا لمشكلاتِنا في زماننا هذا.

إن درسَ الهجرةِ أيها الأحبة درسٌ عظيم، أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نتعلمَ منه الشيءَ الكثيرَ، ولكن أين القلوبُ الحيةُ؟ أين القلوبُ الصادقةُ اليقظةُ؟ أين القلوبُ الباحثةُ عن الحق؟ فالعودة العودة الصادقة الحميمة إلى هجرةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم لنستلهمَ الدروسَ والعبرَ ،،، وإلى ثاني الدروس الجنية من الهجرة النبوية.

ثانيًا: المدينة النبوية، التأسيس والتوطين..!

وهذه قضية مهمةٌ، وهي أنه لا بُدَّ أن يكونَ للفئةِ المسلمةِ موطنٌ أو موضعٌ تتأسسُ فيه وتتربى عليه، وتستطيعُ أن تمارسَ من خلالِه عملية التغيير، وقد كان هذا في دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمَ قبلَ الهجرةِ، فقد كان موطنُ بناءٍ وتعليمٍ وإرشادٍ وغرسٍ للعقيدةِ وبناءٍ للإسلام في النفوسِ، وتجميعٍ للصفوف ومعرفةٍ لواقع الباطلِ والجاهليةِ، وهذا التجمعُ هو الذي كان يحرِّكُ دعوةَ الإسلامِ حتى أذن الله بالهجرةِ فكان التأسيسُ والتوطينُ في صورةِ دولةٍ وفي صورةِ مجتمعٍ متكاملٍ في مهَاجَرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

لقد كانَ هدفُ النبيِ صلى الله عليه وسلم من هجرتهِ إلى المدينةِ إيجادُ موطئ قدم للدعوة هناك حتى تَنْعُمَ بالأمنِ والاستقرار، حتى تستطيعَ أن تَبْنِي نفسَهَا من الداخلِ وتَنْطَلِقَ لتحقيقِ أهدافِها في الخارجِ، ولقد كان هذا الهدفُ أملاً وحلُما يراودُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم "رأيتُ في المنامِ أني أهاجرُ من مكة إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذهب ظني إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي يثرب ".

كان هدفُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم من الهجرةِ تكثيرُ الأنصارِ وإيجاد رأيٍ عامٍ مؤَيِّدٍ للدعوةِ، لأن وجودَ ذلكَ يوفرُ على الدعوةِ الكثيرَ من الجهودِ ويُذَلِّلُ في طريقِها الكثيرَ من الصِعاب، والمجالُ الخَصْبُ الذي تَتَحققُ فيه الأهدافُ والمُنْطَلَقُ الذي تَنْطَلِقُ منه الطاقاتُ هو في المدينة، ولهذا حرِصَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثَ مصعبَ بنَ عميرٍ أولَ سفيرٍ في الإسلام، حرِص صلى الله عليه وسلم أن يرسله ليكونَ سفيرَه إلى المدينةِ ليعلِّمَ الأنصارَ الإسلامَ وينشرَ دعوةَ الله فيها، ولمّا اطمأنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى وجودِ رأيٍ عامٍ مؤَيِّدٍ للدعوةِ في المدينة حثّ أصحابَه إلى الهجرةِ إليها وقال لهم "هاجروا إلى يثرب، فقد جعلَ الله لكم فيها إخواناً وداراً تأمنونَ بها ".

لقد كان هدفُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلمَ من الهجرةِ استكمالُ الهيكلِ التنظيمي للدعوةِ، فقد كان صعباً أن يكونَ الرسولُ القائدُ في مكة، والأنصارُ والمهاجرونَ في

المدينة، صعبٌ أن يكونَ المعلمُ في مكة والتلاميذُ بعيدونَ عنه في المدينة، ولهذا هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليكونَ بين ظهْرَانَيْ أتباعِه، لأن الجماعة بدونِ قائدٍ كالجسدِ بلا رأسٍ، ولأنَّ تحقيقَ أهدافِ الإسلامِ الكبرى لا يتمُّ إلا بوجودِ جماعةٍ مؤمنةٍ منظَمَةٍ، تُغَذّ السيرَ إلى أهدافِها بخُطًى وئيدةٍ وطيدةٍ متينةٍ.

فما أحوجَ المسلمينَ اليومَ إلى هجرةٍ نحو الله ورسولِه، هجرةٍ إلى الله بالتمسكِ بحبله المتينِ وتحكيمِ شرعهِ القويمِ وهجرةٍ إلى رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، والاقتداءِ بسيرته، فإنْ فعلوا ذلك فقد بدأوا السيرَ في الطريقِ الصحيحِ وبدأوا يأخذونَ بأسبابِ النصرِ، وما النصرُ إلى مِن عندِ الله، ويسألونكَ متى هو؟ قل عسى أن يكونَ قريباً.

ثالثًا: دعوةٌ مستمرةٌ وصبرٌ عظيم.

فالنبيُ صلى الله عليه وسلمَ كما نعلمُ ظلَّ في مكة ثلاث عشرةَ سنةً يدعو إلى الله جل وعلا ليلَ نهار، متعرضًا في ذلك إلى الأذى الشديدِ والاضطهادِ المستمرِ من كفارِ قريشٍ الذينَ لا يريدونَ للخيرِ أن ينتشرَ، ومع ذلك فلم ييأس مع كلِّ هذا العنتِ وقلةِ من آمنَ معه خلالَ هذه المدةِ، فحاولَ أن يتجهَ إلى بيئةٍ أخرى لعلهُ يستطيعُ من خلالِها نشرَ دينِ الله جل وعلا، فاتجه إلى الطائفِ ولكنه فوجئَ بالسفهاءِ يردونَه رداً منكرا، تقولُ أمُ المؤمنينَ عائشةُ رضى الله عنها وهي تحدِّثُ ابنَ أختها عروة أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ..؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فعلت ولك ذلك، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا). [رواه البخاري].

إن هذه الوقفة أيها الأحبةُ تجعلُنا نتساءل: ماذا قدمنا لدينِ الله؟ كم تحملنا من الأذى في سبيلِ نشره بين الناس؟ هل صبرَنا كما صبرَ عليه الصلاة والسلام؟ أم أننا استسلمنا بمجردِ أن نواجِهَ أذىً أو معارضةً، فقمنا بعد ذلك بالتوقُفِّ عن الدعوةِ إليه سبحانَه، هل هذه هي القدوةُ بالنبيِ المصطفى الأمينِ، إنك لو نظرتَ أيها الكريمُ إلى أمتكَ الكريمةِ في القرآنِ الكريمِ ونظرتَ إليها في أرضِ الواقعِ لانفلق كبِدُكَ من الحزنِ والبكاءِ على واقعِ أمةٍ قد انحرفت كثيراً وكثيراً عن منهج الله جل وعلا وعن سنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم، فهاهي الأمةُ التي نراها اليومَ ونعيشُ تحت ظِلالها، ليستْ هي الأمةُ التي خرجتْ وبزغتْ في فجرِ الإسلام، أمتنا اليومْ بدلت شرع الله وانحرفتْ عن طريقِ رسول الله واستبدلتِ الذي هو أدنى بالذي هو خير، أذلَّ الله الأمة لأحقرِ وأذلِّ أُممِ الأرضِ ممن كتب الله عليهمُ الذلة والهوانَ واللعنة من إخوانِ القردةِ والخنازيرِ من أبناءِ يهود، نعم..

أصبحتِ الأمةُ اليومَ قَصْعَةً مستباحةً لأحقرِ أممِ الأرضِ وأذلِّها، وحَقَّ عليها قولُ الصادقِ المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديثِ الصحيحِ الذي رواه أبو داوودَ من حديثِ ثوبانَ رضي الله عنه : (يوشِكُ أن تتداعى عليكمُ الأممُ كما تتداعى الأكلةُ إلى قصعتها) قالوا : أومِن قلةٍ نحنُ يومئذٍ يا رسول الله؟ قال : لا، ولكنكم غثاءٌ كغثاءِ السيلِ، وليوشكَّنَ اللهُ أن ينزِعَ المهابةَ من قلوبِ عدوِّكم، وليقذفنَّ في قلوبكمُ الوهنَ،) قيل وما الوهنُ يا رسول الله ؟ قال : (حبُ الدنيا وكراهيةُ الموت). لقد أصبحتِ الأمةُ اليومَ أيها الأخيارُ غُثاءً من النِفاياتِ البشريةِ تعيشُ على بِساطِ الحياةِ الإنسانيةِ، تعيشُ الأمةُ كدُويلاتٍ متناثرةٍ متصارعةٍ متحاربةٍ تفصل بينها حدودٌ جغرافيةٌ مصطنعة، ونَعَرَاتٌ قوميةٌ جاهلية، وتُرفرفُ على سمائها راياتٌ قوميةٌ ووطنيةٌ تَحْكُمُها قوانينٌ جاهليةٌ غربيةٌ، وتدورُ بالأمةِ الدوراتُ السياسيةُ فلا تملكُ الأمةُ نفسها عن الدورانِ بل ولا تختارُ لنفسِها حتى المكانَ الذي تدورُ فيه ! ذلت الأمةُ بعد عِزَّةٍ، وجَهلتِ الأمةُ بعد علم، وضعُفتِ الأمةُ بعد قوة، وأصبحتْ في ذيلِ القافلةِ الإنسانيةِ بعد أن كانتْ بالأمسِ القريبِ تقودُ القافلةَ كلَّها بجدارةٍ واقتدار، أصبحتِ الأمةُ اليومَ تتسوَّلُ على موائدِ الفكرِ الإنساني والعلمي بعد أن كانتِ الأمةُ بالأمسِ القريبِ منارةً تَهْدِي الحيارىَ والتائهينَ ممن أحرقَهُمْ لفحُ الهاجرةِ القاتلِ وأرَّقهم طولُ المشيِ في التيهِ والضلال، أصبحتِ الأمةُ اليومَ تتَأرجحُ في سيرِها، ولا تعرفُ طريقَها الذي يجبُ عليها أن تَسْلُكَهُ وأن تسيرَ فيه بعدَ أن كانتِ الأمةُ بالأمسِ القريبِ الدليلَ الحاذقَ الأربَ في الدروبِ المتشابكةِ والصحراءِ المهلكةِ التي لا يهتدي للسيرِ فيها إلا الألداءُ المجرِّبونَ.. فما الذي جرى؟ ما الذي تغير.. لا شيء..! لكنها السننُ الربانيةُ " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " واللهِ إن هذا الواقعَ الأليمَ الذي نراه بأمِّ أعينِنا في أمتنا يستنفرُ جميعَ الهممِ الغيورةِ ويستوجبُ أن يسألَ كلُ واحدٍ منا نفسَه هذا السؤالَ ماذا قدمنا لدين الله جل وعلا ؟ هل فعلا نحنُ السببُ في تخلفِّ هذه الأمةِ ورُكُوبِها ذيلَ القطار..؟ سؤالٌ وإن كان يُمَثِّلُ في الحقيقةِ ظاهرةً صحيةً إلا أنه يَنُمُّ عن خَلَلٍ في فَهْمِ حقيقةِ الانتماءِ لهذا لدينِ إلى الحَدِّ الذي أصبحَ فيه المسلمُ لا يعرفُ ما الذي يجبُ عليه أن يقدِّمَه لدينِ الله جلّ وعلا، لماذا ؟! لأن قضيةَ العملِ للدين ما تحركتْ في قلوبنا إلا في لحظةِ حماسٍ عابرةٍ أجَّجَهَا عالمٌ مخلصٌ أو داعيةٌ صادقٌ، فقمنا بعد هذه اللحظةِ الحماسيةِ المتأججةِ نسألُ عن أدوارِنا.. إنه وربي سؤالٌ مخجلٌ سؤالٌ مَهيب؟؟ سؤالٌ يجبُ ألا نمِلَّ طرحه وألا نسئمَ تِكراره لنُحييَ في القلوبِ قضيةَ العملِ لهذا الدينِ في وقتٍ تحرَّكَ فيه أهلُ الكفرِ والباطلِ بكلِ رجولةٍ وقوةٍ لباطلِهم وكفرِهم! في وقتٍ انتعشَ أهلُ الباطلِ فيه وتحركوا في الوقتِ الذي تقاعسَ فيه أهلُ الحقِ وتكاسلوا، بل والله ما انتفشَ الباطلُ وأهلُهُ إلا يومَ أن تخلى عن الحقِ أهلُه، إنه واقعٌ يجبُ أن يستنفرَ جميعَ الهممِ الغيورةِ، قُلْ لنفسكَ وخاطبها.. ما هو دوري في هذه الحياة؟ كيف أقدمُ لدين الله..؟.. أما والله لو كانتْ قضيةُ العملِ لدينِ الله تشْغَلُ أفكارَنا وتملأُ قلوبَنا وتُحرقُ وُجدانَنا وتُقِضُّ مضاجعَنا ونفكرُ فيها ليلَ نهار في النومِ واليقظةِ في السِّرِ والعلانية، نعم.. لو كانتْ قضيةُ العملِ لدين الله في قلبِ كلٍّ منا ما سأل نفسه أبداً هذا السؤالَ، لأنه سيحدِّدُ أمرَه بحَسَبِ الزمانِ الذي يعيشُه وبِحَسَبِ المكانِ الذي يعيشُ فيه، لأن قضيةَ العملِ لدين الله تملأُ

عليه همَّهُ ووُجدانَه وقلبه، لكن بكلِ أسفٍ بكلِ مرارةٍ بكل حزنٍ أصبحت قضيةُ العملِ لدينِ الله قضيةَ هامشيةَ ثانويةَ في حِسِّ كثيرٍ من المسلمين!.. بل وأصبحَ لا وجودَ لها في حِسِّ قِطَاعٍ عريضٍ آخرَ ممن يأكلونَ مِلءَ بطونِهم وينامون ملءَ عيونهم ويضحكون ملءَ أفواههم، بل وينظرونَ إلى واقعِ الأمةِ فَيَهُزُّ الواحدُ كتفيه ويَمْضِي وكأنَّ الأمرَ لا يعنيه، وكأنه ما خُلقَ إلا ليأكلَ ويشربَ، أقولُ ..

إن العملَ للدين مسئوليةُ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فلا بدَّ أن تكونَ لقضيةِ الدين مساحةٌ في خريطةِ اهتماماتِنا وبرامجنا نعم.. لا بدَّ أن يَضْبطَ الدينُ عواطفَنا، وأن يُحْرِقَ همُّ الدينِ وجدانَنا، وإنَّ من المُحالِ أن يتحركَ الإنسانُ لشيءٍ لا يعتقده، لا يحمله في قلبه، وتأمل كيف احترق قلبُ نبينا صلى الله عليه وسلم لهذا الدين حتى قال له ربه " فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفا ".

رابعًا: الثبات على المبدأ.

إن الله تعالى خلقَ الخلق ليعرفوه ويعبُدُوهُ، ونصبَ لهم الأدلة الدالة على كبريائهِ وعظمته ليهابُوه، وقد اقتضت حكمتُه سبحانه وتعالى أن جعلَ الابتلاءَ سنةً من سننِ اللهِ الكونيةِ، وأن المرءَ بحاجةٍ إلى تمحيصٍ ومراجعةٍ حتى يتميَّزَ الخبيثُ من الطيبِ، والمؤمنُ من غيره؛ فالسعيدُ من اعتصم بالله، وأناب ورجعَ إلى الله، والمؤمنُ الصادقُ ثابتٌ في السراءِ والضراءِ " الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " وقال: " أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ "

إن هجرةَ النبي صلى الله عليه وسلمَ إلى المدينةِ كشفتْ لنا معالمَ في الشدةِ والرخاءِ، والعسرِ واليسر، وأبانت لنا عن معادنِ النفوسِ، وطبائعِ القلوب؛ ومن عَلِمَ حكمةَ الله في تصريفِ الأمور، وجريانِ الأقدارِ فلن يجدَ اليأسُ إلى قلبه سبيلاً، ومهما أظلمتِ المسالكُ وتتابعتِ الخطوبُ وتكاثرتِ النكباتُ؛ فلن يزدادَ إلا ثباتاً؛ فالإنسانُ إلى ربه راجع، والمؤمنُ بإيمانه مستمسكٌ وبأقدار الله مسلّم، وإن من معالمِ هذه الهجرةِ النبويةِ المباركة: الثباتُ على المبدأ، الثباتُ على الدينِ والاستقامةُ عليه، ذلك أن الثباتَ على دينِ اللهِ والاعتصامَ به يدلُ دلالةَ قاطعةَ على سلامةِ الإيمانِ، وحسنِ الإسلامِ وصحةِ اليقين.

إن الثباتَ على دينِ الله خُلُقٌ عظيمٌ، ومعنى جميل، له في نفسِ الإنسانِ الثابتِ وفيمن حولَه من الناسِ مؤثراتٌ مهمة تفعل فِعْلَها، وتؤثرُ أَثَرَهَا، وفيه جوانبُ من الأهميةِ الفائقةِ في تربيةِ الفردِ والمجتمع.

إن صفة الثباتِ على الإسلامِ والاستمرارِ على منهج الحق نعمةٌ عظيمةٌ حبا الله بها أولياءَه وصفوةَ خلقه، وامتنَّ عليهم بها، فقال مخاطباً عبدَه ورسولَه محمداً صلى الله عليه وسلم:" وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ".

إن الثباتَ على دينِ الله دليلٌ على سلامةِ المنهجِ، وداعيةٌ إلى الثقةِ به، وهو ضريبةُ النصرِ والتمكينِ والطريقِ الموصلةِ إلى المجدِ والرفعةِ، ألم تروا كيف ثبتَ صلى الله عليه وسلم في دعوتِه قبلَ الهجرة وبعدَها؟ ألم تروا كيف مُكّن وأُعزَّ ونُصِرَ بسبب ثباته على مبدأه صلوات ربي وسلامه عليه..؟

إن الثباتَ طريقٌ لتحقيقِ الأهدافِ العظيمةِ، والغاياتِ النبيلةِ؛ فالإنسانُ الراغبُ في تعبيدِ الناسِ لربِ العالمين والعاملُ على رفعةِ دينه وإعلاءِ رايتِه لا غِنَى له عن الثبات.

إن الثباتَ يعني الاستقامة على الهدى، والتمسكَ بالتقى، وقسْرَ النفسِ على سلوكِ طريقِ الحقِ والخير، والبُعْدِ عن الذنوبِ والمعاصي وصوارفِ الهوى والشيطان.

إنَّ مما يُعينُ على الثباتِ أمامَ الفتنِ والابتلاءاتِ صحةُ الإيمانِ وصلابةُ الدين؛ فكلَّمَا كانَ الإنسانُ قوياً في إيمانه، صلْباً في دينه، صادقاً مع ربه، كلما ازدادَ ثباتُه، وقَوِيَتْ عزيمتُه وثبتَتْ حُجتُه، وحَسْبُكَ أن صاحبَ الهجرةِ محمداً صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه ويسألُه الثبات " اللهم إني أسألك الثباتَ في الأمرِ، والعزيمة على الرشد".

إن الثباتَ على الدينِ مطلبٌ عظيمٌ ورئيسٌ لكلِ مسلمٍ صادقٍ يحبُ الله ورسولَه صلى الله عليه وسلم، ويريدُ سلوكَ طريقِ الحقِ والاستقامةِ بعزيمةٍ ورشد، والأمةُ الإسلاميةُ اليومَ أحوجُ ما تكونُ إلى الثباتِ خاصةً وهي تموجُ بأنواعِ الفتنِ والمغريات وأصنافِ الشهوات والشبهات، فضلاً عن تداعي الأممِ عليها، وطَمَعِ الأعداءِ فيها ومما لا شك فيه أن حاجة المسلمِ اليومَ لعواملِ الثباتِ أعظمُ من حاجةِ أخيه المسلمِ إلى ذلك في القرونِ السالفة وذلك لكثرةِ الفسادِ ونُدْرَةِ الإخوان، وضَعْفِ المُعين، وقِلةِ الناصح والناصر، والله المستعان.

خامساً: جِنسيةُ المسلم ووطنُه عقيدته.

إن أغلى ما لدى الإنسانِ إذا تخلى عن مُقوماتِ دينِه، أهلُه وولدُه وماله وبلده، فالصحابةُ رضوانُ الله عليهم لما وجدوا أن مكة ليستْ مقراً لدينِهم؛ استأذنوا من الرسولِ صلى الله عليه وسلم بالهجرةِ، فأذن لهم صلى الله عليه وسلم، وهنا ارتفعوا عن مطالبِ الدنيا، وعن حقارةِ الدنيا، وعن ذُلِّ الدنيا، ونَجَوا بعقيدتِهم؛ لأن المسلمَ وطنُه عقيدتُهُ، فالصحابةُ رضوانُ الله عليهم ضحَّوا بالوطنِ، وضحوا بالأهلِ، وضحوا بالمالِ في سبيلِ هذه الهجرة في سبيلِ عقيدتِهم، وانظر إلى صهيبٍ الرومي رضي الله عنه، كان عبداً مملوكاً في مكة، فلما جاء الله بالإسلام صدّقَ وأطاع، فاشتدَ عليه عذاب الكفار، ثم أَذِنَ النبيُ صلى الله عليه وسلم للمؤمنينَ بالهجرةِ إلى المدينة فهاجروا، فلما أرادَ أن يهاجرَ معهم منعه سادةُ قريشٍ، وجعلوا عنده بالليل والنهارِ من يحرُسُه، خوفاً من أن يَهْرُبَ إلى المدينة، فلما كان في إحدى الليالي، خرجَ من فراشِه إلى الخلاء، فخرجَ معه من يرْقُبُه، ثم ما كادَ يعودُ إلى فراشِهِ حتى خرجَ أخرى إلى الخلاءِ، فخرج معه الرقيب، ثم عاد إلى فراشه، ثم خرجَ، فخرجَ معه الرقيبُ، ثم خرج كأنه يريد الخلاءَ، فلم يخرُج معه أحد، وقالوا: قد شغلتْه اللاتُ والعزى ببطنه الليلة، فتسَلَّلَ رضي الله عنه، وخرَجَ من مكة، فلما تأخَّرَ عنهم، خرجوا يلتمسونَهُ، فعلِمُوا بهربِه إلى المدينة، فلحقوه على خَيْلِهم، حتى

أدركوُه في بعضِ الطريقِ، فلما شَعُرَ بهم رقى على ثَنِيَّةِ جبلٍ، ثم نَثَرَ كِنَانَةَ سِهَامِهِ بين يديه وقال: يا معشرَ قريشٍ، لقد علمتُم واللهِ أنِّي أصوبُكُم رمياً، وواللهِ لا تَصِلُونَ إليَّ حتى أَقْتُلَ بِكِلِّ سَهْمٍ بين يَدَيّ رجلاً منكم، فقالوا: أتيتنا صُعْلُوكاً فقيراً، ثم تخرجُ بنفسكَ ومالك، فقال: أرأيتم إنْ دَلَلْتُكُم على موضعِ مالي في مكة أتأخذونه وتدعوني..؟ قالوا: نعم.. فقال: احفروا تحتَ أُسْكُفَّةِ بابِ كذا وكذا فإن بها أواقيَ من ذهب، فخذوها واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَيْن من ثيابٍ، فرجعوا وتركوه، ومضى يَطْوِي قِفَارَ الصحراءِ، يحمله الشوقُ ويحدوهُ الأملُ في لقاءِ النبي عليه السلامُ وأصحابه، حتى إذا وصلَ المدينة، أقبلَ إلى المسجدِ فدخلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أَثَرُ الطريق وَوَعْثَاءُ السفرِ، فلما رآه النبيُ عليه الصلاةُ والسلام قال: ربِحَ البيعُ أبا يحيى.. ربحَ البيعُ أبا يحيى.. ربح البيعُ أبا يحيى.. نعم والله ربحَ البيع.. ولماذا لا يربح..؟ وهو الذي هانَ عليه أن يَتْرُكَ المالَ الذي جمعه بكَدِّ الليلِ وتَعَبِ النهار، لماذا لا يربح وقد تركَ الأرضَ التي ألفها والبلدَ التي عرفها، والدارَ التي سكنها، في سبيل طلبِ عقيدته ومرضاةِ ربه.. أيها الأحبةُ الكرام..

لا بد أن نوطنَّ أنفسنا، وأن نفهم هذه الهجرةَ فهماً حقيقيا بأن جنسية المسلمِ ووطنِه هي عقيدتُه، فالمسلمُ تبعًا لهذا المبدأ، فلا يَهِنُ ولا يستكين ولا يقبل الذلَّ، ولا يقبلُ الخور والضعفَ " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " ولما وجد الصحابةُ رضي الله عنهم أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا بهذا الدين إلا بالذل والمهانة والاستكانة؛ تخلوا عن هذا الوطن، وذهبوا إلى بلاد يرفعون فيها رؤوسهم عالية، فرفع الله مقامهم، وأعادهم إلى وطنهم منتصرين.

لقد أكدت دروسُ الهجرةِ النبويةِ أن عزة الأمة تكمُن في تحقيق كلمة التوحيد، وتوحيدِ الكلمةِ عليها، وأن أي تفريقٍ في أمر العقيدة أو تقصيرٍ في أخوةِ الدينِ مآله ضعفُ الأفرادِ وتفكُّكُ المجتمع وهزيمةُ الأمة، وإن المتأملَ في هزائم الأممِ وانتكاساتِ الشعوبِ عبر التاريخ يجدُ أن مردَّ ذلك إلى التفريطِ في أمر العقيدةِ والتساهلِ في جانب الثوابتِ المعنويةِ مهما تقدمتِ الوسائلُ المادية.

إن عقيدةَ التوحيدِ هي الرابطةُ التي تتضاءلُ أمامها الانتماءاتُ القوميةُ والتمايزاتُ القبليةُ والعَلاقاتُ الحزبية، واستحقاقُ الأمةِ للتمجيدِ والتكريمِ مدينٌ بولائها لعقيدتها وارتباطِها بمبادئها، كيف لا..؟ وفي الأمةِ في أعقابِ الزمن منهزمونَ كثر أمامَ تياراتٍ إلحاديةٍ وافدةٍ ومبادئَ عصريةٍ زائفةٍ ترفعُ شعاراتٍ مصطنعةٍ وتُطْلِقُ نداءاتٍ خادعةً، لم يجنِ أهلها من ورائها إلا الذلّ والصغارَ والمهانة والتبارَ والشقاءَ والبوارَ؛ فأهواءٌ في الاعتقاد ومذاهبُ في السياسةِ ومشاربُ في الاجتماع والاقتصادِ كانت نتيجتها التخلفَ المهينَ والتمزقَ المشين، وفي خِضَمِّ هذا الواقع المُزري يَحِقُّ لنا أن نتساءلَ بحرقةٍ وأسى: أين دروسُ الهجرةِ في التوحيدِ والوحدة؟ أين أخوةُ المهاجرينَ والأنصارِ مِن شعاراتِ حقوقِ الإنسانِ المعاصرةِ الزائفة؟ قولوا لي بربكم أيُ نظامٍ راعى حقوقَ الإنسانِ وكرّمه أحسنَ تكريمٍ وكَفِلَ حقوقَه كهذا الدينِ القويم.

ثامنًا: المسجدُ والدورُ الحقيقي.

ويواصلُ النبيُ صلى الله عليه وسلمَ سيرَهُ حتى وصلَ إلى المدينةِ، فبدأ ببناءِ المسجدِ وعمارتِه لِعِلمِه أنَّ المسجدَ لم يوجدْ في الإسلامِ لأداءِ الصلاةِ فقط، وإنما هو مدرسةُ المجتمعِ الحقيقيةِ وهو نُقطةُ الانطلاقِ لتبليغِ دينِ الله، وهو مركَزُ الدولةِ الإسلاميةِ السائرةِ على منهجِ الله.

لقد نشأتْ مكانةُ المسجدِ وترعرعتْ في قلوبِ المسلمينَ مُنْذُ عهدِ النبوةِ، حيث كانَ مصدرَ النورِ والعلمِ والبصيرةِ والعزة للإسلامِ والمسلمين؛ فأعلى سبحانَه شأنَ المساجدِ ورفعِ قدرِها، ولا أدلَّ على عظيمِ مكانةِ المسجدِ ومعرفةِ المسلمينَ الأوائلَ أنْ لا طريقَ لإعلاءِ دينِهمُ الذي هو مصدرُ عِزِّهِم، إلا بالانطلاقِ منه، ولذلكَ فإنَّ أولَ ما بَدأ به النبيُ صلى الله عليه وسلمَ عندما حلَّ بأرضِ الهجرةِ النبويةِ هو بِناءُ المسجدِ لِجَعْلِه مصدرًا للدعوةِ ومنبعًا لها وموردًا للصحابةِ رضي الله عنهم للجلوسِ معه عليه الصلاةُ والسلام، وعندما رسخَتْ هذه المعاني في قلوبِهم رضي الله عنهم ساروا عليها بكُلِّ ما أُوتُوا من عزْمٍ ويقينٍ بعد وفاته عليه الصلاةُ والسلام، ثم سارَ المسلمونَ من بعدهم في هذا المسير، وانطلقوا من هذا المنطلقِ، ومن ذلك المكانِ الطاهرِ الشريفِ فإن الإمامَ عليه مسئوليةٌ وتَبِعَاتٌ، ومؤذِنُ المسجدِ والمصلونَ كذلك، كُلٌ له دورُه الذي يُعْتَبَرُ لَبِنَةً لِبِنَاءِ هذه الرسالة، وبَعْثِها لأرجاءِ المعمورة.

أرأيتم لو قامَ كُلٌ بدوره المأمولِ منه وإحيائِه واستحضاره... أيبقى دورٌ في أرجاءِ الأرضِ وقوةٌ على ظهرِها لغيرِ الإسلامِ ودعوتِه؟ ولا أدلَّ على عِنَايةِ الإسلامِ بالمسجدِ وقداسَتِه من أمْرِ الشارعِ بعدم زخرفتِه، ونَشْدِ الضالةِ ورفعِ الصوتِ، كُلُ ذلك لِتَتَوَحَّدَ القلوبُ وتبتهلَ إلى خالِقِها وإلهِها بدونِ صوارفَ وشواغلَ تُعيقُ تَهَيؤَها للقيامِ بدورِها تجاهَ المسجدِ ورسالته، فأين أغنياءُ المسلمينَ عن هذه الحقيقةِ، وأينَ العلماءُ والمسئولونَ عن هذا الأمرِ المهمِ في حياةِ المجتمعات، لماذا أصبحتِ المساجدُ مهملةً، وإذا اعتُنِيَ بها فمِن أجْلِ الصلواتِ فقطْ ولا دورَ لها بعد ذلك في حياة المسلمين.

تاسعًا: الهجرةُ وتاريخها..!

وإشارةً أخرى إلى أمرٍ يتعلقُ بحدثِ الهجرةِ النبويةِ في قضيةٍ تُعبِّرُ بجلاءٍ عن اعتزازِ هذه الأمةِ بشخصيتها الإسلاميةِ وتُثبتُ للعالمِ بأسره استقلالَ هذه الأمةِ بمنهجها المتميزِ المُستقى من عقيدتِها وتاريخها وحضارتِها، إنها قضيةٌ إسلاميةٌ وسنةٌ عُمريةٌ أجمعَ عليها المسلمونَ في عهدِ عمرَ بنِ الخطاب t إنها التوقيتُ والتاريخُ بالهجرةِ النبويةِ المباركة، واختيارُ الصحابةِ هذا التأريخَ على غيرِهِ من الأحداثِ يُعَدُّ من فقهِهِمْ وفهمِهِمُ العميقِ لأهميةِ هذا الحدثِ الذي انتقلتِ الأمةُ المسلمةُ بسببه من مرحلةِ الاستضعافِ والابتلاءِ إلى مرحلةِ الاستخلافِ والتمكين، وكم لهذه القضيةِ وربي من مغزًى عظيمٍ يَجْدُرُ بأمةِ الإسلامِ اليومَ تَذَكُّرَهُ والتَقيُدَ به، كيف وقد فُتِنَ بعضُ أبنائِها بتقليدِ غيرِ المسلمينَ والتشبهِ بهمْ في تأريخِهم وأعيادِهم، فأين هي عِزةُ الإسلام؟ وأين هي شخصيةُ المسلمين؟ هل

ذابت في خِضَمِّ مُغْرَياتِ الحياة؟ فإلى الذين تنكروا لثوابتِهم وخدشوا بَهاءَ هويتِهم وعملوا على إلغاءِ ذاكرةِ أمتِهم، وتهافتوا تَهَافُتاً مذموماً وانساقوا انسياقاً محموما خلف خصومِهم وذابوا وتميعوا أمامَ أعدائهم، ننادي نداءَ المحبةِ والإشفاق: رويدَكم؛ فنحنُ أمةٌ ذاتُ أمجادٍ وأصالةٍ وتاريخٍ وحضارةٍ ومنهجٍ متميزٍ منبثقٍ من كتابِ ربنا وسنةِ نبينا صلى الله عليه وسلم فلا مساومة على شيءٍ من عقيدتنا وثوابتنا وتاريخِنا ولسنا بحاجةٍ إلى تقليدِ غيرِنا، بل إن غيرَنا في الحقيقةِ بحاجةٍ إلى أن يستفيدَ من أصالتِنا وحضارتنا، لكنه التقليدُ والتبعيةُ والمجاراةُ والانهزاميةُ والتشبهُ الأعمى من بعضِ المسلمينَ هداهم الله، كيف لا..؟ وقد حذر صلى الله عليه وسلم أمتَه من ذلك بقولِه فيما أخرجَه الإمامُ أحمدُ وأهلُ السننِ "من تشبه بقوم فهو منهم ".

عاشرًا: الهجرةُ ومبدأ الشورى.

كلّنا نعرفُ أن قريشاً اجتمعتْ في دارِ الندوة، وتشاوروا كيف يفعلونَ بالرسولِ صلى الله عليه وسلم؟ نعم.. تآمروا واختلفوا في الرأي، لكنهم اتفقوا على أن يجتمعَ عددٌ من أمزاعِ القبائلِ وأفرادها ليقتلوا الرسولَ صلى الله عليه وسلمَ فيَضِيعُ دمُه بين القبائلِ.

ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة، وما أقربَ عِلاقة الماضي بالحاضرِ والحاضرِ بالماضي؛ أعداءُ الله جادونَ لحربِ دينِ الله، جادون لحربِ الدعاة، كما كان أولئكَ جادينَ في دارِ الندوة، فقط.. اختلفتِ الأدوارُ واتفقتِ الأهدافُ، اختلفتِ الوسائلُ واتفقتِ الغايات.

كما أجد أن كفارَ قريشٍ في دارِ الندوةِ يشعُّون حماساً لإنهاءِ هذه الدعوةِ المحمديةِ، أجد واللهِ أعداءَ الله يتطايرُ النومُ من أعينِهم حماساً لحربِ الدعاةِ وحربِ الإسلام، أجدُ أن الدعاةَ يفتقرونَ إلى شيءٍ مما نجده عندَ أعداءِ اللهِ وهو الحماسُ لدعوتهم ومبادئِهم، والتخطيطِ البعيدِ المستمر، كفارُ قريشٍ جلسوا يتشاورون ويعقدون ويتآمرون، والسؤال المهم الذي ينبغي أن نستفيده: هلِ المسلمونَ يتشاورونَ فيما يتعلقُ بأمورِ دينهم وعقيدتهم؟ هل يلتقونَ ليتدارسوا أوضاعَ المؤامراتِ على هذه العقيدة، وعلى هذا الدينِ؟ كفارُ قريش في دارِ الندوة، وكفارُ العصرِ الحاضرِ في دورٍ كثيرةٍ، يتشاورونَ ويخططونَ، والمسلمونَ نائمون، كفار قريش في دار الندوة سلكوا السبيل الذي يحقق لهم أهدافهم، وبنفس القوةِ وبنفسِ المنطقِ أعداءُ الإسلام في العصر الحاضر يسلكونَ السبيلَ ذاتَه، ولهذا فإن الرسولَ صلى الله عليه وسلم علاجًا للمشكلة التي مرَّ بها والمؤامرة التي حلت به واجه التخطيطَ بالتخطيط، والقوةَ بالقوة، والحكمةَ بالحكمة، والأسلوبَ بالأسلوب.

الحادي عشر: الهجرةُ والتخطيط.

إن التخطيطَ للهجرةِ من أعظم الدروس التي نستفيدُها في دعوتنا، مأساة كثيرٍ من المسلمين بل مأساةُ الدعاة أن التخطيطَ لديهم فيه ضعفٌ كبير، إن لم أقل: إنه لا يوجد لدى الكثيرِ منهم أبدا مفهومُ التخطيط، لديهمُ الإعدادُ الضعيف، بينما نجده في الهجرةِ يتمثّل في أشياءَ كثيرة، يتمثل في الاستعدادِ المبكرِ من الرسولِ صلى الله عليه وسلم،

يتمثلُ التخطيطُ في تهيئةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه لذلك، حيثُ جلس كما في الصحيح أربعة أشهرٍ ينتظرُ الهجرةَ معَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ويهيئُ الراحلة، نجدُ التخطيطَ في إقامةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم عليا مكانه، وعندما بدأت مراحلُ الهجرة؛ جاءَ التخطيطُ الدقيقُ في خُطُوَات، وانتبهوا إلى هذه الخطوات وهذا التخطيط:

أولا: الانتقالُ إلى غارِ ثورٍ، ولماذا اختارَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكرٍ هذا الغار؟ نعم. اختارا هذا الغارَ ليخالفوا ما أرادت إليه قريش، فاتجهوا جنوبًا.

ثانيا: توزيعُ الأدوار، فعبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ يأتي بالأخبار، وعامرُ بنُ فهيرةَ يأتي بالغنمِ ليحلبوا ويشربوا، ويغطي آثارَ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكر، وأسماءُ تأتي بالطعام، وعبدُ اللهِ بنُ أُرَيقِط يَسْتَعِدُ للانطلاقِ بهم بعدَ ثلاثِ ليال، أرأيتم كيفَ أنه ترتيبٌ محكمٌ دقيقٌ مخططٌ له، فهل نحن عندما نريد أن نُقْدمَ على أي أمرٍ من أمورِ الدعوة؛ نستعدُّ لذلك؟ نخططُ له، نُجيدُ تحديدَ المراحل، المؤسفُ أن الواحدَ منا إذا أراد أن يَعْمُرَ بيتا؛ جَلسَ يُخططُ عدةَ أشهرٍ، نعم.. إذا أقبل على أمرٍ من أمورِ الدنيا؛ خطَّطَ ورتبَ واستعدَ، ولكن في أمورِ الدعوة في أمورِ الإسلام فإنه يَخْبِطُ خبطَ عشواء، ومن هنا جاءتِ النتائجُ السلبيةُ والنتائجُ السيئةُ لكثيرٍ من الدعواتِ وكثيرٍ من الحركاتِ؛ لأنهم يتحركونَ بدونِ تخطيطٍ، يتحركونَ بدونِ دراسةٍ للواقع، وبدونِ حسابٍ للمستقبل؛ حسبَ الأسبابِ التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وهذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يا أحبابي، وهو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُخططُ تخطيطاً بشريًا دقيقا، يخططُ ليستفيدَ الدعاةُ من هذه التجربةِ، إنها دروس، فهل نستفيد منها؟

تذكرتُ وفكرتُ في كثيرٍ من النكباتِ التي حلَّتْ بكثيرٍ من الجماعاتِ الإسلاميةِ في كثيرٍ من الدول، ووجدتُ أن مِن أهمِّ أسبابِها ضعفُ التخطيطِ لمقابلةِ أعداءِ الله، فالمسلمُ كَيِّسٌ فطن، فلا يُقْدِمْ على أمرٍ إلا بعد أن يكونَ قد قلَّبَ جميعَ الأمور، وأخذَ بجميعِ الوسائلِ والأسباب، وهذا الدرسُ واضحٌ وجليٌّ وعظيمٌ في سيرةِ الرسول صلى الله عليه وسلم، تخطيطٌ محكمٌ دقيقٌ، لا تجدُ فيه ثغرةً من الثغراتِ، فسبحانَ الله! ما أحوجنا إلى أن نقفَ أمامَ هذا الأمرِ العظيم؛ لتستفيدَ منه الأجيالُ بعد الأجيالِ، فإلى متى والمسلمونَ يتخبَّطونَ في أمورهم؟ إلى متى ونحن أبناءُ الصُدفةِ، وأبناءُ العواطفِ؟ فقطْ عواطفُ تهيجُ ثم تخبوا، فأين الجِدُّ؟ أين العزيمة؟ أين الوُضوح؟ فالأمرُ من الجدِّية بمكان، ثم نقول بعد ذلك ونتفاخر " النصر من عند الله "؟! نعم، بلا شكٍ: النصرُ من عند الله، ولكن لا بُدَّ من الأخذِ بالأسباب، لا بُدَّ من الأخذِ بالوسائلِ المشروعة، فأين هذا من واقعنا؟ أليس لنا في سيرةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلمَ عبرة؟ أليس لنا فيه عِظة؟ بدأ وحيدًا صلى الله عليه وسلمَ وبالرقمِ القياسي بدأتْ الدعوةُ في ازديادٍ شيئا فشيئا، حتى قامتْ دولةُ الإسلام.. أيها الأحباب:

أكرر فأقول: لا مكانَ للفوضى في هذا العصر، بل لا مكانَ للفوضى في حياةِ المسلم أبدًا، فكلُ واحدٍ منا يحاسبُ نفسه ولو من زاويةٍ ضيقةٍ، ألسنا نعيشُ فوضى داخلَ حياتِنا الخاصةِ اليومية، هل كلُ واحدٍ منا ينظِّمُ وقتَه تنظيماً دقيقا؟ هل كلُ واحدٍ منا يعيشُ هَمَّ

هذه الدعوة، ويفكّرُ لها ليلَ نهار؟ ثم ماذا عمِلَ إن كانَ فكّرَ ورتَّبَ لذلك؟ والله لا عُذر لنا أمامَ الله سبحانه وتعالى فيما نرى من المصائبِ والمشكلات.

الثاني عشر: البيتُ المسلمُ المتكامل.

لقد كانَ البيتُ المسلمُ حاضراً لأخطرِ قرارٍ في تاريخ الدعوة، فقد كانتْ عائشةُ وأسماءُ رضي الله عنهما تسْتمعانِ لتلكَ المداولاتِ التي دارت بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلمَ وبين والدهِما أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه قالت " بينما نحنُ يوماً جلوسٌ في بيتِ أبي بكرٍ في نحرِ الظهيرةِ، قال قائلٌ لأبي بكر: هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم متقنّعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكرٍ: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاءَ به في هذه الساعةِ إلا أمرٌ، قالت: فجاءَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنَ فأذِنَ له فدخل، فقال النبيُ صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: أَخْرِجْ مَن عندَك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلُكَ بأبي أنتَ يا رسولَ الله، قال: فإني قد أُذِنَ لي في الخروج، فقال أبو بكرٍ: الصحبة بأبي أنت يا رسولَ الله، قال رسولُ الله: نعم، قال أبو بكرٍ: فخُذْ بأبي أنت يا رسولَ الله إحدى راحلتِي هاتين، قال رسولُ الله، بالثمنِ، قالت عائشةُ: فجهزناهما أحسنَ الجهازِ وصنعنَا لهما سَفْرَةً في جرابٍ فقطعَت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ قِطعةً من نِطاقِها فربطتْ به على فَمِ الجِرابِ فبذلكَ سُميت ذاتُ النطاقين "

الله أكبر.. ما أجملَ هذا البيتَ المسلمَ بيتَ أبي بكرٍ، أبو بكرٍ، وابنُه عبد الله وابْنتاه أسماءُ وعائشةُ، بل وحتى مولاهُ عامرُ بنُ فُهيرةَ، في وسطِ الجاهليةِ، ومرابضِ الوثنيةِ، في وسط هذا الخِضَّمِ الأسودِ الذي يَهْرُبُ فيه المسلمونَ بعقيدتهم، نجد بيتا صالحا فيه مُقَومات الصلاح، فعندما قالَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم " أخرج من عندك، قال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله " أكانَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم يجهلُ أنهما ابنتا أبي بكر؟ لا وربي، فهْو يعْرفهُما، ولكن أراد أبو بكرٍ أن يقولَ " إنهما على منهجي، همَا على عقيدتي، لا خوف عليهما يا رسولَ الله ".

لقد وقفتُ أمامَ هذا البيتِ المسلمِ، وقارنت هذا البيتَ المسلمَ ببيوتِنا في ديارِ الإسلام، أين البيتُ الذي تتوفرُ فيه صفاتُ البيتِ المسلمِ كبيت أبي بكر..؟

إن من أولى أولوياتِ البيتِ المسلمِ وأسمى رسالةٍ يقدمُها للمجتمع تربيةُ الأولاد، وتكوينُ جيلٍ صالحٍ قوي، ولا قيمةَ للتربيةِ ولا أثرَ للنصيحةِ إلا بتحقيقِ القدوةِ الحسنةِ في الوالدين؛ القدوةِ في العبادةِ والأخلاق، القدوةِ في الأقوالِ والأعمال، القدوةِ في المخبرِ والمظهر.

في غَيابِ البيتِ المسلمِ الهادئِ الهانئِ ينمو الانحرافُ، وتفشو الجريمةُ، وترتفعُ نسبةُ المخدرات، بل ونسمعُ بارتفاع نسبةِ الانتحار.

إن البيتَ الذي لا يَغرسُ الإيمانَ ولا يستقيمُ على نهجِ القرآن ولا يعيشُ في ألفةٍ ووئام، يُنجِبُ عناصرَ تعيشُ التمزُّقَ النفسي، والضياعَ الفكري، والفسادَ الأخلاقي، هذا العقوقُ الذي نجده من بعضِ الأولادِ والعَلاقاتِ الخاسرةِ بين الشباب والتخلي عن المسؤوليةِ

والإعراض عن الله والتمرُّدِ على القيم والمبادئ الذي يعصِفُ بفريقٍ من أبناءِ أمتنا اليوم، ذلك نتيجةٌ حتميةٌ لبيتٍ غفلَ عن التزكيةِ، وأهملَ التربية، وفقدَ القدوةَ، وتشتَّت شملُه.

البيتُ الذي يجعلُ شرائعَ الإسلام عِضين، يأخذ ما يشتهي، ويذرُ ما لا يريد، إلى شرقٍ أو غرب، يُنشئ نماذجَ بشريةٍ هزيلةً ونفوساً مهزوزة، لن تفلحَ في النهوضِ بالأمةِ إلى مواقع عزها وسُؤدُدِها.

من سماتِ البيت المسلم أنه يردُّ أمرَه إلى الله ورسولِه صلى الله عليه وسلم عندَ كلِّ خلاف، وفي أي أمرٍ مهما كان صغيراً، وكلُ مَن فيه يرضى ويسلِّم بحكم الله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَلاً مُّبِيناً).

من سماتِ البيتِ المسلمِ تعاوُنُ أفراده على الطاعةِ والعبادة، فضعْفُ إيمانِ الزوج تقوِّيهِ الزوجةُ، واعوجاجُ سلوكِ الزوجةِ يقوِّمُه الزوج، تكاملٌ وتعاضُد، ونصيحةٌ وتناصر.

من سماتِ البيت المسلمِ الحياءُ، وبه يُحصِّنُ البيتُ كِيانَه من سهامِ الفتكِ ووسائلِ الشر التي تدعُ الديارَ بلاقع، لا يليقُ ببيتٍ أسِّس على التقوى أن يُهتَكَ سترُه، ويُنقضَ حياؤه، ويلوَّثَ هواؤه بما يخدشُ الحياءَ من أفلامٍ خليعةٍ وأغانٍ ماجنة ونبذٍ للحجابِ وتشبهٍ بأعداء الدين، كلُ ذلك ينخِرُ كالسوسِ في كَيانِ البيتِ المسلم، وبُؤَراً تفتحُ مغالقَ الشرِّ وتدعُ العامرَ خرابًا.

من سماتِ البيتِ المسلم أن أسراره محفوظةٌ، وخلافاتِه مستورةٌ، لا تُفشى ولا تُستقصى " إن من شرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامةِ الرجلُ يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه، ثم يَنْشُرُ سِرَّها ".

لا يدخلُ البيتَ المسلمَ من لا يُرضَى دينُه، فدخولُ المفسدِ فسَاد، ووَلوجُ المشبوهِ خطرٌ على فلذات الأكباد بهؤلاء فسدتِ الأخلاقُ في البيوت، وفشا السحرُ، وحدثتِ السرقاتُ، وانقلبتِ الأفراحُ أتراحا، بل إنهم معاوِلُ هدمٍ للبيتِ السعيد، والله المستعان..

لقد برزَ أثرُ الهجرةِ في مجالِ تربيةِ الشبابِ والمرأةِ وميدانِ البيتِ والأسرةِ، ففي موقفِ عبداللهِ بنِ أبي بكر رضي الله عنهما في خدمةِ ونُصرةِ صاحبِ الهجرة عليه الصلاة والسلام بأبي هو وأمي، ما يُجلّي أثرَ الشبابِ في الدعوةِ ودورِهم في الأمةِ ونُصرةِ الدينِ والمِلة، فأين هذا مما يُنادي به بعضُ المحسوبينَ على فِكرِ الأمةِ وثقافتِها من تخديرِ الشباب بالشهواتِ وجعلِهم فريسةً لمهازلِ القنواتِ وشبكةِ المعلوماتِ في الوقتِ الذي يُعَدُّون فيه للاطلاعِ بأغلى المهماتِ في الحفاظِ على الدينِ والقيم، والثباتِ على الأخلاقِ والمبادئ أمامَ المتغيراتِ المتسارعةِ ودعاوَى العولمةِ المفضوحة، وفي موقفِ أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنها ما يُجَلّي دورَ المرأةِ المسلمةِ في خدمتِها لدينها ودعوتها؛ فأين هذا من دُعاةِ المدنيةِ المأفونةِ الذين أجلبوا على المرأةِ بخيلِهم وَرَجِلِهم زاعمينَ زوراً وبُهتانا أنَّ تَمَسُّكَ المرأةِ بثوابتِها وقيمها واعتزازها بحجابها وعفافها تقييدٌ لحريتِها وفقدٌ

لشخصيتها وبئسَ ما زعموا فخرجَتِ من البيتِ تبحثُ عن سعادةٍ موهومةٍ وتقدميّةٍ مزعومةٍ لتَظُنَّها في الأسواقِ والشوارعِ والملاهي والمصانع فرجعت مسلوبة الشرفِ مُدَنَّسةِ العرضِ مُغْتَصَبَة الحقوقِ عديمة الحياءِ موءودةَ الغيْرَة، وتلكَ صورة من صورِ إنسانياتِ العصرِ المزعومةِ وحريتِه المأفونةِ ومدنيته المدَّعاة.. أقول:

ما أحوجنا إلى بيتٍ كبيتِ أبي بكر، ما أحوجنا إلى أسرة كأسرة أبي بكر، ما أحوجنا إلى إيمان كإيمان أبي بكر بل ما أحوجنا إلى آباء كأبي بكر وأبناء كأبناء أبي بكر..

الثالث عشر: الصدق والإخلاص مع الله.

نصْرُ الله سبحانَه وتعالى لنبيه أمرٌ جليٌ وواضحٌ وظاهر " إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا " روى الإمام البخاري في صحيحه قال: لما صعدَ كفارُ قريشٍ إلى الجبلِ ونظروا ؛ قال أبو بكر: يا رسولَ الله، لو نظرَ أحدُهم إلى أسفلِ قدميه لرآنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! " الله أكبر، إنه التوكل والثقة بنصر الله تعالى لم يقل عليه الصلاة والسلام "ما ظنك بنبي وصاحبُه؟! " لا " ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! إنها قاعدةٌ عظيمة: أنَ كلَ اثنين صادقين مخلصين؛ الله معهما، لم يربطْ القضية عليه الصلاة والسلام به، لم يقل "يا أبا بكر، لا تخف ؛ لأنني أنا موجودٌ، أنا رسولُ الله " لا، ربطَهَا بقضيةٍ أصليةٍ؛ حتى إذا تكررتْ في يومِنا الحاضرِ؛ يتكررُ الهدفُ والسببُ والنتيجة " ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! إذا أصابتك مصيبة وأنت معتصم بالله؛ فلا تخف؛ فأمامك "ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!" إذا ادلهمت عليك الخطوب من كل جانب فلا تحزن لأنك تقرأ " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " إذا واجهك عدو فاعتصم برب العدو لأنك تتلوا " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " إذا..

القضيةُ ليست مربوطةً بأنه نبي، لا ؛ لأن الله تعالى يقول " إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ " نبيٌ وغيرُ نبي، ما دام أنه على منهج النبي " إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ " نصْرُ الله كان لنبيه، ولمن يقتفى سنة نبيه، وسيكونُ وسيظلُ لكل صادقٍ مخلصٍ مؤمنٍ بالله متبعٍ نبيه، كما نجد في هذا الأمرَ أن الأمرَ لا يتعلق بالقوةِ الماديةِ والضخامةِ المادية؛ فكم بذلت قريشٌ من أجلِ هذا الأمر، ولكنها لم تُحقّقْ شيئا ونَصَرَ الله نبيَه صلى الله عليه وسلمَ بوسائِلِه الضعيفةِ البسيطةِ الهزيلة، لكنها الوسائل المادية، أما وسائله الكبرى فهي وسائلٌ عظيمة، أقواها وسيلةٌ الإيمان بالله سبحانه وتعالى والصدقِ معه والتوكل عليه والثقة بنصره.

==============================

القدوة الحسنة!

موسى محمد هجاد الزهراني

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [سُورَةُ التَّوْبَةِ : ١٢٨] ..

إن المتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ليجد أنها حوت جميع مكارم الأخلاق التي تواطئ عليها فضلاء ونجباء البشر ونبلاؤهم ، حتى إنها لتجيب على كل ما يختلج في الفؤاد من أسئلة قد تبدو محيرة لمن لم يذق طعم الإيمان بالله تعالى من الذين كفروا ، والغريب في الأمر أن بعض بني قومنا من المسلمين هداهم الله لا يحفلون بهذه الميزة العظيمة التي ميزنا الله بها وهي كون النبي صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة حسنة رغم أنها تمثل الرادع الفعلي عن ارتكاب ما يخل بخلق المسلم ، وهي المحرك الأساس إلى الارتقاء بالذات إلي معالي الأمور وقممها السامقات .

إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنٌ يمشي على الأرض وكان خلقه القرآن ، ولذلك تجد كثيراً من عامة المسلمين اليوم إذا سألتهم ولو كان ذلك بطريقة عشوائية عن : من هو قدوتك أو مثلك الأعلى؟!

لسمعت الإجابة :_ النبي صلى الله عليه سلم ! .

أتعرف شيئاً عن سيرته ؟ .

فسيحدثك ولو بالقدر القليل عن سيرته عليه السلام من ولادته ونشأته وعبادته وشجاعته وحسن خلقه وغزواته وغير ذلك إلى الوفاة .

وإنك لتسمع من البعض أيضاً عبارة : هذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وما ذلك إلاّ دلالة واضحة على أن المسلمين عموماً لديهم الرجوع الذهني إلى القدوة المطلقة وهو النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .. فيفعلون ما فعل وينتهون عما نهى ويخجلون من فعل شيء لم يفعله.

* * *

أين هذا من الكثرة الكاثرة في الأرض اليوم بكل في كل زمان من الكافرين على جميع أصنافهم وتنوع مذاهبهم وتنوع مذاهبهم ومشاربهم ؟ .

خذ مثلاً .. النصارى الموجودين اليوم .. لو سألت أحدهم أو مجموعة منهم عن قدوته في الحياة لما حار جواباً إلاّ بعد تفكير مضطرب قد تأتي الإجابة بعده ليست كما تريد .. وينسى (المسيح عليه السلام) أو (يسوع كما يحلو لهم أن يعبروا) لأنه يجهل سيرته تماماً ولا يعلم منها إلا الجزء المظلم في نظرة النصرانية من أنه أحد الأقانيم الثلاثة .. ثلاثة في واحد .. وأنه ابن الإله ، وهو المصلوب لإنقاذ الجنس البشري من تبعات خطيئة أبيهم آدم .. وهو الذي نزل باسم الإله تارة أو ابنه تارة أو ما إلى ذلك من خرافاتهم ..

{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } [سُورَةُ النِّسَاءِ : ١٥٨]

فإذا أردت منه شيئاً يسيراً عنه ولادة عيسى عليه السلام .. لربما غضب منك لأنه يعلم أنك تريد تسفيه عقيدته في ابن الإله (حسب زعمهم) .. وإذا أردت شيئاً من سيرته لم تسمع من فيّ الخاصة منهم إلاً العبارة المشهورة عن المسيح عندهم " إذا صفعك أحدهم على الخد الأيسر فأدر له الخد الأيمن ومن جاءك يريد أخذ شيئاً من مالك فأعطه مالك كله " على أنها لا سند لها من شرع ولا عقل إلاً إنها لا تمثل ما عليه واقع حال النصرانية المحرفة أبداً ولا يحفل قسسهم ولا باباوتهم ورهبانهم وساستهم – وبوش الظالم المعتدي على أفغانستان والعراق أكبر مثال – لا يحفلون بهذا النص عن المسيح عندهم ولا يُعملونه في واقعهم، وواقعهم المرّ يشهد بذلك .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً } [سُورَةُ النِّسَاءِ : ١٧١]

* * *

أين المسلمون عن شكر نعمة القدوة المطلقة محمد صلى الله عليه وسلم وأين العمل بسنته والافتخار بها؟.

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا } [سُورَةُ الأَحْزَابِ : ٢١]

وبقي أن نعلم أن القدوات ثلاثة .. القدوة المطلقة وهو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والقدوة الثانية : من مات على الإسلام الصحيح من سلف الأمة المخلصين ومن كانت سيرته نبراساً لمن بعده كالصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .. وعلماء الأمة الأربعة فمن بعدهم وشمسهم الوهاجة شيخ الإسلام بن تيميه .. إلى آخر عالمٍ مات منهم .. بالشرط المتقدم .

القدوة الثالثة : من يصلح الاقتداء به في هذا الزمان من الأخيار ، على أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ..

ولله در الشيخ الدكتور عائض القرني على روعة وصفة لقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم ، في رائعته : تاج المدائح :

أنصت لميميةٍ جاءتك من أَمَم **** مُدادها من معاني نون والقلم

سالت قريحةُ صبٍّ في محبتكم***** فيضاً تدفق مثل الهاطلِ العممِ

كالسيل كالليل كالفجر اللحوح غدا * يطوي الروابي ولا يلوي على الأكم

أجش كالرعد في ليل السعود ولا *** يشابه الرعد في بطش وفي غشم

كدمع عيني إذا ما عشت ذكركم *** أو خفق قلب بنار الشوق مضطرم

يزري بنابغة النعمان رونقها ***** ومن زهير ؟ وماذا قال في هَرِم
دع سيف ذي يزنٍ صفحاً ومادحه ***** وتبّعاً وبني شداد في إرم
ولا تعرج على كسرى ودولته ***** وكل أصْيد أو ذي هالةٍ وكمي
وانسخ مدائح أرباب المديح كما ***** كانت شريعته نسخا لدينهم
رصّع بها هامة التأريخ رائعة ***** كالتاج في مفرق بالمجد مرتسم
فالهجر والوصل والدنيا وما حملت **** وحب مجنون ليلى ضلة لعمي
دع المغاني وأطلال الحبيب ولا***** تلمح بعينك برقا لاح في أضم
وأنس الخمائل والأفنان مائلة ***** وخيمة وشويهات بذي سلم
هنا ضياء هنا ري هنا أمل ***** هنا رواء هنا الرضوان فاستلم
لو زينت لامرء القيس انزوى خجلا ***** ولو رآها لبيد الشعر لم يقم
ميمية لو فتى بوصير أبصرها ***** لعوذوه برب الحل والحرم
سل شعر شوقي أيروي مثل قافيتي *** أو أحمد بن حسين في بني حكم
ما زار سوق عكاظ مثل طلعتها***** هامت قلوب بها من روعة النغم
أثني على من ؟ أتدري من أبجله ؟ ***** أما علمت بمن أهديته كلمي
في أشجع الناس قلبا غير منتقم ***** وأصدق الخلق طرّا غير متهم
أبهى من البدر في ليل التمام وقل * أسخى من البحر بل أرسى من العلم
أصفى من الشمس في نطق وموعظة ** *أمضى من السيف في حكم وفي حكم
أغر تشرق من عينيه ملحمة ***** من الضياء لتجلو الظلم والظلم
في همة عصفت كالدهر واتقدت *** كم مزقت من أبي جهل ومن صنم
أتى اليتيم أبو الأيتام في قدر ***** أنهى لأمته ما كان من يتم
محرر العقل باني المجد باعثنا ***** من رقدة في دثار الشرك واللمم
بنور هديك كحلنا محاجرنا ***** لما كتبنا حروفا صغتها بدم
من نحن قبلك إلا نقطة غرقت **** في اليم بل دمعة خرساء في القدم
أكاد أقتلع الآهات من حُرَقي ***** إذا ذكرتُك أو أرتاعُ من ندمي
لما مدحتك خلت النجم يحملني ***** وخاطري بالسنا كالجيش محتدم
أقسمتُ بالله أن يشدو بقافية ***** من القريض كوجه الصبح مبتسم
صه شكسبير من التهريج أسعدنا **** عن كل إلياذة ما جاء في الحكم

الفرس والروم واليونان إن ذكروا ***** فعند ذكراه أسمال على قزم
هم نمقوا لوحة للرق هائمة ***** وأنت لوحك محفوظ من التهم
أهديتنا منبر الدنيا وغار حرا ***** وليلة القدر والإسراء للقمم
والحوض والكوثر الرقراق جئت به*** أنت المزمل في ثوب الهدى فقم
الكون يسأل والأفلاك ذاهلة ***** والجن والإنس بين اللاء والنعم
والدهر محتفلٌ والجو مبتهج ***** والبدر ينشق والأيام في حلم
سرب الشياطين لما جئتنا احترقت **** ونار فارس تخبو منك في ندم
وصُفّدَ الظلم والأوثان قد سقطت ***** وماء ساوة لما جئت كالحمم
قحطان عدنان حازوا منك عزتهم ***** بك التشرف للتأريخ لا بهم
عقود نصرك في بدر وفي أحد ***** وعدلا فيك لا في هيئة الأمم
شادوا بعلمك حمراء وقرطبة ***** لنهرك العذب هب الجيل وهو ظمي
ومن عمامتك البيضاء قد لبست ***** دمشق تاج سناها غير منثلم
رداء بغداد من برديك تنسجه ***** أيدي رشيد ومأمون ومعتصم
وسدرة المنتهى أولتك بهجتها ***** على بساط من التبجيل محترم
دارست جبريل آيات الكتاب فلم***** ينس المعلم أو يسهو ولم يهم
اقرأ ودفترك الأيام خُط به ***** وثيقة العهد يا من بر في القسم
قربت للعالم العلوي أنفسنا ***** مسكتنا متن حبل غير منصرم
نصرت بالرعب شهرا قبل موقعة *** كأن خصمك قبل الحرب في صمم
إذا رأوا طفلا في الجو أذهلهم ***** ظنوك بين بنود الجيش والحشم
بك استفقنا على صبح يؤرقه ***** بلال بالنغمة الحرّى على الأطم
إن كان أحببت بعد الله مثلك في **** بدو وحضر ومن عرب ومن عجم
فلا اشتفى ناظري من منظر حسن *****ولا تفوه بالقول السديد فمي
* * *

بعد ، فهذه كلمات يسيرة كتبتها على عجل ، أثارها في صدري ما قرأته عن مقارنه الأديان [١] وتخبطاتها حاشا الإسلام .

أسأل الله أن يجعلنا من المهتدين المقتدين بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ويرزقنا أتباع سنته وشفاعته يوم القيامة .

القاهرة

في ١٤٢٥/٥/١٢هـ

----

[١] انظر كتاب أستاذنا الفاضل أ د / مصطفى حلمي (الإسلام ومقارنة الأديان) ..

==============================

الكمالات و الخصائص التي انفرد بها رسول الله

أولا : الكمالات

ذكر الماوردي –رحمه الله- في ذكر خصائص الرسول صلى الله عليه و سلم وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة علي عموم رسالته: فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربع أوجه : كمال الخلق وكمال الخلق وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال

الوجه الأول : كمال الخلق

كمال خلقه صلى الله عليه و سلم بعد اعتدال صورته يكون بأربع أوصاف

الوصف الأول

السكينة الباعثة علي الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقديم والتسليم

وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسري من هيبته حين أتوه مع اعتيادهم لصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان صلى الله عليه و سلم في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم ، وإن لم يتعاظم بأبهة ولم يتطاول بسطوة ، بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطأة-أي السهولة – معروفاً

الوصف الثاني

في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة علي المصافاة والمودة

وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله (أي لم يبغضه أو يجافه) مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلي أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد علي الظمأ

الوصف الثالث

حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلي طاعته وتذعن بموافقته ، وقد كان قبول منظره صلى الله عليه و سلم مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد ، إلا من ساقه الحسد إلي شقوته وقاده الحرمان إلي مخالفته

الوصف الرابع

ميل النفوس إلي متابعته وانقيادها لوافقته وثباته علي شدائده ومصابرته ، فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنها فيها إلا من حرم الخير كله

وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة قد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها

الوجه الثاني : كمال الخلق

أما كمال أخلاقه صلى الله عليه و سلم فيكون بست خصال

الخصلة الأولي

رجاحة عقله وصدق فراسته ، وقد دل علي وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه علي الناس وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بأصدق حدس وأوضح رؤية

الخصلة الثانية

ثباته في الشدائد وهو مطلوب ، وصبره علي البأساء و الضراء ، وهو مكروب ومحروب (المحروب من فقد ماله) ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي أي الممسك بمقاليد الأمور المسيطر عليها

الخصلة الثالثة

زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته منها فلم يمل إلي غضارتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من أقصي الحجاز إلي عذار العراق ومن أقصي اليمن إلي شحر عمان

وهو أزهد الناس فيها يقتني ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر ، لم يخلف عينا ولا دينا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا علي مثل حاله في الزهد فيها

وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة أن لا يتهم بطلبها أو يكذب علي الله تعالي في ادعاء الآخرة ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور النزر ويرضي بالعيش الكدر

الخصلة الرابعة

تواضعه للناس وهم اتباع ، وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس علي التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه ، فصار بالتواضع متميزا ، وبالتذلل متعززاً

ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعد ، ولم تحصر فتحد

الخصلة الخامسة

حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة ، ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة ، فإن الله تعالي عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة (النفار أو المنافرة) ليكون بأمته رؤوفا وعلي الخلق عطوفا لقد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم

وما تفرد بذلك سفهاؤهم عن حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم ، بل تمالأ عليه الجلة و الدون ، فكلما كانوا عليه ألح ، كان عنهم أعرض و أصفح ، حتى قدر فعفا ، وأمكنه الله منهم فغفر

وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه : ما ظنكم بي قالوا ابن عم كريم ، فإن تعف فذلك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا فقال : بل أقول كما قال يوسف

لأخوته قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ - سورة يوسف آية ٩٢

وقال : اللهم قد أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا وأتته هند بنت عتبة ، وقد بقرت بكن عمه حمزة ، ولاكت كبده فصفح عنها وأعطاها يده ، لبيعتها

فإن قيل : فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم واحد وهم نمو سبعمائة ، فأين موضع العفو والصفح قيل : إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى

وقد كانت بني قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسي أي بلغ مبلغ الرجال فحلق ذقنه -قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة (يعني من فوق سبع سنوات) فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالي عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه

الخصلة السادسة

حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه ما نقض لمحافظ عهدا ، ولا اخلف لمراقب وعدا ، يري الغدر من كبائر الذنوب ، والأخلاق من مساوئ الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالي له مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية إذ جعل الله تعالي له في نكثهم الخيرة

فهذه ست خصال تكاملت في خلقه ، فضله الله تعالي علي جميع خلقه

الوجه الثالث : فضائل الأقوال في فضائل أقوالـه صلـى الله عليـه و سلم خصـال عديـدة ، منها

الخصلة الأولي

ما أوتي من الحكمة البالغة ، وأعطي من العلوم من الجمة الباهرة ، وهو أمـي من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالماً ولا معلماً فأتي بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر ولم يتعثر فيه بزلل في قول أو عمل

وقد شرع من تقدم من علماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا انه لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعملون به فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر

الخصلة الثانية

حفظه لما أطلعه الله تعالي عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعرب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه ، وما ذاك إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح و قلب شريح ، وهذه الثلاثة آلـه ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا وعلي القيام بها محثوثاً

الخصلة الثالثة

إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول

ولذلك قال صلى الله عليه و سلم : أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا ، لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد

الخصلة الرابعة

ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صله الأرحام وندب إليه من التعاطف على الفقراء و الأيتام ثم ما نهي عنه من التباغض و التحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم اكثر ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر ، ومستحسن الآداب عليهم اظهر وتكون إلي الخير أسرع ومن الشر امنع فيتحقق فيه قول الله تعالي : كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ فلزموا أمره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الإسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبرارا وقادة أخيارا

الخصلة الخامسة

وضوح جوابه إذا سئل وظهور حجاجه إذا جادل لا يحصره عي و ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح

الخصلة السادسة

انه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلي الكذب منسوبا وللصدق مجانبا ، فأنه لم يزل مشهورا بالصدق في خبره كان فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرقوما ، وبالأمانة موسوماً

وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبه في استدعاءهم إليه فمنهم من كذبه حسدا ومنهم من كذبه عنادا من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولاً

ولو حفظوا عليه كذبه نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة ، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الزم ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالي أعصم وحسبك بهذا دفعا لجاحد وردا لمعاند

الخصلة السابعة

تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته و الاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيما عدا حالتي الحاجة و الكفاية اجمل الناس صمتا وأحسنهم سمتا

ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل و ظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الأفواه حتى بقي محفوظا في القلوب مدونا في الكتاب فلن يسلم الإكثار من الزلل ولا الهذر من الملل

الخصلة الثامنة

أنه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأوجزهم كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف وقد دون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته وبلاغته ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء

ولو مزج كلامه بغيره لتميز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطياً للبلاغة ولا مخالطا لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء وإنما هو من غرائز طبعه وبداية جبلته وما ذاك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد

الوجه الرابع : فضائل الأعمال في فضائل أفعاله صلى الله عليه و سلم فمختبر بثماني خصال

الخصلة الأولي

حسن سيرته ، وصحة سياسته في دين نقل به مألوف ، وصرفهم به عن معروف إلي غير معروف فأذعنت به النفوس طوعا ، وانقادت خوفا وطمعاً

الخصلة الثانية

أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان علي نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبا في عاجل وآجل ، ورهبا من زائل ونازل ، لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما ، ولا يستديم إلا بهما ، فلذلك صار الدين بهما مستقراً ، والصلاح بهما مستمراً

الخصلة الثالثة

أنه عدل فيما شرعه من الدين عن اللغو و التقصير إلي التوسط ، وخير الأمور أوسطها ، وليس لما جاوز العدل حظ من رشد ، ولا نصيب من سداد

الخصلة الرابعة

أنه لم يمل بأصحابه إلي الدنيا ولا إلي رفضها ، وأمدهم فيها بالاعتدال ، وقال : (خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، ولكن خيركم من أخذ من هذه و هذه) وهذا صحيح ، لأن الانقطاع إلي أحدهما اختلال ، والجمع بينهما اعتدال

وقال صلى الله عليه و سلم : (نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة) ، وإنما كان كذلك لآن من يتزود لآخرته ، ويستكثر فيها من طاعته وأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروما مضاعا أو مرحوما مراعي وهو في الأول كل وفي الثاني مستذل

الخصلة الخامسة

تصديه لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ما كلفوه من العبادات ، وبين لهم ما يحل وما يحرم من مباحات و محظورات ، وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات

حتى احتاج أهل الكتاب في كثي من معاملتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه إلي شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولا تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الأحكام المعللة فأغنى عن نص بعد ارتفاعه وعن التباس بعد إغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره ويحتج بإظهاره فقال صلى الله عليه و سلم : بلغوا عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه ألي من هو أفقه منه

الخصلة السادسة

انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور ، وعدد محقور فزاد به من قل وعز به من ذل وصار بإثخانه في الأعداء محذورا وبالرعب منه منصورا فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر

الخصلة السابعة

ما خص به من الشجاعة في حروبه والنجدة في مثابرة عدوه فإنه لم يشهد حرباً في فزاع إلا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزل عنه هرباً ولا حاز فيه رغباً

بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن قد ولى عنه أصحابه يوم حنين حتى بقى بإزاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي أصحابه ويظهر نفسه ويقول إلي عباد الله (أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب) فعادوا أشذاذاً وأرسالاً وهو ازن تراه وتحجم عنه فما هاب حرب من كاثره ولا انكفأ عن مصاولة من صابره

الخصلة الثامنة

ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله

وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنوها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى دينارا ولا درهماً ، لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن ، وكان يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً أو ضياعا فعلي ومن ترك مالاً فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود كرم وجود ؟ أم هل لمثل هذا الأعراض والزهادة إعراض وزهد ؟ هيهات

أنا لم نرى ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته ولا ككرم عشرته ولا كتواضعه ولا كحفظه ولا كصمته إذا صمت ولا كقوله إذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقله امتنانه

ثانيا : الخصائص

القسم الأول : خصائص اختص بها رسول الله صلى الله عليه و سلم دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام

القسم الثاني : ما اختص به صلى الله عليه و سلم من الخصائص والأحكام دون أمته وقد يشاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

القسم الأول : وقد قسم العلماء رحمهم الله الخصائص التي انفرد بها رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بقية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إلى عدة أنواع

النوع الأول : ما اختص به في ذاته في الدنيا

النوع الثاني : ما اختص به في ذاته في الآخرة

النوع الثالث : ما اختص به في أمته في الدنيا

النوع الرابع : ما اختص به في أمته في الآخرة

النوع الأول : ما اختص به في ذاته في الدنيا

اختص الله تبارك وتعالي نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بخصائص في الدنيا لذاته منها ما يلي

أولاً : عهد وميثاق

أخذ الله عز وجل العهد والميثاق علي جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلي عيسى عليهما السلام لما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمه وبلغ أي مبلغ ثم بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم ليؤمن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباعه ونصرته ، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أممهم لئن بعث محمد صلى الله عليه و سلم وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرونه

قال الله تعالى : وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ -سورة آل عمران إية ٨١

قال على بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه ميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق علي أمته لئن بعث الله محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه

ثانياً : رسالة عامة

كان الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام يرسلون إلي أقوامهم خاصة كما قال الله تعالى : إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ - سورة نوح آية ١

و قال الله تعالى : وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً - سورة الأعراف آية ٦٥

و قال الله تعالى : وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً - سورة الأعراف آية ٧٣

وأما نبينا صلى الله عليه و سلم ، فرسالته عامة لجميع الناس عربهم وعجمهم وإنسهم وجنهم ، وهذا من خصائصه صلى الله عليه و سلم

قال العز بن عبد السلام رحمه الله : ومن خصائصه : أن الله تعالى أرسل كل نبي إلي قومه خاصة ، وأرسل نبينا محمداً صلى الله عليه و سلم إلي الجن والأنس ، ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلي أمته

ولنبينا صلى الله عليه و سلم ثواب التبليغ إلي كل من أرسل إليه تارة لمباشرة البلاغ وتارة بالنسبة إليه ولذلك تمنن عليه بقوله تعالى وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً سورة الفرقان آية ٥١

ووجه التمنن : انه لو بعث في كل قرية نذيراً لما حصل لرسول الله صلى الله عليه و سلم إلا أجر إنذاره لأهل قريته وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلي هذه الخصوصية قال الله تعالي : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ -سورة سبأ إية ٢٨

قال الله تعالي : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ - سورة الأنبياء إية ١٠٦

ثالثاً : نبوة خاتمة

من رحمه الله تعالى بعباده إرسال محمد صلى الله عليه و سلم إليهم ، ومن تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه و سلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلم العباد أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال قال الله تعالى مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً - سورة الأحزاب آية ٤٠

ومما يدل على هذه الخصوصية من السنة ما يأتي

عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين

... -

عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلي الخلف كافة ، وختم بي النبيون

... -

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ... -

رابعاً : رحمة مهداه

أرسل الله تبارك وتعالي رسوله محمداً صلى الله عليه و سلم رحمة للخلاءئق عامة مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم ، وجعله رؤوفا رحيماً بالمؤمنين خاصة فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة

ويؤيد هذه الخصوصية

عن أبي هريرة رضى الله عنه : قيل : يا رسول الله صلى الله عليه و سلم ادع الله علي المشركين قال : إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة

... -

وعنه رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه

... -

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ....أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون وإنما بعثني رحمة للعالمين فأجعلها عليهم صلاةً يوم القيامة

... -

خامساً : أمنة لأصحابه

أكرم الله تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم فجعل وجوده بين أصحابه أمنة لهم من العذاب ، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة حيث عذبوا في حياة أنبيائهم ، وكان صلى الله عليه و سلم أمنة لأصحابه كذلك من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً ووقع بعد وفاته

قال العز بن عبد السلام رحمه الله : ومن خصائصه صلى الله عليه و سلم أن الله تعالى أرسله (رحمة للعالمين) فأمهل عصاه أمته ولم يعالجهم إبقاء عليهم بخلاف من تقدمه من الأنبياء فإنهم لما كذبوا عوجل مكذبهم

وقد جاء النص على هذه الخصوصية من القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار السلف الصالح ، فمن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أبو جهل : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {٣٣} وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - سورة الأنفال إيات ٣٣ و ٣٤

وعن أبي موسى رضى الله عنه : قال : صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قلنا ، لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء

قال : فجلسنا فخرج علينا فقال : ما زلتم هاهنا ؟

قلنا : يا رسول الله صلينا معك المغرب ، ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء

قال : أحسنتهم أو أصبتم

قال فرفع رأسه إلي السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلي السماء فقال : النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما يوعدون

سادساً : القسم بحياته

أقسم الله تبارك وتعالي بأشياء كثيرة من مخلوقاته الدالة على كماله وعظمته ليؤكد المعنى في نفوس المخاطبين ، فأقسم تعالي بالشمس والقمر والسماء وغير ذلك .بينما نجده سبحانه وتعالى لم يقسم بأحد من البشر إلا بالرسول الكريم صلى الله عليه و سلم حيث يقول جل شأنه لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ والأقسام بحياة المقسم يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها ، وان حياته صلى الله عليه و سلم لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ، ولم يثبت هذا لغيره صلى الله عليه و سلم

سابعاً : نداؤه بوصف النبوة والرسالة

خاطب الله عز وجل رسوله صلى الله عليه و سلم في القرآن الكريم بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه زيادة في التكريم والتشريف أما سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فخوطبوا بأسمائهم قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ٠ سورة المائدة آية ٤١ قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ سورة المائدة آية ٦٧ قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سورة الأنفال آية ٦٤ بينما قال تعالى لأنبيائه

قال الله تعالى وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ سورة البقرة آية ٣٥ قال الله تعالى قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ سورة هود آية ٤٨

قال العز بن عبد السلام رحمه الله : ولا يخفي علي أحد أن السيد إذا دعي أحد عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق ، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم .وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه

ثامناً : نهي المؤمنين عن مناداته باسمه

أدب الله عز وجل عباده المؤمنين في مخاطبة نبيه صلى الله عليه و سلم والكلام معه تشريفا وتعظيما وتقديرا له ، فأمرهم أن لا يخاطبونه باسمه بل يخاطبوه : يا رسول الله ، يا نبي الله وإذا كان الله تبارك وتعالى خاطبه في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه زيادة في التكريم والتشريف كما مر ذكره .فمن باب أولى وأحرى أهل الإيمان .واختص رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك بخلاف سائر الأنبياء والمرسلين فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم قال الله جل ذكره لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ سورة النور آية ٦٣

بخلاف ما خاطبت به الأمم السابق أنبياءها فقال تعالى حكاية عنهم: قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ سورة الأعراف آية ١٣٤ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ سورة الأعراف آية ١٣٨

تاسعاً : كلم جامع

فضل الله عز وجل نبيه صلى الله عليه و سلم على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم ، فكان صلى الله عليه و سلم يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره له من البلاغة و الفصاحة ، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات و الألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه قال العز بن عبد السلام رحمه الله : ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم ، واختصر له الحديث اختصارا ، وفاق العرب في فصاحته

عاشراً : نصر بالرعب

اختص نبينا صلى الله عليه و سلم ، بأن الله عز وجل نصره بالرعب ، وهو الفزع والخوف ، فكان سبحانه يلقيه في قلوب أعداء رسوله صلى الله عليه و سلم ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر أو شهرين هابوا وفزعوا منه ، فلا يقدمون علي لقائه

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : فضلت على الأنبياء بخمس : بعثت إلي الناس كافة ، وادخرت شفاعتي لأمتي ، ونصرت بالرعب شهراً أمامي ، وشهراً خلفي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي

حادي عشر : مفاتيح خزائن الأرض بيده

أكرم الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه و سلم واختصه على غيره من الأنبياء بأن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض وهي ما سهل الله تعالي له ولأمته من بعده من افتتاح البلاد المتعذرات والحصول على كنوزها وذخائرها ومغانمها واستخراج الممتنعات من الأرض كمعادن الذهب والفضة وغيرها

عن عقبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر فقال :إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلي حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها

ثاني عشر : ذنوب مغفورة

اختص الله تعالى عبده ورسوله محمداً r تشريفاً له وتكريماً بأن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأخبره بهذه المغفرة وهو حي صحيح يمشي على الأرض

قال العز بن عبد السلام : من خصائصه أنه أخبره الله بالمغفرة ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بذلك وقال تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ {١} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ {٢} الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ {٣} وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ - سورة الشرح آيات من ١ الى ٤

وفي حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة وفيه : (......فيأتون عيسى فيقول ...... اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه و سلم ، فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه

فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كثر لحمه صلى جالساً ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع

ثالث عشر : كتاب خالد محفوظ

أعطى الله تبارك وتعالى كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم ، وهذه المعجزات كانت وقتية انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها

وأما نبينا صلى الله عليه و سلم فكانت معجزته العظمى التي أختص بها دون غيره هي القرآن العظيم الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة .كتاب خالد لا ينضب معينه ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي فوائده محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف

قال العز بن عبد السلام : من خصائصه أن معجزة كل نبي تصرمت وانقرضت ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم باقية إلي يوم الدين وقال : ....ومنها حفظ كتابه ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة أو ينقصوا منه لعجزوا عن ذلك ، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل

قال الله تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ - سورة الحجر آية ٩ وقوله تعالى : وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ {٤١} لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ - سورة فصلت آيات ٤١ و ٤٢

وعن يحيى بن أكثم قال : دخل يهودي على المأمون فتكلم فأحسن الكلام ، فدعاه المأمون إلى الإسلام ، فأبي فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً ، فتكلم عن الفقه فأحسن الكلام ، فقال له المأمون : ما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان فعمدت إلي التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة ، فاشتريت مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة ، فاشتريت مني ، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوارقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي

رابع عشر : إسراء ومعراج

ومما اختص به رسول الله صلى الله عليه و سلم عن غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة الإسراء والمعراج فقد أسري به ببدنه وروحه يقظة من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس بإيلياء في جنح الليل ، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل ورجع مكة من ليلته

وأكرم صلى الله عليه و سلم في هذه الآية العظيمة بكرمات كثيرة ، منها : تكليمه ربه عز وجل ، وفرض الصلوات عليه ، وما رأى من آيات ربه ، وإمامته للأنبياء في بيت المقدس .فدل ذلك على أنه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وفد ثبت الإسراء بالقرآن ، كما ثبت المعراج بالمتواتر من الحديث ، وإليه أشار القرآن قال الله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ وقال تعالى : وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى {٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى {٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى {٦} وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى {٧} ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى {٨} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى {٩} فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى {١٠} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى {١١} أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى {١٢} وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى {١٣} عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى {١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى {١٥} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى {١٦} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى {١٧} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى - سورة النجم الآيات من ٣ الى ١٨

النوع الثاني : ما اختص به صلى الله عليه و سلم لذاته في الآخرة

ما اختص به صلى الله عليه و سلم من الخصائص والأحكام دون أمته وقد يشاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أولاً : وسيلة وفضيلة

الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله وهو رسولنا صلى الله عليه و سلم قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (الوسيلة) علم على أعلي منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه و سلم وداره في الجنة ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلي العرش

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضى الله عنهما – أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلى الله عليه به عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة

ثانياً : مقام محمود

لرسول الله صلى الله عليه و سلم يوم القيامة ، تشريفات وتكريمات لا يشركه ولا يساويه فيها أحد الأنبياء فمن دونهم ومن ذلك المقام المحمود ، الذي يقومه صلى الله عليه و سلم فيحمده الخالق عز وجل والخلائق من بعد قال تعالي وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً - سورة الإسراء آية ٧٩ قال ابن جرير الطبري رحمه الله : قال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه و سلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما -: المقام المحمود : مقام الشفاعة

ثالثاً : شفاعة عظمى وشفاعات

يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد ، وتدنو منهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ويعرق الناس حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم في يوم مقداره خمسين ألف سنة ، قياماً على أقدامهم شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم .فإذا بلغ الكرب والجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم ، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم ، قال : نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري حتى ينتهوا إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم فينطلق فيشفع حتى يقضي الله تبارك وتعالى بين الخلق وبعد هذه الشفاعة يكون له ولغيره شفاعات أخرى .فهذه هي الشفاعة العظمى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون

فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟

فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم

فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت ابو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ،اشفع لنا إلى

ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول أدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، إنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، إنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنك نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وأني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى

فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى

فيأتون عيسى فبقولون : يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في النهد صبياً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد

فيأتون محمد صلى الله عليه و سلم فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر اله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فأنطلق ، فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله على من محامده ومحاسنه وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال : يا محمد ، أرفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع

فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب .ثم قال : والذي نفسي بيدي إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى

هذا ، ولرسول الله صلى الله عليه و سلم شفاعات أخرى غير الشفاعة العظمى ، منها ما اختص بها وحده ، ومنها ما شاركه فيها غيره ممن أذن الله تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم

فنسرد شفاعته صلى الله عليه و سلم ثم نقتصر في ذكر الأدلة على ما اختص به منها دون غيره

الشفاعة في استفتاح باب الجنة ... -

الشفاعة في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة ... -

الشفاعة فيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها ... -

الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار ... -

الشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة ... -

الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب ... -

أولاً : الشفاعة في استفتاح باب الجنة

ينتقل الناس في عرصات القيامة من كرب إلى كرب فأهوال قبل فصل القضاء فشفاعة عظمى ثم يحاسب الناس ، وعند ذلك ينصب الميزان ، وتطاير الصحف ويكون التميز بين المؤمنين والمنافقين ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ، فإذا انتهى ذلك كله يقوم المؤمنون وتقرب لهم الجنة فيطلبون من يكرم على مولاه ليشفع لهم في استفتاح باب الجنة ، فيأتون آدم فإبراهيم فموسى فعيسى عليهم السلام وكل منهم يعتذر عن ذلك المقام العظيم ، فيأتون رسول الله صلى الله عليه و سلم فيشفع لهم الله تعالى

فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف(تقرب) لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة

فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله

قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً

فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه

فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، فيأتون محمداً صلى الله عليه و سلم ، فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق ؟

قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟

قال : (ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس في النار) والذى نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟

فأقول : محمد

فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك

ثانياً : شفاعته في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة

ومما اختص به رسولنا صلى الله عليه و سلم من الشفاعات أنه يشفع في تعجيل دخول الجنة لمن لا حساب عليهم من أمته وهذا من عظيم قدره صلى الله عليه و سلم ورفعة منزلته عند ربه تبارك وتعالى

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة (......يا محمد أرفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقول : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل أمتي سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفا، فقلت أي رب ، إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي قال : إذن أكملهم لك من الأعراب

ثالثاً : شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب

كان أبو طالب يحوط ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وينصره ويقوم في صفه ويبالغ في إكرامه والذب عنه ، ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله r إلى الأيمان والدخول في الإسلام ، فسبق القدر فيه فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة البالغة .ونظراً لما قام به أعمال جليلة مع رسول الله r جوزي على ذلك بتخفيف العذاب خصوصية له من عموم الكفار الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين .وذلك إكراماً وتطيباً لقلب رسول الله صلى الله عليه و سلم

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشيء ، فأنه كان يحوطك ويغضب لك ؟

قال : نعم ، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار

ضحضاح بمعنى : ما رق من الماء على وجه الأرض

==========================

الليبرالية وراء سبّ سيد البشرية

د.سعد بن علي الشهراني*

ذهل المسلمون في شتى أنحاء المعمورة من هذه الوقاحة والجرأة في التعدّي على جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومما زاد في حنقهم تلك التبريرات السمجة التي قدمتها الحكومة الدنمركية لهذه الأفعال الشنيعة، باسم الحرية، وما أدراك ما الحرية؟ إنها قطب رحى الليبرالية وشعارها الأول.

والليبرالية على اختلاف تعريفاتها لكل أصنافها ترتكز على جوهر واحد يتفق عليه جميع الليبراليين وهو أنها: تعتبر الحرية هي المبدأ والمنتهى في حياة الإنسان، وهي وراء بواعثه، وأهدافه، وهي المقدمة والنتيجة لأفعاله، فالحرية هي سيدة القيم عندهم دون أدنى حدود أو قيود، سواء كانت هذه الحدود هي (حدود الله) أو كانت قيودًا سياسية أو ثقافية أو اجتماعية...

أما مبدأ عبودية الله تعالى أو تعظيم رسالات الأنبياء فهي عند الليبراليين لون من تراث الماضي المتخلف!

وتعريفات الليبراليين لها تؤكد ذلك، فهذا المفكر اليهودي (هاليفي) يعرفها بأنها: (الاستقلال عن العلل الخارجية، فتكون أجناسها: الحرية المادية والحرية المدنية أو السياسية والحرية النفسية والحرية الميتافيزيقية "الدينية").

ويعرفها الفيلسوف (روسو) بأنها: (الحرية الحقة في أن نطبق القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا)، وهناك تعريفات عديدة ومتباينة، وتشير موسوعة لالاند الفلسفية إلى المعنى الذي يتفق عليه جميع الليبراليين فتقول بأنها: (الانفلات المطلق بالترفع فوق كل طبيعة).

والليبرالية الدينية لها النصيب الأوفر في هذا الانفلات من القيم والثوابت والمقدسات، فالليبرالية الدينية تسعى إلى نمط من الفكر الديني لا يتقيد بأية قواعد، ولا يستند إلى أية مرجعية، بل يستند إلى حرية الإنسان في اختيار الإله الذي يهواه، ولو عبد كل يوم إلهاً... ولو لم يعبد إلهاً على الإطلاق إلا هواه.

نعم إن الليبرالية تهدف إلى نزع القداسة عن كل مقدس، أما اليهود والهولوكوست فهو المحرم الذي لا يمس!

لأن البنائين الأحرار يعملون على هدم الثوابت وإلغاء الخصوصية الثقافية، وتدمير مفهوم المقدس واستبداله بمفهوم النسبية في الحقائق والعقائد والقيم لإزالة الثبات عنها، حتى لا يبقى هناك مجال لأصول تبنى عليها الهوية، أو ترتكز إليها القيم.

وقد صرح أحد كبار الكتاب الدانمرك باستنكاره عن عدم قبول المسلمين لهذا النقد لمعتقداتهم بينما تقبل الديانات الأخرى النقد!!

ولا يظنن غمر أني بمقالي هذا أعارض الحرية، فالإسلام هو دين الحرية الحقيقية ورسولنا صلى الله عليه وسلم هو محرر البشرية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، حررهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، إنها حرية لم تذق أوروبا طعمها، حين تحررت من طغيان الكنيسة ورجال الإقطاع، فحاربت الدين لأنها لم تعرف دين الله الحق، وإنما عرفت دينًا مبدلا يصادم العلم والفطرة والعقل. فثارت عليه وظنت أنها تحررت، ذلك أن الحرية في الإسلام حرية القلب والعبودية عبودية القلب، كما أشار إلى ذلك ابن تيمية، وعرفها السخاوي بقوله: (الإسلام أعطى الإنسان الحرية وقيدها بالفضيلة حتى لا ينحرف، وبالعدل حتى لا يجور، وبالحق حتى

لا ينزلق مع الهوى، وبالخير والإيثار حتى لا تستبد به الأنانية وبالبعد به عن الضرر حتى لا تستشري فيه غرائز الشر).

لقد عاشت الأقليات وأصحاب الحضارات في ظل الإسلام عبر قرون عديدة في حرية وأمان، والكثير من أعلام الفكر الغربي المنصفين يضربون بالإسلام المثل في التسامح والحرية، أما منظرو الحروب وزارعو الكراهية المعاصرون من أمثال برنارد لويس وهنتنجتون وفوكوياما فإنهم يخوفون من الإسلام لاعتقادهم بأنه يملك الأيديولوجية الوحيدة القادرة على تحدي المنظومة الليبرالية، ولذلك يبشرون بصراع الحضارات واستعداء الإسلام.

ومن باب الإنصاف أقول بأن بعض من ينتمي للفكر الليبرالي من المسلمين وقف معارضًا لهذه الرسومات الشنيعة، ولعل هؤلاء لا يدركون ما هي الليبرالية ببعدها الفلسفي المضاد لحقيقة الإسلام.

أما بعضهم فقد كان موقفهم مخذلاً، فقد سمعت ليبرالياً سعوديًا عبر قناة الحرة الأمريكية يقول: لماذا هذا الغضب لمجرد أفعال بسيطة صدرت من الغرب؟ وهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة الشنيعة يعد بسيطًا أيها الليبرالي؟!!

أما صحيفة الحرية اليمنية فقد نشرت تلك الصور المشينة فكانت بالفعل ليبرالية!!

إن في هذه الحادثة المؤلمة لكل صاحب قلب سليم فرصة في كشف زيف الحرية الغربية وإظهار مفهوم الحرية الإسلامية، وكيف حرر سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم البشرية، ولو علم شعب الدنمارك وشعوب العالم أجمع حقيقة وسيرة هذا النبي الكريم لدخلوا في دين الله أفواجًا.

وقد أظهرت الاستطلاعات بأن ٩٧% في كندا يرفضون نشر هذه الصور.

وفي الدنمارك نفدت جميع النسخ المترجمة من القرآن الكريم، مما يعني أن هذه الشعوب تطلب الحقيقة، ولكنها محكومة بقوى تحجب عنها هذه الحقيقة وتشوهها، فهل قمنا بمساعدة هذه الشعوب في الوصول إلى الحقيقة؟!

* أستاذ العقيدة والأديان بجامعة أم القرى

==========================

المؤتمر الأول للنصرة

الكاتب: د.سلمان بن فهد العودة

١- ما بين ٢٢-٢٣ صفر من هذا العام ١٤٢٧هـ انعقد بمدينة المنامة بالبحرين المؤتمر العالمي الأول لنصرة النبي - صلى الله عليه وسلم - والذي دعت إليه خمس منظمات ومؤسسات إسلامية من المملكة ودولة البحرين.

٢- كان التحضير للمؤتمر متأخراً؛ ولذا وجهت الدعوة لنحو ثلاثمائة شخصية إسلامية رجاء أن يحضر منهم الثلث أو نحوه، وكانت المفاجأة أن الحضور زادوا على الثلاثمائة وخمسين.

٣- الحضور شكلوا تنوعاً جغرافياً وفقهياً وفكرياً واسعاً من أنحاء العالم الإسلامي وأوربا وأمريكا، حيث حضر الكثير من الشخصيات المؤثرة والمعتبرة من العلماء والدعاة ورؤساء المراكز والهيئات الإسلامية، وربما لأول مرة يجتمع هذا الحشد وهذا التنوع تحت سقف واحد ولغاية واحدة.

٤- كانت مطارحة الموضوعات راقية تمتاز بالتنوع والاختلاف، مع السكينة في المعالجة، وبدأ المؤتمر وانقضى دون كلمة حادة، أو لفظة خارجة عن نظام الأدب، الانسيابية والتداول الهادئ هي السمة المسيطرة، لقد كان نبل الهدف، وحسن نيات المشاركين - نحسبهم والله حسيبهم - كافياً لنجاح المداولات ومرورها بسلام مع ضيق الوقت، ورغبة الجميع في أن يتحدثوا، ومن حقهم وقد قطعوا آلاف الأميال وضحوا بوقتهم ومواعيدهم أن يظفروا بفرصة للحديث، ولو وجيزة، وقد تحقق من ذلك الكثير.

٥- الإحساس بوجوب التشاور في معالجة الأزمة كان معنى مشتركًا، فليس مقبولاً أن تترك مثل هذه الحالات الطارئة دون ضبط؛ لأن ذلك يفضي إلى تلاشيها مع الزمن دون مكاسب للأمة، أو إلى تفاقمها حتى لا يمكن السيطرة عليها. والأزمات تتكرر، وما حدث مرة يمكن أن يحدث مرات، ولذا اتفق المشاركون على أن يكون لقاء سنوياً وليس مؤتمراً عابراً.

٦- ولم يكن الانهماك برد الفعل كافياً، فالأمة الصاعدة تتجه إلى الفعل والمبادرة والبناء، وتأسيساً على هذا كان الاتجاه الأعظم للمؤتمر لإعداد خطة عمل رشيدة وشاملة لخطاب دعوي ناضج لهدف إيصال الصورة الصحيحة للإسلام وبني الإسلام إلى شعوب العالم كلها، وليستفيد من التقنيات المعاصرة وثورة الاتصالات لشرح قيم الإسلام ومبادئه العظيمة التي جاءت كما قال الله تعالى: (رحمة للعالمين).

فهي ليست سوى (رحمة).

و(للعالمين) وليست للعرب أو المسلمين فحسب.

وما بناء المواقع الإلكترونية وإعداد البرامج، وإطلاق القنوات الفضائية، وعقد الندوات والحوارات إلا جزء من هذا العمل الشاق والضروري في هذه المرحلة الحرجة من حياة الأمة بل البشرية.

ومن هذا المنطلق جاء الإعلان عن إقامة (المنظمة العالمية للنصرة) التي تحمل على عاتقها هذه المهمة الجسيمة، والتي لن تنجح بغير دعم وإسناد كبير من القادة والمؤثرين، سواء كانوا في سدة الحكم، أو في مجال المال، أوفي نطاق الرأي.

٧- عزز المؤتمر موقف العالم الإسلامي الذي هب كله ضد الإساءة الفاجرة التي استهدفت تشويه صورة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ووصمه بالعنف والإرهاب والتخلف تحت مسمى حرية التعبير، وكان مؤثراً أن تجتاح العالم كله موجة من السخط والاستنكار والاستهجان للإساءة والسب الصادر من الصحيفة الدنماركية، ومن ساندها ووقف إلى جانبها من الرسميين وغيرهم، والذين ينطلقون من مبادئ عنصرية تحث على الكراهية والتحقير والازدراء باسم الحرية. وفي الوقت ذاته أدان أي ردة فعل غير منضبطة كالحرق أو التدمير أو العدوان بغير حق مما حدث في فترة من الفترات بسبب شدة الغضب وغياب الموجه.

٨- دعا المؤتمر المسلمين في أوربا وأمريكا والعالم إلى المشاركة الإيجابية في بناء مجتمعاتهم وتدعيم مؤسساتها، والمحافظة على الأنظمة السارية، ومحاربة العنف والعدوان بكل أشكاله انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه)، وأكد على أن صدام الحضارات ليس حتماً لازماً، وأنه ينبغي أن تكون العلاقة بين الشعوب قائمة على الحوار والاحترام والتعاون على البر والتقوى، وليس على الإثم والعدوان كما أمر ربنا سبحانه في كتابه.

٩- قرر المؤتمر أن المقاطعة حق مشروع للشعوب التي اعتدي عليها في أعز مقدساتها، نعم. لا تستطيع الحكومات المحكومة بأنظمة التجارة الدولية أن تقاطع، لكن لا أحد يفرض على المستهلك أو التاجر أن يشتري سلعة بعينها، والبدائل موجودة خصوصاً وأن غالب المنتجات الدنماركية زراعية كالألبان والأجبان وفي المنتج العربي أو البدائل الأخرى من نيوزيلندا أو غيرها ما تقوم مقامها.

وفي هذا السياق دعا المؤتمر إلى تفعيل التجارة البينية بين البلدان الإسلامية وتوسيع نطاقها، والعمل الجاد على إنتاج السلع الغذائية محلياً، كجزء من تنمية الذات وتحرير القرار وتحقيق الأمن الغذائي للدول الإسلامية.

١٠- وثمَّن المؤتمر موقف (شركة آرلا للأغذية) التي خاطبت المؤتمر إعلامياً، عبر أكثر من خمسين مطبوعة عربية ودنماركية مستنكرة شاجبة للرسوم متبرئة من فاعلي تلك الجريمة النكراء، مشيدة بموقف المسلمين وأخلاقياتهم، وقد تعرضت لحملة انتقادات واسعة من جراء موقفها هذا، فكان لزاماً أن يكافئها المؤتمرون على هذا الموقف، وأن يكون ثمة تحفيز وتشجيع للشركات الأخرى أن تحذو حذوها ومن هنا صدر تأكيد من أمانة المؤتمر على التوصية برفع المقاطعة عن منتجاتها في الأسواق الإسلامية.

ومسوغات هذا الموقف كثيرة

١- مجازاة الحسنة بالحسنة، وهو مبدأ شرعي.

٢- اختراق المواقف السلبية في الدنمارك المعارضة لأي اعتذار، فضلاً عن الشجب والاستنكار.

٣- المقاطعة موقف إيجابي، لكنه قد يتلاشى من ذاته كما حدث في حالات عديدة سابقة، فأن يتم ترتيبه بطريقة مدروسة، فهذا يعني أنه يمكن أن يؤدي في المستقبل دوراً أكبر، وأن يظل سلاحاً فعّالاً في يد المسلمين.

٤- مكافأة ذوي السبق مطلب؛ لئلا تساوى مع غيرهم.

٥- وقد تتسع دائرة المتفاعلين مع هذا الموقف أوربياً ودنماركياً، وبهذا يكون المسلمون حققوا هدفاً رئيساً سعوا إليه.

٦- يجب ألا يكون المسلمون في الدنمارك ضحية هذا الحدث بعد هدوء العاصفة باعتبارهم سبباً لما حدث - في نظر الحكومة - وكان دورهم في المؤتمر إيجابياً جداً، وكذلك في رفع المقاطعة، وهذا يرجى أن يكون سبباً في تدعيم مكانتهم اجتماعياً وقطع الطريق على المتربصين بهم، وهم كثير.

٧- التصعيد إلى ما لا نهاية يبدو حلاً عند بعض الناس، ولكنه في النهاية يضر أصحابه قبل غيرهم، وإدارة مثل هذه الأزمات تتطلب اتزاناً وقراءةً للصورة في مجملها، ومن جوانبها المختلفة وليس من زاوية خاصة.

١١- وقد خلص المؤتمرون إلى أن هذا الحدث وإن كان مؤلماً في بدايته إلا أن عواقبه ستكون خيراً بإذن الله، وقد قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}، وقال: {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}.

١٢- المؤتمر يتحدث باسم ثلاثمائة وخمسين شخصية إسلامية من أنحاء العالم، ومن يمثلون لا يتحدث باسم المسلمين، ولا باسم العلماء، وليس من هدفه مصادرة الجهود الضخمة التي سبقته أو جاءت بعده، ولا يرى أن ما ينتهي إليه من نتائج له صفة الإلزامية لأحد، إلا أولئك الذين يقتنعون بالنتائج ذاتها، والتنوع والتعددية في الوسائل والآليات والاجتهادات حق فطري وشرعي لا يحق لأحد أن يصادره، أو أن يثرب عليه.

وليس مطلوباً أن تتحول الأعمال والرؤى المختلفة إلى تقاطعات يدمر بعضها بعضاً، ويتشاغل أهلها فيما بينهم بحروب جانبية، بل الحكمة أن تسير في خطوط متوازية متكاملة، مبناها على احترام اجتهادات الآخرين ونظراتهم وجهودهم، وحسن الظن بهم، والهدف واحد، والغاية واحدة، فلتكن الجهود مصروفة إليها بعيداً عن التقاطعات والتجاذبات السلبية داخل الصفوف. وقد حرص المؤتمر على استيعاب العديد من التوجهات واحتوائها، والمأمول أن تكون هذه صفته الدائمة عبر دوراته القادمة بإذن الله.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

صحيفة الجزيرة السعودية

المشروع الفرنجي••• والمشروع الصهيوني

الكاتب: د. عبد الوهاب المسيري

المختصــر / المركــز الفلســطيني للإعــلام / لا يملــك الــدارس للمشــروعين الفرنجــي والصـهيوني إلا أن يُلاحظ عمق التشـابه بينهمـا، وهـو أمـر متوقـع لأن كليهمـا جـزء مـن المواجهة التي تتفاوت في حدتها بين التشكيلين الحضاريين السائدين في الغرب والشرق العربي. فحملات الفرنجة التي يقال لها الحملات الصليبية، هي نقطة انطلاق أوروبا نحو التوسع والإصرار على بسط سيطرتها على الخارج. وعلى حد قول أحد مؤرخي حملات الفرنجة الغربيين إن حملات الفرنجة احتوت بذور كل أشكال الإمبريالية الأوروبية التي حكمت فيما بعد حياة جميع شعوب العالم. ولعله لهذا السبب أصبحت حملات الفرنجة صورة مجازية أساسية في الخطاب الاستعماري الغربي، وأصبحت ديباجاتها هي نفسها ديباجات المشروع الاستعماري الغربي.

وقد رأى كثير من المدافعين عن المشروع الصهيوني، من اليهود وغير اليهود، أنه استمرار وإحياء للمشروع الفرنجي (أي الصليبي) ومحاولة وَضْعه موضع التنفيذ من جديد في العصر الحديث. فلويد جورج رئيس الوزارة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور، صرح أن الجنرال أللنبي الذي قاد القوات الإنجليزية التي احتلت فلسطين شن وربح آخر الحملات الصليبية وأعظمها انتصاراً. ويمكننا أن نقول إن المشروع الصهيوني هو نفسه المشروع الفرنجي بعد أن تمت علمنته، وبعد أن تم إحلال المادة البشرية اليهودية التي تم تحديثها وتطبيعها وتغريبها وعلمنتها محل المادة البشرية المسيحية.

ولنحاول الآن أن نبين بعض نقاط التشابه الأساسية بين المشروعين، ويبدو أن فلسطين مستهدفة دائماً من صناع الإمبراطوريات إذ أنها تُعَدُّ مفتاحاً أساسياً لآسيا وأفريقيا، وتُعدُّ معبراً على البحرين الأحمر والأبيض، وتقف على مشارف الطرق البرية التي تؤدي إلى العراق وإيران، وهي أيضاً معبر أساسي لشطري العالم الإسلامي. ولذا نجد أن المشروعين الفرنجي والصهيوني قد جعلا من فلسطين مسرحاً لأطماعهما ونقطة ارتكاز لانطلاقهما باعتبارهما مشروعين استعماريين.

ولكن المشروعين لم يكونا مشروعين استعماريين فحسب، وإنما كانا مشروعين من النوع الاستيطاني الإحلالي. فالمشروع الفرنجي كان يهدف إلى تكوين جيوب بشرية غربية وممالك فرنجية داخل العالم الإسلامي ولكنها تدين بالولاء الكامل للعالم الغربي. ولذا جاءت جيوش الفرنجة ومعها كتلة بشرية من الغرب المسيحي لتحل محل العنصر البشري العربي الإسلامي. والمشروع الغربي في هذا لا يختلف عن المشروع الصهيوني إلا في بعض التفاصيل. فغزو فلسطين تم أولاً على يد القوات البريطانية، ثم حَضَر المستوطنون الصهاينة بعد ذلك بوصفهم عنصراً يقوم بالزراعة والقتال. وقد كانت المؤسسات الاقتصادية للفرنجة، مثلها مثل قرينتها الإسرائيلية، تتسم بطابع عسكري، كما أن التنظيم الاقتصادي التعاوني لم يكن مجهولاً لدى الفرنجة. ويمكن القول إن دويلات الفرنجة، مثلها مثل الدولة الصهيونية، كانت ترسانات عسكرية في حالة تأهب دائم لـ"الدفاع عن النفس" وللتوسع كلما سنحت لها الفرصة.

ومن المعروف أن الغزاة الاستيطانيين عادة ما يسلكون طريق البحر ثم يستقرون على الساحل أو يحتفظون بركيزتهم الأساسية فيه (كما حدث في جنوب إفريقيا والجزائر) حتى لا يفقدوا صلتهم بالوطن الأم فهم يعتمدون عليه اعتماداً يكاد يكون كاملاً. وهذا يعود إلى طبيعتهم الاستيطانية الإحلالية، فقد طردوا السكان الأصليين وحلوا محلهم ومن ثم خلقوا مشكلة لاجئين، وتحولوا إلى وقود يجند سكان المنطقة ضدهم• لهذا يضطر المستوطنون دفاعاً عن أنفسهم وضماناً لبقائهم واستمرارهم أن يستمدوا مقومات بقائهم واستمرارهم من دعم عسكري ومالي وهوية ثقافية ومادة بشرية من وطنهم الأصلي. وهذه سمة أساسية في الكيانين الفرنجي والصهيوني، مع تنويعات فرعية تنصرف إلى التفاصيل لا الجوهر.

والغزوتان الفرنجية والصهيونية كانتا تهدفان إلى حل بعض مشاكل المجتمع الغربي وتخفيف حدة تناقضاته. فالمجتمع الوسيط الغربي كان يخوض عملية بَعْث اقتصادي فتحت شهيته للاستيلاء على طرق التجارة المتجهة إلى الشرق. وهذا يشبه من بعض الوجوه، وإن كان بدرجة أقل، انفتاح شهية رجل أوروبا الشره في القرن التاسع عشر الميلادي الذي لم يهدأ له بال إلا بعد أن وقع العالم كله في قبضته. وقد استخدمت أوروبا كلا المشروعين، الفرنجي والصهيوني، في التخلص مما أطلق عليه في القرن التاسع عشر الميلادي "الفائض البشري"، أي العناصر التي لم تستطع أن تحقق الحراك الاجتماعي داخل مجتمعاتها، ولذا كانت تهدِّد السلام الاجتماعي، ولم يكن هناك مفر من تصديرها للشرق حتى يحقق الغرب سلاماً اجتماعياً داخلياً، كما هو حال المشروع الفرنجي. وكلا المشروعين يستخدم الديباجات الدينية الإنجيلية والتوراتية لتحقيق أهداف مادية إمبريالية علمانية. فالمشروع الصليبي جرد الحملات العسكرية باسم أمير السلام (المسيح) وقام باحتلال الأرض وذبح الآلاف من سكانها. والمشروع الصهيوني هو الآخر جرد حملاته العسكرية باسم الوعد الإلهي وقداسة الشعب اليهودي فقام بإهدار قداسة وإنسانية الفلسطينيين وطردهم من أرضهم. وكلا المشروعين رغم ادعاءات المستوطنين الدينية الصاخبة لا يمكن أن يقبلا أن يُحاكما من منظور المعايير الأخلاقية لعقائدهما الدينية.

ويبدو أن أزمة التجمُّع الفرنجي لا تختلف عن أزمة التجمع الصهيوني. فيُلاحَظ أن الكيان الفرنجي كان يعاني من أزمة سكانية، وذلك نظراً لانخفاض عدد سكان أوروبا عام ١٣٠٠ بعد انتهاء فترة تزايد السكان، الأمر الذي أدَّى إلى عدم مجيء المزيد من المادة البشرية، كما كان الكيان الفرنجي يعاني من تناقص نسبة المواليد. وهذا لا يختلف كثيراً عن أزمة المستوطَن الصهيوني السكانية، بعد أن جفت ينابيع الهجرة اليهودية من شرق أوروبا، لأن يهود غرب أوروبا والولايات المتحدة لا يهاجرون إلى الدولة الصهيونية.

ويلاحظ أن كلا من المجتمع الصليبي والصهيوني كان يتسم بتقسيم ثلاثي، ففي القمة كان يأتي الفرنجة في الممالك الصليبية، يقابلهم الأشكناز في التجمع الصهيوني، وفي الوسط

كان يوجد بعض المسيحيين الشرقيين الذين تعاونوا مع الفرنجة يقابلهم السفارديم في التجمع الصهيوني، وفي القاع كان يوجد المسلمون في كلا المجتمعين.

ومن المعروف أن الجيوب الاستيطانية التي لا تبيد السكان الأصليين مآلها إلى الزوال، لأن السكان الأصليين يستمرون في مقاومتهم حتى ينهكوا عدوهم تماماً. وهذا ما حدث بالنسبة لممالك الفرنجة فقد تم القضاء عليها، لأسباب عديدة، من أهمها أن الشعوب الإسلامية لم ترض بوجود الفرنجة، فاستمرت عملية المقاومة زهاء قرنين حتى انتهى المشروع الفرنجي ولم يبق منه سوى بعض الخرائب الصليبية. وبالنسبة للصهيونية، فمازال العرب يقاومون والحمد لله، وأعتقد أن مدريد وأوسلو وقبول الكيان الصهيوني للسلطة الفلسطينية هو تعبير عن الإرهاق الصهيوني. فقبول "إسرائيل" بالسلطة الفلسطينية هو بدايات الهزيمة، وكما يقول بعض المتطرفين الصهاينة إنه لأول مرة تم تعريف حدود الدولة الصهيونية، وفي هذا اعتراف ضمني بالوجود الفلسطيني. ولأول مرة توجد داخل الدولة الصهيونية كتلة بشرية ضخمة تطالب بحق تقرير المصير، كما توجد مناطق فلسطينية محررة، بل إن مجرد دخول مصطلح "فلسطيني" في المعجم الصهيوني هو انتصار ضخم، لأنه يهز الخريطة الإدراكية الصهيونية. والله أعلم.

=============================

المصيبة العظمى.. بموت الرسول صلى الله عليه وسلم

شريف رمضان السكندري

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً.

أما بعد....

أحبائي الكرام/

في هذا المقال نتحدث عن أشد مصيبة ابتليت بها هذه الأمة... لنأخذ منها الفوائد والدروس والعبر،

ونسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

(المصيبة العظمى)

فو الله إني لمتحير كيف أدخل إلى هذا الموضوع، ومن أنا أمام هذا الموضوع المدهش المحير المبكي؟! إنه موضوع وفاته عليه الصلاة والسلام، إنه موضوع انتقاله إلى الرفيق الأعلى عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن لا جدوى إلا بحديث يذكرنا بذاك الحدث الجلل، وكل حدث بعد وفاته هين سهل بسيط يسير.

وقد اخترت هذا الموضوع تحديدًا لشدته على المسلم الحق، ومن ثم يهون كل شيء وتسهل كل مصيبة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

ورحم الله امرأة قالوا لها بأن زوجها وابنها وأخوها قد قتلوا فلم تأبه لذلك وبادرت قائلة: ماذا صنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالوا: هو بخير. فقالت: لا حتى أراه. فلما رأته قالت: كل المصائب بعدك جلل يا رسول الله. (جلل: تعني هينة أو يسيرة)

ولكن الموت نهاية كل حي، فقد انفرد سبحانه وتعالى بالبقاء وكتب على جميع المخلوقات الفناء فقال الله عز وجل:(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) [الرحمن:٢٦] وقال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ). [آل عمران:١٨٥]

ولم يستثن أحدًا حتى أكرم الخلق –صلى الله عليه وسلم- فقد قال الله عز وجل: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر:٣٠] ويقول جل ذكره: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران:١٤٤].

فليبن أهل البغي والعدوان بروجاً من التحسين إن شاءوا، فو الله ليموتن ولو كانوا في بروج مشيدة، والموت وما أدراك ما الموت؟!

إنه مصيبة كما سماه ربنا تبارك وتعالى: (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) [المائدة:١٠٦].

ولكن ليست كل المصائب كفقده صلى الله عليه وسلم.

(طلائع التوديع)

ولما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام على الموقف، أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره صلى الله عليه وسلم، وتتضح بعباراته وأفعاله .

إنه اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، وتدارسه جبريل القرآن مرتين، وقال في حجة الوداع : (إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً) ، وقال وهو عند جمرة العقبة : (خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا) ، وأنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع وأنه نعيت إليه نفسه .

وفي أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد، فصلي على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال : (إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) .

وخرج ليلة ـ في منتصفها ـ إلى البَقِيع، فاستغفر لهم، وقال : (السلام عليكم يا أهل المقابر، لِيَهْنَ لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، والآخرة شر من الأولي) ، وبشرهم قائلاً : (إنا بكم للاحقون) .

(مرض النبي صلى الله عليه و سلم)

ويوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس؟!

يوم زار المرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما ذكر هذا اليوم شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: بأبي هو وأمي زاره المرض يوم الخميس. نعم، بأبي هو وأمي، وليت ما أصابه أصابنا، فإن مصابه رزية على كل مسلم، ولكن رفعاً لدرجاته وتعظيماً له عند مولاه.

ذكر ابن كثير بسند جيد قال: كان ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه يقلب الحصى في المسجد الحرام ويقول: [يوم الخميس، وما يوم الخميس -وهو يبكي- يوم زار المرض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم].

فديناك من حب وإن زادنا كرباً فإنك كنت الشمس في الشرق أو غربًا

وكان الصحابة يفدونه صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: {خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد وعاد وهو معصوب الرأس، فتقول عائشة ـ وقد فجعت رضي الله عنها وأرضاها-: {واراساه!{ فقال صلى الله وسلم: (بل أنا وا رأساه) وصدق صلى الله عليه وسلم، فإن صداع الموت قد وصل إلى رأسه الشريف.

انظروا عباد الله هذا حال نبينا عليه الصلاة والسلام عند مرض موته، وهو أكرم خلق الله على الله، فما بالنا نحن، وفينا ما فينا، الله المستعان.

ثم لما أحس صلى الله عليه وسلم بدنو الأجل كما عند البخاري في الجنائز من حديث عقبة بن عامر قال: {خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما وصل الشهداء في أحد، فسلَّم عليهم سلام المودع، ثم قال: (يا أيها الناس: والله ما أخاف عليكم الفقر، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم)}

وصدق عليه الصلاة والسلام، فو الله ما قطعت أعناقنا إلا الدنيا، وما أفسد ديننا إلا الدنيا، وما ذهب بأخلاقنا وآدابنا إلا الدنيا...

و عند أحمد في المسند بسند حسن عن أبي مويهبة قال: قال لي صلى الله عليه وسلم في الليل الدامس: (يا أبا مويهبة! أسرج لي دابتي)، فأسرجت له دابته عليه الصلاة والسلام، فركبها فذهبت معه حتى أتى الشهداء في أحد، فسلَّم عليهم سلام المودع، وقال: (أنا شهيد عليكم أنكم عند الله شهداء)، ثم قال: (يا أبا مويهبة! خيرت بين البقاء وأعطى مفاتيح خزائن الدنيا وبين لقاء الرفيق الأعلى)، قال: أبو مويهبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله!

خذ مفاتيح الدنيا، وأطل عمرك في الدنيا ما استطعت، ثم اختر الرفيق الأعلى، فقال عليه الصلاة والسلام: (بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى)}.

انظروا إليه عليه الصلاة والسلام وهو في مرض موته يعلم أمته الدروس الوجيزة المفيدة، وخلاصة تلك الحياة العامرة في الدعوة لدين الله تبارك وتعالى والتي يصل بها العبد إلى أعلى المراتب الإيمانية ومن هذه الدروس:-

١-عدم الركون إلى الدنيا والتنافس عليها لأنها أهلكت من قبلنا.

٢-أن من يحب الله جل وعز يكون دائما في اشتياق إلى لقائه، و(من أحب لقاء الله أحب الله لقائه).

٣-المؤمن لا يفتر أبدًا عن حمل هم الدعوة حتى ولو كان على في مرض الموت.

(على فراش الموت)

ووقع صلى الله عليه وسلم على فراش الموت، وعصب رأسه، وأخذت الحمى تنفضه عليه الصلاة والسلام، فكما جاء عند الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط).

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا حزن ولا مرض، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه).

ويقول عليه الصلاة والسلام كما في كتاب الطب والمرض للبخاري: (إن المؤمن كالخامة من الزرع، لا تزال الريح تفيئها يمنة ويسرة، وأما المنافق كالأرزة، لا تزال قائمة منتصبة حتى يكون انجعافها مرة واحدة).

المؤمن يحم، المؤمن يصاب ويمرض ويجوع، لكن المنافق يسمن ويترك حتى تأتيه قاصمة الظهر مرة واحدة.

ولا ذنوب له صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكن رفعت درجاته عليه الصلاة والسلام، جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: {دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك -أي: في مرض موته- فمسسته بيدي- بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- فقلت:يا رسول الله! إنك توعك وعكاً شديداً. قال: نعم. إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: ذلك بأن لك الأجر مرتين يا رسول الله. قال: نعم. ثم قال: ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو مرض إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها}.

فيا من ابتلاك الله بالمرض لا تيأس ولا تحزن واصبر واحتسب فإن هذا خير لك إذا صبرت واحتسبت ورضيت بقضاء الله تبارك وتعالي.

فقد قال عليه الصلاة والسلام (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر؛ فكان خيراً له). رواه مسلم.

فلا تحزن عبد الله إذا أصابك مرض وانظر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام يتألم كما يتألم الرجلان وهو من هو، ورغم ذلك يبشرنا أيضًا وهو على فراش الموت فيقول:(ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو مرض إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها)

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر.

ما أجملها من بشرى..

(قبل الوفاة بخمسة أيام)

ويوم الأربعاء قبل خمسة أيام من الوفاة، اتقدت حرارة العلة في بدنه، فاشتد به الوجع وغمي، فقال : (هريقوا علي سبع قِرَب من آبار شتي، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم) ، فأقعدوه في مِخَضَبٍ، وصبوا عليه الماء حتى طفق يقول : (حسبكم، حسبكم) .

وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد متعطفاً ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة حتى جلس على المنبر، وكان آخر مجلس جلسه، فحمد الله وأثني عليه، ثم قال : (أيها الناس، إلي) ، فثابوا إليه، فقال - فيما قال : (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) - وفي رواية : (قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) - وقال : (لا تتخذوا قبري وثناً يعبد) .

خرج بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام على الناس، يقول ابن عباس كما جاء من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة في الصحيحين: {خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس، وهو عاصب على رأسه بعصابة دسمة، -وقيل: سوداء- وهو بين علي والعباس، على كتفيهما رضوان الله عليهما، وأقدامه من المرض تخط في الأرض، فأجلساه على المنبر، فلما رأى الناس قال: (يا أيها الناس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. زاد البيهقي كما قال ابن كثير: يا أيها الناس: إني ملاقٍ ربي، وسوف أخبره بما أجبتموني به، يا أيها الناس: من سببته أو شتمته أو أخذت من ماله فليقتص مني الآن قبل ألا يكون درهماً ولا ديناراً، قال أنس: فنظرت إلى الناس وكل واضع رأسه بين رجليه من البكاء، ثم قال عليه الصلاة والسلام: يا أيها الناس: اللهم من سببته أو شتمته أو أخذت من ماله أو ضربته فاجعلها رحمة عندك} وعند أبي داود: {إني أخذت عند ربي عهداً أيما مسلم شتمته أو سببته أو ضربته، أن يجعلها كفارة له ورحمة} فاستبشر الناس بهذا، وأخذوا يقولون: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله! وعاد إلى فراشه.

وعرض نفسه للقصاص قائلاً : (من كنت جلدت له ظَهْرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عِرْضاً فهذا عرضي فليستقد منه) .

ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد لمقالته الأولي في الشحناء وغيرها . فقال رجل : إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال : (أعطه يا فضل) ، ثم أوصي بالأنصار قائلاً :

(أوصيكم بالأنصار، فإنهم كِرْشِي وعَيْبَتِي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحْسِنِهم، وتجاوزوا عن مسيئهم) ، وفي رواية أنه قال : (إن الناس يكثرون، وتَقِلُّ الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم) .

ثم قال : (إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده) . قال أبو سعيد الخدري : فبكي أبو بكر . قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أمنّ الناس على في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر) .

وانظر إلى حرصه عليه الصلاة والسلام من خلال تلك الوصايا الغالية التي أسداها لأصحابه الكرام وللأمة من بعدهم وأيضا سماحته، وإرساء دعائم العقيدة الإسلامية الصحيحة وهو يودع أمته عليه الصلاة والسلام.

(قبل الوفاة بأربعة أيام)

ويوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام قال ـ وقد اشتد به الوجع : (هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده) ـ وفي البيت رجال فيهم عمر ـ فقال عمر : قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا عني) .

وأوصى ذلك اليوم بثلاث : أوصي بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصي بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، أما الثالث فنسيه الراوي . ولعله الوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة، أو تنفيذ جيش أسامة، أو هي : (الصلاة وما ملكت أيمانكم) .

والنبي صلى الله عليه وسلم مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم ـ يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام ـ وقد صلي بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات عرفاً .

وعند العشاء زاد ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد . قالت عائشة : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أصَلَّى الناس ؟) قلنا : لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك . قال : (ضعوا لي ماء في المِخْضَب) ، ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه . ثم أفاق، فقال : (أصلى الناس ؟) ـ ووقع ثانياً وثالثاً ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء ـ فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلي أبو بكر تلك الأيام ١٧ صلاة في حياته صلى الله عليه وسلم، وهي صلاة العشاء من يوم الخميس، وصلاة الفجر من يوم الاثنين، وخمس عشرة صلاة فيما بينها .

وراجعت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث أو أربع مرات؛ ليصرف الإمامة عن أبي بكر حتى لا يتشاءم به الناس، فأبي وقال : (إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس).

وفيه هذا أيضًا حرصه عليه الصلاة والسلام من خلال تلك الوصايا الغالية التي أسداها لأصحابه الكرام وللأمة من بعدهم وأيضا سماحته، وإرساء دعائم العقيدة الإسلامية الصحيحة وهو يودع أمته عليه الصلاة والسلام.

(ثلاثة أيام قبل الوفاة)

قبل ثلاثة أيام

قال جابر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث وهو يقول : (ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله) .

ما أجملها من وصية وهي مصداق الحديث القدسي وفيه يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي).

قبل يوم أو يومين

ويوم السبت أو الأحد وجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه بألا يتأخر، قال : (أجلساني إلى جنبه) ، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع الناس التكبير .

قبل يوم

وقبل يوم من الوفاة ـ يوم الأحد ـ أعتق النبي صلى الله عليه وسلم غلمانه، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل أرسلت عائشة بمصباحها امرأة من النساء وقالت : أقطري لنا في مصباحنا من عُكَّتِك السمن، وكانت درعه صلى الله عليه وسلم مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير .

وفي هذا جواز المعاملة مع أهل الكتاب.

(آخر يوم من الحياة)

روي أنس بن مالك : أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين ـ وأبو بكر يصلي بهم ـ لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك ـ يا لقلبي ويا لشعري ما لهذا التبسم، وما لهذا التعجب! إنه -إن شاء الله- تبسم لأنه رأى الصفوف منتظمة، ورأى الدعوة حية، ورأى الرسالة منتصرة، ورأى لا إله إلا الله مرتفعة، ورأى أبا بكر يصلي بالناس، ورأى دعوة التوحيد قد ضربت بجرانها في الجزيرة، فحق له أن يتبسم-، فنكص أبو بكر على عقبيه؛ ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة . فقال أنس : وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فَرَحًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخي الستر .

ثم لم يأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت صلاة أخرى .

ولما ارتفع الضحى، دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة فسَارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها، فسارها بشيء فضحكت، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك ـ أي فيما بعد ـ فقالت : سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت .

وبشر النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين .

ورأت فاطمة ما برسول الله صلى الله عليه وسلم من الكرب الشديد الذي يتغشاه .

فقالت : وا كرب أباه . فقال لها : (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) .

ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصي بهما خيراً، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن .

وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حتى كان يقول : (يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَرِي من ذلك السم) .

وقد طرح خَمِيصَة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك ـ وكان هذا آخر ما تكلم وأوصي به الناس : (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ يحذر ما صنعوا ـ لا يبقين دينان بأرض العرب) .

وأوصى الناس فقال : (الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم) ، كرر ذلك مراراً .

فما أروعها من وصايا وما أبعد المسلمين عنها في أيامنا هذه.

(الاحتضار)

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول : إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونَحْري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته .- ويا لسعادة الزوجة بزوجها! ويا لسعادة الحبيبة بحبيبها! ويا

لفرحتها بمؤنسها وبرجلها في آخر عمره وهو يلصق رأسه بحجرها رضي الله عنها وأرضاها!- و دخل عبد الرحمن بن أبي بكر - وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم . فتناولته فاشتد عليه، وقلت : أُلينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم . فلينته، فأمره - وفي رواية أنه استن به كأحسن ما كان مستنا - -، ليلقى الله طيباً، فإن حياته طيبة، ووفاته طيبة (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي). [الفجر:٢٧-٣٠]. - وبين يديه رَكْوَة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه، يقول : (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات . . .) الحديث .

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى . اللهم، الرفيق الأعلى) .

كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى . إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وقد تم له صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام .

يوم توفاه الله إليه ليكرمه جزاء ما قدم للأمة، يوم قبضه الله، قال أنس: (ظننا أن القيامة قامت يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي مصيبة أكبر من مصيبة وفاته على الأمة؟! أي حدث وقع في تاريخ الإنسان يوم توفي خير إنسان وأفضل إنسان عليه الصلاة والسلام؟! ولكن نقول الآن وبعد الآن ويوم نلقى الرحمن: إنا لله وإنا إليه راجعون! (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). [البقرة:١٥٦-١٥٧].

(الفراق الأليم)

وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها .

وبقي جثمانه الشريف في غرفة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، ولكن ما هو حال الصحابة؟

فداً لك من يقصر عن فداك فلا ملك إذاً إلا فداكا

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواكا

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

وقف الصحابة في موقف لا يعلمه إلا الله، وفي دهشة لا يعلمها إلا الحي القيوم، كلهم يكذب الخبر، ولا يصدق إلا من أتاه اليقين..

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

وقفوا حول مسجده صلى الله عليه وسلم، وأغلق بابه الشريف على جثمانه، وبقيت عائشة رضي الله عنها وأرضاها تبكي مع النساء، أما السكك فقد امتلأت بالبكاء والعويل والنحيب، وأما عمر رضي الله عنه وأرضاه فوقف عند المنبر يسل سيف الإخلاص والصدق الذي نصر به دين الله، ويقول: يا أيها الناس: من كان يظن أن رسول الله قد مات، ضربت عنقه بهذا السيف.

قال أنس : ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما مات قالت فاطمة : يا أبتاه، أجاب ربا دعاه . يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه . يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه .

أورد صاحب مجمع الزوائد عن عثمان رضي الله عنه وأرضاه، أن عمر مر به فسلم عليه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يرد عليه السلام، فذهب عمر إلى أبي بكر فاشتكى عثمان وقال: سلمت عليه فلم يرد علي السلام، فاستدعاه أبو بكر، وقال: يا عثمان! سلَّم عليك أخوك عمر فلم ترد عليه السلام، فقال: يا خليفة رسول الله! والله ما علمت أنه سلَّم علي قال: لعلك داخلك ذهول أو دهش من وفاته صلى الله عليه وسلم قال: إي والله، فجلسوا يبكون].

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنه وأرضاه: يا عمر! اذهب بنا إلى أم أيمن -هذا بعد وفاة رسول الله، وهي مولاة كانت مرضعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عجوز مسنة كان يزورها صلى الله عليه وسلم في حياته- قال: اذهب بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان صلى الله عليه وسلم يزورها.. يا للتواضع! يا للتمسك بالسنة! يا للحرص على الأثر! فذهبا رضوان الله عليهما، فلما وصلا إلى أم أيمن بكت، فقالا: ما يبكيك يا أم أيمن ؟

قالت: أبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا: أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم؟

قالت: والله إني أعلم ذلك، ولكن أبكي على أن الوحي انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان رضوان الله عليهما.

(الثبات العظيم)

أما أبو بكر فكان غائباً في ضاحية من ضواحي المدينة في مزرعته، ما يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوفى في ذلك اليوم، بأبي هو وأمي! فسمع الخبر فأتى على فرسه، وقد ثبته الله يوم أن يثبت أهل طاعته، وقد سدده الله يوم أن يسدد أهل التوحيد.

فأتى بسكينة ووقار، كان رجل المواقف، ورجل الساعة، وكان اختياره صلى الله عليه وسلم موفقاً في إمامة أبي بكر، فأتى وإذا الناس لا يزدادون من البكاء إلا بكاء، ولا من العويل إلا عويلاً، ولا من النحيب إلا نحيباً، فقال: ماذا حدث؟ قالوا: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات رسول الله، أتدرون ماذا قال؟

قال: الله المستعان! الله المستعان نلقى بها الله، والله المستعان نعيش بها لله، والله المستعان نتقبل بها أقدار الله، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون!.

إنها كلمة الصابرين حين يصابون بصدمات في الحياة، إنها كلمة الأخيار حينما تحل بهم الكوارث من أقدار الله وقضاء الله.

ثم دخل وشق الصفوف في سكينة على فرس له، وبيده عصا، ويشق الصفوف بسكينة ووقار، حتى وصل إلى البيت ففتح الباب، ثم أتى إليه صلى الله عليه وسلم، فكشف الغطاء عن وجهه، ثم قبله وبكى ودمعت عيناه الشريفتان على وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم قال: [بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما أطيبك حياً وما أطيبك ميتاً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها، ولكن والله لا تموت بعدها أبداً، والله لا تموت بعدها أبداً، والله لا تموت بعدها أبداً].

ثم خرج رضي الله عنه وأرضاه إلى الناس وعصاه بيده، فأسكتهم، وقال لعمر: يا بن الخطاب! اسكت، فلما سكت الناس، وهم ينظرون إلى القائد الجديد الملهم، إلى هذا الإمام الموفق، إلى هذا الخليفة الراشد، وهو يتخطى الصفوف حتى صعد المنبر، فيستفتح خطابه بحمد الله والثناء على الله، فالمنة لله والحمد لله، والأمر لله من قبل ومن بعد، ثم يقول: [يا أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). [آل عمران:١٤٤]]] فكأن الناس سمعوها لأول مرة، وكأنها ما مرت على أذهانهم، ثم عاد رضي الله عنه وأرضاه.

فلله دره ما أثبته، فليكن قدوة لكل من أصابته مصيبة أيا كانت.

(التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض)

ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يجردوه من ثيابه، قال علي رضي الله عنه: اختلفنا في كيفية تغسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقي علينا النعاس، ونحن بالماء حوله صلى الله عليه وسلم، حتى نمنا وإن لحية أحدنا إلى صدره، فسمعنا هاتفاً يقول: {اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوق ثيابه} وهذا سند صحيح، فغسلوه من فوق ثيابه، طيباً مباركاً مهدياً، عليه السلام يوم ولد، وعليه السلام يوم بعث، وعليه السلام يوم مات، وعليه السلام يوم يبعث حياً.

وكان القائمون بالغسل : العباس وعليّا، والفضل وقُثم ابني العباس، وشُقْرَان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسامة بن زيد، وأوس بن خَوْلي، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلى يغسله، وأوس أسنده إلى صدره .

وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسِدْر، وغسل من بئر يقال لها : الغَرْس لسعد بن خَيْثَمَة بقُبَاء وكان يشرب منها .

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحُولِيَّة من كُرْسُف، ليس فيها قميص ولا عمامة . أدرجوه فيها إدراجًا .

واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول : (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض) ، فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحداً .

ودخل الناس الحجرة أرسالاً، عشرة فعشرة، يصلون على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أفذاذاً، لا يؤمهم أحد، وصلي عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الصبيان، ثم النساء، أو النساء ثم الصبيان .

ومضى في ذلك يوم الثلاثاء كاملاً، ومعظم ليلة الأربعاء، قالت عائشة : ما علمنا بدفن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المسَاحِي من جوف الليل ـ وفي رواية : من آخر الليل ـ ليلة الأربعاء .

نعم.. دفن و وضع في قبره عليه الصلاة والسلام، ورد عليه التراب، ودفن كما يدفن الإنسان بعدما صلى عليه الناس زرافات ووحداناً.

ذكر الشوكاني في نيل الأوطار: أن من صلى عليه صلى الله عليه وسلم يبلغون سبعة وثلاثين ألفاً من الرجال والنساء، من المهاجرين والأنصار، ما كان لهم إمام يصلي بهم، بل صلى كل إنسان منهم على حدة، وكان في الصف الأول أبو بكر وعمر، حفظ من دعائهما رضي الله عنهما أنهما قالا: [صلى الله وسلم عليك يا رسول الله، نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حتى أتاك اليقين].

(التركة)

وهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وما خلّف درهماً ولا ديناراً، ولا عقاراً ولا قصوراً ولا مناصب، وإنما ذهب كما أتى، ذهب سليم اليد، أبيض الوجه، طاهر السريرة، ولكن خلّف ديناً خالداً وخلّف رسالة، مات الداعية ولكن ما ماتت الدعوة، مات الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ما ماتت الرسالة، مات البشير النذير، ولكن ما ماتت البشارة والنذارة، ترك لنا تراثاً أيما تراث، قرآناً حكيماً (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت:٤٢] وسنة طاهرة للمعصوم فيها صلاح العبد في الدنيا والآخرة.

وعادوا إلى تركته ولا تركة له.. فيا من جمع الأموال ولم يقدم ما ينفعه عند الواحد القهار! هذا خيرة خلق الله، وهذا صفوة عباد الله، ذهب والله ما تلوث منها بشيء، يمر عليه الشهر بعد الشهر ولا يوقد في بيته نار، ويمر عليه ثلاثة أيام وهو في جوعه صلى الله عليه وسلم، فالله المستعان..

كفاك عن كل قصر شاهق عمد بيت من الطين أو كهف من العلم

تبني الفضائل أبراجاً مشيدة نصب الخيام التي من أروع الخيم

إذا ملوك الورى صفوا موائدهم على شهي من الأكلات والأدم

صففت مائدة للروح مطعمها عذب من الوحي أو عذب من الكلم

ذهب عليه الصلاة والسلام وبقي بيته من طين، وبقيت بعض الدراهم ليست له، أنفقت في الصدقات وفي سبيل الله، وأتى أبو بكر فقال لقرابته ولبناته صلى الله عليه وسلم لما طلبوه الميراث، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنا لا نورث، ما تركناه صدقة"

وعند أحمد في المسند: "إنا لا نورث ما تركنا صدقة" فما ترك صلى الله عليه وسلم شيئاً، ولكن ترك هذا الدين، اجتماعنا بهذه الوجوه الطيبة النيرة حسنة من حسنات، وهذه المساجد والمنابر حسنة من حسنات رسالته، وهذه الدعوة الخالدة والرسالة القائمة فضل من فضل الله ثم من فضله صلى الله عليه وسلم.

نعم. مضى إلى الله صلى الله عليه وسلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون! وحسبنا الله على كل ما يصيبنا!

فإنه قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: {يا أيها الناس: من أصيب بمصيبة فليتعز بي، فإني عزاء لكل مسلم} إي والله.

وهذا إخواني الأعزاء هو غاية هذا الجزء المبارك من هذه السلسلة

(أيها المبتلى... لست وحدك على الدرب)

وإذا أتتك من الأمور بلية فاذكر مصابك بالنبي محمد

إذا مات ابنك فاعلم أن ابنك لا يكون أحب في قلبك إن كنت مؤمناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن مات أبوك أو أمك أو قريبك أو صفيك، فاعلم أنهم لا يعادلون ذرة في ميزان الحب مع حبه صلى الله عليه وسلم، تذكر أنه مات، وأنه صلى الله عليه وسلم عند ربه، يستشهده الله علينا هل بلغنا ما علينا؟ ويستشهده الله علينا هل سمعنا وأطعنا أم لا؟ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً) [النساء:٤١].

(دروس وعبر من قصة وفاة سيد البشر)

وهكذا عباد الله كانت قصة وفاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقلنا بأننا ذكرناها في هذه السلسلة لغاية خاصة وهي كما ذكرنا من قبل.

إنه قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: {يا أيها الناس: من أصيب بمصيبة فليتعز بي، فإني عزاء لكل مسلم}.

ولكن قصة وفاته عليه الصلاة والسلام اشتملت على فوائد غزيرة جليلة نذكر منها:-

١- أن الموت نهاية كل حي، ولو كان أحد أولى بالبقاء لكان رسول الله عليه الصلاة والسلام.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لأمته حيهم وميتهم حتى وهو في نهاية حياته.

٣- أنه عليه الصلاة والسلام كان يخشى على أمته أن يركنوا إلى الدنيا لذلك حذرهم من ذلك.

٤- أن من يحب الله جل وعز يكون دائما في اشتياق إلى لقائه، و (من أحب لقاء الله أحب الله لقائه)

٥- المؤمن لا يفتر أبدًا عن حمل هم الدعوة حتى ولو كان على في مرض الموت.

٦- مرض المؤمن خير له، وتكفير لخطاياه، ومضاعفة لأجره.

٧- أن مرض النبي عليه الصلاة والسلام لرفع درجته عليه الصلاة والسلام.

٨- شديد حب الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام. وحرصهم على الاستفادة والاستزادة من تعاليمه ووصاياه عليه الصلاة والسلام.

٩- أنه عليه الصلاة والسلام لا يتوانى ولا يتكاسل عن أداء واجبه الدعوي، فإذا سمحت له الفرصة ليقوم قام ولا يركن إلى الفراش.

١٠- حرص النبي عليه الصلاة والسلام على ترسيخ العقيدة، وتنبيه على مخالفة اليهود والنصارى، وعدم اتخاذ القبور مساجد وتشديده على ذلك.

١١- حرصه صلى الله عليه وسلم على رد الأمانات إلى أهلها، وأداء حقوق العباد قبل ألا يكون درهم ولا دينار.

١٢- وصيته عليه الصلاة والسلام بالأنصار خيرا، لما لهم من فضل في الإسلام.

١٣- فقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وشدة حبه للنبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم له وبيانه لفضله.

١٤- وصيته عليه الصلاة والسلام بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، و إجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم.

١٥- وصيته عليه الصلاة والسلام بألا يموتن مسلم إلا وهو يحسن الظن برب العالمين.

١٦- جواز المعاملة مع أهل الكتاب والاقتراض منهم مقابل رهان.

١٧- فرح النبي عليه الصلاة والسلام لرؤيته لدعوته حية قائمة على أصولها.

١٨- حبه عليه الصلاة والسلام لابنته وإسراره لها بأنه سيموت في مرضه هذا، وتبشيرها بأنه أول من سيلحق به من أهله، وبيان فضلها من أنها سيدة نساء العالمين.

١٩- حب النبي صلى الله عليه وسلم لأمنا عائشة رضي الله عنها، وحبها له، وكذلك فرحها بأن الله توفاه في بيتها وفي يومها وبين سحرها ونحرها وأنه جمع بين ريقه وريقها.

٢٠- حرصه عليه الصلاة والسلام على أن يستاك ليلقى الله طيباً، فإن حياته طيبة، ووفاته طيبة.

٢١- بيانه عليه الصلاة والسلام لأمته من أن للموت سكرات.

٢٢- اختياره عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

٢٣- حب الصحابة رضوان الله عليهم ومعاناتهم الشديدة من فراقه عليه الصلاة والسلام.

٢٤- ثبات الصديق في أحلك الظروف، وإيضاحه للحقائق التي غابت في خضم تلك المشاعر العظيمة.

٢٥- أن النبي عليه الصلاة والسلام تم تغسيله من فوق ثيابه إكرام له عليه الصلاة والسلام.

٢٦- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون مكان موتهم.

٢٧- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك درهمًا ولا دينارًا، وما تركه فهو صدقة.

٢٨- أن من أصيب بمصيبة أيا كانت وأيا كان حجمها فليتعزى بالنبي عليه الصلاة والسلام، فإنه عزاء لكل مسلم.

هذا ما وفقنا الله لاستخراجه من فوائد وعبر من قصة وفاة سيد البشر صلى الله عليه وسلم

وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

والله أسأل أن ينفع بهذه السلسلة إنه على ما يشاء قادر.

ولا تنسونا من دعوة صالحة بظهر الغيب ليقول لك الملك إن شاء الله ولك بمثله

المقاطعة الاقتصادية شبهات وردود

إسلام أون لاين:

عنوان الفتوى:

المقاطعة الاقتصادية: شبهات وردود

تاريخ الإجابة ٢٠٠٥/٠٣/١٠

موضوع الفتوى المعاملات

بلد الفتوى - فلسطين

نص السؤال يرى المثبطون لسلاح المقاطعة الاقتصادية أنها سوف تسبب خسائر للعرب والمسلمين وسوف تتوقف المصانع وتكسد التجارة وتمنع المنح والهبات والمساعدات وتزداد المديونية.. إلي غير ذلك من الأعذار فكيف يكون الرد على هؤلاء؟.

اسم المفتي الأستاذ الدكتور حسين شحاته

نص الإجابة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فالواجب إخلاص النية لله عز وجل في مقاطعة هذه المنتجات، وسوف يبدل الله تعالى المغرم مغنما، ولنا في صحابة رسول الله الأسوة الحسنة، هذا فضلا عن أنه يجب ألا نغفل أننا في حالة جهاد مع ألد أعداء الله في الأرض، وأي جهاد لا بد فيها من تضحية لتنتصر المبادئ وتحيا العقائد فهذا هو المكسب الحقيقي هذا فضلا عن المكاسب المادية والمعنوية التي ستعود على أمتنا، وحسبنا أن المقاطعة أمانة سوف نسأل عنها يوم القيامة.

وإليك فتوى فضيلة الدكتور حسين شحاتة – الأستاذ بجامعة الأزهر:

لقد ذُكرت هذه الدعوى -أن المقاطعة سوف تسبب الفقر والعوز- في كتاب الله عز وجل في سورة التوبة عندما نزل قول الله تبارك وتعالي: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) التوبة: ٢٨ . فقد ورد في تفسير هذه الآية: أن الله أمر عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتا بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام وألا يقربوه، وبعد نزول هذه الآية بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم بها عليا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأمره أن ينادي في المشركين: أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فأتم الله ذلك وحكم به شرعا وقدرا.. وقال الناس: (لتقطعن عنا الأسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب من المرافق) فأنزل الله: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء...) ولقد عوضهم الله عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة. (ابن كثير: صفحة ٣٣٤).

ولقد تحقق وعد الله عز وجل وربح التجار المسلمون أرباحا كثيرة في الدنيا والآخرة لأنهم أخلصوا العمل لله، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وليأخذ المثبطون من هذه الآية العظة والعبرة، فإن كانت هناك خسارة اقتصادية ظاهرية فسوف تتحول إلي مكاسب في الدنيا والآخرة في الأمد القريب.

مقاطعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحصاره في شعب أبي طالب.

ولقد استخدم المشركون والكفار سلاح المقاطعة ضد رسول الله صلي الله عليه وسلم في شعب مكة ثلاث سنوات للضغط عليه وعلي من آمنوا معه ليثنوهم عن دعوتهم، ولحق

بالمسلمين خسائر اقتصادية واجتماعية ونفسية عديدة ولكن صبروا وصابروا ورابطوا ولم يرجعوا عن مبادئهم حتى حقق الله لهم النصر علي أعدائهم وربحوا في التجارة مع الله.

ألم يكن لنا في رسول الله صلي الله عليه وسلم والذين آمنوا معه الأسوة الحسنة والقدوة.

صور متميزة للمقاطعة في العصر الحديث.

وفي التاريخ المعاصر نماذج متميزة لفعالية سلاح المقاطعة كأحد الوسائل لتحرير البلاد من المحتلين الظالمين المعتدين نذكر منها علي سبيل المثال ما يلي:

- نموذج الزعيم الهندي غاندي في مقاطعة السلع الإنجليزية ومقاومة الاحتلال الإنجليزي الغاشم، لقد نجح في تحقيق مقاصده بتفاعل شعبه معه.

- نموذج الزعيم المصري سعد زغلول، في مقطاعة البضائع الإنجليزية بعد ثورة ١٩ وكانت بداية خير ولقد حققت النماذج السابقة مقاصدها المشروعة ضد المعتدين ومنها التحرر والمحافظة علي الهوية الوطنية بالرغم من الخسائر الاقتصادية الموقوتة والي أعقبها مكاسب عظيمة.

المكاسب الاقتصادية والمعنوية للمقاطعة.

ومن المنظور الاقتصادي يجب النظر إلي المقاطعة الاقتصادية علي أنها حرب ضد الأعداء ولا توجد حرب بدون تضحيات، ولقد قيل: إن النصر يحتاج إلي جهاد، ولا جهاد بدون تضحية عزيزة، بالتأكيد ستكون هناك خسائر اقتصادية تلحق بالدول العربية والإسلامية بسبب المقاطعة، منها علي سبيل المثال: انخفاض حجم الاستثمارات وحجم السياحة وانقطاع المنح والمساعدات.. ولكن مقابل ذلك سوف تتحقق مكاسب اقتصادية ومعنوية منها:

- الحرية في اتخاذ القرار وتقوية الإرادة والمحافظة علي الحيوية العربية والإسلامية.

- الخروج من طوق التبعية الاقتصادية الذليلة التي تقود إلي السلبية السياسية.

- الاعتماد علي الذات وتنمية القدرات وحسن استخدام الإمكانيات والطاقات.

- الحث علي الإبداع والابتكار، فالحاجة تفتق الحيلة.

- التقشف والتربية علي الخشونة وعلي روح الجهاد بكل عزيز.

- حتمية التعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية.

- إثبات قدرتنا علي التضحية من أجل تطهير مقدساتنا.

وسوف تقل الخسائر الاقتصادية للدول العربية والإسلامية إذا ما خططت ونظمت المقاطعة ووضعت لها البرامج الموضوعية في إطار مجموعة من السياسات الاستراتيجية علي المستوي الشعبي والحكومي وعلي مستوي الأمة العربية والإسلامية، بحيث تتم وفق سلم الأولويات: حيث نبدأ بمقاطعة الكماليات والتحسينات يلي ذلك

مقاطعة الحاجيات وهكذا.. وأن يتم ذلك وفق مخطط لإيجاد البديل الوطني وإن لم يوجد فالبديل من الدول العربية والإسلامية، وإن لم يوجد فالبديل من البلاد الأجنبية غير المحاربة وهكذا.

والله أعلم.

==================================

المقاطعة تستنفد طاقتنا الحيوية فيما لا ينفع!!

الكاتب: د.عمار بكار*

هناك شعور أليم وحاد ينتاب الكثيرون الذين يتابعون الإعلام الغربي. عندما تشاهد الصور السلبية عن العرب والمسلمين تتوالى كل يوم بطرق مختلفة، وعندما تشاهد الحقيقة حول قضية فلسطين مثلا تزوَّر كل يوم، ويصبح الظالم فيها مظلوما، والمظلوم ظالما، تشعر بالغضب، وتتمنى لو أن هناك شيئا يمكن فعله.

هناك بالتأكيد ما يمكن فعله، وهناك من يحاول، وأنا كتبت كثيرا عن هذا الأمر خلال السنوات العشر الماضية، ومع ذلك فأنا منزعج ومعترض على حملة المعارضة ضد الدنمارك.

لقد انتفض الناس غاضبين لعدة أسابيع لما رأوا أعظم الخلق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يساء إليه في الصحيفة الدنماركية، لكنهم في غمرة هذا الشعور نسوا عدة قضايا هامة.

لقد كان واضحا أن رد الفعل هو مجرد سلوك عاطفي بحت، تحول بسرعة إلى سلوك جماعي، وربما كان من الغريب تفسير تأخر هذا الانبعاث العاطفي لعدة أشهر، ولكن يمكن القول بأن ظرفا معينا أتاح لهذا أن يحصل فجأة وأن ينطلق الناس نحو التعبير عن غضبهم.

مشكلة السلوكيات العاطفية أنها غير منطقية وأنها لا ترتبط باستراتيجية واضحة وأنها تنطفئ بعد فترة شأن العواطف بأنواعها. كانت الحملة المصاحبة للرسوم المسيئة غير منطقية لأن الإساءات تحصل كل يوم في الإعلام الغربي، وإذا كان كتاب سلمان رشدي وهذه الصور قد لفتت انتباهنا فهناك الكثير مما لم يلفت انتباهنا، ويحمل نفس الأثر التدميري.

لم يكن واضحا خلال الحملة لماذا غضب المسلمون من الرسوم بمعنى أنه لم يكن لديهم أي رسالة واضحة يقدمونها للغرب ويحددون فيها ما يريدون، ولما انتبه الناس لهذا طالبوا بالاعتذار من طرف الحكومة الدنماركية، رغم أن رئيس الوزراء الذي طلب منه الاعتذار يتم شتمه في الصحف كل يوم ويرسم بصور ساخرة دائما (وكذلك شأن الملكة)، ومن هنا نشأ سوء الفهم، فرئيس الوزراء لا يريد الاعتذار نيابة عن الجريدة

التي تنتقده باستمرار لأنه لا يملك عليها أي سلطة، ونحن رفضنا أن نتفهم طبيعة النظام الديمقراطي الغربي، وبقي كل طرف غاضبا وعاجزا عن توصيل رسالته.

كان هناك مشكلة أيضا في التخطيط لهذا الموضوع، لأنه لم يخطط له حقيقة. لم يحسب أحد حساب أحداث العنف التي نشأت لاحقا والتي أساءت كثيرا للعالم الإسلامي، ولم يحسب أحد احتمالية أن يقوم رجل غاضب (أو شخص مستغل للظروف) بإلقاء قنبلة يدوية صغيرة على مبنى الجريدة قد لا يحدث أي ضحايا ولكنه يجعل أوروبا كلها تعيش في حالة مراجعة للقوانين والأنظمة وتزيد من تشديدها على الجاليات العربية والإسلامية هناك، كما حصل في حال مقتل المخرج الهولندي فان جوخ، الذي غضب المسلمون من فيلمه المسيء للقرآن الكريم، فهجم أحدهم وقتله، وغير هذا حال المسلمين في هولندا إلى الأبد.

لم يحسب الناس حساب ما حصل وهو تضامن الصحف الغربية مع الصحيفة الدنماركية، وإعادة نشر الرسوم مئات المرات في الصحف ومواقع الإنترنت، وبالتالي تكرر الإساءة وتشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم وصورة المسلمين. ولحسن الحظ أن عقلاء أوروبا استوعبوا الموقف وفهموا أهمية تهدئة العالم الإسلامي، وتوقفت قضية إعادة نشر الرسوم المسيئة. لقد جهل البعض أن حرية التعبير تمثل "دينا" للغربيين وخيارا لا تراجع عنه، ومواجهة حرية التعبير بهذا الشكل معناه أيضا تحدي الغربيين في أهم قيمهم، وغاب عن الكثيرين إن كان المسلمون في وضعهم الحالي قادرين على مثل هذا التحدي وهذه المواجهة مع الأوروبيين.

كثيرون كانوا يقولون بأن حرية التعبير الكاملة غير موجودة في الغرب بدليل أنه لا يمكن إنكار الهولوكست، لكن هؤلاء جهلوا لماذا يحصل ذلك وكيف يجيب الغربيون على هذه القضية. معظم الناس لا يعرفون البعد التاريخي للأمر وأن إنكار الهولوكست يمثل لدى الغربيين عودة لتأييد النازية التي أدخلت العالم في حرب عالمية قاسية لن ينساها التاريخ أبدا.

وعلى العموم، هذا كله بالنسبة لي مفهوم، لأن عدم التخطيط لمثل هذه الأمور يحصل دائما، ولكن ما يجعلني أعترض بقوة على المعارضة التي حصلت هي قضية "الطاقة الحيوية الخيرية" لدى الإنسان.

نحن عادة مشغولون بالعمل والأسرة والعلاقات الاجتماعية، ولا يهتم معظمنا ببذل الكثير من الوقت والجهد في الأعمال التي تعود بالنفع على الصالح العام، ولكن البعض منا يبذلون القليل، لأن لديهم طاقة حيوية خيرية محدودة يريدون من خلالها أن يقدموا شيئا للناس، ليشعروا بالرضا بأنهم حققوا الواجب عليهم في هذا المجال أو ذاك. المشكلة أن محدودية هذه الطاقة تجعل من المهم جدا لأمة متهالكة تعاني من مئات المشكلات المستعصية أن تصرف هذه الطاقة بأكبر قدر ممكن من الفعالية التي تحقق الأهداف ذات الأولوية قبل أي شيئ آخر.

وبالرغم أن المقاطعة هي عمل فردي من حق الإنسان أن يبذله احتجاجا على الإساءة للرسول الكريم، إلا أن الجهد الضخم الذي بذله الناس للدعوة لهذه المقاطعة، وهي في النهاية عمل مؤقت له ثمرات محدودة، يجعلنا نتساءل فيما إذا كان ينبغي بذل هذا الجهد في قضايا أكثر أهمية وفي جهود تعطي ثمرات أفضل على المستوى البعيد.

الأمر بالضبط يمكن تشبيهه بالموارد التي تملكها الدولة أو الشركة، لديك القليل من المال، ألا تحرص دائما على بذله في أهم الأشياء وأكثرها أولوية لتحقيق الأهداف العامة؟ الأمر نفسه ينطبق على طاقتنا الإيجابية، والتي يجب أن نحرص على بذلها في القضايا الأكثر أولوية. وأنا هنا لن أتحدث عن هذه القضايا الأكثر أهمية لأن لها حديثا مستقلا، ولأنه إن لم تخطر ببالك قضايا أكثر أهمية، فإنك يجب أن تدرك مباشرة حجم المشكلة عندما تجري أمة تعاني من الضعف في كل مجال وراء مشاعرها العاطفية (رغم أنه أمر مطلوب ومبرر) وتنسى القضايا الهامة التي تخرج بها من الهاوية التي تعيشها.

ربما كان هذا هو السبب الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يتجاهل دائما كل محاولات الإساءة إليه، وكان بهذا قدوة للصحابة الكرام الذين عانوا الأمرين في مجتمع مكة المكرمة، وذلك حتى لا تضيع الطاقة الحيوية في الردود الغاضبة بينما هناك مهام الدعوة، وهي أكثر أهمية بلا شك.

الأمر الآخر الذي يمكن قراءته في سلوك الرسول الكريم هو أن التسامح كفعل إيجابي خير دائما من الفعل السلبي في ما يوصله من رسائل للناس، وهذا أمر أثبتته فيما بعد النظريات السياسية والإدارية والتعليمية والتجارب العلمية التي تثبت فعالية الرد الإيجابي مقارنة بالرد السلبي.

لقد عانينا كأمة الكثير من أثر "الإرهاب" السلبي علينا، وكانت هذه الإساءات في الصحف الدنماركية فرصة هامة للاستفادة منها في أنشطة إيجابية للتعريف بالإسلام والمسلمين وتبرئته من هذه الأنشطة التدميرية، ولذلك أعتبر ما حصل لاحقا بعدما هدئت العواطف من حوار مع الدنماركيين، وإقامة المؤتمرات وغيره أفضل بكثير من الهجوم وحرق السفارات والمظاهرات الأفغانية التي مات فيها العشرات وتدمير شركات عربية لمجرد أنها قررت عمل علاقة تجارية مع دولة أخرى كانت عبر التاريخ دولة مسالمة للعرب والمسلمين.

لقد كتبت قبل أسابيع مقالة بعنوان "صدفة حزينة في الدنمارك"، لأن الدنمارك خصصت عام ٢٠٠٦ لتعريف الدنماركيين بالثقافة العربية والإسلامية وخططت لهذا لمدة أربع سنوات، ووضعت سلسلة طويلة من الأنشطة تشمل برنامجا للتبادل الإعلامي والأكاديمي ومهرجانا ثقافيا يمتد طوال شهر أغسطس، ولكن الصدفة دمرت هذا النشاط، وجعلته في وضع محرج، وخاصة بعدما وجد الدنماركيون أنفسهم مكروهين من شعوب لا يعرفون عنها شيئا بسبب رسوم في صحيفة لا يملكون عليها أي سلطة قانونية.

أحدهم قال لي بعد قراءة المقالة بأن الأمر ربما لم يكن صدفة، وأن الصحيفة ربما فعلت ذلك لتخرب هذه الجهود. بصراحة لم يخطر هذا الاحتمال في بالي قبل أن يقول لي الصديق هذا، ربما لأنني أكره نظرية المؤامرة، ولكن التخريب قد حصل بكل أسف.

أنا لست ضد المقاطعة، فهي سلوك شخصي من حق كل إنسان أن يقوم به بسبب أو بدون سبب، ولكنني ضد تضييع جهود أمة كاملة في ردود فعل عاطفية لم يخطط لها، وضد الغضب غير المجدي، وضد المغامرات التي تثير الحماس دون قيمة، وضد الجهود السلبية.

تحية إكبار لكل الذين يخططون ويفعلون إيجابيا !!

ـ نقلا عن مجلة "المعرفة" السعودية

* رئيس تحرير (العربية.نت)

المقاطعة والمعاملات التجارية مع الأعداء

إســـــــــــــــــلام أون لايـــــــــــــــــــن:عنـــــــــــــــــــوان الفتـــــــــــــــــــوى:
=========================

المقاطعة والمعاملات التجارية مع الأعداء

تاريخ الإجابة ٢٠٠٥/٠٣/٠١

موضوع الفتوى السياسة الشرعية

بلد الفتوى ـ الأردن

نص السؤال أود أن تتفضلوا بالإفادة عن حكم الشريعة الإسلامية في الشخص المسلم الذي يتعامل مع أعداء دينه ووطنه معاملات تجارية أو اقتصادية أو غيرها تعود بالنفع على العدو، سواء كان ذلك في وقت السلم أو في وقت الحرب.

اسم المفتي الدكتور الشيخ يوسف عبد الله القرضاوي

نص الإجابة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لا شك أن المسلم مأمور بمجاهدة أعداء دينه ووطنه، بكل ما يستطيع من ألوان الجهاد، الجهاد باليد، والجهاد باللسان، والجهاد بالقلب، والجهاد بالمقاطعة . . كل ما يضعف العدو، ويخضد شوكته يجب على المسلم أن يفعله، كل إنسان بقدر استطاعته، وفي حدود إمكانياته، ولا يجوز لمسلم بحال أن يكون رداء أو عونًا لعدو دينه وعدو بلاده، سواء كان هذا العدو يهوديًا أم وثنيًا . . أو غير ذلك

فالمسلم يقف ضد أعدائه الذين يريدون أن ينتقصوا حقوقه، وينتهكوا حرماته بكل ما يستطيع، وكل من والى أعداء الله وأعداء الدين وأعداء الوطن فهو منهم، كما قال الله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) (المائدة: ٥١) أي من كان مواليًا لهم بقلبه أو بلسانه أو بمعاملته أو بماله، أو بأي طريقة من الطرق أو أسلوب من الأساليب فهو منهم . . يصبح في زمرتهم . . وهذا ما حذّر القرآن منه في أكثر من سورة، وفي أكثر من آية، جعل الذين يتولون الكفار جزءًا منهم وبعضًا منهم . . (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) (الأنفال: ٧٣).

فالمسلم لا يوالي الكافر، والبر لا يوالي الفاجر، فإذا والاه كان دليلاً على نقص إيمانه أو على زوال إسلامه والعياذ بالله، فهو نوع من الردة، ولون من المروق عن الإسلام، المفروض أن المسلم إذا لم يستطع أن يجاهد أعداءه بالسيف، فعلى الأقل يجاهدهم بالمقاطعة، لا يتسبب في أن ينفعهم اقتصاديًا أو ماديًا أو تجاريًا، لأن كل دينار أو كل ريال أو كل قرش أو كل روبية تذهب إلى العدو، معناه: أنك أعطيتهم رصاصة أو ثمن رصاصة تتحول بعد ذلك إلى صدر مسلم وإلى قلب مسلم ومن هنا كان اليهود حينما يجمعون تبرعات في أمريكا وفي غيرها كان شعارهم لافتة معروفة: ادفع دينارًا تقتل عربيًا .

فالمال هو الذي سيشتري السلاح الذي يقتل . . . وهكذا . . أنت إذا عاونت مشركًا أو كافرًا أو فاجرًا يحارب المسلمين، فأنت بذلك تقتل نفسًا مسلمة، وهذه كبيرة من الكبائر العظمى (ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعا) (المائدة: ٣٢). (ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها، وغضب الله عليه ولعنه، وأعد له عذابًا عظيمًا). (النساء: ٩٣).

فالمفروض في المسلم ألا يكون مع أعدائه أبدًا، مهما أظهروا من حسن النوايا فهذا كذب - يقول الله تعالى: (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) (الجاثية: ١٩)، (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) (المائدة: ٥١) ويقول: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (المائدة: ٨٢)، فلابد أن نعرف هذا جيدًا، وأن يكون كل مسلم مع أمته الإسلامية، ومع دينه . . . . وهذا أقل شيء . . وهو أمر فطري في الأمم . . فالإنسان إذا حارب سواه، لا يحاربه بالسلاح فقط، بل بأكثر من ذلك . . . بالمقاطعة . . المشركون حينما أرادوا في مكة أن يحاربوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، أول ما حاربوه، لم يكن حرب السلاح، وإنما كانت حربًا اقتصادية بالمقاطعة قاطعوه وأصحابه، وأهله، ممن انتصروا، من بني المطلب وبني هاشم . . . حاصروهم، وقاطعوهم ولم يبيعوا لهم ولم يشتروا منهم، ولم يزوجوهم، ولم يتزوجوا منهم، وذلك معناه: الحرب الاقتصادي معناه الإعداد . . فهكذا . . وهؤلاء مشركون . . فالمسلمون أولى بأن يعرفوا ذلك وأن يقاطعوا كل عدو لله، وكل عدو للمسلمين،

وكل من خرج على ذلك فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين.

والله أعلم

==========================

المقاطعة وسيلة لنصرة المجاهدين

تاريخ الإجابة ٢٠٠١/٠٦/٠١

موضوع الفتوى الجهاد

بلد الفتوى - السعودية

نص السؤال لايخفى عليكم مايتعرض له إخواننا الفلسطينيون في الأرض المقدسة من قتل واضطهاد من قبل العدو الصهيوني ،ولا شك أن اليهود لم يمتلكوا ما امتلكوا من سلاح وعدة إلا بمؤازرة من الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا والمسلم حينما يرى مايتعرض له إخواننا لا يجد سبيلاً لنصرة إخوانه وخذلان أعدائه إلا بالدعاء للمسلمين بالنصر والتمكين وعلى الأعداء بالذلة والهزيمة، ويرى بعض الغيورين أنه ينبغي لنصرة المسلمين أن نقاطع منتجات إسرائيل وأمريكا ،فهل يؤجر المسلم إذا قاطع تلك المنتجات بنية العداء للكافرين وإضعاف اقتصادهم ؟ وماهو توجيهكم حفظكم الله .

نص الإجابة

بسم الله ،والحمد لله ،والصلاة والسلام على رسول الله،وبعد:

يقول الشخ ابن جبرين من علماء السعودية :

يجب على المسلمين عمومًا التعاون على البر والتقوى ومساعدة المسلمين في كل مكان بما يكفل لهم ظهورهم وتمكنهم في البلاد وإظهارهم شعائر الدين وعملهم بتعاليم الإسلام وتطبيقه للأحكام الدينية وإقامة الحدود والعمل بتعاليم الدين، وبما يكون سببًا في نصرهم على القوم الكافرين من اليهود والنصارى ، فيبذل جهده في جهاد أعداء الله بكل مايستطيع، فقد ورد في الحديث : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).

فيجب على المسلمين مساعدة المجاهدين بكل مايستطيعونه ،وبذل كل الإمكانات التي يكون فيها تقوية للإسلام والمسلمين ،كما يجب عليهم جهاد الكفار بما يستطيعونه من القدرة، وعليهم أيضًا أن يفعلوا كل مافيه إضعاف للكفار أعداء الدين، فلا يستعملونهم كعمال للأجرة كتابًا او حسابًا أو مهندسين أو خدامًا بأي نوع من الخدمة التي فيها إقرار وتمكين لهم بحيث يكتسحون أموال المؤمنين، ويعادون بها المسلمين .

وعلى المسلمين أيضًا أن يقاطعوا جميع الكفار بترك التعامل معهم ،وبترك شراء منتجاتهم سواء كانت نافعة كالسيارات والملابس وغيرها ،أو ضارًا كالدخان بنية العداء للكفار وإضعاف قوتهم وترك ترويج بضائعهم ،ففي ذلك إضعاف لاقتصادهم مما يكون سببًا في ذلهم وإهانتهم .

والله أعلم

====================

المُخْتار يا أُمَّة المِلْيار!

يا أُمَّة المِلْيَارِ أَيْنَ رِجالُكِ أَيْنَ النَّفيرُ وأيْنَ صَوْتُ الحادِي؟
فَالنَّذْلُ يَهْزَأُ بالنَّبِيِّ وما انْتَهَى رُغْمَ النَّكيرِ فَيا لَهُ مِنْ عَادِي!!
يا أُمَّة المِلْيَارِ مَنْ أغْرَى بِنَا أبناءَ قِرْدٍ حِفْنَة الأوْغادِ؟
يا أُمَّة المِلْيَارِ أيْن أسودُكِ الغَضْبَى لِتَثْأَرَ لِلنَّبِيِّ الهادِي؟
يا أُمَّة المِلْيار أيْنَ شَبيبَةٌ تَهْفُو لِحَمْزَةَ أوْ خُطَى المِقْدَادِ؟
يَا أُمَّة المِلْيارِ أيْنَ صَفِيَّةٌ أيْنَ بَنُو الخَنْسَاءِ لِلأَحْفَادِ؟
لَوْ كَانَ فِينَا خَالِدٌ أوْ طَارِقٌ لأَتَى السَّفيهُ يُريدُ لَثْمَ أيَادِي
****
يَا أُمَّة المِلْيَارِ تِلْكَ رُبُوعُنا لَبِسَتْ لِعَهْدِ العِزِّ ثَوْبَ حِدَادِ
يا أُمَّة المِلْيَارِ هَلْ مِنْ عِبْرَةٍ مِنْ حَالِ أنْدَلُسٍ وَمِنْ بَغْدَادِ؟
عَجَباً نَرى أهلَ الضلالِ تَحالفوا وَالخُلْفُ مَزَّقَ سَهْلَنَا والوَادِي!
يا أُمَّة المِلْيَارِ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ؟ فَالكُفْرُ أظْهَرَ كَامِنَ الأحْقَادِ
يا أُمَّة المِلْيارِ أيْنَ نَبِيُّنا فِي قَلْبِ حَاضِرِ قَوْمِنا وَالبَادِي؟
حب النبي فريضة وبدونها ركن العقيدة ذاهب كرماد
عَجَباً نَقولُ نُحِبُّهُ وَنُجِلُّهُ وَالفِعْلُ يَرْمِي قَوْلَنا بِفَسادِ!
يا أُمَّة المِلْيارِ كَيْفَ مَحَبَّةٌ وَالقَلْبُ هامَ بِمَوْقِعٍ وَنَوَادِي؟
يا أُمَّة المِلْيارِ كَيْفَ مَحَبَّةٌ وَقَدِ اشْتَكَى المِحْرَابُ هَجْرَ عِبَادِ؟
يا أُمَّة المِلْيَارِ كَيْفَ مَحَبَّةٌ وَالمَالُ يَشْكُو مِن رِباً وَفَسَادِ؟
يا أُمَّة المِلْيَارِ أيْنَ فَقِيرُنَا أحَبَاهُ جَمْعُ المُوسِرِينَ بِزَادِ؟
أَيْنَ النِّسَاءُ حِجَابُهَا وَعَفَافُهَا؟ قَذَفَتْ بِها نَحْوَ الضَّيَاعِ عَوَادِي
يا أُمَّة المِلْيارِ يَبْكِي طِفْلُنَا أُمّاً تَخَلَّتْ عَنْهُ بَيْنَ بَوادِي!
يا أُمَّة المِلْيارِ أيْنَ سُجُودُنَا بِاللَيْلِ بَيْنَ قَوَافِلِ العُبَّادِ؟
يا أُمَّة المِلْيارِ أيْنَ صِيَامُنَا نَفْلاً نُحَاكِي مَوْكِبَ الزُّهَّادِ؟
يا أُمَّة القُرْآنِ أيْنَ كِتَابُكِ أَلْهَتْكِ عَنْهُ رَبَابَةٌ أمْ شَادِي؟
يا أُمَّة المُخْتَارِ أيْنَ عُلُومُهُ؟ هُجِرَتْ وَبَاءَتْ سُوقُهَا بِكَسَاد!

مَنْ كَانَ حِبّاً للرَّسُولِ فَكُلُّهُ بُغْضٌ لِخَصْمٍ للرسول يُعَادِي
مَن رامَ نَصْراً للرَّسُولِ فَمَا لَهُ غَيْرُ الرَّسُولِ وَهَدْيُهُ مِنْ حَادِي
****

يا أُمَّةَ المِلْيَارِ أيْنَ حِسَابُنَا للنَّفْسِ قَبْلَ رَحِيلِنَا وَمَعَادِ؟
كَثُرَ الكَلامُ فَأَيْنَ فِعْلٌ حَازِمٌ لِيَلُوذَ جَمْعٌ آبِقٌ بِرَشَادِ؟
طَالَ الشِّقَاقُ فَأَيْنَ صَفٌّ وَاحِدٌ لِيَفُلَّ حَدَّ عِصَابَةِ الإلْحَادِ؟
يا أُمَّةَ المِلْيَارِ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ فالحَقُّ يَدْعُو وَالرَّسُولُ يُنَادِي؟
يا أُمَّةَ المِلْيَارِ هَلْ مِنْ نَهْضَةٍ أَوْ صَحْوَةٍ مِنْ غَفْلَةٍ وَرُقَادِ؟
يا أُمَّةَ الإسْلامِ هَلْ مِنْ هِمَّةٍ نَحْوَ الفَلاحِ وَعِزَّةٍ وَرِيَادِ؟
يــا أُمَّـــة الإسْـــلامِ هَـــلْ مِـــنْ عَـــوْدَةٍ لِهُـــدَى الرَّسُـــولِ بِقُـــوَّةٍ وَسَـــدَادِ؟؟

===========================

النبي العظيم بين حقد أعدائه وحب أبنائه

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا).. الأحزاب: ٥٧.

لقد اعتاد المجرمون في الأرض أن يحاربوا الحق والهدى بوسائل شتى، وللهجوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام تاريخ طويل ابتدأ به كفار قريش، كان آخره ما حدث في الدانمرك حين نشرت إحدى صحفها صورا مسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وما تلا ذلك من أحداث كشفت حقيقة الحقد الدفين، وعدم التجاوب مع سفراء الدول الإسلامية، وقد سبق ذلك قصة سلمان رشدي، ثم قصة اخراج فيلم سيئ عن النبي العظيم، ولكن مهما بذل المجرمون في هذا السبيل فانه لا ينقص من المنزلة العالية لمحمد صلى الله عليه وسلم عند الله وعند المؤمنين، وقد توعد الله المستهزئين، وذلك بقوله سبحانه وتعالى: (إنا كفيناك المستهزئين) الحجر: ٩٥.

فقد كان نفر من قريش يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكم الله جميعا، وكذلك في الآية المذكورة أعلاه، ينزل الله عليهم اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، وكذلك آيات أخرى في هذا الصدد.

وحسب الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ان مدحه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وأعلى ذكره في الأرض والسماء أبد الدهر، ثناء لم ينله أحد من خلقه.

وتدافع الشعراء والمؤمنون يمدحون رسول الله صلى الله عليه وسلم مديحا امتد من حياة الرسول الكريم إلى يومنا هذا، وما اجتمع لأحد من خلق الله أن ينال هذا المديح الممتد

ولا جزءاً منه، مديحا افرغ فيه المؤمنون شديد ايمانهم وعظيم حبهم وروائع بيانهم، لتظل أنشودة الدهر، ولآلئ البيان.

ولعل أول من بدأ بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء الأعشى الكبير ميمون ابن قيس في قصيدته التي مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا

وعادك ما عاد السليم المسهدا

وقصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه حين تاب واعتذر وألقى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته الرائعة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

وأنا أعد هذه القصيدة من روائع الأدب العالمي، واندفع بعض الصحابة الشعراء رضي الله عنهم يمدحون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافعون عنه أمام هجوم قريش كعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

ولكن حسان بن ثابت كان أطولهم باعا وأشدهم ايذاء لقريش وشعرائها، وإنا لنجد في وصف أم معبد التي مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرع شاة خلفها الجهد، فدرت لبنا روي منه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوبكر رضي الله عنه والذين معه، نجد في وصفها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة أدبية عالية، تقول فيها:

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق.. ان صمت فعليه الوقار، وان تكلم سماه وعلاه البهاء.. هذا البيان الرائع دفعه التأثر الصادق العميق حين رأت وجه النبوة دون أن تعرفه.

وتوالى الشعراء على مر العصور يدفعون لآلئ قرائحهم وغني بيانهم في مديح سيد الخلق، حتى لا يكاد يخلو عصر من أحد منهم، وقد جمع الشيخ يوسف سعيد النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ كل ما قيل في مدح الرسول الكريم في المجموعة النبهانية، في المدائح النبوية في أربع مجلدات تضم أكثر من ألف وخمسمائة صفحة، وجاء الشعراء في العصر الحديث يبدعون في هذا المديح مثل محمود سامي البارودي في قصيدته: كشف الغمة في مدح سيد الأمة في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا، وأحمد محرم في ديوانه مجد الإسلام، وشوقي في قصيدتيه البائية والهمزية، وشعراء كثيرون يضيق المجال عن ذكرهم في هذه الكلمة الموجزة.

ولم يقتصر مديح الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين فان عددا من الشعراء النصارى مدح الرسول المصطفى، من مثل: الياس قنصل، والشاعر القروي رشيد سليم خوري، ورشيد أيوب، ورياض المعلوف، والياس طعمة الذي أسلم وسمي نفسه الوليد،

ولقد تشرفت بمديح سيد المرسلين بقصيدة بعنوان: رسول الهدى في سبعة وأربعين بيتا أذكر هنا منها:

أنت معنى الوفاء: ذكرك في الأرض حميد وفي السماء حميد

لا تكاد الشهود تملأ عينيـ ـها فيغضي من الجلال الشهود

حسبك المدح أن تكون على خلـ ـق عظيم يثني به الكتاب المجيد

وعلى الأمة المسلمة كلها أن تقتفي أثر جهود المملكة العربية السعودية في معالجة هذا الموقف من الدانمرك بالحزم والدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولو أدى ذلك إلى مقاطعة العالم الإسلامي كله للدانمرك، حتى تعلم الدانمرك وغيرها ان الأمة المسلمة مازالت على عهدها مع الله سبحانه وتعالى وحبها للرسول العظيم وغيرتها على الإسلام.

================================

النبيُّ العظيم والرحمة المهداة بين وفاء المؤمنين وإيذاء المشركين

www.alnahwi.com

أنعم الله تبارك وتعالى على هذه الأمة نبي الهدى { الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، فهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، وهو خاتم النبيين، وسيد المرسلين، ومحبته واجبة على الخلق أجمعين، وقد نصره وأحبه كل مؤمن تقي، وخذله وآذاه كل منافق ومشرك، والكاتب ينفع الله به - أبان في هذا المقال هذه الصور بشكل دقيق وبيان لطيف.

١- ثناء من الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم { :

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى" بالله وكيلا (٤٨) {الأحزاب: ٤٥ - ٤٨}.

مهما كتب الصادقون من ثناء على النبيّ العظيم، سيد المرسلين محمد {، ومهما ألّفوا من كتب وقدَّموا من دراسات عن عظمة النبيِّ الخاتم، ومهما نظَم الشعراء من قصائد في مديح النبيّ المصطفى، فلن يبلغ ذلك كله ما أثنى به الله على رسوله الذي اصطفاه وبعثه رحمة للعالمين. وحَسْبك هذا الوصف الذي تعرضه الآيات الكريمة أعلاه، يخاطب بها الله سبحانه وتعالى رسوله ونبيّه، فيبيّن له حقيقة المهمة التي بُعث بها: شاهداً على أُمَّتِكَ وقد بلَّغتَهم وأقمتَ عليهم الحجَّة وعلى الناس كافَّة، ومبشراً للمؤمنين بالجنَّة والفضل العظيم من الله، ونذيراً للكافرين من عذاب النار يوم القيامة، وداعياً يبلّغ رسالة ربِّه، الرسالة الخاتمة، إلى الناس كافة، رسالة ظاهرة مشرقة كالشمس بصدقها وحجتها وآياتها. ولا تطع الذين أدبروا عن الهدى، ولا تبالِ بأذاهم وامضِ متوكلاً على الله، على خطّة جليَّة، ونهج قويم، وصراط مستقيم، لا يعطله إيذاء المجرمين !

وتتوالى الآيات الكريمة تعرض عظمة النبيّ الذي اصطفاه الله واختاره وبعثه بالهدى ودين الحق، تعرض وتحيط بجوانب عظمته في بيان معجز وعرض حق . ولا نستطيع هنا أن نورد الآيات كلها في هذا الصدد، ولكننا نأخذ قبسات تشير وتدلُّ : وإنك لعلى" خلق عظيم ٤ {القلم: ٤}.

وما أعظم هذا الثناء من ربِّ العالمين، يبرز فيه سبحانه وتعالى أهمية الخُلُق في دين الله، ومنزلته في حياة الناس، ودوره في الوفاء بالأمانة والعهد، والتبليغ والتعهد. ولتكون نبراساً للخَلْقِ كلِّهم، للبشريَّة كلِّها، حتى يتمسكوا بهذا المبدأ العظيم، ويتأسَّوا بخُلُق الرسول {:

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ٢١ {الأحزاب: ٢١}.

ويرفع الله منزلة النبي { بين المؤمنين وبين الخلق جميعاً، حتى يكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وزوجاته أمهاتهم :

النبي أولى" بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى" ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى" أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا ٦ {الأحزاب: ٦}.

وهذه المنزلة العالية والصفات السامية تجتمع في رجل أمّيٍّ لا يقرأ ولا يكتب، وبعثه الله بهذه المعجزة العظيمة ليدحض الله بها أقوال المفترين ومزاعم المضلّين:

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ١٥٨ {الأعراف: ١٥٨}.

وأمر الله المؤمنين باحترام الرسول { بأسلوب الحديث وعدم رفع الصوت وعدم تقديم الرأي بين يديه، وجعل الله الإخلال بذلك مبطلاً لأعمالهم. إنه إجلال للنبوة ولمنزلتها العالية :

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ١ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ٢ {الحجرات: ١، ٢}.

وحَسْبك من ثناء الله على رسوله { أن اختاره واصطفاه من خلقه، ليحمل هذه الرسالة العظيمة، وجعل طاعة الرسول من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله سبحانه وتعالى، وإيذاءه يجلب غضب الله ولعنته :

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ٢٠ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ٢١ {الأنفال: ٢٠، ٢١}.

قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ٥٤ {النور: ٥٤}.

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى" فما أرسلناك عليهم حفيظا ٨٠ {النساء: ٨٠}.

إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ٥٧ {الأحزاب: ٥٧}.

وأيّ ثناء أعظم من أن يجعل الله طاعة رسوله { من طاعته، قاعدة إيمانيَّة رئيسة يلتزم بها المؤمنون أبد الدهر . ولتكون طاعة الله ورسوله هي القاعدة الجامعة للمؤمنين صفاً واحداً ما التزموا ذلك !

ويظلُّ الثناء على رسوله { ثناءً ممتداً أبد الدهر، كلما تلا مؤمن كتاب الله، يردّد مع التلاوة ثناء الله على رسوله {، كما يقول الشاعر :

حَسْبُكَ المَدْحُ أَنْ تكون عَلَى خُلْ

قِ عَظيمٍ يُتْلَى بِهِ الكِتابُ المُجيدُ

كُلُّ آيٍ مِنَ الكِتابِ وَذِكْرٍ

هُوَ ذِكْرٌ على الزَّمَانِ جَدِيدُ(١)

٢- عناية الله ورعايته، وتثبيته وحمايته :

ولا يقف الأمر عند ثناء الله على رسوله النبي المصطفى فحسب، ولكن مع هذا الثناء تمتد رعاية الله سبحانه وتعالى رعاية حانية، تحنو على الرسول الكريم وهو يشقُّ سبيله بين صخور وعقبات، وشدَّة إيذاء وعظيم ابتلاء. ويمتدُّ مع الرعاية والحنو توجيهٌ وتثبيتٌ ومددٌ بالوحي والملائكة والنور الذي أُنْزل، كلُّ ذلك ليبعث في نفسه الطمأنينة، وفي قلبه الثبات والعزيمة، ومع مسيرته الصبر والثقة والاستبشار. ولنتدبَّر بعض القبسات من كتاب الله تضيء لنا هذه الحقائق :

وتوكل على العزيز الرحيم ٢١٧ الذي يراك حين تقوم ٢١٨ وتقلبك في الساجدين ٢١٩ إنه هو السميع العليم ٢٢٠ {الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠}.

وتمضي هذه الرعاية في كلِّ أحوال الرسول {، وهو يتلقَّى الإيذاء الشديد من قريش، والعدوان والمطاردة، والكيد والتآمر والمكر من اليهود ومن قريش ومن الأحزاب كلها، حين تجمَّعت والتقت على حربه :

واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ٤٨ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ٤٩ {الطور: ٤٨، ٤٩}.

وتمتد هذه الرعاية الحانية إلى التوجيه والتثبيت في مواقف الشدَّة والكيد والمكر، مع كلِّ مرحلة من مراحل الدعوة :

وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ٨٥ إن ربك هو الخلاق العليم ٨٦ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ٨٧ لا تمدن عينيك إلى" ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ٨٨ وقل إني أنا النذير المبين ٨٩ {الحجر: ٨٥ - ٨٩}.

نعم ! وقل إني أنا النذير المبين ! إعلان حاسم للرسالة، سيعقبه الإيذاء والاستهزاء من المشركين . فيأمره الله بالمضيّ دون أن يأبه بالمشركين ولا بإيذائهم، فهو ماضٍ على نهج قويم وصراط مستقيم، وقد تعهَّد الله بأن يكفيه المستهزئين:

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ٩٤ إنا كفيناك المستهزئين ٩٥ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ٩٦ {الحجر: ٩٤ - ٩٦}.

ويشتدُّ الإيذاء على رسول الله {، ويشتدُّ المكر والكيد، وتظلُّ رعاية الله لنبيّه حانية ممتدة، حتى إذا حاولوا أن يفتنوا الرسول { عن الذي أوحى به الله إليه، كانت الرعاية الربَّانيَّة حانية توجِّه وتثبّت وتنصر :

وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ٧٣ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ٧٤ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ٧٥ {الإسراء: ٧٣ - ٧٥} .

وكما يمتدُّ مكر المشركين والكيد برسول الله {، تمتدُّ عناية الله برسوله وحمايته له:

وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ٧٦ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ٧٧ {الإسراء: ٧٦، ٧٧}.

تثبيت ويقين يتنزَّل على رسول الله {، وإنذار شديد للكافرين يذهب بمكرهم وكيدهم: ... وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ! سينزل بهم عذاب الله! وكذلك تدَّبَّرْ هذه الآيات التالية لترى عظمة الرعاية وجلال الحنو وقوة التثبيت :

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٣٠ {الأنفال: ٣٠}.

وكذلك :

وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ٤٦ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو \نتقام ٤٧ {إبراهيم: ٤٦، ٤٧}.

ولقد ثبت رسول الله {، ومضى في دعوته بين كيد الكافرين ومكر المشركين، وبين رعاية الله وحمايته حتى من المستهزئين: إنا كفيناك المستهزئين! واستمع إلى قوله سبحانه وتعالى يمدُّ الرعاية لرسوله الكريم:

فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد \هتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ١٣٧ {البقرة: ١٣٧}.

نعم ! فسيكفيكهم الله ! وقد كفاه المستهزئين والماكرين، فأخذهم الله بهلاك من عنده، ويمتدُّ وعد الله هذا إلى أبد الآبدين على سنن لله ثابتة وقضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة.

ولو راجعنا السيرة لوجدنا أن المستهزئين كانوا كثيرين. فأما " أبو لهب " فقد بشره الله بالهلاك في الدنيا والخلود في النار بالآخرة. فأصيب أبو لهب بمرض مات فيه شر ميتة، ولم يقدروا على تغسيله لشدَّة الرائحة الكريهة التي كانت تخرج من جسده الذي ينسلخ ويتساقط. وأبو جهل قتل في بدر، والنضر ابن الحارث أُسِرَ في بدر وأمر الرسول { بضرب عنقه. والأسود بن يغوث أصابته السموم ومرض الأكلة، فامتلأ جسمه قيحاً فمات شرَّ ميتة. والحارث بن قيس السهمي مات بالذبحة. وأُبيّ بن خلف وأميَّة بن خلف كانا من أشدِّ من آذى رسول الله { وعداوة له واستهزاء به، فهلك أمية في بدر وأُبيّ في أُحد. وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة هلك على يد حمزة رضي الله عنه. والعاص بن وائل السهمي، فقد هلك هذا المشرك في مكة بلدغة حيَّة في رجله فانتفخت رجله حتى مات. وكذلك نَبيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج السَّهميَّان، والأسود بن المطلب ابن أسد، وطعيمة بن عديّ بن نوفل، ومالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان، وركانة بن عبد يزيد، والوليد ابن المغيرة(٢). وحشد من اليهود والمشركين، ردَّ الله استهزاءَهم ومكرهم على أنفسهم وباؤوا بخسران في الدنيا والآخرة. وذهب ذكرهم وطُوي، وظلَّ محمد{ يشرق مع الدهر ذكراً حميداً في السماء وحميداً في الدنيا:

أَيُّها المصطفى! تَفَرَّدْتَ في الخَلْ

قِ نَبيّاً عُلاَك أُفْقٌ فَريدُ

أَنْتَ مَعْنَى الوَفَاءِ: ذِكْرُكَ في الأرْ

ضِ حميدٌ وفي السَّماءِ حَميدُ(٣)

وظلَّ أعداء محمد { هم أعداء الدين الحق، ظلُّوا ممتدّين مع الزمن يكيدون ويستهزئون، ويُرَدُّ كيدهم إلى نحورهم، وهم دائماً : الكافرون والمشركون والمنافقون واليهود وفريق من النصارى، حيث ما زال منهم من يؤمن بهذا الدين :

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى" بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ١١٢ {الأنعام: ١١٢}.

إنها سنَّة من سنن الله !

ولقد اجتمعت هذه الخصائص والسمات الفريدة في محمد { وهو يشقُّ طريقه بين أعداء مجرمين وبين عناية من ربِّ العالمين، ولكنه مع كلِّ ذلك ظلَّ رحمةً للعالمين، رحمةً بأصحابه المؤمنين ورحمةً للبشريَّة على مرِّ القرون، ما دام المؤمنون يُبلِّغون رسالة ربِّهم إلى الناس كافَّة، ليخرجوهم من الظلمات إلى النور:

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ١٠٧ {الأنبياء: ١٠٧}.

يهدي به الله من \تبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ١٦ {المائدة: ١٦}.

٣ـ ثناء الشعراء المؤمنين على مرِّ العصور :

وقد عرف المؤمنون رسولهم ونبيُّهم محمداً {، وأصبح حُبّه جزءاً رئيساً من الإيمان، ليكون حُبُّ الله ورسوله الحبَّ الأكبر في حياة المؤمن، ومنه ينبع كلُّ حبٍّ في الحياة الدنيا . ومن هذا الحب الصادق انطلق الشعراء المسلمون يمدحون رسول الله { بقصائدهم الغنيَّة بالبيان والصدق والوفاء .

ولعلَّ أول من بدأ بمدح رسول الله { من الشعراء الأعشى الكبير ميمون ابن قيس في قصيدته التي مطلعها(٤):

ألم تَغْتمِضْ عيناك ليلة أرمدا

وعادك ما عاد السليم المسهَّدا

وقد نظم القصيدة حين عزم على أن يسلم، وتوجَّه إلى النبيّ { بهذه القصيدة، فصدَّته قريش لما خافت من أثر شعره في العرب، إذ كان يُسمَّى صنَّاجة العرب . ونجحت قريش في صدَّه فعاد إلى قريته، وفي طريق عودته رمى به بعيره إلى الأرض فمات، وذلك سنة ٦٢٩م .

وقصة كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه، حين هجا الرسول {، ثمَّ تاب وتوجّه إلى الرسول الكريم بقصيدته الرائعة، وأعلن توبته بين يدي الرسول {، ثمَّ ألقى قصيدته التي مطلعها(٤):

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

مُتيمّ إثرها لم يُفْدَ مكبول

وإني لأعدُّ هذه القصيدة من روائع الأدب العالمي . وإني لا أرى كما يرى الكثيرون أنَّ مطلعها غزل وتشبيب كعادة العرب في الجاهلية، ولكني أرى أنَّ كعباً يصف فيها رحلته من الجاهلية التي كان قد عشقها ثمَّ فارقها (بانت سعاد) إلى الإسلام والإيمان الذي دخل قلبه وملك حبّه (أمْستْ سعاد بأرضٍ لا يبلّغها: إلا العتاق النجيبات المراسيل).

ثمَّ تتدافع الشعراء من أصحاب رسول الله { يمدحون نبيّهم ورسولهم، ويدافعون عنه ويدفعون عنه أذى قريش وشعرائها . وكان من شعراء الصحابة عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين . ولكن حسان بن ثابت كان أطولهم باعاً وأشدهم إيذاءً لقريش .

وكان وصف أم معبد لرسول الله { حين مرَّ بخيمتها :

" رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبْه ثُعلة، ولم تُزْر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي ضوئه صحل، وفي عنقه سطع، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلّم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق لا نزر ولا هذر ....الخ"(٥). وقد وصفه عليٌّ بن أبي طالب في بيان رائع، وكذلك أنس بن مالك، وأبو جحيفة، والبراء، وجابر بن سمرة، وأبو هريرة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد توالى الشعراء المسلمون على مرِّ العصور يدفعون لآلئ قرائحهم وغنيّ بيانهم في مدح رسول الله {، حتى لا يكاد يخلو عصر من أحد منهم. وجاء الشعراء في العصر الحديث يبدعون في هذا المديح. وكان أولهم محمود سامي باشا البارودي في قصيدته: "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتاً، وكذلك أحمد محرَّم في ديوانه مجد الإسلام، وشوقي في قصيدتيه البائية والهمزية، وعمر أبو ريشة في مقدمة ملحمته، وعدنان النحوي في قصيدته رسول الهدى في سبعة وأربعين بيتاً .

ولقد بيّنَّا في هذه الصفحات كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أثنى على عبده النبيّ الخاتم أعلى ثناء، وكيف مدحه عدد من أصحابه الشعراء وأخرسوا سفهاء قريش، وكيف وصفته أم معبد، وهي لم تره إلا مرّة واحدة ولفترة قصيرة، ولكنه أثر النبوّة المشرق الذي يؤثر في النفوس، ويزداد تأثيره كلما صفت النفوس وزادت إيماناً. وأشرنا كذلك كيف وصفه بعض الصحابة كذلك وصفاً جامعاً يهزُّ النفوس.

٤ـ النبيّ العظيم يصف نسبه ومنزلته عند الله:

وبالإضافة إلى ذلك كله، فقد عرَّفنا رسول الله { بنسبه وكيف اختاره الله من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا . فلننظر في قبسات من الأحاديث الشريفة حول ذلك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي { قال : "بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه"(٦).

عنه أيضاً عن الرسول { أنه قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع وأول مشفّع"(٧) وفي رواية أخرى عنه أيضاً في حديث طويل: "أنا سيد الناس يوم القيامة. وهل تدرون بِمَ ذلك ؟! يجمع الله الأولين والآخرين ....."(٨).

وعن المطلب بن أبي وداعة عن العباس عن الرسول { أنه قال: "..أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، وخلق القبائل، فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً"(٩).

والأحاديث الشريفة كثيرة حول هذا الموضوع، حيث يظهر فضل الله على خلقه جميعاً أن بعث فيهم محمداً { على أحسن هيئة خَلْقاً وخُلُقاً، وأحسنهم منبتاً .

٥- الشعراء غير المسلمين يمدحون الرسول { :

ولم يقتصر مديح الرسول { على المسلمين، فقد قام عدد من الشعراء النصارى يمدحون رسول الله { بقصائد غنيَّة تلمس فيها وضوح العاطفة وحقيقة الإكبار . ويبقى السؤال: فلماذا لم يسلموا ؟! ومن هؤلاء: "إلياس قنصل"، والشاعر القروي "رشيد سليم الخوري"، و"رشيد أيوب"، و"رياض المعلوف"، و"إلياس طعمة" الذي أسلم وجعل اسمه بعد إسلامه "وليد طعمة"! وكذلك سعيد جرجس العيسى الذي مدح رسول الله بقصيدة جميلة، والذي ذكر عيسى عليه السلام ومريم عليها السلام كما هما في القرآن الكريم، وأشاد بالتوحيد كما هو في كتاب الله . وقد دعوته ليعلن إسلامه، ولكنّه توفّي قبل أن أتلقَّى منه خبراً .

٦- الرسول { في الكتب المنزلة :

ولدينا في كتاب الله القول الحق بأنَّ اسم محمد { ثابت في التوراة والإنجيل :

وإذ قال عيسى \ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي \اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ٦ {الصف: ٦}.

ولم يقف الأمر عند عيسى عليه السلام وحده، وإنما امتدَّ إلى جميع الرسل، حيث أخذ الله عهداً منهم جميعاً أن يؤمنوا بالنبيّ الخاتم وينصروه :

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على" ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٨١ {آل عمران: ٨١}.

ولقد كتب عدد من الباحثين في التوراة والإنجيل وبيّنوا أنَّ اسم محمد وارد في التوراة والإنجيل بالأسلوب واللغة التي دُوِّن فيهما هذان الكتابان، مع ما أصابهما من التحريف . فيذكر البروفسور عبد الأحد داود في كتابه: " محمد في الكتاب المقدس " نماذج متعددة عن ذكر محمد {، ففي الإصحاح الثاني من سفر حَجّي، تأتي الترجمة هكذا: " ويأتي مشتهى كل الأمم "! " وعندما أرسل الله خادمه النبيّ حجّي ليسري عن هؤلاء المحزونين على تدمير الهيكل، ومعه الرسالة الهامة: ولسوف أزلزل كل الأمم وسوف يأتي حِمَدا (Himada) لكل الأمم " ! وبالعبريّة: " في يافو حِمْداث كول هاجو بيم "، وترجمتها الحرفية كما سبق ذكره(١٠). ويورد نصّاً آخر : " .... حتى يأتي شيلوه ويكون له خضوع الشعوب " ! ويفسّر كلمة " شيلوه " بالشخص الذي تخصّه، ويذكر المؤلف نصوصاً أخرى كثيرة ليُثْبتَ رأيه .

ويذكر المستشار محمد عزت الطهطاوي في كتابه: " محمد { نبيّ الإسلام: في التوراة والإنجيل والقرآن "، وأمثلة كثيرة عن ورود اسم النبيّ الخاتم بألفاظ متعددة . ويذكر في الباب الأول نصوصاً من البشارات في "العهد القديم " . ويحقق في كلِّ نصٍّ ليُثْبتَ

الإشـارة والبشـارة بمجـيء محمـد {. ويأخـذ النصـوص مـن أسـفار: التكـوين، التثنيـة، المزامير، وأشعياء، وميخا، وحبقوق، وحَجّي، ملاخي . ويـأتي بنصـوص من الإشـارات والبشارات في بعض كتب العهد الجديد، وهي الأناجيل الأربعة: " متى ومرقص، ولوقـا ويوحنا"(١١).

فبالرغم مما جرى في العهدين القديم والجديد من تحريف، فقد بقيت نصوص كثيرة تشير إلى أنَّ الله سيبعث بعد موسى وعيسى عليهما السلام النبيّ الذي تخضع لـه الشعوب أو الذي تنتظره الشعوب .

٧- كتب ودراسات تشيد بذكر النبي العظيم محمد {:

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ من الثناء على النبيّ العظيم، المصطفى، ولكن كثيراً من الناس، من مسلمين وغير مسلمين، كتبوا عن محمد {، بعد أن درسوا سيرته، فخشعوا أمـام هـذه السـيرة العظيمـة المتفـرِّدة . فقـد كتـب كثيـرون قـديماً وحـديثاً عـن الرسـول { دراسات عامـة من عظمتـه وتفرّده، أو عن جانب من جوانب عظمتـه، بحيث يصـعب حصر الذين كتبوا في ذلك، يضاف إلى ذلك المقالات الواسعة التي لا تقع تحت حصر. وكلها تـدور بين الثنـاء والكشف عن أسرار عظمتـه، أو للدفاع والردِّ على المجـرمين المبطلين الـذين يـؤذون الله ورسـوله. ولكننـا نشير إلـى ثلاثـة كتب رئيسـة، هـي : السيرة النبوية لابن هشام، الشمائل المحمدية للترمذي، وزاد المعاد لابن القيم.

ومن غير المسلمين من عبَّر عن رأيه في عظمـة الرسـول { بكلمات أو جمل تعبّر عن جلاء قناعته بعظمة النبي الكريم . ونذكر بعض أسماء من عبَّروا عن آرائهم، فالقائمـة طويلة تتجاوز خمسين اسماً، كان من بينهم: بيرنـارد شو، تومـاس كارلايل، ه . جي . ويلز جوستاف لوبون، بلانشيه، الفونس لا مارتين، تولستوي، سير وليم موير في كتابه : حياة محمد ({)، غاندي، ... وكثيرون !

ونأخذ نصَّاً واحداً للعالم الهندي د . ت . ل . فسواني، حيث يقول: " إليك يـا محمد وأنـا الخادم الحقير أقدّم إجلالي بخضوع وتكريم . إليك أطأطئ رأسي!، إنك لنبيٌّ حقاً من الله . قوّتك العظيمة كانت مستمدَّة من عالم الغيب الأزلي!"(١٢).

من هذا العرض السريع نرى بجلاء أنه لا يوجد لدى البشرية كلها من نـال من الثنـاء والإجلال في جميع العصور ومن مختلف الاتجاهات ما ناله نبـيُّ الرحمـة محمد {. فمن مِن الناس، مثلاً كُتبَ في الثنـاء عليه شعر تجاوز ألفاً وخمسمائة صفحة، خلاف النثر والكتب والمؤلفات . ولا بدَّ أن نؤكّد أنَّ أعظم ثناء ناله هو من الله سبحانه وتعالى .

٨- الرسول { في قلوب المؤمنين:

وسيظلُّ ذكرُ الرسول { مقترنـاً بـذكر الله الـذي لا إلـه إلا هـو، وسيظلُّ حبّ الله ورسـوله الحبّ الأكبر في قلوب المؤمنين، منه ينبع كل حبٍّ في الحياة الدنيا، وسيظلُّ العهد الأول مع الله سبحانه وتعالى، منـه ينبـع كلُّ عهد فـي الحيـاة الـدنيا ويـرتبط بـه، وسيظلُّ الـولاء

الأكبر هو لله سبحانه وتعالى، منه تنبع كلُّ موالاة في الحياة الدنيا، لتبني أُخوّة الإيمان بين المؤمنين جميعاً كما أمر الله ورسوله .

وهذا الإيمان الذي يدعو إليه الكتاب والسنة هو الذي يجمع المؤمنين أمة مسلمة واحدة، ممتدّة مع الدهر، يهابها أعداء الله ما التزم المؤمنون التزاماً صادقاً برسالتهم، وما داموا صفّاً واحداً كما أمر الله، وما داموا يحملون رسالة الله يبلّغونها إلى الناس كافَّة !

٩- هل دين الله واحد أم أديان؟:

إن دين الله واحد للرسل جميعاً وهو الإسلام . فلقد كان الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى عباده، والذين خُتموا بمحمد { فليس عند الله إلا دين واحد هو الإسلام . ولا يُعقل أن يكون هنالك أديانٌ سماوية توحيدية، كما يزعم الكثيرون، وكما يردِّد ذلك بعض المسلمين .فذلك تناقض واضح بين كلمة أديان وكلمة سماوية توحيدية .

وهل يُعقل أن يبعث الله لعباده بأديان مختلفة يتصارع الناس عليها، وهو الله الذي يريد لعباده جميعاً الإيمان الواحد الصادق، والذي جعل الجنَّة مأوى الصادقين والنار مأوى المكذّبين ! فلا بدَّ أن يكون الدين عند الله واحداً، وأن يبعث جميع الأنبياء والمرسلين بدين واحد، حتى لا يناقض نبيٌّ نبيّاً، فيختلط الأمر على الناس .

ونحن المسلمين نؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً، وبالكتب المنزلة قبل تحريفها جميعاً . وأيّ إخلال بذلك هو إخلال بالإيمان والتوحيد . فلا نؤذي نبيّاً ورسولاً، ولا نفرّق بين أحد منهم :

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ٢٨٥ {البقرة: ٢٨٥}.

١٠- إيذاء رسول الله { يجلب لعنة الله وغضبه :

فالاجتراء على نبيٍّ من الأنبياء اجتراء على الله، وإيذاء النبيّ هو إيذاء لله، يُنزل الله به غضبه ولعناته :

إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ٥٧ {الأحزاب: ٥٧}.

ولقد وجد أهل الكتاب صادق الرعاية والرحمة في ظلال حكم الله ورسوله، حكم الكتاب والسنَّة، ولقد أحسن محمد { إليهم إحساناً كبيراً، وكذلك فعل المؤمنون .

فما بال بعض النصارى، أو المنتسبين إلى دين عيسى عليه السلام، بعد أن حرَّفوه وبدَّلوا وغيَّروا، ما بالهم يحملون الأحقاد على الإسلام والمسلمين، وعلى رسول الله {. فلا تكاد تهدأ فتنة حتى تثور فتنة. وقد نبَّأنا الله في كتابه الحكيم أنه قد جعل لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين، من شياطين الإنس والجن . وقد بدأت العداوة لمحمد { من لحظة ابتعاثه من

قريش وبعد ذلك من اليهود، ثمَّ امتدَّ الحقد مع الزمن حتى تولّى كبر ذلك: المشركون والكافرون والمنافقون والظالمون من أهل الكتاب في إيذاء بعد إيذاء عبر التاريخ، حتى الحروب الصليبية، وحتى ظلمهم وعدوانهم على مسلمي الأندلس، و كلما واتت فرصة لذلك !

وجاءت الحادثة الأخيرة عندما نشرت إحدى صحف الدنمارك صوراً مهينة ومؤذية لرسول الله {. واعتبرت الدولة أنَّ هذا من باب حريّة الرأي!، وكأنَّها اعتبرت الناس بلا عقول حتى يصدّقوا أنَّ هذا من باب حريّة الرأي . وإن كان الأمر كذلك فعلى دولة الدنمارك أن تراجع قوانينها، وأن تتعلّم من الإسلام، ومن محمد {، حدود حريّة الرأي، وأدب الرأي، وحقوق الإنسان . ثمَّ تولّت صحيفة نرويجية نشر تلك الصور أيضاً، وفي بلادهم جميعاً مسلمون أقاموا عشرات السنين، ما قدَّموا إلا الخير والإحسان .

لم يكن الأمر مصادفة أو زلّة رسَّام! فلقد أرسل المحرّر الثقافي في الجريدة دعواتٍ إلى أربعين رسَّاماً يدعوهم إلى رسم النبيّ {، فأجاب الدعوة اثنا عشر رساماً فقط. وكانت ملكة الدنمارك " مارغاريت " الثانية، قد اعتبرت أنَّ الإسلام يمثّل تهديداً على المستويين المحلي والدولي، وحثَّت حكومتها على عدم التسامح مع المسلمين والإسلام! ودون مبالاة لما قد تثير هذه السياسة من غضب خارجي! إنها لغة التهديد والإثارة بكل الاعتبارات اللغوية والسياسية والرسمية. ويرفض رئيس وزراء الدنمارك مقابلة السفراء المسلمين الرسميين في بلده . وتتولى أجهزة الدولة والصحافة صياغة المسوِّغات لهذا العمل، فكانت الأعذار أقبح من الذنب . عدوان إثر عدوان . وكان أوقح ما في هذه الأساليب قول الصحيفة: "إننا لا نعتذر عن عمل هو جزء طبيعي من النشاط الإعلامي....". الصحيفة الدنماركية هي صحيفة " يولاند بوستن "، والصحيفة النرويجية هي: "مغازينات"! وكذلك امتدَّت الهجمة على الإسلام بإعادة إذاعة هذه الصور الكاذبة في صحف فرنسا وإسبانيا وألمانيا وسويسرا. وربما تمتدُّ الهجمة إلى أبعد من ذلك .

ولا ننسى ذلك المخرج الهولندي الذي أخرج فيلماً مسيئاً إلى الرسول الكريم وإلى الإسلام، والذي أثار ضجّة كبيرة . ولا ننسى كذلك قضية المؤسسة التي أصدرت كتاباً أسمته " الفرقان " تزوّر فيه جملاً وكلمات تحريفاً لآيات الله في القرآن الكريم، وطعناً في الإسلام والإيمان والتوحيد . يضاف إلى ذلك جهود الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، وما تقوم به من محاولات لصرف المسلمين عن دينهم، وتشويه صورة الإسلام، وإثارة الفتن !

إنَّ هذا كلّه ليدلّ دلالة واضحة على أنَّ القوم يمضون على نهج وخطة وليس على عمل ارتجالي . ولا بدَّ للمسلمين أن يجابهوا ذلك بعمل منهجي مدروس يجمع جهود الأمة كلها.

١١- واجب المؤمنين أمام هذا الاعتداء والنصيحة الواجبة :

القضيّة قديمة، بدأت، كما تذكر بعض الصحف، قبل ثلاثة أشهر، واشتدَّ التفاعل ضدّ هذه الإهانة الكبيرة منذ أسبوع أو أسبوعين . وإن كان قد بدأت محاولات هادئة لا تتناسب مع عظم الجريمة . إنها حقاً جريمة، وجريمة كبيرة في ميزان الإسلام . أين المسلمون ؟! وأين المليار من المسلمين ؟!

أُمة الحقِّ ! ما دهاكِ فأصبْح

تِ شظايا تطايرتْ في النجادِ

كلما رُمْتِ ملتقيً كُنتِ في السا

حةِ أوهى من حفنة من رمادِ(١٣)

لقد هان المسلمون في الأرض، وأصبحوا غثاءً كغثاء السيل، كما جاء في حديث رسول الله { يرويه ثوبان رضي الله عنه : (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها " . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم كثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟! قال : حبُّ الدنيا وكراهية الموت!)(١٤).

منذ سنين طويلة، حين أصدرتُ كتابي : " دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية "، ذكرتُ هذا الحديث الشريف، متوقعاً أن حالة المسلمين ستتحسَّن مع الأيَّام ومع ضجيج الشعارات، وكثرة المؤتمرات، وتزاحم الكتب والمقالات، وتزاحم الدعاة هنا وهناك، وبعد هذه السنين أرى أننا ما زلنا غثاءً كغثاء السيل .

وأول سبب أجده لهوان المسلمين هو تمزّقهم أقطاراً ومصالح وأهواءً، وشيعاً وأحزاباً، يخالفون بذلك ما أمرهم الله به ورسوله {:

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على" شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٣ {آل عمران: ١٠٣}.

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ {آل عمران: ١٠٥}.

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ١٥٩ {الأنعام: ١٥٩}.

وآيات كريمة أخرى تنذر المسلمين إن تفرّقوا إنذاراً شديداً. وحسبك هذا الإنذار في الآية السابقة: وأولئك لهم عذاب عظيم !

وأهم سبب لهذا التمزّق والهوان، هو عدم التزام الإسلام التزاماً أميناً، وعدم التزام الكتاب والسنَّة التزاماً أميناً، وبذلك عدم طاعة الله ورسوله:

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ٤٦ {الأنفال: ٤٦}.

ولا بدَّ على ضوء ذلك أن توضع قاعدة عمليّة نابعة من قواعد الإيمان والتوحيد ومن منهاج الله، ومن مدرسة محمد {، قاعدة تثبّت مسؤوليات الفرد المسلم ودوره، ودور الأسرة في البناء والتعهد، ودور كل مؤسسة في الأمة المسلمة، وتبين قواعد التربية والبناء، والأهداف والصراط المستقيم الذي يوصل إلى الأهداف، ليكون الدرب ربانياً، والأهداف ربانية . لقد تناثرت الأهداف، وتباعدت الدروب، وقد جعل الله لعباده المؤمنين درباً واحداً

واحداً يجمعهم، ولغيرهم سبلاً شتَّى:

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ١٥٣ {الأنعام: ١٥٣}.

إنَّ الغرب ماضٍ في حربه ضدَّ الإسلام والمسلمين بصورة خفيّة، وإنَّ عداءهم هذا امتدَّ حتى اليوم لم يتوقف، وإنَّ عمل الصحيفة الدنمركية لم يتوقف في الدنمارك، فسرعان ما تبنته النرويج، ثمَّ فرنسا، ثمَّ أخذت عواطف بعض الناس في تلك الدول تتأجج ضدّ المسلمين . ولم يكن ذلك ليتمَّ لولا الدعاية السيئة التي أشاعتها أجهزة الإعلام ضدَّ المسلمين .

والأمر العجيب أن الدول الغربية كلها لا تنظر في جرائم إسرائيل في فلسطين، ولا في انتهاكها لحقوق الإنسان، ولا في عدم التزامها بقرارات هيئة الأمم المتحدة!، ولا في ما تملكه من أسلحة نووية، أو أسلحة دمار شامل. كلُّ ما تفعله إسرائيل من جرائم يغضون الطرف عنه، ويغضون الطرف عما ترتكب الدول الغربية نفسها من جرائم بحق الشعوب، في تاريخ طويل مليء بالمجازر والتدمير .

إنها قصة التاريخ الممتدّ منذ أن بُعِثَ محمد {، بدأت عداوة المشركين لرسول الله { دون أن يؤذيهم أو يعتدي عليهم . دعاهم إلى الله الذي لا إله إلا هو، دعوة سلم وخير. فلم يُجْدِ السلم ولا الخير، وإنما بادروا بالإيذاء والعدوان . وكذلك اليهود الذين عاملهم الرسول أطيب معاملة قابلوا ذلك بالغدر والحرب والفتن . ومنذ ذلك العهد حتى اليوم فإنَّ الحرب ضدّ الإسلام لم تتوقف، ولن تتوقف . فإنها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، يمحص به عباده لتقوم عليهم الحجة يوم القيامة أو تقوم لهم .

وإنا إذ نُحَيِّي النفوس المؤمنة التي غضبت لرسول الله {، والنفوس المؤمنة التي تداعت إلى النصرة بوسائل متعددة، فكلنا مع نصرة الله ورسوله.

لذلك فإنا ننصح بأن يراجع المسلمون أنفسهم لينظروا في واقعهم، ويروا كم يُرضون الله بما هم عليه، وبما يفعلون . ومن أهم مسؤوليات المسلمين أن يبلّغوا رسالة الله ودين الإسلام إلى الناس كافَّة . فهل بلَّغ أحد هذا الدين إلى رئيس وزراء الدنمارك أو غيره من رجال الدولة، أو رؤساء الدول الأخرى، حتى نعذر أنفسنا بين يدي الله يوم القيامة .

مع أهمية ردود آفعال المسلمين التي عمَّت العالم الإسلامي إلا أن هذا وحده لا يكفي .فلا بدَّ من معالجة أخطائنا وتقصيرنا بحقِّ هذا الدين العظيم ونبيِّه العظيم .

فإن أدرك المسلمون جوانب الخلل في واقعنا اليوم، فليبادروا إلى إصلاح كل خلل يغضب الله، وإلى صدق التوبة والإنابة، عسى أن يكون الله معنا فيما نجابه من أحداث، لن نقوى على مجابهتها دون نصر يتنزَّل من عند الله:

وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ٣١ {النور: ٣١}.

ومن خلال ذلك فلا بدَّ أن يقف المسلمون في العالم الإسلامي كله وقفة واحدة، لردِّ هذا الاعتداء، فهو اعتداء على كلِّ مسلم في الأرض، ولإشعار هؤلاء أنَّ المسلمين ما زالوا أقوياء يفدون دينهم بكل شيء .

وهنا نقف أمام خيارين: إمَّا أن نطيع الله ورسوله، وننصر ديننا فننال رحمة الله وعونه، وإما أن نتهاون في هذا الأمر، فيُنْزِل الله غضبه علينا . وإنها مسؤولية جميع مستويات الأمة المسلمة كلها ابتداءً من الفرد المسلم، على خطة إيمانيَّة واعية ونهج مدروس شامل، يعالج الواقع ويبني المستقبل بإذن الله .

الهوامش:

(١) ديوان مهرجان القصيد لصاحب المقال .

(٢) أبو بكر الجزائري : " هذا الحبيب محمد "يا محب" ص : ١١٢-١١٩ .

(٣) ديوان مهرجان القصيد مرجع سابق .

(٤) ديوان الأعشى : دار صادر بيروت . ص : (٤٥) .

(٤) د . محمود حسن زيني : قصيدة البردة ص : (٧٦) .

(٥) البداية والنهاية ٣/٢٩، زاد المعاد لابن القيم : ٢-٥٤ . صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم : ص : (١٨٩) . تحفة الرسائل : اختيار مؤسسة الوقف الإسلامي : من صفات الرسول { الخلقية والخلقية : ص : ٢ .

(٦) صحيح البخاري رقم: (٣٤٨١).

(٧) صحيح مسلم رقم: (٥٨٩٣).

(٨) صحيح البخاري رقم: (٣٢٧٠) ومسلم رقم: (٤٣٣).

(٩) أخرجه أحمد (١/٣٤٥)، (٥/١٧٢) صحيح الجامع (١٤٦٦).

(٩) أحمد(١/٣٤٥) صحيح الجامع (١٤٧٢).

(١٠) البرفسور عبد الأحد داود : " محمد (} في الكتاب المقدس " ص : (٥٠-٥١) .

(١١) المستشار محمد عزّت الطهطاوي : محمد { نبي الإسلام " ص : (١١-٣٠)، ص : (٣١-٥٦) .

(١٢) أحمد بن حَجَر آل بو طامي آل بن علي : " الإسلام والرسول { " في نظر منصفي الشرق والغرب . ص : (١٢٩-١٩٨) .

(١٣) د . عدنان النحوي : ملحمة أرض الرسالات . ص : (١٣٤) .

(١٤) أبو داود : ٣١-٥-٤٢٩٧ الجامع الصغير وزيادته رقم : (٨١٣٨).

==============================

النفاق أم الغطرسة؟!

د. نورة خالد السعد

منذ أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م والعالم الإسلامي يقع تحت تهمة الإرهاب.. جميعه لم يسلم ،أي مجتمع وأي فرد، إلا من أظهر المداهنة واعتمر قبعة محاباة الإدارة الأمريكية وبدأ في الهجوم على المتدينين واتهامهم بالتشدد والظلامية وكانوا يرددون أن للإدارة الأمريكية الحق في كل ما قامت به!! لأن هناك اعتداء على رموزها المالية والدفاعية وقتلى في البرجين..

حوكم (العالم الإسلامي جميعه) وحوربت مؤسساته المالية الخيرية تحت مظلة تسويق الإرهاب وحوربت معاهد تعليم القرآن ومدارس تحفيظه بتهمة أنها تحرّض على كره (الآخر)!! وتغذي في مرتاديها كره الآخر!! ولم يتصد لهم من يقول لماذا؟؟

على مدى خمسة أعوام والعالم الإسلامي والأقليات الإسلامية في دول أوروبا وأمريكا يطارَدون إذا ما تم ملاحظة أنهم ذوو لحى أو نساؤهم محجبات وحوكم طلاب سعوديون بتهم باطلة وبرئ منهم البعض وحكم بالسجن على حمدان الآن بسنوات طويلة لاتهامه أن خادمته تعمل تسع ساعات!!

وقضيته معروفة ونشر عنها في الصحف وفي الإنترنت وطالبوا أهله بكفالة مالية لإطلاق سراح زوجته تبلغ المليون ريال قبل إصدار الحكم مؤخراً.. ناهيك عن عذابات المعتقلين في غوانتانامو وإلغاء الشرعية الدولية في استصدار أي أحكام لمحاسبة الإدارة الأمريكية على اعتقالهم دون تهم!!

تم احتلال أفغانستان ودمرت القرى على أهلها وأسقطت عليهم آلاف الأطنان من المتفجرات والقنابل الحارقة والعالم صامت!! منهم من يؤيد لخوف أو لرغبة في الحصول على غنائم الفوز بالاحتلال!!

واحتلت العراق!! تحت مزاعم عديدة وثبت الآن (كذبها) واعترف رئيس الدولة الكبرى بذلك.. وذهبت أرواح المائة ألف عراقي القتلى في طي النسيان!! ولم نجد من يقول: لماذا تعاقبون الجميع بجريمة قلة؟؟

وفي كل مرحلة من هذه المراحل الموغلة في الامتهان لسيادة الدول الإسلامية تحت مظلة وتهم إما الإرهاب!! أو امتلاك السلاح الذي سيدمر جيران العراق!!

في كل مرحلة كانت هناك جوقة عربية ومستعربة تمرر هذه الخروقات للشرعية الدولية، وبالطبع هناك جوقة غربية منها الدنمارك وسواها ممن يشارك بجنود في العراق أو بتأييد آخر في مجلس الأمن!!

في كل مرحلة كانت التهم تحيط بنا من كل جانب ومعظمنا صامتون.. والقلة من يدافع ويرفض ويستهجن..

؟؟ ورغم ظهور حقائق الوضع الآن سواء في أفغانستان أو في العراق على لسان تقارير البنتاغون وما يتسرب منها لصحف أمريكا نفسها وأوروبا وبدأ الغرب ممثلاً في مفكريه وسياسييه يعلنون الحقائق كما هي ويكتبون عنها وعن سقوط أمريكا في المستنقع العراقي كما يقال..

؟؟ ما أردت قوله اننا صمتنا على ظلمهم لنا واتهامهم الإسلام بالإرهاب.. ولهذا تجرأت الدنمارك ورساموها بل وسواها من مخرجي أفلام هوليوود ومؤلفي بعض الكتب عندهم على إعلان إساءتهم لمكانة رسولنا صلى الله عليه وسلم ودافعوا عنها بأسلوبهم الموغل في التناقض والازدواجية.. فهم يحترمون حرية التعبير عن الرأي!! والآن يوجهون أصدقاءهم في الاتحاد الأوروبي لإيقاف المقاطعة لمنتجاتهم!!

ويتحرك كوفي عنان متثاقلاً مؤخراً كي يبدي اندهاشه لما يحدث ويطالب الحكومات الإسلامية بالتهدئة لشعوبها!! أين هو من هذه المطالبة عندما دان عبارة الرئيس الإيراني ودعوته لاستضافة إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية؟!

وأين هو من إدانة اغتيال الشيخ أحمد ياسين من قبل عصابة شارون جهاراً أمام العالم!! والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي!! والآن يتم اغتيال قياديين من كتائب الأقصى بقصف الطائرات!! ولا يتحرك من يدين!! وكأن إرهاب دولة الصهاينة (شرعي)!! والدفاع عن الأرض سواء في فلسطين أو العراق (إرهاب)!!

؟؟ ما يثير في هذه الأحداث المتسارعة هم هؤلاء (الجوقة) من العرب الذين لا يزالون يهاجمون الدين الإسلامي ويعيدون روايات تغذية الشباب بما في القرآن من آيات كره الآخر!! وحولوا اعتداء الدنمارك وسواها من دول أوروبا التي تعيد رسوم الكاريكاتير إمعاناً في استفزاز الشارع الإسلامي، ورغبة في تخفيف الضغط على مقاطعة منتجات الدنمارك، من ناحية أخرى.. حولوا هذه القضية إلى أنها ردة فعل لما يقوم به المسلمون من دفاع عن أرضهم وعن مقدساتهم!! بل ويرددون لماذا يعاقب الشعب الدنماركي بسبب رسوم رسام؟؟ ويجدون ساحات من قنوات لم تنشأ إلا لتسميم ذهنية المشاهد العربي وتحسين صورة النموذج الأمريكي والغربي بقيمه وثقافته وحتى (هيمنته واحتلاله وسطوته)!!

؟؟ بل هناك من بدأ يتهم من يقاطع هذه المنتجات وهو (حق كل فرد) بتهمة أنه يسيء إلى صورة المسلمين!! أليست هذه (مهزلة)!!

وكما يعرف أن الدنمارك كانت أول دولة استخدمت (سلاح المقاطعة) ضد ألمانيا بعد الحرب العالمية.. واستخدمته الإدارة الأمريكية ليس ضد العراق وليبيا والسودان فقط بل ضد فرنسا منذ أعوام عندما لم توافقها في حربها على العراق!! فكيف يشرعون لأنفسهم ما يرفضونه الآن لنا شعوباً إسلامية لنا الحق في التعبير عن مشاعرنا وأسلوب دفاعنا عن مكانة رسولنا صلى الله عليه وسلم.. وكيف نجد من بيننا من يدافع عنهم بهذه الصورة الغريبة؟؟

بل ان رئيس وزرائهم في آخر حديث له كان يكابر ويرفض الاعتذار!! ويتهم المتشددين الإسلاميين!! ويستنجد بخافيير سولانا كي يسافر للمنطقة حسب قوله لتصحيح الوضع!!

ينسى أنه شخصياً رفض مقابلة السفراء المسلمين واستهان بموقفهم ولم يتوقع هذه الردود الغاضبة التي امتدت من جميع أنحاء العالم.. بل كل ثانية يردد عن دعمه للحكومة الفلسطينية!!

بل ويتبجح في طلبه بأن نقف عن تصريحاتنا نحن وقادتنا (النارية)!! كما يقول!! وفي الوقت نفسه لا يمنع رئيس التحرير من الإساءة للمسلمين في كل مرة يتم اللقاء معه..

؟؟ أليس هذا هو النفاق العالمي؟؟ في أن يبدأوا بإطلاق شرارة الغضب ثم يتهمون المسلمين بأنهم متشددون!!

تستهين ملكتهم بالإسلام وتتهمه بالإرهاب، وينسى رئيس وزرائها هذه العبارات..!!

يرفضون الاعتراف بالإسلام ديناً في دولتهم مع اعترافهم بديانات اليهودية والنصرانية والسيخ!!

ويستهينون بالأمة الإسلامية ويطالبوننا بأن نكون (حضاريين)!! ولا نحرق أعلام الدنمارك وكأن حرق (العلم) يرتقي إلى مستوى هذه الإساءات لمكانة الرسول الكريم.. أم ترى هو الألم من المقاطعة الاقتصادية التي ينبغي علينا نحن الشعوب استمرارها ولمدة أعوام وليس عاماً فقط.. فذلك حقنا في إبداء الرأي وحريتنا في الاختيار!!

١١ تعليق

١

متعنا الله ببقائك قلم نابض للألم الإسلامي ووفقك الله في الدنيا والآخرة وجعل مايخطه يراعك في ميزان حسناتك آمين

جواهرعبدالله

٠٥:٥٥ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٢

هو نفاق وغطرسة واستبداد.

أكثر من مليار مسلم يمثلون ربع سكان الكرة الأرضية أو خمسها ومع ذلك فهم أضعف سكانها. السبب لا يخفى على أحد. اختلفنا فضعفنا رغم أننا نقرأ القرآن ونقرأ هذه الآية الكريمة: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

قبل أن نواجه أعداءنا علينا أن ننهي خلافاتنا. ولكن هذا لن يتم مادمنا نعتقد بأن الخطر القادم من الداخل أخطر من الخطر القادم من الخارج. إلى أين يوجه الجهاد الآن؟ الجهاد موجه لتصفية بعضنا بعضا. ثم نضرب كفا بكف حين نرى الآخرين يستضعفوننا ويحتقروننا ويستغلوننا ويحتلوننا.

تاريخنا يمتد إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة ومع ذلك لم نتعظ بعد. لم نفهم بعد أن طرفا لن يستطيع أن يصفي الآخر مهما أوتي من قوة. وأن الخطر القادم من الداخل ماهو إلا وهم خلقه العدو الذي يؤمن بسياسة فرق تسد.

لقد حان الوقت لأن يقوم مفكرونا بأكثر من التباكي الذي يجيده حتى من لا يعرف القراءة والكتابة. عليهم أن يعملوا لتوحيد الصف وأن يعملوا لكي يتقبل كل منا الآخر.

لقد وضعت الدورة الثالثة لمؤتمر القمة الإسلامي نقاطا رائعة تتعلق بالوحدة الإسلامية يستطيع من خلالها أن ينطلق كل مفكر لأن يعمل لوحدة الصف لكي نتحد جمعيا ضد أعداءنا. وضعنا اليوم يحتم علينا أن نرجع لتوصيات المؤتمر وتفعيلها وإلا فعلينا ألا نلوم إلا أنفسنا.

محمد حسن اسماعيل

٠٦:٤٤ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٣

نحن لا نلومهم سواء تغطرسوا أو اتفقوا.. فقد اتضحت الصورة! إنما نلوم أنفسنا!

هم يعملون ليل نهار... وقد اتضحت لنا الدمقراطية... وحقوق الانسان، و..و.. ولعله لا يخفى عليكم ما نشرته صحيفة "فليت إم زونتاج" الألمانية في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ مايو من عام ٢٠٠٤ م، مقالا بعنوان (مليون ضد محمد) ذكرت فيه أن للفاتيكان منظمة اسمها "رابطة الرهبان لتنصير الشعوب" هي من أقدم منظمات الفاتيكان وأكثرها نفوذا وأقلها شهرة، إنها تعمل في كل مناطق العالم بما في ذلك المناطق التي يسمونها مناطق الصمت؛ كدول الخليج واليمن والصين وفيتنام وكمبوديا. ويعمل تحت لوائها ٨٥ ألف قسيس، و ٤٥٠ ألف جمعية دينية، وأكثر من مليون مدرس يجوبون العالم كله، قرية قرية، ومدينة مدينة، وهي تملك ٤٢ ألف مدرسة، و١٦٠٠ مستشفى، و ٦٠٠٠ مؤسسة لمساعدة المحتاجين، و٧٨٠ ملجأ لمرضى السرطان، و١٢ مؤسسة خيرية واجتماعية حول العالم. وتقول الصحيفة أن المنظمة تعمل اليوم بجيش يضم أكثر من مليون شخص

" للحد من انتشار الإسلام في العالم، وعلى تشويه صورة النبي محمد، ونعته بأبشع الصفات.

لذا فنحن نلوم أنفسنا ك(دعاة، وعلماء، وكتاب، ومفكرين، وأكاديميين،) وقبل هذا وذاك كحكومات. ماذا قدمنا للإسلام؟؟؟ كل منا عليه دور، كل منا في مجاله، كل منا على ثغرة من ثغور الإسلام، فالله... الله أن يؤتى الإسلام من قبلك...

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠٧:٠٦ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٤

المقاطعة ليست حل

د. نورة

مع احترامي لرأيك ولكن انا ضد المقاطعة لأننا نخلق اعداء جدد ونفقد بعض الأصدقاء. انا مع الأحتجاجات الرسمية والشعبية المنظمة.

أمل

امل منصور

٠٨:١٣ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٥

بل كفروغطرسة

نور الله وجهك يانورة "خالد"وجعلك من المخلدين في الجنة"السعد" واسعدك الله في الدنيا والاخرة...كم نحن بحاجة الى من يكتب عن الاسلام بهذه الغيرة والاخلاص والدفاع عن مانتعرض له من هجوم ضد الاسلام من قبل المنافقين في الداخل والحاقدين في الخارج ولكن عزانا في قوله تعالى "لاتحسبوه شرا لكم بل هو خيرا لكم"

ابوعبدالله الدخيل

٠٨:٢٦ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٦

المقاطعة هي سلاحنا الفتاك

المقاطعة هي التي ذبحتهم من الوريد الى الوريد

المفاطعة هي التي ستجعل رئيس وزرائهم يسقط عما قريب

المقاطعة هي التي ستجعل اصحاب المال عندهم باعادة انتخاب رئيس وزرا جديد

المقاطعة هي السلاح الفتاك الذي نمتلكه وليس سلاحا نوويا يمكن حضره عنا

المقاطعة هي التي ستجعلهم يفكرون الف مرة بنشر اي اساءة لديننا او نبينا عليه الصلاو والسلام

المقاطعة نود ان تمتد لسنوات لنرى هل يستطيعون العيش من غير اسواقنا

واذا هم يرون ان المقاطعة لم تؤثر علي اقتصادهم حسب قول رئيس وزرائهم امس فالأيام بيننا.

اقترح عليهم بتصدير ما يتم تصديره لنا وللشرق الاوسط الى امريكا وأوربا ويتم الاستغناء عن اسواقنا

شكرا لك يادكتورة.

سالم السالم

٠٨:٥٣ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٧

بارك الله بك.

اقول ان هذا الفعل الشنيع المملؤ بالحقد والكراهية الا دعوة للمسلمين الحق ان يصحوا من نوهم العميق وان هذه الافعال كشفت لنا من هو له غيرة ومؤمن بالاسلام ويكشف الله لنا من اللذين يدعون انهم مسلمون وهم بيننا.

اما المقاطعة فلتستمر فكل مسلم له الحق بالتصرف لنصرة نبينا الكريم (ص) ودين الايسلام وحبذا لو سخدمت مواردنا وثرواتنا للدفاع عن نبينا (ص) وديننا وليكن النفط اول الثروات.

صلاح العلي

٠٢:٥٩ مساءً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٨

نعم المقاطعة المستمرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،، اشكركم علي التعليقات ،، وارجوكم قراءة مقالة الأستاذ رضالاري في عدد اليوم فهي تضع النقاط علي الحروف لجذور هذا الأستخفاف بنا بصفتنا مسلمين ،، ولمن يدافع عن هذا الغرب المتعجرف ويدعي المعرفة بما هو الأسلوب الأمثل لردود أفعالنا التي استمدت قوتها من دعم الولاة الصالحين ،و ان كانوا قلة ،، ومن حبنا لرسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم ، وايماننا بعقيدتنا السماوية ، وليس ركضنا خلف (ديموقراطية الغرب المزعومة) ولمن في قلبه زيغ وانحراف عن الحق الذي لاينتظر أوامر امريكا ولا تقارير الأمم المتحدة.. ولا رضا الغرب او امتداحهم(

لتحضرنا !!!) نقول لهم تمعنوا في آيات الله الكريمة (خالق الكون) جبار السماوات والأرض.. وأدعوا نفسى وإياكم إلي التبصر فى الآيات التالية وتدبرها مع تفسيرها.

يقول الله سبحانه وتعالى

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)

آل عمران.. قل -أيها النبي- للمؤمنين: إن تكتموا ما استقر في قلوبكم من ممالاة الكافرين ونصرتهم أم تظهروا ذلك لا يَخْفَ على الله منه شيء، فإنَّ علمه محيط بكل ما في السماوات وما في الأرض، وله القدرة التامة على كل شيء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) المائدة.. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان؛ ذلك أنهم لا يُوادُّون المؤمنين، فاليهود يوالي بعضهم بعضًا، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدرُ بأن ينصر بعضُكم بعضًا. ومن يتولهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم. إن الله لا يوفق

د.نورة خالد السعد

٠٣:٢٨ مساءً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

٩

لابد ان تستمر المقاطعة لأعوام ،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،، اشكركم علي التعليقات ،، وارجوكم قراءة مقالة الأستاذ رضالاري في عدد اليوم فهي تضع النقاط علي الحروف لجذور هذا الأستخفاف بنا بصفتنا مسلمين ،، ولمن يدافع عن هذا الغرب المتعجرف ويدعي المعرفة بما هو الأسلوب الأمثل لردود أفعالنا التي استمدت قوتها من دعم الولاة الصالحين ،و ان كانوا قلة ،، ومن حبنا لرسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم ، وايماننا بعقيدتنا السماوية ، وليس ركضنا خلف (ديموقراطية الغرب المزعومة) ولمن في قلبه زيغ وانحراف عن الحق الذي لاينتظر أوامر امريكا ولا تقارير الأمم المتحدة.. ولا رضا الغرب او امتداحهم(
لتحضرنا !!!) نقول لهم تمعنوا في آيات الله الكريمة (خالق الكون) جبار السماوات والأرض.. وأدعوا نفسى وإياكم إلي التبصر فى الآيات التالية وتدبرها مع تفسيرها.

يقول الله سبحانه وتعالى

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)

آل عمران.. قل -أيها النبي- للمؤمنين: إن تكتموا ما استقر في قلوبكم من ممالاة الكافرين ونصرتهم أم تظهروا ذلك لا يَخْفَ على الله منه شيء، فإنَّ علمه محيط بكل ما في السماوات وما في الأرض، وله القدرة التامة على كل شيء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) المائدة.. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان؛ ذلك أنهم لا يُوادُّون المؤمنين، فاليهود يوالي بعضهم بعضًا، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدرُ بأن ينصر بعضُكم بعضًا. ومن يتولهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم.

د.نورة خالد السعد

٠٣:٣٠ مساءً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

١٠

هذا ديدنهم !

الهجوم على الإسلام ليس وليد اليوم ، فقد هوجم الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي العهود اللاحقة ، وهجومهم على الإسلام هو تأكيد على تزايد الكره والبغضاء من قبلهم للإنسانية لأن الإسلام هو دين الإنسانية ، واستمرار هجومهم هو الدليل على ما تفيض به نفوسهم من الحقد والكراهية ، وإذا أردنا أن ندير الصراع لصالحنا علينا أن نرجع إلى الأدبيات التي رسمها لنا القرآن الكريم وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

سطام العوض

١٠:٠٦ مساءً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

١١

المقاطعة التجارية.. احتجاج سلمي.

أشكر الدكتورة نوره..

وأؤيد ما خطه يراعها..

أدامها الله فارسة على صهوة الصحيفة..

ودمتم بخير،،،

خالد الحجي

٠٤:٢٧ مساءً ١٠/٠٢/٢٠٠٦

==========================

الهجرة النبوية المباركة

الكاتب: خالد محمود عبداللطيف

إذا كانت أمتنا الإسلامية تريد فعلاً الخروج من هذا المأزق الحضاري الذي تمر بـه الآن فـإن هنالـك ضـرورة ملحـة تحتم عليها بلـورة آفـاق وملامـح ظـاهرة الانفتـاح الحضـاري تطبيقياً عبر مسيرة التاريخ الإسلامي وذلك حتـي يتسني لهذه الأمـة فهم مدي ديناميكيـة هذه الظاهرة في واقعها التاريخي، ومن ثم تنطلق نحو المستقبل بثبات وثقة.

ولعل العامل الحيوي الذي حدا بنا إلي اختيار الهجرة المباركـة علي النبـي أفضـل صـلاة وأزكي سلام. في يوم هجرته كمرحلـة أولـي من مراحل التـاريخ الإسـلامي لتطبيـق هذه الظاهرة تطبيقاً مثالياً لا نظير له في التاريخ البشري قاطبة هو أن الهجرة قد شهدت علي المستوي التطبيقي العملي، البلورة المثالية لظاهرة الانفتاح الحضاري في كل خطواتهـا، ومن هنا تعد الهجرة ولا ريب بمثابة نقطـة تحـول حضـاري حاسمة ليس علـي المستوي الإسلامي فحسب بل علـي المستوي الكـونـي بأسـره.. ولـذا فإنـه جـدير بالـدرس التـاريخي الـواعي أن يستهلم منهـا كـل القيم المشـعة التـي يمكـن أن تسـهم اسـهاماً حيويـاً فـي إعـادة صياغة الإنسـان المسـلم فـي هـذا العصـر الـراهن علـي ضـوء نسق إيمـاني معجـز تسـهم الهجرة في إضفاء الطابع التكاملي علي تكوينه العضوي الحي.

ومن هنـا فـإن الهجـرة النبويـة المباركـة كانـت بمثابـة النافـذة التـي أطـل مـن خلالهـا سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ومعه الرعيل الأول من المسلمين علي الدنيا و ذلك لكي يعلن للكون انبثاق التحولات الجذرية في تكوين البشرية وجودياً وحضارياً وذلك بعد استلهام القيم الحضـارية السامية التـي جاء بها الدين الجديد، وهذه القيم لن تؤتـي فعاليتها المنشـودة إلا عبر الاستيعاب الموضوعي لها. فضلاً عن الانفتاح علي الآخرين أياً كانـت وجهـتهم: ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات .

وتتبلور هذه المظاهر الانفتاحية فـي الهجـرة مـن خـلال سلوكيات سيدنا محمد صـلي الله عليه وسلم التي جعلت من الهجرة حركة تاريخية رائدة فضلاً عن كونهـا المحك الإيمـاني الفـذ الـذي صـنـع الرجـال، والبوتقـة التـي انصـهرت فيهـا جميـع التيـارات الحضـارية السائدةآنذاك، ولن يتحقق التجسيد الحيوي لأبعاد هذه المظاهر إلا من خلال معرفة أكيدة بـأن رسـولنا صـلي الله عليـه وسـلم قد وضـع خطواتـه الأولـي فـي الـدرب صـوب يثـرب المدينة وقلبه يخفق بهذا الدعاء: وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجنـي مخـرج صـدق واجعل لي من لـدنك سلطاناً نصيراً . وكـان يعلم جيداً أن حركـة الإنسـان فـي التـاريخ لا تستقيم وتصل إلي هدفها إلابـأن يرفـع الإنسـان بصـره وفـؤاده وعقلـه وسمعه وحسـه إلـي السماء يتلقي عنها الصدق والنصر، صدق الحركة وانتصار قيمها لكنه لم ينس لحظة أن هذا التوجـه إلـي السماء يجـب أن يقتـرن بثبـات الخطـي علـي الأرض وبتحمل مسؤولية البصـر والسمع والفؤاد بأمانـة كاملـة وبصـياغة الحريـة الإنسـانية بمـا ينسـجم فـي المـدي القريـب والبعيد مع قدر الله ونواميسه وسننه، ومن دون هذا التنـاغم بين مشيئة الله وحريـة الإنسان بين نور السماء وشفافيتها، وبين كثافـة الأرض ووعـورة الطريـق من دون هذا

الحوار الدائم الفعال بين الإنسان وخالق الإنسان، بين انطلاق الروح وشد الجسد، من دون هذا التواصل الدائم بين الحضور والغياب بين عالم المشاهدة المباشرة والغيب البعيد من دون هذا وذاك، لن تكون هناك حركة جادة ولا مصير عظيم.

وفي ضوء هذا المنطلق الإيماني الراشد يمكن القول:إن الالتحام العضوي الحي بين الإرادة الإلهية العليا والإرادة البشرية السوية هو الذي ساعد علي نجاح حركة الهجرة التي قلبت موازين التاريخ البشري رأساً علي عقب حيث تولد عنها قيام الدولة الإسلامية ذات الطابع العالمي في المدينة المنورة لأول مرة في تاريخ شبه الجزيرة العربية ثم الحضارة الإسلامية بنزوعها الكوني والإنساني. كما يمكننا التأكيد علي أن الرسول صلي الله عليه وسلم قد انفتح علي جميع التيارات السائدة في عهده وذلك من خلال الاستيعاب الموضوعي لمعطيات العصر آنذاك، فضلاً عن أنه صلي الله عليه وسلم لم ينس الاستضاءة بوحي السماء المسدد لخطاه علي درب الهجرة الطويل الذي جاءه الأمر الإلهي بالقيام بها، بعد أن تكالبت عليه كل قوي البغي و العدوان، وعلي كل المسلمين في مكة.

مستشار مركز التعاون الأوروبي العربي

صحيفة الراية القطرية

==========================

الهجرة النبوية والدروس التربوية والدعوية

محمد عبد الله السمان ١٤٢٦/١٢/٣٠

٢٠٠٦/٠١/٣٠

لا جدال في أن الهجرة النبوية ـ على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تسليم ـ تمثل مرحلة من أهم مراحل الدولة الإسلامية وأخطرها. فهي مرحلة انتقالية لإثبات وجودها سياسياً وعقائدياً؛ فالمرحلة المكية على مسار ثلاثة عشر عاماً، كانت لإثبات العقيدة.. بل وتثبيتها في أذهان أتباعها، من ناحية ـ ومن ناحية أخرى ـ لتعرية عقيدة الجاهلية ـ وبضدها تُعرف الأشياء ـ كما يقولون.

أضف إلى ذلك أن المرحلة المكية، كان لا بد منها، لصقل إيمان أتباعها، ليكونوا نواة المستقبل للدولة الإسلامية، وكانت توجيهات القرآن، وتوجيهات الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه- للنواة الأولى من أتباع الدعوة، تقوم على أساس الثقة في الله ـ عز وجل ـ والنصيحة في مواجهة ما يلحقهم من أذى بالغ من الضراوة والشراسة، ولعلنا نلمس ذلك من موقف لا نكاد نذكره. حيث كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يمر على آل ياسر وهم يُعذّبون، فيقول لهم: "صبراً آل ياسر.. فإن موعدكم الجنة"، واستجابوا، وكانت أم عمار أول شهيدة في الإسلام. وفي صحيح البخاري عن خباب بن الأرت ـ

رضي الله عنه ـ قال: "شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ـ فقلنا: "ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟." فقال: "قد كان مَن قبلكم يُؤخذ الرجل، فيحفرون له في الأرض، فيُجعل فيها.. ثم يُؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه.. والله ليُتمنّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"!

إن إرادة الله ـ عز وجل ـ اقتضت أن يكون الإسلام ديناً، يصحح مسار العقول التي حادت عن الطريق السويّ، ويصحح مسار الحياة البشرية التي شملتها الفوضى، بعد أن تحوّلت إلى غابة شاسعة، يفترس القوي فيها الضعيف، وأن يكون الإسلام دولة، تقيم العدل بعد أن اختلت موازينه، وتؤازر الحق، بعد أن أصبح مضغة في أفواه الباطل، فالعالم يومئذ تحكمه إمبراطوريتان، إحداهما صليبية تنكبت مبادئ المسيحية، والأخرى وثنية تمتهن العقل، أعني إمبراطوريتي: فارس والروم، وبذلك يكون الإسلام بدولته ضرورة لإنقاذ البشرية من الوحل، وكانت الهجرة البشرية هي البداية لإقامة دولته.

يرى الشيخ محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر الأسبق ـ في دراسته:"الإسلام والوجود الدولي للمسلمين" العدد الثالث من "سلسلة الثقافة الإسلامية" التي كنت أصدرتها (١٩٥٨ ـ ١٩٦٥)! أن حادثة الهجرة، كانت نقطة تحوّل في تاريخ البناء الإسلامي، لتقوم فوق الأرض الجديدة ـ يثرب ـ دولة ذات منهج ونظام وهدف، والهجرة من الأحداث الفذة التي كانت تمهيداً لتثبيت البناء الإسلامي، وميلاد دولة داخل إطار من القوة، وبذلك أصبحت (الهجرة) من الأحداث الإسلامية الكبرى التي يجب أن تحمل العظمة في نفس كل مسلم.

ويضيف الشيخ: "وقد عُني المؤرخون كثيراً ـ وهم يتكلمون على هذا الحدث ـ بذكر حوادث الإيذاء التي كانت تتصل بالرسول وأصحابه الذين لبّوا دعوته، ومن هنا ألبسه أرباب الهوى الخاص ـ وهم يكتبون سيرة (النبي العربي) ـ ثوب الفرار وعدم الصبر والاحتمال في القيام برسالته، ولم يتورّعوا ـ إمعاناً فيما يشتهون ـ أن يلصقوا كلمة (النبي الفار) وقد ظنوا أن هذا الثوب المهلهل الذي خلعوه على هذا الحادث العظيم، يستطيع أن يستر الحقيقة التي يحملها بين جنبيه، والتي لم تلبث ـ بعد الوصول إلى المدينة، أن سطع نورها، وانتشر أريجها، وبدأت الغشاوة التي وضعها الجهل على العقل البشري حيناً من الدهر، والواقع أن هذه الهجرة (البدنية) لم تكن إلا أثراً من آثار هجرة القلوب، عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة، وعقائد وتقاليد، كان لها في هدم الإنسانية، ما ليس للمعاول القوية في تقويض البناء الشامخ العنيد" .

وأقول: إن الهجرة كانت لتأكيد علمية الإسلام، وهي حقيقة حاول بعض المستشرقين ذوي الأهواء أن يطمسوها، متجاهلين ما أقره القرآن ـ كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ وقد تصدى عملاق الأدب الأستاذ العقاد لقوله تعالى:(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...).[الشورى: من الآية٧] لتنذر أم القرى ومن حولها، يقول:"وأياً كان القول في

اللغة التي تكلم بها النبي، وفي صلاح هذه اللغة للدعوة العالمية، فإن النوع الإنساني يشمل أم القرى (مكة) وما حولها، ولا تعتبر هداية أهلها عزلاً لهم عمن عداهم من الناس؛ إذ كان خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصوراً على (أم القرى) ومن حولها، ولكن خطابه (أم القرى) ومن حولها، لا يمنع أن يعم الناس أجمعين..

فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية ـ خاتم النبيين ـ إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير؟! إن طائفة من المستشرقين تسيغ ما لا يسيغه العقل في أمر القرآن وأمر الإسلام".

ظهر حديثاً للشيخ عبد الجواد أحمد عبد المولى-الإمام والخطيب والمدرس بالأوقاف ـ كتاب يحمل عنوان "الدروس التربوية الدعوية من الهجرة النبوية" في زهاء مائتي صفحة من القطع الكبير، أشار في المقدمة إلى أن ما أراده من كتابه: دعوة للتفكر والتدبر، لبعض صفحات التاريخ الإسلامي، وبخاصة تاريخ الرسول وجهاده في هجرته، لنتعرف على سنن الله في خلقه، وسننه في أرضه، وسنن الله الثابتة لا تقبل تبديلاً ولا تحويلاً، والهجرة تبين لنا كيف أخذ المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالأسباب الأرضية، وتوكل ـ في نفس الوقت ـ على الله، ولا تضادّ بينهما ـ وقد تعامل سلف هذه الأمة مع السنن الكونية، فسادوا العالم، ولم يع الخلف هذا المعنى، مما جعل الأمة اليوم في حال يُرثى لها ..

وما عرض له المؤلف:

ـ الهجرة النبوية المحمدية لم تكن بدعة، بل سنة قديمة، فقد هاجر من أنبياء الله: إبراهيم ولوط وموسى عليهم السلام.

ـ أسباب الهجرة: ذكر المؤلف الأسباب التقليدية التي سجلتها كتب السيرة، وكنت أود أن يهتم بمسألة ذات أهمية خاصة، وهي أن الهجرة كانت استجابة لأمر الله، ولم تكن مجرد خاطرة خطرت على بال الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فراراً من الأذى، فالله ـ عز جل ـ هو الذي قدر بعد أن حققت الدعوة أهدافها في مكة التي لم تكن تصلح لإقامة دولة .

ـ عوامل نجاح الهجرة: وضوح الهدف، المعرفة، اختيار الوقت المناسب، ولعامل التوقيت أهمية متنامية في عملية التخطيط، القدرة على مواجهة الظروف المتغيرة، إخلاص القائمين على التنفيذ، التهيئة والإعداد النفسي، ونسي المؤلف: عناية الله، وهي الأساس وفوق كل شيء.

ـ مظاهر نجاح الهجرة: خسرت قريش موازين القوى التي توارثتها على مدى قرون وزال عنها سلطانها، لم تعد قريش حاجزا في وجه الدعوة الإسلامية، إذا أسقطت الهجرة هيبتها من نفوس المستضعفين الخائفين..

ذكر المؤلف في شجاعة أن الكتاب: جمع وإعداد، وليس تأليفاً، وهذا يعفيه من النقد، ويُحمد له، أن قدم لنا معاني كانت في حاجة إلى التحليل، الذي خلت منه بعض كتب

التراث التي اهتمت بسرد الأحداث، لكنها حفظت لنا أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية. إن الهجرة حفلت بالكثير من المؤلفات عدا ما دونته كتب السيرة قديماً وحديثاً، وهذا ما جعل مهمة من يكتب عن الهجرة شاقة؛ إذ لا بد من أن يضيف جديداً، ونجح المؤلف جهد استطاعته.

ويُؤخذ على هذه الدراسة: أن المؤلف خرج على الموضوع الأساسي أحياناً، صحيح أن ما زاده تضمن معاني جديرة بالاهتمام، كذلك كنا نود أن يربط الهجرة النبوية بالمعاصر، وقد أصبحت الأمة المسلمة التي أرادها الله خير أمة أخرجت للناس ـ عاجزة حتى عن الدفاع في مواجهة التحديات الشرسة، وذلك بعد أن كانت رأساً، و أصبحت تابعاً بعد أن كانت متبوعاً، وبقي أن نقول: إن المؤلف بذل جهداً كبيراً وشاقاً، وقدم لنا دراسة معاصرة يحتاجها الشباب قبل الشيوخ.

وبقي سؤال يطرح نفسه، وفي أسى مرير: أين اليوم من الهجرة التي لم تكن نقطة تحول في تاريخ دعوة المسلمين ـ وحسب ـ بل كذلك أرادها الله ـ عز وجل ـ منهجاً ومعنى وبرنامج عمل للمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودرساً يجب أن يعيه المسلم في كل زمان ومكان.. فهل يليق بنا ألاّ نذكر الهجرة إلا أياماً معدودات في كل عام: أحاديث ومقالات يغلب عليها التكرار شبه الممل، ثم ننساها بعد ذلك؟

وحسبنا هنا أن نتوقف عند قضية لها أهميتها، أعني قضية ـ أو محنة ـ الأقليات المسلمة في شتى بقاع المعمورة، والعديد من هذه الأقليات تُشن عليها حروب إبادة شرسة، كما في الفلبين وبورما وتايلاند، وغيرها، إن كتاب الله تعالى كتب علينا الجهاد من أجل إخوة لنا في العقيدة مستضعفين في الأرض، وفي سورة النساء ـ :(وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً). [النساء:٧٥]. ولا جدال في أن الجهاد هنا فرض عين لا فرض كفاية، وإذا كان عقد الأمة الإسلامية اليوم قد انفرط، ولم يكن للدولة الإسلامية وجود.. نملك السلاح لا لنقاتل به الأعداء، بل ليقاتل به المسلم أخاه المسلم. دونما اعتبار لتحذير الرسول لنا في خطبة الوداع:"لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" وقوله في الصحيح المتفق عليه: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه".

أقول إذا كنا عاجزين عن الجهاد المسلح، فلماذا لا نلجأ إلى سلاح آخر: جهاد المقاطعة، وهو سلاح له خطورته، وإذا كان هذا السلاح تقرر بالنسبة للثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وهم مسلمون، فمن باب أولى المعتدون على إخواننا من غير المسلمين، والمفاجأة التي ترتجّ لها السماوات السبع. هي أننا أصبحنا أصدقاء لأعدائنا، نمنحهم الولاء، ضاربين عرض الحائط بقوله تعالى محذراً في سورة المائدة :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ

تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ). [المائدة:٥١-٥٢]. وأخيراً.. وليس آخراً: فليتنا نعي اليوم كلمات الشيخ شلتوت ـ رحمه الله-: "كانت الهجرة من بين الأحداث كلها جديرة أن تتجه إليها الأنظار، ويُتّخذ منها مبدأ للتاريخ الإسلامي، ليكون للمسلمين من ذكراها في كل عام، ومن التوقيت بها في مكاتباتهم وعقودهم وأحداثهم العامة والخاصة درس متصل الحلقات، يساير حياتهم كلها". ولله الأمر من قبل ومن بعد.

==============================

الوقاحة الدنماركية مع الذات النبوية

جريدة السياسية الكويتية

كتبه : محمد يوسف المليفي

قام الاعلام الرسمي اخيراً في الدنمارك بالانضمام الى ركب المحاربين لله ولرسوله وللدين الاسلامي، حيث قام بعمل مسابقة على مستوى الدولة وبمباركة الحكومة الدنماركية، وهذه المسابقة هي افضل كاريكاتير ساخر للذات النبوية المحمدية صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الاطهار واصحابه الأخيار، فلما ضج المسلمون هناك من الحرب الاعلامية الساقطة ضد الاسلام والمسلمين، ازداد الاعلام الدنماركي عناداً فقام يدعو الشعب الدنماركي للمساهمة ببعث صور كاريكاتيرية جديدة للنبي صلى الله عليه وسلم لكي يطبعوها في كتاب خاص يوزع مع الصحف.

وفعلاً قامت جريدة « يولانس بوستن » الدنماركية الحكومية بنشر صور جديدة على صفحتها الأولى امعاناً في اذلال المسلمين، حيث صورتهم على هيئة خنازير ساجدة، وصور اخرى لكلب يفعل الفاحشة بمسلم وهو في هيئة السجود داخل المسجد وكتبت اسفل الكاريكاتير عبارة « من أجل هذا يصلي المسلمون هكذا » .

المصيبة ان الجالية الاسلامية هناك عندما استنكرت « مجرد استنكار » ما يفعله الاعلام الرسمي الدنماركي مع خاتم الانبياء والدين الاسلامي، قامت الهيئات الحكومية بالتضامن مع كل الصحف الوقحة ورفضت واستنكرت بشدة اعتراض المسلمين ونصرتهم لنبيهم، وفي الوقت ذاته رفض رئيس الوزراء الدنماركي فوغ راسموسن الموافقة على اجتماعه بـ ١١ سفيراً إسلامياً في بلده لتسلم خطاب استنكاري وقال لهم هذه ديمقراطيتنا الدنماركية.

اذن يتضح لنا وبجلاء واضح ان المسألة ليست محصورة في جريدة او جريدتين، وانما هي حرب على الله ورسوله والمؤمنين من هذه الدولة التي تورد إلينا زبدتها الدنماركية الشهيرة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لنا جميعاً : (ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) وأي مسلم في قلبه ذرة من الغيرة على نبيه وعرض نبيه، يجب عليه ان يصدق ما وقر في قلبه من حب النبي

وتعظيمه ويترجم هذا الحب الى عمل ينصر به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن لا ندعو المسلمين الى جهادهم بالسلاح او رميهم بالمنجنيق، ولكن اقل ما يمكن ان يفعله المؤمن الموحد هو ان يقاطع المنتوجات الدنماركية ويحرمها على نفسه وأهل بيته.

هناك نظرية اميركية تقول « الذي في يده السلاح هو الذي يسن القوانين » وبما أننا في زمن الانكسار والهوان والذلة والصغار.. وبما أننا في زمن تركنا فيه الجهاد بل واصبحنا نجرم اهله، فلم يتبق في يدنا حيلة ولم يتبق عندنا سلاح، الا سلاح المقاطعة، فلنقاطع منتجاتهم وهذا هو اضعف الايمان، وان هذه الذات المقدسة العظيمة لم يمسها احد بسوء على مر التاريخ الا أذله الله واخزاه، كيف لا، والله تعالى هو الذي يكفي ويدافع عن نبيه، يقول تعالى مخاطباً نبيه وحبيبه { إنا كفيناك المستهزئين } ووالله ما آذى احد هذا النبي الكريم إلا أخزاه الله وأذله وذلك هو مصداق قوله تعالى { إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً } .

معاشر السادة النبلاء

لابد من أن تتضافر الجهود الدفاعية عن الذات النبوية الشريفة، وأقل شيء يفعله العلماء وطلاب العلم هو ان يعقدوا مؤتمراً اسلامياً طارئاً لعلماء الاسلام ودعاته يصدرون فيه فتوى موحدة وبياناً شديد اللهجة للدولة الدنماركية ودعوة الى مقاطعة منتجاتها حتى يعتذروا ويتوقفوا عن هذا الانحطاط في حق سيد الانبياء وسيد البشرية جمعاء، ويا ليت ثم يا ليت يكون لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية دور بارز في هذا العمل الجليل فأي شيء أعظم من نصرة الحبيب يا محب؟

* كاتب كويتي

mlaifi@maktoob.com

========================

أما لهذه الهجمة من رادع ؟!

الكاتب: عبد الله بن راضي المعيدي الشمري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف النبيين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

(منذ ٣٠ سبتمبر الماضي و الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم- إلى هجوم حاد وحملة حاقدة في الصحافة الدانمركية، والتي بدأت عندما أراد مؤلف كتب أطفال دانماركي أن يضع على غلاف كتابه صورة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ورفض رسام الكاريكاتير المكلف بإعداد الغلاف رسم هذه الصورة، فقرر المؤلف إقامة مسابقة لرسم الرسول، حيث تقدم لها (١٢) رسام كاريكاتير أرسلوا (١٢) صورة مسيئة لرسولنا الكريم •

ولـم تفوّت صـحيفة (بيـو لانـدز بوسـتن) اليمينيـة المتطرفـة والتابعـة للحـزب الحـاكم هذه الفرصة، في التقاط هذه الصور ونشرها استهانة بمشاعر أكثر من مليار و(٣٠٠) مليون مسلم ، بـالرغم مـن أن مسـلمي الـدانمارك والبـالغ عـددهم (٢٠٠) ألـف، (الإسـلام هـو الديانة الثانية في الدانمارك بعد المسيحية البروتستانتية) حاولوا الاحتجـاج علـى القـرار، وذلك عن طريق رفع مذكرة إلى الحكومة الدانماركية، إلا أن الجواب كـان هو الـرفض، وإصرار الحكومة على دعم حملة الهجوم تحت مسمى "حرية التعبير"

بـل كـان الموقف الحكـومي الـدانماركي أكثـر شراسـة بـرفض المـدعي العـام تلبيـة طلـب الجالية الإسلامية برفع دعوى قضائية ضد الصحيفة بتهمة انتهاك مشاعر أكثر من مليار مسلم فـي العـالم، وقـال المـدعي العـام الـدنماركي: إن القـانون الـذي يُسـتخدم لتوجيـه تـهم بسبب انتهاك حرمة الأديان لا يمكن استخدامه ضد الصحيفة.

إن حالة العداء للإسلام والمسلمين في الدانمرك تجاوزت كل الخطوط؛ فهناك تعبئة عامة ضد الإسلام، على كافة المستويات بدءاً من التصريح الذي نقل على لسان ملكة الدانمرك (مارجريت الثانية) والـذي قالـت فيـه: "إن الإسـلام يمثـل تهديداً علـى المسـتويين العـالمي والمحلـي"، وحثـت حكومتهـا إلـى "عـدم إظهـار التسـامح تجـاه الأقليـة المسـلمة"، انتهـاءً بمواقع الإنترنت التي يطلقها دانمركيون أفراداً ومؤسسـات خاصـة ، تحـذر مـن السـائقين المسلمين، لأنـهم "إرهابيون وقتلـة" مـروراً بالحملـة العامـة فـي الصـحف ومحطـة التلفـاز العامة التي أعلنت الحرب ضد الإسلام والمسلمين) *.

ومن هنا رأيت أن اكتب في هذا الجانب المهم مذكرا النفس والإخوان بعظم حقه مستعينا الله تعالى فأقول :

إن من أعظم النعم التـي أنعم الله علينا هـي أن بعـث لنـا محمـداّ صـلى الله عليـه وسـلم نبينـاً ورسولاً :" لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم " . وقـال تعـالى: " لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم "

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى :" هذه المنـة التـي امتن الله بهـا علـى عبـاده هـي اكبـر النعم بل اجلهـا وهـي الإمتنـان علـيهم بهذا الرسـول الكـريم الـذي أنقـذهم الله بـه مـن الضلالة وعصمهم به من التهلكة " ا.هـ

نعم أيه الأحبة لقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلـى الخليقة بعد أن كانـت تعـيش في جاهليـة جهـلاء .. قـويهم يأكـل ضـعيفهم قد وقـع بأسـهم بيـنهم .. وهـم يعيشـون ضـلال وعمى جميعهم إلا بقايا من أهل الكتاب ..

فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ففتح الله به أعُينا عمياً .. وآذان صماً .. وقلوباً غلفـاً .. فهدى بـه من العمى .. وبصر بـه من الضلالة ..

فلا إله إلا الله ما أعظم هذه النعمة وأجلها لمن تدبرها وعرف قدرها ...

ولقد اوجب الله تعالى على المومنين محبته وتعظيمه .. ولقد امر الله تعالى بتعظيمه رسول الله وتوقيره .. وتعظيم سنته وحديثه فقال تعالى : ((وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ))

ومن مظاهر التعظيم لرسول الله في الإسلام ...

أنه خصّه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ((لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً)) [النور:٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يانبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله (سبحانه وتعالى) أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه في القرآن قط ...

ومن ذلك : أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل...

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره، فلا يُذكر الله (سبحانه) إلا ذكر معه، وأوجب ذكره في الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين...)

و إن تعظيم نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- من صلب إيمان المسلم .. فهو خليل الله المصطفى من خلقه .. وخاتم الأنبياء الذي بانتهاء رسالته انقطع وحي السماء .. والموصوف من ربه - جلا وعلا - بعظم خلقه .. وأحد خمسة من أولي العزم من الرسل. هذا التعظيم تحتمه سيرته الشريفة -صلى الله عليه وسلم- كما تمليه حقيقة شهادة أن (محمداً رسول الله) ...

ولم يغفل المسلمون - منذ جيل الصحابة الكرام - عن قدر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن محبته وتعظيمه .. فنرى في سيرة هؤلاء الصحابة وتابعيهم وعلماء الأمة وعوامها من بعدهم أفضل نماذج لهذا التعظيم ..

ومن نافلة القول هنا أن يقال أن معنى التعظيم المشروع لرسول الله هو تعظيمه بما يحبه هو صلى الله عليه وسلم وعدم رفعة فوق منزلته النبوية وانه عبد لايعبد ورسول لايكذب فلا يرفع الى مقام الربوبية أو الإلوهية ..

وقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة بتعظيم وإجلال رسول الله ..

ومن ذلك: مارواه الدارمي في سننه عن عبد الله بن المبارك قال : (كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله فلدغته عقرب ست عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويصفر، ولا يقطع حديث رسول الله، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس، قلت: يا أبا عبدالله، لقد رأيت منك عجباً! فقال: (نعم إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-)

وقال الشافعي (رحمه الله تعالى):(يكره للرجل أن يقول: قال رسول الله، ولكن يقول: رسول الله؛ تعظيماً لرسول الله).

وممن يجب تعظيمهم وإجلالهم _ وهو من إجلاله عليه الصلاة والسلام _ إجلال صحابة رسول الله، فيتعين احترامهم وتوقيرهم، وتقديرهم حق قدرهم، والقيام بحقوقهم (رضي الله عنهم).

ويلحظ اليوم وجود هجمة شرسة على جناب نبي الأمة يقوده الإعلام الغربي وإني لاتعجب ولاينقضي عجبي من الاعلام الاسلامي اين هو من مثل هذا الهجوم على نبينا زكأنً شيئاء لم يحدث ؟! وإين هو الاعلام الذي انشغل بالبرامج التافهة والفاضحة ونجومها المزوعومين ! فضلاً عن متابعة نجوم هليودو والفيديو كليب ! فيا أمة الإسلام، ويا إخوة العقيدة، ويا أبناء الرسالة الخالدة، هذا نبيكم وهذا فضله، ووصفه فهل ترضون بأهنته ؟!! فالواجب على الأمة بكل أفراده وطاقاتها أن تهب هبة الدفاع عن الحبيب صلى الله عليه واله وسلم والواجب أن يعيش معنا دائماً وأبداً في مشاعرنا، وآمالنا، وطموحاتنا.. يعيش معنا، قدوة وأسوة، وإماماً، ومعلماً، وأباً، وقائداً، ومرشداً.يعيش معنا في ضمائرنا عظيماً، وفي قلوبنا رحيماً، وفي أبصارنا إماماً، وفي آذاننا مبشراً ونذيراً " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون "

نسينا في ودادك كل غال فأنت اليوم أغلى ما لدينا

نلام على محبتك ويكفي لنا شرفٌ نلام وما علينا

ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقينا

تسلّى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعدك ما سلينا

* من مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم :

١) فأول علامات المحبة : الإتباع والاعتصام بالكتاب والسنة ..

وحيث كان ادّعاء حب الله من أسهل ما يكون على النفس جعل الله دلالته النبي صلى الله عليه وسلم كما في الاية السابقة " قل ان كنتم تحبون الله ..."

تعصي الإله وأنت تظهر حبه *** هذا لعمري في القياس بديع

لو كنت صادقا في حبه لأطعمته *** أن المحب لمن يحب مطيع

قال الحسن : ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية :" قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم "

وثمرة الإتباع محبة الله للمتبع ... وشان عظيم أن تَحِب وأعظم منه أن تحب ..

٢) الحذر من رد شيء من السنة :

قال احمد بن حنبل :" من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة " قال الله تعالى :" فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم "

.

قال ابن كثير رحمه الله :" أي : عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان " ا.هـ [تفسير ابن كثير :٣٠٧/٢] ..

ومن مظاهر رد السنة السخرية والاستهزاء بالسنة النبوية ومعارضتها بالعقول والآراء والرغبات والعادات كالسخرية والاستهزاء باللحية ورفع الرجل ثوبة فوق الكعبين وحجاب المرأة والسواك والصلاة الى سترة وغير ذلك . فتسمع من يصف تلك الأعمال بأوصاف رديئة أو يتهكم بمن التزم بها فلم يجد هؤلاء مايملؤون به فراغهم الا الضحك والاستهزاء بمن عمل بالسنة وحافظ عليها فيجعلونه محلا لسخريتهم هازلي لاعبين فيصدق في مثلهم قوله صلى الله عليه وسلم :" وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم "

ويغفل كثير من الناس عن أمر خطير وهو أن الاستهزاء بالدين كفر سواء كان على سبيل اللعب والهزل والمزاح أو على سبيل الجد فهو كفرمخرج من الملة .

قال ابن قدامة : من سب الله تعالى كفر سواء كان مازحا أو جادا وكذلك من استهزاء بالله تعالى او بآياته أو برسله أو كتبه .اهـ

وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه : أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : " كل بيمينك " قال : لا استطيع . قال : " لا استطعت ما منعه الا الكبر " قال : فما رفعها الى فيه .

قال التيمي : فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل اليه شؤم فعله .

وعن ابي يحيى الساجي قال : كنا نمشي في أزقة البصرة الى باب بعض المحدثين فاسرعنا المشي ومعنا رجل ماجن متهم في دينه فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها (كالمستهزئ) فلم يزل من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط .!!

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ،،،

انطباعات وآراء

الكاتب: أحمد قائد الأسودي

من حقي أن ابدي دهشتي الشديدة وفرحي العظيم.. لما رأيت وسمعت فقد دعيت لأول مرة في حياتي إلى مؤتمر عالمي إسلامي احتشد فيها علماء الإسلام ومفكريه و ناشطيه من كل الأطياف الإسلامية على اختلاف انتماءاتهم المكانية والفكرية واجتهاداتهم ..كان لقاءا بين علماء المسلمين ومفكريه ودعاته ووعاظه من جميع قارات العالم كان في يوم (الأربعاء ٢٠٠٦/٣/٢٢). الجميع أتوا بصفاتهم الشعبية ولا مكان فيه للحكوماتية..جميعهم اجتمعوا في مملكة عربية إسلامية صغيرة جدا فقيرة.. حسب

معرفتي..مقارنة بجيرانها. لقد استضافت مملكة البحرين علماء المسلمين ومفكيريهم في قارات العالم الست..

ذلك البلد أصغير الذي استضاف قبل أيام قليلة أعظم مشروع إسلامي مصرفي سيكون هو الأكبر في العالم برأسمال سيتجاوز العشرة مليارات دولار..ماذا وراء هذا البلد الصغير الفقير(مقارنة بجيرانه)...؟؟..إنه يقفز هذه القفزات الكبرى إسلاميا وعالميا فهو يستضيف أعظم مؤتمر إسلامي عالمي نخبوي شعبي ويستضيف مصرفا إسلاميا سيكون هو الأعظم كمؤسسة اقتصادية مصرفية .. على مستوى العالم الإسلامي وكل ذلك يتم في فترة قصيرة.

يتم كل ذلك في أعظم الظروف صعوبة وأشدها على المسلمين حكاما ومحكومين وأقليات وأفراد أينما وجدوا.. و في أعقد المشكلات التي تطوق المسلمين في كل مكان في العالم..في ظرف الحرب فيه على الإسلام والمسلمين على أشدها من طغاة العالم.. إنه بكل صراحة بلد صغير المساحة والسكان والثروة ولكنه حقا عظيم الرجال عالي الهمم تميز به أبنائه وملكهم و ترجمتها قراراتهم ومواقفهم هذه

إنه بلد يسجل (ملكه العربي المسلم) اليوم ملاحم تاريخية كبرى ولكن من نوع جديد ... هذه الأعمال التي رسمت بل حققت للأمة الإسلامية ولكل مسلم في العالم انتقالات حياتية وحضارية كبرى..انتقالات جديدة كبرى على المستوى الاقتصادي الإسلامي وانتقالات أخرى كبرى عديدة افرزها المؤتمر العالي لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم..تجاوزت بكثير ما كان مرجوا منه.

المفاجأة الكبرى

لقد بدأ المؤتمر الإسلامي العالمي لنصرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)..كما هو مقرر له لتكون المفاجئة الكبرى غير المحسوبة..مفاجأة ميلاد وجود إسلامي عالمي جديد على غير المألوف في الكيانات السائدة والمعروفة ..لقد بدأ مؤتمرا لينتهي إلى إعلان منظمة عالمية إسلامية أعضائها المؤسسين من المشاركين في المؤتمر القادمين من كل قارات العالم والجنسيات والقوميات ومن كل تلك الأطياف الفكرية والمذهبية التي يمثلها المسلمون في العالم..لقد رأيت في المؤتمر المجتهدين و العلماء والدعاة والوعاظ والمفكرين والسياسيين والحزبيين والاقتصاديين ورأيت السني وما يمثله من أطياف و رأيت الشيعي والصوفي..رأيت الجميع هناك يجمعهم شعار واحد هو (...ومن نفسي يا رسول الله)..وكان للمرأة وجودا مشهودا.. فلقد سمعنا ورأينا مشاركات نسائية قوية عملاقة.. مصرية ومغربية وسعودية وغيرهن..

منجزات ومحصلات

على مدى قرابة العشرون ساعة التي استغرقها المؤتمر.. كانت المنجزات كبيرة والمحصلات عظيمة .. فأكاد أقول انه في مملكة البحرين الصغيرة.. صيغت محصلات كبرى تفوق التصور لقد أنجز المؤتمر اكبر مما كان متوقعا في تصوري.. فلقد بارك الله

بالوقت القصير وعظم الله تلك الجهود المبذولة من ذلك العدد القليل(اللجنة التحضيرية) جزا هم الله خيرا.. الذين أوكلت إليهم مهمة الإعداد للمؤتمر وتنظيمه وإدارته.ولست هنا بصدد الإشارة إلى تلك المحصلات العديدة جميعها .. ولكني سوف اكتفي بالإشارة إلى بعض منها..مما رأيتها وعشتها خلال ساعات الصحوة ال٣٥ التي قضيتها في مملكة البحرين...منها ساعات انتظار ساعة بدأ المؤتمر لوصولي قبل الموعد بساعات بسبب الطيران.. وساعات قضيتها مع زملاء من البحرين وأحبه جمعتني بهم الدراسة الجامعية قبل عقدين وأكثر لم أجدهم بعدها حتى يوم المؤتمر المبارك هذا

أنواع المحصلات

أ - محصلات محسوبة:

اشتملت التوصيات على كثير من المحصلات التي كانت متوقعة.

١ – كل ما ورد في محاور المؤتمر الذي تم إرساله للمشاركين.. تمت على نحو مرضي ورائع وانعكس ذلك فيما ورد في بنود التوصيات.

ب – محصلات غير محسوبة:

١- ا شتملت قرارات المؤتمر على تلك المحصلة التي لم تكن في جدول الأعمال ولم ترد ولم تشر إليها على نحو ما مباشر أو غير مباشر في المحاور التي أرسلت للمشاركين يتمثل أعظم المحصلات في قرار الإعلان عن إنشاء (المنظمة العالمية لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم).

٢- تلاحم الجميع وشيوع الألفة والمحبة و المحبة بين جميع الحاضرين على اختلاف انتماءاتهم و أطيافهم الفكرية و السياسية والمذهبية والجغرافية.

٣- غياب الخلافات المعتادة المعقدة في لقاءات هذا النسيج المتنوع أطيافه وقناعاته وتصوراته الدينية والحياتية.

٤ - التعارف بين المشاركين وتلاقي كثيرين ممن فرقتهم السنون من المتعارفين فقد كان المؤتمر لإحياء علاقات جديدة و إعادة الحياة إلى علاقات ربما كانت في حكم النسيان.

٥ - التعرف على أحوال وتطورات الواقع المسلم في مختلف قارات العالم بالأخص تلك البقاع المنسية أو البعيدة من الإعلام الإسلامي والعربي في أوروبا وأفريقيا وغيرها.

٦ - بعث حياة جديدة وحماسة عظيمة لدى كثير من المشاركين لمضاعفة القيام بواجب العمل الإسلامي و تجذ ير قيمه ومبادئه في السلوك و في النفس والواقع وتوسيع ساحته نشره لدى غير المسلمين.

٧ - صيغة البيان الختامي على ذلك النحو الرائع المتماسك الحكيم المتوازن الذي عكس نضجا رفيع المستوى لدى هؤلاء المشاركين الذي تجسد فيه معاني وقيم و مبادئ الإسلام

في التعامل مع المواقف الصعبة..وتقديم منطق ا لعقل والحكة والعدل على العاطفة..فلقد شاعت عبارات مثل ليسوا ساء ولا يجرمنكم شنئآن على أن لا تعدلوا..

٨- إفساد ظن ما كان مروجا له من أنه سيكون موقفا متطرفا وشديدا وعنيفا فقد كان البيان عكس ما كان متوقعا لدى الكثيرين في الغرب والشرق من المرضى ومن الجهلة ومن يضمرون الشر للمسلمين.

٩ - انتهاء المؤتمر في جو من المحبة والرضا لدى الجميع..وتجليات البركة والرحمة.

١٠ - تجليات ملامح إمكانية الوحدة بين المسلمين على نحو سريع فقابلية الوحدة بين شعوب المسلمين عالية جدا..أكدها المؤتمر في حواراته ومداخلاته و تلاحمه وأخيرا في إعلان منظمته العالمية الجديدة على ذلك النحو الإجماعي السريع.

آراء.. لتسريع التفعيل

ج - إذا كان هناك من اقتراحات و تصويبات لابد من الإشارة لتحقيق مزيد من الكمال لهذه الخطوة الجبارة..فأقول :

١ – مهم حشد اكبر عدد ممكن من المسلمين الجدد في أوروبا وأمريكا واستراليا وإفريقيا وغيرها ليكونوا أعضاء مؤسسين فذلك ملح جدا على أن يكونوا من الرجال والنساء علماء مفكرين تجار ساسة الخ..

٢ – سرعة التحرك في أوساط المتعاطفين مع المسلمين من غير المسلمين والتواصل معهم وتمكينهم من المعلومة وتعريفهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من خلال مواقعهم في الشبكة الإكترونية.

٣ – سرعة إصدار نشرة تخص الأعضاء المؤسسين لإبقائهم على حماسهم وعلى تواصل وذلك بتمكينهم من المستجدات وما عليهم فعله وغير ذلك إلى جانب تفعيل كبير للموقع المنظمة وتحديثه على مدار أل ٢٤ ساعة ومحاولة أن يكون إلى جانب اللغتين العربية و الإنجليزية اللغة الفرنسية والاسبانية..وتكليف أعضاء المؤتمر لتغطية هذه اللغات وغيرها كمشاركة طوعية.

٤ – تعجيل التعميم على الأعضاء المؤسسين في كل بلد أن يشكلوا فيما بينهم مجلسا يختارون فيه رئسا ونائبا ومقررا وعضوا تنظم لقاءاتهم ومشاركاتهم و لتشكيل نواة للمنظمة العالمية لنصرة النبي..يرتبون فيما بينهم لقاءات نصف شهرية لتفعيل المنظمة في ساحتهم من ناحية ومن ناحية أخرى لمد اللجنة التحضيرية بالأفكار المساعدة التي تعجل باستكمال الوجود الرسمي للمنظمة وتسجيلها محليا ودوليا..و كذلك لإشاعة مزيد من الألفة و تجذ يرها وتعميمها بين مختلف الأطياف الإسلامية داخل كل بلد.

٥ – إشراك عالمين من اليمن من علماء الزيد ية والشافعية من المرجعيات من المعروفين بالحكمة وعدم التعصب..

٦ – البدء في تنشيط المنظمة في التواصل مع الأوروبيين والأمريكان وغير المسلمين في العالم..وذلك من خلال تحفيز الساحة الشبابية الإسلامية في العالم من اولئك الناشطين و الموهوبين في مجال الانترنت والبرمجة وغرف الدردشة والمواقع المختلفة ..و ذلك بالتواصل معهم و حثهم على إيصال رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير المسلمين بصيغ قصيرة جدا واضحة جدا من خلال مدهم بمادة الرسالة المراد توصيلها إلى الملايين من غير المسلمين يوميا وعبر أدلة البحث.. وغيرها وهذا مجال واسع وفوري.وهناك طرق عديدة جدا.

٧ – إشراك عدد من أبناء وبنات الحكام العرب والمسلمين في المنظمة

٨ – إشراك شخصيات مثل د. محمد عبده يماني و مثل د. مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأسبق وغيرهم ليكونوا إلى جانب المشير سوار الذهب

هذا ما لزم الإشارة إليه واشكر الذي كان سببا في حضوري هذا اللقاء الكبير المبارك والله اعلم وهو المستعان.

رئيس مركز القرن ال٢١ للتجديد والتنمية_ صنعاء _

==============================

بأبي أنت وأمي يا رسول الله

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

صلى عليك الله يا علم الهدى *** واستبشرت بقدومك الأيامُ

هتفت لك الأرواح من أشواقها *** وازينت بحديثك الأقلامُ

ما أحسن الاسم والمسمَّى ، وهو النبي العظيم في سورة عمّ ، إذا ذكرته هلّت الدموع السواكب ، وإذا تذكرته أقبلت الذكريات من كل جانب .

وكنت إذا ما اشتدّ بي الشوق والجوى *** وكادت عُرى الصبر الجميل تفصمُ

أعلّل نفسي بالتلاقي وقربه *** وأوهمها لكنّها تتوهم

المتعبد في غار حراء ، صاحب الشريعة الغراء ، والملة السمحاء ، والحنيفية البيضاء ، وصاحب الشفاعة والإسراء ، له المقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود ، هو المذكور في التوراة والإنجيل ، وصاحب الغرة والتحجيل ، والمؤيد بجبريل ، خاتم الأنبياء ، وصاحب صفوة الأولياء ، إمام الصالحين ، وقدوة المفلحين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) .

السماوات شيّقات ظِماءُ *** والفضا والنجوم والأضواءُ

كلها لهفة إلى العلّم الها *** دي وشوق لذاته واحتفاءُ

تنظم في مدحه الأشعار ، وتدبج فيه المقامات الكبار ، وتنقل في الثناء عليه السير والأخبار ، ثم يبقى كنزاً محفوظاً لا يوفّيه حقه الكلام ، وعلماً شامخاً لا تنصفه الأقلام ، إذا تحدثنا عن غيره عصرنا الذكريات ، وبحثنا عن الكلمات ، وإذا تحدثنا عنه تدفق الخاطر، بكل حديث عاطر ، وجاش الفؤاد ، بالحب والوداد ، ونسيت النفس همومها ، وأغفلت الروح غمومها ، وسبح العقل في ملكوت الحب ، وطاف القلب بكعبة القرب ، هو الرمز لكل فضيلة ، وهو قبة الفلك للخصال الجميلة ، وهو ذروة سنام المجد لكل خلال جليلة .

مرحباً بالحبيب والأريب والنجيب الذي إذا تحدثت عنه تزاحمت الذكريات ، وتسابقت المشاهد والمقالات .

صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه ، وسلم الله ذاك الوجه ما أبهاه ، وبارك الله على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه ، علّمَ الأمة الصدق وكانت في صحراء الكذب هائمة ، وأرشدها إلى الحق وكانت في ظلمات الباطل عائمة ، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور قائمة .

وشبَّ طفل الهدى المحبوب متشحاً *** بالخير متزراً بالنور والنار

في كفه شعلة تهدي وفي دمه *** عقيدة تتحدى كل جبارِ

كانت الأمة قبله في سبات عميق ، وفي حضيض من الجهل سحيق ، فبعثه الله على فترة من المرسلين ، وانقطاع من النبيين ، فأقام الله به الميزان ، وأنزل عليه القرآن ، وفرق به الكفر والبهتان ، وحطمت به الأوثان والصلبان ، للأمم رموز يخطئون ويصيبون ، ويسدّدون ويغلطون ، لكن رسولنا صلى الله عليه وسلم معصوم من الزلل ، محفوظ من الخلل ، سليم من العلل ، عصم قلبه من الزيغ والهوى ، فما ضل أبداً وما غوى ، (إنْ هو إلا وحي يوحى) .

للشعوب قادات لكنهم ليسوا بمعصومين ، ولهم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين ، أما قائدنا وسيدنا فمعصوم من الانحراف ، محفوف بالعناية والألطاف .

قصارى ما يطلبه سادات الدنيا قصور مشيدة ، وعساكر ترفع الولاء مؤيدة، وخيول مسومة في ملكهم مقيدة ، وقناطير مقنطرة في خزائنهم مخلدة ، وخدم في راحتهم معبدة.

أما محمّد عليه الصلاة والسلام فغاية مطلوبه ، ونهاية مرغوبه ، أن يُعبد الله فلا يُشرك معه أحد ، لأنه فرد صمد (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) .

يسكن بيتاً من الطين ، وأتباعه يجتاحون قصور كسرى وقيصر فاتحين ، يلبس القميص المرقوع ، ويربط على بطنه حجرين من الجوع ، والمدائن تُفتَح بدعوته ، والخزائن تُقسم لأمته .

إن البرية يوم مبعث أحمدٍ *** نظر الإله لها فبدّل حالها

بل كرَّم الإنسان حين اختار من *** خير البرية نجمها وهلالها

لبس المرقع وهو قائد أمةٍ *** جبت الكنوز وكسَّرت أغلالها

لما رآها الله تمشي نحوه *** لا تبتغي إلا رضاه سعى لها

ماذا أقول في النبي الرسول ؟ هل أقول للبدر حييت يا قمر السماء ؟ أم أقول للشمس أهلاً يا كاشفة الظلماء ، أم أقول للسحاب سَلِمتَ يا حامل الماء ؟

اسلك معه حيثما سلك ، فإن سنته سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك ، نزل بزٌّ رسالته في غار حراء ، وبيع في المدينة ، وفصل في بدر ، فلبسه كل مؤمن فيا سعادة من لبس ، ويا خسارة من خلعه فتعس وانتكس ، إذا لم يكن الماء من نهر رسالته فلا تشرب ، وإذا لم يكن الفرس مسوَّماً على علامته فلا تركب ، بلال بن رباح صار باتّباعه سيداً بلا نسب ، وماجداً بلا حسب ، وغنيّاً بلا فضة ولا ذهب ، أبو لهب عمه لما عصاه خسر وتبَّ ، (سيصلى ناراً ذات لهب) .

الفرس والروم واليونان إن ذكروا *** فعند ذكرك أسمال على قزم

هم نمَّقوا لوحة بالرِّق هائمة *** وأنت لوحك محفوظ من التهم

وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، وإنك لعلى خُلُق عظيم ، وإنك لعلى نهج قويم ، ما ضلَّ ، وما زلَّ ، وما ذلَّ ، وما غلَّ ، وما ملَّ ، وما كلَّ ، فما ضلَّ لأن الله هاديه، وجبريل يكلمه ويناديه ، وما زلّ لأن العصمة ترعاه ، والله أيده وهداه ، وما ذلّ لأن النصر حليفه ، والفوز رديفه ، وما غلّ لأنه صاحب أمانة ، وصيانة ، وديانة، وما ملّ لأنه أُعطي الصبر ، وشُرح له الصدر ، وما كلّ لأن له عزيمة ، وهمة كريمة ، ونفساً طاهرة مستقيمة .

كأنك في الكتاب وجدت لاءً *** محرمة عليك فلا تحلُّ

إذا حضر الشتاء فأنت شمسٌ *** وإن حل المصيف فأنت ظلُّ

صلى الله عليه وسلم ما كان أشرح صدره ، وأرفع ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شرفه ، وأربح صفقة من آمن به وعرفه ، مع سعة الفناء ، وعِظَم الآناء ، وكرم الآباء ، فهو محمد الممجد ، كريم المحتد ، سخي اليد ، كأن الألسنة والقلوب ريضت على حبه ، وأنست بقربه ، فما تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بحمده ، ولا تسبح إلا في بحر مجده .

نور العرارة نوره ونسيمه *** نشر الخزامى في اخضرار الآس

وعليه تاج محبة من ربه *** ما صيغ من ذهب ولا من ماس

إن للفطر السليمة ، والقلوب المستقيمة ، حباً لمنهاجه ، ورغبة عارمة لسلوك فجاجه، فهو القدوة الإمام ، الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام .

صلى الله عليه وسلم، علّم اللسان الذكر ، والقلب الشكر ، والجسد الصبر ، والنفس الطهر ، وعلّم القادة الإنصاف ، والرعية العفاف ، وحبب للناس عيش الكفاف ، صبر

على الفقر ، لأنه عاش فقيرا ، وصبر على جموع الغنى لأنه ملك ملكاً كبيرا ، بُعث بالرسالة ، وحكم بالعدالة ، وعلّم من الجهالة ، وهدى من الضلالة ، ارتقى في درجات الكمال حتى بلغ الوسيلة ، وصعد في سُلّم الفضل حتى حاز كل فضيلة .

أتاك رسول المكرمات مسلماً *** يريد رسول الله أعظم متقي

فأقبل يسعى في البساط فما درى *** إلى البحر يسعى أم إلى الشمس يرتقي

هذا هو النور المبارك يا من أبصر ، هذا هو الحجة القائمة يامن أدبر ، هذا الذي أنذر وأعذر ، وبشر وحذر ، وسهل ويسر ، كانت الشهادة صعبة فسهّلها من أتباعه مصعب ، فصار كل بطل بعده إلى حياضه يرغب ، ومن مورده يشرب ، وكان الكذب قبله في كل طريق ، فأباده بالصديق ، من طلابه أبو بكر الصديق ، وكان الظلم قبل أن يبعث متراكماً كالسحاب ، فزحزحه بالعدل من تلاميذه عمر بن الخطاب ، وهو الذي ربى عثمان ذا النورين ، وصاحب البيعتين ، واليمين والمتصدق بكل ماله مرتين ، وهو إمام علي حيدرة ، فكم من كافر عفرّه ، وكم من محارب نحره ، وكم من لواء للباطل كسره ، كأن المشركين أمامه حُمُرٌ مستنفرة ، فرَّت من قسوره .

إذا كان هذا الجيل أتباع نهجه *** وقد حكموا السادات في البدو والحَضَرْ

فقل كيف كان المصطفى وهو رمزهم *** مع نوره لا تذكر الشمس والقَمرْ

كانت الدنيا في بلابل الفتنة نائمة ، في خسارة لا تعرف الربح ، وفي اللهو هائمة، فأذّن بلال بن رباح ، بحيَّ على الفلاح ، فاهتزت القلوب ، بتوحيد علاّم الغيوب ، فطارت المهج تطلب الشهادة ، وسبَّحت الأرواح في محراب العبادة ، وشهدت المعمورة لهم بالسيادة .

كل المشارب غير النيل آسنةٌ *** وكل أرض سوى الزهراء قيعانُ

لا تُنحرُ النفس إلا عند خيمته *** فالموت فوق بلاط الحب رضوانُ

أرسله الله على الظلماء كشمس النهار ، وعلى الظمأ كالغيث المدرار ، فهزّ بسيوفه رؤوس المشركين هزّاً ، لأن في الرؤوس مسامير اللات والعُزَّى ، عظمت بدعوته المنن ، فإرساله إلينا أعظم منّة ، وأحيا الله برسالته السنن ، فأعظم طريق للنجاة إتباع تلك السنة . تعلَّم اليهود العلم فعطَّلوه عن العمل ، ووقعوا في الزيغ والزلل ، وعمل النصارى بضلال ، فعملهم عليهم وبال ، وبعث عليه الصلاة والسلام بالعلم المفيد ، والعلم الصالح الرشيد

أخوك عيسى دعا ميْتاً فقام له *** وأنت أحييت أجيالاً من الرممِ

قحطان عدنان حازوا منك عزّتهم *** بك التشرف للتاريخ لا بهمِ

كتبه الشيخ الداعية /

د. عائض القرني

================================

بشارات

د. محمد بن عبد الله السحيم

البشارة الأولى: رؤيا رآها يعقوب عليه السلام في منامه، وذلك أنه رأى سلماً منصوباً من الأرض إلى السماء، وله خمس درجات، ورأى في منامه أمة عظيمة صاعدة في ذلك الدرج والملائكة يعضدونهم، وأبواب السماء مفتوحة فتجلى له ربه قائلاً: يا يعقوب أنا معك أسمع وأرى، تمن يا يعقوب. فقال: يا رب من أولئك الصاعدون في ذلك الدرج ؟ فقال الله له: هم ذرية إسماعيل. فقال يا رب بماذا وصلوا إليك ؟ فقال: بخمس صلوات فرضتهن عليهم في اليوم والليلة فقبلوهن وعملوا بهن فلما استيقظ يعقوب من منامه فرض على ذريته الخمس الصلوات، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد فرض على بني إسرائيل صلاة في التوراة إلا القرابين يقربونها، وما زالت بنو إسرائيل وعلماؤهم يصلون الصلوات الخمس إتباعاً لسنة جدهم يعقوب عليه السلام، ولم تزل أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام يبشرون بظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتمنون أن يكونوا في زمانه.

البشارة الثانية: أن يعقوب عليه السلام لما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم: (تقربوا إليّ أقول لكم ما يظهر آخر الزمان. فلما اجتمعوا قال لهم: ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، قال الإسكندراني: (ولم يوجد في التوراة أنه ذُكر شيء مما وعد به، بل مكتوب في التوراة أنه دعا لهم وتوفى، علم من ذلك أنهم محوا اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الآية.

قلت: إن الله صرفهم عن محو اسم النبي صلى الله عليه وسلم من وصية يعقوب، ففي هذا الإصحاح وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة يرد إخبار يعقوب لأبنائه بما سيكون في آخر الزمان، وقد بقى هذا الإخبار إلى الآن يحمل بعض ألفاظه العبرية، وهو قول يعقوب عليه السلام: (لا يزول صولجان من يهوذا أو مشرّعٌ من بين قدميه حتى يأتي شيلوه، ويكون له خضوع الشعوب)، وقد منّ الله على المهتدي عبد الأحد داود فكشف اللثام عن هذه الوصية، وفي الأسطر التالية اقتبس بعض استدلالاته واستنتاجاته على أن هذه البشارة خاصة برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاستدلالات هي:

١. أن كلمة "شيلوه" كلمة فريدة في العهد القديم، ولا تكرر في أي مكان آخر في العهد القديم.

٢. أن كلمة شيلوه تتكون من أربعة أحرف عبرية هي: "شين"، "يود"، "لاميد"، "وهي"، وتوجد بلدة اسمها شيلوه ولكن لا يوجد فيها حرف "يود"، ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقا أو مشيراً للبلدة، إذاً فالكلمة حيثما وجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان.

٣. أن هذه العبارة اشتملت على ضمير لغير العاقل، وقد يشير إلى القضيب أو الصولجان، أو المشرع بصورة منفصلة أو مجتمعة، وربما يشير للطاعة، وعليه فإن معنى العبارة: (إن الطابع الملكي المتنبي لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجئ الشخص الذي يخصه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب).

٤. بعد أن أورد بعض تحولات الترجمة لهذه الكلمة بين العبرية والسريانية قال: يمكن أن تقرأ هذه العبارة بالصورة التالية: (حتى يأتي الشخص الذي تخصه..)

٥. أن الكلمة "شيلوه" مشتقة من الفعل العبري "شله" وهي تعني المسالم والهاي والوديع والموثوق.

٦. من المحتمل أنه تم على هذه العبارة تحريف متعمد فتكون "شالوه" فحينئذ يكون معناها "شيلوح" وهذه العبارة مرادفة لكلمة "رسول ياه" وهو نفس اللقب الموصوف به محمد صلى الله عليه وسلم "وشيلواح إلوهيم" تعني: رسول الله.

٧. لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على المسيح حتى لو آمن اليهود بنبوته، لأنه لا توجد أي من العلامات أو الخصائص التي توقعها اليهود في هذا النبي المنتظر في المسيح عليه السلام، فاليهود كانوا ينتظرون مسيحاً له سيف وسلطة، كما أن المسيح رفض هذه الفكرة القائلة بأنه هو المسيح المنتظر الذي تنتظره اليهود.

٨. أن هذه النبوة قد تحققت حرفيا وعملياً في محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتعابير المجازية "الصولجان" و "المشرع" قد أجمع الشراح المعلقون على أن معناها السلطة الملكية والنبوة. وهذا يعني علمياً أنه صاحب الصولجان والشريعة، أو الذي يملك حق التشريع وتخضع له الشعوب.

٩. لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة في حق موسى، لأنه أول منظم لأسباط بني إسرائيل، ولا في حق داود، لأنه أول ملك فيهم.

١٠. لو تم تفسير "شيلوه" بـ "شالا" الآرامية فهي تعني: هادي ومسالم وأمين، وهذا يتفق مع تفسير "شله" العبرية. وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة هو الأمين، وهو محل الثقة، وهو المسالم الهادي الصادق. وبعد هذه المحاولات التفسيرية والترجمة ينتقل المهتدي عبد الأحد إلى إلزام الخصم بهذه النبوة ومدلولاتها وهي ما يلي:

١. أن الصولجان والمشرع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شيلوه لم يظهر.

٢. بموجب ادعاء اليهود في هذا "الشيلوه" فإن شيلوه لم يظهر، وأن الصولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط، وقد انقرضنا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

٣. أن سبط يهوذا اختفى مع سلطته الملكية وشقيقتها الخلافة النبوية، ومن الشروط الأساسية لظهور "الشيلوه" إبقاء السبط على وجه الأرض يعيض في أرض آبائه، أو في مكان آخر بصورة جماعية.

٤. اليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من الخيارين: إما التسليم بأن "شيلوه" قد جاء من قبل، وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه. أو أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجوداً، وهو السبط الذي ينحدر منه "شيلوه".

٥. أن النص يتضمن بصورة واضحة ومعاكسة جداً للاعتقاد اليهودي والنصراني – أن "شيلوه" غريب تماماً على سبط يهوذا وبقية الأسباط، لأن النبوة تدل على أنه عندما يجيء "شيلوه" فإن الصولجان والمشرع سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان "شيلوه" غريباً عن يهوذا، فإن كان "شيلوه" منحدراً من يهوذا فكيف ينقطع هذان العنصران من ذلك السبط، ولا يمكن أن يكون "شيلوه" منحدراً من أي سبط آخر، لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل كلها، وليس لمصلحة سبط واحد. وهذه الملاحظة الأخيرة تقضي على الادعاء النصراني في أن المسيح هو "شيلوه"، لأن المسيح منحدر من يهوذا من جهة أمه.

وقد أورد هذه البشارة النجار وقال إن المعنى: أن النبوة تبقى في سبط يهوذا – أكبر أولاد سيدنا يعقوب – حتى يأتي "شيلون" أي الإسلام، وتخضع له الأمم.

أولاً : بشارة سفر العدد: ما ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال: (انظروا كوكباً قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها) وقال المهتدي الإسكندراني: (ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره صلى الله عليه وسلم. حقا إنه كوكب آل إسماعيل، وهو الذي تغير الكون لمبعثه صلى الله عليه وسلم ، فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على أيدي أتباعه.

وقد حرف هذا النص في الطبعات المحدثة إلى: (يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم موآب، ويهلك من الوغى).

ثانياً: بشارات سفر التثنية:

البشارة الأولى: لما هُزمت جيوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله سبحانه وتعالى مستشفعاً بمحمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: (اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جيوش المؤمنين، فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد صلى الله عليه وسلم) وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: (اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته) ولا يمكن أن يكون هذا الدعاء – الذي في النص الأول – قد صدر من موسى عليه السلام ، لأنه ينافي كمال التوحيد.

البشارة الثانية: في الفصل الحادي عشر أن موسى قال لبني إسرائيل: (إن الرب إلهكم يقيم نبياً مثلي من بينكم، ومن إخوتكم فاسمعوا له) وقد ورد في هذا الإصحاح ما يؤكد هذا القول ويوضحه، وهو ما ورد في التوراة أن الله قال لموسى: (إني مقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم، وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه) وتكاد أن تكون هذه البشارة محل إجماع من كل من كتب في هذا الجانب، وقد بين هؤلاء المهتدون كيف تنطبق هذه البشارة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الوجوه التالية:

١. اليهود مجمعون على أن جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل من بعد موسى لم يكن فيهم مثله. والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاص تتبعه عليه الأمم من بعده، وهذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه من إخوتهم العرب، وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وتبعته الأمم عليها، فهو كموسى، هذا فضلاً عن أن لفظه (من بينهم) الواردة في البشارة قد أكدت وحددت الشخص المراد.

٢. هذا النص يدل على أن النبي الذي يقيمه الله لبني إسرائيل ليس من نسلهم، ولكنه من إخوتهم، وكل نبي بعث من بعد موس كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام، فلم يبق رسول من إخوتهم سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٣. أن إسماعيل وذريته كانوا يسمون إخوة لبني إبراهيم عليه السلام، لأن الله قال في التوراة لهاجر – حسب رواية العهد القديم – عن ابنها إسماعيل: (بأنه قبالة إخوته ينصب المضارب) كما دعى إسحاق وذريته إخوة لإسماعيل وذريته.

٤. أن في هذه الآية إشارة خفية غير صريحة، فائقة الحكمة، لأن موسى لو كان قصد بالنبي الموعود أنه من بني إسرائيل، لكان ينبغي أن يقول بدلا من (من إخوتكم): منكم، أو من نسلكم، أو من أسباطكم، أو من خلفكم، وبما أنه ترك هذا الإيضاح، علمنا أنه قصد بهذه الإشارة أنه من بني إسماعيل المباينين لهم.

٥. إشتمل هذا النص على مفردة كافية للتدليل على أن هذه النبوة خاصة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله: "انتقم منه". وفي بعض الترجمات (وكل نفس لا تسمع لذلك النبي وتطيعه تستأصل). فهي تدل على أن من لا يسمع له ويطعه ينتقم منه ويستأصل. وهذا ينطبق تماماً مع حال المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن أن تنطبق على عيسى عليه السلام الذي طارده وحاربه اليهود، ولم يقع عليهم الإنتقام منه أو من أتباعه، وهذه المفردة كافية للتدليل على صدقها على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثالثة: جاء في الفصل العشرين: (أن الرب جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز، وحببهم إلى الشعوب، ودعا بجميع قديسيه بالبركة) وهذه البشارة كالتي قبلها كادت أن تكون محل إجماع وقبول ممن كتب في هذا الجانب.

وفاران هي مكة وأرض الحجاز، وقد سكنها إسماعيل، ونصت على ذلك التوراة (وأقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر) وإذا كانت التوراة أشارت إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل، لأنهم سكان فاران.

أما من توهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب جبل سيناء – فليس ظنه صحيحاً، لأن فاران تلك هي برية فاران كما أفادت عنها التوراة. وهنا ذكر جيلاً. ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار. ولفظة فاران عبرية تحتمل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل ذو غار، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبل فاران الذي فيه المغارة. كما أن لفظة فاران مشتقه من فاري بالعبرية وعربيتها: المتجمل. أي المتجمل بوجود بيت الله. وهذه الجبال قد تجملت ببيت الله.

ومعنى جاء الرب: أي ظهر دينه ودعي إلى توحيده. كما أن لفظة "رب" هنا تقع على موسى وعيسى ومحمد وهي مستعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب رب البيت بمعنى صاحب البيت ويقول السريان لمن أرادوا تفخيمه "مار" ومار بالسريانية هو الرب.

وقد أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية ثم ترجمها إلى اللغة العربية ونص ترجمته هكذا: (جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب) وقال: (إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية صلى الله عليه وسلم.

وقد يقول قائل: إن موسى تكلم بهذه البشارة بصيغة الماضي فلا تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم. والجواب أن من عادة الكتب الإلهية أن تستعمل الماضي في معنى المستقبل، ألم تر أنه أخبر عن عيسى في هذه البشارة كذلك بصيغة الماضي، فإن قبلت هذه البشارة في حق عيسى فهي في حق محمد ادعى للقبول.

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن المعنى المراد منه المؤدي به إلى إتباع دينهم. وقد ربط المهتدي إبراهيم خليل بين هذه البشارة وبين صدر سورة التين واستنتج منه تطابقاً كاملاً في الوسيلة والتعبير.

البشارة الرابعة: لما بعث المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأظهر لهم المعجزات، نهض إليه عالم من علمائهم يقال له شمعون بلقيش وقال له: (لا نؤمن بك ولا نسلم لك فيما ادعيته، ولا فيما أتيت به، لأن موسى عليه السلام أخبرنا في شريعته عن الله عز وجل أن النبي المبعوث في آخر الزمان هو من نسل إسماعيل، وأنت من بني إسرائيل. واستدل على ذلك بقول موسى في التوراة: (لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى) وأفتوا

بقتل عيسى عليه السلام. وعيسى لم يدع أنه مثل موسى، وإنما دعاهم إلى عبادة الله وحده، والعمل والتصديق بما في التوراة.

ثالثاً: بشارة اليأس:

ذكر المهتدي الإسكندراني أنه جاء في صحف إلياس عليه السلام أنه خرج في سياحته وصحبه سبعون رجلاً، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا هؤلاء الذين يملكون حصونكم العظيمة فقالوا: يا نبي الله ! ما الذي يكون معبودهم ؟ فقال عليه السلام: يوحدون الله تبارك وتعالى فوق كل منبر عال، فقال له أتباعه يا نبي الله ! من يدلهم على ذلك ؟ فقال: ولد يولد من نسل إسماعيل، اسمه مقرون باسم الله، حيث يذكر اسم الله تعالى يذكر اسمه. قال المهتدي الإسكندراني: ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم.

رابعا: بشارات المزامير:

البشارة الأولى: قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين: (من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد السيف أيها الجبار، لأن بهاءك وحمدك البهاء الغالب، وأركب كلمة الحق، وسميت التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونه، والأمم يخرون تحتك) وقد أورد هذه البشارة المهتدي الشيخ زيادة في البحث الصريح بصورة أطول من هذه، وكل الصفات الواردة في كلا النصين تنطبق تماماً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قول داود عليه السلام في المزمور الثامن والأربعين: (إن ربنا عظيم محمود جداً، وفي قرية إلهنا وفي جبله قدوس ومحمد، وعمت الأرض كلها فرحا) فقد صرح وأبان عن اسمه، وذكر مبعثه وهي أم القرى، ووصف حال الكون بعد مبعثه وهو الاستبشار والفرح، ألم تتلق الشعوب المغلوبة على أمرها جنوده بالفرح والاستبشار كما هو مدون في كتب السير والتأريخ. وقد حرف هذا النص في الطبعة التي بين يدي إلى: (عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا قدسه) وقد يتضح القصد من إبدال القرية بالمدينة، حتى تنطبق هذه البشارة على أنبياء بني إسرائيل المبعوثين في مدنهم. وقد أعماهم الله عن تحريف الجزء الأول منه فلله الحمد والمنة.

البشارة الثالثة: قول داود عليه السلام في المزمور الخمسين: (إن الله صهيون إكليلاً محموداً، فالله يأتي ولا يهمل، وتحرق النيران بين يديه، وتضطرم حواليه اضطراماً) وقال المهتدي الطبري تعليقاً على هذه البشارة: (أفما ترون أنه لا يخلى داود عليه السلام شيئاً من نبواته من ذكر محمد أو محمود، كما تقرءون، ومعنى قوله إكليلاً محموداً: أي أنه رأس وإمام محمد محمود، ومعنى محمد ومحمود وحميد شيء واحد في اللغة، وإنما ضرب بالإكليل مثلاً للربانية والإمامية) وقد حرف هذا النص إلى: (من صهيون كمال الجمال الله أشرق، يأتي إلهنا ولا يصمت).

البشارة الرابعة: قول داود في المزمور الثاني والسبعين: (إنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب، تأتيه ملوك تاريس والجزائر بالقرابين، وتقرّب إليه ملوك سابا القرابين، وتسجد له الملوك كلهم، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، ويفتقد الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وينجي أنفسهم من الضر والضيم، وتعز عليه دماؤهم، وأنه يبقى ويعطى من ذهب سبأ، ويصلى عليه في كل وقت، ويبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال، كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الأرض، ويدوم ذكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس، فالأمم كلهم يتبكون به، وكلهم يحمدونه) وقال المهتدي الطبري: (ولا نعلم أحداً يصلى عليه في كل وقت غير محمد صلى الله عليه وسلم) وغني هذا النص عن زيادة تعليق أو شرح، فلم تتحقق هذه الصفات متكاملة لنبي أو ملك قبل محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما تحققت له، وبمقارنة سريعة بين الآيات التي سأوردها وهذا النص يتضح التماثل التام بينهما، قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقال عز وجل: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأة فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار).

وقد تضمن المزمور الذي وردت فيه هذه البشارة بعض الألفاظ التي لا تزال مشرقة وشاهدة وهي قول داود: (ويشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر) وهذا اللفظ يقع مباشرة قبل قوله: (إنه يجوز من البحر إلى البحر..) ولنفاسه هذا اللفظ أحببت إيراده. وقد ضُبطت لفظة "الصديق" بالشكل الذي نقلته، فهل بعد هذا الإيضاح يبقى إشكال لذي عقل؟ وقد ذكر صاحبه الصديق رضي الله عنه، وذكر سنة من سنن دينه وهي كثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، واضمحلال القمر تعبير عن الساعة يشهد له أول سورة التكوير والانفطار، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة أن يكون السلام على الخاصة.

البشارة الخامسة: قال داود في المزمور الحادي عشر بعد المائة: (قال يهوه لسيدي: اجلس على يميني إلى أن أجعل أعداءك مسنداً لقدميك) ويبرر المهتدي عبد الأحد داود إطلاق داود عليه السلام لهذا الوصف "سيدي" بما يلي:

١. أن داود كان ملكاً قوياً، ولا يتأتى أن يكون خادماً لأي كائن بشري.

٢. لا يمكن أن نتصور أنه كان يعني بهذا اللقب أحد الأنبياء المتوفين.

٣. لا يمكن لداود أن يدعو أحداً من سلالته "سيدي"، لأن اللقب المعقول حينئذ سيكون: يا بني.

٤. لا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو الذي عناه داود بسيدي، لأن المسيح قد استثنى نفسه من هذا اللقب بنص إنجيل برنابا.

أما الحجج التي احتج بها عبد الأحد على أن الموصوف بـ "سيدي" في هذا النص هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كالتالي:

١. أنه أعظم نبي، لأنه هو الذي نشر التوحيد، وقضى على الشرك، وطهّر الكعبة من الأصنام، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، إذاً ليس لداود فحسب، بل سيد الأنبياء ولا فخر.

٢. أن عيسى اعترف أنه لم يكن سيد داود، فلم يبق سوى محمد صلى الله عليه وسلم سيداً لداود.

٣. بمقارنة ما قدمه محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية مع ما قدمه كافة الأنبياء، نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمد صلى الله عليه وسلم وحده هو الذي يستحق هذا اللقب المميز.

٤. تفوقه صلى الله عليه وسلم في التنديد بالشرك والوثنية وبالثالوث النصراني.

٥. أن هذا التشريف قد تم ليلة المعراج.

البشارة السادسة: قول داود عليه السلام في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة: (من أجل أن الرب أتاح لشعبه وتطول على المساكين بالخلاص، فليتعزز الأبرار بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكرمون الله بحناجرهم، لأن في أيديهم السيف ذا الشفرتين للانتقام من الشعوب وتوبيخ الأمم، وإثقال ملوكهم بالقيود، وعليّتهم ومكرّميهم بالسلاسل، ليحملهم على القَدَر المكتوب المبرم، فالحمد لجميع أبراره) ألم تحقق هذه النبوة في محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه؟ ألم يقل الحق عنهم: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أما قوله: ويكرمون الله بحناجرهم. فهذا من أخص خصائص هذه الأمة، وهو الأذان والإقامة والتكبير والتسبيح والذكر. وقال المهتدي الطبري معلقاً على هذه البشارة: (أما ترون – يهديكم الله – هذه الصفات خالصة للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته ؟ فهو الذي معه السيف ذو الشفرتين، وهو المنتقم بأمته من جبابرة فارس وطغاة الروم وغيرهم، وهو الذي قيّدت أمته الملوك، وساقت جلّتهم وأولادهم في السلاسل والأغلال).

البشارة السابعة: قول داود عليه السلام في المزمور الثاني والخمسين بعد المائة: (لترتاح البوادي وقراها، ولتصر أرض قيدار مروجاً، وليسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر، لأن الرب يجئ كالجبار، كالرجل المجرب المتلظي للتكبر، فهو يزجر ويتجبر، ويقتل أعداءه) قال المهتدي الطبري: (من قيدار؟ إلا ولد إسماعيل عليه السلام، وهم سكان الكهوف الذي يحمدون الرب ويذيعون تسابيحه في الهواجر والأسحار) ولم يختص أبناء إسماعيل بسكنى الكهوف، وإنما ذكر في هذه البشارة سكان البوادي والقرى والكهوف وقلل الجبال والجزائر إشارة إلى شمول

رسالته صلى الله عليه وسلم كافة أرجاء المعمورة، ولجميع الأماكن الممكنة لسكنى البشر كالبوادي والقرى والكهوف والجزائر وقلل الجبال، وليس وراء هذه الأماكن ما ينفع لإقامة البشر فيها واتخاذها مسكناً.

البشارة الثامنة: قول داود عليه السلام: (طوبى لكم يا بني إسماعيل سيبعث منكم نبي تكون يده عالية على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده) وعلق الإسكندراني على هذه البشارة بقوله: (ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام لم يكن ظهر له ملك، ولا علت يده على إخوته، ولا نزل إلى الشام ولا سكن، ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمته هم الذين سكنوا بمساكن بني إسرائيل بمصر والشام) وهذه البشارة مماثلة للبشارة الأولى في سفر التكوين – وقد سبق إيرادها في هذا المبحث.

البشارة التاسعة: قول داود في المزمور: (عظموا الله يا كل الأمم، ووحدوا الله يا أهل الأرض، سيبعث لكم نبي الرحمة) فهل بعد هذا التصريح من تصريح؟ ومن غير محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ؟ .

خامساً : بشارات إشعياء:

البشارة الأولى: قول إشعياء في الإصحاح الأول: (اسمعي يا سموات، وقرّي يا أرض، ولماذا تقلقي؟ سيبعث عليك نبي به ترحمي) وهذه النبوة توافق النبوة الماضية في مزامير داود عليه السلام التي قال فيها: سيبعث لكم نبي الرحمة.

البشارة الثانية: قول إشعياء في الفصل الثالث: (إني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيراً، فيأتون سراعاً عجالاً، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، وقسيهم موترة، وحوافر خيلهم كالجلاميد صلابة، وعجلهم مسرعة مثل الزوابع، وزئيرهم كنهيم الليوث، وكشبل الأسد الذي يزأر وينهم للفريسة، فلا ينجو منهم ناج، ويرهقهم يومئذ مثل دوي البحر واصطكاكه، ويرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات والظلمات، وينكشف النور عن عجاج جموعهم) وقد استنبط المهتدي الشيخ زيادة من هذا النص الدلالات التالية:

١. هذه البشارة منطبقة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كل وجه، بدليل قوله رابع آية للأمم. ومحمد صلى الله عليه وسلم هو العلامة المرفوعة لسائر الأمم.

٢. أن قوله: من بلد بعيد، إشارة إلى أن هذه العلامة ترفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضح ذلك من قوله بعده: من أقاصي الأرض. فكأنه قال: إن أقصى أرض إسرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

٣. نفى التعب والإعياء والنوم عن جيوشه، وإثبات السرعة، برهان ظاهر على أن المراد بهذه النبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الملائكة كانت تشارك في جيوشه، وهم الذين لا ينامون ولا يسأمون.. كما أن نفي النوم عنه يدل أيضا على نبينا، لأنه كان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماه.

٤. الشهادة لحوافر خيله بأنها مثل الصوان، مطابق لوصف الله لها في القرآن بقوله: (والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا) ولا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على عيسى عليه السلام، لأنه لم يكن له خيل.

ولعل المراد من قوله: وأصفر لهم من أقاصي الأرض فيأتون سراعاً عجالاً. هو النداء بالحج إلى بيت الله الحرام الوارد في قوله تعالى: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق). وعبر بالصفير عن النداء والأذان.

البشارة الثالثة: قول إشعياء في الفصل الخامس مفسراً ما تقدم من نبواته: (إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نوراً باهراً، والذين كانوا في الدجى وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب، ولم تستكثر بهم، فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم، لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان يستبعد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين وقال الطبري: (وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن وقال إنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).

وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته، فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك، ثم أضاء لها نور الوحدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة، كثر أتباعها، وفرحوا بانضمامهم إليها، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استبعاد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر.

البشارة الرابعة: قول إشعياء في الفصل الخامس: (إنه ولد لنا مولود، ووهب لنا ابن سلطانه على كتفه) هذا النص عن الترجمة السريانية، أما ترجمته عن اللغة العبرية فهو: (إن على كتفه علامة النبوة).

وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بالنص العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وكانت بصورة أطول مما ذكره الطبري هنا، واستنتج منها الأدلة التالية الدالة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي:

١. أن اسمه عجيب، فلم يتسم أحد بهذا الاسم الشريف من قبل.

٢. أنه من سلالة إسماعيل الذي لم يظهر منهم سواه.

٣. أن لفظه "عجيباً" التي تضمنتها البشارة قد وجدت في التوراة اليونانية "رسولاً" وهو الاسم المتغلب عليه صلى الله عليه وسلم.

٤. هذه النبوة تضمنت أن إشعياء سماه "مشاوراً"، ولم يكن أحد أكثر منه مشاورة لأصحابه صلى الله عليه وسلم.

٥. أن إشعياء قال عنه: "سيد سلام"، وهذا يدل على أنه رئيس الإسلام والمسلمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين. ولا تنطبق هذه الأوصاف على عيسى عليه السلام، لأنه لا

توجد على كتفه علامة النبوة، ولم يكن اسمه عجيباً فقد سبقه من تسمى بمثل اسمه، ولم يأت بشريعة مستقلة.

والمقصود بهذه البشارة الإشارة إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه الشريف، وقد استفاضت كتب السنة والسيرة والدلائل بذكر خبره وصفته، وكذلك القصص والحوادث المتعلقة به كقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقصة بحيرا الراهب.

البشارة الخامسة: قول إشعياء في الفصل العاشر: (هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً، مقداً مثل الزعازع من الرياح، ورأينا منظراً رائعاً هائلاً ظالماً يظلم، ومنتهياً ينتهب ... ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فيدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيئة على المنظرة، ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل.. فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم). ويستنتج من هذا النص الدلالات التالية المؤكدة على أن المعنى بهذه البشارة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

١. أن إشعياء قال: ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية، لئلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأت أحد بهذه النوبة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد صلى الله عليه وسلم.

٢. أنه قال: (هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها). ولم تزل الأوثان تعبد في بابل حتى ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ، فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، واذعنوا لدين الله طوعاً أو كرهاً.

٣. إذا كان راكب الحمار ينطبق على المسيح، فليس في الدنيا راكب جمل أولى بهذه النبوة من محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار وراكب الجمل، ثم اتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه: (فرأى ركب رديف خيل، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل) وقال: هذه حال جيوشه صلى الله عليه وسلم ، خلاف عساكر الملوك، لأن الملوك لا تركب جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال.

أما قوله: (ظالماً بظلم، ومنتهبا ينتهب). فقصد به الإمبراطورية الفارسية والرومانية.

البشارة السادسة: قول إشعياء في الفصل السادس عشر: (لتفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج البراري والفلوات، ولتخرج نوراً كنور الشسلبذ، ولتستر وتزه مثل الوعل، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمثل الدساكر والرياض، وسيرون جلال الله عز وجل وبهاء إلهنا) وقد اشتملت هذه البشارة على ذكر بلده وحال أمته، وصرحت باسمه، وتضمنت ما وعدوا به من النظر إلى وجهه تعالى في الآخرة.

البشارة السابعة: قول إشعياء في الفصل التاسع عشر: (هتف هاتف في البدو وقال: خلوا الطريق للرب، وسهلوا لإلهنا السبيل في القفر، فستمتلئ الأودية كلها مياهاً، وتنخفض

الجبال انخفاضاً، وتصير الآكام دكا دكاً، والأرض الوعرة ملساء، وتظهر كرامة الرب، ويراه كل أحد، من أجل أن الرب يقول ذلك). ولم تدع أمه من البادية وتكرم هذا التكريم سوى الأمة الإسلامية. وقد أول الطري الجبال والروابي في هذه البشارة على أنهم الملوك والجبابرة، وأن الأودية الواردة هنا حقيقية.

ولعل الأولى أن يتم تأويل هذه الأودية على معنى معنوي كما أول الجبال والآكام فيكون المقصود بفيضان الأودية بالماء هو انتشار الإسلام، وإشاعة العلم الشرعي الذي لا تستغني عنه الأمة، كما أنها لا تستغني عن الماء، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ما بُعث به بالغيث أصاب الأرض.

البشارة الثامنة: قول إشعياء في الفصل التاسع عشر: (من الذي نبه البر من المشرق، ودعاه إلى موطئ قدمه ليسلم إليه الأمم، ويذهل عنه الملوك، ويجعل سيوفه في عدد الثرى .. وقسيه في عدد الحزم المنثورة، فهو يغلبهم ويضرب وجوههم، ثم يحدث سلماً، ولا يطأ برجله سفراً). قال الطبري: (فإن الحجاز والعراق وما ولاها عند أهل الشام مشرق). ومعنى قوله من الذي نبه البر. لعله بمعنى من الذي نبه البار من المشرق، أو لعل المقصود بالبر الإيمان، كما جاء في قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر). أما بقية النص فهو متحقق في النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الذي سلمت إليه الأمم قيادها، وذهل منه الملوك، وكانت سيوفه بعدد الثرى، وهو الذي تغلب على الكفار وخذلهم، ولم تجتمع هذه الصفات لأحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

البشارة التاسعة: قول إشعياء في الفصل العشرين: (يا آل إبراهيم خليلي الذي قويتك، ودعوتك من أقاصي الأرض، ومن نجودها وعواليها، ناديتك وقلت لك: إنك عبدي وأنا اجتبيتك، ولم أستر ذلك، فلا تخف، لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك، وبيميني العزيزة البرة مهدت لك، ولذلك يبهت ويخزي المستطيلون عليك، ويضمحل ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك، ويبيد القوم المنازعون لك، وتطلبهم فلا تحس منم أثراً، لأنهم يبطلون، ويصيرون كالنسئ المنسي أمامك لأني أنا الرب قويت يمينك، وقلت لك لا تخف، فإني أنا عونك ومخلصك، هو قدوس إسرائيلل، يقول الله الرب: (أنا جاعلك مثل الجرجر الحديد الذي يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال، وتدقها، وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف، وتلوى به هوج الرياح، وتبتهج أنت حينئذ، وترتاح بالرب، وتكون محمداً بقدوس إسرائيل). وقد استبدل أول هذا النص بـ (وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته من نسل إبراهيم). كما استبدل آخره بـ (وأنت لتبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر).

وقد تقدم في البشارات السابقة أن أرض الحجاز واقعة في أقاصي أرض إسرائيل، أما قوله: (فلا تخف لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك). فهو متفق مع قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس). أما قوله: (يبهت ويخزي المستطيلون عليك). فهو متفق مع قوله تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين) وقوله: (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)

كما أنه متفق مع حال المناوئين له والمخالفين لأمره ممن كانوا أمما أو أفراداً. ومعنى قوله: (تدوس الجبال وتدقها) .. فقد سبق تأويل الجبال بالملوك والجبابرة، وقد سحقوا أمام جيوشه وجيوش أصحابه، وأصبحوا هشيماً تذروه الرياح.

وقال المهتدي الطبري: (وإن شغب شاغب فأكثر ما يمكنه أن يقول: إن تفسير اللفظة السريانية هو: أن يكون محموداً وليس بمحمد. ومن عرف اللغة وفهم نحوها لم يخالفنا في أن معنى محمود ومحمد شيء واحد).

البشارة العاشرة: قول إشعياء في الفصل العشرين: (إن المساكين والضعفاء يستسقون ماء ولا ماء لهم، فقد جفت ألسنتهم من الظمأ، وأنا الرب أجيب حينئذ دعوتهم، ولن أهملهم بل أفجر لهم في الجبال والأنهار وأجري بين القفار العيون، وأحدث في البدو آجاماً، وأجري في الأرض ماء معيناً، وأنبت في القفار البلاقع والصنوبر والآس والزيتون، وأغرس في القاع الصفصف والسرو البهية، ليروها جميعاً، وليعلموا ويتدبروا ثم يفهموا معاً أن يد الله فعلت ذلك، قدوس إسرائيل ابتدعه) وقد ذهب الطبري إلى أن الألفاظ الواردة في هذه النبوة على حقيقتها، فقال: (فأين لكم يا بني عمي المحيد عن هذه النبوة الواضحة الناطقة؟ وما عسيتم تقولون فيها؟ وقد سمى البلاد ووصف المعاطش والقفار البلاقع، وما فجر فيها من العيون، وأجرى من الأنهار، وغرس فيها من أنواع الأشجار، وسمي العطاش المساكين من أهل البوادي والحجاز..) ولكنني أرى أن المقصود بهذه الألفاظ هي المعاني المجازية التي يمكن تأويل هذه الألفاظ إليها استئناساً بقرينة الحال والواقع، لا أن المقصود بهذه الألفاظ المعاني الحقيقية، يؤكد ذلك أن الأرض التي أشرقت بنور الرسالة المحمدية لا تزال منذ أن سكنها إسماعيل عليه السلام إلى يوم الناس هذا واد غير ذي زرع، كما قال ذلك الخليل عليه السلام، فلم تنعم بالأنهار،ولم تتفجر فيها العيون، ولم تنبت الزيتون والآس. ولعل المراد من قوله: إن المساكين والضعفاء يستسقون ولا ماء لهم أن هذا كناية عن سؤالهم الله أن يغيثهم بالرسالة، ويزكيهم بالكتاب والحكمة وينزل على قلوبهم السكينة والطمأنينة، امتداداً لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام لما قال – كما أخبر بذلك الله عنه في محكم تنزيله -: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم).

وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة نصاً عن إشعياء يتضمن أن "دوما" – وهي إحدى البلاد التي عمرها أحد أبناء إسماعيل عليه السلام – تستغيث بلسان حالها إلى الله سبحانه وتعالى أن يرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم ، ليخرجها من الظلمات إلى النور. فعلى ذلك يتيسر تأويل بقية النص الوارد إلى المعاني المجازية، فيكون المراد بالأنهار والعيون، وازدياد الخير والنماء وتبدل حال القفار ... هو انتشار الرسالة، وعموم نور الإسلام، وكثرة العلماء والدعاة الذين يرد إليهم الناس لسؤالهم والاستفادة من علمهم الذي هو للروح كالماء للجسد. وقد يكون من حكمة الله أن تظل هذه النصوص بهذه الألفاظ، لأنها لو وردت ظاهرة لتلقفتها أيدي اليهود النصارى بالتحريف والتغيير.

وبناء على ذلك يكون هذا النص – سواء كان ظاهراً أم مؤولاً – دالاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه ذكر الضعفاء والمساكين في البادية العطشى بين الجبال والقفار، وقد كانت أمته قبل بعثته على هذه الحال من الضعف والمسكنة والبداوة والسكنى بين الجبال وفي القفار والأودية العطشى.

البشارة الحادية عشر: قول إشعاء في الفصل الحادي والعشرين: (لتسبحني وتحمدني حيوانات البر من بنات آوى حتى النعائم، لأني أظهرت الماء في البدو، وأجريت الأنهار في بلد أشيمون، لتشرب منها أمتي المصطفاة فلتشرب منه أمتي التي اصطفيتها) وما ورد في هذه النبوة يؤكد ما جاء في النبوة السابقة، ويؤكد أيضاً تأويل الماء بالرسالة.

البشارة الثانية عشر: قول إشعياء في الفصل الثالث والعشرين متحدثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: (اسمعي أيتها الجزائر، وتفهمي يا أيتها الأمم، إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، جعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وأحاطني بظل يمينه، وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنتي لسره، وقال لي: إنك عبدي. فصرفي وعدلي قدام الرب حقا، وأعمالي بني يدي إلهي، وصرت محمداً عند الرب، وبإلهي حولي وقوتي) قال المهتدي الطبري: فإن أنكر منكر اسم محمد في الباب. فليكن محموداً، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً.

البشارة الثالثة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل للذي كانت نفسه مسترذلة مهانة، ولمن كانت الأمم تستخف به، وأتباع السلطان يهينونه، ستقوم له الملوك إذا رأوه، وتسجد له السلاطين، لأن وعد الله حق، وهو قدوس إسرائيل الذي انتخبك واختارك، وهو الذي يقول أجبتك عند الرضى، وترث تواريث الخرابات، وتقول للأسرى: أخرجوا وانفكوا، وللمحبسين اظهروا وانطلقوا.. ويتوافى القوم من بلد شاسع بعيد: بعض من جهة الجربياء، وبعض من البحر، وبعض من بحر سنيم. فسبحي أيتها السماء، واهتزي أيتها الأرض فرحاً، وابتهجي أيتها الجبال بالحمد، فقد تلاقى الرب شعبه، ورحم المساكين من خلقه) ولم تتحقق هذه المعاني مجتمعة إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت أمته قبل بعثته أمة مسترذلة مستضعفة، وببعثته صلى الله عليه وسلم أذعنت لهم الملوك، واستسلمت لهم الجبابرة، وقضوا على الإمبراطوريات القائمة، وحكموا البلاد والعباد.

أما قوله: (جعلتك ميثاقاً للشعوب). فهو متفق مع قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) والذي جاء مصدقاً لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه).

أما قوله: نوراً للأمم. فهو متفق أيضاً مع قوله تعالى: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون). وقوله تعالى: (الله نور السموات

والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) وقوله تعالى: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا).

أما قوله: (لتطمئن بك الأرض)، فهو مماثل لقوله تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

أما قوله: (وترث ثواريث الخرابات) فتستطيع أن تلمح منه وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف كما في قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ..). أما بقية هذه البشارة فهي تصوير لتوافد الأمة الإسلامية في موسم الحج، وإقامة شعائر الله في تلك البقاع الطاهرة المباركة..

البشارة الرابعة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين مخاطباً مكة وهاجر: (أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعا، ويخرج عنك من أراد أن يتحيّفك ويخرّبك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك، وانظري فإنهم يأتونك ويجتمعون عن آخرهم إليك يقول الله مقسماً باسمه: إني أنا الحي، لتلبسنهم مثل الحلة، ولتتزينين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقن عنك قفارك وخراباتك، والأرض التي ألجئوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهربن منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك: أيتها النزور الرقوب، إنه قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم. وهذه البشارة لا تتطلب الشرح والتعليق لوضوحها، كما أنها لا تقبل أن تؤول على غير مكة أو هاجر، فمن الذي تكفل الله بحمايتها غير مكة؟ ومن الذي تكاثر عددها ونسلها، وضاقت عنهم أرضها، سوى هاجر ؟؟.

البشارة الخامسة عشرة: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (هكذا يقول الرب: ها أنا رافع يدي على الأمم، وناصب لهم آية، وهي أن الناس يأتونك بأبنائك على أيديهم، ويحملون بناتك على أكتافهم وتكون الملوك ظؤوتك، وعقائل نسائهم مرضعاتك، ويخرون على وجوههم سجداً على الأرض، ويلحسون تراب أقدامك، وتعلمين حينئذ أني أنا الرب الذي لا يخزي الراجون لي لدى). وفي هذا النص تقرير لخضوع الأمم لهذه الأمة الإسلامية، فيكون أبناؤها وبناتها خدماً لأبناء الأمة الإسلامية، وتكون نساؤهم مرضعات لأطفال المسلمين، وقد حدث ذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية التي أثمرت عن انتشار الرقيق من سبايا الكفار، كما أن في قوله: (ويلحسون تراب أقدامك). تصوير لحال الصغار والذل الذي يلازم دافع الجزية كما في قوله تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). وقد وافق إشعياء داود في هذه النبوة، ولم لا، والمصدر واحد، والموضوع واحد، والوصف واحد، وهو قوله: (ويلحسون تراب أقدامك).

البشارة السادسة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (من الذي أقبل من أدوم؟ وثيابه أشد حمرة من البسر، وأراه بهياً في حلله ولباسه، عزيزاً لكثرة خيله وأجناده، وإني أنا الناطق بالحق والمخلص للأقوام، وإن لدينا ليوم الفتنة نكلاً، ولقد اقتربت ساعة النجاة، وحانت ساعة تخليصي، لأني نظرت فلم أجد من يعينني، وتعجبت إذ ليس من ينيب إلى رأيي، فخلصني عند ذلك ذراعي، وثبت بالغضب قدمي، ودست الأمم برجزي، وأشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي، ودفنت عزهم تحت الأرض). تورد هذه النبوة بعضاً من صفاته صلى الله عليه وسلم في هيبته وجلاله، وطرفاً من ذكر بهائه، وإشارة إلى كثرة خيله وأجناده، وأن بمقدمه تتخلص الأقوام من قيد العبودية لغير الله، وتقترب ساعة نجاتها، كما تضمنت هذه النبوة صفة البشرية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وأنها لا تسمع لكلام الله، ولا تنصر المؤمنين به، فاستحقت بذلك غضب الله ومقته، فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم عقاباً لأمم الكفر، إذ ناصبهم العداوة، وشهر السيف في وجوههم، وأرغمهم على الإذعان له، ودفن مجد الكافرين تحت الأرض.

وقد يقول قائل: إن هذه البشارة ذكرت أنه أقبل من أدوم. ومحمد صلى الله عليه وسلم كان في أرض الحجاز، فلا تنطبق عليه هذه النبوة. والجواب على ذلك: أن الصفات الواردة في بقية النبوة لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، أما قوله: أقبل من "أدوم" فمن المعلوم أن المتحدث في هذه البشارة هو أحد أنبياء بني إسرائيل المقيمين في أرضها، و"أدوم" إقليم يقع بين الحجاز وفلسطين، إذ القادم من الحجاز إلى فلسطين لا بد أن يعبر من خلال "أدوم"، ويجب أن لا نغفل أن المتحدث – وهو إشعياء – يتحدث عن أمر غيبي مستقبلي فلا يمكن إذاً أن يقول: من الذي أقبل من الحجاز. لأنه سيقال له: أين منا الحجاز ؟؟. ولكنه يتحدث عن هذا النبي القادم بيقين لا شك فيه، حتى لكأنه يراه في أطراف أرض إسرائيل فيقول لهم: من هذا الذي أقبل من أدوم؟؟ وهو علىيقين منه، لأنه ذكر صفاته، ولكنه طرح الخبر بصيغة التساؤل حتى تستشرف النفوس، وتهفو الأرواح للقائه.

البشارة السابعة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين عن الله عز وجل أنه قال مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: (إني جعلت اسمك محمداً، فانظر من محالك ومساكنك يا محمد، يا قدوس، .. واسمك موجود منذ الأبد) فذكر اسمه مرتين في هذه النبوة، وهذه مماثلة لما ورد في نبوة داود عليه السلام عنه في المزامير من قول داود: (في جبله قدوس ومحمد). فليس وراء هذا مجل لمدعٍ أن يتمحل أو يجادل.

وقال الطبري: (إن القدوس في اللغة السريانية: الرجل البر الطاهر ... فإن غالط مغالط فقال: (يا محمد يا قدوس)، إنما يقع على المساكن التي ذكرها. فإن الكتاب السرياني يكذبه، لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال: يا قدوسين ومحمدين. ولم يقل قدوساً ومحمداً.

البشارة الثامنة عشر: قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (اعبروا اعبروا الباب، وردوا الطريق على الأمة، وسهلوا السبيل وذللوها، ونحوا الحجارة عن سبيلها، وارفعوا للأمة علماً ومناراً، فإن الرب أسمع نداءه من في أقطار الأرض، فقل لابنه صهيون إنه

قد قرب مجيء من يخلصك، وأجره معه، وعمله قدامه، ويسمون شعباً طاهراً، يخلصهم الرب، وتسمين أنت أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها ولم يخذلها ربها) وهذه البشارة شاهدة ومؤكدة للبشارة السابقة لإشعياء التي سبق إيرادها تحت مسمى البشارة التاسعة.

ويماثل قول إشعياء أسمع نداءه من في أقطار الأرض. قوله صلى الله عليه وسلم عن هذا الدين: (لا يبقي على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو بذل ذليل: إما يعزه الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم الله فيدينون لها.

أما قوله: فقل لابنة صهيون إنه قد قرب مجيء من يخلصك. فهو شاهد على أن هذا المخلص هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه ذكر شيئا من صفاته، وهو أن أجره معه فهو لا يبتغي على رسالته أجراً من أحد سوى الله، كما أنه لا يعمل لدنياه بل يعمل لآخرته فعمله أمامه، ولم تتخلص ابنة صهيون – ولعل ذلك تعبير عن بيت المقدس – من ربقة السيطرة اليهودية، وضلال الوثنية النصرانية إلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهو الذي ألبسها حلة الإيمان، وكساها رونق التوحيد، وكشف عنها ستار الجهالة. ويؤكد اختصاص هذه الأمة بهذه البشارة قوله: (ويسمون شعبا طاهراً ... وتسمين أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها). فذكر حالهم وهو الطهارة، ولعنايتهم به جعله اسماً لهم، وهذا موافق لقوله r: (أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء). وأشار إلى موطنهم وهو مكة، فهي القرية وهي أم القرى.

البشارة التاسعة عشر: قول إشعياء في الفصل السادس والعشرون مخاطباً هاجر عليها السلام: (سبحي أيتها النزور الرقوب، واغتبطي بالحمد أيتها العاقر، فقد زاد ولد الفارغة المجفية على ولد المشغولة الحظية. وقال لها الرب أوسعي مواضع خيامك، ومدي ستور مضاربك، لأنك لا تنفسي ولا تضني، بل طوّلي أطنابك، واستوثقي من أوتادك، من أجل أنك تتبسطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة اليبات). فذكر حال هاجر عليها السلام. وبشر هاجر بهذه الآمال العظيمة التي تستحق الحمد والشكر والاغتباط، وما ينتظر ذريتها من التوسع والسيطرة والغلبة على سائر الأمم، وبمقارنة هذا الوعد الذي وعد به إشعياء هاجر عليها السلام – مع الفتوحات التي تحققت للأمة الإسلامية على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أنه قد تحقق فعلاً، وليس بعد شهادة الواقع وتصديقه لهذه النبوة مجال لمجادل أن يجادل أو يغالط فيدعي أن هذه البشارة لا تصدق هنا، وأنها دالة على قوم آخرين .. ويكفي في هذه النبوة حجة ودليلاً أنه نص على أن أبناء المجفية قد زادوا على أبناء المشغولة الحظية، ومن المجفية إلا هاجر؟ ومن الحظية إلا سارة؟. ولم تحصل هذه الزيادة، ولم تتحقق هذه الغلبة إلا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

البشارة العشرون: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين مخاطباً هاجر عليها السلام: (أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهموم التي لم تنل حظوة ولا سلوا، إن جاعل حجرك بلوراً .. ويعرفني هنالك جميع ولدك ولا ينكرونني، وأعلم أبناءك بالسلم، وتكونين مزينة

بالصلاح والبر، فتنحي عن الأذى والمكارة، لأنك آمنة منها، فانحرفي عن الانكسار والانخذال فلن يقرباك، ومن انبعث من بين يدي فإليك يكون وفيك حلوله، وتصيرين وزراً وملجأً لقاطنيك وساكانك). قال الطبري: (فأي شهادة أعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونه ولا يجهلونه؟ وأنه صيّر بلدهم وزراً وملجأً للناس، أي حرماً آمناً).

البشارة الواحد والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (يا معشر العطاش توجهوا إلى الماء والورود، ومن ليس له فضة فليذهب ويمتار ويستسقي ويأكل من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن). قال المهتدي الطبري: (فهذا من نبوة إشعياء دال على ما أنعم الله به على ولد هاجر من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى أنهم صائرون إلى ما وعدهم الله تعالى في الآخرة من أنهار من خمر، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين. فانظروا إلى هذه المشاكلة والموافقة التي بين النبوتين جميعاً). وهذا إشارة منه إلى قوله تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم).

البشارة الثانية والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (إني أقمتك شاهداً للشعوب، ومدبراً وسلطاناً للأمم، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً، من أجل الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب، فإذا عرفتموه فاستجيبوا له، وإذا قرب منكم فليرجع عن خطيئته، والفاجر عن سبيله، وليرجع إليّ لأرحمه، وليتب إلى إلهنا الذي عمّت رحمته وفضله) قال الطبري: (فقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم باسمه، وقال: إن الله جعلك محمداً. فإن آثر المخالف أن يقول: ليس بمحمد، بل محمود وافقناه فيه، لأن معناهما واحد).

أما قوله: (أقمتك شاهداً للشعوب). فهو مماثل لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) وقوله عز وجل: (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس). وقوله عز من قائل: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً).

أما قوله: سلطاناً للأمم. فيحتمل أن يكون المراد منه المعنى المتبادر للذهن وهو السيادة والقيادة، وقد تحققت له هذه على الأمم في حياته وحياة أصحابه. ويحتمل أن يكون المراد منه أنه سلطان بمعنى حجة على الأمم، لأن السلطان في لغة التنزيل تأتي بمعنى حجة.

وأما قوله: (لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم). فقد تحقق ذلك بإرساله صلى الله عليه وسلم الرسل والكتب إلى الملوك كهرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم ممن لا يعرفهم كما هو مشهور في كتب السنة والسيرة.

وأما قوله: تأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً. فمصداق ذلك في انضواء الأمم التي لم تكن تعرفه من قبل، والتي لا تعد ولا تحصى تحت لوائه، والإذعان لأمره. كما أن هذه البشارة لا تنطبق على الأنبياء قبله، لأنهم دعوا أقوامهم وهم يعرفونهم،

واستجابت لهم الأمم التي تعرفهم، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا من لم يعرفه، واستجاب له من لا يعرفه.

وبقية النص تتعلق بالرحمة والمغفرة والتوبة، وهي معان ظاهرة في شريعته، أظهر من الشمس في رائعة النهار، ولا يمكن أن تكون هذه البشارة دالة على اليهودية أو على النصرانية لما يأتي.

١. أن اليهودية تعتقد أنها دين خاص ببني إسرائيل، وهذه البشارة قد تضمنت أنه يدعو الأمم ، وتأتيه الأمم، وهذا يناقض اعتقادها.

٢. أن هذا النص تضمن أن صاحب هذه الرسالة يبشر بالتوبة والمغفرة والرحمة، وهذا يخالف اعتقاد اليهود والنصارى: فاليهود تعتقد أن من حق الكاهن المغفرة ومحو الخطايا كما أن النصرانية تعتقد أن البشرية كانت مثقلة بالخطيئة الموروثة التي رفعت عنهم بعد صلب المسيح – كما زعموا – ثم غفلت النصرانية عن كونها محت الخطيئة الموروثة فمنحت رجال الدين حق مغفرة الخطايا.

٣. المسيحية ديانة خاصة ببني إسرائيل، لأن المسيح عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل حيث يقول لتلاميذه: (إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

البشارة الثالثة والعشرون: قول إشعياء في الفصل الثامن والعشرين عن الله سبحانه وتعالى أنه قال: (إني أقسمت بنفسي وأخرجت من فمي كلمة الحق التي لا خلف لها ولا تبديل، وإنه تخرّ لي كل ركبة، ويقسم بي كل لسان، ويقولون معا: إن النعمة من عند الرب). قال المهتدي الطبري: (فمن هذه الأمة التي تقسم باسم الله؟ ومن ذا الذي يخر على الركب لاسم الفرد الواحد، ويحدث بنعم الله صباحاً ومساء، ويفرده بالدعاء والابتهال غير هذه الأمة ؟ فأما جماعة النصارى فإنهم ينسبون النعم إلى المسيح).

البشارة الرابعة والعشرون: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (إن الله نظر ولم ير عدلاً، وأنكر ذلك، ورأى أنه ليس أحد يعين على الحق، فعجب الرب منه، وبعث وليه فأنقذه بذراعه، ومهد له بفضله، فاستلأم العفاف كالدرع، ووضع على رأسه سنور الإعانة والفلح، ولبس لباس الخلاص، لينتقم من المبغضين له والمعادين، ويجازي أهل الجزائر جزاءهم أجمعين، ليتقي اسم الله في مغارب الأرض، وليخشع في مشارقها لجلاله) وفي هذه النبوة تصوير لواقع البشرية قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام، كما أن فيها إشارة إلى اختيار الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ووصفاً لجهاده صلى الله عليه وسلم الكافرين والمعاندين، وبياناً للنتيجة التي تحققت على يديه وهي: دخول الأمم في دين الله أفواجاً، حتى شمل ذلك المشرق والمغرب.

البشارة الخامسة والعشرون: قول إشعياء مخاطباً هاجر عليها السلام وبلادها وهي مكة: (قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخللت الأرض الظلام، وغطي على الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقاً، وتظهر كرامته عليك،

وتسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك وتأملي، فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك، ويأتيك ولدك من بلد بعيد، وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المربلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، ويساق إليك كباش مدين وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها، وتخدمك رخلات نبايوت، ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً). فذكر هاجر وذكر البلد، وصرح بالحج وما يصاحبه من توافد الأمم، وسوق الهدي، كما صرح بأسماء بعض هذه الأمم الوافدة إلى الحج كأهل سبأ ومدين وغيرهما. أما قوله: (قيدار ونبايوت). فقال الطبري: هما من أولاد إسماعيل عليه السلام.

البشارة السادسة والعشرون: قال إشعياء في الفصل الثامن والعشرين: (سيترجاني أهل الجزائر، ومن في سفن تارسيس كما فعلوا من قبل، ويوردون عليك أبناءك من بلد بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم، من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك وأكرمك، ويبني أبناء الغرباء سورك، وملوكهم يخدمونك، وتفتح أبوابك في كل وقت وأوان من آناء الليل والنهار فلا تغلق، ويدخل إليك أرسال الأمم، ويقاد إليك ملوكهم أسرى، لأن كل أمة ومملكة لا تخضع لك تتبدد ستورها، وتصطلم الشعوب بالسيف اصطلاماً، وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن أبهلها ليبخر به بيتي، ويعظم به موضع قدمي ومستقر كرامتي، وتأتيك أبناء القوم الذين كانوا يذلونك، ويقبل آثار أقدامك جميع من كان يؤذيك ويضطهدك، وأجعلك كرامة إلى الأبد، وغبطة وفرحاً إلى دهر الداهرين، وسترضعين ألبان الشعوب، وستصيبين من غنائم الملوك، وتتمززين من غاراتك عليهم ... وأجعل السالمة مدبرك، والصلاح والبر سلطانك، ويكون الرب نورك ومصباحك إلى الأبد). فلم تتحقق هذه الصفات مجتمعة إلا لهذه الأمة الإسلامية، فتغلبت على الأمم، وقادت ملوكهم أسرى، وتبدد من أمامها الأمم التي لم تذعن لها. وكتب الله لها الغلبة والظهور إلى قيام الساعة وهو ما أشار إليه أشعياء في قوله: إلى دهر الداهرين .. إلى الأبد. وهو مماثل لقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض). وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون).

البشارة السابعة والعشرون: قال إشعياء في الإصحاح الثاني والأربعين: (إن عبدي المجتبى عندي، ابن حبيبي اخترته وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة).

وقد أورد المهتدي الترجمان وغيره هذا النص بصورة أطول، واشتمل على صفات هي ألصق بمحمد صلى الله عليه وسلم من غيره وهو قوله: (إن الرب سبحانه وتعالى سيبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه، ويبعث له الروح الأمين، يعلمه دينه، ويعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل، وما يقول للناس هو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا فيها، وعليها رقود، وقد عرّفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون). فمحمد صلى الله عليه وسلم هو المبعوث في آخر

الزمان، وهو الذي نزل عليه الروح الأمين، وهو الذي حكم بين الناس بالعدل وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

البشارة الثامنة والعشرون: قول إشعياء في الإصحاح الثاني والأربعين: (لترفع البرية ومدنها صوتها، والديار التي سكنها قيدار، ولتترنم سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا ليعطوا مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر الرب كالجبار، يخرج كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ على أعدائه). تضمن هذا النص الإشارة إلى مساكن العرب وهم ذرية قيدار أحد أبناء إسماعيل عليه السلام، والتصريح بذكر جبال المدينة المنورة وهو سالع، إذاً فلا تقبل هذه البشارة أن تنطبق على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقبل الانتقال إلى نبوات إرميا لا بد لي من الإشارة على أن النبوات التي أوردها إشعياء تكاد أن تأخذ طابعاً معيناً وهو: المباشرة في الطرح والتصريح بذكر الأسماء كمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإسماعيل، ومكة والعرب، أو الإشارة إلى صفته وصفات أمته وأصحابه كذكر الدروع والسيوف والجهاد .. كما مر سابقاً.

سادساً: بشارات إرميا:

البشارة الأولى: خاطب الله بها النبي صلى الله عليه وسلم على لسان إرميا في الفصل الأول فقال: (من قبل أن أصورك في الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من البطن قدستك، وجعلتك نبياً للأمم، لأنك بكل ما آمرك تصدع، وإلى كل من أرسلك تتوجه، فأنا معك لخلاصك، يقول الرب: وأفرغت كلامي في فمك إفراغاً، فتأمل وانظر، فقد سلطتك اليوم على الأمم والمملكات، لتنسف وتهدم وتتبر وتسحق، وتغرس من رأيت) قال المهتدي الطبري عن هذه البشارة: (هي شبيهة بنبوات إشعياء وغيره) وهو يقصد قول إشعياء: (إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم) وهذه هي البشارة الرابعة عشرة من بشارات إشعياء حسب ترتيب هذا البحث.

ويتفق أول هذه البشارة مع قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بالحق مصدقاً لما معهم بدليل قوله تعالى عنه: (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) وقوله تعالى: (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه).

أما قول إرميا: (لأنك بكل ما أمرك تصدع). فيصدقه قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين). ويشهد لقوله: (وأفرغت كلامي في فمك). قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى). وبقية النص متوافق مع البشارات التي تحدثت عن جهاده صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قال إرميا في الفصل التاسع عشر مخبراً عن الله عز وجل أنه قال: (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلها، ويكونون لي شعبا، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له أعرف الرب، لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنوبهم، ولا أذكرهم

بخطاياهم). قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: (وقد صدق وعد الله، وازدرع حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به). واقرأ قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). وقوله عز من قائل (والذين آمنوا أشد حبا لله)، وقوله عز وجل: (يحبهم ويحبونه) وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في هذه النصوص من صفات خيّرة مباركة، فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان إرميا.

البشارة الثالثة: قول إرميا في الإصحاح الثامن والعشرين: (النبي الذي تنبأ بالسلام، فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الله أرسله حقاً). هذه النبوة أوردها المهتدي عبد الأحد داود بالمعنى، ويرى أنها بمعنى: (إن النبي الذي تدور نبوءاته حول الإسلام "شالوم" عند ورود كلمة النبي، ذلك النبي المعروف أنه المرسل من قبل الله الحق) وبعد دراسته للنص السابق خرج منه بالنتائج التالية:

١. أنه لا يمكن أن يكون النبي صادقاً إلا إذا بشر بدين الإسلام ونشره، (إن الدين عند الله الإسلام).

٢. من الحقائق المسلّم بها أن كلمة "شالوم" العبرية و "سلام" السريانية و "إسلام" العربية كلها من نفس الجذر السامي "شلام" وتحمل نفس المعنى، وهذا أمر يعترف به جميع علماء اللغات السامية، وفعل "شلام" يدل على الخضوع أو الاستسلام، ولا يوجد نظام ديني في العالم يحمل اسماً أو وصفاً أفضل وأشمل من الإسلام. فالدين الحق لله الحق.

٣. أن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح عليه السلام الذي استخدم كلمة "شالوم" بمعنى الدين، وهو النبي الوحيد الذي يستخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق أحد من رسل الله. أي أن إرميا هو الوحيد قبل المسيح الذي جعل الإسلام هو المقياس الذي يعرف من خلاله النبي الصادق من الكاذب، وإلا فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكافة الرسل عليهم السلام كانوا مسلمين، واتخذوا الإسلام ديناً.

٤. أن دين الإسلام – أي الإسلام – هو وحده القادر على تحديد الخصائص المميزة للنبي الصادق من النبي الكاذب، كما أنه لا يوجد في العالم دين يتبنى ويدافع عن هذه الوحدانية المطلقة سوى الإسلام.

البشارة الرابعة: قال إرميا في الفصل الثاني والثلاثين مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم: (اعدوا لي آلات الحرب، فإني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها وأبدد بك الطغاة والولاة، وأجازي بابل، وجميع سكان بلاد الكلدانيين بجميع أوزارهم التي ارتكبوها. هذا قول الرب). وبمقارنة النهاية التي آلت إليها الإمبراطورية الفارسية على أيدي المسلمين بما ورد في هذه النبوة، نجد أن هذا الوعد لهذه الأمة الإسلامية، وذلك

الوعيد المتوعد به الأمة الفارسية قد تحقق فعلا، وأقامه الله شاهداً من شواهد التاريخ مصدقاً لما وعد الله به المؤمنين على ألسنة رسله وأوليائه.

سابعاً: بشارة حزقيال:

قال حزقيال في الفصل التاسع: (إن أمّك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان كالعصى قوية مشرفة على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت وبسقت أفنانهن على غيرهن، وحسنت أقدارهن بارتفاعهن والتفاف سعفهن، فلم تلبث الكرمة أن قلعت بالسخط، ورمى بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمارها، وتفرق قواها، ويبس عصي عزها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند ذلك غرس في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان). فتأمل ما في هذا النص من بلاغة في التصوير، ودقة في التعبير، فشبه الأمة اليهودية إبان عزها وسؤددها – لما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء – بالكرمة الحسنة، وبعد أن نزعت منها النبوة، وأغضبت ربها استأصل شأفتها، واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها. واستبدل الله بها أمة هي خير أمة أخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هذه الشجرة الأغصان الفاضلة التي قضت على تلك الشجرة الأولى ولم تبق فيها عصا ولا قضيباً. وهذا حال الأمة اليهودية والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسع نفوذها، حتى شمل بلاد بني إسرائيل وغيرها.

البشارة الأولى: قال دانيال في الإصحاح السابع: (إن ملكوت الله وعظمة المملكة الممتدة تحت رقعة السماء كلها سوف تعطي لعباد الله تعالى وأوليائه. وسيكون ملكوتهم هذا مملكة أبدية، تخدمها جميع الممالك الأخرى، وتعمل بطاعتها) إن هذه البشارة لتدل بوضوح على أن في الإسلام توجد وحدة لا انفصام لها بين الدين والدولة. فالإسلام ليس ديناً فحسب، بل أيضاً المملكة الدنيوية. ولا بد من إلقاء نظرة خاطفة على التدرج التأريخي لهذا الملكوت حتى بلغ غايته، واكتمل بناؤه على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا التدرج هو كما يلي:

١. أن الإسلام قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم تمثله دولة تحكم باسمه وتدافع عنه، وإنما كان الإسلام ديناً قائماً في حياة الأقوام التي آمنت به، ولم تقم له دولة في حياتهم، بل كان السلطان والقوة في أيدي الكفرة الوثنيين، في العموم الغالب، ويستثنى من ذلك فترات حكم كل من سليمان وداود ويوشع عليهم السلام.

٢. إن المسيح عليه السلام قد بشر تلاميذه باقتراب ملكوت الله. وهذا الملكوت يعني وجود دين ومجتمع قوي من المؤمنين بالله، وهذا المجتمع يتسلح بالإيمان بالله وبالسيف لقتال أعدائهم الذين يريدون أن يحولوا بينهم وبين تبليغ كلمة الله إلى البشرية، أو بمعنى أوضح: إن ملكوت الله هو الإسلام. إذاً فالمسيح عليه السلام بشر تلاميذه باقتراب ظهور

الإسلام على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكد لليهود أن النبي الذي تنتظره اليهود ليس يهودياً، ولا من نسل داود عليه السلام، بل هو من نسل إسماعيل عليه السلام واسمه أحمد، وسيقيم الدولة الإسلامية وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، وهذه الدولة مؤيدة بنصر الله ثم بسواعد المجاهدين في سبيله.

٣. طبيعة هذا الملكوت وتكوينه: يتألف هذا الملكوت من المؤمنين بالله الذين يلازمهم ذكر الله سبحانه وتعالى في كل أحوالهم، فلا يقومون بأي عمل إلا ويبدءونه بذكر الله، ويحمدونه بعد الانتهاء منه.

وطبيعة هذا الملكوت أنه يتكون في جوهره من شقين: الأول: دين صحيح قائم على وجه الأرض وفق المنهج الذي ارتضاه الله في كتابه القرآن. والثاني: دولة إسلامية تقوم على هذا المنهج ويتصف المؤمنون بهذا المنهج بما يأتي:

أ) أنهم يكونون أمة واحدة تربطهم أخوة واحدة هي أخوة الدين.

ب) أنهم كما وصفهم دانيال: جماعة القديسين. وهذه صفة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار وعلى سائر المؤمنين بالله.

٤. ديمومة هذه المملكة ورفعة شأنها: هذه الحقيقة أكدها دانيال بقوله: إن جميع الأمم تحت قبة السماء تخدم شعب الأبرار العامل بطاعة الله. ولم تتحقق هذه الصفة – وهي خدمة الأمم – إلا للأمة الإسلامية التي خدمتها الأمم في مشارق الأرض ومغاربها. ومن دواعي استمرار هذه الأمة وديمومتها أنها لا تعرف التمييز الطبقي في تشريعاتها بين أفرادها فالكل سواء أمام شرع الله، لا فرق بين الأبيض والأسود أو بين الحاكم والمحكوم.

البشارة الثانية: قال دانيال: (طوبى لمن أمل أن يدرك الأيام الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين). قال المهتدي الطبري: (فأعملت فيه الفكر فوجدته يوحي إلى هذا الدين، وهذه الدولة العباسية خاصة، وذلك أنه لا يخلو دانيال من أن يكون أراد بهذا العدد: الأيام والشهور والسنين، أو سرا من أسرار النبوة بخرجه الحساب. فإن قال قائل: إنه أراد به الأيام. فإنه لم يحدث لبني إسرائيل، ولا في العالم بعد أربع سنين فرح ولا حادثة سارة، ولا بعد ألف والثلاثمائة وخمسة وثلاثين شهراً، فإن ذلك مائة وإحدى عشر سنة وأشهر. فإن قالوا: عني به السنين. فإنما ينتهي ذلك إلى هذه الدولة، لأن من زمن دانيال إلى المسيح نحواً من خمسمائة سنة... ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسية منذ ثلاثين سنة، أو يزيد شيئاً).

وبمقارنة هذا التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري تكون السنة التي أشار إليها هي سنة ٢٥٣هـ تقريباً. ولعل في هذه البشارة سراً عجيباً وهو الإشارة إلى بلوغ الدولة الإسلامية غاية مجدها، وكمال سيطرتها، ونهاية فتوحاتها.

ثامناً: بشارات هوشاع:

البشارة الأولى: قول هوشاع: (قال الرب: إني أنا الرب الإله الذي رعيتك في البدو، وفي أرض خراب قفر غير مأهول، ليس بها أنيس). قال المهتدي الطبري: فلسنا نعرف أحداً رعاه الله في البدو، وفي أرض قفر غير النبي صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قال هوشاع يصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم: (إنها أمة عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون، وإن النار تحرق أمامها، وتتوقد خلفها الضرائر). ولم تنل أمة من العز والمنعة والسلطان في فترة طويلة وعلى رقعة واسعة كما نالت الأمة الإسلامية.

تاسعاً : بشارة ميخا:

قال ميخا: (إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنياً على قلال الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أمم كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع جبل الرب). ويرى الطبري أن هذا النص يتضمن صفة مكة. بينما يرى الترجمان أن الجبل المشار إليه هو جبل عرفات، وأن الأمة المشار إليها في النص الذي أورده الترجمان هي الأمة الإسلامية. وعلى كلا الحالين فهذه النبوة شاهدة ومبشرة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومبينة صفة أمته، ومشاعر ملته.

وقد حرف آخر هذا النص في الطبعة التي بين يدي فصار هكذا (... هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب من طرقه، ونسلك في سبيله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب). وقد أعماهم الله عن تحريف أول هذا النص، حتى يبقى شاهداً على الحقيقة، دالاً على النبوة. وقد توقع المهتدي الطبري مثل هذا التحريف فقال: عني بيت المقدس. فكيف يصح له ذلك ؟ وقد بين الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجوداً، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث، لا على ما كان ومضى).

عاشراً : بشارة حبقوق:

قال حبقوق: (إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل فاران. لقد انكسفت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، ويكون شعاع منظره مثل النور، يحوط بلده بعزه، وتسير المنايا أمامه، وتصحب الطير أجناده. قام فمسح الأرض، ثم تأمل الأمم وبحث عنها، فتضعضعت الجبال القديمة، واتضعت الروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعي القديمة، وغضب الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار، واحتدام صولتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسيك إغراقاً وترعاً، وترتوي السهم بأمرك يا محمد ارتواءً، وتحرث الأرض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شئيوب السيل، ونعرت المهاوي نعيراً ورعياً، ورفعت أيديها وجلاً وخوفاً، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك، تدوخ الأرض غضباً، وتدوس الأمم رجزاً، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ شريعة آبائك). هذا النص أورده المهتدي الطبري بهذه الصيغة، وورد لدى كل من الشيخ زيادة، والترجمان، وإبراهيم خليل أحمد:

بصور مختلفة طولاً وقصراً، مع اختلاف يسير في العبارات، واتفاقهم على محتوى السطر الأول. واتفق أيضاً كل من الترجمان والشيخ زيادة وإبراهيم خليل على أن المراد بجبال فاران هي جبال مكة. وأشار الطبري والشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة موسى عليه السلام الواردة في سفر التثنية وهي قوله: (جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألأ من جبال فاران). كما أشار الشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة أشعياء التي ذكر فيها أن حوافر خيله مثل الصوان الذي ينبعث منه الشرر. وقد سبق الحديث عنهما. وأكد المهتدي الطبري والشيخ زيادة على أن هذا الوصف الوارد في هذه النبوة عن الخيل والسهام والسيوف، إنما ينطبق على جيوش محمد صلى الله عليه وسلم وقال المهتدي الطبري بعد أن أورد تطابق هذه النبوة مع حالة صلى الله عليه وسلم. (فإن لم يكن هو الذي وصفتا – أي محمد صلى الله عليه وسلم – فمن إذاً ؟ لعلهم بنو إسرائيل المأسورون المسببون، أو النصارى الخاضعون المستسلمون. وكيف يكون ذلك وقد سمي فيها النبي مرتين ووصف عساكره وحروبه ...).

وإن الاستفاضة في تأمل هذه النبوة ، واستخراج ما أشارت إليه، وبسطه، لتعجز عنه هذه الصفحات ، لأنه يستغرق كتاباً، وليس المجال هنا مجال البسط والتوسع، وإنما هو الاستدلال والإشارة فقط. ولكن استوقفتني بعض العبارات التي اشتمل عليها هذا النص، ولم أر هؤلاء الذين مر ذكرهم تعرضوا لها، فأردت أن أقف عندها وقفة يسيرة تكشف ما في النفس، ولا تطيل البحث. وأول هذه العبارات هي قوله: (قام فمسح الأرض). وهذه العبارة تحاكي قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها ...) أما الثانية فهي قوله: (لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك). فمن أباؤه؟ إنهم إبراهيم وإسماعيل، وما هو إرثهم ؟ هل هو الملك أم الأموال أم ماذا ؟؟ إنه التوحيد والرسالة قال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله).

الحادي عشر: بشارة صفتيا:

قال صفتيا: (يقول الرب: أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم كلها وجميع الملوك، لأصب عليهم رجزي، وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احتراقاً بسخطي ونكيري. هناك أجدد للأمم اللغة المختارة، ليذوقوا اسم الرب جميعاً، ويعبدوه في ربقة واحدة معاً ويأتون بالذبائح في تلك الأيام من معابر أنهار كوش). قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: وهذا صفنيا قد نطق بالوحي وأخبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه، ووصف الأمة التي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتجتمع على عبادته، وتأتيه بالذبائح من سواحل السودان ومعابر الأنهار واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين ... وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها.

الثاني عشر: بشارة حجي:

قال حجي: (ولسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي "حمدا" "Himada" لكل الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد، هكذا قال رب الجنود، ولي الفضة، ولي الذهب، هكذا يقول رب الجنود، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. هكذا يقول رب الجنود، وفي هذا المكان أعطى السلام. هكذا يقول رب الجنود). وقد ترجمت كلمتي "حمدا" و "شالوم" العبريتين إلى الأمنية، أو المشتهى، أو السلام. وعندئذ تفقد هذه النبوة ما اشتملت عليه من معنى وتصبح ولا قيمة لها. ولكن الترجمة الصحيحة لهذه العبارات هي أن "شالوم" أو "شلاما" و "حمدا" تترجم إلى الإسلام، وأحمد. وتؤدي نفس الدلالة التي تؤديها تلك العبارات السابقة وبنفس الأهمية. وبين المهتدي عبد الأحد داود أصول هذه الكلمات ووضح ما ذهب إليه من أنها تترجم إلى الإسلام، وأحمد، فقال:

أ) إن كلمة "حمدا" تقرأ باللغة العبرية الأصلية هكذا: (في يافوا حمداث كول هاجوييم) والتي تعني حرفياً: (وسوف يأتي حمداً لكل الأمم). وعليه فإن الحقيقة الناصعة تبقى بأن كلمة "أحمد" هي الصيغة العربية لكلمة "حمدا" العبرية، وهذا التفسير تفسير قاطع لا ريب فيه. ولقد جاء في القرآن الكريم في سورة الصف: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوارة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد).

ب) إن كلمة "شالوم" و "شلاما" بالعبرية و "سلام" و "إسلام" باللغة العربية هما مشتقتان من أصل واحد، وتعنيان نفس المعنى وهو السلام والإذعان أو الاستسلام.

وبعد هذا التوضيح من قبل هذا المهتدي لهذه الألفاظ ذكر عدداً من البراهين التي استند إليها فيما ذهب إليه، وهي:

١. إن القرابة والعلاقة والتشابه بين هذين التعبيرين "حمدا" و "أحمد" وكذلك التشابه في الأصل الذي اشتق الاسم منهما لا يترك أدنى جزء من الشك، لأن المفهوم من الجملة هو (وسوف يأتي حمدا لكل الأمم) إنما هو "أحمد" أي محمد، ولا يوجد أدنى صلة في أصل الألفاظ ولا في تعليلها بين كلمة "حمد" وبين الأسماء الأخرى كمثل يسوع أو المسيح أو المخلص.

٢. لو سلمنا جدلاً بالصيغة العبرية لكلمة "حمده" وأنها مجرد معنى اسمي لكلمات "أمنية أو مشتهى أو شهوة أو مدح" فإن هذا الجدل هو في صالح ما نطرحه من بحث هنا، وذلك لأن الصيغة العبرية تكون بحسب أصول الكلمات متساوية تماماً بالمعنى والتشبيه أو حتى في التطابق لكلمة "حمدا" وعلى أية حال فإن صلتها بـ "أحمد" أو "أحمدية" هي صلة قاطعة، وليس لها علاقة أبداً بـ "يسوع" أو "اليسوعية".

٣. إن هيكل "زورو بابل" كان يجب أن يكون أعظم مجداً من هيكل سليمان عليه السلام، ذلك لأن "ملاخي" تنبأ بأن الرسول العظيم لا بد أن يزوره فجأة، وهذا احصل فعلاً عندما زاره الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

٤. إن "أحمد" وهي الصيغة الأخرى لاسم محمد ومن نفس المصدر والتعبير ومعناه "الأمجد"، وفي خلال رحلته الليلية صلى الله عليه وسلم زار تلك البقعة المقدسة كما ينص القرآن الكريم على ذلك، وهناك أدى الصلاة المباركة بحضور جميع الأنبياء عليهم السلام كما تدل أحاديثه الشريفة، وبهذا يتحقق المجد.

٥. إن تسمية خاتم الأنبياء بـ "محمد" أو "أحمد" من أعظم المعجزات، لأنه أول اسم عرف بهذه الصفة في تاريخ البشرية.

الثالث عشر: بشارات زكريا عليه السلام:

البشارة الأولى: قال النبي زكريا عليه السلام في الإصحاح الثامن: (هكذا يقول رب الجنود: في تلك الأيام يجتمع عشرة رجال من كل لسانات الشعوب ويتمسكون بذيل رجل حميد، أعني أبو حيد، ويقولون: لنذهب معك، لأننا سمعنا أن الله معك) أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وأطال الكلام حول هذه البشارة واشتقاقات اسم "حميد وأحمد" وبين أنه ظل سنين طويلة وهو يقرأ هذه النبوة ويفهمها على وفق الترجمة اليهودية، حتى يسر الله له كتب أصول اللغة العبرية – وكانت شبه معدومة – فوقف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ "يا أودي" وأنه إذا ترجم إلى اللغة العربية صار: "حميد".

الرابع عشر: بشارات ملاخي:

البشارة الأولى: قال ملاخي مخبراً عن الله أنه قال: (انظروا، إنني أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيد الذي تبحثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون. انظروا إنه قادم. هكذا يقول رب الجيوش أو الجموع) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن التحديد الدقيق لموضوع هذه النبوة أمر في غاية الأهمية، لأن الكنائس المسيحية اعتقدت منذئذ أن المقصود بها شخصان. ومما يدحض هذا الزعم انتهجته الكنائس ما يلي:

١. أن السيد أو الرسول الموعود كلف بتأسيس وإقامة دين قويم صالح، ومكلف بإزالة كافة العقبات التي تحول بين البشرية وربها، ومكلف أيضاً بأن يجعل الطريق سهلاً ممهداً مستنيراً ... وبالتأكيد فإن الرسول الرفيع الشأن المبعوث من الله لم يكن قادماً لإصلاح الطريق من أجل حفنة من اليهود، ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة، والديانة اليهودية ديانة خاصة لشعب خاص، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه من طقوس وتضحيات، وخلوها من العقائد الإيمانية الإيجابية، كل ذلك يفقد هذه الديانة جوهرها، ويجعلها غير ملائمة إطلاقا، وغير واقعية باحتياجات الشعوب المختلفة، أما الديانة النصرانية فإن طقوسها السبعة، واعتقادها بالخطيئة الأصلية، وتجسد الإله والتثليث – وهي أمور لم تعهد في الديانات السابقة – بالإضافة إلى افتقادها إلى كتابها الأصلي الذي أنزل على مؤسسها عليه السلام، كل ذلك يجعلها غير مؤهلة لأن تقدم خيراً للبشر. وإذا كان الرسول الخاتم مكلفاً بإلغاء هذين الدينين، وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل

ودين كافة الأنبياء على أسس وتعاليم تصلح للبشر كافة، فإن هذا الدين الذي أقامه ودعا إليه هو الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الموصلة إلى الله عز وجل، وأسهل الأديان لعبادته، وأسلم العقائد الباقية على طهارتها ونقائها الأبدي. إذا كان منوطاً بهذا الرسول المبشر به في هذا النص أن يرسخ هذا الدين، ويقيم الوحدانية، ويحول دون تدخل الوسطاء بين الله والناس.

٢. هذا النص أكد على أن هذا الرسول المبشر به لا بد أن يصل بصورة مفاجئة إلى بيت المقدس، منطلقاً من الحرم الأول "مكة" وهذا ما تحقق في ليلة الإسراء، وهذا يعني أن مهمة هذا الرسول تطهير هذه البقاع من الوثنية، ويلقن روادها الوحدانية، والإيمان بالله الواحد الأحد. وإذا تحقق هذا فهو بمثابة بناء طريق جديد يربط العبد بربه، وهذا الطريق الذي شرعه هو دين عالمي شامل يدعو إلى إلغاء الوسائط بين الله وعباده، فلا قديس ولا قسيس، ولا سر مقدس. وهذا لم يتحقق إلا على يد الرسول المنعوت بأنه "محمد صلى الله عليه وسلم ".

البشارة الثانية: قول ملاخي: (هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن). قال المهتدي النجار: (والمعنى أن الله يرسل قرب الساعة النبي أحمد صلى الله عليه وسلم "فيرد قلب الآباء على الأبناء" يرد بني إسماعيل – أعمام بني إسرائيل – إلى حقيقة وحي الأنبياء والمرسلين من أبناء أخيهم إسحاق "وقلب الأبناء على آبائهم" ويرد اليهود والنصارى على دين آبائهم الأنبياء نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى، قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

تأمل ما في هذه البشارة من الوعد بمجيئه صلى الله عليه وسلم قبل يوم القيامة مع قوله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة هكذا. ويشير بأصبعيه فيمد بهما).

هذه أسفار العهد القديم شاهدة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، شهادة لا تقبل التضليل، مصرحة باسمه ولغته وصفة أمته صراحة لا تحتمل التأويل، فمن كان طالباً للحق اتبعه إذا قام عليه الدليل، فكيف إذا تظافرت عليه الأدلة والبراهين، والحق هنا شهادة العهد التقديم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فمن أراد أن يدفع اليقين بأوهن الشكوك، وأفسد التأويل، ويدعي – مماحكة ومجادلة – أن هذه النبوات والشهادات وردت في حق عيسى عليه السلام – فيقال له ليس بعد التصريح بذكر اسمه وصفته وخبره وبلده وأمته – مجال للتأويل والاحتمال. كيف وقد شهد المسيح عليه السلام بنبوته وأخبر تلامذته باقتراب ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ؟؟ وهذه الشهادة ما يماثلها من شهادات العهد الجديد هي ما سيكون الحديث عنه في المطلب التالي.

==============================

بعد تكرار نشر صور ساخرة لخاتم الأنبياء

نشرت جريدة الحياة اللندنية في ١٤٢٦/١٢/٢١هـ:

بعد تكرار نشر صور ساخرة لخاتم الأنبياء: بعد الدنمارك ... النروج مرشحة لحملة مقاطعة شعبية في السعودية ورسائل الجوال تتصدى للحملة

الدمام - محمد المرزوق الحياة - ٠٦/٠١/٢١//

شهدت الأسابيع الماضية تداول رسائل عبر الجوال وعدد من مواقع الإنترنت تدعو إلى مقاطعة البضائع الدنمركية، على خلفية نشر إحدى صحفها رسوماً للكاريكاتير تسيئ إلى شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتضمنت بعض الرسائل عدداً من المنتجات الدانمركية المطلوب مقاطعتها، ومن ضمنها «زبدة لورباك، وحليب نيدو، وأنكور، وأجبان بوك، وجميع أجبان الدنمارك». مع توصية بنشر الرسالة إلى أكبر عدد ممكن، وشبه أحدهم هذه الحملة بحملة مقاطعة البضائع الأميركية التي خلفت خسائر غير قليلة.

وتعود قصة الرسوم الكاريكاتيرية «كما ينقل أحد مواقع الانترنت» إلى طلب مؤلف كتب أطفال دنماركي من رسام الكاريكاتير المكلف بوضع صورة لغلاف كتاب، على أن تكون الصورة رسماً كاريكاتيرياً للرسول محمد، وحين أبدى الرسام رفضه ذلك الطلب، قام المؤلف بإعلان مسابقة لرسم الرسول في صحيفة « جيلاندر بوستن».

وتفاعل مع المسابقة ١٢ رساماً وقدموا رسومهم المسيئة إلى الرسول الكريم، في ١٤٢٦/٨/٢٦ هجرية، الموافق ٣٠ أيلول (سبتمبر) وتصور الرسوم الرسول في أشكال مختلفة، من بينها رسم يظهره مرتدياً عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه، وانتقلت الصور إلى شبكة الإنترنت في ما بعد، وتناقلها عدد من وكالات الأنباء العالمية.

وخلفت تلك الصور ردود فعل متفاوتة سواء من جانب المسلمين في الدنمارك أو خارجها، وطالبت جهات رسمية عربية وإسلامية عدة وضع حد لهذا التجاوز، وكانت الجامعة العربية على رأس المطالبين ممثلة في أمينها العام عمرو موسى، وكذلك وزراء خارجية الدول الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي استنكرت العمل في اجتماعها الأخير في السعودية.

ولم تنص مطالب الجهات الرسمية على أي نوع من العقوبات على الدنمارك سواء اقتصادية أو غيرها، وعلى خلاف ذلك اتخذت أوساط شعبية في العالم الإسلامي رداً أكثر صرامة بالدعوة إلى مقاطعة البضائع الدنماركية وأيضاً الدعوة إلى تقديم الصحيفة إلى المحاكمة وعدم التذرع بـ «حرية التعبير والصحافة».

ويذكر أن المتحدث الرسمي باسم «اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء» المهندس سليمان البطحي أعلن أنه «بالتنسيق مع الجالية الإسلامية في الدنمارك، تم رفع دعوى

قضائية ضد الصحيفة التي نشرت الرسوم الكاريكاتيرية، وتم رفضها من جانب المحكمة بحجة حرية الرأي، وسيتم استئناف القضية إلى أن تعتذر الصحيفة عن ما قامت به».

وأنكر عدد من المسلمين إضافة إلى مواطنين دانماركيين هذه السخرية، ووجهوا رسائل إلى الحكومة وإلى الصحيفة مطالبين بالاعتذار عن هذا العمل. وشهدت العاصمة الدانماركية «كوبنهاجن» تظاهر أكثر من خمسة آلاف مسلم ومتعاطف مع القضية ضد الصحفية مطالبين بالاعتذار.

ويظهر أن عدوى السخرية من الرسول الكريم انتقلت إلى النروج وذلك بقيام صحيفة «مغازينت» بنشر صور ساخرة على الرسول، ما دعا منظمة المؤتمر الإسلامي وأمانة مجلس التعاون الخليجي إلى استنكار هذا الفعل والمطالبة بوضع حد له.

وفي وقت سابق اعتبرت ملكة الدنمارك مارغريت الثانية أنه من الضروري «أخذ التحدي الذي يشكله الإسلام على محمل الجد، سواء على الصعيد المحلي أو العالمي». وجاء ذلك في كتاب مذكرات جديد.

وحذرت في الكتاب الذي حمل اسم «مارغريت» وكتبته الصحافية انيليس بيستروب من انه «تحد نحن مرغمون على أخذه على محمل الجد، لقد تركنا هذه المسألة قائمة لفترة طويلة جداً لأننا متسامحون ويسيطر علينا الخمول».

وذكرت في كتابها أنه «يجب التصدي للإسلام ويجب من حين لآخر أن نواجه مخاطر أن نوصف بأننا اقل مجاملة، لان هناك بعض الأمور التي لا يمكن التسامح حيالها».

ويضيف الكتاب «وحين نكون متسامحين يجب أن نعرف ما إذا كان ذلك عن قناعة أو عن راحة». وتابعت الملكة «الأمر لا يتعلق فقط بالتحدث أو فهم اللغة الدنماركية وإنما معرفة مصطلحات هذه اللغة وعلينا مساعدتهم في ذلك».والملكة هي رئيسة الكنيسة الانجيلية-اللوثرية التي يتبعها ٨٥ في المائة من سكان الدانمارك البالغ عددهم ٥.٤ مليون نسمة، وهناك نحو ثلاثة في المائة من المسلمين.

تبادل تجاري مزدهر بين الدولتين

ويتخوف عدد من الاقتصاديين أن تؤثر دعوى المقاطعة في التبادل التجاري بين السعودية والدانمارك، وبخاصة أن العلاقات التجارية بين البلدين سجلت نمواً ثابتاً على مدى العقد الأخير، وشهد التبادل التجاري بين الدولتين نمواً في شكل سريع خلال السنوات الأخيرة.

وتعتبر السعودية اليوم الشريك التجاري الأكثر أهمية بالنسبة للدانمارك في منطقة الخليج العربي وفي الشرق الأوسط، ويذكر أن المنتجات الغذائية والزراعية الواردة إلى السعودية من الدانمارك تشكل أكثر من نصف صادراتها.

ويعرف الدانمارك كبلد زراعي، استطاع أن يؤسس لنفسه اسماً على مدى أكثر من جيل كمنتج لأصناف عالية الجودة مع الحفاظ على مستوى عالٍ في سلامة الغذاء، ووجدت

التجهيزات الخاصة بتصنيع الغذاء سوقاً لها في السعودية وبخاصة في مزارع الأبقار ومسالخ الدجاج، ويعرف المستهلك السعودي الكثير من العلامات التجارية مثل زبدة لورباك وجبنة الموزاريلا، وتتبوأ الأدوات الصحية والصيدلانية مكانة مرموقة وبارزة في العلاقات التجارية بين الدولتين.

وكانت دعوات مماثلة قد شهدتها السعودية، دعت إلى مقاطعة البضائع الأميركية ابان الحرب على افغانستان وكبدت تلك الدعوات شركات ضخمة أموالاً طائلة لتوضيح عدم ارتباطها بالسوق الاميركية، فيما اضطرت شركات اخرى لتغيير اسمها بهدف الابتعاد ما امكن عن امركة اسمائها.

==============================

بعدما اختطفوا عقولنا يريدون خطف قرارنا

جمال أحمد خاشقجي*

صانعو الكوابيس هم قوم من بيننا، لديهم مصالح تتعارض مع مصالحنا، يوظفون الحق من أجل باطلهم، يحركون عواطفنا، ومكامن الحب والإيمان في نفوسنا، وأسباب الغضب الكثيرة المحيطة بنا لجرنا إلى أهدافهم التحتية، وللأسف وجدوا في قلة الحكمة عندنا، وفي سكوت العقلاء الذين يخشون من غضبة الغوغاء ساحة رحبة يسرحون ويمرحون فيها.

في ١١ سبتمبر اعتقدت القاعدة وحلفاؤها من صناع الكوابيس أن فرصتهم قد حانت لجرنا إلى مواجهة مع الغرب، فباء عملهم بالفشل، ذلك أن الجريمة كبيرة وصريحة فلم يستطيعوا إقناعنا بنظريتهم الموغلة في الغلو والتطرف والخارجة على النظام الإسلامي والدولي، فقاومناهم بما تبقى لدينا من فطرة وسماحة إسلامية طيبة، فرفض غالبنا دعواهم إلى تقسيم العالم إلى فسطاطين يصطرعان حتى أبد الآبدين، فانصرفوا إلى عوالمهم التحتية يتحينون فرصة أخرى.

إنهم لا يريدون إحقاق حق، أو نصرة مظلوم، وإنما التكسب بمظالمنا كي يبرروا وجودهم وما ينعمون به من مكاسب مادية ومعنوية في مجتمع ما زال يسحر بكلامهم، وإلا كانوا قد قبلوا الأخذ برأي الجماعة، وتغليب المصلحة العامة. إنهم يريدون سلطة وليتها من أجل البناء والرخاء والسعادة، وإنما سلطة على خراب، يسودها صراع بين الأمم والشعوب، بل حتى في داخل الأمة نفسها. إنهم يريدون إقناعنا أن العالم كله ضدنا، يكرهنا، ويكره نبينا وديننا، فوجدوا فرصتهم وقضيتهم الرابحة في رسوم كاريكاتيرية مقيتة نشرت قبل أشهر عدة، من قبل صناع كوابيس مثلهم ولكنهم في الضفة الأخرى، فصناع الكوابيس ليسوا عندنا فقط وإنما هم موجودون أيضا في الغرب، إنهم اليمين المحافظ المتحالف مع الصهيونية العالمية، والمتداخل مع اليمين المسيحي وغلاة العلمانية، كارهو الأجانب العنصريون والذين يتكسبون أيضا بصنع كوابيس يخيفون بها الناخب الأوروبي والأمريكي من أجل البقاء في مناصبهم، بل والتوسع في سلطاتهم،

بكابوس الخطر الإسلامي يفوزون في الانتخابات، وبكابوس الخطر المسيحي واليهودي يتسلل أصحابنا إلى مفاصل القرار في عالمنا الغافل.

بينما الحقيقة أن غالبنا يريد العيش مع العالم كله في سلام مع احترام وعدل، وغالبهم أيضا كذلك، يحترمون ديننا ونبينا، أو في الحد الأدنى لا يهمهم ديننا ونبينا وربما لا يعرفون الكثير عنا وعن ديننا ونبينا وحري بنا لو جعلنا مما يحصل من تدافع بين حضارتينا فرصة للدعوة ونشر المعرفة بالإسلام الحقيقي من خلال الكلمة الطيبة وليس بدعوات الحرب والكراهية والمقاطعة وحرق الأعلام والسفارات.

إن قضية الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام نموذج واضح لمعركتنا الداخلية مع صناع كوابيسنا، ونموذج أيضا لفشل العقلاء في صفوفنا واندحارهم أمام زحف الكراهية التي يقودها هؤلاء والذين من الحكمة أن نعترف بهزيمتنا أمامهم، لقد انتصروا، واختطفوا عقل الشارع، ومن ثم فرضوا شروطهم على الحكومات والعقلاء، وجروهم إلى أجندتهم الخاصة. الحكومات التي كانت مشغولة بفتح الأسواق، وتوقيع اتفاقيات التجارة الحرة، وجلب الاستثمارات الأجنبية وجدت أنفسها في حرب دبلوماسية من أجل نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهل هناك شعار أعظم من هذا، من ذا الذي لا يحب رسول الله ؟ والذي حبه جزء لا يتجزأ من شروط الإيمان. الفقهاء والمفكرون العقلاء إما سكتوا أو انجروا إلى معركة لم يريدوها وهم المحبون للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنى والتفاعل مع الآخر، بعدما مارس عليهم صناع الكوابيس أسلوب محاكم التفتيش فنشروا قوائم المحبين لرسول الله الذين غضبوا وخطبوا وبكوا على شاشات التلفزيون ومنابر الجمعة، وأولئك الصامتون الغائبون عن نصرة الحبيب.

لقد كشفت المعركة الدنماركية التي تزال تضرم رحاها وتهددنا بالاشتعال في كل أوروبا والعالم، كما يتمنى ويبغي صناع الكوابيس في المعسكرين ما لم يتدخل عاقل ويضع حدا لعبث هؤلاء، لقد كشفت عن جهلنا المزدوج، الأول بقدرات صناع الكوابيس ونواياهم، والثاني بأوروبا والعالم، إن حديث رئيس الوزراء الدنماركي - والذي يتحمل بعضا من المسؤولية لرد فعله المتأخر والبارد - عن حرية التعبير وأنه لا يستطيع التدخل ضد صحيفة حقيقي وصحيح. لقد تعرض نبي الله عيسى عليه السلام من كتاب وفنانين ومسرحين غربيين لشيء من الإساءة لم يتعرض له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يستطع لا الفاتيكان ولا أي زعيم سياسي غربي وقف هؤلاء عند حدهم من الإساءة للمقدسات، ويكفي أن أذكر أن فنانا عرض تمثالا لسيدنا عيسى صنع من "..... بشرية " في المتحف القومي بنيويورك قبل أعوام، ما آثار ضجة كبرى، وقد اخترت هذا النموذج البالغ في القبح للدلالة على المدى الذي تنحدر إليه "حرية التعبير" في الغرب. إن رد فعلنا الغاضب طبيعي ومطلوب ولكن يحتاج إلى قدر من الحكمة، بتغليب آدابنا الإسلامية "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وقوله تعالى "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا

الله عدوا بغير علم". ولكن غابت الحكمة، وغاب الوعي بالقرآن والسنة وكلنا نزعم أن غضبتنا من أجل رسول الله بينما غابت عنا سيرته وحكمته ومقاصد دعوته.

لنتأمل ما الذي كسبناه وخسرناه من هذه المعركة. هل أدبنا سفيهاً ؟ أم زدنا من عدد السفهاء؟ هل أوقفنا نشر الرسوم المسيئة للحبيب أم حرضنا على نشر المزيد منها؟ هل هدينا أحدا إلى الإسلام وحببناه في حبيبنا أم قدمنا صورة مشوهة عن إسلامنا وسيدنا محمد؟ سيعتذر الدنماركيون، ليس احتراما لنا وإنما حرصا على مصالحهم الاقتصادية، فهم ليسوا قوما تصوغهم العاطفة والغضب، فخرهم في الرخاء الذي يعيشونه، وأرقام الناتج القومي المحلي القياسية التي تضعهم على خريطة العالم، وسنعود لشراء منتجاتهم لأننا عاجزون بفضل جرينا وراء صناع الكوابيس عن بناء صناعة قوية، متنافسة، هل يستطيع أي من هؤلاء أن يقدم لمرضى السكر في بلادنا بديلا عن الأنسولين الدنماركي، أم إن أمراً كهذا لا يهمه أمام الجائزة الأكبر بالنسبة لأهدافه، وهي أن يضيف عدوا آخر للمسلمين إلى قائمة الأعداء الذين صنعوهم.

تقول الأرقام إن العالم الإسلامي هو الأفقر في العالم، والأحوج إلى جلب مزيد من الاستثمارات الأجنبية - وكل ما سبق لغة لا تهم صناع الكوابيس - وبالتأكيد فإن ما حصل خلال الأسابيع الأخيرة سيزيد رجال الأعمال القلقين في الغرب قلقا والمتوجسين توجسا. وعندما يكون الاختيار للصناعي الأوروبي أن يفتح مصنعا أو يشارك مستثمرا في العالم الإسلامي أو في أحد الاقتصاديات الجديدة الناهضة كالهند أو الصين أو حتى فيتنام، فإنه في ظل صيحات الكراهية ودخان الحرائق في بلادنا فإن اختياره لإحدى دول المجموعة السابقة أدعى وأكثر أمنا وقبولا أمام مساهميه وشركات التأمين التي لا يتحرك بدون مشورتها، النتيجة أن العربي والمسلم سيزدادان فقرا، ومع الفقر يأتي الجهل والجاهل يكون أطوع وأسهل انقيادا لصناع الكوابيس.

هل هذا الذي نريد؟ هل نتركهم يستولون على قرارنا بعدما تركناهم يختطفون عقولنا ؟

*كاتب ومستشار إعلامي سعودي.

بل اطردوا سفراء الزبدة

انشـــــــــــرت جريـــــــــــــدة الـــــــــــــوطن فـــــــــــي ١٤٢٦/١٢/٢٥هـــــــــــــ

==========================

بل اطردوا سفراء الزبدة

علي سعد الموسى

هل يكفي مجرد الامتناع عن أكل - زبدة - دنماركية لتكون هذه الخطوة البليدة الباردة بمثابة انتصار لنبي وهادي هذه الأمة؟ أولاً، فالمسألة ليست انتصاراً لنبي تعهد ربه أن يتم نوره: نحن ننتصر لأنفسنا ولكرامتنا أما نبينا المصطفى فقد عاش وانتصر لنفسه.

لم تزده أحابيل وحيل قريش إلا قوة ولم يمت عليه أفضل الصلاة والسلام إلا برأس شامخ مرفوع ولم يغمض عينيه غمضتهما الأخيرة إلا وقد رأى رسالته بشارة تضرب في أعماق الأرض. نحن لا ننتصر له لأننا أضعف بكثير من هذه الخطوة. نحن ننتصر لأنفسنا المهزومة المكسورة، فالنبي في الصحف الدنماركية إشارة لنا لا إشارة عليه أو له. النبي في غنى تام عن نصرتنا له ولو كان بيننا لطلبنا الانتصار لأنفسنا لا له.

المسألة ليست في حاجة إلى بيانات شجب. إنها بحاجة إلى أجندة عمل. المسألة ليست بحاجة إلى بيانات منظمات وهيئات لا تخرج توصيتها عن الورق. المسألة بحاجة إلى قرارات دول. يفترض أن نضع هذه الزبدة على النار لا أن نحفظها في ثلاجة. أن تستدعي كل دولة سفراء الزبدة المعتمدين لتبلغهم قراراً واحداً واضحاً لا خيارات فيه: أن يوقفوا هذا العبث فورياً وخلال أسبوع وإذا لم يكن باستطاعتهم أن يوقفوه فليركبوا الطائرات في نهاية ذات الأسبوع وليعودوا إلى تلك - الكوبنهاجن - ليستمتعوا مع شعبهم هناك بقراءة الصحف. يفترض في القرار ألا تنفرد به دولة واحدة من دول الرابطة أو المؤتمر وألا تخذله أخرى تحت لغة دبلوماسية مغلفة. إذا لم تكن لدينا شيمة الاعتزاز بمبادئنا وعلى رأسها ديانتنا، فأين يكون الاعتزاز، وإذا لم تظهر هذه الكرامة واضحة جلية ولو بطرد سفير فإن أول من سيحتقرنا هم هؤلاء السفراء الذين تصلهم نسخ صحفهم إلى مكاتبهم عبر الحقائب الدبلوماسية. إنهم يقرؤون إهانة نبينا وإهاناتنا داخل سفاراتهم وتحت حصانة العرف الدبلوماسي.

أما أن تكون أغلى قراراتنا وزبدة احتجاجاتنا أن نقاطع زبدة، فهذا قرار ضعف يستحق رسوماً كاريكاتورية في ذات الصحف. نريد لقرارنا الجماعي أن يهز دولة لا أن يذهب إلى خراج بقرة. نريد أن نبلغ كل سفير أن المسألة أبلغ من اعتذار وأقوى من مساومة.

نريد أن نبلغهم أننا من بين كل ديانات الأرض، وحدنا، نصلي على موسى وعيسى ونعترف بكل الأنبياء ونقرّ أننا أتباعهم وعلى طريقتهم في الرسالة الخاتمة. نريد منهم، لا معاملة بالمثل، بل أن يوقفوا هذا العبث. نريد لأنفسنا ألا نكون مجرد أمة امتنعت عن زبدة ولو استمرأنا هذا الفعل لوجدنا أنفسنا غداً في صحف أخرى وفي دول أخرى نقاطع لها الأرز أو الكاكاو. عندما نهان أو تدوس العنصرية على كرامتنا لا أدري لماذا لا نفكر فوراً في احتجاجات المعدة وزبدة القولون ومشروب البطن. ذلك أننا اليوم مع الأمم مجرد بطن.

بل هو خير لكم خذ ٢٠ فائدة..

عبدالعزيز بن عبدالرحمن المقحم - الرياض

لان الكلام كثر جداً حول هذا الموضوع وهي كثرة حميدة ومشكورة لكن لابد معها من الاختصار بل الاختصار الشديد جداً جداً من اجل ذلك لن اجعل حديثي هنا مسهباً منشوراً ،لكني سأجعله نقاطاً محددة وان كانت كل نقطة منها كفيلة بحديث مستقل طويل وهي عشرون نقطة بل عشرون فائدة لما اراد ان يكيدنا به سفهاء اليهود والنصارى

فقلبها الله لنا عليهم كما قال سبحانه (ام يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون) وان أول ما بشر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين في حادثة الافك ان سماه افكا وثنى بقوله (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم).. وسنذكر هنا عشرين فائدة في حادثة الافك الدنماركي نختصرها اختصاراً والله قادر ان يجعل فوائدها اكثر واكثر.

١- ظهور منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند امته وبيان عظم التعرض له بما يكره.

٢- ظهور هذا الحب الصادق - ان شاء الله- لرسوله صلى الله عليه وسلم عند المسلمين حتى كأنه صلى الله عليه وسلم حي بين اظهرنا.

٣- تآلف هذه الامة بكل اطيافها وشعورهم انهم اتباع نبي واحد ودين واحد وان عدو احدهم عدو لجميعهم.

٤- بروز العمل الشعبي وتقليص دور (وكلاء آدم) المزعومين على ذريته الذين يريدون ان يوكلهم الناس حتى في علاقتهم مع كنائسهم.

٥- العلم يقيناً ان امة الإسلام (الامة) قادرة على فعل الكثير.

٦- افتضاح ما يكنه اعداء محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار والمنافقين الناطقين والساكتين.

٧- التحسر الحقيقي على الثقة بهؤلاء وصرف اموالنا لاثرائهم وتسويق منتجاتهم.

٨- اليقين بوجوب السعي الحثيث لاستقلال الامة اقتصادياً وان من لم يسع لذلك عدو لها ولو كان من ابنائها.

٩- كفانا الله بذلك الرد على من يتهمنا بالاقصاء وبغض الآخر ويحملنا قسراً على ما يسميه ثقافة العولمة والتسامح.

١٠- ظهور منافع الاعلام الحر كالقنوات الإسلامية والمواقع الالكترونية ولو كان الامر لاعلام السفاسف لسكت عن هذا وكم حدث مثله فلم يثره وانما يثير اخبار مغنيهم وممثليهم ولاعبيهم ويشغل الامة بها.

١١- عصرنا عصر الاعلام ولا اعلام سوى الفضائيات فهل يعجز تجار هذه الامة عن مائة قناة فضائية؟ اين اولئك الذين ترتعد شفاهم واصابعهم امام شاشات الاسهم؟ ام (تجارة تخشون كسادها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) واين تلك المليارات التي وقفت لاجل الإسلام؟ ايجهل نظارها اي المصارف انفع؟ وان قناة فضائية واحدة اعظم مما هم فيه ولو كانت هذه الاوقاف عند النصارىلرأينا كيف يدعون بها لدينهم ويؤذون بها المسلمين وقد فعلوا.

١٢- يستطيع كل سفيه او حاقد في اوروبا وامريكا ان يفعل فعل هؤلاء ويعجز عنه منعه رئيس حكومته! فماذا لو فعلوا؟ هل عندنا قدر من المواجهة يقلب مكرهم عليهم؟ ام غاية

وسعنا ان نحول اموالنا الغالية جداً من العدو رقم (٢٠) إلى العدو رقم (١) كالمستجير من الرمضاء بالنار!!

١٣- (حوار الحضارات) برذعة مرقعة على (حمار الحضارات) ستزل بركابه الذين (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) وقديماً قيل:

ستعلم حين ينكشف الغبار

جواد تحت رجلك ام حمار؟!

١٤- العاطفة مالم تقيد بالشرع عاصفة فمن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفهاء اليهود والنصارى فلم لا ينصره صلى الله عليه وسلم على شهواته وعادته وكسله حتى يصبح نشيطاً في اتباعه خفيفاً إلى اجابة امره؟

١٥- هناك قواسم مشتركة يبصرها الاعمى ويسمعها الاصم بين ما في صحافة الدنمارك وصحافة العرب من الثناء على بعض الروايات وكتابها والتمجيد لهم والدعاية الصاخبة.

١٦- قد تعتذر حكومة الدنمارك لا احتراماً لنا ولا وجلاً منا ولكن حباً في اموالنا مع شديد العداوة لنا ولنبينا صلى الله عليه وسلم فلو فعلت هل نعود لهم وكأن شيئاً لم يكن مع يقيننا انهم كما قال خالقهم سبحانه (يرضونكم بافواهم وتأبى قلوبهم) لئن كان ذلك فبئس القوم نحن وبئس الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان كل ذلك الغضب الواسع العميق يرفعه عنهم كلمة او كلمتان من طرف اللسان. هكذا غضب الاطفال ورضا الاطفال يقول الغزالي: العالم الإسلامي مليء بالذكور اما الرجال فلا!

١٧- من لم يصرح بموقفه من اعداء نبينا صلى الله عليه وسلم فهو منهم مهما كان موقعه ومهما لون اعذاره لانه اما راض بذلك او غير مكترث او يراعي شيئاً اهم عنده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك اثماً مبيناً.

١٨- اليهود والنصارى لا يستكثر منهم ذلك ولا اقبح منه ولو امكنهم فوق ما فعلوا ما تلبثوا عن فعله حتى لو امكنهم ان يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قتلوا الانبياء من قبله بل تطاولوا على الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً وكتبهم المحرفة المسماة مقدسة مشحونة بذلك وهي احق بغضبتنا قديماً لو كانت عواطفنا اصح وانفع والله المستعان.

١٩- ماذا لو كان النيل من اوطاننا او شيوخنا او زعمائنا في العالم الإسلامي؟ ان هذا الافتراض يكشف مقدار ما نستطيعه من المواجهة ويقطع اعذارنا في التقصير والذين يحاجون في الله حجتهم داحضة.

٢٠ لو بذلنا كل غالٍ ونفيس ليدرك الناس ما تقدم وغيره من منافع هذا الافك الاوروبي لكان قليلاً لكنه جاء بحمد الله من حيث لم نبذل ولم نحتسب. وصدق الله تعالى اذ يقول: (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) واذ يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم (وقلبوا لك الامور) وهم قلبوها عليه لكن ربه سبحانه جعل عاقبتها له صلى الله عليه وسلم واذ يقول

سبحانه (انا كفيناك المستهزئين) فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه.

===========================

بل هو خيرٌ لكم..

بدرية العبد الرحمن ١٤٢٧/١/١٥

٢٠٠٦/٠٢/١٤

لم تكن الهجمة الشرسة التي تعرضت لها شخصية النبي -عليه الصلاة والسلام- في إحدى الصحف الدنمركية أمراً سيئاً حينما نضعه في ميزان الحقائق التي تفتقت عنها تلكم الحادثة الاستثنائية الغريبة والتي مازلنا نتألم منها ومن تداعياتها...

_لم نعد وحدنا المتعصبين!

لم تتعرض ديانة ما في العالم للإدانة كما تعرض الدين الإسلامي منذ حقبة السلام العالمي..ولم يكن هناك أفضل من المسلم ليكون المتهم الأول في أي حادث سيئ...

وتكفي القرائن التي تثبت عروبة أو إسلام شخص ما ليستحق التفتيش والاتهام والصراخ في وجهه بأنه إرهابي ومجرم (كما فعلت جودي فوستر بالراكب الباكستاني في فيلم(flight plan). المسلم دائماً يرفض الآخر ويتهمه بالكفر حتى إشعار آخر...وفي جوانب وحينما يكون نفطياً ..فإنه متغطرس غني متأنق من جهة ومتخلف من حيث هبطت عليه الثروة فجأة، ولم يكن أمامه وقت كافٍ ليتخلص من أوساخه الداخلية التي سببها له ارتباطه بالعروبة والإسلام..

حينما تحدث دعاة التسامح و"اللاتعصب" من الغربيين عن أنه حان الوقت لينتهي الحديث عن المسلم وفقاً للصورة المنمّطة بعد حقبة الحادي عشر من سبتمبر استبشرنا نحن المسلمين بموجة التثقيف الغربية التي يتزعمها دعاة التسامح لمحاولة فهم العقل المسلم أخيراً..

وأن حقبة التعصّب الديني ستنتهي إلى غير رجعة بإذن الله، وأن زمناً قادماً من التسامح والتفاهم بين الأديان سيتكفل بأن تنتهي نسبة كبيرة من الحروب، وأن نعيش رخاءً دينياً نسبياً في زمن قادم...

كل هذه الأحلام الجميلة تبخّرت في اللحظة التي اختارت فيها الدنمرك أن تكون (صليبية) بمنتهى القسوة.

وأنا حينما أقول: إنها صليبية فأنا أعني ما نبهنا إليه الكثيرون من أن الدول الإسكندنافية مازالت تتخذ (الصليب) رمزاً وطنياً لها في أعلامها رغم ما يقال عن "لادينيّتها" (أو علمانيّتها).

حين يكون ذلك الرمز حاضراً لدى الدنمركي بهذه القوّة، فإن معالجة أي تصرّف بمعزل عن ذلكم الرمز الديني الوطني أمر صعب على العقل المسلم...

وأصعب منه أن نتخيّل أن يتخذ أي هجوم أوروبي ضد الإسلام صبغة دينية وأسوأ منها(صليبية)..

نحن لم ننس بعد كيف أثرت كلمة الرئيس الأمريكي بوش (الغلطة) حين وصف حربه ضد الإرهاب بالـ(صليبية)، وكيف استغربنا نحن المسلمين أن يبدو الغربي متديناً لهذه الدرجة، وفي وضع سياسي لا يحتمل الثرثرة بما هو ديني...

الآن تفعل الدنمرك نفس الشيء، وتجعل من تصرف أرعن وإساءة مقصودة للدين الإسلامي تعبيراً عن حرية التعبير، و"اللا خوف" من المسلم ومن إيذاء مشاعر الآخر بمسوّغات عدة..

حين تكون خلفية تلكم الإساءة دينية صليبية فالأمر سيكون مروّعاً ووخيما للغاية..

هذا ما سيحدث، وبهذا الشكل سيقرأ المسلمون الحادث ولا أستبعد أن نبدأ عهدا (صليبياً) جديداً.. تتحارب فيه الأديان كما لم تتحارب من قبل..

أمر آخر -بالحديث عن التعصّب الديني- كيف يبدو المسلمون في حميّتهم وغضبتهم للقضية الآن؟!

وما هي منطلقاتهم؟

الآن يبدو المسلمون وفي مظاهراتهم المحتجة وتنديداتهم الكلامية ومطالباتهم بالاعتذار أكثر تحضّرا وهدوءا وتعقّلاً من عاصوف (حرية الرأي والتعبير) الأوروبية التي لم نسمع بها بهذه الطريقة والوقاحة المنقطعة النظير!

الآن يظهر الوجه المختفي من الليبرالي الغربي ذي الحيادية والنزاهة واللامِساس...ويبدو أكثر شناعة وعناداً من صليبي متعصّب كان الليبرالي يتبرأ من تعصّبه الديني الدموي الفظيع لقرون طويلة..

-مرتبكون ...ولا يعرفون ما يفعلون!

وجه آخر كشفته الحادثة ويمكننا أن نفرح به جداً لنعرف أننا لسنا الوحيدين الموصومين بالحيرة والتخبّط في دفتر التاريخ المعاصر..

يبدو لنا الغربي الآن مرتبكاً لا يعرف ما يحترم...ما يقنن تصرفاته..ما حدود حريته التي هي أكبر وأفضل ما لديه ليدافع عنه الآن..

الآن تضع الإساءة الأوروبية والحدث الشنيع قيمة (الحرية) في محاكمة عادلة يتضح فيها ارتباك البشريين أمام ما يفترض أن يحترموه...وأمام الحد الذي يفصل بين الاحترام وبين الخوف من التعبير...

والحد الفاصل بين حرية التعبير والرأي وبين (قلة الأدب) والمسخرة..

والحد الفاصل بين الخوف على المصالح الاقتصادية...والخوف الحقيقي على القيم الأوروبية، واحترام الذات الأوروبية لنفسها وضميرها ومنطلقاتها..

تبدو أوروبا الآن مرتبكة ومحتارة ولا تدري ما تفعل..أمام ضميرها...أمام شعوبها...أمام قيمها...أمام المسلمين..أمام علاقاتها الدولية واقتصادها..

كثير من الكتّاب ينبهون أيضا أن الكاتب الإنجليزي الذي شكك في مذبحة الهولوكست الشهيرة يواجه حكما بالسجن لمدة ستة عشر عاما لمجرّد تشكيك في أساسات (السامية) على الرغم من أن منطلقاته كانت حوارية مدعّمة بالكثير من الأدلة والشواهد التاريخية العلمية...ولم تكن دوافعه استفزازية أو دعوة للصراع بين الأديان أو احتقارها.... كما يحصل في القضية الموصوفة بأنها تعبير عن حرية الرأي، وعدم الخوف من الدين والأديان..

هذه الانتقائية المقززة التي تمارسها أوربا تجعلنا نشعر بالقرف بقدر ما نشعر بالأسف لحجم التخبط الذي تعيشه أوروبا، والذي كشفه الحادث بشكل سافر وشنيع...

كون كثير من المسلمين حولوا المعركة الآن إلى (أرمجيدون) دينية صليبية إسلامية يمارس فيها الغربي فوقية لادينية، واستقواء ضد الفئة المسلمة القليلة..لا يعني أنه ليس بإمكاننا أن نربح المعركة بعد، وأن نحوّل التاريخ الذي كان ضدنا وضد صورتنا النزيهة كمتسامحين مدانين حتى إشعار آخر..التاريخ الذي وقف ضدنا لمدة خمس سنوات بعد الحادي عشر من سبتمبر يمكن أن نكسبه إلى صفّنا أخيراً، ونبدو نحن الأعقل والأكثر جدارة بالاحترام...والأكثر تحضّراً وقدرة على شفاء العالم من حالة الانبهار بالغربي الذي لم تستطع ناطحات سحابه ومؤسساته المستقلة أن تكون محترمة كفاية... وأن توجد الآن حلاً لمشكلة أساسها قلة الوعي (التعبيري)...بدلاً من التحدي المرتبك جداً والمتمثل في إعادة نشر الصور المسيئة بين اليوم والآخر، وفي أكثر من جريدة أوروبية..

أخيراً..رغم كل الاستياء الذي سببه الحادث المثير إلا أنه حدث (مفيد) وضروري لنا كمسلمين في حقبة العولمة أن نضع قوانيننا أخيراً فيما يتعلق بالإساءة للأديان...وأن تبدأ حملة جيدة وقوية وصارمة لتحدي المد اللاديني الذي يريد انتزاع قدسية الأديان واحترامها من قلوب العالمين...

"اللاديني" هو الخطر القادم الذي يتربص بأجيالنا القادمة، والذي يمكنه أن يكوّن عالماً فوضوياً لا يحكمه إلا قانون متحوّل لا يحلّ حلالاً، ولا يحرّم حراماً...

حين لا يجد "اللاديني" من يقف أمامه بمنتهى الصرامة ليوقف سخريته بالأديان عند حده، فسنجد أنفسنا ندخل غمار حرب طويلة، وفي جبهات عدة يكون المتهم الأول والأخير فيها هو المتدين والدين بإثارة النعرات، والفرقة والتي لم يبدأها إلا "اللاديني"، ولكنه لم يجد وقفة صارمة وقانوناً محدداً وخطاً أحمر عريضاً لا يتجاوزه..

إنها دعوة لوقفة عالمية تتّحد فيها الأديان ضد من يريد الإساءة إليها، وينتقص من قداستها بدعوى حرية التعبير...دعوة لتفكير منطقي طويل وعادل في الحدود التي يمكن

فيها وزن أي ممارسة نقدية ضد الأديان، وما هو الحد الذي يمكن اعتباره إساءة يتم تجريمها...وما هو الحد الذي يمكن اعتباره حواراً مقبولاً وتعبيراً عن الرأي محترماً..

كل هذا لم يكن ليحصل لو لم يحدث هذا الحدث الجلل والتجربة العنيفة...التي تذكرنا جيداً جداً بحادثة الإفك التي وإن كرهها المسلمون وقت حصولها، إلا أنها كان لابد منها ليتبين من كذب ممن صدق، ومن كانت خبثت نيّته ممن صفت، ولم تتكلم إلا بما هو خير..

كانت تجربة قاسية عسى أن نخرج منها بفوائد في تاريخنا ونفسياتنا ومستقبلنا القادم، وكيف ندير أزماتنا بمنتهى النزاهة والتجرد للحق...

حقاً... (...لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...)!!

==============================

بل هي حرب على الإسلام

د. حمود ضاوي القثامي

اتحد العالم الإسلامي هذه المرة ضد من أساء إلى رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، على الأقل سمع العالم صوت المسلمين في كل مكان على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم وأوطانهم وهذه بادرة جيدة تستحق الاهتمام.

لقد تحركت الشعوب الإسلامية بالمظاهرات والتنديد والاستنكار ومقاطعة البضائع، والمطالبة بالاستمرار في تجنيد كل الوسائل الممكنة حتى يعرف العالم بان مثل هذه الأمور لا يمكن نسيانها مع الزمن والقبول باعتذار هزيل، لان ما حصل يحصل للمرة الأولى.

انها سابقة خطيرة قد تقود إلى ما هو اخطر في المستقبل، ولهذا يجب علينا إعلان الحرب حتى النهاية وحتى لا تتكرر في المستقبل، إذ كيف تكون الإساءة للإسلام مباحة ولليهود محرمة ومحظورة ومن يقترب منها يا ويله ويا سواد ليله.

والمثل الشعبي يقول (من لا يعدّي عن حياضه شرعت) ومعنى يُعّدي (يدافع) والحياض جمع حوض، وشرعت (شرب ما فيها) والمعنى الكلي للمثل: ان من لا يدافع عن نفسه وحقه وشرفه، سوف يستهان به وبمكانته وقيمته ويضيع مع الضائعين.

انها الحرب على الإسلام وليست على الإرهاب الذي زاد ولم يتناقص، فقد ساهمت وسائل الإعلام الغربية في إشعال فتنة الكراهية والحقد ضد الإسلام، حتى وصل الأمر إلى درجة الاستهانة بمشاعر المسلمين بهذه الطريقة غير المسئولة، وكأن المسلمين ليست لهم مشاعرهم كغيرهم من البشر. سجون ومعتقلات وقتل وتدمير للمدن بالأسلحة المحرمة دوليا وعذاب وتعذيب لم يشهد له التاريخ البشري مثيلاً، وتطاول على الرموز الدينية بهذه الطريقة، والغريب ان ما يخص الإسلام يصنف على انه مجرد رأي شخصي والرأي الشخصي يجب ان يحترم.

ولكن مثل هذا الرأي إذا كان يخص اليهود فانه يصنف على انه جريمة نكراء بحق البشرية كلها تستنفر من اجلها وسائل الإعلام العالمية!!! هذه الحرية الشخصية المزعومة لا يمكن تطبيقها على اليهود.

والسبب ان اليهود هم من (يذود عن حياضه حتى لا تشرع) وبكل ما يمتلكون من قوة وقدرة، ولهذا أصبح العالم يخشاهم ويبتعد عن الإساءة إليهم حتى لا يتعرض من يتعرض لهم للمحاكمة والسجن والتعويض على الرغم من أقليتهم.

اما أكثر من مليار وربع المليار من المسلمين فان النظرة إليهم تختلف وكأنهم يعيشون خارج الكرة الأرضية، فالضغوط السياسية لا تتوقف عن المطالبة بالتخلي عن كل ما هو إسلامي، ووسائل الإعلام من جانبها تساهم في بث سمومها التي أفرزت تجمعات شبابية أوربية تحارب الإسلام بشكل علني.

حيث ظهرت الكتب والأفلام والرسوم المعادية للإسلام والمسلمين بشكل يخالف الأعراف والمبادئ الإنسانية، وهذا يعني ان الحرب المزعومة على الإرهاب لم تقتصر على ملاحقة الإرهابيين، وإنما تجاوزت كل الحدود وأباحت هذه الحرب كل المحرمات، فكانت فرصة سانحة وجد فيها كل من يريد إيذاء امة الإسلام ضالته ليفعل ما يشاء، فارتكبت الجرائم وحصلت المضايقات والاستهانة بالرموز الدينية الإسلامية كمنع الحجاب في فرنسا.

لان العالم الإسلامي أصبح عاجزا عن الدفاع عن نفسه، واقل ما يمكن هو إقامة الدعاوى ضد كل من يسئ للإسلام من بعيد أو من قريب لكي يفكر كل من يحاول الإساءة للإسلام عشرات المرات قبل إقدامه على فعلته، مع المطالبة بمساواة المسلمين باليهود المحميين عالميا في كل مكان، ومن هنا يأتي دور رجال القانون وأصحاب رؤوس الأموال، المهم ان تكـــــون للأمــــــة الإســــــلامية قوتهـــــا ومكانتهـــــا بـــــين الأمـــــم.

==========================

بيئة العنصرية وكراهية الآخر ... هل نحن في مواجهة مع الغرب؟

الكاتب: عبد الحسين شعبان

اثار نشر صحيفة دنماركية صور مسيئة للرسول محمد (ص) استياء ملايين المسلمين في العالم، خصوصاً انه عكس الأجواء السلبية المشحونة بالتوتر وبرائحة العنصرية التي سادت لدى بعض الاوساط في اوروبا واميركا والتي اتخذت اجراءات «قانونية» وغير قانونية استهدف بعضها مباشرة الجاليات العربية والاسلامية، حيث شكلت مرتعاً خصباً لنزعات الكراهية والعداء للآخر وعدم التسامح، والتي تعاظمت إثر تفجيرات ١١ ايلول (سبتمبر) الارهابية وراح ضحيتها أكثر من ٣ ألف انسان بريء، وكذلك ما أعقبها من تفجيرات حصلت في العديد من البلدان الاوروبية.

ومعروف ان العنصرية بيئة مشجعة على الارهاب، لأنها لا تتسم بالعدل والمساواة والاقرار بالحقوق واحترام التنوع والاختلاف، فهي بيئة إلغائية استئصالية اقصائية، لتغذية العنف والعنف المضاد وردود الافعال والانتقام. واذا كان المتهم الاساسي الذي أدين في مؤتمر ديربن العالمي حول العنصرية ٢٠٠١، هو «السياسة العنصرية» ومن يقف وراءها، حيث كانت سياسة اسرائيل العنصرية والتنكر لحقوق الشعب العربي الفلسطيني واعمال الابادة والارهاب الرسمي هي التي وقفت امام المساءلة وحظيت بحيز كبير من هذه الادانة، فإن وجهة الإتهام تحولت الى «العرب والمسلمين»، حين ظهر إنتماء من نفذوا العمليات الارهابية اليهم.

ولم يشفع لهم ادانتهم الشديدة لتلك الاعمال الارهابية وتعاونهم من اجل استئصال شأفة الارهاب، كما لم يغفر لهم انهم كانوا ضحية الارهاب على مدى يقارب عن ستة عقود من الزمان، سواء الارهاب الموجه من الخارج ضدهم، او الارهاب الداخلي الذي اشتد في الربع الأخير من القرن الماضي على يد جماعات متطرفة ومنغلقة وتدعي امتلاك الحقيقة، فكانت تنتهج نهج الارهاب والعنف واستخدام القوة وسيلة لاملاء ارادتها وفرض رأيها القائم على تحريم الاخر وتجريمه وتأثيمه، سواء كان هذا الاخر داخلياً ام خارجياً، فلا فرق لديها.

وهنا لا بد من الاشارة الى ان بعض هذه الجماعات المتطرفة كانت تحظى بتأييد ودعم من «الغرب» بصورة معلنة او مستترة، بل إن بعضها جرت محاولات لتصنيعه، وتلك احدى مفارقات الصراع في منطقتنا وعلى ضفافها اذا جاز التعبير، سواء شمال المتوسط أو عبر القارات.

المعركة حالياً لا تدور بالجيوش وحدها، وسيلة للصراع، وليس الاقتصاد والايديولوجيا وحدهما علامات أساسية لهذا الصراع، بل امتد الصراع وشمل على نحو أوسع وأعمق تأثيراً الحقل الثقافي. وليس عبثاً أن يعبر الرئيس الفرنسي جاك شيراك في حفل افتتاح مؤتمر اليونسكو الـ٣٣ في تشرين الأول (اكتوبر) ٢٠٠١ عن ذلك حين قال «ان القرن التاسع عشر شهد صراعات القوميات والقرن العشرين شهد صراع الايديولوجيات، اما القرن الحادي والعشرين فقد شهد صراع الثقافات».

لقد جعلت «العولمة» العالم كله «قرية كونية» وان كنت من الذين ينددون بالعولمة ويلحظون سلبياتها الكثيرة، الا ان للعولمة ايجابياتها غير القليلة ايضاً، وعلى النخب الفكرية والثقافية العربية والاسلامية والعالمثالثية ومعها نخب أوروبية وغربية متنورة، ان تسعى لعولمة حقوق الانسان والمعرفة وثقافة التسامح والعدل والاستفادة من المنجز العلمي - التقني على المستوى العالمي لما فيه خير البشرية وسلامها وتقدمها ورفاهها.

واذا كان رد الفعل شديداً وسريعاً ازاء ما نشرته الصحيفة الدنماركية وعدد من الصحف الاوروبية، فإن ردود الفعل العربية والاسلامية ازاء ما صدر من قوانين لمكافحة الارهاب رغم انها كانت مفصلة عليهم لم تكن بالمستوى المطلوب. ان بعض التصرفات

العنصرية تثير العديد من التساؤلات القديمة الجديدة: هل نحن في مجابهة مع الغرب؟ وهل ثمة مواجهة بين الغرب والاسلام؟ هل هي مشكلة الحداثة او ما بعد الحداثة؟ هل في الاعلان عن دخول عالم «ما بعد التاريخ» الذي دعا اليه فرانسيس فوكوياما بإقرار ظفر الليبرالية على المستوى الدولي كنظام سياسي واقتصادي، يوصل العالم الى شاطئ السلام؟ أم الاقرار بـ «صراع الحضارات» الذي دعا اليه صموئيل هنتنغتون حين طلب شحذ جميع الاسلحة لمواجهة الخطر الراهن؟ وقصد به الاسلام بعد انهيار الشيوعية على المستوى الدولي.

اين هي حدود الوصل والفصل بين الدعوة الى التعددية واحترام حقوق الانسان وحرية السوق، ازاء محاولات فرض الاستتباع والهيمنة؟ وكيف السبيل الى اجراء اصلاحات ضرورية في العالم العربي والاسلامي كتعبير عن استحقاق وحاجة ماسة داخلية أولاً وقبل كل شيء وليس ارضاء لأحد أو استجابة لطلب خارجي!

ثمة وجهتا نظر مخطوءتان في رؤية كل من الغرب الى العرب والمسلمين وفي رؤية العرب والمسلمين الى الغرب بشكل عام، وان كنت لا أنفي التمايز في المواقف لكلا الفريقين، الا انه السائد بل اليومي الذي يحدد علاقة السياسة بالثقافة احياناً وبالعكس.

وكمقدمة لهذه الفقرة اقول إن هناك نحو بليون وأربعمئة مليون مسلم أو ما يقارب ذلك متوزعين على أكثر من ٦٠ بلداً بينهم ٥٧ دولة اسلامية (عضو في المؤتمر الاسلامي) اضافة الى بلدان يشكل المسلمون جزءاً كبيراً من سكانها (اقلية عددية كبيرة) مثل الهند واثيوبيا، وهناك ١٦ مليون مسلم في روسيا وحدها. ان سكان العالم الاسلامي يؤلفون نحو خمس سكان العالم، كما تؤلف البلدان الاسلامية نحو ثلث دول العالم البالغة ١٩٠ دولة.

لقد ظل الفهم قاصراً في النظر الى المسلمين باعتبارهم «كتلة واحدة». و»الاسلام شيء واحد». بل هناك ادغام وتشوش احياناً بين الجماعات الاسلامية والاسلام أو بين المسلمين والاسلاميين والاسلامويين. وذلك في حمى الحديث عن «التهديد الاسلامي» و «الخطر الاسلامي»، وبإستعادة لغة الحرب احياناً عند الحديث عن الاسلام باعتباره «عدواً» وليس المكون الثقافي لمئات الملايين من البشر، وبذلك تكاد تكون غالبية المسلمين حسب وجهة النظر هذه «مجبولة» على الارهاب وعلى «العدوانية» التي تدمغهم دون تمييز او تمحيص او محاولة للفهم بأصول الدين وبالقانون والانظمة السائدة وبالسياسة المتبعة وبالعلاقات الدولية، ناهيكم عن التنوع والاختلاف التي تمتاز به المجتمعات الاسلامية مثل غيرها من المجتمعات.

فللإسلاميين وللمسلمين وبشكل عام آراء مختلفة في السياسة والمجتمع والعلاقات تبعاً لاختلاف المصالح والأهداف والتصورات. والاسلام ليس كله ولا حتى المسلمين كلهم أو معظمهم او حتى جزء مؤثر منهم يؤيدون تنظيم «القاعدة» أو رؤية حكومة «طالبان» الأفغانية أو نموذج اسامة بن لادن ولعلهم لا يرحبون بقيام دولة دينية لما أفرزته التجربة

المريرة في أفغانستان أو غيرها من «الأنظمة الإسلامية»، بل ان قسماً كبيراً وحاسماً من الاسلاميين ناهيكم عن المسلمين لم يؤيدوا اجراءات حكومة «طالبان» وتعصب تنظيم القاعدة والتوجهات الارهابية التي اعتمدها، بما فيها تحطيم التماثيل البوذية في باميان باعتبارها «غير اسلامية» وهو موقف فيه الكثير من انعدام الذوق والحس الجمالي ناهيكم عن كونه تفريط بثروة تاريخية عالمية ذات قيمة لا تقدر بثمن، وكذلك الموقف من المرأة و قضايا التقدم الاجتماعي والمجتمع المدني والتفاعل مع الحضارة الانسانية.

المجتمعات العربية والاسلامية مثل غيرها من المجتمعات الانسانية تمثل حضارة وتاريخاً وقيماً وتوجهات فكرية وقومية وثقافية واختلافات سياسية ومدارس نظرية بخصوص التنمية والتطور، وهي تتأثر بالعالم وبكل ما يجري حولها من تقدم وعلوم وتكنولوجيا وافكار ومتغيرات. ومع ان هويتها العامة هي الاسلام، فهو ليس دين حسب، بل هو في نهاية المطاف حضارة لأمم وشعوب وتكوينات عرقية وأثنية ولغوية وأصول متنوعة، ساهم الاسلام في حياتها من دون ان يضع حاجزاً امام انخراطها في الركب الحضاري نحو الحداثة والديموقراطية وحقوق الانسان، وهو ما يتم التطلع نحوه بشكل كبير وهو ما يجري الصراع حوله بشكل أكبر بين التيار التقليدي والتيار الحداثوي.

واذا كانت نظرة «الغرب» الى الاسلام قاصرة وان كانت بالطبع نظرة غير موحدة بحكم وجود تيارات وتوجهات فكرية وثقافية مختلفة، إلا أن هذه هي نظرة الغرب السياسي، وبخاصة ازاء التيارات الاسلاموية التي قد تنسحب احيانا الى الاسلام ككل لأسباب سياسية، فإن النظرة السائدة في العالم العربي والاسلامي الى «الغرب» هي الاخرى نظرة «كلانية» او كلية، أي شمولية مستندة الى التاريخ أحياناً بل تلجأ الى استحضاره بشأن الصراع بين «الغرب» و»الاسلام» كلما وجدت حاجة الى دعم وجهات نظرها الراهنة، فهو صراع تاريخي، حتمي منذ حروب الفرنجة» ولا أقول الحروب الصليبية» وقبلها في الفتوحات الاسلامية، بل انها حرب «صليبية جديدة» كما يذهب البعض.

الصراع اذن حسب وجهة نظر بعض المتطرفين والمتعصبين في العالمين العربي والاسلامي هو صراع متوارث، قيمي وديني وأخلاقي، لا سبيل للتلاقي أو التعايش معه، لأن الحضارة الغربية هي حضارة مسيحية - يهودية ، ويتم دمغها احيانا «بالكافرة» وحسب هذا المفهوم فهو صراع تناحري لا سبيل الى حله سلماً او اعترافاً بالآخر. وذلك من دون النظر الى المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة والمشتركات الانسانية.

واذا كانت السياسة هي في المحصلة تعبير عن صراع واتفاق المصالح وليس اختلافات عقائدية حسب، فإن الثقافة هي جسر التواصل بين البشر والكيانات بحثاً عن المشتركات الانسانية وفي اطار حقول المعرفة. والثقافة في نهاية المطاف معرفة، والمعرفة سلطة على حد تعبير الفيلسوف البريطاني فرانسيس بيكون، وعلى العرب والمسلمين تنمية سلطتهم بالمعرفة. وكان تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤ الصادر عن الامم المتحدة قد

كشف حجم النقص الفادح في المعرفة والحريات التي تعتبر من اهم معوقات التنمية في البلدان العالمثالثية ومنها البلدان العربية والاسلامية، اضافة الى تهميش دور المرأة وعدم الاقرار بحقوق الاقليات.

المداولة والشراكة والحوار وسيلة للتواصل الحضاري ولتعزيز وتطوير جسر الثقافة، الذي يمكن استخدامه سلباً أو ايجاباً، فـ «الغرب» ليس وحده مسؤولاً وإن كانت مسؤوليته اساسية ولا يمكن تخفيفها تحت أي مبرر كان، في الاجابة عن بعض الاسئلة التي تضعها تحديات العولمة في اطار الثقافة الكونية متعددة المشارب والاصول والتكوينات، ومن هنا يتعاظم القلق المشروع لدى مئات الملايين من المسلمين حين تنتشر وتستشري بعض النزعات العنصرية في الغرب ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل على الصعيد الثقافي ايضا» تلك التي تستخف بمقدسات الآخرين.

باحث وكاتب عراقي

صحيفة الحياة اللندنية

==============================

بيان من أتباع دين الإسلام، أتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم

الكاتب: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء

بتاريخ: ٢٠٠٣/٢٥/٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من أتباع دين الإسلام، أتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، إلى الثقلين من الجنّ والإنس.

السلام على من اتّبع الهُدَى.

أما بعد: فهذا خطابُ أمةٍ لا يُمثّلها ولا يَحُدُّها بلدٌ ولا مكان، ولا تنتمي إلى عرقٍ أو لَوْنٍ أو لغة، ولا تدعو إلى عقائد أو مفاهيم وضعها علماؤها ومفكّروها، ولا تُريدُ بَسْطَ نفوذها من خلال حضارتها البشريّة بِصَبْغ الناس بتصوّراتها المستمدّة من مذهبها أو تاريخها أو تقاليدها الآدميّة.

ولكنّها أمةٌ تدعو الناس بدعاية الله، وتُسمعهم خطابَ الخالق سبحانه، قائلةً للبشريّة جمعاء: أسلموا تسلموا.

إن هذا الخطاب الذي نوجّهه للبشريّة ، بل للثقلين ، لا يحقّ لأحدٍ أن يتصوّر أنه يجوز له أن يكتبه من تلقاء نفسه وأن يُوجِّهَهُ لأحدٍ من الخَلق ؛ لأنه خطابٌ يتضمّنُ ما لا يقدر عليه جميع البشر، إنه يتضمّن الوعدَ الأكيد المتحققَ بالحياة الطيّبة السعيدة في الدنيا،

وبالثواب الأجلّ الأعظم في الآخرة { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [النحل:٩٧].

ولذلك فإن من ظنّ أنه يحقّ له أن يُوجَّه مثل هذا الخطاب من تلقاء نفسه إلى البشريّة، كائناً من كان، فهو إنّما يُحِلُّ نفسه مَحَلّ الإله الخالق، ويَدّعي بذلك ما ادّعاه فرعون ونمرود من الألوهيّة، متعالياً على أبناء جنسه من البشر إلى هذا الحدِّ الأخرق من التعالي. ومن حقِّ البشر حينها، وكُلّ واحدٍ منهم، أن يرفض الانصياع لمثل هذا الخطاب من بشرٍ مثله، بل على البشر أن يرفضوا سماعَ مثل هذا الخطاب، بل عليهم ألا يسمحوا لأحدٍ من البشر أن يترفّع عليهم وعلى جنسه البشري إلى هذه الدرجة الخرقاء من الترفّع؛ لأن في مجرّد سماعهم لهذا الخطاب البشريّ إقراراً بعبوديّتهم لبشرٍ مثلهم !!!

ولذلك (أخيراً) فإن مثل هذا الخطاب الذي نُوجّهه إلى البشريّة، لا نوجِّهه على أننا أمةٌ تنتمي إلى أي انتماء بشري، ولا يجمعها أيُّ اجتماع مكانيٍّ أو زماني أو حضاري، ولا يؤلّفُ بينها أيُّ مطامعَ اقتصاديّة أو مطامح سياسيّة أو مصالح دنيويّة. إنه خطابُ الأمّة التي اتّبعت دين الخالق الواحد الأحد، الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

نعم .. إننا أتباع دين الإسلام، الدين الذي رضيه الخالقُ للبشريّة، وجعله آخرَ دينٍ يُصلح به شأن الثقلين، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وتتحقّق بالإيمان به والعملِ بأحكامه سعادتُهم في الدنيا والآخرة، ولن تتحقّق سعادتهم بغير هذا الدين؛ لأنه الدينُ الوحيد الذي يرضاه الله للبشريّة بعد بعثة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، فهو دين الخالق، والخالق وحده هو العالم بمصالح العباد وبما يحقّق لهم منافعهم في الدنيا {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]، والخالق وحده هو الذي يملك أمر الدنيا والآخرة، ويُدبِّر شؤونهما، وبيده كُلّ شيء، وهو على كل شيء قدير. ثم هو وحده سبحانه الذي يُجازي المحسنين بالإحسان والمسيئين بالعقاب في اليوم الآخر، فهو سبحانه وحده { مالك يوم الدين} [الفاتحة : ٤] { لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ القهار} [غافر:١٦].

إنها حقيقةٌ محضة، يجب أن يقرّ بها كل العقلاء: وهي أن الدين الذي يُلزِمُ الخالقُ المخلوقين به، والذي يُنظِّمُ لهم فيه ربُّهم جميعَ شؤون حياتهم، من علاقتهم به سبحانه، وعلاقتهم بالمخلوقين أمثالهم، على اختلاف أجناسهم وأحوالهم، ويبيّنُ لهم فيه طريقَ سعادتهم في الدنيا والآخرة=أنه سيكون حقاً الوسيلة الوحيدة الحقّة لبلوغ تلك السعادة، وأن البشريّة لن تجد وسيلةً لبلوغها إلا هذه الوسيلة، وأنه لا يحق لها أصلاً ولا يجوز أن ترفض هذا الدين والنظام الإلهي لخالقها سبحانه.

إنّ وجود الخالق حقيقةٌ لا يشك فيها عاقلٌ، بل هي أعظمُ حقيقةٍ في الوجود على الإطلاق. ولا يشك عاقلٌ أيضاً أن من أنكر هذه الحقيقة بلسانه من البشر، أنه قد اعترف بها قلبُه ، بل قد أعلنها هو بوجوده، وأعلنها معه الوجود كلُّه من حوله. ولهذا سقطت الشيوعيّة، مع

أنها سقطت من يوم أن وُلدت؛ لأنها صادمت أعظم حقائق الوجود، وهي أن الوجود يدل على أنه لا بُدّ له من خالق عليمٍ حكيم عظيم قادر.

وهذا الخالق العظيم سبحانه، الذي دلّت مخلوقاته على عظمته وعلمه وحكمته، بما أوجده من هذه الأفلاك العظيمة، وما فيها من النظام الدقيق المتناهي الدقّة، وما أوجده على وَجْه الأرض من الأحياء المختلفة في البر والبحر، والنباتات، والجمادات، وما بينها من التناسق، وما فيها من عجيب الصنعة ولطيف التدبير، وغير ذلك مما لا زال البشر يبحثون عن أسراره، ويسعون إلى اكتشافه=لا يُمكن أن يكون قد خلق الخَلْق عبثاً بغير حكمة، ولا أن يكون قد خصَّ الثقلين بالعقل من سائر مخلوقاته على وجه الأرض دون سبب ؛ لأن هذا العمل يعارضُ حكمته وعلمه وعظمته سبحانه التي دلّت عليها مخلوقاته (كما سبق)؛ ولذلك يقول تعالى { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [المؤمنون:١١٥].

إذن فلا بُدَّ أن تكون هناك غاية من خَلْق الخَلْق، ولا بُدَّ أن يكون هناك غاية من خلق البشر الذين نحن منهم، خاصة أنّهم قد مُيّزوا بنعمة العقل والتفكير، التي استطاعوا من خلالها (وهي هبةٌ من الخالق لهم) أن يُسخِّروا كثيراً من المخلوقات وأنظمةِ الكون من حولهم لتحقيق كثيرٍ من المنافع الدنيويّة لهم .

ثم هل يحق للبشر أن يحدّدوا غاية إيجادهم والسبب في تخصيصهم بنعمة العقل؟! بل هل يمكنهم أصلاً أن يعرفوا هذه الغاية ؟! لا شك أنهم أعجز من ذلك، وأن هذا هو حقُّ خالقهم وحده، ولا يحق لأحدٍ أن يدّعي له شيئاً من الحق فيه غيره سبحانه وتعالى؛ لأن المخلوق لا يعلم ما في نفس المخلوق، فأنَّى له أن يعرف ما في نفس الخالق؟!!

ولذلك فإن تَرْكَ البشريّة دون بيان الغاية من خَلْقهم يُعارضُ حكمة الخالق وعظمته وعلمه، ويُعارضُ عَدْله أيضاً؛ إذ فيه تكليف بما لا يدخل تحت قدرتهم. ويعارضُ رحمته سبحانه بعباده، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، بأن يتركهم هملاً بغير نظامٍ يُبيِّن لهم فيه أسباب سعادتهم ، التي خلقهم من أجلها.

ولذلك أرسل الله تعالى الرسل عليهم السلام، لبيان دينه، الذي هو نظام البشرية، الذي به يَصْلُح أمر الدنيا والآخرة ، وبه يعرف الإنسان الغاية من خَلْقه ، ويعرف طريق الوصول إلى تحقيق هذه الغاية. إذ بغير إرسال الرسل لن يكون بإمكان البشر أن يعرفوا غاية خلقهم ولا بطريق بلوغها، وبذلك لا يُمكن أن يُثاب من حقق تلك الغاية وأن يُعاقب من لم يحققها، كما قال تعالى { رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} [النساء:١٦٥]، وقال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً } [الإسراء:١٥].

وبذلك يتّضح أن إرسال الرسل هي الحقيقة الثانية الكبرى، التي ألزمتْ بالإيمان بها الحقيقةُ الأولى، التي هي وجود الخالق سبحانه. فوجود الخالق يدلّ على وجوب الإيمان بإرسال الرسل، وهذا ما لا يصحّ من عاقلٍ أن يُكابر في إنكاره.

والرسل إنما جاؤوا لتبليغ دين الله تعالى، وسبق أن ذكرنا أن دين الخالق وحده هو الذي يضمن للبشريّة السعادة الدنيوية والأخرويّة، ولذلك فإنه يلزم أن تتّبعه البشرية. وهذه حقيقةٌ ثالثةٌ كبرى، سبق إثباتها شرعاً وعقلاً.

وكما أرسل الله تعالى إلى البشر رُسلاً منهم لتبليغ دينه إلى الأمم السابقة، مثل نوح (عليه السلام)، وإبراهيم (عليه السلام)، وموسى (عليه السلام)، وعيسى بن مريم (عليه السلام) = فقد أرسل الله تعالى إلى البشريّة محمداً (صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله). فليست بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أمراً جديداً على البشرَية، كما قال تعالى { قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ } [الأحقاف :٩]. فقد أرسل الله تعالى قبله رسلاً كثيرين، كما قال تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } [النساء:١٦٣-١٦٥].

إذن فإنكار رسالة النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم لمجرّد أنه رسول الله، لا يُقبل من أحد؛ لأنه إن كان هذا المُنْكِرُ ممّن يؤمن برسولٍ قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قد أقرَّ بذلك عقيدةَ إرسالِ الرُّسُل، فلمَ يُنكر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؟! وإن كان هذا المُنْكِرُ ممن لا يؤمن برسول، فيلزمه أن ينكر وجود الخالق، وأن ينكر وجوده هو نفسه؛ للترابط بين هذه الحقائق الكبرى (كما سبق). وليس في الناس اليوم إلا أحد هذين الفريقين، فيلزم الناس كلّهم اليوم عدم إنكار نبّوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذا كان إنكارهم لها مبنيّاً على مجرّد إنكار وَصْفِه بالرسالة.

وأمّا إن كان إنكار رسالة النبيّ صلى الله عليه وسلم لدعوى أنه لم يقم دليلٌ على صدق نبوّته، فهذا إمّا ناشئٌ من هذا المدّعي عن جَهْلٍ وتقصير بالغ في البحث عن الحقيقة، أو ناشيءٌ عن عنادٍ واستكبار وإعراض عن الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. وسنذكر – نحن– هنا في هذا الخطاب بعضَ دلائل نبوّته باختصار، تاركين مَهمّة البحث والتقصِّي للمنصفين الباحثين عن الحقيقة الكبرى، التي بها يسعدون في دنياهم وأُخراهم، وبالإعراض عنها يشقون في دنياهم وأخراهم. وقبل أن نذكر هذه الدلائل، فإنا نسأل أتباع الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم (كاليهود والنصارى): ماذا لديكم من أدلّة صدق نبوّة موسى وعيسى عليهما السلام؟ فإنهم لن يذكروا دليلاً إلا ولدينا – نحن المسلمين – من جنسه ما هو أعظم دلالةً وأوضح برهاناً على صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم . بل الأغرب من ذلك: أننا أقدر على إثبات نبوّة موسى وعيسى (عليهما السلام) من أتباعهما، ولدينا من أدلّة صدق نبوّتهما (عليهما السلام) ما ليس عند أتباعهما !!! لكن تَميَّزَ نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم بخلود بعض معجزاته، وعلى رأسها القرآن الكريم، كما يأتي بيانه.

وسنذكر دلائل من دلائل نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم باختصار، إذ هناك كتبٌ ومراجعُ فصّلتها وبيّنتها، وعلى الباحث عن سعادته في الدنيا والآخرة أن يبحث عنها ويدرسها. مع أنّ فيما سنذكره في آخر هذا الخطاب كفايةً (على وجازته) لمن أنصف وتخلى عن مألوفاته السابقة الراسخة في نفسه بغير دليل، ولم يستكبر في الاعتراف بالخطأ ولو كان خطأً كبيراً !!

إن هذة الدلائل المثبتة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي آخر المطاف وآخر النتائج وآخر الحقائق الكبرى التي أردنا إعلانها للثقلين، وهي أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله ، بعثه الله بدين الإسلام، وأنزل عليه كلامه تعالى وهو القرآن الكريم. كما أرسل الرسل من قبله ، وبعثهم إلى أقوامهم بدينه سبحانه، وأنزل عليهم كتباً: التوراة إلى موسى (عليه السلام)، والإنجيل إلى عيسى(عليه السلام).

إنّ إرسال الرسل حقيقةٌ تقرُّها العقول الصحيحة (كما سبق)، ويؤمن بها أكثر أهل الأرض. وإرسال الرسل إنما كان لتبليغ دين الله تعالى، ودين الله تعالى هو حُكْمُهُ ونظامُه الذي أرشد إليه خَلْقَه لتحقيق سعادتهم، التي لا تتحقق إلا من خلال التزام دين الله تعالى، وهذه هي عبادة الله، التي خلق الله الخَلْقَ لأجلها. فعبادة الخالق لا ينتفع بها الخالق، وإنما ينتفع بها المخلوق، بل هي إنما شُرعت لتحقيق غايةِ النفع له.

ومع أن الله تعالى قد أرسل الرسل بدينه، الذي هو هُداه ونوره للبشريّة، وأيّدهم بما يدل على صِدْقهم، إعذاراً إلى البشر وإقامةً للحجّة عليهم=إلا أن من الناس من أعرض عن هداية ربّه، وعاند وأبى إلا اتّباع الشيطان، وأصرَّ إلا أن يُقيم دولة الباطل، وأن يعادي ويحارب أتباع دين الله تعالى، وأن يصرف الناس عن اتّباع الأنبياء والرسل ... إلى غير ذلك من أنواع الضلالات الكثيرة. فهل يُمكن أن يدع الله تعالى هؤلاء المعاندين لدينه، المقاتلين لأنبيائه وأوليائه، الظالمين لأنفسهم ولغيرهم، دون حساب وجزاء؟!!! { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [القلم : ٣٥-٣٦]، وقال تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَوَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الجاثية:٢١-٢٢].

لقد اقتضت حكمةُ الخالق وعدله سبحانه أن تكون هناك نهاية لهذه الحياة الدنيا ولهذا الوجود الأول، ليعقبه وجودٌ ثانٍ وحياةٌ أخرى، تكون داراً للحساب والجزاء ، ليُثاب المحسن الذي التزمَ دينَ الله تعالى بالإحسان، ويُعاقبَ المسيء الذي خالف دينَ الله تعالى بالإساءة.

وهذا يعني أنه لا بُدّ للدنيا من نهاية، وهذا مما لا يشك فيه عاقل. وما دامَ أنَّ هناك رسلاً وأدياناً أُرسلوا لأهل هذه الدنيا الفانية، فلابُدّ أن يكون منهم رسولٌ هو آخرَهم وسيكون الدين الذي بُعث به هو آخرَ الأديان قبل فناء الدنيا. وعليه فإن مبدأ وجودِ رسولٍ خاتمٍ

ودينٍ أخير مبدأٌ يدلّ عليه العقل، و لا غرابة فيه. بل الأمر المستنكر المرفوض عقلاً تصوّرُ وجود رُسُلٍ وأديان بلا نهاية ، في عالمٍ فانٍ مُنْتهٍ!!!

ولقد كان اختيار الخالق سبحانه لخاتمِ رُسُله هو أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون دينه الذي أُمر بتبليغه (وهو الإسلام) هو آخر الأديان : قال الله تعالى { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً [الأحزاب : ٤٠] ، وقال صلى الله عليه وسلم ((مثلي ومثل الأنبياء قبلي: كمثل رجلٍ بنى داراً فأتمَّها وأكملها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجّبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة (قال صلى الله عليه وسلم): فأنا موضع اللبنة، جئتُ فختمت الأنبياء)). وقال صلى الله عليه وسلم ((أُرسلتُ إلى الخلق كافّة ، وخُتِم بي النبيّون)).

ولذلك فإننا – نحن المسلمين– وإن كُنّا نؤمن أن جميع الأديان التي بُعث بها الرسل حَقٌّ من عند الله، وأنها تتفق في الأصول، كالدعوة إلى توحيد الله تعالى: بأنه سبحانه هو وحده الخالق المالك القادر على كل شيء، المدبّرُ لهذا الكون، وأنه لا يحصل في الكون شيءٌ (صَغُر أو كَبُر) إلا بعلمه و إذنه وأمره وحدَه سُبحانه. وأنه هو تعالى وحده المستحق للعبادة، فلا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له. وأنه عز وجل وحده صاحب الكمال المطلق في أسمائه وصفاته { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى : ١١].

ومن جملة الأصول التي تتفق عليها الأديان: الأمر بمحاسن الأخلاق، والنهي عن الفواحش، قال الله تعالى {قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء } [الأعراف : ٢٨]، وقال تعالى { إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل :٩٠].

وهذا كُلّه هو أساس جميع الشرائع الإلهيّة، التي بُعث بها رُسل الله.

وإنّما تعدّد الرسل وتعدّدت الشرائع السابقة؛ لأن أتباع الأنبياء السابقين كُلّما مات فيهم رسول سُرعان ما تأتي أجيالٌ بعده تزيغُ عن شرعه، وتخالف الدين الذي بُعث به، وتحرّفُ كتاب الله الذي أُنزل عليه، حتى ربّما خالفت الأصل الذي بُعث به الأنبياء، وهو التوحيد ، فادّعوا لله تعالى الأبناء والأنداد والشركاء والشفعاء، وعبدوهم مع الله، أو عبدوهم من دون الله تعالى. فإذا فعل الأتباعُ ذلك أرسل اللهُ رسولاً ليعيدهم إلى شرعه، مجدِّداً ما خفي عليهم من معالم دينهم، ومصحِّحاً ما حرّفوه من كتاب ربِّهم. وهذا ما فعله موسى (عليه السلام) بعد يعقوب ويوسف (عليهما السلام)، وهذا ما فعله عيسى (عليه السلام) بعد موسى (عليه السلام)، وهذا مافعله (أخيراً) محمدٌ صلى الله عليه وسلم بعد موسى وعيسى وجميع أنبياءِ الله تعالى ورسله (عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتم التسليم).

ولذلك فإن الإيمان بالرسول السابق وبجميع الرسل السابقين لا يُغني شيئاً بعد إرسال رسولٍ جديد، ولابُدّ لمن أدرك الرسول الأخير أن يؤمن به وأن يدين بالدين الذي جاء به،

ولن ينفعه شيئاً إيمانُه بمن سبقه من الرسل واتّباعُه الدين السابق؛ لأن كل شريعةٍ جديدة من الله تعالى إنمّا شرعها لتنسخ ما سبقها، ولأن تكذيب آخر رسول تكذيبٌ للدين الذين يلزم من أدركه الإيمان به واتّباع أحكامه. ولذلك فإن من لم يؤمن بموسى ممن أدركه من بني إسرائيل سيكونون كفاراً لا يستحقون النجاة من عقاب الله تعالى، ومن لم يؤمن بعيسى من اليهود سيكونون كفاراً لا يستحقون النجاة من عقاب الله تعالى، ومن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وجميع أمم الأرض سيكونون كفاراً لا يستحقون النجاة من عقاب الله تعالى.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم خاتمَ الأنبياء ودينُ الإسلام آخرَ الأديان لزم الثقلين أن يؤمنوا بهما، وأن يرضوا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، و بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبيّاً. ولذلك فقد أخذَ الله العهد على جميع أنبيائه ورسله أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو أدركوه ، فكيف بأتباعهم؟! يقول الله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران : ٨١]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أنا حَظُّكم من الأنبياء وأنتم حظّي من الأمم))، وقال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفس محمد بيده، لا يَسْمَعُ بي من هذه الأمّه يهوديٌّ ولا نصرانيّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به؛ إلا كان من أصحاب النار)). ولذلك (أيضاً) لن يقبل الله تعالى من الناس ديناً غير دين الإسلام بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كما

قال تعالى { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٨٥]. ولذلك (أخيراً) كان القرآن الكريم ناسخاً لجميع الكتب السابقة، حتى لو لم تُحرّف وتُبدَّل، كما قال تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة:٤٨].

وهذا كُلُّه هو الذي أَلْزَمَنا بتوجيه هذا الخطاب إلى الثقلين، وأوجبَ علينا القيامَ بهذه المَهمّة العظمى والدعوة الكبرى والنداء الأشمل والبلاغ العامّ إلى الجنّة والناس أجمعين.

ولذلك أيضاً فإن مثل هذا الخطاب لا يحق لأحدٍ أن يوجِّهه إلى البشريَّة (كما ذكرنا في فاتحة هذا الخطاب)، إلا أمّة الإسلام، ممن آمنوا بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهُم وحدهم المبلّغون عن الله تعالى دينَه الذي أتمَّه وأكمله ورضيه للناس { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة : ٣٠].

وسيجب القيام بمَهمة توجيه هذا الخطاب، وسيلزم القيام بدعوته الكبرى، وسَيُخْتَصُّ بذلك دون مَنْ سواه ممّن يخالفه=كلّ من دخل في هذا الدين من جميع أمم الأرض، في أيّ زمان ومكان؛ لأنّ هذا الدين دين الله الخالق سبحانه، لا علاقة له بأيّ انتماءٍ بشريّ (كما

تقدم).

وحقٌّ على البشر كلِّهم أن يسمعوا هذا الخطاب، وأن لا يُعرضوا عنه. بل يجب عليهم فَهْمُه بدقّة، والتمعُّنُ فيه، والبحثُ عمّا يتعلقُ به، وبَذْلُ غاية الجهد وطويلِ الأوقات في ذلك؛ حيث إن القرار الذي سيتّخذه من بلغه هذا الخطاب بعد سماعه هو أعظم قرارٍ على الإطلاق، بل هو – في الفرق الشاسع بينه وبين جميع القرارات سواه– في الحقيقة ينفرد بكونه القرار الوحيد!!!

إنه القرار الذي سيحدّدُ به الإنسان مصيره، وسيرسم فيه خُطا مستقبله: إمّا سعادة الدنيا والآخرة، أو شقاوة الدنيا والآخرة!!!

وحقٌّ للبشر كلّهم أن لا يسمحوا لأحدٍ، كائناً من كان، أن يمنعهم من سماع هذا الخطاب، أو أن يحول بينهم وبين فهمه ودراسته؛ لأنه بذلك يخونهم أعظم خيانة، ويرتكب في حقهم أقبح جُرْم، ويتعدى عليهم أشنع اعتداء=إذ إنه بذلك سيكون سبباً في اتخاذهم قراراً خاطئاً، في قرار هُمْ أحوج أن يصيبوا فيه من أي قرارٍ آخر!!!

وحقٌ على البشر كُلّهم، ممن بلغه هذا الخطاب، سواءً اتّخذَ أحدُهم فيه قراراً أو مازال في مجال اتّخاذ القرار=حقٌّ عليهم لأبناء جنسهم من البشر كُلّهم أن لا يستأثروا بهذا الخطاب وحدهم، بل عليهم أن يُبلّغوه جميعَ البشر، وان يَسْعَوا في ذلك قَدْر وُسْعِهم؛ حيث إنّ لغيرهم من العقلاء حقَّ اتّخاذِ قراره بنفسه، وأن يحدّد مصيره بمحض إرادته، لا أن يكون تبعاً لغيره مُعيراً عَقْله وتفكيره للآخرين، خاصةً أنه قرار المستقبل والمصير، وأنه قرار القرارات كلها!!!

وإننا إذ ندعو إلى تدبُّر خطابنا هذا، ونحثُّ الناس جميعاً على التفكير العميق في مضامينه، وعلى البحث والقراءة والسؤال والدراسة الجادة الجاهدة بشأنه، من أجل الوصول إلى القرار الصحيح فيه=نكون قد أعلنّاها صريحةً واضحةً: بأن الحقّ المطلق هو ما تضمّنه هذا الخطاب، من الأمر باتباع دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربّه الواحد الأحد سبحانه؛ حيث إن الذي يأمر بالقراءة والبحث والدراسة لاتّخاذ قرارٍ عن اقتناع خاصّ وفي حُرّيّةٍ كاملة، ويبلغ به التحدِّي لمن يخالفه هذا الحدَّ من التحدِّي، بل يصل به إلى تحدّي الثقلين جميعاً=لا يكون عاقلاً إلا وهو صاحب الحق المحض والصواب الخالص.

ولقد كان بإمكاننا أن نُجامل، وأن نتلطّف في العبارة، وأن نعرضَ خطابنا هذا على أنه خيارٌ من ضمن خيارات متعدّدة يحق للناس أن ينظروا فيها، ليتخيّروا منها ما شاؤوا. كان يمكننا أن نفعل ذلك، ونحن نعرف أن هذا هو الأليق، لكن في غير هذا الخطاب!! لأننا إنّما نبلّغُ دينَ الخالق سبحانه، وَفق أمر الله تعالى لنا بذلك. ولا نُبلّغُ أفكارنا أو تصوُّراتنا التي ابتدعتها عقولنا أو حضارتنا، لكي يحق لنا حينها أن نعرضها بالأسلوب الذي نختاره أو الذي يختاره المخاطَبون.

لقد جاء هذا الخطاب قياماً ببعض الواجب علينا من ربّنا في تبليغ دين الله تعالى، وقياماً ببعض حقّ رسولنا ورسول الثقلين كافة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، الذي بلّغَ دينَ الله أحسن بلاغ وأتمَّه وأكمله، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، وقياماً بحقّ البشريّة علينا (كما سبق)، لكي تتحمل مسؤوليّة نَفْسها أمام خالقها، ولكي تختار لنفسها: إمّا رضى ربِّها وثوابَه أو غضبَه وعقابَه، وسعادتَها الأبديّة أو شقاءها الأبدي.

ولذلك فقد كان لِزاماً علينا، قياماً بتلك الحقوق: لربّنا عز وجل، ثم لرسولنا صلى الله عليه وسلم، ثم للبشريّه جمعاء: أن نُعرّف البشريّة، بل الثقلين، بخاتم الأنبياء، الذي بُعث بآخر الأديان؛ حيث إنّ من آمن به رسولاً آمن بالدين الذي جاء به ديناً، ومن عاند وجحد رسالته كفر بالدين الذي جاء به من عند ربّه عز وجل، والذي لا يقبل الله تعالى من الثقلين ديناً سواه، والذي به يصلح شأنهم في الدارَين، ولن يصلح إلا به.

فمن هو خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم؟

هو عبدالله ورسوله: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، اختاره الله تعالى من أفضل بيوت العرب وأعزّها وأشرفها، لما يتميّزون به من كرم النسب (فهم رأس المنتسبين إلى الرسولين الكريمين إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام))، ولما عُرفوا به من كريم الصفات في رجاحة العقول وحُسْن الأخلاق.

لقد وُلد محمد صلى الله عليه وسلم بمكّة، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، في العام الذي أهلك اللهُ تعالى فيه جيشَ الحبشة الذي كان عازماً على هدم الكعبة المشرّفة، فأهلكه الله تعالى على مشارف مكّة، قبل أن يحقق ما خرج لأجله من أرض اليمن. وكان ذلك العام هو عام (٥٧٠م).

لقد وُلد صلى الله عليه وسلم يتيماً، حيث إن أباه كان قد تُوفّي وهو حَمَلٌ فكفله جدّه عبد المطلب، الذي كان سيدّ العرب.

ثم إن أُمَّه آمنة بنت وهب توفِّيت أيضاً، وله من العمر ستّ سنين. وبعدها بقليل توفي جدّه أيضاً، ليكفله عمُّه أبو طالب، الذي كان عطوفاً على ابن أخيه شديدَ المحبّة له.

فنشأ في كنف عَمّه أبي طالب، ورعى الغنم صغيراً، ثم عمل لمّا شبَّ مع عمِّه في التجارة.

وكانت قد ظهرت له من حين مولده إلى حين بلوغه سنَّ الرجولة دلائلُ كثيرةٌ تدلّ على عناية ربّه عز وجل به، وعلى حياطته له وحِفْظه وتأديبه.

واشتُهر بين قبيلته (قريش) وغيرها بمكانةٍ سامية، وعرفوه بعظيم بركته، وجميل صفاته، ومحاسن أخلاقه: من الصدق، والأمانة، والعَدْل، وكمال الرجولة، وسداد الرأي، ورجاحة العقل.

وقد حفظه الله تعالى قبل بعثته من أدناس الجاهليّة، ومن عبادة الأصنام، التي عبدها قومُه بعد تبديلهم ملّة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، اللذين كانا قد بلّغاها أجدادَ قومه صلى الله عليه وسلم، وهي ملّة (كباقي الملل الإلهيّة) قائمةٌ على توحيد الله تعالى. ولكن هذه الملّة التوحيديّة قد بُدّلت وغُيّرت، كما وقع للأديان الإلهية الأخرى جميعاً، مثل اليهوديّة والنصرانيّة، التي بُدّلت أيضاً، وحُرّفت كتب أنبيائها. فأظلمت الأرض لذلك بالشرك، وبأصناف الظلم والضلالات والفواحش.

وبعد أن أتمّ محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً (أي سنة ٦١٠م)، ازدادَ تَهْيِيءُ ربِّه له لاستقبال وَحْيِه إليه، ولتحمُّل أعباء الرسالةِ العُظْمى الرسالة الخاتمة. ومن ذلك أنه كان قد حُبّبَ إليه الانعزال في إحدى المغارات البعيدة عن بيوت مكّة، وهو غار حراء، ليتعبّدَ فيه خالقه الواحد الأحد سبحانه وتعالى.

وفي إحدى الليالي من شهر رمضان من السنة المذكورة، وبينما كان يتعبّد كعادته في غار حراء ، فاجأه المَلَك جبريل (عليه السلام) بالنبوّة من الله عز وجل، كما نُبّئ غيرُهُ من الرسل قَبْلَه. ولقّنه جبريل (عليه السلام) حينها بضع آيات من كلام الله تعالى، فكانت أوّل ما يطرق سَمْعَه وسَمْع الدنيا من كلام الله تعالى، المسمى بالقرآن الكريم.

لقد كانت هذه الكلمات التي هي أول كلمات تتصل من السماء بالأرض، بعد رَفْع عيسى (عليه السلام)، وهي قوله تعالى { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق :١-٥].

وبذلك يُعلن هذا الدين من ساعة مولده ، ومن أُولى لحظات وجوده: أنه دينُ العلم والثقافة والحضارة؛ حيث كانت أُولى كلماته (اقرأ)، وكان في أُولى آياته ذِكْرُ (القلم)، الذي هو أداة الكتابة. والقراءة والكتابة هما وسيلتا التعلّم والتعليم والبحث والاكتشاف والحضارة والتقدّم.

لقد أفزع هذا الحادثُ الجللُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، حتى طَمْأنتْهُ زوجُه خديجةُ لمّا رجع إليها، لِمَا عرفته عنه من كريم الصفات وشريف السجايا، التي لا يُمكن معها أن لا يحوطه خالقُه عز وجل بالحفظ والعناية. ثم طَمْأنه أيضاً ورقةُ بن نوفل، وهو رجل من قومه، كان على علمٍ بالأديان الإلهية السابقة، وما فيها من البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم إن الوحي استمرّ في النزول عليه بآيات أخرى من القرآن الكريم، وأُمر فيها بتبليغ دين الله تعالى، وأن يصبر على أذى الناس في سبيل ذلك. فَأْتمر لأمر ربِّه، وابتدأ بالدعوة سرّاً. فكان أسرعُ الناس إيماناً به أعرفَهم به، لما علموه فيه من الصدقّ والأمانة ورجاحة العقل وعظيم البركة. وكان من هؤلاء المؤمنين الأوائل: زوجه خديجة بنت خويلد، وصديقه أبو بكر، وابن عمِّه علي بن أبي طالب.

ثم إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدع بالدعوة، وأعلنها صريحةً على رؤوس الأشهاد. وأخذ يذهب إلى مجالس الناس ونواديهم ومجامعهم وأسواقهم، يدعوهم إلى دين الله

تعالى، ويقرأ عليهم كلامه سبحانه (القرآن الكريم)، آمراً لهم بما في القرآن الكريم، من الإيمان بالله إلهاً وحدًا لا شريك لـه، وإفراده عز وجل بالعبادة، مُبيّناً لهم فساد الشرك الذي هم فيه، وبطلانَ عقائد مَن ادّعى مع الله أنداداً كالأبناء والشُّفعاء المعبودين مع الله ظلماً وضلالاً. كما كان يأمرهم بمحاسن الأخلاق جميعها، وينهاهم عن مساوئ الأخلاق جميعها.

فكان يأمرهم: بالصدق، والإحسان، والعدل، والرحمة، والعفو عن الإساءة، والأمانة، والوفاء بالوعد، والعِفّة، والحياء، والكرم، والإيثار، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، ونُصْرة المظلوم، وإعانة الضعفاء، والتصدّق على الفقراء والمحتاجين .. وغير ذلك من محاسن الأخلاق والأعمال، وكان ينهاهم عن أضدادها من مساوئ الأخلاق والأعمال.

ومع أن المصدّقين له صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به كانوا يزدادون يوماً بعد يوم، إلا أن المعاندين المستكبرين كانوا أيضاً يزدادون عناداً واستكباراً وإصراراً على كفرهم وضلالهم. ولم يكتفوا بذلك، بل قاموا بمعارضة دعوته صلى الله عليه وسلم، أشدَّ المعارضة، وحاربوها بكل ما أُوتوه من قوّة ومكر وخُبْث.

ولمّا رأى أولئك المعاندون أن أتباعه يزدادون، ولما خشوا من إقبال الناس على الدين الذي جاءهم به من خالقهم=أخذوا في صدِّ الناس عن هذا الدين بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وبوَصْفه بأنه كذاب، أو ساحر، أو كاهن، أو شاعر. وأخذوا في إيقاع أشدّ أنواع الأذى بمن آمن به، فتفنّنوا في تعذيبهم بصنوف التعذيب المختلفة، وبالقتل. وبالغوا في القتل والتعذيب، حتّى اضطُّر بعضُ المسلمين، وبإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يُهاجروا من بلدهم ووطنهم، بل أن يتركوا بلاد العرب كلّها إلى الحبشة، فراراً بدينهم، الذي أوذوا من أجله أشدّ الإيذاء.

بل بلغ من إيذاء المشركين أن فرضوا حصاراً على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أتباعه ومن يناصره من قراباته، لقد كان حصاراً اقتصاديّاً واجتماعيّاً، بألا يُشترى منهم شيء ولا يُباعوا شيئاً، وأن لا يُتزوَّجَ منهم ولا يُزَوَّجوا، وأن يُحْصَروا في أحد شعاب مكّة. ودام هذا الحصار ثلاث سنوات، أُوذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إيذاءً شديداً، حتى أكلوا أوراق الشجر والعظام البالية من شدّة الجوع.

ومع هذا الإيذاء الشديد من كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومع إيذائهم له أيضاً بالسبّ والافتراء عليه، والسخرية منه والاستهزاء به=فقد كان أشدّ أنواع الأذى وَقْعاً على نَفْسه، وأعظمها تأثيراً عليه، هو إصرارُ هؤلاء المعاندين على ضلالهم، مع ما يسمعونه من كلام الله تعالى المعجز ، ومع مايرونه من دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم. حتى وَصَفَ الله تعالى حاله في ذلك، بأنه يكاد يُهلك نفسه حرصاً على إيمانهم ونجاتهم من عذاب الله تعالى، فقال تعالى {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} [الكهف:٦]، وقال تعالى {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِين} [الشعراء :٣]. وبيّنَ له ربُّه عز وجل أن عدم إيمانهم به لم يكن لتقصيره صلى الله عليه وسلم في

البلاغ، ولم يكن لنقصٍ في أدلّة نبوّته ؛ ولذلك فإن عدم إيمانهم لم يكن لأنهم يعتقدون كذبه حقيقة ، بل هم يعرفون صدقه ، ولكن العناد والاستكبار هو الذي يدعوهم إلى كل هذا الإصرار على الباطل. ثم يُذكّره ربُّه بأن هذه هي سُنَّة الله تعالى في الكون، وهي سنة الصراع بين الحق والباطل، وأن جميع الأنبياء والرسل قد قُوبلوا بمثل هذا التكذيب والإيذاء. فقال تعالى { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ} [الأنعام:٣٣-٣٤].

وقد حاول قومُه شتّى الأساليب أن يثنوه عن دعوته، بالأذى (كما سبق)، وبالإغراء بالمال والرياسة والنساء وغيرها من ملذّات الدنيا، وبالجدل والمغالطات الكلامية، وبالمطالبة بالمعجزات والخوارق، والتي وقع بعضها كما طلبوه، لكنهم صاروا يطالبونه بالمزيد منها على وَجْه السخرية، كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى { وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً[الإسراء:٩٠-٩٣]، فما زاده صلى الله عليه وسلم ذلك كله إلا صبراً على دعوته، وإصراراً على تمام تبليغها. مع رحمة هؤلاء الضُّلاّل، والعفو عن إساءتهم، رجاء أن يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، ولو بعد حين. مع أن الله سبحانه قد خيّره غير ما مَرّة أن يُنزل عليهم عذابه، فكان صلى الله عليه وسلم يختار إمهالهم رأفةً بهم وحرصاً على نجاتهم.

وفي أثناء الحصار الذي ضربه المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، ماتت زوجُه خديجة وعمُّه أبو طالب، وكانا من أكثر الناس مناصرةً للنبي صلى الله عليه وسلم، فزوجه خديجة كانت أول من آمن به، وتعينُه برأيها السديد ومالها، وعمُّه كان يدافع عنه بجاهه ومكانته في قريش حميّةً لابن أخيه. فتأثر النبي صلى الله عليه وسلم لموتهما، واشتدّ إيذاء المشركين له. فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب التي تَرِدُ إلى مكة داعياً لهم إلى دين الله تعالى، عسى أن يجد فيهم من يؤازره منهم في الدعوة إلى الله وتبليغ شرعه. فلم يجد عند عامّة القبائل إلا الإعراض، بسبب الدعاية القويّة ضِدَّه التي كان قومُه من كفار مكّة يُذيعونها بين الناس والغرباء الواردين إلى مكة قبل لقائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ومكث النبيّ صلى الله عليه وسلم على ذلك أكثر من عشر سنين، لايجد في قبائل العرب من يناصره، حتى التقى في موسم للحج بوفد من الأوس والخزرج، وهما قبيلتان عربيتان من سكان المدينة النبويّة التي تبعد عن مكّة أكثر من أربع مئة كيلٍ شمالاً. فعرض النبي صلى الله عليه وسلم الإسلامَ عليهم، فأسلموا، وبايعوه على الدين الذي جاء به من الخالق سبحانه. وعادوا بعد موسم الحج إلى بلدهم المدينة، وبدؤوا هم أنفسهم بالدعوة إلى الدين الجديد الذي آمنوا به، فتابعهم بعضُ أهاليهم. ثم لمّا كان العام القابل،

وجاء موسم الحج، التقى عددٌ آخر وأكبر من العدد الأول من الأوس والخزرج بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الإسلام، فآمنوا به، وبايعوه على المناصرة له وأن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم.

ثم إنه أُذن للنبيّ صلى الله عليه وسلم من ربِّه عز وجل أن يأمر أصحابه بمكة، الذين بلغ بهم الإيذاء أشدّ ما يمكن أن يبلغه، في أن يُهاجروا إلى المدينة؛ فراراً بدينهم، ونشراً لتعاليم الإسلام بين من أسلم من أهلها في اللقائين السابقين بالنبي صلى الله عليه وسلم، ودعوةً إلى الإسلام بين من لم يُسلم منهم.

وهذه هي الهجرة الثالثة للمستضعفين من المسلمين بمكّة، حيث سبقتها هجرتان إلى الحبشة، وهذه كانت بعد هاتين الهجرتين، وكانت إلى المدينة لا إلى الحبشة.

لقد خرج المسلمون من مكّة، وهي وطنهم وأحبّ بقاع الأرض إليهم، تاركين وراءهم فيها بيوتهم وأموالهم وأهاليهم من الآباء والأمهات والأبناء والزوجات، تقديماً لإقامة دين الله تعالى على الأرض وزهداً في كل ما سواه من أمور الدنيا ومتاعها وملذّاتها. وقد وقع لهم في سبيل ذلك أسمى ما يُقَصُّ وأجلّ ما يُذكر عن استرخاص الدنيا كلّها؛ مقابل رضى ربهم ورجاء بلوغ جنته والنجاة من عذابه في الآخرة.

لقد هاجروا إلى المدينة مستخفين عن كفار مكّة، آحاداً وجماعات، حيث إن كفار مكّة كانوا يمنعونهم من ذلك أشدّ المنع، لما يعلمونه من أن ذلك سيكون بداية إنشاء دولة الحق في المدينة.

وبعد أن هاجر أكثر المسلمين من مكّة إلى المدينة، أُذن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يهاجر هو أيضاً إليها، وذلك بعد أن كان قد أقام بمكّة بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً، يدعو الناس فيها إلى دين الله تعالى وتوحيده بالعبادة ومحاسن الأخلاق والأعمال.

وقد كان المشركون يخشون من هجرته، وقد حاولوا مَنْعَه منها بكل ما يستطيعون من المكر وتدبير المكايد ومحاولة القتل والسجن. لكنّ الله مكّنه من الخروج من مكّة، مصطحباً معه أحبّ أصحابه إليه: وهو أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه. فخرج صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه مستخفيَيْن من مكة، قاصدين المدينة، في حادثة تاريخية جليلة، مليئة بالعظات، ثريّةٍ بالمواقف الإيمانية التي تلين لها القلوب وتذرف منها العيون.

وقد واصل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبُه أبو بكر طريقهما إلى المدينة، حتى بلغا مشارف بيوتها، وفي منطقة عند مدخلها يُقال لها قُباء، خرج له المسلمون: من المهاجرين، ومن الأوس والخزرج (الذين لُقّبوا بالأنصار)، فقد كانوا سمعوا بخروجه من مكّة، وكانوا يترقّبون وصوله في غاية الشوق إلى لقائه صلى الله عليه وسلم؛ فاحتفى به المسلمون من المهاجرين والأنصار أشدّ احتفاء، وفرحوا بَمقْدَمِه أعظم الفرح، وكان يوماً مشهوداً جليلاً، لا للمسلمين فَحَسْب، ولا للبشريّة كلّها وحدها، بل للحقّ وأهله من أهل السموات والأرض على مَرّ التاريخ، وإلى نهاية التاريخ في الدنيا، وإلى ما بعد ذلك

في الحياة الأبديّة في الآخرة. ولذلك اتّخذ المسلمون هذا الحدث تاريخاً لهم ، وهو حَدَثُ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة.

وقد كان وُصُوله صلى الله عليه وسلم إلى قُباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول، في وقت الضُّحى، حين اشتدت الشمس وكادت تعتدل في كبد السماء. وهو يوافق يوم عشرين سبتمبر من سنة (٦٢٢م).

ومكث النبي صلى الله عليه وسلم في قُباء (على مشارف بيوت المدينة) أربع عشرة ليلة، أسَّسَ فيها أول مسجدٍ على وجه الأرض يُبْنَى في الإسلام.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم دخل المدينة، ليبني فيها مسجدها وبيته بجواره. آمراً أصحابه ألا يتأنقوا في بناء المسجد والبيت، بل أن يكون عريشاً كعريش موسى (عليه السلام). وقد كان صلى الله عليه وسلم يبني المسجد والبيت معهم بنفسه، وينقل لَبِناتِه ويضعها معهم بنفسه .

لقد تأسست دولة الإسلام (وهي دولة الحق) فعلاً في المدينة، وصُدِحَ بالأذانِ لأول مرة في التاريخ من مسجدها بعد بنائه؛ ليكون هذا الأذان إعلاناً لقيام دولة الدين الذي رضيه الله تعالى للعالمين، وجُعل الأذانُ لذلك مرتبطاً بأعظم شعائر هذا الدين بعد الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ألا وهي الصلاة التي هي ثاني أركان دين الإسلام الخمسة، والتي هي: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

وما إن استقرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وبدأ يدعو الناس إلى دين الله عز وجل، حتى أسلم عامة أهل المدينة، إلا فئتين منهم، وهما: المنافقون، والمستكبرون الحاسدون من أهل الكتاب (كاليهود).

أمّا المنافقون، وهم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، والذين إنمّا ظهروا لمّا أصبح للإسلام وأهله شيءٌ من القوّة والمنعة : فقد كانوا (وما زالوا) من خلال تَخَفِّيهم الدنيءِ هذا في صفوف المسلمين، لا يألون جهداً في محاربة المسلمين بكل الوسائل، وهُمْ وإن كانوا قِلّةً من جهة العَدَد، لكن سُوءَ أثرهم على الأمة الإسلامية كان (وما زال) عظيماً؛ لأنهم كالداء الذي يَنْخُرُ في جسد الأمّة من داخلها، ولأنهم جواسيسُ لأعدائها الخارجيين.

وأمّا اليهود الذين كان يقطن المدينه بعضٌ من قبائلهم، والذين عرفوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم من حين أن رَأَوْهُ، ولم يشكُّوا أنه هو الرسول الخاتم الذي بشَّرَ به الأنبياءُ من قبل ووُصف في كُتُب الله السابقة=فقد عاند أكثرهم، وحسدوا بني إسماعيل عليه السلام من العرب أن يكون خاتم الرسل منهم؛ فهم عند أنفسهم شعبُ الله المختار، وخير أمم الأرض قاطبة، وكل الناس عبيدٌ لهم !! وهُمْ بذلك متغافلون عمّا جاء في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم واسمه ونسبه، ومتغافلون أن هذا الاختيار حقٌ للخالق لا لهم، ومتغافلون أن اختيار الله تعالى للنبي الخاتم من أيّ جنس كان لا يُبيحُ لهم إلا الإيمان به واتّباع الدين الذي أمر بتبليغه للناس كافّة، ومتغافلون (أخيراً) أنه لا علاقة بين جنس هذا

الرسول الخاتم ورسالته العالميّة التي لا تُفرق بين أجناس الناس وبلدانهم وألوانهم ولغاتهم في شيءٍ من تعاليمها من أوامر الله تعالى ونواهيه وعبادته. لقد تغافلوا عن هذه الحقائق كلّها، بعد أن أعماهم الحقد والحسد، لما تَشَرَّبَتْهُ قلوبُهم من العنصريّة والتعالي على البشر جميعهم، فأصّروا على معاداة النبي صلى الله عليه وسلم ومحاربة دينه وأتباع الملّةِ التي بُعِث بها أشدَّ المعاداة والمحاربة؛ إلا العدد القليل منهم، ممن فتحوا أعينهم وقلوبهم لتلك الحقائق، وأنصفوا من أنفسهم، وأرادوا لها الخير في الدنيا والآخرة.

وهذا يعني أن إنشاءَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لنواة الدولة الإسلامية بالمدينة لم يُخفّف شيئاً من عِبْءِ دعوته صلى الله عليه وسلم، ولاهَوّنَ من عناء تبليغ دين الله تعالى الذي كان يعانيه بمكة. بل ما زال أعداؤه الأولون من مشركي مكة يحتالون بكل ما يستطيعون من مكرٍ وقوّة أن يُوقعوا به وبأتباعه وأن يُطفئوا نور الله الذي جاء به، ويُناصرهم في ذلك أعداؤه الجُدُد من المنافقين والحاسدين المعاندين من أهل الكتاب. وفي المقابل: فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما زال حريصاً على هداية هؤلاء جميعاً وعلى نجاتهم من سخط الله تعالى وعذابه، سالكاً في سبيل تحقيق ذلك كُلّ ما يستطيعه من جُهْد ووقت، ومن رفقٍ ورحمة وحكمة، ومن علم واحتجاج ممّا علّمه ربُّه عز وجل وبيَّن له من الحجج والبراهين، مُؤيَّداً مع ذلك كلّه بالمعجزات والخوارق التي يراها ويسمعها الجميعُ مؤمنُهم وكافرُهم.

وأمامَ تكالُب الأعداء وشراسة حربهم ضدَّ الإسلام ونبِّيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وبعد أن شعر أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار بأنّهم أصبحوا صفاً واحداً في مواجهة أعدائهم، بعد أن كانوا قبل الهجرة متفّرقين ليس لهم أيّ قوّة=تَمَنَّوْا أن لو أَذِنَ الله تعالى لهم بالدفاع عن دينهم وعن دولته الناشئة ولو بالقوة والقتال، حيث لم يكن مأذونا لهم بذلك في مكة ، ولمدة ثلاثة عشر عاماً فيها. فلقد علم المسلمون حينها من خلال السنوات التي مرت عليهم بمكة، ومن خلال الواقع الحالي لهم في المدينة، ومن خلال تاريخ الصراع الأزلي بين الحق وأتباعه والباطل وأتباعهً=أنه لابد من حصول مواجهة ومواجهات قوية وصارمة بينهم وبين أعداء دين الله تعالى وأتباع دينه. إنها سنةٌ كونيةٌ يكرّرُ التاريخُ فيها نَفْسَه في كل عصر وأوان: فأتباع الباطل لن يكفُّوا عن محاولة طمس ضوءِ الحق واستئصال أنصاره، كما أن على أنصار الحق أن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يُبلّغوا الحق للناس، ممن لا يحول بينهم وبين الإيمان بالحقّ ومناصرته إلا أنهم لم يعرفوه ، فهم ليسوا كالمعاندين المستكبرين الذين يعرفون الحق ويصرون على الباطل. أما الحقَّ نَفْسُه فهو منتصرٌ منتصر؛ لأنه دين الإله الحق سبحانه وتعالى{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء:١٨]، ويقول تعالى{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف:٨-٩].

ولقد كان المسلمون بعد إحساسهم بقوتهم، المستمدة من إيمانهم الصادق اليقينيّ أنهم هم وحدهم أنصار الحق، وأن الله تعالى مؤيدهم، وسيجعل العاقبة لهم ولو بعد حين. وبعد أن رأوا وِحْدَةَ صفّهم، وما بينهم من الألْفَةِ والأخوّة الإيمانيّة القويّة والرحمة والتعاون على الخير والإيثار=يَتَشَوّقُون لذلك اللقاء الحاسم بينهم وبين أعداء دين الله تعالى. مع أنهم لا يشكُّونَ أدنى شك أنهم من جهة الموازين المادّيّة أضعف من عدوهم، وأقل عَدَدَاً وعُدَدَاً بما لا يمكن أن يوازن بينهما؛ فهم كسفينة في خضم محيط هائج مائج من الأعداء في كل بقاع الأرض. لكن إيمانهم ويقينهم ورغبتهم في رضا ربهم ونوال ثوابه جعلهم مستعدين لتقديم أعظم التضحيات، راغبين في أن ينجحوا في اختبار إيمانهم وثباتهم عليه ولو بإراقة دمائهم وبَذْل أموالهم ودنياهم كُلِّها.

ومع أن هذه المواجهة الحاسمة بقيت غير مأذون بها بمكة لمدة ثلاثة عشر عاماً، إلا أن الله تعالى بحكمته البالغة وعلمه بكل شيء وعدله الكامل سبحانه وتعالى قد أذن بها بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. وقد جاء هذا الإذن في كتاب الله تعالى بأسلوب رائع معجز يأخذ بمجامع القلوب، في بضع آيات، تتضمّنُ بيانَ عدالةِ الإذن بالقتال، وأنه بسبب الظُّلم الذي وقع ويقع على أنصار دينه سبحانه، ومع أنه لم يقع من أنصار دينه عز وجل شيءٌ يقتضي مواجهتهم بالقوّة، إلا أنهم كانوا يقولون بأفواهم: "ربُّنا الله"، ولم يقاتلوا ولم يحاولوا ذلك، مع أنهم أولى بذلك وأحق؛ لأنّهم أهل الحق. وبذلك يظهر عِظَمُ ظُلْمِ أعداءِ دين الله تعالى، ومقدارُ شراسةِ حربهم ضدّ الإسلام وأتباعه، وعدالة تشريع القتال والإذن به لمواجهتهم. ثم يذكر الله تعالى أن هذه سنّةٌ كونيّة، وهي سُنّة المدافعة بين الحق والباطل، وأن الإذن بالقتال وتشريعه ليس خاصاً بدين الإسلام، فقد كان مأذونا به لموسى ويوشع بن نون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وهذا مما نؤمن به نحن المسلمين ، ويؤمن به أيضاً اليهود والنصارى (لأنه موجود في التوراة وأسفار الأنبياء التي بين أيديهم اليوم). وبَيّنَ عز وجل أن القتال لو لم يشرع لأنصار دينه من أهل الحق، لطمس الباطلُ الحقَّ، ولما أبقى أتباعُ الباطل من معالم دين الله من الكنائس والمعابد والمساجد شيئاً؛ فهم لو تركناهم ما تركونا!! و ما فترةُ عدم الإذن بالقتال عن المسلمين ببعيد، بما فيها من القتل والتعذيب!!! ثُمّ بيّنَ الله عز وجل الغرض من الإذن بالقتال للمؤمنين، وأنّه ليس لأي غرض دنيويّ ، بل هو لغرضٍ واحد فقط، وهو إقامة دين الله على أرض الله وبين عباد الله عز وجل. ثم ختم الله تعالى الحديث عن هذا الموضوع ببيان أن مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ومناصبته العداء ليس أمراً خاصاً به، بل هي عادةُ المعاندين المستكبرين من أقوام الأنبياء السابقين، وأن العاقبة كانت في كل مَرّة لأهل الحق، بعد إمهال أهل الباطل فترةً من الزمن ؛ لتقوم الحجة الكاملة عليهم، واستدراجاً لهم.

يقول تعالى {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ

اللَّـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيـزٌ الَّـذِينَ إِن مَّكَّنَّـاهُمْ فِـي الْـأَرْضِ أَقَـامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَـرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [الحج: ٣٩-٤٤].

هذه هي الظروف والأحوال التي شُرِع فيها الجهاد في سبيل الله تعالى، وهذه هي آية الإذن به. ومن هذين الأمرين يتضح غرض الجهاد وهدفُه غاية الوضوح ، وهو ما كان واضحاً عند المسلمين أيضاً غاية الوضوح. فهو إنما شُرِع لمقاومة الباطل ودَفْع صولته على الحق، ولنشر الحق بين من لم يكن يحول بينه وبين اتّباعه إلا عدم رؤيته.

إذن فللجهاد سببان، لا ثالث لهما:

الأول: الدفاع عن الحقوق الشخصية: كالدين، والعرض، والنفس، والمال، والوطن. وهذا حقٌ لا خلاف في عدالة مشروعيته، إلا عند من أراد استعباد غيره من البشر وأن يسلبهم حُرّيتهم!

الثاني: لإيصال صَوْت الحق إلى الآذان التي لم تطرقها إلاّ أبواقُ الباطل وضجيجُه، ولعَرْض دين الله تعالى على القلوب التي مُنِعت من أن لا تعرف إلا ظلامَ الكفر وظُلم الشرك. فدولة الباطل وسدنته وطواغيتُه، وعلى رأسهم الشيطان (عدوّ البشريّة الأول، الذي أخرج أبويهم من الجنّة)، وهم الذين امتنعوا عن الخضوع لدين خالقهم، مع علمهم بأنه دين خالقهم، استكباراً وعناداً للخالق سبحانه وتعالى=لن يروق لهم أن تنتصر دولة الحق، وأن ينتشر دين الله تعالى بين الناس. وهم يعلمون أنهم على الباطل، وأن ظلام باطلهم لا يَقْوَى أمام ضياءِ الحق، وأن كثيراً من أتباع الباطل لو جاءهم بصيصُ ذلك الضياء لا نقادوا إليه. ولذلك فمن الطبيعي أن يحرص أعوان الباطل وطواغيته أن يسدوا الآذان ويحجبوا الأعين لأولئك الأتباع، وأن يبنوا الأسوار ويسدلوا الستور بينهم وبين الحق؛ لكي لا يفقدوا أولئك الأتباع، الذين لو تُركوا لسماع صوت الحق لانقادوا لحُجَجِه الآسرة للقلوب، ولأقبلوا عليه إقبال الظامئ إلى الماء الزلال. فلا مناص حينها للحق من أن يواجه دول الباطل بالقوة، وأن لا يقف مكتوف اليد أمام تلك الحجب التي ضربها الباطل على أعين وآذان وقلوب أتباعه، ممّن لو تبدَّى له حاجبُ شمس الحقّ لاَ نْقَشَعَ أمامَه ظلامُ الباطل وانزاحت سدوله مِن على قلبه. فعلى أنصار الحق وعلى أتباع دين الله تعالى: أن يكسروا أسوار الباطل، وأن يهتكوا ستور أعوانه، بأن يحاربوا دولته التي رفعت تلك الأسوار وأرخت تلك الستور بين الحق والظامئين له الراغبين فيه.

إذن فالفتوح الإسلامية لم تكن قطُّ لإجبار الناس على تغيير أديانهم بالقوة، ولم يعتقد المسلمون أنه يحقُّ لهم ذلك شرعاً في يوم من الأيام، كما أنه لا يصحّ لهم أن يعتقدوا أنه يحق لهم شرعاً أن يتركوا دول الكفر تمنعُ الناس وتصدّهم عن دين الله تعالى.

إن دين الإسلام الذي هو دين الخالق لم يُبح للمسلمين أن يجبروا الناس على تغيير أديانهم بالقوة، لا لأن تلك الأديان ليست باطلة، بل هي باطلةٌ كلّها إلا دين الإسلام ؛ ولكن لأن

الخالق سبحانه (وهو الذي فطر البشر على ما هم عليه من الفطرة) يعلم أن الإنسان لا يمكن أن يغير معتقداته بالقوّة والإجبار، وأن العقائد لا تتبدّل بالترغيب والترهيب وحدهما، وإنما تتبدّل بالقناعة الناتجة عن الاختيار الحُرّ، ثم القناعة قد تكون قناعة صحيحةً: إذا كانت ناتجةً عن دليل صحيح وبرهان حقيقي، وقد تكون قناعة غير صحيحة: إذا لم تكن ناتجة عن ذلك.

إذن فالفتوح الإسلامية إنما كانت حرباً لدول الكفر التي منعت شعوبها من سماع دعوة الحق، والتي صدت مواطنيها عن دين خالقها الذي لا سعادة لها ولا راحة ولا اطمئنان بغير الإيمان به وتطبيق أحكامه. ليكون الغرض من الجهاد حينها تمكين دولة الحق من عرض دين الله العرض الصحيح الكامل، لا العرض المشوه الناقص (كما يحصل قديماً وحديثاً من الباطل ودُوَلة وأنصاره)، وليُتْركَ للناس بعد ذلك اختيارُ الطريق الذي يريدون، دون تدخل أحدٍ - بأي نوع من أنواع التدخُّل - في سبيل اتخاذهم قرارهم بكل وضوح وحُرّية، وليكون عليهم بعد ذلك أن يتحملوا نتيجة قرارهم { لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ} [الأنفال:٤٢].

وهذا هو معنى قوله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال:٣٩]؛ حيث إن القاعدة الراسخة في دين الإسلام، وهي عدم الإكراه في الدين، قد جاءت في كتاب الله واضحةً ناصعة { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦]، وهذه القاعدة جاءت مشفوعة بما يُشْبه تَعْليلها وبيان سبب تقعيدها، حيث قال الله تعالى فيها { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَاخَالِدُونَ [البقرة:٢٥٦- ٢٥٧]، فعدم الإكراه في الدين كان لأنّه قد تّبينَ واتضح سبيل الرشاد من سبيل الغواية. وهذا كما أنه صريحٌ في وجوب ترك الناس أحراراً في اختيارهم للدين الذي كانوا عليه أو للدين الحق، فهو صريحٌ أيضاً في وجوب تحقيق أسباب هذا الاختيار الحُرّ، وهو أن يكون الرشد قد تبين وامتازَ عن الغيّ، وأمّا إذا لم يتبين الرشد من الغيّ: فكيف سيمكن أن يتحقق الاختيار الحر؟! بل كيف سيتحقق الاختيار أصلاً إذا لم يكن لديّ إلا خيارٌ واحد، بل سبيلٌ واحدٌ فقط، هو الغيّ وحده (أو الغيّ المختلط بالرشاد، أو الرشاد المشوّه الناقص، اللذان هما غيٌّ أيضاً)؟!! إنني في هذه الحالة، حالة عدم تبيّن الرشد من الغيّ، سأكون أبعد ما أكون عن الاختيار، بل أنا حينها مُكْرهٌ، شعرتُ أو لم أشعر!!!

ولذلك فقد جاءت الفتوح الإسلاميّة تحقيقاً للاختيار الحُرّ، بتبيين الرشد من الغي، وهو الاختيار الذي منعت دولُ الباطل شعوبَها من الوصول إليه أو أن يصل إليهم، بحصرهم ضمن اختيارٍ واحدٍ فقط، هو الغي!!!

إن الجهاد في سبيل الله، كاسمه: جهاد في سبيل الله، فهو مشروع لإقامة دين الله تعالى. وليس مشروعا استعباداً للبشر، ولا طمعاً في المكاسب المادية من الاستئثار بالثروات

واغتصاب الأملاك وسَلْب الأموال، ولا ليكون سُلّماً لتحقيق المطامع المعنويّة من بَسْط النفوذ وفرْض السيطرة واستعراض القوّة. وقد كان هذا واضحاً غاية الوضوح عند المسلمين، حتى قالها أصغر جندي مسلم لأعظم قائد فارسي في زمن الفتوح الإسلامية: " جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة".

فلهذا الغرض الشريف والغاية السامية فُرض الجهاد في سبيل الله تعالى بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

وبعد سنة ونصف تقريباً من وصوله صلى الله عليه وسلم وقع أوّل لقاءٍ بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر. لقد دارت رحى أوّل معركة إسلاميّة على أرض بَدْر، وهي موضع يبعد عن المدينة (١٥٥ كيلاً) جنوباً، وذلك في ١٧ رمضان في السنة الثانية من الهجرة، الموافق: فبراير من سنة ٦٢٤م.

لقد كانت موقعة بَدْر مثالاً رائعاً للصِّدام المادِّي الحِسِّي الصريح بين الحق والباطل، ليجسِّدَ الصِّدامَ المعنويَّ الأبديَّ بينهما أوضح تجسيد، جاعلاً له بهذا التجسيد صراعاً مُشاهَداً ماثلاً للعيان، لا مجرّدَ صراع فكريّ أو حضاريّ، لِيَعْظُمَ اليقينُ بذلك على أن مثل هذه المواجهة لابُدّ أن تكون. إن هذه المواجهة حقيقية، ولو تأخَّرت أحياناً، لكنّها محتومة، لها أسبابها وأبعادها المعلومة، ونتيجتُها محسومة { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } [الروم:٤٧].

وكان سبب هذه الغزوة أن كفار قريش الذين كانوا قد استلذّوا إيذاءَ المسلمين وتعذيبَهم وقَتْلَهم بمكّة، ولم يزدادوا مع امتداد الوقت إلا استمراءً لهذه اللذّة، مغترِّين بقوتهم وبعدم قتال المسلمين لهم ودفاعِهم عن أنفسهم=قد أسكرهم الغرور، حتى نَسُوا أن الهجرةَ قد وَحّدت صَفَّ المسلمين، وأن موقع المدينة في شمال مكّة يقع على مقربة من قوافلهم التجارية المتّجهة إلى بلاد الشام، وأن التعرُّضَ لها من قِبَل المسلمين أصبح أمراً مقدوراً لهم، وأنه هَدَفٌ قريبٌ وسهلٌ وعادلٌ لهم، بل هو - في الحقيقة - ردٌّ على شيءٍ قليل من الأذى والتعذيب والقتل الذي كانوا (وما زال المستضعفون منهم بمكة ممن لم يهاجر) يُلاقونه منهم، واستردادٌ لشيءٍ من حقوقهم في بيوتهم وأموالهم وأملاكهم التي استولى عليها المشركون بعد هجرتهم.

لقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبدأ مواجهته الصريحة التي أُذن له بها بمواجهةٍ اقتصاديّة، وحَرْبٍ ماليّة، بَمْنع كُفّار مكة من أحد طرق قوافلها التجاريّة، عسى أن يكون ذلك سبباً لاستفاقة كفار مكة من سكرة غرورهم، وأن يعلموا أن الحقّ قد قامت له دولة، وهي وإن كانت في بداية نشأتها، لكنها قادرةٌ على أن تأخذ بعض حقّها. إذ لعل هذا ، لو تفطن له المشركون، يكون سبباً لأن يفيئوا إلى الحق، أو أن يكفوا بعض غلوائهم في إيذاء المسلمين وتدبير المكايد ضدّهم.

ولذلك لمّا بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مرورُ قافلة تجارية لقريش، عائدة من الشام، على مقربة من المدينة، أمر أصحابه بالخروج لها. لكن القافلة استطاعت أن تُفْلت من أيدي المسلمين، حيث كان قد بلغ قائدها ما كان ينويه المسلمون، فغيّرَ مسارها، وتَخَفَّى بذلك، حتى ابتعد عن المسلمين ونجا بقافلته.

أمّا قريشٌ بمكّة، فإنه بلغها نَبَأُ احتمال وقوع قافلتها في أيدي المسلمين، فاستشاطت غضباً، واعتبرت ذلك كسراً لأنف كبريائها. فخرجت مغرورةً بعددها وعتادها، لإنقاذ القافلة. ثم إنّه بلغها نجاةُ القافلة أيضاً، فلم ترجع إلى مكة، لأنّها ترى أن مجرّد خروج المسلمين عن سكوتهم الطويل على إيذائهم إلى بداية الدفاع عن النفس والمطالبة ببعض الحق، أن ذلك إهانةٌ كبرى يستحقّون السَّحْقَ لأجلها، وأن يُبادوا عن بكرة أبيهم.

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بعد نجاة القافلة، بخروج قريش، وعلم أن الله تعالى شاء أن تكون أول مواجهةٍ صريحةٍ لا حرباً اقتصاديّة، بل حرباً عسكريَّة وقتالاً بين جند الرحمن وجند الشيطان. فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم في منطقة بدر (المشار إليها آنفاً)، وهي أقرب إلى المدينة بنحو نصف المسافة منها عن مكّة.

أمّا كفار قريش فخرجوا بخيلهم وخُيَلائهم، وهم في غاية الكبر والبطر، تغنِّيهم القيان، وتُضْرب الدفوف، ويشربون الخمور. وكأنّهم مقبلون على فرح أو عيد، إمعاناً في التعالي والغرور، إذ إنهم يعلمون أنهم يزحفون بجيش يفوق عدد المسلمين بثلاثة أضعاف، وأنهم أكثر سلاحاً وأشدّ عتاداً.

أمّا المسلمون فقد مكثوا ببدر، ينتظرون هذا اللقاء الحاسم، مستكينين لربِّهم عز وجل، يرجون رضاه عنهم ببذل أنفسهم في سبيل دينه، ويتضرّعون إليه تعالى بأن يرزقهم إحدى الحُسْنيين : النصر، أو الشهادة . معتمدين على تأييد ربِّهم لهم، ووعده بنصر المؤمنين، من غير أن يُغفلوا ما استطاعوا عليه من الأسباب الدنيويّة التي تعينهم على تحقيق النصر.

وأخيراً التقى الصفّان، والتحمَ الجيشان، ودارت رحى المعركة، على أرض بَدْر.

لقد كانت بَدْرٌ المعركة الأولى في تاريخ البشريّة الأخير، تاريخ آخر دين يرضاه الخالق للخَلْق، بين أنصار هذا الدين وقيادة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم وأنصار الكفر وقيادة فرعون هذه الأمة أبي جهل.

لقد صدق المسلمون مع ربِّهم، فصدقهم وَعْده، وأنزل عليهم نَصْرهُ، وهَوَت رؤوس الكُفْر على أرض بدر، فسقط سبعون منهم قتلى، وسبعون أسرى، وَوَلّى بقيّتهم الأدبار.

إنه أوّل يوم في تاريخ البشريّة الأخير، ينتصف فيه الحق من الباطل، وأول يوم ينتصرُ فيه الإسلام على الكفر باليد والسِّنان، وإن كان منتصراً دوماً بالحجة والبرهان؛ ولذلك سَمّى الله تعالى هذا اليوم بيوم الفرقان؛ لأنه يومُ ظهر فيه الحق على الباطل، وأسفر فيه وجه الخير بنوره، وتقنّعَ فيه وَجْهُ الشرّ بظُلمته.

وفي هذا العام، وهو العام الثاني: فُرض صوم رمضان، وفرضت زكاة المال والفطر، وحُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

وما إن مَرَّ على غزوة بدر سنةٌ واحدة حتى عاد مشركو قريش لغزو المسلمين بالمدينة، انتقاماً وثأراً لما وقع لهم ببدر. وكانت هذه الغزوة على مشارف المدينة، عند جبل أُحد، الذي لا يبعد عن وسط المدينة إلا خمسة أكيالٍ ونصف كيلٍ فقط.

وبعد أن بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج قريش لحربهم من مكة جمع أصحابه من المهاجرين والأنصار، واستشارهم في أمر هذه المواجهة: هل يخرج للقاء المشركين خارج المدينة، أم يبقى في المدينة نفسها مستفيداً من تحصيناتها الطبيعيّة ومن حصونها وأسوارها؟ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤيّدُ الرأي الأخير، لكنّ حماسَ بعض المسلمين كان سبباً لتنازل النبي صلى الله عليه وسلم عن رأيه (الذي لم يكن قد أُوحي إليه فيه شيء)، فاختار المسلمون الخروج، وقَبِل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهو له كارهٌ، مرسياً بذلك مبدأ الشورى بين المسلمين على أنصع صوره.

لقد بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن عددَ المشركين كبيرٌ، وأنه يفوق عدد المسلمين بثلاث مّرات. فخرج من المدينة إلى جبل أحد، ليختار ساحة القتال بنفسه، وهو يعلم أن قريش لن تتردّد أن تأتيه في أي مكان كان، فأحكَم صلى الله عليه وسلم خطّة القتال، واحتاط لكل الاحتمالات، ومن ذلك أنه أمر كتيبةً من جيشه أن تعسكر على جبل صغير مُطِلٍ على ساحة القتال، وشدّدَ عليهم الأمر بعدم مفارقة أماكنهم مهما كانت الظروف.

فلما أقبل المشركون يؤزُّهم الانتقام ويُحَمِّسُهم طلبُ الثأر لهزيمتهم السابقة ببدر. واجههم المسلمون في أُحُد بثبات المؤمنين الموقنين بالنصر المؤيد من الله تعالى، الراغبين في التضحية في سبيل الدين.

وقد تمّ اللقاء في وَسَط شهر شوال من سنة ثلاثٍ للهجرة، الموافق لمارس من سنة (٦٢٥م).

ودارت رحى المعركة، فهوت ألوية الباطل، وبدأت فلول المشركين بالفرار، وكادت المعركة تُنهي فصولها على نصر جديد للمسلمين. غير أن الكتيبة التي أُمرت بالمرابطة على رأس ذلك الجبل، وأمرت أن لا تبرح مكانها مهما كانت الظروف، ظنّت المعركة قد انتهت، وأحبّت مشاركة بقية الكتائب المسلمة لذّة الظفر والانتصار، فخالفت ما أُمرت به، فهبطت عن الجبل. وتنبَّهَ لذلك قائدُ إحدى كتائب المشركين، فاغتنم هذه الفرصة لإنجاء قومه، فالْتفَّ بكتيبته من وراء الجبل، وفاجأ المسلمين من خَلْفِهم، الذين باغتهم الحَدَثَ بهَوْل المفاجأة وشراسةِ الحيرة في الأوقات الحرجة، وتنبَّهَ بقيّةُ المشركين الذين كانوا أمامهم فاريّن أو على أهبة الفرار بما حدث، فقادتهم غريزةُ حبِّ البقاء إلى التجربة الأخيرة، ليعودوا إلى المسلمين بروح جديدة أشدّ شراسة، فوقع المسلمون بذلك بين فكَّين، ووقع الابتلاء العظيم.

لقد ضرب المسلمون في تلك اللحظات أمثلةً رائعة في التضحية، وصدق الإيمان، وحبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أحاطوا به، وجعلوا من أجسادهم درعاً له يحمونه بها. ولا يزداد المشركون في هذه الأثناء إلا سُرعة إقبالٍ من كلا الجانبين، حتى التقى الفكّان على قتلى المسلمين، وتراجع بقية المسلمين إلى جبل أحد، ليجعلوه خَلْف ظهورهم، خروجاً من المأزق الذي حُوصروا فيه، ليقف العدوّ أمامهم، بعد أن التقى طرفا جيشه، ليرى بقيّة جيش المسلمين قد نَجَا، وأنْ المفاجأة قد انتهت دَهْشتُها، وأنهم يستعيدون أنفاسهم. فأدرك المشركون أنه لا مطمع لهم في المسلمين أكثر ممّا وقع، وأنه لا بُدّ من المبادرة إلى إنهاء فصول هذه المعركة عند هذا الحدّ، قبل أن يعود إليهم المسلمون بما عرفوه عنهم من : صدق اللقاء، ومحبّة التضحية. فأسرع المشركون في مغادرة ساحة القتال، عائدين إلى مكّة، ولم يَجْرُؤوا على أن يحاولوا الإجهازَ على المسلمين، أو أن يدخلوا المدينة، التي أصبحت مكشوفةً لهم تماماً، فهم بينها وبين المسلمين.

لقد كانت غزوة أحد درساً قاسياً للمسلمين، لكنه درسٌ جديد، كان لا بُدّ منه. فهو كَمِبْضَعِ الطبيب، الذي يجرح ليداوي، فالمجروح به بعد جُرحه أصحّ وأقوى منه قبله.

إن أتباع الحق قد ينهزمون، لكن الحق بحُجّته وبرهانه لا ينهزم، وهذا هو سبب ثبات أتباعه حتى عند وقوعهم تحت ألم الهزيمة. فالهزيمةُ لا تجعل الحق باطلاً، ولا الباطل حقاً!! والضّعفُ الماديّ لا يقلب الحقائق، ولا يُغيِّرُ الثوابت.

أفتنسى النصرانيّةُ الاضطهاد الشديد الذي لاقتْهُ على يد قياصرة الروم الوثنيين في أوائل تاريخها؟! أفتنسى القتل والتعذيب والتشريد؟!! والذي لم يكن ليُعجزَ أعداءهم أن يُلبسوهُ لباسَ العدالة، بإصدار تلك الأحكام بالقتل والتعذيب من أروقة محاكمهم التابعة لهم. ولم يكن ليعجز أعداءهم أيضاً أن يصفوا النصارى حينها بأقبح الأوصاف، وأن يُذيعوا هذه الأوصاف بكل الوسائل الإعلاميّة المتاحة لهم في ذلك الوقت، ليؤكّدوا بذلك على عدالة أحكامهم أيضاً. لم يكن ذلك كله (وقد وقع فعلاً) كافياً لقَلْبِ الحقائق، وإلا فهل أصبح النصارى هم أهل الباطل فعلاً حينها؟! هل تحوَّلَ دينُ الوثنيين ليكون هو الحقّ وأتباعه هم أهل الحق؟!! لمجرّد أن الوثنيين كانوا هم أهل الحضارة والتقدم والقوّة والسلطان، ولمجرّد أنهم كانوا هم القادرين على السَّحْق والإذلال القَسْري!!!

أم هل ينسى بنو إسرائيل ما لاقوه من فراعنة مصر؟! أو من بخت نصر في بابل؟!

أم هل تنسى كُلُّ أمة كانت على الحق ما مَرَّ بها من لحظات الهزيمة والضعف المادّي؟!!

لقد عاد المسلمون بعد أحد بدروس قاسية، لكن على قدر قسوتها كانت إفادتها.

وعاد المشركون الذين يقاتلون بغير مبدأ، لأن مبدأهم هو الباطل، بغير دروس؛ إلا من سُكْر الانتصار، وإشباع شهوة الانتقام، وانتهى الأمر عندهم إلى هذا الحدّ، إلا من هاجس الخوف المترقَّب، من أن تَقْوَى دولةُ الحق، حتى تغزوهم في عُقْر دارهم.

إن المسلمين وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لديهم وقتٌ إلا لنشر دين الله تعالى، ولذلك فقد عادت وفود الدعاة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يُرسلهم إلى القبائل بالانتشار، والتي لم تكن لتنجو تلك الوفود من الغَدْر والخيانة ومن الأعداء المتربّصين بهم من كل جانب، كما حصل للقُراء في موقعة الرجيع مع قبيلة لحْيان، وفي موقعة بئر معونة في نجد.

وفي لحظات الضعف، كما في مثل أعقاب غزوة أحد، يظهر الخونةُ الغادرون، بنقض العهود، ومحالفة الأعداء، وإعانتهم على محاولة الإيقاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وهذا ما وقع من بني النضير من اليهود، فحاصرهم المسلمون، حتى رضي اليهود بالجلاء عن المدينة. كما جلا بنو قينقاع من اليهود أيضاً قبلهم، أعقاب غزوة بدر، الذين أغاظهم انتصار المسلمين ببدر، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وجاهروهم بالعداء؛ لشدّة ما تملّكهم من الحسد على المسلمين.

وفي يوم الاثنين لليليتين خلتا من شهر شعبان من سنة خمس، الموافق ٢٨ ديسمبر من سنة (٦٢٦م)، غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني المصطلق، وهم من قبيلة خزاعة العربيّة، وكانوا من أحلاف كفار مكّة، وممن أعانوا الكفار يوم أحد، وهم فوق ذلك سدنةُ صنمٍ شهير عند العرب، وهو مناة. وكان موقع هذه القبيلة مهمًّا جدًّا، حيث كانوا بين مكّة والمدينة، ويبعدون عن مكّة نحو مائة كيل شمالاً. وقد كانت نتيجة هذه الغزوة حاسمة حيث انتصر فيها المسلمون، وأعادوا هيبتهم بعد أُحُد، وبعد أن طمع فيهم العرب، ومنهم بنوا المصطلق هؤلاء، الذين كانوا عازمين على غزو المسلمين، فرأى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يبدأهم قبل أن يبدؤوا هم به. وكان ذلك قراراً حكيماً، حيث كان له الأثر الكبير في تحقيق نصر المسلمين.

ولا شك أن هذا الخبر قد ساءَ قريشاً كثيراً، وأشعرها بالقوّة التي بلغها المسلمون وبالشجاعة التي أُوتوها، وتملّكهم الفزع من أن يأتي اليوم الذي قد يقصد فيه المسلمون مكّة نفسَها. ولذلك فقد أعلن كفار مكّة الاستنفار العام، وأرسلوا إلى أحلافهم من القبائل، وإلى القبائل الكافرة القريبة من المدينة يعرضون عليها التحالف على تكوين جيش واحد يقضي على الإسلام تماماً ويستأصل شأفة المسلمين. وقد أعانهم على هذا التحزُّبِ يهودُ بني النضير وغيرهم من اليهود، الذين ملأ الحقد قلوبهم، خاصة بعد جلائهم من المدينة.

وقد تمّ لكفار مكّة تكوين الجيش الذي يريدون، وتحزّبَ الكُفّار بالفعل وأقبل الشركُ وأهلُه في جيش كثيف، يفوق عدد جيشهم في بَدْر بعشرة أضعاف، حيث كانوا عشرة آلاف مقاتل.

وفي هذه المرَّة عرف المسلمون أن الحماسَ الذي أخرجهم في أُحُدٍ من المدينة لن ينفعهم، وأنه لابد من الإفادة من طبيعة أرض المدينة، المحصّنةِ بالجبال والحِرار، والتي لا يمكن معها أن يدخل المشركون المدينة، إلا من جهةٍ واحدة؛ ولذلك فقد قاموا بحفر خندق في تلك الجهة، ليمكنهم تحصين بلدهم. ولذلك سُمّيت هذه الغزوة بغزوة الخندق، كما سُمّيت

أيضاً بغزوة الأحزاب؛ لتحزُّبِ أعداءِ الإسلام وأهله على أن يقضوا على الإسلام وأهله. وقد وقعت في شهر شوّال من سنة خمس للهجرة، الموافق ١ فبراير من سنة ٦٢٧م.

لقد وصل الأحزابُ المدينة في هذا التاريخ بالفعل، وقد فاجأهم الخندق الذي حُفر بسرعة غير متوقَّعة؛ لأنه حُفِر باشتراك جميع المسلمين، حتى النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفره معهم، ويضرب بمعوله معهم.

ووقف المشركون أمام هذا الخندق حائرين، الذي إن حاولوا اقتحامه، أمطرهم المسلمون بالسهام.

ولكن المشركين شدّدوا الحصار على المسلمين، الذي دام أربعة وعشرين يوماً، كانت من أشدّ ما تعرّض له المسلمون من الابتلاء. حيث اجتمع فيها مواجهةٌ هذا الجيش الكثيف من الأحزاب الذي ينوي استئصالهم تماماً، والجوعُ وقِلّةُ المؤن، مع فشوّ خبر خيانة يهود بني قريظة الذين ينوون إدخال المشركين إلى المدينة من جهتهم وأن يعاونوهم في حرب المسلمين، مع إشاعة المنافقين لروح الهزيمة وسَعْيهم إلى إثارة وساوس الشك في أصل الدين.

لقد كان امتحاناً صعباً جدّاً، ذكره الله تعالى في كتابه، فقال تعالى {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً [الأحزاب:١٠-١٢].

فالذين جاؤوهم من فوقهم: هم الأحزاب، والذين جاؤوهم من أسفل منهم: يهود بني قريظة الذين خانوا المسلمين في أحرج ظرف، والمنافقون: اغتنموا الفرصة التي ظنّوا أنها آخر ساعات الإسلام وأهله.

أما المؤمنون (فكالعادة) لا يزيدهم البلاء إلا عافية، ولا يخرجون من المِحَنِ إلا أكثر ثباتاً على الحق، كما قال تعالى { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً [الأحزاب:٢٢ – ٢٣].

لقد كانت خاتمة هذا الضيق العظيم والمحنة الكبرى غير متوقعةٍ أبداً، حيث ملَّ المشركون الانتظار، وابتلاهم الله تعالى بريح شديدة البرودة، أضعفتهم عن تحمُّلِ البقاء في العراء أكثر ممّا بقوا. فتفرّقت أحلافهم، وابتدأوا بالرجوع إلى ديارهم شيئاً فشيئا، حتى انفضّ الأحزاب، وكان من آخرهم رجوعاً كفار مكّة. وانتهت هذه المحنة الكبرى، التي كانت في ظاهرها أعظم من كل المحن السابقة، نهايةً كأنه لم يكن لها بداية، كما قال تعالى {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً} [الأحزاب:٢٥].

لقد انتهت هذه المعركة بانتصارٍ حقيقي للمسلمين، حيث كلّفَ المشركين الكثير، ولم يكلف المسلمين إلا القليل. كما أنه قد أثبت عَجْزَ مشركي مكة من استئصال شأفة المسلمين، وأنّه لا أمل لهم في ذلك؛ لأنّهم قد بذلوا غاية ما يستطيعون في هذه الغزوة لتحقيق هذا الأمل الكبير لهم، ومع ذلك فقد رجعوا وقد فشلوا عن أقلّ ما يأملون فيه.

وقد الْتَفَتَ المسلمون بعد هذا النصر إلى أعدائهم الملاصقين لهم، والذين ما فتئوا ينقضون العهود، وقد نقضوه هذه المرّة في أحرج ظرف، وأبدَوْا بوضوح الرغبة نَفْسَها التي كانت عند مشركي مكّة ،وهي استئصال المسلمين عن آخرهم. لقد الْتَفَتَ المسلمون إلى اليهود المجاورين لهم، الذين كان ضررهم والخوف منهم (بسبب المجاورة) أشدّ من غيرهم، والذين لم يراعوا شيئاً من العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين. فحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، إلى أن استسلموا على أن يَحْكُمَ في جريمتهم أحدُ حلفائهم من المسلمين، الذي ظنّوا أنه سيكون أرْأفَ بخيانتهم من غيره. لكنّ هذا الحليف (هو سعد بن معاذ رضي الله عنه) قد حكمَ فيهم بالحُكْم الذي يستحقُّه كل من خان الخيانة العظمى، وهو الحُكْمُ نفسُه الذي كان اليهود قد أصدروه فعلاً ضدّ المسلمين، وأضافوا إلى إصداره السَّعْيَ إلى تنفيذه، وهو استئصال المسلمين، لولا إفشالُ الله تعالى لمؤامرتهم الكبرى في ذلك. بل الفرق كبيرٌ جدّاً بين حُكْم اليهود السابق لحكم المسلمين وحُكْمِ المسلمين: حيث إن حكم اليهود كان نقضاً للعهد، وكان خيانة للمواثيق، التي كانت بينهم وبين المسلمين، وكان من غير جُرْمٍ ارتكبه المسلمون، وكان في وقتٍ حرج يستحقُّ فيه المسلمون الإعانة على عدوِّهم الكافر المتحزِّب ضدّهم، وكان إصدار ذلك الحكم من اليهود على حين غِرّة وغفلة من المسلمين عنهم. أمّا حكم المسلمين فهو على الضدِّ من ذلك كُلّه، فهو جزاءٌ لنقض العهود ولخيانة المواثيق، وهو حكمٌ قضائيٌ عادل من قاضٍ اختاره اليهود أنفسهم، وهو حكمٌ بالمثل وجزاءٌ بالمثل.. إلى غير ذلك من أضداد حكم اليهود، ممّا يُبيّنُ عدالة حكم القاضي الذي رضيه اليهود وظُلْمَ واعتداء حكم اليهود.

لقد حَكَمَ فيهم سعدُ بن معاذ بقَتْل القادرين على القتال منهم، وأن يُسبى النساء والأطفال، ونُفّذَ فيهم هذا الحكم، فقُتل نحو أربع مئة رجل، وسُبي النساء والصغار.

ولا نستغرب بالطبع أن يستنكر هذا الحكم اليهود، فما نكاد نعرف مجرماً رضي بعقوبة إجرامه. ولا نستغرب أيضاً أن يستنكره أعداءُ الإسلام، فهذا موقف كل عدوٍّ من عدوِّه.

لكنّنا نستغرب انسياقَ المنصفين وراء هؤلاء أو هؤلاء دون تأمُّل، ودون أن يستحضروا ما تذكره التوراة من معارك الأنبياء السابقين، وعدد ما سقط فيها من القتلى( )، ودون أن يستحضروا التاريخ القريب المعاصر، وكَمْ سَقَط فيه من الضحايا المدنيين ومن النساء والأطفال!!! نحن إنما نخاطب المنصفين، ولا نخاطب المتعالين، الذين ينظرون إلى غيرهم أنهم لا وزن لهم ولا قيمة، الذين يرون الحقوق لهم وحدهم ولا حق لغيرهم!!!

ثم ألا يكفي أن يرضى عن هذا الحكم خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، بل يُخبر أنه هو حكم الله فيهم؟!!!

وبعد عامٍ واحد من غزوة الأحزاب ، أي في ذي القعدة من سنة (٦هـ)، (الموافق مارس من عام ٦٢٨م) خرج النبي صلى الله عليه وسلم بألفٍ وأربع مئة من أصحابه متوجِّهين إلى مكّة، بنيَّة العُمرة، وأحرموا لذلك من ذي الحليفة.

ولمّا بلغ كفار مكّة هذا الخبر، اعتبروا ذلك إهانةً لهم، خاصةً بعد فشلهم الذريع في العام الماضي في غزوة الأحزاب. كما أنّهم يعلمون أنه لا حقّ لهم في أن يمنعوا أحداً جاء لتعظيم البيت الحرام والطواف والسعي، وأن جميع العرب لا يقبلون ذلك منهم.

ولذلك ما إن بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منطقة الحديبية، وهي موضع يبعد عن مكة اثنين وعشرين كيلاً فقط، حتى أعلن كفارُ مكّة مَنْعَ المسلمين من دخولها، وابتدؤا عَقْدَ مفاوضات معهم بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا اعترافٌ ضمنيّ واضح، ولأول مَرّة، من مشركي مكّة، بالكيان الإسلامي. إنه الاعتراف الذي كان المشركون يَأْبَوْنَ الرضوخ له أشدَّ الإباء، فهاهم اليوم يسعون هم إليه ؛ بسبب موقفهم المحرج السابق ذكره.

وقد رضي النبيُّ صلى الله عليه وسلم (وهو الرؤوف الرحيم) من مشركي مكّة بهذا الرضوخ، واكتفى منهم (وهو العليم بكبريائهم) بهذا الجرح العميق لكبريائهم. ولذلك فقد رضي بشروط ظاهرها أنها ليست في صالح المسلمين، مكتفياً بهذا النصر المعنوي الكبير، الذي هو في حقيقته نَصْرٌ دعوي كبير، لأنه كَسَر غرور الكفر الذي كان يحجب الحق عن أصحابه، وفتح باب إعمال العقل في دعوته من قِبل المشركين. وهذا ماوقع بالفعل، حيث قذفت مكّةُ بعد هذا الصلح بفلذات أكبادها، وبخيرة قوّادها، مسلمين طائعين بمحض إرادتهم، دون أن يُجبروا على ذلك.

وهذا الصلح الذي لم يَرْضَ عنه بعضُ المسلمين أوّلَ إبرامه، وصفه الله تعالى بأنه (فتح)، وذلك في قوله تعالى {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً [الفتح:١-٣].

لقد أتاحت هذه المعاهدة للنبي صلى الله عليه وسلم فرصة كان ينتظرها، وهي توسيع نطاق دعوته. ممّا ترجمه بمكاتبة ملوك الآفاق يدعوهم للإسلام، فكاتب ملك الروم وملك الفرس وملك الأقباط بمصر وغيرهم من الملوك والأمراء يدعوهم للإسلام.

ونص خطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل ملك الروم هو هذا النصّ الصحيح الثابت:

((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمدٍ عبدِ الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم.

السلام على من اتّبع الهُدَى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِم تَسْلَمْ، يُؤْتكَ اللهُ أجَركَ مرتين، فإن تولَّيت فإن عليك إثمَ الأريسيين ( ).

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ })).

إن هذا الخطاب الإسلامي الدعوي النموذجي، يستحقّ منّا الوقوف معه قليلاً، في أثناء تعريفنا بنبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم.

فممّا نودّ التنبيه عليه بشأنه ما يلي:

أوّلاً: عالميّة دين الإسلام، وأنّه الدين الذي لا يرضى الله تعالى من العالمين سواه بعد بعثة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم به. وهذا ممّا يختصُّ به دينُ الإسلام، دون بقيّة الأديان السابقة، التي كانت أدياناً قوميّة (لاعالميّة).

ثانياً: بيان الأسلوب الحضاريّ الراقي للدعوة إلى الإسلام، الذي هو أسلوب هذا الخطاب النبويّ. حيث إن أسلوب الكتابة أسلوب لطيفٌ في التعبير عن خطأ المخالِف، أكثر من أسلوب المشافهة والمجابهة بذلك. ثم تضمّن الخطابُ وصفاً لهرقل بما يناسب مكانتَه: "عظيم الروم". ثم البداية بالسلام على من اتّبع الهدى، وما في هذا الافتتاح بالدعاء من حُسْن البَدْء وبراعة الاستهلال، دون أيّ مخالفةٍ شرعيّة.

ثالثاً: بيان أنّ من كان على دين النصارى الصحيح غير المحرَّف، ممّن لا يقولون بألوهيّة عيسى (عليه السلام)، بل إنه رسول الله كغيره من رُسُل الله=أنّ هذا لا يُنْجيهم عند الله تعالى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، إلا إن آمنوا بالنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم. فإن آمنوا فإنه يكون لهم أجران: أجر إيمانهم بعيسى نبيًّا ورسولاً، وأجر إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتمًا للأنبياء والمرسلين. ولذلك خَصّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الأريسيين بالذكر؛ لأنهم كانوا من أهل التوحيد، وكان هرقل منهم (ولو في باطن أمره). فإصراره على عدم اتّباع النبي صلى الله عليه وسلم وكُفْرُهُ بذلك، سيكون سبباً في إصرار هؤلاء (الذين هم أصحاب الدين الصحيح قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم) وسبباً في كُفْرهم أيضاً، فيكون عليه إثمهم؛ لأنه كان سببَ هذا الإثم، وسببَ صَدِّهم عن آخر الأديان (وهو الإسلام) الذي لا يقبل الله من العالمين سواه.

رابعاً: ثم تأتي الآية مبينةً حقيقة دعوة الإسلام للنصارى خاصّة، ولغيرهم من الأمم، وأنّها دعوةٌ يستوي فيها المدعوُّ والداعي: دعوةٌ إلى توحيد الله تعالى بالعبادة، وأن يكون الحُكْمُ لله تعالى وحده، لا لنبيٍّ مرسل، ولا لملك مُقَرَّب. وهذا أحد أكبر الفوارق بين الإسلام والأديان الأخرى، تلك الأديان التي تُعْطي حَقَّ التحليل والتحريم لرهبانها وأحبارها، مع أنه في الإسلام حقٌّ لله تعالى وحده، ليس لأحدٍ فيه حقٌّ غيره سبحانه.

هذه هي حقيقةُ دعوة الإسلام أجملتها تلك الأسطر الرائعة!!!

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحديبيّة، وفي أوائل سنة سبع من الهجرة (يونيو سنة ٦٢٨م)، توجّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم لغزو خيبر، وهي قرية تبعد عن المدينة (١٦٥ كيلاً) شمالاً، ومن أسباب ذلك : أن سكانها من اليهود كانوا ممن تمالؤوا على المسلمين، وأعانوا أحْزاب المشركين في غزوة الخندق.

فغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وحاصر حصونهم، وانتصر عليهم، فدخل بعض الحصون عُنْوَةً، ودخل بعضها صُلْحاً، وسارع آخرون إلى طلب الأمان، فكان لكل صِنْفٍ حُكْمُهُ، ولم يُجْلِ أحداً من دياره، إلا أنه صالحهم على أن للمسلمين إجلاءهم متى شاؤوا.

وفي ذي القعدة من هذه السنة (مارس من سنة ٦٢٩م) قضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عُمرته هو وأصحابُه، وهي عُمرته التي كان قد مُنِعَ من أدائها في عامه الماضي. وكان هذا القضاءُ للعمرة أحدَ شروط صلح الحديبية، الذي كان بينه وبين كفار مكّة.

وفي جمادى الأولى من عام ثمانية للهجرة (الموافق سبتمبر من سنة ٦٢٩م) جَهّزَ النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامُهُ ثلاثة آلاف مقاتل، لم يَقُدْهُ النبي صلى الله عليه وسلم وإنما جعل قيادته بيد زيد بن حارثة، فإن قُتل: فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل: فعبد الله بن رواحة. وكانت وِجهته لعربٍ من حلفاء الروم، هم الغساسنة، الذين أظهروا العداوة للمسلمين.

ولقد خرج المسلمون إلى بلاد الشام، إلى (مؤتة)، جنوب غرب الأردن، فَسُمِّيت الغزوة لذلك بغزوة مؤتة. لتَلْقَى هناك جموعاً هائلة، بلغت مائتي ألف مقاتل، حيث إن الروم كانوا قد أمدُّوا أحلافهم بمئة ألف مقاتل، انضمّوا إلى الغساسنة وأحلافهم الآخرين من العرب.

إن هذا الفارق الشاسع بين عدد الجيشين (٣٠٠٠ <---> ٢٠٠٠٠٠)، مع الفارق الكبير أيضاً في العتاد، يظهر أن الحرب غير متكافئة بكل المقاييس. ولذلك تردّد المسلمون في المواجهة، ثمّ عزموا على الإقدام. ولم يتردّدوا خوفاً، وإنّما مراعاةً للمصلحة ونظراً في الحكمة من المواجهة، ولا أقدموا إلا خشية الإثم وأن يقعوا في سخط الله بمخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد بدأت هذه المعركة بذلك الميزان الطائش غير المتكافئ، وأَبْلى المسلمون بلاءً حسناً، وأثبتوا للدنيا كيف ومتى تكون الآخرةُ أحبَّ إلى المرْءِ من الدنيا. وسَقَطَ القوّادُ الثلاثة شهداء في أرض المعركة، واحداً تِلْوَ الآخر، مُعَلّمين العالمين درساً من الشجاعة لا يُنْسَى، حتى إن جعفر بن أبي طالب الذي كان القائد الثاني، لمّا قُطعت يُمْناه التي يرفع بها الرايّة، رفعها بيُسْراه، فلمّا قُطِعت يُسراه ضمَّها إليه، حتى استُشهد، ليتسلمها القائد الثالث بعده!!!

ثم رأى المسلمون، وهم في أرض المعركة، أن يُولّوا القيادة القائد الفذّ خالد بن الوليد رضي الله عنه، الذي رأى أن استمرار القتال لا يعني إلا الفناء المحقّق. فدبَّر مكيدةً يُوهم

العدوَّ بمجيء مَدَدٍ للمسلمين، و أَوْهَمَهُم أنه ينسحبُ انسحاب مخادعةٍ للإيقاع بهم، فانْفَصَل العدوُّ عنهم، ولم يُفكّر في تَعَقُّبهم. واستطاع خالدٌ بذلك أن ينجو بجيش المسلمين من الهلاك الكامل، وأن يعود بعدد قليل من الخسائر، ولذلك لم يُعتبر هذا الفعل من خالدٍ هزيمة، بل اعتُبرَ خطةً عسكرية من نوع الكرّ والفرّ في ساح القتال.

وفي هذا العام، وبعد معركة مؤتة نقضت قريشٌ عهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كانت قد أبرمته في الحديبية، حيث أعانت أحلافاً لها على أحلافٍ للنبي صلى الله عليه وسلم، الذين قُتِل منهم عشرون رجلاً.

لقد كان هذا الحَدَثُ خَرْقاً واضحاً من قريش لعهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية، ولم تُحاول المبادرة إلى الاعتذار وإلى تجديد العهد؛ إلا مؤخّراً، بعد أن بلغتها أخبار استعداد المسلمين لمواجهةٍ ما معهم.

أمّا النبي صلى الله عليه وسلم فقد استنفر المسلمين، وأخْفَى مَقْصَده، حتى اجتمع عددٌ ضَخْمٌ لم يعرفه المسلمون في جيوشهم السابقة، وهو عشرة آلاف مقاتل. ومثل هذا العدد يُظهر مقدار انتشار الإسلام بعد صُلْح الحديبيّة، الذي كان فرصة دعوية كبرى للمسلمين.

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من المدينة قاصداً مكّة، في ١٠ رمضان من سنة ثمان، الموافق ١ يناير من سنة ٦٣٠م.

ولمّا علم كفار مكّة بالخبر، حاولوا - بعد فوات الأوان - تجديد العهد، وجاء بعضُهم يعلنون دخولهم في الإسلام.

وأمّا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لمّا أقبل على مكّة أرسل إلى أهلها، أنه لن يُقاتل إلا من واجهه بالقتال، وأنّ من دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو أمن، ومن دخل دار أبي سفيان (وهو سيّد قريش حينها بمكة) فهو آمن.

ولقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكّة في ١٩ رمضان في سنة ثمان، الموافق ٩ يناير من سنة ٦٣٠م. ولم يُواجَهْ جيشُ المسلمين إلا بمقاومةٍ يسيرة، من بعض جهات مكّة.

لقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكّة ودخلها لا دخول الجبابرة المتكبرين، بعد هذا الانتصار العظيم على أعداء دين الله تعالى. بل دخلها خاشعاً، خافضاً رأسه خَفْضًا شديداً وهو على ناقته، قارئاً سورة الفتح.

وما إن جاء عَصْرُ ذلك اليوم، حتى أعلن النبيُّ صلى الله عليه وسلم وَقْفَ كل أعمال القتال. ووقف عند الكعبة المشرّفة، وقريشٌ (أعداؤه لأكثر من عشرين عاماً) حَوْلَه مجتمعين، يخشون انتقامه العادلَ الذي سيكون في غاية الشدّة منهم. فقال صلى الله عليه وسلم منادياً فيهم: "ما تظنّون أني فاعلٌ بكم؟" فقالوا -في انكسارٍ ووجل: خيراً، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم - وبكل سهولة - : "لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم".

هذه هي حروب الأنبياء، وهذه هي أخلاق حروبهم!!! إن الغرضَ منها ترقيق القلوب لقبول دعوة الحق، لا تمزيقُ القلوب للاستعباد والانتقام والاستحواذ على مزيد من الشهوات والملذّات.

هذا مع أن المعاقبة بالمثل عَدْلٌ ولا شك، ولذلك فقد خَيّرَ اللهُ تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بين المعاقبة والعفو، في قوله تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل:١٢٦]. فاختار النبيُّ صلى الله عليه وسلم الصبر قائلاً: "نصبر ولا نعاقب". إنه خُلُقُ خاتم الأنبياء، الذي ما عرف الانتقام لنفسه يوماً من الأيام، إنما يغضب وينتقم إذا انتُهكت محارمُ الله، فغضبُه وانتقامُه لله وحده.

وكان أوّل عملٍ يعمله النبي صلى الله عليه وسلم عند دخوله مكّة، وعند دخوله المسجد الحرام، هو العمل الذي من أَجْلِهِ بُعِث، ومن أَجْلِه قُوتل، ومن أجله قاتل، ومن أجله فتح مكّة: إنه إقامة دين الله تعالى بتوحيده، والقضاء على الشرك ورموزه. ولذلك فقد دخل المسجد الحرام ليُسقط الأوثان التي كانت تُعبد من دون الله تعالى، ويَدْفعُها بقوسه، وهو يقرأ قول الله تعالى { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} [الإسراء:٨١].

لقد طُهِّر المسجد الحرام من كل أدناس الجاهليَة وأزُيح عنه ظلامُ الشِّرك؛ ليكون قِبلة التوحيد على وَجْهِ الأرض، ورمزاً لوحدة المسلمين جميعهم في أي بُقْعةٍ منها.

وبعد فَتْح مكّة بخمسة عشر يوماً فقط، خرج النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه الذي أصبح قوامه اثني عشر ألفاً، للقاء إحدى أكبر القبائل بجوار مكّة، وهي قبيلة هوازن، التي أحبّت أن تتولّى زعامة الباطل، بعد أن انتهت زعامة قريش له، فأخذت في الاستعداد لقتال المسلمين.

ولذلك، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم للقاء هوازن، وليتمّ هذا اللقاء في منطقة حُنَين (التي تبعد عن مكّة نحو عشرين كيلاً فقط)، وذلك في العاشر من شوال من سنة ثمان، الموافق فبراير من سنة ٦٣٠م.

لقد تمّ اللقاء، لكنْ (وَلأوّل مرة) والمسلمون مُعْجَبون بكثرتهم، فكان تأديب الله تعالى لهم سريعاً، حيث وَلّوْا مدبرين، إلا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ونفراً قليلاً حوله. ثم فاء المؤمنون إلى إيمانهم، وإلى عدم الاعتماد إلا على نصر الله وتأييده. فنزل النصر من الله تعالى للمسلمين، وأنزل الهزيمة على الكافرين.

كما قال تعالى { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة:٢٥-٢٧].

لقد فرّت قبيلة هوازن متفرّقةً في البوادي، وفرَّ قائدهم وبعضُ من كان معه إلى قبيلة ثقيف في مدينة الطائف، التي تبعد عن حُنين نحو (١٠٠ كيل). فتعقبه النبي صلى الله عليه وسلم، ليحاصر ثقيفاً في حصنها بالطائف، نحواً من خمسة عشر يوماً. ليعود ولم يفتحها، لكن ليُظهر قوّة المسلمين، لكي لا يطمع الكفارُ في أن يَتَوَلَّوْا زعامةً للباطل أمام المسلمين بعد ذلك.

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مشارف مكّة، ليجد هوازن قد جاءت تعلن إسلامها؛ فأعادَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليهم ما سباه منهم من النساء والذُّريّة. وأعلن فيهم أنه سيُعيد إلى قائدهم سَبْيَه إذا جاءه مُسْلِماً، ففعل القائد ذلك، فأكرمه النبي صلى الله عليه وسلم، وأعاد عليه سَبْيَه.

وبذلك توطّدتْ دولةُ الإسلام في مقاطعة الحجاز من شبه جزيرة العرب، ليتوجَّهَ النبي صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك - إلى المدينة، لكن بعد أدائه العمرة من (جعرانة) التي أعاد عندها سبي هوازن إليهم.

ووصل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ٢٤ من ذي القعدة سنة ثمان، الموافق مارس من سنة ٦٣٠م.

ويفتتح المسلمون عام تسعة من الهجرة في ٢٠ إبريل من سنة ٦٣٠م، الذي سُمِّي بعام الوفود؛ لقدوم وُفُود العرب من أقطار شبه جزيرة العرب مُسْلِمين طائعين لله تعالى، مُعْلِنين دخولَهم في دين الله سبحانه.

وفي منتصف هذا العام كانت غزوة تبوك، أي في رجب من سنة تسع، أي الموافق أكتوبر من سنة ٦٣٠م. وتبوك مدينة تبعد نحو (٧٠٠ كيل) شمال المدينة، على مشارف بلاد الشام.

حيث خرج النبي صلى الله عليه وسلم في أكبر جيش نبويّ، بلغ عدد الجيش نحواً من ثلاثين ألفاً. فبلغ تبوكاً، ومكث بها عشرين يوماً، ولم يَلْقَ قتالاً. إلا أن سريّةً للمسلمين توجهّت إلى دومة الجندل، لتأسر أميرها، الذي صالح المسلمين على دَفْع الجزية، كما صُولح ملك أيلة (العقبة) على الجزية أيضاً.

وهذا أوّل تشريع للجزية في الإسلام، والجزية هي مالٌ يدفعه الكفار إذا لم يدخلوا في الإسلام، يُقدِّره الحاكم المسلم عليهم، بغير ظلم ولا إضرار، إعلاناً لدخولهم تحت حُكْم الإسلام. وهي تجب في السنة مَرّة، ولا تؤخذ من الأطفال ولا النساء، ولا الفقراء، ولا تؤخذ من كبار السن، ولا المرضى الذين لا يُرجى شفاؤهم، ولا العُمْي ولا العاجزون ولو كانوا أغنياء، ولا تؤخذ من الرهبان المنقطعين للعبادة، ولا تؤخذ من الفلاحين الذين لا يُقاتلون. وهي (أي الجزية) العَرْض الثاني الذي يُعْرَضُ على غير المسلمين في حكم الله تعالى، فالأول: هو الدخول في دين الله تعالى، والثاني: دفع الجزية إقراراً بالرضوخ لحكم الله تعالى، وأنه لا دولة للباطل في أرض الله تعالى، مع مَنْ بقي على دينه الباطل، فيُقَرُّ عليه، لكن بغير دولة (وهذا هو الصَّغار الذي يستحقُّه من أصرَّ على الباطل)،

والثالث: القتال، وهو خاصٌّ بمن قاتل، أمّا من لم يرفع السلاح ولا أعان عليه فلا يُقاتل، ولذلك عُصِمت دماءُ شعوب الدول المفتوحة مع عدم دخولهم في الإسلام. فالجزية في حقيقتها رمزٌ لقيام دين الله ودولته، ولسقوط الأديان الباطلة ودولتها.

ثم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم عاد إلى المدينة، ليكمل تبليغ دعوته إلى دين الله تعالى، وليعلّم الناس ويزكيهم. وتسارَع الناس إلى الدخول في الإسلام، وتعاظمَ الإسلام، حتى شمل جزيرة العرب.

وفي عام عشرة من الهجرة، الموافق ٦٣٢م، خرج النبي صلى الله عليه وسلم لأداء فريضة الحج، وهي المسمّاة بحجّة الوداع؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم خَطَب المسلمين فيها خُطبةً جليلة، أشار فيها إلى دنوّ أجله، وقد تضمّنت خطبته هذه الوصيّة بأمور عظيمة، منها بيان حرمة الدماء والأعراض والأموال، وحثّ فيها على الإحسان إلى النساء والزوجات وإعطائهن حقوقهن كاملةً غير منقوصة، وأن يُعاملن مع ما يليق بطبيعتهن من الرقة وحُسْن العشرة.

وفي يوم عرفة من هذه الحجّة نزل قول الله تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً} [المائدة:٣].

ولمّا رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وبعد حَجّه بثلاثة أشهر، بدأ مرضُ وفاته صلى الله عليه وسلم. وذلك في ٢٧ صفر من عام (١١هـ)، الموافق لمايو من سنة (٦٣٢م)، ودام مرضُه عشرة أيام.

فكان من آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم في مرض وفاته : الحثّ على إقامة الصلاة، وعلى الإحسان إلى الرقيق والرفق بهم.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم توفي في يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، من سنة إحدى عشرة، الموافق ٩ يونيو سنة ٦٣٢م ، ودُفن صلى الله عليه وسلم ببيته الذي بجوار مسجد مدينته طَيْبة الطيّبة.

وبذلك يكون صلى الله عليه وسلم قد عاش ثلاثاً وستين سنة، ثلاثةً وعشرون عاماً منها هي سنوات بعثتِه وتبليغ دعوته إلى دين الله تعالى.

ولقد كانت سنوات بعثته الثلاثةُ والعشرون هذه منهجاً للبشرية لا مثيل له، في كل شؤون حياته صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} [الأحزاب:٢١].

فهو صلى الله عليه وسلم: سيد ولد آدم، وإمام الأنبياء، وخاتم الرسل. أُرسل إلى الثقلين من الجن والإنس كافّة، يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، وأن لا يعبدوا إلا الله تعالى، وأن لا يدّعوا لله الأبناء والشركاء والشفعاء، وأن يُقيموا دين الله ونظامه الذي يُصْلِحُ أمورَ الدنيا كلّها وأمور الآخرة كلّها؛ لأن الإسلام يَجعل من حياة المسلم كلّها عبادة، إذا حُكِّمَ فيها دينُ الله، الذي شملت أحكامُه كلَّ الحياة، كما قال تعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

^

من دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم

وأيد الله تعالى خاتم الرسل محمداً صلى الله عليه وسلم - كما أيَّدَ الأنبياء من قبله - بالآيات الدالّة على نبوّته، ومنها خوارقُ رآها الناسُ في زمنه.

وخصّه الله تعالى بخلود معجزته الكبرى، وهو القرآن الكريم؛ لأنه سبحانه أراد له أن يكون حجّته على العالمين إلى قيام الساعة، إذ هو كتابُ خاتم الرسل وآخر الأديان.

إن القرآن الكريم هو كلام الخالق سبحانه، تعهّد الله تعالى بحفظه { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩]. { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فُصّلت:٤٢]. وتحدَّى الله به العرب أن يأتوا بمثله، بل تحدّى به الثقلين جميعاً، فقال تعالى { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء:٨٨]، بل لقد تحدى الله تعالى أن يؤتى بسورة واحدة من مثله، كما قال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:٢٣-٢٤]. فهو معجزة الإسلام الباقية إلى اليوم، وإلى قيام الساعة، الدالّة على صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أنه خاتم الرسل لآخر الأديان.

وللقرآن في دلالته على صِدْقِ نُبوّةِ محمد صلى الله عليه وسلم وفي إعجازه أوجهٌ متعدّدة، منها: بلاغته، وجلالةُ نَظْمه، وعظمةُ أسلوبه، وروعةُ خطابه، التي تأسر القلوب، وتُخْضِعُ النفوس، وتُحيّر العقول، وتسلب الأسماع، وتُسْجِدُ الجباهَ لله رب العالمين.

لقد تُحدِّيَ به العرب، وهم أفصح الناس لساناً، وأبلغهم بياناً، فعجزوا أن يأتوا بسورة واحدةٍ من مثله، وعجز مَنْ جاء بعدهم، وعجز الناس كلهم إلى هذا اليوم، بل لقد عجز الثقلان، وسيعجزون (ولو أعان بعضهم بعضاً)، إلى قيام الساعة!!!

وها نحن اليوم (وبعد اليوم) نُنادي في البشرية، بل في الثقلين، مُبَلِّغين لهم تحدي إلههم وخالقهم لكل مَنْ على وَجْه الأرض بأن يأتوا بمثل هذا القرآن.

إن هذا التحدِّي الصارخ، والذي له أكثر من ألف وأربع مئة سنة، وما زال باقياً=دلالتُه ونتيجتُه قاطعةٌ، يلزم العاجز معه التراجع عمّا هو عليه، وأن يعترف بدلالة ذلك التحدِّي، وهو أن القرآن الكريم كلامُ الخالق المنزَّلُ على خاتمِ رُسُله محمد صلى الله عليه وسلم.

أمّا الإعراضُ عن هذا التحدِّي، أو التظاهر بالإعراض عنه، أو ادّعاؤه، ممّن لا يؤمن بالقرآن الكريم وبدلالته على صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم=فإنه لا يُجْدي شيئاً، وهو في حقيقته اعترافٌ بالعجز أمام هذا التحدِّي، وَلْيَعْرفْ هذا المتظاهر بالإعراض أنه بتصرّفه هذا قد انهزَم أمام الناس وأمام نفسه، وأنه قد أصرَّ واستكبر على باطل، سيخسر معه دنياه وآخرته، حيث إن جميع العقلاء يعلمون أنه لو كان بإمكان أعداء الإسلام قديماً وحديثاً أن يكسبوا هذا الرّهان، وأن يقوموا بهذا التحدّي، لَبَادَرُوا إليه من حين إعلانه، لأنه أسهل ممّا بذلوه ويبذلونه إلى اليوم في حَرْبهم للإسلام: من مخاطرتهم بالأرواح والمُهجَ، ودَفْعِهم للأحبّة من الآباء والأولاد والأزواج إلى ساحات المعارك، ومن إنفاقهم للأموال الكثيرة، وصَرْفِهم الأوقات والطاقات=وكل ذلك في حرب الإسلام، وكم قد خسروا من ذلك، وكم سيخسرون. أوَ لم يكن أسهل عليهم أن يتعاونوا جميعاً (وما أكثر أعداء الإسلام) على أن يقضوا سنواتٍ في إعدادِ كتابٍ يُضاهي القرآنَ الكريم، لينتهي كل شيء؟!! فما بالهم لم يفعلوا ذلك، وقد مضى على إنزال القرآن أكثر من أربعة عشر قرناً؟!!! هذا هو العجز بعينه، وهذا هو الإعجاز الأكبر، وهذه هي الحُجّة الكبرى على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ونحن إذ نعلن هذا التحدِّي ونكرِّرُ إعلانَه، لقد برئت ذِمَمُنا أمام ربِّنا بهذا البلاغ. إذ واجبُ من بلغه أن يسعى لسماع القرآن كله، من أوّله إلى آخره، وأن لا يرضى بأن يسمعه من الكافرين به، الذين هم بكفرهم به أعداءٌ له ولا شك، مهما تظاهر لك هذا المكذِّبُ به بالإنصاف، ومهما كنتَ حَسَنَ الظنِّ فيه؛ لأن عداوته له تُشكِّكُ في إنصافه (على أقل تقدير).

كما أنه لا يصحّ لك أن ترضى من نفسك أن تحكم على شيء، ستكون عاقبةُ حُكْمِك عليه مُحدِّدةً لمصيرك الأبدي، ثم لا تستكمل جميع مامن شأنه أن يجعل حُكمك صائباً، ومن ذلك أن تتدبّره من أوّله إلى آخره بعلمٍ وإنصاف.

ومن وجوه إعجازه: إعجازهُ التشريعي، الذي أذعن به كل من عرفه حقّ معرفته، وأنصف. فشموله لجميع مناحي الحياة: للفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، وشموله للعبادات، والمعاملات، سواء أكانت اقتصاديّة، أو أحوالاً شخصيّة، أو سياسيّة، أو عسكرية، أو قضائيّة، أو آداباً، وتنظيمُه لذلك جميعه أبدع تنظيم وأحسنه، بكل دقة وحِكْمة، ومعالجته للأخطاء البشريّة في ذلك كُلّه على أتمّ وَجْهٍ=هذا أمرٌ معجز، بل هو الأمر المعجز حقّاً!!. ويبلغ الإعجاز غايته بثبات تلك الأحكام والتنظيمات الدقيقة، وأنها لا تحتاج إلى تبديل أو تغيير في كل زمان ومكان، وأنه لا يَصْلُحُ أَمْرُ البشريّة إلا بها قديماً وحديثاً في أي بقعة من بقاع الأرض، وعلى اختلاف الأعصار والأقطار والعادات والتقاليد والحضارات. إن مثل هذا الثبات وذاك الشمول لمعجزةٌ لا يملك معها من كان عنده قَدْرٌ من الإنصاف إلا بأن يعترف بكون القرآن الكريم كلامَ الله!!!

ومن وجوه إعجازه: إخباره بمغيّبات لم تكن قد وقعت، ثم وقعت كما في خبره، وبعضها ما زلنا ننتظر وقوعه مما أخبر أنه سيقع في آخر الزمان. فقد أخبر بأن الروم

سينتصرون عقب هزيمتهم أمام الفرس، وكانت هزيمتهم قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لم يتحقق نَصْرهم إلاّ في عام الحديبية وهو العام السادس من الهجرة. وأخبر بمصير أناس وأنهم من أهل النار، كأبي لهب وزوجه وغيرهما، وكانوا أحياءً عند نزول القرآن بذلك، وعاشوا بعد ذلك زماناً وقد علموا بخبر القرآن عنهم، فما دخلوا في الإسلام، ولا ادّعوا ذلك في الظاهر للتشكيك في خبره!!!

ومن وجوه إعجازه: إعجازه العلمي، وهو أنه قد ورد في القرآن الكريم ذِكْرُ كثيرٍ من الحقائق الكونيّة المختلفة الفنون: في علم الطّب والنبات والحيوان والفلك وغيرها من المعارف الإنسانية. وهي حقائق كثيرةٌ، وكثيرٌ منها دقيق جداً، لم يُكتشف إلا مؤخّراً، عن طريق الأجهزة الحديثة، ومن خلال التّقْنِيّة المتطوِّرة، ولولا ذلك ما عرفها العلماءُ المتخصّصون المعاصرون. ومع ذلك فقد سبق القرآن إلى ذكرها، قبل أربعة عشر قرناً، يوم أن كانت هذه المعارف مجهولةً تماماً لدى الإنسانيّة جمعاء!!!

لقد أدهشت هذه الحقيقةُ وهذا السبقُ العلميُّ المعجزُ كثيراً من علماء الغرب والشرق، ممّن اطّلعَ عليه، بعد اعتقاده أن ما توصَّل إليه العلمُ الحديث لم يكن معلوماً للبشريّة من قبل. فآمن بعضُ هؤلاء العلماء المتخصصين ودخلوا في الإسلام، وأعلن آخرون دَهْشتهم الكبرى وعظيمَ حيرتهم تجاه ذلك، وتركوا الإجابة عن السؤال المُلِحِّ القائل: هل يُمكن ألا يكون هذا السبقُ إلا دليلاً على صِدْقِ نبوّةِ محمد صلى الله عليه وسلم ؟!!!

ولا يقتصرُ إعجازُ القرآن العلمي على سَبْقِه العلمي، بل يضمُّ إليه أيضاً: أنه على كثرة حديث القرآن الكريم عن أمورٍ كونيّة، وفي شتّى العلوم، ممّا لم يكن معروفاً لدى أحدٍ في زمن نزوله، أو كان معروفاً لقلةٍ من علماء الحضارات القديمة، أو معروفاً لأكثر الناس.. كل ذلك يُخبر به رجلٌ أُمِّي (لايقرأ ولا يكتب) وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو أيضاً من أمةٍ (هم العرب) كانوا أبعدَ الناس عن الحضارة والعلم القديم الذي كان قبل أربعة عشر قرناً=ثمّ لا يُوجد في جميع ما تعرّض له من أمور الكون جميعه ما يُخالفُ الحقائق العلمية اليقينية الثبوت في العصر الحديث!!! هل تحقق مثلُ ذلك في كتابٍ من كُتُب أكبر علماء ذلك العصر من علماء الحضارات الشهيرة حينها: أن يكون كلُّ ماأخبر به في شتى العلوم صواباً موافقاً لحقائق العلم الحديث؟ فكيف تحقّق ذلك للأُمّي العربي محمد بن عبد الله؟!!! هل كان ذلك إلا لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!! أم وقع ذلك كله مصادفة، مع كثرة تلك الحقائق وتنوّعها؟!!!

وهنا.. نعود إلى إعلان تَحَدٍّ جديدٍ للبشريّة : هذا القرآنُ بين أيديكم، وقد تعرّضَ للكثير جداً من حقائق الكون، أخرجوا لنا منه شيئاً (ممّا دَقّ أو جَلّ) يُخالفُ حقيقةً علميّةً لاشكّ في ثبوتها. إنّنا لَنُعْلِنُ هنا أيضاً: أنهم لم يستطيعوا، ولن يستطيعوا؛ لأن القرآنَ الكريم كلامُ الخالق لهذا الكون!!!

ومن هذه الوجوه لإعجاز القرآن الكريم، ننتقل إلى بقيّة دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

فمن دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم، وهو يُشبهُ في وَجْهِ دَلالتهِ ما سبق من القرآن الكريم: أخباره صلى الله عليه وسلم في سُنَته وأقواله الثابتة: بالمغيّبات، وبالحقائق الكونية التي سَبَقَ فيها العِلْمَ الحديث، والتي مع كثرتها لم تُناقضْ ما أثبَتهُ العلمُ الحديثُ أيضاً.

ومن دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم: قُوّةُ الدين الذي بُعثِ به، وحِفظُه من التغيير والتبديل، أو الزيادة والنقصان، والعلومُ التي نشأت وتطوّرت لخدمته، ومراحل تلك التطوّرات، ومواجهةٌ ماأحدق به من الأخطار بكل صرامةٍ وحزمٍ، على مختلف الأحوال التي مَرّت بأمّة الإسلام: من القوّة إلى الضعف، ومن العزّة إلى سيطرة الأعداء عليها.

ومن دلائل نبّوته: بشارةُ الأنبياء به في كتبهم، وإخبارهم لأقوامهم بصفته واسمه وصفة أمته ومكان بعثته ونسبه، وغير ذلك. كما قال تعالى { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصف:٦]، وكما قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف:١٥٧].

ومع تحريف كثيرٍ من أحبار اليهود ورهبان النصارى لتلك البشارات، وإخفائهم لبعضها، وتفسيرهم لبعضها الآخر بغير تفسيرها الصحيح؛ إلا أنه قد بقي ما يكفي منها لإقامة الحُجّة عليهم، وعلى كل من أنصف وبحث في الحقيقة.

وسنحيل هنا إلى بعض تلك البشارات في الكتاب الذي هم يؤمنون به.

فانظروا يا أهل الأرض في هذه الإحالات : سفر التثنية من التوراة (١/٣٣) (١٥/١٨-١٩)، وسفر أشعياء (١/٤٢-٥)، وسفر حبقوق (٣/٣)، وسفر المزامير (١/٧٢-١٩)، وإنجيل يوحنا (١٦/١٤ ، ٢٦) (٢٦/١٥) (٧/١٦-١٥) ورسالة يوحنا الأول (١/٢). [الرقم الأول يشير إلى الإصحاح والذي بعد الخط المائل إلى رقم المقطع].

ومن دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم: تاريخُ دعوته، وسَيْرُ حوادثها، وفُتوحُ أتباع ملّته من بعده، وتهاوي الدُّول في وَجْهِ أصحابه الفاتحين، وسرعة انتشار الإسلام في أمم الأرض.

ومن دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم: حياتُه وسيرته، وشمائله وأخلاقه وصفاته، وكل ما يتعلّق بذاته وشخصّيته وسلوكه.

فهو صلى الله عليه وسلم في صفاته الخَلقِية والخُلُقيّة يُمَثّلُ الكمال البشريّ، الذي لم تعرف ولن تعرف البشريّةُ له شبيهاً، مما يقطع بنبوّته، بل أنه إمام الأنبياء وخاتم المرسلين.

فقد كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس، وأحسنهم صورة، أنيقاً في ملبسه، يحبّ التطيب، ويلبس البياض، ويأمر بالنظافة والطهارة، وسئل مرة عن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: "إن الله جميل يحب الجمال". وكان ذا ذوقٍ رفيع في مأكله ومشربه، بغير شره ولا إسراف، بل يقول صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ آدميٌ وعاءً شراً من بطن، بحسب ابن آدم أُكيلاتٍ يُقِمْن صُلْبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلثٌ لنفسه". وكان لبقاً في حديثه وتعامله، كثيرَ الابتسام، ظاهرَ البِشر، تحبُّه العيونُ والقلوب من حين تلقاه، لا يُمَلَّ حديثهُ ومجلسُه، بل ينسى جليسُه الدنيا بأسرها إذا حظي بالجلوس عنده، مع المهابة والجلالة، لا من السطوة والجبروت (كالملوك والسلاطين)، بل هي هيبةُ النبّوة والرسالة، وجلالةُ كمالِ العبوديّة لله عز وجل والخضوع له وحده سبحانه وتعالى.

ومن أعظم صفاته صلى الله عليه وسلم الرحمة، حتى قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:١٢٨]، وقال – صلى الله عليه وسلم -: ((إنما أنا رحمةٌ مُهْداة)).

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم: حبه للمساكين، ومحبّتُه لمؤاكلتهم ومجالستهم، وعَطْفُه على المرضى في عقولهم وقضاؤه لحوائجهم، حتى ربما جاءته المرأة المريضة في عقلها، أو الطفلة الصغيرة، تطلب منه الحاجة التي تستلزمُ جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً، فلا يتركها، بل يسعى معها في تحقيق رغبتها حتى تنقضي، أو ترضى بغيرها، ولا ينصرف عنها حتى تكون هي التي تنصرف عنه.

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم: إكرامُه لليتامى، وإيصاؤه الشديدُ بهم، وحثُّه البالغُ بأن يُعْطفَ عليهم. وتودُّده إلى الأطفال، فكان يحملهم، ويقبّلُهم، ويمازحهم، ويُعلّم أمتّهَ كيف أنه للأطفال حقٌ في اللعب واللهو.

لقد تجاوزت رحمتُه بني آدم إلى غيرهم من المخلوقات على وجه الأرض، فكان يأمر بالرفق بالحيوانات، وينهى عن تعذيبها، حتى ما يؤكل منها: أمر بأن يُحْسن ذَبْحُها، وألا نُطيل عذابها قبل أن تموت. وعلمَ مَرّةً: أن أحدهم كان يكلفُ جَمَله بعمل شاقّ، ولا يطعمه الطعام الكافي، فزجره عن ذلك، وذكر مَرّةً: أن امرأةً دخلت النار بسبب هِرَّة، لأنها حبستها، لم تطعمها، حتى ماتت. وذكر مَرّةً: أن امرأةً بغيّاً سقت كلباً ظامئاً، فغفر الله لها، لرحمتها بالكلب. وقصَّ عن نبيٍّ من الأنبياء أن الله تعالى عاتبه لأنه أحرق بيتَ النمل بما فيه من النمل الكثير، لأن نملةً واحدةً منهن قرصته. حتى لقد سأله أصحابُه يوماً: وإن لنا في البهائم أجراً؟! فقال صلى الله عليه وسلم ((في كل كبدٍ رطبة أجر))، أي في الإحسان إلى كل حيّ من المخلوقات أجر.

وكان صلى الله عليه وسلم مع هذه الرحمة أشجع الناس، لكن شجاعته لا كشجاعة الجبابرة، بل هي شجاعةُ الواثق بوعد الله تعالى، القائمِ بدين الله تعالى، الذي لا يفرّق بين الموت والحياة، بل يقدّمُ الموت إذا كان فيه رضى ربِّه عز وجل. ولذلك كان في ساحات المعارك، وإذا اشتد القتال=أقربَ الناس إلى أعدائه، يثبتُ حين يفرُّ الشجعان، ويلوذ به الأبطال وهو كأنه ليس في ساح القتال.

ومن شجاعته صلى الله عليه وسلم صَدْعُه بالحق في وَجْه أعدائه، وإعلانُه بالدعوة إلى دين الله تعالى في مقابل خصومه، الذين كانوا هم عمومَ أهل الأرض في أوّل دعوته. فلم يَخَفْ، ولم يتردّد، ولم يُداهن، ولم يتنازل عن شيءٍ من مبادئه بل واجه الدنيا بأسرها، ووقف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أمام جميع أهل الأرض.

وكان صلى الله عليه وسلم مع شجاعته عفوّاً عمّن أساء إليه، لا يعرف الحقد ولا الغضبَ للنفس ولا الانتقام لها أبداً. فكم من مَرّة عفا عمّن أساء إليه أعظمَ إساءة، بل أحسنَ إليه عند القدرة الكاملة على الانتقام منه. يقبل الاعتذار وهو يعلم أن المعتذرَ غيرُ صادقٍ في عُذْره، بل يتلمّسُ هو الأعذار لمن أخطأ عليه، ويتأوّلُ إساءته إحساناً، ويحمل خطأه على أحسن المحامل.

وكان صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس، يُنفق إنفاقَ من لا يخشى الفقر، حتى أنه ما سُئل شيئاً قط فقال: لا. يُنفق ماله كلَّه للفقراء والمحتاجين، بل كان يستدين ليتصدَّق، ويؤثر على نفسه وعلى أهل بيته ضيوفَه والفقراءَ والسائلين، حتى إنه ربّما جاع أهلُه ليُطعمَ من هو أحوج للطعام منهم، ولذلك كان غالب طعامه وطعام أهله التمر والماء، ولربما مكثوا الأشهر المتوالية لا يوقد في بيتهم نارٌ على طعام لذلك.

ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم هو الزوج المثالي: في تودّده لأزواجه، وعَطْفه عليهن، وتحمُّله لأخطائهن البشريّة. ما ضرب واحدةً منهن قط، ولا شتم، ولا رفع صوته صارخاً. بل يعفو ويَحْلُم، ويمازح ويُلاعب، ويوافقهن فيما يُحْبِبْنَهُ ما لم يكن إثماً. ويعاونهنّ في أعمال البيت، ويخدمُ نَفْسَه بنفسه، فيخيط ثَوْبَه إذا انفتق، ويُصلح نَعْلَه بنفسه إذا انقطع. ويُوصي بالنساء كثيراً، وينهى عن ضربهن أو إهانتهن، ويقول ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))، وأوصى بالنساء وصيةً جامعةً في خُطبته العظمى، في حجّة الوداع (كما سبق).

وكان صلى الله عليه وسلم حسن المعشر حتى مع من يخدمه، فكان صلى الله عليه وسلم يأمر بعدم تكليفهم بالأعمال الشاقة عليهم، وأن يُطعَمُوا من طعام أهل البيت، وأن يُلْبَسُوا من لباسهم. بل يقول خادمُهُ صلى الله عليه وسلم، وهو أنس بن مالك رضي الله عنه: ما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لي عن شيءٍ صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا؟! ولا قال لي عن شيءٍ لم أصنعه: ألا صنعتَ هذا هكذا؟! ولما رأى رجلاً يضربُ خادمه المملوكَ له قال صلى الله عليه وسلم: ((اعْلَمْ يا فلان: لَلَّهُ أَقْدَرُ عليك منك عليه))، فقال الرجل لمّا سمع

هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو حُرٌّ لوجه الله، فقال صلى الله عليه وسلم له: ((أما إنّك لو لم تفعل لمستك النار)).

وكان صلى الله عليه وسلم شديدَ الحياء أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها. لا يُحبُّ فُحْشَ القول، ولا يجري على لسانه لفظٌ بذيءٌ قطّ، ولا يتفوّه بعبارة تجرح الحياء والعفافَ. حتى كان يقول: ((الحياءُ خيرٌ كلُّه))، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((الحياء لا يأتي إلا بخير)).

وكان صلى الله عليه وسلم أعظمَ الناس تواضعاً، وهو القائل: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّةٍ من كِبْر)). فكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ولا يُقَام له إذا دخل على أصحابه؛ لأنه كان ينهاهم عن ذلك، مع شدّة محبتهم وتعظيمهم له، ولقد قامت له قلوبُهم لئن لم تَقُمْ له أجسادهم. وإذا مشى لايُصْرَفُ الناسُ عن طريقه، حتى عند شدّة الزحام، كما وقع في حَجّته صلى الله عليه وسلم، وربما اجتمعَ الناسُ عليه يسألونه حتى يبلغ به الإجهادُ مَبْلَغَهُ. ولم يكن يُمِّيزُ نَفْسَه عن أصحابه في مجلسه أو ملبسه أو مركبه، بل إنه يجلسُ حيث ينتهي به المجلس.

هذه بعضُ كوامل صفاته، وبعض عوالي أخلاقه؛ فهي لا تُدرك بكلام مختصر ولا مطوَّل. أثنى الله عز وجل على أخلاقه، فقال تعالى { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم:٤].

وضمَّ صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كُلّه كمالَ العبودية لله تعالى، وكمال الخضوع والتضرُّع له عز وجل. فهو صلى الله عليه وسلم أعبدُ الناس، وأخشعُ الناس، وأورع الناس، وأزهد الناس.. صلى الله عليه وسلم.

فهو ذاكرٌ لله تعالى في كل أحيانه، لا يفتر لسانه عن التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل وقراءة القرآن، كثير الاستغفار، غزير الاستعبار، يبكي من الخشوع لربّه حتى يبلّ لحيته، وحتى يُسمع لصدره صوتٌ من النشيج كصوت غليان القِدْر. يصومُ حتى يقال لايُفطر من كثرة الصوم، وقام الليلَ للصلاة حتى تفطّرت قدماه، فقيل له: لم تفعل ذلك وقد غُفِر لك ما تقدّم من ذنبك وماتأخّر؟!! فقال صلى الله عليه وسلم : ((أفلا أكون عبداً شكوراً)).

بل هو صلى الله عليه وسلم أعبد العابدين، وأذكر الذاكرين، وأحمد الحامدين، وإمام الأنبياء والمرسلين.

وهو صلى الله عليه وسلم في جمعه للكمال البشري في شؤون دنياه مع الكمال البشري في شؤون أُخراه=معجزةٌ خارقةٌ للعادات، وإنّها – تالله – لشَمائلُ وصفاتُ نبيّ، بل هي أخلاقُ وسيرةُ خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

^

الخاتمة

هذه السيرةُ الشديدةُ الاختصار لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم هي التي أردنا أن نخاطب بها العالمين، وأن نُبَلّغَ للناس أجمعين. إذ في هذه السيرة، وفي الإيمان بصاحبها رسولاً ونبيّاً، وفي الاقتداء به في جميع أقواله وأفعاله=خيرُهم وسعادتُهم في الدنيا والآخرة، وبذلك تحصل نجاتهُم من عذاب الله تعالى.

وقد يستغرب بعضُ من يقرأ هذا الخطاب من أنّه لم يعرف هذه المعلومات عن سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم إلا من قراءاته له، وهذا قد يكون من تقصيرنا – نحن يا من عرفناه حق معرفته – في البلاغ والدعوة، ولكن السبب الأعظم لذلك هو حَجْبُ الباطل وأعوانه لهذه الحقائق عن الناس، وسَعْيُهم بكل وسيلةٍ إلى صَدِّ الناس عن سماعها، حتى لا ندري - نحن الآن أيضاً - هل سيصل هذا الخطاب إلى كل الآذان، أم سيمنع (كالعادة) عن كثير من الناس!!!

ولا ننسى أن نُذكّرَ البشريّة بأن تقديس التقاليد والعادات، والعصبيّة للآباء والأجداد، وصعوبة الاعتراف بالخطأ الكبير=كل ذلك قد يحول دون الاستفادة من هذا الخطاب الفائدةَ التي لن يصلَ إليها إلا من استطاعَ تجاوزَ هذا كُلّه، وحاكمَ تقاليدَه وموروثه وآباءه وأجداده ونفسَه بكل إنصاف وتعقُّل.

كما لا ننسى أن اللهو واللعب، والشهوات والملذّات، والانشغال بتحصيل ذلك كُلّه، قد يصرف الإنسان عن هذا الخطاب. لكن ليذكر هذا المنهمك في ملذّاته أن الخالق (الذي لا يشك عاقلٌ في وجوده) لم يخلقه عبثاً، وأنه لن يدرك سعادته الحقيقية إلا من خلال الدين الأخير الصالح لكل زمان ومكان إلى نهاية الدنيا، وهو الإسلام، الذي جاء به خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم من الخالق سبحانه.

وأخيراً لا ننسى عدوّ البشريّة الأوّل، وهو الشيطان وأعوانه من شياطين الجن والإنس، الذين سيُزَيّنونَ لبني آدم الإعراضَ عن هذا الخطاب، وسيحاولون صَرْفَهم عن الحقائق الواردة فيه بأنواعٍ شتّى من الحيل النفسيّة والأباطيل والشُّبَه.

فعلى من أراد السعادة الحقّة، والنجاة من التعاسة الحقّة: أن يأخذَ على نفسه العهد، وأن يُصمِّمَ التصميم الصادق، بألا يُهمل هذا الخطاب حتى يدرسَه حق دراسته، ويبحث ويقرأ ويسأل عمّا تضمَنه من معلومات، إلى أن يصل إلى الحق.

وليعلم أنه سَيُلاقي عقباتٍ كثيرةً، سبق ذكر بعضها آنفاً؛ لكن عليه أن يتجاوزها، مجتهداً في ذلك كل الاجتهاد؛ لأنّ ما يبحثُ فيه هو أجلّ شيءٍ - على الإطلاق - يبحثُ فيه المخلوق، إنه يبحث عن علاقته بربّه عزوجل، وعمّا يُكْسِبُه رضي خالقه عنه، ليحظى بتوفيقه وعنايته وحفظه وتأييده وطمأنينته في الدنيا، وبجنّةٍ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم الأبدي.

إننا على ثقةٍ تامة أنه مَنْ أوْلى هذا الخطاب ما يستحقّه من الدراسة، متجاوزاً كل العقبات الحائلة بينه وبين دراسته له، مستعيناً بالخالق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفواً أحد، على أن يدلّه على الحقّ ويرزقه قبوله والخضوع له، مهما كان=أنه سيصل إلى مطلوبه الأعظم، وستتكشف له الحقيقة الكبرى!!!

وعندها سيكون هذا المسلم الجديد من أي بلدٍ كان، ومن أيّ عرق، ومن أي لون، وفي أي زمان=أحدَ من وَجّهوا هذا الخطاب أيضاً لغيره من البشريّة، ممن لم يسمعوا هذا الخطاب، أو سمعوه لكنهم خسروا أنفسهم وظلموها بعدم التصميم الصادق في اتّخاذ القرار الحكيم بشأنه.

{ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ } [إبراهيم:٥٢].

****

الفهرس العام :

تابع الباب الحادي عشر – مقالات وخطب حول ردود فعل المسلمين

بين الدفاع عن السامية والتطاول على رسول الإنسانية

نشرت جريدة الوطن في ١٤٢٧/١/٨هـ

بين الدفاع عن السامية والتطاول على رسول الإنسانية

من الغريب جدا أن نسمع من يقول ما سبب سخرية الغرب واستهزائهم بشعائر المسلمين ومقدساتهم، ولكن لأننا أعرضنا عن كتاب الله واتباع سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم، فحق لمثلنا أن يكون هذا التساؤل على لسانه دائما، وإذا أردنا نصرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يجب علينا أن ننصره في أنفسنا وفي مجتمعاتنا، ومن المؤسف أننا نجهل الكثير من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى في الأوساط الدينية، وعلى سبيل المثال لا الحصر كما ذكر ذلك فضيلة الدكتور محمد العريفي أنه لم تفلح شريحة من الطلاب الجامعيين في معرفة زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم، بل الطامة في ذلك أن تذكر أمه (آمنة) وابنته (فاطمة) رضي الله عنهما من ضمن زوجاته صلى الله عليه وسلم، إننا نمر على سيرته العطرة مرور الكرام، وقد لا نتعب أنفسنا بقراءة كتاب من كتب السيرة المباركة، وأذكر لكم ما قاله لي أحد الإخوة وهو متدين منذ سنوات وبلغ الأربعين من عمره، فيقول: "والله إني ألخبط بين أركان الإسلام وأركان الإيمان"، وهي من الأصول الثلاثة الواجب على المسلم معرفتها والعمل بها، وهي مراتب الدين التي ثالثها الإحسان.

إن ثقافة المسلم الدينية ضعيفة في أوجب الأشياء عليه تجاه دينه، ناهيك عن السنن والمستحبات، ولهذا تنطبق علينا "ابدأ بنفسك أولا"، لأن الظل لا يستقيم والعود معوج، ولعل ما دفعني لكتابة هذا المقال ما لمسته من الكثير من زملاء العمل، حيث لا يمكن بحال من الأحوال أن يفرط أحدهم في ذكر تفاصيل جميع المباريات، بل حتى المشاكل الإدارية لتلك الأندية، ناهيك عن أسماء اللاعبين وهواياتهم، وعدد الأهداف وفي أي فريق، حتى إنهم يذكرون بطولات تلك الفرق مؤرخة باليوم والشهر والسنة، وأيضا متابعة "استار أكاديمي" الذي يذكرونه بالتفاصيل، بل يرشحون من سيفوز في النهاية، ولعل البعض منهم قد عد قطرات دموع الحزن التي ذرفتها عيون ذلك الشاب أو تلك الفتاة بعد خروجهما من المسابقة، ونجد في المقابل من حدثناه عن المقاطعة فقال أي مقاطعة؟ وهذا الشخص من المتابع للقنوات والصحف والمجلات والبلوتوث، وربما يكتفي بقول "لجناب الرسول رب يحميه".

إن الأمة يجب أن تكون يدا واحدة وتحت راية واحدة في الذب عن عرض رسول البرية صلى الله عليه وسلم، لأنه نبينا جميعا، ولا نريد كما قال العلماء والمفكرون أن تكون ردود الأفعال غير مرشدة،

وفردية متسرعة غير مدروسة، لأها إذا لم تكن على ذلك الحال فسوف تكون ضد المسلمين عاجلا أم آجلا بلا شك، كما أدعو جميع أفراد الأمة في كل مكان ألا يستهينوا بريال أو درهم أو دينـــار أو جنيه يشترون به من بضائع تلك الدول، ثم كيف يهنأ لك أن تأكل أو تشرب من منتجـــات بلـــد استهان بحبيبك صلى الله عليه وسلم وأنت تزعم حبه وتتمنى نصرته، حتى بعد الاعتذار الـــذي مـــن وجهة نظري أنه لا يكفي، بل لا أنتظره ولا أرغب فيه، ولا أرى أن نطالبهم بـــه، بـــل نقـــاطعهم وننبذهم، وبالله عليكم أي دولة غربية سلم منها جسد هذه الأمة، فهناك العديد من الدول قد طعنت هذا الجسد بخنجر الحقد والاستهتار واللامبالاة، فمن أقل الواجبات علينا أن نقاطع تلك الدولة.

أنا لست سياسيا وأهل السياسة هم أدرى وأعلم بها، ولكن لي تساؤل، لماذا الغرب في شتى هجماته على المسلمين يبرر بمبررات ساذجة باهتة مكشوفة للصغير قبل الكبير، والتناقضـــات في تصـــريحاهم وأفعالهم وقوانينهم كثيرة جدا، ونحن نعلم ذلك، لماذا لا تكون ردودنا أقوى مما نســـمع، لمـــاذا لا نكشف كذبهم للعلم بطرحه في المنتديات العالمية والمحافل الدولية، وإذا كانت تلك الدول قوية وتملك قوى مادية، فنحن نملك ما هو أكبر منه (إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقـــدامكم) إن الله معنـــا، ولكن متى؟ عندما تزال الكراهية من بيننا، وتوحد صفوفنا تحت راية واحدة، لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وبعد ذلك نصر الله قريب.

السامية التي أصدرت من أجلها القرارات والعقوبات على من تعدى على حرف من كلمتها، فمـــا بالك بمن تمثله من الكيانات الزائلة بإذن الله، الدفاع عن السامية باب استخدم للضغط على الـــدول والتدخل في شؤوها – مثل باب معي أم مع الإرهاب –، والعلم بدقائق أموره، ولو تثاءب مسلم في بلد ما ولهم مآرب يريدون قضاءها من ذلك البلد لعد ذلك التثاؤب معاداة للسامية بزعمهم، فلماذا يهان الإسلام ومقدساته ونبيه صلى الله عليه وسلم وكأن شيئا لم يكن، بل يطلب منـــا أن نتقبـــل الإهانة لترقق علينا غيرها من الإهانات، أما السامية فلا!، (حرام على بلابله الدوح.. حلال علـــى الطير من كل جنس)، إنها مفارقة عجيبة أن يكون هناك حرية للرأي كما يزعمون في الدنمارك، وإن كانوا جادين في ذلك فليتعرض أحد الصحفيين أو إحدى الصحف للسامية أو لأي رئيس أوروبي أو شيء من مقدساهم، لنرى كذب تلك الحرية المزعومة.

إننا ماضون في مقاطعتنا للأبد وإذا كان لكم حرية الرأي وتتركون الحبل على الغارب لصـــحافتكم وكتابكم فلنا حرية في أن نختار ما نأكل ونشرب (بأبي أنت وأمي ونفسي ومالي يا رســـول الله) ولا أظن أن هناك مسلما سيستسيغ أكلاً أو شرباً ممن استهزأ بنبيه، وإلا علينا السلام، فلو سب أحد من الناس آباءنا أو أمهاتنا لأقمنا الدنيا وأقعدناها وقاطعناهم لسنوات عديدة وهم مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف بمن سبوا واستهزأوا بمن نفديه بآبائنا وأمهاتنـــا وأنفســـنا، ألا يستحق ذلك المقاطعة الأبدية، ليكونوا لمن خلفهم عبرة وآية، ولا ننسى بأن الله معنا.

مشبب عبدالله الزهيري – الرياض

===================

بين السنة والسيرة

سلمان بن فهد العودة

من الأمور المهمة في مسألة الترجيح والتصحيح معرفة السيرة النبوية الكريمة مـــن خـــلال النقـــول الصحيحة الثابتة .

ففي كتاب الله تعالى عرض لجوانب كثيرة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حربـــه وســـلمه، وإقامته وظعنه، في أموره البيتية وغيرها، وقد كتب أحد المعاصرين كتاباً في السيرة النبوية من خلال نصوص القرآن الكريم سماه (السيرة النبوية : صورة مقتبسة من القرآن الكريم) .

وثمة مصدر ثر مهم للسيرة يغفل عنه الكثير وهو كتب السنة النبوية كالصحيحين والسنن والمســـانيد والمعاجم و الموطئات وغيرها ..

ففي هذه الكتب مرويات هائلة وموثقة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة المجتمع المســـلم في عصره، قد لا توجد في كتب السيرة الأصلية .

وهذه المرويات عني بعض العلماء بجمعها، ومن أكثر من رأيت عناية بها وجمعها الإمام الحافظ ابـــن كثير في جزء السيرة النبوية من البداية والنهاية والذي طبعه (مصطفى عبـــد الواحـــد) في كتـــاب مستقل ، والإمام ابن القيم في كتابه الفذ (زاد المعاد في هدي خير العباد) فضلاً عـــن مصـــنفات مسندة تعنى بجانب معين من السيرة كـــ (دلائل النبوة) لأبي نعيم والبيهقي وغيرهما .

وقد حاول عدد من الباحثين المعاصرين تناول بعض أحداث السيرة على ضوء روايات كتب الســـنة الموثوقة المعتمدة وهو منهجٌ حميدٌ يحسُن أن تقوم الأقسام العلمية في الجامعات بتوسيع دائرة البحث فيه .

وبين يدي عدد من الكتب والرسائل الجامعية، منها رسالة (الهجرة) للدكتور سليمان بـــن علـــي السعود من الجامعة الإسلامية، ورسالة (السيرة النبوية من الصحيحين مقارنة بسيرة ابن إســـحاق) للدكتور سليمان العودة من كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالرياض، ومجموعة كـــبيرة مـــن الرسائل في الجامعة الإسلامية تتناول المغازي والمعارك بصفة خاصة كـــ (مرويات غـــزوة بـــدر) للعلمي ، و (مرويات غزوة الحديبية) للشيخ الحكمي، وغيرها كثير، وقد حاولت تطبيق هذا المنهج في كتابي (الغرباء الأولون) .

ليس مرادي سرد البحوث العلمية فهذا له ميدانه الخاص ، ولكن أريد الآن أن أؤكد أن الباحث قد يجهد في كتب السيرة ؛ ليوثق حادثة ما فلا يستطيع، لكنه يملك ذلك من خلال الرجوع إلى كتـــب السنة بكل يسر .

حادثة حصار الشعب وصحيفة قريش الظالمة الآثمة المعلقة في جوف الكعبة، تجد الإشارة الواضـــحة إليها في عدد من أحاديث الصحيحين، أذكر منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم حين أراد قدوم مكة : (مترلنا غداً ـــ إن شاء الله تعالى ـــ بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر) يعني بذلك المحصب .
وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقريب منه رواية أسامة بن زيد بن حارثة المتفق عليها .
وهذه الحادثة قد لا تجدها في كتب السيرة مروية بإسناد كإسناد البخاري ومسلم مثلاً .
فأمثال هذه الرسالات تجعل الباحث في أي شأن من شؤون الحياة يستبطن صورة ذلك ((المجتمع)) بكاملها، إذاً السيرة ليست سجلاً لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة، كلا . بل هي تدوين أمين لحياة المجتمع المسلم بأكمله ، ورصد لتحركاته الاجتماعية والسياسية وغيرها .

وهذا الإدراك القوي لمجريات الأحداث في المجتمع الأول يمدّ الفقيه والدارس بوسائل جديدة للترجيح خاصة حين يقف أمام إشكالية تتمثل في تعارض نصين خاصين ـــ ظاهراً ـــ وبالذات في القضايا العامة التي تقع على مرأى ومسمع من الناس، أو تكون حاجات ضرورية تهم الجميع خذ قضية : الصلاة ومواقيتها وهيئتها العامة وأحكامها الإجمالية .. قضية الأذان والإقامة .. المياه وأقسامها وما يجتنب منها .. الوضوء والغسل .. معاملة المشركين واليهود وغيرهم .. إلى مسائل أخرى كثيرة لا يأتي عليها الحصر يمكن التماس القول المعتمد فيها من خلال النظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة المجتمع الأول .
مثلاً :وجوب الغسل على الكافر إذا أسلم مطلقاً حتى لو لم يجنب حال كفره .. مسألة فقهية خلافية .. نعم لكننا نعلم أن الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا كفاراً فأسلموا وهم يعدون بعشرات الألوف .. بل الذين حضروا معه حجة الوداع يزيدون على مائة ألف فهل من الممكن أن يكون هؤلاء جميعاً أمروا بالغسل ثم لا ينقل إلا أمره صلى الله عليه وسلم لقيس بن عاصم ؟
صحيح أنه عليه السلام أمر قيساً بذلك لكن هذه القضية العينية الخاصة لا تدل على وجوبه على كل كافر أسلم بلا تفصيل .
مسألة أخرى : دعوى أن المشرك نجس العين يجب التحفظ منه حتى قال بعضهم: (من صافح المشرك فليتوضأ !) هل يمكن قبولها في الوقت الذي نجد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يساكنون قريشاً المشركة في مكة، ثم اليهود في المدينة .. وربما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم ضيفاً على أحدهم أو أكل أو شرب في آنيتهم ... ومن هنا جاء اعتماد الإمام مالك على المشتهر من عمل أهل المدينة لأنه سنة عملية يتلقاها اللاحقون عن السابقين .
وعلى العموم فإن هذه الجزئيات لا تعدوا أن تكون أمثلة فحسب،وإلا فالعناية بصحيح السيرة يمكن أن يستخرج منها المنهج العملي الإسلامي الذي يحكم جميع شؤون الحياة، سواء في معاملة المسلم داخل بيته أو مجتمعه، أو في علاقة الحاكم بالمحكوم، أو في علاقة الأمة المسلمة بغيرها في حال حربها وسلمها .

ولذا فإن من الضروري إخضاع مرويات السيرة لدراسة أخرى ـــ غير الدراسة التوثيقية ـــ تستهدف رسم معالم السياسات الإسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية، خاصة والمسلمون يعيشون مبادئ صحوة تدعو إلى تحكيم الإسلام في جميع مجالات الحياة .

==============================

بين ثقافتي التسامح والكراهية

الكاتب: د. أحمد عبد الملك

بلاشك، فإن نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، أغضبت ملياراً وثلاثمائة مليون نسمة في العالم، ومناصريهم أيضاً ممن لا يجيزون التطاول على الأديان ورموزها أيا كانت تلك الأديـــان. ومن حق المسلمين، الذين شعروا بالإهانة والاستخفاف بأكرم خلق الله، أن يعبّروا عـــن غضـــبهم العارم، ويوصلوا صوتهم إلى العالم حتى لا تتكرر تلك الإساءة الكبيرة، ويعرف الذين يتغنون بالحريات والإباحيات بأن لكل حرية حدوداً... وأن التجاوز على حريات الآخرين ليس من الحرية.

من هنا، فإن الدعوات العاقلة التي خرجت من بعض البلدان العربية لمعالجة المشكلة مع الدانمرك، يجب أن تلقى التشجيع والتأييد، وحتى لا تبدأ معارك جديدة تسهم في صراع الحضارات، في الوقت الذي تتنادى فيه الدول لتبني مشاريع فاعلة نحو حوار الحضارات.

نعم حصل هنالك خطأ، وقد يكون مقصوداً ضد المسلمين، وتوجد حالات يتوجب فيها الاعتذار. ولو لم يتذرع أصحاب الصحيفة بالحرية وقاموا بالاعتذار عن الخطأ المشين، لما حصل ما حصل. لكن إعادة نشر الصور المسيئة مرة أخرى، وقيام صحف وتلفزيونات أوروبية وعربية بنشر تلك الصـــور، بل وقيام وزير إيطالي بارتداء قميص طبعت عليه تلك الصور، كل ذلك لا يندرج تحت الحرية، إن لم نصنّفه على أنه تحدٍ لمشاعر المسلمين، أو عبث سلوكي يُقصد به تأجيج الحـــرب وتعقيـــد حـــوار الحضارات.

ولقد دخلت الهيئات الأوروبية على الخط، وقام ممثلو أبرز المجموعات السياسية في البرلمـــان الأوروبي بالدعوة إلى ربط الحرية بالمسؤولية، منددين في الوقت نفسه بالردود العنيفة المترتبة على نشر تلـــك الرسوم. لكن بعض ممثلي الهيئات الأوروبية تجاهل سبب المشكلة وركز على ردود الأفعال، ومنـــهم إمام المشرعين الأوروبيين الذي أبدى إدانة واضحة وقاسية لما تعرّض له مكتب المفوضـــية في غـــزة والبعثات في عدد من الدول، مشيراً إلى هدف هذه المؤسسات وهو تقديم المنافع للناس! ولكنه لم يشر إلى ضرورة عدم الاقتراب من حريات الآخرين في أديانهم ورموزهم الدينية. لكن البيان بعدم المبالغة في ممارسة حرية التعبير بالتحريض على الحقد الديني أو بنشر تصريحات عنصرية تـــدعو إلى كراهيـــة الأجانب.

أما دعوة رئيس الوزراء الدانمركي بـــ"تهدئة الخواطر" و"إعادة الحوار مع العالم الإسلامي إلى الطريق البناء"، فهي بلاشك محل تقدير، وعلى المسلمين التركيز على الجوانب الإيجابية في هذه القضية.

وإذا كانت العلاقات بين أوروبا والعالم الإسلامي ظلت وطيدة وقائمة على الشراكة منذ زمن طويل، فإن استثمار دعوة سفير الاتحاد الأوروبي لدى المملكة العربية السعودية، إلى المحافظة على العلاقات والمصالح والصداقات التي تربط الطرفين، وتفادي الوضع الناتج عن نشر تلك الرسوم، نقول استثمار تلك المواقف ممكن، تماماً مع الموقف الفرنسي الرسمي، وموقف الممثل الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا، وكذلك آراء المسلمين المعتدلين الذين قبلوا اعتذار الصحيفة، ونعتقد أن قيام منظمة المؤتمر الإسلامي بصياغة مشروع قرار دولي يمنع الإساءة إلى الأديان سيكون خير علاج للظاهرة.

لكن حرق السفارات والسيارات، ومضايقة الأجانب، والمقاطعة، والهجوم الإعلامي على كل ما هو غربي... نعتقده يأتي من باب ردة الفعل العنيفة التي لا تحقق شيئاً إيجابياً، إن لم تأخذ الأمور إلى التعقيد.

إن إرساء قيم التسامح والعدالة والاعتراف بالآخر، هي السبيل الأمثل نحو تفاهم ثقافي بين الأمم والأفراد. وإن كسب المؤيدين لهذه الثقافة، لا يأتي عبر المنع والكراهية وأصوات الغوغاء. ونحن لا نختلف مع القائلين إن لكل شعب أو أمة تقاليدها وقيمها، وإن ما يأتي في باب المحرمات -لدى شعب من الشعوب- ليس بالضرورة يدخل في الباب نفسه لدى الشعوب الأخرى. ولا يجوز هنا تحوير المقاصد وإثارة الناس، بأن نشر الصور يدخل ضمن كراهية الأوروبيين ضد المسلمين، على اعتبار صكوك تاريخية إبان الحملات الصليبية، ناهيك عن بعض من يدّعون الدفاع عن الإسلام ويقومون باتخاذ مواقف متعارضة، حيث يتحدث بعض من يقيم في الدانمرك من المسلمين، بأنه ضد المقاطعة الإسلامية للدانمرك، ثم يتحدث من قناة عربية داعياً إلى زيادة رقعة المقاطعة!

هؤلاء هم نمط المندسين في الصف الإسلامي والذين تتبناهم أوروبا وتوفر لهم سبل العيش، لكنهم -في الوقت ذاته- يحقدون عليها، ويلعبون على عدة أوتار دون وازع من دين أو أخلاق وهم أشدّ على الأمة الإسلامية من مصوري ورسامي الكاريكاتير.

إن المسلمين محاطون بدول وثقافات أجنبية، وليس بمقدورهم بتر عالمهم الإسلامي ونقله إلى كوكب آخر يعيشون فيه بسلام، فإن مقاطعة الآخرين ليست من أسلحة العصر الحديث، تماماً كما هو حرق السفارات والتعرّض للأشخاص. كما أن إشاعة البغضاء -عبر الإعلام- وخلط الأوراق، لا يصب في مصلحة الأمة الإسلامية!

لذا، فإن عقلنة الإعلام في العالم الإسلامي من المهام الحضارية للدولة الحديثة، ولابد من إيجاد لغة تخاطب حضارية مع الآخر، وإن كنا -كمسلمين- نتألم من موقف الجريدة الدانمركية وغيرها. ويدخل ضمن تلك العقلنة تدريب الغوغاء على ثقافة الاعتراض، وعلى تنظيم المظاهرات السلمية التي تحقق أهدافها. فما الجدوى من تقاتل الجمهور الباكستاني مع الشرطة، وسقوط ثلاثة قتلى، وإتلاف المحال التجارية والسطو على البنوك على طريقة عصابات شيكاغو؟ هل هذه أساليب احتجاج على ظلم، والقيام بظلم واضح على مؤسسات ليست لها يد فيما حصل؟ بل وهل يرضى الرسول الكريم

بتلك المصادمات بين أبناء الملة وإزهاق الأرواح؟ لعلنا نستذكر دخوله مكة فاتحا وظافرا، حيث أطلق أفضل قانون للتسامح –مع من آذوه وعذبوه– "اذهبوا فأنتم الطلقاء"! هــذه هــي روح الرسـول وحكمته، فلم يقم بصلب من آذوه... أو حرقهم!

أعتقد أنها قضية أخذت بُعداً ثقافياً، ولابد من استغلال الإعلام "الضال" للحديث عن الأبعاد الثقافية للخلاف الحاصل.

فالحوار هو الذي يقرّب الأمم وليس التطاول والحرق والتحطيم وبث الكراهية.

صحيفة الإتحاد الأماراتية

==========================

..بين محطم الأصنام، والباكين عليها..

عبدالله الناصر

(إسرائيل ابني البكر، هكذا يقول الرب) آية رقم ٢٢ من سفر الخروج..!!

من يستطيع أن يعترض على هذا الكلام ويعتبره تخريفاً أسطورياً وهرطقة..؟ لا أحد يستطيع وبالذات في أوروبا، وأمريكا، التي تتحدث عن حرية الفكر، وحرية الرأي، وزمن العولمة. لا أحد يستطيع أن يقول كيف لرب عظيم يصنع هذا الكون الهائل العظيم.. كيف له أن يتخذ ولداً اسمه إسرائيل، وأن بني إسرائيل من ذريته..؟ وأن أحفاده هم ابن غوريون، وغولدا مائير، وبيغن، وشارون..!!

؟ بعض مثقفينا «المحترمين»..!! يجرؤون على أن يقولوا كل شيء، في كــل شــيء، وأن يجــادلوا، ويحاوروا، ويَكْفُروا، ويُلحدوا، ويطعنوا في دينهم.. ولكنهم يقفون ربما بإجلال، أمام هــذا الــنص العبراني المقدس، وتخوفهم هذه الهرطقة..!!

لكن أن يشتم نبي أمة كاملة فأمر أهون في نظرهم من أن يناقش، أو يثار، لأن المسألة مسألة حريــة الرأي..

أنا لن أتحدث هنا عن رأي الغرب فينا، ورأيه في الحرية، والديمقراطية، ولا النزاهة، ولا العدالة، فقد عشت في الغرب أكثر من عشرين عاماً، وقرأت، وسمعت، وحضرت ندوات، ومؤتمرات، ولســت محتاجاً إلى من يقنعني، أو يحاول تغيير موقفي من نظرة الغرب نحونا، ولاتجاه قضايانا، ولا من مفهومه للعدالة، والديمقراطية، التي تراد بنا، فالموقف بالنسبة إليّ واضح، ومحسوم، وهذا ما كتبت، وأكتــب عنه بشكل مستديم، لا عن كراهية، أو بغضاء، ولكن عن تجربة وخبرة، فليس من طبيعة الحر النزيه، أن يغلب عاطفة الكراهية على قول الحق، ولا نزعة الشر على نزعة الخير، فأشهد أن في الغرب مــن الإيجابيات ما لا يعد، ولا يحصى، ولكن حينما يكون الأمر يخصنا، ويعنينا، فإن الأمــور والمــوازين تتغير. وها هو اليوم يعلنها صريحة.. يعلن عن تكتل أوروبي ضد المسلمين، وذلك بإعادة نشر الصور في معظم البلدان الغربية، في موقف شبه موحد..

أقول لست أتحدث عن هذا، ولكنني أناقش، وأنادي، وأسأل أصحاب المبادئ، والعقول، والمخلصين من المثقفين، ومن أصحاب الرأي، والفكر، عن تلك الفئة التي تمارس على فكرنا وصاية، وتحكماً، بل وتمارس اضطهاداً قسرياً علينا، وعلى أجيالنا، في محاولة سمجة للدفاع عن مواقف الغرب حول قضايانا، وثقافتنا، ومعتقدنا..

أتحدث عن أولئك الذين ضجوا، وناحوا، وصاحوا في الصحافة، والإذاعات، عندما حُطِّم صنم في أفغانستان، وطلبوا من الصغير، والكبير، أن يقف بخضوع، واعتذار، وانحناء، أمام تلك الحادثة..!!

وعندما يهاجَم مُحطمُ الأصنام الحجرية، والبشرية، ومُخّلص الإنسان من الأوثان، وعبادة الأوثان، الذي أخرج البدو من بيوت الشعر، ليعمروا الأرض بالجمال، والسلام.. عندما يشتم نبي أكثر من مليار مسلم، نراهم يلوذون بالصمت، ويغلقون أفواههم، ويصمون آذانهم، ويوارون أقلامهم، وهم أكثر الناس حديثاً عن الحرية، وحقوق الإنسان، بل وحقوق الحيوان..!! ولو افترضنا جدلاً، أن هؤلاء لا يؤمنون بمحمد، ولا بإله محمد، فلا أقل من الدفاع عنه من منظور ثقافي، فهو رمز ثقافة هذه الأمة، وهو معلمها الأول..

أذكر أن معظم هؤلاء رثوا الراهبة ماما «تريزا» وذرفوا عليها الدموع عند وفاتها، واعطوها من التبجيل، والتقدير، والتهويل، والتعظيم، ما لا ينطبق على بشر، ولا غضاضة في بكائهم، غير أني لا أعتقد أن ذلك كان عن قناعة بقدر ما كان إرضاءً لشهوة التمجيد لكل ما هو غربي..

لقد مجدوا سلمان رشدي، ودافعوا عنه باسم حرية التعبير، متجاهلين ما أثاره في قلوب ملايين الناس من حرقة، وألم، وكأن أولئك المسلمين لا مشاعر لهم، ولا أحاسيس لهم، بل وكأنهم كائنات نجسة يجب قمعها، وإذلالها.. ثم هللوا له عندما استقبله البيت الأبيض مكافأة له على قهر هذه الأمة وتكبيتها..

ورجموا المفكر، والفيلسوف روجيه جارودي بحجارة الحقد، ورموه بكل أنواع السباب، والشتائم، والصقوا به أوسخ التهم، ووقفوا إلى جانب أولئك الذين حكموا عليه، وقادوه إلى السجن، وهو في التسعين من عمره، لمجرد أنه تساءل عن صحة رقم محرقة «الهولوكوست»، مستنداً إلى وثائق، وكتب، وجرائد، ومجلات رسمية، وإحصائيات موثقة، إبان الحرب الثانية، تشير إلى أن عدد اليهود في أوروبا كلها كان لا يتجاوز الثلاثة ملايين.. فكيف يكون عدد المحروقين ستة ملايين..؟

بل لقد «زغرد» احدهم لفرنسا في زاويته «المتصهينة»، لأنها منعت المرحوم المفكر المسلم أحمد ديدات من دخولها.. كل هؤلاء لم يحركوا بنت شفة عندما شتم رئيس وزراء ايطاليا الإسلام، ودعا إلى حرب صليبية تنور المسلمين.. بينما لم يندد أحد من أولئك بمذابح شارون، ولا بقتل محمد الدرة، والشيخ أحمد ياسين، ولا الرنتيسي، أو ياسر عرفات.. لم يكتب من أولئك واحد منددا بالمعتقلات الأمريكية في غوانتانامو، ولا في أوروبا، أو أبو غريب..

لم يستنكر واحد منهم عملية حرق ومحو الثقافة العربية، وتدميرها، بكراهية، وحقد، على يد الجيش الأمريكي في بغداد. ورأيناهم في بداية غزو العراق، يجادلون بصفاقة حول استحالة سقوط طائرة «اباتشي» أمريكية برصاصة بندقية «بيرنو» قديمة، اطلقها فلاح عراقي!! أو يتندرون في مقالات طويلة، عريضة، على كلمة «علوج»، التي استعملها الصحاف، بينما بغداد تعتلجها الطائرات، والقنابل الجهنمية الملعونة، وكانوا بذلك يمارسون اتفه أنواع السفاهة، واحتقار عقل المثقف العربي وكرامته. بل نجد أنهم أمام تلك المشاهد، والجرائم البشعة، يدعون إلى الحوار مع الآخر، والتسامح، ونبذ العنف – المقاومة – ، بينما تاريخ الغرب يشهد أنه ما كان متسامحاً معنا ولو للحظة واحدة. فمنذ ما يقارب المائتي عام – إذا تجاوزنا محاكم التفتيش، والحروب الصليبية – وأرضنا، وشعوبنا، لم تنج يوماً واحداً من احتلال، أو ذبح، ويكفي أن بلداً عربياً واحداً أبيد من شعبه قرابة المليون ونصف المليون، في سبيل تحرير نفسه. ولا تزال طائرات الغرب، ودباباته، تصب حممها، ونيرانها على أطفالنا، وبيوتنا في العراق، وفلسطين، في الوقت الذي لا تزال طائرات الغرب، وسفنه، وسياراته، وقطاراته، ومكائن كهربائه، ومدافئ بيوته، تعمل بالنفط العربي..

أعتقد أنه طفح الكيل، وآن الأوان، لكي نواجه هذه الطغمة البذيئة التي تقف جنباً إلى جنب، مع أعداء هذه الأمة، كخصم لدود لطموحاتنا، وبناء أنفسنا، واستقلالنا، بل نراها تتطاول مع المتطاولين على لغتنا، وقوميتنا، وهويتنا، وديننا..! كل ذلك إرضاءً لنزوة العشق، والمظهر الشكلاني للثقافة الأمريكية، الامبريالية، الشوفينية، ذات البعد الواحد..

ويح هذه الأمة ألف مرة، ليس من أعدائها ولكن من أبنائها أو ممن ينتمون إلى ثقافتها وينسبون إلى جلدتها..!!

؟ وبعد: فلا بد لكل قارئ شريف، ومثقف شريف، أن يعي خطرهم، وأن يقف متوجساً، ومرتاباً، وحذراً، أمام كل طروحاتهم المغلة، الكارهة.. فوالله إنه ليشفي صدورهم، أن تتحطم هذه الأمة، وتحترق هذه الأوطان، وتنهدّ على رؤوس أهلها، حكاماً، وشعوباً..! فهل نحن متنبهون..؟!

========================

تحبونهم ولا يحبونكم

الكاتب: محمد جلال القصاص

حادث سبِّ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الصحف الأوروبية ، ومن قبل امتهان أوراق القرآن الكريم ، والتعدي على المصحف ، وغير هذا مما يحدث من (أهل الكتاب) في واقعنا المعاصر ، وما حدث منهم على مر التاريخ ، حين دخلوا بيت المقدس وسفكوا فيه دم مائة ألف من النساء والأطفال ومن وضعوا السلاح حتى صار الدم بِرِكٌ تسبح فيها الخيل ، وما حدث في البوسنة والهرسك في العقد الماضي ، وما حدث في العراق من قصف ملاجئ الآمنين وطوابير المُنسحبين وحصارٍ دامَ لسنين ، وما حدث في الصومال من تجويع وتخريب ، وما حدث في أفغانستان ... كل هذا ــ وغيره ــ أمارات بينة على أن دعوى المحبة عند القوم كاذبة .

يدعي النصارى أن النصرانية دين محبة ، ويرددون نصا من الإنجيل (حبوا أعدائكم ، باركوا لاعنيكم ، صلوا من أجل الذين يسيئون إليكم) .
ويتكلم النصارى أن قلوبهم تفيض حبا وشفقة على الغير ، وأن المسيح ما جاء إلا للفداء ، وأنه جاء ليلقي سلاما على الأرض .
وكله كذب .
أين هذا على أرض الواقع ؟ بل أين هذا في كتابهم (المقدس) ؟
نحن لا نتكلم عن مسابّة بين شخصين من عوام الناس ، بل تهكم على أغلى ما عند المسلمين ــ النبي والقرآن ــــ ، وبأسلوب يُستقبح من السفهاء وعوام الناس فما بالك بالمفكرين وأرباب الإعلام ؟
ونحن لا نتكلم عن حادث فردي حدث مرة أو مرتين ، وإنما عادة للقوم تتكرر في كل مكان وزمان حين يكون لأهل الصليب شوكة .
الحدث ليس فرديا .. فصحيفة نشرت . . وجمهور قرأ و لم ينكر . . ومثقفون لم يعتذروا أو يتبرؤوا . . و (رجال دين) سكتوا سكوت المقر الراضي بالحدث . . وحكومة سيق إليها كل عزيـــز كـــي تعتذر و لم تعتذر . و لم تر في الأمر شيئا . !!
وقل مثل هذا على باقي الأحداث التي تحدث هنا وهناك ، والتي حدثت بالأمس ، والتي تحدث اليوم .
فأين المحبة يا أدعياء المحبة ؟!
إن الحقيقة التي لا مراء فيها أن دين النصرانية دين لا يعرف أدبا مع المخـــالف . . أي أدب .. . وأن دين النصارى دين إرهاب هذا ما تقوله نصوص كتابهم المقدس في (العهد الجديد) و(العهد القديم) .. وهذا ما يحدث على أرض الواقع بتمامه .وأنقل لك ــــ أخي القارئ ــــ بعض ما يقوله كتابهم لتعرف كيف يتطابق مع الواقع ، وأن القوم في سفاهتهم وبطشهم ينطلقون من منطلق عقدي ديـــني وليس تصرفات فردية كما يخدعون عوام الناس .
جاء على لسان المسيح ـــ كما يزعمون ـــ (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض.ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) (متى : ١٠: ٣٤)
وجاء في سفر حزقيال [٩ : ٥ ــ ٧]على لسان (الرب) :
" اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ خَلْفَهُ وَاقْتُلُوا. لاَ تَتَرَأَّفْ عُيُونُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. أَهْلِكُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَـــذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ. وَلَكِنْ لاَ تَقْرَبُوا مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ قُدْسِي. فَابْتَدَأُوا يُهْلِكُـــونَ الرِّجَالَ وَالشُّيُوخَ الْمَوْجُودِينَ أَمَامَ الْهَيْكَلِ. وَقَالَ لَهُمْ : نَجِّسُوا الْهَيْكَلَ وَامْلَأُوا سَاحَاتِهِ بِالْقَتْلَى، ثُـــمَّ اخْرُجُوا. فَانْدَفَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَرَعُوا يَقْتُلُون "
أليس هذا ما حدث في بيت المقدس حين دخله الصليبيون أول مرة ؟؟!!
و(الكتاب المقدس) هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بقتل الأطفال ؟
جاء في سفر العدد (٣١: ١ـــ ١٨)

" وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : انْتَقِمْ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَعْدَهَا تَمُوتُ وَتَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ . فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: جَهِّزُوا مِنْكُمْ رِجَالاً مُجَنَّدِينَ لِمُحَارَبَةِ الْمِدْيَانِيِّينَ وَالانْتِقَامِ لِلرَّبِّ مِنْهُمْ . فَحَــارَبُوا الْمِدْيَانِيِّينَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ؛ وَقَتَلُوا مَعَهُمْ مُلُوكَهُمُ الْخَمْسَةَ: أَوِيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ، كَمَا قَتَلُوا بَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ بحَدِّ السَّيْفِ. وَأَسَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ الْمِدْيَانِيِّينَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَغَنِمُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَسَائِرَ أَمْلاَكِهِمْ، وَأَحْرَقُوا مُدُنَهُمْ كُلَّهَا بِمَسَاكِنِهَا وَحُصُونِهَا ، وَاسْــتَوْلَوْا عَلَى كُلِّ الْغَنَائِمِ وَالأَسْلاَبِ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ، . . . . فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ وَكُلُّ قَادَةِ إِسْرَائِيلَ لاِسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمُخَيَّمِ ، فَأَبْدَى مُوسَى سَخَطَهُ عَلَى قَادَةِ الْجَيْشِ مِنْ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنَ الْحَرْبِ، وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا اسْتَحْيَيْتُمُ النِّسَاءَ؟ إِنَّهُنَّ بِاتِّبَاعِهِنَّ نَصِيحَةَ بَلْعَامَ أَغْوَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِعِبَادَةِ فَغُورَ، وَكُنَّ سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ، فَتَفَشَّى الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. فَالآنَ اقْتُلُوا كُــلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ، وَاقْتُلُوا أَيْضاً كُلَّ امْرَأَةٍ ضَاجَعَتْ رَجُلاً، وَلَكِنِ اسْتَحْيُوا لَكُمْ كُلَّ عَذْرَاءَ لَمْ تُضَاجِعْ رَجُلاً))

وجاء في سفر إشعيا [١٣ : ١٦] يقول (الرب)

((وتحطم أطفالهم أمام عيوهم وتنهب بيوهم وتفضح نساؤهم))

أليس هذا بتمامه ما شاهدناه في البوسنة والهرسك .

واسمع إلى إله الكتاب المقدس وهو يأمر بحرب أبادية كاملة

" أما مُدُنُ الشُّعُوب الَّتِي يَهَبُهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ مِيرَاثاً فَلاَ تَسْتَبْقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمِّرُوهَا عَنْ بِكْرَةِ أَبِيهَا، كَمُدُنِ الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكُمُ الرَّبُّ " جاء في سفر التثنية (٢٠ : ١٦) إلهكم "

وغير هذا كثير . أمسكت عنه لضيق المقام وهو معروف مشهور للمتخصصين ، فمن شاء رجع إليه .

والمقصود أن هذا هو الوجه الحقيقي للنصرانية ، أنها لا تحب أحدا ، وأنها لا تحمل وقارا (للآخر) ، وليس عندها إلا القتل والسفك إن قدرت . هذا ما يقوله التاريخ ، وما ينطق به الواقــع في (أبــو غريب) و(جوانتنامو) و(قلعة حاجي) في أفغانستان وغيرهم . وصدق الله العظيم " (كَيْــفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَــرُهُمْ فَاسِــقُونَ) (التوبة : ٨) .

وأين هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ للجيش حين يغزوا ((انطلقوا باسْمِ الله وَبالله وَعَلَى مِلّةِ رَسُولِ الله، وَلا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانياً وَلاَ طِفْلاً وَلا صَغيراً وَلا امْــرَأةً، وَلا تَغُلّــوا وَضُــمّوا غَنَائِمَكُم وَأَصْلِحُوا وَأَحْسنُوا إنّ الله يُحِبّ الْمُحْسنينَ)) [زيادة الجامع الصغير– للإمام السيوطي]

وقوله عليه الصلاة والسلام : ((سِيُروا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ. وَلاَ تَمْثُلُــوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً)) . [رواه ابن ماجه]]

نعم عندنا الولاء والبراء ، ونعم " (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة : ٢٢)

ولكن الكره والسيف عندنا لمن حاد الله ورسوله ... لمن كفر وحمل الناس على الكفر ، لمن ضل وأضل وأبى إلا ذلك بعد بذل كل سبل الحسنى له .

السيف عندنا لمن حمل في وجهنا السيف ، أما من وضعه وأغلق عليه باب داره فلا حاجة لنا فيه .

السيف عندنا بعيد كل البعد عن النساء والأطفال ومن ليس من أهل القتال .

لا نفعل بالنساء والأطفال والضعاف ما فعله القوم في بيت المقدس وما فعلوه في فلسطين والعراق والشيشان والبوسنة والهرسك وأفغانستان كما أمرهم كتابهم (المقدس) . بل عندنا : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة : ٨) .

وليس في شرعنا ولا في تاريخنا ولا في واقعنا المعاصر أننا سببنا نبيا أو رسولا ، أو استهزءنا بعقيدة ما وإن كنا نقر بأنها محرفه .

فأينا المحب للخير ؟

وأينا المؤدب ؟

تحت ستار حرية الرأي ..

نشرت مجلة الدعوة في ١٤٢٦/١٢/٢٦هـ :

....

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) سورة المائدة}

وفي ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٤٢٢)

إنها صورة كاملة السمات ، ناطقة بدخائل النفوس ، وشواهد الملامح ، تسجل المشاعر الباطنة ، والانفعالات الظاهرة ، والحركة الذاهبة الآيبة . وتسجل بذلك كله نموذجاً بشرياً مكروراً في كل زمان وفي كل مكان . ونستعرضها اليوم وغدا فيمن حول الجماعة المسلمة من أعداء . يتظاهرون للمسلمين - في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم - بالمودة . فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة . وينخدع

المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال ، ولا يقصرون في إعنات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم ، والكيد لهم والدس ، ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار .
وما من شك أن هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم هذا الرسم العجيب ، كانت تنطبق ابتداء على أهل الكتاب المجاورين للمسلمين في المدينة؛ وترسم صورة قوية للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين ، وللشر المبيت ، وللنوايا السيئة التي تجيش في صدورهم؛ في الوقت الذي كان بعض المسلمين ما يزال مخدوعاً في أعداء الله هؤلاء ، وما يزال يفضي إليهم بالمودة ، وما يزال يأمنهم على أسرار الجماعة المسلمة؛ ويتخذ منهم بطانة وأصحاباً وأصدقاء ، لا يخشى مغبة الإفضاء إليهم بدخائل الأسرار .
. فجاء هذا التنوير ، وهذا التحذير ، يبصر الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر ، ويوعيها لكيد أعدائها الطبيعيين ، الذين لا يخلصون لها أبداً ، ولا تغسل أحقادهم مودة من المسلمين وصحبة . ولم يجيء هذا التنوير وهذا التحذير ليكون مقصوراً على فترة تاريخية معينة ، فهو حقيقة دائمة ، تواجه واقعاً دائماً . . كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينا من حاضر مكشوف مشهود . .
والمسلمون في غفلة عن أمر ربهم : ألا يتخذوا بطانة من دونهم . بطانة من ناس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوسيلة . وألا يجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة . . المسلمون في غفلة عن أمر ربهم هذا يتخذون من أمثال هؤلاء مرجعاً في كل أمر ، وكل شأن ، وكل وضع ، وكل نظام ، وكل تصور ، وكل منهج ، وكل طريق!
والمسلمون في غفلة من تحذير الله لهم ، يوادون من حاد الله ورسوله؛ ويفتحون لهم صدورهم وقلوبهم . والله سبحانه يقول للجماعة المسلمة الأولى كما يقول للجماعة المسلمة في أي جيل :
{ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر } . .
والله سبحانه يقول :
{ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ } . .
والله سبحانه يقول :
{ أن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها } . .
ومرة بعد مرة تصفعنا التجارب المرة ، ولكننا لا نفيق . . ومرة بعد مرة نكشف عن المكيدة والمؤامرة تلبس أزياء مختلفة ولكننا لا نعتبر . ومرة بعد مرة تنفلت ألسنتهم فتنم عن أحقادهم التي لا يذهب بها ود يبذله المسلمون ، ولا تغلسها سماحة يعلمها لهم الدين . . ومع ذلك نعود ، فنفتح لهم قلوبنا ونتخذ منهم رفقاء في الحياة والطريق! . . وتبلغ بنا المجاملة ، أو تبلغ بنا الهزيمة الروحية أن نجاملهم في عقيدتنا فنتحاشى ذكرها ، وفي منهج حياتنا فلا نقيمه على أساس الإسلام ، وفي تزوير تاريخنا وطمس معالمه كي نتقي فيه ذكر أي صدام كان بين أسلافنا وهؤلاء الأعداء المتربصين! ومن ثم يحل

علينا جزاء المخالفين عن أمر الله . ومن هنا نذل ونضعف ونستخذي . ومن هنا نلقى العنت الـذي يوده أعداؤنا لنا ، ونلقى الخبال الذي يدسونه في صفوفنا . .

وها هو ذا كتاب الله يعلمنا - كما علم الجماعة المسلمة الأولى - كيف نتقي كيدهم ، وندفع أذاهم ، وننجو من الشر الذي تكنه صدورهم ، ويفلت على السنتهم منه شواظ :

{ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً . إن الله بما يعملون محيط } . .

فهو الصبر والعزم والصمود أمام قوتهم إن كانوا أقوياء؛ وأمام مكرهم وكيدهم إن سلكوا طريق الوقيعة والخداع . الصبر والتماسك لا الانهيار والتخاذل؛ ولا التنازل عن العقيدة كلها أو بعضها اتقاء لشرهم المتوقع أو كسبا لودهم المدخول . . ثم هو التقوى : الخوف من الله وحده . ومراقبته وحده . هو تقوى الله التي تربط القلوب بالله ، فلا تلتقي مع أحد إلا في منهجه ، ولا تعتصم بحبل إلا حبله . . وحين يتصل القلب بالله فإنه سيحقر كل قوة غير قوته؛ وستشد هذه الرابطة من عزيمته ، فلا يستسلم من قريب ، ولا يواد من حاد الله ورسوله ، طلباً للنجاة أو كسباً للعزة!

هذا هو الطريق : الصبر والتقوى . . التماسك والاعتصام بحبل الله . وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة الله وحدها ، وحققوا منهج الله في حياتهم كلها . . إلا عزوا وانتصروا ، ووقاهم الله كيد أعدائهم ، وكانت كلمتهم هي العليا . وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة أعدائهم الطبيعيين ، الذين يحاربون عقيدتهم ومنهجهم سراً وجهراً ، واستمعوا إلى مشورتهم ، واتخذوا منهم بطانة وأصدقاء وأعواناً وخبراء ومستشارين . . إلا كتب الله عليهم الهزيمة ، ومكن لأعدائهم فيهم ، وأذل رقابهم ، وأذاقهم وبال أمرهم . . والتاريخ كله شاهد على أن كلمة الله خالدة؛ وأن سنة الله نافذة . فمن عمي عن سنة الله المشهودة في الأرض ، فلن ترى عيناه إلا آيات الذلة والإنكسار والهوان . .

بهذا ينتهي هذا الدرس ، وينتهي كذلك المقطع الأول في السورة . وقد وصل السياق إلى ذروة المعركة؛ وقمة المفاصلة الكاملة الشاملة .

ويحسن قبل أن ننهي هذا الدرس أن نقرر حقيقة أخرى ، عن سماحة الإسلام في وجه كل هذا العداء . فهو يأمر المسلمين ألا يتخذوا بطانة من هؤلاء . ولكنه لا يحرضهم على مقابلة الغل والحقد والكراهية والدس والمكر بمثلها . إنما هي مجرد الوقاية للجماعة المسلمة وللصف المسلم ، وللكينونة المسلمة . . مجرد الوقاية ومجرد التنبيه إلى الخطر الذي يحيطها به الآخرون . . أما المسلم فبسماحة الإسلام يتعامل مع الناس جميعا؛ وبنظافة الإسلام يعامل الناس جميعاً؛ وبمحبة الخير الشامل يلقى الناس جميعاً؛ يتقي الكيد ولكنه لا يكيد ، ويحذر الحقد ولكنه لا يحقد . إلا أن يحارب في دينه ، وأن يفتن في عقيدته ، وأن يصد عن سبيل الله ومنهجه . فحينئذ هو مطالب أن يحارب ، وأن يمنع الفتنة ، وأن يزيل العقبات التي تصد الناس عن سبيل الله ، وعن تحقيق منهجه في الحياة . يحارب جهاداً في سبيل الله لا انتقاماً لذاته . وحباً لخير البشر لا حقداً على الذين آذوه . وتحطيماً للحواجز الحائلة دون

إيصال هذا الخير للناس . لا حباً للغلب والاستعلاء والاستغلال . . وإقامة للنظام القويم الذي يستمتع الجميع في ظله بالعدل والسلام . لا لتركيز راية قومية ولا لبناء امبراطورية!

هذه حقيقة تقررها النصوص الكثيرة من القرآن والسنة؛ ويترجمها تاريخ الجماعة المسـلمة الأولى ، وهي تعمل في الأرض وفق هذه النصوص .

إن هذا المنهج خير . وما يصد البشرية عنه إلا أعدى أعداء البشرية . الذين ينبغي لها أن تطاردهم ، حتى تقصيهم عن قيادتها . . وهذا هو الواجب الذي انتدبت له الجماعة المسلمة ، فأدته مرة خير ما يكون الأداء . وهي مدعوة دائماً إلى أدائه ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة . . تحت هذا اللواء . .

=====================

تحت ستار حرية الرأي..

الصحافة الدانماركية تتطاول على سيد المرسلين

* وزراء الخارجية العرب ينتقدون موقف المنظمات الأوروبية المعنية بحقوق الإنسان

* المنظمات الإسلامية في أوروبا تعتزم ملاحقة المجلات في المحاكم الابتدائية والعليا

* رئيس الوزراء الدانماركي يعتبر نشر الرسومات يدخل في نطاق حرية الرأي؟!

تحقيق – محمد الخليل:

لم تقف أزمة الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها إحدى الصحف المتطرفة الدنمركية عند حـدود الدولة الأوروبية فقط، بل تعدتها إلى دول وبلدان مسلمة حول العالم، بسـبب مـا أثارتـه هـذه الرسومات من تجاوز لخطوط حمراء بالنسبة للمسلمين في كل مكان.

وإن كانت الحكومة الدنمركية لم تتخذ حتى الآن موقفاً رسمياً وواضحاً من التشويهات التي حاولـت الصحيفة المحلية إحداثها فيما يتعلق بشخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، فإن العديد مـن الحكومات والقيادات الإسلامية والسياسية في العالم العربي والإسلامي، قررت اتخاذ مواقف حازمة، أمام ما يمكن أن تمثّله هذه السابقة الخطيرة، وما قد تؤسس له في العقلية الغربية.

ففيما يفرض الدين الإسلامي على المسلمين، مبدأ احترام الأنبياء والرسل السماويين، واحترام نبي الله موسى (عليه السلام) نبي قوم بني إسرائيل، والمسيح عيسى (عليه السلام) وأمه مريم (عليها السلام)، تتبارى بعض وسائل الإعلام المتطرفة في تضمين كتاباتها ورسوماتها ومواضيعها، ما يسيء إلى الدين الإسلامي، كدين سماوي، وإلى شخصية الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) كنبي مرسـل من الله تبارك وتعالى.

وفي الدين الإسلامي هناك عقوبات وحدود تمنع أي مسلم من الإساءة إلى أي من أنبياء الله ورسله، بمن فيهم أنبياء اليهود والنصارى، وفي المقابل، نجد بعض الدول الغربية وقد رعت الإساءة إلى الدين الإسلامي، وحرّضت على المساس بمقداساتهم وشرائعهم.

ورغم أن الإساءة الأخيرة للمسلمين لم تكن الأولى، إلا أن الإساءة لمقام الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) تجاوزت كل الخطوط الحمراء.

بدايات الأزمة

بداية الأزمة الحالية أشعلتها صحيفة (يولاندز بوسطن) الدنمركية المحلية، بنشرها مسابقة لاختيار أفضل رسم كاريكاتوري للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ادعت أنها تقع ضمن مـــا يســـمى (بالحريـــة الفكرية).

وبعد وصول أكثر من ٣٠ رسماً، أعلنت الصحيفة أنها رشّحت ١٢ رسماً منها للفوز، وقامت بنشـــر هذه الرسومات على صفحات جرائدها، في أواخر سبتمبر الماضي.

وشكّل نشر صور كاريكاتورية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) صدمة كبيرة في نفوس المسلمين في الدنمراك، ما برحت أن انتقلت إلى جميع المسلمين في العالم.ما مهّد حملة كبيرة من قبل المسلمين، لرد الاعتبار، وإيقاف تلك الصحفية عند حدودها، وإجبارها على الاعتذار (كأقل ما يمكن أن تقدمـــه على هذه الإساءة غير المسبوقة).

وفي أول رد فعل شعبي، خرجت مظاهرات منددة ضد الصحيفة المتطرفة، في الدنمرك، شارك فيها نحو ١٠ آلاف مسلم.بغية إيصال رسالة واضحة، إلى أن لا أحد من المسلمين يرضى بالتطـــاول علـــى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

ردود الأفعال الرسمية

رسمياً، تمثّلت بدايات ردود الأفعال، بالتئام ١١ بعثة لدول عربية وإسلامية في العاصـــمة الدنمركيـــة (كوبنهاغن) سعت إلى لقاء رئيس الحكومة الدنمركي، بعد أن نظّمت لقاء داخلياً تدارسوا فيها مـــا قامت به الصحيفة الدنمركية، وطريقة الرد التي يجب أن تتبناها الدول الإسلامية لمواجهة ذلك.

إلا أن طلب البعثة الدبلوماسية قوبل بالرفض من قبل رئيس الوزراء الدنمركي أندرس فوغ راسموسن.

وجاء رده ليزيد من الاحتقان لدى المسلمين، حيث وصف ما فعلته الصحيفة المحلية بأنه (حرية رأي)، قائلاً في رده على طلب الدول العربية والإسلامية لقاءه: (إن الدانمارك دولة ديمقراطية وتحترم مبـــدأ حرية الرأي، وأن الرسومات تدخل في نطاق حرية الرأي)!!

وجاء في رسالته التي نشرتها الصحف (إن للصحافة مطلق الحرية في إبداء رأيها إزاء مختلف القضـــايا وأن ما حدث لا يخرج عن نطاق حرية الرأي)، ومضى يقول (على المتضرر أن يلجأ للقضاء).

سفيرة مصر بكوبنهاغن أعربت عن استيائها البالغ من موقف الحكومة الدانماركية الـــذي وصـــفته بالسلبي.

وذكرت منى عمر أن البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية كانت اتفقت فيما بينها علـــى تقـــديم طلب رسمي للقاء رئيس الوزراء، لشرح انعكاسات السخرية من النبي صلى الله عليه وسلم ووقعهـــا السيئ على المسلمين.

وأشارت إلى أنه من الضروري أن تستوعب تلك الحكومة أن التوجه المعادي للإسلام والمسلمين الذي يتبناه عدد من السياسيين والإعلاميين، من شأنه أن يقوِّض جهود الحكومة التي تهدف إلى فتح قنوات حوار وتعاون مع الشرق الأوسط.

ولعل رئيس الوزراء الدنمركي قد فوّت على نفسه وعلى بلده فرصة تقليص المشكلة، التي أشعلتها صحيفة (يولاندز بوسطن)، وزاد هو من تأجيجها برفضه لقاء القيادات الدبلوماسية الإسلامية، ما أدى إلى ازدياد نقمة المسلمين على رد الفعل الرسمي.

وخلال الأيام التالية، عقدت منظمة المؤتمر الإسلامي قمة لها في السابع والثامن من شهر ديسمبر الماضي، في مكة المكرمة، تناولت قضية الرسوم الكاريكاتورية.

وقال القائم بالأعمال المصري في كوبنهاغن مهاب نصر مصطفى مهدي، نيابة عن السفير المصري: (أبلغتنا وزارة خارجيتنا أن قضية الرسوم الكاريكاتورية أدرجت على جدول أعمال قمة منظمة المؤتمر الإسلامي الاستثنائية).

واستنكرت المنظمة ما ذهبت إليه الصحيفة الدنمركية من رسومات مسيئة لشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، مقررة اتخاذ إجراءات عملية ضد هذه الإساءة المقصودة.

حيث قالت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في بيان صحافي عقب اجتماعاتها: (إنها قررت مقاطعة تظاهرة ثقافية دنماركية حول الشرق الأوسط) وطلبت من أعضاء المنظمة مقاطعتها.

وأضاف البيان أن الأمانة العامة للمنظمة بعثت مذكرة إلى المركز الدنمركي تشير فيها إلى أن (نشر تلك الصور أساء إلى مئات الملايين من المسلمين عبر العالم كما أن تعامل السلطات الدنمركية مع هذا الحدث زاد في مشاعر السخط والغضب في العالم الإسلامي).

وتابع إن (تعمد نشر تلك الصور عمل قصد به المس بمشاعر المسلمين واستثارتها ولا يمكن اعتباره عملاً بريئاً يدخل في نطاق حرية التعبير التي يؤمن بها الجميع).

وأكد البيان أن المنظمة (طلبت من جميع دولها الأعضاء ومؤسساتها الثقافية مقاطعة أنشطة المشروع الثقافي الدنمركي المذكور تعبيراً عن احتجاجها على هذا التصرف غير اللائق).

كما عبّر وزراء الخارجية العرب خلال اجتماعهم الذي أعقب تأجيج الأزمة بين المسلمين والدنمرك، عن (دهشتهم واستنكارهم لرد فعل الحكومة الدنمركية الذي لم يكن على المستوى المطلوب رغم ما يربطها من علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية مع العالم الإسلامي).

وشدد الوزراء على أن الرسوم الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة (جيلاندز بوستن) اليومية مسيئة للدين الإسلامي.وفق ما جاء في تصريح لوزراء الخارجية.

وانتقد الوزراء أيضاً موقف المنظمات الأوروبية المعنية بالدفاع عن حقوق الإنسان، مشيرين إلى أنها لم تتخذ موقفا واضحاً في هذه القضية التي أثارت غضب ملايين المسلمين.

وأدان بيان منفصل آخر، صدر عقب الاجتماع بشدة هذه الإساءة، مؤكداً أنها (تتنافى مع احترام وقدسية الأديان والرسل ومع قيم الإسلام السامية)•

كما قرر الوزراء تكليف الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى والأمين العـــام لمنظمـــة المـــؤتمر الإسلامي أكمل الدين إحسان أوغلو بمتابعة القضية.

تحركات شعبية ورسمية

أمام جمود الموقف الرسمي الدنمركي، وتجاهل الصحيفة الدنمركية الأزمة التي أشـــعلتها بـــين بلـــدها والمسلمين في كل مكان، قررت العديد من الفعاليات الأهلية والرسمية الإسلامية، اتخاذ مواقف أكثر صرامة من التنديد والتهديد، وذلك برفع شكاوى قضائية ضد الصحيفة المتطرفة.

وقد بدأت أولى التحركات القضائية، بدعوة قدمتها ١١ مؤسسة إسلامية في أكتـــوبر ٢٠٠٥م، إلى محكمة محلية بمدينة (فيبورج)، كونها الأقرب لمكان المنظمات الإسلامية.إلا أن هذه الخطوة لم تلـــق قبولاً من قبل المدعي العام المحلي.الذي اعتبر أن هذه الإساءة ليست من اختصـــاص المحكمـــة، وأن الدستور لا يجرّم مثل هذه التصرفات!!

وقال بيتير يورنسون (المدعي العام بفيبورج): (إن كلا من نص وروح المادة التي تجرم عدم احتـــرام المقدسات بالقانون الدانمركي لا يصلحان للاستخدام ضد الصحيفة).

ورغم أن هذه القضية كانت ستكون حديث الحكومة والمحاكم لو أنها وجّهـــت إلى اليهـــود، إلا أن الأقلية المسلمة في الدنمرك قررت مواصلة تحركها، حيث قرر ممثلو الأقلية هناك؛ رفع دعوى قضـــائية أمام أعلى جهات الادعاء بالبلاد ضد صحيفة (ييلاندز بوستن) لنشرها الرسوم الكاريكاتورية.

وكشف قادة الأقلية المسلمة عن اعتزامهم تصعيد القضية على المستوى القاري أمام لجنـــة حقـــوق الإنسان بالاتحاد الأوروبي، إذا لم تؤت دعاواهم داخل الدانمرك ثمارها.

كما أكدت أسماء عبد الحميد (ممثلة المنظمات الإسلامية بالدنمرك) اعتزام المؤسسات الإسلامية رفـــع الأمر إلى النائب العام لعموم المملكة، موضحة أنه (ربما يكون له رأي آخر في القضية).

ويتيح القانون الدانمركي الشكوى للنائب العام بالمملكة، كفرصة أخيرة لقبول القضية.

تحركات عربية

و لم تقف التحركات القضائية عند هذا الحد، حيث أعلنت جهات دينية واقتصادية في المملكة العربية السعودية، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٠٦م، عزمها مقاضاة الصحيفة الدنمركية في المحاكم الدولية.

حيث أعلن رجل الأعمال حسن آل مهدي (المالك والرئيس التنفيذي لمجموعة آل مهدي القابضة)، والمهندس سليمان البطحي (المتحدث الرسمي باسم اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء) عن تشكيل لجنة مشتركة باسم (اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء) تشمل كافة الدول الأوروبية، لتنســـيق الجهـــود المشتركة، بهدف البدء باتخاذ إجراءات تنفيذية لمقاضاة الصحيفة الدنمركية الـــتي نشـــرت رســـوماً كاريكاتورية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

ومن المقرر أن يعقد الجانبان لقاءات قادمة، للبدء بالخطوات التنفيذية لمقاضاة الصحيفة الدنماركية.

وقال رجل الأعمال السعودي حسن آل مهدي: (إنه سيقدم دعمه المادي غير المحـــدود، مســـاندة للقضية التي باشر برفعها المهندس سليمان البطحي ضد الصحيفة الدنماركية التي أساءت للنبي).

وأضاف: (سيتم التنسيق بينه وبين البطحي لمتابعة الإجراءات والاستمرار في الدعوى القضائية).

كما أعلن الأزهر الشريف يوم السبت ١٠ ديسمبر الماضي، أنه سيتوجه إلى الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان لتصعيد قضية نشر صحيفة دانماركية رسوماً كاريكاتيرية تسيء للرسول صلى الله عليه وسلم، معتبراً ذلك (ازدراء واضحاً للمسلمين).

وقال مجمع البحوث الإسلامية في بيان له: (إن الأزهر يعتزم التوجه برفضه لما حدث من إساءة للرسول إلى اللجان المختصة بالأمم المتحدة وإلى منظمات حقوق الإنسان في كل مكان؛ دفاعاً عن حقوق الأفراد والشعوب، وحماية للتعددية الثقافية وما تتطلبه من احترام ثقافة الآخرين، والامتناع عن الترويج لثقافة الكراهية والازدراء بأولئك الآخرين).

تعاقب ردود الأفعال

رغم التحركات الأخيرة التي قد تؤدي إلى إدانة وتجريم الصحيفة الدنماركية، إلا أن العديد من الفعاليات الدينية في العالم الإسلامي والعربي، حملت على عاتقها لواء الدفاع عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم).

حيث أوضح الشيخ رائد خليل (رئيس لجنة الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدنمارك) أنه تم تنظيم تجمع يضم ٤٠ مؤسسة ومسجدا لصد الحملات المستمرة ضد الإسلام والمسلمين، وخاصة ما نشرته الصحيفة الدنماركية المتطرفة.

كما كشف الدكتور محمد بشاري (رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا) عن توجه الاتحاد لطلب (فرض مقاطعة اقتصادية بل وجوية على الدول التي تصدر عنها تطاولات بحجم التهجم على سيد البشر).

وطالب بشاري بتحري النهج الأوروبي والأمريكي في التعامل مع القضايا الكبرى وفق إستراتيجية أساسية تصل إلى حد حظر دخول المنتجات.

وبيّن بشاري أنه في ضوء الفراغ القضائي الدنماركي وفي ظل (مزاعم حرية الفكر والصحافة) انتشرت حملات التطاول على المسلمين حتى وصلت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) و (إزكاء الفتن بين الجاليات المسلمة والدول الأوروبية)، الأمر الذي يستلزم، بحسب بشاري، (تحركاً فاعلاً يتجاوز أشكال المناشدة والمطالبة، بل والإدانة).

جمعية السنّة تستنكر الواقعة

ومن جهتها، أصدرت الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها بتاريخ ٢١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ، بياناً قالت فيه: (إن الجمعية العلمية السعودية تستنكر غاية الاستنكار وتأسف أشد الأسف لما صدر في بعض الصحف الدنماركية والنرويجية من الاستخفاف بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووضعه موضع السخرية والاستهزاء).

ودعت الجمعية العقلاء والمنصفين في أقطار العالم إلى وقف هذه الممارسات الخطيرة، واتخاذ التدابير الواقية حتى لا يكون أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام محلاً لمثل هذه التجاوزات الخطيرة.

وأضاف البيان: (نذكر العالم أجمع بأن هذا النبي بعثه ربه سبحانه وتعالى رحمة للعالمين أجمعين وشاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ ونصح وأدى، فبسط الله به العدل والأمن والإحسان، وأقام به الحق وأخرج به العباد من الظلمات إلى النور، وختم برسالته رسالات إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومنهم أولو العزم من الرسل (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى).

ومضى البيان إلى القول: إن الجمعية لتستنكر ذلك، أداء لواجب النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وقياما ببعض حقه صلى الله عليه وسلم على أمته وتعبيراً عن مشاعر الإساءة لدى كل مؤمن ومؤمنة تجاه هذه الجريمة المنكرة في حق نبيهم صلى الله عليه وسلم، الذي يحبونه أشد من محبتهم لأولادهم ووالديهم والناس أجمعين، بل أشد من محبتهم لأنفسهم•.إذ إن المسلمين في أقطار الأرض آذهم هذه التصرفات والرسومات البشعة التي خالفت بها هذه الصحف المواثيق والعهود الدولية التي ضمنت احترام دين الإسلام وكتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم.

كما دعت الجمعية المسلمين، وفي مقدمتهم ولاة الأمر والعلماء والمثقفون والإعلاميون والساسة، إلى الوقوف ضد هذه الإهانة لنبي الأمة صلى الله عليه وسلم بما تبرأ به الذمة أمام الله تعالى، كل بحسب استطاعته وفق الأصول الشرعية مع التزام العدل والحكمة.

ودعت الجمعية كذلك الحكومتين الدانماركية والنرويجية إلى اتخاذ الإجراءات التي تكفل المحافظة على ما تضمنته العهود والمواثيق الدولية من احترام دين الإسلام، وكتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى معاقبة من تسبب في هذه الإساءة لشناعتها، وخطورة تداعياتها والاعتذار الصريح في وسائل الإعلام عما صدر في حق النبي صلى الله عليه وسلم.

إلى أين يمكن أن تذهب المشكلة بالمسلمين؟

أعلنت عدة مصادر رسمية وأهلية من أن تساهم هذه الأزمة الأخيرة، في إحداث انقسامات داخل المجتمعات الأوروبية، وتزيد من إحساس المسلمين هناك وفي بقية الدول، بالظلم والتحيّز الغربي ضدهم.

وتساءلت عدة وسائل إعلام عربية وإسلامية (ماذا كان سيحدث لو أن صحيفة أوروبية نشرت صوراً مسيئة بهذا القدر لليهودية)، مؤكدة أن الحكومات الغربية كانت ستتدخّل بقوة، بحجة ما يطلق عليه اسم (معاداة السامية).

واعتبر المحللون أن المساس بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يترله المسلمون مترلاً عظيماً في نفوسهم، لا يمكن تفسيره على أنه حرية رأي، (كيف يمكن فهم أن تقوم الحكومة الدانماركية الساعية لبناء حوار حضارات بينها وبين الدول الإسلامية بتحقير المسلمين بالنيل من رسولهم؟).

وحذر المراقبون من أن المساس بالرسول الكريم له انعكاسات سيئة من ناحيتين الأولى على الصعيد الداخلي في تحقيق الاندماج الحقيقي للمسلمين بالمجتمع الدانماركي، حيث تسعى الحكومة إلى إيجاد

أجواء تهيئ لدمج المسلمين للتخلص من العنف والتقليل من نسبة الجرائم، ومن ناحية أخرى فهو يحمل إهانة لكل المسلمين.

ويأمل المسلمون في الدانمارك أن تصادق الحكومة على قانون يمنع الإساءة إلى الأديان السماوية والمقدسات الدينية، أسوة بالقوانين التي تمنع الإساءة إلى السامية والملكة والدستور الدانماركيين.

وأوضح الدكتور محمد فؤاد البرازي (رئيس الرابطة الإسلامية بالدانمارك) أن الجالية الإسلامية سعت عبر وسائل سلمية للتعبير عن رفضها المساس بالمقدسات الإسلامية، وذلك بتنظيم مظاهرة شارك فيها نحو عشرة آلاف متظاهر يوم الجمعة الماضي.

==========================

تعليقاً على الدراسة التي أدانت أداء الحكومة الدانمركية

الكاتب: د. الشريف حاتم بن عارف العوني

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اعتاد المسلمون في العالم الإسلامي أن يصفهم الغربيّون ببعض الأوصاف، واعتاد المسلمون أن لا يُصغي الغربُ إلى دفاعهم عن أنفسهم، واعتادوا أخيراً أن يخرجوا من (حوار الصُّمِّ) هذا بمقدار أكبر من الشعور بالكراهية لهذا العالم المتغطرس، كما اعتاد الغرب أن يخرج بمقدار أكبر من الشعور بالاستخفاف بذلك العالم المتخلّف.

ومن بين تلك الأوصاف التي يكررها الغرب في وصفه للمسلمين: أنهم أمّةٌ منغلقةٌ، لا قدرة لديها على التواصل الحضاري ، من خلال الحوار والتبادل الثقافي والفكري والفني، وغيرها من وسائل التواصل الإنسانيّة .

ولن أحاول الدفاع عن المسلمين هذه المرّة، لكي لا أكرّر (حوار الصُّمِّ) الذي اعتدناه، ولن أقول إن التبادل الثقافي والفكري.. (إلى آخره) إنما يحصل بين أمّتين تعترفان بأن لدى الأخرى منهما ما يُكْمِلُ بناء حضارتها، أمّا أن يقع من أمّة ترى أنها مستغنية عن كل ما لدى الأمّة الأخرى ، فهو لن يكون تبادلاً إلا من جهةٍ واحدةٍ ، وحينها لا يكون تبادلاً، وإنّما يكون فرضَ قيمٍ وحضارة على قيمٍ وحضارة أخرى .

سأترك هذا الخطاب هذه المرّة جانباً ، ولن أعرّج عليه بغير هذه الإلماحة؛ لأني سأخطو خطوةً إلى الأمام ، وسآخذ بزمام المبادرة ، منتظراً من عقلاء الغرب أن يقدِّروا هذه الخطوة، ليتقدّموا إلينا بخطوة أخرى، عسى أن تتقارب وجهات النظر بيننا!

ذلك أنني سوف اعترف اعترافاً جديداً، بصفتي مسلماً من المسلمين، أُبيّنُ فيه تقصيري في فهم حقيقةِ إحدى القيم الغربيّة بكامل أبعادها، وهي قيمةُ (حرية التعبير). ولاشك أن هذا التقصير الذي أعترف به على نفسي ، وأحسبه يعمُّ كثيراً من المسلمين غيري= نقصٌ وعيبٌ فيمن أراد محاورة الغرب ؛ لأنه

لن يستطيع فهم مُحَاوِرِهِ الفهمَ الكاملَ مع نقص تصوّره عن قيمةٍ ربما كانت سبب الاختلاف بينهما في بعض الأحيان.

وفي أزمة الرسوم المسيئة التي نشرتها صحيفة يولاند بوسطن الدانمركية، وآزرتها فيها الحكومة الدانمركيّة، اكتشفتُ قصوراً لديّ في فهم قيمة (حرية التعبير) لدى الغرب، وهي القيمة التي لم أكن غافلاً تماماً عن مكانتها في الثقافة الغربيّة؛ لكني لم أكن أتصورّها بكل معانيها لديهم.

فقد فهمتُ من تلك الأزمة أن حرية التعبير لدى الغرب تفوق في قداستها قداسة الأمر الديني (أو هكذا يقول بعضهم) ، وأنّهم مستعدّون لأجل هذه القداسة أن يؤذوا مشاعر المسلمين جميعهم؛ ليُثبتوا للعالم وللمسلمين مقدار قداسة حرية التعبير عندهم.

وبذلك ازداد فهمي وضوحاً لمقدار التفاوت الكبير لرؤية المسلمين إلى حرية التعبير ولرؤية الغربيين إليها : حيث إن المسلمين يجعلون حرية التعبير قيمةً مقدّسة (مكفولة للمسلم) ما لم تَعْتَدِ على المقدّس الديني؛ لأنهم يرون مفسدة التطاول على المقدّس الديني، تفوق مصلحة حرية التعبير. وأمّا الغرب فيقدِّمُ حرية التعبير على المقدّس الديني، ولكنه لا يقدّمها على مَصَالِحِه الكبرى وعلى ما يُخلّ بأمنه القومي .

هاتان فائدتان استفدتهما من أزمة الرسوم المسيئة!!

كما أني خرجتُ من هذه الأزمة بألمٍ لا يُنسى وجُرح لن يبرأ من التطاول على مقام أحبّ مخلوق لديّ وأعظم إنسان في اعتقادي الجازم : ألا وهو حبيبي رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فها هو اعترافي بهذه الحقيقة ، بعد أزمة الرسوم المسيئة.

وبعد أن صدرت الدراسة الرسميّة في الدانمرك ، التي أدانت الحكومة الدانمركية على سوء إدارتها للأزمة، وأنه " كان من واجب رئيس الوزراء أن يتحاور مع سفراء الدول الإسلاميّة " كما جاء في نصّ الدراسة؛ نريد أن نعرف بعد ذلك: من هو الذي كان منغلقاً فاقداً لسُبُلِ الاتصال الإنسانية من الحوار والتبادل والثقافي...؟!

أحسب أن الاعتراف التالي يجب أن يخرج من الحكومة الدانمركية ، والتي تمثّلُ أكثر الحكومات الغربيّة: فينبغي أن تعترف بأنها حكومةٌ منغلقة عن الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى، وإلّا لما رفضت مجرّد إجراء حوار عالي المستوى مع سفراء الدول الإسلاميّة، وهو الأمر الذي أخذته الدراسة الرسميّة لهذه الحكومة نفسها على أداء الحكومة ورئيس وزرائها كما سبق.

وهذا الموقفُ والاعترافُ المنتظر قد يعينُ على بداية انفتاح الأذهان لمسائل عديدة، منها مراجعة كثيرٍ من الأوصاف التي اعتاد الغربيون وصفَ المسلمين بها، والتي اعتادوا أن لا يُلقوا بالاً لدفاع المسلمين عن أنفسهم حيالها، التي قدّمتُ بها هذا المقال؛ لأن الانغلاق وعدم الحوار وعدم قبول التبادل الثقافي وعدم فهم الآخر...(إلى آخره) كانت تُهَماً و أوصافاً لا تكاد تفارق تصوّر كثير من الغربيين عن المسلمين، فإذا بهذه الأزمة تُظهر عكس ذلك تماماً!!

فهل نبدأ عهداً جديداً من محاسبة النفس، ومن ترك التعالي الذي يمنع من رؤية الحقيقة ؟!!
هذا مايرجوه كل من يتمنّى أن يسود التفاهم بين العا لم، بدلاً من أن يتسلط القويُّ على الضعيف، ثم لا يفتأ أن يسوّ غ لنفسه هذا التسلُّط ، لكي يخدِّر مشاعره ويخادعَ ضميره الذي يؤنبه على تصــرّفاته اللاإنسانيّة .
هذا رجاءٌ صادقٌ، أتمنى أن يكون موجوداً لدى القادة و أصحاب القرار والفكر الغربيين !
تاريخ النشر في الموقع: ١٤٢٧/٠٦/٢٨ هـــ الموافق ٢٠٠٦/٢٤/٠٧ م
============================

تنبيه هام جدا

الحمد لله الذي منَّ على من شاء من عباده بتوفيقه لنصرته ، وخذل من شاء منهم بركونه إلى أعداء ملته ، والصلاة والسلام على من لا خير إلا في طاعته ولا فلاح إلا في الانتصار لسنته ، وعلى آلــه وصحابته ومن سار على هداه إلى يوم يلقاه . أما بعد
فلقد آتت غرسة الغيرة أكلها واستوت على سوقها فأغاظ الله بها الكافرين ولله الحمد على ذلك كله إذ هدانا لهذا الخير وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .
ثم يا أيها الأكارم :
تعلمون أن الغرب الكافر إنما تحالف بينه لأنه يرانا الخطر الحقيقي الذي يهدده ولهذا فهو قــد رســم لنفسه خططا يتخلص فيها مما يتوقعه منا من هجمات .
وتعلمون أن تلك الأمم الكافرة تعتبر المادة هي الأساس لكل شيء فلها يحيون ولأجلها يموتون .
وتعلمون أيضا أنهم يرون أن ما في أيدينا من الخير الذي جعله الله مخزونا في بلداننا والثروة المكنوزة في أراضينا حقا من حقوقهم وأننا همج رعاع لا نقدر على تصريف أمورنا وأننا أعراب يكفينا اليسير من العيش وإلا فهم سادته وقادته.
وأمور أخرى ليس هذا أوان حصرها .
لكنه لفت نظري اليوم وأنا أتابع الأحداث بلحظاتها وأرقب الوضع بتفاصيله أنه دخل علينا في الخط دولا تسمى زورا بالعظمى وهي أحقر من أن تذكر لتفاهة ما تعتقده من فكــر مــنحط وسياســة انتقائية.
نعم لقد دخلت دول كفرنسا الحرية وغيرها ولعل القصد من هذا ظاهر لا يكاد يخفى على كل متابع وهو تفريق كلمتنا وإضعاف نار الغيرة في قلوبنا ولكي تكثر الظباء علينا فلا ندري ما نصيد.
إن دخول فرنسا وغيرها في هذه اللعبة القذرة والمعركة الخاسرة بحول الله وقوته يراد منه شيء خطير وهو :
أن المسلم الغيور إذا طُلبت منه مقاطعة المنتجات الدنماركية والنرويجية والفرنسية والألمانية والهولندية وما سيقتحم الغمار بعد ذلك من الدول الأوربية أو النصرانية الحاقدة وربما المتعاطفة معها كالــدول

البوذية فلا شك أنه ربما يضعف عنده الحماس ويحس بشيء من الحرج والضـيق ويصـعب عليـه الاستمرار كونه تكاثر عليه الأمر أو ربما لا يجد بديلا في الأسواق فيكون الغرب الكافر بهذا انتصر في المعركة من عدة جوانب :

١ = أنه تحقق له ما أراد من السخرية بدين المسلمين ورسولهم صلى الله عليه وسلم .

٢ = أنه حطم معنويات المسلمين وأرغم أنوفهم وأجبرهم على خياره هو لا خيارهم هم .

٣ = أنه زرع في الغيورين من المسلمين أن خيار المقاطعة والذي هو سلاح الشعوب المسلمة الفعال و القوي والوحيد خيار فاشل لا يؤتي ثماره بل لربما مارس علينا هذا الأسلوب مستقبلا لإذلالنا.

ولهذا فالذي أراه ــ وقد أكون مخطئا في هذا ــ أن تتظافر جهودنا في مقاطعة من كان السبب في هذه الجريمة مع رصد كل ما يمارسه الكفار في الدول الأخرى من استفزاز لمشاعرنا ، وأن نقاطع وبقـوة ،ونتواصى وبعزيمة على توحيد الصف وعدم التراخي مهما كلف الأمر وأن نتوحد في سيرنا هذا تحت راية العلماء العاملين الذين لهم دورهم المشكور والمبارك بإذن الله لكي نصدر عن رأي واحد يكـون فيه إشعار لعدونا بجديتنا وحزمنا وأن صفنا لا يمكن أن يخترقه كيدهم ومكرهم الكبَّار .

فإذا ذاقت الدنيمارك والنرويج نار الحصار الاقتصادي وعلمت مغبة فعلها وفساد ما أقحمت نفسها فيه واستسلمت لكل مطالب الأمة وشروطها التفتنا إلى الخونة الذين كانوا يريدون تـوهين عزيمتنـا وتهوين كرامتنا فعملنا معهم كما عملنا مع سابقيهم وهكذا .

ولكن (العزيمة العزيمة يا أمة الإسلام).

وحذار حذار من التشرذم والضعف فوالله ما أتانا العدو إلا من تفرقنا .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

هذا ما رغبت التنويه له والتنبيه عليه ولعل الله أن يكلل الجهود بالنجاح وصلى الله وسلم على نبينـا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه الشيخ الداعية /

سليمان بن أحمد بن عبد العزيز الدويش

هاتف جوال : ٠٥٠٥١٢٤١٠٦

mamal_m_s@hotmail.com

المقال من الشيخ سليمان خاص بحملة مليار مع محمد صلى الله عليه وسلم ...

==========================

ثورة طلبة الإخوان دفاعًا عن الرسول القدوة[١٩٣٨] صفحة من تاريخ الإخوان

الكاتب: عادل المحلاوي

في عام ١٩٣٨ قام طلبة الإخوان المسلمين بالجامعة والأزهر والمعاهد والمدارس بثورة عارمة؛ اعتراضًا واحتجاجًا على تدريس كتب إنجليزية بكلية الآداب تتضمَّن إساءةً صريحةً لرسولنا الكـــريم ديننـــا الإسلامي.

وتقدم طلبة الإخوان بمذكرة لإلغاء تدريس هذين الكتابين، ورفض عميد الكلية د. طه حسين ذلك، فأعقب هذا الرفض حملةٌ في صحافة الإخوان، وإرسال برقيات ومذكرات إلى ملك الـــبلاد وشـــيخ الأزهر وغيرهما من المسئولين، وقامت المظاهرات والإضرابات في المدارس والمعاهد، ثم تطور الأمر إلى مناقشة الموضوع داخل مجلس النواب، وانتهى بمنع تدريس الكتابين.

هي صفحة تبرز كيف كان الإخوان المسلمون- ممثَّلين في طلبتهم- في الصدارة دائمًا دفاعًـــا عـــن الإسلام ورسوله ومقدسات المسلمين، كما تبرز الموقف المتهافت دائمًا للعلمانيين في بلادنا تجاه قضايا الإسلام والمسلمين، كما يُبرز الإرهابَ الفكريَّ الذي تمارسُه إدارات الجامعات والكليات تجاه صحوة الطلاب وخصوصًا حين تستمد صحوتها وحركتها من العقيدة والدين.

يروي لنا الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد- أبو الجامعيين الإخوان وأحد شهود المعركـــة وأبطالهـــا- تفاصيلَ ما حدث فيقول:

وقد حدث في هذا العام ١٩٣٨ حادث الثورة على الكتب المقرَّرة في قسم اللغة الإنجليزية وهو كتاب "جان دارك" وكتاب "أحاديث خيالية" للكاتب الإيرلندي المشهور "برنارد شو" تناول فيه شخصيةَ الرسول عليه الصلاة والسلام تناولاً يتضمن الإساءةَ والتجريح، وإن كانت هذه في صورة حوار بين اثنين، ولكنَّ القارئ لهذا الحوار يحس روح المؤلف في السخرية والاستهزاء بالرسول- عليه الصـــلاة والسلام- وذلك لأن التجريح في هذا الحوار لم يقابله من الطرف الآخر، فتجلى التجريح مســـيطِرًا على أسلوب الكاتب في هذا الحوار.

وهاك أيها القارئ الكريم نماذجُ مترجمةٌ ترجمةً حرفيةً، مما هو مقرَّرٌ في قسم اللغة الإنجليزيـــة بالســـنة الثالثة؛ لنعرض على الحكومة "الإسلامية" والرأي العام هذه السموم الفكرية التي تحطِّم في شبابنا روحَ الغيرة على الدين وتعوِّده الذلة والخنوع والاستهتار بكرامته كمسلم مصري شرقي، وذلك تحت ستار العلم وحريته والجامعة وآرائها التجديدية.

أولاً: نقلاً عن كتاب "سان جون" في محاورةٍ بين شخصين ص ١٥٧ تمامًا:

كوشون: دعني أقل لك إن أمثال هذه الخطابات التي ترسلها "جان دارك" إلى الملوك والوزراء كانت قديمًا الوسيلةَ التي كان يلجأ إليها محمد- الملعون- عدوُّ المسيح، وبهذا الإلحاد تمكَّن ذلك العربي سائق الجِمال من مطاردة المسيح وكنيسته المقدسة (بيت المقدس) واتخذ طريقَه كالوَحْش الكاسر حتى انتهى رحله أخيرًا إلى البرانس، وقد رحم الله فرنسا من هذا (الجحيم)!! ولكن ماذا كان يفعل سائق الجِمال هذا إلا ما تفعله راعية الغنم هذه؟!

يقول إن صوت الله يهبط عليه بواسطة الملك جبريل، وهي تقول إن صوت الله يهبط عليها عن طريق القديسة كاترين ومارجريت وعن طريق ميكائيل المقدس، ولقد ادعى أنه رسول لله وكتب باسم الله

إلى ملوك الأرض قاطبةً، وإذا نظرت وجدت خطابات تلك الفتاة كأنها السيل المنهمر.. ستكون دنيا دماء ودنيا رعب ودنيا خراب وستعود ثانيًا إلى الوحشية الأولى؛ لأننا الآن نجد محمدًا ومن حوله من الحمقى، ونجد جان دارك ومن حولها من الأغرار، ولكن ماذا يكون مصير العالم لو أن كـــل فتـــاة اعتقدت نفسَها مثل جان دارك وكل رجل اعتقد نفسه مثل محمد"؟!

وفي خلاله يصف وحي الرسول أنه عدوَى كالسرطان، إذا لم يُقضَ عليه ويُحرق فإنه لا ينفـــكُّ أن يقذف بالمجتمع الإنساني في الخطيئة والفساد والضياع والخراب!!

ويكمل الأخ محمد عبد الحميد قائلاً: وقد رأيت إزاءَ هذين الكاتبين أن أتقدم بطلب باسم طـــلاب الإخوان المسلمين وقسم اللغة الإنجليزية ولم يكن معنا في الواقع إلا شباب الإخوان فقط من جميـــع الأقسام، ولكننا تكلمنا باسم القسم كله لتعزيز طلبنا، وهذه بعض فقرات الاحتجاج المرفـــوع إلى عميد الآداب والذي أمضاه نحو أربعين طالبًا يناصر أكثرهم مبادئ الإخوان:

"حضرة صاحب العزة- عميد كلية الآداب

تحيةً واحترامًا وبعد!!

فنرفع إلى عزتكم هذه المذكرة، نحتجُّ فيها على تقرير رواية "سان جون" وهي تتضمن طعنًا صريحًا في شخص الرسول- عليه الصلاة والسلام- في عباراتٍ فاحشةٍ لا تتحمل تأويلاً ولا جدالاً.. وإن كلية الآداب لأوسعُ عقلاً وأعمق فكرًا من أن تخلط بين حرية الفكر وحرية الفحش والإجرام في أقـــدس شخصية في هذا العالم عند المسلمين، وإننا لننتظر من العميد الذي ينادي دائمًـــا بكرامـــة الجامعـــة واستقلال الجامعة وحرية التفكير أن يعيننا فيما يدعو إليه من كرامة الجامعة في أقدس ما نعتـــز بـــه، فلسنا نريد أن يحيا العلم على حساب الكرامة، ولكنا نريد أن تحيا الكرامة في ظلال العلم..".

فما كان من الأستاذ العميد طه حسين إلا أن تعجَّب من هذه الثورة التي لا محلَّ لها في نظره، قائلاً: إن طريق الدفاع عن الإسلام لا يكون بالثورة وإنما يكون بالرأى والإقناع، فأجبته قائلاً: إن الإقناع بالرأي إنما يكون عند مقابلة الرأي بالرأي والفكرة بالفكرة، ولكنَّ أسلوب السباب والشتائم لا يعالَج بالرأي والفكر، وإنما يعالَج بالاحتجاج والثورة، وهذا الذي قمنا به إزاءَ هذه الشتائم والإهانات التي تُثير المشاعر فهي كمن يصفع خصمَه بيده فهل يدفع المصفوع عن نفسه بكلمةٍ من الكلماتِ أو برأيٍ من الآراء؟ أم يدفع بصفعةٍ أقوى وأردع؟!

صحافة الإخوان تتبنَّى القضية

وشنَّت مجلة (النذير) حملةً صحفيةً موفقةً، نشرت فيها مقتطفاتٍ مما حَوَته تلك الكتب من الشـــتائم والسباب، وعلَّقت عليه بأسلوب حماسي ملتهب، وكان أول تلك المقالات والذي أشـــعل شـــرارة الثورة بعنوان "الإسلام يهان في كلية الآداب رسميًّا"، وتضمن العناوين الرئيسة التالية: رسولنا محمد- صلى الله عليه وسلم- "يُلعن" في منهج الدراسة "علنًا".. بين جدران الكلية وعلى مسمع من الطلبة حرية الكفر والإلحاد تباح باسم حرية الفكر والآراء، وقال فيه كاتبه:

"من العجيب أن كلية الآداب- التي هي مصدر الأفكار الحرة والآراء الحديثة في مختلف نواحي الثقافة- قد أصبحت تعاني في ظل هذه الأفكار الحرة والآراء الحديثة من سيطرة النفوذ الأجنبي وخاصةً الإنجليزي؛ حيث المقررات يمليها هوى الأجانب الذين نهجوا في دراستهم نهجًا استعماريًّا رمَوا به إلى قتل روح العزة والكرامة في نفوس المسلمين والمصريين وإشباع فكرهم بالآراء الإباحية والإلحادية، ولكن الشباب الجامعي في هذه الأيام قد تيقَّظ وعرَف كيف يَغضب لكرامته ويذود عن شرفه، وما كرامته وشرفه إلا دينُه الذي يدين به ورسولُه الذي يعتز به.

وعلق الكاتب على موقف عميد الكلية د. طه حسين قائلاً:

"وإذا كان هناك مخلوقٌ- مهما علا مركزه- يتشدَّق بحرية الفكر وحرية الجامعة في مثل هذا الإجرام، فإننا نتحداه أن يقرَّ لسانه سبَّ الذات الملكية باسم حرية الجامعة وحرية الآراء، أو أن يقرَّ نشرَ الآراء الشيوعية الهدامة باسم حرية الفكر والآراء، فإذا آمن أن حرية الفكر غير حرية الإباحية والإلحاد، وأن العلم الأثيم ليس إلا الجهل الأثيم نفسه.. فإننا سنرى أثرَ صيحتنا هذه الصادعة المدوية في الحكومة وأولي الأمر في الجامعة، لعلهم يضعون لهذا الإسفاف العلمي حدًّا، ولا يكون الإسلام عندهم تقليدًا باليًا كما يتوهم بعض الملحدين، وإنما يجب أن ترتفع في ظلاله الآراء الحرة، وتنبعث من روحه ثمرات التجديد والتخليد، وإن كلية الآداب التي تعرف جيدًا آداب بشار وأبي نواس ما أولاها إلى أن تعرف أيضًا آداب أبي بكر وعمر".

واهتمت الصحافة بهذا الموضوع، فقد ذهب وفدٌ من طلاب الإخوان إلى جريدة المصري، وقابلوا الصحفي المعروف الأستاذ الغمراوي، الذي "استقبل وفد شباب الإخوان أحسن استقبال ونشر احتجاجَهم على تقرير هذين الكتابين بقسم اللغة الإنجليزية تحت عنوان: تدريس الطعن في النبي الكريم في كلية الآداب، وهذا المقال هو الذي أثار ثائرة الرأي العام في مصر؛ وذلك لأن جريدة المصري كانت جريدةً وفديةً لها شعبيتُها الواسعة في مصر، وكان المحرر "الغمراوي" موفقًا في كلمته الخاصة تحت هذا العنوان، فهو لم يكتف بنشر الاحتجاج، وإنما كتب كلمةً مستفيضةً بأسلوبه الصحفي الممتاز يَعيب على المسئولين بالجامعة تقريرَهم مثلَ هذه الروايات لشبابنا المثقف".

وتوجَّهت إليه صحافة الإخوان بالشكر على هذا الموقف النبيل، فقالت:

"وشكر الله لإخواننا الذين أمضوا عن اقتناع وإيمان، كما شكَر الله للأستاذ الغمراوي الذي أحسن لقاء طلبة الإخوان، وعُني بموضوعهم وكتب عنه في جريدة المصري كتابةَ مسلم يَغار على الإسلام ويرتفع عن المجاملات والرسميات إلى الدفاع عن الحق للحق".

وقامت جريدة المصري بأخذ رأي عميد الكلية في الموضوع، فلم يخرج عن سابق حديثه مع وفد الطلاب، فعلقت عليه الصحيفة أيضًا قائلةً:

"وأما تصريح الدكتور طه حسين لجريدة المصري فلم يكن غريبًا كما يرى الأستاذ الغمراوي، وإنما كان رأيًا طبيعيًّا للدكتور العميد الذي يذهب منطقُه إلى ما ذهب إليه منطق زعيم من قبل (يقصد مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد) وهو أن الإسلام عالي الجنبات لا يؤثر فيه الطعن ولا الشتائم،

وقد كفانا الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ومعالي وزير المعارف وغيرهما مئونةَ الرد على هذه الفكرة التي لا ترتفع إلى حد الشبهة ولا تنهض إلى مكانة البحث والرأي".

ردود أفعال الأزهر والمعاهد والمدارس في أنحاء البلاد

"كان لهذه الحركة المباركة صداها القوي في الأزهر الشريف، فقامت كلية أصول الدين عن بكــرة أبيها في مظاهرة رائعة وإضراب عن الدرس غضبًا لله والرسول، وأرسلوا البرقيات للجهات المسئولة، ويُحيِّي فيهم شيخ الأزهر هذه الغضبةَ الكريمةَ وتلك النفرةَ القدسيةَ، فما أروعه من منظــر يطــرب الإسلام ويقرُّ عينَ رسول الله!! وقد انتقل صدى هذه الحركة إلى معهد الإسكندرية وأضرب طلبتُــه الكرام احتجاجًا على هذا الحادث.

وقد بلغنا أخيرًا تلك الحركة الباهرة الرائعة التي قام بها طلبة المدارس الثانوية وخاصةً الفاروقية ومعهد الزقازيق؛ حيث ألفوا مظاهرةً ضمت آلاف الشباب وهزوا مدينة الزقازيق هزًّا، وتجاوزت هتافــاتهم عنانَ السماء: الرسول زعيم العالم- نموت فداء الرسول- كرامة الرسول فوق النقــد والتجــريح، وأخذوا يتغنون بأناشيد العزة الإسلامية:

قد محا الله الضلال وبدا نور اليقين

فاهتفوا في كل حال عاش دين المسلمين

وطالع بعض الإخوان بالمدرسة الفاروقية ما تُرجم من كتاب سان جون في عدد النذير السابق علــى الإخوان، فأثار شعورهم وخرجوا كتلةً واحدةً يهتفون بهذه الهتافات المجلجلة ويعلنون غضبة الإسلام في حرارة وإيمان، واقتحموا أبواب المعهد الثانوي فانضموا اليهم وأصبحوا قوةً تزلزل الإلحاد وتقــرُّ عين المؤمنين، ثم قصدوا جميعًا إلى مدرسة الصنايع ثم إلى المدرسة الأميرية؛ حيث اصــطدموا بقــوة البوليس ولكنه لم يشتبك معهم، وردَّد طلبة المدرسة الأميرية هتافاتِ الإخوان، ولكنَّ الناظر طمأنَهم بمصادرة هذين الكتابين ولا داعي للإضراب والاحتجاج.

وأخيرًا توجهوا إلى دار الإخوان وأُرسلت البرقيات الآتية:

أولاً: برقية إلى جلالة الملك، وثانيةً: إلى الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر.

رد برنارد شو على ثورة طلبة الإخوان

يقول الأخ محمد عبد الحميد: "طالعنا في الصحف المصرية دهشة المؤلف برنارد شو من ثورة الطلاب على روايتي "جان دارك" وقال إنني شخصيًّا أحترم محمدًا رسول الله، وقد أشدت به في كــثير مــن مقالاتي، وإن الشتائم التي ذكرتها في روايتي لم تكن رأيي الخاص، وإنما هي على لسان شخصيةٍ أخرى في الحوار تعبِّر عن رأيها الخاص في هذا الرسول، وإني لا أحاسب الطلاب على ثورتهم علــى هــذه الرواية، وإنما أحاسب أساتذتهم الذين عجزوا عن تفهيمهم مضمون هذه الرواية!! ثم عقَّب على هذا بقوله الهزيل المتهافت: ويكفي فخرًا لمحمد في روايتي أني شبهته بالقديسة "جان دارك"، وهذا مبلــغ تعظيمِه لرسولنا العظيم كما يدَّعي أنه يشبهه بجان دارك.. فيا للمهزلة ويا للإسفاف"!!

وعلق على رد برنارد شو في صحيفة الإخوان فقال: "طالعنا أخيرًا في جريدة المصري رد برنارد شو مؤلف الرواية يتهكَّم فيه على الطلبة القائمين بهذه الحركة، ويصفهم بالجمود والجهل، وقد عدَّ مقارنته الرسولَ بجان دارك شرفًا للرسول، وهذه تهمةٌ أشنعُ مما اتُّهم به الرسول من قبل، وسوف نرى ردَّ قادةِ الفكر في الكلية على هذه التهمة الشنيعة؛ لعلهم يفطنون إلى ما يحركه لهم هؤلاء الأعداء الضالون المخادعون".

مناقشة القضية في مجلس النواب

وانتقلت القضية إلى مجلس النواب وتبنَّاها بعض أعضائه ذوي النخوة والشهامة والغيرة على الدين، وكانت جلسةً تاريخيةً قالت عنها (النذير):

"كانت جلسةً حاميةَ الوطيس حقًّا، اشتدَّ فيها الجدلُ والصراع إلى درجة اضطرب لها الحاضرون، ولقد كانت المشادةُ عنيفةً قالت عنها (الأهرام) إنها كادت تتطور إلى تماسكٍ بالأيدي، وتدافُعٍ حول المنبر، وتسابُقٍ بين الذراع واللسان.

قام النائب الجريء الدكتور عبد الحميد سعيد فتناول السياسةَ الدينيةَ للجامعةِ المصرية، وعلى الأخص في كلية الآداب، فكان موفقًا كل التوفيق في كلمته الجامعة، موفقًا في المقارنة بين حرص الممالك المسيحية على دينها وتعصبها لهذا الدين، وسنها القوانين للمحافظة عليه وحماية تقاليده مثل إنجلترا التي يقسم ملكُها على احترام دينها البروتستانتي، رغم وجود مختلف الأديان والمذاهب في إمبراطوريته الواسعة، وألمانيا التي وضعت قانونًا يحرِّم الكتابةَ والنشرَ ضد المذاهب المسيحية، وأمريكا التي وضعت أقصى العقوباتِ لمن يبشِّر بمذهب النشوء والارتقاء الذي يخالف عقيدةَ دينها، وفرنسا التي قصَّر أحد مدرسيها في إعطاء (جان دارك) ما يجب لها من تقديس واحترام، فكان جزاءَه أن طُرد من المدرسةِ شرَّ طرد، وهاج ضده الطلبةُ حتى كادوا يُلقونه في نهر السين.

ولقد قام بعده نواب فضلاء.. نواب فهموا دينهم وعلموا أنه السبيلُ الأوحد إلى رُقي أمتهم وسعادةِ وطنهم فنادوا بدعوتهم وأفادوا وسجَّلوا دليلَ اليقظة في صيحاتهم المدوية.

وهذا الأستاذ الجليل الشيخ دراز يحصي ما تناقله الناسُ عن النزعات الخطرة لأحد المشرفين على التعليم في الجامعة والقائمين فيها على تكوين عقائد الطلاب وتكوين مذاهبهم الفكرية، هذه النزعات الميَّالة إلى الإلحاد باسم حرية الفكر الجانحة إلى الهدم والإفساد والتشكيك باسم العلم.. ثم هو يتساءل: إلى أي هدف يُقصد بالطلبة أن ينساقوا إليه؟ وإلى أي طريق تسير هذه الكلية التي يُنفق عليها من مال الدولة الإسلامية؟!

ثم ختم كلمته الرائعة مستشهدًا بقول النائب الكريم المرحوم الأستاذ عبد الخالق عطية: "فعلى الذين يريدون أن يحرقوا بخور الإلحاد أن يحرقوه في قلوبهم لأنهم أحرارٌ في عقائدهم، أو أن يحرقوه في منازلهم لأنهم أحرار في بيئاتهم الخاصة.. أما أن يطلقوه في أجواء العلم ومنابر الجامعة فهذا ما لا يمكن أن نفهمه بحال من الأحوال".

صوت علماني صاخب في مجلس النواب

ولكن كان هناك علماني صميم في مجلس النواب تصدَّى لحملة النواب المدافعين عن المقدسات، ألا وهو الكاتب المعروف عباس محمود العقاد، فعلقت الصحيفة على موقفه قائلةً:

"وإن تعجب بعد ذلك فعجبٌ أن يعترض الأستاذ العقاد هذه الصيحات الظاهرة القوية بمنطقه المعروف فيأخذ على الدكتور عبد الحميد سعيد ويأخذ على إخوانه المجاهدين في الهداية والإرشاد فيحتج باسم الدستور، وعلام يحتج؟! يحتج على النواب المحترمين؛ لأنهم يصادرون حرية التفكير في هذا البلد، وحرية العقائد مكفولةٌ باسم الدستور".

"ومن عجب كذلك أن يعمد الأستاذ العقاد إلى المغالطة فيذكر كروية الأرض، ويذكر أن الناس فيما قبل كانوا يثورون على القائلين بها، ويذكر التشريح وأن الناس كانوا يثورون على القائلين به، وجاء زمنٌ آمن الناس بالكروية وآمنوا بالتشريح، فإذن على هذا المنطق- كما ردَّ على الشيخ دراز- لا داعي لأن نُحارب الإلحادَ والإباحيةَ؛ لأن ذلك إن كان في نظرنا اليوم بغيضًا مرذولاً فقد يجيء يوم يؤمن الناس بالإلحادِ ويقرِّر الناس الإباحةَ.. يا عجبًا كل العجب من هذا المنطق".

نجاح ثورة الطلاب وإلغاء تدريس الكتابين

يقول الأخ محمد عبد الحميد: "وقد نجحت هذه الحركةُ باجتماعِ مجلسِ الكليةِ ومناقشتهم هذه الثورة الجامعية، وعلى الرغم من أنهم اعتبروها ثورةً على غير أساسٍ؛ لأن المؤلفَ في نظرهم لا يقصد الإهانة للرسول وإنما هي مجرد حوار يمثِّل روح العصر الصليبي، إلا أنهم اضطُّروا إلى إلغاء تدريسها بقسم اللغة الإنجليزية خضوعًا للرأي العام وثورة الطلاب الجامحة".

==========================

"جهود العلماء في مقاومة الوضع"

إعداد أحمد محمد بوقرين

ماجستير أصول دين

بالجامعة الأمريكية المفتوحة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله الذي أنزل القرآن وتكفل بحفظه ورعايته فقال تعالى : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [١] والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد سيد الأولين والآخرين، أرسله ليبلغ الناس هذا الذكر ويبينه للعالمين، فقال سبحانه وتعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} [٢] فكان حفظ القرآن يتضمن حفظ سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - وحمايتها من كيد الوضاعين الكاذبين.

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك و من الأمل إلا فيك و من التسليم إلا لك و من التفويض إلا إليك و من التوكل إلا عليك و من الرضا إلا عنك و من الطلب إلا منك و من الذل إلا في طاعتك و من الصبر إلا على بابك و من الرجاء إلا في يديك الكريمتين و من الرهبة إلا بجلالك العظيم.

اللهم تتابع برك و اتصل خيرك وكمل عطاؤك و عمت فواضلك و تمت نوافلك وبر قسمك و صدق وعدك و حق على أعدائك وعيدك و لم يبقى لي حاجة من حوائج الدنيا هي لك فيها رضا و لي فيها صلاح إلا قضيتها و أعنتني على قضائها يا أرحم الراحمين.

وبعد :

فهذا بحثي الفصلي لمادة علوم الحديث ، والذي أتناول فيه موضوع " جهود العلماء في مقاومة الوضع " ، حيث قسمت البحث إلى بابين ، الباب الأول يتناول التعريف بالحديث الموضوع، وعن عبارات العلماء في التعريف به ، وعن مصادر الحديث الموضوع ، وعن عقوبة الوضع في الحديث ، وعن توبة الوضاعين ، وعن حكم رواية الحديث الموضوع ، وعن أسباب الوضع في الحديث النبوي الشريف ، وعن حكم العمل بالحديث الموضوع،

ثم الباب الثاني وقد تحدثت فيه عن جهود العلماء في مقاومة الوضع ، وقد قسمت هــذا البــاب إلى خمسة فصول، الفصل الأول يتحدث عن جمع الأحاديث الثابتة ، والفصل الثاني يتحدث عن الاهتمام بالإسناد ، والفصل الثالث يتحدث عن مضاعفة النشاط العلمي في قواعد الحديث ، والفصل الرابــع يتحدث عن نقد الرواة وتتبع كذب الوضاعين، والفصل الخامس يتحدث عن التأليف في الوضاعين، والفصل السادس يتحدث عن التأليف في الموضوعات، ثم ختمت بأهم ما تم التوصل إليه من خــلال هذا البحث، ونسأل الله التوفيق والتيسير في هذا العمل، وأحب أن أنوه هنا أنني استفدت كــثيرا في بحثي هذا مما كتبه الدكتور عبد الله بن ناصر الشقاري الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالرياض في بحثه الذي سماه " الآثار السيئة للوضع في الحديث النبوي وجهود العلماء في مقاومته " .

الباب الأول :

مباحث تتعلق بالحديث الموضوع

الحديث الضعيف لغة واصطلاحا :

أ- لغة : اسم مفعول من وضع الشيء يضعه - بالفتح - وضعاً، وتأتي مادة (وضع) في اللغة لمعــاني عدة منها: الإسقاط، الترك، الافتراء والإلصاق [٣].

ب- أما في اصطلاح المحدثين: فقد عرفه ابن الصلاح بقوله : هو المختلق المصنوع [٤]، وعرفه غيره بأنه هو : ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاقا وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره [٥].

التعريف بالحديث الموضوع :

الموضوع شر الحديث الضعيف جملة وتفصيلاً ، وقد جعله العلماء آخر درجات الحديث الضــعيف، وإنما جعلوه من درجاته لأجل التقسيم المعرفي وبحسب إدعاء واضعه، وإلا فهو لــيس مــن أنــواع الحديث أصلاً.

عبارات العلماء في التعريف بالحديث الموضوع والإشارة إليه :

١- التصريح بوضعه فيقولون : موضوع، باطل، كذب.

٢- قولهم في الحديث : لا أصل له، لا أصل له بهذا اللفظ، ليس له أصل.

٣- قولهم في الحديث : لا يصح، لا يثبت، لم يصح في هذا الباب شيء.
مصادر الحديث الموضوع :
أ – قد يخترعه الواضع من نفسه ابتداءً، وينسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعرف ذلك : إما بإقراره أو ما يترل مترلة الإقرار : كأن يدعو الحديث إلى مبدأ يدعو إليه الوضاع، أو تدل على ذلك قرائن الأحوال.
ب- قد يأخذ الواضع كلام غيره فينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون الموضوع إما من كلام الصحابة أو من كلام التابعين أو بعض قدماء الحكماء.. ونحو ذلك [٦].
ج- قد يهم الراوي فينسب كلام الغير إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن غير قصد وتعمد للوضع مثل "ومن كثرت صلاته في الليل حسن وجهه في النهار" [٧]، ولذا عده بعضهم في حكم المدرج [٨].
حكم الوضع في الحديث النبوي وعقوبة الوضاعين في الآخرة :
قال النووي في شرحه على صحيح مسلم : "وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي والكذب عليه كذب على الله تعالى، قال تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [٩] " [١٠].
وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حكم وضعه، وتوعد بالعقاب الشديد والعذاب الأليم لمن فعل ذلك، حيث قال صلى الله عليه وسلم : "حدثوا عني ولا حرج، بلغوا عني ولو آية، إن كذباً علي ليس ككذب على أحد ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" [١١] وقد حكي عن بعض الحفاظ أنه قال: "لا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة المبشرون بالجنة إلا هذا، ولا حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيا إلا هذا" [١٢].
عقوبة من روى الحديث الموضوع في الدنيا :
أما عقوبة من روى الحديث الموضوع في الدنيا فقد أجاب ابن حجر الهيتمي المكي على سؤال ورد إليه ونصه كالتالي : لنا إمام يروي أحاديث لا يبين مخرجيها ولا رواتها فما الذي يجب عليه؟ فأجاب: " من فعله وهو ليس من أهل المعرفة بالحديث، و لم ينقلها عن عالم بذلك، فلا يحل له ومن فعله عزر عليه التعزيز الشديد.. ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه " هذا فيمن روى حديثاً مجهول الحال فضلاً عن أن يكون موضوعاً، أما عن الموضوع بالذات : فقد كتب البخاري على ظهر كتاب ورده فيه سؤال عن حديث مرفوع وهو موضوع، فكتب "من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل" .
توبة الواضع وحكم روايته بعدها :
لا خلاف بين العلماء أن توبة الواضع مقبولة، فمن تاب تاب الله عليه {ومن تاب وآمن وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا} [١٣] ولكن مع قبول توبته هل تقبل روايته أم لا ؟ يرى الإمام أحمد وأبوبكر الحميدي شيخ البخاري وغيرهم أنه لا تقبل روايته أبدا، قال أبو بكر الصيرفي : "كل من

أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر" [١٤]، واختار النـــووي القطع بصحة توبته وقبول روايته كشهادته، وحاله كحال الكافر إذا أسلم [١٥].

حكم رواية الحديث الموضوع :

اتفق العلماء على تحريم رواية الحديث الموضوع، فلا تحل روايته لأحد علم حاله وعرف أنه موضوع، إلا مبينا حاله ومصرحاً بأنه موضوع، يقول الإمام مسلم : "إن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه.. وأن يتقي منها ما كان عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع، والدليل على أن الذي قلناه هو اللازم دون غيره، قول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبـــأ فتبينـــوا } [١٦] وقوله: {ممن ترضون من الشهداء} [١٧] فدل بما ذكر من الآيتين أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة " [١٨].

أما من السنة فها هو صلى الله عليه وسلم يصرح بذلك في حديثه المشهور : "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين" [١٩]، وكفى بهذا الوعيد الشديد في حق من روى حديثاً يظـــن أنه كذب، فضلاً عن أن يروي ما يعلم كذبه ولا يبينه.

ولاشك أن من روى حديثاً موضوعاً فلا يخلو من أحد أمور ثلاثة : إما أن يجهل أنه موضوع، وإما أن يعلم بوضعه بواحد من طرق العلم به، وهذا إما أن يقرن مع روايته تبيان حاله، وإما أن يرويه من غير بيان لها.

فأما الأول: وهو من يجهل أنه موضوع، فلا إثم عليه إن شاء الله [٢٠]، وإن كنا نعتقد أنه مقصر في البحث عنه، لكن لا يؤمن عليه العقاب في تركه البحث عن حال ما يحدث به، لاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع" [٢١].

وأما الثاني: وهو من يعلم وضعه ويبين حاله فلاشيء عليه، إذ قد أمن ما كان يخشى منه وهو علوقه في الأذهان منسوباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أما إذا كانت روايته له قاصداً بها إبانة حالـــه، فهذا مأجور لنفيه الدخيل عن الحديث الشريف وتنبيه الناس عليه، فهو من عدول خلف الأمة ومـــن خيارها الذين امتازوا عمن سواهم بأنهم ينفون عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريـــف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وأما الثالث: وهو من رواه من غير بيان لحاله مع علمه بأنه موضوع فهو مأزور وآثم، سواء ذكـــر إسناد الموضوع أم لا، إذ لا يكتفى بإيراد الإسناد في هذا الزمان، بل لابد من التصريح بأنه موضوع وكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر الإسناد وعدمه سواء، يقول السخاوي : "ولا تبرأ العهدة في هذه الأعصار بالاقتصار على إيراد إسناده – أي الموضوع – لعدم الأمن من المحذور بـــه، وإن كان صنعة أكثر المحدثين في الأعصار الماضية" [٢٢] وهذا في عصر السخاوي في القرن التاســـع فما بالك بعصرنا الحاضر ؟! فقد كانت طريقة الاكتفاء بالإسناد معروفة لدى القدماء، لأن علمـــاء

عصرهم يعرفون الإسناد، فتبرأ ذمتهم من العهدة بذكر السند، أما عصرنا هذا فقد سرت العدوى فيه من إضاعة الإسناد إلى إضاعة المتون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حكم العمل بالحديث الموضوع :

العمل بالحديث الموضوع حرام بالإجماع، لأنه ابتداع في الدين بما لم يأذن به الله، يقول صلى الله عليه وسلم: "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" [٢٣] ويقول: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [٢٤] هذا في الأمور الدينية التعبدية، أما في الأمور الدنيوية : فالعمل به على أنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم حرام أيضاً، أما على غير ذلك فحكمه يختلف باختلاف تلك الأعمال، وتنطبق عليه الأحكام الشرعية والقواعد المرعية.

أسباب الوضع في الحديث النبوي :

١ – الخلافات السياسية ، وقد كانت الشرارة الأولى لهذه الخلافات بعد مقتل عثمان [٢٥]رضي الله عنه ثم انتشرت الخلافات السياسية ، وانتشر معها الكذب نُصرة لطائفة أو خليفة ونحو ذلك .

٢ – الخلافات المذهبية ، فقد أدّت الخلافات المذهبية إلى وضع الأحاديث ، حتى أن رجلاً كان من أهل الأهواء ثم تاب فقال : كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا.[٢٦]

٣ – الزندقة والطعن في الإسلام ، فقد أدرك الزنادقة وأعداء الإسلام أن قوة الإسلام لا تُقاوم ، فلجئوا إلى وضع الأحاديث التي تُنفّر الناس من الإسلام ، وتُشكك المسلمين بدينهم .

٤ – القصص والوعظ ، فقد كان لديهم حرصا شديدا على ترغيب الناس أو ترهيبهم ، فما يجدون من يتحرّك إلا إذا وضعوا لهم الأحاديث في ذلك .

٥ – الوعظ والتذكير ، فقد وضع أحد الوضاعين – وهو ميسرة بن عبد ربه – حديثاً في فضائل سور القرآن ، ولما سُئل عن ذلك قال : رأيت الناس انصرفوا عن القرآن ، فوضعتها أرغّب الناس فيها !

٦ – التكسّب وطلب المال ، فيضع الوضّاع الحديث الغريب الذي لم يسمعه الناس ، ليُعطوه من أموالهم .

حدّث جعفر الطيالسي فقال : صلى أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة ، فقام قاصّ فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله إلا الله خلق الله من كلمة منها طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان- وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة - فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إليه وهما يقولان : ما سمعنا بهذا إلا الساعة ! فسكتا حتى فرغ من قصصه وأخذ قطعة دراهم ثم قعد ينتظر ، فأشار إليه يحيى فجاء ، فقال يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال الكذّاب : أحمد وابن معين ! فقال : أنا يحيى وهذا أحمد ! ما سمعنا بهذا قط ، فإن كان ولا بُدّ من الكذب فعلى غيرنا !! فقال : أنت يحيى بن معين ؟!! قال : نعم . قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق !!! وما علمت إلا الساعة !! كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟!! كتبت عن سبعة

عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين !! قال : فوضع أحمد كمّه على وجهه ، وقال : دعه يقوم . فقام كالمستهزئ بهما !!

٧ – العصبية للجنس والقبيلة أو اللغة والوطن ، فقد وُضِعت الأحاديث في فضل العرب ، وفي فضل بعض البلدان أو ذمّهم ، ونحو ذلك .

٨ – التقرب للحكام والسلاطين ! بما يوافق أهوائهم ، كما فعل غياث بن إبراهيم النخعي الكذاب ، فقد وضع حديثاً في فضل اللعب بالحَمَام !

وذلك أنه دخل على المهدي ، وكان المهدي يُحب اللعب بالحَمَام ، فقيل لِغياث هذا حدّث أمير المؤمنين . فجاء بحديث : لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر – ثم زاد فيه – أو جناح !

فأمر له المهدي بصرّة ، فلما قام من عند المهدي قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذّاب ! فلما خرج أمر المهدي بذبح الحَمَام !

٩ – المصالح الشخصية أو قصد الانتقام من شخص أو فئة مُعيّنة ، فقد جاء ابنٌ لسعد بن طريف الإسكاف يبكي ، فسأله عن سبب بكاءه ، فقال : ضربني المعلّم . فقال سعد : أما والله لأخزينهم ! ثم وضع حديثا قال فيه : معلموا صبيانكم شراركم ...

١٠ – قصد الشهرة ، والتميّز على الأقران ، وهذا ما يفعله الذين يُريدون أن يُذكروا بعلوّ الإسناد ، أو كثرة الشيوخ ونحو ذلك ، فيُركّبون بعض الأحاديث ويضعونها لأجل ذلك .

الباب الثاني :

جهود العلماء في مقاومة الوضع

إن من ينظر إلى الكم الكبير من الأحاديث الموضوعة المبثوثة في بطون الكتب، وتتداولها ألسن الناس اليوم، قد يتساءل ماذا كان موقف العلماء تجاه هذه الأحاديث الموضوعة ، وقد اختلطت بالأحاديث الصحيحة ؟! وهو تساؤل في محله ،فقد عُرِضَ على الإمام عبد الله بن المبارك فقيل له : هذه الأحاديث الموضوعة ؟؟ فقال: تعيش لها الجهابذة [٢٧] {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظن} [٢٨] وصدق الله العظيم فقد قيض لهذه الأمة رجالاً أمناء مخلصين، قاوموا الوضع والوضاعين وتتبعوهم، وميزوا بين الصحيح والسقيم، وبذلوا جهوداً جبارة في سبيل حفظ الشريعة وأصولها.

ونستعرض هنا جزءاً مما بذله علماءنا الإجلاء في مقاومة الوضع والتصدي للوضاعين:

الفصل الأول: جمع الأحاديث الثابتة

كانت الأحاديث الثابتة مدونة في صدور الرجال ومسطرة في بطون الكتب، وكانت تلك الأحاديث وأولئك الرجال منتشرين في أنحاء العالم الإسلامي، وحين برز قرن الفتنة وظهرت معها طلائع الموضوعات ثم انتشرت وتكاثرت، خاف الغيورون على السنة من علماء الإسلام، فأسرعوا إلى الصحابة يسمعون عنهم ويستفتونهم، كما سارعوا إلى بطون صحفهم يستظهرونها.

وحين زاد تيار الوضع وطغى، وأخذت الزنادقة ومن لف لفهم يكتبون الموضوعات ويدسونها في الصحاح، ظهرت فكرة جمع الحديث في طبقة الإمام الزهري ومن بعدها كابن جريج وسفيان الثوري

ومالك [٢٩]، فدونوا الحديث على الهيئة التي وجدوه عليها، ثم بحثوا عن أحوال الرواة، فأسقطوا ما يعرفون أنه موضوع، فقد كانوا – كما قال أبو داود – يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل إلا من دون ألف حديث [٣٠].

ومن أشهر تلك الكتب وأولها موطأ الإمام مالك الذي يقول عنه الشافعي : "ما على أديم الأرض بعد كتاب الله – كتاب أصح من موطأ مالك" [٣١].

ثم جاءت من بعدهم طبقة أخرى انتهجت جمع الأحاديث النبوية على طريقة المسانيد، فجمعت ما يروى عن الصحابي في باب واحد رغم تعدد الموضوع، ونقت الحديث من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين – بخلاف الطبقة السابقة – ومن هؤلاء : بقي بن مخلد وإسحاق بن راهوية، وأحمد بن حنبل الذي انتقى مسنده المشهور – كما يقول – من ٧٥٠ ألف حديث [٣٢]، ومن هذا يتبين لنا ما كانوا يكابدونه من جهد في جمع الأحاديث، لكنهم في طريقتهم يمزجون الصحيح بغيره من حسن وضعيف.

فجاء من بعدهم من قام بالعبء العظيم وأفرد الصحيح في كتاب مستقل، وهما الإمامان الجليلان البخاري ومسلم، فقد كان البخاري يحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح [٣٣]، وكذلك مسلم، فقد صنف صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة [٣٤]، وبعد أصحاب المسانيد والصحاح تتابعت عقود السنن تترى من أبي داود والنسائي والترمذي.. وغيرهم، وبهذا تم جمع الحديث وتطهيره من دنس الوضع ومخلفاته.

الفصل الثاني: الاهتمام بالإسناد

أحس علماءنا الإجلاء بالخطر الداهم الذي نشأ مع الوضع، فانتدبوا للمحافظة على السنة واجتهدوا في ذلك، فعنوا بالإسناد واهتموا به، وفحصوا أحوال الرواة بعد أن كانوا يرجحون توثيق من حدثهم، وطلبوا الأسانيد منهم قبل المتون، لأن السند للخبر كالنسب للبشر، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" [٣٥] ولذا نجدهم يتواصون بالاهتمام بالإسناد والسؤال عنه، يقول هشام بن عروة: "إذا حدثك رجل بحديث، فقل: عمن هذا؟" [٣٦] لأنه إذا أخبر عن الراوي بلسان المقال، فكأنه أخبر عن حال المروي بلسان الحال، وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد حثوا العامة على الاحتياط في حمل الحديث، وألا يأخذوا إلا حديث من يوثق به علماً وديناً، فهذا محمد بن سيرين يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" [٣٧] وقد شاعت كلمته وغيرها في الناس، فأصبح الإسناد أمراً بديهياً حتى عند العامة [٣٨]. ولشدة اهتمام الأمة بالإسناد عده علماؤها من فروض الكفاية، قال الحافظ ابن حجر: "ولكون الإسناد يعلم به الموضوع من غيره، كانت معرفته من فروض الكفاية" [٣٩].

الفصل الثالث: مضاعفة النشاط العلمي في قواعد الحديث

حين ظهر الوضع في الحديث ضاعف العلماء نشاطهم في الرواية والدراية على حد سواء.

ففي الرواية :

هرعوا إلى من بقي من الصحابة رضي الله عنهم يسألوهم عما يسمعون من الأحاديث وهل قالها النبي صلى الله عليه وسلم أم هي كذب مصنوع، ولحكمة يعلمها الله مد في أعمار بعض الصحابة كعبد الله بن عباس وعائشة وجابر وأنس وعامر بن الطفيل، فساعدوا في حفظ السنة من الضياع، وكذلك فعل الأتباع مع التابعين، يقول الأوزاعي : "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزائف على الصيارفة، فما عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركنا" [٤٠].

وفي علم الرواية أيضاً: نشأ ما يسمى بـ"الرحلات" فقد قطع الرواة الفيافي والقفار، للتأكد من حديث سمعوه، خشية خطأ الراوي أو تعمده في الزيادة. فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يسير شهراً إلى الشام ليسأل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه حديثاً سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤١]، وهذا سعيد ابن المسيب يقول: "إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد [٤٢]" ويقول أبو العالية: "كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم" [٤٣].

أما علم الحديث دراية :

فقد وضع العلماء قوانين مخصوصة يتميز بها الغث من السمين، وجعلوها قائمة على أصول أسسوها ليبنوا عليها أحكامهم، ومنها:

١ - فن التواريخ، ليعلم منه تاريخ الراوي ووفاته، يقول سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ" [٤٤].

٢ - فن الجرح والتعديل، وبه استطاعوا معرفة أحوال الرواة، فانكشف لهم الوضاعون.

٣ - النظر في كيفية التحمل وأخذ الرواة بعضهم عن بعض، وعن طريقه عرف العلماء اتصال الروايات من انقطاعها.. إلى غير ذلك من القواعد التي وضعوها لدراية الحديث، وبها حققوا أقصى ما في الوسع الإنساني، احتياطاً لدينهم، وأرسوا أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها وأرقاها، وقد قلدهم فيها علماء الفنون الأخرى من لغة وأدب وتاريخ ونحوها، فابن قتيبة الذي يعد من أوائل نقاد الأدباء، استمد ذلك من معارفه الحديثية، وكذلك فعل ابن خلدون في تمييزه الزائف من أخبار المؤرخين، فمقاييسه التي طبقها هي بعينها الأمثلة التي وضعها مسلم لمعرفة المنكر من الحديث [٤٥].

يقول السباعي رحمه الله تعالى: "وقد ألف أحد علماء التاريخ في العصر الحاضر كتاباً في أصول الرواية التاريخية، اعتمد فيها على قواعد مصطلح الحديث، واعترف بأنها أصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات" [٤٦] ويقصد السباعي " أسد رستم "أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقاً، والكتاب هو "مصطلح التاريخ".

الفصل الرابع: نقد الرواة وتتبع الكذبة

فأما نقد الرواة:

فقد أبلوا فيه بلاء حسنا، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرهم وما ظهر من أمرهم وما بطن، ولم يخشوا أحداً، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم من تجريح الرواة والتشهير بهم ورع ولا حرج، فكان شعبة يقول: " تعالوا حتى نغتاب في الله عز وجل" [٤٧] وسئل أن يكف عن بيان – أحد الكذابين – فقال: "لا يحل الكف عنه، لأن الأمر دين" [٤٨] يقول الإمام النووي: "اعلم أن جرح الرواة جائز بل واجب بالاتفاق، للضرورة الداعية إليه، لصيانة الشريعة المكرمة، وليس هو من الغيبة المحرمة، بل هو من النصيحة لله تعالى ولرسوله والمسلمين" [٤٩] لذا نشط العلماء في هذا الباب حتى أصبح علماً قائماً بذاته وهو "علم الجرح والتعديل" وهو ميزان للرواة يعرف به الثقة من الوضاع، ويختص بسند الحديث، وصرح بعضهم بأنه نصف العلم [٥٠].

وأما تتبع الكذبة:

فهو تطبيق عملي لما نتج عنه نقد الرواة، وهو جهد عظيم يضاف إلى جهود العلماء في مقاومة الوضع، فكما أنهم قاوموهم بسلاح الفكر، كذلك قاوموهم بسلاح اليد واللسان، فقد كان بعضهم يحارب القصاص والكذابين ويمنعهم من التحديث، فهذا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما حين دخل المسجد فوجد قاصاً يقص، فوجه إلى صاحب الشرطة أن أخرجه فأخرجه [٥١]، وكذلك فعل أبوه عمر من قبله، ومن أشهر من عرف بتصديه لهؤلاء من التابعين : عامر الشعبي، سفيان الثوري، عبد الرحمن بن المهدي وغيرهم.

ونتيجة لذلك توارى كثير من الكذابين، وأصبح عند العامة وعي جيد، يميزون به بين المحدثين والكذابين.

الفصل الخامس: التأليف في الوضاعين

جهد آخر يضاف إلى الجهود العظيمة التي بذلها العلماء من أجل حفظ الحديث وتخليصه من الوضع، متمثلا هذا الجهد في تلك الثروة العلمية الضخمة من كتب الموضوعات والوضاعين، فقد سجلوا العلماء أولئك الوضاعين في الصحف، كي يعرفهم من بعدهم فيجتنب أحاديثهم، واستلوهم من رواة الحديث كما تستل الشعرة من العجين، فطهروا منهم السنة الشريفة تطهيراً.

فوضع كثير من العلماء مؤلفات خصصوها للضعفاء والمتروكين من رواة الحديث، وأدرجوا فيها أسماء الوضاعين وأوصافهم وأقوال العلماء في نقدهم وتجريحهم، وذلك ككتب "الضعفاء" للإمام البخاري والنسائي وأبي حاتم ابن حبان، ثم جاء من بعدهم عبد الله بن عدي الجرجاني، فألف كتابه "الكامل " ذكر فيه كل من تكلم فيه ولو كان من رجال الصحيحين.

وكذلك أدرجوا الوضاعين في كتب التاريخ التي صنفت في أسماء الرجال وأخبارهم ومنها "تاريخ البخاري" الكبير والأوسط والصغير، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، وتاريخ جرجان للسهمي وتاريخ دمشق لابن عساكر و"المنتظم" لابن الجوزي [٥٢] وبعد هؤلاء جاء الحافظ الذهبي فوضع كتابه "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" وقد احتوى هذا الكتاب المطبوع في أربعة مجلدات ضخمة على ذكر الكذابين والوضاعين، ثم على المتهمين بالوضع،

وقد فات الذهبي جماعة ذيلهم عليه الحافظ العراقي، وقد عقب عليه أيضا الحافظ ابن حجر في كتابه "لسان الميزان".

الفصل السادس: التأليف في الموضوعات

لم يكتف علماؤنا الأجلاء بتسجيل أسماء هؤلاء الكذابين في الكتب، بل جمعوا أكاذيبهم ودونوها ليس بقصد أن يقرأها ويطلع عليها الناس من باب الثقافة وزيادة المعلومات، بل لكي يجتنبوها وينبهوا على أضرارها وآفاتها.

من أجل هذا فقد جمع كثير من العلماء ما تناثر في كتب من سبقهم من الموضوعات، فأودعوها أسفاراً أشهروها بين الناس، وفيها ما هو خاص بالأحاديث الموضوعة وتبلغ أربعين مؤلفا تقريباً [٥٣]، ومن أهمها الكتب الآتية :

١ - تذكرة الموضوعات: لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، توفي سنة ٥٠٧ ورتبه على حروف المعجم، وفيه يذكر الحديث ومن جرح راويه من الأئمة، طبع بمصر سنة ١٣٢٣ه. وقد أعيدت طباعته عدة مرات.

٢ – الموضوعات من الأحاديث المرفوعات : ويقال له "الأباطيل" لأبي عبد الله الحسين ابن إبراهيم الجورقاني المتوفى سنة ٥٤٣ وقد أكثر فيه من الحكم بالوضع بمجرد مخالفته السنة الصريحة. [٥٤]، وقد طبع هذا الكتاب تحت اسم (الأباطيل والمناكير) بتحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن الفريوائي سنة ١٤٠٣ه بالمطبعة السلفية في الهند.

٣ – الموضوعات : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي توفي سنة ٥٩٧ه وهو أكبر كتب الموضوعات وأشهرها، تناول فيه ما ورد من الأحاديث التي يعتقد أنها موضوعة في "الكامل" لابن عدي، وكتب الضعفاء لابن حبان والعقيلي والأزدي، ومعاجم الطبراني الثلاثة.

٤ - المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب: للحافظ أبي حفص عمر بن بدر الموصلي المتوفى سنة ٦٢٣، اكتفى فيه بذكر الأبواب التي لم يصح فيها شيء.

٥ - الدرر الملتقط في تنبيه الغلط : للعلامة رضي الدين حسن بن محمد العمري المعروف بـ (الصغاني) المتوفى سنة ٦٥٠.

٦- موضوعات الصغاني : رضي الدين الحسن بن محمد العمري، جمع فيها بعضاً من الأحاديث الموضوعة وأدرج فيها كثيراً من الأحاديث التي لم تبلغ درجة الوضع [٥٥].

٧- الأحاديث الموضوعة التي يرويها العامة والقصاص: وهي رسالة لعبد السلام بن عبد الله.. ابن تيميه، جد شيخ الإسلام توفي سنة ٦٥٢ه.

٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: للإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١، اختصر فيه كتاب الموضوعات لابن الجوزي، وحرر فيه تعقباته وانتقاداته عليه، وزاد فيه موضوعات أخرى لم يذكرها ابن الجوزي.

٩- الذيل على اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام السيوطي، وقد ذكر فيه عدداً آخر من الأحاديث الموضوعة لم يذكرها في الأصل ويسمى أيضاً (الذيل على الموضوعات) ولــه كتــاب في التعقيب على الموضوعات أسماه (النكت البديعات على الموضوعات) ثم اختصره في كتاب آخر سماه (التعقبات على الموضوعات) وعدد الأحاديث التي تعقبه فيها ثلاثمائة ونيف [٥٦].

١٠- الفوائد المجموعة في بيان الأحاديث الموضوعة: لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي الصالحي، صاحب السيرة توفي سنة ٩٤٢ وقد أشار إلى هذا الكتاب في سيرته.

١١ - تتريه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: لأبي الحسن علي بن محمد بــن عــراق الكناني المتوفى سنة ٩٦٣، لخص فيه ما في موضوعات ابن الجوزي واللآلي للسيوطي.

١٢- تذكرة الموضوعات : لرئيس محدثي الهند جمال الدين محمد بن طاهر الفتني المتوفى ســنة ٩٧٦هـ وله أيضاً "قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء".

١٣- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ويسمى "تذكرة الموضوعات" للشيخ: الملا علي القاري الهروي المتوفي سنة ١٠١٤.

١٤- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : للملا علي القاري، وقد رتبه على حروف الهجاء، وقد بلغت أحاديثه حسب تعداد المحقق ٤١٧ حديثاً [٥٧].

١٥- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: للشيخ مرعي بن يوسف الكرمــي المتــوفى ســنة ١٠٣٣هـ وقد نشره الأستاذ الصباغ محققاً في العدد السادس من مجلة "أضواء الشريعة" سنة ١٣٩٥هـ. ثم طبع هذا الكتاب منفرداً بتحقيق الأستاذ الصباغ في بيروت، الدار العربية سنة ١٣٩٥هـ.

١٦- الكشف الإلهي عن شديد الضعف والواهي: لمحمد بن محمد الحسيني السندروسي المتوفى ســنة ١١٧٧هـ جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهية والموضوعة.

١٧- الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات : للشيخ محمد بن أحمد السفاريني المتــوفى ســنة ١١٨٨هـ، وقد اختصر فيه كتاب "الموضوعات" في مجلد ضخم [٥٨].

١٨- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للقاضي محمد بن علي الشــوكاني المتــوفى ســنة ١٢٥٠هـ.

١٩- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: للعلامة عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي المتــوفى ســنة ١٣٠٤هـ وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب بتحقيق الشيخ محمد السعيد ابن بسيوني زغلول ونشرته دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٥هـ.

٢٠- اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع : للشيخ محمد بن خليــل القــاوقجي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ. ٢١- تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين لمحمد البشير ظافر المتوفى سنة ١٣٢٥هـ ذكر فيه الأحاديث الموضوعة المشتهرة على الألسنة.

٢٢- الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث : للشيخ أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي، وقد طبــع هذا الكتاب في طبعته الثانية بقراءة وتصحيح الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد سنة ١٤١٣هـ.

٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وهي سلسلة مقالات نشرها في مجلة "التمدن الإسلامي" ثم رأى طبعها تباعاً في أجزاء متسلسلة، وكل جزء ١٠٠ حديث، وكل خمسة أجزاء في مجلد [٥٩].

وبالإضافة إلى ما تقدم من الكتب المؤلفة في الموضوعات خاصة، فقد تلقف العلماء رحمهم الله، ما يدور على ألسنة العامة من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واختبروها فعرفوا صحيحها من زائفها ونشروا ذلك في مؤلفات بين الناس، من أهمها:

١- التذكرة في الأحاديث المشتهرة: لبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ ه. وطبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ مصطفى عبد القادر عطا.

٢- اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع: للحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ه [٦٠].

٣- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ه.

٤- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة : لجلال الدين السيوطي لخصه من "التذكرة" للزركشي وزاد عليه، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ خليل محي الدين الميس.

٥- الوسائل السنية من المقاصد السخاوية والجامع والزوائد السيوطية : لعلي بن محمد المنوفي المتوفى سنة ٩٣٩ .

٦- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لعبد الرحمن بن علي بن الديبع المتوفى سنة ٩٤٤ لخص فيه "المقاصد" وبين ما هو صحيح وموضوع.

٧- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير: لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ انتخبها مما تقدم من الكتب وكذلك من كتاب "الغماز على اللماز" لجلال الدين السمهودي، وقد طبع هذا الكتاب قديماً بالقاهرة سنة ١٢٧٧ه.

٨- تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس عما دار من الأحاديث بين الناس: لمحمد بن أحمد القادري المتوفى سنة ١٠٧٥ه.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين وصفوة الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فهذه خاتمة بحثي هذا " جهود العلماء في مقاومة الوضع " ، حيث مهدت للموضوع بباب تمهيدي تحدثت فيه عن تعريف الحديث الموضوع، وعن عبارات العلماء في التعريف به، وعن مصادر الحديث الموضوع، وعن عقوبة الوضع في الحديث، وعن توبة الوضاعين، وعن حكم رواية الحديث الموضوع،

وعن أسباب الوضع في الحديث النبوي الشريف، وعن حكم العمل بالحديث الموضوع، ثم دخلت إلى الباب الثاني والذي يعتبر هو موضوعي الرئيس من هذا البحث، وقد تحدثت فيه عن جهود العلماء في مقاومة الوضع، وقد قسمت هذا الباب إلى خمسة فصول، الفصل الأول يتحدث عن جمع الأحاديث الثابتة ، والفصل الثاني يتحدث عن الاهتمام بالإسناد ، والفصل الثالث يتحدث عن مضاعفة النشاط العلمي في قواعد الحديث، والفصل الرابع يتحدث عن نقد الرواة وتتبع الكذبة، والفصل الخامس يتحدث عن التأليف في الوضاعين، والفصل السادس يتحدث عن التأليف في الموضوعات، والآن أختم بحثي هذا الذي حاولت أن أظهر مدى العمل الجليل والجهد الكبير الذي أولاه علماؤنا الأجلاء في مقاومة الوضع في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أردت بيانه في هذا المقام فإن أصبت فمن توفيق الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس البحث

[١] سورة الحجر آية ٩.

[٢] سورة النحل آية ٤٤.

[٣] القاموس المحيط، مادة (وضع) ٦٩٤، ٦٩٥.

[٤] علوم الحديث : لابن الصلاح ص ٨٩.

[٥] توضيح الأفكار: للصنعاني (الحاشية) ج٢ ص ٦٨.

[٦] الفوائد الموضوعة: للكرمي ص١٠١، الأسرار المرفوعة: للقاري ص ١٧٩، المصنوع ص ١٣٨.

[٧] أورده ابن الجوزي في الموضوعات ج ٢ ص ١٠٩ — ١١١.

[٨] توضيح الأفكار : للصنعاني ج ٢ ص ٨٨-٨٩.

[٩] سورة النجم الآيتان ٣، ٤ .

[١٠] صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص ٧٠.

[١١] هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

[١٢] علوم الحديث : لابن الصلاح ص ٢٤٢-٢٤٣.

[١٣] سورة الفرقان آية ٧.

[١٤] صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص ٦٩.

[١٥] صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٠.

[١٦] سورة الحجرات آية ٦.

[١٧] سورة البقرة آية ٢٨٢.
[١٨] صحيح مسلم شرح النووي ج١ ص ٦٠-٦١.
[١٩] رواه مسلم في صحيحه في المقدمة باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين (٩/١).
[٢٠] توضيح الأفكار : (الحاشية) ج٢ ص ٧٣ ، المصباح : للاندجاني ص ٩٦.
[٢١] رواه مسلم في صحيحه في المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١٠/١).
[٢٢] فتح المغيث.. للسخاوي ١٧٥/١.
[٢٣] الفتاوى الحديثية : لابن حجر ص ٣٢.
[٢٤] الأباطيل والمناكير ج١ ص١٩-٢٠.
[٢٥] تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للدكتور علي الصلابي.
[٢٦] تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للدكتور الصلابي.
[٢٧] تدريب الراوي : للسيوطي ص ١٨٤.
[٢٨] سورة الحجر آية ٩.
[٢٩] تقييد العلم: للخطيب البغدادي ص ١٠٥ وما بعدها.
[٣٠] حجة الله البالغة ج١ ص ١٤٨ عن رسالة أبي داود لأهل مكة.
[٣١] سير أعلام النبلاء ج٨ ص ١١١.
[٣٢] السير ج ١١ ص ٣٢٩.
[٣٣] تذكرة الحفاظ: للذهبي ج ٢ ص ٥٥٦.
[٣٤] تذكرة الحفاظ : للذهبي ج ٢ ص ٥٨٩ .
[٣٥] صحيح مسلم (المقدمة) ج١ ص١٥.
[٣٦] الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٤.
[٣٧] صحيح مسلم (المقدمة) ج١ ص١٤.
[٣٨] أصول الحديث : للخطيب ص ٤٢٨.
[٣٩] قواعد التحديث : للقاسمي ص ١٧٤.
[٤٠] الموضوعات : لابن الجوزي ح١ ص ١٠٣.
[٤١] علوم الحديث : لابن الصلاح ص ٨.
[٤٢] الرحلة في طلب الحديث ص١٢٧.
[٤٣] الرحلة في طلب الحديث ص٩٣.
[٤٤] الكفاية في علم الرواية ص ١٤٧.
[٤٥] مجلة الأزهر : مجلد ٣٨ سنة ١٣٨٦ ص ٤٥٤.
[٤٦] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٢٦.
[٤٧] الموضوعات : المقدمة ج١ ص ٥٠.

[٤٨] الموضوعات : المقدمة ج١ ص ٥٠.

[٤٩] شرح صحيح مسلم للنووي ج١ ص ٦٠.

[٥٠] مقدمة تحفة الأحوذي : للمباركفوري ص ١٥٢.

[٥١] تحذير الخواص : للسيوطي ص ٢١٤.

[٥٢] توضيح الأفكار : للصنعاني ح١ ص ٤٦،٤٧.

[٥٣] أصول الحديث : للخطيب ص ٤٣٥.

[٥٤] الرسالة المستطرفة : للكتاني ص ١٤٩.

[٥٥] الرسالة المستطرفة ص ١٥٢.

[٥٦] الرسالة المستطرفة ص ١٥٠.

[٥٧] المصنوع ص ١٧٧..

[٥٨] الرسالة المستطرفة ص ١٥٠.

[٥٩] سلسلة الأحاديث الضعيفة.. المقدمة ص ٤.

[٦٠] السنة قبل التدوين ص ٢٩٠.

==========================

حادثة وحديث حول نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

عبيد بن عساف الطوياوي(*)

لقد غضب المسلمون غضباً شديداً مما أصابهم في نبيهم صلى الله عليه وسلم، حيث تجرأ بعض السفهاء على النيل منه، والاستهزاء به، ويحق لهم أن يغضبوا، يقول الإمام مالك –رحمه الله: (ماذا يبقى للأمة بعد سب نبيها صلى الله عليه وسلم؟!.). فهي وصمة عار في جبين الأمة، أنْ يُستهزأ بنبيها صلى الله عليه وسلم برسوم ساخرة، وأن يُرمى رسولها بتهم باطلة، وعلى يد طغمة حقيرة خبيثة حاقدة.

ومما لا شك فيه أن ذلك من منهج المجرمين ومسلك الشياطين من الجن والإنس الذين أخبر عنهم ربنا عز وجل، فما من نبي إلا وله أعداء يخالفونه ويعاندونه ويعادونه، يقول تبارك وتعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }، ويقول عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}ولكن مهما فعل المغرضون، وعمل الحاقدون، فإنَّ للنبي – صلى الله عليه وسلم – منزلة عظيمة، ومكانة سامية، ودرجة رفيعة عالية عند الله عز وجل وعند عباده المؤمنين، فهو أكرم البشر، وأعظمهم جاهاً ومقاماً، زكاه الله عز وجل من فوق سبع سماواته، زكى عقله فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}وزكى لسانه وقال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}وزكى كلامه وقال: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} وزكى فؤاده وقال: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}وزكى بصره

وقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} وزكى خلقه وقال: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}بل زكاه كله وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } فاخسئوا معشر المجرمين وابشروا بلعنة رب العالمين في الدنيا والآخرة والعذاب المهين }فقد قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}

إن الغضب من أجل النبي صلى الله عليه وسلم هو أقل ما يمكن أن يفعله المسلم، أما الدفاع عنه، والذب عن عرضه، فهو من أوجب الواجبات، ولن يبلغ العبد درجة كمال الإيمان إلا إذا كان يحب النبي -صلى الله عيله وسلم- أكثر من حبه لنفسه، ففي الحديث قال عمر -رضي الله عنه: (يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي). فقال - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) فقال رضي الله عنه: (فأنت الآن والله أحب إليَّ من نفسي). فقال - صلى الله عليه وسلم -: (الآن يا عمر).

إنَّ الإساءة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - هي إساءة للدين ولكل مسلم من المسلمين، ولكن ينبغي للمسلم أن يتصرف بحكمة، وينصر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالطرق المشروعة، وقد قامت الدولة - وفقها الله - باستنكار ذلك المنكر العظيم، ومن الوفاء شكر ولاة أمرنا والدعاء لهم، ولا ننسى بعض تجارنا الذين غضبوا لنبيهم - صلى الله عليه وسلم - فقاطعوا منتجات تلك الدولة، أسأل الله -عز وجل- أن يخلف عليهم خيراً، كما أسأله سبحانه أن يرينا بأعدائنا وأعداء نبينا عجائب قدرته، وفجاءة نقمته، وأليم عذابه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

(*)حائل - ص. ب: ٣٩٩٨

حتى يتفرق دمه في القبائل ...

أ.د. ناصر بن سليمان العمر ... ...

لم يكن يتصور المرء أن مؤامرة كفار قريش لقتل النبي _صلى الله عليه وسلم_ تعود مرة أخرى بهذه السرعة وبالمنوال نفسه وعلى أيدي الغربيين أعداء العرب والمسلمين، حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل.

يختلف الحدث والزمان والمكان وتتفق الحقائق "أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ" (الذريات:٥٣).

لقد ابتدر أبو جهل تلك الفكرة الآثمة التي لم يبتدرها إبليس و لم يملك إلاّ أن يصفق لها قائلاً: "هذا هو الرأي"، فتآمروا قديماً على قتله -بأبي وأمي هو- وطلبوا من كل قبيلة أن تأتي برجل منهم حتى يتفرق دمه في القبائل —زعموا-.

واليوم وعندما تحمّلت الدنمارك كبر سبّ النبي _صلى الله عليه وسلم_، وكانت الوقفة المشرفة من الأمة ضد هذه الجريمة النكراء، وعندما بدأت تلك الدولة تترنح تحت وطأة آثار تلك الحملة، وبالذات المقاطعة الاقتصادية الشجاعة من لدن المسلمين، في دولة يعد ثدي البقرة أعظم من بئر نفط لدى ممالك النفط ، هنا هبّ الغرب في وقفة آثمة مع هذه الدولة الباغية من أجل تفتيت تلك المقاطعة،

(حتى يتفرق أثرها في تلك الدول بدل دولة واحدة)، وهنا يقول بعض المسلمين: لا طاقة لنا بمحاربة هؤلاء القوم جميعاً؛ لأسباب لا تخفى على ذي عينين وعقل وأذنين.

ولذا كان لا بد من التيقظ والحزم وعدم الاستسلام لتلك المؤامرة، وهذا يقتضي أن تحصر المقاطعة في الدولة التي أيقظت الفتنة وهي نائمة "لعن الله من أيقظها" مع الاستمرار في المقاطعة وتفعيلها؛ لأنها بدأت تؤتي أكلها بإذن ربها، يقول رئيس تحرير تلك الصحيفة الآثمة: "علي أني أقول وأنا أشعر بالعار: إنهم انتصروا"، فحذار من إتاحة الفرصة لتفتيت هذه الوقفة الشجاعة بالتعجل بالدعوة لمقاطعة هذه الدول كلها، وهذا ما يريد أن يجرنا إليه الغرب الحاقد؛ لأنه يعلم أن من يقاتل فرداً ليس كمن يقاتل عشرة، ويدرك أنه بالدعوة إلى مقاطعة تلك الدول سينبري أناس من بني جلدتنا ضد هذه المقاطعات؛ لأنها ستمس مصالحهم مباشرة، وهنا يدب الخلاف ويكثر النزاع، وتتحول المعركة ضد العدو إلى معركة داخلية، والنتيجة هي الفشل ــلا سمح اللهــ "وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" [الأنفال: من الآية٤٦].

ولا يعني هذا براءة تلك الدول، أو عدم استحقاقها للعقاب، كلاّ، ولكن السياسة الشرعية تقتضي التعامل بحكمة مع الحدث، وعدم تفتيت الجهود، أو الاندفاع العاطفي غير محسوب النتائج، أو الدخول في معركة لا نملك أدواتها.

وعندما نحصر الحرب في الدولة البادئة فلأنها هي التي تولت كبر الحدث والبادي أظلم، وهي التي سنت تلك السنة السيئة، فعليها وزرها ووزر من عمل بها، وعلى نفسها جنت براقش، فاجعلوها عبرة لمعتبر، تصديقاً لقوله ــسبحانهــ: "يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ" [الحشر: من الآية٢]، وتحقيقاً لقول الباري ــتعالىــ: "فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ" [الأنفال: من الآية٥٧]، وسبيل النجاة يكمن في قوله ــجل وعلاــ: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا" [آل عمران: من الآية١٠٣].

وختاماً "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [آل عمران:٢٠٠].

==========================

حدود حرية التعبير

يوسف القبلان

«كما دعت اللجنة إلى اتخاذ اجراءات حازمة لحظر القيام بنشر الأفكار والمواد القائمة على العنصرية».

أما اللجنة فهي لجنة حقوق الإنسان حين أشارت في دورتها الحادية والستين إلى ما يلحق الأقليات والطوائف المسلمة في بعض البلدان غير الإسلامية، وإلى التصوير السيئ للإسلام في وسائل الإعلام.

أما المتحدث فهو الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي وكان في حديثه يستهجن ويستغرب ما أثارته صحف دانماركية ونرويجية من إساءة للمسلمين بانتهاكها المبادئ الأساسية للصحافة تحت غطاء حرية التعبير.

وأشار د.الحبيب في حديثه إلى أن القمة الإسلامية الاستثنائية الثالثة التي عقدت بمكة المكرمة في نهاية ديسمبر ٢٠٠٥ أكدت على مسؤولية جميع الحكومات عن ضمان الاحترام الكامل لجميع الأديان والرموز الدينية، وعدم جواز استغلال حرية التعبير ذريعة للإساءة إلى الأديان، ونحن نتفق مع ما ذهب إليه الأمين العام ونتساءل عن دور المنظمات الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف وغيرها، وهل يمكن مقارنة مواقفها في الذود عن الإسلام والمسلمين بما تقوم به منظمات حقوق الإنسان.

وإذا كنا نطالب باتخاذ إجراءات حازمة فما الذي تم في هذا الشأن وهل هناك تنسيق فعلي بين المنظمات الإسلامية وهل يقتصر دور هذه المنظمات على كشف سقطات بعض الصحف المتطرفة أم أن القضية أكبر وأشمل وتحتاج إلى استراتيجية طويلة المدى لتوضيح صورة الإسلام الحقيقية الجميلة التي شوهها الإرهابيون المتطرفون وما هذه الحملات البغيضة ضد الإسلام إلا نتيجة لأعمال الإرهاب المنسوبة إلى المسلمين، فالإرهابيون لم يكتفوا بقتل الأبرياء بل شجعوا المتطرفين في الجانب الآخر على التمادي فيما يسمونه حرية التعبير، ولو اتجهت الأموال التي تمول الإرهاب إلى بناء المساجد والمراكز الثقافية والمكتبات والجمعيات الإنسانية لكان في ذلك أكبر خدمة للإسلام والمسلمين.

ليس المطلوب الآن من المنظمات الإسلامية الاكتفاء بإصدار بيانات الاستنكار والاستهجان ولا بيانات المناشدة، ولكن المطلوب وضع برنامج عمل مستمر ليس فقط من أجل الرد على ما تكتبه الصحافة المتطرفة ولكن من أجل وضع سياسة وبرنامج عمل منظم يأخذان في الاعتبار أحوال المسلمين في كل مكان ويقدمان الخدمات الإنسانية للإنسان مهما كانت ديانته أو جنسيته أو لونه انطلاقاً من مبادئ الدين الإسلامي التي تحث على التكافل واحترام الأديان، والتآلف، والتسامح وغيرها من القيم الإسلامية العظيمة التي أساء إليها الإرهابيون، وتقع على المنظمات الإسلامية مسؤولية أبرازها كسلوك إسلامي.

أما قضية حرية التعبير التي يستند إليها الذين يهاجمون الإسلام ويسخرون من تعالسيمه بل ويتمادون في حريتهم بالسخرية من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها حرية مرفوضة، وهي حرية لا يجوز الدخول فيها أو ممارستها من قبل منسوبي كافة الأديان، وعلينا نحن أيضاً كمسلمين أن نجري عملية تقييم ذاتية صادقة وشفافة لكل مفردات خطابنا الديني، ومن الأولى أن يكون المسلم قدوة لغيره في القيم الإنسانية النبيلة التي تحترم كرامة الإنسان وتحترم أديانه.

yalgoblan@alriyadh.com

٣ تعليقات

ايهما اعظم من نشر صور ام من صور فيلم
دار عرض أمريكية تعرض فيلما إباحيا بعنوان'الحياة الجنسية للنبي محمد'.
الإساءة فوبيا غربية قديمة
و لم تقتصر الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقط ولكنها امتدت لتشمل إساءات أشد مثل ما نشرته صحيفة هيوستن برس الأمريكية الأسبوعية في ولاية تكساس من إعلان عن دار عرض أمريكية تعرض فيلما إباحيا بعنوان'الحياة الجنسية للنبي محمد'.
ورغم الاحتجاجات التي تلقتها دار السينما من مسلمي ولاية تكساس إلا أنها رفضت إيقاف عرض الفيلم واستعانت بالشرطة لصد المتظاهرين. وبالطبع لم يتم اتخاذ أي إجراء لمنع عرض الفيلم من قبل المسئولين.
سالم الصقيه
٠٦:٥٢ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦
٢
اتفق معكِ أخي يوسف.. ولكن. اختلف معك أيضاً
أولاً / أستاذ/ يوسف.. شكر الله لك تصديك ودفعاك عن الحبيب صلى الله عليه وسلم... وهذا أقل ما يفعله أحدنا...
ثانياً/ إنني أتفق معك... في كثير مما تطرقت إليه.. وأخالفك في البعض... ولعلك والأخوة القــراء يتفقون معي أن اختلاف وجهات النظر لا يفسد للود قضية... فإن كان الحق معك.. وضحه لي في مداخلة.. أو في مقال آخر.. وإن كان الحق فيما ذكرته أنا.. فالأولى بالمسلم قبول الحق كما قــال حبيبك وحبيبي صلى الله عليه وسلم [الحكمة ضالة المؤمن]
أخي الكريم يوسف..
ثالثاً/ أما قولك (وإذا كنا نطالب باتخاذ إجراءات حازمة فما الذي تم في هذا الشأن وهل هناك تنسيق فعلي بين المنظمات الإسلامية وهل يقتصر دور هذه المنظمات على كشف سقطات بعض الصحف المتطرفة أم أن القضية أكبر وأشمل وتحتاج إلى استراتيجية طويلة المدى لتوضيح صورة الإسلام الحقيقية الجميلة التي شوهها الإرهابيون المتطرفون)
فأتفق معك جملة وتفصلاً..
بل وأضيف ~إليه.. إن ما قامت به الصفتين الدنمركية والنرويجية.. عين التطرف... والإرهاب.. فإن ينتقمون... من شعب أفغانستان.. وشعب العــراق.. ويقصــفون النســاء والأطفــال والعــزل. والحيوانات.. (ليتمهم في نظر أمريكا سواء لكان تدخلت جمعية حقوق الحيوان) بسبب تفجير برجي التجارة العالمية في أمريكا... سواء ثبت أن القائم به مسلمون.. أم أن التهمة علقة على أناس متوفين قبل الحدث بسنين وأكثر.. كما اتضح لنا فيما بعد!!!
.. تابع التتمة من فضلك

أخوكم/ أبوعاصم
abo-aseem@maktoob.com
عبدالعزيز بن علي العسكر
٠٧:٣٧ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦
٣
تتمة اتفاقي.. معك.. ووجهات اختلافي
فإذا كان المعتدي ابن لادن أو فلان.. وفلان.. أليست أمريكا بأجهزة استخباراتها والموساد معها...و... ، قادرة أن تقتنصه لوحدة كما اقتنصت (تلميذتها) إسرائيل (أحمد ياسين) و)وعبدالعزيز الرنتيسي) ! وغيرهم كثير.. هل ما فعلته أمريكا بامتهان المصحف في قوانتامو وما فعلته في المعتقلات العراقية..و قصفها لشعب أفغانستان وشعب العراق وما فعلته الصحف الدنمركية من الديمقراطية والعدل؟
كما أننا ومن خلال تعاليم الإسلام.. نمقت ونحذر من العليات الإرهابية والانتقامية.. خصوصاً في البلاد الآمنة المستقرة.. التي لا حرب فيها.. كقتل المعاهدين والمستأمنين ومن دخلوا بلادنا بإذن من ولاة الأمر فقد قال صلى الله لعيه وسلم [من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة] فأي جهاد.. يزعمونه لا يدخلك الجنة؟؟
وإذا لم يدخل هؤلاء التفجيريين والتكفيريين.. الجنة فأين مصيرهم؟؟ والعياذ بالله !!
إلا أن ثمتَ تطرف آخر... في المقابل.. ألا وهو التغريب.. وزعم تحرير المرأة وقيادة المرأة.. فهذا وذاك سواء.. التكفيريين يفجرون المباني ويقتلون.. الأبرياء.. والتغريبيين.. يفجرون المشاعر.. ويثيرون العداوات.. ويقتلون المباني والقيم ويحاولون قتل العقائد.. ولن يستطيع التكفيريين ولا التغريبيين إدراك مأربهم. ومقاصدهم. {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} طالما وقفنا صفا واحدا خلف ولاة أمرنا (الأمراء والعلماء) قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}
أما قولك (وما هذه الحملات البغيضة ضد الإسلام إلا نتيجة لأعمال الإرهاب المنسوبة إلى المسلمين، فالإرهابيون لم يكتفوا بقتل الأبرياء)
فهذا غير صحيح... فعداوة اليهود والنصارى أزلية منذ عهد النبوة والخلفاء والراشدين، ولن نصل معهم لائتفلاف فإن الله تعالى يقول {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} فهل يقبل مسلم أن يبع ملتهم؟؟؟
ولو فعل لأصبح كالأفارقة السود في أمريكا.. وما يعانونه من اضطهاد!
قبل تحياتي ودعوتي حبيبي يوسف.. واختلاف وجهات النظر لا تفسد للود قضية، أسأل الله أن يظهر الحق على يديك وعلى لسانك ومن خلال قلما، وأن يجمعني بك مع الحبيب صلى الله عليه وسلم عند حضه وفي الفردوس الأعلى. وصلى الله وسلم على الحبيب.

أخوكم/ أبوعاصم
abo-aseem@maktoob.com
عبدالعزيز بن علي العسكر
٠٧:٤٠ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦
========================

حديث عن المصطفى المختار

عبد الرحمن السديس إمام الحرم
مكة المكرمة
١٤٢٦/٣/٦
المسجد الحرام
ملخص الخطبة

١- سبب عز الأمة وتمكينها. ٢- سبب ذل الأمة وانهزامها. ٣- الحديث عن المصطفى . ٤- وجوب محبة النبي . ٥- حقيقة محبة النبي . ٦- فضائل النبي وشمائله. ٧- ومضات من سيرة النبي . ٨- جد النبي واجتهاده. ٩- حقد الأعداء على النبي . ١٠- ضرورة الاستفادة من السيرة النبوية. ١١- الحب الصادق والحب الكاذب. ١٢- محبة آل البيت وأزواج النبي والصحابة الكرام.

الخطبة الأولى

أمّا بعد: فإنَّ خيرَ ما تُفتَتح به الوصايا وتُختَتَم ويُستجلَب به الخير ويُستَتَمّ الحثُّ على تقوى الإلـهِ وخشيته في السرِّ والعلن؛ فمن جعل التقوَى مرمَى بصرِه أفلح ونجَا، وفازَ بما أمَّل ورجا، وصدَر عن بهجةٍ وانشراح روح، ونفسٍ راضية مرضية في رياضِ السّعادة تغدو وتَروح.

أيّها المؤمنون، لسنا في نجوًى عن القول: إنّ أمّتَنا الإسلاميّة العتيدة إنما شدَّت ركابَها شطرَ المجد والعلياء وتسنَّمت قِمَم السؤدَدِ والإباء وساقت الإنسانيّةَ إلى مرابع الحضارة والمدنيّة والهناء وأفياءِ الأمن والرّخاء والعدل والإخاء ساعةَ استعصَمَت بالوحيَين الشريفين، واستمسَكت بالهديَين النيِّرين، وكانت مِلءَ سمعها وبصرها، ومُفعَم روحِها ومُستَولَى مشاعرها، سنّةُ نبيّها الغرّاء وسيرتُه وشمائِله الفيحاء.

خُلُقٌ كما خطَر النّسيم فهزَّ أعطافَ النبات وشمائلٌ علويّة أصفى من الماء الفرات

ويومَ أن شطَّ بها المزار عن ذلك الهدي المتلألئ المِدرار فاءت الأمّةُ إلى يَباب التبعيّة والذيليّة والوهَن، وصارت والتنافرَ والتناثرَ في قَرَنٍ، والْتأمَتْ مع الأسَى المِمِضّ أمّةُ الاقتداء والوحي والاقتفاء على دعاوًى منَ الحبِّ مسطَّحةٍ زَيفاء، تكاد عند المحاقَقَة لا تبارِح الألسنة والشِّفاه، وذلك من مكامنِ دائها العُياء، فَدَاءُ الأمّة فيها، ولو أنها اعتصَمَت بالكتاب والسنّة ما استفحَل داؤها ولتحقّق دواؤها.

إخوةَ الإيمان، ولئن ازدَانَت الغَبراء فَبُدِّلت وضَّاءةً خضراء منذ ما يربُو على أربعةَ عشر قرنًا من الزّمان ببعثة سيِّد الأنبياء وعطَّرت سيرته المونقة الأقطارَ والأرجاء

فالكَونُ أشرَقَ والفَضاءُ تعطَّرَا والأُفْق ظلَّله السرور فهل تَرى

بما تضمَّنته من حقائق المهابةِ والجمال والخشية والجلال ومسدَّدِ الحِكمةِ في الأقوالِ والفِعال، فإنَّ تلكم السيرةَ المشرقة الجبين المتلألِئة المُحَيَّا لا تزال تُهيب بوُرَّادها مناشِدَةً: إليَّ إليَّ، وحيَّهَلاً عليَّ عليَّ، نهلاً وفهمًا، واقتِباسًا وريًّا.

معاشر المحبين، إنَّ الحديثَ عن الحبيب المصطَفى والرسول المجتبى والخاتم المقتَفَى صلواتُ الله عليه وآلِه وسلّم لهو حديثٌ عَذبُ المذاق، مُجرٍ لدموع المآق، بَلسَم لجفوة القلوب ولقَسوَتها تِرياق، كيف لا وهو رسول الملِك العلام وحامِل ألوية العدلِ والسّلام ومُخرج البشريّة بإذن ربِّها من دياجير الانحطاطِ والوثنية والظلام ووِهاد الأرجاس والآثام إلى أنوار التوحيدِ والإيمان والوئام؟! صلوات الله وسلامه عليه ما ذرَّ شارق، وحنَّ إلى إلفِه المفارق، نبيُّ المعجزات، وآخذُنا عن النار بالحُجُزات، أمَنّ النّاس على كلِّ مسلم ومسلمة، وأحقُّهم نَقلاً وعقلاً بالمحَبّة الوادِقة والطاعة الصادقة، صاحِبُ المقامِ المحمود واللِّواء المعقود والحَوض المورود.

تجود بالدّمع عيني حين أذكرُه أمّا الفؤاد فلِلحوض العظيم ظَمِي

لا يتمّ دينُ المرءِ إلاّ بإجلاله والانقيادِ له وحبِّه، ومن صغَّر خدَّه هدم دينَه واتُّهم في لُبِّه، يقول عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الشيخان: ((لا يؤمِن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه وولده ووالدِه والناس أجمعين))[١].

تِلكم هي المحبّةُ الصادقة التي أفضَت إلى أصلِ الطّاعة والتسليم الذي دلَّ عليه قول الحقّ تبارك وتعالى: فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء:٦٥]. أحبَّه مولاه واجتبَاه، وميَّزه على سائر الخليقة واصطفاه.

فكم حَبَاه ربُّه وفضّله وخصّه سبحانه وخوَّله

أبى الله إلاَّ رَفعه وعُلُوَّه وليس لما يُعلِيه ذو العرش واضعُ

بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام. أظهرُ الخليقَة بشرًا وأُنسًا، وأطيبُهم نَفَسًا ونفْسًا، وأجملُهم وصفًا، وأظهرهم لُطفًا، لا يطوي عَن بَشَرٍ بِشْرَهُ، وحاشاه أن يشافِهَ أحدًا بما يكره، والبِشْرُ عنوان البشير، صلّى الله عليه ما همَى رُكام وما هَتن غَمام، كان ذا رأفةٍ عامّة وشفَقَة سابغة تامّة، أجملُ الناسِ ودًّا، وأحسنُهم وفاءً وعهدًا، تواضَعَ للناس وهمُ الأتباع، وخفض جناحه لهم وهو المتبوع المطَاع، كان شديدَ الخوف والعبادة، وافرَ الطاعة والقنوت والإفادة، له شجاعةٌ ونجدة وبسالة في الحقّ وشِدّة، يبذُل الرّغائب، ويعين على الصروفِ والنوائب، ما سئِل عن شيء فقال: لا، وما أشاحَ عن مُعتَفٍ ولا قَلَى. فيا لله، هل في طوقِ الأبيناء من غَطارِفة البيان أن يتفرَّدوا بوصفِ نبيٍّ نُزِّه عن المثالب والنقائص وكُرِّم ببديع الشمائلِ والخصائص؟! كلا لعَمرو الحقِّ كلاّ.

مَلَكت سَجايَاه القلوبَ محبَّةً إنَّ الرسول إلى القلوبِ حَبيبُ

نبيٌّ تقيّ، ورسول نقيٌّ، زكّى الباري لسانه فقال: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى [النجم:٣]، وزكّى بصره فقال: مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى [النجم:١٧]، وزكّى صدره فقال: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [الشرح:١]، وزكّى فؤادَه فقال: مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى [النجم:١١]، وزكّى جليسَه فقال: عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى [النجم:٥]، وزكّاه كلَّه فجاءت الشهادة الكبرى التي شرُف بها الوجود وانزوَت لها كلُّ الحدود، إذ يقول البَرّ الودود: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:٤].

خُلُق عظيمٌ اشتُقَّ من عظمة هذه الرسالةِ العالمية الإنسانية، خُلُق لا يؤوده بلاغ الرحمة والعدل والفضيلة والقوّة والعزة والرفق والحكمة، وشعار المحِبّ دائمًا يعلو:

خيالُك في ذهني وذِكراك في فمي ومَثواك في قلبي فأين تغيب؟!

إخوةَ الإيمان، ولسيرةِ النبيِّ المختار هَديرُها ورواؤها في سُويداءِ النفوس التي أحبَّته وأجلّته والأفئدةِ المولَّهَة العميدَةِ بخصالِه، وإبلالاً لذلك الصَّيهَج من الحبّ الطهور نُزجي للعالَم ومضاتٍ ولُمَعًا من سيرتِه المَنشَّرَة بالرحمة والحنان، وهيهات أن يبلُغَ المرام بنان.

فيومَ أن اشتدَّ أذى قومِه له، فانطلَقَ وهو مهمومٌ على وجهه عليه الصلاة والسلام، فلم يستفِق إلاّ وهو بقرنِ الثعالب، فناداه ملك الجبال وقال: يا محمّد، إن شِئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبين، فقال وهو الرؤوف الرحيم: ((بل أرجو أن يخرِجَ الله من أصلابهم من يعبدُه وحدَه لا يشرك به شيئًا)) أخرجه الشيخان[٢].

فسبحان الله عبادَ الله، انظروا كيفَ قابلوه بالتَّهَجّم والنكران، فنحَلَهم العفوَ والغفران، وصدق الله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء:١٠٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إنّما أنا رحمةٌ مهداة)) خرَّجه البخاري[٣].

هو رحمةٌ للناس مهداة فيا وَيلَ المعانِدِ إنّه لا يُرحَم

وصرخةُ مَفؤودٍ متوجِّع ولَوعةُ مصدورٍ متفجِّع ممّن يقتِّلون الأنفس المعصومةَ البريئة، لا يتلذَّذون إلا بإراقةِ الدماء وتناثُر الأشلاء، في جهالاتٍ تتلوها حماقاتٌ، فيا لها من قِحَة جريئة وقلوب قاسيَة قبيحة، معاذَ الله ثم معاذَ الله أن يكونَ الفساد والدمار والإرهابُ والبوار من هديِ النبوّة وشمائلها في وِردٍ أو صدر.

وفي فتحِ مكّةَ حين اشتدَّ الفزعُ الهالِع بمشركي قريش وظنّوا كلَّ الظنّ أنّ شأفتَهم مستأصلة وقف منهم الرسولُ الشاكر الرحيم المانّ الحليم وقال: ((ما تظنّون أنّي فاعل بكم؟)) قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: ((اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، اذهَبوا فأنتم الطلقاء))[٤].

الله أكبر، يا له من نبيٍّ ما أعظَمَه، ومِن رسولٍ ما أكرمه.

لَه الصلاة والسلام تترَى ما شرى برقٌ على طَيبَةَ أو أمِّ القرى

إنّه المثل الأعلى للإنسانيّة؛ انتَصَر فرحِم وعفا، وقدَر فصفَح وما جفا.

مَعالٍ جازَت الجَوْزا جَوازًا وحُسْنٌ قد حَوَى الحُسْنى وجازَا

وغيرُ خافٍ ــ يا أولي الألباب ــ ممّا يسهِّدكم تفصيلُه ويؤلمكم قليله ما مُني به بعضُ الغُلاَة حين استبدَّ العتاة، فأهدَروا إنسانيّةَ الإنسان، وحطَّموا في صلَفٍ وعنجهيّة كلَّ المواثيق والحقوق، فأين الحَضيض من السِّماك الأعزل؟! وشتّان شتّان بين الاهتداء المنير والادِّعاء المبير.

ونظيرُ ذلك مما ينتَظِم في أسلاك الصّفحِ والنّبل والشهامة من نبيِّ الرحمة والكرامة ما كان منه إزاءَ ثمامَة وهِندٍ والثلاثة، ويكفي من القلادَةِ ما أحاط بالعنق.

وصفوةُ القول: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:٢١]، أسوةٌ في جميع ضروب الحياة وتصاريف الأمور والمعاملاتِ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام:١٢٤]، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ [القصص:٦٨].

إنَّها النفس التي عانَقَت السماء، وعاشَت على الثَّرى دانيةً من الناس، مِلؤُها الإحسان المدِيد والعقلُ السديد والرأي الرّشيد والقول اللطيف الوئيد، في أقصى آمالِ الحِرص والإخلاص والصّدق والأمانة.

فعن حبِّه حدِّث عن البحر إنّه لبحرٌ ولكن بالمعاني انسيابُه

معاشرَ المسلمين، ثلاثةٌ وعشرون عامًا بل دُرّةٌ مِن الدعوة والصبر والتعليم والجهاد تقِف شامخةً على قمَّة الزمنِ والحضارة والتأريخ، لا تجِد فيها ساعةً أو خطوَة توصَف بالضياع أو الإهدارِ.

يا ربَّنا فاجمَعنا معًا بنبيِّنا فِي جنّةٍ تثني عيونَ الْحُسَّد

في جنّةِ الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلالِ وذا العلا والسّؤدَد

أمّةَ الإسلام، أحباب سيّدِ الأنام، ومع كلِّ هذا الجلاء في سيرةِ خير الورَى والبهاء لا يزالُ أحلاسُ النّفاق وشُذّاذ الآفاق ومَردَة الكُفرِ والاستشراق ومُسوخ العولمة والتغريب ينشرون أباطيلَهم وحقدَهم الأرعن عبرَ الحمَلات والشبكات حِيالَ الجناب المحمديّ الأطهر والهدي المصطفويّ الأزهَر، فيا وَيحهم، يا ويحهم يَرمون من أرسلَه الله رحمةً للعالمين بالقَسوة والجفاء والإرهابِ والغِلظة والشناءَة، في رسومٍ ساخِرة ودِعايات سافِرة وحملات ماكِرة، فالله حسبنا وحسيبُهم.

وهَل أنكروا إلاّ فضائلَ جمّةً؟! وهل يبصِر الخفّاش والنورُ ساطِع؟!

وما عُدَّتهم إلاّ الافتراء والزور، ينفثُها صدرُ كلِّ مأفونٍ موتور، تشكيكًا في النبوّةِ والرّسالة، فويلٌ لهم من وَصفِهم أشرفَ الورى بما اختَلقوا مِن عندهم والتّزَعُّم. وقد علِموا يقينًا قاطعًا أنّ النبيَّ الأمّيَّ الهاشميّ القرشيّ صلوات ربي وسلامُه عليه قد جاء للبشريّة بأسمى الحقائِق الكونية وأزكى الآداب الخُلُقية وأرقى النُّظُم الاجتماعيّة وأجلى الشرائع التعبديّة، ولكن وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا [النمل:١٤]. الله أكبر، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ [الكوثر:٣]، ولله درُّ حسّانَ رضي الله عنه:

هجوتَ مباركًا برًّا حنيفًا أمينَ الله شِيمتُه الوفاءُ

فإنَّ أبي ووالدَه وعِرضي لعِرضِ محمّدٍ منكم وقاء

أمّةَ الإسلام في كلّ مكان، وإذا كانَت المآسي تلفَح وجوهَنا في كلِّ شبرٍ وواد من كلِّ باغٍ وعادٍ فإنّه لِزامًا على الأمّة وقد رضِيَت بالركون إلى هذه الدنيا والإخلاد ورَثَّ حبلُ صِلَتِها بهذِه السّيرةِ الهادِية أو كاد وغدَت سيرةُ الحبيب بعد الجدّة والإشراق أشبهَ بالأخلاط أن تَنثَني إلى السيرة النبوية في شمولٍ

وعُمق وجدٍّ وصِدق، وأن تكونَ أشدَّ تعلُّقًا بنبيِّها وسيرتِه عليه الصلاة والسلام تأسِّيًا وفهمًا وسلوكًا واستبصارًا واعتبارًا؛ لتنتشلَ نفسَها من كلاكل العجزِ والتمزّق والفِتن والانحدار التي مُنيت بها في هذهِ الآونةِ العصيبة، ولْتعلِنها مدوِّيَة خفّاقةً وشَجًى في اللّهواتِ المغرضة الأفّاكة أنّ السيرة النبويّةَ والمناقب المحمّديّة على صاحبها أزكَى سلامٍ وأفضل تحيّة هي مناط العِزّ والنصر وأجلَى لُغاتِ العصر التي تعرُج بالأمة إلى مداراتِ السّؤدَد والتمكين، وهي التي تقضِي على جدلِ كلِّ عنيد وخداع كلِّ ماكر ونَزَق كلِّ دعِيّ، وهي الحجّة القاطعة لدحرِ المتقحِّمين على أصولِ الشريعة والأحكام مِن قليلِي البصيرة وسُفَهاء الأحلام.

والسيرةُ النبويّة ـ يا رعاكم الله ـ هي الشمسُ الساطعة التي تربَّى عليها الأجيالُ بمنهج الوسَطِ والاعتدال بعدَ أن تلقَّفَتهم جحافِل الغرائز والشهوات في رائِيَات وفضائيّات، وطوَّقتهم فيالِقُ الشّبهات في شبكاتٍ ومنتديَات، وغزَتْهم كتائبُ الانهزاميّة والفرقة والشّتات، حتى جفَّت في قلوبهم ينابيعُ الحبِّ المورقِ لنبيِّهم وشمائِلِه وصَحبِهِ إلاّ مَن رحم الله. ومنهج المحبِّ الصادِق:

لي فيكَ حبٌّ ليس فيه تملُّق أملاه دينٌ ليس فيه تكلُّف

يا أمّة الحبيب المصطفى ، ولن يتحقَّق الحبّ النبويّ المكين في أكملِ معانيه وأحكمِ مبانيه إلاّ إذا كانت لُحمتُه الاتِّباعَ والاقتداء، وسُداه الائتِساءَ والعمل والاهتداء.

إنِّي أرى حبَّ النبيِّ عبادةً ينجو بها يومَ الحساب المسلم

لكن إذا سلَك المحبّ سبيلَه متأسِّيًا ولِهديه يترسَّم

واضَيعتاه لأمّةٍ ضيَّعت مبعَثَ آمالها ومُنتَهى آلامها. يا لَضَيعةِ السنّة السنيّة أن تكونَ من قبيل الغلوِّ والإطراءِ وإنشادِ القصائدِ الحوليّات وسَردِ القصَصِ والرّوايات والترانيم والمدائِح التي لا تغادِر الشّفاه في ليلةٍ مخصوصَةٍ أو شهرٍ معيَّن، من فئاتٍ رامت الإجلالَ فوقعت في الإخلال، فهم أقربُ ما يكونون إلى طلبِ العافيَة والبُعد عن ميدان الدّعوة والمصابَرة وتحمُّلِ التّبِعات، والحبُّ الصادِق:

حبٌّ مدَى الأيّام يُنشَر ذكرُه ويُذاع في كلِّ البقاع وينقَلُ

إنَّ السيرةَ الفَيحَاء لهي أعذبُ الموارد وأجَلّ من أن تؤسِّنَها بدَع الموالِد، ومن للسنّة أحَبّ نافَح عنها وذبَّ، فمن ادَّعى المحبّة أُلزِم صِدقَ الشهداء، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبُونَ [النور:١٣].

فإن كنتَ في دَعوى المحبّةِ صادقًا ففِي شرعِنا برهان دعوَى المحبّةِ

وفِي شرعِنا أنّ الْمَحبّة طاعة وسيرٌ على منهاج خيرِ البريَّة

فيا أيّها الجيل المحِبّ في كلّ مشرِق ومغرب، خِفّوا للتحلّي بشمائل نبيِّكم وأخلاقِه، وتزيَّنوا بمناقبِه وآدابه، وتمثَّلوا هديَه، وترسَّموا سنّتَه، وعَضّوا عليها بالنواجذ، تغنَموا وتنعَموا وتسودوا وتقودوا.

يا مسلمون لسنّة الهادي ارجعوا واسترشِدوا بدروسها وتعلَّموا

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ [يوسف:٢١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ [آل عمران:٣١، ٣٢].

بارك الله لي ولكم في الوَحيين، ونفعني وإيّاكم بهدي سيِّد الثقلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلّ ذنبٍ، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنه كان توّابًا.

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الإيمان (١٥)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٤٤) عن أنس رضي الله عنه، ليس فيه قوله: ((من نفسه)).

[٢] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق (٣٢٣١)، صحيح مسلم: كتاب الجهاد (١٧٩٥) عن عائشة رضي الله عنها.

[٣] أخرجه ابن سعد (١/١٩٢)، وابن أبي شيبة (٦/٣٢٥)، والدارمي في المقدمة (١٥)، والبيهقي في الشعب (٢/١٤٤) عن أبي صالح مرسلا، ووصله الطبراني في الأوسط (٢٩٨١) والصغير (٢٦٤)، وابن عدي في الكامل (٤/٢٣٠)، والقضاعي (١١٦٠، ١١٦١)، والرامهرمزي في الأمثال (١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم (١٠٠)، ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة (٤٩٠). وفي الباب عن أنس وجبير بن مطعم وابن عمر رضي الله عنهم.

[٤] أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٤/٤١٢) فقال: "حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله قام على باب الكعبة فقال:..." فذكره في حديث طويل، وهذا سند معضل، وروي عن قتادة السدوسي مرسلاً، أخرجه الطبري في تاريخه (٢/١٦١) من طريق ابن إسحاق، وليس فيهما قوله: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعَلنا من خيرِ أمّة أخرجت للناس، سبحانه وبحمدِه خصَّنا بشريعةٍ لا يعروهَا عِوَج ولا التباس، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له هو المجير من فِتَن الدّنيا والأرماد، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله أفضل من قادَ وساس، وخيرُ من سقانا بسيرتِه السنيّة أروى كاس، وعلى آلِه وصحبه الصّفوةِ من كل الملا والناس، ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

أمّا بعد: فاتقوا الله عباد الله، واعلَموا أنَّ من مقتضَى محبّة رسول الله محبّةَ آله الأطهار وصَحبه الأخيار المهاجرين منهم والأنصار، ووُدَّ أهل بيته الطيّبين الطاهرين وزَوجاته الطاهرات أمّهات المؤمنين وصحابَتِه الغرِّ الميامين، فلَيس في الأمّة كالصحابة في الفضلِ والمعروف والإصابة؛ أبرُّ الناس إيمانًا، وأهدَاهم قلوبًا، وأجفَاهم لله جنوبًا، انتهَوا في محبَّتِهم لخير البريّة إلى تفديَتِه بالآباء والأمّهات، وإلى أعالي الدّرجات وسامي الغايات التي تمتنع إلاّ على النفوسِ المشرقة باليقين.

ربَّيتَ جيلاً أبيًّا مؤمنًا يقِظًا حَسَوا شريعتَك الغرّاء في نَهَمِ

فمَنْ أبو بكر قبل الوحي مَنْ عُمرُ؟! ومَنْ عَلِيٌّ ومَنْ عثمانُ ذو الرحم؟!

فمن أحبَّهم وأثنى عليهم برئ من النّفاق وكان له من منازل الإيمان على قدرِ محبّتِه لهم والائتِساء بهم، يقول سبحانه: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:١٨].

إذا الله أثنى بالذي هو أهلُه عليهم فما مقدار ما يمدح الورى؟!

وفي صحيحِ الخبَر عن سيِّد البشَر في بيان حقِّهم وعظيمِ قدرِهم: ((لا يحبُّهم إلا مؤمِن، ولا يبغِضهم إلاّ منافق، ومن أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضَهم أبغضه الله))[١].

أولئك أَحبابِي وصَحبي ومَعشَري وقومي وإخواني وأعلامُ أمّتي

فمَن تطاول عليهم وافترى فقد ظلَم واجترى وجاء بأعظمِ الفِرى، فهم ـــ وايمُ الله ـــ لا يذكَرُون إلاّ بالجميل، ومَن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السّبيل.

وختامًا، فلتعلَموا ـــ يا رعاكم الله ـــ أنّ من أحبَّ شيئًا أجراه دومًا على لسانه ومكَّنه من ســـويداء جنانه.

ألا فأكثِروا ـــ رحمكم الله ـــ من الصلاة والسلامِ على الحبيب رسولِ الله كما أمركم بذلك ربّكـــم جلّ في علاه، فقال تعالى قولاً كريمًا: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَـــلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:٥٦]، وقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم في صـــحيحه: ((مَن صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا)).

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ المصطفى ما غرّدَت في الأيكِ ساجعَة الرُّبى

صلّوا على من تدخلون بهديه دارَ السلامة تبلغون الْمطلَبَا

يا أيّها الراجون خيرَ شفاعةٍ من أحمدٍ صلّوا عليه وسلِّموا

صلَّى وسلّم ذو الجلال عليه ما لبّى ملَبٍّ أو تَحلّل مُحْرِم

اللّهمّ فاجز عنّا نبيّنا محمّدًا خيرَ الجزاء وأوفاه، وأكمله وأسناه، وأتمَّه وأبهاه، وصلِّ عليه صلاةً تكون له رضاءً، ولحقِّه أداءً، ولفضلِه كِفاء، ولعظمته لِقاء، يا خيرَ مسؤول وأكرمَ مأمول.

اللّهمّ إنّا نسألك حبَّك، وحبَّ رسولك محمّد ، وحبَّ العملِ الذي يقرّبنا إلى حبّك. اللـــهم اجعـــل حبَّك وحبَّ رسولك أحبَّ إلينا من أنفسنا ووالدينا والناس أجمعين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين...

---

[١] صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٧٨٣)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٧٥) عن البراء رضي الله عنه، قاله في الأنصار رضي الله عنهم.

================================

نشرت جريدة المدينة في ١٤٢٧/١/٢٦هـــ

صالح آل طالب : صفاء القلوب وحسن الظن بالآخرين من كمال الايمان

علي العميري – مكة المكرمة

أوصى إمام وخطيب المسجد الحرام فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن محمد آل طالب المسلمين بتقوى الله عز وجل والعمل على طاعته والبعد عن الحسد والبغض والكراهية. داعيا إلى صفاء القلوب ومحبة الناس وحسن الظن بالاخرين لانها من كمال الإيمان. وقال فضيلته في خطبة الجمعة يوم أمس بالمسجد الحرام ان القلوب اصدق العواطف ومحرك الأخلاق وموجه التصرفات وإذا صلحت صلحت كل الأخلاق والأعمال. وان تزكية النفوس هي الغايات التي بعث من اجلها الرسل وكثير ما تكون الآيات البينات من القرآن الكريم تصب معانيها عن القلب فذلك ان الشجاعة والكرم والحب والعطف والشفقة والاحسان والبر والتقوى والايثار والانس بالله واللذه بمناجاته والإيمان واليقين وكل أنواع الخير لا يمكن ان توجد الا بالقلوب الطاهرة الزكية ولا يمكن ان تسكن في قلب ملوث بالحسد والانانية والاثرة وسوء الظن بالاخرين.

ونوه فضيلته ان الاخيار من الناس يحرصون على ان تكون قلوبهم صالحة يتفقدونها ويصونونها مما يعكرها ويفسدها.

ولقد علق الله فلاح البعد على زكاء نفسه فقال سبحانه بعد ان اقسم احد عشر قسما قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها واضاف ان القلوب السليمة والزكية هي التي امتلأت بالتقوى والإيمان ففاضت بالخير والاحسان وانطبع صاحبها بكل خلق جميل وانطوت سريرته على الصفاء والنقاء وحب الخير للاخرين. وبين فضيلته ان صاحب القلب الخبيث والخلق الذميم فالناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء وان المسلم لا يحمل في نفسه على اخوانه حسداً أو ضغينة ولا تطيب السيرة الا بصفاء السريره واصحاب الأخلاق الحميده هم أقرب مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقهم وقلوبهم الصادقة توصلهم إلى الدرجات العليا من الجنة التي لن يبلغوها بنوافل العبادات الأخرى. فسلامة الصدور من كمال الإيمان وحسن الإسلام. مشيراً انه لا يصلح لسكنى الجنة من تلوث قلبه بالادران حتى يصفى القلب حيث قال سبحانه وتعالى في أهل الجنة (ونزعنا ما في صدورهم من غل). ويقول صلى الله عليه وسلم (يدخل الجنة اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير) وقد امتدح الله الأنصار بانهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي غيرهم لاحسداً ولا غيرة ولا غلا.

========================

حرية التعبير أم كل الحقوق لكل الناس

الكاتب: هيثم مناع

جاءت حادثة الرسوم المسيئة للرسول الكريم لتعيد فتح النقاش واسعا حول مفهوم الحريات الأساسية والحقوق على الصعيد العالمي، لا لأن هناك قوى خفية تحرك النار تحت الهشيم وحسب، أو لأن سيطرة منطق يميني متطرف على الحكم في أكثر من بلد شمالي جعلت من العداء للآخر أيديولوجية رسمية غير معلنة، بل، أيضا وربما أولا، لأن لكل حادثة معاني ودلالات تتعدى مجرد المقاربة التآمرية.

فلا يمكن صناعة قضية من العدم، وحتى عندما يحدث ذلك، لا بد من متابعة الأسباب والآليات التي حولتها إلى قضية.

أما أن نتوقف عند سفاهات وزيرة الخارجية الأميركية التي تعتقد بقدرة السلطات البعثية السورية على حشد مظاهرات في إندونيسيا، فإن ذلك يزجنا طوعا أو كرها في منطق مغلق الفكر ومغلق النهج، يسعى لتوظيف كل شيء في مقاربات سياسية سطحية وآنية تثير الشفقة على مصدّريها أكثر مما تبعث على الضحك.

هل هي الغيرة على حرية التعبير؟ أين كانت هذه الغيرة عندما أغلق تلفزيون أكراد تركيا أو محطة المنار؟ أين منّا تلك الغيرة التي تصمت بشكل مخجل عن اعتقال صحفيين أبرياء كسامي الحاج في غوانتانامو وتيسير علوني في مدريد؟ غيرة لا تعطي في الصحافة الأوروبية والأميركية حيزا يذكر لكارثة اغتيال واختطاف الصحفيين العراقيين من كل الأطراف المشاركة في الصراع على العراق.

أمام قراءة المزايدات اللفظية في حرية التعبير لا يمكن إلا استحضار جملة الصديق منصف المرزوقي حين يقول "يخيل إليك وأنت تقرأ من يلعب ورقة هذه الحجة أنهم يسخرون من ذكائك ... أو من اطلاعك على جملة المبادئ التي أسست لحرية تؤطرها قوانين تمنع الثلب والتحقير والافتراء وتعاقب عليها. فلا وجود في أي من البلدان الديمقراطية لمبدأ حق في المطلق وحرية غير مشروطة".

جمعت قضية الصور المسيئة ما يسميه المثل العراقي "الكشكول البهائي" من صحيفة في أزمة مالية، وأخرى في أزمة هوية، وثالثة تعيش من الإثارة في غياب أية قضية، إلى وزير بلا وزارة شمالا وأنظمة حكم بدون شرعية جنوبا، مع جماهير محرومة من الدور والفعل والحقوق الدنيا للبشر.

ليس كل من يخوض الصراع يستحق الاحترام، ولا كل من يسعى للحوار بريئا.. فهذه القضية تفتح الأعين على حشد ضخم من التراجع والإحباط والخدع التي جعلت الشك يتحول إلى قيمة سلبية عامة في عالم أصبح التدخل فيه عدوانا على الحق في الاختيار، والحق في التكوين الذاتي للشخصية، والحق في تقرير المصير الفردي والجماعي، والحق في استعمال التقنيات الحديثة من دون رقيب يتابعنا حتى في السيارة الخاصة التي كان الرادار يكتفي بتسجيل رقمها فصار يصور من فيها، وأخيرا وليس آخرا، الحق في المشاركة في صنع العالم.

هذه الحقوق ضربها مفهوم مختزل وفوقي للتدخل يسمح لنفسه بإعادة رسم ثقافة الآخر ومكانه من خارجه ومن فوق رأسه، وفوق كل هذا يحتكر فيه امتياز "القدرة" على تقدير الأشياء وتحديد المواقف ورسم معالم ومعايير الخير والشر.

وهو بذلك يخلق لا محالة إحساسا متصاعدا بالإحباط والريبة بل الخوف من الآخر، خوف يختلط فيه العقلاني بالانفعالي لتضيع الحدود بين مجرد الحذر ومشاعر الحقد.

حققت ثورة الاتصالات تواصل العالم مع العالم بلا حدود، وفي أكثر المناطق محافظة واحتشاما يمكن لمراهق أن يتابع على الفضائيات أفلاما جنسية خليعة، وفي أكثر المناطق علمانية يمكن متابعة البرامج

الدينية الأكثر محافظة دون الخروج من المترل. العالم يكتشف في كل يوم نقاط تشـــابهه واختلافـــه، بشكل فوضوي وعشوائي، دون ضوابط ونواظم، قانونية أو أخلاقية.
وفي هذه الفوضى ومنها، يشعر كل مشارك بأنه طرف كامل العضوية في الفعل الثوري المشـــهدي l'acte révolutionnaire du spectacle . وبالتالي يشعر أنه قـــادر علـــى اســـتعماله وتوظيفه، إن لم يكن كمالك لوسيلة الإعلام، ففي الحد الأدنى كموضوع لها.
عالم جعلنا حتى أمس القريب نعيش مع عقدة اسمها الرقابة، باتت في أعماق كل مفكر حر أقوى من عقدة أوديب، ومع نظم رأي الآخر وموقفه في ثنائية الأفضل والأسوأ، الخير والشـــر، الديمقراطيـــة والإرهاب، الثورة والثورة المضادة، الخ.. ثنائيات جعلت العدو شرطا من شروط الدينامكية الثقافيـــة والسياسية والاقتصادية بالمعنى الأسوأ للدينامكية. هذا العالم يجعلنا نضطرب اليوم في هذا التشـــابك الحاد بالسلاح الأبيض والأسود بين أزمة الحضارة وطموحات من هم خارجها، بهدف إعادة صياغة العلاقة بين الحضارات والثقافات. لم يكن لهذا العالم أن يقدم لنا خيرات ثورته المعرفية ببراءة الأطفال ومثالية ثوريين أصبحوا جزءا من رومانسية التاريخ. لذا تم توظيف ثورة الاتصالات لخدمة منظومـــة اقتصادية سائدة ومنظومة معرفية مهيمنة، كما أصبح الدفاع الثقافي الذاتي يحمل معالم مقاومة الهيمنة الثقافية والاقتصادية ورفض الخضوع لصورة نمطية للعالم تفرض على الجميع.
في كتاب "الروح الطارق" l'esprit frappeur يذكّر الشاعر المصري السريالي جورج حـــنين بأوربة البائسة مرتين. يعنينا هنا أن نتوقف عند المرة الأولى، عندما كافحت أوروبا هذا الشرق وهو يمثل فرصة سانحة للعظمة.
يدوّن مؤرخو الأديان أن أوروبا التي فضلت قرونها الوسطى على حضارة العرب، كانت تقدّم رسول الإسلام في صورتي نبي العنف ونبي الشهوة.
هل بالصدفة أن تتكرر هذه الصورة في مسابقة تنظمها صحيفة لقرائها من أجل رسم تعبيري عـــن شخصية الرسول الكريم؟ هل هي الوعكة المعاصرة للحضارة الغربية التي بدأت بالرغبة الجامحة لعالمية قيمها l'universabilité de ses valeurs وتكاد تعد نعشها بانتكاس مصادر إلهامهـــا إلى الصورة السلبية المتعالية في التعاطي مع الآخر؟ الآخر ليس، ولا يمكن أن يكـــون حـــتى في أحســـن أحواله، كتلة بشرية متجانسة ومتماسكة تعبر عن الوحدة الأسطورية للأمم. نحن أمام صهاريج ثقافية هائلة. وهي إن كانت تحمل عناصر مشتركة ومختلفة عن النسق التقليدي الذي تسير فيـــه العولمـــة الثقافية، فلا شك بأنها تضم كل عناصر الخضوع والثورة، التلقيح والعقم، التأثير والتـــأثر، التعبئـــة والانفجار العشوائي، القوة والضعف. أليس من المثير للتساؤل أن تكون المناطق الأكثر تأزما بـــالمعنى الجيوسياسي هي المناطق الأكثر عنفا في رد فعلها وتعاملها مع أزمة الصور المسيئة؟
لكن كيف يمكن أن ندخل في منطق مواجهة رمزية بين الكل الإسلامي والكل الأوروبي، في فترة لا يمكن لعاقل أن يبصر فيها مخرجا من الهيمنة أحادية القطب للعالم بدونهما؟ هـــل يمكـــن أن نســـمح

لأنفسنا بهذا الترف في حقبة دخول العالم في منطق "تسونامي" غير طبيعي وغير إسلامي؟ تسونامي من نوع خاص، اسمه عولمة حالة الطوارئ وهيمنة القوانين الاستثنائية.

أي بتعبير آخر، تراجع منظومة حقوق الإنسان على الصعيد العالمي والاستهتار بالقانون الدولي والقواعد الأخلاقية من قبل الطرف الأكثر قدرة على الفعل العسكري والاقتصادي في العالم اليوم.

في مواجهة الجمع بين عنجهية القوة ومحدودية الخطاب السياسي للإدارة الأميركية، ثمة شعور قوي بأن هذا العالم يقبع في قارب مختل التوازن، ليس الربان فيه العنصر الأكثر حكمة وحنكة وخبرة.

كما أن تراجع الأقوى عن القيم التي أوصلته لمواقعه، يخلق حالة خوف عامة عند أصحاب كل القيم على اختلافها وغناها وتنوعها.

فعندما تهتز نقاط الارتكاز يعود كل مشارك في اللعبة العالمية إلى دائرته الضيقة، باعتبارها النواة الصلبة القادرة على بث روح الطمأنينة الإنسانية الأولية في وجه غياب الأمن بالمعنى العام. كنا في التسعينيات نناضل لإصلاح الأمم المتحدة، أما اليوم فنناضل للمحافظة على مكاسب ولادتها. كنا نطمح لنسبية الدولة وعالمية الحقوق، وبتنا نخشى على مكتسبات الدولة الاجتماعية l'Etat providentiel وحلم دولة الرفاه. كنا نبحث عن المشترك العالمي، فصار الخوف من أمركة العالمي يزج الناس في خصوصياتهم. من الملاحظ أنه بالرغم من الاعتداء على القرآن الكريم في غوانتانامو والتعرض للمساجد في العراق، بقي العلم الأميركي خارج نطاق الحرق في أزمة الصور المسيئة.

فهل ذلك لأن مقاطعة الولايات المتحدة أصعب من مقاطعة بلد عدد سكانه أقل من ٦ ملايين نسمة؟ أم أن غباء وتطرف رئيس الحكومة الدانماركية سبب كاف لأن يتحول بلد صغير إلى رمز سلبي بكل معنى الكلمة؟ وهل مهمة البرلمان الأوروبي دخول منطق "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"؟

المعارك التي تبدو في الظاهر سهلة هي أحيانا الأصعب في العمق. فأوروبا "العجوز" تحديدا، هي القادرة اليوم، بمؤازرة العالم الإسلامي، على لعب دور صمام الأمان الإستراتيجي والثقافي والسياسي على الصعيد العالمي، صمام أمان أمام سياسة أميركية متهورة، واستقالة صينية متعمدة، وإعادة رسم للخارطة في أميركا اللاتينية.

فما معنى خلق شرخ أوروبي إسلامي في هذا الوضع بالذات؟ ولخدمة من استمرار الأزمة وزيادة الاحتقان والتوتر والعنف بين الشعوب؟

الجزيرة.نت

==============================

حرية التعبير بين القانون الدولي والمعايير الغربية المزدوجة

الكاتب: خالد أحمد عثمان

لا جدل أن حرية التعبير عن الرأي تعتبر من الحقوق الأساسية للإنسان التي حرصت دساتير وقوانين كثير من الدول على تأكيدها ووضعت الضوابط اللازمة لممارستها. ونظرا لما للصحافة من أهمية

وتأثير كبير في تكوين الرأي العام، فقد حظي تنظيمها باهتمام خاص من قبل المشرعين، فهي في ظل النظم الاستبدادية مكبلة بقيود شديدة، وهي في ظل النظم الديمقراطية تتمتع بحرية واسعة في إطار ضوابط عادلة لآداب التعبير وضمان عدم التعدي على حقوق الغير. ولقد كانت حرية التعبير الحجة التي تذرعت بها الجريدة الدنماركية "يولاندز بوستن" لتبرير نشرها رسوما كاريكاتورية تتطاول على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزدري بالدين الإسلامي على نحو بشع وكريه. وهي الحجة التي تذرع بها أيضا أندريز فوج راسموسن رئيس وزراء الدنمارك عندما رفض في بداية الأزمة الاجتماع مع مجموعة من سفراء الدول الإسلامية الذين كانوا يسعون إلى التعبير عن استنكارهم وقلقهم إزاء هذه الرسوم المسيئة. وسبق لنا تفنيد هذه الحجة ودحضها في مقال سابق بعنوان "للذود عن الإسلام والرسول" نشر في جريدة "الاقتصادية" في العدد الصادر يوم الخميس ٣ المحرم ١٤٢٧هـ الموافق ٢ شباط (فبراير) ٢٠٠٦. واستكمالا لما قلناه في مقالنا السابق، نود هنا أن نسلط بعض الضوء على حرية التعبير عن الرأي في إطار القواعد المستقرة في القانون الدولي العام، وفي ضوء الممارسات الغربية، فنقول ما يلي:

أولا: في الدورة الأولى التي عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٦، قررت أن حرية الإعلام حق أساسي من حقوق الإنسان، ومحك لجميع الحريات التي نذرت الأمم المتحدة لها نفسها، وبناء على ذلك طلبت من المجلس الاقتصادي والاجتماعي مناقشة هذا الموضوع ووضع اتفاقيات دولية منظمة بشأنه.

ثانيا: في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٢١٧، الذي اعتمدت بموجبه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وقد نصت المادة ١٩ من هذا الإعلان على ما يلي:

(لكل إنسان الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأي وسيلة دون اعتبار للحدود).

ويبدو واضحا من قراءة هذا النص أنه جاء كمبدأ عام يهدف إلى التأكيد على حرية الرأي وحق التعبير عنه، ولكنه لم يضع الضوابط المحددة لكيفية ممارسة هذا الحق، ولذلك جاءت هذه الضوابط في وثائق دولية لاحقة.

ثالثا: في ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٦ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٢٠٠ باعتماد اتفاقية أطلق عليها اسم "العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية"، وقد أصبح هذا العهد نافذا اعتبارا من ٢٣ آذار (مارس) ١٩٧٦، وقد نظمت المادة ١٩ من هذه الاتفاقية الحق في حرية الرأي والتعبير، حيث نصت على ما يلي:

١ – لكل إنسان الحق في اعتناق آراء دون مضايقة.

٢ – لكل إنسان الحق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.

٣ – تستتبع ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة ٢ من هذه المادة واجبات ومسؤوليات خاصة. وعلى ذلك، يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددة بنص القانون، وأن تكون ضرورية:

أ – لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم.

ب – لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

ثم وضعت المادة ٢٠ من هذه الاتفاقية حظرا على حق التعبير عن الرأي في حالات محددة تضر بالمجتمع الدولي، فنصت على ما يلي:

١ – تحظر بالقانون أية دعاية للحرب.

٢ – تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف.

ويرى بعض فقهاء القانون أن حظر الدعاية من أجل الحرب يقتصر فقط على الحرب العدوانية ولا يشمل الحرب من أجل الدفاع عن النفس أو لإخراج العدو من الأقاليم المحتلة، فهذه الحرب جائزة بحكم ميثاق الأمم المتحدة الذي حظر الحرب العدوانية، ولكنه أجاز الحرب الدفاعية.

رابعا: في ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٢، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٦٣٠ باعتماد الاتفاقية الخاصة بالحق الدولي في التصحيح، وقد أصبحت هذه الاتفاقية نافذة اعتبارا من ٢٤ آب (أغسطس) ١٩٦٢، وقد وضعت هذه الاتفاقية القواعد الخاصة بحق تصحيح المعلومات الكاذبة والمحرفة التي تنشرها وسائل الإعلام ووجوب تفادي نشر هذه المعلومات ومسؤولية من يقوم بنشرها.

نخلص من جميع ما سبق إلى أن المواثيق الدولية وإن أكدت على حرية الرأي وحق التعبير عنه، إلا أنها لم تجعله حقا مطلقا من أي ضوابط. وأن من أهم ضوابط ممارسة هذا الحق احترام حقوق وسمعة الآخرين وعدم التحريض على الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية. والواقع أن الرسوم الدنماركية هي تحريض صريح على كراهية المسلمين، ولا تتوافق البتة مع مبدأ حرية التعبير.

وطالما أن الدنمارك عضو في الاتحاد الأوروبي، فمن المناسب أن نذكر بالحكم الذي أصدرته المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩، المتضمن أن حرية الصحافة لا تعني عدم مساءلة تجاوزات حرية التعبير متى كانت تندرج تحت الأفعال المجرمة في قانون العقوبات. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه توجد مادة في القانون الجنائي الدنماركي تعاقب من يسب علنا دينا تعترف به الدولة. والإسلام هو أحد الأديان المعترف بها في الدنمارك. ومع ذلك قضى النائب العام الدنماركي بعدم قبول شكوى تقدمت بها ١١ منظمة إسلامية ضد الجريدة التي أقدمت على نشر الرسوم المسيئة

للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وقد استند النائب العام الدنماركي في موقفه إلى مبدأ حرية التعبير عن الرأي.

وقد أيدت بعض الأوساط السياسية والإعلامية الأوروبية الموقف الدنماركي استنادا إلى حجة حريـــة التعبير، وهي حجة داحضة في ضوء القواعد الدولية سالفة الذكر، كما أن التذرع بهذه الحجة لتبرير هذا الموقف يدل على ازدواجية المعايير الغربية والكيل بمكيالين في هذا الشأن. وهو نهج دأب عليـــه الغرب وأصبح ديدنه، وندلل على ذلك بالسوابق التالية:

١ – في أواخر عقد الثمانينيات من القرن الماضي أصدرت إحدى الجامعات الفرنسية قرارا لا سابقة له، يقضي بسحب درجة الدكتوراة من أحد الباحثين، الذي شكك في رسالته للدكتوراة في أعـــداد ضحايا المحرقة النازية من اليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية. وبالرغم من أن موضوع الرسالة كان من الموضوعات العلمية في مجال التاريخ، وبالرغم من أن الباحث حصل على الدكتوراة بعـــد إجازة رسالته طبقا للأصول العلمية المرعية، إلا أن الضغط الصهيوني الشديد استطاع أن يرغم الجامعة على أن تهدر مبدأ حرية التعبير عن الرأي وتجرد الباحث من الدرجة العلمية التي استحقها عن جدارة. كما أحيل المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي إلى إحدى المحاكم الفرنسية بتهمة معاداة السامية، لأنه ألّف كتابا تناول فيه بالنقد العلمي معظم الادعاءات والمزاعم اليهودية التي استندت إليها الحركة الصهيونية في إقامة دولة إسرائيل، ومنها الادعاء أن عدد ضحايا اليهود في محارق النازية بلـــغ ســـتة ملايين، وأثبت أن هذا الرقم مبالغ فيه، وأنه استخدم لابتزاز التعويضات والمساعدات مـــن الـــدول الأوروبية، وقد أصدرت المحكمة الفرنسية حكما يقضي بمعاقبة المفكر جـــارودي بجـــزاءات ماليـــة وجزاءات سالبة للحرية "الحبس". وأصبح هذا الحكم سيفا مسلطا على رقبة كل من يحاول أن يوجه نقدا للحركة الصهيونية والسياسة الإسرائيلية.

٢ – في سنة ٢٠٠٣، اضطرت الإمارات العربية المتحدة إلى إغلاق مركز زايـــد الثقـــافي بســـبب الضغوط الأمريكية الشديدة واتهامها المركز بأنه يروج للفكر المعادي للولايات المتحـــدة الأمريكيـــة والمعادي أيضا للسامية. وكان أكثر ما أخذ على المركز أنه استضاف الكاتب الفرنسي تيري ميسون، الذي شكك في أحد كتبه في أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ واعتبرها أكذوبة. وهكذا خســـر العالم العربي أحد المراكز البحثية المرموقة بسبب عدم استطاعة الغرب تحمل الرأي المخالف. علما أنه يوجد في الولايات المتحدة العديد من مراكز الأبحاث المتخصصة في نشر (الدراسات) التي لا تتســـم بالموضوعية وتنطوي على الإساءة إلى العرب والمسلمين وبث الكراهية ضدهم.

٣ – أقامت وسائل الإعلام البريطانية والغربية الدنيا و لم تقعدها حين نشر الدكتور غازي القصيبي، عندما كان سفيرا للسعودية في بريطانيا، قصيدته التي أشاد فيها بالفدائية الفلسطينية الشهيدة وفـــاء إدريس، واعتبرتها وسائل الإعلام الغربية قصيدة تحرض على الأعمال الانتحارية ضد إسرائيل، وتجاهل الإعلام الغربي أن هذه القصيدة كانت ردة فعل مواطن عربي لواقع احتلال إسرائيل الأراضي العربية وممارستها أبشع أنواع القمع والإرهاب وجرائم الحرب ضد الشعب الفلسطيني.

٤ – في سنة ٢٠٠٤ صرح ألان مينارغ مدير الأخبار في إذاعة فرنسا الدولية، بأن إسرائيل دولة عنصرية، فشنت المنظمات الصهيونية ضده حملة شعواء أدت إلى استقالته من منصبه و لم يسعفه مبدأ حرية الرأي والتعبير في مواجهة تلك الحملة.

٥ – في ٢٠٠٥/١١/١٨ اعتقلت السلطات النمساوية المؤرخ البريطاني الشهير ديفيد إيرفينج بتهمة معاداة السامية، لأنه نفى وجود أفران الغاز والمحرقة النازية لليهود، و لم ينقذه مبدأ حرية الرأي والتعبير من الاعتقال.

٦ – عندما نشر الكاتب البريطاني، الهندي الأصل، سلمان رشدي روايته المسماة "آيات شيطانية"، والتي تتضمن إهانة بالغة للإسلام والمسلمين، وصدرت في إيران فتوى بهدر دم المؤلف المذكور، ثارت بعض الدول الأوروبية وطالبت حكومة إيران بإلغاء هذه الفتوى بحجة حرية الرأي والتعبير، بينما داست هذه الدول على حرية الرأي والتعبير، عندما أصدرت قوانين منحت بموجبها اليهود والحركة الصهيونية الحصانة التاريخية المطلقة التي تحظر مناقشة مزاعمها وأساطيرها، وتعاقب كل من يخالف هذا الحظر بالحبس والغرامة المالية.

٧ – قامت حكومة النمسا بتقديم اعتذار علني وصريح عقب رسم بعض الفنانين لوحة تضم صورا شاذة لكل من ملكة بريطانيا إليزابيث والرئيس الأمريكي جورج بوش والرئيس الفرنسي جاك شيراك. و لم يقل أحد إنه ما كان ينبغي على حكومة النمسا الاعتذار استنادا إلى حرية التعبير.

هذا غيض من فيض لمعايير الغرب المزدوجة. ومن الغرائب التي قيلت بشأن هذه الرسوم الشنيعة، تصريح دان فرايد مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون أوروبا، حيث قال إن رد فعل الولايات المتحدة وأوروبا تجاه الجدل بشأن هذه الرسوم ينبغي أن يكون بتكثيف الجهود من أجل الإصلاح في الشرق الأوسط. وكأن المسؤول الأمريكي يريد أن يقول إنه إذا استطاعت أمريكا وأوروبا "إصلاح" الشرق الأوسط وفقا للمفاهيم الغربية، فإن العرب والمسلمين لن ينتفضوا غضبا إذا ما مست مقدساتهم وعقيدتهم بأي إساءة أو إهانة، لأن الإصلاح الغربي سيجعلهم يتقبلون أي إهانة بقبول (ديمقراطي) حسن. ولو راجع هذا المسؤول كتب التاريخ لوجد أن العدوان على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أيا كان نوعه ومهما كان عاتيا، لا يميتها وإنما يبعث فيها روح المقاومة ويجدد قدرتها على التصدي للمعتدين، وما ردة الفعل لدى المسلمين حيال إساءة الجريدة الدنماركية إلى رسولهم الكريم إلا دليل واضح على ذلك.

صحيفة الإقتصادية السعودية

==============================

حرية الرأي

الكاتب: هاني بن عبد الله جبير

(كفل الإسلام حريَّة الرأي والتعبير بمفهومها الإسلاميّ، وحرية الرأي والتعبير تعني : تمتع الإنسان بكامل حريته في الجهر بالحق، وإسداء النصيحة في كل أمور الدين والدنيا، فيما يحقق نفع المسلمين، ويصون مصالح كل من الفرد والمجتمع، ويحفظ النظام العام، وذلك في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومع اهتمام الإسلام بحرية الرأي والتعبير إلاَّ أنَّه حرص على عدم تحريرها من القيود والضوابط الكفيلة بحسن استخدامها، وتوجيهها إلى ما ينفع الناس ويرضي الخالق جل وعلا، فهناك حدود لا ينبغي الاجتراء عليها وإلا كانت النتيجة هي الخوض فيما يُغضب الله، أو يُلحق الضرر بالفرد والمجتمع على السواء، ويُخل بالنظام العام وحسن الآداب) (١).

ولهذا الحق المكفول طرق ووسائل توصِّل إليه، منها ما نص الشارع على عينه بإباحة أو تحريم، ومنها ما سكت عنها فلم ينص على اعتبارها ولا عدم اعتبارها، كوسائل الإعلام الحديثة .

ويرى كل متابع ما يحصل من تداعٍ كبير لتناول الأطروحات، وتبادل الآراء، وتعاطي الحوارات، كما يشاهد ما يسلكه كل ذي رأي من وسائل للتعبير عمَّا في نفسه ليستشعر أنه بذل شيئاً مما تبرأ به الذّمة مهما كان حال هذه الوسيلة.

والباحث الشرعي إذ يدرس أي نازلة أو يبحث في أي فكرة؛ فهمّه تتريل الأحكام على الوقائع، ورائده تطلُّب الحق والبحث عن الدليل وإعمال الضوابط بعد استطلاع الواقع ونشدانه .

وفي هذه الأوراق القليلة نظرات عاجلة تبيّن ضوابط في هذا الموضوع؛ علَّها تكون مقدمة لدراسات أكثر جداً وتوسعاً .

* أولاً : قواعد ومقدمات :

تحتاج كل حادثة إلى معرفة أُصول وقواعد يتفرع عن معرفتها وتقريرها بيان الحكم الشرعي لها، وسأتناول هنا مقدمات أصول أربعة :

الأولى : مجالات إبداء الرأي .

كل أمر جاء الشرع بحكمه بدليل من الأدلة، سواء كان متعلقاً بالعبادات أو المعاملات أو العقوبات أو العلاقات الشخصيَّة، فهذا ليس للإنسان فيه إلا أن يعملبمقتضى الدليل ويتفقَّه فيه، "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ" [الأحزاب: ٣٦].

وهذا أظهر من أن يُستدل له ؛ إذ العبوديَّة لله تقتضي الامتثال لأمره . ومعنى الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ؛ هو التحاكم إلى منهاج الله تعالى ورد الأمر إليه، ولذا نفى الله تعالى الإيمان عمن لم يستكمل هذا فقال: "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً" [النساء: ٦٥].

وهذا أصل عظيم من أصول الإيمان، وهو معنى الإسلام، فإن حقيقة الإسلام هي الاستسلام لله والانقياد له، ومن لم يرد إليه الأمر لم ينقد له . ودين المسلمين مبني على إتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة، وهي الأصول المعصومة التي لا يجوز تجاوزها أو الخروج عنها

(٢). وعلى أساسها توزن جميع الآراء والأقوال والأعمال (٣). قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِه" [الحجرات:١]، قال الحافظ ابن كثير في معنى الآية: [أي لا تُسرعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ – رضي الله عنه – حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم ؟ قال: بكتاب الله تعالى . قال صلى الله عليه وسلم : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن لم تجد ؟ قال: أجتهد رأيي. فضرب في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله" (٤). فالغرض منه أنه أخّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدَّمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس — رضي الله عنهما – : ("لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِه": لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة". وقال مجاهد: "لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي الله تعالى على لسانه") (٥).

وعلى هذا الهدي في الرد إلى الكتاب والسنة وعدم مخالفتهما مهما ظهر بالرأي والفكر مخالفتهما للمصالح ؛ سار سلف هذه الأمة .

قال أبو الزناد – رحمه الله – : "إن السنن لا تُخاصَم، ولا ينبغي لها أن تُتبع بالرأي والتفكير، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين ، ولكنه ينبغي للسنن أن تُلزم ويُتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه" (٦).

ولذا كان مجال الرأي في الإسلام مجالاً محكوماً بالكتاب والسنة والإجماع ، فما قرر فيها فهو أصل معصوم لا يُخرج عنه .

وإذا أعمل الإنسان رأيه وقرر نتائج بناها على مقتضى المصالح أو غيرها وهي معارضة لكتاب الله وسنة رسوله ؛ فقد راغم الشرع و لم يقابله بالرضى والتسليم (٧).

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورّثها ولدها ومن معهم، فقام حَمَل بن النابغة الهذلي فقال : يا رسول الله ! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؛ فمثل ذلك يُطَل ؟ (٨) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما هو من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع" (٩).

قال العلماء إنما ذم سجعه لأنّه عارض حكم الشرع ورام إبطاله، ولذا شبهه بالكهان الذين يروّجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين (١٠).

وأما ما لم يبين حكمه والموقف منه بعينه في الشرع ؛ فإن للمسلم أن يتخذ فيه رأياً يبديه لا يتعارض مع الضوابط العامَّة لإبداء الرأي . وذلك كطريقة تنفيذ ما أمر الله به وسكت عن طريقة تنفيذه، أو ما لم يرد به نص محكم . ولذا كان من القواعد المقررة عند أهل العلم أن (لا اجتهاد في موارد النص) (١١) ، وأن ما عارضالنص فاسد الاعتبار (١٢).

الثانية : صاحب الرأي .
ذمَّ الله تعالى من يقول بلا علم، فقال : "وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَيُفْلِحُونَ" [النحل:١١٦] .
قال الشاطبي : "الاجتهاد في الشريعة ضربان : أحدهما المعتبر شرعاً ... والثاني غير المعتبر، وهو الصادر عمن ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه ؛ لأن حقيقته أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض . وخبط في عماية، واتباع للهوى، فكل رأي صدر على هذا الوجه فلا مرية في عدم اعتباره ؛ لأنه ضد الحق الذي أنزل الله، كما قال تعالى : "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم" [المائدة:٤٩] (١٣).
وهذا كما يكون في أحكام الشرع فهو في كل علم، فليس لأحدٍ أن يتناوله بغير إتقان له .
وقد ذم الله تعالى من يتبع الظن: "وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَناًّ إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً" [يونس:٣٦]. وجعل طاعة من يتبع الظن ضلالاً: "وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ" [الأنعام:١١٦].
فلا بُدَّ أن يكون صاحب الرأي من أهل الخبرة والاختصاص فيما يتكلّم عنه ، وكلام الإنسان فيما يجهله غير مفيد .
والله تعالى أمر بسؤال أهل الذكر دون غيرهم : "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" [النحل:٤٣]، وهذا دليل على أن ما يقوله غير العالم لا عبرة به .
ولذا لما وصف أهل العلم رجال المشورة جعلوا من صفاتهم العلم فيما يُسْتشارون فيه، قال ابن خويز منداد : (واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلّق بالحرب ، ووجوه الناس فيما يتعَلّق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلّق بمصالح البلاد وعمارتها) (١٤).
فجعل كلاً يُسْتشار فيما هو مختص به .
وكذا إبداء الرأي لا يسوغ لمن لم يكن مختصاً في فن أن يتكلم فيه، ولذا ذكر الفقهاء أنه يُشرع الحَجْر على المتطبب الجاهل (١٥) ، فكذلك غير الطب يُمنع مَنْ لم يكن مؤهلاً من إبداء رأيه ؛ إذ لا يوثق برأيه .
فالعالم بالشرع يبين أحكام الشرع وضوابطه في كل أمر وتصرّف، لكن ليس له أن يصف العلاج المركّب للمرضى إلا إذا كان مع ذلك طبيباً .
والمهندس له أن يتناول أموراً هندسيَّة بالرأي لكن الفتوى إنما تناط بالعالم بالشرع فقط .. وهكذا .
والسبب في هذا أن الرأي المعتبر هو المبني على العلم والتثبت، وأما ما لم يُبن عليهما فهو محض ظن لا يغني عن الحق شيئاً، ومعلوم أن للخيالات والأوهام رواداً لا يعبأ بهم في مجال الفكر، ومن هنا كان أهل العلم لا يعتبرون بكل خلاف حتى قيل :
وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

وإذا أريد قياس الرأي ومعرفة مكانته استند الناظر إلى ما استمد منه ؛ هل هو العلم والتثبت، أو بني على المصالح الشخصية والعصبيات الجاهلية ومحض الهوى ؟

وقد قرر أهل العلم أدلة يُبنى عليها الحكم الشرعي، وطرقاً للاستدلال والترجيح فيها توصّل للمطلوب، وإذا راعى أهل العلم ذلك في الأحكام الشرعية ؛ فهو تنبيه على اعتبار المنهج نفسه في سائر معمولات الذهن، فلا بد أن تُبنى على دليل معتبر، ولا بد من مراعاة طرق الترجيح بين الآراء .

وكما يُشترط لإبداء الرأي : القدرة على ذلك، والتأهل له، واستناده على ما يعضده ؛ فإنه يُشترط فيه أيضاً : إرادة الحق والخير، وهذا من معنى الإخلاص وحسن الإرادة التي هي مناط خيريّة العمل وصلاحه وقبوله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : » وسبب الفرق بين أهل العلم وأهل الأهواء مع وجود الاختلاف في قول كل منهما : أن العالم قد فعل ما أمر به من حسن القصد والاجتهاد .. بخلاف أصحاب الأهواء فإنهم : "إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ" [النجم:٢٣]، ويجزمون بما يقولون بالظن والهوى، فلم يصدر عنهم من الاجتهاد والقصد ما يقتضي مغفرة ما لم يعلموه، وكانوا ظالمين كالمغضوب عليهم، وجاهلين كالضالين .

فالمجتهد الاجتهاد العلمي المحض ليس له غرض سوى الحق وقد سلك طريقه ، وأما متبع الهوى المحض فهو من يعلم الحق ويعاند عنه، وثَمَّ قسم آخر وهو غالب الناس، وهو أن يكون له هوى، وله في الأمر الذي قصد إليه شبهة ، فتجتمع الشهوة والشبهة .

فالمجتهد المحض مغفور له أو مأجور، وصاحب الهوى المحض مستوجب للعذاب، وأما المجتهد الاجتهاد المركب على شبهة وهوى فهو مسيء، وهم في ذلك على درجات بحسب ما يغلب « (١٦).

الثالثة : مراعاة مآل الرأي .

إنَّ إبداء الرأي الذي يستند لأصل ولا يخالف الشريعة، وإن كان في أصله مباحاً، قد ثبت الإذن بإبدائه بحسب الأصل، غير أنه في بعض الأحوال قد ينجر عنه في مآله من الأضرار والمفاسد ما ينافي مقصد الشرع في المصلحة والعدل ، فتكون الآراء المباحة أو المشروعة مؤدية إلى خلاف مقاصدها .

ويحدث ذلك بسبب عدم التبصّر بمآلات التصرّفات والآراء والأقوال، أو سبب الباعث السيئ عند متعاطيها . وسواء كان الباعث فاسداً أو صالحاً فإن مجرد مفسدة المآل، والنتيجة السلبيّة للرأي ؛ يجعل الرأي رأياً مذموماً واجب الكتمان .

فهذا معيار توزن به الآراء والاجتهادات، وهو مدى كون آثارها محقِّقة لمقاصد الشرع أو مناقضة له، قال الشاطبي : » لما ثبت أن الأحكام شُرعت لمصالح العباد كانت الأعمال معتبرة بذلك ؛ لأنه مقصود الشارع فيها، فإذا كان الأمر في ظاهره وباطنه على أصل المشروعية فلا إشكال، وإن كان الظاهر موافقاً والمصلحة مخالفة فالفعل غير صحيح وغير مشروع ؛ لأن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لأنفسها وإنما قصد بها أمور أخر هي معانيها، وهي المصالح التي شُرعت لأجلها، فالذي عمل من ذلك على غير هذا الوضع فليس على وضع المشروعات « (١٧).

ومن هنا نشأت قاعدة : (سد الذرائع المفضية للفساد)، ومقتضاها تحريم أمر مباح لما يفضي إليه من مفسدة .

وامتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين دفعاً لمفسدة تحدُّث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ؛ فرد من أمثلة هذه القاعدة .

وعليه ؛ فإنه لا يسوغ لصاحب رأي ولا لمفت أو مفكر أن يقرر رأياً مهما كان صواباً إذا ترتب على ذلك مفسدة أعظم، أو كان مثيراً لفتنة .

فالذي ينتقد بعض كتب علماء أهل السنة، ويقرر أن فيها تقريرات غير معصومة ؛ فهو وإن قرر حقاً إن أظهر رأيه في زمن تشرئب فيه الفتن وتظهر البدع فقد ناقض هذا الأصل . وإذا حوّل إنسان دين الله تعالى ليكون وجهة نظر تُعرض إلى جانب وجهة نظر أخرى مخالفة ؛ فإنه، وإن تذرّع باستمالة المعارضين للإسلام، قد أعطى مُعارِض الشريعة شرعية وقدم مساواة مع الإسلام (١٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : » على المفتي أن يمتنع عن الفتوى فيما يضر بالمسلمين ويثير الفتن بينهم، وله أن يمتنع عن الفتوى إن كان قصد المستفتي كائناً من كان نصرة هواه بالفتوى وليس قصده معرفة الحق واتباعه « (١٩).

ومراعاة مآل الرأي يتضمن ملاحظة الوقت الذي يُبدي فيه الرأي، ومدى تعلّق أهل الفساد به، وهل يفهمه من خوطب به على وجهه أم لا .

وفي أخبار الصحابة وقائع تؤكد استشعار الصّحابة – رضي الله عنهم — لهذا الأصل، فعن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال : » إن فلاناً يقول لو قد مات عمر بايعتُ فلاناً .

فقال عمر : إني قائمٌ العشيّة في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت في الناس ؛ فأخشى أن تقول مقالةً يطير بها أولئك فلا يعوها، ولا يضعوها على

مواضعها، ولكن حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكناً، فيعون مقالتك ويضعونها مواضعها . فقال عمر :

لئن قدمت المدينة صالحاً لأكلمن بها الناس في أول مقام أقومه . فلما قدم المدينة قام على المنبر فكان مما قال : فإني قائل مقالةً من وعاها وعقلها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومَنْ لم يعها فلا أحل له أن يكذب عليَّ « . ثم ذكر قصة بيعة أبي بكر (٢٠).

الرابعة : لا يسوغ الإلزام بما هو من موارد الخلاف .

المسائل في شريعة الإسلام منها ما هو قطعي محكم ؛ فهذا ثابت الحكم لا يتغيّر بتغير الزمان والمكان، ومنها مسائل الاجتهاد وموارد الخلاف التي لم يحسمها نص قاطع، ولم يثبتها دليل ظاهر ؛ فليس فيها

نص شرعي ولا إجماع قطعي ، فهذه يحكمها اجتهاد المجتهدين المؤهلين، فيختار المجتهد منها أظهرها عنده .

فأما القسم الأول : فإن الناس ملزمون بالسير على وفقها التزاماً للشرع ، واتباعاً لـــه، ولا يســـوغ مخالفته كما سبق .

وأما الثاني : فهي منوطة باجتهاد المتكلم متى كان أهلاً فيتكلم فيها بالبينات والحجج العلمية، لكنها ليست مورداً للإنكار ولا محلاً للمفاصلة .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – عمن قلد بعض العلماء في مسائل الاجتـــهاد ؛ هل ينكر عليه أو يهجر ؟ فأجاب : » مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم يُنكـــر عليه ولم يُهجر، ومن عمل بأحد القولين لم يُنكر عليه، فإن كان الإنسان يظهر له رجحـــان أحـــد القولين عمل به وإلا قَلّد بعض العلماء الذين يُعتمد عليهم في بيان أرجح القولين « (٢١).

ومن هنا فإن كل رأي لم يستند بقاطع في الشريعة ؛ فإنه لا يسوغ لقائله أن يســـتبد بـــه ويحتكـــر الصواب، بل ما دام قولاً لغير معصوم فالخطأ عليه وارد والخلاف سائغ والإنكار ممنوع .

صدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي في اجتماعها بالقاهرة في ١٤/١/ ١٤١١هـــ البيـــان الإســـلامي العالمي لحقوق الإسلام، وتضمنت المادة الثانية والعشرون منه : (لكل إنسان الحق في التعبير بحريّة عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية، ولكل إنسان الحق في الدعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية) .

اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

(*) القاضي بالمحكمة الشرعية بمكة المكرمة.

(١) تضمين من كتاب حقوق الإنسان في الإسلام، د / سليمان الحقيل، ص ٥٤ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٦٤/٢٠ .

(٣) مجموع الفتاوى، (١٥٧/٣) .

(٤) سنن أبي داود (٣٥٩٢)، سنن الترمذي (١٣٢٧)، مسند أحمد (٥/ ٢٣٦)، مسند الطيالسي (٥٥٩)، قال ابن حجر في التلخيص (١٨٢/٤) : (إسناده ضعيف)، وصححه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه، (١٨٩/١) .

(٥) تفسير القرآن العظيم، (٢٠٦/٤) .

(٦) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، (٣٩٢/١) .

(٧) انظر : بيان الدليل على تحريم التحليل، ص ٢٥٠ .

(٨) يُطَل : يعني يلغى ويهدر .

(٩) صحيح البخاري، رقم (٥٧٥٨)، صحيح مسلم، رقم (١٦٨١) .

(١٠) إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد، مع حاشيته العدة، (٣٣٢/٤) .
(١١) المادة الرابعة عشرة من قواعد المجلّة، وانظر : شرح القواعد الفقهيّة، للزرقا، ص ١٤٧ .
(١٢) آداب البحث، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، (١٢٩/٢) .
(١٣) الموافقات، (١٦٧/٤) .
(١٤) تفسير القرطبي، (٢٥٠/٤) .
(١٥) القواعد النورانية الفقهية، ص ١٥١، ١٥٢ .
(١٦) العناية شرح الهداية، للبابوني (١٨٦/٨)، ونقل الاتفاق عليه .
(١٧) الموافقات، (٣٨٥/٢) .
(١٨) انظر : كلاماً للأستاذ محمد قطب حول (مؤتمر الإسلاميين والعلمانيين) في كتاب رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص ٢٤٦، ونظيره في كتاب كيف ندعو الناس، ص ٤٣، ٧٢
(١٩) مجموع الفتاوى، (١٩٨/٢٨) .
(٢٠) مسند أحمد رقم ٣٩١، وهو مختصر في صحيح البخاري، رقم .(٣٤٤٥)، صحيح مسلم، رقم (١٦٩١) .
(٢١) مجموع الفتاوى، (٢٥٧/٢٠) . الإسلام اليوم
============================

حقائق كشفها الزور

الحمد لله الذي أعز من شاء بطاعته وأذل من شاء بمعصيته ، والصلاة والسلام على من لا خير إلا في اتباع هديه ولا فلاح إلا بسلوك طريقته ، ولا كرامة بغير التأسي به وأن الإهانة بالبعد عن سبيله
(ومن يهن الله فماله من مكرم)
وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقته إلى يوم يبعثون أما بعد
فقد جاءت هذه الأزمة بخلاف ما ظنه من افتعلها بل وعلى خلاف ما تصورناه جميعا فالحمدلله على كل حال وله الشكر فهو ذو الإنعام والإفضال وسبحانه وهو الصادق حيث قال
(وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)
وقديما قيل : قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ***ويبتلي الله بعض الخلق بالنعم
وقيل : وربما صحت الأبدان بالعلل.
أيها الفضلاء
إن تلك الحملات المسعورة المسمومة التي يطلقها الغرب الكافر لم تكن بدعا من الأمر ولن تقف إلى هذا الحد فهم يكيدون لنا منذ أن بزغ نور الرسالة وسطع شعاعها
ولن يزال كيدهم متواصلا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ، فهم من قال الله عنهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وقال عنهم سبحانه (ودوا لو تكفرون كما كفروا

فتكونون سواء) وقال (ودَّ الذين كفروا من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) ومن هنا يتضح أن عداوتهم متغلغلة ولا يمكن أن تزول وأنها مهما خبت أو اختفت لفترة من الفترات فإنما هي لتكتيك يمارسونه وليس لقناعة بأنهم على غير هدى.

وما عملته صحيفة النرويج أو الممثل الهولندي أو صحيفة الدينمارك لم يكن اجتهادا عفويا ولا نتاج حرية عابرة بل هو أمر مقصود انطلقوا لفعله من عقيدة يؤمنون بها ويتنادون بينهم على الثبات عليها ونشرها وتبشير الناس بها ــ زعموا ــ ، وهذه الأفعال التي صدرت منهم جاءت لتكشف حقيقتهم لمن كان منخدعا بهم و ليعلم أنهم وإن تشدقوا بالحريات واحترام المعتقدات فإنما هم كَذَبــة فجــرة يكيلون بمكيالين غير متوازنين ، كما أن هذه الأزمة ولله الحمد قد كشفت لنا أمورا هامــة علــى الصعيد الداخلي والخارجي ولعلي أن أوجز بعضا منها في هذا البيان باختصار فأقول مستعينا بــالله وهو خير معين :

أولا : لعلكم تذكرون ما مارسه الغرب الكافر بقيادة أم الكفر ورأسه ضد إخواننــا في أفغانســتان وغيرها من بلاد المسلمين وما يرفعونه من شعارات ويلوحون به من استنكارات من أننا نحن المسلمين لانحترم الأديان ولا نعرف حقها وما طالبوا به من وأد منهج الولاء والبراء وكل ماله علاقة به بــل وتدخلوا بالضغط على جهات قيادية عليا لعزل كثير من الخطباء والدعاة لأنهم يدعون على النصارى واليهود ، وما يمارسونه في العالم كله ضد من يحاول المساس باليهود أو يكذب محارقهم المزعومــة . فأين حرية الرأي التي يحترمون ؟ وأين هي الديمقراطية التي يتشدقون بها؟أم هي ديمقراطيــة وحريــة الكافر وحده

حرام على بلابلنا الدوح ==== حلال للطير من كل جنسِ

ثانيا : أن الشعوب المسلمة قادرة على التأثير والتغيير ولله الحمد والمنة وأنها إن اتحدت أنجزت ما قــد تعجز عن إنجازه كثير من القنوات السياسية الأخرى وهذا ظاهر في مسألة المقاطعــة الــتي تبنتــها الشعوب المسلمة والتي حركت مسار القضية وأشعلت فتيل المواجهة المكشوفة الواضــحة في حــين كانت المسارات السياسية تقابل بالرفض وعدم الاكتراث إلا ما ندر.

ثالثا : أن الأمة المسلمة فيها خير كثير ولكنها تعيش فترة من التخدير والخمول ساعد في تفاقم هــذا الوضع المزري مؤامرات الأعداء المستمرة ووجود آذان للعدو بين المســلمين تحــاول جــرهم إلى مالاينفعهم في دينهم ودنياهم من لهو ومجون .

وأن هذه الأمة إن وجدت من ينفض عنها غبار المهانة ويزيح ستار الغفلة ويبطل أثر ذلك التخــدير فإنها تتحرك كالبركان وهذا ما رأيناه ولله الحمد من دموع المسلمين تحت أعواد المنابر وفي مجــالس أهل العلم وما لاحظناه من تسابقهم في المساهمة وبذل المال وما أقدموا عليه من التنافس على معرفة منتج الكافر للتحذير منه وما نسمعه من أخبار تثلج الصدر من استنفار الأمة كلها الصغار والكبار، والرجال والنساء، العجزة وذوي القدرة .

وما رأيناه من مشاركات وأفكار وطروحات كان لها أثر كبير في كشف بعض المكانة التي يجب أن يعرفها عدونا لأمتنا.

رابعا : أن الأمة المسلمة تعيش أزمة حقيقية لاتقل عن أزمتها مع الكفار وهي الأزمة مع الإعلام الذي تسنم ظهره من ينتسب زورا لأمتنا في غالب الأحوال .

وإن أزمتنا التي نحن نتلظى بنارها كشفت أن إعلامنا لا يمثلنا بحال فهو إعلامُ كَذب ونفاق ومخادعة وتزوير للحقائق .

كنا نعتقد أن حدثا كهذا سيتسابق له رجال الصحافة والقنوات ليكشفوا من خلاله الخطـــر الـــذي يتهدد الأمة من أعدائها وإذا بنا نراهم الأعداء الحقيقيين للأمة حين انشغلوا بمتابعة الكرة وماقيل من النكات عن حماس وما يثار عن تبني بوش لولد غير شرعي وغير هذا من القضايا التي تظهر بمالايدع مجالا للشك أن الإعلام صوت للعدو أكثر منه للصديق .

من كان يظن أن قناة من القنوات تستضيف في وقت كهذا سفلة المجتمع ليتحدثوا عن قضية كقيادة السيارة أو حرية المرأة. ومن كان يظن أن صحيفة من صحفنا وهي تعيش في قلب الحـــدث تـــأتي لتعاكس التيار وتختلق للعدو الأعذار وكأنها تقول إن كل الأمة على باطل وزور وأن تلك الشركة أو الصحيفة على حق فاقبلوا به حتى ولو سخروا من دينكم وشتموا قدوتكم.

خامسا : أن دعوى محبة النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته وحدها لاتكفي فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل ، وأن محبة النبي وآله لا تكون بإحياء الموالد وضـــرب الصدور والنياحة في حين أنه إذا انتقص شخصه واهين عرضه وأسيء إلى سنته دسسنا رؤوســـنا في التراب .

إن الذين كانوا يشنعون علينا لإنكارنا بدعة المولد لأنها لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم ولاعن أحد من أصحابه ، والذين كانوا يرموننا ببغض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمنعنا وإنكارنا ترديد البردة للبوصيري وغيرها مما حوى عبارات شركية لاتليق إلا بالله العظيم سبحانه لم نرهم اليوم يشنعون على الكفار ماعملوه من إساءة بالغة لجنابه عليه الصلاة والسلام و لم نرهم يتكلمون عن من يتهم عرضه الشريف بالفاحشة عياذا بالله ، بل المؤسف جدا أنك تراهم بدؤا بالتقارب معهم ومـــد جسور التقارب فسبحان الله أين هي دعوى محبة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وأين هي الغيرة علـــى سنته ؟ أم هي البدعة التي يرعاها إبليس ويزينها في قلوبهم فيجعلها من الدين والدين منها براء؟.

وأين أؤلئك الذين قطعوا أجسامهم بالسلاسل وأثاروا غبار الأرض بوقع حوافرهم بكـــاء علـــى أبي عبدالله الحسين رضي الله عنه وأرضاه ونادوه واستغاثوا به من دون الله عياذا بالله ،أين هم من الثـــأر لجده بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم والحسين رضي الله عنه إنما لحقه الشرف من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل الحسين عندهم أعظم من جده محمد صلى الله عليه وسلم والد الزهراء رضـــي الله عنها؟

مابالهم غضبوا ممن أساء إلى رموزهم المنحرفة الضالة وأهدروا دمه في حين أخرست ألسنتهم عن من أساء إلى خير البرية وأزكى البشرية صلى الله عليه وسلم.

إننا لانريد ضربا بالسلاسل ولا عويلا ولا بكاء ولا حسينيات ولا مآتم ولامظاهرات بل نريد منـــهم ماهو أقل من ذلك بكثير نريد منهم أن يكفوا ألسنتهم ليس غير.

نعم أقول لهؤلاء المدعين حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم زورا وبهتانا : أرأيتم من هـــو المحـــب الصادق في محبته؟ أعرفتم الفرق بين الحقيقة والدعوى؟ وأقول لهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر عن سبب صيام اليهود ليوم عاشوراء (نحن أحق بموسى منهم) نعم فنحن أحق بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله من غيرهم ممن حظه من محبته المدائح والأهازيج والموالد والحسينيات وحين تحتر الرمضاء يسكن إلى الظل والماء والنساء.

سادسا : أن المال قد يكون نعمة على صاحبه وقد يكون نقمة ولهذا أثنى النبي صلى الله عليه وســلم على المال في حال فقال (نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح) وأن الموفق من التجار من سخر ماله لمرضاة ربه والانتصار لدينه ولهذا فقد حظي من بادر إلى النصرة بالأجر بإذن الله تعــالى وبالـــذكر الحسن في حين خسر هذا الفضل من آثر الفانية على الباقية و لم يتحرك عنده شعور الغيرة بعدُ.

وهذه مناسبة عظيمة أستغلها بتذكير أرباب الأموال بأن يعرفوا أنهم مهما بذلوا فهو خير لهم عند ربهم وهم المنتفعون به قبل غيرهم ، فالمال مال الله والله تعالى يقول (وآتوهم من مال الله الذي آتــاكم) ومن تصدق بصدقة يبتغي بها وجه الله ربَّاها الله له وأخلفه خيرا منها وهو خير الرازقين سبحانه .

كما يجب أن نعلم أن المال باب من أبواب الجهاد العظيمة والجهاد فيه على ضربين :

١= جهاد بدفعه وذلك متقرر معلوم .

٢= جهاد بمنعه وهذا يتمثل بالمقاطعة التي تمنع وصول المال والانتفاع به من عدو الدين وهذا داخل في قوله سبحانه

(ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين).

ناهيك أن الشعوب المسلمة اليوم ترى الظلم الواقع على إخوتنا في كل بلاد الدنيا فمن حقهم علينــا أن نضعف اليد التي امتدت إليهم بالأذى بمقاطعة منتجاتها ما أمكن والصبر على ماقد نلقاه من الحرج في بعض الأمور فمن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

ومن هنا أيضا أشكر الله سبحانه أولا أن جعل في أمتنا من يبذل ماله أو بعضه لله ونصرة لدينه ومن ثم أشكر هؤلاء التجار وأدعو الله لهم أن يبارك في أموالهم وأولادهم وأنفسهم وأن يعوضهم خيرا .

سابعا : أن الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن وأن السلطان إذا انتصر لدينه وغضب لحرمات الله فقد فتح على نفسه وأمته من أبواب الخير والفضيلة مالا يخطر له على بال . وما نشاهده من تظافر الجهود والبدء بخطط علمية وعملية لطباعة الكتب ونشر المطويات المترجمة وترجمة مايمكن ترجمته من الكتب التي تعرف بالدين الإسلامي وفتح المجالات أمام الفرص المثمرة للتأليف والكتابة عن ســيرة قائــدنا

العظيم صلى الله عليه وسلم جاء متزامنا مع الموقف الرسمي الرافض لسياسة الاعتداء على الدين من قبل تلك الدول الكافرة المارقة، فهنيئا لمن أمر بذلك ولمن أشار فقد كان قرارا حكيما وموقفا شجاعا نتمنى أن يتبعه موقف لايقل عنه حكمة ولاشجاعة يتمثل بطرد سفيرهم من بلادنا ليعلموا أننا قد نقبل المساومة والابتزاز في المال والتكنلوجيا وغير ذلك من عرض الدنيا الزائل ولكننا لايمكن بحال أن نقبل الابتزاز في ثوابتنا ولافي رموزنا التي دونها المهج فداء .

كم هو مفرح للقلب ذلك الموقف وكم هو محفز لكثير من المسلمين حين يرى أنه يقف في الصف نصرة لله ولرسوله ومعه العالم والحاكم والصغير والكبير والذكر والأنثى.

ثامنا : أن زمن الخديعة لا يطول مهما كانت ولهذا فمن العيب أن يخدعنا بعض النكرات حين يساوم على بعض الأمور فإذا كان المحك والمعترك وجدته كالملح في الماء الحار .

ما أجمل أن يدافع الإنسان عن وطنه المسلم ويحبه لأن فيه الإسلام ولكنه قبيح جدا أن يجعل الوطن أغلى عليه من الإسلام والوطن إنما شرف بالدين ليس غير.

إن الوطنية حقا هي أن تنتصر للدين الذي انبثق من هذا الوطن وللنبي الذي بعث في هذا الوطن وللكتاب الذي أنزل في هذا الوطن أما أن تنتصر لتراب وحجارة وتقدسها وتجعل من نفسك الحامي لها والكفيل عليها والوكيل وتخون من شئت تحت مسمى عداء الوطن وتقرب من شئت تحت شعار الوطنية وأنت أبعد الناس وأقلهم دفاعا عن دين الوطن وكتابه وشريعته ورسوله فقد كذبت وخدعت وأنَّى لهذه الخديعة أن تطول.

لقد تحدثوا كثيرا أن (الوطن أولا) وهاهو دستور الوطن ونبيه وقدوته وهاهو منهاج الوطن يهان وهم يتباحثون في قضايا يهدمون بها ولا يبنون ويفسدون ولايصلحون ثم يخرجون من تحت أنقاض ماهدموه ليقولوا لمن أراد الإصلاح وترميم ما أفسدوه (الوطن أولا).

لقد آن الأوان لتعرف الجموع من هم أعداء الوطن ودين الوطن ودستور الوطن وقيادة الوطن .

إن من لم تشغله هذه الأزمة و لم يرفع بها رأسا أو كان ينظر إلى غيره ليرى هل تحرك أم لازال على حاله فليعلم أنه خسارة على الوطن وليس ربحا ، وأن وجوده فيه مهانة له وذلا .

على هؤلاء الذين لاكوا ألسن العلماء والدعاة والمفكرين ردحا من الزمن تحت مظلة الغيرة والحمية لهذا الدين وجناب العقيدة والتوحيد أنهم قد أفلسوا وخسروا وأن سعيهم كسعي من يلحق السراب في قيعة ، وهيهات أن يجد في السراب ماء.

أين تلك المواقف الثائرة والأمواج الهادرة والخطب الرنانة والجمل الطنانة وأين عبارات التفسيق والتبديع والتضليل والتجهيل التي أزكمت الأنوف ؟ ما بالها اختفت عن العدو الكافر الذي لايحتاج قوله وفعله إلى تحوير وتأويل وتعليل وتدليل؟

أين هجومهم على الأموات والأحياء من العلماء والدعاة ؟ أتُرى أؤلئك العلماء والدعاة أشد خطرا ممن سب القرآن وسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ أم هو الهوى والزيغ عياذا بالله من الخذلان.

تاسعا : أن العلم لا يمكن أن ينفع صاحبه ولا أن يرفعه حتى يقوم بزكاته ، وزكاة العلم هي ببذله ونشره بين الناس وأن يكون العالم رأسا للأمة في أزماتها وموجها لها وحالاً لإشكالياتها ، فإذا تخلف العالم عن هذا الركب وسار الناس وتركوه فقد جنى على أمته وعلى نفسه ، وهذا وربي من الكتمان الذي نهى الله عنه وحذر منه (وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) وما نشاهده اليوم من خذلان كثير من العلماء للأمة وتقاعسهم عن القيام بواجب إدارتها وتوجيهها إلا علامة حرمان وانتكاسة والعياذبالله.

إن العالِم إن لم يقل كلمة الحق ويصدع بها فسيتخلى الناس عنه وربما اتخذوا رؤوسا جهالا فسألوهم فأفتوهم بمالاعلم لهم به فأضلوهم وضلوا وكان للعلماء وزرهؤلاء وأؤلئك جميعا.

إن العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا مالا ولا متاعا وهانحن نرى امتهان الأنبياء وتخاذل الورثة إلا مارحم الله فمن ياترى ينتفض لانتزاع الميراث إن تركه أهله؟

أين مواقف العلماء الناصرة للدين؟ أين تلك البيانات النارية والاستنكارات الشديدة لمواقف بعض المندفعين من شباب المسلمين؟

ياعلماء الإسلام

إنه الإسلام ، نعم هو الإسلام ورسوله .

هو دين الله وهو الميراث الذي به رفعكم الله بين الناس وبوأكم هذه المكانة .

إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حملكم أمانة كتره.

إن لم تغاروا على الدين ونبي الله فمتى ستغارون وعلى من ستغارون؟

وبارك الله فيمن سعى من العلماء ونافح وجاهد وصدق وصابر وصبر وأجرى دمعه وأسال حبر قلمه غيرة لله ونصرة لدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فصرخة في وجوه هؤلاء أقول : أتريدون أن تذادوا عن حوضه يوم يقال (إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك)؟

أم تريدون أن تتضاعف مهانة الأمة فلا يبقى فيها عرق نخوة ينبض ولا غيور لغبارها ينفض؟

وبارك الله فيمن جعل وقته لله وجهده لله وكل ماحباه الله وكأن لسان حاله يقول (اللهم خذ مني حتى ترضى) ويقول

(اللهم اشهد أننا لانرضى فاجعلها لنا عندك يوم نرد على حوضه فلانذاد)

عاشرا: أن التعاون والتكاتف سلاح أقوى في التأثير من كثير من الأسلحة الأخرى ولهذا فقد رأينا كيف كان وقع تلك الخطابات والمكاتبات والتحركات على كل المستويات ولكي يؤتي هذا العمل ثماره فعلينا أن نتحرى العدل فيما نقول ونفعل خشية أن نقع في ظلم أحد فيحبط ماصنعنا وتذهب بركته .

ولهذا فمن الواجب التثبت من المنتج أو الجهة قبل نشرها حتى لايتضرر مسلم بشيءلا ذنب له فيه ، ومن شك في شيء وخفي عليه علمه فليدعه ولايقحم نفسه فيه .

الحادي عشر : أن العمل النافع يحتاج إلى مجاهدة وصبر ولهذا قال الله تعالى
(والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصلحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)
ومن سلك هذا الطريق فيحتاج إلى توطين نفسه إلى أنه لن يجد الطريق أمامه معبدا بل قد يواجه فيه من الصعوبات مايحتاج معها إلى الاستعانة بالله العظيم والصبر والمصابرة.
سيجد المسلم في طريقه من يخذله أو يخوِّفه أو يحقِّره وربما وجد من يتكلم بلسان العدو وكأنه هو العدو ذاته، فعليه أن يصبر على أذى هؤلاء كلهم لينعم بالوعد الصادق من الله
(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).
لقد حاول المنافقون في عهدرسول الله صلى الله عليه وسلم تخذيله والفتَّ في عضده بمثل قولهم
(الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا)
وقولهم (وقالوا لاتنفروا في الحر) وغير ذلك من عبارات التخذيل ولكن الله تعالى قال لنبيه
(يا أيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين)
فكان النصر لرسول الله والخيبة والخسران للمخذلين وأعداء الدين.
وإن صور التخذيل اليوم ظاهرة جلية وربما جاءت باسم الخوف من الله وكأن ما يقوم به المسلم الغيور من مقاطعة سلع الكفارحد من حدود الله قد انتهك وأنه لم ينتهك من حدود الله إلا هذا ؟
أرأيتم من يقول إن مقاطعة السلع لاتجوز إلا بأمر من ولي الأمر؟من أين أتى بهذا القول؟ ومادليله؟وهل من قاطع منتجات الكفار من تلقاء نفسه يعتبر آثما مفتاتا على ولي أمره؟ أم هو التخذيل للأمة وتشتيت مواقفها من عدوها؟.
وكذلك من يقول إن المقاطعة لاتضر الكافر بل تضر التاجر المسلم وغير ذلك من صور التخذيل المكشوفة .
إننا نتمنى من الله أن يوفق الحكومة لمنع بيع تلك المنتجات ومنع دخولها نكاية بأعداء الملة المعتدين .
ومثل تلك المواقف في التخذيل موقف بعضهم من محاولة نشر مواضيع وقضايا وطرحها للنقاش وهي أبعد ماتكون عن صلب اهتمام المسلمين لشغلهم ببنيات الطريق عن قضيتهم الأهم .
ومثله محاولة التفريق بين من يسب الله ويسخر من دينه من كفرة الشرق أو الغرب وأن القضية يجب أن تنحصر في الدنيمارك والنرويج وهولندا وهذا من الخلط العجيب والفهم الغريب فنحن ندافع عن ديننا ونبينا والدين هو الإسلام والنبي هو محمدصلى الله عليه وسلم ومن اعتدى على الدين والنبي فهو قضيتنا مهما كانت جنسيته ولونه .
الثاني عشر : أن قيامنا لنصرة هذا الدين يجب أن يكون من دافع حمية له لا من دافع المكاثرة والمفاخرة حيث بدأت تلوح في الأفق شعارات التفاخر بين الأطياف والجنسيات وإن كانت في بدايتها قد تأخذ طابع التحميس لكنها قد تنتهي بأهلها إلى منحى خطير وهذا مما يُضيع أجر العمل ويفسده ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية فأي ذلك في سبيل الله ؟ قال :

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) وعلينا أن نعلم أن نصرة الله كرامة منه سبحانه وهي تحتاج منا إلى مزيد شكر واعتراف بفضل مسديها وهو الله سبحانه .

الثالث عشر : أن الأعداء قد يرجعون عن بعض إصرارهم ويذعنوا لقولنا رعاية لمصالحهم ولذا فيجب علينا أن نستمر في الضغط عليهم ليكون ذلك أبلغ في التنكيل وأعظم للردع والزجر ولأنه يفيد في تحصيل أكبر قدر من المكاسب والتنازلات من قبلهم ، ولهذا فالوصية عدم التراخي حتى وإن اعتذروا عاجلا ولكي يفهم من وراءهم أننا لا نرضى بالدون.

الرابع عشر : أن منهج الشكر للمحسن والتنبيه للمسيء منهج مثمر ولهذا فقد أثمرت سياسة تشجيع المقاطعين ونشر خطاباتهم ثمرة نافعة بفضل الله حيث تسارعت الشركات لذلك ورفعت لافتات أمام واجهات محلاتها تظهر المقاطعة .ولهذا فعلينا التواصل مع من نعرفه ومن لانعرفه والتواصي وشكر المحسن وتنبيه المخطىء وإرسال الدعوات عبر الفاكس والجوال وغيرها لمن وقف نصرة لدينه من أصحاب المحلات التجارية أو المواقع الألكترونية أو القنوات والوسائل الإعلامية وبخاصة من كان له دور إيجابي ملحوظ في هذه الأزمة.

كما إن علينا إرسال رسائل الاستنكار والتنديد والتوبيخ للوسائل الإعلامية وغيرها والتي لم تقف موقف المحايد فحسب بل ربما تبنت موقف الضد عياذا بالله حتى تسمع وتعلم أننا لا نقبل المساومة على ديننا ومن ثم التلويح بهجرانها ومقاطعتها إن لم تكف أذيتها عنا.

الخامس عشر : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو حصن الأمة وسياجها ولهذا فلو تكاتف الناس فيما بينهم في مستقبل أيامهم ضد من يريد خرق سفينة الأمة كما يتكاتفون اليوم لارتعدت فرائص أهل الزيغ كما ارتعدت فرائص الحكومة النرويجية .

هذا ماجال في خاطري وأنا أشاهد الحركة المباركة التي أتمنى أن تكون صحوة بلا انقطاع وأن يتبعها مزيد من حركات الخير المباركة المتعقلة نصرة لدين الله وذودا عن حياضه .

سائلا الله العلي القدير أن يكلل الجهود بالنجاح وأن ينصر الدين وأهله وأن يخذل الكافرين والمنافقين وأعداء الدين أجمعين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه الشيخ الداعية /

سليمان بن أحمد بن عبد العزيز الدويش

هاتف جوال : ٠٥٠٥١٢٤١٠٦

mamal_m_s@hotmail.com

المقال من الشيخ سليمان خاص بحملة مليار مع محمد صلى الله عليه وسلم ...

========================

حقاً.. إنّ شانئك هو الأبتر!

الكاتب: بدرية العبدالرحمن

أعلم كم أرهقْتُكم بالكتابة حول الأزمة الإسلامية الدنمركية.. وأعلم بالمقابل أنها حديث الساعة الذي لايكاد يخلو مطبوعة ولا منتدى إنترنت منه..لدرجة قد (ملّ) الأغلب من الحديث عنها وحولها.. أنا شخصياً لا أريد الحديث عن شيء آخر غير الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم... ليس فقط لأنه موضوع جاهز للكسالى أمثالي..ولكن أيضاً لأنه حدث (متواصل) قد فتح شهيتي للثرثرة والتعليق والتفكير، كما لم تكن مفتوحة من قبل.. البارحة فقط كنت أقرأ خبراً مفرحاً ومبهجاً نشره موقع (إسلام أون لاين) حول موجة استنكار لإهانة الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام ..لا تبدأ هذه المرة من دولنا الإسلامية، وإنما من ممثلي الكنائس المسيحية على اختلافها في العالم أجمع...ليقولوا: إن ماحصل ضد الإسلام لم يكن إلا وصمة عار في جبين الشانئين والمتعصبين.. فقد أصدر المجلس الاوروبي لزعماء الأديان بياناً (رسمياً) عبّر فيه عن استيائه مما حصل جاء فيه: "ونشجب إساءة استخدام حرية التعبير لسبّ كل ما هو مقدس لدى المؤمنين.. إن سلسلة الرسومات الهجومية على النبي محمد هي إهانة بالغة لحوالي (١.٣) مليار مسلم.. نحن نسلم بحق حرية التعبير كركيزة أساسية للديموقراطية، وحقوق الإنسان دون مثل هذه الإساءات". وأبلغ منه ما نقله الموقع عن نائب بطريرك الكاثوليك في مصر (يوحنا قلته) قوله: "إن مسيحيي الشرق يعرفون جيدًا حجم ومكانة الرسول الكريم". وأكد على أن الرسومات المسيئة للرسول هي إهانة وُجّهت للمسيحيين في العالم وليس للمسلمين فقط، مشيرًا إلى وجود تيار إلحادي في الغرب "يدعو إلى قيام حضارته بسقوط المقدسات وإهانة الأديان". إضافة إلى عاصفة من الاحتجاجات والبيانات وقّع عليها رجال الدين المسيحي في نابلس وتركيا.. تثير ليس فقط إعجابنا وحماسنا للروح النزيهة والشريفة التي دفعتهم لمثل هذا الموقف النبيل... ولكن تثير مزيداً من التساؤلات حول توقّف كثير من (ربعنا) المسلمين عند مثل هذه الحادثة وحديثهم عنها بأنها واقعة يجب ألاّ تُعطى أكبر من حجمها، وألاّ يتعامل معها المسلمون بهذه الحساسية!! المسألة حين ترى (مسلماً) يتعامل مع حادثة استفزاز للحميّة الدينية بهذا القدر من اللامبالاة فإنك تدرك وجود خلل مؤسف في تصوّر بعض المسلمين لقيم الحرية وقيم العالم الجديد.. لست بحاجة لتكرار ما تحدّثت عنه في مقالات سابقة من أن اللادينيّة هي ما يمكن أن يفسد علينا صفو عالمنا القادم.. وأن البهتان الذي تقوم به حين تتعدى على المقدّسات أمر سيجر ويلات لاطاقة لنا بها.. اللادينية حين تتوشح رداء عربياً كما في بعض سخافات القوم هنا وهناك، وحين تريد أن تستحيل إلى حركة سياسية تستبعد الدين من أجندتها، وتريد أن تتحرر من الدين ومن تخلّفه وويلاته التي جرها على الشعوب (زعمت).. حين تفعل اللادينية ذلك فإنها تصبح أمراً يستدر السخرية بشكل لايُطاق.. ليس فقط لأن الشعوب العربية والإسلامية شعوب متدينة بالفطرة، ولايمكن تخيّلها بمعزل عن دين الله تعالى الذي ارتضاه لها...ولكن أيضاً لأن وجود اللادينيين في الأغلب مرتبط ببرنامج كوميدي متكوّن من التهكّم والهجوم على المقدّسات والتشكيك اللاواعي في جذور المقدّس

في العقل المسلم... أي إنه موقف حاقد...أو مهووس يريد الظهور والتمرّد بطريقة مفلسة..والإفلاس بهذا الشكل موقف يستدر الشفقة...ليس موقفاً فكرياً معتدلاً يستحق الاحترام.. إن هذه الوقفة التي يقفها المسيحيون معنا هي التي لابد أن يفقه اللادينيون منها أن الخلفية الدينية في عقل كل الشعوب (والإسلامية منها خاصة) أمر لايمكن تجاهله..وأن فطرة الله التي فطر الناس عليها ليست جيناً وراثياً يمكن تعديله في مختبر علمي ملحد..!! أمر آخر يمكننا قراءته وهو كيف أمكن للآخر المسيحي الذي طالما ارتبط تعصّبه (الديني الصريح) في عقل المسلم بملايين الضحايا بامتداد تاريخنا الإسلامي كان آخرها في حرب البلقان الطويلة ..كيف أمكنه أن يكون نزيهاً ومتسامحاً في النهاية ليعلن موقفاً فكرياً استثنائياً جداً وواضحاً؟! لم يكن الأمر صعباً هذه المرة أن يعلنوا مبدأهم حول الاحترام وحول التعايش...للدرجة التي تضمن إحدى البيانات التعبير عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه (نبي الإسلام).. جاء في البيان الذي أصدره ممثلو ست كنائس رئيسة في تركيا: "كأبناء النبي إبراهيم، نشجب عدم احترام محمد نبي الإسلام الذي نحبه ونتعاون معه، ونحن نصلي مع إخواننا المسلمين ليحكم الحب الإلهي الأرض". هل ستكون حملة البيانات النزيهة هذه المرة بداية لعهد جديد يبدؤه المسلمون مع المسيحيين، وموقفاً جديداً تماماً هو نفسه موقف: (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله...)[آل عمران:٦٤]؟ هل سيبدأ السلام والحوار الديني..يبدؤه
المسلمون من داخلهم في طوائفهم المتعددة ...يبدؤونه مع الآخرين لتكون كلمة الله هي العليا..؟ هل ستبدأ حملة للسلام والتحاور الديني أخيراً من أزمة أثارها الشانئ الأبتر (اللاديني) ليؤدي إلى آخر ماكان يتمناه؟ وهو حوار ديني متسامح؟ بأبي أنت وأمي يارسول الله...أرادوا أن ينتقصوك ويزدروا دينك وإيمانك، فلم يزد ذلك أمتك إلا رشداً..! الإسلام اليوم

==============================

حملة للفاتيكان شعارها مليون ضد محمد

عبدالحي شاهين
بدت حملات التّشويه التي تقودها منظمات الفاتيكان ضد الإسلام والمسلمين خلال العقود الأخيرة أكثر قوة وشراسة، متَّخذة في ذلك أساليب وطرقًا شتّى، فمن الهجوم على الإسلام كدين وتعاليم ربانية إلى الهجوم على معتنقي هذا الدين ووَصْفهم بالتخلّف والبربريّة.. واصلت جمعيات التنصير المسيحية حملاتها الشرسة لتنال من رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولا يظننّ أحدٌ أن الهجوم على الرسول والإسلام حديث؛ بل إنه كان ممتداً منذ عقود طويلة تنوعت خلالها طرق الإساءة وتباينت.
الآن بعد مرور قرون عديدة على بزوغ فجر الإسلام، تُنظّم حملة كبرى من الجمعيات التّنصيرية، حُشد لها مليون منصّر بدعم من الفاتيكان للحدّ من انتشار الإسلام في العالم، والعودة بالبشريّة إلى

المسيحيّة، ونشرت صحيفة (فليت إم زونتاج) الألمانية في ٣٠ يونيو الماضي تقريراً عن منظمة رابطة الرهبان لتنصير الشعوب سلطت فيه الضوء على جهود المنظمة في نشر الدين المسيحي ومعتقداته حول العالم.

وكشفت الصحيفة في ثنايا تقريرها وهي تشيد بالمنظمة التنصيرية أن المنظمة وهي (المؤسسة الوحيدة في العالم التي تتصدى بفاعلية للصراع بين المسيحية والإسلام) بحسب وصف الصّحيفة، تعمل بجيش يضم أكثر من مليون منصّر للحدّ من انتشار الإسلام في العالم وعلى تشويه صورة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، كما تسعى الرابطة أيضاً لإعادة البشر في كل أنحاء العالم للمسيحيّة.

ونقلت الصحيفة أيضاً في تقريرها أن الصراع الذي تقوده رابطة الرهبان لا يخلو من العنصر العسكري، واستدلت في ذلك بأن الكاردينال (كريشنسيو زيبه) رئيس الرابطة دائماً ما يصف المُنَصِّرين العاملين معه بـ(قُوّاتي)، وهذا كما يؤكد التقرير ليس من قبيل الصدفة؛ فقادة الرابطة يعتبرون أنفسهم في حرب معلنة، إذ لا بد أن يكون هناك قادة وقوات كثيرة العدد، وهذا العدد عنصر مهمّ في هذه الحرب حول "العقيدة". ورابطة الرهبان وحدها كما يوضح التقرير موجودة في ٤٠% من أراضي العالم المسيحي، ومعترف بها من ١٠٨١ أسقفية، ولرابطة ٠الرابطة أكثر من مليون مدرس تعليم مسيحيّ تخرجوا في القسم المحارب للرابطة، وهم يجوبون كل مكان في العالم من قرية لقرية؛ لإقناع المترددين في الإيمان بالعقيدة المسيحية ولإنجاح هذه الأهداف يتم تأمين مبالغ مالية ضخمة تصل إلى ٥٠٠ مليون دولار سنويًّا.

وبحسب الصحيفة الألمانية فإنّ الرابطة المسيحية وخلفها الكنيسة الكاثوليكية لم تنجحا في محاولاتهما الدّؤوبة في خلق معاملة بالمثل فيما يختص بتأمين ممارسة الشعائر للمسيحيين في السعودية، إذ إنه بالرغم من أنه سُمح للمملكة العربية السعودية ببناء مسجد ضخم في روما؛ فقد حُظر على المساجين المسيحيين في السعودية قراءة الإنجيل والاحتفال بالصلاة مع أحد القساوسة الكاثوليك.

وتقول الصحيفة: إن الصراع المسيحي الإسلامي ازداد شراسة حول العالم بعد أحداث١١ سبتمبر، ورأت أنه أصبح هناك صراع على كل شخص مؤمن، وبات هناك مبدأ في الفاتيكان ألا يسافر رجال الكنيسة إلى أي دولة لا يتم فيها إظهار الصليب علانية حتى الكاردينال (زيبه) رئيس رابطة الرهبان الذي قام بتخبئة صليبه قبل وصوله لمطار قطر في الخليج. وأشارت الصحيفة إلى أنه بدعم من الكنيسة الكاثولوكية؛ فإنه يتم في هذه المدرسة التدريس لـ ٤٠٠ طالب أقل من ثلثهم مسيحيون.

وتزعم رابطة الرهبان أنه في المدارس المسيحية التي يدرس بها مسلمون تكون هناك أفكاراً أقل سوءاً عن المسيحيين ويكون هناك تسامح، وتسعى الكنيسة الكاثولوكية في كل مكان بقارة آسيا بهذه الخطة لكي تمنع بقدر الإمكان نشر الإسلام على حساب المسيحية !! وأن تقلل من انتشاره في كل منزل وفي كل شارع، لذلك تمول الكنيسة الكاثولوكية في الهند التي يقل فيها عدد الكاثوليك عن٢%، حيث يتم توجيه أكثر من ٢٨% من النفقات الاجتماعية للمحتاجين وللمستشفيات والمدارس.

الفاتيكان والمنظمات التي تعمل تحت لوائه تتخذ من الحد من انتشار الإسلام والإساءة للرسـول - صلى الله عليه وسلم- هدفًا لها؛ تكرس من أجله كل إمكانياتها المادية والمعنوية. وفي ظل الحريات التي تبشر بها الولايات المتحدة العالم بدأت تتكشف بوضوح المعايير المزدوجة التي يُعمل بها؛ ففي الوقت الذي يضيق فيه الخناق على المؤسسات الإسلامية الخيرية -مع محدودية إمكانياتها- يسمح فيه لجمعيات التنصير ذات القدرات الكبيرة بالعمل بحرية في كافة أنحاء العالم.

اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- في السعودية أصدرت بياناً عقب إطلاق حملة (مليون ضد محمد) التي ترعاها رابطة الرهبان نددت فيه بهذه الحملة وأطلقت حملة مضادة شعارها(المليار مع الرسول محمد)، أهابت فيه بجميع المسلمين ببذل قصارى جهدهم لتوضيح الحقائق وتعريف العالم بشخصية النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الفذة، ودعتهم إلى الاستمرار في الدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام لجميع البشر، وتساءلت اللجنة في بيانها (يا أيها المليار هل أنتم مع نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم؟).

حوار الحضارات أين هي حدود الحق والباطل؟

الكاتب: الصادق المهدي

ثقافات العالم تتجاوز عشرة آلاف. الثقافة الكاتبة الحاسبة الممتدة عبر حواضر تصير حضارة.

حضارات العالم تزيد على العشرين بقي منها حيا دون العشر.

نعم للحضارة هوية دينية، ولغوية، وفنية غالبة ولكنها هوية فضفاضة لا تضم كيانا سياسيا واحدا ومصلحة اقتصادية واحدة، ولا أيديولوجية واحدة. لذلك لا يرد في أمرها حوار أو خصام. إن الذي أفرز الحديث عن الحضارات كأنها قابلة لذلك عوامل موضوعية أذكر منها:

مفكرون غربيون يهود ـــ أمثال برنارد لويس ـــ يسعون لإيجاد قاسم مشترك بينهم وبين ملة الغرب الغالبة (المسيحية) ويجدون المبرر لاصطفاف غربي ضد العرب والمسلمين.

مفكرون غربيون اعتبروا أن نهاية الحرب الباردة تجرد الولايات المتحدة مما حظيت به من ولاء غربي أثناء الحرب الباردة.. حديثهم عن حضارة غربية ذات دولة مركزية هي الولايات المتحدة، وعن حضارات أخرى مناوئة كالإسلامية والصينية يمد الولايات بسبب لشرعية قيادتها للغرب وبعدو مشترك.

الوفاق والشقاق وبالتالي الحوار والخصام يدور حول سبعة محاور هي:

الأول: الدين: فالأديان غالبا تقوم على نفي الآخر وكلها شهدت انتعاشا منذ ثمانينات القرن العشرين مما يزكي الصدام ويوجب الحوار.

الثاني: الأيديولوجية: الأيديولوجيات أديان وضعية وحولها يدور الصراع أو التعايش، ومع أنها منذ أواخر القرن الماضي انحسرت، فالتباين مستمر بين الرأسمالية والاشتراكية، وبين الديموقراطية والشمولية.

الثالث: المجتمعات التقليدية تقوم على ولاء وراثي لطائفة أو عشيرة، هذه الكيانات التقليدية تـــرفض الحداثة التي تقوم على المشاركة والمؤسسية. ههنا جدلية قابلة للمفارقة والموافقة.
الرابع: العولمة وهي إدماج رأس المال والتقنية والمعلومات بما يتعدى الحدود الوطنية ويخلق سوقا كونية واحدة. هذا هو وجه العولمة الموضوعي، ولكن في ظروف العالم اليوم والسيطرة الأمريكيـــة علـــى الاقتصاد وعلى السلاح وعلى الإعلام فإن العولمة تلبس وجها أمريكيا. العولمة بوجهها الموضـــوعي والأمريكي تواجهها في كل مكان الخصوصيات الثقافية فينشأ بينهما التوتر.
الخامس: شمال الكرة الأرضية غني ومع أن سكانه ٢٠ % من سكان الأرض فإنه ينال ٨٠ % مـــن الدخل المادي فيها، هذا يخلق مجالا واسعا للصدام أو الحوار من أجل العدالة.
السادس: منذ نهاية الحرب الباردة برزت القطبية الواحدة التي تقودها الولايات المتحدة تنازعها عوامل التعددية الدولية المنطلقة لتوازن جديد في السياسة الدولية.
السابع: هنالك بؤر التهاب منشورة في العالم هي: فلسطين، كشمير، تايوان، الشيشـــان، جنـــوب السودان وغيرها، تخلق استقطابا أو وفاقا.
الصراع أو الحوار يدور حول هذه المحاور السبعة. العالم كله متجه صعودا نحو:
* تطور في الوعي الديني يشبع الحاجة الروحية وينفي الجهل والخرافة.
* تمدد عقلاني.
* تحول إلى الحرية.
*احتكام للعدالة.
* تطلع للتنمية المادية وتسخير الطبيعة للحاجات الإنسانية، وتحرير الجماليات كلغة عالمية للبشر مـــن علائق الجهالة والخرافة.
لكي يكون الحوار بين أطرافه مثمرا فإن عليه أن يكون كذلك متناغما مع حركة التاريخ. نحـــن في الغالب نقبع خارج التاريخ، يكرس بقاءنا هناك:
الفقه الصوري الذي أدى إلى قفل باب الاجتهاد بحجة أن السلف قد استنبطوا من النصـــوص كـــل الأحكام فما علينا الا اتباعهم، وبحجة أن آية السيف قد حددت علاقتنا بالاخر المحلي والدولي على أساس اتباع ملتنا أو أداء جزيتنا أو السيف.
الاستبداد الذي قفل باب الاجتهاد السياسي وتحكم قبل الاستعمار وتحكم بعد رحيله، وعلى حـــد تعبير أمل دنقل:
لا تحلموا بعالم سعيد
فخلف كل قيصر يموت قيصر جديد
التنمية العاجزة عن توفير الضروريات أو تلك التي تغذي الظلم الاجتماعي داخليا والتبعية خارجيا.
نحن بحاجة لمشروع نهضوي يخرجنا من التخلف والاستبداد والتبعية وما لم نحققه فلا جـــدوى مـــن الحوار مع الآخر، لأن نهضتنا تبدأ بصحوة ذاتية.

الدول الغربية كذلك غارقة في مستنقعات أهمها:

* المسيحية واليهودية لا تعترفان ببعضهما ولا تعترفان بالآخر المحلي.

* تفوقهم المادي أورثهم استعلاء الغالب وجعلهم يكمّشون عطاء الآخرين.

* سياساتهم هي التي صنعت بؤر التوتر ولا يعترفون بهذا الدور وواجب العمل على إزالتها.

* هيمنة سياسات المحافظين الجدد على السياسة الأمريكية وهيمنة السياسة الأمريكية على السياسة العالمية.

* سياسة هؤلاء هي أقوى مبرر لسياسة الغلاة عندنا. قال السفير البريطاني لإيطاليا: «أكفأ «شاويش» تجنيد للقاعدة هو بوش نفسه لا غير».

سياسات غربية تجهض بشائر الاصلاح عندنا ـــ مثلا ـــ الموقف الأمريكي المعادي للديمقراطية الثالثة في السودان ـــ عدم الاعتراف بالاختيار الفلسطيني الحر لأنه أتى بحماس ـــ التحفز لقصف قناة الجزيرة مع أنها تمثل تحديثا إعلاميا ـــ منع صفقة شركة موانئ دبي العالمية مع أنها تمثل خيارا عربيا مستصحبا للعولمة.

قال توماس فريدمان «نبغى ألا نشك بعد اليوم أن ٩/١١ قد صيرنا أغبياء»!.

المنكفئون والغلاة في الشمال مزودون باستعلائهم وتفوقهم التكنلوجي وأسلحة الدمار الشامل. وهم في الجنوب مزودون بغضباتهم وأسلحة الضرار الشامل.

العالم اليوم في كف عفريت بين وعد العقلاء من الطرفين أن يصالحوا أنفسهم مع تيار التاريخ الصاعد ويجرون حوارا مثمرا عبر الملفات السبعة يبني مستقبلا أعدل وأفضل، ووعيد فيه يضع الغلاة والمنكفئون من الطرفين أجندة المستقبل فيجرفون مسيرة التاريخ نحو مصير ظلامي:

أمامك فاختر أي نهجيك تنهجُ

طريقان شتى مستقيمٌ وأعوجُ

صحيفة الشرق الأوسط اللندنية

================================

حول الرسول صلى الله عليه وسلم

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

الجذور الأولى للنسب الفاضل :

لقد اختار الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون النبي الخاتم الذي بشر به الأنبياء السابقون عليهم السلام . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا نسب شريف في قومه ، إذ إنه كان من أعرق قبيلة عربية وهي قريش ومن أشرف بيت في تلك القبيلة ، وهو بيت بني هاشم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى كنانة من بني آدم ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار) وكان لهذا الاصطفاء أهمية ، إذ

كانت الأنظار تحيط ببيت النبي صلى الله عليه وسلم والمتمثل في هاشم الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم لذا حفظت سيرة ذلك البيت وأحداثه التاريخية منذ أن انتقلت الزعامة إلى هاشم حيث تولى سقاية الحاج ورفادتهم ، فأصبح قبلة وفخر قريش .

بعد وفاة هاشم تتبع الناس بأبصارهم وولائهم انتقال الزعامة إلى أخيه المطلب ، الذي كان رجلاً عظيماً مطاعاً ذا فضل في قومه . وكان لأخيه هاشم زوجة بالمدينة من بني النجار ، ولها من هاشم طفل وضعته بعد موته وسمته عبد المطلب ، فلما شب الطفل ذهب إليه عمه المطلب فأخذه من يثرب إلى مكة حيث تربى بها . ثم إن المطلب مات بردمان بأرض اليمن ، فولى الزعامة بعده ابن أخيه عبد المطلب ، فأقام لقومه ما كان يقيمه آباؤه من السقاية والرفادة وولاية شئون الناس ، فشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه ، وكان أعظم ما حدث له أنه رأى في المنام آمراً يأمره بحفر بئر زمزم ، وتكررت له هذه الرؤيا ثلاث ليال ، فعرف أن الأمر حق ، ففعل كما أمر ، إذ حفر بئر زمزم التي لا يزال ماؤها ينضح حتى اليوم .

ثم إن عبد المطلب ولد له عشرة من البنين ، منهم عبد الله ، وهو أحب أبنائه إليه ، وكان لعبد الله هذا واقعة مهمة مع أبيه جذبت أنظار قريش إليه ، ذلك أن عبد المطلب كان نذر أن يذبح أحد أبنائه قرباناً لله تعالى إن رزقه عشراً من البنين ، فلما بلغوا عشرا أقرع بينهم ، فوقع السهم على عبد الله ، فأعاد ذلك فخرج عليه مرة أخرى ، فذهب به إلى الكعبة ليذبحه وفاءً نذره ، فمنعته قريش من ذلك لما كان لها من حب لعبد الله ، ثم إن عبد المطلب لجأ إلى عرافة لترى له مخرجاً من نذره ، فأخبرته أن يقرع مرة أخرى فإذا خرج السهم على عبد الله جعل محله عشرة من الإبل ،ثم يعيد ذلك كلما خرج السهم على عبد الله ،ولم يخرج السهم على الإبل حتى بلغت المائة عندئذ خرج عليها ، فنحرها عبد المطلب جميعاً فداء لابنه ،ففرحت قريش بذلك.

وقد كانت هذه الواقعة تقديراً من الله تعالى ، إذ إن عبد الله هذا هو والد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد أشار صلى الله عليه وسلم لذلك بقوله : {أنا ابن الذبيحين }يشير بذلك إلى قصة جده إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أمره الله تعالى بذبح ابنه في رؤيا رآها، وقصة جده عبد الطلب هذه مع أبيه عبد الله .

بهذه النبذة اليسيرة يتبين أن مكانة أسرة النبي صلى الله عليه وسلم جعلت أحداثها تحظى بالاهتمام والمتابعة ، مما جعل أهم تفاصيلها معلومة بدقة تامة ، حتى زواج عبد الله من آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب ، ووفاة عبد الله بعد هذا الزواج الذي خلف لعبد الله ابنه الوحيد من آمنة والذي ولد بعد وفاته بقليل وكان هذا المولود هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نسب النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد اشتهرت العرب بالاهتمام بالأنساب ومعرفتها متصلة متسلسلة بدقة تامة ، لذا حفظ التاريخ كثيراً من التراث النسبي في مؤلفات كثيرة تذكر أنساب القبائل وفروعها ، ومما حفظته المصادر ،

نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ اتفقت جميع المصادر على سلسلة نسببه صلى الله عليه وسلم بلا خلاف يذكر رواية وكتابة ، فنسبه صلى الله عليه وسلم هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر – وهو الملقب بقريش ، وإليه تنسب القبيلة – ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان .

الطفولة والصبا

لقد سجلت المراجع التاريخية المروية بأسانيد متصلة إلى جميع المصادر الثابتة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم – تفاصيل نشأة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما مر بها من أحداث خلال فترة الطفولة والصبا ، فذكرت تلك المصادر أنه صلى الله عليه وسلم بعد ولاته تولت إرضاعه حليمة السعدية ، حيث كانت عادة العرب أن تدفع بأطفالها إلى نساء البوادي ليقيمن بإرضاع الأطفال في البادية حتى ينشأوا على الفصاحة ، والفطرة السليمة ، والقوة البدنية .

وقد روت المصادر الإرهاصات التي حدثت لحليمة وزوجها منذ أن حل بهم الطفل الجديد – محمد صلى الله عليه وسلم – إذ تحول حالهما من العسر إلى اليسر ، فقد أصبحت شاهم العجفاء دارة للبن ، وحتى حليمة ذاتها أصبح ثديها مدرارا للبن لانها رضيع النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما روته حليمة فيما ذكرته المصادر .

وقد بقى الصبي مع حليمة حتى بلغ الخامسة من عمره ، وما أعادته إلا أنها خافت عليه من واقعة حدثت له،وهي حادثه شق الصدر . ذلك أن ملكين جاءاه صلى الله عليه وسلم وهو بين صبية يلعبون فأخذاه وشقا صدره وأخرجا قلبه وغسلاه في طست ثم أعاداه موضعه فالتام الجرح كأن شيئاً لم يكن ، فلما حكى الصبية وفيهم صلى الله عليه وسلم هذه الحادثة لحليمة وزوجها خافا عليه خوفاً شديداً فقررا إعادته إلى ذويه بمكة ، ولكن ما بلغ الصبي السادسة من عمره حتى توفيت أمه آمنة ، فتولى تربيته جده عبد المطلب فلما بلغ الصبي ثماني سنين وشهرين وعشرة أيام توفى جده عبد المطلب فانتقلت رعايته إلى عمه أبي طالب ، فبقى بكنفه حتى بلغ أربعين سنة . وكان صلى الله عليه وسلم في أول شبابه عمل في رعي أغنام قريش على دراهم يعطونها إياه على ما هي عليه سنة الأنبياء من قبله .

الزواج والرجولة

كان صلى الله عليه وسلم مميزاً في شبابه كما هو مميز في طفولته وصباه ، فقد برزت فيه أسمى الصفات الخلقية حتى إن قريش لقبته بالأمين ، وكانت تضع عنده أماناتها ، فلما كانت هذه حاله في قومه فقد جذبت هذه الخصال إليه سيدة قريش وصاحبة التجارة والمال فيهم خديجة بنت خويلد، فأوكلت إليه الاتجار في مالها فكان نعم التاجر الأمين فجرى على يديه لتجارتها نمو كبير ، فلما رأت همته وصدقه وأمانته وخصاله الحسنة عرضت عليه الزواج من نفسها وهي بنت الأربعين وهو ابن الخامسة والعشرين فأجابها وتم الزواج ، وبقى معها زوجاً وفياً حتى بلغ الأربعين من العمر .

وكان أعظم ما مر به مع قريش قبل النبوة ، أن قريشاً أرادت أن تعيد بناء الكعبة بعد أن تهدم جـــزء منها ففعلت حتى إذا بلغت موضع الحجر الأسود ، وهو حجر معظم فيها اختلفت قريش فيمن يكون له شرف وضع ذلك الحجر في موضعه واشتد خلافهم حتى أوشكوا أن يفتتنوا ، إلا أنهم رضوا برأي من أشار عليهم بتحكيم أول مارّ بهم ، فكان أول من مرّ بهم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فلما رأوه هللوا جميعاً فرحاً : رضينا بالأمين حكماً . فعرضوا عيه الأمر ، فطلب منهم ثوباً وضـــع عليه الحجر الأسود وطلب من كل فريق أن يرشح واحداً منهم ،فرشحت كل قبيلة واحداً منـــها ، وطلب منهم أن يأتوا فيرفعوه جميعاً ، حتى إذا بلغوا به موضعه من الكعبة أخذه هو –صلى الله عليه وسلم – فوضعه في مكانه ، فازداد بهذا الحدث ذكره عند قريش وغيرهم .

الوحي والنبوة

مما يجدر ذكره قبل التعرض للوحي والنبوة ،واقعة مهمة حدثت في حياة محمد صلى الله عليه وســـلم ذلك أنه لما بلغ العاشرة – أو يزيد قليلاً – خرج به عمه أبو طالب في رحلته التجارية إلى الشـــام ، حتى بلغوا بصرى ، وهي بلدة في الطريق إلى الشام ، التقوا فيها براهب يدعى بحيرا ، واسمه جرجيس ، نزل عنده الركب ، فأكرمهم وأحسن ضيافتهم ، ثم إنه رأى معهم الصبي محمد بن عبد الله ،فعرفه بوصفه المذكور في كتبهم ، فقال وهو آخذٌ بيد الصبي : هذا سيد العالمين ، هذا يبعثـــه الله رحمـــة للعالمين ، ثم سأل عن أبيه، فقال أبو طالب أنا أبوه ، فقال بحيرا : لا ينبغي أن يكون أبوه حياً .

فأخبره أبو طالب بقصته فقال له بحيرا : هذا هو النبي الذي بشر به عيسى ، وأنا نجد صفته في كتبنا ، ثم قال: احذره من يهود. وقد شب صلى الله عليه وسلم بمكة حتى بلغ الأربعين متميزاً بخصاله الـــتي بهرت من حوله ، فقد كان قوي الفطنة ، طيب المعشر ، جميل السيرة، سليم السريرة ، كامل الخلق والخلق ، تام المروءة ، عالي الهمة طويل الصمت في التأمل والتفكير ، محباً للخلوة معتزلاً للهو والعبث ، هاجراً للأوثان ، مطمئن القلب ، سامي النفس ، حتى إذا كان قريب عهد من النبوة حببّ إليـــه الخلاء . فكان يخلو بنفسه الليالي ذوات العدد يخلد فيهن إلى غار حراء يتحنث فيه ، متأملاً متدبراً .

ثم توالت آثار النبوة تلوح عليه ، وكان أعظم ذلك الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى شيئاً في منامه إلا كان مثل فلق الصباح في تحققه حتى مضى على ذلك ستة أشهر ، ثم نزل عليه الوحي بالقرآن الكريم وهو متحنث في غار حراء،وذلك شهر رمضان في السابع والعشرين منه – على الأرجح – وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عنه عائشة زوجه رضى الله عنها قالت : { أول ما بـــدئ بـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى شيئاً إلا جاء مثل فلق الصبح . ثم حبّب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه – أي يتعبد فيه- الليالي ذوات العدد قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة –زوجه – فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال صلى الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال :اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ .فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ،ثم أرسلني فقال : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق .اقـــرأ

وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)) فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ،فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال زمّلوني زملونّي ، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ، ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكّل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر .

فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن عبد العزّى- ،ابن عم خديجة – وكان امرءً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى –فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى – عليه السلام – يا ليتني جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفى ،وفتر الوحي }

بعد هذه الواقعة استمر نزول الوحي بالقرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة عشر سنة ، ثم بالمدينة النبوية بعد الهجرة عشر سنين ، حتى اكتمل نزول القرآن، فكان هو الكتاب المتضمن لمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم في لغته ومضمونه ومعانيه ، بما حواه من أخبار وآيات في الآفاق والأنفس ، وحقائق علمية معجزة بجانب كونه الكتاب المتضمن لشرائع الإسلام وأحكام به.

وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم سنين بعثته الأولى وهي ثلاث عشر سنة بمكة التي أضطهده فيها أهلها وأخرجوه منها مهاجراً إلى المدينة المنورة التي أنشأ فيها دولة الإسلام وتكاملت بها تشريعات الإسلام وتوسعت دائرته إلى خارج الجزيرة العربية حتى توفاه الله تعالى في السنة العاشرة للهجرة.

==================================

خصوصيات الر سول صلى الله عليه وسلم

في الوقت الذي يظنّ فيه البعض أن أسباب النصر مقتصرة على من ملك القوّة والعتاد، في الأسلحة والرجال ، وغيرها من الأسباب الحسّية ، تأتي السنّة لتكشف عن جانب آخر من أسباب النصر ، ألا وهو النصر بالأمور المعنوية كالرعب والهيبة ، وهي إحدى الخصوصيّات التي منحها الله لنبيّه – صلى الله عليه وسلم - ، وأسهمت بشكلٍ فعّال في نشر الدعوة ، والدفاع عن الملّة ، وقذف الرعب في قلوب الأعداء .

فقد روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أعطيت خمسا لم يعطهنّ أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر...) .

ويظهر أثر هذه الهيبة بجلاء على الصعيدين الفردي والجماعي ، فأما الفردي فقد كان فيها عصمةٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم - من الناس ، ووقايةٌ له من مكائدهم ، تحقيقاً لقوله تعالى : { والله يعصمك من الناس } (المائدة : ٦٧) .

ولو استعرضنا سيرته عليه الصلاة والسلام لوجدنا عدداً من الحوادث التي تؤكّد هذه القضيّة على المستوى الشخصي ، فعلى الرغم من صولة قريشٍ وجبروها ، وقسوها وطغياها ، إلا أن ذلك لم يكن ليقف أمام شخصيّة النبي – صلى الله عليه وسلم – المهيبة، والتي كان وقعها على أهل الكفر والعناد أشدّ من وقع الأسنّة والرماح ، فقد اجتمعت قريش تسخر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتستهزيء به ، فقال لهم : (تسمعون يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح) فبلغ بهم الرعب مبلغاً عظيماً ، ووقعت هذه الكلمة في قلوبهم وكأنّ على رؤوسهم الطير ، حتى أن أشدّهم جرأة عليه يحاول أن يسترضيه بأحسن ما يجده من القول ، فيقول له " انصرف يا أبا القاسم راشداً ؛ فوالله ما كنت جهولاً " رواه أحمد .
ولّما سمع عتبة بن ربيعة النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – يقرأ قوله تعالى : { فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود} (فصلت : ١٣) أصابه الرعب وقال : حسبك حسبك .
وفي غزوة ذات الرقاع ، نزل جيش النبي – صلى الله عليه وسلم – في وادٍ كثير الشجر ، وتفرّق الناس يبحثون عن الظلّ ، وانفرد عليه الصلاة والسلام بشجرة ليرتاح تحتها ، فعلّق بها سيفه وافترش الأرض ، وبينما هو نائم جاءه أعرابيٌّ يريد قتله ، فأخذ السيف المعلّق وقال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : من يمنعك مني ؟ فأجابه بقوله : (الله) ، فارتعد الرجل وسقط السيف من يده ، وسرعان ما تحوّل الاستكبار والتهديد إلى توسّل ورجاء حين أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – السيف وقال له : (من يمنعك مني ؟) ، والقصّة في صحيح البخاري .
وحين دار الحوار المشهور بين هرقل وبين أبي سفيان ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ودعوته ، قال هرقل : " ليبلغنّ ملكه ما تحت قدميّ " ، فلما سمع ذلك أبو سفيان قال لأصحابه بعد خروجهم : " إنه ليخافه ملك بني الأصفر " .
وأما على الصعيد الجماعي ، فقد انتصر النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزوة بدر بعد أن قذف الله الرعب في قلوب أعدائه ، كما قال الله تعالى : { إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب } (الأنفال : ١٢) .
ولما انتهت غزوة أحد ، وتوجّه المشركون إلى مكّة ، ندموا حين لم يقضوا على المسلمين قضاءً تامّاً ، وتلاوموا فيما بينهم ، فلما عزموا على العودة ألقى الله في قلوبهم الرعب ، ونزل في ذلك قوله تعالى : { سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب } (آل عمران : ١٥١) أخرجه ابن أبي حاتم .
وتحدّث القرآن الكريم في سورة كاملة ، عن الهزيمة الكبرى التي لحقت بيهود بني النضير، عندما أجلاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أراضيهم ، فكانت الدائرة عليهم وتخريب بيوتهم بسبب ما أصابهم من الرعب ، كما قال الله عنهم : { فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين } (الحشر : ٢) .
ولما ضرب المؤمنون الحصار على بني قريظة ، سارع أهلها بالاستسلام ، وفتحوا أبواب حصونهم ، ونزلوا على حكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيهم ، بعد أن انهارت معنويّاتهم وقذف الله

الرعب في قلوبهم ، قال سبحانه : { وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا } (الأحزاب : ٢٦ – ٢٧) .

وفي غزوة تبوك تسامع أهل الروم ومن معهم من القبائل العربية الموالية بقدوم النبي – صلى الله عليه وسلم – لقتالهم ، فتفرّقوا من بعد اجتماعهم ، وآثروا السلامة في نفوسهم وأموالهم وأراضيهم ، مما دفعهم إلى مصالحة النبي – صلى الله عليه وسلم – ودفع الجزية ، على الرغم من تفوّقهم العددي والحربي ، وهو جزءٌ من الرعب اللذي يقذفه الله في قلوب أعدائه .

و لم يكن هذا الأمر هو الوحيد من خصوصيّاته – صلى الله عليه وسلم – الحربيّة ، فقد كانت له خصوصيّاتٌ أخرى تتعلّق بهذا الجانب ، منها : إحلال الغنائم له دون من سبقه من الأمم ، فقد كان الناس في السابق يعتبرون الغنائم كسباً خبيثاً لأنها أُخذت من العدو، وكان مصيرها أن تُجمع ثم تنزل نارٌ من السماء فتحرقها ، كما في قصة نبي الله يوشع عليه السلام التي رواها البخاري .

أما الأمة المحمّدية ، فقد أباح الله لها الغنائم رحمة بها ، وتخفيفاً عنها ، وكرامةً لنبيّها – صلى الله عليه وسلم – ، قال عليه الصلاة والسلام : (... ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا) رواه مسلم .

ومن خصوصيّاته – صلى الله عليه وسلم – الحربية ، أن الله تعالى أحلّ له مكة ساعةً من نهار ، وذلك يوم الفتح ، فأباح له القتال فيها ، و لم يبح ذلك لأحد قبله ولا لأحدٍ بعده ، فقد حرّم الله هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، كما في حديث البخاري .

وبذلك يتّضح كيف كان لخصوصيّاته عليه الصلاة والسلام أثرٌ بالغٌ في تمكين المؤمنين ونصرتهم من جهة ، وهيبة جانبهم من جهة أخرى .

==============================

خطوات عملية للانتصار لخير البشرية

د.محمد موسى الشريف.

إن الجريمة العظمى التي أقدم عليها رئيس وزراء الدانمرك وحكومته لا ينبغي أن تمر دون محاسبة.

وإنما قلت رئيس وزراء الدانمرك وحكومته لأنه هو المسؤول الأول عما يجري في بلاده ، ولأنه تهاون في هذه المسألة تهاوناً أدى به إلى رفض مقابلة وفد مسلمي الدانمرك ، ولأنه كاذب فيما يدعيه من حرية التعبير لأنه لو سُب المسيح عليه الصلاة والسلام هذا السب أو سُب البابا هذا السب لما قبل العالم كله منه هذا العذر المريض ، ولانتفض النصارى وغيرهم وحصل له ما لا يحمد عقباه لكن المسلمين لا بواكي لهم.

والذي ينبغي عمله في هذه النازلة الخطيرة عدة أمور ، منها :

١– عمل الحكومات الإسلامية :

أ – طرد السفير الدنمركي وإغلاق السفارة.
ب – قطع العلاقات السياسية مع الدنمرك.
ج– إيقاف استيراد البضائع الدنمركية ، والامتناع من تصدير أي سلعة إسلامية إليها.
وأنا أكتب هذا الكلام وأعلم أن غالب الدول الإسلامية سيقف موقف المتخاذل لأنها عودتنا على ذلك من قبل ، لكني أقول للحكومات محذراً ، إن الحكومة التي تتخاذل في نصرة خير البرية إنما تعرض نفسها لانتقام الله تعالى ، لأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو خليل الرحمن ، والله تعالى يغار على انتهاك حرمته ولا شك، وأخشى أن الله تعالى سيصب غضبه على من تخاذل في نصرة حبيبه وخليله صلى الله عليه وسلم.
وبادرة المملكة في سحب سفيرها من الدنمرك خطوة أولى مهمة أرجو أن تتبعها خطوات أخرى.
٢– عمل الشعوب والهيئات الشعبية :
إن من فضل الله تعالى على الشعوب أنها تستطيع عمل الكثير في مقاومة هذه الهجمة ، وعدد المسلمين مليار وثلث المليار ، وهذا عدد عظيم يستطيع لو اجتمع عشرة بالمائة منه على عمل شيء أن يغيروا عدداً من الموازين بإذن الله تعالى ، ومما يستطيع عموم المسلمين عمله هو الآتي :
أ – المقاطعة التامة لكل منتجات الدنمرك ، خاصة منتجات الحليب مثل زبدة لورباك ، وعدة أصناف من الحليب المجفف والسائل ، والجبن الدنمركي المنتشر في البلاد العربية ، وغير ذلك ، وقد صدرت عدة إعلانات من بعض الشركات في المملكة العربية السعودية أنها تقاطع المنتجات الدنمركية وأرسلت رسائل للسفارة ، وهذه بادرة جيدة.
والمقاطعة فعالة جداً ، وقد صدرت جملة من الفتاوى المحرمة للتعامل مع الأمريكان والبريطانيين ، وأحسب أن جرم الدنمرك الأخير لا يقل جرماً عن الأمريكان والبريطانيين. وليس للشعوب الإسلامية عذر في شراء المنتجات الدنمركية حيث يوجد لها بدائل كثيرة في الأسواق.
ب – إرسال رسائل الاستنكار الكثيرة إلى السفارات الدنمركية حول العالم الإسلامي وإلى الحكومة نفسها ، وهذه الرسائل إن بلغت حداً من الكثرة كبيراً فإنه يؤثر ، لأن الغرب يهتمون بهذه الرسائل التي تعبر عن الرأي العام.
ج– إقامة المحاضرات والدروس في نصرة خير البرية ، ولإعلام العوام بمترلته الرفيعة عند الله وعند الناس.
د– مشاركة القنوات في الذب عن مقامه الرفيع صلى الله عليه وسلم ، وذلك عن طريق إقامة البرامج المخصوصة ، وتخصيص يوم كامل لاستقبال ملاحظات الناس ومناقشاتهم ، ومن أجل مشاركة العلماء والمشايخ في الرد.
هـ– إقامة حملة تبرعات كبيرة من خلال وسائل الإعلام وغيرها ، من أجل توفير مبلغ مالي كبير يخصص من أجل إقامة وقف عالمي كبير للدفاع عن خير البرية صلى الله عليه وسلم.
٣– عمل المشايخ والعلماء :

وهؤلاء عليهم واجب كبير جداً في تحمل عبء هذه القضية ، وللأسف فإننا إلى الآن لم نجد ذلك الرد الجيد ، ومن أضعف الردود رد شيخ الأزهر الذي قال : إنه لا يصح الكلام في الأموات !!! وغضب عدد كبير من الناس من رده المتهافت هذا كتهافت أكثر كلامه وفتاواه ، ولم نسمع من مشايخ كثيرين ما ينبغي أن نسمعه في هذا الموقف الجليل.

لذا ينبغي أن يكون لهؤلاء المشايخ والعلماء وقفة كبيرة وصادقة عن طريق مشاركاتهم الفردية وعن طريق مؤسساتهم التي يشاركون فيها خاصة مؤسسات الإفتاء وكليات الشريعة وأصول الدين ، وهذا ينبغي إلا يُتردد فيه ولا يتوانى فيه.

٤- عمل الدعاة :

وهؤلاء عليهم واجب عظيم في التعريف بمترلته صلى الله عليه وسلم في العالم كافة، وعمل البرامج والخطب والمحاضرات في نصرته صلى الله عليه وسلم في وسائل الإعلام كافة ، وفي المساجد والمراكز.

٥- عمل الأقليات المسلمة في الغرب :

وهؤلاء عليهم واجب كبير في البحث عن القوانين الغربية التي ترفض مثل هذه الإهانات ، وإن لم يوجد يسعى مفكرو وعلماء هذه الأقليات إلى تأسيس مثل هذه القوانين التي تحمي المسلمين وعلى رأسهم سيدهم صلى الله عليه وسلم من الإهانات المتكررة ، ومخاطبة الاتحاد الأوروبي وغيره بهذا حتى تصان حقوق المسلمين في المستقبل إن شاء الله تعالى.

وكذلك من واجب الأقليات المسلمة أن يقيموا سلسلة من البرامج والمحاضرات للتعريف بالإسلام وبنبي الإسلام عليه أفضل الصلوات والسلام ، وأن يجتهدوا في إيصال ذلك إلى الناس كافة في بلدانهم وبلغاتهم.

وختاماً أقول :

إننا إن لم نتحرك التحرك الكافي لمواجهة هذه الجريمة فسنهون على العالم أجمع ، وسيسهل على كل من يريد الهجوم على المسلمين بعد ذلك أن يقدم على ذلك بدون النظر في العواقب.

وأنا واثق من أننا إن قمنا بهذه الخطوات فسيخضع المغرورون في الدنمرك وغيرها ، وسيهرولون طلباً للاعتذار ، والله أعلم.

الله زاد محمداً تكريما*** وحباه فضلاً من لدنه عظيما

واصطفاه في المرسلين كريما*** ذا رأفة بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ما المطلوب من الدنمرك ؟

المطلوب من الدنمرك ما يلي :

أ – الاعتذار الواضح من قبل حكومة الدنمرك على هذه الإساءة.

ب – تقديم من قام بكبر الاستهزاء إلى المحكمة الدنمركية لتنظر في شأن العقوبة المناسبة الرادعة له ولأمثاله.

ج- وضع القوانين – الكفيلة بعدم تكرار ما حدث – في صلب القوانين الدنمركية.
فإن حدث هذا أو شيء يقاربه أو شيء بديل عنه فإنه ساعتئذ يراجع المسلمون شأن العلاقة مع الدنمرك وكيف تعود المياه إلى مجاريها.
هذا والله أعلم وأحكم ، وصلى اللهم وسلم على سيد الخلق محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.

================================

خطيب العالم

الكاتب: د.سلمان بن فهد العودة

في الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا؛ فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتَكُمْ، لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟).
قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.
قَالَ: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ!).
فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}.
وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذه الخطبة أيضاً: (يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا). رواه مسلم هكذا كانت أشهر خطب النبي صلى الله عليه وسلم، وبها انتقلت الدعوة من السر إلى العلن، كانت تبليغاً وإنذاراً وتبشيراً بكلمات قلائل، ووقت يسير، ولم تأخذ هذه الخطبة وقتاً طويلاً ولاشرحاً مملاً، ولا سجعاً متكلفاً مما تنوء به بعض الخطب.
بهذه الخطبة أوجز النبي – صلى الله عليه وسلم – كلامه، وأوتي في كل حديثه جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، ومع أهمية هذه الخطبة وتاريخيتها ودورها في فجر هذا الدين الإسلامي؛ فإنها لم تتشعب في التفاصيل، ولم تسهب في الشرح، فهي خطبة عظيمة لعظم المعنى الذي تحمله، والألفاظ التي عبّرت عن هذا المعنى، وجزالة الحرف، وصدق اللهجة، وشرف الموقف.
ومثل ذلك كانت خطبه صلى الله عليه وسلم، ولقد تعجبت يوم اطلعت على كتب السنة المعروفة؛ كالصحيحين، والسنن وغيرها، فلم أجد تلك الخطب الطويلة، والأحاديث المسهبة، وما يمكن وصفه بالطول تجد أن له متعلقاً بقصة أو معركة، فخطبته – صلى الله عليه وسلم – كلمات معدودة، لكنها

تمتاز بخصائص نموذجية عالية مثل (الشمولية) في المعالجة للموضوعات المختلفة في شتى شؤون الحياة والعلم والدعوة، والسياسة والفقه، والعسكرية والإيمان؛ فهي ليست وعظاً محضاً مجرداً، بل يمتزج فيها الترغيب بالترهيب، والقصة بالعبرة، والحدث بالتحليل، والماضي بالحاضر بالمستقبل، وقضايا الإيمان واليقين بمسائل التشريع والتوجيه والتربية.

في لغة سهلة قريبة يفهمها الجميع، و لم تكن خطاباً خاصاً موجهاً للنخبة أو العلية، ولا لشريحة معينة؛ فالصغار والبسطاء والعامة مخاطبون بشكل مباشر، ولهم أهميتهم وقدرهم في خطاب لا تستهلكه الأحداث عن التوجيه والتربية العامة، كما لا يغيب عنها طرفة عين، كيف؟ وهو الصانع الرئيس لأهم الأحداث عليه السلام، والمشارك الأساس للناس في همومهم ومعايشة أدق التفاصيل في حياتهم.

ومن أعمق الملاحظات في وصف خطبه – صلى الله عليه وسلم – القول بأنها لغة (حوارية)؛ ممتلئة بكل أشكال تفاعل الناس والتفاعل معهم، والكثير الكثير من خطبه تجد أن أحداً يقوم فيسأل، وآخر يقوم فيستشكل، وثالث يشكو، ورابع يحكي..

وفي الصحيحين – فقط – من ذلك شيء عجيب، مثل حديث أنس، حينما كان صلى الله عليه وسلم يخطب، فدخل رجل فقال: يا رسول الله ألا تستسقي لنا؟!

فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقاهم الله، ثم في الجمعة القادمة دخل رجل؛ فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يمسكه عنا (أي: المطر).

ففعل صلى الله عليه وسلم، فأمسكه الله.

وفي خطبة عيد الأضحى، قام أبو برزة فقال: يا رسول الله إني ذبحت عناقاً.. إلخ وما أكثر الذين يقومون أو يدخلون من باب مسجده؛ فيسألونه وهو يخطب.

ومن ألطف هذا التفاعل نزوله – صلى الله عليه وسلم – من منبره وقد أَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ – رضي الله عنهما – عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا، فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ اللَّهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ). ثم أكمل خطبته. كما عند أهل السنن وأحمد.

وهو صلى الله عليه وسلم بدوره كان يسأل ويوجّه، ويقيّم الذين لم يؤدوا تحية المسجد، ليعلم الناس أن هذه الخطب النبوية الشريفة تعايش واقع الناس، وتفهمه، وتوجهه إلى أرشد سبيل وأقوم نهج، بأسلوب علمي وعملي، دون أن تلحقه آفات التجريد والتنظير التي شغل بها بعض المعاصرين، أو سيئات التحزب والتصعيد التي فتن بها آخرون، وطريق الاعتدال هو بين الغياب عن هموم الناس وأحداثهم وبين أن تستهلكه مجموعة من الأحداث التي تفقده توازنه وتماسكه.

وأذكر لمّا دخل النظام البعثي الكويت صليت الجمعة مع أحد الخطباء، وكان الناس ينتظرون توجيهه حول الحدث والتعليق عليه، لكن فوجئت وفوجئ المستمعون بأنه كان يتحدث عن عذاب القبر، ولا أحد يقلل من قيمة الحديث عن ذلك، ولكن الموقف كان يستدعي نوعاً من الكلام المختلف، يتطلب

شيئاً من التوعية والإضاءة للناس، فلو تكلم عن الإيمان أو التوكل أو الصبر أو أي شيء قريب من ذلك يمكن ربطه بالحدث؛ لكان أقرب إلى عقول الناس وحديثهم.

إن على من يريد توجيه الناس وإصلاحهم وبث الوعي الإيجابي ودعوقم للإسلام أن يطالب نفسه باستخدام لهجة يفهمها الناس ويعرفونها، واستعمال أسلوب يتعاطى مع حسهم قبل أن يصف الناس بقلة الفهم وانحطاط الوعي والإدراك، وقبل أن يصفهم بالبعد عن الدين والعلم. إن اللغة السهلة القريبة الرقيقة هي جسر التواصل بين الخطباء والناس؛ فتأهيل الخطيب بفقه عام لأحوال الناس ولغتهم بُنْيةٌ أساسية لتحقيق فهم الناس للخطبة أولاً، وتفاعلهم واستجابتهم لها ثانياً، وهذا التأهيل أو قريب منه هو الذي اعترف به قوم صالح لنبيهم صالح عليه السلام، حين قالوا عنه: {يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} (سورة هود:٦٢)، لقد كان (مَرْجُوًّا) لأنهم يعرفونه، وعاش معهم لحظات الوجود أولاً بأول، فكان خطابه محرجاً للجميع؛ لأنه جاء بالحق والدين والإيمان في واقع يعرفه جيداً، ولأناس هم قومه الذين عرفهم وعرفوه فكان (مَرْجُوًّا) فيهم.

ورسولنا – صلى الله عليه وسلم – خير من أثبت في خطبته معنى الاهتمام بمخاطبة الناس، حتى إنه كان يفرق صلى الله عليه وسلم بين فئات المجتمع، ويدرك الفروق، وفي الصحيحين قصة خطبته للنساء، ووعظه لهن، وتفاعل النساء وأسئلتهن له صلى الله عليه وسلم، فالنساء تقوم، فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستفسر وتستوضح في جو من التفاهم بديع.

وحتى منبره – صلى الله عليه وسلم – كان أرفع من الناس قليلاً، ليكون أقرب لشد انتباه الناس، واسترعاء اهتمامهم.

وكذا صوته صلى الله عليه وسلم، فلم يكن على وتيرة واحدة، فالطريقة الواحدة تبعث الملل، فكان يرفع صوته ويخفضه، ولذا كانت خطبة الجمعة خطبتين، بينهما جلسة قصداً لتيسير فهم الخطبة، والاستجابة لها.

ويقول جابر: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا خطب يرفع صوته ويخفضه، ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه؛ كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم. رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما.

وبالطبع فهذه ليست كل أحواله في خطبه، فهي تختلف في احتياجها لمثل هذا الشعور، فالموضوع والحدث يفرض أحياناً نوعاً من الاهتمام يختلف عن موضوع وحدث آخر.

لكن؛ بهذه الأوصاف جميعاً تدرك دقة المتابعة، ورقي الإحساس النبوي في الخطبة، وترى في الوقت ذاته غفلة بعض الخطباء عن هذه المعاني والأوصاف، وترى بُعدهم عن الهدي النبوي، فتشاهد إما طولاً مفرطاً، أو لغة رديئة، أو بعداً عن هموم الناس ومشاعرهم، أو ركاكة في التعبير، أو انفعالاً يبتعد عن سبيل الاعتدال الذي هو سمة هذه الأمة حين تُخاطب الناس، لتكون شهيدة عليهم، ومبلغة لرسالة الدين والحق، على خطى نبيها محمد صلى الله عليه وسلم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (سورة البقرة: ١٤٣).

صحيفة الجزيرة السعودية

د مازن مطبقاني هذه حقيقة الفاتيكان

حوار : عبد الله بن محمد الرشيد

(مثل هذه الحملة ليست مستغربة إطلاقاً ولا جديدة على الفاتيكان) هكذا يكشف ضيفنا حقيقة الفاتيكان الذي يقوم بحملة شعارها (مليون ضد محمد) ، مؤكّداً أنّ ذلك ينبع من الحقد المتأصّل في نفوس النّصارى ضد المسلمين ، مشيراً إلى ألاعيب السياسة وراء هذه الحملة التي تتعاون مع دول الإرهاب للحرب على الإرهاب ، ويرى الدكتور مازن مطبقاني أنّ هذه الحملة ليست موجّهة للنّصارى فقط ، بل هي لجميع شعوب العالم ومنها الشعوب الإسلاميّة ، مؤكّداً أنّ المدّ الاستشراقي يلعب دوراً مهماً في تحريك مثل هذه الهَجَمات .

ويقول الدكتور مازن في ختام حديثه: "إنّه لا ينبغي أنْ نعوّل كثيراً على دور الحكومات العربيّة؛ فهي مشغولة بتثبيت حكمها، وتحقيق أدنى قبول شعبي لها ، وكيف نعوّل عليها وهي التي تفتح أراضيها لإرساليّات التنصير؟!

ويعزو الدكتور "ضعف التفاعل الشعبيّ العامّ" مع هذه القضية إلى وسائل الإعلام العربيّة التي ما فتئت تحارب ما يسمّى " بالأصوليّة الإسلاميّة "، وتروّج لأفكار الانحلال والانحراف .

والدكتور مازن صلاح مطبقاني أستاذ مشارك بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حصل على درجة الدكتوراه في الدّراسات الإسلاميّة من قسم الاستشراق بكلية الدّعوة بالمدينة المنورة عام ١٤١٥هـ، وحصل قبلها على الماجستير في التاريخ الحديث من قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٤٠٦هـ. ويشرف حالياً على موقع في الإنترنت حول الاستشراق هو مركز المدينة المنوّرة للدّراسات وبحوث الاستشراق وعنوانه هو: www.mazen-m.com٨center.

وله عدد من المؤلفات في دراسة الاستشراق والتنصير منها : الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ، و الاستشراق والاتجاهات الفكريّة في التاريخ الإسلامي ، و أصول التنصير في الخليج العربي(ترجمة عن الإنجليزية)

وحضر عدداً من المؤتمرات الدوليّة منها : المؤتمر الدولي حول الاستشراق والدراسات الإسلاميّة ، في تطوان بالمغرب عام ١٩٩٧م ، و المؤتمر الدولي حول الاستشراق: الخطاب والقراءة بجامعة وهران عام ٢٠٠١م وغيرها .

نشرت صحيفة "فليت إم زونتاج" الألمانيّة في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ مايو من عام ٢٠٠٤ م، مقالا بعنوان (مليون ضد محمد) ذكرت فيه أنّ للفاتيكان منظمةً اسمها "رابطة الرهبان لتنصير الشعوب" هي من أقدم منظمات الفاتيكان وأكثرها نفوذا وأقلّها شهرة، إنّها تعمل في كل مناطق العالم بما في ذلك المناطق التي يسمّونها مناطق "الصّمت"؛ كالسعوديّة واليمن والصين وفيتنام وكمبوديا . بداية نودّ أنْ نعرف مدى الامتداد التاريخي لهذا الهجوم العلنيّ ضد المصطفى صلى الله

عليه وسلم من قبل رؤوس الدّيانة المسيحيّة؟ و بماذا تفسر تبني الفاتيكان لها وهي المرجعيّـــة الدينيّـــة الأولى لنصارى اليوم ؟وهل هذه العمليّة مستغربة وجديدة في تاريخ الفاتيكان كمؤسسة؟

يجب ألا يغيب عن بالنا لحظةً ما ورد في القرآن الكريم حول موقف النصارى من الإسلام والمسلمين، ومن ذلك قول الله عز وجل(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبعَ ملتهم) [البقرة:١٢٠] وقوله تعالى (يُرضُونكم بأفواههم وتأبى قلوبُهم)[التوبة:٨] (قد بدت البغضاءُ من أفواههم وما تُخفي صدورُهم أكبر) [آل عمران:١١٨]

إنّ جهود التنصير في محاربة الإسلام وأهله قديمة، وقد اتخذت عدة أشـــكال منـــها: العســـكري،و الفكري، والثقافي، والاجتماعي. أمّا الفكري والثقافي فقد بدأ منذ وقت مبكر حين ظهـــر" يوحنـــا الدمشقي" يناظر المسلمين ويطعن في الإسلام ومعتقداته. واستمر النصارى يكتبون الكـــثير حـــول الإسلام، حتى إنّ الإنتاج الفكريّ في العصور الوسطى(الأوروبية) كثرت فيها هذه الكتابات، وكانت على درجة من السوء والتحيّز والتعصّب حتى كتب في ذلك "ريتشارد سوذرن" كتابه المشهور عـــن صورة الإسلام في القرون الوسطى، ثم جاء بعده "نورمان دانيال" في كتابه (الإسلام والغرب) وفيـــه نقد قويّ لما كتبه النصارى حول الإسلام في تلك الفترة.

وظهرت ترجمات لمعاني القرآن الكريم قام بها قساوسة وباحثون أوروبيّون كانـــت نمـــاذج للحقـــد والكراهيّة. وقد صرّح الكثيرون منهم أنّهم بحثوا عن أسوأ الأوصاف والنعوت وأطلقوها على الرّسول صلى الله عليه وسلم. ومن نماذجهم القريبة القس البلجيكي- الذي عاش في لبنان- "هنرى لامانس" الذي نعت الرّسول صلّى الله عليه وسلم بشتى النّعوت البذيئة التي لا يليق بعالم أنْ يتلفظ بهـــا لا أنْ يكتبها.

واستمرّت الهجمة على الإسلام والمسلمين وعلى شخصيّة الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحاضر الذي تنشط فيه الكنائس الغربيّة ومؤسسات التنصير المختلفة، حتى إنّ بابا الفاتيكـــان الحالي قام بجولة في عدد من دول أفريقيا لتشجيع البعثات التنصيريّة على العمل وحدّد لهم الهدف بأنْ يعملوا على جعل أفريقيا قارة نصرانيّة بحلول العام ٢٠٠٠م، ولكن خاب ظنّه وتخطيطه. وقد مـــرّت ثلاث سنوات ونصف على هذا التاريخ ومازال الإسلام قوياً في أفريقيا، ويزداد الإقبال عليه. ولعلهم أدركوا استحالة تحقيق هذا الهدف، فغاظهم فقرروا خُطة جديدة لعلها تكون هذه الخُطّة التي نتحدث عنها الآن.

ومثل هذه الحملة ليست مستغربة إطلاقاً ولا جديدة على الفاتيكان الذي حرّض النصارى في القديم على القيام بالحَمَلات الصليبيّة، والذي تعاون مع قوى الاحتلال حديثاً، فلا يستغرب منه مطلقـــاً أن يشنّ الحملة تلو الحملة ضد الإسلام والمسلمين.

بحكم تخصصكم، ما هي دوافع هذه الحملة ضدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ وهل تنطلق من منطلق دينيٍّ بحت ؟ أم أنّ هناك دوافعَ سياسيةً في الموضوع؟

دوافع هذه الحملة وما قبلها من حملات هو الحقد المتأصل في نفوس النصارى ضد الإسلام ورسـوله صلى الله عليه وسلم. ومع الدّوافع العقديّة من حقد دفين على الإسلام فهناك الـدوافع السياسـيّة والاقتصاديّة والثقافيّة. فإن كان الأوروبيون يزعمون أن جذور الفكر الغربي هي الجذور اليهوديـة- النصرانية فإن ما يقف ويقاوم هذه الجذور الفكريّة وينال القبول في أنحاء العالم هو الإسلام؛ لذلك لا بد من الحَمَلات المحمومة التي نحن بصددها وما سيتلوها، والتي لا تخرج أهدافها عن السّعي إلى هدم الإسلام والقضاء عليه، وذلك من خلال تشويه هذا الدين ومعتقداته وشريعته، وتشويه صورة نبيّـه عليه الصلاة والسلام. وهذه الحملات تتوجه بالخطاب ليس للنصارى فحسب، ولكن لكل شعوب العالم ومنها الشعوب الإسلاميّة.

أما عن الدوافع السياسيّة لهذه الحملة فأمر مؤكد ذلك؛ لأن الارتباط بين التنصير والاستعمار قديم في حملات الكنائس وارتباطها بالحكومات الغربية. فأوروبا تؤكد على علمانيّتها في الـداخل ولكنـها تدعم كل نشاط تنصيريّ بالخارج؛ وبخاصة في بلاد المسلمين. وما زلت أذكر الكتاب الذي وفقـني الله عز وجل لترجمته حول البعثة "العربية" التنصيرية التي كانت بقيادة صموئيل زويمر وزملائه الأربعة التي وصلت إلى الجزيرة العربية عام ١٣١٧هـ (١٨٨٩م) واستمرت حتى عام ١٣٩٤هـ(١٩٧٤). وكانت هذه البعثة تعمل تحت حماية بريطانيا وأمريكا، حتى إنّ أحد مسؤولي الخارجيّـة الأمريكيّـة خاطب أحد رؤساء الدول في الخليج العربيّ بفظاظة وقسوة لعدم السماح للبعثات التنصيريّة بالعمـل في بلاده!!

وهل هذه الحملة تخدم وتدعم المخطط التنصيريّ ؟ أم أنها تسبب تخريباً له بسبب نفرة المسلمين ممـن يتهجّم على نبيّهم ؟

لا بد أنّهم درسوا هذه الحملة دراسة عميقة ودقيقة قبل أن تنطلق، فلا شك أنها ستخدم أهـدافهم وتحقّق لهم ما يريدونه؛ لأن الإعلام العربيّ الإسلاميّ منشغل باللهو والترفيه والتسلية في غالبه. ففـي الوقت الذي تتعدّد القنوات الفضائيّة التنصيريّة ومحطات الإذاعة نجد أن الإعلام الإسلاميّ منحصر في عدد محدود من القنوات الفضائيّة وما يتبقى من خُطّة برامج المحطات الرسميّة العربيّـة والإسـلاميّة. فالقنوات الفضائيّة العربيّة التجاريّة تصبّ جامّ غضبها على الإسلام والدعاة المسلمين؛ لأنها تسير في رِكاب الإعلام الغربيّ في محاربته للإسلام، ولأنّ هذا الإعلام ارتبط الإسلام عنده بـ" التطـرّف" و "العُنف" و "الأُصوليّة" مع أن الدّعاة المسلمين والحركات الإسلاميّة "في غالبيتها العظمى" تدعو إلى العودة الصحيحة إلى الإسلام وتطبيقه في شؤون الحياة كلـها: العقديّـة والتشـريعيّة والسياسـيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

أمّا أن الحملة سوف تسبّب تخريباً للمخطّط التنصيري لأن المسلمين ينفرون ممن يتهجّم على نبـيهم فأمر يمكن أن يحدث لو كان المسلمون يدركون هذه الحملات ويعرفونها، ولو أنّ الإعلام الإسلاميّ يفضح ما يقولونه بالتفصيل. وإنْ حدث تخريب للمخطط التنصيري؛ فلأنّ هذا الدين محفوظ بحفـظ

الله له؛ ولأنّ الله عز وجل وعد بانتصاره (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون) [الصف:٨]

توقيت هذه الحملة برأيك هل يحمل دِلالات معينة ؟ وهل لها علاقة بالحرب على ما يسمى "بالإرهاب" بحيث تكون هذه الحملة جانباً من جوانب هذه الحرب ؟

يجب أن ندرك أنّ الغربيين –عموماً– لا ينطلقون في أي عمل من أعمالهم إلا بعد دراسة وتنسيق، والتنسيق موجود بين الفاتيكان وقادة الدول الغربيّة، ولعلّ من آخر رؤساء الدول الغربية لقاءً للبابا هو الرئيس الأمريكي (بوش). وربْط الإسلام بالإرهاب أمر اتفق الغربيّون وبعض المتغرّبين عليه. ولو عدنا إلى الحملة التي انطلقت بعد الحادي عشر من سبتمبر لتأكّد لنا هذا الأمر، ولكنّهم وجدوا أنّ الإقبال على معرفة الإسلام وحتى الدخول فيه قد ازداد بعد هذه الحَمَلات؛ لذلك فكّروا في حملة جديدة للهجوم على شخصيّة الرّسول صلى الله عليه وسلم. وقد بدأها قساوسة ورؤساء كنائس في الولايات المتحدة الأمريكيّة. وها هو الفاتيكان يشاركهم في هذه الحَمَلات.

هل يمكننا أنْ نقول: إنّ هذا التحامل على النبي صلى الله عليه وسلم متركز أكثر في المذهب الكاثوليكيّ ؟ أم أنّه متأصل لدى المذاهب المسيحيّة الأخرى ؟

إنّ دارسي الاستشراق وبخاصة الفرنسي منه يؤكدون على أنّ الاستشراق الفرنسيّ الكاثوليكي هو أشد المدارس الاستشراقية قسوة وتطرّفاً وعنفاً في الهجوم على الإسلام وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم. ولو رجعنا إلى المواجهات بين العلماء المسلمين والمستشرقين الكاثوليك في الدول التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي لأدركنا حجم الخُبث الكاثوليكي الاستشراقي في هجمته على الإسلام. ويكفي مراجعة صحف ومجلات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

لقد وصل الأمر بالمحتلين الفرنسيين أو ما كان يُطلق عليهم (المعمّرين) أنّهم كانوا يطلقون على الخادمة اسم (فاطمة) فمن أراد أنْ يبحث عن خادمة يقول: إنّه يبحث عن (فاطمة).

والأمر لا يختلف بالنسبة للمذاهب النصرانيّة الأخرى فيكفي الرجوع إلى كتابات "مارتن لوثر" مؤسس البروتستانت لنعرف حجم الحقد والكراهيّة للإسلام والمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم. وممّا يؤكد على العداء البروتستانتي هو ما نشاهده من بحوث ودراسات تقوم بها مؤسسات بروتستانتيّة ومراكز بحوث وأقسام علمية في هذه المؤسّسات لدراسة أوضاع المسلمين في أوروبا وأمريكا. فهناك دراسات واسعة قام بها مدير مركز العلاقات النّصرانيّة الإسلاميّة بجامعة "بيرمنجهام" ببريطانيا حول المسلمين في أوروبا. وكذلك ما قامت به جامعة نيويورك من عقد دورات لدراسة المسلمين في أوروبا. وقد عقد معهد دراسة الأديان بجامعة "ليدن" بهولندا مؤتمره السنويّ بعنوان (التغيرات الدينيّة في سياق متعدد) تركزت العديد من بحوثه حول المسلمين في أوروبا.

كيف ترى هذه المفارقة : منظمة يعمل تحت لوائها ٨٥ ألف قسيس ، و ٤٥٠ ألف جمعية دينية ، وأكثر من مليون مدرس يجوبون العالم كله، قرية قرية، ومدينة مدينة، وهي تملك ٤٢ ألف مدرسة،

و١٦٠٠ مستشفى، و ٦٠٠٠ مؤسسة لمساعدة المحتاجين، و٧٨٠ ملجأ لمرضى السرطان، و١٢ مؤسسة خيرية واجتماعية حول العالم . وتجيّش أكثر من مليون شخص لحسابها بحريّة مطلقة في حين أن المؤسسات الدعويّة و الإغاثيّة الإسلاميّة ، تحاسب حسابًا عسيراً ويضيّق عليها؟

نعم إنّها لمفارقة كبيرة ومحزنة ما نشاهده من ضخامة الجهد التنصيريّ وسكوت العالم عنه، بينما تقوم الدنيا ولا تقعد لقيام بضع مؤسسات إسلاميّة إغاثيّة. نعم الأرقام التنصيريّة ضخمة، ولا يمكن مقارنتها بما يقوم به المسلمون، ومع ذلك فإنّ الغربيين وبخاصة أمريكا –زعيمة من يزعم محاربة الإرهاب– لا تتوقف عن محاربة الجمعيّات والمؤسسات الإسلاميّة. ولكنْ يجب ألا يغيب عن بالنا الدّعم الذي تلقاه المنظمات التنصيريةّ من الحكومات الغربيّة بينما يندر هذا التأييد من الدول الإسلاميّة للمنظمات الإسلامية الإغاثية والدعويّة. ومع كل ذلك علينا أن نتذكر أنّهم ينفقون هذه الأموال التي ستكون عليهم حسرة، ثم يُغلبون كما جاء في الآية الكريمة (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون..) [الأنفال:٣٦]

هل للمد الاستشراقي دور في إذكاء هذه المحاولات لتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل مازال الفاتيكان يستفيد من الاستشراق ؟ وما قولك فيمن يرى أن الاستشراق والحديث عنه أصبح جزءاً من فترة تاريخيّة ماضية ؟

نعم للمدّ الاستشراقي دور في هذه الحملات فالاستشراق –في الغالب– والتنصير وجهان لعملة واحدة؛ فالمُنَصِّر عندما يعمل في البلاد الإسلاميّة لا بد أن يكون مستشرقاً: عارفاً بالإسلام واللغات التي يتكلمها المسلمون، عارفاً بتاريخهم وعقيدتهم وثقافتهم. وقد انطلق الاستشراق في أصله ونشأته وجذوره من الكنيسة فمنها بدأ وإليها يعود.

ولا شك أنّ الاستشراق الإيطالي وعناية الفاتيكان به كبيرة. وهو مجال مازال بحاجة إلى دراسة عميقة لمعرفة ما يدور في الأوساط الاستشراقية الإيطاليّة. وحبذا لو قام المسلمون الإيطاليّون بمثل هذه الدراسات.

أما القول بأن الاستشراق والحديث عنه أصبح جزءاً من فترة تاريخية ماضية فلا يقول ذلك إلاّ شخصٌ لا يعرف الاستشراق، ولا يدري ما الاستشراق. يكفي الاطّلاع على مواقع أقسام دراسات الشرق الأوسط، والمعاهد للدراسات الإسلاميّة في الغرب ليدرك عمق الارتباط بين الاستشراق القديم المتمثل في كبار المستشرقين" ك جولدزيهر" و"مارغليوث" و"شاخت" و"كولسون" ليدرك أنّ الاستشراق قائم ومستمر. ولو بحثنا في المراجع والكتب التي يستقي منها خبراء الشرق الأوسط المعاصرين لأدركنا أنّ الاستشراق لم يمت وإنْ تمّ إدخال بعض التعديلات على أشكال الاهتمام وطريقة تناول قضايا العالم الإسلامي.

ولقد وجد المستشرقون في بعض أبناء البلاد العربيّة الإسلاميّة من يقوم بالمهمة نيابة عنهم في الهجوم على الإسلام وتاريخه وقيمه وأخلاقه.

بعد هذه الحملة التي تزعّمها الفاتيكان ضد النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، ما رسالتك إلى مـــن يعتقـــد بجدوى حِوار الأديان ؟

حِوار الأديان أمر يتزعّمه الغرب في الوقت الحاضر، يزعمون به الرّغبة في التعرّف إلى العقائد الأخرى والتقريب بين الأديان، ولكنّ الأصل في الحِوار هو أنّنا أصحاب الدعوة الحقّ وعلينا أنْ ننطلق بدعوتنا إلى عُقر دارهم عملاً بقول الله تعالى (قل هذه ســبيلي أدعـــو إلى الله علـــى بصـــيرة أنـــا ومـــن اتبعني)[يوسف:١٠٨] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (بلّغوا عنّي ولو آية) وقوله صلى الله عليه وسلم (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فبلّغها إلى مَن لم يسمعها، فربّ مبلّغٍ أوعى من سامع، أو رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

نحن نملك الهداية والرحمة والخير للبشرية؛ فعلينا ألا نترك فرصة للحوار وبخاصة أنّ الله عز وجل يعلم أنّهم سيطلبون الحِوار والجدال فأمرنا ألا نجادلهم إلاّ بالتي هي أحسن(ولا تجادلوا أهل الكتـــاب إلاّ بالتي هي أحسن) [العنكبوت:٤٦] وقوله تعالى (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحســـنة وجادلهم بالتي هي أحسن) [النحل:١٢٥]

أما حِوار الأديان في شكله الحالي فلا يخدم أهداف المسلمين؛ لأنّه يُعقد في سريّة و نادراً ما يحضـــره علماء مسلمون أقوياء، وهو لا ينطلق من أسس ثابتة مثل اعتراف النصارى أو المتحاورين النصارى برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ الحِوار الحقيقيّ الذي ينطلق بين أنـــداد، فـــإذا كـــانوا لا يعترفون برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فأيّ حوار يمكن أن يكون معهم؟

ولذلك لا ينبغي أنْ يكون الحِوار إلاّ من قبل مسلمين أقوياء في عقيدتهم عارفين بعقائد النصارى، وأن يكون الحِوار علنياً، فقد علمت أنهم يحرصون على سِرّية هذه الحِوارات مما لا يتيح للمسلمين إظهار ما عندهم من الحقّ الذي يعرفه النصارى كما يعرفون أبناءهم كما جاء في قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)[البقرة:١٤٦] وأكدّه أحد الإخوة الذين أسلموا في أمريكـــا، وكان يدرس اللاهوت وهو "روبرت كرين" (عبد الحق الفاروق) الذي كان مستشـــاراً للـــرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" حيث عرف زملاؤه إقباله على الإسلام فاجتمعوا به ليستنكروا توجّهه إلى الإسلام، وليقولوا له: " إنّ لديك مشكلة ونحن نريد حلّها" فقال لهم :" أنتم تعرفون أنّه لـــيس لديّ مشكلة، وإنّما أنا أتّبع الحق الذي تعرفون.." فما كان منهم إلا أنْ رضخوا للحقّ، واعترفوا معه أنّه على الحق وأن الإسلام هو الدّين الحق.

كيف تقيّم موقف الحكومات الإسلاميّة من هذا الهجوم الذي تبناه الفاتيكان ؟ وهل تتفق من أنّه جزء من الحملة بسبب دعمه للإرساليّات التنصيريّة ؟ و ما رأيك في البلاد التي فتحت أراضيها لوفودهم ؟

يجب ألا نتوقع الكثير من الحكومات الإسلاميّة فهي منشغلة بتثبت أنظمتها، وتحقيق الحد الأدنى من القبول من شعوبها. فكيف تتوقع منها أن تقوم بعمل حقيقي لوقف الهجمات التنصيرية. ولو كـــان الهجوم التنصيري على شخصيّة أحد الزعماء العرب المسلمين لكان الأمر مختلفاً لجُنّدت الطاقـــات الإعلاميّة الممكنة وغير الممكنة للذب عن عِرض هذا الزعيم.

نعم كثير من الحكومات الإسلاميّة فتحت أبواب بلادها للتنصير وأساليبه الخبيثة الماكرة، وعرفت ارتباط هذه البعثات التنصيريّة بالدول الغربية، وغضّت الطّرف عن ذلك. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ما واجب الأمّة المسلمة أفراداً ومؤسساتٍ تجاه نبيّها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى مـاذا تعـزو الضّعف الشعبيّ العام تجاه هذه القضيّة وانحسار التفاعل معها في أوساط نُخَبٍ معينة؟

واجب الأمّة الإسلاميّة كبير أولاً على المستوى المؤسّساتي، فهذه المؤسّسات يجب أن تسعى إلى تحريك الأفراد للعمل ضدّ هذه الحَمَلات بكتابة الخطابات والعرائض إلى الفاتيكان نفسه، وإلى الحكومات الغربيّة تستنكر وتندّد بكل مَنْ يحاول تشويه صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولنذكّرهم بالصورة العظيمة التي يقدّمها القرآن الكريم والسنّة المطهّرة لعيسى المسيح عليه السلام ولأمّه.

كما يجب على الإعلام العربيّ الإسلاميّ أن يتصدى لهذه الحملات فيوضّح تفاصيلها ومنطلقاتها والقائمين عليها، وأنْ يقدّم للمسلمين الحقائق عن الديانة النصرانيّة وما مرت به من تحريفات. لماذا يستخدم المنصّرون الإعلام بصورة قويّة؟ أمّا الدعوة الإسلاميّة فما زالت بحاجة إلى استخدام هذه الوسيلة أولاً في الدعوة إلى الخير وإلى الهداية والرّشاد، ثم الذبّ عن رسالة الإسلام وعن الرّسول صلى الله عليه وسلم.

أما على المستوى الفرديّ فإنّ على المسلم أنْ يتذكر قولة الصدّيق رضي الله عنه: "الله الله أنْ يُؤتى الإسلام وأنا حيّ" فجعل نفسه مسؤولاً عن الإسلام كله... فأين نحن من تحمّل المسؤولية؟! وإنّها لمسؤوليّة يجب أنْ يتحمّلها العلماء وبخاصة القادرين على الكتابة باللغات الأجنبيّة من فرنسيّة وإنجليزيّة وألمانيّة وإيطاليّة ليبعثوا إلى الصحف ووسائل الإعلام المختلفة، وليرسلوا الرسائل إلى المواقع التنصيريّة التي تطعن في الإسلام وفي رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما الضّعف الشعبيّ العام تجاه هذه القضيّة فذلك لأن وسائل إعلامنا انشغلت بملء وقتنا بالتّفاهات والتّسلية والتّرفيه، فكيف بربك نهتم بالقضايا الكبرى ولا شغل للإعلام الفضائيّ سوى الفنانين والفنّانات والاهتمام بما يزعمونه "الإبداع في الغناء والرّقص والتّمثيل"؟! أين العناية بالإبداع في الكتابة والتأليف والدّفاع عن الإسلام وأهله؟!

================================

درس في النصرة من سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

الكاتب: د.عبدالوهاب بن ناصر الطريري

أوتي سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- بسطة في الجسم فكان أيدًا شديدًا ربما أغار على الجيش فهزمه وحده، وكان عدّاء لا يُسبق شدًا فهو متوافر القوة، متناسق الجسم واسع الخطو.

وكان له خبر عاجبٌ يوم الحديبية حينما كانت الرسل تختلف بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأهل مكة تهيئ للصلح الذي أزمع النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعقده معهم، فلما كانت قائلة

النهار ذهب سلمة إلى شجرة يستظل بظلها فكسح شوكها والتقط ما تناثر منها وهيأ لنفسه مقيلاً اضطجع فيه عند أصلها، فجاء أربعة من المشركين من أهل مكة فعلقوا سلاحهم على الشجرة وجلسوا يتحدثون ويقعون في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولقد كان أهون على سلمة أن يسمع سب أبيه وأمه من أن يسمعهم يقعون في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فآذاه ذلك غاية الأذى فترك الشجرة لهم وتحول إلى شجرة أخرى ليبعد مسامعه عن وقيعة أولئك المشركين في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبينما هو كذلك إذ سمع صارخًا ينادي يا للمهاجرين.. قُتل ابنُ زنيم فظن سلمة أن المشركين نقضوا مسعى الصلح فاخترط سيفه ثم شدّ على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذ أسلحتهم فجمعها في يده ثم قال لهم: والذي أكرم وجه محمدٍ لا يرفع أحدٌ منكم رأسه إلا ضربته بالسيف، ثم جاء بهم يسوقهم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم جاء عمه عامر بتسعين من المشركين حاولوا مناوشة المسلمين يسوقهم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنظر إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: (دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثناه) أي: يكون لهم أول الغدر وآخره.. ثم عفا عنهم رسول الله -صلى ا لله عليه وسلم- وصرفهم. صحيح مسلم (١٨٠٧).

إن في هذه القصة دلالات مهمة منها:

١- لا نعلم أحدًا أشد حبًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أصحابه الذين آمنوا به، واستنارت أعينهم برؤية محياه، وتعطرت أسماعهم بسماع حديثه، وصحبوه في أحوال حياته وتقلبات أموره، فاستكن حبه شغاف قلوبهم وخالط لحمهم ودمهم وعصبهم فيالله لسلمة -رضي الله عنه- وهو يسمع مسبّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من رهطٍ من المشركين يشاركونه ظل الشجرة التي يقيل تحتها، فكم قاسى حينئذٍ من الألم النفسي، وكم تدفقت في دمائه زخات الحنق والغضب ممّا سمع، ولكنه كظم غيظه وسيطر على عواطفه ولم يفرط منه أي تصرفٍ انفعالي، مع أنه كان في عنفوان شبابه، وفي العشرين من عمره، لقد ترك لهم الظل الذي هيأه لنفسه وتنحى عنهم بعيدًا ليكون بمنأى عن هذا الإيذاء الذي لا يستطيع احتماله، ولم يمنعه أن يُنفذ غضبه ويشفي غيظ قلبه ضعف ولا عجز فقد كان الشجاعَ قلبًا، القوي بدنًا، السريع عَدْوًا، ولكنه تعامل مع مشاعره بانضباطٍ كامل، بعيدًا عن أي تصرفٍ يمكن أن يتداعى إلى تطوراتٍ غير محسوبة، وتحمل الألم النفسي باصطبارٍ جميل وبصيرة نافذة، وحتى عندما سمع الصارخ ينادي بما يدل على غدرٍ أو مقتلة لم يُبادر إلى قتل هؤلاء مع أن الفرصة كانت له مواتية، فقد علقوا أسلحتهم فهم عزل، ورقدوا بغير تهيئ أو احتراز، ولكنه اكتفى بسوقهم إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليكون التصرف من المرجعية العامة للمسلمين.

إن سلمة يُقدم للأمة من خلال هذا الموقف درسًا بليغًا في الانضباط وقيادة العواطف والسيطرة على مشاعر الانفعال. وعدم الاندفاع لردة فعلٍ غير محسوبة أو تصرف غير رشيد رغم قوة المؤثر وشدة الاستثارة.

٢- كما يلفتنا التعالي الأخلاقي الذي تعامل به النبي -صلى الله عليه وسلم- مع هؤلاء الذين وقعوا فيه بالمسبة والتنقص، ومع التسعين الذين جيء بهم إليه وهم يحاولون مناوشة المسلمين، ومع ذلك

عفى عن الجميع وتركهم يبوؤن بأول الغدر وآخره، وكان عفوًا نبويًا كريمًا حيث لم يصدر منه –صلى الله عليه وسلم– لهؤلاء توبيخٌ أو ملاومة وإنما هو الخلق العظيم والصفح الجميل.

لقد كان أمام النبي –صلى الله عليه وسلم– هدفٌ كبير واضح، وهو أن يتم الصلح بينه وبين أهل مكة، ولذلك لم يسمح لهذه الاستفزازات المتكررة من رعاع المشركين أن تعرقل مساعيه أو تحرف وجهته عن هدفه، فكان أقوى من هذه الاستثارة، فحجمها بحجمها الطبيعي ضمن الحدث الذي يعايشه، والهدف الذي يصمد إليه، ولذا انتهى الأمر إلى ما أراد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتم الصلح وكُتبت الصحيفة، وحصل بذلك الفتح المبين وعاد –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة وآيات الله تتزل عليه "إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا".

إن عدم وضوح الأهداف وفقدان الخطة للعمل يجعل الأمة مرتهنة بردّات الفعل المتذبذبة. وإن الاستجابات الفردية غير المدروسة يمكن أن تعرقل مسيرة منطلقة، وتهدر فرصًا ضخمة، وتجهض أهدافًا كبيرة.

فصلوات الله وسلامه على من أنزل الله عليه الكتاب وآتاه الحكمة "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا".

======================

دروس الرسوم الدنماركية

الكاتب: رضي السماك

مع أفول الشهر الفائت فبراير بدأ تدريجياً انحسار الاحتجاجات العنيفة والصاخبة التي اندلعت في معظم البلدان العربية والإسلامية ضد الرسوم الدنماركية البذيئة المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرتها صحيفة «بولاند بوستن» الدنماركية وأعادت نشرها صحف غربية وعربية عديدة، على أن ثمة دروساً بالغة الأهمية من هذه المعركة ينبغي الاستفادة منها واستلهامها من قبل مختلف الأطراف المعنية:

١ – رغم ما تبينه مظاهر الاحتجاجات الواسعة من عمق الأحاسيس والمشاعر الدينية لعامة المسلمين وقوة غيرتها على دينها، بما يؤشر على أهمية السلاح الديني إذا ما أحسن توظيفه عقلانيا في توحيد الشعوب الإسلامية ضد أعدائها والتفافها حول قضاياها المصيرية إلا أنه تبين في ذات الوقت التغييب الملحوظ لهذا السلاح للدفاع عن قضية المسلمين المركزية – القضية الفلسطينية – حيث بيت المقدس والقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين.

أكثر من ذلك ومما يثير الدهشة والعجب معاً أن تاريخا طويلاً من مخزون الممارسات الإسرائيلية واليهودية العنصرية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، هو من البذاءة والحجم المتراكم بما لا يقارن البتة بما ظهر من ممارسات دنماركية، ومع ذلك لم يفعل هذا السلاح و لم نجد كل أشكال تلك الاحتجاجات ضد الرسوم الدنماركية ولا بقوتها، يكفي أن نشير إلى ما ظهر منها خلال المعركة

الأخيرة بإعادة صحف إسرائيلية عمداً نشر هذه الرسوم، وقبلها بأشهر وتحديداً في أغسطس ٢٠٠٥ عثر على رأس خنزير وضعت عليه كوفية كتب عليها اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مسجد حسن بك في يافا، وقبل ذلك في يونيو من نفس العام قام حراس صهاينة في مسجد مجدو في فلسطين بتدنيس القرآن الكريم، أما الحالات المماثلة منذ ظهور الدولة العبرية على مدى نصف قرن ونيف فهي أكثر مما يحصى.

٢ – بقدر ما تظهر معركة الاحتجاجات شموليتها العام الإسلامي فإنها تظهر بنفس القدر غياب التنسيق لتفعيل هذا السلاح الديني على نحو عقلاني، وذلك كما تجلى ليس في أعمال الحرق والاعتداءات التي طاولت الإعلام ومقار وهيئات دبلوماسية واقتصادية للدنمارك وبلدانا غربية بل وفي أخذ البريء منها بجريرة المذنب، ذلك أن ثمة شركات دنماركية عديدة ليست فقط لاذنب لها في هذه القضية، التي تتضرر منها هي فحسب بل وقطاعات واسعة من العاملين الدنماركيين من بينهم مسلمون وعاملون عرب، لا بل إن الدنمارك هي أكثر الدول التي آوت واستضافت المطاردين، لاسيما من الجماعات الإسلامية، كما أن المعارضة الديمقراطية الدنماركية هي من أكثر من تصدى للرسوم المسيئة، ناهيك عن الفاتيكان والمجلس الأوروبي ورموز وقوى ديمقراطية عالمية عديدة في أوروبا والغرب مما يعني أنه من الخطأ البالغ وضع الدنمارك أو الغرب برمته في سلة واحدة.

٣ – بيّنت المعركة بجلاء أن بعض الأطراف والجهات التجارية والأنظمة السياسية الشمولية لاتتورع عن توظيف الدين توظيفاً انتهازياً فجاً لخدمة مصالحها، الأولى لدغدغة مشاعر زبائنها رغم تورطها في أعمال الغش والغلاء الفاحش التي تتنافى مع الإسلام، والثانية لصرف أنظار شعوبها عن قضايا الإصلاح الآنية الملحة (طهران ودمشق وليبيا نموذجاً).

٤ – رغم وجاهة ومشروعية الاحتجاجات ضد الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن هذه الاحتجاجات تكشف تدني الوعي الديني بخطورة ولا أخلاقية الإساءة إلى القيم والمبادئ الدينية الإسلامية الأخرى كحرمة حياة الإنسان، وذلك كما تجلى ابان الأزمة في غرق العبارة المصرية، ناهيك عن المذابح الجماعية العراقية اليومية بحق المدنيين الأبرياء على أيدي من يدعون الإسلام نفسه.

٥ – شاءت المقادير أن تكشف الاحتجاجات ازدواجية المعايير لدى قطاع كبير من المسلمين، ففي الوقت الذي يدينون فيه الغرب «الصليبي» لتدنيس أو الإساءة إلى معتقداتهم فإنهم لايتورعون عن ممارسة هذه الموبقات تجاه مقدساتهم الدينية في العراق بتفجير القبة وحرق المساجد.

٦ – مع أن الإسلام أكثر ديانات العالم في قيم التسامح فإن استمرار انفجار مخزون الغضب الذي ولدته الرسوم أظهرنا وكأننا نرفض الاعتذارات مهما تكررت ومهما كانت واضحة وحازمة.

٧ – غاب الجدل العقلاني حول مرامي الصحف العربية والعالمية التي أعادت نشر الرسوم، فمنها من ابتغى ذلك استفزازاً ومنها من أراد إطلاع الرأي العام العربي أو العالمي على حقيقتها.. فالسؤال: أليس من حق الرأي العام العربي والإسلامي الاطلاع عليها ولو من باب الاحاطة قبل أن يتفجر غضباً من التسليم مقدماً ببذاءتها؟

صحيفة الشرق القطرية

=========================

دفاعاً عن نبي الرحمة

نداء الحق والعدالة... عن لسان مُستشرق مُنصف!

د. زيد المحيميد*

رداً على ما نُشر في الصحيفتين (يلاندز بوسطن) الدنمركية و(ماغازينت) النرويجية، من رسوم مسيئة لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم... تجسدت بعض المعاني في خاطري دفاعاً عن نبي الرحمة وقد ارتسمت تلك المعاني على لسان مستشرق منصف يقول: أيها المدعوون.... (رسامو الكاريكاتير) في الصحيفتين، لقد آلمنا أشد الألم وبعث في أنفسنا نحن الباحثين من المستشرقين الشرفاء أشد المرارة لما بدر منكم، ومن أقلامكم (البريئة) منكم كبراءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه السلام، فتصرفكم أرعن شاذ كشذوذ عقولكم وما اقترفته أيديكم من رسم شيطاني لرجل نعتبره من أعظم عظماء التاريخ، و لم يجد الدهر بمثله أبداً، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ فيهم أمة موحّدة فتحت العالم المعروف يومئذ، وجاء لها بأعظم ديانة حفظت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم، على أسس ومعايير دستورية تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها، والكلام الذي سقناه ليس منقولاً من العرب، بل من كافة المنصفين، وإن أردتم كلاماً دقيقاً فأرعوا سمعكم لما قاله (مايكل هارت) في كتابه (مائة رجل في التاريخ)، حيث قال: (إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي)، وفي نفس المعنى يقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية، في كتابه (تاريخ حياة محمد): (إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمدٌ معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مُصِرًّاً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ...) ويقول المفكر الفرنسي المعاصر (بوازار) في كتابه (إنسانية الإسلام): (تسهم شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتصرفاته وأقواله في صياغة (الروح الإسلامية). فليس في البشرية كلها اسم أكثر شعبية وشيوعاً من اسم محمد أو معادله (أحمد) أو (محمود). وهناك عاطفة إجلال شعبي تكاد تتخذ صورة التفاني والوفاء الشخصي، تشكّل عنصراً من أكثر العناصر حفزاً في حياة الجماهير الإسلامية وتفكيرها، مساهمة في الحفاظ على نوع من التماثل الجوهري في المجتمع)، وفي هذا السياق يقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) في كتابه (الشرقيون وعقائدهم): (كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبيُّ بين ظهرانيها، فكان النبيُّ داعياً إلى ديانة

الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً، حتى مع أعدائه. وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما: (العدالة والرحمة)، من أجل هذا كله نطـــالبكم أن تعتذروا لأتباع محمد عما بدر منكم لا سيما أننا ندرك من عظيم أخلاق محمد أنه يقبـــل الاعتـــذار ويصفح عن الخطأ والجريمة، ومن ذلك اعتذار عبد الله بن الزبعري، الذي كان يؤذي محمداً بالبذيء من الكلام فلما أسلم قال شعراً:

يا رسول المليك إن لساني

راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أباري الشيطان في سنن الغي

ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربي

ثم قلبي الشهيد أنت النذير

ونحن نقول لكم (رسامو الكاركاتير) إن منفذ أقلامكم الضيق انطلق ما احتشد به من أفكار شيطانية في عقولكم المريضة، فبادروا بالاعتذار لرجل عظيم مات قبل ١٤٠٠ سنة، وأقول لكم ما قاله أحد أصحاب محمد عندما قال:

هجوت محمداً، فأجبت عنه

وعند الله في ذلك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء

فشركما لخيركما الفداء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

وعلى هذا المنوال لنا في سيرة محمد خير برهان، فقد عفا عن قريش العدو الألد له، ومن تواضعه لربه أنه دخل مكة وهو متطامن حتى إن لحيته لتمس رحل ناقته تواضعاً لله وخشوعاً، فلم يدخل وهـــو الظافر المنتصر دخول الظَّلمة الجبارين السفاكي الدماء البطاشين بالأبرياء والضعفاء، لهذا فالمسلمون على امتداد التاريخ لم يكونوا قط أمة تحب إراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا على الضد من ذلك، أمة موهوبة، جليل الأخلاق والسجايا، تواقة إلى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبـــار نعم التهذيب، تلك النعم التي انتهت إليها من الحضارات السابقة. ويقـــول Zaborouriski (إن الجنس العربي مجمع عليه بأنه من أشرف الأجناس البشريه، ونحن معجبون كغيرنـــا مـــن البـــاحثين، بعظمته وسمو استعداده، كعزة النفس وغيرها).

(رسامو الكاريكاتير) يتعيَّن عليكم أن تتذكّروا أن المسلمين قد احترموا مشاعر غير المســـلمين منـــذ عصور الازدهار والنهضة الإسلامية إلى يومنا هذا، عصر ضعفهم وعجزهم، ولم يشوّهوا نبياً مـــن الأنبياء ولم يحتقروا أحداً من الناس، وأنتم أيها الضعفاء تفعلون ذلك! ألا تخافون عقوبة ولعنة ربانية،

تترل عليكم وعلى من سار على نهجكم؟! ويقول أحد علماء المسلمين السابقين (ابن تيمية) في تحليل تاريخي دقيق: (إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يُمَكِّن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حَدَّثَنَا به أعدادٌ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْارِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لَمَّا حاصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحاصِرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِهِ تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، و لم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه).

ثم إنكم (رسامو الكاريكاتير) لم تنتبهوا إلى مسألة مهمة قد يلحقكم من جرائها خسائر فادحة بسبب المقاطعة المحتملة لبضائعكم من قبل العرب والمسلمين، ذلك بأنهم يغارون على نبيهم أكثر من غيرتهم على أنفسهم... فإن لم يكن ثمة خلق يردع فليس أقل من عقل يعي ويسمع! وأخيراً أقول لكم، بحق هذه الأمانة، أمانة (القلم) الذي منَّ الله به علينا وجعلنا من أهله لنسهم به في كل ميدان إصلاح وتنوير... وأعرض عليكم (رسامو الكاريكاتير) أن تنتهوا عن أفعالكم المشينة، فما يفعل فعلتكم إلا ساذج أو أحمق. فبادروا بالاعتذار.... ثم نحن قد كتبنا ما كتبنا مجيبين لنداء الحق والعدالة، ومنصفين لا متحيزين.. متطلعين لغد أكثر إشراقاً وحوار حضاري أكثر ترسخاً وأطيب أثراً...

* أكاديمي سعودي

zeidlolo@hotmail. com

==========================

دور المرأة وفقه السنّة.. قبل الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلى الأحدب*

كنت من أوائل الذين كتبوا في صفحات الرأي منبهين إلى الخطأ الذي ارتكبه رئيس الوزراء الدنماركي بعدم إدانته للسخرية من رسول الله عليه الصلاة والسلام والتي قام بها بعض رسامي الكاريكاتير الدنماركيين، ويعود فضل السبق الذي أحرزتُه - بعد الله سبحانه - إلى صحيفة الوطن لأنها أول من نشر الخبر بالتفصيل منذ شهرين تقريباً مما دعاني إلى كتابة مقالي "لماذا الهجوم على الإسلام ورسوله؟" والذي نشر بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٥؛ ومع أن "الوطن" تابعت تداعيات الخبر وتتابعت معها مقالات بعض الكتاب والكاتبات حول نفس الموضوع، فإن بعض الذين استلّوا أقلامهم للدفاع عن الرسول عليه الصلاة والسلام ما زالوا يهاجمون "الوطن" ويتهمونها بأنها تغريبية وأن أغلب كتابها علمانيون أو طابور خامس؛ ولكن الهجوم على "الوطن" وكتابها يهون إذا ما قورن بما تفوّه به هؤلاء على رموز الوطن نفسه؛ ومع أن بعضهم حاول التلطيف من أسلوبه لغاية في نفس

يعقوب فإنه لم يفوّت الفرصة ليعلن أن وجود النساء في وفود خارجية قد يـؤذي مشـاعر بعـض الشباب "المتحمس" لدرجة قد يقوم بها ببعض ردود الفعل غير المرغوبة، ويمكن بسهولة لمن يقرأ بعض ما كتب في مواقع الإنترنت الأصولية أن يعلم مدى تربص هؤلاء ليبرروا الأعمال الإرهابية التي تضرّ الوطن ويبرأ منها الدين.

دعونا في البداية نناقش اعتراضاتهم لنرى مدى شرعيتها وخاصة أنهم ممن يتجلببون بعباءات الشرع، وبالطبع هذا النقاش ليس ليقتنعوا به، فهم قد آلوا على أنفسهم ألا يقتنعوا إلا بأفكارهم ما دام الدين – حسب رأيهم– حكراً عليهم ولا يعلمه إلا الراسخون في العلم من أمثالهم، لكن غاية النقـاش أن يعلم بعض تلامذتهم مدى ضعف حججهم وضخامة غوغائيتهم؛ وتتمثل هذه الاعتراضات في تواجد النساء في بعض الوفود الخارجية وهو ما يعني اختلاطهن بالرجال وفي كشف وجوههن وفي سفرهن من غير محرم؛ وإذا بدأنا باصطحاب النساء في السفر فهي سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، سواء كن أمهات المؤمنين أو غيرهن، ومن المعلوم أن بعض الصحابيات كن يتطاولن لنيل ذلك الشـرف خاصة في الغزوات ومنها تلك التي حدثت بعد فرض الحجاب كغزوة خيبر وحنين، وإذا كان الجهاد في العهد النبوي تمثّل بعد استقرار الدولة المسلمة والتمكين لها في المدينة المنورة بالجهاد القتالي فـإن أحد أهم أركان هذا الجهاد هو إعداد القوة المادية، وهو الركن المفروض على الأمة سـواء كـان التمكين لها أم لغيرها، أي سواء كان الجهاد القتالي مفروضاً عليها أم لا؛ وفي حـال غيـاب هـذا التمكين – كما هو حال المسلمين اليوم– فإن قوة الإيمان وحدها لا تكفي ولا بد من التماس القوة المادية سواء على الصعيد الداخلي بإعلاء قيم تماسك المجتمع أو على الصعيد الخارجي بفتح الأبـواب الموصدة أمام المسلمين وهو ما يدخل في إطار السياسة الشرعية التي تصـبّ في المصـلحة العامـة، وبالتأكيد فإن مصلحة المسلمين عامة – وليس مصلحة السعوديين فحسب– تكمن في تقديم نموذج مشرق لإسلام وسطي معتدل يعطي المرأة حقوقها في الأسرة والمجتمع، ولا يخفى على عاقل أن وجود النساء في تلك الوفود المبارك يتضمن إشارةً واضحةً لسياسة المملكة الإصلاحية في تمسّكها بالأصالة دون أن تعني تخلفاً عن ركب المعاصرة.

أما مشاركة النساء للرجال في بناء المجتمع فهي أصل موجود في القرآن الكريم وفي السنة المطهـرة، فالولاية بين المؤمنين والمؤمنات التي تدلّ عليها الآية الكريمة: (والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم أوليـاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) لا يمكن أن تتحقق بدون هذا الالتقاء، ومن المعلوم أن ثمة ضوابط تحكم هذه المشاركة ومنها التزام المرأة باللباس الشرعي المكوَّن من الخمار السـاتر للشـعر والنحر، والثوب السابغ للجسد، وذلك لأن الإسلام يقوم على دعامتين: دعامة من الأخلاق الفردية كالغض من البصر، ودعامة من الأخلاق الاجتماعية كالتزام النساء بالاحتشام والعفة؛ وقد ذكـرت في مقالات عديدة أن وجه المرأة ليس فيه فتنة إلا إذا نظر الرجل بشهوة، والأمر بالغض من البصر قد ورد في القرآن للرجال والنساء، أما إذا غطت المرأة وجهها وكفيها وتسربلت بالسواد العريض مـن قمة رأسها إلى أخمص قدميها، لها، فعمّ يغض الرجل بصره؟ يجب أن نقول للمصرّين على هذا الفهم

الخاطئ والذين يخشون على أنفسهم حتى من سواد الثياب: المقصود بالبصر هو الحاسة الـــتي محلّهـــا العين، وليس تخيلات الرجل وأوهامه وهواجسه بشأن ما غطّته الثياب السابغة، وذلك لأن الخيالات قد تعنو للمريض النفسي فيتخيل امرأة داخل ثياب معروضة في واجهة محل للأزياء، فهل نمنع عرض الأزياء في المحلات بما فيها العباءات السوداء؟ حاشا القرآن أن يقول كلمةً لا داعي لها، وحاشا القرآن أن يخطئ لأنه إذا كان المقصود تغطية الوجه في عبارة (وليضربن على جيوبهن)، لوجب أن تســتبدل بعبارة (وليضربن على وجوههن) كما قال الإمام ابن حزم، ويكفي بالحديث المروي في البخاري:(لا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين) دلالة على عدم اعتبار الوجه والكفين عورة داخل الإحـــرام حـــتى يكون ذلك عورة خارجه، ولمن قال بالإسدال فهو مجرد خيار لمن اعتادت في قبيلتها أو قومها ســـتر الوجه وليس فرضاً على جميع المسلمات.

وأما الدليل على جواز سفر المرأة من غير محرم عند الأمن ووجود الثقات؛ فهو ما رواه البخاري في صحيحه أن عمر رضي الله عنه أذن لأزواج النبي في آخر حجة حجّها فبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فقد اتفق عمر وعثمان وعبد الرحمن ونساء النبي على ذلك، و لم ينكر غيرهم من الصحابة عليهن في ذلك، وهذا يعتبر إجماعاً؛ وكذلك ما رواه الشيخان من حديث عدي بن حاتم فقد حدثه النبي عليه الصلاة والسلام عن مستقبل الإسلام وانتشاره، وارتفاع منارة في الأرض فكان مما قال:(فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد..) ويضيف الدكتور يوسف القرضاوي قاعدتين جليلـــتين: الأولى: إن الأصـــل في أحكام المعاملات هو الالتفات إلى المعاني والمقاصد بخلاف أحكام العبادات فإن الأصل فيها هو التعبد والامتثال، دون الالتفات إلى المعاني والمقاصد، كما قرر ذلك الإمام الشاطبي ووضحه واستدل لـــه؛ والثانية: إن ما حُرِّم لذاته لا يباح إلا للضرورة، أما ما حُرم لسد الذريعة فيباح للحاجة، ولا ريب أن سفر المرأة بغير محرم مما حُرم سدا للذريعة؛ إضافة إلى أن السفر في عصرنا لم يعد كالسفر في الأزمنة الماضية محفوفا بالمخاطر لما فيه من اجتياز الفلوات والتعرض للصوص وقطاع الطرق وغيرهـــم؛ بـــل أصبح السفر بواسطة وسائل نقل تجمع العدد الكثير من الناس في العـــادة، كـــالبواخر والطـــائرات والسيارات الكبيرة أو الصغيرة التي تخرج في قوافل، وهذا يجعل الثقة موفورة ويطرد مـــن الأنفـــس الخوف على المرأة، لأنها لن تكون وحدها في موطن من المواطن.

الغريب في الأمر أن بعض هؤلاء الإخوة المعترضين صفقوا للدكتورة ريم الطويرقي التي ظهـــرت في فرنسا بنقابها، ولكنهم تغاضوا عن كشفها ليديها، فما السبب؟ وعلى أي نص استندوا بأن الوجه له حكم غير حكم اليدين؟ بالطبع لا يمكن أن نجد جواباً لديهم خاصة أن التذبذب في أمـــر الحجـــاب موجود لديهم ولدى غيرهم، على سبيل المثال أبدى أحد الكتاب وجهة نظره باقتناعه بأن الوجـــه والكفين ليسا بعورة في إحدى مقالاته، لكن لما ظهرت صورة الطويرقي قارنها- في مقالة أخـــرى - مع الجالسة إلى جانبها فاعتبر الطويرقي رافعة رأسها شامخة في حين أن من بجانبها منكوسة الـــرأس،

علماً بأن التي بجانبها التزمت بالحجاب الذي كان يدعو له في المقالة الأولى؛ وربما غاب عنه وعن غيره أن هذه السيدة ليست سوى الدكتورة سهير يوسف القرضاوي.

هذا التذبذب أو هذا الجهل – سَمِّه ما شئت – هو أحد أسباب تخلفنا ولكن السبب الرئيسي الذي لا يجعلنا نرتقي لدرجة شرف الدفاع عن أكرم الخلق هو أننا تركنا سنته في حسن الظن بالمؤمنين والابتعاد عن التنابذ والتفرق والتبديع والتفسيق والتكفير فوصفنا المختلفين معنا بالمارقين عن الدين أو الرويبضة أو منكوسي الرؤوس، واعتبر كل منا جماعته أو طائفته أو فرقته هي الجماعة السنية والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، مع أن حديث اختلاف الأمة إلى بضع وسبعين فرقة حديث فيه كلام؛ ومع أن الله أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يبرأ ممن فرقوا دينهم شيعاً فقال جلّ من قائل:(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ).

*طبيبة وكاتبة ومستشارة اجتماعية

================================

ذكر النبي الخاتم ووصف أمته ومكان دعوته ما زال بين سطور التوراة

الكاتب: الدكتور محمد عبد الخالق شريبة

قال الله تعالى:(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[سورة الأعراف:١٥٧].

في نسخ التوراة الحالية في سفر أشعياء الإصحاح ٥٩ – ٦٣ ، تحكي لنا التوراة عن صفات الأرض الجديدة التي ستكون موطنا للإيمان على الأرض ويستفيض النص في شرح صفات هذه الأرض ووصف النبي الخاتم الذي سيبعث فيها ووصف أمته .. وهذه الصفات قاطعة أنها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وموطن دعوته ووصف أمته ..وبالرغم من بعض الألفاظ الواضح إقحامها على النص إقحاما ؛ فإنه ما زال يشتمل على الصفات التي لا يمكن حملها إلا على مكة وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته .. والنص يبدأ بإيضاح أن الظلم قد انتشر في الأرض ، وأن الخراب قد عم ربوعها ، ولم يبق بها إلا الشر والفساد ، وأن الله قد غضب على الناس وعلى بني إسرائيل الذين حادوا عن الحق ، واتكلوا على الباطل والإثم ، وكذبوا على الله .. ولذلك كان لابد من ظهور شمس أخرى ، وبزوغ فجر جديد لإعلاء الحق في الأرض.. وفي وسط ذلك الجو العام من السخط الإلهي والغضب على شعب إسرائيل وعلى ما صار إليه حال الأمم نجد إقحاما غريبا يفيد بأن الله راض عليهم وعلى نسلهم من بعدهم للأبد..هكذا بدون مقدمات!!،ثم يبدأ النص في الحديث عن الأرض التي سيأتي نورها ويشرق عليها مجد الله بينما الظلام الدامس يغطي باقي الأرض.. ويستفيض النص بما لا يدع مجالا للشك أن الكلام عن مكة ، وفجأة أيضا بدون مقدمات تجد إقحاما غريبا للفظ ابنة صهيون أو

أورشليم!!.. والنص كله يظهر بوضوح أنه يتحدث عن الأرض الجديدة التي ستصبح معقلا للإيمان والصلاح على الأرض بعد خرابها وما حل عليها من ظلم وفساد وبعد عن طريق الله ، وعن الشعب الذي سيرث الأرض ، وعن نبي آخر الزمان الذي سيرسله الله ليصلح الأرض بعد فسادها وليبشر المساكين ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولكي ينتقم به الله من أعدائه ويكون وسيلته للتعبير عن سخطه وغضبه على الأمم التي اتبعت الباطل والإثم وزاغت عن طريق الحق ..

٥٩ : ١ ها ان يد الرب لم تقصر عن ان تخلص و لم تثقل اذنه عن ان تسمع

٥٩ : ٢ بل اثامكم صارت فاصلة بينكم و بين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع

٥٩ : ٣ لأن ايديكم قد تنجست بالدم و اصابعكم بالاثم شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر

٥٩ : ٤ ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب قد حبلوا بتعب وولدوا اثما

٥٩ : ٥ فقسوا بيض افعى و نسجوا خيوط العنكبوت الاكل من بيضهم يموت والتي تكسر تخرج افعى

٥٩ : ٦ خيوطهم لا تصير ثوبا و لا يكتسون باعمالهم اعمالهم اعمال اثم و فعل الظلم في ايديهم

٥٩ : ٧ ارجلهم إلى الشر تجري و تسرع إلى سفك الدم الزكي افكارهم افكار اثم في طرقهم اغتصاب وسحق

٥٩ : ٨ طريق السلام لم يعرفوه و ليس في مسالكهم عدل جعلوا لانفسهم سبلا معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاما

٥٩ : ٩ من اجل ذلك ابتعد الحق عنا و لم يدركنا العدل ننتظر نورا فاذا ظلام ضياء فنسير في ظلام دامس

٥٩ : ١٠ نتلمس الحائط كعمي و كالذي بلا اعين نتجسس قد عثرنا في الظهر كما في العتمة في الضباب كموتى

٥٩ : ١١نزار كلنا كدبة و كحمام هدرا نهدر ننتظر عدلا و ليس هو وخلاصا فيبتعد عنا

٥٩ : ١٢ لان معاصينا كثرت امامك و خطايانا تشهد علينا لان معاصينا معنا واثامنا نعرفها

٥٩ : ١٣ تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء الهنا تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا و لهجنا من القلب بكلام الكذب

٥٩ : ١٤ وقد ارتد الحق الى الوراء و العدل يقف بعيدا لان الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول

٥٩ : ١٥ وصار الصدق معدوما والحائد عن الشر يسلب فراى الرب وساء في عينيه انه ليس عدل

٥٩ : ١٦ فراى انه ليس انسان و تحير من انه ليس شفيع فخلصت ذراعه لنفسه و بره هو عضده

٥٩ : ١٧ فلبس البر كدرع و خوذة الخلاص على راسه و لبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء

٥٩ : ١٨ حسب الاعمال هكذا يجازي مبغضيه سخطا واعداءه عقابا جزاء يجازي الجزائر

٥٩ : ١٩ فيخافون من المغرب اسم الرب و من مشرق الشمس مجده عندما ياتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه

٥٩ : ٢٠ و ياتي الفادي الى صهيون و الى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب(!!!)

٥٩ : ٢١ اما انا فهذا عهدي معهم قال الرب روحي الذي عليك و كلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك و لا من فم نسلك و لا من فم نسل نسلك قال الرب من الان و الى الابد

٦٠ : ١ قومي استنيري لانه قد جاء نورك و مجد الرب اشرق عليك ٦٠ : ٢ لانه ها هي الظلمة تغطي الارض و الظلام الدامس الامم اما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى

٦٠ : ٣ فتسير الامم في نورك و الملوك في ضياء اشراقك

٦٠ : ٤ ارفعي عينيك حواليك و انظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا اليك ياتي بنوك من بعيد و تحمل بناتك على الايدي

٦٠ : ٥ حينئذ تنظرين و تنيرين و يخفق قلبك و يتسع لانه تتحول اليك ثروة البحر و ياتي اليك غنى الامم

٦٠ : ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان و عيفة كلها تاتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب

٦٠ : ٧ كل غنم قيدار تجتمع اليك كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي و ازين بيت جمالي

٦٠ : ٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام الى بيوتها

٦٠ : ٩ ان الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الاول لتاتي ببنيك من بعيد و فضتهم و ذهبهم معهم لاسم الرب الهك

٦٠ : ١٠ وبنو الغريب يبنون اسوارك وملوكهم يخدمونك لاني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك

٦٠ : ١١ و تنفتح ابوابك دائما نهارا وليلا لا تغلق ليؤتى اليك بغنى الامم وتقاد ملوكهم

٦٠ : ١٢ لان الامة و المملكة التي لا تخدمك تبيد و خرابا تخرب الامم

٦٠ : ١٣ مجد لبنان اليك ياتي السرو والسنديان و الشربين معا لزينة مكان مقدسي و امجد موضع رجلي

٦٠ : ١٤ و بنو الذين قهروك يسيرون اليك خاضعين و كل الذين اهانوك يسجدون لدى باطن قدميك و يدعونك مدينة الرب صهيون قدوس اسرائيل(!!!)

٦٠ : ١٥ عوضا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك اجعلك فخرا ابديا فرح دور فدور

٦٠ : ١٦ و ترضعين لبن الامم و ترضعين ثدي ملوك و تعرفين اني انا الرب مخلصك ووليك عزيز يعقوب(!!!)
٦٠ : ١٧ عوضا عن النحاس اتي بالذهب و عوضا عن الحديد اتي بالفضة و عوضا عن الخشب بالنحاس و عوضا عن الحجارة بالحديد و اجعل وكلاءك سلاما وولاتك برا
٦٠ : ١٨ لا يسمع بعد ظلم في ارضك و لا خراب او سحق في تخومك بل تسمين اسوارك خلاصا وابوابك تسبيحا
٦٠ : ١٩ لا تكون لك بعد الشمس نورا في النهار ولا القمر ينير لك مضيئا بل الرب يكون لك نورا ابديا والهك زينتك
٦٠ : ٢٠ لا تغيب بعد شمسك و قمرك لا ينقص لان الرب يكون لك نورا ابديا و تكمل ايام نوحك
٦٠ : ٢١ و شعبك كلهم ابرار الى الابد يرثون الارض غصن غرسي عمل يدي سأتمجد
٦٠ : ٢٢ الصغير يصير الفا والحقير امة قوية انا الرب في وقته اسرع به
٦١ : ١ روح السيد الرب علي لان الرب مسحني لابشر المساكين ارسلني لاعصب منكسري القلب لانادي للمسبيين بالعتق و للماسورين بالاطلاق
٦١ : ٢ لانادي بسنة مقبولة للرب و بيوم انتقام لالهنا لاعزي كل النائحين
٦١ : ٣ لاجعل لنائحي صهيون لاعطيهم جمالا عوضا عن الرماد و دهن فرح عوضا عن النوح ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة فيدعون اشجار البر غرس الرب للتمجيد
٦١ : ٤ و يبنون الخرب القديمة يقيمون الموحشات الاول ويجددون المدن الخربة موحشات دور فدور
٦١ : ٥ و يقف الاجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم
٦١ : ٦ اما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام الهنا تاكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتامرون
٦١ : ٧ عوضا عن خزيكم ضعفان و عوضا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم لذلك يرثون في ارضهم ضعفين بهجة ابدية تكون لهم
٦١ : ٨ لاني انا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم و اجعل اجرتهم امينة و اقطع لهم عهدا ابديا
٦١ : ٩ و يعرف بين الامم نسلهم و ذريتهم في وسط الشعوب كل الذين يرونهم يعرفونهم انهم نسل باركه الرب
٦١ : ١٠ فرحا افرح بالرب تبتهج نفسي بالهي لانه قد البسني ثياب الخلاص كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة و مثل عروس تتزين بحليها
٦١ : ١١ لانه كما ان الارض تخرج نباتها وكما ان الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برا و تسبيحا امام كل الامم

٦٢ : ١ من اجل صهيون لا اسكت و من اجل اورشليم لا اهدا (!!!)حتى يخرج برهـــا كضـــياء وخلاصها كمصباح يتقد
٦٢ : ٢ فترى الامم برك و كل الملوك مجدك و تسمين باسم جديد يعينه فم الرب ٦٢ : ٣ وتكونين اكليل جمال بيد الرب و تاجا ملكيا بكف الهك
٦٢ : ٤ لا يقال بعد لك مهجورة و لا يقال بعد لارضك موحشة بل تدعين حفصـــيبة وارضـــك تدعى بعولة لان الرب يسر بك وارضك تصير ذات بعل
٦٢ : ٥ لانه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك وكفرح العريس بالعروس يفرح بك الهك
٦٢ : ٦ على اسوارك يا اورشليم(!!!)اقمت حراسا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام يا ذاكري الرب لا تسكتوا
٦٢ : ٧ ولا تدعوه يسكت حتى يثبت و يجعل اورشليم تسبيحة في الارض
٦٢ : ٨ حلف الرب بيمينه و بذراع عزته قائلا اني لا ادفع بعد قمحك ماكلا لاعدائك ولا يشرب بنو الغرباء خمرك التي تعبت فيها
٦٢ : ٩ بل ياكله الذين جنوه و يسبحون الرب و يشربه جامعوه في ديار قدسي
٦٢ : ١٠ اعبروا اعبروا بالابواب هيئوا طريق الشعب اعدوا اعدوا السبيل نقوه من الحجارة ارفعـــوا الراية للشعب
٦٢ : ١١ هوذا الرب قد اخبر الى اقصى الارض قولوا لابنة صهيون هوذا مخلصك ات ها اجرته معه و جزاؤه امامه
٦٢ : ١٢و يسمونهم شعبا مقدسا مفديي الرب وانت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة
٦٣ : ١ من ذا الاتي من ادوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته انا المتكلم بالبر العظيم للخلاص..
٦٣ : ٢ ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة ٦٣ : ٣ قد دست المعصرة وحـــدي ومـــن الشعوب لم يكن معي احد فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي
٦٣ : ٤ لان يوم النقمة في قلبي وسنة مفديي قد اتت
٦٣ : ٥ فنظرت و لم يكن معين و تحيرت اذ لم يكن عاضد فخلصت لي ذراعي و غيظي عضدني
٦٣ : ٦ فدست شعوبا بغضبي واسكرتهم بغيظي و اجريت على الارض عصيرهم
والنص كله كما ترون يتكلم عن مدينة الله الجديدة ، وعن نبي آخر الزمان الذي سيبعثه الله لـــيرث الأرض هو وأمته ويقيم الحق فيها بعد انتشار الظلم والفساد .. ويخرج الناس من الظلمات إلى النور .. وينتقم به الله من أعدائه ..
والنص يستفيض في شرح الأحوال والظروف التي كانت تسود الأرض والتي سبقت بعثـــة الـــنبي – صلى الله عليه وسلم – (آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم.. أيديكم تنجست بالدم..حبلوا

بتعب وولدوا إثما..فقسوا بيض أفعى..أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم ..ليس من يدعو بالعدل ويحاكم بالحق..أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي..طريق السلام لم يعرفوه..تعدينا وكذبنا على الرب..ارتد الحق إلى الوراء.. وصار الصدق معدوما..معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا..ننتظر نورا فإذا ظلام ضياء فإذا ظلام دامس.. فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع...) وتلك الأحوال والظروف لم تجتمع كلها معا ، و لم تكن بهذا السوء إلا قبل بعثة النبي–صلى الله عليه وسلم– الذي جاء بعد فترة من إنقطاع الرسل على الأرض ، وهذه الظروف لم تكن هكذا قبل بعثة المسيح عليه السلام ، كما أن قوله (فرأى أنه ليس إنسان) متوافق مع حال البشرية قبل بعثة الرسول–صلى الله عليه وسلم– ، ولا يتوافق مع حالها قبل بعثة المسيح ؛ فالأرض لم تكن تخلو من الصالحين والمؤمنين الذين يدعون إلى الخير ، بل إن المسيح قد بعث في وجود يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) عليهما السلام.

وفي النص إشارة واضحة لما قام به علماء بني إسرائيل من تحريف الكتاب والكذب على الله ٥٩ : ١٣(تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب)..

وفي النص إشارة إلى النور الذي سيشرق على الأميين في هذه الأرض ٦٠ : ٣ (فتسير الأمم في نورك) والأمم هنا ليست ترجمة لكلمة nations كما هو متوقع ولكن ترجمة لكلمة gentiles وتترجم بالعربية إلى الأميين وهم الأمم من غير أهل الكتاب ..ويقول قاموس الكتاب المقدس عن هذا اللفظ أن اليهود يستخدمونه على الأمم الأخرى من غيرهم ، فهم يعتبرون أنفسهم حملة الرسالات وشعب الله المختار ، ويقول أيضا أن اليهود يستخدمونه كمصطلح لاحتقار الأمم الأخرى من غير اليهود باعتبارها أمم وثنية .. وبالطبع يرفض النصارى هذا التقسيم باعتبارهم أيضا من أهل الكتاب ، وهذا هو الحق عند المسلمين وهو أن هذا اللفظ كان يستخدم لوصف الأمم من غير أهل الكتاب قبل ظهور الإسلام كما يخبرنا القرآن الكريم :

(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا). آل عمران ٢٠.. (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) آل عمران : ٧٥ ..وهم الذين بعث فيهم النبي – صلى الله عليه وسلم– (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجمعة ٢ ..(الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) ..الأعراف ١٥٧.. (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف ١٥٨ ..

ونجد في النص إشارة واضحة إلى قوافل الإبل التي كانت تأتي من جنوب الجزيرة العربية والمشار إليها بمملكة سبأ ٦٠ : ٦ (تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا) وهذه النبؤة لم

تتحقق للقدس ، بل تحققت لمكة ، ولابد لهذه النبؤة أن تكون قد حدثت بالفعل في الماضي ؛ فقد انتهى عصر الإبل وعصر القوافل..

وكذلك نجد في نص أشعياء السابق إشارة واضحة إلى نحر الذبائح (كل غنم قيدار تجبي إليك ،كباش نبايوت تخدمك ، تصعد مقبولة على مذبحي).

وذلك يؤكد أن الكلام عن مكة وليس بيت المقدس ؛ لأن القدس ليس لها علاقة بغنم قيدار بن إسماعيل الذي تنسب إليه قبائل مكة ، والذي يخبرنا الكتاب المقدس أنه قد سكن في بلاد العرب (وحي من جهة بلاد العرب...يفنى كل مجد قيدار).. كما أنه لا يخفى على أحد أن نحر الذبائح هو أحد مناسك الحج في الإسلام .

وفي النص السابق نجد إشارة واضحة إلى الطرق التي يسلكها الحجاج لأداء فريضة الحج :

٦٠: ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب.

٦٠: ٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها.

٦٠: ٩ إن الجزائر تنتظرني و سفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد و فضتهم و ذهبهم معهم لاسم الرب إلهك.

فالأولى تتحدث عن الجمال ، والثانية يتعجب المتحدث من هؤلاء الطائرين كسحاب أو حمام ولا يعرف ما هم وهو إشارة واضحة إلى الطائرات ، والثالثة تشير إلى السفن.. و(ترشيش) لم يحدد قاموس الكتاب المقدس ما المقصود بها فقال أن هذا الإسم كان مشهورا أيام سليمان عليه السلام ، وقال أيضا أنه اسم كان يطلق على مكان في أسبانيا أثناء حكم العرب ، ورجح في النهاية أنه لفظ يطلق على كل السفن الضخمة .

وفي النص أيضا إشارة لصفة الصحابة رضي الله عنهم ٦١ : ٩(و يعرف بين الأمم نسلهم و ذريتهم في وسط الشعوب كل الذين يرونهم يعرفونهم انهم نسل باركه الرب) ٦١ : ١١ (لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برا و تسبيحا أمام كل الأمم)وهي الصفة التي ذكرها القرآن في سورة الفتح : (محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) ..

ونجد في النص إشارة إلى حدوث النصر والفتح على يد آبائنا الأوائل من المسلمين ، وإلى ما فعلهوه من تطهير الأرض وتنقيتها من الحجارة والأصنام ٦٢ : ١٠(اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب أعدوا أعدوا السبيل نقوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب)..

ونجد في النص إشارة إلى غير العرب الذين يبنون أسوار مكة ٦٠ :١٠ (وبنو الغريب يبنون أسوارك) ، وكم من الأيدي العاملة الآن وذوي الخبرات من مختلف الأقطار يعملون فيها ، ويشيدون قلاعها تحت الأرض وفوق الأرض ..

ونجد إشارة واضحة إلى كثرة الثروات والكنوز التي سيمن الله بها على هذه الأرض٦٠ : ٥ (تتحول إليك ثروة البحر ويؤتى إليك غنى الأمم) ، والثروات والكنوز لم تكن للقدس أبدا ، وإنما لمكة التي تعد من أغنى بقاع الأرض..(١) لا أرى تفسيرا لجملة (تتحول إليك ثروة البحر) إلا تلك الكنوز البترولية الضخمة النائمة في قاع البحر الأحمر والخليج العربي والتي حولت الجزيرة العربية من صحراء قاحلة إلى بقعة تعج بالأموال والثروات .

وفي النص السابق أيضا إشارة إلى انتشار دولة الإسلام وتحولها من الضعف والقلة إلى القوة والكثرة ؛ فالأمة التي بدأت برجل ضعيف يدعو إلى ربه سرا متخفيا من أعدائه قد صار أمة قوية وملك الأرض من مشرقها إلى مغربها.. وبشر المساكين وأخرج من الحبس المأسورين .. وأخرج الناس جميعا من ظلمات الكفر والشرك إلى عبادة الله الحق .. وانتقم به الله من أعدائه وعزى به كل النائحين .. ٦٠ : ٢٢ (الصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به ، روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي المسبيين بالعتق والمأسورين بالإطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب و بيوم انتقام لإلهنا لأعزي كل النائحين)..

وليخبرنا أهل الكتاب عن نبي اجتمعت فيه صفات التحول إلى القوة والكثرة بعد الضعف والقلة وجمع بين تبشير المساكين وتعزية النائحين وبين الانتقام من أعداء الله غير نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ..

ونجد إشارة إلى ميراث أمة الإسلام للأمم الأخرى٦١ : ٦ (اما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام الهنا تاكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتآمرون) .. وليس أدل على ميراث أمة الإسلام للأمم الأخرى من أن أرض المشرق التي تشمل بلاد الشام والبلاد العربية وبلاد فارس ؛ تلك الأرض التي كانت معقلا لنشأة وانتشار الرسالات السابقة ، وتكاد تخلو الأرض الآن من عبادة الله إلا منها ، وتكاد تغطي الأرض نزعات الإلحاد والمادية والطبيعية فيما سواها ، والتي يكاد ينحصر كلام الكتاب المقدس نفسه بعهديه القديم والجديد عليها وعلى تاريخ الأمم والأنبياء بها..قد صارت كلها إسلامية!(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)!!

وفي النص أيضا إشارة واضحة إلى أن الناس سوف يقصدون هذه الأرض ويطلبون زيارتها ، وأنها ستكون الأرض المعمورة !! ٦٢ : ١٢(وأنت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة)

وليخبرنا الذين يحملون النبوءة على القدس : متى تحققت تلك الصفات للقدس في يوم من الأيام ؟!!

وهذه الصفات لا بد أن تكون قد تحققت بالفعل كما أوضحنا .. ولا معنى لما يدعيه اليهود من أن هذه النبؤة لم تتحقق بعد ، وأن هذا المخلص الذي سوف ينتصر لهم ، ويدوس العالم بقدمه ، ويلطخ بعصير الناس من غير اليهود ملابسه لم يأت بعد!!..وما زالوا منتظرين!!

ويخبرنا معجم الطرق القديمة (إنشنت تراد روتس) أن إدوم بدأت من النهاية الجنوبية للبحر الميت إلى مساحات من الصحراء العربية ، وأنها امتدت من هذا الخط لتشمل كل الأراضي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ..

وتجمع كتب الحديث على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يلبس حلة حمراء لم ير أجمل منه ولا أبهى منه أحد قط ، بل لم ير أجمل منه شيء قط!!..فقد روي عن البراء رضي الله عنه أنه قال في صفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : (لقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا قط أحسن منه) متفق عليه..

ولا يختلف أحد من الأولين والآخرين في أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يخرج في غزواته بنفسه وحوله قوته من الصحب الكرام رضي الله عنهم..

وتخبرنا كتب السير أن مدينة بصرى بالشام (بصرة كما ورد في النص) وهي تنطق بضم الباء وهي مكتوبة في النسخة الإنجليزية هكذا :

(BUZRA)

تخبرنا كتب السير أنها كانت مركز تجاري هام يحصل منه أهل مكة على الملابس والبضائع وذلك عن طريق القوافل التجارية..

وأعود الآن لأطرح نفس التساؤل عن ذلك النبي الذي سيبعثه الله ويأتي آخر الزمان لكي يقيم الحق في الأرض ، ويستمر مجده ومجد مدينته إلى قيام الساعة ، وأكرر نفس السؤال الذي ورد في النص:

من ذا الآتي من ادوم بثياب حمر من بصرة ؟ من هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟

هل يكون ذاك النبي هو موسى عليه السلام ؟!

بالطبع لا.. فموسى لم يأت من إدوم ، كما أن النص يشير لنبي يأتي بعد أن يعم الخراب في الأرض ، وينتشر الفساد في ربوعها ؛ فيبعثه الله لإصلاحها ، ويخبر النص أيضا أن مجده ومجد أمته يستمر إلى الأبد ، ولم يدع أحد أن موسى كان آخر الأنبياء ، مما يجعل حمل النص على موسى غير وارد على الإطلاق ..

هل يكون المسيح عليه السلام ؟!

بالطبع لا أيضا .. فالمسيح لم يأت من إدوم ، ولم يكن عليه السلام يرتدي ملابس مستوردة من بصرى ! ولم يكن له أيضا قوة عظيمة يخرج فيها..كما أن تلك الصفات لم يتحقق منها شيء على القدس بعد بعثة المسيح عليه السلام ؛ فلم تأت إليها الإبل من جنوب الجزيرة العربية!!! ولم تجتمع إليها أغنام قبائل مكة!!! ولم يحل بها أمن أو أمان ، بل إن أول ما حدث بعد رحيل المسيح عليه السلام هو اضطهاد تلاميذه وفرارهم في ربوع الأرض! ، وتاريخ القدس على مر العصور خير شاهد على الظلم والدمار وسفك الدماء ، ولا زالت القدس حتى الآن تعاني الجراح ، وتشتكي الآلام ، ولازال شعارها المرفوع دائما هو الأرض (مقابل السلام!!) ..كما لم يزعم أحد من الأولين أو الآخرين أن الله قد بعث المسيح عليه السلام لكي ينتقم به من أعدائه أو ليدوس الشعوب المتمردة

على ربها بقدمه ويرش عصيرهم على ثيابه ويلطخ كل ملابسه !! ، وبذلك فلا يمكن حمل النص أيضا على المسيح عليه السلام..

إذن فمن يكون ذلك الأخير الذي بعثه الله لإصلاح الأرض بعد إفسادها ؟!!

من يكون ذاك الذي أيده الله بالقوة الروحية فبشر المساكين وعصب منكسري القلب ونادى المسبيين بالعتق والمأسورين بالإطلاق وعزى النائحين ، وأيده بالقوة المادية فانتقم من أعداء الله وداس الشعوب المتمردة على ربها بقدمه ورش عصيرهم على ثيابه ولطخ كل ملابسه ؟!!!

من يكون ذلك البهي المتعظم في كثرة قوته ؟!!

من يكون إذن يا ترى ؟!!!!

ويعود النص ليؤكد أن الأمن والسلام هما شعار هذه الأرض ؛ فيخبر أن أبوابها تفتح ولا تغلق ، وأنها لا يظلم فيها أحد بعد اليوم ولا يحل بها خراب :

٦٠: ١١ وتنفتح أبوابك دائما نهارا وليلا لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم.

٦٠: ١٨ لا يسمع بعد ظلم في أرضك و لا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحا .

وهذا الكلام لا ينطبق أبدا علي القدس كما قلنا.. أليست القدس هي أرض الظلم ، وأرض الخراب ، وأرض الحروب والتزاعات إلى اليوم؟!!

أليست تهدم البيوت بالدبابات ، ويقتل الغلمان بالرشاشات ، ولا تكاد تسمع فيها سوى صوت الانفجارات ؟!!

ثم إن أبوابها تغلق أكثر مما تفتح !!.

هل يصر الآن عاقل أن هذا النص يتحدث عن القدس؟!!

إذا أصر على رأيه فإن عليه أن يقتل التاريخ ، وإن لم يستطع أن يقتل التاريخ فليقتل حتى آرييل شارون!!!

أما مكة فهي الأرض المطمئنة ، والبلد المعمورة ، التي لا تقام فيها الحروب ، ولا تسفك فيها الدماء ، ولا تغلق أبدا أبوابها ، ولن تغلق أبدا ؛ لأنها الأرض التي وطأتها خير قدم ، واستظل بسمائها أكرم بشر ، وعاش عليها النبي المحمد ، الذي رفع الله قدره ، وأعلى شأنه .. حتى قبل أن يبعثه ..حتى قبل أن يخلقه ..حتى قبل أن يخلق العالم ..

EDOM

e'-dom

GEOGRAPHY

The country of Edom began at a line from the south end of the Dead Sea stretched to the Arabian desert areas to the east. From this line, Edom claimed all the land south to the Red Sea, and

farther along the east coast of the Red Sea. How far south depended on daily politics, since it is nothing but desert for the most part. However,it included part of the Incense Route which .extends farther south to Sheba the Yemen area today

نسخة مما ذكره معجم الطرق القديمة عن مملكة إدوم

http://www.ancientroute.com/empire/edom.htm

وترجمته بالعربية :((إدوم بدأت من النهاية الجنوبية للبحر الميت إلى مساحات من الصحراء العربية إلى الشرق ، ومن هذا الخط امتدت إدوم لتشمل كل الأراضى جنوب البحر الأحمر والأراضي على طول الساحل الشرقى للبحر الأحمر..والجزء الجنوبى من إدوم كان عبارة عن أرض صحراوية ممتدة واشتملت إدوم على جزء من طريق البخور يمتد جنوبا إلى شيبا والتي تمثل منطقة اليمن حاليا)) .

لمراسلة مؤلف المقال:

Doctor_abdelkhalek@yahoo.com

==========================

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام

الكاتب: د. جمال الحسيني أبوفرحة

روى البخاري في صحيحه عن النبي – صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي". . وقال : "من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني".

وقد أساء بعض الناس – في رأيي - فهم هذين الحديثين وأمثالهما من الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن رؤيته – صلى الله عليه وسلم – في المنام، فضلوا وأضلوا؛ فظنوا أن كل من رأى في المنام أنه رآه فقد رآه حقيقة، وظنهم باطل؛ بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة، ويراه الرائي على صفة، وغيره على صفة أخرى، ولا يجوز أن تختلف صور النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا صفاته.

وإنما معنى الحديث – في رأيي – أن من رآني على صورتي التي خلقت عليها فقد رآني؛ إذ لا يتمثل الشيطان بي؛ فلم يقل: من رأى أنه رآني، وإنما قال:" من رآني في المنام فقد رآني". وأنّى لهذا الذي رأى أنه رآه في منامه أنه رآه على صورته الحقيقية؟. ما لم يكن الرائي صحابيًا قد رأى النبي – صلى الله عليه وسلم- قبل موته.

فحتى صفته – صلى الله عليه وسلم- المروية في كتب الحديث والسير فهي من العموم الذي لا يمنع الاشتراك فيها معه، وليست كرؤية العين حتى يجزم الرائي برؤيته له – صلى الله عليه وسلم- .

ومن هنا فإن رؤيته – صلى الله عليه وسلم – في المنام آمرًا، أو ناهيًا، أو مظهرًا لحبه أو كرهه لشيء؛ لا يترتب عليها أي حكم شرعي: من وجوب، أو استحباب، أو إباحة، أو كراهـــة، أو تحـــريم، أو ولاء، أو براء – كما ظن بعض الناس؛ فضلوا وأضلوا – وإنما يعرض ما يكون من ذلك على القرآن والسنة؛ فإن وافقهما فبها ونعمت، وتكون الحجة هي الشريعة، أما الرؤيا فللتأنيس فقـــط ؛ وإن لم يوافق ذلك الشريعة رفض ولا شك؛ فإن الله تعالى لم يقبض إليه رسوله- صلى الله عليه وسلم – إلا بعد أن أكمل الدين، وأتم النعمة، وترك الأمة على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنـــها إلا هالك.

د. جمال الحسيني أبوفرحة
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
gamalabufarha@yahoo.com

=====================

رب ضارة ناجعة

أ. د. عبدالله الربيعي

الفعل الذي ارتكبه دانمركي احمق تمثل بنشر رسوم لا تليق برسول البشرية صلى الله عليه وسلم اقول هذا الفعل جوبه برد فعل من المسلمين بدأ بمسلمي الدانمرك ومروراً بمشارق الأرض ومغاربها، معبرين عن سخطهم، لأن المساس برسول البشرية عليه السلام اعلان حرب على القيم والاخلاق والحريـــة باعتبارها عند الغرب «اعمل ما شئت شريطة ان لاتؤذي الآخرين». ولعلي اجمل القول عن اشكالية العلاقة بين الشرق والغرب منذ تنصر الرومان مروراً بالعصور الوسطى الى عصرنا الراهن:

م- في عام ٣١٣م اعترف الامبراطور الروماني البيزنطي قسطنطين الكبير بالنصرانية ديناً ضمن ديانات الامبراطورية وتنصرت امة هيلانة واكتشفت الصليب الحقيقي الذي صلب عليه شبه المســـيح عليـــه السلام، الامر الذي جعل الامبراطورية البيزنطية تقوم على اساس عقدي نصراني، غير ان المـــؤرخين الغربيين رددوا مقولة: «لم يتنصر الرومان بل ترومت النصرانية» بمعنى ان الغربيين اعتنقوا ديناً شرقياً صاحبه ناصري من فلسطين، ولكن بأسلوب اوروبي فابتدعوا المذهب الكاثوليكي المفصـــل محليـــاً، وصوروا المسيح وامه عليهما السلام بملامح اوروبية استنكافاً منهم ان يعبدوا رموزاً شرقية.

ح- عندما غلب الفرس الروم في عهد هرقل (٦١٠-٦٤١م) عام ٦١٤م واحتلوا سوريا وفلسطين ونهبوا القدس بتواطؤ يهودي استهزأ كفار مكة من الرسول صلى الله عليه وسلم قائلين ان اصحابنا (المجوس) هزموا اصحابكم (اهل الكتاب) فنزلت سورة «الروم» تبشر بقرب انتصار النصارى علـــى المجوس، وهذا يدل دلالة جلية على ان الإسلام ما جاء ليصفي اهل الكتاب بل جاء بحوار حضـــاري معهم لعلهم يهتدون واروني كتاباً مقدساً احتفل بانتصار الآخر مثل ما احتفل الإسلام بظفر الروم؟!

م- عندما استعاد صلاح الدين القدس من المستعمرين الفرنج عام ٥٨٣هـ-١١٨٧م ارسل البطريرك الكاثوليكي من عكا فريقا دعائيا يجوب اوروبا رافعاً صورة فيها رجل عربي يرمز الى محمد صلى الله عليه وسلم يضرب المسيح عليه السلام، والدماء تنزف من المسيح، كما ارسل المركيز مونفيرا صورة لكنيسة القيامة، وبدأ فيها فارس مسلم يبول فرسه على قبر المسيح، هذه الصور بثت في اوروبا، واثارت النفوس واقبل الناس على جمع التبرعات للقيام بحملة صليبية ثالثة، وفرضوا ضريبة سميت ب«عشر صلاح الدين» وهكذا تحركت الجيوش الجرارة بقيادة اعتى قادة اوروبا فريدريك بربروسا الالماني وريتشارد قلب الأسد الانجليزي وفيليب اوغست الفرنسي وغيرهم من الادواق والكونتات والامراء ولاحظوا كيف كان رد الفعل الغربي جراء صور رسموها هم لا المسلمون، ولكم ان تقدروا حجم الكارثة لو فعل ذلك رسامون مسلمون؟

د- في عام ١٢١٥م اعلن الباب انوسنت الثالث عزمه على قيادة حملة صليبية خامسة ضد المسلمين في الشام وفلسطين وبث دعايات مضللة قائلاً: «ان المسلمين ينتهكون حرمة كنيسة القيامة، ويسخرون من الصليب» وقرر المجلس البابوي مقاطعة المسلمين بتحريم الاتجار معهم بناءً على اقاويل ولكم ان تتصوروا الامر لو حدث مثل ذلك فعلاً من بعض المسلمين علماً بأن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يستلزم الايمان بجميع الانبياء والرسل الوارد ذكرهم في القرآن المجيد وفي السنة النبوية الصحيحة.

ر- تعامل الآخر الغربي مع المفاهيم الإسلامية بأسلوب تحريفي متعمد، وسمت بعض قواميسه «محمد» «Mohamet» وتعني الشيطان، واطلق رجال الدين الغربيون علينا «عبيد سارة» وترجموا معاني القرآن المجيد حسب اهوائهم وانتشر في كتبهم في القرن السابع عشر روح الكراهية لرسول البشرية ووصفوه بالمزيف والشهواني المحتال، واثمر هذا العداء استعماراً اوروبياً لبلاد المسلمين.

س- وفي القرن العشرين شجعت مؤسسات ثقافية اوروبية عدداً من المسلمين والمسلمات على الخروج عن ثوابتهم، فظهرت روايات تمس شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم واعتبر ذلك ابداعاً تحميه النظم الديمقراطية التي تقدس الحرية، ولكن عندما الف رجاء جارودي كتابه عن دولة اسرائيل حوكم وصودرت كتبه و لم ينعم بالحرية المزعومة!

ل- ولما دعي الى عقد لقاءات «حوار الاديان» ابدى علماؤنا تفهماً لهذا التقارب من اجل الاتفاق على قرارات تنفع البشرية مثل حماية الانسان في نفسه وعرضه وماله ودينه ومحاربة المخدرات ومقاومة المجاعات والامراض. ولكن ظلت هذه الامور اماني وكأن الآخر ينتظر تنازلاً من جهة المسلمين عن ثوابتهم كشرط للتفاوض اننا بحاجة الى مواصلة حوار الاديان من اجل خير الانسان، وان نتفق على احترام الاديان ونضع قوانين دولية تضمن ذلك تماماً كما اتفقنا على محاربة الإرهاب وتجارة المخدرات وتبييض الأموال والجرائم الدولية.

أ- في الوت الذي ابتهجنا فيه باتحاد المسلمين ضد هذا التطاول فإننا ندعو الى استراتيجية بعيدة المدى لبناء مصطلحات فكرية تتفق مضامينها مع اصول الإسلام موجهة نحو الآخر فمصطلح «الرب»

و«النبي» مختلف عندنا وعندهم فهم ينظرون الى مصطلحاتنا بخلفياتهم العقدية عنا. وعلـــى مراكـــز البحوث الإسلامية بما فيها العربية ان تتفق على كلمة سواء لمواجهة هذا التباين في المفاهيم ليـــتمكن غير المسلم من ادراك المصطلح الإسلامي كما هو في الواقع.

ل- القضية ليست اعتذارا من هنا او هناك وليست «حب اخشوم» القضية اكبر من ذلـــك وعلـــى القانون ان يدخل في القضية باعتبار ما حدث تعدياً على رمز دين عالمي، وعلى المجرم ان يحاكم ليتعظ غيره، كما ان على الشعب الدانمركي ان يحمي مصالحه، وينظر الى من تولى كبر ذلك كعدو لمصالح الدانمرك العليا، لأن من حق المسلمين ان يقاطعوا بضاعة قدمت من دولة سمحت لفئة قليلة منـــها ان تسيء الى رسولنا العظيم والمقاطعة عقاب عام وعلى المتضررين ان يتلمسوا مصلحتهم ليجـــدوها في ازالة السبب ومعاقبة المتسبب ووضع التدابير اللازمة لعدم تكرار هذه المهزلة.

ل- من الحكمة ان نحصر القضية في جهتها الاصلية ولاننساق نحو تعميمها وهذا ما ارادته «فرانس - سوار» لأن المذنب مسؤول عن اصل عمله وما ترتب عليه من آثار ومنـــها النســـخ والتصـــوير والانتشار. كما ارجو من المسلمين التزام النظام في تظاهراتهم وعدم تدنيس الاعلام التي تحمل رموزاً دينية لان ديننا ينهانا عن سب الاديان وحتى نحصر الامر في مصدره ولانعممه.

ه- في فقرة (ه) وهو الحرف الاخير من عبارة «محمد رسول الله» اود الاشادة بالروح الإسلامية تجاه رسولنا العظيم رغم تعدد مذاهبنا ومشاربنا واتمنى ان تنمى هذه الروح من اجل مزيد مـــن احاطـــة رسولنا بالاطار الذي اطره به ربه، وان يشمل هذا الحب كل جوانب هذه الشخصية الخاصة والعامة، وان يتجاوز هذا الحب اللحظة العاطفية الى اتخاذه قدوة لنا في كل شيء ومقتضيات هذا الحـــب ان نلتزم بأوامر محبوبنا ونجتنب نواهيه، ولعل وزراء التربية والتعليم المسلمين ومنهم العرب ان يقـــرروا مادة «السلوك» للمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية مستقاة من السيرة النبوية وهي مادة تطبيقيـــة يتعلم فيها الفتى اسلوب التعامل الحضاري مع الاسرة والمجتمع والآخر كما طبقه رسول البشرية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأهل بيته الطاهرين وصحابته اجمعين واتباعه على الحـــق والحقيقة الى يوم الدين.

* استاذ العلاقات الحضارية - استاذ الدراسات العليا
كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة

========================

ربيع المتطرفين

نشرت جريدة الوطن في ١٤٢٧/١/١٠هـــ

حمزة قبلان المزيني*

من الحقائق التي يحاول إخفاءها المستفيدون من أزمة الرسوم المستهزئة بالرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرتها صحيفة يولاند بوسطن الدنماركية أن هذا التطاول لا يمثل إلا المحطة الأخـــيرة في مســـار

طويل من الصراع "الثقافي" بين المتطرفين من المهاجرين العرب والمسلمين من جهة والمتطرفين من الأوروبيين من جهة أخرى. فيصور هؤلاء هذا الحادث كأنه جاء من فراغ وأنه لا أسباب له إلا العداء المتأصل للعرب والمسلمين الذي يتصف به الأوروبيون جميعا. والغرض من إخفاء هذه الحقيقة تصعيد ردود الفعل ضد هذا الفعل المغرِق في عدوانيته واستهتاره بمشاعر المسلمين.

أما الواقع فهو أن هذا الحادث سبقته حوادث كثيرة تشهد بوجود هذا الصراع الذي يمكن وصفه بـ "صدام الجهالات" بتعبير إدوارد سعيد. أما مسؤولية هذا الصدام فتقع على الفريقين كليهما.

وأحد منابع هذا الصدام الرئيسة ما أسهمت به نظرة المتطرفين الأوروبيين السلبية للمسلمين بسبب اختلافهم عنهم في اللون واللباس والمأكل والدين والعادات والتقاليد الأخرى وللخوف المَرَضي من الغريب عموما.

ومما رسَّخ هذه النظرة أن كثيرا من العرب والمسلمين لم ينجحوا في الاندماج في هذه المجتمعات الجديدة وظلوا على هامش الحياة اليومية. وزاد الأمر حدة حين سعى المتطرفون من العرب والمسلمين إلى تأكيد هويتهم بشكل لا يراد منه تأكيد الهوية بقدر ما كان مبعثه الرغبة في التمايز عن المواطنين الأصليين في الوطن الجديد.

ومما يدل على هوية هذا الجو الصراعي أن أكثر الفاعلين فيه من الجانب الأوروبي ينتمون إلى التيارات اليمينية أو من غلاة العلمانيين الذين يبالغون في تأكيد علمانيتهم نكاية بالمهاجرين الجدد وإيذاء لهم.

فمن التصرفات الحمقاء لهؤلاء تبنيهم لبعض المسلمين الذين يعلنون عداءهم للعادات والتقاليد الإسلامية؛ ومنهم النائبة الهولندية من أصل صومالي التي استحوذت على اهتمام التيارات اليمينية والعلمانية الأوروبية حين تنقصت من بعض المظاهر الثقافية الدينية للوافدين الجديد.

وزادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر هذا العداء تأجيجا حتى وصل إلى مستويات غير معقولة.

وقد كشفت صحيفة الأوبزيرفر البريطانية في عددها الصادر في ٢٠٠٦/٢/٥م، عن أوجه كثيرة لهذا الصراع المتأجج منذ زمن حتى وصل إلى حدود غير معقولة.

فمن شواهده صدور ما سمي بقانون "اختبار المسلم" الذي شرَّعه الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم في إحدى الولايات الألمانية ليطبق على المسلمين الذين يتقدمون للحصول على الجنسية الألمانية ويقضي بسؤال هؤلاء عن آرائهم في أحداث الحادي عشر من سبتمبر والعلاقات المثلية وعما إن كانوا يسمحون لبناتهم المراهقات بالانخراط في دروس لتعليم السباحة.

ومنها في الدنمارك وصف بعض المعلقين "الثقافة الإسلامية" بأنها تتناقض مع ثقافة الدنمارك التنويرية ذات الأصول الأوروبية اليهودية المسيحية وهو ما يجعل اندماج المسلمين فيها مستحيلا.

كما صدرت مؤخرا سلسلة من القوانين الجديدة التي تتعلق بالزواج والجنسية وإلزام المسلمين بدراسة اللغة الدنماركية وتتبُّع الأئمة ومحاصرة نشاطاتهم.

وفي مقابل هذه الظواهر التمييزية قام بعض المتطرفين من المسلمين بما زاد هذه الأوضاع سوءا. ومن ذلك قتل أحد المتطرفين المسلمين للمخرج الهولندي ثيو فان جوخ الذي أخرج فيلما يصور فيه ما يرى أنه معاملة "سيئة" للمرأة في الثقافة الإسلامية.

ومنها أن الخلية التي خططت لهجوم الحادي عشر من سبتمبر كانت تتخذ من إحدى المدن الألمانية مقرا لها. يضاف إلى ذلك ما شهدته بريطانيا من سطوة التيارات الإسلامية المتشددة طوال السنين الماضية بقيادة متطرفين أمثال أبو حمزة المصري وأبو قتادة وغيرهما.

وأشاعت هذه التيارات المتطرفة جوا من الخوف في هذه الدول، ويصور هذا ما يقوله محرر الشؤون الخارجية في صحيفة يولاند بوسطن من أنه "عُرض في الموسم المسرحي (الدنماركي) خلال الخريف الماضي ثلاثة عروض تضمنت نقد الرئيس الأمريكي جورج بوش أو السخرية منه، ومع هذا فقد خلا (الموسم) من أي عرض عن بن لادن" بسبب الخوف من ردود فعل المتطرفين من المسلمين هناك.

هذه هي إذن الأجواء المشحونة بالعداء بين المتطرفين من الجانبين التي حدث في سياقها نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم. ففي هذه الأجواء المسمومة، كما تروي صحيفة الجارديان البريطانية، كان الكاتب الدنماركي كير بلوتجين يبحث عن رسام يساعده في رسم بعض المشاهد في كتاب للأطفال ألفه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم. لكنه لم يجد أحدا يقوم بهذه المهمة خوفا من غضب المسلمين. وقد اعتذر أحد الرسامين خوفا من الانتهاء إلى مصير المخرج الهولندي ثيو فان جوخ. كما اعتذر رسامان آخران عن القيام بهذا العمل. إلا أن رساما آخر لم يعلن عن اسمه قام بذلك في نهاية الأمر.

وقادت مشكلة بلوتجين إلى إثارة النقاش في عدد من الصحف الدنماركية (ومنها صحيفة يولاند بوسطن) عن المدى الذي يمكن أن تصل إليه الصحافة الدنماركية في الرقابة الذاتية التي تفرضها على نفسها في تناولها لبعض القضايا الإسلامية، وما مصير حرية التعبير التي يتهددها هذا الخوف من ردود فعل المسلمين؟

ومن أجل التجريب لقياس رد فعل المسلمين طلب من اثني عشر رساما أن يرسموا رسوما ساخرة للنبي صلى الله عليه وسلم. وأجاز رئيس تحرير الصحيفة، كورتين جوست، نشر هذه الرسوم التي تعمد رساموها السخرية بالنبي صلى الله عليه وسلم في عددها الصادر في الثلاثين من سبتمبر العام الماضي.

ولم يكن رد الفعل الأولي على نشر هذه الرسوم قويا إذ اقتصر على بعض الرسائل الغاضبة التي أرسلها بعض القراء للجريدة. لكنه في منتصف أكتوبر تلقى اثنان من الرسامين تهديدات بالقتل وهو ما أثار نقاشا غاضبا في البرامج التلفازية الدنماركية.

وكان عدم كفاءة القيادات الإسلامية في الدنمارك في معالجة هذه المشكلة بالأساليب القانونية وراء استفحالها. ويدل على ذلك فشلهم في رفع قضية في المحاكم الدنماركية، وهو ما دعاهم لإرسال وفد يحمل بعض تلك الرسوم إلى بعض البلاد العربية استنجادا بها. ولم يقتصر هؤلاء على ما نشرته الصحيفة من رسوم بل إن ثلاثة من أقذع الرسوم التي جاء بها هؤلاء لم تنشرها الصحيفة.

ويمكن أن نلحظ من خلال البرامج الحوارية التلفازية أن بعض القيادات الإسلامية الدنماركية تؤكد أن بعض الزعامات الإسلامية ذهبت بأمر هذه الرسوم إلى حد يفوق ما هو لازم. ومن ذلك ما كـــرره الإمام عبدالواحد الذي ظهر في عدد من هذه الحوارات (ويبدو أنه من أصول دنماركية)؛ فقد أكد في حوار شارك فيه مع رئيس وزراء الدنمارك أن ما سمعه من اعتذار رئيس الوزراء كاف، وأن المحكمـــة العليا قبلت أخيرا النظر في القضية التي رفعها بعض المسلمين ضد الصحيفة. وكرر الإمام عبدالواحد هذا في برنامج "الحدث" في إحدى القنوات اللبنانية، وأشار إلى أن اعتذار صحيفة يولاند بوســـطن كاف واعتذار رئيس الوزراء، على ضعفه، كاف كذلك. كما اشتكى من أن المتطرفين اختطفوا هذه القضية وذهبوا بها إلى حدود غير معقولة.

ومن الملاحظ أن المتطرفين في العالم الإسلامي على مختلف انتماءاتهم وجدوا في أزمة الرسوم المســـيئة للرسول الله صلى الله عليه وسلم فرصة ثمينة لتأجيج العواطف الدينية والوطنيـــة واســـتغلال حـــب المسلمين لنبيهم إلى حد صار لا يسمح للأصوات التي تدعو إلى التعقل في حل هذه الأزمة بالتعبير عن نفسها.

فقد سخروا من التذكير بتسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع من أساء إليه من أجل أخذ العـــبرة في معالجة هذه الأزمة ووصموا من يرى معالجتها بالطرق السلمية والحكيمة بأبشع الأوصاف واتهموه بخيانة الأمة وعدم محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم. كما سخروا من اقتراح عدم تعميم الإدانة على الدنماركيين وعدم إلحاق الضرر عن طريق المقاطعة الاقتصادية بمن ليس له يد في هذه الجريمة.

ووصل تطرف هؤلاء إلى أن يؤكدوا في منتدياتهم الإنترنتية أنه لا يمكن قبول اعتذار الدنمارك مهمـــا كان، وأصدر بعضهم فتاوى بقتل الرسامين، أو جلبهم للمحاكمة في البلدان الإسلامية. ويشاركهم في ذلك السفيرة المصرية السابقة في الدنمارك التي كانت تخشى أن يعتذر رئيس وزراء الدنمارك عـــن إساءة الصحيفة!

وتوفر هذه الأجواء الساخنة جوا طالما حلم المتطرفون بخلقه وسعوا إلى إيجاده، وهو الذي يستطيعون فيه تنفيذ برامجهم للسيطرة على المجال العام؛ فهو ربيعهم!

وقد رأينا ما آلت إليه الأمور في المظاهرات التي اجتاحت السفارتين الدنماركيتين في دمشق وبـــيروت والتدمير الذي لحق بهما واستنكره حتى الذين قادوا تلك المظاهرات.

ومن نتائج التطرف في معالجة هذه الأزمة أن صار المسلمون الآن في موقف الدفاع بعد أن كانوا في موقف قوة. وأصبحوا يعتذرون للدنمارك بدلا من اعتذارها لهم.

وتوجب هذه الحادثة وردود الفعل الغاضبة عليها أن يقف العقلاء من الغربيين ومن العالم الإسلامي صفا واحدا لانتزاع زمام المبادرة من أيدي المتطرفين من الجانبين الذين يريدون أن يقودوا العـــالم إلى "حرب جهالات" ساخنة لا تبقي ولا تذر، وأن يرسموا خططاً محكمـــة بعيـــدة المـــدى للتصـــدي للمشكلات التي صارت في الوقت الحاضر أسبابا يمكن أن تشعل حرائق مدمرة في كل مكان.

*كاتب وأكاديمي سعودي

========================

ردع التطاول على النبي ..أسبقية عقدية ودبلوماسية وإعلامية

الكاتب: زين العابدين الركابي

بتاريخ: ٢٠٠٦/٢٣/٠١

هذه تحية من (نوع مختلف): تحية معجونة بالحقد والكراهية وانتهاك (حقوق الآخر) ـــ الذي هـــو مسلمو العالم ـــ أي تحية هذه؟..

لقد نشرت مجلة (مسيحية) نرويجية رسما هازلا ساخرا هازئا (كاريكاتير) لنبي الاسلام ـــ صـــلى الله عليه وسلم ـــ ومتى؟

أول أيام عيد الاضحى. بالضبط يوم الثلاثاء ١٠ ذي الحجة (١٠ يناير ايضا)، أي في ذات اللحظات التي بدا فيها مسلمو العالم يتبسمون لإشراقة باكورة أيام عيدهم. وكأنّ هذه المجلة ومن وراءها، قد تعمدوا تهنئة المسلمين بتوجيه الاهانة الى نبيهم المحبوب.. وكانت صحيفة دانماركية قد مارست الفعل ذاته من قبل، بل ان الفعل الثاني (محاكاة) للفعل الاول: وفي كل شهر.

ولو كنا (كافرين) بالمسيح عيسى ابن مريم، لطالبنا رسامي الكاريكاتير في العالم العـــربي الاســـلامي برسومات تستهزئ به، بناء على قاعدة (المعاملة بالمثل). ولكن هذا الطلب ممتنع أبدا من حيث انـــه (كفران) مبين بالنبي محمد نفسه، صلى الله عليه وسلم. فالتفريق بين الانبياء في الايمان بهـــم، بمعـــنى الايمان بنبي والكفر بآخر، انما هو كفر حقيقي وصريح بهم جميعا: «إن الذين يكفرون بالله ورســـله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض أولئك هم الكـــافرون حقـــا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا».. يُضم الى هذا الفيصل الايماني: موجب عدلي.. وموجب اخلاقي. اما الموجب العدلي فهو ان المسيح ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بريء من التهجم على أخيه محمد. وكيف يتهجم عليه وهو الذي بشر بمجيئه: «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إلـــيكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد».. وأكابر اهـــل الكتـــاب كانوا يعلمون هذه الحقيقة ويجهرون بها. فعندما سمع النجاشي القرآن النازل في حق عيسى وأمه مريم، من الوفد المسلم المهاجر اليه قال: «اشهد انه رسول الله وانه الذي نجد في الانجيل وانه الذي بشر به عيسى ابن مريم».. وحين سمع هرقل ملك الروم، وصف النبي من أبي سفيان بن حرب، قال هرقل: «ان يكن ما تقول فيه حقا، انه لنبي، وقد كنت اعلم انه خارج».. والانجيل هو مصدر علم هرقل.. ومن هنا: ليس من العدل: ان يحمّل المسيح مسؤولية ما لم يفعل، وما لم يـــرض.. وامـــا الموجـــب الاخلاقي فهو: ان المسلمين يحملون (مسؤولية اخلاقية) مطلقة ودائمة تجاه الانبيـــاء والمرســـلين.. مسؤولية اخلاقية تتمثل في الدفاع عن مقامهم وجلالهم وكرامتهم وسمعتهم وحقوقهم التي تنبغي لهم. ولذا فإن قاعدة (المعاملة بالمثل) في هذا المقام: معطلة أبدا، بل ملغاة بإطلاق، فلا يحل لمسلم: رسّام او كاتب او غير ذلك: ان يهزأ بنبي الله عيسى ابن مريم، ولا بأي نبي آخر.

بيد ان استحالة (المعاملة بالمثل) ــ للاسباب العقدية والاخلاقية التي ذكرت ــ لا تعني الصمت وابتلاع الاهانة. فالتطاول السفيه على مقام خاتم الانبياء والمرسلين، ليس مسألة يمكن الاغضاء عنها، ولا التساهل فيها. ذلك انها (قضية عقدية مبدئية كبرى) تنتظم منظومة من القضايا التي تُعد كل واحدة منها: أسبقية فكرية وثقافية ودبلوماسية وحضارية.

١ ــ قضية: ان عدم وجود (ردع) فكري ودبلوماسي واعلامي يشجع على ارتكاب المزيد من السفاهات ضد نبي الاسلام.

فبالأمس تطاول سفهاء في الدانمارك. واليوم يتطاول سفهاء في النرويج.. ومن المحتمل ان يتبعهم غيرهم: ما لم يحصل (ردع) فكري ودبلوماسي واعلامي، يشعر السفهاء ودولهم: انهم يدفعون ثمنا باهظا بسبب هذا التطاول: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض».

٢ ــ قضية (حق الشعوب المسلمة) في ان يحمي حكامها وقادتها عقائدها ومقدساتها من العدوان، ليس بحرب تقليدية، ولا بحرب نووية. فهذا أمر غير وارد، لا من حيث الامكان، ولا من حيث الحاجة اليه. وانما يتعين على قادة الشعوب المسلمة: ان يحموا عقائدها ومقام نبيها بـ(الطرق السلمية) المستطاعة: بالردع الاعلامي المبرمج.. وبالحركة الدبلوماسية الجادة النشطة، بما في ذلك: الاتصالات المكثفة والاحتجاج بالبيانات الواضحة الحازمة عن طريق السفراء، او وزراء الخارجية، بالتحرك الجماعي او الفردي.

٣ ــ قضية (الاستفادة) من اليهود في مواقفهم من كل ما يمس مقدساتهم ومعظماتهم.. نعم. على المسلمين ان يتعلموا من اليهود في هذا المجال: ان يتعلموا منهم (يقظة الذاكرة)، ورهافة الحس، وسرعة المبادأة. طبعا مع إسقاط (الزوائد الباطلة) مثل الدس والمبالغة والافتراء والابتزاز والانتقال من (حق الدفاع عن النفس) الى (باطل ظلم الآخرين).

ثمة ما يشبه (الحصانة) لكل ما هو يهودي في عالمنا هذا.. وبلوغ هذا المستوى من التقدير لكل ما هو يهودي، لم يأت بلا جهد.. وانما تحقق بـــ:

أ ــ وضوح الهدف.

ب ــ الايمان الراسخ بالقضية.

جـ ــ النشاط المتدفق الوثاب.

د ــ التناغم في حركة الفريق: جيئة وذهوبا، دفاعا وهجوما، تركيزا لجهد الذات، او تشتيتا لجهد الفريق المقابل المنازل.. وبديه ان اليهود لا تؤيدهم الملائكة، وليس معهم جن سليمان، ولا يعملون بـ (خوارق العادات). ولكنهم قوم آمنوا بقضيتهم، وبذلوا اقصى نشاطهم في خدمتها.. وهذا (نموذج حي) وماثل، يمكن ان (ينشّط) المسلمين: حكاما وشعوبا، وان يريهم: كيف يكون الدفاع المتصل عن القضايا، مع حذفه مضامين الافتراء والظلم كما قلنا.. وهذا (نوع من الحكمة العملية) الانسانية التي يتوجب على المسلمين: الانفتاح عليها بثقة، ورؤيتها بوضوح، والتقاطها بذكاء

واستثمارها بحرص.. وفي الحديث النبوي الصحيح: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

٤ ــ قضية ان الدفاع عن الانبياء والمرسلين: مضمون كل اساس، ومقصد رئيسي من مضامين القرآن ومقاصده: ومن ذلك: كف الاذى والاستهزاء عن الانبياء والمرسلين.. مثال ذلك:

أ ــ «وكم أرسلنا من نبي في الأولين. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون. فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين».

ب ــ «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها».

جـ ــ «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم».

٥ ــ قضية: انه لا قيمة ولا كرامة لأي انسان: اذا أهين الانبياء والمرسلون. ذلك ان النبيين هم (قمة النوع الانساني) وخلاصة رصيد الانفس والاعلى والانبل في الطهر النفسي، والسمو الاخلاقي، والتحقق بـ (الانسانية الكاملة) او الكمال الانساني. ومن هنا، فأيما إهانة توجه اليهم ــ ولو في صورة واحد منهم ــ انما هي اهانة تشمل الناس كافة. فالمتطاول على مكانة (الاعلى) انسانيا واخلاقيا. يسهل عليه ــ بداهة ــ انتهاك كرامة من هو ادنى من الانبياء في هذا المجال.. ومن دون انتقاص من مقامات النبيين، فإن الناس قد تعارفوا على ان اهانة رأس الدولة تعني اهانة الشعب او الامة كلها.

٦ ــ قضية (تقويض) أسس (حوار الاديان) او حوار الحضارات. فكيف يحاور المسلمون اقواما يسخرون ممن كان سببا في وجودهم المعنوي والمادي، وسببا لسعادتهم في الدنيا والآخرة وهو: نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!.. ويتعين ان يتفطن لهذه الحقيقة المنهجية (دراويش) الحوار في الطرف الاسلامي لئلا يحمّلوا وجه من يهدم اسس الحوار بالتطاول على خاتم الانبياء والمرسلين.. وقد يقال: ليسوا جميعا يفعلون ذلك.. والرد في القضية القادمة رقم (٧).

٧ ــ قضية: سكوت الكنائس ورجالها.. حقيقة: لماذا هذا السكوت؟.. ان أسباب السكوت الطويل: اما عدم العلم بالتطاول على نبي الاسلام.. وهذا احتمال مستبعد.. واما حسبان هذا التطاول امرا ثانويا هامشيا لا يستحق الاكتراث. وهذا موقف لا يقفه رجال دين: المفترض فيهم تعظيم الانبياء، او احترامهم على الاقل.. واما ان يكون السبب هو الرضى والتواطؤ.. ومن هنا ننفذ الى القضية الثامنة.

٨ ــ قضية: ان الرضى بهذا السلوك السفيه: يرفع معدلات (التوتر الديني/ في العالم، وهو توتر يؤجج التطرف، ويضرب السلام العالمي في مقتل.. نعم. فالسلام العالمي لا تهدده ترسانات السلاح النووي فحسب، بل تهدده (الغام دينية) شديدة الانفجار، تتكون (عبواتها) من التوترات الدينية التي تستمد خميرتها من الغضب العاصف على ما يمس المقدسات ورموزها العليا.. في النمسا نصبت لوحات عليها رسومات تخدش شخصيات اوروبية منها اليزابيث: ملكة بريطانيا، وجاك شيراك رئيس الجمهورية الفرنسية، ولم تكد اللوحات تظهر حتى ماجت بريطانيا وفرنسا واوروبا كلها بالغضب.. وفي

ساعات قليلة أزيلت اللوحات المسيئة.. فهل يتصور عاقل: ان غضب المسلمين لنبيهم أقل من غضب الانجليز والفرنسيين لملوكهم ورؤسائهم!.

٩ ـــ قضية: نقض (الدروشة) في رفع الشعار المستهلك: شعار (الآخر). فقد اندفع أناس من المسلمين يرفعون هذا الشعار رفعا جلدوا به الأمة العربية الاسلامية بحسباها هي (الرافض) الاعظم للآخـــر. ولسنا ننفي ان بيننا غلاة يفعلون ذلك. لكن جلد الامة كلها بسبب هذه التهمة، سلوك فيـــه مـــن الافتراء والبهتان والجور ما فيه، بدليل ان هذا الآخر الذي يتباكون عليه لأنه منبوذ وغير معترف به.. هذا الآخر نفسه يمارس ضد المسلمين: النبذ... والاقصاء.. والكراهية.. والحقد.. والعداوة، والتطاول على نبيهم.. والغريب العجيب المريب: ان الذين رفعوا أصواقم عالية جدا: دفاعا عن (حق الاخر): التزموا الصمت المطبق تجاه هذا (الآخر): الكاره، النابذ، المقصي، المعتدي!!!

==========================

رسول الأُمِّيِّين

الكاتب: د.سلمان بن فهد العودة

يا رسولَ الله..

حبُّك في مهجتي كالدر في الصدفِ

والشذى في الروضة الأنفِ

والفرات العذب في الدِّيَمِ

ليس كالمختار في البشرِ..

فهو كل السمع والبصرِ..

واحد التاريخ والسيرِ..

وإمام الرسل والأممِ

لقد قرأت سير المصلحين، والعظماء والزعماء، وأئمة المذاهب الكبار، حتى إني قد أشعر حين أقرأ عن أحدهم أني أمام جبل وعر صعب المرتقى؛ لأنهم أخذوا أنفسهم بشيء من الجد الذي يصيب المـــرء بالعجز عن إدراكه، وصعوبة الاقتداء به، وربما استحالته، أما إمام هؤلاء جميعاً وسيدهم قاطبة محمد صلّى الله عليه وسلم؛ فتشعر وأنت تقرأ سيرته بالسهولة والقابلية للتطبيق، والقرب من النفس البشرية وطباع الناس، وهذا سر بديع من أسرار إعجاز الشخصية النبوية.

وهو صلّى الله عليه وسلم قائد الركب، وسيد ولد آدم:

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ الله مُلْتَمِسٌ

غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وهذا المعنى –والله أعلم– هو سر بشريته، وعظمته في آن.

* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}(الحاقة:٤٤-٤٧)، أمام المؤمن والمشرك، والوثنيون يحاربونه، ويشنّون عليه حملات إعلامية وكلامية، باحثين عن أيّة ثغرة ينفذون منها للطعن في مصداقية الدعوة والداعية، فلم يكن ذلك يثنيه عن التبليغ بكل شيء، ولو كان هذا الشيء معاتبة له من الله عز وجل.

وفي المدينة: يتربص يهودها ومنافقوها بهذا الدين الدوائر، ويرجعون البصر كرة وكرتين في حقيقة الرسالة:

هل يرون من فطور؟

* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}(عبس:٢)، وكان يعلِّمها أصحابه، ويؤمهم بها في الصلاة، وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم يكتبون كل كلمة وحرف، ويدوّنون كل همسة ولمسة تصدر منه صلّى الله عليه وسلم؛ فسيرته سجل مفتوح للناس كلّهم أجمعين، ومدوّنة واضحة دقيقة في كل شيء يخصه عليه أفضل الصلاة والسلام.

وبكل هذا الجلاء في سيرته دون استثناء كان أمثل خلق {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(القلم:٤)؛ وأصدق لسان{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}(النجم:٣)، وأبين حجة {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء:١٩٥)، وهو في كل ذلك (إنسان) له صفات الإنسان؛ ليكون أيسر في الاتباع، وأسهل في الاقتداء، ولكي يعلم الأتباع المؤمنون -ولو بعد عدة قرون- أن مشاعر النبي صلّى الله عليه وسلم وأحاسيسه ليست بدعاً من المشاعر، وأن ما يلحق الناس من أذى ومضايقة من المشركين وغيرهم، أو فرح وسرور ينال النبي صلّى الله عليه وسلم منه أوفر الحظ والنصيب، فغدت هذه الأيام التي يداولها الله على الناس تبييناً لمعدن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وسُمُوِّ أرومته، وطريقة تعامله مع الأحداث المختلفة والظروف العادية والاستثنائية{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}(النساء:١٦٥).

وسيد الرسل هو محمد صلّى الله عليه وسلم، الذي كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس فهل لهما من بديل أو عنهما من عوض؟

ولا شك أن النبي صلّى الله عليه وسلم أكمل صورة بشرية جاء للناس من أنفسهم فلم يترل من السماء، ولم يكن مَلكاً {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ}(الأنعام:٩)، بل كان بشراً رسولاً {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة:١٢٨)، لقد كانوا يعرفونه عليه السلام، ويعاملونه، ويصفونه بالصادق الأمين، ولم يزل صلّى الله عليه وسلم يترقّى في مدارج ومعارج الكمال حتى قُبض على أكمل ما يكون صلّى الله عليه وسلم، قُبض وهو متلبّس بالعبادة والدعوة، والتوجيه والإرشاد، والأمر والنهي، والوصية حتى في اللحظة التي انتقل فيها من هذه الدنيا-بأبي هو وأمّي عليه السلام- عملاً بقوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}(الحجر:٩٩).

* وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى}(الضحى:٦-٨).

(مرسلٌ) قد صاغه خالقه

من معاني الرسل بدءاً وختاما
قد سعى والطرق نارٌ ودمٌ
يعبر السهل ويجتاز الأكاما
نزل الأرض فأضحت جنةً
وسماءً تحمل البدر التماما
وأتى الدنيا فقيراً فأتت
نحوه الدنيا وأعطته الزماما
ورعى الأغنام بالعدل إلى
أن رعى في مرتع الحق الأناما
عربيٌ مدّن الصحرا كما
علّم الناس إلى الحشر النظاما
يا رسول الحق خلدت الهدى
وتركت الظلم والبغي حطاما

وإذا جاءت كل أمة بعظيمها ومتبوعها، وقدمت زعيمها أتيناهم بمحمد صلّى الله عليه وسلم فظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون، ذلكم أن شخصيته عظيمة بكل المقاييس، صالحةٌ لكل العصور والبيئات والمستويات والمجتمعات والحضارات، وبها تحلّ مشكلات الأمم والعالم وهو يحتسي قهوة الصباح!

فرسولنا صلّى الله عليه وسلم نفسه معجزة في شخصيته، وأخلاقه، وهديه، وعبادته، وقيادته، تضاف إلى معجزاته الأصلية المعروفة كمعجزة القرآن الكريم العظمى، ومعجزة الإسراء والمعراج، {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}(سورة الإسراء:١).

ومعجزة انشقاق القمر، {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ}(سورة القمر:١)، ولّما كان القرآن العظيم معجزة، كان صلّى الله عليه وسلم خلقه القرآن -كما وصفته عائشة (رضي الله عنها)- عند مسلم وأبي داود- فخلقه معجزة، في صبره وكفاحه، وبلائه وتجرده وإنسانيته.

فله صلّى الله عليه وسلم كل خصائص الإنسان؛ كما أن له -أيضا- كل صفات العظمة البشرية مجتمعة..

صلّى عليك الله يا علم الهدى
ما ناح طير أو ترنّم حادي

اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

صحيفة الجزيرة السعودية

=============================

رسومات شيطانية...

أول كتاب يطرح أزمة الإساءة إلى الرسول الكريم

صدر منذ مؤخرا أول كتاب عن أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم. ويحاول الكتاب الذي أصدرته دار "ميديا هب انترناشيونال" للنشر في دبي وضع أزمة الرسوم في سياقها الصحيح في ظل تشابك العلاقات وتباين المواقف على مستوى مختلف أطراف الازمة. وعلى مدى سبعة فصول يرصد المؤلفان الدكتور عبد الرحيم عبد الواحد ومصطفى محمد تفاصيل الأزمة وأبعادها المختلفة مقدمين رؤية تحليلية معمقة بشأن موقعها من العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب.

ويشير المؤلفان إلى أنهما حاولا رغم الطبيعة الشائكة التي تتسم بها الأزمة خاصة لجهة مساسها بالرسوم الكريم أن يلتزما أكبر قدر من الموضوعية في تناول الموضوع بالشكل الذي يمكنهما من تقديم رؤية متكاملة للقارئ تعينه على فهم واستيعاب ما جرى في ضوء ما يشيرا إليه من محورية الأزمة في تاريخ العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب. وهنا يؤكدان على أنهما إذا كانا حاولا تجاوز حالة الغضب التي اجتاحت الشارع العربي والإسلامي وتحولت إلى غليان أدى إلى انقلاب في الأوضاع لغير صالح الإسلام والمسلمين بحيث تحول الجاني إلى ضحية والعكس، فإنهما في الوقت ذاته يحاولان أن تجاوز حالة التفريط التي بدا عليها البعض حتى خرج من بين المسلمين من يلوم من خرجوا للتعبير عن الغضب على ما وقع من إساءة للرسول.

ويحاول الكتاب التأكيد على نقطة أساسية هي أن الإمعان في الأزمة بأبعادها المختلفة يكشف عن أن الكل شاب موقفه قدر من الخطأ.. وإن اختلف مقدار هذا الخطأ، وأنه بقدر ما كانت الإساءة بالغة لا تغتفر، فإن بعض ردود الفعل اتسمت هي الأخرى بالإساءة من زاوية ثانية. غير أنهما يحذران هنا من الانجرار وراء ما يحاوله البعض من تحويل القضية من كونها إساءة الى النبي الى كونها بحثاً في طبيعة المسلمين وردودهم الانفعالية، رغم أهمية هذه الرؤية في تعامل المسلمين مع أنفسهم، غير أنها لا تمثل القضية الأهم وإن كانت تأتي في مرتبة ثانية، حتى لا يكون تناول القضية بذلك كمن يقدم العربة على الحصان.

وتحت عنوان "الأزمة... الأسباب والمسببات" يبدأ المؤلفان في رصد البدايات الأولى لفكرة إعداد الرسوم الكاريكاتورية المسيئة في سبتمبر ٢٠٠٥ ثم تطور نشرها تحت زعم مساندة حرية الرأي والتعبير وتضامنا مع الصحيفة الدنماركية في موقفها تجاه الرافضين للنشر في العالم الاسلامي.

ويقدم الفصل الثاني قراءة في ردود الأفعال المختلفة تجاه الأزمة مشيرا الى أنها تراوحت بين التأييد والمؤازرة لموقف الصحيفة الدنماركية والتوجهات الغربية القائمة على مزاعم حماية حرية الرأي والتعبير.

ويشير الكتاب الى أن ردود الأفعال الرسمية على كافة المستويات سواء الاوروبية أم العربية والإسلامية شابها قدر من التناقض مما كان يعكس عمق الأزمة فيما حاولت الأمم المتحدة على لسان أمينها العام كوفي عنان، الإمساك بالعصا من المنتصف، حيث إنه في الوقت الذي أدان فيه نشر الرسوم إرضـــاءً للعالمين العربي والإسلامي، دافع بشدة عن المساحة المفروضة لحرية التعبير والرأي منادیـــاً بضـــرورة احترام حرية الصحافة. ثم يعرض الكتاب في إطار هذا الجزء للبدايات الاولى للاحتجاجات على نشر الرسوم.

ويتناول الكتاب بعد ذلك في الفصل الثالث التداعيات السياسية المختلفة للأزمة مشيرا الى أنه في ظل أجواء الغضب الشعبي والاحتقان والتوتر اللذين عما العالمين العربي والإسلامي، صبت بعض الصحف الأوروبية والعربية الزيت على النار، عبر اعادة نشرها لتلك الرسوم، مما زاد مـــن حـــدة الغضـــب الجماهيري والرسمي وأدى بالتالي الى تصاعد حدة التظاهرات التي صاحبتها اعمال العنف في أمـــاكن مختلفة من العالم

ويعرض الكتاب في هذا الفصل لتفاصيل تطورات حملة المقاطعة الشعبية العربية والإسلامية للمنتجات الدانماركية وأثر تلك المقاطعة على مسار أزمة الرسوم، في ضوء الإقرار بشرعيتها وتأثيرها القوي على عملية صنع القرار في الدول الغربية، وهو الامر الذي بدت إرهاصاته في التحول الجزئي في موقـــف الحكومة الدنماركية. ويعرض الكتاب في الفصل الرابع للجهود العربية الإسلامية لاحتواء الأزمة مشيرا الى المبادرات العديدة التي قامت بها هيئات وشخصيات قيادية مسلمة من شتى أنحاء لعالم للدفاع عن صورة الإسلام.

ثم يتطرق المؤلفان بعد ذلك في الفصل الخامس الى نماذج معاصرة من الإساءة للإسلام مشيرين إلى أنه إذا كانت الأزمة الحالية المتعلقة بالرسوم قد أخذت كل هذه الأبعاد المتعددة المعقـــدة والمتشـــابكة وأثارت كل هذه التداعيات بما يجعلها مرحلة فاصلة جديدة في علاقات العالم الإسلامي مع الغرب، فمما قد يكون من نافلة القول الإشارة الى أنها لا تعد الأولى في مجال الإســـاءة الى الإســـلام أو الى الرسول ، وأن الاختلاف يتمثل في طبيعة الفترة التي نحياها بما يجعل من حقيقة تحول العالم الى قريـــة صغيرة حقيقة لا مراء فيها. وهنا يشيران الى حقيقة أن الأزمة لم يكن لها أن تأخذ الأبعاد التي أخذتها لولا تكنولوجيا الإتصالات المتطورة التي أذاعت الصور عبر العالم.

ويتبنى الكتاب في معرض الحديث في هذا الجانب فرضيتي الجهل والتعمد في الإســـاءة الى الرســـول والإسلام بشكل عام. فالى جانب التفسير الذي يعتمد وجود مساع للإساءة الى الإسلام في الغرب لا يستبعد المؤلفان مبدأ الجهل وكونه يسيطر على قطاع كبير في الغرب بشأن الإسلام والمسلمين مما قد يكون سببا في بعض الأحيان في عمليات الإساءة لهم سواء كأفراد أو مجموعات، الأمر الذي يعني من ناحية أخرى سهولة تمرير الصور النمطية السلبية الى ذهن المواطن الغربي.

وضمن تحليل للأزمة في إطارها الشامل يشير الكتاب الى تشابهها مع أزمتي الروائي البريطاني سلمان رشدي على خلفية روايته آيات شيطانية والكاتبة البنغالية تسليمة نسرين وروايتها "العار" باعتبار أن

القاسم المشترك بين هذه القضايا أو الأزمات الثلاث دعوى حرية التعبير التي يرفع لواءها الغـرب في مواجهة الكثير من القضايا التي تمثل مجالا للاحتكاك مع العالم الإسلامي او العربي.

ثم يتطرق الكتاب في الفصل السادس الى القضية الرئيسية التي تعد جوهر الازمة من وجهـة نظـر المؤلفين وهي قضية حرية التعبير ، ويشيران الى أن مفهوم حرية التعبير كان الضحية الرئيسـية الـتي جرى الاعتداء السافر عليها ضمن تداعيات الأزمة ما أعاد الى الذهن نماذج أخرى من تشويه المفاهيم في السياقات الغربية، والتوظيف السياسي لها على غرار مفهوم الإرهاب ونشر الديمقراطية، وثقافـة السلام.

ورغم ذلك يشير المؤلفان الى أن الفهم الكامل لأبعاد الموقف الغربي لا يمكن أن يتم إلا مع الأخذ في الاعتبار الاختلاف الثقافي والحضاري هناك عنه في العالم الإسلامي. فلقد وصل الغرب الى مرحلـة تاريخية تجاوز خلالها المقدسات الدينية ونزع عنها كل صفات التقديس، بغض النظر عـن إنشـائه لمقدسات أخرى غير دينية على رأسها محرقة اليهود أو غيرها. وفي ظل هذه الأجواء فإن الأديـان أو الأنبياء ليس لهم نفس المكانة التي يحظون بها في العالم الإسلامي، حيث أنه لـيس لله أو الأنبيـاء أو الشعائر الدينية في ثقافة الأوروبيين والأميركيين المهابة نفسها التي يقوم عليها الأمر في ثقافة المسلم.

غير أن المؤلفين يشيران الى أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذا الحال يعني حرية الإسـاءة للأديان، الأمر الذي يعزز في النهاية فرضية أن نشر الرسوم على هذا النحو يتجاوز مقولتي الجهـل وحرية التعبير وهما قائمتان في أي الأحوال، الى جوانب أخرى تمثل في أساسها حملة ثقافية سياسـية هدفها الإساءة للعرب والمسلمين.

ويتبنى الكتاب الرأي الذي يقر بعدم وجود حرية تعبير مطلقة مهما كان ثمنها ومحتواها، وعلى ذلك يؤكد المؤلفان ضرورة أن يسود الوعي عربيا وإسلاميا بأن قسطا كبيرا من السياسات والممارسـات الغربية لا يمكن تفسيره بالحجج والذرائع المعلنة، رغم أهميتها، وأن ذلك لا ينطبق على قضية الرسوم فقط وإنما على الكثير من القضايا التي تعد مثار نزاع في السياسات الدولية والتي تأتي الدول العربيـة والإسلامية في القلب منها.

ويؤكد الكتاب في هذا الجانب ضرورة الالتزام بالحرية المنضبطة، مشيرا الى أنه على قدر ما بدا من لا مبالاة غربية بنشر الرسوم تحت دعوى حرية التعبير، كانت ردة الفعل في العالم العربي والإسـلامي تنطلق من رؤية تلتزم مجموعة من الضوابط الواجب الالتزام بها عند أي حديث عن حرية التعبير سواء انطلاقا من الإطار الإسلامي أم من الإطار الإنساني الذي تحكمه وتنظمه قواعد وقوانين دولية.

وعلى ذلك فقد تمحورت النقطة الأساسية للمعبرين عن الرؤية الإسلامية حول ضرورة التفرقة بـين حرية التعبير التي تعني أن يكون الإنسان قادرا على إبداء رأيه في المسائل التي تتباين فيها المواقف وبين الحدود التي لا يكون الأمر فيها متعلقا برأي وتكون تجاوزا لكل الأعراف الخلقية والحضارية.

ويخصص المؤلفان في هذا الفصل جزءا لتفنيد دعوى حرية التعبير مؤكدين على الإزدواجية الغربية في التعامل مع المفهوم .. فالرؤية المتأنية لمواقف الحكومات الغربية وسياساتها تكشف عـن لجوئهـا في

أحيان كثيرة الى عدم التقيد بإلزامية المبادئ والثوابت الكونية التي ترفعها عندما تتعارض مع مصالحها واختياراتها الاستراتيجية.

وضمن تفنيد دعوى حرية التعبير يقدم الكتاب جزءا في هذا الفصل للحديث عن مـزاعم المحرقـة اليهودية مشيرا الى مفارقة أنه فيما يجيز الغرب أن تكون العقائد محلا للجدل والإستهزاء تحت مثـل هذه الدعوى نجد أن هذه الحرية مصادرة بشأن قضية محرقة اليهود وتزداد الدهشة في ضوء معرفة أن قوانين صدرت تحرم التشكيك في الرواية التاريخية بشأن المحرقة بما جعل منها قضية مقدسة لا تقبـل الجدال. كما يتطرق الكتاب إلى قضية طالبان مع تماثيل بوذا في أفغانستان مشيرا إلى أنها تعد نموذجـا آخر على الازدواجية الغربية في المواقف بشأن الرموز الدينية وكذلك بشأن وجود موقف مسبق تجاه قضايا الإسلام.

وفي فصل ختامي وتحت عنوان حصاد الأزمة ومستقبل العلاقات مع الغرب يشير المؤلفان إلى أنها تعبر عن أزمة أشمل وأعمق هي أزمة ثقة تحكم إطار العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب وهي أزمـة، حسبما يشير المؤلفان، تضرب بعمقها في التاريخ إلى الحد الذي يعود بها البعض إلى ظهور الإسلام . وجوهر الأزمة حسبما يقرر الكتاب إنما يكمن في عدم التفهم الصحيح من قبل الغرب للمسـلمين والإسلام والحكم عليهم من خلال أحكام نمطية مسبقة لم يجر تمحيصها بدقة. فلقد تعاظمت الصور النمطية التي تشكلت في العقلية الغربية في العقد الأخير حتى أصبح مجرد ذكر كلمة مسلم يسـتدعي الإرهاب والتخلف ورفض الآخر!

ويرجع المؤلفان أسباب تصاعد الأزمة في العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب إلى الأزمات المحورية التي كان لها ومازال تأثيرها السلبي على هذه العلاقات ومن بين هذه الأزمات أحداث سبتمبر ومـا تركته من صور ذهنية سلبية في الوعيين الغربي والإسلامي، وعلى ذلك ففي ظل أجواء معبأة بحالـة التحفز في الغرب وحالة الشعور بالاستهداف في العالم الإسلامي جاءت الرسوم لـتعكس الأجـواء السلبية الحونة بالتوتر وبرائحة العنصرية التي سادت لدى بعض الأوساط في أوروبا وأميركـا والـتي اتخذت إجراءات قانونية وغير قانونية استهدف بعضها مباشرة الجاليات العربية والإسـلامية حيـث شكلت مرتعا خصبا لنزعات الكراهية والعداء للآخر وعدم التسامح والتي تعاظمت إثر تفجيرات ١١ سبتمبر.

وقد انعكس تصاعد هذا القلق وانعكس في انتشار مفهوم "الإسلاموفوبيا" والذي يمثل أبلغ دلالة على الموقف العام في الغرب تجاه العرب والمسلمين حيث يعكس بشكل عام انتشار نزعة العداء للمسلمين.

وعلى نفس المنوال يشير المؤلفان إلى أنه إذا كانت أحداث سبتمبر أحيت نظرية صدام الحضارات التي طرحها صموئيل هنتنجتون في إطار البحث عن الإجابة السهلة بشأن كراهية المسلمين للغرب فـإن قضية الرسوم أعادت إلى الحياة مرة أخرى نفس النظرية التي رأى البعض أنها يمكن أن تفسر ما يحدث من أفعال وردود أفعال من قبل طرفي الأزمة خاصة في ضوء نظرة البعض لها أنها تعبر عن نوع مـن الصراع يشبه أو يمثل تكراراً لتاريخ الحرب الباردة.. وعلى ذلك فقد ساد توجه عام يعبر عن قدر من

الحقيقة يشير إلى أن الأحداث تعد مرحلة جديدة في المعركة التاريخية بين الإسلام والغرب رغم الانتقاد الذي يلقاه هذا التفسير من تصويره لوجود معركة مستمرة يتم توصيف أي حدث انطلاقا منها.

في محاولة لتحديد حصاد الأزمة يشير الكتاب إلى أنها كشفت عن استمرار الصورة الذهنية النمطية عن الإسلام والمسلمين في العقلية الغربية، بل وأضافت إليها ما يراكم من صعوبة تغييرها، بمعنى أن بعض فصول الأحداث عزز هذه الصورة النمطية بسبب بعض الانحرافات التي آلت إليها الاحتجاجات في بعض البلدان الإسلامية، وهو ما يعني ضرورة تجاوز ردود أفعال المسلمين إزاء استهدافهم واستهداف دينهم وحضارتهم الإطار الذي يتسم بالعشوائية على النحو الذي اتصفت به مواقفهم في الأزمة الأخيرة، وهو ما يعني ضرورة الابتعاد عن الأساليب السطحية التي استخدمت في السابق وأدت إلى تأثيرات سلبية.

وهنا يدعو الكتاب إلى ضرورة أن تكون الأزمة فرصة للاهتمام بالعلاقات الثقافية بين الأمم والبحث عن الوسيلة التي تجنب تكرار مثل هذه الجريمة من خلال سن قانون دولي يمنع المس بالأديان على غرار إقدام العالم الغربي على سن قانون معاداة السامية.

وفي ظل توقع أن تحدث إساءات جديدة سواء بشأن الإسلام والمسلمين أو الدين عموما في ظل ثقافة معولمة تنحو الى توجهات أكثر علمانية فإن المؤلفين يطرحان سؤالا جوهريا حول :كيف يمكن أن يتعامل المسلم مع مثل هذا الأمر؟ فهل يجب ترك الإساءة تمر دون الوقوف عندها وحتى لا يساهم رفضها في شهرة من تصدر عنه، أم أنه يجب الوقوف أمام كل إساءة ومحاولة رد صاحبها عن فعلته؟ يؤكد المؤلفان على أهمية البحث عن إجابة واضحة لهذا السؤال لا تعتمد التفريط أو التشدد وإنما تقوم على التأني والاستفادة من دروس أزمة الرسوم. ويضيف المؤلفان أنه إذا تم إقرار رؤية البعض والتي تقوم على أسس منطقية مفادها صعوبة التغاضي عن الإساءة إلى الدين.. فإن السؤال يتحول ليصبح: كيف يمكن لنا أن نعبر عن احتجاجنا بطريقة حضارية تليق بديننا وقيمنا؟ وتعبر عنه أفضل التعبير؟ هنا يشير المؤلفان إلى تجارب الرفض الشعبي للغزو الأميركي البريطاني للعراق والذي تم من قبل شعوب هذه الدول بشكل لم يسئ إلى الجماهير التي خرجت تندد بعملية الغزو وهو ما يتطلب حسبما يشيران نوع من المراجعة النقدية الذاتية وأن تكون الأزمة فرصة لإعادة النظر في موقفنا وفي علاقتنا مع الآخر وبشكل خاص الغرب.

وأما على صعيد مسؤولية الغرب ذاته يشير الكتاب إلى أنه إذا أراد علاقات صحية وسليمة مع العالم الإسلامي فإن عليه أن يعي أن تجاهل مشاعر الآخرين ذوي الخلفيات العرقية والثقافية المختلفة لم يعد ممكنا كما كان سابقا وذلك لعدة أسباب أهمها أن نسبة الأقليات التي تعيش اليوم في الغرب كبيرة ولكي يحافظ على أمنه المحلي وتجانسه فهو ملزم بإيجاد الوسائل الأفضل لإدماج هذه الأقليات واحترام ثقافاتها وخلفياتها وقيمها التي تؤمن بها.

المؤلف في سطور:

مؤلف الكتاب فهو الدكتور عبد الرحيم عبد الواحد، فلسطيني من مواليد غزة عام ١٩٥٣ حاصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٨٧ودكتوراه في الصحافة عام ١٩٩٨، ويمارس العمل الصحافي منذ عام ١٩٨١ في دولة الامارات العربية المتحدة، وله العديد من المؤلفات أبرزها: البحث عن فلسطين، نقاط فوق الحروف، أمريكا مرت من هنا، دبي مدينة الأحلام، الإمارات تحفة المعمار. كما عضو في جمعية الصحافيين في الإمارات، عضو نقابة الصحافيين العرب والفلسطينيين وأخيرا عضو الجمعية الكندية للصحافيين.

===========================

سب النبي صلى الله عليه وسلم فرصة لمريدي الخير

الكاتب: محمد جلال القصاص

سبِّ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس حدثا عابرا قامت به صحيفة سيئة الأخلاق نفثت به عن حقدها في عدد من أعدادها ، وليس هو همٌّ حفنه من أراذل الكفار مُلئت قلوبهم غيظا وحنقا على شخص الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقاموا يمثلون وينكتون ويسخرون .بل لو كان الأمر كذلك لكان مما يسعه الصدر ــ على عظمه ــ إذ أن مجاراة السفهاء أمر يترفع عنه العقلاء . . .ولكن .. الأمر أعمق من هذا كله .

هذه الأمور ليست إلا كما يقول الله عز وجل : (. . . قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران : من الآية ١١٨) . وهاأنذا أنادي العقلاء . فهل يسمعون ؟ . . . وهل يجيبون ؟ . . . وليت أولى العزم من العقلاء مَن يلبون ؟

من قبل كان النصارى في حملاتهم (التبشيرية) يتكلمون عن النصرانية ... يبترون ويكذبون ويبدون قليلا ويخفون كثيرا كي يُظهروا دينهم المحرف في صورة يتقبلها الآخر . واتخذوا مما يسمى بحوار الأديان ... هذا الحوار الذي يجرى مع علماء الدين الرسميين وسيلة ليقولوا لمن يخاطبونهم من ضعاف المسلمين في أدغال أفريقيا وجنوب شرق أسيا أن الإسلام يعترف بنا ولا يتنكر لنا فكله خير ــ بزعمهم ــ .

وكانت حملتهم على الإسلام حملة على شعائره ... يتكلمون عن التعدد وعن الطلاق وعن الحدود وعن الجهاد وعن الميراث وعن ناسخ القرآن ومنسوخة ، ثم في الفترة الأخيرة وخاصة بعد انتشار الفضائيات ودخولها كل البيوت تقريبا ، وكذا بعد ظهور تقنية الإنترنت عموما والبالتوك خصوصا ، أخذ القوم منحى آخر وهو التركيز على شخص الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ .قاموا ينقضون الإسلام بتشويه سورة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

ودعك من كلام الأراذل ، هناك طرحٌ يُلْبِسُه دعاة الكفر ثوب العلمية ويدَّعون أنه الحقيقة التي لا مراء فيها يخاطبون بهذا الهراء قومهم ومن يتوجهون إليهم بالتنصير ... هذا توجه عام داخل حملات

التنصير اليوم . والأمر بيِّن لمن له أدنى متابعة لما يتكلم به القوم . وما حدث في الصحيفة الأوربية هو طفح لما يُخاطب به القوم في الكنائس وغرف البالتوك عن نبي الإسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

فهم يحاضرون ويؤلفون عن (أخلاق نبي الإسلام) ، يتكلمون عن زواجه بتسع من النساء ــ وقد اجتمع عند سليمان عليه السلام تسعمائة من النساء وهذا في كتابهم ــ ، وعن زواجه من عائشة ومن زينب ومن صفية ــ رضي الله عنهن ، وعن غزواته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؛ وبطريقة البتر للنصوص واعتماد الضعيف والشاذ والمنكر من الحديث يخرجون بكلامهم الذي يشوهون به صورة الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ . ولكنه في الأخير يبدو للمستمع أن هذا كلام (بن كثير) و (الطبري) و(بن سعد) علماء الإسلام . فيظن المخاطبون أنها الحقيقة التي يخفيها (علماء) الإسلام . دعاة النصرانية يغرفون من وعاء الشيعة الكدر النجس حين يتكلمون عن أمهات المؤمنين وعن صحابة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بل وفي كلامهم عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحيانا ، ويغرفون من وعاء (القرآنيون) الذين يتركون السنة تشكيكا في ثبوتها أو في عصمة الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم .

والمطلوب هو قراءة جيدة لما يحدث ، والتصدي له على أرض الواقع . لا نريد ثورة كلامية ، وغضبة لا يفهم منها (الآخر) إلا أنها نفرة المتعصب ، نريد قطع الطريق على هؤلاء وإحباط كيدهم ، وإنقاذ الناس من الكفر بربهم .

مطلوب خطاب أكاديمي يجفف منابع المنصرين ، أعني ما يقوله القرآنيون والشيعة . وما يفتريه النصارى بالبتر للنص واعتماد المكذوب والشاذ والضعيف من الحديث .ومعنيٌّ بهذا طلبة درجات التخصص العليا في الكليات الشرعية . وإن أخذ الأمر وقتا ولكنه سيثمر بإذن الله يوما ما .

ومطلوب خطاب لعامة الناس يبين لهم كيف كان نبيهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعيدا كل البعد عما يقولوه النصارى ، وأن ما يقال محض كذب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ــ كان كل الكمال وجملة الجمال ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت * * * مثل النبي رسول الأمة الهادي .

وأيضا لا ينفك عن هذا أبدا بيان عقيدة النصارى ... ما يعتقدونه في ربهم وما يعتقدونه في أنبيائهم وما يعتقدونه في أحبارهم ورهبانهم ...من يعبد النصارى؟ . وهل النصرانية دين يتبع ؟!!

لم نسكت عنهم وهم يرموننا بكل ما في جعبتهم ؟!

أسياسة ؟ . . . أم جبن وخور ؟ . . . أم غفلة ؟!

إن مما ابتلي به مسلمو اليوم هو التآلف مع النوازل بعد قليل من نزولها ، فقط نثور قليلا ثم نسكت ولا نتكلم وكأن شيئا لم يحدث ، وهذا الأمر فهمه عدونا ، فلم يعد يبالي بجعجعتنا التي تتجاوز الكلام ، وهو يستفيد من هذا الكلام . فليتنا نكون على قدر المسئولية ونبدأ في تصعيد مستمر وتبصير للناس ، بحقيقة من يتكلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة دينهم ، وحقيقة ديننا ونبينا صلى الله عليه وسلم .

فهل من مجيب ؟!

فديتك نفسي يا رسول الله . . . فديتك نفسي يا رسول الله . . فديتك نفسي يا رسول الله .

mgalkassas@hotmail.com

================================

سلاح المقاطعة وأثره في نصرة المسلمين

تاريخ الإجابة ٠٥/٠٢/٢٠٠٦

موضوع الفتوى السياسة الشرعية

نص السؤال ما حكم مقاطعة البضائع والسلع الأمريكية والإسرائيلية وبخاصة في هذا الوقت الذي بلغ اعتداؤهم وتطاولهم على المسلمين ومقدساتهم مداه في كل مكان؟

اسم المفتي الدكتور الشيخ يوسف عبد الله القرضاوي

نص الإجابة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فسلاح المقاطعة من أنجح الأسلحة وأشدها فتكا بالأعداء في هذا الوقت، وهـذا واجـب الأفـراد والهيئات والحكومات سواء بسواء ، كل يقوم بواجبه وبقدر ما يستطيع وعلينا أن نركز على البضائع الصهيونيةالصنع أو الأمريكية الخالصة التي لا يدخل في شراكتها أحد من المسلمين ولا يترتب عليها ضرر أكبر للمسلمين وعلى المشاركين لليهود والأمريكان أن يقاطعوهم أيضا ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل الواجب علينا مقاطعتهم ثقافيا وتربويا واجتماعيا ونعود لهويتنا الإسلامية وتقاليدنا الأصـلية حتى نتخلص من قيد هذا الاحتلال.

يقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

فمما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممن يغزوها ويحتلها مـن أعداء الإسلام واجب محتم وفريضة مقدسة، على أهل البلاد المغزوة أولاً، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم، حتى يشمل المسلمين كافة.

فكيف إذا كانت هذه الأرض الإسلامية المغزوة هي القبلة الأولى للمسلمين. وأرض الإسراء والمعراج، وبلد المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؟ وكيف إذا كان غزاتها هم أشد الناس عـداوة للـذين آمنوا؟ وكيف إذا كانت تساندها أقوى دول الأرض اليوم، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، كمـا يساندها اليهود في أنحاء العالم؟

إن الجهاد اليوم لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدسة، وشردوا أهلها من ديارهم، وسفكوا الـدماء، وانتهكوا الحرمات، ودمروا البيوت، وأحرقوا المزارع، وعاثوا في الأرض فسادا.. هذا الجهـاد هـو فريضة الفرائض، وأول الواجبات على الأمة المسلمة في المشرق والمغرب. فالمسلمون يسعى بذمتـهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهم أمة واحدة، جمعتهم وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة

القبلة، ووحدة الآلام والآمال كما قال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة) (إنما المؤمنون إخوة) وفي الحديث الشريف: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله".

وهانحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا في القدس الشريف، وفي أرض فلسطين المباركة، يبذلون الـدماء بسخاء، ويقدمون الأرواح بأنفس طيبة، ولا يبالون بما أصابهم في سبيل الله، فعلينا ـ نحن المسـلمين في كل مكان ـ أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصـر) (وتعاونوا على البر والتقوى).

لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، ثم خرج معتمرًا، فلما قدم مكة، قالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكني اتبعت خير الدين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يـأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبـوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلـت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلي بينـهم وبـين الحمل .

والبضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية في حرمة شرائها والترويج لها. فأمريكا اليوم هي إسرائيل الثانية. ولولا التأييد المطلق، والانحياز الكامل للكيان الصهيوني الغاصب ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكـي، والفيتو الأمريكي.

وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين، و لم تر أيَّ أثر لموقفها هذا، ولا أي عقوبة مـن العـالم الإسلامي.

وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكا. ولبضائعها التي غزت أسواقنا، حتى أصـبحنا نأكل ونشرب ونلبس ونركب مما تصنع أمريكا.

إن الأمة الإسلامية التي تبلغ اليوم مليارًا وثلث المليار من المسلمين في أنحاء العالم يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركائها بمقاطعتها. وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم.

فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين، فقد ارتكب حرامًا، واقترف إثمًا مبينًا، وباء بالوزر عند الله، والخزي عند الناس.

إن المقاطعة سلاح فعال من أسلحة الحرب قديمًا وحديثًا، وقد استخدمه المشركون في محاربة الـنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فآذاهم إيذاءً بليغًا.. وهو سلاح في أيـدي الشـعوب والجمـاهير وحدها، لا تستطيع الحكومات أن تفرض على الناس أن يشتروا بضاعة من مصدر معين.

فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا، حتى يشعروا بأننا أحياء، وأن هذه الأمة لم تمـت، ولن تموت بإذن الله.

على أن في المقاطعة معاني أخرى غير المعنى الاقتصادي: أنها تربية للأمة من جديد على التحرر مـن العبودية لأدوات الآخرين الذين علموها الإدمان لأشياء لا تنفعها، بل كثيرا ما تضرها.... وهـي

إعلان عن أخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدمون الضحايا كـــل يـــوم، بالإسهام في إرباح أعدائهم. وهي لون من المقاومة السلبية، يضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية، التي يقوم بها الإخوة في أرض النبوات، أرض الرباط والجهاد.

وإذا كان كل يهودي يعتبر نفسه مجندًا لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه. فإن كل مسلم في أنحـــاء الأرض مجند لتحرير الأقصى، ومساعدة أهله بكل ما يمكنه من نفس ومال. وأدناه مقاطعة بضـــائع الأعداء. وقد قال تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفســـاد كبير).

وإذا كان شراء المستهلك للبضائع اليهودية والأمريكية حرامًا وإثمًا، فإن شراء التجار لها ليربحوا مـــن ورائها، وأخذهم توكيلات شركائهم أشد حرمة وأعظم إثمًا، وإن تخفت تحت أسماء يعلمـــون أنها مزورة، وأنها إسرائيلية الصنع يقينًا.

(فلا تهنوا وتدعو إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم).

================================

سلاح حضاري لنصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

مبارك بن عبيد الحربي / إمام وخطيب جامع عمر بن الخطاب بالخرج

ملايين من البشر يغضبون، وأمثالهم يستنكرون، وقريب منهم يتظـــاهرون في مســـيرات حاشـــدة، وتجمعات غاضبة لسان حالهم (إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم).

إنها الغضبة الإسلامية الحميدة للدفاع عن سيد البشرية صلى الله عليه وسلم. إنها الهبة الإيمانية العظيمة للذب عن صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم فحق لهذه الملايين من المسلمين أن تغضب وحق لأمـــة المليار وربع المليار أن تستنكر وتشجب بل حق لها أن تقول بصوت مسموع، وأن تنكر بلغة واضحة وأن تندد بحق هذه الإساءات بفعل شرعي يمتد أثره ليعرف أولئك الدنماركيون حجم فعلهم، وشناعة صنيعهم، وقبح تصرفهم، وهنيئاً لكل من غضب لحبيبه صلى الله عليه وسلم وانتصر لرســـوله عليـــه الصلاة والسلام، وهنيئاً لمن كان له دور ومشاركة وإسهام ومؤازرة للدفاع عن صفوة الخلق محمـــد صلى الله عليه وسلم علناً أن نكون بهذه الهبة، وتلك النصرة أيها الإخوة من إخوانه صلى الله عليـــه وسلم الذين ود رؤيتهم صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكـــم لاحقـــون، وددت أنا رأينا إخواننا. قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتـــك يـــا رسول الله؟ فقال: رأيت لو أن رجلاً له خيل غير محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنه يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فـــرطهم علـــى الحـــوض.. الحديث).

إن الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب متحتم على كل من يؤمن بالله وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

إذ كيف يتأخر المسلم عن نصرة حبيبه صلى الله عليه وسلم وكيف يتردد المؤمن عن الذب عن الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، مثل هذا لا يتصور من مسلم ولا يظن بمؤمن إذ إن القلوب المؤمنة مجبولة على محبته صلى الله عليه وسلم والأنفس المسلمة تواقة لنصرته عليه الصلاة والسلام.

والقلوب المحبة له مشتاقة لبيان شوقها وحبها واقعاً ملموساً مشاهداً.

وإننا إزاء هذه الأحداث وأمام تلك الإساءات ومع فرحنا بتلك المواقف الإسلامية الرائعة الرسمية والشعبية، ومع ابتهاجنا بتلك الهبة الإيمانية للأمة المحمدية تجاه تلك الإساءات، إلا أنه يجدر بنا أن نقف وقفات سريعة ومهمة مع هذه القضية.

الوقفة الأولى:

ثمرة اتحاد موقف الأمة الرسمي والشعبي تجاه هذه الإساءات وأثر هذا الاتحاد في الموقف ليس على الدولة المسيئة (الدنمارك) بل على الدول الغربية جميعاً، ولعل ردود الأفعال الغربية الرسمية تؤكد مدى ما نتج عن هذا الموقف الإسلامي الموحد، من آثار لعل من أهمها إحساس المجتمع الغربي بثقل هذه الأمة، وأهمية احترامها واحترام معتقداتها ومقدساتها، وهذا ما نادى به بعض زعمائهم وساستهم الذين يدركون أبعاد هذا الموقف. فليت الأمة الإسلامية تدرك أن قوتها في وحدتها، وأن تأثيرها في اجتماع كلمتها، وأن سماع صوتها مرهون بمدى تضامنها دائماً واتحاد هدفها وأن هذه الأمة المسلمة ليست صفراً يسار الرقم بل هي رقم صحيح سليم تستطيع من خلاله أن تفعل شيئاً بل أشياء عديدة كبيرة، وأن يكون فعلها مؤثراً وفاعلاً متى ما وجدت الإرادة الصادقة، والتخطيط السليم، والتفكير المتعقل، والعمل المدروس، والتعاون والتكاتف ، بعيداً عن الاجتهادات الفردية، والتحركات الارتجالية، والتشنيج والانفعال الذي ربما قاد إلى عكس ما سعينا له وطلبناه، ومتى استمر هذا الموقف المسلم المتضامن والمتحد فستكشف الأيام للدنماركيين وللغرب أجمع من هم المسلمون؟!

والأمل بالله عز وجل كبير في هذه الأمة المسلمة أن تكون هذه الإساءات التي حصلت قائدة إلى قيام العمل الإسلامي المؤسسي الموحد في أشكال مختلفة للتصدي لمثل هذه القضايا بدلاً من أن تستمر ردود أفعالنا فردية أو وقتية، وقد عودتنا الأحداث، أن هذه الأمة هي أقوى الأمم في رد الفعل الفردي ولكنا مازلنا الأقل في رد الفعل المؤسساتي، ولا شك أن الرد الفردي وإن كانت له محاسن فله من السلبيات والعيوب الشيء الكثير يكفي من أهمها سرعة التلاشي لردة الفعل، أو ردة الفعل غير المسؤولة، أما ردود الأفعال المؤسسية فهي في غالبها ردود أفعال منضبطة ومتزنة، وذات أبعاد مدروسة ومسؤولة، وهي أيضاً في ذات الوقت مدخل للعمل مع مؤسسات عالمية يمكن من خلالها أن نطرح آراءنا ومطالبنا، وأن نحقق أهدافنا السامية النبيلة.

ولعل المنظمات السياسية وعلى رأسها الأمم المتحدة، التي فيها كثير من الأنظمة والقوانين التي يمكن توظيفها للعمل على وقف أي تشويه أو إساءة للأديان والمعتقدات ولعل منها ذلك القرار الذي يدعو إلى مناهضة تشويه الأديان في العالم.

وتفعيل مثل هذا القرار وغيره من القرارات، أو السعي المؤسسي مع مثل هذه الهيئـــات لاستصـــدار قرارات مشابهة، يجعلنا في منأى إلى حد ما عن كل شائنة يقذف بها ديننا ونبينا وقيمنا بـــين الفينـــة والأخرى.

ولعله لا يفوتني أن أذكر في هذا المقام أهمية أن تستفيد الحكومات والمؤسسات الإسلامية من هذه الهبة الشعبية الغاضبة لتكون وسيلة من وسائل الضغط على المؤسسات والحكومات الغربية لتحقيق مزيـــد من الحقوق للمسلمين وألا تمر ثورة الشعوب الإسلامية على الحكومات والمؤسسات الإسلامية مرور الكرام.

بل تستثمر هذه الأزمة لاستصدار القرارات والأنظمة والمواثيق التي تحمي من الاعتداءات على الأديان والمقدسات وتستثمر كذلك ببرامج عملية مؤسسية تُعرف الغرب بالإسلام ونـــبي الإســـلام وآداب الإسلام.

الوقفة الثانية:

العاطفة أمر في غاية الأهمية، وهي الروح التي تسري في الأجساد، والدماء التي تسيل في العروق، وهي المحرك لكثير من الأعمال والأفعال، ولكن المهم أن تكون العاطفة التي قادتنا لنصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم عاطفة متزنة حكيمة غير متهورة، راشدة لا طائشة، تحسب لأعماله وتخطط لأهـــدافها، ولذا كان من الأهمية بمكان توجيه هذه العواطف التوجيه الأمثل، وإرشادها نحو العمـــل الصـــحيح وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن كل ردة فعل غير مسؤولة، وأن تكون غيرتنا لرسولنا صلى الله عليه وسلم منضبطة بضابط الشرع، ملتزمة النهج المحمدي، والهدي النبوي، سائرة في ركاب العلمـــاء، آخـــذة بتوجيهات الحكماء والصلحاء، مما يعكس سمو هذا الدين، وسمو هذه الرسالة، ورقي اتباع هذا النبي العظيم صلوات ربي وسلامه عليه الذي أوذي عليه الصلاة والسلام كثيراً من أعدائه اليهود والمشركين والمنافقين، فكانت ردود أفعاله صلى الله عليه وسلم سبباً في إسلام كثير منهم، لذا فمـــن الأجـــدر بأتباعه عليه الصلاة والسلام وهم يواجهون هذه المحنة أن تكون ردود أفعالهم ردوداً تتفق مع النـــهج المحمدي، الذي يمثل الطابع الحضاري في التعامل مع مثل هذه الأحداث فلا إحراق الســـفارات، ولا الاعتداءات على الأشخاص، ولا تخريب الممتلكات من الهدي المحمدي في شيء، بل إن هذه الأعمال تسيء إلى قيمنا الإسلامية، وتبعثر جهودنا وتعكس صوراً غير حميدة عن المسلمين لدى المجتمع الغربي والشرقي على حد سواء الذين بدأوا ينظرون للمسلمين ويتساءلون ما سر هذه الغضبة؟! ومن هـــذا الرجل الذي غضب لأجله المسلمون؟! وماذا يمثل لدى المسلمين؟! إلى غير ذلك مـــن التســـاؤلات المراقبة لمجريات الأحداث، وردود الأفعال، فيجب أن تكون عواطفنا لنصرة نبينا صلى الله عليه وسلم

سبباً من أسباب نشر شريعته، وبث مبادئه والتعريف بما نحن عليه من قيم وآداب، تجعــل المراقــب والمتأمل بعقل وعدل وإنصاف ينقاد إلى هذا الدين والإيمان بهذا الرسول العظيم بكل سلاسة ويسر.

الوقفة الثالثة:

الحرية لها إطار معين ونظام تدور في فلكه، حتى يتم حفظ الأمن بجميع أنواعه، وحتى لا تستغل حرية الرأي في الاعتداء على حقوق الآخرين، فتعم الفوضى، وينعدم النظام، وتضيع القيم والأمم، وديننــا الإسلامي هو من كفل حرية الرأي وأياً كان الحق في ممارستها، فلا بد أن تكون هناك خطوط حمراء، ونقاط تستوجب الوقوف والتروي وإمعان النظر قبل اجتيازها وإلا ساد العالم شيء مــن الفوضــى العارمة، ونكون ابتعدنا عن المجتمع الإنساني المتحضر، وانتقلنا إلى عالم الغاب وعالم العداء والبربرية؛ لذا كان من المهم معرفة معنى حرية الرأي ومعرفة آلية ممارسة هذه الحرية، وحدود ممارســتها، وإلا صارت الحرية تعدياً على الغير وانتهاكاً لحقوقه الدينية والاجتماعية، والثقافية والفكريــة والأدبيــة والنفسية.

فأي حرية رأي تلك التي يتحدث عنها الغربيون اليوم.

أهي حرية الصفاقة والتطاول على المعتقدات الدينية والتجرؤ على الأنبياء والرسل؟!

أم هي حرية السب والشتائم؟!.

أم هي حرية التهكم والازدراء؟!.

أي حرية تلك التي تخترق أقدس المقدسات وأعز ما ينطوي عليه الوجدان، وهو الإيمان بالله وبرسوله وإذا لم يكن في هذه الدساتير الغربية العرجاء الشوهاء، ما يحفظ للمسلم حريته في المعتقد وممارســة شعائره وعباداته، فما هي إذاً حدود هذه الحرية ومعالمها وهويتها؟!

أين هي حرية الرأي لديهم يوم أن أرغم القائمون على المنتدى الاقتصادي العالمي (دافوس) لتقــديم اعتذارهم الشديد لمجرد أن مجلة المنتدى نشرت مقالاً طالب فيه كاتبه بمقاطعة إسرائيل إلى أن تنتــهي من إساءة معاملة الفلسطينيين؟! فأين هي حرية النشر وحرية الرأي في ثقافتهم؟!

أين هي حرية الرأي لديهم، يوم كانت الصحافة الغربية تتحدث عن قضية تاريخية ليســت مقدســة وهي محرقة (الهولوكست اليهودية) فصدر قرار رسمي بمنع الحديث عنها احتراماً لمشاعر بضعة ملايين من اليهود فلم تعد تجرؤ صحيفة أو صحفي للحديث عنها؟!

أم أن هذه الحرية لا تأخذ مداها الواسع إلا في شتم نبي الإسلام وأمة الإسلام ثم لا يعتقــدون أنهــا توجب الاعتذار إلى ألف مليون مسلم، بينما يتم الاعتذار لمشاعر ١٠ ملايين يهودي؟! لتأذيهم مــن إنكار المحرقة؟!

إن هذا يظهر بجلاء ويبيّن بوضوح ازدواجية المعايير لديهم، وتناقض المبادئ عندهم، والمهم في الأمر أن لا ننخدع بالعبارات ولا ننجرف وراء التصريحات. وأن نعلم أن ما أحدثتــه هــذه الصــحيفة الدنماركية وغيرها من الصحف الغربية من حملة تشويه متعمد لشخص رسولنا الكريم صــلوات ربي وسلامه عليه،

إنما هو في حقيقته فجور إعلامي منسلخ من ضوابط الحرية الإعلامية فهي تطاول على المعتقدات، وتطاول على مقدس ديني من أعظم المقدسات الدينية، وهو في ذات الوقت تصعيد للتوتر العرقي وتعزيز لمبادئ الفرقة والكراهية، وتنمية للصراع العنصري، ولو أن مثل هذا خرج من صحيفة مسلمة أو رئيس دولة مسلمة ضد أمر غربي لطالب العالم الغربي بمساءلة ومحاكمة تلك الصحيفة بل ربما طولب بمساءلة الحكومة والدولة، ولعل تصريحات الرئيس الإيراني (أحمدي نجاد) تجاه إسرائيل خير شاهد على هذا التلون في المجتمع الغربي تجاه حرية الرأي مما يؤكد لنا أن هذا المصطلح شماعة يرفعونها لامتصاص حماس البسطاء من المسلمين والسذج من أهل الإسلام الذين يقولون إنكم لا تفهمون حرية الرأي لدى الغرب؟! فيا ليت هؤلاء يتطوعون ليتحدثوا عن محرقة الهولوكست اليهودية لنرى هل ستنشر مقالاتهم في الصحف الغربية أم ماذا سيقال لهم؟!

الوقفة الرابعة:

علينا أن ندرك أن للإعلام دوره، وتأثيره وبخاصة في عالمنا اليوم، لذا كان من الأهمية بمكان أن يُعنى المسلمون بالإعلام ووسائله المعاصرة المقروءة والمسموعة والمرئية، وأن ندرك مدى تأثير هذه الوسائل في الرأي العام العالمي، ومدى تأثيرها في إيصال رسالتنا للعالم، فحري بأبناء الأمة المسلمة الاهتمام بهذه الوسائل والعناية بها لتكون هي الناقل لصوتنا، المعبر لرأينا، الناشر لفكرنا وقيمنا الإسلامية الأصيلة، وكم هو مؤلم أن تكون هذه الحادثة الأليمة ثم تمر دون أن يجيرها الإعلام الإسلامي لبيان ما هية الإسلام، وشخصية رسول الإسلام وآداب الإسلام وأخلاق أهله وحملته، مؤلم حقاً أن تجد ثقافة الغرب التي تتدعي التحضر والرقي وسائل إعلام تقدمها للعالم بصورة جميلة، تغطي القبيح من أخلاقهم وتسكت عن التلون في مبادئهم والانتقائية في توجهاتهم ثم لا يجد هذا الدين العظيم، وهذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، إعلاماً يقدم للعالم سمو رسالته وعلو مقاصده ونبل أهدافه وأنه النبي الخاتم الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.

بينما يعج الإعلام بثقافة أولئك الغربيين، المنسلة من عصور الغابات، وقطيع الأبقار، وفلسفات المجانين، وتنظير الملحدين.

فهل ندرك أبعاد الإعلام، وهل يدرك أبناء الأمة المسلمة الأثرياء دور الإعلام في نصرة دين الإسلام ونبي الإسلام.

هل يستيقظ إعلاميو العالم العربي والإسلامي من سباتهم العميق، وتوجههم المغرق في التقليد والتبعية، وينفضوا عنهم غبار المادة ويتركوا اللهث وراء الفسق والمجون والفن الرخيص.

ليقوموا بواجبهم تجاه نصرة حبيبهم صلى الله عليه وسلم، عار والله أن تكون هناك قنوات فضائية عربية وإسلامية رسمية وتجارية، ثم لا نشاهد فيها إلا الساقط والمنحل، والرخيص والمسف إلا ما رحم ربك منها وكأن الأمر لا يعنيهم، والمصيبة لا تطرق مسامعهم، والقضية لا تمثل لهم شيئاً، عار على تلك القنوات الفضائية أن ينتسب ملاكها وأهل القرار فيها إلى أمة هذا النبي الكريم العظيم صلى الله عليه وسلم ثم لا يقدمون شيئاً لنصرته صلى الله عليه وسلم.

الوقفة الخامسة:

كم هو مفرح للقلوب تلك المواقف الإسلامية التي قامت لنصرة حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وكم هو مبهج للنفس تلك المواقف الإيمانية العظيمة التي انطلقت دفاعاً عن نبي الرحمة والملحمة صلوات ربي وسلامه عليه.

فرأينا المقالات الصحفية، ورأينا القصائد الشعرية، ورأينا الخطب المنبرية والمواقف الرسمية لبعض الدول العربية والإسلامية، والمواقف الشعبية للأمة الإسلامية ولعل المقاطعة الاقتصادية للبضائع (الدنماركية) كانت هي الشاهد الأكبر لهذه النصرة، ولا شك ولا ريب أن سلاح المقاطعة ذلك السلاح الحضاري هو سلاح مضاء ذو فاعلية عظيمة تجعل (الدنمارك) التي تعتز بثروتها الحيوانية البقرية رقماً خاسراً، ولا شك أيضاً أن هذه المقاطعة – بإذن الله – ستجعل حكومة (الدنمارك) تتذكر بألم كيف لم تستطع حماية مصالحها الاقتصادية، يوم أن سمحت لتوجه عنصري أن يسيء لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم غير آبهة بمشاعر المسلمين.

إن هذه المقاطعة الاقتصادية ستجعل (الدنمارك) في حصار ضيق مهلك وستؤثر هذه المقاطعة على الحياة العامة عندهم، وستكون هذه المقاطعة بإذن الله إذا استمرت درساً لا يُنسى ليس للدنمارك وحدها بل لكل من يفكر بمواجهة أمة الإسلام بأية صورة تسيء لهذا الدين، سواء عبر رواية أو فيلم أو رسم كاريكاتوري أو مقال صحفي.

والمهم في هذه المقاطعة أن لا تكون فعلاً وقتياً سريعاً، ولا عملاً يتلاشى خلال أيام أو أسابيع، بل لابد أن يمتد لأشهر وسنين، وأن يكون سلوكاً للمسلم ينتهجه في نفسه ويربي عليه أبناءه وأهل بيته نصرة للحبيب صلى الله عليه وسلم وحينها (سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

=====================

سليمان البطحي نبذل ما نستطيع وأي عمل يحتاج إلى دعم

حوار: الإسلام اليوم

في إطار تعاون موقع الإسلام اليوم مع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، في حملتها الموجهة ضد ما يتعرض له المصطفى صلى الله عليه وسلم من حملة تشويه يقوم بها الفاتيكان، كان لنا هذا اللقاء مع المشرف على موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء م/ سليمان بن حمد البطحي..

ما هي الدّوافع وراء تزايد الحملة ضدّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– في الإعلام الغربّي بعد حادثة "١١ سبتمبر"؟.

إنّ ما يحدث الآن هو من قبيل اقتناص الفرص، وهي تهدف إلى تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام –صلى الله عليه وسلم– في قلوب جميع البشر غير المسلمين.

باعتقادك هل تقوم منظمات العالم الإسلامي بجهد كافٍ لصدّ الهجوم عن الإسلام ورسوله؟

بكل أسف لا؛ فالكل منشغل بإبعاد تهمة الإرهاب وتمويل الإرهاب عن نفسه، وبالتالي أصبح ذلك الأمر ليس من الأولويات، أضف إلى ذلك أنّ كل منظمة تعمل بمعزل عن الأخرى، ولا يوجد أي مستوى من التنسيق؛ فالجهود مبعثرة في الوقت الذي نحن بحاجة إلى جهد تكاملي يقوي الجميع.

تقومون بجهد كبير في اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء محمد -صلى الله عليه وسلم-... لماذا تمّ تأسيس هذه اللجنة في هذا الوقت بالذات؟ وهل هناك إيجابيات تحققت على يد هذه اللجنة؟

إنّ أي عمل يحتاج إلى تمويل ماديّ، والمال في هذه الأيام شحيح فالكل (حكاماً ومحكومين) أصبحوا يخافون من تهمة "الإرهاب".

على كل حال نحن في اللجنة نبذل ما نستطيع، وقد قمنا بتنفيذ عددٍ من البرامج العمليّة منذ تأسست اللجنة من عقد للمؤتمرات إلى طباعة الكتب و المطويّات والردّ على المشكّكين وغيره مما يمكنكم الاطّلاع عليه على موقع اللجنة (www.icsip.com) ، ولكن يبقى ما تحقق هو أدنى من مستوى الطموح، فلدينا برامج كثيرة جاهزة للتنفيذ، ولكنها تفتقر فقط إلى التمويل المادي.

هل تعتقد فعلاً أنّ الفاتيكان هو من يقود الحملة التي سميت بـــ (مليون ضد محمد) في العالم الغربي؟ ولماذا في هذا الوقت ؟!

منظمة "رابطة الرّهبان لتنصير الشعوب" والتي أسّسها البابا "بيوس" بين عامي ١٥٦٦-١٥٧٢م، هي منبثقة عن "رابطة الرهبان" التابعة للفاتيكان وهي تحاول منذ إنشائها نشر المعتقدات المسيحيّة حول العالم، وأعتقد أنه بسبب إحساسهم بضعف الدعوة الإسلاميّة في هذه المرحلة التي تمر بها في ظل أحداث ما بعد ١١ سبتمبر وتداعياته؛ أطلقت هذه المنظمة هذه الحملة.

هل هناك آليّات وخُطُوات متّخذة لدى الفاتيكان لترويج هذه الحملة؟ وهل تقف وراءها قوى سياسيّة؟

المطّلع على ما يجري الآن في الساحة الدوليّة يرى أنه لا فصل بين الدين والسياسة، فجميع الحملات التنصيريّة تدعمها في الغالب – مباشرة أو بصورة غير مباشرة- القوى السياسيّة بطريقة أو بأخرى.

تبدو العلاقة عكسيّة بين تمدّد العمل التنصيري، ومحاولات تقييد العمل الإسلامي في العالم... علاقة يعتريها الكثير من المتناقضات.. ماذا تقول في ذلك ؟!

هذا واقع نراه الآن، ولا تناقض فيه؛ ففي الوقت الذي تدعم الحكومات الغربية هذا المدّ التنصيري، وتقدم له جميع التسهيلات؛ نجدها في نفس الوقت تضغط على الحكومات العربية الإسلامية وخاصة المملكة العربية السعودية (مهبط الوحي) لإيقاف أي أنشطة دعويّة تهدف إلى " نشر الكراهية وعدم التسامح" تحت حجة "محاربة الإرهاب".

هل ترى أنّ العمل الإسلامي يستطيع خلال المرحلة القادمة أن يعاود نشاطه بنفس القوة.. ؟

هذا ما أتمناه وأرجوه، ورغم أني لست متفائلاً على المدى القريب، لكنّي أرى أنه إذا قام كل مسلم بدوره تجاه هذا الدين بتقديم زكاة إسلامية كما قال رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم-: " بلغوا عني ولو آية" فسنستطيع -بإذن الله- أن نتجاوز ذلك كله، ولن يستطيع أحد أن يوقف انتشار هذا

الدين مهما بذل هؤلاء من جهد ومال وعداء (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ...) [الأنفال:٣٦].

========================

سنة الأنبياء

الكاتب: د.سلمان بن فهد العودة

أذكر أني قابلتُ أحد الشباب في الحرم المكي أيام رمضان، وكان يعتمر ويعتجر عمامة بيضاء، وشعره يضرب إلى منكبيه، ويلبس ثوباً قصيراً ربما إلى نصف ساقيه، وفوق هذا الثوب قميص أسود شبيه بالرداء.. في مشهد لافت للنظر، ومثير للانتباه؛ فكل من نظر إليه صعَّد النظر فيه وصوَّبه..

جلس معي، وسألته عن هيئته! فردَّ بأنه يتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في لباسه وشعره، فأجبته بأن الصحيح أن مسألة العمامة ليست سنة، وإنما هي من عادات العرب في الجاهلية، وأما لبس الرسول صلى الله عليه وسلم لها فهو من باب العادة، فلا نقول: إنها مأمور بها ولا منهي عنها؛ بمعنى أنها أمر متروك لعادات الناس وأعرافهم، ولا يصح في العمامة حديث، هذه واحدة.

والثانية: أن الراجح في الشَّعر أنه من العادات؛ فطول شَعره صلى الله عليه وسلم ليس سنة وإنما عادة، ومن كان له شعر فليكرمه، والأمر فيه يسير.

أما الأمر الثالث: فهو أنك معتمر، والسنة التي لا خلاف عليها هو حلق الرأس للمعتمر، وقد دعا صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ)، ثم قال في الثالثة: (وَلِلْمُقَصِّرِينَ)، فلماذا تركت هذه السنة الواضحة الثابتة؟!

أما رابعاً وأخيراً: فانتبه إلى حظوظ النفس، أن تجد مدخلاً من جهة لفت النظر والتميز، وأن تعمل ببعض الظواهر المختلف فيها لاسترعاء اهتمام الناس، وما في ذلك من كيد الشيطان الخفي، ونسيت أن صاحب السنة صلى الله عليه وسلم نهى عن لباس الشهرة، وهذا ما لم يذكره صاحب هذا الاقتداء المنقوص.

إن هذا نموذج للوعي السلبي بالاهتمام بالتفاصيل العادية غير المؤثرة، وفي المقابل خرم القواعد الكبار، تحت عباءة السنة النبوية وهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فليست السنة امتحان الناس في تفاصيل التفاصيل، ولا تحميل الناس ما لا يطيقون من جزئيات وفرعيات وافتراضات؛ يتورعون فيها عن خفايا ودقائق لا ترد على البال إلا بتكلف وتعسُّف، ثم ينتهكون الحرمات المتفق عليها من أعراض الناس وحقوقهم، وواجبات التعامل الأخلاقي معهم، ورعايتهم والاهتمام بهم، وجمعهم على سبيل الوحدة والإيمان.

إن السنة النبوية العظيمة ليست حصراً في دقائق العبادات مع الإيمان بدخول ذلك في معنى السنة، إنها أعم من ذلك وأشمل وأعظم؛ إنها معانٍ شريفة في تحقيق مقاصد النبوة والرسالة، ووسائل صالحة نافعة لأداء هذه المقاصد التي خلق الله جنس الإنسان من أجل تحقيقها: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ} الذاريات: ٥٦)، ولقيام الناس بمعنى الإيمان والسعي للخير، ومكارم الأخلاق وأصولها، وأركان الإسلام من الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ ولهذا لمَّا أخبر الله عن الأنبياء في السورة التي حملت اسم (الأنبياء) ذكر السنن العظام للأنبياء: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} الأنبياء: ٧٣). فالخيرات ركن عظيم وسنة كبيرة من سنن المرسلين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعبادة الله.

وحين ذكر الله قصص أنبياء آخرين قال: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين}الأنبياء: ٩٠)، وختم قصص الأنبياء في السورة بقوله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء: ٩٢)، ثم خاطب رسول هذه الأمة: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}الأنبياء: ١٠٧- ١٠٨).

هذه هي مقاصد الأنبياء، ومعاني الرسل والرسالة، والقواعد الأساسية للسنة النبوية التي حكاها الله في كتابه الكريم، وأمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، كما في حديث جبريل الطويل عن أصول الإسلام والإيمان والإحسان؛ من فعل الخيرات، وإقامة أركان الدين العملية، وتحقيق الإيمان، واليقين، والخشوع، والعبادات القلبية، وتهذيب السلوك والنفس، وتوحيد الأمة على عبادة الله، وعدم السعي في تشتيتها أوزاعاً وأحزاباً تقتات من بعضها، وتطبيع معنى الرحمة والتبشير: (بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا) رحمة للعالمين أجمع.

هذه هي أهم السنن، فهل ترى سنة النبي صلى الله عليه وسلم مخالفةً لأصول الأخلاق، أو مجافيةً لمعنى الرحمة التي جعلها الله مقصداً للرسالة، أم هل ترى فيها سعياً لبث الضيق والتنفير بدل السعة والتبشير؟!

وهؤلاء هم أحباب محمد صلى الله عليه وسلم في العالم الإسلامي، بل العالم أجمع يهبُّون لنصرته بالدعوات، والمؤتمرات، واللقاءات، والمقاطعات، بل والملصقات، فالله الله أن يكونوا على أثر محمد صلى الله عليه وسلم في تحقيق مقاصده؛ مقاصده في جمع الكلمة، ونبذ الفرقة، وفي تحقيق الإيمان والدعوة إليه، وفي مواقفه النبيلة عليه السلام.. ولنا في كل ذلك سنة واقتداء ولو كره المبطلون.

وأظن أنه لم يمر بالمسلمين عصرٌ يحتاجون فيه إلى إحياء سنته صلى الله عليه وسلم العلمية والعملية ومقاصده مثلما يحتاجون في هذا العصر، هنا وهناك انقسامات مذهبية حاضرة لتقديم شخصيات إسلامية إما نظرياً أو عملياً فوق مستوى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى مستواه، وانقسامات فكرية داخل مجتمعات المسلمين، قد تكون بسبب مؤثرات داخلية أو خارجية سواء كانت أفكاراً شرقيةً أو غربية، ولَّدت أشكالاً من التفرق، وانقسامات حركية في الجماعات الإسلامية المختلفة حتى ربما أعطي زعيم الجماعة -أحياناً- نوعاً من المكانة والهالة عند بعض الأتباع مما يرفضه المتبوع نفسه بسبب الارتباط العاطفي المتضخم، والولاء الفكري الراسخ.

ونحن في حاجة إلى سنته عليه السلام في صبره ويقينه، وعلى سبيل المثال: كان صلى الله عليه وسلم يتدرج في الدعوة إبان الفترة المكية، وتدرُّجه نوعٌ من الصبر الذي وصف الله به الأنبياء: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} السجدة: ٢٤)، ومن هذه الآية قال سفيان كلمته الشهيرة: (بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين).

ولَّما هاجر إلى المدينة صلى الله عليه وسلم كان يمشي بخطوات ثابتة ومواقف مدروسة، و لم يكن يغريه أن يقفز قفزات غير مناسبة، أو يحرق المراحل، وحتى ما يعدُّه الناس تراجعاً أو فشلاً كان ينظر إليه وفق خطة عامة ذكية على أنه نجاح كبير، مثل صلح الحديبية، فمع أن بعض الصحابة صنَّفوه على أنه نوع من التنازل عدَّه صلى الله عليه وسلم نجاحاً كبيراً، بل سمَّاه الله فتحاً، كما قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}الفتح: ١-٢)، فإن الآيات في صلح الحديبية على قول أغلب المفسرين.

ولَّما رجع الناس من غزوة مؤتة -كما عند البيهقي في الدلائل وسيرة ابن إسحاق- كان بعض مَن استقبل المسلمين في المدينة يَحْثُونَ فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَيَقُولُونَ: يَا فُرَّارُ! أَفَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسُوا بِفُرَّارٍ، وَلَكِنَّهُمْ كُرَّارٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ينظر للأمر من مبدأ عام، ويمشي بخطوات ثابتة حتى وصل صلى الله عليه وسلم إلى المستوى والتأثير المعروف.

وإن من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهمه لنفسيات الناس، وإدراكه لطريقة التعامل معهم، وحسن أخلاقه، ولطفه، وتجرُّده من أدواء النفس وخفاياها وأوضارها، وربما وجدت داعية إلى سنته صلى الله عليه وسلم يبتعد مع الأيام في قضاياه عن الدعوة؛ لكي يقترب من نفسه، فيرتبط بموقفه الخاص أكثر، ويغريه اهتمام الناس بذلك وحديثهم عنه، فتدور نقاشاته حول ذاته، وحتى حزنه على مَن رد دعوته هو في حقيقته ليس لفوات الخير عن الناس ورحمته لهم، بل لإحساسه بالتعرض لنوعٍ من الإهانة والابتذال، لتنتهي حقيقة الدعوة عند هذا وتبدأ حظوظ النفس ومشكلات القلوب.

ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي يقفزها الكثير من أتباعه مساعدته للناس على قبول دعوته، ولقد بلغ في هذا إلى قدر عظيم، حتى بنى جسراً للعدو الهارب، وفتح خطاً للرجعة لمن رفض القبول، و لم يكن صلى الله عليه وسلم يذكّرهم ويعيّرهم بالماضي الذي قد يؤذيهم أو يبعدهم من هذه الدعوة، بل ساعدهم على النسيان حتى عفا عمن أخطؤوا عليه عام الفتح، وقال: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) كما في السيرة النبوية وسنن البيهقي وتاريخ الطبري. ونهى عن سب المشركين الأموات حتى لا يؤذوا الأحياء.

وقد تجد من المصلحين اليوم من يشرف بنفسه على صنع الخصومة، ويضع العقبات لمن يظهر منه استجابة، من حيث يشعر أو لا يشعر، ويفتح باباً طويلاً عريضاً للمحاسبة في أخطاء الماضي وللشروط في قبول الدعوة كأنه يسعى لتأجيل استجابة الناس وتأخير وصولهم إلى بر الأمان.

يعمل كل هذا في غفلةٍ عن أن الداعية مبلّغ رشيد؛ يردم ما فسد من عوادي الزمن والأمم، ويخفف أجواء الشر والفتنة، بدل أن يحترق معها أو يحتطب لها أو يضيف إليها وقوداً جديداً في سبيل ما يظن أنها دعوة للسنة النبوية. فهذه هي السنة النبوية، وهذه سنن المرسلين لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، فهم لا يسألون الناس أجراً، بل هم هدًى للعالمين وصدق الله: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}الأنعام: ٩٠).والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

صحيفة الجزيرة السعودية

=============================

شواهد ربانية تلهم التغيير

الكاتب: . باسم عبد الله عالِم

لم يكن بالمستغرب ولا بالمستهجن أن تتكالب الأمم علينا كما تتكالب الأكلة على قصعتها. واختلاق الأعذار لإيذاء المسلمين ومحاصرة الإسلام هو من أبجديات الصراع القائم حتى قيام الساعة. وأن يجد الغرب مدخلاً من صنيعته ويحيطه بإيحاءات تظهر وكأنه من أرباب العدالة أمرمتاحاً لأنه وببساطة يملك المعلومة والماكينة الإعلامية وأدوات الضغط السياسية والاقتصادية والعسكرية التي من شأنها أن تجبر الباقون على الانضمام على جوقة الشرف بقيادة الغرب على وجه العموم والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص.

وإن كنت ممن أسهم في تنفيذ الادعاءات الغربية فإنني إنما أقوم بذلك لفضح النوايا وتبيان الحقائق كي لا يغتر به المغتر أو يسير في ركابهم وهو يظن أنه يحسن صنعاً. أما الولايات المتحدة الأمريكية ومن دار في فلكها عن دراية وقناعة وإيمان، فهم جميعاً قد اختاروا لأنفسهم أن يكونوا في فسطاط همه الأكبر محاربة الله ورسوله والنيل من هذا الدين وأهله. ولا بأس في ذلك فوجود فسطاطين هو من صميم الاختبار الرباني للأمة وناموس من نواميس الكون الباقية إلى يوم القيامة ولكل أن يتحمل تبعية اختياره في الدنيا والآخرة.

وانتفاخ الباطل وصولته وظهوره و استعلاوه أمر دائم التكرار بل لعله من المتطلبات المهيئة والممهدة لكي يكون انهياره انهياراً مدوياً. فالسقوط من علٍ أبلغ مثلاً وأمعن عقوبة من التعثر على قارعة الطريق. وعندما أقول بأن ما يحدث اليوم أمراً طبيعي إنما أجعل ذلك في إطار السنن لا في إطار القبول والخضوع له وشتان بين الأمرين.

والمؤلم أشد الإيلام هو أن نرى تخاذل وخضوع مراكز القوى المسلمة إفراطاً في حماية مصالحها وتفريطاً في حق الأمة، بينما الباطل يجتهد في إعلاء باطلة. بالرغم من تفوقه المادي. وقد راقبت ردود الفعل العربية والإسلامية على اتهامات الغرب للأمة بأنها موئل الإرهاب ومصدره فما كان من مراكز القوى إلا أن تسارعت ميممة نحو أعتاب الغرب كل يحاول أن يبرهن على براءته من هذه التهمة

وأدى ذلك إلى المزيد من التدخل الغربي زاد مراكز القوى عناءً ورهقاً فلم يعد يكفي إعلان البراءة ولم يعد يكفي إعلان الولاء. لقد وجد الغرب ثغرة من خلال ضعف نفوسنا فزاد من مطالبه محاولاً الإملاء علينا ما يجب أن نقوله ومن يجب أن نتبرع له وكيف يجب أن نعلم أبناءنا ومن يجب أن نناصر ومن يجب أن نناوئ ومن يجب أن نسالم ومن يجب أن نعادي وجراء ذلك كله توقفت الإعانات والتبرعات وكل أعمال الخير في سرعة عجيبة وكأنها وافقت هوى في النفس عند البعض وظهر الضعف الذي جعلنا غثاء كغثاء السيل ومن تبقى منهم يغالب نفسه ويقدم النزر اليسير على استحياء مشترطاً تارة ومرتجياً تارة أخرى أن يظهر اسمه وأن لا يذهب المال إلى أولئك الذين لا ترضى عنهم أمريكا ولا يرضى عنهم الغرب. ويتلفت أحدنا من حوله فيجد صورة بائسة لأطلال كانت يوماً ما مصدر إشعاع للخير، فالمساجد والمدارس والجمعيات الخيرية والمؤسسات التعليمية والأئمة والدعاة وهيئات الإغاثة ودور الرعاية للعجزة أو الأرامل أو اللقطاء والمستشفيات الميدانية كلها أصبحت اليوم رسما ومبنىً دون معنى، أصبحت كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة على فراش الموت. وما أن يستصرخنا مسلم ويهيب بنا بنداء واهٍ قائلاً (وا إسلاماه) حتى تتفاعل النفوس في لحظة من لحظات الصحوة، ولكنها في مواجهة ما حدث، لا تجد ما يحمل همها من تلك المؤسسات والهيئات بعد أن أدى تخوفها وتقاعسها فيما سبق إلى أن تموت الرواحل والمراكب عطشاً وجوعاً. وعلى النقيض من ذلك تتيه الجمعيات الغربية الإغاثية والخيرية وتتفاخر بأنها أول من أغاث المنكوبين وبأنها وصلت إلى المحتاجين من المسلمين قبل أن يصل إليهم أخوانهم من بني جنسهم ودينهم إن ذلك لعمري من السخريات التي ساهمنا في صناعتها وتحقيقها على أرض الواقع وكأننا ممثلون على مسرح ساخر هدفه التحكم والنيل من الإسلام والمسلمين درينا أم لم ندر.

واليوم ونحن في غاية الوجل والخوف بدأنا نلحظ مواقف كنا نظنها من المستحيلات. فالمواقف الأمريكية والغربية السابقة لم تكن لتنبئ بأنهما يستران خوفاً وجزعاً عميقين من الإسلام وأهله، فاليوم نجد الغرب بكل طغيانه وجبروته يساوم حماس وهي على ضعفها وقلة حيلتها وابتعاد مراكز القوى عنها ململمة أطراف أثوابها كي لا يتلطخ ثوبها بالدم المتطاير لما يعتقدونه من دنو أجل حماس على أيدي أمريكا والعدو الصهيوني. ولكن ظهور حماس معتدة بمبادئها عزيزة في مواقفها تتعامل مع العدو بالعزة والندية أربك العدو وأربك الغرب وأظهر عوار الهيمنة الغربية ومواطن ضعفها، فالغرب لا يهيمن أو يسيطر إلا من حيث يجد فينا خوراً أو ضعفاً ولا يتبجح ويصول وينتفخ إلا عندما نتوارى ونبتعد ونذل ونكسر كبرياءنا وننهزم في داخلنا فيخلو له الأمر إذ لا يجد ما يهزمه فينا وقد كفيناه المؤونة في ذلك. وما ينطبق على حماس ينطبق على غيره من الكيانات المسلمة أو ذات التوجه الإسلامي رسمية كانت أو غير رسمية دولية كانت أو محلية.

واليوم أتسائل، ماذا لو أن رجال الأعمال قرروا مجتمعين أن يضربوا بعرض الحائط مخاوفهم ويعلنوا على قلب رجل واحد نصرتهم لقضايا الإسلام والمسلمين وتبرعهم المباشر دعماً لإخوانهم وأخواتهم في كل موطن من مواطن الاحتياج سواء كان ذلك في فلسطين أو العراق أو أفغانستان؟ وماذا لو أن

الحكومات العربية والإسلامية قررت مجتمعة أن ترفض المطالب الأمريكية بتجميد الحسابات وحجز الأموال؟ وماذا لو قررت المصارف العربية والإسلامية حماية عملائها وسريتهم، فرفضت مراقبة حساباتهم أو الكشف عنها؟ وماذا لو تم تجنيد القوى الاقتصادية والقوى الشرائية في سبيل إملاء شروطنا ومطالبنا الأمنية والسياسية لنخفف عن أسرانا في السجون الأمريكية والأوروبية؟ ترى ماذا سيقول الغرب وكيف يصنع في مواجهة هذه المواقف؟ لقد من الله علينا ليرينا ما قدّر أن يكشفه ويظهره من إمكانيات كامنة فينا من جهة وضعف وهلع مستتر في الغرب من جهة أخرى. ولعلنا اليوم نشير إلى الحالة الحماسية عنواناً لمواقف حماس وردود الفعل الغربية المتحولة والمتغيرة بحسب صرامة رد فعل الشارع المسلم وقدرته في التأثير. إن هاتين الحالتين خير مثال وخير مؤشر وخير مرشد.

ولطالما بحثت الأمة عن تلكم الطليعة التي تقدم نفسها فداء للأمة، فقدر الله أن ينيط هذا الشرف بأخوة لنا في فلسطين يتمثلون في حركتي حماس والجهاد وفي كل من آمن بحقه في الذود عن مقدساته ومقاومة العدوان والاحتلال بكل الوسائل المشروعة التي أقرها الله سبحانه وتعالى القائل: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير). أما في محيط الأمة وهيمنة الحكومات ومراكز القوى فيها فقد أظهرت لنا الأحداث أن هذه الحكومات اندهشت من الموقف المتراخي للغرب أمام صمود حماس وصمود الشعوب الإسلامية في الحالة الدنماركية فمنهم من سارع أن يلملم ما تبعثر ويضمد الجراح وكأنه يقول لحماس ولشعبه على استحياء (إنه لم يكن يقصد القيطعة أو الطرد ولم يكن يقصد التسلط والتجبر) محاولاً البحث عن ثوب جديد يناسب الحالة الجديدة بعد أن اضطرت أمريكا نفسها، والغرب من ورائها، أن يجدوا لانفسهم ثياباً وأزياء تنكرية جديدة تناسب الحالة. وهناك آخرون استيقنوا أن الإذعان للغرب ومراده لم يكن في محله وأصبح غير مبرر، وعندما ضربت حماس مثالاً استيقظوا من سباتهم وأصبحت مواقفهم أكثر ملاءمة وألصق برغبات شعوبهم ومواقفها. إننا اليوم أمام مفترق طرق حقيقي ينبئ بصعود مؤشر الرفض الإسلامي واستقلالية القرار والأخذ بزمام المبادرة مروراً بالتأثير ثم الغلبة وانتهاء إن شاء الله بالتمكين ولكن كل ذلك لن يكون ما لم نعمل بسيرة الأولين في إطار المعطيات الراهنة كل حسب إمكانياته ولنا في حماس من جهة وباقي الشعوب الإسلامية من جهة أخرى قدوة ومثال على إنزال متطلباتنا منزل التفعيل في كل زمان ومكان. إنني أدعو وبكل صدق أن يعيد كل منا النظر في ذاته وفي مواقفه وفي مخاوفه ومصالحه واضعاً الأولويات التي من شأنها في خاتمة المطاف أن تحافظ على هذه المصالح ومصالح الأجيال القادمة مهما ظهرت من خسائر أولية. إنها دعوة إلى كل إنسان مسلم من خلال إمكانياته سواء كان تاجراً أو مصرفياً أو إعلامياً أو سياسياً أو مستهلكاً لسلعة أو مربياً في مدرسة أو خطيباً في مسجد أو صاحب مهنة حرة أو فناناً مبدعاً أو صاحب حرفة يدوية أو حاكماً أو مسؤولاً لأن نعيد صياغة المواقف والمفاهيم وننفض غبار الذل والخضوع متحدين بذلك كل من أراد أن يفرض علينا رؤيته أو يجبرنا أن نشاركه ظلم إخواننا وبني ديننا. يمكننا اليوم، لما نراه من شواهد، أن نقول (لا) وأن نعمل بمقتضاها.

والله من وراء القصد،

E-mail: alim@alimlaw.com

نشرت بالعدد (١٥٦٤٧) من جريدة المدينة، يوم الجمعة بتاريخ ٢٥محرم ١٤٢٧ه الموافق ٢٤ فبراير ٢٠٠٦م،

============================

شيء من عبق الرسول

منصور النقيدان

بقيت أوصاف الرسول الخَلقية والخُلقية، التي حكاها أصحابه وتناقلتها كتب السير والشمائل ملهمة لأتباعه يتطلعون للاقتداء به، ويسعدون حين تقارب سحنة أحدهم وصفاً يقاربه أو حالاً يتفق مع شيء من أحواله

يذكر سمير غريب رئيس قسم التنسيق الحضاري بوزارة الثقافة المصرية أن أحد أباطرة الصين طلب من بعض فناني المسلمين عمل صور للرسول محمد عليه الصلاة والسلام بعد وفاته بمئتي عام، فقاموا في البدء بجمع أوصافه من كتب المسلمين، مثل السيرة النبوية وكتب الشمائل المحمدية، وبعدها قدمت له صورته وفق ما توفر لديهم، وهذه القصة تشابه قصة مجموعة الجمال وهي إحدى وأربعون لوحة قام بعملها مجموعة من الفنانين الألمان، تلبية لرغبة ملك بافاريا الملك لودفيغ، تختصر جمال نساء الكون في تلك الإحدى والأربعين فتاة اللواتي استغرق البحث عنهن مايقارب خمسة وعشرين عاماً.

وكان بعض سلاطين العثمانيين وملوك الفرس يحتفظون في قصورهم بجداريات تضمنت رسوماً للرسول، وحسب معلوماتي فإنه من ضمن ٦٠٠ قطعة يحتفظ بها متحف (الأمانة المقدسة) في إستانبول بعض من هذه الجداريات التي لا يتاح معظمها للزوار، والتي كانت ضمن مقتنيات الباب العالي، وفي بازارات مدينتي مشهد وقم الإيرانيتين تباع منسوجات عليها صورة ل(حضرت محمد)، في فترة صباه شاباً يافعاً يرتدي رداءً، مفلوج الأسنان، حيث يجيز عدد من مراجع المذهب الشيعي تصوير الرسول إذا كان ذلك في إطار الصورة المتخيلة للجمال والبهاء النبوي. لكن بعض ملامحه، مثل حاجبيه المفروقين وأنفه، لاتتطابق مع ماتناقلته مرويات أهل السنة عن أوصاف الرسول بعد النبوة، من أنه كان أقرن الحاجبين أشم الأنف.

بعد وفاة الرسول بفترة وجيزة كان الصحابة والتابعون يتقفرون بقايا صورته في بعض أهل بيته والأدنين من عشيرته، آثاراً من أوصافه تذكرهم به وبسيرته وحياته، وكان قثم بن العباس ابن عم الرسول أشبههم به، ولهذا كان محظياً من والده العباس وله مكانة خاصة وكان العباس يرقصه وهو طفل صغير ويلاعبه وينشد: حبي قثم ؟ حبي قثم ؟ شبيه ذي الأنف الشم ؟ رسول ربي ذي النعم

وكان جعفر بن أبي طالب هو أكثرهم شبها بالرسول، ولكن جعفراً توفي في غزوة مؤتة والرسول بين ظهراني المؤمنين .

بقيت أوصاف الرسول الخَلقية والخُلقية، التي حكاها أصحابه وتناقلتها كتب السير والشمائل ملهمة لأتباعه يتطلعون للاقتداء به، ويسعدون حين تقارب سحنة أحدهم وصفاً يقاربه أو حالاً يتفق مع شيء من أحواله، طريقته في التبسم، وهيئته حينما يلتفت، ونهجه الأعظم في التعامل مع الأطفال والنساء، وأسلوبه في الحديث والخطابة، وحياؤه الشديد وخجله حينما يبدو على وجهه الغضب كحبات الرمان، أوحينما يغضي حياء عن الإساءة.

وحيث إن المسلمين لا يملكون أي صور أو رسوم للرسول عليه السلام ألبتة، لا في حياته ولا بعد وفاته مع إمكان ذلك واقعاً، لا بين ظهراني عرب الحجاز ولا عند غيرهم ممن هم مظنة ذلك، كما في القصة الشهيرة لالتقاء الرسول ببحيرا الراهب في الشام قبل النبوة، حيث كان الأخير مهتماً به، مندهشاً حسب ما يحكى من علامات رآها وآيات تعزز اعتقاده بأن محمداً سيكون نبي العرب القادم، فقد عوض المسلمون عن ذلك وسدوا النقص بحكاية أدق الأشياء عنه: عدد الشعرات البيضاء في لحيته، وفي رأسه واختلاف أحوال شعر رأسه حسب المناخ، من لمة إلى وفرة، إلى جمة، وبياض أسنانه ولون بشرته، وشعر جسده، وشكل فمه، وطوله وعرضه، ولهذا ارتبطت مصداقية رؤيا المؤمن للنبي في المنام بمدى مطابقتها للأوصاف التي ذكرت له واستوفتها كتب السنة والسيرة وأفردت في كتب عرفت باسم الخصائص المحمدية أو باسم الشمائل.

روى البخاري أن الرسول قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي»، ولهذا طفحت كتب السلف والصوفية والنساك بقصص الأشخاص الذين رأوه في المنام، وكانت رؤيتهم له انقلاباً ومنعطفاً كبيراً في حياتهم، إما لأنه أفضى إليهم بأشياء تخص روابطهم الأسرية والاجتماعية، أوذات علاقة مباشرة بصلتهم بالله ومدى تمسكهم بشعائر الدين، أو لأن لقاءهم به حمل بشرى ووعداً لهم بالنجاح ويسر الأمور وتجاوز المحن، أو كانت الرؤيا سبباً في حل إشكال عقدي ومسألة فقهية مستعصية، لكن أحداً من علماء السنة قطعاً لم يقل بجواز أن يستلهم من تلك الأخيلة والمنامات التي يتم اعتبارها رؤى حقيقية و(وحياً من الله)- حيث الرؤيا الصادقة جزء من النبوة، ومن المبشرات- صوراً تجسده أو تقارب خياله في رؤى الصالحين من عباده.

وأحد مبررات التحريم لدى المانعين أنه لايمكن مهما حاول بنو الإنسان أن يقاربوا صورته وخياله الشريف أن يطابقوا الواقع أو أن يقاربوه، ولكننا نجد في السيرة النبوية قصصاً تحكى عن أشخاص لم يلتقوا بالرسول من قبل، تمكنوا من معرفته وتمييزه بين أصحابه وهو ساكن لا حراك له، وحواريوه يحيطون به كالعقد، ولولا الأوصاف التي نقلت عنه ومقاربة الآخرين لأخيلة في أذهانهم لشكله لما عرفوه، وهذا شيء بديهي، وفي سورة الأنعام يقول القرآن الكريم: {ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون}. ولو كان الرسول شيئاً متعالياً عن الشبيه لما كان لآية: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} أي خصوصية بالله كما يعتقد المسلمون.

كما يذكر آخرون أن سبب التحريم هو أن محاولة تصويره إساءة له بحد ذاتها، وأنا أترك التعليق على هذه النقطة.

وثالثها حرمة التصوير في الإسلام، وتشتد حرمته حسب المانعين له إذا تعلق بالرسول الخاتم، فيكون تحريماً مضاعفاً، مثل مقارفة الكبيرة في الحرم، وتخبيب زوجة الجار، وزنا المحارم.

يذكر المفكر الإسلامي التونسي يوسف الصديق أن مسألة تصوير الرسول عليه السلام تحليلاً أو تحريماً بقيت مسألة مسكوتاً عنها لأربعة أو خمسة قرون من وفاته، مستدلاً بأن القرآن خال تماماً من أي ذكر لها. كان الرسول كثيراً ما يضرب الأمثلة لأصحابه ويستخدم الرسوم لتوضيح مراده كما في وصفه لصراط الله المستقيم وللسبل التي تتناوحه وتختطف المسلم وتضله عن سبيل الله، حيث قام برسم خط مستقيم وحوله خطوط، وعند المسلمين أن الملائكة في مرتبة تضاهي مرتبة الأنبياء، ومنهم رسل مثل جبريل صديق الرسول ومبلغ الوحي الأمين، وأحاديث السنة تطابقت على أنه كان يأتي إلى الرسول بصورة تتطابق مع صورة دحية الكلبي، الذي يقال إن الشيطان جاء مرة على هيئته أيضاً في إحدى غزوات الرسول مرجفاً بينهم يبث الشائعات لإحداث فتنة بين المسلمين والتشبيه عليهم.

لما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة عام الفتح لتطهيرها من الأصنام وبقايا الجاهلية وجد رسوماً على جدرانها تصور إبراهيم وإسماعيل وهما يستقسمان بالأزلام، فأنكر ذلك واستعظمه وبرأهما، وقام فبلل رداءه بالماء ومسح تلك الصور، وكانت تلك الحادثة مع أخريات غيرها من وقائع ووصايا للرسول تحدد موقف الإسلام من التصوير والرسوم عامة، ومن صور تسيء إلى الأنبياء خاصة وتصورهم بغير الحقيقة القرآنية.

ويذكر ابن القيم الحنبلي في كتاب زاد المعاد أن علياً بن أبي طالب دخل إحدى الكنائس فوقف طويلاً يتأمل ويتعجب من رسوم تصور المسيح وأمه العذراء.

يذكر أحد الصحابة أنه رأى الرسول عليه السلام ذات مرة ورأى القمر ليلة البدر، فلا يدري أيهما أجمل، الرسول أما البدر، ويقول أنس بن مالك خادمه إنه لم يمس يداً ألين وأنعم من القطن مثل كف الرسول.

تذكر عائشة زوج النبي أنها ذكرت للرسول أحد المنافقين وجعلت تحاكي مشيته وتسخر منه، فكره الرسول ذلك منها وقال: «ياعائشة ما أحب أنك فعلت ذلك».كان هذا الموقف الأخلاقي العظيم لنبي مؤيد من السماء، في حديث خاص بينه وبين أحب نسائه على قلبه ، وأكثرهن حظوة عنده، إنسانة بلغ من ثقتها بحبه لها، أن قالت لأبيها والرسول يسمعها بعد تبرئتها من قصة الإفك المؤلمة: «والله لا أقوم له، ولا أحمد إلا الله»، في إشارة منها إلى عتبها على الرسول وحزنها مما نالها، منعه نبل أخلاقه من أن تهزأ زوجته بأحد أعدائه وتحاكيه وتصور له مشيته لايسمعهما إلا الله، نبي بلغ من تعظيم معظم علماء أمته له أن منعوا أي تصاوير له مهما كانت دوافع أصحابها، ومهما أظهرت تلك الصور في قالب الإجلال والتعظيم والافتتان بجماله الروحي والجسدي، فإن على أولئك الذين يعترفون بقرارات ألسنتهم – كما في لقاء راديو ال«بي. بي. سي» مع محرر القسم الثقافي في صحيفة لاندز بوستن الدينماركية – أنهم لايعرفون إلا القليل جداً عن الإسلام والرسول محمد، أن يتوقعوا ردة الفعل الصاعقة من المسلمين في أنحاء المعمورة، حينما يصورون نبيهم وحبيبهم ومن هو أعز

عليهم وأغلى لديهم من أبنائهم وأموالهم بصور مهينة تحط من قدره وتسخر به، إنه لأمر مثير للقرف أن تبرر الصحيفة تلك الإهانة المتعمدة بأنها نشرت قبل سنتين رسوماً ليسوع المسيح وهو مصـــلوب وبيده قناني الخمر، فلم المسلمون غاضبون؟!

وتبلغ الصفاقة مداها حينما تعتقد الصحيفة بأن نشر تلك الرسوم ستخلق جواً من الحوار الحضاري.

حتى أولئك الذين لايعتقدون بالإسلام، ولايؤمنون بمحمد نبياً ورسولاً، عليهم أن ينكروا ماحـــدث، لأن محمداً كان و لم يزل من أعظم من عرفته البشرية عدلاً ونبلاً ورحمة وإنسانية وتحضراً، وأنه لو لم يكن شيء من ذلك أساساً فإن إنساناً يتبع ديانته ربع أهل الأرض لخليق بالحكماء والعقلاء أن يحسبوا لكلمة نابية بحقه أو صورة تنال من مقامه ألف حساب، وعليهم حينما يشطحون أن لا ينتظروا سلماً أو طمأنينة.

٤ تعليقات

١

رسول رب العالمين

جزاك ا لله خيراً يامنصور...

وهداك الى الطريق الحق والإستقامة.آمين

Falcon eyes

٠٧:٤٢ صباحاً ١٠/٠٢/٢٠٠٦

٢

اللهم صل و سلم على محمد

(لأن محمداً كان و لم يزل من أعظم من عرفته البشرية)

بل هو هو أعظم البشر على الإطلاق و هو سيد ولد آدم صلى الله عليه و سلم.

بارك الله فيك يا منصور و كثر من الصلاة عليه خاصة يوم الجمعة و أنت الكسبان

عبدالله المسلم

٠١:٥٩ مساءً ١٠/٠٢/٢٠٠٦

٣

اهلا بك يامنصور

نشتاق لقلمك العاقل المنطقي. ونتمني ان تستمر.

بخصوص تلك الرسوم السخيفة. اكرر رائيي الشخصي انها اظهرة ضفنا وليس قوتنا للاسف.

ومبرري ان سفهاء العالم ليسوا قلة يمكن ان نربطهم. بل كثرة من ان نعدهم. ولا اســـتبعد ان يـــتم استفزازنا مرات عديده من طالبي الشهرة والمال.

سلمان رشدي كاتب فاشل. شهرناه بالضجيج. واصبح كاتب يبيع الملايين من النسخ من فكره السخيف. ولو تم تجاهلة لقبع في مكانه الصحيح. ومن هذا المنطلق سنجد كثيرون يمكن ان يحدوا حدوه من رسامين او صحففين مغمورين او حتي صحف علي حافة الافلاس او مخرج افلام مغمور.
المفروض ان يتناول هذا الامر العقلاء وليس العامه. العقلاء يملكون مفاتيح الحلول والعامه يملكون الغوغاء.
خوفي وقلقي ان تلك السخافات تتكرر من الكارهين او المغمورين. وسؤالي ماذا نحن فاعلون.
الموضوع الان الخاسر الاكبر منه التجار العرب او المسلمين الذين تمت مقاطعتهم والبضائع اغلبها غذائيه لها تاريخ محدد. الدنماركيون خسروا المبيعات المستقبليه ولكنهم لم يخسروا قطعة زبدة واحده في مستودعاتهم. المفروض انه تم التنسيق مع الغرف التجاريه لامهال التجار فترة معينه لتصريف بضائعهم ومن ثم يتم تحذيرهم بعدم الاستيراد. وبعدها تعلن المقاطعه.
ولكن للاسف الخاسرون هم تجارنا المسلمون. لان من تبني هذا الامر لم يكن يخشي علي اموال المسلمين بقدر ماكان له اجندة مختلفة ليس الدفاع عن نبينا عليه السلام فيها. بل استعداء العالم الاسلامي لماهو غربي نتيجة لموقفه من ايران.
الشاوي
٠٢:٣٣ مساءً ١٠/٠٢/٢٠٠٦
٤
؟ !
اقتباس :
" وعليهم حينما يشطحون أن لا ينتظروا سلماً أو طمأنينة ".
كنا ننتظر منك أن لا تزيد فتيل الغضب الجارف... !
ولماذا لا ينتظرون سلماً ؟ !
ألم يكن الرسول الكريم يتعرض للسب والشتم والأذى في حياته... !
هلاّ قلت لنا كيف كان يواجه الرسول الكريم تلك الإساءات ؟ !
بالغضب ؟ بالحرب ؟ بالمقاطعة وعدم الدعوة ؟ بماذا ؟ !
كلنا يعلم أن الرسول الكريم كان يواجه تلك الإساءات بالصبر والحكمة والموعظة والدعوة الحسنة !
أغلب من يقاسي آثار المقاطعة هم أناس لا ناقة لهم ولا جمل في الموضوع !
علي محمد
٠٢:٥٨ مساءً ١٠/٠٢/٢٠٠٦
======================

صبر النبي عليه الصلاة والسلام على الدعوة

الكاتب: د.عبدالوهاب بن ناصر الطريري

أيها الإخوة والأخوات والأبناء والبنات حياكم الله مع لقاء يتجدد نرحل به مـــع قلوبنـــا أرواحنـــا وجداننا، نرحل به إلى هناك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع رسول الله في دعوتـــه، هـــذه الدعوة التي كان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ملحمة في الصبر، دأب وطـــول الأمـــل واليقين والثبات، هذه المعاني ليست معاني مجردة نذكرها سرداً وعداً لكنها حقائق تشرق من حـــال النبي صلى الله عليه وسلم.

عندما نتقفى هذه السيرة نفوسنا ظمئة يرويها أن ترد معين السيرة ومعين حال النبي صلى الله عليـــه وسلم فتتروى من هديه وهداه، نحن أحوج ما نكون إلى أن نورد قلوبنا المكدودة معين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجد هناك مستراحها وأنسها، ولذلك استنهض نفوسكم أيهـــا الإخـــوة والأخوات والأبناء والبنات أن نذهب إلى هناك، نرحل مع خبر تقصه علينا أمنا عائشة.

أمنا تستنطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستروي خبره فيخبرها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وهي تستقرئه وتسترويه مسيرته مع دعوته، تستروي رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــا لم تحضره من أحواله وقصته مع الدعوة، تفتح وعي أمنا عائشة رضي الله عنها مع الرسول والرسالة على حوادث وافتها لحداثة سنها وصغر عمرها، أحداث أخر ولذلك كان أشد ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم مما أدركه وعي عائشة يوم أحد وإذا بها تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما قبل يوم احد، فتقول له : يا رسول الله هل مر عليك يوم هو أشد عليك من يوم أحد؟ سؤال من أمنا عائشة وكانت صغيرة السن لكنها عبقرية ذكية ولماحة، هي تعلم ماذا لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد، في يوم أحد شج جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، كسرت رباعيته، غاصت حلقتان من حلقات المغفر في وجنتيه صلى الله عليه وسلم.

صرع أصحابه حوله، وقف على جثمان عمه حمزة أحب الناس إليه وخيرة أهل بيته، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جثمانه وقد بقر بطنه، واستخرجت أحشائه، ومثل به، فوقف صـــلى الله عليه وسلم كاسفاً حزيناً على هذا الجثمان الطاهر وهو يقول: لن أصاب بعد اليوم بمثل مصيبتي فيك. كل هذا أصاب النبي صلى الله عليه وسلم في أحد، فهل أصاب النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أشد من ذلك؟ يا رسول الله هل أصابك ما هو أشد عليك مما أصابك يوم أحد، سؤال أمنا عائشة فمـــا كان الجواب، ماذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت تسأل رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وكأنما تنكأ جراحاً غائرة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد لقيت من قومك أذاً شديداً كأنما كان سؤال عائشة يسترجع ذكريات مضى عليها زمن طمرتها السنين، فإذا بعائشة تستثيرها وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يجيب وكأنما عادت هذه المشاهد حية أمام ناظريه صلى الله عليه وسلم، لقد لقيت من قومك أذاً كثيراً يعني نعم، مر عليّ ما هو أشد مـــن يوم أحد فما الذي كان أشد من يوم أحد، ما الذي كان أشد من جرح في الجبين وكسر السن وأن

تغار حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن يرى أصحابه يصرعون حوله وأن يقف على جثمان عمه حمزة مشوهاً ممثلاً به، ما هو أشد من ذلك أشد من ذلك ما سيرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد من ذلك يوم عرضت دعوتي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، ما هو خبر هذه الدعوة وخبر هذا العرض، نحتاج أن نذكر ما لم يذكر ونظهر المضمر، فنقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قضى أزيد من عشر سنين قبل الهجرة وهو يدعو قريشاً ويصبر لها ويصابرها عشر سنين في دعوة وثبات وصبر على الأذى، حتى جرأ سفهاء قريش وملؤها على أنواع من أذى النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً بعد موت عمه أبي طالب، جرؤوا عليه جراءة شديدة فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طول الصدود وكثرة الجحود، إذا به يبحث عن تربة يلقي فيها بذرة دعوته لعله يستنبت هذه الدعوة في أرض أخرى فتنمو فيها وتورق.

خرج من مكة إلى الطائف عله أن يجد في الطائف أذاناً صاغية تستجيب لدعوته وتتبع رسالته وتحمل هديه وهداه ودينه، خرج من مكة ماشياً إلى الطائف يقطع طريقاً يزيد الآن على مائة كيلو من الطريق المعروف الآن بطريق السيل، وكان يسمى أولا وادي نخلة، طريق وادي نخلة الذي هو طريق السيل الآن ووادي نخلة هو الذي يسمى الآن الزيمة، قطعه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مولاه زيد ابن حارثة مشياً على الأقدام في وقت الصيف القائض، حتى وصل إلى الطائف وبقي هناك عشرة أيام يعرض فيها دينه ويبلغ رسالته، يغشاهم في نواديهم ويغشاهم في مجتمعاتهم يقرأ عليهم القرآن حتى قال بعض أهل الطائف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف يقرأ والسماء والطارق فحفظتها وأنا مشرك وقرأتها وأنا مسلم.

عشرة أيام قضاها النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه إلا بالصدود والإعراض فلما خشي ملأ أهل الطائف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستميل الناس إليه أغروا به سفهائهم فردوا عليه أقبح الرد، حتى قال له بعضهم أما وجد الله غيرك رسولاً فيرسله إلينا، فلما أغروا به سفهائهم فواجهوه بأقبح الرد إذا به صلى الله عليه وسلم وهو يواجه بهذا الصدود وهذا الإعراض يرجع حزيناً مكلوم الفؤاد مغموم النفس، وهو الذي خرج من مكة بعد أن جحده قوم أهل الملأ فيها وجرؤوا عليه بالأذى أملاً أن يجد في الطائف مستنبتاً لدعوته فيصد بهذا الصدود ويقابل بهذا الجحود، فإذا به صلى الله عليه وسلم وهو الحامل لهم رسالته يغتم لذلك أشد الغم، ويحزن لذلك أشد الحزن، وتتراكب الهموم على القلب الكريم الطيب فلا يتنفس ولا ينفس عن ذلك إلا بدعوات يصدع بها السماء "اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يترل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبة حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك".

دعاء مكروب مغموم يصدع السماء، ثم ينقلب النبي صلى الله عليه وسلم بعد عشر ليال طوال قضاها في الدعوة والمصابرة يرجع إلى مكة لكن كيف كان الرجوع، ويسير في الطريق ولكن كيف كان

المسير، كيف قطع الطريق من الطائف عائداً إلى مكة، مكة التي خرج منها وبمرأى وبمسمع من أهلها يرونه ويعلمون إلى أين سيذهب وما هي قضيته وما هو هدفه في ذهابه إلى الطائف، وسيرجع إليهم وقد سبقته إليهم أخبار أهل الطائف معه، فكيف سيدخل إلى بلد وكيف سيلقى قومه وهم الــذين كانوا جرؤوا عليه فكيف سيكون حاله بعد أن يرجع إليهم، ولذلك عاد مكروباً مغموماً فــإلى أي درجة بلغ غمه وعلى أي حال كان حزنه.

يصف ذلك فيقول "فلم استفق إلا وأنا في قرن الثعالب"، قرن الثعالب هو السيل الكبير يبعــد عــن الطائف ستة وأربعين كيلو قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشياً، ولكنه كان في حــال مــن الاستغراق مع غمه وهمه وحزنه لأجل دعوته بحيث أنه لم يستفق و لم يشعر بما حوله إلا وهو في قرن.

برنامج (كلمة مضيئة) ــ قناة المجد

========================

صراع الكاريكاتورات أم صراع المصطلحات؟

الكاتب: أحمد أبو لبن

يشاع الآن أن الشعب الدنمركي يواجه أحرج ظروفه منذ الحرب العالمية الثانية أو منذ عــام ١٩٣٨، والجانب الإيجابي هنا أن هذا الشعب الطيب وهذا المجتمع المبدع قد خرج من حالة الركود الرتيبــة ومن وضع الانعزال عن العالم، وهو منهمك في الحوار مع نفسه باحثاً عن الإجابة لسؤالين مهمين:

ما الخطأ الذي وقع؟

ولماذا يفور المسلمون بالغضب؟

ويأتي هذا بعد أحداث ٣٠ سبتمبر تماماً كما سأل الأمريكيون أنفسهم بعد ١١ سبتمبر مــا الخطــأ الذي وقع؟ ولماذا يكرهوننا؟ ... والفارق هذه المرة أن المسلمين لا يكرهون الدنمرك ، بل هناك طرف أو أكثر أدى بسوء تصرفه وخطأ حساباته إلى هذه التعقيدات التي توهم الدنمركيين بأنهم مكــروهين ويأتي على رأس مهماتنا تحديد هوية المخطأ وربما تحميله المسئولية بكل أوزارها!

لقد طالت الدندنة حول فكرة حوار الحضارات حتى دغدغت العواطف وداعبت أحــلام البائســين ويبدو أن فكرة الحوار قد تهشمت في مطحنة المواجهات الحربية والنزاعات الدموية لضمان المصــالح المادية، كما يبدو أن نتائج المؤتمرات الدولية المعدودة قد احتجبت تحت ستار المجاملات بين الوفــود المحتشدة في قاعات الفنادق الفاخرة وعلى موائد الضيافة الشهية، دون أن تصل أصداؤها إلى القواعد الشعبية وذلك يجبرنا على العودة إلى الجذور والبداية من الأسس حتى تتضح الصورة من وجهة نظــر المسلمين الدنمركيين، وبعبارة أخرى نحن نواجه صراع من المصطلحات قبــل أن يكــون صــراع الكاريكاتورات.

أولا: يصنف علماء الاجتماع والسياسة ما تواجهه الأمم والحضارات من حوادث إلى ثلاث مراحل متصاعدة:

(١) المشكلة، ثم (٢) الأزمة، وأخيراً (٣) الكارثة.

فدعونا من مناورات السياسيين وبلاغتهم ومن تهويل الصحفيين ومبالغاتهم ولنستخدم المصطلح المناسب لوصف حالتنا الراهنة وهو أننا نمر بـ"مشكلة" وبمنتهى البساطة هي مشكلة وأصولها:

(١) أن الدنمرك عضو في الأمم المتحدة واستقبلت اللاجئين التزاماً بالميثاق الذي وقعته عند تأسيس الأمم المتحدة كما وقعت ما تلاه من اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٢م، وينبغي أن تتعامل مع الوافدين بمقتضى معايير حقوق الإنسان التي أكدها وأعاد صياغتها الاتحاد الأوروبي.

(٢) أن الدنمرك استسلمت إعلامياً وسياسياً لهستيريا الخوف من الأجانب فبينما كانت الأجهزة الرسمية تقدم لهم الخدمات بشكل قانوني وإنساني، انساق الخطاب العلني مشهراً بالجالية المسلمة إلى مدى مزعج لا يليق بالمتحضرين لأن قدرات الأقلية المسلمة المحدودة لن تتيح لها فرصة للدفاع عن نفسها بشكل منصف.

(٣) أن صناع القرار في برلمان وحكومة الدنمرك أقاموا في عقلهم الباطن حاجزاً منعهم من رؤية الإسلام كدين يحض على القيم الأخلاقية الراقية ويدعو إلى التسامح، وظلت نفوسهم تغلي بالشكوك والتساؤلات حول نوايا ومواقف المسلمين الملتزمين وهل هم عنصر استقرار يفضل التعامل معهم أم مصدر خطر وإزعاج يتحتم عزلهم وإبعادهم؟

ثانيا: أنفلونزا الطيور وباء دقت له إنذارات الخطر واستنفرت له الدول والمختص به هو الأجهزة الطبية، وإعصار كاترينا واحد من الأعاصير الموسمية والقائم على تتبعه ومراقبته هم علماء الأرصاد الجوية، فيا ترى هل لوباء العنصرية (Racisme)فيروس يمكن اكتشافه وهل لأعاصير التمييز (Discrimination) علامات يمكن رؤيتها والحذر منها؟

من مراصد المؤرخين وسجلاتهم ومن ذخائر علم الاجتماع وحقائقه، نرى أتباع كل ثقافة معتزين بثقافتهم وتتحدد مواقفهم تجاه أصحاب الثقافات الأخرى في أربعة مواقف تعبر عنها المصطلحات التالية:

(١) التجاهلو(٢) الحساسيةو(٣) التحامل و(٤) التعالي والغرور.

١. Disinterestedness
٢. Allergy
٣. Prejudice
٤. Arrogance

وعند بحث الحالة الدنمركية وعلاقتها بالإسلام الممثل بالجالية المغتربة فمن الأفضل والأقرب إلى المنطق استخدام مصطلح الحساسية، ولتفسير معنى الحساسية نضرب بعض الأمثلة. فعندما يتفجر العنف في مظاهرات السويديين ضد العولمة في جوتنبرج منذ سنتين لا نجد حساسية في أوروبا لتقبل نتائج هذا العنف بشكل عادي وإذا شاب بعض العنف مظاهرة ديمقراطية في بلد مسلم ثارت الدنيا و لم تقعد، وعندما يطلب زائرك الأوروبي طعام نباتي (فيجيتار) فذلك أمر طبيعي وعندما يطلب التلميذ المسلم

طعاماً حلالاً في مدرسته تظهر الحساسية لتصفه بأنه أصولي متخلف، وعندما تقدم صحيفة اليولاندس بوسطن على نشر رسوم عن رجل هو النبي الذي بلَّغ دين الإسلام عليه الصلاة والسلام، نرى مجموعة من السياسيين ممتعضين لكثرة الكلام عن الدين!

لقد أشعلت الرسومات فتيل الغضب لأنها جاءت كتعبير عن مصطلح الحساسية، فبينما يحق لكل مواطن دنمركي مسلم أو غير مسلم أن يغضب لحرق العلم في غزة وبيروت ودمشق، لا يحق للمسلم أن يبدى اعتراضه حول أمر يمس جوهر إيمانه ولا أن يفصح عن ألمه لما يعتبره إهانة لنبيه، ويبدو أنه قد أخطأ بتصوره أن حقوقه محفوظة في بلاد الديموقراطية.

ثالثاً: عندما بادرت وزارة الخارجية باستضافة الداعية الأمريكي حمزة يوسف لم تكن تدري أنها قد حققت أهم أهداف لجنة النصرة وهو الانفتاح على العالم الإسلامي فقد سبق لمسلمي الدنمرك تقديم مقترحات فكرية وثقافية إلى جامعات الدنمرك يشارك فيها أساتذة الجامعات المسلمون، فهل قصد وزارة الخارجية بزيارة حمزة يوسف إجراء جراحة سريعة وسطحية لتجميل وجه الدنمرك؟ أم أنها تقصد إجراء جراحة عميقة حقيقية لاستئصال غدد الحساسية تجاه الإسلام والمسلمين التي تضخمت وتورمت؟

وآن لنا أن نسأل من هم الدنمركيون الجدد ذوو الخلفية الإسلامية؟ لدينا أيضاً أربعة مصطلحات، هل هم:

(١) ضيوف وسائحون أم(٢) غزاة ومقتحمون أم(٣) شركاء [في شئون التجارة والصناعة] أم(٤) مواطنون.

فإذا كانت إجابتنا هي الأخيرة أي أنهم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات، فلماذا تعالج وزارة الخارجية الخطأ بخطأ آخر؟ ولماذا تتهرب من التعامل مع المواطنين المسلمين وتفضل التحاور مع المسلمين السائحين؟ نحن نطرح الأسئلة ونترك الإجابة ليتحمل كل عاقل ومنصف في هذا البلد مسئولية المشاركة في صياغتها، لأننا أمام مشكلة لا يليق أن ندعها تتضخم إلى أزمة ثم تستفحل إلى كارثة والعياذ بالله، وليس هدف الجالية تحويل الدنمرك إلى مجتمع متعدد الثقافات محاكاة لنموذج الولايات المتحدة الأمريكية، بل أقصى ما تطمح إليه أن تتعامل مع ثقافة دنمركية موحدة تكون الديمقراطية فيها ذات مكيال واحد وليست ذات مكيالين.

ليس لنا أن نرى المشكلة – بعين التفاؤل والإيجابية– إلا كحادثة مرور فيها دخان وغبار وسينقشع الدخان ويترسب الغبار وعندما تهدأ النفوس وتخمد الانفعالات من مفاجأة الصدمة ستظهر الصورة واضحة من عدسات الأقمار الصناعية:

(١) إن الدنمرك هي دولة جزء من هذا العالم.

و(٢) إن الشعب الدنمركي لا يجب أن يوصف إلا بأنه شعب طيب متسامح.

و(٣) أن الإسلام هو جزء من تاريخ البشرية ومن واقع العالم ومن تراث الحضارات الراقية لا يصح تجاهله.

و(٤) أن الدنمركيون الجدد هم مواطنون صالحون جنسيتهم دنمركية وعقيدهم إسلامية لا أكثـــر ولا أقل.

اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية

====================================

صرخةٌ دوَّت فضجَت منها مسامعي...

وأفجعتْ قلبي .. ففزعتُ من نومي وتلاشت كلُ الأحلامِ ..
وأخذتُ أُقلَبُ رأسي.. وأنظرُ من ذا الذي بصراخِهِ أفجعني والناسُ نيام ..
إنه يصيح ويبكي كالأيتامِ ..
أطرقتُ أنصتُ لنحيبِهِ ..من أينَ مصدرُه يا ترى ؟!
فإذا بصرخةٍ أُخرى تهزُ تلكَ الأدراجِ .. وتُرجفُ في بيتي كلَ الأركانِ ..
فبادرتُ إليها مسرعاً .. وفتحتُها .. فإذا بدفاتري وأوراقي مضطربة وكأن بها زلزالٌ .. بل بُركان ..
بعضُها فوقَ بعضٍ .. من تحتِها حبرٌ يسيلُ سيلانَ دموعِ الأحزانِ ...
وإذا بصوتِ الأنينِ يزيدُ ..!؟
فَهُلِع قلبي .. وَذُهِل عقلي .. وأرتجفَ جسمي .. ما الذي يجري ..!؟
أيعقلُ تحتَ الورقِ مصدرُ البكاءِ ..!؟
كيفَ ذلك وكلَ ما في أدراجي جماد في جماد .!!
تمالكتُ نفسي .. وكتمتُ أنفاسي .. ورفعتُ أوراقي ...فزادَ البكاءُ ...!
فيالله ... يا الله .. يا الله .. أيعقلُ !! إنه قلمي هو البكّاءُ ..؟
يا الله هذا الجمادُ ما أبكاهُ ..؟
وهذا الحبرُ ما أجراهُ..؟
فرفعتُه وضممتُه بين كفي أواسيه وأرعاه ؟
وحبره يسيلُ على يدي .. وقطراتٌ من حبرِه تتساقطُ على أوراقي...؟
فلمَّا هدأ
سألتُه :
يا قلمي قل لي بالذي خلق القلم ما الذي أبكاكَ..؟
يا قلمي ما الذي بعث فيك الأحزانُ ؟
يا قلمي ما الذي حرك فيك الأشجانُ ؟
قال القلم :
ضمَني بيدك .. فقد أعياني الصمتُ فيك..
ضمني وأسكبْ الحبرَ على الورقِ ...

ودعْ الحروفَ تخطُ الآهاتِ التي فيني ..
ودعْ كلماتي تنطقُ بما يُبكيني ...
ودع عباراتي تبوح بما يكويني ..
قد هالني أمره .. وأفزعني حسه .. وأحزنني دمعه ..
فأدنيتُ مني الورق .. وأمسكت بقلمي الذي من هول ما فيه أحترق ..
فقلت له متعجباً :
عجباً لك يا جمادُ ..! كيف لك أن تُحِسَّ كما يحسُّ العبادُ ..!؟
فقال :
آآه ثم آآه وكيفَ لا أُحسُّ .. وكيفَ لا أبكي .. وكيفَ لا أحزن .. وكيفَ لا أغاااارُ يـــا أمـــةَ المليارِ
لا تَعْجبْ مني وإن كنتُ جماداً..!
فأنا أبكي حبيباً تحركت من أجله الأرضُ .. والأشجارُ .. والدوابُ..
أبكي حبيباً من أجله بكى جذعُ منبرهِ حنيناً لفراقِه وما سكتَ وما استكانَ حتى ضـــمَّه واعتنقًـــه ..أوليسَ جماداً !؟
أبكي حبيباً في كفِهِ الطاهرِ سبَّحَ الحصى ..أوليسَ جماداً !؟
أبكي حبيباً أمامَه نطقَ الذراعُ خوفاً عليه وقال إني مسمومٌ فلا تأكلني..أوليس الطعامُ جماداً !؟
أبكي حبيباً من أجله نطقَ الحجرُ والشجرُ يُلقونَ عليه السلامَ...أوليسوا جمادا !؟
هل يكفي هذا ؟ أم أزيدُ يا كاتبي .. لتعرفَ من لأجلِهِ تحركَ إحساسي .. ونطقتْ من أجلِه كلماتي ...
وصرختُ أنثرُ أحباري .. يا أيها الراقدُ في المنامِ ..؟
فقلت له :
وكيف لا أعرفُهُ وأنا من هديِهِ أرتوي ..
ومن سنتِه أقتفي ..
ومن سيرتِه أستقي ..
إنه الحبيبُ .. إنه المختارُ .. إنه المصطفى ... إنه محمد عليه أفضلُ صلاةٍ وأتمُ تسليمٍ ...
رسولُنا الذي زوى الله له الأرضَ حتى رأى مشرقَها ومغربَها بعضَها فوق بعضٍ...
هو قدوتُنا وأسوتُنا ومعلمُنا ومرشدُنا وقائدُنا وأستاذُنا لقد أبكيتني يا قلمُ ..وزدتني شوقاً إليه..
فإذا به ينظر إلي بحرقةٍ
فسألته :
هل من خطبٍ جديدٍ؟
فعادَ يكتبُ ويقول:

أوما سمعتَ يا كاتبي عن الذين منه يسخرون .!؟
أوما سمعتَ عن الذين من دينه يستهزؤون..!؟
أوما علمتَ عن الذين بأقبحِ الأوصافِ له يرسمون ..؟
قاطعته وقلت :
بلى بلى يا قلمي
قرأتُ وسمعتُ عن البقرِ ..! عفواً عن رعاةِ البقرِ وهم أضلُ من البقرِ ..!؟
فقال لي متهجماً :
أوماااااااااااااااااا تغارررررررر يا واحداً من المليار ... وتثأر لحبيبك من هؤلاءِ الكفار..؟
أوما سمعتَ أن شيخاً يقولُ بأنه رأى الحبيبَ المصطفى في المنامِ غضبانٌ على من سكتَ وما غــارَ وما ثارَ ؟
وأنه تبسم لمن ناصرَه وآزرَه..؟
طأطأتُ رأسي حينها...وسالت من عينيَّ دمعاتٌ ...
وخرجت من نفسي آهاتٌ وزفراتٌ ...
ونظرتُ إليه بِطرْفِ عيني ثم نطقتُ
أقول..:
آآآهِ يا قلمي ...ثم آآه...على تلك الأقلامِ ...
إني واللهِ لأشدُّ غضباً من هؤلاءِ الأقزامِ ...
ولكن أنت يا قلمي المُلام ...
أوما سمعتَ عن الذين سبُوا الإلهَ قبلَ رسولِنا ... ونالوا من شرعِنا في ما مضى من الأيامِ ..؟
أو ما قرأتَ حروفَهم .. أوما سِمعتَ كلامهم.. أوما رأيت نعيقَهم .. عبرَ وسائلِ الإعلامِ .؟
سخِروا من الباري
واستهزؤوا برسولِنا الهادي
وضحكوا من ديني الغالي
ومزقوا قرأني
حتى قال أحدهم ..((الله والشيطان وجهان لعملة واحدة)) ...
أين أنت من بني علمان ؟ ... أين أنت ممن يلبسُ لباسَ الإسلامِ وهم فيهم يطعنون ليلَ نهار..؟
أين أنت من أؤلئك الذين
بكفرِ صحابةِ رسولنا يُصرَحون
وبالشرك يصدعون ..
وبالسخرية والاستهزاء من السنةِ يصدحون ..؟
وفي أمهاتِ المؤمنين يطعنون ؟

فجأة نظرتُ إليه بحدةٍ
وقلتُ:
ما بك يا قلم اِكتب .. تكلم .. لِمَ السكوت ُيا صاحبَ الغيرة ؟
فقال :
ماذا عساي أن أقول .. لقد أفحمتني .. وأحييت في قلبي الجراح ..
وأصابني اليأس من تكالب الأعداء من كلِ حدبٍ وصوبٍ
قاطعته مرتلاً وبصوت الواثق
وقلت :
{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } (١١٠) سورة يوسف
وقلت له لا تيأسْ يا قلم ما دام فينا أميرٌ يستدعي
وعالمٌ يفتي ..
وداعيةٌ يوجه ..
وخطيبٌ ينادي ..
وشاعرٌ ينظم ..
وتاجرٌ يقاطع ..
ومنشدٌ يشدو..
وامرأةٌ تربي ..
وإعلامُ مجدٍ للمجدِ يرنو ويرقى..
ولا تحزن فالخير في أمتنا باق وإن غَفَلَ الكثيرُ .. وقام لنصرته القليلُ ..
فضمني يا قلمي بقوةٍ .. وشُدَّ من أزري كما شددتُ عليك كفي ...
واكتب للناسِ أجمعين إننا للعزةِ قادمون .. وللنصرِ متهيئون ..
وأبشَرك يا قلمي .. أنا ومن معي من الدعاةِ لن نسكتَ على رعاةِ الأبقار
لن ننسى ما يخططه بنو علمان والمنافقون الفجار
ولن تستكين نبضات قلوبنا حتى نرى ذلة الكفار ...
وستطلق نبضات قلوبنا التي هتفت بحب الله ورسوله حملة شعارها
...((المليار مع محمد))...
من موقع نبض الوفاء
ضدَ حملةِ المليون التي أطلقوها ... لتشويه صورة أشرف الخلق محمد صلى الله وعليه وسلم
وبذلوا لها الغالي والنفيس ليصدوا عن سبيل الله

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْـرَةً ثُـمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} (٣٦) سورة الأنفال

فكما حشدوا مليون منصّرٍ لتشويه صورةِ رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

سنحشد بإذن الله مليارَ داعيةٍ .. يتبعون ملة محمدٍ .. ويتخلقون بخلقِ محمدٍ ..

ويعيشون حياةَ محمد ..

ويجاهدون جهادَ محمدٍ ... ويأخذون سنةَ محمد ... ويتشبهون بشكلِ محمد .. وينصرون محمداً..

وما حادثةُ الدنمارك إلا واحدةً مما يخططون له .. ولكنها أيقظت العملاقَ في نفوسِنا ..

ولعلها تكونُ بدايةَ الانطلاقة ...

فاملأ الحبر يا قلمُ ... وأستعد للتصدي لكل ناعقٍ ... وكن للخير سابقاً ...

وللشر ساحقا ..

لعلك تكونُ سبباً في رضى الرحمنِ .. فيدخلني الجنان ..

كتبه أخوكم المحب / أبو زيد

مدير عام نبض الوفاء

٢٩\١٢\١٤٢٦هـ ...

==========================

صفة مزاح النبي صلى الله عليه وسلم

إن الإسلام دين واقعى لا يحلق فى أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان علـى أرض الحقيقة والواقع .. ولا يعامل الناس كأهم ملائكة، ولكنه يعاملهم كبشر يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق.

لذلك لم يفرض الإسلام على الناس أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل سماعهم قراناً، وكل فراغهم فى المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرهم وغرائزهم التى خلقهم الله عليها، وقد خلقهم – سـبحانه – يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، ولقد كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم مثـالاً رائعـاً للحياة الإنسانية المتكاملة، فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء، ويقوم حتى تتورم قـدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشر سوى، يحب الطيبات ويـبش ويبتسم ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقاً

ولذا فلا عجب أنه صلى الله عليه وسلم كان يتفكه حيناً ويطرف للفكاهة والمزاح – الذى لا يحمل إثماً – أحياناً، فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته جافاً ولا قاسياً ولا فظاً ولا غليظاً، وإننا عند استعراض سيرته وحياته صلى الله عليه وسلم نجدها قد تخللها نوع من الدعابة والمزاح.

كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول فى مزاحه إلا الحق، ووردت لنا أحاديث كثيرة فى ذلك منها:

١– ما جاء عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قالوا (أى الصحابة): "يا رسول الله إنك تداعبنا ! قال صلى الله عليه وسلم: لا أقول إلا حقاً"، وفى رواية: "إنى وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً".

وفى رواية ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً".

ويطيب لنا أن نذكر بعض آراء علماء المسلمين فى هذه المسألة: فنجد أن الإمام الغزالى – رحمة الله – قد تكلم فى هذه المسألة، وهى صفة مزاحه صلى الله عليه وسلم ويشرحها بقوله: "فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فكيف ينهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً، ولا تؤذى قلباً، ولا تفرط فيه، وتقتصر أحياناً على الندور فلا حرج عليك، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينبغى أن يغفل عن هذا ...".

وقال الإمام ابن حجر الهيثمى: "إن المداعبة لا تنافى الكمال؛ بل هى من توابعه ومتمماته إذا كانت جارية على القانون الشرعى، بأن تكون على وفق الصدق والحق، ويقصد – بها – تأليف قلوب الضعفاء وجبرهم، وإدخال السرور عليهم والرفق بهم، ومزاحه صلى الله عليه وسلم سالم من جميع هذه الأمور، يقع على جهة الندرة لمصلحة تامة، من مؤانسة بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنة، وما قيل: إن الأظهر أنه مباح لا غير فضعيف، إذ الأصل من أفعاله صلى الله عليه وسلم وجوب أو ندب للتأسى به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك ولا دليل هنا يمنع منه، فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين".

وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بذلك ويقر به ويبيح المزاح بحضرته صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك أنه كان عائشة – رضى الله عنها – تمزح، والنبى صلى الله عليه وسلم جالس ولا ينكر ما تقوله، بل كان يوافقها.

فعن ابن أبى مليكة قال: "مزحت عائشة – رضى الله عنها – عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت أمها: يا رسول الله! بعض دعابات هذا الحى من كنانة"، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: بل بعض مزاحنا هذا الحى".

صور من مزاح النبى صلى الله عليه وسلم

١– مزاحه صلى الله عليه وسلم بالأفعال:

كان النبى صلى الله عليه وسلم يمازح صحابته بأفعاله وأقواله، فمن نماذج مزاحه بأفعاله:

مزاح النبى صلى الله عليه وسلم وزاهر بن حرام – رضى الله عنه –:

تحكى كتب السنة لنا ما دار بين النبى صلى الله عليه وسلم وزاهر بن حرام، وكان من الصحابة الذين يبعثون الهدايا للنبى صلى الله عليه وسلم، ولندع أنساً – رضى الله عنه – يروى لنا هذه الدعابة:

عن أنس – رضى الله عنه – : "أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبه وكان دميماً فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلنى من هذا؟ فالتفت، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه، وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول: من يشترى العبد؟ فقال: يا رسول الله إذاً والله تجدنى كاسداً، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لكن عند الله لست بكاسد أنت غال، وفى رواية: أنت عند الله رابح".

مع عائشة – رضى الله عنها – :

كان صلى الله عليه وسلم يقطع ملل الحياة الزوجية ببعض المزاح لترفيه عن أهله، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق بعض زوجاته:

فعن عائشة – رضى الله عنها – : "أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر، وهى جارية، فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالى أسابقك، فسابقته، فسبقته على رجلى، فلما كان بعد، خرجت معه فى سفر، فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالى أسابقك، ونسيت الذى كان وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله، وأنا على هذه الحال؟ فقال: لتفعلن، فسابقته فسبقنى، فقال: هذه بتلك السبقة".

مع الأطفال:

حتى الأطفال كان صلى الله عليه وسلم يمازحهم ويشاركهم لعبهم:

فروى عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبدالله وعبيد الله وكثير بن العباس ثم يقول: "من سبق إلى فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم".

مع رجل من الأنصار:

كان الأنصار – رضى الله عنهم – يتمازحون ويتضاحكون، ويحكى لنا أسيد بن حضير ما حدث بين النبى صلى الله عليه وسلم ورجل منهم:

صلى الله عليه وسلم

سلمان بن فهد العودة

لم يكتب لأحدٍ من البشر من الأثر والخلود والعظمة ما كتب لصاحب النسب الشريف - صلى الله عليه وسلم- .

ولقد دونت في سيرته الكتب ، ودبجت في مديحه القصائد، وعمرت بذكره المجالس ، وبقيت عظمته قمة سامقة لاتطالها الظنون .

تقلبت به صروف الحياة من قوة وضعف ، وغنى وفقر ، وكثرة وقلة ، ونصر وهزيمة ، وظعن وإقامة ، وجوع وشبع ، وحزن وسرور ، فكان قدوة في ذلك كله، وحقق عبودية الموقف لربه كما ينبغي له .

ظل في مكة ثلاث عشرة سنة ، وما آمن معه إلا قليل ، فما تذمّر ولا ضـــجر ، وجـــاءه أصـــحابه يشتكون إليه ويسألونه الدعاء والاستنصار فحلف على نصر الدين وتمام الأمر ، وأنكر عليهم أنهـــم يستعجلون ، فكان الأمر كما وعد ، علماً من أعلام نبوته ، ونصراً لأمر الله ، لا للأشخاص .

وكان من نصره أن تأتيه وفود العرب من كل ناحية مبايعة على الإسلام والطاعة فما تغير ولا تكبّر ، ولا انتصر لنفسه من قوم حاربوه وآذوه وعاندوا دينه .

كما كان يقول أبو سفيان بن الحارث :

لعمرك إني يوم أحمل راية ... ...

لتغلب خيل اللات خيل محمدِ

لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... ...

فهذا أواني حين أهدى وأهتدي

هداني هادٍ غير نفسي ودلني ... ...

على الله من طردته كل مطرد

وما حملت من ناقة فوق ظهرها ... ...

أبر وأوفى ذمة من محمد

فاستل العداوات ، ومحا السخائم ، وألّف القلوب ، وأعاد اللُّحمة ، وعرف عدوُّه قبل صديقه أنهـــا النبوة ، وأنه لم يكن صاحب طموح شخصي ولا باني مجد ذاتي ، وإن كان الطموح والمجد لـــبعض جنوده .

تعجب من عفويته وقلة تكلفه في سائر أمره ، واحتفاظ شخصيته بهدوئها وطبيعتها وتوازنها مهمـــا تقلبت عليها الأحوال، واختلفت عليها الطرائق .

قل إنسان إلا وله طبعه الخاص الذي يبين في بعض الحال ويستتر في بعض ، ويترتب عليه اســـترواح لقوم دون آخرين ، ويحكم العديد من مواقفه وتصرفاته حاشاه -صلى الله عليه وسلم- .

فهو يُقْبِل بوجهه على كل جليس ، ويخاطب كل قوم بلغتهم ، ويحدثهم بما يعرفون ، ويعاملهم بغاية اللطف والرحمة والإشفاق ، إلا أن يكونوا محاربين حملوا السلاح في وجه الحق ، وأجلبوا لإطفاء نوره وحجب ضيائه .

كل طعام تيسر من الحلال فهو طعامه ، وكل فراش أتيح فهو وطاؤه ، وكل فرد أقبل فهو جليسه .

ما تكلف مفقوداً ، ولا رد موجوداً ، ولا عاب طعاماً ، ولا تجنب شيئاً قط لطيبه ، لا طعامـــاً ولا شراباً ولا فراشاً ولا كساءً، بل كان يحب الطيب، ولكن لا يتكلفه .

سيرته صفحة مكشوفة يعرفها محبوه وشانئوه ، ولقد نقل لنا الرواة دقيق وصف بدنه ، وقسمات وجهه ، وصفة شعره ، وكم شيبة في رأسه ولحيته ، وطريقة حديثه ، وحركة يده ، كما نقلوا تفصيل شأنه في مأكله ، ومشربه ، ومركبه ، وسفره ، وإقامته ، وعبادته ، ورضاه ، وغضبه ، حتى دخلوا في ذكر حاله مع أزواجه أمهات المؤمنين في المعاشرة ، والغسل ، والقسم ، والنفقة ، والمداعبة ، والمغاضبة ، والجد، والمزاح ، وفصلوا في خصوصيات الحياة وضروراتها .

ولعمر الله إن القارئ لسيرته اليوم ليعرف من تفصيل أمره ما لا يعرفه الناس عن متبوعيهم من الأحياء ، ومالا يعرفه الصديق عن صديقه ، ولا الزوج عن زوجه ، ولا كان أهل الكتاب يعرفونه شيئاً يقاربه أو يدانيه عن أنبيائهم وهم أحياء ؛ وذلك لتكون سيرته موضع القدوة والأسوة في كل الأحوال ، ولكل الناس.

فالرئيس والمدير والعالم والتاجر والزوج والأب والمعلم والغني والفقير ...

كلهم يجدون في سيرته الهداية التامة على تنوع أحوالهم وتفاوت طرائقهم .

والفرد الواحد لا يخرج عن محل القدوة به -صلى الله عليه وسلم- مهما تقلبت به الحال ، ومهما ركب من الأطوار، فهو القدوة والأسوة في ذلك كله.

وإنك لتقرأ سيرة علم من الأعلام فتندهش من جوانب العظمة في شخصيته فإذا تأملت صلاحيتها للأسوة علمت أنها تصلح لهذا العلم في صفته وطبعه وتكوينه ، ولكنها قد لا تصلح لغيره .

ولقد يرى الإنسان في أحوال السالفين من الجلد على العبادة ، أو على العلم ، أو على الزهد ما يشعر أنه أبعد ما يكون عن تحقيقه حتى يقول لنفسه :

لا تعرضن لذكرنا مع ذكرهم ... ...

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعدِ

فإذا قرأ سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحس بقرب التناول وسهولة المأخذ ، وواقعية الاتباع .

حتى لقد وقع من بعض أصحابه ما وقع فقال لهم : " أنا أخشاكم لله ، وأتقاكم له، وأعلمكم بما أتقي".

وقال :" اكلفوا من العمل ما تطيقون " .

وقال : " إن هذا الدين يسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ، والقصدَ القصدَ تبلغوا ".

ولهذا كان خير ما يربى عليه السالكون مدارسة سيرته وهديه وتقليب النظر فيها وإدمان مطالعتها واستحضار معناها وسرها ، وأخذها بكليتها دون اجتزاء أو اعتساف .

إن الله -عز وتعالى- لم يجعل لأحد وراء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا المنصب الشريف : منصب القدوة والأسوة ؛ لأنه جمع هدى السابقين الذين أمر أن يقتدي بهم " فبهداهم اقتده " إلى ما

خصه الله -تعالى- وخيَّره به من صفات الكمال ونعوت الجمال ، ولهذا قال -سبحانه- : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ".

إن حياته -صلى الله عليه وسلم- وحياة خلفائه الراشدين هي المذكرة التفسيرية والترجمة العلمية لنصوص الشريعة .

ومن الخير أن تظل هذه السيرة بواقعيتها وصدقها محفوظة من تزيد الرواة ، ومبالغات النقلة التي ربما حولتها إلى ملحمة أسطورية تعتمد على الخوارق والمعجزات ، وبهذا يتخفف الناس من مقاربتها واتباعها ليكتفوا بقراءتها مع هزِّ الرؤوس وسكب الدموع وقشعريرة البدن .

إن الآيات التي تأتي مع الأنبياء حق ، لكنها الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ، والقاعدة هي الجريان مع السنن الكونية كما هي .

وكثيرون من المسلمين ، وربما من خاصتهم يستهويهم التأسي بالأحوال العملية الظاهرة في السلوك والعبادة وغيرها ، فيقتدون به -صلى الله عليه وسلم- في صلاته " صلوا كما رأيتموني أصلي " وحجّه " خذوا عني مناسككم " وسنن اللباس والدخول والخروج ...

وهذا جزء من الاتباع المشروع ، بيد أنه ليس كله ، ولا أهم ما فيه ، فإن اتباع الهدي النبوي في المعاملة مع الله تعالى ، والتجرد والإخلاص ، ومراقبة النفس ، وتحقيق المعاني المشروعة من الحب والخوف والرجاء أولى بالعناية وأحق بالرعاية ، وإن كان ميدان التنافس في هذا ضعيفاً ؛ لأن الناس يتنافسون -عادة- فيما يكون مكسبة للحمد والثناء من الأمور الظاهرة التي يراها الناس ، ولا يجدون الشيء ذاته في الأمور الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله ، وربما تحرى امرؤ صفة نبوية في عبادة أو عمل واعتنى بها وتكلف تمثلها فوق المشروع ، دون أن يكلف نفسه عناء التأمل في سر هذه الصفة وحكمتها وأثرها في النفس .

وهذه المسائل ، حتى التعبدية منها ؛ ما شرعت إلا لمنافع الناس ومصالحهم العاجلة والآجلة ، وليست قيمتها في ذاتها فحسب ، بل في الأثر الذي ينتج عنها فيراه صاحبه ويراه الآخرون .

وإنه لخليق بكل مسلم أن يجعل له ورداً من سيرة المصطفى -عليه السلام- ، إن كان ناشئاً فمثل (بطل الأبطال) لعزام، وإن كان شاباً فمثل (الشمائل المحمدية) لابن كثير أو الترمذي ، و (الفصول) لابن كثير ، أو (مختصر السيرة) أو (الرحيق المختوم) أو (تهذيب سيرة ابن هشام) وإن كان شيخاً فمثل (سيرة ابن هشام) أو (ابن كثير) وإن كان متضلعاً بالمطولات فمثل (سبل الهدى والرشاد) وكتاب (نضرة النعيم) .

رزقنا الله حب نبيه وحسن اتباعه ظاهراً وباطناً وحشرنا في زمرته مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

================================

صمت القبور على أفعال الفاتيكان!

في هدوء شديد، وبدون أن تجرؤ أجهزة الإعلام العربية على نشر أي تلميح عنه ولو من بعيد؛ نشر الفاتيكان بيانًا موجهًا إلى السيدات أو النساء الكاثوليكيات يحذرهن من الزواج بالمسلمين لأنهن بذلك يعرضن أنفسهن لخطورة انتهاك حقوقهن الإنسانية والاضطهاد، لاسيما إذا انتقلن للعيش مع أزواجهن في البلاد الإسلامية، و لم ينس البيان أن يدعو المسلمين إلى إدخال مبادئ المساواة بين الرجال والنساء.. جاء هذا الخبر منذ أسابيع في محطة (الجزيرة) الفضائية و لم تجرؤ الصحف العربية على نشره كما قلنا. الفاتيكان محق فيما يفعله من تجهم على المسلمين وعلى سلوكياتهم لأنه يعرف مسبقًا أن أحدًا لن يجرؤ على الرد عليه وأن الرؤساء المعنيين للمؤسسات العربية الإسلامية هنا وهناك سوف تكمم أفواههم عن الرد على الفاتيكان المعظم، هذا إذا أرادوا أصلاً أن يردوا و لم يكونوا يميلون إلى رأي الفاتيكان الذي أصبحت له عندهم قدسية طاغية ومرجعية عليا، والفاتيكان يعلم أن هؤلاء مشغولون الآن بالحديث حول الحوار مع الآخر وليس بالدفاع عن دينهم وعقيدتهم، والفاتيكان محقٌّ كذلك في طلب الامتناع عن زواج الكاثوليكيات من المسلمين؛ لأن الفاتيكان يعيش الآن في حالة عدم الاستقرار ووضع صعب يتحتم معه الهجوم والخروج بأي قضية مظهرية للفت الأنظار وكسب الدعاية، والفاتيكان تسهم في طول الدنيا وعرضها بالتستر على فضائح جنسية تقوم بها قطاعات من كهنته وفي مناصب عليا بالتحرش والاعتداء على الأطفال، والفاتيكان مطارد ومتهم في دول الكتلة الشرقية السابقة بأنه يحاول نشر المذهب الكاثوليكي وسط أهل تلك البلاد الذين يفترض أنهم يدينون بالمذهب الأرثوذكسي.. فالفاتيكان يريد تحسين وضعه في أوروبا بركوب موجة العداء للإسلام ونبيه –صلى الله عليه وسلم-؛ ليكسب وضعًا جيدًا مع الحكومات الغربية، ويضمن بذلك وضع النص في الدستور الأوروبي الموحد على أن المسيحية هي الهوية الثقافية والتراث الإنساني للشعوب الأوروبية، ولكن إذا كان الفاتيكان يسعى إلى كل هذه المكاسب وأبرزها تحويل الأنظار عن فضائح كهنته الجنسية؛ فلماذا يكون ذلك على حساب الكذب على الإسلام وتشويه صورة نبي الإسلام؟ وإذا كان الفاتيكان يفعل ما يحلو له؛ فإن اللوم يجب أن يوجه إلى أولئك الذين ملأوا الدنيا بما يسمونه الحوار الديني مع الفاتيكان بالذات، وأقاموا لذلك الهيئات والإدارات والمكاتب وجعلوها هي الحاكمة على المؤسسة الدينية، وجعلوا من رؤساء هذه المكاتب من الأفندية الغامضين سلطات تفوق سلطة رؤساء هذه المؤسسات في المشايخ (السابقين).

لقد سكت هؤلاء سكوت القبور على بيان الفاتيكان ومعهم حق؛ فلم تصدر لهم الأوامر بذلك، بل الأوامر تصدر فقط بإصدار بيانات السب والشتم للمسلمين (المتطرفين طبعًا) وبيانات المديح والتفخيم في فلان وعلان وعلى رأسهم الفاتيكان المعظم، ويكف هؤلاء عارًا أن رأسهم الأعلى بابا روما أصدر بيانات يشجب فيها منع الحجاب في فرنسا بينما بارك بعضهم هذه الخطوة العظيمة وأضافوا إلى ما قاله وزير داخلية فرنسا بأن يغادرالمسلمون فرنسا إذا لم يعجبهم قرار منع الحجاب!

ويبقى أن الفاتيكان غير محق في دعوة المسلمين إلى تحقيق المساواة بين الرجال والنساء؛ فهناك مساواة بالفعل بينهم في العالم الإسلامي في الظلم والقهر وتكميم الأفواه والاستعباد!

=========================

طبت حياً وميتاً

نايف بن محمد اليحيى (*)

لما أشرق نور نبوة حبيبنا – صلى الله عليه وسلم – في هذا الكون، أضاء بأنواره وحقيقته معالم الحياة، وأزال بصفائه ونقائه ظلمات الشرك وخرافات الجهل والضلال، وطمست بيناته الساطعة وبراهينه الصادقة كل لون من ألوان الانحراف العقدي أو التخلف البشري، فمبعثُه عليه الصلاة والسلام نور ورحمة للبشرية أضاءها حِساً قبل أن يُضيئها معنى.. فعند ولادته ووضع أمه له رأت نوراً خرج منها فأضاء مدائن بصرى والشام حتى أبصره أهل تلك المدن،،

إن الرسول لنور يستضاء بِهِ

وصارم من سيوف الله مسلولُ

بل إن الجمادات والحيوانات استبشرت وسعدت بنبوته.. فهذا حجر يسلم عليه، وذا طعام يسبح بين يديه، وذاك جذع يحن إليه، وتلك ناقة تشكو صاحبها لقسوته، وذاك ذئب يبشر بنبوته، وتلكم إبل تتسابق لينحرها بيده، وكل هذه الأمثلة وردت ونقلت في أحاديث صحيحة.

ولذا كان لزاماً على أهل الإيمان أن يعلموا أن حب الله ليس دعوى باللسان، ولا هياماً بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله، والسير على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة.. وإن الإيمان ليس فقط كلمات تقال، ولا عبارات تردد، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تقام، ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول.ولذا يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله – تعليقاً على قوله سبحانه:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}(٣١) سورة آل عمران: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأعماله. كما ثبت في الصحيح (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

وكما قال بعض الحكماء: ليس الشأن أن تحب وإنما الشأن أن تحب، وقال الحسن: زعم قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

وقال ابن القيم – رحمه الله – في كتابه زاد المعاد: (ومن تأمل في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام.. علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس مجرد المعرفة فقط.. ولا المعرفة والإقرار فقط.. بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً.

(*) بريدة

نشرت جريدة الجزيرة في ١٤٢٧/١/١١هـ

المجرم الذي يسخر من الرسول الكريم

عبدالكريم بن عبدالله المشيقح (*)

من ضروب الغباء والسخافة حينما يحاول الأقزام أن يجرحوا مشاعر المسلمين من منطلق عداوتهم. نشرت صحيفة (جلاند ربوستن) الدنمركية يوم ٢٦-٨ عام ١٤٢٦هـ عددا من الرسومات ذات الصور الكاريكاتيرية الساخرة لسيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين وإمامهم وقدوتهم وخيرة الله من خلقه محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

رسم الكاتب المجرم في إحدى هذه الصور شلت يداه ما معناه أن محمدا مجرم حرب.

ظنا منه قبحه الله وأخزاه أن عمله سوف يهدد بالنقصان من مقام ومكانة الرسول الكريم صاحب المقام المحمود والحوض المورود.

وبعد ذلك في يوم عيد الأضحى المبارك تكالبت أعوانه من النصارى في تعميق جذور العداوة الساخرة من الإسلام ومن جميع المسلمين وقد أدلت بدلوها جريدة (ماجزينت النرويجية) لتساهم في جريمة نشر الصور. قال الله تعالى في سورة البقرة {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}ولعل من الدواعي لشن هذه الغارة الصحفية الرعناء في سب أشرف عباد الله وأحبهم إليه وهذه الدنمارك منذ عدة أشهر كما علمنا تسلط عبر صحفها ووسائل إعلامها حملة شرسة بسبب أن بعض أبناء شعبها أقبلوا جديا على اعتناق الدين الإسلامي كغيرهم من شعوب العالم، وبذلك أغواهم الشيطان رسول لهم محاولة التطاول على الرسول الكريم المعصوم وتشويه سيرته ورسالته ودعوته التي جعلها الله رحمة للعالمين، ويظنون خطأ أنهم سوف يوقفون هذا الزحف الإسلامي المجيد، ولكن بإذن الله سيدخل الناس في دين الله طائعين مختارين على رغم أنوفهم والسحب لا يضرها نبح الكلاب.

ولقد لمسنا والحمد لله فيضا من تذمر الشعوب الإسلامية التي أثار غضبها ما نشرته هاتان الصحيفتان؛ لذلك السبب اتخذت الدول الإسلامية مجموعة من الإجراءات الإيجابية المشكورة وهي المقاطعة التجارية والسياسية والعمالة وغير ذلك.

وقد سارع لاتخاذها صاحب المبادرات البناءة المعروفة خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله ووفقه وأدام عزه.

وبناء عليه قدمت الدولتان الدنمركية والنرويجية اعتذارهما بعد الضغط عليهما بالمقاطعة ونحن نقول إن الاعتذار لا يكفي أبدا لا يكفي. نحن نطالب باستمرار المقاطعة التي تعتبر العقوبة الرادعة ولو استطعنا أكثر من ذلك لفعلنا.

فقد ذكر العلامة أحمد بن تيمية رحمه الله في كتابه (الصارم المسلول) على شاتم الرسول ذكر أنه يجب قتله مسلما كان أو كافرا؛ لأن محبة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم واجبة علينا فهو أحب من أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين.

(*) بريدة

عدوان على الذاكرة... الخط الأول في الدفاع عن الهوية
نشـــــــــــرت جريـــــــــــــدة الـــــــــــــوطن في ١٤٢٧/١/٩هـــــــــــــــــــ
========================

عدوان على الذاكرة... الخط الأول في الدفاع عن الهوية

يوسف مكي*

في حديث سابق أشرت إلى أن الحرب التي تتعرض لها الأمة حاليا لا تستهدف احتلال الأرض ونهب الثروة فقط، بل إلى التعدي على الذاكرة، لسبب بدهي ومنطقي هو أن الذاكرة هي خـــط الـــدفاع الأول عن الهوية.

لماذا نعتبر الذاكرة الخط الأول في الدفاع عن الهوية؟. الجواب بداهة يكمن في رؤيتنا لها باعتبارهـــا الحاضن لما تختزنه الأمة في وجدانها من مواريث تراكمت وترسخت عبر عقب تاريخية ممتدة. هـــذه المواريث هي التي تشكل الهوية. وحين نشير إلى المواريث فإن المقصود بها مجموع الخصائص الدينيـــة والتاريخية واللغوية والنفسية التي تؤدي إلى الفصل بشكل حاسم بين جماعة من الناس وأخرى، والتي تشكل مجتمعة شخصية الأمة. وتنتج هذه الخصائص عن عاملين رئيسيين: الأول، داخلي يتمثـــل في تقاليد ومواريث. والثاني، يعكس تفاعل الأمة مع وضع عالمي فوار متغير، مفرزا موجـــات ثقافيـــة متعددة ونماذج حضارية مختلفة، ينتج عنها ردود أفعال ذاتية تفرض التعامل بخصوصـــية مـــع تلـــك التقاليد، مانحة إياها هوية جديدة.

وإذن فالذاكرة، في جانب مهم منها هي وعي الذات. وهذا الوعي شرط أساسي وضروري للصمود والتماهي مع إرادة البقاء، وهو أيضا شرط لا مفر منه للتهيؤ للمستقبل. ولا نبالغ إذا قلنا إن الأمـــة العربية في مواجهتها للمحتل، قد استندت كثيرا على ذاكرتها، واستمدت منها المنعة والقوة لتحقيـــق النصر، من خلال استنهاضها لإرثها ومخزونها الحضاري وكان الإسلام هو أهم أركان ذلك المخزون.

ومع أن وجود العربية سابق للإسلام، إلا أن العرب لم يؤسسوا كيانا مركزيا قبله. وقد شهد صـــدر الدعوة الإسلامية قفزات حضارية بالنسبة للعرب. وكان الإسلام أول من أدخل فكرة الأمة لديهم، تربطها العقيدة، ووضع الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام أسسها وتنظيمها،،. بقي مفهوم الأمة راسخا، واستمر محور الفكر والتعامل في دار الإسلام، ولكن قوة الأمة سياسيا لم تتحقق إلا في فترة قوة العرب.

كانت العلاقة بين العرب والإسلام قوية وعصية على الانفصام، وقد شاء العلي القـــدير أن تكـــون كذلك باستمرار، عبر حقب التاريخ. لقد نزل القرآن الكريم باللسان العربي المبين، وحمل العرب راية الإسلام في المراحل الأولى لبزوغ فجره، واقترنت أمجاده وانتصاراته بهم. ووضعت أصول الشـــريعة والفقه بثقافتهم ولغتهم، وكان جل علمائه ومفكريه في صبح تأسيسه منهم. وقد أعطى ذلـــك دورا مركزيا ومميزا في مسيرة الإسلام عبر العصور. وبالمثل، توحد العرب بالإسلام، لأول مرة في تاريخهم،

وبه كونوا أول دولة ضمتهم جميعا، هي دولة الخلافة، استمرت فترة تجاوزت القرنين، قبل أن يـــبرز فيها تأثير الأجناس غير العربية.
هكذا أصبحت العلاقة عضوية بين الدين الإسلامي الحنيف وبين أبناء هذه الأمة، لدرجة جعلت من الصعب على المرء الفصل بين العدوان على الدين والعدوان على الأمة. وكان المحتلون يدركون بقوة هذه الحقيقة. ولذلك كانوا لا يفصلون بين العدوان على الأرض والعرض وبـــين العـــدوان علـــى المقدسات الإسلامية.
رأينا على سبيل المثال، الاستعمار الفرنسي في الجزائر يقوم بالسطو على الأرض والممتلكات، ويمارس امتهانا للعقيدة الإسلامية، ويمنع السكان من التحدث بالعربية، محرضا على الابتعاد عـــن الطقـــوس والعبادات الدينية. وكان يعتبر ذلك جزءا من وسائل تخريب الثقافة القومية للشعب الجزائري، وتدمير مقوماته. فكان لابد والحال هذه أن يكون اتجاه المقاومة الوطنية ورد الفعل ضد عـــدوان المســـتعمر تداخل المعاني والمضامين الدينية مع معاني ومضامين الكفاح الوطني من أجل الاستقلال.
وحين وصل الجنرال اللينبي أثناء الحرب العالمية الأولى، واحتل فلسطين، لم تغب عن ذاكرته الحروب الصليبية، رغم أن الثورة العربية كانت حليفة لبلاده. وعند وصوله إلى قبر البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي، بطل موقعة حطين، قال مخاطبا له "ها نحن عدنا يا صلاح الدين".
وضمن هذا التحليل، يمكننا فهم لماذا تدمر بيوت الله عند أي غزو استعماري صليبي. فهذه المساجد هي جزء من قوة الشعب المؤمن، وجزء من موروثه الحضاري، وعنصر هام من عناصر مقاومته للبغي والعدوان. ومن هنا نفهم لماذا حرص مجرم الحرب، أرييل شارون على تدنيس المسجد الأقصى، ولماذا تعرض أولى القبلتين وثالث الحرمين، لعدة محاولات تخريبية منذ احتلال القدس في حرب يونيو عـــام ١٩٦٧. إن شارون يريد أن يركع الفلسطينيين ويقهر إرادقم، من خلال التعرض لمعتقداقم. ويـــأتي التعرض لأماكن العبادة، في الغالب متزامنا مع اعتداءات أخرى على العرض والأرض والكرامة، ظنا من الغزاة أنهم بذلك سيتمكنون من إضعاف مقاومة الشعب المحتل لهم.
في واقعنا العربي، شهدنا من جهة قوة مقاومة الشعب المحتل للغزاة، والتمكن من انتزاع الاســـتقلال والنصر في معظم البلدان العربية. لكن ذلك، للأسف، لم يعزز بفعل مماثـــل بعـــد الحصـــول علـــى الاستقلال. لقد غاب عن النظام العربي الرسمي، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هـــذا أي متصور استراتيجي للتعامل مع الصراع العربي- الصهيوني، وانعدم معها أيضا أي تخطـــيط عملـــي وعلمي لصناعة المستقبل.
عجز النظام العربي عن التعامل بجدية مع قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، وعجـــز عـــن تحقيـــق التضامن في مواجهة الأحلاف والمشاريع الأجنبية المشبوهة. وعجز عن الرد على عدوان الصهاينة في عام ١٩٦٧م، ووقف العرب جميعا متفرجين وهم يسمعون استغاثات أطفال فلسطين، ويسمعون أدق التفاصيل عن مجزرة صبرا وشاتيلا في لبنان. ووقفوا صامتين أيضا أمام تدمير أمريكي منهجي لبغـــداد عاصمة العباسيين وقتل الأطفال في ملجأ العامرية. وعجزوا عن إسناد أطفال الحجارة في انتفاضتهم

الباسلة بفلسطين، وشاركوا بالصمت العاجز في احتلال العراق.. وعجزوا وعجزوا رغم وعود سخية قدموها بالجهاد وبالدفاع عن الأرض والثوابت والتمسك بالمعاهدات والمواثيق.. ووضح للجميع أن تلك الوعود قد انتهكت جميعا قبل أن يجف الحبر المسكوب في صياغتها.

وبدلا من تحقيق الحد الأدنى من التضامن العربي، من أجل البناء والتنمية ومواجهة العدوان استمرت عقلية داحس والغبراء هي السائدة فيما بينهم. ولأنهم ما زالوا يعيشون روح القبيلة تمسكوا، تجاه بعضهم، بوصية كليب لأخيه المهلهل "لا تصالح"، وبقوا محافظين عليها، وحين عزموا على الدخول في العصر الجديد تباروا إلى تمزيق نسخ من تلك الوصية ولكن ليس مع بعضهم البعض، بل في كامب ديفيد ووادي عربة وأوسلوا.

كان الشعب في كل مرة تواجه الأمة فيها تحديا مصيريا، يهب إلى الشوارع، بأشكال عفوية، معبرا عن سخطه وغضبه في دورات ما تلبث أن تنقطع، شأنها في ذلك شأن العواصف والأعاصير في الكون، قانونها الطبيعي أن تأتي بشكل دراماتيكي ومفاجئ، ثم ما تلبث أن تسكن وتهمد، ليعود بعدها الناس إلى حياتهم المعتادة... يتركون الشوارع حاملين معهم يافطاتهم وقتلاهم وجرحاهم، ولا يبقى بعد ذلك من أثر لتلك الانطلاقات العفوية إلا ما تدونه الأسفار والمراجع والكتب.

الآن يحدث من جديد عدوان خطير على ذاكرة الأمة من خلال التعرض لشخصية نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم. فبعد أن نشرت إحدى الصحف الدنماركية رسوما كاريكاتورية في سبتمبر الماضي تتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم، قامت الجاليات الإسلامية بحث الحكومة لاتخاذ موقف يراعي مشاعر المسلمين، لكن رئيس الوزراء الدنماركي رفض ذلك مؤكدا على أن تلك الجريمة تأتي في سياق حرية الرأي التي تكفلها أنظمة المجتمع في ذلك البلد. والغريب أن عددا من الدول الأوروبية قد سارع للتعاطف مع تلك الجريمة، وأصبح التحدي واضحا حين قامت أعداد من المجلات والصحف الأوروبية في النمسا وفرنسا بإعادة نشر تلك الرسومات. وبدأت المعركة تتخذ أبعادا سياسية كبيرة إثر تصريح الرئيس الأمريكي، جورج بوش أن حكومته تقف، في هذه القضية، إلى جانب حلفائها الأوروبيين بكل قوة، وأنها لن تتردد عن نصرتهم.

حتى الآن لم يسمع المواطن العربي أي رد فعل واضح من المسؤولين العرب، على الاستهجان الأوروبي والأمريكي بالمقدسات والمعتقدات الإسلامية. فهل تمكن المعتدون من اغتيال الذاكرة ومصادرة الهوية.. وإذا ما تحقق ذلك، لا سمح الله، فما ذا يتبقى لنا كي ندافع عنه؟!

*كاتب أكاديمي سعودي متخصص في السياسة المقارنة

==============================

عذراً ... بأبي أنت وأمي يا رسول الله

الكاتب: --

الحمد لله القائل في محكم التنزيل :"لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون"

أيها المسلمون:

أما وصل أسماعكم ردود حكام المسلمين المزلزلةَ على هذه الإساءات؟ أما سمعتم قولَ شيخِ الأزهر الذي فاق في ردهِ المخيفِ كلَّ التصورات؟!

فهؤلاء حكام السعودية حماة البيت العتيق، يدعون لمقاطعة المنتجات الدنماركية، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل طلبوا السفير الدنمركي وأبلغوه الاستنكار والشديد اللهجة،وحاكم مصر يحذر الغرب ناصحاً لهم من الدخول في منطقة خطرة، أما شيخ الأزهر فيقول بعد أن التقى السفير الدنمركي :" إن الإساءة إلى الأموات بصفة عامة تتنافى مع المبادئ الإنسانية الكريمة، سواء كانت هذه الإساءة إلى الأموات من الأنبياء أو الصالحين أو السياسيين وغيرهم ممن فارقوا الحياة" وأضاف أنه يرفض الإساءة إلى الرسول ــصلى الله عليه وسلمــ ؛لأنه فارق الحياة، مؤكداً أن الأمم العاقلة الرشيدة تحترم الذين انتهت آجالهم وماتوا!

فالرسول صلى الله عليه وسلم في نظره كغيره من الناس، والمشكلة في كونه ميتاً!

فلا نقول إلا سحقا وبعداً لمن ارتضى لنفسه الذلة والمهانة، ورضي بأن يكون للكافر عميلاً وناصحاً أميناً، أو عالم سلطان باع دينه بدنيا غيره.

فأين كان هؤلاء عندما مزقت أمريكا المصحف؟

أين كانوا عندنا اغتصبت أمريكا النساء ؟

أين كانوا عندما تطاولوا على الإسلام وعلى الله عز وجل؟

فهل طلبوا السفير الأمريكي وقاطعوا المنتجات الأمريكية ؟!

وهل جرؤوا على طلب سفير بريطانيا أو فرنسا؟

وهل سيقاطعون كل هذه الدول التي اعتدت على الإسلام والمسلمين؟

أم أن المسألة لعبة يلعبونها لا أكثر، فيريدون أن يبينوا للمسلمين حرصهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو بريء منهم ومما يصنعون.

وهل لنا أن ننسى مواقفهم الهزيلة أمام الغرب الكافر؟

كلا والله ... كلا والله و عذراً إليك رسول الله... عذراً إليك بأبي أنت وأمي، فالحكام سكرى في ظلماتهم يعمهون، متسلطون علينا أقزام عملاء لأعدائنا فكيف تراهم يتحركون!

فلو كان للإسلام دولة وكيان يا رسول الله ... لما كان ما كان.

ففرنسا المتبجحة على المسلمين بمنع الحجاب وبحريتها العفنة اليوم، أرادت عرض مسرحية تسيء إليك يا خير خلق الله، فما كان من خليفة المسلمين العثماني إلا أن هددها باجتياحها إن عرضت المسرحية ومنعها بالقوة، قوة جيش الخلافة، فخنعت واستكانت لتهديد خليفة المسلمين في أواخر عهد الدولة العثمانية، عندما كانت تسمى بالرجل المريض. وهل كان هذا سيحدث لو أنهم وجدوا صبيان المسلمين كما كانوا أيام عمر الفاورق رضي الله عنه يا رسول الله ؟!

وإن كنا كذلك فهل تكفي مقاطعة البضائع الدنمركية والفرنسية؟

وهل تكفي مقاطعة البضائع الأمريكية والبريطانية والألمانية والسويسرية؟
هل هذا كافٍ لمعاقبة من فعل هذا برسول الله؟
فوالله لا يشفي الغليل إلا قطع رؤوس من سولت لهم أنفسُهُم الاعتداء على الإسلام أو القرآن أو خير الأنام.
وهذا لا يكون إلا بإعلان الحرب الفعلية على هؤلاء ولا يكون ذلك إلا بالعمل الجاد المخلص لإقامة كيان المسلمين الذي يمثلهم ويذب عن أعراضهم ويحمي حماهم فلا يدوس الحمى أحدٌ بعد ذلك أبداً.
فهذه الدول المحاربة فعلاً للإسلام والمسلمين يجب قطع العلاقات معها وإعلان الحرب عليها حتى ننسيهم وساوس الرأسمالية والحرية الشيطانية، حتى يدركوا حينها من يتحدون ولمن يسيئون، وعلى من ينفثون سمومهم ويتجرؤون.
فإلى العمل مع العاملين لإقامة الخلافة التي فيها عزكم وعز هذا الدين أيها المسلمون.

أيشتم " أحمد " يوماً وأنتم على قيد الحياة بكم دماءُ
ويسخر حاقد منكم...وفيكم رجال للمنية... ..لا نساءُ
وأنتم ألف مليون....أبوكم يهان فلا يغاث ولا يجاءُ
بجيش لايهاب غمار حرب تدين له البسيطة والفضاء
ألا اهتزت لذاك الخطب أرض وخضبت الاكف له الدماء
وهلاّ غضبة ..لله.. عظمى تساوى الموت فيها والبقاءُ
فلا طابت لحر.. ذات يوم حياة بعده........ فيها يساءُ
لعرضِ محمد ولنا... مقام على أرض.. تظللها السماءُ
أيحزن" أحمد" كلا وربي لأجل " محمد" طاب الفناءُ
"فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض "محمد" منهم فداءُ"
وإني داع لكم فأمنوا يرحمكم الله .

اللهم إنتقم ممن أساء لنبيك، اللهم انتقم ممن أساء لنبيك، اللهم انتقم ممن أساء لنبيك، الله اخذل من خذله وانصر من نصره وقو من يريد الثأر له بقوة من عندك.
اللهم إنا نسألك بجلالك وعظمتك أن تستخدمنا في طاعتك وأن تجعل لنا سهماً في إقامة دولتك، وأن تهراق دماؤنا في سبيل إعلاء دينك.
اللهم استخلفنا في أرضك، ومكنن لنا ديننا الذي ارتضيت لنا واجعلنا من الذين إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وجاهدوا في الله حق جهاده.
اللهم يا أرحم الراحمين، اجمع على الحق كلمة المسلمين، وألف بين قلوب عبادك المؤمنين.. اللهم أصلح ذات بينهم، وانزع الغل والحسد والبغضاء من قلوبهم... اللهم واحقن دماءهم وآمن روعاتهم

ومكنا من الثأر ممن ظلمهم وبغى عليهم. اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام من الانجليز واليهود والأمريكان، ومن لف لفهم، اللهم عليك بهم وبمن حالفهم وناصرهممن حكام العرب والمسلمين.
اللهم وحد بلاد المسلمين في دولة واحدة، وراياهم في راية واحدة، واجعل جيشهم واحداً وحاكمهم واحداً يطبق فينا شرعك وتمن عليه بنصرك.
اللهم إنا مغلوبون فانتصر لنا يا أرحم الراحمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

=================================

عذراً.. يا رسول الله

د. محمد بن عثمان الركبان

لم تشهد البشرية أكرم منه، ولا عرفت الإنسان أعظم منه..
فهو هداية الله للبشرية، ونعمته على الإنسانية، ومنته على الأمة الإسلامية: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين}.
أخرجنا من الظلمات إلى النور، ومن الغواية إلى الهداية، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخـــرة: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}.
لم يدع خيراً إلا دلنا عليه ولا شراً إلا حذرنا منه، ولا أمراً يهم الأمة في حاضر أمرها ومستقبلها إلا كان له صلى الله عليه وسلم خبراً عنه.
تركنا على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وذريته وأزواجه وآل بيته، وحشرنا تحت لوائه يوم القيامة، وأدخلنا في شفاعته، وجمعنا به في الجنة.
لم يكن حزنه لدنياه، ولا لضيق عيشة، ولا لقلة ذات يده، فقد بسطت له الدنيا، وأعطي مفاتيحها، واختار أن يجوع يوماً ويشبع يوماً؛ لكن حزنه وتكدره وضيق صدره لاعراضنا عن رسالته، وحيادنا عن منهجه، وبعدنا عن سنته، وحرصنا منه علينا، وطمعاً في هدايتنا، ورغبة في منفعتنا.. قال سبحانه وتعالى عنه: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن مـــن الســـاجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} وقال عنه سبحانه: {لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} – أي مهلكها – وقال عنه سبحانه: {وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن مـــن الجـــاهلين، إنمـــا يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون}.
فاللهم صل وسلم عليه، وأرفع في عليين منزلته، وآته الوسيلة والدرجة الرفيعة من الجنـــة، والمقـــام المحمود الذي وعدته.

كان لكل نبي دعوة مستجابة، دعا بها على أمته، وأهلك الله بها قومه، لعصيانهم وفجورهم وبعدهم عن منهج ربهم وأذيتهم له، لكن نبينا عليه الصلاة والسلام الرؤوف بأمته، الحليم على قومه، الصبور على أذيته، ادخر تلك الدعوة المستجابة ليوم القيامة.. يوم تشتد الكروب، وتعظم الخطوب، ويطول على الناس الموقف، ويأذن الجبار جل جلاله له بالشفاعة العظمى في موقف القيامة لفصل الخطـــاب، فيكون أول همه، ومنتهى اهتمامه.. مصير أمته، لم يذكر نجاة نفسه، ولا ذريته وأهل بيتـــه، وإنمـــا «أمتي، أمتي».

فصلوات ربي عليك يا رسول الله ما ذكرك الذاكرون، وما غفل عن ذكرك الغافلون، وما تعدى على جنابك المعتدون.

إن مترلتك في نفوسنا عظيمة، وقدرك في قلوبنا كبير، نفديك بأرواحنا ودماؤنا وأموالنـــا وأهلينـــا. فنحورنا دون نحرك يا رسول الله، ودمائنا نقدمها رخيصة للذب عنك يا نبي الله.

لقد وصلت الأمة في هذا الزمان إلى ضحضاح من المهانة تطاول فيه الأدنى على الأعلى، وتجرأ فيـــه السفيه على العقلاء، وتحدث فيه من لا يفقه فيما لا علم له به ولا قدر له على الثبات عليه.

لم يسلم من جراءهم مقام الربوبية، ومترلة الألوهية، فنسبوا لله تعالى الصاحبة والولد، ونعتوه سبحانه بأرذل الأوصاف وأقل المنازل، أوصاف وكلام تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشـــق الأرض وتخـــر الجبال هداً.

وها هم اليوم أقزام العالم، وأراذل البشرية يتطاولون على مقام النبوة، وحوزة الرسالة، ويطعنـــون في شخص المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم المتره عن كل نقيصة في حدود بشريته وخلق الله تعالى له.

صحيح أن تطاول الأقزام على الكبار لا يقلل من شأنهم، وتعدي الحقيرين على مقام العظام لا ينـــال من شرفهم، لكنه ابتلاء الله تعالى للأمة لمعرفة مترلة نبيهم عندهم، وامتحان من الله تعالى للمؤمنين في الدفاع عن دينهم.

إنه ما كان لتلك الشرذمة أن تنال من مكانة سيدنا، ومقام إمامنا، ومترلة قـــدوتنا، عليـــه الصـــلاة والسلام إلا حين قصرنا في تعظيمه وإنزاله قدره، وتكاسلنا عن اتباع منهجه، واستحيينا من امتثـــال سنته، وما كان لهم أن يصلوا إلى هذا الحد من الجراءة لو لا سباق معرفتهم بضعف اتباعه، وخـــور المدافعين عنه. فلو كان الاعتداء على ملك أو رئيس أو قائد لدولة لقامت قائمة أهل تلك الـــديار، وثارت ثائرتهم، وحق لهم ذلك، لكن رسولنا أولى أن تسفك من أجله الدماء، وتقطع مـــن أجلـــه العلاقات، وتقاطع من أجله المنتجات، فمحبته عليه الصلاة والسلام ليست حصراً على الملتحين، ولا حجراً على الملتزمين، بل هي واجبة على كل من شهد له بالرسالة، وآمن بدين الإسلام، وأحب الله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم}.

فيا عقلاء العالم.. أوقفوا هذه المهازل، قبل أن تنتج ردود أفعال لا يحمد عقباها، وتحدث حـــوادث يبكي العالم من لأوائها، وكوارث تضج البشرية من مداها.

ويا قادة العالم الإسلامي، ويا علماءه، ويا تجار المسلمين، ويا كل مسلم.. اليست المبادرة للدفاع عن سيد الأولين والآخرين من أولى أولوياتنا؟ أليست المحبة له ونصرته والذب عنه من أعظم الموازين عندنا؟ فالله الله في القيام بواجب النصرة كما ينبغي، بالحكمة والبصيرة، فهو الذي علمنا: {قل هذه سبيلي أدعو الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}، والله الله بالتمسك بسنته، وتطبيق شرعه، والرجوع لمنهجه.. وليكن نتاج كيدهم مزيداً من المحبة والاتباع له، وحرصاً على الرجوع إليه، وتعظيماً لشأنه وأمره بيننا.

وعذراً يا رسول الله.. عذراً من تكاسل المتكاسلين، وغفلة الغافلين، وتبعية المنافقين، وضعف أمتك، وقلة حيلتها، وهوانها على الناس، وحرصها على دنياها، وايثارها لأنفسها، وعجزها عن القيام لحماية جنابك وقتال أعدائك.. والله حسبنا ونعم الوكيل.

؟ عضو هيئة التدريس بكلية الطب – جامعة الملك سعود

٣ تعليقات

١

أي دنيا تحيا

شكري الجزيل لله الذي أكرمنا بأناس لهم قدرة القلم ليكتبوا ويدافعوا ويجاهدوا به فمرحبا بمن دافع وجاهد وهذا أقل ما يجب.وحبذ لو كل واحد له قدرة ونعمة الترجمة بأي لغة يترجم كل موضوع وينشره عبر النت والمنتديات لتصل الى أعداء رسولنا وكل عام وأمة رسول الله بخير

مريم عبد الكريم بخاري

٠٥:٤٨ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

٢

اللهم صلي على حبيبي محمد وسلم

اللهم اهلك من صور حبيبنا المصطفى محمد وشل يديه وعينيه اللهم حارب اليهود والكفار انك قدير عزيز وانصر نبيك والاسلام يارب واحفظ امة محمد عليه افضل الصلاة والتسليم فالرسول متره عما يفعله تلك المجرموون فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العضيم

meme

٠٧:٠٨ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

٣

بورك في أخي الكريم

وأعظمه من شرف أسأل أن يشفعه فيك وفي والديك.

آمل أن تستمر في العطاء فهذه الموهبة نعمة من الله. ومن حق المنعم الشكر {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم} لأزيدنكم} وأعظم الشكر استعمال هذه الموهبة وهذا القلب وهذا الأسلوب الرائع في نشر الإسلام وعظمة الإسلام.. وتعاليم الإسلام، ونشر سيرة الحيب صلى الله عليه وسلم، في الصحف

السعودية، والأجنبية وفي منتديات الانترنت الغربية بتقل مقالات ينشرها موقع الشيخ محمد صالح المنجد لمنتدياتهم ف[لئن يهيد الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من حمر النعم] كما آمل الذب عن عرضه بالتي هي أحسن، فألله الله في هذا الثغر العظيم

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠٨:٠٧ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

عرض نبينا ينتهك ؟!!.

الكاتب: د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه

حملت إلينا الأنباء خبرا سيئا..؟!!.

خبرا في صورة ..

عرض نبينا، وسيدنا، وقدوتنا، وإمامنا، وحبيبنا فيها: ينتقص، وينتهك ؟؟!!.

صحف دنماركية تعبث بمقامه..!!

ومقامه مقام الخلة؛ فهو أحب الخلق إلى الله تعالى ..فيا ويلهم من الله تعالى، حيث قال:

- (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب).

وأكبر الأولياء وسيدهم: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم..فالله تعالى قد آذنهم بالحرب:

- {اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

المسلمون نوَّم ..؟!!.

لو مال تلف، أو بيت تهدم، أو وطن سلب..

لسمعت صياحا ووَلْوَلَة، وإقساما: لنثأرن قاتله الله ما أكفره..!!.

فأين هم أهل الصولة والزمجرة ؟!!.

أين هم لم نسمع لهم حسا، ولم نر قلما يدفع ظالما ما أفجره ؟!.

إلا قليلا، احتسبوا، وغضبوا..

فكتبوا، واستنكروا..

وعن الأمة عذابا، كاد يحيق بها، دفعوا..

فالذب عنه فريضة، ولا يحل للأمة ترك الفريضة.

ومن موجبات العقوبة، الاجتماع على ترك الفريضة.

* * *

من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته: نصرته.

وهو واجب على جميع المسلمين: ذكورا وإناثا، علماء وولاة أمر وعوام، قولا وفعلا، كل بحسب قدرته واستطاعته، أدناها بالقلب، ثم باللسان، ثم باليد، لقوله صلى الله عليه وسلم:

- (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

وأي منكر أعظم من العدوان على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!.

فهو فرض على الكفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط على الآخرين، مع وجوب إنكار القلب في حال، سواء تعين الذب والنصرة أو لم يتعين على آحاد المؤمنين، لأن الإنكار القلبي علامة الإيمان.

* * *

والدليل على وجوب نصرته، قوله تعالى:

- {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }. فعلق الفلاح بالنصرة، فمن لم ينصره فليس من المفلحين.

- { َإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ..}، فنصرة المؤمنين واجبة، والنبي أوجب.

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }. ونصرة النبي من نصرة الله تعالى.

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)، فهذا في حق المؤمنين، وفي النبي أعظم.

* * *

ووقت النصرة: وجود الظلم والعدوان على مقام النبي صلى الله عليه وسلم، في ذاته، أو أخلاقه، أو دينه.

فمتى وجد هذا النوع من الظلم والعدوان: وجب على المؤمنين الذب عنه صلى الله عليه وسلم.

ولا يحل لهم أن يسكتوا أو يخضعوا ويرضوا..!!.

فإن فعلوا كذلك دل على خلل في إيمانهم، وضعف في ولائهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يرضى بالطعن في النبي صلى الله عليه وسلم إلا منافق أو كافر، أما المؤمن فيغضب ويتمعر وجهه لأدنى من ذلك، لأذى يلقاه عوام المسلمين، لما بينه وبينهم من أخوة الإيمان، فأي عدوان على رأس المؤمنين وقائدهم ومقدمهم فهو عليه أشد وأنكى ؟.

بل حاله كحال خبيب بن عدي لما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه فقال له أبو سفيان:

" أنشدك الله يا خبيب! أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه، وأنك في أهلك"؟.

فقال خبيب: "والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإني جالس في أهلي".

فقال أبوسفيان: " ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا".

* * *

وسبب وجوب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم أمران:

- الأول: منّته على أمته.

إذ هداهم الله تعالى به، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ولولا فضل الله عليهم به، لكان الناس في ضلالة وعمى، ولأصابهم من عذاب الآخرة..

وإذا كان الإنسان يحفظ جميلا صنعه إنسان إليه: بتفرج كربة، أو وقاية من فتنة، أو محنـــة، أو منــــع مصيبة. يبقى عمره لا ينسى جميله.. يترصد، ويترقب متى يقدر على المكافأة والمجازاة بالمثل، وهـــذا كله في أمور الدنيا، بل في بعضها، وجزء منها، فكيف بمن كان له الجميل على الناس في:

- فتح أبواب السعادة لهم في الدنيا والآخرة.
- وتفريج كرباتهم وهمومهم بالإيمان.
- وبيان مواطن الرحمة والخير والقرب من الله تعالى،.
- وإزالة ما بينهم من العداوة والشحناء والتباغض، وزرع الألفة بين قلوبهم، وعطف بعضهم علـــى بعض.
- وإرشادهم إلى أحسن الدساتير والقوانين التي بها يسيرون شئونهم الدنيوية.
- وإقرار العدل، ونفي الظلم ومنع أسبابه.
- وزادهم أن كان سببا في نيلهم عظيم الثواب وجزيل الأجر في الآخرة، فما مؤمن يدخل الجنـــة، لينعم فيها النعيم الذي لا ينتهي، إلا وللنبي صلى الله عليه وسلم منة عليه في ذلك.

فهل أحد من البشر أعظم منه منّة على العالمين؟!!.

ولذا قال تعالى ممتنا على عباده بهذا النبي:

- { لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }.
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: (ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي؟، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟، قال: بلى، الله ورسوله أمن).
- الثاني: أن الطعن في صاحب الشريعة طعن في الشريعة ذاتها:

والذب عن الشريعة واجب على كل مسلم بما يستطيع.

فهذا الذي يطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن ليطعن فيه لولا الشريعة التي حملها وبلغها من عند الله تعالى، فلو كان شخصا كسائر الناس لم يتوجه إليه بالطعن، فما طعن فيه إلا كاره وباغض لهذا الدين، فنصرته إذن من نصرة الله تعالى ونصرة دينه، ليس نصرة لذاته، قال تعالى:

- {وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَـــانَ لَهُـــمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَـــدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَـــرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّـــهُ عَلِـــيمٌ حَكِيمٌ }.

* * *

الحاجة إلى نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت:

الحاجة متجددة، لتجدد الطعونات، فانتقاص النبي صلى الله عليه وسلم أمر قديم قدم الإسلام، اضطلع به فريقان هما: الكافرون، والمنافقون.

اتفقا على العداوة والطعن؛ لأن دعوة الإسلام تقضي على أحلامهم وطموحهم في العلــو في الأرض بغير الحق، والإفساد واتباع الهوى وعبادة الذات والمصالح الشخصية، فالإسلام يريد أن تكون الكلمة العليا في الأرض لله تعالى، والناس سواسية، لا يفضلون إلا بالتقوى، مهما تباينت أجناسهم وألوانهم ومراتبهم، والكل يجب أن يخضع لحكم الله تعالى، لا فرق بين شريف أو وضيع.

وهذه الأمور لا تعجب ذلك الفريقين، فلذا يعادون الإسلام، والرسول الذي جاء به وبلغه.

فأما الكافرون فعداوتهم ظاهرة، وعداوة المنافقين مبطنة، تظهر في مواقف: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِــي لَحْــنِ الْقَوْلِ}.

الكافرون قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: شاعر، مجنون، كاهن، ساحر، يعلمه بشر، قال تعالى:

- {فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}.
- { كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ }.
- { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ }.

أما المنافقون فقالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح القول، كقول مقدمهم عبد الله بن أبي بن سلول، كما جاء في القرآن الكريم، سورة المنافقون:

- {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ }.

هذان الصنفان موجودان في كل زمان، وأهدافهم هي الأهداف نفسها، ودوافعهم هــي الــدوافع نفسها، فكلما شعروا بخطر الإسلام على طموحاتهم في العلو والفساد أظهروا الطعن والسب والشتم بالشريعة وصاحبها.

فالعدو الكافر المحارب اليوم يمثله الصهاينة أو الأصولية الإنجيلية، التي تقود العالم إلى خططها المهلكة، فهي التي خططت لقيام دولة إسرائيل في فلسطين، بزعم أن المسيح عيسى عليه السلام لن يعــود إلا بعد اجتماع اليهود في فلسطين، وقيام دولة إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، ولذا هم ماضون في هذه المهمة، وهم الذين يريدون حكم العالم، تحت دعوى العولمة، وحرب الإرهاب والخارجين عن القانون الدولي..!.

وليس ثمة أحد يقف في طريقهم في تنفيذ كل ذلك الخطط الإجرامية، إلا حملة الإسلام وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا سبب حنقهم وطعنهم في هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، بقصد تشويه صورة الإسلام؛ لإضعافه والتنفير منه، فهم يرددون اليوم ما قاله أجدادهم المستشرقون من قبل من أنه:

- سفاك للدماء، إرهابي، لم ينتشر دينه إلا بالقتل والسيف.. شهواني، همــه النســاء..لا يعتــرف بالآخر..

وغير ذلك، وغير مستغرب أن يقولوا ذلك وأكثر من ذلك، فقد كفروا وباعوا أنفسهم للشيطان.
* * *

وسائل النصرة:

وفي هذا الحال واجب على الأمة أن يهبوا لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ودينه، كل بحسب قدرته واستطاعته، ووسائل النصرة تكون من طريقين:

- الأول: بعرض سيرته صلى الله عليه وسلم.

- الثاني: بدفع الشبهات والطعونات حوله.

الأول: عرض سيرته صلى الله عليه وسلم.

وذلك من خلال كل الوسائل المتاحة، بالمقالة، والمطوية، والنشرة، والكتاب الصغير، والكبير، والبرامج المرئية والمسموعة، ومن خلال المدارس، والمساجد، والبيوت، والمحافل.

وعلى وسائل الإعلام الإسلامية: أن تعنى بهذه القضية، فتعطيها قدرا يتلاءم مع كونها إسلامية، ولا يليق بها أن تهمل حقوق النبي صلى الله عليه وسلم، ونصرته في وقت ينتقص فيه من مقامه..!!.

وأضعف الإيمان أن تخصص له صلى الله عليه وسلم من البرامج وقتا كسائر البرامج الأخرى، حتى يقف الصغير والكبير على تفاصيل سيرته وسنته صلى الله عليه وسلم، فهذا الرجل أعظم رجل في التاريخ، وهو منا، ونحن منه، وقد فزنا به، وشرفنا بالنسبة إليه، فلا يليق بنا أن نجهل تاريخه وسيرته، فلا نعرف منها إلا القليل، ثم يجب التركيز حين عرض سيرته على الجانب الأهم، وهو حقيقة دعوته:

١- أنها جاءت رحمة للبشرية: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}.

٢- أنها جاءت للسلام والأمن: { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة}.

٣- أنها جاءت لإسعاد البشرية، لا لشقائها، كما يروج لذلك الكافرون والمنافقون: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}.

٤- جاءت لإخراج الناس من ظلمات البغي والظلم إلى نور العدل والإحسان: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }، وكما قال ربعي ابن عامر لرستم قائد الفرس، لما سأله عن سبب مجيئهم: "إن الله ابتعثنا لإخراج العباد، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

فقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الإسلام لتحصيل كل خير، ولمنع كل شر.

ويدل على صدق هذا: دخول الناس في الإسلام أفواجا، وكثير منهم بدون قتال، بل بالدعوة وحدها، فلولا صدق تلك المبادئ لم ينتشر الإسلام، و لم يدخل الناس فيه أفواجا، بل لو صح ادعاء أعداء الإسلام لما بقي للإسلام قائمة، ولرفضه حتى أهله، لكن الأمر عكس ذلك، فكل يوم يدخل الناس في هذا الدين عن رضى.
* * *

الثاني: دفع الشبهات والطعونات حول النبي صلى الله عليه سلم.

كافة ما يثار حوله صلى الله عليه وسلم هي قديمة، وكل السباب والشتائم والطعونات قد أجيب عنها إجابات شافية، لما طرحها المستشرقون.

والمطلوب إعادة صياغتها بأساليب ملائمة ميسرة، لحفظ عوام المسلمين من الانجراف خلف تلـــك الشبهات.

ثم إن مما ينبغي التنبه له في هذا المقام:

أن بعض ما يطرحه هؤلاء الطاعنون قاصدين تشويه صورة الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم، هي في عرف وحكم الشريعة: حق، وصدق، وعدل.؟.

كقولهم عن الإسلام:

- أنه دين لا يصحح الأديان الأخرى، ويتعالى عليها، فلا يعترف بالمساواة بينها وبين الإسلام.

وهذا عندهم من الطعونات، وهو عند المسلمين من الحقائق، ومما دله عليه كلام ربهم سبحانه وتعالى:

- {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }.

- {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }.

- {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }.

- وقال صلى الله عليه وسلم: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه).

نعم من أصول الإسلام، أنه يعلو ولا يعلى عليه..

فهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، و لم يرتض لهم غيره..

وهو الذي يقبله ولا يقبل غيره، حتى لو كانت اليهودية والنصرانية،..

فهو شامل خاتم باق إلى قيام الساعة..

فلو كان ثمة شريعة من الشرائع السابقة صحيحة باقية دون تحريف إلى اليوم لكان الإسلام أحســـن منها، وعلى أتباعها تركها واتباع الإسلام، لأنه الناسخ لجميع الشرائع السابقة..

فكيف الحال إذا كانت محرفة مبدلة، قد تبرأ الله منها، وحكم بضلال أتباعها؟.

فالإسلام هو الدين الصحيح، ولا دين صحيح غيره، فاليهودية محرفة والنصرانية كذلك، دع عنك ما سواهما، والإسلام خاتم لجميع ما سبق، للناس كافة، فلا دين غيره يقبل الله به.

وعلى المسلمين أن يعلموا هذا ويتمسكوا به، وليس لهم خيار غيره، إن أرادوا البقاء مسلمين.

فإذا جاءهم من يجعل هذا الخاصية للإسلام طعنا وذما، فهذا دينه هو..!!.

وليس لنا أن ندفع تهمة، بإلغاء أصل من أصول الإسلام، كما يفعل البعض، حينما يزعم أن النصرانية واليهودية والإسلام في مرتبة سواء، لا فرق بينها، يريد أن يذب عن الإسلام، فهذا من أبطل الباطل، فالدفاع عن الحق لا يكون بإحقاق الباطل، بل بإبطاله، ودفاعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إنمـــا يكون بتقرير الدين كما جاء به، دون تحريف، لا بتحريف ما جاء به، فذلك ليس دفاعا، بل خدمة تقدم للطاعنين فيه، وليس شيء أفرح لقلوبهم: من أن يقر لهم المسلمون بصحة دينهم الباطل بخبر الله تعالى.

==========================

على من يقع اللوم؟

الكاتب: خليل علي حيدر

عُقدت بين السادس والثامن من مارس ٢٠٠٦ في الكويت، ندوة لتشجيع الاعتدال والتعددية والتسامح الديني، بعنوان "نحن والآخر"، تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. دعت الوزارة فعاليات دينية وفكرية متعددة، محلية وخليجية وعربية وخارجية للمشاركة، وكان أبرز ضيوف الندوة فضيلة شيخ الأزهر الشريف، د. محمد الطنطاوي. لقد تحدثت عن أعمال هذه الندوة في مكان آخر، وأود هنا أن أشير إلى بعض النقاط المهمة المثارة في أي حوار في ندواتنا عن "الآخر"، مما لم تعد تتحمل التأجيل.

إن أول ما نلاحظه في هذا المقام تضارب كتب الأحزاب الإسلامية، وهي التي-للأسف- أشد تأثيراً في الشارع والعامة، في وضع "أهل الكتاب". فمن مؤلفي هذه الكتب من يتحدث عنهم بحرص ولين، ويقول إن لهم "منزلة خاصة"، كما يفعل د. القرضاوي في بعض مؤلفاته، ومنهم من يعتبرهم أعداء ويخاطبهم ككفار. فلا توجد في الواقع رؤية إسلامية واحدة لهذا "الآخر" الذي تنعقد الندوات لكسب ثقته! إذ تتفاوت الدعوات بن داع من تيار "الإخوان المسلمين" إلى اعتبارهم مواطنين من الدرجة الأولى كالمسلمين، في مصر مثلاً، ودعاة من نفس الحزب في الكويت مثلاً، إلى إغلاق الكنائس وربما إخراج النصارى من دول الخليج والجزيرة.

والمشاهد والمسموع أن عدداً لا يستهان به، حتى من رجال الدين المعتدلين، يستخدمون مصطلح "كفار" للإشارة إلى المسيحيين واليهود، مما يثير هنا ملاحظة ثانية: هل الحوار مع الآخر "حوار سياسي"، في الحقوق والواجبات الوطنية بين أطراف ينبغي أن تكون متساوية، أم أن مرجعية هذا الحوار "دينية"، بين مسلمين على حق وآخرين من النصارى على ضلال؟

وإذا كانت النظرة لا تزال بهذا الضيق والاضطراب والتضاد نحو أتباع "الأديان السماوية"، فكيف نستطيع نقل الحوار إلى أتباع الديانات الآسيوية مثلاً، كالبوذية والكونفوشية والهندوسية، وبخاصة إن صعد نجما الهند والصين، ووجدنا أنفسنا مضطرين إلى التفاهم الثقافي والديني معهما؟

ومما يضعف المجهودات في هذا المجال أن التيار العاقل و"المتسامح" و"الوسطي"، مقارنة بالمتطرفين الآخرين، لا بمقاييس إعلان حقوق الإنسان، غير قادر على أن يوجه جمهور العالم الإسلامي داخل العالم الإسلامي أو في أوروبا. فالأفكار المتشددة والرؤى المتطرفة لا تزال واسعة الرواج في ثقافة "الإسلام السياسي" في آسيا وشمال أفريقيا وأوروبا، كما أن استمرار الإرهاب في العراق و"الإعجاب" بابن لادن ونجاح تجنيد الشباب في العمليات الانتحارية المعادية، ليسا سوى بعض ملامح "نجاح" قوى التشدد. ومن المؤسف أن الجماعات الإسلامية التي تصف نفسها بالاعتدال، لا تزال مترددة في التصدي بحزم للتيار التكفيري مثلاً والسلفية الجهادية عموماً، وجماعة "طالبان" وتنظيم

"القاعدة" والإرهاب الدموي في العراق على وجه الخصوص. بل كثيراً ما نرى الكتاب الإسلاميين، بعد أن يقولوا كلمة أو كلمتين في ذم المتطرفين وابن لادن والزرقاوي، يكرسون معظم كلامهم للهجوم على العلمانيين والليبراليين وسياسة الولايات المتحدة والتحلل الأخلاقي والكثير من الأشياء الأخرى، التي تشفع في نهاية المقال لأهل التطرف تطرفهم، ولأهل الإرهاب إرهابهم، إلى أن تُحل مشاكل الفقر في العالم الإسلامي، أو تنتهي ظاهرة البطالة في مصر والجزائر وباكستان وبنغلادش، أو تتغير السياسة الأميركية في العالم!

وهذا للأسف الشديد جوهر كتابات "المثقفين" العرب، ومواعظ "الإسلاميين"، وملتقى خيوط "الإسلام السياسي"، و"التيار القومي" في تحالفهما الجديد غير المقدس!

وكثيراً ما يجتمع هؤلاء خلال الندوات في الولولة على الهوية العربية- الإسلامية للأمة، وفي التحذير من فرض النموذج الحضاري الغربي على العرب والمسلمين، ولكن إلى أي حد بذل هذان التياران مساعيهما في مجال إيجاد نموذج عصري إسلامي عربي ناجح؟ ولماذا تؤدي مثل هذه المحاولة دائماً إلى عزل الأقليات غير المسلمة وغير العربية وربما غير "السنية"؟ بل أساساً، هل هناك نموذج حضاري غير صناعي غير رأسمالي ناجح؟

ونحن نتحدث دائماً عن الانتقال من "الإسلام المتشدد" أو "الإسلام السياسي" إلى "الإسلام الحضاري"، ولكن هل نحن مجمعون على ماهية هذا الإسلام؟ ألم يعادِ الفقهاء مثلاً الفلسفة والفنون والانفتاح الاجتماعي والنشاط النسائي العلني، بل حتى تعليم الإناث، والسماح بالطباعة؟ وعارضوا تعليم اللغات الأجنبية والنظريات العلمية ودخول التكنولوجيا؟ ألم يعادِ الفقهاء مفكري المسلمين ويحرقوا كتب ابن رشد وقادوا حملة شاملة، ولا يزالون، لتصفية أي فهم غير ديني سلفي للحياة والمجتمع؟ فماذا هو هذا "الإسلام الحضاري" الذي نريده، وما تعريفه؟ وما تضاريسه؟

وإذا كنا نريد "عقلنة" الإسلاميين المتشددين في بلادنا، أما من دور مهم يلعبه المسلمون الأوروبيون والأميركان والأستراليون والكنديون في هذا المجال؟

وأين دور المسلمين الذين يعيشون هناك، في ظل حرية العقيدة وفي ظل الديمقراطية والحداثة والحقوق المتساوية للمرأة والرجل، من أن يلعبوا دوراً رئيسياً في انتشال العالم العربي والإسلامي؟ ولماذا لا يفتح أحد من قادة وزعماء ومفكري النشاط الإسلامي في أوروبا وأميركا فمه إلا بالتهجم على الغرب والبكاء من شدة الاضطهاد والصياح واغوثاه.. واغوثاه؟!

أين دور هؤلاء في مجال توعية العالم الإسلامي بمجالات نجاح "حضارة الآخر" والحريات التي يعطيها هذا الآخر لـ"الآخر المسلم والبوذي والهندوسي"، وبمزايا العقلانية والتسامح؟

ولماذا لا تزال تجمعات المسلمين في أوروبا وكندا وأستراليا وغيرها تفرخ الإرهابيين وتبعث بالمقاتلين الأشداء إلى قرى العراق أو تجندهم لتفجير قطارات لندن ومدريد وباريس؟

ثم إن من أخطر مشاكل الإسلاميين في مجال أزمتنا بين "الأنا والآخر".. ازدواجية الخطاب!

فلكل مقام عندهم مقال!

يقولون في العالم الإسلامي شيئاً، وفي أوروبا وأميركا شيئاً آخر.
ويقولون بين المسلمين وأتباع تيارالهم شيئاً وبين المسيحيين وبخاصة المتسامحين منـــهم شـــيئاً آخـــر. يدافعون عن الليبرالية والعلمانية وحرية بناء مراكز العبادة وإنشاء الجمعيات والبنوك وإصدار الصحف الإسلامية بكل حماس وقوة.. في أوروبا وأميركا. وفي بلدان العرب والمسلمين والمشرق يتحولون إلى محذرين من انحلال الغرب ومخاطر عزل السياسة عن الدين ومن المرأة ومن أعـــداء المســـلمين، بـــل ومطالبين بـــ"تطبيق الشريعة"!
ومن الغريب حقاً أن يكون الدور السلبي والمشين للمتطرفين من "الجهاديين" والمتشـــددين عمومـــاً السبب الرئيس في معاداة الكثير من الغربيين للإسلام والمسلمين، بينما تهاجم كل الندوات والمقالات في بلداننا الغربيين وأجهزة الإعلام الأجنبية والتأثير الصليبي والصهيوني!
لقد أمضيت شخصياً سنوات ممتدة أتابع كتب وكتيبات بل ومقالات الإسلاميين، من إخوان وسلف وجهاد وتحرير وسنة وشيعة، ولم تمر عليّ حتى الآن أي دراسة "إســـلامية" عـــن دور الإســـلاميين المتشددين وغلاة السلفيين في تشويه صورة الإسلام في أوروبا وأميركا، بينما ظهرت عندنا أطنان من مثل هذه الكتب والأدبيات، عن دور الأوروبيين والنصارى والكفار واليهود والصهاينة والصـــليبيين واليمين الأوروبي والمسيحية الجديدة في أميركا... إلخ. ليس هذا فحســـب، بـــل إن الأســـوأ، أن الإسلاميين خاصة وعامة المسلمين عموماً يتهمون الغربيين بأنهم "لا يفهمون الإسلام"! تصوروا يـــا إخوتي، كل هذه الدراسات والترجمات، والبحوث والمقالات، والمتابعة الإعلامية والتقارير الدورية، والاحتكاك اليومي ومعايشة المسلمين في أوروبا وأميركا وكل مكان، والإنترنـــت والفضـــائيات.. والناس هناك إلى الآن لا تفهم الإسلام! من شوّه وجه الدين وغيّر ملامحه؟ هل الإسلام إذن منـــهج ديني منفصل.. أم لغز من الألغاز؟
الخطباء والمحاضرون في مثل هذه الندوات عن "نحن والآخر"، يقولون إن المسلمين أنفسهم كذلك لا يفهمون "الإسلام الصحيح" و"الشريعة الحقة"!
على من يقع اللوم؟
صحيفة الإتحاد الإماراتية

====================

عودة الى قضايا اسلامية

العسكر لـــ «الرياض»:
كتّاب غربيون يوضحون حقيقة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم والدانماركيون يسيئون
كتب – مندوب «الرياض»:
قال الأستاذ عبدالعزيز بن علي العسكر: نشرت صحيفة (جلاندز بوستن) الدنماركية اثني عشر رسماً ساخراً.. السخرية بمن يا ترى؟!

إنهم يسخرون بأعظم رجل وطأت قدماه الثرى، بإمام النبيين وقائد الغر المحجلين صـــلى الله عليـــه وسلم، صور آثمة أظهرت ألا ثمة عدالة عند تلك الصحيفة ومسؤوليها، وكشفت لنا جهل الغـــربيين المساكين بالإسلام – والله مساكين) تصوروا أن الإسلام هو التفجير والتدمير وقتل الأبرياء.. أظهروا الحبيب صلى الله عليه وسلم في إحدى هذه الرسومات عليه عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه!! وكأنهم يريدون أن يقولوا إنه مجرم حرب (ألا ساء ما يزرون)!؟ ومع أسفنا وألمنا.. فإننا لا نلـــومهم بقدر ما نلوم أنفسنا فنحن – دعاة وكتّاباً – قصرنا في توضيح الصورة الحقيقية للإسلام، وقصرنا في نشر سيرة الحبيب العطرة. فداه نفسي وأولادي وأمي وأبي ومن ولدهما ومن ولدا..

وإمعاناً في غيها طلبت الصحيفة الدنماركية من الرسامين التقدم بمثل تلك الرســـوم لنشـــرها علـــى صفحاتها. ثم في هذه الأيام وفي يوم عيد الأضحى بالتحديد – إمعاناً في العـــداء – تـــأتي جريـــدة (ماجزينت) النرويجية لتنكأ الجراح وتشن الغارة من جديد، فتعيد نشر الرسوم الوقحة التي نُشرت في الصحيفة الدنماركية قبل! {أتواصوا به بل هم قوم طاغون}؟

إن المنتظر منكم، ومن أمثالكم الشيء الكثير الكثير.. ومنه على سبيل المثال وإلا فلديكم أفكار أكثر وأفضل، مما اقترحه:

؟ إن كنا حريصين فيما مضى على تعلم السنة، فيلزمنا من الآن فصاعداً أن نكـــون عـــاملين بهـــا، متمسكين بها، عاملين بما نعلم منها، فالعمل بالعلم يورث العلم، أما العلم بلا عمـــل فســـريعاً مـــا يضمحل، كما علينا أن ننشر السنة الشريفة على كافة الأصعدة والمستويات، حتى تكون لنا وللأجيال القادمة كالهواء الذي نتنفسه! صلى الله عليه وسلم على الحبيب. ونحث أبناءنا وقراءنا على التأســـي بالحبيب في كل شؤونهم.

؟ ينبغي أن يتحلى كل مسلم منا باليقظة والوعي لما يتعرض له الإسلام والمسلمون مـــن تهديـــدات ومخاطر، وأن لا نستجيب لاستفزازات المتعصبين، ولتكن مواقفنا محسوبة، مع حسن تقدير العواقب.

؟ ينبغي علينا جميعاً التآزر والتعاون مع العلماء وولاة الأمر في التصدي لهذه الحملات المغرضة الجائرة، وأن يبذل كل منا جهده في إيصال تألم المسلمين في بلد التوحيد ودولة التوحيد وقبلة المسلمين لما ينال أعز وأشرف الخلق كلهم، فداه نفسي وأولادي ووالدي ووالده وأمي ووالدها وما ولـــد. فنـــبين للمسؤولين حزن المسلمين عموماً والسعوديين خصوصاً الشديد لذلك.

؟ أمنية لو يستثمر كُتاب صحفنا المحلية هذه الفرصة الذهبية – بذلك نستطيع أن نحول المحن إلى منح! والمصائب إلى فرص.. فالغرب يتطلع لمعرفة المزيد (الصحيح) عن الإسلام. ومن ذلك:

أولاً: يقول (مهاتما غاندي) في حديث لجريدة «ينج إنديا»: «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رســـالته. هـــذه

الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف على حياته العظيمة. أ-ه»

ثانياً: ويقول المستشرق الكندي الدكتور (زويمر) في كتابه «الشرق وعاداته»: «إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الإدعاء. أ.ه»

ثالثاً: يقول الانجليزي (برنارد شو) في كتابه «محمد»، والذي أحرقته السلطة البريطانية: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد. هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والاجلال. فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة - يعني أوروبا - إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية!

لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته اعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية. وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا، بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها. أ.ه.

رابعاً: يقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية، في كتابه «تاريخ حياة محمد»: إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا.

فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ. أ-ه.

خامساً: يقول الأديب العالمي (ليف تولستوي) الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية: يكفي محمداً فخراً أنه خلص أمة ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد، ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

سادساً: يقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه «ديانة العرب»: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

هذا غيض من فيض.. فهذه وتلك.. وغيرها الكثير الكثير.. شهادات حق بأقلام بعض علماء الغرب ومثقفيه المنصفين. وإنني على ثقة أنكم ستنشرون هذه الشهادات للغربيين الذين ضللوا عن الحقيقة..

=====================

فتوى فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي عن المقاطعة الاقتصادية

بيان في فضل الجهاد في سبيل الله وأن المقاطعة الاقتصادية ركن من أركان الجهاد
لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي – رحمه الله
فضل الجهاد في سبيل الله أخبر الله في كتابه أن الجهاد سبب الفلاح وطريق العز والرفعة والنجـــاح ، وأنه أفضل التجارات الرابحة ، وأن أهله أرفع الخلق درجات في الدنيا والآخرة .. وأخبر النبي صـــلى الله عليه وسلم أن بالجهاد تتم النعم الباطنة والظاهرة . وهو ذروة سنام الدين وأحب الأعمـــال إلى رب العالمين، وأن الروحة والغدوة واليوم والليلة في الجهاد ومصابرة الأعداء خير من الدنيا وما عليها ، وأنه خير من استيعاب الليل والنهار بالصيام والقيام وأنواع التعبد ، وأن المجاهد المصابر إذا مـــات وَجَبَتْ له الجنة وأجري له عمله الذي كان يعمله في الدنيا إلى يوم القيامة ، وأمن من فـــتن القـــبر وعذابه ، وأن ذنوبه صغارها وكبارها يغفرها الله ما عدا ديون العباد ، وأن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، وما اغبرت قدما عبـــد في سبيل الله فتمسه النار .
ومن مات لم يغزُ و لم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق .. أي ومن غزا في سبيل الله أو استعد للغزو عند الحاجة إليه فقد كمل إيمانه وبرئ من النفاق .
وفضائل الجهاد لا تعد ولا تحصى ، وثمراته العاجلة والآجلة لا تحد ولا تستقصى، وكيف لا يكـــون الجهاد في سبيل الله يحتوي على هذه الفضائل الجليلة وفيه عز الدنيا وسعادتها وفيه ســـعادة الآخـــرة وكرامتها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كيف لا يكون بهذه المثابة وفيه عز الإسلام والمسلمين ، وفيه إقامة شعائر وشرائع الدين ، وفيه قمع الطاغين والمعتدين .. فالمجاهد قد استعد وتصدى أن يكون من أنصار الله الذابين عن دين الله ، والمجاهد قد سلك كل سبيل يوصله إلى الله ، والمجاهد قد شارك المصلين في صلاتهم والمتعبدين في عباداتهم والعاملين في كل خير في أعمـــالهم لأنه لا سبيل لقيام هذه الأمور إلا بالجهاد والذب عن الأوطان والأديان ، فلولا المجاهدون لهـــدمت مواضع العبادات ، ولولا دفع الله بهم لتصدع شمل الدين واستولت الأعداء من الكافرين الطاغين .. فالجهاد سور الدين وحصنه ، وبه يتم قيامه وأمنه، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .
فيا أنصار الدين .. ويا حماة المسلمين .. ويا خيرة المجاهدين ..
هذه أيامكم قد حضرت ، وهذه أمم الكفر والطغيان قد تجمعت على حربكم وتحزبت ، فقد أتوكم في عقر داركم .. غرضهم القضاء التام على دينكم وأقطاركم ، فانفروا لجهادهم خفافـــا وثقـــالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ..
{يا أيها الذين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهـــدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات

تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين } .

ألم تروا كيف جعل الله الجهاد أربح التجارات، وطريقا إلى المساكن الطيبة في جنات النعيم ، ووعدهم بالنصر منه وفتح قريب ، والله تعالى لا يخلف الميعاد .

{يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم }

قوموا بالجهاد مخلصين لله قاصدين أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .. حافظوا على الوحدة الدينية ، والأخوة الإيمانية ، والحماية العربية .. ولتكن كلمتكم واحدة وأغراضكم متحدة ومقاصدكم متفقة وسعيكم نحوها واحد ، فإن الاجتماع أساس القوة المعنوية ، ومتى اجتمع المسلمون واتفقوا وصابروا أعداءهم وثبتوا على جهادهم و لم يتفرقوا وعملوا الأسباب النافعة واستعانوا بربهم .. متى كانوا على هذا الوصف فليبشروا بالعز والرفعة والكرامة .

{يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون } .

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم إن الله مع الصابرين } .

إخواني :

اعلموا أن الجهاد يتطور بتطور الأحوال ، وكل سعي وكل عمل فيه صلاح المسلمين وفيه نفعهم وفيه عزهم فهو من الجهاد ، وكل سعي وعمل فيه دفع لضرر على المسلمين وإيقاع الضرر بالأعداء الكافرين فهو من الجهاد، وكل مساعدة للمجاهدين ماليا فإنها من الجهاد .. فمن جهز غازيا فقد غزى، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزى، وإن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة : صانعه يحتسب فيه الأجر ، والذي يساعد به المجاهدين ، والذي يباشر به الجهاد .

ومن أعظم الجهاد وأنفعه السعي في تسهيل اقتصاديات المسلمين والتوسعة عليهم في غذائياتهم الضرورية والكمالية ، وتوسيع مكاسبهم وتجاراتهم وأعمالهم وعمالهم ، كما أن من أنفع الجهاد وأعظمه مقاطعة الأعداء في الصادرات والواردات فلا يسمح لوارداتهم وتجاراتهم ، ولا تفتح لها أسواق المسلمين ولا يمكنون من جلبها على بلاد المسلمين .. بل يستغني المسلمون بما عندهم من منتوج بلادهم، ويوردون ما يحتاجونه من البلاد المسالمة . وكذلك لا تصدر لهم منتوجات بلاد المسلمين ولا بضائعهم وخصوصا ما فيه تقوية للأعداء : كالبترول ، فإنه يتعين منع تصديره إليهم .. وكيف يصدر لهم من بلاد المسلمين ما به يستعينون على قتالهم ؟؟! فإن تصديره إلى المعتدين ضرر كبير ، ومنعه من أكبر الجهاد ونفعه عظيم .

فجهاد الأعداء بالمقاطعة التامة لهم من أعظم الجهاد في هذه الأوقات ، وللملوك المسلمين ورؤسائهم — ولله الحمد — من هذا الحظ الأوفر والنصيب الأكمل ، وقد نفع الله بهذه المقاطعة لهم نفعا كبيرا .. وأضرت الأعداء وأجحفت باقتصادياتهم ، وصاروا من هذه الجهة محصورين مضطرين إلى إعطاء

المسلمين كثيرا من الحقوق التي لولا هذه المقاطعة لمنعوها ، وحفظ الله بذلك ما حفظ من عز المسلمين وكرامتهم .

ومن أعظم الخيانات وأبلغ المعاداة للمسلمين تهريب أولي الجشع والطمع الذين لا يهمهم الدين ولا عز المسلمين ولا تقوية الأعداء نقود البلاد أو بضائعها أو منتوجاتها إلى بلاد الأعداء ..! وهذا من أكبر الجنايات وأفظع الخيانات ، وصاحب هذا العمل ليس له عند الله نصيب ولا خلاق .

فواجب الولاة الضرب على أيدي هؤلاء الخونة ، والتنكيل بهم ، فإنهم ساعدوا أعداء الإسلام مساعدة ظاهرة ، وسعوا في ضرار المسلمين ونفع أعدائهم الكافرين .. فهؤلاء مفسدون في الأرض يستحقون أن يترل بهم أعظم العقوبات .

والمقصود أن مقاطعة الأعداء بالاقتصاديات والتجارات والأعمال وغيرها ركن عظيم من أركان الجهاد وله النفع الأكبر وهو جهاد سلمي وجهاد حربي .

وفق الله المسلمين لكل خير وجمع كلمتهم وألف بين قلوبهم وجعلهم إخوانا متحابين ومتناصرين ، وأيدهم بعونه وتوفيقه ، وساعدهم بمدده وتسديده إنه جواد كريم رؤوف رحيم ..

و صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال ذلك وكتبه :

عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي – رحمه الله .

المصدر :

http://www.islamgold.com/view.php?gid=١٠&rid=١٢٣

======================

فخر لهذه الأمة وقفتها الشريفة

عادل بن عبدالرحمن المعاودة / النائب الثاني لرئيس مجلس النواب بمملكة البحرين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(٢٤) سورة التوبة، فلا شيء يجب أن يكون أحب للإنسان المسلم بعد الله سبحانه وتعالى من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد قال – بأبي هو وأمي –: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أولهن أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..) فيجب أن ننسى الوقت وننسى الأعمال وننسى التجارة وننسى المخذلين الذين يحاولون أن يخذلوا المؤمنين، المحاولون أن يخذلوا الأمة في هذه النازلة التي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقلبها إلى خير لهذه الأمة. الإيمان لا يتم عند الإنسان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ويقول صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). ونحن هنا لسنا لندافع عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله عز وجل هو الذي يدافع عنه، حماه في حياته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويحميه بعد مماته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا يصله إيذاء المؤذين. الله قال له: {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} (٦٧) سورة المائدة. وقال سبحانه: {نَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(٣) سورة الكوثر. هو الذليل، هو المخذول الذي يبغض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أما من يتطاول على الجناب الشريف فنقول له:

هجوت محمدا فأجبت عنهُ

وعند الله في ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولست له بكفءٍ

فشركما لخيركما فداءُ

هجوت مباركا برا حنيفا

رسول الله شيمته الوفاءُ

فإن أبي ووالدتي وعرضي

لعرض محمد منكم وقاءُ

الأمة قالت بصوت واحد – والحمد لله – من المشرق إلى المغرب: فداك يا رسول الله، فداك يا نبي الله، فداك يا خليل الله. ولتخرس الألسن المنحطة المتخاذلة التي تأبى على الأمة حتى أن تعبر عن حبها ووفائها، وتعامل الأمة بنواياها وبخستها وبدناءتها التي لا تتعدى لعاعة الدنيا. إننا ما امتطينا صهوة هذا المكان إلا لندافع عن دين نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليس طمعا في الدنيا، فإذا مس الجناب الشريف فوالله لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى ننتقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونوقف الناس عند حدهم. أما هؤلاء المخذلون الذين يريدون أن يخذلوا الأمة نقول لهم: لا. يجب أن تعرف الأمة أن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع الحد على من سبه حتى لو تاب وأناب وعاد إلى الله عز وجل . قال العلماء إن سب النبي أو أي نبي من أنبياء الله عز وجل حده القتل وإن تاب، حتى لا يمس جناب الأنبياء. أيريدون أن نسكت؟! لا والله لن نسكت؛ لأنهم قد تجاوزوا الحد. وقد أظهرت الأمة، لنعبر عما في نفوسنا وعما في نفوس المسلمين، إلا رسول الله، تسب الحكومات، يسب الأمراء، يسب الملوك، يسب الناس، القاصي والداني إلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإنه لفخر لهذه الأمة أن تقف هذه الوقفة الشريفة، وأما من انتقص من عقد هذه الجلسة فهو المخذول، فهو الأبتر كما قال الله سبحانه وتعالى ، إذا لم يقف هذا المجلس ليدافع عن رسول الله وعن عرض رسول الله فلا خير فيه، لا خير فينا إن لم ندافع، إن لم نستغل هذه المنابر وهذا المنبر. اليوم ننعقد ليس لنخاطب أهل البحرين فهم أغير منا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكن لنتكلم بأمانة بأصواتهم التي أعطونا إياها لننقلها بإجماع نواب الشعب إلى العالم كله، هذه هي البحرين، هذا هو شعب البحرين. إننا نطالب كشعب كامل وكبلد كامل أن تحفظ كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حكام المسلمين، ويجب أن نوجه خطابا من المجلس إلى الحكام، يجب أن

يشرع قانون في الأمم المتحدة، كيف أن اليهود يشرع لهم قانون و(بوش) وقع على هذا القانون في ٢٠٠٤م للمعاداة ضد السامية، الذي يتكلم عن السامية ومن يكذب الخرافة، خرافة المحرقة، فإنه يتعرض إلى العقاب والتجريم. الكذب يجب أن نصدقه، كيف استطاع الحثالة أحفاد القردة والخنازير أن يصدروا هذا القانون، وأمة المليار لا تستطيع أن تصدر قانونا يحمي جناب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والقرآن؟! ولذلك من مطالبنا اليوم كممثلين للشعب إلى حكامنا وإلى حكام المسلمين أن يعملوا على سن قانون يمنع ويجرم التعدي والتطاول على رسول الله وعلى القرآن وعلى دين الإسلام، ولا يكون اليهود أفضل منا، وحاشانا أن يكون اليهود أفضل منا. ثم إننا لا نستخف بموقف الناس في المقاطعة وفي غيره، وليس هذا مجاله لكن المجال نقول: إن الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهو رحمة للعالمين، ولكن إذا جاء سبه فقد قتل كعب بين الأشرف رأس اليهود في مكانه لأنه كان يسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغارت الأوس على الخزرج أنهم قتلوا مبغض النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا سلام بن أبي الحقيق في داره بين أهله، لماذا؟ لأنه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان الظهور للإسلام لما جاز إلا قتل هؤلاء حدا؛ انتقاما، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن ونحن في هذا الضعف - ولكننا لسنا ضعفاء بالله عز وجل - يجب أن تقف الأمة وقفة واحدة.

=====================

فداك أبي وأمي يا رسول الله

كان من المفترض أن أكمل حديثي عن " نشوز المرأة (٣) " ولكن رأيتُ الكلامَ فيما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة عن بعض الصحف الدنماركية والنرويجية من استهزاء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم أولى وأحق ، ولست في مقام نقل ردود الأفعال التي صاحبتِ الحدثَ ، أو التحدث عن الحكم الشرعي في المسألة فحكمها ظاهر سواء كان الاستهزاء من مسلم أو كافر ويُرجع فيه إلى أفضل مُؤَلَّف " الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم " لشيخ الإسلام ابن تيمية للراغب في تفاصيلها .

وبما أن عمودي مخصص لـ " شقائق الرجال " فأسطري هذه موجهة إليهن ، فلا بد لهن من دورٍ تجاه هذه المحنة وأن فيها منحاً " لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ " ، وفداء النبي صلى الله عليه وسلم يستوي فيه الذكر والأنثى . هذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ضربت مثالاً رائعاً في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانها عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : " السَّامُ عَلَيْكُمْ " ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : " وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ " ... الحديث . فالمرأةُ المسلمةُ مطالبةٌ بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها ، في مدرستها ، في عملها ، في أوساط أخواتها المسلمات

... تسطيعُ أن تستخدمَ أحد اللسانين ... الجارحة أو القلم ، وكلّ واحد منهما له تأثيره ولا شك .
ولنأخذ بعض الخطوات العملية في تفعيل دور المرأة للذب عن سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم :
١ – المرأة مطالبة بالتحدث في أواسط النساء عن حقد الكفار على هذا الدين وأهله ، وأنهم لن يرضوا عنا أبداً مهما تنازلنا لهم ، وحثهن على الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم إما بالكتابة في الصحف أو المجلات أو المواقع على الشبكة لمن لها قلم مؤثر منهن ، أو بالاتصال على أصحاب القرار ، وإظهار الغضب والاستنكار .
٢ – المرأةُ تستغلُ هذا الحدث الجلل في بيتها بالتعريف بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم في حياتنا ، وأننا نفديه بكلِّ وأعز ما نملك .
٣ – تفعيل دور المقاطعة لبضائع البلاد التي نالت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه أقل القليل في حقّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الحرب الاقتصادية لتلك البلاد هي التي ستجعلها تركع وتعتذر ، فهم عبدة الدرهم والدينار ، والمقاطعة الاقتصادية سلاح قوي وفعال ... فالزوجة والأخت والأم والبنت تحث أهل بيتها على عدم الشراء أو إدخال بضائع البلاد التي سخرت من نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهناك شركات بديلة .
٤ – الكاتبةُ المسلمةُ في الجريدةِ أو المجلةِ أو الشبكةِ (النت) مطالبةٌ أن تُسَخِرِ قلمها في الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومما يثلج الصدر أنه ظهرت في الأيام الماضية بعض المقالات الرائعة في الصحف بأقلام نسوية تذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكراً لهن ولأقلامهن وجزاهن الله خيراً . والأدوار كثيرة ، ولكني أتيتُ على أهمها .
عبد الله بن محمد زُقَيْل

====================

فداك نفسي وأمي بل فـــــداك أبي

وجدت هذه القصيدة في موقع الجزيرة– نت
قصيدة للشاعرعبد الله باشراحيل ردا على الصحيفة الدانماركية
تلقت الجزيرة نت قصيدة للشاعر السعودي الدكتور عبد الله محمد باشراحيل يرد فيها على ما قامت به الصحيفة الدانماركية من نشر للرسوم المسيئة إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم التي أثارت غضب المسلمين في جميع أنحاء العالم.
وقد تناول الشاعر المعروف صاحب جائزة باشراحيل للإبداع الثقافي في القصيدة جانبا مضيئا من شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم مدافعا عن الرسالة الخالدة التي جاء بها.
وهذه هي القصيدة:
فداك نفسي وأمي بل فـــــداك أبي يا سيد الناس فوق الناس أنت نبي
أشرقت في حلكة الأيام وانتشرت سحائب النور أنداء لـــــــكل أبي

وطاف حولك ريان الهـــدى ألقا بالوحي يصدع من قراننا العربي
لم تنثن وعقول الجهل ســـــادرة تذود عن شرعة الإسلام كل غبي
فكنت أعظم ما في الخلق منزلة وقد تجاوزت فوق الشأو والرتب
يا صاحب الخلق الأسنى مواهبه يا أيها الطـــاهر المزدان بالأدب
مانال مجدك إنسان ولا بلغـــت سمو قدرك أقدار من النجــــــب
ولن تطاولك الأغيار في شرف فأنت أشرف بالإيمان والنســـب
لأنت يا سيدي دين لأمتنـــــا ودينك الحق يجلو ظلمة الريب
وأنت بالحب شمس في ضمائرنا أضأت أفئـــــدة في ليلها الكئب
ذمُّ الدمـــيم دليل أن شرعـــتنا حقيقة الحق رغم الكيد والرهب
هذا (محمد) نور الحق مشعـــله ما ضرَّهُ من رمى بالزيف والكذب
هو الذي ما غشى الدنيا إلى ترف ولو أراد لقلنا للقلوب ..... هِبِي
لكنه جاء بالدين الذي ارتفعت به المحامد وازدادت من القرَب
تطاول القزم والإسلام يحقره وكعبة الله نادت كل منتسب
من طغمة الكفر أوغاد تناوئنا وسوف نلهبها من وقدة الغضب
يا ألف مليون نفس في مواطننا الدين قد ناله وغـــد لألف أب
ذودوا عن الصادق المصدوق وانتصروا على الطغام فلا عـــهد لمحتـــرب
سيألمون بما قالوا وما زعمـــوا ويصطلون من الأهوال واللهب
يا سيد الناس كل الناس راضية أرضاك ربك بالرضوان والغلب
لأنت في دارة الدنيا نسائمـــها وأنت في العين بين الجفن والهدب
صــــلى عليك حبيبَ الله خالـــقنا يا أحمد المصطفى الهادي إلى الأرب
=========================

فداك أبي وأمي يا أعز الناس – [كيف تنصر نبيك فعلا ؟]

سفالة وانحطاط وكراهية طاغية
هذا هو العنوان الأمثل لما يحدث الآن تجاه المسلمين ...
نحن في هذا اللقاء لن نقوم بالرد على هذه الجريدة الدانمركية، فهي أقل من ذلك كما أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أرفع من ذلك ولكن سنلقي الضوء على الأسباب التي أدت بنا إلى هذا المستوى من الذلة والمهانة المستوى الذي جعل أعداءنا يرسمون النبي صلى الله عليه وسلم وفي عمامته قنبلة وكأنه إرهابي المستوى الذي جعلهم يرسمون مسلما يسجد وكلب يفعل به الفاحشة والعياذ بالله وكأن السجود يفعله المسلمون لهذا السبب الوضيع.
من هذه الأسباب أيها الأحبة :

١- الضعف الشديد الذي عليه المسلمون الآن :
وهذا الضعف بسبب بعدنا عن كتاب الله عز وجل وعن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانغماسنا في الدنيا والشهوات والملذات فأغلب المسلمون الآن إلا من رحم الله يجعلون الدين في المرتبة الثانية بعد العمل والزوجة والأولاد فتجد الأب يثور ويغضب إذا حصل ولده على درجات منخفضة في أحد المواد، وعندما يعلم أن ابنه لم يصلي العصر على سبيل المثال كل ما يفعله هو أن يوبخه قليلا.
٢- عدم احترام المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم بالصورة الكافية:
فإذا كنا نحن المسلمين لا نحترم سنة النبي صلى الله عليه وسلم فكيف سيحترمها أعداء الإسلام .....
وهذه حقيقة مؤلمة أيها الأحبة .....
الكثير من المسلمين لا يحترمون سنة النبي صلى الله عليه وسلم فمفهوم السنة الآن معناه الترك وليس الفعل فعندما يقال للشخص أن هذا الأمر سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون رد فعله الفوري أنه إذا لم يفعله لن يكون عليه إثم وبالتالي لن يفعله وعندما يخرج من بين المسلمين أنفسهم من ينكر السنة النبوية ويدعي أن كل الأحاديث التي عندنا إما ضعيفة أو موضوعة ويبدأ في الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم عندها أيها الحبيب ماذا تتوقع من أعداء الدين الذين يتربصون به ؟؟؟؟
والسؤال الآن ما الذي يجب علينا فعله الآن تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ؟؟؟
أولا : مقاطعة جميع البضائع الدانمركية
ثانيا : إرسال الاحتجاجات على هذه الرسوم إلى من نستطيع
وقد قامت المفكرة بتسهيل هذا الأمر على المسلمين فكل ما عليك هو أن تتبع هذا الرابط وتدخل بياناتك ونحن سنتولى إرسال الاحتجاج إلى أكثر من ٢٥ هيئة دانمركية.
أخيرا أيها الأحبة الحل الجذري لهذه المشكلة ومثيلاتها
هو العودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وإعادة بناء النموذج الإسلامي الصحيح الواقعي الذي يعيد لهذه الأمة مجدها وللوصول إلى هذا النموذج المثالي الواقعي للمجتمع المسلم، والذي هو الخطوة الأولى والأساسية في سبيل إقامة دولة الإسلام الكاملة، لابد من العمل على إصلاح ثلاثة منظومات، يشكل الخلل الذي وقع فيها معالم الانحراف الذي وقع في أمة الإسلام:
أولاً:إحياء منظومة الإيمانيات:
فالأمة في حاجة ماسة إلى إعادة بناء الصلة مع الله عز وجل من جديد بإحياء الإيمان في القلوب وتجديد ما اندرس من معالمه في نفوس المسلمين. {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [١١٠] سورة آل عمران
ثانيًا: إصلاح منظومة القيم والأخلاقيات:
فما أبعد المسلمين اليوم عن أخلاقيات الإسلام وقيمه الرفيعة التي كانت تجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجًا لمجرد رؤيتها في سلوك المسلمين؛ [[إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق]][[١]].

ثالثًا: إصلاح منظومة الإنتاج والفاعلية:

فإن النموذج الإنساني السائد في أمتنا اليوم هو نموذج العاجز الكسلان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه صباحًا ومساءً، [[وأعوذ بك من العجز والكسل]][[٢]].

فنجد المسلم غالبًا ما يكون فاشلاً في حياته قليل الإنتاج عاجزًا عن صناعة الحياة، ومثل هذا النموذج لا يستطيع أن يبني أمة كلفها الله عز وجل بقيادة البشرية {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [١٤٣] سورة البقرة

إننا نريد صناعة المؤمن الفعال الذي يستطيع أن يصنع الحضارة، ويبني التقدم على أكتاف دولة الإسلام الكاملة، التي تنتشل الأمة بأسرها من حضيض التخلف والجهل، إلى ذروة الحضارة والعلم، تمامًا كما كانت أول مرة، يوم كانت مستمسكة بشرع الله تعالى تمام الاستمساك فإذا نجحنا في إصلاح هذه المنظومات الثلاث:

[الإيمان ـــــ القيم ـــــ الفاعلية]

فتلك هي الخطوة الإستراتيجية الأولى والحقيقية، نحو إقامة دولة الإسلام الكاملة، التي تلتزم التزامًا كاملاً بالإسلام كعقيدة، وشريعة، ومنهج حياة وتلك هي النصرة الحقيقية للنبي صلى الله عليه وسلم نصرة تستمر ليوم الدين

ــــــــــــــــــــــــــــــــ

[[١]] وفي رواية: [[مكارم الأخلاق]]، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة [١/١١٢]، الحديث رقم ٤٥.

[[٢]] صححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود [٢/٩٠]، الحديث رقم ١٥٤٠.-

حب نبيك كهؤلاء

: من أجل أن يعلم المسلمون مكانة نبيهم صلى الله عليه وسلم ....

ومن أجل أن يعلم المسلمون كيف يكون الحب الحقيقي لهذا الرسول العظيم ....

كانت هذه المواقف......

أبو بكر رضي الله عنه

واليك هذ المشاعر التي يصيغها قلب سيدنا أبو بكر في كلمات تقرأ، يقول سيدنا أبو بكر: كنا في الهجرة وأنا عطش عطش [عطشان جدا ، فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وقلت له:اشرب يا رسول الله، يقول أبو بكر: فشرب النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتويت!!

لا تكذّب عينيك!! فالكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق .. هل ذقت جمال هذا الحب؟انه حب من نوع خاص..!!أين نحن من هذا الحب!؟واليك هذه ولا تتعجب، انه الحب.. حب النبي أكثر من النفس..

يوم فتح مكة أسلم أبو قحافة [أبو سيدنا أبر بكر]، وكان اسلامه متأخرا جدا وكان قد عمي، فأخذه سيدنا أبو بكر وذهب به الى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن اسلامه ويبايع النبي صلى الله عليه

وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم' يا أبا بكر هلا تركت الشيخ في بيته، فذهبنا نحن اليه' فقال أبو بكر: لأنت أحق أن يؤتى اليك يا رسول الله.. وأسلم ابو قحافة.. فبكى سيدنا أبو بكر الصديق، فقالوا له: هذا يوم فرحة، فأبوك أسلم ونجا من النار فما الذي يبكيك؟تخيّل.. ماذا قال أبو بكر..؟قال: لأني كنت أحب أن الذي بايع النبي الآن ليس أبي ولكن أبو طالب، لأن ذلك كان سيسعد النبي أكثر

سبحان الله ، فرحته لفرح النبي أكبر من فرحته لأبيه أين نحن من هذا؟

عمر رضي الله عنه

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: و الله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه'. فقال عمر: فأنت الآن و الله أحب إلي من نفسي. فقال رسول الله : 'الآن يا عمر' .

لن يشعر بهذه الكلمات من يقرأها فقط.. انها والله أحاسيس تحتاج لقلب يحب النبي صلى الله عليه وسلم ليتلقاها كما هي.. غضة طريّة

ثوبان رضي الله عنه

غاب النبي صلى الله عليه وسلم طوال اليوم عن سيدنا ثوبان خادمه وحينما جاء قال له ثوبان: أوحشتني يا رسول الله وبكى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ' اهذا يبكيك ؟ ' قال ثوبان: لا يا رسول الله ولكن تذكرت مكانك في الجنة ومكاني فذكرت الوحشة فنزل قول الله تعالى {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [٦٩] سورة النساء

سواد رضي الله عنه

سواد بن عزيّة يوم غزوة أحد واقف في وسط الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم للجيش:' استوو.. استقيموا'. فينظر النبي فيرى سوادا لم ينضبط فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ' استو يا سواد' فقال سواد: نعم يا رسول الله ووقف ولكنه لم ينضبط، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بسواكه ونغز سوادا في بطنه قال: ' استو يا سواد '، فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق فأقدني!فكشف النبي عن بطنه الشريفة وقال:' اقتص يا سواد'. فانكب سواد على بطن النبي يقبلها.يقول: هذا ما أردت وقال: يا رسول الله أظن أن هذا اليوم يوم شهادة فأحببت أن يكون آخر العهد بك أن تمس جلدي جلدك.ما رأيك في هذا الحب؟

وأخيرا لا تكن أقل من الجذع ....

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في مسجده قبل أن يقام المنبر بجوار جذع الشجرة حتى يراه الصحابة.. فيقف النبي صلى الله عليه وسلم يمسك الجذع، فلما بنوا له المنبر ترك الجذع وذهب إلى المنبر 'فسمعنا للجذع أنينا لفراق النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يترل

عن المنبر ويعود للجذع ويمسح عليه ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم:' ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معي في الجنة؟'. فسكن الجذع..

للواجب العملي طالع المقالة التالية: فداك أبي وأمي يا أعز الناس - [كيف تنصر نبيك فعلا؟]

===================

فدتك نفسي يا رسول الله...

١٤٢٦/١٢/١٨

محمد جلال القصاص

سبُّ النبي – صلى الله عليه وسلم – ليس حدثاً عابراً قامت به صحيفة سيئة الأخلاق نفست به عن حقدها في عدد من أعدادها، وليس هو همٌّ حفنة من أراذل الكفار مُلئت قلوبهم غيظاً وحنقاً على شخص الحبيب – صلى الله عليه وسلم – فقاموا يمثلون وينكتون ويسخرون، بل لو كان الأمر كذلك لكان مما يسعه الصدر – على عِظَمه – إذ إن مجاراة السفهاء أمر يترفع عنه العقلاء...ولكن.. الأمر أعمق من هذا كله .

هذه الأمور ليست إلا كما يقول الله عز وجل: "... قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ" (آل عمران: من الآية ١١٨). وهاأنذا أنادي العقلاء، فهل يسمعون؟... وهل يجيبون؟ ... وليت أولي العزم من العقلاء مَن يلبون؟

من قبل كان النصارى في حملاقم (التبشيرية) يتكلمون عن النصرانية... يبترون ويكذبون ويبدون قليلاً ويخفون كثيراً كي يُظهروا دينهم في صورة يتقبلها الآخر. واتخذوا مما يسمى بحوار الأديان – هذا الحوار الذي يجرى مع رجال لبسوا الجبة والعمامة فظهروا وكأنهم علماء – وسيلة ليقولوا لمن يخاطبوهم من ضعاف المسلمين في أدغال أفريقيا وجنوب شرق آسيا إن الإسلام يعترف بنا ولا يتنكر لنا فكله خير – بزعمهم –.

وكانت حملتهم على الإسلام حملة على شعائره... يتكلمون عن التعدد وعن الطلاق وعن الحدود وعن الجهاد وعن الميراث وعن ناسخ القرآن ومنسوخة، ثم في الفترة الأخيرة وخاصة بعد انتشار الفضائيات ودخولها كل البيوت تقريباً، وكذا بعد ظهور تقنية الإنترنت عموما والبالتوك خصوصا، أخذ القوم منحى آخر وهو التركيز على شخص الحبيب – صلى الله عليه وسلم –، قاموا ينقضون الإسلام بتشويه صورة النبي – صلى الله عليه وسلم –.

ودَعْك من كلام الأراذل، هناك طرحٌ يُلْبِسُه دعاة الكفر ثوب العلمية ويدَّعون أنه الحقيقة التي لا مراء فيها يخاطبون بهذا الهراء قومهم ومن يتوجهون إليهم بالتنصير... هذا توجه عام داخل حملات التنصير اليوم، والأمر بيِّن لمن له أدنى متابعة لما يتكلم به القوم، وما حدث في الصحيفة الأوربية هو طفح لما يُخاطب به القوم في الكنائس وغرف البالتوك عن نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم –.

فهم يحاضرون ويؤلفون عن (أخلاق نبي الإسلام)، يتكلمون عن زواجه بتسع من النساء – وقد اجتمع عند سليمان – عليه السلام – تسعمائة من النساء وهذا في كتابهم –، وعن زواجه من عائشة ومن زينب ومن صفية – رضي الله عنهن–، وعن غزواته – صلى الله عليه وسلم –؛ وبطريقة البتر للنصوص واعتماد الضعيف والشاذ والمنكر من الحديث يخرجون بكلامهم الذي يشوهون به صورة الحبيب – صلى الله عليه وسلم –، ولكنه في الأخير يبدو للمستمع أن هذا كلام (ابن كثير)، و(الطبري)، و(ابن سعد) علماء الإسلام، فيظن المخاطبون أنها الحقيقة التي يخفيها (علماء) الإسلام.

دعاة النصرانية يغرفون من وعاء الشيعة حين يتكلمون عن أمهات المؤمنين وعن صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – بل وفي كلامهم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أحياناً، ويغرفون من وعاء (القرآنيون) الذين يتركون السنة تشكيكاً في ثبوتها أو في عصمة الحبيب – صلى الله عليه وسلم–.

والمطلوب هو قراءة جيدة لما يحدث، والتصدي له على أرض الواقع. لا نريد ثورة كلامية، وغضبة لا يفهم منها (الآخر) إلا أنها نفرة المتعصب، نريد قطع الطريق على هؤلاء وإحباط كيدهم، وإنقاذ الناس من الكفر بربهم.

مطلوب خطاب أكاديمي يجفف منابع المنصرين، أعني ما يقوله القرآنيون والشيعة، وما يفتريه النصارى بالبتر للنص واعتماد المكذوب والشاذ والضعيف من الحديث، ومعنيٌّ بهذا طلبة درجات التخصص العليا في الكليات الشرعية، وإن أخذ الأمر وقتاً، ولكنه سيثمر بإذن الله يوماً ما.

ومطلوب خطاب لعامة الناس يبين لهم كيف كان نبيهم – صلى الله عليه وسلم – بعيداً كل البعد عما يقولوه النصارى، وأن ما يقال محض كذب، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان كل الكمال وجملة الجمال – صلى الله عليه وسلم –.

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... ...

مثل النبي رسول الأمة الهادي ...

وأيضا لا ينفك عن هذا أبداً بيان عقيدة النصارى... ما يعتقدونه في ربهم وما يعتقدونه في أنبيائهم وما يعتقدونه في أحبارهم ورهبانهم...من يعبد النصارى؟ وهل النصرانية دين يتبع؟!!

لِمَ نسكت عنهم وهم يرموننا بكل ما في جعبتهم؟!

أسياسة؟... أم جبن وخور؟... أم غفلة؟!

إن مما ابتلي به مسلمو اليوم هو التآلف مع النوازل بعد قليل من نزولها، فقط نثور قليلاً ثم نسكت ولا نتكلم وكأن شيئاً لم يحدث، وهذا الأمر فهمه عدونا، فلم يعد يبالي بجعجعتنا التي لا تتجاوز الكلام، وهو يستفيد من هذا الكلام، فليتنا نكون على قدر المسؤولية ونبدأ في تصعيد مستمر وتبصير للناس بحقيقة من يتكلمون عن النبي – صلى الله عليه وسلم–، وحقيقة دينهم، وحقيقة ديننا ونبينا – صلى الله عليه وسلم–.

فهل من مجيب؟!

فديتك نفسي يا رسول الله... فديتك نفسي يا رسول الله.. فديتك نفسي يا رسول الله.

=======================

فضل اتباع السنة

بقلم محمد عمر بازمول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

] يا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مّسْلِمُونَ[[آل عمران:١٠٢].

] يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللَّهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً[[النساء:١]

] يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً[[الأحزاب:٧٠،٧١].

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد e وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أمّا بعد:

فهذه محاضرة بعنوان فضل اتباع السنة أدرتها على العناصر التالية: -

-تعريف السنة .

-أقسام السنة وأنواعها .

-ثمرات إتباع السنة وهي التالية :-

١. أنها سبيل النجاة من الاختلاف .

٢. أنها سبيل الفكاك من الافتراق .

٣. أنها سبيل الهداية من الضلال .

٤. أن النسبة إليها فيها شرف النسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

٥. أننا باتباعها ننفك من سبل الشيطان .

٦. أننا باتباعها يرفع المسلمون عن أنفسهم سمة الذل والهوان .

٧. أن فيها تشخيص الداء والدواء .

٨. أن فيها تحصيل الشرع جميعه .

٩. أن بها يكون تمام صالح ومكارم الأخلاق .

١٠. أن بها ينجو المسلم من العذاب الأليم من النيران .

١١. أن بها ينال المسلم دخول الجنة .

١٢. أن بها يكون إحياء السنة .

ذاك هو مجمل هذه المحاضرة وإليكم البيان .
العنصر الأول في المحاضرة وهو تعريف السنة :
السنة في اللغة: السيرة والطريقة، تقول فلان على سنة فلان أي: على طريقة فلان أي على سيرة فلان هذا هو المعنى في اللغة .
السنة في الشرع: إتباع ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر وترك ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم فهي تشمل في الشرع كل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور واجبة وأمور مستحبة وترك الأمور المحرمة وترك الأمور المكروهة . ثم بعد ذلك أصبح للسنة اصطلاح عند العلماء :-
فالسنة عند المحدثين :- ما أضيف للرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية .
فأما ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول يعني حديث فيه قول للرسول صلى الله عليه وسلم كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...)) . الحديث، هذه سنة قولية.
وأمّا الفعل فهو السنة الفعلية: أن ينقل إلينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفعل كذا وكان يترك كذا مثل قول أنس رضي الله عنه كان رسول الله يحب الدباء هذا أمر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم.
وأيضاً من السنة الفعلية ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال في الصلاة أو أفعال في الزكاة أو أفعال في الصوم أو أفعال في الحج هذه كلها تدخل تحت السنة الفعلية .
وأمّا التقرير فهذه السنة التقريرية:وهي أن يحدث الفعل أمام الرسول صلى الله عليه وسلم أو في زمنه والوحي يترل ويقر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ويقر الوحي ذلك فلا ينكر ولا يغير فتكون بذلك تقرير شرعي للفعل! ودلالة السنة التقريرية بمجردها على الاستحباب ضعيفة!

وأما الصفة الخُلُقية : فهي ما نقل إلينا من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كيف كانت وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: "كان خلقه القرآن".
وأما الصفة الخلقية فما ينقل لنا عن هيئته صلى الله عليه وسلم كما يأتي في بعض الأحاديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة لا بالطويل ولا بالقصير إذا وقف بين الطوال طالهم وكان صلى الله عليه وسلم أبيض الوجه وجهه كأنه فلقة القمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ... إلى أخر ما يذكر في صفات خلقه صلى الله عليه وسلم!
إذاً السنة عند المحدثين ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية .
والسنة عند الأصوليين والفقهاء :

ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.
لأن الفقيه والأصولي إنما ينظر في السنة من جهة أنها دليل شرعي وبالتالي لا يكتسب عنده سمة الدليل إلا هذه الأمور الثلاثة وهي : القول و الفعل والتقرير.
والفقهاء حينما يذكرون السنة ويريدون بها هذا المعنى ينبهون أن لهم اصطلاحاً آخر يطلقون فيه كلمة السنة بمعنى المستحب والمندوب ويجعلونها مرتبة من مراتب الحكم الشـــرعي التكليفـــي فيقولـــون : الأحكام الشرعية: خمسة الواجب والمحرم والمكروه والمباح والمستحب .
وهذا المستحب يعبرون عنه بالمندوب ويعبرون عنه بالسنة .
وشاع عند بعض الناس أن السنة هي فقط المستحب الذي ثمرته أنه يثاب فاعله ولا يعاقب تاركـــه والواقع أن هذا الاصطلاح اصطلاح حادث جرى عليه أهل الأصول وأهل الفقه في بيان مرتبة مـــن مراتب الحكم الشرعي التكليفي لكن لا يصح لنا أن نفسر كلمة سنة إذا جاءت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أو في كلام الصحابة أو في كلام التابعين أو الأئمة الكبار بمعنى المستحب فالسنة عندهم أعم من ذلك تشمل المستحب والواجب بل تشمل ما يكفر مخالفه، ولذلك أئمـــة الســـلف والأئمة الكبار في القرون الثلاثة الفاضلة الذين ألفوا وصنفوا لهم كتب اسمها كتب السنة تشتمل على أمور الاعتقاد والتي يكفر مخالفها ككتاب السنة لابن أبي عاصم وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد بـــن حنبل وكتاب السنة للمروزي وغيرهم .
إذاً ينبغي ألا يهجم المرء على تفسير كلمة السنة إذا وردت في كلام الصحابة أو في كـــلام الأئمـــة التابعين أو الأئمة الكبار بأنها بمعنى المستحب فقط لأن هذا اصطلاح حادث لا ينبغي أن يفسر عليـــه كلام أولئك القوم.
إذا اتضح هذا ننتقل إلى العنصر التالي :
ما هي أقسام السنة:
السنة عند النظر تنقسم إلى قسمين :
سنة صريحة: إضافتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم صريحة وظاهرة .
يأتيك في الحديث قال رسول الله فعل رسول الله كان رسول الله كذا أو حصل كذا مع رســـول الله فالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي صريحة فهذه سنة صريحة .
السنة الضمنية: وهي سنة تغيب عن أذهان بعض الناس. و هي التي لا يأتي فيها صريحاً ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لكن حكمها حكم السنة المرفوعة الصريحة. ...
ما هي هذه السنة :
أقوال الصحابة التي لا مجال للرأي والاجتهاد فيها لأنها ما دامت لا مجال للرأي والاجتهاد فيها فمن أين مصدرها ومن أين أخذوها ؟ أخذوها من الرسول صلى الله عليه وسلم .
- قول الصحابي الذي لا مخالف له فيه هذا أيضاً حكمه حكم السنة المرفوعة، وبعض أهل العلم يقول هذا إجماع سكوتي إذ أن الصحابي حينما يقول القول ويسكت عن الإنكار الصحابة الآخرون فـــإن

هذا دليلٌ أن قول هذا الصحابي سنة إما أنه سنة صريحة بهذه الموافقة أو أنه حصل على درجة الحجة بموافقة الصحابة فصار حكمه حكم الإجماع السكوتي .

- قول الصحابي في أسباب النزول، في أسباب نزول القرآن الكريم هذا أيضاً حكمه حكم السنة المرفوعة إذا كانت الصيغة التي عبر فيها عن سبب النزول صيغة صريحة كقوله حدث كذا فأنزل الله كذا فإن هذا صريح في أن هذه الواقعة حصلت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

- قول الصحابي في تفسير مرويه فإن الصحابي حينما سمع الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم علم بالقرائن التي حفت هذا الحديث فتفسيره لما يرويه عن الرسول صلى الله عليه وسلم مقدم على كلام غيره بل لعل الأصل فيه أن يكون هذا الفهم أو المعنى الذي فسر فيه الحديث يغلب على الظن أنه استفاده من الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذه أنواع تندرج تحت السنة الضمنية تغيب عن أذهان بعض الناس ولكن أهل الحديث من أكثر الناس تنبهاً لها لذلك تراهم إذا ألفوا الأجزاء الحديثية يوردون الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة لأنها لا تخلوا من أن تتضمن الدلالة أو الإشارة إلى سنة من السنن. ولهذا على طالب العلم أن يشمر عن ساعده للاعتناء بالوارد عن الصحابة في مسائل العلم، وهذا الجانب يقع فيه قصور من جهات:

الأولى: أن الغالب عدم الاعتناء ببيان الصحيح من الضعيف من الآثار. الثاني: عدم تحرير قول الصحابي في المسألة.

الثالث: الهجوم على نسبة القول إلى الصحابي، قبل تحرير إن كان آخر القولين له أوْ لا.

بعد ما عرفنا تعريف السنة وأقسام السنة نذكر لكم الآن فضل إتباع السنة والثمرات التي يجنيها المسلم إذا أتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فأقول كمقدمة لهذه الثمرات :

الحديث عن فضل اتباع السنة النبوية هو الحديث عن الإسلام بتشريعاته وحكمه البالغة وآدابه إذ السنة هي الدين كله قال تعالى] وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أُولَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ [[آل عمران :٨٥-٨٨] .

فالدين هو الإسلام والإسلام هو السنة فالدين هو السنة وفي هذه المحاضرة سأحاول أن ألقي الضوء على أهم ثمرات إتباع السنة والدخول فيها جعلنا الله وإياكم من أهلها فأقول مستعيناً بالله :

من أهم ثمرات ونتائج إتباع السنة ما يلي:

الثمرة الأولى

أن في اتباع السنة أخذ بالعصمة من الوقوع في الاختلاف المذموم والمبعد عن الدين

الاختلاف المذموم الذي هو سمة الضعف ولا يسلم المرء منه إلا بطاعة الله وطاعة الرسول قال تعالى:] وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوَاْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ[[الأنفال :٤٦]. ففي إتباع السنة والأخذ بها طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك سبيل النجاة من الاختلاف المذموم.

أخرج الترمذي في سننه في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وأبو داود في كتاب السنة من سننه باب ما جاء في لزوم السنة عن العرباض بن سارية قال "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ".

وفي لفظ ابن ماجه قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم ما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنما المؤمنون كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد".

هذه الوصية من الرسول صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم لا يخرج عنها شيء وهي أصل عظيم من أصول الدين. وذلك أن حياة الناس تحوطها العلاقات؛ فهي إمّا علاقة للعبد مع ربه. وإما علاقة للعبد مع مجتمعه. وإمّا علاقة مع نفسه.

وبيّن الحديث أمر العلاقة مع الله في قوله صلى الله عليه وسلم: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه".

وأمر العلاقة مع المجتمع في قوله: "وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ".

وأمر العلاقة مع النفس بينه في الوصية بالتقوى والتمسك بالسنة. تدلنا هذه

الوصية على فضل وثمرة من ثمرات اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الحديث حديث أبي نجيح العرباض بن سارية فيه إخبار عن أمر سيكون ، ما هو هذا الأمر؟!

أخبر أنه سيكون اختلاف كثير بين المسلمين عما كان عليه الحال في زمنه صلى الله عليه وسلم : "ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً "!

ما النجاة ما الفكاك كيف الخلاص ؟

قال: " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ " .

إذاً أول ثمرة وأول فضل لاتباع السنة أنك تعصم نفسك به على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه، تعصم نفسك عن الاختلاف المذموم ، تعصم نفسك عن الدخول في أمور الاختلاف والفرقة التي ذمها الإسلام بأن تتمسك بالسنة وهذا معيار من الرسول صلى الله عليه

وسلم نعلمه ونلقنه للناس نقول لهم إذا جاءكم أمر من الأمور والتبست عليكم الأمور وما عرفتم هل هذا الأمر يجوز أو لا يجوز؛ فانظروا هل كان عليه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه هذا ضابط علمنا إياه صلى الله عليه وسلم فقال: "ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ...".

وقوله في الحديث: (فعليه بسنتي) أي فليلزم سنتي (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته، فإنهم أشد الناس حرصا عليها وعملا بها في كل شيء. وعلى كل حال كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلا عن أكبرها. وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عملوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر، وهذا الرأي منهم أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل .

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: "في قوله صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي" عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنن قال بها و لم يعرج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة جعلنا الله منهم بمنه .

ثم بوّب في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وحفظه نفسه عن كل من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه"اهـ(١).

الثمرة الثانية

أن في اتباع السنة ولزومها النجاة من الفرقة التي توعد أهلها بالنار

هناك الاختلاف وقد لا يصل إلى حد الفرقة لكن قد يصل الاختلاف إلى حد فتكون هناك فرق وجماعات وانتماءات ذمها الرسول صلى الله عليه وسلم أخرج ابن ماجة عن أنس ابن مالك قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة " .

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر قال صلى الله عليه وسلم : "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال : ما أنا عليه وأصحابي " .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة "(١) .

ففي هذا الحديث بيان أن في لزوم سنته صلى الله عليه وسلم السلامة من الفرقة المذمومة التي توعد أهلها بالنار .

هناك في الثمرة الأولى ذكر الاختلاف وقد يحدث الاختلاف ولا يصل إلى فرقة فاتباعك للسنة يسلمك من الاختلاف .

هنا في الثمرة الثانية ذكر فرق وهذا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم فيه إعجاز وتصديق لنبوته صلى الله عليه وسلم إذ الأمر حصل كما قال عليه الصلاة والسلام وحصلت فرق، هناك الخوارج وهناك المعتزلة وهناك المرجئة وهناك الجهمية وهناك الرافضة فرق كثيرة حصلت ، أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الفرق ستبلغ إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ما هي ؟ هي التي تكون ما عليه أنا وأصحابي .

إذاً هذا فيه تعظيم لأمر إتباع السنة أليس كذلك؟

فيه بيان لثمرة من ثمرات إتباع السنة أليس كذلك؟

نقول بلى : فيه تعظيم لاتباع السنة وحث للمسلمين أن يتبعوا السنة فعليهم إذا أرادوا النجاة أن يكونوا على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذه ثمرة من ثمرات إتباع السنة .

ومن المهم هنا التنبيه على أن قوله صلى الله عليه وسلم: " كلها في النار إلا واحدة " من باب نصوص الوعيد، فالفرق المتوعدة بالنار، في قوله صلى الله عليه وسلم: " كلها في النار إلا واحدة " هذا عذابها إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها، كما قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء:٤٨]،[مجموع الفتاوى (٧/٢١٧-٢١٨)].

قال الآجري محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ) رحمه الله : " فالمؤمن العاقل يجتهد أن يكون من هذه الملة الناجية باتباعه لكتاب الله عزوجل وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم وسنن أصحابه رحمةُ الله عليهم ، وسنن التابعين بعدهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين ممن لا يستوحش من ذكرهم مثل سفيان الثوري والأوزاعي ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد القاسم بن سلام ومن كان على طريقهم من الشيوخ فما أنكروه أنكرناه وما قبلوه وقالوا به قبلناه وقلنا به، ونبذنا ما سوى ذلك"اهـ [كتاب الأربعين حديثاً للآجري، تحقيق أخينا الفاضل بدر البدر، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ].

الثمرة الثالثة

أن في لزوم السنة تحصيل الهداية والسلامة من الضلال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يرد عليَّ الحوض" (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال : " يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه " (٢) .

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم" (٣).

وعن أبي أمامه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ضل قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

] مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ[" (١).
والكتاب والسنة قد هُدِي من تمسك بهما.
هذه الأحاديث تفيد أن في اتباع السنة النبوية سلامة من الضلال: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض". إذاً هذا الحديث فيه بشارة لمن اتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتمسك بها وأنها ستكون داعية وهادية في عرصات يوم القيامة إلى الحوض المورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم وهذه ثمرة عظيمة من ثمرات التمسك والاتباع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
قال ابن تيمية رحمه الله: "كان أئمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفاء فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعتاض عنه بما عند هؤلاء وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة وهو خفاء سنن المرسلين فيهم وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة".
قال مالك رحمه الله: "السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك".
وهذا حق فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين . واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنا وظاهرا والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه.
وهكذا إذا تدبر المؤمن سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفان لأحوالهم مبينان لحقهم مميزان بين حق ذلك وباطله والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين كما قال فيهم عبدالله بن مسعود: من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"(١)اهـ.
الثمرة الرابعة
أن في السنة دخولاً تحت اسم النبي صلى الله عليه وسلم
وفي تركها خروجًا عن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم
الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : "من رغب عن سنتي فليس مني" وله قصة أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني

لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

وترك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هو رغبة عنه، تركها بعد علمها هو رغبة عنه والرغبة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين : قد تكون في درجة المعصية وقد تكون في درجة الكفر والعياذ بالله .

إذا تركتها إعراضاً عنها وإنكاراً لها وانتقاصاً لها فأنت انتقصت الدين وانتقاص الدين نوع من الكفر والإعراض عن الدين نوع من أنواع الكفر والعياذ بالله.

أما إذا تركت السنة تهاوناً وكسلاً لا عن اعتقاد القصور فيها واعتقاد النقص فيها، فأنت بحسب هذه السنة التي تركتها إن تركت واجباً فأنت عليك إثم الواجب وإن تركت مستحباً فأنت قد فاتك فضل المستحب وإذا أدمنت وداومت على ترك المستحب فإن أهل العلم في المذاهب الأربعة يسقطون عدالتك ويفسقونك بترك السنة بمعنى الإدمان على تركها. من ذلك ما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أنه سئل عمن يترك صلاة الوتر وصلاة الوتر عنده مستحبة ليست بواجبة فقال: لما سئل عمن ترك أو أدمن ترك صلاة الوتر لا يصلي الوتر قال : ذاك رجل فاسق ترد شهادته. وهو يترك سنة ولذلك نحن ننبه الناس نقول : لا تفهموا من قول العلماء إن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها هذا المعنى الذي تصلون به إلى التهاون بالسنة نقول : لا ، العلماء ما أرادوا هذا إنما أرادوا بيان السنة والواجب والمحرم والمكروه، أرادوا ما تصح به العبادة وما تفسد به العبادة، أرادوا بيان أدنى الأحوال التي يصل بها الإنسان إلى حد العدالة عموماً لا على الدوام وهم يفرقون مع قولهم إن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها يفرقون بين من أدمن على ترك السنن وبين من كان يتركها أحياناً ولذلك الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الحق قالوا: ما بلغنا حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملنا به ولو مرة واحدة.

لماذا يصفون هذا؟ لماذا يقولون هذا ؟

حتى يعدوا من أصحاب هذه السنة ، يعدوا من أصحاب هذا الحديث لذلك من ثمرات العمل بالسنة وفضل العمل بالسنة أن من يعمل بها يعد من أهلها .

الثمرة الخامسة

أن في فضل السنة واتباعها الفكاك من سبل الشيطان

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :" خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً فقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن شماله وعن يمينه ثم خط خطوطاً صغيرة عن شمال هذا الخط وعن يمينه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا سبيلي أشار إلى الخط الطويل وقال : هذا سبيلي وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه ثم تلا { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } ". فمن اتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع الصراط المستقيم وسلم من سبل الشياطين ، وخط الرسول صلى الله عليه وسلم الذي

صنعه ومثله بالمثال ليقربه إلى أذهان الناس فخط خطاً وخط على جانبه خطوطاً تصويراً لحقيقة هذه السنة، فالسنة طريق طويل ليست طريقاً قصيراً ولذلك الذين يتعجلون نتائج الدعوة يتعجلون نتائج اتباع السنة وتطبيق السنة يقولون: يا أخي نحن لنا مدة على طلب الحديث ونطبق الحديث والعمل بالسنة ولكن ما يوجد أثر لهذا؛ المجتمعات ماتغيرت!!

فأقول لك: يا أخي لا ضير في ذلك أما ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مثل لسنته وصراطه مثله صراطاً طويلاً ولما مثل السبل الأخرى مثلها سبل قصيرة على جانبيه فلا تغتر ولا تظنن أن اتباعك لتلك السبل التي هي على خلاف السنة يوصلك إلى النتيجة! فبعض الناس قد يظن أنه بهذا الأسلوب الذي يخالف سنة الرسول يصل مباشرة إلى مقصود الدعوة!

فنقول: هذه كلها اغواءات من الشيطان يغويك يفتح لك الأبواب ويغرر بك يوهمك أن هذا السبيل نتيجته سريعة طريقه قصير أما طريق السنة يا أخي فإنه طريق طويل محفوف بالمكاره، ولكنه صراط مستقيم يؤدي بسالكه إلى الجنة، وينجو به من النيران!

هذا سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم إن أردته ألزمه وهو طريق طويل عليك إن تصبر وعليك أن تتابع السبيل ولذلك كان من الوصايا العامة لجميع المؤمنين ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله { وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ .إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ}

لابد من الصبر في أمر الدعوة!

وسبيل الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة ومنهج الأنبياء في الدعوة ليس بمنهج سريع تستعجل فيه ثمرته، ليس بمنهج بين يوم وليلة بين سنة وسنتين، بل هو سبيل طويل، وصراط مستقيم، أمّا سبيل الشياطين فإنها كلها قصيرة يغرر بك بقصرها فتتوهم أنها تؤدي إلى النتيجة سريعاً!

فسبيل السنة سبيل طويل عليك أن تتبعه وأن تسلكه وأن تتواصى فيه مع إخوانك بالحق وأن تتواصى فيه مع إخوانك بالصبر .

إذاً في اتباعك للسنة أمان لك وفكاك لك من سبل الشياطين .

قال ناصر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المنير (ت٦٨٣هـ) رحمه الله: "من الحقوق الواجبة نشرها (يعني: السنة) على الناس قاطبة يحملها الآخذ إلى الغالب، ويبلغها الشاهد إلى الغائب، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع" فوظيفة الحامل الجاهل في هذه الأمانة أن يؤديها إلى أهلها بالوفاء والتسليم ووظيفة الحامل الحاذق أيضاً أن يؤديها إلى من عساه أحذق منه في الفهم والتفهيم.

وليحذر أن يحجب عن المزيد باعتقاد أنه ذلك العظيم ففوق كل ذي علم عليم، ومهما ظن أنه ليس وراء قدره مرمى ، فقد حرم بركة قوله عزوجل: {وقل ربي زدني علماً} [طه:١١٤] وقد كان العلماء الربانيون من هذه الأمة على ما وهبوه من القوة في غاية الجزع والهلع يتدرعون العجز الذي يأباه اليوم لكع بن لكع، حتى كان مالك رحمه الله وهو الذي لا يقري أحد كما يقري أهون ما عليه

أن يقول فيما لا يدري أنه لا يدري، ويشير بها إلى الأفاضل والأماثل ويقول: جنة العالم لا أدري فإذا أخطأها أصيبت منه المقاتل"اهـ.(١)

قال ابن تيمية رحمه الله: "وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول: كان علماؤنا يقولون الاعتصام بالسنة هو النجاة.

وقال مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ؛ وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله والرسول هو الدليل الهادي الخريت في هذا الصراط كما قال تعالى: { إِنّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشّراً وَنَذِيراً .وَدَاعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مّنِيراً }.

وقال تعالى: { وإنّك لتهدي إلى صراطٍ مُسْتَقيم .صِرَاطِ اللّهِ الّذِي لَهُ مَا فِي السَّموَات وَمَا فِي الأرْضِ أَلاَ إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}.

وقال تعالى: { وَأَنّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ }.

وقال عبدالله بن مسعود: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: { وَأَنّ هَـَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ }[الأنعام :١٥٣].

وإذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم(١) وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعى أن سبيله هو الصواب وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" [مجموع الفتاوى (٤/٥٦ـ٥٧)].

الثمرة السادسة

في اتباع السنة تحصل الشرع والدين

وذلك أن الدين معناه أن لا تعبد إلا الله ولا تعبد الله إلا بما شرع ولا طريق لنا في معرفة الشرع بغير القرآن العظيم والسنة النبوية، ولهذا كانت العبادات توقيفية ولا غرو قالت عائشة رضي الله عنها: " كان خلقه القرآن " وسنته صلى الله عليه وسلم شاملة لكل الدين . فهي المبينة للقرآن العظيم قال الله تبارك وتعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلنّاسِ مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ} وقال تعالى: { وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاّ لِتُبَيّنَ لَهُمُ الّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل:٦٤].

توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي، فمن زاد أو أنقص فقد أساء وظلم" .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"!

وهو الذي قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهو الذي قال: " أفشوا السلام بينكم وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام " .

وقال ابن تيمية رحمه الله : " ولهذا قال الفقهاء العبادات مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قبل الحجر الأسود وقال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله r يقبلك لما قبلتك .

والله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته فقال تعالى { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم} وقال تعالى { وإن تطيعوه تهتدوا } وقال تعالى { ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم } .

وأمثال ذلك في القرآن كثير ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما وضحت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وما علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه ولا يقفُ ما ليس به علم ولا يقول على الله ما لم يعلم فإن الله تبارك وتعالى قد حرم ذلك كله انتهى كلامه رحمه الله " .

فمن ثمرا ت اتباع السنة أنك باتباعها تحصل الدين جميعه .

إن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول عبده ورسوله تتضمن أمرين:

أن لا نعبد إلا الله وأن لا نعبده إلا بما شرع .

إن هذين الأمرين هما اللذان يقوم عليهما الدين .

أما نقول ذلك ؟ إذاً الإتباع أن لا نعبد الله إلا بما شرع، وتحقيق هذا الأصل لا يكون إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو معنى الجزء الثاني من الشهادة وأشهد أن محمداً رسول الله فلا طريق لك إلى معرفة عبادة الله إلا عن طريق اتباع رسول الله واتباع الرسول يكون بأخذ سنته صلى الله عليه وسلم ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". يعني تتقرب إلى الله بأمر انظر هذا الأمر هل هو من الأمور التي تقرب بها الرسول عليه الصلاة والسلام أم لا . فإذا وجدتها من ذلك فهي مقبولة إن شاء الله إذا توفرت شروط القبول وإذا لم يكن الأمر كذلك فهو مردود عليك ولذلك حكم أهل العلم إن الذين يتقربون إلى الله بأمور محدثة يعني ببدع لا تقبل منهم عبادتهم لماذا ؟ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" إذاً في اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وتقفيها أخذ بالدين كله. والرسول عليه الصلاة والسلام علمنا كيف نتوضأ وكيف نصلي وعلمنا الآداب والأخلاق وكان يعلمنا لما دخل المدينة قال: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" ويعلمنا يقول : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" علمنا الصيام وعلمنا الزكاة وعلمنا أمور الدين . فاتباعك لسنة الرسول أخذ بأمور الدين جميعها.

قال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ):"هذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم.

وقد قال العلماء إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:٩٠].

وروينا عن عائشة ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت: "مكارم الأخلاق صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل والمكافأة وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتدمم للصاحب وقرى الضيف والحياء رأسها".

قالت: "وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أحب"اهـ [التمهيد (٣٣٤/٢٤)].

قلت: وسنة الرسول هي الدين كما تقدم، وهي المبينة لما في القرآن العظيم، وقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقد قال ابن تيمية: "ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر الاسود وقال: "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك" والله سبحانه أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته فقال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}، وقال تعالى : {وإن تطيعوه تهتدوا}، وقال تعالى: {ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم}، وأمثال ذلك في القرآن كثير.

ولا ينبغي لأحد أن يخرج فى هذا عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وما علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه ولا يقفو ما ليس له به علم ولا يقول على الله ما لم يعلم فان الله تعالى قد حرم ذلك كله"اهـ[قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٧٠ــ٢٧١].

الثمرة السابعة

أن في اتباعك لها رفع لسمة الذل والهوان عن الأمة

وذلك لأن السنة هي الدين وترك الدين سبب للذل والهوان.

أخرج أحمد في المسند وأبو داود في سننه عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" والعودة إلى السنة عودة إلى الدين .

وفي حديث جبريل الطويل الذي هو أم السنة بعد أن ذكر أركان الإيمان والإسلام والإحسان قال: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم"!

الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بأمر سيكون وأخبر بالنتيجة وذلك على سبيل الخلاص قال : "إذا تبايعتم بالعينة" والعينة نوع من أنواع البيوع تباع فيها السلعة ويبقى عينها عند بائعها ويشتريها البائع ممن اشتراها منه، كأن يذهب إنسان إلى صاحب سيارات وهو محتاج فلوس فيقول لصاحب السيارات: بعني هذه السيارة بالتقسيط بعشرين ألف، فيبيعه بعشرين ألف، وصاحب السيارة عارف أنه ما يريد السيارة يريد الفلوس فيقول له: أنا اشتري منك هذه السيارة نقداً بخمسة عشر ألفاً فيصير في الحقيقة أنه أخذ خمسة عشر ألفاً حاله بعشرين ألف مؤجلة ألم يحصل هذا .

هذا هو بيع العينة، سمي عينة لأن عين السلعة المباعة لم تنتقل من حرز مالكها.

والرسول عليه الصلاة والسلام عنون ببيع العينة من باب الإشارة إلى تفشي أنواع البيوع المحرمة لأنه لا يوجد عندنا في المعاملات في البيع والشراء إلا بيع وربا فعنوان البيوع المحرمة الربا ومنه بيع العينة.

قال : "إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر" كانوا في السابق ولايزال إلى الآن في بعض البلاد المحراث يجره بقر وثور فيأتي المزارع يمشي خلف البقر ويمسك المحراث ويغرزه في الأرض حتى يقلبها فالرسول صلى الله عليه وسلم عبر عن الركون إلى الدنيا والأرض باتباع أذناب البقر يعني تصيروا أهل زرع وأهل دنيا وأهل مال فتجلسوا في الأرض وتتركوا الجهاد . قال : "إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد " تضمن ثلاثة أمور:

- ١ـ إذا تبايعتم بالعينة! قلنا: هذا عنوان البيوع المحرمة الربوية .
- ٢ـ واتبعتم أذناب البقر! معناه الركون إلى الدنيا .
- ٣ـ وتركتم الجهاد

ما هي نتيجة هذه الأمور إذا وجدت في مجتمع من المجتمعات: "سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم " .

إذاً اتباع السنة عودة إلى الدين والعودة إلى الدين سبب في رفع الذل عنا.

إذاً اتباع السنة سبب في رفع الذل عن أمة المسلمين.

أخذ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والسير عليها والتمشي بها والحرص والتمسك بما جاء عنه صلى الله عليه وسلم سبب لرفع الذل عن المسلمين وهذا ثمرة من ثمرات اتباع السنة أخبرنا بها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث .

في حديث جبريل الطويل ذكر الإيمان والإسلام والإحسان وقال: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم"؛ إذاً الذل لا يرفع إلا بالعودة إلى الدين والدين هو معرفة أركان الإيمان والإسلام والإحسان أليس كذلك؟!.

فمن أراد أن يعود إلى الدين فعليه أن يتعلم أحكام هذه المذكورات في حديث جبريل. فهل بعد هذا يلام أهل الحديث أنهم يشتغلون بتعليم الناس أحكام الطهارة وأحكام الصوم وأحكام الزكاة وأحكام الإيمان والإيمان بالله وبالملائكة والكتب ويتركوا الكلام في الأشياء التي لا فائدة فيها؟!

يتحدث أهل الحديث في هذه الأمور يعلمون الناس الدين، هل يقال عنهم بعد ذلك أنتم علماء حيض ونفاس ولستم بعلماء واقع ولستم بعلماء دعوة؟

العالم الذي يعلم الناس هذه الأمور يعلم الناس الدين يعلمهم السبيل الذي يخرجون به عن الذل والهوان يعلمهم السبيل الذي أرشدهم الرسول صلى الله عليه وسلم إليه . إذا أرادوا الخلاص والنجاة في الآخرة!

فمن ترك تعلم هذه الأمور وجعل كلامه كله عن العلمانية وعن الشيوعية وعن الدول الكبرى وعن كذا، وترك تعليم نفسه ما يحتاجه من أمر دينه، بله تعليم الناس هذه الأشياء، هل علم الدين؟ هل تحقق فيه الرجوع إلى الدين، الذي أراده صلى الله عليه وسلم في قوله: "حتى ترجعوا إلى دينكم" وفي حديث جبريل ذكر الإيمان وأركانه والإسلام وأركانه والإحسان: "وقال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم"؟

فهل نتعلم الدين بدون أن نتعلم كيف نصلي ؟!

هل نتعلم الدين من غير أن نتعلم الطهارة التي هي مفتاح الصلاة؟!

هل نتعلم الدين من غير أن نعلم نساءنا وبناتنا وحريمنا أحكام الحيض وأحكام النفاس وهي أمور تمر عليهم دائماً؟

هل نكون تعلمنا الدين بغير ذلك؟

هل نتعلم الدين ونحن لا نعرف نعبد الله على الطريقة التي تقول: إن صلاتي أنا كما صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم، حجي أنا كما حج الرسول صلى الله عليه وسلم، صومي أنا كما صام الرسول صلى الله عليه وسلم؟

هل عرفنا الدين؟!

إذاً من ثمرات اتباع السنة ومن فضل اتباع السنة أن فيها رفع سمة الذل والهوان عن المسلمين .

سر يا أخي على الجادة اتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أحرص على أن تقيم عبادة الله وتحققها وثق أنك إذا ما مشيت على هذا فصلحت نفسك وأصلحت أهلك وأسرتك وصلاح النفس صلاح الأسرة .

وصلاح الأسرة صلاح المجتمع .

وصلاح المجتمع صلاح المدينة .

وصلاح المدينة صلاح الدولة .

وصلاح الدولة صلاح الأمة .

وصلاح الأمة صلاح الكون جميعه بإذن الله؛ فأحرص وأبدا بنفسك ثم أدناك فأدناك.

الثمرة الثامنة

أن فيها وصف الداء الذي اعترى الأمة الإسلامية ووصف الدواء

أخرج أحمد وأبو داود عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يوشـــك الأمـــم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذٍ قال : بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاءٍ كغثاء السيل وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة لكم و ليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن قال : حب الدنيا وكراهية الموت " .

الرسول صلى الله عليه وسلم وصف داءنا وحالنا : "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كمـــا يتـــداعى الأكلة على قصعتها ".

أما حصل هذا؟! والله حصل تداعت دول الاستعمار على البلاد الإسلامية التي حباها الله ســبحانه وتعالى بالخيرات رزقها الله بالخيرات أنهار وزراعة وبترول وأمور مختلفة تداعوا عليها كما يتـــداعى الأكلة على قصعتها!

"قالوا: أمن قلة نحن يا رسول الله؟" هل نحن قليل حتى تجيء دول وتتكاثر علينا؟!

"قال: لا بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل". فما السبب في ضعفنا ؟

"قال: وليترعن الله من صدورهم المهابة لكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن قالوا يا رســـول الله مـــا الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت" .

إذاً في السنة وصف الداء ووصف الدواء تريد تعالج نفسك تريد تمشي في طريقك تريد تحقق الخـــير لك؛ احرص على اتباع السنة وعالج نفسك من أمر حب الدنيا وكراهية الموت تنظر في السنة تجـــد فيها حديثاً يقول: " أكثروا من زيارة القبور فإنها تذكركم بالأخرة " تنظر في السنة تجد فيها حـــديثاً يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، تذكرك بالآخرة بالموت كل مـــا قرأت واطلعت في السنة وطبقتها، يضعف في نفسك حب الدنيا وخوف الموت شيئاً فشيئاً!

تسمع في السنة عن الدنيا: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم" .

تقرأ في القرآن العظيم:] زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام ...إلى آخره[

وتستمر في تعلم القرآن والسنة فتتوضح لك الحقائق وتتكشف لك الدنيا!

فتقوم وقد عرفت ما هي الدنيا! عرفت ما هي الأمور التي حولك! فسلمت من الوهن وسلامتك من الوهن خروج لك من حالة الغثائية .

الثمرة التاسعة

أن في سنته صلى الله عليه وسلم تحصيل تمام الأخلاق وجميلها ومكارمها

أخرج أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِـــأُتَمِّمَ صَـــالِحِ الْأَخْلَاقِ "(١).

قال ابن عبدالبر (ت٤٦٣هـــ):"هذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم.

وقد قال العلماء إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: {إِنَ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:٩٠].

وروينا عن عائشة ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت: "مكارم الأخلاق صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل والمكافأة وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتدمم للصاحب وقرى الضيف والحياء رأسها".

قالت: "وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أحب"اهـ (١).

قلت: وسنة الرسول هي الدين كما تقدم، وهي المبينة لما في القرآن العظيم، وقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الثمرة العاشرة

أن في لزوم السنة النجاة من الفتنة والعذاب الأليم

قال الله تبارك وتعالى {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}.

كل من خالف السنة! كل من خالف أمر الرسول! عليه أن يحذر {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم }تصيبهم فتنة فيدخل الكفر في قلوبهم أو النفاق في قلوبهم أو يدخلوا في البدع فيلحقهم بذلك عذاب أليم!

فمن فضل اتباع سنة الرسول أنها تحفظك من الفتنة .

جاء رجل إلى الإمام مالك قال: يا إمام أريد العمرة! قال: اعتمر! قال: أريد أن أحرم لها من المدينة من المسجد! قال: يا بني اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي الحليفة واعتمارك من المسجد خلاف السنة وإني أخشى عليك الفتنة إذا أنت فعلت هذا ثم تلا { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصبهم عذاب أليم }.

الثمرة الحادية عشر

أن في اتباع السنة ولزومها تحقيق الإيمان وحصول السعادة في

الدارين والسلامة من النيران

قال تعالى: { ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى }، فمن اتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولزمها فإنه لم يعرض عن الدين ولا عن ذكر الله بل أقبل فهذا لا يكون حاله كمن أعرض وقد قال تعالى { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم } وقال تعالى { وإن تطيعوه تهتدوا } وقال تعالى { ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم } .

وبالمقابل جاءت آيات في حال من يعصي الله ورسوله قال تبارك وتعالى: {ومن يعص الله ورسوله ويتعدى حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين}، بل نفى الإيمان عمن لم يحقق الاتباع له صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون لك حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}، وقال تبارك وتعالى: {ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً}، وقال تعالى: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً}.

إذاً اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام تحقيق للإيمان: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}.

الثمرة الثانية عشر

من ثمرات اتباع السنة أن في اتباعك للسنة وعملك بها إحياءً لها

وإحياؤك لها إظهاراً لها ودعوة للناس إليها، فمن عمل بالسنة، نتيجة عملك بها أجر وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعى إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً".

وأخرج مسلم أيضاً عن جرير بن عبد الله قال جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فابطئوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه قال : ثم أن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : " من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة وعمل بها بعده كتب له مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً "

إذاً من عمل بالسنة وأظهرها دعى الناس إليها بمجرد أنه أظهرها. فإذا عمل إنسان بهذه السنة كان لمن أظهرها أولاً أجر من عمل بها إلى يوم القيامة!

قد يقول قائل: يا شيخ الرسول صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة يعني إنسان يعمل عمل ولو ما جاء في الشرع ولو ما جاء عن الرسول!

أقول لك: لا ،ليس هذا معنى الحديث لأن أهل العلم يقولون إنما يعرف التحسين والتقبيح للأشياء من الشرع فمن أين لك هذا العمل حسن إذا لم يأت من الشرع فمصدرنا أن هذا حسن أو قبيح هو الشرع، يصير معنى الحديث: "من سن سنة حسنة " أي: من أحيا سنة من الشرع ولذلك الحديث ورد في الصدقة أن رجلاً جاء وقدم صدقة فجاء الناس بعده وتصدقوا.

دخل رجل المسجد ولقي فقيراً فخرَّج من ماله شيئاً وأعطاه! فلما رأوه الناس بادروا اقتداء به إلى إعطاء هذا الفقير ومساعدته! كل من عمل إقتداءً به يكون له أجر.فهل الصدقة وإخراجها من السنة التي ثبتت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أم سنة محدثة؟ إنها سنة ثابتة عنه صلى الله عليه وسلم .

ليس في الحديث أن الإنسان يعمل سنة من عند نفسه، لأن حسن السنن إنما يعرف من الشرع وليكن على ذكر منكم قوله صلى الله عليه وسلم " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " .

قال ابن حبان رحمه الله :" إن في لزوم سنته صلى الله عليه وسلم تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفئ سرجها ولا تدحض حججها من لزمها عصم ومن خالفها يذم إذ هي الحصن الحصين والركن الركين الي بان فضله ومتن حبله من تمسك به ساد ومن رام خلافه باد فالمتعلقون به أهل السعادة في الأجل والمغبوطون بين الأنام في العامل" .انتهى كلامه .

وبهذا تتم هذه المحاضرة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وسبحانك اللهم أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك وصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

---

(١) صحيح ابن حبان (١ / ١٨٠)

(٢) حديث صحيح، لغيره. وأشار بعضهم إلى احتمال تواتره.

أخرجه أحمد في المسند (١٠٢/٤)، و أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧)، والآجري في الشريعة (الطبعة المحققة) (١٣٢/١، تحت رقم ٣١).وصحح إسناده محقق جامع الأصول (٣٢/١٠)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٢٠٤)، وذكر جملة من الأحاديث تشهد له. وانظر نظم المتناثر ص٣٢-٣٤.

فائدة : قال ابن تيمية رحمة الله عليه، في مجموع الفتاوى (٣٤٦/٣-٣٤٧)، في معرض كلام له على حديث الافتراق: "وأمّا تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل؛ فإن الله حرّم القول بلا علم عموماً، وحرّم القول عليه بلا علم خصوصاً، فقال تعالى: {قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يترل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون} [الأعراف:٣٣]، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسؤ والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون} [البقرة:١٦٩]، وقال تعالى: {ولاتقف ما ليس لك به علم} [الإسراء:٣٦]. وأيضاً فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين. فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي {لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المترلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبه ووافقه كان من أهل

السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة – كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك – كان من أهل البدع والضلال والتفرق"اهـ

(٢) أخرجه الحاكم والدار قطني والبيهقي

(٣) أخرجه البيهقي .

(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد مسنداً.

(٥) أخرجه ابن عبد البر أيضاً في التمهيد وأخرجه الترمذي

(٦) مجموع الفتاوى (١٣٧/٤).

(٧) المتواري على تراجم أبواب البخاري ص٣٤ـ٣٥.

(٨) وكذا فرق الاختلاف إلى يومنا هذا .

(٩) المسند (الرسالة) ٥١٣/١٤ .

(١٠) التمهيد٣٣٤/٢٤ .

=========================

فلا تلوموهم ولوموا أنفسكم

عبد العزيز بن محمد الروضان/ بريدة

عادة عندما أريد أن أكتب مقالاً أي مقالٍ فإني لا أكتب عنه حتى يكون العقل بيده زمام القلم بمعنى أصح لا أكتب مقالاً حتى تعود العاطفة إلى رشدها كي لا ينجرف قلمي إلى مهاوٍ سحيقة.

فإن امتطاء صهوة العاطفة هو بمعنى ارتكاب الخطأ في كل لحظة ولا شك. وإني هنا أريد أن أدلي بدلوي حول تلك الانتهاكات التي طالت ذات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو فوق كل نقد.. ولكن العالم الإسلامي من طنجة إلى جاكرتا تعاملوا مع ذلك الخطأ بعاطفة طوحت بهم بعيداً عن المسلك الصواب فلم تحرز تلك الأقلام والألسن قدم سبق في معالجة تلك القضية وإنما هي ردود أفعال لا ترفع رأساً ولا ترد ضالاً، وكل العرب والمسلمين حينما يريدون أن يصنعوا حلولاً لمشاكلهم فإنهم يسلكون مثل هذا المسلك في اتخاذ قراراتهم ولا يجعلون العقل هو المهيمن.

لا أشك لحظة واحدة ولا أقل من ذلك أن تلك الصحيفة قد ارتكبت خطأً جسيماً في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يوجد عُرف أو قانون يسوغ لتلك الصحيفة هذا المسلك بل هي مخطئة حتى النخاع.. فالحرية مهما كانت مساحتها لا تكون على حساب حرية الشخص الآخر.. فحرية الشخص تقف عندما تبدأ حرية الشخص الآخر. وما أود أن أنفذ إليه هو: إن الذي جعل غير المسلمين يتطاولون على الدين الإسلامي ورموزه هو تقصير بالدرجة الأولى من المسلمين أنفسهم، فالإسلام لم يقدم للغرب ولا للشرق بصورته الحقيقية! و إلا لو قُدم الدين الإسلامي بصورة متينة لأجله الغرب وقدره الشرق، ولكن مما يؤسف له أن الدين الإسلامي لم يسوّق للعالم تسويقاً يليق بجلاله. وإني حينما أتوجه باللوم على رجال الدين وعلمائه بصفة خاصة لأني أرى مهمتهم حيال هذا

الدين تقتصر على حفظ النصوص ليس..إلا فماهم إلا حمالة نصوص فهم من هذا المنطلق مقصـــرون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

إذا كانت هذه هي المهمة المنوطة بهم ولا تتجاوز غير ذلك فجزاكم الله خيراً اجلسوا في بلـــدانكم وأشرطة الكاسيت تقوم بمهمتكم. إن الدين الإسلامي بحاجة ماسة وملحة لأشخاص يلجون في فنائه بعمق ويفهمون معانيه ومضامينه النيرة. إن الغرب اليوم يأتي إليهم الدين الإســـلامي مســـوقاً عـــبر اجتهادات تفسيرية ساذجة مسطحة لم تقدم للإسلام شيئاً بل إن تلك الجهود من قِبل هؤلاء أساءت إلى مقاصده الجليلة. وإن ما وصل إلى أروقة الغرب عبر هؤلاء الأشخاص ما هي إلا تعاليم مهلهلـــة الثياب عرجاء من هذا وذاك احتقر الغرب هذا الدين وطوحوا به بعيداً، لأنهم رأوه عبر تلك التعاليم الآنفة الذكر لا يرفع رأسا.

إن العالم الإسلامي اليوم يعيش أزمة فكرية نحو بغية ماهية هذا الدين؟ وما هي مقاصده السامية؟ وما هي أحكامه السامقة. فالغرب حيال هذه الأزمة من باب أولى وإن السبب الجوهري في هذه النظرة القاصرة حيال الدين الإسلامي وتعاليمه متأتياً من المسلمين أنفسهم.

إن الشخص الغربي إذا نظر إلينا ونحن ندعو إلى الإسلام عبر وسائل لم يوقع عليها الدين الإسلامي فلا شك أنه سوف يحجم عن الإقبال على موائده.. إن الدين الإسلامي ينظر الغرب إليه على أنه أســـد ضار في مفازة وهذا كله بسبب تقديم الإسلام على أنه دين لا يعرف الرحمة ولا الشفقة وإنما يعرف الغلظة ومصادرة الغير واستقصائه. إن الدين الإسلامي هو غير ذلك.. هو دين الحريات على مختلف مناشطها، ولكن ان بعض أهل الدين الإسلامي مع الأسف الشديد يرون أن اعتناق هذا الدين لابـــد أن يأتي عبر القهر إذا تعذر القبول الميسر.

وهذا التصور منبثق من أن الجهاد في صدر الإسلام ما أتى إلا لنشر الإسلام عبره ويســـتدلون علـــى ذلك بغزوات الرسول وسراياه وما بعدها من فتوحات إسلامية.

إن هذا الفهم الخاطئ فهم خر عليه السقف من فوقه..

فالدين الإسلامي ترك مساحة كبيرة من الحرية لمن يريد أن يعتنقه. وإن الدعوة إلى الإســـلام عـــبر وسائل شرعية كمقارعة الحجة بالحجة والمجادلة الحسنة والفكر النير هي كفيلة بـــدخول النـــاس إلى حظيرة هذا الدين..

لا المسايفة هي الكفيلة بذلك، وبالمناسبة فإني سوف أذكر شيئاً في حواشي هذا الموضوع ذكره هنـــا يكفيني مؤونة مقال آخر وهو أن جميع سرايا وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ما هي إلا قتال اضطرار لا قتال اختيار..

ولو استقرأنا التاريخ الإسلامي بنظرة فاحصة لوجدنا الأمر كذلك لأن الاعتداء المسبق في نظر الدين الإسلامي مرفوض لأن الله تعالى يقول في الوحي الطاهر {وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَـــدِينَ} (١٩٠) سورة البقرة، إن فهمي هذا لغزوات الرسول على أنها ظروف تضطرهم إلى ذلـــك ســـوف يحمر عيوناً ويضيّق صدوراً. لأن بعض الناس له فهم آخر حيال هذه القضية..

وأنا أقول لهم على رسلكم يا قوم إن تصوركم هذا وفهمكم خاطئ وحذلقة وتجديف في الإســـلام. لأن الله تعالى يعطي الإنسان مطلق الحرية في اعتناق الأديان السماوية والنصوص كثيرة يضـــيق بهـــا المكان والزمان. ولكن سوف اتي بنصوص شرعية لابد من ذكرها:

* النص الأول قوله تعالى{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَـــأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـــا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (٧٢) سورة الأحزاب.

من هذه الآية يتبين لنا جلياً أن الله أعطى الإنسان الحرية ومطلق الاختيار.

* النص الثاني قوله تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ............... }الآية (٢٥٦) سورة البقرة.

* ويقول الله تعالى حيال هذا الموضوع {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنــــتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} (٩٩) سورة يونس.

إذاً الله تعالى في هذه النصوص الكريمة المتعاضدة أعطى الإنسان حرية الاختيار وأن الإنســـان يعتنـــق الدين عبر الاختيار لا عبر القهر. وبالمناسبة هناك نص شرعي وهو حديث شريف أقض مضـــجعي لسنين طويلة ومازلت، وهذا النص خرجاه البخاري ومسلم في صحيحهما وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. الحديث. إني هنا أرى أن هذا الحديث فيه معارضة جلية واضحة لتلك الآيات الآنفة الذكر، فهـــذا الحـــديث يعارض منطوقها ومفهومها وإني هنا أضع هذا التساؤل على طاولة الفقهاء لأني لا أحب الخوض في ذلك الموضوع أكثر من ذلك فقد يقول عني الناس صمت دهراً ونطق كفراً.. وعودة على بـــدءٍ إن تعاليم الدين الإسلامي تصلح أن تكون منهاج حياة زماناً ومكاناً فلن يجد البشر أحسن مـــن هـــذه التعاليم متانة وسمواً ودعوني أصارحكم القول. إن علماء الدين الإسلامي اليوم لم ينفـــذوا إلى هـــذه التعاليم السامية حتى الآن على عكس ما هو موجود في صدر الإسلام الأول، حيث كان الســـلف الصالح يحسنون الاستنباط، فما من نازلة إلا ويجدون حكمها في الدين الإسلامي دون أن تتصـــبب جباههم عرقاً، ولكننا اليوم نعيش في هاجرة فكرية وهذا كله بسبب أننا نحـــوم حـــول النصـــوص الشرعية و لم نلج في فنائها.

إن الدين الإسلامي مؤطر ومؤصل لو طُبق كما يريده الله ورسوله لما عاش العالم الإسلامي أزمـــات اجتماعية واقتصادية..... إلخ.

وهذا الكلام لا أتوجه به إلى العالم الإسلامي فقط بل إلى العالم بأسره، فالدين الإسلامي هو الحـــل الناجع والوصفة الشافية من كل مرض عضال.. إن الدين الإسلامي هو أحد الـــديانات الســـماوية الثلاث المعاصرة فالديانة اليهودية كانت تتسم بطابع التشديد الذي استهوته اليهود فشددوا فشدد الله عليهم في الأوامر والنواهي، والديانة المسيحية التي تتسم بطابع التيسير المفرط فتمرد اليهود والنصارى عن ديانتهم و لم يبق من هذه الديانات إلا اسمها فأتى الله بالدين الإسلامي الذي كان يتسم بطـــابع الوسطية كي يعلمنا الله تعالى أن البشرية لا يصلح معها الشدة كما لا يصلح معها التيسير المفـــرط،

وإن الذي يناسب البشرية جمعاء هو الوسطية. إذا كانت الأديان في حالة تطور وترقي حتى نضج البشر وعلموا بالتجربة ما يناسبهم. فالدين الإسلامي هو ذلك الدين الذي تصلح به الغرائز البشرية المعتدلة السوية، إلا أنه مع الأسف الشديد لم ترتق البشرية إلى مصاف هذه الديانة، لذا فإننا اليوم بحاجة إلى علماء ذوي أفكار خلاقة يسمون بالعالم إلى درجات العلا من النضج الفكري والفطنة الوثابة.

إذاً لو قدم الدين الإسلامي من قِبل أهله تقديماً يليق بجلاله لإنقاذ العالم له بسلك من حرير، فإني أرى أن هناك طوقاً من المسؤولية في عنق علماء الدين الإسلامي.

وأخيراً أراني في هذا المقال تتجاذبني الأفكار يمنة ويسرة وأكاد لا أرى معالم ما يسطره قلمي فإني أرى أن استدرار الأفكار قد تُعصى علي وأن أمواج هذا الموضوع قد هزت ريشة قلمي فأرجو من الله تعالى أن يكون ما سطرته أرضية تنطلق منها أقلام هي أطول من قلمي وأرض أرسى من أرضي.

======================

فليسقط من سبّ سيد البشر

نشرت جريدة الرياض في ١٤٢٦/١٢/٣٠هـ

فليسقط من (سبّ) سيد البشر

احمد خليفة – موسكو

قل لهؤلاء العاجزين هكذا هو منطق الضعفاء، يكفي محمداً صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى: {وانك لعلى خلق عظيم} قل حتى لمن لا يؤمن بالقرآن انه كلام الله، قل لهم حقيقة بسيطة هي: من تجرأ حتى الآن من بين البشر ان ينسب لنفسه او لغيره القرآن؟ فإن من آمن بهذه الحقيقة البسيطة في طرحها، العظيمة في معناها، او لم يؤمن يكفي نبي الله، ثناء الله عليه ومدحه.

قل لهؤلاء المنهزمين اسألوا علماءكم ومستشرقيكم الذين صنفوه اول اعظم مائة في تاريخ البشرية هل فقدوا صوابهم حين صنفوه؟ ام هو منطق الحق البائن الذي لا حياد عنه ولا فرار. قل لهؤلاء المنكسرين يكفي نبي الله انه ما سب يوماً او شتم. قل لهم حتى انه لم يسب اعداءه وهم يشتمونه، يعيبونه، يكذبونه، يقاطعونه، يجوعونه، ينفونه، يقاتلونه، وها أنتم حثالة التاريخ تسيئون لمن لم يسئ لكم يوماً. وبفعلكم هذا فقد خالفتم قواعد الأدب والاخلاق المتعارف عليها بين البشر.

قل لهؤلاء الجهلاء انكم جاهلون – جاهلون وانكم لا تعلمون – لاتعلمون ان الله قد تولى الرد على الذين اساءوا اليه على مدى التاريخ. قل لهم انه رد على الذي قال ابتر ب: {إن شانئك هو الابتر} وعلى الذي تب ب: {تبت يدا ابي لهب وتب} وعلى الذي قال اعجمي ب{لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين} وعلى الذي قال شاعر ب{وماهو بقول شاعر قليلاً ما تذكرون} وكثير، كثير من المتساقطين، مثل الفراش يتساقط على النار فتحرقه، قل لهم بشراكم بالسقوط.. سقوطكم في نظر كل شريف يحترم العظماء ويقدرهم.. سقوطكم في نظر الشاهدين

بالحق والقائمين عليه.. سقوطكم في نظر ملياري مسلم.. سقوطكم في ملا النـــاس وفـــوق ذلـــك سقوطكم في الملا الاعلى. وقل لهم انتظروا رد الله عليكم كما رد علـــى ابي لهـــب وغـــيره مـــن المتساقطين، انتظروا انا معكم من المنتظرين.

قل لذاك المسؤول الذي قال اننا نؤمن بحرية الرأي. قل له انك لا تدرك حرية الرأي. ولاتفهم معـــنى الديموقراطية، قل له ان مفهوم الحرية ومغزى الديموقراطية هو النقد البناء وقـــرع الحجـــة بالحجـــة، ومداولة الرأي بالرأي، وليس هو الاساءة للعظماء امثال محمد صلى الله عليه وسلم.

قل لهؤلاء المتخاذلين ان محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه هؤلاء الذين منهم تسخرون، قل لهم هم الذين علموكم معنى التحرر، ومفهوم البحث والتجريب والعلوم والفلك والجغرافيا والجبر والقانون والكيمياء، اسألوا المخطوطات الموجودة في اسبانيا وفي مكتباتكم وجامعاتكم وحتى في ادراجكم او بالأحرى تلك التي سرقتموها وزعمتهم لانفسكم حق التأليف، أسألوها تقل لكم، اسألوها تجبكم، اسألوها تخبركم – من محمد وصحبه وجنده وتابعيه؟ اسألوها تجدون ابن النفيس، تجدون جابر بـــن حيان، تجدون ابن سينا، تجدون الفارابي، تجدون الكندي، تجدون الغزالي، تجدون ابن الهيثم، تجـــدون الادريسي، تجدون الخوارزمي، تجدون ابو بكر الرازي، تجدون ابو القاسم الزهراوي، تجـــدون ابـــن البيطار، هؤلاء هم حزب محمد وهؤلاء جند محمد، هؤلاء هم الذين منهم تســـخرون وترسمـــونهم كاراكاتيريا ورؤوسهم قنابل يطوفون بالبيت.

قل لهذا المسؤول الذي يزعم انه ديموقراطي: كان واجباً عليك ان تنتصر لو للحظة مع ضميرك وتقف ضد جنود (ماسون) الذين يملون عليك خبثهم وانت واجم مطيع.. قل له قد خبت وخسرت.. قل له انتصرت نعم ولكن بفوزك بكراهية الناس وانت تبيح ان يمثل كاراكاتيريا بمحمد صلى الله عليـــه وسلم وهوفي مبدئه صلى الله عليه وسلم ينهى اصلاً عن التصوير والتمثيل، وهذه دعوة لكل شريف، لكل كريم، لكل غيور محب لمحمد صلى الله عليه وسلم، محب لدينه، لعقيدته، لإسلامه السمح الذي يحترم الآخرين، محب لنبيه الذي ما سب يوماً او شتم.. هذه دعوة ان يقاطع هـــؤلاء المتـــهافتين ان لانبيعهم نفطنا ولانشتري منهم بضائعهم ولا منتجاتهم فإن كانوا ينتجون الجبن واللـــبن، فالـــدول غيرهم كثيرة والدول الإسلامية اولى ان يشترى منها، فإن تشتري ممن يحسن اليك احـــب – ورب محمد، ممن يسيء اليك. وان كانوا ينتجون الالكترونيات والاجهزة التقنية فغيرها يكفينا امثال الصين واليابان. او مالنا لانضع نحن ونستغني عن المتهتكين.

واختم قولي بأن محمداً صلى الله عليه وسلم عنوان الخير وعلمه شئتم ام ابيتم. وان محمداً صـــلى الله عليه وسلم اعظم الناس على الاطلاق، وجيله اعظم الجيل، على الاطلاق وهو صلى الله عليه وسلم اعظم قائد، واجل صاحب، واعدل حاكم، وارحم انسان، واوفى الناس ذمة وعهـــداً، واصـــدقهم حديثاً، واوفاهم امانة، وانقاهم عريكة، واشرفهم مكانة، والينهم جانباً، وألف الناس للناس، واعدل الناس في الحكم على الناس. ويكفيه وصف الله له {وانك لعلى خلق عظيم}. فليسقط.. فليسقط..

فليسقط كل من يسب محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم. والسوء كل السوء لمن يسيء لمحمد صلى الله عليه وسلم.

تعليقان

١

محمدرسول الله

موضوع جميل صادر من الأعماق ووصل للاعماق.فهنيئـا لمـن دافـع عنـك يـا خليـل الله ياسيدالبشر...محمد رسول الله ولو كره الكافرون الجاهلون الحقيرون الحاقدون ومن ضحك كـثيرا بكي اخيرا العبرة بخواتيمها ولا تنسوا حبيبكم وتاريخة هجرته غدا وكل عام وا المسلمين والمسلمات بخير يأأمة رسول الله

مريم عبد الكريم بخاري

٠٥:٣٥ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

٢

هنيئا لك أخي أحمد أنك في موسكو

حبيب أحمد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر الله لك دفاعك عن الحبيب صلى الله عليه وسلم، وما أعظمه من شرف أسأل أن يشفعه فيك وفي والديك. وأن يجعلك مباركا حيثما كنت..

آمل أن تستمر في العطاء فهذه الموهبة نعمة من الله. ومن حق المنعم الشكر {وإذ تأذن ربكـم لـئن شكرتم} لأزيدنكم} وأعظم الشكر استعمال هذه الموهبة وهذا القلب وهذا الأسلوب الرائع في نشر الإسلام وعظمة الإسلام.. وتعاليم الإسلام، ونشر سيرة الحيب صلى الله عليه وسلم، في الصـحف السعودية، والأجنبية – وخصوصاً أن في موسكو.. وفالمسؤولية عليك أكبر ف[الدال علـى الخـير كفاعله] كما صح عن الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقال فداه أبي وأمي ونفسي، وأولادي[من دعا إلى هدى كان له من الأجور مثل أجور من تبعه] فالله في الدعوة إلى الله وإلى نشر السنة الصـحيح الثابتة عن الحبيب صلى الله عليه وسلم في منتديات الانترنت الغربية بتقل مقالات ينشـرها موقـع الشيخ محمد صالح المنجد لمنتدياقم ف[لئن يهيد الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من حمر النعم] كمـا آمل الذب عن عرضه بالتي هي أحسن، فألله الله في هذا الثغر العظيم

عبدالعزيز بن علي العسكر

٠٨:١٢ صباحاً ٣٠/٠١/٢٠٠٦

==========================

في خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم

كان خلقه القرآن

وصف الله لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
الرسول صلى الله عليه وسلم يعتق من أرادوا قتله
دفع السيئة بالحسنة
لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا
كان أحسن الناس خلقًا
كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بحسن الخلق
من مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في المصافحة والمحادثة والمجالسة
خلقه صلى الله عليه وسلم مع الخدم
كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من سوء الأخلاق وينهى عن اللعن
ملاعبته ومفاكهته لأهله
خلقه صلى الله عليه وسلم مع أهله
ما انتقم لنفسه وما ضرب خادمًا ولا أمره
حلم النبي صلى الله عليه وسلم
رحمة النبي صلى الله عليه وسلم
تواضع النبي صلى الله عليه وسلم
حياء النبي صلى الله عليه وسلم
تيسير النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه
حثه صلى الله عليه وسلم على صلة الأرحام
الوصية بالجار

وصف الله لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ عن عطاء رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا - رواه البخاري

كان خلقه القرآن

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن - رواه أحمد ومسلم وأبو داود، وزاد مسلم يغضب لغضبه ويرضى لرضاه

دفع السيئة بالحسنة

لما أراد الله هدي زيد بن سعية، قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا

قال زيد فقلت يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرًا_ معلومًا لي _ فباعني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب، فلما حل الأجل أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه وهو في جنازة مع أصحابه ونظرت إليه بوجـــه غليظ وقلت له يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلاً

ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه ثم رماني ببصره فقال يا عدو الله أتقول لرسول الله صـــلى الله عليه وسلم ما أسمع وتصنع به ما أرى؟ فلولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، وقال أنا وهو كنا أحوج إلى غـــير ذلك منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقـــه وزد عشرين صاعًا من تمر مكان ما روعته

فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا، وقال لي ما دعاك إلى أن فعلت ما فعلت وقلت ما قلت؟

قلت يا عمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلا عرفته في وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد خبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، وأشهدك أن شطر مالي صـــدقة على أمة محمد

ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبرًا – رواه الطبراني في (الكبير) ورجاله ثقات، ورواه أيضًا ابـــن حبان والحاكم والبيهقي ورواه أبو نعيم في الدلائل

الرسول صلى الله عليه وسلم يعتق من أرادوا قتله

عن أنس رضي الله عنه قال إن ثمانين نزلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح، يريدون أن يقتلوه، فأخذوا فأعتقهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً سورة الفتح آية ٢٤– رواه مسلم والترمذي وأبو داود

كان أحسن الناس خلقًا

عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًـــا – الحـــديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم – رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن

لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا

عن عبد الله بن عمرو قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا – رواه البخاري

من مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في المصافحة والمحادثة والمجالسة

عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا يترع يــده من يده حتى يكون الرجل يترع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، و لم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له – رواه أبو داود والترمذي بلفظه

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على أشـر القوم يتألفهم بذلك – رواه الطبراني والترمذي

وروى مسلم وما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فقال لا

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بحسن الخلق

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي – رواه أحمد ورواته ثقات

وقال صلى الله عليه وسلم إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا – رواه البخاري

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قــال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كــذا وكــذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسط إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة متى عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عند الله مترلة يوم القيامة من تركه الناس– أو ودعه الناس– اتقاء شره – رواه البخاري

كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من سوء الأخلاق وينهى عن اللعن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم إني أعوذ بــك مــن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق – رواه أبو داود والنسائي

وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا – رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة – رواه مسلم

وعندما قيل له ادع على المشركين قال صلى الله عليه وسلم إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمــة – رواه مسلم

أما من لعنه الرسول صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان ذلك لــه زكاة وأجرًا ورحمة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم شارط ربه على ذلك كما في الحديث اللــهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا رواه مسلم

خلقه صلى الله عليه وسلم مع الخدم

عن أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا – رواه الشيخان وأبو داود والترمذي

وعنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به صلى الله عليه وسلم ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم

يلعبون في السوق، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليـــه وهـــو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟

قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله – فذهبت رواه مسلم وأبو داود

خلقه صلى الله عليه وسلم مع أهله

قال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وما أكرم النساء إلا كـــريم ولا أهانهن إلا لئيم – رواه ابن عساكر عن علي، والترمذي عن عائشة، وابن ماجة عن ابن عباس

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم يهـــديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير مـــن هـــذا المسلك منه – رواه البخاري

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ضحاكًا بسامًا – رواه ابن عساكر بسند ضعيف

وروى مسلم أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا شربت من الإناء، أخذه صلى الله عليه وسلم فوضع فمه على موضع فمها وشرب، وإذا تعرقت عرقًا وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضي الله عنها رجلها حتى تركب على بعيرها – رواه البخاري

وأوصى صلى الله عليه وسلم بالمرأة الزوجة، فقال استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا – رواه الشيخان

وقال صلى الله عليه وسلم بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها وفي روايـــة جلـــد العبد – رواه البخاري

وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم أخرجـــه أحمد بإسناد حسن، والترمذي وقال حديث حسن صحيح

وقال صلى الله عليه وسلم إن من أعظم الأمور أجرًا النفقة على الأهل – رواه مسلم

ملاعبته ومفاكهته لأهله

عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنـــا جارية لم أحمل اللحم و لم أبدن، فقال للناس اقدموا فتقدموا، ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فســـبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقـــال للنـــاس تقـــدموا فتقدموا، ثم قال لي تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذا بتلك – رواه أحمد

حلم النبي صلى الله عليه وسلم

كان مما يحبه صلى الله عليه وسلم من الصفات صفتا الحلم والأناة وقد قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة – أخرجه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق النبي، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك،فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس معنا في المسجد يحدثنا، فإذا قام قمن قيامًا حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه، فحدثنا يومًا فقمنا حين قام، فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه، فجبذه بردائه فحمر رقبته، وكان رداؤه خشنًا، فالتفت إليه، فقال له الأعرابي احملني على بعيري هذين، فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك

فقال صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا أحملك حتى تقيدني من جذبتك التي جبذتني، وبعد ذلك يقول له الأعرابي والله لا أقيد لها فذكر الحديث، ثم دعا رجلاً فقال له احمل له على بعيريه هذين، على بعير شعيرًا، وعلى الآخر تمرًا، ثم التفت إلينا فقال انصرفوا على بركة الله – رواه أبو داود والنسائي

ما انتقم لنفسه وما ضرب خادمًا ولا أمره

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم

وفي رواية ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله – رواه مالك والشيخان وأبو داود

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم

من أقواله صلى الله عليه وسلم في الثناء على التواضع وذم الاستكبار

ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر رواه البخاري

... –

ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله رواه مسلم وظاهر الحديث يعني الرفعة في الدنيا والآخرة

... –

عن أنس رضي الله عنه قال إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت – رواه البخاري

وعنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت يا رسول الله، إن لي إليك حاجة فقال يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها – رواه مسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله – رواه البخاري

وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهـــدي إلي ذراع أو كـــراع لقبلت – رواه البخاري

وعن ابن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته – رواه النسائي والحاكم وقال على شرطهما وأقره الـــذهبي، ورواه الترمذي في العلل عنه، وذكر أنه سأل عنه البخاري فقال هو حديث تفرد به الحسين بن واقد

وعن انس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم – رواه البخـــاري واللفظ له ومسلم

وعن سهل بن حنيف قال كان صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم – رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم يسند ضعيف

وذكر المحب الطبري أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل يا رسول الله، علي ذبحها

وقال آخر يا رسول الله، علي سلخها

وقال آخر يا رسول الله، علي طبخها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي جمع الحطب

فقالوا يا رسول الله، نكفيك العمل

فقال صلى الله عليه وسلم قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميز عليكم

وعن أبي أمامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا – رواه أبو داود أبن ماجة وإسناده حسن

من مظاهر تواضعه صلى الله عليه و سلم

أولاً : كان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله

عن الأسود قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قال كان يكـــون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة – رواه مسلم والترمذي

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم – رواه أحمد

ثانياً : كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

عن انس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشهد الجنازة ويأتي دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يومًا على حمار خطامه ليف - رواه أبو داود والطيالسي ونحوه عند الترمذي وابن ماجة

وعن حمزة بن عبد الله بن عتبة قال كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار عريانًا ليس عليه شيء - رواه ابن سعد مرسلاً بسند ضعيف

ثالثاً : كان صلى الله عليه وسلم يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير

عن انس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب - رواه الترمذي في الشمائل

الإهالة السنخة أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث

رابعاً : كان صلى الله عليه وسلم لا يدفع عنه الناس

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم لا يدفع عنه الناس ولا يضربوا عنه - رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي وذلك لشدة تواضعه صلى الله عليه وسلم وبرأته من الكبر والتعاظم

وعن الحسن قال والله ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح عليه بها، ولكنه كان باروزًا، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وقال تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه إنما أنا رحمة مهداه - رواه ابن سعد في الطبقات، والحكم في النوادر عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم عن أبي هريرة وقال على شرطهما وأقره الذهبي وقال صلى الله عليه وسلم إنما بعثت رحمة و لم أبعث عذابًا - رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة

نماذج من رحمته صلى الله عليه وسلم

أولاً : رحمته صلى الله عليه وسلم بالأطفال

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم ويدعو لهم رواه الشيخان وأبو داود

يبرك عليهم أي يدعو لهم ويمسح عليهم

يحنكهم التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير

وعن أنس رضي الله عنه قال ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث رواه الأربعة

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه - رواه البخاري

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة لمن يموت وله ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، بفضل رحمته إياه – رواه البخاري

الحنث أي الإثم، والمعنى أهم ماتوا قبل أن يبلغوا

وكانت تفيض عيناه لموتهم، وقد سأله مرة سعد بن عبادة يا رسول الله ما هذا؟ فقال صلى الله عليه وسلم هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء – رواه البخاري

وخرج على الصحابة رضي الله عنهم وأمامة بنت الربيع، ابنة زينب، على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها – رواه البخاري

وقبل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من لا يرحم لا يرحم رواه البخاري

وجاءه أعرابي فقال تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة – رواه البخاري

ثانياً : رحمته صلى الله عليه وسلم بالإناث

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة والرقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن؛ ولذا فإهن يحتجن إلى الرفق وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال، ومن أبرز الأمثلة على ذلك

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكانت معه نساء منهن أم سليم، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك، سوقًا بالقوارير رواه البخاري ...

وقد عثرت ناقته ذات مرة، ومعه عليها زوجته صفية، فطرحا على الأرض، فلحق بهما أبو طلحة رضي الله عنه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عليك بالمرأة رواه البخاري ...

وروى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه رواه مسلم ...

وقال صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار رواه الشيخان ...

وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة إعالتك ابنتك الفقيرة التي رفضها زوجها، وليس لها غيرك رواه البخاري وابن ماجة ...

=============================

في عيشه صلى الله عليه وسلم في المأكل والمشرب و الحياة

ضيق عيشه صلى الله عليه وسلم كان باختياره

ضيق عيشه صلى الله عليه وسلم

صفة مأكله ومشربه صلى الله عليه وسلم
عدم ذكره عيب الطعام واستحباب مدحه
فراش النبي صلى الله عليه وسلم
لباس النبي صلى الله عليه وسلم
خوف النبي صلى الله عليه وسلم
عظمة النبي صلى الله عليه وسلم في القلوب
جماع النبي صلى الله عليه وسلم
اكتحال النبي صلى الله عليه وسلم
ضحك النبي صلى الله عليه وسلم
نوم النبي صلى الله عليه وسلم
مزاح النبي صلى الله عليه وسلم
سرور النبي صلى الله عليه وسلم
كلام النبي صلى الله عليه وسلم
بكاء النبي صلى الله عليه وسلم
قوة النبي صلى الله عليه وسلم
شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم
الحذر من الغضب
مشية النبي صلى الله عليه وسلم
ضيق عيشه صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعًا حتى قبض وفي رواية: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا - رواه الشيخان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويًا هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز شعير - رواه أحمد والترمذي وابن ماجة

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم - رواه الشيخان

وفي رواية لمسلم: قالت: لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين

وفي رواية للترمذي عن عائشة: والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في اليوم

وفي رواية للبيهقي قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز شعير

فقال لها: هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام – رواه أحمد والطبراني، وزاد: فقال: ما هذه؟

فقالت: قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة – ورواتها ثقات

وعنه قال: قال صلى الله عليه وسلم : ولقد أتت علي ثلاثون من يوم وليلة، وما لي ولبلال طعـــام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال – رواه أحمد الترمذي وابن حبان، وقال الترمذي: حســـن صحيح

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فأكل، فلما فرغ قال: الحمد لله، ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا – رواه ابن ماجة بإسناد حسن، والبيهقي بإسناد صحيح

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبـــز ولحم إلا على ضفف – أخرجه الترمذي في الشمائل

ومعنى على ضفف: أي عندما يترل عليه الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجاملة

وعن النعمان بن بشير قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي، ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه – رواه مسلم

الدقل: التمر الرديء

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أخي، إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار

قلت يا خالة: فما كان عيشكم؟

قالت: الأسودان، التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران وكانت لهـــم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه

وعن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا ثيابنا عن حجر على بطوننا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين – رواه الترمذي

ضيق عيشه صلى الله عليه وسلم كان باختياره

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًـــا، وفي رواية: كفافًا – رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة

الكفاف: ما لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة

القوت: ما يسد به الريق سمي قوتًا لحصول القوة به

وعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، ولكني أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك – رواه أحمد والترمذي بسند ضعيف

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل عليه السلام على الصفا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جبريل، والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق، فلك يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر الله القيامة أن تقوم؟

قال: لا، ولكن أمر إسرافيل فتزل إليك حين سمع كلامك

فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أن أسير معك جبال تهامة زمردًا وياقوتًا وذهبًا وفضة، فإن شئت نبيًا ملكًا، وإن شئت نبيًا عبدًا فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال: بل نبيًا عبدًا . . ثلاثًا – رواه الطبراني بإسناد حسن والبيهقي وغيرهما

عدم ذكره عيب الطعام واستحباب مدحه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه – رواه البخاري

وعن جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله إدامًا، فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل – رواه مسلم

صفة مأكله ومشربه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاثة ثم يلعقها

روى الترمذي: أنه صلى الله عليه وسلم كان يأكل بأصابعه الثلاث، وكان يلعق أصابعه إذا فرغ ثلاثًا

روى مسلم: أنه كان يلعقها قبل أن يمسحها

وقال كعب بن عجرة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث، بالإبهام والتي تليها والوسطى، وأكل صلى الله عليه وسلم أيضًا بخمسة

كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئًا

روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا آكل متكئًا

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: إني آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد – رواه ابن عدي والديلمي وابن أبي شيبة بإسناد ضعيف

كان صلى الله عليه وسلم يشرب ثلاثًا

روى السبعة: أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا شرب تنفس ثلاثًا، ويقول: هو أهنأ وأمرأ وأبرأ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة أنفاس، إذا أدنى الإناء إلى فيه سمى الله تعالى، فإذا أخره حمد الله، يفعل ذلك ثلاثًا – رواه الطبراني

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا شرب تنفس مرتين – رواه الترمذي وابن ماجة بسند ضعيف

قال المناوي: أي تنفس في أثناء الشرب مرتين، فيكون قد شرب ثلاث مرات، وسكت عن التـــنفس الأخير لكونه من ضرورة الواقع، فلا تعارض بينه وبين ما قبله من الثلاث

كان صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدًا

روى مسلم: أنه صلى الله عليه وسلم كان يشرب قاعدًا، وكان ذلك عادته صلى الله عليه وسلم

وروى مسلم أيضًا: أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائمًا

وعن علي رضي الله عنه: أنه شرب قائمًا، وقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقـــال: كما رأيتموني فعلت – رواه البخاري وأبو داود والنسائي

فشربه صلى الله عليه وسلم كان لبيان الجواز

لباس النبي صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غيرها

عن عائشة رضي الله عنها: أنها أخرجت إزارًا مما يصنع باليمن وكساء من هذه اللبدة، فقالـــت: في هذا قبض النبي صلى الله عليه وسلم – أخرجه الشيخان

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليـــه رداء نجـــراني غليظ الحاشية – أخرجه الشيخان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصًا قصير اليدين والطول – أخرجه ابن ماجة بسند ضعيف

وعنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس قميصًا فوق الكعبين مستوي الكمين بأطراف أصابعه – أخرجه ابن ماجة وابن عساكر والحاكم وابن حبان وصححاه

وقال دحية الكلبي: أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من الشام – أخرجه أبو الشيخ وابن حبان

وقال المغيرة بن شعبة: لبس النبي صلى الله عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين – أخرجه الشيخان

وقال عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أخرجت إلينا أسماء جبة طيالســـة كسروانية، لها لبنة ديباج، وفرجاها مكفوفان بالديباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها – أخرجه مسلم والنسائي وابن سعد

وعن سهل بن سعد قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله جبة صوف في الحياكة – أخرجه أبو داود والطيالسي

وقال أنس رضي الله عنه: أهدى ملك الروم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من ســـندس فلبسها

قال أنس: فكأني أنظر إلى يديه تذبذان من طولهما، فجعل القوم يقولون: يا رسول الله أنزلت عليك من السماء؟

فقال: وما تعجبون منها؟! والذي نفسي بيده إن منديلاً من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لم أعطكها لتلبسها

قال: فما أصنع بها؟

قال: ابعث بها إلى أخيك النجاشي – أخرجه ابن سعد وأحمد وأبو داود مختصرًا

وعن ابن داود: أن قيصرًا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من سندس، فاستشار أبا بكر وعمر، فقالا: يا رسول الله، نرى أن تلبسها، يكبت الله بها عدوك ويسر المسلمون، فلبسها وصعد المنبر فخطب، وكان جميلاً يتلألأ وجهه فيها، ثم نزل فخلعها، فلما قدم عليه جعفر وهبها له – أخرجه قانع بن قانع

وإنما لبس النبي صلى الله عليه وسلم المستقة أو الجبة من سندس قبل تحريم الحرير، ثم نزعها بعد التحريم

وفي رواية لمسلم والنسائي أن النبي قال حين نزعه: نهاني عنه جبريل

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بإهداء المستقة لملك الحبشة لينتفع بها بطريق حلال بأن يكسوها النساء

ويحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس المستقة بعد تحريم الحرير؛ لكونها مكفوفة بالسندس، وليس جميعها حريرًا خالصًا لأن نفس الفروة لا تكون سندسًا، ومع ذلك ترك لبسها بعد ورعًا

ولبس النبي صلى الله عليه وسلم الحبرة، وهي كعنبه نوع من البرود اليمنية، وكانت من أحب الثياب إليه، ولبس القباء والفروج، وهو القباء الذي شق من خلفه

وقال الواقدي: كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر، وإزاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر، ولبس حلة حمراء. والحلة: إزار ورداء، ولا تكون الحلة إلا اسمًا للثوبين معًا

وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتة لا يخالطها غيرها؛ إنما الحلة الحمراء بردان يمنيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، فالأحمر البحت منهي عنه أشد النهي

ولبس صلى الله عليه وسلم الخميصة المعلمة والساذجة، ولبس ثوبًا أسود، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس العمامة وتحتها قلنسوة، وكان يلبسها بلا قلنسوة، وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه، وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي كان إذا استجد ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداء ثم يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له – أخرجه أحمد والحاكم والثلاثة وحسنه الترمذي، وصححه النووي

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لبس ثوبًا أو غيره بدأ بيمناه، وإذا لبس شيئًا من الثياب بدأ بالأيمن، وإذا نزع بدأ بالأيسر

وقال أنس رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره – أخرجه أبو الشيخ وابن حبان وسنده ضعيف

فراش النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه فبكيت

فقال: ما يبكيك؟

قلت: كسرى وقيصر على الخز والديباج، وأنت نائم على هذا الحصير

فقال صلى الله عليه وسلم: ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها – رواه أحمد، وابن ماجة بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب بلفظ آخر والترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم والطبراني، وقال الحاكم على شرط البخاري وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال صحيح غير هلال بن حيان وهو ثقة

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف

وفي رواية: كان وساد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتكئ عليه من أدم حشوه ليف – رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجة

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: كان فراشه صلى الله عليه وسلم مسحًا يثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته أربع ثنيات لكلن أوطأ، فثنيناه بأربع ثنيات فلما أصبح قال: ما فرشتموه الليلة؟

قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا هو أوطأ لك

قال: ردوه لحاله الأولى؛ فإنه منعني وطاؤه صلاتي الليلة – رواه الترمذي

عظمة النبي صلى الله عليه وسلم في القلوب

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيمًا له، ولو قيل لي صفه لما قدرت – رواه مسلم

ولما رأته صلى الله عليه وسلم قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصاء أرعدت من الفرق، أي الخوف – رواه أبو داود

وجاء رجل إليه صلى الله عليه وسلم فقام بين يديه، فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له: هون عليك فإني لست بملك ولا جبار، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة، فنطق الرجل بحاجته

خوف النبي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية

وروى أيضًا أنه صلى الله عليه وسلم قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا

وعن عبد الله بن الشخير قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كـــأزيز المرجل من البكاء – رواه أحمد وأبو داود واللفظ له، والنسائي بسند حسن، والترمذي وصـــححه، وابن حبان وابن خزيمة

اكتحال النبي صلى الله

فيا عمي البصائر والعيونا

الكاتب: أبو ملك الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته. من العراق نطق صوت الحق للرد على من هجم على شخص سيد الخلق (محمد) صلى الله عليه وسلم ما لمعت شمس في الأفق وما لم تلمع وتشقق....... أما بعد فأنـــا شاب من العراق أحمل إليكم هذه الكلمات متأسفا على تأخير الرد ولكن الله أذن بذلك وأقول لاقاني أحد أحبه الحبيب محمد وحملني إليكم كلام وبه أوجز كلامي ولزامي وختامي وإن شاء الله يصل إلى كل الأرض والى كل من تعاون على بثه على العالم أجمع وثوابكم على الله والسلام عليكم ورحمه الله وبركاتـــه

==============================

فيا عمي البصائر والعيونا

فيا عمي البصائر والعيونا على شخص الرسول أتعتدونا

فهل لكم بصائر مبصرات وهل لكم عيونا ناظرينا

وهل لكم بما للخلق سمعا وهل لكم آذانا سامعينا

فهلا عندكم إدراك وعي وهل لكم عقول العاقيلينا

شعاع الشمس في الآفاق يضوي فلا يحجبه ثوب المعتمينا

فلا تبصر عيون العمي نورا ولو سطع الضياء على الجبينا

أينقص من له قد شق بـــ لرفعته أقر المشركونا

ومن أن الجماد له دليلا فجذع النخل حن له حنينا

لقد جار البعير ولاذ فيه ولاذ الضبي فيـــ،،ـــه مستعينا

وكلمه الذراع السم فيه فأخبره بغدر الغادرينا

وضرع الشاة در له بلبن بهجرته إلى نحو المدينا

فلا عتب على قوم أضلوا وظلوا في الضلالة غارقينـــ،ــــــا

عسى القهار يزلزل أرض قوم علينا بالوقاحة يعتدونا

تجرأتم وطاولتم وعبتم نبي الله إمام المرسلينا
أينقص من عليه الرب أثنا وخصه رحمة للعالمينا
لقد زاح الضلالة في هداه وأرشدنا إلى الإسلام دينا
ودلانا إلى الرحمن داع وأهدانا طريقا مستبينا
بوحي من اله الكون يهدى عليه تنزل جبريل الأمينا
تنزل في كتاب الله يقرى فقال اقرأ كتاب الحق فينا
كتاب الله قرآن ووحي من القيوم يتلى كل حينا
به حكم وأحكام وعدل خطابا فصل في أزل السنينا
وقول ما به زلل وزيغ خليل الله أشار له أبينا
وتوراة ابن عمران أشارت وإنجيل وزبور شاهدينا
تجلى قول ربي في علاه تنزه عن مقال الشاهدينا
وأهدي في الختام صلاة ربي على خير الورى الهادي الأمينا
على من جاهه في الحشر يرجى لكل الخلق في القيامة يوم دينا
وأصحاب وأصهار وآل وأتباع وتابع تابعينا
نظمت هذه القصيدة في يوم الجمعة ٢٧ / ١ / ٢٠٠٦
الناظم عبد المحسن ذنون آل رجب الرفاعي
العراق / الأنبار / قضاء عنه
أخوكم بالله
أبو ملك الانصاري

========================

قاطعوهم.. يرتدعوا صاغرين

مصطفى محمد كتوعة

يموج العالم الإسلامي بالغضب العارم من البذاءة والتطاول الذي نشرته إحدى الصحف الدنماركية، وأعادت نشره صحيفة نرويجية، وقد سارعت المملكة باستدعاء السفير السعودي في الدانمارك احتجاجا على هذه الجريمة التي أقدمت عليها تلك الصحيفة بتعليقاتها القبيحة ورسوماتها الوقحة التي زعم صاحبها أنها تمثل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد طالب سماحة المفتي العام في بيانه حكومة الدنمارك بمحاسبة الصحيفة وإلزامها بالاعتذار عن جريمتها النكراء، وتوقيع الجزاء الرادع على من شارك في إثارة هذا الموضوع. مستنكرا سماحته هذا البهتان العظيم الموجه لنبي الإسلام وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

لقد بلغ السيل الزبى، وطفح الكيل مما يتعرض له الإسلام الحنيف من تطاول وإساءات الحاقدين في العالم الغربي من الذين يتخذون العنصرية الدينية والهوس الممجوج ضد المسلمين والدين السمح وقد

شعر كل مسلم في العالم بالصدمة البالغة من تلك البذاءات التي أقدمت عليها تلك الصحف تحت مسمى حرية الرأي، وهي في حقيقتها جريمة رأي يجب أن يعاقب عليها فاعلها وناشرها، والأمة الإسلامية اليوم وقد أساءها ويسيؤها هذا التطرف البغيض في الكراهية ضدها هي اليوم أمام اختبار صعب يدعوها لوقفة جادة وحازمة ضد هؤلاء الموتورين.

إن قمة مكة المكرمة التي جمعت زعماء العالم الإسلامي لم تكن ببعيد عن هذه القضية، فقد طالبت بوقف أي حملات إساءة للإسلام أو للرسول الكريم ومحاسبة من يفعل ذلك، وها هي أمام مسؤولياتها بضرورة اتخاذ ما يلزم تجاه تلك الجرائم النكراء، وعلى الشعوب الإسلامية، بل على كل مسلم أن يؤكد غضبه، وأقل ما يمكن فعله هنا هو المقاطعة الاقتصادية لمنتجات تلكما الدولتين طالما رفض المسؤولون فيها الاعتذار ومحاسبة فاعلي وناشري تلك الوقاحات ضد نبي الرحمة المهداة وسيد الخلق -صلى الله عليه وسلم- وأشرفهم، فهؤلاء لا يعرفون إلا لغة المال والمصالح، وطالما كان المسلم فردا أو اسرة وعلى كل المستويات واعيا بأهمية المقاطعة الاقتصادية لسارع هؤلاء إلى الاعتذار وردع كل من تسول له نفسه المساس بالإسلام العظيم الذي لا يكتمل أساسا في يقين الفرد وإيمانه إلا بالإيمان بالله ورسله وكتبه وتوقير جميع الأنبياء.

فإذا كان المسلم لا يحق له ولا يجرؤ على المساس بأي نبي من أنبياء الله، فعلى الأمة أن تبلغ رسالتها القوية إلى هؤلاء العابثين بالكلمة تحت زعم حرية الرأي، وذلك عندما ينال الضرر الاقتصادي بلادهم واقتصادهم، لذا فكل مسلم يملك القرار، وعليه أن يثبت صدق موقفه بعدم شراء منتجات تلك الدول وهي معروفة وتملأ أسواقنا، وإذا حدث هذا ستصل الرسالة للحاقدين قوية ليكونوا عبرة لأمثالهم، ويدركوا أن هذه الأمة لم تمت وإن ضعفت، وأن غيرتها على دينها والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لم ولن تضعف أو تهن مهما تكالب الحقد الأعمى والمتآمرون على هذا الدين العظيم، ونحن مؤمنون بأن الله ناصر دينه وكتابه الكريم ورسالة نبيه صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وقال سبحانه: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}.

وفي لحظة كهذه على شعب المملكة العربية السعودية خاصة وشعوب الأمة الإسلامية عامة أن يكونوا على مستوى المسؤولية والثقة التامة بأن قرار الفرد المسلم والأسرة إنما يؤثر بالغ التأثير في تلك الدول، ولا يجب أن يستهين المسلم بدوره في قرار المقاطعة، فالشعوب بإمكانها أن تفعل الكثير في مساندة أي موقف رسمي تجاه تلك الإساءات، ولكن يظل على الدول الإسلامية وعلى منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي وكافة الجهود المنظمة اتخاذ مواقف مؤثرة وإجراءات قانونية حتى يتم محاسبة هؤلاء الموتورين الخبثاء الذين تجرأوا على خاتم الأنبياء ورسول البشرية صلى الله عليه وسلم والإعلام الإسلامي مطالب اليوم بإيصال رسالة هذه الأمة إلى تلك الدول ولكن دولة يعشعش فيها الحقد الأعمى ضد الإسلام والمسلمين، وإذا بلغتهم الرسالة قوية، فإنهم سيعتذرون صاغرين ويدركون أن لدى أمة الإسلام خطوطا حمراء إذا تعلق الأمر بالدين وبالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهنا

تكون كل الأمة فداء لدينها ونبيها صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يجب أن يفهمه من سال لعابهم على التطاول ظنا منهم في ضعف الأمة سبيلا لأغراضهم الدنيئة وساء ما فعلوا..

والله نسأل أن يرد كيد الكائدين في نحورهم.

وأن يعز الإسلام والمسلمين.

وأن يذل أعداء الدين.

حكمة:

قال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا}.

=========================

قوائم المقاطعة ضوابط وأحكام

تاريخ الإجابة ٠٥/٠٢/٢٠٠٦

موضوع الفتوى الجهاد

بلد الفتوى – مصر

نص السؤال هل أعددتم دراسة حول الأشياء التي تؤثر مقاطعتها بصورة فعالة في اقتصاد العدو، وهل هناك قائمة تم درجها بعناية تحوي المنتجات التي يتم مقاطعتها؛ لأن القوائم الموجودة يوجد بها تضارب ويبدو أنها لم تتم عن دراسة؟ وجزاكم الله خيرا.

اسم المفتي الأستاذ الدكتور حسين شحاته

نص الإجابة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

المقاطعة هي الامتناع عن دعم اقتصاد العدو ، لصالح الاقتصاد الإسلامي ، وقد طبقه الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويجب أن تكون هذه القوائم منضبطة صحيحة ، ويجب أن نتأكد من مصدر المعلومات حتى لا نصيب قوما بجهالة ، ويمكن ذلك من خلال الغرف التجارية، ومن مصلحة الشركات، وهيئة سوق المال، ولجان المقاطعة كما في جامعة الدول العربية والنقابات المهنية ولجنة المقاطعة بجامعة الأزهر .

يقول الأستاذ الدكتور حسين شحاته الأستاذ بجامعة الأزهر :

المقاطعة تعني الامتناع عن دعم اقتصاد الأعداء، أي إضعاف اقتصاد الأعداء، وتقوية اقتصاد الأمة الإسلامية، وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج المقاطعة عندما أرسل عليًا إلى أبي بكر الصديق ليخبره بأن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه بأن المشركين نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وقد حزن تجار المسلمين من هذا الأمر الإلهي خشية الفقر والعوز والخسارة، فرد الله عليهم بقوله: "وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله"، وكان هذا نموذجا قرآنيا لوجوب

مقاطعة المشركين والكافرين والمعتدين والظالمين. فالمقاطعة ليست بدعة، وليست أمـــرا مســـتحدثا، ولكن هي سنة من سنن الله عز وجل، وسلاح يوجه ضد الأعداء.

ويجب على المسلم أن يدرس السلع والخدمات التي ينتجها العدو، وتعرض في الأسواق ويمتنع عـــن شرائها، و يجب عليه التيقن من أنها سلعة مقدمة من دولة معتدية ظالمة، وهذا في زماننا ميسر، حيث لكل سلعة دولة للمنشأ، أين صنعت هذه السلعة، وإن كان يحدث في بعض الأحيان تحايل، ولكـــن نسبته قليلة، ويوجد في الدول العربية والإسلامية مراكز معلومات نستطيع أن نعرف منها الدولة التي تنتج السلعة أو تقدم الخدمة، وأسماء المساهمين في الشركات وجنسياتهم، ومعلومات كثيرة عنهم.

من ذلك نستطيع أن نعرف هل هذه السلعة تقاطع أم لا، وفي مصر على سبيل المثال تمكنا من معرفة السلع والخدمات التي تأتي من العدو الصهيوني، ومن أمريكا التي تدعمه، من خلال الغرف التجارية، ومن مصلحة الشركات، وهيئة سوق المال، وجهات أخرى كثيرة.

ولقد قامت لجان المقاطعة الاقتصادية في جامعة الدول العربية، وفي الدول العربية والإســـلامية، وفي النقابات المهنية، وفي الجامعات، ومراكز البحوث بإعداد قوائم تتضمن السلع والخدمات الواجـــب مقاطعتها؛ لأنها تنتمي إلى دولة أمريكا وإسرائيل. وتراجع هذه القوائم عـــدة مـــرات مـــن أهـــل الاختصاص والخبرة.

ومع ذلك يجب أن يكون هناك تنسيق وتعاون وتنظيم بين جميع لجان المقاطعـــة الاقتصـــادية علـــى مستوى القطر العربي والإسلامي، وعلى مستوى جامعة الدول العربية، وعلى مستوى منظمة المؤتمر الإسلامي، حتى تكون قوائم المقاطعة دقيقة، وسليمة، وموضع ثقة، وأن يعاد النظر فيها على فترات للتيقن من سلامتها.

ويجب ألا تكون قوائم المقاطعة عشوائية، حتى لا نصيب قومًا بجهالة، بل يجب أن تكـــون هادفـــة، ومخططة، ومنظمة، وموجهة، حتى تكون أكثر فعالية، تحقق أكبر خسارة ممكنة لاقتصـــاد العـــدو، وتخفيف الخسائر من على الوطن، سواء كان عربيا أو إسلاميًا.

ونحن في جامعة الأزهر يوجد بها لجنة مقاطعة تتعاون مع لجنة المقاطعة في جامعة الدول العربية، ومع لجان المقاطعة في الجامعات المصرية، وفي النقابات المهنية، وفي المؤسسات الخيرية، بحيث تراجع قوائم المقاطعة حتى تكون موضع ثقة من الجميع.

والمقاطعة لا يُنظر إليها بما تحققه من خسائر مادية للعدو، ولكن يُنظر إليها على أنها موقف مع النفس، وموقف مع الله، وموقف لمؤازرة إخواننا، فقيمتها المعنوية لا تُقوّم بمال.

والله أعلم.

==========================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم

(١)

محمد قطب

مقدمة الطبعة الشرعية الخامسة

تصدر هذه الطبعة (عام ١٣٩٨ ه) ونحن على مقربة من نهاية القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر..

وما أحوجنا – في هذه الفترة الدقيقة من حياتنا – أن نراجع مسيرتنا خلال تلك القرون، على ضوء الكتاب والسنة، اللذين أخرجا من قبل " خير أمة أخرجت للناس " واللذين هما معيار خيرية هـذه الأمة. فعلى قدر استقامتها عليهما تتحقق خيريتها، وعلى قدر انحرافها عنهما تظل تنحدر حتى تصير إلى ذلك الغثاء الذي تحدث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يرى تلك الفترة العصيبة بنـور الوحي: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئـذ يا رسول الله؟ قال: لا! إنكم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.. "

واليوم تقوم – على هدي الكتاب والسنة كذلك – حركات بعث إسلامي في كل أرجـاء العـالم الإسلامي، يرجى أن تنقذ هذا الغثاء من وهدته، وتعيده (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).

فما أحوجنا أن نتعرف على كتاب ربنا الكريم، وما أحوجنا كذلك أن نقبس "قبسات من الرسول" صلى الله عليه وسلم نقوّم بها ما أعوج في حياتنا من خطوات..

وما زلت أرجو أن يصدر مزيد من الكتب والدراسات التي يتناول فيها الكتاب سيرة الرسول صـلى الله عليه وسلم وأحاديثه بالطريقة التي تقربها لهذا الجيل، وتقرب هذا الجيل كذلك من الإسلام.

والله الموفق إلى ما فيه الخير.

محمد قطب.

مقدمة الكتاب

لا أحسب أحداُ من البشر نال من الحب والإعجاب ما ناله محمد رسول الله صلى الله عليه وسـلم، فإن أتباعه المؤمنين لا يمنعهم من تقديسه شيء إلا نهي الله لهم أن يتوجهوا بالعبادة والتقديس لأحـد سواه. ومع ذلك فإن درجة الحب التي يتوجهون بها إلى الرسول r تكاد تفلت أحياناُ في قلوب بعض المسلمين فلا يمسكها هذا النهي إلا بجهد جهيد! وإن بعضهم لتصيبه حالات من الوجـد في حـب الرسول حتى لينسى نفسه، وتختلج مشاعره وقسمات وجهه، وتنهمر عيناه بالدموع، ثم لا يفيق من قريب! حتى بين " أجف " المسلمين قلباُ، وأغلظهم مشاعر (إن صح أنهم مسلمون مع ذلك!)، لـن تجد منهم من لا يتوجه للرسول صلى الله عليه وسلم بالحب والتعظيم، ولو كان يعبد الله على حرف، ولا يقيم كثيراُ من قواعد الدين!

أما غير أتباعه فقد هاجمه كثير منهم، ومع ذلك فإن أغلبية عظيمة من هؤلاء لم تملك نفسـها مـن الإعجاب بشخصه، بصرف النظر عن دينه، فقالوا عنه إنه رجل عظيم، وقالوا إنه يملك الصفات التي تحبب إليه الناس.

نعم.. لا أحسب أحداً من البشر نال من الحب والإعجاب ما ناله محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم.

ومع ذلك فإني أحسب أن كثيراً من المسلمين، وخاصة في هذه الأعصر الحديثة، لا يقدرون الرسول حق قدره، حتى وهم يتوجهون إليه بالحب، بل حتى وهم ينحرفون بهذا الحب إلى لون من التقديس!
ذلك أنه حب سلبي لا صدى له في واقع الحياة!
وإن صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلوب هؤلاء المسلمين لتعاني عزلة وجدانية عميقة.
إنه هنالك في أعمق أعماقهم. إنه روح نورانية شفيفة، إنه سَنَى مشرق، إنه ومضات من النور الرائق والشعاع المتألق. إنه روح سارية في حنايا القلب وفي أنحاء الكون.. ومع ذلك فهو ليس حقيقة واقعة!
إنه حقيقة " صوفية " منعزلة في الوجدان، واصلة إلى آخر أعماقه، ولكنه ليس صورة حية متحركة في واقع الحياة، شاخصة بلحمها ودمها، وأفكارها ومشاعرها، وتنظيماتها وتوجيهاتها، وهدمها وبنائها، وماديانها وروحانياتها سواء!
ولا شك أن لهذه العزلة أسباباً تاريخية...
ففي عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم منعزلاً في وجدان المسلمين.
كان المسلمون قريبي العهد به، ما زالوا يعيشون مع ذكراه الحية في نفوسهم، وصوره الشاخصة في مخيلتهم، في غدوه ورواحه، وحربه وسلمه، وعبادته وعمله. صورة متكاملة تشمل الحياة كلها في أعماق الضمير وفي واقع المجتمع على السواء.
ولكن قرب العهد لم يكن وحده السبب في إحساس المسلمين به حياً في نفوسهم، متكاملاً في مشاعرهم. وإنما كان إلى جانب ذلك سبب على أعظم جانب من الأهمية، هو امتداد تعاليم الرسول ومنهجه التربوي في تصرفات أبي بكر وعمر وطريقة سياستهما لأمور المسلمين.
لقد أحس المسلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي بتعاليمه ومنهجه، حتى وإن غابت ذاته الرفيعة عنهم في عالم الحس.
وما عالم الحس من واقع النفس؟
إن الأشياء لا تقاس بوجودها أو عدم وجودها في عالم الحس. وإنما تقاس بمقدار ما توجد في عالم النفس، وبالمساحة التي تشغلها من المشاعر والأفكار والسلوك.
ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان " موجوداً " في نفوس المسلمين على عهد أبي بكر وعمر، وعلى مدار الأجيال التي لم تره بعد ذلك، أضعاف أضعاف ما كان موجوداً في نفس أبي جهل أو غيره من المشركين، ممن رأوه رأي العين، وجالدهم وجالدوه، ولكنهم لم يؤمنوا به، ولم يقووا على حبه فأبغضوه.
وعلى هذا الأساس وحده نقيس وجود الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس المؤمنين وغير المؤمنين.
وعلى عهد الشيخين كانت الحياة كلها محكومة بتعاليم الإسلام وروحه، وكان الشيخان على قمة البشرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، يتطلع الناس إليهما في تصرفاتهما، وسلوكهما، ومشاعرهما، وأفكارهما فيدركون القبس الخالد الذي يقبسان منه، ويرون الرسول صلى الله عليه وسلم رأي الواقع

في قلبيهما الكبيرين، فيعيشون في ظلهما مع الرسول فوق ما يعيشون معه في ذكرياتهم الخاصة، ووجداناتهم التي كانت بدورها قد شحنت بتلك القبسات المشرقة من قبسات الرسول.

وجاء عثمان رضي الله عنه فسار في أول عهده على هدي الشيخين ما استطاع، ولكن رويداً رويداً أخذ نفوذ مروان بن الحكم ومنهجه يغلبان على الحكم، وعثمان رضي الله عنه تثقله السن. وبدأ المسلمون يحسون بافتراق الطريق. وبدأت الصورة المتكاملة للرسول صلى الله عليه وسلم تنحسر شيئاً فشيئاً إلى داخل النفوس، بعد أن كانت ملء النفوس وملء الحياة معاً وعلى نسق واحد.

وكلما انفرجت الشقة بين الواقع المشهود وبين تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته، زادت صورته انحساراً في نفوس المسلمين، حتى ينتهي الأمر إلى أن تصبح " مثالاً " متألقاً في أعماق الوجدان، لا صورة حية في العيان، مثالاً منعزلاً عن واقع الحياة، لا يحكمها ولا يرسم منهجها، ولا يتجه الشعور إليه لتسيير دفتها!

ولكن أجيالاً متطاولة مضت قبل أن تتم العزلة في صورتها العنيفة التي تقوم اليوم في قلوب المسلمين.

كان الحكم في البلاد الإسلامية – رغم بعده التدريجي عن روح الإسلام – يقوم باسم الإسلام!

وكان المجتمع إسلامياً رغم فساد الحكام!

نعم. لقد ظل المجتمع في الريف والمدن البعيدة عن العواصم إسلامياً قرابة ألف سنة، لا يتأثر بفساد الحكم، ولا تصل إليه العدوى من العاصمة المنحلة التي فيها القصور الماجنة، وصور الحياة الدنسة.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكم في العاصمة، ولا يرسم سياسة المال، ولكنه كان يُحكِم الروابط بين قلوب المسلمين في الريف والمدن البعيدة، فتقوم بينها محبة الإسلام وتكافل الإسلام وتراحم الإسلام، في الوقت الذي كانت " البيئة الزراعية " المماثلة في أوربا تقوم على علاقة السادة والعبيد: سادة لهم الأمر كله والملك كله، وعبيد ليس لهم من الأمر شيء سوى العبودية المطلقة والانعدام الذليل.

في تلك الأثناء كانت بقية من صورته صلى الله عليه وسلم لم تنعزل بعد في وجدان المسلمين. ورغم أن المذاهب " الصوفية " كانت نشيطة في المجتمع الإسلامي كله في ذلك الوقت، والصوفية تجنح إلى العزلة عن الحياة والبعد عن مجالدتها، إلا أن هذه المذاهب قد أدت دوراً تاريخياً في منع المجتمع الإسلامي من التفكك، والإبقاء عليه مترابطاً " بأخوة " الصوفية كما أنها في غير قليل من الأحيان كانت تدخل معترك السياسة ولو من وراء ستار..

أما العزلة الكاملة الموحشة المرهوبة، فقد تمت وأحكمت حلقاتها حين بَعُدَ الحكم والمجتمع كلاهما عن الإسلام: اسمه وروحه، وصار الغرب هو الذي يحكم السياسة والمجتمع: باسمه الصريح حيناً، وعلى يد صنائعه النافرين من الإسلام حيناً آخر. وصار المجتمع الإسلامي صورة متحللة فاسدة من الأفكار الغريبة عن الحياة. لا هي إسلامية كما كانت، ولا هي نسيج واحد متميز، ولا تملك حتى القوة المادية التي يملكها الغرب، وإنما هي مسخ مشوه لا وحدة له ولا كيان.

عندئذ لم يعد الرسول صلى الله عليه وسلم " موجوداً " أصلاً في واقع الحياة. لم يعد كيانـــاً حيـــاً شاخصاً بلحمه ودمه، وأفكاره ومشاعره، وتنظيماته وتوجيهاته، ومادياته وروحانياتـــه.. وانحصـــر وجوده في مشاعر الناس السلبية، في أعمق أعماقها.. في حالات الوجد والهيام.. أصبح صورة.. مجرد صورة مثالية. لا يمسكها إلا الحب العنيف أن تكون أسطورة محلقة في الخيال!

يا حسرة على العباد!

كيف جاز لهم أن يصنعوا ذلك؟ كيف جاز لهم أن يبددوا أكبر طاقة بشرية كونية في هذا الوجـــود، فينحسروا بها في عزلة عن الحياة؟! وهل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يصنع معـــه هذا الصنيع؟ الرسول الذي كان طاقة حية متحركة فعالة هادمة بناءة لا تكف لحظة عن النشـــاط؟ الرجل الذي كان كله حياة في واقع الأرض، يصبح معزولاً عن واقع الأرض؟! وممن! مـــن أتباعـــه ومحبيه!

لو عاش صلى الله عليه وسلم في صومعته..

لو كان " فيلسوفاً " ممن ينشئون الأفكار ويعجزون عن التنفيذ..

لو كان ممن يحدثون عن " الأحلام " الجميلة و " المثل " الرفيعة ولا يبين لهم في واقع الأرض كيـــف تكون الطريق.

لو أنه كان " شاعراً " أو " كاهناً "...

لو أنه كان شيئاً من هذا كله لجاز للناس أن يعزلوه في وجـــدالهم، فيمنحـــوه الحـــب "النظـــري " والإعجاب المجرد، ثم.. لا يلتفتوا إليه وهم يواجهون عالم الواقع ويضربون في مناكب الأرض.

أما وهو الذي بين لهم كيف يضربون في مناكب الأرض.. أما وهو الذي أمسك المعول بيده فهـــدم الباطل أمام أعينهم وبنى بدله صرح الحق.. أما وهو الذي حارب معهم وأقام السلم.. وشيد بنـــاء الدولة لهم لبنة لبنة حتى قام شاهقاً لا يطاوله بناء على الأرض.. وأكل معهم وشـــرب، وصـــحبهم وصحبوه، وعاش أمامهم كل لحظة من لحظات الحياة، وكل وجدان من وجداناتها وكل ســـلوك، ورأوه " يتصرف " في كل شأن من الشئون كبيرها وصغيرها، ليكون تصرفه سنة تحتذى، ويكون فيه أسوة حسنة للناس..

أما وهو هذا كله فأي جرم في تبديد هذه الطاقة البشرية الكونية الكـــبرى، وحصـــرها في داخـــل الوجدان؟!

وهل جاء محمد صلى الله عليه وسلم لينعزل في الوجدان، والدين الذي جاء به هو الدين الذي يـــأبى الانعزال في الوجدان؟!

إن أبرز سمة في هذا الدين أنه دين الظاهر والباطن على حد سواء. لا يرضى أن يكون الظاهر نظيفـــاً والباطن غير نظيف، فيصبح رئاء الناس. ولا يرضى أن يكون الباطن نظيفا ولا صدى له في الظـــاهر فيفقد مهمته ومعناه. إنه الدين الذي يجعل العمل عبادة.. ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الرســـول الذي ظل حياته كلها يتعبد بالعمل.. العمل المثمر النافع الظاهر للعيان.

فكيف جاز بعد هذا كله أن يتحول في قلوب المسلمين إلى مثال منعزل، ولو كان أرفع مثال على الأرض وأنبل مثال؟!

* * *

ولقد كان إحساسي بالرسول الكريم دائماً هو إحساسي بالواقع المجسم، لا بالخيال المحلق في الفضاء. وكانت تهز وجداني هزاً عنيفا هذه الصورة المعروفة في كتب السيرة كلما قرأتها: " كان يمشي وكأنه يتقلع من الأرض... " وترتسم في خيالي صورة رائعة، حية شاخصة، ممتلئة بالحيوية، متوفزة النشاط.. عظيمة في هذا كله عظمة لا تحد. وانظر إلى الصورة التي تجسمت في خيالي فأرى النور الرائق الصافي يشع من أعماق روحه صلى الله عليه وسلم، وينفذ إلى أعماق نفسي، ويغلبني الوجدان وأنا أنظر إلى هذه الروح الصافية العميقة الشفافة المشعة، ومع ذلك فلا تلبث صورته أن تتحرك.. وأراه صلى الله عليه وسلم يمشي وكأنه يتقلع من الأرض. أراه.. بمقدار ما تطيق روحي أن تصل إليه.. متحركاً يضرب في مناكب الأرض، ويشق طريقه في قوة وثبات وتمكن، ويقيم البناء كله لبنة لبنة.. وأراه في مواقفه النفسية الدقيقة العميقة، فأكاد ألمس النفس الجياشة المتحركة الدافقة. وأراه في لحظات تعبده، والنور يتألق من روحه ومن طلعته، فأحس كأن هذا النور يتحرك.. يتحرك ممتداً حتى يشمل الفضاء.
الحركة الحية المتوفزة هي في نفسي صورة الرسول صلى الله عليه وسلم.
ومن ثم لا أحس بها منعزلة في الوجدان..
ثم أرى العزلة التي تعانيها صورته في وجدان المسلمين، فأعجب للناس كيف يحبونه كل هذا الحب، ثم لا يتدبرون حياته للقدوة والأسوة كما قال لهم ربهم في كتابه المبين؟!

* * *

وليس هذا كتاباً في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم!
وإنما هو جهد متواضع كل همي منه أن أحاول إخراج صورة الرسول من عزلتها الموحشة في قلوب المسلمين.
هدفي أن أقول للناس تدبروا بعض أقوال الرسول r ، وانظروا كيف كانت كل كلمة يقولها منهج تربية ومنهج سلوك ومنهج تفكير ومنهج حياة..
إنها مختارات متفرقة من الأحاديث، أو " قبسات من الرسول " كما أسميتها، كل منها يصلح أن يكون أحد " مفاهيم " الإسلام، مفاهيمه الواقعية الضاربة في مناكب الأرض، المتلبسة بصميم الحياة.
وليست هذه المختارات استقصاء لكل المفاهيم، ولا استقصاء لكل ما قيل في أي من هذه المفاهيم.
وإنما هي مجرد مختارات كتبتها كما خطرت ببالي، وحسبي منها أن تفتح الطريق.
اللهم وفقني.. وأوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ.. إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير..

قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم فليغرسها

"إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر"[١].

ولعل آخر ما كان يدور في ذهن السامعين أن يقول لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث! ولعلهم توقعوا أن يقول لهم الرسول الذي جاء ليذكر الناس بالآخرة، ويحثهم على العمل لها، ويدعوهم إلى تنظيف ضمائرهم وسلوكهم من أجل اليوم الأكبر: يوم الحساب الذي تدان فيه النفوس.. لعلهم توقعوا أن يقول لهم: فليسرع كل منكم فليستغفر ربه عما قدمت يداه، وليتوجه لله بدعوة خالصة أن يميته على الإيمان ويقبل توبته ويبعثه على الهدى.. ولعلهم توقعوا أن يقول لهم: أسرعوا فانفضوا أيديكم من تراب الأرض.. وتطهروا. اتركوا كل أمور الدنيا وتوجهوا بقلوبكم إلى الآخرة. انقطعوا عن كل ما يربطكم بالأرض. اذكروا الله وحده. توجهوا إليه خالصين من كل رغبة في الحياة، حتى إذا ذهبتم إلى ربكم، ذهبتم وقد خلصت نفوسكم إليه، فيقبل أوبتكم ويظلكم بظله، حيث لا ظل إلا ظله.

ولو قال لهم ذلك فهل من عجب فيه؟!

أليس الطبيعي وقد تيقن الناس من القيامة أن ينصرفوا للحظة المرهوبة؟

أليس الطبيعي والهول المهول على الأبواب أن ينسلخ الناس من كل وشيجة تربطهم بالأرض، ويتطلعوا في رهبة الخائف وذهول المرتجف إلى قيام اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد؟!

فإذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تقفوا مذهولين مرجوفين مرعوبين، ولكن توجهوا إلى الله أن ينقذكم من هذا الكرب العظيم، أخلصوا له الدعاء فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه. (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون). هلموا تطهروا، وصلوا إلى الله خاشعين..

إذا قال لهم الرسول ذلك وضع البلسم الشافي على الأرواح المكلومة. وقد وضع يده الحانية يربت بها على النفوس المهتزة المزلزلة الراجفة فتطمئن. وقد فتح الكوة التي يطل منها على القلوب المكفهرة المذعورة بصيص الأمل والأمن والرجاء..

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئاً من ذلك كله الذي توقعه السامعون.

بل قال لهم أغرب ما يمكن أن يخطر على قلب بشر!

قال لهم: "إن كان بيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة فليغرسها.. فله بذلك أجر"!

يا ألله! يغرسها؟! وما هي؟ فسيلة النخل التي لا تثمر إلا بعد سنين؟ والقيامة في طريقها إلى أن تقوم؟ وعن يقين؟!

يا الله! لن يقول هذا إلا نبي الإسلام خاتم النبيين!

الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يوجه القلوب هذا التوجيه، ونبي الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يهتدي هذا الهدي، ويهدي به الآخرين!

وهذا تاريخ الأرض كلها.. ليس فيه مثل هذه القبسة من قبسات الرسول!

* * *

وهي كلمة بسيطة لا غموض فيها، ولا صنعة، ولا " تفنن ". كلمة – رغم غرابتها لأول وهلة، وبدهها للفكر على غرة – تخرج بسيطة كبساطة الفطرة، عميقة كعمق الفطرة، شاملة واسعة فسيحة، تضم بين دفتيها منهج حياة.. منهج الحياة الإسلامية.

كم من معنى تستخلصه النفس من الكلمات البسيطة العميقة في آن.

أول ما يخطر على البال هو هذه العجيبة التي يتميز بها الإسلام: أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق!

إنهما ليسا طريقين منفصلين: أحدهما للدنيا والآخر للآخرة!!

وإنما هو طريق واحد يشمل هذه وتلك، ويربط ما بين هذه وتلك.

ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة. وطريق للدنيا اسمه العمل!

وإنما هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة. وهو طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة ولا العبادة عن العمل. كلاهما شيء واحد في نظر الإسلام. وكلاهما يسير جنباً إلى جنب في هذا الطريق الواحد الذي لا طريق سواه!

العمل إلى آخر لحظة من لحظات العمر. إلى آخر خطوة من خطوات الحياة! يغرسها والقيامة تقوم تقوم هذه اللحظة. عن يقين!

وتوكيد قيمة العمل، وإبرازه والحض عليه، فكرة واضحة شديدة الوضوح في مفهوم الإسلام. ولكن الذي يلفت النظر هنا ليس تقدير قيمة العمل فحسب، وإنما هو إبرازه على أنه الطريق إلى الآخرة الذي لا طريق سواه.

وقد مرت على البشرية فترات طويلة في الماضي والحاضر، كانت تحس فيها بالفرقة بين الطريقين.

كانت تعتقد أن العمل للآخرة يقتضي الانقطاع عن الدنيا، والعمل للدنيا يزحم وقت الآخرة!

وكانت هذه الفرقة بين الدنيا والآخرة عميقة الجذور في نفس البشرية، لا تقف عند هذا المظهر وحده، وإنما تتعداه إلى مفاهيم أخرى تتصل بالكيان البشري في مجموعه.

فالدنيا والآخرة مفترقتان.

والجسم والروح مفترقان.

والمادي يفترق عن " اللامادي ".

والفيزيقا – بلغة الفلاسفة – تفترق عن الميتافيزيقا.

والحياة العملية تفترق عن الحياة المثالية أو عن مفاهيم الأخلاق. إلى آخر هذه التفرقات التي تنبع كلها من نقطة واحدة، هي التفرقة بين الدنيا والآخرة، أو بين الأرض والسماء. وحين تعيش البشرية على هذه الفكرة المفرقة الموزعة، تعيش ولا جرم في صراع دائم محير مضلل. تعيش موزعة النفس منهوبة المشاعر. لا تحس بوحدة تجمع كيانها، أو رابط يربط أشتاتها. فلا تعرف الراحة ولا تعرف السلام.

والفرقة بين الأهداف المتعارضة شقوة قديمة وقعت فيها البشرية وما تزال واقعة.

وقد كانت تؤدي في القديم إلى عزلة بعض الناس وتنسكهم، وتكالب آخرين على الحياة يجعلونها همهم الأوحد، ينتهبون ما فيها من متعة قبل وقت الفوات، فتملكهم شهواتهم ولا يملكون نفسهم منها، وتقتلهم في نهاية الأمر.. يستوي أن توردهم موارد الحتف، أو تشقيهم بالتعلق الدائم الذي لا يهنأ ولا يستقر.

وما تزال هذه الفرقة تؤدي إلى نتائجها تلك في العالم الحديث. ولكنها تزيد في " مدنيتنا " الحاضرة حتى تبلغ مبلغ الجنون! وحالات الهستريا، وضغط الدم واضطراب الأعصاب، والجنون الكامل، والانتحار.. تتزايد في ظل الحضارة الحديثة إلى درجة خطرة تؤذن بتدمير الطاقة البشرية وتفتيتها، وهي صدى لتلك الفرقة التي توزع النفس الواحدة في وجهات شتى ثم لا تربط بينها برباط [٢].

والكيان النفسي بحكم فطرته التي فطره الله عليها.. وحدة.

وحدة تشمل الجسم والعقل والروح. تشمل " المادة " و " اللامادة " تشمل شهوات الجسد ورغبات النفس وتأملات العقل وسبحات الروح. تشمل نزوات الحس الغليظة وتأملات الفكر الطليقة ورفرفات الروح الطائرة.

ولا شك أن جزئيات هذا الكيان متعارضة، وأن كلاً منها جانح في اتجاه..

ذلك إذا تركت وشأنها، ينبت كل نابت منها على هواه!

ولكن العجيبة في هذا الكيان البشري، عجيبة الفطرة التي فطره الله عليها، أن هذا الشتات النافر المنتشر، يمكن أن يجتمع، يمكن أن يتوحد، يمكن أن يترابط، ثم يصبح – من عجب – في وحدته تلك وترابطه، أكبر قوة على الأرض! ذلك حين تقبس الذرة الفانية من حقيقة الأزل الخالدة، فتشتعل وتتوهج، وتصبح طليقة، كالنور.. تمتزج فيها المادة واللامادة فهما سواء!

والطريق الأكبر لتوحيد هذا الشتات النافر المنتشر، وربطه كله في كيان، هو توحيد الدنيا والآخرة في طريق!

عندئذ لا تتوزع الحياة عملاً وعبادة منفصلين. ولا تتوزع النفس جسماً وروحاً منفصلين. ولا تتوزع الأهداف عملية ونظرية، أو واقعية ومثالية لا تلتقيان!

حين يلتقي طريق الدنيا بطريق الآخرة، وينطبقان فهما شيء واحد، يحدث مثل هذا في داخل النفس، فتقترب الأهداف المتعارضة. ويلتقي الشتات المتناثر، ثم ينطبق الجميع فهو شيء واحد. وتلتقي النفس المفردة – بكيانها الموحد – تلتقي بكيان الحياة الأكبر، وقد توحدت أهدافه وارتبط شتاته، فتتلاقى معه، وتستريح إليه، وتنسجم في إطاره، وتسبح في فضائه كما يسبح الكوكب المفرد في فضاء الكون لا يصطدم بغيره من الأفلاك، وإنما يربطها جميعاً قانون واحد شامل فسيح.

والإسلام يصنع هذه العجيبة!

ويصنعها في سهولة ويسر!

يصنعها بتوحيد الدنيا والآخرة في نظام.

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [٣].

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [٤].

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم الترجمة الكاملة الصادقة للحقيقة الإسلامية. ومن ثم كانت الدنيا والآخرة في نفسه طريقاً واحداً ونهجاً واحداً و " حسبة " واحدة.

أي عمل من أعماله صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصوداً به وجه الله والآخرة؟

وأي لحظة كف صلى الله عليه وسلم عن العمل في الدنيا، والعمل لإصلاح الأرض؟

حتى الصلاة.. ألم يكن صلوات الله وسلامه عليه يستعين فيها الله أن يمكنه من أداء رسالته على الوجه الأكمل، ورسالته هي هداية الناس في الأرض، ليعرفوا الله واليوم الآخر؟!

حلقة واحدة لا تنقطع: العمل والعبادة، والدنيا والآخرة، والأرض والمساء!

والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة والأسوة الحسنة، وهو واضع المنهاج العملي لتحقيق الإسلام في عالم الواقع. والرسول صلى الله عليه وسلم لم يعتزل الناس ليتطهر لربه في معزل. فعباداته يقضيها أمامهم ومعهم وهم في صحبة منه. فإذا كان يخلو إلى ربه في جنح الليل يتعبد، فكل نفس بشرية تهفو إلى الخلوة حيناً من الوقت، وكل نفس تملك أن تصفو في هذه الخلوة فوق ما تصفو في حضرة الآخرين. ولكن المهم أنه في أعمق خلواته وأصفاها لا ينسى أنه رسول الله، المكلف بأداء رسالة الله.

والرسول يحارب في سبيل الله. ويسالم في سبيل الله. ويدعو الناس إلى سبيل الله. ويأكل باسم الله. ويتزوج على سنة الله. ويهدم ويبني، ويحطم وينشئ، ويهاجر ويتوطن.. كل ذلك في سبيل الله، واليوم الآخر، يوم يلقى الله. فكل عمله إذن عبادة يتوجه بها إلى الله. والطريق أمامه طريق واحد.. هو الطريق إلى الله...

وهو يسير في هذا الطريق الأوحد الذي لا طريق غيره، يسير قدماً لا يتلفت ولا يتحول.. ولا يكف عن المسير..

إلى آخر لحظة من حياته صلى الله عليه وسلم كان يسير في الطريق.

كان يعمل في الدنيا وهو يبغي الآخرة، ويعمل للآخرة بالعمل في الأرض.

حتى حين نزلت الآية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) وأحس عمر رضي الله عنه أنها النهاية فدمعت عيناه.. حتى في مرض الموت.. حتى في اللحظة الأخيرة لم يزايله انشغاله بأمور الدنيا.. بأمور الناس.. بإصلاح الأرض.. بهداية البشرية.. برسم المنهج الذي يسيرون عليه.. بتوطيد أركان الدين وتوثيق عراه..

وكان يقول والوجع يشتد عليه صلى الله عليه وسلم: " إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً.. ".

كانت في يده الفسيلة وكان يغرسها..

ولم يدع يديه منها صلى الله عليه وسلم حتى فاضت روحه الكريمة الطاهرة إلى مولاه..

* * *

وإن في ذلك لدرساً يقتدي فيه المسلمون بنبيهم، ويهدون به البشرية الضالة إلى سواء السبيل.

يتعلمون أن يربطوا طريق الدنيا بطريق الآخرة.

يتعلمون أن الدين ليس عزلة عن الحياة، وإنما هو صميم الحياة. ليس عزلة عن تيار الحياة الصاخب المضطرب فلا يركبون فيه مركبهم مع الراكبين.

وأنهم لا يرضون ربهم ولا يخدمون دينهم إذا أحسوا أنه ينبغي عليهم أن ينسوا الله والدين إذا دخلوا معترك الحياة وعملوا لإصلاح الأرض.

لن يرضوا الله ولن يخدموا الدين إذا دخلوا المدرسة أو الجامعة أو المعمل أو المصنع أو المتجر وفي حسابهم أنهم الآن يعملون للأرض ويعملون للدنيا، وأنهم في لحظة أخرى حين يفرغون من عمل الأرض سيعودون – إذا عادوا – إلى الله، فيعبدونه ويتوجهون إليه!

كلا! ليس ذلك من الإسلام!

إنما الإسلام أن يأكلوا باسم الله، ويتزوجوا باسم الله، ويتعلموا باسم الله وفي سبيل الله، ويعملوا وينتجوا ويتقووا ويستعدوا.. في سبيل الله. لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة، ولا الآخرة عن الدنيا، لأنهما طريق واحد لا يفترقان.

وحين يتعلم المسلمون ذلك: حين يتعلمون أنهم إذا درسوا الطاقة الذرية واستخدامها في السلم والحرب يمكن أن يكونوا متصلين بالله وفي سبيل الله. حين يتعلمون أنهم وهم يدرسون النظم السياسية والاقتصادية والإصلاح الاجتماعي، أو يطبقونها على الناس وهم يسوسون أمورهم، يمكن أن يكونوا متصلين بالله وفي سبيل الله. حين يتعلمون أنهم وهم في خلوتهم مع أزواجهم يحققون هدف الحياة الأكبر، يمكن أن يذكروا اسم الله ويكونوا في سبيل الله..

حين يتعلمون أن عملاً واحداً من أعمال الأرض الكثيرة المتفرقة لا يمكن أن يخرج عن الطريق إلى الآخرة إذا أقدم عليه الإنسان وهو مسلم مؤمن بالله متوجه إلى الله..

بل حين يتعلمون أنه لا يمكنهم أن يخدموا الآخرة إلا بإصلاح الدنيا، ولا يصلوا للآخرة إلا عن طريق الأرض، وأن عليهم أن يظلوا إلى آخر لحظة من حياتهم يعمرون الأرض ويغرسون فسائلها، وإلا فلن يصلوا إلى رضوان الله..

حين ذلك يكونون مسلمين حقاً..

وحين ذلك يكونون قدوة للأمم كلها على سطح الأرض، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو قدوتهم.

(لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).

عندئذ يكون لديهم ما يعلمونه للعالم كله، وللغرب المفتون خاصة. الغرب الذي أصابه الجنون فقام بحربين متواليتين في ربع قرن، وهو اليوم يستعد لتدمير الأرض!

يستطيعون أن يقولوا للناس في كل الأرض: لقد ألغيتم " الله " من حسابكم لأنكم ظننتم أنه يعوّقكم عن تعمير الأرض، وعن تعلم العلم، وعن استغلال طاقة الأرض، وعن الاستمتاع بالحياة!
ولكنه في الواقع ليس كذلك!
إنه يدعو إلى كل هذا الذي تهفون إليه: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وإنما يريد فقط أن توحدوا طريقكم، فلا تجعلوا طريقاً للدنيا وطريقاً للآخرة منفصلتين، وإنما طريق واحدة للدنيا والآخرة، هي الطريق إلى الله.
* * *

وليس هذا هو الدرس الوحيد الذي نتعلمه من هذا الحديث العجيب.
فلا يأس مع الحياة!
والعمل في الأرض لا ينبغي أن ينقطع لحظة واحدة بسبب اليأس من النتيجة!
فحتى حين تكون القيامة بعد لحظة، حين تنقطع الحياة الدنيا كلها، حين لا تكون هناك ثمرة من العمل.. حتى عندئذ لا يكف الناس عن العمل وعن التطلع للمستقبل، ومن كان في يده فسيلة فليغرسها!
إنها دفعة عجيبة للعمل والاستمرار فيه والإصرار عليه!
لا شيء على الإطلاق يمكن أن يمنع من العمل!
كل المعوقات.. كل الميئسات.. كل " المستحيلات ".. كلها لا وزن لها ولا حساب.. ولا تمنع عن العمل.
وبمثل هذه الروح الجبارة تعمر الأرض حقاً وتشيد فيها المدنيات والحضارات.
كل ما في الأمر أن الإسلام وهو يدعو لتعمير الأرض، والعمل في سبيلها، لا ينحرف بالأفكار والمشاعر عن طريق الله وطريق الآخرة، لأنه لا يفصل بين الدنيا والآخرة، ولا بين الحياة العملية و" الأخلاق ". إنه لا يقول – كما يقول الغرب المنحرف – فلأعمر الأرض، ولا يعنيني أن ترتفع أخلاق الناس أو تهبط، فللعمل مقاييس وللأخلاق مقاييس! لا تهمني أخلاق الرجل ما دام " إنتاجه " يعجبني! فهذه النظرة المبتسرة الهابطة لا تلبث أن تدمر في لحظة ما بنته في أجيال. وأن تحيل العمار كله إلى خراب! بل إن هذه النظرة المبتسرة الهابطة لتوزع النفوس والأفكار بين الخير والشر، وبين الواقع والمثال، فتكون النتيجة القريبة هي الأمراض العصبية والجنون والانتحار، وذلك وحده تدمير للنفوس وتبديد للطاقة، ولو لم يحدث الدمار الشامل والخراب الرهيب.
وقد كان المسلمون وهم يؤمنون بدينهم ويعملون به يبنون أروع حضارات الأرض وينشئون أرفع مفاهيمها.. ولا ينحرفون عن طريق الله.
كانت طاقة " العمل " تدفعهم للإنشاء والتعمير، والفتح والانسياح في الأرض، فبلغوا في لمحة خاطفة من الزمن ما لم يبلغه غيرهم في قرون، وأقاموا في كل مكان مثلاً للعدالة الإنسانية كانت – وما تزال – غريبة على البشرية، ينظرون إليها كما ينظرون للأحلام والأساطير.

حين أعاد أبو عبيدة الجزية لأهل الشام يوم علم باحتشاد جيش الروم وخشي ألا يقدر على حمايتهم، وقال لهم: " إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع. وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك. وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم ".

حين صنع ذلك كان يقوم بإحدى المعجزات التي أنشأها الإسلام على وجه الأرض. يعمل. ويجتهد في عمله إلى أقصى الغاية، ويضرب في مناكب الأرض. ويحارب ويغزو. ولا ينسى الله لحظة واحدة في ذلك كله ولا يفترق طريقه في الدنيا عن طريقه إلى الآخرة، لأنه يعمل ذلك كله في سبيل الله.

وحين تم النصر لصلاح الدين في الحروب الصليبية وأمكنه الله من أعداء دينه الذين غدروا من قبل بعهد الله، وذبحوا المسلمين داخل البيت المقدس، واعتدوا بغلظة ووحشية على كل حرمات البشرية.. لم يثأر لنفسه، و لم يمثل بهم، و لم يعمل في رقابهم السيف – وهو مأذون بذلك من كل شرائع السماء والأرض معاملةً بالمثل – بل صفح وعفا، وارتفع على نفسه وعلى النفس " البشرية " كلها..

حين ذلك كان يقوم بمعجزة أخرى من معجزات الإسلام.. يعمل ويعمل.. ولا ينسى الله، ولا يفترق طريقه في الأرض عن طريقه إلى الآخرة.

وبذلك كان الإسلام فذاً في التاريخ..

وكان البناء الذي بناه الإسلام فريداً بالرغم مما أصابه من ضربات من الداخل ومن الخارج على السواء.

لقد كان المسلمون يقتدون برسولهم وهو يحثهم على العمل لتعمير الأرض، وغرس ما في أيديهم من فسائل تثمر حين يشاء لها الله، وإنما عليهم فقط أن يغرسوها، ويمضوا إلى غيرها يغرسون في مكان جديد! ويقتدون به فيغرسون به ما يغرسون من نبتات الخير في كل مكان، وهم يتجهون إلى الله وحده وإلى الآخرة. لا تدفعهم مطامع الأرض المنبتة عن طريق الله، ولا شهوات النفس المنبتة عن تقوى الله.

وبذلك تميزوا وسادوا، وكانوا النور المشرق في ظلمات الأرض، والقدوة في كل سوك وكل عمل وكل علم وكل نظام. وأوربا في ظلمة الجاهلية تأكلها الفرقة والحروب والتأخر والانحطاط.. حتى قبست قبسات من الإسلام في الحروب الصليبية، فأفاقت من غفوتها وبدأت " تنهض ".. ولكن على غير طريق الله وطريق الآخرة.. ومن ثم لا تقوم إلا كمن يتخبطه الشيطان من المس.. تنطلق كالمجنون والهوة في آخر الطريق.

وإن أمام المسلمين الكسالى اليوم قدوة في رسول الله تنفعهم إذا فتحوا لها بصائرهم وتدبروا معانيها. إن عليهم أن يعملوا دائماً ولا يكلّوا.. يعملوا جهد طاقتهم، وفوق الطاقة ليعوضوا القعود الطويل. يعملوا في كل ميدان من ميادين العمل: في ميدان العلم وميدان الصناعة وميدان التجارة وميدان الاقتصاد وميدان السياسة وميدان الفن وميدان الفكر..

يعملوا ولا يقولوا: ما قيمة العمل؟ وماذا يمكن أن نصل إليه؟

يغرسوا الفسيلة ولو كانت القيامة تقوم اللحظة. فإنما عليهم أن يعملوا، وعلى الله تمام النجاح!

* * *

والدعاة خاصة لهم في هذا الحديث درس أي درس!

فالدعاة هم أشد الناس تعرضاً لنوبات اليأس، وأشدهم حاجة إلى الثبات!

قد ييأس التاجر من الكسب، ولكن دفعة المال لا تلبث أن تدفعه مرة أخرى إلى السير في الطريق.

قد ييأس السياسي من النصر، ولكن تقلبات السياسة لا تلبث أن تفتح له منفذاً فيستغله لصالحه.

قد ييأس العالم من الوصول إلى النتيجة.. ولكن المثابرة على البحث والتدقيق كفيلة أن توصله إلى النهاية.

كل ألوان البشر المحترفين حرفة معرضون لليأس، وهم في حاجة إلى التشجيع الدائم والحث الطويل، ولكنهم مع ذلك ليسوا كالدعاة في هذا الشأن، فأهدافهم غالباً ما تكون قريبة، وعوائقهم غالباً ما تكون قابلة للتذليل.

وليس كذلك المصلحون.

إنهم لا يتعاملون مع المادة ولكن مع " النفوس " والنفوس أعصى من المادة، وأقدر على المقاومة وعلى الزيغ والانحراف.

والسم الذي يأكل قلوب الدعاة هو انصراف الناس عن دعوتهم، وعدم الإيمان بما فيها من الحق، بل مقاومتها في كثير من الأحيان بقدر ما فيها من الحق، وعصيانها بقدر ما فيها من الصلاح!

عندئذ ييأس الدعاة.. ويتهاوون في الطريق.

إلا من قبست روحه قبسة من الأفق الأعلى المشرق الطليق. إلا من أطاقت روحه أن يغرس الفسيلة ولو كانت القيامة تقوم اللحظة عن يقين!

* * *

الدعاة أحوج الناس إلى هذا الدرس. أحوج الناس أن يتعلموا عن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه العجيب الذي تتضمنه تلك الكلمات القليلة البسيطة الخالية من الزخرف والتنسيق.

هم أحوج الناس أن يقبسوا من قبسات الرسول هذه اللمحة المضيئة الكاشفة الدافعة الموحية، فتنير في قلوبهم ظلمة اليأس، وتغرس في نفوسهم نبتة الأمل، كما تغرس الفسيلة في الأرض لتثمر بعد حين.

إنه يقول لهم: ليس عليكم ثمرة الجهد، ولكن عليكم الجهد وحده، ابذلوه ولا تتطلعوا إلى نتائجه!

ابذلوه بإيمان كامل أن هذا واجبكم وهذه مهمتكم، وأن واجبكم ومهمتكم ينتهيان بكم هناك، عند غرس الفسيلة في الأرض، لا في التقاط الثمار!

وهو إذ يقول لهم ذلك لا يغرر بهم ولا يضحك عليهم! إنما يقول لهم الشيء الواحد الصواب!

فحين تسأل نفسك: متى تثمر الفسيلة وكيف تثمر، وحولها الرياح والأعاصير والشر من كل جانب؟ وحين يصل بك التفكير إلى أن تطرح الفسيلة جانباً وتنفض منها يديك.. حينئذ كيف تثمر؟ وأنَّى لها أن تعيش؟

أما قتلتها أنت حين أفلتّها من يديك؟
ولكنك حين تغرسها في الأرض وترفع يديك لله بالدعاء.. حينئذ تكون أودعتها مكانها الحق، وعهدت بها إلى الحق الذي يرعاها ويرعاك.
ولا يشغلك أن تسأل: متى تكون الثمار؟! ليس هذا من عملك أنت. لست مهيمناً على الأقدار.
وليس لك علم الغيب. و لا في طوقك – لو علمته – أن تمسك نفسك من الدوار!
ومن تكون أنت في ملك الله الواسع الفسيح الذي لا حد له ولا انتهاء؟!
وإنما أنت أنت: مخلوق حي متحرك له كيان وله وزن وقوة ومكان في تاريخ الأرض، حين تقبس روحك قبسة من صانع الأرض وصانع الكون، وصانعك أنت من بين هذا الكون الكبير.
أفلا تدع له إذن مصيرك مطمئناً إليه؟ أو لا تدع له كذلك هذه الفسيلة التي غرستها يرعاها لك ويطلع لها الثمار؟! أو لا تكتفي بدورك المطلوب منك في الملكوت الهائل الفسيح، وتحمد الله أن لم يحمّلك سوى دورك هذا المحدود الميسور؟!
وحين تصنع ذلك تطلع الثمار!
لا عجب في ذلك ولا سحر!
وإنما أنت تؤدي دورك وتمضي، فيجيء غيرك فيعجب بك وما صنعت، فيحبك، فيذهب يتعهد فسيلتك التي غرست، فتنمو، وتطلع الثمار.
وقد تكون " سعيداً " بمقاييس الأرض، فترى الثمرة وأنت حي في عمرك المحدود.
وقد تمضي قبل أن ترى الثمار..
ولكن أين تمضي؟ هل تمضي لأحد غير الله، إلى جوار غير جوار الله؟
فماذا إذن عليك حين تصل إلى هناك، أن تكون قد رأيت الثمرة هنا، أو تراها وأنت هناك؟ كلا! إنهما في النهاية سيان.
وإنما ترضى وأنت في جوار ربك أنك غرست الفسيلة في الأرض و لم تدعها من يدك يقتلها اليأس والإهمال.
* * *

ليست إذن دعوة في الخيال حين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم للناس: "إن كان في يد أحدكم فسيلة فليغرسها".
وإنما هي صميم دعوة الحق. الحق الواقع في الأرض، المشهود على مدار التاريخ.
والدعاة في كل الأرض أحوج الناس إليها حين تضيق بهم السبل ويصل إلى قلوبهم سم اليأس القتال.
وهم أولى الناس أن يتدبروا سيرة الرسول نفسه.
لقد كان يغرس الفسيلة وهو ما يدري ما يكون بعد لحظات!
قد تأتمر به قريش فتقتله.
قد يهلك جوعاً في الشعب هو ومن معه من المؤمنين.

قد يلحق به الكفار وهو في طريقه إلى الغار فلا يكون ثمة غد.. أو تكون القيامة بعد لحظة.. ومع ذلك يغرس الفسيلة، ويتعهدها بالرعاية حتى يؤذن الله بالثمار، وهو مطمئن دائماً إلى الله ما دام يؤدي الواجب المطلوب.

ذلك هو المثل الذي يحتاج الدعاة إلى أن يقتدوا به حين يدعون إلى الإصلاح.

من كان في يده فسيلة فليغرسها!

ولا يسأل نفسه: كيف تنمو وحولها الرياح والأعاصير والشر من كل جانب؟

لا يسأل نفسه، فليس ذلك شأنه..

فليدع ذلك لله

ولتطلب نفسه أنه أودعها مكانها الحق، وعهد بها إلى الحق الذي يرعاها ويرعاه.

---

[١] ذكره علي بن العزيز في المنتخب بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه. " عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، باب الحرث والزراعة ".

[٢] جاء في إحصاء طبي أن عشرة في المائة من الأمريكيين مصابون بالصداع الدائم كمرض، أي أنه ليس الصداع الطارئ الذي تشفيه المسكنات، وإنما هو صداع دائم لا يشفى! ثم قال التقرير إن هذه النسبة آخذة في الارتفاع.

[٣] سورة القصص [٧٧].

[٤] سورة الأعراف [٣٢].

=====================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٢ طلب العلم فريضة

" طلب العلم فريضة على كل مسلم " [٥].

العلم.. هذا النور الذي يهدي الله به في مسالك الأرض، وينير لهم السبيل: " إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة" [٦].

العلم.. تلك النافذة الضخمة المفتوحة على " المجهول " والشعاع النافذ إلى الظلمات.

العلم.. تلك الطاقة الهائلة التي يمد بها الإنسان حياته، ويوسع كيانه، فلا ينحصر في ذات نفسه، ولا ينحصر في واقعه الضيق القريب، ولا ينحصر في جيله الذي يعيش فيه. بل لا ينحصر في محيط الأرض. وإنما يشمل هذا كله ويزيد عليه، فينفذ إلى الماضي، ويحاول أن يفهم المستقبل على ضوء الحاضر، ويرقب الكون على اتساعه من خلال مناظيره ونظرياته.. وينطلق.. كما تنفلت " المادة " المحسوسة من نطاقها الضيق وتصبح شعاعاً يدور في الآفاق.. " الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء..

وبه يعرف الحلال من الحرام. وهو إمام العمل والعمل تابعه.. " [٧].
العلم.. تلك المنحة الربانية العجيبة التي منحها الله للإنسان، وكرّمه بها وفضّله. وهي إحدى معجزات الخلق. نمر بها غافلين لأننا تعودناها!
ولا نفتح أفواهنا من العجب، ولا تخفق قلوبنا من البهر إلا حين يقع العلم على سر هائل من أسرار الكون، أو يفتح باباً جديداً على المجهول.. مع أن المعجزة في الصغير والكبير سواء! كشأن " الحياة " تُعجز في الخلية المفردة كما تعجز في أعقاد الأحياء!
هذا العلم.. لقد كان الإسلام حرياً أن يحتفل به ويعظمه، وهو الذي يحتفل بطاقات الحياة كلها ويعظمها، وهو الذي يوجه القلوب لكل منحة منحها الله، وكل آية من آيات الله..
ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حرياً أن يحث على العلم ويرفع منزلته، وهو الذي نزل عليه الوحي فعلمه: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فذاق حلاوة العلم، وتفتحت له به الآفاق. ثم هو الذي يتلو من هذا الوحي:
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)! [٨].
ولكن التعبير الذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحث على العلم، يظل عجيباً مع هذا كله، وتظل له دلالاته الخاصة وإيحاءاته الخاصة، وتوجيهاته التي لا تصدر إلا عن رسول، وصول بالله، واصل إلى حماه!
طلب العلم " فريضة "!
هذه الكلمة المفردة تشع وحدها أمواجاً من النور، وتفتح وحدها آفاقاً من الحياة.
فريضة.. فلننظر ما تعني الفريضة في قلوب المؤمنين.
إنها أولاً: واجب مفروض على الإنسان أن يؤديه. لا يجوز أن تشغله عنه المشاغل. ولا أن تقعده العقبات.
وهي ثانياً: واجب يؤديه الإنسان إلى الله ويتعبد به إليه، ومن ثم فهو يؤديه بأمانة. ويؤديه بنظافة. ويؤديه بإخلاص.
وهي ثالثاً: عمل يقرب العبد إلى الرب، فكلما قام الإنسان بهذه الفريضة، أو بهذه العبادة، أحس أنه يقترب من الله. فيزداد به إيماناً وتعلقاً، ويزداد له خشية وحباً، ويزداد إحساساً بالرضا في رحابه، والشكر على عطاياه.
تلك بعض معاني " الفريضة " في القلب المؤمن. وتلك كانت معاني " العلم " في نفوس المسلمين!
* * *
لم يشعر المسلمون قط أن الدنيا تنفصل في إحساسهم عن الآخرة أو أن الدين ينفصل عن الحياة.
وبهذه الروح الشاملة الواصلة – التي وجههم لها الله ورباهم عليها رسوله – كانوا يأخذون شئون الحياة كلها، من عمل وعبادة، وأفكار ومشاعر، وشريعة ونظام..

وبهذه الروح الشاملة الواصلة ذاتها كانوا يأخذون العلم.. على أنه " فريضة " تصل الأرض بالسماء، وتصل العمل بالعقيدة، وتصل " المعرفة ".. بالله.

كان للعلم في " عقولهم " هذا المدلول الشامل.. فهو ليس علم الأرض وحدها. وليس علم السماء وحدها. وليس علم النظريات وحدها أو علم التطبيقات. ولكنه ذلك كله، مشمولاً بالعقيدة ومرتبطاً بالله.

ومن ثم امتدت " العلوم " في نظرهم حتى شملت المعرفة كلها. فمنها علوم الدين من فقه وشريعة وتوحيد وكلام. ومنها علوم اللغة. وعلوم الفلك والطبيعة والكيمياء والرياضيات.. إلى آخر ما كان معروفاً يومئذ من العلوم.

ولم يكن العرب – قبل الإسلام – أمة علم، ولم يكن تراثهم يحمل شيئاً ذا قيمة من المعرفة. إنما كان همهم الشعر والبراعة اللغوية.. ولكن الهزة الجبارة التي أحدثها الإسلام في نفوسهم، والطاقة العجيبة التي جمعها في كيانهم، وأطلقها – من بعد – في فجاج الأرض، قد حولتهم إلى قوة هائلة تضرب في كل ميدان. في ميدان العقيدة. وميدان الحرب. وميدان السياسة. وميدان المعرفة كذلك.

لقد أحسوا بالرغبة الشديدة في المعرفة تتأجج في كيانهم: المعرفة من كل لون. وفي كل ميدان. فشرقوا وغربوا يطلبون العلم، ويستحوذون على كل ما يجدون منه في الطريق. ويتفتحون لذلك كله، ويهضمونه ويمثلونه ويصبغونه بصبغتهم الإسلامية التي تربط الحياة كلها برباط العقيدة. ثم يضفون إليه جديداً قيماً يشهد لهم بالجد والعزيمة، كما يشهد بالبراعة والمقدرة، والقوة والنماء.

كانت المعرفة في وقتهم مزدهرة في اليونان من ناحية، وفي الهند وفارس من ناحية. كما كانت الصين كذلك زاخرة بالعلوم. وفي الحكمة القائلة: " أطلبوا العلم ولو في الصين " ما يشير إلى هذه الحقيقة، وكان توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يبذلوا أقصى الطاقة في سبيل العلم، فنشطوا في سبيل ذلك لا يبالون الصعاب.

وفي سرعة خاطفة ألم الإسلام بهذا كله، وتفقه المسلمون في معارف الأرض المعروفة في ذلك الحين، ثم أخذوا في البناء والإضافة، وظهر من بينهم حشد هائل من العباقرة في كل جانب. عبقريات في الفقه – والفقه يشمل الأسس النظرية للحياة كلها بما فيها من اقتصاد وسياسة وحرب وسلم وتنظيم اجتماعي – وعبقريات في العلوم النظرية وفي العلوم العملية: في الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والطب، يحفظ منهم التاريخ أسماء خالدة، دفعت بالمعرفة البشرية خطوات جبارة إلى الأمام. وظل بعضهم – كالحسن بن الهيثم – أستاذاً في مادته وكشوفه العلمية حتى القرن التاسع عشر، يتتلمذ عليه الأوربيون.

ولكن المهم في ذلك كله هو " الروح " التي شملت العلم في العالم الإسلامي.. روح " الفريضة ".

كانت التعاليم التي استقوها من الله والرسول هي التي تظلل حياتهم وتسيطر على مشاعرهم. وكانت المعرفة في وجدانهم فريضة يؤدونها، بدافع الفريضة وفي صورة الفريضة.

كان للعلم في نفوس الناس قداسة كقداسة العقيدة. قداسة تشمل المعلم كما تشمل الطلاب. كلاهما يحس بالرهبة، ويحس بالتقوى، ويحس بالنظافة، ويحس بالراحة والفرحة في رحاب الله.

إنه واجب مقدس، يؤدى " من الداخل ". يؤدى من الأعماق.

الأستاذ يحصّل العلم لأنه فريضة. ويؤديه إلى الناس لأن أداءه فريضة كذلك.

والطلاب يسعون إلى طلبه، كما يسعون إلى المسجد للصلاة.

كلاهما مخلص وكلاهما نظيف.

والمحصول العلمي الذي خلفه أولئك المسلمون – سواء أعجبنا اليوم ونحن ننظر إليه بعقلية المعارف الحديثة أم لم " نتفضل " عليه بالإعجاب – محصول يشهد بالجهد الصادق العنيف الذي بذل فيه..

لم يكن واحد يؤلف ليكسب! يكسب الشهرة أو يكسب النقود! وإنما يؤلف لأنه بحث وجد واستنبط، فوصل إلى " شيء " فأذاعه على الناس.

و " الانقطاع " للعلم كان وحده دليلاً على هذا الصدق الذي لا تفسده الأغراض.

و لم يكن الصدق والإخلاص هما السمة الوحيدة في " علم " المسلمين. فذلك لا يستنفد كل معاني " الفريضة "!

وإنما كانت هناك مزيتان أخريان، تركتا طابعاً أصيلاً في الحياة الإسلامية ما يقرب من ألف عام.

المزية الأولى أن العلم – وهو " فريضة " – كان يقرب القلوب إلى الله.. ولا يبعدها عن هداه.

نعم.. لم تحدث في الإسلام تلك الفرقة البغيضة بين العلم والدين!

وكيف تحدث والعلم فريضة يتقرب بها الإنسان إلى الله؟ كيف يتقرب إليه بالبعد عنه والنفور منه؟!

كلا! إن العلم نور الله. موهبته المعجزة التي وهبها للإنسان. وهي أولى بالشكر لا بالكفران!

وكذلك أحس المسلمون. أحسوا أن في رقابهم، ديناً لله يؤدونه. فهو قد وهب لهم " الحكمة " و " المعرفة ". وهب لهم العقل الذي يفكر ويكتشف ويستنبط. وهب لهم القدرة على الاستفادة من التجربة. وهب لهم ذلك الشعاع العلوي الذي لم يكن ليوجد لولا أن الله نفخ في الإنسان من روحه.. فعليهم لقاء ذلك دين. هو الشكر. الشكر لله المنعم الوهاب.

ومن ثم كان العلم يزيدهم إيماناً. ويزيدهم تعلقاً بالله:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [٩].

تلك روح المؤمن الذي " يتعلم ". الذي يتفكر في خلق السماوات والأرض. ويصل من تفكره ذلك إلى قوانين ونظريات وحقائق وتطبيقات، تزيد " معلوماته " وتفيده في تعميره الأرض وهو يمشي في مناكبها ويأكل من رزق الله [١٠] فيدعوه ذلك كله إلى معرفة الله. ومعرفة " القصد " في خلق السماوات والأرض. القصد " الحق ": (مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً) فيسبح الله. ويتقرب إليه. ويتوقى النار ويطلب تحقيق وعد الله بالنعيم: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ

لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [١١].

و لم يحدث في التاريخ الإسلامي أن عالماً يبحث في الطب أو يبحث في الفلك أو يبحث في الطبيعة أو يبحث في الكيمياء.. وجد نفسه معزولاً عن العقيدة، أو وجد أن العقيدة تعطله عن البحث العلمي الدقيق! و لم تقم الحرب والخصومة في قلب مسلم بين العلم والعقيدة أو بين العلم والدين. وإنما عاش العلم في ظلال العقيدة يتقدم وينشط، ويصل إلى كشوف علمية هائلة، أقر بها المتعنتون أنفسهم من علماء أوروبا، دون أن يفترق الطريق لحظة أو يحدث الشقاق.

ذلك أن العلم كان " فريضة " إلى الله، تؤدى كما تؤدى الصلاة والصيام والزكاة!

* * *

والمزية الثانية في علوم المسلمين – الناشئة كذلك من كون العلم فريضة – أنها لم تستخدم قط في الشر أو الإيذاء!

وكيف يستخدم العلم في الشر وهو فريضة وعبادة؟

" تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة " [١٢].

فأين ينبغ الشر في هذا الطريق الذي تحفه خشية الله، وعبادته، وتسبيحه، والتقرب إليه؟

ولقد يخطر على البال أن علوم المسلمين لم تستخدم في الشر لأنها كانت بدائية بسيطة لا تصلح للشر، إذا قيست بطاقة الذرة وعلوم " التدمير " في القرن العشرين!

والواقع ليس كذلك! فإن علوماً أدنى من علوم المسلمين وأبسط – في مصر الفرعونية وبابل – كانت تقدر على الشر وتستخدم فيه!

فقد استخدم الكهنة في مصر القديمة – وكانوا في الأغلب هم العلماء – استخدموا معارف الكيمياء والطب والنجوم في السحر، والاستحواذ على الأموال بالباطل، والتوصل إلى السلطان المطلق على القلوب والأرواح والأجسام والعقول، والتحكم في كل أمور الناس بالعبودية والإذلال.

وكانوا يستأثرون بهذا العلم لا يبيحونه للناس، إيثاراً لأنفسهم بالنفع، واستحواذاً على السلطان الكافر الذي يذلون به العبيد.. عبيد فرعون وعبيد الكهان، وهم " الشعب " كله بلا تفريق.

ولو أراد المسلمون أن يستخدموا العلم للشر فلم تكن لتمنعهم بساطة علومهم، ولا تعجزهم عن عمل السوء..

أقرب الشر أن يصرفوا به القلوب عن الله.

وأن يضحكوا به على السذج والجهلاء فينالوا المال المتدفق وينالوا السلطان.

وأن يحبسوه عن العامة..

وأن يتزلفوا به إلى الملوك والسلاطين..

وأن يلتووا به ليبرروا مظالم السلطان.

وهذا هو التاريخ.. صفحة رائقة مشرقة مضيئة.. تشهد أن العلم الإسلامي لم يسع للشر و لم يستخدم للشر. بل أراد دائماً وجه الله وتوجه إلى الخير. ووقف في مرات كثيرة أمام السلطان الجائر يطالبه بحق الله وحق الكادحين..

ذلك أنه كان فريضة إلى الله، يتقرب بها العلماء إلى حماه.

* * *

والآن نطوي تلك الصفحة المشرقة المضيئة لنطلع على صفحة أخرى.. صفحة الغرب.

أوربا هي وريثة الإمبراطورية الرومانية والثقافة الإغريقية. وما تزال حضارتها المادية وتياراتها الفكرية تستمد من هذين المنبعين، بشعور من الأوربيين أوبغير شعور.

وقد ورثت أوربا – فيما ورثته من تاريخها المبكر – طريقة إحساسها بالله واعتقادها في الدين.

وينبغي أن نعرف أن أوربا لم تكن نصرانية حقة في يوم من الأيام! على الرغم من انتشار المسيحية فيها، وتعصب الأوربيين لها في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش. وعلى الرغم مما لا يزال يرد على بعض الألسنة الغربية حين تتحدث عن " الحضارة المسيحية "!

كلا! لم تكن تطبق الدين الحق في يوم من الأيام. وإنما كان قصارى المسيحية عندهم أن تلين لها قلوبهم في المعبد، وتتأثر أرواحهم بأنغامها السجية وسبحاتها الروحية المرفرفة، ولكنها لا تحكم الحياة العامة، ولا تحكم في أمر هذه الأرض. فإذا خرج الناس من صلاتهم في المعبد ارتدت عنهم روح الدين، وعادوا إلى الوثنية الرومانية الإغريقية القديمة، يستمدون منها أفكارهم ومشاعرهم، وتشريعاتهم وتنظيماتهم وكل حضارتهم المادية العريقة..!

وأياً ما كان الأمر فقد ظلت في لا شعور الأوربيين – تحت القشرة المسيحية الرقيقة – تلك النظرة الإغريقية إلى الله، تؤثر في وجدانهم نحوه، وتطبع إحساسهم الديني في الأعماق.

فكيف كانت الأسطورة الإغريقية تصور الله.. أو الآلهة؟

لن نستعرض هنا الأساطير كلها، ولا الصورة الزرية التي كانت تعرض بها الآلهة، فتصورهم – على أحسن تقدير – بشراً فائقي القوة، ولكن نفوسهم مشحونة بالنزوات الطائشة والانحرافات النزقة التي يتورع عنها البشر العاديون.. وإنما نستعرض أسطورة واحدة ذات دلالة في موضوع " العلم " هي بروميثيوس سارق النار المقدسة!

هذه الأسطورة تصور العلاقة بين البشر والآلهة علاقة صراع دائم وضغينة وأحقاد. علاقة لا ترف فيها مشاعر الرحمة أو العطف أو المودة.. ولا يهدأ أوراها حتى يشتعل من جديد.

والمعركة قائمة على النار المقدسة: نار " المعرفة "! البشر يريدون أن يستولوا على هذه النار المقدسة، ليعرفوا أسرار الكون كلها، ويصبحوا آلهة! والآلهة تردهم عنها في وحشية وعنف، لتنفرد وحدها بالقوة، وتتفرد دونهم بالسلطان!

تلك إذن هي طبيعة العلاقة بين البشر والله! العلاقة التي اندست في أوهام الأوروبيين، وصارت تصرف أفكارهم ومشاعرهم بغير وعي. العجز وحده هو الذي يخضعهم لمشيئة الله! وهم غير راضين

عن هذا العجز ولا ساكتين عنه. فهم في محاولة دائمة يطلبون " القوة " ويطلبون " المعرفة ". يحاولون دائماً أن يقهروا هذا العجز. أو يقهروا – بلغتهم – قوة الطبيعة. أو – بلغتهم اللاشعورية أيضاً – " ينتزعون " الأسرار! ينتزعونها من الإله الوثني القديم الذي كانوا يحاولون أن ينتزعوا منه ناره المقدسة!

وبهذا الدافع الخفي المطبوع في أعماق النفس الغربية – في أعماق اللا شعور – يحس الغربيون أن كل خطوة يخطوها " العلم " ترفع الإنسان فوق نفسه درجة، وتنزل الإله من عليائه بنفس القدر!

وتظل " المعركة " هكذا دائرة: كل فتح جديد من فتوحات العلم يخفض الإله ويرفع الإنسان، حتى تأتي اللحظة المرقوبة التي يتحلب لها ريق الغرب ويتلهف إليها، اللحظة التي " يخلق " فيها الإنسان الحياة، ويصبح هو الله!

وليس هذا التعبير من عندنا نصور به أفكار القوم. فهو نص تعبيرهم، قاله جوليان هكسلي في كتابه " الإنسان في العالم الحديث ". كما قاله غيره من العلماء الأوروبيين وهم يندون بفكرة الله وفكرة الدين!

* * *

هذا الدافع الخفي المطبوع في أعماق النفس الغربية كان خانساً لا شك تحت القشرة المسيحية التي ظلت تطبع النفوس الأوربية بضعة قرون. وما كادت القشرة تتفتت بفعل الصراع العنيف الذي قام بين الكنيسة وداروين، أو بين الدين بمفهومه الرسمي وبين العلم، حتى برز على السطح ما كان متوارياً من قبل، وصار " العلماء " يجهرون بالعداوة السافرة، ويتعمدون البعد عن الدين والعقيدة، وينشرون هذه الآراء الكافرة التي تقول إن الإنسان هو الذي خلق الله، وليس الله هو الذي خلق الإنسان!!

ومن أجل هذه الروح الوثنية في حقيقتها – ولو تدينت في ظاهرها – من أجل هذه الروح النافرة من العقيدة، المستكبرة على العبادة، نجد هذه المفارقة العجيبة بين الحسن بن الهيثم في الإسلام وداروين في أوربا. فبينما الحسن بن الهيثم وهو يكتب في البصريات – في موضوع علمي بحت جاف لا ترفرف حوله نداوة المشاعر ولا أنوار العقيدة – يبدأ حديثه باسم الله، ويحمده ويطلب منه التوفيق، نجد داروين – وهو يكتب عن " الحياة " و " الأحياء " و " التطور "، عن موضوع يشهد بمعجزة الخلق ويكشف عن يد الخالق المبدعة في كل خطوة، ويستجيش الوجدان بالخشوع والعبادة – نجده ينفر من ذكر الله، ويروح يستتر في " الطبيعة " التي يقول عنها " إنها تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها! " سبحان الله! وما الله إذن إن كانت هذه هي الطبيعة؟ وكيف تقسو القلوب حتى تمنع نفسها منعاً من ذكر الله بصريح لفظه وصفته في هذا المقام؟! ولا يكتفي بذلك – وهو واضح الدلالة – فتعمى بصيرته عن القصد والتدبير في خلق الخالق المدبر، فيروح يصف إلهه الجديد الذي يسجد له – الطبيعة – بأنه يخبط خبط عشواء! لغير شيء سوى أنه – وهو البشر المحدود الطاقة الضئيل العلم – لم يستطع أن يدرك كل أسرار الحياة!

وما نريد أن نظلمهم.. أولئك العلماء!

فربما كانت ظروفهم المحلية في أوربا هي التي كفرهم من الدين! وربما كانت الوحشية البشعة التي كانت الكنيسة الأوربية تعامل بها العلماء من أمثال كوبرنيكوس وجاليليو، فتعذبهم وتحرقهم من أجل نظرياتهم العلمية التي تخالف المعلومات " المقدسة " التي تتشبث بها الكنيسة.. ربما كانت هذه الوحشية هي التي أوجدت الخصومة والبغضاء بين " العلماء " والدين!

ولكننا نتبع فقط حوادث التاريخ..

فمنذ حدثت هذه الفرقة العنيفة بين الدين والعلم في أوربا.. منذ سار كل منهما في طريق يخالف الآخر ويناصبه العداء.. شملت الغرب كله فلسفة مادية ملحدة كافرة، لا تؤمن بالله، ولا تحكّمه في أمر من أمور الحياة، وفي أمر العلم خاصة من بين كل أمور الحياة!

ومضت الموجة التي أطلقها دارون تأخذ آخر مداها.. فتجرف من طريق العلم كل التراث الإنساني الخالد من عقيدة وأخلاق وتقاليد..

وطلع إلى الوجود من بعد دارون فرويد وماركس يلوثان العقيدة ويصوران النفس الإنسانية صورة بشعة مليئة بالأقذار.. أقذار الجنس عند فرويد، وأحقاد الصراع الطبقي عند ماركس.

وطلع علماء كثيرون.. في الطبيعة والكيمياء والفلك والرياضة والطب.. يشتملون على عبقريات جبارة، ويفتحون آفاقاً جبارة في هذه العلوم.. ولكنهم – مع الأسف – يرفضون السير في طريق العقيدة ويتنكبون – عن عمد – هداية الله!

لقد وعت أوربا جانباً من الدرس، حين اختلطت بالمسلمين في الأندلس، ونقلت عنهم المعارف وطريقة الدراسة.

أخذت عنهم الجد والقصد والعزيمة.. والصبر والجلد والكفاح.

أخذت عنهم احترام العلم والتوفر على البحث والإخلاص في الدراسة.

ولكنها أبت أن تأخذ الله، وتأخذ العقيدة.

ولقد وقعت الشعلة المقدسة – شعلة المعرفة – من أيدي المسلمين حين شغلتهم الفتن واللذائذ عن المضي في الطريق.. فتلقفتها أوربا. وسارت بها قدماً.. خطوات جبارة في كل ميدان. حتى فجرت الذرة وأطلقت طاقتها في الفضاء..

ولكنها لم تكن تسير في طريق الله. لم تكن تأخذ العلم فريضة كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم. فريضة تؤدى إلى الله، ويتقرب بها الإنسان من حماه.

وإذا تخلى العلم عن الله فقد تلقفه الشيطان.. وسار به في طريق الشر، وأبعد في طريق الضلال.

أول الشر أن العلم – منحة الله إلى الإنسان – يصبح أداة الكفر، ويبعد الإنسان عن الله!

والعلم – النور الذي يهدي الإنسان إلى الحق – يصبح ذريعة الناس إلى الباطل، في كل منحى من مناحي الحياة! في البحوث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية والفكرية والروحية، وكل بحث من البحوث!

والعلم – الذي " يعرف به الحلال والحرام " – يصبح أداة الفسق والخروج على الأخلاق، بنظريات " علمية " تؤيد الفساد!

والعلم – طريق الإنسان إلى الخير البشري – يصبح أداة التحطيم لهذه البشرية، يهددها بالموت المرعب كأبشع ما شهده الإنسان.. وما تزال تجربته " الصغيرة " في هيروشيما ونجازاكي ماثلة في الأذهان!

ذلك لأنه لم يعد " فريضة ".. وإنما مطية من مطايا الشهوات!

* * *

والمسلمون اليوم في حاجة إلى حكمة رسولهم يتدبرونها، ويتشربونها إلى الأعماق.

في حاجة لأن يُرجعوا إلى العلم قداسته واحترامه. وقد صاروا يتلهون به في عبث فاضح لا يليق بالبشر العاديين فضلاً عن المسلمين.

إنهم يأخذونه في استخفاف العابث.. إن كانوا طلبة في المدارس والمعاهد، أو " أساتذة " يدرسون للطلاب! غايته الوظيفة أو الكسب أو الشهرة من أقرب طريق. ووسيلته الغش والخداع والتلفيق!

إنهم لا يعطونه من الجد والعناية والاحترام حتى ما تعطيه أوربا الكافرة ؛ وهم أولى من الأوربيين بالتقاليد العلمية العريقة التي سار عليها جدودهم حين كانوا يعيشون في ظل الإسلام، ويستمدون من روح الإسلام.

لذلك هم في حاجة لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، يردهم إلى احترام العلم وتقديره، ويعيدهم لروح الجد والإخلاص.

وهم في حاجة إليه كذلك ليعيدوا السلام للقلب البشري الممزق بين الدين والعلم، والدين والحياة، الغارق من جراء ذلك في تيار الشر والضلال، وهم – وحدهم، حين يؤمنون بالله ويؤمنون بأنفسهم – الذين يستطيعون عقد السلام في ذلك القلب، بعقيدتهم الفريدة التي توحد طريق الدين وطريق العلم.. بل توحد السماء والأرض، وتصل العمل بالعبادة والدنيا بالآخرة: وتصل المعرفة بطريق الله.

---

[٥] رواه ابن ماجه.

[٦] رواه أحمد عن أنس بن مالك.

[٧] من حديث رواه ابن عبد البر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

[٨] سورة فاطر [٢٨].

[٩] سورة آل عمران [١٩٠ – ١٩١].

[١٠] "... فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ " سورة الملك [١٥].

[١١] سورة آل عمران [١٩٣ – ١٩٤].

[١٢] رواه ابن عبد البر عن معاذ: الترغيب والترهيب ج ١ ص ٥٨ رقم ٨.

===============

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٣) قبل أن تدعوا فلا أجيب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء، فتوضأ وما كلم أحداً، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: " يا أيها الناس. إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم ". فما زاد عليهن حتى نزل. رواخ ابن ماجه وابن حبان في صحيحه [١٣].

* * *

يا الله! أو حقاً يدعو الناس فلا يستجيب الله لهم؟ الله الذي يقول: وسعت رحمتي كل شيء؟ الله الذي يقول: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)؟

هل يمكن أن يحدث ذلك؟

صدق الله. وصدق رسوله. وما يمكن أن يكون ذلك إلا حقاً!

وإنه لحق ترتجف له النفس فرقاً ويقشعر الوجدان رعباً.

وماذا يبقى للناس إذن؟ ماذا يبقى لهم إذا أوصدت من دونهم رحمة الله؟ ولمن يلجئون في هذا الكون العريض كله وقد أوصد الباب الأكبر الذي توصد بعده جميع الأبواب.. ويبقى الإنسان في العراء. العراء الكامل الذي لا يستره شيء، ولا يحميه شيء من لفحة الهاجرة وقسوة الزمهرير؟

ألا إنه الهول البشع الذي يتحامى الخيال ذاته أن يتخيله.. لأنه أفظع من أن يطيقه الخيال.

الخيط الذي يمسكه بالقدرة القاهرة القادرة قد انقطع.. فراح يهوي. يهوي إلى حيث لا يعلم أحد ولا يلاحقه خيال. يهوي في الظلمات. يتقلب على الدوام. يصطدم في كل شيء. يتحطم.. تتمزق أوصاله.. يتناثر في كل اتجاه.. وكل " جزء " من نفسه يذوق من الآلام ما لا يطيق: (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [١٤].

ذلك هو المخلوق البائس الذي يدعو الله فلا يجيبه، ويسأله فلا يعطيه، ويستنصره فلا ينصره.

فهل كتب الله ذلك الهول البشع على عباده – المسلمين – الذين يدعونه ويسألونه ويستنصرونه؟!

نعم.. حين يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولو بأضعف الإيمان.

* * *

لقد اقتضت إرادة الله أن يكون الإنسان خليفة في الأرض.

واقتضت إرادته كذلك أن يكون الإنسان – الذي يستمد قوته من الله – هو القوة الفعالة في هذا الوجود.

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) [١٥].

الإنسان هو الذي يعمل. والإنسان هو الذي ينتج. والإنسان هو الذي غير الواقع، والإنسان هو الذي ينشئ النظم ويقيم الأوضاع.

الإنسان هو القوة الإيجابية في الأرض، في ذات اللحظة التي يسلم كيانه كله لله. بل من هذا الإسلام الكامل لله، يستمد الإنسان طاقته الإيجابية كلها على الأرض! (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) [١٦].

لقد اختار الله أن يكون الإنسان هو أداته العاملة في الأرض. (سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) وعلى ذلك جرت سنته منذ خلق الأرض والإنسان.

والله سبحانه وتعالى ليس " مقيداً " بسنته على النحو الذي يتصوره العقل الغربي الجاحد الضيق المغلق البصيرة، وهو يتحدث عن " القوانين الطبيعية " وحتميتها التي لا يمكن أن تتغير.. ومن ثم ينكر المعجزات!

كلا! ليس الله مقيدا بسنته ولا محكوماً بها، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. والدليل أنه يصنع الخوارق والمعجزات حين يريد، وفق حكمته التي يعلمها وحده ولا يطلع عليها أحداً من خلقه.

ولكن مشيئته سبحانه هي التي اقتضت أن تسير الأمور على هذه السنة، حتى يعرف الناس النتائج حين يعرفون الأسباب، فيسيروا في الأرض على بصيرة، حتى وهم لا يعلمون الغيب المحجب عن الأبصار.

وكان ذلك رحمة بالناس وهدى لبصائرهم.

فعلى أساس هذه السنة الثابتة – التي شاءت إرادة الله الحرة القادرة أن تكون ثابتة – يستطيع الناس تفهم الكون من حولهم، والتعرف على أسراره، والتوفيق بين أنفسهم وبين الكون والحياة.

وكل " العلم " الذي علمه الناس منذ البدء حتى اليوم، وكل المخترعات التي اخترعوها، وكل الفوائد التي جنوها، والخدمات التي حصلوا عليها لم تكن لتوجد لولا ثبوت السنة واطرادها وعدم تخلفها.

وكذلك الحياة الإنسانية في محيطها الشامل.. فكل النظم القائمة على تجارب البشرية: النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.. لم تكن لتقوم لولا ثبوت هذه السنة واطرادها. فهذا وحده هو الذي يجعل للتجربة قيمة، ويجعلها مجالاً للفائدة ومحلاً للاعتبار.

وإلا فما قيمة التجارب – علمية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية – إذا كانت كل تجربة منقطعة عن غيرها، قائمة بذاتها، لا تتصل بشيء ولا تنتهي إلى شيء؟ وكيف يتعلم الناس أن هذا ضار وهذا نافع، فيعرضوا عن الأول ويقبلوا على الأخير؟

هي رحمة الله إذن بالناس أن يجعل لهم سنة ثابتة، ويجعلها واضحة، ويجعلها محلاً للعبرة، ويوجه إليها الضمائر، ويوقظ لها القلوب: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) [١٧].

* * *

وقد اقتضت هذه السنة – كما قلنا – أن يكون البشر هم أدوات العمل في الأرض وهم كذلك أدوات التغيير:

(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [١٨].

ولن يعجز الله سبحانه أن يغير ما بالقوم دون أن يغيروا ما بأنفسهم. فالسماوات والأرض ومن فيهن ملكه. وهو القاهر فوق عباده. وهو المتصرف وحده في الجميع بما يشاء وكيفما يشاء.

ولكنه هكذا شاء.. أن يكون الإنسان عنصراً إيجابياً في الحياة. وأن يكون التغيير – وهو إرادة الله – مرتبطاً بإرادة الإنسان، مقضياً عن طريقه، نافذاً من خلاله، ممتزجاً بكيانه كله من عمل وفكر وشعور.

والحمد لله من الإنسان أن جعل له كل هذه القيمة في الأرض.. وإلا فما هو في ذاته لولا هذا العطف الرباني عليه؟ لولا تلك النفخة الإلهية التي جعلت منه ما هو عليه. أليس هو من طين هذه الأرض، يستوي في ذلك مع الصرصار الحقير والوحش الكاسر والحيوان البهيم؟

ولكن لهذا التكريم تبعاته ومقتضياته..

تبعاته أن يكون الإنسان قوة إيجابية حقاً، وأن يعمل بمقتضى ذلك في واقع الحياة.

تبعاته أن يعمل، وأن يكافح، وأن يصارع، ولا يسلِّم، ولا ينخذل، ولا يستكين.

تبعاته أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [١٩].

تبعاته إذا رأى المنكر أن يغيره.. بيده، فإن لم يستطع فبلسانه.. فإن لم يستطع فبقلبه.. وهو أضعف الإيمان.

* * *

وليس المعروف أو المنكر شيئاً محدوداً في هذه الأرض، أو ميداناً دون ميدان.

كل شأن من شئون الناس، كبر أو صغر، يمكن أن يجري بالمعروف ويمكن أن يجري بالمنكر. وتبعات الإنسان تستلزم ملاحقته لهذه الشئون كلها، والرقابة عليها، والتأكد من جريها بالمعروف وبعدها عن المنكر! وإلا.. فالنتيجة هي الفساد!

تلك أيضاً هي سنة الله. فقد اقتضت سنته أن يراقب الناس شئون الأرض، ويدفع بعضهم بعضاً إلى الصلاح والرشد، وإلا فسدت الأرض: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [٢٠].

وإنها لتبعة ثقيلة تنوء بحملها الأكتاف.. ولكنها كذلك هي السبيل الأوحد لانتظام الأمور، فحين يؤدي كل إنسان واجبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – مع الإيمان بالله – لا يجرؤ الباطل أن يعيش، ولا يجرؤ المنكر أن يستأسد. ويظل الحق هو القوة الغالبة الفعالة التي تسيطر على الأمور.

أما حين ينام عن هذا الواجب المقدس فالشر يغري، والشر يهيج، والشر يسيطر على الحياة.

وقد جرت سنة الله بذلك في التاريخ..

أيما أمة حية متيقظة، ترقب شئونها بنفسها، وتحرص على أداء كل واجب، وتنفر من كل تقصير، فهي الأمة الناجحة، وهي التي تملك السلطان.

وأيما أمة تراخت وأهملت، وتركت الباطل يسيطر على شئون الناس فلم تنصره، فهي الأمة الفاشلة، وهي الأمة التي حل بها الدمار.

وقوة المجتمع وضعفه رهين بهذا وذاك.

فالمجتمع الذي يتناصح الناس فيه بالخير ويتناهون عن المنكر، هو المجتمع المترابط المتساند القوي، الذي يتقدم إلى الأمام حثيثاً، وينتقل من خير إلى خير، بحكم تضافر الطاقة وتوجهها إلى الإصلاح. والمجتمع الذي يأتي المنكر فيه كل إنسان على مزاجه، ويتركه الآخرون لما يفعل، هو المجتمع المفكك المنحل، الذي يمضي إلى الوراء حتماً، وينتقل من ضعف إلى ضعف، بحكم تبدد الطاقة وانصرافها إلى الشر.

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [٢١].

وكذلك لعن الغرب في التاريخ الحديث.

أما المسلمون الأوائل، الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس، والذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، فقد كانوا أمة قوية قاهرة غلابة. أمة متينة البناء وثيقة الأساس. أمة استطاعت أن تكافح كل قوى الشر وتعيش. تكافح الحكومات الظالمة من داخلها، والغزاة البرابرة من خارجها، من التتار مرة والصليبيين مرة.. وتصمد لهذا الشر كله وتتغلب عليه.

فلما كفوا.. لما تعبوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. لما عادوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.. جرت عليهم السنة الأبدية الخالدة التي بينها لهم الله وحذرهم منها.. فصاروا فتاتاً متهاوياً تلتقمه قوى الشر من الداخل والخارج على السواء.

ولقد يبدو لأول وهلة أن العالم الإسلامي قد ضعف وهان واستُعمر لأنه غرق في الجهالة والتأخر والانحطاط والجمود. ولأنه انقسم على بعضه فتنازعته الأحقاد. ولأن حكامه الطغاة كانوا مشغولين بلذائذهم عن أن يلتفتوا لإصلاح الشعب. ولأن المظالم الاجتماعية والاقتصادية قسمت الناس إلى طغمة ظالمة من الملاك تملك كل شيء، وعبيد من الشعب لا يملكون شيئاً غير الذل والفقر والهوان. ولأن القوة الحربية والإنتاجية للعالم الإسلامي تضاءلت وانحسرت بينما كانت أوربا تصعد في كل ميدان..

وإنه لكذلك حقاً وصدقاً.. ولكن ما ذاك؟ ما هو في حساب الحقائق إلا السكوت عن المنكر وعدم الأمر بالمعروف؟!

ألم يأمر الله بالعدل: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [٢٢].

وعدم السكوت للظلم: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً) [٢٣]، ولكنهم تركوا حكامهم يظلمونهم واستكانوا لهم فلم يغيروا عليهم؟

ألم يأمر الله بإعداد العدة واستحضار القوة: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [٢٤]، ولكنهم سكتوا عن الاستعداد وضعفوا واستكانوا، ولم يطالبوا بالجهاد في سبيل الله ولم يتجهوا إليه؟

ألم يكرم الله العلم: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [٢٥]، وحض عليه رسوله: " طلب العلم فريضة " [٢٦]، فلم يسعوا إلى العلم وغرقوا في الجهالة؟

ألم يأمر الله بألا يكون المال (دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) [٢٧]، فتركوه دولة بين الإقطاعيين و لم يثوروا عليهم إحقاقاً لكلمة الله في الأرض، وإحقاقاً للعدل الذي أمر به الله؟

ألم يأمر الله الرجال أن يعاشروا النساء بالمعروف (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [٢٨]، فعاشروهن بالظلم وأجحفوا بحقوقهن، وتركوهن طعمة للجهل وانزواء الشخصية وضآلة الكيان – وهن صانعات الطفولة – فخرجت من بين أيديهم أجيال من البشر هابطة الأنفس محدودة الآفاق ضئيلة الإنسانية؟

فأي معروف أمروا به وأي منكر نهوا عنه، وأي إيمان بالله؟

عندئذ جرت عليهم سنة الله.. وغضب عليهم الله.. فاستعبدوا وهم الأعلون لو كانوا مؤمنين: (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [٢٩].

* * *

تلك سنة الله.. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. أو يدعونه فلا يستجيب لهم، ويسألونه فلا يعطيهم، ويستنصرونه فلا ينصرهم..

لأنهم – شاءت حكمته ذلك – هم أدوات الله في الأرض. وعن طريقهم ينفذ الله أمره. كذلك اقتضت سنته: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) لا عجزاً من الله – سبحانه – عن التغيير بغير تلك الأدوات، أو بغير أدوات على الإطلاق، ولكن تكريماً لهذا الخليفة في الأرض، ومنحَه حرية التصرف وحرية السلوك.

وحين نفهم هذه السنة نفهم ذلك الحديث الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فإذا كانت الأدوات جاهزة للعمل، متوجهة إليه، متوفرة له.. فإن السنة تمضي، والعمل ينفذ، والإصلاح يتم.

وإذا كانت الأدوات معطلة أو فاسدة.. فإن السنة تمضي كذلك في طريقها. تمضي بالإبقاء على الفساد، والزيادة فيه، وعدم التغيير عليه، وعدم الإصلاح فيه.

وعندما يدعو الناس وهم قاعدون عن العمل، وحين يسألون وهم كسالى، وحين يستنصرون وهم لا يعدون عدة النصر.. فعند ذلك لا يستجيب الله لهم ولا يعطيهم ولا ينصرهم..

لأنهم لا يستحقون النصر..

وكيف يستحقون وهم قاعدون؟!

وكيف يثبتون عليه لو منحهم الله إياه؟!

هب أن الله غير سنته – سبحانه – فأنزل عليهم النصر وهم قاعدون. أَوَ يحفظونه؟ أيدوم لهم؟ وكيف يحفظونه وهم فاسدون مفسدون، متهالكون متهاوون، لا قدرة لهم ولا عزيمة ولا دراية بأمر من الأمور؟

من أجل ذلك لا ينصرهم. (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [٣٠].

إن طريق النصر والاستنصار واضحة. إن الله قد اختار أن يكون الإنسان هـــو أداتـــه المنفـــذة في الأرض، حين يستقيم إلى الله، ويهتدي إليه، ويعمل من أجله، ويحبه ويخشاه.

فمن أراد النصر، من أراد أن يدعو الله فيجيبه، ويسأله فيعطيه فليكن حيث يريده الله، وحيث يُنْـــزِل عليه نصره وعطاءه فينفع النصر، وينفع العطاء.

وطريق الله واضحة. والنصر والعطاء من هذا الطريق وحده. فمن أراد النصـــر فليســـر في الطريـــق وليمض قدماً. فإنه ملاق وعد الله الحق. ولا يخلف الله وعده. أما إن هجر الطريق الأوحـــد، وراح يتسكع في كل طريق غيره، فمن أين يصيبه النصر، وهو منصرف عنه ومولّيه الأدبار؟

* * *

ولقد وعت أوربا جانباً من سنة الله في الأرض – الجانب الذي نسيه المسلمون اليوم. ونسيت منـــها جانباً آخر – الجانب الذي وعاه المسلمون!

ولقد وعت أوربا أن الإنسان هو القوة الفعالة في الأرض. وأن الطاقة البشرية هي أداة الإصلاح. من أجل ذلك اتجهت همتهم لتجنيد هذه الطاقة، وتوجيهها إلى العمل المنتج في واقع الحياة.

ووصلوا في ذلك إلى درجة معجبة من النشاط والتنظيم والدأب المنتج العجيب.

ذلك ما نسيه المسلمون اليوم وهم يتواكلون ويتقاعسون، وينتظرون وهم قاعدون.

ولكن أوربا نسيت الله!

نسيت أن تعمل في سبيله، وتعيش في سبيله، وتنتج في سبيله.

ومضت بطاقتها الإنتاجية الضخمة في سبيل الشيطان.

ومن ثم قام هذا الصراع الرهيب الذي يوشك أن يدمر وجه الأرض.

والمسلمون يعرفون الله.

ولكنهم يعرفونه في ظاهر قلوبهم ولا يحفظونه: " احفظ الله يحفظك [٣١] ".

يعرفونه ولا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه ولا يعملون في سبيله، ويشركون به كثيراً مـــن قـــوى الأرض المادية أو البشرية سواء. (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وما عبدوه حق عبادته. ومن ثم فهـــم لا يسيرون بعد على الطريق.

وقد اقتضت سنة الله أن من يعمل ويجتهد يصل إلى شيء.. وإن كانت سنته قد اقتضت كذلك أنـــه يضيع هذا الشيء في النهاية ما لم يسر في الطريق الذي رسمه الله. وهو ما يوشك أن يحدث في الغرب اليوم.

ولكن من لا يعمل لا يجد على الإطلاق.. ولو كان – نظرياً – يعرف الله ويدعوه ويسأله العطاء!

والمسلمون هم المكلفون أن يهدوا البشرية الضالة إلى الطريق: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [٣٢]).

ولن يهدوا الناس حتى يهتدوا هم أولاً إلى الله ويسيروا على الطريق. والطريق معروف كما رسمه الله: " إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب..".

[١٣] الترغيب والترهيب. ج ٤ ص ١٢ رقم ٢٩.
[١٤] سورة الحج [٣١].
[١٥] سورة الجاثية [١٣].
[١٦] انظر " السلبية والإيجابية " في فصل " خطوات متقابلة في النفس البشرية " من كتاب " منهج التربية الإسلامية ".
[١٧] سورة آل عمران [١٣٧ - ١٣٨].
[١٨] سورة الرعد [١١].
[١٩] سورة آل عمران [١١٠].
[٢٠] سورة البقرة [٢٥١].
[٢١] سورة المائدة [٧٨ - ٧٩].
[٢٢] سورة النساء [٥٨].
[٢٣] سورة النساء [٩٧].
[٢٤] سورة الإنفال [٦٠].
[٢٥] سورة العلق [٣ - ٥].
[٢٦] انظر الفصل السابق بهذا العنوان.
[٢٧] سورة الحشر [٧].
[٢٨] سورة النساء [١٩].
[٢٩] سورة آل عمران [١٣٩].
[٣٠] سورة العنكبوت [٤٠].
[٣١] حديث رواه الترمذي.
[٣٢] سورة البقرة [١٤٣].

==========================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٤)   لا تفكروا في ذات الله

سبحانه، وهل يطيق بشر أن يفكر في ذاته؟

هل تطيق الذرة الهائمة التائهة الفانية المحدودة أن تحيط بحقيقة الأزل والأبد، التي لا آخر لها ولا حدود؟!

وإن اهتدت.. إن وصلت واتصلت بالله.. فما حاجتها إلى " التفكير " في ذات الله وهي واصلة إلى حماه؟!

وهل فرغ الإنسان من تدبر أسرار الكون، ليفكر في ذات الخالق سبحانه، ليس كمثله شيء؟

هل وصل في " علمه " إلى حقيقة جوهرية واحدة من حقائق الكون؟ أم إنه ما يزال في محيط " الظواهر " لا يجرؤ على الدخول في الأعماق؟

لقد دفعه الإقدام مرة فتقدم فحطم الذرة وكاد يصل إلى المجهول.. ولكنه فجأة تراجع.. من هول الانفجار!

لم يكن تفجر الذرة وانطلاق طاقتها الهائلة المروعة هو الذي أصابه بالذعر وأصابه بالذهول! وإنما كان " الكشف " الجديد الذي وصل إليه، فأعاده إلى حيث كان من أسرار الوجود.

لقد اكتشف أنه ليس ثمة " مادة "، وإنما هناك " طاقة "، وأن هذه الطاقة هي " المجهول " الذي بحث عنه ألوفاً من السنين أو ملايين، ثم عاد من حيث بدأ، لم يزد علماً إلا بظواهر الأشياء.

الأشياء الموجودة في الكون لا يعرف الإنسان " ذاتها ". لا يعرف جوهرها. وإنما يعرف من صفاتها ومظاهرها.

فأي قفزة في الفضاء مجنونة تلك التي تدفعه إلى أن يترك الأشياء المخلوقة المحدودة الصغيرة، التي يعجز عن معرفة ذاتها، فيحاول أن يحيط بالذات الإلهية، ويصل إلى " حقيقتها "؟!

خبل لايستقيم مع التفكير السليم.

فأبسط قواعد " المنطق " أنك إذا عجزت عن الصغير فأنت أعجز عن الكبير. وإذا عجزت عن أن تسير ميلاً فستهلكك مئات الأميال فضلاً عن الألوف والملايين.

والكون أمام الإنسان واسع هائل عريض..

فهل فرغ من أمره؟ هل وصل إلى آخر أبعاده؟ هل أحاط به علماً، بل تصوراً وخيالاً؟

فلنسمع هنا كلام العلم الرسمي فإنه وحده يبهر الخيال ويذهل الرءوس!

" إن أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس فوق الأربع من السنوات الضوئية. أي أن النور، وسرعته ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية، يقطع المسافة من الشمس إلى أقرب نجم في نحو أربع سنوات. إنه على مسافة تبلغ نحواً من ٠٠٠؟؟؟ ٠٠٠؟؟؟ ٠٠٠؟؟؟ ٠٠٠؟؟؟ ٢٦ ميل. إنك لو مثلت الشمس بنقطة أخرى تبعد عن النقطة الأولى بنحو ٤ أميال " [٣٤].

" المجرة قرص عظيم. وهي قرص مفرطح، كالرغيف... وقطر القرص نحو من ٠٠٠؟؟؟ ١٠٠ سنة ضوئية. والسنة الضوئية مسافة مقدارها ٦ مليون مليون ميل. فقطر هذا القرص نحو من ٦٠٠ ألف مليون مليون ميل. وارتفاعه نحو عشر ذلك " [٣٥].

وهناك مجرات أخرى كثيرة في الكون غير المجرة التي تتبعها مجموعتنا الشمسية.

" هذه الدنيبيات، التي تشبه مجرتنا.. كم عددها؟ مائة؟ ألف؟ ألفان؟ لا. إنها مائة مليون من المجرات. مائة مليون جزيرة في فضاء هذا الكون الواسع وقد تزيد "!! [٣٦].

هذا في " المحيط الخارجي " للكون. وهو مظهر واحد يعجز عن حمله الخيال وتعجز العقول.

فلننظر في الأرض وحدها. تلك الذرة الهائمة في الفضاء. هباءة منثورة في محيط الكون، لا تمسكها إلا القدرة القادرة الخالقة المبدعة.

كم جبلاً بها وكم نهراً وكم بحراً وكم بحيرة؟! كم كهفاً في جبالها وكم حفرة في أراضيها؟ كم نقطة من المطر تهبط إليها وكم ذرة من البخار تصعد منها آناء الليل وأطراف النهار؟

وكم بها من أنواح الحياة؟ الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية؟

كم ألفاً من صنوف النبات على وجه الأرض؟ وأي دقائق تفرق بين نبات ونبات مختلف ألوانه " يسقى من ماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل "؟

وكم ألفاً من صنوف الحيوان والطير والحشرات في السهول والفيافي والقفار والوديان والغابات؟

وكم مليونا من البشر من مختلف الألوان واللغات والعقائد والأفكار؟

بل النبات الواحد والحيوان الواحد والإنسان الواحد.. كم فيه من معجزات الخلق؟

الزهرة الواحدة البديعة التناسق المعجزة التلوين. هل يفرغ الإنسان من تأملها؟

إن أمهر المصورين وأقدر الرسامين ليعجز عن الإحاطة " بالفن " الذي تمثله زهرة واحدة من تلك الزهور.

فإن ما فيها من تعداد الألوان، وتدرجها، وتناسقها، وما فيها من جاذبية للعين والحس، زائداً كله عن عنصر الضرورة الذي يستلزم أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث ولا زيادة.. إن هذا كله لآية تبهر النفوس.

و " التخصص " الذي يميز عضواً من عضو في كيان النبات الجذر والساق والأوراق والزهور.. وكلها من حبة واحدة تبدو للعين شيئاً واحداً لا تخصص فيه ولا تمييز!

وعملية التمثيل الضوئي التي تحول " طاقة " الشمس إلى " مادة "!

وتوزع النبات على سطح الأرض بحسب توزيع الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة.. بل بحسب توزيع النور والظلام! فقد أثبت العلم أن " اختلاف الليل والنهار " بمعنى انتظام دورتهما التي يخلف فيها أحدهما الآخر، وبمعنى اختلاف طولهما كذلك.. هو الذي يوزع النبات على سطح الأرض! فلكل نبات زهرة. والزهرة تتكون في فترة الإظلام لا في فترة النهار! وكل زهرة تحتاج إلى فترة معينة من الظلام حتى تطلع! ومن ثم تتوزع أنواع النبات على أطوال الليل والنهار بحسب حاجة كل زهرة إلى الظلام! وإذا أخذت نباتاً يحتاج إلى ظلمة اثنتي عشرة ساعة لكي يزهر، وزرعته في مكان ليله لا يزيد عن عشر ساعات، فإنه قد ينبت، ولكنه لا يزهر، ومن ثم لا يصل إلى الإثمار!

والحيوان الواحد كم فيه من موافقات عجيبة ومعجزات؟!

الحواس وحدها معجزة. والجلد والشعر معجزة. والأنياب والأظافر معجزة. وجهاز الهضم والتنفس والإنسال كلها معجزات.

كل عضو مخصص لوظيفة. وهي كلها في الأصل بويضة واحدة أو حيوان منوي – في رأي العين – غير مميز الأجزاء.

والإنسان.. قمة الحياة على سطح الأرض وسيد المخلوقات فيها.. كم معجزة في خلقه؟

ودعك من خواصه " الحيوانية " كلها، وإن كان في كل منها ما يحير العقل ويذهل الفكر، من شدة الدقة وعجيب التناسق وعظمة القدرة التي تهيئ لكل خلق ما يصلح له وما يعينه على أداء وظيفته.

ودعك من أن هذه الخصائص التي يشترك فيها مع الحيوان قد ارتفعت في الإنسان وصارت أروع وأعجب وأدق وأكمل.

وانظر في خصائصه التي تفرد بها وتميز على كل الخلق. انظر إلى عقله وانظر إلى روحه. أي إعجاز. أي إعجاز!

ما العقل؟ كيف يفكر؟ كيف يصل إلى الحقائق؟ كيف يرتب بعضها على بعض ويستنبط بعضها من بعض؟

وما التفكير؟ كهرباء هو أم مادة؟ أم طاقة؟ وكيف تميزت عن الطاقات الأخرى كلها وتفردت عنها؟

وما الروح؟ ذلك المجهول؟

كيف يتسنى للإنسان الضعيف القوة، المحدود الطاقة، المحدود مدى الحواس، أن يتصل بالمجهول الأعظم ويقبس منه قبسات؟

كيف يحدث التليباثي (التخاطر من بعد) كما حدث لعمر بن الخطاب حين صاح يا سارية الجبل! وسمعه سارية على بعد ألوف الأميال؟

كيف يحدث الحلم التنبئي الذي يكشف جانباً من المجهول الذي لم يحدث بعد في محيط الحواس؟

بل كيف يحدث " المعلوم " من حب وكره، ونسيان وتذكر، وخصام وألفة، ونثر وشعر، وعمل وتفكير؟

* * *

بل نرجع إلى الوراء خطوة لنسأل:

ما تلك القوة العجيبة الكامنة في البذرة، فإذا هي تنمو، وإذا هي تخرج شطئاً ينفذ من باطن الأرض بقوة ليظهر على السطح، ثم يطول ويورق ويزهر ويثمر ثم يموت؟

وما تلك القوة العجيبة الكامنة في البويضة والحيوان المنوي، فإذا لقاؤهما المعجزة الكبرى التي تنشئ الحياة؟

بل ما تلك القوة الكامنة في الخلية الحية. الخلية المفردة الواحدة التي بدأت الحياة منها على سطح الأرض؟

بل ما تلك القوة العجيبة الكامنة في الخلية الجامدة أو التي تخال جامدة في " الذرة " المجسمة في المادة، أو المنطلقة في الإشعاع.

هل يعرف الإنسان ما تلك القوة أو يملك أن يصل إلى الأسرار؟

* * *

ذلك مبلغ الإنسان من " العلم " ومبلغه من " الحقيقة ".

ومع ذلك لا يعرف قدر نفسه، ويروح يشطح في الآفاق.

يريد أن يعرف " الحقيقة " الكبرى. يريد أن يحيط بذات الله. فهل يقدر؟
هب أن أحدا لم يمنعه و لم ينهه من التفكير.. فكيف يصل؟ بأية أداة وأية وسيلة؟
العقل؟
أو ليس العقل ذاته هو الذي قال للإنسان: إن المحدود لا يحيط بغير المحدود، والفاني لا يحيط بمكن لا يدركه الفناء.
فيم إذن تسخير العقل فيما يقول العقل ذاته إنه مستحيل؟
وهل وصل الناس إلى شيء حين سخروا عقولهم لذلك المبحث المستحيل؟
هل وصلت " الفلسفة " في جميع أطوارها وجميع محاولاتها إلى حقيقة واحدة مستقرة تكشف للناس عن المجهول؟ أم باءت كلها بالفشل الجازم والعجز المحتوم!
وهل هذه التخبطات التي كتبها الفلاسفة في شأن الله حقيقة بأن ينظر إليها عاقل ويوليها شيئاً من اهتمامه؟
وفيم هذا العناء كله؟! ما وراء النطح في الصخرة التي تحطم الرءوس؟!
أيريد أن " يصل " إلى الله؟ سبحان الله! فما له لا يصل عن الطريق المعبد المفتوح؟ ما له يلف ويدور، ويعود " كالمخووت " الذي ركبه الخبال!
يريد أن يصل إلى الله؟ أما يحس في أعماق نفسه السبيل؟ أما يترك العنان للفطرة وهي تصل به إلى هناك؟ أما يدع روحه تحلق وحدها، عارفة طريقها إلى النور الذي قبست منه وهي كائنة في علم الله منذ الآزال والآباد..؟
الطريق هو الإيمان!
والفطرة تعرف الطريق!
وما يحتاج الإنسان إلا إلى أن يدع فطرته على سجيتها. لا يكبلها بقيود مصطنعة من فلسفة منحرفة أو علم فطير. ولا يغشيها بركام الشهوات الغليظة والنزوات الهابطة التي تحجب شفافيتها وتمنع عنها النور.
وهي وحدها تهديه إلى الله.. لأن الله فطرها على الهدى إليه!
وإن أراد عوناً للفطرة وهي في الطريق إلى الله.. فليكن ذلك العون الأكبر هو تدبر آيات الخلق، والبحث عن آيات القدرة في صفحة الكون الحافلة بالمعجزات.
فذلك هو الذي يطيقه. وذلك هو الذي يعينه على السبيل.
(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [٣٧].
وآيات الله في الكون عميقة الغور جداً، وهي في الوقت ذاته معروضة في وضوح ويسر لكل عين متفتحة وكل قلب طليق.

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) [٣٨].

إن الكون كله آية الله. وفي كل شيء منه آية لمن أراد التذكر أو ألقى السمع وهو شهيد.

الليل والنهار. الشمس والقمر والأفلاك. السحاب والمطر. النبتة الحية الخارجة من الحبة الميتة (في ظاهر العين) والحطام الميت الذي ينتهي إليه النبات الحي. الأرض " الميتة " التي تخرج الحياة والحياة التي تفضي في الأحياء جميعاً إلى الموت. الإنسان الذي صوره الله فأحسن تصويره. الأرض التي بث فيها من كل دابة. التوافق بين الحياة والأحياء يبدو في الأشعة الكونية التي يرسلها الفضاء للأرض فلا تقوم بدونها الحياة، كما يبدو في النسب المضبوطة من البحر واليابس، والأكسجين والإيدروجين والنتروجين.. ومدى صلابة القشرة الأرضية، ومدى تأثر الأرض بالجاذبية، ومدى بعدها عن الشمس ومدى سرعتها أمامها.. إلى آخر هذه الموافقات.

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى تدبر آيات الله في الخلق. والقرآن الكريم يفصل هذه الآيات تفصيلاً، لا تكاد سورة واحدة تخلو من ذكر آية منها أو آيات..

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٣٩].

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [٤٠].

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [٤١].

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [٤٢].

(وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ) [٤٣].

وهكذا، وهكذا لا تخلو سورة من إشارة عابرة أو مفصلة لآيات القدرة القادرة المبدعة المعجزة المدبرة المريدة.

والله هو فاطر هذه النفس البشرية العالم بدروبها ومنسرباتها، وبما يصلحها وما يصلح لها. وقد اقتضت حكمته أن تكون الفطرة ذاتها مهتدية إلى الله، بالطريقة الخفية التي هدى بها كل شيء إليه: (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [٤٤] دونما كد ولا جهد ولا عناء في الاهتداء إليه، كما يسير الكهرب في الذرة في مساره المرسوم، وتسير الذرة في مادتها في مسارها المرسوم، وتسير الأرض والكواكب والأفلاك في مسارها المرسوم، لا تحمل عناء السير، ولا تشق نفسها في استكناهه، وإنما تسلم نفسها لله العزيز العليم..

كما اقتضت حكمته – وقد خلق للإنسان عقلاً ميزه به من سائر الخلق الذي نعرفه – أن يكون دور العقل الواعي في الاهتداء إلى الله مساندة الفطرة الخفية المسارب، و " توعية " مسارها (أي جعله واعياً واضحاً مفهوماً)؛ ورسم لذلك منهجاً واضحاً وطريقاً مستقيماً.. هو تدبر آيات الله في الكون. وحقاً إنه لكذلك.. فما يتدبر الإنسان هذه الآيات بوعي يقظ وقلب متفتح إلا هدته من فورها إلى الله، خالق الكون والحياة.

ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. إن الله لم يكلف الناس أن يبحثوا في ذاته سبحانه. لم يكلفهم الجهد الذي يعلم – سبحانه – أنهم لن يقدروا عليه قط، وأن قصارى ما يحدث لهم حين يحاولون أن تنفجر طاقتهم وتتبدد، كما تنفجر طاقة الذرة التي انحرفت عن مسارها، فتتحطم وتحطم ما تلقاه في الطريق! وحين نهى الرسول الكريم أتباعه عن أن يفكروا في ذات الله كيلا يهلكوا، لم يكن صلى الله عليه وسلم يحجر على تفكيرهم أو يضع عليهم القيود.

كلا! إنما كان يوفر جهدهم للنافع من الأعمال. كان يصون هذا الجهد أن يتبدد سدى، ويؤدي إلى الضلال. كان يريد للناس أن ينفقوا طاقتهم – بعد أن يقضوا حظهم من تدبر آيات الله في الكون والاهتداء إليه – في تعمير الأرض وزيادة " الإنتاج ". الإنتاج بمعناه الواسع الشامل العميق. الإنتاج الروحي والفكري والمادي. في ميدان العقيدة وميدان الجهاد وميدان العمل بمعناه الاصطلاحي المفهوم.

ولقد حدث ذلك بالفعل...

حين صان المسلمون طاقتهم أن تتبدد وتنفجر وتتناثر في أودية الضلال.. كان لهم إنتاج ضخم، هو أكبر إنتاج في التاريخ حين يقاس بمقياس الزمن ومقياس الرقعة ومقياس القيم ومقياس الحضارة المادية ومقياس العلم.. وكل مقياس يصلح للقياس.

ففي فترة قصيرة لا مثيل لها في التاريخ امتد العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط، وامتدت معه مبادئ الإسلام الشاملة للسماء والأرض و العمل والعبادة والدنيا والآخرة. وقامت " نظم " للحكم والسياسة والمال والاقتصاد غير مسبوقة من قبل، تحمل في أطوائها العدالة الاجتماعية، وتنشئ مجتمعاً مترابطاً متكافلاً متحاباً متواداً ظل ألف سنة على ترابطه وتكافله حتى بعد أن فسدت الحكومات وابتعدت عن روح الدين. وامتص الإسلام كل ما وجده نافعاً من الحضارات المادية السابقة له والمعاصرة له، ثم أعطاها الحياة.. فانطلقت تعمل في تعمير الأرض وقد اصطبغت بصبغة الإسلام وتشربت روحه، فصارت تعمل في الأرض وهي تتجه إلى السماء. وتبنى الإسلام كل ما وجده من العلم لدى الإغريق والهنود – من طب وفلك ورياضة وطبيعة وكيمياء.. إلخ، ثم أضاف إليه إضافات شتى بحيويته وقوته الدافقة الدافعة إلى الأمام..

و لم يكن " الفكر " الإسلامي عاطلاً ولا محجوراً عليه. وإنما كان – فيما عدا القلة الشاذة التي انحرفت بتأثير الفلسفة الإغريقية بعض الانحراف (لا كله) – يتجه إلى خير الناس في الأرض، ويسعى إلى سعادتهم بكل وسائل السعي. ويرى أنه حين يبحث في العلوم – البحتة أو التطبيقية – وحين يتعمق في الفقه الذي يشمل سياسة الحكم وسياسة الاقتصاد وموقف الفرد وموقف الدولة وموقف المجتمع وعلاقات بعضهم ببعض في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة اليومية والحياة العامة، كما يشمل العبادات بكل تفريعاتها، وحين يعمل في ميدان الجمال الفني في صوره التي كانت ميسرة لهم من رسم وزخرفة وعمارة وشعر ونثر.. إلخ يكون قد قام بواجبه الأمثل وحقق وجوده الكامل. وأنه ترجم التدبر في آيات الله إلى فكر نافع وعمل نافع وقيم حية متحركة في واقع الأرض، لا في الأبراج العاجية، ولا في عالم المثاليات.

وكان ناجحاً في رسالته التي استمدها من كتاب الله وسنة رسوله.

* * *

ولكننا نقلب صفحة أخرى لقوم لم ينتصحوا بنصيحة الله والرسول..

قوم في أوربا راحوا ينفقون طاقة علمائهم ومفكريهم في البحث في ذات الله وما أشبه ذلك من الأمور.

ونعرض لإنتاجهم الفكري في هذا الباب عرضاً " موضوعيًا " فنجد لا شيء!

ومن كان في شك من ذلك فليقرأ كل ما كتبته الفلسفة في هذا الموضوع، ثم ليسأل نفسه: هل زاد معرفة بالله عن هذا الطريق؟ هل " وضحت " له المعالم؟ هل " وصل " إلى شيء لم يكن يصل إليه وهو يتدبر آيات الله في الكون ويفتح بصيرته على القدرة المعجزة في كل اتجاه؟

أم العكس هو الصحيح؟ اختلطت في ذهنه الشيات والملامح، والتصورات والأفكار؟ وتاه في محيط من الجدل المتناقض الذي لا يركن إلى قرار؟!

صورة في ذهني تتمثل لعمل أولئك الفلاسفة! تلك مرآة لامعة يبصر فيها الإنسان وجهه بكل دقائقه، ولكن فيها قطعة " مغبشة " هنا أو قطعة مطموسة هناك، فيروح هذا " الفيلسوف " يحاول أن " يجلوها " فيمسح بأصابعه وجه المرآة، فإذا القذر من أصابعه قد غبش الصفحة كلها، وإذا الصورة التي كانت واضحة لم تعد تبين!

ودعك من القيمة الموضوعية لهذه الأفكار، وانظر كيف كانت النتيجة.. كيف كان عاقبة الذين أبوا أن ينتصحوا بأمر الله ويهتدوا بسنة رسوله.

لقد " حلق " المفكرون والفلاسفة في أبراجهم العاجية وتركوا الناس في الأرض.. تركوا الناس يأكلهم الظلم والإقطاع والجهل والجمود والتفكك. فهذه المظالم ترتكب كل يوم، والكادحون تُمتص دماؤهم وهم صاغرون مغلوبون على أمرهم.. بينما السادة المفكرون في جدل أخرق لا هو يهتدي إلى نتيجة، ولا هو يترل إلى الأرض ليرى آلام الناس ويحاول أن يبحث لهم عن علاج..

وكفر الناس.. وحق لهم أن يكفروا..

كفروا بالفلسفة " المثالية " التي تحلق في عالم الخيال وعالم المثل، وتترك واقع الأرض المنتن ينغل فيه الدود..

وقاموا يحطمون هذه " المثالية " المتعفنة التي لا قلب لها ولا ضمير.

ومع المثالية الخاوية حطموا – مع الأسف – فكرة الله والعقيدة.

حطموها، لأن هذه المثالية كانت تدور حول فكرة الله، وتزعم أنها تصل إلى " جوهر " العقيدة.

وعلى أنقاض فكرة الله والعقيدة، وأنقاض الفلسفة المثالية الخاوية قامت فلسفة مادية جاحدة لا تعرف الله ولا تؤمن بالعقيدة.

وتشعبت تلك الفلسفة حتى شملت كل جوانب الحياة..

دارون، وماركس، وفرويد، والتجريبيون والسلوكيون.. التفسير المادي والتفسير الاقتصادي للتاريخ.. والوجودية والانحلالية واللادينية واللا خلقية واللا.. إنسانية!

ومضت أوربا في طريقها المجنون الذي لا ينتج إلا الدماء في نهاية الطريق.

إن أوربا لم تتقدم في ميدان العلم والعمل إلى حين أخذت بشق من نصيحة الرسول الكريم، فانتبذت التفكير في ذات الله، ووجهت طاقتها لتعمير الأرض في واقع الحياة.. وخطت خطوات جبارة في هذا السبيل.

ولكنها – مع الأسف – لم تأخذ نصيحة الرسول كاملة، ولم تهتد بهديه السليم. لم تأخذ منها عبادة الله، والتوجه إلى الله.

ومن ثم انطلقت – بقوتها المادية الهائلة النامية المتزايدة – انطلقت تعبد الشيطان.

(وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ)!

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)!
وكانت النتيجة هي القوة المادية الهائلة التي تتمتع بها أوربا، والضلال المبين الذي تغرق فيه.
الرأسمالية هنا والشيوعية هناك..
كلاهما انحراف عن استقامة البشرية، وكلاهما قائم على أسس مادية خالصة لا تؤمن بالله الإيمان الحق. ولا تحكمه في أمر من أمور البشرية.
الحقيقة عندهم هي ما تستطيع الحواس أن تدركه. وكل ما لا تستطيع الحواس إدراكه فهو ساقط من الحساب.
وأمور العقيدة في عالم الغرب الرأسمالي أمور " تستعمل من الظاهر " وليس لها في واقع الحياة نصيب.
لا في التوزيع الاقتصادي العادل الذي يرضي الله ورسوله، والذي لا يكون فيه المال " دولة بين الأغنياء منكم " ولا في الأخلاق التي ترفع الإنسان عن مقاذر الشهوة وحيوانية الغريزة.
وأمور العقيدة في الشرق الشيوعي مصادرة بأمر الدولة، حتى يكون الولاء كله " للدولة ". وحين رفع الحظر هناك عن الدين والعقيدة – لأسباب سياسية، للدعاية في الشرق الإسلامي خاصة – فقد رفع بعد أن صار الإلحاد يدرس رسمياً في المدارس، وتدعو له الكتب والصحافة والسينما والإذاعة وكل وسائل الدعاية، وصار الشباب الذي تربى في ظل المذهب محصناً ضد " جرثومة " الدين!
والنتيجة الأخيرة هي هذا الصراع المدمر الرهيب بين الشرق والغرب، وبين كل قوى الأرض.
حربان في ربع قرن.. والثالثة على الأبواب!
ما أحوج الناس إلى حكمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.. (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ).

---

* عن ابن عباس رضي الله عنهما " تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله ".
[٣٤] عن كتاب " مع الله في السماء " تأليف الدكتور أحمد زكي.
[٣٥] عن كتاب " مع الله في السماء " تأليف الدكتور أحمد زكي.
[٣٦] المرجع السابق.
[٣٧] سورة آل عمران [١٩٠ – ١٩١].
[٣٨] سورة غافر [٨١].
[٣٩] سورة الأنعام [٩٥ – ٩٩].
[٤٠] سورة البقرة [١٦٤].
[٤١] سورة الأنعام [٥٩].
[٤٢] سورة الروم [٢٠ – ٢٧].
[٤٣] سورة يس [٣٣ – ٤٤].
[٤٤] سورة طه [٥٠].

==========================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٥) تعبد الله كأنك تراه

".. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [٤٥].

* * *

الإحسان.. أن تحسن الشيء فتجعله حسناً.

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه!

كان السؤال قبل ذلك عن الإسلام، ثم عن الإيمان. الإسلام درجة والإيمان بعد ذلك درجة، وهذه هي درجة الإحسان. لكي يكون إسلامك حسناً وإيمانك كذلك.

تعبد الله كأنك تراه..

تعبير عجيب يحمل في بساطته حقيقة هائلة.

وأروع ما يروعني – وقد يكون هذا تأثراً – أنه يفاجئك وأنت تقلب وجهك في الآفاق، باحثاً عن الإجابة، يفاجئك بالقبلة التي ينبغي أن تتجه إليها! فإذا أنت – على غير توقّع منك – ترى النور..

النور الذي يبهر العين والقلب ويبهر الروح.

ترى الله...

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

* * *

القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناءه كله: هي أن تعبد الله كأنك تراه.

يقيم عليها نظمه جميعاً، وتشريعاته وتوجيهاته جميعاً..

نظام السياسة. نظام الاقتصاد. نظام المجتمع. موقف الفرد من الدولة وموقف الدولة من الفرد. نظام الأسرة. معاملات الأفراد، معاملات الدول في السلم وفي الحرب.. كل شيء في هذه الحياة!

ولقد يخطر للإنسان – أول ما يخطر – أن هذه عبادة! أليست هي: أن " تعبد الله "؟!

بل قد يخطر للإنسان أنها العبادة القصوى، التي ينقطع فيها الإنسان عن كل شيء في الحياة، ليخلو إلى ربه، يخلو له بوجدانه وحسه وقلبه.. هنالك في عزلة عن الآخرين!

وإنها لعبادة حقاً، ما في ذلك شك، وإنها لأقصى العبادة كذلك.

ولكنها – وهي أقصى عبادة العبد للرب – لتعود من عزلتها وخلوتها، فتتسع وتتسع حتى تشمل كل محيط الإنسانية!

بل إنها – منذ لحظتها الأولى، وفي خلوتها – لهي النور الساطع الذي يضيء جنبات الحياة، في ذات اللحظة التي يضيء فيها جنبات النفوس.

حقيقة واحدة ظاهرة وباطنة، تشمل الفرد وحده وتشمله في محيط الجماعة، فإذا هي شعور وسلوك، وعبادة وعمل في آن!!

الإسلام كله هذه الحقيقة.

الإسلام – وحده – هو الذي يجعل العبادة عملاً والعمل عبادة، والذي يربط النفس والجسم، والسماء والأرض، والدنيا والآخرة كلها في نظام.

* * *

تعبد الله كأنك تراه..

إنه عالم واسع يفيض بالحب، ويفيض بالتقوى، ويفيض بالأمل، ويفيض بالرهبة، ويفيض بالنور.

الإنسان في مواجهة مولاه. في مواجهة الذات العظمى الخالقة القاهرة المستعلية المشرفة على جميع الكائنات. والنور – نور السماوات والأرض – يغمره من كل جانب، وينفذ إلى أعماقه، فيضيء ثنايا قلبه، ويستقر فيه.

الإنسان في مواجهة مولاه... بنفسه جميعاً. بكل جوارحها وكل خلجاتها. بظاهرها وباطنها، بدقائقها ولطائفها، بأسرارها وما هو أخفى من الأسرار..

وكلها مكشوفة لله.. " فإن لم تكن تراه فإنه يراك "!

يا الله! إنها الرهبة والقشعريرة تملأ النفوس.

عين الله البصيرة النافذة إلى كل شيء في هذا الوجود، إلى كل نأمة وكل خاطرة وكل فكرة وكل شعور.. إنها تراك وترقبك. سواء كنت متيقظاً لهذه المراقبة أم غافلاً عنها. وسواء أعددت نفسك لها أم كنت من المعرضين.

وإنه لخير لك أن ترى الله كما يراك.. خير لك أن تتوجه إلى حيث ترقبك العين البصيرة النافذة. فتأمن المفاجأة!

إنها الرهبة في الحالين.. الرهبة في حضرة المولى العزيز العليم القوي الجبار.. ولكنها الرهبة والأمل هنا، والرهبة والذعر هناك!

الرهبة والأمل وأنت متوجه إلى الله، مخلص له قلبك، عامل على رضاه..

والرهبة والذعر حين تتوجه بعيداً عنه وهو من ورائك محيط! فخير لك إذن أن تعبد الله كأنك تراه!

وحين تتوجه إليه بنفسك جميعاً، ظاهرها وباطنها، وسرها ونجواها.. وحين تتوجه إليه وفي نفسك شعور التقوى الخاشعة والرهبة العميقة.. فلا شك أنك ستنظف نفسك وتحرص على نظافتها.

إن الله لا تخفى عليه خافية. فكيف تستتر منه وأنت مقبل عليه؟ كيف يمكن أن تعمل عملاً واحداً لا يراه؟

(وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) [٤٦] (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [٤٧] (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [٤٨] (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) [٤٩].

يا الله! حتى خائنة الأعين! الخائنة التي يظن الإنسان أنه وحده الذي يحسها ويعرفها، وألا أحد في الوجود كله يراها أو يفهمها؟

حتى الوسوسة التي لا يطلع عليها أحد، وصاحبها نفسه قد ينساق معها دون أن يتيقظ لها؟

حتى السر. بل ما هو أخفى من السر. الخطرات التائهة في مسارب النفس، لا تصل إلى ظاهر الفكر، ولا يتحرك بها اللسان للتعبير!

يا الله! إنه لا ستر إذن ولا استخفاء.

كل نفسك مكشوفة وأنت مقبل عليه. أفلا تنظف نفسك إذن قبل الاتجاه. ألا تزكيها؟

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا).

فأما إن كنت معرضا عنه غير متوجه إليه. إن كنت لا تنظف له نفسك ولا تزكيها. فلن يغير ذلك شيئا من الأمر!

إنه يراك! يراك بكل ما تصنع بنفسك من " تدسية " ومن سوء. يراك بخبائثك وأوضارك. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يراك. فما الفائدة في التستر والاختفاء؟ بل ما الفائدة من الإعراض والانصراف؟ الملك غير ملك الله تذهب؟ و " بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "؟! " أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ". أم حسبوا أنهم معجزون في الأرض؟ أم حسبوا أن يفلتوا من العقاب؟

كلا! ما شيء من ذلك بمستطاع. فخير لك أن تراه وهو يراك!

وإنه لا يكلفك من أمرك رهقاً!

(هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [٥٠]. (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) [٥١]. (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ..) [٥٢].

إن رحمة الله واسعة. وإنه ليعلم ضعف الإنسان وما ركب في طبيعته من حب الشهوات: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ..) [٥٣]. ويعلم أن الجهد شاق والسفر طويل.

لذلك يقول: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ "..

ويقول: " ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ". ادعوني لكل شيء! وادعوني – فيما تدعونني إليه – لأعينكم على تنظيف أنفسكم من وعثاء الطريق!

هل جربت أن تستعينه في هذا الأمر؟

صدق الله وصدق وعده الحق.

ما يتوجه له إنسان يستعينه على نظافة النفس وطهارة القلب، إلا استجاب له وأعانه على ما يريد!

وما هو بسحر ساحر! ولكن هكذا يحدث حين يتجه القلب إلى الله ويخلص في دعواه. إنه يجد الأمر عليه هيناً، ويجد نفسه أكبر من المغريات وأقوى من المعوقات. ويحس – إحساساً ملموساً مجسماً – أن الله هو الذي يعينه وييسر له السبيل!

ومع ذلك كله فقد تضعف في الطريق وتخور قواك. فهل يلفظك من رحمته ويحل غضبه عليك؟
كلا! ما دمت لم تنكص على عقبيك و لم تتنكب الطريق.
إنه يغفر. يغفر الذنوب جميعا، وسعت رحمته كل شيء.
(وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [٥٤]
(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) [٥٥].
(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) [٥٦]
كلا! لن يلفظك من رحمته ما دمت باقياً على الطريق. وما عليك إلا أن تقوم من عثرتك وتنفض ثوبك وتتجه إليه من جديد...
* * *

وحين تتوجه إليه. حين ترقبه كأنك تراه. حين تنظف نفسك وتحرص على ألا تتلوث في الطريق. حين تحاسب نفسك على كل صغيرة وكبيرة خشية أن تكون قد حدت. حين تراجع كل عمل عملته وكل كلمة قلتها وكل خاطرة وسوست بها نفسك وكل حركة تحركتها جارحة من جوارحك..
حينئذ يستقيم الأمر كله في هذه الحياة.
أمر الحاكم والمحكوم. والفرد والمجتمع. والمرأة والرجل. والوالد والولد. والأمة والأمم على أوسع نطاق.
كيف يظلم الحاكم حين يرقب الله كأنه يراه؟ كيف تتجه نفسه إلى الشر والبطش والله يقول: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [٥٧] (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [٥٨] وكيف يضع في مكان العدل الذي يطلبه الله نزواته هو وهواه؟
والعدل بالنسبة للحاكم ميدان واسع فسيح، يشمل كل سياسة الحكم، وسياسة المال، وكل معاملاته " الرسمية " ومعاملاته " الشخصية ". وهو مأمور في كل منها أن يرقب الله، ويعبده كأنه يراه.
لا يمكن حينئذ أن يتعدى حدود الله أو يعتدي على حرمات الله.
فلا يمكن مثلاً أن يعلن الحرب أو يبرم السلم إلا في سبيل الله و في حدود ما بيَّن الله. والله يقول: (وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ). ويقول: (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). ويقول: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).
ولا يركن إلى أعداء الله ولا يتخذ بطانة منهم فالله يقول: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً). ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لا تَتَّخِذُوا بطَانَةً مِنْ دُونكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ).

وهكذا وهكذا حتى يشمل ذلك سلوكه كله، وتصرفاته كلها، منذ يتسلم الأمانة حتى يسلمها إلى الله أو إلى الناس. لا يفلت عمل واحد ولا فكرة ولا رغبة من رقابة الله ورقابة الضمير.

* * *

والمعبود كذلك حين يعبد الله كأنه يراه.

فعليه عمله يؤديه بالأمانة اللازمة والاجتهاد الواجب. لا يخدع ولا يغش ولا يتكاسل ولا يتشاغل.

ولا " يسدد الخانات " دون إنتاج حقيقي. ولا يعمل على الضرر وهو عالم به. ولا يبغي الفتنة ولا الفساد في الأرض. ولا يستغل مال الدولة. ولا يطمع فيما ليس له.

ولا يقبل الظلم كذلك! فهو مكلف أن يذود الظلم عن نفسه وعن غيره، وإلا فما هو بمؤمن بالله، ولا هو يعبده كأنه يراه! (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً).

والزوج الذي يرعى الله في زوجته. والزوجة التي ترعى الله في زوجها. والوالد والولد. والجار والصديق. والجندي والقائد. والصغير والكبير...

إن المجتمع كله كله... لا شيء فيه البتة يخرج من هذه الكلمة الصغيرة التي تشمل كل شيء: تعبد الله كأنك تراه!

* * *

وحين كان المسلمون الأوائل يعبدون الله كأنهم يرونه كانت تلك الأمة العجيبة الفريدة في التاريخ! (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ).

كان الحاكم يقول: " اسمعوا وأطيعوا ما أطعت الله فيكم. فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ".

وكان يقول: " إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني "

وكان وهو يحارب كسرى وقيصر، ويواجه أكبر إمبراطوريتين في التاريخ، لا يضيق بالتقويم الذي طلبه من الناس بنفسه. فيقبل من رجل من المسلمين أن يقول له: لا سمع لك علينا اليوم ولا طاعة حتى تبين لنا كذا وكذا. فلا يغضب، بل يجيبه في الحال إلى طلبه ويبين له.

وكان يقول: لو أن بغلة بصنعاء عثرت لرأيتني مسئولاً عنها!

وكان يعمل على توطيد العدالة الاجتماعية في المجتمع حتى أمكنه – لأول مرة في التاريخ – أن يلغي الفقر من المجتمع، كما حدث أيام عمر بن عبد العزيز! وكان الجندي يقول: أليس بيني وبين الجنة إلا أن أقتل هذا الرجل أو يقتلني؟ ثم يقتحم المعركة ليصيب إحدى الحسنيين!

وكان القائد يُعزل في زهوة النصر فلا يضطغن ولا يتمرد ولا يترك ميدان القتال. وإنما يستمر يجاهد في سبيل الله جندياً لا إمارة له ولا سلطان.

وكان البائع يستحي من الله أن يكسب ما ليس له بحق، فيرد نقوداً أخذها صبيه دون علم منه من أحد المشترين. ويصر على ردها إليه حتى والمشتري يحلف بالله أنه دفعها راضياً وأن البضاعة في نظره تستحق. وكان الزوج يعاشر زوجته بالمعروف، والزوجة تصون عرض زوجها في غيبته. فيذهب إلى ميدان القتال ويغيب بالشهور وهو مطمئن إلى بيته وعرضه وماله. لا يقربها السوء!

وكان المجتمع نظيفاً...

لا تقوم علاقات الناس على الغش في البيع والشراء. لا يعهد الإنسان إلى العامل أو الصانع بالعمل وهو متوجس منه خيفة أن يغشه أو يدلس عليه أو يسرق الأمانة ويذهب إلى غير رجوع!

لا يتحدث الرجل إلى الرجل وهو يعلم أنه يكذب عليه ويخدعه. ويبادله في الوقت ذاته الكذب والخداع!

لا يكذب الوالد على أبنائه فيعلمهم الكذب بالقدوة السيئة. ولا يكذب الابن على الوالد، لأنه لا يتعامل معه، وإنما يتعامل مع الله!

ولا يسرق الشاب عرض امرأة متزوجة أو فتاة غريرة. ولا تخرج الفتاة متبرجة في سوق الفتنة تحاول أن توقع الشباب!

لم يكن الناس ملائكة! كانوا بشراً ما يزالون! ولكنهم بشر مستقيمو الفطرة لا عِوَج في نفوسهم ولا التواء. متحابون إلى الله. متعاونون على البر والتقوى لا متعاونون على الإثم والعدوان.

وكانت هناك جريمة.. فإن وجه الأرض لم يخل من الجريمة في وقت من الأوقات. ولكنها كانت الشذوذ الذي يثبت القاعدة. ولم تكن القاعدة هي الشذوذ!!

* * *

ومن ثم انطلقت هذه الأمة تنشئ تاريخاً لم يسبق في التاريخ!

ليس الفتح وحده هو الذي يلفت النظر، وإن كان حقيقاً بالتسجيل في سرعته الخاطفة التي لا مثيل لها من قبل ولا من بعد في التاريخ. ففي خمسين عاماً كان العالم الإسلامي الذي بدأ من لا شيء قد امتد من المحيط للمحيط. وكان كله – أو معظمه – قد اعتنق العقيدة الجديدة، وانقلب محارباً في سبيلها لا يهدأ حتى يراها قد بلغت إلى أفق جديد!

وإنما الذي يلفت النظر هو تلك القمم العالية التي بلغها في كل اتجاه. قمم العدالة الشامخة والعظمات النفسية والروحية التي تتكاثر وتتواكب في هذه الحقبة الصغيرة من التاريخ.

واتساع الجوانب وتعدد الآفاق. في الحرب والسلم. في السياسة والاجتماع. في الحضارات المختلفة التي استوعبها الإسلام، ومثلها تمثيلاً رائعاً فامتص ما فيها من خير، وألقى بالزبد إلى الفناء.

في الروابط القوية المتينة التي شملت العالم الإسلامي كله، وفاضت منه إلى غير المسلمين حتى وهم يكيدون للدين. وحتى وهم يحاربونه أبشع حرب وأدنسها في أيام الصليبيين.

هذه الروابط المتينة التي صنعت معجزة لم تتكرر في غير الإسلام. إذ فسدت الحكومة – مبكراً، على أيدي الأمويين والعباسيين – ولكن المجتمع ظل إسلامياً، متماسكاً، متكافلاً، تربطه روح الأخوة والمودة ما يقرب من ألف من السنين!!

* * *

ذلك كله كان أثر العبادة الحقة، التي تعبد الله كأنها تراه!

ولقد كان القدوة الكبرى في ذلك دون شك هو الرسول الأعظم، منشئ هذه الأمة ومربي قادتها وجنودها على هدي الله وهدي الإسلام.

كان صلى الله عليه وسلم يرى الله كل لحظة من لحظات حياته الطويلة العريضة الشاملة الفسيحة.

كان يراه وهو يتلقى الوحي عنه – سبحانه – فتطيقه نفسه وتستوعبه إلى الأعماق.

وكان يراه وهو ينطلق في مناكب الأرض يدعو الناس إلى هذا الوحي لكي يهتدوا به إلى الله.

وكان يراه وهو في بيته زوجاً وأبًا ورب أسرة.

ويراه وهو مع الناس وقريباً ومعلماً وهادياً إلى سواء السبيل.

ويراه وهو يقاتل في سبيل الله، وهو يعقد السلم ويرجع من جهاد إلى جهاد.

ولا نتحدث عن العبادة في الخلوة فهي في غير حاجة إلى حديث.

يراه. ويعيش معه كل لحظات حياته، وكل مشاعر نفسه، وكل خلجاتها وكل سرها ونجواها.

ولا تضعف نفسه عن التلقي، ولا يضعف قلبه عن استيعاب النور الذي يغمره كلما رآه.

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين وسيد المرسلين

* * *

ثم كان أصحابه الذين صنعهم على عينيه، ورباهم تربية خبير عليم.

كانوا يرون الله بقدر ما تطيق نفوسهم وبقدر ما تصطبر على الأفق الأعلى المشرق المضيء الذي لا تحتمله النفوس، إلا أن تقبس قبسات من فيض الله الغامر، وقبسات من الرسول.

ثم كانت نفوس على مدار الزمن تتفرق أحياناً، وتجتمع أحياناً، تعيش على حب الله والعمل في سبيله، وعبادته كأنها تراه.

وما تزال هذه النفوس حيثما لقيها الإنسان، يحس في الحال بالفارق الحاسم بينها وبين الذين لا يعبدون الله، أو الذين يعبدونه على حرف فإن أصابهم خير اطمأنوا به وإن أصابهم شر انقلبوا على أعقابهم.. خسروا الدنيا والآخرة.

تحس على الفور حين تلقى أحداً منهم أنك أمام " إنسان ". إنسان بهذا المعنى الذي كرمه خالقه وفضله على كثير ممن خلق. إنسان تأنس إليه وتستريح عنده، تستريح في تعاملك معه وفي علاقاتك. تستريح إلى الاستقامة النظيفة التي لا عوج فيها ولا التواء.

وتحبه..

لا تملك إلا أن تحبه ولو خالفك في أفكارك وأعمالك ومشاعرك واتجاهاتك.

تحبه لأن فيه قبسة من نور الله... وتحاول – إن استطعت – أن تقفو خطاه..

ومن ثم كان حرص الإسلام ونبي الإسلام، وهو يعلِّم الناس دينهم. أن يبين لهم الإحسان. ويصفه لهم في أخصر لفظ وأجمله. " تعبد الله كأنك تراه ". ويوقظ قلوبهم بوجدان التقوى وخشية الله: " فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".

ومن ثم كذلك كان حرص الإسلام ونبي الإسلام، على ألا يقف الناس عند أول مراتب الإسلام ولا أول مراتب الإيمان. إنما يحاولون بلوغ الإحسان، ويحاولون على الدوام!

---

[٤٥] رواه مسلم. من حديث طويل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخديه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. ".

[٤٦] سورة ق [١٦].

[٤٧] سورة غافر [١٩].

[٤٨] سورة طه [٧].

[٤٩] سورة الحاقة [١٨].

[٥٠] سورة الحج [٧٨].

[٥١] سورة البقرة [٢٨٦].

[٥٢] سورة التغابن [١٦].

[٥٣] سورة آل عمران [١٤].

[٥٤] سورة آل عمران [١٣٤ – ١٣٦].

[٥٥] سورة الفرقان [٧٠].

[٥٦] سورة الزمر [٥٣].

[٥٧] سورة المائدة [٨].

[٥٨] سورة النساء [٥٨].

[٥٩] رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

==============================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٦) وليرح ذبيحته

" إن الله كتب الإحسان على كل شيء ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته " [٥٩].

* * *

يا الله! يا رحمة نبيه..!

" وليرح ذبيحته ".. ومتى؟ وهو مقدم على ذبحها!!

ألا إنها رحمة أنبياء. ألا إنها روح الله.

إنه مرتقى للمشاعر البشرية يبلغ القمة التي ليس وراءها شيء. إلا ذلك النور الأعظم الذي ينير الكون كله وينفذ إلى قلوب الكائنات.

إنها الرحمة التي لا تقف عند الأناسى من الخلق، ولا يحكمها انحياز الإنسان لنفسه واعتداده بجنسه. وإنما تتعداها إلى المجال الواسع الفسيح الذي يشمل كل الأحياء في الكون.

ثم لا تقف عند هذا المدى – وهو في ذاته قمة عالية – وإنما ترتقي درجة أخرى!

فالرحمة بالأحياء درجة " مفهومة " على أي حال، سواء وفق إليها القلب البشري أم انحرف عنها وشذ.

مفهوم أن تقول لي: لا تقتل هذا العصفور. فإنه ضعيف مسكين. وهو جميل لطيف لا يستحق القتل.

ومفهوم أن تقول لي: لا تقتل هذه الفراشة الطائرة القافزة الرشيقة، فإنك لن تستفيد شيئاً من قتلها، وهي في رشاقتها اللطيفة جمال يحسن أن تمتع به حسك وروحك.

بل مفهوم أن تقول لي: لا تقتل هذه الزهرة الجميلة – حتى إن كانت لا تتألم للقتل – فهي على غصنها هكذا جميلة.. أجمل منها في يدك أو في عروة ثيابك.

كل ذلك مفهوم. والقلب البشري الطيب يمكن أن يوجه إليه في يسر، فيعتاده فيصبح من طباعه.

ولكنها درجة – وراء هذا المفهوم – أعلى وأشف – أن أقول لك: هذه الذبيحة التي ستذبحها، والتي لن تكون حية بعد لحظات.. أحْسِنْ ذبحتها ولا تطل آلامها ولا " تمتها موتات " كما ذكر البخاري في حديث قريب من هذا الحديث [٦٠].

وليرح ذبيحته!

إنها كلمة تهز الوجدان هزاً وهي تذبح. وهي تساق إلى العدم. إلى الفناء. إلى حيث لا توجد ولا تشعر.

ما القيمة " العملية " لإراحة الذبيحة هذه الثواني المعدودة التي تنتقل فيها من عالم الوجود إلى عالم الفناء؟ بل ما قيمة إراحتها وأنت مقبل على إيلامها أشد ألم يمكن أن تتعرض له وهو الذبح؟

في الظاهر.. لا شيء!

وفي الباطن.. كل شيء!

إن الذبيحة ميتة ميتة. أرحتها أم لم ترحها. وهي متألمة متألمة، سواء قطر قلبك رحمة بها أم كنت تذبحها مجرد القلب من المشاعر متلبد الوجدان. وهي لن تلقاك بعد اليوم فتشكو إليك عنفك معها،

إن كنت ممن يفهمون عن هذه الخلائق، ويجاوبون ما يصدر عنها من الأحاسيس. ولن يضيرها كثيراً – وهي مسوقة إلى الفناء الكامل الوشيك – إنها ذاقت – قبل ذلك بلحظة – شيئا من الغلظة أو شيئاً من الجفاء!

إذن فما القيمة العملية بالنسبة للذبيحة.. لا شيء!

ولكن القيمة " العملية " لك أنت.. كل شيء!

وهل ثمة شيء أكبر من أن يكون لك قلب إنسان؟!

* * *

وكذلك الشأن في أمر القتل..

" فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ".

والمسلم – المخاطب بهذا القول من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقتل إلا بالحق: (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [٦١] (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً.. وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [٦٢] (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) [٦٣] " كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله " [٦٤].

لا شبهة إذن في أن الشخص الذي يقتله المسلم مستحق للقتل. مستحق لأنه كافر، أو مرتد، أو قاتل، أو زان محصن، أو مفسد في الأرض، مثير للفتنة، خارج على السلطان القائم على شريعة الله.

ولا شبهة في أن هذا القتل يتم بإذن من الله. بل بأمر منه وتحريض: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) [٦٥]

ومع ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بإحسان القتل!

ونعود إلى قصة الذبيحة فنراها تنطبق مرة أخرى على القتيل.

إن القتيل لن يستفيد شيئاً من أن تحسن قتلته. فهو مفارق الدنيا. والألم واقع به ما له عنه من محيص. فيستوي أن تحسن أو لا تحسن أو أن الفارق في الحقيقة ضئيل.

فما القيمة العملية من إحسان القتل بالنسبة للقتيل؟ لا شيء بطبيعة الحال!

ولكن القيمة الكبرى – مرة أخرى – هي لك أنت. هي أن يكون لك قلب إنسان!

* * *

ولكن حديث الرسول الكريم لا يقف عند هذين الأمرين: الذبحة والقتلة، وإنما يسوقهما فقط على سبيل المثال.

وبسبب هذين المثالين قد يغلب على الظن أن الرحمة وحدها هي المقصود من الحديث.

ولكن الأمر ليس كذلك. فالمقصود هو " الإحسان ". والرحمة صورة من صور الإحسان.

" إن الله كتب الإحسان على كل شيء " والإحسان – هنا، كما في الحديث السابق – هو الأداء الحسن. الأداء الكامل. الأداء المتقن. الأداء الجميل.

والمثالان المذكوران هما المشير الذي يبين الاتجاه. الاتجاه إلى " الإنسانية ".

إن الخلاصة المستفادة من المثالين: أن الإنسان لا ينبغي أن يندفع مع دوافعه الطبيعية ويترك لها العنان. إنما ينبغي وهو يأخذ في التنفيذ أن يهذب الوسائل وينظف الأداء، ليكون جديراً بتكريم الله له والخلافة في هذه الأرض.

ومن ثم فالحديث واسع شامل يشمل كل عمل وكل فكرة وكل شعور.

إنه بنص اللفظ يشمل " كل شيء ". هكذا على الاتساع. وهو يعبر عن فكرة إسلامية أصيلة، أو فكرتين تلتقيان عند هدف واحد.

أن الإسلام لا يكتفي بأداء الأعمال - كل الأعمال - على أية صورة، وإنما يتطلب " الإحسان " في الأداء.

وإنه لا يقنع من الناس أن يؤدوا ضروراتهم بلا زيادة، بحجة أنها ضرورة، وإنما يتطلب الإحسان في التنفيذ.

المعنى الأول واضح في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " [٦٦] وواضح كذلك في أمر الذبحة والقتلة.

فالمطلوب هو الإتقان الذي تصحبه مشاعر الإنسانية. ويصحبه الإحساس بالله في قرارة الضمير، والعمل من أجل خشيته ومن أجل مثوبته ورضاه. " تعبد الله كأنك تراه ".

والمعنى الثاني واضح في سيرة الرسول وأحاديثه الكثيرة التي تهدف إلى تهذيب النفس، خاصة وهي تؤدي ضروراتها الغليظة التي ليس عنها محيص.

ونضرب مثالين من أدق الأمثلة وأدلها على ما نريد: قضاء " الضرورة " وشئون الجنس.

" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يتناجى اثنان على غائطهما، ينظر كل واحد منهما إلى عورة صاحبه، فإن الله يمقت ذلك " رواه أبو داود وابن ماجه.

" عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل " رواه أبو داود وابن ماجه

وعن أبي أيوب: " إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره. شرقوا أو غربوا " رواه البخاري.

" وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط كتب له حسنة ومُحي عنه سيئة " رواه الطبراني.

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة من أن تورد كلها. وهدفها كلها واحد. هو تهذيب القيام بهذه الضرورة، وإحاطتها بآداب معينة تلطف غلظتها وتخفف من معنى " الضرورة " فيها. إذ تجعلها سلوكاً وأدباً فيه " اختيار " وترفع.

وقد لا تبدو لنا اليوم - الدلالة الكاملة لهذه التوجيهات. إذ صار لقضاء الضرورة أدوات نظيفة ووسائل مهذبة. ومع ذلك فما زال في المدينة - وفي العاصمة ذاتها - قوم يقضون حاجاتهم على قارعة الطريق وأمام الناس. أما الريف...!

ولكن الدلالة النفسية لا ينبغي أن تفوتنا على أي حال. فالتهذيب فيها واضح. وواضح كذلك محاولة رفع " الإنسان " عن مستوى الحيوان، حتى وهو يقضي ضرورته التي يشترك فيها مع الحيوان.

أما الجنس فأمره أعجب وأوضح دلالة.

ليس في الأرض شريعة ولا نظام يعترف بالجنس نظيفاً كريماً كالإسلام.

يكفي أن نذكر فقط أن الإسلام وهو يأتي زوجه يذكر اسم الله الكريم. وليس في الإسلام أقدس من ذكر الله، ولا أنظف مما يقرأ اسم الله عليه.

والإباحة فيه – في حدوده الشرعية، أي الزواج – أوضح من أن تحتاج إلى دليل.

(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [٦٧]

" إن في بضع أحدكم لأجراً. قالوا يا رسول الله إن أحدنا ليأتي شهوته ثم يكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " [٦٨].

وغيرها وغيرها كثير...

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذا المباح بقسط كامل لا شبهة فيه، واستمتع منه بكل ما يحل لمسلم أن يستمتع به في هذه الحياة.

ومع ذلك فلينظر كيف كان الأمر...

تروي السيرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يغطي وجه زوجته حين يضاجعها في الفراش.. وروى الخطيب من حديث أم سلمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول لامرأته: "عليك بالسكينة".

* * *

الحياء والترفع إلى هذا الحد!

ليس الجنس شهوة الحيوان الجائع الذي لا يملك نفسه أن يندفع هائجًا إلى التنفيذ.

وليس غلظة الشبق التي تتلمظ على متاع لذيذ.

وليس نزوة الجسد الفائر التي تختنق في بخارها عاطفة القلب وإشراقة الروح.

ومع ذلك فإن دعوة الرسول للناس أن يهذبوا العمل الجنسي لم تكن دعوة إلى الزهادة أو إطفاء المتعة أو تبريد حرارتها.

كلا! على العكس من ذلك. لقد كان يدعوهم إلى المتاع ويحببهم فيه بل كان في الواقع يوسع مساحته في النفس، ويزيد من متعته، حين يرفعه من لهفة الجسد الخالصة إلى " عواطف " " ومشاعر " " ومودة ".

فقد كان ينهى عن المواقعة دون رسول يسبقها ويمهد لها من مداعبة وعواطف جياشة.

وليست هذه دعوة الذي يريد أن يحرم الناس من المتاع أو يفسده عليهم. بل دعوة من يريد تهذيبهم ورفعهم من مستوى الحيوان إلى مستوى الإنسان، مع " إحسان " تلذذهم بهذا المتاع، حتى يصبح متاعاً " جميلاً " تدخل فيه كل عناصر النفس، ويدخل فيه " الفن " بتعبيره الجميل.

والقرآن يصف الصلة بين الرجل والمرأة على أنها " سكن " و " مودة ": (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [٦٩]. وهو تعبير جميل أخاذ يشمل كل صلات الجنس، ولكنه يشملها في مستواها الأرفع. في مستوى " الإنسان ".

* * *

ذلك هو الإحسان في شئون الجنس. وهو أمر واضح الدلالة على نظرة الإسلام لهذه الأمور.

الضرورة تُقضى. نعم. لا كبت ولا حجران. ولا استقذار للدوافع الفطرية في ذاتها. ولا الإحساس بالذنب عند الإتيان. ولكنه التنظيف رغم ذلك وتهذيب الوجدان.

والجنس – من كثرة ما أبدى في شأنه فرويد وأعاد – مظنة أن تكون الأديان تستقذره وتنفّر منه. والإسلام بخاصة لا يجنح لحظة واحدة لهذا الاستقذار. لكنه – وهو يحض على الإحسان في كل شيء – يحض كذلك عليه في شئون الجنس، حتى وإن كان يشترك في الضرورة مع الحيوان.

والدليل القاطع على أن هذه قاعدة عامة في الإسلام لا يختص بها الجنس وحده، وإنما تشمل كل تصرفات الإنسان وضروراته، الدليل على ذلك هو آداب الطعام.

فليس ثمت شك في أن الطعام طاهر نظيف مباح. بل مأمور به (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) [٧٠].

ومع ذلك فله آداب. آداب تهذب تناوله، وتكسر شراهته، وترتفع به عن محيط الحيوان إلى محيط الإنسان.

" عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُتنفس في الإناء أو ينفخ فيه " رواه أبو داود والترمذي.

" عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: أكلت ثريدة من خبز ولحم ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أتجشأ، فقال: "يا هذا كف عنا من جشائك! فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة "! رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

فهو الإحسان إذن. وليس المنع والحجران.

* * *

ونحن – في القرن العشرين – أحوج ما نكون إلى هذه الحكمة من الرسول صلى الله عليه وسلم.

إننا نعيش في قرن يؤمن بالإحسان في العمل بمعنى الإخلاص والإتقان. وإن كنا نحن مع الأسف – في العالم الإسلامي الذي تلقى عن نبيه هذا التوجيه – ما نزال بعيدين عن هذه الروح.

ونحن نعيش كذلك في قرن يؤمن بالتهذيب في كثير من أمور الدنيا: في تناول الطعام، وقضاء الضرورة، والوقوف في الصف أثناء شراء تذاكر السينما، والاعتذار المؤدب عن أقهل هفوة، وإزجاء الشكر على أبسط الخدمات.

ولكنه مع ذلك لا يؤمن بالتهذيب في شئون الجنس. ويقول عنه إنه نفاق!

ولا نقصد بالتهذيب ما كان يصنع الرسول في فراشه. فذلك مرتقى رفيع لا يطيقه الكثيرون.

ولا نقصد كذلك ما أوصاهم به في فراشهم من تحويل الجنس إلى مشاعر ومودة وأخـــذ وعطـــاء.. فذلك شأنهم غن أرادوا أن يستفيدوا بنصيحة الرسول فلأنفسهم الفائدة، وهم الذين سيزدادون متعة وهم يوسعون مساحة الجنس في نفوسهم، فلا تقف عند متعة الجسد، بل تصبح علاقة جسد وعلاقة قلب وعلاقة روح كلها في آن.

وإنما نقصد مستوى أدنى من ذلك وألصق بحياة الجماعة كلها لا بحياة الأفراد.

تلك هي " الفضيلة " بمعناها الاجتماعي. أن يكون الجنس في حدوده المشروعة ولا يكون نهباً مباحاً للأجساد الظامئة على قارعة الطريق..

ذلك هو الذي يسمونه نفاقاً في القرن العشرين!

ولماذا هو نفاق؟ لأن الجنس " ضرورة " بيولوجية، فلا شأن له بالأخلاق!

وي!؟ والطعام ليس ضرورة؟ والملبس ليس ضرورة؟

فلماذا تحتفلون كل هذا الاحتفال " بآداب " المائدة و " أصول " الملبس ولا تكتفون فيهما بقضـــاء الضرورات؟

* * *

ونحن نتحدث هنا عن " الإحسان " ولا نتحدث عن الأخلاق!

نريد أن نرتفع عن مستوى الضرورة. نريد أن نتذوق الآفاق العليا التي يرفعنا إليها الإسلام.

نريد أن نتذوق طعم " الإنسانية " فإنه والله طعم جميل حين تتوجه له النفس، وحين يؤمن الإنسان أنه إنسان!

الجمال فطرة " الطبيعة ". فطرة الحياة التي خلقها الله.

والحياة لا تكتفي بقضاء الضرورة، ولكنها تهدف دائماً إلى الإحسان في الأداء.

أرأيت هذه الزهرة الجميلة الفياحة الشذى المتناسقة الألوان؟

أتظن أن ذلك " ضرورة "؟

قالوا: لتجتذب إليها النحل فينتج منها العسل غذاء وشفاء للناس! وتساعد كذلك في تلقيح النبات!

فهل تظن ذلك؟ هل من " الضرورة " بالقياس إلى النحل أن يكون في الزهرة كل هذا الجمال؟

كلا والله! فالنحل خَلْق متواضع! وإنه ليحط على الزهرة الرائعة التناسق كما يحط على الزهرة العادية الجمال

فليس جمال الزهرة إذن ضرورة! وكل الأهداف " البيولوجية " يمكن أن تتم في أبسط زهرة كما تتم في أجمل الأزهار.

ورأيت هذه " الطبيعة "؟

رأيت حمرة الشفق المبدعة ورأيت جمال الصبح الوليد؟

رأيت روعة الجبال تبهر الأنفاس وتهز الوجدان؟

والبحر الممتد إلى غير نهاية منسرب الموج، تراه في الليل الساكن كأنما تعمره الأطياف.. أو الأشباح؟

والليلة القمراء.. هل " ذقتها "؟ و " ذقت " طعم السحر في ضوئها، وظلــها، وأطيافهــا الســاربة وحديثها المهموس؟

هل تظن ذلك ضرورة؟

وأين هي الضرورة في ذلك كله، والحياة ممكنة ومستطاعة بغير هذا الجمال؟

ورأيت هذا الوجه الرائع؟

هاتان العينان الحالمتان اللتان يطل منهما عالم عميق الأغوار.. تلك التقاطيع المنسقة.. هــذا المعــنى المعبر.. تلك " الروح " التي تطل من وراء القسمات؟

تظن ذلك ضرورة؟ وما الضرورة؟

أليست كل العمليات " البيولوجية " من طعام وشراب وتنفس تتم في أقبح وجه وأجمل وجه علــى السواء؟

بل.. نداء الجنس ذاته. ألا يتحقق في كل أنثى وكل ذكر بصرف النظر عن ذلك الجمال؟

كلا. إنه ليس " ضرورة ".. وإنما هو " جمال ".

هو " إحسان " في الأداء لا مجرد الأداء!

تلك فطرة الحياة كما خلقها الله.. فطرة " الطبيعة ".

والإسلام دين الفطرة..

يلتقي مع ناموس الحياة الأكبر. لأنه مترل من عند الله خالق الحياة، وخالق الفطرة التي يسير عليهــا الكون والحياة.

لذلك لا يكتفي الإسلام من الإنسان بمجرد أداء الضرورة. لأنه حينئذ يكون متخلفاً عن الحياة، ناشزاً عن فطرهما، متأخراً إلى الوراء.

وهو الحياة في أعلى آفاقها – يريد أن يكون الإنسان واصلاً إلى الحياة، منسجماً معها، مساوقاً لهــا، ملتقياً معها في كل اتجاه.

لذلك يعمد إلى تهذيب النفوس. يدخل في أعماقها، ويسكن في أطوائها، ويوجهها مــن باطنــها. يوجهها إلى الجمال. إلى الإحسان. الإحسان في كل شيء. الإحسان في الأعمــال والإحســان في الأفكار والإحسان في المشاعر.

" إن الله كتب الإحسان على كل شيء "..

وحين تتجه النفس إلى الإحسان. حين تتهذب المشاعر وينظف السلوك. حين تخرج الضرورة عــن قهرها القاهر فتصبح سلوكاً مهذباً " تختاره " النفوس، وتتفاضل في أدائه..

حينئذ يلتقي الإنسان مع الكون والحياة..

يلتقي معهما في نظرة واحدة شاملة رفيعة. اسمها الإحسان. أو اسمها الجمال.

والله جميل يحب الجمال.

---

[٦٠] " أتريد أن تميتها موتات؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟ ".

[٦١] سورة الإسراء [٣٣].

[٦٢] سورة الفرقان [٦٣ - ٦٨].

[٦٣] سورة المائدة [٣٢].

[٦٤] رواه الشيخان.

[٦٥] سورة النساء [٨٤].

[٦٦] رواه البيهقي.

[٦٧] سورة البقرة [٢٢٣].

[٦٨] رواه مسلم.

[٦٩] سورة الروم [٢١].

[٧٠] سورة الأعراف [٣١].

==========================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٧) وتبسمك في وجه أخيك صدقة

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس". قيل: يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: "إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الأصم وتهدي الأعمى وتدل المستدل عن حاجته. وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف. فهذا كله صدقة منك على نفسك". رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي مختصراً. وزاد في رواية: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة، وهديك الرجل في أرض الضالة لك صدقة " [٧١].

* * *

هذا الحديث العجيب لا يملك الإنسان أن يمر به دون أن يقف عنده لحظات يتدبر بعض معانيه.

وإن له لإيحاءات شتى، يدق بعضها ويلطف، حتى يصل إلى أعماق النفس، إلى قرار الوجدان، فيهزها هزاً، ويوقع على أوتار القلب لحناً صافياً مشرقاً جميلاً يأخذ بالألباب.

وسنختار هنا من المعاني الكثيرة التي يوحي بها الحديث معنيين رئيسيين: أولهما تفجير منابع الخير في النفس البشرية، وثانيهما: ربط المجتمع برباط الحب والمودة والإخاء. وقد نلم ببعض المعاني الأخرى في أثناء الحديث.

* * *

الصدقة في مفهومها التقليدي نقود وأشياء محسوسة يساعد بها الغني الفقير، ويمنحها القوي للضعيف. وهي بهذا المعنى ضيقة المفهوم جداً، وأثرها في حياة المجتمع محدود. ولو أنها ظلت قروناً طويلة مظهراً من مظاهر التكافل الاجتماعي، ورباطاً من روابط المجتمع، وأداة لتطهير الأغنياء من الشح، وإعانة الفقراء على الحياة..

وبصرف النظر عن هدف الإسلام الأصيل في أن يكتفي الناس بعملهم الخاص فلا يحتاجون للصدقات – ذلك الهدف الذي تحقق في عهد عمر بن عبد العزيز إذ يقول يحيى بن سعيد: " بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية، فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد بها فقيراً، و لم نجد من يأخذها منا، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس.. "

بصرف النظر عن هذا الهدف النهائي، فقد كانت الصدقات وسيلة احتياطية في المجتمع، طالما أن الفقر موجود، وإلى أن تتمكن الدولة – كما تمكنت في عهد عمر بن عبد العزيز – من إغناء الناس عن غير هذا الطريق.

ولكن الحديث النبوي يخرج بالصدقة من معناها التقليدي الضيق. من معناها الحسي، إلى معناها النفسي. وهنا تنفتح على عالم رحيب ليست له حدود.

كل خير صدقة.. وعلى كل امرئ صدقة..

هكذا في شمول واسع لا يترك شيئاً ولا يضيق عن شيء!

كل خير صدقة. أو ليس ذلك حقاً؟!

ومن أين تنبع الصدقة التقليدية بمعناها الحسي الضيق الحدود؟

أو ليست تنبع من معين الخير في النفس البشرية؟ بلى! إن هذا هو معينها الوحيد. وإلا فهي رياء كاذب، وهي دنس لا يصدر عن نفس نظيفة. وليس ذلك بطبيعة الحال هو المقصود.

فإذا كانت الصدقة تنبع من معين الخير، فإن حديث الرسول الكريم لا يزيد على أن يرجع مباشرة إلى هذا المعين، يستجيشه ويستدره، ليتفتح ويفيض، ويتدفق في كل اتجاه.

الخير هو معين الصدقة. فليكن كل خير صدقة! كل ما ينبجس من هذا المعين. كل ما يخرج من هذا النبع الطاهر النظيف، هادفاً إلى الخير محققاً له في واقع الحياة.

والصدقة ما هي؟ أليست " إعطاء "؟

بلى، إنها كذلك فليكن إذن كل إعطاء صدقة! حتى تبسمك في وجه أخيك.. صدقة!

إنه ذات المنبع ؛ وهي عملية نفسية واحدة في جميع الأحوال!

إن " الحركة " النفسية التي تحدث في داخل النفس وأنت تهم بإعطاء القرش للرجل المحتاج، أو تعين عاجزاً على اجتياز الطريق، أو تساعد إنساناً على رفع حمل.. إنها هي ذاتها التي تحدث في نفسك وأنت ترفع حجراً من الطريق حتى لا يعثر فيه الناس، وهي ذاتها التي تدفع الابتسامة إلى وجهك حين ترى وجه أخيك..

إنك لو جسّمت مشاعر النفوس، فتخيلتها جسوماً متحركة.. لرأيت صورة واحدة في كـــل مـــرة: صورة " النفس " وهي تحرك يدها من الداخل حركة الإعطاء!

خذ! خذ هذا القرش. أو خذ هذه المعونة.. أو خذ هذا الشعور!

منبع واحد. وحركة واحدة في جميع الأحوال.

ودافع واحد..

فالذي يدفعك إلى إعطاء الصدقة للمحتاج هو شعور " إنساني ". وقد يكون من الصعب أن تحـــدد معنى لهذا اللفظ الدقيق. فهو في بساطته وشموله معجز كالإنسانية!

قد يكون شعورك واضحاً: هذا أخوك في الإنسانية. تحس بينك وبينه هذه الآصرة التي تربط أفـــراد الجنس الواحد، وتقرب بينهم، وتدعوهم إلى التعاون الوثيق.

وقد يكون شعورك مبهماً. وجدان غامض. خيوط خفية تنبع من قلبك حتى تصل إلى قلبه، فتـــربط بينهما برباط دقيق. أو هزات كالهزات المغناطيسية أو الكهربائية التي تنتشر في الجو، حتى " يلتقطها " المستقبل من بعيد.

هذا الشعور الإنساني – الواضح أو المبهم – الذي يدفعك إلى إعطاء الصدقة للمحتاج، أليس هو ذاته الذي يحنيك على الحجر فتلتقطه بعيداً عن أقدام المارة؟ أو ليس هو كذلك الذي يشـــيع البســـمة في وجهك حين تلقى الناس؟!

هي عملية واحدة في داخل النفس.. ولكننا لا ندركها دائماً على حقيقتها.

والرسول الكريم يلفتنا في حديثه إليها. يلفتنا إلى هذه الحقيقة النفسية الواحدة التي تكمن وراء كـــل عمل من أعمال الخير. لنعرف أنه الخير في منبعه وإن تعددت صوره وزواياه.

ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم لا يريدنا أن " نعرف " فحسب!

فالمعرفة التي لا تنتهي إلى شيء ليست هدفاً من أهداف الإسلام ولا من أهداف الحياة العملية!

كل شيء ينبغي أن تكون له غاية. وغاية الغايات في الأرض أن يكون الخير هو المسيطر على حيـــاة البشرية. فالخير هو كلمة الله. وكلمة الله هي العليا.

ومن هنا تلتقي الأرض والسماء، والدنيا والآخرة في رصيد الإسلام.

والرسول الكريم يريد أن " يعودنا " على الخير، لا أن " يعرفنا " إياه فحسب.

" وعلى كل امرئ صدقة.. ".

إنه يريد كلاً منا أن تتحرك نفسه بالخير. يريد أن يستثير تلك الحركة الداخلية التي تمد يدها بالعطاء.

والحياة عادة. والعادة تعدى من نفس إلى نفس. بل تعدى من شعور إلى شعور في باطن النفس!

حين تتعود النفس أن تستيقظ، أن تنهض من سباتها وتتحرك، وتمد يدها من الداخل بعمل أو شعور.

حين يحدث هذا مرة، فسوف يحدث مرة بعد مرة. وستتعدد صور الإعطاء حتى تشمل من الـــنفس أوسع نطاق.. حتى تشمل في الواقع كل تصرف وكل شعور.

وتبدو حكمة الرسول في توسيع مدى الخير، وتعديد صوره وأشكاله، وتبسيطها كذلك حتى تصبح في متناول كل إنسان!

فلو كانت " الصدقة " أو الخير قاصراً على المحسوسات والأموال، فسيعجز عنها كثير من أفراد البشرية، وتبقى ينابيع ثرة في باطن النفوس، لا يستثمرها أحد، ولا يستنبط من معينها الغزير.

ولكن اليد الحكيمة الماهرة تعرف كيف تسيل الخير من هذه النفوس. لمسات رفيقة حانية من هنا ومن هناك تفتح المغلق وتبعث المكنون.

والرسول الكريم يلطف في معاملة البشرية كالأب الحنون يلطف مع أولاده، وهو يخطو معهم خطوة خطوة في الطريق. إنه ييسر لهم الأمر. ويوحي إليهم أنه في مقدورهم بلا تعب ولا مشقة. وحينئذ يصنعونه ولو كان فيه مشقة!!

تلك أفضل وسائل التربية وأحبها إلى النفوس.

وهي ليست ضحكاً على الناس ولا استدراجاً لهم! حاش لله!

إنها كلها حقيقة. فالخير نبع واحد داخل النفس. وكل صوره صورة واحدة.

ولقد نظن، لأول وهلة، أن بعض هذه " الصدقات " أهون من أن تكون صدقة. وأنها لا يجوز أن تدرج مع غيرها في سلك يشمل الجميع.

وقد يكون أقرب شيء إلى هذا الظن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة. وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة".

ومع ذلك فجربها إذا أردت. أو تتبعها في محيط الناس..

إن تبسمك في وجه أخيك، الذي يبدو لك هيناً حتى ما يصح أن يوضع في الصدقات.. لهو أشق شيء على النفس التي لم تتعود الخير و لم تتجه إليه!

هناك أناس لا يتبسمون أبداً، ولا تنفرج أساريرهم وهم يلقون غيرهم من الناس!

إنهم شريرون أو في نفوسهم مرض. وينابيع الخير مغلقة في نفوسهم وعليها الأقفال.

وهناك ناس يبخلون عليك بقطرة من ماء! الماء الحقيقي لا على سبيل المجاز!

إن المسألة ليست البسمة ولا نقطة الماء. إنها الإعطاء. إنها الحركة التي تتم في داخل النفس. إنها فتح القفل المغلق. أو تحرك اليد النفسية وانبساطها إلى الأمام..

عملية واحدة في جميع الحالات.. إما أن توجد، فتقدر النفس على الخير. تقدر على الإعطاء والمودة. وإما ألا توجد، فيستوي الهين والعظيم، وتغلق النفس عن جميع الصدقات.

* * *

والرسول المربي لا يريد أن يعرفنا بمنابع الخير فحسب، ولا أن يعودنا على الخير فحسب. ولكني ألمح من وراء تعديد الصدقات، وتبسيطها حتى تصبح في متناول الجميع، معنى آخر..

الإعطاء حركة إيجابية. ولذلك قيمة كبرى في تربية النفوس.

فالنفس التي تتعود الشعور بالإيجابية نفس حية متحركة فاعلة. بعكس النفس التي تتعود السلبية فهي نفس منكمشة منحسرة ضئيلة.

والرسول صلى الله عليه وسلم يريد للمسلم أن يكون قوة إيجابية فاعلة، ويكره له أن يكون قوة سلبية حسيرة.

والشعور والسلوك صنوان في عالم النفس، كلاهما يكمل الآخر ويزيد في قوته.

ومن هنا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يصف حتى الأعمال الصغيرة والهينة بأنها صدقة. بأنها إعطاء.

مرة أخرى كالأب مع أبنائه..

فأنت حين توحي لطفلك أن الدور الذي قام به في العمل دور هام ومثمر، وقد أدى إلى نتيجة، فإنك تشجعه على مزيد من العمل ومزيد من الإنتاج. أما إذا رحت تصغر من شأنه، وتشعره أن أعماله تافهة بالقياس إلى المطلوب منه، فإنك تشجعه على الانحسار داخل نفسه، والانصراف عن كل عمل يحتاج إلى مجهود.

والرسول يشجع الناس على الإحساس بإيجابيتهم، حتى في الأعمال التي قد تبدو صغيرة في ظاهرها، ليحسوا أن كيانهم يتحقق في عالم الواقع، في عالم السلوك. فيزيدهم ذلك إقبالاً على العمل في ميدان الخير، ويشجعهم على الصعود باستمرار.

وفي تسمية هذه الأعمال " بالصدقات " أمر آخر من وراء التعبير.

فالصدقات بمعناها الحسي الضيق، تقسم الناس آخذين في جانب ومعطين في جانب. وقد توحي إلى الآخذين الشعور بالضآلة والضعف، وتغري المعطين بالخيلاء والغرور.

وذلك تقسيم للمجتمع سيئ غاية السوء.

ولكن توسيع نطاق الصدقات حتى تشمل كل شيء وكل عمل متجه إلى الخير، يلغي التقسيم الأول، ويتيح لكل إنسان – بصرف النظر عن فقره وغناه – أن يكون معطياً واهباً للآخرين. ومن ثم يجعل الناس كلهم – بحركة واحدة – آخذين ومعطين على قدم المساواة، وشركاء في ميدان واسع فسيح!

وذلك ولا شك منهج بارع في تربية النفوس، فوق أنه يقرر مفهوماً آخر من مفاهيم الإسلام الأصيلة: أن القيم التي تحكم الحياة ليست هي القيم المادية وحدها. أو الاقتصادية وحدها. وإنما القيم الشعورية والوجدانية كذلك. بل هذه الأخيرة هي الأصل الذي تقوم عليه علاقات البشرية!

* * *

وقد افتتن الناس دائماً بالقيم المادية وحسبوها قوام الحياة. القدماء في ذلك والمحدثون سواء. وحين تنطمس بصائر الناس عن منابع الخير الحقيقية، وتنحسر نفوسهم عن حقيقة الكون الواسعة، فإنهم لا يرون إلا القيم المادية، ولا يدركون إلا ما تدركه الحواس. ولكن الإسلام حرص على توسيع الحياة وتجليتها في صورها الحقيقية. لم يهمل عالم المادة، ولم يهمل ضرورات الحياة. بل أعطاهما عنايته الكاملة كما يتضح في التفصيلات الدقيقة التي يشملها الشرع، والإضافات الدائمة التي أضافها الفقه

الإسلامي على مدى القرون ولكنه لم يقف عند هذه الأمور وحدها، لأن الحياة في واقعها لا تقف هناك. وإنما تتعداها إلى آفاق أوسع وأرحب، وإلى مستويات أكبر وأعلى.
والإسلام دين الحياة الكامل، ومن ثم يشمل الحياة كلها في جميع الآفاق وجميع المستويات، على نظافة في الأداء ونظافة في السلوك.
إنه كصاحب الأرض الخصبة لا يزرع منها جانباً ويهمل الجانب الآخر، أو يدعه تنبت فيه حشائش السموم. إنه يحس بالقيمة الكبرى لتلك الأرض الثمينة، ويحس بالخسارة التي تنشأ من تعطيلها أو إهمال بعضها، ومن أجل ذلك ينقب في كل مكان في النفس حتى يمكن أن تنبت فيه نبتة الخير، فيزرعها ويجني من زرعها الثمار.
وحين يحرص الإسلام على أن يظل ينبوع الخير في النفس الإنسانية ثرًّا يفيض بالخير ولا ينضب، فإنه يضمن أن تقوم بين البشر روابط أمتن بكثير وأوثق من تلك التي يمكن أن يقيمها الاقتصاد أو تقيمها العلاقات المادية. بل يضمن أن تكون رابطة حية وخيرة، لا يأكلها الحقد، ولا تسري إلى القلوب مع " تنظيماتها " الصلادة والجفاف.
* * *
وأي رابطة يمكن أن تربط القلوب أقوى من المودة والحب؟
(.... وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) [٧٢].
إنها هبة الله..
والنعم المادية أو الاقتصادية كذلك هبة الله.
ولكن الآية تضع كلاً في مكانه في ميزان القلوب وميزان الحياة!
لا يكفي المال وحده لتأليف القلوب. ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية.
لا بد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف المستمد من روح الله. ألا وهو الحب.
الحب الذي يطلق البسمة من القلب فينشرح لها الصدر وتنفرج القسمات.. فيلقى الإنسان أخاه بوجه طليق.
ذلك الحب هو الذي يصنع المعجزات. هو الذي يؤلف القلوب. هو الذي يقيم البناء الذي لا يهدمه شيء ولا يصل إليه شيء.
" جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: لا ولا أجملت! فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا. ثم دخل مترله فأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً. ثم قال. أحسنت إليك؟ قال نعم. فجزاك الله من أهل ومن عشيرة خيراً. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك". قال: نعم، فلما كان الغداة جاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزدناه، فزعم أنه رضي.

أكذلك؟ فقال الأعرابي: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل له ناقة وشردت عليه، فتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها وأعلم. فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها هوناً هوناً، حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها. وإني تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار"!

هذا الدرس العجيب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من سلوكه العملي - يشرح لنا القيم التي أودعها أحاديثه المروية في هذا الاتجاه.

قد يكون المال الزائد هو الذي أرضى الأعرابي - في ظاهر الأمر - بعد ما كان ساخطاً على العطاء القليل.

ولنفرض جدلاً أنه كذلك.

ولكن فلننظر إلى الأمر من جانب النبي صلى الله عليه وسلم من جانب المعطي - أكان يزيد في عطاء الرجل لو لم يكن هذا المعين الفياض بالرحمة والمودة والحب؟

ولننظر إلى الأمر خاصة بعد أن قال الأعرابي قولته المنكرة الجاحدة.. أوَ قد كان غير هذا القلب الكبير وهذا الروح الشفيف يمكن أن يقبل القولة الجارحة ويرد عليها بعطاء جديد؟

إن الصدقة " المادية " الزائدة ليست هي حقيقة الموقف! إنها مجرد التعبير المادي المجسم للشعور السامق النبيل. إنها ترجمة للأصل وليست هي الأصل! إنها الصدى والقلب هو الحقيقة!

هذا القلب هو الذي يربيه الرسول الكريم هذه التربية المبدعة ليقيم عليه رباط البشرية.

وما نريد أن ندخل حقائق " العلم " في أمر روابط البشرية! ولكنا - برغمنا! لا نجد محيصاً من الإشارة إلى هذه الحقائق التي غيرت كل المفاهيم " المادية " التي سادت تفكير البشر في القرون الأخيرة. فقد أثبت العلم أنه ليست هناك " مادة "! إنما الحياة كلها " قوى " و " روابط "!

الذرة التي كان يظن من قبل أنها مادة راسية مستقرة ملموسة ظهر أنها كهارب! أنها طاقة كهربائية سالبة وموجبة. وأن الرباط الذي يشد بعضها إلى بعض هو الجاذبية..

وذلك هو كل بناء الكون!

لا جرم يكون كذلك هو بناء البشرية!

ليس " المادة ". وليس " الاقتصاد "! ليس شيئاً مما تقف عنده الحواس وتظنه الحقيقة! وإنما هو شيء أعمق وألطف وأدق..

الحب رباط البشرية. والقلوب هي طاقتها.

وكما تصطدم الطاقات في الذرة فتضطرب وتتناثر حين تفقد رباطها القوي يشدها بعضها إلى بعض، حين تفقد رباط الجاذبية، كذلك تصطدم القلوب في الحياة البشرية فتتنافر وتتناثر حين تفقد رباطها القوي الذي يشدها بعضها إلى بعض.. حين تفقد المحبة.

والإسلام دين الله.

الله الذي خلق الخلق وهو أعلم بمن خلق.

وهو دين الفطرة. الدين الذي يساير الفطرة أجمل مسايرة، ويصل من ذلك إلى أجمل النتائج.

والإسلام هو الذي يجعل رباط المحبة هو الرباط الأول والأوثق في حياة البشرية، ويقيم الوشائج كلها – من مادية واقتصادية واجتماعية وفكرية وروحية – على هذا الأساس المتين.

(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ). (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) [٧٣].

ورسول الإسلام – وهو الآية البشرية الكونية الكبرى – يدرك بفطرته الملتقية مع فطرة الكون الأعظم، وبما أدبه ربه فأحسن تأديبه، أن الرحمة والمودة والإخاء هي وحدها التي يمكن أن يقوم عليها البناء الحي القوي المتماسك، فيدعو إلى الحب: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٧٤] ويجلو القلوب لتفيض بالحب، ويعلمها الوسيلة لكي تحِبَّ وتحَب: أن تلقى أخاك بوجه طليق!

وإن هذه الابتسامة على الوجه الطلق لتعمل عمل السحر!

جربها!

جرب أن تلقى الناس بوجه طلق وعلى فمك ابتسامة مشرقة. ولن تندم على التجربة قط!

إنها لتستطيع – وحدها – أن تفتح مغالق النفوس وتنفذ إلى الأعماق. تنفذ إلى القلب! إلى الطاقة المكنونة في الكيان البشري، فتربط بينها وبينك برباط الجاذبية!

حينئذ تصير قطعة من الكون الأعظم، دائرة معه في فلكه الفسيح، لأنك تلتقي بفطرتك الصحيحة مع فطرته الحقة، فتلتقيان في الناموس الكبير!

وحينئذ ترى الله!

فهذا هو الطريق!

---

[٧١] الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٩٦ رقم ٧.

[٧٢] سورة الأنفال [٦٣].

[٧٣] سورة آل عمران [١٠٣].

[٧٤] رواه البخاري ومسلم.

======================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٨) ما أسكر كثيره فقليله حرام

" ما أسكر كثيره فقليله حرام " [٧٥].

لعل ظاهر اللفظ يوحي بأن الخمر وحدها هي المقصودة بالحديث.

ولكني ألمح أنه قاعدة تشريعية شاملة، تنطبق على الممنوع كله والحرام كله، وتنطبق على الخمر والربا، والسرقة والغصب، والغمز واللمز، والغيبة والنميمة، والكذب والنفاق.. وعلى الجريمة الخلقية خاصة!

وقليل الخمر لا يسكر. وقليل كل شيء لا ضرر فيه..

ما شربة خمر؟ ما كأس بين الحين والآخر؟ في الحفلات مثلاً والأفراح؟!

وما كذبة بين الحين والحين بيضاء أو غير بيضاء؟

وما القروش القليلة يختلسها من مبلغ ضخم لا يمكن أن تؤثر فيه؟

وما الضرر في قليل من النفاق تسير به الأمور و " تشحم " عجلة الحياة فلا يقع فيها احتكاك ولا صدام؟

وما نظرة عابرة إلى فتاة؟

أو ابتسامة؟

أو كلمات؟

أو شيء قليل من المداعبة لا يبلغ حد الجريمة.. قبلة أو ضمة أو ما أشبه؟

فلتكن الجريمة!

جريمة عابرة.. تتم في الظلام، خلسة، لا يعلم بها أحد، ولا تؤثر في خط سير الحياة.. هل تنهد الدنيا إذا حدث ذلك أو تنهار الأخلاق؟

كذلك تبدو الأمور للوهلة الأولى.. سهلة هينة لا تستلزم التشديد ولا توجب الاهتمام!

ومع ذلك فهي حكمة بالغة تلك التي نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ودراية عميقة بالنفس البشرية، ونظر بعيد لا يقف عند الجزئية الصغيرة، ولا عند الفرد الواحد، ولا الجيل الواحد من الأجيال!

إنها النظرة الفاحصة الشاملة التي تأخذ في حسابها الفرد والمجتمع، والإنسان كله على امتداد حياته في تلك الأرض.

نظرة القلب المدرك البصير الذي ينفذ إلى صميم الإسلام فيستلهم روحه العميقة الدقيقة، وتنفتح له مغاليق الحكمة وغوامض الأسرار.

ومن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أجدر بأن يدرك روح الإسلام النقية الصافية، ويترجم عنها، وهو نبي الله وصفيه، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وشرح صدره.. شرح صدره للإسلام، وللحق الماثل في الكون الكبير، فكان هو النموذج الكامل للإسلام، والقمة البشرية؟!

* * *

الإدمان أول شيء يخطر على البال حين تذكر الخمر، ويذكر القليل فيها والكثير

والإدمان – كما تثبت التجربة العلمية – خطر ماثل أمام البشرية حين تبيح لنفسها الخمر، وحين تبيح لنفسها أي أداء من أدواء المجتمع الكثيرة المتعددة.

وهو في الخمر يرتكز على أساس عصبي – جسماني – وعلى أساس نفسي كذلك [٧٦].

كل شراب – بل كل دواء – ذي تأثير معين على الأعصاب، منبه أو مسكن أو مثير أو ملطف، يفقد أثره على الأعصاب بعد قليل، لأنها تتحصن ضده وتتبلد عليه. ويحتاج الإنسان – لا محالة – إلى زيادة الجرعة أو تغيير " الصنف " لكي يحس له بمفعول.

هذا من الوجهة العصبية. أما من الوجهة النفسية فهناك العادة. والنفس تستريح لما تتعود عليه – كذلك فطرها الله لحكمة هو عالمها – وتشتاق لما تعتاده من الحركات والأفعال والأفكار والمشاعر، فيلتقي تأثر الأعصاب ومتعة النفس على الأمر الواحد في اللحظة الواحدة، فيتجاوبان، ويدفع كل منهما الآخر ويقويه!

وهذا أمر ينطبق على كل شيء! حتى لقمة الخبز وجرعة الماء، وضجعة السرير وجلسة المقعد، وحديث الإنسان إلى نفسه أو حديثه إلى الناس، ورؤية فلان أو صحبة مكان أو ألف شيء من الأشياء!

ولكن بعض هذه الأمور تداوي نفسها بنفسها فتكون بمنجاة من الإدمان – بمعنى الإسراف المضر – كما أن بعضها لا يصل إلى حد الخطر ولو وصل إلى الإدمان!

الطعام والشراب عادة يتعودها الجسم وتتعودها النفس، من حيث الكم والأنواع والمواعيد. ولكنها – في الحالة السوية – تجد الفرامل الضابطة في إحساس الشبع وامتلاء الفراغ المحدود.

ومع ذلك فقد تنحرف إلى شَرَهٍ نَهِمٍ مسعور!

ولكنها ضرورة! لا تقوم الحياة إلا بها في حالتها المعقولة السوية.

ومن ثم أبيح القول المعقول، وحرم الزائد عن المعقول: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا) [٧٧] ولم يجعل التحريم بتشريع لأن ذلك مستحيل. وإنما ترك أمره للتوجيه والتهذيب وخشية الله وتقواه.

والنوم والراحة عادة من حيث المواعيد والمقدار والطريقة والوسيلة – مترفة أو غير مترفة – ولكنها – في الحالة السوية – تجد فراملها الضابطة في النشاط الذي تحدثه، والرغبة الذاتية في تصريف هذا النشاط.

ومع ذلك فقد تنحرف إلى كسل وتراخ وفتور.

ومن ثم أبيح القدر المعقول – إن لبدنك عليك حقاً – وحرم الترف والتكاسل والقعود.

ورؤية الناس ومخالطتهم عادة. ولكن لها ضوابطها الذاتية التي تمنع الإسراف فيها – في الحالة السوية – وهي رغبة الإنسان في التقلب بين نزعته الفردية ونزعته الجماعية ليرضي هذه وتلك.

وإلف الأمكنة والأشياء عادة.. ولا ضرر في الإدمان عليها – ما دامت في ذاتها نظيفة – ومع ذلك فالملل، وهو عنصر بشري أصيل، يحد بطريقة طبيعية من الإدمان عليها والإسراف فيها..

ولكن الخمر وغيرها من الأدواء ليس كذلك!

حين يحدث الإدمان فليست له ضوابط. وكل شارب عرضة للإدمان. لأن الأعصاب ليست لها حصانة من تأثير السموم!

ومع ذلك فسنفترض أن أغلبية من الناس تستطيع أن تشرب دون أن تبلغ حد الإدمان – وهو قول غير صحيح في واقع الأمر – فمع ذلك ليس هذا بيت القصيد!

بيت القصيد هو الأجيال القادمة...

في مسألة الخمر بالذات، يقول الطب إن أبناء السكارى يولدون وفيهم استعداد موروث لشرب الخمر، ينتقل إليهم عن طريق النطفة قبل أن يملكوا لأنفسهم القياد! ومن ثم يصبحون في الكبر مدمنين!

ويقول علم النفس إن أبناء السكير يصابون باضطرابات نفسية وعصبية عنيفة تؤثر في مستقبل حياتهم. فالولد ينظر إلى شخصية والده على أنه المثل الأعلى الكامل الذي يتلبس به ويحاول أن يحتذيه. فإذا رأى في سلوكه خللاً فإن ذلك يحدث في داخل نفسه انقساماً بين شخصين كانا من قبل مؤتلفين بل متلابسين، هما شخصيته وشخصية والده. ومن ثم يحدث نزاع داخلي عنيف، ينتهي إما بانطواء الولد على نفسه واعتزاله الحياة الحية المتحركة، إما ببروزه في هيئة مجرم صغير، يحطم كل مقدس، ويلوث كل نظيف.

أما الفتاة فيصيبها صراع من نوع آخر ينتهي بها إلى كراهية الرجال جميعاً، والنفور في المستقبل من الزواج، وما يصاحب ذلك من عقد جنسية مختلفة، أو ينتهي إلى انحرافها الخلقي ووقوعها في مهاوي الرذيلة.

وسنفترض مرة أخرى أن ذلك كله لن يقع – وهو أمر غير صحيح!

سنفترض أن النطفة لم تنقل إلى الجنين عدوى الخمر وهو واغل في الظلمات الثلاث [٧٨]. وسنفرض أن الوالد لم يطع أولاده على سوء منه، فلم يعلموا أنه يشرب الخمر ولم يحدث في نفسهم الاضطراب.

يبقى بعد ذلك كله شيء لم تستطع اتقاءه الأجيال!

ما موقف الأب الذي يعاقر الخمر حين يعلم أن أبناءه قد وقعوا فيما وقع هو فيه من قبل؟

أيزجرهم؟ أم يرخي لهم العنان؟

ولماذا يا ترى يزجرهم وهو – بينه وبين نفسه – لا يؤمن بأن هناك ضرراً في الأمر؟ بل إنه ليؤمن أن تجربته الشخصية خير شاهد على ما يقول! ها هو ذا يشرب. فماذا حدث له؟ لم يبلغ حد الإدمان. لم يفصل من عمله نتيجة التأخر في الصباح أو الإهمال وشرود البال. لم يؤثر الشرب في مركزه الاجتماعي. لم تتلف أعصابه ولم تفسد قدرته على التفكير. وإنها كلها كأس بين الحين والآخر.. في الحفلات وفي الأفراح!! فما الضير على الأولاد إذا ساروا في نفس الطريق، وعند كبرهم " يعقلون " وتسير الأمور...؟!

هنا موطن الخطر لا يدركه الشارب في أول جيل!

إنه ينسى! ينسى أنه هو شخصياً قد نشأ في بيئة محافظة تستنكر الخمر وتَنْفر منها وتَنَفِّر منها، وأنه نشأ وفي عقله الباطن فرامل قوية – مستمدة من هذه البيئة المحافظة – هي التي حالت بينه – دون أن

يشعر – وبين الإسراف والإدمان. في أعماق نفسه شخص معنوي أو شخص مجسم، يمسك له العصا ويحذره، وينهال عليه ضرباً إذا تجاوز الحدود – في صورة تقريع الضمير.

وصحيح أن هذا الشخص لم يبلغ من القوة في نفسه أن يمنعه البتة، و لم يستطع أن يقفل عليه الطريق ولكنه مع ذلك موجود لا شك في وجوده. وله الفضل كله في الوقوف به عند درجة معينة لا تصل إلى الإدمان البغيض.

أما الأبناء فأين هذا الشخص في نفوسهم؟ من غرسه في أخلادهم وهم صغار؟

أبوهم؟ أو المجتمع الذي يسرح فيه آباء كأبيهم؟

كلا! لقد وجدت القدوة السيئة وانتهى الأمر، ثم لم توجد الزواجر التي منعت الجيـــل الأول مـــن الإسراف!

أو قد توجد، ولكنها أضعف من الزواجر في أول جيل..

ومن ثم يشرب الأبناء فيسرفون عن ذي قبل، لأن الشخص الذي في نفوسهم، والعصا التي في يده لينة لا تترك أثراً في الضمير.

وينشأ بعد ذلك جيل ثم أجيال.. ويختفي رويداً رويداً ذلك الشخص من الضمير. ويندفع الناس بـــلا حاجز، ويسرفون بلا حدود.

تلك قصة الخمر على مدار الأجيال..

جيل متقيظ في أول الأمر، عيونه على الجريمة.

ثم أفراد يتسللون خفية من وراء الستار...

فإذا ظلوا في استتارهم، لا يتبجحون بالإثم ولا يسمح لهم المجتمع بذلك، فثم أمل بقاء المجتمـــع – في عمومه – نظيفاً من الجريمة فترة طويلة من الزمان. أما إذا أَمِنوا زجر المجتمع، فخرجوا من خفيتـــهم، وقعدوا على قارعة الطريق، فهنا ينشأ أول جيل منحرف. وهو انحراف بسيط في أول الأمر لا ينـــذر بالخطر ولا يبدو فيه النكير. ولكن الانحراف البسيط يمتد، كما يمتد ذراعا الزاوية من نقطة الصفر – نقطة الابتداء – حتى تنفرج الشقة ويبعد الذراعان..

والهاوية المحتومة في نهاية الطريق!

* * *

وهي قصة كل جريمة من جرائم الأخلاق..

قصة الكذب والخداع والنفاق والغش والتدليس.

قصة الغيبة والنميمة ونهش الأعراض وكشف العورات.

قصة الرشوة والظلم والفساد.

قصة القعود عن نصرة الحق والجهاد في سبيله.

قصة الترف والسرف والفجور والمجون.

وهي على الأخص قصة " التقاليد فيما يختص بالرجل والمرأة والاختلاط والجريمة...

يبدأ المجتمع " نظيفاً " متحفظاً لا يسمح بالاختلاط ولا يتهاون في الجريمة.

ولا نقصد " بالنظافة " أنه مجتمع من الملائكة الأطهار قد خلا من الجريمة. فهذا شيء لم يحـدث في التاريخ!

ولكنا نقصدها بمثل المعنى الذي يستخدم في الشئون الصحية. فحين تقول الهيئات الطبية إن المدينة " نظيفة " تقصد أنها نظيفة من الأوبئة الخطرة، ولا تقصد أنها خالية من حالات فرديـة مـن هـذه الأمراض.

في هذا المجتمع النظيف توجد حالات فردية غير نظيفة. ولكنها قليلة ومستترة وعـدواها محـدودة. وذلك نتيجة الحرص الدائم الذي يبذله المجتمع في عملية التنظيف.

ولكنه في وقت من الأوقات يتراخى...

عندئذ يأخذ الوباء في الانتشار التدريجي البطيء.

وفي حالة الأوبئة الجسمية ينتشر المرض بسرعة وبطريقة ملموسة مميتة.

ومن هنا يهب الناس للوقاية والكفاح في أسرع وقت ويتساندون ويتكاتفون لوقف الوباء.

ولكن الأوبئة النفسية ذات طبيعة أخرى.

فالنفس بطبيعتها استجابة من الجسم. والمناعة النفسية اللاشعورية – حين توجد – تستطيع أن تقاوم المرض أو على الأقل تخفف حدته القاتلة مدى أجيال.

ولذلك فالفساد الخلقي بطيء المفعول جداً. وقد تمر أجيال كاملة على مجتمع منحل الأخلاق قبل أن ينهار. بل إن الانحلال قد يستشري في جيل من الأجيال الأخيرة إلى حد يعييك فيه البحث عن جماعة واحدة فاضلة. ومع ذلك فقد لا تقع الكارثة في هذا الجيل بالذات. ومن ثم يغرى الناس بـالظن أن كل النذر خرافة، وأنهم مستمتعون بكل ما يشتهون، ثم ناجون مما كانوا يحذرون!

ولكن سنة الله في النهاية تتحقق! لم تتخلف مرة واحدة في التاريخ!

لم يحدث أن استمتع الناس بشهواتهم الزائدة إلى غير حد، ثم استمروا إلى الأبد أقويـاء متماسـكين قادرين على الحياة!

وهذه صفحة التاريخ مفتوحة لمن يريد.

صفحة اليونان القديمة وروما القديمة وفارس القديمة، والعالم الإسلامي حين غرق في الشـهوات، ثم صفحة الغرب في جاهليته المعاصرة.

تبدأ الجريمة بسيطة خفيفة لطيفة..

اختلاط بريء تحت لإشراف الآباء أو غيرهم من المشرفين..

ونزهات لطيفة أو نواد ظريفة، ولا بأس فيها من إتاحة شيء من الخلوة " البريئة " بين شاب وفتاة.

وما الذي يمكن أن يحدث في خلوة كهذه بريئة وعين الرقيب على بعد خطوات.. أو حجرات؟!

ابتسامة من هنا وكلمة إعجاب من هناك؟

وضمة خاطفة في غفلة من الرقيب؟ وقبلة طائرة تطفئ الغلة أو تشعل اللهيب؟

" يا سيدي "!

ثم يحدث ما يحدث في الخمر..

الإدمان..

الكأس الأولى تصبح بعد حين تافهة ضئيلة المفعول. لا بد من كأس ثانية.

والقبلة الأولى تغري دائماً بالمزيد، لا يمكن أن تتوقف، ليس ذلك من طبائع الأشياء.

ولكن الجيل الأول مع ذلك لا يسرف في الجريمة، ولا يصل إلى الإدمان المجنون.

هنالك الشخص الواقف في داخل النفس بالمرصاد، ومعه العصا ينذر ويحذر ويهدد بعظائم الأمـــور.

وهنالك التقاليد التي تربط المجتمع ولا يسهل الخروج عليها دفعة واحدة. ومن ثم لا تحدث الجريمـــة كاملة في أول جيل، وإنما " يتبحبح " الناس قليلاً ويفكون القيود.

ويمضي المجتمع في طريقه منتشياً لا يحس بالخطر، ولا خطر – حتى الآن – هناك.

ويظن المجتمع – نظرياً – أنه قادر على ذلك إلى غير نهاية. قادر على أن يفك القيود ومع ذلك لا يقع في الجريمة أو لا يصل إلى الإسراف المعيب.

وهو مخلص في عقيدته تلك الضالة لأنه يقيس على نفسه ويغفل حقيقة الأمور.

يغفل الضوابط الخفية التي أنشأها في أعماق نفسه الجيل السابق المتحفظ. والتي لن يخلفها هو للجيل المقبل لأنه غير مؤمن بها، يظنها تشدداً بلا ضرورة ولا لزوم!

ينسى الرجل أنه قد رأى أمه متحفظة لا تختلط بالرجال، ورآها مكتسية لا يتعرى من جسمها شيء، ومن ثم تقاومه هذه الصورة على غير وعي منه وهو يدعو فتاة غريبة إلى الاختلاط به، ويدعوها إلى تعرية نفسها أو جسدها ليستمتع به.

نعم تقاومه حتى وهو مندفع الشهوة، فلا يسرف، ولا يتبجح بالإثم.

والفتاة التي رأت أمها متحشمة وزرعت في نفسها النفور من العري – النفسي والجسدي – تتحفظ كذلك – بوعي منها و بغير وعي – حتى وهي تهم بالانزلاق، فلا تسرف ولا تتبجح بالإثم.

ثم يتراجع هذا الجيل..

ويجيء جيل جديد تربية الأم التي ذاقت في شبابها " متعة " التحلل البسيط من القيود، والأب كذلك.

الأم والأب اللذان ذاقا شيئاً من المتعة و لم يسقطا السقوط الكامل – والأم خاصة – لـــن ينظـــرا إلى التقاليد " المتزمتة " بعين الاحترام.

علام التشدد؟ ألم ينفلتا هما من هذا التشدد و لم يحدث شيء؟ " فليتبحـــبح " الأولاد " قلـــيلاً " ولا ضير!

ومن ثم ينشأ الجيل الجديد وقد ضعف الشخص الواقف في داخل النفس بالمرصاد، ولانت العصا فلم تعد تترك أثراً في الضمير، وتفككت التقاليد فلم تعد تمنع المحظور.

ويتراجع هذا الجيل..

ويأتي جيل يرى أمة قد تعرت، من شيء من الثياب وشيء مماثل من الفضيلة (والجسم والنفس صنوان في هذه الأمور!)
الولد الذي يرى أمه عارية لا تثور في نفسه نخوة الرجولة والحرص على الأعراض، فقد زالت في نفسه حرمة الجسد، وصار نهباً يباح للعيون، وبعد ذلك لما هو أكثر من العيون.
والبنت التي ترى أمها عارية لا تؤمن بالقيد.
ويلتقي هؤلاء الأولاد والبنات، يلتقون على شهوة الجسد الفائرة، ويلتقون بلا ضابط ولا حـــدود، وتتم الدورة المحتومة، والهاوية في آخر الطريق.
* * *

والبشرية – حين تترك وشأنها – قليلاً ما تتذكر، وقليلاً ما تتدبر عبرة التاريخ!
كل جيل يدفعه الغرور من ناحية، والنشوة الفائرة من ناحية أخرى، فيظن أن تجربته جديدة لم تمــر على أحد من قبل، وأنه ليس مقيداً بسنة التاريخ.
ما أسهل ما يقول لنفسه: إن الأمة الفلانية قد انهارت لكذا، أو الشخص الفلاني قد تحطم لكيت. أما أنا فلن أقع في غلطته ولن يحدث لي ما حدث هناك. لن يفلت مني الزمام. لن أدع شـــيئاً يغلـــبني. سأصحو قبل أن أبلغ الهاوية. أنا شيء آخر غير الناس من قبل.
ويجيء " العلم " في القرن العشرين فينفخ في الناس نفخة كاذبة. يخيِّل لهم أنهم خلق غير ما مر مـــن الأجيال في التاريخ كله. خلق لا تنطبق عليه سنة ولا يخضع لسابقة. إنـــه عصـــر الـــذرة وعصـــر الصاروخ. عصر يكتب تاريخه بنفسه، ينشئه على مزاجه، يخلق جديداً كل يوم؛ يفتح آفاقاً لم تتفتح من قبل؛ " يقهر " الطبيعة ويسخرها بعد أن كانت هي التي تقهره وتسيره مرغماً في طريق لم يختـــره لنفسه ولا يد له في تكييفه!
كذلك ينفخ " العلم " في نفوس الناس. أو ينفخ فيهم شيطان الغرور:
(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُـــدُونِي هَـــذَا صِـــرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) [٧٩].
ولقد أضل الشيطان هذا الجيل من البشرية كما لم يضل أحداً من البشر، لأنه أعرض بجانبه ونأى عن الله. وقال: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ)! (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِـــيَ فِتْنَـــةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) [٨٠].
وهذا الجيل من البشرية يخيل له أن ناج من سنة الله التي خلت من قبل. وناج من حتمية النتائج حين توجد الأسباب. وناج من الهاوية التي تفغر فاها في نهاية الطريق!
هذا وهو يرى بعينيه أن العالم كله مهدد بالدمار والخراب الرهيب!
أي غفلة تصيب الناس حين ينأون عن طريق الله وحين يغترون ويستكبرون؟!

(.. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) [٨١].

* * *

نعم. حين تترك البشرية وشأنها فقليلاً ما تتذكر، وقليلاً ما تتدبر عبرة التاريخ.

إنهم لا يرون – ولا يريدون أن يصدقوا – أن هذا الطوفان الهائل من الفساد قد بدأ من نقطة الصفر! من النقطة التي ينفرج فيها ذراعا الزاوية، فرجة بسيطة للغاية في مبدأ الأمر، ثم تتسع الشقة كلما مضى الزمن وتتابعت الأجيال.

لا يرون – ولا يريدون أن يصدقوا – أن الكأس الأولى تتبعها الثانية. والقبلة الأولى تفتح الطريق للجريمة.

لا يرون – ولا يريدون أن يصدقوا – أن البشرية لم تقف يوماً عند القليل الذي لا يضر، ما دامت تبيحه على أنه أمر واقع، وأنه لا يضر! وإنما تجاوزته حتماً إلى الكثير الذي يغرق كالطوفان.

لا يرون – ولا يريدون أن يصدقوا – أن المجتمع – وهو النهر الذي يشرب منه الجميع – لا يمكن أن يظل بمنأى عن التلوث بينما الأقذار تلقى على الدوام فيه، ولا يمكن أن يظل الشاربون على سلامتهم وهم يشربون الأقذار.

ولكن الإسلام يصدق هذا لأنه يراه.

الإسلام كلمة الله في الأرض. والله هو الذي خلق الخلق وهو أدرى بما فطرهم عليه:

(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [٨٢].

وقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على هذا الأمر، لأنه يرى – بالعين البصيرة النافذة – تسلسل البشرية وتعاقب الأجيال وتماثل النتيجة عند تماثل الأسباب.

يرى الزاوية التي تبدأ من نقطة الصفر. ثم تبعد الشقة بين ذراعيها بُعْدَ ما بين الأبيض والأسود، والحلال والحرام.

يرى الكأس الأولى تتبعها الثانية، والقبلة الأولى تؤدي إلى الجريمة. ومن ثم يقف في يقظة دائمة لكل كأس عابرة وكل قبلة حرام. ولا يقبل في ذلك حجج المستهترين كلهم وما يتمسحون به من التعللات.

لا يقبل قول الذي يقول: اسمح لي بهذه واطمئن أنني لن أسرف فيها، ولن أتجاوزها إلى جديد!

لا يقبله لأنه ليس له رصيد من الواقع، وكله أوهام!

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يشرح بأعماله وأقواله الصورة المفصلة للإسلام، ويجلوها في عالم الواقع.. كان الرسول على ذكر دائم وبصيرة كاملة بهذا التسلسل الذي يربط أجيال البشرية، والوحدة التي تشملها أفراداً وجماعات، وأجيالاً إثر أجيال.

كان على بصيرة من انتقال العدوى من شخص إلى شخص ومن جيل إلى جيل. بل بانتقال العدوى في النفس الواحدة من فكرة إلى فكرة ومن شعور إلى شعور!

وكان الدائم التنبيه لهذا الأمر:

" الحلال بيّن، والحرام بيّن. وبينهما أمور متشابهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه! " [٨٣].

" إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتــق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشــريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض " [٨٤].

من أجل ذلك قال: "ما أسكر كثيره فقليله حرام".

وأخذ عنه المسلمون هذه القاعدة التشريعية الشاملة فقال فقهاؤهم إن وسيلة المحرم محرمة لأنها تؤدي إليه. فالفاحشة حرام، والنظرة إلى الأجنبية حرام لأنها تؤدي إلى الفاحشة.

وسرت هذه القاعدة في كل التشريع.. وسرت كذلك إلى صميم المجتمع. فكان كل فرد دائم اليقظة إلى الناس يحذر أن توجد الكأس الأولى التي تؤدي إلى الطوفان. " أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك "!

* * *

والإسلام يعلم أنه مهما صنع فلن يبطل الجريمة ولن يلغي الفاحشة من البشرية!

نعم. يعلم ذلك على اليقين. ولا يدفن رأسه كالنعامة في الرمل ويقول: ما دمت لا أراه فهــو غــير موجود!

ولكنه – مع ذلك – لا يعترف بالجريمة كأمر واقع، ولا يقبلها على هذا الوضع!

موقف بالضبط كموقف الطبيب المشرف على وقاية الناس من الأمراض.

إنه يعلم أنه مهما صنع فلن يمنع المرض من الوجود، ولن يصبح الناس كلهم محصنين!

ومع ذلك فلا ينهزم أمام المرض ولا يتركه يتفشى فيتحول إلى وباء.

مهمته الدائمة هي العراك مع الأمراض.

ويعلم علم اليقين أنه ستظل هناك حالات فردية لا تنفع فيها الوقاية، وقد لا ينفع كذلك العلاج.

ولكنه يصر على المقاومة، ولا يلجأ إلى الهزيمة، ويقول – وهو صادق – إن المدينة " نظيفة " ما دامت خالية من الوباء.

وكذلك يصنع الإسلام في وقاية البشرية.

يقف لكل جريمة مفردة ليحاول منعها من الانتشار، ولا يستهين بها مهما تكن من الضآلة في مبــدأ الأمر. فجرثومة الكوليرا الواحدة المفردة تقتل في النهاية مئات الألوف ومئات الملايــين. وجرثومــة الفساد الواحدة تقتل شعباً بأكمله.

وهو يقف للجريمة بكل وسائل الوقوف.

يقف لها داخل الضمير. فالمناعة تنبت من داخل النفس.
ينظف هذا الضمير ويهذبه ويربطه بالله: " تعبد الله كأنك تراه ".
ويقف لها في المجتمع بإقامة التقاليد التي تجعل الفضيلة عادة وتجعل الجريمة منكرة مرهوبة.
ثم يقف لها بالتشريع الذي يعاقب على الجريمة.
وحين تقع الجريمة في هذا الجو، فهي كحالة المرض المفردة التي قد لا تنفع فيها الوقاية ولا ينفع فيها العلاج. ولكن الوقاية والعلاج يفلحان في منع انتشارها وتحولها في النهاية إلى وباء.
وقد أمر الله بمنع الفاحشة ووضع لذلك الحدود.
ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم يضع - الشرح المفصل للحدود حين قال: " ما أسكر كثيره فقليله حرام ".
و لم يكن صلى الله عليه وسلم متشدداً، متزمتاً بلا ضرورة.
إنما كانت الحكمة الخالصة التي فتح لها قلبَه اللطيف الخبير.

---

[٧٥] رواه أبو داود.
[٧٦] انظر فصل " النفس والجسم " من كتاب " في النفس والمجتمع ".
[٧٧] سورة الأعراف [٣١].
[٧٨] " يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ " سورة الزمر [٦].
[٧٩] سورة يس [٦٠ - ٦٢].
[٨٠] سورة الزمر [٤٩].
[٨١] سورة الزمر [٤٩ - ٥١].
[٨٢] سورة الملك [١٤].
[٨٣] رواه البخاري.
[٨٤] رواه أبو داود.

=======================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٩)ادرءوا الحدود بالشبهات

" ادرءوا الحدود بالشبهات " [٨٥].
" ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فمن كان له ملجأ فخلوا سبيله، فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة " [٨٦].
* * *
" الشك يفسر في صالح المتهم ".
تلك هي القمة الإنسانية التي بلغتها أوربا بعد الإسلام بأكثر من ألف عام!

ومع ذلك فهي لم تصل إليها في سهولة ويسر، و لم تصدر فيها عن مشاعر إنسانية خالصـــة، تحـــس بقيمة " الإنسان " في ذاته، وتقدر حرمته وكرامته وحقوقه، وتعطف عليه حتى وهو يخطئ في حـــق الجماعة، ويهبط عن المستوى اللائق بالإنسان.. وإنما جاء ذلك بعد صراع مستمر عنيف، جرت فيه أنهار من الدماء وطاحت فيه كثير من الرءوس!

كان الوضع الذي استقر في أوربا فترة طويلة من الزمان، يقسم الناس إلى سادة في جانب وعبيـــد في جانب. سادة من " الأشراف " يجري في عروقهم دم مقدس! من لون غير دماء البشر العاديين! سادة هم الذين يملكون ويحكمون ويشرعون. وعبيد لا يملكون شيئًا، ولا يشرعون شيئاً، وكان ما لهم هو الذل والهوان المقيم.

وحتى القانون الروماني المشهور بعدالته " المثالية! " والذي يعتبر الأصل الذي تستمد منـــه القـــوانين الأوربية الحديثة في كثير من المسائل، حتى هذا كان قانوناً " للرومان فقط "! الذين يملكون حقـــوق المواطن الروماني. وقليل ما هم! أما بقية الشعب في إيطاليا نفسها، ودع عنك المستعمرات والملحقات والبلاد المغلوبة، فلم تكن تستمتع بهذا العدل الروماني، و لم تكن لها حصانة من العسف والاضطهاد. والفرق الهائل بين عدد الأحرار وعدد العبيد يرينا إلى أي حد كانت القلة القليلة تستمتع على حساب الكثرة المغلوبة. فقد كان الأحرار في روما سنة ٢٠٤ ق. م. ٢١٤ ألفاً، وكان العبيد ٢٠ مليوناً من البشر في إيطاليا، غير بقية المستعمرات!

ووجدت في بقاع الأرض – في أوربا وفارس والهند وسواها – قوانين صريحة تفرق بـــين الشـــريف والعبد في طريقة المعاملة أمام القضاء. وتنص على اختلاف العقوبة على العمل الواحد. فالعبد السراق يقتل، والشريف السارق يكتفي برد ما لديه! والمعتدي على الشريف – إن كان شريفاً مثله – فالعين بالعين والسن بالسن. أما المعتدي على العبد فجزاؤه الغرامة! والغرامة لا تؤدى إليه إنما تؤدى للسيد الذي يملك العبد، تعويضاً له عن " إتلاف " بعض ممتلكاته! أما السيد ذاته فله على عبده حق القتـــل والإبادة والتعذيب! وحتى حين كانت القوانين تخجل من هذه الصراحة فالتطبيق كان يأخذ نفـــس الروح: فالشريف لا يؤخذ بالظنة، ولا يحاكم إلا حين تثبت عليه التهمة، ويحكـــم عليـــه بـــأخف العقاب. والعبد – أي الشعب.. يسام التنكيل لأقل شبهة، ويعذب بوحشية ليعترف، ثم يوقع عليـــه العقاب البشع الذي لا يتناسب مع الجرم ولا يتناسب مع " الإنسانية "!

ولكن استمرار الحال على هذه الصورة البشعة لم يكن من المستطاع، فلا بد أن يثور العبيد لكرامتهم مهما طال عليهم الأمد وطال منهم السكوت..

وقامت الثورات بالفعل مزلزلة مدمرة وأطاحت بالرءوس.. رءوس الملوك والملكـــات والأشـــراف والنبلاء.. وتقررت – نظريا على الأقل – بعض حقوق الإنسان. تقررت لـــه حرماتـــه وحقوقـــه وضماناته. وكان من هذه الضمانات: ضمانة الحياة فلا يموت جوعاً. وضمانة الحياة فلا يعتدى عليه بغير الحق. وضمانة العيش فلا يموت جوعاً. وضمانة الحريات: حرية القول والاجتمـــاع والســـفر واختيار العمل. وضمانة العدالة في القضاء فلا يؤخذ المتهم بالشبهة، ولا يـــؤثر عليـــه في التحقيـــق

بالوعيد ولا بالوعد.. ويفسر الشك في صالح المتهم، فلا يحكم عليه بالعقوبة الكاملة إلا حين تثبت التهمة بالدليل القاطع الذي لا شبهة فيه.

ثم كانت الثورة الصناعية في إنجلترا، وتلتها الحركة الرأسمالية في بلاد أوربا..

وللشيوعية رأي في الرأسمالية: أنها استعباد من رءوس الأموال للكادحين، وامتصاص لجهدهم الذي يبذلون فيه العرق والدماء والدموع ليتحول إلى ثراء فاجر في يد الرأسماليين العتاة..

وإنها لكذلك..

ولكن التاريخ قد وعى – رغم ذلك – حركة هائلة من التحرر في فترة الرأسمالية، نقلت الشعب من مقام العبودية المطلقة والهوان الكامل، إلى وضع أقل ما يقال عنه إنه يحمل من الضمانات السياسية والاجتماعية والقانونية ما يعترف بكرامة الفرد ويرد اعتباره إليه..

إنه يحمل من الضمانات السياسية والاجتماعية والقانونية ما يعترف بكرامة الفرد ويرد اعتباره إليه..

و لم يكن ذلك تفضلاً من " السادة " الحكام والملاك والمشرعين. ولا كان إحساساً منهم بالخير الفياض في نفوسهم، والتقدير " الحر " لكرامة الإنسان كان صراعاً طويلاً عنيفاً اصطدمت فيه القوى من الجانبين كما حدث من قبل في صراع العبيد ضد الإقطاع.. وإن كانت لم تصحبه الثورات الدموية من الشعوب ضد الحكام، لأن الثورة الفرنسية كانت قد قررت لهم المبادئ و لم يبق سوى التنفيذ، ولأن العمال كانوا يملكون السلاح الذي يواجهون به الرأسمالية وهو سلاح الإضراب!

* * *

كلا! لم تصل أوربا إلى العدالة عن تقدير صادق للكرامة الإنسانية، وشعور صادق بقيمة الإنسان!

وإنما كانت خطوة خطوة يتراجعها السادة الحاكمون ليكسبها الشعب الحاقد الغضبان!

وحتى في العصر الحديث حين استقرت الأمور – بعض الشيء – وزال عنها شيء من شعور الحقد، وأصبحت العدالة من أمور الحياة العادية البديهية المقررة.. وصار القبض على شخص واحد في إنجلترا مثلاً بدون تهمة، أو اعتقاله يوماً بدون تحقيق، يثير البلاد كلها، ويقيمها ويقعدها، وتستجوب عنه الحكومة أمام الشعب.. حتى عندئذ لم يصطبغ القانون الأوربي أو الغربي عامة بالصبغة " الإنسانية ".

فما تزال فيه السمة الرومانية البغيضة التي كانت تقصر العدالة من قبل على المواطن الروماني، وهي اليوم تقصرها على الرجل الأبيض، الذي يستمتع وحده بالحقوق الإنسانية ويحرم منها بقية بني الإنسان. والشواهد البشعة على ذلك في كل مكان على ظهر الأرض وطئه الرجل الأبيض وما زال مسيطراً عليه، في أفريقيا وآسيا وأمريكا.. وبين البيض والملونين في كل مكان!

أما الإسلام فلم يكن في حاجة إلى الثورة المزلزلة التي تهرق الدماء وتقطع الرءوس!

بل لم يكن في حاجة إلى مجرد المطالبة بالحقوق!

بل لقد كان هو الذي يمنح الناس الكرامة الإنسانية، ويحرضهم على التشبث بها، والمحافظة عليها، والكفاح من أجلها في وجوه الطغاة والظالمين!

يمنحها متفضلاً.. ككل حق منحه للناس قبل أن يطلبوه، ورباهم على اعتناقه في ظل العقيدة، كجزء من العقيدة، وطالبهم بإقامته - في ظل العقيدة - كفرض من الفروض!

ولا عجب في ذلك. فالإسلام كلمة الله. والله هو المانح، والمتفضل على البشر بكل نعمة من نعم الحياة!

وقد قضى الله أن يكون الحق والعدل قوام الحياة...

الحق الذي هو صنعة الله. والذي خلق الله به السماوات والأرض: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) [٨٧] (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ) [٨٨] (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) [٨٩]. الحق الذي هو صفة كل شيء صدر عن إرادة الله، والذي ينبغي للبشر خلفائه في الأرض - أن يحكموا به كذلك: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) [٩٠] (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [٩١]. (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [٩٢] (فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) [٩٣].

وقد اقتضى الحق والعدل أن يتساوى الناس كلهم أمام القانون، لأن الناس كلهم متساوون في صدورهم عن إرادة الله، وصدورهم عن نفس واحدة خلقها الله، ومتساوون أخيراً في مصيرهم إلى الله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) [٩٤] (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [٩٥] (وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) [٩٦] " أنتم بنو آدم. وآدم من تراب " [٩٧].

من هذه المساواة المطلقة في المنشأ والمصير قامت المساواة كاملة في الإسلام أمام الشريعة. لا فرق بين سيد وعبد، ولا بين شريف وحقير.

يقول الرسول الكريم: " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". [٩٨] فيضع بذلك حداً للمظالم التي كانت قائمة في الأرض - والتي ظلت قائمة في غير الإسلام - بعد ذلك بألف عام! ويضع حداً للخرافة البغيضة التي تفرق بين الناس في الخلقة، وتفرق بينهم بعد ذلك في الحقوق. و لم يكن ذلك القول خطبة حماسية جميلة لاسترضاء الشعوب، ولا مبدأ مثالياً جميلاً معلقاً في الفضاء. وإنما كان حقيقة واقعة شهدها التطبيق العملي في حياة المسلمين. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه، أي يدعو الناس للقصاص منه إذا كان أحدهم يظن أنه قد ظلمه أو اعتدى عليه!! وكان عمر يجلد ابن عمر لأنه شرب الخمر، وهو ابنه وهو شريف من قريش!

أما العبيد الأرقاء بالفعل، فقد عمل الإسلام على تحريرهم، وسلك إلى ذلك مسالك شتى. وإن كانت قد بقيت منه بقية في نطاق ضيق فذلك لأن الأمر كان يرتبط ارتباطاً أساسياً بأسرى الحرب، والمعاملة فيهم بالمثل، وكان الرق هو مصير أسرى الحرب في معظم الأحوال [٩٩].

ولكن المهم – ونحن بصدد التطبيق القانوني – أن الإسلام – وهو يعترف بالرق كضرورة مؤقتة يعمل دائماً على الخلاص منها – لم يبح " للسادة " أن يميزوا أنفسهم على عبيدهم، و لم يبح لهم التصرف " الحر " في هؤلاء العبيد: " من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناه " [١٠٠].

و لم يكن ذلك أيضاً كلمة تقال في الهواء، ولا مبدأ مثالياً معلقاً في الفضاء. وإنما كان حقيقة واقعة شهدها التطبيق العملي في حياة المسلمين. فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصاص من رجل جبّ عبده. وقصة عمر مع الشريف الذي لطم عبداً لأنه داس عفواً على ذيله أثناء الطواف في الحج معروفة، فقد أصر عمر على القصاص.. على أن يلطم العبد ذلك الشريف.. وظل الشريف يرجو ويشفع وعمر يصر.. حتى فر الرجل أخيراً وارتد عن الإسلام!

أما البلاد المفتوحة، فقصة القبطي الذي جاء يشكو ابن عمرو بن العاص لأنه ضرب ابنه بغير حق، فأمر عمر بأن يضرب القبطي ابنَ عمرو ويقتص منه.. هذه القصة وحدها تحمل الدليل!

* * *

تلك أولى مراحل العدالة في الإسلام! المساواة بين الناس كلهم أمام الشريعة..

ولكنها درجة واحدة وبعدها درجات..

فالإسلام لا يكتفي بأن تكون المعاملة للجميع واحدة.. ولكنه يعطي إلى جانب ذلك شريعة هي في ذاتها عادلة فلا يظلم ولا يحيف. فالشرع لا يعرف قول القائلين: المساواة في الظلم عدل! وإنما هو العدل، والمساواة في العدل!

وليس هنا مجال التفصيل في عدالة الشرع الإسلامي.. فقد عرضنا ذلك التفصيل في فصل " الجريمة والعقاب " في كتاب " الإنسان بين المادية والإسلام " ولكنا نقول هنا – بغاية ما نستطيع من إيجاز – إن الشرع الإسلامي يبلغ قمة العدالة حين ينظر إلى الفرد والمجتمع في آن واحد، ليتأكد من أن كلاً منهما يأخذ حظه من الحقوق، ويؤدي نصيبه من الواجبات. وأن أيا منهما لا يظلم لحساب الآخر، أو يفتات على أخيه.

فبينما كانت القوانين في الدول القديمة – وما زالت في الدول الجماعية في الوقت الحاضر – تشتط في عقاب المجرم، لأنه وهو فرد ضائع لا كيان له، يعتدي على الكيان المقدس، كيان الجماعة ؛ ويُتخذ ذلك ستاراً للتنكيل بكل فرد تحدثه نفسه بالخروج على السادة ذوي القداسة والسلطان..

وبينما تبالغ الدول الغربية الرأسمالية في إباحة الحرية للفرد، على أساس أنه هو الكائن المقدس ولا قداسة للجماعة ولا كيان، وينشأ من ذلك تخفيف العقوبة على المجرم وتلمس الأعذار له.. نجد الإسلام يمسك الميزان من منتصفه، فلا يميل في جانب الفرد ولا جانب الجماعة، لأنه لا يراهما فرداً وجماعة منفصلين، ولا يعتبرهما معسكرين متقابلين تقوم بينهما العداوة والبغضاء، ويرغب كل منهما في تحطيم الآخر والقضاء عليه.. بل ينظر إلى الفرد والجماعة على أنهما كلٌّ متجاوب موحد الغاية

متعاون في الأداء.. فإذا شذ فإنه يُقوَّمُ لكي يرد إلى السبيل ؛ وسواء جاء الشذوذ من الفرد بمفرده أو جاء من الجماعة.. فكلاهما مخطئ وكلاهما ينبغي أن يرد إلى الصواب!

وهو إذ ينظر مرة بعين الجماعة، فيرى حقها في الطمأنينة على نفسها، والمحافظة على حقوقها، فيمنع العدوان عليها، ويعاقب المعتدين.. فإنه ينظر في ذات الوقت إلى الفرد، فيرى دوافعه إلى الجريمة، سواء كانت منبعثة من داخل النفس، من نزوة الغريزة، ودفعة الشهوات، أو من الظروف الخارجية، الاجتماعية والاقتصادية، فيقدر هذه الدوافع، وينظر إليها بعين الاعتبار.. ويعمل على إزالتها بكل طريقة ممكنة قبل أن يوقع العقوبة: بالتشريع الذي يكفل الضرورات مرة، والتشريع الذي يصون الحرمات مرة، والتربية التي تهذب النفس وتنظف مساربها، وتجعل روح الحب والتعاون والتكافل هي الروح السائدة في الجماعة.. أولاً وأخيراً بالعقيدة التي تربط القلب بالله، وتوجهه لخشيته والعمل على رضاه.. فإذا عجز ولي الأمر عن إزالة الدوافع لأي سبب من الأسباب، أو ساورته في ذلك شبهة، فعند ذلك يدرأ الحدود بالشبهات!!

أي عدالة يمكن أن تبلغ هذه العدالة؟!

" روي أن غلماناً لابن حاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة، فأتى بهم عمر، فأقروا، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم، فلما ولى رده. ثم قال: أما والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له، لقطعت أيديهم. ثم وجه القول لابن حاطب بن أبي بلتعة فقال: وايمن والله إذ لم أفعل ذلك لأغرمنك غرامة توجعك! ثم قال: يا مزني، بكم أريدت منك ناقتك؟ قال: بأربعمائة. قال عمر لابن حاطب: اذهب فأعطه ثمانمائة "!

فهذه حادثة واضحة الدلالة على أن " المجرم " لا يؤخذ بذنبه حتى ينظر الحاكم أولاً في دوافع الجريمة، فيزنها بميزان الحق والعدل، ويبحث عن المسئول الحقيقي فيها، فيوقع العقوبة عليه. وقد كان المسئول في هذا الحادث هو " السيد " الذي يمثل الملاك! بينما أعفى " المجرم " من العقاب، لأنه اعتبره واقعاً تحت ضغط الضرورة التي تغلب الإنسان على نفسه وتدفعه إلى الانحراف. وهي كذلك تطبيق عملي لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "ادرءوا الحدود بالشبهات".

وإن الدول " الحرة " التي تعطف اليوم على المجرم، وتتلمس له المعاذير، وتخف عنه العقوبة أو ترفعها عنه – بعد أن كانت تشتد عليه وتقسو – هذه الدول تصنع ذلك بروح أخرى غير روح الإسلام! فعلم النفس التحليلي، وغيره من الدراسات النفسية والاجتماعية، يبرر الجريمة اليوم على أساس سلبية الإنسان إزاء الدوافع الداخلية أو الخارجية، وانعدام " الإرادة " التي تقوم عليها " المسئولية ". ولكن الإسلام لا يهبط إلى هذا المستوى في نظرته إلى الإنسان. إنه لا يلغي كيانه الإيجابي الفاعل المريد. ولا يسقط عنه مسئوليته كإنسان. وإنما هو – مع ذلك – يعطف عليه في لحظة الضعف، ويدرأ عنه الحدود بالشبهات.. فهو في الواقع عطف مضاعف – بالنسبة للمستوى الرفيع الذي يطالب به الإنسان – وهو عطف أكرم ولا شك من ذلك الذي تمارسه الدول " الحرة " على كائن لا إرادة له في نظرها ولا كيان!

أما الدول الجماعية التي تكفل للناس حاجاتهم، وتجعل الدولة مسئولة عنها، وتغني الناس – فيما تقول – عن الجريمة، فإنها تأخذ ثمن ذلك دكتاتورية بشعة، وتحكماً في كل صغيرة وكبيرة، واستعباداً للدولة. بينما كان عمر – الذي طبق هذا المبدأ، مبدأ مسئولية الجماعة ومسئولية الدولة عن حاجة الأفراد [١٠١] – هو الذي يقول: " إن أحسنت فأعينوني، وإن وجدتم في اعوجاجاً لقومناه بحد السيف! " فلا يغضب، بل يقول في هدوء وطمأنينة:

" الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقومه بحد سيفه! ".

* * *

الشريعة عادلة في ذاتها، ومطبقة بالمساواة على الجميع.

ولكن هذا وذاك لا يستنفدان كل معاني العدالة في شريعة الإسلام.

ما زالت هناك " الضمانات " المختلفة للفرد الذي يوجه له الاتهام: ضمانة الصدق في الاتهام ذاته. وضمانة حسن التحري. وضمانة التحقيق وضمانة التنفيذ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [١٠٢].

فهذه الضمانة الأولى.. لا يؤخذ أحد بالظنة. ولا بد أن يوزن الاتهام ذاته ليرى مبلغه من الصدق ومبلغه من الجد، فللناس حرماتهم المصونة وكراماتهم التي لا يجوز أن تمس.. إلا بالحق.

(وَلا تَجَسَّسُوا) [١٠٣]

فهذه هي الضمانة الثانية.. لا تكون الجاسوسية من وسائل الإثبات!

وقد روي أن عمر مر ببيت رابته منه أصوات.. فتسور الجدار فوجد قوماً يشربون ويغنون فأراد أن يعاقبهم.. فقام له صاحب االدار فقال عمر: وما ذاك؟ قال: إن الله تعالى يقول: (وَلا تَجَسَّسُوا) وأنت تجسست علينا. ويقول: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) وأنت تسورت علينا! فلم يجد عمر أمامه إلا أن يستتيبه!

ثم ضمانات التحقيق.. وهنا يرتفع الإسلام إلى القمة التي لم تبلغها الإنسانية في غير الإسلام إلا منذ فترة قريبة، وبدافع الصراع الدموي الطويل الذي فصلناه من قبل، لا بدافع الإنسانية الطليقة التي تكرم " الإنسان " حتى في لحظة الهبوط!

إن المحقق ليست مهمته الإيقاع بالمجرم وتضييق الخناق عليه في التحقيق! ولا يجوز له أن يستخدم وسيلة من وسائل الإرهاب تنتهي بالاعتراف.

جاء في سنن أبي داود (ج ٤ ص ١٩١): " حدثنا عبد الوهاب بن بجدة.. أن قوماً من الكلاعيين سرق لهم متاع. فاتهموا أناساً من الحاكة، فأتوا النعمان بن بشير صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فحبسهم أياماً ثم خلى سبيلهم. فأتوا النعمان فقالوا: خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان؟ فقال النعمان: ما شئتم! إن شئتم أن أضربهم.. فإن خرج متاعكم فذاك، وإلا أخذت من ظهوركم مثل ما

أخذت من ظهورهم! فقالوا: هذا حكمك؟ فقال: هذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم " [١٠٤].

أما الذي يعترف بنفسه.. فالقمة التي وصل إليها الإسلام بشأنه عجب عاجب في التاريخ!

" حدثنا موسى بن إسماعيل.. أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بلص قد اعترف اعترافاً و لم يوجد معه متاع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما إخالك سرقت؟! " قال: بلى! فأعاد عليه مرتين أو ثلاثاً، ثم أمر فأقيم عليه الحد " [١٠٥].

أما قصة ماعز بن مالك الذي اعترف على نفسه بالزنا فهي قصة مشهورة. فقد ظل يجيء إلى الرسول مرة بعد مرة يعترف لديه والرسول صلى الله عليه وسلم يرده، حتى اعترف أربع مرات، فعاد الرسول يسأله ويستوضحه وينفي له التهمة أو يفتح له طريق الخلاص! فيقول له: " لعلك قبّلت، أو غمزت، أو نظرت ".

وماعز يصر ويقول لا! فقال له: " أزنيت؟ " قال: نعم! قال: " فهل تدري ما الزنا؟ " [١٠٦]. فما أقام عليه الحد حتى اطمأن اطمئناناً كاملاً أنه يصر على الاعتراف ولا يريد أن يدرأ عن نفسه العذاب!

فإذا كان هذا هو جو التحقيق فلا مجال بطبيعة الحال لشيء من الوسائل البشعة التي تتخذ في غير الإسلام.

أما التنفيذ بعد كل هذه الضمانات.. التنفيذ في مجرم تثبت عليه التهمة من غير إكراه، ووقعت عليه عقوبة في ذاتها عادلة، ووقعت لأنه لا شبهة في الجريمة تدفع عنه الحد.. التنفيذ بعد ذلك كله يحمل ضماناته!

حدثنا أبو كامل.. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه " [١٠٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تعذبوا بعذاب الله " [١٠٨] (أي النار).

وقال صلى الله عليه وسلم: " فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة " [١٠٩].

ولكن هذا ليس كل ما هناك...

لقد بلغنا العدالة و لم نبلغ بعد قمة الإسلام!

إن المجرم إذا وقعت عليه العقوبة بعد هذا الاحتياط كله.. المجرم الذي لا شبهة في جريمته.. المجرم الذي لا عذر له في ارتكابها.. وإنما هي نزوة من نزوات النفس الشريرة، ودفعة من دفعات الهبوط..

ذلك المجرم لم يخرج بعد من دائرة الإنسانية، بل لم يخرج من دائرة الجماعة الإسلامية! إنه لا ينبذ ولا يضطهد.. ولا يعيّر بجريمته.. ولا يذّكر بها.. ولا يحول شيء قط بينه وبين أن يعود إلى الجماعة – في لحظته – تائباً منيباً إلى الله، فيقبل فيها وتفتح له القلوب.

" حدثنا قتيبة بن سعيد.. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب، فقال: " اضربوه ". قال أبو هريرة، فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه. فلما

انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقولوا هكـــذا. لا تعينوا عليه الشيطان " [١١٠].

وفي حادث السارق الذي مر ذكره، والذي أمر الرسول بإقامة الحد عليه، قال له الرسول: " استغفر الله وتب إليه " فقال: استغفر الله وأتوب إليه، فقال: " اللهم تب عليه اللهم تـــب عليـــه " ثـــلاث مرات[١١١].

نعم إن الإسلام لا يحب أن يفقد نفساً واحدة يمكن أن تتوب إلى الله وتهتدي إليه. إنه لا يصر علـــى لحظة الضعف التي تصيب فرداً من البشر، ولا يُعنِتُهُ من أجلها. وإنما يفتح له بابه لكي يعود.. يعـــود إلى الله ويعود إلى الجماعة، فينطلق فيما هي منطلقة من الخير، ويأخذ لنفسه من ذلك الخير بنصيب. ولا تقف الجريمة العابرة حاجزاً في حياته، ولا تسمم أحاسيسه وأفكاره، ولا توصد أمامه الأبـــواب فيصبح مجرماً مصراً على الإجرام بعد أن كان مجرماً بغير قصد. وذلك معنى قول الرسول الكريم: " لا تعينوا عليه الشيطان ".

ومع ذلك فإن تكريم الرسول الكريم للبشرية.. " للإنسان " الذي خلقه الله في أحسن تقويم.. حـــتى وهو يرتد في لحظة لأسفل سافلين.. تكريمه له ما دام لا يصر على الإثم ولا يمرد عليه، ولا يقف عند الأحياء الذين يرجوهم للجماعة، ويستبقيهم لخير يمكن أن يصنعوه في الأرض، أو ليتقي شراً يمكن أن يصدر عنهم – أي لأهداف " عملية " واقعية! – وإنما يتجاوز ذلك إلى آفاق أخرى، رفافة شفيفة، نسيجها الرحمة الخالصة، والتكريم الخالص.. لوجه الله!

جاء في قصة ماعز بن مالك: ".. فأمر به فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجـــم الكلـــب. فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجليه، فقال: " أين فلان وفلان؟ " فقـــالا: نحن ذان يا رسول الله. قال: " انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار ". فقالا: يا نبي الله، من يأكل مـــن هذا؟ قال: " فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكلٍ منه. والذي نفسي بيده إنه الآن لفـــي أنهار الجنة ينغمس فيها ".

يا الله.. ويا نبي الله.

ألا إنها آفاق ما بعدها آفاق.. ألا إنه النور الذي يشع من هذا القلب الكوني الذي يتصـــل بـــالله، ثم يفيض بالرحمة والهدى على عباد الله..

وذلك كله قبل أن يقول قولته علم الاجتماع وعلم الاقتصاد، وعلم النفس التحليلي وعلم الجريمـــة، قبل أن يتفلسف المتفلسفون في هذا الميدان بأكثر من ألف عام.

---

[٨٥] رواه عبد الله بن عباس (ورد في كتاب الكامل لابن عدي وفي مسند أبي حنيفة للحارثي).

[٨٦] ذكره صاحب مصابيح السنة في الصحاح.

[٨٧] سورة الزمر [٥].

[٨٨] سورة آل عمران [١٩١].
[٨٩] سورة المؤمنون [١١٥ - ١١٦].
[٩٠] سورة النحل [٩٠].
[٩١] سورة النساء [٥٨].
[٩٢] سورة المائدة [٨].
[٩٣] سورة الأنعام [١٥٢].
[٩٤] سورة النساء [١].
[٩٥] سورة الحجرات [١٣].
[٩٦] سورة يس [٣٢].
[٩٧] مسلم وأبو داود.
[٩٨] رواه الستة.
[٩٩] انظر بالتفصيل فصل " الإسلام والرق " في كتاب " شبهات حول الإسلام ".
[١٠٠] الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي.
[١٠١] مبدأ كفالة الدولة للأفراد ومسئوليتها عن جميع أمورهم مبدأ صريح في الإسلام، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: لو أن بغلة عثرت بصنعاء لكنت مسئولاً عنها لِمَ لَم أسوِّ لها الطريق! ويقول ابن حزم في صراحة إن (الجماعة) مسئولة عن كل فرد فيها، وإن للإنسان أن يقاتل من في يده طعامه أو شرابه (إذا منعه عنه) فإن قتل لأهله الدية، وإن قتل تدفع لا يقام عليه الحد!

==========================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(١٠)سفينة المجتمع

" مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً، و لم نؤذ من فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً " [١١٢].

* * *

صورة عجيبة تلك التي تتمثل في النفس من قراءة هذا الحديث.. صورة حية شاخصة موحية معبرة.
وإن هناك لجمالاً بديعاً في هذا التشبيه بالسفينة. فالحياة كلها هذه السفينة الماخرة في العباب، لا تكاد تسكن لحظة حتى تضطرب من جديد. ولن يكتب لها السلامة والاستواء فوق الموج المضطرب حتى يكون كل شخص فيها على حذر مما يفعل، ويقظة لما يريد.
والمجتمع كله هذه السفينة.. يركب على ظهرها البر والفاجر، والمتيقظ والغفلان، وهي تحملهم جميعاً لوجهتهم.. ولكنها - وهي محكومة بالموج المضطرب والرياح من جانب، وما يريده لها الربان من

جانب – لتتأثر بكل حركة تقع فيها، فتهتز مرة ذات اليمين وتهتز مرة ذات الشمال، وقد تستقيم على الأفق أحياناً أو ترسب أحياناً إلى الأعماق..!

وإن كثيراً من الناس لينسى – في غمرته – هذه الحقيقة. ينسى سفينة المجتمع أو سفينة الحياة.

ينسى. فيخيل إليه أنه ثابت على البر، راكز راسخ لا يضطرب ولا يزول.

ومن أجل ذلك يفجر أو يطغى..

ولو تذكر من استكبر وطغى أنه ليس راكزاً على البر ؛ ليس دائماً في مكانه، ولا خالداً في سطوته، وإنما هي رحلة قصيرة على سفينة الحياة.. لو تذكر ذلك ما استكبر ولا طغى، ولا اغتر بقوته الزائلة عن الحقيقة الخالدة، ولعاد لمصدر القوة الحقيقية في هذا الكون، يستلهم منه الهدى، ويطلب منه الرشاد، ويسير على النهج الذي أمر به وارتضاه للناس.

ولو تذكر من يفجر وينحرف أنه ليس راكزاً على البر، وإنما هو منطلق على العباب.. وأن كل حركة يأتيها تتأثر بها السفينة فتهتز.. لو تذكر ذلك لما ترك نفسه لشهواته ولانحرافاته، ولعمل حساباً لكل خطوة يخطوها وكل حركة يتحركها حرصاً على نجاته هو ونجاة الآخرين..

ولكنها الغفلة السادرة التي تخيم على البشرية.. إلا من آمن واتقى وعرف ربه واهتدى إليه.

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يدرك هذه الغفلة التي ترين على قلوب الناس، فيحذرهم منها، ويصورها لهم في صور شتى، من أعجبها أبلغها هذه الصورة التي يرسمها هذا الحديث، صورة السفينة الماخرة في العباب..

* * *

حين قال الإقطاعيون لأنفسهم: نملك الأرض وكل من عليها عبيد..

وحين قال الرأسماليون لأنفسهم: نملك المصانع والعمال فيها عبيد..

وحين قال الأباطرة المقدسون: نملك الملك والرعايا عبيد..

وحين قال غيرهم وغيرهم من الظالمين مثل قولتهم، لم تكن غير نتيجة واحدة في كل مرة، غرقت السفينة المخروقة، وغرق من عليها من سادة ومن عبيد!

وانظر في ثورات الأرض المزلزلة التي أطارت الرءوس وأجرت الدماء، وانظر إلى الحروب المدمرة التي تأكل الأخضر واليابس وتسمم الحياة، لم تكن غير نهاية طبيعية للخرق المخروق في السفينة، تتدفق عن طريقه المياه..

* * *

ويقوم شاب مفتون ينجرف في تيار الشهوات، يقول: من يحرِّجُ عليّ فيما أصنع؟ أفعل ما بدا لي، وليس لأحد عليَّ سلطان.

ويتركه الناس!

يتركونه يفسق ويفجر، وينشر الفاحشة في المجتمع.

يتركونه خوفاً وطمعاً إن كان من زمرة السادة الأثرياء. أو يتركونه استصـــغاراً لشـــأنه واســـتهتاراً بعواقب الأمور.

وقد يقول في نفسه يبرر فجوره: وهل يمكن أن أؤثر في المجتمع وأنا شخص واحد مفرد الكيان؟ هل أنا إلا قطرة في الخضم؟ فلتكن قطرة سم! فكيف تفسد الخضم؟! هل قبلة في الهواء، أو ضمة مختلسة في الظلام، أو ساعة ممتعة في خلوة، هل هذه يمكن أن تؤثر في المجتمع وتهدم الأخلاق؟!

وإنه لينسى.. والساكتون عليه ينسون..

إنه يتصور نفسه شخصاً واحداً في المجتمع – قطرة واحدة في الخضم – وينسى والناس ينسون أن كل واحد يقول ذلك وهو يلقى القطرة السامة في الخضم.. ولا بد أن تتجمع في النهاية السموم.

بل قد يتبجح الفتى زيادة فيحدث نفسه أو يحدث الناس: وهل أنا وحدي الذي سأصـــلح المجتمـــع الفاسد؟ لقد فسد وانتهى الأمر. فهب أنني امتنعت وحدي عن الجريمة واحتملت وحدي اضـــطراب النفس واحتراق الأعصاب.. فأي جدوى من ذلك وأي نتيجة؟ أحترق في النهاية وحدي ويســـتمتع الآخرون..!

وقد يكون ذلك حقاً!

ولكنه لم يكن كذلك حين فجر أول فاجر وتركه الناس! حين خرق أول مفتون مكانه في الســـفينة فلم يأخذوا على يديه. حين ظن أول خارج على المجتمع والأخلاق والتقاليد أنه لن يضر الناس شيئاً، وأنه يخرق مكانه وهو حر فيه..

وحين يصبح حقاً ما يقوله الفتى.. حين يكون المجتمع فاسداً إلى المدى الذي لا يصلحه امتناع فـــرد، ولا تؤثر فيه نظافة ضمير.. حين ذلك تصدق سنة الله وتصدق كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم .. ينهار المجتمع كله، وتغرق السفينة الطافحة بالمياه.

* * *

وتقوم فتاة مستهترة، تتقصع في مشيتها، وتتكسر في حديثها، وتعري ما يحلو لهـــا مـــن جســـدها، وتتعرض للشباب تثير فتنة الجنس ونوازع الحيوان.. تقول: من يحرج عليَّ فيما أصنع؟ أفعل ما بدا لي، وليس لأحد عليَّ سلطان.

ويتركها الناس!

وقد تقول لنفسها أو تقول للناس تبرر جريمتها: وأي شيء أصنع؟ هل أقتل نفسي كبتاً وأترهبن؟ أريد أن أنطلق. أريد أن أستمتع بالحياة. هذا حقي! كيف أناله؟ كيف أناله نظيفاً إذا أردت؟ أما ترون كل شيء حولي فسد واشتد به الفساد؟ فإن تطهرت فكيف أعيش؟ كيف أحصل على نصيبي المشـــروع من متعة القلب ومتعة الجسد ومتعة الحياة؟ وهل أنا التي أفسدت هؤلاء الشبان أم إنهم هم الفاسدون؟ إنهم حيوانات. إنهم ذئاب! إنهم هم يسعون إلى الصيد ويوقعون بكل غرة لا تعرف وسائل الذئاب. فلست بدعاً في المجتمع. ولن أصده أنا عن التيار!

وقد يكون في كلامها شيء من الحقيقة.

ولكنه لم يكن حقيقة يوم فجرت أول فتاة فتركها الناس. حين خرجت أول فتاة مستهترة عابثة تحطم التقاليد وتهزأ بالأخلاق.. يوم خرقت مكانها في السفينة وقالت هو مكاني ولن يضر غيري من الناس.

وحين يصبح ما تقول الفتاة حقاً.. حين يفسد المجتمع إلى المدى الذي تحس الفتاة النظيفة أنها لا تجد نصيبها المشروع من متعة الحياة.. حينئذ تتحقق سنة الله، ويؤذن المجتمع كله بالانهيار.

* * *

ويقوم كاتب يزين الفاحشة ويحسنها للناس، يقول: أنا حر فيما أكتب. أين حرية الرأي؟ أكتب ما بدا لي. وليس لأحد عليَّ سلطان.

ويتركه الناس.

يتركونه يعيث في الأرض فساداً، وينشر السموم في النفوس. يستهترون بأمره، أو يشغلون عنه في زحمة الحياة. ويهزون أكتافهم يقولون: هل نحن به مكلفون؟

ويستفيد ذلك الكاتب.. يستفيد شهرة وثراء، ونفوذاً في بعض الأوساط. ولا عجب في ذلك فتجار المخدرات وتجار الأعراض يصلون إلى الشهرة وإلى الثراء.

ويغري النجاح غيره من الكتاب فينغمسون في تيار الجريمة، ويقولون إنهم تقدميون. يقومون برسالة مقدسة، رسالة القضاء على التقاليد " البالية " والتحضير لمجتمع جديد.

وقد يتبجح كاتب أو صاحب صحيفة يبرر الجريمة لنفسه، أو يبررها للناس.. يقول: ماذا أصنع؟ لقد تسمم الجو كله وصار القراء لا يقبلون على الأدب " الأبيض " والكلام النظيف. لقد تعودوا على الصحف العارية والقصص العارية، والأفكار العارية. ولم يعد يؤثر فيهم غير هذا اللون من الإنتاج. هب أنني أصدرت صحيفة نظيفة فكيف تعيش؟ من يقرؤها؟ كيف تغطى نفقاتها؟ ألا يكون ذلك انتحاراً؟ أو غفلة؟ أو جنوناً لا يقدم عليه عاقل؟ وماذا يصنع كاتب واحد أو صحيفة واحدة في التيار المسموم؟ هل يصنع إلا أن يفشل ويثير بفشله شماتة الشامتين؟!

وقد يكون هذا حقاً!

ولكنه لم يكن كذلك حين خرج أول كاتب يدعو إلى الفاحشة وتركه الناس. يوم هزوا أكتافهم وقالوا: هل نحن به مكلفون؟

وحين تصل الأمور إلى هذا الحد.. يوم يصبح الكاتب النظيف لا يجد الجمهور الذي يقرؤه أو الصحيفة التي تنشر له.. يوم لا تستطيع الصحيفة النظيفة أن تعيش.. يومئذ تكون السفينة قد أثقلت بما فيها من الماء، واضطربت مما فيها من الخروق.. وتتحقق سنة الله في الأرض، ويؤذن المجتمع كله بالانهيار.

ويقوم والد ضعيف الشخصية تحكمه امرأته، أو يحكمه الترف والاسترخاء.. يترك أولاده يعيشون بلا رقابة، يقول: هم أولادي وأنا حر فيهم! أفعل ما بدا لي، وليس لأحد عليَّ سلطان.

ويتركه الناس.. يتركونه تملقاً، أو يتركونه استخفافاً، يقولون: هو في النهاية الخاسر، وما لنا عليه من سبيل.

ويستمتع الأولاد.. يستمتعون بالتحلل من الضوابط والانفلات من القيود.

ويستمتعون بلذة الهبوط!

وهي لا شك متعة للمزاج المنحرف والكيان المقلوب! فمن الثابت أن الكيان الناقص – حين لا يكمّل بالطريق الصالح، ولا يوجه التوجيه السليم – يجنح إلى التكملة من طريق هابط، ويحس " بالنضوج " " والتميز " " والمتعة " من هذا الطريق!

وهذه المتعة تغري غيرهم من الأولاد فينجرفون في الطريق.. يجدون اللذة المنشودة، والنضوج المنحرف، والتميز بين الأقران.. ويروحون يتمردون على أهليهم وينفلتون من القيود.

ويقول الولد لأبيه: أنت رجعي. أنت متأخر. أنت تتجاوز حدودك. من تظنني أمامك. لست طفلاً. أنا رجل مثلك. أنا أتحمل مسئولية نفسي. تريد أن تستعبدني بما تنفق عليَّ؟ كلا! إنك ملزم بالإنفاق. ولكنك لا تملك التدخل في شئوني. أنا أدرى بما يضر وما ينفع. أنا أعيش بعقلية جديدة متحررة متطورة. أنا أفهم ما يدور في المجتمع وأتطلع إلى المستقبل.. إلى الأمام.. فليس لك عليَّ سلطان!

وتقول الفتاة لأبيها وأمها: أين تعيشون! إنكم تعيشون بعقلية الجيل الغابر.. المتأخر.. الرجعي.. أما أنا فأعيش بعقلية متحررة. ماذا تريدون مني؟ هل تظنون أنكم أنتم الرقباء عليَّ إن أردت أن أفسد؟ وأن وصايتكم عليَّ تحميني من السقوط؟ أنا القيّم على نفسي. وأنا الرقيبة على أخلاقي! وليست الأخلاق هي الملابس أو هي العزلة عن المجتمع! ما الذي سيحدث حين أكشف ذراعيّ أو ساقيّ؟ أو أكشف جزءاً من صدري؟ هل ستنقص مني قطعة؟ وماذا سيصنع لي الشبان حين ينظرون إليَّ أو يكلمونني في الطريق؟ هل ستخرب الأرض؟ إنكم تتصورون الأمور بعقلية جامدة لا تفهم " التطور " ولا تفهم الحياة! وعلى أي حال فذلك شأني وحدي. وليس لأحد عليَّ سلطان!

ويشكو الآباء! يشكون أن أبناءهم تمردوا عليهم، ولم يعد في مقدورهم أن يردوهم إلى السبيل!

ويقولون إن المجتمع فاسد يفسد عليهم الأولاد!

وقد يكون ذلك حقاً!

ولكنه لم يكن كذلك يوم فسد أول جيل من الأبناء فتركوهم يفسدون!

وحين يحدث ذلك.. حين ينفلت الأولاد بلا ضابط، لا يحكمهم أهلوهم، ولا يحكمهم مدرسوهم في المدرسة، لأن الوالد قد أفسد على المدرس مهمة التوجيه.. حينذاك تتحقق السنة الماضية، وتغرق السفينة وكلها خروق!

* * *

ويقوم طالب يغش في الامتحان، يقول: أصنع ما بدا لي. وليس لأحد عليَّ سلطان.

ويتركه الناس.

يتركونه " إشفاقاً على مستقبله "! أو يتركونه استخفافاً بالجريمة.

وينجح الطالب، ويستمتع بهذا النجاح الميسر البسيط التكاليف..
ويغري النجاح غيره.. فيروحون يعبثون العام كله، يتسكعون في الطرقات، ويجــرون كــالكلاب الشاردة وراء الفتيات.. ثم يسهرون الأسبوع الأخير يحضِّرون " البرشام " من أجل الامتحان.
ويحس الآخرون من الشرفاء أنهم مظلومون! هم يسهرون العام كله في العمل، ثم لا يبلغون – بالجد والأمانة – ما يبلغه الغشاش بغشه، وقد ينجح وهم يرسبون! وقد يصــل إلى " الوظيفــة " وهــم قاعدون!
لا جرم ينصرف أغلبهم عن النشاط العلمي الصادق، وينقلبون إلى مخادعين غشاشين!
ولا جرم تجد بعد ذلك الموظف الذي يذهب في الموعد وينصرف في الموعد – إن شــدد عليــه في الحضور والانصراف – ولا يعمل عملا طيلة وقت " الديوان "!
ولا جرم تجد المهندس الذي لا يوافق على " مواصفات " البناء أو " المواصفات الصــحية " وأنــت تؤديها على وجهها الأكمل، ثم يوافق على أقل منها كثيراً إن دسست في يده " المعلوم "!
ولا جرم تجد الطبيب الذي لا يعطيك العلاج الكامل الذي يشفيك من أول مرة، ويــروح يطيــل العلاج ويطلبك تمر عليه مرة بعد مرة ليزداد منك كسباً، وتكسب معه معامل الأدوية التي " يتعامل " معها أو يكسب الموردون!
كلهم غشاشون!
كلهم ذلك الطالب الأول الذي تركه الناس غافلين.
وحين يصبح الغش هو " العملة " السارية في المجتمع، فلا جرم يذهب المجتمع أسفل سافلين!
ويقوم موظف يرتشي.. يقول: من يحرِّج عليَّ فيما أصنع؟ أفعل ما بدا لي، وليس لأحد عليَّ سلطان.
ويتركه الناس!
يتركونه بدافع الحاجة إلى ما في يده من المصالح، أو بدافع الخوف إن كان من ذوي النفوذ.
ويستفيد ذلك المرتشي.. يستفيد ثروة سهلة المأخذ مضمونة الورود.
ويغري الثراء غيره من الموظفين، فيندفعون في تيار الشهوة ينهلون من هذا المنهل الدنس، ويلغون في دماء المحتاجين.
وتأخذ الموجة مداها.. حتى تصبح الأمور كلها بالرشوة، ومن غيرها توصد الأبواب في وجه أصحاب الحقوق.
وقد يتبجح موظف يبرر الجريمة لنفسه أو يبررها للناس، يقول: هل أنا وحدي الذي أرتشي؟ هل أنا وحدي الذي أشيع الفساد.. فهل تنتظم مصالح الناس كلها، وتفتح لهم الأبواب؟ كل ما يحدث أنني أحرم نفسي من المعين المتاح، وأظل فقيراً وأنا رب أسرة وصاحب عيال.
وقد يكون هذا حقاً..
ولكنه لم يكن كذلك حين بدأت الرشوة أول مرة وسكت عنها الناس، أو شجعوها وأغــروا بهــا المرتشين.

وحين تصل الأمور إلى هذا الحد.. حين تصبح الرشوة هي الأصل والنظافة هي الشذوذ.. حينذاك تقع الهزة التي تزلزل المجتمع كله من القواعد، فلا يلبث أن يتهاوى إلى القرار..

* * *

صدق رسول الله. وصدقت حكمته:

"ما أسكر كثيره فقليله حرام"..

"مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن تدعو فلا أجيب"..

إن حديث السفينة يجمع ما في الحديثين السابقين، ولكنه يضيف إليهما معاني أخرى جديرة بالتدبر والتفكير..

وإن أول ما يستلفت النظر في الحديث أن الرسول الكريم لم يقسّم ركاب السفينة بحسب أماكنهم الظاهرية في المجتمع، علواً وسفلا، وثراء وفقراً، وبروزاً وتواضعاً.. لم يجعل " السادة " هم الأعلون و " الشعب " هو الأسفل. كلا. فما كانت هذه القيم هي التي تقسم الناس عند رسول ينطق بحكمة الله ويبلغ رسالة الله.

إن الأعلى في تقدير الله ورسوله " هو القائم في حدود الله ". هو المنفذ لشريعة الله. هو المهتدي بهدي الله. أياً كان مكانه الظاهري في المجتمع. فالقوة الحقيقية لا تستمد من عرض الأرض، ولا من القيم الأرضية المنقطعة عن الله. إنما تستمد من الله. من الإيمان به والاعتزاز بهذا الإيمان. (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فالإيمان هو القوة الحقة، وهو مصدر " العلو " ومصدر التوجيه. وكل قيمة سواه زائفة لا تلبث أن تضيع.

أما " الواقع فيها " فهم العصاة المنحرفون في كل جانب من جوانب العصيان والانحراف، بصرف النظر عن مركزهم " الظاهري " في المجتمع. فهذا المركز لا يساوي شيئاً، ولا يقي من الله شيئاً حين يؤدي إلى الميل عن الطريق. بل إنه لا يساوي شيئاً في واقع الأرض، ولا يقي من النتيجة المحتومة حين يأذن الله بتحقيق السنة في أوانها المعلوم! فحين تغرق السفينة من شدة الفساد لا يقول السادة للشعب: اغرقوا أنتم وحدكم ونحن ناجون من الهلاك!

وحين يطلب الرسول من القائمين في حدود الله أن يأخذوا على يد الواقعين فيها لا يحدد مهمتهم بمراكزهم الظاهرية في المجتمع، وإنما بأماكنهم الحقة في سفينة المجتمع وسفينة الحياة، فما داموا مؤمنين فهم القوة الحقة. القوة الموجهة. القوة الآخذة على أيدي العابثين. وهذه مهمتهم، عليهم أن يعرفوها بصرف النظر عن ثرائهم أو فقرهم، ورئاستهم أو مرءوسيتهم.. فما بهذا توزن الأمور..

* * *

والأمر الثاني هو وحدة المصلحة في المجتمع، وإن بدت المصالح ظاهرة الخلاف!

إن كل الأمثلة التي أوردناها حول محور واحد، مستمد من معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء قوم لهم " مصالح قريبة " يستنفعون منها على حساب الآخرين. ولو تركهم المجتمع

حقبة من الزمن فسوف يستفيدون حتماً من هذا السكون. يستفيدون توفير الجهد، وتوفير مغالبة الشهوات. ويأتيهم رزقهم قريباً سهلا ميسراً لا يتعبون فيه.

ولكن حقبة من الزمن تمضي – طويلة أو قصيرة – ثم يأخذ الفساد في الانتشار وتبدأ السفينة في نهاية المطاف.. تغرق وتأخذ معها الظالمين والمظلومين على السواء! ومن ثم فالمصالح النهائية واحدة. والأخطار النهائية واحدة.. ليست هناك مصلحة لفرد هي مصلحته وحده وشأنه بمفرده. كل مصلحة هي مصلحتهم جميعاً وكل ضرر يصيبهم جميعاً.. ولا يستطيع أحد أن يتخلى عن مسئوليته في هذا السبيل.

وهنا تبرز بعض الحيرة إزاء الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) [١١٣]. وهي حيرة وقع فيها المسلمون الأوائل أنفسهم فقام أبو بكر رضي الله عنه ينبههم إلى طريق الصواب.

قال: يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية.. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده" (رواه أبو داود والترمذي).

نعم " عليكم أنفسكم " عليكم المجتمع الذي تعيشون فيه. وليس عليكم غيركم من المجتمعات أو الأفراد غير المسلمين. فهؤلاء لا يضرونكم متى اهتديتم وعملتم بما يريده الله. أما الأعمال التي يقوم بها المسلمون في المجتمع المسلم فليس حكمها كذلك. إنها مسألة حياة أو موت بالنسبة لهذا المجتمع. فإما أن يحس بوحدة المصلحة فيأخذ على يد الظالم – من أي نوع كان ظلمه ؛ لنفسه أو للآخرين – فينجو المجتمع كله، وإما أن يترك الأمر خوفاً وطمعاً أو استهتاراً وتهاوناً.. فتحدث الطامة التي تغرق الجميع.

* * *

ومن وحدة المصلحة ينشأ الترابط بين أفراد المجتمع ترابطاً لا يتخلخل ولا تنقطع عراه. إنهم ركاب سفينة واحدة، ناجية أو غارقة، فكيف يمكن أن ينفصل بعضهم عن بعض أو يتجاهل بعضهم وجود بعض؟

وإنه – وهو ترابط المصلحة الواحدة التي يلتقي عندها الجميع – لهو في الوقت ذاته ترابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. ترابط التعاون على البر والتقوى وليس ترابط التعاون على الإثم والعدوان.

* * *

ترابط لا يقول فيه إنسان: ما شأني أنا بفلان، فليصنع ما يشاء ولن أتدخل في أمره!

ولا يقول فيه إنسان لآخر: ما شأنك بي! سأصنع ما أشاء ولا تتدخل في أمري!

كلا! إن أمور المجتمع لا يمكن أن تستقيم كذلك.. لا بد من يقظة كل فرد لأعمال أخيه، ولا بد من رده عن الخطأ والإسراف فيه.

وليس معنى ذلك أن يتحول المجتمع إلى منازعات ومشاحنات!

كلا! فليس هذا هو الطريق!

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [١١٤] (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [١١٥].

هذا هو الطريق..

إن الترابط هو ترابط الحب. لا البغضاء.

وإن النصيحة لتصدر من هذا المنبع العذب. أنا أنصح أخي لأنني أحبه. لأنني أريد له الخير. لأنني أريد أن آخذ بحجزه أن يقع في النار! وهو يتقبل مني النصيحة على هذا الوضع.. لأنه يحبني ويثق في نظافة النصح والتوجيه.

أما " الأخذ على اليد " بما تحمله من معنى الزجر أو العنف فليست أول الطريق!

إنما هي النهاية حين تفشل الوسائل كلها ولا يتبقى غير هذا الطريق!

* * *

ورب قائل أن يقول – عن إخلاص نية – مقالة الفتى المستهتر أو الفتاة الهوجاء:

وهل أنا وحدي سأصلح المجتمع. هل أنا – حين أومن وأعمل صالحاً – سأنقذ السفينة الهاويـــة إلى القرار!

كلا!

فحين توجد في مجتمع يوشك أن يتحطم، في سفينة توشك على الهلاك، فلن تقفها وحدك عن النهاية المحتومة، ولن تنقذها وحدك من الهلاك.

نعم. ولكنك تنقذ نفسك!

فحتى حين تتحقق السنة التي لا تتخلف.. حتى حين ينفذ الوعد الحق وتتحطم السفينة.

حتى حينئذ.. فشتان بين غريق وغريق!

غريق في جهنم لأنه فاجر.

وغريق في الجنة لأنه شهيد.

فمن ذا الذي يبيع الآخرة بالدنيا، ويسعى إلى النار – وهو يغرق – في حين يملك – حتى وهو يغرق – أن يسعى إلى النعيم؟!

---

[١٠٢] سورة الحجرات [٦].

[١٠٣] سورة الحجرات [١٢].

[١٠٤] رواه أبو داود.

[١٠٥] أبو داود.

[١٠٦] أبو داود من روايات متعددة.

[١٠٧] أبو داود.

[١٠٨] أبو داود.

[١٠٩] انظر فصل " وليرح ذبيحته ".

[١١٠] أبود داود.

[١١١] أبو داود.

[١١٢] رواه البخاري والترمذي.

[١١٣] سورة المائدة [١٠٥].

[١١٤] سورة فصلت [٣٣ - ٣٤].

[١١٥] سورة النحل [١٢٥].

==================================

قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(١١)أنتم أعلم بأمور دنياكم

قصة هذا الحديث معروفة..

فقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة على قوم يؤبرون النخل - أي يلقحونه - فقال: " لو لم يفعلوا لصلح له " فامتنع القوم عن تلقيح النخل في ذلك العام ظناً منهم أن ذلك من أمر الوحي، فلم ينتج النخل إلا شيصاً (أي بلحاً غير ملقح، وهو مر لا يؤكل) فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة سأل عما حدث له فقالوا: " قلت كذا وكذا.. " قال: " أنتم أعلم بأمور دنياكم " عن عائشة وعن ثابت وعن أنس): وفي صحيح مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما أظن يغني ذلك شيئاً ".. ثم قال: " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه. فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن. ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ".

* * *

تلك قصة الحديث..

وهي واضحة الدلالة فيما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس من أمور يتصرفون فيها بمعرفتهم، لأنهم أعلم بها وأخبر بدقائقها. إنها المسائل " العلمية الفنية التطبيقية " التي تتناولها خبرة الناس في الأرض، منقطعة عن كل عقيدة أو تنظيم سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي. وهي في الوقت ذاته تصلح للتطبيق مع كل عقيدة وكل تنظيم، لأنها ليست جزءاً من أي عقيدة أو أي تنظيم.. بل إنها حقائق علمية مجردة عن وجود الإنسان ذاته بكل عقائده وكل تنظيماته. كحقيقة اتحاد الأكسجين والإيدروجين لتكوين الماء، وحقيقة انصهار الحديد في درجة كذا مئوية. هي حقائق ليسن ناشئة عن وجود الإنسان. وإنما هي سابقة له، موجودة منذ وجدت هذه العناصر في الكون. وقصارى " تدخل " الإنسان فيها أن يكتشفها ويعرفها، ثم يستغلها لصالحه، ويطبقها في حياته العملية.

وقصة النخل لا تخرج عن كونها حقيقة علمية اكتشفها الإنسان فطبقها في حياته العملية: حقيقة التلقيح والإخصاب في عالم النبات. وهي عملية لا يتم بدونها تكون الثمرة ونضجها على النحو المعروف. والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقطع فيها برأي - كما هو ظاهر من الحديث - وإنما قال: " إنما ظننت ظناً ". ولعل الشك الذي ساوره صلى الله عليه وسلم قد جاء من اعتقاده بأن الله لا بد أن يكون قد أودع فطرة الحياة ما تتم به عملياتها " البيولوجية " دون حاجة إلى تدخل الإنسان..! وطالما خطر في نفسي أنا هذا السؤال: من كان يلقح النخيل، وينقل فسائل النباتات التي لا تنمو بغير التنقيل، قبل أن يوجد الإنسان على ظهر الأرض، والنباتات كلها سابقة للإنسان في الخليقة؟! ولا شك أن علماء النبات لديهم لهذا السؤال جواب. ولكني أقول فقط: إنها خاطرة جديرة بأن تخطر على قلب إنسان!

هي إذن المسائل " التكنيكية " البحتة بتعبيرنا العلمي الحديث. المسائل التي يتحصل عليها المؤمنون والكفار سواء. ولا تؤثر بذاتها في عقيدة القلب أو اتجاه الشعور.

ومع ذلك فإن فريقاً من الناس يريدون أن يفهموا منها غير ما قصده الرسول وحدده. يريدون أن يبسطوها حتى تشمل الحياة الدنيا كلها، بتشريعاتها وتطبيقاتها، باقتصادياتها واجتماعياتها، بسياساتها وتنظيماتها. فلا يدعون لدين الله ولرسول الله مهمة غير " تنظيف القلب البشري وهدايته " بالمعنى الروحي الخالص، الذي لا شأن له بواقع الحياة اليومي، ولا شأن له بتنظيم المجتمع وسياسة الأمور فيه.

ثم يسندون هذا اللون من التفكير للرسول صلى الله عليه وسلم، ويجعلونه - هو - شاهداً عليه!!

وما أريد أن أبادر بسوء الظن! فقد يكون هذا الفريق من الناس مخلصاً في تفكيره مطمئناً إليه! وقد يكون ذلك بالنسبة إليه مهرباً " لا شعورياً " من ضغط المفاهيم الأوربية - الغربية أو الشرقية - عن الدين من جانب، و" العلوم " الاقتصادية والاجتماعية المنقطعة عن الدين من جانب آخر. مهرباً يلجأ إليه العاجزون المغلوبون، ليحتفظوا بعقيدتهم الشخصية في الله، ثم يكونوا بعد ذلك تقدميين أو تحرريين!!

ولكن قليلاً من النظر كان جديراً أن يردهم إلى التفكير الصائب والتقدير الصحيح، ويرفع عنهم هذه الذلة الفكرية التي يعانونها إزاء الغرب، فتلوي أفكارهم - بوعي أو بغير وعي - وتفسد مشاعرهم فينحرفون عن السبيل.

لو كان الإسلام رسالة " روحية " بالمعنى المفهوم لهذا اللفظ - المعنى الوجداني الخالص الذي لا شأن له بواقع الحياة اليومي - ففيم إذن كان هذا الحشد الهائل من التشريعات والتوجيهات في القرآن والحديث؟

وفيم إذن يقول الله سبحانه وتعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)! ثم يعقب في نفس الآية بالتهديد للمخالفين: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [١١٦]؟!

فيم هذا كله إذا كانت المسألة هي " تنظيف القلب " ليس غير؟!

* * *

وإن تنظيف القلب البشري لمهمة ضخمة دون شك.. مهمة تحتاج إلى رسول!

وإنها – حين تنجح – لهي الضمان الأول لسلامة الحياة كلها واستقامتها ونظافتها. فإن أخفقت.. فلا ضمان!

والإسلام يوجه لهذا القلب أكبر عناية يمكن أن يوجهها إليه نظام أو دين. فهو يربطه دائمًا بالله، ويوجهه دائماً لخشيته وتقواه والعمل على رضاه. ثم هو يتتبع هذا القلب في كل نزعة من نزعاته، وكل ميل من ميوله.. في الأعمال الظاهرة والمشاعر المستترة.. في السر الذي يخفى على الناس ولا يخفى على الله، بل فيما هو أخفى من السر، من المشاعر الساربة في حنايا الضمير [١١٧].. يتتبعه في كل ذلك، عملاً عملاً وخاطراً خاطراً وفكرة فكرة.. فينظفها بخشية الله، والحياء من رقابته الدائمة التي لا يغيب عنها شيء في الأرض ولا في السماء.. ويوجهه إلى صفحة الكون الواسعة، وما فيها من آيات القدرة المعجزة، ليمسح عنه الغلظة التي تحجر المشاعر، والغبش الذي يحجب عنه النور.. ويطلقه من إسار الشهوات والضرورات التي تثقله وتشده إلى الأرض، لينطلق خفيفًا صافيًا شفيفًا يسبح الله ويفرح بهداه..

نعم.. يبذل الإسلام ذلك الجهد الضخم كله " لتنظيف القلب ".

ولكن الإسلام دين الفطرة.. الدين الذي يعرف أسرار الفطرة فيقدم لها ما يلصح لها وما يصلحها. الدين الذي يعالج الفطرة على أحسن وجه وأنسب طريقة، ليخرج منها بأقصى ما تستطيع أن تمنحه من الخير. الدين الذي يتلبس بالفطرة فيملؤها كلها ولا يترك فراغاً واحداً لا ينفذ إليه. الدين الذي يأخذ الفطرة كما هي كلاًّ واحداً لا يتجزأ، كلاً يشمل الجسم والعقل والروح، فيعالجها العلاج الشامل الذي يأخذ في حسابه الجوانب كلها. ويأخذها مرتبطاً بعضها ببعض في نظام وثيق..

ومن ثم لا يأخذ شعور الإنسان ويترك سلوكه. لا يأخذ " مبادئه " ويترك " تطبيقه ". لا يأخذ آخرته ويدع دنياه.. وإنما يعمل حساب ذلك كله في توجيهاته وتشريعاته سواء.

* * *

الإسلام يتناول الحياة كلها، بكل ما تشتمل عليه من تنظيمات. ويرسم للبشر صورة كاملة لما ينبغي أن تكون عليه حياتهم في هذه الأرض.

إنه يتناول الإنسان من يقظته في الصباح الباكر حتى يسلم جنبه للنوم في آخر المساء. يعلمه ويلقنه ماذا يصنع وماذا يقول أول ما يفتح عينيه، ثم حين يقوم، ثم حين يقضي ضرورته، ثم حين يؤدي صلاته، ثم حين يضرب في مناكب الأرض باحثاً عن رزقه: زارعاً أو صانعاً أو عاملاً أو بائعاً أو شارياً.. ثم حين يتناول طعامه، ثم حين يستريح من القيلولة، ثم حين يعود في آخر اليوم، ثم حين يلقى زوجه وأطفاله، ثم حين يضع جنبه، ثم حين يأخذ في النوم.. بل إذا صحا كذلك في وسط النوم فزعاً أو غير مفزّع!

وكما تناول الإنسان فرداً في جميع أحواله، فقد تناوله كذلك وهو يعيش في المجتمع مع غيره من الأفراد. فعلم المجتمع ولقنه كيف تكون الصلات بين أفراده، وكيف تكون العلاقات. وكيف ينشئ

تقاليده على المودة والإخاء والحب، والتكافل والتعاون. وكيف يشتري وكيف يبيع. وكيف يـــزرع وكيف يجني. وكيف يملك وكيف يوزع الثروة بين الأفراد.
وكما تناول الفرد والمجتمع تناول كذلك " الدولة " ممثلة المجتمع. فأعطى ولي الأمر حقوقاً وأوجـــب عليه واجبات. وعلمه ولقنه كيف يحكم الناس، وكيف يقيم بينهم العدل، وكيف يوزع المال بينهم، بأي نسب وعلى أي الفئات ومن أي الموارد. وكيف يعلن الحرب وكيف يقيم السلم، وكيف يتعامل مع الدول والجماعات والأفراد..
الحياة كلها بجميع دقائقها وتفصيلاتها. الحياة المادية والفكرية والروحية. الحياة الفردية والاجتماعية. الحياة بكل ما تشمله من مفاهيم. وكانت تلك هي طريقة الإسلام الفذة في " تنظيف القلب "!
أوَ يعجب الناس من هذا القول؟! أيقولون ما للقلب والروح بواقع الأرض؟ بالاقتصـــاد والسياســـة والاجتماع؟!
ويح الناس!
أليسوا هم الذين " اكتشفوا " في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أن " مشاعر " الناس مرتبطـــة بوضعهم الاقتصادي وبعلاقات الإنتاج؟!
فيم العجب إذن إن قيل لهم إن الإسلام وهو " ينظف القلب " يضع في حسابه إقامة نظام اقتصـــادي عادل، ونظام اجتماعي متوازن، ونظام سياسي راشد محكم الرباط؟
أم هم يُدِلّون على الله بعلمهم؟ ويحسبون أنهم وحدهم الذين أدركوا هذه الحقيقة، بينما الله الـــذي خلق الخلق وهو أدرى به، قد فاته إدراكها؟! سبحانه وتعالى عما يصفونه علواً كبيراً..
كلا! إن الإسلام قد تناول هذه الحقائق كلها قبل أن يصحو لها الناس. وبيَّن أن الحياة السليمة النظيفة المتكاملة لا يمكن أن تتم في داخل القلب معزولة عن واقع الحياة. لا يمكـــن أن تـــتم في الوجـــدان والمشاعر إن لم يكن لها رصيد مواز لها من العمل والسلوك. ومن ثم لم يجعل الدين " عقيدة " كامنة في الضمير. وإنما جعلها نظاماً قائماً على عقيدة، ومجتمعاً قائماً على هذا النظام.
صحيح أنه لم يترل في ذلك إلى مهاوي المادية الهابطة والمذاهب الاقتصادية المنحرفة. لم يجعل المادة هي الأصل، والإنسان هو التابع الذليل الذي لا يملك نفسه إزاء التطورات الحتمية للاقتصاد والإنتـــاج.. وإنما جعل الإنسان هو الأصل. جعل القلب البشري هو المصدر الذي تصدر عنه الطاقة ويصدر عنه الإشعاع. ولكنه في الوقت ذاته لم يشأ أن يجعله معلقاً في البرج العاجي، يطلق شـــحنته الهائلـــة في الفضاء في قفزات الخيال وسبحات الروح. وإنما أراد لهذه الطاقة الضخمة أن تنتج في واقـــع الأرض، وأن تنشئ مجتمعها ونظامها بوحي من العقيدة وهدي من الله، فيتوازن بـــذلك الشـــعور والعمـــل، والوجدان والسلوك، ويتوازن بذلك " الإنسان ".
وكان هذا هو الأمر الطبيعي ما دام الإسلام " دين الفطرة ".
إن المشاعر المرفرفة والوجدان المشرق والأفكار الجميلة لا قيمة لها إذا لم تتحول إلى قوة بانية في عالم الواقع، إذا لم تتحول إلى حقيقة ظاهرة ملموسة يحس بها الناس.

والأعمال " العظيمة " والإنتاج الباهر والحركة الفاعلة لا قيمة لها إذا لم تستند إلى شعور عميق بالخير، وإحساس حي بروابط الأخوة الإنسانية والالتقاء إلى الله.

بل هما – بدون هذا التزاوج – ينقلبان إلى شر مدمر للبشرية:

الأولى تنقلب إلى زهادة وعزلة تتوقف بها الحياة.

والثانية تنقلب إلى طغيان كافر يدمر الحياة على وجه الأرض.

ولا بد منهما معاً لتستقيم الحياة، مرتبطين متمازجين، لا انفصال بينهما ولا افتراق!

تلك هي " الفطرة " البشرية.

والإسلام دين الفطرة وكلمة الله.

ومن ثم لم يكن بد – وهو " ينظف القلب البشري " – أن يجعل في حسابه الباطن والظاهر، والشعور والعمل، والوجدان والسلوك.

وهو بذلك واقعي إلى أقصى حدود الواقعية...

إنه يعنى أشد العناية بعالم الروح ونظافة الضمير. وإنه يثق في أن القلب البشري مصدر الطاقة ومصدر الإشعاع. ولكنه – مع ذلك – لا يفترض في الناس كلهم أنهم من أولي العزم! لا يفترض فيهم أنهم يستطيعون دائماً أن يعيشوا بقلوب نظيفة في مجتمع غير نظيف، أو يمارسوا العدالة في مجتمع غير عادل، أو يحرصوا على الفضائل في مجتمع يحرص على المنكرات.

ففي " الفطرة " البشرية ضعف يحتاج إلى سند ويحتاج إلى معونة: (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً).

هناك ثقلة الضرورة ودفعة الشهوات.

وهي " واقع " لا مصلحة في تجاهله، ولا سبيل إلى نكرانه.

ولا بد من تنظيمه.. لا بد من تنظيمه ليستطيع الإنسان أن يفرغ من ضغطه على الأعصاب والمشاعر. وينطلق حيث يشاء، حيث يليق بخليفة الله أن يكون.

من أجل ذلك يحرص الإسلام على واقع المجتمع أن يكون نظيفاً ليعاون الفرد على نظافة الضمير. ولن تكون نظافة المجتمع إلا بنظام اقتصادي عادل، ونظام اجتماعي متوازن، ونظام سياسي راشد محكم الرباط بالعقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح.

* * *

من صميم مهمة الدين إذن في تنظيف القلب كانت هذه التشريعات وهذه التوجيهات التي تتناول الأسرة والمجتمع، وسياسة الحكم، وسياسة المال. يستوي في ذلك التشريع الاقتصادي، والتشريع السياسي، والتشريع الجنائي، والتشريع المدني، والتشريع الدولي.. والتوجيهات العديدة المتعلقة بكل هذه الشئون.

ولم يكن الإسلام – وهو جاد في تناول الإنسان والحياة البشرية بالتنظيم والتنظيف – ليغفل هذه الشئون الواقعية كلها، وينصرف إلى تهذيب الضمير في عالم المثل والأحلام. ولم يكن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ليتخلى عن مهمته الهائلة في ذلك الشأن، وينفض يديه منها، ويقول للناس: "

أنتم أعلم بأمور دنياكم " أي تصرفوا أنتم في تشريعاتكم وتنظيماتكم، في سياسة المال وفي سياسة الحكم، في علاقات المجتمع، وفي القوانين التي تنظم الحياة..

كلا! لم يكن ليفعل ذلك. ولو فعل فما أدى إذن رسالة الله. والله هو الذي يقول له في مجال التكليف: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) [١١٨].

* * *

ولكن هذا الفريق من الناس الذي ذكرناه آنفًا، أو فريقاً غيره يقول: إن الحياة تتطور. فكيف إذن يمكن أن يشرع الله أو يشرع رسوله للأجيال التالية لعصر القرآن؟ إن ما كان يصلح منذ ألف وأربعمائة عام لا يصلح اليوم. وما كان حركة تقدمية ثورية في ذلك التاريخ يصبح اليوم أمراً رجعياً عتيقاً متجمداً لا يجاري التطور ولا يصلح للحياة.. ومن ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة ليفتح الباب للتطور، ولا يقف بالناس عند تشريعات وتنظيمات قد اقتضتها بيئة معينة وظروف معينة، وإنما يتركهم يشرعون وينظمون فيما هم أدرى به من الأمور.

" التطور ".. ويح الناس من التطور!

إنه هوس يصيب هذا القرن العشرين! هوس يخيِّل إليهم أن الحياة كلها بلا قواعد، والكون كله بلا ناموس!

لقد كانت فكرة التطور اكتشافاً جديداً بالنسبة لأوربا في تاريخها الحديث، بعد أن غرقت فترة طويلة في ظلام العصور الوسطى، لا تعلم شيئاً ولا تساير ركب الحياة. وفي القرن التاسع عشر امتلأت رءوس المفكرين والعلماء بفكرة التطور، في العلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع، ثم تلقفتها الجماهير في نهاية القرن الفائت وفي خلال هذا القرن.. تلقفتها بما يشبه اللوثة.. تفسر بها كل شيء وتفسد بها كل شيء!

بينما العالم الإسلامي لم يكن غريباً عن فكرة التطور وآثاره في حياة الجماعة. فقد فطن إليها ابن خلدون في مقدمته وعالجها علاجاً " علمياً " وافياً يشهد له بالبراعة والتدقيق. ولقد فطن إليها عمر بن عبد العزيز في صدر الإسلام إذ يقول " يجدّ للناس من الأقضية بقدر ما يجد لهم من القضايا " وفطن إليها الفقه الإسلامي كله، وهو يضع التفريعات الدائمة في كل شئون الحياة النامية المتجددة جيلاً بعد جيل.

ولكن الفكر الإسلامي لم يخرج عن صوابه وهو يحس بالتطور ويساوق خطاه. فلم يفهم من التطور أن الحياة بلا قواعد، والكون بلا ناموس! لم يفهم منه أن ينفصل عن الأصول الثابتة وينطلق بلا دليل! وجاء " العلم " في القرون الأخيرة يؤيد الفهم الإسلامي للتطور، ولا يؤيد اللوثة التي أصابت الجماهير في أوربا، وأشباه العلماء هناك، وانتقلت عن طريقهم إلى الشرق في عصرنا الأخير.

* * *

الحياة البشرية تتطور، والكون كله يتطور.. نعم! ولكن هذا لا ينفي وجود قواعد ثابتة في هذا الكون وفي الحياة البشرية.. أولها وأبسطها، وأقربها إلى البديهة، صدور الكون كله عن إرادة الله الخالق المدبر، وانتظام سننه ونواميسه انتظاماً دقيقاً معجزاً لا يخل ثانية ولا ثالثة، ولا قيد شعرة في هذا الفضاء الهائل الرهيب!

السدم تتطور إلى نجوم.. والنجوم تتطور وهو تدور، فتسخن وتبرد، وتتكور وتنبعج. وتسرع وتبطئ.. ولكن شيئاً واحداً من ذلك لا يحدث بلا قانون، وشيئاً واحداً من ذلك لا يحدث مخالفاً للناموس الذي يكشف العلم طرفاً منه كلما تيسرت له الوسائل وأتيحت له الأدوات.

ومجموعتنا الشمسية الصغيرة التي نحن جزء منها، تتبع نواميس الكون وهي تتطور، وتسير على النهج الذي أراده لها الله منذ الأزل، لا تنحرف عنه لحظة إلى يمين أو شمال.

والأرض التي نعيش عليها تحكمها - في تطورها - النواميس الأزلية التي تحكم الكون، فيسير كل شيء على سطحها كما أراده الله وفق قانونه الذي ارتضاه.

الأكسجين هو الأكسجين.. والإيدروجين هو الإيدروجين. في الأرض والشمس وجميع النجوم سواء. والماء قدر من الأكسجين وقدران من الإيدروجين (أيد٢) لا تتغير هذه النسبة سواء ركب الماء في المعمل أم هطل من السماء.. والمطر هو المطر.. بخار يصعد من البحر، فينطلق إلى الجو، فيتكاثف، فيتركز ويثقل، فيترل إلى الأرض.. سواء حدث ذلك " طبيعياً " أم أنزل صناعياً من السماء.. لا يتغير قانون واحد من قوانينه، ولا يختل في مساره عن الناموس.

والحياة على الأرض كذلك.. تطورت.. لا نعلم علم اليقين كيف، وإن كنا نحاول أن نصل إلى اليقين.. ولكنا نجد من أبحاث العلم ما يؤكد لنا تأكيداً قاطعاً أن الحياة لم تنشأ على الأرض مصادفة، ولم يكن استمرارها مئات الألوف من السنين كذلك بالمصادفة. وإنما هو نتيجة النظام المحدد المقرر الذي بنيت به المجموعة الشمسية وأخذت به مسارها في الفضاء. بحيث لو اختلت نسبة واحدة من النسب لانعدمت بذلك الحياة.. فهي إذن إرادة الخالق، وتدبيره الدقيق المعجز. ولولاه لم تقم حياة[١١٩].

والإنسان بعد ذلك.. الإنسان الذي ملأه غرور العلم.. وأصابته لوثة التطور.. ذلك الإنسان يتطور. تتغير حياته يوماً بعد يوم، ويستحدث جديداً كل يوم. ولكنه مع ذلك خاضع للنواميس. النواميس التي تدخل التطور في حسابها، فإذا التطور ذاته جزء من القانون الثابت الذي يحكم الكون ويحكم الحياة!

* * *

يتطور الكون.. فهل تغيرت طبيعته؟ هل تغير تكوُّنه من طاقة أو مجموعة من الطاقات؟

كلا! لم يقل بذلك أحد من العلماء! وإنما تتغير " صوره " و" حالاته " ويظل جوهره ثابتاً على ما هو عليه.

ثم.. هل تغيرت الحقيقة السابقة على ذلك.. حقيقة الأزل والأبد وهي صدور الوجود عن إرادة الله؟

كلا! لا يقول بذلك أحد من العقلاء! فالكون في وجوده، كالكون في تطوره. كالكون في فنائه حين يقدر له الفناء، صادر عن إرادة الله، مرتبط دائماً بإرادة الله.

والإنسان كذلك يتطور.. فهل تتغير طبيعته؟ أم تتغير صوره وحالاته ويثبت الجوهر الذي فيه؟

هل تتغير الحقائق الأزلية في تكوينه:

أنه صدر عن إرادة ربِّكَ: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [١٢٠].

وأن البشر جميعاً من نفس واحدة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) [١٢١].

وأن من هذه النفس – أي من جنسها – قد خلق " الزوج " الذي يكملها ويلتقي بها ويوائمها: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) [١٢٢] (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [١٢٣].

وأن من هذه النفس وزوجها انبث الخلق كلهم والقبائل والشعوب (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) [١٢٤]. (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [١٢٥].

وأن الإنسان قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله. قبضى من طين الأرض تتمثل فيها عناصر الأرض المادية من حديد ونحاس وكلسيوم وفوسفور وأكسجين وإيدروجين، وتتمثل فيها شهوات الأرض ودوافع الأرض. ونفخة من روح الله تتمثل فيها روح الإنسان الشفيفة القادرة على السمو والرفعة، كما تتمثل فيها الإرادة الضابطة والقدرة على الاختيار: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) [١٢٦] (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [١٢٧] (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [١٢٨].

هل تتغير هذه الحقائق الأزلية مهما تغيرت " مظاهر " الحياة؟ أم تتغير المظاهر والأصل في ثبوته لا يزال؟

وهل الإنسان في ذلك إلا بضعة من الناموس الأكبر الذي يحكم الكون ويحكم الحياة؟ بضعة محكومة بذلك الناموس، خاضعة لإرادة الله؟.

كل ما في الأمر أن الله قد ميز هذا المخلوق وكرمه حين نفخ فيه من روحه؟ فجعله " واعياً " لعملية الثبوت وعملية التطور. وجعل له الإرادة التي يختار بها طريقه: مع الخط الواصل المهتدي إلى الله، أو مع الخط الضال المنقطع عن الله. وجعل هذا الازدواج في طبيعته هو الناموس الثابت بالنسبة لدوره في الحياة، الذي يترتب عليه الجزاء في أخراه: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا).

* * *

في الإنسان إذن عنصر ثابت لا يتغير مهما تغيرت ظروفه، ومهما تطورت حياته على الأرض. لأنه يتصل بحقائق أزلية لا يدركها التغيير.

وفيه إلى جانب ذلك عنصر متغير. أو قل: " صور " متغيرة من الجوهر الثابت، و " حالات " متطورة للكيان الدائم. ولكنها في تغيرها وتطورها لا تخرج بالإنسان عن كونه الإنسان. ولا تنفصل في لحظة واحدة عن كيانه الدائم، بحكم ترابط النفس الإنسانية وشمولها لكل ما يشتمل عليه الإنسان.

ومن هذا الثبوت وهذا التطور في فطرة البشر – وهي كذلك فطرة الكون – نشأت في حياة الإنسان قواعد ثابتة وبجانبها أحوال متغيرة، ولكنها في تغيرها – كما أسلفنا – لا تنفصل عن القواعد الثابتة في الحياة.

فقد ترتب على الحقائق الأزلية الخالدة حقائق أخرى، فصارت مثلها خالدة دائمة لا تتغير.

ترتب عليها أن يحس الخلق – بفطرتهم ما دامت سليمة – يحسوا بعظمة الله بالقياس إلى ضـــآلتهم، فيعبدوه، ويستمدوا منه العون في الحياة.

وترتب عليها أن يحس الزوجان – اللذان خلقهما الله من نفس واحدة بحـــنين والتصـــاق بعضـــهما ببعض، وأن وجودهما لا يتكامل إلا متحدين متوادين متراحمين.

وترتب عليها أن يحس الناس – حين تصفو سريرتهم وتنظف نفوسهم – بالأخوة في الإنسانية، إذ هم جميعاً من نفس واحدة ذات رحم مع الجميع، فيتعاونوا ويتشاركوا في الخير..

تلك عناصر دائمة لأنها ترتكز على أسس دائمة.

وثمة عناصر أخرى تجدّ كل يوم، نتيجة تطور المعلومات البشرية، والتفاعل الدائم بين العقل والكون، يحاول أن يتعرف أسراره، ويستكنه كنهه، ويستخرج كنوزه، ويسخرها لمنفعته، فتقـــوم أوضـــاع جديدة، وينتقل الناس من بداوة إلى حضارة، ومن زرع إلى صناعة، ومن صناعة إلى...؟

والإسلام دين الفطرة يجاري البشرية في جانبيها جميعاً، بما يناسبهما جميعاً.

الجانب الأول يعطيه شرائع ثابتة. والجانب الآخر يعطيه أسساً ثابتة، ثم يترك له مجال التطور الدائم في إطار هذه الأسس الثابتة، متمشياً في ذلك مع فطرة الكون وفطرة الحياة.

الجانب الأول يعطيه العقيدة..

والعقيدة ليست ثابتة في الإسلام وحده، بل ثابتة في جميع الديانات منذ أرسل الله الرســـل للنـــاس يربوهم، ويعلموهم حقيقة أزلية واحدة: أن الله واحد. وأن الخلق كله خلقه. وأن حق الألوهية على العباد أن يعبدوه ويخلصوا له الدين.

وتلك العقيدة الواحدة لا تتغير، لأن الأساس الذي تقوم عليه ثابت لا يتغير. وقد عني القرآن ببيـــان هذه الحقيقة، وخاصة في السور التي تستعرض رسالة الرسل الواحدة المكررة على مر الأزمان كسورة هود وسورة الأعراف.

وإلى جانب العقيدة يعطيه كذلك تشريعات الزواج والطلاق، والحدود. وتشريعات مدنية مختلفة.

الزواج والطلاق – أو العلاقة بين الرجل والمرأة عامة – عنصر ثابت له تشريع ثابت، لأنه يرتكز على أسس لا تتغير. هي الرجل من جهة والمرأة من جهة، والعلاقة الشديدة التي تجذب كلاً منهما للآخر وتشده إليه.

والحياة تتغير ظروفها: المجتمع يتغير. والاقتصاد يتغير. ونظم التعليم تتغير. والسياسة تتغير. ولكن ذلك لا يغير شيئاً من الحقيقة التي تحكمها الفطرة بوظائفها وعملياتها الحيوية، وغددها وكيماوياتها، وهي أن الرجل رجل والمرأة امرأة، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا انفصال ولا استقلال! [١٢٩].

والحدود – أي العقوبات المفروضة على الجرائم – عنصر ثابت كذلك، لأنه يرتكز على شيء ثابت: هو علاقة الإنسان بأخيه الإنسان – أو علاقة الفرد بالمجتمع – وحرمة كل إنسان التي لا يجوز أن يعتدي عليها الآخرون.

والحياة تتغير ظروفها: ارتباطات العمل تتغير. وعلاقات الإنتاج تتغير. وعلاقات الإنسان " بالآلة " تتغير. والنظم السياسية تتغير. ولكن ذلك لا يغير شيئاً من الحقيقة الثابتة التي تحكمها وقائع التاريخ البشري. وهي أن الناس كلهم من نفس واحدة، وعلاقة الرحم تربط الجميع [١٣٠].

وكذلك بعض التشريعات المدنية لها صفة الثبوت كالبيع والإيجارة والرهن والدين والوكالة.. إلخ فكانت لها تشريعات ثابتة. ومما يلفت النظر في هذا الشأن أن التشريع الفرنسي الحديث في المسائل المدنية قد أخذ كثيراً عن فقه مالك، إذ كان أقرب الفقهاء – جغرافياً – إلى فرنسا بسبب انتشار مذهبه في الشمال الإفريقي! كما أن الفقه الأوربي كله قد أخذ عن الفقه الإسلامي حين أعطى المرأة أخيراً جداً حق الملك والتعامل والتصرف الحر في الشئون المدنية [١٣١].

أما الجانب المتطور من الحياة البشرية، وهو في الوقت ذاته متصل بالجانب الثابت، فهو سياسة الحكم وسياسة المال، و " شكل " المجتمع أو شكل البيئة، من بدوية إلى زراعية إلى تجارية إلى صناعية... إلخ. وتلك أمور كما قلنا تتطور بتطور العقل البشري وتفاعله مع الكون، ولكنها في تطورها لا تنفصل عن الأصل الثابت، ولا يمكن أن تنفصل، بحكم وحدة الإنسان وترابطه، واستحالة تجزئته وتقطيعه وفصل بعضه عن بعض.

وفي هذه الأمور كان الإسلام حكيماً غاية الحكمة، مساوقاً للفطرة، ملبياً لحاجاتها، فوضع الخطوط العريضة و لم يضع التفصيلات. أو وضع " الإطار " الذي يريد للبشرية أن تتطور في حدوده، وترك لكل جيل من الأجيال المتعاقبة أن يضع " الصورة " في داخل الإطار. الصورة التي تناسبه، وتتفق مع ظروفه المادية ومبلغ من العلم والإنتاج. بشرط واحد: هو أن تكون الصورة على قدر الإطار، لا أكبر منه فيتحطم، ولا أصغر منه فيبدو حولها الفراغ.

في سياسة الحكم وضع أساسين: العدل والشورى:

(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [١٣٢]

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [١٣٣].

ثم لم يحدد طريق الشورى. وهل يكون مجلس واحد أو مجلسان. وهل ينتخب المجلس أو يعين. وهل يكون التمثيل شخصياً أو مهنياً.. إلخ.. إلخ وترك ذلك للتجارب البشرية واجتهادها في التطبيق.

وفي سياسة المال وضع مجموعة من الأسس ذات طابع واحد يجمعها في النهاية. هو ضرورة اشتراك الناس في الخير، بحيث لا يكون هناك محروم.

قرر القرآن أن المال في الأصل مال الله، وهو أعطاه للجماعة: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) [١٣٤] (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) [١٣٥].

وقرر أن الجماعة هي صاحبة الحق الأول فيه، وأن الفرد " موظف " فيه، يستحقه بحسن قيامه عليه، فإذا لم يحسن القيام عليه عاد حق التصرف فيه إلى الجماعة: (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً) [١٣٦].

وقرر أن الله يكره حبسه في يد فئة قليلة من الناس تتداوله فيما بينها ويحرم منه مجموع الأمة (كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) [١٣٧]

وقرر فريضة الزكاة على الأموال حقاً معلوماً للفقراء، تأخذه لهم الدولة وتعطيه لهم من بيت المال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا..) [١٣٨]

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار " [١٣٩]

ويقول: لأن يمنح أحدكم أخاه (أرضه) خير له من أن يأخذ خرجاً معلوماً " [١٤٠]

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهليها. كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر " [١٤١].

ثم لم يحدد طريقة اشتراك الناس في مال الله الذي أعطاه للجماعة وهل تكون بتأميم المرافق العامة. أم تكون بإشراك العمال في رأس المال، أم تكون بإعطائهم الأجور التي تكفل حاجاتهم الضرورية التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم على حديثه: " من ولي لنا عملاً وليس له مترل فليتخذ مترلاً أو ليست له زوجة فليتخذ زوجة، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أو ليست له دابة فليتخذ دابة"[١٤٢].

لم يحدد صورة معينة من هذه الصور، وترك الأجيال المتعاقبة تفكر لنفسها في الصورة التي تناسبها، وتتلاءم مع إمكانياتها. و لم يضع – في سياسة المال أو سياسة الحكم – تفصيلات ثابتة جامدة، لكي لا تصطدم بالنمو المطرد في أحوال الجماعة، والتطور المستمر فيها. ولكنه مع ذلك لم يدع هذه الأمور تفلت من الأصول الثابتة. و لم يدعها للناس يتصرفون فيها بلا دليل، بحجة أنهم أعلم بأمور " دنياهم "! فقد كان هذا التصرف الحر – في أوربا، وفي خارج الإطار الإسلامي عامة – شناعة بشعة يندى لها جبين الإنسانية " المتطورة "! كان الإقطاع في أوربا ثم كانت الرأسمالية بكل ما فيها من مظالم غنية عن الوصف. وكلاهما حرام في نظر الإسلام، فهما يجعلان المال – سواء في صورة أرض أو رأس مال – دولة بين الأغنياء وحدهم، ويحرم منه بقية الناس. ثم كان الخلاص منهما هو الشيوعية – أي العبودية المطلقة للدولة، الدكتاتورية المطلقة على الأفراد!

والإسلام – كلمة الله لجميع البشر على الأرض ولجميع الأجيال – لم يكن ليترك الناس لمثل هذا " التطور " الذي يرسفون فيه في الأغلال، وإنما يأخذ بيدهم دائماً ويرشدهم، حتى وهو يترك لهم حرية النمو وحرية التكيف مع ما يجدّ من الأوضاع، لكيلا يشردوا عن الطريق، ولكي يحتفظوا بتحررهم الوجداني الدائم في جميع الأوضاع وجميع الأحوال.

* * *

تلك قصة التطور التي جُنّ بها الناس في القرن العشرين! تطور في أشكال الحياة الظاهرة، وثبات – مع ذلك – في الأصول.. فالإسلام لم يغفل ذلك التطور من حسابه. لم يقف في سبيله. وفي الوقت ذاته لم ينحسر عنه ويترك الناس بلا دليل. إنه يساوق التطور على الدوام ويحفظه من التعثر والانحـــراف. يحفظه برده إلى القواعد الثابتة في الحياة البشرية. إلى الله والعقيدة. والإطار الدائم الذي يرسم العلاقة التي ينبغي أن تكون بين أفراد الجنس الواحد، الذين انبثقوا من نفس واحدة، وما تزال تصل بينـــهم الأرحام.

وبذلك يكون الإسلام دين الفطرة.

وهو كذلك منهج الحياة [١٤٣].

---

[١١٦] سورة الحشر [٧].

[١١٧] " يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى " سورة طه [٧] انظر فصل: " تعبد الله كأنك تراه ".

[١١٨] سورة الجاثية [١٨].

[١١٩] انظر بالتفصيل في هذا الشأن كتاب " العلم يدعو للإيمان " تأليف أ. كريســـي موريســـون وترجمة محمد صالح الفلكي وكتاب " مع الله في السماء " تأليف الدكتور أحمد زكي.

[١٢٠] سورة البقرة [٣٠].

[١٢١] سورة النساء [١].

[١٢٢] سورة النساء [١].

[١٢٣] سورة الروم [٢١].

[١٢٤] سورة النساء [١].

[١٢٥] سورة الحجرات [١٣].

[١٢٦] سورة المؤمنون [١٢].

[١٢٧] سورة الحجر [٢٩].

[١٢٨] سورة الشمس [٧ – ١٠].

[١٢٩] في كتاب " شبهات حول الإسلام " في فصل: الإسلام والمرأة، بحث تفصيلي لعلاقة الرجل والمرأة وطبيعتها في الإسلام، وقد بينت هناك كيف عالج الإسلام الأمر في عدالة كاملة، وكيف أن " التطور " المزعوم لا يضيف شيئاً لهذه العدالة أما التطور بمعنى الفساد الخلقي أو بمعنى المساواة الآلية بين المرأة والرجل، فقد كانت له ظروف محلية في أوربا – شرحتها هناك – وليس " قيمة " حقيقية مـــن القيم الإنسانية.

[١٣٠] في كتاب " الإنسان بين المادية والإسلام " بحث مفصل في نظرة الإسلام للفرد والمجتمع، والجريمة والعقاب. وفي هذا الكتاب فصل عنوانه " ادرءوا الحدود بالشبهات " يعرض المعاني الإنسانية الرفيعة في تشريع الحدود الإسلامي.

[١٣١] تقول الشيوعية إن هذه العلاقات كلها لا وجود لها إلا حيث توجد الملكية الفردية. وحيث تلغى الملكية الفردية تزول هذه التشريعات. وهذا حق. ولكن الشيوعية ذاتها قد بدأت تبيح الملكية الفردية من جديد. والبقية تأتي!

[١٣٢] سورة النساء [٥٨].

[١٣٣] سورة الشورى [٣٨].

[١٣٤] سورة الحديد [٧].

[١٣٥] سورة النور [٣٣].

[١٣٦] سورة النساء [٥].

[١٣٧] سورة الحشر [٧].

[١٣٨] سورة التوبة [٦٠].

[١٣٩] ذكره صاحب مصابيح السنة في الحسان.

[١٤٠] رواه البخاري.

[١٤١] رواه البخاري.

[١٤٢] رواه أحمد وأبو داود.

[١٤٣] انظر – إن شئت – كتاب " التطور والثبات في حياة البشرية ".

================================

{قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}

الكاتب: د. جمال الحسيني أبوفرحة

لقد تنوعت وتباينت أساليب التبشير بنبي الإسلام في أسفار أهل الكتاب وتطرقت إلى كثير من التفصيلات، وهو موضوع لا يجليه مقال ولا تكفيه دراسة، وإنما يحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير.

وقد كان من جملة البشارات بالرسول – صلى الله عليه وسلم– في أسفار أهل الكتاب: الإشارة إلى مكان بعثته – صلى الله عليه وسلم–، ولغة قومه، وما سيكون عليه اسمهم بعد إيمانهم.

فبداية نفت أسفار أهل الكتاب أن يكون موضع بعثة النبي المنتظر بعد المسيح –عليه السلام– في مدينة "أورشليم"– أي: القدس الشريف– كما يتوقع اليهود دائمًا، كما نفت أن يكون في جبل "جرزّيم" كما يتوقع السامرة من اليهود، وأوضحت أنه سيكون في مكان جديد؛ فعندما قالت المرأة السامرية للمسيح –عليه السلام– كما يحكي إنجيل يوحنا: "يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل

[جبل جرزيم] وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قال لها يسوع[أي المسيح]: يا امرأة صدقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون"؛ وهو ما يؤكد عليه سفر "إرميا" عندما يقول على لسان الرب لبني إسرائيل: "هأنذا أنساكم نسياناً وأرفضكم مـــن أمام وجهي أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها وأجعل عليكم عارًا أبـــديًا وخزيًـــا أبـــديًا لا ينسى".

ثم تبدأ أسفار أهل الكتاب في وصف موضع نزول الرسالة الخاتمة المنتظرة، فيصفه سفر "الرؤيا" بأن به "مسكن الله مع الناس"، ولا شك أن الإشارة في ذلك إلى بيت الله الحرام واردة؛ وتصـــفه "الكتـــب الأسينية"- من مخطوطات قمران- بأن به "الهيكل - أي البناء الكبير- الذي سيبنى في نهاية الأزمنـــة كما هو مكتوب في وصية موسى"، ثم تصف ذلك الهيكل بأنه "البيت الذي لن يدخلـــه الكـــافر أو النجس إلى الأبد"، والإشارة واضحة في ذلك إلى قوله تعالى {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَـــلاَ يَقْرَبُـــواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} التوبة: ٢٨، ونفس هذا المعنى نجده في سفر إشعياء: "وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس بل هي لهم"، وهي صفات لم تعرف لمكـــان على وجه الأرض بقدر ما عرفت لمكة المكرمة، والمدينة المنورة.

ثم يزيد سفر إشعياء الأمر وضوحًا عندما يحدد مكان بعثته - صلى الله عليه وسلم- بقوله "وحي من جهة بلاد العرب"، وهذه هي ترجمة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، وتشهد لهـــا الترجمـــة العالمية الجديدة الصادرة عن جمعية الكتاب المقدس العالميـــة New International Version حيث تقول: An Oracle Concerning Arabia أي: وحي، أو مبلغ الوحي، أو مكـــان مهبط الوحي متعلق ببلاد العرب.

ويؤكد سفر إشعياء على ذلك التحديد المكاني عندما يقول في معرض حديثه عن النبي المنتظر:"لتهتف الصحراء ومدنها وديار قيدار المأهولة، ليتغن بفرح أهل سالع، وليهتفوا من قمم الجبال، وليمجـــدوا الرب ويذيعوا حمده"؛ وقيدار هو الابن الثاني لإسماعيل عليه السلام وهو أب لأشهر القبائل العربيـــة، وقد نزل الوحي على النبي محمد — صلى الله عليه وسلم- في أهم مدن يسكنها أبناء قيـــدار: مكـــة والمدينة.

أما قوله:" ليتغن بفرح أهل سالع ......الخ": فهو تعيين لمقام ذلك النبي المنتظر وأنه بالمدينة المنـــورة؛ فـــ "سلع" اسم لجبل في مدخل المدينة المنورة، ولا شك أن أهل المدينة وقفوا عليه كثيرًا في انتظـــار وصول الرسول — صلى الله عليه وسلم- من هجرته، ولا شك أنه كذلك جبل ارتفعت أصـــوات الأنصار متغنية بفرح ممجدة لله تعالى حامدة له عند وصوله — صلى الله عليه وسلم- كمـــا تقـــول البشارة عن أهل "سالع، أو سلع"؛ ولا فرق؛ فالعبرانيون لم تكن لديهم حروف تعـــادل الحـــروف المتحركة حتى القرن السادس الميلادي و لم يفرقوا بين كلمة كـــ "سلع" وكلمة كـــ "سالع" إلا بعد هذا التاريخ على يد علماء لغويين كثيرًا ما أخطئوا وكثيرًا ما اختلفوا؛ وخاصة مع عدم توافر الحفظ في الصدور لأي من نصوصهم المقدسة، ومن الطريف أن أغنية الأنصار التي استقبلوا بها النبي — صلى

الله عليه وسلم- في المدينة المنورة احتوت على حمد لله تعالى "وجب الشكر علينا ما دعـــا لله داع" تمامًا كما تنص البشارة.

أما سفر التثنية فيعين في أي بلاد العرب سيكون مهبط الوحي على النبي المنتظر – صـــلى الله عليـــه وسلم- وذلك عندما يجعل "فاران" موضع رسالة منتظرة، حين يقول: "هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته؛ فقال: أقبل الرب من سيناء وأشرق عليهم من سعير وتألق في جبل فاران"، ومجيء الرب من سيناء يشير إلى رسالة موسى عليه السلام حيث ناداه الله وهو علـــى أرضها؛ وإشراق الرب من سعير، يشير إلى رسالة عيسى عليه السلام؛ فجبل سعير يمتد جنوب البحر الميت شرق فلسطين حيث اعتزل المسيح عليه السلام فترة مع بني العيص أو الأسينيين؛ وأمـــا تـــألق الرب من فاران فهو إشارة إلى رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم- الذي جاء من ذرية إسماعيل - عليه السلام- والذي يخبرنا سفر التكوين بأنه سكن هو وذريته بفاران عند البئر [بئر زمزم] التي منّ الله على هاجر وابنها بها إنقاذاً لهما من الموت؛ ومن هنا نفهم أن فاران هي مكة المكرمة التي بعـــث منها المصطفى – صلى الله عليه وسلم- ؛ ومن اللافت للنظر أن كلمة فاران باللغة العبرية تعني صيغة المبالغة من كلمة "حمد"؛ ومن ثمة فلا نعدو الحقيقة إن قلنا: إن اسم برية فاران والتي هي موضع رسالة منتظرة في التوراة يعني برية "محمد"– صلى الله عليه وسلم- .

فشبه موسى عليه السلام - حسبما يروي العهد القديم- مجيء التوراة بطلوع الفجر، ونزول الإنجيل بإشراق الشمس، ونزول الإسلام بتألق الشمس في كبد السماء وعلوها وذلك إيذانًا بأنه خاتم الأديان وأن ليس بعد كماله كمال.

ثم تتحدث أسفار أهل الكتاب بعد ذلك عن لغة النبي المنتظر ولغة قومه، فيصفهم سفر إشعياء بـــأنهم يتحدثون لغة أعجمية غريبة عن اليهود وذلك حين يقول: "سيخاطب الرب هذا الشـــعب بلســـان غريب أعجمي"، أي غريب عن اليهود وأعجمي بالنسبة لهم، وهو ما لم يكن للمسيح عليه الســـلام وأتباعه؛ فقد كان المسيح عليه السلام رجلاً يهوديًا وكذا كان جلّ أتباعه في حياته، وإنما كان ذلك للنبي العربي محمد - صلى الله عليه وسلم-.

كما تحدثت أسفار أهل الكتاب عن ما سيكون عليه اسم المؤمنين بالنبي المنتظر، فوصفهم سفر إشعياء بأن سيكون لهم اسم آخر غير الذي كان لليهود، يقول سفر إشعياء على لسان الرب لبني إســـرائيل "وتخلفون اسمكم لعنة على شفاه مختاري ويميتكم الرب ويطلق على عبيده اسمًا آخر"، وهو ما لم يكن للمسيحيين وكان للمسلمين؛ لأن هذا الاسم "مسيحيّون" لم يعرف إلا متأخرًا في أنطاكية - كمـــا يصرح سفر أعمال الرسل من الكتاب المقدس- وكان المسيحيون يعتبرون في أول الأمر، وطيلة حياة المسيح عليه السلام على الأرض- فريقاً من اليهود، فالمسلمون هم الذين كان لهم اسم آخر غير مـــا كان لبني إسرائيل، وهذا الاسم الآخر يصرح به سفر إشعياء عندما يصف النبي المنتظر بأنه (رئـــيس الإسلام) أو السلام، فكل من السلام والإسلام بالعبرية: (شالوم)؛ فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمين من قبل وفي هذا } الحج:٧٨.

هذا قليل من كثير لا يتسع المقام إلا للتمثيل له، وهو ما جعل "باول شفارتزيناو" – أستاذ الثيولوجي البروتستانتية وعلوم الأديان بجامعة "دور تموند" بألمانيا– يصرح قائلاً: "إن الاعتراف بنبوة محمد الذي أطالب به موجود في جذور المسيحية"، كما جعل "كانون ماكس وارن" سكرتير جمعية التبشير الكنسية، في بحثه المقدم إلى المؤتمر التبشيري الثالث لطائفة الإنجيليين الذي عقد في كندا عام ١٩٦٣م– يقول: "لقد تجلى الله بطرق مختلفة ومن الواجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لنصر على القول بأن الله كان يتكلم في ذلك الغار الذي يقع في تلك التلال خارج مكة"، يقصد بذلك الوحي إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– حين بدأ في غار حراء.

فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم {أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ} الشعراء: ١٩٧

د. جمال الحسيني أبوفرحة
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
gamalabufarha@yahoo.com

==========================

وفي ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٣٧٤)

ومن اللمحات البارزة في التوجيه الرباني لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجهر في مواجهة الإعراض والتكذيب والتحدي وبطء الاستجابة ووعورة الطريق بالحق الذي معه كاملاً؛ وهو أنه لا إله إلا الله ، ولا رب إلا الله ، ولا معبود إلا الله ، وأن الله هو الواحد القهار ، وأن الناس مردودون إليه فإما إلى جنة وإما إلى نار . . وهي مجموعة الحقائق التي كان ينكرها المشركون ويتحدونه فيها . . وألا يتبع أهواءهم فيصانعها ويترضاها بكتمان شيء من هذا الحق أو تأجيل إعلانه! مع تهديده بما ينتظره من الله لو اتبع أهواءهم في شيء من هذا من بعد ما جاءه من العلم! . .

وهذه اللمحة البارزة تكشف لأصحاب الدعوة إلى الله عن طبيعة منهج هذه الدعوة التي لا يجوز لهم الاجتهاد فيها! وهي أن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين ، وألا يخفوا منها شيئاً ، وألا يؤجلوا منها شيئاً . . وفي مقدمة هذه الحقائق : أنه لا ألوهية ولا ربوبية إلا لله . ومن ثم فلا دينونة ولا طاعة ولا خضوع ولا اتباع إلا لله . . فهذه الحقيقة الأساسية يجب أن تعلن أياً كانت المعارضة والتحدي؛ وأياً كان الإعراض من المكذبين والتولي؛ وأياً كانت وعورة الطريق وأخطارها كذلك . . وليس من « الحكمة والموعظة الحسنة » إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تأجيله ، لأن الطواغيت في الأرض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلنونه! أو يعرضون بسببه عن هذا الدين ، أو يكيدون له وللدعاة إليه! فهذا كله لا يجوز أن يجعل الدعاة إلى هذا الدين يكتمون شيئاً من حقائقه الأساسية أو يؤجلونه؛ ولا أن يبدأوا مثلاً من الشعائر والأخلاق والسلوك والتهذيب الروحي ، متجنبين غضب طواغيت الأرض لو بدأوا من إعلان وحدانية الألوهية والربوبية ، ومن ثم توحيد الدينونة والطاعة والخضوع والاتباع لله وحده!

إن هذا لهو منهج الحركة بهذه العقيدة كما أراده الله سبحانه؛ ومنهج الدعوة إلى الله كما سار بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه .

فليس لداع إلى الله أن يتنكب هذا الطريق؛ وليس له أن ينهج غير ذلك المنهج . . والله بعد ذلك متكفل بدينه ، وهو حسب الدعاة إلى هذا الدين وكافيهم شر الطواغيت!

والمنهج القرآني في الدعوة يجمع بين الحديث عن كتاب الله المتلوّ وهو هذا القرآن وبين كتاب الكون المفتوح؛ ويجعل الكون بجملته مصدر إيحاء للكينونة البشرية؛ بما فيه من دلائل شاهدة بسلطان الله وتقديره وتدبيره . كما يضم إلى هذين الكتابين سجل التاريخ البشري ، وما يحفظه من دلائل ناطقة بالسلطان والتقدير والتدبير أيضاً . ويواجه الكينونة البشرية بهذا كله ويأخذ عليها أقطارها جميعاً؛ وهو يخاطب حسها وقلبها وعقلها جميعاً!

إن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب الذين يعلمون أن ما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق . ومن ثم يوفون بعهد الله على الفطرة ، وبعهد الله على آدم وذريته ، أن يعبدوه وحده ، فيدينوا له وحده ، ولا يتلقوا عن غيره ، ولا يتبعوا إلا أمره ونهيه . ومن ثم يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم فيخافون أن يقع منهم ما نهى عنه وما يغضبه؛ ويخافون سوء الحساب ، فيجعلون الآخرة في حسابهم في كل حركة؛ ويصبرون على الاستقامة على عهد الله ذاك بكل تكاليف الاستقامة؛ ويقيمون الصلاة؛ وينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانية؛ ويدفعون السوء والفساد في الأرض بالصلاح والإحسان . .

إن حياة الناس في الأرض لا تصلح إلا بمثل هذه القيادة المبصرة؛ التي تسير على هدى الله وحده؛ والتي تصوغ الحياة كلها وفق منهجه وهديه . . إنها لا تصلح بالقيادات الضالة العمياء ، التي لا تعلم أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وحده؛ والتي تتبع من ثم مناهج أخرى غير منهج الله الذي ارتضاه للصالحين من عباده . . إنها لا تصلح بالإقطاع والرأسمالية ، كما أنها لا تصلح بالشيوعية والاشتراكية العلمية! . .

إنها كلها من مناهج العُمْي الذين لا يعلمون أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الحق ، الذي لا يجوز العدول عنه ، ولا التعديل فيه . . إنها لا تصلح بالثيوقراطية كما أنها لا تصلح بالديكتاتورية أو الديمقراطية! فكلها سواء في كونها من مناهج العُمي ، الذين يقيمون من أنفسهم أرباباً من دون الله ، تضع هي مناهج الحكم ومناهج الحياة ، وتشرع للناس ما لم يأذن به الله؛ وتعبدهم لما تشرع ، فتجعل دينونتهم لغير الله .

وآية هذا الذي نقوله استمداداً من النص القرآني هو هذا الفساد الطامي الذي يعم وجه الأرض اليوم في جاهلية القرن العشرين . وهو هذه الشقوة النكدة التي تعانيها البشرية في مشارق الأرض ومغاربها . . سواء في ذلك أوضاع الإقطاع والرأسمالية ، وأوضاع الشيوعية والاشتراكية العلمية! . . وسواء في ذلك أشكال الديكتاتورية في الحكم أو الديمقراطية! إنها كلها سواء فيما تلقاه البشرية من خلالها من فساد ومن تحلل ومن شقاء ومن قلق . . لأنها كلها سواء من صنع العُمي الذين لا يعلمون أن ما

أنزل على محمد من ربه هو الحق وحده؛ ولا تلتزم من ثم بعهد الله وشرعه؛ ولا تستقيم في حياتها على منهجه وهديه .

إن المسلم يرفض بحكم إيمانه بالله وعلمه بأن ما أنزل على محمد هو الحق كل منهج للحياة غير منهج الله؛ وكل مذهب اجتماعي أو اقتصادي؛ وكل وضع كذلك سياسي؛ غير المنهج الوحيد ، والمذهب الوحيد ، والشرع الوحيد الذي سنه الله وارتضاه للصالحين من عباده .

ومجرد الاعتراف بشرعية منهج أو وضع أو حكم من صنع غير الله ، هو بذاته خروج من دائرة الإسلام لله؛ فالإسلام لله هو توحيد الدينونة له دون سواه .

إن هذا الاعتراف فوق أنه يخالف بالضرورة مفهوم الإسلام الأساسي ، فهو في الوقت ذاته يسلم الخلافة في هذه الأرض للعُمي الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض . . فهذا الفساد في الأرض مرتبط كل الارتباط بقيادة العُمي! . .

ولقد شقيت البشرية في تاريخها كله؛ وهي تتخبط بين شتى المناهج وشتى الأوضاع وشتى الشرائع بقيادة أولئك العُمي ، الذين يلبسون أردية الفلاسفة والمفكرين والمشرعين والسياسيين على مدار القرون . فلم تسعد قط؛ و لم ترتفع « إنسانيتها » قط ، و لم تكن في مستوى الخلافة عن الله في الأرض قط ، إلا في ظلال المنهج الرباني في الفترات التي فاءت فيها إلى ذلك المنهج القويم .

================================

كفر سابّ الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم-

المجيب د.سعيد بن ناصر الغامدي

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد

التاريخ ١٤٢٣/٢/٢٩

السؤال

ما رأي فضيلتكم فيمن يقول: إن من سب الله -عز وجل- ورسوله الكريم ليس بكافر إلا إذا استحل ذلك، مع انتفاء شروط الموانع من العلم، والإكراه، والتأول، والخطأ، استدلالاً بما وقع لموسى -عليه السلام- لما ألقى الألواح، نرجو الجواب بشيء من التفصيل.

الجواب

سبّ الله -تعالى وتقدس- وسبّ رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أكبر أنواع الكفر، بل هو أعظم من مجرد الردة عن الإسلام، ومن فعل ذلك وجب قتله، وهذا مذهب عامة أهل العلم، "إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً" [الأحزاب:٥٧] وقد قال الإمام إسحاق بن راهوية -رحمه الله-: "أجمع المسلمون على أن من سبّ الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، أو دفع شيئاً مما أنزل الله -عز وجل-، أو قتل نبياً من أنبياء الله -عز وجل- أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله".

وسبّ الله أو سبّ الرسول –صلى الله عليه وسلم- كفر ظاهر؛ لجريان السب على لسان صـــاحبه، وكفر باطن؛ لأنه يدل على استهانته بالله –عز وجل- وبرسوله –صلى الله عليه وسلم-، وانعـــدام خشيته من الله -عز وجل- وعدم تعظيم الله من قلبه، وذهاب توقير النبي –صلى الله عليه وسلم- من نفسه.

أما القول بأن السّاب لا يكفر إلا إذا استحل ذلك، ومع انتفاء الموانع من إكراه، وتـــأول، وخطـــأ، وحصول شرط العلم استدلالاً لما وقع لموسى –عليه السلام- لما ألقى الألواح فهذا القول يتضمن عدة أمور، الجواب عنها بعدة أوجه:

الأول: القول بأن السّاب لله –تعالى- ولرسوله –صلى الله عليه وسلم- لا يكفر إلا إذا استحل ذلك، هذا اشتراط غير صحيح، بل إن أقوال أهل العلم تنص على أن من قال أو فعل ما هو كفر صـــريح كفر بدون تقييد ذلك بالاستحلال، والاستحلال وصف آخر يوجب الكفر، فلو استحل السّب و لم يقله كفر، والله –تعالى- وصف المستهترين بالنبي –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالكفر، فقال: "يحذر المنافقون أن تترل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين" [التوبة:٦٤-٦٥-٦٦].

وعندما جاء الذين نزلت فيهم هذه الآية يعتذرون إلى النبي –صلى الله عليه وســـلم- لم يعـــذرهم، وكان يردد عليهم هذه الآية، ولو كان الاستحلال يصح أن يرفع به حكم الكفر عنهم لسألهم الـــنبي –صلى الله عليه وسلم- :هل كنتم تستحلون هذا الاستهزاء أم لا؟

قال القاضي عياض –رحمه الله-: "لا خلاف أن ساب الله –تعالى- من المسلمين كافر حلال الدم".

وقال ابن عبد البر –رحمه الله-: "ومن شتم الله –تبارك وتعالى-، أو شتم رسوله –صلى الله عليـــه وسلم-، أو شتم نبياً من أنبياء الله -صلوات الله عليهم- قُتِل إذا كان مظهراً للإسلام بلا استتابة".

الثاني: اشتراط وجود شروط الكفر وانتفاء موانعه فيمن سبّ الله –تعالى-، أو سب الرسول –صلى الله عليه وسلم-، وذكر السائل من الشروط العلم ومن الموانع الإكراه، والتـــأول، والخطـــأ، فأمـــا (الإكراه) فلا شك أنه مانع من موانع إطلاق الكفر على السّاب، وذلك لقول الله –تعالى-: "مـــن كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صـــدراً فعلـــيهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم" (النحل١٠٦).

وفي مستدرك الحاكم وغيره عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، قال: "أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي –صلى الله عليه وسلم- وذكر آلهتم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: ما وراءك؟ قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال مطمئن بالإيمان قال: "إن عادوا فعـــد" (هـــذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه).

فمن أكره على سبّ الله أو سبّ رسوله فهو معذور وليس بكافر.

الثالث: أما اشتراط العلم، فيراد بالعلم أمران:
١-أن يعلم أن هذا اللفظ فيه سبّ لله أو لرسوله.
٢-أن يعلم أن السّب لله ولرسوله كفر وخروج من الملة.
فإن ادعى أنه لا يعلم أن هذا اللفظ فيه سبّ لله ورسوله فينظر في اللفظ الذي تلفظ به هل هو مما يعده الناس شتماً، أو سباً، أو تنقصاً، فإن كان كذلك فهو كافر بذلك؛ وإنما قيل هذا؛ لأن الكلمة الواحدة تكون في حال سب وفي حال ليست بسب، فعلم أن هذا يختلف باختلاف الأقوال والأحوال، إذا لم يأت للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع، فالمرجع فيه إلى عرف الناس، هذا ما ذكر شيخ الإسلام في (الصارم المسلول).
وإن ادعى أنه لا يعلم أن سبّ الله -تعالى- والرسول -صلى الله عليه وسلم- كفر مخرج من الملة فينظر في المكان الذي هو فيه، وحالة الشخص من التمكن من العلم وعدمه.
فإن كان الساب مسلماً ناشئاً في بلاد الإسلام فلا يعذر؛ لأن مسألة تعظيم الله وتوقير رسوله -صلى الله عليه وسلم- من المسائل العظيمة وليست من المسائل الخفية، والناشئ في بلاد المسلمين متمكن من العلم بهذه المسألة التي هي من الأصول الظاهرة، فلا عذر له بذلك، وهو كافر بهذا السب، سواء كان هازلاً أو لاعباً أو كاتباً للرواية أو الشعر أو غير ذلك.
الرابع: أما الاستدلال بقصة إلقاء موسى -عليه السلام- للألواح، فهو استدلال غير صحيح، وذلك لأمور:
١-أن السب لله -تعالى- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- من باب، وفعل موسى من باب آخر.
٢-أن فعل موسى -عليه السلام- لا يتضمن سخرية ولا استهانة ولا استنقاصاً لله -تعالى-، بل الذي حمله على إلقاء الألواح هو شدة تعظيمه لله -تعالى-، وشدة عنايته بتوحيد الله، لما رأى قومه قد أشركوا وعبدوا العجل.
٣-أن موسى -عليه السلام- كان في حالة غضب شديد وحزن بسبب عبادة قومه للعجل، وبقاء هارون -عليه السلام- عندهم وعدم لحاقه بموسى -عليه السلام-.
أما السّاب لله -تعالى- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- فيغلب على حاله السخرية والاستهزاء واللعب أو العمد والقصد، فإن كان في حالة من الغضب الشديد بحيث لا يدري ما يقول، وتكلم بكلام لا يستحضره ولا يعرفه فإن هذا الكلام لا حكم له، ولا يحكم على صاحبه بالردة؛ لأنه كلام حصل عن غير إرادة وقصد. نعوذ بالله من موجبات غضبه، ونسأله أن يختم لنا بالإيمان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.
==============================

كيف ننصر الرسول عليه الصلاة والسلام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فلقد تأكد بما لا يدع مجالا للشك زيف ما يسمى بحوار الحضارات،وسقوط دعوى التسامح وحوار الأديان التي يرددها الغرب المسيحي،فمنذ الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على المقدسات الإسلامية وهم يواصلون حملتهم الخبيثة على معتقداتنا وديننا الحنيف،فبعد نجـــاحهم في زرع هـــذا السرطان المسمى بدولة إسرائيل في جسد الأمة العربية والإسلامية من خلال وعد بلفور وتكالـــب قوى الشر شرقا وغربا في الاعتراف بها ومن دعوة إلى تدمير الكعبة الشريفة، وأخيرا ولـــيس بـــآخر التهجم على أشرف الخلق وأفضلهم سيد ولد آدم سيدنا ونبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصـــلاة وأتم التسليم.

وهذه التصرفات والأفعال الخبيثة من قبلهم تعكس مدى الحقد الصليبي على الإسلام وكل ما يمت له بصلة وهو موقف جميع المنتسبين للغرب المسيحي شعوبا وحكومات أفرادا وجماعات، فمنذ صـــدور التهجم على المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،في الصحف الدنماركية لم نســـمع منـــهم أي تنديد أو استنكار أو عقوبات رادعة ضد من سولت له نفسه بذلك في حين نجد عندما عبر بعـــض الزعماء والمفكرين المسلمين عن رأيهم بحقيقة ما تعرض له اليهود من مزاعم تعذيب وحرق أو حديث عن خطورة المد اليهودي تنادى الغرب المسيحي بالاستنكار والتهديد بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم يتراجع هؤلاء ويعتذروا علانية عما قالوا،وأيضا لم يكتفوا بذلك بل عملوا على احتضان كـــل مسلم مرتد يتطاول على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام مثل المدعو سليمان رشـــدي مؤلف كتاب"آيات شيطانية".

وفي واقع الأمر فإن هذا العداء المستحكم من الغرب المسيحي ضد الإسلام وأهلـــه لـــيس بـــالأمر المستغرب إنما المستغرب هو موقف المنبهرين بالغرب وبحضارته من أبناء المسلمين الذين استكانوا لهم وشربوا من فكرهم وتأثروا بهم وربطوا أنفسهم بتلك الحضارة الزائفة.

يقول الله عز وجل"لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كـــانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم".

ويقول"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم".

ولذا وفي ضوء ما حصل من تهجم وسب وشتم للمصطفى عليه الصلاة والسلام فإن نصرته عليـــه الصلاة والسلام تكون من خلال الآتي:

- اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن يكون أحب إلينا من أنفسنا ووالدينا قولا وعملا.

- تعليم أبنائنا محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن ذلك بيان ما تعرض له المصطفى عليه الصلاة والسلام من تهجم وأذى من قبل الغرب المسيحي ودعوتهم أي الأبناء إلى مقاطعة منتجات الغـــرب المحببة إلى نفوس أبنائنا.

- استخدام أهم سلاح نملكه وهو سلاح المقاطعة لكل ما هم منتج غربي بصفة عامة ومنتجات الدنمارك والنرويج على وجه الخصوص ومن هنا تبرز أهمية دور الغرف التجارية المحلية والعربية والإسلامية وضرورة التنسيق فيما بينها لتحقيق هذا الأمر.
- سحب جميع سفراء الدول الإسلامية من الدنمارك ويتم ذلك من خلال عمل جماعي تدعو إليه منظمة المؤتمر الإسلامي.
- لعل في هذه المصيبة فوائد لأمتنا الإسلامية ممثلة بضرورة التكاتف والتكتل في جميع المجالات فالغرب المسيحي لن يجرؤ على التطاول والتعرض للمسلمين أو لرموز الإسلام أو الدول الإسلامية طالما كانت الكلمة واحدة والصف واحد.
- تقوية العلاقة مع الصين فهي المارد القادم،ويلمس الزائر لهذه الدولة رغبتها الجادة في التعاون مع المسلمين وكرهها للغرب المسيحي ويأتي في المقدمة اليمين الصهيوني المتطرف.
فهل نحن فاعلون أرجو ذلك فالوضع لا يحتمل أي تبرير أو سكوت وإن لم نفعل فإن عقوبة الله ستحل علينا جميعا.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.
* وكيل جامعة أم القرى للدراسات العليا والبحث العلمي
كيف نوقف خطر أعضاء "نوادي الموت"؟
الكاتب: د.أحمد عبدالملك
خلال المعركة الحامية التي حدثت بيننا وبين الغرب -والدانمرك خصوصاً- إثر نشر الرسوم المسيئة لرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، وقعت حادثتان كبيرتان في المنطقة العربية، الأولى: تفجير المراقد المقدسة لدى إخواننا الشيعة في سامراء، والثانية: الهجوم على منشأة نفطية في شرق السعودية!
والحادثتان من صنع عربي وإسلامي، والذين يحاولون أن يقذفوا بجُرم التفجيرات في المراقد بسامراء على "الأجانب"، إنما يحاولون الإيغال في تبادل الاتهامات و"تحيير" الرأي العام، وتشتيته عن لُب القضية الأساسية في العراق، وهي النزاع السني-الشيعي حول تقاسم "كعكة" العراق، بعد تبدّل الأوضاع منذ دخول القوات الأميركية في ذاك البلد، وإسقاط نظام صدام حسين.
الحادثتان لم تأتيا من فراغ، ولم تكونا أبداً "ترفاً" عقائدياً! بل إنهما من النوع المُخطط له جيداً، والمؤمَن به جيداً، لذلك فلابد من الاعتراف بأن المجتمع العربي يعيش حالة جديدة من الصراع المحلي، لا دخل للاستعمار، أو القوى الأجنبية فيها. وهذا يتطلب رؤية تحليلية لواقع الإنسان العربي في منطقة الخليج، وهمومه وآماله. ولا نحتاج في هذا الوقت بالذات إلى مقالات تمجيد "بطولة" هذا الطرف أو ذاك، أو الإشارات العنيفة التي لا يمكن إلا أن تصبّ الزيت على النار التي وصلت إلى تحت أنوف بعض الذين اعتقدوا بأنهم آمنون!

فنحن لم نكد نحصل على اعتذار من الجهات الدانمركية حول "الغوغائية" وسوء استخدام الحرية في قضية الكاريكاتير، وتطوّع علماؤنا الأفاضل بنشر مبادئ الدين الإسلامي وقيم الخير والتسامح والمحافظة على الأمن وحرية الديانات والمعتقدات، حتى ظهرت الحادثتان، لتقلبا الطاولة، وتناقضا كل ما قيل من رسائل لجذب التأييد العالمي للمسلمين والعرب في قضية الرسوم المسيئة لنا ولعقيدتنا.

بالنسبة للحادثة الأولى.. (تفجير المراقد في سامراء)، فإنها تحمل دلالات الكراهية والحقد الدفين بين الطرفين المتقاتلين حول المراقد المقدسة. وهو نزاع أسطوري قديم، لا يمكن إصلاحه أو إيجاد حل له، حيث لا يحاول أي فريق التخلي عن مواقفه ومبادئه تجاه الخلاف الأسطوري الذي مضى عليه ما يقارب ١٥ قرناً.

ولم يظهر هذا الخلاف بصورته الحالية إبّان حكم صدام حسين الديكتاتوري! وهي حالة مُبررة. أما لماذا يظهر اليوم، وقد يستمر طويلاً، فلأن بعض الاحتقانات في العراق لا تعود إلى حكم صدام فقط، ولا إلى الملكية، بل إلى عمق التاريخ! يظهر اليوم هذا النزاع الدموي، لسببين: الأول: الانتقام.. انتقام كلا طرفي النزاع من الآخر في مناخ تداعي أسوار الأمن. الثاني: زيادة أعضاء نوادي الموت.. واستعدادهم للقيام بأية عملية تساند وجهة نظرهم وإن كانت إبادة أرواحهم وأرواح الأبرياء حولهم.

أما لماذا تظهر الحادثة الثانية في شرق السعودية، بعد سنوات طويلة من الأمن والطمأنينة في ذلك البلد؟ فذلك راجع إلى التنسيق بين أعضاء نوادي الموت في أكثر من بلد من بلدان المنطقة. وهو أمر تساهم فيه الإنترنت بشكل كبير. أما السبب الثاني، فهو الرؤية السوداوية للأفراد اليائسين -الذين يناصبون الدولة العداء- لربما بهدف "إفشال" المشروع الإصلاحي في المنطقة، وزعزعة الأمن، وهو اتجاه يلتقي بما يقوم به أعضاء نوادي الموت في العراق، والهدف لا شيء!

فمن الناحية الاستراتيجية والدولية لن تقوم "دولة الخلافة"، لا في بغداد ولا في غيرها، لأن العالم اليوم محكوم بـ"نواميس" محددة وواضحة لا تسمح باهتزازات تعيد البشر إلى ثقافة "النكوص" أو تبعات "الخروج" التي ساندتها بعض الدول، ثم اكتشفت خطأ ما قامت به.

ومن الناحية الاجتماعية -وإن كانت هناك اختلافات حول ممارسة السلطة في بعض الدول- فإن معظم شعوب المنطقة لا يؤمنون بلغة العنف ولم يمارسوها سابقاً، ولا يريدون الرجوع إلى الوراء بعد أن حققوا نوعاً من مكتسبات التحضر. وأن ما يجري يُفشّل جهود الليبراليين -المؤمنين بتحضّر مجتمعاتهم- بعد أن "لانَتْ" بعض الأنظمة وخطت خطوات -لنقل عنها إنها مقبولة- تجاه الديمقراطية، وحرية الرأي، وإقامة مؤسسات المجتمع المدني.

ومن الناحية الاقتصادية، فإن تفجير منشآت نفطية هنا أو هناك، لن يلزم الحكومات بتوصيل أنابيب النقود إلى البيوت، أو فتح خزائن الدول لـ"يعبّ" منها هؤلاء، تحت دعاوى "عدالة توزيع الثروة". ونحن لسنا ضد مطلب عدالة توزيع الثروة، لكننا نختلف مع وسيلة المُطالبة! فالشعوب، لا يمكن -في ليلة واحدة- أن تحقق "المدينة الفاضلة"، حتى وإن كان جميع أفراد الشعب من الأفلاطونيين، وهم حتماً ليسوا كذلك! لكن استعجال بعض أعضاء نوادي الموت، وغوغائية البعض الآخر، هو الذي

يُفشل جهود الليبراليين في إقناع الحكومات بالتغيير، وإنشاء مؤسسات المجتمع المدني، ودعم الحريات، وتبديل النظرة تجاه الآخر! بل ومحاسبة الحكومات إن كان أداؤها لا يناسب المرحلة الحالية.

إن تفجير المنشآت النفطية يؤثر أولاً على الاستقرار في المنطقة، ولذلك تبعات كثيرة، لعل أبسطها: طرح فكرة إحلال قوات دولية لحماية المنشآت النفطية، وهذا يُدخل المنطقة في (متواليات) احتقانية لن تختلف عن المشهد في العراق. إذ قد تنشط خلايا نوادي الموت وتمارس الانتقام ضد بعضها بعضا. كما أن مثل تلك التفجيرات تضعف مكانة المنطقة لدى المستثمرين الخارجيين، وبذلك تخسر المنطقة الكثير، ناهيك عن الخسارة المادية المباشرة في مداخيل النفط، لو طال التفجير آبار البترول.

ومن الناحية الإعلامية، خصوصاً الرأي العام العالمي، فلم تكد صورة صدام حسين تخفت بعد أن قام بتفجير آبار نفط الكويت خلال احتلال الأخيرة، وقبل انسحابه "الذليل" منها عام ١٩٩١، فإن الرأي العام العالمي سيزيد قتامة تلك الصورة، من أن النفط -وهو عصب حياة العالم- بيد من لا يتورع البعض عندهم عن حرقه واللعب به، دونما وازع من ضمير أو قانون. وهذا يزيد في الصورة النمطية للعرب في مخيال الرأي العام العالمي، وفنانيه وصحافييه، ولا نستبعد أن تظهر صور كاريكاتورية تُظهر العربي في مواقع مشينة، لن تستطيع الدول العربية الدفاع عنها لأنها ستكون وقتئذ صحيحة وماثلة، ولا يمكن أن تُصنّف ضمن قائمة معاداة العرب! لأن أعضاء نوادي الموت لا يهتمون لا بصورة العربي، ولا بسمعة المسلم. لكن الأمر يمثل خسارة للطرف العربي.

نحن مع الذين يتوقعون احتمال أن تنتشر التفجيرات -لا سمح الله- إلى مواقع أخرى في الخليج، ونعتقد أن تشديد الحماية الأمنية ليس الطريقة الوحيدة في معالجة القضية. لابد للعالم العربي أن يبدأ تاريخاً، جديداً، ولابد أن ينسى أبناؤه بعض تاريخهم المزيّف!

صحيفة الإتحاد الإماراتية

=========================

كيف يستطيع المسلم أن ينمّي داخله محبة النبي صلى الله عليه وسلم

من موقع الإسلام سؤال وجواب:

السؤال:

كيف يستطيع المسلم أن ينمّي داخله محبة النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أي شيء آخر في الدنيا ؟.

الجواب:

الحمد لله

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون قوتها تبعاً لإيمان المسلم فإن زاد إيمانه زادت محبته له ، فحبه صلى الله عليه وسلم طاعة وقربة ، وقد جعل الشرع محبة النبي صلى الله عليه وسلم من الواجبات .

عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والـــده وولده والناس أجمعين " . رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) .
ويمكن أن تتأتى محبة الرسول صلى الله عليه و سلم بمعرفة ما يلي :
أولاً : أنه مرسل من ربه اختاره واصطفاه على العالمين ليبلغ دين الله للناس وأن الله اختاره لحبه لـــه ورضاه عنه ، ولولا أن الله رضي عنه لما اختاره ولا اصطفاه ، وعلينا أن نحب مـــن أحـــب الله وأن نرضى بمن رضي الله عنه ، وأن نعلم أنه خليل الله والخلة مرتبةٌ عُليا وهي أعلى درجات المحبة .
عن جندب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : " إني أبـــرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً " . رواه مسلم (٥٣٢) .
ثانياً : أن نعلم مترلته التي اجتباه الله بها ، وأنه أفضل البشر صلى الله عليه وسلم .
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول مـــن ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع " . رواه مسلم (٢٢٧٨) .
ثالثاً : أن نعلم أنه لقي المحن والمشقة من أجل أن يصلنا الدين وقد كان ذلك ـــ والحمد لله ـــ ويجب أن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوذي وضرب وشتم وسُبّ وتبرأ منه أقرب النـــاس إليـــه ورموه بالجنون والكذب والسحر وأنه قاتل الناس ليحمي الدين من أجل أن يصـــل إلينـــا فقـــاتلوه وأخرجوه من أهله وماله ودياره وحشدوا له الجيوش .
رابعاً : الاقتداء والتأسي بأصحابه في شدة محبتهم له ، فقد كانوا يحبونه أكثر من المال و الولد بـــل وأكثر من أنفسهم وإليك بعض النماذج :
عن أنس قال : " لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فمـــا يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل " . رواه مسلم (٢٣٢٥) .
وعن أنس رضي الله عنه قال : " لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبـــو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مُجَوّب به عليه بحَجَفَة له وكان أبو طلحة رجـــلا راميـــا شديد القِد يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقـــول انشـــرها لأبي طلحة فأشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك. . .
رواه البخاري (٣٦٠٠) ومسلم (١٨١١) .
(الحجفة) هي الدرع ، ويقال لها : جوبة ، والمعنى أن أبا طلحة معه درع يحمي بها النبي صـــلى الله عليه وسلم .
(شديد القد) القد هو وتر القوس ، والمعنى أنه شديد الرمي
خامساً : أن تُتبع سنته من قول أو عمل وأن تكون سنته منهجاً لك تتبعه في حياتك كلها وأن تقدم قوله على كل قول وتقدم أمره على كل أمر ثم تتبع عقيدة أصحابه الكرام ثم عقيدة من تبعهم مـــن

التابعين ثم عقيدة من تبع نهجهم إلى يومنا هذا من أهل السنة والجماعة غير متبع بدعة ولاسيما الروافض فإن قلوبهم غليظة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنهم يقدمون أئمتهم عليه ويحبونهم أكثر مما يحبونه .

نسأل الله أن يرزقنا محبة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يجعله أحب إلينا من أولادنا وآبائنا وأهلينا ونفوسنا .

والله أعلم .

الإسلام سؤال وجواب (www.islam-qa.com)

===========================

كيفية الاستفادة من كتب الحديث الستة

لفضيلة الشيخ:

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

(حفظه الله تعالى)

المدرس في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدّين.

أما بعد:

فهذه لمحات يسيرة في الاستفادة من كتب الحديث الستة وهي، صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة.

فأقول: إن أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن بعث فيها رسوله الكريم محمداً عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لِيُخرجهم به من الظلمات إلى النور، فقام بهذه المهمة خير قيام، وأدّى ما أرسله الله تعالى به على التمام والكمال، فما ترك خيراً إلاّ دلّ الأمة عليه ورغبها فيه، وما ترك شراً إلاّ حذّرها منه ونهاها عنه، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وكان التوفيق حليف صحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، إذ اختارهم الله تعالى لصحبته، وشرّف أبصارهم في الحياة الدنيا بالنّظر إلى طلعته، ومتّع أسماعهم بسماع حديثه الشريف من فمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه، فتلقّوا عنه القرآن، وكل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وأدّوه إلى من بعدهم على التمام والكمال، فصاروا بذلك أسبق الناس إلى كل خير، وأفضل هذه الأمة التي هي خير الأمم. ثم بعد أن انقرض عصر الصحابة بدأ تدوين الحديث

وجمعه بأسانيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتابع التأليف في تدوين السنة حتى جاءت المائة الثالثة التي ازدهر فيها التأليف، وكان من أهم المؤلفات التي أُلّفت في السنة على الإطلاق، صحيح الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري رحمه الله، المولود سنة (١٩٤ هـ) والمتوفى سنة (٢٥٦هـ)، وصحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المولود سنة (٢٠٤هـ)- وهي السنة التي توفي فيها الإمام الشافعي رحمه الله- والمتوفى سنة (٢٦١هـ)، ثم سنن الأئمة الأربعة: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، وأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة (٣٠٣هـ)، وأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة(٢٧٩هـ)، وأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى سنة (٢٧٣هـ).

وأول هذه الكتب: صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله، وهو أصحُّ الكتب المؤلفة في الحديث على الإطلاق، ويليه في الصحة صحيح الإمام مسلم رحمه الله، وهذان الكتابان لقيا عناية فائقة، وذلك لعناية مؤلفيهما بجمع كثير مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يستوعبا كل صحيح، و لم يلتزما ذلك، بل يوجد خارج الصحيحين أحاديث كثيرة صحيحة، ولكن الذي في الصحيحين جملة كبيرة من الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم-رحمهما الله- هو أعلى درجة مما انفرد به أحدهما، وعلى ذلك فإن درجات الصحيح بالنسبة لما رواه البخاري ومسلم أو لم يروياه سبع درجات:

- الأولى: ما اتفق عليه البخاري ومسلم.
- والثانية: ما انفرد به البخاري.
- والثالثة: ما انفرد به مسلم.
- والرابعة: ما كان على شرط البخاري ومسلم و لم يخرجاه.
- والخامسة: ما كان على شرط البخاري و لم يخرجه.
- والسادسة: ما كان على شرط مسلم و لم يخرجه.
- والسابعة: ما لم يكن في الصحيحين وليس على شرطهما وهو صحيح.

فهذه درجات سبع للحديث الصحيح، وأعلاها كما تقدم ما اتفق عليه البخاري ومسلم، وأحسن كتاب أُلّف في ذلك كتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان" للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي المتوفى سنة (١٣٨٨هـ) وقد رتبه وفقاً لترتيب الإمام مسلم، وما النص الذي يثبته فمن صحيح البخاري، حيث يختار أقرب لفظ في صحيح البخاري يوافق ما في صحيح مسلم فيثبته، وإنما أتى به على ترتيب مسلم، لأن الإمام مسلماً رحمه الله يجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد في مكان واحد فيسردها، ويذكر حديثاً يعتبره أصلا ثم يأتي بالطرق الأخرى والأسانيد ويذكر الإضافات والنقص والفروق التي بينها وبين الحديث الذي اعتبره أصلا، فيثبت الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي لفظ الحديث عند البخاري في موضعه من صحيح مسلم ثم يقول: أخرجه البخاري في كتاب كذا، باب كذا، ويذكر رقم الكتاب ورقم الباب، وإنّما لم يثبته على ترتيب البخاري، لأن البخاري يقطع

الأحاديث ويفرقها في أبواب متعددة للاستدلال بها على ما يترجم به من المسائل، لأنه أراد أن يكون كتابه كتاب رواية ودراية، وقد بلغ مجموع الأحاديث في كتاب "اللؤلؤ والمرجان" (١٩٠٦) حديث.
ويقول العلماء عند العزو لما كان في الصحيحين: رواه البخاري ومسلم، أو أخرجه الشيخان، أو متفق عليه، وعبارة "متفق عليه" في الاصطلاح المراد بها اتفاق البخاري ومسلم، إلاّ عند مجد ابن تيميّة جدّ شيخ الإسلام ابن تيميّة صاحب "منتقى الأخبار" الذي شرحه الشوكاني في "نيل الأوطار" فإنه يريد "بمتفق عليه" بالإضافة إلى البخاري ومسلم، الإمام أحمد في المسند، فإذا قال: متفق عليه، فانه يعني الثلاثة.

١- صحيح البخاري:

صحيح الإمام البخاري أصح كتب السنة، وموضوعه الأحاديث المسندة المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أراد البخاري أن يكون كتابه كتاب دراية، بالإضافة إلى كونه كتاب رواية، كتاب حديث وفقه، من أجل ذلك اتّبع طريقة تميّز بها عن الإمام مسلم في صحيحه وذلك بتقطيع الأحاديث وتفريقها وإيرادها تحت أبواب، من أجل الاستدلال بها على ما يترجم به، ومع تكرار الأحاديث في مواضع متعددة لا يخلي المقام من فائدة إسنادية أو متنية. وذلك أنه إذا أورد الحديث مكرراً يورده عن شيخ آخر، فيستفاد من ذلك تعدد طرق الحديث، والأحاديث التي كررها إسناداً ومتناً قليلة جداً تزيد على العشرين قليلاً، كما أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح (٣٤٠/١١) وكما في كتاب كشف الظنون (٣٦٣/١). وقد ذكرت مواضع تلك الأحاديث في الفائدة (٢٥٤) من كتابي "الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكتب أخرى".

وهذه الطريقة التي اتبعها البخاري في تفريقه الأحاديث على الأبواب ترتب عليها وجود بعض الأحاديث في غير مظنتها، فظن بعض العلماء خلو الكتاب منها كما حصل للحاكم رحمه الله في المستدرك حيث استدرك على البخاري أحاديث، وقال إنه لم يخرجها مع وجودها في صحيح البخاري، ومن أمثلة ذلك الحديث الذي رواه البخاري (٢٢٨٤) في كتاب الإجارة في النهي عن عسب الفحل، فقد استدركه الحاكم على البخاري فوهم، قال الحافظ في شرح الحديث: "وقد وهم في استدراكه، وهو في البخاري كما ترى، وكأنه لما لم يره في كتاب البيوع توهم أن البخاري لم يخرجه".

وأما فقه البخاري فهو واضح من تراجمه التي وصفها الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح بكونها حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، وبكونها بعيدة المنال منيعة المثال، انفرد بتدقيقه فيها عن نظرائه، واشتهر بتحقيقه لها عن قرنائه. ومن أمثلة دقته في تراجمه قوله في كتاب الإجارة: "باب إذا استأجر أجيراً ليعمل له بعد ثلاثة أيام أو بعد شهر أو بعد سنة جاز وهما على شرطهما الذي اشترطاه إذا جاء الأجل" والمقصود من هذه الترجمة أن مدة الإجارة لا يشترط فيها أن تكون تالية لوقت إبرام العقد، وأورد تحت هذه الترجمة حديث عائشة رضي الله عنها (٢٢٦٤) في استئجار النبي صلى الله عليه

وسلم وأبي بكر رضي الله عنه رجل من بني الدِّيل هاديا خرِّيتا ودفعا إليه راحلتيهما، ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال.
ومن منهج البخاري في صحيحه أنه قد يروي الحديث في موضع واحد بإسنادين عن شيخين فيجعل المتن للشيخ الثاني منهما، أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٣٦/١) وقال: "وقد ظهر بالاستقراء من صنيع البخاري أنه إذا أورد الحديث عن غير واحد فان اللفظ يكون للأخير، والله أعلم".
ومن منهج البخاري أيضا في صحيحه انه إذا مرت به لفظة غريبة توافق كلمة في القران أتى بتفسير تلك الكلمة التي من القران، فيكون بذلك جمع بين تفسير غريب القران والحديث، أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح في مواضع متعددة انظر على سبيل المثال (٣٤٣/٣، ٣٢٤، ١٩٦). والحافظ ابن حجر-عليه رحمة الله- تمكن من معرفة اصطلاحات البخاري ومنهجه في صحيحه، وقد ذكرت في كتاب "الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكتب أخرى" جملة كبيرة من الفوائد المتعلقة بذلك من الفائدة (٢٢٦) إلى (٢٨٤).
ولأهمية صحيح البخاري لقي عناية من العلماء في مختلف العصور، وكان على رأس الذين وفِّقوا للعناية بهذا الكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ)، فقد شرحه شرحا نفيسا واسعا جمع فيه ما اقتبسه من غيره ممن تقدمه، وما وفقه لله لفهمه واستنباطه من ذلك الكتاب العظيم، وذلك في كتابه "فتح الباري" الذي يعتبر حداً فاصلا بين من سبقه ومن لحقه، فالذين تقدموه جمع ما عندهم، والذين تأخروا عنه صار كتابه مرجعاً لهم، وقد طبع كتاب "فتح الباري" في المطبعة السلفية في مصر، واشتملت الأجزاء الثلاثة الأولى منه على تعليقات نفيسة لشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وقد أُثبت في هذه الطبعة ترقيم أحاديث الكتاب التي وضعها الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.
وطريقته في الترقيم أنه يثبت في أول موضع يرد فيه ذكر الحديث أرقامه في المواضع الأخرى التي تأتي بعد ذلك، وعند ورود الحديث في تلك المواضع لا يشير إلى الموضع الأول الذي ذكرت فيه الأرقام، ويمكن الاهتداء إلى الموضع الأول بالنظر في شرح الحافظ ابن حجر للحديث، فقد يشير فيه إلى المواضع المتقدمة، ويمكن ذلك أيضا بالرجوع إلى "فهارس البخاري" لرضوان محمد رضوان، فانه عندما يأتي للموضع التي تكرر فيها ذكر الحديث يقول: انظر كذا رقم كذا، مشيرا إلى الكتاب الذي ورد فيه ذكر الحديث أول مرة ورقمه.
وعدد كتب صحيح البخاري سبعة وتسعون كتابا، وعدد أحاديثه بالتكرار كما في ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (٧٥٦٣) حديث، وفي صحيح البخاري اثنان وعشرون حديثا ثلاثيا.
٢- صحيح مسلم:
وصحيح مسلم للإمام مسلم يلي صحيح البخاري في الصحة، وقد اعتنى مسلم -رحمه الله- بترتيبه، فقام بجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد فأثبتها في موضع واحد، ولم يكرر شيئا منها في مواضع

أخرى إلا في أحاديث قليلة بالنسبة لحجم الكتاب، و لم يضع لكتابه أبوابا، وهو في حكم المبـــوب، لجمعه الأحاديث في الموضوع الواحد في موضع واحد.

ومما يميز به صحيح الإمام مسلم إثبات الأحاديث بأسانيدها ومتونها كما هي من غير تقطيع أو رواية بمعنى، مع المحافظة على ألفاظ الرواة، وبيان من يكون له اللفظ منهم، ومن عبر منهم بلفظ حـــدثنا، وبلفظ أخبرنا، وقد أثنى الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام مسلم في كتابه "تهذيب التهذيب" علـــى حسن عنايته في وضع صحيحه، فقال: ((قلت: حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصـــل لأحد مثله، بحيث أن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن إسماعيل، وذلك لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي، من غير تقطيع ولا رواية بمعنى، وقد نهج على منواله خلق من النيسابوريين فلم يبلغوا شأنه، وحفظت منهم أكثر من عشرين إماماً ممـــن صنف المستخرج على مسلم، فسبحان المعطي الوهاب)).

وقد قام الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله بالعناية بإخراج صحيح مسلم ووضع فهـــارس لـــه متعددة مفصلة، وطبع الكتاب بعمله هذا في أربعة مجلدات أثبت فيها تراجم الأبواب التي وضـــعها الإمام النووي–رحمه الله– وهي ليست من عمل مسلم، كما قام بترقيم الأحاديث الأصلية فيه فبلغت (٣٠٣٣) حديث، وبلغ مجموع كتب صحيح مسلم أربعة وخمسين كتابا، ووضع الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي مجلداً خامساً مشتملاً على الفهارس المتنوعة المفصلة لصحيح مسلم رحمـــه الله، وأعلـــى الأسانيد في صحيح مسلم الرباعيات.

٣– سنن أبي داود:

كتاب السنن لأبى داود كتاب ذو شأن عظيم، عني فيه مؤلفه بجمع أحاديـــث الأحكـــام وترتيبـــها وإيرادها تحت تراجم أبواب تدل على فقهه وتمكنه في الرواية والدراية، قال فيه أبو سليمان الخطابي في أول كتاب "معالم السنن": ((وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهـــات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه)).

وللحافظ المنذري تهذيب لسنن أبي داود وللإمام ابن القيم تعليقات على هذا التهذيب، وقد وصـــف ابن القيم–رحمه الله– "سنن أبي داود" و "تهذيب المنذري" وما علقه عليه فقال: ((ولما كان كتـــاب السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني –رحمه الله– من الإسلام بالموضع الذي خصه الله به، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون، فانه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحســـن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، وإطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء، وكان الإمام العلامـــة الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري –رحمه الله– قد أحسن في اختصاره وتهذيبه، وعزو أحاديثه وإيضاح علله وتقريبه، فأحسن حتى لم يكد يدع للإحسان موضعاً، وسبق حتى جـــاء مـــن خلفه له تبعاً: جعلت كتابه من أفضل الزاد، واتخذته ذخيرة ليوم المعاد. فهذبته نحو ما هذب هو بـــه الأصل، وزدت عليه من الكرم على علل سكت عنها أو لم يكملها، والتعرض إلى تصحيح أحاديث

لم يصححها، والكلام على متون مشكلة لم يفتح مقفلها، وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يشـــر إليها، وبسطت الكلام على مواضع جليلة، لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه)).

وكتاب سنن أبي داود مقدم على غيره من كتب السنن الأخرى، وقد بلغ مجموع كتبه خمسة وثلاثين كتاباً، وبلغ مجموع أحاديثه (٥٢٧٤) حديث. وأعلى الأسانيد في سنن أبي داود الرباعيات وهي التي يكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أربعة أشخاص. ولسنن أبي داود عدة شروح من أشهرها "عون المعبود" لأبى الطيب شمس الحق العظيم آبادي.

٤- سنن النسائي:

صنف الإمام النسائي-رحمه الله- في السنن كتابين هما، السنن الكبرى، والصغرى التي اختصرها منها، ويقال لها المجتبى أي: المختارة من الكبرى، والسنن الصغرى هي التي لقيت عناية خاصة من العلماء، وهي التي اعتبرت أحد الكتب الحديثيه الستة، وهو كتاب عظيم القدر، كثير الأبواب، وتراجم أبوابه تدل على فقه مؤلفه، بل أن منها ما تظهر فيه دقة الإمام النسائي في الاستنباط، ومن أمثلة ذلك: قوله في أوائل كتاب الطهارة: " الرخصة في السواك بالعشي للصائم" وهي مسألة للعلماء فيها قولان:

أحدهما: منع الاستياك بعد الزوال قالوا: لأنه يذهب الخلوف الوارد في قوله صلى الله عليه وســـلم: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

والقول الثاني: الجواز لدخوله تحت عموم قوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» وقد أورد النسائي هذا الحديث تحت هذه الترجمة وهو أرجح القـــولين في المسالة لدلالة الحديث على ذلك، قال السندي في حاشيته على السنن منوِّهاً بدقة الإمام النسائي قال: ((ومنه يؤخذ ما ذكره المصنف من الترجمة، ولا يخفى أن هذا من المصنف استنباط دقيـــق وتـــيقظ عجيب، فلله دره ما أدق وأحد فهمه)).

وأعلى الأسانيد في سنن النسائي الرباعيات، وقد بلغ مجموع كتبه واحدا وخمسين كتابـــاً وبلغـــت أحاديثه (٥٧٧٤) حديث، وأحسن طبعات هذا الكتاب الطبعة التي حققها ورقمها ووضع فهارسها مكتب تحقيق التراث الإسلامي- دار المعرفة ببيروت، فانه عند كل حديث يـــذكر رقمـــه، وأرقـــام مواضعه الأخرى عند النسائي، ويذكر تخريج بقية أصحاب الكتب الستة، وأرقام الحديث عنـــدهم، ورقمه في تحفة الأشراف.

٥- سنن الترمذي:

سنن الترمذي ويقال له الجامع، من أهم كتب الحديث وأكثرها فوائد، اعتنى فيـــه مؤلفـــه بجمـــع الأحاديث وترتيبها، وبيان فقهها، وذكر أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم في المسائل الفقهية، ومن لم يذكر أحاديثهم من الصحابة أشار إليها بقوله: وفي الباب عن فلان وفلان، واعـــتنى ببيـــان درجـــة الأحاديث من الصحة والحسن والضعف، وفيه أحاديث رباعية كثيرة، وفيه حديث ثلاثـــي واحـــد أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ـــ(٢٢٦٠) فقال: "حدثنا عمر بن شاكر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«يأتي على الناس زمان الصابر فيهم علـــى دينـــه

كالقابض على الجمر». وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وفي إسناده عمر بن شاكر وهـــو ضعيف، لكن الحديث صحيح بالشواهد، انظر "السلسلة الصحيحة" رقم (٩٥٧).
وعدد كتب جامع الترمذي خمسون كتاباً، وعدد أحاديثه (٣٩٥٦) حديث، وأحسن شروح جامع الترمذي كتاب "تحفة الأحوذي" للشيخ عبد الرحمن المباركفوري المتوفي (١٣٥٣هـــ).
٦- سنن ابن ماجه:
سنن ابن ماجه سادس الكتب الستة على القول المشهور وهو أقلها درجة، قال الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن ماجه في تهذيب التهذيب: ((كتابه في السنن جامع جيد كثير الأبواب والغرائـــب وفيـــه أحاديث ضعيفة جدا، حتى بلغني أن السري كان يقول: مهما انفرد بخبر فيه فهو ضعيف غالباً، وليس الأمر في ذلك على إطلاقه باستقرائي، وفي الجملة ففيه أحاديث كثيرة منكرة، والله المستعان)).
وإنما اعتبر سادس الكتب الستة لكثرة زوائده على الكتب الخمسة، وقيل سادسها الموطأ لعلو إسناده، وقيل السادس سنن الدار مي.
وأحسن طبعاته الطبعة التي أخرجت بعناية الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي التي رقم فيهـــا الأحاديـــث فبلغت (٤٣٤١) حديث، وبلغت كتبه سبعة وثلاثين كتاباً، وذكر الشيخ محمد فؤاد عبد البـــاقي في كلام له في آخر السنن أن أحاديثه الزائدة على الكتب الخمسة بلغت (١٣٣٩) حديث.
وفي سنن ابن ماجه خمسة أحاديث ثلاثيات الإسناد، كلها من طريق جبارة بن المغلس، عن كثير ابن سليم، عن أنس رضي الله عنه، ثلاثة منها في كتاب الأطعمـــة (٣٣٥٦) (٣٣٥٧)، (٣٣١٠)، وفي كتاب الزهد واحد (٤٢٩٢)، وواحد في كتاب الطب (٣٤٧٩)، وجبارة وكثير انفرد ابن ماجه عن بقية أصحاب الكتب الستة بإخراج حديثهما، وقال عنها الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب أنهما ضعيفان، وهذه الأحاديث الخمسة من زوائد سنن ابن ماجة على الكتب الخمسة.
وقد ألف الشيخ أحمد ين أبي بكر البوصيري المتوفي سنة (٨٤٠هـــ) كتاب "مصباح الزجاجـــة" في زوائد ابن ماجة، وبلغت أحاديثه في بعض طبعاته (١٥٥٢) حديث.
وهذه الكتب الستة لقيت من العلماء عناية في أطرافها ورجالها، وأحسن ما ألّف في أطرافها كتـــاب أبي الحجاج المزي "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" وقد رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنـــهم، وعند كل صحابي يذكر الأسانيد من الأئمة أصحاب الكتب الستة إلي التابعين، وهذا الكتاب العظيم يعتبر بالنسبة للأسانيد بمثابة نسخ أخرى لتلك الكتب الستة.
وأحسن ما ألف في رجالها بل في رجال مؤلفات أصحابها كتاب "تهذيب الكمال في أسماء الرجـــال" لأبي الحجاج المزي، فإنه مشتمل على أسماء رجال الكتب الستة ورجال مؤلفات أخرى لأصـــحاب الكتب الستة مثل رجال الأدب المفرد، وجزء القراءة خلف الإمام، وخلق أفعال العبـــاد للبخـــاري وغيرها.
وأما الكتاب المقتصر على رجال الكتب الستة فهو "كتاب الكاشف" للذهبي.

وقد اعتنى الحافظ أبو الحجاج المزي عند ترجمة كل راوٍ بذكر شيوخه وتلاميذه مرتبين على ترتيب حروف الهجاء، ثم يذكر ما قيل في صاحب الترجمة من جرح وتعديل، ويختم الترجمة بذكر أسماء الذين خرجوا أحاديثه من الأئمة الستة في كتبهم وفي أول الترجمة يثبت الرموز لهم.
وقد هذب كتابه هذا الحافظ ابن حجر في كتابه "تهذيب التهذيب"، فيذكر عند كل ترجمة بعض شيوخ الراوي وتلاميذه وما ذكره المزي مما قيل فيه، ثم يختم الترجمة بذكر إضافات أخرى مبدوءة بقوله: ـــ(قلت)، وعندما ينظر طالب العلم في ترجمة الراوي في تهذيب التهذيب وما اشتملت عليه من جرح وتعديل يتساءل! ما هي النتيجة التي انتهى إليها الحافظ ابن حجر في الحكم على الراوي؟ والجواب على هذا التساؤل موجود عند الحافظ ابن حجر في كتابه تقريب التهذيب، فيقول عنه ثقة أو صدوق أو ضعيف أو غير ذلك. وكتاب المزي تهذيب الكمال هذبه أيضاً الذهبي في كتابه "تذهيب تهذيب الكمال"، ولخصه الخزرجي في "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال". والفرق بين ما في التقريب والخلاصة أن الحافظ ابن حجر في التقريب يثبت رأيه في الراوي ويذكر طبقته، وأما الخزرجي في الخلاصة فانه يذكر بعض شيوخ الراوي وبعض تلاميذه ويذكر بعض ما قيل في الحكم عليه جرحاً أو تعديلا، وعند ذكر الصحابي يذكر عدد الأحاديث التي له في الكتب الستة، وعدد ما اتفق عليه البخاري ومسلم منها، وعدد ما انفرد به كل واحد منهما عن الأخر.
وفي كتاب "تهذيب الكمال" للمزي وما تفرع عنه من الكتب ذكر رواة ليس لهم رواية عند أصحاب الكتب الستة، ذكروا لتمييزهم عن رواة مذكورين قبلهم لهم رواية عند أصحاب الكتاب الستة، والرمز لهم في هذه الكتب بكلمة (تمييز) عند الترجمة. فمثلاً: كثير بن أبي كثير جاء في هذه الترجمة خمسة رواة، الأول روى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير، والثاني روى له البخاري في الأدب المفرد، والثلاثة الباقون ليس لهم رواية وإنما ذكروا لتمييزهم عن الاثنين قبلهم.
وقد جمع أبو نصر الكلاباذي رجال صحيح البخاري في مؤلف خاص، وجمع أبو بكر بن منجويه الأصبهاني رجال صحيح مسلم في مؤلف خاص، وجمع بين الكتابين الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني، واسم كتابه "الجمع بين رجال الصحيحين" وكلها مطبوعة، وكتاب ابن القيسراني مختصر، وطريقته فيه أنه عندما يذكر التراجم التي تحت اسم واحد كأحمد مثلاً: يذكر من اسمه أحمد عند البخاري ومسلم، ثم من اسمه أحمد عند البخاري ثم من اسمه أحمد عند مسلم، ومن أجل فوائده أن الراوي إذا كان قليل الرواية، فإنه يذكر مواضع أحاديثه في الصحيحين أو أحدهما، وذلك بذكر الكتاب الذي ورد فيه الحديث.
وقد ألف الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري اليمني في الصحابة الذين لهم رواية في الصحيحين أو أحدهما كتاباً سماه "الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة"، وهو كتاب عظيم الفائدة.
ومن المناسب ذكره هنا أن للحافظ الذهبي كتابا اسمه "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" اشتمل على تراجم لرجال ورد ذكرهم في تهذيب الكمال وما تفرع عنه، وعلى تراجم لرجال غيرهم، وفيه ثقات

ذكرهم لا لنقدهم وإنما للدفاع عنهم؛ مثل علي بن المديني، وعبد الرحمن بن أبي حاتم.

وللحافظ ابن حجر كتاب كبير سماه "لسان الميزان" بناه على كتاب الميزان للذهبي مع زيادات كثيره عليه، وقد قصره على تراجم رجال لا ذكر لهم في كتاب تهذيب الكمال وما تفرع عنه، وهو يعتبر إضافة رجال آخرين إلى رجال أصحاب الكتب الستة.

وقد جمع متون الكتب الستة وسادسها الموطأ أبو السعادات ابن الأثير في كتابه "جامع الأصول" ، وهو مطبوع متداول، وقد هذب به كتاب رزين العبدري "التجريد والسنن"، ويرمز عند كل حديث للذين خرجوه من الأئمة الستة و وفيه أحاديث زائدة على ما في الكتب الستة وهذه الزيادات لرزين ، وعلامتها في جامع الأصول خلوها من الرموز أمامها. وابن الأثير رتب كتابه "جامع الأصول" على كتب مرتبة على حروف الهجاء، فيذكر في كل كتاب ما يتعلق بموضوعه.

وإذا أراد طالب العلم الوقوف على حديث في الكتب الستة وهو يعرف متنه فيمكنه ذلك بالبحث عنه في مظنته من الكتب التي اشتملت عليها الكتب الستة؛ فإذا كان الحديث يتعلق بالإيمان مثلا بحث عنه في كتاب الإيمان من الصحيحين والسنن، وإذا كان يعرف اسم الصحابي راوي الحديث رجع إلى " تحفة الأشراف " للحافظ المزي، فإنه يذكر أماكن وجود الحديث في الكتب الستة، أو رجع إلى كتاب "ذخائر المواريث في الدلالة على مواضيع الحديث" للشيخ عبد الغني النابلسي فإنه يذكر طرف الحديث، ويذكر من خرجه من أصحاب الكتب الستة بالإضافة إلى الإمام مالك في الموطأ، مع ذكر شيخ المؤلف فيه. ويمكن الاهتداء إلى موضع الكلمات في الحديث المعين فيرجع إلى كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" الذي بني على الكتب الستة والموطأ وسنن الدارمي ومسند الإمام أحمد، فيبحث عن الكلمة، فإذا الدلالة على موضعه منها، وذلك بذكر اسم الكتاب ورقم الباب، إلا في صحيح مسلم وموطأ الإمام مالك فإنه يكون بذكر اسم الكتاب ورقم الباب، وإلا في مسند الإمام أحمد فإن الإشارة فيه إلى الجزء والصفحة من الطبعة ذات الستة أجزاء.

في الختام أسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه، وان يوفقنا لتحصيل العلم النافع والعمل به، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا أعتقد ذلك يا ولدي

نشرت جريدة الوطن في ١٤٢٦/١٢/٢٥هـ

==========================

لا أعتقد ذلك يا ولدي

صالح الشيحي

قبل أربع سنوات أصدر محمود درويش وأدونيس وإدوارد سعيد وإلياس خوري، وعشرة آخرون، بيانا تعاطفوا فيه بشكل علني مع اليهود، عندما نادوا بمنع مؤتمر سيعقد في إحدى الدول العربية يتحدث عن أسطورة الهولوكوست.. وقامت حكومة ذلك البلد العربي بإلغاء المؤتمر.

المفارقة أن أغلب المؤتمرين الذين كانوا سيشاركون في ذلك المؤتمر، كانوا من الجنسية الأوروبية والأمريكية!

ـــ الهولوكوست.. الأسطورة اليهودية.. لابد أن تقبل بها.. لابد أن تصدق أن ٦ ملايين يهودي أبادهم "الفوهرر الألماني" جماعياً في غرف الغاز.. يجب أن تصدق.. وإن لم تفعل يجب أن تلتزم الصمت.. أما إن " ركبت رأسك " فستجد ذات المصير الذي وجده السيد "روجيه جارودي".

ـــ أنت في النهاية تتحدث عن أهم الأسلحة التي يبتز بها الصهاينة العالم.. هكذا : لابد أن تسيطر عقدة الذنب على الغرب، ولابد أن يُقدّم تبعاً لذلك المزيد، المزيد، من الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري.. كما قدّم لهم ، من قبل ، فلسطين وطناً آمناً.

ـــ اليوم وبعد أكثر من نصف قرن، لا أحد يجرؤ في الصحافة الغربية كلها، على التشكيك في الهولوكوست.. لا أحد يأمن العقاب.. لكنهم يستطيعون أن يسخروا مما سواها، حتى وإن وصل الأمر للسخرية من الرئيس، وما (مايكل مور) عنا ببعيد.

ـــ وبعد، فلا أظن تلك الصحيفة الدانماركية التي أعلنت عن مسابقتها الكاريكاتورية لمن يستطيع تقديم رسم ساخر لنبينا (محمد) عليه أفضل الصلاة والسلام ـــ لم تكن لتفعل لولا أنها أمنت العقاب.. تماماً كما أمنته تسليمة نسرين، ومن قبل الجميع: "سلمان رشدي"، هذا الذي يعيش اليوم حرا طليقا في شوارع نيويورك، وغيره الكثير..

ـــ ستخرج أكثر من صحيفة، وأكثر من سلمان رشدي، طالما وقفت الحكومات الإسلامية موقف الطالب البليد، الذي لا يجيد حتى مسح السبورة.

ـــ يسألني ابني ذو الثمانية أعوام : " لو كانت تلك الرسومات الـ ١٢ التي سخرت من نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ـــ سخرت من ١٢ رئيسا عربيا هل ستكون ردة فعل الحكومات العربية كما هي الآن؟"

ـــ لا أعتقد ذلك يا ولدي...

==============================

لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم...

١٤٢٧/٢/٦

عبد المجيد بن ثنيان الثنيان

... @hotmail.com٩٩٩Maliks

لقد تكالب الأعداء من اليهود والنصارى والمنافقين على هذا الدين فهم "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّـــهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (الصف:٨)، فهم يريدون إطفاءه بشتَّى الوسائل، ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً ومنذ بزوغ شمس هذا الدين ودعوة نبينا _عليه الصلاة والسلام_ إلى عبادة الله ونبذ الشرك بدأ الأعداء يخرجون لصد الناس عن هذا الدين وسب نبيهم بل إنهم تآمروا على قتلـــه ولكن الله قد حفظ نبيه _عليه الصلاة والسلام_ وعندما هاجر إلى المدينة بدأ اليهود والمنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول – عليه لعنة الله – الذي آذى محمد _صلى الله عليه وســـلم_ في عرضه الشريف واتهم أم المؤمنين بالزنا – والعياذ بالله – وبدأ ينشر الخبر الكاذب عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها.

وضاق صدره عليه الصلاة والسلام وتأخر نزول الوحي وذلك لحكمة يريدها الله _عز وجل_ فهو يريد أن يميِّز الخبيث من الطيب والمنافق من المؤمن، ونزل قول الله _عز وجل_: "إِنَّ الَّذِينَ جَـــاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" (النور: من الآية١١) ولهذا فإني أقـــول للمسلمين لا تحسبوا أن هذا الحدث " السخرية والاستهزاء بالنبي _صلى الله عليه وسلم_ " شراً لكم بل هو خير لكم، ولعلي أذكر بعض الفوائد الحسنة من هذه الحادثة التي ضاق منها مليـــار مســـلم، وهذه الفوائد إنما هي تسلية وفرح لكل مسلم ومنها:

١- ظهور هذا الدين بصورة لم يحسب لها الأعداء أي حساب، فحين سخروا من نبي هذه الأمـــة؛ غضب مليار مسلم وبدأ عوام النصارى وغيرهم بقراءة سيرة هذا النبي والاطلاع على دينه.

٢- بدأ الناس يكثرون من قراءة سيرته _عليه الصلاة والسلام_ والاطلاع على سننه وتطبيقهـــا في مجال حياتهم.

٣- كثرة طباعة الكتب التي تتحدث عن سيرته _عليه الصلاة والسلام_ حتى أنه طبع بلغات شتى – ولله الحمد–.

٤- معرفة أن مسبة النبي _صلى الله عليه وسلم_ ليست كمسبة غيره، بل إن مسبته توجـــب قتـــل الساب.

٥- فضح أهل البدع وذلك عند ظهور سننه _عليه الصلاة والسلام_ ومعرفتها، حيث إنه ما ظهرت بدعة إلا وخفيت سنه وعند ظهور سننه تخفت البدع – ولله الحمد–.

٦- عظم محبة النبي _صلى الله عليه وسلم_ في قلوب المسلمين، بل إن محبته مقدمة على محبة النفس والمال والولد روى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" وفي الصحيح عن عبـــد الله بن هشام: كنا مع النبي وهو آخذ بيد عمر، فقال عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك" قال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: "الآن يا عمر".

٧- مقاطعة المسلمين للكفار، ولا ريب أنَّ هذا يضرُّهم اقتصادياً، وقد كان شيء من ذلك قد حدث في عصر النبوَّة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما عندك يا ثمامة" فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت فتركه حتى كان الغد، فقال "ما عندك يا ثمامة" فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان من الغد فقال: "ما عندك يا ثمامة" فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد _صلى الله عليه وسلم_ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي _صلى الله عليه وسلم_" رواه البخاري وفي رواية (أنه بلغ بقريش ما بلغ من الجهد فناشدوا رسول الله والرحم أن يأذن لثمامة ببيع الحنطة لقريش فأذن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ لثمامة).

وفي هذا الحديث دلالة على أنَّ الكفار يتضررون من المقاطعة لاقتصادهم ومنتجاهم، ولقد قالها الدنماركيون عندما بدأ المسلمون بالمقاطعة الاقتصادية: (ما بنيناه في أربعين سنه خسرناه في أسبوع واحد)، ولا ريب أنَّ هذا مما يفرح المسلمين، وأمَّا المنافقون والعلمانيون فهم يقولون: (وماذا تفيد هذه المقاطعة إنها لا تجدي ولا تأتي بنتيجة) ولا شكَّ عندي أنَّ هؤلاء يريدون إحباط معنويات المسلمين، فجاهد هؤلاء – أخي – بمالك وقاطعهم لعل الخسارة تحل بهم عاجلاً غير آجل.

٨- تحقيق الولاء والبراء وإحياء هذه الشعيرة التي قد أميتت (الولاء للمؤمنين والبراءة من الكفار) فلابد من البراءة من هؤلاء الكفار الذين يسبون نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ وقبل ذلك رب العزة – جل جلاله – وأهانوا كتاب الله ودنسوه.

٩ – يقول الله _تعالى_: "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" (الحجر:٩٥)، وإنَّ من استهزأ بنبي من الأنبياء وخصوصاً نبي هذه الأمة وسيد ولد آدم _عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم_ فإن العقاب سوف يحل به لا محالة، انظر على سبيل المثال كسرى عندما مزق كتاب رسول الله واستهزأ به دعا عليه رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أن يمزق ملكه فما لبث أن مزق الله ملكه، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الصارم المسلول "أن رجلاً نصرانياً أسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي _صلى الله عليه وسلم_ فعاد نصرانياً، وكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبحوا وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم

نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبحوا وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه".

وقال كذلك ــرحمه اللهــ: "وقد ذكرنا ما جربه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار إذا تعرضوا لسب رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ، وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة، وهذا باب واســع لا يحاط به، و لم نقصد قصده هنا وإنما قصدنا بيان الحكم الشرعي، ونظير هذا ما حدثناه أعــداد مــن المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصــون والمــدائن الــتي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصــن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه حتى إذا تعرض أهلــه لســب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر و لم يكد يتأخر إلا يومــاً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشــر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك ومن ســنة الله أن يعــذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين".

١٠ – عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، بل يزيد حنقهم إذا ارتفع الإسلام وظهر يقول الله ــعز وجلــ عنهم: "قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ" (آل عمران: من الآية١١٨)، ويقول ــجل وعلاــ: "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِــنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" (آل عمران:١٨٦).

هذا وأسأل الله ــعز وجلــ أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصــلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

================================

لا تلومونا على حب النبي صلى الله عليه وسلم

د. خالد الطراولي**

٢٠٠٦/٠٢/١٩

يعجب المرء من تطاول الألسنة على نبي الإسلام ونسج الأقلام المتطرفة لخيوطها حول الإسلام كدين وحضارة، باسم حرية الإبداع والرأي.

وعزاؤنا الوحيد أن من افترى واستهزأ كان غالبا في ضفة الجهلة بهذا الدين؛ ممن استرعى ســرطان الكراهية والعداوة عقله وعاطفته، وران ذلك على قلبه فلم يعد يسمع ولا يرى.

و لم يقترب أحد بموضوعية وحلم واعتدال من هذا الرجل، وهم كثير في الضفة الأخرى، إلا أعطاه حقه أو قارب ذلك؛ فمنهم من جعله أحد كبار المصلحين، ومنهم من رأى فيه أحد الثائرين العظام، وقائمة المقسطين تطول.

عزاؤنا أنه من عدل وأنصف كان غالبا أقرب إلى ثقافة العقول من ثقافة البطون، كانوا أفرادا في مخابرهم أو جامعاتهم، همّهم نفع ذواتهم وأوطانهم والإنسانية جمعاء.

لسنا ضد النقد والاستفسار والدراسة، فهذه موائد الكرام التي ندعو إليها بكل حب وشره وثبات، غير أن المرفوض فكرا وذوقا هو السقوط في التعريض والتشويه الظاهر والمبطن الذي يستسقي ينبوعه من حسابات سياسية ضيقة، أو دينية وضيعة، أو جهل مدقع!.

الفاضل.. لا يحتاج دفاعا

وبعد، هل يحتاج رسول الله إلى الدفاع عنه؟ لست أدري لماذا اغرورقت عيناي بالدموع وأنا أكتب هذه الجملة؟ وها أنا أسجلها! هل يحتاج إلى دليل وحجة ومحام، من كرس كل حياته إلى رسالة هداية لم يجعلها خاصة بقومه أو بقبيلته أو بجنسه؛ بل أرادها رحمة للعاقل ولغير العاقل، بَشَرا وحيوانا وجمادا {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}؟.

لم يفقه الكثير ممن حولنا هذه العلاقة الفريدة التي تربط هذه الأمة بصاحب قيادتها، لم يفهم ولم يستوعب أقوام من غير ضفتنا هذا اللقاء الحي والدائم وهذا الحب المتبادل والمسترسل بين جموع حاكمة ومحكومة، وبين هذا الأمي الغائب الحاضر في كل آونة وحين.

وحتى تنجلي الغشاوة، وتنقشع سحب قلة الزاد، يطيب لي مرافقة من اقتطع تذكرة هذه المصافحة بدون مين أو مواربة، ومن ركب دون إذن مسبق، في هذه الرحلة القصيرة، في مشاهد عابرة... حتى لا نلام مجددا على حب النبي!.

فمشاهد الحب والرحمة مع أمته لا تقاس ولا تنتهي. لم نغب يوما عن ذاكرته، ولا عن يومه وليله، حتى في أعز الأمكنة، وأفضل الأحوال التي ينسى فيها المرء ذاته. لما وقف أمام ربه يقول: لا أسألك عن فاطمة ولا عن الحسن ولا عن الحسين، أسألك عن أمتي.. أمتي!.

لا تلومونا على حب النبي.. فرفعة منزلته لم تقلل من تواضعه وبساطته، وقف أمامه ذات مرة أحد الأعراب، فاستشعر عظمته ووقاره وتواضعه، فارتجف واضطرب هيبة من الرسول الكريم، فهدّأ من روعه قائلا له: هوّن عليك، فما أنا بملك ولا سلطان، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد!.

زاهد.. عاش لغيره

لا تلومونا على حب النبي.. كان معاشه لا يرتقي حتى ضعاف رعيته، وصفت زوجته عائشة حاله وهو يملك الحضر والمضر: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم" (أخرجه الترمذي). "إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نار".

لا تلومونا على حب النبي.. كان ينام على الحصير حتى ترك له بصمات على جنبيه. فعن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشا أوثر من هذا؟ فقال: ما لي وللدنيا؟! ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها (أورده الألباني في السلسلة الصحيحة).

لا تلومونا على حب النبي.. بعدما أخرجه قومه ودفعوا به إلى الصحراء وحرموه البلد والأهل والأحبة وذكريات صبي يتيم، ونظر إلى رمالها وشعابها وبنيانها وهو يودعها وداع مظلوم ومبتلى، نظرة حزن وحيرة، نظرة المواطن الذي حرم وطنه ظلما وعدوانا: إنك أحب أرض الله إليّ! ولولا قومك أخرجوني لما خرجت. وبعد سنين من الإبعاد والنفي واللجوء والمكائد والحروب عاد مظفرا ليقل لهم: ماذا تروني أني فاعل بكم.. لا تثريب عليكم اليوم.. اذهبوا فأنتم الطلقاء!.

لا تلومونا على حب النبي.. كان نبيا في وحيه، رسولا في تبليغ رسالته، وإنسانا في بيته ومع زوجه وأحفاده. كان يجعل ظهره مطية للحسن والحسين، حتى في أثناء الصلاة، فأطال على الناس ذات مرة السجود، فظنوا به الظنون. فلما فرغ سألوه عن سبب إطالته، فقال إن ابني ارتحلني (ركبني) فكرهت أن أعجله. ويسابق زوجه، فتسبقه مرة ويسبقها مرة؛ فيقول لها مداعبا: هذه بتلك.

لا تلومونا على حب النبي.. كان ملازما أمته وهمومها، يعيش فرحها ويعيش أزماتها. لما كان الناس يحفرون الخندق حول المدينة اتقاء من هجوم قريش وحلفائها، كان الرسول معهم بفأسه. وكان الناس في ضنك شديد، فالتقى عليهم الجوع والعطش والتعب والنصب لقلة ذات اليد ولدقة الموقف، فكان الناس يضعون حجرا على بطونهم حتى تلتصق بأجسادهم فلا توجعهم ولا تمزق أحشاءهم، واشتكى القوم من هول الموقف ومن الجوع المضني ورفعوا عن بطونهم ليُرُوا رسولهم الأحجار التي وضعوها.

ورفع النبي عن بطنه الشريفة فكان حجران! لا لوم، لا اعتذار، وإنما قدوة ونموذج، وصبر وتواضع وصحبة. وتوقف الزمن، وجثا التاريخ على ركبتيه يبحث عن رفيق!.

لا تلومونا على حب النبي... كان قوّاما صوّاما، يقوم ليله عابدا مسبحا متضرعا باكيا حتى تتفطر قدماه الشريفتان وتبتل لحيته، فتتعجب زوجه وتقول له وكلها شفقة عليه: " أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ".. وكأن لسان حالها يقول: فلماذا هذا الإبحار في القيام والذكر والتذلل؟ فيجيبها بكل براءة المحب العاشق لربه والصادق مع نفسه: "يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا؟".

هذه ومضات من حياة النبي، وأنا مقصر لا محالة. والقلم عاجز عن التعبير بما يعجّ في أعماقنا وذواتنا من حب واحترام واتباع لمحمد. ويبقى حب أمة لنبيها ملاذا حين العواصف، ودافعا حين الشدائد، ومغيثا حين الهزائم، وأملا حين اليأس والإحباط، وتواضعا حين الانتصار. ويبقى محمد.. فلا تلومونا على حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

=================================

لا تولوهم الأدبار

١٤٢٧/١/٦
محمد جلال القصاص
mgalkassas@hotmail.com

يوم الحديبية جلس سهيل بن عمرو وهو يفاوض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرمقُ أصحابَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعينيه وعاد يحدث قومه: (أي قوم والله، لقد وفدت على الملوك... على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدَلَّك بها وجهه وجِلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له)

و لم يكن هذا حال الصحابة مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – في كل حين، ما كانوا يقتتلون على وضوءه ــ صلى الله عليه وسلم – ولا يترقبون نخامته – صلى الله عليه وسلم – كي يدلكوا بها وجوههم، بل في ذات اليوم حين وَقَّعَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصلح تباطئوا في التنفيذ. ولكن كان إظهار المحبة أمام العدو مقصودا ليعلم كم هي الصفوف ملتفة خلف نبيها وكم هي لا تفرط في أي شيء يتعلق بنبيها حتى نخامته وماء وضوئه – صلى الله عليه وسلم –.

وسمع محيصة بن مسعود قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه" فوثب على رجل من تجار يهود وقتله فجعل حويصة – أخوه – (يضربه ويقول: أي عدو الله أقتلته؟!، أما والله لربَّ شحم في بطنك من ماله. قال محيصة: فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك،... قال: أ والله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها، قال: والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب. فأسلم حويصة).

وكان هذا من بركة إظهار حبّ النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وإن كلَّ من حمل لقبا أو دُعي له من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وسيف الله خالد بن الوليد، وعثمان بن عفان وغيرهم استحق هذا اللقب بوقفه في وقت شدة قلَّ من يقف فيها، فالصديق أظهر تصديقه حين تبجح المشركون وحارت عقول بعض المسلمين في خبر الذهاب إلى بيت المقدس وصعود السماء العلى ثم العودة في ذات الليلة، وعمر صدع بالحق في وقت الضعف والشدة، وخالد قاد الجيش إلى فتحٍ يوم مؤتة بعد أن قُتل القادة الثلاث وتكالبت الروم وأقبلت كالبحر اللجاج، و(ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم) قيلت يوم العسرة. وهو ينثر دنانير الذهب أكواما في حجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كي يجهز الجيش لقتال الروم.

بل "... لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " (الحديد: ١٠)

ويصور لي الخيال ما يحدث اليوم في الدنمارك كسَرِيَّةٍ من أراذل الكفار انفردت عن الصفوف وأقبلت تشن الغارة على أعز ما لدينا، وأحب حبيب إلى قلب كل مسلم.

وإن من الخطأ أن يظن إخواننا أن سب الرسول – صلى الله عليه وسلم – مقصور على هؤلاء الأراذل من الناس، أو على هذه الفترة من الزمن فهو هَوَسٌ قديم حديث مستمر عند أهل الكفر جميعا منذ جاء محمد – صلى الله عليه وسلم – بالنور والهدى، والجديد في الأمر فقط هو هذا الأسلوب الوقح، وهذا الإصرار والعناد والاستخفاف بمليار مسلم.

إن كل من يتدبر حال الكفار يجد أن القوم ليسوا سواء، فهناك عوام من الناس – في الدنمارك وغير الدنمارك – لا يعرفون الإسلام على حقيقته، بيننا وبينهم ثلة من (الملأ) رسمت صورة مشوهة للإسلام في أعينهم جعلتهم يبغضون الإسلام وهم لا يعرفونه على حقيقته.

ومن يدري علّهم إن اتضحت لهم الحقائق يتأسوا بسحرة فرعون ويقولون قولتهم: "قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" (طه: ٧٢) فإظهار حب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتعريف عوام الكفار – في الدنمارك وغير الدنمارك – بشخص نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم–، والثبات في وجهة هذه الثلة المارقة الكاذبة التي تضل قومها وتفتري الكذب على الله ورسوله هو واجب المرحلة اليوم، ولا ينبغي أن يجلسنا الاعتذار دون تحقيقة.

هي معركة إعلامية واقتصادية، وقد حرم الله التولي يوم الزحف، والحرب على أرضنا – الفكرية – ولا شروط للجهاد إن نزل العدو بأرض المسلمين، فكلٌ مكلفٌ اليوم بالدفاع عن دينه، وكل مكلف اليوم بالدعوة للإسلام. والفرصة سانحة.

إن الاعتذار وحده لا يكفي فمقام نبينا – صلى الله عليه وسلم – أعز وأرفع من ذلك.

وإن أسمى أهدافنا التي ينبغي أن لا نكف الحديث عنها هو أن يسمع العالم بالحقيقة التي يخفيها من ضلوا وأضلوا من الأحبار والرهبان... حقيقة نبينا الخُلقية والخِلقِيّة، وحقيقة دين الله الإسلام، يجب أن تستنفر الهمم لذلك، والضد يظهر حسنه الضد، فلا مانع من التعريج على دين القوم وإظهار ما فيه من سبٍّ (للرب)، ولأنبياء الله، ومن كلام أشبه بحكايات المقاهي وأحاديث الصبية.

وأهمس في أذن كل من آلمه فراق المسلمين وتشتت كلمتهم أقول:

أمتنا بخير... ولم الشمل أمر يسير إن ملك الزمام أهله... بالأمس كانوا في منى بلباس واحد يدعون ربا واحدا، ويطوفون حول بيت واحد، واليوم ها هم أولاء صفا واحدا خلف نبيهم – صلى الله عليه وسلم–.

ووالله لو وجدوا مشاريع صادقة تحسن التعبير عن نفسها لأقبلوا في صعيد واحد على قلب رجل واحد، فما تفرقوا في الوديان إلا حين مل الحادي، وغشهم الدليل.

=========================

لماذا أساؤوا إلينا..؟

نشرت جريدة الوطن في ١٤٢٧/١/١١هـ

شتيوي الغيثي*

لا تزال قضية الإساءة لنبي الإسلام ورمزه الديني الأول محمد صلى الله عليه وسلم هي القضية الأبرز في الحراك الدولي والحراك الشعبي منذ ظهور الرسومات الكاريكاتورية في الصحيفة الدنماركية (اليولاند بوسطن)، ومع الاعتذارات التي قدمتها كل من الحكومة الدنماركية والصحيفة التي نشرت هذه الرسومات، إلا أن الوضع الإسلامي لا يزال يغلي من الداخل، وما يزال الشعور الإسلامي على أشده، لإحساسه أن الاعتذار قد جاء متأخراً كثيراً، ولإحساسه أيضاً أن هذا الاعتذار كان مقتضباً وغير واضح المعالم مما يوحي باضطرار الحكومة ومعها الصحيفة إلى هذا الاعتذار دون توجه حقيقي من قبلهما يشفي غليل المشاعر الإسلامية التي أساؤوا إليها في رمزها الديني الأعظم.

ولقد نجحت نسبياً المقاطعة الشعبية الاقتصادية التي انتهجتها بعض الشعوب العربية والإسلامية كردٍ سلمي وردٍ حضاري تجاه إساءات الصحيفة وتجاه تواطؤ الحكومة الدنماركية، مما أعاد الاعتبار لنا كمسلمين بين أكثر الدول الأوروبية والغربية بشكل عام، وهذا في رأيي تطور عام في الذهنية العربية، كونها تنتهج السلمية في موازناتها الدولية وصراعاتها الدينية مع من تعتبرهم داخلين في منظومة الصراع الديني كما تحاول بعض الأيديولوجيات قول ذلك وفرضه كجدلية دينية في الحراك السياسي.

ولقد أكدتُ في المقال السابق على ضرورة عدم القيام بعمليات العنف تجاه الآخر بسبب أنه يضر بالقضية التي يحاول بعض المسؤولين وغير المسؤولين من المسلمين التعامل معها بحكمة واتزان حضاري، وبالاعتماد على القوانين الدولية في مثل هذه المواضيع، ويبدو أن ما كنا نخشاه وما حذرنا منه قد حصل في بعض الأطراف، ففي لبنان مثلاً قد تم اقتحام مبنى السفارة الدنماركية وإحراقها، بل.. وتم كسر أحد الصلبان فيها، وأخشى ما أخشاه أن يتفجر الوضع في لبنان فضلاً عن غيرها، مما يجعل حرباً طائفية تلوح في الأفق لو لم يتعقل اللبنانيون المسيحيون، وهنا يكون الطرف الإسلامي الغاضب قد خلق له الأعداء من الداخل والذي كان يتعايش معه تعايشاً يومياً فما بالك بالخارج والغرب المسيحي عامة، والذين نحن بحاجة إلى جلبهم إلى منطقة حقوقنا القانونية في القضية، وخصوصاً بعد أن صرح بعض رجالات الدين المسيحي هناك بحقنا فيها وتعاطفهم معنا، (والحق كما يقولون هو ما شهدت به الأعداء)، وأفعال العنف المتمثلة بإحراق مبنى السفارة قد تضر بالقضية إن لم تكن قد أضرت بالفعل إلا أن يكون العقل المسيحي في لبنان والعالم أكثر تفهماً، وعلى ذلك فكل المحاولات التي تنتهجها بعض الأطراف الإسلامية معتمدةً على أدبيات القوانين أو الأعراف الدولية في جلب الآخر الغربي خاصة إلى صف القضية الإسلامية قد تذهب مع الريح.

في العالم كله تتصاعد الأصوليات المتطرفة مستغلةً جميع الأوضاع لصالحها، جاعلةً من الحدث فرصةً لتصعيد أصوليتها ورفع صوتها النشاز، واستخدام جميع حروبها الأيديولوجية الفكرية مع الآخر الذي

لا يتقاطع معها في الرؤية أو التوجه أو الدين، ولذلك فهي تسعى إلى إشعال فتيل التطرف والإرهاب الفكري والإقصاء الديني. ففي السويد مثلاً بدأ اليمين المتطرف بمحاولة إعادة رسوم كاريكاتورية جديدةً في مسابقةٍ مخصصةٍ لهذا الهدف لتعبث بصورة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الجميلة في أذهان غيرنا، وكإهانةٍ مقصودةٍ لجموع المسلمين، بكل ما تراه نظرتها المتطرفة، وبكل ما تملي عليها أيديولوجيتها الأصولية التي نحن متأكدون أن الكثير من مسيحيي العالم لا يشاركونها هذا التوجه، وهذه الأصوليات لا تعترف بكل القوانين الدولية في عدم الإساءة لأديان، واحترام مشاعر معتنقيها.

وفي عالمنا الإسلامي، كطرف آخر ومعنيٍّ في القضية، فإننا لا نستطيع التغافل عن كل ما تفعله الأصوليات الإسلامية المتطرفة هنا وهناك، حتى بعد قضية الإساءة، وكأنها فقط هي الممثلة الوحيدة للإسلام، فاستغلال هذا الحدث لتبرير تصرفاتهم الخرقاء تجاه كل ما هو غربي جعل الآخر المسيحي في دائرة الاتهام المطلق كونه مخالفا في المعتقد والديانة، وهذا واضح في بعض الرسائل التي يتداولها البعض أحيانا عشوائية أو غير عشوائية على الهاتف الجوال، وفي هذه الرسائل من مقومات الخطاب المضمر والهامشي وكل أدواته ما يجعلنا نقرها في هذا التحليل.

لقد أساءت هذه الأصوليات الإرهابية للإسلام قبل أن تسيء إلى غيره باعتمادها كل آليات العنف المنظم وغير المنظم، وباعتمادها التكفير العقدي تجاه المسلم المخالف، وجز الأعناق لغير المسلمين أحياناً وذبحهم كالخراف بصمت وبدماءٍ باردةٍ، والأسوأ من ذلك، هذا الاعتماد الكبير على النص الديني بتأويله من قبلهم وتجييره لصالحهم للتدليل على صحة أعمالهم؛ وبما أنهم الصوت الأعلى في معركة الشد والإرخاء في العلاقة مع الآخر، وهي علاقة تبحث عن التأزم قبل التواصل، فقد أصبحت الصورة النمطية للإسلام في التصور الغربي هي ما يتعامل به الإرهاب من آليات تُلصق بالإسلام تعسفاً، وهنا تصبح القضية بالنسبة لبعض المتطرفين في الغرب صراع أيديولوجيات، تماما كما هو التفكير عند المتطرف الإسلامي في الجهة الأخرى، ولذلك سوف يسمح بعض المتطرفين الغربيين لأنفسهم بالتطاول على الرمز الإسلامي الأول محمد صلى الله عليه وسلم بأي طريقة كانت كما حصل في الرسومات الكاريكاتورية في الصحيفة الدنماركية، وهنا يكون البادئ أظلم بالنسبة لوجهة نظر المتطرف المسيحي الغربي.

والتأخر الحاصل من الأطراف الإسلامية المستنيرة بكل أطيافها الإسلامية والليبرالية، بسبب من خفوت صوتها العقلاني في التأثير على أكثر المواقع الإسلامية حساسية، يجعل من القضية خاسرة حضارياً قبل أن تخسر دينياً أو سياسياً، والذي نرجوه منها هو التسارع لتصحيح صورة الإسلام عند الآخر باللغة التي يفهمونها كلغة التعايش والتحاور السلمي، وبالثقافة التي يتداولونها كثقافة الصورة، وبالعقل الذي يحترمونه كالعقل العلمي والفلسفي، وإلا فإن الجهود ضائعة فيما ليس من صالحنا كمسلمين نبحث عن من يحترمنا من الأديان الأخرى.

الوسائل سهلة وميسرة لو اقتنع بها المسلمون، فما المانع لو استُخدِمتْ التقنية السينمائية مثلا لتصحيح صورة الإسلام تجاه الآخر كما استخدمها المخرج العالمي مصطفى العقاد رحمه الله في فيلمه العظيم (الرسالة)، أو كما حصل في الفيلم الأكثر من رائع (مملكة السماء)..؟! وهو بالمناسبة فيلم غربي ومصنوع بالطريقة الغربية الهوليودية، لكن المخرج كان منصفاً في تعامله مع المسلمين مع أنه يهودي الديانة.

نحن كمسلمين نحتاج أن تصبح قضيتنا عادلةً حضارياً كون العالم أجمع ينظر بعين الاحترام للطرف الأرقى حضارياً، كالاحترام الذي حظيت به الدولة الماليزية في العالم الغربي حالياً، ولا يمكن أن تصبح قضيتنا عادلةً من غير أن ينتهج المسلمون رؤيةً حضاريةً جديدةً في التعامل مع الذات الإسلامية قبل الآخر الغربي أو الشرقي.

*كاتب سعودي

لماذا الرسول صلى الله عليه وسلم؟

الكاتب: حسونة حماد

إنَّ ما حدث مؤخرًا في الدنمارك وبعض الدول الغربية من نشرِ بعضِ صحف هذه الدول الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول- صلى الله عليه وسلم- تحت زعم حريةِ الرأي والتعبير ما هو إلا "موجةٌ في بحرِ مرضِ كراهيةِ الإسلام" إن صح التعبير.. ما هو إلا طلقةٌ في حربٍ طويلةٍ ومستمرةٍ ضد الإسلامِ.

هذه الموجة حوَّلت مرضَ كراهيةِ الإسلام إلى وباءٍ انتشر بين معظم الغربيين من غير المسلمين.

ولكنَّ السؤالَ هنا: لماذا يوجِّه الغرب الإساءةَ لشخص الرسول- صلى الله عليه وسلم؟ أو بمعنى آخر: لماذا الرسول صلى الله عليه وسلم بالذات؟!

(إخوان أون لاين) أرادت أن تُجيب عن هذا السؤال فيما يلي:

ولاء للقائد

يقول د. رشاد البيومي- أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم، وعضو مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين-: "إن الغرب وجَّه الإساءةَ للرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ويوجهونها له دائمًا؛ لأنهم يستشعرون مدى ولاء المسلمين لقائدهم وقدسيته في نفوسهم، فهم عندما يريدون أن يسيئوا للمسلمين ويستفزوا مشاعرَهم لا يجدون سوى الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ولكنْ رُبَّ ضارةٍ نافعةٍ؛ فهم تخيلوا أن المسلمين أصبحوا هباءً منثورًا، وظنوا أنهم سيسيئون إلى مقدسات المسلمين دون أن يتحرك أحدٌ منهم لذلك، فكان الردُّ كما نراه الآن من انتفاضةٍ لكل الشعوب العربية والإسلامية، وإن كنت أتمنى أن يكون ذلك على مستوى الحكومات العربية والإسلامية أيضًا باتخاذ موقفٍ موحَّدٍ تجاه هذا الموضوع".

وأكد بيومي أن الغرب لن ينتهي عن ذلك إلا إذا أدرك المسلمون خطورتَه واتخذوا بعضَ الإجراءات الفعلية والعملية تجاه ذلك، مثل المقاطعة وتوضيح صورة الإسلام الحسنة في الغرب، إضافةً إلى وجود

واقعٍ إسلامي صحيح في الدول الإسلامية من خلال تطبيق مبادئ وتعاليمِ الإســـلام الصـــحيحةِ في أنفسنا وعلى أراضينا؛ حتى يقتديَ به غيرُنا من غير المسلمين.

ويرى أن استخدام الوقاحةِ تحت زعم حريةِ الرأي والتعبيرِ ما هو إلا نوعٌ من الهبوط من قِيمة الإنسانِ والعِلمِ وكلِّ شيءٍ.

هجومٌ على الإسلام

ويرى د. أحمد عبد الرحمن- أستاذ علم الأخلاق- أن ذلك ليس هجومًا على شـــخص الرســـول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فقط؛ وإنما هو هجومٌ على الإسلام بصفة عامةٍ، ووجَّهـــوا الإساءة للرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- بالذات؛ لأنه هو ممثلُ الإســـلام، وهـــو الذي جاء بالرسالةِ وقاد المسلمين، ووسَّع رقعةَ الدولةِ الإسلاميةِ التي وصلت بعده إلى الأندلس في أقلَّ من قرنٍ هجري، وهذا دائمًا يترك أثرًا في نفوسهم تجاه الإسلام والمسلمين، ولذلك لا بد من وجود سياسات تربوية وفنية وعلمية وإعلامية تكشف ذلك وتوضحه للمسلمين؛ حتى ينتبهوا، وأكد أنـــه طالما ظل المصحف موجودًا في نفوس وقلوب المسلمين فلن يصِل هؤلاء إلى هدفهم وهو محوُ الإسلام من الوجود، وأكد أن هذا العدوان أنتج صحوةً عظيمةً للمسلمين، وأعتقد أنه لن تستطيع أية صحيفة في العالم أن تتجرَّأ أو تقومَ بمثل هذا العمل مرةً أخرى.

تشويه للرمز

ويقول د. طلعت عفيفي- أستاذ الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر وعميد كلية الدعوة ســـابقًا-: "إن الهجوم على النبي- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-؛ لأنهم يعتبرونه الرمزَ الذي ينتسب إليه المسلمون، فإذا نجح هؤلاء في تشويهِ صورة الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فإنهم بذلك ينجحون في ضرب الإسلام ككل.

وأكد أن ما حدث لم يُقصد به الرسولُ- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فقط؛ ولكن قُصِد به دعوته- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-.

ويرى أن الهجوم على الإسلام لن ينتهي؛ لأن التدافعَ بين الحق والباطل قائمٌ، وأن الغرب يأخذ بمقولةِ أن "عدوك هو عدو دينك".

وقال: إن رد الفعل الذي حدث من قِبَل المسلمين تجاه ذلك شيءٌ طيبٌ، ولكن يجب تفعيلُه أكثر من ذلك، واستخدام الوسائل الدبلوماسية للضغط على الغرب، وينبغي علـــى قـــادة الـــدول العربيـــة والإسلامية أن يكون لهم موقفٌ إيجابي رسمي يُرضِي شعوبَهم؛ حتى يتراجع الغرب عن إهانة المسلمين وسب مقدساتهم.

وأكد أن من أسباب الهجوم على الإسلام هو ضعفُ المسلمين، وحرصُهم علـــى الـــدنيا، وعـــدم استعدادِهم للتضحيةِ، ويجب أن ينتبه المسلمون لقول الله تعالى: ؟إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)؟ (الكهف)، ويظهروا عليكم.. أي ترتفع مترلتُهم فوق

منزلةِ المسلمين، فإذا وصلوا إلى هذا الأمر فلا بد أن يدبروا للإسلام، علمًا بأن طبيعةَ الكفر هي الغلُّ والحقدُ والحيل والمكر.

حربٌ معلنة

ويقول د. منير جمعة- مدرس بآداب المنوفية-: "إن الغربَ من غيرِ المسلمين لديهم اعتقادٌ في أمـــور معينة، وهي أن القرآن من عند محمدٍ، وأن محمدًا ليس نبيًّا، ولكن مدعيًّا للنبوة، ولكـــي يصـــلوا إلى هذين النقطتين لا بد أن يشوِّهوا صورةَ الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- والقرآنَ الكريمَ، وتشويه صورة الإسلام بصفة عامة؛ لأنهم لاحظوا أن الإسلام أسرعُ الأديان انتشارًا في العالم، وهذا يُحدِث عندهم ذعرًا وخوفًا شديدًا جدًّا، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ودخول الكثير من الغرب في الإسلام.

ومثل هذه الأمور تجعلهم يتصرفون على جميع المستويات، ويوزعون الأدوارَ عليهم باسم الحرية للعمل على الحدِّ من انتشار الإسلام.

واعتبر جمعةُ أن هذه حربٌ معلنة وليست خفيةً على أحد، وإن كان بعضها باردًا وبعضها ســـاخنًا، بعضها بالصواريخ وبعضها بالتشويش المتعمَّد، وما يحدث في جوانتانامو والعراق وأفغانستان وسوريا ولبنان.. إلخ أكبرُ دليلٍ على ذلك، وكله محاولة لتصريف الغيظ والحقد تجاه الإسلام المسلمين.

وأكد أن الإساءةَ للإسلامِ والمسلمين لا تنتهي مصداقًا لقوله تعالى: ؟وَلا يَزَالُونَ يُقَـــاتِلُونَكُمْ حَتَّـــى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا؟ (البقرة: من الآية ٢١٧) وقوله تعالى: ؟وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ؟ (الأنفال: من الآيـــة ٦٠). وترهبـــون.. أي تمنعوهم من التعدي على الإسلام والمسلمين، وليس للاعتداء عليهم؛ لأنَّ العدة في الإســـلام تكـــون لردع الأعداء وليس الاعتداءَ عليهم، ولذلك يجب أن نربِّيَ جيلاً مسلمًّا فاهمًا لإسلامه فهمًا شاملاً، ولا يقتصر على ردود فعل مؤقتة فقط.

ونقول للغرب شكرًا على أنكم أيقظتم فينا شيئًا من حب الإسلام ومقدساته، ولو أن دعاةَ المسلمين أنفقوا أضعاف ما أنفقوه الآن على الدعوةِ ما كانوا يستطيعون إيقاظَ عُشرِ ما فعله الغربُ جرَّاء هذه الحملة الشرسة على الإسلام.

لماذا لا توجد أي صورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في أي مكان في العالم ؟.

مـــــــــــــن موقـــــــــــــع الإســــــــــــــلام ســــــــــــــؤال وجـــــــــــــــواب: :

=====================

لماذا لا توجد أي صورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في أي مكان في العالم ؟.

الجواب:

الحمد لله

جاءت الشريعة بسدِّ كلِّ باب يُوصِل إلى الشِّرك بالله ، ومن هذه الوسائل التصوير فقد جاءت الشريعة بتحريم الصورة ، ولعن من يفعل ذلك بل جاء الوعيد الشديد لمن فعل ذلك ، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ

الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري(الصلاة/٤٠٩) ، وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَكَهُ وَقَالَ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ قَالَتْ فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ) رواه البخاري (اللباس/٥٤٩٨) ، وعن عبد الله بن مسعود قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ) رواه البخاري (اللباس/٥٤٩٤) فكيف يأذن بعمل صورة له ، ولذلك لم يجرؤ أحد من الصحابة على رسم صورة له لأنهم يعلمون الحكم بالتحريم .

وحذر الله عز وجل من الغلو فقال : (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم) النساء /١٧١ ، وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من أيِّ فِعْلٍ يكون فيه غُلُوّ في حقه صلى الله عليه وسلم ، فقال : (لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النصارى ابن مريم ، إنّما أنا عَبْدٌ ، فقولوا عبد الله ورسوله) ، رواه البخاري (أحاديث الأنبياء/٣١٨٩) ، وقد بَوّبَ الإمام محمد بن عبد الوهاب باب : ما جاء أنّ سَبَب كُفْر بني آدم هو الغلو في الصالحين ... قال : " وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : (وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً) نوح/٢٣ ، قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم . ففعلوا و لم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت " ، قال ابن القيم : " قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا لهم التماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن ص/٢١٩ .

ولذلك لا توجد صورة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه جاء بالتحذير منها لأنها أدت إلى الشرك .

ومقتضى شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن نؤمن به وبما جاء به ، ولو لم توجد له أي صورة ، والمؤمنون لا يحتاجون إلى صورة له حتى يتَّبعوه ، ثم إن وصفه الثابت في الروايات الصحيحة يغني عن صورته ومن أوصافه صلى الله عليه وسلم الواردة :

١- كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس وجهاً

٢- كان عريض ما بين المنكبين

٣- ليس بالطويل ولا بالقصير

٤- مستدير الوجه ووجهه مشرب بحمرة .

٥- أدعج العين وهو : الشَّدِيدُ سَوَادِ الْعَيْنِ .

٦- أَهْدَبُ الأَشْفَارِ : الطَّوِيلُ

٧- وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ مِثْلَهُ

يراجع سنن الترمذي (المناقب/٣٥٧١) وغيره من كتب السنة في وصفه عليه الصلاة والسلام .

ولا شك أن المؤمنين يتمنون لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ) رواه مسلم (الجنة وصفة نعيمها/٥٠٦٠) ولا شك أن محبته صلى الله عليه وسلم واتباعه سبب للاجتماع به في الجنة ، ومن محبته عليه الصلاة والسلام رؤيته في المنام ، وتكون رؤيته على صفته الصحيحة فقد ثبت من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي) قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِذَا رَآهُ فِي صُورَتِهِ رواه البخاري (التعبير/٦٤٧٨) . والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد .

الإسلام سؤال وجواب

الشيخ محمد صالح المنجد (www.islam-qa.com)

=======================

لماذا يجب علينا أن نحب رسولنا محمَّداً صلى الله عليه وسلم؟

السؤال:

لماذا يجب علينا أن نحب ونطيع ونتبع ونحترم رسولنا محمَّداً صلى الله عليه وسلم إلى أقصى درجة؟ (أو أكثر من أي شخص آخر) .

الجواب:

الحمد لله

١- أوجب الله تعالى علينا طاعة النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) المائدة/٩٢ .

٢- وأخبر الله تعالى أن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي طاعة لله تعالى ، قال الله تعالى : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) النساء/٨٠

٣- وحذَّر الله عز وجل من التولي عن طاعته ، وأن هذا قد يصيب المسلم بالفتنة وهي فتنة الشرك ، قال الله عز وجل : (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النور/٦٣

وأخبر الله تعالى أن مقام النبوة الذي أعطاه لنبيه صلى الله عليه وسلم يستوجب من المؤمنين احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، قال الله تعالى : (إناأَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا) الفتح/٨-٩

٤- ولا يتم إيمان المسلم حتى يحبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، بل حتى يكون النبيُّ صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليه من والده وولده ونفسه والناس أجمعين . عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه

وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) .

وعن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر: يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء ، إلا من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الآن يا عمر) رواه البخاري (٦٢٥٧) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما السبب في وجوب محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه أكثر من أي شخص فلأن أعظم الخير في الدنيا والآخرة لا يحصل لنا إلا على يد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان به واتباعه ، وذلك أنه لا نجاة لأحد من عذاب الله ، ولا وصول له إلى رحمة الله إلا بواسطة الرسول ؛ بالإيمان به ومحبته وموالاته واتباعه ، وهو الذى ينجيه الله به من عذاب الدنيا والآخرة ، وهو الذى يوصله إلى خير الدنيا والآخرة . فأعظم النعم وأنفعها نعمة الإيمان ، ولا تحصل إلا به وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نفسه وماله ؛ فإنه الذى يخرج الله به من الظلمات إلى النور ، لا طريق له إلا هو ، وأما نفسه وأهله فلا يغنون عنه من الله شيئا ..) اهـ مجموع الفتاوى ٢٤٦/٢٧

وقال بعض أهل العلم : إِذَا تَأَمَّل العبدُ النَّفْع الْحَاصِل لَهُ مِنْ جِهَة الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الله به مِنْ ظُلُمَات الْكُفْر إِلَى نُور الْإِيمَان ، عَلِمَ أَنَّهُ سَبَب بَقَاء نَفْسه الْبَقَاء الْأَبَدِيّ فِي النَّعِيم السَّرْمَدِيّ ، وَعَلِمَ أَنَّ نَفْعه بِذَلِكَ أَعْظَم مِنْ جَمِيع وُجُوه الانْتِفَاعَات ، فَاسْتَحَقَّ لِذَلِكَ أَنْ يَكُون حَظّه مِنْ مَحَبَّته أَوْفَر مِنْ غَيْره ، وَلَكِنَّ النَّاس يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ بِحَسَب اِسْتِحْضَار ذَلِكَ وَالْغَفْلَة عَنْهُ ، وكلّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيمَانًا صَحِيحًا لا يَخْلُو عَنْ وِجْدَان شَيْء مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّة الرَّاجِحَة ، غَيْر أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ . فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَة بِالْحَظِّ الْأَوْفَى ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا بِالْحَظِّ الْأَدْنَى ، كَمَنْ كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي الشَّهَوَات مَحْجُوبًا فِي الْغَفَلات فِي أَكْثَر الْأَوْقَات ، لَكِنَّ الْكَثِير مِنْهُمْ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَته ، بِحَيْثُ يُؤْثِرهَا عَلَى أَهْله وَوَلَده وَمَاله وَوَالِده ، غَيْر أَنَّ ذَلِكَ سَرِيع الزَّوَال بِتَوَالِي الْغَفَلَات ، وَاَللَّه الْمُسْتَعَان . انظر فتح الباري ٥٩/١ .

وإلى هذا المعنى يشير قول الله عز وجل : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) الأحزاب/٦ .

قال ابن كثير رحمه الله :

(قد علم شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم على أمته ، ونصحه لهم ، فجعله أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم مقدما على اختيارهم) ٣٨٠/٦ .

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله :

(يخبر تعالى المؤمنين خبرا يعرفون به حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومرتبته ؛ فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة ، فقال : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) : أقرب ما للإنسان ، وأولى ما له نفسه ،

فالرسول أولى به من نفسه ، لأنه عليه الصلاة والسلام ، بذل لهم من النصح والشفقة والرأفة ، مـــا كان به أرحم الخلق وأرأفهم ، فرسول الله أعظم الخلق منة عليهم من كل أحد ، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من خير ، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر إلا على يديه وبسببه . فلذلك وجب عليه أنه إذا تعارض مراد النفس ، أو مراد أحد من الناس مع مراد الرسول أن يقدم مرا الرسول ، وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد كائنا من كان ، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ، ويقدموا محبته على محبة الخلق كلهم ، وألا يقولوا حتى يقول ، ولا يقدموا بين يديه) . اهـــ

وحاصل ما ذكره أهل العلم في بيان ذلك أن غضب الله والنار هما أعظم مرهوب للعبد ؛ ولا نجـــاة منها إلا على يد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله والجنة هما أعظم مطلوبه ، ولا فوز بهما إلا على يد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإلى الأمر الأول يشير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي) مسلم ٢٢٨٥ من حديث جابر ، ونحوه في البخاري ٣٤٢٧ من حديث أبي هريرة .

{ (الفراش) قَالَ الْخَلِيل : هُوَ الَّذِي يَطِيرُ كَالْبَعُوضِ

وَأَمَّا (الْجَنَادِب) فَجَمْع جُنْدُب ، وَالْجَنَادِب هَذَا الصِّرَار الَّذِي يُشْبِهُ الْجَرَاد .

أَمَّا (التَّقَحُّم) فَهُوَ الإِقْدَامُ وَالْوُقُوعُ فِي الأُمُور الشَّاقَّة مِنْ غَيْر تَثَبُّت .

وَ (الْحُجَز) جَمْع حُجْزَة وَهِيَ مَعْقِد الإِزَار وَالسَّرَاوِيل .

وَمَقْصُود الْحَدِيث أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَّهَ تَسَاقُط الْجَاهِلِينَ وَالْمُخَالِفِينَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشَهَوَاتهمْ فِي نَار الآخِرَة ، وَحِرْصهمْ عَلَى الْوُقُوع فِي ذَلِكَ ، مَعَ مَنْعه إِيَّاهُمْ ، وَقَبْضه عَلَى مَوَاضِع الْمَنْع مِنْهُمْ ، بِتَسَاقُطِ الْفِرَاش فِي نَار الدُّنْيَا ، لِهَوَاهُ وَضَعْف تَمْيِيزه ، وَكِلاهُمَا حَرِيصٌ عَلَى هَلَاكِ نَفْسه ، سَـــاعٍ فِي ذَلِكَ لِجَهْلِهِ .) } شرح مسلم ، للنووي

وأما الثاني فيشير إليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَـــالُوا يَـــا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) البخـــاري ٧٢٨٠ مـــن حديث أبي هريرة

والله الموفق .

الإسلام سؤال وجواب (www.islam-qa.com)

==========================

لن نرضى بأقل من الاعتذار ومعاقبة المسيئين للرسول صلى الله عليه وسلم

عبد السلام البلوي ـــ الرياض

دعا المفتي العام للمملكة ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء عبد العزيـــز آل الشيخ، المسؤولين في حكومة الدنمارك إلى محاسبة الصحيفة التي نشرت صوراً وقحة وتعليقات قبيحة

مصاحبة لها زعم ناشروها أنها تمثل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

كما طالب سماحته في بيان أصدره أمس بإلزام الصحيفة بالاعتذار عن جريمتها النكراء وتوقيع الجزاء الرادع على من شارك في إثارة هذا الموضوع ، مؤكداً سماحته أن هذا أقل ما يطالب به المسلمون نظراً لما أثاره هذا الهجوم الوقح على نبي الاسلام عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من ألم واستياء وأذى لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ..وفيما يلي نص البيان: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد : فقد بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة الرسل، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، بعثه للناس كافة عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم ، كما قال سبحانه " يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم" وقال تعالى(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وقال(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً).

وأنزل عليه خير كتبه ، القران الكريم ، الذي هو معجزته الخالدة، كما قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان لبعض ظهيراً) وتعهد الله بحفظه من أن تمسه يد التغيير والتبديل ، حيث يقول(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)ليبقى مشعلاً مضيئاً ، تستهدي به البشرية في مسيرتها الدائمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال سبحانه(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وجعل أتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته موجباً لمحبته سبحانه ، قال تعالى(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) .

وقرن طاعته بطاعته في الكثير من الآيات كقوله سبحانه(من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقوله(ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقوله(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) وغيرها من الآيات .

و أوجب محبته على الخلق كما قال تعالى(قل إن كان اباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم – إلى قوله – أحب إليكم من الله ورسوله فتربصوا) وكما في الحديث الصحيح من قول عمر رضي الله عنه :

(رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال: لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، قال : فأنت والله يا رسول الله أحب إلي من نفسي ، قال : الآن يا عمر) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) متفق عليه .

وبمناسبة ما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة عن إقدام بعض الحاقدين على الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام على نشر صور وقحة، وتعليقات قبيحة مصاحبة لها في إحدى الصحف الصادرة في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك زعم ناشروها أنها تمثل الرسول الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم، وهي صور وتعليقات لا توجد إلا في مخيلة مروجيها ممن أكل الحقد والكراهية للإسلام ونبي الإسلام قلوب دعاتها . ومعلوم أن أنبياء الله ورسله هم خير البشر، وهم الذين أختارهم الله لحمل رسالاته ، وإبلاغها لعامة الخلق ، فواجب الخلق تجاههم الإيمان بهم ، ونصرتهم ، وتعزيزهم ، وتوقيرهم ، وقبول ما جاءوا به من عند الله ، قال تعالى(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) . وقد أخبر سبحانه أن رسله منصورون بنصره فقال(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد).

وإننا إذ نستنكر هذا البهتان العظيم الموجه لنبي الإسلام وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام لعلى يقين بأن الله سبحانه ناصر لنبيه، وخاذل لا عدائه، كما قال سبحانه(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وقال تعالى(والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وقال سبحانه(إنا كفيناك المستهزئين)وقال) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا) وقال سبحانه(والله يعصمك من الناس) وقال (إن شائنك هو الأبتر) ووعده الله سبحانه حق، وقوله صدق . ومعلوم أن سب الرسول والاستهزاء به، انتهاك لحرمته، وتنقيص لقدره، وإيذاء لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، وتشجيع للنفوس الكافرة والمنافقة على اصطلام أمر الإسلام، وطلب إذلال النفوس المؤمنة، وإزالة عز الدين ، وإسفال كلمة الله ، وأذاهم من أبلغ السعي فساداً .

وقد أخبرنا الله سبحانه أن أعداءه سيواصلون شرهم وأذاهم، وأمرنا بالصبر والمصابرة فقال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) ويجب على كل مسلم نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزيزه وتوقيره ، كما قال تعالى(لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) وتعزيزه : يشمل نصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ، والتوقير : اسم جامع لكل مافيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. ونظراً لما أثاره هذا الهجوم الوقح على نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، من ألم واستياء وأذى لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فإنني أدعو المسئولين في حكومة الدانمارك بأن تحاسب الصحيفة التي نشرت هذه الرسوم، وتلزمها بالاعتذار عن جريمتها النكراء، وتوقع الجزاء الرادع على من شارك في إثارة هذا الموضوع ، فهذا أقل ما يطالب به المسلمون . نسأل الله جلت قدرته أن يحفظ نبيه ورسوله من كيد الكائدين، وعدوان المعتدين، وظلم الظالمين ، كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه ،ويعلي كلمته ، إنه على كل شيء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

==========================

لن نموت إذا خلت موائدنا من خيرات البقرات الدنماركية

حين تحترم نفسك يحترمك الناس.. وحين تحترم العقيدة التي تحملها يحترمك العالم، هذه ببساطة هي القوانين والأعراف التي يحتكم إليها كل البشر، من يتخلّ عن عقيدته ومبادئه يصبح في نظر العـــالم إنسانا بلا هوية، وبالتالي هو إنسان مسلوب الحق في الاعتراض على أي إهانة يتعرض لها، وحتى لو رفض الإهانة فلن يغير ذلك من الأمر شيئاً، حسنا هل يحترم المسلمون عقيدهم بشكل جيـــد حـــين يسافرون إلى الغرب؟ وهل هم سفراء حقيقيون لمبادئهم وقيمهم الرفيعة والعالية حين يمثلون بلدانهم في المحافل الدولية؟ وقبل ذلك هل لهم مواقف معروفة في التصدي لمن يهين مقدساهم أو رمـــوزهم في الداخل والخارج؟، وحين تكون الإجابة على تلك الأسئلة مرضية ومقبولة فسنستطيع الانتصار على من أهان نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم في الدنمارك وفي غيرها، لكن ما يحدث اليوم هـــو حمـــى رسائل جوال فقط، شعوب تعبر عن ردة فعل وقتية لا تصنع مواقف واضحة أو ثابتة، بعد أن فشلت أغلب حكومات الدول الإسلامية في تبني موقف حازم يلغي هذا العبث الذي طال وسيطول.. يستمر النكرات في التسلق على أكتاف هذا الدين ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، بحجة حرية الـــرأي والتعبير، وتتم حمايتهم والإغداق عليهم غربيا، وكل ما نملكه محاضرة ورسالة جوال، وتهديد ووعيد بمقاطعة الرز والزبدة، فعادة لا تتعدى مقاطعتنا التنفيس والمشاركة الوجدانية، وتذكروا هنا – إن كان لكم ذاكرة – مصاحف جوانتانامو التي رميت في المراحيض ودورات الميـــاه، في المقابـــل تتواصـــل مسرحية (الهولوكوست) في السيطرة على عقل العالم برغم زيفها لأنها وجدت من يدعمها ويـــنفخ فيها ليل نهار، بالمال والقلم والعقل، إنني أحسد اليهود حين يستطيعون تمرير كذبـــة وتحويلـــها إلى أسطورة، في حين أفشل أنا المسلم في تعريف العالم (فقط بالحقيقة) إن التخطيط الســـليم يوصـــلك للهدف، وهو ما فشلنا ونفشل فيه دائما كعرب ومسلمين، أسبوع كامل وأنا أتابع وسائل الإعلام الإسلامية و لم أجد أي عمل منظم أو موقف جماعي، وشعرت بالذل و لم أرفـــع رأســـي إلا حـــين استدعت حكومة بلادي سفيرنا من كوبنهاجن، إنه موقف رائع ونحن نطالب بالمزيد، أما بقية الدول (فالنوم سلطان) أكثر من مليار من المسلمين يتألمون اليوم، وحكوماتهم تنام في العســـل وتغمـــس في الزبدة الدنماركية، إنني مع المقاطعة بشرط أن تستمر وألا تكون (زوبعة في فنجان)، لنتعلم من اليهود في هذه المسألة على الأقل، ففي النهاية لن نموت إذا خلت المائدة من خيرات بقرات الدنمارك، وما دام لديهم حرية تعبير، فلدينا أيضا حرية في الشراء والاختيار، وتبعا لمواقفهم تجاهنا يجب أن تكون المعاملة والشراء والمشاركة الاقتصادية، عذرا يا حبيبي يا رسول الله: فأمتك اليوم مقطعة الأوصال والمواقف مشغولة، إلى أن يجيء الصباح ويستيقظ شهريار، وسيستيقظ لا محالة.

محمـــــــــــــد علـــــــــــــي البريــــــــــــــدي – رجــــــــــــــال ألمــــــــــــع

============================

لنتحاور مع أنفسنا ..ثم نتحاور مع الآخرين

الكاتب: عبد الباقي صلاي

الحرب على الإسلام وعلى المسلمين ليست وليدة الساعة، كما أنها ليست بالجديدة أو بالأمر الغريب المستهجن، فالتاريخ حافل بكل صنوف التآمر والاعتداء على الإسلام سواء ما تعلق منه بتشويه صورته، والطعن في تعاليمه السمحة، والحط من قيمة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بتمزيق أوصال الأمة المسلمة، باحتلال أراضيها عنوة تارة، وبكسر إجماعها ونقض غزلها عن طريق إحياء القديم من عصبيات الجاهلية الأولى تارة أخرى.

ولاتزال الشواهد كثيرة على أن الاستعمار الصليبي الحاقد، هو نفسه لم يغير نمط تفكيره التوسعي الظالم، و لم يغير من خططه واستراتيجيته قيد أنملة، في تعامله مع الإسلام وأمته الممتدة على طول خط طنجة – جاكرتا، وإن أخذ لنفسه صورة عصرية، مستعملاً لغة فيها الكثير من المفردات الجميلة المحببة للنفس، كحقوق الإنسان والديمقراطية وحرية التفكير وحرية التعبير وحرية تقرير المصير وحوار الحضارات وتقارب الأديان وتواصل الثقافات، وشتى المصطلحات المثخنة برنين العصرنة التي يحويها القاموس الاستعماري.

لكن رغم كل ما يتميز به هذا الاستعمار الصليبي الحاقد، ورغم معرفة هذه الأمة بكل تحركاته وأطماعه، فإنه لايزال يتغلغل للأسف الشديد في رقعتها الجغرافية، ولايزال محافظاً على موقعه الاستغلالي، مستحوذاً على نفس الامتيازات التي كان يمتلكها، عندما كان هو الآمر والناهي على معظم الأراضي العربية والإسلامية.

ومن السذاجة بمكان أن نقول إن الاستعمار الصليبي قد رحل من غير رجعة، و لم يعد له وجود أو أثر على الأراضي العربية والإسلامية التي كانت تحت طائلته، وإن غيابه الفعلي الميداني يعني عدم حضوره في كل كبيرة وصغيرة من حياة العرب والمسلمين، ومن يريد أن يتأكد من ذلك فلينظر إلى حال العرب والمسلمين، ويستحكم عقله في كل ما يجري داخل الدول العربية من جمود وخنوع واعتماد شبه مطلق على سواعد نفس الاستعمار الصليبي، وما تجود به هذه السواعد من منتجات غذائية، وأشياء أخرى تستعمل كلية في معاش هذه الشعوب العربية والإسلامية، وقد قالها صريحة ومن دون مواربة السفير الدنماركي في الجزائر، على خلفية مقاطعة المسلمين للمنتجات الدنماركية، ولو من باب المزاح – وهذا جزء يسير من مكنونهم الحقيقي تجاهنا – إن العرب والمسلمين إذا قاطعوا منتجاتنا فماذا سيأكلون؟ وقد كان السفير محقاً في ما يقول، بل منصفاً كونه نبّه العرب والمسلمين، وحاول إيقاظهم من سباتهم الطويل، وإن كانت لفظته مجرد زلة لسان، تعبر عن فكر رجل يدرك مغزى ومعاني ما ينطق به من كلمات.

وتحضرني مقولة قالها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في محاضرة له، إن نفس الاستعمار الصليبي لو أخذ منا منتجاته، بالجملة والمفرق، لوجدنا أنفسنا نحن العرب والمسلمين جياعاً وعراة حفاة، لأننا ببساطة شديدة لا نزرع ما نأكل ولا ننتج ما نلبس.

هذه هي الحقيقة التي ينبغي التسليم بها، واحترام كل من يواجهنا بها، أو ينبهنا إليها، سواء كان صديقاً أو عدواً، كما يتوجب علينا أن نقر بأن الأمة العربية والإسلامية تعيش عالة على غيرها، ولاتزال مقيدة بأغلال الاتكالية، وأغلال فكرة تغليب الاستهلاك على الانتاج، وعدم التفكير في المستقبل، وإن كانت هي التي لاتزال تمد استعمار الأمس بكل متطلبات الانتاج والمواد الخام.

ولقد أتيحت للأمة الإسلامية على خلفية الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، الفرصة كي تراجع نفسها، وتعرف قيمتها، بأن تنظر إلى ما تحسنه، ولا تعتمد على ما يأتيها عبر بحارها وأجوائها، كما أتيحت لها الفرصة بأن تستجمع قواها المهدرة في ما لا فائدة منه، وتتقارب فكرياً ومفاهيمياً ما دامت العاطفة الإسلامية استطاعت أن توحد الجميع من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب.

المسلمون على تعدادهم الكبير قادرون اليوم أن يقلبوا الكفة لصالحهم، ويحققوا الخطوة المعجزة نحو المستقبل غير المقيد بما يجود به الاستعمار الصليبي من سلع تكاد تقترب من النفايات، وبتكنولوجيا تلبي فقط النهم الاستهلاكي.. وبما أن الإجماع حاصل على مقاطعة كل منتجات الدنمارك التي لم تقبل أن تتنازل عن كبريائها مثقال ذرة، كي تعترف بجريمتها النكراء، وتعتذر للمسلمين على ما بدر منها من تلك الرسوم المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فإن مواصلة حملة المقاطعة تصبح في حكم الفرض الشرعي، ولايجوز لأي كان أن يشق هذا الإجماع مهما كانت صفته، ومهما بلغ مقامه.

وقد كنا نأمل من الدكتور طارق سويدان، الذي كان أكثر حزماً في مؤتمر كوبنهاجن عندما طالب بحرية التعبير حول المحرقة اليهودية الهولوكوست ومعاداة السامية، ألا يستدرج للحوار مع الدنمارك قبل أن يكتمل الحوار مع بقية علماء الأمة القادرين على استنباط الحكم في مثل هذه المسائل الحساسة، ما دامت الجماهير المسلمة لاتزال تعيش حالة من الحراك والديناميكية، ولاتزال على أهبة الاستعداد لأن تقبل بأي توجيه يؤدب المستهترين من الدنماركيين ومن حالفهم على مسلكهم الوضيع، لأن هذا الحراك الجماهيري الإسلامي العريض في واقع الأمر والحال يعتبر ظاهرة صحية، يكشف واقع هذه الأمة المترامية الأطراف، بأنها أمة وإن كانت مريضة لكنها ليست أبداً أمة ميتة.

فالمسلمون أثبتوا من خلال مقاطعة المنتجات الدنماركية - والحقيقة ليست الدنمارك منذ خلت فقط على خط نار المواجهة العلنية، فلقد نسينا على سبيل المثال إسبانيا وألمانيا ونيوزلندا والنرويج، وهذه الدول معظمها لم تتعرض منتجاتها للمقاطعة كما تعرضت منتجات الدنمارك - إنهم يمتلكون القدرة الفعلية على خلخلة الموازين، وزعزعة اقتصاديات الدول مجتمعة بدلاً من دولة واحدة، وهذه تعتبر الخطوة الأولى في طريق الاعتماد على النفس.

وإذا ما سمحنا لأنفسنا وعاتبنا الذين زاروا الدنمارك، فذلك من باب الحرص على عدم تشتيت جهود الجماهير المسلمة العريضة التي عبرت بعفوية شديدة عما تشعر به، وتتحسسه من عاطفة دينية متقدة، وكذا الدخول في متاهات الجدل العقيم الذي لا يخدم أحداً من الأمة العربية والإسلامية في هذا

الوقت الحساس والعصيب، ولكن يخدم الاستعمار الصليبي الحاقد، ومخططاته الجهنمية، لكي يبقى على نفس الإيقاع الاحتلالي الذي تعود عليه منذ عدة قرون.

مؤتمر كوبنهاجن كان من الأحرى له ألا يكون، لسبب واحد ووحيد، كونه جاء في وسط قمة ردود فعل المسلمين على ما تسببته الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، اضافة الى ضبابية الرؤية حول مغزى الدنماركيين – الذين كانوا في موقفهم أعزاء، ورحماء في ما بينهم، لم يقبلوا حتى بالاعتذار ولو نفاقاً أو دبلوماسية – من هذا المؤتمر ولو أنه كان من الوهلة الأولى يهدف إلى زعزعة الصف الإسلامي، وتفريق الجهود الإسلامية من جديد، بعد أن استطاعت الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل رعاع الصحافة الدنماركية، أن تجمعها على قلب رجل واحد، وتحرك شيبها وشبابها، ونساءها، وأطفالها من المحيط إلى الخليج.

وليست هذه المرة الأولى الذي يحاول فيها الاستعمار صرف الأحداث عن مسارها الطبيعي عندما يشعر بالخطر يداهمه، ألم يدوسوا على المصحف الشريف بنعالهم، ألم يستبيحوا حرمات هذه الأمة ولايزالون في العراق وفلسطين، ألم ترفع بريطانيا العظمى، من شأن ومقام صاحب آيات شيطانية سلمان رشدي، وهو المخربش الذي لم يكن له اسم يذكر في سجل الكتاب الفاشلين فضلاً عن وجوده ضمن الكتاب المرموقين، كل هذه الأحداث تمكن الاستعمار من إخراجها عن مسارها، وبقيت بعد ذلك مجرد ذكرى مأساوية!!

الحوار الذي تمنينا أن يكون قبل مؤتمر كوبنهاجن، هو ذلك الحوار الذي يكون بين كل القوى العاملة في الحقل الإسلامي، التي تؤمن بأن التغيير الحقيقي ينطلق من مثل هذه الأحداث، كما يعبر على ذلك الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل «ربما كان الأولى أن نبدأ حواراً مع النفس نعرف فيه بالضبط من نحن، وأين نحن؟ وماذا نريد»؟

فكان أولى أن نتفق ومن غير تدخل طرف آخر، دنماركي أو غيره، على جملة منطلقات نأخذ بها في هذه المرحلة الحرجة التي تعيش فصولها الأمة العربية والإسلامية، لنعرف الخطوات الكفيلة اتخاذها في المستقبل، ومختلف الميكانزمات الملائمة لذلك، وحتى لايتكرر سيناريو الحمار الذي كان يضرب على بطنه فكان يقول إنني أسمع صوت طبل قريباً مني، ولما جاءته الضربة على أم رأسه نهّق وقال: لم أكن أعلم أن صوت الطبل انتقل إلى رأسي.

لأن الاستعمار الصليبي الحاقد هو نفسه لم يتغير، كما لايزال على حقده التاريخي الصليبي الدفين، ومن الصعب جداً معرفة خططه الماكرة بهذه البساطة التي يدعو لها بعض من تبوءوا منبر الدعاة، ولم أجد صراحة تعبيراً بليغاً قيل في الاستعمار كالذي قاله المفكر الجزائري مالك بن نبي «في الواقع عند الاستعمار معلومات عنا، أكثر بكثير مما عندنا، إنه يكيف بكل بساطة موسيقاه وفقاً لانفعالاتنا، ولعقدنا، ولنفسيتنا، إنه يعرف مثلاً أننا تجاهه لا نفعل، وإنما ننفعل، وهو عندما يكون قد دخل مرحلة التفكير في مشاكل الغد، في الحفر الموحلة، التي يريد أن يوقعنا فيها، نكون نحن لانزال نفكر في مشاكل الأمس، في التخلص، من الحفر الموحلة التي أوقعنا فيها فعلاً.

في ضوء كل ما سبق كان الأجدر ألا يمس الجدار الإسلامي بأي زعزعة سببه الخلاف والاختلاف، حتى لا يجد الطرف الآخر الفرصة مواتية لهدمه نهائياً بعد ذلك، كما كان الأجدر بالذين زاروا كوبنهاجن حتى لو أحسنوا الكلام والدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يقبلوا حوار النفس والذات أولاً، قبل أن يطالبوا بالحوار مع الآخر، خاصة أن الآخر وجه استعماري معلومة مطامحه ومطامعه، حتى لو كان دولة الدنمارك التي لم يذكرها التاريخ بكثير من السوء، في علاقتها مع العرب والمسلمين.

والاستعمار ليس فقط من عرف بالوحشية، واستبعاد الشعوب، واستغلال خيراتها في الماضي، بل الاستعمار هو كل سياسة ماكرة تطبق على الشعوب عنوة، وتحرمهم من النهوض ليتملصوا من كل أشكال التواكل والتبعية، لكن هل يجرؤ هذا الاستعمار على التوسع والسيطرة لو لم تكن هذه الشعوب تسكنها وجدانياً القابلية للاستعمار بتعبير المفكر الجزائري مالك بن نبي؟؟؟

صحيفة الشرق القطرية

============================

ليس فقط نبينا صلى الله عليه وسلم

الكاتب: السيد بن عبد الحميد العزازي

الحمد لله علي نعمة الإسلام وكفي بها نعمة . الحمد لله العلي القدير . والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين خير الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

أعداء الإسلام من أهل الكتاب بعد أن أذهلهم القران ببيانه وأحكامه ، و لم يستطيعوا أن ينالوا منه شيئا راحوا يرمون بسهامهم المسمومة على الحبيب صلى الله عليه وسلم .

ويحار العقل حين يفكر في هذا الأسلوب الرخيص ، وهذه البذاءة التي لا تليق بعامة الناس فضلا عن الكتاب والمثقفين ناهيك عن رجال الدين و (المبشرين) . ومما يسلي المرء أن هذا دأب القوم مع كل أنبياء الله وليس مع الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحده فما سلم منهم أحد من أنبياء الله .

لا تعجب ... ولا تعجل . نعم هذا دأبهم مع كل أنبياء الله .

وها أنذا أعرض عليك أيها القارئ الكريم ما يقول القوم في أنبياء الله وكيف أن قلة أدبهم طالت الجميع لتعلم أن الخلل في هذه النفوس التي تعتنق دين النصرانية . . . لتعلموا أن المشكلة أخلاقية وليست مشكلة حق يراد بيانه ولا باطل يريد دحضه .

نسب اليهود و من بعدهم النصارى لأنبياء الله أعمالاً تقشعر منها الجلود و تشمئز منها النفوس ؛ بل لا نبالغ إن قلنا أن في سير الأنبياء عندهم ما يفوق فعلة قوم لوط و فرعون و ثمود ، فالأنبياء عندهم لا حرمة لهم و لا تتريه عن فاحشة أو رذيلة . !

وهذا مدون في كتبهم بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ولا ينكرها القوم بل (يتعبدون) الله بها .

ــــ نبي الله هارون عندهم هو الذي صنع العجل وعبده مع بني إسرائيل (سفر الخروج : ٣٢: ١)

ـــــ وعندهم أن خليل الله إبراهيم ــ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ــــ قَدَمَ امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال متاعاً بسببها . فقد نزعوا من أبي الأنبياء ــ عليه السلام ــ المروءة والغيرة على العرض . ثم ـــــ وتعجب . وحق لك ـــــــ يترفع فرعون عن مواقعه سارة بدافع المروءة والنخوة ويدعها لإبراهيم ويوبخه أن قدم زوجته له . (سفر التكوين ١٢:١٤))

ـــــ وعندهم أن نوحا عليه السلام ــــ شرب الخمر وتعرى وضاجع بنتاه (سفر التكـــوين : ٩ : ٢٠ وما بعدها) .

ـــــــ ويفترون على نبي الله لوط ــ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ــــــ أن ابنتاه سقتاه الخمر فشرب حتى ذهب عقله ، ثم قام فزنى بإحداهما ليلة كاملة ، وفي الليلة الثانية تكررت الفعلة مع البنت الثانية . قطع الله لسانهم . (راجع سفر التكوين الإصحاح التاسع من العدد ٣٠ وما بعدها) .

وإن تعجب فمن قول كبير الضالين في مصر ـــــــ شنودة ـــــ حين راح يبرر هذه الفعلة بقولة : (أن إبنتي لوط قد فعلتا ذلك لتنجبا منه نسلاً مؤمناً) .

أغفل عن الحكمة نبي الله لوط وفطن إليها شنودة ؟ !!

وهل ينتشر عضوا لمن سكر حتى الثمالة ؟!

أبدا .كله كذب .

ــ وعندهم أن نبي الله سليمان ــ عليه السلام ــــ ولدُ زنى أنجبه داود حين زنى بزوجة أمير الجيش اوريا الحثي ، وأنه ـــــ سليمان عليه السلام ـــــ ارتد في أخر عمره و عبد الأصنام و بنى لهم المعابد ، وذلك حين غوته النساء . (سفر الملوك ١١:١) وراجع أيضا (سفر صموئيل الثاني اصحاح ١١) .

ـــــ وعندهم أن نبي الله يعقوب ــ عليه السلام ــــ سرق مواشي حميه و خرج بأهله خلسة دون أن يعلمه (تكوين ١٧:٣١)

وكذا أن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب و علم يعقوب بذلك الفعل القبيح و سكت عنه .

بل لم يسلم منهم المسيح ــــ عليه السلام ـــــ فعندهم أن المسيح عيسي بن مريم ــــ عليه السلام ـــــ :

ـــــــ من نسل الزني . وذلك طبقاً لما ورد فى إنجيل متى (١-١٠) (أن عيسى بن ســـليمان بـــن داوود و جدهم الأكبر فارض الذي هو من الزنا من يهوذا بن يعقوب) .

ـــــــــ وأنه كان عاقا لأمه ... لم يناديها مرة بلفظ أمي في أي موضع من الأناجيل ، وكان يهينها و يعاملها باستحقار أمام الناس و يخاطبها قائلاً (يا امرأة) بذات الصيغة التي كان يخاطب بها المـــرأة الزانية أو (الكلبة) الكنعانية . إذ كان يناديها في وسط الحضور قائلاً : ((مالي ولك يا إمـــرأة !)) يوحنا [٢ : ٤ (.

ـــــــ و أن المسيح شهد بأن كل الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل لصوص (يوحنا١٠:٧) .

ــــ وأن المسيح كان يتعرى أمام تلاميذه و يتعامل معهم بشكل مثير للريبة فكان يتعرى .واسمع

((قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتّزر بها. ثم صبّ ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها. (يوحنا١٣:٤) .
وعندهم أن المسيح كان سبابا شتَّاما ، فقد سبَّ معلمو الشريعة قائلاً لهم : ((يا أولاد الافاعي)) متى [٣ : ٧]
وسبهم في موضع آخر قائلاً لهم : ((أيها الجهال العميان)) متى [٢٣ : ١٧]
_ وقد شتم تلاميذه ، إذ قال لبطرس كبير الحواريين : ((يا شيطان)) متى [١٦ : ٢٣]
_ وشتم آخرين منهم بقوله : ((أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان !)) لوقا [٢٤ : ٢٥]
مع انه هو نفسه الذي قال لهم قد اعطى لكم أن تفهموا اسرار ملكوت الله !! لوقا [٨ : ١٠]
_ بل إن المسيح شتم أحد الذين استضافوه ليتغدى عنده ، شتمه في بيته جاء في إنجيل لوقا [١١ : ٣٩]ما نصه : (سأله فريسي أن يتغذى عنده . فدخل يسوع واتكأ . وأما الفريسي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء فقال له الرب : أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً يا أغبياء ! ويل لكم أيها الفريسيون ! . . . فأجاب واحد من النامسيين وقال له : يا معلم ، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً . فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون !))
و هذا قطعاً ليس من خلق الأنبياء . فما كان الرفق في شيء إلا زانه و ما رفع من شيء إلا شانه كما علمنا الحبيب صلى الله عليه وسلم .
هكذا يتكلم النصارى على أنبياء الله جميعهم . فلم يسلم منهم أحد .
والسؤال من يقدس النصارى ؟
إنهم لا يعتقدون النزاهة والعصمة إلا في الأحبار والرهبان ، فسيرة (كيرلس) و (بطرس) و (جرجس) و (شنودة) عندهم أطهر من سيرة رُسل الله .
البابا وات لا يخطئون . . . معصومون . . . لهم (القداسة) . يغفرون ... ويحلون . . . ويحرمون . . . وصدق الله العظيم " (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة : ٣١)
فالحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ما عرفت البشرية خيرا منه .
عدوك مذموم بكل لسان * * * ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في علاك وإنما * * * كلام العدا ضرب من الهزيان
==============================

مؤتمر الدانمارك.. فشل متوقع

الكاتب: د . نورة خالد السعد

فوجئتُ مثل العديدين غيري من عقد عمرو خالد منذ اسبوعين لمؤتمر صحفي غيّر فيه لغة حواره مع الشباب وتحدث عن الدانمارك المسالمة التي تتعرض لهذه المقاطعة ونــادى بضــرورة (الحــوار) مــع الدانماركيين وكان واضحاً في ذلك المؤتمر الارتجالية وعدم التنسيق مع بقية الاتحادات الإسلامية كي نوحد صفوفنا على الأقل في هذه القضية المصيرية.. ولوحظ ان معظم الشباب الذين حضروا اللقاء – لمن شاهده – عبر القنوات التي بثته أنهم في حيرة من لغة خطاب الداعية عمرو خالــد الجديــدة.. وحاوروه فيها!!.

ونشر منذ يومين عزمه على الذهاب للدانمارك للمشاركة في مؤتمر تستضيفه الحكومة الدنماركية التي رفضت ولا تزال ترفض الاعتذار ولا تزال تعلى من قدسية (حرية التعبير)!! وتمول هذا المؤتمر شركة لارا!! ووزارة الخارجية الدنماركية وسيشرف على تنظيمه المعهد الدانماركي للدراسات الدولية الذي يتبع جزئياً الحكومة الدانماركية!!.

وهكذا استطاعت زيارات خافيير سولانا أن تؤتي ثمارها لخرق وحدة جهودنا بصفتنا مسلمين وكان مفروضاً أن لا يتم عقد هذا المؤتمر وفق أجندة الدانمارك التي ترفض الاعتذار رسميا وترى في مظاهرات الاحتجاج على هذه الرسوم المسيئة تصرفا غير مبرر بل ويردد أولى أو هلر أولسن المنسق العام لهــذا المؤتمر (أن هذا المؤتمر سيحاول نقل رسالة إلى العالم الإسلامي مفادها أن موجة الغضب العارمة حان الوقت لها لكي تتوقف)!!.

لاحظوا لغة الأمر!! بل ويرى في دعوة الشيخ يوسف القرضاوي يحفظه الله وهو رئيس اتحاد علمــاء المسلمين ومطالبته الحكومة الدانماركية والاتحاد الأوروبي بالاعتذار أولا على نشر هذه الرسوم.. يراها لا تمثل وجهات نظر المسلمين بقوله: (هناك ١,٤ مليار مسلم في العالم والعديد من وجهات النظــر تناولت أسلوب علاج الأزمة) و لم يذكر ما هي هذه الأساليب؟! اذا كانت رسالة هذا المؤتمر الــذي استدرجوا عمرو خالد اليه للأسف (مفادها ان موجة الغضب العارمة حان الوقت لها كي تتوقف)!! فهل سيذهب عمرو خالد إلى الدانمارك للقيام بهذا الدور؟! وما يلفت النظر في هذا المــؤتمر ان مــن ينظمه لم يوجه الدعوة إلى أي من القيادات الإسلامية داخل الدانمارك!! بل تم تجاهلهم و لم يتصل بهم ايضاً عمرو خالد!! فكما وضح الأستاذ تنوير أحمد المتحدث باسم جمعية (الشبكة الإسلامية) الــتي تضم العديد من الأكاديميين والطلاب المسلمين في الدانمارك انه لم تتم دعوتهم للمشاركة وأكــد أن الحوار شيء جيد عندما يكون مفتوحاً للجميع وليس (انتقائياً) ومحدداً بفئة معينة!! وبالمثــل لم تــتم دعوة مجموعة (مسلمون في حوار) وجمعية (الشباب المسلم في الدانمارك) بل إن الأستاذ الجامعي يورن بيك سيمنسون وهو مؤلف للعديد من الكتب عن الإسلام والمسلمين في الدانمارك استغرب شخصياً من هذه الانتقائية بقوله: (ليس من الذكاء ان لا تدعى هذه المؤسسات للمؤتمر الذي يهدف أساســاً لتجميل صورة الدانمارك السيئة في العالم الإسلامي).. وقال أيضاً: (اذا حضر عمرو خالد إلى هنا دون ان يلتقي قادة المسلمين فإنهم سيشعرون بأنهم مهمَّشون) رغم أنه هو شخصياً دعي الى هذا المــؤتمر ولكنه استهجن هذه التصرفات من الجهة المنظمة لهذا المؤتمر الذي تتضح أهدافه؛ إلا لعمــرو خالــد

الذي شق صف التوحد والجهود الإسلامية لمعالجة هذه القضية بشكل جذري قبل اللجوء الى الحوار فقط.. فكما قال الشيخ يوسف القرضاوي أطال الله في عمره: (ان علماء الامة ومشايخها من خلال منابرهم وخطبهم وأحاديثهم وبياناتهم أرادوا أن تعبر الأمة الإسلامية من أقصاها إلى اقصاها عن استنكارها لهذه الرسومات الكاريكاتيرية الدانماركية المسيئة لخاتم الأنبياء والمرسلين وقد كان هذا الاستنكار من جميع المسلمين حتى غير المتدينين من الأمة).. هذه القوة الروحية ينبغي استثمارها لصالح القضية وليس الخروج عنها كما فعل عمرو خالد وشاركه في ذلك د. طارق السويدان!!.

وعودة إلى ما ذكره الشيخ يوسف القرضاوي ونشر في الشرق الأوسط يوم الجمعة ٣/صفر حيث قال: (ان الحكومة الدانماركية ارسلت لي وفداً لبحث قضية تداعيات الرسوم ولكن رفضت مقابلة هذا الوفد لأنني لا أريد العمل على قطع الطريق على الأمة الإسلامية لصالح الدانمارك فنحن نريد أن نكون مع المؤسسات الإسلامية في التعبير عن استنكارنا لتلك الرسومات.

.. ان إصرار عمرو خالد على هذا المؤتمر بل وإضافة أسماء بعض المشايخ دون موافقتهم وأيضاً دون الرجوع إلى الاتحادات العالمية الإسلامية والتنسيق مع القيادات الإسلامية في الدانمارك التي تواجه بغضبة من قبل الحكومة الدانماركية لادعائها بأنهم سبب الأزمة لأنهم نقلوا هذه القضية إلى خارج الدانمارك!! بل هددتهم وزيرة الاندماج الدانماركية ربيكة فلس في بداية الشهر الماضي بان الحكومة ستقطع الحوار معهم وقد تنتزع الجنسية عنهم نظراً لما سببت جولتهم من إثارة مشاعر العداء للدانمارك من العالم الإسلامي!!. إصرار عمرو خالد سيضر به كداعية كان له موقع متميز في شريحة الشباب على الأقل، كما أنه يضع نفسه في موقف العلماء وهو داعية مجتهد فقط هداه الله.. خصوصاً أنهم نصحوه عندما اتصل بهم ليدعوهم إلى مؤتمر يخدم حكومة الدانمارك!!.

.. في المقابل هناك مؤتمر سيعقد إن شاء الله في البحرين بعد حوالي اسبوعين ينظمه اتحاد العلماء المسلمين برئاسة الشيخ يوسف القرضاوي والندوة العالمية للشباب الإسلامي ومؤسسة الإسلام اليوم واللجنة العالمية لنصرة خاتم الانبياء والحملة العالمية لمقاومة العدوان من خلال لجنتها الاقتصادئة وأيضاً جمعية الأصالة في البحرين وستتم دعوة ماذة وخمسين من العلماء والمفكرين ورؤساء الجمعيات والاتحادات في اوروبا وامريكا والعالم العربي والإسلامي وهدفه الخروج برؤى وآليات مستمرة لنصرة خاتم الانبياء وتحديد الوسائل العملية وكما ذكر الدكتور خالد العجيمي المتحدث الرسمي باسم المؤتمر العالمي لنصرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ان الحوار بمؤتمر البحرين سيكون جزءاً من منظومة كاملة من العلماء والمحامين والاقتصاديين والقانونيين لنصرة النبي (صلى الله عليه وسلم) عبر وسائل مختلفة من بينها حث الغرب على اصدار قوانين وتشريعات تجرّم الاساءة للأديان ورموزها كافة.. وذكر ان مؤتمر البحرين سيؤسس لحراك شعبي مؤصل ومدروس وعاقل ومستمر كنخب في كتلة واحدة من خلال مجموعات أو مؤسسات لامن خلال أفراد، ووضح ان الحوار مع الدانمارك والغرب لابد أن يكون عبر مرجعية تستند إلى شكل مؤسسي لا فردي وأن تستثمره المرجعية في حوار مع الجميع لا مع الدانمارك فقط.

.. هذا هو الموقف السليم وليس الارتجالي الذي انساق اليه عمرو خالد في تلبيته لـدعوة حكومـة الدانمارك!! التي هي الخصم!! والتي لا تزال إلى اللحظة تأنف من اي اعتذار!!.
بل يردد ممثلوها من سفراء اننا دول لا ننتج فكيف سنقاطع؟؟ فليت الأستاذ عمرو خالـد يراجـع خطواته ويعقلن قراراته كي يحافظ على مكانته في نفوس من كان متابعاً له ولا يخرج عـن سـياق المجموعة فكما قال الدكتور احمد ابولبن أشهر الدعاة المسلمين في الدانمارك: ان مؤتمر الدانمارك المزمع عقده يهدف إلى اصدار شهادة حسن سيرة وسلوك لها بينما تبقى حرية التعبير سيفا مشهوراً علـى كرامة سيد البشرية وربما يعاد استخدامه في أول فرصة بعد انتهاء الزيارة القصيرة لوفد الدعاة!!.
صحيفة الرياض السعودية

=========================

ما هي أُسس الحوار مع الغرب؟!

حوار مع مَن، ولأي غاية، أو غرض إذا كان الأوروبيون يريدون فتح نقاش يطفئون به حرائق ما بعد الإساءة للرسول الأعظم؟..
الكل مع الغايات الشريفة إذا كانت طريقاً هادفاً لفتح كل الملفات في صراع الغـرب مـع العـالم الإسلامي، وأولها ما جرى في التاريخ القديم والحديث واعتبار حرياتهم مقدمة، لكن أن ينجح رجل دين إسلامي في فوز انتخابي، أو يقف خطيب ينادي بالمقاومة المشروعة لمحتل، أو تنشـر صـحيفة، مستشهدةً بكتاب غربي، عن عدم صحة المحرقة، أو يخرج فيلم عربي أو إسلامي يسفّه ببعض الأفكار أو الانحيازللصهيونية، فإن ذلك يقع في خانة بث الكراهية .. فهل التعريض بنبي مقدس يأتي من باب الحرية، وليس من بث الكراهية؟..
التصعيد الراهن بين المسلمين والغرب لا يخدم الطرفين، لأنه من الغباء التضامن الإعلامي الغربي كحق يرونه مشروعاً، ويرفضون الاحتجاج الذي وصل إلى درجة العنف المرفـوض عربيـاً، وإسـلامياً، كإحراق السفارات أو الاعتداء على الأشخاص، أو رشق الكنائس، لأن ذلك يـدخل في تصـفية الحسابات التي لا نؤيدها أو نقرها..
الحوار أمرضروري باسم قداسة الأديان، أو حوار الحضارات، أو التقاء المصالح والاعتراف بحريـات شعوب العالم كلها، لكن أن يكون الحوار مجرد شكل ما يعالج قضية آنية، ولا يرتقـي إلى تحديـد أسباب الصراع المتنامي بجميع سماته وأشكاله، فإن ذلك لا يرتفع لسقف المعالجات الصحيحة وعلى رأسها السلام في المنطقة، ورفض مبدأ تحرير الشعوب بغزوها كما حدث في العـراق، ولا إلهـاب المشاعر كوسيلة قهر لإشاعة رد الفعل الأكبر، دون مراعاة الحسابات بالنـاقص ونتائجهـا، علـى الجميع..

لسنا مع القهر بأشكاله المتعددة الذي تمارسه معظم سلطات العالم الإسلامي، بنفس الوقت لا نقبل بوصاية في العراق، وحفلات موت تقيمها إسرائيل على الأرض الفلسطينية، ولا حروب تجويع تنال شعوباً إسلامية وعربية..

وإذا كان الحوار يريد التكافؤ في نسب الطرح وقبولها، فإن على أوروبا بالذات، أن تفهم أن جزءاً من أمنها مرتبط بالمنطقة، وأن اقتصادها لا يستطيع قطع علاقاته معها، وأن الدين الإسلامي، هو القوة فيها، وأن تباينات ثقافية واجتماعية لا تلتقي في كل الظروف بين الطرفين، وحتى أمريكا التي تجد نفسها منغمسة في شؤون المنطقة وفي سياسات الحرب، واعتبارها مركزاً لتعليم الشعوب كيف تدير حياتها، عليها أن تدرك أن الخلافات لا تحل بالقوة وقد شهدت فشلها في مواقع كثيرة، والحوار، لا غيره، هو الوسيط في حل مختلف التناقضات.

١٢ تعليق

١

لا شلت يمينك

لا استطيع أن أقول حيال ماقرأت وما طرح بكل شجاعة إلا (لاشلت يمينك) يامن خطت أناملك هذا وأسأل الله أن يطلع عليه العقلاء منهم وهذا بحد ذاته مكسب.

أبو محمد

٠٦:٣٧ صباحاً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

٢

وقاحات راسموسن.. إذا لم تستح فاصنع ما شئت..

أشكر جريدتنا على هذه الكلمات المنطقية الطيبة..

١) الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم من قِبل الصحيفة الدانمركية ليست سوى القشة التي قصمت ظهر البعير.. إن الإساءة للإسلام أصبحت في الغرب عموماً والدانمرك خصوصاً عبارة عن ثقافة مجتمع وترسخت في مذكرات ملكتهم وحال تربّع حكومة راسموسن المتطرفة على رئاسة الدانمرك.

٢) الصحيفة الدانمركية تدّعي الإعتذار ثم يعلن رئيس تحريرها بأنه غير نادم وأن القضاء الدانمركي يسمح له بحرّية التعبير، ورئيس الدانمرك راسموسن يصرّ على ما يدعيه (نحترم الأديان ونسمح بحرية التعبير) وأي احترام للأديان هذا؟ إن راسموسن يسمح بالرأي الذي يشمل سب الإسلام والطعن في رسوله ولا يسمح بالرأي الذي يقلل -فقط- من أعداد ضحايا المحرقة النازية (هولوكست).

٣) يدعو راسموسن الحكومة التركية الى التوسط بين العالم الإسلامي والغربي لحل هذه الأزمة!! رغم أنها بين المسلمين والدانمرك فقط ولكنه يريد توسيعها لكسر الطوق عنه؛ وبدلاً من أن يطفيء نار العداوة التي أشعلها نراه الآن يوقد نار ما يسمى صراع الحضارات.

٤) تبجّح راسموسن بدعوة العالم الإسلامي الى تفهّم حرية التعبير لدى حكومته الديمقراطية؛ وها هو الآن يتواقح بما يدّعيه ب(دعوة المسلمين الى الاحترام المتبادل والحوار).. ومن حيث المبدأ نوافقه على

طلبه ونحن نحترم النصارى دون التشدّق بالعبارات الرنّانة (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الأنعام (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم..) آل عمران، ولكن يجب أن يكون لدينا أرضية مشتركة للحوار؛ راسموسن لا يقصد الحوار للتفاهم وإنما يقصد دعوة المسلمين الى استماع تفاهاته نحو حق الإعلام الدانمركي في سب الإسلام -فقط-..

نحن نوافق على الحوار الذي يحقق التعايش السلمي ويطبق الإحترام الحقيقي للإسلام ذلك الحوار الذي يقوم على تصحيح الخطأ والإعتذار عنه وليس الحوار البجح الذي يبرّر الفحش وسب الإسلام.

٥) يقول راسموسن بأن هناك متطرفين يسعون الى إزدياد الشُقة في هذا الخلاف.. أقول له صدقت وأنت كذوب لأنك على رأس هؤلاء المتطرفين المتزمتين.

ملاحظة: لا يوجد لدينا ما يسمى "رجل دين إسلامي" ولكن لدينا -ولله الحمد- علماء إسلام، كما أن فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية يعد تأييداً لطريق المقاومة المبنية على أسس شرعية.

ودمتم بخير،،،

٤

الغرب يقتنع بمبدأ القوة

هذا إن تركوا هم مجالاً للحوار، رغم قناعتي أن الغرب لا ينفع معهم أسلوب الحوار فهم يقتنعون بمبدأ القوة ومبدأ القرش الكبير يلتهم الصغير بدليل لجوئهم إلى التكتلات ليس ذلك حباً في بعضهم ولكنه حفاظاً على أرواحهم وممتلكاتهم. من وجهة رأيي أرى أن الحوار البناء لحل المتناقضات يمكن أن يكون ذا أثر عند تساوي الطرفين المتحاورين من حيث القوة على أقل تقدير. أما أمريكا التي تتبنى سياسة فرق تسد فقد أشعلت الفتيل لأن مصلحتها أن يصتطدم الطرفان وأن لا يتحقق وجود دولة عظمى في أي مكان في العالم تشاطرها الهيمنة والسيادة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

فهد بن عبدالله الأحمدي

١٠:٠٥ صباحاً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

٥

الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْل

بارك الله فيكم مقال رائع وحكيم. الاحداث الاخيرة لحرق السفارات والاعتداء وتخريب الممتلكات والكنائس كشفت اوراق سياسية خبيثة لفتنة تعم العالم العربي والاسلامي باسم الدفاع عن الرسول الانسانية واللاعنف محمد(صلى الله عليه وسلم) وأقلها محاولة لتدمير لبنان ولثورة الارز. الاسلوب اللاعنف والحكيم الذي اتبعته حكومة خادم الحرمين الشريفين لدليل على الحكمة والتعقل ويجب ان يقتدى به.

د. هشام النشواتي

١٠:٢٧ صباحاً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

٦

نحن من يرفض الحوار

اي حوار نرجوه. ونحن ندق طبول الحرب بمجرد ان مريض نفسي او طالب للشهره نشـــر رســـوم افضل وصف لها انها سامجة سخيفه.

الواقع ان تلك الثوره لنصر ةالنبي محمد عليه الصلاة والسلام.اصبحت وســيلة للضــغط علينـــا او استفزازنا كمسلمين. لقد اظهرنا للعالم بكل بساطة نقطة ضعفنا. بل مددنا للعالم الاصبع الصغير في يدنا ليتم عسره في كل مناسبة من طرف من يريد ان يستفزنا كملسلمين.

وما نحن فاعلون ياسيدي عندما تتوالي علينا الاستفزازات وتتراكم السخافات. قل ماذ نفعل. هـــل نلطم وجوهنا ام نقاطع الدواء والغذاء والمركبه والكساء والكهرباء والهاتف. ام نقبع باكين مرجفين كما يريد لنا القرضاوي واحزابه الهالكه.

الصحافة العربيه جانبت التعقل. وعالجت الموضوع علي طريقة ما يطلبه المستمعون.او الجمهور غايز كده.

الصحافه والاعلام العربي اشهر نقطة ضعفنا وبؤسنا واجاد وصفنا باننا فريسة ســـهله لمـــن يريـــد استفزازنا.

الاعلام العربي الاسلامي وضعنا في حرب مع الهواء. وجعل عدونا البشريه كاملة. اي سفية مغمور في اقاصي الارض سوف لن يتردد بتكرار تلك السخافات ربما ليس بغضنا فينا بقدر ما هـــو حـــب للشهره والمال.

ان الاحتجاجات علي تلك السخافة البذيئه خرجت من مسارها المنطقي. بل تم القفز عليهـــا مـــن اطراف ذو مصالح معروفه.

ان تلك الحملة للمقاطعه لم تقتصر علي المقاطعه وهو اسلوب حضاري نؤيده. بل تم تحويرها الي ان المشكلة يجب ان تخرج من يد الحكومات لتكون في يد الرعاع والانتهازيين.

الصحافة العربيه مشكورة باركت تلك التوجهات التي نصت بشكل واضح ان ماتقوم به الحكومـــة السعوديه من سحب لسفيرها ومعالجة الامر من خلال القنوات الدبلوماسيه امر مرفوض وغير كافي. بل ان الاعتذار الذي نشرته الصحيفة غير مقبول. والاعتذار الغير مباشر من رئيس وزراء الدنمارك غير كافي حتي لو اعتذر بشكل مباشر.

الموضوع ليس دفاع عن النبي.بل اصبح قفزا علي واقع الحكومات وتهديدها مباشرة بالاخلال بالامن والحرائق.

الم نفهم حتي الان لماذا تم احراق السفارت في دمشق وبيروت. ومحاولة لاعمائنا يتم محاولة اخري في طهران ولكنها لم تنجح.

ان تلك الامور يتم معالجتها بالطرق الدبلوماسيه والظغوط الدوليه وليس بالرعاع. ولكنها رسالة لمن لايعلم باننا قادرون علي تحريك شارعكم واحراقكم في بلدكم اذا لم تكونوا معنا ؟؟؟

الشاوي

١١:٠٢ صباحاً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦
٧
هذا مايريد الغرب واذنابهم
أستطيع أن أقول وجهة نظري فيما جاء في كلمة الرياض الشاملة ذات الحس الإعلامي الملم بالعبـــة السياسية
فعلاً الغرب وأذناب الغرب أيضا يريدون ضبط النفس عندما
يقومون بهجمات منظمة تجاه العالم الإسلامي والعربي
وضبط النفس في قاموسهم أن يكون التوتر لايتجاوز تلك
الدول لأن من أهداف الهجمة الشرسة تحييد أصحاب النظرة
الثاقبة بزعمهم التي تطالب بعدم ردة الفعل وهي تعلم يقيناً
أن عدم ردة الفعل يكون ضرره أكثر من ردة الفعل والبعض
الآخر يرددون مايردده رئيس وزاء الدنمارك بقوله (إن المتشددين
يستغلون هذا الحدث وهذا فيه سخرية بالمدافعين عن سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم لأننا لو سلمنا فيما يقولون لقلنا أن من يقومون بالأعمال الإرهابية يشهدون أن لاإله
إلا الله وأن محمد رسول الله وعلينا أن لا نردد مايقولون لنثبت أننا لسنا منهم أو لـــو خـــرج أحـــد الإرهابيين ببيان حول الأحداث وقال أكثر مما قيل من دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم هل بعد ذلك نتوقف كي لانتهم بالإرهاب هؤلاء الذين يقيسون بهذه المقاسات عليهم أن يدركوا أن أزمـــة الرهائن عندما تم احتجازهم بطهران ايام الثورة الايرانية أبان حكم الرئيس كارتر مـــاذا حـــدث في امريكا من افرازات تلك الازمة استمرملاحقة اصحاب البشرة السمراء ويتم التهجم عليهم والضرب والبعض عندما يتم السؤال عن جنسيته ينتسب الى جنسية المكسيك خوفا وهلعا مما قد يصيبه نتيجة ردة الفعل فهذا درس لمن يعتقدون ان شعوب العالم ليس لديها ردود أفعال وهي سنة باقية ولكـــن بتفاوت وكلما كان الطرح الإعلامي يقف مع الحق ويدافع عن أمته كلما قتل أصحاب الهجمـــات المدسوسة من الغرب وأذنابهم وضيع عليهم الفرصة وأزال الإحتقان عن شعبه.
@hotmail.com٤٤saas
طارق بن محمد
٠٣:١٣ مساءً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦
٨
لا تتمنوا لقاء العدو ولكن إذا لقيتم فاثبتوا
الداعون إلى التعقل والواقعية عليهم أن يحتفظوا بنصائحهم لأنفسهم. من استغضب و لم يغضب فهو حمار. نعم نحن ضعفاء ولا نستطيع محاربة الغرب (مادياً) لكن دعوا الغرب يعلم أننـــا يمكـــن أن نغضب يوماً حتى ولو جاملته قنواتنا الرسمية. دعونا نستمر في مقاطعة الدنمارك مشعلة العداوة و أول

المستهزئين و نستفرد بها حتى تكره هي أصدقاءها و من يدعون نصرتها ز أفهموهم أننا لا نستطيع أن نبتسم في وجه من سب نبينا و لا يمكننا استعمال بضائعه. دعوهم يفهموا و لو مرة واحدة أننا أمة لها كرامة. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم صلاة دائمة مستمرة بدوامك يا من ليس كمثله شيئ و هو السميع البصير

السري القرشي

٠٣:٢٥ مساءً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

٩

الغرب والاساء

الم يرون مثلا الشيعة يضرب نفسة حتى يدمي جسده وذلك من اجل عقيدته.

اللهم ضربة بالدم ولا لكلمة السم ،والاساءة للكريم فهي كلمة مسمومة

خليل بوقب

٠٤:٣٨ مساءً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

١٠

المسلمون.. قوة الغد المؤثرة.

على الرغم من بعض المغالاة، أظهر الشارع الإسلامي ومن وراءه بعض الحكومات العربية والإسلامية قدرة على الوقوف صفاً واحداً في قضية مشتركة. استخدام ورقة التمثيل الدبلوماسي من قبل الحكومات والمقاطعة الاقتصادية من قبل الشعوب والتظاهر السلمي كلها ردود افعال لا يمكن أن يعترض عليها أحد. جاءت ردة الفعل هذه لتزيد من ثقة المسلمين بأنفسهم وبقدرتهم على التاثير بمجريات الأحداث على نحو إيجابي في قضية حقة.

لكن هذا ليس سوى بداية في سعي مطلوب نحو تآلف وروابط أكثر تجمع بين الشعوب والدول الإسلامية وجعلهم مصدر قوة عالمية مؤثرة في عالم القرن الواحد والعشرين. بيد أن صورة المسلمين لدى وسائل الاعلام العالمية ليست في صالح قضاياهم العادلة وربما سبب ذلك يعود إلى فقر وجهل معظم المسلمين لذا يتعين على الحكومات الإسلامية التعاون أكثر فيما بينها لرفع المستوى التعليمي والمعيشي للمواطن المسلم، وهو حق له. ثم أن جموع المثقفين من المسلمين يجب أن يأخذوا دوراً فعالاً لهم في وسائل الإعلام العالمية لتغيير صورة الإسلام والإنسان المسلم التي انطبعت ولا تزال تنطبع في أذهان دول العالم والغرب خاصة.

المسلمون بحاجة إلى مراجعة فكرية ونفسية لمفهوم الإسلام لديهم وهذا الأمر ينطبق قبلاً على معظم علماء المسلمين الذين هم بحاجة إلى تفعيل العقل والفطرة بعيداً عن المسلمات المكتسبة المتوارثة.

فهيم منذر

٠٦:٣٢ مساءً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

١١

تمعنوا في تعليق الشاوي

لقد اعجبني ما طرحه الشاوي في تعليقه على الموضوع وان كنت لا اتفق معه في بعض طرحه حول التقليل من مدى تأثير المقاطعة الشعبية الإقتصادية لمنتجات دولة ما ولكنني اضيف على ما ذكره بأن تلك الأمور يتم معالجتها أيضا ومنع تكرار حدوثها بل وتسخير الأدوات لصالحنا مستقبلا بالآتي :

١) بالثقل الدبلوماسي والضغط الدولي من قبل الحكومات

٢) بالوسائل الثقافية والمعرفية ومدى قوة نشر ثقافتنا لديهم

٣) بوسائل الاعلام المختلفة الناطقة بلغتهم وفي عقر دارهم وباسلوبهم الذي سيكون ذو تاثير قوي للوصول الى عقولهم وأذهانهم وشدهم للتعرف على ثقافتنا وديننا

٤) بالثقل الإقتصادي ، ولا أعني بذلك المقاطعة الإقتصادية ، وأركز على هذا الجانب لان المال في هذا الوقت اصبح هو المؤثر الأول والأكبر في لعبة الأمم ، ولهذا كان من الأجدى قيام اصحاب البلايين من المسلمين والعرب ومنذ عقود بتسخير ثرواتهم في مشاريع إقتصادية وإعلامية كبرى في مجمل الدول الأوربية وأمريكا لجعلها رؤوس الأموال هذه ذات تأثير إقتصادي وسياسي في آن واحد ليتمكنوا من التحكم بتحريك خيوط الدمي في هذه الدول وفقا لمصالح دولهم وعالمهم الإسلامي ، لا ان يشيحوا بوجوههم عندما يقوم غيرهم بتحرك هذه الدمى على غير أهوائهم او مبادئهم أو معتقدهم.

عجباً :- بضعة أشخاص يهود من أصحاب البلايين هم من يتحكمون بتحريك خيوط الدمى الإعلامية والسياسية في العالم الغربي والشرقي في القريب العاجل ، مع أنني أجزم أن أصحاب البلايين في الخليج العربي لوحده هم أكثر عددا وأضخم رؤوساً للأموال.

لقد اسمعت لو ناديت حياً ، ولكن لا حياة لمن تنادي

مدير الأزمة

٠٧:٥٩ مساءً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

١٢

الغضب والانفعال والشتم سلاح الضعفاء

قال صلى الله عليه وسلم" ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم قال: " لا تغضب لاتغضب لاتغضب"،، ثم يخرج من بيننا من يخرج عن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويسن سننه وشرعه لمعالجة ومواجهة قضايا تخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بل ويستعلى بحماقته وجاهليته ورعونته وانفعالاته على سنة محمد صلى الله عليه وسلم.

الغضب والانفعال والشتم اخلاق منهي عنها في الاسلام،

وهي بعيدة كل البعد عن الايمان وعن العلم والحلم،

بل ان استخدام الاخلاق المنهي عنه كالغضب والكذب وأمثالها دليل جهل بالحق وضعف في الايمان وعجز عن حسن التفكير والتصرف وتكون نتائجهامدمرة علينا ومن الجانب الاخر فهـــو لا يعـــالج المشكلة ولا يساعد في ذلك بل يزيد الأمر سوء وتعقيدا.

وعن العزة والكرامة قال تعالى" إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين"

ثم قال سبحانه وتعالى "ولكن المنافقين لا يعلمون" ، فالكفار والمنافقين لا يعلمون ويجهلون معـــاني العزة والكرامة.

حارث الماجد

١٠:٠٨ مساءً ٠٨/٠٢/٢٠٠٦

========================

مائة وسيلة لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم

الكاتب: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء

بتاريخ: ٢٠٠٣/٢٦/٠٧

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد: إن أول ركن من أركان الإسلام العظيمة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وتحقيق الشطر من الشهادتين وهو شهادة أن محمداً رسول الله تتم من خلال الأمور التالية :

للحفظ:

أولاً : تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به ، وأوله : أنه رسول الله ومبعوثه إلى الجن والأنس كافة لتبليغ وحيه تعالى بالقرآن والسنة المتضمنين لدين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى دينـــاً سواه .

ثانياً : طاعته والرضى بحكمه ، والتسليم له التسليم الكامل ، والانقياد لسنته والاقتداء بها ، ونبذ ما سواها .

ثالثاً : محبته صلى الله عليه وسلم فوق محبة الوالد والولد والنفس ،مما يترتب عليه تعظيمه ، وإجلاله ، وتوقيره ، ونصرته ، والدفاع عنه ، والتقيد بما جاء عنه .

فعلى كل مسلم ؛ أن يسعى لتحقيق هذا المعنى ، ليصح إيمانه ، وليحقق الشطر الثاني مـــن كلمـــة التوحيد ، ولتقبل شهادته بأن محمداً رسول الله ، فإن المنافقين قالوا : { نشهد إنك لرسولُ الله والله يعلمُ إنك لرسولُهُ واللهُ يشهدُ إنَّ المنافقين لكاذبون} {المنافقون : }، فلن تنفعهم شهادتهم ، لأنهم لم يحققوا معناها .

وإليك بعض الأمور التي يمكننا من خلالها العمل بمقتضى تلك المحبة ، وواجب القيام بذلك الحق للنبي صلى الله عليه وسلم تجاه هذه الهجمة الشرسة عليه أن نفديه بأولادنا ووالدينا وأنفسنا وأموالنا ، كل على قدر إمكانياته ، فالكل يتحمل مسؤوليته ومن خلال موقعه:

على مستوى الفرد :

١- التفكير في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم القاطعة بأنه رسول رب العالمين ، وأصلها القـــرآن الكريم ، وما تضمنه من دلائل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

٢- تعلم الأدلة من القرآن والسنة والإجماع الدالة على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وســـلم ، والأمر باتباعه ، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم .

٣- العلم والمعرفة بحفظ الله لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك من خلال الجهود العظيمة التي قام بها أهل العلم على مر العصور المختلفة ، فبينوا صحيحها من سقيمها ، وجمعوها على أدق الأصول التي انفردت بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم السالفة .

٤- استشعار محبته صلى الله عليه وسلم في القلوب بتذكر كريم صفته الخَلقية والخُلقية ، وقراءة شمائله وسجاياه الشريفة ، وأنه قد اجتمع فيه الكمال البشري في صورته وفي أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

٥- استحضار عظيم فضله وإحسانه صلى الله عليه وسلم على كل واحد منا ، إذ أنه هو الذي بلغنا دين الله تعالى أحسن بلاغ وأتمه وأكمله ، فقد بلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ورسولاً عن قومه.

٦- عزو كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه ونتنعم به إليه صلى الله عليه وسلم بعد فضل الله تعالى ومنته ، إذ كان هو صلى الله عليه وسلم سبيلنا وهادينا إليه ، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عـــن أمته.

٧- استحضار أنه صلى الله عليه وسلم أرأف وأرحم وأحرص على أمته .قال تعالى : { الـــنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } {الأحزاب : }.

٨- التعرف على الآيات والأحاديث الدالة على عظيم مترلته صلى الله عليه وسلم عند ربه ، ورفـــع قدره عند خالقه ، ومحبة الله عز وجل له ، وتكريم الخالق سبحانه له غاية التكريم.

٩- الالتزام بأمر الله تعالى لنا بحبه صلى الله عليه وسلم ، بل تقديم محبته صلى الله عليه وسلم علـــى النفس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفســـه وولـــده ووالده والناس أجمعين) .

١٠- الالتزام بأمر الله تعالى لنا بالتأدب معه صلى الله عليه وسلم ومع سنته لقوله تعالى : { يا أيهـــا الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } {الحجرات : } وقوله تعالى { إن الذين يغضون أصواهتم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم } {الحجرات : } وقال تعالى : { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً } {النور : }.

١١- الانقياد لأمر الله تعالى بالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ومناصرته وحمايته من كـــل أذى يراد به ، أو نقص ينسب إليه ، كما قال تعالى : (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) .

١٢- استحضار النية الصادقة واستدامتها لنصرته ، والذب عنه صلى الله عليه و سلم .

١٣- استحضار الثواب الجزيل في الآخرة لمن حقق محبة النبي صلى الله عليه وسلم على الوجه الصحيح ، بأن يكون رفيق المصطفى صلى الله عليه وسلم في الجنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم لمن قال إني أحب الله ورسوله : (أنت مع من أحببت).

١٤- الحرص على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر ، وبعد الآذان ، وفي يوم الجمعة ، وفي كل وقت ، لعظيم الأجر المترتب على ذلك ، ولعظيم حقه صلى الله عليه وسلم علينا .

١٥- قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة ، مع الوقوف على حوادثها موقف المستفيد من حكمها وعبرها ، والاستفادة من الفوائد المستخلصة من كل حادث منها ، ومحاولة ربطها بحياتنا وواقعنا .

١٦- تعلم سنته صلى الله عليه وسلم ، بقراءة ما صححه أهل العلم من الأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم ، مع محاولة فهم تلك الأحاديث ، واستحضار ما تضمنته تلك التعاليم النبوية من الحكم الجليلة والأخلاق الرفيعة والتعبد الكامل لله تعالى ، والخضوع التام للخالق وحده .

١٧- اتباع سنته صلى الله عليه وسلم كلها ، مع تقديم الأوجب على غيره .

١٨- الحرص على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في المستحبات ، ولو أن نفعل ذلك المستحب مرة واحدة في عمرنا ، حرصاً على الاقتداء به في كل شيء .

١٩- الحذر والبعد عن الاستهزاء بشيء من سنته صلى الله عليه وسلم .

٢٠- الفرح بظهور سنته صلى الله عليه وسلم بين الناس.

٢١- الحزن لاختفاء بعض سنته صلى الله عليه وسلم بين البعض من الناس .

٢٢- بغض أي منتقد للنبي صلى الله عليه وسلم أو سنته .

٢٣- محبة آل بيته صلى الله عليه وسلم من أزواجه وذريته ، والتقرب إلى الله تعالى بمحبتهم لقرابتهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولإسلامهم ، ومن كان عاصياً منهم أن نحرص على هدايته لأن هدايته أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هداية غيره ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مهلاً يا عباس لإسلامك يوم أسلمت كان أحب لي من إسلام الخطاب ، ومالي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب) .

٢٤- العمل بوصية النبي صلى الله عليه وسلم في آل بيته ، عندما قال : (أذكركم الله في أهل بيتي) ثلاثاً .

٢٥- محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم واعتقاد فضلهم على من جاء بعدهم في العلم والعمل والمكانة عند الله تعالى .

٢٦- محبة العلماء وتقديرهم ، لمكانتهم وصلتهم بميراث النبوة فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، فلهم حق المحبة والإجلال ، وهو من حق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته .

على مستوى الأسرة والمجتمع :

١- تربية الأبناء على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .
٢- تربية الأبناء على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله .
٣- اقتناء الكتب عن سيرته صلى الله عليه وسلم.
٤- اقتناء الأشرطة عن سيرته صلى الله عليه وسلم.
٥- انتقاء الأفلام الكرتونية ذات المنهج الواضح في التربية.
٦- تخصيص درس أو أكثر في الأسبوع عن السيرة تجتمع عليه الأسرة.
٧- اقتداء الزوج في معاملة أهل بيته بالرسول صلى الله عليه وسلم.
٨- تشجيع الأبناء على حفظ الأذكار النبوية وتطبيق ذلك.
٩- تشجيع الأبناء على اقتطاع جزء من مصروفهم اليومي من أجل التطبيق العملي لبعض الأحاديث ، مثل : كفالة اليتيم ، إطعام الطعام ، مساعدة المحتاج.
١٠- تعويد الأبناء عل استخدام الأمثال النبوية في الحديث مثل المؤمن كيس فطن ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، يسروا ولا تعسروا .
١١- وضع مسابقات أسرية عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
١٢- تعريف الأسرة المسلمة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال تطبيق مشروع (يوم في بيت الرسول).

على مستوى قطاع التعليم والعاملين فيه :
١- زرع محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الطلبة والطالبات من خلال إبراز حقه صلى الله عليه وسلم على أمته .
٢- الإكثار من عقد المحاضرات التي تغطي جوانب من حياة الرسول شخصيته صلى الله عليه وسلم .
٣- حث مسئولي قطاعات التعليم إلى إضافة مادة السيرة النبوية إلى مناهج التعليم والدراسات الإسلامية في التخصصات الإنسانية .
٤- العمل على تمويل وضع كراسي لدراسات السيرة النبوية في الجامعات الغربية المشهورة.
٥- تشجيع البحث العلمي في السيرة النبوية وحث الباحثيين على تصنيف كتب السنة بتصانيف عدة مثل المغازي والشمائل .
٦- العمل على إقامة المعارض المدرسية والجامعية التي تعرف بالرسول صلى الله عليه وسلم مع مراعاة التمثيل الجغرافي لنشأة الإسلام .
٧- تخصيص أركان خاصة في المكتبات تحوي كل ماله علاقة بالرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته والإهتمام به وجعلها في مكان بارز.
٨- العمل على إعداد أعمال موسوعية أكاديمية غنية في السيرة النبوية تصلح كأعمال مرجعية وترجمتها إلى اللغات العالمية.
٩- إقامة مسابقة سنوية للطلبة والطالبات لأفضل بحث في السيرة النبوية وتخصيص جوائز قيمة لها.

١٠- إقامة مخيمات شبابية تتضمن أنشطة تزرع محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والتعلق بسنته.
١١- إقامة دورات تدريبية متخصصة لإعداد القادة بالإقتداء بالمصطفي صلى الله عليه وسلم.
على مستوى الأئمة و الدعاة وطلبة العلم :
١- بيان خصائص دعوته ورسالته صلى الله عليه وسلم وانه بعث بالحنيفية السمحة وأن الأصل في دعوته هو حرصه على هداية الناس كافة إلى إفراد العبادة لرب الناس.
٢- العمل على دعوة الناس وهدايتهم إلى هذا الدين ؛ بجميع أجناسهم وقبائلهم.
٣- بيان صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخُلقية قبل وبعد الرسالة .
٤- بيان فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وخصائص أمته بأسلوب ممتع .
٥- بيان مواقفه صلى الله عليه وسلم مع أهله وجيرانه وأصحابة رضوان الله عليهم.
٦- بيان كيفية تعامله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين.
٧- بيان منهجه صلى الله عليه وسلم في حياته اليومية .
٨- تخصيص الخطبة الثانية لبعض الجمع للتذكير بمشاهد من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فضلاً عن تخصيص خطب كاملة عنه من وقت إلى آخر.
٩-التعليق على الآيات التي تتكلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم عند قراءتها في الصلاة ولمدة ثلاث إلى خمس دقائق .
١٠- إضافة حلقات لتحفيظ السنة النبوية إلى جوار حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد.
١١- تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى عامة الناس حول سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى التمسك بما صح عنه صلى الله عليه وسلم بأسلوب بسيط واضح.
١٢- ذكر فتاوى علماء الأمة التي تبين حكم من تعرض لرسول الأمة صلى الله عليه وسلم بشيء من الانتقاص ووجوب بغض من فعل ذلك والبراءة منه .
١٣- العمل على رد الناس إلى دينهم من خلال عرض مبسط لمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم الدعوية .
١٤- التحذير في الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة من الغلو فيه صلى الله عليه وسلم ، وبيان الآيات التي تنهي عن الغلو كقوله (لا تغلو في دينكم) . ١٥- والأحاديث الخاصة في ذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) ، وبيان أن المحبة الصادقة هي في اتباعه صلى الله عليه وسلم .
١٦- حث الناس على قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مصادرها الأصلية وتبيين ذلك لهم.
١٧- دحض وتفنيد الشبهات والأباطيل التي تثار حول الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته.
على مستوى المثقفين والمفكرين والإعلاميين والصحفيين :

١- إبراز شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وخصائص أمته من خلال نشر ذلك والتحدث عنه في المناسبات الإعلامية والثقافية.
٢- عدم نشر أي موضوع ينتقص فيها من سنته صلى الله عليه وسلم .
٣- التصدي للإعلام الغربي واليهودي المضاد والرد على ما يثيرونه من شبهات وأباطيل عن ديننا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
٤- عقد اللقاءات الصحفية والإعلامية والثقافية مع المنصفين من غير المسلمين والتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته.
٥- نشر ما ذكره المنصفون من غير المسلمين بشأنه صلى الله عليه وسلم .
٦- عقد الندوات والمنتديات الثقافية لإبراز منهجه وسيرته وبيان مناسبة منهجه صلى الله عليه وسلم لكل زمان وكان .
٧- إعداد المسابقات الإعلامية عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتخصيص الجوائز القيمة لها.
٨- كتابة المقالات والقصص والكتيبات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
٩- الاقتراح على رؤساء تحرير الصحف والمجلات لتخصيص زاوية يبين فيها الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم وأن محبته مقدمة ١٠- على الولد والوالد والناس أجمعين بل ومقدمة على النفس وأن هذه المحبة تقتضي تعظيمه وتوقيره وإتباعه وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق .
١١- الاقتراح على مدراء القنوات الفضائية لإعداد برامج خاصة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيفية تعامله مع زوجاته وأبناءه وأصحابه وأعدائه وغير ذلك من صفاته الخلقية والخلقية.
١٢- حث مؤسسات الإنتاج الإعلامي على القيام بإنتاج أشرطة فيديو تعرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة احترافية شيقة.
١٣- حث المحطات التلفزيونية الأرضية والقنوات الفضائية على إنتاج وبث أفلام كرتونية للناشئة تحكي شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض القصص من السنة النبوية.
على مستوى المؤسسات الخيرية والدعوية :
١- إنشاء لجان أو أقسام تحمل لواء نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢- تخصيص أماكن في المعارض والمؤتمرات المحلية والدولية التي تشارك بها المؤسسات لعرض الكتب والأشرطة المرئية والمسموعة التي تبرز خصائص الرسالة المحمدية.
٣- تخصيص أماكن دائمة لتوزيع الأشرطة والكتب والمطويات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
٤- تخصيص جائزة قيمة بمعايير متفق عليها سلفاً لأفضل من خدم السنة والسيرة النبوية وإقامة حفل تكريم سنوي يدعى له كبار الشخصيات.

٥- تبني طباعة كتب السيرة النبوية باللغات الأجنبية وتوزيعها على مراكز الإستشـــراق والمكتبـــات العامة والجامعية حول العالم .
٦- إصدار مجلة أو نشرة دورية تهتم بالسيرة النبوية المطهرة وتعاليم الدين الإسلامي وتبرز صـــفات هذة الأمة ومحاسن هذا الدين الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
٧- تخصيص صناديق تبرع لتمويل حملات نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتأليف في السيرة والترجمة وإنشاء المواقع على الشبكة العالمية .

على مستوى العاملين في الشبكة العنكبوتية وأصحاب المواقع :

١- تكوين مجموعات تتولى إبراز محاسن هذا الدين ونظرة الإسلام لجميع الأنبياء بنفس الدرجة مـــن المحبة وغيره من الموضوعات ذات العلاقة.
٢- إنشاء مواقع أو منتديات أو تخصيص نوافذ في المواقع القائمة تهتم بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتبرز رسالته العالمية.
٣- المشاركة في حوارات هادئة مع غير المسلمين ودعوتهم لدراسة شخصية الرسول صلى الله عليـــه وسلم والدين الذي جاء به.
٤- تضمين أو تذييل الرسائل الإلكترونية التي ترسل إلى القوائم البريدية الخاصة ببعض الأحاديـــث والمواعظ النبوية.
٥- إعداد نشره إلكترونية – من حين إلى آخر- عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وخاصة في المناسبات والأحداث الطارئة.
٦- الإعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

على مستوى الأغنياء والحكومات الإسلامية :

١- دعم النشاطات الدعوية المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة .
٢- طباعة الملصقات التي تحمل بعض الأحاديث والمواعظ النبوية .
٣- المساهمة في إنشاء القنوات الفضائية والإذاعات والمجلات التي تتحدث عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم باللغات المختلفة وبالأخص اللغة الإنجليزية.
٤- استئجار دقائق في القنوات أو الإذاعات الأجنبية لعرض أطروحات عن الإسلام ونبي الإســـلام صلى الله عليه وسلم.
٥- إنشاء مراكز متخصصة لبحوث ودراسات السيرة النبوية والترجمة إلى اللغات العالمية.
٦- إنشاء متاحف ومكتبات متخصصة في بالسيرة والتراث النبوي الشريف .
٧- إنشاء مواقع على الإنترنت متخصصة في السيرة والسنة النبوية الشريفة.
٨- طباعة ونشر الكتب والأشرطة والبرامج الإعلامية التي تبرز محاسن الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله بعدة لغات وخاصة اللغة الإنجليزية.

٩- المساهمة في دعم المسابقات الدعوية التي تهتم بالسيرة النبوية ورصد مبالغ تشجيعية لها.
١٠- الرقم نتركة لك لتكمله وتبعث به إلينا على عنوان اللجنة.

أخي المسلم أختي المسلمه .. إن الواجب علينا جميعاً - كلٌ حسب إستطاعته - أن ننصـــر نبينـــا وأمامنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك أعددنا هذة المذكرة حتى لا يبقى لأحد منا عذر ، فلنعمل جميعاً على نشرها وتوزيعها ، ودعوة الأهل وعموم الناس من خلال المجـــالس العائليـــة ، والمكالمات الهاتفية، ورسائل الجوال ، على نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

==============================

ماذا فعلت للدفاع عن الإسلام ؟

الكاتب: نايف بن ممدوح ال سعود
بتاريخ: ٢٠٠٣/٢١/٠١
بقلم: نايف بن ممدوح ال سعود

هذا هو نبي الإسلام أيها الغربيون

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الذي بعثه الله بالحق هـــدى ورحمـــة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وجميع من آمن به واتبع سنته إلي يوم الدين وبعد:

لا يخفى على المطلع على تلك الحملة الشرسة التي تتعرض لها أمة الإسلام في هذه الأوقات الحرجـــة، والأوضاع الدولية الراهنة بصفة عامة، وأوضاع المسلمين المؤسفة فيما بينهم بصفة خاصة، من تفكك وتناحر وبعد عن التمسك بالشريعة الإسلامية والتحاكم إليها وبعد مخجل عنها وجهل لكـــثير مـــن المسلمين بعقيدهم، حتى صار الكثير منا — إلا من رحم ربي — فيه من الجهل بدينه ما يجعله يعجز عن الدفاع عن أغلي شئ في حياته: دين الله، ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

وما حادثة إفك ذاك (القس) الأمريكي الكاذب (جيري فولويل) عنا ببعيد حيث قال في حديث له بث مساء الأحد ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م في برنامج ٦٠ دقيقة، اتهم النبي صـــلى الله عليـــه وســـلم الإرهاب، وقال ما نصه" أنا أعتقد أن محمدآ كان إرهابيآ، ولقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغـــير المسلمين أنه كان رجل عنف، ورجل حروب"

وما فاه ذاك القس الأفاك الأثيم (بات روبرتسون) في هجومه على النبي صلى الله عليه وسلم مـــن خلال برنامج هانيتي آند كولمز في قناة (فوكس نيوز ٩ الإخبارية قال:" كل ما عليك هو فقـــط إن تقراء ما كتبه محمد في القرآن: أنه يدعو قومه إلي قتل المشركين إنه رجل متعصب إلي أقصى درجة.. أنه كان لصآ وقاطع طريق. وأضاف إنما يدعو إليه هذا الرجل (محمد) في رأيي الشخصي ليس إلا خديعة وحيلة ضخمة. ويقول أيضآ إن ٨٠% من القرآن نقل من النصوص النصرانية واليهودية ولقد ذكر موسي أكثر من ٥٠٠ مرة في القرآن. وقال أيضآ: إن هذا القرآن ماهو إلا سرقة من المعتقدات

اليهودية ... وثم استدار محمد بعد ذلك ليقتل اليهود والنصارى في المدينة. وقال: إنا أقصد .. أن هذا الرجل (محمد) كان قاتلآ سفاكآ للدماء"

وما ا فتراه الكاذب الثالث القس (فرانكلين جراهم) في تصريحاته الإعلامية التي ذكر فيهـــا.." أن الإرهاب جزء من التيار العام للإسلام، وان القرآن يحض على العنف، وكرر خلال برنامج (هـــانتي آند كولمز) المذاع علي قناة (فوكس نيوز) الأمريكية في الخامس من أغســـطس رفضـــه لإدانـــة تصريحات أدلي بها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وصف الإسلام بأنه دين شرير، وفي كتاب جديد له بعنوان" الاسم" يحتوى على نصوص مسيئة للدين الإسلامي منها مايلي: في الصفحة ٧٠ يـــذكر الكتاب" الإسلام.. اسس بواسطة فرد بشري، مقاتل يسمي محمد، وفي تعاليمه تر ى تكتيك نشـــر الإسلام من خلال التوسع العسكري ومن خلال العنف إذا كان ضروريآ، ومن الواضح إن هـــدف الإسلام النهائي هو السيطرة علي العالم". وفي الصفحة رقم ٧٢ يذكر الكتاب:" يحتوي القرآن على قصص أخذت وحرفت عن العهدين القديم والجديد .. لم يكن للقرآن التأثير الواسع على الثقـــافتين الغربية والمتحضرة الذي كان للأنجيل. الأختلاف رقم واحد بين الإسلام والمسيحية أن آله الإســـلام ليس آله الديانة المسيحية"

وما افتراه الكاذب الرابع القس ٠ جيري فايتز) على الرسول صلى الله عليه وسلم وأتهمه، ونعوذ بالله مما اتهمه به حيث قال:" إنه شاذ يميل للأطفال ويتملكه الشيطان، وتزوج من ١٢ زوجة آخرهن طفلة عمرها ٩ سنوات. وأضاف فايتز أن الله الذي يؤمن به المسلمون ليس الـــرب الـــذي يـــؤمن بـــه النصارى".(١)

فقد تجرأوا ونالوا من نبينا وسيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم وشتموه واستهزؤا بـــه وطعنوا في نبوته ورسالته واتهموه بالكذب والافتراء، وعلى الرغم من ذلك لم نرا أو نســـمع مـــن المسلمين من حرك ساكنآ إلا القليل. أين أنتم أيها المسلمون.!؟ أين أنتم أيها المؤمنون.!؟ كيف يشتم نبينا صلى الله عليه وسلم ونهنأ بعدها ويغمض لنا جفن.!؟ وتهدأ نفس ويطيب عيش.!؟ كيف الحال لو كان ذاك المشتوم هو أبي أو أبوك أو أمي أو أمك أو عرضي أو عرضك أو وطني أو وطنك.!؟

أتوقع لكان الوضع – للأسف – مختلفآ تمامآ، وتعجب من تعصب الكثير من النـــاس وتحمقهـــم في تشجيع الفرق والأندية الرياضية الى حد أشبه بالجنون!

ومن تتبع أخبارهم في الصحف الرياضية ورأى سكرتهم في تشجيعهم لأنديتهم وتصريحاتهم في الدفاع والذب عنها، ليتمنى أن مثل هذا الجهد يكون في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وســـلم وعرضـــه ورسالته.

وكيف الحال يا ترى لو أن ذاك المشتوم هو احد ملآك صحيفة من الصحف أو قناة مـــن القنـــوات الفضائية.!؟ إلا ترون أن جميع الإمكانيات والجهود ستجند للدفاع والذب عن مالك تلك الصحيفة أو القناة.!؟ فأين انتم أيها المسلمون.!؟

لا أريد من كلامي هذا التعسف أو الإساءة أو الإرهاب للمعاهدين الذين تربطهم بالمسلمين مواثيق وعهود يجب أن تحترم وتراعى من كلا الطرفين، ولكن المقصود أن يجند المسلمون في إرجاء الـــدنيا أنفسهم وأن يقفوا صفآ واحدآ ويدعوا اختلافاهم ويعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدى السلف الصالح وان توجه جهودهم وطاقاهم ضد هذه الحرب الإعلامية الســـافرة القذرة التي تنال من عرض نبينا بأبي هو وأ مي صلى الله عليه وسلم .

فأين أنتم يا علماء المسلمين في إرجاء المعمورة كافة!؟ وأين أنتم أيها الـــدعاة والأدبـــاء والكتـــاب والصحفيون!؟ وأين من يسموهم بالمفكرين الإسلاميين.!؟ إذا لم تنطلق الألسن فما قيمتـــها، وإذا لم نستميت في الذب بأقلامنا عن عرض خير الأنام الأ فلتكسر الأقلام، ولا نلوم وقتها أعداء ديننا أكثر من لومنا أنفسنا(أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير) ال عمران ، فوالله لو أنشئت صحيفة أو قناة ولا تنشاء إلا من اجل الدفا ع عن النبي صلى الله عليه وسلم والذب عن عرضه ودينه والنور الذي جاء به، لم يكن ذلك في حقه كثيرآ بل أنه من اقل ما ينبغي علينا تجاهه.

فأين انتم يا أصحاب القنوات الفضائية والصحف والمجلات.!؟ وأني على ضعفي وقلة كفاءتي وقدرتي العلمية شرعت بحمد الله بتأليف سفر على هؤلاء المفترين الكذبة ومن نحا نحوهم، وقد أسميته " هـــذا هو نبي الإسلام أيها الغربيون" وهو عبارة عن تعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في التوراة والإنجيل والقرآن، وماصح عن من طيب سيرته وطهارة عرضه الشريف وسريرته، ومواقف من كريم أخلاقه، وهو مدخل لدعوة النصارى واليهود وغيرهم إلي الإسلام، وذلك مما يجعل هؤلاء الكذبـــة المفترين يندمون على طعنهم في النبي صلى الله عليه وسلم، مما فتح لي ولغيري من المسلمين بابـــآ إلي دعواهم وقومهم غلي الإسلام. وملحق بذيل الكتاب رد مستقل على هؤلاء وأمثالهم ممـــن ألحقـــوا بالإسلام وبالنبي الأباطيل والأكاذيب واسميته" الصارم المسلول في الرد على القساوسة الكذبة شاتمي الرسول" واطمئن هؤلاء المنحرفين وغيرهم مما نح ا نحوهم من الذين يلصقون بالمسلمين هممة الإرهاب بأن ردي سيكون- بأذن الله- بعيدآ عن ذلك و بل سيمتاز بالدقة والموضوعية العلمية والنقاش الهادئ الهادف الذي يخرجهم من الظلمات غلي النور، كما قال تعالى..(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثير مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتـــاب مـــبين يهدى به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه ويهديهم إلي صراط مستقيم) المائدة

وسيترجم هذا الرد – بإذن الله – إلي عدة لغات، فهذه المقالة ولله الحمد وما تبعها قد ترجمت أيضآ إلي الإنجليزية والفرنسية، رجاء أن يعم بها النفع ويقوى بها الدفع، خاصة باللغة التي نيل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بها" الإنجليزية" وإني في ختام افتتاحية هذا الرد لأرجوا من علماء الإسلام في كل مكان والدعاة والأدباء والإعلاميين أن يواجهوا تلك الحملة الشرسة بلغة القوم التي يفهموها وذلك بأن تترجم تلك الردود وأن يظهر من يجيد تلك اللغات من العلماء والـــدعاة في وســـائل الإعـــلام

المختلفة للذب عن عرض النبي صلى الله عليه وسلم، أقول بلغة القوم إذا مخاطبة الذات لا تدفع ضرراً ولا تنكأ عدونا، فالمسلمون خواصهم وعوامهم يعرفون نبيهم صلى الله عليه وسلم، والحاجة إنما هي في دفع الصائل المتطاول علي عرض النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه وصايا أذكرها تأكيدا لأهميتها وتذكيرا بها:

١- قيام علماء العالم الإسلامي في كل مكان بالدور المطلوب منهم تجاه هذه الحملة الشرسة ضد الإسلام ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد قام بعض العلماء بجهود مباركة في ذلك ومازلنا بحاجة للمزيد من الجهود، وأن تكون المواجهة لهذه الفرية العظيمة بما يناسبها لأن دفع الأمور يكون وفق قدرها وحجمها و لم أر دفعاً يناسب هذا الجرم العظيم والخطب الجلل.

٢- أستنفار الكتاب المسلمين والدعاة إلي الله في إرجاء المعمورة للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبهم ومحاضراتهم ومقالاتهم مع التأكيد على الجماهير مستمعيهم أن هذه الحملة إنما ترد وتدفع بالعلم والتعلم والحكمة والتعقل وبث الدعوة الإسلامية في صفوف أولئك المخدوعين لهذا الكاذب وغيره من خلال تبين محاسن الدين الإسلامي وكريم أخلاق وعظيم خصال نبيه صلى الله عليه وسلم بالحوار والمناقشة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة على منهج القرآن خاصة مع المخادعين، كما قال الله تعالي(أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ١٢٥

وقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقالوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) ٤٦ العنكبوت

وخاصة مع المستغفلين من الذين غشوهم وخدعوهم وغرروا بهم (هؤلاء الكذبة المضللين) وأسلافهم

٣- أن يقوم أرباب الفضائيات والصحف والإذاعات بإعداد حملة إعلامية متواصلة دفاعآ عن جناب النبي المصطفي صلى الله عليه وسلم، والدين الذي أرسل به والتعريف بالدين الإسلامي الصحيح الذي لا غلو فيه ولا جفاء مع التركيز والتأكيد على مسالة مهمة قد تهم الغرب وغيرهم أن لدى المسلمين الذين يقفون ضد إرهاب الآمنين والمعاهدين من المحبة والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ما تصنع من الرجل المسالم العاقل إرهابياً ولا فخر.

فليحذر أولئك العابثون بأغلى ما يملكه المسلمون بعد توحيدهم لربهم ألا وهي محبتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم بل لا يثبت توحيدهم إلا بها ، كيف لا وهي شق شهادة التوحيد (واشهد أن محمداً عبد الله ورسوله) كيف لا ولا يصح أيمان المؤمن إلا بذلك قال المرسل من عند ربه بالحق صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) متفق عليه

فحذارى يا (جيرى فايتز) ومن معك من المفترين أن تحرضوا مليار وثلاثمائة مليون مسلم وتحولوهم إلي الإرهاب كما تسمونه.

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعض أرباب من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ٦٤ ال عمران

وابشر المؤمنين كما أبشر غير المؤمنين بما حدث به الصادق المصدوق صلى الله عليـــه وســـلم بـــأن الإسلام سينتشر وأن البقاء له بعز عزيز أو بذل ذليل كما قال صلى الله عليه وسلم(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا ترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليـــل عزآ يعز الله به الإسلام وذلآ يذل به الكفر) رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني

وختاماً أشكر الله سبحانه بما من ويسر وأعانني وشرفني للدفاع عن عرض نبيه صلى الله عليه وسلم والتصدي لهؤلاء النكرات وأمثالهم سائلآ ربي جل وعلا أن ينصر كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان يعز دينه واولياءه وان يخذل أعداء ملته وان يجعل عملي هذا خالصآ صال حآ متقبلآ نافعآ لمن شاء من عباده ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرســلين والحمــد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيد ولد آدم المبعوث بالحق من رب العالمين .

ماذا فعلت للدفاع عن الإسلام؟

============================

مثيرو الكراهية

الكاتب: د. علي الطراح

ليس فينا من العقلاء من يرى في نشر أفكار الدمار والتخريب وسيلة لإيصال رأيه. فكما لدينا حمقى لا يؤمنون بالحوار والعقل كأداة للتفاهم في حالة الاختلاف، فلدينا كذلك أعداد مضاعفة من العقلاء ممن يرفضون السلوك الأحمق ولا يرون فيه إلا أداة لغرس أفكار الكراهية بين الشعوب. الحمقى ليسوا فقط من أبناء جلدتنا وإنما نجدهم في جميع المعتقدات ومن الخطأ لوم المسلمين لتصـــرفات الجهـــلاء منهم، فالإسلام أكبر من ذلك وروحه لا تتلاقى مع ما في أذهان الحمقى.

إنني شخصيا وإن كنت لا ألتقي مع أطروحات البعض من الإخوة في الحركات السياسية الإسلامية، إلا أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال الموافقة على استباحة الدين الإسلامي وتعريضه للتجريح، فما بالك عندما يصل الأمر إلى الاستهزاء بنبي الله محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وسلامه. فـــالموقف بكل تأكيد يختلف ويتطلب منا إظهار رفض لأي استغلال سياسي لمتطلبات الدفاع عن رسول الأمة، وإنه ليس من العقل أن نفتش في الدفاتر القديمة وأن نبحث في المواقف التي تفرقنا بقـــدر مـــا نحـــن ملزمون بمسؤولية أخلاقية في إظهار عدم الرضا عمن يسيء لدين الإسلام الذي يعتنقه مئات الملايين من البشر في أرجاء العالم.

لدينا الكثير من الوسائل الحضارية التي علينا أن نفكر في استخدامها للتعبير عن استيائنا مما نشـــر في الصحافة الأجنبية. فعلى سبيل المثال لو قام بعض من المسلمين بإرسال برقيات احتجاج للصحف التي أساءت إلى نبي الله محمد صلاة الله عليه وسلامه، لأدرك الكثيرون من القائمين على هذه الصحف أن لهذا الدين أنصاره في كل أركان العالم. قد تكون المقاطعة للبضائع الدانمركية مقبولة وجائزة، إلا أن

ضمان الاستمرارية في ذلك الموقف أمر مشكوك فيه، حيث اعتدنا على اتخاذ القرارات السريعة والعاطفية مما يجعلنا عرضه للاهتزاز أمام الآخرين.

الدول الإسلامية تختلف في سياساتها وليس هناك انسجام في السياسات بينها مما عرضها ويعرضها للتفكك ولا أعتقد أنها تملك مقومات المخاطبة الحضارية في توصيل رسائلها للعالم. الأزمة التي نعاني منها تتجسد في تأسيس وسائل مخاطبة حضارية في كسب الرأي العام العالمي لصالح قضايانا. فالعجز فينا عن تدبير أمورنا مع العالم ولا يمكننا أن نصحح أفكار الآخرين إذا لم نبادر إلى فهم ميكانيكية التواصل مع الآخرين.

الإعلام الغربي وخصوصا صناعة السينما مازالت حبيسة النمطية التقليدية ضد العرب والمسلمين ومازالت تنتج البرامج والأفلام المحرضة ضد الشخصية العربية أو المسلمة. فالفيلم الأخير الذي بث في أميركا "سريانا" يعبر عن النمطية البغيضة التي مازالت تبثها وسائل الإعلام الغربية ضد المسلمين والعرب. "سريانا" مثله مثل غيره من الأفلام الكثيرة التي تظهر الشخصية العربية الإسلامية اللامبالية؛ الشخصية التي لا هم لها سوى تبذير الأموال والجري وراء النساء!

لا أرى أن اللوم يجب أن يوجه للعرب أو للمسلمين وحدهم بقدر ما يجب أن يوجه أيضا لباقي الأطراف في خلق عقلية التحريض والكراهية ضد الآخر. فكما لدينا شخصية بن لادن، الشخصية التي أساءت للإسلام وباعدت بيننا وبين الآخر، فكذلك للغرب أيضا شخصيات مريضة لا ترى العالم إلا من زاوية غربية متعصبة. العنصرية وعدم التسامح بدآ يستفحلان في أوروبا بعد انتهاء الحرب الباردة، وبدأت الأنظار تتجه للمهاجرين وخصوصا المسلمين منهم باعتبارهم قنابل موقوتة قد تنفجر في عقر أوروبا. فالمسلمون يتنامون في أوروبا ويتوقع أن يصل عددهم في العقدين القادمين إلى ما يقرب من ٦٥ مليون نسمة مما يدعو الأوروبيين إلى التفكير جديا في كيفية إدماجهم وليس عزلهم وتهميشهم.

صحيفة الإتحاد الإماراتية

محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية العهد القديم

الكاتب: د. محمد بن عبد الله السحيم

بتاريخ: ٢٠٠٥/٠٥/٠٨

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى .. أما بعد

فقد طلب مني الأخوة الفضلاء القائمون على موقع (شبكة مشكاة الإسلامية) أن أذكر لهم شيئاً مما كُتب عن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب فنقلت لهم بعض ما أوردته في كتابي: (مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية) وهذه البشارات نقلتها من مسلمي أهل الكتاب بمعنى أنني لم أدون أي نص أو بشارة إلا ما شهد عليه مسلم من أهل الكتاب أنه وجد هذا النص في كتابه. وقد أشرت في نهاية كل بشارة إلى اسم المهتدي الذي نقلتها منه ورقم الصفحة من كتابه ثم طابقتها على الطبعات المحدثة من ما يسمى "بالكتاب المقدس" ونتيجته لأن

بعض هؤلاء المهتدين ينقلون لنا من نسخ قديمة جداً كالطبري الذي كان معاصــراً للمتوكـــل ولأن اليهود والنصارى يقومون بعمل تصحيح لكتابهم بين آونة وأخرى ويضيفون ويحذفون من العبارات ما يشاؤون فقد يجد الباحث صعوبة المقارنة بين النص الذي أورده المهتـــدي والـــنص الموجـــود في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس المزعوم لكن العبرة بشهادة هؤلاء المهتدين ونقلهم لهذه النصوص.

وليعلم القارئ أن هذه البشارات موجودة في كتب كثيرة سواء في بعـــض دواويـــن الســـيرة أو في مصنفات الجدل مع أهل الكتاب مثل كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية وهداية الحيارى لابن القيم . وإظهار الحق لرحمة الله الهندي والفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن باجه جي أو كتاب أحمـــد السقا البشارة بنبي الإسلام وكذلك مصنفات المهتدين من أهل الكتاب مثل كتاب:

١. الدين والدولة لعلي بن ربّن الطبري.
٢. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان.
٣. النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية للمتطبب.
٤. إفحام اليهود للمسئول بن يحيى المغربي.
٥. مسالك النظر في نبوة سيد البشر لسعيد بن الحسن الاسكندراني.
٦. محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود.
٧. محمد نبي الحق لمجدي مرجان.
٨. محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد.

وغيرها كثير. وقد جمعت جميع الأدلة والبشارات التي استدل بها هؤلاء وغيرهم وضـــمنتها كتـــابي السابق ذكره.

كما أن هناك من صنف مصنفات خاصة ببشارات أصحاب الأديان السابقة بهذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وكذا صنفت مصنفات خاصة تحمل بين دفتيها شهادات الكتاب المعاصرين المعتبرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ككتاب : إلى الدين الفطري الأبدي.. تأليف مبشر الطرازي الحسيني من علماء تركستان. وهو من منشورات مكتبة الخانجي – القاهرة.

========================

محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية العهد الجديد

الكاتب: د. محمد بن عبد الله السحيم

بتاريخ: ٢٠٠٥/٠٥/٠٨

بشارات العهد الجديد:

بشارات متى:

البشارة الأولى: قال متى في الإصحاح الثالث مخبراً عن يوحنا المعمدان – يحيى عليه السلام – أنه قال: (أنا أعمدكم بالماء – وذلك للتوبة وغفران الخطايا – ولكن هناك شخص قادم بعدي وهو أقـــوى

مني، لدرجة أنني لا أستحق حل سيور حذائه، وسيعمدكم بالروح والنار). هذه البشارة أوردها كل من المهتدي عبد الأحد داود والنجار، وأضاف إليها النجار بعض العبارات التي تذكر صفة هذا القادم المنتظر، وهو قوله: (الذي رفشه بيده، وينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ) وأوضح هذه العبارات فقال: (قوله: الذي رفشه بيده. ونسخة الآباء العيسويين: (الذي بيده المذري). إشارة إلى ما قام من حروب وجهاد مع الكفار لنصرة دين الله وإعلاء كلمتـــه. وقولـــه: (وينقي بيدره) بمعنى يطهر موطنه من الأصنام ومن عبدها المشركين. وقوله: (ويجمـــع قمحـــه إلى المخزن) أي يجمع صحابته والمؤمنين به عند بيت الله الحرام. (أما التبن فيحرقه بنـــار لا تطفـــأ). أي يقضي على عناصر الشر والفساد في العالم، ويناهض أهل الشرك والضلالة وعبادة الأصنام).

أما عبد الأحد داود فقد اكتفى بهذا النص الذي أوردته، وأشار على هذه الزيادة في ثنايـــا الشـــرح والتحليل. كما أنه أطال النفس في استنطاق هذه النبوة من جانبين: الجانب الأول: نفى فيه أن يكون النبي الذي تنبأ به يوحنا هو عيسى عليه السلام. وفي الجانب الثاني: أثبت أن هذا النبي المبشر هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد قدم في الجانب الأول البراهين التالية:

١. أن نفس كلمة "بعد" تستبعد عيسى بكل وضوح من أن يكون هو النبي المبشر به، لأن عيســـى ويوحنا ولدا في سنة واحدة وعاصر أحدهما الآخر، وكلمة "بعد" هذه تدل على مستقبل غير معلوم بعده.

٢. أن يوحنا قدم المسيح عليه السلام إلى قومه وطلب منهم طاعته واتباعه، إلا أنه أخبرهم بوضـــوح أن ثمة كوكباً آخر عظيماً هو الأخير الخاتم الممجد عند الله.

٣. لم يكن عيسى هو المقصود عند يوحنا، لأنه لو كان الأمر كذلك لتبع عيسى وخضع له، ولكنـــا نجده على العكس من ذلك إذ نجده يعظ ويعمد ويستقبل الأتباع في حياة المسيح عليهما السلام.

٤. مع اعتقاد الكنائس النصرانية بأن المسيح إله أو ابن إله، إلا أن كونه معمداً علـــى يـــد يوحنـــا المعمدان يثبت أن الأمر بالعكس تماما، فلو كان عيسى هو الشخص الذي تنبأ به يوحنا على أنه أقوى منه، وأنه سيعمد بالروح وبالنار – لما كان هناك ضرورة أو معنى لتعميده في النهر على يد يوحنـــا وهو الشخص الأقل منه .

٥. تضاربت الأناجيل في موقف يوحنا من عيسى: فهو في أحدها يرسل التلاميذ يسألونه: هل أنت النبي الذي سيأتي أم ننتظر واحداً آخر؟ أما يوحنا كاتب الإنجيل فقد أثبت أن يوحنا لما رأى عيســـى قال: انظروا حمل الله. ففي النص الأول: يتبين أن يوحنا لم يكن يعرف حقيقة المسيح، وفي الـــنص: ذكر وصفاً مغايراً للنبي المبشر به.

٦. لا يمكن أن يكون يوحنا هو سلف عيسى المبشر به بالمعنى الذي تفسر فيه الكنائس بعثته، لأن من مهام هذا الرسول المبشر به أنه يمهد الطريق، وأنه يأتي فجأة إلى هيكله ويقيم السلام. فإذا اعتـــبر أن هذه المهام قد أسندت إلى يوحنا – فنستطيع أن نؤكد أنه فشل في تحقيقها فشلاً ذريعـــاً، لأن كـــل

الذي قام به يوحنا تجاه عيسى عليهما السلام أنه استقبله على نهر الأردن وعمده فيه — كما زعموا —.

أما البراهيم أو الأدلة التي قدمها هذا المهتدي على أن يوحنا قد بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فهي:

١. يتأكد من هذه النبوة شيء واحد وهو أن النبي الذي تمت البشارة بقدومه معروف لدى كافة الرسل والأنبياء، وإلا لما اعترف شخص معصوم هذا الاعتراف المتواضع.

٢. أن إنكار الرسالة المحمدية هو إنكار أساسي لكل الوحي الإلهي، وكافة الرسل الذين بشروا به، لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي أنجزه محمد صلى الله عليه وسلم وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاما.

٣. اعتراف يوحنا بأن "محمداً" صلى الله عليه وسلم أعلى منه وأسمى قدراً، يتضح ذلك من قوله "هو أقوى مني" وبمقارنة ما كان عليه يوحنا بما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، نجد أن الواقع يشهد أن محمداً ص كان هو الأقوى الذي بشر به يوحنا، يتضح ذلك من خلال الصورة المأساوية التي ترسمها الأناجيل لنهاية يوحنا حيث يسجن ثم يقطع رأسه ويقدم على طبق، بينما نرى محمداً صلى الله عليه وسلم يدخل مكة دخول الفاتح العظيم، ويدمر الأصنام، ويطهر الكعبة، والكفار مستسلمون له ينتظرون حكمه فيهم.

٤. أخبر يوحنا عن الغضب القادم أو العذاب القادم على اليهود والكفار المعاندين للرسل. وهذا العذاب الذي تنبأ عنه، منه ما تحقق بعد ثلاثين سنة في بني إسرائيل، ومنه ما أعلنه هو وأخوه المسيح عليهما السلام عن قدوم رسول الله الذي سوف ينتزع جميع الامتيازات من اليهود، ولم يتحقق هذا إلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم الذي دمر حصونهم، وطردهم من ديارهم، ولقد أنذرهم يوحنا من هذا العذاب الآتي إذا لم يؤمنوا برسل الله الصادقين وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم — بقوله: (من الذي أخبركم أن تهربوا من الغضب الآتي).

٥. أن هدف محمد صلى الله عليه وسلم هو: إقامة دين الإسلام على الأرض، فقد اختفت الأوثان والأصنام من أمامه، وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه، وأصبح المسلمون في ملته متساوين، وتكونت منهم الجماعة المؤمنة، وتحققت بينهم المساواة إذ لا كهنوت ولا طقوس، وليس هناك مسلم مرتفع، ولا مسلم منخفض، ولا توجد طبقية أو تمايز يقوم على العنصر والرتبة، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي كائن مهما عظم، ومهما كان مقدسا — كوسيط مطلق بين الله والبشر.

٦. أن أتباع يوحنا كانوا يعرفون كل المعرفة أن عيسى عليه السلام لم يكن هو الشخص المقصود، وقد اعتنقوا الإسلام عندما جاء محمد صلى الله عليه وسلم.

البشارة الثانية: قال متى في الإصحاح الخامس مخبراً عن المسيح أنه قال: (الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) قال المهتدي الهاشمي موضحاً هذه البشارة: (الكل هنا — كما سبقت إليه الإشارة هو القرآن الكريم الذي فيه نبأ

السلف، وأخبار الخلف، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلاؤهم على أيدي أقوامهم، فيه هـــدى للمتقين، ووعيد للكافرين، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة، روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام).

وفي هذا النص إشارة إلى وجوب العمل بالتوراة والإنجيل إلى غاية محدودة وهي مجيء الكل، فإذا جاء الكل – وهو القرآن الكريم – بطل العمل بها، وحان نسخهما، وأذن الله بزوالهما. والمراد بالزوال هنا زوال الحكم لا زوال الوجود.

ولعل مقصود عيسى عليه السلام من قوله "الأصغر" أي الأصغر سنا. هذا على فرض صحة نسبة هذا النص إلى عيسى عليه السلام.

البشارة الثالثة: قال متى في الإصحاح الحادي عشر: (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمـــع أن يأتي). قال المهتدي النجار بعد هذه النبوة: (أي إن أردتم أن تتبعوا فاتبعوا أحمد الذي سيبعث، وشدد عليهم في التمسك بهذه الوصية والمحافظة عليها فقال: "من له أذنان للسمع فليسمع". وهذه البشارة مماثلة وشاهدة ومصدقة لنبوة ملاخي، وقد سبق إيرادها في هذا البحث تحت عنوان: البشارة الثانيـــة من بشارات ملاخي.

البشارة الرابعة: روى متى في الإصحاح السابع عشر ذلك الحوار الذي دار بين المسيح عليه الســـلام وتلامذته وهو: (قولهم: لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولا؟. فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولا، ويرد كل شيء) وأردف المهتدي النجار هذه البشارة بقوله: (ونجد المحرفين يشيرون بـــأن هذا الكلام على يوحنا – أي سيدي يحيى – مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع ولا كتاب).

البشارة الخامسة: قال متى في الإصحاح العشرين مخبراً عن المسيح أنه قال: (أما قرأتم قط في الكتب: أن الحجر الذي رذله البناؤون، هذا صار رأساً للزاوية، من قبل الرب كانت هذه، وهي عجيبـــة في أعيننا، من أجل هذا أقول لكم: إن ملكوت الله تنزع منكم، وتعطي لآخرين، لأمة يصنعون ثمرتهـــا، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه).

أجدني مضطراً أمام هذه البشارة إلى تقسيم الكلام عنها إلى قسمين حسب مـــا ورد عـــن هـــؤلاء المهتدين:

القسم الأول: يختص بالكلام عن الحجر الذي رفضه البناؤون، وهذا الحجر المشار إليه هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو الحجر المتمم للبناء الذي ابتدأه الأنبياء من آدم حتى المسيح، وبين المسيح عليـــه السلام ما خص به محمد صلى الله عليه وسلم ، من النصر والتأييد بقوله: (ومن سقط علـــى هـــذا الحجر يترضض ومن يسقط عليه يطحنه). وإلى هذا ذهب كل من المهتدي الشيخ زيـــادة والنجـــار والهاشمي. بينما يرى المهتدي إبراهيم خليل: أن الحجر المشار إليه هو إسماعيل عليه السلام الذي رفضه قومه. ولكن الذي رفضه قومه، ورفضه اليهود والنصارى هو محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: (من قبل الرب): أي مرسل من قبل الله حقاً وصدقا.

قوله: (عجيب في أعيننا). هذا القول يطابق قول إشعياء: إن اسمه عجيب. أو أن تكون بمعنى عجيب، لأنه كريم في طبعه عربي غريب من غير بني إسرائيل.

وإن قيل إن المسيح عني نفسه بهذا المثل فيقال:

١. أنه قال: (في أعيننا) و لم يقل في أعينكم.

٢. أن خاتمة البشارة وهي قوله: (من سقط على هذا الحجر يترضض). تفيد جليا أن هذه العبـــارة واردة في حق شخص آخر غير المسيح عليه السلام، لأن عيسى عليه السلام لم يـــرض غـــيره، و لم يسحق من سقط عليه.

٣. لا يجوز عند علماء اللغة أن يعود اسم الإشارة على المتكلم وهو عيسى، إذاً فلابد أن يعود علـــى شخص أشار إليه عيسى وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه البشارة تماثل قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثـــل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون بـــه ويعجبـــون لـــه ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين).

وهذا القول منه صلى الله عليه وسلم معجزة وأي معجزة، فمن أخبره صلى الله عليه وسلم بوصفهم له بأنه حجر الزاوية ؟ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، و لم يتتلمذ على يد معلـــم أو راهـــب!! ولكنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والحق الذي لا يختلف في كل عصـــر ومصر، فلا عجب أن تماثلت أقوالهم، واتفقت أمثالهم، أليس الجميع يخرج من مشكاة واحدة ؟؟!!.

القسم الثاني: يختص بالكلام عن نزع ملكوت الله من بني إسرائيل، ووضعه في أمة أخرى:

والحديث عن ملكوت الله يتطلب الحديث عن حقيقته، وصفات أتباعه، وملكـــوت الله في تفســـير الكنائس، وبيان أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله، وأن الملكوت نزع من بني إسرائيل وأعطـــي لأمة أخرى، وهذه الأمة هي الأمة الإسلامية.

بشارات يوحنا:

البشارة الأولى: لما ابتدأ يوحنا يعمد الناس في نهر الأردن، وكان ذلك في زمن المسيح عليه الســـلام، تصدى له اليهود – المكتوب عندهم في التوراة أن المسيح آت وسيأتي بعده نبي – وسألوه سؤالا كما جاء في الإصحاح الأول: (هل أنت المسيح ؟ هل أنت إيلياء ؟، هل أنت النبي؟ وعندما أجابهم بالنفي قالوا إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء ولا ذلك النبي المنتظر، إذاً فلماذا تعمد ؟؟) قال المهتدي الهاشمي بعد هذه البشارة: (من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبياً بشرت به كتبهم، حيث أن السؤال كان في عهد السيد المسيح، وأن إيلياء كان نبيا من أنبياء بني إسرائيل جاء بعد موسى وقبـــل المسيح). ويطرح المهتدي عبد الأحد داود عدة تساؤلات ملزمة حول هذا النص وهي:

من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم: ذلك النبي؟ وإذا كنتم تدعون معـــرفتكم مقصـــد رجال الدين العبرانيين، فهل يعرف باباواتكم وبطارقتكم من هو ذلك النبي؟ وإذا كانوا لا يعرفـــون

فما الفائدة الدنيوية من هذه الأناجيل المشكوك في صحتها؟ وإذا كان الأمر على العكس، وكنتم تعرفون من هو ذلك النبي فلماذا تبقون صامتين ؟؟!.

ويستنتج المهتدي الشيخ زيادة من هذه البشارة: أن اليهود منذ زمن موسى إلى زمن مجيء المسيح عليهما السلام كان يتداول بينهم – نقلا عن آبائهم وأجدادهم – أن الله يرسل نبيا. وهم بانتظار ثلاثة أفراد عظام هم: إيلياء والمسيح والنبي فحيث جاء إيلياء والمسيح لم يبق إلا "النبي" الذي ينتظرونه، وقد ورد في هذا النص بعد المسيح فتعين أن هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه قد جاء بعد المسيح عليهما الصلاة والسلام.

وهذه البشارة تفند ادعاء اليهود أن بشارة موسى عن نبي يقيمه الله لهم. دالة على يوشع بن نون، لأنه لو كان المقصود لما ظل اليهود إلى زمن المسيح يسألونه عن ذلك النبي. وتفند – أيضاً – ادعاء النصارى بأن بشارة موسى السابقة مقولة على المسيح عليهما السلام، لأن علماء اليهود قالوا ليوحنا: (إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي وهذا يدل على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام.

البشارة الثانية: قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله إن المسيح عليه السلام قال: (إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء) وقال – أيضا – في الفصل السادس عشر: (إن الفارقليط لن يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكنه يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب) وقال – أيضا – : (إني سائل أبي أن يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن النص الأخير لا يتضح المعنى المراد منه إلا بإعادة الكلمات المسروقة أو المحرفة فتكون الصيغة الصحيحة كالتالي: (وسوف أذهب إلى الأب، وسيرسل لكم رسولاً سيكون اسمه "البرقليطوس"، لكي يبقى معكم إلى الأبد) والكلمات التي أضافها هي ما تحتها خط.

هذه البشارة تكاد أن تكون محل إجماع من هؤلاء المهتدين، وسيكون الحديث عنها من جانبين:

الجانب الأول: بشارة المسيح عليه السلام بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال النقاط التالية:

١. أن هذا النبي الذي بشر به المسيح عليه السلام علّم الناس ما لم يعلموه من قبل، ولم يكن في تلاميذ المسيح ومن بعدهم من علّم الناس شيئاً غير الذي كان علمهم المسيح.

٢. تضمن النص أن هذا الشخص المبشر به لا يتكلم من تلقاء نفسه، وأنه يخبر بالحوادث والغيوب، ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تواتر عنه إخباره بالحوادث المقبلة والغيوب التي تحققت في حياته وبعد مماته. وتتفق هذه البشارة مع بشارة موسى عن هذا النبي المنتظر عندما أخبر أن الله قال: (وأجعل كلامي في فيه). وقد سبق الحديث عن هذه البشارة ضمن بشارات العهد القديم.

٣. أن هذا النبي المنتظر بكت العالم على الخطيئة، ولا خطيئة أعظم من الشرك، ولم يقتصر عمل محمد صلى الله عليه وسلم على اقتلاع الشرك من جزيرة العرب، وبعث رسله وكتبه إلى ما جاوره من

الدول والإمبراطوريات يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بل لما لم تقبل دعوته استل سيفه مؤذنا بإعلان الحرب على الشرك مهما كان موقعه.
٤. أن الشخص المبشر به يؤنب العالم. ولقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلـــوه. واعتقد النصارى أن المسيح قد صلب وأنه الله أو ابن الله. و لم يزل العالم يعتقد هذا الاعتقاد حتى جاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وجلّى كل الحقيقة عن المسيح من أنه عبد الله ورســـوله، وأنه لم يصلب و لم يقتل، بل رفع إلى السماء.
٥. في هذا النص صرح المسيح عليه السلام أن الشخص المبشر به هو "روح الحقيقة" ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أظهر كل الحقيقة عن الله وعن وحدانيته ورسله وكتبه ودينه، وصحح كثيراً من الافتراءات والأكاذيب التي كانت مدونة ومعتقداً بها، فهو الذي وبخ النصارى على اعتقـــادهم في الثالوث، وادعائهم أن المسيح هو ابن الله، وكشف مفتريات اليهود والنصارى ضد أنبياء الله ورسله، وطهر ساحتهم من الدنس والعيب الذي ألحقه بهم اليهود.
٦. ذكر المهتدي الترجمان في سبب إسلامه أن أحبار النصارى كان لهـــم مجلـــس يجتمعـــون فيـــه، ويتذاكرون فيه أنماطاً من المسائل، فاختلفوا يوماً حول النبي الذي يأتي بعد المسيح والمسمى في الإنجيل "البارقليط" وانفض المجلس في ذلك اليوم و لم يصلوا إلى حقيقة هذا اللفظ، وقد تخلف عنهم في ذلك اليوم أكبر علمائهم، فلما رجع الترجمان إليه أخبره الخبر، وطلب الترجمان من هذا العالم أن يبين لـــه الحقيقة فأخبره: أن "البارقليط" هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.
٧. قال المهتدي الهاشمي: (إنه جاء في الإنجيل المكتوب باللغة القبطية الذي كتبه أحد البطاركة في سنة ٥٠٦م ما معناه: الآتي بعدي يسمى: الفارقليط بندكراطور. أي الروح المنشق اسمه من اسم الحمـــد، سيبعث الحياة في أمه ليست لها من الحياة نصيب إلا الضلال في برية فاران كجحاش الأتن. وذكر أن هذا الإنجيل مترو ع الغلاف، وذكر كاتبه في ديباجته أنه نقله من أصول الإنجيل الحقيقي.
٨. استخرج هؤلاء المهتدون تطابق كلمة "البارقليط" مع اسم محمد صلى الله عليه وســـلم وصـــفته وبيان هذا التطابق كما يلي:
أ) هذا الاسم "بارقليط" يوناني. وتفسيره باللغة العربية أحمد أو محمد أو محمود. وقال المهتدي عبـــد الأحد داود: ومن المدهش أن الاسم الفريد الذي لم يعط لأحد من قبل كان محجوزاً بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء، ونحن لا نجد أبداً أي يوناني كان يحمل اسم "بـــرقليطس" ولا أي عربي كان يحمل اسم أحمد.
ب) قال المهتدي عبد الأحد داود موضحاً هذا التطابق: (إن التزيل القرآني القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان "مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" — واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً، وأن القرآن تتريل إلهي فعلاً، إذ لم يكن في وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة البارقليط كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي والتتريل الإلهي، وحجة القرآن قاطعة ونهائيـــة، لأن الدلالة الحرفية للاسم اليوناني تعادل بالدقة ودون شك كلمتي "أحمد" و "محمد" صلى الله عليه وسلم.

ج) أن اسم البارقليط لفظة يونانية يجتمع من معانيها في القواميس المعـــزي، والناصـــر، والمنـــذر، والداعي. وإذا ترجمت حرفاً بحرف إلى اللغة العربية صارت بمعنى "الداعي" وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وقد وصف في القرآن الكريم بمثل ذلك في قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه) وقد فهم أوائل النصارى أن هذه اللفظة إنما تعني الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثالثة: قال يوحنا في إنجيله الإصحاح السادس عشر مخبراً أن المسيح قال: (إن أموراً كـــثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما أمتي جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخـــبركم بـــأمور آتيـــة، ذاك يمجدني). قال المهتدي النجار: (وهذه البشارة في معنى قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى). وقال المهتدي الهاشمي معلقاً على هذه البشارة: (والمسيح يبصر أمته بأن لديه أمـــوراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم، وأنه سيأتي الوقت المناسب لمجيء الرسول الذي يعنيه بـــالروح الحـــق. فتكون العقول قد تفتحت، والقلوب قد ذهب عنها رينها، والنفوس قد ألهمت بعد فجورها تقواها، في هذه اللحظة – فقد – يكون الناس قد استعدت إفهامهم، واتسعت مداركهم، لاحتمال كل مـــا يلقى إليهم على لسان هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه، وإنما من وحي يوحى إليه من ربه بالقرآن). ويذكر المسيح عليه السلام بعض أوصاف هذا الرسول الخاتم التي تساعد على تمييز شخصيته منـــها قوله: (ذاك يمجدني). فمن صفات هذا الرسول أنه يمجد المسيح، و لم يأت أحد بعد المسيح ويمنحه من التمجيد والثناء ما يستحقه، ويرفع عنه وعن أمه افتراءات اليهود، ويضعه في المترلة التي وضعه الله فيها – وهي العبودية والرسالة – سوى محمد صلى الله عليه وسلم. ومن صفات هذا الرسول أنه سيرشد الخلق إلى أمور وحقائق لم يبلغها المسيح، وذلك في قوله: (ويخبركم بأمور آتية).

بشارة سفر أعمال الرسل:

قال المهتدي الطبري أنه جاء في كتاب فراكسيس قول رئيس الحواريين: (إنه قد حان أن يبتدأ مـــن بيت الله) قال المهتدي الطبري: (وتفسير ذلك أن بيت الله الذي ذكره الحواري هو مكة، وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها. فإن قال قائل: إنه عني به حكم اليهود. فقد كان أخبرهم المســـيح أنه لا يترك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة، فقـــد وضح أن الحكم الجديد الذي ذكره الحواري هو دين الإسلام وحكمه).

بشارة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية:

قال فولس في رسالته إلى أهل غلاطية: (إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة، وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر، فأما مولد الذي من الحرة فإنه ولد بالعدة من الله. فهما مثالان مشبهان بالفرضين والناموسين، فأما هاجر فإنها تشبه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أوراشلم هذه، فأما أوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة) قال المهتدي الطـــبري: (فقد ثبت فولس في قوله هذا معاني جمة:

أولهما: أن إسماعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب، وهي التي سماها بلاد أرابيا.

الثاني: أن جبل سيناء الذي بالشام يتصل ببلاد البوادي بقوله: إن هاجر تشبه بطور سينا الذي ببلاد أرابيا. وسينا هو الذي ذكرته التوارة في صدر هذه النبوات في قولها: (إن الرب جاء من سينا، وطلع لها من ساعير، وظهر من جبل فاران). فشهد فولس هذا بأن الذي قالت عنه التوراة: إنه جاء مـــن سينا: هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا. وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عنى بها بلاد العرب.

الثالث: أن بيت المقدس هو نظير مكة.

الرابع: أن هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية وهي "الشريعة الإسلامية" سماوية لا شك فيها، فقـــد سماهما باسم واحد، و لم يفرق بينهما بمعنى من المعاني.

فأما تقديمه الحرة، وقوله: (ابن الأمة لم يولد بالعدة) فذلك منه بالعصبية والميل، وفيما استشهدت به من قوارع التوراة على إسماعيل ما فيه كفاية وبرهان على أنه – أيضاً – ولد ليس بعده واحدة بـــل بعدات كثيرة.

الخاتمة:

ليست هذه البشارات التي أوردها هي كل ما في التوراة والإنجيل، وليست – أيضاً – هي كل مـــا استطاع هؤلاء المهتدون استنباطه منهما، لأنهم أوردوا أمثالاً وصوراً منها للتدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم ، ويؤكد ذلك قول المهتدي الترجمان: (ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك –أي البشارات– لطال الكتاب، وأنا أرجو أن أجمع لبشارات جميع الأنبياء به كتابـــاً مجـــرداً لذلك). وقال المهتدي النجار بعد ذكره لعدد من البشارات: (وهذا قليل من كثير).

وقد استخلص المهتدي إبراهيم خليل خلاصة هذه البشارات بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوجد أنها تؤكد جانبين هما:

١. أنه الرسول الخاتم ولا نبي بعده.

٢. أنه رسول الله للعالمين كافة. وأيد هذين الجانبين أو الوصفين بعشرين سبباً استخرجها من نصوص العهد القديم والجديد.

وقال المهتدي الطبري بعد فراغه من الاستدلال بالبشارات: (ولقد صرح عدة منهم – أي من أنبياء بني إسرائيل – باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفوه أيضاً وسيافيه ورماته، وسير المنايا وسباع الطير أمام عساكره ... فهذه – أي البشارات – كلها محققة لدينه، ومفخمة لشأنه، ومصدقة لمـــا أدت دعاته عنه).

هذه البشارات التي استعرضت جانبا منها تبين اتفاق كثير منها في ذكر اسمه صلى الله عليه وســـلم ، وصفته، وصفة جهاده وجنوده، وبلده وأمته ولغته ... فماذا يعني هذا التوافق والتعاضد ؟ إن هـــذا التعاضد يعني أموراً كثيرة لعل من أبرزها ما يلي:

١. أن هذه الرسالات كلها من عند الله، وهذه التحريف الذي طرأ عليها وأثبته القرآن، ولا ننفيه عنها – لم يستطع أن يخفي المعنى الذي ورد أصلا في اللفظ المترل.

٢. أن كتب الله ورسله يصدق بعضها بعضاً، ويؤمن بعضها ببعض، فالسابق يبشر باللاحق، واللاحق يؤمن بالسابق، فإبراهيم آمن بمن سبقه من رسل، وسأل الله أن يبعث في ذريته رسولاً يزكيهم يعلمهم الكتاب والحكمة، وموسى آمن بإبراهيم وبمن سبقه وبشر بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعيسى آمن بمن سبقه وبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

٣. أن ما ورد من الحق فلا يخرج عن الصدق، ولا يناقض بعضه بعضاً، وأن ما ورد من الباطل فلا يكون حقاً أبداً.

٤. يتأكد من هذه النبوات شيء واحد، وهو أن هذا النبي الذي بشرت به الأنبياء معروف لديهم كافة.

٥. أن ظهور الرسالة المحمدية والملة الإسلامية على يد خاتم الرسل يعتبر آية لنبوتهم، إذ تحقق صدق ما أخبروا به، وظهور ما بشروا به، ولو لم يظهر لبطلت النبوات فيه وفي إسماعيل عليهما السلام.

٦. توافق هذه النبوات في حق محمد صلى الله عليه وسلم يدل على فضيلته وانفراده بهذا الشرف الرفيع بين سائر الأنبياء صلوات عليهم وسلامه.

٧. توافق هذه النصوص مؤيد لما أخبر به صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة من أنه مذكور في الكتب المتقدمة.

٨. نستنتج من هذا التوافق عناية الله بهذه الأمة، ورعايته لها، وحفظه لدينها، فمن حفظه لدينها حفظ هذه الأدلة الدالة عليه والمبشرة – لا لحاجة هذا الدين إليها، وإنما لإقامة الحجة على أهلها.

٩. أن البشر على عتوهم وتمردهم لوحي الشيطان في محاولة طمس نور الله وإضلال عباده – لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله، يقول الحق تبارك وتعالى بعد ذكره بشارة المسيح عليه السلام بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون).

١٠. رأينا في البشارات السابقة كيف أثبت هؤلاء المهتدون اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة والإنجيل، ورأينا كذلك كيف استبدلت هذه الأسماء وغيرت الأوصاف في الطبعات الحديثة، كفراً وحسداً وحقداً.

==================================

محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية القرآن والسنة

الكاتب: عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

بتاريخ: ٢٠٠٥/٠٥/٠٨

المقدمة

الحمد لله الذي كرّم الإنسان بالإيمان ، وميّزه بالعقل ، و لم يَجعله كسائر المخلوقات ، تعيش بلا هدف ، أو تعيش لغيرها ، بل جَعَله مُفكِّراً ، يَسمو بفكره ، ويُعمِل عقله .

ومن هنا قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [الإسراء:٧٠] .

هذا التكريم الرباني هو في الأصل للأصل ، أي لِجنس النوع الإنساني ، إلا أن الإنسان بنفسه يسمو بالإيمان ، أو يَنحطّ بانعدامه .

وقد جَعَل الله له اختياراً ، وأعطاه عقلاً ، وأوضح له السَّبيل ، وأبَان له الطريق (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان:٢ ، ٣] .

وقال رب العزة سبحانه عن هذا الإنسان : (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [البلد:٨-١٠] .

ومِن عدل الله وحِكمته أن أرسل الرُّسُل ، وأنْزَل الكُتب ، وأقام البيّنات ، ونَصَب الأدلّة على وحدانيته .

فأيّد رُسُله بالمعجزات والآيات الباهرات ، فلم يَبْق أمام أعداء الرُّسُل – بل وأعداء العَقْل – إلا المكابَرة والمعانَدة .

فإن إنكار الوحدانية لله دَفْع بِالصَّدْر ، وضَرب بالوجْه .

فإن النفوس شاهدة بأن الله ليس له شريك .

بل الوجود أجمع شاهد بذلك .

وقد ضرب الله الأمثلة على ذلك ، فمن ذلك قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء:٢٢] أي لو كان في الأرض والسماء آلهة مُتعددة لَفَسَدتِ السماوات والأرض ، فالعقل والمنطق يقول : إما أن يتغلّب إله على إله على آخر ، فيكون الغالِب هو المتفرِّد ، وإما أن يَذهب كل إلهٍ بما له من مُلك ومكان وخَلْق ، وهنا يَفسد أمر السماوات والأرض ، ولذا قال رب العزة سبحانه : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون:٩١]

ومِن هنا فإننا ندعو كل إنسان مُنصف عاقل أن يتأمل في هذا المعنى ، وأن يَعلم أن دعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم تَخرج عن دعوات الأنبياء السابقين ، بل هي مُنتظمة في سِلكهم ، سائرة في طريقهم ، مُقتفية آثارهم ، ومن هنا قال رب العزة سبحانه : (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف:٩] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ، ليس بيني وبينه نبي . رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية لمسلم : أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة . قالوا : كيف يا رسـول الله ؟ قال : الأنبياء إخوة من علات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبي .

ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، حينما قال : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة:١٢٩] .

هي بشارة نبي الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَـا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) [الصف:٦] .

ونحن إذ نَضع بين يدي القارئ هذا الموضوع لنرجو الله وندعوه أن يَفتح به أعيناً عُمياً ، وآذانا صُمّا ، وقلوباً غُلْفا.

ونضع بين يدي القارئ أعظم إنسان في العالم [محمد صلى الله عليه وسلم] لِيَقف بنفسه على بعض البشارات التي وَرَدتْ في الكُتب المتقدمة من كُتُب أهل الكتابات ، والتي كانت سـببا في إسـلام الكثيرين من أهل الكتاب .

كما نضع بين يديه إشارات إلى البشارات من خلال واقع مُعاصِريه صلى الله عليه وسلم ، سواء ممن آمن به أو ممن لم يؤمن به ، وإن كان أضمر ذلك في نفسه ، وأقرّ به في قرارة نفسه .

كما نُشير إلى طريقة القرآن في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأشرنا إلى الأدلّة العقلية التي تقتضي صِدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأن دعوته ليست بِدعاً من الدعوات ، وهو لم يُخالِف الرُّسل والأنبياء في أصل الدعوة إلى وحدانية الله وإفراده بالعبودية .

بل هذا أمر اتّفقت عليه الرسالات ، وتتابع عليه الأنبياء ، وأقر به الموحِّدون على مرّ الأزمان ، حتى كان ذلك الإقرار في فترات خَلتْ من الرُّسُل ، كتلك الفترة التي سَبَقتْ مَبعثه صلى الله عليه وسلم ، فقد وُجِد فيها من أفراد الناس من يُوحِّد الله ، ولا يأكل ما ذُبِح لغير الله ، وكان هـؤلاء يُنكـرون عِبادة غير الله .

وقد آن أن نترك القارئ مع محاور هذا الموضوع ، وهي كالتالي :

١- أعظم إنسان في العالم في القرآن والسنه.

٢- أعظم إنسان في العالم في كتب أهل الكتاب.

(أعظم إنسان في العالم في القرآن والسنة)

محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة

لقد قرر الله في كتابه الْمُبِين نبوة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم بِطُرق كثيرة مُتنوّعة ، " يُعرَف بها كمال صِدقه صلى الله عليه وسلم ، فأخْبَر أنه صدَّق المرسلين ، ودَعا إلى ما دَعوا إليه ، وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء فهي في محمد صلى الله عليه وسلم ، وما نُزِّهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمدٌ أولاهم وأحقّهم بهذا التنْزيه ، وأن شريعته مُهيمنة على جميع الشرائع ، وكتابه مُهيمن على كل الكُتُب ، فجميع محاسن الأديان والكُتُب قد جَمعها هذا الكتاب وهذا الدِّين ، وفَاق عليها بِمحاسِن وأوصاف لو تُوجَد في غيره ، وقرّره نبوته بأنه أميّ لا يَكتب ولا يَقرأ ، ولا جَالَس أحدا من أهل العلم بالكُتُب السابقة ، بل لم يُفجأ الناس حتى جاءهم بهذا الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما أتوا ، ولا قَدَروا ، ولا هُوَ في استطاعتهم ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وأنه مُحال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه ، أو مُتقوّل ، أو متوهّم فيما جاء به . وأعاد في القرآن وأبدى في هذا النوع ، وقرّر ذلك بأنه يُخبِر بقصص الأنبياء السابقين مُطوّلة على الوجه الواقع الذي لا يستريب فيه أحد ، ثم يُخبر تعالى أنه ليس له طريق ولا وصول إلى هذا إلا بما آتاه الله من الوحي ، كمثل قوله تعالى لما ذَكَر قصة موسى مُطوّلة : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) ، (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ) ، وكما في قوله : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) ، ولما ذَكَر قصة يوسف وإخوته مُطوّلة قال : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) .

فهذه الأمور والإخْبَارات المفصّلة التي يُفصِّلها تفصيلا لم يتمكّن أهل الكتاب الذين في وقته ولا من بعدهم على تكذيبه فيها ولا مُعارَضته – من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقّاً .

وتارة يُقرِّر نبوته بكمال حكمة الله وتمام قُدرته ، وأن تأييده لرسوله ، ونَصْرِه على أعدائه ، وتمكينه في الأرض موافق غاية الموافقة لِحكمة الله ، وان مَن قَدَح في رسالته فقد قَدَح في حِكْمَة الله وفي قُدْرَته .

وكذلك نَصْره وتأييده الباهر على الأمم الذين هم أقوى أهل الأرض من آيات رسالته ، وأدلة توحيده ، كما هو ظاهر للمتأمّلين .

وتارة يُقرِّر نبوته ورسالته بما حازَه من أوصاف الكمال ، وما هو عليه من الأخلاق الجميلة ، وأن كل خُلُق عال سامٍ فَلِرَسول الله صلى الله عليه وسلم منه أعلاه وأكمله ؛ فَمَن عظُمت صِفته وفاقَتْ نُعُوته جميع الْخَلْق التي أعلاها الصِّدق . أليس هذا أكبر الأدلة على أنه رسول رب العالمين ، والمصطفى المختار من الْخَلْق أجمعين ؟

وتارة يُقرِّرها بما هو موجود في كُتُب الأولين ، وبشارات الأنبياء والمرسلين ، إما باسمه الْعَلَم ، أو بأوصافه الجليلة ، وأوصاف أمّته ، وأوصاف دِينه .

وتارة يُقرِّر رسالته بما أخبَر به من الغيوب الماضية ، والغيوب المستقبَلة ، التي وَقَعتْ في زمانه ، والتي لا تزال تَقَع في كل وقت ، فلولا الوحي ما وصل إليه شيء من هذا ، ولا له ولا لِغيره طريق إلى العلم به .

وتارة يُقرِّرها بحفظه إياه ، وعِصمته له من الْخَلْق ، مع تكالب الأعداء وضغطهم ، وجدّهم التام في الإيقاع به بكل ما في وسعهم ، والله يَعصِمه ، ويمنعه ، وينصره ! وما ذاك إلا لأنه رسوله حقاً ، وأمِينه على وحيه .

وتارة يُقرِّر رسالته بذِكْر عظمة ما جاء به ، وهو القرآن الذي (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وتحدّى أعداءه ومَنْ كَفَر به أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ، ونكصوا ، وباؤوا بالخيبة والفَشَل ! وهذا القرآن أكبر أدلّة رسالته ، وأجلّها ، وأعمّها .

وتارة يُقرِّر رسالته بما أظهر على يديه من المعجزات ، وما أجرى له من الخوارق والكرامات الدالّة — كل واحد بمفرَدِه منها ، فكيف إذا اجتمعت — على أنه رسول الله الصادق المصدوق ، الذي لا يَنطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يُوحى .

وتارة يُقرِّرها بعظيم شفقته على الْخَلْق ، وحُنوّه الكامل على أمّته ، وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وانه لم يُوجد ، ولن يُوجَد أحد من الْخَلْق أعظم شفقة وبِراً وإحساناً إلى الخلق منه ، وآثار ذلك ظاهرة للناظرين .

فهذه الأمور والطُّرُق قد أكثر الله من ذِكرها في كتابه ، وقرّرها بعبارات مُتنوّعة ، ومعاني مفصّلة ، وأساليب عجيبة ، وأمثلتها تَفوق العد والإحصاء " [بطوله من القاعدة السابعة من : " القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن " للشيخ السعدي رحمه الله] .

فهذه الأمور التي قرّرها الشيخ وبسطها هي من ألأدلة العقلية المتّفقة مع الأدلة النقلية ، فالله تبارك وتعالى خاطَب العقول ، ولذا نَعى على العرب أنهم لا يُعمِلون عقولهم في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فمن ذلك :

قوله تعالى : (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [الأعراف:١٦٩] .

وقوله تعالى : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [يونس:١٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف:٢] .

وقوله عز وجل : (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء:١٠] .

إلى غير ذلك من الآيات التي خاطَبتْ عقول الناس ، أفلا ترون إلى هذا النبي الذي أُرسل إليكم ، لم يكن قبل اليوم يتلو من كتاب (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت:٤٨] ؟

كما أن هذا النبي الذي أُرسِل إليكم لبِث فيكم سنين عددا قبل بعثته ، فأنتم تعرفون خُلُقَه ، وتعرفون أمانته ، وهو ذو نسب فيكم ، بل هو من أشرافكم .

هذا خطاب للعقول السليمة أن تتفكّر وتتأمّل قبل أن تُكذِّب هذا الرسول الذي يأتيهم بأنباء الغيب ، والتي لم يَجدوا لها مَدْفَع ، إلا أن يُدفَع في الصَّدْر ، ويُقال عن الشمس في رابعة النهار ليس دونها غيم : هذا ليل !

فمن ذلك أنه أخبر بنبأ غَلَبة الرُّوم – النصارى – فيما بعد ، وذلك في أَمَدٍ قريب :

(غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [الروم:٢-٦] .

وقد وَقَع هذا خلال الزمن الذي جاء به الوحي ، والذي حُدِّد بـ (بِضْعِ سِنِينَ) من الثلاث إلى التسع سنوات .

ودارت الأيام ، ودَالَتْ الرّوم على فارس ، وانتصرتْ الروم من بعد غَلَبهم .

هذه آيات باهرات ، ومعجزات ظاهرات ، لم يستطيعوا دَفعها ولا ردّها في حقيقة الأمر ، وإنما ردّوها ظلما وعُلوّاً ، كما قال تعالى عن آل فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام : (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل:١٣، ١٤] .

ثم يُذكّرهم مع جحودهم ، بأن هذا النبي لو كان كاذباً لم يُمكّن له في الأرض ، ولا نَصَره الله على أعدائه ، فقال تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) [الحاقة:٤٠-٤٦] .

وهذه أدلة عقلية تُخاطِب العقول إن كانت تَعِي !

كيف يُمكِّن الله لمن كَذَب عليه ؟

وكيف يَنصر الله من زَعم أن الله أرسله ؟

(أي : لو كان كاذبا على الله لَقَصَمه و لم يُمكِّن له و لم يَنصره)

فإن سُنّة الله أنه يأخذ الظالم أخذ عزيز مُقتَدر ، وأنه يُملي للظالِم فإذا أخذه لم يُفلِتْه والله لا يُحب الظالمين ، ولا يُحب الكاذِبين ، ولا يُصلِح أعمال المفسدِين ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس:٨١] .

وقد نصر الله نبيَّه مُحمدا صلى الله عليه وسلم ، وأظهر صدقه ، وأيّده على أعدائه ، ونَصَره عليهم ، حتى طأطأت أمامه رؤوس الجبابرة ، وخضعت له صناديد قريش ، وبَلَغتْ دعوته المشارق والمغارِب ، واعترف بصدقه القريب والبعيد ، والعدو الْمُحارِب .

وقد صدّقه أهل الكتاب ، وعرفوه بصفاته المذكورة في كُتبهم .

روى البخاري من طريق عطاء بن يسار قال : لَقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة . قال : أجل والله إنه لموصوف في

التوراة ببعض صِفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحِرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سَمّيتُك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخّاب في الأسواق ، ولا يَدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عُميا ، وآذانا صُما ، وقلوبا غُلفا .

ومِن هنا فإننا نُخاطِب العقول التي تَعِي أن تتأمل في حياة ذلك الرجل العظيم ، الذي شهِد بنبوته كل مُنصِف من أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام الذي كان يَهوديا فأسلَم لما رأى وجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئتُ في الناس لأنظر إليه ، فلما استثبتّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب . رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه .

وهو الذي قال الله في شأنه : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) ولذا ذهب غير واحد من المفسِّرين إلى أن المقصود بالآية هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه .

فهو قد شهد شهادة الحق ، وأخبر أن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة .

وقصة إسلامه في صحيح البخاري .

وشهِد كذلك هرقل (رئيس النصارى في زمانه) بصدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فإنه لما جاء كتاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى هرقل – عظيم الرُّوم – لم يَقُل : هذه رسالة خاصة بالعرب ، ولا بالأعراب ، كما لم يَقُل : هذا غير صادق ، وإنما قال لأبي سفيان – وكان أبو سفيان آنذاك مُشرِكاً – : فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمتُ لقاءه ، ولو كُنْتُ عنده لَغَسَلْتُ عن قَدَمِه . رواه البخاري ومسلم .

وآمن به مِلِك الحبشة (النجاشي) ، وقال عن القرآن – وقد سَمِع آيات من سورة مريم – فبكى حتى أخضل لحيته ، وبَكَتْ أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلْيَ عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . رواه الإمام أحمد .

كما شهِد بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم غير واحد من اليهود ، مع أنهم لم يُؤمِنوا به إلا أنهم اعترفوا أنه هو الذي ذُكِر ووُصِف في التوراة .

يهود يشهدون بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم

شهِدت اليهود بصدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الله عز وجل : (وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له :

أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، فأسْلَمَ ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار . رواه البخاري

فهذا اليهودي أمر ابنه أن يُطيع أبا القاسم ، مما يدلّ على أنه يعلم في قرارة نفسه بصدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وحدّث سلمة بن سلامة بن وقش – وكان من أصحاب بدر – قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال : فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل . قال سلمة : وأنا يومئذ أحْدَث من فيه سِناً على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أنّ بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به لودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه ، وأن ينجو من تلك النار غدا . قالوا له : ويحك وما آية ذلك ؟ قال : نبي يُبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن . قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : ويلك يا فلان ! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، وليس به !

وحدّثت صفية – رضي الله عنها – فقالت : كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ . قالت : وسمعت عمي أبا .

ياسر وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ! رواه ابن إسحاق في السيرة فيما ذكره ابن هشام .

ها هم اليهود يشهدون بنبوة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، ومع ذلك جحدوا بها

(فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ) .

ولذا قال عليه الصلاة والسلام : لو آمن بي عشرة من اليهود ، لآمن بي اليهود . رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية لمسلم : لو تابعني عشرة من اليهود ، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

التواضع والبَسَاطَة في حياة سيّد السّادة

لقد تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يدَع لمتواضِع قولاً ، و لم يترك لِمُتَكَبِّر حجة . فهو عليه الصلاة والسلام المؤيّد بالوحي ، وهو خليل الرحمن ، وهو من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عُرِج به إلى السماوات العُلى ، وهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم ، بل هو أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام ، ومع ذلك كان يتواضع لله فَرَفَعه الله عز وجل .

كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي السوق ، ويُمازحُ أصحابه ، وكان رجل من أهل البادية اسمه زاهر ، كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية ، فيجهزَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضرته ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ، وكان رجلا دميما ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ، فقال له : من هذا ؟ أرسلني ، والتفت ، فعرف النبيَّ صلى الله عليه وسلم فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : من يشتري مني هذا العبد ؟ وجعل هو يلصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : إذا تجدني كاسداً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لكنك عند الله لست بكاسد . رواه الإمام أحمد وغيره وهو حديث صحيح .

ويُمازِح أصحابه ، وينام معهم

روى الإمام مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال : أقبلت أنا وصاحبان لي ، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الْجَهْد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس أحد منهم يقبلنا ، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعتز ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : احتلبوا هذا اللبن بيننا .

قال : فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ، ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه .

قال : فيجيء من الليل فيسلم تسليما لا يُوقظ نائما ويُسمع اليقظان .

قال : ثم يأتي المسجد فيُصلي ، ثم يأتي شرابه فيشرب ، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي ، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة ! فأتيتها فشربتها فلما أن وَغلت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل ، ندمني الشيطان ! فقال : ويحك ما صنعت ؟ أشربت شراب محمد ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك ، فتذهب دنياك وأخرتك ، وعَلَيّ شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي ، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي ، وجعل لا يجيئني النوم ، وأما صاحباي فناما و لم يصنعا ما صنعت .

قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلّم كما كان يسلم ، ثم أتى المسجد فصلى ، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعو عَلَيّ فأهلك ، فقال : اللهم أطعم من أطعمني وأسق من أسقاني .

قال : فعمدت إلى الشملة فشددها عليّ ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعتز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هي حافلة وإذا هن حُفل كلهن ، فعمدت إلى إناء لآل محمد

صلى الله عليه وسلم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه ، قال : فحلبت فيه حتى عَلَته رغوة ، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أشربتم شرابكم الليلة ؟

قال : قلت : يا رسول الله اشرب ، فشرِب ، ثم ناولني فقلت: يا رسول الله اشرب ، فشرِب ، ثم ناولني فلما عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد روى وأصبت دعوته ضَحِكْتُ حتى ألقيت إلى الأرض .

قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إحدى سوآتك يا مقداد !

فقلت : يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا ، وفعلت كذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذه إلا رحمة من الله ، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها ؟

قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس .

فأي تواضع تكتنفه عَظَمة هذا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ؟

يُغضي حياءً ويُغضى من مَهَابتِه *** فلا يُكلّم إلا حين يبتسمُ

النبي صلى الله عليه وسلم يبيت مع أصحابه وهو قائد الأمة ، بل ويقتسمون اللبن بينهم بالسّوية !

واليوم نرى من ينتسب إلى العلم أو إلى المناصب الدنيوية لا يُكلِّمون الناس إلا من أطراف أنوفهم!

وربما لا يردّون السلام خشية أن تذهب الهيبة !

نبي الله يُسابِق أصحابه رضي الله عنهم

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابَقَ بين الخيل التي أُضمرت من الحفياء ، وأمدها ثنية الوداع ، وسابَقَ بين الخيل التي لم تُضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق .

وروى البخاري عن أنس قال : كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تُسمى العضباء وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها ، فاشتدّ ذلك على المسلمين ، وقالوا : سُبِقَت العضباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه .

سيّد ولد آدم يُدخل السرور على أهله ، فيُسابِق زوجته

قالت عائشة رضي الله عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا خفيفة اللحم فنزلنا منزلا ، فقال لأصحابه : تقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ، فسابقني فسبقته ، ثم خرجت معه في سفر آخر ، وقد حملت اللحم ، فنزلنا منزلا ، فقال لأصحابه : تقدموا ، ثم قال لي : تعالي أسابقك ، فسابقني فسبقني ، فضرب بيده كتفي وقال : هذه بتلك . رواه أحمد وأبو داود والنسائي في الكبرى ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح .

نبي الله صلى الله عليه وسلم يُجيب الدعوة ولو كانت على يسير الطعام

روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ له ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : قُومُوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ .

قَالَ أَنَسٌ : فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّـــه صلى الله عليه وسلم وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا . فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَـــيْنِ ، ثُـــمَّ انْصَرَفَ .

ويُجيب الدعوة ولو كانت من رجل فقير

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن خياطا دعا رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم لطعام صنعه . قال أنس : فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام ، فقرّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا ومرقا فيه دباء وقديد ، فرأيت النبي صلى الله عليه وســـلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة .

وعند الإمام أحمد : أن خياطا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام فأتاه بطعام وقد جعله بإهالـــة سنخة وقرع .

والإهالة : ما أذيب من الشحم ، وقيل : الإهالة الشحم والزيت ، وقيل كل دُهنٍ أُوتُدِمَ به . ذكره العيني .

والسَّنِخَة : أي المتغيرة الرِّيح . قاله ابن حجر .

بل يُجيب الدعوة ولو كانت من يهودي أو يهودية !

فقد أجاب صلى الله عليه وسلم دعوة امرأة يهودية حينما دعته إلى الطعام .

روى الشيخان عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكـــل منها ، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، فقالت : أردت لأقتلك . قال : ما كان الله ليسلِّطك على ذاك.

وقال مُؤكِّدا على هذا المعنى :

لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبتُ ، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقَبِلْتُ . رواه البخاري .

سيد ولد آدم يجلس بين أصحابه فيأتي الرجل الغريب فلا يُميِّزه من بينهم حتى يسأل عنه !

فعن أبي هريرة قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاءهم رجل من أهل البادية فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟

قالوا : هذا الأمغر المرتفق .

قال حمزة – أحد رواة الحديث – : الأمغر الأبيض المشرب حمرة .

قال : إني سائلك فَمُشْتدّ عليك في المسألة .

قال : سل عمّا بدا لك .

قال : أنشدك بربِّ من قبلك ورب من بعدك آلله أرسلك ؟

قال : اللهم نعم .

قال : وأنشدك به آلله أمرك أن نصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة ؟

قال : اللهم نعم .

قال : وأنشدك به آلله أمرك أن تأخذ من أموال الأغنياء فتردّه على فقرائنا ؟
قال : اللهم نعم .
قال : وأنشدك به آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا ؟
قال : اللهم نعم .
قال : وأنشدك به آلله أمرك أن نَحُجّ هذا البيت من استطاع إليه سبيلا ؟
قال : اللهم نعم .
قال : فإني آمنت وصدّقت ، وأنا ضمام بن ثعلبة . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي .
وعن أبي جري جابر بن سليم قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدَرُوا عنه .
قلت : من هذا ؟
قالوا : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قلت : عليك السلام يا رسول الله مرتين .
قال : لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت قل : السلام عليك .
قال : قلت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته كشفه عنك ، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك ، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فَضَلّت راحلتك فدعوته ردّها عليك .
قلت : اعهد إليّ .
قال : لا تسبن أحدا .
قال : فما سببت بعده حُرّا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة .
قال : ولا تحقرن شيئا من المعروف ، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف ، وارفع إزارك إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه ، فإنما وبال ذلك عليه . رواه الإمام أحمد وأبو داود .
من أجل ذلك لجأ أصحابه إلى تمييزه
فعن أبي ذر وأبي هريرة قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلسا يَعرفه الغريب إذا أتاه . قال : فبنينا له دُكاناً من طين فجلس عليه ، وكنا نجلس بجنبتيه . رواه أبو داود والنسائي .
قال ابن الأثير : الدكان الدَّكة المبنية للجلوس عليها .
نبي الله صلى الله عليه وسلم يستمع لامرأة في عقلها شيء .

روى الإمام مسلم عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال : يا أم فلان ! انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك ، فخلا معهـــا في بعـــض الطرق حتى فرغت من حاجتها .
اسْتَمَعَ صلى الله عليه وسلم إلى ما تريد أن تقوله فلم يضع ذلك من قدره بل رفع الله منزلته صلى الله عليه وسلم.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهم حوائجهم
فعن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر الذكر ، ويُقـــلّ اللغـــو ، ويُطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجتـــه . رواه النسائي .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه في بستان ويُدلِّي رجليه مع أرجلهم في البئر
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط بالمدينة على قُفّ البئر مُدلِّياً رجليه ، فَدَقّ الباب أبـــو بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى : ائذن له وبشِّره بالجنة ، ففعل فدخل أبـــو بكر فَدَلَّى رجليه ، ثم دقّ الباب عمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له وبشِّـــره بالجنة ، ففعل ، ثم دقّ عثمان الباب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن لـــه وبشِّـــره بالجنة ، وسيلقى بلاء . رواه الإمام أحمد .
ارتعد منه رجل فقال له : هوِّن عليك ! فإني لست بملك إنما أنا بن امرأة تأكل القديد !
طأطأت أمامه رقاب أعدائه ، فطأطأ رأسه تواضعاً لله
دَخَل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً مُتواضعاً حتى إن ذقنه ليمس رَحْلَه .
كان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار، ويُجيب دعوة المملوك، ويأكل على الأرض، ويعتقِل الشاة.
وكان يُردِف بعض أصحابه خَلْفَه
فقد أردف ابن عمِّه ابن عباس رضي الله عنهما
وأردف معاذ بن جبل رضي الله عنه
وهذا لا يفعله أرباب المناصب ولا أصحاب الأموال !
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ، ويخصف نعله
كان في بيته يكون في مهنة أهله ، يعني في خدمتهم
سُئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله – تعني خدمة أهله – فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة
وقيل لعائشة رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : كما يصـــنع أحدكم : يخصف نعله ، ويرقع ثوبه . رواه الإمام أحمد .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام على الحصير حتى أثّر في جنبه

قال عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه وسادة من أدَم حشوها ليف ، وإن عند رجليه قرظا مصبوبا ، وعند رأسه أُهُب معلقة ، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت رسول الله ! فقال : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ رواه البخاري ومسلم .

وسجد على الأرض من غير حائل بينه وبينها ، حتى سجد في ماء وطين من أثر المطر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر ، وقد أُرِيت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، والتمسوها في كل وتر ، فمطرت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش فَوَكَف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين . رواه البخاري ومسلم .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الصبيان ويُلاعبهم

وكان يَمُرّ بهم فيُسلِّم عليهم

لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسير معه الجبال ذهبا لكان ، ذلك أنه خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً وبين أن يكون نبيّاً ملِكاً ، فاختار أن يكون نبيّاً عبدا .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا ، هم أصحاب المنابر يوم القيامة . طوبى للمُصلِحين بين الناس في الدنيا ، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة

============================

محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرسل عليهم السلام

من موقع الإسلام سؤال وجواب:

السؤال:

أعتقد موقنا بأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرسل عليهم السلام . فهل ورد في القرآن أو السنة ما يؤيد ذلك ؟ لقد ورد في آية قوله تعالى " لا نفرق بين أحد من رسله ..." وشكرا لك.

الجواب:

الحمد لله

أولا : قول الله تعالى : (لا نُفَرِّق بَيْن أحدٍ من رُسُلِه) البقرة/٢٨٥ ، قال ابن كثير في تفسيرها : المؤمنون يصدِّقون بجميع الأنبياء والرسل ، والكتب المُنَزَّلة من السماء ، على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يُفَرِّقون بين أحدٍ منهم ، فَيُؤْمِنُون بِبَعْضٍ ويَكْفُرُون ببعض ، بل الجميع عندهم صادقون

بَارُّون راشدون مَهْدِيُّون هادون إلى سبيل الخير ، وإنْ كان بعضهم يَنْسَخ شريعة بعض ، حتى نُسِخَ الجميع بشرع محمدٍ خاتَم الأنبياء والمرسَلِين ، الذي تَقُومُ الساعة على شريعَتِهِ . تفسير ابن كثير ١/٧٣٦

أما تفاضل الأنبياء بعضهم على بعض فإن الله عز وجل أخبرنا بذلك فقال : (تِلْكَ الرُّسُل فضَّلنا بعضهم على بعضٍ منهم من كَلَّم الله ورَفَعَ بعضهم دَرَجَاتٍ) البقرة/٢٥٣ ، فأخبرنا الله أن بعضهم فوق بعض درجات ولذلك كان المصطفى من الرسل هم ألو العزم قال تعالى : (وإذ أخذنا من النَّبيينَ ميثاقَهُمْ ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب/٧ .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم ويَدَلُّ لذلك أنه إمامهم ليلة المعراج ، ولا يقدم إلا الأفضل ومما يدل على أنه أفضلهم ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ " رواه مسلم (الفضائل/٤٢٢٣)

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم يَوْم الْقِيَامَة ، وَأَوَّل مَنْ يَنْشَقّ عَنْهُ الْقَبْر ، وَأَوَّل شَافِع وَأَوَّل مُشَفَّع) قَالَ الْهَرَوِيُّ : السَّيِّد هُوَ الَّذِي يَفُوقُ قَوْمه فِي الْخَيْر ، وَقَالَ غَيْره : هُوَ الَّذِي يُفْزَعُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِب وَالشَّدَائِد ، فَيَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ، وَيَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ مَكَارِههمْ ، وَيَدْفَعُهَا عَنْهُمْ . وَأَمَّا قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَوْم الْقِيَامَة) مَعَ أَنَّهُ سَيِّدهمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، فَسَبَبُ التَّقْيِيد أَنَّ فِي يَوْم الْقِيَامَة يَظْهَرُ سُؤْدُده لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلا يَبْقَى مُنَازِع ، وَلا مُعَانِد ، وَنَحْوه ، بِخِلافِ الدُّنْيَا فَقَدْ نَازَعَهُ ذَلِكَ فِيهَا مُلُوكُ الْكُفَّار وَزُعَمَاء الْمُشْرِكِينَ . قَالَ الْعُلَمَاء : وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم) لَمْ يَقُلْهُ فَخْرًا ، بَلْ صَرَّحَ بِنَفْيِ الْفَخْر فِي غَيْر مُسْلِم فِي الْحَدِيث الْمَشْهُور : (أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم وَلا فَخْرَ) وَإِنَّمَا قَالَهُ لِوَجْهَيْنِ : أَحَدهمَا اِمْتِثَال قَوْله تَعَالَى : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّك فَحَدِّثْ) وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ الْبَيَان الَّذِي يَجبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغه إِلَى أُمَّته لِيَعْرِفُوهُ ، وَيَعْتَقِدُوهُ ، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ ، وَيُوَقِّرُوهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَقْتَضِي مَرْتَبَتُهُ كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّه تَعَالَى . وَهَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِتَفْضِيلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلْق كُلِّهِمْ ؛ لأَنَّ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة أَنَّ الآدَمِيِّينَ أي أهل الطاعة والتقى أفضل مِنْ الْمَلائِكَة ، وَهُوَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَل الآدَمِيِّينَ وَغَيْرهمْ . وَأَمَّا الْحَدِيث الآخَر : " لا تُفَضِّلُوا بَيْن الأَنْبِيَاء " فَجَوَابه مِنْ خَمْسَة أَوْجُه : أَحَدهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ قَبْل أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّد وَلَد آدَم ، فَلَمَّا عَلِمَ أَخْبَرَ بِهِ . وَالثَّانِي قَالَهُ أَدَبًا وَتَوَاضُعًا . وَالثَّالِث أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ تَفْضِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى تَنْقِيص الْمَفْضُول . وَالرَّابِع إِنَّمَا نَهْيٌ عَنْ تَفْضِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى الْخُصُومَة وَالْفِتْنَة كَمَا هُوَ الْمَشْهُور فِي سَبَب الْحَدِيث . وَالْخَامِس أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِالتَّفْضِيلِ فِي نَفْس النُّبُوَّة ، فَلا تَفَاضُلَ فِيهَا ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُل بِالْخَصَائِص وَفَضَائِل أُخْرَى وَلا بُدَّ مِنْ اِعْتِقَادِ التَّفْضِيل ، فَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) وَاللَّه أَعْلَم .أهـ

وخصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي تؤكد أفضليته على باقي الرسل كثيرة نذكر بعضا منها مما جاء في الكتاب والسنة :

أن الله عز وجل خصَّ القرآن الكريم المُنَزَّل عليه بالحفظ دون غيره من الكتب ، قال تعالى : (إنّا نحن نزّلنا الذِّكر وإنّا له لحافظون) الحجر/٩ ، أما الكتب الأخرى فقد وَكَلَ الله أمْرَ حفظها إلى أهلها قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يَحْكُم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربَّانِيُّون والأحبار بما استُحْفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) المائدة/٤٤ .

أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الأحزاب/٤٠ .

اختصاصه بأنه أرسل إلى الناس عامة قال تعالى : (تَبَارَكَ الذي نَزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) الفرقان/١ .

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في الأخرة :

أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة قال تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يَبْعَثَكَ ربك مقاماً محموداً) الإسراء/٧٩ ، قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم للشفاعة يوم القيامة للناس ، لِيُريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم . تفسير ابن كثير٥/١٠٣

أنه سيد الخلق يوم القيامة ، وتقدم ذكر الحديث فيه .

أنه أول من يَجُوزُ الصِّراط بأمته يوم القيامة أخرج البخاري في ذلك حديث أبي هريرة الطويل ، وفيه ....." فأكون أول من يَجُوزُ من الرسل بأمته " (الأذان/٧٦٤) . ومن الأدلة الواضحة على أنه أفضل الأنبياء أنهم كلهم لا يشفعون ، ويحيل الواحد منهم الناس على الآخر ، حتى يحيلهم عيسى على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أنا ، ثمَّ يتقدم فيشفع للجميع ، فيحمده على ذلك الأولون والآخرون ، والأنبياء وسائر الخلق .

وخصائصه عليه الصلاة والسلام التي وردت الآيات والأحاديث الصحيحة أكثر من أن نذكرها في مقام مُوجَز ، فقد أُلِّفَتْ فيها الكتب .

انظر كتاب خصائص المصطفى صلى الله عيه وسلم بين الغلو والجفاء للصادق بن محمد ٣٣-٧٩

والخلاصة : أننا نفضل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء والناس ، للأدلة الواردة في ذلك ، مع حفظنا لحقوق جميع الأنبياء والمرسلين والإيمان بهم وتوقيرهم . والله تعالى أعلم .

الإسلام سؤال وجواب

الشيخ محمد صالح المنجد (www.islam-qa.com)

مدخل لفهم السيرة

د. يحيى إبراهيم اليحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته واهتدى بهديه واقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين، ويمتنع أن تعرف دين الإسلام ويصح لك إسلامك بدون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف كان هديه وعمله وأمره ونهيه.

لقد سالم وحارب، وأقام وسافر، وباع واشترى، وأخذ وأعطى، وما عاش صلى الله عليه وسلم وحده، ولا غاب عن الناس يوماً واحداً، ولا سافر وحده.

وقد لاقى أنواع الأذى، وقاسى أشد أنواع الظلم، وكانت العاقبة والنصر له.

بعث على فترة من الرسل، وضلال من البشر، وانحراف في الفطر، وواجه ركاماً هائلاً من الضلال والانحراف والبعد عن الله، والإغراق في الوثنية. فاستطاع بعون الله أن يخرجهم من الظلام إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة. فأحبوه وفدوه بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة وجعلوه نبراسًا لهم يستضيئون بنوره ويهتدون بهديه فأصبحوا أئمة الهدى وقادة البشرية.

هل تطلبون من المختار معجزة ... يكفيه شعب من الأجداث أحياه

من وحد العُرْب حتى كان واترهم ... إذا رأى ولد الموتور آخاه

وما أصيب المسلمون إلا بسبب الإخلال بجانب الاقتداء به صلى الله عليه وسلّم، والأخذ بهديه، واتباع سنته، وقد قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}.

حتى اكتفى بعض المسلمين من سيرته صلى الله عليه وسلّم بقراءتها في المنتديات والاحتفالات ولا يتجاوز ذلك إلى موضع الاهتداء والتطبيق.... وبعضهم بقراءتها للبركة أو للاطلاع على أحداثها ووقائعها أو حفظ غزواته وأيامه وبعوثه وسراياه.

وهذا راجع إما لجهل بأصل مبدأ الاتباع والاهتداء والاقتداء وعدم الإدراك بأن هذا من لوازم المحبة له صلى الله عليه وسلم، وإما لعدم إدراك مواضع الاقتداء من سيرته صلى الله عليه وسلم نظراً لضعف الملكة في الاستنباط أو لقلة العلم والاطلاع على كتب أهل العلم.

وهنا تأتي أهمية استخراج الدروس واستنباط الفوائد والعظات واستخلاص العبر من سيرته صلى الله عليه وسلم.

ولما كانت عامة التآليف في السيرة في جمع الروايات ما بين مطيل ومختصر وناظم وناثر لها ومفصل ومجمل.

رأيت أن أجمع مختصراً في السيرة معتمداً على صحيح الروايات إلا رواية لم ينبن عليها مسألة في العقيدة أو حكم شرعي فإني قد تساهلت في ذلك، مستنبطاً منها الدروس والعبر والفوائد والعظات، على هيئة سلسلة تحت عنوان (دروس وعبر من سيرة خير البشر) تصدر تباعاً إن شاء الله تعالى.

وهذا هو الكتاب الأول (مدخل لفهم السيرة)، وهو مهمّ لكل من أراد دراسة السيرة النبوية الشريفة، ليدرك من خلاله معاني السيرة وخصائصها وميزاتها، وحالة البشرية قبل البعثة من الضلال والانحراف، وعجزها عن إدراك مصالحها إلا برحمة الله لها بأن أرسل إليها رسولاً يخرجها من الظلمات إلى النور. وبإدراكه حجم الانحراف الذي وصلت إليه البشرية يعرف ذلك الجهد الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم لإخراج الناس من ذلك التيه الذي عاشوا فيه قروناً طويلةً حتى استمرؤوا الذل والهوان، و لم يعودوا يفكرون في الخلاص ونبذ ذلك الركام الذي غطى على قلوبهم وطمس فطرهم.

ما هي السيرة؟

السَير الذهاب والاسم منه السِيرة، والسِيرة الضرب من السَير، والسيرة السنة، والسِيرة الطريقة. يقال: سار بهم سِيرة حسنة، والسِيرة: الهيئة، وفي التنزيل: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى} (طه: ٢١)، وسَيَّر سِيرة: حدَّث أحاديث الأوائل [١].

السيرة قسم من الحديث النبوي باعتبارين: الأول: نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع، الثاني: روايتها بالأسانيد، ولهذا أفرد علماء الحديث كتباً وأبواباً في مصنفاتهم في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، وشمائله ودلائل نبوته.

والسيرة جزء من التاريخ باعتبار أحداثها ووقائعها إذ التاريخ هو: تعريف الوقت مطلقاً، يقال: أرخت الكتاب تأريخاً وورخته توريخاً.

قال في مفتاح السعادة: «موضوعه: أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء، والأولياء، والعلماء، والحكماء، والشعراء، والملوك والسلاطين وغيرهم» [٢].

الغرض من دراسة السيرة:

® إن السيرة النبوية لا تدرس من أجل المتعة في التنقل بين أحداثها أو قصصها، ولا من أجل المعرفة التاريخية لحقبة زمنية من التاريخ مضت، ولا محبة وعشقاً في دراسة سير العظماء والأبطال، ذلك النوع من الدراسة السطحية إن أصبح مقصداً لغير المسلم من دراسة السيرة، فإن للمسلم مقاصد شتى من دراستها، ومنها:

أولاً: أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو محل القدوة والأسوة، وهو المشرع الواجب طاعته واتباعه قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً} (الأحزاب: ٢١)، وقال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} (النور: ٥٤)، وقال: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} (النساء: ٨٠)، وقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ} (آل عمران: ٣١).

فهو التجسيد العملي والصورة التطبيقية للإسلام، وبدونها لا نعرف كيف نطيع الله تعالى ونعبده.

® فسيرته صلى الله عليه وسلم يستقي منها الدعاة أساليب الدعوة ومراحلها، ويتعرفون على ذلك الجهد الكبير الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل إعلاء كلمة الله، وكيف التصرف أمام العقبات والصعوبات والموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن.

® ويستقي منها المربُّون طرق التربية ووسائلها.
® ويستقي منها القادة نظام القيادة ومنهجها.
® ويستقي منها الزهَّاد معنى الزهد ومقاصده.
® ويستقي منها التجَّار مقاصد التجارة وأنظمتها وطرقها.
® ويستقي منها المبتلون أسمى درجات الصبر والثبات وتقوى عزائمهم على السير على منهجه والثقة التامة بالله عز وجل بأن العاقبة للمتقين.
® ويستقي منها العلماء ما يعينهم على فهم كتاب الله تعالى، ويحصلون فيها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها وغيرها من المعارف والعلوم.
® وتستقي منها الأمة جميعاً الآداب والأخلاق والشمائل الحميدة.
ولهذا قال ابن كثير: «وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به، والاعتبار بأمره، والتهيؤ له، كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول: كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن. قال الواقدي: وسمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت عمي الزهري يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا» [٣].
وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدها علينا، ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها» [٤].
وقال علي بن الحسين: «كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن» [٥].
® لقد خلف التاريخ عظماء وملوكاً وقُوَّاداً، وشعراء، وفلاسفة، فمن منهم ترك سيرة وأسوة يؤتسى بها في العالمين؟ لقد طوى التاريخ ذكرهم فلم يبق منه شيء وإن بقيت بعض أسمائهم.
® لقد أصبحت سير كثير من العظماء أضحوكة للبشر على مدار التاريخ كله.
فأين نمرود الذي قال لإبراهيم: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}؟! (البقرة: ٢٥٨) وأين مقالة فرعون وشأنه الذي قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} (النازعات: ٢٤)، وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}؟! (القصص: ٣٨).
إن هؤلاء العظماء في زمانهم يسخر منهم اليوم الصغير والكبير والعالم والجاهل، فإن كانوا دلسوا على أقوامهم في زمنهم واستخفوا بهم فأطاعوهم؛ فقد افتضح أمرهم بعد هلاكهم، وأصبحوا محل السخرية على مدار الزمان.
® إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت بإخراج الناس من ظلمات الشرك والأخلاق وفساد العبادة والعمل إلى نور التوحيد والإيمان والعمل الصالح: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً} (الأحزاب:٤٥-٤٦) [٦].

ثانياً: ندرس السيرة ليزداد إيماننا ويقيننا بصدقه، فالوقوف على معجزاته ودلائل نبوته ممـــا يزيـــد في الإيمان واليقين في صدقه صلى الله عليه وسلم، فدراسة سيرته العطرة وما سطرته كتب السيرة مـــن مواقف عظيمة، وحياة كاملة كريمة، تدل على كماله ورفعته وصدقه.

ثالثاً: ولينغرس في قلوبنا حبه، فما حملته سيرته من أخلاق فاضلة، ومعاملة كريمة، وحرصه العظـــيم على هداية الناس وصلاحهم وجلب الخير لهم، وبذل نفسه وماله في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، وما كان من حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته في إبعادهـــا عما يشق عليها ويعنتها، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْماً فَقَالَ: لَقَـــدْ صَنَعْتُ الْيَوْمَ شَيْئاً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ، دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَأَخْشَى أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أُفُقٍ مِنَ الآفَاقِ فَلا يَسْتَطِيعُ دُخُولَهُ فَيَرْجِعُ وَفِي نَفْسِهِ مِنْهُ شَيْءٌ»([٧]).

ولا أعظم من وصف الله جلَّ وعلا له في قوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (الأحزاب: ١٢٨)، وقال سبحانه وتعالى واصفاً نبيه صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:٤)، وأنه لم ينتقم لنفسه قط، ولا فرح أو حزن، أو ضحك أو غضب من أجل نفسه ومصالحه الشخصية قط، أو انتصر لنفسه مرة واحدة، بل كـــل ذلك كان من أجل الله تعالى.

رابعاً: لنعبد الله تعالى بذكره والصلاة والسلام عليه قال الله تعالى: {إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَـــى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} (الأحزاب:٥٦)، وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» [٨].

ميزات السيرة النبوية وخصائصها:

أولاً: أنها معلومة ومسجلة و لم يخف منها شيء، فما ترك علماء الإسلام على مر التاريخ بابـــاً مـــن أبواب السيرة إلا وقد ألفوا فيه مؤلفاً مستقلاً، شمل ذلك دقائقها وجزئياتها حتى أصبح المسلم عنـــد قراءته لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يعايشه ويشاهده تماماً لوضوحها وشمولها.

وسيأتي بيان ذلك في الحديث عن مصادر السيرة النبوية، ويكفي أن تعلم أن عدد ما ألف في الســـيرة النبوية في اللغة الأوردية -وهي لغة حديثة- ما يزيد على ألف كتاب، وعدد ما ألـــف في اللغـــات الأوربية في القرن نفسه ما يزيد على ألف وثلاثمائة كتاب، هذا في القرن الثالث عشر [٩].

ثانياً: ما تميزت به من الصدق والأمانة في نقلها، فقد حظيت ضمن ما حظيه الحديث من التمحيص والتحقيق والمقارنة والتثبت من النقلة ومعرفة الصحيح منها من الضعيف، فأصبحت أصح سيرة نقلت إلينا عن نبي أو عظيم.

ثالثاً: أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق مع خلودها.

فسيرته قدوة وأسوة لكل البشر قد ساوت بين الملوك والسوقة، سيرة ينتفع بها صغار الناس وكبارهم، فهم في دين الله سواء قد رفع من شأن الجميع.

ولا شك أنه ما من خير وصلاح وسعادة في الدنيا والآخرة إلا وهو مستقى منها، وما من شر وفساد وشقاء وظلم وجور إلا بسبب الجهل بها والبعد عن الاقتداء بسيرة صاحبها صلى الله عليه وسلم.

لقد أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو بعد في مكة ومحاصر فيها- قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٧)، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جميعاً، رحمة لهم ومنقذهم من الشقاء والضلال والظلم والفساد والضياع والانحطاط، إلى السعادة والهداية والعدل والصلاح والرفعة والعلو والكرامة قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً} (سبأ:٢٨)، وقال جل وعلا: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً} (الفرقان:١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً» [١٠].

® إن الإنسانية كلها تتطلع إلى مثل أعلى تقتدي به، ولن تجد سيرة -لعظيم أو نبي- معلومة كاملة شاملة غير سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

® إن أي دين لا يقوم على ركيزتين: حقوق الله، وحقوق البشر لا يمكن أن ينقذ البشرية ويقودها إلى الصلاح والنجاة والسعادة والكمال.

والديانات الآن على قسمين: منها ما ليس فيه ذكر لله البتة مثل البوذية والديانات الصينية، ومنها من تؤمن بوجود الله تعالى، لكن لا يعرف الإنسان فيها كيف يعتقد بربه؟ وبأي صفة يصفه؟ وبأي شكل تتجلى العقيدة في الله عز وجل؟

أما حقوق البشر فابحث في جميع الأديان هل تجد تفصيلاً للحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية، فضلاً عن الحياة السياسية والعلاقات الدولية، والشئون الاقتصادية، تفحص في سير جميع الأنبياء والعظماء هل تجد إجابة على هاتين الركيزتين، ومن المؤكد أنك لن تصل إلى نتيجة إلا في دين الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

اسأل البوذيين ماذا يعرفون عن بوذا وما أخلاقه؟ وما علاقاته مع أسرته فقط؟ فلن تجد جواباً.

واسأل النصارى عن عيسى عليه السلام، ماذا يعرفون عنه قبل النبوة؟ والتي يحددونها بثلاثين عاماً وبعد النبوة ثلاثة أعوام، وكيف العلاقة بينه وبين أمه، أو بينه وبين ربه الذي يزعمون بنوته له؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فلن تجد عند جميع هؤلاء أي جواب، بل ستجد الدهشة بادية على وجوه جميع من تسأله من عالم [١١].

رابعاً: كمالها بلا عيب أو نقص أو ضعف أو خلل، قلِّب بصرك وعقلك في ثنايا السيرة النبوية الشريفة هل ثمت شيء تنتقده، أو عيب تجده.

® إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقض وقته بين أحبابه وأصحابه، بل قضى أغلب عمره بين ألد أعدائه وهم المشركون، وفي آخر عمره كان يجاوره اليهود والمنافقون، فلم يستطيعوا أن يرموه بنقيصة في أخلاقه وشمائله وصدقه، على الرغم من حرصهم الشديد بالبحث والتنقيب عنها، فقد رماه أهل مكة بالألقاب السيئة وعيَّروه بالأسماء القبيحة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقدحوا في شيء من أخلاقه،

أو يدنسوا عرضه الطاهر رغم إنفاقهم أموالهم وإزهاقهم أرواحهم في عدائه، قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام:٣٣).

وقد أخرج البخاري عن ابن عباس في صعود النبي صلى الله عليه وسلم الصفا لتبليغ الناس حيث قال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً» [١٢].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «إن أول يوم عرفت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: «يا أبا الحكم هلمَّ إلى الله ورسوله، إني أدعوك إلى الله» فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق ما تبعتك! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، قالوا: فينا اللواء، قلنا: نعم، قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم، ثم أطعموا، وأطعمنا، حتى إذا تحاكّت الرُّكَب قالوا: منا نبي! فلا والله لا أفعل» [١٣].

وقصة الوليد بن المغيرة لما اجتمعت قريش في الموسم للاتفاق على كلمة واحدة يختلقونها في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم -كما سيأتي- دليل صريح على حرصهم على الوقيعة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبحث والتنقير عن أي نقيصة أو عيب ولكن أنى لهم ذلك، فراحوا يختلقون عليه من عند أنفسهم دون حياء.

® جل العظماء حالتهم مع الناس غير حالتهم مع أهلهم وفي بيوتهم، ولا يرضون لزوجاتهم أن تخبر عن أحوالهم، بل تعتبر حياتهم الخاصة سراً من الأسرار يعاقب على إفشائها، وكل الناس كذلك لا يرضون أبداً أن يطلع أحد على كثير من حياتهم الأسرية الخاصة.

ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لم يرض فقط بل أمر أن ينقل عنه كل شيء، فبلغ عنه أزواجه كل ما رأوه منه، حتى إنها لتبلغ عنه ما كان تحت اللحاف فيما بينه وبينها، وعن غسلها معه من الجنابة، حتى إن الرجل ليعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يعرفه عن أبيه الملاصق له والساكن معه!

خامساً: شمولها لجميع نواحي الحياة مع الوضوح التام فيها.

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم بين صحابته وتزوج بتسع نسوة، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب، وقال: «بلغوا عني ولو آية» [١٤] وقال: «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع» [١٥] وما سافر وحده قط، ولا اعتزل الناس في يوم من الأيام أبداً، وقد تضافر الصحابة على نقل كل شيء عنه، بل تفرغ عدد منهم للرواية والمتابعة له كأهل الصفة.

لقد وصفوه في قيامه وجلوسه، وكيف ينام، وهيئته في ضحكه وابتسامته، وكيف اغتساله ووضوؤه، وكيف يشرب ويأكل وما يعجبه من الطعام، ووصفوا جسده الطاهر كأنك تراه، حتى ذكروا عدد

الشعرات البيض في رأسه ولحيته، ولمحة في كتاب من كتب السيرة والشمائل تجد العجب من هذا الشمول وهذه الدقة في الوصف والنقل([١٦]).

سادساً: أنها بعمومها لم تتعد القدرة البشرية، أي أنها لم تتكئ على الخوارق، أو قامت فصولها على معجزة من المعجزات خارجة عن قدرات البشر.

بل إنه من السهل التعرف عليها وتطبيقها، والاقتداء بها، فليست مثالية التطبيق.

مصادر السيرة النبوية:

تعتمد مصادر السيرة النبوية على مصادر متنوعة منها أصلية ومنها تكميلية.

فمن المصادر الأصلية: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكتب السيرة، والمغازي، والدلائل، والشمائل، والخصائص وكتب التاريخ الأخرى.

ومن التكميلية: كتب الفقه، وكتب الأدب، ودواوين الشعر، وكتب الأنساب، وتراجم الرجال، وكتب الجغرافيا.

المصادر الأصلية:

١- القرآن الكريم: ويتضمن بيان العقيدة والشريعة، وتوضيح الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للأمة المسلمة، كما ترد فيه الإشارة إلى المعارك والغزوات ومواقف الناس منها مثل موقف المنافقين، إضافة إلى بيان مواقف اليهود والمشركين من الدعوة، وتعتبر كتب التفسير موضحة وشارحة ومبينة للآيات القرآنية([١٧]).

٢- كتب الحديث: وهي من أهم المصادر في السيرة النبوية، حيث نقلت لنا بأصح الأسانيد كثيراً من حوادث السيرة ومغازي النبي صلى الله عليه وسلم، ووصفاً دقيقاً لحياته الشخصية وسيرته مع أصحابه، إضافة إلى بيان كثير من الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

٣- كتب الدلائل: وتتناول المعجزات والدلائل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أقدم من كتب فيها الفريابي (ت٢١٢هـ) في كتابه «دلائل النبوة»، ثم المدائني (ت٢٢٥هـ) في كتابه «آيات النبي صلى الله عليه وسلم...» الخ.

٤- كتب الشمائل: وهي التي تبين أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الخلقية والخلقية، وأقدم من ألف فيها أبو البختري وهب بن وهب الأسدي (ت٢٠٠هـ) في مؤلفه «صفة النبي صلى الله عليه وسلم»، ومن أشهر كتب الشمائل «الشمائل المحمدية» للترمذي.

٥- كتب السيرة: وقد اعتنى المسلمون بالسيرة النبوية في وقت مبكر مما يضفي عليها التكامل في التسجيل والثقة في الرواية والنقل، وقد اشتهر عدد من الصحابة باهتمامهم بالسيرة، منهم: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والبراء بن عازب رضي الله عنهم أجمعين.

وكتبت بعض أحداث السيرة على يد التابعين والصحابة متوافرون مقرون لهم بذلك ومن هؤلاء: أبان بن عثمان (ت١٠١-١٠٥هـ) وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، والشعبي (ت١٠٣هـ).

وممن اهتم بالسيرة الزهري (ت١٢٤هـ) فقد تلقاها عن جمع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كبار التابعين.

ومن أوثق كتب المغازي كتاب موسى بن عقبة (ت١٤٠هـ)، وقد قال ابن معين «كتاب موسى ابن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب»، وقال الإمام الشافعي: «ليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره».

وممَّن ألف في السيرة أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي (ت١٤٣هـ) وهو من العباد الثقات، وقد رواها عنه ابنه معتمر، وقد ذكر هذه السيرة أبو بكر بن خير الأشبيلي في «فهرسته» (ص:٢٣١)، ونقل عنها ابن سيد الناس، والسهيلي، وابن كثير، وابن حجر وغيرهم.

وممن علا صيته واشتهر في السيرة النبوية حتى نسبت إليه: محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) وهو من تلاميذ الزهري، وهو إمام هذا الشأن، وقد اختصرها ابن هشام (ت٢١٨هـ) وهي التي بقيت في أيدينا الآن، حيث حذف منها ما لا تعلق له في السيرة، وحذف منها تاريخ الأنبياء، وما لا يصح من الشعر، كما ذكر ذلك في مقدمته، ثم شرحها السهيلي (ت٥١٨هـ).

ومن كُتَّاب السيرة الواقدي (ت٢٠٧هـ) وهو من أئمة هذا الشأن، فقد اهتم بالوقائع والمغازي وسأل عنها أبناء الأنصار، وحاول أن يقف على كثير منها، وهو مع سعة علمه وشهرته واطلاعه وتخصصه في السيرة إلا أنه متروك من حيث الرواية في الحديث.

ومن كتب السيرة: «عيون الأثر في فنون المغازي والسير» لابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) و«السيرة النبوية» للذهبي (ت٧٤٨هـ)، ومنها:«البداية والنهاية» لابن كثير (ت٧٧٤هـ).

ومن مصادر السيرة: كتب فقه السيرة، وأقدم من كتب في فقه السيرة هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) في كتابه «الهدي النبوي»، وجعفر بن محمد المستغفري (ت٤٣٢هـ) في كتابه «الهدي النبوي»([١٨])، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).

وكما اهتم العلماء في التأليف في السيرة جملة، فإن هناك من اهتم بالكتابة في جزئيات السيرة مثل: «تركة النبي صلى الله عليه وسلم والسبل التي وجهها فيها» لحماد بن إسحاق بن إسماعيل (ت٢٦٧هـ)، بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى (عام١٤٠٤هـ)، و«المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي» لمحمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري (ت٧٨٣هـ)، الطبعة الأولى (عام١٣٩٦هـ)، وكتاب «الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي صلى الله عليه وسلم من الخدم والموالي» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) بتحقيق مشهور حسن، الطبعة الأولى (عام١٤٠٧هـ).

الموسوعات في السيرة:

وأقدم كتاب فيما أعلم هو «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» لمحمد بن يوسف الدمشقي الشامي (ت٩٤٢هـ) انتخبها من ٣٠٠ كتاب.

ومن الكتب المعاصرة: كتاب «الجامع في السيرة النبوية» تأليف سميرة الزايد، وقد جمعت المؤلفة من كتب السيرة وكتب السنة وكتب التراجم، وقد جعلت لها منهجاً وهو اعتماد رواية ابن هشام وتخريج الروايات كلها عليها، إلا إذا لم تجد له في الموضوع رواية، ولم تهتم بالحكم على الأدلة وتتبع تخريجها.

النَّظم في السيرة: قام العلماء بنظم أحداث السيرة ووقائعها حتى يسهل على الطالب حفظها وممن اعتنى بنظم السيرة الحافظ عبد الرحيم العراقي (ت٨٠٦هـ) وقد طبع الكتاب مع شرحه «العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية» لعبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ).

أوضح الناظم رحمه الله أن كتب السيرة النبوية احتوت ما كان إسناده معتبراً وما كان غير معتبر، وجرى في نظمه على طريقتهم في عدم اعتبار الإسناد؛ لكن إن وردت رواية صحيحة نبه عليها.

وقد نظم السيرة على الترتيب التاريخي، إلا أنه بعد ذكر الهجرة ووصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خيمة أم معبد شرع في ذكر شمائله وخصائصه ثم رجع إلى ذكر مغازيه، وختمها بذكر أقاربه وأزواجه ومواليه وحراسه وخدمه.

وقد اعتمد في ألفيته على كتب السنة والسيرة.

تميز الكتاب بسهولة العبارة ووضوحها واشتمال النظم على أحداث السيرة جملة، مع إشارته إلى بعض الروايات الصحيحة أحياناً.

أما المصادر غير الأصلية أو التكميلية فتأتي بعد تلك المصادر في الأهمية ومنها: كتب الفقه وهي محل استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، ولهذا تجد روايات وأحداثاً في كثير من أبوابها وبخاصة الكتب المتقدمة.

وكتب الرجال والتراجم: وبخاصة تراجم الصحابة مثل كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر، فإن هذه الكتب وغيرها غنية جدا بروايات السيرة وأحداثها وذكر مواقف الصحابة في المغازي والسرايا والبعوث.

وكتب الأدب لما تحتويه من وصف للحياة الاجتماعية والعلمية.

وكتب البلدان في وصفها للمدن والطرق وذكرها للمسافات والأبعاد، وقد تشير أحياناً إلى ما حدث فيها من أحداث... الخ.

ونخلص إلى أن التأليف في السيرة شمل الأنواع التالية:

١- كتب السيرة الشاملة. ...

٢- كتب المغازي.

٣- الدلائل والمعجزات. ... ...

٤- الشمائل.

٥- الخصائص. ... ...

٦- البشارات.

٧- الموسوعات في السيرة. ...

٨- جزئيات السيرة.

٨- فقه السيرة. ... ...

٩- مختصرات في السيرة.

١٠- النظم في السيرة.

لمحات عن الجاهلية:

لكي تتعرف على الجهد الذي بذله النبي صلى الله عليه وسلم في هداية الناس، وعلى الشدة والمشقة التي لاقاها من معاصريه، وعلى نجاحه وقدرته في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وكيف وجه طاقات العرب بدلاً من العصبية الجاهلية إلى خدمة الإسلام الحنيف، ولكي تعرف حاجة البشرية إلى الإسلام، وفضل الإسلام على سائر أهل الأرض.

وأمر آخر وهو فقه النصوص الشرعية والحكمة من تشريع الأحكام والعلة في المنع أو الإباحة، والتدرج في الأحكام، والتأكيد على التوحيد.

لكي تتعرف على كل هذا لا بد لك من أن تلم بشيء مما كانت عليه البشرية إبان بعثته عليه السلام في حالتها الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية.

وهذا موضوع طويل ومتشعب وله كتبه ومراجعه، ويكفي أن تعلم أن لفظ الجاهلية ورد في الكتب التسعة فقط قرابة خمسمائة مرة، ولكن نذكر لمحات من ذلك، وهي عبارة عن معالم من حياة تلك المرحلة وتاريخها:

تعريف الجاهلية:

نسبة إلى الجهل: نقيض العلم، واستجهله عده جاهلاً واستخف به، والجهل السفه والغضب والنزق، وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي يتسافه أحد علينا أو يطيش أو يظلم([١٩]).

والجاهلية قد تكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية»([٢٠]).

وقول عمر رضي الله عنه: «إني نذرت نذراً في الجاهلية»([٢١]).

وقول عائشة رضي الله عنها: «كان النكاح في الجاهلية»([٢٢]).

فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة ولكن غلب عليها الاستعمال حتى صارت اسماً ومعناها قريب من معنى المصدر، وقد تكون الجاهلية اسماً لذي الحال فتقول: طائفة جاهلية، وشاعر جاهلي، نسبة إلى الجهل وهو عدم العلم أو عدم اتباع العلم.

فإن من لم يعلم الحق جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال الله تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلاماً} (الفرقان:٦٣)، وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق كما قال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} (النساء:١٧) قال الصحابة: «كل من عمل سوءاً فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق».

وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فتصير جهلاً بهذا الاعتبار، ومن هنا تعرف أن دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجاز.

فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في حال جاهلية جهلاً منسوباً إلى الجاهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل، وتلك كانت الجاهلية العامة، وأما بعد البعثة فمطلق الجاهلية قد يكون في مصر دون مصر، وقد تكون في شخص دون آخر، ولا تكون الجاهلية مطلقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»([٢٣]).

الحالة الدينية قبيل البعثة:

كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، فقد تعرضت الديانات السماوية لانتحال المبطلين وتحريف الغالين، وأصبحت فريسة للعابثين والمتلاعبين، استبدلت عقيدة التوحيد الصافية بالوثنية الغارقة، والاجتراء على الله تعالى والقول عليه بغير حق، والتطاول على الذات الإلاهية، وارتفع الفرق بين أهل الكتاب وبين أهل الأوثان والأصنام في عباداتهم وحياتهم فاختفى نور التوحيد وسط هذا الركام الهائل من الوثنية، والتغيير والتبديل في كلام الله عز وجل قال الله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} (التوبة:٣١)، وقال سبحانه في وصف حياتهم وتعديهم على حرمات الله: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩)، وقال سبحانه في بيان تحريفهم لكلام الله واستبداله مقابل الدنيا: {اشْتَرَوْا بآيَاتِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ} (التوبة:٩)، ووصف الله شرك أهل الكتاب وكفرهم بقوله: {وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ} (التوبة:٣٠).

وأما المجوسية فقد عرفت من القديم بعبادة النار وبناء المعابد عليها، لها يحجون، وعندها ينذرون، هي معبودهم من دون الله عز وجل، ثم آمنوا بإلهين أحدهما النور والآخر الظلمة.

وقل مثل ذلك في البوذية المنتشرة في الهند وآسيا الوسطى، والبرهمية دين الهند الأصلي.

لقد بلغت الوثنية في قرن البعثة أوجها حتى قيل إن عدد المعبودات والآلهة يصل إلى (٣٣٠) مليون.

وأطبقت ظلمة الوثنية على الأرض من المحيط إلى المحيط.

روى الإمام أحمد عن الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قال: «وَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِيناً أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ»([٢٤]).

الحالة الاجتماعية والسياسية:

تبعاً للانحراف العقدي وتحريف الأديان ضلت البشرية في جميع حياتها وانتشر الظلم والفساد بين جميع طبقاتها على اختلاف حضاراتها وأديانها وبلدانها، وسأذكر نماذج ومقتطفات تصف ذلك الانحراف والفساد».

أولاً: الدولة الرومانية:

لقد ازدادت فيها الإتاوات والضرائب التي أثقلت كواهل الشعب، بينما تعيش الطبقة الحاكمة ومن يتابعها حياة الترف والتخمة الزائدة، وتضييع الأموال، والحرص على كل نوع من أنواع اللهو واللعب والطرب، وانشغلوا بالمسليات والألعاب عن مصالح البلاد والعباد، وفتحوا ميادين الرياضة العنيفة كمصارعات الرجال والسباع وغيرها.

وكانت ولاياتها مثل مصر والشام عبارة عن شعوب كادحة للطبقة المستعمرة، حياتها عرضة للاضطهاد والبؤس والشقاء، تسلب خيراتهم وتساء معاملتهم.

ثانياً: الفرس:

فإنه لما ظهر مزدك في القرن الخامس دعا إلى الإباحية في جميع نواحي الحياة وأن الناس شركاء في كل شيء، فظهر الفساد وهتكت الأعراض وانتشرت السرقة والسطو على الأموال والممتلكات، ونشأ جيل لا خلاق له ولا مروءة، اتخذ السطو وسيلة لجلب المال والتسلط على الناس، واستولوا على الأملاك والعقارات حتى أقفرت المزارع وخربت الدور وتشتت الناس.

وقد كان الملوك يعتبرون من نسل آخر مغاير لبني البشر، ففيهم يجري دم الآلهة، فكانوا يخاطبون الناس من علو وأنهم آلهة لهم يتصرفون فيهم كيف شاؤوا.

وتعتبر موارد الدولة كلها ملكاً للأكاسرة إلا ما جاد بها كسرى للشعب تفضلاً منه وكرماً وإنعاماً، وقد تفننوا في اكتناز الأموال والتحف الثمينة، والمسابقة في مظاهر الغنى والعظمة إلى حد الخيال.

بينما عامة الناس يعيشون حياة الفقر والبؤس والجوع، حياة العبودية والكدح للآلهة، يتعبون في تحصيل ما يسد رمقهم، ويستر عوراتهم، جميع إنتاجهم تقضي عليها الضرائب والإتاوات، إضافة إلى أنهم وقود لكل حرب همجية طاحنة يثيرها الملك.

ثالثاً: الهند:

فهي أتعس بلد يعيش تفاوتاً فاحشاً بين طبقات المجتمع مدعماً بالدين والعقيدة، فقد قسم سكان الهند إلى أربع طبقات، هي:

١- طبقة الكهنة ورجال الدين وهم (البراهمة).

٢- رجال الحرب والجندية وهم (شتري).

٣- رجال الفلاحة والتجارة (ويش).
٤- رجال الخدمة وهم (شودر) وهم أحط الطبقات وليس لهم إلا خدمة الطبقات الثلاث، وليس لهم أن يدخروا مالاً، أو يجالسوا برهمياً، أو يمسوه بأيديهم، أو يتعلموا الكتاب المقدس.
وقد أضفيت القداسة على الطبقة الأولى، وهو مغفور له ولو أباد الطبقات الثلاث.
وكانت الهند ممزقة تحكمها حكومات تعد بالمئات، وتسيطر الفوضى على جميع أركانها.
رابعاً: أوربا:
المتوغلة في الشمال والغرب فكانت تعيش حياة الهمجية، وترزح تحت ظلام الجهل والأمية والحروب الدامية، وكانت متخلفة عن طريق الحضارة والعلم والآداب، وكأنهم يعيشون في كوكب آخر لا شأن لهم بالعالم.
يزهدون في النظافة، تعشعش الهوام فوق رؤوسهم، أجسامهم قذرة، يغالي رهبانهم في تعذيب أجسامهم، يحتقرون المرأة ويبحثون عن أصلها هل هي من الحيوان أم من الإنسان.
وعموم تلك الشعوب قد ألفت حياة الذلة والخنوع، واعتادت على مجاراة الأوضاع ومسايرة الزمان، لا يهيجهم ظلم، ولا تستحوذ عليهم فكرة ودعوة يسترخصون بها حياتهم ويجازفون في سبيلها بأنفسهم.
قد ألفوا التهجين والتدجين ومصادرة الرأي والحريات، فلا يصلح لهم أن يعرفوا شيئاً، لأنهم ليسوا على مستوى المعرفة والإدراك عند حكامهم، فلا يستحق الشعب السؤال عن شيء فضلاً عن إبداء الرأي فيه.
وعلى العموم فكانت البشرية في القرن السادس الميلادي في أحط أدوارها، وأقبح فترات تاريخها، قد تحطمت فيها جميع مقومات البقاء والحياة، فأصبحت تحتضر قد أيس منها المصلحون وهم على قلتهم وندرتهم قد هربوا في الفيافي والقفار فراراً ويأساً منها كما يدل على ذلك قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقد كان ينتقل من عالم إلى آخر كل عالم إذا احتضر أوصى به إلى من يعرفه من بقايا العلماء في مختلف المناطق والديار حتى انتهى إلى الأخير منه فقال له: لا أعرف الآن أحداً في هذه الأرض إلاّ أنه حان مبعث نبي داره في كذا وكذا فوصف له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق سلمان إلى المدينة ينتظر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أقفرت الأرض كلها من عالم أو مصلح([٢٥]).
خامساً: العرب:
أما العرب فقد تركوا دين أبيهم إسماعيل وابتعدوا عن الحنيفية دين أبيهم إبراهيم، وانتشرت بينهم عبادة الأصنام والأوثان، وغلوا فيها إلى حد يثير السخرية حيث كان الواحد منهم في سفره يجمع أربعة أحجار ثلاثة لقدره وواحداً يعبده، وإن لم يجد حلب الشاة على كوم من تراب ثم عبده.
روى البخاري عن أبي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيَّ رضي الله عنه قال: «كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَراً جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ

عَلَيْهِ ثُمَّ طُفْنَا بِهِ، فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَب قُلْنَا: مُنَصِّلُ الأَسِنَّةِ فَلا نَدَعُ رُمْحاً فِيهِ حَدِيدَةٌ وَلا سَهْماً فِيهِ حَدِيدَةٌ إِلاَّ نَزَعْنَاهُ وَأَلْقَيْنَاهُ شَهْرَ رَجَب، وَسَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ يَقُولُ: كُنْتُ يَوْمَ بُعِثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم غُلاماً أَرْعَى الإِبِلَ عَلَى أَهْلِي، فَلَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِهِ فَرَرْنَا إِلَى النَّارِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّاب»([٢٦]).

وكان أول من أدخل الشرك إلى العرب عمرو بن لحي الخزاعي.

روى البخاري عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه قَالَ: «الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لآلِهَتِهِمْ فَلا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»([٢٧]).

روى مسلم عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ إِنَّ الْبَحِيرَةَ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا السَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ. وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السُّيُوبَ»([٢٨]).

ورواه أحمد في «المسند» أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار»([٢٩]).

وفي رواية أخرى عنه و لم يذكر: «وعبد الأصنام»([٣٠]).

® وقد عبد قبائل من العرب الشمس والقمر، والملائكة والجن، والكواكب، وبعضهم عبد أضرحة من ينسب إليهم الصلاح، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ الَّلاتَ وَالعُزَّى} (النجم:١٩) قال: «كان رجلاً صالحاً يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره»([٣١]).

® وكانت العرب تقصد بعبادة الأصنام عبادة الله والتقرب إليه عن طريقها، أو بواسطتها، وهم على طرق مختلفة: فبعضهم يقول: ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فاتخذناها لتقربنا إلى الله، وفرقة قالت: إن للملائكة عند الله جاهاً ومترلة فاتخذنا أصناماً على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله، وبعضهم جعلوا الأصنام قبلة في عبادة الله مثل الكعبة قبلة في عبادته، وفرقة أخرى اعتقدت أن على كل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حاجته بأمر الله، ومنهم من يقصدون بذلك شفاعتهم عند الله زلفى قال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى} (الزمر:٣)، وقال تعالى عنهم: {وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ} (يونس:١٨).

® و لم تكن العرب تعتقد في أصنامها النفع أو الضر.

روى الترمذي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لأبي الحصين: «كم تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهاً؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً، سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِداً فِي السَّمَاءِ. قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ

وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي فَقَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي»([٣٢]).

بل كانوا عند الشدائد ينسون آلهتهم ويتخلون عنها كما قال تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ إذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} (العنكبوت:٦٥).

وكانت أعظم شبه العرب هي: إنكار البعث، وجحد إرسال الرسل من البشر([٣٣]).

وكانوا على حال سيئة من الأمية والجهل والإغراق في الخمور والقمار، والعصبية القبلية المقيتة التي يلغي معها عقله أحياناً على حد قول الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

وقول الآخر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

وكانوا بعيدين كل البعد عن اجتماع الكلمة ووحدة الصف، فكانت تقوم بينهم الحروب والمنازعات لأتفه وأحقر الأسباب كما دلت عليها أيامهم مثل: حرب البسوس التي دامت أربعين عاماً بسبب اعتداء على جمل امرأة، وداحس والغبراء كذلك بسبب اعتداء على فرس، وغيرها كثير.

وكانوا على عادات سيئة مثل: وأد البنات، وعمل الميسر، والاستقسام بالأزلام، والنسيء، والبحيرة والسائبة، والتطير والفأل بالطير والجمادات([٣٤])... والجمع بين الأختين، ونكاح زوجة الأب وهذا كان ممقوتاً عند بعضهم حتى سموه نكاح المقت، ومنها المضارة في الطلاق، والعضل في النكاح، وكانوا يرثون النساء([٣٥]).

تلك الحياة الجاهلية بكل صورها وفي جميع أماكنها وبقاعها قد صورها المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث العظيم الذي رواه مسلم عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً. فَقُلْتُ: رَبِّ إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً. قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشاً نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً لا يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلا مَالاً، وَالْخَائِنُ الَّذِي لا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إِلا

وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ» -وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ- «وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ»([٣٦]).

فالحديث يشير إلى الانحراف عن الشريعة ونبذها وراءهم ظهرياً واختراع أنظمة وقوانين من عند أنفسهم، فحرموا الحلال وأحلوا الحرام في قوله: «كل مال نحلته عبداً حلال... وحرمت عليهم ما أحللت لهم» وهذا رد على ما شرعوه من السوائب والوصيلة والحام والبحيرة، مما يدعونه لآلهتهم، بينما الله شرع أن كل مال رزقه عبداً من عباده فهو حلال له.

كما يوضح الانحراف عن التوحيد والردة الكاملة عن الدين «وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم... وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً».

كما يشير إلى الفساد العظيم الذي غطى وجه الأرض مما استحقوا فيه مقت الله لهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب.

بقايا سنن إبراهيم عليه السلام عند العرب:

وقد بقيت عند بعض العرب بقايا من سنن إبراهيم عليه السلام وشريعته بنسب متفاوتة بين القبائل ومن ذلك: خصال الفطرة التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام وهي خمس في الرأس وخمس في الجسد: المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والفرق، والسواك وهذه في الرأس، وأما التي في الجسد فهي: الاستنجاء، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط وحلق العانة، والختان.

وكانوا يغتسلون للجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم، وكانوا يصومون يوم عاشوراء، ويطوفون بالبيت ويسعون بين الصفا والمروة، ويمسحون الحجر ويلبون إلا أنهم يشركون في تلبيتهم يقولون: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، ويقفون المواقف كلها، ويعظمون الأشهر الحرم.

وكانوا يحكمون بالدية مائة من الإبل، ويوقعون الطلاق إذا كان ثلاثاً وبالرجعة في الأولى والثانية، والقصاص في الجروح، واتباع الحكم في المبال في الخنثى، وكانوا يحرمون نكاح المحارم، وعملوا بالقسامة، واجتنب بعضهم الخمر في الجاهلية، وكانوا يغلظون على النساء أشد التغليظ في شرب الخمر([٣٧]).

وكانوا على شيء من العبادة كالحج والصدقة، وهم على اعترافهم بالله وبعظمته وبتدبيره للأمور، وأنه الرازق الخالق المحيي المميت، وأن جميع الخلق تحت قهره وتصرفه، إلا أنهم اتخذوا من دون الله وسائط يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} (يونس:٣١)، وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} (المؤمنون:٨٤-٨٩).

فهم بذلك يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين ومن فيها عبيده وتحت تصرفه وقهره، ومع ذلك يشركون به ويدعون معه غيره، بل كانت الكعبة وهي بيت الله المعظم عندهم يحيط به ثلاثمائة وستون صنماً.

® وكانت فيهم سمات كثيرة تؤهلهم لحمل راية الإسلام وهي وإن صعب توجيهها إلى الوجهة السليمة إلا أنها من أكبر الخصال المعينة على تقبلهم الإسلام وحملهم لرايته فيما بعد، ومن تلك الخصال:

١- الذكاء والفطنة: فقد كانت ألواح قلوبهم صافية لم تكتب فيها تلك الفلسفات والأساطير والأغلوطات التي يصعب محوها كما في الأمم المعاصرة لهم، فكأنهم يعدونها لحمل أبهى علم وأعظمه وهو الإسلام، ولهذا كانوا أحفظ شعب عرف في ذلك الزمن وقد وجه الإسلام قريحة الحفظ والذكاء إلى حفظ الدين وحمايته، فكانت قواهم الفكرية، ومواهبهم الفطرية مذخورة فيهم، لم تستهلك في فلسفات خيالية، وجدال بيزنطي عقيم، ومذاهب كلامية معقدة([٣٨]).

وكانت الأمية غالبة عليهم يعتمدون في أحوالهم وأيامهم على الحفظ، فكان الواحد منهم مثلاً يحفظ من القصائد ما يفوت الإحصاء والحصر، فهذا الأصمعي من المتأخرين يقول: «ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب».

واتساع لغتهم دليل على قوة حفظهم وذاكرتهم فإذا كان للعسل ثمانون اسماً وللثعلب مائتان وللأسد خمسمائة، فإن للجمل ألفاً، وكذا السيف، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم، ولا شك أن استعياب هذه الأسماء يحتاج إلى ذاكرة قوية حاضرة وقادة([٣٩]).

وقد بلغ بهم الذكاء والفطنة إلى الفهم بالإشارة فضلاً عن العبارة، والأمثلة على ذلك كثيرة ونكتفي بقصتين للدلالة على ذلك:

فقد عزمت حنظلة على الإغارة على إحدى القبائل العربية، فمر بهم راكب فأخذوا عليه الميثاق أن لا ينذرهم أو يكلمهم، فلما مر بهم الرجل علّق على شجرة عندهم وطباً من لبن، ووضع في بعض أغصانها حنظلة، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك، ثم ارتحل راحلته وغادرهم فلم يكلمهم، ففهم القوم من صرة التراب بأنه أتاهم عدد كثير، وأن الحنظلة رمز لقبيلة حنظلة، وأما الشوك فيخبرهم بأن لهم شوكة، وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم وبعدهم، فإن كان حلواً حليباً فقد أتت الخيل، وإن كان لا حلواً ولا حامضاً فعلى قدر ذلك، وإن كان قارصاً فعلى قدر ذلك، وإن كان خاثراً فلهم مهلة من الرأي، وإنما ترك الرجل كلامهم لأنه قد أخذت عليه العهود وقد أنذرهم فأعدوا عدتهم وارتحلوا عن عدوهم([٤٠]).

وقد بلغ بهم الذكاء إلى الفهم بقرع العصا كما في قصة سعد بن مالك من قيس بن ثعلبة حين قرع العصا لأخيه عمرو بن مالك، وذلك أن النعمان أرسل عمروا يرتاد له الكلأ، فأبطأ عليه فأقسم لئن جاء حامداً للكلأ أو ذاماً ليقتلنه.

فلما قدم قال سعد للنعمان: أتأذن لي أن أكلمه؟ قال: إن كلمته قطعت لسانك، قال: فأشير إليـــه؟ قال: إن أشرت إليه قطعت يدك، قال: فأومئ إليه؟ قال: إذن أنزع حدقتيك، قال: فأقرع له العصا؟ قال: اقرع.

فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قـــائم، فقـــرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة فنظر إليه أخوه ثم أومأ بالعصا نحوه فعرف أنه يقول: مكانك، ثم قرع العصا قرعة واحدة ثم رفعها إلى السماء ثم مسح عصاه بالأخرى فعرف أنه يقول قل له: لم أجد جدباً، ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً فعرف أنه يقول: ولا نباتاً، ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان فعرف أنه يقول: كلمه.

فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان، فقال له النعمان: هل حمدت خصباً، أو ذممـــت جدباً؟ فقال عمرو: لم أذمم جدباً، و لم أحمد بقلاً، الأرض مشكلة لا خصبها يعـــرف، ولا جـــدبها يوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف، فقال النعمان: أولى لك، بذلك نجوت.

ولما كان العرب بهذه المثابة من الفطنة والذكاء كان معجزتهم القرآن، فإن لكل قوم معجزة بحســـب أفهامهم وقدر عقولهم([٤١]).

٢- أهل كرم وسخاء يسترخصون أموالهم التي تعبوا في جمعها والحصول عليها في سبيل ذلك، ممـــا سهل عليهم بعد ذلك بذل أموالهم في سبيل الله.

وهذا لا يحتاج إلى بيان، ولا يعوزه إقامة دليل ولا برهان فقد شهد لهم بذلك القاصـــي والـــداني، واشتهر به الحاضر منهم والبادي، وقد نطقت بذلك أشعارهم وأقاصيصهم التي لا تعد ولا تحصـــى، وسأذكر بعضاً من ذلك:

قال الشاعر:

ومستنبحٍ قال الصدى مثل قوله ... حضأت له نارا لها حطب جزل
فقمت إليه مسرعا فغنمته ... مخافة قومي أن يفوزوا به قبل
فأوسعني حمدا وأوسعته قرىً ... وأرخص بحمد كان كاسبه الأكل

وقال آخر:

تركت ضأني تود الذئب راعيها ... وأنها لا تراني آخر الأبد
الذئب يطرقها في الدهر واحدة ... وكلَ يوم تراني مدية بيدي

وقال آخر:

وما يك فيّ من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

وقال آخر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

® وكان من كرمهم يترلون بالروابي والأماكن العالية وفوق الجبال حتى يراهم الضيف، وكانوا يوقدون النيران بالليل ليهتدي إليهم الأضياف، وربما أوقدوها بالمندلي الرطب وهو عطر ينسب إلى مندل وهي بلدة من بلاد الهند ليهتدي إليها العميان:

وإني لأدعو الضيف بالضوء بعدما ... كسى الأرض نضاح الجليد وجامده

ومن كرماء العرب حاتم الطائي وهو ممن اشتهر و لم يخف أمره على أحد وهو القائل لغلامه:

أوقد فإن الليل ليل قرُ ... والريح يا واقدُ ريح صر

علّ يرى نارك من يمرُ ... إن جلبت ضيفاً فأنت حر

وهو القائل في قصيدته الطويلة يخاطب زوجته ماوية:

أماوي لا يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أماوي إن المال مال بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر

ومن كرماء العرب هرم بن سنان الذي قال فيه الشاعر:

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومن كرمائهم عبد الله بن جدعان التيمي وكان له جفان عظيمة في مكة يأكل منها القائم والراكب على البعير:

له داعي بمكة مشمعل ... وآخر فوق دارته ينادي

إلى رُدح من الشيزي ملآء ... لُباب البر يلبك بالشهاد

ومن كرمهم أنهم كانوا يكرهون أن يطعموا أضيافهم البائت من اللحم، حدث قيس بن سعد رضي الله عنه: «أنه نزل على رجل هو وصاحب له، فنحر لهم جزوراً فأكلوا منه، فلما كان من الغد نحر لهم آخر فقال: شأنكم به، فقلنا: ما أكلنا من الأول إلا اليسير، فقال: إني لا أطعم أضيافي الغاب، فأقمنا عنده أياماً وهو يفعل
ذلك...»([٤٢]).

® وكانت قريش تقوم بأمر من يرد إلى مكة من الحاج بالغاً ما بلغ من طعامهم وشرابهم، وكان هاشم وهو أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حضر الحج قام في قريش فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة فيها، فإنه والله لو كان لي مال يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ على حسب قدرته واستطاعته، فيصنع به طعاماً للحاج حتى يصدروا وهذه هي الرفادة التي سنها قصي، وهاشم هو الذي هشم الثريد بمكة([٤٣]).

قال النعمان بن المنذر لكسرى في مدح العرب: «وأما سخاؤها فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة، ويجتزي

بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الـــذكر»([٤٤]).

٣- وكانوا أصحاب صراحة ووضوح بعيدين عن الالتواءات والتعقيد، الصدق سجيتهم، والكذب ليس مطية لهم بل يأنفون منه ويعيبونه، أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للـــدخول في الإسلام.

وقصة أبي سفيان مع هرقل لما سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الحروب بينهم قائمة قال: «لولا أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عليه»([٤٥]) دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب.

أما وفاؤهم فقد قال النعمان بن المنذر لكسرى في وفاء العرب: «وإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي ولَث وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكن رهنـــاً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره، فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره، وأنـــه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون مالـــه»([٤٦]).

فالوفاء خلق متأصل بالعرب فجاء الإسلام ووجه الوجهة السليمة فغلظ على من آوى محدثاً مهمـــا كانت متزلته وقرابته قال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من آوى محدثاً»([٤٧]).

ومن القصص الدالة على وفائهم: قصة حنظلة بن عفراء مع المنذر بن ماء السماء حين قدم عليـــه في يوم بؤسه وأراد قتله فطلب منه التأجيل سنة، وكذلك وفاء السموأل بأدرع امرئ القيس([٤٨]).

ومن أروع القصص: «أن الحارث بن عباد قاد قبائل بكر لقتال تغلب وقائدهم المهلهل الذي قتل ولد الحارث وقال: (بؤ بشسع نعل كليب) في حرب البسوس، فأسر الحارث مهلهلاً وهو لا يعرفه فقال له: دلني على مهلهل بن ربيعة وأخلي عنك فقال له: عليك العهد بذلك إن دللتك عليه، قال: نعم. قال: فأنا هو، فجز ناصيته وتركه» وهذا وفاء نادر ورجولة تستحق الإكبار([٤٩]).

ومن وفاءهم: «أن النعمان بن المنذر خاف على نفسه من كسرى لما منعه من تزويج ابنتـــه فـــأودع أسلحته وحرمه إلى هانئ بن مسعود الشيباني، ورحل إلى كسرى فبطش به، ثم أرسل إلى هانئ يطلب منه ودائع النعمان فأبى، فسير إليه كسرى جيشاً لقتاله فجمع هانئ قومه آل بكر وخطب فيهم فقال: «يا معشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصـــبر مـــن أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد»([٥٠])، وانتصر على الفرس في موقعة ذي قار، فهذا الرجل احتقر حياة الذل والاستكانة، ورأى الموت شرفاً في ساحة العز.

٤- كانوا أصحاب شجاعة، ومغاوير حرب، وأحلاس خيل، وأصحاب جلادة وكانت الفروسية من أبرز أخلاقهم.

حتى كانوا يتمادحون بالموت قتلاً، ويتهاجون بالموت على الفراش قال أحدهم لما بلغه قتل أخيه: إن يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه، إنا والله لا نموت حتفاً، ولكن قطعاً بأطراف الرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف.

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طُلّ منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظُباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

وحيث كان العرب لا يقدمون شيئاً على العز وصيانة العرض، وحماية الحريم، استرخصوا في سبيل ذلك نفوسهم.

قال عنترة:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها إن المنية منهل ... لا بد أن أسقى بكأس المنهل

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل([٥١])

وكانوا يختارون الموت على الذلة، قال حصين بن حمام المري:

فلست بمبتاع الحياة بذلة ... ولا مرتق من خشية الموت سلما

وقال عدي بن رعلاء الغساني:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش ذليلاً ... سيئاً باله قليل الرجاء

فهو يصف من تركته الحرب معافى في ثياب الذل فموته في هذه الحال أفضل([٥٢]).

وقال عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل

٥- كانوا بمعزل عن الأدواء المدنية والترف الذي يحول دون التحمس للعقيدة والتفاني في سبيلها، فكانوا يقلون من الأكل ويقولون البطنة تذهب الفطنة ويعيبون الرجل الأكول الجشع:

إذا مدت الأيد إلى الزاد لم أكن ... باعجلهم إذ أجشع القوم أعجل([٥٣])

٦- وكانوا أمة نشأت على الحرية والمساواة، لم تخضع لحكومة أجنبية و لم تألف الرق والعبودية واستعباد الإنسان للإنسان مثل الأمم المعاصرة لهم، الذين حرموا من إبداء الرأي فضلاً عن النقد وإبداء الملاحظة، يأنفون من الذل ويأبون الضيم والاستصغار والاحتقار.

جلس عمرو بن هند ملك الحيرة لندمائه وسألهم: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه خدمة أمي؟

قالوا: نعم أم عمرو بن كلثوم الشاعر الصعلوك.

فدعا الملك عمرو بن كلثوم لزيارته، ودعا أمه لتزور أمه، وقد اتفق الملك مع أمه أن تقول لأم عمرو كلثوم بعد الطعام: ناوليني الطبق الذي بجانبك، فلما جاءت قالت لها ذلك فقالت: لتقم صاحبة

الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها الكرة وألحت، فصاحت ليلى أم عمرو بن كلثـــوم: وا ذلاه يـــا لتغلب...

فسمعها ابنها فاشتد به الغضب فرأى سيفاً للملك معلقاً بالرواق فتناوله وضرب به رأس الملك عمرو بن هند، ونادى في بني تغلب وانتهبوا ما في الرواق، ونظم قصيدة يخاطب بها الملك قائلاً:

بأي مشيئة عمرو بن هند ... نكون لِقِيلكم فيها قطينا

بأي مشيئة عمرو بن هند ... تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهددنا وتوْعِدنا رويداً ... متى كنا لأمك مَقْتَوينا

إلى أن يقول في آخر معلقته: ...

إذا ما المَلْك سام الناس خسفاً ... أبينا أن نقر الذل فينا

القيل هو الملك دون الملك الأعظم، والقطين هم الخدم، والقتو خدمة الملوك([٥٤]).

أنساب العرب:

ينقسم العرب إلى قسمين: عرب الجنوب وهم قحطان.

وعرب الشمال وهم من ولد نزار بن معد بن عدنان وهم قسمان:

ربيعة بن نزار وقد نزل هذا الفرع وسكن شرقا، حيث أقامت عبد القيس في البحرين، وحنيفـــة في اليمامة، وبنو بكر بن وائل سكنت ما بين البحرين واليمامة، وعبرت تغلب الفرات فأقامت في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات، وسكنت تميم في بادية البصرة.

وأما فرع مضر: فقد نزلت سليم بالقرب من المدينة، وأقامت ثقيف في الطائف، واستوطنت ســائر هوازن شرقي مكة، وسكنت أسد شرقي تيماء إلى غربي الكوفة، وسكنت ذبيان بالقرب من تيمـــاء إلى حوران([٥٥]).

وولد الرسول صلى الله عليه وسلم من مضر، وقد أخرج البخاري عن كليب بن وائل قال: حدثتني ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت أبي سلمة قال: «قلت لها: أرأيت النبي صـــلى الله عليـــه وسلم أكان من مضر؟ قالت: فممن كان إلا من مضر؟ من بني النضر بن كنانة»([٥٦]).

مهبط الوحي مكة المكرمة:

مكة واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، تشرف عليها جبال جرد وهي جبل (أبو قبيس) وهـــو الذي كانت تسكنه قريش إلى زمن قصي، و(قعيقعان) وهذان الجبلان هو الأخشـــبان اللـــذان ورد ذكرهما في الحديث المخرج في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها «إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِـــقَ عَلَـــيْهِمُ الأخشبين»([٥٧]) كما سيأتي في قصة الطائف.

ولما قدمت خزاعة من اليمن أخرجت جرهم من مكة وتولت ولاية البيت، وكان سيدهم عمرو بن لحي أول من نصب الأوثان وأدخل عبادة الأصنام إلى العرب وغير دين التوحيد.

قريش:

تنسب قريش إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، فقريش من فهر، وما قبله ليس من قريش، وقد انقسمت قريش إلى قسمين: قريش الظواهر وهم البادية الذين نزلوا الجبال ظاهر مكة وقريش البطاح وهم الذين نزلوا بطاح مكة.

وبعد أن تغلب قصي بن كلاب على خزاعة في ولاية البيت، جمع قومه من الشعاب والأودية والجبال وأنزلهم إلى مكة، فسمي مجمعاً، وقسم مكة أرباعاً بين قومه، فسكنوا فيها بعد أن قطع قصي الأشجار بيده، وكانت قريش تهاب ذلك، فلما رأته يفعل ذلك أعانوه، وقد تيمنت به فكانت لا تعقد أمراً، ولا تبرم عقداً إلا في داره.

أبونا قصي كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فهر

وقد اشتهرت قريش بالتجارة، وامتاز رجالاتها بالدهاء والحذق والذكاء في التعامل مع الناس، ومع القبائل والحكومات القائمة فقد تألفت الناس وتألفها الناس من أجل ذلك، وقد استفادت قريش من أمن البيت وتعظيم العرب له في نجاح تجاراتها وانتشار الأسواق الآمنة فيها، مما حمل الناس على جلب بضائعهم إليها، والامتيار منها، كما استفادت منه في رحلاتها إلى اليمن وإلى الشام، حيث كان الناس يحترمونهم لأنهم أهل الحرم، فقد كانت العرب تنعت قريش بـ (آل الله) و(جيران الله) و(سكان حرم الله) و(أهل الله)، لذا كان أهل مكة يميلون إلى السلم ولا يركنون إلى الحرب والغزو إلا دفاعاً عن النفس، وهذا الذي أبقى سادتها وعظماءها الذين أصبحوا عقبة كؤداً أمام الدعوة، بعكس أهل المدينة الذين أفنت الحرب ملأهم وكبراءهم.

سكان مكة من غير قريش:

بنو كنانة وقريش من بني كنانة إلا أنها ميزت نفسها عنهم، وخزاعة، وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، والأحابيش وهم حلفاء قريش من بعض قبائل العرب ومن غيرهم مثل عضل وبني الحارث وبني المصطلق، وغيرهم، سموا بذلك حين اجتمعوا بذنب حبشي - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل وأوضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه، وقيل غير ذلك أقوال كثيرة.

وكان من ساداتهم (ابن الدغنة) و(الحليس بن يزيد).

وقد كان الأحابيش من غير العرب وفدوا إلى مكة من الحبشة وما جاورها وبعضهم قد تأثر بالنصرانية يشهد لذلك قصة الحديبية: «إن هذا من قوم يتألهون»، وقد امتزج هؤلاء بالعرب وحالفوا تلك القبائل فغلبت عليهم تلك التسمية، بسبب تحالفهم مع هؤلاء الأحابيش، والله أعلم.

دار الندوة:

وكانت دار الندوة دار ملأ مكة، ومجلس سادتها ووجوهها وأشرافها وأولي الأمر فيها، فلم تكن بمكة حكومة مهيمنة على الناس وإنما الأمر للملأ والأشراف فيها من شتى بطون قريش.

وقد خلف قصي جملة من الأولاد هم: عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف، وعبد بن قصي، وجعل لابنه عبد الدار دار الندوة والحجابة واللواء والسقاية والرفادة، وبعد ذلك نافسهم بنو عبد مناف وتحالفوا ضدهم في حلف سمي حلف المطيبين فاقتطعوا منهم السقاية والرفادة.

وكان زعماء قريش يحافظون على تراث الآباء ولا يبغون به بديلاً: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} (الزخرف:٢٣).

فهذا قانونهم ودستورهم ومرجعهم، وفي هذا حفاظ على زعامتهم ومصالحهم الخاصة، ولهذا لم يلتفتوا إلى نداء الحق: {قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (الزخرف:٢٤)، فلا يريدون الخروج على العادة والعرف الذي تعارف عليه الناس مهما كان يتصف به ذلك العرف من باطل وضلال وانحراف وشر: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (البقرة:١٧٠)([٥٨]).

الاصطفاء:

قال الله تعالى: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىَ نُؤْتَىَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام:١٢٤).

أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، كقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٌ، أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ} (الزخرف:٣١-٣٢)، يعنون: لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم {مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ} أي من مكة والطائف، وذلك أنهم قبحهم الله كانوا يزدرون الرسول صلوات الله وسلامه عليه بغياً وحسداً، وعناداً واستكباراً كقوله تعالى مخبراً عنه: {وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً} (الفرقان: ٤١)، وقال تعالى: {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} (الأنبياء:٣٦)، وقال تعالى: {وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الأنبياء:٤١)، هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه، وطهارة بيته ومرباه، ومنشئه صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه، حتى إنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه «الأمين»، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم: وكيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا... الحديث بطوله، الذي استدل ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به.

روى الإمام أحمد عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ قَالَ: قَالَ الْعَبَّاسُ: «بَلَغَهُ صلى الله عليه وسلم بَعْضُ مَا يَقُولُ النَّاسُ قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»([٥٩]) صدق صلوات الله وسلامه عليه([٦٠]).

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوب الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَيْرَ قُلُوب الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوب الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوب الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»([٦١]).

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ يَقُول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»([٦٢]).

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»([٦٣]).

نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم:

هو: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ ابْنِ كِلاب بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ([٦٤]).

وقال ابن حجر: «إن نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان متفق عليه، يعني عند جميع العلماء»([٦٥]).

وقالت عائشة رضي الله عنها كما أخرجه الطبراني بسند جيد: «استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان»([٦٦]).

وقد أقر أبو سفيان بعلو نسبه صلى الله عليه وسلم حين سأله هرقل: «كيف نسبه فيكم؟ فأجاب: هو فينا ذو نسب، فقال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها»([٦٧]).

أسماؤه صلى الله عليه وسلم:

في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»([٦٨]).

وعن أبي موسى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمُقَفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»([٦٩]).

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد»([٧٠]).

شق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله: «العاقب» في الترمذي: «الذي ليس بعده نبي»([٧١]).

قال ابن حجر: «والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء أختص بها لم يسم بها أحد قبلي، أو معظمة أو مشهورة في الأمم الماضية، لا أنه أراد الحصر فيها»، وقد ذكر السهيلي أنه لم يتسم أحد قبل النبي

صلى الله عليه وسلم بمحمد إلا ثلاثة، إلا أن ابن حجر ذكر أنه ألف كتاباً في أسمائه صلى الله عليه وسلم فأوصل من تسمى قبله إلى خمسة عشر([٧٢]).

وقد ألفت عدة كتب في أسمائه وأوصلها بعضهم إلى أكثر من ثلاثمائة اسم، لكن كثيراً منها لا يثبت، وبعضها من أوصافه، وبعضها لم يرد على سبيل التسمية مثل من عد من أسمائه اللبنة للحديث المذكور الذي أخرجه البخاري في باب خاتم النبيين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»([٧٣]).

أما كنيته صلى الله عليه وسلم فهو: أبو القاسم، كما ورد ذلك في الصحيحين عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «سموا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي»([٧٤]).

ولادته ونشأته صلى الله عليه وسلم:

ولد يوم الاثنين كما ورد ذلك في صحيح مسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال: «ذاك يوم ولدت فيه»([٧٥]).

في عام الفيل وهو أرجح الأقوال بل قال خليفة بن خياط: إنه المجمع عليه، وقد ذكر ابن إسحاق بدون إسناد أن ولادته في الثاني عشر من ربيع الأول([٧٦]).

وتتفق رواية مسلم مع ابن إسحاق في كون والده مات وهو حمل في بطن أمه([٧٧]).

وفي الصحيحين أن ثويبة مولاة أبي لهب قامت بإرضاعه صلى الله عليه وسلم فعن أم حبيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرضعتني وأبا سلمة ثويبة»([٧٨]).

كما أرضعته مولاته أم أيمن وقد أعتقها عليه الصلاة والسلام بعدما كبر.

روى مسلم في صحيحه قال ابْنُ شِهَاب: «وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ أُمِّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَمَا تُوُفِّيَ أَبُوهُ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ حَتَّى كَبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ أَنْكَحَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ تُوُفِّيَتْ بَعْدَمَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ»([٧٩]).

أما رضاعه من حليمة السعدية في بني سعد فهذا مما استفاض واشتهر، وقد أخرج ذلك ابن إسحاق بسنده وفيه الجهم بن أبي الجهم قال عنه الذهبي: «مجهول».

لكن القصة رواها أبو يعلى، وابن حبان، والطبراني وقال الهيثمي: رجالهما ثقات يعني رجال أبي يعلى والطبراني، وقال ابن كثير: «وهذا الحديث قد روي من طرق أخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي»([٨٠]).

وقد ورد استرضاعه في بني سعد بسند جيد من طريق ابن إسحاق، قال صلى الله عليه وسلم: «واسترضعت في بني سعد ابن بكر»([٨١]).

وماتت أمه وعمره ست سنوات، فكفله جده عبد المطلب ثم مات بعد سنتين فأوصى به إلى عمه أبي طالب فكفله عمه وحن عليه ورعاه.

وقد شب مع عمه أبي طالب تحت رعاية الله وحفظه له من أمور الجاهلية وعاداتها السيئة «فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى، ما رؤي ملاحياً ولا ممارياً أحداً، حتى سماه قومه الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة»([٨٢]).

وخالف جاهلية قريش في أبرز خصائصها كمناسك الحج حيث كانوا يسمون الحمس، ويقفون في المزدلفة، ولا يخرجون من الحرم زاعمين أن أهل الحرم لا ينبغي لهم أن يعظم من الحل كما يعظم من الحرم.

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقف بعرفة مع الناس وخالف طريقة قومه كما روى ذلك البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم حين أضل بعيراً له فذهب يطلبه في عرفة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً فيها مع الناس فقال: «هذا والله من الحمس فما شأنه ها هنا؟»([٨٣]).

حلف الفضول:

ولم يشهد صلى الله عليه وسلم أي حلف لقريش إلا حلف الفضول أو حلف المطيبين حيث تعاقدوا فيه على نصرة المظلوم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته»([٨٤]).

وحلف المطيبين كان بين بني هاشم وبني أمية وبني زهرة وبني مخزوم وقد جرى هذا الحلف قديماً بعد وفاة قصي وتنازع بني عبد مناف وبني عبد الدار، وسمي حلف الفضول بالمطيبين لأن العشائر التي حضرتها هي التي حضرت الحلف السابق([٨٥]).

وأخرج الحميدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوماً»([٨٦]).

رعي الغنم:

كان صلى الله عليه وسلم في شبابه يرعى الغنم لقريش وقال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ»([٨٧]).

دروس وعبر:

ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها:

١- الصبر: على الرعي من طلوع الشمس إلى غروبها، نظراً لبطء الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها إلى الصبر والتحمل، وكذا سياسة البشر.
٢- الحلم: فبعضها يتقدم وبعضها يتأخر وبعضها يذهب شمالاً وبعضها جنوباً، فإن كـــان الراعـــي غضوباً جمعها بعد شتاتها بصورة مرعبة فتبقى مجتمعة خائفة لا تأكل تخشى من عصا الراعي.
٣- الأناة والقدرة: على جمع شتاتها بعد رعيها بدون أذى يلحق بها، أو نقص في غذاء يصيبها.
٤- الرأفة والعناية بالضعيف: ففيها الصغير والضعيف والهرم، فيحتاج منه إلى لين ورأفة بها حتى تلحق بصواحبها وترعى مثلهن، وكذا سياسة البشر.
٥- ارتياد أماكن الخصب: والبحث عنها ونصحها في ذلك وتجنيبها مواطن الجدب والهلكة، وكذا سياسة البشر تحتاج إلى بذل الجهد والنصح لهم في توريدهم مواطن الخير وتجنيبهم مواطن الهلكـــة، وتحسين معاشهم وما يحتاجونه من رزق حلال، وتجنيبهم الأرزاق المحرمة التي تسبب لهم الـــويلات والفساد، وتوزيع الثروة عليهم كل على حسبه وقدرته وجهده.
٦- التواضع: في رعي الغنم وهو أمر ظاهر وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» فقال رجل: يا رســـول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنا؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»([٨٨]).
٧- ورعي الغنم من أعظم الفرص في الخلوة بالله تعالى والتفكر في خلق السموات والأرض حيـــث السماء بنجومها، والأرض بجبالها وأشجارها وأنعامها...
٨- إن الله تعالى قادر على أن يغني محمداً صلى الله عليه وسلم عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية لـــه ولأمته للأكل من كسب اليد.
٩- ورعي الغنم نوع من أنواع الكسب باليد وصاحب الدعوة يجب أن يستغني عن مـــا في أيـــدي الناس ولا يعتمد بدعوته عليهم، فبذلك تبقى قيمته وترتفع مترلته، ويبتعد عن الشبه والتشكيك فيه، ويتجرد في إخلاص العمل لله تعالى، ويرد شبه الطغاة والظلمة الذي يصورون للناس أن الأنبياء أرادوا الدنيا بدعوهم: {وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ} (يونس:٧٨) هكذا يقول فرعون لموسى، ونظراً لسيطرة حب الدنيا وحطامها على عقولهم يظنون أن أي تفكير وأي حركة مراد به الـــدنيا، ولهـــذا قالت الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم مبينة استغنائها عنهم: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُـــوَ لَكُـــمْ} (سبأ:٤٧)، {وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ} (هود:٢٩).
روى البخاري عَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَـــدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»([٨٩]).
ولاشك أن الاعتماد على الكسب الحر تكسب الإنسان الحرية التامة والقدرة على قول كلمة الحـــق والصدع بها.

وكان أصحاب رسول الله يتاجرون ويعملون بأيديهم ولا يعتبر غضاضة في حقهم، فهذا عمر يشغله الصفق بالأسواق عن حضور بعض مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي موسى في الاستئذان «أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى تِجَارَةٍ»([٩٠]).

وفي البخاري عن قتادة: «كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله»([٩١]).

وتقول عائشة رضي الله عنها: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم»([٩٢]).

زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة:

ذكر ابن إسحاق قصة في زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة وخروجه في تجارتها بغير إسناد ولم يثبت أحد من الأئمة هذه القصة، وأما الزواج من حيث هو فهو ثابت قطعاً كما في الصحيحين وغيرهما، واختلف في عمرها حين تزوجها، فبينما يرى ابن إسحاق: أن عمرها ثمان وعشرون، يرى الواقدي أن عمرها أربعون، بينما تتجه الروايات إلى أن عمره صلى الله عليه وسلم كان خمساً وعشرين سنة حين تزوجها([٩٣]).

تحكيمه في وضع الحجر:

ومما يدل على صيانته ومكانته عند الناس رضاهم بحكمه حين حكموه في الحجر الأسود بعد أن تنافسوا في رفعه: «فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَماً قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الأَمِينُ فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ فَوَضَعَهُ هُوَ صلى الله عليه وسلم»([٩٤]).

المصادر والمراجع:

١- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ - للحافظ السخاوي / تعريب: صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢- الأدب المفرد - للإمام البخاري / دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣- البداية والنهاية - للحافظ ابن كثير / الطبعة الثانية، عام ١٩٧٧م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

٤- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - محمود شكري الألوسي / تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

٥- تاريخ الأمم والملوك - لأبي جعفر الطبري / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار سويدان، عام ١٣٨٧هـ، بيروت، لبنان.

تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك.

٦- تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي – للشيخ محمد ناصر الدين الألباني / الطبعة السابعة، عام ١٩٧٦هـ، دار الكتب الحديثة.
٧- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – للخطيب البغدادي / تحقيق محمود الطحان، طبعة عام ١٤٠٣هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال الشريعة – للبيهقي / تحقيق: عبد المعطي القلعجي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩- ديوان عنترة بن شداد / تحقيق محمد سعيد مولوي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٠- الرسالة المحمدية – لسليمان الندوي / الطبعة الثالثة، عام ١٤٠١هـ، مكتبة دار الفتح، دمشق.
١١- السنن – للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
١٢- السنن – للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي / طبعة دار إحياء السنة النبوية.
١٣- السنن – للإمام محمد بن عيسى الترمذي / تحقيق أحمد شاكر وآخرين، طبعة المكتبة الإسلامية.
١٤- السنن – للإمام محمد بن يزيد بن ماجه/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عام ١٣٩٥هـ، دار إحياء التراث العربي.
١٥- السيرة النبوية – للحافظ ابن كثير / تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبعة عام ١٤٠٣هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٦- السيرة النبوية – لأبي الحسن الندوي / الطبعة الأولى، عام ١٣٩٧هـ، دار الشروق، جدة.
١٧- السيرة النبوية – لابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٨- حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية – لمحمد عزة دروزة / الطبعة الثانية، عام ١٣٨٤هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
١٩- السيرة النبوية الصحيحة – لأكرم ضياء العمري / طبعة عام ١٤١٢هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٢٠- السيرة النبوية في الصحيحين عند ابن إسحاق، دراسة مقارنة في العهد المكي – للدكتور سليمان بن حمد العودة / رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة.
٢١- شرح المعلقات السبع – للزوزاني الحسين بن أحمد / دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء – للقلقشندي / طبعة مؤسسة قرطبة.
٢٣- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري / المطبوعة مع فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة.
٢٤- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، عام ١٣٧٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٥- الطريق إلى المدائن - لأحمد عادل كمال/ الطبعة السادسة، عام ١٤٠٦هـ، دار النفائس، بيروت، لبنان.
٢٦- الغرباء الأولون - لسلمان بن فهد العودة / الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
٢٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني / تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٠هـ، المكتبة السلفية، القاهرة.
٢٨- القاموس المحيط - للفيروزآبادي / تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٧هـ، بيروت، لبنان.
٢٩- لسان العرب - لابن منظور / الطبعة الأولى، عام ١٣٠٠هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.
٣٠- مجلة البيان / العدد الثاني - سنة ١٤٠٧هـ شهر صفر - تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن.
٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمي/ الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٢- المستدرك على الصحيحين - للحاكم / دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٣- المسند - للإمام أحمد / الطبعة الثانية، عام ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
٣٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة - لطاش كبري زادة / تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مطبعة الاستقلال الكبرى ودار الكتب الحديثة، القاهرة.
٣٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - لجواد علي / الطبعة الثانية، عام ١٩٧٦م، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد.
٣٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - للإمام الذهبي / تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

([١]) لسان العرب (٤/٣٨٩).

([٢]) (١/٢٥١).

([٣]) البداية (٣/٢٤٢)، وانظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٩٥).

([٤]) ... الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٩٥).

([٥]) ... الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٩٥).

([٦]) انظر: الرسالة المحمدية، المحاضرة الأولى.

([٧]) مسند أحمد (ح٢٤٦٧١).

([٨]) صحيح مسلم (ح٤٠٨).

([٩]) انظر: المحاضرة الثالثة من الرسالة المحمدية.

([١٠]) رواه البخاري (ح٤٣٨) -واللفظ له-، ومسلم (ح٥٢١).

([١١]) انظر: المحاضرة الثانية من الرسالة المحمدية.

(١) رواه البخاري انظر فتح الباري (٨\٣٦٠).

([١٣]) رواه يونس بن بكير في زوائده على السير والمغازي لابن إسحاق (ص:٢١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة

(٢٠٧/٢)، وقال في الغرباء (ص:٩٣): ((إسناده حسن)).

([١٤]) صحيح البخاري (ح٣٤٦١).

([١٥]) رواه الترمذي (ح٢٦٥٧)، وأبو داود (ح٣٦٦٠)، وابن ماجة (ح٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢ ٢٣٦، ٣٠٥٦)، وأحمد (ح٤١٤٦، ٦٢٩٣٧)، والدارمي (ح٢٢٨).

([١٦]) انظر: الرسالة المحمدية، المحاضرة الرابعة لسليمان الندوي.

([١٧]) راجع فهرس السيرة النبوية صور مقتبسة من القرآن الكريم لمحمد عزة دروزة.

([١٨]) ذكرهما السخاوي في كتابه ((الإعلان بالتوبيخ)) (ص:٥٢٧).

([١٩]) انظر: لسان العرب (١٢٩/١١)، والقاموس المحيط (ص:١٢٦٧).

([٢٠]) رواه البخاري في الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية (ح٣٠)، ومسلم في الإيمان (ح١٦٦١).

([٢١]) رواه البخاري في الاعتكاف (ح٢٠٣٣)، ومسلم (ح١٦٥٦).

([٢٢]) رواه البخاري في النكاح (ح٥٥٢١).

([٢٣]) رواه البخاري (ح٣٦٤٠)، ومسلم (ح١٩٢٠). انظر: بلوغ الأرب (١/١٥- ١٧).

([٢٤]) انظر: المسند (ح٢٣٢٩٨).

([٢٥]) انظر: السيرة للندوي من أولها إلى (ص:٢٥).

([٢٦]) صحيح البخاري (ح٤٠٢٧).

([٢٧]) صحيح مسلم (ح٣٢٦٥).

([٢٨]) صحيح مسلم (ح٢٨٥٦).

([٢٩]) المسند (٣١٦/٢،٢٧٥).

([٣٠]) المسند (٤٦٦/١) وفي سنده عمرو بن مجمع وهو ضعيف، وإبراهيم الهجري وهو لين الحديث.

([٣١]) انظر صحيح البخاري (ح٤٨٥٩).

([٣٢]) صحيح مسلم (٣٤٨٣).

([٣٣]) انظر: بلوغ الأرب (١٩٤/٢-٢٤٤).

([٣٤]) بلوغ الأرب (٣٦/٣-٧٣).

([٣٥]) انظر: بلوغ الأرب (٥٢/٢-٥٥)، (٣٠١/٢-٣٦٩)، (٣/٣-٧٦).

([٣٦]) صحيح مسلم (ح٢٨٦٥).

([٣٧]) بلوغ الأرب (٢/٢٨٦-٣٠٠).

([٣٨]) السيرة للندوي (ص:١٢).

([٣٩]) بلوغ الأرب (١/٣٩-٤٠).

([٤٠]) بلوغ الأرب (١/٣٧).

([٤١]) بلوغ الأرب (١/٣٣).

([٤٢]) انظر عن كرم العرب: بلوغ الأرب (١/٤٦-٩٨).

([٤٣]) بلوغ الأرب (١/٣٧٧).

([٤٤]) بلوغ الأرب (١/١٤٩).

([٤٥]) صحيح البخاري (ح٧).

([٤٦]) بلوغ الأرب (١/١٥٠).

([٤٧]) رواه مسلم (ح١٩٧٨).

([٤٨]) انظر عن وفاء العرب: بلوغ الأرب (١/١٢٢-١٤٠).

([٤٩]) مجلة البيان، العدد الثاني.

([٥٠]) انظر عن يوم ذي قار: تاريخ الطبري (٢/٢٠٧)، صبح الأعشى (١/٣٩٣).

([٥١]) ديوان عنترة (ص٢٥٢).

([٥٢]) انظر عن شجاعة العرب بلوغ الأرب (١/١٠٣-١٢٠).

([٥٣]) بلوغ الأرب (١/٣٧٧).

([٥٤]) انظر: شرح المعلقات (ص:١٩٤- ٢١٣)

([٥٥]) انظر: الطريق إلى المدائن (ص:٤٠).

([٥٦]) فتح الباري (٦/٦٠٧).

([٥٧]) رواه البخاري (ح٣٢٣١)، ومسلم (ح١٧٧١).

([٥٨]) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/٥-٧٦).

([٥٩]) ... المسند (ح١٧٩١).

([٦٠]) ... تفسير ابن كثير (٣\٣٣٢).

([٦١]) المسند (١\٣٩٧).

([٦٢]) صحيح مسلم (ح٢٢٧٦).

([٦٣]) صحيح البخاري (ح٣٢٩٣).

([٦٤]) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار - باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، الفتح (٧/١٩٩) بدون إسناد.

([٦٥]) فتح الباري (٦/٦١١).

([٦٦]) فتح الباري (٦/١١٦).

([٦٧]) أخرجه البخاري في بدء الوحي (ح٧).
([٦٨]) فتح الباري (٦/٦٤١)، وصحيح مسلم (٤/١٨٢٨).
([٦٩]) رواه مسلم (٤/١٨٢٨).
([٧٠]) صحيح البخاري (ح٣٥٣٣).
([٧١]) فتح الباري (٦/٦٤٤).
([٧٢]) فتح الباري (٦/٦٤٢).
([٧٣]) فتح الباري (٦/٦٤٤-٦٤٥).
([٧٤]) رواه البخاري (ح١١٠)، ومسلم (٢١١٠)، الفتح (٦/٦٤٧).
([٧٥]) صحيح مسلم (٢/٨١٩).
([٧٦]) السيرة الصحيحة (١/٩٦).
([٧٧]) رواه مسلم (٣/١٣٩٢).
([٧٨]) أخرجه مسلم (٢/١٠٧٢).
([٧٩]) صحيح مسلم (٣/١٣٩٢).
([٨٠]) انظر: السير لابن هشام (١/١٧١)، وميزان الاعتدال (١/٤٢٦)، ومجمع الزوائد (٨/٢٢١) والسيرة لابن كثير (١/٢٢٨)، السيرة النبوية في الصحيحين (ص:١١٨-١١٩)، والسيرة الصحيحة (ص:٩٨-١٠٢).
([٨١]) سيرة ابن هشام (١/١٧٥)، وسيرة ابن كثير (١/٢٩٩).
([٨٢]) سيرة ابن كثير (١/٢٤٩).
([٨٣]) صحيح البخاري (ح١٦٦٤)، وصحيح مسلم (ح١٢٢٠) انظر إلى كتاب مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
([٨٤]) رواه أحمد (١/١٩٠-١٩٣)، والبخاري في المفرد (ح٥٧٠)، والحاكم ووافقه الذهبي (٢/٢١٩)، وصححه الألباني في فقه السيرة (ص:٧٥).
([٨٥]) السيرة الصحيحة (ص:١١٢).
([٨٦]) السيرة ابن كثير (١/٢٥٨).
([٨٧]) رواه البخاري (ح٢٢٦٢).
([٨٨]) (ح٩١).
([٨٩]) (ح٢٠٧٢).
([٩٠]) رواه البخاري (ح٢٠٦٢)، ومسلم (٢١٥٣).
([٩١]) كتاب البيوع - باب التجارة في البز (ح٢٠٦٢).
([٩٢]) رواه البخاري (ح٢٠٧١).
([٩٣]) السيرة لابن كثير (١/٢٦٥)، والسيرة الصحيحة (ص:١١٢).

([٩٤]) رواه الإمام أحمد (٣/٤٢٥)، والحاكم (٣/٤٥٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: سيرة ابن هشام (١/٢٠٩).

=========================

مدير مركز التنوير لابد من وقف الحوار مع الفاتيكان

حوار:عبد الرحمن أبو عوف

- الاختراق الصهيوني للهيئات المسيحية وراء الحملة الجائرة ضد نبينا عليه الصلاة والسلام.
- الحملة أعادت العلاقة مع الغرب إلى المربع صفر وعرقلت محاولات التقارب والحوار.
- إنشاء كليات للسنة النبوية وتفعيل دور المراكز ضرورة حتمية.
- رموز التغريب في العالم الإسلامي أكبر خطر على السنة المطهرة.

في حوار مثير أكد الكاتب الصحفي أبو إسلام أحمد عبد الله مدير مركز التنوير الإسلامي أن أمتنا الإسلامية مطالبة كلها بالتصدي للحملة الظالمة التي تشنها جهات كنسيّة غربيّة على رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- وأن يكون تصدينا لهذه الحملة بأسلوب مؤسسي منسق تشترك فيه جميع الهيئات الإسلامية الرسمية، وأن تنسق هذه الجهات فيما بينها حملة تجب هذه الاتهامات الظالمة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبر ندوات ومؤتمرات يشترك فيها علماء المسلمين مع رجال الدين المسيحيين لإظهار تهافت هذه الاتهامات، وكذلك التصدي لمحاولات الإساءة الداخلية لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- وسنته التي يقوم بها الاتجاه العلماني، وأن نواجه حملة (مليون ضد محمد) تحمله مواجهة مليار مسلم مع الرسول

وشدد أبو إسلام على ضرورة مقاطعة حوار الأديان الذي يتم حاليًّا بين جهات إسلامية مع الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي كأقل موقف نواجه به الحملات الظالمة ضد نبينا عليه الصلاة والسلام.

وقضايا مثيرة وعديدة نناقشها مع أبي إسلام في السطور التالية..

تشن جهات كنسية حملة ظالمة ضد نبينا الكريم.. كيف تنظر إلى هذه الحملات المغرضة؟

هذه ليست أول محاولة يقوم بها قساوسة غربيون ينتمون بصورة غير مباشرة للفاتيكان ضد الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ فالكنيسة الغربية ومنها الفاتيكان لا تعترف بنبي الإسلام، ونظرتهم إليه تقتصر إلى كونه مصلحًا وليس نبيًّا مُرسلاً.

وهذه الحملة تأتي كحلقة في مسلسل العداء للنبي؛ فتارة يتهمونه بأنه مزواج ويعشق النساء، وأخرى بالجمود والتطرف، وثالثة بأنه إرهابي نشر دعوته بالسيف وليس بالإقناع والحوار، وأنه اعتمد على مجموعة من القتلة وسفاكي الدماء لنشر هذه الدعوة؛ علاوة على حملتهم الشديدة على زوجاته -رضي الله عنهن- واتهامهن بأفظع الاتهامات، والحملات الظالمة التي تعد سابقة خطيرة للفاتيكان الذي

لم نتعود منه هذا التهور وموقفه من الرسول كان لا يتعدى عدم الاعتراف بنبوته، ولكن لم نعهد منه الإساءة المباشرة إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتشويه صورته.

مواجهة الفاتيكان

إذًا ما دام الفاتيكان وقساوسته قد تورطوا في هذه الهوّة السحيقة؛ فكيف نواجهها؟

أول خطوة نواجه بها هذه الحملة الظالمة على الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي: وقف حالات الحوار التي تجريها العديد من الهيئات الإسلامية مع الفاتيكان، وعلى رأسها الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة؛ حيث يستغل الفاتيكان هذه الجولات من الحوار لتحسين صورته وإظهاره بأنه مؤسسة للمودة والتسامح مع الآخر.

وثاني خطوة هي: دحض هذه المؤامرات، وشن حملة إعلامية كبيرة لمواجهتها عبر إظهار زيفها وعقد الندوات والمؤتمرات التي تظهر الوجه الحقيقي للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وإظهار سماحته وأخلاقه العالية وإحسانه إلى الآخر؛ خصوصًا النصارى واليهود، وطبع كتب بمختلف اللغات ترسم الصورة الحقيقية للنبي؛ فأوروبا رغم تقدمها العلمي والتكنولوجي تجهل أبسط المعلومات عن الإسلام و نبينا الكريم؛ لذا يفضل أن نوجه حملتنا لمناصرة نبينا العظيم إليهم بلغتهم، والتأكيد لهم أن العداء للنبي مخالف لأبسط القواعد المسيحية التي تنادي بالتسامح وقبول الآخر، وأن احترام الأنبياء والرسل من أبسط تعاليم المسيح والمسيحية.

اختراق صهيوني

برأيك هل تقف جهات صهيونية وراء هذه الحملة؟

هناك اختراق صهيوني للمؤسسات المسيحية وعلى رأسها الفاتيكان منذ مدة طويلة، ولا أستبعد أن تقف هذه الجهات المشبوهة وراء الحملة على نبينا العظيم لتشويه صورة ديننا الحنيف، ويمكن أن يكون خلفها التيار الصهيوني المسيحي الذي يرى أن نصرة اليهود وهيمنتهم على أمتنا الإسلامية تأتي تنفيذًا لتعليمات المسيح، وهذا من أسوأ صور التطرف. ومما يزيد من يقيني بتورط جهات خارجية في هذه الحملة أن الفاتيكان طوال تاريخه لم يُقدِم على خطوة كهذه، وهي ما تعد سقطة مزرية للفاتيكان تؤثر كثيرًا على مصداقيته؛ فالحملة على محمد -صلى الله عليه وسلم- تعيد العلاقة بين العالم الإسلامي والمسيحية إلى المربع صفر، وتعيدنا عمومًا إلى أجواء الحرب الصليبية التي شنتها القوات الصليبية بدعم من الكنيسة، كما أنه يتسبب في وأد محاولات التقارب وجولات الحوار التي جرت بين المؤسسات الإسلامية والمسيحية في السنوات الماضية.

جهد قاصر

ولكن كيف نستطيع كمسلمين مواجهة مثل هذه الحملات؛ خصوصا أن هناك حملات علمانية مغرضة في الداخل تستهدف النبي وسنته؟

الرد على حملة كهذه يتطلب جهدًا مؤسسيًّا وليس شخصيًّا، وأن تقوم به جهات كبرى كالأزهر ورابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها من المراكز العلمية الرصينة، وأن يتم التنسيق

بين هذه الجهات للتصدي لهذه الحملات المشبوهة، وهذا يتطلب جهدًا كبيرًا، وأن يركز هذا الجهد على وقف الحملات الداخلية التي تشن هجومًا شديدًا على الرسول وسنته ممن يطلق عليهم اسم "القرآنيين" الذين يسيئون إلى الإسلام عمومًا ورسوله -صلى الله عليه وسلم- خصوصًا، وأن تكون أفعال النبي وأقواله نبراسًا لنا في حياتنا، أي تصبح أسلوب حياة. ومن الأسف حاليًّا أن الدعاة إلى الإسلام لا يركزون في دعوتهم على الهدي الظاهر ولا يركزون على سنن النبي وأفعاله؛ بل يبتعدون عنها حتى لا يتهمهم أحد بالغلو والتطرف.

وكذلك ضرورة التصدي للاتجاه العلماني الذي يعمل على تشويه صورة نبينا كلما سنحت له الفرصة، علينا أن نقف ونتصدى لهذه الهيئات ومما يؤسف عليه أن هناك جهات عديدة مهمتها الدفاع عن النبي وسنته ومنها مراكز دراسات السُّنَّة الموجودة في العديد من الدول العربية والإسلامية وهذه المراكز رغم تعددها ونشاطها إلا أن جهدها قاصر، ولم تحقق الأهداف التي أنشئت من أجلها للدفاع عن الرسول وسنته، واكتفت بعقد المؤتمرات والندوات التي يتحدث فيها علماء مسلمون لعلماء مسلمين، ولم تعمل على إعطاء جهدها طابعًا خارجيًّا يتصدى للمؤتمرات الغربية على رسولنا عبر مشاركة مفكرين وعلماء ومفكرين غربيين؛ فنحن نظل نتحاور مع أنفسنا ولا نوجه حديثنا للغرب، وهذا خطأ كبير!.

أما الأوساط الشعبية والإسلامية؛ فعليها واجب كبير لنصرة الرسول واستغلال التقدم التكنولوجي لفضح مؤامرات الغرب ضد رسولنا وديننا، وبذل جهد للظهور بمظهر المناصر لنبينا -صلى الله عليه وسلم-، وعدم إعطاء الفرصة لتيار انهزامي ينتشر بين الأمة يدّعي أن تجاهل هذه الحملات يطفئها، وهذا خطأ فظيع؛ فالغرب إذا وجدنا نتهاون مع كرامة نبينا فسيستمر في غيه!

السم في العسل

تحدثتَ كثيرًا عن الاختراق الغربي لمؤسساتنا الإسلامية خصوصًا الرسمية.. كيف ذلك؟

فعلاً هناك اختراق مسيحي للمؤسسات الرسمية؛ فعلماء هذه المؤسسات يحاولون استرضاء المؤسسات الدينية الغربية ويظهرون إعجابهم بالنمط الغربي ويحاولون تسويق النمط الغربي إلينا على طريقة السم في العسل لدرجة أن العديد من شيوخ الإسلام يتحدثون أن الغرب أصبح الوصي على الإسلام، وأن الاستفادة منه أفضل لنا، وأن المواجهة لن تكون في مصلحتنا، وأحسب أن هذه الظاهرة بدأت تتكرس بشدة في الأيام الأخيرة؛ حيث أصبح بعض علماء السلطان يعملون وكلاء للغرب، ويسعون ليكونوا رموزًا للتغريب في حياتنا، بل إنهم أصبحوا يتندرون على فكرنا الأصيل ويصمون ثوابت إسلامية بالتخلف والجمود، وهذه كارثة إذا لم نحاول التصدي لها ووأدها حاليًا فسوف نعاني الأمرين منها في المستقبل!.

مزيداً من التفاعل للدفاع عن رسولنا صلى الله عليه وسلم

نشرت جريدة الرياض في ١٤٢٦/١٢/٢٩هـ

ربيع الحرف

مزيداً من التفاعل للدفاع عن رسولنا صلى الله عليه وسلم

د. نورة خالد السعد

منذ يوم الجمعة ٢٦ شعبان ١٤٢٦ه الموافق ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م والرسوم الساخرة برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم منشورة في الصحيفة الدانماركية (جيلاندز بوسطن) والدفاع عن نشرها بدعوى حرية الرأي!!

ويدعم هذا الرأي ملكة الدانمارك ورئيس الوزراء الدانماركي بل ان الحكومة الدانماركية كما نشر في موقع الإسلام ديني في يوم الاربعاء ٢٥ ذي الحجة على لسان رئيس وزرائها تحاشت الرد على النقد المقدم إليها من الأمم المتحدة وقد كانت ٥٧ دولة إسلامية تقدمت باحتجاج إلى هيئة الأمم المتحدة بخصوص الرسومات المسيئة لسيد البشرية حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وأكد مبعوث الأمم المتحدة (دور دياني) في لقاء له مع جريدة اليولاندبوستن ان على الحكومة الدانماركية ان تتخذ موقفاً من هذا الموضوع، ولكن هذا الطلب رفض من قبل رئيس الوزراء الدانماركي وقال في تصريحه يوم الثلاثاء ١٢/٢٤ الموافق ٢٠٠٦/١/٢٤م بأنه من الخطأ ان تقوم حكومة ديموقراطية بتقييم عمل الصحافة ويرى ان الحكومة لن تضع نفسها في موقع الحكم لأن هذا يتطلب تفرغاً تاماً لما تقدمه الصحافة اليومية!! وفي الوقت نفسه أكد هذا الرئيس الدانماركي ان حكومته مرتاحة لطريقة تعاطيها مع هذه القضية!! وانها لا تشعر بأنها أساءت لحقوق الإنسان في هذا المجال!! ويقول: لقد قمنا بتقديم شرح واضح ومفصل عن كيفية تعاملنا وحمايتنا لحقوق الإنسان والأقليات مؤكداً ان هذا الشرح يتماشى مع التطلعات التي ينشدها مسؤول لجنة حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة!!

.. انظروا كيف هو التعامل اللامبالي والممعن في الإساءة والمهانة لنا بصفتنا مسلمين!؟ لقد خلع الله المهابة من قلوب أعدائنا عندما تهاونا في أمور ديننا ورضينا تدنيس القرآن الكريم في معتقلات جوانتانامو بل وإحراقه ورسم الصليب عليه.. واليوم يساء إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم ويكابرون ويرفضون الاعتذار!! بينما يحاكم مفكرون لمجرد انهم شككوا في الهولوكوست!! ويُسأل سفير خليجي في بريطانيا منذ أعوام لمجرد انه نشر قصيدة شعر في أم استشهادي فلسطيني!! وكيف يتحرك كوفي عنان ويشجب ومع جوقة المطبلين في الأمم المتحدة لأن الرئيس الايراني قال لهم اجعلوا دولة إسرائيل لديكم في أرضكم!!

والقائمة طويلة جداً وإعادة كتابتها لن تغير من الأمر شيئا لأن هؤلاء لا يتحركون إلا عندما يتأذى اقتصادهم إذا ما استمرت المقاطعة لمنتجاتهم ليس في المملكة هنا فقط بل في كل المجتمعات الإسلامية.. فلا يهنأ أي منا بالتلذذ بالجبن والزبدة من بلد يحتقر رسولنا ويستهزئ به ولا يلقي بالاً إلى جميع هذه الاحتجاجات من الهيئات الإسلامية العالمية..

؟؟ يدعون أن هذا (حرية رأي)!! ونحن هنا نناقش الحوار مع الآخر واحترام الآخر.. وهذا هو الآخر يتمثل في تصرف دولتين أوروبيتين كانتا مسالمتين!!

ومن رسائل وجهت لوزير الخارجية الدانماركي الدكتور بيرستج مولر من قبل العديد من الغيورين جاء فيها (ان ادعاء الصحيفة بحرية التعبير في نشرها تلك الرسوم ادعاء غير مقنع لأن جميع دساتير العالم ومنظماته تؤكد على احترام الرسل، وعلى احترام الشرائع السماوية، واحترام الآخرين وعدم الطعن فيه علانية. وقد جاء في ميثاق شرف المجلس العالمي للفيدرالية الدولية للصحفيين ما نصه:

- على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات.

- سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره على انه تجاوز مهني خطير: الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أو لاخفاء المعلومات.

- على الصحافيين الجديرين بصنعتهم هذه ان يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها ومن خلال الاطار العام للقانون في كل دولة.

وجاء فيها أيضاً: (اننا حين نطالب الصحيفة والحكومة الدانماركية بالاعتذار ومنع تلك الاساءات لاحقاً فإننا نعتمد على الميثاق الصحفي الذي جاء فيه (سيقوم الصحافي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد انها غير دقيقة على نحو مسيء).

.. هذا الميثاق مهم ولمن سيرفع دعوى قضائية على هذه الصحيفة الاعتماد عليه وألا يطالب باعتذار فقط بل لابد من إغلاق تلك الصحيفة.. فالذي أُسيء له ليس حاكماً أو زعيماً بل هو سيد البشرية صلى الله عليه وسلم ومن خاطبه الخالق: إنا ارسلناك رحمة للعالمين..

ولابد من تفعيل رسمي من قبل الاتحادات والمنظمات الإسلامية في كل موقع والمطالبة بتفعيل القرار الذي تبنته لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بتاريخ ١٤٢٦/٣/٢هـ الموافق ٢٠٠٥/٤/١٢م الداعي إلى محاربة تشويه الأديان لاسيما الإسلام الذي زادت وتيرة تشويهه في الأعوام الأخيرة ويقابل هذا صمت رسمي من معظم حكومات الدول الإسلامية ما عدا المملكة العربية السعودية التي سحبت سفيرها من الدانمارك منذ أيام ولله الحمد.. ولابد أن تحذو حذوها جميع الدول الإسلامية ولابد من إبعاد سفراء الدانمارك والنرويج أيضاً لأن صحيفتيهما أعادتا نشر الرسوم المسيئة..

؟؟ نحمد الله على التجاوب الشريف من بعض التجار لايقاف بيع المنتجات الدانماركية ومقاطعتها فهذا سلاح آخر لابد أن يستمر وأن تكون هناك آلية مستمرة للتصدي لأمثال هذه التصرفات وأن يشارك جميع المثقفين والعلماء والكتّاب والكاتبات للتصدي لهذه الاساءات فالقلم أمانة.. وكما يتفاعلون مع (قضايا الآخر)!! لابد أن يتفاعلوا مع قضايا تمس (رسولنا صلى الله عليه وسلم عندما يسخر منه هذا الآخر)!!

؟؟ تحية تقدير لقناة المجد لتفاعلها المتميز وتسخيرها الإعلام لأداء الأمانة والدفاع عن رسولنا صلى الله عليه وسلم على مدى الأيام الماضية...

١٩ تعليق
١
شكر
جزاك الله خيرا ولاحرمك الاجر وحماك الله من كل مكروه
علي الحاج
٠٥:١٣ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
٢
لانريد الاعتذار
كالعادة يا دكتوره مواقفك مثل مواقف قناة المجد مشرفة وهذا ادراك جميل لمعنى الامانة الصحفية التي افتقد لها الكثير للاسف.
تحية لكل مسلم غيور دافع وأنكر ما تقوم به هذه الدول الفاسدة التي لم ترى في حرية التعبير الا على حساب المسلمين. والله ان هذا لن يزيدنا الا تمسكا وحبا بسيد الخلق. واذا كانوا اتهمونا بالارهاب، فهذا هو الارهاب الفكري والاستفزاز. ان الاعتذار لايكفي فقد يكون ضعيف مثـــل ذر الرمـــاد في العيون.
أتمنى من الجهات الرسمية ان يكون الاعتذار على شكل صفحة كاملة في هـــذه الصـــحف تعطـــي للمسلمين ليكتبوا عن دينهم ونبيهم ويدافعوا عن هذه الشبهات. صدقوني لو تم ذلـــك فلـــن تجـــرأ صحيفة على الاعتداء لانها ستعرف انها مطالبة بعد ذلك بتخصيص مساحة معينة في صفحاتها للـــرد على الشبهات وعرض المسلمين لدينهم بالشكل الصحيح.
ألف شكر للدكتور العزيزة وقناة المجد وجميع المخلصين.
أبو فيصل
٠٨:١٤ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
٣
تحية شكر لقلمك الشريف
فأنت من أوائل من جرد قلمه للتصدي لحملة التشويه التي قصد بها المساس بالجناب النبوي، وهكذا نريد من كتابنا، وهذا ما ننتظره منهم.
والعجب لا ينقضي من هذا الإصرار المزعج من صحيفة ((بولاند بوستن)) وحكومة الدنمارك مـــن ورائها؛ فالحكومة وعلى رأسها الملكة ((مارجريت الثانية)) ورئيس الوزراء ووزير الخارجية يصرون على عدم الاعتذار، وصحيفة بولاند بوستن الدنماركية نشرت أمس بياناً للمواطنين الســـعوديين في صفحتها الأولى تصر فيه على أنها حرية الرأي والتعبير، ووضعت رابطاً لبيان في آخر بيانها أمس لبيان سبق أن نشرته، وفيه: أنها لن تعتذر، ولن تزيل الرسومات من الأعداد التي نشرت فيها.

أما خوفنا فهو من بعض المخذلين من أبناء جلدتنا الذين ينطقون بألسنتنا، وأخذوا في نشر تصريحات، وتدبيج مقالات في بعض وسائل الإعلام يدعون فيها إلى عدم المقاطعة، ويهونون من الجرم الشنيع الذي وقعت فيه صحيفة ((بولاند بوسطن الدانماركية)) ومجلة ((ماغازينت)) النرويجية.

هؤلاء نخشى من تخذيلهم، ومن فتهم في عضد هذه الحملة التي أثلجت صدورنا حين وحدت بين الصفوف، وحركت الهمم، ونفضت الغبار عن كثير من أحوالنا. والله الموفق.

أحمد بن عبد العزيز السليمان

٠٨:١٧ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٤

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء!

الدكتورة نوره السعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية وشكر لما يخطه يراعك، وأسأل الله لكِ دوام شرف الدفاع والذب عن ساحة رسولنا صلى الله عليه وسلم..

صدقتِ (القلم أمانة).. أين من سخّر قلمه للدفاع عن المطربة فلانة؟! وعن الممثل فلان؟! وأين من سخّر قلمه لتمجيد الأراذل والحثالة؟!..

ألا يستحق سيد ولد آدم لمن يهب نخوة ودفاعاً عن شرفه؟؟ بل وعن شرف مليار ومائة مليون مسلم؟؟.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (هجاهم حسان فشفى واشتفى)..

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

هجوت محمدا برا تقيا * رسول الله شيمته الوفاء،

فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء،

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء،

أكرر شكري وتقديري لأستاذتنا نوره، مع التحية..

خالد بن راشد الحجي

٠٨:٣٠ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٥

كلمه الشعوب

يجب على الشعوب ان يكون لها دور كبير وان لا يعتمد على ماتقوم به الحكومات فقط وان تستمر الحمله ضد الدنمارك والمقاطعه على جميع المستويات حتى يكون درس لجميع الدول وتبقى للتاريخ

عبدالله الجابر

٠٨:٤٩ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

٦
اختلف معك
افهموا الرأي الأخر..وماسبق ان طرحه احد المعقبين عن الموضوع. لماذا المقاطعة؟ لماذا المقاطعـــة؟ ان المقاطعة لن تحل المشكلة بل هذا ما سيثبت فكرة الغرب بكوننا شعب متخلف و لا نجيـــد الحـــوار. لنعطي فرصة للحوار.وهو ما قاله الأخ عبدالحليم وعلينا ان ننتبه لواقعنا وانفسنا ولا نكون اميين اكثر من اللازم.نحن همنا وطننا. واذكر تعليق عضو مجلس الشورى في جريدة شمس إن "مقاطعة المنتجات الدنماركية أسلوب عاطفي، لذا ينبغي على المسلمين أن يسعوا إلى إيصال صورهم بملامحها الحقيقية، لا كما يصورهم الخطاب الإسلامي المتطرف".
لمى
٠٩:١٥ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
٧
ليست مسؤليتكم وحدكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة
جزاك الله خير د/نوره
نعم هي ليست مسؤليتكم وحدكم ككتاب ومثقفين وايضا تجار هي مسؤلية كل مسلم ان يدافع عن دينه وانا في الحقيقة استغرب من الدول الاسلامية التي لم تبادر بسحب سفرائها بعد الذي حدث !!!
أليسو مسلمين؟
مع العلم أن سحب السفراء اقل شيء يجب أن يعمل به.
قبل الختام يجب ان نشيد بشبابنا البواسل (الهاكرز) الذين بدأو في اقتحام مواقع الصـــحف علـــى الانترنت التي شنت الهجوم على سيد الخلق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ووضـــعوا رايـــة التوحيد على واجهات المواقع...
الوليد السليمان
٠٩:٢٢ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
٨
مشكورة
الله يعطيك العافية ويجعل هذا المقال يشهد لك يوم القيامة، بارك الله فيك.
بدر عبدالله
٠٩:٢٩ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
٩
حملات جادة

اتمنى ان يكون هناك حملة توعوية تقوم وبشكل جدي بتوعية اصحاب المحلات و توضيح الموقف بشكل اكبر لمنعهم من بيع منتجات بلد كهذة وبيان واجبهم كمسلمين تجاه هذا الدين. و نشكر مملكتنا الحبيبه على سحب سفبرها من الدنمارك

هناء الحوراني

٠٩:٤٠ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٠

شكر

جزاك الله خيرا و صلى الله على سيد الخلق

ابو العبد التميمي

١٠:٢٧ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١١

أنت عينة من الجنود البواسل

في الحروب السابقة كان الإنتصار والقوة لمن هو الأقوى...

العصر الحديث تخاض الحروب بسلاح العقل والفكر والمال والإقتصاد..

وجنوده هم العلماء والمفكرين والكتاب المخلصين...

دكتورة نورة عجباً من دولة كالدنمارك كما قلت في مقالة لي سابقة تعتبر من الأقزام مقارنة مع الدول الأخرى ومع ذلك عندها الشجاعة أن تجرح ١ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ شخص مسلم!!!

هذا يدلنا ويبرهن لنا أن العلة لاتكمن في هؤلاء الناس فهم أحلوا الشذوذ والمخدرات وعبدوا الشيطان وقطعوا الأرحام.وأكثر ممانعرفه جميعنا ولكن العلة والمصيبة فينا نحن المسلمين...والأمل بالله كبير فما تزيد هذه المصايب المسلمين الا وقوداً للإنطلاق نحو قيادة المستقبل بإذن الله...

ووالله إن الأمة محتاجة لهاكذا مخلصين من أمثالك وأمثال القائمين على قناة المجد وكل المخلصين لله أولاً ثم لدينهم ونبيهم...

ووالله كما ذكرتي أن أنجح علاج لهؤلاء المرضى هو سلاح الإقتصاد.

ولننقل المعركة من أن تكون لدينا إلى عقر دارهم عندما ينقلب الإقتصاد الى بطالة وخسائر ومظاهرات وينقلب رجال الأعمال عليهم وإن الله سيريهم سوء أ'مالهم إن نحن صدقنا الله ماوعدناه وكنا مواطنين صالحين نعي مايطلب منا على أكمل وجه وبذكاء...

فهل نعجز نحن المسلمين عن الإستغناء عن منتجات عدوة الله ورسوله الدنمارك وهي منتجات لها بديل من صناعاتنا المحلية أم نفشل لأننا أناس عاطفييون في هذا الإختبار كما فشلنا مع المنتجات الأمريكية.هذا إختبار لنا إختبار للإرادتنا وحبنا لطيب الثرى محمد صلى الله عليه وسلم...

أختي الدكتورة نورة والله على أني منشغل جداً ولكن مادام المسألة تمس النبي صلى الله عليه وسلم فالموضوع مختلف وسوف أدافع بقلمي وبمالي وبجهدي وبعقلي وبدعائي والكل على قدر إستطاعته...

وإلم أفعل ذلك فما فائدة عيشي !
Falcon eyes
١٠:٤٧ صباحاً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
١٢
لا تختزلوا الإساءة فى أصبع زبدة
رائع هذا المقال د. نورة و إضافة للأقلام الحرة الغيورة التى انبرت لهذا الإسفاف و التفاهة التى جاءت فى صحف الدنمارك و النرويج. و العجيب أنّ هذه الدول من الدول (الناعمة)، الطرية مثل الزبدة، و لست أدري من أين طلعت لها هذه الأنياب و المخالب التى لم تجد إلاّ أفضل و أكمل البشر للإستهزاء به. و الأعجب أن نرى بعض المسلمين الذى تعودوا على الإستكانة و الذل يطالبون بالإنحناء و الحوار مع هؤلاء السفلة. يا ترى ما الذى سيقوله المسلم المحاور ؟ الموضوع ليس مسألة سياسية مختلف عليها بين الدول، بل طعنٌ فى عقيدة مليار و ثلاثمائة مليون مسلم و إهانةٌ لنبيّهم المعصوم – عليه أفضل الصلاة و أتمّ التسليم.
أرجو أن تكون قرارات قادة المسلمين على مستوى هذا الغليان الذى يجتاح وجدان كل مسلم على وجه الأرض، وأن تكون مقاطعة منتوجات هذه الدول أول الغيث و أهون العقوبات.
قال حرية التعبير قال !!! عجبى.
أنور على
١٢:٣٧ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
١٣
بورك فيك وفي قلمك.. ومهما قلنا وكتبنا ،ز.. نأمل المزيد من التفاعل
شكر الله لك هذا المقال والمقالات التي قبله.. والله أسأل أن يجعلك ممن يشفع لهم الحبيب صلى الله عليه وسلم، ووالديك.. والأخوة الاقراء...
مؤلم حقاً ألا يكون هناك تفاعل من قِبل صحفنا السعودية ،،، إلا النزر القيلي.. من الأخوة الأخوات الكتاب!!!
بينما في الكويت والدول الأخوى... تحركت سياسياً بعد تحرك حكومتنا – وفقها الله – بينما سبقتنا إعلامياً.. بمراحل ! فما السبب ؟
فشكر الله سعيى إخواتنا وإخواننا الكتاب الذين تفاعلوا مع الحديث... ومن لم يتفاعل مع نبي الرحمة وما يسخر به.. فلا حاجة لنا به ولا بكتاباته.
لو سمع أحدهم قصة مختلقة عن رجل توقعوا أنه من هيئة المر بالمعروف والنهي عن المنكر... لحملوا الدنيا ولم يقعدوها... والآن وكأن الأمر لا يعينهم!!!
وأخيراً قال تعالى {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}

وفق الله الجميع لما يحب ويرضاه، وأخذ بيدينا جميعاً للبر والتقوى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...
عبدالعزيز بن علي العسكر
٠١:١١ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
١٤
بارك الله في الجهود
الاخت الدكتوره نوره بارك الله في جهودك وحقك علينا الدعاء بأن يبارك الله لك في علمك وقلمك وجرئتك في الدفاع عن قضايا الامة فأنت أحد فرسان الساحة وامالنا معقودة بعد الله على جهودك والمخلصين من امثالك،وما وصلنا الى هذه المرحلة من الضعف والهوان الا بالبعد عن الدين.
ابوعبدالعزيز
٠٢:١٨ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
١٥
الله يوفق في الدنيا والاخره
الى الدكتوره نوره السعد وفقك الله وارجوا منك ان تدعي الكاتبات والصحفيات الى تبني القضيه وتصعيدها على كل المستويات وفي كل المحافل الدوليه والمحليه وفي الاذاعات وعبر وسائل الاعلام المختلفه وبارك الله في جهودك وفي قلمك
ابو ياسر
٠٣:٠٨ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
١٦
نعم قاطعوهم ثم قاقطعوهم
الأخت الفاضله الدكتوره نور السعد.
وفقك الله على هذا البيان الجميل وجزاك الله خير الجزاء على ما اورتي به من كلام صادق وبيان حول النية المبيته للحكومة الدنمركية وحثالات صحافتها حول موضوع سب النبي والإعتداء عليه صلى الله عليه وسلم والموقف السلبي لملكة الدنمرك ورءيس وزراءها يزيدنا تمسكاً وحرصاً على نصرة نبينا صلى الله علية وسلم.
لي تعليق طويل حول ماكتبته الكاتبه (لمى) وقمت بإنزاله في إحدى المنتديات
تركي الحربي
٠٣:٢٤ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦
١٧
فلتسير القافلة.

آمل المضي في الدفاع عن الحبيب صلى الله عليه وسلم..بدات القافلة تسير بعزم نحو هدف واحـــد الكبير والصغير المراة والرجل الوزير والحقير المطيع والعاصي كل من في قلبه من ذرة ايمان. ان التحرك يزلزل قلوب مريضة..بهتت بما تم، يحارون الآن..كيف يصرفوا الانتباه عن هذه القضية، لذا أوصـــي الأخ الحربي بعدم اشغال قلمه بمن يثير ضجيج حول القافلة.فهذا أنت يا وطني شامخ بدينك، وهذه انت يا أمتي عاليه بهمتك. ومن لم يعجبه فليشرب من البحر.

لجين السعيد

٠٥:٠١ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٨

شكر

أثابك الله وجعل ما تكتبين في ميزان حسناتك، وخالص لوجهه الكريم.

أم لين

٠٥:٠٦ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

١٩

بس هذا الي تقدرون عليها

لو ان واحد متكلم على حاكم دوله او رئيسى او وزير الى اخرى ماذ فعلوا

اقاموا الدنيا واقعدوه وما بالك في رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقسم بالله لو انه متكلم على حاكم دوله اسحبو السفير والاعلام جالس يسب في الدوله وهذا يسبو رسول صلى الله عليه وسلم

حسبي الله ونعم الوكيل

عاقل

٠٥:٥٤ مساءً ٢٩/٠١/٢٠٠٦

==========================

مسلمو الدنمارك وأزمة الرسوم المسيئة

الكاتب: د.رائد حليحل

أيها الإخوة الأحباب، أتيت مع إخوان لي من الدانمرك نمثل بين أيديكم الغالبية العظمى من مســـلمي الدانمرك حتى نرفع لكم شكايتنا عما حصل في تلك الديار...

أيها الإخوة الأحباب، لا بد لي أن أجعل كلامي على محورين اثنين....

المحور الأول : هو الكلام عن الفاجعة أو الكارثة التي وقعت في ديارنا في بلاد الدانمرك، والمحور الثاني هو الكلام عن كيفية تعاطي المسلمين مع هذه الأزمة.

لابد أن نعي بداية أن صحيفة (يولاند بوسطن) لها ميول واضحة، فكل من يتابع الإعلام الـــدانمركي يعرفها تماما، هي يمينية متطرفة بما تعني الكلمة، إن عندها من عدم المحبة إن لم أقل عداء بيناً للجاليـــة عموما والمسلمين منهم تحديدا. ولم ترتدع يوما عن التطاول على الإسلام والمسلمين ولكنه طبعا لم يبلغ حدّ نشر الرسوم المسيئة، إنما كان على صورة النقد للمسلمين باستغلال بعض الثغرات عنـــدهم وبعض المواقف التي تظهر ضعفهم التي كانت تبرزها دون أن تبرز غيرها، ولقد كللت هذه الأعمال بتلك الفاجعة الأخيرة عندما انبرت ظنا منها وإيهاما للمجتمع الدانمركي على أنها راعية الحقوق وأنها حريصة على حرية الرأي والتعبير، وأنها حامية لحمى الديمقراطية في تلك الديار، وبالتالي أنها التي تقف أمام زحف إسلامي مخيف في ديار الغرب عموما وفي الدانمرك تحديدا.
الذي هيج الجريدة أن كاتبا كتب كتابا عن الإسلام، للأسف لقد نزل إلى الأسواق منذ مدة قريبـــة وعنوان الكتاب (القرآن وحياة محمد)، وهذا الكتاب فيه من الأكاذيب والشبهات وإثارة كـــل مـــا يمكن استغلاله ليقدح في مقام النبوة، ما لا يعلم به إلا الله. هذا الكاتب أراد أن يسوق لكتابه برسم يوضع على غلاف الكتاب يعكس مضامين الكتاب، أي رسومات ساخرة تعبر في أول صفحة عما في داخل الكتاب، لقد أبى أكثر الفنانين بل امتنعوا، فلما علمت الجريدة بذلك حكمـــت أن هـــذه مبادرة خطيرة، أيمكن أن نخاف نحن في ديارنا من المسلمين، أيمكن أن نراعي مشاعر المسلمين عوضا عن أن يراعوا هم مشاعرنا وقيمنا ومبادئنا وغير ذلك، فأرسلت هي بدورها إلى ثلة من الفنانين ومن الرسامين تطالبهم بل تحثهم وتوهمهم أن المعركة لا بد منها، وأنها المعركة الفاصلة التي لو انهزم هؤلاء أمامها فإن بناء الديمقراطية حقيقة سيشكل عليه هذا الضغطُ الإسلامي خطرا كبيرا ، فحثتهم علـــى هذا الفعل، فاستجاب اثنى عشر وامتنع بقية الأربعين، وجاءت الرسومات قاصمة لظهر كل عاقـــل فضلا عن كل مسلم.
لقد جاءتنا الفاجعة صبيحة يوم الجمعة، ولعل اختيار يوم الجمعة له دلالته ـــ لنفس اليـــوم ـــ ولأن الجريدة ستكون بين يدي الذين عندهم الإجازة الأسبوعية يتمتعون بـــالنظر إلى تلـــك الرســـومات الساخرة طيلة ثلاثة أيام وكان ذلك في يوم ٣٠ من شهر ٩ من العام الميلادي ٢٠٠٥م ، فما كـــان من المسلمين إلا أن تنادو لعقد لقاء هادئ هادف بعيد عن الانفعالات، وإنما أردنا أن نتشاور في مـــا بيننا وأن نتذاكر كيف يمكن أن نواجه مثل هذه القضية، ولا أفشي سرا إن قلت لكم أن هناك رأيـــا كان مطروحا في هذه الجلسة أنه علينا أن نتجاهل تلك الرسومات ولكن الرأي الأغلب كان : لا بد أن نتصدى لها والذي رجح الرأي الآخر أننا وجدنا من الصحيفة إصرارا على عملها ، ولعلمكم فإن أول ردّ نزل لنا على الرسومات كان بعد أسبوع، وطيلة هذا الأسبوع كانت في كل يـــوم تتحفنـــا الصحيفة بتكرار صورة أو مقال يؤكد هذا المعنى.
الصور كانت مسيئة، والإشكال فيها كبير ولكن الإشكال في ما قاله المحرر مرافقا لهذه الصور كـــان أكبر، عندما أراد منا أن نتهيأ نفسيا لهذا الأمر وأن نرضى ونرضخ لأي إهانة مهما عظمت ومهمـــا كان حجمها لأن هذا كان من متطلبات الحياة الديمقراطية، وهنا تكمن الخطورة ، لأن الرسومات لم

تكن رصاصة طائشة و لم تكن عملا حقيقة غير هادف إنما كانت عملا مدروسا، وقد افتضح هؤلاء أرباب تلك الصحيفة عندما قال خبير في الديانات في الدانمرك " لقد استُشِرت في هذه الرسـومات، فقلت لهم حذار حذار من نشرها، لأنها ستحدث انتفاضة". ولكن إصرارهم على نشرها إلى جانب سكوتنا أسبوعا كاملا، طبعا سكوتنا إعلاميا، ولكن كنا في داخلنا وفي مجتمعاتنا ومنتدياتنا في حالة تشاور حول ما هو العمل الأنسب وكيف سنواجه القضية. وأنا لا بد أن أذكر هذا الكلام، لـيس دفاعا عن أنفسنا وليس تزكية لها، إنما بيانا للحقيقة، لأننا سمعنا كثيرا من التوجيهـات والنصـائح الكريمة وشيئاً من نقد، كنت أتألم منه أنا وإخواني في الدانمرك. هذا النقد كان يقول أن المسلمين في الدانمرك هم الذين يتحملون مسؤولية الإساءة وهم الذين يتحملون أسبابها، وهذه الكلمة فيها مـن الإجحاف لحق مسلمي الدانمرك ما لا يعلم به إلا الله.

ليكن معلوما لديكم جميعا، إن كان لا بد من تحميل المسلمين لهذه المسؤولية فليكن التحمـل مـن المسلمين عامة، في العالم كله، لأننا اليوم نعيش في عالم كأنه قرية واحدة. هـؤلاء نظـرتهم علـى الإسلام، ليست من أجل الشيخ رائد ، إنما نظرة على كل عمل ولو كان في أقاصي الدنيا ومحاولـة نقده بهذه الطريقة أو بغيرها. فأقول لكم لا تعفوا أنفسكم من المسؤولية، بل بيننا شراكة كاملة كلنا نتحمل المسؤولية إذا كان لا بد من تحملها، ولكن حتى لا نظلم أيضا لأننا قصرنا في التعريف برسول الله وقصرنا بالدعوة إلى الله ولو أننا قمنا بواجبنا لما عمل بهذا العمل، ولا أدري، أكل تهكم بدين الله سببه المسلمون؟ وبالتالي، أيعقل أن نحمل المسلمين المسؤولية في الدنيا والآخرة بأن نطالب أن يقـام الحد عليهم اليوم أو نطالب بأن يعاقبهم الله يوم القيامة لأنهم متسببون في هذه الإساءة؟ أقول، كفانا جلدا لذواتنا، لا ينبغي أن نجلد أنفسنا لهذا المستوى والحد. نعم، أنا مع النقد الذاتي، ولو لم أكن معه لما نقدت إخوانا لي في الله، أحبهم، أحترمهم ولكن المصلحة العليا أهم عندي من أن أنتقدهم أو غير ذلك.

إذاً، رأينا أيها الإخوة بعد إصرار الصحيفة أنه لا بد من القيام بعمل، ولكن تخيلوا ما العمل الـذي أديناه. كان عملا حقيقة كما يقال في الغرب تحت مظلة الديمقراطية! لم نقارف عملا واحدا والقضية اليوم عمرها خمسة أشهر، لم نقارف عملا واحدا يمكن أن يسجل على المسلمين أنهم أخطأوا بحـق رسالتهم ودينهم وحضارتهم في المجتمعات الغربية.

لعلمكم، المسيرات التي خرجت في العالم الإسلامي هي التي وقع فيها التخريب، أما عنـدنا، حـتى المسيرات لم تخرج، لأننا كنا نخشى لو أننا أطلقنا دعوة للخروج إلى المسيرات، ونحن نعلم أن النفوس ملتهبة، أنه قد يخشى أن يحدث شيء، ولذلك من حنكتنا وحكمتنا رفضنا أن تكون هناك مسـيرات في الدانمرك.

ما الذي عملناه؟ جمعنا توقيعات حقيقة بلغت حوالي عشرين ألف توقيع من أجل أن نوصل رسـالة للصحيفة وأرباب السياسة أن هذا عمل لا يمكن أن نرضى عنه. استشرنا محامين من أجل أن نرفـع قضية في القضاء الدانمركي لنحل تلك القضية. كتبنا رسالة احتجاج مؤدبة في قمة الأدب إلى تلـك

الصحيفة وقلنا لهم " إن كنتم في علمانيتكم لا تقيمون للرموز قداسة، فإن نبينا ما زال له في قلوبنا وسيبقى بإذن الله رمزية عظيمة وقدسية كبيرة، لا بد لكم، إن أردتم أن نحترم قيمكم، إذا أردتم أن نحترم مجتمعكم لا بد أن تحترمونا، لا بد أن يكون احتراما متبادلا وأما احترام من طرف واحد يعتبر ظلما ومهانة". ثم أكثر من ذلك، كتبنا رسالة دبلوماسية إلى وزير الثقافة و لم يصلنا الجواب إلا من أيام قليلة بعد أن التهب الشرق الأوسط بحالة الاحتجاج. إذا، كل هذا الكلام يدل على أننا لم نشأ أن نجعل من الدانمرك ساحة حرب ، وهذا للأسف من باب التضليل الإعلامي في الدانمرك، صوّر للمجتمع الدانمركي أن اعتراض المسلمين ليس إلا نوع من أنواع إعلان الحرب على حرية الرأي والتعبير وقلنا لهم مرارا، نحن أولى وأول من نادى بحرية الرأي والتعبير. هل هناك أعظم من أن يكون في ديننا إذن للبشرية أن يكون منهم مؤمن ومنهم كافر؟ أي حرية أعظم من ذلك! أي حرية أعظم من قول الله، لا إكراه في الدين! ولكن للأسف أيها الإخوة، هناك أمر أرجو من الجميع أن يتنبه له تماما ، وهو أن صورتنا تشوه دائما في الدانمرك ، ووالله ليس بتقصير منا ولا نعفي أنفسنا من المسؤولية ، ولكن أنا وغيري من الدعاة الذين هم معي الآن جزاهم الله خيرا! يتكلم أحدنا ساعة لا يأخذ الإعلام منه إلا كلمة وتوظف في غير محلها ، وتبتر وتوضع في غير سياقها ليتوهم القارئ والسامع أن هؤلاء حقيقة أسود ضارية لا بد أن تخافوا منهم.

لقد عشنا في الدانمرك بسلام ولا زلنا مسالمين ولما قمنا من أجل أن نوقف هذه المهزلة كان سبب ذلك أننا نخشى أن يحدث في الدانمرك ما حدث في هولندا. لا نريد أن نفتح المجال أما عواطف غوغائية غير منضبطة لتنتقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. أردنا منهم أن يخاطبونا بالعقل لنخاطبهم بالعقل، أن نحل القضية بالعقل وأنا أطمئنكم أيضا لأننا في مرحلة لم نتعرض بها للحكومة الدانمركية بكلمة واحدة، لا نريد أن نظهر أمامها أننا أناس نريد أن نشاغب مع الحكومة. كل كلامنا كان منصبا على الجريدة وما زال حتى اليوم ، و لم نطلب من الحكومة موقفا منصفا لنا إلا عندما أخطأت الحكومة بأعمال أظهرت من خلالها أنا داعمة أو متغاضية عن عمل الصحيفة ، ولعل بعضكم اليوم اطلع على نشرة الأخبار على أن الرئيس الدانمركي أصر أن يقحم أنفه في هذه المعضلة ليعترض اعتراضا كبيرا ويدين بشدة عمل شركة (آرلا) التي قالت لنا نحن المؤتمرين هنا، أرجوكم أنا أحترمكم، أنا أدين عمل الصحيفة، لا تأخذوني بجريمتها!

مجرد هذه الكلمة العاقلة التي كنا نتمنى من المجتمع الدانمركي برمته أن ينبري ليقولها وإن كان لا بد لنا أن ننصف لنقول: نعم، هناك أصوات جميلة في الدانمرك. خبراء في الدستور قالوا كلمتهم الطيبة، خبراء في السياسة قالوا كلمتهم الطيبة. عشرون دبلوماسيا كبيرا اعترضوا. ستين ألف توقيع من أناس جامعيين ومدرسين وطلاب قدموها للدولة أنك لا بد أن تكفي عن هذه المهزلة.

إذا نحن كنا وما زلنا وسنبقى نقول مشكلتنا مع الصحيفة وديننا علمنا أن لا نأخذ الصالح بجريرة الطالح، أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وإن كان لا بد من كلمة أعلم أن الكثير يسأل عنها، وهي قضية المقاطعة. فأنتم أعلم منا أننا مسلمو الدانمرك لم نطالب بالمقاطعة ولن نحث عليها و لم نطالب

الناس بها ولكنها وقعت ردة فعل من الشعوب الإسلامية وإن دلت على شيء فتدل على أن قلوبهم قد غلت بالإهانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن كان لا بد اليوم من موقف فإن إخوانكم من اللجنة التي أتت من الدانمرك تلتمس منكم أن تقدروا الظرف الحالي الذي تعيشه هذه المرحلة في الدانمرك مسلمون وغيرهم وأننا لا بد أن نثمن عاليا موقفا ليس فقط شركة(آرلا)، إنما أي جهة من الدانمرك تتبرأ من عمل الصحيفة، فلا بد أن نرسل لها رسالة إيجابية لنبين لهم عدلنا نحن كمسلمين، وأننا لا يمكن أن نظلم أحدا، لكن أخيرا أقول لكم أيها الإخوة الأحباب ، إن كان لكم شرف نصرة النبي والتمتع بهذه النصرة فنحن لنا شرف التعرض لهذه الأذية لنصرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

أنا واحد من كثر قد أتتهم التهديدات لأننا انتصرنا لرسول الله سواءً كان واقعيا أو غير واقعي، الله أعلم به، ولكن الخطر لا يهمنا أن يأتي من مصادر مجهولة. الذي يزعجنا أن يتلفظ مسؤولون في الحكومة الدانمركية، عندما يهدأ العالم الإسلامي، لا بد أن نصفي حساباتنا مع الأئمة والدعاة وكأنهم اقترفوا جريمة لأنهم انتصروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

نقولها بصراحة، حياكم الله على جهودكم، بارك الله بكم على هذه الاستضافة الكريمة ونسأل الله أن لا يخرج هذا الجمع إلا بما يرضي الله أولا وما يقر عين رسول الله صلى عليه وسلم ثانيا، وما يعيد العزة لأمتنا ثالثا وما يكون رسالة حضارية إنسانية طيبة هادئة هادفة نسلمها للغرب أننا إذا كنتم كما تقولون حريصون على السلام فنحن دين الإسلام وأحرص من كل العالم على هذا السلام ولكن لا سلام مع الاعتداءات والإهانة، فنقول للمجتمع الدانمركي سامحوني، لأنني لا بد أن أوجه الخطاب ولعلم بعضكم هناك أكثر من جهة إعلامية دانمركية، أتت لتسمع كلامي وكلامكم ونحن ليس عندنا شيء في الخفاء، ما نقوله في خطبة الجمعة أو للصحافة أو حتى في لقاءاتنا الخاصة كلام واحد. لقد ساءتنا الرسومات! لا يمكن أن نرضى عنها! لا بد من الاعتذار والتراجع والاعتذار عندهم صعب لأنهم يعلنون أنهم إن اعتذروا، فمجرد الاعتذار إقرار بعدم التكرار وهذا ما لا يريدونه.

فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن الأمة تنظر إليكم لتخرجوا بقرارات متوازنة تكفل أولا وهذا همنا نحن مسلمو الدانمرك، تكفلوا لنا حماية ديننا ورموزنا ومقدساتنا ولكن لا يعني ذلك أن لا تكون منسجمة مع الواقع أو واعية لما يجري.

بارك الله فيكم! عندي الكثير، لكن وقتكم أثمن. جازاكم الله خيرا والسلام عليكم ورحمة الله.

ـــ كلمة ألقيت خلال المؤتمر العالمي لنصرة النبي عليه الصلاة والسلام الذي عقد في البحرين

ـــ المشرف العام على اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية

============================

مشكلات الحوار الثقافي بين الغرب والإسلام

الكاتب: مصطفى عاشور

أثارت المحاضرة التي ألقاها المفكر والمؤرخ المصري طارق البشري في معهد الدراسات العربية بالقاهرة تحت عنوان "مشاكل الحوار الثقافي بين الشرق والغرب" الكثير من التفاعل والإعجاب من الحضور؛ نظرا لأهمية القضية التي طرحتها، والأفكار التي عرضها. وقد أكد البشري -في تلك المحاضـــرة- أن الغرب يسعى لستر صراعه السياسي مع الشرق في كونه صراعا ثقافيا، رغم أن الصراع سياســـي في الأصل، ورأى أنه إذا كان العدوان سياسيا فلا داعي أن نشغل أنفسنا بالحوار الثقافي، وألا نعبأ برأي الغرب فينا، وأن يكون جدلنا الحقيقي مع أنفسنا وقوانا الداخلية.

ورأى أن الغرب في العقود الأخيرة يحاول أن يجعل مشكل المسلمين ذاتيا، وليس مشكلا معه، فمنذ عام ١٩٨٠ كانت أغلب صراعات المنطقة ذاتية، بل ظهرت مشكلات ثقافية داخلية في العالم العربي؛ فقد كانت الحقوق تفهم في السابق على أساس أنها حقوق الأمة في تقرير مصيرها، ولكنـــها حاليـــا تفهم على أساس أنها حق المرأة تجاه الرجل مثلا، ومن ثم انزوت فكرة الحقوق الجماعيـــة وظهـــرت حقوق الفرد.

ودعا البشري إلى أن نمارس ثقافتنا كما فهمناها باعتبارها الوعاء الذي يجمعنا للمقاومة، وأنه لـــيس مطلوبا منا أن نبرر أنفسنا للآخرين، وأن نمارس مفاهيمنا التي تشحذ عزائمنا، وألا نتورط في حديث أكثر من اللازم عن صراع الحضارات.

الحوار بين السياسي والثقافي

في بداية المحاضرة أشار البشري إلى قضايا من المفترض أن تحكم الإطار العام عند الحـــديث عـــن أي حوار ثقافي بين الإسلام والغرب، في مقدمتها:

الالتباس بين الديني والسياسي: فالمعروف أن أي نظام سياسي يحتاج إلى جامعة مـــا بـــين الحـــاكم والمحكومين، وبغياب هذه الرابطة تصبح تكلفة البقاء عالية، وهذا ما يظهر واضحا في الموقـــف مـــن الحاكم الأجنبي الذي لا ينتمي إلى الجماعة السياسية، فالاحتلال – مثلا- مشكلة ثقافية وسياســـية معا.

محاولة ستر العدوان السياسي وراء أسباب ثقافية: فدائما يحاول المعتدي أن يصور الصراع السياســـي على أنه صراع ثقافي، فنظرية "صراع الحضارات" التي جرى تصويرها على أنها صراع ثقافي هـــي في الأساس صراع سياسي.

وتناول قضية الاستشراق، معتبرا أن الاستشراق أعطانا مناهج علمية، لكـــن في الفتـــرة الأخـــيرة الاستشراق يحكّم الفكر الغربي في الفكر المتعلق بالمسلمين، ويشرح الوقائع التاريخية بالمنهج الذي يفهم به هو وقائع تاريخه رغم الاختلاف بين التجربتين.

فالاستشراف ينظر للإسلام من منطق إما مسيحي وإما لاديني، ويحاكم النظم الخاصة بالإسلام مـــن معاييره هو، ومثال ذلك تقسيم السلطات في الدولة، فالغرب يقسم السلطات إلى: قضائية وتشريعية وتنفيذية، وعندما ينظر إلى الحضارة الإسلامية وتجاربها يتساءل: هل هذا التقسيم موجـــود أم غـــير

موجود؟ وعندما يرى أنه غير موجود –وفقا للمنظور الذي يرى به– يطلق على النظم الإسلامية أنها نظم شمولية، معتبرا أن الإمام (الحاكم) تتجمع في يديه جميع السلطات.
وتساءل البشري: هل غابت السلطة التشريعية عن النظام الإسلامي؟
وأشار إلى أن المستقر في المجتمع أن السلطة التشريعية مأخوذة من الكتاب والسنة؛ فالفقهاء كانوا يدرسون للطلاب، وهؤلاء كانوا موجودين بشكل أهلي في المساجد يعلمون الناس، وكانت قوانين الكتاب والسنة هي قوانين درجة أولى، ثم تأتي اجتهادات الفقهاء كقوانين درجة ثانية، وكان القاضي يتصل بالشريعة مباشرة، ومن ثم فمن خلال فهم النظام الإسلامي ندرك أن السلطات الثلاث كانت موجودة.
ومن الأسئلة التي تؤكد ذلك: هل يجوز للإمام أن يعين القاضي ويفرض عليه رأيا معينا؟ الراجح عند الفقهاء مقولة "صح التعيين وبطل الشرط"، وبالتالي ووفقا للمقاييس الغربية فالسلطة التشريعية منفصلة عن السلطة القضائية المنفصلة عن السلطة التنفيذية. هذا الأمر لم يكن المستشرق يستطيع أن يتوصل إليه.
انتقاء الإدراك
وأشار البشري إلى أن المفكر الغربي اهتم من التراث الإسلامي بأمرين:
الأول: اهتم بالصوفية لاقترابها من المسيحية في بعض الجوانب.
الثاني: اهتم بالفلسفة نظرا لأن الفلسفة تبحث عن الشرعية في تنظيم المجتمع.
ولم يهتم المستشرقون بالفقه رغم أن التكوين الأساسي للجمهور العربي الإسلامي جاء من الفقه أكثر منه من الفلسفة، فمثلا اهتم الغرب بـ"السهروردي" في حين لم يهتم بـ"الشافعي"، كما أنه اهتم بالصوفية في جانبها العقلي ولم يهتم بها في جانبها الاجتماعي، والتكوينات الاجتماعية التي أنشأتها.
وأنه عندما قرأ كتاب "عادات المصريين المحدثين" لـ "إدور وليم لين" للمرة الأولى انبهر به لدقته وقدرته على الوصف والحياد، وعندما أعاد قراءته بعد ثلاث سنوات اكتشف أن الرجل لم يستطع أن يدرك العمق الروحي للمصريين، حتى بدت له مادة الكتاب وكأنها جثة محنطة بدون روح؛ فمثلا أورد حكاية طريفة عن شيخ كان يركب حمارا ثم وقع من على ظهره وابتعدت عنه العمة (غطاء الرأس) فهرع الناس إلى العمة وتركوا الشيخ؛ فالناس اعتبروا العمة رمزا ولذا انصرفوا إلى الرمز وتركوا الشخص.
هذا المشكل يتعلق بنظرة المفكر الغربي لنا ولتراثنا، فهو لا يستطيع أن يدرك كنهه مهما كان متفهما له، ومهما كان متعاطفا مع قضاياه، ويؤكد ذلك مالك بن نبي عندما قال: "المثقف الإنساني الغربي يستطيع أن يفهم مشاكلنا نحن الشرقيين، ويستطيع أن يقف معنا في مشاكلنا الاقتصادية والسياسية بدافع من الإنسانية، لكن لن يفهمك من الناحية الثقافية؛ لأنه مستغرق في ثقافته هو" فمثلا لن يفهم الجهاد، ولكنه يفهم حركات المقاومة.

وأكد البشري أن كتابات المستشرقين قد نجد فيها أمانة، ودقة، وفيها قدرة على جمع معلومات جيدة، لكنها خاضعة لمعايير احتكام ليست مستخلصة من الثقافة الإسلامية وتاريخها، فالمستشرق يحتكم إلى معايير مستخلصة من خبرته التاريخية وثقافته.

أما علم الأنثروبولوجيا الذي يتعلق بدراسة المجتمعات وعاداتها وتقاليدها، فإن هذا العلم نظر إلى العلاقة مع تلك المجتمعات في الشرق على أنها علاقة باحث ومبحوث، بين طرف مدرك، ومادة مبحوثة مدركة، ولم ينظر إلى العلاقة على أنها بين إدراكين؛ ولذلك نجد فروقا في الجوهر؛ فمثلا لا يقبل العقل الغربي بتعدد الزوجات، في حين أنه يقبل بوجود علاقات متعددة خارج إطار الزواج.

الأمر الآخر يتعلق بأنه في كثير من الموسوعات ستجد أنها تركز على أن العنصر المادي هو المحرك والأساس للأحداث، فمثلا البارود كانت بداية اكتشافه في الصين لكنه لم يستخدم في القتل؛ إذ كان هناك تفاعل بين الفكر والثقافة والتكوين النفسي وبين التطور المادي.

المعاصرة.. غربية

وفيما يتعلق بموضوع المعاصرة أشار البشري إلى محاولة الغرب دائما -بحكم التطور المادي- جعل موضوع المعاصرة هو الأساس في التعامل مع الآخر، فهو يقيس معاصرتنا على أساس بعدنا أو قربنا منه. وللأسف الشديد وقع المسلمون في هذا الوهم خاصة بعد استقلال الدول العربية.

ففي أثناء الاستعمار كانت المواجهة مع الغرب مواجهة سياسية، وهذه المواجهة جعلت المواطنين أكثر صلابة ثقافيا، وعندما نجحت حركات التحرير في تحقيق الاستقلال، ونظرت إلى المستقبل وجدت أنها تريد أن تنشئ مجتمعاتنا على غرار الغرب، ولذا نظر إلينا الغرب على أننا مجتمعات ودول نامية، ودخلنا في نفس النفق الذي يريد الغرب منا أن نسير فيه، فأصبح الغرب هو المعيار والميزان، ولم تستطع حركاتنا الوطنية أن تستمر مددا طويلة في هذا الشأن.

ونلاحظ أن أي فكر إذا دخلت في إطار تجربته التاريخية والتطبيقية يصبح نافعا أو غير نافع، فمثلا الديمقراطية عندما وظفت في إطار الحركة الوطنية لتحقيق الاستقلال نجحت الحركة الوطنية، والاشتراكية أنتجت عندما ارتبطت بفكرة الاستقلال الوطني، وعندما وظفها الشيوعيون والقوميون لم تنتج.

ومن ثم فالمسألة لا تتعلق بمطلق الأخذ من الغرب، ولكن بما نأخذه، كما أن المعيار الواجب الاحتكام إليه لا بد أن يكون من داخل الجماعة وليس من خارجها.

وأشار البشري إلى أننا نحتاج الفكر الغربي في أمرين مهمين:

علوم الصناعة وفنونها.

وعلوم الإدارة: لأن الغرب لم ينجح بعلوم الصناعة وحدها وإنما أيضا بما استخلصه من نظم لإدارة المجتمع والدولة، وهي جهود خطت بالحضارة الإنسانية للأمام. وأكد أن الغرب أسير مصطلحاته الخاصة، وأن الحضارة الإسلامية أكثر انفتاحا من الغرب قديما وحديثا، فالغرب متمركز حول ذاته وحول تجربته الثقافية، معتبرا أن تجربته هي التجربة الوحيدة في العالم، وما دون ذلك هو دون ذلك.

هل يفهموننا؟

كانت المداخلات والتعليقات على محاضرة البشري كثيرة، ومنها مداخلة الدكتور أحمد يوسف رئيس معهد البحوث والدراسات العربية الذي تناول إشكالية: هل هم يفهموننا أم أنهم لا يريدون أن يفهمونا؟.

وأشار أن كلتا الحالتين موجودتان في الغرب، وأن عدم فهم الغرب للبعد المعنوي قد يصل إلى مركز صنع القرار في العالم الغربي فيفعل فعله، وأشار أن صانع القرار قد يعرض عليه شيء لكنه يسعى لتحقيق هدف معين، ومن ثم فاستخدام الثقافة في الصراع السياسي تقوى في مرحلة الهيمنة، وهو ما يفرض استدعاء هويتنا.

وتساءل: هل من الممكن أن يحتجوا علينا بنفس الحجة التي نحتج بها عليهم؟ بمعنى أننا نفهم الغرب في إطار سياقنا الثقافي والتاريخي، وأن المسلمين يحاولون أن يطبقوا عليه معاييرهم الخاصة على الغرب.

وحمل الدكتور أحمد يوسف المسلمين جزءا من مسئولية ما جرى، وتساءل عن الجهد الذي بذله المسلمون حتى يوضحوا جوهر الدين وحقيقته، أو بمعنى آخر: أين المسئولية الإسلامية في عدم فهم الآخر لنا؟.

أما الدكتور سيف الدين عبد الفتاح فطالب بإعطاء أهمية للتحليل الثقافي في تحليل الظاهرة السياسية، وأشار إلى أن أي حوار حضاري لا بد أن يقوم على ثلاثة أسس مهمة وهي: المعرفة، والاعتراف، والمعروف؛ وهو ما يؤكد أن الحوار لا بد أن يقود إلى شيء.

إسلام أون لاين

=====================

مصطلح الحديث في سؤال وجواب

الشيخ مصطفى العدوي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، ولي المتقين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين ، عليه أفضل صلاة ، وأتم تسليم ، وآله وصحبه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد:

فهذا مبحث يتعلق بمصطلح الحديث وعلله أعددته ؛ تيسيرًا على الدارسين والباحثين في هذا العلم — علم الحديث — وسائلاً الله أن ينفعني وإخواني به ، وقد قدمته بأسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث ، وكانت قد طُبعت في رسالة من قبلُ عدة طبعات ، فأودعتها ثانية في هذا الكتاب ، كتقدمة لدراسة العلل، ومناقشة الأسانيد ، وأسأل الله أن يفقهني وإخواني المسلمين في الدين ، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي شلباية

مصر – الدقهلية – منية سمنود

س١: اذكر طرفاً من أهمية علم الحديث؟

ج١: علم الحديث من أجلّ العلوم الشرعية، إن لم يكن أجلها، فعليه وبه تقوم سائر العلوم الشرعية، ومن لم يكن عنده إلمام به أخطأ، وأوقع غيرَه في الخطأ، وانحرف عن النهج السديد من حيث يشعر، ومن حيث لا يشعر، سواء كان مفسراً أو فقيهًا أو أصولياً أو واعظاً أو مؤرخاً .

* فقد تجد مفسراً من المفسرين يفسر آيات من كتاب الله، ويجتهد في تفسيرها غاية الاجتهاد، إلا أنه جانَب الصواب بعد الاجتهاد كله؛ وذلك لأنه بنى تفسيره للآيات على أحاديث ضعيفة، أو موضوعة، أو أثر لا يثبت عن قائله.

* وقد تجد فقيهاً يصول ويجول في مسألة فقهية لتحريرها ، ويحاول- قدر جهده- الوصول إلى الصواب فيها، ولكنه لا يُوفق ؛ لأنه بنى رأيه فيها على حديث ضعيف، وهو لا يشعر.

* وكذلك بالنسبة لأهل الأصول، تجد فيهم ــ مثلاً ــ أصولياً يُؤَصِّل قاعدة من القواعد التي تبنى عليها الأحكام، وتُؤَسس عليها مسائل من الدين، يؤصلها على حديث ضعيف، فتأتى القاعدة وما رُكِّبَ عليها بضرر على الدين أكثر من النفع الذي رجاه مؤسسها ومؤصلها.

* وما أكثر هذا في الوعاظ ، الذين يزعمون أنهم يقربون الناس إلى ربهم، ولا يشعرون أنهم يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويَتَقَوَّلُون عليه ما لم يقل، بل ويكذبون على الله عز وجل؛ إذ ينسبون إليه ما لا يحصى مما لم يقله- سبحانه- من الأحاديث القدسية [١]، بعضها فيه الخطأ الصُرَاح الذي يُضَادُّ قواعدَ أهل السنة والجماعة، وأصول الدين من الكتاب الحكيم والسنة النبوية المطهرة، فضلاً عما فيه من وصف الرب سبحانه بما لم يصف به نفسه، فلا يبتعدون بأفعالهم هذه عن الوقوع تحت طائلة قوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الأنعام : ١٤٤].

* أما المؤرخون، فحدث ولا حرج، فقد قل فيهم الصالحون، وفشا فيه الكذب، فزوروا التاريخ، وزيفوا الحقائق، وشوهوا جمال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بما اختلقوه فيها ونسبوه إليها، فكان علمُ الحديث الحَكَمَ في ذلك كله، فجزى الله أهله خير الجزاء؛ إذ نافحوا عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وصحّحوا مسارات العلوم الشرعية، ونظّفوا سُقياها من كل شائبة ودخيلة، فعظم الله أجرهم، وغفر زلاتهم، ورفع درجاتهم، وأسكنهم فسيح الجنان.

* هذا طرف من أهمية علم الحديث ومصطلحه، ولو كان المجال هنا مجاله لأوردنا ما لا يتسع المقام هنا لبيانه، ولكن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

س٢: ما معنى الطريق (أو السند) ؟ وما معنى المتن؟ مَثِّل لما تقول؟

ج٢: الطريق : هو سلسلة الرجال الموصلة للمتن.

والمتن: هو ما ينتهي إليه السند من الكلام .
وكمثال لذلك : ما أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود (واللفظ لأبي داود):
حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" .
فقوله : (حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر) هـــو الســـند، وقوله: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" هو المتن.
س٣: إلى كم قسم ينقسم الحديث من ناحية عدد الطرق؟
ج٣: ينقسم الحديث من ناحية تعدد الطرق إلى قسمين:
١- متواتر.
٢- آحاد .
س٤: ما هو الحديث المتواتر؟
ج٤: هو الحديث الذي يأتي عن عدد كبير من الرواة (وذلك في كل طبقة من طبقـــات الســـند) يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويستندون إلى أمرٍ محسوس.
* توضيحات وتنبيهات على التعريف:
١- حدد بعض أهل العلم عدد طرق المتواتر بالأربعة، وبعضهم عيَّنه بالخمســـة ، وبعضـــهم عيَّنـــه بالعشرة، وبعضهم بالأربعين ، وبعضهم بالسبعين، إلى غير ذلك، والذي عليه الأكثر هو العدد الذي يحصل به اليقين. عزي هذا القول إلى جمهرة أهل العلم. [راجع:" توضيح الأفكار" ص٤٠٣/٢] .
٢- معنى يستندون إلى أمر محسوس كقولهم: حدثنا، أو سمعنا، أو لمسنا.
س٥: إلى كم قسم ينقسم المتواتر؟ عرف كل قسم؟
ج٥: ينقسم المتواتر إلى قسمين:
١- متواتر لفظي، وهو: ما تواتر لفظه.
٢- متواتر معنوي.
قال السيوطي في" تدريب الراوي" (١٨٠/٢): وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة، وتشترك في أمرٍ يتواتر ذلك القدر المشترك، كما إذا نقل رجل عن حاتمٍ مثلاً أنه أعطى جملاً، وآخر أنه أعطى فرساً، وآخر أنه أعطى ديناراً، وهلم جرا، فيتواتر القدر المشترك بين إخبارهم، وهو الإعطاء؛ لأن وجوده مشترك من جميع هذه القضايا.
س٦: مثل للأحاديث المتواترة اللفظية بأمثلة، وللمتواتر المعنوي بمثال.
ج٦: مثال لمتواتر اللفظي حديث: "من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النـــار" ، وحـــديث : "نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها" ، وحديث: " من بنى لله مسجداً بنى الله لـــه بيتاً في الجنة" .
ومثال المتواتر المعنوي أحاديث" رفع اليدين في الدعاء ".

س٧: ما الكتب المؤلفة في الأحاديث المتواترة؟

ج٧: وقفنا منها على :

١- "الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" للسيوطي.

٢- "نظم المتناثر في الحديث المتواتر" للكتاني.

س٨: ما هو خبر الآحاد ؟

ج٨: الآحاد ما ليس بمتواتر.

س٩: إلى كم قسم ينقسم خبر الآحاد؟ وما هي هذه الأقسام؟

ج٩: ينقسم خبر الآحاد إلى ثلاثة أقسام وهي:

١- المشهور.

٢- العزيز.

٣- الغريب (الفرد).

س١٠: ما الحديث المشهور(عند المحدثين)؟

ج١٠: هو: ما رواه في كل طبقة ثلاثة فأكثر من غير أن ينتهي إلى التواتر، وقيل: إنه يكفي أن يكون الراوي في الطبقة الأولى "وهم الصحابة" أقل من ثلاثة.

س١١: ما الحديث العزيز؟

ج١١: هو: ما رواه في كل طبقة اثنان، وقد يكون الحديث عزيزاً عن أحد الرواة، وذلك إذا رواه عنه راويان.

س١٢: ما الحديث الغريب (الفرد)؟ اذكر مثالاً له؟

ج١٢: هو: ما انفرد براويته راوٍ واحد.

ومثاله: حديث "إنما الأعمال بالنيات " تفرد به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب، ورواه عن عمر علقمة بن وقاص الليثي، ورواه عن علقمة بن وقاص الليثي محمد بن إبراهيم التيمي، ورواه عن محمد بن إبراهيم التيمي يحيى بن سعيد الأنصاري .

س١٣: ما الفرق بين حديث الآحاد، والحديث المتواتر، من ناحية القبول أو الرد (أو الصحة والضعف)؟

ج١٣: الحديث المتواتر مقطوع بصحته، أي مقبول قطعاً، أما حديث الآحاد فمنه الصحيح المقبول، ومنه الضعيف المردود.

س١٤: إلى كم قسم ينقسم الحديث من ناحية الصحة والضعف؟

ج١٤: الذي استقر عليه العمل، أن الحديث ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

١- الصحيح .

٢- الحسن.

٣- الضعيف.

وقد كان أكثر المتقدمين على تقسيم الحديث إلى قسمين فقط. وهما: الصحيح والضعيف، والـــذي أدخل اصطلاح الحسن هو الترمذي ـــ رحمه الله ـــ وكان قبله قليلاً ما يُطلق.

س١٥: عرف الحديث الصحيح لذاته؟

ج١٥: هو: الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً ولا معللاً .

س١٦: وضح التعريف السابق؟

ج١٦: المتصل : ما سلم إسناده من سقوط فيه، بحيث يكون كل رجاله سمع ذلك المروي من الذي رواه عنه.

* العدل: من له مَلَكَة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة.

* الضبط : ينقسم إلى قسمين :

١- ضبط صدرٍ: وهو أن يُثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

٢- ضبط كتابٍ: هو أن يحفظ كتابه من ورَّاقِي السوء.

* الشاذ: هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، هذا الذي استقر عليه العمل الآن.

* المعلل: هو ما به علة قادحة، وتنقسم العلة إلى قسمين:

١- علة قادحة [٢] وكمثال لها: إسقاط ضعيف بين ثقتين، قد سمع أحدهما من الآخر.

٢- علة غير قادحة وكمثال لها: إبدال ثقة بثقة.

وكما هو واضح أن العلة القادحة تُضَعِّف الحديث وغير القادحة لا تؤثر على صحته.

س١٧: بماذا يُرْمَز للعدل الضابط؟

ج١٧: يرمز للعدل الضابط برموز منها : أوثق الناس- ثقة ثبت- ثقة متقن-ثقة حجة-ثقة فقيه —ثقة ثقة ـــ ثقة ـــ حجة.

س١٨: ماذا يعني قول ابن معين في الرجل: "لا بأس به"؟

ج١٨: قول ابن معين في الرجل: "لا بأس به"، يعني أنه ثقة.

س١٩: من المحدث الذي ضُعِّفَ بسبب عدم ضبط الكتاب؟

ج١٩: هو سفيان بن وكيع، كان له ورَّاق سوء يُدْخِل في كتبه ما ليس منها فضُعِّفَ بسببه.

س٢٠: ما فائدة أصح الأسانيد؟

ج٢٠: لها فوائد منها :

١- الاطمئنان على صحة الحديث.

٢- تكون أحد المرجِّحات عند الاختلاف.

س٢١: ما أصح الأسانيد عند:

١- أحمد بن حنبل.٢- البخاري.

ج٢١: أصح الأسانيد عند أحمد: الزهري، عن سالم، عن أبيه ، وأصحها عند البخاري: مالك، عن نافع، عن ابن عمر.

س٢٢: ما أصح الأسانيد عن أبي بكر رضى الله عنه ؟

ج٢٢: أصح الأسانيد عن أبي بكر رضى الله عنه هو: إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر.

س٢٣: ما أوهى الأسانيد عن الصديق، وعن علي رضى الله عنهما ؟

ج٢٣: أضعف الأسانيد عن الصديق: صدقة الدقيقي، عن فرقد السبخي، عن مرة الطيب، عنه. [انظر تدريب الراوي ج١/١٨٠] وأضعف الأسانيد عن علي : عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن الحارث الأعور، عن علي.

س٢٤: أي هذه الاصطلاحات أعلى رتبة: حديث صحيح – حديث صحيح الإسناد–حديث رجاله ثقات؟

ج٢٤: أصحها الأول، أي:

حديث صحيح؛ وذلك لأنه قد يكون الحديث رجاله ثقات، لكن فيه من لم يسمع ممن فوقه، فيكون منقطعاً، وقد يكون الحديث إسناده صحيحاً، إلا أنه شاذ أو معلل.

س٢٥: من أول من اعتنى بجمع الصحيح ؟

ج٢٥: أول من اعتنى بجمع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وتلاه صاحبه وتلميذه مسلم بن الحجاج النيسابوري .

س٢٦: ما شرط كل من البخاري ومسلم لإخراج الحديث في صحيحه؟

ج٢٦: شرط البخاري المُعَاصَرَة، واللُّقْيَا، أي: يكون الراوي عاصر شيخه، وثبت عنده سماعه منه، وشرط مسلم المعاصرة [زاد بعضهم مع إمكان اللقيا].

س٢٧: ما رأيكم فيمن يقتصر على الصحيحين دون غيرهما من كتب السنة، وهل البخاري ومسلم اشترطا إخراج كل صحيح؟

ج٢٧: لا شك أنه مُجَانب للصواب، بل وواقع في الضلال لرده سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ثبتت في غير البخاري ومسلم، فلم يشترط البخاري ومسلم إخراج كل صحيح ، فقد نقل أهل العلم عن البخاري قوله: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ونقلوا عنه أيضاً: وتركت من الصحاح مخافة الطول، وقد صحَّح البخاري نفسه أحاديث ليست في صحيحه، وذلك يتضح بصورةٍ كبيرة في سؤالات الترمذي له، كما في سنن الترمذي، والعلل الكبير له .

ونقل أهل العلم عن مسلم كذلك: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا.

فلا شك إذن في ضلال من اقتصر على الصحيحين ورد ما سواهما.

س٢٨: ما رأيكم فيمن يقتصر على الصحيحين دون غيرهما من كتب السنة، وهل البخاري ومسلم اشترطا إخراج كل صحيح؟

ج٢٨: لا شك أنه مُجَانب للصواب، بل وواقع في الضلال لرده سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ثبتت في غير البخاري ومسلم، فلم يشترط البخاري ومسلم إخراج كل صحيح ، فقد نقل أهل العلم عن البخاري قوله: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ونقلوا عنه أيضاً: وتركت من الصحاح مخافة الطول، وقد صحَّح البخاري نفسه أحاديث ليست في صحيحه، وذلك يتضح بصورةٍ كبيرة في سؤالات الترمذي له، كما في سنن الترمذي، والعلل الكبير له .

ونقل أهل العلم عن مسلم كذلك: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا.

فلا شك إذن في ضلال من اقتصر على الصحيحين ورد ما سواهما.

س٢٩: على أي شيءٍ يُحْمَل قول الشافعي :"لا أعلم كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك"؟

ج٢٩: هذا قاله قبل أن يؤلف البخاري ومسلم كتابيهما.

س٣٠: ما موضوع المستخرج؟

ج٣٠: هو أن يعمد المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه، أو من فوقه، وشرطه: أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سنداً يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادةٍ مهمة، أو تصريح بتحديث أو تسمية من لم ينسب أو غير ذلك.

س٣١: ما موضوع المستدرك؟

ج٣١: هو أن يعمد مصنفه إلى شرط صاحب كتاب، ويسحب هذا الشرط على أحاديث ليست في الكتاب، فإذا انطبقت أدرجها في كتاب، وهذا يسمى مستدرك. كما فعل الحاكم مع البخاري ومسلم.

س٣٢: ما الموقف من مستدرك الحاكم؟

ج٣٢: لا شك أن فيه ما هو صحيح، ولكن فيه أيضاً ما هو حسن وضعيف، بل وموضوع، وينبغي التيقظ التام لكل ما تفرد به الحاكم، ولا يغرنك قول الحاكم: حديث صحيح الإسناد، وموافقة الذهبي له، فالحاكم متساهل جداً في القضاء بالصحة، ولم ينقح كتابه، والذهبي كذلك متساهل في هذا الباب، فكم من رجل يتكلم فيه الذهبي في الميزان، ويصحح حديثه في تعليقه على المستدرك.

س٣٣: اذكر بعض الأخطاء التي يقع فيها الحاكم عند قوله : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؟

ج٣٣: يعمد الحاكم- رحمه الله- مثلاً إلى سند فيه هشيم عن الزهري، فيقول فيه : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وذلك منه بناءً على أن هشيمًا والزهري من رجال الشيخين، وكونهما من رجال الشيخين صحيح كما ذكر الحاكم ــ رحمه الله ــ لكن هنا نقطة وقع الحاكم بسببها في الوهم، ألا وهي: أن هشيماً ضعيف في الزهري خاصة، فلم يُخرج البخاري ولا مسلم لهشيم عن الزهري وإنما أخرجا لهشيم عن غير الزهري، وأخرجا للزهري من رواية غير هشيم عنه؛ وذلك لأن هشيماً كان قد دخل على الزهري فأخذ عنه عشرين حديثاً، فلقيه صاحب له وهو راجع، فسأله

رؤيتها، وكان ثَمَّ ريحٌ شديدة، فذهبت بالأوراق من يد الرجل، فصار هشيم يحدث بما علق منها بذهنه، و لم يكن أتقن حفظها، فوهم في أشياء منها، ضعف في الزهري بسببها.

وكذلك القول في سماك عن عكرمة فهو سند ملفق من رجال الشيخين، فسماك من رجال مسلم، وعكرمة من رجال البخاري، فقوله: سماك عن عكرمة لا من شرط البخاري، ولا من شرط مسلم، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة، فيقول الحاكم في إسناد كسماك عن عكرمة : إنه على شرط الشيخين، فيظهر وهمه في ذلك.

فينبغي أن يُحكم على كل حديث بما يستحق بعد النظر في طريقه، وفي سنده ورواته.

س٣٤: ما مراتب الحديث الصحيح، وبماذا انْتُقِدَت؟

ج٣٤: قال جمع من أهل العلم: أعلاها مرتبة ما اتفق عليه الشيخان، ثم ما أخرجه البخاري، ثم ما أخرجه مسلم، ثم ما كان على شرطهما و لم يخرجاه، ثم ما كان على شرط البخاري، ثم ما كان على شرط مسلم، ثم ما أخرجه الذين اشترطوا في كتبهم الصحة، وانتقد هذا الترتيب بأن المتواتر أعلاها صحة، ودُفِع هذا الانتقاد بأن المتواتر ليس من مباحث الإسناد، فهو خارج من البحث، فهو صحيح بلا بحث . وانتقدت أيضاً بأن ما رواه الجماعة أعلى صحة مما أخرجه الشيخان، ودفع بأن من لم يشترط الصحة لإخراج الحديث لا يزيد إخراجه للحديث صحة، ولكن يظهر أن ما أخرجه الجماعة ينبغي أن يكون أعلى رتبة من المتفق عليه، فالبخاري ومسلم داخلان في الجماعة.

س٣٥: ماذا تعرف عن (مجمع الزوائد)؟

ج٣٥: هو كتاب جمع زوائد ستة كتب وهي: مسند أحمد، وأبي يعلى، والبزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة: (الكبير والأوسط والصغير) على الكتب الستة (الأمهات).

س٣٦: ما سنن النسائي المعدودة في الكتب الستة؟

ج٣٦: هي السنن الصغرى (المجتبى).

س٣٧: لماذا انتقى النسائي السنن الصغرى من السنن الكبرى؟

ج٣٧: بناء على طلب أمير الرملة منه بانتقاء الصحيح من السنن الكبرى .

س٣٨: ما شرط النسائي في كتابه؟

ج٣٨: لا يترك راوياً إلا إذا اجتمع الجميع على ترك حديثه، وفسر ابن حجر الجمع بطبقتي المتشددين والمتوسطين، فقال: إنما أراد بذلك إجماعاً خاصاً، ثم ذكر الذي فحواه ما تقدم.

س٣٩: اذكر بعض المتشددين والمتوسطين؟

ج٣٩: أمثلة للمتشددين: شعبة–يحيى القطان– يحيى بن معين–أبو حاتم.

المتوسطين: سفيان الثوري– عبد الرحمن بن مهدى– أحمد بن حنبل– البخاري.

س٤٠: ما شرط الترمذي؟

ج٤٠: قال الترمذي– كما نُقِلَ عنه في شروط الأئمة الخمسة للحازمي ص٥٦–: ما أخرجت في كتابي إلا حديثاً عمل به الفقهاء.

س٤١: اذكر مقاصد الأئمة الخمسة في تخريجهم للحديث؟
ج٤١: في شروط الأئمة الخمسة قال: وأما فرق ما بين الأئمة الخمسة من القصد:
* فغرض البخاري تخريج الأحاديث الصحيحة المتصلة واستنباط الفقه والسيرة والتفسير، فذكر عرضاً الموقوف والمعلق، وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء الرجال، فتقطعت عليه متون الأحاديث وطرقها في أبواب كتابه.
* وقصد مسلم تجريد الصحاح بدون تعرض للاستنباط، فجمع أجود ترتيب، و لم تتقطع عليه الأحاديث.
* وهمة أبي داود جمع الأحاديث التي استدل بها فقهاء الأمصار، وبنوا عليها الأحكام، فصنَّف سننه، وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل، وهو يقول : ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه. وما كان منها ضعيفاً صرح بضعفه، وما كان فيه علة بينها، وترجم على كل حديث بما قد استنبط منه عالم ، وذهب إليه ذاهب، وما سكت عنه فهو صالح عنده، وأحوج ما يكون الفقيه إلي كتابه.
* وملمح الترمذي الجمع بين الطريقتين كأنه استحسن طريقة الشيخين حيث بَيَّنَا وما أبهما .
وطريقة أبي داود حيث جمع كل ما ذهب إليه ذاهب، فجمع كلتا الطريقتين، وزاد عليهما بيان مذاهب الصحابة والتابعين، وفقهاء الأمصار، واختصر طرق الحديث، فذكر واحداً وأومأ إلى ما عداه، وبيَّن أمر كل حديث من أنه صحيح أو حسن أو منكر، وبيَّن وجه الضعف، أو أنه مستفيض أو غريب.
قال الترمذي : ما أخرجت في كتابي هذا إلا حديثاً عمل به بعض الفقهاء، سوى حديث "فإن شرب في الرابعة فاقتلوه"، وحديث : "جمع بين الظهر والعصر بالمدينة من غير خوف ولا سفر".
س٤٢: اذكر طرفاً من طريقة عمل الترمذي في سننه ؟
ج٤٢: ربما أنه يسلك مسلك الإمام مسلم في بعض الأحيان، فقد نص مسلم على أنه ربما أخرج الحديث في صحيحه من طريق ضعيف؛ لعلوه، والحديث معروف عند أئمة هذا الشأن من طريق العدول، ولكن بإسناد نازل .
وفي شرح مسلم أنه أنكر أبو زرعة عليه- أي على مسلم- روايته في صحيحه عن أسباط بن نصر، وقطن بن نسير، وأحمد بن عيسى المصري، فقال مسلم: إنما أدخلت من حديث أسباط وقطن وأحمد ما قد روى الثقات عن شيوخهم- إلا أنه ربما وقع إليَّ عنهم بارتفاع، ويكون عندي برواية أوثق منهم بنزول، فأقتصر على ذلك، وأصل الحديث معروف من رواية الثقات. انتهي [توضيح الأفكار ١/١٧١]
س٤٣: هل نسخ الترمذي كلها واحدة؟ برِّهن على قولك ؟

ج٤٣: ليست كلها واحدة، ففي بعضها حسن، وفي بعضها حسن صحيح في الحديث الواحد، مثال ذلك حديث: "الصلح جائز بين المسلمين "، قال الصنعاني في توضيح الأفكار: لم يُتْبِعــه الترمــذي بتصحيح ولا تحسين، وفي كثير من النسخ : حسن صحيح.

س٤٤: ماذا قال ابن حزم في الترمذي ؟ وبماذا رد عليه العلماء؟

ج٤٤: ذكر الذهبي: أن ابن حزم في كتابه " الإيصال" قال في الترمذي: إنه مجهول، وكذا ذكر ابن حجر، ورد العلماء على ابن حزم قوله، فقال ابن حجر : أما ابن حزم، فنادى على نفســه بعــدم الاطلاع، وذلك لما وصف به ابن حزم الترمذي_ رحمه الله _ حينما وصفه بالجهالة .

وقد أشار أحمد شاكر في مقدمته للترمذى إلى أن الذهبي قد يكون وهم، وتبعه ابن حجرٍ في نســبته هذا القول إلى الترمذي؛ فإن ابن حزم أخرج للترمذي حديثاً في "المحلى" (٢٩٧/٩) و لمٌ يذكر فيــه جرحاً ولا تضعيفاً.

س٤٥: ماذا يعنِ البيهقي والبغوي بقولهما: أخرجه البخاري؟

ج٤٥: يعنيان أن البخاري أخرج أصل الحديث.

س٤٦: عرف المجهول؟

ج٤٦: تنقسم الجهالة إلى نوعين: جهالة عينٍ – جهالة حالٍ.

مجهول العين : هو من روى عنه راوٍ واحد ولم يوثقه معتبرٌ.

مجهول الحال (أو الوصف): هو من روى عنه راويان فأكثر، و لم يوثقه معتبر.

ومجهول العين في الغالب لا يصلح في الشواهد، ولا في المتابعات، بينما مجهــول الحــال يصــلح في الشواهد والمتابعات .

وقد تساهل بعض أهل العلم في جهالة التابعين، ورقوا أحاديث بعض من جهلت حاله من التابعين إلى الحسن، بل وإلى الصحة، برهانهم في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم .." .

س٤٧: ما حكم حديث المختلط الثقة؟

ج٤٧: يبحث عن الرواة عنه قبل الاختلاط، والرواة بعد الاختلاط، ويصحح حديث من روى عنه قبل الاختلاط، ويتوقف في حديث من روى عنه بعد الاختلاط.

س٤٨: ما رتبة ابن حبان والعجلي في توثيق المجاهيل؟

ج٤٨: ابن حبان والعجلي متساهلان في توثيق المجاهيل.

س٤٩: ما مراتب توثيق ابن حبان كما ذكرها المعلمي في كتابه "التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل " ؟وهل تُعُقِّبَت بشيء؟

ج٤٩: قال المعلمي – رحمه الله – في (التنكيل ٤٥٠/١) : والتحقيق أن توثيقه (يعنِ توثيــق ابــن حبان) على درجات:

الأولى: أن يصرح به كأن يقول: "كان متقناً" أو " مستقيم الحديث" أو نحو ذلك.

الثانية: أن يكون الرجل من شيوخه الذين جالسهم وخبرهم.
الثالثة: أن يكون من المعروفين بكثرة الحديث، بحيث يُعلم أن ابن حبان وقف له على أحاديث كثيرة.
الرابعة: أن يظهر من سياق كلامه أنه قد عرف ذلك الرجل معرفة جيدة.
الخامسة: ما دون ذلك.

فالأولى لا تقل عن توثيق غيره من الأئمة، بل لعلها أثبت من توثيق كثير منهم، الثانية قريب منـــها، والثالثة مقبولة، والرابعة صالحة ، والخامسة لا يؤمن فيها الخلل، والله أعلم. انتهي كلامه رحمه الله.
هذا وقد علق الشيخ ناصر الدين الألباني- رحمه الله –على هذا الكلام بقوله:
قلت: هذا تفصيل دقيق يدل على معرفة المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ وتمكنه من علم الجرح والتعديل، وهو ما لم أره لغيره فجزاه الله خيراً غير أنه قد ثبت لدى بالممارسة أن من كان منهم مـــن الدرجـــة الخامسة، فهو على الغالب مجهول لا يُعرف، يشهد لذلك صنيع الحُفَّاظ كالذهبي والعسقلاني وغيرهما من المحققين، فإنهم نادراً ما يعتمدون على توثيق ابن حبان وحده ممن كان في هذه الدرجة والتي قبلها أحياناً، ولقد أجريت لطلاب الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة يوم كنت أستاذاً للحـــديث فيهـــا (سنة١٣٨٢هــ) تجربة عملية في بعض الدروس (الأسانيد) فقلت لهم: لنفتح على أي راوٍ في كتاب خلاصة تذهيب الكمال تفرد بتوثيقه ابن حبان، ثم لنفتح عليه في الميـــزان (للـــذهبي) والتقريب (للعسقلاني) ، فسنجدهما يقولان فيه: (مجهول)، أو (لا يعرف)، وقد يقول العسقلاني فيه: (مقبول) يعني لين الحديث، ففتحنا على بضعة من الرواة تفرد بتوثيقهم ابن حبان فوجدناهم عندهما كما قلت، إما مجهول، أو لا يعرف، أو مقبول.
هذا وقد تُعُقِّبَ عداب الحمش في رسالته (رواة الحديث الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل بين التوثيق والتجهيل ص٦٩) بقوله: إن هذا الكلام على إطلاقه من الشيخين فيه نظر؟!.
فالرواة المترجمون في كتاب الثقات قسمان: قسم انفرد ابن حبان بالترجمة له ، أو كان اعتماد مَـــن ترجمه بعده عليه، وهؤلاء يزيد عددهم على ألفي ترجمة في الكتاب، والقسم الثاني: الـــرواة الـــذين اشترك مع غيرهم في الترجمة لهم، وهؤلاء صنفان:
الصنف الأول: الرواة الذين أطلق عليهم ألفاظ الجرح والتعديل، وهؤلاء يقرب عددهم مـــن ثلاثـــة آلاف راوٍ.
وقد تعددت ألفاظ النقد وتباينت دلالاتها كما قدمت بعض ذلك فبينما تجده يصف الرجل بـــالحفظ والإتقان أو الوثاقة أو الصدق أو استقامة الحديث، إذا بك تجده يصف الرجل بأنه قـــد يخطـــيء أو يخطيء أحياناً، أو يخطيء كثيراً، أو يخطيء ويخالف، أو يخطيء ويُغْرب، ويدلس ويخالف. والـــراوة الذين يصرح فيهم بالتوثيق ليسوا على درجة واحدة في نفس الأمر في كل مصطلحات التوثيق.
فقد وجدته وصف خمسة وخمسين رجلاً بالإتقان بيد أنني لم أجد لغيره كلاماً في ثمانية منهم، والذين وجدت لهم تراجم كانوا جميعاً من الحفاظ أو الثقات.

أما لفظ (مستقيم الحديث) وما دار في فلكه فقد أطلقه ابن حبان على ستةٍ وخمسين راوياً ومائتي راو، وقد جاءت ألفاظه الدالة على الاستقامة متعددة، فتارة يصف الراوي بأنه مستقيم الحديث جداً، وتارة يصفه بأنه مستقيم الأمر في الحديث، وتارة يقيد الاستقامة بشروط فيقول مثلاً: مستقيم الحديث إذا روى عن الثقات، أو إذا روى عنه الثقات، وتارة يقول: روى أحاديث مستقيمة، وأنه مستقيم الحديث يغرب، ومستقيم الحديث ربما أخطأ.

كما أطلق عبارات أوضحت لنا مقصوده من الاستقامة، ولكنه أكثر ما أطلق هذا المصطلح بلفظ (مستقيم الحديث) مجرداً، وله ألفاظ أخرى مشابهة، ولكنها قليلة. وقد وجدت فيمن وصفه ابن حبان بأنه (مستقيم الحديث) الحافظ والثقة والصدوق، ووجدت فيهم المجروح والمضعف والمجهول حسب اصطلاح المتأخرين، وقد كانت ألفاظ النقد التي أطلقها ابن حبان في كتابيه (الثقات والمجروحين) تسعة عشر لفظاً ومائتي لفظ درستها جميعاً دراسة نقدية في رسالتي سالفة الذكر، وأعددت لها ملاحق خاصة بألفاظها، ولذلك فإنني أرى أن هذه الإطلاقات من فضيلة الشيخ اليماني - رحمه الله - عامة وعائمة.

وما ذكره فضيلة الشيخ الألباني من أن كلام الشيخ المعلمي (تفصيل دقيق)، غير دقيق ولا مفيد في التحقيق العلمي شيئاً . انتهي المراد من كلام عداب الحمش.

س٥٠: ما درجة الترمذي في التصحيح؟

ج٥٠: الترمذي معروف بالتساهل في التصحيح، فينبغي أن تتتبع الأحاديث الموجودة فيه، ويحكم عليها بما تستحق، وقد شرع في هذا الشيخ أحمد بن شاكر - رحمه الله - ولكن أعجلته المنية.

س٥١: ما هو الفرق بين المسانيد، وكتب السنن، والمعاجم أيهما أصح؟

ج٥١: المسانيد فيها كل صحابي ومروياته، وكذلك المعاجم إلا أن فيها الصحابة مرتبون على حروف المعجم باستثناء العشرة المبشرين بالجنة [٣] فهم مُقَدَّمون ، أما كتب السنة فهي مرتبة على الأبواب الفقهية فيذكرون الترجمة للباب، ثم يذكرون ما وقع لهم في هذه الترجمة من حديث أي صحابي كان.

وينبغي أن يعلم أن المسانيد والمعاجم كتب سنة أيضاً، من ناحية احتوائها على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما من ناحية الصحة ففي الغالب أن كتب السنة -المرتبة على الأبواب الفقهية- أكثر صحة إذ إن مؤلفيها يتحرون ما يشهد لتراجمهم، ولكن لا يعنى هذا أن كل حديث في كتب السنة(المرتبة فقهياً) أصح من كل حديث في المسانيد والمعاجم، ولكن الأمر نسبي أغلبي، والله أعلم.

س٥٢: اذكر بعض الشروح للكتب الآتية: صحيح البخاري- صحيح مسلم. سنن أبي داود- سنن الترمذي . سنن النسائي — موطأ مالك . مسند أحمد.

ج٥٢: شرحه الكتاب فتح الباري- عمدة القاري صحيح البخاري النووي- المفهم على شرح مسلم للقرطبي صحيح مسلم عون المعبود- بذل المجهود سنن أبي داود زهر الرُّبى سنن النسائي تحفة الأحوذي سنن الترمذي التمهيد – الاستذكار موطأ مالك الفتح الرباني مسند أحمد

س٥٣: ما الشواهد التي تشير إلى أن الخبر موضوع؟

ج٥٣: على ذلك شواهد منها:

١- إقرار واضعه بالوضع، كما أقر نوح بن أبي مريم والملقب بنوح الجامع، أنه وضع على ابن عباس أحاديث في فضائل القرآن سورة سورة .

٢- ما يترل مترلة الإقرار كأن يحدث عن شيخ بحديث لا يُعرف إلا عنده، ثم يُسأل عن مولده، فيذكر تاريخاً معينًا، ثم يتبين من مقارنة تاريخ ولادة الراوي بتاريخ وفاة الشيخ المروى عنه أن الراوي ولد بعد وفاة الشيخ، أو نحو ذلك، كما ادعى مأمون بن أحمد الهروي أنه سمع من هشام ابن عمار فسأله الحافظ ابن حبان: متى دخلت الشام؟ قال: سنة خمسين ومائتين، فقال له: فإن هشاماً الذي تروي عنه مات سنة ٢٤٥ فقال: هذا هشام بن عمار آخر.

٣- قرائن في الراوي أو المروي، أو فيهما معاً كالحنفي الذي يروي حديثاً في ذم الشافعي، والثناء على أبي حنيفة [يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس. . . وأبو حنيفة سراج أمتي ...] أو غير ذلك ، راجع تعليق الشيخ أحمد بن شاكر على الباعث الحثيث.

٤- ركاكة اللفظ وفساد المعنى والمجازفة الفاحشة.

٥- مخالفة صريحة لما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، فإذا وجد شيء من ذلك وجب البحث وراء الحديث بدقة حتى نقف على حقيقته.

س٥٥: هل تجوز رواية الحديث الموضوع ؟

ج٥٥: لا تجوز رواية الحديث الموضوع إلا للتحذير منه والتنبيه عليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: "الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله . . " .

س٥٦: اذكر بعض أقسام الوضاعين؟

ج٥٦: منهم زنادقة أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، ومنهم أهل البدع والأهواء، كالرافضة، والخطابية، يضعون أحاديث تعزز مذاهبهم الباطلة، ومنهم المنتسبون إلى الزهد يضعون أحاديث يرغبون بها الناس، ويرهبونهم بزعمهم، ومنهم القصاص، ومنهم علماء السلاطين الذين يضعون الأحاديث إرضاءً لحكامهم.

س٥٧: اذكر بعض الكتب المؤلفة للأحاديث الموضوعة؟

ج٥٧: منها: الأباطيل للجوزقاني، والموضوعات لابن الجوزي ، واللآلئ المصنوعة، وكراسة الرغبي الصنعاني اللغوي، والفوائد المجموعة للشوكاني، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الألباني، وكذلك الكتب المؤلفة في الضعفاء.

س٥٨: ما مدى تثبت ابن الجوزي في كتابه الموضوعات؟
ج٥٨: ابن الجوزي متسرع في الحكم على الحديث بالوضع ، وقد حكم على حـــديث أبي هريـــرة مرفوعًا: "إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قوماً يغدون في سخط الله، ويروحـــون في لعنتـــه، في أيديهم مثل أذناب البقر". والحديث في صحيح مسلم، وانظر السؤال التالي وإجابته.
س٥٩: ماذا تعرف عن كتاب (القول المسدد في الذب عن مسند أحمد)؟
ج٥٩: هو كتاب ألفه الحافظ ابن حجر، ذكر فيه أربعة وعشرين حديثاً من مسند أحمد ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات، وحكم عليها بذلك، ورد عليه ابن حجر ودفع قوله.
س٦٠: اذكر بعض أسماء الوضاعين ؟
ج٦٠: منهم نوح بن أبي مريم الملقب بنوح الجامع، ومقاتل بن سليمان البلخي العـــالم بالتفســـير، وغياث بن إبراهيم النخعي، ومحمد بن سعيد المصلوب.
س٦١: هل تبرأ الذمة بذكر سند الحديث الضعيف مع عدم التنبيه على ذلك؟
ج٦١: لا تبرأ الذمة إلا إذا كان ذلك بين أهل العلم بالأسانيد ، أما العوام فلا يجوز التلبيس عليهم، وقد كنت يوما أصلى الجمعة في بعض المساجد الكبرى ، والمسجد على أشده في موسم الحج، وإذا بالخطيب يخطب في خطبته قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم". فحدثته بعد هذه الخطبة وأوضحت له أن الحديث لا يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي : وهل قلت : إنه صحيح؟! انظر كيف يهرب من البشر، ويظن أنه نجا، والله مـــن ورائه محيط.
س٦٢: من هم مظنة الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا الزمان؟
ج٦٢: أغلبهم الصوفية، وبعض الجماعات والفرق المنبثقة عنهم والتي تـــدعو في نهايـــة أمرهـــا إلى التصوف الصريح، وقد أكثرت هذه الطوائف من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــن حيث لا يشعرون ، ولبست على المسلمين أمر دينهم ، بل ونصبوا العداء لمن أراد أن يتفقه في الدين، ومن جملتهم أيضاً جماعة الوعاظ، الذين لا يبالي أغلبهم بصحة الحديث من ضعفه ، وجزى الله الشيخ عبد الحميد كشك على ما قدم من خير للإسلام، وعلى ما هدى الله على يديه من شباب، ونســـأل الله أن يعفو عنه لتحديثه بالأحاديث الضعيفة التي لا تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أكثر منها، نسأل الله أن يعيننا وإياه على تحري الصدق والدفاع عن سنة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم، وتنقيتها مما ليس منها، ونهيب بكل أئمة المساجد وجمهور الوعاظ والقصاصين ألا يتحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بما صح عنه.
س٦٣: عرف الحديث الحسن وهل يُحْتَج به؟
ج٦٣: هو نفس تعريف الصحيح، إلا أنه في رجاله من هو خفيف الضبط، ويُحتج به.
س٦٤: بماذا يرمز لخفيف الضبط في التقريب (تقريب التهذيب) ؟
ج٦٤: يرمز لخفيف الضبط برمز: صدوق – لا بأس به- صدوق يَهِم.

س٦٥: من الذي أدخل اصطلاح الحسن ؟
ج٦٥: هو الترمذي [٤].
س٦٦: ما شروط الترمذي للحسن؟
ج٦٦: شروط الترمذي للحكم بالحسن هي :
١- أن لا يكون في إسناده متهم بالكذب.
٢- أن لا يكون شاذاً.
٣- أن يروي من غير وجه.
س٦٨: ما معنى قول الترمذي: حسن صحيح؟
ج٦٨: اعلم أولاً أنه اختلف العلماء في هذا التعريف والذي اختاره الحافظ في نخبة الفكر أن لـــذلك حالتين:
الأولى : أن يأتي من طريق واحد فيكون في الطريق رجل اختُلِف في تصحيح حديثــه وفي تحســينه فيكون صحيحاً باعتبار مَن صحَّح حديثه، وحسناً باعتبار مَن حسَّن حديثه.
الثانية: أن يأتي من طريقين فيكون حسناً من إحداهما صحيحاً من الأخرى .
س٦٩: ما حكم حديث من قيل فيه في التقريب: صدوق يخطئ؟
ج٦٩: ينبغي أن تراجع ترجمة مثل هذا بتوسع ، فإن كان الحديث الذي بين يديك من الأحاديث التي أخطأ فيها تتوقف في الحديث . وإن لم يكن من الأحاديث التي أخطأ فيها يُحَسَّن حديثه.
س٧٠: ما معنى قول أبي داود" وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح"؟
ج٧٠: حملها بعض أهل العلم على الحسن ، أي ما سكت عنه فهو حسن، ومنهم ابـــن الصـــلاح وحملها بعضهم على أنه صالح للاحتجاج. وحملها آخرون على ما هو أعم من ذلك .
س٧١: هل كل ما سكت عنه أبو داود فهو حسن؟
ج٧١: ليس الأمر كذلك ، بل فيه الصحيح والحسن والضعيف ، وقد ســئل أبـــو داود – ســـأله الآجري- عن أحاديث سكت عنها في سننه فحكم بضعفها . وينبغي أن تتبع أسانيد الأحاديث من سنن أبي داود ويحكم عليها بما تستحق.
س٧٢: ما هو اصطلاح البغوي في المصابيح؟ وما مدى صحته؟
ج٧٢: قال ما مضمونه : إن ما أخرجه البخاري ومسلم أو أحدهما صحيح، وإن الحسن ما رواه أبو داود والترمذي وأشباههما ولا شك أنه اصطلاح خاطيء وهو اصطلاح خاص به.
س٧٣: عرف الحديث الضعيف ؟
ج٧٣: هو ما لم تتوافر فيه شروط الصحة أو الحُسن .
س٧٤: عرف الحديث المنقطع؟
ج٧٤: هو ما سقط من وسط إسناده رجل، وقد يكون الانقطاع في موضع واحد، وقد يكـــون في أكثر من موضع.

س٧٥: عرف المقطوع؟
ج٧٥: هو الموقوف على التابعي قولاً أو فعلاً.
س٧٦: عرف الحديث المرسل؟
ج٧٦: هو حديث التابعي إذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كلمة نحوها، وخصَّه بعض أهل العلم بكبار التابعين ، واختصاصه بكبار التابعين هي الصورة التي لا خلاف فيها، وأطلق بعض أهل العلم المرسل على ما سقط من إسناده رجل من أي موضع كان.
س٧٧: من أي أقسام الحديث يكون الحديث المرسل؟
ج٧٧: المرسل من أقسام الضعيف.
س٧٨: ما حكم مراسيل الصحابة – مثل لها ؟
ج٧٨: مراسيل الصحابة مقبولة معمول بها عند أهل العلم وكمثال لذلك قول عائشة رضى الله عنها: "... أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة.." ؛ فعائشة لم تدرك القصة ، هذا وننبه على أن أكثر أهل العلم يجعلون أحاديث الصحابي الذي لم يميز على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كحكم مراسيل كبار التابعين.
س٧٩: هل يضر عدم ذكر اسم الصحابي؟ مثلاً كقول قائل . . عن سعيد عن رجل من أصحاب النبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
ج٧٩: لا يضر ذلك لكون الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول.
س٨٠: ما هو تفصيل الشافعي بالنسبة لقبول المراسيل؟
ج٨٠: الشافعي يقبل مراسيل كبار التابعين بشروط وهي :
١- أن تأتى من وجه آخر ولو مرسلة.
٢- أو أن تعتضد بقول صحابي أو أكثر العلماء.
٣- إذا كان المرسل لو سمى لا يسمي إلا ثقة فحينئذ يكون مرسله حجة، ولا ينهض إلى رتبة المتصل، وكبار التابعين كسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عدى بن الخيار.
وإن كان بعض أهل العلم يعد عبيد الله في الصحابة اللذين ولدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يميزوا
س٨١: مثل لمن تعد مراسيلهم من أضعف المراسيل؟
ج٨١: مثل الحسن البصري- الزهري- يحيى ابن أبي كثير.
س٨٢: مثل للمقلوب في المتن؟
ج٨٢: "إذا أذن ابن أم مكتوم فكلوا واشربوا وإذا أذن بلال فلا تأكلوا ولا تشربوا".
الصواب: " إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ".
س٨٣: مثل للمقلوب في السند؟
ج٨٣: قد يكون القلب في الإسناد في اسم راوٍ أو نسبه، يقول: "كعب بن مرة" بدل"مرة بن كعب"

س٨٤: هل يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال؟

ج٨٤: نرى أنه لا يجوز العمل بالضعيف، ومن ادعى التفرقة فعليه البرهان .

س٨٥: على أي شيء يُحمل قول أحمد وابن مهدي وابن المبارك :"إذا روينا في الحلال والحرام شدَّدنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا"؟

ج٨٥: حمله بعض أهل العلم على الحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة، فإن التفريق بين الصحيح والحسن لم يكن في عصرهم، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلا بالصحة أو الضعف فقط .

س٨٦: ما شروط العمل بالحديث الضعيف عند من يعمل به؟

ج٨٦: لذلك شروط وضعوها :

١- أن يكون الحديث في القصص أو المواعظ أو فضائل الأعمال.

٢- أن يكون الضعف غير شديد.

٣- أن يندرج تحت أصل معمول به.

٤- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط .

س٨٧: ما معنى حديث لا أصل له ؟

ج٨٧: معناه: لا إسناد له، قاله ابن تيمية رحمه الله.

س٨٨: كيف يعرف ضبط الراوي؟

ج٨٨: يعرف بموافقة الحفاظ المتقنين الضابطين إذا اعتبر حديثه بحديثهم، فإن كانت أغلب أحاديثه موافقة لأحاديثهم عرف ضبطه، وإن كثرت مخالفاته اختل ضبطه.

س٨٩: ما الحديث المتروك؟

ج٨٩: هو الذي يرويه من يتهم بالكذب، ولا يعرف ذلك الحديث إلا من جهته، ويكون مخالفاً للقواعد العامة.

س٩٠: عرف الحديث المعلق؟

ج٩٠: هو ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد.

س٩١: إلى كم قسم تنقسم المعلقات وما هي؟ مثل لما تقول ؟

ج٩١: تنقسم إلى قسمين:

١- معلقات بصيغة الجزم نحو: قال-ذكر- وروى.

٢- معلقات بصيغة التمريض نحو: يُذْكر- يقال- يُرْوَى.

س٩٢: هل المعلق ضعيف أو صحيح؟

ج٩٢: بصورة أولية فالمعلق من قسم الضعيف إلا أن نقف على الرجال المحذوفين، ومن ثَمَّ نحكم عليه بما يستحق.

س٩٣: هل المعلقات التي في صحيح البخاري على شرطه؟

ج٩٣: ليست المعلقات التي في صحيح البخاري كلها على شرطه؛ لأنه قد وسم كتابه (بالجامع المسند الصحيح المختصر في أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسننه وأيامه).

س٩٤: تكلم باختصار سريع عن المعلقات التي في صحيح البخاري؟

ج٩٤: منها: ما أورده البخاري معلقاً في موضع ووصله في موضع آخر من صحيحه، ومنها: ما لا يوجد إلا معلقاً ، وهذا الأخير على صورتين:

الأولى: المعلق بصيغة الجزم، ويستفاد منها الصحة إلى من علق عنه، لكن يبقى النظر فيمن أُبْرِزَ من رجال ذلك الحديث، فمنه ما يلتحق بشرطه ومنه ما لا يلتحق ... (قاله الحافظ) [٥].

فمثال لما يلتحق بشرطه قوله في كتاب الوكالة: قال عثمان بن الهيثم: حدثنا عوف، حدثنا محمد ابن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه، " وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة رمضان . . ".

وأما ما لا يلتحق بشرطه فقد يكون صحيحاً على شرط غيره، وقد يكون حسناً صالحاً للحجة، وقد يكون ضعيفاً لا من جهة قدح في رجاله بل من جهة انقطاع يسير في إسناده.

فمثال ما هو صحيح على شرط غيره: قوله في الطهارة: وقالت عائشة: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه" وهو حديث صحيح على شرط مسلم، وقد أخرجه مسلم في صحيحه.

ومثال لما هو حسن صالح للحجة: قوله: وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: "الله أحق أن يستحيا منه من الناس "، وهو حديث حسن مشهور عن بهز أخرجه أصحاب السنن.

ومثال لما هو ضعيف بسبب الانقطاع لكنه مُنْجَبَر بأمر آخر: قوله في كتاب الزكاة: وقال طاوس: قال معاذ بن جبل لأهل اليمن: ائتوني بعض ثياب خميص، أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . فإسناده صحيح إلى طاوس، إلا أن طاوساً لم يسمع من معاذ.

الصيغة الثانية: وهي صيغة التمريض لا تستفاد منها الصحة إلى من علق عنه، ولا تنافيها أيضاً، لكن فيه ما هو صحيح وما ليس بصحيح.

أما الصحيح، فمنه ما هو على شرطه، ويورده بالمعنى في موضوع آخر من صحيحه كقوله في الطب: ويذكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرقى بفاتحة الكتاب، فإنه أسنده في موضع آخر طريق عبيد الله بن الأخنس، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضى الله عنهما "أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بحي فيهم لديغ.." - فذكر الحديث في رقيتهم للرجل بفاتحة الكتاب، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبروه بذلك: "إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله" وهذا أورده بالمعنى لم يجزم به؛ إذ ليس في الموصول أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الرقية بفاتحة الكتاب، إنما فيه أنه لم ينههم عن فعلهم، فاستفيد ذلك من تقريره.

وأما ما لم يورده بالمعنى في موضع آخر مما أورده بهذه الصيغة، فمنه ما هو صحيح إلا أنه ليس على شرطه، ومنه ما هو حسن، ومنه ما هو ضعيف فرد إلا أن العمل على موافقته، ومنه ما هو ضعيف فرد لا جابر له .

فمثال لما هو صحيح ليس على شرطه: أنه قال في الصلاة: ويذكر عن عبد الله بن السائب قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون في صلاة الصبح، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع، وهو حديث صحيح على شرط مسلم، أخرجه في صحيحه ، إلا أن البخاري لم يُخرج لبعض رواته.

ومثال الثاني (وهو الحسن): قوله في البيوع: ويذكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "إذا بعت فكل، وإذا ابتعت فاكتل" وهذا الحديث قد رواه الدارقطني من طريق عبد الله بن المغيرة، وهو صدوق عن منقذ مولى عثمان وُثِّقَ عن عثمان به، وتابعه عليه سعيد بن المسيب، ومن طريقه أخرجه أحمد في المسند إلا أن في إسناده ابن لهيعة، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث عطاء عن عثمان، وفيه انقطاع، فالحديث حسن لما عضده من ذلك.

ومثال الثالث: وهو الضعيف الذي لا عاضد له إلا أنه على وفق العمل، قوله في الوصايا: ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدين قبل الوصية، وقد رواه الترمذي موصولاً من حديث أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، عن علي، والحارث ضعيف ، وقد استغربه الترمذي، ثم حكى إجماع أهل العلم على العمل به.

ومثال رابع: وهو الضعيف الذي لا عاضد له، وهو في الكتاب قليل جداً، وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف بالتضعيف بخلاف ما قبله، فمن أمثلته قوله في كتاب الصلاة: ويذكر عن أبي هريرة رفعه "لا يتطوع الإمام في مكانه"، ولا يصح. وهو حديث أخرجه أبو داود من طريق ليث بن أبي سليم، عن الحجاج بن عبيد، عن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي هريرة رضى الله عنه، وليث بن أبي سليم ضعيف، وشيخ شيخه لا يعرف، وقد اختُلِف عليه فيه. انتهي بتصريف من مقدمة الفتح .

س٩٥: ما حكم الموقوفات المعلقة في صحيح البخاري؟

ج٩٥: يجزم البخاري منها بما صح عنده، ولو لم يكن على شرطه، ولا يجزم بما كان في إسناده ضعيف أو انقطاع، إلا حيث يكون منجبراً، إما بمجيئه من وجه آخر، وإما بشهرته عمن قاله . أفاده الحافظ.

س٩٦: تكلم عن المعلقات التي في صحيح مسلم ؟

ج٩٦: المعلقات في صحيح مسلم قليلة جداً ، وقد ذكر ابن الصلاح في كتابه" صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط" نقلاً عن الحافظ أبي علي الغساني أن مسلماً وقع الانقطاع فيما رواه في كتابه في أربعة عشر موضعاً.(قلت:يريد بالمنقطع هنا المعلق، وذلك بعد تتبعها) ثم ذكر هذه المواضع. وأشار إلى ذلك أيضاً العراقي في التقييد والإيضاح.

ثم إن هذه المواضع الأربعة عشر قد وُصِلَت في مسلم نفسه، وقال الحافظ العراقى في التقييـــد: . . . فعلى هذا ليس في كتاب مسلم بعد المقدمة حديث معلق لم يوصله إلا حديث أبي الجهم، قلت:وهو "أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل" [٦] الحديث ، قال فيه مسلم : وروى الليث بن سعد حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن هرمز الأعرج عن عمير مولى ابن عباس أنه سمعه يقول: أقبلت أنا وعبد الله ابن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخلنا على أبي الجهم بن الحارث بن الصامت الأنصاري فقال أبو الجهم: "أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئـــر جمل...) الحديث .

س٩٧: ماذا تعرف عن حديث"ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف" ؟

ج٩٧: هذا الحديث أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الأشربة من صحيحه، قال فيه: وقال هشام ابن عمار، ثم ساق السند.

وضعَّفه ابن حزم وزعم أنه معلق، ومن ثم قرَّر مذهبه الفاسد في إباحة الملاهي، لكن الحـــديث رواه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والبرقاني في صحيحه، والطبراني والبيهقي مســـنداً متصـــلاً إلى هشام بن عمار وغيره، فصح الحديث والحمد لله .

واندفع ما قرَّره ابن حزم – رحمه الله وعفا عنه- وقد أجاب ابن الصلاح بثلاثة أوجـــه، وذلـــك في "صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط" ، الوجه الأول والثالث نرى فيه تعسفاً ، والصواب الوجه الثاني وقد أثبتناه.

س٩٨: ماذا تعرف عن كتاب تغليق التعليق؟

ج٩٨: هو كتاب قيم للحافظ ابن حجر –رحمه الله- ألفه لوصل ما ذكر معلقاً في صحيح البخاري.

س٩٩: هل تدخل المعلقات فيما انتقده الدارقطني على البخاري ومسلم ؟

ج٩٩: لا تدخل المعلقات فيما انتقده الدارقطني على البخاري ومسلم

س١٠٠: كم حديثاً انتقده الدارقطني على البخاري ومسلم؟

ج١٠٠: في الجملة نحوٌ من مائتي حديث، انتقد على البخاري مائة وعشرة أحاديث ، شاركه مسلم في إخراج اثنين وثلاثين منها، وانتقد على مسلم خمسة وتسعين حديثاً (بما فيها التي شاركه البخاري فيها)، راجع مقدمة فتح الباري، ورسالة بين الإمامين والدارقطني لربيع بن هادي، ورسالة الإلزامات والتتبع لمقبل بن هادي.

س١٠١: هل تم للدارقطني الانتقاد في كل الأحوال؟

ج١٠١: لم يتم له الانتقاد في كل الأحوال، فقد أصاب في بعضها، وأخطأ في الآخر. وأحياناً-بـــل كثيراً- ما ينتقد سند الحديث دون متنه.

س١٠٢: عرف الحديث المسند؟

ج١٠٢: فيه أقوال:

١- قول الحاكم: هو ما اتصل إسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- قول الخطيب: هو ما اتصل إلى منتهاه.

٣- قول ابن عبد البر: هو المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان متصلاً أو منقطعاً.

س١٠٣: عرف المتصل؟

ج١٠٣: هو المنافي للإرسال والانقطاع، ويشمل المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والموقوف على الصحابي، فعليه يكون المتصل هو الذي سمعه كل راوٍ من الذي قبله، ويشمل المرفوعَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والموقوفَ على الصحابي.

س١٠٤: عرف المرفوع ؟

ج١٠٤: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً عنه، سواء كان متصلاً أو منقطعاً أو مرسلاً ، هذا قول الأكثر.

س١٠٥: عرف الموقوف؟

ج١٠٥: هو الموقوف على الصحابي قولاً أو فعلاً.

س١٠٦: هل الموقوف حجة؟وما الدليل؟

ج١٠٦: ليس الموقوف حجة . قال الله تعالى:

(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) (الأعراف:٣) .

وقال سبحانه: (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا((الحشر:٧) .

وقال تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ((الشورى:١٠) .

وقال سبحانه: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) (النساء:٥٩) .

وقال سبحانه: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ((الأنفال:٤٦) .

أما ما ورد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عَضُّوا عليها بالنواجذ" فواضح من قوله صلى الله عليه وسلم: "عليها" أنها سنة واحدة، وهي التي وافق فيها الخلفاءُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إننا نلفت النظر إلى أن الصحابة رضوان الله عليهم لم تكتب لهم العصمة، بل كلٌّ منهم يصيب ويخطئ ، وما قال الله في حق أحد منهم (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى([النجم :٣] ولا قال أحد من الصحابة لصحابي آخر: إنني حجة فاتبعني، فهذا عمران بن حصين رضى الله عنه يخالف أمير المؤمنين عمر في مسألة التمتع في الحج، ومع عمر الصواب، قال عمران(كما في الصحيح ٤٥١): أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يترل قرآن يحرمه، و لم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء [٧].

وهذا علي رضى الله عنه يخالف عثمان في نفس المسألة، فلم يَدَّعِ عمر ولا عثمان أنهم حجة، فليتق الله أقوام بدَّلوا الحقائب فأعطوا أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم حق الله سبحانه وتعالى فدَعَوْهم من دون الله، ونزَّلوا صحابة رسول الله مترلة رسول الله، فلرسول الله مترلة ينبغي أن لا تُعْطى لغيره،

ولأصحابه مترلة لا يشاركهم فيها من بعدهم. فليتق الله أقوام جعلوا حقوق الله لنبيه وحقوق نبيه لأصحابه رضي الله عنهم، فلكل حق، لله حق ينبغي أن لا يشاركه فيه أحد، فلنبي الله حق ومترلة فوق مترلة الصحابة، فلا ينبغي أن يُدْعَى نبي الله من دون الله، ولا ينبغي أن نجعل كلام الصحابي في مترلة كلام رسول الله.

س١٠٧: هل تفسير الصحابي له حكم الرفع؟

ج١٠٧: تفسير الصحابي ليس له حكم الرفع

س١٠٨: هل ذِكْر الصحابي سبب نزول الآية له حكم الرفع؟

ج١٠٨: ذكر جمع من أهل العلم ذلك.

س١٠٩: هل قول الصحابي" أمرنا بكذا" و "نهينا عن كذا" له حكم الرفع؟

ج١٠٩: هذا له حكم الرفع، فالأمر والنهي هو ما جاء به الله على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

س١١٠: هل قول الصحابي: " كنا نفعل كذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم" له حكم الرفع؟

ج١١٠: أكثر أهل العلم على أن ذلك له حكم الرفع.

س١١١: ما الفرق بين الصيغتين الآتيتين:

١- عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: . . . ٢- عن عروة أن عائشة قالت :يا رسول الله .....؟

ج١١١: الثانية يَعُدُّها بعض أهل العلم مرسلة؛ لأن عروة لم يدرك القصة، بينما الأولى متصلة.

س١١٢: عرف تدليس الإسناد؟

ج١١٢: هو أن يروي عن مَن لقيه ما لم يسمعه منه موهِماً أنه سمعه منه، أو بتعبير آخر: هو أن يُسقط المحدث شيخَه، ويُحدث عن شيخ شيخه بلفظ محتمل السماع، مثل عن — أن- قال، ويكون قد سمع من شيخ شيخه بعض الأحاديث. أما هذا بعينه فسمعه منه بواسطة.

س١١٣: هل يقبل حديث المدلس إذا كان ثقة؟

ج١١٣: لا يُقبل إلا إذا صرَّح بما يفيد السماع نحو: أخبرني- سمعت- قال لي.

س١١٤: عرف تدليس التسوية؟

ج١١٤: هو إسقاط ضعيف بين ثقتين، قد سمع أحدهما من الآخر (أي قد عرف أن أحدهما سمع عن الآخر عدة أحاديث، لكن في هذا الحديث بعينه كان بينهما واسطة، والواسطة ضعيف فأسقط).

س١١٥: هل يقبل حديث مدلس تدليس التسوية إذا كان ثقة؟

ج١١٥: لا يقبل إلا إذا صرَّح في السند بالتحديث من مدلس تدليس التسوية إلى نهاية السند.

س١١٦: مَثِّل لمن اشتهر بتدليس التسوية؟

ج١١٦: كمثال لهم: الوليد بن مسلم، وبقية بن الوليد

س١١٧: عرف تدليس الشيوخ؟

ج١١٧: هو الإتيان باسم الشيخ أو كُنْيته على خلاف المشهور به ؛ تعمية لأمره وتوعيراً للوقـــوف على حاله.

س١١٨: مثل لتدليس الشيوخ؟ ومن الذي اشتهر به؟

ج١١٨: اشتهر به الخطيب البغدادي، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ وابن الجوزي .

أما الأمثلة: يروي الخطيب في كتبه عن أبي القاسم الأزهري، وعن عبيد الله بن أبي الفتح الفارســـي، وعن عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، والجميع شخص واحد من مشايخه.

وكذلك يروي عن الحسن بن محمد الخلال،وعن الحسن بن أبي طالب، وعن أبي محمـــد الخـــلال، والجميع عبارة عن واحد.

س١١٩: عرف تدليس العطف؟

ج١١٩: كأن يقول : حدثنا فلان وفلان، وهو لم يسمع من الثاني المعطوف، كما ذُكر عن هشيم أنه خرج على أصحابه فقال: حدثني حصين ومغيرة، ثم استمر في حديثه، ثم قال لتلاميذه: هل دلســـت عليكم اليوم؟ قالوا: لا، قال: بل قد فعلتُ، أما حصين فقد حدثني، وأما مغيرة فحدثني فلان عنه.

س١٢٠: هل هناك أنواع أخرى للتدليس؟

ج١٢٠: نعم هناك تدليس حذف الأداة، وتدليس السكوت، وتدليس البلاد، أما تدليس حذف الأداة فيحذف الأداة مطلقاً، وتدليس السكوت كأن يقول : حدثناً أو سمعت، ثم يسكت، ثم يقول: "هشام بن عروة" موهماً أنه سمع منه وليس كذلك .

وتدليس البلاد كأن يقول حدثني فلان بالقاهرة، وهو يقصد قرية أخرى.

س١٢١: ما حكم عنعنة الأعمش وقتادة وأبي إسحاق السبيعي؟

ج١٢١: يلزم أن يصرّح كل منهم بالتحديث ، فإنهم مدلسون، لكن إذا روى عنهم شعبة فلا تضـــر عَنْعَنَتُهُم، فإنه قال: كفيتكم تدليس ثلاثة، ثم ذكرهم .

وقد قال الحافظ ابن حجر في عدة مواضع من فتح الباري: إن رواية شعبة عن أيّ مدلس تجبر عنعنة ذلك المدلس (هذا مضمون كلامه).

س١٢٢: ما حكم عنعنة أبي الزبير؟

ج١٢٢: إذا روى عنه الليث، وكان هو يروي عن جابر لا تضر عنعنته، أما غير ذلك فإن عنعنة أبي الزبير لا تُقْبل في الغالب.

س١٢٣: ما قولكم في عنعنات الأعمش عن أبي وائل، وأبي صالح، وإبراهيم النخعي؟

ج١٢٣: عدد من العلماء يقبلون مثل هذه العنعنات، ويصححون حديث الأعمش عنهم وإن عَنْعَنَ، إلا إذا وجد هناك ما يشعر بتدليس، فحينئذ يتوقف حتى ينظر في تصريح للأعمش بالتحديث.

س١٢٤: من الذي اشتهر أنه لا يدلس إلا عن ثقة؟

ج١٢٤: هو سفيان بن عيينة.

تنبيه: قد يقول المحدث: خطبنا فلان، ويقصد أنه خطب أهل بلده، وقد أشار إلى ذلك السخاوي في فتح المغيث فقال :... كقول الحسن البصرى: خطبنا ابن عباس ، وخطبنا عتبة بن غزوان، وأراد أهل البصرة بلده، فإنه لم يكن بها حين خطبتهما، ونحوه في قوله: حدثنا أبو هريرة، وقول طاوس: قـــدم علينا معاذ اليمن، وأراد أهل بلده؛ فإنه لم يدركه.

س١٢٥: ماذا قال القطب الحلبي بشأن العنعنات التي في الصحيحين؟

ج١٢٥: قال: أكثر العلماء على أن المُعْنَعَنَات التي في الصحيحين مُنَزَّلَة مَنْزِلَة السماع؛ إما لمجيئها من وجه آخر بالتصريح بالسماع، أو لكون المعنعن لا يدلس إلا عن ثقة أو لوقوعها من جهة بعض النقاد المحققين سماع المعنعن لها.

قلت: أما ابن الصلاح والنووي فذهبا إلى أنها محمولة على ثبوت السماع فيما عندهم، مـــن جهـــة أخرى إذا كان في أحاديث الأصول لا المتابعات ؛ تحسيناً للظن بمصنفيهما ، يعني ولو لم نقف نحـــن على ذلك لا في المستخرجات التي هي مظنة لكثير منه، ولا في غيرها، وأشار ابن دقيـــق العيـــد إلى التوقف في ذلك.

س١٢٦: ما المُدْرج؟

ج١٢٦: هو أن تُزَاد لفظة في الحديث من كلام الراوي، فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث؛ فيرويها كذلك، وقد يكون الإدراج في السند أو في المتن.

س١٢٧: مثل للمدرج في أول الحديث ؟

ج١٢٧: حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : (أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار) فلفظ : " أسبغوا الوضوء" هنا من قول أبي هريرة ، وقد جاء ت صريحة فقال أبو هريرة: أسبغوا الوضوء ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ويل للأعقاب من النار " فتبين أن لفظة: أسبغوا الوضوء من قول أبي هريرة .

تنبيه: ورد " أسبغوا الوضوء" مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه.

س١٢٨: مثل للمدرج في وسط الحديث؟

ج١٢٨: مثاله: حديث من مس ذكره أو أنثييه أو رَفْغَيه فليتوضأ، فلفظة "أو أنثييه أو رفغيه" من قول عروة.

س١٢٩: مثل للمدرج في آخر الحديث؟

ج١٢٩: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " للعبد المملوك أجـــران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك " فلفظ: "والذي نفسي بيده" إلى آخر الحديث من قول أبي هريرة لاستحالة كون النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

س١٣٠: مثل للمدرج في الإسناد؟

ج١٣٠: مثاله: ما رواه الترمذي من طريق ابن مهدي، عن الثوري، عن واصل الأحدب، ومنصور، والأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل، عن ابن مسعود قال: قلت: "يا رسول الله! أي الذنب أعظم..".

فإن رواية واصل هذه مدرجة على رواية منصور والأعمش، فإن واصلاً يرويه عن أبي وائل عن ابن مسعود مباشرة ،لا يذكر فيه عمرو بن شرحبيل.

س١٣١: كيف يُعرف المدرج؟

ج١٣١: يُعرف المدرج بأمور منها:

١- جمع طرق الحديث.

٢- مجيئه مفصلاً من وجه آخر.

٣- استحالة كون النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

٤- النص على ذلك من الراوي.

س١٣٢: هل حدَّث أحد من الصحابة عن التابعين؟

ج١٣٢: ثبت ذلك من عدة طرق ذكرها العراقي في" التقييد والإيضاح" ص٧٦.

س١٣٣: ما هو الحديث المعضل ؟

ج١٣٣: هو ما سقط من وسط إسناده اثنان فأكثر على التوالي.

س١٣٤: متى يحكم على الحديث بالاضطراب؟

ج١٣٤: إذا توفرت شروط ثلاثة:

١- المخالفة.

٢- تكافؤ الطرق، معنى تكافؤ الطرق أن يكون:هذا صحيح، وهذا صحيح مثله، وهذا حسن وهذا حسن مثله، أما معنى عدم تكافؤ الطرق أن يكون هذا حسنًا ، وهذا أحسن ، أو هذا صحيحًا، وهذا أصح .

٣- عدم إمكان الجمع ، وقد يكون الاضطراب في السند أو في المتن.

س١٣٥:بماذا مثل أهل العلم للمضطرب في المتن؟

ج١٣٥: مثلوا بتحديد الصلاة التي حدث فيها الشك في قصة ذي اليدين.

س١٣٦: بماذا مثلوا للمضطرب في السند؟

ج١٣٦: مثلوا بحديث مجاهد عن الحكم بن سفيان مرفوعاً في نضح الفرج بعد الوضوء، فقد اختُلف عنه على عشرة أقوال فقيل: عن مجاهد عن الحكم عن أبيه، وقيل :عن مجاهد عن الحكم أو ابن الحكم عن أبيه، وقيل: عن مجاهد عن رجل من ثقيف عن أبيه ...

س١٣٧: اذكر تعريفات العلماء للحديث الشاذ؟

ج١٣٧: تعريف الشافعي: فرد ثقة خالف .

الحاكم: فرد ثقة .

الخليلي: فرد .
ابن الصلاح : الأول: تعريف الشافعي .
الثاني: فرد ضعيف ، أي تفرد الضعيف أي أن الشافعي يشترط أن يكون راويه ثقة خالف فيه غيره.
بينما الحاكم يشترط أن يكون راويه ثقة خالف أو لم يخالف، بينما الخليلي يشترط مجرد التفرد ، وابن الصلاح له تعريفان:
الأول: تعريف الشافعي .
والثاني: أن يكون راويه ضعيفًا تفرد به.
والذي عليه العمل هو تعريف الشافعي رحمه الله.
س١٣٨: ما هو الحديث المنكر؟
ج١٣٨: هو ما خالف فيه الضعيف غيره . أي أنه إذا كان هناك ثقة خالف من هو أوثق منه فحديث الثقة يسمى شاذاً، وحديث الثقات يسمى محفوظاً، وإذا كان ضعيفاً وخالف من هو أرجح منه فحديث الضعيف يسمى منكراً ، والأرجح يسمى معروفاً .
تنبيه: بعض المتقدمين يطلقون على الحديث إنه منكر ويقصدون مجرد تفرد الراوي.
راجح ترجمة محمد بن إبراهيم التميمي في مقدمة الفتح،وانظر أيضاً حديث الاستخارة في البخاري، وكلام الحافظ ابن حجر الذي ذكره عليه ، وما نقله ابن حجر عن الإمام أحمد في ذلك (فتح الباري)
وإذا قال البخاري في راوٍ: إنه منكر الحديث فهي من أردأ عبارات التخريج عنده.
س١٣٩: اذكر بعض الكتب المؤلفة في العلل؟
ج١٣٩: منها العلل لابن المديني- العلل للإمام أحمد بن حنبل- العلل لابن أبي حاتم- العلل للدارقطني- العلل للترمذي- التَّتَبُّعَات للدارقطني.ثم كتب للسنن تعتبر كتب علل ، ويستفاد منها كثيراً في جانب العلل ككتاب السنن للنسائي والسنن الكبرى للبيهقي.
س١٤١: ما حكم زيادة الثقة؟
ج١٤١: بعضهم قبلها مطلقاً وبعضهم ردَّها مطلقاً. وبعضهم فصَّل في المسألة فقال: إن اتحد مجلس السماع لم تُقبل، وإن تعدد قُبلت، وهناك أقوال أخرى. والذي نراه صواباً أنه لا يحكم فيها بحكم مطرَّد بل ينظر إلى قرائن تحيط بها نحو ثقة مَن زاد أو ضعفه- كثرتهم أو قلتهم – مخالفاتهم أو موافقتهم و... وكذلك الحكم في الوصل والإرسال، وفي الرفع والوقف فيحكم للأرجح.
س١٤٢: مثل زيادة الثقة؟
ج١٤٢: مثل بعض أهل العلم بحديث "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً" تفرد أبو مالك الأشجعي بزيادة "وتربتها طهوراً".
س١٤٣: بماذا استدل بعض أهل العلم لتوقفهم في قبول زيادة الثقة؟

ج١٤٣: استدلوا بقصة ذي اليدين مع رسول الله ، وذلك في حديث : " أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه عن مدى صحة قول ذي اليدين مع كون ذي اليدين صحابي ، والصحابة عدول .

س١٤٤: عرف العلة القادحة للحديث؟

ج١٤٤: هي سبب غامض خفي قادح في الحديث مع أن الظاهر السلامة منه .

س١٤٥: عرف الحديث المعلول؟

ج١٤٥: هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن الظاهر سلامته منها، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي : رجاله ثقات ، الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر .

س١٤٦: اذكر بعض أنواع العلل؟

ج١٤٦: قد تكون العلة بالإرسال في الموصول أو الوقف في المرفوع ، وإسقاط ضعيف بين ثقتين قد سمع أحدهما من الآخر أو الاختلاف على رجل في تسمية شيخه أو تجهيله أو غير ذلك.

س١٤٧: ما معنى طريق الجادة؟

ج١٤٧: هي الطريق المعروفة مثل مالك عن نافع عن ابن عمر، ويحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وسهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة .

س١٤٨: ماذا نفعل إذا تعارضت (أو اختلفت) طريق الجادة مع غير الجادة ؟

ج١٤٨: يقدم أهل العلم غير الجادة ؛ وذلك لأنها دليل على حفظ الراوي لها ، فإن فيها ما يلفت نظر الراوي لحفظها.

س١٤٩: اذكر بعض أوجه ترجيح رواية على أخرى؟

ج١٤٩: منها كثرة الملازمة وطول الصحبة – كون الراوي ثقة- كون الرواة أكثر- حال الرواة عند التحديث و.... .

س١٥٠: إلى كم قسم ينقسم التفرد؟

ج١٥٠: ينقسم إلى قسمين :

١- فرد مطلق .

٢- فرد نسبي.

س١٥١: عرف كل نوع ؟

ج١٥١: الفرد المطلق: هو أن ينفرد الراوي الواحد عن كل أحد من الثقات وغيرهم، كحديث : " إنما الأعمال بالنيات" تفرد به عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وتفرد به علقمة عن عمر ، وتفرد به محمد بن إبراهيم عن علقمة ، وتفرد به يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم .

والفرد النسبي: إما أن يكون تفرُّد ثقةٍ أي لم يروه ثقة إلا فلان ، وإما أن يكون تَفَرَّدَ به أهل بلده، وإما أن يكون تفرد شخص بالنسبة لشخص أي لم يروه عن فلان إلا فلان.

وقد مثل أهل العلم للنوع الأول بحديث قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر بقاف واقتربت الساعة لم يروه ثقة إلا ضميرة بن سعيد انفرد به عن عبيد الله عن أبي واقد الليثي .
والنوع الثاني : حديث : "القضاة ثلاثة"، تفرد به أهل مروٍ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.
ومثال النوع الثالث: حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أولم على صفية بسويق وتمر ، لم يروه عن بكر إلا وائل.

س١٥٢: ما معنى كل من الاصطلاحات الآتية: ١- الاعتبارات ٢- المتابعات ٣- الشواهد؟

ج١٥٢: الاعتبارات: هي عملية البحث عن أطراف الحديث وطرقه وألفاظه .

المتابعات : تنقسم إلى قسمين :

١- متابعة تامة وضابطها : أن يشترك الراويان في الشيخ.

٢- متابعة قاصرة وضابطها : أن يشترك الراويان في شيخ الشيخ أو مَن بعده .

الشواهد: هي أن يكون معنى الحديث موجوداً في حديث آخر ، والجمهور يشترطون أن يختلف الصحابي .

س١٥٣: ما فائدة الشواهد والمتابعات؟

ج١٥٣: ينجبر بها ضعف الضعيف، فمثلاً سند فيه رجل صدوق وتابعه صدوق آخر فيرتقي الحديث إلى الصحة.

وسند فيه رجل مقبول (ومعنى مقبول عند ابن حجر أنه مقبول إذا تُوبِعَ وإلا فلين) تابَعه مقبول آخر فيرتقي حديثه إلى الحسن لغيره، وإذا تابع المقبول صدوق فيرتقي الحديث إلى الصحة.
وأيضاً إذا تابع مقبول ضعيف فيرتقي إلى الحسن.

وإذا كانت كل الطرق بها ضعف (لكنه يسير) فينجبر هذا الضعف بالمتابعات والشواهد.

س١٥٤: هل هناك من أهل العلم من لا يعمل بالشواهد والمتابعات؟

ج١٥٤: هناك من أهل العلم من ينظر إلى الأسانيد استقلالاً ويحكم على كل إسناد بما يستحق، فإن كانت هناك جملة من الأسانيد في كل منها ضعيف ، فيحكم بضعفها ولا يقويها ببعضها، ومن هؤلاء: أبو محمد بن حزم، وهو وارد أيضاً في بعض تصرفات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله . إلا أن الكثير من أهل العلم يعملون بالشواهد والمتابعات فيُرَقُّون الحديث إلى غاية الصحة إذا كثرت طرقه- وإن كان فيها ضعف- إذا لم يشتد سبب الضعف، والله تعالى أعلم.

س١٥٥: ما درجة الشيخين الفاضلين أحمد شاكر وناصر الألباني في تصحيح الأحاديث من ناحية التساهل أو التشدد؟

ج١٥٥: أما الشيخ الفاضل أحمد شاكر رحمه الله فيجنح إلى التساهل في الحكم على الحديث بالصحة، ومنشأ ذلك أنه عمد إلى رجال دارت عليهم جملة هائلة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثَّقهم ، ومن ثَم صحَّح أحاديثهم، من هؤلاء ابن لهيعة وشهر بن حوشب وعبد الله

(مكبر الاسم) بن عمر العمري ، وليث بن أبي سليم ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث ، ويزيد بن أبي زياد، وهؤلاء الراجح من أمرهم أنهم أقرب إلى الضعف.

أما الشيخ ناصر الألباني حفظه الله فهو أحسن حالاً في هذا الجانب إلا أن عمله لا يخلو من شيء من ذلك ، ووجه ذلك أنه يصحح الحديث في كثير من الأحيان بناء على صحة الإسناد فقط ، ولا ينظر إلى أوجه إعلاله ، وأحيانًا يصحح الحديث بمجموع الطرق وكثرتها مع شدة ضعفها ، والله تعالى أعلم.

س١٥٦: ما حكم حديث كل من قيل فيه: شيخ – صالح – يعتبر بحديثه – يكتب حديثه – لين الحديث – مستور –مجهول الحال مقارب الحديث؟

ج١٥٦: كل هؤلاء حديثهم يصلح في الشواهد والمتابعات.

س١٥٧: هل هؤلاء الذين يأتي ذكرهم يصلحون في الشواهد أو المتابعات: كذاب- ضعيف جداً – متروك – وَاهٍ – وضَّاع- متهم بالوضع؟

ج١٥٧: لا يصلح حديث هؤلاء شاهداً لغيره ولا متابعاً.

س١٥٨: كيف يمكن التمييز بين الرواة في حالة تشابه أسمائهم؟

ج١٥٨: يمكن ذلك بأمور منها:

١- الرمز المرموز به بجوار كل منهم في كتاب كتقريب التهذيب مثلاً.

٢- الطبقات.

٣- المشايخ والتلاميذ.

٤- جمع طرق الحديث.

٥- البلدان.

٦- الاختصاص.

٧- إذا كانا ثقتين فلا يضر.

٨- إذا كانا ضعيفين فلا يضر.

٩- إذا كان أحدهما ثقة والآخر ضعيفاً فنتوقف.

س١٥٩: هل هناك ما نميز به بين بعض الرواة كسفيان الثورى مثلاً وسفيان بن عيينة ، ومن اسمهم هشام أو عمرو أو علقمة أو نحو ذلك؟

ج١٥٩: نعم هناك ما نميز به بين ذلك، ومن أنفع الوسائل لذلك معرفة الاختصاص، فهناك رواة مختصون بالرواية عن مشائخ معينين، فمثلاً:

* علي بن المديني وقتيبة بن سعيد ، ومسدد ، ومحمد بن سلام البيكندي ، والحميدي (عبد الله بن الزبير) كل هؤلاء إذا رَوَوْا عن سفيان فهو سفيان بن عيينة.

* ومحمد يوسف الفريابي ووكيع بن الجراح ومحمد بن كثير العبدي وعبد الله بن المبارك وعبد الرحمن ابن مهدي وقبيصة بن عقبة كل هؤلاء إذا رَوَوْا عن سفيان فهو سفيان الثوري .

* وكذلك إذا قيل سفيان عن أبيه فهو سفيان الثوري .
* أما لتمييز من اسمه هشام من الرواة مثلاً:
فإذا كان هشام يروي عن قتادة فهو : هشام الدستوائي .
وإذا كان هشام يروي عن أنس فهو : هشام بن زيد بن أنس حفيد أنس رضي الله عنه . وإذا كـــان هشام يروي عن معمر وابن جريج فهو: هشام بن يوسف الصنعاني .
وإذا كان هشام يروي عن ابن سيرين فهو : هشام بن حسان .
أما هشام الذي يروي عنه البخاري فهو هشام بن عبد الملك الطيالسي.
وهشام الذي يروي عن أبيه هو هشام بن عروة بن الزبير.
كذلك هشام الذي يروي عن يحيى بن أبي كثير هو هشام الدستوائي .
* أما بالنسبة لعمرو:
فعمرو الذي يروي عنه شعبة هو عمرو بن مرة .
وعمرو الذي يروي عنه الأعمش هو عمرو بن مرة أيضاً .
وعمرو الذي يروي عنه سفيان بن عيينة هو عمرو بن دينار .
وعمرو الذي يروي عنه ابن وهب هو عمرو بن الحارث .
* أما علقمة:
فعلقمة الذي يروي عن عمر بن الخطاب هو علقمة بن وقاص الليثي .
وعلقمة الذي يروي عن ابن مسعود هو علقمة بن قيس النخعي .
وفي هذا الباب جملة من الفوائد منها:
سالم إذا روى عن أبيه فهو سالم بن عبد الله بن عمر .
سالم إذا روى عن جابر فهو سالم بن أبي الجعد .
* إسماعيل عن قيس إسماعيل هو ابن أبي خالد .
وقيس هو قيس ابن أبي حازم.
شعيب عن أنس هو شعيب بن الحبحاب.
* أبو اليمان عن شعيب فهو شعيب بن أبي حمزة.
* حميد عن أنس هو – في الغالب- حميد بن أبي حميد الطويل.
* حميد عن أبي هريرة هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف.
* إذا جاء السند مكياً وصحابيه اسمه عبد الله فهو عبد الله بن عباس.
إذا جاء السند مدنياً وصحابيه اسمه عبد الله فهو عبد الله بن عمر.
إذا جاء السند كوفياً وصحابيه اسمه عبد الله فهو عبد الله بن مسعود .
إذا جاء السند مصرياً وصحابيه اسمه عبد الله فهو عبد الله بن عمرو بن العاص .
إذا روى أبو بردة عن عبد الله فعبد الله هو عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري .

إذا روى علقمة عن عبد الله فهو ابن مسعود.
وهذا في غالب الأحوال. والله تعالى أعلم.
س١٦٠: ما معنى قول الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه تقريب التهذيب (من العاشرة أو في الحادية عشرة أو من الخامسة ... ونحو ذلك) في تراجمه للراوة ؟

ج١٦٠: مراده من ذلك أن هذا الراوي من الطبقة العاشرة أو من الطبقة الحادية عشرة أو من الطبقة الخامسة، وكتفصيل لذلك نقول: إن بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحاب كتب السنن تقريباً من ٢٠٠-٢٥٠ سنة ، فهذه المدة الزمنية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحاب الكتب قسمت تقريباً إلى عشر طبقات:

* فالطبقة الأولى: هم الصحابة.

* الطبقة الثانية: طبقة كبار التابعين كابن المسيب، والمخضرمين كذلك ، والمخضرم هو من أدرك الجاهلية والإسلام ولكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، فمن ذلك مثلاً رجلاً أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يلتق برسول الله صلى الله عليه وسلم لبُعْد مسافة عنه أو لعذر آخر.

أو رجل كان معاصراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* الطبقة الثالثة: هي الطبقة الوسطى من التابعين كالحسن وابن سيرين وهم طبقة روت عن عدد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

* الطبقة الرابعة: صغار التابعين : وهم طبقة تلي الطبقة المتقدمة ، جُل روايتهم عن كبار التابعين كالزهري وقتادة.

* الطبقة الخامسة: طبقة صغرى من التابعين (هم أصغر من المتقدمين) وهم تابعون رأوا صحابياً أو صحابيين، ومن هؤلاء موسى بن عقبة والأعمش.

* الطبقة السادسة: طبقة عاصروا الخامسة لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة كابن جريج .

* الطبقة السابعة: طبقة كبار أتباع التابعين كمالك والثوري.

* الطبقة الثامنة: هي الوسطى من أتباع التابعين كابن عيينة وابن علية.

* الطبقة التاسعة: هي الطبقة الصغرى من أتباع التابعين كيزيد بن هارون والشافعي وأبي داود الطيالسي وعبد الرازق.

* الطبقة العاشرة : كبار الآخذين عن تبع التابعين ممن لم يلق التابعين كأحمد بن حنبل.

* الطبقة الحادية عشرة: الطبقة الوسطى من ذلك كالذهلي والبخاري.

* الطبقة الثانية عشرة: صغار الآخذين عن تبع الأتباع كالترمذي وباقى شيوخ الأئمة الستة الذين تأخرت وفاقم قليلاً كبعض شيوخ النسائي.

وكرسم تفصيلى لذلك:

رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ الصحابة ٢ كبار التابعين والمخضرمين ٣ الوسطى من التابعين ٤ صغار التابعين ٥ تابعون لم يلتقوا إلا صحابياً أو اثنين ٦ تابعون لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة ٧ كبار أتباع التابعين ٨ الوسطى من أتباع التابعين ٩ صغار أتباع التابعين ١٠ كبار الآخذين عن تبع الأتباع ١١ الوسطى من الآخذين عن أتباع التابعين ١٢ صغار الآخذين عن تبع الأتباع

س١٦١: اذكر عدداً من رجال الطبري في تفسيره الذين دارت عليهم جملة من الأسانيد مع بيان أحوالهم باختصار؟

ج١٦١: أخرج الطبري رحمه الله في تفسيره عن عدد من الرواة وأكثر عنهم وفي حديث كثير منهم ضعف، فأخرج لمحمد بن حميد الرازي (ويقول فيه حدثنا ابن حميد) وهو ضعيف، وأخرج لسفيان ابن وكيع (ويقول فيه حدثنا ابن وكيع أو حدثنا سفيان) وسفيان بن وكيع قد ضُعِّفَ بسبب ورَّاق السوء الذي كان عنده .

وأخرج رحمه الله للمثنى بن إبراهيم الآملي ، وللآن لم نقف للمثنى هذا على ترجمة .

وفي أسانيد الطبري أيضاً(وبكثرة) أبو صالح وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث ، والراجح ضعفه.

وفيها أيضاً محمد بن أبي محمد وهو مجهول.

وأخرج أيضاً بعض الأسانيد التالفة كما يقول: حدثني محمد بن سعد قال : حدثني أبي قال : حدثني عمي قال : حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ، فمحمد بن سعد هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفي وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء.

س١٦٢: وجدت لابن معين في راو واحد قولين مختلفين فعلى أي شيء يحمل الاختلاف؟

ج١٦٢: إما أن يكون تغيَّرَ اجتهادُه أو يكون هذا مثلاً ضعيفاً حينما يسأل عنه بالنسبة لراوٍ آخر أو العكس، كأن يُسأل عن رجلين أحدهما ثبت والآخر أدنى منه فيقول: هذا ثبت وذاك ضعيف (أي بالنسبة للأول).

س١٦٣: عرف المزيد في متصل الأسانيد والمرسل الخفي؟

ج١٦٣: قد يجيء الواحد بإسناد واحد من طريقين ولكن في أحدهما زيادة راوٍ. وهذا يشتبه على كثير من أهل الحديث ولا يدركه إلا النقاد، فتارة تكون الزيادة راجحة بكثرة الراوين لها وتارة يحكم بأن راوي الزيادة وهم فيها تبعاً للترجيح والنقد.

فإذا رجحت الزيادة كان النقص من نوع "الإرسال الخفي" وإذا رجح النقص كان الزائد من "المزيد في متصل الأسانيد" .

مثال الأول: حديث عبد الرازق عن الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يُثَيْع بضم الياء التحتية المثناة وفتح الثاء المثلثة وإسكان الياء التحتية المثناة ، وآخره عين مهملة عن حذيفة مرفوعاً "إن وليتموها أبا بكر فقوي أمين" فهو منقطع في موضعين؛ لأنه روي عن عبد الرازق قال: حدثني النعمان بن أبي شيبة عن الثوري ، وروي أيضاً عن الثوري عن شريك عن أبي إسحاق.

مثال الثاني: حديث ابن المبارك قال: حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن يزيد حدثني بسر بن عبـــدالله قال:

سمعت أبا إدريس الخولاني قال: سمعت واثلة يقول:

سمعت أبا مرثد يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تجلسوا علـــى القبـــور ولا تصلوا إليها" فزيادة" سفيان" و "أبي إدريس" وهم، فالوهم في زيادة " سفيان" من الراوي عن ابـــن المبارك، فقد رواه ثقات عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بغير واسطة مع تصـــريح بعضـــهم بالسماع. والوهم في زيادة أبي إدريس من ابن المبارك فقد رواه ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد عـــن بُسْر بغير واسطة مع تصريح بعضهم بالسماع.

س١٦٤: بماذا يعرف الإرسال الخفي؟

ج١٦٤: يعرف بأمور منها عدم لقاء الراوي شيخه ، وإن عاصره أو بعدم سماعه منه أصلاً أو بعـــدم سماعه الخبر الذي رواه وإن كان سمع منه غيره.

س١٦٥: ما حكم رواية أهل البدع؟

ج١٦٥: يقبل منهم ما لا يوافق بدعتهم (ما داموا صادقي اللهجة) أما ما يوافق بدعهم فيتوقف فيه.

س١٦٦: اذكر مرتبة هذه الألفاظ عند البخاري: "سكتوا عنه" و"فيه نظر" و"منكر الحديث"؟

ج١٦٦: هذه أدنى المنازل عند البخاري وأردؤها.

س١٦٧: ما هي أنواع تحمل الحديث ؟

ج١٦٧: أنواع تحمل الحديث هي:

١- السماع.

٢- القراءة على الشيخ.

٣- الإجازة.

٤- المناولة.

٥- المكاتبة.

٦- الإعلام.

٧- الوصية.

٨- الوجادة (وهي أن يجد حديثاً بخط شخص بإسناده).

س١٦٨: ما معنى الإسناد العالي والنازل؟

ج١٦٨: الإسناد العالي هو القريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.والنازل هو البعيد. ثم إن العلو والنزول أقسام. راجع الباعث الحثيث.

س١٦٩: متى يُصار إلى الحكم بالنسخ؟

ج١٦٩: لا بد أن تتوافر شروط ثلاثة وهي :

المخالفة- عدم إمكان الجمع- معرفة التاريخ.

س١٧٠: من هو المخضرم؟

ج١٧٠: هو الذي أدرك الجاهلية والإسلام و لم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمناً به.

س١٧١: من هو التابعي؟

ج١٧١: هو من صحب الصحابي.

س١٧٢: من هو الصحابي؟

ج١٧٢: هو من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال إسلام الراوي ، وإن لم تطل صـــحبته وإن لم يرو عنه شيئاً.

س١٧٣: من هم العبادلة من الصحابة؟

ج١٧٣: هم عبد الله بن الزبير ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص .

س١٧٤: عرف المؤتلف والمختلف؟

ج١٧٤: هو ما تتفق في الخط صورته وتختلف في اللفظ صورته مثال سلام وسلام، عباس وعيـــاش، غنام وعثام .

تنبيه : إذا أردنا الوقوف على رجال الحاكم- والدارقطني- والطبرانى ، وهؤلاء المتأخرين فعلينا بكتب من التي يأتي ذكْرُها:

١- العبر في أخبار من غبر.

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

٣- تاريخ بغداد.

٤- كتب التواريخ بصفة عامة.

٥- سير أعلام النبلاء.

س١٧٥: اذكر باختصار بعض الكتب الأساسية التي تلزم طالب علم الحديث ؟

ج١٧٥: يلزمه الآتي:

كتب السنن وهي (باختصار للأهم):

- فتح البارى شرح صحيح البخاري "ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي" .
- صحيح مسلم "ترتيب محمد فؤاد"
- صحيح مسلم شرح النووي
- سنن أبي داود تحقيق عزت عبيد الدعاس
- عون المعبود شرح سنن الترمذي
- تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي
- سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر
- سنن ابن ماجه ترتيب محمد فؤاد
- سنن النسائي

- موطأ مالك ترتيب محمد فؤاد
- التمهيد لابن عبد البر
- مسند أحمد بن حنبل مع فهرست الشيخ ناصر الألباني
- سنن الدارمي
- مسند الطيالسي
- المنتخب لعبد بن حميد
- مسند الشافعي
- مستخرج أبي عوانة
- المنتقى لابن الجارود

وإذا كان موسراً فعليه شراء أي كتاب في السنة من الكتب ذوات الأسانيد .

كتب الرجال

- تقريب التهذيب.
- تهذيب التهذيب.
- تعجيل المنفعة لابن حجر
- تهذيب الكمال.
- لسان الميزان.
- الكامل في الضعفاء لابن عدي
- الضعفاء للعقيلي
- ميزان الاعتدال.
- التاريخ الكبير للبخاري
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
- العبر في أخبار من غبر الذهبي
- تذكرة الحفاظ.
- سير أعمال النبلاء
- الثقات لابن حبان
- تاريخ بغداد.

وكذلك باقي كتب الرجال والتواريخ إن كان موسراً.

كتب البحث والمصطلح (وستأتي كتب المصطلح في مراجع البحث).

- تحفة الأشراف.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (ولألفاظ القرآن).
- ذخائر المواريث .

- مفتاح كنوز السنة.
- جامع الأصول.(وهو من كتب السنة).
- مفتاح الصحيحين.
- موسوعة أطراف الحديث.
- لبانة القارئ فهرست لصحيح البخاري.
- فهرست مسند أحمد بن حنبل (على الحروف الهجائية) لبسيوني زغلول.
- وكتب الشيخ ناصر الدين الألباني: بجملتها ففيها خير كثير وبركة في شتى النواحي.

التفاسير

- تفسير ابن جرير الطبري
- تفسير القرطبي
- تفسير ابن أبي حاتم
- تفسير ابن كثير
- تفسير عبد الرازق
- التفسير الكبير للرازي
- الدر المنثور للسيوطي

وباقي كتب تفاسير أهل السنة في حالة الاستطاعة.

كتب الفقه

- نيل الأوطار.
- سبل السلام.
- المغني.
- المجموع شرح المهذب.
- المحلى.
- المبسوط.

كتب اللغة

- تاج العروس.
- لسان العرب.

كتب النحو

- التحفة السنية
- قطر الندى
- الألفية
- مغني اللبيب

كتب علل الحديث

- العلل لابن أبي حاتم.
- العلل لأحمد بن حنبل.
- العلل لعلى بن المديني.
- العلل للترمذي.
- العلل للدارقطني.
- كتب الضعفاء والمتروكين

هذه أشياء أساسية مختصرة تلزم طالب علم الحديث ويلزمه قبلها أن يخلص العمل لوجه الله .

انتهت الأسئلة

والحمد لله رب العالمين

---

[١] انظر كتاب "ضعيف الأحاديث القدسية" لأخينا أحمد العيسوي حفظه الله.

[٢] والعلة القادحة: هي سبب قادح مؤثر في الحديث مع أن ظاهر الحديث السلامة.

[٣] المبشرون بالجنة من أ صحاب النبي كثير، ولكن ا لمرا د بالعشرة هم الذين جمعهم حديث واحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أبو بكر- عمر- عثمان- علي- طلحة- الزبير- سعد بن أ بي وقاص- وعبد الرحمن بن عوف — وأبو عبيدة- وسعيد ابن زيد.

[٤] وقد سبق الترمذي البخاري وأبو حاتم الرازي إلى هذا الاصطلاح وغيرهما، ولكنه انتشر و اشتهر في كتب الترمذي .

[٥] أحياناً لا يتحقق هذا، بمعنى أن الحديث المعلق بصيغة الجزم قد يكون ضعيفاً إلى من علق عنه أيضًا.

[٦] ولفظه في البخاري من حديث أبي الجهيم (٣٣٧) أ قبل النبي صلى ا لله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام.

[٧] يعني عمران بن حصين رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه فعلها . (كما في طرق الأحاديث).

========================

مفاهيم أساسية لدراسة السيرة النبوية

محمد جلال القصاص

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة وتشمل بيان:

أهمية وضع ضوابط لقراءة السيرة النبوية

(السيرة النبوية ــ على صاحبها الصلاة والسلام ــ هي في الحقيقة عبارة عن الرسالة الــتي حملــها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المجتمع البشرى قولًا وفعلًا، وتوجيها وسلوكًا، وقَلَبَ بها موازين الحياة، فبدَّل مكان السيئة الحسنة، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العبــاد إلى عبادة الله)

أي أنها ــ بلغة القوم ــ حركة من حركات الإصلاح التي عرفتها البشرية.

واليوم يتنادى كثيرون للإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي... الخ. وكثير من هؤلاء يدعي الانتساب للدين وأنه ينطلق من ثوابت الدين الكلية ويستوقد من سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم شعلة يستضيء بها في رحلة(الإصلاح) التي يقوم بها.

والحقيقة أن الكل يذهب للسيرة بخلفية فكرية مسبقة فيَبتُر ويجتزئ وينقل ما يريد مما يحقق له أهدافه، وقد رأينا أن العلمانيين ومن بذروا بذور العلمانية في عالمنا الإسلامي كــ(طه حســين) و(ورفاعــة الطهطاوي) قد كتبوا في السيرة النبوية.

ولكنها طريقة أهل الأهواء والبدع الذين يعتقدون ثم يستدلون، أو الذين يذهبون إلى النصوص ليأتوا بها على هواهم.

لذا كان لابد من وضع ضوابط لدراسة السيرة النبوية.

ولما كانت الخلفية الفكرية للكاتب أو المتحدث تنعكس على أفكاره المكتوبة أو المقروءة ولا بد، رأينا ــ ممن يتكلمون في السيرة من دعاة الصحوة الإسلامية المباركة ــ من لا يرى في السيرة إلا السيف والجهاد، ومنهم من لا يرى إلا الأشخاص، ويحاول أن يصور الأمر على أنه بطــولات شخصــية، وتنحصر رؤيته في عبقرية الشخص وتوصيف الحدث دون ربطه بغيره أو النظر إلى فقه الحدث ومــا فيه من التشريعات.

فغالب الطرح الموجود للسيرة النبوية يغلب عليه إثبات الوقائع ووصف تطــور الأحــداث وذكــر النتائج.وهو أمر جيد إن كان الخطاب موجه فقط للعوام من الناس.

وقد حاولت في هذه الرسالة أن أضع بعض الأصول لدراسة السيرة النبوية. و لم تقع عيني على دراسة مشابه لشيوخنا الكرام، لذا بذلت ما استطعت من الجهد وأعترف بأن الأمر مازال يحتاج إلى مزيــد من الدراسة، والله أسأل أن يبارك لي في كلماتي وأن ينفع بها.

أولا: أهمية دراسة السيرة النبوية:

١ ــ حُبّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبادة، قال تعالى:(النَّبِيُّ أَوْلَى بِــالْمُؤْمِنِينَ مِــنْ أَنفُسِهِمْ).[الأحزاب: الآية٦]

وفي الحديث " فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ"

وفي البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ " فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ

وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْآنَ يَا عُمَرُ " وجاء رجـــل إلى النبي صلى الله فسأله عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ قَالَ ــ صلى الله عليه وسلم ــ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ : لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ: قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْـــلِ أَعْمَالِهِمْ.

والاقتداء به ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو أحد ركني الإسلام الذي قام عليهما(الإخلاص والمتابعة)، قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كـــثيرًا) [الأحزاب:٢١]. وهو أيضا الترجمة الحقيقية للمحبة قال الله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فـــاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[آل عمران: ٣١]

ومن أمحل المحال أن يحب المرء من يجهل أوصافه وأحواله، ومن أمحل المحال أن يقتدي المـــرء بمـــن لا يعرف شيئًا عن سيرته وهديه، من هنا تأتي أهمية شرح السيرة النبوية لتوضيح صفاته وأحواله صلى الله عليه وسلم، ليعرفها من جهل فيحب ويتبع.

٢ ــ وتعلُّم السيرة النبوية عبادة فقد جاء عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال: " كنا نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن".

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ويعدها علينا، ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها»(١).

٣ ــ وإذا أعملنا قاعدة " الوسائل لها أحكام المقاصد " ــ وهو ممكن هنا ــ وجدنا أن السيرة النبوية إحدى وسائل التعبد، تأخذ حكم الغاية التي تصل إليها. وبعض الغايات عبادات واجبـــة، وبعـــض الغايات دفاع عن الحبيب صلى الله عليه وسلم.

٤ ــ وفي السيرة توضيح لكثير من معاني القرآن الكريم، كتلك الآيات التي تتكلم عن الغـــزوات في سورة آل عمران، والتوبة والأحزاب والفتح والحشر...، كما أن في دراسة السيرة النبوية بيان لكثير من أسباب الترول. فهناك سور بأكملها تتكلم عن غزوة مثل سورة الأنفال التي تتكلم عن غـــزوة بدر، وسورة التوبة التي تتكلم عن غزوة تبوك، وسورة الحشر التي تتكلم عن جلاء بني النضير، وهناك آيات كثيرة في سورة آل عمران تتحدث عن غزوة أحد، وحتى تفهم هذه الآيات جيدًا لا بد مـــن دراسة السيرة النبوية.

٥ــ ولما كانت القدوة لابد منها في حياة الناشئة كان لا بد من تعلم السيرة النبوية، لإعطاء الأجيال نماذج طيبة طاهرة، من الصحابة والتابعين، وطرد النماذج الجاهلية أو الخيالية التي تعطى للأطفال فيما يعرض على الشاشات المرئية أو في القصص المكتوبة مما عمت به البلوى هذه الأيام. ففي السيرة نماذج حية للقادة العظماء وعلى رأسهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي السيرة نماذج حيّـــة للزهـــاد وعلى رأسهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي السيرة نماذج للتجار الناجحون المخلصون الأتقياء. وفي السيرة أفضل النماذج للمــربين وعلــى رأسهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي السيرة أسمى نماذج الصبر والثبات والجد في الحصول على المراد.

ولا بد من عقد المقارنة بين هذه النماذج الخيالية المكذوبة التي لا يستفيد منها القارئ وخاصة الناشئة شيء، وبين نماذج البطولة الحية الموجودة في السيرة النبوية.

بل لا بد من عقد المقارنة بين عظماء التاريخ الإسلامي وعلى رأسهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وباقي الجبابرة الذين استخفوا قومهم فأطاعوهم، والذين ملكوا على الناس بالسيف، و لم يتركوا أثرا لهم يُحي ذكرهم بالخير بين الناس كما كان حال من رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦ ــ واليوم دار الزمان دورة أخرى، وصار الكفر هو القوة العظمى الوحيدة علــى وجــه الأرض ففرض علينا ما هو مرفوض في ديننا، وتبعه كثير من قومنا رغبة ورهبة، ولا بد من التصــدي لهــذه الحالة والوقوف بوجهها، لذا كان لا بد من معرفة كيف عالج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأمر من قبل. وتُعرض السيرة النبوية كنموذج للإصلاح ورد الناس إلى دين الله.

وأحاول ــ بحول الله وقوته ــ عرض بعض المفاهيم التي لا بد منها ــ من وجهة نظري ــ لمن يريد دراسة السيرة النبوية أو عرضها على الناس.

ثانيا: السيرة النبوية وصحة المصادر:

يعاني النصارى واليهود من الشك الكبير في تراثهم الديني... كل تراثهم الديني؛ بل في أقــدس مــا لديهم وهو ما يسمونه(الكتاب المقدس)، فهم مختلفون أو قل يجهلون الكثير عن الشخصيات الــتي كتبت(العهد القديم) وكذا من كتبوا الأناجيل (القانونية منها وغير القانونية)، والكلام في التشكيك فيمن كتبوا الأناجيل مشهور ومعلوم، والمعلومات عن الأصول التي تمت الترجمة منها تكاد تكــون معدومة، والحديث عن ما يسمونهم بــ(الآباء الأولون) حديث مُحتكر بين طائفة معينة، ومن يدخل منهم الإسلام يتكلم بأنه كله كذب ولولا ذلك لخرج للعوام، فهم إذا في شك كبير مــن كتــابهم وتراثهم الفكري والتاريخي، وهو مصداق قول الله تعالى:(وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفــي شك منه مريب) ويستر عيبهم أن الدين حكر على الأحبار والرهبان، وأن العوام ليس لهم من الدين سوى بعض القضايا الذهنية التي يعتقدونها كقضية الفداء والصلب مثلا عند النصارى، وبعض الشعائر التعبدية التي يلتزم بها القليل. ولا يلام عليها الباقين.

هذا حال أقرب الديانات لنا ــ النصرانية ــ والأمر أسوء في اليهودية والبوذية وغيرهما من الديانات الأخرى.

أما نحن المسلمين فنعرف عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله علــيهم كــل شيء... نعرف عنه صلى الله عليه وسلم مأكله ومشربه وملبسه ومشيته وجلسته، وكيف كان ينام، وكيف كان يضحك، وما كان يحب من الأشياء، ومن كان يحب ويكره من الأشخاص، ونعــرف

صلاته وغزواته، وحاله في بيته مع نسائه وأطفاله وأحفاده، ونعرف عن نبينا ما لا يعرفه أحدنا عـــن أبيه.

وهذه مِنَّة من الله عظيمة يجب التنبيه عليها لمن يعرض السيرة النبوية على الناس، فنحن حين نعـــرض السيرة النبوية نتكلم عن عِلْم مدون، وليس عن قصص مفترى. ونتكلم عن حقائق وأشخاص معروفة ومعلومة وليس عن أشخاص وهمية.

ويعرف أهمية هذا من يناظر النصارى ويختلط بهم.

وأمرًا آخر يجب التنبيه عليه وهو أن الكتب التي تأخذ منها السيرة النبوية ومنها كتب التفسير تثبـــت الروايات الضعيفة والمكذوبة للرد عليها وتضعيفها. فلا يعني أبدًا وجود هذه الروايات في كتب السير أنها صحيحة فلا بد من الالتفات إلى التعليق الذي يذكره المؤلف على القصة أو الرواية.

مثل قصة الغرانيق العلا التي أوردها المفسرون في سورة النجم و لم يقل أحد منهم أن القصة صحيحة، بمعنى أنه نزل في القرآن آيات تقول عن(اللات) و(العزى) " أنهم هم الغرانيق العـــلا وإن شـــفاعتهم لترتجى" فلم تكن هذه أبدًا يومًا من الأيام آيات من كتاب الله وتم نسخها أو حذفها. و لم يـــذكرها المفسرون من باب التأيد، وإنما من باب التكذيب والرد على من يقول بها.

ومثال ذلك أيضا ما يقال عن الحمار(يعفور) الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر، ومـــا يقال من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى زينب في ثياب شفافة فأعجبته وسعى في طلاقها من زيد ليتزوجها هو صلى الله عليه وسلم.

هذه الروايات ومثلها ترد في كتب السير وكتب التفسير أيضًا لتكذيبها والرد عليها.

وليس مجرد وجودها هو إثبات لها كما يفتري أهل الكتاب. فالواجب على من يعرض السيرة أن ينبه على هذا الأمر.

وقد يبدو للقارئ أن هذا الأمر بسيطًا لا يستحق الوقوف عنده والتنبيه عليه، إلا أنك حين تعلـــم أن دعاة الكفر ينقلون هذه الأشياء لمن يسمعونهم من المسلمين والنصارى ويقولون لهم ها نحن ننقل لكم من كتب أئمتهم الكبار(بن كثير) و(القرطبي) و(الجلالين)... الخ يتبين لك مدى أهمية التنبيه على هذا الأمر، وعلى هذا المسلك الفاسد الذي هو في حقيقة أمره كذب ليس إلا.

ثالثا: شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم المفترى عليها:

ما يحدث اليوم من سبٍّ للحبيب صلى الله عليه وسلم ليس حدثًا عابرًا قامت بـــه صـــحيفة ســـيئة الأخلاق نفثت به عن حقدها في عدد من أعدادها، وليس هو همُّ حفنه من أراذل الكفـــار مُلئـــت قلوبهم غيظًا وحنقًا على شخص الحبيب صلى الله عليه وسلم فقاموا يمثلون وينكتون ويسخرون. بل لو كان الأمر كذلك لكان مما يسعه الصدر على عظمه إذ أن مجاراة السفهاء أمر يترفع عنه العقلاء... ولكن..الأمر أعمق من هذا كله.

هذه الأمور ليست إلا كما يقول الله عز وجل:(... قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)(آل عمران: من الآية ١١٨). وهاأنذا أنادي العقلاء. فهل يسمعون؟... وهل يجيبون؟... وليت أولى العزم من العقلاء مَن يلبون؟

من قبل كان النصارى في حملاتهم(التبشيرية) يتكلمون عن النصرانية... يبترون ويكذبون ويبدون قليلاً ويخفون كثيرًا كي يُظهروا دينهم المحرف في صورة يتقبلها الآخر. واتخذوا مما يسمى بحوار الأديان... هذا الحوار الذي يجرى مع علماء الدين(الرسميين) وسيلة ليقولوا لمن يخاطبونهم من ضعاف المسلمين في أدغال أفريقيا وجنوب شرق أسيا أن الإسلام يعترف بنا ولا يتنكر لنا فكله خير — بزعمهم وهم كاذبون آثمون —.

وكانت حملتهم على الإسلام حملة على شعائره... يتكلمون عن(التعدد) وعن(الطلاق) وعن(الحدود) وعن(الجهاد) وعن(الميراث) وعن ناسخ القرآن ومنسوخه، ثم في الفترة الأخيرة وخاصة بعد انتشار الفضائيات ودخولها كل البيوت تقريبًا، وكذا بعد ظهور تقنية الإنترنت عمومًا والبالتوك خصوصًا، أخذ القوم منحى آخر وهو التركيز على شخص الحبيب صلى الله عليه وسلم. قاموا ينقضون الإسلام بتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم.

ودعك من كلام الأراذل، هناك طرحٌ يُلْبِسُه دعاة الكفر ثوب العِلمية ويدَّعون أنه الحقيقة التي لا مراء فيها، يخاطبون بهذا الهراء قومهم ومن يتوجهون إليهم بالتنصير!!

هذا توجه عام داخل حملات التنصير اليوم.

والأمر بيِّن لمن له أدنى متابعة لما يتكلم به القوم. وما حدث في الصحف الأوربية هو طفح لما يُخاطب به القوم في الكنائس وغرف البالتوك وبعض الفضائيات عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

فهم يحاضرون ويؤلفون عن(أخلاق نبي الإسلام)، يتكلمون عن زواجه بتسع من النساء — وقد اجتمع عند سليمان عليه السلام سبعمائة من النساء وهذا في كتابهم —، وعن زواجه من عائشة ومن زينب ومن صفية — رضي الله عنهن، وعن غزواته صلى الله عليه وسلم؛ وبطريقة البتر للنصوص واعتماد الضعيف والشاذ والمنكر من الحديث يخرجون بكلامهم الذي يشوهون به صورة الحبيب صلى الله عليه وسلم. ولكنه في الأخير يبدو للمستمع أن هذا كلام(بن كثير) و(الطبري) و(بن سعد) علماء الإسلام. فيظن المخاطبون أنها الحقيقة التي يخفيها(علماء) الإسلام!!

دعاة النصرانية يغرفون من وعاء الشيعة الكدر النجس حين يتكلمون عن أمهات المؤمنين وعن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بل وفي كلامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا، ويغرفون من وعاء(القرآنيون) الذين يتركون السنة تشكيكًا في ثبوتها أو في عصمة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

والمطلوب هو قراءة جيدة لما يحدث، والتصدي له على أرض الواقع. لا نريد ثورة كلامية، وغضبة لا يفهم منها(الآخر) إلا أنها نفرة المتعصب، نريد قطع الطريق على هؤلاء وإحباط كيدهم، وإنقاذ الناس من الكفر بربهم.

مطلوب خطاب أكاديمي يجفف منابع المنصرين، أعني ما يقوله القرآنيون والشيعة على شخص الحبيب صلى الله عليه وسلم ونسائه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. وما يفتريه النصارى بالبتر للنص واعتماد المكذوب والشاذ والضعيف من الحديث.

ومعنيٌ بهذا طلبة درجات التخصص العليا في الكليات الشرعية. وإن أخذ الأمر وقتا ولكنه سيثمر بإذن الله يومًا ما.

ومطلوب خطاب لعامة الناس يبين لهم كيف كان نبيهم صلى الله عليه وسلم بعيدًا كل البعد عما يقولوه النصارى، وأن ما يقال محض كذب، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان كل الكمال وجملة الجمال صلى الله عليه وسلم، ويأخذ شخص الحبيب صلى الله عليه وسلم اهتمامًا أكبر ممن يعرضون السيرة النبوية على الناس.

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت * * * مثل النبي رسول الأمة الهادي.

وأعرض الآن واحدة من الشبهات التي يتكلم بها النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والرد عليها، ليعرف قومنا كيف أنها مُهْمَلة في ما يُعرض من السيرة النبوية، وخاصة المسموعة التي تصل إلى العوام، وهم من يستهدفهم المنصِّرون.

يتكلمون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شهوانيًا لا همَّ له إلا النساء، مستندين في ذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بتسعة من النساء، وزواجه من عائشة رضي الله عنها وهي في التاسعة من عمرها، وزواجه زينب زوجة زيد بن حارثة ابنه بالتبني، وكذا زواجه من بعض السبايا. ويسمون هذه الأسماء بغير

وما يجهله الكثيرون هو أن التعدد لم يأت به الإسلام ابتداءً وإنما هو المعمول به في الأمم من قبل... كذا كان إبراهيم عليه السلام، وكذا كان يعقوب عليه السلام، وكان داود عليه السلام كذلك، وكان لسليمان عليه السلام من الزوجات والجواري سبعمائة كما يقول كتاب النصارى(المقدس).

وكان تعدد الزوجات منتشرًا عند الفراعنة، وعند العرب قبل الإسلام، وعند شعوب وسط وشرق وجنوب شرق أسيا، وعند الشعوب الوثنية في إفريقيا، بل ظلت الكنيسة حتى القرن السابع عشر تعترف بالتعدد، ولا يوجد نص صريح في العهد الجديد(الإنجيل) يمنع التعدد، أما العهد القديم(التوراة والمزامير ورسائل بعض الأنبياء) ففيها نصوص كثيرة صريحة تبين شرعية التعدد.

فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعًا من الرسل. والإسلام في إباحته للتعدد لم يأت بجديدٍ مُنكر بل أتى بما هو معروف معمول به بين جميع الناس، والمنكر شرعًا وعقلاً وواقعًا هو عدم إباحة التعدد.

ثم لو افترضنا جدلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما يقول النصارى ـــ وحاشاه صلى الله عليه وسلم ـــ فهذا ليس بعيب عند النصارى أنفسهم.

فعندهم أن نوحًا عليه السلام شرب الخمر وتعرى وضاجع بنتاه، ويفترون على نبي الله لوط عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أن ابنتاه سقتاه الخمر فشرب حتى ذهب عقله، ثم قام فزنى بإحداهما

ليلة كاملة، وفي الليلة الثانية تكررت الفعلة مع البنت الثانية. قطع الله لسانهم. وإن تعجب فمن قول كبير الضالين في مصر(شنودة) حين راح يبرر هذه الفعلة بقولة:(أن ابنتي لوط قد فعلتا ذلك لتنجبا منه نسلاً مؤمناً). أغفل عن الحكمة نبي الله لوط وفطن إليها شنودة؟!! وهل ينتشر عضوًا مَن سكر حتى الثمالة؟!

أبدًا كله كذب.

وعندهم أن نبي الله سليمان عليه السلام ولدُ زنى أنجبه داود حين زنى بزوجة أمير الجيش أوريا الحثي، وأنه ــ سليمان عليه السلام ــ ارتد في أخر عمره و عبد الأصنام و بنى لهم المعابد، وذلك حين غوته النساء.

وعندهم أن نبي الله يعقوب ــ عليه السلام ــ سرق مواشي حميه وخرج بأهله خلسة دون أن يعلمه. وكذا أن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب وعلم يعقوب بذلك الفعل القبيح و سكت عنه.

بل لم يسلم منهم المسيح ــ عليه السلام ــ فعندهم أن المسيح عيسي بن مريم ــ عليه السلام ــ من نسل الزنى. وذلك طبقاً لما ورد في إنجيل متى(١-١٠) (أن عيسى بن سليمان بن داوود و جــدهم الأكبر فارض الذي هو من الزنا من يهوذا بن يعقوب).

فلو حاكمناهم إلى كتابهم لما وجدنا ما يقولونه عيبًا. وإنما أردت من هذا العرض أن يعلم القارئ أن القوم لا يقدسون أحدًا إلا الأحبار والرهبان، الذين يعتقدون فيهم العصمة، وأنهم لو تحاكموا لكتابهم ما عابوا شيئًا على محمد صلى الله عليه وسلم مما يفترونه عليه.

ثم لم يكن الحبيب صلى الله عليه وسلم هذا الشخص الذي تأخذه النظرة، ويجري وراء النساء هنــا وهناك، كما يفترون، وسيرته شاهد على ذلك. فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجــة بنت خويلد وهو ابن أربعةٍ وعشرين عامًا وهي بنت أربعين عامًا. وكانت متزوجة ً من رجلين قبله. وظل معها خمسةً وعشرين عامًا... إلى أن تُوفيت رضي الله عنها،أي حتى بلغ عمــره الخمســين، وكانت هي في الخامسة والستين. أي أنه قضى معها فترة الشباب، ولم يكن يومها دينٌ يمنــع، بــل كانت هناك الرايات الحمر تنصب على البيوت، وهي رايات البغايا تنادي الرجال، ولم ُيســمع أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كانت له نزوات الشباب التي لم تكن محرمة في ذلك اليوم. بــل كــان الداعي إليها لا يَمَلُّ النداء. ثم ماتت خديجة رضي الله عنه وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيًّا لها بعد وفاتها يذكرها بخير، حتى قالت أم المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها: كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يومًا من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها، فغضب ثم قــال: "لا والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواســتني بمالهــا إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء". وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران".

وفي البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ

أتسائل: أهذا حال من يبحث عن الشهوة؟

كم كان عمر خديجة يوم ماتت؟

خمس وستون عامًا.

فعلم يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أعلى شهوة كان يقضيها معها؟

وما يُشتهى في امرأة قاربت السبعين من عمرها.

بل والله على ألفة وعشرة. وتلك شيم الرجال..

أخو الخنا... لا يقر له قرار، ولا يعرف الألفة والعشرة، وإنما يوم هنا ويوم هناك.

ماتت خديجة وتركت للنبي صلى الله عليه وسلم، ستةً من الأبناء... أربعة بنات منهن من قارب سن الزواج، وولدان صغيران....

و لم يفكر صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه في الزواج، بل ظل فترة من الزمن بلا زواج حتى جاءته خولة بنت حكيم رضي الله عنها زوجة عثمان بن مظعون وعرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزواج من ثيب عجوز... هي سودة بنت زَمْعَة رضي الله عنها، وأرضاها لتكون أمًا لأولاده، وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم الزواج من عائشة رضي الله عنها لتوطد العلاقة بينه وين صاحبه أبي بكر رضي الله عنه. فتزوج بعد ذلك بسودة رضي الله عنها وكانت امرأة ضخمة ثبطة(بطيئة الحركة) مُصبية(ذات أولاد) لا حاجة لها في الرجال. هكذا يصفوها. وليس هذا حال من يبحث عن شهوته، وإنما حال من يبحث عن أم لأولاده الست الذين تركتهم له خديجة رضي الله عنها.

وتزوج من عائشة رضي الله عنها، و لم يكن الزواج في هذا السن(التاسعة) عيب، فقد كان تكلم لخطبة عائشة رضي الله عنها جبير بن المطعم بن عدي قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الأمر ـــ زواج الكبير من الصغيرة ـــ أمر عادي في هذه الأيام فقد تزوج عبد المطلب مع ابنه عبد الله ببنت عم آمنة بنت وهب التي في نفس سنها في ليلة واحدة، وكان يومها قد تجاوز المائة عام.

وتزوج عمرو بن العاص وأنجب وهو بن اثنا عشر عامًا.

ولو كان في هذا الأمر عيب لم تكن قريش واليهود ليتركونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين كانوا يفتعلون الأكاذيب للنيل منه صلى الله عليه وسلم.

ومريم العذراء أنجبت المسيح عليه السلام وهي في الثانية عشر من عمرها، كما تقول الموسوعة الكاثوليكية، أي أنها حملت وهي في الحادية عشر، وكانت مخطوبة قبل ذلك، وكان يوسف النجار خطيبها قد تجاوز الثمانين من عمره.

ثم لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكهل مُحْدَودب الظهر الذي لا يقوم من مجلسه إلا بغيره، بل كان صلى الله عليه وسلم فتيًّا من أشد الرجال، يُجَامِع حتى يكسل، ويركب الخيل ويلبس الحديد، ويثبت حين يفر الأبطال... وسِيمًا... قسيمًا... أسود الشعر واللحية. بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

ولو أن عائشة رضي الله عنها زفت إليه مكرهه لما أحبته هذا الحب. و لم تكن السيدة عائشـــة هـــذه الطفلة الغافلة التي لا تفقه شيئًا، رمى بها أبوها وأمها إلى رجل عجوز كما يرسم لكم الخيال.. بـــل كانت من أعقل النساء، وهذا أمر معروف مشهور.

ليس المقام مقام تفصيل في الرد على شبهات النصارى وإنما أضرب مثالاً لما أقترحه على من يعـــرض السيرة النبوية. فهذا أمر مُستجد ويحتاج إلى معالجة خاصة، وقد شرحت نموذجا لبيان قولي.

أقول: لا بد من الوقوف مع هذه القضية وبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بشرًا يعتريـــه مـــا يعتري البشر من حب النساء والولد، ومن الحاجة إلى الطعام والشراب، وما إلى ذلك.

رابعا: البعثة المحمدية(السيرة النبوية) حلقة من حلقات الدعوة إلى التوحيد:

خلق الله عز وجل الناس لعبادته وحده لا شريك له(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فكان آدم عليه السلام نبيًا مرسلاً ، ثم كانت ذريته من بعده على التوحيد ألف عام حتى ظهر الشرك.

وأرسل نوح عليه السلام يدعو الناس إلى التوحيد، ومن يومها وموكب الدعوة إلى الله يسير.

دعوة الكل بما فيها دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هي الإسلام بمفهومه العام، الاستســـلام لله... إخلاص العبادة لله عز وجل بشقيها الطاعة والنسك، أو الشرائع والشعائر.

وموجز دعوتهم ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ أنها دعوة واحدة إلى منهج "التوحيد" بكـــل فروعـــه وأنواعه وموالاة أهله، وما يستلزمه ذلك من نبذ الشرك بكل صورة وألوانه، ومعاداة أهله.

وفي القرآن جاء التعبير عن الرسالات جميعاً بأنها كتاب واحد قال تعالى:(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيـــهِ وَمَـــا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وقال تعالى(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـــافِعُ لِلنَّـــاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ). وقال تعالى:(اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)، وجُمْلَة (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً. أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً)..

فالدين عند الله واحد(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْـــدِ مَـــا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ) وليس هناك تعدد أديان وإنما تعدد رسالات. ولذلك من الخطأ الاعتقاد بتعدد الأديان.

وتدبر قول الله تعالى(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)، ومعرف أن قوم نوح لم يكذبوا إلا نبيهم نوحًا عليه الصلاة والسلام، وإنما لما كانت الدعوات واحدة، أعتبر تكذيب قوم نوح لرسولهم نوح عليه السلام تكذيب للرسل جميعًا.

فالدين عند الله الإسلام ولا يقبل من الناس غيره(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) هو دين إبراهيم عليه السلام قال تعالى:(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) وقال تعالى:(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

وهو دين يعقوب عليه السلام وبنيه من بعده قال الله (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ.(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وجاء على لسان قوم موسى عليه السلام (وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)،(وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) وجاء على لسان نوح عليه السلام (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

وجاء على لسان يوسف عليه السلام (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) [يوسف: ١٠١]

وجاء على لسان الحواريين (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) [آل عمران: ٥٢].

وفي آية أخرى (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) [المائدة: ١١١]

وجاء في خطاب سليمان عليه السلام إلى أهل اليمن (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)،(فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)، وجاء على لسان الملائكة وهم يتكلمون عن قوم لوط عليه السلام:(فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِين. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ)، فالدين واحد وإن تعدد الرسالات.

وفي الحديث "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"

ونجد في السيرة النبوية ربط بين الأشخاص التي عاصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين من سبقوا. يُشبه أبو بكر رضي الله عنه بمؤمن آل فرعون، وعروة بن مسعود الثقفي بالرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وعقبة بن معيط بقاتل ناقة صالح عليه السلام. وأبو جهل بفرعون، وأمية بن

أبي الصلت بالذي آته الله آياته فانسلخ منها... وقريب من هذا " إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ " و"لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ".

وحين عرض السيرة النبوية على الناس لا بد من الحرص على تبين هذا الحبل الممدود بين عباد الله وعباد الشيطان على مر العصور، والقرآن الكريم يستخدم مع المكذبين للرسالة في كل العصور نفس الوصف فهم الملأ... الذين استكبروا. وجاء التعبير عن رفض دعوة الرسل ـ كل الرسل ـ بأنه عبادة للشيطان قال تعالى(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)

والمطلوب هو توضيح هذا الربط بين عباد الله في كل زمان ومكان، وبين عباد الشيطان في كل زمان ومكان من خلال دراسة السيرة النبوية. وبيان أن السيرة النبوية ما هي إلا حلقة من حلقات الدعوة إلا الله عبر التاريخ، هي رسالة الله إلى البشرية بعد أن انحرفوا لردهم إلى الدين الحق. وهذا الربط أيضًا يحدث نوع من الأنس بين مسلمي اليوم ومسلمي الأمس.

خامسا: لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب فقط:

بعض ممن يشرحون السيرة النبوية، يحصرون أحداث السيرة في العهد المكي بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وبين قريش، مما يفهم منه أن الدعوة كانت محلية، علما بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف، وكان يعرض نفسه على القبائل في الحج، وجاءه الجن واستمعوا إليه، وجاءه فريق من نصارى الحبشة والشام حين سمعوا به صلى الله عليه وسلم فتلى عليهم القرآن وأسلموا. وفيهم نزل قول الله تعالى.في سورة القصص:(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه إلى الحبشة لتكوين نواة أخرى احتياطية للدعوة الإسلامية، و لم يكن سبب الهجرة هو الهروب من التعذيب كما تتكلم بعض المصادر، وإنما أصح من ذلك أن يقال أنها كانت لتكوين نواة احتياطية للدعوة الإسلامية، يدل على ذلك كون من هاجروا إلى الحبشة ممن لهم شوكة في مكة مثل جعفر بن أبي طالب وعثمان بن عفان...

وكونهم لم يرجعوا بعد الهجرة مباشرة بل بعد سبع سنيين من الهجرة حين استقرت الدولة الإسلامية بوضوح.

وبعد ذلك كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فقد كانت الدعوة عالمية من يومها الأول وفي كل مراحلها.

أضف إلى ذلك البشارات التي كان يتكلم بها الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح فارس والشام.

وجاء في الحديث " تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَتُفْتَحُ الشام فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ وَتُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"

وفي الحديث "إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ "

وفي الحديث " تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ".

فالدعوة كانت عالمية من يومها الأول، ومن المهم جدًا التنبيه على هذا الأمر. فهناك من يردد أن الدعوة كانت محلية عربية، قرشية. ثم تحت أطماع استعمارية أصبحت عالمية. هذا حديث نفر غير قليل من(العقلانيين).

سادسا: حال البشرية قبل البعثة المحمدية:

هذه الفقرة متممة لما قبلها.

كثير ممن يتناول دراسة السيرة النبوية يتناول فقط حال الجاهلية في الجزيرة العربية فقط، بل يختزل البعض الأمر أكثر من ذلك فلا يتكلم إلا عن حال قريش، وكأنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا إلى العرب!.

ومن فضلة القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة، وأن نور الإسلام أضاء جنبات المعمورة كلها بعد قرن من وفاته صلى الله عليه وسلم.

إخواني الكرام!

لم يكن حال البشرية خارج الجزيرة العربية خير من حالها في الجزيرة العربية، لا في الناحية الدينية ولا في الناحية الاجتماعية، ولا في الناحية الاقتصادية. لم تكن البشرية قبل محمد صلى الله عليه وسلم، تعرف أيا من أنواع الرقي المادي أو التكريم للإنسان.

في الفرس:

كانت المحرمات النسبية التي تعارف على حرمتها أهل الأقاليم المتواضعة موضع خلاف ونقاش عندهم، حتى أن يزدجر الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته، ثم قتلها، وبهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس الميلادي كان متزوجًا أخته.

و لم يكن هذا معصية بل كان قربة يتقربون به إلى الله.!!

وفيهم ظهرت دعوة (ماني) التي تدعو إلى العزوبية وترك الزواج استعجالاً لفناء البشرية، ومع أن صاحب هذه الدعوة قتل إلا أن دعوته ظل لها أنصار إلى ما بعد الفتح الإسلامي.

وفيهم ظهرت دعوة (مزدك) التي دعت إلى أن يكون الناس سواء في كل شيء، في الأموال وفي النساء، ولاقت هذه الدعوى رواجًا كبيرًا، حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه.

وكان الأكاسرة يدعون أنهم تجري في عروقهم دم إلهي، وكان الناس ينظرون إليهم كآلهة ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئًا علويًا مقدسًا، فلا يجري اسمهم على لسانهم، ولا يجلسون في مجالسهم، وليس

لأحد حق عليهم، وأن ما يعطونه لأحد إنما هو صدقه وتكرم من غير استحقاق، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة.

ودون ذلك كان المجتمع قائمًا على الطبقية المؤسسة على اعتبار الحرفة والنسب، وكان من قواعد السياسة أن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه، و لم يكن يسمح لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقها الله لها، و لم يكن الملوك يولون وضيعا وظيفة من وظائفهم.

ثم هم جميعهم أهل فارس كانوا ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة ازدراء وامتهان، ويلقبونها بألقاب فيها احتقار وسخرية، ويرون أن بهم ما ليس في غيرهم من أسباب الرفعة والعلو، وأن الله قد خصهم بمواهب ومنح لم يشرك فيها معهم أحدًا.

وفي ناحية الشعائر التعبدية، كانت الديانة عندهم هي عبادة النار، والنار لا توحي لعبادها بشريعة ولا ترسل رسولاً ولا تتدخل في شئون حياتهم، لذا أصبحت الديانة عند المجوس عبارة عن طقوس يؤدونها في أماكن خاصة وأوقات خاصة، أما في أمورهم فكانوا أحرارا يسيرون على أهوائهم، أو ما يؤدي إليه تفكيرهم، أو ما توحي به مصالحهم ومنافعهم.

وفي الهند والصين كانت البوذية، وهي ديانة أرضية تدعو إلى قمع شهوات النفس وترك الدنيا وما فيها ثم تحولت إلى الوثنية بعد أن عبدت بوذا، وتسرب إلى مناهج العبادة السحر والأوهام. وكانت الآلهة متعددة حتى أصحبت المعادن كالذهب والفضة آلهة، والحيوانات آلهة والأجرام الفلكية آلهة، وبعض الأشخاص التاريخية آلهة... الخ.

وكانت ذات الطبقية موجودة أيضًا.

أما اليهودية فلم تكن تصلح لحمل مشعل الحضارة للبشرية، فقد تحولت لديانة مرتبطة بالجنس، لا ترى عليها في الأمم الأخرى من سبيل، فلم تكن لدى اليهود نية لهداية البشرية وإنما للنيل منها، وتحقيق أطماعهم على حساب الآخرين.

والمسيحية ديانة لم تعرف التطبيق في أرض الواقع، فلم تكن المسيحية في عهدها الأول من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الإنسان، بحيث تقوم عليها حضارة أو تسير في ضوئها دولة، ثم جاءها(شاؤول اليهودي) المعروف بـ(بولس الرسول) فطمس نورها وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها والوثنية الرومية التي نشأ عليها، وقضى قسطنطين على البقية الباقية، حتى أصبحت النصرانية مزيجًا من الخرافات اليونانية، والوثنية الرومية، والأفلاطونية المصرية والرهبانية، كما يقول صاحب كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

وأصبحت بعد زيادات المحرفين وتأويل الجاهلين، تحول بين الإنسان والعلم والفكر، وأصبحت على مَر العصور ديانة وثنية يقدس أهلها القديسين والصور المعلقة في الكنائس. حتى أن أصحابها الأوائل لو بعثوا لما استطاعوا التعرف على شي من ديانتهم.

وحدث أن انقسم النصارى إلى ما يعرف اليوم بالكاثوليك و(الأرثوذكس) تبعًا لاختلافهم في طبيعة المسيح عليه السلام، وكان مذهب الدولة هو المذهب الكاثوليكي. وقاموا باضطهاد من خالفهم

المذهب، فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون غرقًا، ورجال كانوا يشعلون فيهم النار وهم أحياء موثقون، و غير ذلك من الفظائع.

وكانت ذات الطبقية الموجودة في غيرهم، فكانت بعض الممالك تزرع وتحصد، وتحمل زرعها على دوابها وأكتافها لخزينة الدولة.

وانشر ت الرشوة والفساد الإداري في الدولة، والفساد الخلقي بين عوام الناس.

وباقي الشعوب الوثنية في أفريقيا كانت تعيش عيشة أقرب للبهيمية منها للإنسانية.

هذا هو حال البشرية قبل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وأقول: ومن المهم ونحن ندرس السيرة أو نعرضها على الناس أن نوضح حال البشرية قبل البعثة المحمدية، وذلك لأن فريقا من عبّاد الصليب اليوم يقولون بأن البشرية كانت في أوج حضارتها ثم جاء العرب ــ يعنون المسلمين ــ وهدموا هذه الحضارة. فكان لا بد من التعريج على حال البشرية قبل البعثة المحمدية لبيان أي حضارة كانت وهدمها الإسلام. وبيان أي حضارة أقامها الإسلام، وبيان كيف أن الإسلام كان نور ورحمة من الله للبشرية لمن آمن منها ولمن كفر.

وهناك فريق آخر أخبث من هذا الفريق، يتكلم بأنها كانت حركة سياسية كغيرها من الحركات ويعرض السيرة النبوية من هذا القبيل، وأن الفتوحات ما هي إلا أحد أشكال الاحتلال، وأنه هبت ثورات فيما بعد لمقاومة هذا الاحتلال ورفع الظلم عن الناس. ويذهب يقرأ السيرة النبوية بهذه الطريقة.

ونحتاج إلى طرح للسيرة النبوية يبين أن الدعوة ما كانت أبدًا قرشية أو عربية، و لم تكن الحركات التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وخاصة الفرق التي ظهرت في القرون الأولى حركات شعوبية ــ باستثناء حركة الزنوج والتي لم تستمر و لم تترك أي أثر فكري أو منهجي في حياة الناس ــ ضد العرب بل كانت حركات عقدية منحرفة، وكان رؤوسها عرب وسبب نشأتها خلافات دينية.

وهذا الطرح لا بد أن يعمل على ربط العقيدة الصحيحة... وأهداف الدعوة الكلية التي هي تعبيد الناس لله بأحداث السيرة النبوية.

وهذا يستلزم قراء جديدة للسيرة النبوية، ولعل فيما يأتي مزيد بيان

سابعا: طبيعة الخطاب الدعوي في مكة وحدة الأهداف والمنطلقات:

في الجاهلية الأولى كان المال دولة بين الأغنياء... قِلَّة غنية وكَثرة بالكاد تجد قوت يومها.

وفي الجاهلية الأولى كانت الحروب تأكل الرجال على ناقة أو لأن فرسًا سبقت أختها.! وفي الجاهلية الأولى كان الزنا وكانت الخمر وكان وأد البنات وبيع الأحرار. وفي الجاهلية الأولى كان الشرك الأكبر(شرك النسك وشرك الطاعة)... تُدعى الأصنام من دون الله ويُنذر لها ويُذبح عندها، وكان شرك الطاعة... يُشَرِّع الملأ ويتبع العوام. و لم تخل الجاهلية من المصلحين، الذين يسعون في إصلاح ذات البين وحقن الدماء ورفع الظلم عن الضعفاء.

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضع يده في يد أحد من هؤلاء ألبته. بكلمات أخر:

رُغم أن الدعوة الإسلامية كانت تدعوا لمثل ما كان يدعو إليه كثير من المصلحين من مكارم الأخلاق إلا أنها لم تضع يدها في يد أحد من هؤلاء.

ذلك لأنه وإن اتحدت الأهداف فإن المنطلقات متغايرة. فهؤلاء دوافعهم شتى.. تدفعهم المروءة ويدفعهم الثناء الحسن ويدفعهم عرف الآباء، أما المسلمون فيدفعهم طاعة الله ورسوله ولا ينبغي أن يكون لهم دافع غير ذلك.

وهؤلاء تقف أهدافهم عند إصلاح الدنيا؛ والمسلمون يصلحون الدنيا للآخرة.

وشتان.

ومن يتدبر أحداث السيرة النبوية وما كان يَتَنَزَلُ في بداية البعثة يجد أن الدعوة الإسلامية بدأت بتعريف الناس بربهم.. بأسمائه وصفاته وآثار ذلك في مخلوقاته.. كيف أنه الحي القيوم الرحيم الرحمن ذي الجلال والإكرام مالك الملك القريب المجيب.. الخ، ثم بترسيخ نظرية الثواب والعقاب وذلك بتعريفهم بالجنة(دار الثواب) وبالنار(دار العقاب)، وقُصَّ عليهم خبر من سبقوا، مَن أطاعوا منهم كيف كانت عاقبتهم ومن عصوا منهم ماذا فعل الله بهم. واقرءوا ما نزل من القرآن في مكة.

ثم جاءت التشريعات باسم الله الذي عرفوه بأسمائه وصفاته وبَيْنَ يدي الثواب والعقاب.

فمثلاً قيل لهم: الله ــ الذي عرفوه ــ يأمركم بالصلاة، ومن فعل فله الجنة ــ التي عرفوها ــ ومن عصى فله النار ــ التي عرفوها ــ.

والله الذي عرفتموه يأمركم بالزكاة ومن أطاع فثوابه الجنة التي عرفتموها، ومن عصى فله النار التي عرفتموها.

لذا استقامت النفوس محبه ورهبة لله وخوفًا من النار وطمعا في الجنة.

وبهذا يتضح منطلق الدعوة الإسلامية وهدفها، وهو تعبيد الناس لله... تعريفهم بربهم ليعظموه ويوقروه ويسبحوه، وإصلاح الدنيا ــ يجيء تبعًا وليس أصلاً ــ، ثم الفوز بالجنة.

ولهذا لم يرتد من أسلم، و لم يتلكأ في سيره إلى الله.

وعلى من يعرض السيرة النبوية على الناس ــ أو يقرؤها ــ عليه أن يلتفت لهذا. وأن ينتبه إلى أن الخطاب الدعوي كان في الأساس أخروي تنطلق منه باقي شئون الحياة.

وفي بيعة العقبة الثانية وغيرها من أحداث العهد المكي دليل على ذلك.

وأزيد الأمر بيانًا فأقول:

نعم. في العهد المكي كانت الدعوة الإسلامية في خطابها الموجه للجاهلية يومها، كانت مصرة على أن تبدأ من اليوم الآخر ترغيبا وترهيبا.

تحاول أن تجعل القلوب معلقة بما عند ربها ترجوا رحمته وتخشى عقابه. ويكون كل سعيها دفعا للعقاب وطلبًا للثواب فتكون الدنيا بجملتها مطية للآخرة.

على هذا تربى الصحابة رضوان الله عليهم.بل ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو أيضا تربى على هذا المعني ، فقد كان يتترل عليه بأبي هو وأمي وأهلي صلى الله عليه وسلم (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ

الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ) [يونس: ٤٠] (وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ).

ولهذا استقامت النفوس تبذل قصارى جهدها في أمر الدنيا ترجوا به ما عند الله فكان حالهم كما وصف ربهم (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)

فهذا وصف للظاهر(رُكَّعاً سُجَّداً) ووصف للباطن(يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً)، والسياق يوحي بأن هذه هي هيئتهم الملازمة لهم التي يراهم الرائي عليها حيثما يراهم. كما يقول صاحب الظلال رحمه الله.

واقرأ آيات الأحكام في كتاب الله لتطالع هذا الإصرار من النص القرآني على وضع صورة الآخرة عند كل أمر ونهي ضمن السياق بواحدة من دلالات اللفظ، المباشرة منها أو غير المباشر(دلالة الإشارة أو التضمن أو الاقتضاء أو مفهوم المخالفة.. الخ).

فمثلا يقول الله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

فتدبر كيف يأتي الأمر بعدم تطفيف الكيل حين الشراء وبخسه حين البيع؟ ومثله قول الله تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)

فهنا أمر بالسعي على الرزق، وتذكير بأن هناك نشور ووقوف بين يدي الله عز وجل، فيسأل المرء عن كسبه من أين أتى وإلى أين ذهب؟

بل واقرأ عن الآيات التي تتحدث عن الطلاق في سورة البقرة تجد أنها تختم باسم أو اسمين من أسماء الله عز وجل "... فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " "... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " "... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " "... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " ".... إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "

وهذا لا شك استحضار للثواب والعقاب.

ومثله الآيات التي تأمر بالحجاب تُختم بـ(إن ذلكم كان عند الله عظيمًا) و(.. وكان الله غفورًا رحيمًا).

نعم كان هذا أسلوب القرآن العظيم في عرض قضايا الشريعة كلها وهذه بعض الآيات والأحاديث في هذا الشأن تزيد الأمر وضوحًا:

في الظِّهار انظر كيف يربط الله تعالى أداء الكفارة بالإيمان به وبرسوله :(فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

وانظر كيف جعل الله تعالى تحكيم شرعة شرط للإيمان به :(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)

وفي الحديث: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " [البخاري كتاب الإيمان الحديث رقم ١٣ ترقيم العالمية].

وفي البخاري أيضا الحديث ١٤ كتاب الإيمان " فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ "

وفي البخاري حديث رقم ٦١٣٥ كتاب الأدب: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ... الحديث".

ومثل هذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذا ما تربى عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وإنا نجد في كتاب ربنا أننا ملزمون بالسير على دربهم واقتفاء آثارهم قال الله تعالى:(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً)

وقال الله تعالى:(فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

أقول: ملزمون إذا بالتعريج على التوحيد وتصحيح المفاهيم فيه لإخواننا وأخواتنا، وبناتنا ونسائنا وكل عزيز علينا، ليكون حالهم مع الأمر والنهي... كل الأمر والنهي كحال من سبقوا؟!

وحينها... حين يتعرفون على رهم جيدًا، حين يعرفون مصيرهم بعد الموت، لن تجد كثير مشاغبة في الامتثال للأمر.

دعني أوسع الأمر أكثر من هذا وأقول:

لم لا نبدأ مخاطبة(الآخر) بالتوحيد نقول لهم: آمنوا بربكم الذي خلقكم ورزقكم وأحياكم ويميتكم ثم يحاسبكم؟

لم لا ننادي فيهم: أسلموا قبل أن تكونوا من جثي جهنم التي وصفها كذا وكذا؟

أسلموا كي لا تحرموا جنة فيها وفيها...؟

ويدور الحوار حول دلائل صدق الخبر ومَطْلَبْ المخبر.

أسذاجة؟

لا وربي.فهكذا نشأت خير أمّة أخرجت للناس.

وعلى من يشرح السيرة النبوية للناس عليه أن يوضح ذلك لهم، من خلال مواقف الدعوة في العهد المكي والعهد المدني، ومنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة، وبما كان يخاطب الناس، وكيف كان يعلمهم التوحيد ويربهم عليه.

نعم. نحن بحاجة إلى قراءة جديدة للسيرة النبوية نبين فيها للناس أهداف الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها... نحتاج هذا الطرح الفكري اليوم أكثر من أي يوم مضى.

فاليوم قامت بعض الفصائل الإسلامية بالتحالف مع الأحزاب ذات التوجهات اليسارية، وتوجهت إلى الجماهير بخطاب دنيوي بحت ونادت بشرع الله من باب الأفضلية... لأنه خير من غيره، أو لأنه

هو الأنسب لإصلاح الدنيا، فيُقبل من يُقبل وليس عنده هدف سوى ما فهمه من هـــذا الخطـــاب الدعوي المنقوص.

واليوم رفعت بعض الفصائل المجاهدة الشعارات الوطنية وراحت تثني على الزعامات العلمانية بدعوى لمِّ شمل أبناء الوطن الواحد، وهؤلاء وأولئك نحسن الظن بهم ولكن خطاب كهذا تضيع به الأهداف الحقيقية للدعوة الإسلامية أو تتميع في أحسن الأحوال، ولست اغمز أحدًا ــ معاذ الله ــ وإنما أنصح بما أراه صحيحًا.

أقول: لا بد من المفاصلة الفكرية التي يتميز بها سبيل المؤمنين من سبيل الكافرين والمنافقين. وتعـــرف العامة أين هي وتمضي بوضوح في طريق الله المستقيم. كما بدأت الدعوة في مكة بين ظهراني قريش على يد الحبيب صلى الله عليه وسلم.

ثامنا: أساس الخلاف بين الرسالة والجاهلية.

أقول ــ مستعينا بالله ــ: كل رسالة واجهت مجتمعًا مستمسكًا بمجموعة مـــن القـــيم والأعـــراف والتقاليد الخاطئة التي تصفها الرسالة بأنها كفر بالله، جُملةُ هذه التقاليد تقوم على نوعين من الخطأ:

أولهما: التقرب والتوجه إلى غير الله بالنسك.

ثانيهما: الطاعة والتشريع والإتباع من دون الله.

ويتحرك هذا المجتمع بإرادة واعية أو غير واعية للمحافظة على وجوده ضد دعـــوات الرســـل، وفي التنزيل (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَـــا بِمُؤْمِنِينَ)،

وفي التنزيل:(قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِـــدُنَا إِن كُنـــتَ مِـــنَ الصَّادِقِينَ)، وفي التنزيل "(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)

ومن يتدبر يجد أن شرك الطاعة هو أساس شرك النسك، فلولا طاعة عمرو بن لحي مثلا لما عُبـــدت الأصنام في جزيرة العرب.

ولولا طاعة كل قوم لكبرائهم لما ضل مَّن ضل(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)

ونجد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حصر لمفهوم العبادة في الطاعة.

قال تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)

وعبادة الشيطان هي طاعته.

وقال تعالى(اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُـــدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

سمع عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه هذه الآية من رسول الله صلى الله عليه وســـلم فـــاعترض قائلا:(إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ) فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: (بَلَى إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ الْحَلَال وَأَحَلُّوا لَهُـــمْ الْحَرَام فَاتَّبَعُوهُمْ فَذَلِكَ عِبَادَتهمْ إِيَّاهُمْ) يقول بن كثير: قَالَ حُذَيْفَة بْن الْيَمَان وَعَبْد اللَّه بْـــن عَبَّـــاس

وَغَيْرهمَا فِي تَفْسِير "اِتَّخَذُوا أَحْبَارهمْ وَرُهْبَانهمْ أَرْبَابًا مِنْ دُون اللَّه " إِنَّهُمْ اِتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا وَقَالَ السُّدِّيّ اِسْتَنْصَحُوا الرِّجَال وَنَبَذُوا كِتَاب اللَّه وَرَاء ظُهُورهمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا" أَيْ الَّذِي إِذَا حَرَّمَ الشَّيْء فَهُوَ الْحَرَام وَمَا حَلَّلَهُ فَهُوَ الْحَلَال وَمَا شَرَعَهُ اُتُّبِعَ.

فسمَّ الله ورسوله الإتباع في التحليل والتحريم عبادة، كما سمى المحللون والمحرمون ـــ المشرعون آلهــة ـــ.

ومثل هذا قول الله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَاب تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ٦٤]

وهذا المعنى هو الذي فهمه الصحابة رضوان الله عليهم، فهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه يخاطب رستم " الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " ثم لم تكن الدعوة قرشية أو عربية، و لم تكن الحركات التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وخاصة الفرق التي ظهرت في القرون الأولى حركات شعوبية ـــ باستثناء حركة الزنوج ـــ ضد العرب بل كانت حركات عقدية منحرفة، وكان رؤوسها عرب وسبب نشأتها خلافات دينية.

وهذا الطرح لا بد أن يعمل على ربط العقيدة الصحيحة... وأهداف الدعوة الكلية التي هي تعبيد الناس لله، بأحداث السيرة.

والخلل الملحوظ الذي كتبتُ من أجله هذه الفقرة هو أن كثيرًا من الكتاب والخطباء الذين يكتبون السيرة النبوية أو يلقون فيها دروسًا، يحصرون قضية الخلاف بين الجاهلية والدعوة في عبادة الأصنام وبعض القضايا الأخلاقية مثل تحريم الزنا وشرب الخمر ووأد البنات، وأن الغزوات كانت لمعالجة مشاكل الجوار ولأمور اقتصادية ونحو ذلك وهو من البتر الذي لا يُقبل بحال.

والمراد: أنه حين دراسة السيرة النبوية أو عرضها على الناس لا يفهم أبدًا أن الخلاف بين الدعوة والجاهلية القائمة كان في بعض العادات الجاهلية السيئة مثل وأد البنات والزنا وشرب الخمر ورفع الظلم عن الضعفاء، وبعض مظاهر شرك النسك من عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام... الخ.

وإنما كانت ولا زالت القضية الكبرى التي انبثقت منها باقي القضايا هي قضية الطاعة لمن، أو السلطان يكون لمن؟ أو بتعبير آخر من تعبد؟ الله في صورة شرعة؟ أم الشيطان في صورة المناهج الأرضية التي زينها لأوليائه؟

فمن عبد الأصنام إنما عبدها طاعة للأولياء الشيطان، ومن اعتقد التثليث وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم إنما فعل ذلك طاعة لأولياء الشيطان، قصد أم لم يقصد.

تاسعا: الملأ ودورهم البارز في التصدي للدعوة:

الملأ هم: أَشْرافُ القوم ووجُوهُهم ورؤَساؤهم ومُقَدَّمُوهم، الذي يُرْجَع إِلى قولهم. وفي الحديث: هَلْ تَدْري فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأَعْلى؟

والملأ من الكفار لهم دور بارز في تسير الأحداث، ولا بد من الوقوف على دورهم وإبرازه للناس. إذ هم موجودون مع الباطل في كل مكان وزمان.
ومن خلال قراءتي للسيرة النبوية وما استمعت إليه من شبهات من الضالين من أهل الكتاب، يمكنني القول أن الدعوة لا تواجه شبهات حقيقية وإنما تواجه مجموعة من الناس ــ هم الملأ ــ يعرفون الدعوة تماما، وهم يكذبون على قومهم ويرهبونهم تارة ويرغبونهم تارة من أجل صدهم عن سبيل الله.

والآن اذكر بعض المشاهد من السيرة النبوية ومن أحوال الأمم السابقة أوضح بها قولي.
الوليد بن المغيرة يجلس بين قومه يصف القرآن بعدما سمعه: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، فيصيح القوم: صبأ الوليد، ويقوم إليه شيطانهم أبو جهل ويهمس في أذنيه بكلمات ثم يعود ثانية إلى مجلسه. وأقبل الوليد على القوم بوجهه، وظن القوم أن الوليد سيقف موقف الداعي لهذا الدين الجديد؛ فالأمر ليس ببعيد؛ فمِن قَبْله عَدَا عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله، وعاد من عنده مسلماً، ولكن الوليد خيّب ظنهم فلم يكن إقباله عليهم إقبال المخلص الداعي لهذا الدين الجديد بل كان المخلص الداعي لدينهم. ويتكلم الوليد.. يصيح فيهم بأن قولوا في الرجل قولةً واحدةً.. ولا تختلفوا حتى لا يظهر كذبكم. ويعرض القوم آراءهم: نقول ساحر.. نقول شاعر.. نقول كاهن.. نقول كاذب.. والوليد لا يجد الوصف مناسباً فيردّه. ويُسند إليه الأمر: قُل أنت يا أبا عمارة نسمع. ويصمت الوليد.. يجولُ بفكره.. يحاول أن يجد نقيصة في الرجل أو في منهجه [إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ](المدثر: ١٨-٢٣). يحاول الوليدُ ويحاول.. ولكن أنّى له؟! فالرجل هو الصادق الأمين، ومنهجه هو هو الذي وصفه من قبل بأن له حلاوة وعليه طلاوة. ويعجز الوليد، ويعود إلى بعض آرائهم التي قالوها هُم وردها هو من قبل، يقول: قولوا ساحر، ثم يُدَلل على قوله وما أكذبه: ألا ترون أنه يفرق بين الرجل وزوجته، والابن وأبيه [فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ](المدثر: ٢٤-٢٥). ويصيح القوم فرحاً بهذا!! قاتلك الله يا وليد! ما حملك على ألا تفعل ما فعل عمر، وقد وصفت القرآن بما هو حق، ونفيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس بحق؟! كأني بقريش وقد أقسم الملأ منهم أن ما يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند هذا الغلام الأسود الذي يعتكف بجواره في غار حراء، كأني بهم وقد كلمت وجوههم وهم يرون هذا الغلام لا يتكلم العربية [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ](النحل: ١٠٣). كأني برسلهم تعدو في الصحراء تقصد اليهود يسألونهم عن خبر هذا النبي، ويعطيهم اليهود الأمارة: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ سلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ سلوه عن الروح ما هي؟ ويُعطونهم صفة الإجابة، وتعود الرسل، ويحشر الملأ القوم منادين فيهم: جئنا بالقول الفصل بيننا وبين محمد صلى الله عليه وسلم، ويعطيهم الصادق الأمين الأمارة تامة. ثم.. ماذا حدث؟ الموقف لا

يتغير ولا يتبدل، يظهر الحق ويستيقن فريق من الناس، ثم يعاندون. وما كانت قريش بدعاً؛ فقد كان لهم سلف فيمن مضوا قوم نوح [قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ](هود: ٣٢) جُودِلوا ودحضت حجتهم؛ فالطبيعي بعد هذا هو الإيمان، ولكن انظر إلى كلامهم ما أعجبه [جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ](هود: ٣٢). وقوم عاد ينادون نبيهم هوداً – عليه السلام –: [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ](الأعراف: ٧٠) فهم إذن يفهمون الرجل، ولا يكون ذلك إلا بإظهار الحجج والبراهين، ثم انظر إلى موقفهم بعد هذا البيان، وكيف أنه يطابق موقف من كان قبلهم. وقوم ثمود يطلبون الآية فتأتيهم، ثم ماذا؟ هل آمنوا؟ أبداً لا بل عقروا الناقة وقالوا قولة من قبلهم [فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ](الأعراف: ٧٧). وقوم لوط [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ](الأعراف: ٨٢) لِمَ يا قوم؟ [إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ](الأعراف: ٨٢) ألهذا؟!! وقوم خليل الله إبراهيم – عليه السلام –: [فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ](العنكبوت: ٢٤). وإن تعجب فمن أهل مدين قوم شعيب – عليه السلام – نبي الله؛ إذ يبلِّغ رسالة ربه فيؤمن البعض، ويكفر البعض الآخر، ويأخذ الرجل بمبدأ المسالمة: [وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ](الأعراف: ٨٧)، أفي هذا عيْب؟ ولكن انظر ما ردّ الملأ [قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا](الأعراف: ٨٨). الموقف من الدعوة ورجالها هو هو، المنطق نفسه يتكرر، ولا يكاد يتغير، يعرفون الحق ويستيقنون منه تماماً ثم لا يتبعونه، وليت الأمر بقي على هذا فالبلية به خفيفة، بل يعلنون أنه لا هوادة، ولا مقام مع الحق وأهله. وانظر إلى هذه الآيات من سورة إبراهيم كيف أنها تكلمت بألسنتهم مجتمعين على تفرقهم زماناً ومكاناً – كأنهم فردٌ واحد – قال – تعالى –: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا](إبراهيم: ٩–١٣). فانظر كيف أن الخيار بين أمرين لا ثالث لهما: [لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا](إبراهيم: ١٣)، وكيف أن هذا هو كلام الكفار جميعهم في مختلف أزمنتهم [قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ](إبراهيم: ٩).

وما أريده هو أن أسلط الضوء على هذا النوع المجرم من الناس. الذي لا يريد الحق أبدًا... يكره الحق وهو يعرفه، ويعرف ما فيه من الخير. يلبس الحق على عوام الناس... يحاول أن يضلهم.

هذا النوع من الناس موجود في كل زمان ومكان، وهو الذي يختلق المتشابه في القرآن. هو الـــذي يفتعل المتشابه كذبًا وبهتانا كي يلبس على الناس دينهم.

وإن تدبرت وجدت أن الجهاد في الشريعة يستهدف هؤلاء الناس. وبمجرد القضاء عليهم يدخل الناس في دين الله أفواجًا.

والمطلوب حين عرض السيرة النبوية أن تكون هناك تحليلات لمواقف الملأ الذين استكبروا من الدعوة النبوية، وكيف أنهم كانوا يعرفون الحق ويعاندونه... كيف أنهم كانوا يحاربون الحق وهم يعلمون ما فيه من الخير.

عاشرًا: الدعوة الإسلامية والخصوصية في المفاهيم والتصورات.

للشريعة الإسلامية خصوصية في الاستعمالات اللغوية للألفاظ ولها خصوصية في المفاهيم والتصورات.

أولا: خصوصية الشريعة الإسلامية في الاستعمالات اللغوية للألفاظ.

مثلا كلمة(الآذان) في اللغة:الإعلام.. مطلق الإعلام.

ومنه قول الشاعر:

آذنتنا بِبَينِها أسماء رب ثاوٍ يَمَلُّ منه الثِّواء

وخصص الشرع المعنى فجعله إعلام مخصوص عن شيء مخصوص ـــ الصلاة المفروضـــة ـــ بصـــيغة مخصوصة ـــ صيغة الآذان الحالية.

وكذا الصوم. مطلق الإمساك في اللغة، ومنه قول الله تعالى على لسان مريمَ عليها الســـلام(فَكُلِـــي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَـــنْ أُكَلِّـــمَ الْيَـــوْمَ إِنسِيّاً). وفي الشرع: إمساك مخصوص(عن الطعام والشراب والشهوة) في وقت مخصوص (من الفجر حتى غروب الشمس). بنية مخصوصة، وهي نية القربى من الله تعالى بأداء ما افترضه علينا أو ما انتدبنا إليه.

وكذا التيمم في اللغة القصد... مطلق القصد.

ومنه قول الشاعر :

تيممتُ مصر أطلب الجاه والغنى *** فنلتهما في ظل عيش مُمنَّع

وزرت ملوك النيل ارتاد نيلهم * * * فأحمد مرتادي وأخصب مربعي

فكلمة تيممت هنا تعني قصدت.

وفي الشرع تستخدم كلمة التيمم للدلالة على أمر مخصوص، وهو بديل الوضوء عند فقده حقيقة أو حكمًا، وهو مشروح تفصيله في كتب الفقه.

وكلمة الإيمان في اللغة التصديق الجازم ومنه قوله تعالى(... وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) قولةُ إخوةُ يوسف لأبيهم، استعمل فيها الإيمان بمعناه اللغوي أي(بمصدق لنا).

ولكن إذا أطلقت لفظة الإيمان في الشرع فإنها تدل على تصديق مخصوص. وهو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم المستلزم للإذعان بالجوارح.

أو قل: معرفةٌ بالقلب والتي يسميها علماء العقيدة " قول القلب " تولد هذه المعرفة يقينا في القلب وهو ما يسمى عند علماء العقيدة بعمل القلب تنضبط بموجبه به الجوارح. قوة وضعفا... وجودًا وعدمًا.

هذا هو دلالة لفظ الإيمان حين يستخدمه الشرع (على تفصيل لا يناسبه المقام)

وأحيانا يستعمل الشرع الألفاظ بذات الدلالة اللغوية لها، فمثلا كلمة الآذان التي تكلمنا عليها، جاءت بمعناها اللغوي في القرآن الكريم " فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء، وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون" [الأنبياء: ١٠٩]. فآذنتكم هنا بمعنى أعلمتكم، استخدمت بمعناها اللغوي.

وقول الله تعالى " فأذنوا بحرب من الله " أي كونوا على علم. أو: أعلموا كل من لم يترك الربا بحرب من الله ورسوله.

وكذا كلمة التيمم جاءت في سورة البقرة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [البقرة: ٢٦٧] أي ولا تقصدوا الخبيث وتنفقوا منه،.

وكلمة الصلاة "إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " قال بن كثر في تفسير هذه الآية، قال البخاري : قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثنائه عليه ــ أي على النبي صلى الله عليه وسلم ــ، وصلاة الملائكة الدعاء.

والمعنى يتضح من دِلالة السياق.

والمقصود مما تقدم أن الشرع وإن كان قد استخدم اللغة العربية لبيان مراد الله من عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لم يستخدمها بذات المعاني، وإنما كانت له خصوصية في استعمالها. فدلالته اللغوية غير دلالته الشرعية، وإن تقاطعت المعاني وتطابقت أحيانا.

ثانيا: خصوصية الشريعة الإسلامية في المفاهيم والتصورات.

للشريعة الإسلامية أيضا خصوصية في المفاهيم والتصورات، ولا تكاد تجد مفهوم من المفاهيم التي تعارف عليها الناس إلا وللشريعة الإسلامية خصوصية فيه.

مثلا: مفهوم الرزق... تحصيل الرزق. أعني تحصيل الرزق على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمة ــ ما يقولون عنه الرقي المادي ــ، الناس لهم أسباب مادية يسلكونها في تحصيل رزقهم.

والشرع له خصوصية في هذا الأمر، فهو يتكلم عن أسباب أخرى مضافة إلى معالجة الأسباب المادية قال تعالى:

"ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون" [الأعراف: ٩٦]

وقال تعالى :(ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(الأنفال: ٥٣)
وقال تعالى: "ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم" [المائدة: ٦٦]
مثال آخر: من أين يأتي البلاء؟
الناس يقولون كلامًا كثيرًا.. نعرف منه وننكر.
والشرع يعطي مفهوما آخر: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير" [الشورى: ٣٠].
"أو لما أصابتكم مصيبة قلت أنى هذا قل هو من عند أنفسكم" [آل عمران: ١٦٥]
والنصر والتمكين كيف الوصول إليه؟: (.... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(الحج من الآية: ٤٠)
(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور: ٥٥)
والأمر أوسع من هذا فهناك خصوصية في كل المفاهيم تقريبا. الكبر.. البر.. وفي مفهوم المعركة من حيث أسباب النصر فيها ومن حيث جنودها الذين يحضرون القتال.. الخ.
وإنما أردت هنا لفت النظر فقط.
لماذا الكلام في الخصوصية؟
لأمور أركز على اثنين منها.
أولهما: فيه نقض لاستدلالات أصحاب الفرق الضالة.
باستقراء مناهج الفرق الضالة وخصوصا التي تكلمت في الإيمان، أهلَ الإرجاء والاعتزال والتصوف والمتفلسفة، تجد أن خطأ هؤلاء الرئيسي يكون في الجهل بأن للشريعة الإسلامية خصوصية في استعمال الألفاظ وفي المفاهيم والتصورات، وبالتالي تجده يستعمل الألفاظ بمعناها اللغوي مما يؤدي إلى الخروج بنتائج مغلوطة.
وهذا بين جدًا في حالة الإرجاء، وله أمثلة كثيرة في ضلالات النصارى التي يسمونها أدلة على إلوهية المسيح في القرآن الكريم ، وكذا في أطروحات العصرانيين.
وحيث أن المقصود هنا هو بيان القاعدة وليس مناقشة أدلة هؤلاء فإن أكتفي بمثال أبين فيه قولي، ولعل الله أن ييسر مناقشة هؤلاء على ضوء هذه القاعدة لاحقا.
أهلُ الإرجاء ــ مثلا ــ فسروا (الإيمان) بمعناه اللغوي، مدعين بأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.استخدموا المقدمات المنطقية العقلية لإثبات باطلهم، فقالوا القرآن نزل بلسان عربي مبين.
أليس كذلك؟

بالطبع هو كذلك. لا أحد ينكر هذا.

ثم استمروا على هذه المقدمات المغلوطة، فقالوا العرب تُعرّف لفظ الإيمان بالتصديق الخبري أو ما يقولون عنه المعرفة.إذا الإيمان هو التصديق أو المعرفة، وذهبوا إلى النصوص وحَمَلوها حملا على القول بباطلهم، والنصوص من كلام العرب الذي ترد فيه الاحتمالات ويدخله التأويل بأدنى الحجج، ومن شأنها أنها طَيِّعة تسير على هوى من يحملها طائعة أو مكره.

ونعم الشرع استعمل اللغة العربية في بيان مراد الله من عبادة ولكنه خصص وأضاف، ولا بد من الوقوف عند المعنى الشرعي وعدم تجاوزه.

والشرع لم يستخدم لفظة(الإيمان) بذات الدلالة اللغوية، وإنما بدلالة أخرى كما قدمنا. وهذا أيضا فيه رد على مرجئة الفقهاء الذين قالوا بأن العمل وإن كان لا بد منه إلا أنه لا يدخل في مسمى الإيمان ذلك لأنهم اعتمدوا تفسير لفظ الإيمان بمعناه اللغوي، ونحن نقول هناك فرق بين استعمال الشرع للفظة الإيمان واستعمال اللغة لها ولا بد من استعماله بمعناه الشرعي.

ولست هنا معنيا بمناقشة مذهب المرجئة وإنما أريد أن أنبه على أنه لا بد من الرجوع للمعنى الشرعي في تفسير معان الكلمات، وليس الاكتفاء فقط بالمعنى اللغوي أو العرفي.

وأهلُ الكلام... أهل التحريف والتعطيل في الأسماء والصفات، ركب الشيطان رأسهم من باب التتريه، حيث قاموا يترهون ربهم عن خلقه وعبيده ــ كما زعموا ــ فتصوروا أن التتريه لا يكون إلا عن طريق نفي المماثلة بالكلية، ومن هناك راحوا يعطلون ويحرفون.

ولو أنهم عادوا إلى الشرع، وعلموا كيف أن له خصوصية تامة في تصورات الإنسان عن خالقه ومعبوده ــ سبحانه وتعالى ــ لما كان شيء من هذا.

والأمثلة على هذه القاعدة عند العصرانيين، وعباد الصليب أكثر وأوضح، وفي النية استخراج بحث في هذا الشأن والله المستعان.

ثانيهما: المناعة الفكرية.

الإيمان بأن للشريعة الإسلامية خصوصية في المفاهيم والتصورات، والاستعمالات اللغوية للألفاظ، وأنه لا بد من الوقوف عليها ومراجعتها قبل التكلم في أي موضوع، وكذا الإيمان بأن الدين كامل " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ". وليس فقط بل الإيمان بأن الأحكام الشرعية في غاية الحكمة، وذلك لأنها من الله العليم الخبير الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. وأنه يجب رد كل ما أشكل على المرء إلى الكتاب والسنة، وأن لا يمضي في اتخاذ أحكام أو رسم تصورات قبل مراجعة أهل العلم من العلماء الربانيين كما أمر ربنا.

(وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)(النساء: ٨٣)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء: ٥٩)

فهنا جعل الرد لله والرسول شرط لصحة الإيمان... " فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بـــالله واليوم الآخر".

ولاحظ أن الرد ليس مقتصرا على الأمور العظام بل على كل شيء. فانظر كيف أتى التعبير بكلمـــة شيء التي هي نكره، وفي سياق الشرط لتفيد العموم. فكل شيء يجب أن يرد إلى الكتاب والســـنة، ومن لا يعرف يسأل.

حين يعرف المسلم هذا الأمر تتكون عنده مناعة فكرية، فلا يقبل كل ما يسمع بل يكـــون عنـــده خاصية الانتقاء... القبول والرد.

ودعني أضرب الأمثال ليتضح المقال.

نجد أن كثيرًا من المسلمين يردد كثيرًا من الكلمات وهي بمعان مستحدثة لا نعرفها. بل ننكرها.

مثلا كلمة(الحرية) و كلمة(المساواة)، تردد على لسان كثير من أبناء الأمة الإسلامية، وهي كلمات غربية بدلالات غير إسلامية. هذا أقل ما يمكن أن يقال فيها. فـــ(الحرية) تعني حرية المرأة في التـــبرج والسفور بل والعري، ومخالطة الرجال في أماكن العمل وفي أماكن اللهو بما لا يخفى، والحرية عندهم تشمل حرية الكلمة وإن كانت سبًا لله ورسوله وطعناً في الدين، أو غمزا لعباد الله الموحدين.

وعندنا "(مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)(قـــ: ١٨) "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"

و(المساواة) عندهم تشمل تسوية الرجل بالمرأة في كل شيء. وعندنا للمرأة ما ليس للرجل، وللرجل ما ليس للمرأة، وعلى كلٍ من الحقوق ما ليس على الآخر، تبعا للاختلافات الجسمية والنفسية.(... وليس الذكر كالأنثى.....) حِكْمة العليم الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، والمساواة عندهم تعني أيضا مساواة أهل الكفر بأهل الإيمان، وعندنا " أفنجعل المسلمين كـــالمجرمين. مـــالكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون "؟؟!!.".

فبينهما فرق: بين معاني الألفاظ الحديثة فيما هي مستعملة اليوم فيه، ومعناها في الشرع، فرق يجـــب الوقوف عليه، ولا يردد هكذا دون تدبر.

فلو علموا أن هناك خصوصية للشريعة الإسلامية في المفاهيم والتصورات، ما رددوا هكذا بدون وعي ولرجعوا إلى الشريعة الإسلامية يستنطقونها ماذا تقول في كل ما يعرض عليهم.

والمطلوب ممن يعرض السيرة النبوية على الناس أو يقرأها هو أن يبين هذه الخصوصـــية في المفـــاهيم والتصورات ومعاني الألفاظ وهو يعرض الغزوات مثلا، وهو يشرح بعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أو أعدائه. لتتكون مناعة فكرية عند من يسمع نحن في أمس الحاجة إليها اليوم في هذه الأيام.

حادي عشر:الدعوة الإسلامية دعوة عملية وليست مفاهيم نظرية.

من يتدبر حال النصرانية مثلا يجد أنها تحولت إلى مجموعة من المفاهيم النظرية التي يكفي مجرد التصديق بها للانتساب إليها، وإذا انضم إلى هذه المفاهيم ممارسة بعض الشعائر التعبدية فإن الشخص يعتبر من المتدينين.!

حتى أنك حين تستمع إلى دعوة النصرانية مثلاً تجد أنها دعوة إلى التصديق بأمور نظرية، مثل قضية التثليث، وقضية الصلب والفداء، وقداسة الباباوات. وبعض الشعائر التعبدية، والحياة بعد ذلك تخضع لما يمليه عليهم الواقع، أو ما يحلو لأحبارهم ورهبانهم وأرباب الرأي فيهم.

وكذا أصبحت البوذية واليهودية، وكاد الإرجاء أن يفعلها بالدعوة الإسلامية لولا أن الله قيض لهذا الدين رجالاً أحيا بهم السنة وأمات بهم البدعة.

وأعرض بعض المشاهد من السيرة النبوية، لأبين بها أن الدين لم يكن يوما ما نظرية مجردة ولا مجادلة فكرية يكتفي بمجرد الاقتناع فيها...

تروي لنا كتب السير أن مسلمة جلست في سوق بني قينقاع في المدينة عند صائغ يهودي فراودها عن كشف وجهها فأبت عليه، فعقد طرف ثوبها إلى ظهرها على حين غفلة منها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه.

هذا مشهد من المشاهد ترويه لنا كتب السيرة، والمشهد التالي له مباشرة في كتب السيرة هو حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني قينقاع وإصراره على ذبحهم لولا وقاحة بن سلول في شفاعته لهم. وسقط من كل الروايات ما بين المشهدين ما حدث في السوق والحصار من الأحداث، كأن الحدثين متلاصقين.

فلم ترو لنا كتب السير أن أحدًا تكلم بأن مَن فعل الفعلة قُتل فكفّوا أيديكم يكفي؛ ولم تروي لنا كتب السير أن أحدًا تكلم بأن الأمر لم يتجاوز كشف جزء من العورة لفترة وجيزة، ولم تروي لنا كتب السير أن أحدًا تكلم بأن لبني قينقاع إخوة في الدين والملة في ذات المدينة، هم بنو قريظة وبنو النضير وورائهم في خيبر عدد وعتاد ولهم حلفاء من غطفان، وغطفان يومها غطفان. بل لم يتكلم أحد مطلقًا.. لم تروي كتب السيرة سوى فعل، وهو حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم حتى أجلاهم.

وتروي لنا كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب في عشرة من أصحابه لبني النضير يطلب منهم وفاء ما عاهدوه عليه، فغدروا وهمُّوا بقتله صلى الله عليه وسلم وحين علم بغدرهم وهو جالس تحت جدار بيت من بيوتهم قام ولم يتكلم، وأعد الجيش ولم يتمهل، وحاصرهم حتى خربت بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وخرجوا منها أذلاء صاغرين.

وتروي لنا كتب السير أن الأخبار أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن خالد بن سفيان الهُذلي يُجَمِّع العرب في بطن عُرْنَة عند سفح عرفة على بعد خمسمائة كيلو متر من المدينة،فأرسل له

رجلاً(عبد الله بن أُنيس) من المدينة يسعى على قدميه فأخمد الفتنة. و لم نسمع كثيرًا ولا قليلاً من الكلام.

وغدرت قريش بعهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم وراحت وجاءت وقالت وأكثرت، وما كان من الحبيب صلى الله عليه وسلم إلا أن رد عليهم بفعل لا بقول... استنفر أصحابه وجمَّع جيشه وفتح مكة.

وغدرت قريظة فذبحت، وقتلت غسان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فتحرك جيش مؤتة، وبنو المصطلق همّوا بالتَّجَهُز فوجدوا الخيل صباحا تشرب من مائهم.

هكذا... نعم هكذا.

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم كثيرًا.

و لم يكن الباعث على هذا(التصرف الفعلي) من الرسول صلى الله عليه وسلم هو كثرة العدد ووفرة العتاد، فقد كانت الحال حال... هو منهج الدعوة من يومها الأول " أنظر كيف بدأت، " يا أيها المدثر قم فأنذر" "إن لك في النهار سبحًا طويلاً ".

فلم تكن فقط عملية وجادة مع المخالف وإنما أيضا في تربية الجماعة المؤمنة، كانت الدروس كلها عملية.

يذبح سبعين من الصحابة يوم أحد منهم الحمزة بن عبد المطلب ليتعلم القوم درسا من جملة واحدة " قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) ويستمر حادث الإفك شهرا ليتعلم القوم درسا عمليا(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ)(النور: ١٥)

ويحاصر المخلفين عن غزوة تبوك خمسين يوما حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، ليتلقوا درسًا عمليًا هم ومن يشاهدونهم ومن يسمع بهم كي لا يتخلفوا ثانية عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه.

هذا حاله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع عدوه ومع أتباعه... هذا هو المنهج الرباني الذي تحرك به النبي صلى الله عليه وسلم.

وإن من أوضح الأمور لمن يتدبر نشأت الجماعة المؤمنة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف نمت وتطورت وكيف عالجت مشاكلها الداخلية بين أفرادها والخارجية مع أعدائها، أن نهج الشرع كان عمليا، و لم يكن يومًا ما نظريًا.

لم يتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجندة عمل لمن يخالفونه يشرح فيها وجهات نظره، ورؤيته للمستقبل، وإنما كان هادئًا كثير الصمت يعمل ولا يتكلم.

ومن الواضح جدًا أيضًا أن الأفراد ميزهم المواقف و لم يتميزوا بالمعرفة الذهنية، ولا بأصوات العامة لهم.

واليوم: العقيدة دروس علمية.. نظرية، لا تكاد تعرف (الأخ) إلا من كلامه، قليل من تتعرف عليهم من وجوههم وفعالهم.

واليوم شعارات نرفعها وننام تحتها مكتفين بمجرد الانتساب للعمل الإسلامي.

واليوم شعارات نرفعها ونتعصب لها.

والمطلوب حين عرض السيرة النبوية على الناس أن ينبه على هذا الأمر، وأن نقف مع الأحداث نبين كيف كانت الدعوة جادة، و لم تكن يومًا ما مفاهيم نظرية.

وأن المفاهيم الإسلامية ما جاءت إلا لتنشئ واقعًا... إلا لتترجم على أرض الواقع.

والله أسال أن يبارك لي في كلماتي وأن ينفع بها من كتب ومن نشر ومن قرأ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

=======================

مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية

تاريخ الإجابة ٠١/٠٤/٢٠٠٢

موضوع الفتوى المعاملات

بلد الفتوى - أمريكا

نص السؤال كيف يمكن مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية إذا كنا نعيش في أمريكاأم هل يعني ذلك أن يحرم علينا شراء البضائع اليهوديةخاصة؟

اسم المفتي لجنة تحرير الفتوى بالموقع

نص الإجابة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن مقاطعة البضائع أو السلع التي تنتجها إسرائيل وأعوانها إنما يطالب به من لديه بدائل عن هذه السلع، وأما بالنسبة للمقيم في إسرائيل أو في بلد تعاون إسرائيل إذا لم تكن أمامها سلع من بلد آخر مستوردة فإنها تكون مضطرة إلى أن تشتري مثل هذه السلع الإسرائيلية أو الأمريكية مثلاً، والضرورة تبيح ما هو محظور، ولكن إذا كان هناك في أمريكا سلع واردة من الدول العربية أو من الدول التي لا تناصر إسرائيل مثلاً فإن الواجب في هذه الحالة شراء هذه السلع بديلاً عن السلع الإسرائيلية أو الأمريكية؛ لأن مقاطعة هذه البضائع عند وجود البديل أمر واجب شرعاً؛ لأنه من قبيل الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى بأضعف الوسائل، وهذا هو واجب من لا يتمكن من المسلمين من الجهاد بنفسه أو ماله.

هذا ما قاله فضيلة الشيخ الدكتور عبد الفتاح إدريس أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة جامعة الأزهر

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

هذا السؤال يسال عن التعامل مع طائفتين من أهل الكتاب: اليهود والنصارى.
أما عن الطرف الأول: اليهود ؛ فلا يجوز التعامل معهم بأي حال من الأحوال، لأنهم جميعًا عسكريون محاربون للإسلام وأهله، احتلوا أرضنا، وداسوا مقدساتنا، واعتدوا على حرماتنا، ولا زالوا يمارسون اعتداءهم ليل نهار، وفي شأنهم قال تعالى:{إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} الممتحنة:٩. ويقول صلى الله عليه وسلم:" قاتلوا الكفار بأيديكم وأموالكم وألسنتكم" ونحن لا نملك الجهاد بالسلام الآن، خاصة أننا يحال بيننا وبينه، فلم يبق معنا أي سلاح إلا المقاطعة، فوجب على المسلمين مقاطعة اليهود اقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا، وكذلك المحاربين من أهل الكتاب كالصرب والأمريكان المعتدين، والهندوس وكل من حارب الإسلام أو أعان على حربة
إلا من اضطر من أهل فلسطين المحتلة .
أما الطرف الثاني وهم النصارى: فإن كانوا محاربين كالصرب وغيرهم كما قلنا فهؤلاء يقاطعون، وأما من كانوا مسالمين غير محاربين، فلا شيء في الاستيراد منهم والتصدير لهم، بشرط أن تكون التجارة فيما أحل الله لا مما حرم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى:{ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} الممتحنة:٨.
والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الكفار بالبيع والشراء ما داموا غير محاربين له ولدينه.
أما الدكتور عبد المعز حريز فيضع ضوابط لهذه المقاطعة فيقول :
أما بالنسبة للمقاطعة فيمكن النظر إليها من عدة جوانب
الجانب الأول: نوع البضاعة المشتراة، ومدى حاجتنا إليها
الجانب الثاني: مدى توفر السلعة نفسها، وفق تقنياتها وقدراتها وقوتها في الاستخدام
الجانب الثالث: سعر السلعة ومدى تناسبه مع خدمتها..
وعليه فإن مثل أجهزة الكمبيوتر وغيرها من الأجهزة والتقنيات العلمية والطبية التي يفتقر إليها المسلمون –وهم عالة على الغرب فيها- من الأهمية بمكان؛ بحيث يجب أن ننظر إلى موضوع مقاطعتها وفق الاعتبارات السابقة وغيرها من الاعتبارات الخاصة؛ ولهذا كله فإني أجيز شراء مثل هذه الأجهزة العلمية بقصد الطاعة، وأن نستخدم فارق السعر في قضايا تعود علينا بالنفع، وذلك إن كانت الأجهزة الأمريكية ليس لها بديل مناسب .
وهناك بعض الدول الإسلامية مثل ماليزيا وغيرها من الدول تقوم بتصنيع مثل هذه الأجهزة فإن أمكن استخدام مثل هذه الأجهزة فهو أولى، أما إن رأيت شراء الأجهزة اليابانية مع هذا الفارق فجائز إن كانت هذه الأجهزة فيها من الخدمات ما يجعلها أفضل من الأجهزة الأخرى، ويكون هذا التصرف داخلاً تحت التبذير والإسراف إن كان بقصد المباهاة أو دون فائدة مرجوة.. وإلا فلا.
ويقول يقول الشخ ابن جبرين من علماء السعودية :

يجب على المسلمين عمومًا التعاون على البر والتقوى ومساعدة المسلمين في كل مكان بما يكفل لهم ظهورهم وتمكنهم في البلاد وإظهارهم شعائر الدين وعملهم بتعاليم الإسلام وتطبيقه للأحكام الدينية وإقامة الحدود والعمل بتعاليم الدين، وبما يكون سببًا في نصرهم على القوم الكافرين من اليهود والنصارى ، فيبذل جهده في جهاد أعداء الله بكل مايستطيع، فقد ورد في الحديث : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).

فيجب على المسلمين مساعدة المجاهدين بكل مايستطيعونه ،وبذل كل الإمكانات التي يكون فيها تقوية للإسلام والمسلمين ،كما يجب عليهم جهاد الكفار بما يستطيعونه من القدرة، وعليهم أيضًا أن يفعلوا كل مافيه إضعاف للكفار أعداء الدين، فلا يستعملونهم كعمال للأجرة كتابًا او حسابًا أو مهندسين أو خدامًا بأي نوع من الخدمة التي فيها إقرار وتمكين لهم بحيث يكتسحون أموال المؤمنين، ويعادون بها المسلمين .

وعلى المسلمين أيضًا أن يقاطعوا جميع الكفار بترك التعامل معهم ،وبترك شراء منتجاتهم سواء كانت نافعة كالسيارات والملابس وغيرها ،أو ضارًا كالدخان بنية العداء للكفار وإضعاف قوتهم وترك ترويج بضائعهم ،ففي ذلك إضعاف لاقتصادهم مما يكون سببًا في ذلهم وإهانتهم .

والله أعلم

===============

مقاطعة السلع الأجنبية: رؤية فقهية

تاريخ الإجابة ٠٨/٠٣/٢٠٠٥

بلد الفتوى - السعودية

نص السؤال يتحدث كثير من الناس الآن عن سلاح المقاطعة ودوره في نصرة المسلمين المظلومين في فلسطين وغيرها فما الحكم الشرعي لاستخدام هذا السلاح ؟ وأيهما أولى بالمقاطعة ؟

اسم المفتي مجموعة من المفتين

نص الإجابة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي :

هذا السؤال يسأل عن التعامل مع طائفتين من أهل الكتاب: اليهود والنصارى.

أما عن الطرف الأول: اليهود ؛ فلا يجوز التعامل معهم بأي حال من الأحوال، لأنهم جميعًا عسكريون محاربون للإسلام وأهله، احتلوا أرضنا، وداسوا مقدساتنا، واعتدوا على حرماتنا، ولا زالوا يمارسون اعتداءهم ليل نهار، وفي شأنهم قال تعالى:{إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} الممتحنة:٩. ويقول صلى الله عليه وسلم:" قاتلوا الكفار بأيديكم وأموالكم وألسنتكم" ونحن لا نملك

الجهاد بالسلاح الآن، خاصة أننا يحال بيننا وبينه، فلم يبق معنا أي سلاح إلا المقاطعة، فوجب على المسلمين مقاطعة اليهود اقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا، وكذلك المحاربين من أهل الكتاب كالصرب والأمريكان المعتدين، والهندوس وكل من حارب الإسلام أو أعان على حربه إلا من اضطر من أهل فلسطين المحتلة .

أما الطرف الثاني وهم النصارى: فإن كانوا محاربين كالصرب وغيرهم كما قلنا فهؤلاء يقاطعون، وأما من كانوا مسالمين غير محاربين، فلا شيء في الاستيراد منهم والتصدير لهم، بشرط أن تكون التجارة فيما أحل الله لا فيما حرم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى:{ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} الممتحنة:٨. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الكفار بالبيع والشراء ما داموا غير محاربين له ولدينه.

ويقول فضيلة الشيخ فؤاد مخيمر من علماء الأزهر، رئيس الجمعية الشرعية بمصر ـــ رحمه الله ـــ

إن الأيدي المتوضئة والعقول التي تفكر في الصناعة لا شك أنها أيدٍ مباركة، وإن حدث قصور بيننا نحن المسلمين، فليس معنى ذلك أننا متأخرون، ولكن يجب على كل مسلم أن يجود صناعته وأن يتقن عمله، من أجل ترويج الاقتصاد وازدهاره

وعندما تحتال بعض الدول الصناعية على بلادنا بأن تبعث إلينا قطع التصنيع والخامات اللازمة لتصنيع السيارات أو ما يتصل بالكهربائيات وما تحتاجه البلاد والعباد من أدوات صناعية وعسكرية وغيرها، ثم يدخلون علينا التغرير بأن تعمل الأيدي الوطنية في هذا التصنيع، فهذه خطة مرسومة؛ ذلك لأن العمالة عندنا في بلادنا لا تكلفهم شيئًا بخلاف ما هم عليه في مصانعهم في بلادهم، ثم يغرقون الأسواق بهذه الصناعات زاعمين أنها صنعت في مصر أو في أي بلد إسلامي آخر، وبهذه الخطة تجمع أموال المسلمين التي تُشترى بها هذه السلع وتحول إلى هذه البلاد وهي مكتظة بالأموال؛ فيروج اقتصادهم وينهار اقتصاد الأمة الإسلامية، وتسحب الأموال من مصارفنا لتضاف إلى مصارف الغرب، وهذا أمر يعقد الحياة الاقتصادية والاجتماعية ويضعف الشئون العسكرية؛ ذلك لأن السيولة بالبلاد الإسلامية تنخفض ويرتفع مستواها في بلاد العالم الآخر

لذا أقول: يجب على كل مسلم ومسلمة أن يكونوا يقظين، وأن يقبلوا على المنتجات المحلية والإسلامية التي صنعت بخامات وبأيدي المسلمين؛ لتعود الأموال لخزينة المسلمين في أي بلد كان، عندئذ نجد الغرب يتأخر والمسلمين يتقدمون ويرتفع مستوى المعيشة عندهم

ومما يجب أن نؤكد عليه أن الحرب المعاصرة حرب اقتصادية أكثر منها عسكرية؛ لأن الاقتصاد هو عصب البلاد والعباد، فبضعفه تضعف الأمة وينتشر الفقر وتتفشى الأمراض؛ فيجب أن نحصن أنفسنا من هذا الوباء، وألا نسمع وننفذ مخططات أعدائنا؛ لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين

وعندما يلتزم المسلمون بذلك فعلى الدولة أن توفر عملاً مناسبًا للأيدي العاملة التي كانت تعمـــل في تلك المصانع، وأن المسلم عندما ينخفض دخله يكون ذلك بمثابة جهاد منه، فالباقي يحتسبه عنـــد الله رفعة لدينه ولوطنه.

ويقول الأستاذ الدكتور السيد نوح من علماء الأزهر وأستاذ علوم الحديث بالكويت

مصالح الناس تدور بين الضروريات يعني التي إذا انقطعت مات الإنسان، وبين الحاجيات التي تحضـــر الإنسان نوعًا ما فيكون عنده ثوبان بدلا من ثوب واحد، وسيارة تحمله بدلاً من أن يمشـــي علـــى قدميه، وبين التكميليات والتحسينيات وهذه لا يترتب عليها إلا مزيد من الترف يـــؤدي بـــالمرء إلى الاسترخاء، وربما يسلك المرء بسببها والعياذ بالله في سلك المبذرين إخوان الشياطين..

وعليه فإنه إذا كانت البضاعة من قبيل الأمور التكميلية والتحسينية فإنه من الأولى للمرء ألا يشتريها سواء كانت أمريكية أو أوروبية أو حتى محلية، فإن ألحت عليه نفسه لضعف بشري ليشتريها، فـــلا يشتر ممن يؤازر العدو اليهودي الصهيوني الذي يحتل بلاد المسلمين بدءاً بفلسطين، ويقتل النفـــوس، ويهدم البيوت، ويسلب الأموال، ويعتدي على الأعراض، ويدوس الحرمات والمقدســـات انطلاقًـــا للقضاء على المشروع الحضاري للأمة من أوله لآخره، ومعلوم أن أمريكا أول من يؤازر هؤلاء.

ولذلك يحرم بشكل قطعي شراء هذه البضائع، وفي غيرها من المحلي أو السلع الأوروبيـــة الـــتي وإن ساندت إسرائيل لا تساندها بشكل مباشر علني فيها الكفاية، وبهذا يصير المسلم بعيدًا عن حـــديث "من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله"؛ لأنـــه لم يساند هؤلاء الذين يساندون إسرائيل في قتل المسلمين، ولا نقول ما قيمة الامتناع عن شراء سلعة أو سلعتين من هذه البلدان: هل هذا سيؤثر في اقتصاد هؤلاء؟ نقول: إن المهم المبدأ، وهو أننا لا نتعامل مع من يعين على قتل المسلمين، والعبث بحرماتهم ومقدساتهم، على أن ذلك يؤثر، فمصر البلد الفقير أدت واجبها في مقاطعة بعض هذه السلع والبضائع إلى حد أنها أفلست فأغلقت مؤسساتها ورحلت إلى غير رجعة..

والله أعلم.

=====================

مقاطعة السلع والمصنوعات الأجنبية

تاريخ الإجابة ٢٢/١٠/٢٠٠٠

موضوع الفتوى المعاملات

نص السؤال كيف نستطيع مقاطعة الشركات الأجنبية التى تعمل فى الدول العربية وتساعد فى تشغيل العمالة المحلية ؟وكذلك الشركات الوطنية التى تعمل بموجب توكيل من شركات أجنبية ؟

نص الإجابة

إن الأيدي المتوضئة والعقول التي تفكر في الصناعة لا شك أنها أيدٍ مباركة، وإن حدث قصور بيننا نحن المسلمين، فليس معنى ذلك أننا متأخرون، ولكن يجب على كل مسلم أن يجود صناعته وأن يتقن عمله، من أجل ترويج الاقتصاد وازدهاره

وعندما تحتال بعض الدول الصناعية على بلادنا بأن تبعث إلينا قطع التصنيع والخامات اللازمة لتصنيع السيارات أو ما يتصل بالكهربائيات وما تحتاجه البلاد والعباد من أدوات صناعية وعسكرية وغيرها، ثم يدخلون علينا التغرير بأن تعمل الأيدي الوطنية في هذا التصنيع، فهذه خطة مرسومة؛ ذلك لأن العمالة عندنا في بلادنا لا تكلفهم شيئًا بخلاف ما هم عليه في مصانعهم في بلادهم، ثم يغرقون الأسواق بهذه الصناعات زاعمين أنها صنعت في مصر أو في أي بلد إسلامي آخر، وبهذه الخطة تجمع أموال المسلمين التي تُشترى بها هذه السلع وتحول إلى هذه البلاد وهي مكتظة بالأموال؛ فيروج اقتصادهم وينهار اقتصاد الأمة الإسلامية، وتسحب الأموال من مصارفنا لتضاف إلى مصارف الغرب، وهذا أمر يعقد الحياة الاقتصادية والاجتماعية ويضعف الشئون العسكرية؛ ذلك لأن السيولة بالبلاد الإسلامية تنخفض ويرتفع مستواها في بلاد العالم الآخر

لذا أقول، يجب على كل مسلم ومسلمة أن يكونوا يقظين، وأن يقبلوا على المنتجات المحلية والإسلامية التي صنعت بخامات وبأيدي المسلمين؛ لتعود الأموال لخزينة المسلمين في أي بلد كان، عندئذ نجد الغرب يتأخر والمسلمين يتقدمون ويرتفع مستوى المعيشة عندهم

ومما يجب أن نؤكد عليه أن الحرب المعاصرة حرب اقتصادية أكثر منها عسكرية؛ لأن الاقتصاد هو عصب البلاد والعباد، فبضعفه تضعف الأمة وينتشر الفقر وتتفشى الأمراض؛ فيجب أن نحصن أنفسنا من هذا الوباء، وألا نسمع وننفذ مخططات أعدائنا؛ لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين

وعندما يلتزم المسلمون بذلك، فعلى الدولة أن توفر عملاً مناسبًا للأيدي العاملة التي كانت تعمل في تلك المصانع، وأن المسلم عندما ينخفض دخله يكون ذلك بمثابة جهاد منه، فالباقي يحتسبه عند الله رفعة لدينه ولوطنه

=====================

مقاطعة المنتجات الصينية لاضطهادهم المسلمين

موضوع الفتوى المعاملات

نص السؤال دولة كالصين مثلا تستولي حالياً على إقليم إسلامي هو (تركستان الشرقية) أو ما تسميه هي (سنكيانج)، وهو إقليم إسلامي في الأساس وكان دولة إسلامية، وربما لا يعلم عنه المسلمون كثيراً؛ نظراً لما تمارسه الصين من تعتيم إعلامي، وهي تمارس فيه وسائل القمع والإرهاب ضد سكانه من المسلمين، وآخر ما سمعناه هو أنها طلبت من أمريكا معاونتها في القضاء على (الإرهاب) المزعوم في هذا الإقليم في مقابل مساعدة الصين لأمريكا ضد أفغانستان.

سؤالي هو: هل يمكننا القول بأنه يجب مقاطعة المنتجات الصينية على هذا الأساس؛ قياساً على مقاطعة المنتجات اليهودية التي تجب مقاطعتها؟ مع الأخذ بالاعتبار أن المنتجات الصينية قد غزت الأسـواق وتوجد بعض المنتجات قد يكون من الصعب العثور عليها من أي دولة أخرى، وربما تجـد المنـتج الصيني ذا جودة عالية وثمن رخيص جداً في مقابل المنتجات الأخرى ذات السعر الأعلى.

أرجو بيان الحكم في هذه القضية، بياناً حاسما بعبارات محددة، وأرجو ألا تكون الإجابة من قبيل (من الأفضل كذا، أو لا يستحسن كذا)، وإنما لو كان الحكم موضحاً بصورة أدق، هل هـو حـلال، حرام... إلخ لكان هذا أشفى وأفضل. جزاكم الله خيراً على جهودكم وبارك فيكم ومعذرة علـى الإطالة.

اسم المفتي الشيخ جعفر أحمد الطلحاوي

نص الإجابة

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إذا صح ما تقول وثبت يقينا فإنه يتوجب سلوك نفس السبيل كائنة ما كانت النتائج، وعلى المسلمين أن يسعوا إلى توفير البدائل وتحقيق الاكتفاء الذاتي حتى لا نظل عالة على الأعداء كالعبد الذي هـو كل على مولاه.

أما ما ذكرت من أنه لا يعلم المسلمون شيئا عن إخوانهم المسلمين في هذه المقاطعات فهذا التعمـيم منك مجانب للصواب، لكننا في عصر أحوج ما تكون فيه إلى أن تمارس الشعوب الإسلامية الضغوط المختلفة والمتعددة لدفع حكوماتها إلى أن تقف وقفة لله تعالى: " قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا" الآية.

وتهدف هذه المقاومة وممارسة هذه الضغوط لوضع النقاط على الحروف وتحديد المراد بالاصطلاحات حتى نعلم جميعا ما المقصود بالإرهاب، وحتى لا تلتبس الأفهام وتختلط الأوراق ويخلط الحق بالباطل، فليست مقاومة المحتل والمعتدي إرهابا، وليس الدفاع عن النفس إرهابا، وإنما هي حقوق مشروعة في الكتاب والسنة والعقل، وما يملكه كل مسلم هو الدعاء، فهو أمضى أنواع الأسلحة، ولا يرد القضاء إلا الدعاء.

والله أعلم.

===================

مقاطعة بضائع الكفار نظرة شرعية

للشيخ الدكتور : هاني بن عبد الله بن محمد بن جبير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وبعد :

فقد (فوجئ العالم الإسلامي في هذا العصر بتفوق عدوه عليه في ميادين شتى ، ولو أن هذا التفـــوق كان في مجال السيف والرمح والكر والفر ، فلربما كنا نستطيع أن ندفع عن أنفسنا شره ونحول دون انتصاره علينا ، بل قد نهزمه فنسترد ما ضاع منا . ولكنه كان ولا يزال تفوقاً غير متكافئ ؛ فالعدو على اختلاف توجهاته يملك من وسائل القوة ما يضمن له التحكم والقهر ، وبسط النفوذ وإمــلاء الإرادة في الوقت الذي أصبحنا فيه عالة عليه في كل شيء ، مما يجعلنا نصنّف أنفسنا قبل أن يصـــنفنا غيرنا بأننا متخلفون . ونتيجة لذلك فنحن (عالم التبعيّة) الواقع تحت التأثيرات الخارجية وقــانون التوازن الدولي .

إن الصدمات العنيفة التي كان من المفروض أن تولِّد فينا ردود أفعال مناسبة لم تتوقف هزائمها وتحدياتها ، ولقد بقينا مدة طويلة دون أن تكون مواجهاتنا لها في المستوى المطلوب) [١] .

ويبقى الأفراد الغيورون يلتفتون صوب كل اتجاه بحثاً عن سبيل مواجهة أو طريق نجاة أو وسيلة إنقاذ إيماناً منهم بأنه لا بد من أن يستنفد المرء كل طاقته ولا يدّخر منها شيئاً لتبرأ ذمته ويستحق وعد الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة : ٢١٤)

ولما كان الاقتصاد في هذا الزمن ذا تأثير كبير وفعال على مواقف الدول واتجاهاتها ؛ فقــد بــدأت الدعوة إلى (مقاطعة) البضائع والمنتجات التي تصدرها الدول التي تحارب المسلمين أو تقف معها ؛ لتكون وسيلة ضغط عليها لتوقف (أو تخفف) من موقفها المعادي للمسلمين .

وكان لهذا النداء تجاوباً كبيراً من الشعوب المسلمة التي لا حول لها ولا قوّة ، ولا تعرف كيف تعمل ، ولا كيف تنتصر .

حتى قال بعضهم إن (سلاح المقاطعة) هو السلاح الوحيد المؤثر في سجل المواجهة مع إســـرائيل في وقتنا الحاضر [٢] .

وفي الحقيقة إن المتابع لمجريات الأحداث يلمس لهذه المقاطعة آثاراً كبيرة تدفع بعض الشـــركات إلى التبرُّؤ من دعم الدولة اليهودية ، أو إلى تعهدها بدفع تبرعات لجهات فلسطينية ، إلى غير ذلك .

وقد انتشرت في الساحة الإعلامية عدة فتاوى تقول : إن « كل من اشترى البضـــائع الإســـرائيلية والأمريكية ، من المسلمين فقد ارتكب حراماً ، واقترف إثماً مبيناً ، وباء بالوزر عند الله والخزي عند الناس » [٣] .

وحقيقة أن الغيرة الإسلامية تشتعل في النفس إذا رأت ما يحل بالمسلمين وما يدبر لهم علـــى أيـــدي أعداء الله .

إلا أن موقف الموقِّع عن رب العالمين وهو يتلو قوله تعالى : (وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُـــونَ) (النحل : ١١٦) .

موقفٌ لا تؤثر فيه العواطف ولا يغلبه الحماس عن تأمل نصوص الوحيين ، وإعمال قواعد الشـــرع وأدلته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « كما أن الله نهى نبيّه أن يصيبه حزن أو ضيق ممـــن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر فكذلك في آخره ؛ فالمؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضـــيق من مكرهم . وكثير من الناس إذا رأى المنكر ، أو تغير كثير من أحوال الإسلام : جزع وكلّ وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام ، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأن العاقبة للتقوى ، وأن ما يصيبه فهـــو بذنوبه ، فليصبر إن وعد الله حق ، ويستغفر لذنبه ، وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار » [٤] .

وفي هذه الورقات القليلات نظرات شرعية عاجلة لموضوع (المقاطعة) ، حاولت فيها الوصول لحكم شرعي فقهي فيها .

* أولاً : تعريف المقاطعة الاقتصادية :

المقاطعة مفاعلة من القطع . يقال : قطعه يقطعه قطعاً .

والقطع : إبانة بعض أجزاء الجرم من بعضٍ فصلاً [٥] .

والقطع والقطيعة : الهجران ضد الوصل [٦] .

والبضاعة : السلعة ، وأصلها القطعة من المال الذي يتجر فيه ، وقيل جزء من أجزاء المـــال تبعثـــه للتجارة [٧] .

والسلعة : ما تُجر به والمتاع ، وجمعها : سِلَع [٨] .

قال في المنجد الأبجدي : (المقاطعة : عدم التعامل مع شخصٍ أو شركة أو مؤسسة أو دولة ، ومنـــه مقاطعة بلد لمنتجات وحاصلات بلدٍ آخر) [٩] .

وقال في المعجم الوسيط : (المقاطعة : الامتناع عن معاملة الآخرين اقتصادياً أو اجتماعياً وفق نظام جماعي مرسوم) [١٠] .

وشاع استعمال المقاطعة في الامتناع عن شراء منتجات من يحارب المسلمين أو يعينهم دون الامتناع عن البيع ؛ وذلك لأن أهل الإسلام صاروا مستهلكين ، وقل الإنتاج فيهم .

* ثانياً : قواعد ومقدمات :

وهي سبع أسردها تباعاً ..

الأولى : جواز معاملة الكفار .

الأصل أنه يجوز معاملة الكفار بالبيع والشراء سواء كانوا أهل ذمّة أو عهد أو حرب [١١] إذا وقع العقد على ما يحل ، ولا يكون ذلك من موالاتهم [١٢] .

عن عبد الرحمن بن أبي بكر – رضي الله عنهما – قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جـــاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطيّة ؟ أو قال : أم هبة ؟ قال : لا ، بل بيع . فاشترى منه شاةً [١٣] .

وقد بوّب البخاري على هذا الحديث في صحيحه : باب البيع والشراء مع المشركين وأهل الحرب .
وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي بأن يكاتب ، والمكاتبة أن يشتري العبد نفسه من سيده ، وكان سيده يهودياً [١٤] .
وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن درعه مرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها رزقاً لعياله [١٥] .
وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل [١٦] .
وسواء في ذلك أن يسافر المسلم لبلد الكفار وديار الحرب أو يجيء الكافر لبلاد الإسلام ليبيع أو يشتري .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وإذا سافر الرَّجل إلى دار الحرب ليشتري منها جاز عندنا كما دل عليه حديث تجارة أبي بكر – رضي الله عنه – في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الشام ، وهي حينذاك دار حرب ، وغير ذلك من الأحاديث » [١٧] .
عن الحسن قال : كتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – : أن تجار المسلمين إذا دخلوا دار الحرب أخذوا منهم العُشر . قال فكتب إليه عمر : خذ منهم إذا دخلوا إلينا مثل ذلك : العشر [١٨] .
قال الحافظ ابن حجر : « تجوز معاملة الكفار فيما لم يتحقق تحريم على المتعامَل فيه ، وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ومعاملاتهم فيما بينهم » [١٩] .
هذا هو الأصل العام في معاملة الكفار .
يستثنى من هذا الأصل مسائل ؛ منها :
أنه لا يجوز أن يبيع المسلم للكفار ما يستعينون به على قتال المسلمين . لقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَان) (المائدة : ٢).
قال ابن بطال : « معاملة الكفار جائزة ، إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين » [٢٠] .
وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن معاملة التتار ، فأجاب : (يجوز فيها ما يجوز في معاملة أمثالهم ، ويحرم فيها ما يحرم في معاملة أمثالهم ... فأما إن باعهم أو باع غيرهم ما يعينهم به على المحرمات كبيع الخيل والسلاح لمن يقاتل به قتالاً محرماً فهذا لا يجوز .. في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لعن في الخمر عشرة : لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وساقيها ، وشاربها ، وآكل ثمنها » [٢١] . فقد لعن العاصر وهو إنما يعصر عنباً يصير عصيراً ، والعصير حلال : يمكن أن يتخذ خلاً ودبساً وغير ذلك) [٢٢] .
وسواء كان ذلك وقت الحرب بين المسلمين والكفار أو وقت الموادعة والهدنة بينهم .
قال السرخسي : ولا يمنع التجار من حمل التجارات إليهم إلا الكراع [٢٣] والسلاح والحديد ؛ لأنهم أهل حرب ، وإن كانوا موادعين ؛ ألا ترى أنهم بعد مضي المدة يعودون حرباً للمسلمين ، ولا يمنع التجار من دخول دار الحرب بالتجارات ما خلا الكراع والسلاح ؛ فإنهم يتقوون بذلك على

قتال المسلمين فيمنعون من حمله إليهم ، وكذلك الحديد ؛ فإنه أصل السلاح . قال الله تعالى : (وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) (الحديد : ٢٥) [٢٤] .

وهذه المسألة من معمولات سد الذرائع المفضية إلى المفاسد ، ومن أمثلة قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد .

الثانية : وسائل التعامل مع الكفار .

شراء بضائع الكفار يتخذ في هذا العصر صوراً متعددة ، وله وسائل لا بد من معرفتها ليتم الحكم عليها من خلالها . ولعله يمكن حصرها في الصور الآتية :

١ – الشراء المباشر من الكافر الذي يبيع أو يصنع أو ينتج السلعة ، وهذا آكد ما يشمله حديثنا .

٢ – الشراء من خلال وسيط (سمسار) ؛ حيث يكون لديه علم بعدد من المصانع والشركات المنتجة ، فيقوم بالتنسيق والتقريب بين المشتري وبين المنتج أو المصنع ، ويتولى كتابة وثيقة البيع بين الطرفين ، وكل ذلك مقابل نسبة يستلمها الوسيط من الشركة أو المصنع المصدّر [٢٥] .

وهنا تكون الأموال مدفوعة للبائع الأصلي فهو كالشراء المباشر في الاستفادة من الشراء والتضرر بالمقاطعة .

٣ – الشراء من (وكيل بالعمولة) إذ يستورد البضائع باسمه ولحسابه هو ، وتجري معاملاته باسمه أو بعنوان شركة ما ، ثم ينقل الحقوق والالتزامات إلى موكله تنفيذاً لعقد الوكالة المبرم بينهما مقابل أجرة تسمى : (عمولة) [٢٦] .

والفرق بينه وبين الذي قبله أن هذا يستورد البضائع ويبقيها لديه معروضة ليبيعها باسمه هو ، ويتم التعاقد معه أو مع شركته ، ثم بعد ذلك يسلم للمنتج أو المصنع قيمة المبيع ويطالبه بالالتزامات . أما الأول فإنه وسيط فقط يربط بين الطرفين ، ثم تنتهي مهمته . وفي هذه الحالة تكون الأموال أيضاً مدفوعة للبائع الأصلي ؛ فهو كالشراء المباشر في الاستفادة من الشراء والتضرر بالمقاطعة ، إلا أن المقاطعة تضر بهذا الوكيل أيضاً لتحمله تخزين وعرض البضائع .

٤ – شراء بضائع أصلها من صنع الكفار ، وجرى تصنيعها داخل بلاد المسلمين على يد شركة مسلمة تأخذ امتياز تصنيعها من الشركة الأصلية مقابل مبلغ مالي يدفعه صاحب امتياز التصنيع للشركة الأصلية بشكل دوريّ . وهنا يستفيد أولاً من البيع : الشركة المسلمة وتتضرر هي أولاً من المقاطعة . أما الكافر فيكون ضرره غير مباشر من خلال ما قد يعرض لصاحب امتياز التصنيع من الاستغناء عن حق الامتياز المذكور فيتوقف عن مواصلة دفع ما يقابله .

٥ – الشراء من مسلم اشترى بضائع صنعها الكفار أو أنتجوها ؛ فهنا المتضرر من المقاطعة أولاً المسلم الذي اشترى البضاعة . مع أن المقاطعة تضر الكافر إذا امتنع التاجر المسلم من شراء منتجاته مرة أخرى لعدم رواجها .

الثالثة : أنواع بضائع الكفار .

البضائع عموماً سواء باعها كفار أو مسلمون ، إما أن تكون ضرورية أو حاجيّة أو تحسينية [٢٧] .

ولا شك أن بينها فرقاً كبيراً ؛ فالشرع جاء بالتفريق بين الضروري وغيره ، وأباح المحرم عند الاضطرار قال تعالى : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) (الأنعام : ١١٩) .
وقعّد أهل العلم قاعدة : « لا محرم مع اضطرار » [٢٨] . مستندين لنصوص متوافرة من أدلة الشرع تقررها . ومعلوم أن الحاجة تنزل منزلة الضرورة إذا كانت عامّة [٢٩] .
وعليه فإننا لا بد أن نفرّق بين بضاعة ضروريّة لا غنى عنها كالدقيق مثلاً ، أو حاجيّة عامة كبعض المراكب وبين التحسينيات من أنواع الألبسة والكماليات ونحوها .
ومن شواهد ذلك في موضوعنا ما جاء عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنّه كان يأخذ من النبط من القِطْنيّة (وهي الحبوب التي تطبخ) العُشْر ، ومن الحنطة والزيت نصف العشر ؛ ليكثر الحَمْل إلى المدينة [٣٠] . فقد خفف عمر رضي الله عنه ما يأخذه منهم للمصلحة في ذلك ؛ فإن في الحنطة معاش الناس .
ومن هذا نقول : إنّه يخفف في أمور الضرورات والحاجيات العامة ويراعى فيها ما لا يراعى في غيرها.
قال الشاطبي : « الأمور الضرورية إذا اكتنفها من خارج أمور لا تُرضى شرعاً فإن الإقدام على جلب المصالح صحيح على شرط التحفظ بحسب الاستطاعة من غير حرج » [٣١] .
الرابعة : سد الذرائع .
سد الذرائع من الأدلة المستعملة عند أهل العلم . والمراد بها منع الجائز لئلا يتوصّل به إلى الممنوع [٣٢] .
ونتيجة إعمالها : تحريم أمرٍ مباح لما يفضي إليه من مفسدة .
وأداء الوسيلة إلى المفسدة : إما أن يكون قطعياً أو ظنّيًا أو نادراً .
فإن كان قطعياً : فقد اتفق العلماء على سدّه والمنع منه سواء سُمّي سَدَّ ذريعة أو لا [٣٣] .
وإن كان نادراً فقد اتفق العلماء أيضاً على عدم المنع منه ، وأنّه على أصل المشروعيّة .
وأما إن كان ظنياً فقد اختلف أهل العلم فيه هل يمنع أو لا ؟ [٣٤] .
وقد أطال العلامة ابن القيم في الاستدلال على صحة قاعدة سد الذرائع ، واستشهد عليها بتسعة وتسعين دليلاً [٣٥] .
ولعل الصحيح في هذا القسم الأخير أنه يُنظر فيه إلى المصلحة والمفسدة .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضي إلى المحرم غالباً فإن الشرع يحرمها مطلقاً . وكذلك إذا كانت تفضي وقد لا تُفضي ، لكن الطبع متقاضٍ لإفضائها . وأما إن كانت إنما تفضي أحياناً ؛ فإن لم يكم فيها مصلحة راجحة على هذا الإفضاء القليل وإلا حرمها أيضاً » [٣٦] . وسيأتي لهذا مزيد بيان .
والمقصود أن الشرع راعى الوسائل والطرق التي يسلك منها إلى الشيء وتتوقف الأحكام عليها ؛ فطرق الحرام والمكروهات تابعة لها .
وإذا نهى الشرع عن شيء فنهيه يستلزم النهي عن كل ما يفضي إليه ويوصل إليه [٣٧] .

ولذا فقد نبه أهل العلم على أنه يجب على المفتي والمجتهد أن لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل من مصلحة أو مفسدة تنشأ عنه . فلا يأذن بفعل ولو كان فيه جلب مصلحة إلا أن ينظر في مآله لئلا يكون استجلاب المصلحة فيه مؤدياً إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها [٣٨] .

قال ابن كثير : « الشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة إليه مثله ؛ لأن ما أفضى إلى الحرام حرام ، كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » [٣٩] .

الخامسة : قاعدة المصالح والمفاسد .

لا شك « أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وأنها ترجح خير الخيرين وتحصّل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما » [٤٠] .

ونظرنا في المصالح والمفاسد ينحصر في ملحظين :

الأول : أن الفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ، فإنه يُنْهى عنه ؛ وذلك لأن الشريعة مبنيّة على الاحتياط والأخذ بالحزم ، والتحرز مما عسى أن يكون طريقاً إلى مفسدة ؛ ولهذا سدّت ذرائع مفضية إلى الإضرار والفساد في شواهد كثيرة من الكتاب والسنة [٤١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة يُنْهى عنه كما نُهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك ، وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة لإمكان التطوّع في غير ذلك من الأوقات .

ولهذا تنازع العلماء في ذوات الأسباب ؛ فسوّغها كثير منهم في هذه الأوقات ، وهو أظهر قولي العلماء ؛ لأن النهي إذا كان لسدّ الذريعة أبيح للمصلحة الراجحة وفعل ذوات الأسباب يحتاج إليه في هذه الأوقات ويفوت إذا لم يفعل فيها ، فتفوت مصلحتها ، فأبيحت لما فيها من المصلحة الراجحة بخلاف ما لا سبب له ؛ فإنّه يمكن فعله في غير هذا الوقت ، فلا تفوت بالنهي عنه مصلحة راجحة ، وفيه مفسدة توجب النهي عنه » [٤٢] .

وفي المقابل فقد تكون وسيلة المحرم غير محرمة إذا أفضت إلى مصلحة راجحة كالتوسل إلى فداء الأسارى بدفع المال للكفار الذي هو محرم عليهم الانتفاع به ، وكدفع مال لرجل يأكله حراماً حتى لا يقع القتل بينه وبين صاحب المال . فهذه صور جائزة لرجحان ما يحصل من المصلحة على هذه المفسدة [٤٣] .

الثاني : أن المصالح والمفاسد يكفي فيها الظن الغالب ؛ وذلك أن المصالح والمفاسد لا يعرف مقدارها إلا بالتقريب ؛ أما تحديدها بدقة فغير ممكن غالباً .

قال العز بن عبد السلام : « أكثر المصالح والمفاسد لا وقوف على مقاديرها وتحديدها ، وإنما تُعرف تقريباً لعزّة الوقوف على تحديدها » [٤٤] . ولذا يقوم الظن الغالب فيها مقام العلم .

قال الشاطبي : « وإذا كان الضرر والمفسدة تلحق ظنًّا ، فهل يجري الظن مجرى العلــم .. أم لا .. ؟ اعتبار الظن هو الأرجح لأمور : أحدها : أن الظن في أبواب العمليات جار مجرى العلم ؛ فالظــاهر جريانه هنا . والثاني : أن المنصوص عليه من سد الذرائع داخل في هذا القسم كقوله تعــالى : (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام : ١٠٨) . فــإنهم قــالوا : لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك .. والثالث : أنه داخل في التعاون على الإثم والعدوان المنــهي عنه » [٤٥] .

السادسة : الإضرار الاقتصادي طريق من طرق الجهاد المشروع .

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم التضييق والضغط الاقتصادي بتلك السرايا والبعــوث الــتي سيّرها لمهاجمة قوافل قريش التجارية ؛ فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص فقال : « اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرّار ؛ فإن عيراً لقريش ستمر بك » [٤٦] .

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش في غزوة بواط [٤٧] . كما خرج لغزوة العشيرة لاعتراض قافلة لقريش في طريقها إلى الشام ، ولما عادت خــرج يريــدها [٤٨] . وغزوة بدر إنما كان سببها طلبه عير أبي سفيان [٤٩] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقــبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم ؛ فاخرجوا إليهــا لعــل الله ينفلكموها » فانتدب الناس [٥٠] . إلى غير ذلك من شواهد كثيرة ، وكما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب فقد استعمله أبو بصير لما خرج إلى سيف البحر ولحق به أبو جندل بعــد صلح الحديبية ، واجتمع إليهما عصابة ممن أسلم من قريش لا يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم [٥١] . بل وأبلغ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن تضيق عليهم معيشتهم .

عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قريشاً كــذبوه واستعصوا عليه ، فقال : « اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف » فأصابتهم سنة حصّت كل شيء حتى كانوا يأكلون الميتة ، وكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجَهْــد والجوع ، فأتاه أبو سفيان فقال : أيْ محمد ! إن قومك هلكوا ؛ فادع الله أن يكشف عنهم [٥٢] .

السابعة : ارتباط المقاطعة بإذن ولي الأمر .

لا شك أن من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة وجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في المعروف .

وأعمال الرعيّة منها ما يشترط لفعله إذن الإمام ، ومنها ما لا يشترط له إذنه .

والمقاطعة بشكلها المعاصر مما لا يظهر لي ارتباطه بإذن ولي الأمر ؛ بدليل حديث ثمامة الآتي نصّــه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قِبَلَ نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أُثال سيّد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المســجد ،

فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي خير : إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فأعاد عليه مقالته ؛ حتى كان من الغد أعاد عليه مقالته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطلقوا ثمامة .

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . يا محمد ! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك ؛ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ ، والله ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ؛ فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ فقال : لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » [٥٣].

زاد ابن هشام : « فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يُخَلّي إليهم حمل الطعام ففعل » . [٥٤]

والشاهد من الحديث أن ثمامة منع الحمل إلى مكة وهو نوع من المقاطعة الاقتصادية لهم مع أنه لم يتقدمه إذن نبوي بذلك ، وإنما قاله حميّة لله ورسوله لما قالوا له : صبوت ، كما هو ظاهر الحديث .

* ثالثاً : حكم المقاطعة الاقتصادية :

لا شك أن التعامل التجاري والاقتصادي الحاصل في هذا الزمن يباين التعاملات التجارية في الأزمان السابقة ؛ فهو الآن أوسع وأشمل وأيسر ، ولا شك أن ارتباط الاقتصاد بالسياسة وتأثيره على التوجهات السياسية والنزاعات الحزبيّة صار أكبر وأقوى .

ولذا فإن بحث هذه المسألة بالتوسع في النظر فيها هو من خصائص هذا العصر .

والذي يظهر أن حكم المقاطعة يختلف باختلاف الأحوال ، وإليك التفصيل :

الأول : إذا أمر بها الإمام :

إذا أمر الإمام بمقاطعة سلعة معينة أو بضائع دولة من دول الكفر فإنه يجب على رعيته امتثال أمره ؛ قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) (النساء : ٥٩) .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا إن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة » [٥٥] .

وليس للإمام أن يأمر بذلك إلا أن يرى في ذلك مصلحة عامّة لا تقابلها مفسدة أو ضرر أرجح منه ؛ وذلك أن الأصل في تصرّفات الولاة النافذة على الرعية الملزمة لها في حقوقها العامة والخاصَّة أن تبنى على مصلحة الجماعة ، وأن تهدف إلى خيرها . وتصرّف الولاة على خلاف هذه المصلحة غير جائز . [٥٦]

ولذا قعَّد أهل العلم قاعدة : تصرّف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة [٥٧] .
ولعلَّ في قصة كعب بن مالك – رضي الله عنه – إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامه وصاحبيه [٥٨] شاهداً لأمر الإمام بالمقاطعة .
الثاني : إذا لم يأمر بها الإمام :
إذا لم يأمر الإمام بالمقاطعة فلا يخلو الحال من أمرين :
١ – أن يعلم المسلم أنَّ قيمة ما يشتريه يعين الكفار على قتل المسلمين أو إقامة الكفر . فهنا يحرم عليه أن يشتري منهم ؛ وذلك لأن الشراء منهم والحال ما ذكر مشمول بالنهي عن التعاون على الإثم والعدوان ، ومشمول بقاعدة سد الذرائع المفضية إلى الحرام . وإذا علم المسلم أن أهل العلم حرَّموا بيع العنب لمن يتخذه خمراً ، وبيع السلاح لأهل الحرب أو وقت الفتنة خشية استعماله لقتل المسلمين ، وحَرَّموا إقراض من يغلب على الظن أنه يصرف ماله في محرم [٥٩] ؛ فكيف إذا كان عين الثمن الذي يشتري به يُقتل به مسلم أو يعان به على كفر ؟!
سئل ابن القاسم عن النصراني يوصي بشيء يباع من ملكه للكنيسة هل يجوز لمسلم شراؤه فقال : لا يحل ذلك له لأنه تعظيم لشعائرهم وشرائعهم . وسئل في أرض لكنيسة يبيع الأسقف منها شيئاً في إصلاحها ؟ فقال : لا يجوز للمسلمين أن يشتروها من وجه العون على تعظيم الكنيسة [٦٠] .
وسئل الإمام أحمد عن نصارى وقفوا ضيعة للبيعة أيستأجرها الرجل المسلم منهم ؟ قال : لا يأخذها بشيء لا يعينهم على ما هم فيه [٦١] .
وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن [٦٢] : « الكافر الحربي لا يُمَكَّن مما يعينه على حرب أهل الإسلام ولو بالميرة والمال ، ونحوه ، والدواب والرواحل ، حتى قال بعضهم بتحريق ما لا يتمكن المسلمون من نقله في دار الحرب من أثاثهم وأمتعتهم ، ومنعهم من الانتفاع به » [٦٣] .
وعلى كلٍ فالنهي عن التعاون عن الإثم والعدوان يشمل هذه الصورة وغيرها وهي آية محكمة .
هذا حكم ما لو علم ذلك يقيناً سواء باطلاع مباشر ، أو خبر موثوق به ، أو غير ذلك . وغلبة الظن تجري مجرى العلم كما سبق .
٢ – أن لا يتيقن أن عين ما يشتري به منهم يستعان به على حرام من قتال المسلمين أو إقامة الكفر ؛ فهذا باق على الأصل العام وهو جواز البيع والشراء وسائر المعاملات .
فإن الأصل في البيوع الإباحة سواء منها ما كان مع المسلمين أو الكفار . كما سبق . وحيث لم يوجد ناقل عن هذا الأصل فلا يتغير الحكم ولكن يرتبط به الحالة الآتية :
٣ – أن لا يتيقن أن عين ما يشتري به منهم يستعان به على حرام ؛ لكن في مقاطعتهم مصلحة ، ولعل هذه الحالة هي أكثر ما يكون الحديث عنه .
ولبيان حكم هذه الحالة فإني أحتاج لتقسيمها إلى قسمين :
أ – أن يتم الشراء من الكافر مباشرة أو من خلال سمسار أو وكيل بعمولة .

وإذا أردت الوصول للحكم الشرعي في هذا القسم فإني بحاجة لتقرير مسلَّمات شرعيّة توصلنا للنتيجة : فالأصل جواز التعامل مع الكفار ولو كانوا من أهل الحرب ، وأن وسائل الحرام حرام . ولا يحكم على فعلٍ حتى يُنْظر في مآله وعاقبته .

ولا يباح مما يفضي إلى مفسدة إلا ما كانت مصلحته أرجح . ولا يحرم مما يفضي إلى مصلحة إلا ما كانت مفسدته أرجح . ولا مانع من استعمال الإضرار المالي جهاداً لأعداء الله ولو لم يأذن به الإمام .

وعليه فإن كان في المقاطعة والحال ما ذكر مصلحة فإنه يُنْدب إليها على أنه يراعى مدى الحاجة للبضائع كما سبق .

ب – أن يتم الشراء من مسلم اشترى البضاعة أو صاحب امتياز . ولبيان الحكم فإني مع تذكيري بما سبق من مسلَّمات فإني أذكر بأن المنتج الكافر يأخذ مقابل منحه امتياز التصنيع ، وهو يأخذه سواء قلَّ البيع أو كثر ، فالمقاطعة إضرار به وبعمالته وبالمساهمين معه في رأس ماله ، وكذا الحال بالنسبة لمن اشترى بضاعة من الكافر وصارت من ماله فالمقاطعة إضرار به .

ولذا فإن القول بندب المقاطعة فيه ثِقَل لوجود المفسدة والضرر الكبيرين ، ولا يقال فيها إن المفسدة خاصة والمصلحة عامة ؛ وذلك لأن المسلم سيكون هو المتضرر ، ولأنَّ نفع المقاطعة مظنون وتضرر الشركة مقطوع به ، والمقطوع يقدم على المظنون .

وعلى كلٍّ فاعتراض المفسدة قد يمنع القول بندب المقاطعة في هذا القسم ، والله تعالى أعلم .

وأنبّه هنا إلى أن من قاطع البضائع والسلع المنتجة من دول الكفار بنيّة حسنة كتقديم البديل الإسلامي أو زيادة في بغض الكفار فإنه إن شاء الله ممدوح على فعله مثاب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « المباح بالنيّة الحسنة يكون خيراً ، وبالنيّة السّيئة يكون شراً ، ولا يكون فعل اختياري إلا بإرادة .. فإذا فعل شيئاً من المباحات فلا بد له من غاية ينتهي إليها قصده ، وكل مقصود إما أن يقصد لنفسه وإما أن يقصد لغيره فإن كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شريك له وهو إلهه الذي يعبده لا يعبد شيئاً سواه وهو أحب إليه من كل ما سواه ؛ فإن إرادته تنتهي إلى إرادته وجه الله ، فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة [٦٤] » [٦٥] .

وبعد ! فإن جميع ما سبق إنما هو نظر فقهي مجرد يحتاج تنزيله على وقائعه إلى نظرين : فقهي يحقق المناط ، وواقعي يعرف الحال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين ؛ فلا يؤخذ رأيهم ، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا » [٦٦] .

اللهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شر أنفسنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

==

(*) القاضي بالمحكمة الكبرى بجدة .

(١) تضمين من (الثقة بالله أولاً) ، للدكتور عبد السلام الهراس ، ص ٣ .

(٢) تذكير النفس بحديث القدس (٣ /٥١٤) .

(٣) انظر : مجلة القدس ، العدد ، ٢٤ ، ص ١٨ .

(٤) مجموع الفتاوى ، (٢٩٥/١٨) .

(٥) لسان العرب ، (٨ /٢٧٦) ؛ القاموس المحيط ، ص ٩٧١ .

(٦) لسان العرب ، (٢٨٠/٨) .

(٧) لسان العرب ، (١٥/٨) ؛ القاموس المحيط ، ٩٤٢ .

(٨) لسان العرب ، (١٦٠/٨) : القاموس الفقهي ، ١٨٠ .

(٩) المنجد الأبجدي ، ٩٨٧ .

(١٠) المعجم الوسيط (٧٤٦/٢) ورمز لها بمحدثة ، والمراد أنها لفظ استعمله المحدثون في العصر الحديث ، وشاع في لغة الحياة العامة .

(١١) أهل الذمة : هم الكفار الذين يقيمون في دار الإسلام إقامة دائمة بأمانٍ مؤبّد ، والعهد هو عقد بين المسلمين وأهل الحرب على ترك القتال مدة معلومة ، والمعاهدون هم أهل البلد المتعاقد معهم ، وأهل الحرب هم أهل البلاد التي غلب عليها أحكام الكفر ولم يجر بينهم وبين المسلمين عهد ، وأما المستأمِن فهو الحربي الذي يدخل دار الإسلام بأمانٍ مؤقت لأمرٍ يقتضيه ، انظر : الدر النقي ، لابن عبد الهادي (٢٩٠/١) ؛ المبدع (٣١٣/٣ ، ٣٩٨) ؛ كشاف القناع (١٠٠/٣) .

(١٢) انظر : الولاء والبراء في الإسلام ، محمد سعيد القحطاني ، ٣٥٦ .

(١٣) صحيح البخاري ، ٢٢١٦ .

(١٤) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به في باب شراء المملوك من الحربي في كتاب البيوع ، وقد وصله أحمد في مسنده (٤٤٣/٥) ؛ وانظر : فتح الباري (٤٨٠/٤) ؛ ومجمع الزوائد (٩ / ٣٣٥) .

(١٥) أحمد في مسنده (٥ / ١٣٧) ؛ الدارمي (٢٥٨٢) ؛ الترمذي (١٢١٤) ؛ النسائي (٤٦٥١) ؛ ابن ماجه (٢٤٣٩) بإسناد على شرط البخاري ، إرواء الغليل (٢٣١/٥) .

(١٦) صحيح البخاري (٢٠٦٨) ؛ صحيح مسلم (١٦٠٣) .

(١٧) اقتضاء الصراط المستقيم (١٥/٢) .

(١٨) سنن البيهقي كتاب الجزية ، باب ما يؤخذ من الذمي ومن الحربي إذا دخل بلاد الإسلام بأمان ، برقم ١٩٢٨٣ .

(١٩) فتح الباري (٢٨٠/٩) .

(٢٠) فتح الباري (٤١٠/٤) .

(٢١) أحمد (٧١/٢) ؛ البيهقي (٢٨٧/٨) ؛ الحاكم (١٤٤/٤) ، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ، ١٥٢٩ .

(٢٢) مجموع الفتاوى (٢٧٥/٢٩) .

(٢٣) اسمٌ للخيل .

(٢٤) المبسوط (٨٨/١٠ ، ٨٩) وانظر المقدمات لابن رشد (١٥٤/٢) ، نهاية المحتاج (٣٩٠/٣) ، والمحلى لابن حزم (٦٥/٩) ؛ فتح القدير ، لابن كمال الهمام (٤٦١/٥) .

(٢٥) انظر : الوساطة التجارية في المعاملات المالية ، الدكتور الأطرم ، ٤٨٤ .

(٢٦) انظر : النظام التجاري بالمملكة السعودية ، المادة ١٨ ؛ معجم المصطلحات القانونية ، لخليل شيبوب ، مادة : كمسيون ، وكالة .

(٢٧) الضروري هو ما يسبب فواته اختلال نظام الحياة ، والحاجي هو ما يسبب فواته الضيق والحرج على الناس ، وأما التحسيني فهو ما يسبب فواته خروج حياة الناس عن العادات الكريمة ، الموافقات ، للشاطبي (٨/٢ ، ١١) .

(٢٨) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ٩٣ ، وابن نجيم ٨٥ .

(٢٩) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ٩٧ ، وابن نجيم ٩١ .

(٣٠) موطأ الإمام مالك ، كتاب الزكاة برقم ٦٢١ ؛ السنن الكبرى ، للبيهقي ، كتاب الجزية ، باب ما يؤخذ من الذمي إذا تجر في غير بلده ، برقم ١٩٢٧٩ ؛ مصنف عبد الرزاق ، كتاب أهل الكتاب ، باب : في صدقة أهل الكتاب (٩٩/٦) ، وانظر في هذه المسألة : المغني (٢٣٥/١٣) والقِطْنِيّة بكسر القاف والتشديد واحدة القطاني كالعدس والحمص ونحوهما ، انظر : النهاية في غريب الحديث (٨٥/٤) .

(٣١) الموافقات (٢١٠/٤) .

(٣٢) الموافقات ، للشاطبي ، (٢٥٧/٣) .

(٣٣) الموافقات (٢٠٠/٤) ، وانظر تفصيل ذلك في قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية ، لمصطفى مخدوم ، ٣٧٠ فما بعدها .

(٣٤) إحكام الفصول ، للباجي ، ٦٩٠ ؛ شرح الكوكب المنير ، للفتوحي (٤٣٤/٤) .

(٣٥) إعلام الموقعين (١٣٧/٣ – ١٥٩) .

(٣٦) الفتاوى الكبرى ، (٢٥٧/٣) .

(٣٧) إعلام الموقعين ، (١٣٥/٣) ؛ القواعد والأصول الجامعة ، لابن سعدي ، ص ١٤ .

(٣٨) انظر : الموافقات (١٩٤/٤) .

(٣٩) تفسير القرآن العظيم (٣٥١/٣) .

(٤٠) تضمين من مجموع الفتاوى (٤٨/٢٠) .

(٤١) الموافقات (٢/٣٦٤) ، ومن الأمثلة التي ذكرها : النهي عن البناء على القبور ، وسفر المرأة بلا محرم ، والخلوة بالأجنبية ، وتحريم الزينة على المرأة في عدة الوفاة ، وميراث القاتل ، وغير ذلك .

(٤٢) مجموع الفتاوى (١/١٦٤) .

(٤٣) الفروق ، للقرافي ، (٢/٦٢) ، الفرق الثامن والخمسون .

(٤٤) القواعد الصغرى ، ص ١٠٠ .

(٤٥) الموافقات ، (٢/ ٣٦٠) .

(٤٦) مغازي الواقدي ، (١/١١) ؛ السيرة لابن هشام (٢/٢٨٧) ؛ طبقات ابن سعد (٢/٧) .

(٤٧) السيرة لابن هشام ، (٢/٢٨٤) ؛ طبقات ابن سعد (٢/٩٠٨) .

(٤٨) السيرة لابن هشام ، (٢/٢٨٤) ؛ طبقات ابن سعد (٢/٩) .

(٤٩) صحيح مسلم ١٩٠١ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥٠) السيرة لابن هشام ، (٢/٢٨٤) وصرح فيه ابن إسحاق بالسماع ؛ والبيهقـي في الـدلائل (٣/٣١) ؛ وذكره الحافظ في فتح الباري (٦/٣٣٤) وسكت عنه .

(٥١) صحيح البخاري ، ٧٢٣١ .

(٥٢) صحيح البخاري ٤٨٢٣ ؛ صحيح مسلم ٢٧٩٨ .

(٥٣) صحيح البخاري ، ٤٣٧٢ ؛ صحيح مسلم ، ١٧٦٤ .

(٥٤) السيرة النبوية ، لابن هشام (٢/٣٨١) معلقاً ، وذكره ابن القيم في زاد المعاد (٣/٢٧٧) .

(٥٥) صحيح البخاري ، ٧١٤٢ .

(٥٦) المدخل الفقهي العام ، للزرقا (٢/١٠٥٠) .

(٥٧) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ١٣٤ ؛ وابن نجيم ، ١٢٤ .

(٥٨) صحيح البخاري ، ٤٤١٨ ؛ صحيح مسلم ، ٢٧٦٩ .

(٥٩) نهاية التدريب نظم غاية التقريب ، ١٠٤ .

(٦٠) بواسطة اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩) .

(٦١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٠) .

(٦٢) هو عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً ، ولـد عام ١٢٢٥هـ سكن مصر وأخذ عن علمائها وعلماء الدعوة السلفية ، له عدة مؤلفات ، ممن تلقى عنه الشيخ حمد بن عتيق ، والشيخ سليمان بن سحمان ، توفي سنة ١٢٩٢هـ .

(٦٣) الدرر السنيّة (٨/٣٤٠) .

(٦٤) صحيح البخاري ٥٣٥١ ؛ صحيح مسلم ١٠٠٢ .

(٦٥) مجموع الفتاوى (٧/٤٣) .

(٦٦) الاختيارات الفقهية ٣١١ .

======================

الغرب والإسلام

(١)

أحقاد وافتراءات.. لها تاريخ

د.محمد عمارة

مشكلتنا، في مواجهة الهجوم على الإسلام، والإساءة إلى رسولنا {، وخاصة تلك التي تتكرر من دوائر سياسية ودينية وإعلامية في الغرب.. أننا نتعامل مع هذه الهجمات والإساءات تعاملاً غير صحي، يتسم في أغلب الأحيان، بالتجزيئية والموسمية والانفعالات، التي سرعان ما تتبخر، مع بقاء المواقف المعادية على حالها.. بل ربما هي في تصاعد وازدياد..

وحلاً لهذه المشكلة، فإن العقل المسلم، ومؤسسات العلم والإعلام الإسلامية، عليها أن تعي عدداً من الحقائق، التي تمثل ثوابت حاكمة أو يجب أن تكون حاكمة لمواقفنا إزاء هذه الهجمات.

وأولى هذه الحقائق: هي إدراك الجذور العميقة للعداء للإسلام عند الآخرين.. فمنذ ظهور الإسلام بدأ العداء له، والتهجم عليه، والافتراء على رسوله {. ولقد سجل القرآن الكريم، وسجلت السيرة النبوية، هذه الحقيقة، باعتبارها سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل: ولا يزالون يقاتلونكم حتى" يردوكم عن دينكم إن استطاعوا (البقرة:٢١٧)، ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى" يأتي الله بأمره إن الله على" كل شيء قدير ١٠٩ (البقرة)، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) (الصف)، إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى" جهنم يحشرون ٣٦ (الأنفال)... ولقد اعترف كثير من الغربيين بقدم العداء الغربي للإسلام، حتى قال القائد والكاتب الإنجليزي "جلوب باشا" (١٨٩٧ ١٩٨٦م): "إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط أي مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامي إنما يعود إلى القرن السابع الميلادي"! أي إلى ظهور الإسلام!!

فنحن إذن أمام موقف ثابت وقديم.. ولسنا أمام مقال هنا ورسم "كاريكاتوري" هناك.. ومن ثمَّ فنحن في حاجة إلى استراتيجية ثابتة ودائمة لمواجهة هذا العداء وهذه الهجمات.

والحقيقة الثانية: هي أن هذا الغرب الذي تأتي منه أغلب هذه الهجمات ليس كتلة واحدة ولا موقفاً واحداً إزاء الإسلام.. صحيح أن الأكاذيب والافتراءات تملأ الكتب المدرسية الغربية حتى لقد رُصدت هذه الأكاذيب في مشروع بحثي أنجز في ألمانيا، فبلغت ثمانية مجلدات!!.. وصحيح أن هذه الأكاذيب تنتشر في الثقافة الشعبية الغربية التي تصور المسلمين عبدة للثالوث!!.. وتصور رسول الإسلام { كاردينالاً كاثوليكياً رشح نفسه في انتخابات البابوية، فلما رسب أحدث انشقاقاً هو الأكبر والأخطر في تاريخ النصرانية!!.. إلى آخر مخزون ثقافة الكراهية السوداء في المجتمعات الغربية إن كان له آخر!

... لكن.. ومع هذا.. فإن هناك عدداً كبيراً من علماء الغرب ومفكريه قد قادهم عقولهم إلى احترام الإسلام والثناء على حضارته، والإنصاف لتاريخ الأمة الإسلامية.

ولذلك، فعلينا أن نواجه الافتراءات الغربية بمشروع فكري نقدم فيه للغرب وعلى نطاق واسع... شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين الغربيين، المنصفة للإسلام، وذلك من باب "وشهد شاهد من أهلها".. فالأمر المؤكد أن هذه الشهادات ستكون أجدى وأفعل في كشف الزيف الذي تمثله حملات العداء والتشويه للإسلام..

والحقيقة الثالثة: هي أن أفكار الجمود والتقليد والغضب والعنف، التي لا تخلو منها مجتمعاتنا الإسلامية، يسلط أعداؤنا عليها كل الأضواء، بل ويبالغون في تصويرها حتى تغطي على تيار الوسطية والاستنارة والاعتدال في الفكر الإسلامي وهو التيار الأوسع والأعرض والأعمق وذلك لتشويه كامل الصورة الإسلامية، ولإخافة الشعوب الغربية من الإسلام، فتنخرط وراء حكوماتها الاستعمارية في الحرب على عالم الإسلام.. وفي مواجهة ذلك علينا أن نقدم للإنسان الغربي مشروعاً للتعريف بالإسلام نترجم فيه الفكر الوسطي الإسلامي، وأن تقدم هذا المشروع المؤسسات الإسلامية المعروفة بالوسطية والتاريخ العريق مثل الأزهر الشريف وذلك لنقول لهؤلاء الآخرين: هذا هو الإسلام، لمن أراد أن يعرف حقيقة الإسلام.

هناك علاقة جدلية بين "الدفاع" و"الهجوم"، وإذا كان "الدفاع" غير "الاعتذار".. فإن علينا ونحن ندافع عن الإسلام إزاء التهجمات التي توجه إليه، والإساءات التي توجه إلى رسولنا {، وخاصة من دوائر الهيمنة السياسية والإعلامية الغربية.. علينا ونحن نعرف الآخرين بحقائق سماحة الإسلام وعدالته أن نتخذ موقف الهجوم على الفكر العنصري والدموي الذي تزخر به المواريث الدينية والحضارية لدى هؤلاء الغربيين الذين يهاجمون الإسلام والذين يبصرون "القشة" في عيون غيرهم، ويتعامون عن "الأخشاب والأشواك" التي تمتلئ بها عيونهم!.. وعلى الذين ينتقدون "الخطاب الديني الإسلامي" أن ينظروا أولاً إلى خطاباتهم الدينية والثقافية، الطافحة بالعنصرية والدموية والاستعلاء والتمركز حول الذات وإنكار الاعتراف بالآخرين...

كذلك، يجب علينا ونحن ندافع عن الإسلام، ونرد سهام خصومه، أن نستخدم سلاح الوعي بحقائق التاريخ.. والوعي بحقائق الواقع الذي نعيش فيه.. فنذّكر الذين يتهمون المسلمين بالعدوانية والإرهاب: أن الشرق قد تعرض لعدوان الغرب واستعماره وقهره ونهبه منذ ما قبل الإسلام.. وبعد ظهور الإسلام.. فالقضية أقدم حتى من الإسلام!..

فالإغريق والرومان والبيزنطيون قد احتلوا الشرق وقهروه حضارياً ودينياً وثقافياً ولغوياً عشرة قرون من "الإسكندر الأكبر" (٣٥٦ ٣٢٤ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد وحتى "هرقل" (٦١٠ ٦٤١م) في القرن السابع للميلاد...

لما حررت الفتوحات الإسلامية أوطان الشرق وضمائر شعوبه من هذا القهر الاستعماري... عـــاد الغرب ليختطف الشرق من التحرير الإسلامي، فشن عليه حملاته الصليبية التي دامت قرنين من الزمان (١٠٩٦ ١٢٩١م)، ولم يتورع الغرب إبان هذه الحروب الصليبية التي رفع فيها أعلام النصرانية عن أن يتحالف مع التتر الوثنيين ضد الإسلام!

ولما حررت دول الفروسية الإسلامية الشرق من جيوش الصليبيين وأزالـــت قلاعهـــم وكيانـــاتهم الاستيطانية.. عاد هذا الغرب الاستعماري منذ إسقاط غرناطة (١٤٩٢م) إلى القيام بغزوته الحديثة، فالتف حول العالم الإسلامي، ثم أخذ بغزوة بونابرت سنة ١٧٩٨م في ضرب قلب العالم الإسلامي، ومازلنا نعالج آثار هذه الغزوة، التي مضى على بدايتها خمسة قرون.. والتي لم يتورع فيهـــا الغـــرب الاستعماري الحديث عن التحالف مع أعدائه التاريخيين اليهود الصهاينة ضد الإسلام والمسلمين كما سبق وصنع الغرب الصليبي بتحالفه مع الوثنية التترية في العصر الوسيط!

ثم... على الغرب الاستعماري أن ينظر قبل اتهامه الإسلام وأمته بالعدوانية والإرهاب!- أن ينظر إلى خريطة الواقع الذي نعيش فيه..

فشركات الغرب العابرة للقارات والجنسيات، تنهب ثروات العالم الإسلامي وموارده الخام بأرخص الأسعار، في الوقت الذي يصدرون فيه إلينا سلع الاستهلاك الترفي والتـــرف الاســـتهلاكي بـــأغلى الأسعار.. ويعملون على حرماننا من التنمية والتقنية وامتلاك أدوات القوة الصناعية!

والقواعد العسكرية الغربية تغطي أغلب بلاد العالم الإسلامي.. حتى لقد تحولت بلاد عربية وإسلامية إلى قواعد عسكرية!!.. ولا شيء غير القواعد!!.. وذلك لحراسة النهب الاقتصادي، والعدوان على سيادة الدول الإسلامية!

والأساطيل الحربية الغربية غدت تحتل بحارنا ومحيطاتنا.. بل وتحولت مناطق من عـــالم الإســـلام إلى مدافن للنفايات القاتلة.. بعد أن تحولت شعوبنا وزراعاتنا إلى حقول تجارب للفاسد والضـــار مـــن الأسمدة والمبيدات والأدوية!!

والغرب، الذي يحرم شعوب الإسلام دون غيرها من حق تقرير المصير.. هو الذي يعطي هذا الحـــق للأقليات التي هي جزء أصيل من الشعوب الإسلامية، حتى غدا هذا الحق لأول مرة في تاريخ الشرعية الدولية.. أداة تفتيت للدول ذات السيادة بدلاً من أن يكون أداة لتحرير الشعوب من الاستعمار، ما حدث ويحدث في "تيمور الشرقية" وفي جنوب السودان.

يحدث ذلك في واقعنا الإسلامي.. بينما لا تجد في الغرب جندياً مسلماً.. ولا شركة إســـلامية، ولا حتى سفينة إسلامية لصيد الأسماك!! ومع ذلك يتحدثون عن عدوانيتنا وإرهابنا.. غافلين ومتغـــافلين عن حقائق التاريخ، وحقائق الواقع الذي نعيش فيه.. فهل نعي نحن دور هذا الوعي بالتاريخ الواقع في هذا الصراع؟!

فصل جديد.. وليس الأخير!

في ٣٠ سبتمبر سنة ٢٠٠٥م نشرت إحدى الصحف الدانماركية "بولاندس بوسطن" رسوماً كاريكاتورية مسيئة إلى رسول الله {.. وكانت هذه الرسوم ثمرة "لمسابقة" أجرتها الصحيفة بين رسامي "الكاريكاتور" ليتخيلوا ويرسموا رسول الإسلام، في الصورة التي رسمتها في مخيلتهم ثقافتهم الغربية وتراثهم عن رسول الإسلام.. وكانت الحصيلة اثني عشر رسماً، منها ذلك الرسم الذي يصور رسول الإسلام { معتمراً عمامة في شكل قنبلة!!

نعم.. فرسول السلام العادل، والتوحيد الخالص، والرفق بالطبيعة والجمال، فضلاً عن الإنسان والحيوان والنبات، قد صورته الثقافة السائدة في التراث الغربي "إرهابياً"، نشر دينه بالسيف والدم.. وها هي تعاليمه الآن الإسلام قد غدت "الإرهاب" الذي يشيعه في العالم أتباعه "الإرهابيون"!!

وعندما استفزت هذه الرسوم سفراء الدول العربية والإسلامية في "كوبنهاجن" عاصمة الدانمارك ودعتهم السفيرة المصرية للاجتماع والاحتجاج.. وطلبوا مقابلة رئيس الوزراء الدانماركي، رفض مقابلتهم، قائلاً: إن ما نشرته الصحيفة لم يخرج عن حدود القانون.. وإن الحكومة الدانماركية لا تتدخل فيما هو من حرية التعبير!

ومع تسرب أنباء هذه الرسوم إلى أجهزة الإعلام في البلاد الإسلامية، غضبت الجماهير لرسولها الكريم، ولمقدسات دينها الحنيف، فعقدت المؤتمرات، وصدرت البيانات، واندلعت المظاهرات، وسقط الشهداء.. وبدأ جمهور الناس في مقاطعة البضائع الدانماركية.. وانخرطت قطاعات من النخبة في الكتابة والخطابة دفاعاً عن العقائد والمقدسات.

لكن رد الفعل الغربي في الإعلام وفي مؤسسات الاتحاد الأوروبي والحكومات الغربية، كان في مجمله سلبياً.. بل ومعادياً.. فصحف كثيرة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وإسبانيا واستراليا والنرويج وروسيا فضلاً عن إسرائيل قد أعادت نشر الرسوم المسيئة إلى رسول الإسلام.. ومفوضية الاتحاد الأوروبي تضامنت مع الدانمارك، بحجة أن حرية التعبير يجب ألا تتقيد بحرمات مقدسات الإسلام.. بل وهددت هذه المفوضية الدول الإسلامية التي تقاطع البضائع الدانماركية بتطبيق العقوبات عليها، لأن مقاطعة الدانمارك هي مقاطعة لكل دول الاتحاد الأوروبي الخمس والعشرين!!.. ووصل الأمر إلى حد أن أحد الوزراء في إيطاليا دعا إلى شن حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين.. وإلى طبع هذه الرسوم المسيئة إلى رسول الإسلام على القمصان ليرتديها ويتزين بها الأوروبيون!!

وهكذا انشغل العالم بوقائع أحدث فصول الإهانات الغربية لمقدسات الإسلام!

* * * *وفي الساحة الإسلامية.. ظن كثيرون أن هذا الحادث الغريب هو حادث مفاجئ.. وشاذ.. وليست له سابقة ولا نظير في التاريخ.. بينما ظن آخرون أن هذا الموقف الغربي، الذي يستبيح إهانة العقائد والمقدسات الدينية الإسلامية، بدعوى حرية التعبير التي يراها "قيمة مطلقة" تعلو على غيرها

من القيم حتى إنها غير قابلة للنقاش!... ظنوا أن ذلك الموقف الغربي هو موقف حديث، أثمرته العلمانية الغربية التي سادت في السياسة والدولة والمجتمعات الغربية منذ القرن الثامن عشر والتي نزعت القداسة عن كل مقدسات الأديان.. والتي تطورت في ما بعد الحداثة إلى نزع القداسة حتى عن منظومة القيم والأخلاق.

لكن الذي تريد أن تقدمه هذه الدراسة، من خلال "الوقائع.. والوثائق.. والشهادات الغربية ذاتها" هو البرهنة على أن عداء الغرب للإسلام، وتعمده إهانة مقدساته وفي المقدمة منها رسوله العظيم.. وقرآنه الكريم هو عداء وافتراء له تاريخ!.. وأن تاريخ الغرب في اقتراف هذه الجرائم سابق حتى على علمنة الفكر الغربي والمجتمعات الغربية.. بل إن هذا الموقف الغربي من الإسلام إنما يعود إلى ظهور الإسلام!!

لقد قالها الجنرال الإنجليزي "جلوب باشا" اللفتنانت جنرال جون باجوت (١٨٩٧ ١٩٨٦م) والذي سبق أن عمل قائداً للجيش الأردني حتى سنة ١٩٥٦م.. قالها في لحظة صدق فجاءت معبرة أصدق التعبير عن تاريخ الغرب في العداء للإسلام.. لقد قال: "إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط أي مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامي إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد"!! أي إلى ظهور الإسلام.

ليس غرباً واحداً

وقد حرصنا دائماً، وفي كل ما كتبناه عن مواقف الغرب من الإسلام وحضارته وأمته، على ضرورة التمييز في الغرب بين:

١ الإنسان الغربي: الذي لا مشكلة له مع الإسلام وأمته وحضارته.. والذي يتفهم ديننا وقضايانا عندما تعرض عليه بمنطق وموضوعية.. والذي لنا من بين علمائه ومفكريه العشرات، بل والمئات الذين تحدثوا عن الإسلام وحضارته بموضوعية وإنصاف حتى إننا نتعلم من كتاباتهم.. نحن المسلمين الكثير..

٢ والعلم الغربي: الذي هو مشترَك إنساني عام، استفادت فيه النهضة الأوروبية الحديثة من تراث الإسلام العلمي والحضاري، كما سبق واستفاد المسلمون فيه من تراث الحضارات القديمة الإغريقية.. والهندية.. والفارسية التي أحيا مواريثها الإسلام..

٣ ومؤسسات الهيمنة الغربية: تلك التي تتركز مشكلة الإسلام والمسلمين معها، لا لأنها غربية، وإنما لأنها "إمبريالية"، سبق لها أن استعمرت الشرق ونهبته اقتصادياً، وقهرته دينياً وسياسياً وثقافياً لمدة عشرة قرون من "الإسكندر الأكبر" (٣٥٦ ٣٢٣ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد وحتى "هرقل" (٦١٠ ٦٤١م) في القرن السابع للميلاد!

فلما ظهر الإسلام، وحررت فتوحاته أوطان الشرق من هذا الاستعمار والقهر الغربي الإغريقي.. الروماني.. البيزنطي عاد هذا الغرب تحت أعلام الصليب، و"بأيديولوجية" الحرب الدينية المقدسة ليحارب الشرق، ويشن عليه العديد من الحملات العسكرية، التي شاركت فيها دول الغرب وإماراته

وفرسان إقطاعه، بقيادة الكنيسة الكاثوليكية.. ولقد استمرت هذه الحملات الصليبية، والكيانـــات الاستيطانية والإحلالية التي أقامتها في قلب العالم الإسلامي قرنين من الزمـــان (٤٨٩ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ١٢٩١م).

وعندما نهضت دول الفروسية الإسلامية الدولة "الزنكية النورية" (٥٢١ ٦٤٨هـ ١١٢٧ ١٢٥٠م).. والدولة "الأيوبية" (٥٦٧ ٦٤٨هـ ١١٧١ ١٢٥٠م).. والدولة "المملوكيـــة" (٦٤٨ ٧٨٤هـ ١٢٥٠ ١٣٨٢م).. عندما نهضت دول الفروسية الإسلامية هذه فحررت عالم الإسلام من آثار هذه الحملات الصليبية الغربية.. بدأ الغرب دورة جديدة من دورات صراعه التاريخي ضد الإسلام والمسلمين، وذلك لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي.. فكانت الحروب التي أسقطت "غرناطة"، واقتلعـــت الإسلام من الأندلس (٨٩٧هـ ١٤٩٢م) لتبدأ غزوة الخمسمائة عام!.. الغزوة الغربية الحديثة للشرق الإسلامي، التي لا تزال وقائعها قائمة حتى هذه اللحظات!.

لقد بدأت هذه الغزوة الغربية الحديثة بالالتفاف حول العالم الإسلامي حول إفريقيا (٩٠٢هـ ١٤٩٧م) واحتلال الكثير من البلاد الإسلامية في شرقي آسيا الهند .. والفلبين.. وإندونيســـيا.. ثم اســـتدارت لضرب قلب العالم الإسلامي العالم العربي ابتداء من حملة "بونابرت" (١٧٦٩ ١٨٢١م) على مصـــر والشام (١٢١٣هـ ١٧٩٨م).

ولكي يدرك الذين لا يدركون وعي الغرب بهذا التاريخ.. بل واحتفاله بذكرياته.. يكفي أن نعلم أن الغرب قد احتفل بمرور خمسمائة عام على إسقاطه "غرناطة" واقتلاعه الإسلام من غـــربي أوروبـــا الأندلس احتفل بذلك سنة ١٩٩٢م، وذلك بإقامة "دورة أولمبية" في "برشلونة" سنة ١٩٩٢م أي في مكان الحدث!! وذهب العالم بمن فيه المسلمون! ليلعبوا على أنغام الذكريات الغربية بالانتصار علـــى الإسلام.. وببدء الغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام من ذات المكان أيضاً البرتغال ! وليشاهدوا مـــع الألعاب الأفلام والمسرحيات التي تتحدث عن هذه الأحداث، في مسلسل الصـــراع الغـــربي ضـــد الإسلام!.. بل وفي العام نفسه (١٩٩٢م) شن الغرب حربه بقيادة الصرب ضد البوسنة والهرســـك، لاقتلاع الإسلام من وسط أوروبا، في الذكرى الخمسمائة لاقتلاعه من غرب أوروبا.

إذن.. فمع هذه المؤسسات الاستعمارية الغربية، ومع هذا المشروع "الإمبريالي" الغربي، الطـــامع في اغتصاب الشرق ونهب ثرواته وتغريب ثقافته وقهر حضارته ومسخ هويته، تتركز مشكلتنا في العلاقة بالغرب.. وليس مع الإنسان الغربي أو العلم الغربي.

وذلك حتى لا نضع الجميع في "سلة واحدة"، غافلين عن المنهج القرآني في التعامل مع الآخرين كـــل الآخرين: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ١١٣ (آل عمران).

وإذا كنا قد نشرنا العديد من الكتب الكبيرة والمتوسطة.. والصغيرة عن تاريخ الغرب معنا نحن المسلمين .. على امتداد قرون هذا الصراع الذي فرضوه علينا.. فإن هدف هذه الدراسة الموجزة هو:

١ إيراد الوقائع والشهادات الغربية، والحقائق التاريخية، التي تحكي تاريخ الافتراءات الغربية على الإسلام، والعداء والعدوان على مقدساته..

٢ ولتكون هذه الوقائع والشهادات والحقائق التاريخية في صدر جداول أعمال أية حوارات بين المسلمين والغربيين.. وذلك لتكون هذه الحوارات علاجاً "للمرض" وليست وقوفاً عند العرض.. فضلاً عن أن تكون كحالها اليوم "علاقات عامة" و"مجاملات".

إن التناول الشجاع لحقائق العلاقات بين الغرب والشرق، هو الكفيل بفتح الأبواب ولو ببطء وتدرج لتصحيح مسارات هذه العلاقات.. وهو وحده الكفيل بتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإعادة بناء الصور لدى الفرقاء المختلفين.

الغرب والإسلام .. افتراءات لها تاريخ (٢) القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم في المخزون الثقافي الغربي د.محمد عمارة

"=FPRIVATE "TYPE=PICT;ALT

محمد عمارة

في كتاب مترجم عن الألمانية، كتبه عالمان سويسريان هما "هوبرت هيركومر" و"جيرنوت روتر" يقولان عن الصورة الغربية، الشائعة والمستكنة في التراث الغربي، عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم:

"لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً رجلاً عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط.. ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة.. واعتبرت أوروبا المسيحية، في القرون الوسطى، محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية..."!!(١)

وبشهادة المستشرق الفرنسي الشهير "مكسيم رودنسون" (١٩١٥ ٢٠٠٤م):

"فلقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا بين سنة ١١٠٠م وسنة ١١٤٠م على عاتقهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العامي، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان "لجهل الخيال المنتصر"... فكان محمد "في عرفهم": ساحراً، هدم الكنيسة في إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية.. وكان محمد "في عرف تلك الملاحم": هو صنمهم الرئيس، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة "السراسنة" (البدو)، وكانت تماثيله "حسب أقوالهم" تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة..!!

لقد اعتُبر الإسلام، في العصور الوسطى نوعاً من الانشقاق الديني، أو هرطقة ضمن المسيحية. وهكذا رآه "دانتي" (١٢٩٥ ١٣٢١م)...(٢)

تلك هي صورة الإسلام ورسوله في الثقافة الشعبية الأوروبية، التي تبلورت وشاعت منذ العصور الوسطى.. قبل العلمانية.. وقبل أن يعرف الغرب شيئاً اسمه "حرية التعبير"!.

(٢)

وإذا كانت الملاحم الشعبية إنما تمثل أكبر المكونات لثقافة جمهور أية أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات، فإن "ملحمة رولاند" الشعبية حوالي سنة ١٠٠٠م تصور المسلمين الذين يبلغ التوحيد الديني للألوهية عندهم أرقى درجات التنزيه والتجريد، فكل ما خطر على بالك، فالله ليس كذلك! تصورهم هذه الملحمة الشعرية الشعبية الأوروبية وثنيين، يعبدون ثالوث:

١ أبولين Apollin...

٢ تير فاجانت Tervagant...

٣ محمد).mahamed(٣

* * *(٣)

وإذا كان الدين واللاهوت والفلسفة الدينية قد لعبت دوراً بارزاً في تكوين العقل الغربي والثقافة الأوروبية في عصورها الوسطى.. فإن "القديس الفيلسوف" "توما الأكويني" (١٢٢٥ ١٢٧٤م) وهو أكبر فلاسفة الكاثوليكية عبر تاريخها قد صور لقومه رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فقال:

"لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية.. وحرَّف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، و لم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية".(٤)

أما رأس البروتستانتية "مارتن لوثر" (١٤٨٣ ١٥٤٦م) فلقد قال عن رسول الإسلام الذي جعل الحياء شعبة من شعب الإيمان.. والعفة ثابتاً من ثوابت القيم الإسلامية.. قال "مارتن لوثر" عن هذا الرسول الكريم:

"إن محمداً هو خادم العاهرات، وصائد المومسات"!!!(٥)

* * *(٤)

وإذا كانت "الكوميديا الإلهية" التي كتبها الشاعر الإيطالي الأشهر "دانتي" (١٢٩٥ ١٣٢١م) قد غدت معلماً من معالم ثقافة أوروبا منذ عصر النهضة وحتى هذه اللحظات.. ونصاً يدرسه الطلاب في المدارس والجامعات.. فإن هذه (الكوميديا الإلهية) قد وضعت رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وعلي ابن أبي طالب كرَّم الله وجهه:

"في الحفرة التاسعة، في ثامن حلقة من حلقات جهنم.. لأنهم بنظر "دانتي" من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم في سعير الكوميديا الإلهية"!!(٦)

* * *(٥)

وإذا كانت هذه الإشارات وهي مجرد إشارات تفصح عن عناوين الصورة الشعبية والدينية لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم في ثقافة أوروبا العصور الوسطى.. وبدايات عصر النهضة فإن هذه الصورة لم تتبدل و لم تتعدل في فكر "التنوير الغربي".

ففيلسوف التنوير الغربي "فولتير" (١٦٩٤ ١٧٧٨م) الذي قدمه الغرب.. وقدمه المثقفون العلمانيون في بلادنا.. باعتباره نموذج الشجاعة "الفكرية".. المستعد للموت في سبيل حرية الآخرين هو الذي كتب عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم مسرحيته "التعصب أو محمد الرسول"، فجعل فيها من رسول الله نموذجاً للتعصب!! رغم اعتراف الرسول بكل الآخرين، حتى الذين ينكرون نبوته ويكفرون بدينه! وتقنينه: "أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم".

كما أخفى "فولتير" في هذه المسرحية جبنه أمام الكنيسة ، وخوفه من مهاجمة المسيحية أو نقدها، بالهجوم على الإسلام ورسول الإسلام!

و لم يكشف حقيقة هذا الذي جعلوه فيلسوفاً للحرية والتنوير سوى رائد اليقظة الإسلامية الحديثة جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ١٨٩٧م).. الذي كتب عن "فولتير" و"روسو" (١٧١٢ ١٧٧٨م) فقال:

"لقد زعما حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بإنارة الأفكار وهداية العقول، فنبشا قبر "أبيقور الكلبي" (٣٤١ ٢٧٠ق.م) وأحييا ما بلي من عظام الدهريين، ونبذا كل تكليف ديني، وغرسا بذور الإباحية والاشتراك، وزعما أن الآداب الإلهية جعليات خرافية، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني. وجهر كلاهما بإنكار الألوهية، ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الأنبياء (برأهم الله مما قالا) وكثيراً ما ألف "فولتير" من الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم وعيب ما جاؤوا به"!(٧)

* * *(٦)

وإذا كان القرآن الكريم قد أخبر المسلمين أنه جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية التي نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين.. وتحدث عن صحف إبراهيم.. وزبور داود عليهما السلام وقال عن توراة موسى عليه السلام إن فيها هدى ونور (المائدة:٤٤)، وعن إنجيل عيسى عليه السلام: إن فيه هدى ونور (المائدة:٤٦).

فقد قال "مارتن لوثر" (١٤٨٣ ١٥٤٦م) رأس البروتستانتية الغربية وزعيمها عن القرآن الكريم:

"أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن.. مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع.. وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه".(٨)!!

وقال الشاعر الألماني الشهير "جوته" (١٧٤٩ ١٨٣٢) عن هذا القرآن الكريم:

"إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي، فيثير اشمئزازنا دائماً، كلما شرعنا في قراءته"!!(٩)

وحتى الرجل الذي أنصف نبي الإسلام، وجعله أعظم العظماء "توماس كارليل" (١٧٩٥ ١٨٨١م) رأيناه يقول عن القرآن الكريم:

"إن محمداً شيء والقرآن شيء آخر، فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش.. جاف.. وغليظ.. باختصار، هو غباء لا يُحتمل"!!(١٠)

فنحن إذن بإزاء عداء لقدس أقداس الإسلام رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم... وقرآنه الكريم ... وهو عداء له تاريخ قديم.. وثابت.. وطويل..

(٧)* * *

وإذا كنا نكتب اليوم بمناسبة إهانة الغرب غرب القرن الحادي والعشرين لمقدسات الإسلام.. فإن الوقائع والممارسات الغربية التي تهين وتمتهن هذه المقدسات هي وقائع وممارسات لها تاريخ قديم.. بل وسابق حتى على ظهور الإسلام!..

فالغرب الذي يهين اليوم مقدسات الإسلام على الرغم من احترام الإسلام وتقديسه لكل مقدسات جميع الأديان.. هذا الغرب الاستعماري في طوره الإغريقي الروماني البيزنطي هو الذي امتهن مقدسات النصرانية الشرقية، واتهم عقائدها، واغتصب كنائسها وأديرتها ولقرون عديدة حتى جاءت الفتوحات الإسلامية فحررت هذه العقائد والمقدسات مع تحريرها لأوطان أصحابها.. وعلى هذه الحقيقة، شهد الأسقف "ميخائيل السرياني" فقال:

"لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان. وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في سلام".(١١)

وقبل "ميخائيل السرياني" شهد الأسقف "يوحنا النقيوسي" الذي كان شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر.. بأن هذا الفتح الذي حرر مصر من الاستعمار البيزنطي، إنما كان بمثابة العدل الإلهي الذي انتقم الله به من ظلم الرومان.. فقال:

"إن الله، الذي يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين (العرب المسلمين) ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب

شيئاً ما سلباً أو نهباً، وحافظ على الكنائس طوال الأيام، ودخل الأنبا بنيامين بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عاماً، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكس.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.. وخطب الأنبا بنيامين (٣٩هـ ٦٥٩م) في دير مقاريوس، فقال: لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون".(١٢)

* * *(٨)

وبعد هذا الإنقاذ والتحرير "والنجاة والطمأنينة والسلام"، التي حققها الإسلام لكل عقائد أصحاب الديانات ولجميع المقدسات.. جاءت الحملات الصليبية الغربية (٤٨٩ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ١٢٩١م) لتحول المسجد الأقصى إلى اصطبل خيل وكنيسة لاتينية، منتهكة حرمة هذا الحرم القدسي الشريف، الذي هو عند المسلمين أولى القبلتين، وثالث الحرمين، وأحد المساجد الثلاثة التي تنفرد بأن تشد إليها الرحال.. جاء الصليبيون فحولوه إلى اصطبل خيل وكنيس لاتيني لما يقرب من تسعين عاماً (٤٩٢ ٥٨٣هـ ١٠٩٩ ١١٨٧م).. حتى حرره صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ ٥٨٩هـ ١١٣٧ ١١٩٣م).

* * *(٩)

وإبان الحملة الفرنسية، التي قادها "بونابرت" (١٧٦٩ ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) دنست جيوشه جيوش الثورة الفرنسية الرافعة لأعلام الحرية والإخاء والمساواة دنست الأزهر الشريف أقدم وأعرق الجامعات الكبرى وأحد المساجد الشهيرة في تاريخ الإسلام ومزقت وداست الجنود والخيول .. القرآن الكريم وكتب السنة النبوية المطهرة.. وسكر الجنود.. وبالوا وتغوطوا على هذه المقدسات، في الأزهر الشريف.. ولقد وصف مؤرخ العصر الشيخ عبدالرحمن الجبرتي (١١٦٧ ١٢٣٧هـ ١٧٥٤ ١٨٢٢م) هذا الذي اقترفه جنود الحملة الفرنسية، فقال:

"لقد دخل أولئك الوعول التيوس إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيل.. وداس فيه المشاة بالنعالات وهم يحملون السلاح والبندقيات، وتفرقوا في صحنه ومقصوراته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا في الأروقة والحجرات وكسروا القناديل والسهارات، وهشَّموا خزائن الطلبة، والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع، والودائع والمخبآت، بالدواليب والخزانات وشتتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا بالمسجد وتمخطوا، وبالوا وتغوطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه، ومن ثيابه أخرجوه، ووجدوا في بعض الأروقة إنساناً فذبحوه، ومن الحياة أعدموه، وفعلوا بالجامع الأزهر، ما ليس عليهم بمستنكر، لأنهم أعداء الدين وأخصام متغلبون، وغرماء متشمتون، وضباع متكالبون، وأجناس متباينون، وأشكال متعاندون.

وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن، فسحة جيش الشيطان".(١٣)

* * *(١٠)

وتتكرر ذات الفعلة تدنيس الأزهر الشريف والقرآن الكريم.. وكتب السنة النبوية المطهرة على يــد الاستعمار الإنجليزي (١٣٣٨ه ١٩١٩م).. فلقد حاول الإنجليز إبان ثورة الشعب المصري ١٩١٩م إغلاق الجامع الأزهر في ٢ أبريل سنة ١٩١٩م لكن شيخه الشيخ محمد أبوالفضل الجيزاوي (١٢٦٣ ١٣٤٦ه ١٨٤٧ ١٩٢٧م) رفض.. فاقتحموه ودنسوه في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩م.. ولقد وصف ذلك المؤرخ الحجة عبدالرحمن الرافعي (١٣٠٦ ١٣٨٦ه ١٨٨٩ ١٩٦٦م) فقال:

"لقد وقف في يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩م ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ حادث اهتزت له أرجــاء القاهرة، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار في أنحاء البلاد، وهو اقتحام الجنود الإنجليزية للجــامع الأزهر، لقد دخلوه بنعالهم وأسلحتهم مطاردين للمتظاهرين واعتدوا على من صــادفوه بالضــرب والإيذاء، فحدث هرج ومرج في الجامع واقتحم الجنود مكاتب الإدارة، وحاولوا كسر الأبواب ففزع الموظفون وحدثت ضجة داخل الجامع وخارجه..."(١٤)

* * *(١١)

وإذا كانت الديانات السماوية، وكذلك القوانين الوضعية، عبر التاريخ الإنســاني، قــد تعارفــت وتوافقت على احترام العهود وتقديس عقود الأمان وخاصة للأسرى الذين يعانون وطــأة الهزيمــة والاستضعاف فإن الغرب الاستعماري قد احترف نقض عهود الأمان التي قطعها للأسرى المسلمين.. وذبحهم، رغم ما أعطى لهم من عهود الأمان!!".

ففي الحروب الصليبية الغربية على الإسلام والمسلمين، رأينا ملكهم الذي يباهون به "ريتشارد قلب الأسد" (١١٨٩ ١١٩٩م) بذبح ثلاثة آلاف جندي من أسرى المسلمين بعد أن قطــع لهــم عهــد الأمان!.. وبشهادة وعبارة المستشرقة الألمانية الدكتورة "سيجريد هونكه":

"فعلى العكس من المسلمين الذين شملوا أسرى الصليبيين بمروءتهم، وأسبغوا عليهم من الجود والرحمة ما صار مضرباً للمثل في التخلق بروح الفروسية العالية لم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام خُلقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى، فالملك "ريتشارد قلب الأسد" الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أســير عربي أن حياقم آمنة! إذ هو فجأة متقلب المزاج، فيأمر بذبحهم جميعاً"(١٥)!!!

وفي العصر الحديث، رأينا "بونابرت" (١٧٦٩ ١٨٢١) يقترف ذات الجريمة، جريمة الغــدر بعهــد الأمان الذي قطعه لأسرى معركة "يافا" (١٢١٤ه ١٧٩٩م).. فلقد ذبح آلاف الجنود المسلمين الذين استسلموا، والذين أعطاهم عهد الأمان!!.. ولقد وصف المؤرخ الحجة عبدالرحمن الرافعي هذا الغدر، والانتهاك لقداسة عهود الأمان، فقال: نقلاً عن المؤخرين الفرنسيين:

"لقد وصل نابليون بجيشه تجاه يافا يوم ٣ مارس ١٧٩٩م، وكان الجيش العثماني بقيادة عبدالله باشا الجزار (١١٣٢ ١٢١٩ه ١٧٢٠ ١٨٠٤م) ممتنعاً بها، فحاصرها نابليون بجنوده واستولى عليها يوم ٧ مارس، بعد معركة شديدة، قتل فيها من الجنود العثمانية ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسيون يافا وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان باعتراف المؤرخين الفرنسيين واستمر النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال "روبان" robin الذي عينه نابليون قائداً للمدينة أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام، فذهب جهده عبثاً، و لم ينقطع النهب إلا بعد أن كلَّ الجنود من الاعتداء وسفك الدماء!!.

و لم يكد ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولاً وفظاعة، ذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، آثروا التسليم وإلقاء السلاح في يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، وهما "بورها رنيه"bearha ranis و"كروازييه" Croisier... ومن هذه الشروط: أن تُضمن لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام "نابليون" وتلقاهم الفرنسيون كأسرى حرب، ولكن نابليون، بعد أن فكر طويلاً في أسرهم، وتردد في شأنهم، أمر بإعدامهم جميعاً رمياً بالرصاص.. فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعاً رمياً بالرصاص"!!(١٦)

* * *(١٢)

وعندما احتلت فرنسا الجزائر (١٣٤٦ه ١٨٣٠م)... لم تنسها علمانيتها المتوحشة الحقد النصراني الصليبي على الإسلام والمسلمين، فاعتبرت انتصارها هذا انتصاراً للمسيحية على الإسلام!.. وسجل رفاعة الطهطاوي (١٢١٦ ١٢٩٠ه ١٨٠١ ١٨٧٣م) هذه الحقيقة وكان شاهد عيان عليها يومئذ بباريس فقال:

"إن المطران الكبير بباريس لما سمع بأخذ الجزائر، ودخل الملك "شارل العاشر (١٨٢٤ ١٨٣٠م) الكنيسة يشكر الله على ذلك، جاء إليه المطران ليهنئه على هذه النصرة، فقال: إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية ولا زالت كذلك"(١٧)!!

وعندما احتفل الفرنسيون العلمانيون بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر (١٣٤٩ه ١٩٣٠م) ماذا قالوا في الخطب والكلمات التي عبرت عن حقدهم الصليبي على الإسلام...؟ لقد خطب أحد كبار ساستهم فقال:

"إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم"!!

وخطب سياسي آخر فقال:

"لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن، فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار..."!!

وخطب أحد كرادلة الكنيسة الفرنسية، فقال:

"إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد.. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل..."!!

* * *(١٣)

وفي القرن الحادي والعشرين.. وبعد احتلال أمريكا للعراق سنة ٢٠٠٣م بواسطة تحالف صليبي غربي يضاهي الحملات الصليبية الأولى وجدنا رعاة البقر يتعمدون انتهاك كل حرمات المسلمين، مركزين على حرمتي "العرض" و"الدين".

صنعوا ذلك عندما انتهكوا مقدسات الأعراض للنساء والرجال ومقدسات العقائد في سجن "أبو غريب" وغيره من السجون على النحو الذي سجلت نماذجه الصور التي شاهدها الناس عبر الفضائيات والصحف والمجلات...

وصنعوا ذلك في مدينة "الفالوجة" العراقية في أكتوبر – نوفمبر سنة ٢٠٠٤م ففي مدينة تعدادها ٣٠٠.٠٠٠ ألف أي نحو ثلث مليون ومساحتها أربعة كيلومترات في الطول والعرض:

دمر الأمريكيون ٤٠ مسجداً من جملة مساجدها السبعين!

وأجهزوا على الجرحى في المساجد.. ورأى الناس ذلك عبر الصور في الفضائيات!

ودنسوا ودمروا محتويات المساجد بما في ذلك المصاحف وكتب السنة النبوية المطهرة!

كما استخدموا الأسلحة المحرمة دولياً مثل الفوسفور الأبيض.. والقنابل العنقودية ضد المدنيين الأبرياء، بمن فيهم الأطفال والنساء!!

وصنع الأمريكيون ذلك أيضاً في معتقل "جوانتانامو".. حيث دنسوا القرآن الكريم، ووضعوا صحائفه في المراحيض!! ليهينوا الأسرى والمعتقلين الذين يقدسون هذا القرآن الكريم!

وصنعوا ذلك ببغداد في يناير ٢٠٠٦م عندما اقتحم الجيش الأمريكي مسجد "أم القرى" مقر "هيئة علماء المسلمين" بالعراق... ودمروا ودنسوا المقدسات الإسلامية بما فيها القرآن الكريم... وكتب السنة النبوية الطهرة.. ثم رسموا الصليب على جدران هذا المسجد!!

* * *(١٤)

ولا يحسبن أحد أن هذه النماذج وهي مجرد نماذج من الوقائع والحقائق، قد كانت هي الذروة التي توقفت عندها الممارسات الغربية في انتهاك حرمات الإسلام ومقدساته.. فلقد رأينا من القادة

والمسؤولين نعم القادة والمسؤولين من يتجاوزون إهانة رسول الإسلام.. والقرآن الكريم.. وغيرهما من الرموز والمقدسات إلى حيث الإهانة حتى للذات الإلهية!!

فوزير العدل نعم العدل!! الأمريكي السابق "جون أشكروفت" يهين رب العالمين، فيقول:

"إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام، فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله"!(١٨)

والجنرال الأمريكي "ويليام. ج. بويكن" نائب وزير الدفاع الأمريكي يخطب في إحدى الكنائس وهو بزيه العسكري فيقول:

"إن إلهنا أكبر من إلههم.. إن إلهنا إله حقيقي، وإله المسلمين صنم.. وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها أمة مسيحية – يهودية، وحربنا معهم هي حرب على الشيطان.. وإن دين الإسلام دين شيطاني شرير.. ومحمد هو الشيطان نفسه..."(١٩)!!

* * *الهوامش

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر (صورة الإسلام في التراث الغربي) ص ٢٣، ٢٤، ترجمة: ثابت عيد، وتقديم: د.محمد عمارة. طبعة دار نهضة مصر القاهرة سنة ١٩٩٩م، سلسلة "في التنوير الإسلامي".

(٢) د. محمد عمارة (الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء) ص ٦٤، طبعة دار الشروق القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

(٣) صورة الإسلام في التراث الغربي، ص ٢٥، ٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢١.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٧) جمال الدين الأفغاني (الأعمال الكاملة) ص ١٦١، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٨) صورة الإسلام في التراث الغربي ص ٢١.

(٩) من نصوص تحت الطبع، ترجمها الباحث ثابت عيد، مترجم (صورة الإسلام في التراث الغربي).

(١٠) المرجع السابق.

(١١) د. صبري أبوالخير سليم (تاريخ مصر في العصر البيزنطي) ص ٦٢، طبعة القاهرة، دار عين، سنة ٢٠٠١م.

(١٢) الأسقف يوحنا النقيوسي (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي) ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠، ترجمة ودراسة: د. عمر صابر عبدالجليل، طبعة القاهرة دار عين، ٢٠٠١م.

(١٣) الجبرتي (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس" ص ٧٢، تحقيق: د. عبدالرحيم عبـــدالرحمن عبدالرحيم. طبعة القاهرة، دار الكتب سنة ١٩٩٨.

(١٤) عبدالرحمن الرافعي (ثورة سنة ١٩١٩م) ص ٧٦ ٧٨، طبعة دار الشعب القاهرة.

(١٥) د. سيجريد هونكة (الله ليس كذلك) ص ٣٤، طبعة دار الشروق، القاهرة سنة ١٩٩٥م.

(١٦) عبدالرحمن الرافعي (تاريخ الحركة القومية) ج، ص ٢٩، ٣٠، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.

(١٧) رفاعة الطهطاوي (الأعمال الكاملة) ج٢، ص ٢١٩، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت، سنة ١٩٧٣م.

(١٨) صحيفة (الشرق الأوسط) لندن في ٢١-٢-٢٠٠٢م.

(١٩) صحيفة (الحياة) لندن في ١٧-١٠-٢٠٠٣م، وصحيفة (الأهـــرام) القـــاهرة، في ١٨-١٠-٢٠٠٣م.

الغرب والإسلام .. افتراءات لها تاريخ (٣) الإهانات الصهيونية لمقدسات الإسلام د.محمد عمارة
محمد عمارة

(١٥)

أما الإهانات الصهيونية لمقدسات الإسلام، فحدث عنها ولا حرج!..

لقد بدأت مع بداية جريمة إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م، وذلــك بهـــدم خمسمائة قرية فلسطينية وتدمير مساجدها.. وحتى مقابر الأموات فيها!!.. ثم استمرت هذه الإهانات لتأخذ الآن صورة تهويد مدينة الحرم القدسي الشريف.. وتهديد المسجد الأقصى، وذلك بالحفر تحت أساساته، وبناء متحف وكنيس يهودي أسفل ساحاته، والتجهيز لهدمه، وإقامة هيكل يهودي علـــى أنقاضه!!

وبين هذا الذي بدأ سنة ١٩٤٨م وهذا الذي يحدث اليوم، كان مسلسل الإهانـــات الـــتي اقترفهـــا المستوطنون الصهاينة المدعومون من أمريكا والغرب بحق القرآن الكريم تمزيقاً وتدنيساً وبحق المساجد بكتابة الشعارات المهينة للإسلام والمسلمين على جدرانها... وباغتصاب الجزء الأكبر مـــن "الحـــرم الإبراهيمي" بمدينة الخليل... وحتى برسم رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم في صورة خنزير!!.

@@@

(١٦)

ومع كل هذا الذي مثل ويمثل "مخزوناً لثقافة الكراهية السوداء"، تجاه الإســـلام ومقدســـاته وأمتـــه وحضارته.. نجدهم يصدعون رؤوسنا ومعهم العلمانيون والعملاء في بلادنا عن عيـــوب "الخطـــاب الإسلامي" وعن رفض المسلمين للآخر!.. وتعصبهم إزاء الآخرين!!.. ونجدهم يعتمدون الميزانيات، ويمارسون الضغوط لتغيير مناهج التعليم في البلاد الإسلامية، وذلك لتحويل الإسلام عن طبيعته وجعله

كما قال "فوكوياما": "ديناً حداثياً.. ليبرالياً.. علمانياً.. يقبل المبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"!

لقد كتب الصحفي الأمريكي "توماس فريدمان" إبان الحرب الأمريكية على أفغانستان سنة ٢٠٠١م يقول:

"إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، لذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية (على أفغانستان) بسرعة.. لنعود مسلحين بالكتب.. لينمو جيل جديد، يقبل سياساتنا، كما يقبل شطائرنا..."(١)

و لم يقل أحد بضرورة أن يبصر الغرب هذا القذى في عيونه الثقافية التي ينظر بها إلى الإسلام!

إن الأكاذيب والمغالطات والمفتريات ضد الإسلام في الكتب المدرسية الغربية التي تكون عقول الناشئة في البلاد الغربية قد ملأت صفحات ثمانية مجلدات أنجزها مشروع بحثي جاد، أشرف عليه البروفيسور عبدالجواد فلاتوري.. وطبعتها جامعة "كولن" بألمانيا في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين.. فلم لا يتحدث أحد عن ضرورة المراجعة لهذا "الخطاب التعليمي" المليء بالمفتريات ضد الإسلام والمسلمين؟!

وإن الغربيين الذين يناصبون الإسلام العداء.. يتحدثون عن الأصول "اليهودية المسيحية" لحضارتهم الغربية فلم لا ينظرون إلى العنصرية الدموية التي يطفح بها الخطاب اليهودي ضد جميع الأغيار.. ذلك الذي تحوله الفتاوى الحاخامية على أرض فلسطين إلى سياسات للإبادة.. والاغتيالات.. والتطهير العرقي.. والإحلال الاستيطاني على حساب العزل والأبرياء من الفلسطينيين؟!

ألم يقرأوا في أسفار العهد القديم:

"وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردنّ أريحا قائلاً: كلم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. تملكون الأرض وتسكنون فيها.. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم.

سبع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرمهم "تهلكهم" لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.. ولا تصاهرهم.. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب.. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم..."(٢)

ألم يقرأ أحد من هؤلاء الذين يبتزون المسلمين بالحديث عن عيوب خطابهم الديني نصوص هذه "العنصرية الدموية المقدسة"!! التي تحولت إلى فتاوى حاخامية معاصرة، يقول فيها الحاخام العقيد أ.فيدان "زيميل": "إن الهالاكاه "الشريعة" تحض على قتل حتى المدنيين الطيبين"!!(٣)

ألم يبصر أحد شيئاً من هذا القذى الذي تطفح به عيون الغرب العنصري "الصليبي الصهيوني" تجاه الأغيار.. وتجاه الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص؟!

@@@

(١٧)

ثم.. هل يمكن أن يدخل شيء من هذه الافتراءات والأكاذيب والعنصرية في باب "حرية التعبير"؟!

إن هذا الافتراء الغربي على الإسلام ورموزه ومقدساته سابق بقرون طوال على معرفة الغرب لحرية التعبير!

وهذه الفلسفة الوضعية العلمانية التي أسس عليها الغرب منذ عصر النهضة حريته في التعبير، إنما تقوم على "نسبية الفكر الإنساني".. ورفض "المطلقات".. فلم تكن حرية التعبير الخاصة بإهانة رموز الإسلام ومقدساته وهي موقف وفكر إنساني من "المطلقات"، التي لا تقبل النقاش؟!

و لم لا يستخدم الغرب كل الغرب هذه الحرية في التعبير عندما يكون الأمر خاصاً بنقد اليهود.. أو الصهيونية... أو حتى السياسات الاستعمارية الإسرائيلية؟!.. فهنا وهنا فقط ينسى الغرب حقه في حرية التعبير.. ويحول الممارسات اليهودية والصهيونية والإسرائيلية إلى "مطلقات معصومة" تتحول انتقاداتها إلى جرائم يعاقب عليها القانون؟!

ثم.. هل يجيز الغرب بحجة حرية التعبير إعلان المواطن الغربي كراهيته لوطنه، وازدراءه لرموزه، وافتراءه على تاريخه.. فضلاً عن حرية الخيانة لهذا الوطن؟!

و لم تكون حرية التعبير "مطلقة.. ومقدسة.. ولا يجوز النقاش فيها" عندما تكون خاصة بالافتراء على الإسلام ومقدسات المسلمين؟!.

@@@

(١٨)

لقد نهى الإسلام أهله حتى عن سب الأصنام التي يعبدها المشركون، وذلك صيانة للمعبود الحق عن سب الوثنيين.. فقال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى" ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨) (الأنعام).

ولقد آمن المسلمون ويؤمنون.. وصلوا ويصلون على كل أنبياء الله ورسله.. كما آمنوا وصدقوا بكل الكتب السماوية.. وليس فقط بالقرآن الكريم الذي جاء مصدقاً لما سبقه من مطلق الذكر والوحي

والكتاب: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ٢٨٥ (البقرة).

ولا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا اعترف بكل ألوان الآخرين.. وساوى بين كل الآخرين في الحقوق والواجبات.. إذ التكريم الإلهي في الإسلام هو لمطلق نفس الإنسانية، لأن البشر، على اختلاف الشعوب والقوميات والأجناس والألوان والثقافات والحضارات، هم من نفس واحدة، تنوعت توجهاتهم وتمايزت شرائعهم وثقافاتهم وحضاراتهم ليتعارفوا ويتعايشوا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ١٣ (الحجرات).

والمسلمون مطالبون في الدولة الإسلامية بتمكين غير المسلمين من إقامة عقائدهم التي تكفر بالإسلام! وتمكينهم من الأمن والأمان على سائر مقدساتهم وهكذا صنعت الدولة الإسلامية، منذ عهد النبوة وعلى امتداد التاريخ، فعاشت فيها جميع ألوان الشرائع والديانات السماوية والوضعية و لم يعرف تاريخ المسلمين حرباً دينية للإكراه على الاعتقاد.. وبنص العهد الذي قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعموم النصارى:

"أن أحمي جانبهم، وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم..."(٤)

لكن غير المسلمين وخاصة في الحضارة الغربية ومؤسساتها الدينية والسياسية لا يعترفون بالآخر... أي آخر وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والمسلمين.

إن الحضارة الغربية بشهادة العلماء المنصفين من أبنائها تتمحور حول ذاتها، ولا تعترف بالآخرين... وبعبارة المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون" (١٩١٥ ٢٠٠٤م):

"فإن الظاهرة التي لعبت الدور الأكبر في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق.. هي التمركز حول الذات، وهي صفة طبيعية في الأوروبيين، كانت موجودة دائماً، ولكنها اتخذت الآن في ظل الإمبريالية الأوروبية صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين"(٥)

أما عن إنكار المؤسسات الدينية الغربية للإسلام الذي يعترف بكل الكتب... والشرائع.. والديانات فيكفي أنها لا تزال حتى هذه اللحظات تنكر أن يكون الإسلام ديناً سماوياً.. وأن يكون القرآن وحياً إلهياً.. وأن يكون رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وهي بذلك الجحود والإنكار تؤسس لهذه الافتراءات التي توالت وتتوالى على الإسلام منذ ظهوره وحتى هذه اللحظات!

لقد عقد بالقاهرة في فندق "شيراتون المطار" مؤتمر للحوار الإسلامي المسيحي، في ٢٨، ٢٩ أكتوبر سنة ٢٠٠١م.. ولما جاءت لحظة التوقيع على "البيان الختامي" ورأى فيه مندوب الفاتيكان القس خالد أكشه ومندوب مجلس الكنائس العالمي الدكتور طارق متري عبارة: "الديانات السماوية.. والقيم الربانية" رفضا التوقيع على البيان وقالا: إننا لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً.. ولا بالقيم الإسلامية قيماً ربانية!!

وساعتها تساءل الدكتور يوسف القرضاوي وكان مشاركاً في الحوار: عن جدوى الجلوس معاً.. مع عدم الاعتراف المتبادل، والقبول المتبادل؟!(٦)

وهكذا.. وحتى هذه اللحظات.. يرفض الغرب الحضاري.. والديني الاعتراف بالآخر الإسلامي الذي يعترف بكل ألوان الآخرين...

تلك إشارات مجرد إشارات لبعض الوقائع والحقائق التاريخية الشاهدة على أن ما نواجهه نحن المسلمين من إهانات غربية موجهة إلى مقدسات الإسلام والمسلمين... ليست أحداثاً عارضة.. ولا منفردة.. ولا معزولة.. ولا حديثة الوقوع.. وأن القضية ليست رسماً "كاريكاتورياً" نشرته صحيفة "بولاندس بوستن" الدانماركية في ٣٠ سبتمبر سنة ٢٠٠٥م.. وتناقلته عنها بعد ذلك، العديد من الصحف الأوروبية.. وطبعته على القمصان وارتدته دوائر صليبية!!.. وإنما نحن أمام موقف معاد لمقدسات الإسلام.. قديم.. وثابت.. وله تاريخ!

لكنهم ليسوا سواءً

وإذا كنا قد أشرنا في بداية هذه الدراسة إلى أن الغرب ليس موقفاً واحداً.. وأن عداءه للإسلام ليس شاملاً.. وأن المشكلة هي مع مشروع الهيمنة الغربي، ومؤسساته الدينية.. والسياسية.. والإعلامية، وأن هناك من علماء الغرب ومفكريه من أنصفوا الإسلام إنصافاً متميزاً وممتازاً.. فيكفي، للبرهنة على هذه الحقيقة، أن نقدم ثلاث شهادات غربية.. أولاها تعترف بافتراء الغرب على الإسلام، وجحوده له وإنكاره إياه، وثانيتها تنصف القرآن الكريم، ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وهي ترد على افتراءات الغربيين.. وثالثتها تضع الإسلام في المكانة العليا التي لا تدانيها مكانة بين الديانات.

١ لقد كتب المستشرق الفرنسي الحجة "جاك بيرك" (١٩١٠ ١٩٩٥م) وهو أحد أعمدة الثقافة الفرنسية الأوروبية.. كتب يقول عن موقف الغرب من الإسلام:

"إن الإسلام" الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً، وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم.. قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة للغرب: ابن العم المجهول، والأخ المرفوض.. والمنكر الأبدي.. والمبعد الأبدي.. والمتهم الأبدي.. والمشتبه فيه الأبدي"!!(٧)

٢ وكتب العالم الإنجليزي "مونتجمري وات" وهو أحد أعمدة الثقافة الإنجليزية والأوروبية.. والذي أنفق من عمره أكثر من ثلث قرن في دراسة الإسلام كتب يقول عن صدق القرآن الكريم.. وصدق رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم: رداً على افتراءات الأوروبيين:

"إن القرآن ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، وقصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولاً، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين.

إنني أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعاني، صادر عن الله وبالتالي فهو وحي..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أي تفكير واع منه..

وربما كانت الملامح الأساسية للوحي يمكن اختصارها في العناصر الثلاثة الآتية:

١ أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي.

٢ وأن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك.

٣ وأن يقيناً جازماً كان يتملك فؤاده أن هذه الكلمات هي من عند الله.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهي حاضراً في وعيه، فلما تمت كتابته شكَّل النص القرآني الذي بين أيدينا، وكان محمد واعياً تماماً بأنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة القرآنية التي تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي، الأمر الذي يعني أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وفي الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلق وحياً، وعن الأفكار الشبيهة... وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور "زيد بن ثابت" (١١ ق.ه ٤٥ه ٦١١ ٦٦٥م) أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل.. ومن هنا فإن كثيراً من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه.. والقرآن كان يُسجل فور نزوله.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التي أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي، لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله. وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن كلمة "آية" تعني علامة على القدرة الإلهية، وتعني أيضاً فقرة من الوحي".(٨)

٣ أما المستشرقة الألمانية الدكتورة "سيجريد هونكة" فلقد كتبت تقول:

"إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً. نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه،

والجهل البحث به، فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكـــون كمـــا هو..."(٩)

هكذا شهد ويشهد كثير من علماء الغرب، فينصفون الإسلام إنصافاً يجب أن يتعلم منه المسلمون.. ويتسلحوا به في الحوار مع المفترين من الغربيين على الإسلام!

وبعد...

إنها إذن معركة لها تاريخ..

وإذا كانت الجماهير تغضب عندما تُهان مقدساتها.. فإن هذا الغضب مع مشروعيته.. وأهميته.. بل ووجوبه ليس هو الحل.. وليس هو العلاج للمرض المستكن في الثقافة الغربية تجاه الإسلام.

وإنما الحل والعلاج لدى:

١ النخبة الفكرية، التي يجب عليها أن "ترتب العقل الإسلامي".. وأن تقدم للإنسان الغربي مشروعاً فكرياً يعرفه بحقائق الإسلام الدين... والحضارة.. والتاريخ لتحرر عقل هذا الإنسان من مخزون ثقافة الكراهية السوداء الموروث والمستكن في التراث الغربي عن الإسلام ومقدسات المسلمين وليكن ذلك في صورة مشروع "ألف كتاب إسلامي" تعرف بحقيقة الإسلام، تترجم إلى مختلف اللغات الغربيـــة الحية والمهمة.

وأيضاً من خلال الحوار الجاد مع مؤسسات العلم والفكر والتعليم والثقافة الغربية.. الحوار الذي يجب أن نعد له أهله القادرين عليه، والمخلصين له.. والذي يكشف للغرب من خلال حقائق الإسلام... وشهادات المنصفين من علماء الغرب عن الأكاذيب والأغاليط والأخطاء التي تراكمت في التـــراث الغربي والثقافة الغربية عن الإسلام والمسلمين... فبمنهاج: "وشهد شاهد من أهلها" نستطيع أن نفتح عيون الغربيين على حقائق الإسلام، وعلى الافتراءات الغربية التاريخية.. والحديثة.. والمعاصرة علـــى الإسلام..

وبذلك وحده نحاصر الجهود المنظمة لمؤسسات الهيمنة الغربية في الافتراء على الإســـلام.. ويكـــون العلاج "للمرض"... وليس الوقوف فقط عند "العَرَض".

٢ ولدى النخبة الحاكمة في ديار الإسلام التي يجب عليها أن تسعى في الجمعية العامة للأمم المتحـــدة وللشعوب فيها أغلبية مضمونة لاستصدار قرار ملزم يوافق عليه مجلس الأمن الدولي باحترام جميـــع المقدسات الدينية، لكل الأديان التي تؤمن بها الأمم والشعوب.

كما يجب على هذه النخبة الحاكمة أن "ترتب البيت الإسلامي"... وذلك بتحرير ديار الإسلام من القواعد العسكرية الغربية التي تنتقص سيادتنا وحريتنا وكرامتنا.. وتحرير البحار والمحيطات في عـــالم الإسلام من الأساطيل الغربية.. وتحرير ثروات العالم الإسلامي من النهب الاستعماري الغربي.. فبدون

"ترتيب البيت الإسلامي" وتعظيم إمكانات و"أوراق الضغط" التي تملكها الأمة الإسلامية لن يحترمنا الآخرون بأي حال من الأحوال.

@@@

تلك هي "المشكلة.. والداء".. وهذا هو "الحل والدواء"..

وصدق الله العظيم: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ١١٣ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ١١٤ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ١١٥ (آل عمران)، إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى" جهنم يحشرون ٣٦ (الأنفال)، ومن أظلم ممن افترى" على الله الكذب وهو يدعى" إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى" ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩) (الصف). أنتهى

الهوامش

(١) صحيفة (وطني) في ٢٥-١١-٢٠٠١م.

(٢) سفر التثنية، إصحاح ٢٣: ٥٠ ٥٣، ٥٥، ٥٦. وإصحاح ٧: ١ ٣، ١٤ ١٦.

(٣) إسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ١٣٣، وما بعدها ترجمة حسن خضر. طبعة القاهرة دار سينا، سنة ١٩٩٤م.

(٤) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) ص ١١ وما بعدها. تحقيق: د. محمد حميد الله الحيدرأبادي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

(٥) د. محمد عمارة (الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء) ص ٦٤، ٦٥، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م.

(٦) صحيفة (الأسبوع) القاهرة في ٥ نوفمبر سنة ٢٠٠١م، وصحيفة "عقيدتي" القاهرة في ٦ نوفمبر سنة ٢٠٠١، وصحيفة "العالم الإسلامي" مكة المكرمة، في ١٦ نوفمبر سنة ٢٠٠١م.

(٧) من حديث جاك بيرك في ٢٧-٦-١٩٩٥م، مع حسونة المصباحي، حول "العرب والإسلام في نظر المستشرق الفرنسي جاك بيرك"، صحيفة (الشرق الأوسط) لندن في ١-١١-٢٠٠٠م.

(٨) مونتجمري وات (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) ص ٣٥، ٣٦، ١٠٦، ٣٩، ٢٠٦، ٥٢ ٥٤، ٧١، ٢٣، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٣١، ٨٣، ترجمة: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، طبعة القاهرة مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠١م.

(٩) سيجريد هونكه (الله ليس كذلك) ص ١٠١.

=====================

صورة الإسلام في الخطاب الغربي

صورة الإسلام في الخطاب الغربي

(١)

د.محمد عمارة(*

في الحديث عن "صورة الإسلام" وأمته وحضارته في الخطاب الغربي، لابد من التقديم بين يدي هــذا الحديث بعدد من المقدمات:

أولاها: أننا لسنا بإزاء "صورة" واحدة، لأن الغرب ليس كتلة واحدة صماء، ومن ثم فإننا لسنا بإزاء خطاب غربي واحد فيما يتعلق بالإسلام.

وهذا الموقف الذي يميّز بين القوى والتيارات وألوان الخطاب، عن الإسلام، في الحضارة الغربية، ليس مجرد "ضرورة مصلحية" يقتضيها البحث عن الأصدقاء، لتجنب تكثير الأعــداء، ولكــن ضــرورة مشروعة ومطلوبة، وهو موقف نابع من "العدل" الذي يعلمنا إياه ويفرضه علينا القرآن الكريم.

ونحن نقول للذين يسطحون أيضاً القضايا العميقة، ويبسّطون الأمور المعقدة والمركبة، عندما يرددون عبارة: "إن الكفر ملة واحدة".. نقول لهم: ولكن الإسلام لا يضع كل عالم الكفر في سلة واحــدة، ولا في مرتبة واحدة، وإنما ميَّز الإسلام بين المشركين وبين الكتابيين... بــل إن الإســلام لم يضــع المشركين جميعاً في سلة واحدة، وإنما ميّز بين المحاربين منهم والمعاهدين الذين لم ينقصوا المسلمين شيئاً من العهود التي تعاهدوا معهم عليها، فدعا إلى قتال المقاتلين من المشركين، ودعا إلى الوفاء بعهــود المعاهدين منهم... بل ميّز الإسلام بين شرك الجاحد للحق الذي يعرفه وشرك الجاهل، فإذا اســتجار هذا المشرك الباحث عن المعرفة، فعلى المسلمين إجارته، وتقديم المعرفة إليه، ثم إيصاله آمناً إلى مأمنه، وتركه لضميره، دونما إكراه وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى" يسمع كلام الله ثم أبلغــه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦) (التوبة).

بل لقد ميَّز الإسلام بين الدهريين، الذين استبدلوا الدهر بالخالق، سبحانه وتعالى، وبــين المشــركين الذين لم يجحدوا وجود الخالق وخلقه للخلق، لكنهم أشركوا مع الخالق الوسائط التي زعمــوا أنهــا تقربهم إليه زلفى!... وتحدثت آيات القرآن الكريم عن هذا التنوع في أصناف المشركين، فصــاغت المنهاج العلمي في دراسة الواقع، والموقف العادل في التعامل مع الآخرين.

وكذلك صنع المنهاج الإسلامي في التعامل مع الكتابيين، فميز بين اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا وبين النصارى الذين هم أقرب مودة للمؤمنين ثم هو لم يضع جميع النصــارى في ســلة واحدة، وإنما ميَّز بين الموحدين منهم "الذين يتعبدون على شريعة عيسى عليه السلام، وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول { ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق... ميَّز الإسلام بــين هــؤلاء النصارى، وبين النصارى الذين عبدوا المسيح وأمه والأحبار والرهبان من دون الله، فوُصفوا في القرآن بصفات الكفر، بل وبالشرك أيضاً.

وكذلك صنع المنهاج القرآني مع فصائل ومذاهب اليهود... فمع حديثه عن عداوتهم الأشد للمؤمنين، نجد القرآن يبلغ قمة العدل عندما يقول إنهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ١١٣ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ١١٤ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ١١٥ (آل عمران)، بينما منهم الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على" لسان داوود وعيسى \بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٧٨ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ٧٩ (المائدة).

ويؤكد القرآن الكريم هذا المنهاج العادل في التعامل مع الآخر الكتابي عندما يستخدم التبعيض "من" للتمييز بين فرقائهم ومذاهبهم، فيقول: من أهل الكتاب (آل عمران:١١٣)، وعندما يتحدث عن طائفة من أهل الكتاب (آل عمران:٦٩)، أو كثير من أهل الكتاب (البقرة:١٠٩)، دونما إطلاق أو تعميم.

ومع اشتراك الفرس والروم يوم ظهر الإسلام في التجبر والظلم والهيمنة والاستعمار، وإعلان الإسلام عن سعيه لتحرير الأرض من استعمارهم وتحرير الضمائر من تجبرهم وإكراههم، إلا أن الإسلام لم يسوِّ بين هذين الطاغوتين الفرس والروم فميز القرآن بين الكتابيين منهم (الروم) وبين المجوس (الفرس) عندما تحدث عن حزن المسلمين لتغلب الفرس على الروم، وفرحهم يوم يأذن الله بانتصار الروم النصارى على الفرس المجوس: الجم" (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) (الروم).

صورة الإسلام في الخطاب الغربي

د.محمد عمارة

في إطار قوى التجبر والهيمنة هناك أيضاً فروق، لا يغفلها منهاج الإسلام في رؤية الآخرين، وفي العلاقات مع هؤلاء الآخرين.. ولقد ميَّز فقهاء الإسلام وفلاسفته انطلاقاً من هذا المنهاج القرآني ميَّزوا أصناف الكفر ودرجاته.. فهناك كفر جحود للحق الذي عرفه الجاحدون.. وهناك كفر جهل وتقصير.. وهناك كفر من بلغته الدعوة.. وكفر من لم تبلغه الدعوة.. أو بلغته مشوهة، ودون إقامة الحجة عليها وإزالة الشبهات عنها.. وفي ذلك يقول حجة الإسلام أبوحامد الغزالي (٤٥٠ ٥٠٥هـ - ١٠٥٨ ١١١١م): "إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى، أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك، و لم تبلغهم الدعوة، فإنهم ثلاثة أصناف:

صنف لم يبلغهم اسم محمد {، أصلاً، فهم معذورون.

وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات، وهم المجاورون لبلاد الإسلام والمخالطون لهم، وهم الكفار الملحدون.

وصنف ثالث بين الدرجتين، بلغهم اسم محمد {، و لم يبلغهم نعته وصفته، بل سمعوا أيضاً منذ الصبا أن كذاباً متلبساً اسمه محمداً ادعى النبوة، كما سمع صبياننا أن كذاباً يقال له المقفع(١) بعثه الله، تحدى بالنبوة كاذباً، فهؤلاء عندي في معنى الصنف الأول "الذين لم يبلغهم اسم الرسول"، فإنهم مع أنهم سمعوا اسمه، سمعوا ضد أوصافه، وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب".(٢)

بل تحدث الفقهاء أيضاً، عن "كفر النعمة" الذي هو مغاير "لكفر الاعتقاد".. وقالوا بوجود "كفر دون كفر".. وبكفر "المقولة" دون كفر "القائل"، الذي قد يكون لديه تأويل حتى ولو كان فاسداً... فلم يضعوا كل ألوان الكفر في سلة واحدة، ولا في فسطاط واحد.. كما يصنع الذين يسطِّون أمور التعامل مع الآخرين.

ولقد وضع علماء مدرسة الإحياء والتجديد الحديثة، في بلادنا، وقادة التحرر الوطني، الذين انطلقوا عن هذا المنهاج الإسلامي، لتحرير بلادنا من الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة... وضعوا هذا المنهاج الإسلامي الذي لا يضع كل الآخر في سلة واحدة في الممارسة والتطبيق، وهم يتعاملون مع الاستعمار الغربي لعالم الإسلام، ومع الخطاب الغربي الذي كان يمهد ويبرر لهذا الاستعمار.

فجمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ١٣١٤هـ- ١٨٣٨ ١٨٩٧م) تحدث عن هذا المنهاج في المقال الافتتاحي لمجلة "العروة الوثقى" التي صدرت (سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٣م) لسان حال جمعية العروة الوثقى التي تكوَّنت عقودها وخلاياها في الشرق الإسلامي وذلك عندما تحدث عن تحالف هذه الجمعية مع الأحرار الأوروبيين في البلاد الاستعمارية ذاتها.. فقال: "ولما كانت بدايتهم تستدعي مساعدة من يضارعهم في مثل حالهم، رأوا أن يعقدوا الروابط الأكيدة مع الذين يتململون من مصابهم، ويحبون العدالة العامة، ويحامون عنها من أهل أوروبا"(٣).

ولقد سارت الحركات الوطنية في بلادنا على هذا المنهاج.. فوجدنا مصطفى كامل باشا (١٢٩١ ١٣٢٦هـ - ١٨٧٤ ١٩٠٨م)، باعث الوطنية المصرية ضد الاحتلال الإنجليزي، وداعية الجامعة الإسلامية، وزعيم الحزب الوطني يتحالف مع القوى الحرة والليبرالية في فرنسا، وأوروبا، بل ويراهن على التناقضات بين الاستعمار الفرنسي، والاستعمار الإنجليزي في جلب التأييد لإجلاء الإنجليز عن مصر.

وعلى درب مصطفى كامل باشا، سار خليفته في زعامة الحزب الوطني بمصر محمد بك فريد (١٢٨٤ ١٣٣٨هـ - ١٨٦٨ ١٩١٩م) الذي لم يكتف بالتحالف مع الدولة العثمانية، والحركات الوطنية الإسلامية، وإنما تحالف أيضاً مع الاشتراكيين الأوروبيين وشارك في المؤتمرات التي عقدوها، بل وراهن على التناقضات بين الألمان وبين الإنجليز في هذا الميدان.

وعلى الدرب نفسه سارت حركات التحرر الوطني المعاصرة في بلادنا، عندما استفاد كثير منها من التناقضات التي قامت إبان الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي، سواء أكانت هذه الاستفادة في التسليح.. أم التصنيع.. أم في دعم قضايانا بالمحافل الدولية.

ذلك هو المنهاج الإسلامي في النظر إلى الآخر كل آخر وفي التعامل معه، ومع الخطاب الصادر عنه.. فالبلاغ القرآني القائل: ليسوا سواء هو عنوان المنهاج الإسلامي في هذا المقام.

الهوامش

(١) الإشارة إلى عبدالله بن المقفع (١٠٦ ١٤٢ه ٧٢٤ ٧٥٩م) كان في الأصل مجوسياً مزدكياً فأسلم، وألف وترجم في الفلسفة.. وقتل بتهمة الزندقة.

(٢) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص٢٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

(٣) (الأعمال الكاملة) ج٢ ص٣٤٢ دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٨١م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي

د.محمد عمارة

في الحديث عن صورة الإسلام في الخطاب الغربي.. أشرنا إلى المقدمة الأولى، التي تؤكد أن الغرب ليس واحداً... وأن خطابه من ثم ليس واحداً.

أما المقدمة الثانية: فهي أن الخطاب الغربي عن الإسلام وأمته وحضارته، ليس مجرد "مقولات نظرية" أو تعبيرات عن صور ذهنية مجردة، وإنما هو بناء فكري مركب، نما عبر تاريخ الاحتكاك العنيف بين الغرب والشرق، لا ليقف عند أفكار المفكرين وكتابات الكاتبين ونظريات المنظِّرين، وإنما ليكون التبرير المسوّغ لهيمنة الغرب على الشرق، واحتلال أرضه، ونهب ما فيها من ثروات.. فهو خطاب تبريري لتسويغ ممارسات لا أخلاقية، تجسدها الإمبريالية والاستعمار في أرض الواقع.. وهذا الخطاب الغربي عن الإسلام وأمته وحضارته، تتوجه به الدوائر الاستعمارية الغربية إلى العقل الشرقي، لتغريب عقول شريحة من نخب مفكرينا ومثقفينا، الذين يتبنون هذه الصورة الغربية عن الإسلام وحضارته، فيصبحون بيننا عملاء حضاريين للغرب، يبشرون بالتبعية للمركز الغربي.. على النحو الذي تحدث عنه جمال الدين الأفغاني عندما قال: "إن المقلدين لتمدن الأمم الأخرى ليسوا أرباب تلك العلوم التي ينقلونها... ولقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها، وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم"(١).

كما يتوجه الغرب الاستعماري بهذه الصورة التي صنعها ويصنعها للإسلام وحضارته إلى شعوبه هو، كي يبرر أمامها سلوكه العدواني الاستعماري ضد الشعوب التي يستعمرها، وكي يخيف شعوبه من الإسلام، فيجرها إلى التضحية في معاركه الفكرية.. والقتالية ضد الإسلام وعالمه.

والآن.. وبعد نمو الوجود الإسلامي في المجتمعات الغربية بأوروبا.. وأمريكا.. وأستراليا غدا المسلمون في تلك البلاد يعانون معاناة مضاعفة من آثار ذلك الخطاب، حتى لقد أصبحوا محرومين من مميزات الليبرالية الغربية، وامتيازات الحريات والحقوق المدنية، وغدوا متهمين لمجرد أنهم مسلمون، ومحرومين من أبسط ثوابت وضوابط وشروط العدالة في المحاكمات أمام القضاء إذ يحاكمون ويدانون "بأدلة سرية" لا يعلمون عنها شيئاً!! بل وغدوا ضحايا اعتداءات وإيذاءات مادية ومعنوية، زادت في أمريكا

بعد قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م، أكثر من ١٧٠٠% عما كانت عليه قبل هذه القارعة كما رصدت ذلك منظمات أمريكية لحقوق الإنسان(٢).. حتى يوشك الخطاب الغربي، والممارسات الغربية أن تدخل المسلمين لمجرد أنهم مسلمون في دورة جديدة من دورات "محاكم التفتيش" التي نصبها الغرب للإسلام والمسلمين عقب سقوط "غرناطة"، واقتلاع الإسلام من الأندلس (٨٩٧هـ ١٤٩٢م)!.

فنحن إذن بإزاء خطاب غربي عن الإسلام، له آثار كارثية في أرض الواقع.. ولسنا بإزاء مجرد أفكار نظرية وصور ذهنية سلبية عن الإسلام.

@@@

والمقدمة الثالثة: هي أن نزعة "المركزية الغربية"، التي لا تعترف بالآخر غير الغربي الديني منه والثقافي والحضاري بل ولا تعترف بالغربي الأبيض إذا كان مسلماً، كما هو حالها إزاء الأوروبيين المسلمين في ألبانيا والبوسنة والسنجق.. وكوسوفا.. ومقدونيا.. وتركيا... إن هذه "النزعة المركزية الغربية" تلعب دوراً محورياً وكبيراً في تراكم ثقافة هذا الخطاب الغربي عن الآخر الإسلامي، فعدم الاعتراف بالآخر فيه التبرير لإلغاء هذا الآخر!.. وحتى إذا كان هناك اعتراف بالآخر "كأمر واقع"، فإن عدم الاعتراف بشرعيته ومشروعيته وحقه في الوجود المتميز والمستقل، يذكي دائماً وأبداً السعي إلى إلغائه وطي صفحته من الوجود... فالغرب الليبرالي الرأسمالي ظل لأكثر من سبعين عاماً يعترف بالشمولية الشيوعية "كأمر واقع"، ولكنه لم يعترف أبداً بشرعيتها ومشروعيتها وحقها في الوجود المستقل والمتميز.. ولذلك، ظل موقفه الدائم منها موقف الساعي إلى إسقاطها وطي صفحتها من الوجود، وعندما تحقق له ذلك اعتبر هذا الانتصار "نهاية التاريخ"!.

ولقد لعبت هذه النزعة المركزية نزعة عدم الاعتراف بشرعية ومشروعية الوجود الحر والمستقل والمتميز للآخر لعبت الدور المحوري في التعبئة الفكرية والمادية لإلغاء وجود هذا الآخر، ولتبرير وراثة ما في حوزته من أوطان وثروات!!.

بل لقد استعان الغرب في سبيل تأكيد "نزعته المركزية" هذه بالنظريات العلمية الزائفة، مثل "الداروينية"، التي زعمت أن الصراع هو قانون العلاقة بين الأحياء، وأن البقاء للأقوى، لأن الأقوى هو الأصلح... فانطلق الغرب الاستعماري من هذا الزيف لتبرير إلغائه لثقافات وحضارات الأمم والشعوب التي ابتليت باستعماره لبلادها، بحجة أنها الضعيفة، وأنه الأقوى... فلها الفناء، وله وحده ولحضارته البقاء!... وفي سبيل تكريس هذا الزيف الغربي، بلور الغرب علماً سماه "علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية" الخاص بدراسات "المجتمعات البدائية" التي هي في عرف الغرب المجتمعات غير الغربية.. فهي بدائية.. وهو المتقدم.. وهي الضعيفة.. وهو الأقوى.. فلها الإبادة، وله البقاء بحكم هذا الزيف الذي جعله الغرب "علماً"!!.. والذي توجه "بخطابه" إلى شعوبه.. وإلى شعوبنا أيضاً!.

الهوامش

(١) (الأعمال الكاملة) ص١٩٥ ١٩٧، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

(٢) في التقرير السنوي لمكتب التحقيقات الفيدرالية بالولايات المتحدة الأمريكية أن الاعتداءات على المسلمين في أمريكا كانت سنة ٢٠٠٠م ٢٨ حالة، وارتفعت سنة ٢٠٠١م إلى ٢٠٠٠ جريمة، أي بنسبة ١٦٠٠%، صحيفة "الأهرام" القاهرة: في ٢٧-١١-٢٠٠٢م... وفي تقرير المنظمة الأمريكية لحقوق الإنسان.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي

د.محمد عمارة

إرادة الصمود

ونحن أمام هذا "الكابوس" بإزاء عدد من الخيارات:

أولها: خيار الاستسلام، يأساً وقنوطاً من روح الله ونصره.. وهو خيار بائس، ينسى أصحابه أننا لسنا بإزاء شيء جديد غير مسبوق في تاريخ الإسلام والمسلمين، وإنما أمام "دورة" من دورات التدافع والصراع، واجهت أمتنا أسوأ منها، وتعاملت مع ما هو أشد قسوة منها، فكان تاريخ الشرق الإسلامي، دائماً وأبداً، مقبرة الغزاة والإمبراطوريات.. من الرومان.. وحتى الإمبراطوريات الغربية الحديثة.

وذلك فضلاً عن أن هذا اليأس الذي لا يقرأ أهله ولا يعون سنن التاريخ يخرجهم والعياذ بالله من حظيرة الإيمان بحقيقة الإسلام: إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (٨٧) (يوسف).

والخيار الثاني: هو خيار "العنف العشوائي"... وهو خيار يحرم قضايانا العادلة من أصدقاء كثيرين حتى في إطار الشعوب الغربية وتيارات الفكر الغربي... فضلاً عن أنه يسيء إلى حقيقة الجهاد الإسلامي... ناهيكم عن عدم جدواه أمام شراسة التحديات التي تواجهها أمتنا في هذا المنعطف من منعطفات المواجهة بين الفرعونية والقارونية الأمريكية وبين الإسلام... بل لربما أعطى هذا "العنف العشوائي" بعض الذرائع لهذه الفرعونية كي تستر بعضاً من مقاصدها الكالحة واستبدادها القبيح.

أما الخيار الثالث: فهو خيار المقاومة الإسلامية لهذه التحديات الغربية بالمعنى الشامل للمقاومة.

ونقطة البداية في هذه المقاومة هي "إرادة الصمود"، التي هي المعيار الحقيقي والفارق الجوهري بين النصر والهزيمة... فهناك أمم انكسرت إرادتها في الحروب والمواجهات، فلم يعوضها عن انكسار الإرادة وفرة أسباب القوة المادية كاليابان مثلاً وهناك حالات تتعاظم فيها إرادة الصمود كلما تعاظمت شراسة التحديات والحالة الإسلامية نموذج جيد لهذا النوع والحمد لله.

وبعد "إرادة الصمود" تلزمنا "الإدارة" التي ترمم وترتب "البيت العربي والإسلامي" في إطار الحد الأدنى الذي يعظِّم الإمكانات العقدية والفكرية والبشرية والمادية الهائلة التي تملكها أمتنا.

وهذا الاجتماع العربي الإسلامي على هذا الحد الأدنى من التضامن، ليس لمحاربة أمريكا والغرب.. فنحن لا نريد ذلك، ولا قِبل لإمكاناتنا بمثل ذلك.. وإنما نريد هذا الحد الأدنى من التضامن لتحسين أوراقنا ومواقع أقدامنا أمام هذه التحديات... ولتمكيننا من التدافع، الذي هو حراك يعدل الموازين،

ويغير المواقف، ويحسِّن الأوضاع، ويزيل الخلل الفاحش، ويكثِّر الأصدقاء، ويقلل الأعداء، أو يحيـــد بعضهم، دون أن يبلغ حد الصراع والقتال: \ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ٣٤ (فصلت).

إننا نريد المقاومة، بمعناها العام، والجهاد بمعناه الشامل... وليس القتال أو الحرب، بمعناهما الخاص... وصدق رسول الله {، إذ يقول: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فـــاثبتوا، وأكثروا من ذكر الله" (رواه الدارمي).

وإن تحقيق الحد الأدنى من التضامن والتكامل والتكاتف والتساند بين دول وإمكانات العالم الإسلامي بدءاً ببعض الدول المحورية هو الإعداد والاستعداد الذي يحقق الردع للأعداء فلا يطمعون في أن يبلغ الغي والتجبر الحدود القصوى... وفي ذلك بداية التغيير لاتجاه الخط البياني في معادلة العلاقـــة بـــين الإسلام وأمته وحضارته وبين التحديات الشرسة التي فرضها ويفرضها علينا مشروع الهيمنة الغربيـــة هذه الأيام.

@@@

تلك هي جذور المواجهة التي تعيشها أمتنا الآن... وهذه هي حقيقة صورة الإســـلام في الخطـــاب الغربي... وهذا هو المخرج من المأزق الذي يأخذ منا بالخناق... والذي تزيغ منه الأبصـــار. وتبلـــغ القلوب الحناجر.. ويزلزل الكثيرين منا زلزالاً شديداً.

وعلينا أن نتذكر دائماً وأبداً، أننا إذا قصرت بنا الهمم عن التأسي بصـــحابة رســـول الله {، يـــوم الأحزاب فحرام أن تقصر بنا الهمم عن التأسي بالمماليك أمام التتار

الجدل بين "الواقع" و"الفكر"

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(٤)

النفي الغربي للإسلام

د.محمد عمارة

وفي الموقف الغربي من الآخر الإسلامي تنهض هذه "النزعة المركزية" بالدور المحـــوري في اختـــراع الصور الغربية عن الإسلام، وفي إذكاء روح العداء الغربي للحضارة الإسلامية، وفي التبرير لحـــروب الغرب الفكرية والقتالية ضد عالم الإسلام وأمته وحضارته.

وإذا كانت المواجهة التاريخية والحديثة والمعاصرة قائمة بين "المشروع الغربي" الذي ينفي "المشـــروع الإسلامي"، فإن هذا النفي الغربي للإسلام وحضارته، له جذور عميقة في تصورات الثقافة الغربية عن الإسلام، وهذه الجذور الرافضة والنافية للآخر الإسلامي حية وفاعلة بل ونامية حتى هذه اللحظات.

نجد ذلك في "المشروع الكنسي" الذي أعلن بلسان البروتستانت في "مؤتمر كولورادو" سنة ١٩٧٨م ضرورة اختراق الإسلام لتنصير كل المسلمين!، كما أعلن هذا "المشروع الكنسي" بلسان الكاثوليك ضرورة أن تصبح إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م، فلما خاب الرجاء غير الصالح، أجلوا التاريخ إلى سنة ٢٠٢٥م!.. وتعبر عن هذا "المشروع الكنسي" حتى فرنسا العلمانية بلسان رئيسها الأسبق "فـــاليري

جيسكار ديستان" عندما أعلن استحالة قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي، لأنها مسلمة، والاتحاد الأوروبي "نادٍ مسيحي"!.

أما "لسان" الغرب الأرثوذكسي، فلقد مارس هذا النفي للإسلام، بالمجازر والمقابر الجماعية، على أرض البلقان والشيشان.. كما تمارسه الصهيونية وهي امتداد غربي متحالفة مع الصليبية الغربية على أرض فلسطين!.

بل إن كنائس الغرب التي خانت نصرانيتها لا تستحي عندما تعلن هذا النفي للإسلام، حتى في المؤتمرات التي "تحاور" فيها رموز الإسلام، في عقر دار الإسلام!!.. ففي "مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي"، الذي عقد بالقاهرة بدعوة من "المنتدى العالمي للحوار" بجدة و"مؤتمر العالم الإسلامي" والذي انعقدت جلساته في فندق "شيراتون هليوبولس" في ٢٨، ٢٩ أكتوبر سنة ٢٠٠١م رفض ممثل الفاتيكان، نائب الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان، القس "خالد أكاش"... وممثل "مجلس الكنائس العالمي" الدكتور "طارق متري".. رفضا التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر، لأنه وضع الإسلام مع اليهودية والنصرانية، تحت وصف "الأديان السماوية الربانية"، وقالا: "إن وصف الإسلام كدين سماوي ورباني لا يزال محل خلاف لم يُحسم بعد"!!.

ولقد علق الدكتور يوسف القرضاوي وكان مشاركاً مع شيخ الأزهر في هذا المؤتمر على هذا الموقف فقال: "إنني أستغرب من توجس بعض رجال الدين المسيحي من وصف الإسلام بالربانية والسماوية، وإذا كان الفاتيكان والكنائس العالمية لاتعترف بالإسلام كدين سماوي فلماذا نجتمع إذن؟! وإذا لم يقرر رجال الدين المسيحي والفاتيكان بأن الإسلام دين رباني فلا داعي للقاء والحوار..."(١).

إنهم يعترفون بالإسلام "كأمر واقع"، ويصنفونه ضمن "الديانات الوضعية"، غير السماوية وغير الربانية، وذلك لتبرير السعي الكنسي الدائب والدائم لتنصير المسلمين، وطي صفحة الإسلام من الوجود انطلاقاً من "النزعة المركزية" التي لا تعترف بالآخرين... فتسعى إلى إلغائهم، بضمير مستريح!.

كذلك نجد هذا النفي للآخر، والرفض لمشروعية وجوده المتميز والمستقل، في "المشروع الحضاري" الغربي، الذي لا يعترف بالتعددية الحضارية العالمية.. وإن اعترف بالحضارات غير العربية "كأمر واقع" فهو يسعى بالتغريب وعولمة نموذجه الحضاري إلى إلغاء هذه التعددية الحضارية، والانفراد الغربي بالعالم كله.. وفي سبيل ذلك يستخدم "نزعة صدام الحضارات.. وصراع الثقافات" كحتمية مزعومة لتبرير سيادة هذه النزعة المركزية على النطاق العالمي.

وفيما يتعلق بالنفي الغربي للإسلام على وجه الخصوص يكفي أن نشير إلى كلمات المستشرق الفرنسي "جاك بيرك" (١٩١٠ ١٩٩٥م) التي يقول فيها: "إن الإسلام، الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أكثر من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً، وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم.. قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة

للغرب: ابن العم المجهول، والأخ المرفوض.. والمنكور الأبدي.. والمبعد الأبدي.. والمتهم الأبــدي.. والمشتبه فيه الأبدي"(٢).

لقد قال "جاك بيرك" هذا الكلام، المعبر وهو الخبير في الثقافة الغربية وفي الإسلام معاً عن نفي الغرب للإسلام وحضارته وأمته، كموقف ثابت ودائم.. وقدَّم هذه الصورة للإسلام في الثقافــة الغربيــة والحضارة الغربية والممارسات الغربية، قبل "قارعة سبتمبر سنة ٢٠٠١" بسبع سنوات!... وكأنه كان يصف "طوفان" ثقافة الكراهية السوداء التي انهالت على الإسلام وأمته وحضارته عقب سبتمبر ســنة ٢٠٠١م!.

فنحن أمام موقف ثابت ودائم من قبل المشروع الكنسي الغربي.. والمشروع السياسي والحضــاري الغربي.. وهو موقف ينفي الآخر الإسلامي، ليبرر العدوان الاستعماري والهيمنة الحضارية على عالم الإسلام.

الهوامش

(١) صحيفة "الأسبوع" القاهرة في ٥-١١-٢٠٠١م، وصحيفة "العالم الإسلامي" مكــة في ١٦-١١-٢٠٠١م، وصحيفة "عقيدتي" القاهرة في ٦-١١-٢٠٠١م.

(٢) من حديث جال بيرك في ٢٧-٦-١٩٩٥م. انظر: حسونة المصباحي "العرب والإسلام في نظر المستشرق الفرنسي جاك بيرك"، صحيفة "الشرق الأوسط" لندن في ١-١١-٢٠٠٠م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(٥)

د.محمد عمارة

إن "الجدل" بين "الواقع" و"الفكر" هو حقيقة علمية، لا تنفرد بها بعض الفلســفات الاجتماعيــة الغربية.. بل لقد سبق الإسلام إلى تقرير هذه الحقيقة فيما عرفناه من العلاقة بين آيات القرآن الكريم "ومناسبات" نزولها.. والعلاقة، بين الأحاديث النبوية و"أسباب ورود" هذه الأحاديــث.. وهــذا "الجدل" بين "الواقع" و"الفكر" هو مما تكاد تلمسه العقول في الدراسات الاجتماعية لنشأة الأفكــار وتطورها.

ولقد كان "واقع" الاستعمار الغربي للشرق منبعاً أصيلاً لكثير من الصور الزائفة التي صنعها الغــرب للشرق وهي الصور التي عادت لتزكي ولتبرر، في المخيلة الغربية، نزعــة الاســتعمار والاســتعلاء والاحتواء والاستغلال.

ولأن تاريخ الاستعمار الغربي للشرق سابق على ظهور الإسلام، فلقد صنع الغرب الروماني والبيزنطي للنصرانية المصرية والشرقية، ولثقافة الشرق وحضارته الصور الزائفة التي بررت القهر والاضــطهاد والإبادة التي مارسها الرومان والبيزنطيون عشرة قرون ضد الشرق والشرقيين من "الإسكندر الأكبر" (٣٥٦ ٣٢٣ق م) في القرن الرابع قبل الميلاد وحتى "هرقل" (٦١٠ ٦٤١م) في القرن السابع للميلاد.

ولأن الإسلام هو الذي حرر بفتوحاته أرض الشرق من الاستعمار والاستغلال الروماني البيزنطــي، وحرر ضمائر الشرقيين من الاضطهاد والقهر الديني والحضاري، فلقد بدأت الصورة الغربية المعاديــة

للإسلام وحضارته وأمته ودولته وعالمه تتبلور في الثقافة الغربية الدينية.. والمدنية منذ ذلك التـــاريخ..
لقد كانت الحضارة الشرقية، بنصرانيتها اليعقوبية، هي "العدو البربري الهمجـــي" بنظـــر الرومـــان البيزنطيين .. فلما أصبحت الحضارة الشرقية إسلامية، أصبحت هي العدو الجديد، الـــذي حلـــت صورته محل صورة العدو القديم.. تماماً كما صنع الإعلام الغربي عقب سقوط الشـــيوعية في العقـــد الأخير من القرن العشرين ورسخ أن الإسلام هو العدو الذي حل محل إمبراطورية الشر الشيوعية!.
لقد بدأ العداء الغربي للإسلام منذ ظهور الإسلام وتحريره الشرق والشرقيين من هيمنة الرومان.. وفي هذا المقام يقول الكاتب والقائد الإنجليزي "جلوب باشا" (١٨٩٧ ١٩٨٦م) كلمته التي توقظ النيام!:
"إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد"!!.
ومنذ ذلك التاريخ توالت محاولات الغرب إعادة اختطاف الشرق من الإسلام:
فكانت الموجة الاستعمارية الصليبية، التي دامت قرنين (٤٨٩ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ١٢٩١م) والتي شارك فيها الغرب كله، بقيادة الكنيسة الكاثوليكية، وتحويل المدن التجارية الأوروبية وسيوف أمراء الإقطاع الأوروبيين.. ولقد انتهت هذه الموجة بالهزيمة على يد الفروسية الإسلامية، التي اقتلعـــت قلاعهـــا، وهدمت حصوها، وأزالت كل آثارها.
ثم جاءت الموجة التترية زاحفة على الشرق الإسلامي، بدعوة من الصليبيين الأوروبيين الذين تحالفوا مع الوثنية التترية ضد التوحيد الإسلامي!... ولقد هددت هذه الموجة التترية التي كان يقود جيوشها نصارى نساطرة! هددت الوجود الإسلامي ذاته.. ثم كانت هزيمتها الساحقة على يدي الفروســـية الإسلامية في "عين جالوت" (٦٥٨هـ ١٢٦٠م).. ثم انتهت بانتصار الإسلام في عقول وقلوب التتار، فدخلوا الإسلام، وتحولوا إلى سيوف في معارك هذا الدين!..
ومنذ سقوط "غرناطة" (٨٩٧هـ ١٤٩٢م) ونجاح الصليبية الأوروبية في اقتلاع الإســـلام وحضـــارته المشرقة وثقافته السمحة من الأندلس، بدأت مرحلة جديدة في هذه الحرب الغربية على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه... بدأت مرحلة الالتفاف حول العالم الإسلامي مرحلة التطويق مروراً بســـواحل إفريقيا الغربية والجنوبية.. ووصولاً إلى الأطراف الإسلامية في الجنوب الشـــرقي لآســـيا الفلـــبين.. والهند.. وإندونيسيا .. وذلك تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامي الوطن العربي بحملة "بونـــابرت" (١٧٦٩ ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م).
وإبان هذه المرحلة مرحلة الغزوة الاستعمارية الحديثة تميز التحدي الغربي عن الحقبة الصـــليبية الأولى بالغزو الفكري، المصاحب لاحتلال الأرض ونهب الثروات... أي بصناعة الصورة الغربية للإســـلام وحضارته وأمته، تلك الصورة التي نمت مكوناتها لتزكي وتبرر للغرب نفي الآخر الإسلامي، ولتشحن الشعوب الأوروبية بالعداء للإسلام، حفزاً لها على مواصلة الغزو والاحتلال لبلاد الإسلام.
وخلال هذه القرون من طمع الغرب باستعادة الشرق من الإسلام تبلور الخطاب الغربي حول الشرق، على النحو الذي يخدم تحقيق هذه الاستراتيجية الاستعمارية الغربية.. وهو خطاب متنوع ومتكامل في

ذات الوقت.. متنوع بتنوع الدوائر الصادر منها.. ومتكامل لتحقيق هذه الاستراتيجية الغربية الواحدة.. ومتنوع كذلك بتنوع الجمهور الذي يتوجه إليه هذا الخطاب الإسلامي.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(٦)

اختطاف الشرق من الإسلام

د.محمد عمارة

ذكرنا في ختام المقال السابق، أن الخطاب الغربي حول الشرق تنوع بسبب عدة عوامل، منها تنوع الجمهور الذي يتوجه إليه ذلك الخطاب، ونفصل ذلك كالآتي:

١ الغرب الكنسي اللاهوتي، له خطاب ديني يسعى به إلى تنصير المسلمين.. وحتى الدوائر العلمانية في النظم السياسية الغربية بما فيها العلمانية الفرنسية المتطرفة تدعم هذا المشروع الكنسي التنصيري وخطابه اللاهوتي، لأنه يصب في النهاية في تحقيق استراتيجية إلحاق الشرق بالغرب، وهيمنة الحضارة الغربية المسيحية بمعنى من المعاني على حضارة الإسلام.. ومن هنا كان دعم حكومات فرنسا العلمانية لمدارس الإرساليات التنصيرية في المشرق العربي لأنها وفق عبارة قناصل الحكومة الفرنسية "تستهدف جعل سورية (أي الشام الكبير) حليفاً أكثر أهمية من مستعمرة! وتأمين هيمنة فرنسا على منطقة خصبة ومنتجة! وتحويل الموازنة إلى جيش متفان لفرنسا في كل وقت!... وجعل البربرية العربية "كذا" تنحني لا إرادياً أمام الحضارة المسيحية لأوروبا"!!(١).

فالهدف الاستراتيجي، الذي يجتمع عليه الغرب الاستعماري الكنسي منه والسياسي هو إعادة اختطاف الشرق من الإسلام، والتوسل إلى ذلك بتشويه صورة الإسلام، أو طي صفحة وجود هذا الإسلام!

٢ والغرب السياسي القائد لهذه المواجهة بعد إزاحة الكنيسة عن مركز القيادة له خطاب سياسي وثقافي وحضاري، يسعى إلى تغريب الشرق، واحتلال عقل النخب من أبنائه، لتأييد احتلال الأرض ونهب الثروات عندما يصبح الغرب ونموذجه الحضاري والقيمي هو قبلة عقول هذه النخب من المفكرين والمثقفين.

ومع توجيه هذا الخطاب الغربي الثقافي منه واللاهوتي في الأساس... إلى عقول المسلمين الشرقيين.. فلقد توجهوا به كذلك إلى الرأي العام الغربي، لإقناعه بضرورته، ولكسب تأييده لمراميه.. ولإشراكه في الإنفاق عليه، والنهوض بتبعاته، والحرب في سبيله.

وإذا كان طمع الغرب الاستعماري السياسي والكنسي قد شمل العالم كله، وليس فقط عالم الإسلام، فلقد تميَّز الخطاب الغربي للعالم الإسلامي عن خطابه للحضارات غير الإسلامية، بسبب تميز الإسلام ودوره في هذه المواجهة التاريخية بين الغرب والإسلام... فالإسلام ليس مجرد حضارة متميزة عن الحضارة الغربية كما هو الحال مع الحضارات الأخرى: الصينية والهندية واليابانية وإنما هو مع هذا

التميز حضارة عالمية، وليست محلية كتلك الحضارات، ومن ثم فهو المنافس الأول والأخطر للحضارة الغربية على النطاق العالمي، بل وفي عقر دار الحضارة الغربية ذاتها!

ومن هنا كان إحياء الغرب وإنعاشه لذاكرة شعوبه بذكريات:

الفتوحات الإسلامية الأولى التي حررت الشرق من هيمنة الغرب في القرن السابع الميلادي بعد عشرة قرون من القهر الحضاري، الإغريقي والروماني.. والبيزنطي للشرق..

وذكريات الوجود الإسلامي في الأندلس الذي استمر ثمانية قرون (٩٢ ٨٩٧هـ ٧١١ ١٤٩٢م) وهو الوجود الذي كاد يدخل جنوب أوروبا ووسطها في دائرة الإسلام، لولا الهزيمة الإسلامية في معركة "بلاط الشهداء" (١١٤هـ ٧٣٢م).

وذكريات الهزيمة الصليبية أمام الفروسية الإسلامية، وفشل الحملات الصليبية في إعادة اختطاف الشرق والقدس من الإسلام، رغم استمرار هذه الحملات قرنين من الزمان (٤٨٩ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ١٢٩١م).

وذكريات المطاردة العثمانية للتحدي الأوروبي على أرضه... وفيها تم فتح القسطنطينية (٨٥٧هـ ١٤٥٣م)، ثم أوغلت هذه المطاردة على أرض البلقان.. حتى وصلت إلى أسوار "فيينا" في (٩٣٥هـ ١٥٢٩م) وفي (١٠٩٤هـ ١٦٨٣م).

وذكريات السيطرة الإسلامية على البحار الكبرى للكرة الأرضية الأبيض والأحمر والعرب.. والأسود لأكثر من عشرة قرون، كان المسلمون فيها هم "العالم الأول" على ظهر هذا الكوكب.

كان المشروع الغربي السياسي منه والكنسي حريصاً دائماً وأبداً، على إنعاش ذاكرة الشعوب الغربية بذكريات و"خطر العالمية الإسلامية"، على استراتيجيته، وذلك لتأجيج حماس تلك الشعوب في معركة الغرب لاستعادة الشرق مرة أخرى من الإسلام.

وفي كل مفردات هذا الخطاب الغربي اللاهوتي منه والسياسي والثقافي والتعليمي والإعلامي كان الغرب حريصاً على توجيه أمضى أسلحته وأخطرها إلى الإسلام الدين والثقافة والحضارة باعتباره النموذج الذي يحرر الشرق من الرومان ومن الصليبيين، والطاقة المقاومة لكل محاولات هيمنة الغرب على الشرق من جديد.

الهوامش

(١) من مراسلات القناصل أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس سنوات ١٨٤٠ ١٨٤٢ ١٨٤٨ ١٨٩٧ ١٨٩٨م. انظر كتابنا: (هل الإسلام هو الحل؟) ص٢٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(٧)

ثقافة الكراهية .. الأصول والجذور

د.محمد عمارة

أثمرت تراكمات مفردات الخطاب الغربي، الخاص بالشرق الإسلامي، أثمرت مخزوناً من "ثقافة الكراهية السوداء"، التي شاعت وترسبت، بل وتكلّست، في كثير من ميادين الثقافة واللاهوت والتعليم والإعلام بأوروبا وأمريكا.. وهو المخزون الداعم للمشاريع الغربية لاستعمار الشرق، والذي تطفح به منابر الثقافة والإعلام والتنصير الغربية إبان الأزمات الحادة في علاقة الغرب بالإسلام، على النحو الذي رأيناه ونراه بعد "قارعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م" في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي هذا الميدان يستطيع العقل المسلم أن يتابع ويعي دلالات المواقف والأفكار، التي غدت مكونات أساسية في ثقافة الخطاب الغربي حول الإسلام والحضارة الإسلامية ... وهي مواقف وأفكار رصدها وانتقدها علماء غربيون منصفون.. وذلك من مثل:

تصوير نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، باعتباره المنشق الكاثوليكي الأكبر، الذي اختطف الشرق من الغرب الروماني، ومن الكاثوليكية!!.. وكما يقول المفكر الألماني "هوبرت هيركومر" في دراسته عن "صورة الإسلام في الأدب الوسيط" : "فإن الأوروبيين ادَّعوا أن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق، انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية"(١)!!

وتصوير الكاثوليكية الأوروبية بلسان فيلسوفها الأكبر "توما الأكويني" (١٢٢٥ ١٢٧٤م) رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بأنه "الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية... وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية..."(٢)!!

وتصوير البروتستانتية الأوروبية بلسان رائدها الأول "مارتن لوثر" (١٤٨٣ ١٥٤٦م) للقرآن الكريم "بأنه كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع"... وحديثه عن أن "إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن، وتعرف المسيحيين عليه!"، وأن "على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم" في هذه الحروب!!(٣).

وتصوير الغرب للمسلمين في الثقافة الشعبية الأوروبية، ومن خلال الملاحم الشعبية، مثل "ملحمة رولاند" سنة ١١٠٠م، بأنهم "الجنس الحيواني الحقير.. والكلاب والخنازير"!!.. وأنهم "يعبدون أصنام الثالوث: "أبوللين" Apollin، و"تيرفاجانت" Tervagant و"حوميت محمد" Mahamet!!(٤).

وهي الأوصاف المزيفة والكاذبة، التي لا تزال تجترها حتى الآن "أفلام هوليود"، والأعمال "الأدبية" التي يفوز أصحابها بجوائز "نوبل" في هذه الأعوام!!

ووضع "دانتي" (١٢٩٥ ١٣٢١م) صاحب "الكوميديا الإلهية" رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه "في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم، وقد قطعت أجسامهم وشوهت في دار السعير، لأنهم كانوا في الحياة الدنيا "بكذبـــه وافترائـــه" أهـــل شـــجار وشقاق"!!(٥).

وحديث "جوته" (١٧٤٩ ١٨٣٢م) عن القرآن الكريم، باعتباره "الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي فيثير اشمئزازنا دائماً، كلما شرعنا في قراءته"!!

وحديث المستشرق الألماني "تيودور نولدكه" (١٨٣٦ ١٩٣٠م) في كتابه "من تاريخ القرآن" عـــن "لغة القرآن المتراخية والركيكة .. وتكراراته التي لا تنتهي، والتي لا يستحي الرسول من اســـتخدام الكلمات نفسها فيها... والبراهين التي تعوزها الدقة والوضوح، والتي لا تقنع إلا المؤمنين من البداية بالعاقبة النهائية. والقصص التي لا تقدم إلا قليلاً من التنوع، والتي كثيراً ما تجعل آيات الوحي أقرب إلى الملل والسآمة.. فأسلوب القرآن فيه عيوب كثيرة، عيوب غير موجودة في القصائد العربية القديمة ولا في أخبار العرب.. وأفكاره ضحلة، وساذجة، وبدائية"!!

أما "توماس كارليل" (١٧٩٥ ١٨٨١م) الذي تحدث عن رسول الإسلام صلى الله عليـــه وســـلم ، حديثاً إيجابياً، حتى جعله كزعيم مصلح، وليس كنبي ورسول أول العظماء المائة فإنه هـــو القائـــل: "محمد شيء، والقرآن شيء آخر مختلف تماماً.. ولا يوجد شيء غير الشعور بالواجب يمكن أن يحمل أي أوروبي على قراءة القرآن... إإنه خليط طويل، وممل ومشوش.. جاف.. وغليظ.. باختصار، هو غباء لا يحتمل"(٦).

هذه هي صورة الإسلام.. وقرآنه.. ورسوله.. وصورة المسلمين وحضارتهم، التي شاعت في الثقافـــة الغربية، وفي الخطاب الغربي عن الشرق الإسلامي، منذ ظهور الإسلام، وحتى العصر الحديث... والتي كوَّنت الأصول والجذور لثقافة الكراهية السوداء، التي تستكين حيناً، وتطفو أحياناً، إبان الأزمـــات بين الغرب والإسلام.

حدث هذا ويحدث، بينما يؤمن المسلمون ويقدسون كل الكتب والشرائع والنبوات والرسالات، ولا يفرقون بين أحد من رسل الله، ويتلون آيات القرآن التي تقول عن التوراة والإنجيل إن فيهما هـــدى ونوراً!

الهوامش

(١) (صورة الإسلام في التراث الغربي) ص٢٣، ٢٤، ترجمة: ثابت عيد، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٢، ٣٣.(٣) المرجع السابق: ص٢١.

(٤) المرجع السابق: ص١٨، ٢٥. (٥) المرجع السابق: ص٢٤.

(٦) ترجم هذه النصوص عن الألمانية: ثابت عيد، ضمن ملف تحت الطبع عن "تقييمـــات غربيـــة لأسلوب القرآن".

(* كاتب ومفكر إسلامي مصر

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(٨)
تجريد الإسلام من خصوصياته

&&د.محمد عمارة&&

كاتب ومفكر إسلامي مصر

سعت الغزوة الاستعمارية الأوروبية الحديثة كي تؤبد احتلالها لعالم الإسلام، ونهبها لثرواته إلى تجريد الإسلام من شموله للدنيا مع الآخرة، ومن مرجعيته للدولة والسياسة والاجتماع مع منظومة القيم والأخلاق الحاكمة لسلوك الأفراد... سعت إلى فك الارتباط بين شريعته الإلهية وحركة الواقع في المجتمعات الإسلامية التي استعمرتها هذه الغزوة، وذلك لتُلحق هذا الواقع بالقانون الوضعي الغربي العلماني، حتى لا يبقى للإسلام إلا ملكوت السماء والغيب والدار الآخرة كما هو حال النصرانية المهزومة أمام العلمانية الغربية وسعت هذه الغزوة الاستعمارية كذلك إلى فك الارتباط بين الإسلام والعربية لغة القرآن الكريم وذلك لتغريب اللسان، مع تغريب الفقه والقانون... وكان خطاب الاستعمار الفرنسي في هذا الميدان نموذجياً، فلقد أعلن فلاسفته ومنظروه:

"أن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخوِّلنا اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد!... ويجب فصل الدين الإسلامي عن القانون المدني... وحصر الإسلام في الاعتقاد وحده "والحيلولة دون اندماج العادات والأعراف في الشرع الإسلامي، ليتيسر دمجها في القانون الفرنسي بدلاً من القانون الإسلامي"!

"كذلك يجب الفصل بين الإسلام والاستعراب.. فالعربية هي رائد الإسلام، لأنها تُعلَّم من القرآن، وإذا سادت الفرنسية بدلاً من العربية، وأصبحت لغة التفاهم، فلن يهمنا كثيراً أن تضم الديانة الإسلامية الشعب كله، أو أن آيات من القرآن يتلوها رجال بلغة لا يفهمونها، كما يقيم الكاثوليك القداديس باللغات اللاتينية والإغريقية والعبرانية"!!(١).

فالمطلوب في خطاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة تجريد الإسلام من خصوصياته ومقومات تميزه عن النموذج الحضاري الغربي، وذلك بتغريب الفقه والقانون بالعلمانية بعد تغريب الواقع، لعزل الشريعة عن الحياة... وتغريب اللسان في بلاد الإسلام، لعزل القرآن عن الحياة، وإلحاق المسلمين بالثقافة الغربية، ومنظومة قيمها.

والدارس لواقع بلاد المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب حتى بعد ما يقرب من نصف قرن من الاستقلال السياسي يدرك حجم الكارثة التي أحدثها "التغريب الفرنكفوني" في ميادين اللغة والثقافة والتعليم والإعلام، بل والقيم أيضاً، حتى هذه اللحظات.

فالنخبة الفرنكفونية المتغربة تسيطر على ميادين الفكر والثقافة والإعلام.
والصحافة الفرنكفونية الناطقة بالفرنسية تمثل الحجم الأكبر والأهم في الميدان الصحفي.
وطغيان الفرنسية في ميدان التربية والتعليم ظاهر للعيان.
وحركة النشر وسوق الكتاب تغالب فيه الفرنسية العربية فتغلبها.
وحتى النزعات العنصرية التي تريد إحلال البربرية الأمازيغية محل العربية، ما هي إلا ستار لإحلال الفرنسية ومن ثمَّ الفكر الفرنكفوني محل الهوية العربية والإسلامية.
بل لقد بلغت كارثة التبعية والتغريب والاستلاب الحضاري في تلك البقعة العزيزة على أرض الإسلام وأمته إلى الحد الذي زادت فيه معدلات التغريب والفرنكفونية في عهد "الاستقلال" عنه في عهد الاحتلال والمقاومة الوطنية لهذا الاحتلال!!.
ويكفي أن نعلم أن الفرنسية هي لغة التخاطب والتعامل، ليس فقط في إدارات الشركات والمؤسسات، وإنما أيضاً في مداولات ودوائر الحكم ومجالس الوزارات! الأمر الذي يجعل من أوليات تيار الإسلام والعروبة.. الجهاد لتحرير العقل العربي والمسلم من هذا الاحتلال!
الهوامش
(١) محمد السماك (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص٥٧ ٥٩، طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.
صورة الإسلام في الخطاب الغربي(٩)
الخطاب التنصيري يكشف حقيقة حوار الأديان
د.محمد عمارة

لم تكن مقاصد الخطاب الغربي خطاب الهيمنة الموجه إلى العالم الإسلامي المعاصر، بأفضل كثيراً من خطاب الغزوة الاستعمارية في العصر الحديث... بل ربما كان الأمر أسوأ في كثير من مفردات هذا الخطاب..
فالخطاب الكنسي اللاهوتي، الذي طمح بل وطمع إلى تنصير كل المسلمين، قد تحدث عن الإسلام في وثائق "مؤتمر كولواردو سنة ١٩٧٨م" فقال:
"إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً... ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، ولاختراقه في صدق ودهاء! ولذلك، لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين.
لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي... إن نصارى البروتستانت في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا منهمكون بصورة عميقة في عملية تنصير المسلمين.. وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً، بروح تامة، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين.. إذ يجب أن يتم

كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعاتهم.. ويفضّل النصارى العرب في عملية التنصير. إن تنصير هذه البلاد سوف يتم من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية، ويتم ذلك بعد تكوين جالية محلية نصرانية قوية"(١).

وبعد هذا التخطيط لاختراق الإسلام في "صدق.. ودهاء!" تحدث قساوسة وبروتوكولات التنصير هذه عن ضرورة صناعة الكوارث في بلاد الإسلام، لإحداث الخلل في توازن وضحايا هذه الكوارث، باعتبار ذلك هو الشرط الضروري لتحول هؤلاء الضحايا من الإسلام إلى النصرانية!.. معتبرين ذلك "نعمة" كبرى و"معجزة" تهيئ لهم تنصير المسلمين!! فقالوا: "لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشكلات وعوامل تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها!.. وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني.. وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية!"(٢).

ولقد كشف هذا الخطاب التنصيري عن "المقاصد الحقيقية من وراء ما يسمونه "الحوار بين الأديان" فإذا بهذه المقاصد هي التمهيد للتحول القسري نعم القسري إلى النصرانية.. وبنص عباراتهم يقولون: "إن بيانات مجلس الكنائس العالمي، التي تشدد على "حرية الإقناع والاقتناع" لا تلزم المجلس!!.. فالحوار.. عند مجلس الكنائس العالمي.. ليس بديلاً عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية.. وهذه البيانات عن "حرية الإقناع والاقتناع" لاتعني تخلي المجلس عن مواقفه المناصرة "للجهود القسرية والواعية والمتعمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر.."؟!(٣).

وإذا كان هذا هو الخطاب الكنسي البروتستانتي، إزاء الإسلام والمسلمين، فإن خطاب الكاثوليكية الغربية يقطر، هو الآخر، بالعداء للإسلام.

فالمونسنيور "جوزيبي برنارديني" يصرح بحضرة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني في ١٩٩٩م فيقول: "إن العالم الإسلامي سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط.. وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية، فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً"؟!(٤).

وفي نفس التاريخ، يتحدث الكاردينال "بول بوباز" مساعد بابا الفاتيكان.. ومسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة إلى صحيفة "الفيجارو" الفرنسية، فيقول: "إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموماً.. وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكي يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكاني في أنحاء معينة من العالم، ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي، بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية النامية.

إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة، ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، في حين أن المسيحيين في أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذي يفرضه عليهم دينهم، وفي الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين في شهر رمضان"(٥).

ويمضي هذا الخطاب الكنسي الكاثوليكي ليرفض التعايش بين الإسلام والمسيحية في أوروبا.. فيقول الكاردينال "جاكومو بيفي" أسقف مدينة "بولونيا" بإيطاليا في رسالته يوم ١٣-٩-٢٠٠٠م داعياً إلى استئصال المسلمين من أوروبا: "فإما أن تتحول أوروبا إلى مسيحية فوراً، وإلا ستكون إسلامية مؤكداً"(٦)!

هذا هو الخطاب الكنسي الغربي إزاء الإسلام، وتلك هي صورة الإسلام في هذا الخطاب البروتستانتي منه والكاثوليكي في الواقع المعاصر الذي نعيش فيه.. والسابق على "قارعة سبتمبر لسنة ٢٠٠١م" التي ألمت بأمريكا.

الهوامش

(١) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو ص٤٥٢، ٢٢، ٢٣، ٧٨٩. ٧٩، ٥٣، ٥٦، ٤، ٥، ٦٢٧، ٦٣٠، ٣٨٣، ٨٤٥. طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي... مالطا سنة ١٩٩١م.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٢، ٨٢٧، ٢٨٧، ٤٦٩، ٣٦٤، ١٤٧.(٣) المصدر السابق، ص ٧٧٠.

(٤) صحيفة "الشرق الأوسط" في ١٣-١٠-١٩٩٩م.

(٥) صحيفة "الشرق الأوسط" في ١-١٠-١٩٩٩م.

(٦) صحيفة "العالم الإسلامي" في ٦-١٠-٢٠٠٠م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(١٠)

دعوة نيكسون لمواجهة الصحوة

د.محمد عمارة

أما خطاب المشروع السياسي والحضاري الغربي المعاصر إزاء الإسلام، فلقد بدأته أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية عندما ورثت الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة: الإنجليزية والفرنسية بمحاولة "استغلال" الإسلام في حربها الباردة ضد الشيوعية.. وبعبارات الشهيد سيد قطب (١٣٢٤ ١٣٨٦ ه- ١٩٠٦ ١٩٦٦م): "إن الإسلام الذي يريده الأمريكان، وحلفاؤهم في الشرق، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية، إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعمر فريضة، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء، فكلاهما عدو، وكلاهما اعتداء.. الأمريكان وحلفاؤهم إذن يريدون للشرق إسلاماً أمريكانياً يجوز أن يستفتى في منع الحمل، ويجوز أن يستفتى في دخول المرأة البرلمان، ويجوز أن يستفتى في نواقض الوضوء، ولكنه لا يستفتى أبداً في أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالي، ولا يُستفتى أبداً في أوضاعنا السياسية والقومية، وفيما يربطنا بالاستعمار

من صلات، فالحكم بالإسلام، والتشريع بالإسلام، والانتصار للإسلام لايجوز أن يمسها قلـــم، ولا حديث، ولا استفتاء.."(١) في الإسلام الأمريكاني!

هذا هو نوع "الإسلام الأمريكاني" الذي أرادت أمريكا "استغلاله" في حربها الباردة ضد الشـــيوعية كما استغلت النصرانية أيضاً. وأنشأت، لذلك، "مجلس الكنائس العالمي" في ذات التاريخ..

فلما تعاظم مد اليقظة الإسلامية في سبعينيات القرن العشرين عقب سقوط نماذج التحـــديث علـــى النمط الغربي.. اتخذت أمريكا ومن ورائها الغرب من الإسلام المجاهد.. إسلام اليقظة والصحوة عدواً، حتى قبل "قارعة سبتمبر عام ٢٠٠١م" وحتى عندما كانت كل الحركات الإسلامية التي يســـمونها "أصولية ومتطرفة" تقف مع أمريكا في خندق واحد إبان الجهاد الأفغاني ضـــد الاتحـــاد الســـوفيتي والشيوعية في ثمانينيات القرن العشرين!.

وفي ذلك التاريخ، كتب الرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" وهو مفكر استراتيجي عن هذه اليقظة الإسلامية، التي يقودها من أسماهم "الأصوليون الإسلاميون" الذين هم كما يقول "مصممون علـــى استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام دين ودولة، وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي فإنهم يتخذون منه هدايـــة للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار"!!

ودعا "نيكسون" إلى اتحاد الغرب الأمريكي والأوروبي.. والروسي لمواجهة هذا البعث الإســـلامي، وإلى: "تحديد الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة"!! ليكون "نموذج تركيا العلمانية المنحـــازة نحـــو الغرب والساعية إلى ربط المسلمين بالغرب سياسياً واقتصادياً.. وذلك حفاظاً على مصالح الغرب في الشرق.. لأن أكثر ما يهمنا في الشرق الأوسط هو النفط وإسرائيل.. وإن التزامنا نحو إسرائيل عميق جداً، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهـــم ارتباطاً أخلاقياً.. ولن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل"!

ولقد أفصح "نيكسون" عن الموقف الأمريكي والغربي الذي اتخذ الإسلام والمسلمين عدواً، عنـــدما قال: "إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء.. ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين.. وليس هناك صـــورة أسوأ من هذه الصورة حتى بالنسبة للصين الشيوعية.. في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العـــالم الإسلامي.. ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام والغرب متضامنان.. وأن الإسلام سوف يصبح قوة جيبوليتيكية متطرفة.. وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة، سوف يؤلف المســـلمون أخطاراً كبيرة.. وأنهم يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب.. وسوف يضطر الغـــرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي"(٢)!!

تلك هي صورة الإسلام في الخطاب الاستراتيجي الأمريكي والغربي في ثمانينيات القرن العشـــرين.. إبان "شهر العسل" بين أمريكا والغرب من ناحية، وكل الحركات الإسلامية. والدول الإسلامية من

ناحية أخرى إبان الجهاد المشترك ضد الشيوعية في أفغانستان.. وقبل "قارعة سبتمبر ٢٠٠١" بنحو خمسة عشر عاماً!

الهوامش

(١) من كتاب (أمريكا من الداخل) والنقل عن: د.جابر قميحة "سيد قطب والإسلام الأمريكاني" صحيفة "آفاق عربية" القاهرة في ٢٧-١٢-٢٠٠١م والدكتور جابر ينقل عن مجلة "الرسالة" سنة ١٩٥١م.

(٢) ريتشارد نيكسون: (الفرصة السانحة) ص٢٨، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ترجمة: أحمد صدقي مراد. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(١٢)

حرب المشروع الغربي

د.محمد عمارة

إذا كان استعراض وقائع هذا الطوفان بل البركان الذي تفجرت حممه في وجه الإسلام وأمته وحضارته وعالمه: سلاحاً يقتل.. وحصاراً يخنق.. وحملات نفسية وفكرية وثقافية ودينية وإعلامية.. وتهديداً ووعيداً إذا كان استعراض وقائع هذا الطوفان والبركان يحتاج إلى دراسة مطولة ومتخصصة (١).. فإننا نختار نماذج شاهدة على أن هذه الحرب التي أعلنها الغرب على الإسلام تحت اسم "الأصولية الإسلامية" أو "الراديكالية الإسلامية" أو "الإرهاب الإسلامي" وفي بعض الأحيان على الإسلام وقرآنه ورسوله صلى الله عليه وسلم مباشرة وفي صراحة ووقاحة إنما هي حرب المشروع الغربي السياسي والحضاري والكنسي وليست مجرد تعصب كاتب هنا أو حماقة أديب هناك.. نختار نماذج شاهدة من كلمات القيادات المسؤولة، المعبرة عن أركان النظام الأمريكي والغربي، ومشروع الهيمنة الذي يعلنون عنه الآن عندما يكتبون ويقولون: إن القرن الواحد والعشرين إنما هو قرن الإمبريالية الأمريكية والإمبراطورية الأمريكية دونما منافس أو شريك!!

إنها حرب معلنة وليست مؤامرة سرية تدبر في الخفاء على "الإسلام المقاوم" لمشروع الهيمنة الأمريكي - الغربي وليست حرباً على الإسلام الذي يقف عند الشعائر والعبادات، وتقصير الثياب، وإطالة اللحى، وفقه الغناء والموسيقى والدخان والتصوير!... ولا الإسلام الذي يغرق في بحار الدروشات والشعوذات والخرافات!

وهذا الإسلام المقاوم للهيمنة هو الذي يسمونه "الأصولية الثورية".. وتعريفهم لها حتى لا يخدعنا مخادع قد حدده الرئيس الأمريكي الأسبق ورجل الاستراتيجية "ريتشارد نيكسون" عندما وصف هؤلاء الأصوليين الإسلاميين الثوار بأنهم "هم المصممون على:

استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي.

والذين يهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية..

وينادون بأن الإسلام دين ودولة..
وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محـــافظين، ولكنهم ثوار"(٢).
وإذا كانت هذه هي "الأصولية الإسلامية الثورية"، التي أعلنت أمريكا والغرب الحرب عليها ، عقب "قارعة سبتمبر"، فإنها هي بعينها الإسلام الشامل والمقاوم لمشروع الهيمنة الأمريكي – الغربي.. وهي البعث الإسلامي، على وجه الدقة والتحديد... وليست "جماعات العنف العشـــوائي" بحـــال مـــن الأحوال.
وإذا نحن تجاوزنا مجاراةً لبعض الناس عن دلالات وصف الرئيس الأمريكي "بوش الصغير" هذه الحرب بأنها "حملة صليبية".. وقبلنا تجاوزاً ما يقوله هؤلاء من أن هذه العبارة هي "زلة لسان"! فإننا نقدم هنا نماذج "للتصريحات الحيثيات" الصادرة من أعمدة السياسة والإدارة والفكر الإستراتيجي، للمشروع الأمريكي والغربي، والتي تشهد على أن هذه الحرب إنما هي معلنة ضد الإسلام، أو داخل الإسلام... والإسلام المقاوم للهيمنة على وجه الخصوص والتحديد.
فوزير العدل نعم العدل! الأمريكي "جون أشكروفت"، لم يكتف بالحديث عن حرب الحضارة ضد البربرية، والخير ضد الشر، والمدنية ضد التخلف كما صنع آخرون وإنما ذهب ليتفوق علـــى غـــلاة القساوسة المنصِّرين، فسب إله العالمين، الذي يؤمن به مليار ونصف المليار من المسلمين... فقال: "إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه مـــن الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله"!(٣).
والسيناتور الأمريكي "جوزيف ليبرمان" الذي كان مرشحاً ديمقراطياً لمنصـــب نائـــب الـــرئيس في الانتخابات الأمريكية سنة ٢٠٠٠م يعلن: "أنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفـــرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي نراها ضرورية... فالشعارات التي أعلنتها أمريكـــا عنـــد استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية بل تتعدادها إلى الدول الأخرى"(٤).
الهوامش
(١) انظر دراستنا عن "الهجمة الأمريكية على الإسلام" بكتابنا "في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام" طبعة القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.
(٢) "الفرصة السانحة" ص ١٤٠.
(٣) صحيفة "الشرق الأوسط" في ٢١-٢-٢٠٠٢م.
(٤) صحيفة "الأهرام" في ١٦-١-٢٠٠٢م.
صورة الإسلام في الخطاب الغربي(١٣)
قوارع الحادي عشر من سبتمبر
د.محمد عمارة
وتتوالى بعد قارعة سبتمبر سنة ٢٠٠١م الهجمات الأمريكية والغربية على الإسلام..

فوزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "مادلين أولبرايت" تعلن: "إننا معشر الأمريكيين أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب، وتمتد رؤيتها أبعد من جميع الشعوب"(١)!.. فتتحدث إلى الشعوب الإسلامية بلغة النازية التي سبق وعانت منها!

الزعيم "الديني السياسي" "بات روبرتسون" مؤسس جماعة التحالف السياسي المسيحي التي تسيطر على الكونجرس الأمريكي، والحزب الجمهوري، والإدارة الأمريكية وهو مرشح أسبق للرئاسة الأمريكية، والأب الروحي للرئيس "بوش الصغير" الذي ولد بوش على يديه ولادته المسيحية الجديدة، بعد انحرافه الذي استمر من التاسعة والثلاثين... يعلن "بات روبرتسون": "أن الدين الإسلامي دعا إلى العنف... وأنه بالنظر إلى المعنى الحقيقي لآيات قرآنية، فإن أسامة بن لادن أكثر وفاءً لدينه الإسلامي من آخرين.. وأن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل.. وإننا في هذه الحرب إنما نعلي كلمة الله الذي يقف معنا، مع الحق في هذا الصراع الديني الذي نخوضه، ويحيطنا بعنايته"!(٢).

والمستشرق الأمريكي الصهيوني "برنارد لويس" وهو من أعمدة المشيرين على صانع القرار الأمريكي يقول، في كتابه الذي أصدره بعد "قارعة سبتمبر" بعنوان "ما هو الخطأ في العلاقة بين الإسلام والغرب؟": "إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب.. فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية المسيحية "الغربية" وآيات القرآن تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين... وهذه الحرب هي حرب بين الأديان"(٣).

و"توني بلير" رئيس وزراء إنجلترا، يعلن في ١٧ سبتمبر سنة ٢٠٠١م أي بعد ستة أيام من "قارعة سبتمبر" أن هذه الحرب التي أعلنها الغرب على الإسلام "هي حرب المدنية والحضارة "في الغرب" ضد البربرية "في الشرق"!!

"أما "مارجريت تاتشر" رئيسة وزراء إنجلترا الأسبق، فإنها تكتب عن "تحدي الإرهاب الإسلامي الفريد، الذي لا يقف عند أسامة بن لادن، بل يشمل حتى الذين أدانوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا والذين انتقدوا بشدة أسامة بن لادن وطالبان"، ولكنهم "يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب"... فالذين يرفضون القيم الغربية وتتعارض مصالحهم مع المصالح الغربية تصفهم "تاتشر" بأنهم "أعداء أمريكا وأعداؤنا"، وتشبههم بالشيوعية، وتدعو الغرب إلى معاملتهم كما عامل الشيوعية"!(٤).

رئيس وزراء إيطاليا "سيلفيو بيرلسكوني" يعلن في ٢٩ سبتمبر سنة ٢٠٠١م أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية.. ولابد من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام، الذي يجب أن يُهزم، لأنه لا يعرف الحرية والتعددية ولا حقوق الإنسان.. وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته، وفرض نفسه على الشعوب.. وأنه قد نجح حتى الآن في تعميم حضارته وفرض نفسه على العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي"(٥).

وغير أعمدة النظم والسياسة والإدارة في أمريكا وإنجلترا وإيطاليا، نجد وزير الداخلية في ألمانيا "أوتوشيلي"، يبلغ الحد الذي يصف فيه "عقيدة الإسلام بأنها هرطقة وضلال"(٦).

أما وزير خارجية ألمانيا "يوشكا فيشر" فإنه يعلن في محاضرة "حول آفاق السياسة الدولية إثر اعتداءات ١١ سبتمبر" أمام طلبة جامعة "فراي" ببرلين فيعلن شكوكه في "قدرة الإسلام على التطور"! ويتساءل: "هل يوجد طريق إسلامي إلى الحداثة"؟ بمعناها الغربي! ثم يصف الأصولية الإسلامية الرافضة للحداثة والقيم الغربية بأنها "التوتاليتارية الجديدة"(٧) أي الديكتاتورية والشمولية الجديدة!

أما أساطين الفكر الإستراتيجي الأمريكي المشيرون على صانع القرار، والذين توضع نظرياتهم في الممارسة والتطبيق من مثل "فرانسوا فوكوياما" الذي أعلن أن "الليبرالية الرأسمالية المنتصرة على الشيوعية هي نهاية التاريخ التي يجب تعميمها وقبولها في كل الفضاءات العالمية"... ومن مثل "صموئيل هنتنجتون"، الكاشف عن الموقف الغربي في نزعة صدام الحضارات.. والذي أشار على صانع القرار الأمريكي بتحييد الحضارات العالمية حتى يفرغ من مصادمة ومصارعة الإسلام.

أما هؤلاء المفكرون فإن المشروع الغربي للهيمنة يضع نظرياتهم في الممارسة والتطبيق، ونراها رأي العين، وتلمسها حواسنا في طوفان التصريحات والقراءات التي توالت وانهالت عقب "قارعة سبتمبر"... وفي المواجهة الحادة التي قام بها الغرب ضد الإسلام، والحروب، والمحاصرات.. والتهديد والوعيد.. الذي يمثل هذا "الكابوس" القائم في عالم الإسلام.

أما أساطين الفكر الإستراتيجي هؤلاء... فلقد كانت لهم فضيلة "الصراحة العارية" في التعبير عن حقيقة هذه الحرب ومقاصدها.

الهوامش

(١) صحيفة "الأهرام" في ٣٠-١٠-٢٠٠١م.

(٢) صحيفة "الشرق الأوسط" في ٣-٢-٢٠٠٢م، و"الحياة" لندن في ٢٦-٢-٢٠٠٢م، و"الأهرام" في ١١-١٢-٢٠٠٢م.

(٣) "صحيفة الأهرام" ٢-٣-٢٠٠٢م، ٣-٣-٢٠٠٢م، والأهرام ينقل عن مقال "زخاري كاربيل" في "النيوزويك" الأمريكية بتاريخ ١٤-١-٢٠٠٢م.

(٤) صحيفة "الشرق الأوسط" في ١٤-٢-٢٠٠٢م.

(٥) صحيفة "الحياة" في ٣-٩-٢٠٠١م.

(٦) صحيفة "الأهرام" في ٢-٣-٢٠٠٢م.

(٧) صحيفة "الشرق الأوسط" في ٢٦-٢-٢٠٠٢م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(١٤)

حرب لتغيير طبيعة الإسلام!

د.محمد عمارة

إن الحرب ضد الإسلام ليست حرباً على "جماعات العنف العشوائي" الإسلامية ولا على ما يسمى "بالإرهاب"، وإنما هي "حرب داخل الإسلام"، لتغيير طبيعته وخصوصيته "وحتى يقبل الحداثة بمعناها الغربي"، أي القطيعة مع خصوصيته وماضيه "فيصبح علمانياً، يقبل المبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، فيقف عند ما لله في ملكوت السماء والدار الآخرة، وخلاص الروح، ويترك دنيا العالم الإسلامي وثرواته للهيمنة الأمريكية والغربية!

وبعبارات "فوكوياما": "فإن الحداثة التي تمثلها أمريكا وغيرها من الديمقراطيات المتطورة ستبقى القوة المسيطرة في السياسة الدولية، والمؤسسات التي تجسد مبادئ الغرب الأساسية ستستمر في الانتشار عبر العالم... وهذه القيم والمؤسسات تلقى قبولاً لدى الكثير من شعوب العالم غير الغربية، إن لم نقل جميعها... لكن السؤال الذي نحتاج إلى طرحه هو: هل هناك ثقافات أو مناطق في العالم ستقاوم، أو تثبت أنها منيعة على عملية التحديث" بهذا المعنى الأمريكي والغربي؟

ثم يجيب "فوكوياما" على هذا التساؤل الذي طرحه فيقول:

"إن الإسلام هو الحضارة الرئيسة الوحيدة في العالم التي يمكن الجدال بأن لديها بعض المشكلات الأساسية مع الحداثة.. فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم، فهو وحده قد ولّد تكراراً خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض ليس السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: التسامح الديني.. والعلمانية نفسها.. وإنه بينما نجد شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية، ودول المعسكر الاشتراكي السابق وإفريقيا الاستهلاكية الغربية مغرية، وتود تقليدها، لو أنها فقط استطاعت ذلك، فإن الأصوليين المسلمين يرون في هذه الاستهلاكية دليلاً على الانحلال الغربي".

فالرفض الإسلامي ليس فقط لظلم السياسات الأمريكية والغربية.. وإنما هو رفض للتبعية لمنظومة القيم الغربية.. ولذلك يعلن "فوكوياما" أن هذه الحرب التي أعلنتها أمريكا والغرب على الإسلام المقاوم، ليست حرباً على "جماعات العنف العشوائي" ولا على هذا الذي سموه "إرهاباً" وإنما هي حرب على الإسلام الرافض للحداثة الغربية والعلمانية الغربية والاستهلاكية الغربية.. يعلن ذلك في "صراحة عارية" يحمد عليها فيقول:

"إن المسألة ليست ببساطة حرباً على الإرهاب، كما تظهرها الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم (؟!) وليست المسألة الحقيقية كما يجادل الكثير من المسلمين هي السياسة الخارجية الأمريكية في فلسطين أو نحو العراق. إن الصراع الأساسي الذي نواجهه لسوء الحظ، أوسع بكثير، وهو مهم، ليس بالنسبة إلى مجموعة صغيرة من الإرهابيين، بل لمجموعة أكبر من الراديكاليين الإسلاميين، ومن المسلمين الذين يتجاوز انتماؤهم الديني جميع القيم السياسية الأخرى... إن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، ولا ضد الإسلام كدين أو حضارة، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية.. وإن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة، اليوم هو أكثر من مجرد

معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين، فبحر الغاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الإرهابيون يشكل تحدياً أيديولوجياً هو في بعض جوانبه، أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية"!

ثم يتحدث "فوكوياما" عن "التطور الأهم" الذي يجب أن يحدث للإسلام ذاته والذي يجب أن يتم داخل الإسلام، لتعديل الإسلام حتى يصبح قابلاً للحداثة الغربية والعلمانية الغربية والاستهلاكية الغربية، فيقول: "إن التطور الأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه، فعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر فيما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية"؟.. أم لا؟!(١).

فالقضية في التحليل الأعمق ليست "إرهاب" جماعات العنف العشوائي.. ولا هي "قارعة سبتمبر سنة ٢٠٠١م" ولا حتى السياسة الخارجية الأمريكية المعادية لقضايا المسلمين العادلة... فكل ذلك تجليات للصراع بين المشروع الغربي وبين النزوع الإسلامي إلى التمايز الحضاري والاستقلال القيمي والثقافي، والذي يرفض الهيمنة الغربية التي تفرض حداثتها وعلمانيتها على العالم، بما في ذلك عالم الإسلام.

الهوامش

(١) "النيوزويك" العدد السنوي ديسمبر سنة ٢٠٠١م فبراير سنة ٢٠٠٢م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(١٥)

"الحداثة"والموروث الديني

د.محمد عمارة

وحتى لا يخلط الوهم بين هذه "الحداثة الغربية".. التي تقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث الديني، وبين "التجديد الإسلامي"، الذي يستصحب الثوابت ويطور في المتغيرات... نسوق كلمتين لاثنين من دعاة هذه الحداثة في بلادنا.

أولاهما كلمة "هاشم صالح"، المتخصص في ترجمة وتسويق المشروع الحداثي للدكتور محمد أركون.. فلقد كتب عقب قارعة سبتمبر داعياً إلى انتهاز فرصة الهجمة الغربية على الإسلام، لتبني الحداثة الغربية التي أحلت وتحل "الدين الطبيعي" محل "الدين الإلهي"!! فقال: "إننا يجب أن نلتحق بفولتير (١٧٣٤ ١٧٧٨م) وتصوره الطبيعي عن الدين والأخلاق، فالدين الحقيقي هو الدين الطبيعي.. وإن العبرة هي بأعمال الإنسان وليست بمعتقداته، أو حتى صلواته وعباداته.. ولابد من تأويل جديد لتراثنا يختلف عن تأويل الأصولية، بل وينقضه.. تأويل يكشف عن تاريخية النصوص التأسيسية، ويحل القراءة التاريخية محل القراءة التبجيلية لهذا التراث"!(١).

أما الكلمة الثانية فهي للدكتور على حرب، والذي قال عن حداثة مشروع أركون وهاشم صالح: "إنها القول بمرجعية العقل وحاكميته.. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون..."(٢).

فالعدو عند المشروع الأمريكي هو الإسلام المقاوم للعلمانية الغربية والحداثة الغربية والاستهلاكية الغربية. أي الإسلام المقاوم للمسخ الغربي والأمريكي.

والعدو عند الحداثيين الذين يحملون الأسماء المسلمة ليس الإمبريالية الأمريكية وهيمنتها، وإنما "إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون"... ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

@@@

هذه هي حقيقة الموقف الذي نحن فيه.. وحقيقة التحدي الذي نواجهه الآن...

صحيح أنه يشبه "الكابوس" خصوصاً إذا رأيناه في ضوء حال الأمة حكاماً ومحكومين وفي ضوء نجاح الغرب في استغلال مشكلة الأرثوذكسية الروسية مع المسلمين الشيشان.. ومشكلة الهندوسية الهندية مع المسلمين في كشمير ومشكلة "الكونفشيوسية الصينية مع المسلمين في تركستان الشرقية... نجاح الغرب في استغلال هذه المشكلات لإقامة تحالفات بعض أطرافها متعاون وبعضها صامت في هذه الحرب الغربية على الإسلام، حتى ليتذكر المحلل للموقف الراهن مشورة "صموئيل هنتنجتون" سنة ١٩٩٣م، على صانع القرار الأمريكي، بتحييد الحضارات الأخرى، وبدء صدام الحضارات، أولاً بالإسلام!".

إننا، أمام هذا "الكابوس" في موقف شبيه بموقف المسلمين يوم غزوة الأحزاب... عندما تحالفت كل أطراف الشرك.. رغم ما بينها من تناقضات مع اليهود رغم ما بينهم وبين الشرك والوثنية من تناقضات تحالفوا جميعاً ضد الدولة الإسلامية الوليدة، والدين الإسلامي الجديد... حتى لقد زاغت من الصحابة الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً من هول هذا "التحالف الكابوس"... بل وظنوا بالله الظنون!... إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١)(الأحزاب).

أو لكأننا أمام الحلف "الصليبي التتري"، الذي اجتاح فيه التتر ودمروا مشرق العالم الإسلامي، وهددوا بقية الوجود الإسلامي في مصر والمغرب... يوم أعلنوا بعد دمارهم لبغداد والمشرق :

"لقد فتحنا بغداد، وقتلنا فرسانها، وهدمنا بنيانها، وأسرنا سكانها".. ثم وجهوا التهديد لمن بمصر، قائلين: "إنهم إن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها"!!... وأرسل "هولاكو" (١٢١٧ ١٢٦٥م) إنذاره إلى الملك المظفر "قطز" (٦٥٨هـ- ١٢٦٠م) قائلاً: فيه: "لقد فتحنا البلاد، وقتلنا معظم العباد.. فأي أرض تؤويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟! فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، ونحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن اشتكى! فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعدونا كالرمال، فمن طلب حربنا ندم، فاتعظوا بغيركم، وسلموا إلينا أمركم، وعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب.. ولقد أعذر من أنذر"!!.. حتى لقد حسب الناس يومئذ "أن القيامة قد قامت"!!(٣).

فما كان من العلماء والأمراء والخاصة والعامة إلا أن نفروا للجهاد، فكان نصر الله في "عين جالوت" (٦٥٨هـ-١٢٦٠م)... وانهزم التتار لأول مرة في تاريخهم... ثم دخلت دولتهم وقبائلهم بعد ذلك في الإسلام.

الهوامش
(١) صحيفة "الشرق الأوسط" في ٢٦-١٢-٢٠٠١م.
(٢) صحيفة "الحياة" في ١٨-١١-١٩٩٦م.
(٣) المقريزي "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" ج١، ق١، ص٤٢٧، ٤٢٨، تحقيق: د.محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

صورة الإسلام في الخطاب الغربي(١٥)
"الحداثة"والموروث الديني
د.محمد عمارة

وحتى لا يخلط الوهم بين هذه "الحداثة الغربية".. التي تقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث الديني، وبين "التجديد الإسلامي"، الذي يستصحب الثوابت ويطور في المتغيرات... نسوق كلمتين لاثنين من دعاة هذه الحداثة في بلادنا.
أولاهما كلمة "هاشم صالح"، المتخصص في ترجمة وتسويق المشروع الحداثي للدكتور محمد أركون.. فلقد كتب عقب قارعة سبتمبر داعياً إلى انتهاز فرصة الهجمة الغربية على الإسلام، لتبني الحداثة الغربية التي أحلت وتحل "الدين الطبيعي" محل "الدين الإلهي"!! فقال: "إننا يجب أن نلتحق بفولتير (١٧٣٤ ١٧٧٨م) وتصوره الطبيعي عن الدين والأخلاق، فالدين الحقيقي هو الدين الطبيعي.. وإن العبرة هي بأعمال الإنسان وليست بمعتقداته، أو حتى صلواته وعباداته.. ولابد من تأويل جديد لتراثنا يختلف عن تأويل الأصولية، بل وينقضه.. تأويل يكشف عن تاريخية النصوص التأسيسية، ويحل القراءة التاريخية محل القراءة التبجيلية لهذا التراث"!(١).
أما الكلمة الثانية فهي للدكتور على حرب، والذي قال عن حداثة مشروع أركون وهاشم صالح: "إنها القول بمرجعية العقل وحاكميته.. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون..."(٢).
فالعدو عند المشروع الأمريكي هو الإسلام المقاوم للعلمانية الغربية والحداثة الغربية والاستهلاكية الغربية. أي الإسلام المقاوم للمسخ الغربي والأمريكي.
والعدو عند الحداثيين الذين يحملون الأسماء المسلمة ليس الإمبريالية الأمريكية وهيمنتها، وإنما "إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون"... ولا حول ولا قوة إلا بالله!!
@@@
هذه هي حقيقة الموقف الذي نحن فيه.. وحقيقة التحدي الذي نواجهه الآن...
صحيح أنه يشبه "الكابوس" خصوصاً إذا رأيناه في ضوء حال الأمة حكاماً ومحكومين وفي ضوء نجاح الغرب في استغلال مشكلة الأرثوذكسية الروسية مع المسلمين الشيشان.. ومشكلة الهندوسية الهندية مع المسلمين في كشمير ومشكلة "الكونفشيوسية الصينية مع المسلمين في تركستان الشرقية... نجاح

الغرب في استغلال هذه المشكلات لإقامة تحالفات بعض أطرافها متعاون وبعضها صامت في هـذه الحرب الغربية على الإسلام، حتى ليتذكر المحلل للموقف الراهن مشورة "صموئيل هنتنجتون" سـنة ١٩٩٣م، على صانع القرار الأمريكي، بتحييد الحضارات الأخرى، وبدء صدام الحضـارات، أولاً بالإسلام!".

إننا، أمام هذا "الكابوس" في موقف شبيه بموقف المسلمين يوم غزوة الأحزاب... عندما تحالفت كل أطراف الشرك.. رغم ما بينها من تناقضات مع اليهود رغم ما بينهم وبين الشـرك والوثنيـة مـن تناقضات تحالفوا جميعاً ضد الدولة الإسلامية الوليدة، والدين الإسلامي الجديد... حتى لقد زاغت من الصحابة الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً من هول هذا "التحـالف الكابوس"... بل وظنوا بالله الظنون!... إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلـزالا شـديدا (١١)(الأحزاب).

أو لكأننا أمام الحلف "الصليبي التتري"، الذي اجتاح فيه التتر ودمروا مشـرق العـالم الإسـلامي، وهددوا بقية الوجود الإسلامي في مصر والمغرب... يوم أعلنوا بعد دمارهم لبغداد والمشرق :

"لقد فتحنا بغداد، وقتلنا فرسانها، وهدمنا بنيانها، وأسرنا سكانها".. ثم وجهوا التهديد لمن بمصـر، قائلين: "إنهم إن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها"!!... وأرسل "هولاكو" (١٢١٧ ١٢٦٥م) إنذاره إلى الملك المظفر "قطز" (٦٥٨هـ- ١٢٦٠م) قائلاً: فيه: "لقد فتحنا البلاد، وقتلنا معظم العباد.. فأي أرض تؤويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟! فما لكـم مـن سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، ونحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن اشـتكى! فخيولنـا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعدونا كالرمال، فمن طلب حربنـا ندم، فاتعظوا بغيركم، وسلموا إلينا أمركم، وعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب.. ولقـد أعـذر مـن أنذر"!!.. حتى لقد حسب الناس يومئذ "أن القيامة قد قامت"!!(٣).

فما كان من العلماء والأمراء والخاصة والعامة إلا أن نفروا للجهاد، فكان نصر الله في "عين جالوت" (٦٥٨هـ-١٢٦٠م)... وانهزم التتار لأول مرة في تاريخهم... ثم دخلت دولتهم وقبائلهم بعد ذلك في الإسلام.

الهوامش

(١) صحيفة "الشرق الأوسط" في ٢٦-١٢-٢٠٠١م.

(٢) صحيفة "الحياة" في ١٨-١١-١٩٩٦م.

(٣) المقريزي "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" ج١، ق١، ص٤٢٧، ٤٢٨، تحقيـق: د.محمـد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

======================

الفهرس العام :

تابع الباب الحادي عشر – مقالات وخطب حول ردود فعل المسلمين

مقاطعة من سب الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ

تاريخ الإجابة ٠٥/٠٢/٢٠٠٦

نص السؤال الأخوة الأعزاء لعلكم سمعتم بهذه الهجمة الشرسة على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وسمعتم عن تخاذل الكثير من الحكومات تجاه هذه الحملة، فما واجبنا نحن كشعوب، وهل تكفي المقاطعة كرد على هذه الحملة ؟

اسم المفتي مجموعة من الباحثين

نص الإجابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

فيقول الدكتور رجب أبومليح المشرف على الفتوى في موقع إسلام أون لاين:

سب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أو إهانة المقدسات الإسلامية جريمة لا تغتفر في حق الأفراد أو الهيئات أو الحكومات التي تقوم بذلك، وهذا السب لا يتوجه لشخص النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وحده بل هو سب لكل مسلم ومسلمة إلى قيام الساعة، والله عز وجل يقول (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) الأحزاب ٦

وواجب المسلمين هو الدفاع عن مقدساتهم ونبيهم بما استطاعوا، والمقاطعة وإن كانت سلاحا حضاريا فعالا، غير أنه لا يكفي، فهذا يدخل في جهاد الدفع الذي هو فرض عين على كل مسلم كل حسب طاقته وقدرته، وعلى المسلمين أن يستفيدوا من هذه الأحداث لتعريف الناس جميعا بشخص رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وإطلاعهم على الجوانب المضيئة في سيرته فلو عرفوه لأحبوه وعلموا قدره .

ولكي يكون سلاح المقاطعة أكثر فعالية لا بد أن نضع له هذه الضوابط :

أولا:أن الأصل في معاملة غير المسلمين الجواز، والتحريم هنا تحريم عارض ، فهو ليس محرم لذاته بل محرم لغيره، هو محرم لكسر شوكة العدو المحارب وتقوية شوكة المسلمين وإثراء اقتصادهم ، لأن الناس

لن يستطيعوا العيش بدون بيع وشراء وأخذ وعطاء فلو تحولت هذه المعاملات التي تجري بين المسلمين وبين غير المسلمين إلى معاملات بين المسلمين بعضهم البعض لتحول حالهم من هذا الضعف والذلـــة إلى قوة وعزة، ولو امتنع الأثرياء من العرب وغيرهم عن وضع أموالهم في البنوك الأجنبيـــة وهـــذه الأرصدة التي تقدر بمئات المليارات ثم تحولت هذه الأرصدة للاستثمار بين بعضهم البعض لصار الحال غير الحال.

ثانيا:إن هذه المقاطعة لو حدثت عن طريق الحكومات والدول لكانت أجدى وأوقع ففي هذه الحالة ستمتنع الدولة عن استيراد سلع الدول المحاربة، وستقوم بتصنيع السلع البديلة وساعتها لا توقع الناس في حرج، لكن تخاذل الحكومات وعجزهم لا يعفينا من أن نقوم كشعوب بدورنا حتى ولـــو كـــان صغيرا تطبيقا لحديث الفسيلة، ذلك الحديث الذي يقول فيه النبي ــ صلى الله عليه وســـلم ــ (إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)، وإعمالا للجهـــاد الذي تحول إلى فرض عين على كل مسلم ومسلم سواء إذن به الحاكم أو لم يأذن كل حسب قدرته وإمكاناته .

ثالثا:المقاطعة الاقتصادية ليست هي المقصودة فقط بل لابد أن تكون هذه المقاطعة مقاطعـــة شـــاملة تشمل المقاطعة الاقتصادية والمقاطعة الثقافية والمقاطعة السلوكية والاجتماعية وغير ذلك حتى نقـــف حجر عثرة أمام هذا المشروع المخالف لعقيدتنا الذي يريد عدونا أن يصدره إلينا بكل صوره وأشكاله حتى يدمر قيمنا ويهدم أخلاقنا ويستعبدنا لنظل مقهورين مأسورين نعيش على فتات موائـــده الـــتي سلبها من قوتنا وأموالنا عنوة بغير حق .

رابعا:إن فتاوى المقاطعة ليست حكما عاما يطبق في كل زمان ومكان وعلى كل الأشخاص في كافة الظروف والأحوال، بل هي فتاوى ترتبط بالزمان والمكان والأشخاص والظروف والأحوال ، فمـــا يكون محرما على شخص قد لا يكون محرما على شخص آخر، وما يكون محرما في مكـــان قـــد لا يكون محرما في مكان آخر ، والأمر يخضع لفقه الموازنات وفقه الأولويات، كما يخضع لفقه المصالح والمفاسد، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة، ولو أن إنسانا مضطرا للعمل أو استيراد سلعة لا تتوافر عند غير أعدائنا فالضرورات تبيح المحظورات، لكن الضرورة تقدر بقدرها، ويتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأكبر إلى آخر هذه القواعد والضـــوابط الفقهية.

فعلى سبيل المثال المسلم الذي يعيش في أمريكا غير المسلم الذي يعيش في مصر أو أي بلد عـــربي أو إسلامي، والأشياء التي لا نجد لها بديلا عند غير الدولة المحاربة وهي من الأشياء الأساسية وليس من الكماليات بل من الضروريات تختلف عن الأشياء التي نجد لها بدائل كثيرة، والموظف الذي يعمل في شركة دولة محاربة ولا يجد بديلا يقتات منه يباح له العمل للضرورة أو الحاجة الشديدة التي تـــنزل

منزلة الضرورة، وبخاصة لو كان الدور الذي يقوم به ثانويا لا يؤثر على الشركة التي يعمل فيها تأثيرا يذكر .

خامسا:ليست الشركات والأشياء التي يجب أن نقاطعها على قدر واحد ، فالشـــركات الأســـرئيلية والأمريكية (مثلا) تأتي في المرحلة الأولى ثم تتبعها الدول الأخرى التي تحارب المسلمين في دولهـــم أو تضطهدهم في دولها ثم الشركات الأمريكية صاحبة العلامة التجارية في الدول العربية والإسلامية إلى آخر هذه الترتيبات .

سادسا:على رجال الاقتصاد أن يقوموا بالدراسات الجادة حول هذه المسألة حتى يمكننا معرفة الشيء الهام الذي لو قاطعناه أثر في أعدائنا ومعرفة الأشياء التي لا بديل لها لدينا وغير ذلك مـــن الأســـس والضوابط التي تعين الفقيه على إصدار فتواه بشكل علمي صحيح، وقام بعض الأفراد بإعداد قـــوائم للسلع التي تساهم بشكل أو آخر في اقتصاد الدول المحاربة غير أن هذه القوائم ليست دقيقة بل هـــي جهود فردية تخطيء في بعض الأحيان فتضع بعض السلع على قائمة المقاطعة وهي شركات محلية، أو تقترح بديلا لشيء تجب مقاطعته فتأت بشيء آخر لنفس الدولة المحاربة، لكننا بحاجـــة إلى إعـــداد دراسات جادة محايدة في هذا الصدد لأن المقاطعة ليست مقصودة لذاتها بل الغرض منـــها إحـــداث النكاية بالأعداء أو جلب المصالح للمسلمين، فإن لم تؤد هذا الدور أو كانت نتيجتها سلبا لا إيجابـــا فلا فائدة منها إذن .

=========================

مكانة الرسول عالية وإن حاولوا الإساءة إليها

نشرت جريدة الوطن في ١٤٢٦/١٢/٢٥هـــ

مكانة الرسول عالية وإن حاولوا الإساءة إليها

تبقى مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عالية، لأن الله تعالى قد رفع ذكره وقرن اسمه باسمـــه، فقـــال سبحانه وتعالى مبيناً رفع ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك).

وقرن الله العظيم، الإله الحق، المعبود اسمه باسم رسوله في مواضع كثيرة فقال (يحلفون بـــالله لكـــم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين... التوبة:٦٢)، كما قرن اسمه باسم رسوله في أعظم مشهود به وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ولهذا فلن يضر النبي صلى الله عليه وسلم ما يفعله الحاقدون من الدنماركيين وغيرهم من الاستهزاء بخير البشر الذي أرسله الله تعالى رحمة للخلق جميعاً ومنهم هؤلاء الذين لا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة لهم ولجميع المخلوقات كما قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين). ويقول النبي الكريم الصـــادق

المصدوق صلى الله عليه وسلم "إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسـراً... رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، بل لقد وصفه الله العظيم بأجمل صفات ونعته بأجمل نعوت فقال سبحانه (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً). ولكن حتى لو أخرج بعض الدنماركيين حقدهم وبغضهم لنبي الإسلام فإن الله قد أخبرنا عنهم وعن أمثالهم فقال جل شأنه "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (التوبة: ٣٢-٣٣)، وقال سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم" (التوبة: ٦١)، وقال جل شأنه وتقدست أسماؤه (قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون" (التوبة:٦٤)، إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تصله افتراءات المفترين وإساءات المسيئين، إنه خليل الله وما أعظمها من خلة حيث قال صلى الله عليه وسلم "إن الله قد اتخذني خليلاً" رواه الحاكم وصححه الألباني، وقال صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذاً غير ربي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي" رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، إنه نبينا وقدوتنا وحبيبنا الذي نحبه أكثر من آبائنا وأمهاتنا وأنفسنا، وقد قال لنا "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" رواه مسلم. ولن تزيدنا تلك الكتابات عن نبينا صلى الله عليه وسلم إلا حباً وتقديراً واقتداء واتباعاً له صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الدكتور نهار عبدالرحمن العتيبي - داعية إسلامي

=========================

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عالية

نشرت جريدة الجزيرة في ١٤٢٦/١٢/٢٥هـ:

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عالية

دكتور نهار بن عبدالرحمن العتيبي /داعية إسلامي

تبقى مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عالية؛ لأن الله تعالى قد رفع ذكره، وقرن اسمه باسمه، فقال سبحانه وتعالى مبينا رفع ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢)الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}. وقرن الله العظيم الإله الحق المعبود اسمه باسم رسوله في مواضع كثيرة، فقال {يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ}(٦٢) سورة التوبة. كما قرن اسمه باسم رسوله في أعظم مشهود به، وهي شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله؛ ولهذا فلن يضر النبي صلى الله عليه وسلم ما يفعله الحاقدون من الدنماركيين

وغيرهم من الاستهزاء بخير البشر الذي أرسله الله تعالى رحمة للخلق جميعا، ومنهم هؤلاء الحمقى الذين لا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرسل رحمة لهم ولجميع المخلوقات كما قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}. ويقول النبي الكريم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يبعثني معنّتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلماً ميسراً..) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها. بل لقد وصفه الله العظيم بأجمل صفات ونعته بأجمل نعوت، فقال سبحانه {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}. ولكن حتى لو أخرج الدنماركيون حقدهم وبغضهم للإسلام ولنبي الإسلام فإن الله قد أخبرنا عنهم وعن أمثالهم فقال جل شأنه {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (٣٣)سورة التوبة. وقال سبحانه وتعالى {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٦١) سورة التوبة. وقال جل شأنه وتقدّست أسماؤه {قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ}(٦٤)سورة التوبة. إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يصله نعيق الناعقون.. إنه خليل الله، وما أعظمها من خلة، حيث قال صلى الله عليه وسلم (إن الله قد اتخذني خليلاً) رواه الحاكم وصححه الألباني. وقال صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا غير ربي خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. إنه نبينا وقدوتنا وحبيبنا الذي نحبه أكثر من آبائنا وأمهاتنا وأنفسنا.. وقد قال لنا (لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) رواه مسلم.

ولن تزيدنا تلك الكتابات عن نبينا صلى الله عليه وسلم إلا حباً وتقديراً واقتداء واتباعا له صلى الله عليه وسلم، وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

نسأل الذي لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء أن ينتقم لرسوله، وأن يرينا في من حاول النّيْل منه عجائب قدرته، وهو القوي العزيز. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

=========================

من أولى بالسخرية والاستهزاء ؟

الكاتب: مروة سميح السيد ـــ القاهرة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

هالني كثيراً سخرية هؤلاء الحاقدين على النبي صلى الله عليه وسلم دون علم به ولا بما جاء به ، فظهر بذلك حقدهم وجهلهم ؛ بل وعدم علمهم بكتابهم وما به من غرائب والعجائب التي لـــو قرأهـــا الإنسان دون علمه أن هذه نصوص بالكتاب الذي يدعون أنه مقدسا لظنها من حكايات (ميكـــي وماوس) أو من القصص الخرافية التي تحكى للصغار قبل نومهم .

وهنا أحببت أن أنقل للقارئ بعضا من فقرات كتابهم (المقدس) ليعلم أينا أحق بالسخرية من الآخر ؟!

طير يمشي على أربعة أرجل؟؟

" وكل دبيب الطير الماشي على اربع فهو مكروه لكم " .[٢٠ :١١:٢٠ :Lv.]

هذا من الإعجاز العلمي بـــ (الكتاب المقدس) فالطيور في هذا الكتاب أصبحت لها أربعه أرجـــل تمشي عليهم !!!

الأرنب المجتر !!

" والأرنب لأنه يجترّ لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم [٦ :Lv:١١:٦]"

وهل تجتر الأرانب . إلا في الكتاب المقدس ؟!

حيوانات لها أعين من الخلف تجلس بجوار عرش (الرب) ! !

جاء في [رؤيا ٤: ٦-٨] : و قدام العرش بحر زجاج شبه البلور و في وسط العرش و حول العرش اربعة حيوانات مملوة عيونا من قدام و من وراء . و الحيوان الاول شبه اسد و الحيوان الثـــاني شـــبه عجل و الحيوان الثالث له وجه مثل وجه انسان و الحيوان الرابع شبه نسر طائر "

فتخيل معي أخي القارئ أربعة حيوانات لكل منهم عيون من الامام والخلف بل والحيوان الأول أسد والآخر عجل والثالث له وجه انسان والأخير نسر وكل هذه الحيوانات تجلس أمام عرش الله تبـــارك وتعالى .... تعالى الله عن إفك النصارى علواً كبيراً.

سلق الأطفال وأكلهم !

جاء في سفر الملوك الثاني : الإصحاح السادس الفقرة الثامنة و العشرون وما بعدها : [سأَلَها: مـــا بكِ؟ فأجابَت: قالَت لي هذِهِ المرأةُ: هاتي إبنَكِ فنَأْكُلَهُ، وغدًا نأْكُلُ إبني. ٢٩فطَبَخنا إبني وأكلْنـــاهُ، وقُلتُ لها في اليومِ الثَّاني: هاتي إبنَكِ لِنَأكُلَهُ فأخفَتْهُ]

بالله دا كلام مقدس ؟!.

سلامات !

يقول بولس ـــــ مؤسس النصرانية الحقيقي ـــــــ في رسالته الثانية إلي صديقه تيموثـــاوس [٤ : ١٩] : " سلم على فرسكا واكيلا وبيت انيسيفورس. اراستس بقي في كورنثوس.واما تـــروفيمس

فتركته في ميليتس مريضا. بادر ان تجيء قبل الشتاء.يسلم عليك افبولس وبوديس ولينس وكلافدية والاخوة جميعا. "

ويقول بولس لصديقه تيطس [تي ٣ : ١٢] : " حينما أرسل إليك ارتيماس او تيخيكس بادر أن تأتي إلي الى نيكوبوليس لاني عزمت ان أشتي هناك."

ونسأل : هل أصبح السلام على فرسكا و... ودعوى أحد للحضور في المكان الذي سيشتي فيه بولس وحي من عند الله يتعبد بتلاوته ؟؟!!

مناجاة !!

ـ سفر الخروج [٥ : ٢٢] : " فرجع موسى إلى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب . لماذا أرسلتني . فانه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب . وأنت لم تخلّص شعبك]

وعندنا : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) (الأعراف : ١٥٥)

وفي مزمور [١٠ : ١] : يا رَبُّ : لماذا تقف بعيداً ؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق ؟]

وعندنا : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة : ١٨٦)

وعندنا : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل : ٦٢)

مزمور [٣٥ : ١٧] : " يارب إلى متى تنتظر .. لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً استيقظ وانتبه إلى حكمي "

وعندنا : (اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة : ٢٥٥)

وعندنا : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران : ٢٦)

وفي (الكتاب المقدس) كلام جنسي فاضح يخدش حياء العاهرات فضلات عن الغافلات المؤمنات ، وفي (الكتاب المقدس) حوار بين الأشجار ، وحرب النجوم ، وحرب الماعز والخرفان ، وفيه حمار رد حماقة النبي ، وفيه خروف بسبعة قرون . وفيه الإله ينوح ويولول . . . ويمشي عرياناً طول النهار . . . ويُسلط عليه الشيطان أربعين يوما يسرح به كيف يشاء . . . ويكذب على إخوته . . .

ويخسر المصارعة أمام يعقوب . . . ويسكر . . ويتعب . . . وينام ... ويسيء . . . وينسى . . . ويصفر للذباب . . . ويصفق . . . ويخاف . . . ويندم . . . ويخرج الدخان من أنفه . . . ويحزن . . . ويصف نفسه بالخروف واللبوة والعثة والفرخة والدبة ....تعالى الله عما يقولون الضـــالون علواً كبيراً

وجملة : إن وجدت ثكلى فقدت وحيدها وترملت لتوها تستطيع أن تضحكها بأن تحكي لها طرفا مما في الكتاب المقدس .

وبعد هذا يسخرون من الحبيب ؟؟ !!

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة : ١٥)

===========================

من فقه المقاطعة

الكاتب: حسن بن عبدالحميد بخاري

* شغلت المقاطعة مساحة واسعة جداً من خارطة العالم الإسلامي؛ تعبيراً عن الشعور الغاضب الذي عمّ الأمة تجاه دولة الدانمارك التي أساءت برسومها الساخرة إلى نبي الأمة (صلى الله عليه وســـلم) ، وقياماً بإحدى الخطوات الواجبة على الأمة نصرةً لنبيها (صلى الله عليه وسلم) بعد تلك الإساءة !

والراصد لقضية المقاطعة الإسلامية لمنتجات الدانمارك يقف على نتيجتين "قويتين":

إحداهما- قوة التفاعل الإيجابي مع قرار المقاطعة والالتزام الجاد به من قِبَل الشعوب المسلمة في كـــل بلاد الإسلام.

والأخرى- قوة أثر تلك المقاطعة —مع أنها لاتزال في بداياتها- على حسابات دولة الدانمارك: السياسية والاقتصادية... وأخرى غيرها!

* وبما أن قرار المقاطعة الاقتصادية الذي اتخذته الشعوب المسلمة ذو إطار شرعي (حيث يمثل الـــدور الواجب على الأمة في نصرة النبي (صلى الله عليه وسلم))؛ وجب أن يأخذ حظه الكافي من التأصيل الشرعي للمسألة، لئلا تستأثر العاطفة وحدها -مهما كانت صادقة- على القضية، فتتجاوز بها بعض الحدود والضوابط الشرعية.. إفراطاً أو تفريطاً !

ومن هنا فقد كانت هذه الأسطر محاولة - على عجل- لتقريب شيء من فقه المقاطعة الاقتصـــادية، يتناول عرض الأدلة ووجه الدلالة، وفي طياته إيضاح لبعض المشكلات، ودفع لبعض الشبهات، أرجو أن يتضح به المسلك الشرعي للمسألة، ووراء ذلك من البحث للمستزيد مزيد .

وقد جاء بحث مسائل الموضوع تحت العناوين التالية:

مشروعية المقاطعة.

هل المقاطعة واجبة أو مستحبة؟

لماذا المقاطعة؟

إلى متى المقاطعة؟

١- مشروعية المقاطعة:

ثبت في عدد من الأدلة الشرعية مشروعية المقاطعة التجارية للعدو، وأنها وسيلة مشـــروعة تُســـلك لإرغام العدو والتضييق عليه، أو الانتقام منه وأخذ الثأر، وتلك الأدلة منها ما هو عام الدلالة تندرج تحته المقاطعة، ومنها ما هو خاص بها، ومن ذلكم:

(أ) كل آيات الجهاد في كتاب الله المتضمنة لجهادي المال والنفس، نحو قوله تعالى:]انفروا خفافـــاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله[،]ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم`تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم[.

والمقاطعة التجارية داخلة في جهاد العدو بالمال؛ لأن الجهاد بالمال كما يكون ببذله لإضعاف العدو، يكون بإمساكه عنه لإرهاقه كذلك!

وليُلحظ تقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في كل الآيات، إلا موضع سورة التوبة:]إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة[، وهذا التقديم للجهاد بالمال على النفس له دلالة ولابد، ولعل منها: اقتدار كل المكلفين على الجهاد بالمال(بذلاً وإمساكاً) بلا استثناء، بخلاف الجهاد بالنفس الذي قد يعجز عنه بعض المكلفين أو يُحال بينهم وبينه. ومنها: كون الجهاد بالمال دعامة للجهـــاد بالنفس وليس العكس، وكونه أسبق منه إعداداً وتنفيذاً في ميادين الجهاد، فناسب ذلك سبقه عليه في الذكر الحكيم، والعلم عند أحكم الحاكمين!

(ب) قوله تعالى – في أوجه العمل الصالح الذي يُكتب لصاحبه لوناً من ألوان الجهاد-:]ماكـــان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كُتب لهم به عمل صالح].

والمقاطعة الاقتصادية للعدو نيل عظيم منه ولا شك، لمّا تبور تجارته بديار المسلمين ويحل بها الكساد.

(ج) قوله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبوداود والنسائي: "جاهـــدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم"، وقد تقدم أن الجهاد بالمال كما يكون بإنفاقـــه في الغـــزو وتجهيز الغزاة، فإنه يكون بإمساكه عن الوصول للعدو لئلا يتقوى به على قتال المسلمين وعدائهم.

ولئلا يُقال: إن هذا تكلف في فهم الدليل وإقحام ما لا يحتمله من المعاني فيه، فهاهنا دليلان من وقائع السيرة، أحدهما فعل والآخر إقرار منه (صلى الله عليه وسلم) ، وكلاهما دال على المشروعية :

(د) كل الغزوات والسرايا التي كانت قبل غزوة بدر الكبرى، بل حتى غزوة بدر ذاتها كان المقصد منها اعتراض قوافل قريش التجارية وأخذ أموالها وحصارها اقتصادياً، فسرية حمزة إلى (سِيف البحر)، وسرية سعد بن أبي وقاص إلى (الخرّار)، وغزوة الأبواء (ودّان) وسرية عبيدة بن الحارث إلى (رابغ)، وغزوة (بُواط)، وسرية عبدالله بن جحش إلى (نخلة)، وغزوة (العُشَيرة) التي أفلت فيهـــا أبوســـفيان بالقافلة في ذهابه إلى الشام، وهي القافلة ذاتها التي خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) يريدها حـــين عادت نادباً إليها أصحابه قائلاً: "هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلّكموهـــا"، لكنها أفلتت فكانت غزوة بدر الكبرى !

فكل تلك الغزوات والسرايا كان هدفها الأول هو الحصار الاقتصادي واعتراض القوافل وقطع تجارة قريش، إضعافاً للعدو وكسراً لشوكته... وهل المقاطعة الاقتصادية إلا من هذا الباب ؟

(هـــ) قصة ثمامة بن أثال (رضي الله عنه) لّما أسلم، فقطع تجارة الحنطة عن قريش التي كانت تأتيهم من قِبَله من اليمامة، وأقسم لهم: "ولا والله لايأتيكم من اليمامة حبّةُ حنطة حتى يأذن فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) "، وخبره هذا في الصحيحين. فكان ثمامة (رضي الله عنه) بذلك أول مقاطِع تجاري للعدو في الإسلام –بمعناه الاصطلاحي–، فإنه استشعر دوره ضد قريش لكفرها وحربها لرســـول الله (صلى الله عليه وسلم) ، واستخدم سلاحه الذي يملك وقاطع تجارتهم، فكان في ذلك إرهاق قريش وتجويعها، حتى أرسلوا إليه (صلى الله عليه وسلم) يسألونه بالرحم أن يكتب إلى ثمامة ليُخلي لهم حمل الطعام، فكتب له النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك ورفع الحصار.

وفي الحديث من الفقه: عدم اشتراط إذن الإمام للمقاطعة، خلافاً لمن قال به! فإن ثمامة قـــاطعهم و لم يستأذن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، بل أقره (صلى الله عليه وسلم) على ذلك و لم ينكر عليه إقدامه على ذلك بلا إذن منه، ولا عدّ ذلك افتئاتاً وجرأة على مقامه (صلى الله عليه وسلم) ، بل لو استدل مستدل بهذا الخبر على اشتراط إذن الإمام لرفع المقاطعة بعد إقدام المسلمين عليها لكان أقرب... وهو بعيد!

وبعد: فما سبق من الأدلة دلّ على مشروعية المقاطعة كما تقدم، والدلالة على "المشروعية" أعم من الدلالة على أحد أفرادها: الوجوب، والندب، والإباحة، وإذا كانت المقاطعة –عند الحاجـــة إليهـــا والمناداة بها– مطلباً شرعياً فقد خرجت من حيّز الإباحة، وانحصر حكمها بين الوجوب والاستحباب (الندب)، وهذا هو المبحث التالي:

٢– هل المقاطعة الاقتصادية اليوم واجبة أم مستحبة ؟

الأصل في التعامل مع غير المسلم الإباحة (بالضوابط الشرعية)، وحكم المقاطعة (الدائر بين الوجوب والاستحباب) لا يتعارض مع ذلك الأصل؛ لأن حكم المقاطعة طارئ، يطرأ بطروء أسبابه ودواعيه، ويزول بزوالها ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) مع عداوة اليهود له بالمدينة وحصاره إياهم وحـــربهم

وإجلائهم فقد كان يبيع ويشتري معهم، لكنه لّما احتاج إلى المقاطعة في ظرف من الظروف حاصرهم في حصونهم، بل وحرق نخل مزارعهم كما فعل مع بني النضير، وفي ذلك نزل قوله تعالى: [ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين].

وعندئذ: فمتى احتاج المسلمون إلى المقاطعة التجارية كما هو الحال اليوم مع دولة الدانمارك الصليبية بعد استهزائهم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسخريتهم منه، فإن أدنى درجـات ذلـك هـو الاستحباب، وحيث نقول: أدنى درجاته الاستحباب فإن معنى ذلك أنه لا يمتنع أن يصل إلى الوجوب في بعض الأحوال، والمراد بوجوب المقاطعة: تحريم بيع منتجاتهم وشرائها، غير أن هذا التحريم لـيس تحريماً لعينه، فإن المحرّمات في فقه البيوع إما أن تحرم لعينها (كبيع الخمر والخنزير)، أولغيرها بمعنى أنها تحرم لكونها وسيلة إلى محرم (كبيع العنب لمن يصنعه خمراً)، وهذا ما يعبّر عنـه الفقهـاء بقـولهم: "الوسائل لها حكم المقاصد"، وعلى هذا يُحمل الوجوب في المقاطعة التجارية –إن قيل به–، أنه لغيره لا لذاته، من جهة أن البيع والشراء مع العدو وسيلة إلى تمكينه مادياً من الاستمرار علـى عداوتـه وحربه للمسلمين... وذلك محرّم !

والذي أراه أن المقاطعة التجارية تتجاوز حدّ الاستحباب إلى الوجوب في إحدى صور ثلاث:

أ- إذا أمر الإمام بذلك وحمل الناس عليه وجبت المقاطعة ؛ لوجوب طاعة الإمام.

ب- إذا انحصرت وسائل دفع العدو وكسر شوكته في المقاطعة، بحيث لم يجد المسلمون وسيلة أخرى وجبت المقاطعة؛ لأن دفع العدو وجهاده بكل الوسائل الممكنة واجب، وإذا انحصرت الوسـائل في المقاطعة صارت هي الواجب كله، بحيث يؤدي تركها إلى ترك الواجب الذي يأثم به الجميع.

مع مراعاة أن الذي يقرر انحصار الوسائل في المقاطعة وتعذّر غيرها هم المختصون من أهـل العلـم والدراية بالمسألة المباشرون للقضية ، العارفون بأبعادها، ممن يحسن تطبيق قواعد المصالح والمفاسد، لا أن يكون ذلك حقاً لكل مسلم يمارس فيه اجتهاده الشخصي !

ج- إذا عجز المكلف عن غير المقاطعة من الوسائل المشروعة، ولم يقدر إلا على المقاطعة وجبت في حقه؛ لأنها ستكون في حقه الجزء الذي يحقق به الوجوب في الجهاد والدفع؛ لقدرته عليه وعجزه عن غيره، والواجبات كلها تجب بالقدرة وتسقط بالعجز !

والصورتان الأخيرتان تدخلان في القاعدة الأصولية الشهيرة: "مالا يتم أداء الواجب إلا بـه فهـو واجب" .

٣- لماذا المقاطعة ؟

من المهم جداً عند اتخاذ قرار المقاطعة التجارية تحديد الهدف منها، والتي تختلف من حال إلى حـال، ومن زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان.

فتارة تكون المقاطعة حصاراً لعدو يُراد استسلامه وإخلاء بلاده بما فيها، وتارة تكـون إرغامـاً لـه وإضعافاً لإمكاناته، وتارة تكون ثأراً وانتقاماً لاعتداء بدا منه، وتارة تكون ضغطاً عليه لاسـترجاع حق اغتصبه ...، وهكذا.

فمن الضروري تحديد هدف المقاطعة الذي يتحدد من خلاله المدى الزمني للمقاطعة (وسيأتي الحديث عنها في النقطة التالية)، كما يُحكم على المقاطعة بالنجاح أوالفشل بناءً على تحقق الهدف أو عدمه، وهذا ما يجعل القضية منضبطة شرعاً، غير خاضعة لعواطف جياشة أو حماسة مندفعة، وفي الوقت ذاته يغلق الباب في وجوه المخذّلين والمثبطين، ممن ينادي بعدم جدوى المقاطعة، وأنها ما هـي إلا تفريـغ شحنة عاطفية ما تلبث أن تنطفئ!

وفي قضية الدانمارك اليوم التي تقررت فيها المقاطعة شاع بين الناس خطأً أن الهدف منها هو أخذ حق النبي (صلى الله عليه وسلم) ممن سخر منه وهزئ به، عن طريق المقاطعة!

وإنما قلت: "خطأً"؛ لوقوع خلط في هذا المفهوم بين حق النبي (صلى الله عليه وسلم) وواجب الأمة تجاه الاعتداء والتطاول عليه (صلى الله عليه وسلم) ، فالسخرية والانتقاص الذي أظهرته تلك الرسوم اعتداء على حقه (صلى الله عليه وسلم) ، وحقه (صلى الله عليه وسلم) شخصي محض، بمعنى أن أخذ الحق فيه أو العفو عنه متعلق بشخصه (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا ما لا يمكن لأحد مهما اتخذ من أسباب أن يدعي أنه استوفى حقه (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأن صاحب الحق فقط هو الذي يقـرر استيفاء الحق من عدمه، ولا يسع الأمة كلها أن تتنازل عنه، أو تطالب بمطالب (اعتذار أو غيره) ترى أنه يستوفي الحق له (صلى الله عليه وسلم) ، ولهذا صرّح الفقهاء بأن شاتم النبي (صلى الله عليه وسلم) يُقتل ولا يُستتاب؛ لأن التوبة هنا متعلقة بحق شخصي، ولا محل بعد وفاته (صلى الله عليه وسـلم) لاستعفائه، ولهذا: فلا المقاطعة ولا غيرها من الوسائل يُقال عنها: إنها تستوفي حق النبي (صلى الله عليه وسلم) أو تُسقطه... فلماذا المقاطعة إذن ؟

إننا إنما ندعوا إلى المقاطعة قياماً بواجب الأمة في القضية، لا استيفاءً لحق النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهنا نحتاج إلى التفريق بين المسألتين: بين حق النبي (صلى الله عليه وسلم) في القضـية، وواجـب الأمة فيها...

أما حقه فقد تقدم، وأما واجب الأمة فهو النصرة والتعزير والتوقير، على حدّ قول الله سبحانه:]إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً`لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه[، وواجب النصيحة له (صلى الله عليه وسلم) بالدفاع عنه والذبّ عن عرضه والنيل ممن تعرض له بسوء وإن قلّ، وواجب المحبـة المتضمنة لافتدائه (صلى الله عليه وسلم) بالأنفس والأموال والأعراض، ومعاداة من عاداه، ومحاربة من آذاه .

وهذه الواجبات المتعلقة بالأمة هي الدوافع لقرار المقاطعة، فالهدف منها إذن: هو إبراء الذمة بذلك، وإقامة شاهد المحبة له (صلى الله عليه وسلم) بالسخط على من تعرض له بأذىً أو ناله بسوء، وردعه وكفّ باطله، وضمان ألا يعود لذلك، وألا يتجرّأ غيره فيفعل فعلته الوقحة، وبالتالي فإن هذه المقاطعة – طالت أو قصرت– لا علاقة لها بحق النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وطالما كان الغرض منها ما ذُكر فلا حرج أن تُحدّ بحدود يكون فيها: بذل المعاذير من المعتدي، والاعتراف بالجريرة، والتماس العفو والصفح، في ندم تام، وعهد غليظ بعدم تكرار ذلك، واستبدال الإحسان – قولاً وفعلاً – بإساءته تلك...، وغير ذلك مما يتحقق معه الهدف من المقاطعة، الذي لن يُسقط – بحال – حق النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفي حديث ثمامة السابق شاهد على إيقاف المقاطعة(بأمره (صلى الله عليه وسلم)) متى لاحت في ذلك المصلحة؛ إذ لم يكن الغرض منها قتلهم جوعاً، بل سوقهم إلى الهداية سَوقاً !!

وهذا ما يجب أن ترجع الأمة فيه (أعني حدّ المقاطعة) إلى أولي العلم والبصيرة، ممن يحقق مناط المصالح، ثم يزنها بالمفاسد، ويحكم بالراجح فيها، وهذا هو عنوان المسألة التالية:

٤- إلى متى المقاطعة ؟

أحسب أن ما سبق تقريره في النقطة السابقة يُجيبنا عن هذا السؤال!

ولذلك فإنه لما خلط بعض الفضلاء بين المقاطعة (وأهدافها) وبين حق النبي (صلى الله عليه وسلم) بنَوا على ذلك استمرار المقاطعة إلى الأبد، ذلك أن حق النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يسقط بحال، فوجب أن تكون المقاطعة ماضية إلى الأبد !

وهذا التقرير خطأ من وجهين:

الأول– أن فيه خلطاً بين حق النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي لا يسقط بحال، وواجب الأمة الذي لا تبرأ بتركه بحال، وقد تقدم ذلك. الثاني– أنه لو اعتبرنا المقاطعة عقاباً لمن نال من النبي (صلى الله عليه وسلم) أو استيفاءً لحقه منه، فإن فيه خلطاً بين المسيء الشاتم الساخر – وهو الرسّام–، والمقِرّ له –وهو الصحيفة والحكومة–، وبين الشركات التجارية والتجّار والشعب المقصودين بالمقاطعة! فلئن كانت المقاطعة عقاباً فليُترل بمستحق العقاب فقط، ولئن كانت استرجاع حق فليؤخذ من المعتدي فحسب !!

وحينئذ؛ فلا يسعنا إلا أن نقول: إن المقاطعة وسيلة شرعية يُراد بسلوكها تعريف المعتدي بخطئه، وإقراره بجرمه، وإقلاعه عنه، وعدم عودته إليه... الخ، وذلك ما يمكن أن يُحدّ بمطالب يضعها أولوا العلم والبصيرة في الدين وأهل الدراية في الأمة، ممن أوتي حظاً وافراً من الموازنة بين المصالح والمفاسد، وترجيح المتكافئ منهما، مع فقه تام بالواقع ومجاري الأحداث وتطورات الأوضاع؛ وصولاً إلى تحقيق المصالح من المقاطعة، واجتناباً لما يُتوقع من مفاسد، دون أن يكون لذلك أدنى أثر فيما يتعلق بحقه

(صلى الله عليه وسلم) ، بمعنى أن الرسّام الآثم لو جاءنا بمعاذير الدنيا كلها وقبّل منا الأيدي والرؤوس والأرجل، طالباً أن نصفح عنه ونغفر له خطأه ... فإن الأمة لا تملك ذلك بحال !

وهنا يجب أن نعلم أن من الفقه: فقهَ حال الأمة اليوم ومعرفة وزنها بين الأمم؛ لتحديد المطالب التي يسمح بها ثقلُها ووزنُها، وأن الأمة اليوم في غَلَبة وضعف من أمرها إلى حدّ أشبه بوضع الإسلام في العهد النبوي المكي منه في العهد النبوي .

ولذلك فليس من الحكمة اليوم المطالبة بمطالب أكبر من حجم الأمة، أو الإصرار على إقامة حدّ شاتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) على المعتدي بتلك الرسوم، فإن كل ما ورد في السنة من وقائع أمر فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) أو أقرّ فيها بقتل من شتمه وهجاه إنما هي وقائع مدنية، كقصة كعب بن الأشرف، وعصماء بنت مروان الخَطْمية، والأعمى الذي قتل أم ولده، وغيرها كثير، حتى قتل عبدالله بن خَطَل الذي كان متعلقاً بأستار الكعبة يوم الفتح، كل ذلك إنما كان أيام صولة الإسلام بالمدينة وقوة دولته، وأما قبلُ.. فلم يُعرف أنه (صلى الله عليه وسلم) انتقم ممن كان يؤذيه، مع أنه كان يناله في مكة من الأذى والشتم ما هو أشد مما كان في المدينة، بل ما هو أعظم من الشتم وأمرّ ! ألم يوضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد؟ فلم يكن (صلى الله عليه وسلم) – مع شدة غضبه- يصنع شيئاً أكثر من الدعاء ؛ مراعاةً للمصلحة، ومعرفة بما يناسب الوضع آنذاك.

أو لم يكن يملك قتل عقبة بن أبي معيط أو الوليد ين المغيرة أو أبي جهل أو أبي لهب أو غيرهم من صناديد الكفر أو يأمر خفية بقتلهم ؟!

بلى.. ولكن الحكمة النبوية الراشدة التي تزن المصالح والمفاسد لم تكن ترى مثل هذا الرأي في ظرف كذلك، وهي ذاتها الحكمة النبوية القائلة في المدينة –بعد العز والتمكين-: "مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله" ، "ألا آخذٌ لي من ابنة مروان؟" ، وقيل له يوم الفتح : هذا ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال: " اقتلوه " !!

وليفطن كثير من الغيورين ممن أخذتهم الحمية أن كثيراً مما يمارسونه أو ينادون به من قتل وحرق ونحوه قرارات حمقاء! خاصة في ظل ظرف الأمة الراهن وأوضاعها المزرية، مما قد يُفسد ثمار المقاطعة الناجحة، فيقلب الكفة لصالح العدو.

وكم نحتاج في هذه المرحلة إلى حكمة تفقه الحِكم النبوية في أطوار الأمة ومراحلها وما يناسب كل مرحلة منها؛ لنفرّق جيداً بين: الحكمة والفقه في الدين، وبين: الخَوَر والانهزامية والاستسلام لواقع الأمة المرير ،،،

================

فقه المقاطعة الاقتصادية

نتيجة لاتساع النشاط الإنتاجي للشركات في العقود الأخيرة وتجاوزه للحدود الجغرافية والسياسية، مما جعل البعض يطلق على هذه الشركات مسميات من قبيل "الشركات متعددة الجنسية" أو "الشركات فوق القومية"، بسبب أن إنتاجها الضخم لم يعد محصوراً بدولة واحدة أو بقعة جغرافية معينة، وأصبح من الضروري النظر للسلع المنتجة والمنتشرة في الأسواق من زوايا عدة لتؤتي المقاطعة الاقتصادية أثرها المرجو.

ويمكن تلخيص هذه الزوايا أو المرتكزات في ثلاث مرتكزات لأي سلعة من ناحية العوائد المستفادة منها، وهي كما يلي:

١ الشركة المنتجة: وهي الشركة المالكة للمصنع المنتج للسلعة، ويسجل اسمها على السلعة عادة قبل اسم البلد المنتج.

٢ العلامة التجارية "الماركة": وهي الاسم التجاري الذي تُسوق السلعة تحت مسماه، وتحصل الشركة المالكة للعلامة على مبلغ سنوي أو نسبة من الأرباح لقاء السماح باستخدام علامتها التجارية.

٣ بلد الإنتاج: هو البلد الذي تمت فيه عملية تصنيع السلعة (أي البلد الذي يضم المصنع المنتج للسلعة).

ولفهم كيف يمكن الاستفادة من هذه المرتكزات في المقاطعة الاقتصادية، يمكننا تقسيم المقاطعة إلى ثلاث مستويات:

١ المقاطعة من الدرجة الأولى: وهذه تتحقق عندما تكون الشركة المنتجة والشركة المالكة للعلامة التجارية وبلد الإنتاج أمريكي أو يهودي. أي أن جميع المرتكزات أمريكية أو يهودية. ولا أقل للمسلم من أن يلتزم بالمقاطعة من هذه الدرجة، ولا عذر له إن لم يقاطع.

٢ المقاطعة من الدرجة الثانية: وهذه تتحقق عندما يكون مرتكزين من المرتكزات الثلاثة أمريكياً أو يهودياً.

وهذا يكون في الأعم الأغلب في المرتكز الأول "الشركة المنتجة" والمرتكز الثاني "الماركة" فقط.

وعلى المسلم أن يقاطع مثل هذه المنتجات أيضاً، وبخاصة إن كانت كمالية أو غير ضرورية، أو كانت ضرورية، ولكن لها بديل آخر يمكن الحصول عليه.

٣ المقاطعة من الدرجة الثالثة وهذه الحالة تتحقق غالباً في العلامة التجارية "الماركة"، وكثير من المنتجات المنتشرة في أسواقنا من هذا الصنف، وعلى المسلم أن يقاطعها أيضاً كلما أمكنه ذلك.

مما سبق يتبين أن أفضل السلع هي ما كانت خارج نطاق الدرجات المذكورة سابقاً. وكلما كانت المرتكزات الثلاث للسلعة محلية أو عربية وإسلامية أو آسيوية على الترتيب كلما كانت هذه السلعة أولى بالشراء.

نقاط مهمة

الأثرياء اليهود مساهمون أو مالكون لكبريات الشركات في العالم، وحيثما كانت الحرية التجارية أكبر في بلد كان النفوذ التجاري اليهودي أكبر. وعلى العموم ينتشر النفوذ اليهودي بشكل أساسـي في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول أوروبا الغربية.

ليست جميع المنتجات الأمريكية يمكن مقاطعتها لعدم وجود البديل، لكن هنـاك مـن المنتجـات الأمريكية ما لا يعذر المسلم في عدم مقاطعتها.

إن المقاطعة تحتاج إلى شيء من الدقة والمفاضلة عند التسوق، والسـؤال والاستفسـار مـن أهـل الاختصاص، كما تحتاج إلى تغيير بعض الماركات والمنتجات التي اعتدنا عليها بأخرى محلية أو غيرها قد تكون أقل جودة إلا أنه مع الإرادة والعزيمة والصبر يمكن التكيف، ولنذكر أن الله لا يضيع عنـده شيء.

على كل مسلم ومسلمة يعمل بالمقاطعة أن يستحضر النية الصالحة بأن مقاطعته وتغيير النمط الـذي اعتاد عليه هو إرضاء وقربى لله وموالاة لإخوانه المسلمين المستضعفين وبراءة من أعداء الإسلام ممـن يدعمون الكفر وأهله.

يجب أن نتذكر أننا بالمقاطعة الاقتصادية ندعم اقتصاد بلدنا، ونتجه بسرعة أكبر نحو التحرر من التبعية الاقتصادية للغرب.

ماتزال كثير من المنتجات الأجنبية تحصد أرباحاً في أسواقنا رقم وجود منتجات محليـة تنافسـها في الجودة، بل تتعدادها أحياناً وبأسعار أقل، إلا أنه وللأسف يفضلها البعض بسـبب عقـدة الـنقص والانهزامية النفسية.

لابد من الانتقاء والتدرج في المقاطعة، فالمنتج المحلي أفضل وأولى بالدعم، والمنتج العربي والإسـلامي أفضل من المنتج المشابه الآسيوي، والمنتج الآسيوي أفضل من المنتج الغربي، وعند الضـرورة المنـتج الأوروبي أفضل

من المنتج الأمريكي، وأخيراً وعند عدم توافر البدائل فالشركة الأمريكية التي لا تستثمر في إسـرائيل أولى من التي لديها استثمارات في إسرائيل.

يجب ألا يلتفت للمثبطين والمخذلين ممن ينتسبون لهذه الأمة ممن يطعنون في جدوى المقاطعة الاقتصادية ويشككون في أثرها، إذ هذا ديدنهم في كل عصر ومصر، يقول الله عز وجل: إذ يقول المنـافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (٤٩) (الأنفال)، ويقول: المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون٦٧ (التوبة).

المقاطعة لا تقوم فقط على السلع، بل يجب أن تشمل المحلات والأسواق والمطاعم التي يملكها مستثمرون يهود أو أمريكيون، وتعرف هذه المحلات من أسمائها التي تحمل أسماء عالمية مشهورة لا تخفى على عاقل.

يمكن أن ينطلق المسلم الفطن من هذه المقاطعة إلى قاعدة ومنهج يسير عليه مع جميع السلع والمنتجات أو الأسواق والمحلات، فما كان يُعرف منها بدعم الخير وأهله هو أولى بالدعم من غيره، وعلى النقيض من ذلك المنتج الذي تنتجه شركة أو يبيعه محل يعرف بنشر المنكر أو دعمه هو أولى بالمقاطعة.

===================

إعادة النظر في فقه المقاطعة

مركز المنطلق الإسلامي

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه :

أما بعد :

فمنذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة وسماح عرفات وعصابته للشعب الفلسطيني للتعبير عن رفضه للاحتلال اليهودي والبطش الصهيوني انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي دعوات لمقاطعة المنتجات والمصنوعات اليهودية والأمريكية، ودفع الناس إلى عدم التعامل في هذه البضائع والسلع. وقد أخذت حملات المقاطعة عدة صور: فتاوى من علماء ومشايخ، منابر المساجد في بعض البلاد، رسائل بريدية إلكترونية تصل إلى عشرات الألوف من رواد الإنترنت، نشرات توزع في الشوارع والميادين، كتب ورسائل وحملات إعلامية من خلال القنوات الفضائية وغيرها من وسائل إعلامية ...

وبررت كثير من القوى الشعبية الإسلامية حملات المقاطعة تلك بأن هذه المقاطعة تحاول وقف الدعم المالي المباشر والغير المباشر الموجه لآلة القمع الإسرائيلية؛ سواء عن طريق البضائع الإسرائيلية، أو عن طريق حليفتها الأمريكية التي تمدها بمختلف أنواع الدعم من معنوي ومالي، وأن هذا هو الطريق الوحيد ــ أو شبه الوحيد ــ أمام الجماهير المسلمة لمساندة انتفاضة الأقصى، بعد أن حالت الأنظمة التي تجلس على سدة الحكم في الأقطار الإسلامية بين هذه الشعوب وشعبنا الأسير في فلسطين لنجدته ونصرته.

ونحن ــ كموقف مبدئي مع المقاطعة تلك ــ نناصرها ونؤيدها؛ ليس باعتبار أنها السبيل الوحيد لمواجهة اليهود، ولكن باعتبارها وسيلة من ضمن العديد من الوسائل في مواجهة الهجمة اليهودية البروتستانتية على العالم الإسلامي، هذا من حيث الهدف العام لحملة المقاطعة. أما من حيث الوسيلة

المطبقة لهذه المقاطعة فلنا بعض التحفظ، أو ندعو لتوسيع رؤية واقع هذه المقاطعة والمصالح والمفاسد المترتبة عليها.

فأولى هذه الاعتبارات التي يجب مراعاتها والنظر إليها عند الحديث عن المقاطعة:

**مئات الألوف من العمال الذين يعملون في المصانع والمحلات التي أصبحت على وشك الغلق والإفلاس من جراء المقاطعة والتشريد وانقطاع المورد الرئيسي لدخلهم، مع ملاحظة أن هؤلاء العمال يعولون أسرهم مما يتعدى الضرر إلى ملايين الأفراد، في ظل أزمة اقتصادية خانقة تمر بها أغلب دول المنطقة، وبطالة فاقت نسبها كل حد، وما تشكله من انهيار أخلاقي واجتماعي شديد، في ظل عجز الأنظمة وعدم قدرة فصائل الصحوة الإسلامية على استيعاب هؤلاء وتوفير ما يعول أسرهم نتيجة للظروف الأمنية وغيرها مما تمر به الصحوة. وغني عن البيان ومما يعزز وجهة النظر تلك أن هؤلاء المطالبين بالمقاطعة لا يجرؤون على مطالبة مئات الألوف من العمال الفلسطينيين على ترك المصانع الإسرائيلية التي يعملون بها.

**التفريق بين بعض الدول ذات المستوى المعيشي المرتفع والأخرى التي تجاوزت فيها نسب الفقر أي خط، فالأولى تبدو المقاطعة فيها أكثر قبولا حيث القدرة على تنويع السلع والبضائع والقوة الشرائية التي تحصل عليها بأي سعر، أما الثانية فالخيارات أمامها قليلة والقوة الشرائية لدى المواطن المتوسط الدخل فيها محدودة وهذا التفريق يسري في البلد الواحد مع تعدد مستويات الدخل بين طبقاته.

**وإذا كانت مقاطعة اليهود والأمريكان واجبة الآن لما يفعلونه بالمسلمين ومن انتهاك للمقدسات، إذا كانت هذه أحد أسباب المقاطعة أو أهم أسبابها فإن الأنظمة العربية أولى بالمقاطعة تلك، فكثير من المشروعات والمنتجات التي يصب دخلها في موازنة هذه الأنظمة تعود وترتد سلاحًا في نحور إخواننا الذين يجاهدون هذه الأنظمة، وتتدعم بها أجهزة الإعلام وأنظمة التعليم لإفساد الناس والحيلولة بينهم وبين الإسلام فيما يعرف باسم "الأرض المحروقة"، ويشيد بها سجونًا وقلاعًا محصنة تنتهك فيه كرامة الأخ المسلم ويتمنى أن يعامل فيها معاملة الحيوان.

وأسوق هذه الواقعة التي رواها لنا أحد الأخوة ممن نثق في دينه والتزامه عن واقعة حدثت أمامه في إحدى هذه المعتقلات عندما كان يجري التفتيش فيها على أي متعلقات شخصية للمعتقل الممنوع عنه أي زيارة أو حديث، المكدس في زنزانة يوجد فيها أكثر من ثلاثين معتقلاً وهي أصلاً مصممة لتستوعب ثمانية أفراد، وكان من ضمن الممنوعات والتي يجري عليها التفتيش بدقة وبحزم وتعاقب عليه الزنزانة بأكملها إن وجد كتاب الله وكان الإخوة يشترونه من الحراس خلسة بثمن باهظ لكي يقسموه إلى ملزمات صغيرة لكي تتمكن عدة زنازين فيها مئات من قراءته وتلاوته وكانوا يجتهدون في إخفائه لدرجة إخفائه في أماكن لا يجوز فيها شرعا إخفائه كدورة المياه مثلاً!!! ولكنها الحاجة الشديدة للقرآن لأنه كان بمثابة الروح التي تعينهم على البقاء في ظل هذه الأجواء.

وحدث مرة أن ضبط أحد هذه الملزمات مع أحد السجناء فما كان من ضابط السـجن إلا أن رص صفوف المساجين وأسند ظهورهم إلى الحائط وأمر حراسه بضربهم بالعصي ضربا مبرحا إلى أن يقروا أين بقية أجزاء المصحف؟ فما كان من أحد الأخوة المعتقلين إلا أن التفـت وصـرخ في الضـابط والحراس صائحًا فيهم: تضربوننا من أجل المصحف يا كفرة !!! وتوقع الجميع أن يـأمر الضـابط حراسه ويفعلوا بهذا الأخ الأفاعيل ولكن يبدو أن هذه العبارة قد أصابت شيئا ما أو بقية إيمـان في نفسه فأمر بوقف التعذيب وإعادة المعتقلين إلى زنزاناتهم وهذه الرواية حرصت على روايتها بـرغم طولها لأستدل بجبن هؤلاء الزعماء ومدى انحراف هذه الأنظمة وبيان أنها أصبحت أشد على المسلمين من اليهود والنصارى وحينئذ يبدو السؤال منطقيا: أليست مقاطعة هؤلاء أولى؟

إن كثيرا من الناس قد يفهم دعوتنا تلك كنوع من تثبيط الهمم وبث روح الاستسلام والهزيمة أمـام العدو ولكننا ندعو إلى أخذ الأمور بجد، وإحياء فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وتعـديل طرائـق التفكير وسبل التعامل مع المشاكل، والدعوة إلى النظر فيها بالأساليب العلمية، ولـيس وراء دعـوة عاطفية، أو لهثًا بأماني كاذبات، ولكنها إعادة التدبر والتفقه في هذه المشكلة وأمثالها مما يوسع دائرة النظر ويستوعب جميع المفاسد والمصالح في أي أمر من أمورنا، لكي نهيئ أنفسنا لاتخاذ القرار الصائب بعيدا عن الأهواء والعواطف.

ولسنا ندّعي أن هذا الرأي هو الصواب في هذه المسألة ولكن كما قلنا ونكرر ندعو إلى إمعان النظر ورؤية الموضوع من جميع زواياه المختلفة حتى تتضح الصورة ونفقه الواقع قبل الحكم عليـه وأخـذ المواقف على ذلك الحكم.

================

مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء

أبو يوسف محمد زايد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نادي عبده المجتبى ورسوله المصطفى، فقال:؟يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّـراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً *؟ (الأحزاب ٤٥-٤٦)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشـركون، وأبى الكافرون، ورفض الملحدون، وأعرض الصم البكم العمي الذين لا يعقلون... قال تعالى: ؟هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْـرِكُونَ؟ (التوبـة: ٣٣)؛ وقال: ؟هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّـهِ شَـهِيداً؟

(الفتح: ٢٨)؛ وقال مخاطبا نبيه الكريم عليه أنمى الصلاة وأبلغ التسليم: ؟ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ؟ (النمل: ٨٠)؛ وقال:

؟وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ؟ (النمل: ٨١)؛وقال: ؟ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ؟ (الزخرف: ٤٠)....

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه المبين: ؟ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ (الحج: ٧٥)؛ وقال: ؟اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ؟ (الأنعام: ١٢٤)؛ وقال: ؟وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ؟ (الأنعام: ١١٢) وقال: ؟وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً؟ (الفرقان: ٣١)...

الحمد لله البالغ أمره، النافذ حكمه، كتب على نفسه الرحمة، وقال ؟وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ؟ (الأعراف: ١٥٦)

الحمد لله العزيز ذي انتقام الذي قال: ؟ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ) (الدخان: ١٦)؛ وقال (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ؟ (السجدة: ٢٢)؛ وقال: ؟ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ (الروم: ٤٧)؛ وقال: ؟ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ؟ (آل عمران: ١٨١)

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وجميع إخوانه الأنبياء وعلى آله الأصفياء وصحابته الأوفياء وكل من كان من الأتقياء إلى اليوم الذي يفصل فيه الواحد القهار بين السعداء أهل دار السلامة والكرامة، والأشقياء حطب دار الندامة...

أما بعد، فهذا كتاب حاولت أن أجمع فيه ما يسر الله لي من المناورات التي حاكها يهود غاوون ومشركون وثنيون لقتل سيد ولد آدم، خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم... وقد كان اعتمادي بالدرجة الأولى على كتابي التفسير والبداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله، مع بعض الإضافات من غيرهما أبينه – إن شاء الله – في محله..........

تنبه: سميتهم أشقياء لما أقدموا عليه من شنيع الفعال، بل أشنعها وأكبرها مقتا عند الله، ألا وهو محاولة اغتيال النبي المرسل رحمة للعالمين...فهم أشقياء حين تلبسهم بالجريمة والإقدام على تنفيذها... حتى كان منهم من غلبت عليه شقوته ومات على كفره فحق عليه قول ربنا فيمن قال فيهم: ؟ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ (آل عمران: ٢١)، ومنهم من شرح الله صدره للإسلام فأسلم وجهه لله وحسن

إسلامه فأصبح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشارك معه في غزواته وحارب إلى جنبه الشريف ضد أهل الشرك والبغي والفساد في الأرض...وأصبح من رواة حديثه والمبلغين لسنته...اهـ.

وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم التنزيل: ؟ مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ؟ (الأعراف: ١٧٨) ويقول: ؟ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ؟ (الكهف: ١٧)

ويقول: ؟اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ؟ (الزمر: ٢٣).....

نعم.. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له... أنزل على رسول الله أمره : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *)(الحجر: ٩٤- ٩٦).

قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به، وهو مواجهة المشركين به، كما قال ابن عباس في قوله: {فاصدع بما تؤمر} أي أمضه، وفي رواية:افعل ما تؤمر.. وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة. وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود: ما زال النبي مستخفياً حتى نزلت {فاصدع بما تؤمر}، فخرج هو وأصحابه. وقوله: {وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين} أي بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله {ودّوا لو تدهن فيدهنون} ولا تخفهم فإن لله كافيك إياهم وحافظك منهم، كقوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم، عن أنس قال: سمعت أنساً يقول في هذه الآية، {إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر} قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل، أحسبه قال: فغمزهم، فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا. قال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم: من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن المطلب أبي زمعة، كان رسول الله فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: «اللهم أعم بصره، وأثكله ولده» ومن بني زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن بني مخزوم الوليد

بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومن بني سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بـــن لـــؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد، ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد بن ـــ عمرو بن ملكان ـــ. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله الاستهزاء أنزل الله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًـــا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)...وقال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء،أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه، ومـــر بـــه الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرحٍ بأسفل كعب رجله، وكان أصابه قبل ذلك بسنتين، وهو يجـــز إزاره، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلاً له، فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلـــك الخدش، وليس بشيء، فانتفض به فقتله، ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف، فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحاً فقتله.

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل، عن ابن عباس قال: كان رأسهم الوليـــد بن المغيرة وهو الذي جمعهم، وهكذاروي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به، عن يزيد عن عروة بطوله، إلا أن سعيداً يقول: الحارث بن غيطلة، وعكرمة يقول الحارث بن قيس. قال الزهري: وصدقا هو الحارث بن قيس، وأمه غيطلة، وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة. وقال الشعبي: كانوا سبعة، والمشهور الأول: وقوله: {الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون} تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع لله معبوداً آخر.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: "فاصدع بما تؤمر" أي بالذي تؤمر به، أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك. والصدع: الشق. وتصدع القوم أي تفرقوا؛ ومنه "يومئذ يصدعون" [الـــروم: ٤٣] أي يتفرقون. وصدعته فانصدع أي انشق. أصل الصدع الفرق والشق ... فقوله: "اصدع بما تؤمر" قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أي أظهر دينك، فـــ "ما" مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر. وقال ابن الأعرابي: معنى اصدع بما تؤمر، أي اقصد. وقيل: "فاصدع بما تؤمر" أي فـــرق جمعهـــم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد فإنهم يتفرقون بأن يجيب البعض؛ فيرجع الصدع علـــى هـــذا إلى صدع جماعة الكفار.

قوله تعالى: "وأعرض عن المشركين" أي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عما يقولون. وقال ابن عباس: (هو منسوخ بقوله "فاقتلوا المشركين" [التوبة: ٥]). وقال عبد الله بن عبيد: ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل قوله تعالى: "فاصدع بما تؤمر" فخرج هو

وأصحابه. وقال مجاهد: أراد الجهر بالقرآن في الصلاة. "وأعرض عن المشركين" لا تبال بهم. قال ابن إسحاق: لما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين. الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون". والمعنى: اصدع بما تؤمر ولا تخف غير الله؛ فإن الله كافيك مَن آذاك كما كفاك المستهزئين،

قلت: وصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمره به ربه جل في علاه، فصدقه ناس حبب الله إليهم الإيمان وشرح صدورهم لتلقي نور الإسلام فكانوا من جنده الذين جاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم فحملوا رايته عالية، حتى أظهره الله الذي نصر عبده ورسوله ومن سار معه على النهج القويم والصراط المستقيم آخذين ما جاء به من الهدى والرشاد من عند رب العباد ؛ وكذبه رهط لم يرد الله أن يطهر قلوبهم فبقوا في ظلمات غيهم يعمهون وفي غيابات الجهل يتخبطون، وهؤلاء هم الأشقياء الذين آذوا رسول رب العالمين للناس أجمعين... بسطوا إليه ألسنتهم بالسوء وأيدهم بشتى أنواع السلاح... فسوف يعلمون..

***

وقبل الشروع في المناورات والمؤامرات التي كان غرض مَن خططوا لها مع العزم على تنفيذها القضاء على الدين الجديد ووأده في شخص النبي المبعوث بتبليغه، أشير إلى تلكم النية السيئة التي سرعان ما انقلبت إلى حسنة من أعظم الحسنات بفضل استجابة العلي القريب، القدير المجيب، دعاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لما نادى ربه قال: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر- أخرجه الترمذي... ورواه ابن ماجه ولفظه: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة —

وقصة إسلام الفاروق عمر رضي الله عنه لا يخلو منها كتاب في التفسير أو السيرة أو التاريخ... ففي البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله:

قال ابن إسحاق وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة..-

- حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر فوقف علي وهو على شركه، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا... قالت،فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت: نعم.. والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا.. قالت، فقال: صحبكم الله..ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما ارى خروجنا، قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك، فقلت له: يا

أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا؟ قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت،قلت: نعـــم... قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب... قالت: يأسا منه لما كان يرى مـــن غلظتـــه وقسوته على الإسلام...

قلت هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا مـــا ذكـــره ابـــن إسحاق ههنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه وسياقها، فانه قال: وكان إسلام عمر فيمـــا بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون بإسلامهم من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بني عدي قد أسلم أيضا مستخفيا بإسلامه من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمـــة بنت الخطاب يقرؤها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وســـلم ورهطا من أصحابه...فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة و لم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة؛ فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قـــال: أريد محمدا، هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتلـــه... فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمـــك سعيد بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه فعليـــك بهما.. فرجع عمر عائدا إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها(طه) يقريها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطـــاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها.. وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها؛ فلما دخـــل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له:ما سمعت شيئا.. قال: بلى... والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم..قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع مـــا بدا لك... فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى وقال لأخته: أعطيني هـــذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد...وكان عمر كاتبا؛ فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها.. قال: لا تخافي... وحلف لها بآلهته ليردها إذا قرأها إليها... فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت: يا أخي، إنك نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون... فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكـــلام

وأكرمه.. فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب... فالله الله يا عمر.. فقال عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأُسلم..فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه...فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف...فقال حمزة: فاذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إئذن له .فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهي حتى يترل الله بك قارعة... فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله... قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم..

قال ابن إسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه.

وقال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للإسلام مباعدًا وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحدا فقلت لو أني جئت فلانا الخمار لعلي أجد عنده خمرا فاشرب منها فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين قال فجئت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي.. وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام.. وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني.. قال فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لأروعنَّه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة قال فلما سمعت القرآن رق له قلبي وبكيت ودخلني الإسلام فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية... قال عمر فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته فلما سمع حسي عرفني فظن أني

إنما اتبعته لاوذيه فنهمني ثم قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله... قال فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته..
قال ابن إسحاق فالله أعلم أي ذلك كان...
قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش انقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي.. فغدا عليه؛ قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلما رأيت حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل إني أسلمت ودخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبا...قال يقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله.... وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم.. قال وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فاحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا... قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر.. قال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمرا، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا .؟ خلوا عن الرجل... قال فو الله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه.. قال فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبتِ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي...وهذا إسناد جيد قوي وهو يدل على تأخر إسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزًا يوم أسلم أبوه فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم...
مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء(٢)
أبو يوسف محمد زايد
"عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك إما عمر بن الخطاب، أو أبي جهل بن هشام، فكان أحبهما إلى الله: عمر رضي الله عنه".
وروي "عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال لعمر رضي الله عنه: لم سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام، وأول شئ سمعته من القرآن ووقر في صدري: " الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى "، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألت عنه؟ فقيل لي: هو في دار الأرقم، فأتيت الدار -وحمزة في أصحابه جلوساً في الدار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت - فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة:

ما لكم؟ فقالوا: عمر. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع ثيابي، ثم نترني نترة لم أتمالك أن وقعت على ركبتي، فقال: ما أنت بمنته يا عمر؟! فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، فقلت: يا رسول الله! ألسنا على الحق، إن متنا أو حيينا؟ قال: بلى، فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا في صفين: حمزة في صف، وأنا في صف -له كديد ككديد الطحن- حتى دخلنا المسجد، فلما نظرت إلينا قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط. فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الفاروق".

وقال صهيب: لما أسلم عمر رضي الله عنه جلسنا حول البيت حلقاً، فطفنا واستنصفنا ممن غلظ علينا.

قال ابن إسحاق... وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى غاظوا قريشًا فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه... قلت وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ اسلم عمر بن الخطاب... وقال زياد البكائي حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال، قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحا وإن هجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه..

*** وهكذا أراد الله عز وجل...ولا يكون إلا ما شاء الله أن يكون... رجل يخرج من بيته مشركا، متوشحا سيفه، ونيته قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فيلقاه عبد مؤمن فيرده بكلمة تجعله بإذن الله يغير وجهته فيذهب إلى بيت أخته... حيث يقرأ بعد اغتسال يحصل به تطهير الظاهر: ؟طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى* إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى* تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى *لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى*اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى *؟ (طه ١ -٨)... آيات بينات من الذكر الحكيم تنفذ إلى أعماقه فتخلي قلبه من الإعراض والكراهية وتحليه بالإقبال والمحبة ليحصل تطهير الباطن؛ فيذهب إلى نبي الله ليسلم وجهه لله ويتبع رسول الله...

وأعز الله تعالى الإسلام بعمر... فيا ليت قومي يسمعون قولة الفاروق رضي الله عنه (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ؛ وفي رواية (إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العز بغيره)..

لكن... كان هنالك من لم يرد الله بهم خيرا لعلمه وهو العليم الخبير أن قلوبهم المظلمة لا تنطوي على أدنى ذرة منه، فبذلوا كل ما كان في وسعهم لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطفاء النور الذي أرسل به؛ (.. وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة: ٣٢)..

****

والآن مع جملة من المناورات التي – والحمد لله الذي أحبطها – باءت كلها بالفشل... أقول، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب:

المناورة الأولى

قال الله تعالى: ؟وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ؟ (الأنفال: ٣٠).

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير

– قال ابن عباس ومجاهد وقتادة {ليثبتوك} ليقيدوك، وقال عطاء وابن زيد: ليحبسوك، وقال السدي: الإثبات هو الحبس والوثاق، وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء وهو مجمع الأقوال، وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء، وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج: قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه. قال له عمه أبو طالب: هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال «يريدون أن يسحروني أو يقتلوني أو يخرجوني». فقال: من أخبرك بهذا ؟ قال «ربي» قال: نعم الرب ربك استوص به خيراً. قال «أنا استوصي به، بل هو يستوصي بي».

– وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالوساوسي، أخبرنا عبد الحميد بن أبي داود عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يأتمر بك قومك ؟ قال «يريدون أن يسحروني أو يقتلوني أو يخرجوني». فقال: من أخبرك بهذا؟ قال «ربي». قال: نعم الرب ربك فاستوص به خيراً. قال «أنا استوصي به، بل هو يستوصي بي». قال: فنزلت {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك} الآية. وذكر أبي طالب في هذا غريب جداً، بل منكر، لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترؤوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه، والدليل على صحة ما قلنا ما روى الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: وحدثني الكلبي عن باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال شيخ من أهل نجد، سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي. قالوا: أجل، ادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره. فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من

كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم. قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخ فانظروا في غير هذا. قال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه.وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا. قال: فقال أبو جهل لعنه الله، والله لأشيرن عليكم برأي ما أركم أبصرتموه بعد، لا أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: تأخذون من كل قبيلة غلاماً شاباً وسيطاً نهداً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها. فإنهم إذا رأوا ذلك، قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. قال: فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره. قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، {أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون} فكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي، وعن السدي نحو هذا السياق وأنزل الله في إرادتهم إخراجه قوله تعالى: {وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً} وكذا روى العوفي عن ابن عباس، وروي عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه، وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رؤوسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ {يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم

مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ *}،

-وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: روي عن عكرمة ما يؤكد هذا، وقد روى ابن حبان في صـــحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابـــن عبـــاس، قال: دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال: «ما يبكيك يـــا بنيـــة؟» قالت يا أبت ومالي لا أبكي وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك، فقال: «يا بنية ائتني بوضوء» فتوضأ رسول صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا: ها هو ذا فطأطأوا رؤوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: «شاهت الوجوه» فما أصاب رجلاً منهم حصـــاة مـــن حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً، ثم قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ولا أعرف له علة.

-وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري، عن مقسم مولى ابـــن عباس أخبره ابن عباس في قوله: {وإذ يمكر بك} الآية قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً رد الله تعالى مكـــرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال لا أدري، فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط علـــيهم فصـــعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم. اهـــ

** كانت هذه أول مناورة ظالمة باء أعداء الحق عبدة الطواغيت الذين خططوا لها وقاموا بتنفيـــذها بفشل ذريع سجله التاريخ بمداد الذل على ورق الخزي ليبقى عبرة لمن أراد أن يعتبر...وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة، واتجه صوب المدينة المنورة، يصحبه في هجرته المباركة أبو بكر الصديق رضي الله عنه...

وازداد غيظ المشركين وملأ قلوبهم المظلمة الحقد والرغبة في قتل الأمين صلى الله عليه وسلم والخلاص من دعوته فأرسلوا في طلبه من يأتيهم به حيًا أو ميتًا، وجمعوا لذلك مالا كثيرًا، عشرات من النـــوق الثمينة، وكان ممن أغروا بهذا الثراء من شبابهم الأقوياء سراقة بن مالك المدلجي... وكانت.

المناورة الثانية...

قال الإمام البيهقي في دلائل النبوة:

باب اتباع سراقة بن مالك بن جعشم أثر رسول الله وما ظهر في ذلك من دلائل النبوة..

– أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان ببغداد وقال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثنا عبيد الله بن موسى وعبد الله بن رجاء أبو عمر الغـداني عـن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال اشترى أبو بكر من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال أبـو بكر رضي الله عنه لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلي... فقال له عازب: لا حتى تحـدثنا كيـف صنعت أنت ورسول الله حين خرجتما والمشركون يطلبونكما.. قال أدلجنا من مكة ليلا فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه فإذا صخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها فسويته ثم فرشت لرسول الله فروة ثم قلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحدا فإذا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي نريد يعني الظل فسألته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش.. فسـماه فعرفتـه؛ فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم.. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم.. فأمرته فاعتقل شاة من غنمه وأمرته أن ينفض ضرعها من التراب ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا فضرب إحـدى كفيه على الأخرى فحلب لي كثبة من لبن، وقد رويت معي لرسول الله إداوة على فمهـا خرقـة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فأتيت رسول الله فوافقته وقد استيقظ فقلت: أتشرب يا رسـول الله؟ فشرب رسول الله حتى رضيت؛ ثم قلت:قد آن الرحيل يا رسول الله... قال فارتحلنـا والقـوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذا الطلب قـد لحقنا يا رسول الله، قال: لا تحزن إن الله معنا.. فلما أن دنا منا وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثـة قلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت فقال: ما يبكيك ؟ فقلت أما والله ما على نفسـي أبكي ولكني إنما أبكي عليك.. قال فدعا عليه رسول الله فقال اللهم اكفنا بما شئت قال فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها ثم قال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن تنجيني مما أنا فيه فو الله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر بإبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله لا حاجة لنا في إبلك وغنمك ودعا له رسول الله فانطلق راجعا إلى أصحابه ومضى رسول الله وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلا..

رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن رجاء وأخرجه مسلم من وجه آخر عن إسرائيل.

–وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني أبو الوليد الفقيه قال حدثنا عبد الله بن محمد قـال حـدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا الحسن ابن محمد بن أعين قال حدثنا زهير قال حدثنا أبو إسحاق قـال

سمعت البراء يقول: جاء أبو بكر إلى أبي في منزله فاشترى منه رحلا وذكر الحديث بمعنى حديث إسرائيل إلى أن قال فارتحلنا بعدما زالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك.. قال ونحن في جلد من الأرض فقلت: يا رسول الله أتينا.. فقال: لا تحزن إن الله معنا. فدعا عليه رسول الله فارتطمت فرسه إلى بطنها... فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما علي فادعوا لي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب.. فدعا الله فنجا فرجع لا يلقى أحدا إلا قال: قد كفيتم ما ههنا، ولا يلقى أحدا إلا رده، ووفى لنا..

رواه مسلم في الصحيح عن سلمة بن شبيب وأخرجه البخاري من وجه آخر عن زهير بن معاوية.

-أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا ابن ملحان قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني الليث عن عقيل — ح - وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبو صالح قال حدثني الليث قال حدثني عقيل قال قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم وفي رواية ابن عبدان أن سراقة بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله وفي أبي بكر دية كل واحد منهما في قتله أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم قال ابن عبدان وذكر الحديث.. قال أبو عبد الله في روايته قال: فقلت له إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا.. قال: ثم قلَّ ما لبث في المجلس حتى قمت فدخلت بيتي فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي فتهبطها من وراء أكمة فتحبسها علي فأخذت رمحي وخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عالية الرمح حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب حتى إذا دنوت منهم عثرت بي فرسي فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقمت بها أأضرهم أو لا أضرهم فخرج الذي أكره لا أضرهم فركبت فرسي وعصيت الأزلام فرفعتها تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر التلفت ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثمان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره أن لا أضرهم فناديتهما بالأمان فوقفا لي وركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهما أنه سيظهر رسول الله فقلت له إن من قومك قد جعلوا فيكما الدية فأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني شيئا و لم يسلني إلا أن قال أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم ثم مضى رسول الله..

رواه البخاري في الصحيح عن يحيى بن بكير عن الليث.

- وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد قال أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الله بن عتاب العبدي قال حدثنا القاسم بن عبد الله بن المغيرة قال أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة قال حدثنا ابن شهاب قال حدثني عبد الرحمن ابن مالك بن جعشم المدلجي أن أباه مالكا أخبره أن أخاه سراقة بن جعشم أخبره أنه لما خرج رسول الله من مكة مهاجرًا إلى المدينة جعلت قريش لمن رده عليهم مائة ناقة قال فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ جاء رجل منا فقال والله لقد رأيت ركبا ثلاثة مروا علي آنفا إني لأظنه محمدا قال فأومأت إليه بعيني أن اسكت وقلت إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم قال لعله ثم سكت قال فمكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي وأمرت بفرسي فقيد إلى بطن الوادي وأخرجت سلاحي من وراء حجراتي ثم أخذت قداحي استقسم بها ثم لبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا تضره وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة قال فركبت على أثره فبينا فرسي يسير بي عثر فسقطت عنه قال فأخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا تضره فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فلما بدا لي القوم فنظرت إليهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض فسقطت عنه فاستخرج يديه واتبعهما دخان مثل الغبار فعلمت أنه قد منع مني وأنه ظاهر فناديتهم فقلت انظروني فو الله لا آذيتكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه فقال رسول الله قل له ماذا تبتغي قال قلت اكتب لي كتابًا يكون بيني وبينك آية قال اكتب له يا أبا بكر قال فكتب لي ثم ألقاه إلي فرجعت فسكت فلم أذكر شيئًا مما كان حتى إذا فتح الله عز وجل مكة وفرغ رسول الله من أهل خيبر خرجت إلى رسول الله لألقاه ومعي الكتاب الذي كتب لي فبينما أنا عامد له دخلت بين ظهري كتيبة من كتائب الأنصار قال فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون إليك إليك حتى دنوت من رسول الله وهو على ناقته أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك فقال رسول الله يوم وفاء وبر أدنه قال فأسلمت ثم ذكرت شيئا اسل عنه رسول الله

قال ابن شهاب إنما سأله عن الضالة وشيء فعله في وجهه الذي كان فيه فما ذكرت شيئا إلا أني قد قلت يا رسول الله الضالة تغشى حياضي قد ملأتها لإبلي هل لي من أجر إن سقيتها فقال رسول الله نعم في كل كبد حرى قال وانصرفت فسقت إلى رسول الله صدقتي.

- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير قال قال ابن إسحاق قال أبو جهل في أمر سراقة أبياتا فقال سراقة يجيب أبا جهل:

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجبت و لم تشكك بأن محمدا نبي وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه فإنني أرى أمره يوما ستبدو معالمه

بأمر يود النصر فيه بإلبها لو أن جميع الناس طرا تسالمه

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا ابن أبي قماش قال حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي ببغداد عن أبي معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله لأبي بكر في مدخله المدينة أله الناس عني فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب قال فكان أبو بكر إذا سئل ما أنت قال باع فإذا قيل من الذي معك قال هاد يهديني...اهـ.

قال ابن كثير في البداية والنهاية

وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة إلا أنه ذكر أنه استقسم بالازلام أول ما خرج من مترله فخرج السهم الذي يكره لا يضره وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات وكل ذلك يستقسم بالازلام ويخرج الذي يكره لا يضره حتى ناداهم بالامان وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكتب لي كتابًا في عظم أو رقعة أو خرقة وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف فقال له يوم وفاء وبر أدنه فدنوت منه وأسلمت قال ابن هشام هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم وهذا الذي قاله جيد..

قال تعالى: (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير

: يقول تعالى: {إلا تنصروه} أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره {إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين} أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هارباً بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» كما قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال: فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» أخرجاه في الصحيحين، ولهذا قال تعالى: {فأنزل الله سكينته عليه} أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشهر القولين وقيل على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال: {وأيده بجنود لم تروها} أي الملائكة {وجعل كلمة الذين كفرواالسفلى وكلمة الله هي

العليا} قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك، وكلمة الله هي لا إله إلا الله. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وقوله: {والله عزيز} أي في انتقامه وانتصاره، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه، واحتمى بالتمسك بخطابه {حكيم} في أقواله وأفعاله... اهـ.

*** ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوفا بعناية ربه الذي أرسله بالهدى ودين الحق طيبةَ الطيبة حيث وجد في انتظاره الأنصار الذين كانوا بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأزرهم، ومعهم في ضيافتهم من سبقه صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين... فنزل بين ظهرانيهم في حمايتهم، يحبونه كحبهم أنفسهم وذويهم، بل أكثر، ويجودون بالأرواح والأموال في سبيل نصرته وإظهار ما جاء به من عند ربه... نِعم القوم، ونِعم المقام... ونِعم المقيم...

لكن قتلة الرسل والأنبياء، اليهود الحاقدين؛ وعبدة الأوثان والأهواء،المشركين الكارهين، لم يفتر غيظهم و لم تخبُ نار حقدهم وعداوتهم للنبي الأمين صلى الله عليه وسلم وللدين الخالص الذي جاء به والرسالة الخاتمة التي أمره الله بتبليغها... فتوالت مناوراتهم، وترادفت محاولاتهم للنيل منه ومن أصحابه... وكانت.

المناورة الثالثة..

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

في أول سنة ثلاث من الهجرة كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر قال ابن اسحاق فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريبا منها غزا نجدا يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر قال ابن هشام واستعمل على المدينة عثمان بن عفان قال ابن إسحاق فأقام بنجد صفرا كله أو قريبا من ذلك ثم رجع و لم يلق كيدا وقال الواقدي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذي أمر يريدون حربه فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يومًا وكان معه أربعمائة وخمسون رجلًا وهربت منه الأعراب في رءوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمرأى من المشركين واشتغل المشركون في شئونهم فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا: قد أمكنك الله من قتل محمد... فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله بالسيف مشهورًا، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله.. ودفع جبريل في صدره

فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله فقال: من يمنعك مني؟ قال لا أحد.. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعا أبدا... فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه.. فلما رجع إلى أصحابه فقالوا:ويلك مالك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمدًا رسول الله والله لا أكثر عليه جمعا، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام؛ قال ونزل في ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المائدة: ١١) قال البيهقي وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان قلت إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعًا لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضًا لم يسلم بل استمر على دينه و لم يكن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقاتله والله أعلم.

مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء(٣)

أبو يوسف محمد زايد

قصة غورث بن الحارث في البداية والنهاية

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمدًا قالوا بلى وكيف تقتله قال: افتك به قال فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم.. فأخذه ثم جعل يهزه ويهم فكبته الله، ثم قال: يا محمد أما تخافني؟ قال: لا ما أخاف منك... قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا... يمنعني الله منك.. ثم عمد إلى سيف النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليه فأنزل الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان أنها إنما نزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما هم به هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدري رأس الفرقة الضالة وهو وإن كان لا يتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد.. فقد أورد الحافظ البيهقي ها هنا طرقا لهذا الحديث من عدة أماكن وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة في واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فأجبناه وإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا أخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال

من يمنعك مني؟ قلت: الله.... فقال:من يمنعك مني؟ قلت: الله.... فشام السيف وجلس و لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك. وقد رواه مسلم أيضا عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:تخافني؟ قال: لا.. قال: فمن يمنعك مني ؟ قال: الله يمنعني منك... قال فهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف وعلقه...

عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ قال:الله..فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال:من يمعنك مني؟ قال:كن خير آخذ.. قال: تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال:لا..ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك.. فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال جئتكم من عند خير الناس...

*** وتمر الأيام، ويزداد الإسلام مع مرورها عزة ورفعة ومناعة، ويزداد جنده بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة وقوة وبسالة، وتضحية في سبيل الله... فخاضوا المعارك، وشهدوا الغزوات، وبذلوا النفس والنفيس ابتغاء مرضات الله الذي ارتضى لهم الإسلام دينا... (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنـدِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران: ١٢٦).. ثم كانت وقعة أحد... وضمنها:

المناورة الرابعة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية

فصل فيما لقي النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أي يوم أحُد، من المشركين قبحهم الله

– قال البخاري ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله... ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم

أحد وهو يسلت الدم عن وجهه وهو يقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته.. وهـــو يدعو إلى الله فأنزل الله: (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظـــالمون) ورواه مسلم عن القعنبي عن حماد بن سلمة به ورواه الإمام احمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم.. فأنزل الله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء)... وقال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دووي قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعـــة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهـــه وكســـرت البيضة على رأسه... وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا ابن المبارك عن إسحاق عن يحيى بـــن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت كان أبو بكر إذا ذكر يـــوم أحد قال ذاك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدث قال كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال حمية قال فقلت كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت يكون رجلا من قومي أحب الي وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشي خطفا فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـــد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكما صاحبكما يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله قال وذهبت لأنزع ذاك من وجهه فقال اقسم عليك بحقي لما تركتني فتركته فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لأصنع ما صنع فقال أقسمت عليك بحقي لما تركتني قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة رضي الله عنه من أحسن الناس هتما فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة وإذا قـــد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بـــن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحدا فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقـــد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول دلوني على محمد لا نجوت إن نجا ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ما معه أحد فجاوره فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية فقال: والله مـــا رايتـــه أحلف بالله انه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إليه...

قال الواقدي ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بن قمئة؛ والـــذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص... وان الرباعية التي كسرت له عليه السلام هـــي اليمنى السفلى.

– قال ابن إسحاق وحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال ما حرصـــت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضا في قومه ولقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتد غضب الله على من دمـــى وجـــه رسوله...

– وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عثمان الحرري عن مقسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال: اللهم لا يحول عليـــه الحول حتى يموت كافرا... فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار...

ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال رجع وهو يقول قتلت محمـــدا وصرخ الشيطان أزب العقبة يومئذ بأبعد صوت ألا إن محمدًا قد قتل فحصل بهتة عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن جوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره وقد أنـــزل الله تعـــالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ *وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَـــابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَـــوَابَ الـــدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَـــرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ * بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ *سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) (آل عمـــران ١٤٤-١٥١)... وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْـــتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّـــاكِرِينَ) (آل عمـــران: ١٤٤)؛ قال فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من الناس أحد إلا يتلوها...

-وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال له يا فلان أشعرت أن محمـــدا قـــد قتـــل فقـــال الأنصاري إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم فنزل قولـــه تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)(آل عمـــران: ١٤٤) ولعـــل هـــذا الأنصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك...

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر فقال غبت عـــن أول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين، لئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعتذر إليك عما صنع هؤلاء يعني أصحابه ، وابرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين... ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد أنا معـــك قال سعد فلم أستطع أصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قال فكنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: ٢٣) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن إسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي حسن قلت بل علـــى شرط الصحيحين من هذا الوجه.

-وقال أحمد حدثنا بهز وحدثنا هاشم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال، قال أنس عمـــي قال هاشم أنس بن النضر سميت به و لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ولئن أراني الله مشهدا فيمـــا بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع... قال فهاب أن يقول غيرها فشهد مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أيـــن واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية قال فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآيـــة (مِـــنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: ٢٣) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائي وأبو داود وحماد بـــن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به وقال الترمذي حسن صحيح.

-وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهـــو بمكـــة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال: بل أنا أقتله إن شاء الله...فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعا وهو يقول لا نجوت إن نجا محمـــد..

فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الـــدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه و لم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش... فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:أنا أقتل أبيا..ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلى النار فسحقا لأصحاب السعير.

– وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب نحوه وقال ابن إسحاق لمـــا أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهـــو يقـــول: لا نجـــوت إن نجوت.. فقال القوم يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم: دعوه... فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطـــاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنه تدأدأ منها عن فرسه مرارا... ذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمـــر بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبيّ بن خلف ببطن رابغ فأني لاسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل إذا أنا بنار تأججت فهبتـــها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش فإذا رجل يقول لا تسقه فإنه قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف...

– وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قـــال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله".

– ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس اشتد غضـــب الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله وقال البخاري وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرا قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تبكه أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع... هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقا وقد أسنده في الجنائز عن بندار عن غندر بن شعبة.. اهـــ

*** من غزوة بدر العظمى وما أيد الله القوي المتين به رسوله والمؤمنين من نصر مبين إلى معركة أحد وما كان فيها من شبه هزيمة ، لم تزدد الدعوة إلى الله ودينه إلا ظهورا على المناوئين من أهل الغـــدر والمكر ومساعديهم من المنافقين والمارقين. ويفعل الله ما يشاء...حتى دخلت الســـنة الرابعـــة مـــن الهجرة...وكانت.

المناورة الرابعة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية

قال الواقدي حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف وزاد بعضهم على بعض قالوا كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما أحد يغتال محمـــدا فانـــه يمشـــي في الأسواق فندرك ثأرنا فأتاه رجل من العرب فدخل عليه مترله وقال له إن أنت وفيتني وخرجت إليـــه حتى أغتاله فإني هاد بالطريق خريت معي خنجر مثل خافية النسر قال أنت صاحبنا وأعطاه بعيرا ونمقه وقال اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد قال: قال العربي لا يعلمه أحد فخرج ليلاً على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل قد توجه إلى بني عبد الأشهل فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده، فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصـــحابه: إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريده... فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب... فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يساره فجبذه أسيد بن حضير وقال تنح عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم وجـــذب بداخل ازاره فإذا الخنجر؛ فقال: يا رسول الله هذا غادر، فأسقط في يد الاعرابي وقال: دمي دمي يا محمد..وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اصدقني من أنت ؟ وما اقدمك ؟ فان فعلت نفعك الصدق، وان كذبتني فقد اطلعت على ما هممت... به قال العربي فأنا آمن؟ قال: وأنت آمن..فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير.. ثم صارا مـــن الغد.. فقال: قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك..قال: وما هو؟ فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله، والله يا محمد مـــا كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان و لم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حـــزب أبي ســـفيان حزب الشيطان... فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم وأقام أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده و لم يسمع له بذكر.. اهـــ.

*** خاب سعي كل من أراد بالنبي سوءا ، لكن الغدر الكمين في نفوس الأغبياء والحقد الدفين بين أضلع الأعداء وثنيهم ويهوديهم ظل يؤجج نار المكر في صدورهم المختوم عليها، فقتلوا الأبريـــاء ، وحاولوا قتل خاتم الأنبياء، إمام الأصفياء صلى الله عليه وسلم... وكانت.

المناورة الخامسة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية

- في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري به وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين قال ثم غزا بني النضير ثم غزا أحدًا في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع وقال البيهقي وقد كان الزهري يقول هي قبل أحد قال وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضا قلت هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر و لم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:لقد قتلت رجلين لأدينهما.

- قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان صلى الله عليه وسلم أعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم صلى الله عليه وسلم قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به...

- قال الواقدي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حيي بن أحطب وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يخرجون ونابدوه بنقض العهد، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم..

قال الواقدي فحاصروهم خمس عشرة ليلة وقال ابن إسحاق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول قال ابن إسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال... وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله صلى

الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي وديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم أن قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم.. فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة..

- قال ابن إسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث انهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر مارؤي مثله لحي من الناس في زمانهم... قال وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة حكاه السهيلي قال ابن إسحاق و لم يسلم من بني النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما قال ابن إسحاق وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: "ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني" فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله...

قال ابن إسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن إسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة في كتابنا التفسير ولله الحمد قال الله تعالى:(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ*وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ * (الحشر ١-٥) اهـ.

*** وكان الجلاء حيث طهر الله تعالى الأرض التي اختارها سبحانه لمقام رسوله وإعلاء راية دينه من رجس اليهود الذين لم يعرف لهم التاريخ إلا الغدر والخيانة ونقض المواثيق وخلف العهود والتمرد

على الأنبياء وقتلهم وتبديل كلام الله وتحريف كتبه وتطويعها لأهوائهم البهيمية وأغراضهم الدنية...(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد: ٢٣) آذوا رسول الله ، فليحققنَّ الله فيهم قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً) (الأحزاب: ٥٧)... أُبعدوا.. شُردوا... طُردوا.. لكن دمهم النجس لم يزل يغلي في عروقهم العفنة ، فتارة يحرضون غيرهم على اغتيال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وأخرى يدبرون وينفذون ما دبروا بأنفسهم... وكذلك الجانب الآخر ، جانب عبدة الأصنام اللات والعزى ومناة وغيرها من الحجر الذي لا ينفع ولا يضر، لم تهدأ لهم نفس و لم يسكن لهم بال ، فظلوا يحاولون النيل من المبعوث رحمة للعالمين...وكانت

المناورة السادسة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية

قصة غورث بن الحارث

– قال ابن إسحاق في هذه الغزوة حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدًا ؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: افتك به... قال فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره فقال: يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم.. فأخذه ثم جعل يهزه ويهم فكبته الله ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا ما أخاف منك. قال أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال: لا يمنعني الله منك.ثم عمد إلى سيف النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليه... فأنزل الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

– قال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان أنها إنما نزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما همَّ به ، هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدري رأس الفرقة الضالة وهو وان كان لا يتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها... وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد. فقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا طرقا لهذا الحديث من عدة أماكن وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة في واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه.. قال جابر فنمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فأجبناه وإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال: من يمنعك مني ؟

قلت: الله. فقال: من يمنعك مني؟ قلت الله... فشام السيف وجلس.. و لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك وقد رواه مسلم أيضا عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم تخافني؟ قال: لا... قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك.. قال فهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف وعلقه قال ونودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به قال البخاري وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ قال: الله... فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال: من يمعنك مني ؟ قال: كن خير آخذ...قال: تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال جئتكم من عند خير الناس... والله أعلم.

*** فانظر يا محب الحبيب كيف يتجلى العفو عند المقدرة ، وانظر كيف تسمو طيبةً عطرةً خلالُ الرحمة والكرم حتى على من سولت له نفسه القتل فاعتدى وظلم... فداك روحي يا رسول الله... أرسلت بالآيات الخالدات فأبلغتها ، وبعثت بمكارم الأخلاق فأتممتها،...

فأي آدمي عنده مثقال حبة من خردل من عقل يتصدى لقتل سمح كريم، عفو جواد، سماه الله رؤوفا رحيما وأرسله ليخلص البشرية من المعبودات الزائفة ، ويخرجها من ظلمات الغي إلى نور الرشد ؟ سفهاء ـــ ورب الأرض والسماء ـــ من أتعبوا أنفسهم للنيل منه ، وهو بأعين ربه الذي أنزل عليه: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٣٦)... بلى.. كافيه وكافي من معه...لكن الذين ران على قلوبهم الغل بشتى أصنافه وغطاها ليل العماهة بظلامه ظلوا على حالهم يتخبطون بين الكيد والمكر ، والخيانة والغدر...وكانت

المناورة السابعة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر

-قال البخاري رواه عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثني سعيد عن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم... هكذا أورده ها هنا مختصرا..

-وقد قال الإمام احمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود.. فجمعوا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم.. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:من أبوكم ؟ قالوا: أبونا فلان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:كذبتم، بل أبوكم فلان... قالوا: صدقت وبررت.. فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا...فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:من أهل النار ؟ فقالوا: نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها.. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:والله لا نخلفكم فيها أبدا.. ثم قال لهم: هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم.. فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ فقالوا: نعم....قال: ما حملكم على ذلك ؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك.. وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف وفي المغازي أيضا عن قتيبة كلاهما عن الليث به..

-وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة.. وقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبيا فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذبا أريح الناس منك.. قال فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به..

- ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك وقال الإمام احمد حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال هو ابن خباب عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فأرسل إليها فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: أحببت أو أردت إن كنت نبيا فان الله سيطلعك عليه وإن لم تكن نبيا أريح الناس منك... قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئا احتجم قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم تفرد به أحمد وإسناده حسن

-وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام ابن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فسألها عن ذلك قالت: أردت لأقتلك.. فقال صلى الله عليه وسلم:ما كان الله ليسلطك علي أو قال على ذلك...قالوا ألا تقتلها ؟ قال: لا.. قال أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:ارفعوا أيديكم...وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها: أسممت هذه الشاة ؟ قالت اليهودية: من أخبرك ؟ قال: أخبرتني هذه التي في يدي ، وهي الذراع.. قالت: نعم.. قال: فما أردت بذلك؟ قالت: قلت إن كنت نبيا فلن يضرك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك... فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يعاقبها ؛ وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة... واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار..

– ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية ، نحو حديث جابر ، قال: فمات بشر ابن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية فقال: ما حملك على الذي صنعت؟ فذكر نحو حديث جابر؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت و لم يذكر أمر الحجامة.

–قال البيهقي ورويناه من حديث حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر، فقال: ما هذه؟ قالت هدية وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل.. قال فأكل وأصحابه ، ثم قال: امسكوا... ثم قال للمرأة: هل سممتها؟ قالت: من أخبرك هذا؟ قال: هذا العظم ،لساقها وهو في يده... قالت: نعم. قال: لم ؟ قالت: أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك...قال فاحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا، ومات بعضهم..

– قال الزهري فأسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال البيهقي هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل منهم من قتل أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول

الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بني سلمة فقدمت إليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وانتهش منها وتناول بشر عظما فانتهش منه فلما استرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفعوا أيديكم فان كتف هذه الشاة يخبرني أني نعيت فيها..فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني إن ألفظها إلا أني أعظمتك أن أبغضك طعامك فلما أسغت ما في فيك لم ارغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول... قال الزهري قال جابر: واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال: ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عدادا حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري ؛ فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا...

وقال محمد بن إسحاق فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع ، فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد اخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فاساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم.. ثم دعا بها فاعترفت ؛ فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان كذابا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر... قال فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من أكلته التي أكل.

– قال ابن إسحاق وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر قال ابن هشام الأبهر العرق المعلق بالقلب قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدًا مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراني قالا ثنا أبو غياث سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن ابي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطا فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسكوا فان عضو من أعضائها يخبرني أنها مسمومة... فأرسل الى صاحبتها: أسممت طعامك ؟ قالت: نعم..قال: ما حملك على ذلك؟ قالت: إن كنت كذابا أن أريح الناس منك وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه.. فبسط يده وقال:كلوا بسم الله.. قال فأكلنا، وذكرنا

اسم الله، فلم يضر أحد منا... ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبى نضرة إلا من هذا الوجه..قلت وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم.

- وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر خيبر فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظفر به فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها فقال: يا محمد اعطني ما غنمت من حلفائي، يعني أهل خيبر.. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:كذبت رؤياك ، وأخبره بما رأى.. فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال: ألم أقل إنك توضع في غير شيء والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ؛ أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول إنا لنحسد محمدًا على النبوة حيث خرجت من بني هارون إنه لمرسل ويهود لا تطاوعني على هذا ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر..قال الحارث:قلت لسلام يملك الأرض ؟ قال: نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه... اهـ.

مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء(٤)

أبو يوسف محمد زايد

حديث مسلم في كتاب السلام باب السم

حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي. حدثنا خالد بن الحارث. حدثنا شعبة عن هشام بن زيد، عن أنس؛ أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة. فأكل منها. فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال" ما كان الله ليسلطك على ذاك" قال أو قال "علي" قال قالوا: ألا نقتلها؟ قال "لا" قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال النووي

قوله: (أن يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذاك قالت أردت لأقتلك، قال: وما كان الله ليسلطك على ذاك قال أو قال علي، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم). وفي الرواية الأخرى: (جعلت سماً في لحم). أما السم فبفتح السين وضمها وكسرها ثلاث لغات الفتح أفصح جمعه سمام وسموم. وأما اللهوات فبفتح اللام والهاء جمع لهات بفتح اللام وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك قاله الأصمعي. وقيل اللحمات اللواتي في سقف أقصى الفم. وقوله: (ما زلت أعرفها) أي العلامة كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره. وقولهم: (ألا نقتلها) هي بالنون في أكثر النسخ وفي بعضها بتاء الخطاب. وقوله صلى الله عليه وسلم "ما كان الله ليسلطك على ذاك أو قال علي" فيه بيان عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم كما قال

الله تعالى: {والله يعصمك من الناس} وهي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سلامته من السم المهلك لغيره وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة وكلام عضو منه له فقد جاء في غير مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن الذراع تخبرني أنها مسمومة"... وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسم اسمها زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهودي روينا تسميتها هذه في مغازي موسى بن عقبة ودلائل النبوة للبيهقي قال القاضي عياض: واختلف الآثار والعلماء هل قتلها النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فوقع في صحيح مسلم أنهم قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا. ومثله عن أبي هريرة وجابر. وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه صلى الله عليه وسلم قتلها. وفي رواية ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور وكان أكل منها فمات بها فقتلوها. وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها. قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها أولاً حين اطلع على سمها وقيل له اقتلها فقال لا فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً، فيصح قولهم لم يقتلها أي في الحال، ويصح قولهم قتلها أي بعد ذلك والله أعلم....

*** ماذا تركوا فلم يحاولوا؟...من عصابة القريشيين وما أبرموا إلى التي أهدت الشاة وقد سمتها حتى العظم، مرورا بالذي سل السيف الصارم تحت الشجرة، وذاك الذي أعد للطعن خنجرا دسه بين طيات ثوبه، والآخر الذي اتعب كاهله بحمله الصخرة الصماء،...، خابوا وخسروا... وباءت كل مناوراتهم بالفشل... لكنهم لم يعتبروا، لأن القلوب أغلقتها أقفالها، والعيون أعمتها غشاواتها... فكلما فشلوا عاودوا الكرة، وكلما عادوا أحبط الله أعمالهم وجعل البوار نصيبهم...ومع ما تكبدوا من فادح خسارات وتجرعوا من خانق المهانات، كانت

المناورة الثامنة...

*** حاول المغضوب عليهم التأثير على عقل المعصوم حيث لجأ خبثاؤهم إلى السحر... فيا لغباوتهم... كيف ينالون من الذي أنزل الله عليه: (وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ)؟؟ (البقرة : ١٠٢)؛ أم كيف يكون لسحرهم تأثير على لب المصطفى وهو الذي يتلو فيما نزِّل عليه من ربه: (وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) (يونس : ٧٧)؛ (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه: ٦٩)... ألا يجدون في كتبهم قبل أن يحرفوا كلمها عن مواضعه أن سحرة فرعون فشلوا لما عارضوا موسى عليه السلام، وأنبأنا به العليم الخبير في قوله عز من قائل: (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) (الأعراف : ١٢٠)؛ (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً) (طه : ٧٠)؛ (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) (الشعراء : ٤٦)...تالله إن السحرة الذين عاشوا زمن ابن عمران عليه السلام كانوا أفضل ممن عاصروا محمدًا صلى الله عليه وسلم، لأنهم لما عرفوا الحق انصاعوا له وسجدوا لله وأعلنوا إيمانهم به غير مبالين بتهديدات فرعون وعصابته المجرمين

بتقطيع الأيدي والأرجل والتصليب على جذوع النخل... قال تعالى عنهم: (قَالُواْ آمَنَّا بِربِّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف : ١٢) و(الشعراء : ٤٧)، وصرخوا في وجه الطاغية الذي استكبر في الأرض يذبح ويقتل ويسوم بني إسرائيل سوء الذاب، (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَــا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طه : ٧٢-٧٣)...

فالذين عرفوا محمدًا صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، ويجدونه مكتوبًا عندهم في كتبــهم، ختم الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، وطمس على أعينهم فهم لا يبصرون، وجعل في آذانهم الــوقر فهم لا يسمعون... أليسوا بأضل من الأنعام ؟؟؟

روى البخاري في كتاب بدء الخلق؛ وفي كتاب الأدب؛ وفي كتاب الجزية؛ وفي كتاب الدعوات وفي كتاب الطب باب: السحر.

وقول الله تعالى: {ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لَمَــنِ اشتراه ما له في الآخرة من خلاق} /البقرة: ١٠٢/.وقوله تعالى: {ولا يفلح الساحر حيث أتــى} /طه:٦٩/.وقوله: {أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} /الأنبياء:٣/.وقوله: {يُخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى} /طه:٦٦/.

وقوله: {ومن شرِّ النَّفَّاثات في العقد} /الفلق:٤/: والنَّفَّاثات: السواحر. {تُسْحَرون} /المؤمنــون: ٨٩/: تُعَمَّوْن.

- حدثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زُرَيق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يــوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: (يا عائشة، أشَعَرْتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتــاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشط ومُشاطة، وجُــفِّ طَلْع نخلة ذَكَر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان). فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: (يا عائشة، كأن ماءها نُقاعــة الحِنَّــاء، أو كــأن رؤوس نخلــها رؤوس الشياطين). قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: (قد عافاني الله، فكرهت أن أثَوِّرَ على الناس فيه شراً). فأمر بها فدُفنت.تابعه أبو أسامة وأبو ضمرة وابن أبي الزناد، عن هشام.وقال الليث وابــن

عُيَينة، عن هشام: (في مُشط ومُشاقة).يقال: المُشاطة: ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمُشاقة: مـــن مُشاقة الكتَّان.

باب: هل يُستخرج السحر.

وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيَّب: رجل به طِبٌّ، أو: يُؤخذ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّرُ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم يُنْهَ عنه.

– حدثني عبد الله بن محمد قال: سمعت ابن عُيَينة يقول: أول من حدثنا به ابن جُرَيج يقول: حـــدثني آل عروة، عن عروة، فسألت هشاماً عنه، فحدثنا عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِرَ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال: (يا عائشة، أعَلِمْتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بـــال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم – رجل من بني زُرَيق حليف ليهود كان منافقاً – قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقة، قال: وأين؟ قال: في جُفِّ طلعةٍ ذَكَرٍ، تحت رَعوفة في بئر ذروان). قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه، فقال: (هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين). قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ – أي تنشَّرت – فقال: (أما والله فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً).

باب: السحر.

– حدثنا عبيد بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت:

سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: (أشَعَرْتِ يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه). قلـــت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: (جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زُرَيق، قال: في ماذا؟ قال: في مُشط ومُشاطة وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان). قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال: (والله لكأن ماءها نقاعة الحنَّاء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين). قلت: يـــا رسول الله أفأخرجته؟ قال: (لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثوِّر على الناس منـــه شراً). أمر بها فدُفنت.

وفي كتاب الدعوات باب: تكرير الدعاء.

– حدثنا إبراهيم بن منذر: حدثنا أنس بن عياض، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنـــها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طُبَّ، حتى أنه ليخيل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه، وإنه دعا

ربه، ثم قال: (أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه). فقالت عائشة: فما ذاك يـــا رســـول الله؟ قال: (جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة، قال: فأين هو؟ قال: في ذروان). وذروان بئر في بني زريق، قالت: فأتاها رســـول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى عائشة، فقال: (والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين). قالت: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها عن البئر، فقلت: يا رسول الله فهلا أخرجته؟ قال: (أما أنا فقد شفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً).زاد عيسى بن يونس والليث بن سعد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا ودعا، وساق الحديث.

ورواه مسلم في كتاب السلام ؛ باب السحر

حدثنا أبو كريب. حدثنا ابن نمير عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. قالت:

سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق. يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله. حتى إذا كـــان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم دعا. ثم دعا. ثم قال "يا عائشة! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلـــي. فقـــال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قـــال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في آي شيء؟ قال: في مشط ومشـــاطه. قـــال وجب طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان". قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم في أناس من أصحابه. ثم قال "يا عائشة! والله! لكأن ماءها نقاعة الحناء. ولكأن نخلها رؤوس الشياطين".قالت فقلت: يا رسول الله! أفلا أحرقته؟ قال "لا. أما أنا فقد عافاني الله. وكرهت أن أثير على الناس شرا. فأمرت بها فدفنت".

حدثنا أبو كريب. حدثنا أو أسامة. حدثنا هشام عن أبيه، عن عائشة. قالت:سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وساق أبو كريب الحديث بقصته، نحو حديث ابن نمير. وقال فيه: فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البئر. فنظر إليها وعليها نخل. وقالت: قلت: يا رسول الله! فأخرجـــه. و لم يقل: أفلا أحرقته؟ و لم يذكر" فأمرت بها فدفنت".

*** ولتنبح كلاب الغدر حتى الصعر...فقافلة الإيمان تمر، نور الحق يفتح طريقها، وترتيـــل القـــرآن يحدوها، وسيوف الرجال الأوفياء الذين (صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) تحميها... من طـــال لســـانه قصروه فأخرصوه، ومن مد يده ضربوا عنقه فأسكتوه...

لكن... كلما ازداد دين الله الذي ارتضاه لعباده المؤمنين عزا وسؤددا، سعِّرت نيرانُ بغض المبغضين تشوي أفئدهم الفاسدة.. وتزج بهم إلى ما لا عاقبة له إلا الدرك الأسفل من لظى، تلكم التراعة للشوى.. ورغم كونهم كلما أشعلوا نارا لم يحرقوا بها إلا أنفسهم، كانت.

المناورة التاسعة...

قال القاضي عياض في " الشفا بتعريف حقوق المصطفى"

ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس ـــ حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عامر قال له : أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت. فلم يره فعل شيئًا، فلما كلمه في ذلك قال له: والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني و بينه، أفأضربك؟...

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية ":

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل واربد بن مقيس

قال ابن إسحاق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس ابن جزء بن جعفر بن خالد وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه يا أبا عامر: إن الناس قد اسلموا فاسلم.. قال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لاربد: إن قدمنا على الرجل فأني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فأعله بالسيف...فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالني ..قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده... قال: يا محمد خالني.. قال وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئا فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالني.. قال لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له، فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: أما والله لاملأنها عليك خيلاً ورجالًا... فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل لأربد: أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسي منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا... قال : لا أبالك، لا تعجل علي، والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك.. أفأضربك بالسيف؟؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول: يا بني عامر أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول؟- قال ابن هشام ويقال أغدة كغدة الابل وموت في بيت سلولية؟

-وروى الحافظ البيهقي من طريق الزبير بن بكار حدثتني فاطمة بنت عبد العزيز بن موءلة عن أبيها عن جدها موءلة بن جميل قال أتى عامر بن الطفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا عامر

أسلم ..فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر.. قال: لا ثم قال أسلم...فقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر.. قال: لا... فولى وهو يقول: والله يا محمد لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسًا.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفني عامرا وأهد قومه...فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتًا..

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في أسماء الصحابة موءلة هذا فقال هو موءلة بن كثيف الضبابي الكلابي العامري من بني عامر بن صعصعة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة فاسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يدعى ذا اللسانين من فصاحته روى عنه ابنه عبد العزيز وهو الذي روى قصة عامر بن الطفيل غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

قال الزبير بن بكار حدثتني ظميا بنت عبد العزيز بن موءلة بن كثيف بن جميل بن خالد بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قالت حدثني أبي عن أبيه عن موءلة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وهو ابن عشرين سنة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح يمينه وساق أبله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقها بنت لبون ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته قلت والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكرها بعد الفتح وذلك لما رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس في قصة بئر معونة وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان خال أنس بن مالك وغدره بأصحاب بئر معونة حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية كما تقدم قال الأوزاعي قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا: اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه ما يقتله.. فبعث الله عليه الطاعون وروى عن همام عن إسحاق ابن عبد الله عن أنس في قصة ابن ملحان قال وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ويكون لي أهل الوبر وأكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان بآلف أشقر أتلف شقراء قال فطعن في بيت امرأة فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة من بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه..

قال ابن إسحاق ثم خرج أصحابه حين رأوه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا وما وراءك يا أربد قال لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه

وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما قال ابن إسحاق وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لامه فقال لبيد يبكي أربد

ما أن تعرى المنون من أحد ***لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا ***أرهب نوء السماك والأسد
فعين هلا بكيت أربد إذ *** قمنا وقام النساء في كبد
إن يشغبوا لا يبال شغبهم****أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوته****مر لصيق الاحشاء والكبد
وعين هلا بكيت أربد إذ *** ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحا مصرمة *** حتى تجلت غوابر المدد
أشجع من ليث غابة لحم *** ذو نهمة في العلا ومنتقد
لا تبلغ العين كل نهمتها *** ليلة تمسي الجياد كالفدد
الباعث النوح في مآتمه***مثل الظباء الأبكار بالجرد
فجعني البرق والصواعق بالفا ** رس يوم الكريهة النجد
والحارب الجابر الحريب إذا *** جاء نكيبا وإن يعد يعد
يعفو على الجهد والسؤال كما **** ينبت غيث الربيع ذو الرصد
كل بني حرة مصيرهم *** قل وإن كثروا من العدد
إن يغبطوا يهبطوا وإن*** أمروا يوما فهم للهلاك والنفد

وقد روى ابن إسحاق عن لبيد أشعارا كثيرة في رثاء أخيه لأمه أربد بن قيس تركناها اختصارًا واكتفاء بما أوردناه والله الموفق للصواب.

قال ابن هشام وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال فانزل الله عز وجل في عامر وأربد قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يده ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أربد وقتله، فقال الله تعالى: (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال).

وقد وقع لنا إسناد ما علقه ابن هشام رحمه الله فروينا من طريق الحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني في معجمه الكبير حيث قال حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن

يسار عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال عامر أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل نجد اجعل لي الوبر ولك المدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا...فلما قفا من عنده قال عامر: أما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمنعك الله، فلما خرج أربد وعامر قال عامر يا أربد أنا اشغل محمدًا بالحديث فاضربه بالسيف فان الناس إذا قتلت محمدًا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فسنعطيهم الدية قال أربد أفعل فأقبلا راجعين إليه فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخليا إلى الجدار ووقف معه رسول الله يكلمه وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد على عامر بالضرب فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما فلما خرج أربد وعامر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرة حرة وأرقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير فقالا اشخصا يا عدوا الله لعنكما الله، فقال عامر من هذا يا سعد قال أسيد بن حضير الكتائب فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالحرة أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب عن أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعا فانزل الله فيهما الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أربد وما قتله به فقال ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الآية وفي هذا السياق دلالة على ما تقدم من قصة عامر وأربد وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه والله أعلم... اهـ

وقال رحمه الله في التفسير

وقد روي في سبب نزول قوله تعالى ?وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ *وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ *? (الرعد ١١-١٣).

ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إسحاق، حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: «اذهب

فادعه لي». قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: من رسول الله؟ وما الله؟أمن ذهب هو؟ أم من فضة هو؟ أم من نحاس هو؟ قال: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: يا رسول الله، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لي كذا وكـــذا، فقـــال لي: «ارجع إليه الثانية» فذهب فقال له مثلها، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، فقال: «ارجع إليه فادعه» فرجع إليه الثالثة، قال: فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه، فرعدت فوقعت منها صـــاعقة، فذهب بقحف رأسه، فأنزل الله عز وجل {ويرسل الصواعق} الآية، ورواه ابن جرير من حـــديث علي بن أبي سارة به.

ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون، عن ديلم بن غـــزوان، عـــن ثابت، عن أنس فذكر نحوه، وقال: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا عفان، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صحار العبدي أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثـــه إلى جبار يدعوه فقال: أرأيتم ربكم أذهب هو؟ أم فضة هو؟ أم لؤلؤ هو؟ قال: فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سحابة فرعدت، فأرسل عليه صاعقة، فذهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية. وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد قال: جاء يهودي فقال: يا محمد أخبرني عن ربك، مـــن أي شيء هو ؟ من نحاس هو، أم من لؤلؤ أو ياقوت؟ قال: فجاءت صاعقة فأخذته، وأنزل الله {ويرسل الصواعق} الآية.

وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله صـــاعقة فأهلكته، وأنزل الله {ويرسل الصواعق} الآية، وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر، فأبى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عامر بن الطفيل ـــ لعنه الله ـــ: أما والله لأملأنهـــا عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يأبى الله عليـــك ذلـــك وأبناء قيلة» يعني الأنصار، ثم إنهما هما بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يخاطبه، والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه، فحماه الله تعالى منهما وعصمه، فخرجا من المدينة فانطلقـــا في أحياء العرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام، فأرسل الله على أربد سحابة فيها صـــاعقة فأحرقته، وأما عامر بن الطفيل، فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة، فجعل يقول: يا آل عامر غدة كغدة البكر، وموت في بيت سلولية، حتى ماتا لعنهما الله، وأنزل الله في مثـــل ذلـــك {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله}، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخـــو أربد يرثيه:

أخشى على أربد الحتوف ولا *** أرهب نوء السماك والأسد

فجعني الرعد والصواعق بالـ*** ـــــفارس يوم الكريهة النجد

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مسعدة بن سعيد العطار، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني عبد العزيز بن عمران، حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن جزء بن جليد بن جعفر بن كلاب، وعامر بن الطفيل بـــن مالك، قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديـــه، فقال عامر بن الطفيل: يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم». قال عامر بن الطفيل: أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنة الخيل» قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا»، فلما قفلا من عنده قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يمنعك الله»، فلما خرج أربد وعامر، قال عامر: يا أربد، أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضـــربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلت محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب، فنعطيهم الدية. قال أربد: أفعل، فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلسا إلى الجدار، ووقف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه، وسل أربـــد السيف، فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف، فلم يستطع سل السيف، فأبطـــأ أربد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع، فانصـــرف عنهما، فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرة ـــ حرة راقم ـــ نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، فقالا: اشخصا يا عدوي الله لعنكمـــا الله، فقال عامر: من هذا يا سعد ؟ قال: هذا أسيد بن حضير الكتائب، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم، أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالخريم أرسل الله قرحـــة فأخذتـــه، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمس قرحته في حلقة ويقول: غدة كغدة الجمل في بيت سلولية، ترغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعاً، فـــأنزل الله فيهما {الله يعلم ما تحمل كل أنثى ـــ إلى قوله ـــ وما لهم من دونه من وال} قال: المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أربد وما قتله به، فقال {ويرسل الصواعق} الآية.

وقوله {وهم يجادلون في الله} أي يشكون في عظمته، وأنه لا إله إلا هو، {وهو شديد المحال} قال ابن جرير: شديدة مما حلته في عقوبة من طغى عليه، وعتا وتمادى في كفره، وهذه الآية شبيهة بقوله: {ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين}، وعن علي رضي الله عنه {وهو شديد المحال} أي شديد الأخذ، وقال مجاهد: شديد القوة. اهـــ.

مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء(٥)

أبو يوسف محمد زايد

قال القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن "

الآيتان: ١٢ – ١٣من سورة الرعد

{هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}

قوله تعالى: "هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال" أي بالمطر. "السحاب" جمع، والواحدة سحابة، وسحب وسحائب في الجمع أيضا. "ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته" قد مضى في "البقرة" القول في الرعد والبرق والصواعق فلا معنى للإعادة؛ والمراد بالآية بيان كمال قدرته؛ وأن تأخير العقوبة ليس عن عجز؛ أي يريكم البرق في السماء خوفا للمسافر؛ فإنه يخاف أذاه لما ينال من المطر والهول والصواعق؛ قال الله تعالى: "أذى من مطر" [النساء: ١٠٢] وطمعًا للحاضر أن يكون عقبه مطر وخصب؛ قال معناه قتادة ومجاهد وغيرهما. وقال الحسن: خوفا من صواعق البرق، وطمعا في غيثه المزيل للقحط. "وينشئ السحاب الثقال" قال مجاهد: أي بالماء. "ويسبح الرعد بحمده" من قال إن الرعد صوت السحاب فيجوز أن يسبح الرعد بدليل خلق الحياة فيه؛ ودليل، صحة هذا القول قوله: "والملائكة من خيفته" فلو كان الرعد ملكا لدخل في جملة الملائكة. ومن قال إنه ملك قال: معنى. "من خيفته" من خيفة الله؛ قاله الطبري وغيره. قال ابن عباس: إن الملائكة خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم؛ لا يعرف وأحدهم من على يمينه ومن على يساره، لا يشغلهم عن عبادة الله طعام ولا شراب؛ وعنه قال: الرعد ملك يسوق السحاب، وإن بخار الماء لفي نقرة إبهامه، وإنه موكل بالسحاب يصرفه حيث يؤمر، وإنه يسبح الله؛ فإذا سبح الرعد لم يبق ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح، فعندها يترل القطر، وعنه أيضًا كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان الذي سبحت له. وروى مالك عن عامر بن عبد الله عن أبيه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحانه الذي يسح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد. وقيل: إنه ملك جالس على كرسي بين السماء والأرض، وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره مثل ذلك؛ فإذا أقبل على يمينه وسبح سبح الجميع من خوف الله، وإذا أقبل على يساره وسبح سبح الجميع من خوف الله.

قوله تعالى: "ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء" ذكر الماوردي عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد: نزلت في يهودي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني! من أي شيء ربك؛ أمن لؤلؤ أم من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأحرقته. وقيل: نزلت في بعض كفار العرب؛ قال الحسن: (كان رجل من طواغيت العرب بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه إلى الله ورسوله والإسلام فقال لهم:

أخبروني عن رب محمد ما هو، وممم هو، أمن فضة أم من حديد أم نحاس؟ فاستعظم القوم مقالتـــه؛ فقال: أجيب محمدًا إلى رب لا يعرفه!؟ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليه مرارًا وهو يقول مثـــل هذا؛ فبينا النفر ينازعونه ويدعونه إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم، فرعدت وأبرقت ورمت بصاعقة، فأحرقت الكافر وهم جلوس؛ فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاســـتقبلهم بعـــض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: أحترق صاحبكم، فقالوا: من أين علمتم؟ قالوا: أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم. "ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء". ذكره الثعلبي عن الحسن؛ والقشيري بمعناه عن أنس، وسيأتي. وقيل: نزلت الآية في أربد بن ربيعة أخي لبيد بن ربيعة، وفي عامر بن الطفيل؛ قال ابن عباس: أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة العامريان يريدان الـــنبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد، فاستشرف النـــاس لجمال عامر وكان أعور، وكان من أجمل الناس؛ فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك؛ فقال: دعه فإن يرد الله به خيرا يهده... فأقبل حتى قام عليه فقال؛ يا محمد مالي إن أسلمت؟ فقال: لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين... قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: ليس ذاك إلي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء. قال: أفتجعلني على الوبر وأنت على المدر؟ قال: (لا). قال: فما تجعل لي؟ قال: (أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليهـــا في سبيل الله). قال: أو ليس لي أعنة الخيل اليوم؟ قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله صلى الله عليـــه وسلم، وكان عامر أومأ إلى أربد: إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل يخاصـــم النبي صلى الله عليه وسلم ويراجعه؛ فاخترط أربد من سيفه شبرا ثم حبسه الله، فلم يقدر على ســـله، ويبست يده على سيفه؛ وأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته؛ وولى عـــامر هاربـــا وقال: يا محمد! دعوت ربك على أربد حتى قتلته؛ والله لأملأنها عليك خيلا جردا، وفتيانا مردا؛ فقال عليه السلام: يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة... يعني الأوس والخزرج؛ فنزل عامر بيت امرأة سلولية؛ وأصبح وهو يقول: والله لئن أصحر لي محمد وصاحبه - يريد ملك الموت - لأنفذهما برمحي؛ فأرسل الله ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في التراب؛ وخرجت على ركبته غدة عظيمة في الوقت؛ فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية؛ ثم ركب على فرسه فمـــات علـــى ظهره. ورثى لبيد بن ربيعة أخاه أربد فقال:

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمـــ*** ـــنا وقام الخصوم في كبد

أخشى على أربد الحتوف ولا ** * أرهب نوء السماك والأسد

فجعني الرعد والصواعق بالـــ**ـــــفا رس يوم الكريهة النجد

وفيه قال:

إن الرزية لا رزية مثلها فقـــ**ــــــدان كل أخ كضوء الكوكب

يا أربد الخير الكريم جدوده *** أفردتني أمشي بقرن أعضب

وأسلم لبيد بعد ذلك رضي الله عنه.

مسألة: روى أبان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تأخذ الصاعقة ذاكرا لله عز وجل). وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد يقول: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديته). وذكر الخطيب من حديث سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: كنا مع عمر في سفر فأصابنا رعد وبرد، فقال لنا كعب: من قال حين يسمع الرعد: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد؛ ففعلنا فعوفينا؛ ثم لقيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت به، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ قال بردة أصابت أنفي فأثرت، فقلت: إن كعبا حين سمع الرعد قال لنا: من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد؛ فقلنا فعوفينا؛ فقال عمر: أفلا قلتم لنا حتى نقولها؟

قوله تعالى: " وهم يجادلون في الله " يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله تعالى: من أي شيء هو؟ قال مجاهد. وقال ابن جريج: جدال أربد فيما همَّ به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يكون، "وهم يجادلون في الله" حالا، ويجوز أن يكون منقطعا. وروى أنس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى عظيم من المشركين يدعوه إلى الله عز وجل، فقال لرسول الله: أخبرني عن إلهك هذا؟ أهو من فضة أم من ذهب أم من نحاس؟ فاستعظم ذلك؛ فرجع إليه فأعلمه؛ فقال: ارجع إليه فادعه فرجع إليه وقد أصابته صاعقة، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل: "وهم يجادلون في الله" "وهو شديد المحال" قال ابن الأعرابي: "المحال" المكر، والمكر من الله عز وجل التدبير بالحق. النحاس: المكر من الله إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر. وروى ابن اليزيدي عن أبي زيد "وهو شديد المحال" أي النقمة. وقال الأزهري: "المحال" أي القوة والشدة. والمحل: الشدة؛ الميم أصلية، وما حلت فلانا محالا أي قاويته حتى يتبين أينا أشد. وقال أبو عبيد: "المحال" العقوبة والمكروه. وقال ابن عرفة: "المحال" الجدال؛ يقال: ما حل عن أمره أي جادل. وقال القتيبي: أي شديد الكيد؛ وأصله من الحيلة، جعل ميمه كميم المكان؛ وأصله من الكون، ثم يقال: تمكنت. وقال الأزهري: غلط ابن قتيبة أن الميم فيه زائدة؛ بل هي أصلية، وإذا رأيت الحرف على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية؛ مثل: مهاد وملاك ومراس، وغير ذلك من الحروف. ومفعل إذا كانت من بنات الثلاثة فإنه يجيء بإظهار الواو مثل: مزود ومحول ومحور، وغيرها من الحروف؛ وقال: وقرأ الأعرج ـــ "وهو شديد المَحال" بفتح الميم؛ وجاء تفسيره على هذه القراءة عن ابن عباس أنه الحول، ذكر هذا كله أبو عبيد الهروي، إلا ما ذكرناه أولا عن ابن الأعرابي؛ وأقاويل الصحابة والتابعين

بمعناها؛ وهي ثمانية: أولها: شديد العداوة، قاله ابن عباس. وثانيها: شديد الحول، قاله ابن عباس أيضا. وثالثها: شديد الأخذ، قال علي بن أبي طالب. ورابعها: شديد الحقد، قاله ابن عباس. وخامسها: شديد القوة، قال مجاهد. وسادسها: شديد الغضب، قاله وهب بن منبه. وسابعها: شديد الهلاك بالمحل، وهو القحط؛ قاله الحسن أيضا. وثامنها: شديد الحيلة؛ قاله قتادة. وقال أبو عبيدة معمر: المحال والمماحلة المماكرة والمغالبة ..

*** بزغ نور النبوة في مكة المكرمة حيث كان فجر الدين الحق، ثم سطع في المدينة المنورة ومنها أخذ ينتشر في بلاد العرب، فلم يرق ذلك كثيرا من ذوي النفوس المريضة الذين كانوا، لسفاهتهم ، يرون في الإسلام قضاء على جاههم الزائف وغناهم الزائل.. ومن هؤلاء فاطمة بنت ربيعة بن بدر أم قرفة التي خشيت ضياع مكانتها بين قومها وذهاب عزها ونفوذها ، وكانت

المناورة العاشرة...

فجندت أم قرفة هذه بنيها وكانوا عصبة وضمت إليهم عصابة من المجرمين ملأت قوةُ شبابهم عينَها المقيتة، وأمدت الجميع بالخيل الجياد والسلاح الحاد ، وكان من خطتها الشيطانية لقتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن تدخل الشرذمة الغاوية المدينة ليلا، والناس نيام.. وظنت أن جنح الظلام كفيل بستر خطتها حتى التمام لتحقق ما أرادت وتفلح فيما رامت.. حتى تطفيء نار الحقد المستعرة في جوفها العفن...

لكن الله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على أمرها وكشف له عن مرادها ، فبعث إليها ، في عقر دارها وبين عشيرتها، سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ...

قال الواقدي في كتاب المغازي

- سَرِيّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إلَى أُمّ قِرْفَةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سِتّ نَاحِيَةَ وادي الْقُرَى إلَى جَنْبِهَا.

حدثني أَبُو عَبْدِ اللّهِ مُحَمّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيّ، قَالَ: حَدّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ، قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي تِجَارَةٍ إلَى الشّامِ، وَمَعَهُ بَضَائِعُ لأَصْحَابِ النّبِىّ صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَ خُصْيَتَيْ تَيْسٍ فَدَبَغَهُمَا ثُمّ جَعَلَ بَضَائِعَهُمْ فِيهِمَا، ثُمّ خَرَجَ حَتّى إذَا كَانَ دُونَ وَادِى الْقُرَى وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ بَنِى فَزَارَةَ مِنْ بَنِى بَدْرٍ، فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ حَتّى ظَنّوا أَنْ قَدْ قُتِلُوا، وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ ثُمّ اسْتُبِلّ زَيْدٌ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى النّبِىّ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَهُ فِى سَرِيّةٍ، فَقَالَ لَهُمْ: اُكْمُنُوا النّهَارَ وَسِيرُوا اللّيْلَ. فَخَرَجَ بِهِمْ دَلِيلٌ لَهُمْ وَنَذِرَتْ بِهِمْ بَنُو بَدْرٍ فَكَانُوا يَجْعَلُونَ نَاطُورًا لَهُمْ حِينَ يُصْبِحُونَ فَيَنْظُرُ عَلَى جَبَلٍ لَهُمْ مُشْرِفٍ وَجْهَ الطّرِيقِ الّذِى يَرَوْنَ أَنّهُمْ يَأْتُونَ مِنْهُ فَيَنْظُرُ قَدْرَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ فَيَقُولُ اسْرَحُوا فَلا بَأْسَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ لَيْلَتَكُمْ، فَلَمّا كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى نَحْوِ مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ أَخْطَأَ بِهِمْ دَلِيلُهُمْ الطّرِيقَ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقًا

أُخْرَى حَتّى أَمْسَوْا وَهُمْ عَلَى خَطَأٍ فَعَرَفُوا خَطَأَهُمْ ثُمّ صَمَدُوا لَهُمْ فِى اللّيْلِ حَتّى صَبّحُوهُمْ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ نَهَاهُمْ حَيْثُ انْتَهَوْا عَنْ الطلب ....

قَالَ: ثُمّ وَعَزَ إلَيْهِمْ أَلاّ يَفْتَرِقُوا، وَقَالَ: إذَا كَبّرْت فكَبّرُوا، وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ ثُمّ كَبّرَ وَكَبّرُوا، فَخَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ فَطَلَبَ رَجُلاً مِنْهُمْ حَتّى قَتَلَهُ، وَقَدْ أَمْعَنَ فِى طَلَبِهِ وَأَخَذَ جَارِيَةَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَجَدَهَا فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ وَأُمّهَا أُمّ قِرْفَةَ وَأُمّ قِرْفَةَ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَغَنِمُوا، وَأَقْبَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَأَقْبَلَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ بِالْجَارِيَةِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنّبِىّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ لَهُ جَمَالَهَا، فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ مَا جَارِيَةٌ أَصَبْتَهَا؟ قَالَ جَارِيَةٌ يَا رَسُولَ اللّهِ رَجَوْت أَنْ أَفْتَدِىَ بِهَا امْرَأَةً مِنّا مِنْ بَنِى فَزَارَةَ، فَأَعَادَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم مَرّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا يَسْأَلُهُ : مَا جَارِيَةٌ أَصَبْتَهَا؟ حَتّى عَرَفَ سَلَمَةُ أَنّهُ يُرِيدُهَا فَوَهَبَهَا لَهُ فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم لِحَزْنِ بْنِ أَبِى وَهْبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ امْرَأَةً لَيْسَ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ غَيْرُهَا.

فَحَدّثَنِى مُحَمّدٌ، عَنْ الزّهْرِىّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنْ وَجْهِهِ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فِى بَيْتِى، فَأَتَى زَيْدٌ فَقَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَجُرّ ثَوْبَهُ عُرْيَانًا، مَا رَأَيْته عُرْيَانًا قَبْلَهَا، حَتّى اعْتَنَقَهُ وَقَبّلَهُ ثُمّ سَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا ظَفّرَهُ اللّهُ.

- ذِكْرُ مَنْ قَتَلَ أُمّ قِرْفَةَ

قَتَلَهَا قَيْسُ بْنُ الْمُحَسّرِ قَتْلاً عَنِيفًا؛ رَبَطَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا حَبْلاً ثُمّ رَبَطَهَا بَيْنَ بَعِيرَيْنِ وَهِىَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ. وَقَتَلَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ مَسْعَدَةَ، وَقَتَلَ قَيْسَ بْنَ النّعْمَانِ بْنِ مَسْعَدَةَ ابْنِ حَكَمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَدْرٍ.

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ في كتاب السيرة النبوية:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمَّا قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ آلَى أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ غُسْلٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُوَ بَنِي فَزَارَةَ، فَلَمَّا اسْتَبَلَّ مِنْ جِرَاحَتِهِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ إلَى بَنِي فَزَارَةَ فِي جَيْشٍ، فَقَتَلَهُمْ بِوَادِي الْقُرَى، وَأَصَابَ فِيهِمْ، وَقَتَلَ قَيْسَ بْنَ الْمُسَحَّرِ الْيَعْمُرِيَّ مَسْعَدَةَ بْنَ حَكَمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأُسِرَتْ أُمُّ قِرْفَةَ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ بَدْرٍ، كَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً عِنْدَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَبِنْتٌ لَهَا، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَيْسَ بْنَ الْمُسَحَّرِ أَنْ يَقْتُلَ أُمَّ قِرْفَةَ، فَقَتَلَهَا قَتْلًا عَنِيفًا؛ ثُمَّ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِابْنَةِ أُمِّ قِرْفَةَ، وَبِابْنِ مَسْعَدَةَ.

وَكَانَتْ بِنْتُ أُمِّ قِرْفَةَ لِسَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ، كَانَ هُوَ الَّذِي أَصَابَهَا، وَكَانَتْ فِي بَيْتِ شَرَفٍ مِنْ قَوْمِهَا؛ كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ: (لَوْ كُنْتَ أَعَزَّ مِنْ أُمِّ قِرْفَةَ مَا زِدْتُ). فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ سَلَمَةُ، فَوَهَبَهَا لَهُ، فَأَهْدَاهَا لِخَالِهِ حَزْنَ بْنَ أَبِي وَهْبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَزْنٍ.

*** أُسرت أم قرفة. ثم قُتلت.. وتجري الأيام ...ناس يدخلون في دين الله أفواجا يتولون الله ورسوله والذين آمنوا ، سعداء يكثرون حزب الله الغالب ، وآخرون ينضوون تحت لواء ابلـــيس أشـــقياء في ظلمات حزبه المغلوب ... وكانت

المناورة الحادية عشرة...

باب سرية نجد يقال أنها كانت في المحرم سنة ست من الهجرة بعث فيها محمد بن مسلمة فجاء بسيد أهل اليمامة ثمامة بن أثال وما ظهر في أخذه وإسلامه من الآثار..

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ رحمه الله قال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم هو ابن ملحان قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث قال حدثنا سعيد بـــن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول بعث رسول الله خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بـــني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك أن تنعم تنعم على شاكر وأن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجـــوه كلها إلي والله ما كان دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان مـــن بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فيسره رسول الله وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبأت يا ثمامـــة قـــال لا ولكـــني أسلمت مع رسول الله فوالله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله..

رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن يوسف ورواه مسلم عن قتيبة كلاهما عن الليث وأخرجه مسلم أيضا من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري هكذا،

وخالفهما محمد بن إسحاق بن يسار عن المقبري في كيفية أخذه وذكر أولا من قبل نفسه أن ثمامة بن أثال كان رسول مسيلمة إلى رسول الله فدعا الله أن يمكنه منه..

ثم روى عن المقبري ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو محمد بن موسى ابن الفضل قالا حـــدثنا أبـــو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال حدثنا يونس بن بكير عن ابن إســـحاق قال حدثني سعيد المقبري عن أبي هريرة قال كان إسلام ثمامة بن أثال الحنفي أن رسول الله دعـــا الله حين عرض لرسول الله بما عرض له أن يمكنه الله منه وكان عرض له وهو مشرك فأراد قتله فأقبـــل ثمامة معتمرا وهو على شركه حتى دخل المدينة فتحير فيها حتى أخذ فأتي به رسول الله وهو مشـــرك فأمر به فربط إلى عمود من عمد المسجد فخرج عليه رسول الله فقال مالك يا ثمام هل أمكـــن الله منك فقال قد كان ذلك يا محمد أن تقتل تقتل ذا دم وأن تعف تعف عن شاكر وإن تســـأل مـــالا

تعطه.. فمضى رسول الله وتركه حتى إذا كان الغد مر به فقال مالك يا ثمام فقال خيرا يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وأن تعف تعف عن شاكر وإن تسأل مالا تعطه ثم انصرف عنه رسول الله..

قال أبو هريرة فجعلنا المساكين نقول بيننا ما يصنع بدم ثمامة والله لأكلة من جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة، فلما كان الغد مر به رسول الله فقال مالك يا ثمام فقال خيرا يا محمد أن تقتل تقتل ذا دم وإن تعف تعف عن شاكر وإن تسأل مالا تعطه فقال رسول الله عفوت عنك يا ثمام.

فخرج ثمامة حتى أتى حائطا من حيطان المدينة فاغتسل به وتطهر وطهر ثيابه ثم جاء رسول الله وهو جالس في المسجد في أصحابه فقال يا محمد والله لقد كنت وما وجه أبغض إلي من وجهك ولا دين أبغض إلي من دينك ولا بلد أبغض إلي من بلدك ثم لقد أصبحت وما وجه أحب إلي من وجهك ولا دين أحب إلي من دينك ولا بلد أحب إلي من بلدك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله يا رسول الله إني كنت خرجت معمرا وأنا على دين قومي فيسرني في عمرتي فيسره رسول الله في عمرته وعلمه فخرج معتمرًا.

فلما قدم مكة وسمعته قريش يتكلم بأمر محمد من الإسلام قالوا صبأ ثمامة فأغضبوه فقال إني والله ما صبوت ولكني أسلمت وصدقت محمدا وآمنت به وأيم الذي نفس ثمامة بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة وكانت ريف مكة ما بقيت حتى يأذن فيها محمد وانصرف إلى بلده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش فكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى حمل الطعام ففعل رسول الله..

وأخبرنا أبو طاهر الفقيه قال أخبرنا أبو حامد بن بلال قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا النفيلي قال حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال فأخبرني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال أمر رسول الله يعني ثمامة فربط بعمود من عمد الحجرة ثلاث ليال فذكر الحديث بمعناه وهذه الرواية توهم أن يكون صدر الحديث في رواية يونس بن بكير من قول محمد بن إسحاق عن شيوخه ورواية الليث بن سعد ومن تابعه أصح في كيفية أخذه والذي روى في حديث محمد بن إسحاق من قول أبي هريرة وغيره في إرادة فدائه يدل على شهود أبي هريرة ذلك وأبو هريرة إنما قدم على النبي وهو بخيبر فيشبه أن يكون قصة ثمامة فيما بين خيبر وفتح مكة والله أعلم.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمي بمكة قال حدثنا إبراهيم بن هاشم قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا أبو تميلة يحيى بن واصح قال حدثنا عبد المؤمن بن خالد الحنفي عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفي لما أتى به النبي وهو أسير خلى سبيله فأسلم فلحق بمكة يعني ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان بن حرب إلى النبي فقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين

قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله تبارك وتعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون)..

*** وتعدو الأيام وتجري الشهور، والإسلام يزداد انتشارًا، وشوكة جنده تقوى وتزداد صلابة... ويأتي عام الفتح الأكبر بالعودة إلى مكة يسبقها دوي التهليل والتكبير ، والشكر لله العلي الكبير على ما أمد به من نصر مؤزر جيوش الحق والنور...

لكن، لا تزال على ظهر الأرض بقية من الناقمين الحاقدين تحترق أحشاؤهم غيظا، ويزج بهم إبليس اللعين في ظلمات الغي والغباء إلا من أراد الله به خيرا فأنقذه من مخاليبه وأنجاه من مكايده..

مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء(٦)

أبو يوسف محمد زايد

المناورة الثانية عشرة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية

حدثني بعض أهل العلم أن فضالة بن عمير بن الملوح يعني الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضالة؟ قال: نعم.. فضالة، يا رسول الله.... قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء.. كنت أذكر الله... قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفر الله... ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه؛ فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.. قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم الى الحديث.. فقال: لا .... وانبعث فضالة يقول

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والإسلام

أو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه ألاظلام

**** فسبحان من عصم عبده من مكر الماكرين وأنجاه من غدر الغتدرين... وحفظه من شر الإنس والجن حتى بلغ رسالات ربه وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ...ولن تعدم الأرض هلكى إلى يوم الدين...وذلك من دفع الناس بعضهم ببعض ... مجاهدون في سبيل الله همهم إعلاء كلمته ابتغاء ما عنده يواجهون محاربين في سبيل الطاغوت بغيتهم زرع الفساد في الأرض... وكانت

المناورة الثالثة عشرة...

– قال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد ابن موسى بن الفضل قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ثنا أبو ايوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب

بن شيبة عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني إسـلام ولا معرفة به ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه يا رسـول الله إني أرى خيلا بلقا... فقال: يا شيبة إنه لا يراها الا كافر ؛ فضرب يده في صدري ثم قال: اللهم أهد شيبة ... ثم ضربها الثانية فقال: اللهم أهد شيبة ... ثم ضربها الثالثة ثم قال: اللهم أهد شيبة... قال فو الله مـا رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هزم الله المشركين ..

-وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد أحمد عبد الله المزني ثنا يوسف بن موسـى ثنـا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عرى ذكـرت أبي وعمى وقتل على وحمزة إياهما فقلت اليوم أدرك ثأري من رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج فقلت عمه ولن يخذله قال ثم جئته عن يساره فإذا أنا بابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله قال ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن يمحشني فوضعت يدي على بصري ومشـيت القهقـرى ؛ فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا شيب أدن مني.. اللهم اذهب عنه الشيطان... قال فرفعت اليه بصري ولهو احب الي من سمعي وبصري؛ فقال: يا شيب قاتل الكفار ...

-وقال ابن اسحاق وقال شيبة بن عثمان بن ابي طلحة اخو بني عبد الدار قلت اليـوم أدرك ثـأري وكان أبوه قد قتل يوم أحد اليوم أقتل محمدا قال فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني ....

*** أجل ...كان رسول الله ممنوعا من كل معتد أثيم لأن الباري عز وجل خاطبه بقوله الحق وهـو الحق لاإله إلا هو: ؟ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ؟ (المائدة: ٦٧)

قال الطبري رحمه الله

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الرّسُولُ بَلّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رّبّكَ وَإِن لّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }..

هذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصّ الله تعالى قصصهم في هذه السورة وذكر فيها معايبهم وخبث أديانهم واجتراءهم على ربهم وتوثبهم على أنبيائهم وتبديلهم كتابه وتحريفهم إياه ورداءة مطاعمهم ومآكلهم وسـائر

المشركين غيرهم، ما أنزل عليه فيهم من معايبهم والإزراء عليهم والتقصير بهم والتهجين لهم، وما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يشعر نفسه حذرا منهم أن يصيبه في نفسه مكروه، ما قام فيهم بأمر الله، ولا جزعا من كثرة عددهم وقلة عدد من معه، وأن لا يتقى أحدا في ذات الله، فإن الله تعالى كافيه كلّ أحد من خلقه، ودافعٌ عنه مكروه كل من يتقي مكروهه. وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم، فهو في تركه تبليغ ذلك وإن قلّ ما لم يبلغ منه، فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لو لم يبلغ من تنزيله شيئا.

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

* حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله تعالى (يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رسالَتَهُ) يعني: إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك، لم تبلغ رسالتي.

* حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ... الآية، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه الناس ويعصمه منهم، وأمره بالبلاغ. ذكِر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قيل له: لو احتجبت فقال: «واللّهِ لأُبْدِيَنّ عَقِبي للنّاسِ ما صَاحَبْتُهُمْ».

*حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا سفيان الثوريّ، عن رجل، عن مجاهد، قال: لما نزلت:(بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ) قال: «إنّما أنا وَاحِدٌ، كَيْفَ أصْنَعُ؟ تَجْتَمِعُ عليّ لناسُ» فنزلت: ـــ (وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رسالَتَهُ)... الآية.

* حدثنا هناد وابن وكيع، قالا: حدثنا جرير، عن ثعلبة، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، قال: لّما نزلت:(يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رسالَتَهُ واللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ)قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَحْرُسُونِي إنّ رَبيّ قَدْ عَصَمَنِي».

* حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع، قالا: حدثنا ابن عُلَية، عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتقبه ناس من أصحابه، فلما نزلت:(وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ)خرج فقال: « يا أيّها النّاسُ الْحَقُوا بِمَلاحِقِكُمْ، فإنّ اللّهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ النّاسِ».

*حدثنا هناد، قال: حدثنا وكيع، عن عاصم بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يتحارسه أصحابه، فأنزل الله:(يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رَسالَتَهُ) ... إلى آخرها.

* حدثني المثنى، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا الحارث بن عبيدة أبو قدامة الإيادي، قال: حدثنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة، قالت: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم

يُحرس، حتى نزلت هذه الآية:(وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ) قالت: فأخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال: «أيّها النّاسُ انْصَرِفُوا، فإنّ اللّهَ قَدْ عَصَمَنِي».

* حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: حدثنا سفيان، عن عاصم، عن القرظي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يحرس حتى أنزل الله: (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ.)

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت بسبب أعرابيّ كان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكفاه الله إياه. ذكر من قال ذلك:

* حدثني الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي وغيره، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة، فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي، فاخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: «الله». فرعدت يد الأعرابي، وسقط السيف منه. قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله: (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ.)

وقال آخرون: بل نزلت لأنه كان يخاف قريشا، فأومن من ذلك. ذكر من قال ذلك:

* حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يهاب قريشا، فلما نزلت: وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ استلقى ثم قال: «مَنْ شاءَ فَلْيَخْذُلْنِي» مرّتين أو ثلاثا.

* حدثنا هناد، قال: حدثنا وكيع، عن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، قال: قالت عائشة: من حدّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد كذب. ثم قرأت: «يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ ... الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن المغيرة، عن الشعبيّ، قال: قالت عائشة: من قال إن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم فقد كذب وأعظم الفرية على الله، قال الله: يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ... الآية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، عن مسروق، قال: قال عائشة: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّك... الآية.

حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن الحميم، عن مسروق بن الأجدع، قال: دخلت على عائشة يوما، فسمعتها تقول: لقد أعظم الفرية من قال: إن محمدا كتم شيئا من الوحي، والله يقول: يا أيّها الرّسُولُ بَلّغْ ما أنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبّكَ.

ويعني بقوله: وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ: يمنعك من أن ينالوك بسوء، وأصله من عصام القربة، وهو ما توكأ به من سير وخيط، ومنه قول الشاعر:

وَقُلْتُ عَلَيْكُمْ مالِكا إنّ مالِكا***سيَعْصِمُكْم إنْ كانَ فِي النّاسِ عاصِمُ

يعني: يمنعكم. وأما قوله:(إنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ) فإنه يعني: إن الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحقّ وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئته به من عند الله، و لم ينته إلى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه.

وقال ابن كثير رحمه الله

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك، وقام به أتم القيام، قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن إسماعيل، عن الشعبي عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، الله يقول {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} الآية، هكذا رواه هاهنا مختصراً وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولاً، وكذا رواه مسلم في كتابي الإيمان، والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من طرق عن عامر الشعبي، عن مسروق بن الأجدع، عنها رضي الله عنها، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمداً صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي: حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: كنا عند ابن عباس، فجاء رجل فقال له: إن ناساً يأتونا فيخبروننا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقال ابن عباس: ألم تعلم أن الله تعالى قال: {يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك} والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء في بيضاء، وهذا إسناد جيد، وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ «أيها الناس إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون ؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول «اللهم هل بلغت» ؟. قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا فضيل يعني ابن غزوان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع. «يا أيها

الناس، أي يوم هذا ؟ »قالوا: يوم حرام، قال: أي بلد هذا ؟ قالوا: بلد حرام، قال: أي شهر هذا ؟ قالوا: شهر حرام، قال: «فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هـــذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا» ثم أعادها مراراً، ثم رفع أصبعه إلى السماء فقال «اللهم هل بلغت ؟» مراراً. قال: يقول ابن عباس: والله لوصية إلى ربه عز وجل، ثم قال «ألا فليبلغ الشاهد الغائـــب: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقد روى البخاري عن علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد، عن فضيل بن غزوان به نحوه.

وقوله تعالى: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به، فما بلغت رسالته، أي وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عبـــاس {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته، قـــال ابـــن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان عن رجل، عن مجاهد قال: لما نزلت {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} قال: يا رب، كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليّ ؟ فنزلت {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به.

وقوله تعالى: {والله يعصمك من الناس} أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك علـــى أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك، وقد كان الـــنبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا يحيى قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت: فقلت ما شأنك يا رسول الله ؟ قال «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» قالت: فبينا أنا على ذلك، إذ سمعت صوت السلاح، فقال «مـــن هذا ؟» فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: «ما جاء بك ؟» قال: جئت لأحرسك يـــا رســـول الله. قالت:فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه، أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به، وفي لفظ: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمه المدينة يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها، وكان ذلك في سنة ثنتين منها.

– وقال ابن أبي حاتم: حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري، نزيل مصر، حدثنا مسلم بـــن إبـــراهيم، حدثنا الحارث بن عبيد يعني أبا قدامة عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة قالت: كـــان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية {والله يعصمك من الناس} قالت: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل» وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد، وعن نصر بن علي الجهضمي، كلاهما عن مسلم بن إبراهيم به، ثم قال: وهذا حديث غريب، وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم بن إبراهيم به، قال الحاكم: صحيح الإسناد، و لم يخرجاه، وكذا رواه سعيد بن منصور عن الحارث بن عبيد أبي

قدامة عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة به، ثم قال الترمذي: وقد روى بعضهم هـذا عن الجريري عن ابن شقيق، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآيـة، و لم يذكر عائشة. قلت: هكذا رواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن علية، وابن مردويه من طريق وهيب، كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق مرسلاً، وقد روى هذا مرسلا عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي، رواهما ابن جرير، والربيع بن أنس، رواه ابن مردويه، ثم قال: حدثنا سليمان بـن أحمد، حدثنا أحمد بن رشدين المصري، حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي، حدثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخظمي قال: كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل. حتى نزلت {والله يعصمك من الناس} فترك الحرس، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا حمد بن محمد بن حمد أبو نصر الكاتب البغدادي، حدثنا كردوس بن محمد الواسطي،

-حدثنا يعلى بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: كـان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحرسه، فلما نزلت هذه الآية {والله يعصمك مـن الناس} ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس.

-حدثنا علي بن أبي حامد المديني، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن مفضل بن إبراهيم الأشعري، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن معاوية بن عمار، حدثنا أبي قال: سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج بعث معه أبو طالب مـن يكلؤه حتى نزلت {والله يعصمك من الناس} فذهب ليبعث معه، فقال «يا عم إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى من تبعث» وهذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهـذا الحـديث يقتضي أنها مكية، ثم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الحميد الحماني عن النضر، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس فكان أبو طالب يرسل إليه كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك مـن الناس} قال: فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: «إن الله قد عصمني من الجن والإنـس»، ورواه الطبراني عن يعقوب بن غيلان العماني، عن أبي كريب به،

وهذا أيضاً حديث غريب، والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم، ومن عصمة الله لرسوله، حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمتـه العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليـه كفارهـا وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات عمـه أبـو

طالب، نال منه المشركون أذي يسيراً، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها، منعوه من الأحمر والأسود، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها، فمن ذلك ماذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة:

فقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي، وغيره، قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل مترلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنعك مني ؟ فقال « الله عز وجل» فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه، وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله عز وجل: {والله يعصمك من الناس}. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أنمار، نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال غورث بن الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله ؟ قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه، قتلته به، قال: فأتاه. فقال: يا محمد، أعطني سيفك أشيمه، فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حال الله بينك وبين ما تريد»، فأنزل الله عز وجل: {يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وقصة غورث بن الحارث مشهورة في الصحيح.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: كنا إذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فيترل تحتها، فترل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، فقال: يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله يمنعني منك ضع السيف» فوضعه، فأنزل الله عز وجل: {والله يعصمك من الناس} وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن المؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا إسرائيل، يعني الجشمي، سمعت جعدة هو ابن خالد بن الصمة الجشمي رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ورأى رجلاً سميناً، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يومىء إلى بطنه بيده ويقول «لو كان هذا في غير هذا، لكان خيراً لك» قال: وأتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل، فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم: «لم ترع ولو أردت ذلك لم يسلطك الله علي». وقوله {إن الله لا يهدي القوم الكافرين} أي بلغ أنت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} وقال {فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب}.

وقال القرطبي رحمه الله

قوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين}

قوله تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك". قيل: معناه أظهر التبليغ؛ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفا من المشركين، ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس. وكان عمر رضى الله عنه أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سرا؛ وفي ذلك نزلت: "يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" [الأنفال: ٦٤] فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه صلى الله عليه وسلم لم يسر إلى أحد شيئا من أمر الدين؛ لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهرا، ولولا هذا ما كان في قوله عز وجل: "وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" فائدة. وقيل: بلغ ما أنزل إليك من ربك في أمر زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها. وقيل غير هذا، والصحيح القول بالعموم؛ قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته؛ وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه؛ وفي صحيح مسلم من مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد كذب؛ والله تعالى يقول: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" وقبح الله الروافض حيث قالوا: إنه صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أوحى إليه كان بالناس حاجة إليه.

قوله تعالى: "والله يعصمك من الناس" فيه دليل على نبوته؛ لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم، ومن ضمِن اللهُ سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئا مما أمره الله به. وسبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت شجرة فجاء أعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: من يمنعك مني؟ فقال: الله؛ فذعرت يد الأعرابي وسقط السيف من يده؛ وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه؛ ذكره المهدوي. وذكره القاضي عياض في كتاب الشفاء قال: وقد رويت هذه القصة في الصحيح، وأن غورث بن الحارث صاحب القصة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه؛ فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس. وقد تقدم الكلام في هذا المعنى في هذه السورة عند قوله: "إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم" [المائدة: ١١] مستوفى، .... وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع وسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فأدركنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فترل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف مصلتا في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ - قال - قلت الله... ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟- قال - قلت الله... قال فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت أن من الناس من يكذبني فأنزل الله هذه الآية) وكان أبو طالب يرسل كل يوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزل: "والله يعصمك من الناس" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [يا عماه إن الله قد عصمني من الجن والإنس فلا احتاج إلى من يحرسني].

قلت: وهذا يقتضي أن ذلك كان بمكة، وأن الآية مكية وليس كذلك، وقد تقدم أن هذه السورة مدنية بإجماع؛ ومما يدل على أن هذه الآية مدنية ما رواه مسلم في الصحيح عن عائشة قالت: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة ليلة فقال: [ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة] قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح؛ فقال: [من هذا] ؟ قال: سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما جاء بك] ؟ فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام. وفي غير الصحيح قالت: فبينما نحن كذلك سمعت صوت السلاح؛ فقال: [من هذا] ؟ فقالوا: سعد وحذيفة جئنا نحرسك؛ فنام صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الآية؛ فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من قبة آدم وقال: [انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله].

وقرأ أهل المدينة: "رسالته" على الجميع. وأبو عمرو وأهل الكوفة: "رسالته" على التوحيد؛ قال النحاس: والقراءتان حسنتان والجمع أبين؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يترل عليه الوحي شيئا فشيئا ثم يبينه، والإفراد يدل على الكثرة؛ فهي كالمصدر والمصدر في أكثر الكلام لا يجمع ولا يثنى لدلالته على نوعه بلفظه كقوله: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" [إبراهيم: ٣٤]. "إن الله لا يهدي القوم الكافرين" أي لا يرشدهم وقد تقدم. وقيل: أبلغ أنت فأما الهداية فإلينا. نظيره "ما على الرسول إلا البلاغ" [المائدة:٩٩] والله أعلم.

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون} (المائدة ١١).

قال جماعة: نزلت بسبب فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع حين اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يعصمك مني يا محمد؟ كما تقدم في "النساء". وفي البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فاجتمعوا وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه. وذكر الواقدي وابن

أبي حاتم أنه أسلم. وذكر قوم أنه ضرب برأسه في ساق شجرة حتى مات. وفي البخاري في غـــزوة ذات الرقاع أن اسم الرجل غورث بن الحارث (بالغين منقوطة مفتوحة وسكون الواو بعدها راء وثاء مثلثة) وقد ضم بعضهم الغين، والأول أصح. وذكر أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي أن اسمه دعثور بن الحارث، وذكر أنه أسلم كما تقدم. وذكـــر محمـــد بـــن إسحاق أن اسمه عمرو بن جحاش وهو أخو بني النضير. وذكر بعضهم أن قصة عمرو بن جحاش في غير هذه القصة. والله أعلم. وقال قتادة ومجاهد وغيرهما: نزلت في قوم من اليهود جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية فهموا بقتله صلى الله عليه وسلم الله منهم. قال القشيري: وقد تنزل الآية في قصة ثم ينزل ذكرها مرة أخرى لادكار ما سبق. "أن يبسطوا إليكم أيـــديهم" أي بالســـوء. "فكف أيديهم عنكم" أي منعهم.

وقال السعدي رحمه الله

قوله تعالى:(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين).

هذا أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، بأعظم الأوامر وأجلها، وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا، كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشـــر، ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين، ورجال المسلمين. " وإن لم تفعل " أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك " فما بلغت رسالته " أي: فما امتثلت أمره . " والله يعصمك من الناس " هذه حماية وعصمة من الله، لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خـــوف مـــن المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله، وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتـــدى، فلنفسه. وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم، ولا يوفقهم للخـــير، بسبب كفرهم .

وقال ابن عطية رحمه الله

وقال عبد الله بن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعقبه أصحابه يحرسونه فلما نزلت (والله يعصمك من الناس) خرج فقال: يا أيها الناس الحقوا بملاحقكم فإن الله قد عصمني... وقال محمد بن كعب القرظي نزلت (والله يعصمك من الناس) بسبب الأعرابي الذي اخترط سيف النبي صـــلى الله عليه وسلم ليقتله به... قال القاضي أبو محمد: هو غورث بن الحـــارث والقصـــة في غـــزوة ذات الرقاع... وقال ابن جريج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهاب قريشًا فلما نزلت هذه الآية إلى

قوله: (والله يعصمك من الناس) استلقى وقال: من شاء فليخذلني... مرتين أو ثلاثا و (يعصمك) معناه يحفظك ويجعل عليك وقاية.. ومنه قوله تعالى (يعصمني من الماء).. ومنه قول الشاعر (فقلت عليكم مالكا إن مالكا سيعصمكم إن كان في الناس عاصم).. وهذه العصمة التي في الآية هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شيء من التبليغ كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه وأما أقوال الكفار ونحوها فليست في الآية... وقوله تعالى ـ(لا يهدي القوم الكافرين) إما على الخصوص فيمن سبق في علم أنه لا يؤمن وإما على العموم على أن لا هداية في الكفر ولا يهدي الله الكافر في سبل كفره..

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

كان الفراغ من جمعه وتأليفه

يوم ١١ صفر الخير ١٤٢٧

أبو يوسف محمد زايد.

====================

مولد نبي مولد حضارة

الكاتب: سناء الشاذلي

تتغنى دعوات بشرية شتّى بحضاراتها، وتزعم أنها الأصلح للمجتمعات، وأن عليها أخذها كنموذج طُبق وقطفت ثماره في كل حين وفي كل لون.

غير أن ثمة ما ينفي ذلك الادعاء، لخروج فئة أخرى من جلدة تلك الحضارة تنفي وتفند تلك الأكذوبة، وتقف كحاجز حصين ضد ما سمّوه حضارة، وضد ما يُطلق عليه تقدم أوتطور، لم يؤد إلا إلى مزيد من دمار وانحدار في حضارات لم تفرق بين الخير والشر، وصدرت الأمراض والتشوهات والشذوذ والأمراض النفسية والانتحارات، بدعوى حضارية المنهج والهدف والسلوك، ما أدى إلى قيام مجموعات عدة بحملة قوية تدعو إلى العودة إلى الأخلاق والتنقيب عنها في أمهات الكتب، وأخذ ما يفيد من الماضي والحاضر، بغية إنقاذ البقية الباقية من بشرية خاضت الحضارة بشكل خاطئ.

غير أن المهمة شاقة لتعدد تلك الاتجاهات التي تستقي منها الحضارة معينها ومنقذها، فلا ديانتها بقت على حالها لتستقي منها ما ينقذها ولا كذلك الجنوح للإلحاد والعلمانية والرأسمالية والاشتراكية والوجودية، مكنها من أن تسترد به عافيتها، ما يضطرها إلى إضفاء المزيد من المصطلحات والقوانين، فكلما فشلت في مشروع لجأت لآخر، إذ ترى أنه غير صالح لزمان ما وفئة ما، ما يفرض عليها تقديم مشروع آخر.

لكن ثمة حضارة لم يطرأ عليها تغيير على مر العصور، ولا تطوير و لم تنتقل لمشـــروع آخـــر كمـــا الحضارات الأخرى وإن كان القائمون عليها قد أخفقوا في نواح شتى، وهو ما سبب تـــأخر هـــذه الحضارة لا اندثارها، ولها سمة بارزة إذ يشارك الكبير والصغير والضعيف والقوي في بنائها.

كما أنها ليس لها وقت محدد تموت به وتنتهي... فلقد ولدت مع ولادة أعظم نبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أسهمت - لا كغيرها - في الأخذ بيد ذلك الإنسان الكـــريم علـــى الله نحـــو التقـــدم والازدهار، وحفظت حقوقه، و لم تفرض عليه حضارة حيوانية شهوانية تدمر كل شيء في طريقها، و لم تكلفه فوق ما يطيق حتى في العبادة، بل مازجت بين الفطرة والسلوك، بين الروح والجسد، بين الألم والأمل، بين التفاؤل والتشاؤم.

إنها ولادة تشهد مع كل يوم حضارة ثابتة في قوانينها مرنة في اتجاهاتها. حضارة ولدت بمولد نبيهـــا والذي أعجب له كل العجب أن البعض يتخذ يوماً واحداً يحتفل فيه بمولد هذا النبي على رغم أنـــه يولد فينا كل يوم، مع بكاء طفل مسلم للتو خرج للدنيا، مع دعوة لله صداها في كل مكـــان، مـــع جماعات حضرت صلواتها في كل حين، مع أذان صدع في أرجاء الدنيا، مع أذكار وتسابيح تخرج من أفواه العصافير والأشجار، والأحجار، مع أناس قاموا باتباع السنة على الوجه الصحيح، ومع أنـــاس نهلوا من أخلاق النبي حاملين رسالته بأخلاقهم التي ميّز الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

مع كل هذا وغيره يبقى من الظلم أن يحتفل بمولده بأشكاله المختلفة التي لا تخلو من مزامير ومـــديح مبالغ فيه وطبول وغناء.

انه لظلم حقاً أن تختزل ولادته وهو المولود فينا كل يوم في يوم واحد لم تقم به خير القرون، وكلنـــا يعلم قصة بداية أول احتفال بمولده على أيدي المذاهب الباطنية، انه حقاً ظلم لحضارة نبوية تحمـــل أرقى معاني التقدم... نبي رأت أمه وكأن نورا خرج منها أضاء قصور كسرى في الشام، ما يدلنا على أنه لا يمكن أن تتصور إلا ذلك النور الذي أوصل الإسلام والسلام والأمان والأخلاق الى البشـــرية جمعاء.

صحيفة الحياة اللندنية

====================

ميلاد نبي .. مولد أمة

الكاتب: د. عبدالستار إبراهيم الهيتي

في فترة من فترات التاريخ الغابرة، وعلى ثرى البقعة المباركة التي اختارها الله لتكون مثابـــة للنـــاس وأمنا، وفي ظل أجواء مليئة بالجهل والظلم، وتحكم الغني بالفقير، وسيطرة القوي على الضعيف كان العالم كله يرقب ولادة جديدة تنتشل الأمة من وهدتها، وتطيح بالظلم والطغيان لتضـــع الأمـــور في

نصابها وتعيد للإنسانية كرامتها وترتفع بالبشرية من حياة الذل والضياع متطلعة بها إلى حياة العـــزة والمجد.

وسط هذه الأجواء الملبدة بغيوم الجهل والشرك والوثنية كانت الولادة المرتقبة، فانتبهت مكة علـــى إيقاع صوت الحق ينطلق من بين أزقتها، وأفاقت تلك المدينة المقدسة الوادعة على أنغام الترحـــاب بالوليد اليتيم الذي لم يكن يخطر ببال أحد أنه سيكون منقذا لأمة ومؤسسا لحضارة ومعلما للبشرية وقائدا لركب الإيمان والتوحيد.

إنه في صبيحة الثاني عشر من ربيع الأول كان العالم على موعد مع العلم والفضيلة والحضارة الـــتي انطوت جميعها فتمثلت بالميلاد الميمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت كانت فيه البشـــرية بأمس الحاجة إلى تصحيح الأفكار وبناء العقائد وبرمجة الرؤى والتوجهات، بحيث أصبح ذلك الميلاد علامة مضيئة في التاريخ الإنساني ليس للمسلمين فحسب وإنما للإنسانية جمعاء على اختلاف مللـــها وتعدد نحلها، ويؤكد هذا المعنى ما أشار إليه أحد الشعراء المسيحيين بقوله:

أمحمد والمجد بعض صفاته

مجّدت في تعليمك الأديانا

بعث الجهاد لدن بعثت وجردت

أسياف صحبك تفتح البلدانا

ورفعت ذكر الله في أمية

وثنية ونفحتها الإيمانا

مرحا لأمي يعلم سفره

نبغاء يعرب حكمة وبيانا

إني مسيحي أحب محمدا

وأراه في فلك العلا عنوانا

لم يكن ميلاد محمد بن عبد الله العربي القرشي حدثا تاريخيا عابرا يمر عليه المؤرخون مرورا وإنما مثّل من خلال نبوته ورسالته أبرز دعوات الإصلاح والتربية في دنيا البشرية على الإطلاق، فقد اســـتطاع أن يجعل من جزيرة العرب مصدر إشعاع فكري وثقافي وحضاري، قدمت الأمة من خلاله للعـــالم صياغة روحية ومادية حملت بين طياتها معالم البعد الرسالي لدعوة الإسلام عقيدة وشـــريعة ومنـــهج حياة، حيث تمكن محمد «صلى الله عليه وسلم» أن يتبوأ قمة الهرم ليكون على رأس المصلحين الذين كان لهم أثر بارز في توجيه البشرية نحو الفضيلة والرشاد، وفي هذا يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

المصلحون أصابع جمعت يدا

هي أنت بل أنت اليد العصماء

ففي ميدان الإصلاح العقائدي والفكري كان لمحمد «صلى الله عليه وسلم» الفضل الكبير في ترسيخ معالم عقيدة التوحيد التي تعني إفراد العبودية لله تعالى ونبذ الشرك والوثنية والإطاحة بعبادة الأصـــنام لتخليص الفكر البشري من سفاهات العقائد الباطلة والترفع به عن عبادة البشر أو الحجر:

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة

للحق من ملل الهدى غراء

بنيت على التوحيد وهو حقيقة

نادى بها سقراط والحكماء

وفي ميدان الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي كان لمحمد «صلى الله عليه وسلم» الباع الطويل في بناء نظرية اقتصادية ترعى الفقراء وتهتم بشؤونهم وتحافظ على حقوقهم من أن يتعدى عليها المتنفـــذون وأصحاب رؤوس الأموال، كما كان له الفضل الكبير في تحقيق العدالة والمساواة بعيدا عن التمـــايز الطبقي أو التفاوت الاجتماعي:

جاءت فوحّدت الزكاة سبيله

حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى

فالكل في حق الحياة سواء

فلو أن إنسانا تخيّر ملّة

ما اختار إلا دينَك الفقراء

أما السياسة والقيادة عند محمد «صلى الله عليه وسلم» فلها نمط آخر وصيغة متقدمة لم يستطع العالم الذي يعيش اليوم أوج حضارته وقمة تقدمه الحضاري أن يصل إلى ذلك النهج السوي مـــن حيـــث الوضوح في الطرح والصدق في التعامل والأمانة في العهود والعدل في الحكم، فمزج بذلك السياسة بالأخلاق والقيادة بالرحمة والامارة بالمساواة، فتحقق بذلك حلم الفلاسفة القدماء وآمال المفكـــرين الحكماء:

والدين يسر والخلافة بيعة

والأمر شورى والحقوق قضاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته

فجميع عهدك ذمة ووفاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب

هذان في الدنيا هما الرحماء

وعلى أساس هذه الثوابت شيّد «محمد النبي والرسول» قواعد حضارة عربية إسلامية، وبنى مجداً وعزاً وعلماً لا يزال العالم ينهل منه ويفيد من طروحاته ويرجع إليه عند اشتداد الأزمات واحتلاك الخطوب، فالمصدر رباني إلهي، والصياغة محمدية نبوية، وآلية التطبيق عربية إسلامية عاش العالم في ضلالها ردحا طويلا من الزمن ينعم بالأمن والأمان والخير والسلام، فلا ظلم ولا طغيان، ولا انتهاك ولا عدوان، الجميع تحت مظلة القانون سواسية، فكلكم لآدم وآدم من تراب، فلا ميزة لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا فرق بين مسلم أو يهودي أو نصراني من حيث الحقوق والواجبات، فلهم مالنا وعليهم ما علينا، ومحمد يقول: من آذى ذميا فقد آذاني، ويقول: إنه قد أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، وهكذا قدم «محمد» برنامج عمل وصياغة قانونية لدولة العدل والتسامح والمساواة قبل أن يعرف العالم بوادر النهضة الحديثة وقبل أن تبرز طلائع الثورة الفرنسية التي يفخر الغرب بها وبطروحاتها حتى كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ميلاد أمة بكاملها شادت حضارة وأقامت دولة ونشرت في ربوع العالم العلم والمعرفة.

إذا كانت هذه هي المعاني السامية التي قدمها محمد للعالم كافة وللعرب والمسلمين خاصة، فإن الأمة اليوم مطالبة ببرمجتها على أرض الواقع وتقديمها كحلول ناجعة للخلاص من حالة الضياع والتشرذم الذي آلت إليه أحوالها في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وإذا كان العامة من أبناء الأمة ملتزمين بالكثير من هذه المفاهيم والمعاني الكبيرة في علاقاتهم الدينية والأخلاقية، فإن خاصتها من المثقفين والسياسيين وأصحاب القرار يحتاجون إلى مراجعة حثيثة لأنفسهم ولخطواتهم ولقراراتهم لتأتي متفقة مع الإرث الحضاري الذي خلفه محمد بن عبد الله لهذه الأمة ولتحظى بالمكانة السامية التي حظي بها أسلافنا يوم سادوا العالم وقدموا له أفضل برامج الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وإلى أن يتحقق ذلك فإن أولي الأمر في هذه الأمة وعلماءها ومثقفيها مطالبون بجهد كبير وسعي حثيث لتصحيح علاقاتهم مع الله أولا ومع شعوبهم ثانيا عن طريق الحوار الهادف البناء والمرونة في الطرح والتعامل والمشاركة الحقيقية لشعوبهم في آمالهم وآلامهم ليكونوا جزءا من الأمة وليس في أبراج عالية بعيدة عنها.

صحيفة الشرق القطرية

==========================

مَنْ أَوْلى بالسخرية والاستهزاء؟

١٤٢٦/١٢/٢١

مروة سميح السيد ــ القاهرة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

هالني كثيراً سخرية هؤلاء الحاقدين على النبي – صلى الله عليه وسلم – دون علم به ولا بما جاء به، فظهر بذلك حقدهم وجهلهم؛ بل وعدم علمهم بكتابهم وما به من غرائب، والعجائب التي لو قرأها الإنسان دون علمه أن هذه نصوص بالكتاب الذي يدعون أنه مقدس لظنها من حكايات (ميكـــي ماوس) أو من القصص الخرافية التي تحكى للصغار قبل نومهم.

وهنا أحببت أن أنقل للقارئ بعضاً من فقرات كتابهم (المقدس) ليستيقظ القوم من غفلتهم.

طير يمشي على أربعة أرجل؟؟

"وكل دبيب الطير الماشي على أربع فهو مكروه لكم".[٢٠ :١١:٢٠ :Lv].

هذا من الإعجاز العلمي بـــ(الكتاب المقدس) فالطيور في هذا الكتاب أصبحت لها أربعه أرجل تمشي عليهم!!!

الأرنب المجتر!!

"والأرنب لأنه يجترّ لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم" [٦ :Lv:١١:٦].

وهل تجتر الأرانب. إلا في الكتاب المقدس؟!

حيوانات لها أعين من الخلف تجلس بجوار عرش (الرب)!!

جاء في [رؤيا ٤: ٦–٨]: وقدام العرش بحر زجاج شبه البلور وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء. والحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شـــبه عجـــل، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر".

فتخيل معي – أخي القارئ – أربعة حيوانات لكل منهم عيون من الأمام والخلف، بـــل والحيـــوان الأول أسد، والآخر عجل، والثالث له وجه إنسان، والأخير نسر، وكل هذه الحيوانات تجلس أمـــام عرش الله تبارك وتعالى!!.... تعالى الله عن إفك النصارى علواً كبيراً.

سلق الأطفال وأكلهم!

جاء في سفر الملوك الثاني: الإصحاح السادس الفقرة الثامنة والعشرون وما بعدها: [سأَلَها: ما بكِ؟ فأجابَت: قالَت لي هذِهِ المرأةُ: هاتي ابنَكِ فنَأْكُلَهُ، وغدًا نأْكُلُ ابني. ٢٩فطَبَخنا ابني وأكَلْناهُ، وقُلتُ لها في اليومِ الثَّاني: هاتي إبنَكِ لِنَأكُلَهُ فأخفَتْهُ]

بالله هذا كلام مقدس؟!.

سلامات!

يقول بولس (مؤسس النصرانية الحقيقي) في رسالته الثانية إلى صديقه تيموثاوس [٤: ١٩]: "سلم على فرسكا واكيلا وبيت انيسيفورس. اراستس بقي في كورنثوس. وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً. بادر أن تجيء قبل الشتاء. يسلم عليك افبولس وبوديس ولينس وكلافدية والاخوة جميعا".

ويقول بولس لصديقه تيطس [تي ٣: ١٢]: "حينما أرسل إليك ارتيماس أو تيخيكس بادر أن تـــأتي إلي إلى نيكوبوليس لأني عزمت أن أشتي هناك".

ونسأل: هل أصبح السلام على فرسكا و... ودعوى أحد للحضور في المكان الذي سيشتي فيه بولس وحي من عند الله يتعبد بتلاوته؟؟!!

مناجاة!!

سفر الخروج [٥: ٢٢]: [فرجع موسى إلى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب. لمـــاذا أرسلتني. فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب. وأنت لم تخلّص شعبك].

وعندنا: "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَـــاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ" (الأعراف: ١٥٥).

وفي مزمور [١٠: ١]: [يا رَبُّ: لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟].

وعندنا: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦)

وعندنا: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل: ٦٢)

مزمور [٣٥: ١٧]: "يا رب إلى متى تنتظر.. لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً استيقظ وانتبه إلى حكمي ".

وعندنا: (اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِـــي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥)

وعندنا: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ٢٦)

وفي (الكتاب المقدس) كلام جنسي فاضح يخدش حياء العاهرات فضلاً عن الغافلات المؤمنات، وفي (الكتاب المقدس) حوار بين الأشجار، وحرب النجوم، وحرب الماعز والخرفان، وفيه حمار رد حماقة النبي، وفيه خروف بسبعة قرون. وفيه الإله ينوح ويولول... ويمشي عرياناً طول النهار... ويُســـلط عليه الشيطان أربعين يوما يسرح به كيف يشاء... ويكذب على إخوته... ويخسر المصارعة أمـــام

يعقوب... ويسكر.. ويتعب... وينام... ويسيء... وينسى... ويصفر للـذباب... ويصـفق... ويخاف... ويندم... ويخرج الدخان من أنفه... ويحزن... ويصف نفسه بالخروف واللبـؤة والعثـة والفرخة والدبة.........تعالى الله عما يقول الضالون علواً كبيراً.

وجملة: إن وجدت ثكلى فقدت وحيدها وترملت لتوها تستطيع أن تضحكها بأن تحكي لها طرفاً مما في الكتاب المقدس.

وبعد هذا يسخرون من الحبيب؟؟!!

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة: ١٥).

تعليق التحرير:

نحن لا نسخر أبداً من كتاب مقدس، ولكننا نؤكد أن الكتاب الذي أنزله الله - تبارك وتعالى - على موسى وعيسى - عليهما السلام – ليس أبداً ولا يليق أن يكون الكتاب المتداول بينـهم، والـذي جاءت مقتطفات منه في هذا المقال، بل هو من كتابة الذاكرة، وفيه مغالطات كثيرة جداً ومقـالات بشرية، وبعض أصول للقصص والروايات التي قرأها أو سمعها مؤلفو وكاتبو الكتاب ممن قبلهم ممـا عرفوه من كتاب الله – تبارك وتعالى – الذي أنزل على موسى وعيسى.

=====================================

نبي الإسلام هل هناك من يغار عليك؟

نشرت جريدة الوطن ١٤٢٦/١٢/٢٤هـ

نبي الإسلام: هل هناك من يغار عليك؟

محمد علي الهرفي*

أصبح المسلمون اليوم كالأيتام على مأدبة اللئام، الكل يسخر منهم، الكل يتجرأ علـيهم، ديـارهم مستباحة، ودماؤهم مباحة، وثرواتهم منهوبة، وإرادتهم مسلوبة.

ولو اقتصر الأمر عند هذا الحد لهان ـــ على سوئه الذي لا يحتمل ـــ لكنه تعداه إلى السخرية بدينهم ونبيهم ومعتقداتهم.

هذا الاستهزاء ليس وليد اليوم ـــ وأنا أتحدث عن عصرنا الحاضر ـــ فقد كان له سوابق كثيرة مرت كلها بسلام ـــ إلا من احتجاجات ضعيفة من هنا وهناك ـــ ولما رأى هؤلاء المسـتهزئون هـوان المسلمين وضعفهم تمادوا في غيهم لأنهم أمنوا العقاب، بل أمنوا حتى العتاب فمضوا إلى أبعد من ذلك بكثير. صحيفة "مغازينات" النرويجية ومثلها صحيفة "جيلاندر بوستر" الدنماركية ومنذ حوالي ثلاثة

أشهر تقريباً وهما تنشران صورا كاريكاتورية تسخر بالرسول عليه الصلاة والسلام كما تتحدثان عنه بصورة مشوهة وسيئة لا تليق حتى بأهون الناس فضلاً عن الأنبياء عامة وأفضلهم عند الله خاصة.

هاتان الصحيفتان اتخذتا الحرية الصحفية مطية لما تقومان به، وهذه الحرية ــ كما يدعون ــ متاحة للغربيين عامة وهي جزء من ثقافتهم وسلوكهم ــ هكذا يقولون ــ وقد نقلت صحيفة "الريــاض" نقلا عن أحد كبار الكتاب في الدنمارك بعد أن اعترف بكل الإساءات التي وجهت للرسول قوله عن هذه الإساءات إنها "لون من ألوان الأدب وهو متقبل في المجتمعات الغربيــة فالرســومات النقديــة الكاريكاتورية والكلمات الساخرة التي تتناول شتى المواضيع وكافة الفئات والأفكار هي عبارة عــن نقد وسخرية هادفة وذكية أيضاً وإن هذا مقبول ومتعارف عليه في العالم بأسره". إذن وكما قال فإن السخرية بالرسول عمل هادف وذكي، وهو أيضاً أمر متعارف ومألوف في العالم أيضاً.

هذه الأقوال التي يرددها البعض مليئة بالأكاذيب فدعوى الحرية لا تجعل البعض يستهزئ بالمقدسات الدينية لأصحاب الأديان الأخرى فالجمعية العامة للأمم المتحدة رفضت مبدأ تشويه الأديان وطالبت في جلستها العامة المنعقدة في ١١/١١/٢٠٠٤م بمناهضة تشويه الأديان ودعت إلى الحوار بين الأديان بدلاً من الإساءة إليها.

وبعيداً عن الأمم المتحدة وقراراتها التي لا تطبق غالباً إلا على الأمم الضعيفة لماذا لا يعد هذا الكاتب وسواه ــ وهم كثر ــ انتقاد بعض مزاعم اليهود من الحريات الصحفية؟ لماذا يكون الحديث عــن المحرقة اليهودية وبيان التهويل الذي يقال عنها أمراً محرماً؟ لماذا يكون الحديث عن السامية المزعومــة لليهود ــ بصورة ناقدة أمراً محرماً أيضاً؟ بل إن هذه الدول التي تبيح السخرية برسولنا الكريم بدعوى الحفاظ على الحريات العامة تعاقب وتجرم من ينتقد الصهاينة بدعوى الإساءة للسامية، وهذا النقــد مهما كانت درجته فهو لا يصل بأي حال إلى درجة الإساءة للرسول الكريم فلماذا تغيب الحرية هنا وتظهر هناك؟ هذه الحرية التي تتشدق بها حكومتا الدنمارك والنرويج هل تسمحان بها لو أن أحداً مجد الإرهاب وشجع عليه بدعوى الحرية؟ لماذا يحاكم أبو حمزة المصري وهو لم يقم بأي عمل إرهابي بل اكتفى ــ كما يقول قاضيه ــ بالتشجيع على الإرهاب؟ لماذا لا تترك له الحرية ليقول ما يشاء مــا دامت هذه الحرية يقبلها العالم كله؟ أعتقد أن المسألة ليست كما يزعمون بل إن حقيقة المســألة أن هؤلاء حاقدون على الإسلام وحكوماتهم تشجعهم على هذه الأعمال الدنيئة، وفوق هذا وذاك فإن ضعف المسلمين وضعف حكوماتهم يشجع هؤلاء وسواهم على الاستمرار في هذه البذاءات لأنهم لم يشاهدوا موقفاً قوياً يردعهم ويوقفهم عند حدودهم.

العالم الإسلامي وهيئاته كلها كانت مواقفها ضعيفة ومخجلة أيضا، فمنظمة المؤتمر الإسلامي وعلــى لسان رئيسها الدكتور إحسان أوغلي اكتفت بالاستنكار وطالبت العالمين المسيحي واليهودي بإعلان موقفهما بصراحة من هذه القضية. أما أمين عام مجمع الفقه الإســلامي في جــدة فقــد اكتفــى

بالاستهجان والاستغراب مما فعلته تلك الصحف، ودعا الحكومة الدنماركية إلى وجوب تدارك الأمر حفاظاً على التعاون مع الدول العربية، أما الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي فقد أدانـــت "هـــذا العمل المشين" لأنه ـــ كما نقول ـــ يخدش مشاعر المسلمين!! ـــ مجرد خدش ولا شيء أكثر من هذا ـــ ودعت الأمانة الأسرة الدولية إلى وضع حد لهذه الممارسات المشينة.

إذن منظماتنا – بارك الله فيها – استنكرت وأدانت وشجبت، وهي بهذا استنفدت كـــل طاقاتهـــا المخزونة، خاصة وأن الإنسان المستهدف هو رسولنا الكريم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فالذي فعلته يتناسب مع مكانته في نفوس المسلمين كلهم!. لم أسمع شيئا عن ردة الفعل العربيـــة عـــدا أن وزارة الخارجية المصرية – وبحسب بعض الصحف المصرية – نقلت سفيرتها في الدنمارك – عقابا لها – لأنها تبنت مسألة الدفاع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إزاء تلك الصحف السيئة.

الواضح أن المنظمات الإسلامية كلها لم تتبن موقفا مشرفا يعتبر الحد الأدنى من واجباتها تجـــاه كـــل مسلم وتجاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، هذا التخاذل هو الذي شجع وسوف يشجع مـــن يتمادى في الإساءة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأن هؤلاء يشاهدون الهوان الإسلامي والعربي في أسوأ حالاته، ومن يهن يسهل الهوان عليه.

لا ألوم كثيرا أولئك الذين يسيئون للمسلمين بكل الصور ابتداء من احـــتلال أراضـــيهم وانتـــهاء بالسخرية من مقدساتهم لأن كل هؤلاء حاقدون على المسلمين ومقدساتهم لكنني أضع اللوم كله على البلدان الإسلامية والعربية والمنظمات الإسلامية كلها، كما أضع اللوم بعد ذلك على كل مسلم على وجه الأرض.

كان من واجب الحكومات الإسلامية ومنها العربية ألا تكتفي بالشجب فقد مللنا هذه اللغة الـــتي لا تفيد بشيء، كان الأجدر بها أن تقطع علاقاتها بهاتين الدولتين، أو على أقل تقدير أن توقـــف كـــل علاقاتها التجارية معهما لأن هذه هي اللغة الوحيدة التي يحترمها هؤلاء، أما ما عداها فلا قيمة له على الإطلاق.

ومع أنني أكره الصهاينة وأفعالهم إلا أن هؤلاء يجبرون الآخرين على احترامهم لأنهم جادون وعمليون في كل قضاياهم مهما كانت صغيرة، ليت الحكومات الإسلامية تنظر إليهم كيف يعملون عنـــدما يعتقدون أن هناك عملا – مهما كان – يسيء إلى معتقداتهم، السفير الصهيوني في الســـويد حطـــم عملا فنيا في متحف لأنه يمجد فلسطين، هل يجرؤ سفير عربي على القيام بمثل هذا العمل؟ الحكومـــة الصهيونية أقامت الدنيا ضد الرئيس الإيراني لأنه تحدث عن المحرقة اليهودية بما لا يعجبـــهم فلمـــاذا تسكت الحكومات الإسلامية عن إهانة نبيهم ومعتقداتهم؟ لماذا لا يكونون مثل الصهاينة؟ هل نبيهم لا يستحق منهم أي عمل جاد؟، من العار أن نطالب حكومات المسلمين بأن تكون مثل الصـــهاينة وحكومتهم ولكن ماذا نفعل ونحن نشاهد كل هذا الهوان الذي يقودوننا إليه؟

وإذا كانت تلك الحكومات قد اكتفت بالشجب والاستنكار فما هو دور المسلمين؟ أعتقد أن أقل شيء هو أن يقاطع كل مسلم أي منتج لهاتين الدولتين، وهناك بدائل كثيرة لكل منتج دنماركي أو نرويجي وحتى لو لم يكن هناك بدائل فكرامة رسولنا تستحق منا أن نقدم لها أرواحنا فضلا عن بعض المنتوجات التي لا تمثل لنا شيئا يذكر، وعلى الغرف التجارية في العالم الإسلامي كله أن يكون لها موقف مشرف في هذا الشأن أقله التعريف بالمنتجات التي تصدرها هاتان الدولتان وكذلك تشجيع التجار على مقاطعتهما مهما كانت النتائج.

إن التهاون في الشيء القليل سيقود حتما إلى التهاون فيما هو أكبر منه بكثير، والشواهد واضحة، أمامنا ضاعت بعض بلادنا، واستهزئ برسولنا وديننا والقادم أسوأ إن لم يتحرك كل منا وبقوة.

ومع كل هذا الظلام فإنني أعتقد جازما بقوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)، وأعتقد أن الإسلام سينتصر لا محالة بنا أو بغيرنا لأن دين الله سيبقى عاليا لا محالة.

وما زلت متفائلا أن يتحرك المسلمون بجدية لإيقاف هذا المسلسل البذيء هم وحكوماتهم لأن سكوتهم يعني أن مسلسل الهوان لن يقف عند حد ويومها سيضيع الجميع.

*أكاديمي وكاتب سعودي

=======================

نبي الإسلام

الكاتب: د. جمال الحسيني أبوفرحة

في حديث كتب البراهمة والزرادشتية والصابئة

لا شك أن أثر محمد – صلى الله عليه وسلم – كان على البشرية عظيمًا حتى إن " مايكل هارت"– الكاتب المسيحي– قد وضعه – صلى الله عليه وسلم – على رأس المائة الخالدين في تاريخ البشرية من حيث تأثيرهم في التاريخ بصرف النظرعن كون هذا التأثير إيجابيًا أو سلبيًا؛ ومن ثمة فشخص مثله – صلى الله عليه وسلم – لا يكفي التبشير العام به في كتب الأنبياء إن كان صادقًا، كما لا يكفي التحذير العام منه إن كان كاذبًا، بل لابد من تسميته، وتفصيل صفته، حتى يعرفه أهل الكتاب (كما يعرفون أبناءهم) البقرة : ١٤٦ . . بل حتى يعرفه العالم أجمع ما دام أعلن إنه يحمل رسالة لجميع العالم ونجح في بثها بين جميع شعوبه، "وما دام الله ليس إله تشويش" ١كورنثوس : ٣٣:١٤.

وهو ما حدث بالفعل فاسم الرسول العربي (أحمد) مكتوب بلفظه في "الساما فيدا" SAMA VIDA من كتب البراهمة؛ فقد ورد في الفقرات من السادسة إلى الثامنة من الجزء الثاني: إن "أحمد تلقى الشريعة من ربه، وهي مملوءة من الحكمة، وقد قبس منه النور كما يقبس من الشمس".

وكذلك في كتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب المجوسية نجد في كتاب "زند أفستا" Z صلى الله عليه وسلم ND AV صلى الله عليه وسلم STA نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين، ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة "أبو لهب" ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفوًا أحد، ولا ضريع، ولا قريع، ولا صاحب، ولا صاحبة، ولا أب، ولا أم، ولا ولد، ولا مسكن، ولا جسد، ولا شكل، ولا لون، ولا رائحة، ولا أول، ولا آخر.

والإشارة هنا إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – واضحة؛ فهو الذى وصفه القرآن بأنه (رحمة للعلمين) الأنبياء :١٠٧ . . وهو الذي نزلت عليه سورة "الصمد" متضمنة تلك المعاني المشار إليها في البشارة، وكان من أعدى أعدائه عمه أبو لهب الذي نزلت فيه سورة "المسد".

وفي الكتب الزرادشتية كذلك: إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون، وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وحينئذ يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم، التي ستكون قد تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس .....وإن نبيهم ليكونن فصيحًا يتحدث بالمعجزات.

ونبوءة خلافة العرب لملوك الفرس قد وردت كذلك في كتاب الصابئة المقدس "الكنزه ربه" في الكتاب الثامن عشر؛ كما ذكر في نفس هذا الكتاب أن ملك العرب المسمى "سيهولدايو" : أي تالي الأنبياء أو خاتمهم، سيخرج في زمن ملك للفرس يسمى "ازدجر" وهو ما كان بالفعل بالنسبة لرسولنا – صلى الله عليه وسلم – هذا قيل من كثير لا يتسع المقام إلا للتمثيل له.

فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: (ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) الرعد٤٣ .

د. جمال الحسيني أبوفرحة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

gamalabufa صلى الله عليه وسلم ha@yahoo.com

=======================

نحري دون نحرك يا رسول الله ...

١٤٢٦/١٢/١٧

إبراهيم بن صالح الدحيم

شرت صحيفة (جلاندز بوستن) الدنمركية يوم الثلاثاء ١٤٢٦/٨/٢٦هـ (١٢) رسماً كاريكاتيرياً ساخر.. بمن يا ترى؟! هل كان ذلك بمسؤول كبير.. بجنرال.. برئيس دولة... بل كان ذلك بأعظم رجل وطأت قدماه الثرى، بإمام النبيين وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وسلم. صور آثمةٌ وقحةٌ وقاحة الكفر وأهلة، أظهروا النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى هذه الرسومات عليه عمامة تشبه

قنبلة ملفوفة حول رأسه!! وكأنهم يريدون أن يقولوا إنه – مجرم حرب – "أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ" (الأنعام: من الآية٣١).

ثم في هذه الأيام وفي يوم عيد الأضحى بالتحديد – إمعاناً في العداء - تأتي جريدة (ما جزينت) النرويجية لتنكأ الجراح وتشن الغارة من جديد، فتعيد نشر الرسوم الوقحة التي نُشرت في المجلة الدنمركية قبل! "أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ" (الذاريات:٥٣).

بالله ماذا يبقى في الحياة من لذة يوم ينال من مقام محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا ينتصر له ولا يذاد عن حياضه. ماذا نقول تجاه هذا العداء السافر، والتهكم المكشوف.. هل نغمض أعيننا، ونصم آذاننا، ونطبق أفواهنا.. لا وربي.. لا يكون ذلك ما دام في القلب عرق ينبض. والذي كرَّم محمداً وأعلى مكانته لبطن الأرض أحب إلينا من ظاهرها إن عجزنا أن ننطق بالحق وندافع عن رسول الحق. ألا جفت أقلام وشُلت سواعد امتنعت عن تسطير أحرفٍ تذود بها عن حوضه صلى الله عليه وسلم وتدافع عن حرمته.

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء.

ونحن إذ ندافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحمي بذلك ديننا وعقيدتنا، ونؤكد شيئاً من حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم..

إن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيع برفعة الله له، لن ينال الشانئ منه شيئاً "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ" (الشرح:٤).

قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. نعم لقد رفع الله ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم رغم أنوف الحاقدين والجاحدين، فهاهم المسلمون يصوتون باسمه على مآذنهم في كل مكان.

والله تعالى قد تولى الدفاع عن نبيه صلى الله عليه وسلم "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" (الحج: من الآية٣٨)، وأعلن عصمته له من الناس "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" (المائدة: من الآية٦٧)، وأخبر أنه سيكفيه المستهزئين "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" (الحجر:٩٥)، سواء كانوا من قريش أو من غيرهم. قال الشنقيطي رحمه الله: وذكر – الله – في مواضع أخرى أنه كفاه غيرهم كقوله في أهل الكتاب: "فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ" (البقرة: من الآية١٣٧)، وقال: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" (الزمر: من الآية٣٦). وقال ابن سعدي رحمه الله: "وقد فعل –تعالى-، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.أهـ أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة، عن ابن عباس في قوله: "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" قال: المستهزئون، الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أرني إياهم، فأراه كل واحد منهم، وجبريل يشير إلى كل واحد منهم في موضع من جسده ويقول: كَفَيْتُكَهُ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما صنعت شيئاً!. فأما الوليد، فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها. وأما الأسود بن المطلب، فنزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بنيّ، ألا تدفعون عني؟ قد هلكت وطُعنت بالشوك في عينيّ فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عتمت عيناه. وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث فأخـــذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه. وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة فدخل من أخمص قدمه شوكة فقتلته.(الدر المنثور ١٠١/٥)

لقد أعظمت قريش الفرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرمته بالسحر تارة وبالكذب تـــارة وبالجنون أخرى، والله يتولى صرف ذلك كله عنه لفظاً ومعنىً، ففي الصحيحين عن النبي صـــلى الله عليه وسلم قال: "ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً، وأنا محمد"، وهكذا هذه الرسومات التي نشرت على هذه الصفحات السوداء، هي – قطعاً – لا تمثل شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هي صور أملاها عليهم خيالهم الفاســـد، واعتمـــدها الشيطان ورسمها لهم السامري!. أما محمد صلى الله عليه وسلم فوجهه يشع بالضياء والنور والبسمة والسرور، لم يستطع أصحابه – رضي الله عنهم – أن يملئوا أعينهم منه إجلالاً له – وقد عاصروه – فكيف بمن لم يجمعه به زمان و لم يربطه به خلق ولا إيمان؟!

لقد جاء خبر الصدق من الملك الحق المبين "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ" (الكوثر:٣) ليبقى كل شانئٍ للنبي صلى الله عليه وسلم وكل معارض لدينه هو الأبتر المقطوع المنبوذ. أين أبو جهل؟ هل بقي ذكره أم التصق به وصف الجهل في حياته وبعد مماته؟! وأين أبو لهب؟ لقد مات ومات ذكره فليس يعرف إلا باللهب؟! و"سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ" (المسد:٣)، وأين ملوك الأكاسرة والقياصرة.. أين مـــاركس ولينين وهتلر وكمال أتاتورك... لقد طمرهم الأرض ونُسيت رسومهم، ولحقتهم اللعنات، وبـــاءوا بثقل التبعات.

لقد مزق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسخر من رسوله، فدعا عليه النبي صـــلى الله عليه وسلم أن يمزق الله ملكه، فمزّق وقتل على يد أقرب الناس إليه– ابنه –! وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: "كان رجل نصراني، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتـــب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماتـــه الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فِعْل محمدٍ وأصحابه، نبشوا عن صـــاحبنا فـــألقوه، فحفروا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه".

علّق شيخ الإسلام ابن تيمية على الحديث فقال: فهذا الملعون الذي قد افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مراراً، وهذا

أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا كان عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً..الخ، ويقول أيضا رحمه الله: "وإنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، و لم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه. وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب – يعني المغرب – حالهم مع النصارى كذلك.أهـ (الصارم المسلول ص ١١٦-١١٧).

وبالمقابل فقد علم بعض ملوك النصارى أن إكرام كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي فيه الملك ما شاء الله. ذكر السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سِبطه، فحدثني بعضُ أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله فامتنع.

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خِرقَة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤُنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال المُلْك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا" أهـ.

إن فضائل النبي صلى الله عليه وسلم لا تكاد تحصى كثرةً فهو منّة الله على هذه الأمة "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (آل عمران: من الآية١٦٤)، امتدحه ربه ورفع منزلته فهو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وله المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، والحوض المورود.. إلى غير ذلك من الفضائل والخصائص التي اختص بها عن غيره، وهي مدونة في كتب الدلائل والشمائل والخصائص والفضائل، لقد شهد بفضل نبينا صلى الله عليه وسلم القاصي والداني والصديق والعدو، وأنَّى لأحد أن يكتم فضائله صلى الله عليه وسلم وهي كالقمر في ضيائه، وكالشمس في إشراقها، ولعلّي أورد شيئاً مما نطق به عقلاء القوم في مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وعلو منزلته وسطرته أيديهم راغبين غير راهبين، مختارين غير مكرهين – ونحن إذ نورد شيئاً من كلامهم لا نورده حاجةً منا إليهم لتزكية المقام المحمدي فقد زكاه ربه وطهَّره ونقَّاه،

وإنما نورد ذلك من باب "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا" (يوسف: من الآية٢٦)، ونورده – تنزلاً – مع مفتونٍ لا يقرأ إلا بالعجمية ولا يفهم إلا لغة أهلها؟! نخاطبه بلغته التي أعجب بها وهام في حبها-..

يقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه (محمد النبيّ): "لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبيّ، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً".

ويقول (مايكل هارت) في كتابه (مائة رجل في التاريخ): إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

وأخيراً: ما هو دورنا؟

إن على كل مؤمن يحب الله ورسوله ويغار لدينه أن ينتصر لرسوله وأن يقدم كل ما في وسعه لرد هذه الهجمة الشرسة. على الدول الإسلامية أن تهب لنصرة نبيها وأن تستنكر ذلك أشد الاستنكار وأن ترفع عقيرتها بالاستنكار والتنديد والمطالبة الجادة وذلك في المؤتمرات والمحافل العامة رعاية لحق من أهم حقوقها. وعلى المؤسسات أن تقوم بدورها من خلال كتابة بيانات تستنكر فيه هذا الفعل المشين، وتطالب بمحاكمة هذه المجلات؛ رداً لاعتبار أكثر من مليار وأربعمائة مليون مسلم!، ثم على المؤسسات والصحف والمجلات والمواقع الإسلامية أن تكتب رداً على هذه الافتراءات، وأن تسطر على صفحاتها- بقلم يسيل عطراً- شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن تبين الدور العظيم الذي قام به صلى الله عليه وسلم لإنقاذ البشرية وأنه أُرسل(رحمة للعالمين) وهداية للناس أجمعين.

لقد أحزنني كثيراً يوم دخلت على عدد من المواقع الإسلامية وكنت أتصور أن أجد فيها تفاعلاً يناسب ضخامة الحدث وعظم الهجمة، فرأيت أقل مما كنت أرجوه، بل إن قلت أن عدداً من المواقع لم تعرض للخبر أصلا؟! وهذا أمر يحزن ويزيد من جرأة المعتدين...

ولعلّي أختم الحديث بذكر قصيدة للشيخ جمال الدين الصرصري، الذي قال عنه ابن كثير: الصرصري المادح، الماهر، ذو المحبة الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يشبه في عصره بحسان بن ثابت رضي الله عنه. يقول:

محمد المبعوث للناس رحمةً *** يشيِّد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مجيبةً *** لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه *** وإن الحصا في كفه لَيُسَبِّح
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا *** فمن كفه قد أصبح الماء يَطفح

وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً *** سليمان لا تألــو تروح وتسرح
فإن الصبـــا كانت لنصر نبينا *** ورعبٌ على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتي الملكَ العظيم وسخِّرت *** لـــه الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنـــــوز بأسرها *** أتته فرَدَّ الـــــــزاهد المترجِّح
وإن كـــان إبراهيم أُعطي خُلةً *** وموسى بتكليم على الطور يُمنح
فهـــذا حبيب بل خليل مكلَّم *** وخصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض الرَّواء وباللِّوا *** ويشفع للعـــاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّب نــــاله *** عطــــــــاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح
وبالرتبة العليـــا الوسيلة دونها *** مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهْوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ *** لـــــه بـــابها قبل الخلائق يُفْتَح

هذا وأسأل الله أن يعلي دينه وينصر كتابه

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وأله وصحبه أجمعين .

صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم dd@gawab.com

===============

نحري دون نحرك يا رسول الله

مشاركة من الأخت / صدى الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فإنه قد آلمني كما آ لم الكثير من المسلمين ما نشر عن حبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مـــن رسوم تسيء له وتقدح في شخصيته عـــن طريق رسوم كاريكاتيرية نشرت في صحيفتي :(جلاندز بوسطن) الدنمركية و(ماغازينت) النرويجية ولا يخفى على الجميع أن هذه الرسوم إنمـــا نشـــرت لاستفزاز المسلمين وتهيج مشاعرهم والقدح في اعز وأغلى ما يفتخرون به ويعتبرونه قدوة لهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك فإنني قررت بأن أسخر قلمي للدفاع عن سيد الخلـــق وأزكـــاهم وأطهرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأن أبرز لهؤلاء بعض صفاته التي اتصف بها وحبـــاه الله بهـــا ليعلموا مكانته العظيمة صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين ويتوقفوا عن هذا العبث ويبـــادروا بالاعتذار للمسلمين عما بدر منهم .

أولاً : كان النبي صلى الله عليه وسلم جامع لمكارم الأخلاق فقد اجتمع فيه شكر نـــوح ، وخلـــة إبراهيم ، وإخلاص موسى ، وصدق وعد إسماعيل ، وصبر يعقوب وأيوب ، واعتذار داود ، وتواضع سليمان وعيسى ، وغيرها من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

لكّل نبيٍّ في الأنامِ فضيلة وجملتها مجموعة لمحمدِ

ثانيًا : إن رسولنا الكريم قد أوتي جوامع الكلم ، لأنه مبعوث ليتم مكارم الأخلاق كما قـــال عليـــه الصلاة والسلام] إنما بعثت لأتِّمم مكارم الأخلاق [ولذلك قال الله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) . و قد عرضت عليه مفاتيح الأرض فلم يقبلها، ورقَّاه الله ليلة المعراج، وأراه جميع الملائكة والجنَّة فلم يلتفت إليها قال تعالى: (ما زاغ البصر وما طغى).

ثالثًا : كان صلى الله عليه وسلم لشدة حيائه لا يواجه أحدًا بما يكره ، بل تعرف الكراهية في وجهه ، كما في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أشـــد حيـــاءًا مـــن العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئًا يكرهه ، عرفناه في وجهه .

رابعًا : كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله ، وأعذبهم كلامًا ، وأســـرعهم أداءً ، وأحلمهـــم منطقًا ، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ، ويسبي الأرواح ، ويشهد له بذلك أعداؤه ، وكان إذا تكلم تكلَّم بكلام مفصل مبيَّنٍ يعدُّه العادُّ ، ليس بهذٍّ مسرعٍ لا يحفـــظ ، ولا منقطـــع تتخللـــه السكتات بين أفراد الكلام ، بل هديه فيه أكمل الهدي ، قالت عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّنٍ فَصْلٍ يحفظهُ من جلس إليه .

خامسًا : كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفُّؤًا ، وكان أسرع الناس مشيةٍ ، وأحســـنها وأسكنها .

قال أبو هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن الشمس تجـــري في وجهه ، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرض تُطوى له ، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مُكترِث .

سادسًا : سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت : ((كان خلقه القرآن)) تعني : أنه تأدب بآدابه وتخلق بأخلاقه ، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه ، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه وجاء في رواية عنها قالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

سابعًا : أن هؤلاء الذين كذبوا على الرسول صلى الله عليه وسلم سوف ينالون جـــزائهم مـــن رب العالمين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من كذب علي متعمدًا فليتبؤا مقعده من النار)) .

وأخيرًا : أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت للدفاع عن رسولنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فيا رب يا من بيده ملكوت السموات والأرض اعف عني إن قصرت في نصرة حبيبك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين يا قوي يا عزيز اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء اللهم فأشغله في نفسه ورد كيده في نحره واجعل تدميره وبالاً عليه يا رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

=====================

نحن والآخر من يملك الحقيقة؟

الكاتب: سعد الصويان

إن كنا جادين في حوارنا مع الآخر، فالحوار البناء له شروط ومتطلبات. أولها أننا إذا جلسنا معهم نجلس على طاولة مستديرة وإن وقفنا نقف على قدم المساواة، وأن نقر بمبدأ تبادل الأدوار، بمعنى أن ندرك أننا "آخر" من منظورهم هم مثلما أنهم "آخر" من منظورنا، وأنهم يعتبرون أنفسهم "نحن" مثلما أننا نعتبر أنفسنا "نحن". والهدف من الحوار ليس تغيير المواقف وإقناع الآخر بتبني مواقفنا جملة وتفصيلا والذوبان في "نحننا"، وإلا تحولت العملية إلى حمل لواء الدعوة والتبشير الديني بدلا من السعي إلى حوار حضاري حقيقي. الهدف من الحوار هو تفهّم المواقف وليس تغيير المواقف، أن يفهم الآخر مواقفنا ونفهم مواقفه والدوافع وراء هذه المواقف ومن ثم البحث عن أرضية مشتركة تمكننا من التعايش بسلام رغم اختلاف المواقف والمنطلقات.

من لديه قناعة تامة بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة لا يمكنه الدخول في حوار مثمر مع أي طرف آخر لأن الطرف الآخر أيضا له مواقفه التي تخدم مصالحه وقناعاته التي تتماشى مع طريقته في التفكير. الذهنية التي ترى أن قناعاتها فقط هي الصحيحة وما خالفها من القناعات خاطئة هي أقرب إلى الذهنية البدائية التي تؤمن بالمطلق وترفض التعددية. لقد أدرك العالم المتحضر بعد صراع طويل مع المطلق أن كل شيء مرهون بزمانه ومكانه وظروفه التاريخية والبيئية، وأن الأمور في نهاية المطاف كلها نسبية، من النسبية الرياضية التي نادى بها أينشتاين إلى النسبية الثقافية التي نادى بها الأنثروبولوجيون. أضف إلى ذلك نظرية التطور التي تقول إن التغير سنة من سنن الكون الذي لا يمكن الوقوف في وجهه. وبذلك تحولت نظرتهم إلى العالم من نظرة سكونية إلى نظرة ديناميكية حيوية لها القدرة على التكيف والتعامل مع التغير والتعددية.

إنه لمن المكابرة وقصر النظر أن نتجاهل ما توصل إليه الآخر من إنجازات حضارية حققها بعد كفاح مرير وتضحيات جسيمة ونتوقع منه كي يجارينا في حوارنا معه أن يعود أدراجه في التاريخ إلى الوراء ويتقهقر إلى تلك المرحلة من ماضيه التي كان فيها تفكيره آنذاك يتمشى مع تفكيرنا الآن وسلوكه يتمشى مع سلوكنا. من يعيش في مجتمع يحكمه القانون وتسوده العدالة وتتحقق فيه كرامة الفرد

وحقوق الإنسان وحرية التعبير والتفكير لا يمكن أن يتراجع عن كل هذه المكتسبات ويعود القهقرى لينفض الغبار عن قناعات خبرها وكافح ليتخلى عنها ويودعها إلى غير رجعة. ومن المضحك والمستهجن، في نظر الآخر، أننا بينما نسمح لأنفسنا أن نستمتع وبشراهة منقطعة النظير بكل ما تنتجه مصانعه من أجهزة ومعدات فإننا في الوقت نفسه نرفض وننكر ما يقف وراء هذه المنجزات التقنية من علم وفكر، بل إن منا من يوظفها في محاربة هذا العلم والفكر الذي يقف وراءها وفي تكريس التخلف ونشر الدمار بدلا من تعمير هذا الكون الذي هو أعظم مسؤولية ألقاها الخالق على عاتق الإنسان وأعظم كرامة كرمه الله بها.

ولا ننس أن الآخر مؤهل للحوار معنا أكثر مما نحن مؤهلون للحوار معه. لماذا؟ لأننا لا نعرف عنه شيئا بينما هو يعرف عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا. علينا أن نعترف بأن اكتشافنا لكنوز حضارتنا جاء عن طريق مدارس الاستشراق التي نبهتنا لهذه الكنوز ونحن عنها غافلون. أليس علماء الآثار عندهم هم الذين نبشوا حضارات الشرق القديم؟ ألم نزل مضطرين للجوء إلى خبرائهم وما يصدر عن مؤسساتهم الأكاديمية ومراكز الأبحاث ودوائر الاستخبارات عندهم لمعرفة أي شيء نريد معرفته عن شعوبنا وأوطاننا وثرواتنا وعن مجتمعنا وثقافتنا؟ ألسنا نرتجف خوفا من مقاطعتهم لنا قناعة منا أننا لا نستطيع تدبر أمورنا وتسيير شؤون حياتنا من دون مساعدتهم لنا؟ من منا أكثر حاجة إلى الآخر؟ بل من منا حقيقة هو الآخر؟ كم لدينا في جامعاتنا ومؤسساتنا الأكاديمية من كلية، أو حتى قسم، لدراسة الثقافات والمجتمعات والأمم الأخرى؟ كم لدينا من الخبراء المحليين الذين يجيدون التعامل والتحدث مع الشعوب الأخرى؟ بل إننا لم نلتفت حتى الآن لدراسة مجتمعاتنا وثقافاتنا دراسة أكاديمية جادة. إننا ندرس اللغة الفصحى لكننا لا ندرس اللهجات المحلية، ندرس الدين لكننا لا ندرس المعتقدات الشعبية، ندرس الثقافة الرسمية لكننا لا ندرس الثقافات التقليدية، ندرس تاريخ الدول والملوك لكننا لا ندرس تاريخ الشعوب والمجتمعات، وهلم جرا. ليست لدينا معرفة موثوقة بواقعنا الاجتماعي ولا نعرف حقيقة كيف يفكر معظم الناس عندنا ولا بماذا يفكرون ولا ماذا يريدون. بل من منا أصلا يستطيع أن يقول ما يعتقده أو يعبر صراحة عما يفكر فيه! لا يزال خطابنا في كل المجالات مشبعا بالمقولات الرنانة ومثقلا بالشعارات الطنانة ومسكونا بهاجس الخوف والرقابة الذاتية، وما زلنا بعيدين عن مرحلة التفكير الحيادي الموضوعي الحر الذي يبحث عن الحقيقة وبس.

غالبيتنا لديها قناعة بأن الولاء الحقيقي للوطن والتمسك الصادق بالدين هو أن يكون كل واحد منا نسخة كربونية من الآخر في كل شيء، ليس فقط في التفكير والمعتقد، بل حتى في المأكل والمشرب والملبس وكل مناحي السلوك، وأي خروج عن هذا المسار الضيق يعد شذوذا وتحريفا للصورة الأصل. إذا افتقدنا التسامح فيما بيننا فكيف لنا أن نكون متسامحين مع الآخر! هاهي مآذننا تصدح في عواصمهم وهاهي الجاليات المسلمة تنشط في بلدانهم وترفع صوتها عاليا في الهواء الطلق، بينما نحرم

نحن على من يقيم منهم بين ظهرانينا أن يحتفل بمناسباته الدينية في بيته خلف الجدران والأبواب المغلقة. وها نحن نلعنهم في صلواتنا ونفرٌ منا يمتشقون السيوف والعبوات الناسفة ليجبروا الناس على الدخول في حظيرة الدين بينما هم يبنون المستشفيات ويقدمون المساعدات الإنسانية ويصلون للمنكوبين. لا يمكننا فصل الدين عن الحضارة، فالمجتمعات المتحضرة تمارس دينها، أيا كان ذلك الدين، وتدعو إليه وفق أساليب متحضرة وتقدمه كخيار حر لمن يجد فيه ما يروي ظمأ الروح ويقود إلى طمأنينة النفس ويلبي حاجة الوجدان ونوازع الضمير.

هذا الحديث عن الحوار مع الآخر ليس مجرد شطحات نظرية فأنا لا أتحدث من فراغ وإنما من رصد ومراقبة للأحداث. لكنني لا أجرؤ على إيراد الأمثلة التي تبين مدى ما نبذله كأمة من جهد على الساحة الدولية في محاولاتنا لشرح مواقفنا وإقناع الآخرين لتفهم وجهة نظرنا، لكننا في المقابل لا نبذل أي جهد يذكر لتفهم وجهة نظر الآخرين ومواقفهم. ولنترك الساحة الدولية جانبا ونلتفت إلى المشهد المحلي. أليس ما حدث في معرض الكتاب الأخير خير دليل على عدم قدرتنا على الدخول في حوار حضاري بناء ومفيد فيما بيننا؟ وهذه الساحات تعج بالكتابات التي يندى لها الجبين من سب وقذف وتجريح لشخصيات اجتماعية وقادة فكر ومسؤولين كبار لمجرد الاختلاف معهم في الرأي أو التوجه.

من يمارس الكتابة الصحافية يدرك ما نعانيه من افتقار إلى أدبيات الحوار من الردود التي يتلقاها والمداخلات والتعليقات. أنا هنا لا أتكلم عن الاختلاف في وجهات النظر، فهذا أمر مسلم به، بل مطلوب. إنني أتحدث عن الأساليب والطرق التي يعبر بها البعض عن اختلافهم معك، أساليب فجة وغوغائية. والمؤسف أن هذه الأساليب ليست حكرا على خط فكري معين أو توجه محدد، بل سمة عامة. إننا في معظم الأحوال متشنجين في حواراتنا وطروحاتنا مهما كانت القضية المطروحة ومهما كان أسلوب الطرح. ولأتحفكم ببعض من الأدواء التي تجرعتها. فحينما كتبت عن موضوع كنت أظنه مسالما وحياديا، وهو موضوع انحسار البداوة كتب لي أحدهم (هل الحضارة هي الأيديولوجيا والإيكولوجيا والأنثروبولوجيا التي ترددها مدعيا الثقافة! إذا كنت تعتقد أن القبائل البدوية اختفت من الوجود فمد يدك أو تلفظ على طفل من أطفالهم يا مستر صويان)، هذا مع العلم أنني لم أتطرق إلى هذه اليولوجيات التي سردها المعلق، ومع ذلك أسأل: إن لم تكن هذه اليولوجيات جزءا أصيلا من الثقافة، فما الثقافة إذن؟! وحينما كتبت عن الإبل الذي كنت أظن أيضا أنه موضوع لا يسيء إلى مشاعر أي أحد، علق أحدهم يقول (إذا كان تخصص البدوي استيلاد الإبل فما هو تخصصك يا مستر صويان؟ تتخبط بمقالات عديمة القيمة والهدف، كثيرا ما تكتب عن البدو! هل هذا تخصصك أم هو الحقد الدفين؟ قابلهم وجها لوجه لتختبر رجولتهم). كيف يمكن الدخول في حوار مفيد مع إنسان يسمح لنفسه بالنزول إلى هذا المستوى في مخاطبة شخص بريء من دمه وعرضه؟! أما حينما

كتبت مقالا بعنوان "رايات الإصلاح بدأت ترفرف"، علق أحد القراء بما يلي (لكي يقبـــل النـــاس فلسفتك منتهية الصلاحية فعليك ألا تخجل من وضع صورتك الحقيقية) فما دخل صورتي بـــالفكر الذي أطرحه؟! أما من علق على مقالي: "الديمقراطية نسخة عربية معطلة"، بـــالقول (يـــا ســـخف مقالاتك، هذه لوثة الغرب، أنفقت عليك البلد لتقدم مخترعات وإذا بك تأتي بفكر خرب) فـــإنني لا ألومه حيث يبدو أنه يعاني حساسية جلدية ضد الديمقراطية.

لكن مع ذلك تبقى هناك حلقة فضية مضيئة تحيط بهذه السحابة الداكنة. فقد تلقيت العديد من ردود الفعل الإيجابية والمهذبة. وأنتهز الفرصة لأوضح للقراء الذين يرسلون تعليقاتهم عبر رقم الجوال الذي يظهر أسفل المقال أن رسائلهم تصلني عن طريق الجريدة دون أن تظهر أرقامهم مما يعـــني أنـــني لا أستطيع الرد عليهم أو تلبية طلباتهم، فعذرا لهم مع جزيل الشكر.

صحيفة الإقتصادية السعودية

========================

نحورنا دون نحرك يا رسول الله

أ. د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري *

فوجئ المسلمون جميعاً خلال الأسابيع الماضية بما نشر في صحيفة دنماركية من سخرية متعمدة طالت نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ومست قلوب وأرواح المسلمين في أصقاع الأرض دون استثناء بشتى طوائفهم واختلاف انتماءاتهم، إن هذه الرسوم المتعمدة والتهكم الواضح ليس لها من تفسير إلا الحقد الدفين والكره للرسول ولكل من ينتمي لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم.. وقد تسارعت الأحداث المرتبطة بالحدث.

ومما يثير السخرية أن الجهات المسؤولة في الدنمارك لم تعط الحدث ما يستحق فقد زعموا أن هذا من باب حرية التعبير وكأنهم يعطون أنفسهم تاجاً من الحرية نحن لا نعرفه ويضعون احتراماً لأنفســـهم ومبادئهم، وكأننا لا نقدر المثل وما يحملون من قيم. إن حرية التعبير المزعومة التي يتـــذرعون بهـــا يدركها جميع المسلمين وغيرهم، لكن السخرية بالآخرين باسم التعبير ليس لها مكان بيننا.. إننـــا في العالم الإسلامي دافعنا سابقاً عن المسيح عليه السلام حينما سخرت منه بعـــض الأفـــلام الإباحيـــة الأوروبية، فدافعنا عنه كما ندافع الآن عن محمد صلى الله عليه وسلم.

أين الدنمارك ودول أوروبا وغيرها من حرية التعبير حينما يتحدث الناس عن قضية محرقة اليهود على أيدي النازيين في ألمانيا وهي قضية تاريخية قابلة للمناقشة، لكن قوانين حرية التعبير المزعومة تمنـــع أي مناقشة للموضوع أو بحث علمي ذي صلة بالقضية أما الإساءة للإسلام والمسلمين وبالكاريكـــاتير وبأعز شخصية لدى المسلمين بل لدى البشر وبرسوم خيالية حسب مزاج فنان منحرف فهذا مـــن

حرية التعبير. وبمتابعة الحدث نجد أن هناك محاولة اعتذار من قبل المسؤولين الدنماركيين على مستوى رئيس الوزراء والوزراء والسفراء لكنها في مجملها وبقراءتها توحي أن فيها تعالي واستكبار عن مجرد الاعتذار فكلها تعلن احترامها للأديان والمعتقدات والرموز الدينية هكذا إجمالاً، لكن الواقع أنه لا يوجد فيها ما يؤكد الاعتذار عما صار أو عمل في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لكنها إعلان لمبادئ عامة وما جرى وما حدث في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مخالف لتلك المبادئ المعلنة وكأنه لا يستحق الإشارة إليه مباشرة وما عمل في حقه صلى الله عليه وسلم أو الاعتذار عن ذلك.

إن تفاعل المسلمين مع الحدث تفاعل إيجابي وإعلان حقيقي للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزء من حقه علينا وهو صاحب الفضل الأعلى على الإنسانية جميعاً {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } وعلى من آمن به على وجه الخصوص وقلوب المسلمين دون استثناء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حي في قلوبنا وذكره مرفوع كما قال الله وهو السميع العليم {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}، أما المستهزئون {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }، {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}، وكأن هذه الآيات لا تخص حياته مع قريش بل تمتد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

إن التفاعل مع الحدث لم يتوقف على المسلمين فقط بل بادرت عدد من الشركات الأوروبية العاملة في العالم الإسلامي بالبراءة مما حدث وبالإعلان في الصحف عن هويتها حتى لا يقع الخلط بينها وبين الشركات الدنماركية التي لم تمارس ضغطها كما يجب لاستخراج الاعتذار مما حدث لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الدنماركيين وهذا هو المطلوب، وليس المطلوب هو التصريح العام المائع عن احترامهم لكافة الأديان هذا شأنهم، أما نحن فنبينا صلى الله عليه وسلم شأننا وروحنا وشعورنا.

وفي هذا الموقف لا يسعنا إلا الشكر والدعاء لكل من ساهم في الدفاع عن الرسول من السفراء المسلمين والجاليات المسلمة في الدنمارك، كما لا ننسى تصريحات مجلس الشورى ومجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية الذين عبروا عن ضمير وطنهم مهد الرسالة ومواطنيهم حملة الإسلام وأهل النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

كنا في اجتماع خاص ضم عدداً من المثقفين من مشارب مختلفة اتضح أن بعضهم حين الحديث عن الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم غير مكترث مما حدث وأنه وأمثاله لا يريدون ردة الفعل التي تمس الغرب ومصالحه، واستنكر ذاك الشخص الحملة على الدنمارك، وألمح أنها ربما تستخدم من قبل المنظمات الدولية مثل منظمة التجارة العالمية لمعاقبة المملكة بسبب مقاطعة تجارة الدنمارك، فرد عليه بعض الحضور بأن المقاطعة هي شعبية وهي من حرية الناس وليست حرية التعبير فقط التي يتنطع بها المسؤولون الدنماركيون في مناقشتهم للموضوع، وأن الغرب يدركون المقاطعة الشعبية، وأن الشعوب المسلمة أكثر منك إدراكاً للحدث. وإذا كان هذا وأمثالهم ممن ينتمون لنا يسلبوننا حق الدفاع عن نبينا بل وفي نظرهم ربما يخافون علينا من غضب الغرب لأننا غضبنا من سب نبينا ويتعلقون بذلك

ويحاولون أن يظهروا فهماً للقوانين الدولية فنقول: أفهمونا أولاً قبل أن تزعموا أنكم الأفهم في العلاقة مع الغرب كونوا معنا ولا تكونوا علينا أين أنتم من فهم مجتمعكم الذي أرضعكم اللّبن، ووطنكم الذي غذاكم وحماكم وحتى الآن لا تعرفون مكانة محمد صلى الله عليه وسلم عند أهل هذا الوطن الذي تنتمون إليه وعند شعوب العالم الإسلامي فإما أنكم لا تفهمون أو تتجاهلون والأخرى أعظم {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ} أين أنتم من شعور آبائكم وأمهاتكم وإخوانكم، وجيرانكم وأهلهكم، أين أنتم ممن يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم؟.

إن كنتم لا تشعرون وأنتم تعيشون بين المسلمين ومحسوبون معهم و لم يحرك فيكم سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكناً وتحاولون الدفاع عن موقف الدنمارك، كما قال حسان بن ثابت:

أمن يهجو رسول الله منكم

ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم فداء

وكما قالت عاتكة بنت عبدالمطلب:

سيكفي الذي ضيعتم من نبيكم

وينصره الحيان عمرو وعامر (تقصد الأنصار)

وأقول كما قال حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم:

فيا ويح من أمسى عدو محمد

لقد جار عن قصد الهوى وتحيرا

وكما قال كعب بن مالك:

شهدنا بأن الله لا رب غيره

وأن رسول الله بالحق ظاهر

وأكرر دائماً نحورنا دون نحرك يا رسول الله.

وأحذر من دول أوروبية تحاول عمل الشيء نفسه حتى تبعثر الجهود وتضيع وتميع المقاطعة لتنقذ الدنمارك من ورطتها التي جلبتها لنفسها فعلينا الانتباه لذلك والله المستعان.

* عضو المجلس البلدي بالرياض

========================

نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية

تأليف الشريف حاتم بن عارف العوني

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وصلى الله أفضل صلاة وأكمل تسليم على سيد ولد آدم المبعوث رحمة للعالمين محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فإن طلب العلم من أعظم العبادات، وثوابه يفضل ثواب أكثر القربات، وسبل تحصيله سبل الجنات، تظله الملائكة فيها بأجنحتها خاضعات، وتنزل على مجالسه السكينة والرحمات.

فرضي الله عن سهر تلك الليالي في الجد والتحصيل، وأنعم بتلك الخطى في طلب علوم التنزيل، وأعظم بالزاهدين إلا في ميراث النبوة، الهاجرين المضاجع والأوطان الآخذين الكتاب بقوة.

فإن عجب أحد من هذا الثناء القليل، في طالب العلم الجليل ؛ سألته بالله:

هل دبت على وجه الأرض خطى أشرف من خطى طالب علم ؟!

وهل حوت الأسحار والأبكار أجد منه في طلبه ؟! وهل مر على الأسماع ألذ من دندنة المتحفظين وزجل القارئين ؟! وهل امتلأت القلوب هيبة لمثل منكب على كتاب ؟! وهل انشرحت الصدور إلا في مجالس الذكر ؟! وهل انعقدت الآمال جميعها إلا على حلق التعليم ؟! وهل نزلت السكينة والرحمة على مثل الدارسين لكتاب الله العظيم ؟! وهل تضاءلت عروش الملوك إلا عند منابر العلماء ؟! وهل عمرت المساجد في غير أوقات الصلوات بمثل مجالس التعليم ؟!

أخبروني ؟ بالله عليكم!!!

ثم أسألكم بالله: هل تعلمون خيراً من شاب في هذا العصر، هجر الدنيا وزهد ملذاتها، ونأى بعيداً عن شهواتها، وانعزل عن فتنها التي تستفز الحليم، وانقطع عن إغواءاتها التي تستخف بالرزين، وترك الناس على دنياهم يتكالبون، وهجر من أهله وإخوانه تنافسهم على القصور والأموال والمناصب، فإن مر على اللغو مر مر الكرام، وإن تعرض له الجاهلون أعرض وقال: سلام ؛ وهو مع ذلك شاب في عنفوان الشباب، أمامه مستقبل عريض، وعليه مسئولية بناء جديد، وينظر إلى الأفق البعيد نظرة ملؤها الآمال والأحلام، تفور فيه غرائز الشهوات، ويجيش فؤاده بالعواطف، وتتفجر دماؤه حماساً ؛ ثم هو هو ذلك الذي تجاوز هذا كله!! وجعله وراءه ظهرياً!! وأقبل على العلم.. على مرارته، وانكب على الكتاب.. على ملالته، وإذا حن إلى عناق كاعب..خالفته يدا كاتب، وإذا اشتهت شفتاه أن يرتشف الرضاب.. تمتم ملتذاً بقراءة كتاب ؛ قطع الأيام في التحصيل، وسهر الليالي على الدرس والترتيل ؛ يقرأ حتى تزوغ عينه، ويكتب حتى تكل يده، ويدرس حتى يكد ذهنه!!!

أخبروني.. من أفضل من هذا ؟!!

مع ذلك فإنه يرى أن الذي هو فيه: هو الحياة حقاً، وجنة دار الفناء صدقاً، يرحم أهل الدنيا، ويحنو على أبناء الملذات ؛ لأنه يعرف أنه على برنامج العلماء، ومنهج الأولياء، وخطة الفقهـــاء، وغايـــة الكبراء، ومعارج الأتقياء.

فيترنم بقول القائل :

لمحبرة تجالسني نهاري أحب إلي من أنس الصديق

ورزمة كاغد في البيت عندي أحب إلي من عدل الدقيق

ولطمة عالم في الخد مني ألذ لدي من شرب الرحيق

ولست أنا بالذي يذكر فضل طالب العلم، إذ قد رددت ذلك المحاريب وأصداؤها، وضجت به أروقة المساجد وقبابها، وتعبد بترتيله المتهجدون، وتقرب بتدبره أهل العلم الراسخون ؛ وقبل ذلك نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؛ وقبل ذلك تكلم به الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ؛ فقال تعالى : في الحث على سؤال التعلم – الذي هو أول درجاته – (فســئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [النحل: ٤٣]، وقال عز وجل في الأمر بالرحلة لطلب العلم: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [التوبة:١٢٢]، وما أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء في الدنيا،إلا من العلم، فقال تعالى: (وقل رب زدني علماً) [طه:١١٤] ؛ وأشاد سبحانه – أيما إشادة! – بفضل أهل العلم، ورفع من شأنهم، وأعلى من قدرهم، بما يعجز عن بيانه إلا البيـــان المبين، من كلام رب العالمين، فقال عز من قائل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلـــم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [آل عمران: ١٨]، وقال سبحانه وتعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨]، وقال سبحانه (يرفع الله الذين ءامنوا والذين أوتوا العلم درجـــات) [المجادلة: ١١]، وقال عز شانه (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [الزمر: ٩].

فلما كانت لطالب العلم مكانته التي نوهنا ببعضها، تبين أنه على صغر سنة طالب جليل، وعلى قلة عمله بسلوكه مسالك الطلب استحق التبجيل.

ومن حق هذا الذي يقفو آثار العظماء، ويلوث على رأسه عمامة العلماء ؛ أن يكون له نصيب مـــن التوجيه كبير، وحظ من النصح وفير.

ولما طلب مني مكتب التوعية بمكة المكرمة أن ألقي كلمة على منهج القـــراءة في كتـــب الحـــديث والمصطلح، ورأيت أن الرفض لا يسعني، أجبتهم إلى رغبتهم، على ضعف وعجز. لكني مـــن حـــين أجبت، عزمت على أن أجعل المنهج المطروح منهجاً مستقى من مناهج العلماء، ودرباً نص الأئمـــة على أنهم قد ساروا عليه، أو دلت سيرهم وأخبارهم وعلومهم على أنهم قد طرقوه. وإنما عزمت على هذا العزم، لأن منهج تعلم أي علم يجب أن يؤخذ عن العلماء بذلك العلم، الذين عرفـــوا دروبـــه،

وأحاطوا بسبله، وملأهم الخبرة به بصيرة بالأسلوب الصحيح في تلقيه، وأشبعتهم فنونـــه بالوســـائل المبلغة إليه.

وتم ما أعددته لتلك الكلمة في الشهر الأول من عام (١٤١٨هــ)، وألقيتها في هذا التاريخ.

ثم تكرر إلى الطلب بنشرها مكتوبة، حسن ظن من الطالبين، فرأيت أن إجابة سؤالهم فيه تحقيق فائدة وإن صغرت، وتوجيه نصيحة لطلبة العلم لا تخلو من نفع.

وعلى هذا فهذه الرسالة في أصلها كلمة ملقاة، ضمن سلسة من الكلمات نظمتـــها إدارة مكتـــب التوعية بمكة المكرمة مشكورة مأجورة إن شاء الله تعالى. وقد سبقت هذا الكلمة كلمات حول آداب العلم وطلبه ومناهجه عموماً، ثم خصصت علوم الحديث بالدرس الذي أقوم بنشره اليوم. وعلى هذا فرسالتنا هذه مسبوقة بما يغني عن تكراره هنا، ولذلك فقد جاءت مقتصرة على الوسائل المبلغة لطالب العلم إلى أن يصبح محدثاً عارفاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، دون التطرق إلى أبواب العلم الأخرى على جلالتها وفضلها.

فأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه الورقات وأن يستخرج بها من قلب مؤمن بظهر الغيب دعـــوات صالحات، وأن يجعلها في موازين الحسنات.. آمين.

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهـــم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتب

الشريف حاتم بن عارف بن ناصر العبدلي العوني

تمهيد

هناك مبادئ عامة ينصح بها كل طالب علم، ليضعها أمام عينيه عند أول ما ينوي السير في طريـــق العلم الطويل. وبعض هذه المبادئ العامة سوف تكون مدخلنا إلى الجواب عن السؤال الذي يســـأل عنه قارئ هذه الورقات، وهو: كيف أصبح محدثاً عارفاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فلا شك أن أول ما يلزم من أراد أن يكون طالب علم (أي علم من العلوم)، أن يتعرف على العلوم من جهة موضوعاتها وغاياتها والثمرة الناتجة عنها. لأنه بذلك يعرف شرف كل علم وفضله، ومنقبة حملة ذلك العلم ورفعة قدرهم. وهذا يجعله قادراً على ترتيب العلوم على حسب أهميتها، ووضعها في مراتبها من أولوية التعليم.

فإذا ما ابتدأ طلب علم من العلوم بعد ذلك، وقد عرف أنه فضائله ومناقب حملته، وعرف إنما ابتدأ به لأنه أحق من غيره ببداية التعلم، وأولى مما سواه بأن يكون باكورة الطلب ؛ زاده ذلك إقبالاً علـــى العلم، وحرصاً عليه، وصبراً في تحصيله، وثقة بصواب خطواته، واطمئناناً على صحة منهجه. فـــلا يزيده بعد ذلك طول الطريق إلا جلداً، ولا وعورته إلا جداً، ولا صعوبته إلا مثابرةً، ولا تعب جسده

فيه إلا راحة نفسه، ولا اغترابه من أجله إلا أنساً به، ولا قلة ذات يده إلا فرحاً بالاستكثار منه. حتى يبلغ المنى، ويحصد الجنى.

لذلك حرصت أن لا تخلو هذه الورقات من إلماحات عن شرف علم الحديث وبيان فضل المحـــدثين؛ وهذا هو العنوان الأول بعد هذا التمهيد.

وبعد أن تعرف طالب العلم على ما سبق، ينبغي عليه أن يستنصح أهل العلم الذي رأى أن يبدأ بـــه، ويطلب منهم أن يوقفوه على خصائص ذلك العلم التي تميزه عن غيره من العلوم، وأن يقرأ بعض ما ألف في التعريف بذلك العلم وفي بيان مميزاته التي تختص به. حيث إن لكل علم ملامح كبرى تفارقه عن غيره من العلوم، وقسمات خاصة به كالتي تباين بين الأشخاص المخـــتلفين. وهـــذه الملامـــح والقسمات هي في الحقيقة سر كل علم، وكاشف لغز كل فن، ومفتاح كنوز دقائق العلوم. وتظهر آثار العلم بهذه الملامح (أو عدم العلم بها) على كل مسألة جزئية منه، لأن بصماتها لا تخلوا منها جميع جزئياته.

وتعرف أهمية الابتداء بإدراك خصائص علم ما، وضرورة فهم مزاياه من أول الإقبال عليـــه ؛ مـــن جهتين اثنتين:

الأولى: أن تلك المزايا والخصائص تمكن طالب العلم من أن يقدر إن كان باستطاعته استيعاب ذلـــك العلم وأن يبرع فيه، أولا يستطيع ؛ على حسب مواهبه الفطرية وميوله العلمية. وذلك فيما إذا وازن طالب العلم – بصدق وموضوعية – بين تلك المميزات وقدرته على التعلم. فكم من طالب علم تعثر في حياته العلمية بسبب عدم قيامه بهذه الموازنة، وكم من طالب علم لو حاول إدراك تلك المميزات للعلوم لوضع قدمه في أول الطريق الصحيح لعلم منها، ثم برع وأبدع فيه بعد ذلك.

الثانية: أن تلك الخصائص والمميزات الكبرى لأي علم من العلوم تستلزم أسلوباً خاصـــاً في طلبـــه؛ ولكل خصيصة منها منهج معين في التحصيل بمواجهتها. فإدراك طالب ذلك العلم، يجعلـــه واعيـــاً للأسلوب الصحيح في طلب ذلك العلم، عارفاً بعقبات علمه وبوسائل تجاوزها بسرعة ؛ فهو بهـــذا الوعي والمعرفة محيط بالغاية التي يريد، حتى كأنه بلغها (وإن لم يبلغها)، لشدة وضوح طريقها أمامه، ولعدم خوفه من حواجز تحول بينه وبينها.

وهذا ما جعلني أثني (بعد ذكر شرف علم الحديث وشرف أهله) بأربع مميزات لعلم الحديث، هي في ظني أهم خصائصه، وأوضح ملامحه، تستوجب تجاهها طريقة خاصة في الطلب ومنهجاً معيناً في تعلم علم الحديث.

ثم ختمت هذه الورقات بذكر خطة دراسية منهجية مختصرة للحديث النبوي الشـــريف ولعلومـــه، حاولت خلالها وضع مستويات دراسية مرتبة على نظرية التدرج في طلب العلم، من البداية بالمجملات إلى الوصول إلى المفصلات الموسعات من كتب العلم.

ومن خلال هذه العناصر أحسب أني قد ساهمت في الإجابة على سؤال يقول: كيف أصبح محـــدثاً عارفاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وإليك الإجابة (بعون الله تعالى).

شرف علم الحديث وشرف حملته:

لا يشك مسلم من المسلمين أن القرآن الكريم وعلومه أشرف العلوم على الإطلاق، وأنه أنفع العلوم وأجلها وأعظمها بلا استثناء.

وأهم علوم القرآن الكريم وأعظمها، وما من أجله أنزل، هو تدبر آياته، وفهم معانيه ؛ لأن الغايـــة العظمى من إنزال القرآن هي العمل به، والاعتبار بمواعظه، والاستضاءة بحكمه ؛ وذلك لا يحصل أبداً قبل فهم معانيه وتدبر آياته ؛ وإلا فكيف يعمل بالقرآن من لم يفهم القرآن ؟!

ولا يتم فهم كلام الله تعالى، ولا يمكن أن ندرك معاني كتاب الله المجيد، وإلا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلومها، لأن السنة هي الشرح النظري والعملي للقرآن الكريم.

ومن هنا ندخل إلى أعظم ما يبين مكانه السنة وعلومها، وإلى مترلتها بين العلوم على الإطلاق ؛ وهو أنه لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم، وإلى معرفة دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى سواه، إلا بســـنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلومها!!

أو بعبارة أخرى: بما أن القرآن الكريم أشرف العلوم، وأشرف علومه فهم معانيه لا يكون إلا بالسنة ؛ فالسنة إذا أشرف علوم القرآن، أو قل: أشرف العلوم!!

قال الله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلـــهم يتفكـــرون) [النحـــل:٤٤]، فمنطوق هذه الآية الكريمة يخبر أن إنزال القرآن الكريم كان من أجل بيان النبي صلى الله عليه وسلم له ؛ بسنته القولية والفعلية والتقريرية!! وهذا المنطوق غريب جداً لمن تأمله، لأنه يخالف المتبـــادر إلى الذهن، من أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت من أجل أن تبين القـــرآن الكـــريم، أي أن القرآن هو الغاية التي من أجلها جاءت السنة، أما الآية فقد قالت بضد ذلك، حيث جعلت الســـنة وبيالها غاية من أجلها انزل القرآن!!!

وهذا من إعجاز القرآن في الإشادة بمكانة السنة من القرآن، وفي التأكيد على عدم استغناء القـــرآن عنها، بل وعلى بطلان مثل ذلك الاستغناء.. إن زعم!!

ولهذه المترلة العليا للسنة، ولعلاقتها القوية الوشائج والصلات بالقرآن الكريم، كان يقول غير واحـــد من السلف، منهم مكحول الشامي (ت ١١٨ هـــ): (القرآن أحوج للسنة من السنة للقرآن) ([١]).

وذلك لأن إجمال القرآن يحتاج إلى تفصيل السنة، ومتشابه القرآن تفسره السنة ؛ في حين أن السنة – غالباً – مفصلة مبينة واضحة.

ولهذا يصح أن يقال عمن يتعلم السنة: إنه يتعلم القرآن، ولمن يقرأ السنة: إنه يقرأ تفسير القرآن!!

وقد كان ذلك واضحاً تمام الوضوح عند السلف، ولهذا لما قيل لمطرف بن عبد الله بن الشـــخير (ت ٩٥ هـــ): (لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال مطرف: والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا) ([٢]).

ويجب التنبه إلى أن تفسير السنة للقرآن ليس هو وحده التفسير الصريح لمعانيه من النبي صلى الله عليه وسلم، كأن يذكر النبي صلى الله عليه وسلم آية ثم يشرحها شرحاً مباشراً. نعم هذا من تفسير السنة للقرآن، لكن الخضم الأعظم منه هو جميع سنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريريـــة وسيرته ومغازيه وحياته. ولهذا لما سئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق النبي صلى الله عليـــه وسلم، أرشدت السائل إلى النظر في القرآن، عندما قالت: (كان خلقه القرآن) ([٣]) وعلى هذا يحق لمن سأل عن القرآن أن يحال إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أحالت عائشة السائل عن السنة إلى القرآن!

وهذا أكبر ما يبين مكانة السنة، وعظم أهميتها، وأولويتها على غيرها من العلوم.

ولقد بين الله عز وجل مكانة السنة وشرفها في القرآن العظيم، في آيات كثيرات؛ منها آيات كثيرة في الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من مخالفته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. كقولـــه تعالى: (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) [آل عمران: ١٣٢[، وكقوله عز وجل: (من يطـــع الرسول فقد أطاع الله) [النساء: ٨٠]، وكقوله سبحانه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمـــا شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [النساء:٦٥]، وكقوله عـــز شأنه: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران: ٣١]، وكقوله عز من قائل: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: ٦٣]، وكقوله عز حكمه: (وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر:٧]، وكقوله لا رب سواه: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخـــر وذكر الله كثيراً) [الأحزاب:٢١]، في غيرها من آيات مباركات كثيرات.

ففي هذه الآيات حث على تعلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بتعلم أصولها ومصـــطلحها ، مـــن العلوم التي يميز بها صحيح السنة من سقيمها. لأن الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والترغيب في الاقتداء به لا يمكن امتثاله (بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) إلا بالنقل والإسناد اللذين اجتمعت فيهما شروط القبول، وشروط القبول (تحققها أو عدم تحققها) في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يتوصل إلى إدراكه إلا بالعلوم التي تخدم ذلك، وهي علوم الحديث: أصوله ومصـــطلحه. إذن فالأمر الإلهي بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به متضمن أمراً إلهياً بتعلم علم الحديث، لأنه لا سبيل إلى امتثال الأمر الأول إلا بعد امتثال الأمر الثاني، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وإذا كان فهم القرآن الكريم، وطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والعلم بأحكام هـذا الدين (دين الإسلام) وشرائعه وآدابه = لا يكون إلا بعلوم الحديث ؛ علمت ما هي مكانة هـذه العلوم!! وفي أي قمة من مراتب العلوم تكون!! ثم علمت شرف أهل الحديث!! وعظيم فضلهم وكبير أثرهم في الأمة!!!

وقد جاءت السنة نفسها ببيان فضل أهل الحديث وشرفهم، في أحاديث كثيرة وآثار ذوات عدد؛ حتى صنف الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) كتاباً في ذلك بعنوان (شرف أصحاب الحديث).

ومن هذه الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة) ([٤]).

قال عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)، ويزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ)، وعلي ابن المديني (ت٢٣٤ هـ)، وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، والبخاري (ت ٢٥٦ هـ)؛ قال هؤلاء الأئمة كلهم في بيان الطائفة المنصورة: (هم أصحاب الحديث) ([٥]). بل عبارة الإمام أحمد، وقبله يزيد بن هارون: (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم).

وأي طائفة أحق بأن يكونوا هم تلك الطائفة الظاهرة المنصورة، من الذين حفظوا الدين، ونقلوا الملة، ونشروا السنة، وقمعوا البدعة ؛ وهم أصحاب حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وحراسه، أهدى الناس بالسنة، وأتبعهم للأسوة الحسنة، بقية الأصحاب، ومرآة الرسول صلى الله عليه وسلم!! فلولا هم لما كان هناك فقيه ولا مفسر، ولا عالم ولا فاضل!! بل لولاهم لما كان هناك مسلم موحد!!!

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة) ([٦])، وذكر أهل العلم أن أسعد الناس بهذا الحديث هم المحدثون!

قال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) بعد إخراجه هذا الحديث في صحيحه: (في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسوله صلى الله عليه وسلم في القيامة أصحاب الحديث، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه صلى الله عليه وسلم منهم) ([٧]).

وقال أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): (وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً) ([٨]).

ومن تردد في هذا الذي ذكراه (عليهما رحمة الله)، فليوازن بين صفحة أو صفحات من صحيح البخاري مثلاً وصفحة أو صفحات من أي كتاب في أحد العلوم الفاضلة (مما سوى الحديث)، كالتفسير والفقه وأصوله والعقيدة، لتظهر مصداقية قول ذينك الإمامين (عليهما رحمة الله)، ليعرف حقاً أن أهل الحديث هم أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة!!

و (الجزاء من جنس العمل)، فكما كان أهل الحديث أهل حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، وأولى الناس به صلى الله عليه وسلم فيها ؛ كانوا أيضاً أولى الناس به يوم القيامة!!

وياله من شرف ومكانة وفضل!! لا يدانيه شيء أبداً!!!

ولله در القائل:

دين النبي محمد أخبار

نعم المطية للفتى الآثار

لا تخدعن عن الحديث وأهله

فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما غلط الفتى سبل الهدى

والشمس بازغة لها أنوار ([٩])

ورحم الله القائل:

دين الرسول وشرعه أخباره

وأجل علم يقتنى آثاره

من كان مشتغلاً بها وبنشرها

بين البرية لا عفت آثاره

ثم إن مكانة السنة تزداد أهمية فوق ما سبق كله، وتشتد حاجة الأمة لها زيادة على ما تقدم، عند ظهور الفتن وكثرة البدع والمحدثات.

ولذلك لما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، ووعظهم موعظة بليغة، وجلت منها القلوب وذرفت لها العيون ؛ قال في وصيته تلك عليه الصلاة والسلام:

(فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدبين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) ([١٠]).

ويقول أحد أتباع التابعين، وهو يحيى بن يمان (ت ١٨٩هـ): (ما كان طلب الحديث خيراً منه اليوم. قيل له: يا أبا عبد الله، إنهم يطلبونه وليس لهم نية ؟ قال: طلبهم إياه نية) ([١١]).

فينبه هذا الإمام (رحمه الله) على ازدياد فضل طلب الحديث في زمانه، عن الأزمان التي سبقته ؛ وهو من أتباع التابعين!! وفي القرون الفاضلة!! فكيف بزماننا!! وقد عمت الفتن، وكثرت، وتتابعت، واستحكمت الأهواء والبدع وطمت، واحلولكت ليالي الأمة.. وإلى الله الملتجأ وهو المستعان!

وأما قوله (رحمه الله) لمن قال له عن أهل الحديث: (إنهم يطلبونه وليس لهم نية، فقال: طلبهم إياه نية)، فهو ينبه إلى فقه دقيق، إذ يجيب ذاك الذي اتهم طلبة الحديث بقلة الإخلاص في طلبهم، بأن مجرد

طلبهم للحديث عمل فاضل يؤجرون عليه بإذن الله تعالى. لأن الأعمال الفاضلة، وخاصة التي يتعدى نفعها نفس العامل، إذا لم يكن الدافع للقيام بها نية سيئة، كالرياء والسمعة ومطامع الدنيا، فإن صاحبها مأجور بالعمل نفسه إذا كان الدافع للقيام به محبة العمل والتعلق به (وهو عند أهل الحديث شهوة الحديث ومحبته)، مثاب وإن غفل العامل عن الإخلاص لله تعالى وابتغاء ثوابه!! وذلك لأن العمل ذاته فاضل مصلح، لا يخلو من أن ينتفع به غيره، وتتعدى فائدته إلى من سواه.

أو لعله يقصد أن طلب الحديث يوصل إلى حسن النية ويلجئ صاحبة إلى الإخلاص، كما كان يقول غير واحد من السلف: (طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله) ([١٢]).

وأي المعنيين قبلت – وكلاهما مقبول – فهو وجه آخر لشرف أهل الحديث!!

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، أكتفي منها بما سبق.

أهم مميزات علم الحديث وأوضح خصائصه:

تقدم في (التمهيد) أن لكل علم خصائص، وأن للعلم بهذه الخصائص فائدتين، ذكرناهما هناك. ويهمنا هنا إحدى الفائدتين، وهي: أن العلم بخصائص علم ما يوقفنا على الأسلوب الصحيح في تحصيله، وعلى العوائق الحائلة دون بلوغ غايتنا منه، وعلى وسائل تجاوزها ؛ لأن كل ميزة لذلك العلم ينبه إدراكها إلى سبيل احتوائها، في حين أن عدم إدراكها أكبر عقبة (أو يكاد يكون كذلك) دون فهم ذلك العلم والوصول إلى مرادنا منه.

وقد تنبهت إلى أربع خصائص لعلم الحديث، أحسبها أهم خصائصه، فأحببت لفت نظر طلاب العلم إليها، ليبتدئوا طلب علم الحديث بالأسلوب والمنهج الصحيح اللائق بهذا العلم، ولكي لا تتعثر خطاهم ويضيعوا أزماناً (لا تقدر بثمن) قبل إدراك ذلك المنهج الصحيح.

وإليك هذه المميزات الأربعة، تحت عناوين أربعة فيما يلي ؛ متبعاً كل ميزة منها بالمنهج الذي تستلزمه في الطلب، وبأسلوب التحصيل الصحيح في مواجهتها، وما هي وسائل احتوائها دون أن تصبح عقبة كأداء في طريق علم الحديث.

الميزة الأولى:

من أهم مميزات علم الحديث أنه علم شديد المأخذ، صعب المرتقى، دقيق المسالك، بعيد الغور. ولذلك فليس من السهل فهمه، ولا من اليسير تعلمه، ولا يقدر على فقهه كل أحد، ولا يستطيعه كثير أناس.

ولهذا كان الإمام الزهري (ت١٢٤ هـ) يقول: (الحديث ذكر، يحبه ذكور الرجال، ويكرهه مؤنثوهم) ([١٣]). ومعنى هذا أن الحديث يحتاج إلى عقل فحل في عزم وحزمه وإصراره وقوته، ولا ينفع معه العقل الضعيف المتردد المتحير الملول ؛ وهذا غير الذكاء وسرعة الفهم، فربما كان العقل ذكياً لكنه ليس ذكراً!!

ولذلك فقد قل من ينجب في علم الحديث ويتميز، يوم أن كان طالبو الحديث ألوفاً! ويوم كانت ألوفهم من الطراز الأول من طلبة العلم!!

يقول شعيب بن حرب (ت١٩٧ هـ): (كنا نطلب الحديث أربعة آلاف، فما أنجب منا إلا أربعة) ([١٤]).

ولما كثر من يطلب الحديث في زمن الأعمش، قيل له: (يا أبا محمد، ما ترى ؟! ما أكثرهم!! قال:لا تنظروا إلى كثرهم،، ثلثهم يموتون، وثلثهم يلحقون بالأعمال (يعني الوظائف الحكومية)، وثلثهم من كل مائة يفلح واحد) ([١٥]).

ولهذا العمق في علم الحديث نهى نقاد الحديث عن شرح كثر من علل الروايات إلا عند أهل الحديث، لما يخشى من شرح ذلك على غير أهل الحديث أن يكون سبباً في أن يفتتنوا أو يفتنوا!! من باب: (حدثوا الناس بما يعقلون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله) ([١٦])، وباب: (إنك لست محدثاً قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة) ([١٧])!!

يقول الإمام أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) في (رسالته إلى أهل مكة): (وربما أتوقف عن مثل هذه (يعني: إبراز العلل)، لأنه ضرر على العامة لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث، لأن علم العامة يقصر عن ذلك ([١٨]).

ويقول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): (أشبه الأشياء بعلم الحديث معرفة الصرف ونقد الدنانير والدراهم، فإنه لا تعرف جودة الدينار والدرهم بلون ولا مس، ولا طراوة ولا يبس، ولا نقش، ولا صفة تعود إلى صغر أو كبر، ولا إلى ضيق أو سعة ؛ وإنما يعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف البهرج الزائف والخالص والمغشوش. وكذلك تمييز الحديث، فإنه علم يخلقه الله تعالى في القلوب، بعد طول الممارسة له، والاعتناء به) ([١٩]).

وقلبهما يقول عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ): (معرفة الحديث إلهام) ([٢٠])، ويقول أيضاً: (إنكارنا الحديث عند الجهال كهانة) ([٢١]). ولما أنكر ابن مهدي حديثاً رواه رجل، غضب للرجل جماعة، وقالوا لابن مهدي: (من أين قلت هذا في صاحبنا؟!) فلم يبين لهم العلة الحديثية التي جعلته ينكر على ذلك الرجل، وإنما قال لهم: (أرأيت لو أن رجلاً أتى بدينار إلى صيرفي، فقال: انتقد لي هذا، فقال الصيرفي: هو بهرج، يقول له: من أين قلت لي إنه بهرج ؟ (فأجاب ابن مهدي على لسان الصيرفي): الزم عملي هذا عشرين سنة حتى تعلم منه ما أعلم) ([٢٢]).

ويؤكد أيضاً أحمد بن صالح المصري (ت ٢٤٨هـ) أن علم الحديث لا يفهمه إلا أهله، عندما قال: (معرفة الحديث بمنزلة معرفة الذهب، إنما يبصره أهله) ([٢٣]).

وبذلك يقرر هؤلاء العلماء وغيرهم من أئمة السنة أن علم الحديث علم تخصصي، لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى إلى صرف الهمة كلها له، ووقف الجهد جميعه عليه، وقصر الحياة على تعلمه وتحصيله ؛ وما ذلك إلا لأنه علم شديد العمق بعيد الغور، كما سبق.

ومع ذلك:

لا يؤيسنك من مجد تباعده

فإن للمجد تدريجاً وترتيباً

إن القناة التي شاهدت رفعتها

تسمو فتنبت أنبوباً فأنبوبا

وقال آخر

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر

وبالرواح على الحاجات والبكر

لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها

فالنجح يتلف بين العجز والضجر

إني رأيت — وفي الأيام تجربة –

للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يطالبه

واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

ومن رحمة الله تعالى ولطفه بعباده أن قرن بصعوبة علم الحديث وشدته لذة وشهوة ومتعة عارمة، تملك فؤاد طالبه، وتجعله ينسى الدنيا بما فيها، وتتركه بين رياض السنة جذلان هيمان. إنها (شهوة الحديث)، تلك الشهوة التي صنعت المستحيلات، وتضاءلت أمامها كل العقبات. ولولا هذه الشهوة لمات علم الحديث قبل أن يولد، ولتفتت همم الرجال على سفوح جباله، ولساحت العزائم العظام في صحاريه، ولغرقت عقول العباقرة في لجج بحاره. لقد بلغت هذه الشهوة الحديثية إلى درجة أن خاف بعض الأئمة على أنفسهم من أن تتجاوز بهم إلى طرف مذموم من الغلو في التعمق، إلى درجة التقصير في حقوق الخالق أو المخلوقين أو حق النفس، حيث إنها شهوة تفوق وله العاشقين (وهي أطهر)، وقد فعلت بأصحابها من عجائب الأفاعيل، ما قيدته حقائق التاريخ ؛ فلئن هام العاشقون على وجوههم في الصحاري، فلقد كانت الصحارى بعض ما قطعه المحدثون في طلب الحديث، ولئن تعرض الولهون لغيرة أهل المحبوبة من أجل نظرة عابرة منها، فلقد ركب المحدثون الأهوال وعاشوا مع الأخطار من أجل كتابة حديث بإسناد عال كانوا قد كتبوه نازلاً، ولئن تغرب المدنفون وراء مرابع الأحباب،

فلقد هجر المحدثون الأهل والأولاد والأوطان إلى غير رجعة، ولئن كان (مجنـــون ليلـــى) وأضـــرابه بالعشرات، فإن أهل الحديث بعشرات الألوف!!

إنها شهوة الحديث: التي حفظ الله تعالى بها الدين، وحمى بها السنة!!

يقول سفيان الثوري (ت ١٦١هـــ): (فتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة)([٢٤]).

فأنعم بهذه الفتنة التي يحتقر معها الدينار والدرهم!!!

ولصعوبة علم الحديث قل أهله العارفون به كما سبق!

يقول الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـــ): (أفضل المسلمين رجل أحيى سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أميتت ؛ فاصبروا يا أصحاب السنن (رحمكم الله)، فإنكم أقل الناس).

فقال الخطيب عقبه: (قول البخاري: إن أصحاب السنن أقل الناس عنى به الحفاظ للحديث، العالمين بطرقه، المميزين لصحيحه من سقيمه، وقد صدق (رحمه الله) في قوله ؛ لأنك إذا اعتبرت لم تجد بلداً من بلدان الإسلام يخلو من فقيه أو متفقه يرجع أهل مصره إليه، ويعولون فتاواهم عليه، وتجد الأمصار الكثيرة خالية من صاحب حديث عارف به، مجتهد فيه، وما ذاك إلا لصعوبة علمه وعزته، وقلة من ينجب فيه من سامعيه وكتبته. وقد كان العلم في وقت البخاري غضاً طرياً، والارتسام بـــه محبوبـــاً شهياً، والدواعي إليه أكبر، والرغبة فيه أكثر، وقال هذا القول الذي حكيناه عنه!!! فكيف نقول في هذا الزمان ؟!! مع عدم الطالب، و قلة الراغب!! وكأن الشاعر وصف قلة المتخصصين مـــن أهـــل زماننا في قوله:

وقد كنا نعدهم قليلاً فقد صاروا أقل من القليل([٢٥])

وأقول: رحم الله الخطيب! فقد قامت المناحة على أهل الحديث من قرون!!! وما عادوا قليلاً ولا أقل من القليل ، بل هم عدم من دهور، تكاد — والله – آثارهم تنمحي، وأخبارهم تنسى: (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف: ٢١].

لكننا ننتزع من كلمة الخطيب السابقة الروح التي قد تبعث موتى أهل الحديث، وتنشرهم من القبور ؛ إنه التخصص الدقيق العميق في علم الحديث. إذ إن صعوبة علم الحديث وشدة مأخذه، لا يواجهها إلا التخصص، ولا يجاوزنا عقبتها إلا جمع الهمة كلها في تحصيله والتفرغ الكامل له.

وقبل الحديث عن حاجة علم الحديث إلى التخصص فيه، وأنه علم يستعصي على من قرن به غـــيره، ولا يقبل له عند طالبه ضرة، كالليل والنهار والدنيا والآخرة ؛ قبل ذلك أتكلم عن أهمية التخصص في جميع العلوم، وبيان أن التخصص منهج ضروري لا حياة ولا بقاء للعلوم إلا به.

وقد نبه العلماء قديماً على أهمية التخصص في العلوم، فقال الخليـــل ابـــن أحمـــد الفراهيـــدي (ت ١٧٠هـــ): (إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه) ([٢٦]).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): (ما ناظرني رجل قط وكان مفنناً في العلوم إلا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك) ([٢٧]).

إن هذه العبارات وأمثالها من الأئمة الدالة على فضل المتخصص في علم واحد على الجامع لأطراف العلوم (أو على رأي الخليل بن أحمد: الدالة على فضل العالم على الأديب المتفنن)، جاءت لتؤكد أن كل علم من العلوم بحر من البحور، لا يعرفه ويصل إلى كنوزه وخفاياه إلا من غاص أعماقه، وقصر حياته على الغوص فيه. أما من اكتفى بالسباحة على ظهر كل بحر من بحور العلم، فإنه إنما عرف ظواهر تلك البحور، وما عرف من كنوزها شيئاً.

وأخص بالذكر أهل عصرنا، فإن العلوم قد ازدادت تشعباً، وعظم كل علم عما كان، بمؤلفات أهله فيه على امتداد العصور السابقة، وبزيادة اختلافهم وأدلة كل صاحب قول منهم ؛ ومع ذلك فقد ضعفت الهمم، ونقصت القدرات عما علمناه من أئمتنا السالفين ؛ وذلك بين واضح لمن عرف سيرهم وأخبارهم ووازن بينهما وبين حالنا؛ أولئك كانوا بما تعلموا وعلموا وألفوا وجاهدوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كأن أعمارهم ليست بين الستين والسبعين وإنما بين مائة وستين ومائة وسبعين!! بل والله أكثر!!! أولئك كانت حياتهم كرامة، و وجهدهم معجزة خارقة للعادات!!! فأين نحن من أن نحوي علومهم ؟! وأنى لنا أن نستوعب علم ما خلفوه لنا ؟! ومع ذلك فقد تكلم هؤلاء أنفسهم عن فضل التخصص في العلم، فما أجهلنا إن حسبنا أننا بغير التخصص سنفهم علماً من العلوم!!!

ولقد سبرت بعض أحوال المتعلمين، فوجدت أكثرهم علماً وإنصافاً وتواضعاً، وأدقهم نظراً وفهماً، وأحسنهم تأليفاً وإبداعاً: هم أصحاب التخصصات. في حين وجدت أقلهم علماً وإنصافاً، وأكثرهم كبراً وتعالياً وتعالماً، وأبعدهم عن الفهم والتدقيق وعن الإبداع والإحسان في التأليف: المتفننين أصحاب العلوم، أو سمهم بالمثقفين ؛ إلا من رحم ربك.

ومن فضل صاحب التخصص الفضل الظاهر، الذي يقرني عليه المنصف، أن صاحب التخصص لا يثرب على المتفنن، بل يراه أكثر أهلية منه في أمور كإلقاء المحاضرات والدعوة ومواجهة العامة، ويعتبره بذلك على ثغرة من ثغرات الإسلام، ويرى أن الأمة في حاجة إلى أمثاله. وأما أصحاب الفنون، فعلى الضد من ذلك، فهم أكثر الناس تثريباً وعيباً على المتخصصين، ولا يرون لهم فضلاً عليهم ولا في العلم الذي تخصصوا فيه، وينازعونهم مسائلة (وهم بها جهلاء)، ويشنعون عليهم لعدم معرفتهم ببعض ما لم يتخصصوا فيه.

ولك بعد هذا أن تحكم، أي الفريقين أدخل الله في قوله تعالى (إن الله يحب المقسطين) ([٢٨]).

ولله ما يلاقيه أصحاب التخصصات من إخوانهم المتفننين!! من عدم فهم الأخيرين لتخصصاتهم، مع كلامهم فيها ومنازعتهم أهلها، بل قد يصل الأمر إلى استغلال أصحاب الفنون علاقتهم بالعامة

والغوغاء، وانبهار هؤلاء بهم، فيتطاولون على أصحاب التخصصات وعلى علومهم، بما لا يؤلم العالم شيء مثله، وهو الكلام بجهل، وتشويه العلوم.
ومن فضل صاحب التخصص إذا وفقه الله تعالى، أنه من أكثر الناس لقالة (لا أدري)، إذا سئل عن غير تخصصه. ولهذه القالة بركة لا يعرفها إلا قليل، فهي باب التواضع الكبير، وباب للعلم أكبر. وأما صاحب الفنون، فهو عن (لا أدري) أبعد ؛ لأنه يضرب في كل علم بسهم، وبكثير جوابه على أسئلة العامة وأنصاف المتعلمين، التي هي – في الغالب – سؤالات عن الواضحات وعن ظواهر العلوم ؛ فينسى مع طول المدة (لا أدري)، ولا يعتاد لسانه عليها، ولا تنقهر نفسه لها ؛ لذلك فهو عن بركاتها ليس بقريب!!
ثم إن للعلم دقائق لا يعرف المتفننون عنها شيئاً، أما المتخصصون فقد خبروها، وقادتهم إلى دقائق الدقائق. فهم فقهاء العلوم حقاً، وأطباء الفنون صدقاً.
يقول الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني تلميذ الشافعي (ت ٢٦٠هـ): (سمعت الشافعي يقول: من تعلم علماً فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم) ([٢٩]).
كذا نصائح الأئمة، نور على نور!!
وأما الشافعي فقد كان آمناً من ضياع جليل العلم وعظمه، خائفاً من ضياع دقيقة. أما نحن الآن فنقول: (من تعلم علماً فليدقق، لكيلا يضيع جليل العلم) ؛ فدققوا يا بني إخوتي ما شئتم من التدقيق، فنحن مع تدقيقكم هذا لعلى جليل العلم وجلون!!!
وهنا أنبه على أن مطالبتنا بالتخصص لا يعني أن نطالب بذلك على حساب فروض الأعيان من العلوم، كتصحيح العقيدة وعلم التوحيد الجملي، وما يحتاج إليه من فقه العبادات، وما شابهها من الفروض العينية من العلوم ؛ فهذا ما لا يجوز على مسلم جهله، فضلاً عن طالب العلم ؛ بل نحن نطالب طالب العلم بما فوق ذلك، وهو أن لا يكون جاهلاً بنفع كل علم نافع (ولا أقول أن يكون عالماً بكل علم نافع، فهذا ضد ما أحث عليه) ؛ لأن الجهل بنفع علم ذي علم فائدة دنيوية أو أخروية يدعو إلى معاداة ذلك العلم، على قاعدة: من جهل شيئاً عاداه ؛ ويقبح بطالب العلم أن يعادي علماً نافعاً، مهما قل نفعه في رأيه، فإنه لا ينقص على أن يكون فرضاً كفائياً.
وما أجمل وصية خالد بن يحيى بن برمك (ت ١٦٥هـ) لابنه، عندما قال له: (يا بني، خذ من كل علم بحظ، فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته، وعزيز علي أن تعادي شيئاً من العلم) ([٣٠]).
وأخص من العلوم مما يقبح بطالب العلم جهله العلوم الإسلامية جميعاً، كعلم الفقه وأصوله والتفسير وأصوله والعقيدة وعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، مما ينبغي على طالب علم الحديث المتخصص أن يحصل شيئاً منها. وضابط تحصيله لهذه العلوم (حتى لا يناقض ذلك مطالبتي له

بالتخصص) أن يجعل مقصوده من طلبه لهذه العلوم تكميل استفادته لتخصصه وعميق فهمه له ؛ حيث إن العلوم الإسلامية بينها ترابط كبير، لا يمكن من أراد التخصص في علم منها أن يكون جاهلاً تمام الجهل بما سواه. بل ربما قادته مسألة دقيقة في علم الحديث (مثلاً) إلى التدقيق في مسألة من مسائل أصول الفقه أو غيره، حتى يخرج بنتيجة في مسألته الحديثية. وليس ذلك بغريب على من عرف العلوم الإسلامية، وقوة ما بينها من أواصر القربى العلمية.

ولأزيد الأمر إيضاحاً أقول: كيف يتسنى لطالب الحديث أن يعرف الصواب في إحدى مشاهير مسائله ؟ وهي مسألة الرواية عن أهل البدع وحكمها، إذا لم يكن عارفاً بالسنة والبدعة، وبصنوف البدع وأقسام المبتدعة، وبالغالي منهم ومن بدعته غليظة ومن يكفر ببدعته ممن هو بخلاف ذلك ؛ وهذا كله باب من أبواب العقيدة عظيم.

وكيف يمكن لطالب الحديث أن يميز بين الروايات المختلفة، مثل زيادات الثقات: مقبولها ومردودها، والشاذة منها والمنكرة، والناسخة والمنسوخة، والراجحة والمرجوحة، إذا لم يكن عنده أصول الفقه والقدرة على الاستنباط والفهم للنصوص ما يتيح له الحكم في ذلك كله ؟!

المهم أن يأخذ من العلوم التي لم يتخصص فيها، بقدر ما يخدم العلم الذي تخصص فيه، ولا يزيد على ذلك، وإلا لم يصبح متخصصاً، وإنما يكون متفنناً.

وطريقة تحصيله لتلك العلوم التي لا ينوي التخصص في واحد منها، مما لا يخرجه عن حد التخصص إلى حد التفنن، هي أن يدرس مختصراً من مختصرات تلك العلوم، تمكنه من مراجعة مطولات تلك الفنون، فيما إذ أحوجه علمه الذي تخصص فيه إلى ذلك، كما سبق التمثيل له. وعليه أيضاً أن لا يقطع صلته بعلماء تلك العلوم المتخصصين فيها، وأن يصوب فهمه من علومهم عليهم، وأن لا يستبد بشيء من علمهم دون الرجوع إليهم.

وأما التخصص في علم الحديث، فقد سبق أنه من أحوج العلوم إلى التخصص فيه، لشدة عمقه وسعة بحور وامتداد آفاقه. مع ذلك فعندي في مشروعية التخصص فيه (ولو على حساب الفقه!) سنة ثابتة وحديث صحيح مشهور! وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرأً سمع منا مقالة فحفظها، فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) ([٣١]).

و (نضر) بتخفيف الضاد وتشديدها: من النضارة، وهي الحسن والرونق والبهاء. فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو لراوي الحديث بالحسن والبهاء مطلقاً، في الدنيا والآخرة. وقيل إن المعنى: أبلغه الله تعالى نضارة الجنة.

وراوي الحديث الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالنضارة: هو رواية باللفظ، ولو كان لا يفهم كل معاني الحديث (ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) ولو كان لا فهم له في الحديث أبداً (رب حامل فقه لا فقه له)!!

وهذا يدل على مشروعية رواية الحديث دون فقه، بل يدل على استحباب ذلك؛ ويدل على أن رواي الحديث دون علمه بفقهه محمود غير مذموم، وأنه مستحق بفعله هذا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له.

وقد تعقب الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) هذا الحديث في كتابه (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) بقوله: (ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بين ناقل السنة وواعيها، ودل على فضل الواعي بقوله: (فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقه). وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر ([٣٢]) ؛ ومثال ذلك أن تمثل بين مالك بن أنس وعبيد الله العمري، وبين الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي، وبين أبي ثور وابن أبي شيبة ([٣٣])، فإن الحق يقودك إلى أن تقضي لكل واحد منهم بالفضل.

وهذا طريق الإنصاف لمن سلكه، وعلم الحق لمن أمه و لم يتعده) ([٣٤]).

ورحم الله السلف! فقد كانوا أسبق إلى كل خير وعلم وإنصاف ؛ ولهذا لما روى مطر بن طهمان الوراق (ت ١٢٥هـ فيما يقال) حديثاً، وسئل عن معناه، قال: (لا أدري، إنما أنا زاملة)، فقال له السائل – وكان عاقلاً منصفاً – (جزاك الله خيراً، فإن عليك من كل: حلو وحامض) ([٣٥]).

وانظر إلى إجلال السلف لرواة الحديث، في العبارة التالية: يقول محمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ): (ما كنا ندعو الراوية إلا رواية الشعر، وما كنا نقول للذي يروي أحاديث الحكمة إلا: عالم) ([٣٦]).

ومما سبق إليه السلف من العلم والخير والحق، التنبيه إلى أن علم الحديث علم لا يقبل الشركة ولا توزيع الهمة على غيره معه.

يقول الربيع بن سليمان المرادي (ت ٢٧٠هـ) تلميذ الشافعي: (مر الشافعي بيوسف بن عمرو بن يزيد (وكان من كبار فقهاء المالكية: (ت ٢٥٠هـ)، وهو يذكر شيئاً من الحديث، فقال: يا يوسف، تريد أن تحفظ الحديث وتحفظ الفقه ؟!! هيهات!!!"([٣٧]).

وقد قدم الخطيب هذه الكلام من الشافعي، وهو يصف الذي يبرع في علم الحديث بقوله: "أن يعاني علم الحديث دونما سواه لأنه علم لا يعلق إلا بمن وقف نفسه عليه، و لم يضم غيره من العلوم إليه" ([٣٨]).

ثم أخرج الخطيب عقب ذلك العبارتين التاليتين:

يقول أبو يوسف القاضي (ت١٨٢هـ): "العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر" ([٣٩]).

ويقول أبو أحمد نصر بن أحمد العياضي الفقيه السمرقندي: "لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته"([٤٠]).فإن كانت هاتان العبارتان حقاً في العلوم جميعها، فهي في علم الحديث أولى أن تقال وأحق. وهذا هو ما قصده الخطيب، عندما ساقها في ذلك السياق.

وللتخصص في كل العلوم معناه، وفي علم الحديث له معناه الخاص به ؛ فهو تخصص لا يقبل الانقطاع إلى غيره، مهما طال زمن التفرغ في تحصيله، ومهما ظن طالبه أنه تملا منه وتضلع. لأنه خبرة دقيقة وحاسة لطيفة، لا تدوم إلا مع بقاء الالتصاق بالعلم. وسرعان ما تفسد تلك الخبرة، وتتعطل تلك الحاسة، إذا انقطع الطالب عن العلم فترة يسيرة.

يقول في بيان ذلك عبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ): "إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة السمسار، إذا غاب عن السوق خمسة أيام تغير بصرة ([٤١]).

وبلسان أهل عصرنا: إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة تاجر العملات، لا يستطيع أن يستفيد ويربح، إلا إذا كان متابعاً لأسواق العملات، دون انقطاع ؛ فإذا انقطع يوماً واحداً، أصبح كالجاهل بهذا السوق تماماً، وكأنه لم يكن عليماً به يوماً من الأيام! لأنه لا يستطيع أن يشتري أو يبيع، لعدم علمه باختلاف أسعار العملات الذي يتبدل كل ساعة.

ولذلك لم يجعل الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) لطلب الحديث زمنا ينتهي عنده، و لم يوقت له فترة يجعلها حده ؛ عندما سئل: "إلى متى يكتب الرجل الحديث ؟ قال: حتى يموت ([٤٢]).

فإن قيل: قد جاءت عبارات كثيرة في كتب العلم، تدل على ذم من لم يجمع مع الحديث فقهاً، أو على ذم إفناء العمر في جمع طرق الأحاديث وتتبع الأسانيد.

فمن الأول، قول القائل:

زوامل للأسفار لا علم عندهم

بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا

بأحماله أو راح ما في الغرائر

ومن الثاني: قصة حمزة بن محمد الكناني الحافظ (ت٣٥٧هـ)، قال: "خرجت حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وسلم من مائتي طريق، أو من نحو مائتي طريق، فداخلني من ذلك الفرح غير قليل، وأعجبت بذلك. قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام، فقلت له: يا أبا زكريا، خرجت

حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وسلم من مائتي طريق! قال: فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن يدخل هذا تحت (ألهكم التكاثر) ([٤٣]) " ([٤٤]).

فما هو معنى تلك العبارات ؟ مع ما ندعو إليه من التخصص في علم الحديث.

فأقول: أما ما جاء في ذم من لم يجمع مع الحديث فقهاً، فلا يعارض كلام من كان من الناس بقوله النبي صلى الله عليه وسلم الذي سبق ذكره، مما يدل على مشروعية بل استحباب ما عابه ذلك العائب.

ثم إن الذي صدر منه ذلك الذم أحد رجلين: إما أنه من أهل العلم والفضل، وحينها يحمل كلامه على ذم من قصر فيما لا يجوز التقصير فيه من الفقه بالفروض العينية ونحوها، مما تقدم ذكره. وإما أن هذا الذام من أهل الرأي وأصحاب البدع، الذين يعادون السنة وأهلها، وينفرون من علومها ؛ وهؤلاء لا وزن لمدحهم وذمهم، بل ربما كان ذمهم مرجحاً كفة المذموم على الممدوح منهم!!

وأما ما ورد من عيب إفناء العمر في تتبع طرق الأحاديث وجمع الأسانيد، فليس الأمر على إطلاقه.

فهذا يحيى بن معين الذي رآه حمزة الكناني يذم فعله في ذلك، يقول يحيى بن معين هذا: "لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه" ([٤٥]).

ويقول الإمام أحمد: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً" ([٤٦]).

وقال علي بن المديني: "الباب إذا لم تجمع طرقه، لم يتبين خطؤه" ([٤٧]).

إذن ما هو الأمر المعيب في تتبع الطرق وجمع الأسانيد ؟

أجاب عن ذلك الخطيب البغدادي في كتبه، وحصر سبب عيب ذلك في أمرين:

الأول: جمع الأحاديث وقطع الأعمار في كتابتها، صحيحها وضعيفها وموضوعها، دون تمييز الصحيح بمزيد اعتناء، ولا معرفة الضعيف بعلته، ولا التنبيه على المكذوب والباطل ؛ فهو جمع وتصنيف على الإهمال والإغفال، يضر أكثر مما ينفع.

يقول الخطيب في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع): "ينبغي للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة، والروايات المستقيمة. ولا يذهب وقته في الترهات، من تتبع الأباطيل والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات ... (ثم قال) والغرائب التي كره العلماء الاشتغال بها، وقطع الأوقات في طلبها، إنما هي ما حكم أهل المعرفة ببطلانه، لكون رواته ممن يضع الحديث، أو يدعي السماع. أما ما استغرب لتفرد رواية به، وهو من أهل الصدق والأمانة، فذلك يلزم كتبه، ويجب سماعه وحفظه" ([٤٨]).

وقال الخطيب أيضاً: "ولو لم يكن في الاقتصار على سماع الحديث وتخليده الصحف، دون التمييز بمعرفة صحيحة من فاسده، والوقوف على اختلاف وجوهه، والتصرف في أنواع علومه، إلا تلقيب

المعتزلة القدرية من سلك تلك الطريقة بالحشوية ؛ لوجب على الطالب الأنفة لنفسه، ودفع ذلك عنه وعن أبناء جنسه" ([٤٩]).

الثاني: يقول في بيانه الخطيب في (شرف أصحاب الحديث): "إنما كره مالك وابن إدريس وغيرهما الإكثار من طلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة، كأسانيد: (حديث الطائر، وطرق حديث المغفر، وغسل الجمعة، وقبض العلم، وإن أهل الدرجات، ومن كذب علي، ولا نكاح إلا بولي.. وغير ذلك، مما يتتبع أصحاب الحديث طرقه، ويعنون بجمعة ؛ والصحيح من طرقه أقلها. وأكثر من يجمع ذلك: الأحداث منهم، فيتحفظونها ويذاكرون بها. ولعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثاً وتراه يذكر من الطرق الغريبة والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع وجلها مصنوع، ما لا ينتفع به، وقد أذهب من عمره جزءاً في طلبه. وهذه العلة هي التي اقتطعت أكثر من في عصرنا من طلبه الحديث عن التفقه به، واستنباط ما فيه من الأحكام. وقد فعل متفقهة زماننا كفعلهم، وسلكوا في ذلك سبيلهم، ورغبوا عن سماع السنن من المحدثين، وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين. فكلا الطائفتين ضيع ما يعنيه، وأقبل على مالا فائدة فيه" ([٥٠]).

فبين الخطيب أن سبب كراهة مالك وغيره لتتبع الطرق وجمع الأسانيد من طلبة الحديث، لا لأنه تتبع وجمع وحسب، ولكنه جمع لطرق أحاديث صحيحة أصلاً، وليس هناك أي فائدة زائدة من تتبع أسانيدها الأخرى التي قد يكون أغلبها ضعيفاً أو باطلاً. ومثال ذلك في عصرنا: ذاك الذي سود صفحات طويلات في تخريج حديث واحد، متوسعاً غاية التوسع في ذكر مصادر العزو، من مسانيد ومعاجم ومشيخات وأجزاء وتواريخ، مع أن الحديث صححه الشيخان من قبل، ولعله وافقهما على تصحيحه أئمة آخرون، ولا مخالف لهم في تصحيحه ؛ فيخرج أخونا هذا، دون أي فائدة زائدة على ما كان قد بدأ به، عندما عزا الحديث للصحيحين ، وهو أن الحديث صحيح!!

ثم إنه لا تتحقق كراهية ذلك الجمع للأسانيد إلا بشرط، وهو إذا ما كان الجامع لها من أحداث طلبة العلم وصغارهم، ممن لم يصلوا إلى درجة معرفة قدر جيد من صحيح السنة، فتنقطع أعمارهم في جمع تلك الأسانيد، ولعل أحدهم لا يعرف حديثاً صحيحاً (كما يقول الخطيب)، فذهب عمره فيما لا ينتفع به. فمثل هذا لا تخصص في الحديث، ولا تعلم الفقه ؛ ولذلك عاب عليهم الخطيب انشغالهم عن الفقه بما هم فيه، فالفقه أجل وأشرف بكثير مما هم فيه.

ولذلك قال علي بن المديني: (إذا رأيت طالب الحديث أول ما يكتب الحديث يجمع: حديث الغسل، وحديث من كذب علي ؛ فاكتب على قفاه: لا يفلح " ([٥١]).

أما إذا كان الجامع لطرق الحديث (ولو كان أصل الحديث صحيحاً بأقل تلك الطرق أو بواحد منها) من الأئمة الكبار في السنة، الذين هم أولاً أئمة في الاطلاع على صحيح السنة والثابت منها، وفي تمييز المقبول من المردود، وهم ثانياً لم يقطعوا أعمارهم في جمع تلك الأسانيد، بدليل إمامتهم واطلاعهم

العظيم على السنة ؛ فهؤلاء لو جمعوا أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الأسانيد، أي لو قاموا بمثل ما عبناه على الأحداث الصغار في العلم، لما عبناهم بذلك، بل نفرح بجهدهم هذا، ونعتبره من النفائس والأعلاق؛ وذلك لأن جمعهم الأسانيد لم يكن على حساب كمال علمهم بالسنة، و لم يشغلهم عما ينتفعون به من الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن السقيمة. ولذلك فإن الأحاديث التي مثل بها الخطيب مما يعاب على الأحداث جمعه، لا يكاد يوجد حديث منها إلا قام بجمع طرقه حفاظ كبـــار وأئمـــة أعلام ممن يقتدي بهم.

فحديث الطير للإمام الذهبي فيه مصنف.

وحديث غسل الجمعة جمع طرقه الحافظ ابن حجر، كما نقله الزبيدي في (لقط اللآلي المتناثرة).

وحديث (من كذب علي) جمع طرقه الطبراني وابن الجوزي.

وحديث (لا نكاح إلا بولي) جمع طرقه شرف الدين الدمياطي.

بل إن الخطيب نفسه ذكر جل هذه الأحاديث، في سياق ما ينصح بجمعه، اقتداء بالمحـــدثين الـــذين جمعوا تلك الأحاديث ([٥٢]). ومن قبله ذكرها الحاكم في كتابه (معرفة علوم الحديث)، في نـــوع خاص بها ([٥٣]).

وخلاصة ما سبق، فيما يلام عليه طالب الحديث وما لا يلام عليه من التدقيق في العلم، هو أنه يلام في قضاء العمر: في جمع الأباطيل والمناكير، وعدم تمييزها عن الصحاح المشاهير ؛ وفي تتبع أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الطرق، ولا فائدة في تتبع الأسانيد الأخرى، إلا انقضاء الحياة دون معرفة قـــدر كبير من صحيح السنة وتعلم علوم الحديث.

أما اللوم على التدقيق في العلم مطلقاً، فهو من أعظم الصواد عن العلم، ومن أكبر الدواعي إلى الجهل ؛ وإلا فمتى يصل طالب العلم إلى مصاف العلماء ؟ إذا لم يدقق التدقيق الذي بحسب مرتبته من العلم، والذي هو من باب الترقي في التعلم والتدرج فيه ؛ من هو فهم رؤوس المسائل، إلى فهـــم فـــروع المسائل، إلى التفقه في العلم وأدلته وأصوله، إلى الاجتهاد فيه والاستنباط. وقد سبقت عبارة الإمـــام الشافعي، التي يقول فيها: (من تعلم علماً فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم).

وإنما أطلت هذه الإطالة في الحث على التخصص، وفي علم الحديث خاصة، لكثرة من يعيب ذلك!!

وفي هؤلاء العائبين من نحسن به الظن، وغالبهم من إخواننا المتفننين، كما سبق!!

وأطلت هذه الإطالة أيضاً، لمزيد احتياج علم الحديث إلى التخصص الدقيق حقيقة، وإلى التعمق فيه ؛ وخاصة في هذه الأعصار ؛ فأين هم نقاده وصيارفته ؟! وأين هم أطباء علله ؟!!

الميزة الثانية:

أنه علم مع كثرة أجزائه وتشعب أطرافه، وإلا أنه علم مترابط بقوة، متداخل الأصـــول والقواعـــد، فتجد كل جزئية منه تنبني وتتصل بأغلب أو بكثير من أصول وفروع العلم كله. وهـــذه الميـــزة في

الحقيقة هي صورة من صور الميزة الأولى، فهي صورة من صور صعوبة علم الحديث وشدة مأخذه. فهي لذلك تواجه أيضاً بالتخصص، كما ذكرناه سابقاً.

لكنها تستلزم اتباع أسلوب معين في التخصص، واستخدام طريقة خاصة في التعلم.

فإن تشعب أطراف العلم وكثرتها، مع قوة ترابط ما بينها، وتداخلها بأصول العلم وقواعده ؛ لا يواجه ذلك ويتجاوز هذه العقبة إلا الاستحضار الواسع في الذهن لتلك الأطراف والأصول الكثيرة المتشعبة، وهذا مالا يكون إلا بالحفظ والفهم.

ولأهمية هذا الاستحضار الذهني لمسائل هذا العلم وجزئياته، حرص علماء الحديث على أن ينبهوا إلى أهمية الحفظ وضرورته في علم الحديث، ووضعوا مناهج للحفظ، وبينوا الأسباب التي يستعين بها طالب الحديث في الحفظ.

ولذلك تميز المحدثون بالحفظ دون علماء الفنون الأخرى جميعاً ؛ ويقول الخطيب في التدليل لذلك: (الوصف بالحفظ على الإطلاق ينصرف إلى أهل الحديث خاصة، وهو سمة لهم لا تتعداهم، ولا يوصف به أحد سواهم ؛ لأن الراوي يقول: حدثنا فلان الحافظ، فيحسن منه إطلاق ذلك، إذ كان مستعملاً عندهم يوصف به علماء أهل النقل ونقاده. ولا يقول القارئ: لقنني فلان الحافظ، ولا يقول الفقيه: درسني فلان الحافظ، ولا يقول النحوي: علمني فلان الحافظ. فهي أعلى صفات المحدثين، وأسمى درجات الناقلين" ([٥٤]).

وحث المحدثون على الحفظ، حتى قال عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ): "كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام (يعني يكون محفوظاً في الصدر)، فلا تعده علماً"([٥٥]).

وأنشد قائلهم:

ليس بعلم ما حوى القمطر

ما العلم إلا ما حواه الصدر

فذاك فيه شرف وفخر

وزينة جليلة وقدر

فمن الأسباب التي يستعان بها في حفظ الحديث:

الأول حسن النية:

فإنها مفتاح كل خير، وسبب التوفيق والتيسير والبركة في العلم.

وأورد الخطيب في هذا الباب أثر ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: (إنما يحفظ الرجل على قدر نيته) ([٥٦]).

وقال معمر بن راشد (ت ١٥٤هـ): "كان يقال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم، حتى يكون لله عز وجل" ([٥٧]).

الثاني: اجتناب ارتكاب المحرمات ومواقعة المحظورات:

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه -: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم، بالخطيئة يعلمها" ([58]) .

وقال رجل للإمام مالك: "يا أبا عبد الله، هل يصلح لهذا الحفظ شيء ؟ قال: إن كان يصلح له شيء، فترك المعاصي" ([59]).

وفي الأبيات المشهورة:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال بأن حفظ العلم نور

ونور الله لا يؤتاه عاصي

الثالث: العمل بالحديث الذي يرويه ويحفظه:

قال سفيان الثوري: (العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل) ([60]).

وقال جماعة من السلف، منهم الشعبي ووكيع: (كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به) ([61]).

والسبب الذي من أجله كان العلم بالحديث مثبتا الحفظ، يظهر جلياً في أن العمل بالحديث يجعل معاني الحديث واقعاً عملياً، والمحسوسات أثبت في الذهن من المعنويات. وأهم من ذلك أن العمل بالعلم سبب لتوفيق الله تعالى إلى العلم والزيادة منه، وكما قال تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) ([62]).

الرابع: اغتنام الأوقات المناسبة في اليوم للحفظ:

وهذا أمر يختلف فيه الأشخاص، باختلاف أحوالهم وظروف طلبهم للمعاش وغير ذلك. غير أن الذي يذكره أهل التجربة، هو أن أفضل الأوقات للحفظ: الليل عموماً، والفجر ، ويخصون من الليل آخره وهو وقت السحر، بشرط أن يكون طالب العلم قد نام من أول الليل، وأخذ حاجته من النوم.

ومن جميل الوصايا في ذلك، ما ذكر من أن المنذر قال للنعمان ابنه "يا بني، أحب لك النظر في الأدب بالليل، فإن القلب بالنهار طائر، وبالليل ساكن، وكلما أوعيت فيه شيئاً علقه" ([63]).

فتعقب الخطيب البغدادي هذه الوصية بقوله "إنما اختاروا المطالعة بالليل لخلو القلب، فإن خلوه يسرع إليه الحفظ، ولهذا (لما) قيل لحماد بن زيد: ما أعون الأشياء على الحفظ ؟ قال: قلة الغم. (قال الخطيب(وليس تكون قلة الغم إلا مع خلو السر وفراغ القلب، والليل أقرب الأوقات إلى ذلك" ([64]) .

وقال إسماعيل بن أبي أويس: "إذا هممت أن تحفظ شيئاً، فنم، ثم قم عند السحر، فأسرج، وانظر فيه، فإنك لا تنساه – بعد إن شاء الله") [65](.

الخامس: اغتنام فترة الصبا والشباب:

واشتهرت كلمة الحسن البصري التي يقول فيها: "طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر" ([٦٦])، وذاد بعضهم ما معناه: والعلم في الكبر كالنقش في النهر ([٦٧]).

ولذلك كان السلف يبكرون بأولادهم إلى مجالس الحديث، حتى قال عبد الله بن داود الخريبي (ت ٢١٣هـ): "ينبغي للرجل أن يكره ولده على سماع الحديث" ([٦٨]).

وقال علقمة بن قيس النخعي (ت٦٢هـ)، في بيان قوة حافظة الشاب ورسوخ حفظه: "ما حفظت وأنا شاب، فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة" ([٦٩]).

السادس: اختيار الأماكن المناسبة للتحفظ:

وصفة المكان المناسب: أن يكون مريحاً، لا يشق على النفس المكث به. وأن يكون هادئاً، بعيداً عن الأصوات العالية. وأن يكون خالياً من الملهيات وما يلفت الأنظار ؛ فلا يجلس في حديقة، ولا في ممر الناس وأسواقهم . بل يختار مقصورة أو حجرة في مترله، يتحفظ فيها ([٧٠]).

السابع: الجهر بقراءة ما يراد حفظه:

ولذلك حكمة، بينها والد الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦هـ) عندما رأى ابنه يتحفظ سرا، فقال له: " إنما لك من روايتك هذه (أي: تحفظك سراً) ما أدى بصرك إلى قلبك. فإذا أردت الرواية (أي: الحفظ)، فانظر إليها، واجهر بها ؛ فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك، وما أدى سمعك إلى قلبك" ([٧١]).

(وهذا تعبير رائع صحيح، وهذا ما يقول فيه علماء التربية وعلم النفس: كلما كثرت الحواس المشاركة في تلقي موضوع أو تعلمه، كان حفظه أسرع وأيسر) ([٧٢]).

الثامن: إحكام الحفظ بكثرة تكريره:.

يقول ابن الجوزي في (الحث على حفظ العلم): "الطريق إلى إحكامه كثرة الإعادة. والناس يتفاوتون في ذلك، فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير. وكان أبو إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ) يعيد الدرس مائة مرة، وكان إلكيا الهراسي (٥٠٤هـ) يعيد سبعين مرة. وقال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه: لا يحصل الحفظ إلي حتى يعاد خمسين مرة. وحكى لنا الحسن أن فقيها أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرة، فقالت له عجوز في بيته: قد – والله – حفظته أنا! فقال: أعيديه، فأعادته ؛ فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس، فقالت: ما أحفظه، قال: إني أكرر عند الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك"([٧٣]).

التاسع: تعهد المحفوظ، بإعادة النظر فيه وتكريره، في أوقات مختلفة:

إذ الحافظة مهما كانت قوية لابد أن تسهو، فالنسيان جبلة الإنسان. ولا يحافظ على ما في الصدر من العلم، إلا مراجعته من حين لآخر، وعدم الاتكال على الحفظ الأول.

قيل للأصمعي: "كيف حفظت ونسي أصحابك ؟! قال: درست وتركوا" ([٧٤]).
وقال علقمة النخعي: " أطيلوا كر الحديث لا يدرس" ([٧٥])، أي: ليكلا يبلى وينسى.
وعلى طالب العلم أن يجعل له جدولاً معيناً لمراجعة محفوظة ؛ فمثلاً: يجعل في نهاية كل أسبوع يوماً لمراجعة ما حفظة في ذلك الأسبوع، وفي نهاية كل شهر يوماً أو يومين لمراجعة محفوظه خلال الشهر كله، وفي نهاية السنة أسبوعاً أو أسبوعين لمراجعة محفوظه خلال السنة جميعها .... وهكذا. العاشر: المذاكرة:
والمذاكرة اصطلاح يستخدمه المحدثون، يعنون بها مطارحات علمية ومساجلات حديثية، يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الأحاديث وغرائب الأسانيد وخفي التعليلات، يسأل بعضهم بعضاً عن ذلك، ويفيد الواحد منهم الآخر ما غاب عنه. وقد كانت المذاكرة هذه من أبرز سمات المحدثين في عصوره الأولى (مثل الرحلة في طلب الحديث)، ولها آدابها وشروطها المنصوص عليها وفوائدها، وأخبارها المروية فيها ([٧٦]).
وللمذاكرة مع الأقران وغيرهم – على المعنى السابق – فائدة عظيمة في تثبيت الحفظ، من جهة أنه تعهد للمحفوظ بتكريره ومراجعته خلال المذاكرة، وتذكير لما نسي منه، ودون إملال أو إضجار، بل في جو من النشاط والتنافس العلمي البناء.
ولذلك قال عبدالله بن بريدة: " قال لي علي بن أب طالب – رضي الله عنه -: تزاوروا، وتذاكروا هذا الحديث، فإنكم أن لم تفعلوا يدرس علمكم" ([٧٧])، أي: يبلى ويخلق.
وقال أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – "تحدثوا، فإن الحديث يهيج الحديث"([٧٨]).
وقال جماعة من السلف عبارة أصبحت شعاراً للمذاكرة، وهي قولهم: "إحياء الحديث مذاكرته" ([٧٩]).
ومن فوائد المذاكرة أيضاً: أنها سبب كبير وداع عظيم للتنافس المحمود بين طلبة العلم. والتنافس في الخير هو الأمل الجاهد لبلوغ الغايات العظام، ولولاه لما سعى للعلياء ماجد، ولما سما للرفعة طامح.
ولشدة التنافس أثناء المذاكرة بين المحدثين كانت من لذائذ علم الحديث ومن متعه الجليلة ؛ حتى قال الوزير ابن العميد: " ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، (ثم ذكر تلك المذاكرة، التي غلب فيها الطبراني أبا بكر الجعابي، ثم قال: "فوددت في مكاني أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لي وكنت الطبراني، وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني " ([٨٠]).
وقال علي بن المديني: "ستة كادت تذهب عقولهم عند المذاكرة: يحى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع، وابن عيينة، وأبو داود الطيالسي، وعبد الرزاق ؛ من شدة شهوتهم له. وتذاكر وكيع وعبد الرحمن ليلة في المسجد الحرام، فلم يزالا حتى أذن المؤذن أذان الصبح " ([٨١]).

وقال عبد الله بن المبارك:

ما لذتي إلا رواية مسندا

ت قيدت بفصاحة الألفاظ

ومجالس فيها تحل سكينة

ومذاكرات معاشر الحفاظ

نالوا الفضيلة والكرامة والنهى

من ربهم برعاية وحفاظ

لاظوا برب العرش لما أيقنوا

أن الجنان لعصبة لواظ

ومن فوائد المذاكرة أيضاً ومن آدابها: إفادة طلبة العلم بعضهم بعضا، وفي ذلك استعجال لأجر وثواب التعليم، قبل بلوغ الدرجة التي يحق فيها لطالب العلم جلوس مجالس المعلمين. وما أدرى طالب العلم ؟ لعله يموت قبل أن يصل إلى أن تتحلق حوله الطلبة!!.

يقول عبدالله بن المبارك: "إن أول منفعة الحديث: أن يفيد بعضكم بعضاً" ([٨٢]).

ويقول الإمام مالك: "بركة الحديث: إفادة بعضهم بعضاً" ([٨٣]).

ويقول سفيان الثوري: "يا معشر الشباب، تعجلوا بركة هذا العلم، فإنكم لا تدرون، لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه، ليفد بعضكم بعضاً" ([٨٤]).

هذه هي أهم وسائل حفظ العلم، وأظهر أسباب تثبيته وعدم نسيانه.

ولكن مما ينبغي التنبيه عليه هنا، هو أن للحفظ طريقتين، لا يعجز عن إحداهما جميع الناس. ولكل طريقة منهما مميزاتها وعيوبها ؛ فيحسن أن نذكرهما، بما لهما من محاسن وعيوب. الطريقة الأولى (وهي أشهر الطريقتين):

وهي أنفع للصغار والشباب ومن أوتي موهبة الحفظ: وهي بأن يقرر الطالب على نفسه لكل يوم جزءاً يسيراً من العلم، كأن يكون حديثاً أو حديثين أو أكثر، ويستحسن أن يكون قدراً يسيراً، فإن القليل يثبت والكثير لا يحصل ([٨٥]) ؛ فيتحفظ هذا المقرر يومياً، حتى يغيبه في صدره ؛ ويستمر على ذلك فترة طويلة، هي سنوات طلبه للعلم ؛ مع تعهد المحفوظ دائماً، على المنهج الذي ذكرناه سابقاً في التعهد.

ولهذه الطريقة مميزات وعيوب:

فمن مميزاتها: أنها طريقة منهجية منضبطة، يمكن للطالب مع التزامها والمداومة عليها حفظ كتب برمتها، وتغيب مصنفات كاملة.

ومن مميزاهما أيضاً: أهما أسرع حفظاً من الطريقة التالية، إذ قد لا يجلس الطالب للتحفظ إلا ربع ساعة أو نصفها.

ومن عيوبها: أهما أسرع في التفلت من الطريقة التالية، وأهما أحوج ما تكون للتعهد للمحفوظ والمراجعة له دائماً، وعدم الانقطاع عنه من فترة لأخرى.

ومن عيوبها: أن الذي يلتزم بها الغالب أضيق في الاطلاع من صاحب الطريقة التالية، لأن الطالب معها مقيد بمقرر معين.

وأما الطريقة الثانية للحفظ:

وهي أنفع لكبار السن، ولمن لم يؤت موهبة الحفظ: وتتلخص في إدمان مجالسة كتب السنة، وإدامة القراءة فيها، والجلد في ذلك والصبر عليه، مع الإكثار من النسخ والكتابة، وتعويد اليد على ذلك.

ولذلك لما قيل للإمام البخاري: ما البلاذر ؟ وهو دواء كانوا يظنون قديماً أنه يقوي الذاكرة وينشط الذهن على الحفظ، فأجاب الإمام البخاري، صارفاً لهم إلى البلاذر حقاً، حيث قال: "هو إدامة النظر في الكتب" ([٨٦]).

وقال عبد الله بن المبارك: "من أحب أن يستفيد، فلينظر في كتبه" ([٨٧]).

وقال الحافظ أبو مسعود أحمد بن الفرات (ت ٢٥٨هـ): "لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمعوا أنه ليس شيء أبلغ فيه من كثرة النظر" ([٨٨]).

وأما الكتابة وأثرها في الحفظ، فقد سبق أن ذكرنا أن المحفوظ كلما اشترك فيه أكثر من حاسة، كلما كان ذلك أقوى له وراسخ. فإذا نظر القارئ، وجهر بالقراءة، ثم كتب ؛ فإنه – على حد تعبير والد الزبير ابن بكار – يكون له ما أدى بصره إلى قلبه، وما أدى سمعة إلى قلبه، وما أدت يده إلى قلبه ؛ فلا ينسى بإذن الله تعالى، لأنه اشترك في تحفظه ثلاث حواس.

وقد قال الحسن بن علي – رضي الله عنهما – لبنيه وبني أخيه:

"تعلموا العلم، فإنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فليكتب" ([٨٩]).

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: " ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعني " ([٩٠]).

ولهذه الطريقة في الحفظ مميزات وعيوب:

فمن مميزاهما: أن صاحبها بطيء النسيان لمحفوظه، لأن طريقة حفظه تتضمن التعهد معها، بل هو إنما حفظ بالتعهد الكبير!!

ومن مميزاهما: أن صاحبها أوسع استحضاراً من صاحب الطريقة السابقة، لأنه أوسع اطلاعاً.

ومن عيوبها: أن صاحبها لا يستطيع الجزم بأنه يحفظ كتاباً ما، خاصة المطولات. وأيضاً لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يؤدي ما حفظ باللفظ، وإنما يؤديه بالمعنى ؛ وللرواية بالمعنى شروط، وتحوم حولها أخطار.

ومن عيوبها: أنها تستلزم وقتاً طويلاً للحفظ، وجلداً وصبراً، وانقطاعاً كاملاً ؛ إذا أراد صـــاحبها أن ينافس صاحب الطريقة الأولى.

وأما من جمع بين طريقتي الحفظ هاتين فهو الحافظ الكامل، الذي جمع بين محاسن الحفظ، ونجا مـــن عيوبه كلها.

الميزة الثالثة:

أن علم الحديث علم لا تضبط جميع جزئياته قواعد مطردة دائماً، ولا توزن مسائله بمقاييس رياضية ؛ وإنما قواعده وأصوله أغلبية. بل في كثير من مسائل علم الحديث يصرح المحققون من أهل العلم أنـــه ليس لها قاعدة معينة، وإنما يرجع في كل جزئية منها إلى ملابساتها وقرائنها، ثم يكون الحكم عليها بناء على حالتها الخاصة تلك. وذلك في مثل مسألة (ريادة الثقة)، و (التفرد بأصل)، و(الاعتضاد والتقوي بالمتابعات والشواهد)، وما إلى ذلك من أعظم مسائل علم الحديث.

وليس عدم شمول قواعد علم الحديث لجميع جزئياته، ولا عدم وجود قواعد أصلاً لبعض مســـائله، بسبب تقصير في تقنين هذا العلم وفي تأصيله من علماء الأمة ؛ بل سببه هو بلوغهم به أقصى غايات التقعيد السليم والتأصيل الصحيح!! وذلك أن علم الحديث مادته الخام هي البشر ونقولهم وأخبارهم، وللبشر باختلاف مواهبهم الخلقية، وبتباين دوافعهم وعقائدهم وسلوكياتهم، وباضطراب أحوالهم من وقت لآخر، وبما يطرأ عليهم من عوامل تغيير نفسية وخارجية ؛ بذلك كله لا يمكن أن يكون لنقول هؤلاء وأخبارهم ضوابط حسابية وموازين رياضية، بل لابد من التعامل مع تلـــك المـــادة المتباينـــة الأجزاء، الكثيرة التغيرات في كل جزء منها، بما يتناسب وذلك ؛ وهذا هو ما فعله أئمة الحـــديث في عصور تكوين علمهم .... رضي الله عنهم وأرضاهم!!

المهم أن تعلم أن هذه إحدى أعظم مميزات علم الحديث.

وهذه الميزة تعني: أن تعلم قواعد علم الحديث ودراسة مصطلحه ليس سوى الخطوة الأولى في طلب علم الحديث، مهما تعمق الدارس في تحصيل تلك القواعد والأصول. وما جنى على علم الحـــديث شيء في العصر الحديث مثل الغفلة عن هذه الحقيقة، وذلك بالتعامل مع الروايات الحديثيـــة بتلـــك القواعد معاملة من معه قوالب يصب فيها مادته الخام ومعاملة من معه ختوم جاهزة يطبع بها كـــل مسألة جزئية، دون أن يتنبه إلى أن لكل قاعدة شذوذات، بل يختلق القواعد لما ليس له قاعدة، لعـــدم استطاعته إلا التعامل مع القوالب الجاهزة!!

وهذه الميزة تعني أيضاً: أن علم الحديث علم حي لا يعيش وينمو في صدر رجل إلا بالممارسة له والتطبيق العملي لقواعده. لأن شذوذات القواعد (وهي كثيرة وإنما سميت شذوذات لأنها بخلاف القاعدة المنصوص عليها)، والمسائل التي لا قواعد لها، لا يحسن الوقوف عليها، ولا يعرف المآخذ والأسس التي تبنى عليها أحكامها، ولا يلحظ الملابسات والقرائن الخاصة بكل مسألة جزئية منها ؛ إلا من عاش علم الحديث تطبيقاً عملياً وممارسة عميقة فترة طويلة من عمره.

وعلى هذا فعلم الحديث يحتاج كل الاحتياج لممارسة طويلة، وتطبيق عملي عميق، ليمكن طالب الحديث بعد مرور زمن طويل من ذلك أن يتنبه لشذوذات القواعد وملابساتها، وأن يقف بنفسه على مآخذ الأحكام في المسائل التي لا قواعد لها وإنما يرجع فيها للقرائن الخاصة بكل مسألة.

يقول الخطيب البغدادي، منبها على أهمية الممارسة العملية في علم الحديث: "قل ما يتمهر في علم الحديث، ويقف على غوامضه، ويستنير الخفي من فوائده، إلا من جمع بين متفرقه، وألف متشتته، وضم بعضه إلى بعض، وانشغل بتصنيف أبوابه، وترتيب أصنافه. فإن ذلك الفعل مما يقوي النفس، ويثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويبسط اللسان، ويجيد البيان، ويكشف المشتبه، ويوضح الملتبس، ويكسب أيضاً جميل الذكر، وتخليده إلى آخر الدهر ". ثم أسند الخطيب إلى عبد الله بن المبارك، أنه قال: "صنفت من ألف جزء جزءاً، ومن نظر في الدفاتر فلم يفلح، فلا أفلح هو أبداً" ([٩١]).

وهيئة هذه الممارسة التي نطالب بها طالب علم الحديث، هي: أن يقوم الطالب بما يشبه التصنيف والتأليف، إما بتخريج أحاديث كتاب ما أو أحاديث باب فقهي معين، أو بالترجمة لرواة كتاب لم يخدم رواته بالترجمة، أو بالعناية بالرواة المختلف فيهم، أو بجمع أقوال الأئمة وتطبيقاتهم حول قاعدة من علم الحديث أو حول أحد مصطلحاته.. ونحو ذلك من الموضوعات الكثيرة جداً. والأفضل أن ينوع في طبيعة بحوثه، حتى يستفيد فائدة أعم وأشمل.

وبالطبع لا يكون غرضه من هذه البحوث هو تأليف كتاب يخرجه للناس، خاصة في مرحلة تكوينه العلمي، وإنما يكون غرضه من ذلك التعلم والتمرن، للفوائد التي ذكرها الخطيب في كلامه السابق عن الممارسة العملية في علم الحديث.

ولا يمنع ذلك من أن يبتدىء طالب الحديث مشروعاً علمياً كبيراً، من صغر سنه وبدايات طلبه، يجمع له ويرتب ويناقش ويستنبط ويستدل، ويقضي في ذلك عمراً من عمره، وبشرط أن لا يخرج مشروعه هذا إلا بعد بلوغه من العلم ما يكون قد وصل به إلى درجة الإفادة، كأن يشهد له شيوخه وأقرانه باستحقاقه أن يدلي بجهده في تأليف كتاب.

بل إني لأشدد في النصح لطلبة العلم بابتداء مشاريع من هذا القبيل، ولا يستخفوا بأنفسهم ؛ فقد كان الإمام الزهري يقول للفتيان والشباب: "لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم" ([٩٢]).

ولك في سيرة العلماء قدوة:

فقد بدأ الإمام البخاري تصنيفه للتاريخ الكبير وله من العمر ثمانية عشر عاماً، وبقي في تصنيفه وتحسينه غالب حياته. أما (صحيحه) فمكث في تصنيفه ستة عشر عاماً.

وابتدأ ابن عساكر تصنيف (تاريخ دمشق) بمجلداته الثمانين من صباه، واستمر في جمعه إلى أن شاخ.

وأفنى الطبراني عمره المديد (فقد عمر مائة سنة) في معجمه الأوسط.

فعليك يا طالب العلم أن تختار مشروعاً علمياً حديثياً نافعاً، واستشر العلماء والمأمونين في اختيارك، وابدأ في الجمع له والتأليف من فترة مبكرة، ولا تفوت العمر. ثم أنت خلال هذا الجمع تمارس علم الحديث عملياً، وتطبقه واقعياً ؛ فتستفيد فائدتين، بل فوائد، وتعلي همتك، وتقوي عزمك، وتبذل جهدك في طلبك العلم، وتطرد الملل والسأم وقلة الصبر، بما يتجدد لك في بحثك من فوائد، تنظر قطف ثمرها في مستقبل حياتك العلمية إن شاء الله تعالى.

الميزة الرابعة:

أنه علم مترامي الأطراف، لا ساحل لبحوره، ولا قاع لأعماقة. هذا وصف حقيقي مطابق لواقع حال علم الحديث، وليس كلاماً أدبياً مجازياً. وتحقيق ذلك عندك وتأكيده لديك يظهر: بتذكرك لعظيم تشعب أسانيد الأحاديث وكثرتها، ولتناثر تراجم رواة وتعديلهم التي في غير مظنتها، ولتباعد ما بين تعليلات الأئمة للحديث الواحد في مصادر هذا العلم ؛ مما لا يجمع ذلك كتاب.. بل مكتبة، ولا يحويه مكان واحد.

ولهذه الميزة فإن طالب الحديث في حاجة ماسة إلى مكتبة عامرة بالكتب، مكتبة ضخمة بمعنى الكلمة، تكون بين يديه وقتما يشاء، مكتبة تنمو وتزيد كل يوم بالجديد من المطبوعات والمقدور عليه من المخطوطات، ولا تقف عن النمو ما دام صاحبها حي العلم والروح. حيث إن تلك الميز لا يحل إشكالها، ولا يمكن مواجهتها، إلا بالمكتبة الجامعة لكتب السنة، والمقربة لأطراف هذا العلم المترامية، المعينة على استيعاب جل أو كثير من جزئياته المتفرقة المتشعبة.

ولذلك فعلى طالب العلم أن يتحلى بالبذل والسخاء في اقتناء الكتب، وأن يقدم شراء الكتاب على طعامه وملبسه وملذاته، وأن يحرص كل الحرص على أن لا يفوت كتاباً صغر أو كبر في علم الحديث، في أي فن من فنونه.

ومن نصائح ذي النون المصري (ت ٢٤٥هـ) في ذلك: "ثلاثة من أعلام الخير في المتعلم: تعظيم العلماء بحسن التواضع لهم، والعمى عن عيوب الناس بالنظر في عيب نفسه، وبذل المال في طلب العلم إيثاراً له على متاع الدنيا" ([٩٣]).

ولذلك قال غير واحد من أهل العلم، منهم شعبة بن الحجاج: "من طلب الحديث أفلس" ([٩٤])، وقال الفضل بن موسى السيناني: "طلب الحديث حرفة المفاليس"([٩٥])، ولما سأل سفيان بن عيينة رجلاً عن حرفته فأجابه الرجل بأنها طلب الحديث، فقال سفيان: "بشر أهلك بالإفلاس" ([٩٦])، وقال شعبة: "إذا رأيت المحبرة في بيت إنسان فارحمه، وإن كان في كمك شيء فأطعمه" ([٩٧])، ولما أثنت امرأة على رجل بخير، وقالت في ثنائها: "لا يتخذ ضرة، ولا يشتري جارية"، أجابتها زوج ذلك الرجل بقولها: "والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر" ([٩٨]).

أما طالب العلم (بزعمه) الذي يقول يغنيني كتاب في السنة وعلومها عن كتاب في ذلك، فليس بطالب علم! ولا يريد أن يكون طالب علم. فإني لا أقول إنه لا يغني كتاب عن كتاب فقط، بل أكاد أقول: لا تغني طبعة عن طبعة أخرى له!!!

وأما طالب العلم الذي يقول: لا أشتري كتاباً حتى أقرأ وأدرس الكتاب الذي عندي، فلا يفلح في العلم أبداً! فإن شراء الكتب وحده عبادة يؤجر عليها فاعلها، لوجوه، منها أنها مما لا ينقطع العمل به بعد الموت، تبقى ينتفع بها من بعده.

ثم إن تكوين المكتبة العامرة يشبه طلب العلم من جهتين:

الأولى: كما أن طلب العلم لا يكون جملة، في أيام وليالي، كذلك تكوين المكتبة، لا يمكن أن يتم إلا من خلال متابعة للجديد من الكتب في عالم المطبوعات ؛ حيث إن الكتب في السنة وعلومها كثيرة جداً، قلة من الأغنياء – ممن يعرف قيمة الكتب – من يستطيع شراء الموجود منها دفعة واحدة. وهناك كتب نادرة، وكتب سرعان ما تنفد من الأسواق، فمن لم يبادر بشرائها فاتته، وسيندم حين لا ينفع الندم، وسيندم إن كان فيه بقية من طالب علم.

الثانية: أن طلب العلم الصادق يلجيء طالب العلم إلى دراسة مسائل ما كان يظن قبل ذلك أنه سيحتاج دراستها، وكذلك تكوين المكتبة ؛ فإن شراءك الكتاب ومعرفتك لما فيه يدلك على كتاب آخر، ربما لم تسمع به، وربما سمعت به و لم تظن أنك محتاج إليه ؛ فالحاجة للكتب تنمو مع نمو طلبك للعلم. وكم من كتاب ما كنت أظن أني سأنظر إليه، أصبح بعد في حجري لا أستغني عنه ما دمت أبحث في العلم. فمن كان يجمع الكتب من بدايات طلبه للعلم، سيحمد ذلك عندما يعرف قيمة ما جمع. وأما من كان لا يشتري حتى يقرأ ما جمع فإن انصلح شأنه، فسيندم على سوء سياسته تلك بعد حين، ولات حين مندم.

ولو تصفحت تراجم كبار الأئمة، والعلماء المبرزين، لوجدت أن القاسم المشترك بينهم هـو حـب الكتب والشغف بها، وأنهم من أصحاب المكتبات العظيمة. وأما رحلتهم مع الكتاب وقصتهم معه، فهي قصص تملؤها العاطفة والتفاني والبذل واحتقار الدنيا وملذاتها: فكم من عالم رضي بالجوع دهراً ليقتني الكتب، وكم من عالم آخر باع ثوبه الذي على جسده أو داره التي يسكنها ليمتلك كتاباً، وكم من عالم رضي ببكاء أهله وأولاده عرياً وحرماناً ولم يرض بيع كتاب له، وكم من إمام بكى وغلب حزنه صبره لما فاته كتاب.. وكم وكم!! ([٩٩])

ومن عجائب ذلك قصة الحافظ أبي العلاء الحسن بن احمد بن سهل الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ)، وكان قد جمع كتباً كثيرة، ورحل إلى البلدان من أجل ذلك، وعمل داراً للكتب وخزانة، ووقف جميع كتبه فيها لطلبة العلم!

ومن غرائب ما حصل له في جمعه للكتب: أنه كان مرة ببغداد، ونودي بالمزاد على كتب لابن الجواليقي بمبلغ كبير، فاشتراها أبو العلاء العطار، على أن يوفي الثمن بعد أسبوع، ولم يكن لديه ثمنها. فخرج إلى طريق همذان، فرحل، إلى أن وصلها – فأمر بأن ينادى على داره بالبيع!!! فلما بلغت السعر الذي اشترى به الكتب، قال للمنادي: بيعوا، فقال له المنادي: تبلغ أكثر من ذلك، فلم ينتظر خشية أن ينتهي أمد وفاء ثمن الكتب، فباع داره، ثم ركب إلى بغداد، فوفى الثمن، ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة!!!

ولما توفي هذا الإمام رؤي في المنام وهو في مدينة جميع جدرانها مبنية بالكتب، وحوله كتب لا تحصى، وهو مشتغل بمطالعتها!! فقيل له: ما هذه الكتب ؟! قال: سألت ربي أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا، فأعطاني!!

فعلى طلبة الحديث أن يبدؤوا في تكوين مكتبة من بداية طلبهم، شيئاً فشيئاً ؛ فإنهم إن استمروا في الطلب فسيجدون غب ما جمعوا خيراً وفائدة واستغناء وسعادة!

منهج القراءة والتعلم لكتب الحديث والمصطلح:

بعد ذكر المميزات السابقة لعلم الحديث، وما تستلزمه كل ميزة منها من أسلوب معين تواجه به في الطلب والتحصيل ؛ بقي وضع تصور عام لمنهج القراءة والتعلم في كتب الحديث وعلومه:

ولن أكون في هذا المنهج بعيداً عن الواقع، فأطالب جيل اليوم بما كان يلزم به السلف طلاب العلم في زمانهم ؛ كما سئل الإمام أحمد "عن الرجل يكون معه مائة ألف حديث، يقال إنه صاحب حديث ؟ قال: لا، قيل: عنده مائتا ألف حديث، يقال له صاحب حديث ؟ قال: لا، قيل له: ثلاثمائة ألف حديث ؟ فقال بيده يمنة ويسرة" ([١٠٠]). وقال أبو بكر ابن أبي شيبة: "من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث" ([١٠١]).

بل لن أزن طلاب اليوم بعرف أهل العلم في القرن الثامن الهجري!! فقد قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ): "إنما المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ من ذلك جملة مستكثرة من المتون، وحفظ البعض من الأسانيد، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية، هذا أقل درجاته ؛ فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والأسانيد، كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء" ([١٠٢]).

فهذا كله بحسب عرفهم!! لكن (لكل زمان دولة ورجال). فلن أخاطب إلا أهل زماني، بضعف هممهم، وكثرة الصوارف لهم عن طلب العلم.. وفي الله الخلف وهو المستعان!

فأول ما يلزم طالب الحديث: هو إدمان النظر في الصحيحين (صحيح البخاري وصحيح مسلم)، بل ينبغي أن يضع الطالب لنفسه مقداراً معيناً من الصحيحين يقرؤه كل يوم، ليختم الصحيحين قراءة في كل سنة مرة في أقل تقدير، ويستمر على ذلك أربع سنوات مثلاً، خلال دراسته الجامعية أو الثانوية ؛ فلا يتخرج إلا وقد قرأ الصحيحين عدة مرات، ليكون مستحضراً غالب متون الصحيحين.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بقية الكتب التي اشترطت الصحة، كصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وموطأ مالك، ومنتقى ابن الجارود.

ويتمم هذه بسنن أبي داود والنسائي، وجامع الترمذي، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، والسنن الكبرى للبيهقي.

فيقرأ الطالب هذه الكتب، بعناية وتدقيق، ويكثر من القراءة فيها، وخاصة التي اشترطت الصحة، وعلى رأسها الصحيحان.

فإن كان طالب العلم هذا ممن أوتي موهبة الحفظ، فليجمع عزمه على ما يستطيعه من هذه الكتب. ويمكنه أن يبدأ بحفظ (الأربعين النووية) وما ألحقه ابن رجب بها لتمام خمسين حديثاً، ثم ينتقل إلى (عمدة الأحكام) لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ثم إلى (بلوغ المرام) لابن حجر، أو (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) لمحمد فؤاد عبد الباقي، ثم إلى الصحيحين ؛ ثم ما شاء مما يوفقه الله تعالى إليه من الكتب. وأنصحه أن ألا يضيف إلى محفوظه إلا ما حكم عليه بالصحة والقبول من إمام معتبر، إلا بعد أن يستوعب ذلك.

ويمكن طالب الحديث أن يكمل قراءته لكتب السنة بقراءة شروح مختصرة لكتب الحديث، مثل (أعلام الحديث) في شرح صحيح البخاري للخطابي، وشرح النووي لصحيح مسلم، وشرح الطيبي لمشكاة المصابيح، وفيض القدير للمناوي. وأسهل من ذلك كله، أن يضع الطالب بجواره أثناء قراءته لكتب السنة كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير، لأنه كتاب يعنى بتفسير الكلمات الغريبة لغوياً الواردة في الأحاديث والآثار ؛ ليستطيع من خلال ذلك أن يفهم المعنى العام للحديث،

وأن لا يروي ما لا يدري. فإن أراد التوسع: فعليه بمثل (التمهيد) لابن عبد البر، و(طرح التثريب) للعراقي، و(فتح الباري) لابن حجر.

أما بالنسبة لكتب علوم الحديث والمصطلح: فإن كان الطالب صغير السن (في مثل المرحلة الدراسية المتوسطة) فيبدأ بالبيقونية أو (نخبة الفكر) لابن حجر، مع شرح ميسر لها؛ وإن كان في المرحلة الثانوية أو بداية الجامعة فيبدأ بـ (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر) لابن حجر، أو (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير) لأحمد محمد شاكر، أو (الغاية شرح الهداية) للسخاوي. ثم ينتقل إلى كتاب ابن الصلاح في علوم الحديث، ويضم إليه شروحه كـ (التقييد والإيضاح) للعراقي و(النكت على كتاب ابن الصلاح) لابن حجر، ويتلو ذلك كتاب (الموقظة) للذهبي. ثم ينتقل إلى الكتب الموسعة في علوم الحديث، مثل (تدريب الراوي) للسيوطي، و(فتح المغيث) للسخاوي، و(توضيح الأفكار) للصنعاني. ثم يدرس بعمق كتاب (الكفاية) للخطيب، و(معرفة علوم الحديث) للحاكم، و(شرح علل الترمذى) لابن رجب، ومقدمة (التمهيد) لابن عبدالبر، ومقدمة (الإرشاد) للخليلي. ثم ينتهي بالتفقه في كلام الشافعي في (الرسالة)، ومسلم في مقدمة (الصحيح)، وأبي داود في (رسالته إلى أهل مكة)، ونحوها.

وبعد تعلمه لـ (نزهة النظر) أو ما ذكرناه في درجتها، وأثناء قراءته لكتاب ابن صلاح، عليه أن يكثر مطالعة كتب التخريج، مثل (نصب الراية) للزيلعي، و(البدر المنير) لابن الملقن، و(التلخيص الحبير) لابن حجر، و(تنقيح التحقيق) لابن عبد الهادي، والسلسلتين و(إرواء الغليل) للألباني. ويحاول خلال هذه القراءة أن يوازن بين ما عرفه من كتب المصطلح وما يقرؤه في كتب التخريج تلك، ليرى نظرياً طريقة التطبيق العملي لتلك القواعد ومعاني المصطلحات.

وإذا ما توسع في قراءة كتب التخريج السابقة، ويدرس كتاباً من الكتب الحديثة في أصول التخريج، مثل (أصول التخريج ودراسة الأسانيد) للدكتور محمود الطحان. ثم يدرس كتاباً أو أكثر في علم الجرح والتعديل، مثل (الرفع والتكميل) للكنوي، وأحسن منه (شفاء العليل) لأبي الحسن المصري. ويدرس أيضاً كتاباً من الكتب التي تعرف بمصادر السنة، كـ(الرسالة المستطرفة)للكتاني، و(بحوث في تاريخ السنة النبوية) للدكتور أكرم ضياء العمري.

ثم يبدأ بالتخريج ودراسة الأسانيد بنفسه، وكلما بكر في ذلك (ولو من أوائل طلبه) كان ذلك أعظم فائدة وأكبر عائدة ؛ لأن ذلك يجعله يطبق القواعد فلا ينساها، ويتعرف على مصادر السنة ومناهجها، ويتمرن في ساحات هذا العلم. والغرض من هذا التخريج — كما سبق — هو الممارسة للتعلم، لا للتأليف ؛ وقد تقدم الحديث عن أهمية هذه الممارسة في علم الحديث.

وأثناء قيامه بالتخريج، عليه أيضاً أن يخص علم الجرح والتعديل التطبيقي بمزيد عناية كذلك ؛ وذلك بقراءة كتبه الكبار، مثل: (تهذيب التهذيب) لابن حجر، و(ميزان الاعتدال) للذهبي ؛ وكتبه الأصول،

مثل: (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم، و(الضعفاء) للعقيلي، و(المجروحين) لابن حبان، و(الكامل) لابن عدي، وكتبه التي هي أصول الأصول، مثل: تواريخ يحيى بن معين وسؤالاته هو والإمام أحمد، (التاريخ الكبير) للبخاري، ونحوها. وهو خلال قراءته هذه يحاول أن يوازن بين استخدام الأئمة لألفاظ الجرح والتعديل وما ذكر عن مراتب هذه الألفاظ في كتب المصطلح. وإن مر به أحد الرواة الذين كثر الاختلاف فيهم، فعليه أن يطيل في دراسته، فإن هؤلاء الرواة مادة خصبة للدراسة والاستفادة.

وما يزال الطالب في الترقي العلمي في قراءة كتب علوم الحديث، فلا يدع منها شاردة ولا واردة، وفي التوسع في التخريج، وفي تمحيص علم الجرح والتعديل ؛ حتى يصل إلى مترلة يصبح قادراً فيها على دراسة كتب العلل، مثل: (العلل) لابن المديني، والترمذي، وابن أبي حاتم، وأجلها (علل الأحاديث) للدارقطني. فيقرأ الطالب هذه الكتب قراءة تدقيق شديد، وتفقه عميق ؛ ليدري بعضاً من أساليب الأئمة في عرض علل الأحاديث، وطرائق اكتشاف تلك العلل، وقواعد الحكم على الأحاديث.

فإذا وصل طالب الحديث إلى هذه المرحلة، فلابد أن رأسه قد أمتلأ بالمشاريع العلمية والبحوث الحديثية، التي تزيده تعمقاً في علم الحديث. فليبدأ (على بركة الله) مشوار العلم الطويل، منتفعاً ونافعاً مستفيداً مفيداً.

فإن بلغ طالب الحديث هذه الرتبة، وأسبغ الله عليه نعم توفيقه وتسديده، ومد عليه عمره في عافية، وطالت ممارسته لهذا العلم ؛ فيا بشرى العالم الإسلامي، فقد ولد له محدث!!

وأنبه – أخيراً – أن هذه المنهج التعليمي إنما نطرحه للطالب الذي لم يجد من يوجهه. أما من وجد عالماً ربانيا يعتني به توجيهاً وتعليماً، فعليه أن يقبل عليه بكليته، وأن يلزم عتبة داره ؛ فهو على خير عظيم، وعلى معارج العلم يترقى، ما دام جاثياً في حلقة ذلك العالم.

والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتب

الشريف حاتم بن عارف بن ناصر العبدلي العوني

([1]) جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر. بتحقيق أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي: الدمام، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ)= (رقم ٢٣٥٢، وانظر رقم ٢٣٥١ – ٢٣٥٤).

([2]) بيان جامع العلم وفضله لابن عبد البر (رقم ٢٣٤٩).

([٣]) أخرجه مسلم في صحيحه.

([٤]) حديث صحيح متفق عليه، صح عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم.

([٥]) انظر: شرف أصحاب الحديث، للخطيب. تحقيق محمد سعيد خطيب أو غلي، الطبعة الأولى، نشر دار إحياء السنة النبوية (رقم ٤٦ — ٥١).

([٦]) أخرجه الترمذي وحسنه (رقم ٤٨٤)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٩١١) ؛ وحسنه وصححه غير ما واحد من الأئمة، كما تراه في تخريج الإحسان، والمعجم الكبير للطبراني (٢١/١٠ رقم ٩٨٠٠)

([٧]) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (رقم ٩١١)

([٨]) شرف أصحاب الحديث للخطيب (٣٥).

([٩]) شرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ١٦٣).

[١٠]) حديث أخرجه أصحاب السنن، وصححه الترمذي وغيره. وهو من أصول الدين، ومن قواعد السنة.

([١١]) الجامع للخطيب (رقم٧٧٩).

([١٢]) انظر الجامع الخطيب (رقم ٧٨٠-٧٨٢)، والمدخل إلى السنن للبيهقي (رقم٥٢٠ — ٥٢٢)، والموقظة للذهبي (٦٥).

([١٣]) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٦٤)، والمحدث الفاصل للرامهرمزي (١٧٩ رقم ٣١ — ٣٢)، والمجروحين لابن حبان (٦٢/١)، والكامل لابن عدي (٥٨/١ —٥٩)، والمدخل إلى الإكليل للحاكم (٢٧)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣٦٥/٣)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم١٥٠، ١٥١)، ومسألة العلو والترول لابن طاهر (رقم ٩)، وترجمة الزهري من تاريخ دمشق — الترجمة المطبوعة المفردة — (١٥٠)

([١٤]) الجامع للخطيب (رقم٩٣).

([١٥]) الجامع للخطيب (رقم ٩٦)

([١٦]) أثر صحيح عن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه -: أخرجه البخاري (رقم ١٢٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (رقم ٦١٠)، والخطيب في الجامع (رقم ١٣٥٥).

([١٧]) أثر صحيح عن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه -: أخرجه مسلم في مقدمة صحيحة (١١/١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (رقم ٦١١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (رقم ٨٨٨)، والخطيب في الجامع (رقم ١٣٥٨).

([١٨]) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٣١-٣٢)

([١٩]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٣٥).

([٢٠]) علل الحديث لابن أبي حاتم (٩/١)، و معرفة علوم الحديث للحاكم (١١٣)، والجامع للخطيب (رقم ١٨٣٧).

([٢١]) علل الحديث لابن أبي حاتم (٩/١)

([٢٢]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٣٨).

([٢٣]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٣٩)

([٢٤]) شرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٢٧٧).

([٢٥]) الجامع للخطيب (١٦٨/١ رقم ٩١).

([٢٦]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٨٥٠)

([٢٧]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٨٥٢).

([٢٨]) المائدة (٤٢)، والحجرات (٩)، والممتحنة (٨)

([٢٩]) الأنساب المتفقة لابن طاهر المقدسي (٣).

([٣٠]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٨٥٣).

([٣١]) حديث صحيح مشهور، أخرجه أصحاب السنن، وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما . وروي من حديث نحو ثلاثين صحابياً. ولأبي عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم المديني (ت٣٣٣هـ) جزء حديثي عنون به. وللشيخ عبد المحسن العباد (دراسة حديث (نضر الله أمرأ سمع مقالتي) رواية ودراية).

([٣٢]) ما أحسن قوله: (وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر)! فإنك إن ذكرت فضل الفقيه، قلنا لك: وهل تفقه الفقيه إلا بما رواه له المحدث وميز له صحيحه من سقيمه ؟! وإن ذكرت فضل المحدث، قلنا لك: وهل يكون للرواية فائدة إلا بفقهها للعمل بما فيها ؟!

([٣٣]) هذه الأمثلة الثلاثة، ذكر في كل واحد منها قرينين ، الأول منهما إمام في الفقه والثاني =إمام في الحديث ؛ فمن ينتقص أحد الإمامين ؟!! أمن يستطيع ذلك ؟!!!

([٣٤]) المحدث الفاصل للرامهرمزي (١٦٩ – ١٧٠).

([٣٥]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ١٩٤٤)، والجامع لأخلاق الراوي للخطيب (رقم ١٣٧١).

([٣٦]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ١٥٣٣).

([٣٧]) الجامع للخطيب (٢٥١/٢ رقم ١٥٦٩).

([٣٨]) الجامع للخطيب (رقم ١٥٦٩).

([٣٩]) الجامع للخطيب (رقم ١٥٧٠).

([٤٠]) الجامع للخطيب (رقم ١٥٧١).

([٤١]) الجامع للخطيب (رقم ١٩٠٩).

([٤٢]) شرف أصحاب الحديث (رقم ١٤٥).

([٤٣]) التكاثر (١).

([٤٤]) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ١٩٨٨).

([٤٥]) التاريخ لابن معين (رقم ٤٣٣٠)، والجامع للخطيب (رقم ١٦٩٩).

([٤٦]) الجامع للخطيب (رقم ١٧٠٠).

([٤٧]) الجامع للخطيب (رقم ١٧٠١).

([٤٨]) الجامع للخطيب (١٢٦ – ٢٢٧ رقم ١٥٢٣، ١٥٢٨).

([٤٩]) الجامع للخطيب (رقم ١٥٩٩).

([٥٠]) شرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٣٠٤).

([٥١]) الجامع للخطيب (رقم ١٩٨٦)

([٥٢]) الجامع للخطيب (رقم ١٩٨٣).

([٥٣]) معرفة علوم الحديث للحاكم (٢٥٠ – ٢٥٤).

([٥٤]) الجامع للخطيب (رقم ١٥٦٤).

([٥٥]) الجامع للخطيب (رقم ١٨١٨).

([٥٦]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٤٣).

([٥٧]) الجامع لمعمر – بذيل مصنف عبد الرزاق – (٢٥٦/١١)، والمدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ٥١٩).

([٥٨]) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (رقم ٤٨٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (رقم ١١٩٥)، والخطيب في الجامع (رقم ١٨٥٠)، وانظر تخريجه في المصدرين الأولين.

([٥٩]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٤٦).

([٦٠]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ١٢٧٤).

([٦١]) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ١٢٨٤، ١٢٨٦)، والجامع للخطيب (رقم ١٨٥١، ١٨٥٢).

([٦٢]) البقرة (٢٨٢).

([٦٣]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٢).

([٦٤]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٢).

([٦٥]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٣).

([٦٦]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٤٨٢)، والمدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ٦٤٠).

([٦٧]) انظر: المدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ٦٤١)، وجامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٤٨١).

([٦٨]) شرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ١٣٧-١٣٩).

([٦٩]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٤٨٣)، والجامع للخطيب (رقم٦٨٣).

([٧٠]) الحث على حفظ العلم لابن الجوزي (٥٠).

([٧١]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٤).

([٧٢]) تعليق للدكتور محمد عجاج الخطيب على المصدر السابق.

([٧٣]) الحث على حفظ العلم لابن الجوزي (٤٨-٤٩).

([٧٤]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٩)، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٦٤١).

([٧٥]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٥).

([٧٦]) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (١٤٠-١٤٦)، والجامع للخطيب (٢/٤٠٤-٤٢١).

([٧٧]) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٦٢٣، ٦٨٧)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٢٠٢-٢٠٣).

([٧٨]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٦٢٦)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٢٠٧-٢٠٨)، والجامع للخطيب (رقم ١٨٨٢-١٨٨٣).

([٧٩]) انظر: جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٩)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥)، والجامع للخطيب (رقم ١٨٨٤-١٨٨٥).

([٨٠]) الجامع للخطيب (رقم ١٩٠٠).

([٨١]) الجامع للخطيب (رقم ١٨٩٩)، بتصرف يسير.

([٨٢]) الجامع للخطيب (رقم ٨٨٥).

([٨٣]) المدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ١٤٩٣)، ولابن معين عبارة نحوها في الجامع للخطيب (رقم ١٤٩٤).

([٨٤]) الجامع للخطيب (رقم ١٤٩٢).

([٨٥]) انظر: الحث على حفظ العلم لابن الجوزي (٥٠).

([٨٦]) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم٢٤١٤).

([٨٧]) الجامع للخطيب (رقم١٨١٣).

([٨٨]) الجامع للخطيب (رقم١٨٧٣).

([٨٩]) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم٤٨٤)، والمدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ٦٣٢،٧٧٢).

([٩٠]) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٤٤٧).

([٩١]) الجامع للخطيب (رقم ١٩١٣، ١٩١٤).

([٩٢]) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (رقم ٥٠٥، ٥٠٦).

([٩٣]) المدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ٦٨٥).

([٩٤]) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٥٩٧)، والجامع للخطيب (رقم ٥٤، ٥٥، ٥٦).

([٩٥]) الجامع للخطيب (رقم ٥٨).

([٩٦]) الجامع للخطيب (رقم ٥٧).

([٩٧]) الجامع للخطيب (رقم ٦٠).

([٩٨]) الجامع للخطيب (رقم ٦١).

([٩٩]) وفي كتاب (صفحات من صبر العلماء) لعبدالفتاح أبو غدة أمثلة وافرة من ذلك.

([١٠٠]) الجامع للخطيب (رقم ٢)

([١٠١]) الجامع للخطيب (رقم ٣)، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (رقم ٢٨).

([١٠٢]) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي (٨٢-٨٣).

============================

نصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (*)

الكاتب: محمد صالح المنجد

بيان بشأن هجم الصحيفتين النرويجية والدنمركية على نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من أعظم ما يفتخر به المسلم إيمانه ومحبته لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، ومع أن المسلم يؤمن بالأنبياء جميعاً - عليهم الصلاة والسلام -، ولا يفرق بين أحد منهم؛ إلا أنه يعتبر النبي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خاتمهم، وأفضلهم، وسيدهم، فهو الذي يُفتح به باب الجنة، وهو الطريق إلى هذه الأمة فلا يؤذن لأحد بدخول الجنة بعد بعثته؛ إلا أن يكون من المؤمنين به - عليه الصلاة والسلام - ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ))]التوبة١٢٨[

ومما زادني شرفاً وتيهاً *** وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي *** وأن صيّرت أحمد لي نبيا

أيها المسلمون:

ترى ماذا نقول أمام ما نشرته صحيفة (جلاندز بوستن) الدانماركية يوم الثلاثاء ١٤٢٦/٨/٢٦هـ (١٢) رسماً كاريكاتيرياً ساخر، بمن يا ترى؟! بأعظم رجل وطأت قدماه الثرى، بإمام النبيين، وقائد الغر المحجلين – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

صور آثمةٌ وقحةٌ وقاحة الكفر وأهله، أظهروا النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في إحدى هذه الرسومات عليه عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه!! وكأهم يريدون أن يقولوا إنه – مجرم حرب – ((ألا ساء ما يزرون)).

ثم في هذه الأيام وفي يوم عيد الأضحى بالتحديد — إمعاناً في العداء – تأتي جريدة (ما جزينت) النرويجية لتنكأ الجراح وتشن الغارة من جديد ، فتعيد نشر الرسوم ألوقحة التي نُشرت في المجلة الدنمركية قبل! (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)[الذاريات٥٣] [١]

بالله ماذا يبقى في الحياة من لذة يوم ينال من مقام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم لا ينتصر له ولا يذاد عن حياضه . ماذا نقول تجاه هذا العداء السافر ، والتهكم المكشوف .. هل نغمض أعيننا ، ونصم آذاننا ، ونطبق أفواهنا .. وفي القلب عرق ينبض . والذي كرم محمداً وأعلى مكانته لبطن الأرض أحب إلينا من ظاهرها إن عجزنا أن ننطق بالحق وندافع عن رسول الحق . ألا جفت أقلام وشُلت سواعد امتنعت عن تسطير أحرفٍ تذود بها عن حوضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتدافع عن حرمته .

فإن أبي ووالده وعرضي *** لعرض محمد منكم فداء

مكانة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أي عبارة تحيط ببعض نواحي تلك العظمة النبوية، وأي كلمة تتسع لأقطار هذه العظمة التي شملت كل قطر، وأحاطت بكل عصر، وكُتب لها الخلود أبد الدهر، وأي خطبة تكشف لك عن أسرارها وإن كُتب بحروف من النور، وكان مداده أشعة الشمس.

إنها العظمة الماثلة في كل قلب، المستقرة في كل نفس، يستشعرها القريب والبعيد، ويعترف بها العدو والصديق، وتهتف بها أعواد المنابر، وتهتز لها ذوائب المنائر.

ألم تر أن الله خلَّد ذكره *** إذ قال في الخمس المؤذن: أشهد

وشقّ له من اسمه ليجله *** فذو العرش محمود وهذا محمد

إنه النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث الكمال الخُلقي بالذروة التي لا تُنال، والسمو الذي لا يُسامى، أوفر الناس عقلاً، وأسداهم رأيًا، وأصحهم فكرةً، أسخى القوم يدًا، وأنداهم راحة، وأجودهم نفسًا أجود بالخير من الريح المرسلة، يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يبيت على الطوى وقد وُهب المئين، وجاد بالآلاف، لا يحبس شيئًا وينادي صاحبه: "أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً".

أرحب الناس صدرًا، وأوسعهم حلمًا، يحلم على من جهل عليه، ولا يزيده جهل الجاهلين إلا أخـــذًا بالعفو وأمرًا بالمعروف، يمسك بغرة النصر وينادي أسراه في كرم وإباء: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".
أعظم الناس تواضعًا، يُخالط الفقير والمسكين، ويُجالس الشيخ والأرملة، وتذهب به الجارية إلى أقصى سكك المدينة فيذهب معها ويقضي حاجتها، ولا يتميز عن أصحابه بمظهر من مظاهر العظمـــة ولا برسم من رسوم الظهور.
ألين الناس عريكةً وأسهلهم طبعًا، ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مُحرمًا، وهو مـــع هذا أحزمهم عند الواجب وأشدهم مع الحق، لا يغضب لنفسه، فإذا انتُهِكت حرمات الله لم يقـــم لغضبه شيء، وكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان من شدة الغضب.
أشجع الناس قلبًا وأقواهم إرادةً، يتلقى الناس بثبات وصبر، يخوض الغمار ويُنادي بأعلى صوته: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب".
وهو من شجاعة القلب بالمترلة التي تجعل أصحابه إذا اشتد البأس يتقون برسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ومن قوة الإرادة بالمترلة التي لا ينثني معها عن واجب، ولا يلين في حـــق، ولا يتـــردد ولا يضعف أمام شدة.
أعف الناس لسانًا، وأوضحهم بيانًا ، يسوق الألفاظ مُفصلة كالدر مشرقة كالنور، طاهر كالفضيلة في أسمى مراتب العفة وصدق اللهجة.
أعدلهم في الحكومة وأعظمهم إنصافًا في الخصومة يَقِيدُ من نفسه ويقضي لخصمه، يقيم الحدود على أقرب الناس، ويقسم بالذي نفسه بيده: " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ".
أسمى الخليقة روحًا، وأعلاها نفسًا، وأزكاها وأعرفها بالله ، وأشدها صلابة وقيامًا بحقه، وأقومهـــا بفروض العبادة ولوازم الطاعة، مع تناسق غريب في أداء الواجبات ، واستيعاب عجيـــب لقضـــاء الحقوق ، يُؤتي كل ذي حق حقه، فلربه حقه، ولصاحبه حقه، ولزوجه حقها، ولدعوته حقها، أزهد الناس في المادة وأبعدهم عن التعلق بعرض هذه الدنيا، يطعم ما يقدم إليه فلا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقودا ، ينام على الحصير والأدم المحشو بالليف.
قضى زهرة شبابه مع امرأة من قريش تكبره بخمس عشرة سنة، قد تزوجت من قبله وقضت زهـــرة شبابها مع غيره ، ولم يتزوج معها أحدًا وما تزوج بعدها لمتعة، وما كان في أزواجه الطاهرات بكـــرًا غير عائشة التي أعرس بها وسنها تسع سنين، يسرب إليها الولائد يلعبن معها بالدمي وعرائس القطن والنسيج.
أرفق الناس بالضعفاء وأعظمهم رحمة بالمساكين والبائسين، شملت رحمته وعطفه الإنسان والحيـــوان، ويحذر أصحابه، فيقول لهم: "إن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلا هي أطعمتـــها ولا هـــي تركتها تأكل من خشاش الأرض".

لو لم يكن للنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الفضل إلا أنه الواسطة في حمل هداية السماء إلى الأرض، وإيصال هذا القرآن الكريم إلى العالم لكان فضلاً لا يستقل العالم بشكره، ولا تقوم الإنسانية بكفائه، ولا يُوفى الناس حامله بعض جزائه.

ذلك قبس من نور النبوة، وشعاع من مشكاة الخلق المحمدي الطاهر، وإن في القول بعد لسعة وفي المقام تفصيلاً.

وسل التاريخ ينبئك هل مر به عظيم أعظم من النبي محمد –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ فقد عُصم من النقائص، وعلا عن الهفوات، وجلّ مقامه عن أن تلصق به هفوة.

خُلقتَ مُبرءًا من كل عيب *** كأنك قد خُلقت كما تشاء

من أقوال الغربيين في النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إن المنصفين من المشاهير المعاصرين عندما اطلعوا على سيرة رسول الله محمد لم يملكوا إلا الاعتراف له بالفضل والنبل والسيادة، وهذا طرفٌ من أقوال بعضهم :

١- يقول مايكل هارت في كتابه "الخالدون مئة" ص١٣، وقد جعل على رأس المئة سيدَنا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول:

"لقد اخترت محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول هذه القائمة ... لأن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي ، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد ١٣ سنة من وفاته، فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا متجددا".

وقال ص ١٨: "ولما كان الرسول صلي الله عليه وسلم قوة جبارة لا يستهان بها فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ".

٢- برناردشو الإنكليزي ، له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية ، يقول :

"إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، وإنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها".

٣- ويقول آن بيزيت :

"من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء...

هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره – السن التي تخبو فيها شهوات الجسد – تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكـــم علـــى حيـــاة الأشخاص."

٤- تولستوي (الأديب العالمي) :

"يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمـــة، وفـــتح علـــى وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة".

٥- شبرك النمساوي :

"إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته".

٦- الدكتور زويمر الكندي ،مستشرق كندي :

"إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنـــه كـــان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هـــذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء".

٧- الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي :

"عُرِف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق".

٨- الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل الحائز على جائزة نوبل يقول في كتابه الأبطال :

" لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال مـــن أن ديـــن الإسلام كذب ، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ ، صادق العزم بعيداً ، كريماً بَرًّا ، رؤوفاً ، تقياً ، فاضلاً ، حراً ، رجلاً ، شديد الجد ، مخلصاً ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، ليِّن العريكة ، جم البشـــر والطلاقـــة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس ، بل ربما مازح وداعب.

كان عادلاً ، صادق النية ، ذكي اللب ، شهم الفؤاد ، لوذعياً ، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم ، ممتلئاً نوراً ، رجلاً عظيماً بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولا هذبه معلم ، وهو غني عن ذلك".

و بعد أن أفاض كارليل في إنصاف النبي محمد ختم حديثه بهذه الكلمات : "هكذا تكون العظمـــة، هكذا تكون البطولة، هكذا تكون العبقرية".

٩- ويقول جوتة الأديب الألماني :

"إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكـــذا وجـــب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".

١٠- وقال شاتليه الفرنسي :

"إن رسالة محمد هي أفضل الرسالات التي جاء بها الأنبياء قبله".

١١- يقول وليم المؤرخ الإنجليزي الكبير في كتابه ((حياة محمد)) :

" لقد امتاز محمد عليه السلام بوضوح كلامه ويسر دينه و قد أتم في الأعمال ما يدهش العقول و لم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس أحيا الأخلاق و أرفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نـــبي الإسلام محمد".

١٢- قالت الدكتورة زيجرد هونكة الألمانية :

" أن محمد و الإسلام شمس الله على الغرب".

فإن كان ذلك كذلك فإن من واجب العالم كله — ولا محيص لهم عن ذلك — أن يجعل عظمة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الخلق جميعًا فوق كل عظمة، وفضله فوق كل فضل، وتقديره أكبر من كل تقدير، ولو لم يكن له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من مؤيدات نبوته وأدلة رسالته إلا سيرته المطهرة وتشريعه الخالد لكانا كافيين، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

صدق نبوة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

من كلام شيخ الإسلام:

ومعلوم أن مدعى الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم وإما أن يكون من أنقص الخلـــق وأرذلهم ، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما بلغهم الرسالة ودعـــاهم إلى الإسلام والله لا أقول لك كلمة واحدة إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليـــك وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك ، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملـــهم بـــأنقص الخلـــق وأرذلهم .

وما أحسن قول حسان - رضي الله عنه - :

لَو لَم تَكُن فيهِ آياتٌ مُبَيَّنَةٌ *** كانَت بَديهَتُهُ تُنبيكَ بِالخَبَرِ

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واســـتحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز .

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ، ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعـــل أمورا .

والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة. والصادق يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة .
ولهذا قال تعالى : {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ(٢٢١)تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ(٢٢٣)}.
والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ولا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب،ولهذا لما أنزل الوحي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول مرة ، ونزلت عليه الآيات من أول سورة العلق ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ !!
قَالَ لِخَدِيجَةَ أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ !!
فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ، فقال وَرَقَةُ :
هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى !!
فاشتملت هذه الواقعة على نوعين من طرق الاستدلال على صحة نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظيم قدره عند ربه ، وأنه ليس ممن يخزيه الله تعالى :
النوع الأول : الاستدلال بأحواله وأخلاقه وأعماله ، وبهذا استدلت خديجة رضي الله عنها .
والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم الصدق من نفسه أكثر مما يعلمه غيره منه ، وإنما خاف في أول الأمر أن يكون قد عرض له عارض سوء ، فذكرت خديجة ما ينفي هذا ؛ وهو ما كان مجبولا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والأعمال ؛ وهو الصدق المستلزم للعدل، والإحسان إلى الخلق ، ومن جمع فيه الصدق والعدل والإحسان لم يكن مما يخزيه الله ، وصلة الرحم وقرى الضيف وحمل الكل وإعطاء المعدوم ، والإعانة على نوائب الحق هي من أعظم أنواع البر والإحسان ، وقد علم من سنة الله أن من جبله الله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه .
وبهذه الطريقة – أيضا – استدل هرقل ملك الروم ، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما كتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام ، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة ، فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فطلب هرقل أبا سفيان ، فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ !!

ثم سأله : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ فقال : قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ .... ، إلى آخر الأسئلة التي سأل أبا سفيان عنها .

ثم قال هرقل لترجمانه ، بعد انتهاء ما عنده من الأسئلة ، وسماع جواب أبي سفيان عنها :

قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا .

وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ .

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، قُلْتُ : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ .

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ؛ فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ .

وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ . وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ .

وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ .

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ .

وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ ؛ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ !!

قال شيخ الإسلام رحمه الله : ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبيء الكذاب لا يدوم إلا مدة ، يسيرة وهذه من بعض حجج ملوك النصارى الذين يقال إنهم من ولد قيصر هذا أو غيرهم ، حيث رأى رجلا يسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من رؤس النصارى ، ويرميه بالكذب فجمع علماء النصارى وسألهم عن المتنبيء الكذاب : كم تبقى نبوته ؟

فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء أن الكذاب المفتري لا يبقى إلا كذا وكذا سنة ، لمدة قريبة إما ثلاثين سنة أو نحوها !!

فقال لهم : هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة ، أو ستمائة سنة [يعني : في أيام هذا الملك] ، وهو ظاهر مقبول متبوع ، فكيف يكون هذا كذابا ؟؟

ثم ضرب عنق ذلك الرجل !!

والنوع الثاني : الاستدلال بالنظر في رسالته وما جاء به ، ومقارنتها بما جاء به الرسل من قبله : وبهذا استدل ورقة بن نوفل على صحة نبوته لما سمع ما جاء به ؛ فالنبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام .

وقد علم ما كانت عليه الرسل من الأقوال والأحوال على وجه العموم ؛ فالمدعي للرسالة ، إذا أتى بما يظهر به مخالفته للرسل علم أنه ليس منهم ، وإذا أتى بما هو من خصائص الرسل علم أنه منهم ، لا سيما إذا علم أنه لا بد من رسول منتظر .

ولهذا قال الله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٤٦)الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ(١٤٧) .

وبهذه الطريقة ــ أيضا ــ استدل النجاشي على صحة نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وآمن به بعد ذلك ، فإنه لما سألهم عما يخبر به ، واستقرأهم القرآن فقرؤه عليه ، قال : (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) .

[انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله] .

الدفاع عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إن من واجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا أن نحبه ونجله ونبجله ونعظمه ونتبع سنته في الظاهر والباطن،وأن نذب عنه كيد الكائدين ومكر الماكرين .

وفي هذا العصر المليء بالفتن والشرور على الأمة الإسلامية؛ فإننا نجد حملة ضارية سيئة من عدد من الرهبان والقسس وضعاف النفوس وضعاف العقول على شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام.

فيا لله كيف تنبري فرقة أومنظمة أوأفراد بالقدح أو الحط من قدر هذا النبي الخالد.

كذبتم وايم الله يبزى محمد *** ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله *** ونذهل عن أبنائنا والحلائل

إن الهجوم الإعلامي على الإسلام ذو جذور قديمة قدم الإسلام ، وهو أحد الأساليب التي اتخذها الكفار للصد عن سبيل الله تعالى ، بدأ من كفار قريش وحتى عصرنا الحاضر ، وهذا الهجوم له ألوان كثيرة ولكنها في أغلبها كانت محصورة في نطاق الشبهات والمغالطات والطعون ، لكن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، انتقل الهجوم إلى لون جديد قذر لم يُعهد من قبل وهو التعرض لشخص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنيل من عرضه وذاته الكريمة ، وقد اتسم هذا الهجوم بالبذاءة والسخرية والاستهزاء ، مما يدل دلالة واضحة أن هذا التهجم له منظمات وله استراتيجيات خاصة ، تتركز على استخدام وسائل الإعلام بل ويقومون به أناس متخصصون مدعومون من بعض قساوسة النصارى لا كلهم..

قال جيري فالويل: «أنا أعتقد أن محمداً كان إرهابياً»، «في اعتقادي.. المسيح وضع مثالاً للحب، كما فعل موسى، وأنا أعتقد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً»، «إنه كان لصاً وقاطع طريق».

وقال بات روبرتسون: «كان مجرد متطرف ذو عيون متوحشة تتحرك عبثاً من الجنون».

وقال جيري فاينز: «شاذ يميل للأطفال، ويتملكه الشيطان».

وقال جيمي سوجارت: «إنه شاذ جنسياً»، «ضال انحرف عن طريق الصواب».

هذا غير تصويره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحة في الرسوم الكاريكاتورية في مواقف ساخرة وضيعة.

وهكذا انتقل الهجوم على الإسلام من طرح الشبهات إلى إلقاء القاذورات، ولم يجد المهاجمون في الإسلام ولا في شخص خاتم الأنبياء ما يرضي رغبتهم في التشويه، ووجدوا أن الشبهات والطعن الفكري من الأمور التي يسهل تفنيدها وكشف زيفها أمام قوة الحق في الإسلام، فلجؤوا إلى التشويه الإعلامي، وخاصة أنهم يملكون نواصيه في الغرب.

هذه القضية تثير غيرة كل مسلم، وتدفعه إلى التساؤل عن أسباب هذه الهجمة، والأغراض الكامنة وراءها، ومدى تأثيرها.

العوامل الدافعة للنيل من شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

- سرعة انتشار الإسلام، والتي تثير غيرة كل المعادين للدين، سواء أكانوا من النصارى أو اليهود، أو من العلمانيين والملحدين.

- حسد القيادات وخصوصاً الدينية، فإن كثيراً من هؤلاء يغيظهم شخص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل حتى المنافقين في العالم الإسلامي، لما يرون من لمعان اسم النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل الأرجاء وكثرة أتباعه وتوقير المسلمين الشديد لنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا ما يثير حسدهم.

- عامل الخوف، ليس الخوف من انتشار الإسلام في الغرب فحسب بل الخوف من عودة المسلمين في العالم الإسلامي إلى التمسك بدينهم، وهم الآن يستغلون ضعف المسلمين في كثير من الجوانب، مثل الجانب الاقتصادي والإعلامي، ويريدون أن يطفئوا هذا النور قبل أن ينتشر في العالم.

حكم من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أجمع العلماء على أن من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسلمين فهو كافر مرتد يجب قتله .

وهذا الإجماع قد حكاه غير واحد من أهل العلم كالإمام إسحاق بن راهويه وابن المنذر والقاضي عياض والخطابي وغيرهم . الصارم المسلول ٢/١٣-١٦ .

وقد دل على هذا الحكم الكتاب والسنة :

أما الكتاب؛ فقول الله تعالى : (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) التوبة / ٦٦ .

فهذه الآية نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر ، فالسب بطريق الأولى ، وقد دلت الآية أيضاً على أن من تنقص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كفر ، جاداً أو هازلاً .

وأما السنة؛ فروى أبو داود (٤٣٦٢) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهَا .

قال شيخ الإسلام في الصارم المسلول (١٢٦/٢) : وهذا الحديث جيد ، وله شاهد من حديث ابن عباس وسيأتي اهـ .

وهذا الحديث نص في جواز قتلها لأجل شتم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى أبو داود (٤٣٦١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ [سيف قصير] فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ . فَقَامَ الْأَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ). صححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٥٥) .

والظاهر من هذه المرأة أنها كانت كافرة ولم تكن مسلمة، فإن المسلمة لا يمكن أن تقدم على هذا الأمر الشنيع، ولأنها لو كانت مسلمة لكانت مرتدةً بذلك، وحينئذٍ لا يجوز لسيدها أن يمسكها ويكتفي بمجرد نهيها عن ذلك.

وروى النسائي (٤٠٧١) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : أَغْلَظَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَقُلْتُ : أَقْتُلُهُ ؟ فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ : لَيْسَ هَذَا لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . صحيح النسائي (٣٧٩٥) فعُلِم من هذا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له أن يقتل من سبه ومن أغلظ له ، وهو بعمومه يشمل المسلم والكافر .

إذا تاب من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهل تقبل توبته أم لا ؟

اتفق العلماء على أنه إذا تاب توبة نصوحاً، وندم على ما فعل، أن هذه التوبة تنفعه يوم القيامة، فيغفر الله تعالى له.

واختلفوا في قبول توبته في الدنيا، وسقوط القتل عنه.

فذهب مالك وأحمد إلى أنها لا تقبل، فيقتل ولو تاب.واستدلوا على ذلك بالسنة والنظر الصحيح :

أما السنة فروى أبو داود (٢٦٨٣) عَنْ سَعْدٍ بن أبي وقاص قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَسَمَّاهُمْ وَابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ : وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (يفطن لصواب الحكم) يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ ؟ فَقَالُوا : مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ؟ قَالَ: إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ . صححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣٤) .

وهذا نص في أن مثل هذا المرتد الطاعن لا يجب قبول توبته ، بل يجوز قتله وإن جاء تائباً .

وكان عبد الله بن سعد من كتبة الوحي فارتد وزعم أنه يزيد في الوحي ما يشاء ، وهذا كذب وافتراء على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من أنواع السب. ثم أسلم وحسن إسلامه ، فرضي الله عنه . (الصارم المسلول ١١٥).

ذكر العظيم آبادي في شرح الحديث :

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَى الرَّشِيد هَهُنَا الْفِطْنَة، لِصَوَابِ الْحُكْم فِي قَتْله اِنْتَهَى .

وَفِيهِ أَنَّ التَّوْبَة عَنْ الْكُفْر فِي حَيَاته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ مَوْقُوفَة عَلَى رِضَاهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ الَّذِي اِرْتَدَّ وَآذَاهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا آمَنَ سَقَطَ قَتْله قَالَهُ السِّنْدِيُّ ا هـ. من عون المعبود.

وأما النظر الصحيح :

فقالوا : إن سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعلق به حقان؛ حق لله، وحق لآدمي . فأما حق الله فظاهر، وهو القدح في رسالته وكتابه ودينه. وأما حق الآدمي فظاهر أيضا فإنه أدخل المَعَرَّة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا السب، وأناله بذلك غضاضة وعاراً. والعقوبة إذا تعلق بها حق الله وحق الآدمي لم تسقط بالتوبة، كعقوبة قاطع الطريق، فإنه إذا قَتَل تحتم قتله وصلبه، ثم لو تاب قبل القدرة عليه سقط حق الله من تحتم القتل والصلب، و لم يسقط حق الآدمي من القصاص، فكذلك هنا، إذا تاب الساب فقد سقط بتوبته حق الله تعالى، وبقي حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسقط بالتوبة

فإن قيل : ألا يمكن أن نعفو عنه ، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عفا في حياته عن كثير ممن سبوه و لم يقتلهم ؟.

فالجواب :كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تارة يختار العفو عمن سبه، وربما أمر بقتله إذا رأى المصلحة في ذلك، والآن قد تَعَذَّر عفوُه بموته، فبقي قتل الساب حقاً محضاً لله ولرسوله وللمؤمنين لم يعف عنه مستحقه، فيجب إقامته . الصارم المسلول ٤٣٨/٢ .

وخلاصة القول :

أن سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم المحرمات، وهو كفر وردة عن الإسلام بإجماع العلماء، سواء فعل ذلك جاداً أم هازلاً. وأن فاعله يقتل ولو تاب، مسلما كان أم كافراً. ثم إن كان قد تاب توبة نصوحاً، وندم على ما فعل، فإن هذه التوبة تنفعه يوم القيامة، فيغفر الله له .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، كتاب نفيس في هذه المسألة وهو (الصارم المسلول على شاتم الرسول) ينبغي لكل مؤمن قراءته ، لاسيما في هذه الأزمان التي تجرأ فيها كثير من المنافقين والملحدين على سب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما رأوا تهاون المسلمين، وقلة غيرتهم على دينهم ونبيهم، وعدم تطبيق العقوبة الشرعية التي تردع هؤلاء وأمثالهم عن ارتكاب هذا الكفر الصراح. نسأل الله تعالى أن يعز أهل طاعته ، ويذل أهل معصيته .

عاقبة من سب رسول الله في الدنيا :

إن الله عز وجل يغار على دينه، ويغار على نبيه، ومن غيرته تعالى أنه ينتقم ممن آذى رسوله، لأن من آذى رسوله فقد آذى الله، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) (الأحزاب:٥٧).

والله تعالى قد تولى الدفاع عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا)، وأعلن عصمته له من الناس (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ) وأخبر أنه سيكفيه المستهزئين (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) سواء كانوا من قريش أو من غيرهم .

قال الشنقيطي رحمه الله: وذكر – الله – في مواضع أخرى أنه كفاه غيرهم كقوله في أهل الكتاب (فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ..) وقال (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) .

وقال ابن سعدي رحمه الله: " وقد فعل تعالى ، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة ".أهـ

أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة، عن ابن عباس في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال: المستهزئون، الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أرني إياهم، فأراه كل واحد منهم، وجبريل يشير إلى كل واحد منهم في موضع من جسده ويقول : كَفَيْتُكَهُ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما صنعت شيئا !. فأما الوليد، فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً فأصاب أكحله

فقطعها. وأما الأسود بن المطلب، فنزل تحت سمرة فجعل يقول: يابنيّ، ألا تدفعون عني؟ قد هلكت وطُعنت بالشوك في عينيّ فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عتمت عيناه . وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرج في رأسه قروح فمات منها . وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه . وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة فدخل من أخمص قدمه شوكة فقتلته (الدر المنثور ٥/١٠١) .

قصة الرجل الذي كان يكتب لرسول الله :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ:" مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ"، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ) رواه البخاري ومسلم.

الصغيران اللذان قتلا أبا جهل الذي يسب رسول الله :

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ (بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ قُلْتُ نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ قُلْتُ أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ أَيُّكُمَا قَتَلَهُ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ فَقَالَ هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا قَالَا لَا فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ كِلَاكُمَا قَتَلَهُ سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ) رواه البخاري .

كانوا يستبشرون بهزيمة من سب رسول الله :

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " وإنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول ، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، و لم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون

فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امـــتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه . وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب – يعني المغرب – حالهم مع النصارى كذلك.أهـــ (الصارم المسلول ص ١١٦-١١٧)

استنصار بعض النصارى بكتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وبالمقابل فقد علم بعض ملوك النصارى أن إكرام كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقي فيـــه الملك ما شاء الله . ذكر السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيمـــاً لـــه ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة ، ثم كان عند سِبطه ، فحدثني بعضُ أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فـــأخرج لـــه الكتاب ، فلما رآه استعبر ، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله فامتنع .

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب ، فأخرج منه مقلمة ذهب ، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه ، وقد التصقت عليه خِرقَـــة حرير ، فقال : هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر ، ما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وأوصانا آباؤُنا أنه مـــا دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا " أهـــ .

قصة الشيخ محمد شاكر مع خطيب الجمعة الذي سب رسول الله :

ذكر الشيخ أحمد شاكر أن والده الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقاً كفّر أحد خطباء مصـــر ، وكان فصيحاً متكلماً مقتدراً وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين ، فقال في خطبته : جاءه الأعمى فما عبس بوجهه وما تولى ! .

وهو يريد بذلك التعريض برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث أن القرآن ذكر قصته مع الأعمى فقال تعالى :} عَبَسَ وَتَوَلَّى(١)أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى(٢){.

فبعد الخطبة أعلن الشيخ محمد شاكر الناس : صلاتهم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا صلاتهم لأن الخطيب كفر بهذه الكلمة التي تعتبر شتم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعريضاً لا تصريحاً .

هذا و لم يكن الشيخ محمد شاكر رحمه الله ممن يطلقون الأحكام جزافاً و لم يكن يفعل ذلك لمطلـــب دنيوي أو لمرضاة ذي سلطان ، إذ لم تكن حالة الأزهر في زمانه مثل ما هي عليه في زماننا هذا .

عاقبة هذا المجرم :

ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الآخرة .

قال الشيخ أحمد شاكر : (ولكن الله لم يدعْ لهذا المجرم جرمه في الدنيا ، قبل أن يجزيـــه جـــزاءه في الأخرى، فأقسمُ بالله لقد رأيته بعيني رأسي – بعد بضع سنين وبعد أن كان عالياً منتفخاً ، مســـتعزّاً بمَن لاذ بهم من العظماء والكبراء – رأيته مهيناً ذليلاً ، خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة ،

يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار ، حتى لقد خجلت أن يراني ، وأنا أعرفه وهو يعرفني ، لا شفقة عليه ، فما كان موضعاً للشفقة ، ولا شماتة فيه ؛ فالرجل النبيل يسمو على الشماتة ، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة) .

قصة الذي أراد الشهادة العليا ، وسب رسول الله :

ذهب أحدهم لنيل شهادة عليا من خارج بلاده ، فلما أتم دراسته وكانت تتعلق بسيرة النبي المصطفى صل الله عليه وسلم طلب منه أستاذه من النصارى أن يسجل في رسالته ما فيه انتقاص للنبي صل الله عليه وسلم وتعريض به ثمناً لتلك الشهادة .

فتردد الرجل بين القبول والرفض ولكنه فضل اختيار الدنيا على الآخرة ، وأجابهم إلي ما أرادوا طمعاً في نيل تلك الشهادة الملوثة .

فلما عاد إلى بلده فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى .

واجبنا في نصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إن الله عز وجل يقول : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(لأعراف: من الآية١٥٧) فواجب علينا أيها الأحبة ! أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

هناك وسائل فردية يستطيع الفرد القيام بتحقيقها في حياته العلمية والعملية ، ومن أهم تلك الوسائل العامة التي نبين فيها بجلاء نصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يلي :

- الاحتجاج على الصعيد الرسمي على اختلاف مستوياته، واستنكار هذا التهجم بقوة، وإننا نعجب أن الشجب والاستنكار الذي نحن أهله دائماً لم يستعمل هذه المرة، ونعجب أخرى أن يستنكر هذه الإساءة وزير خارجية بريطانيا، سابقاً بذلك آخرين كانوا أحق بها وأهلها.
- الاحتجاج على مستوى الهيئات الشرعية الرسمية كوزارات الأوقاف، ودور الفتيا، والجامعات الإسلامية.
- الاحتجاج على مستوى الهيئات والمنظمات الشعبية الإسلامية وهي كثيرة.
- إعلان الاستنكار من الشخصيات العلمية والثقافية والفكرية والقيادات الشرعية، وإعلان هذا النكير من عتبات المنابر وأعلاها ذروة منبري الحرمين الشريفين.
- المواجهة على مستوى المراكز الإسلامية الموجودة في الغرب بالرد على هذه الحملة واستنكارها.
- المواجهة على المستوى الفردي، وذلك بإرسال الرسائل الإلكترونية المتضمنة الاحتجاج والرد والاستنكار إلى كل المنظمات والجامعات والأفراد المؤثرين في الغرب، ولو نفر المسلمون بإرسال ملايين الرسائل الرصينة القوية إلى المنظمات والأفراد فإن هذا سيكون له أثره اللافت قطعاً .

- استئجار ساعات لبرامج في المحطات الإذاعية والتلفزيونية تدافع عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وتذب عن جنابه، ويستضاف فيها ذوو القدرة والرسوخ، والدراية بمخاطبة العقلية الغربية بإقناع، وهم بحمد الله كثر.

- كتابة المقالات القوية الرصينة لتنشر في المجلات والصحف –ولو كمادّة إعلانية– ونشرها على مواقع الإنترنت باللغات المتنوعة .

- إنتاج شريط فيديو عن طريق إحدى وكالات الإنتاج الإعلامي يعرض بشكل مشوق وبطريقة فنية ملخصاً تاريخياً للسيرة، وعرضاً للشمائل والأخلاق النبوية، ومناقشة لأهم الشبه المثارة حول سيرة المصطفى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وذلك بإخراج إعلامي متقن ومقنع.

- طباعة الكتب والمطويات التي تعرف بشخصية النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ويراعى في صياغتها معالجة الإشكالات الموجودة في الفكر الغربي.

- عقد اللقاءات، وإلقاء الكلمات في الجامعات والمنتديات والملتقيات العامة في أمريكا لمواجهة هذه الحملة .

- إصدار البيانات الاستنكارية من كل القطاعات المهنية والثقافية التي تستنكر وتحتج على هذه الإساءة والفحش في الإيذاء.

- إيجاد رد صريح من قبل العلماء الربانيين والتعليق عليه وتبيين الموقف الشرعي في قضية التعدي على الرسل والأنبياء والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع إقامة مجموعة تنفيذية من العلماء المتخصصين وطلبة العلم للإجابة عن هذه الافتراءات خلال مواقع الانترنت وغيرها ، ووالله لو قام العلماء في كل مكان في السعودية وفي مصر وفي الجزائر وفي المغرب العربي والعالم الإسلامي جميعا ، ووجهوا لعامة الناس وخاصة في الغرب خطر هذه القضية وأن هذه الشائعات لا يرضاه أصلا أنبياؤهم كعيسى وموسى فضلا أن تكون في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- إقامة معارض دولية متنقلة ودائمة في المطارات وفي الأسواق وفي الأماكن العامة بالتنسيق مع الجهات المسئولة حتى نبرز شيئا من شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وأخلاقه وشمائله ، وأيضا نبرء ذممنا أمام الله جل وعلا وأمام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- إيجاد مؤلفات تحمل بين جنباتها حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسهولته وسماحته في الحياة بجميع اللغات ، حتى يوضح للعالم حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهة ، ومن جهة يرد على أولئك الذين تسلطوا على شخصيته وشرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- تبادل الأفكار المجدية في هذه القضية، وإضافة أفكار جديدة والتواصي بها، وسيجد كل محب لرسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – معظم لجنابه مجالاً لإظهار حبه وغيرته وتعظيمه ، فهذا يأتي

بفكرة، وذاك يكتب مقالة وآخر يترجم، وآخر يرسل، وآخر يمول في نفير عام لنصرة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

– إعداد برامج للتعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بحيث تتبنى كل مؤسسة أو جهة دينية مثلا برنامجا ويتم نشره في المجتمعات وخاصة الغربية التي تسممت أفكارهم بهذا الغزو الخبيث ضد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سواء كان ذلك عبر المجلات الإسلامية الهادفة والجرائد اليومية أو عبر القنوات الفضائية ، أو حتى إيجاد برنامج متكاملة يتم إعدادها في أقراص كمبيوترية تبين شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشمائله حتى يتم استعمالها بسهولة .

– لو تم إصدار مجلة شهرية خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرز مواقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعدائه وكيف تعامل معهم على حسب فئاتهم لكان أجمل وأشمل وأفود خاصة ونحن نرى العالم الإسلامي يعج بكثير من المجلات الإسلامية فلو خُصص للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدفاع عنه شيئا لكان واجبا علينا فعل ذلك .

– إنشاء مؤتمرات عالمية إسلامية توضح فيه سماحة الإسلام ويسر دين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن ما يوجه ضد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو من قبيل الكذب والافتراء ، ولو أعلنت كل دولة إسلامية إيجاد مؤتمر إسلامي يعارض فيه ما وجه لنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن هذا بحد ذاته رسالة للعالم مفادها أن شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شخصية فاصلة لا يمكن تجاوزها والعبث بها.

– إقامة مؤتمرات في أمريكا وأوروبا تعالج هذه القضية وتعرض للعالم نصاعة السيرة المشرفة وعظمة الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

– المطالبة بصياغة نموذج لرسالة استنكار وشجب باللغتين العربية والإنجليزية، تكون جاهزة للإرسال ومدعمة بعنوان سفارات الدانمارك والنرويج في شتى دول العالم الإسلامي، على أن تتضمن هذه الرسالة المطالب الآتية :

– المطالبة بسن القوانين التي من شأنها تفعيل احترام المؤسسات الدنمركية والنرويجية لكل ما يمس ديننا الحنيف.

– إيقاف الجريدة.

– إلزام الجريدة بالاعتذار للعالم الإسلامي ونشره على صفحات صحف تنتمي إلى العالم الإسلامي والأوروبي.

على مستوى العاملين في الشبكة العنكبوتية وأصحاب المواقع:

– إنشاء قاعدة بيانات على الشبكة العالمية الانترنت عن السيرة النبوية ، بجميع اللغات وقد تم إيجاد مثل هذه البرامج عبر الانترنت من قبل اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولجنة

مناصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لكن برنامج أو برنامجين لا يكفي ، بل لا بد من تكاتف الأمور حتى يسير هذا العمل أقوى بكثير .

- تكوين مجموعات تتولى إبراز محاسن هذا الدين ونظرة الإسلام لجميع الأنبياء بنفس الدرجة من المحبة وغيره من الموضوعات ذات العلاقة.

- إنشاء مواقع أو منتديات أو تخصيص نوافذ في المواقع القائمة تهتم بسيرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبرز رسالته العالمية.

- المشاركة في حوارات هادئة مع غير المسلمين ودعوتهم لدراسة شخصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدين الذي جاء به.

- تضمين أو تذييل الرسائل الإلكترونية التي ترسل إلى القوائم البريدية الخاصة ببعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

- إعداد نشره إلكترونية - من حين إلى آخر- عن شخصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته وخاصة في المناسبات والأحداث الطارئة.

- الإعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تتحدث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

موقف في نصرة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قصة الشيخ محمد عبده مع حاخام يهودي وقسيس نصراني

جلس الثلاثة في حضرة الخديوي في قصر عابدين في مصر..

فقال لهم الخديوي مصر أنتم الثلاثة تمثلون الأديان الثلاثة وأريد أن يثبت كل واحد منكم أنه وأتباعه هم الذين سيدخلون الجنة..

قال حاخام اليهود: ليتكلم البطريارك أولاً ، وقال البطريارك: ليتكلم الإمام أولاً يعني الشيخ محمد عبده.

فقال الخديوي تكلم يا إمام..

فقال الإمام محمد عبده: يا خديوي..

إذا كان اليهود سيدخلون الجنة لكونهم آمنوا بموسى فنحن داخلوها لأننا آمنا بموسى

وإذا كان النصارى سيدخلون الجنة لكونهم آمنوا بعيسى فنحن داخلوها لأننا آمنا بعيسى

وإذا كنا داخليها فلن يدخلها هؤلاء ولا أولئك لأنهم لم يؤمنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم فإيماننا إيمان شامل كامل.

قصيدة للشيخ جمال الدين الصرصري في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

محمد المبعوث للناس رحمةً *** يشيِّد ما أوهى الضلال ويصلح

لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مجيبةً *** لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه *** وإن الحصا في كفه لَيُسَبِّح
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا *** فمن كفه قد أصبح الماء يَطفح
وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً *** سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصبا كانت لنصر نبينا *** ورعبُ على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتي الملكَ العظيم وسخِّرت *** له الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها *** أتته فرَدَّ الزاهد المترجِّح
وإن كان إبراهيم أُعطي خُلةً *** وموسى بتكليم على الطور يُمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلَّم *** وخصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض الرَّواء وباللِّوا *** ويشفع للعاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّب ناله *** عطاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها *** مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهْوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ *** له بابها قبل الخلائق يُفْتَتح

----

[١] تفسير القرطبي ١٧/٥٤ قال : والطغيان : مجاوزة الحد في الكفر .

(*) خطبة الشيخ محمد صالح المنجد إمام وخطيب جامع عمر بن عبد العزيز بحي العقربية بالخبر المشرف العام على مجموعة مواقع الإسلام

المصدر : الإسلام سؤال وجواب

http://www.islam-qa.com/topics/nos صلى الله عليه وسلم at_alnab صلى الله عليه وسلم /nos صلى الله عليه وسلم at_alnab صلى الله عليه وسلم .shtml

==============================

نفحة عبير من سيرة البشير النذير

د. يحيى إبراهيم اليحيى

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن استن بسنته واهتدى بهديه واقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين، وجميع الطرق الموصلة إلى الله تعالى ثم إلى الجنة موصودة ومغلقة إلا طريقه صلى الله عليه وسلم، ويمتنع أن تعرف دين الإسلام

ويصح لك إسلامك بدون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف كان هديه وعمله وأمره ونهيه ومنهجه وسنته؟.

لقد سالم وحارب، وأقام وسافر، وباع واشترى، وأخذ وأعطى، وما عاش صلى الله عليه وسلم وحده، ولا غاب عن الناس يوماً واحداً، ولا سافر وحده.

وقد لاقى صنوف الأذى، وقاسى أشد أنواع الظلم، وكانت العاقبة والنصر له.

بعث على فترة من الرسل، وضلال من البشر، وانحراف في الفطر، وواجه ركاماً هائلاً من الضلال والانحراف والبعد عن الله، والإغراق في الوثنية. فاستطاع بعون الله أن يخرجهم من الظلام إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة، فأحبوه وفَدَوْهُ بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة، وجعلوه نبراساً لهم يستضيئون بنوره، ويهتدون بهديه فأصبحوا أئمة الهدى وقادة البشرية.

هل تطلبون من المختار معجزة *** يكفيه شعب من الأجداث أحياه

من وحد العرب حتى كان وا *** ترهم إذا رأى ولد الموتور أخاه

وما أصيب المسلمون إلا بسبب الإخلال بجانب الاقتداء به، والأخذ بهديه، واتباع سنته، وقد قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}.

حتى اكتفى بعض المسلمين من سيرته بقراءتها في المنتديات والاحتفالات، ولا يتجاوز ذلك إلى موضع الاهتداء والتطبيق...

وبعضهم بقراءتها للبركة، أو للاطلاع على أحداثها ووقائعها، أو حفظ غزواته وأيامه وبعوثه وسراياه.

وهذا راجع إما لجهل بأصل مبدأ الاتباع والاهتداء والاقتداء، وعدم الإدراك بأن هذا من لوازم المحبة له صلى الله عليه وسلم، وإما لعدم إدراك مواضع الاقتداء من سيرته صلى الله عليه وسلم؛ نظراً لضعف الملكة في الاستنباط، أو لقلة العلم والاطلاع على كتب أهل العلم.

إن سيرته صلى الله عليه وسلم رسمت المنهج الصحيح الآمن في دعوة الناس، وهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة. وما فشلت كثير من المناهج الدعوية المعاصرة في إصلاح البشر إلاّ بسبب الإخلال بهديه والتقصير في معرفة سنته، ونقص في دراسة منهجه صلى الله عليه وسلم في هداية البشر وإصلاحهم.

لذا رأيت كتابة هذه التعليقة من سيرته صلى الله عليه وسلم كنموذج مقترح لكتابة السيرة النبوية؛ لكي تكون لبنة في بناء المنهج الدعوي القائم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها ومستمعها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآمل من كل أخ عنده اقتراح أو ملاحظة أو تنبيه أن يكتب لي بملاحظاته وأكون له من الشـاكرين http://www.taiba.o صلى الله عليه وسلم g/ .

إبراهيم عليه السلام وبناء الكعبة:

وبعد: أخي الكريم إنه حري بك وأنت تتجه كل يوم في صلاتك إلى هذا البيت المحرم أن تتعرف على تاريخه، ولا أظنك إلا من النهمين الحريصين على تعلم ذلك؛ وبخاصة أن هذا البيت خير مكان على الأرض منه شع نور الإسلام، وبعث فيه خير الأنام سيدنا وقائدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

إن قصة بناء الكعبة قصة عظيمة، تتضح فيها عظمته وأهميته، فقد احتاج أبو الأنبياء وخليل الرحمن أن يضع أسرته هناك حيث لا أنيس ولا جليس من أجل هذا البيت.

قال البخاري في صحيحه: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ بهاجر وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَبِّ {إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} حَتَّى بَلَغَ {يَشْكُرُونَ}.

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإنسانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم "فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا".

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ - لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا".

قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ.

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ.

فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا نَعَمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الأنْسَ" فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ.

وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتِ اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتِ الْمَاءُ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ)).

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ" قَالَ فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ وَتُعِينُنِي قَالَ وَأُعِينُكَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ

وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولانِ {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} قَالَ فَجَعَلا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولانِ {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

أخي الحبيب: إنّ في هذه القصة فوائد عظيمة منها:

١- التسليم المطلق لله تعالى، فإبراهيم يدع امرأته وطفلها في أرض موحشة غريبة قفراء لا ماء فيها ولا شجر استجابةً وطاعةً لله تعالى، مع ما عرف عنه من الشفقة والرحمة، ولكن التسليم لأمر الله تعالى فوق كل شئ.

٢- امتحان الأنبياء بأولادهم وهل يقدمونهم فداءً لطاعة ربهم أم لا.

٣- أن البلاء والمحن التي تنزل بالمسلم لا تعني أن الله تعالى تخلى عنه، أو أراد تعذيبه بل إنه ربه أرحم به من نفسه، ولكن النفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث، وتصلح من نفس المبتلي وقلبه، ويستعلي به على الشح بالنفس والمال، ويخرج أفضل ما عنده من مزايا وطاقات، ولهذا كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وهذا خليل الله وأبو الأنبياء عليهم السلام تتوالى عليه المحن والفتن فيخرج منها نقياً تقياً، صابراً محتسباً، مسلماً أمره لله جل وعلا، حتى أصبح أمةً بنفسه{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}.

٤- تربية إبراهيم أسرته على الطاعة والتسليم الكامل لأمر الله عز وجل.

٥- قوة إيمان هاجر وعظم توكلها وثقتها بربها عز وجل "إذن لا يضيعنا".

٦- التوجه إلى الله وحده بالدعاء والتضرع في كل حال، فإبراهيم عليه السلام لما نفذ أمر ربه بوضع أسرته في ذلك الموقع الموحش، توجه إلى الله بالدعاء لهم بالأنس والرزق والبركة، ومن توكل على الله كفاه، ومن ركن إليه آواه، ومن سأله وتضرع إليه أعطاه.

٧- إن الله سبحانه وتعالى لا يضيع من توكل عليه وحده وسلم الأمر إليه، مهما ادلهمت الخطوب واشتدت الكروب، فإنه لا يأس من روح الله ورحمته. فهذه أم إسماعيل لما انتهى طعامها وماؤها أرسل الله إليها غوثاً من عنده، وأجرى لها الماء بأمره جل وعلا.

٨- من أقبل على الله تعالى والتزم أمره وتوجه إليه بالعبادة دون سواه، رفع الله ذكره في العالمين، انظر رحمك الله كيف بقيت ذكرى أم إسماعيل في السعي إلى يومنا هذا.

٩- من كان همه الدنيا والتمتع فيها فلا يصلح أن يجاور نبياً من أنبياء الله تعالى أهل العبادة والصلاح والعمل والهمة العلية، ولهذا أمر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل أن يطلق تلك المرأة التي شكت إليه شدة العيش.

الحكمة من بناء البيت:

وأنت تدرك معي أخي الكريم السر الذي من أجله بني هذا البيت، إنه من أجل توحيد الله ونبذ الشرك، كما قال تعالى:

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ والقَائمينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىَ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}

قال ابن كثير في تفسيره:

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت، أي أرشده إليه وسلمه له وأذن له في بنائه، {أن لا تشرك بي شيئاً} أي ابنه على اسمي وحدي {وطهر بيتي} قال قتادة ومجاهد: من الشرك {للطائفين والقائمين والركع السجود} أي اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له، فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها {والقائمين} أي في الصلاة، ولهذا قال: {والركع السجود} فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده والصلاة إليه.

وقال القرطبي في تفسيره:

{أَن لاَّ تُشْرِكْ} هي مخاطبة لإبراهيم عليه السلام في قول الجمهور. وقرأ عكرمة {أن لا يُشْرِك} بالياء، بمعنى لئلا يشرك. وفي الآية طعن على من أشرك من قُطّان البيت أي هذا كان الشرط على أبيكم فمَن بعده وأنتم، فلم تَفُوا بل أشركتم.

وأمر بتطهير البيت والأذان بالحج. والجمهور على أن ذلك لإبراهيم وهو الأصح. وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الأنجاس والدماء.

وقيل: المعنى نزّه بيتي عن أن يعبد فيه صنم. وهذا أمر بإظهار التوحيد فيه. والقائمون هم المصلون. وذكر تعالى من أركان الصلاة أعظمها، وهو القيام والركوع والسجود.

فللتوحيد بني هذا البيت ومن أجل التوحيد عمر، ولأهل التوحيد وحدهم شيد، ومن أجلهم طهر البيت من الشرك والبدع والخرافات، وهؤلاء الطائفون والركع السجود هم الذين من أجلهم أقيم هذا البيت لا لأولئك الذين يشركون بالله تعالى، ويتوجهون بالعبادة إلى سواه.

وينبغي على المسلم أن لا يتكل على عمله مهما كان صحيحاً صواباً، فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يأمرهما الله جل وعلا ببناء بيته المحرم من أجل توحيده، فيقومان بذلك خير قيام ومع ذلك لم يتكلا على عملهما بل يسألان الله تعالى دائماً قبول العمل {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فليس صواب العمل كافٍ في القبول، بل لا بد أن يصاحبه الإخلاص لله تعالى الخالص من شوائب الشرك، وحظوظ النفس.

وكان عليه الصلاة والسلام وهو الموحد أبو الموحدين يخشى من الشرك فيقول: {واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام} فهل أحد بعد إبراهيم عليه السلام لا يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك!! لهذا ينبغي على كل مسلم أن يكون دائماً يقظاً منتبهاً لنفسه من هذا الذنب العظيم، فإن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

ذرية إسماعيل:

وبارك الله في ذرية إسماعيل فتناموا وصاروا قبائل، وانتشروا في الجزيرة العربية، وصاروا يسمون العرب المستعربة، وقد بقوا على دين أبيهم إبراهيم عليه السلام مدة من الزمن، ثم بدأ النقص عندهم، ودخلت عليهم البدع من المجاورين لهم شيئاً فشيئاً، حتى دخلت عليهم عبادة الأصنام وكان أول من أدخل الشرك إلى العرب عمرو بن لحي الخزاعي.

روى البخاري عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ فَلا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ".

وفي المسند أيضاً عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجرّ أمعاءه في النار".

انحراف العرب عن الحنيفية:

ترك العرب دين أبيهم إسماعيل، وابتعدوا عن الحنيفية دين أبيهم إبراهيم، وانتشرت بينهم عبادة الأصنام والأوثان، وعددوا فيها إلى حد يثير السخرية؛ حيث كان الواحد منهم في سفره يجمع أربعة أحجار ثلاثةً لقدره وواحداً يعبده، وإن لم يجد حلب الشاة على كوم من تراب ثم عبده.

روى البخاري عن أَبي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ يَقُولُ: كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الأخَرَ فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ طُفْنَا بِهِ فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قُلْنَا مُنَصِّلُ الأسِنَّةِ فَلا نَدَعُ رُمْحًا فِيهِ حَدِيدَةٌ وَلا سَهْمًا فِيهِ حَدِيدَةٌ إلا نَزَعْنَاهُ وَأَلْقَيْنَاهُ شَهْرَ رَجَبٍ وَسَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ يَقُولُ كُنْتُ يَوْمَ بُعِثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم غُلامًا أَرْعَى الإبلَ عَلَى أَهْلِي فَلَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِهِ فَرَرْنَا إِلَى النَّارِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ.

وقد عبد قبائل من العرب الشمس والقمر، والملائكة والجن، والكواكب، وبعضهم عبد أضرحة من ينسب إليهم الصلاح. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:{أفرأيتم اللات والعزى} قال: كان رجلاً صالحاً يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره.

مقاصد العرب في عبادة الأوثان:

وكانت العرب تقصد بعبادة الأصنام عبادة الله والتقرب إليه عن طريقها، أو بواسطتها، وهم على طرق مختلفة؛ فبعضهم يقول: ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فاتخذناها لتقربنا إلى الله، وفرقة قالت: إن للملائكة عند الله جاهاً ومترلةً فاتخذنا أصناماً على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله، وبعضهم جعلوا الأصنام قبلة في عبادة الله مثل الكعبة قبلة في عبادته، وفرقة أخرى اعتقدت أن على كل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حاجته بأمر الله، ومنهم من يقصدون بذلك شفاعتهم عند الله، واتخاذهم زلفى إليه سبحانه. قال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} وقال تعالى عنهم: {ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله}.

هل كانت العرب تعتقد في أصنامها النفع أو الضر؟

روى الترمذي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي: "يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ قَالَ: "فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ: "يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي فَقَالَ: " قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي". قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ.

بل كانوا عند الشدائد ينسون آلهتهم ويتخلون عنها كما قال تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}.

بقايا شريعة إبراهيم عند العرب:

وقد بقيت في العرب بقايا من سنن إبراهيم وشريعته ومن ذلك: خصال الفطرة التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام،كالاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة والختان.

وكانوا يغتسلون للجنابة، ويغسلون موتاهم ويكفنوهم، وكانوا يصومون يوم عاشوراء، ويطوفون بالبيت، ويسعون بين الصفا والمروة، ويمسحون الحجر ويلبون إلا أنهم يشركون في تلبيتهم يقولون: ((لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك))، ويقفون المواقف كلها، ويعظمون الأشهر الحرم.

وكانوا يحرمون نكاح المحارم، وعملوا بالقسامة، واجتنب بعضهم الخمر في الجاهلية وكانوا يغلظون على النساء أشد التغليظ في شرب الخمر.

وهم على اعترافهم بالله وبعظمته وبتدبيره للأمور، وأنه الرازق الخالق المحيي المميت، وأن جميع الخلق تحت قهره وتصرفه، إلا أنهم اتخذوا من دون الله وسائط يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}.

فهم بذلك يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين ومن فيها عبيده وتحت تصرفه وقهره، ومع ذلك يشركون به ويدعون معه غيره، بل كانت الكعبة – وهي بيت الله المعظم – عندهم يحيط به ثلاث مائة وستون صنماً.

تلك الحياة الجاهلية بكل صورها وفي جميع أماكنها وبقاعها، قد صورها المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث العظيم الذي رواه عنه عياض بن حمار المجاشعي حيث قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا. كل مال نحلته عبداً، حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وحرمت عليهم ما أحللت لهم. وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب...".

فالحديث يشير إلى انحراف الناس عن الشريعة ونبذها وراءهم ظهرياً، واختراع أنظمة وقوانين من عند أنفسهم، فحرموا الحلال وأحلوا الحرام ((كل مال نحلته عبداً، حلال.. وحرمت عليهم ما أحللت لهم)) وهذا رد على ما شرعوه من السوائب والوصيلة والحام والبحيرة، مما يدعونه لآلهتهم، وقد شرع الله أن كل مال رزقه عبداً من عباده فهو حلال له.

كما يوضح الانحراف عن التوحيد والردة الكاملة عن الدين، أنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم.. وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، كما يشير إلى الفساد العظيم الذي غطى وجه الأرض مما استحق الناس مقت الله لهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب.

وأصبحت البشرية بحاجة ماسة إلى منقذ لها من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد والإيمان، ومن الشقاء إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

الاصطفاء:

في هذا الجو القاتم والزمان المدلهم بالشرك بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم *** إلا على صنم قد هام في صنم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته *** وقيصر الروم من كبر أصم عمي

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم".

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ".

وروى أحمد عن عبد الله بن مسعود، قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ.

نسبه الشريف:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وعدنان من نسل إسماعيل عليه السلام.

ولادته ونشأته صلى الله عليه وسلم

ولد يوم الاثنين كما ورد ذلك في صحيح مسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال: " ذاك يوم ولدت فيه". في عام الفيل وهو أرجح الأقوال.

وتتفق رواية مسلم مع ابن إسحاق في كون والده مات وهو حمل في بطن أمه. وفي الصحيحين أن ثويبة مولاة أبي لهم قامت بإرضاعه صلى الله عليه وسلم. كما أرضعته مولاته أم أيمن وقد أعتقها عليه الصلاة والسلام بعد ما كبر.

أما رضاعه من حليمة السعدية في بني سعد فهذا مما استفاض واشتهر، وقد ورد استرضاعه في بني سعد بسند جيد من طريق ابن إسحاق. تقول حليمة السعدية مرضعته لما أخذته من أمه: (فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً فبتنا بخير ليلة (إلى أن قالت) ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولايجدها في ضرع.. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير).

فأنزل الله عليهم البركة في أنفسهم وأموالهم بسبب قيامهم بأمر صفيّه وحبيبه صلى الله عليه وسلم.

تهيئته لحمل الرسالة:

ثم كانت تلك الحادثة العظيمة في بني سعد في شق صدره ونزع حظ الشيطان منه تهيئةً له لتحمل الرسالة:

روى ابن إسحاق بسند جيد أن الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه فقال: "نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نـــور أضاءت له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهمـــا ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجاً، فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلـــبي فشـــقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى إذا أنقياه رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه. زنه بعشرة من أمته. فوزنني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته. فوزنني بمائة فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزنني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم".

وروى مسلم عن أنس بن مالك: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهـــو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانـــه، وجـــاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره – فقالوا: إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قـــال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره).

كفالته بعد وفاة والدته:

وقد ماتت أمه وعمره ست سنوات، فكفله جده عبد المطلب ثم مات بعد سنتين فأوصى به إلى عمه أبي طالب فكفله عمه وحنّ عليه ورعاه.

وقد شب مع عمه أبي طالب تحت رعاية الله وحفظه له من أمور الجاهلية وعاداتها الســـيئة. (فكـــان أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطةً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلمـــاً وأمانـــةً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى، ما رؤي ملاحياً ولا ممارياً أحداً، حتى سمّاه قومـــه الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة).

إرهاصات وعلامات نبوته:

وقعت عدة أحداث كانت بمثابة إرهاصات وعلامات ودلالات على نبوته صلى الله عليـــه وســـلم ومنها:

١- تسليم الحجر.

فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف حجراً بمكة كان يســـلم علي قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن".

٢- الرؤيا الصادقة.

أما الرؤيا الصادقة فكما روت عائشة رضي الله عنها أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

٣- العزلة والتحنّث.

لقد حبب إليه الخلوة فكان يخرج إلى غار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبّدُ الليالِيَ ذواتِ العدد. كما في الصحيحين.

وفي التعبّد درس للمسلم والداعية ليستعين بعبادة الله تعالى على مقاومة نزعات النفس، وشهواتها، ومغريات الحياة وأعراضها، ويتحمل مشاقّ الدعوة ومشاكلها وشدائدها، ويصبر على تربية الناس وتوجيههم وما يصدر عنهم من إعراض أو مشاقّة للداعية.

الوحي وتبليغ الرسالة:

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم في تعبده وتحنثه ينتظر النبوة أو يترقبها، بل لم تكن تخطر على باله كما ذكر الله تعالى في كتابه حيث قال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

وقال سبحانه: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ}.

بعث صلى الله عليه وسلم وعمره أربعون سنةً كما في الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: (أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنةً، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنةً، ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، ثم توفي صلى الله عليه وسلم).

وكان ذلك في شهر رمضان المبارك كما في رواية البخاري في كتاب بدء الوحي. وقد جاور في الغار تلك السنة شهراً كاملاً كما ورد في صحيح مسلم.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في ذكر بدء الوحي قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم (وفي رواية أخرى "الصادقة")، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح).

ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها. حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فقال: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}.

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضـــي الله عنها، فقال: " زملوني زملوني". فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة – وأخبرها الخـــبر — " لقد خشيت على نفسي".

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكســـب المعـــدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة. وكان امرءاً قـــد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هـــذا النـــاموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي).

وَقِفْ أخي مع كلمة: (وفجأه الوحي) لتعلم كيف تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في حال عزلته وتحنّثه وخلوته فيدخل عليه شخص غريب بصورة عجيبة ثم يضمه إليه ويقول إقرأ. لاشك أنه بقي خائفاً وهو علامة على ثباته صلى الله عليه وسلم. وهكذا من تحمل هذا الدين ينبغي له أن يصبر ويعلم أنه لم يصل إليه إلا بعد تعب ونصب قاسى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصـــنافاً مـــن العنت والتعب.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التتزيل شدةً، وكان يأتيه في اليوم الشـــاتي فيتفصّـــد جبينه عرقاً، وقد كادت رِجْل زيد بن حارثة أن ترتض لما نزل الوحي ورأسه على رجله.

وفي مسلم عن عبادة بن الصامت: (كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهـــه وغمـــض عينيه).

تبليغ الرسالة:

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالدعوة وتبليغ ما أنزل إليه فبدأ بدعوة من يثق به سراً عن سماع المشركين، ومكث على هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين مسراً بالدعوة منذ أرسله الله حتى بادأ قومه بالدعوة، يدعو سراً من يثق به من بني قومه، حيث لم يأمره الله تعالى بالجهر بالدعوة والصدع بها.

وكان المسلمون جميعاً يكتمون إسلامهم ويخفونه عن أقوامهم وأهليهم. روى البخاري عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم للمقداد: "إذا كان رجل ممن يخفي إيمانه مع قوم كفار فـــأظهر إيمانه فقتلته، فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل".

ولسرية الدعوة حكم عظيمة وفيها دروس وعظات ومنها:

١- التخفيف على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يواجه العدوّ وحده من أول يوم مع فقدان الناصر.

٢- استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة أن يستقطب أتباعاً وأنصاراً للدعوة تمكن من تربيتهم والعناية بهم فكانوا خير عون وسند له بعد الجهر بالدعوة، وهم الذين قامت عليهم الدعوة إلى الإسلام، فكانوا هم البنية الأساسية والقاعدة الصلبة والعمود الفقري للدعوة إلى دين الله عز وجل.

٣- إن الإسرار بالدعوة أمر مرحلي واستثنائي لظروف وملابسات خاصة هي ظروف بداية الدعوة.

وعلى هذا فإن الإسرار بالدعوة كلها بعد النبي صلى الله عليه وسلم مخالف للأصل الثابت المستقر، فلا يجوز اللجوء إليه إلا عند الضرورة، أما الإسرار بما سوى ذلك من الوسائل والخطط والتفصيلات فهو أمر مصلحي خاضع للنظر والاجتهاد إذ لا يترتب عليه كتمان للدين، ولا سكوت عن حق، ولا يتعلق به بيان وإبلاغ.

ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد أن صدع بالدعوة وأنذر الناس وأعلن النبوة ظلّ يخفي أشياء كثيرة لا تؤثر على مهمة البلاغ والبيان، كعدد أتباعه، وأين يجتمع بهم؟ وما هي الخطط التي يتخذونها إزاء الكيد الجاهلي، ومن أمثلة ذلك قصة الهجرة، وقصة أبي ذر وعمرو بن عبسة.

السابقون إلى الإسلام:

إن من النتائج الطبيعية لحداثة الدعوة وسرّيتها أن يكون أتباعها أفراداً معدودين.

ولا ريب أن أول من تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وعلي بن أبي طالب الذي كان تحت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم وكفالته وكان صغيراً لا يتجاوز العاشرة من عمره، وأبو بكر صديق النبي صلى الله عليه وسلم وجليسه وكان رأساً مقدماً ومكرماً لدى قريش إليه المرجع في أنسابها، وكان تاجراً صاحب مال محبباً متألفاً.

قال ابن إسحاق في وصف أبي بكر: (وكان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق حسن ومعروف، وكان رجال قومه يأوون إليه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته..).

وقد استثمر أبو بكر ثقة الناس به ومجالستهم له ومحبّتهم لمجلسه بدعوة من يثق به إلى الإسلام، فأسلم على يديه في الأيام الأولى طليعة أهل الإسلام وهم: الزبير بن العوّام، وعثمان بن عفّان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف. وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولاشك أن أهل بيته كانوا من أوائل من دخل في الإسلام، للحديث المخرج في البخاري في قصة الهجرة عن عائشة قالت: (لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين).

وذكر أن ممن أسلم على يد أبي بكر: مصعب بن عمير، وعيّاش بن أبي ربيعة، والأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد، وعثمان بن مظعون الجمحي.

الدروس والعبر:

١- بيان أثر مجالسة الأخيار وصحبتهم وبركتها على من جالسهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اكتسب هذه المكانة من إيواء الرسول صلى الله عليه وسلم له دون سائر إخوانه، وأبو بكر من صحبته وصداقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- أثر الأخلاق الحسنة في تأليف الناس، وخير الناس من يألف ويؤلف، أما الجفاء والغلظة فكثيراً ما تكون عائقاً في طريق الدعوة.

٣- لاشك أن أصحاب الجاه والمال لهم أثر كبير في كسب أنصار للدعوة.

٤- إن قيام أبي بكر بالدعوة إلى الله تعالى يوضح صورةً من صور التفاعل بهذا الدين والاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم صورة المؤمن الذي لا يقرّ له قرار، ولا يهدأ له بال، حتى يحقق في واقع الحياة ما تشبّع به وآمن به، دون أن تكون انطلاقته دفعةً عاطفيةً مؤقتةً سرعان ما تخمد وتذبل وتزول.

٥- يلاحظ أن الإسلام انتشر في جميع عشائر قريش فلم يعتمد على القبلية التي كانت إذ ذاك محور الحياة عند العرب، فلم يكن نصيب بني هاشم أكثر من غيرهم في الإسلام.

٦- دخول مختلف القبائل في الإسلام وعدم اقتصاره على بني هاشم في بداية الدعوة حققت مصلحةً عظمى في عدم اعتباره عملاً يحقق مصالح العشيرة التي ينتمي إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلي من قدرها على حساب الآخرين.

٧- أعان هذا أيضاً على انتشار الإسلام في جميع العشائر والقبائل دون أي تحفظات أو اتهامات شخصية للداعي أو الدعوة.

٨- لقد كان الذين أسلموا في الطليعة الأولى ظلّوا دائماً في الطليعة في الحرب والسلم والسياسة والحكم أئمةً في العلم والفقه والفتيا والسابقين في سائر الأمور، فلم يكن عملهم فترة حماس وخبت وفترت وزالت، وإنما هي إيمان عميق يحرك العواطف والنفوس والعقول للعمل لهذا الدين. فلم تعرف تلك الطليعة راحةً ولا ترفاً ولا نوماً ولا كسلاً منذ أسلمت حتى لقيت الله تعالى رضي الله عنهم أجمعين.

٩- لقد كانت هذه الطليعة غريبةً في ذلك المجتمع الجاهلي الذي يعجّ بالفوضى والفساد والانحلال، ولكن غربتهم ليست كالغربة المتعارف عليها من شعور الغريب بالضعف والذلّ والانكسار والرضى

بالدون، والخضوع والضعة، لقد ربّى الإسلام فيهم روح العزّة والكرامة والاستعلاء والفوقية على الكافرين، ثم شعور بوجوب غزو هذا المجتمع الجاهلي وتقويض أركانه، يصاحب ذلك همة وثقة تامّة بنصر هذا الدين والتمكين له في الأرض، فكانوا يتسابقون للمشاركة في رفع راية الإسلام، ويهمّ الواحد منهم أن يكتب الله على يديه التمكين لهذا الدين.

الجهر بالدعوة:

إن الدعوة لم تنزل لتكون سرّيةً يخاطب فيها الفرد بعد الآخر، وإنما جاءت نذارةً للعالمين وبشارةً للخلق أجمعين؛ لإخراج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، لقد أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعد محصور في مكة وقريش تكيد له وتعاديه أنزل عليه قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} وإذا كان الأمر كذلك فإن الدعوة الإسلامية ليست خاصةً بقريش ولا بالعرب، وإنما هي رحمة من الله لجميع الخلق، فلا بد من الجهر بها، وإعلانها للناس، والسعي لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة.

وهذا يعني بداهةً أن من أبرز خصائص دعوة الإسلام: الإعلان، والصدع، والبلاغ، والنذارة، والبشارة، ويتحمّل أتباعها ما يترتّب على ذلك من الإيذاء والقتل وغيره.

لقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات يدعو إلى الله تعالى سراً ثم أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين فأنذرهم، ثم أمره بالصدع بالدعوة فصدع بها.

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: ((لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين} ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا. فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام. فنزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ})). وفي تفسير سورة الشعراء من البخاري: ((قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا)). وعن أبي هريرة قال: " فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} قال: ((يا معشر قريش ـــ أو كلمة نحوها ـــ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً)).

الدروس والعبر:

١- بداية الأقربين بالدعوة حتى لا يكونوا حجةً للأبعدين، والحجة إذا قامت علـيهم تعـدت إلى غيرهم، وهم أولى بالبر والخير بالنسبة للداعي من غيرهم لما في ذلك من صلة الرحم.

٢- دعوة الأقربين بيان للناس عدم محاباة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، وبيان صدق مـا جاء به إليهم حيث خصّ بما جاء به أقاربه وأهل بيته قبل غيرهم من الناس.

٣- إعلان الرسول صلى الله عليه وسلم المنهج الإسلامي من أول يوم في منازل الناس وأن جزاءهم عند الله ونصيبهم في الإسلام يكون بقدر طاعتهم، فالأنساب والبقاع لا تزكي أحداً. فأبو لهب هو الشخص الوحيد من قريش الذي ذكر باسمه في القرآن في معرض المقت والوعيد فلماذا؟ لقد اجتمع لأبي لهب عدة مزايا، فشهر بجمال الوجه، ورزق الثروة، وكان له الشرف والجاه، كما كانت لـه القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلعلّ اختصاصه بذكر الاسم لبيان أن أياً من هذه المزايا لا تغني عن صاحبه من مقت الله وعذابه إذا خالف أمره.

٤- إذا كان سيد العالمين رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك لسيدة نساء أهل الجنة فاطمة رضي الله عنها شيئاً فكيف بغيرها.

٥- لا شك أن النتيجة القريبة المباشرة للجهر بالدعوة هي الصدّ والإعراض والتكـذيب والإيـذاء والسخرية، والرسول صلى الله عليه وسلم قد وطّن نفسه على ذلك كلّه ويعرف تلك النتيجة مسبقاً، ولكن ليست هذه هي كل النتيجة، فما بعدها هو المطلوب والمقصود.

٦- إن الجهر بالدعوة ينقلها من مكان مغلق إلى الهواء الطلق والميدان الرحب، وممن سيساهم في نقل الدعوة هم أعداؤها عن طريق التحذير منها، والناس ليسوا كلّهم تقليديّين إمعات يتبعون ما تقولـه قريش، وهناك أمثلة من إسلام بعض القبائل بسبب ما سمعوه من سبٍّ للرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته فحمله على الاطلاع على الأمر من قرب فدخلوا فيه.

٧- قد تفقد الدعوة في بدايتها وسائل الإعلام المطلوبة للتبليغ ولكن أعداءها قد يقومون بجزء مـن ذلك نيابةً عنها وذلك بما تثيره على الدعوة من كيد وشبهات.

مقاومة قريش للدعوة:

لا شك أن إعلان الدعوة إلى التوحيد في أوساط قريش قد أزعج قريشاً ورأوا فيها معتقـداً يهـدد معتقداهم الموروثة التي عشعشت في عقولهم، ويهدّد مصالحهم العامة التي بنيت على تلك المعتقدات الباطلة واستفادوا منها مركزاً بين القبائل العربية. فانتصب المشركون لعداوة الرسول صلى الله عليـه وسلم ومقاومة دعوته وإلحاق الأذى به وبأصحابه، وكان أصحابه وهم في الجاهلية يـأنفون الـذل ويأبون الضيم، ويتفاخرون بالأخذ بالثأر حتى كانوا يثأرون لقتل جمل كما في حرب البسـوس، أو إذلال فرس كما في حرب داحس والغبراء، ولما جاء الإسلام رفع من مكانتهم وزاد في عزّهم، ولكن جاءهم ما لم يكونوا يعرفونه أو يألفونه من الضيم والظلم والإذلال، فيرون بِلالاً يجرّ في الشـوارع،

وياسر وسمية يقتلان علناً، وأفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحق به أشد أنـــواع الأذى فيبصق في وجهه الشريف، ويوضع على ظهره وهو ساجد فرث الجزور وسلاها ودمها، ويضـــربونه حتى يغمى عليه وتسيل الدماء من جسده الشريف، ويستهزئون به، ويصفونه بالجنون والكهانة.

اتهموه بالجنون كما قال سبحانه: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُـــونٌ}. واتهمـــوه بالسحر والكذب قال سبحانه: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}.

فأراد الصحابة الانتقام والأخذ بالثأر ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم – على الرغم من شدة ما يواجهونه من الأذى والضرر – أمرهم بضبط النفس والتحلي بالصبر، وعدم الرد بالقوة، أو مقابلة العدوان بالعدوان حتى اشتكوا إليه فقالوا: كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بـــن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا: يا رسول الله: ((إنا كنا في عزّ ونحـــن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلّة، فقال: "إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا" فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال، فكفوا، فأنزل الله عز وجل {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ}الآية.

وكانت أولى آيات القتال الإذن به وفي هذا دلالة على المطالبة به والحرص عليه لشدّة ما صبروا قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}.

وفيه دلالة على أن الصبر على الدعوة أشدّ من القتال والجهاد في سبيل الله تعالى بدلالة أن القتال جاء فرجاً مما يعانونه من الصبر على أعدائهم.

وأخرج الحاكم عن خبّاب قال: ((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع تحت شجرة، واضع يده تحت رأسه، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله على هؤلاء القوم الذين قد خشينا أن يردّونا عن ديننا، فصرف عني وجهه ثلاث مرات، كل ذلك أقول له فيصرف وجهه عني، فجلس في الثالثة، فقال: "أيها الناس، اتقوا الله واصبروا فو الله إن كان الرجل من المؤمنين قبلكم ليوضع المنشار علـــى رأسه فيشقّ باثنين، وما يرتدّ عن دينه، اتقوا الله فإن الله فاتح لكم وصانع".

فهنا يطلب خباب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر مع أن خبّاباً قد عُذِّبَ وأوذي أشد الأذى حتى كان يطرح على الجمر فما يطفئــه إلا شحم ظهره رضي الله عنه.

وروى البخاري عن خباب بن الأرت قال: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة – وقد لقينا من المشركين شدة – فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهـــو محمرّ وجهه فقال: "لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عـــن دينـــه. وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله – زاد بيـــان – والذئب على غنمه".

وكانوا يؤمرون بالاستعانة على تحمّل الأذى والتعذيب بالصلاة التي هي عنوان الصلة الدائمة بـــالله تعالى، قال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّـــا سَـــنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً}.

فقام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريباً من سنة، فترل التخفيف.

وقد كانت بغية الشيطان في المواجهة والتصعيد، يشهد لذلك قصّة الزبير بن العوّام رضي الله عنه كما رواها عروة بن الزبير قال: (إنّ أوّل رجل سلّ سيفه في الله الـــزبير بـــن العـــوام، نفخـــة نفخهـــا الشيطان:(أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم) فخرج الزبير يشقّ الناس بسيفه والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة، قال: مالك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت، قال فصلى عليه ودعا له ولسيفه) وفي رواية أخرى (فأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل).

وأصبح أهل مكة كل يوم في ازدياد في حرب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأمر أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة ليسلموا من أذى قريش وقال لهم: (إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد).

واشتدت قريش في أذاها للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى حصروهم في شعب من شـــعاب مكة ثلاث سنوات لا يبيعوهم ولا يشترون منهم، حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الحاجة.

عام الحزن:

وبعد فك الحصار توفي عمه أبو طالب الذي كان يذبّ عنه ويحوطه ويحامي عليه، ثم توفّيت زوجته خديجة رضي الله عنها التي كانت تسري عنه همومه وتهون عليه أتعابه، فسُمِّيَ ذلك العام عام حزن، وخلصت قريش وسفهاؤها إلى أذى للنبي صلى الله عليه وسلم بما كانت لا تصنعه في حياة عمّه.

الإسراء والمعراج:

ثم كانت حادثة الإسراء والمعراج كما رواها مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّـــهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَـــالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: جِبْرِيلُ صلى الله عليه وسلم اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَـــى السَّـــمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ – ثم عرج به إلى السموات فلقـــي فيهـــا الأنبياء، ولقي موسى في السماء السادسة قال – ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُـــورِ وَإِذَا هُـــوَ

يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاةً قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ".

ومن هنا تعلم أهمية الصلاة فقد فرضت من بين أركان الإسلام في السّماء السّابعة فأصبحت الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين وأصبحت قُرَّة عين النبي صلى الله عليه وسلم. روي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ".

فكان يصلي ويطيل القيام حتى انتفخت قدماه الشريفتان كما روى مسلم في صحيحه عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صلى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا).

وكان يسمع لصدره وهو في الصلاة أزيز من البكاء، كما روى أبوداود والترمذي وابن ماجة عَنْ ثَابِتٍ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ صلى الله عليه وسلم).

ولما حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بالإسراء والمعراج كذّبوه واستهزؤوا به وانطلقوا إلى أبي بكر الصديق ظانّين أنه سيشكّ في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: إن صاحبك يخبر أنه أتى بيت المقدس وصعد إلى السماء في ليلة واحدة! فقال الصديق: لإن كان قاله فقد صدق.

العرض على القبائل:

قال ابن كثير: (والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمرّ يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك رادّ، ولا يصدّه عن ذلك صادّ، يتبع

الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحجّ، يدعو من لقيه من حـــرّ وعبـــد وضعيف وقويّ، وغنيّ وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك شرع سواء..).

وكان أتباع رسول الله نُزّاعاً من القبائل وكانوا غرباء، لا قبيلة تحميهم، وكان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يرتاد للدعوة موطّناً تحتمي به، وكان يأمر من اتّبعه من القبائل خارج مكة أن يبقـــوا في قبائلهم ويستخفوا حتى يظهر.

عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلّغ كلام ربي).

روى عبد الله بن ذكوان عن ربيعة بن عباد الديلي قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بَصَرَ عيني بسوق ذي المجاز يقول: "يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا"، ويـــدخل في فجاجهـــا، والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: "أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"، إلا أنّ وراءه رجلاً أحول، وضيء الوجه، ذا غديرتين، يقول: إنه صابئ كـــاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النّبوّة، قلت: من هذا الذي يكذّبه؟ قالوا: عمه أبو لهب. قلت: إنك كنت يومئذ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذ لأعقل).

وعن طارق بن شدّاد رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّتين، رأيته بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة لي، فمرّ وعليه حلة حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: "أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"، ورجل يتبعه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا، فإنه كذّاب، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا غلام من بني عبد المطلب، فقلت: مـــن هـــذا الذي يرميه بالحجارة، فقيل: عمه عبد العزى، أبو لهب).

وعن شيخ من بني مالك بن كنانة قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يتخللـــها يقول: "أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقـــول: أيهـــا الناس، لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى، قـــال: ومـــا يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

الدروس والعبر:

١- هذه القصص تكشف عن مدى الجهد والكيد الذي بذلته قريش في محاربة الدعوة وصاحبها على المستوى الفردي والجماعي.

٢- حمل الرسالة في مجتمع ضالٍّ معناه أن المصلح سينكر أشياء تعارف عليها الناس فعليه بتوطين نفسه على تحمل المعارضة والمحاربة والإيذاء.

٣- لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض القبائل لم يدخلها الإسلام لكن على أقل تقدير أثار التساؤل عندهم، والتشكيك فيما هم عليه من معتقدات. واستثمرهم كـــأداة إعلاميـــة لأقـــوامهم

وديارهم، حيث أهم سيتحدثون بما وجدوه في سفرهم هذه وسيذكرون من لقوا ومن لقيهم وما هي الأحاديث التي دارت معهم.

٤- لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يفرط في فرصة من الفرص أو مجال من المجالات في تبليغ دعوته كما كان يفعل في المواسم والأسواق.

٥- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبحث عن مأوى ومحضن للدعوة تحتمي به حتى تكون حرة طليقة.

٦- استخدام قريش في الصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطر وسيلة إعلامية آن ذاك وهو عمه أبو لهب في زمن يعتبر للقبيلة وزنها في الدفاع عن أصحابها على حد القائل:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت *** غويت وإن ترشد غزية أرشد

وفي زمن تقوم الحرب الطاحنة بسبب إهانة جمل امرأة من القبيلة فكيف برجل منها. وما أشقّ ذلك على نفس الرسول صلى الله عليه وسلم المكلّف بالتبليغ عن ربّه، والذي يدعو الناس بالكلمة الطيبة وهو وحيد غريب، فينبري أقرب الناس إليه يطارده أمام الناس الناظرين إليه، يرميه بالحجارة فيدمي عقبيه، ويحثو التراب على رأسه ووجهه، ويكيل له التهم وهو المعروف بينهم بالأمانة والصدق والوفاء.

٧- ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بنصر الله له جعلته لا ييأس ولا يملّ، ويدأب في الدعوة وعرضها على القبائل والأفراد في جميع المواسم وعلى كل المستويات.

٨- صبر الرسول صلى الله عليه وسلم على مشاقّ الدعوة وعوائقها وتبعتها فلم يضعفه موقف سخرية، و لم يحبط همّته استهزاء مستهزئ.

٩- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما يعرض على القبائل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لأنها أساس الإسلام.

بيعة العقبة:

قال جابر بن عبد الله: (مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: "من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

وبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكّة ويخاف فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا بيعة العقبة. فقال له عمه العبّاس: يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك؟ إني ذو معرفة بأهل يثرب.

فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث!

فقلنا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟

قال:"تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنّة".

فقمنا نبايعه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة – وهو أصغر السبعين – إلا أنه قال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافّة، وقتل خياركم وأن يعضكم السيف. فإن أنتم قوم تصبرون عليها إذا مسّتكم، وعلى قتل خياركم، ومفارقة العرب كافَّةً، فخذوه وأجركم على الله، وإن أنتم تخافون من أنفسكم خيفةً فذروه فهو عذر عند الله عزّ وجلّ! فقالوا: يا سعد، أمط عنا يدك، فو الله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها، قال: فقمنا إليه رجلاً رجلاً، فأخذ علينا، ليعطينا بذلك الجنّة).

بعض الدروس والعبر والفوائد:

١- تتبّع الرسول صلى الله عليه وسلم للناس في منازلهم وأسواقهم عشر سنين يكشف لنا مدى الجهد والتعب الذي بذله الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته ومدى صبره ومواصلته للعمل وعدم اليأس من صلاح الناس وهدايتهم.

٢- حجم الدعاية الإعلامية التي شنّتها قريش ضدّ الرسول صلى الله عليه وسلم بين قبائل العرب حتى جعل الناس يحذّرون أفرادهم منه.

٣- أن الحملة الدعائية مهْما كان حجمها والجهود التي بذلت فيها ومهْما كان اتّساعها فإنها تبقى محدودة ولن تستقطب جميع الناس حيث يبقى من لا تؤثر فيه تلك الدعايات ممن هو خارج عن إطار الإمّعات.

٤- لا يستوحش من الحق لقلة السالكين وهذا الدين سيمكّن في الأرض ولو بعد حين، فقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنةً يطارد بمكة ويحذّر منه، فلم يتطرّق إلى نفسه اليأس من الانتصار، وجاء نصر الله مسوقاً إليه من أهل المدينة، فالاضطهاد والملاحقة لا تثني الداعي عن دعوته، ولا تمنع من استجابة الناس له.

٥- التفكير في إخراج الدعوة من الحصار الذي يضربه عليها أعداؤها وفكّ الخناق عنها، فلقد كان ذلك هو شغل الأنصار الشاغل وهمّهم الذي ينامون عليه ويصحون معه، مع الشعور بالمسؤولية وإن لم يطلب منهم ذلك، حيث أن حجْر الداعية ومنعه والحظر عليه مضرة بالمدعوين أكثر من الـــداعي. لذا قالوا: (حتى متى نترك رسول الله..).

الهجرة إلى المدينة:

وبعد بيعة العقبة بدأت طلائع المهاجرين تتوجّه إلى المدينة أخرج البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قد أريت دار هجرتكم رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان، فهـــاجر مـــن هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى المدينة بعض من كـــان هاجر إلى أرض الحبشة..".

أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبـــلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم).

قال البخاري عن عائشة: (وتجهّز أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وســـلم: " على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي". فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال: نعم. فحـــبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السدر - وهو الخبط - أربعة أشهر).

وهنا تعرف أخي الكريم منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم حيث اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحباً له من بين جميع أصحابه.

وظلّ رسول الله ينتظر أمر ربّه بالهجرة إلى المدينة، وقريش جاهدة في حربه والكيد له حتى ائتمروا في دار الندوة على أن يأخذوا من كل قبيلة فتًى جلداً فيعطونه سيفاً حاداً فيقتلون به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتفرّق دمه بين القبائل.

قال ابن إسحاق: ((ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صـــارت لـــه شـــيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلـــوا داراً، وأصابوا منهم منعةً، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين خافوه.

فقريش تخطّط للإيقاع بالدعوة، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطط للنجاة بها إلى بر الأمان.

روى البخاري عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلا أَمْرٌ قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ:" أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:" فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بِالثَّمَنِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثِ وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِياً خِرِّيتًا وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عبد الرحمن بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ:(جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تُجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشام فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ

بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُم الَّذِي تَنْتَظِرُونَ. فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذَلِكَ فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْغُلامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالا: لا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

ذَا الْحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ *** هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الآخرة *** فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةْ

فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي).

بعض الدروس والفوائد والعظات من الهجرة:

١- تقدم إسلام آل أبي بكر ((لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين)).

٢- اهتمام أبي بكر بأهل بيته وإصلاحهم والبدء بهم قبل غيرهم.

٣- منزلة أبي بكر من النبي صلى الله عليه وسلم وصلته الوثيقة به، ومعايشته لأمر الدعوة منذ بزوغ فجرها، فقد كان عليه الصلاة والسلام يزوره كلّ يوم مرّتين.

٤- إن تفكير أبي بكر في الخروج من مكّة مهاجراً لوحده مع منزلته وأهميته للدعوة وصلته الوثيقة بالرسول صلى الله عليه وسلم، ليكشف عن مدى الأذى والشدّة التي تلحقها قريش بالمسلمين. هذا مع أن أبا بكر من الأشراف ومن الذين يجدون منعةً في قومهم فكيف بالضعفاء والعبيد!!

٥- أن أمن الدين هو الأصل عند المسلم فإن وجد عليه خطراً دفع بلده وماله وأهله حمايةً لدينه، ولهذا خرج أبو بكر مهاجراً وحده تاركاً كل شيء خلف ظهره يطلب الأمان لدينه ودعوته.

٦- بلد المسلم ووطنه هو الذي يتمكن فيه من إظهار دينه ودعوته فيه، ولهذا خرج أبو بكر على الرغم من أفضليّة بلده على سائر البلدان. وعلى المسلم أن لا يركن إلى الذلّ والهوان بل يعمل تفكيره في الخروج من الحصار المضروب على دينه ودعوته، ويبحث عن موطن موافق أو مسالم لها. حتى يتمكّن من تحقيق عبوديّته لله تعالى.

٧- لقد أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة ولم يختر صاحباً له في الهجرة غير أبي بكر وفي هذا دلالة على عظم الصلة وقوّة الرابطة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم.(على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي).

٨- لقد تجهّز أبو بكر للهجرة إلى المدينة، ولكن بعد ما عرّض له الرسول صلى الله عليه وسلم بالصحبة جلس وتحمّل الأذى والعنت والتعب من قريش طاعةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبةً في مصاحبته. (فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه).

٩- مبادرة أبي بكر في الترتيب لأمر الهجرة، وبذل المال في خدمة دعوته بدون طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قام مباشرةً بعد تعريض الرسول صلى الله عليه وسلم له بالصحبة بتعليف راحلتين كانتا عنده ؛ إذ مثل هذا من بدهيّات الهجرة فلا تحتاج إلى أمر يتلقّاه من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي هذا بيان بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يربّيهم تربية العبيد تربية الخنوع وإلغاء العقل مع المتبوع.

١٠- مقابلة التخطيط بالتخطيط، والتنظيم بالتنظيم، والترتيب بالترتيب، فقريش تخطّط وترتّب للإيقاع بالدعوة، بينما الرسول صلى الله عليه وسلم يخطّط ويرتّب للنجاة بها، وهذا يوضح أن الاستسرار فيما يخدم الإسلام بما لا يتعلّق به بلاغ ولا بيان ولا يترتّب على إسراره كتمان للدين أو سكوت عن حق من سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتعارض التخطيط وأخذ الحيطة مع التوكّل على الله تعالى لأن الأخذ بالأسباب جزء من العبادة.

١١- وإن من أعظم مظاهر التضحية في هذه الهجرة أن يغادر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون هذا البلد الأمين الحبيب إلى قلوبهم - بل وإلى قلوب جميع المسلمين - مغادرةً يعلمون أن لا استقرار لهم فيه بعدها، وهذا من أشقّ الأمور على النفس، ولكن رجال العقيدة يرخصون في سبيلها كل غالٍ. ولقد عبّر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى - معنى صعوبة مغادرة مكّة وفراقها فراقاً لا سكنى بعده - في العديد من المواقف المؤثّرة.

عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحَزْورة فقال: والله والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت).

١٢- تربية أبي بكر لأسرته على الأمانة وإحاطة الإسلام وحفظه وبذل ما يملكون في سبيل ذلـــك، وكان واثقاً أتمّ الثقة بتربيته فقال للرسول صلى الله عليه وسلم لّما أمره بإخراج من عنده: (أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ)، (إنما هم أهلك يا رسول الله).

١٣- الرغبة في مصاحبة أهل الخير مهما ترتّب على ذلك من أخطار. قال أبو بكر للرسول صلى الله عليه وسلم: (الصحبة يا رسول الله).

١٤- منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم عند أبي بكر أوصلته إلى البكاء من الفرح لّما أخبره بمصاحبته في الهجرة.

١٥- الرغبة في المساهمة في طريق الخير وعدم الاعتماد على الآخرين في ذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلم أبى أن يركب راحلة ليست له حتى اشتراها من أبي بكر بالثمن، حتى تكون هجرته بماله ونفسه رغبةً في استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتمّ أحوالهما.

١٦- أسرة أبي بكر تشارك بمجموعها في إنجاح خطّة الهجرة النبوية.

١٧- الاستفادة من خبرات وطاقات المجتمع وتوظيفها في المجالات المناسبة، فعبد الله بـــن أبي بكـــر للأخبار، وعامر للشراب، وأسماء وعائشة لتجهيز الطعام وهكذا.

١٨- الاستفادة من خبرات المشركين إذا أمن حالهم، ولم يكن لهم شوكة في التأثير علـــى القـــرار، وعرفوا واشتهروا بما يراد منهم، ولم يكن أحد من المسلمين يسدّ هذه الوظيفة، وكانـــت عـــاداتهم وتقاليدهم تفرض عليهم الأمانة في أداء تلك المهمّة.

١٩- اتّخاذ الأسباب والاحتياطات التامّة، ثمّ التوكّل على الله تعالى والثقة المطلقة بـــه والاطمئنـــان لنصره، وعدم الاتّكال على الأسباب ذاتها. قال أبو بكر: (يا رسول الله لو أن بعضهم طأطأ بصـــره رآنا). قال: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

٢٠- إن نصر الله فوق كلّ نصر وقدرة الله فوق كلّ قدرة، وأمر الله فوق كل أمر، وتأييده يتحدّى كلّ قدرات البشر وطاقاتهم، فهذه قريش صاحبة السلطة وتحت يدها السلاح والرجال والأموال ومع ذلك لم تستطع أن تهتدي إليهم في الغار.

٢١- نجاح خطة وترتيبات الهجرة النبوية، فعلى الرغم من حرص قريش وتعميمها على القبائل وبذل الأموال في سبيل ذلك إلا أنه لم يدركهم منهم أحد غير سراقة.

٢٢- لقد كان أبو بكر قلقاً على حياة رسول الله من أن يصيبها أذى ولذلك يكثر الالتفات، أمّـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان واثقاً من نصر ربّه له، مطمئناً إلى ذلك لم يعبأ بالخطر مـــع قربه منه، ولم يستحق منه مجرّد الالتفات، قال أبو بكر: (هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله). فقال: (لا تحزن إن الله معنا).

أسس بناء المجتمع في المدينة:

قام المجتمع المدني على عدّة دعائم، أهمّها ما يأتي:

أولاً: المسجد.

فكان أوّل عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بناء المسجد كما في البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (..بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هَذَا الْحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ *** هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخرة *** فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

وهذا يدل على أهمّيّة المسجد ومكانته في الإسلام، وأصبح المسلمون كلّما بنوا مدينةً أو مصراً أول ما يبدأون بالمسجد ثم يبنون بيوتهم حوله كما فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين بنى الكوفة والبصرة.

والمسجد له مكانة عظمى ودور كبير في حياة الأمّة المسلمة فاستخدم المسجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأكثر من غرض منها:

١- إقامة الصلاة فيه، وكان الصحابة يحرصون أشدّ الحرص على الصلاة مع الجماعة، حتى إنّ الرجل منهم لا يستطيع المشي فيهادى بين رجلين حتى يأتون به المسجد، وكانوا يعتبرون المتخلف عن المسجد منافقاً معلوم النفاق.

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ).

وروى مسلم أيضا عن ابن مسعود قال: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاةِ إِلا مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ أَوْ مَرِيضٌ إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاةَ وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ). و لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعذر أحداً بالتخلف عن المسجد.

فروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُرَخِّصَ

لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَأَجِبْ).
فمع كونه صلى الله عليه وسلم رحيم بأمته يشقّ عليه ما يشقّ عليهم رؤوف فيهم لم يرخّص لهـذا الأعمى في التخلف عن الصلاة في المسجد. وقد ورد في بعض روايات الحديث أنه كبير وبعيد الدار عن المسجد.

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم هَمَّ بتحريق أناس لم يشهدوا الصلاة في المسجد كما في صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لاتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ فَيُقِيمَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ ثُمَّ آخُذَ شُعَلاً مِنْ نَارٍ فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاةِ بَعْدُ).

وقد رتّب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة في المسجد فضلاً كبيراً وأجراً عظيماً كما في الصحيحين عن أبي هريرة: (أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لا يَنْهَزُهُ إِلا الصَّلاةُ لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ وَالْمَلائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ).

٢- مدرسة وجامعة للتعليم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الناس ويجلسون إليه في المسجد فيتعلمون منه أصول الدين وفروعه، وكان الواحد منهم إذا شغله شاغل عن حضور المسجد ذلك اليوم أوصى غيره يأتيه بما يتعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وربما استفيد من المسجد في الأمور التالية:

١- إيواء الضعفاء والفقراء والعزّاب.

٢- إنشاد الشعر في نصر الدعوة.

٣- مكان لاعتقال الأسرى حتى يشاهدوا المسلمين فيتأثروا بهم.

٤- مكان لعلاج المرضى (مثل خيمة رفيدة لمعالجة سعد بن معاذ).

٥- استقبال الرسل والسفراء.

٦- عقد ألوية الجهاد.

٧ - لقاء المسلمين بأميرهم وقائدهم.

ولما اهتمّ المسلمون بشكل المساجد وزخرفتها فرغوها من محتواها ومقاصدها، وأصبحت مكاناً لأداء الصلاة ثم يقفل حتى عن حلق العلم والتعليم.

وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)

وفي الحديث الآخر: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتباهى الناس في المساجد).

وعن ابن عباس مرفوعاً: (ما أمرت بتشييد المساجد ثم قال ابن عباس: (تزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى).

ثانيا: المؤاخاة.

لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة وقد تركوا ديارهم وأموالهم وهربوا إلى الله بأبدانهم، تنافس الأنصار – رضي الله عنهم – في إيواء إخوانهم المهاجرين حتى أصبح إسكانهم بالقرعة فهذه امرأة من الأنصار ممن بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكي لنا قصة في ذلك: روى البخاري عن أم العلاء قَالَتْ: (طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ..).

بل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقسّم بينهم وبين إخوانهم من المهاجرين نخيلهم فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ: (اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ قَالَ: لا قَالَ: يَكْفُونَنَا الْمَئُونَةَ وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا).

وروى الإمام أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَتَبَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ وَأَنْ يَفْدُوا عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِصْلاحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ).

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار فكانت هذه الآصرة أقوى من آصرة القبيلة والنسب حتّى وصل بهم الحال إلى التوارث بينهم كما روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا: ({وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} قَالَ: وَرَثَةً {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} قَالَ: كَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْمُهَاجِرُ الْأَنْصَارِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُمْ فَلَمَّا نَزَلَتْ {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} نَسَخَتْ ثُمَّ قَالَ {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} إلا النَّصْرَ وَالرِّفَادَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَقَدْ ذَهَبَ الْمِيرَاثُ وَيُوصِي لَهُ).

وقد ضرب الأنصار أروع المثل في إكرام إخوانهم المهاجرين بل في إيثارهم على أنفسهم كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

ولما فتحت البحرين أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعوّض الأنصار بعض ما صرفوه على إخوانهم المهاجرين، يقول أنس بْنَ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: (دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا: لا إلا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا قَالَ: إِمَّا لا فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ) رواه البخاري.

ويحسن أن نسوق نموذجاً واحداً من نماذج المؤاخاة الرائعة:

روى البخاري عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ عبدُ الرحمنِ بْنُ عَوْفٍ: (لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ: فَقَالَ لَهُ عبدُ الرحمنِ: لا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عبد الرحمنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عبد الرحمنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: تَزَوَّجْتَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَمَنْ قَالَ: امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: كَمْ سُقْتَ قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ).

وقد ذابت العنصرية والقبلية في الأخوّة الإيمانية، وأصبح التفاضل على أساس {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

ولقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع أهمّيّة الأخوة بين المسلمين ووجوب الترابط بينهم، ونهى عن الشحناء والبغضاء، والشقاق والخلاف والفرقة:

فشبّههم مرّةً بالبنيان في قوّة ترابطه وتماسكه.

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" شبك بين أصابعه)).

وشبّههم بالجسد الواحد في دقّة الإحساس وسرعة المواساة.

روى البخاري ومسلم عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

ورغّب بالقيام بحاجة المسلم ومساعدته ونصحه وإعانته في جميع أحواله:

روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ..".

بل إنه ساواه بالنفس في محبّة الخير وكره الشر:

روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

وحذّر من جميع الخصال التي توجب الفرقة والبغضاء والتباعد بين المسلمين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا". رواه البخاري.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ". رواه مسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لا تَحَاسَدُوا وَلا تَنَاجَشُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ". رواه مسلم.

وأصبحت الآيات القرآنية تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم محذّرةً من الفرقة والخلاف والشقاق وآمرةً بالاجتماع والإئتلاف والترابط على حبل الله المتين وصراطه المستقيم.

قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} وقال: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} وقال: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}.

ثالثا: المعاهدة مع اليهود.

سكن اليهود المدينة لانتظار مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يجدون صفته وصفة بلده ومكان مبعثه في التوراة، وكانت اليهود تذكر ذلك كثيراً للأوس والخزرج سكّان المدينة، وتقول: إن نبياً مبعوث الآن قد أظلّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

ولهذا لّما التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوفد الخزرج عند العقبة فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: (يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعّدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه)، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدّقوه وقبلوا منه لّما عرض عليهم الإسلام.

ولكن اليهود حسدوا العرب أن بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذّبوه وعادوه، مع معرفتهم التامّة بصدقه، ووضوح علامات النبوّة التي يجدونها في التوراة عليه. كما قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ}.

فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أقرّ اليهود على منازلهم وعلى ممتلكاتهم وعلى دينهم وأعمالهم، مع معرفتهم التامّة به وأنه النبيّ الذي يجدونه عندهم، ومعرفته بهم وأنهم أهل خيانة ومكر وكذب، وإظهارهم عداوته وبغضه.

وقد تبيّن ذلك جلياً عند أوّل مقدمه المدينة كما في قصّة عالمهم وإمامهم وحبرهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

يقول عبد الله بن سلام: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ؟ قَالُوا أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ! قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ).

ومع ذلك فقد أبرم معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدةً جاء فيها: (أنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم، فأنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وأنه يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم..).

فهذا الصحيفة التزم اليهود فيها بدفع قسط من المال في الحروب دفاعاً عن المدينة، وأن المجرم ينال جزاءه من أيّ فريق كان، وأن اليهود لا يخرجون من المدينة إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتبرت المعاهدة أن المدينة حرم والحرم لا يحل انتهاكه، والمرجع الوحيد عند التحاكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنعت الصحيفة من إجارة قريش أو نصرها.

وعلى الرغم من هذه المعاهدة ووضوح بنودها، وتحقيقها حياةً آمنةً مطمئنّةً لليهود في المدينة، إلا أن اليهود ما انفكّوا عن الكيد للإسلام وأهله، ومحاولة طرح الشبه للتشكيك في نبوّة الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغلون بعض الحوادث للتلبيس على الناس كما في صرف القبلة وغيرها، كما يلقون الأسئلة المتعنتة على الرسول أمام الملأ ومع ذلك كان يحلم عليهم. وهذا يعتبر نوعاً من فصول المقاومة للرسول صلى الله عليه وسلم.

كما قاموا بتدبير المؤامرات والكيد للمسلمين في كل فرصة ينتهزونها، فمرّةً يثيرون العداوة بين المسلمين ويذكرونهم بثاراتهم الماضية حتى كاد الأوس والخزرج أن يقتتلوا، وتارةً يهددون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمعهم في سوق بني قينقاع ورأى ما بهم من الشرّ والنوايا الفاسدة في نقض المعاهدة – بعد ما شرقوا بانتصار المسلمين في بدر – فوعظهم وذكرهم فقالوا له: (يَا مُحَمَّدُ لا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا).

ودعوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالموت كلّما لقوه في وجهه. تقول عَائِشَةَ: (اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ قَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ).

وقام رجل منهم يقال له لبيد بن الأعصم بعمل السحر للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا من شأن اليهود كلّما أعياهم أمر لجأوا إلى السحر والشعوذة والاستعانة بالشياطين. فليس عندهم حجة يجادلون عنها، ولا رأي صحيح يناظرون عليه.

فانتصار المسلمين في بدر أفقد اليهود صوابهم فنقلوا الحرب والمقاومة من الكلام إلى ميدان الحرب الدامية:

فتحرّشوا بامرأة مسلمة في سوقهم وكشفوا عن سوأتها.

ثم كان منهم التحريض لقريش على غزو المدينة، وقامت بنو النضير بتنظيم عملية اغتيال للنبي صلى الله عليه وسلم، وجنّدوا شعراءهم للتشبيب بنساء المسلمين والتغزّل بهنّ.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سلكوا طريق القوّة في مقاومتهم للمسلمين واستنصار الأعداء عليهم والتهديد السافر للمسلمين فأجلا من نقض العهد منهم كبني قينقاع وبني النضير بموجب المعاهدة بينهم.

فالتقى جمع من أحبارهم بزعماء قريش وشهدوا لهم أنهم أهدى سبيلاً من محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً}.

ثم حزبوا الأحزاب على رسول الله وقاموا بنفير عام وتجميع لجميع قوّات القبائل لغزو المدينة في السنة الخامسة، ولما حوصرت المدينة كان الواجب طبقاً للمعاهدة أن ينضمّ يهود بني قريظة إلى جانب المسلمين للدفاع عن المدينة، ولكنّ الذي حدث هو العكس فقد غدروا بالمسلمين وحاولوا ضرب جيشهم من الخلف في أحرج الظروف، وفي تلك الساعات الرهيبة الحاسمة التي كان فيها مصير كل الكيان الإسلامي في خطر في جميع التقديرات العسكرية، فأصبح المسلمون بين فكي كماشة.

وأعلن اليهود مؤازرتهم للغزاة المعتدين بقصد إبادة المسلمين جميعاً ووأد الإسلام. ومع ذلك فقد أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداً يفاوضهم ويذكّرهم بالعهد والعقد، فناكروهم وسبّوهم وأغلظوا القول عليهم وسبّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامهم.

وقد قام يهود بني قريظة بهذه الخيانة العظمى. بالرغم من أن هؤلاء اليهود باعتراف زعيمهم كعب بن أسد لم يروا من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلا الصدق والوفاء، قاموا بتلك الخيانة وهم في حالة ارتباط مع المسلمين بموجب عهد وميثاق بأن يقاتلوا كل من حارب المدينة.

فيهود بني قريظة بالإضافة إلى ارتكابهم جريمة الخيانة العظمى يعتبرون غزاةً مُحَارِبِينَ حيث أصـــبحوا جزءاً لا يتجزّأ من الجيش الغازي.
فلماذا اندحر الأحزاب وانسحب الجناح الوثنيّ يجرّ أذيال الخيبة، بقي على المسلمين الجناح اليهودي من هذه الجيوش. الذي احتمى بالحصون فلمّا وصلت مقدمة رسول الله صلى الله عليه وســـلم إلى حصونهم سبّوهم وشتموهم وشتموا رسول الله. فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمّا اشتدّ الحصار عليهم انهارت قواهم عن المقاومة، فنزلوا على حكم حليفهم من الأوس وهو سعد بن معـــاذ ومع ذلك وافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، فحكم فيهم سعد بقتل المقاتلـــة وســـبي النساء والذريّة.
لقد تجمّعت فلول اليهود عند إخوانهم يهود خيبر، وقاموا بتنظيم قوّات مشتركة لغزو المدينة والقضاء على أهلها.
لقد كشفت الأحداث أن اليهود خلال أربع سنوات ما قبلوا تلك المعاهدة إلا مكراً وخداعاً، وأنهم اتّخذوا تلك المعاهدة مع المسلمين ستاراً ينفّذون من خلالها مخطّطاتهم. وأنهم كلّما سنحت لهم فرصة خالفوا تلك المعاهدة وشرعوا في تسديد ضرباتهم ضدّ الإسلام والمسلمين.
زواجه صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها:
وبعد بناء المسجد تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة ابنة الصدّيق رضي الله عنهما وهـــي البكر الوحيدة من بين نسائه وأحبّ نسائه إليه.
ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة لهذه الأمّة في حياته الخاصّة والعامّة، وكان الذين ينقلون لنا حياته العامّة آلاف من أصحابه، فكان لزاماً من توفّر عدد من النساء لنقل حياته الخاصّة، إذ أن المرأة الواحدة ربما تنسى، أو أن ترى أن هذا الأمر غير مهمٍّ، أو أن الذي يروي عنها ينسى.
فتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة، وكانت تلك النسوة متباينات في جميع أحـــوالهنّ حتى يتمّ الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فمنهنّ صاحبة الأولاد، ومنهنّ الكبيرة، ومنهنّ القريبـــة في النسب، ومنهنّ البعيدة. مع اختلافهنّ في الطبائع والنفسيات، وفي هذا درس عظيم للأمّة في التعامل مع النساء على اختلاف حالاتهنّ وطبائعهنّ.
وقد نقلن كلهنّ حياته الخاصّة وأصبح المسلم يعرف من حياة النبي صلى الله عليه وسلم في بيته أكثر مما يعرف عن أبيه المعايش له.
طبيعة بيت النبوة:
كان بيت النبوّة يمثّل البساطة في جمالها وعلوها والزهد في قمّته والاكتفاء بالقليل وعدم التكلّف مـــع القدرة والإمكان على الدنيا لو أرادها صلى الله عليه وسلم.

فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف عيش النبي صلى الله عليه وسلم قائلة: (مَـــا شَـــبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًـــا حَتَّـــى قُـــبِضَ).(رواه البخاري.).

روى البخاري عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: (ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلالِ ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم نَارٌ فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ).

وصف لنا خادمه أنس بن مالك عيش النبي وما فيه من القلّة فيقول: (إِنَّهُ مَشَى إِلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِهِ وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليـــه وســـلم صَاعُ بُرٍّ وَلا صَاعُ حَبٍّ وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ). (رواه البخاري.).

بل إنه ليخرجه الجوع من بيته أحياناً كما يروي لنا مسلم عن أبي هريرة قال: (خَرَجَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ قَالا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُـــوا فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: أَيْنَ فُلانٌ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَـــرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّـــهِ صلى الله عليه وسلم: إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّـــا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ).

وأما فراشه وأثاثه فتقول عنه عائشة: (كَانَ فِرَاشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ). (رواه البخاري.).

وصف لنا عمر فراش النبي صلى الله عليه وسلم وأثاثه فقال: (دَخَلْتُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَسَلَّمْتُ... ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ فَوَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: "أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي..) (رواه البخاري.).

هذا مع كرمه وجوده وسخائه حتى كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ولو كان عنده خزائن الأرض لجاد بها في ليلة يقول أبوذر: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً اسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ:" يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا لِي ذَهَبًا يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ أَوْ ثَلاثٌ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا وَأَرَانَا بِيَدِهِ) (رواه البخاري.).

الدعوة بعد الاستقرار في المدينة:

لقد بدأت مرحلة جديدة في الدعوة حين استقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقويت شوكة الإسلام، فواجه قريشاً في معركة بدر وهزمهم فقتل سبعين من علية قريش وسادتهم الذين كادوا له ووقفوا ضدّ الدعوة وصاحبها، ثم كانت معركة أحد فانتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش فيها في أول المعركة ولّما خالف الرُّماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هُزِمُوا وانتصرت قريش، ثم كانت معركة الخندق فهزم الله الأحزاب بالملائكة والريح، ثم تتابعت الغزوات والسرايا فكانت الحديبية ثم خيبر إلى أن جاء فتح مكة فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعاً لربه قد طأطأ رأسه وشنق لناقته الزمام مع أنه كان معه عشرة آلاف مقاتل، واستسلمت قريش وعفا عنهم صلى الله عليه وسلم.

ووجد حول الكعبة ثلاث مئة وستين صنماً فكسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً و لم يبق واحداً منها لتأليف قريش إذ لا تأليف بالشرك، مع أنه ترك الكعبة على بنائهم المبتدع على غير قواعد إبراهيم عليه السلام تأليفاً لهم، وأعلن شعار التوحيد على باب الكعبة ومن هنا قطعت شجرة الشرك وأبيدت الأصنام ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

توجيهه وتربيته وتعليمه لأصحابه:

وعلى الرغم من انشغال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ومجالدة الشرك وأهله، إلا أنه كان دائماً مع أصحابه مخالطاً ومعايشاً ومُرَبِّياً وموجِّهًا، ومعلِّماً لهم على اختلاف أحوالهم وأعمارهم، ولا يترك موطناً من مواطن الزلل أو جانباً من جوانب الخطأ إلا وأصلحه وبينه، ولا موطناً من مواطن الخير إلا حثّهم عليه ورغبهم فيه.

فكان يؤاكل أصحابه فربما حضر الطعام معه الأعرابي حديث عهد بالإسلام، أو الغلام والجارية ممن لا يعرف آداب الطعام والشراب فيأخذ صلى الله عليه وسلم بأيديهم ويعلّمهم ويربِّيهم.

روى أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأُتِيَ بِطَعَامٍ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُطْرَدُ فَذَهَبَ يَتَنَاوَلُ فَأَخَذَ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ وَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُطْرَدُ فَأَهْوَتْ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَمَّا أَعْيَيْتُمُوهُ جَاءَ بِالْأَعْرَابِيِّ وَالْجَارِيَةِ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ إِذَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، بِسْمِ اللَّهِ كُلُوا).

وروى البخاري ومسلم عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: (كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ").

وكان يبرز للناس كلِّهم ويبايع الوفود بنفسه ولا ينيب عنه أحداً من أصحابه، ولا يكتفي برئيس الوفد بل يبايعهم واحداً واحداً، وأحياناً يجيء الرهط من الناس ليبايعوه على الإسلام فيرى في أحدهم مظهراً من مظاهر الشرك من بقايا الجاهلية فيأبى أن يبايعه حتى يزيله.

روى الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا قَالَ: "إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ وَقَالَ: مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ").

وقد أخذ بهذا المنهج صحابته الكرام رضي الله عنهم. فقد روى أحمد عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنَ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ قَالَتْ: قُلْتُ خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا".

وكان صلى الله عليه وسلم يداعب أصحابه ويلاعب أطفالهم

روى مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيمًا قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَآهُ قَالَ: "أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟" قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ).

أما خدمه ومواليه فلم يكن يكلّفهم من العمل ما لا يطيقون، و لم يبكتهم يوماً ما أو ينهرهم فضلاً من أن يضربهم، بل إنهم لم يسمعوا منه مجرّد التأفّف عليهم.

ففي صحيح مسلم قَالَ أَنَسٌ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ

أَمَرْتُكَ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا).

وربما قام صلى الله عليه وسلم بالتعليم وهو على حمار مردفاً لأحد أصحابه وذلك بتكرار النداء وفي هذا إثارة انتباه السامع.

يقول معاذ بن جبل: (كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعةً، فقال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعةً فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا". رواه البخاري ومسلم.

وقد اختار صلى الله عليه وسلم معاذاً لينوب عنه في دعوة أهل اليمن ورسم له منهج الدعوة وبماذا يبدأ به الناس فقال له: " إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ". رواه البخاري ومسلم.

وكان صحابته يرجعون إليه في كل شيء حتى في مخالفات الأطفال، فيتعامل معها صلى الله عليه وسلم بأسلوب تربوي عظيم بما يتناسب مع سنّ الصغير ومرحلة الطفولة.

روى أبو داود عن أَبِي رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ قَالَ: (كُنْتُ غُلامًا أَرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأُتِيَ بِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا غُلامُ لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ قَالَ: آكُلُ قَالَ: فَلا تَرْمِ النَّخْلَ وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسْفَلِهَا ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ". وفي رواية للترمذي قال: "أشبعك الله وأرواك".

يصف الصحابة رضوان الله عليهم مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جميع حياتهم حضرها وسفرها، وتفقده لأحوالهم الخاصّة والعامّة، فيقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْزُو مَعَنَا وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ). رواه أحمد.

وقد اختار صلى الله عليه وسلم من أساليب التعليم أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدّ تثبيتًا في نفسه، وأكثرها إيضاحاً: فتارةً يؤكّد لهم التعليم بالقسم، وتارةً بالتكرار، وأخرى بالنداء، وأحياناً بإبهام الشيء لحمل السامع على استكشافه والسؤال عنه كما في حديث أبي هريرة عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ

اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: "الشِّرْكُ باللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ".رواه البخاري ومسلم.

وأحياناً يعلّمهم بأسلوب الشرح والبيان والتوضيح، وترتيب النتائج على مقدماتها كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ". رواه النسائي.

وأحياناً يأتي تعليمه بالمناسبات العارضة كما في قصّة الرجل الذي حلف بغير الله، كما روى سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ (أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ:لاَ وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لاَ يُحْلَفُ بغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:"مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ". قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وروى الإمام أحمد عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ: (سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً يَقُولُ: وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ: لاَ تَحْلِفْ بغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ".

وأحياناً يأتيه الأعرابي الجافي فيغلظ للرسول الله صلى الله عليه وسلم القول، وربما يستطيل بيده على طبيعة الأعراب من العنف والجفاء، فيبتسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجيبه إلى طلبه بحسن خلق وسموّ معاملة.

روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بردَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ).

وفي رواية لمسلم: (ثُمَّ جَبَذَهُ إِلَيْهِ جَبْذَةً رَجَعَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي نَحْرِ الْأَعْرَابِيِّ). وَفِي حَدِيثِ هَمَّامٍ: (فَجَاذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ الْبُرْدُ وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم).

ولكنّه، لما رأى رجلاً لبس سواراً من نحاس يقي به مرضاً يأخذ في العضد، غضب عليه وزجره ونهره. فعن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا". رواه أحمد وابن ماجة..

فهناك لم يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، أمّا هنا ولّما رأى مظهراً من مظاهر الشرك غضب لله عز وجل، حيث أنه صلى الله عليه وسلم بعث بتكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيّات والتعلّق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجدّ في الأمور النافعة المرقّية للعقول، المزكّية للنفوس، المُصْلِحَة للأحوال كلها دينها ودنياها. (القول السديد ص ٣٧).

وربما لحقه الأطفال فأركبهم معه على بغلته.

فعن إِيَاسٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:(لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَذَا قُدَّامَهُ وَهَذَا خَلْفَهُ رواه مسلم.

بل ربما نزل وترك الخطبة من المنبر وحمل الأطفال ثم أتمّ خطبته

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَال: (سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا)رواه الترمذي وحسنه.

وإذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكر انتدب له رجلاً من صاحبته؛ ليقوم بإزالته، فقد روى لنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بمهمّة وهي تسوية القبور بالأرض وعدم رفعها، وطمس التماثيل والصور.

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: (قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلا طَمَسْتَهُ وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ)، وفي رواية قَالَ: (وَلا صُورَةً إِلا طَمَسْتَهَا).

و لم يكن رسول الله يخصّ أحداً من أقاربه بعلم دون الناس.

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: (سُئِلَ عَلِيٌّ أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشَيْءٍ لَمْ يَعُمَّ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا قَالَ: فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا).

وكان يرسل البنيات الصغيرات لِيَلْعَبْنَ مع عائشة رضي الله عنها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي) رواه البخاري.

وكان صلى الله عليه وسلم لا ينفكّ عن التعليم والتوجيه في حال الصحة والمرض فقد كان بعض نسائه يقصصن عليه بعض القصص وهو في مرضه، لعلّ ذلك من أجل تسليته

ففي البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِي

اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ".

فعلى الرغم من مرضه صلى الله عليه وسلم استدرك على نسائه وبيّن ضلال أولئك النصارى حيث اتخذوا المساجد على قبور الصالحين وصوّروا صوراً فيها.

وقد تعامل مع أخطاء الأعراب الجفاة بالحكمة والتأني مع الحلم والصبر عليهم والصفح عنهم، وحسن توجيههم وإرشادهم وتربيتهم، مع غاية الرحمة والرأفة بهم. فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لا تُزْرِمُوهُ (أي لاتقطعوا عليه بولته) دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ" أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ). رواه البخاري ومسلم.

وكان لطيفاً رحيماً رقيقاً في معاملته لأصحابه وفي تعامله مع أخطائهم.

يصف لنا ذلك معاوية بن الحكم السلمي فيقول – كما في صحيح مسلم – عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ" أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: "فَلا تَأْتِهِمْ قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلا يَصُدَّنَّهُمْ، قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلا يَصُدَّنَّكُمْ، قَالَ: قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا قَالَ: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ".

وقد أكّد رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيه عن إتيان الكهان في موطن آخر فقالَ: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم". رواه أحمد عن أبي هريرة.

وقد بلغ من رأفته ورحمته أن يصعد الصبيّ على ظهره وهو ساجد يصلي بالناس فيطيل السجود كراهة أن يعجّل الصبيّ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي إِحْدَى صَلاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّلاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ". رواه النسائي.

روى النسائي عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ رَفَعَهَا).

بل إن رأفته ورحمته بالناس حملته على تخفيف الصلاة بسبب بكاء صبيّ مراعاةً لحال أمه.

عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لأدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَإِنِّي أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ لِوَجْدِ أُمِّهِ بِبُكَائِهِ". رواه ابن ماجه.

وفي السَّنَة التي مات بها ابن النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم

يقول الْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ: (انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ".

فبدّد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأوهام والخرافات المنتشرة في الجاهلية.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يملك عينيه من شدّة الرحمة

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عبد الرحمن بْنُ عَوْفٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ" رواه البخاري.

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وفي السنة العاشرة حجّ صلى الله عليه وسلم بالناس وبعد رجوعه من الحجّ وفي شهر ربيع الأوّل بدأ به المرض بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ثمّ اشتدّ وجعه حتى انتقل إلى جوار ربه جل وعــلا في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.

روى البخاري أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ – يَشُكُّ عُمَرُ – فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَــتْ يَدُهُ). قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: الْعُلْبَةُ مِنَ الْخَشَبِ وَالرَّكْوَةُ مِنَ الأَدَمِ.

حينما يحسّ الإنسان بقرب أجله يهتمّ بالوصية في أكثر الأشياء أهميّةً عنده والتي يتوقع أو يخاف إهمالها ممن بعده، وكذلك نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم الذي يشقّ عليه ما يشقّ على أمّته، والحريص على هدايتهم الرحيم الرءوف بهم كما وصفه ربه، اهتمّ في أيّامه الأخيرة من حياته بتكرار الوصيّة بــأمور عظيمة.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوصيّة فعمل أصحابه بها فكان كل واحد منهم لا يبيت إلا ووصيته عند رأسه، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم عند موته بوصايا عظيمة وأشياء مهمّــة كــان يخشاها صلى الله عليه وسلم على أمّته، وقد وقع ما كان يخشاه صلى الله عليه وسلم فقد تهاون الناس بوصيّته، وبما كان نهى عنه حتى انتشر ذلك بين الناس وأصبح بعض طلبة العلم لا ينكرونها بســبب كثرتها وفشوّها، فإليك أخي الكريم طائفة من وصاياه صلى الله عليه وسلم فأَرْعِ لها سمعك رعــاك والله وحفظك وافتح لها قلبك فتح الله عليك أبواب الخير.

أولاً: نهى عن اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد على القبور، ونظراً لخطر هذا الأمر نبّه عليه صــلى الله عليه وسلم وهو في حالة الموت، ولا يتمسّك شخص بأن قبره وقبر صاحبيه في المسجد فإن هذا ما فعله صلى الله عليه وسلم، ولا خلفاؤه الراشدون الذين قال صلى الله عليه وسلم عنهم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين" ولا يلتفت إلى عمل الناس مع نهيه صلى الله عليه وسلم فهو الواجب طاعته واتباعه.

استمع أخي الكريم إلى أمّنا عائشة وهي تحدّثك عن نبيّك في حال وفاته فتقول: كما روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا" قَالَتْ: وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَــى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

ولاحظ أخي الفاضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الأمر في حال مرضه وأمام جمــع الناس فيروي لنا الإمام مسلم عن جندب قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يَمُــوتَ

بخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: " إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ".

ثانياً: بيّن للناس مترلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأنه لا يوازيه أحد من صحابته في مترلته كائناً من كان، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ". رواه البخاري..

وروى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (مَرِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَعَادَتْ فَقَالَ: "مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ" فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم).

وروى البخاري عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ صلى الله عليه وسلم خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ).

ثالثاً: أوصى بالصلاة، ولعظم شأن الصلاة تجد أخي الكريم حبيبك صلى الله عليه وسلم يأمرك بها حتى في حال غرغرة الروح، في الوقت الذي ينسى فيها الإنسان نفسه من شدّة سكرات الموت فإن نبيّنا صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة العظيمة الحرجة يؤكّد شأن الصلاة ومترلتها وعظم شأنها.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ)رواه ابن ماجة..

ولهذا رتّب على الصلاة ما لم يرتّب على غيرها فجعلت هي الفاصل بين الكفر والإسلام، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه..

وقال أيضا: " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر". رواه أحمد والترمذي وابن ماجه..

وقال عبد الله بن شقيق: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة) رواه الترمذي.

ولكي تتصوّر أخي الكريم الحكمة من هذه الوصيّة تأمّل في حال المسلمين، كم نسبة الذين يصلّون منهم، وكم نسبة الذين يحافظون على الصلاة في وقتها من بين المصلين؟ وكم نسبة الذين يؤدّونها جماعة في المساجد من هؤلاء؟ وكم نسبة الذين يحافظون على آدابها وخشوعها!؟.

رابعاً: النهي عن الاختلاف والتشاجر بين المسلمين فقد أمر جريراً أن يستنصت الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". رواه البخاري ومسلم..

ولتصوّر الحكمة من هذه الوصية تأمّل تاريخ المسلمين وحاضرهم وإلى أيّ مدى خالفوا هذه الوصيّة.

وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

======================

نَصْرُ المُخْتار ودَحْر الفُجَّار!

الكاتب: يوسف مسعود قطب حبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

يسرني أن أبعث إليكم بهذه القصيدة (نصر المختار ودحر الفجار) بعد أن عدلت بعض أبياتها التي قد تُوهِمُ البعض بغير المعنى المراد مثل البيت الرابع، وقد كتبتها بعون الله تعالى وفضله للرد على من تطاول على مقام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم راجيا نشرها، وسائلا الله تعالى لي ولكم التوفيق والقبول.

نَبحتْ شِرَارُ الخَلْقِ تَقْذِفُ بالتُّهَمْ لِتَعِيبَ مَنْ أَرْسَى المَبادِئَ والقِيَمْ

أيْنَ النُّباحُ وإن تَكاثَرَ أَهْلُهُ مِنْ نَيْلِ بَدْرٍ قَدْ سَما فَوْقَ القممْ

أو نَيْلِ نَجْمٍ ساطِعٍ يَهْدِي الوَرَى سَعِدَتْ به وَبِنُورِهِ كُلُّ الأُمَمْ

جَادَ الكَرِيمُ بِهِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ فَتَحَ القُلوبَ بِهِ وأَحْيا مِنْ عَدَمْ

قَدْ تَمَّمَ الأَخْلاقَ بَعْدَ ضَياعها وَشَفَى العَلِيلَ مِن الوَساوِسِ والسَّقَمْ

بالعَدْلِ وَالإِحْسانِ قامَتْ شِرْعَةٌ والفُحْشُ والبَغْيُ البَغيضُ قَد انْهَدَمْ

فَغَدا ظَلامُ الكَوْنِ صُبْحاً مُشْرِقا لَمّا اسْتَضاءَ بِنورِ أحْمَدَ وابْتَسَمْ

سَحّاءُ كَفُّ مُحَمَّدٍ بِعَطائِها كَالْغَيْثِ عِنْدَ عُمُومِهِ لا بَلْ أَعَمْ

مَن ذا يُطاوِلُ رَحْمَةً فِي قَلْبِهِ مَنْ ذا يُبارِي في السَّماحَةِ والكَرَمْ؟

فَلْتَسأَلِ الثِّقلينِ عَنْ أخلاقهِ بَلْ سائِلِ الطيرَ المُحَلِّقَ بالقِمَمْ
مَنْ صاحَ بالأصحابِ رُدّوا فَرْخَهَ كَيْ يَسْعَدَ العُشُّ الحزينُ وَيَلْتَئِمْ
بَلْ سائِلِ الجَمَلَ الْبَهيمَ إِذِ اشْتَكَى لِمُحَمَّدٍ بدمُوعِهِ مُرَّ الأَلَمْ
فَوَعَى الخِطابَ وقامَ يُعْلِنُ غاضِبا لا يَرْحَمُ الرحمنُ إلا مَن رَحِمْ
وَعَفا عَنِ الخَصْمِ اللَّدودِ وَسَيْفُهُ بيَمِينِهِ وَالخصْمُ قَدْ أَلْقَى السَّلَمْ
هَلاّ رَأيتمْ مِثلَ عَفْوِ محمدٍ عَنْ أهلِ مكةَ عَبرَ تاريخِ الأُمَمْ؟
****

يا جاحِداً لِلْحَقِّ هل بدِيارِكُمْ لم يَبْقَ ذِكْرٌ لَلْعَدالةِ أو عَلَمْ؟
هلاّ أقَمْتَ لِما افْتَرَيْتَ دَليلَهُ إنَّ الدَّليلَ لِكُلِّ قَوْلٍ يُلْتَزَمْ
هَلْ يَقْتُلُ المُخْتارُ شَيْخاً فانيا هَلْ يَقْبَلُ المُخْتارُ نَقْضاً لِلذِّمَمْ؟
هَلْ مَثَّلَ المختارُ أو قَتَلَ النِّسا هَلْ أَهْلَكَ المُخْتارُ شَعباً وانتقَمْ؟
فَهُوَ الطَّبيبُ بحَرْبِهِ وبِسَلْمِهِ يَجْتَثُّ أسْبابَ الشِّكَايَةِ والسّقَمْ
فيُزيلُ أنظمةً تُجَرِّعُ شَعْبَها كَأْسَ المَذَلَّةِ والعِبادَةِ لِلصَّنَمْ
كَيْ يُشْرِقَ التّوْحِيدُ فِي أرْجائِها ولِيَشْكُرَ المَخْلوقُ مَنْ أسْدَى النِّعَمْ
هذا جهادُ نَبِيِّنا وَمُرَادُهُ فاذْكُرْ مَقاصِدَ حَرْبِكُمْ كُلَّ الأُمَمْ
ولْتَسْأَلِ (الْبوسْنا) تُجِبْكَ نساؤها الثَّكْلَى وَقَبْرٌ جامِعٌ وبِحارُ دَمْ
بَلْ سائلِ (الشّيشانَ) مَنْ أَوْرَى بها ناراً أحَطاتْ بالسُّهولِ وبالقِمَمْ؟
والمسجدُ الأقصى يَئِنُّ بجُرْحِهِ بَيْنَ الجماجمِ سائلاً أينَ القِيَمْ؟
مَنْ أجَّجَ الحَرْبَيْنِ فتكا بالوَرَى أمُحَمَّدٌ أمْ هُمْ أساطِينُ الْعَجَمْ؟
فاسْأَل (هِيروشيما) أو اسألْ أُخْتَها لَمْ يَنْجُ مِنْ إِنْسٍ ولا صَخْرٍ أصَمْ
فَهَلِ الّدفاعُ عَنِ الحقوقِ جريمةٌ والظلْمُ والعُدوانُ حقٌّ يُحتَرَمْ؟!
****

يا جاحِداً للحقِّ رُغْمَ وُضُوحِهِ أبأرْضِكُمْ زمنُ العُقولِ قَدِ انصَرَمْ؟
هلاّ تُقارِنُ بَينَ هَدْيَ مُحمدٍ ونُصوصِ أسَفارِ الضَّلالَةِ عِندكمْ؟
هلاّ بَصَرْتُمْ نُورَهُ بَدَلَ العَمَى هلاّ سَمِعْتُمْ قولَهُ بَدَلَ الصَّمَمْ؟؟
هلاّ لآياتِ الكتابِ عقلتم هِيَ لِلْفَلاحِ صِراطُهُ الْحَقُّ الأتَمْ
قدْ فاقَ كلَّ المعجزاتِ بِهَدْيِهِ وبنَظْمِهِ وحقائقٍ تَهْدِي الأُمَمْ
سَلِّمْ أوِ ائتِ بمِثْلِهِ أو بَعضِهِ واجْمَعْ شُهُودَكَ ما تَشاءُ مَعَ الْحَكَمْ
فإذا عَجزْتَ وإنَّ ذلِكَ واقِعٌ فَاحْذَرْ سَعيراً فِي مَآلِكَ تَضْطرِمْ

واحْذرْ قَوارِعَ بِالطُّغاةِ تتابَعَتْ مِنْ عِندِ جَبَّارٍ قَوِي مُنتَقِمْ
واسْألْ أبا لَهَبٍ بَلِ اسألْ زَوْجَهُ كَيفَ العذابُ بِمَنْ بَغَى وَبِمَنْ ظَلَمْ؟
واذْكُرْ أبا جهلٍ أو اذكرْ صَحبِهُ وَقَلِيبَ بَدْرٍ قَدْ طَوَى تِلكَ الرِّمَمْ
****

لَمَّا وَهَى قَوْمِي لِحُبِّ لُعَاعَةٍ مِنْ طَيْفِ عَيْشٍ عَنْ قَريب يَنْصَرِمْ
طَمِعَ الذِّئابُ بِعِرْضِنا فَاسْتَأْسَدُوا وَتَطاوَلَ القَزِمُ الْحَقِيرُ عَلَى الْقِمَمْ
مَن لِي بسيفِ اللهِ فِي أصْحابِهِ مَن لِي بِسَعْدٍ أو بِسَيْفِ الْمُعْتَصِمْ
لِيَثُوبَ جَمْعُ الْمارِقِينَ لِرُشْدِهِمْ وَتَلوذَ أَفْواهُ السّفاهةِ بِالْبَكَمْ
وَتُقَبِّلُ الأيْدِي كَما قَدْ قَبَّلَتْ قَدَمَ الجُدُودِ زَمانَ عِزٍ مُنْصَرِمْ
ياأُمَّتِي هَيَّا انْهَضِي فَعَدُوُّنَا مُتَرَبِّصٌ وَعُيونُه لا لَمْ تَنَمْ
سِيرِي عَلَى هَدْيِ الرَّسولِ وَصَحْبِه مَن لازَمَ الهَدْيَ القَوِيمَ فَقَدْ غَنِمْ
وَخُذي عَلَى أيْدِي السَّفِيهِ وَأعْلِنِي مَنْ سَبَّ أحمدَ يا طُغاةُ فقَدْ قُصِمْ
****

فَابْعَثْ إِلهَ العالَمينَ لأُمَّتِي رَجُلا بِدِينِكَ قائِما يُعْلِي الْهِمَمْ
كَيْ يَجْمَعَ الصَّفَّ الشَّتِيتَ عَلَى الْهُدَى ويُعِيدَ صَرْحا لِلْكَرامَةِ قَدْ هُدِمْ
وَاجْعَلْ صَلاتَكَ وَالسَّلامَ عَلى النَّبِي ما لاحَ صُبْحٌ أوْ تَشابَكتِ الظُّلَمْ
وَكَذا عَلى الآلِ الكِرامِ وَصَحْبِهِ ما طارَ طَيْرٌ فَوْقَ غُصْنٍ أَوْ عَلَمْ
وابْعَثْهُ يَوْمَ العَرْضِ حَيْثُ وَعَدتَّهُ بِمَقامِهِ الْمَحْمودِ مِنْ كُلِّ الأُمَمْ
=====================

نُحِبُّكَ يا رَسولَ الله

الكاتب: --
يا رحمةً أُرسلت للعالمين فدتك الروح و ما بالأرض وُجِد
بُعثتَ وشرعُ الغاب حُكْمُ المُضِلّين وسلطان الظلم في الغابة أسد
فحوّلت الظلم نورًا أنار المَشرقَين ولا غير التقوى فضلاً لأحد
بأبي أنت وأمي يا خير المرسَلين يامن قُرن اسمك بالواحد الأحد
تجاوز الحَدَّ فِعلُ الظالمين أَمِثلُ محمدًا على الأرض انولَد
جهلوا قدرَك أيُّها النور المُبين والعقلُ منهم بالجَور فسد
سقط القناعُ عن وجه الظالمين وما تخفي الصدورُ سوادهُ أشد

حسبوك هيناً على المسلمين وحُبُّكَ في القلوب دائمٌ أبد
والذي بعثك بالحق ماهُم سالمين ولن يغفر لهم من للهِ سجد
فهبُّوا لنَصرةِ محمدٍ يا مسلمين فالحق سيف على الظالمين أحد
إلاّ رسول الله يا جاهلين أي ورب البيت إلاّ حبيب الصمد
التوقيع: مُحِبّه لرسول الله

====================

هب اعتذروا فماذا بعدُ ؟

أ.د/ ناصر بن سليمان العمر

الحمد لله الذي آذن من عادى نبيه بالحرب، وهو الذي يعصمه من الناس، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إنه بعد مدة قليلة من عمر المقاطعة بدأت بوادر الثمرة تظهر، ولاحت في الآفاق مقدمات اعتذارات، وهذا يبين أهمية الصبر والثبات على هذه المشاريع حتى تؤتي أكلها، ولو خارت العزائم، وتركت المصابرة في المدافعة لما جنينا الثمرة، وصدق الله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [آل عمران:٢٠٠]. ولاشك أن بوادر الاعتذار بوادر طيبة فإن إخلاء الأرض من سب النبي ـصلى الله عليه وسلمـ مقصد مطلوب، وقد ذكر علماؤنا أن تطهير الأرض من إظهار سب رسول الله ـصلى الله عليه و سلمـ واجب بحسب الإمكان؛ لأنه من تمام ظهور دين الله و علو كلمة الله، وهذا كما يجب تطهيرها من قطاع الطريق بحسب الإمكان بخلاف تطهيرها من أصل الكفر فإنه ليس بواجب ولهذا قالوا بجواز إقرار الكافر على دينه بعقد الذمة.

وإذا كان الأمر كذلك فإن حصل الاعتذار الجلي البين المعلن فهو مكسب لأهل الإسلام مقدر، فإن اعتذار الدولة دليل إقرار بخطأ، وتراجع عنه، ولهذا قيمة مقدرة، ولهذا لا تزال بعض الدول تقطع علاقتها بدول أخرى لمجرد عدم اعتذارها لها عن حدث مضت عليه عقود.

ولكن علينا حتى لانخدع بكلام، وحتى يكون للاعتذار معنى معقول، وحتى نعلم أن المقاطعة أعادت الغافل إلى صوابه فنظر في المسألة تارة أخرى، وحتى نتيقن من أن اعتذاره لا لأجل عبادته الدرهم والدينار، بل لأجل استشعاره ذنبه، فنحن ما قاطعناهم ليعرفوا قيمة المال والريال ولكن ليعرفوا عظيم جرمهم. وحتى يتحقق هذا كله لابد أن تحاسب الدولة الصحفيين والصحيفة التي أساءت للنبي الكريم ـصلى الله عليه وسلمـ، وأن تشرع الأبواب للمحاكمة التي غلقت دونها الأبواب.

كما فعلت ببعض من أدانتهم بتهمة معاداة السامية، فقد أشار تقرير الحريات الدينية الأمريكي الأخير إلى هذه الحادثة وأشاد بها.

وإذا لم يكن هذا فلا كبير معنى للاعتذار، بل لا يعدو الاعتذار حينها كونه حيلة لقطـــع المقاطعـــة، واعتذار لأجل المال.

ومعلوم أنه لو اعتصم مجرم بقوم فآووه وحموه كانوا بذلك ظالمين مشاركين له، وهذا الموقف ينبغي أن تنأى الدولة الدنماركية عنه.

أما إن حوكم الصحفيون وأدينوا كما أدين غيرهم بتهمة معاداة السامية، فعندها يكون للاعتذار محل ولقطع المقاطعة وجه.

مع أنه لايُرضي المسلم ولايشفي صدره أقل من هلاك ذلك الجاني المتعدي على رسل الله ــصـــلوات الله وسلامه عليهمــ. فإن الأذى والأثر الذي خلفه الساب في النفوس لن يزول بيسر، ولو أن إنساناً صفع إنساناً تقدمت به السن فأثرت الصفعة فيه فأذهبت سمعه وبصره، فليس من العـــدل أن نقـــول ليصفعه الرجل الهرم الضعيف -الذي لايكاد يقدر على رفع يديه إلى وجهه- بكل ما أوتي من قـــوة وإن كانت لاتساوي شيئاً! ولايقول عاقل: إن هذا هو مقتضى العدل!

بل مقتضى العدل أن يُصفع بما يُذهب سمعه وبصره ويُبقي فيه الأثر الذي تركه في غيره.

لابد أن تحاسب الدولة الصحفيين والصحيفة التي أساءت للنبي الكريم ــصلى الله عليه وسلمــ، وأن تشرع الأبواب للمحاكمة التي غلقت دونها الأبواب. كما فعلت ببعض من أدانتهم بتهمة معـــادات السامية، فقد أشار تقرير الحريات الدينية الأمريكي الأخير إلى هذه الحادثة وأشاد بها.

وهكذا نقول فيمن سب الرسول ــصلى الله عليه وسلمــ أو انتقصه، فإنه أحدث أذى، ونكأ جرحاً لايندمل، فكم من إنسان تهون عليه نفسه فلا يبالي إن زهقت على ألا يشاك رسول الله ــصـــلى الله عليه وسلمــ بشوكة، وتاريخنا شاهد على هذا، وإذا كان الأمر كذلك فلا يقال: إن مقتضى العدل مجرد سب الساب بل ولا حبسه بل ولاضربه بل ولاقتله، ولكن يُتعلل بإنزال العقوبة الأعلى الواقعة ضمن حيز الإمكان وهذا من باب التسديد والمقاربة.

ولا سيما في حال الاستضعاف كما قال شيخ الإسلام: "فمن كان من المؤمنين بأرض هـــو فيهـــا مستضعف، أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمـــن يـــؤذي الله و رسوله، من الذين أوتوا الكتاب والمشركين"، وليس هذا إيجاب للرد بالصفح ولكنه بيان للرخصة.

بيد أن العجز عن بعض الواجب لا يسوغ ترك غيره، فعلى المسلمين في الدنمارك وغيرها أن يستفيدوا من الحدث الجلل في التعريف بالإسلام، فإنه إن صدقت الاستفتاءات التي نقلت عن أعداد من يؤيدون محاكمة الصحيفة ومن لا يؤيدون فإنها تشير إلى عظيم جهلهم بنبي الإسلام ــعليه السلامــ وبدينه.

فالواجب على دعاة الإسلام ولاسيما في تلك البلاد كبير تجاه المصطفى ــصلى الله عليه وســـلمــ، وتجاه التعريف بدينه، والدعوة إليه على بصيرة، وقد سمعنا ببوادر ذلك،وسعي بعضهم في الاســـتفادة من وسائل الإعلام المختلفة، لأجل الوصول إلى شرائح المجتمع المتعددة وذلك من الأهمية بمكان.

فالحدث على مرارته سانحة للفت الأنظار إلى الإسلام، ووضع الخطط البعيدة في الدعوة إليه والتعريف به.

كما أن الواجب على المسلمين تجاه إخوتهم كبير، وأقل القليل دعمهم بالمال والنصح والتوجيه وبذل الرأي والمشورة، ولو خصص أولئك التجار الذين كانت لهم مواقف مشهودة بمقاطعتهم من أساء نبيهم أرجو أن تسرهم يوم يسألهم ربهم عن المال الذي أعطاهم واستخلفهم فيه، أقول لو خصص أولئك شيئاً من أرباح بعض المنتجات من أجل التعريف بالإسلام في بلدانها المصدرة لها لكان خيراً لهم.

وإذا تحقق ما ذكر فعندها يمكن أن يقال: رب ضارة نافعة.

هذا والله أسأل أن يظهر دينه وكتابه وسنة نبيه، وأن يعز جنده، ويخذل عدوه، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا رسولنا وشفيعنا

أحمد القباع – الرياض

قال أبو الحسن علي بن أحمد المؤدب:

لقد هزلت حتى بدا من هزلها

كلاها وحتى سامها كل مفلس

من الذي تجرأ وسولت له نفسه المريضة الحاقدة وشيطانه بالإساءة للرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم في أحد الصحف الدنمار كية والنرويجية وللإسلام عبر رسوم كاريكاتورية معبرين فيها عن حقد وكره للإسلام والمسلمين من خلال الإساءة لرسولهم وقائدهم وشفيعهم ومنهم الذين أساءوا له –صلى الله عليه وسلم– وأنا أعني هذا السؤال؟ من هم؟ من يكونوا؟ قد يكونوا أبناء أنابيب أو غيرها!! أي حرية التي تسيء لنبي ورسول آخر أمة وأكثر من مليار مسلم قال عنه تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم، وقالت عنه صلى عليه وسلم زوجته عائشة أم المؤمنين (كان خلقه القرآن) وقال عن نفسه صلى الله عليه وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وقال عنه تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١٠٧) سورة الأنبياء، وسيد البشرية –صلى الله عليه وسلم– معجزاته يعلمها الجميع كأي رسول له معجزاته وآياته التي وهبها له الله جل جلاله..

ولو أردنا سوق أمثلة لتعاملاته صلى الله عليه وسلم مع أمته والتي اشتملت بمختلف مجالات الحياة ومعالم الرحمة الشاملة التي أرسل بها –صلى الله عليه وسلم– لاحتجنا إلى كتابة صفحات ولكن لعله يكفي الإشارة إلى كتابة السيرة النبوية لابن هشام للراغبين في معرفة جميع صفاته ونشأته وعموم سيرته صلى الله عليه وسلم ودعوته وتبليغه للرسالة وأداء الأمانة وأن يعم الإسلام بقاع الأرض أيضا كتاب الشمائل المحمدية، وما موقف حكومتنا الرشيدة أعزها الله بالإسلام وأعز الإسلام بها باستدعاء

سفيرنا بالدنمارك إلا تأكيدا لهؤلاء وغيرهم قيام هذه الدولة في العناية بكل حقوق هذا الدين (الإسلام) وغيرة صادقة وحب للإسلام ورسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- من حماية ودعوة ونشر وخدمة الإسلام هو ديدنها تجاه جميع القضايا التي تمس الإسلام والمسلمين بشتى أنحاء العالم وجزى الله جميع التجار رجال الأعمال) الذين قاطعوا استيراد منتجات هذه الدول خيراً وبركة في الرزق واستخدام سلاح المقاطعة للتصدي لمثل هذه الإساءات وإجبار الحكومة الدنماركية وصحيفتها للاعتذار من جميع المسلمين وقبول دعاة للإسلام وإلقاء محاضرات عنه صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام بنفس المدينة التي فيها الصحيفة ومدن الدنمارك والنرويج.

وفي حديث (والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من أي شيء نفسه وماله وولده).

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد كم لاقى في حياته من الأذى في نشر الدعوة وهذا هو اليوم بعد مماته يؤذى برسوم من حاقدين على هذا الدين ورسوله.

قبل الختام قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) لعل ما حدث خيراً للإسلام بدخول الكثير من أبناء الدنمارك والنرويج وغيرها للإسلام عندما شاهدوا غضب المسلمين وغيرتهم على رسولهم وحبيبهم صلى الله عليه وسلم ولدينهم الذي أرسل به صلى الله عليه وسلم لكافة البشر والخلق بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٢٨) سورة سبأ، وقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات.

اللهم أنت تشهد أن رسولك أدى الأمانة، وبلغ الرسالة فاجزه عن أمته خير الجزاء.. اللهم اجعل هذه الأسطر شاهداً لنا لا شاهدا علينا.

==================

هذا محمد صلى الله عليه وسلم

الكاتب: د.سلمان بن فهد العودة

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه وسلم. ورد في صفته – صلى الله عليه وسلم – أنَّ مَنْ رآه هابَه، ومن عرفه أحبَّه. والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فقد كان شخصاً عظيم النفس، عظيم الخُلُق، تامَّ الفطرة.

ورد في صفة رسالته أنها: رحمة للعالمين؛ كما في محكم التتريل، وقال عليه السلام؛ كما في صحيح مسلم: (إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً).

ومن قطعيّات المعاني أن الناس تجتمع على اللين، وتفترق على الشدة والقسوة{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}سورة آل عمران: ١٥٩).

ولعل من اليُمن والبُشرى أن يتنادى المسلمون في كل بقعة لنصرة محمد – صلى الله عليـــه وســـلم، وتجديد سنّتِه.

قبل أيام شَرَعَت إحدى المؤسسات في إعداد موسوعة عالمية؛ للتعريف بشخصه الكريم عليه السلام، في آلاف الصفحات، وبأكثر من خمس عشرة لغة، وبوسائط متعددة، ورقيّة وإلكترونية، وســـتكون مزوّدةً بالرسوم والخرائط، ووسائل الإيضاح، والخدمات المعرفيّة المتاحة كافة.

وقد باشَرَت العديد من القنوات بثّها بعدة لغات؛ للتعريف بالإسلام، وقطع الطريق على العابثين، ممن لا تعنيهم الحقيقة العلمية فضلاً عن المهمّة الرساليّة، وبين يديّ فكرة جديدة سهلة؛ للتأليف في السيرة العطرة.

إن كتب السيرة كثيرة، ومختلفة المقاصد والمناهج، بيد أن العصر الحاضر يحتاج إلى صـــياغة ملائمـــة للمسلمين، خصوصاً الشباب والفتيات الذين يُحبّون الرسول – صلى الله عليه وسلم – حباً عاطفياً؛ يحتاج إلى أن يتحول لاقتداء عملي، ومتابعة مسلكيّة ظاهرة وباطنة.

وغير المسلمين بحاجة إلى معرفة إيجابية؛ تجعلهم يؤمنون به، أو يحبونه ويحترمونه، وإن لم يؤمنوا بـــه. وهذا وذاك ليس بالأمر العسير، ولكنه يحتاج إلى جهود مكثّفة ، وأفكار متآزرة.

وهيكليّة هذا العمل تتمثل – مبدئياً – بأربعة محاور:

* الأول: مدخل في التعريف بالقرآن، وقطعيّة ثبوته، والحقائق التاريخية والواقعية الدامغة على دقّـــة نقله. ويشمل هذا دراسة موجزة عن مخطوطات المصحف في العالم، ونماذج منها، والمصحف الإمام وأين هو؟ وبهذا تُقنع حتى من لا يؤمنون بالوحي بتاريخيّة المصحف، وقطعيّة نقله؛ ليسهل عليهم فهم دلالاته، ومعجزاته العلمية والتاريخية والتشريعية، وقراءة نبوءاته الصادقة.

* الثاني: الدلائل:وينتظم المعجزات، والآيات الدالة على صدقه – عليه السلام – من القرآن، ومـــا يتعلق بذلك من صحاح السنة، مما يشاهده الخلق الآن ويعرفونه، ويقفون عليه، وليس فقط المعجزات المادية الخارقة التي شهدها جيل الرسالة.

ومن هذا الإعجاز: مخاطبات القرآن للرسول – صلى الله عليه وسلم – في التأييد، والمعاتبة، والأمـــر والنهي، والوعد الذي تحقق في حياته، أو بعد مماته، أو في العصر الحاضر له، أو لأمته، أو للعالمين.

وفي هذا ثلج اليقين، وقوة الإيمان؛ (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) (سورة المدثر:٣١).

* الثالث: القيم والأخلاق:وهي محلّ إجماع الخَلْق كافّة على محبّتها، والإشادة بها، وهـــي الأصـــول والكليات والمبادئ المتعلقة بالوحدانية، وأنه ليس له من الأمر شيء، فلم يكن داعياً لنفسه (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ) (سورة الأحقاف:٩).

ومبادئ العدل والمساواة، والحقوق العامة والخاصة، الرجل والمرأة والطفل، بــل الحيــوان والطــير والوحش، ووراء ذلك البيئة والمرافق العامة وسواها.

ومبادئ العلاقة الطّيبة، والتواصل والتسامح، والصبر والإحسان، وقيم الحب والخير والجمال الظاهر والباطن، والنظافة في الثوب والبدن، والقلب والضمير (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَــاهْجُرْ وَلَــا تَمْــنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (سورة المدثر:٤-٧).

وهذه أبواب عظيمة، إذا أُحسن عرضها، وسياق نماذجها وأدلتها وقصصها؛ لأنها تؤســس لجيــل إسلامي عظيم في رعايته للحقوق، والتزامه بالأخلاق، وتفوّقه على نوازع النفس، ومؤثّرات البيئــة، وضغوط الأوضاع، التي أفرزت تداخلاً بين حظ الشريعة وحظوظ النفس، ومرادات (الأنا)، الــتي حكمت بالشتات والولع بالتنازع.

ومن هذا تأصيل مبادئ التعامل، حين القوة والقدرة، وحين الاختلاف، وحين العسر واليسر.

إن السكينة التي تحلّت بها شخصيته المقدسة هي خير دواء لعنفوان النفوس الاندفاعية، التي قد تنتصر له، لكن بغير ما تقتضي شريعته وسنته.

* الرابع: الأحداث والوقائع الواردة في القرآن:

وما يتبعها مما جاء في صحاح السنن، مع الإعراض عن تفصيلاتها المطوّلة، والاقتصار على المهم منها، كالبعثة، والصّدع، والإسراء والمعراج، والهجرة، والدعوة، والبناء الاجتماعي، والحركة الاقتصادية، والمغازي، والحج، والوفاة.

ويتبع ذلك عرض موجز لأحوال البيت النبوي، وعلاقاته، وطبيعة علاقة المجتمع المدني بعضه ببعض.

خليقٌ بمثل هذا العمل إذا أُنجز أن يكون مادة صالحة لتدرّس في الجامعات، والمحاضن التربوية، وتُقرأ في المساجد والتجمّعات، وتُترجم إلى لغة كلّ قوم، بحسب ما يلائم عقلياتهم ومفــاهيمهم وأذواقهــم؛ لتكون الرسالة قد وصلت فعلاً، وبطريقة صحيحة.

لن يكتمل هذا العمل دون تعاون أخوي صادق من كل محبي محمد - صــلى الله عليــه وســلم - بمشورة، أو معلومة، أو دلالة على مصدر، أو تنبيه على فكرة، فليكن لك -أخي الكريم- ســهم في هذه الغنيمة، فهي الغنيمة الباردة، وهي الغنيمة الباقية.

صحيفة الجزيرة السعودية

=================

هذا هو نبينا.. فهل لديهم له مثيل؟

د. محمد أبو بكر حميد

رأى أصحابه فيه حياته قرآناً يمشي على الأرض، وعبروا عن حبهم له بالفعل لا بالكلام، فكـــان في خلقه لهم قدوة، وكانوا يتسابقون إلى اتباع خطواته، وكلهم إيمان وطيد بأن اتباع خطواته طريـــق يؤدي إلى سعادتي الدنيا والآخرة حيث يكسبون محبة الله لهم.

بينما هم جلوس معه ذات مرة، وبينهم عمر بن الخطاب الذي حفظ ما قال لهم: دار بينهم حـــديث عن حب الله لعباده، وتاقت نفوسهم لمعرفة أقرب الطرق التي يحب بها الله عباده، فســـأل أحـــدهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أي الناس وأي الأعمال أحب إلى الله – عز وجل –؟ فقـــال: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَيناً، أو تطرد عنه جوعا..، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شـــاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبّت الله قدمه يوم تُزل الأقدام) (رواه الطبراني في الكبير، والحديث في صحيح الجامع).

علموا أن أداء الفرائض وحدها لا يؤدي إلى ذلك الطريق الذي يعشقونه، ذلك لأنه ربط بين الصلاة وبين سلوك البعد عن الفواحش والمنكرات، حين قال لهم: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً) (رواه البراء عن ابن عباس).

وظل طوال حياته يكرر عليهم لا يكفي أن يكون المسلم خاشعاً في صلاته فقط، فعلمهم أن الخشوع الحقيقي المطلوب هو الخشوع في كل عمل يعمله المسلم خارج صلاته، أن يخاف الله في عباده قبل أن يخافه في صلاته.

ومن حرصهم سألوه بصدق عن أفضل السبل التي تجعل الله يتقبل عباداتهم بيسر، قال لهم ربكم، رب العزة والجلال يقول لكم: (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، و لم يستطل بها على خلقي، و لم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل، والأرملـــة ورحـــم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، واستحفظه بملائكتي، اجعل له من الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة) (الترغيب والترهيب).

تعلموا منه الصلاة خلقاً وسلوكاً ومعاملة، فقد قال لهم مراراً: (الدين المعاملة) (كتاب تاريخ عجائب الآثار)، و لم يقل الدين العبادة، ذلك لأن العبادة جزء من الدين لأنها لا تستغرق إلا جزءاً من وقـــت المسلم، أما المعاملة فجعلها الدين كله لأنها الحياة كلها.

ومن أجل خدمة هذا الهدف الجليل النبيل ربط لهم أعظم إنسان متحضر على وجه الأرض، ربط لهم كل عباداتهم بالسلوك والمعاملة، فقال لهم: (الصوم جُنَّة إذا كان أحدكم صائماً، فـــلا يرفـــث ولا يجهل، فإن أمرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل إني صائم، إني صائم) (رواه أبو داود).

علمهم أن رمضان مدرسة الثلاثين يوماً في التعود على ضبط النفس والسلوك، وإن الحج هو الامتحان النهائي الكبير، واسمعهم كلام الله الذي نزل من فوق سبع سموات يؤكد لهم أن الحج معاملة قبل أن يكون عبادة: {فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} (البقرة: ١٩٧).

وما نسي أحد منهم قط وقفته بينهم وهو يعلن لهم الجائزة الكبرى التي يحلمون بها، ويعملــون مــن أجلها، غفران ربهم.

لم تتسع لهم الدنيا من فرحتهم يوم قال: (من حج فلم يرفث و لم يفسق، رجع كما ولدته أمه) (رواه مسلم)، وأكمل يبشر بالهدف الأكبر الذي يسعى إليه كل واحد منهم.. الجنة: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) (متفق عليه).

لم يترك في نفوسهم قلقاً ولا يأساً من رحمة الله وغفرانه، بل زرع فيهم الأمل، ودعاهم إلى التفاؤل، فمن فاته الحج أو لم يستطع إليه سبيلا فلا يزال طريق رحمة الله أمامه مفتوحاً: (العمرة إلى العمــرة كفارة لما بينهما) (متفق عليه).

وحذرهم من الإفلاس، فظنوا أنه يقصد من قل ماله أو ضاع فاستفسروا فقال لهم: (إن المفلس مــن أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هــذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار) (رواه مسلم)، فمــا كــادوا يسمعون منه هذا حتى وجلت قلوبهم ووجمت وجوههم وخافوا على أنفسهم، وأدركوا أن الإفلاس الخلقي والسلوكي يأكل كل عبادات المسلم كما تأكل النار الحطب، فحرصوا على حسن الخلق فيما بينهم تراحماً وتعاضداً وتسامحاً حتى أنزل الله فيهم آيات محكمات ربط فيهن بين تراحمهم وسلوكهم وبين ركوعهم وسجودهم وبشرهم بغفرانه: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَــى الْكُفَّــارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُــوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (الفتح: ٢٩).

عاشوا معه يدرءون بالحسنة السيئة، ويرون أقواله في أفعاله، وظلوا يجاهدون أنفسهم للارتفــاع إلى مستوى السلوك الحضاري الذي رسمه لهم، فالدين المعاملة، وقد تجلى لهم هذا المعنى في خلقه، وكلما سولت لهم أنفسهم، والنفس أمارة بالسوء، تذكروا كلماته: (المسلم من سلم المسلمون من لســانه ويده) (رواه البخاري)، (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) (رواه الترمذي وابن ماجــة)، (لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم)، (رواه البخاري في الأدب المفرد)، (رحم الله رجلاً

سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) (رواه مسلم)، (المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه) (رواه البخاري في الأدب المفرد)، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (متفق عليه)، (تبسمك في وجه أخيك صدقة) (رواه الترمذي)، (إياك والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا) (متفق عليه)،) من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (رواه الترمذي)، (امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين) (رواه أحمد)، (بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) (رواه مسلم).

دعاهم إلى أن يستر بعضهم على بعض حتى لا تشيع الفاحشة، وقال جازماً في وعده: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) (رواه الترمذي)، وقال مهدداً متوعداً: (من كشف عن عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه في بيته) (رواه ابن ماجة) وأوضح لهم صراحةً أن تتبع عورات الناس وكشفها مفسدةً لأنهم إذا انكشفوا جاهروا بالمعاصي وسمعوه يقول لأحدهم موضحاً ومحذراً: (إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم) (رواه البخاري).

وفي الوقت نفسه أعلن لهم عن جائزة من يستر على أخيه: (من رأى عورةً فسترها فكأنما استحيا موءودة في قبرها) (رواه أبو داود والنسائي).

وتلى عليهم قرآناً نزل من عند ربه يأمر بالستر ويفسر كشف عورات الناس إشاعة للفاحشة: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النور: ١٩).

ولم يشدد على شيء كما شدد على ابتعادهم عن الغيبة والنميمة وسوء الظن، والتجسس على الناس، فقال: (لا تحسسوا ولا تجسسوا) (رواه البخاري) وقال: (من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنه الآنك يوم القيامة) (رواه البخاري)، وخاف عليهم من أسوأ ما يمكن أن يقع فيه إنسان، وما أكثر ما يقع فيه الناس دون شعور بأنه من أسوأ الذنوب، فانزل ربه عليه قرآناً يصور مغبة النيل من الإعراض بأبشع الصور التي يتقزز منها الإنسان، وتلا عليهم قول ربهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (الحجرات: ١٢).

أصبحت كلماته لهم نورهم يسعى بين أيديهم كلما أظلمت عليهم أنفسهم استضاءوا بها، واشتاقت أرواحهم للسمو بسلوكهم حتى يصبح عباده، وعرفوا أن ذلك لن يتحقق إلا إذا أصبحوا من {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (المؤمنون: ٣)، {الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (سورة الفرقان: ٦٣)، {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران: ١٣٤).

وزلزلت بهم الأرض من هذه الآيات، كيف يكظمون الغيظ، ويسيطرون على الغضب، يستطيع المرء أن يقوم الليل أياما ولكنه قد لا يستطيع أن يكف غضبه لحظه، فاستنجدوا به، وسألوه الحلول، ماذا يفعلون إذا استبد بهم الغضب، فتبسم وقال: (إذا غضب أحـــدكم فليســـكت) (رواه البخـــاري)، وأضاف (إذا غضب أحدكم فليغتسل) (كتر العمال)، وفي رواية (فليتوضأ) (رواه أبو داود).

وعندما تسابقوا إلى تلقي نصحه لهم، جاء أحدهم فقال له: أوصني يا رسول الله، فقـــال لـــه: (لا تغضب)، وردد تلك الكلمة عدة مرات.

وبدوره سألهم فقال: (ما تعدون الصرعة فيكم؟ فقالوا: الذي لا يصرعه الرجال، فقال: ليس كذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب) (رواه مسلم).

فعرفوا أن هذه هي القوة الحقيقية، الإمساك بلجام النفس، والتحكم في الهوى، و لم يكن يترك مناسبة إلا ويذكرهم بذلك لمعرفته بصعوبته على النفس البشرية، فقال لهم ذات مرة:(من كظم غيظـــاً) – وهو يقدر على إنفاذه – ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً) (رواه ابن أبي الدنيا).

وحانت الفرصة ليعلمهم أن العبادات وحدها دون خلق المسلم لا تدخل صاحبها الجنة، فلما قال له أحدهم: (يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها، وصدقتها، وصيامها، غير أنهـــا تـــؤذي جيرانهـــا بلسانها؟ قال له: هي في النار! قال الرجل: يا رسول الله وإن فلانة يذكر من قله صـــيامها، وقلـــه صلاتها، وإنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها؟ قال له: هي في الجنة! وسأله آخر يريد أن يستزيد ويستوثق: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق، وسمعته زوجه عائشـــة يقول: إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (رواه أبو داود).

====================

هذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم

وصفه رب العزه جل وعلا وقال في كتابه الكريم (وإنك لعلى خلق عظيم) لم يكن مثله صـــلى الله عليه وسلم في الصبر والثبات واستقرار النفس والرحمه ورقة القلب والسمو والحلم والعفو عند المقدرة والصدق والجود والكرم كان يعطي عطاء من لايخاف الفقر وكان أشجع الناس وكان اشد النـــاس حياء وكان اعدل الناس واعفهم واصدقهم لهجه واعظمهم أمانة واعترف بذلك مجاوروه واعـــداؤه وكان يسمى قبل نبوته بالصادق الأمين كان اشد الناس تواضع وابعدهم عن التكبر كان يمنع عـــن القيام له وكان يزور المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة الملهوف ويجلس في اصحابه كواحد منهم كان اوفى الناس بالعهود واوصلهم بالرحم واعظمهم شفقه ورأفه ورحمة بالناس قد بعث للناس كافة أحسن الناس عشرة وأدب وابسط الناس خلق وابعد الناس عن سوء الخلـــق لم يكـــن فـــاحش ولا متفحش ولا لعان ولا طعان كان لايذم احد ولايعيره ولايطلب عورته ولايتكلم إلا فيما يرجو ثوابه

إذا تكلم أطرق جلساءه وإذا سكت تكلموا كان زوجا عظيم وأب رحيم يفيض حباً وحنان وكان من اثره ان القلوب فاضت بإجلاله والرجال تفانوا في حمايته وإكباره فيما لاتعرف الدنيا لرجل غيره الذين عاشروه احبوه إلى حد الهيام و لم يبالوا ان تندق اعناقهم ولا يخدش له ظفر

فقد قال صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايُحب لنفسه)

عانا النبي محمدصلى الله علية وسلم إلى الله لنوحده ونعبده وحده لاشريك له وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار فقال عليه أفضل الصلاة والسلام:

(مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت انه سيورثه) والكف عن المحارم والدماء و حث علـــى مخاطبة الناس بالكلام الطيب

(الكلمة الطيبه صدقه) ونهانا عن الفواحش وقول الزور وقذف المحصنات وامرنا بالصلاة والزكـــاة والصيام و حتى البهائم والحيوانات امرنا برحمتها وعدم إيذاءها والقسوة عليها

قال بأبي هو وامي صلى الله عليه وسلم

(مامن مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابه ، إلا كان له صدقه)

حـــــــــــــــــــــار فكـــــــري

حارَ فكري.. لستُ أدري ما أقولْ
أيُّ طُهرٍ ضمَّه قلبُ الرسولْ
أيُّ نورٍ قد تجلَّى للعقولْ
أنتَ مشكاة الهدايةْ.. أنتَ نبراسُ الوصولْ

***

أيُّ مدحٍ كان كُفْواً للشمائلْ
يا رسولاً بشَّرَتْ فيه الرسائلْ!
أيُّ كونٍ نبويٍّ فيك ماثلْ!!
أنت نورٌ.. أنت طهرٌ.. أنت حَقٌّ هَدَّ باطلْ

***

قد تَبِعنا سُنةَ الهادي المطاعْ
فنجونا من عِثارٍ وضَياعْ
وشدَوْنا في سُوَيْعاتِ السَّماعْ

((طلعَ البدرُ علينا من ثنيّات الوداع))

===========

هذا هو نبينا(موقفه صلى الله عليه وسلم مع حبر من اليهود)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال زيد بن سعنة : مامن علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما.

قال زيد بن سعنة : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الحجرات – ومعه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته فقال : يا رسول الله لي نفر في قرية بني فلان قد اسلموا ، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا. وقد اصابتهم سَنة وشدة وقحط من الغيث فأخشى يا رسول الله أن يخرجو من الاسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيئ تغيثهم به فنظر إلى رجل بجانبه – أراه عليا– فقال : يارسول الله مابقي منه شيء قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت: يامحمد هل لك أن تبيعني تمرا معلوما في حائط بني فلان إلى أجل معلوم ، إلى أجل كذا وكذا . قال / أي الرسول صلى الله عليه وسلم / : لا تُسم حائط بني فلان . قلت: نعم ، فبايعني ، فأطلقت همياني/ وهو الكيس الذي تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط/ فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاه الرجل وقال / أي الرسول صلى الله عليه وسلم/ : ارجع إليهم وأغثهم.

قال زيد بن سعنة : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه في جنازة ، فلما صلى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته ، فاخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ، وقلت له يامحمد ، ألا تقضيني حقي ؟ فوالله ، ما علمتم بني عبد المطلب إلا مطلاً ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم . ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره فقال : ياعدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع؟ وتصنع به ما أرى ؟ فو الذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي راسك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليّ في سكون وتؤده.فقال يا عمر ، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن الأخذ اذهب به ياعمر ، فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته.

قال زيد فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر.

فقلت ماهذه الزيادة ياعمر ؟ قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك.

قال زيد : قلت : وتعرفني ياعمر؟! قال : لا. فقلت : أنا زيد بن سعنة . قال الحبر؟ قلت الحبر.

قال فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ما فعلت ، وقلت له ما قلت ؟! قلت ياعمر لم يكـــن مـــن علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ، ولايزيده شدة الجهل إلا حلما .

وقد اخترقما ، فأشهدك ياعمر أني قد رضيت بالله ربا ،وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا، وأشهدك : أن شطر مالي صدقةعلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال عمر : أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قلت أو على بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشـــهد أن محمدا عبده ورسوله.(حياة الصحابة للكاندهلوي)

هكذا كان حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كانت أخلاقه .

أنظر كيف تعامل مع من مع حبر من اليهود. قال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)

نعم هذه أخلاق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو حبيبنا محمد

=============

محمد صلى الله عليه وسلم رجل فوق التصور*

٢٠٠٥/٠٤/١٦

أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبـــة الـــتي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره".

".. وأخيرا أخذت أدرس حياة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– فأيقنت أن من أعظم الآثـــام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداهم وأخلاقهـــم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد.

".. تحمل – صلى الله عليه وسلم– ثلاثة عشر عامًا كاملة من المتاعب في مكة دون انقطاع، وثماني سنوات في المدينة دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرض عليه قومه أن ينصبوه ملكًا عليهم وأن يضعوا عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بـــدلاً

من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لا بد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه.

"هل بوسع المرء أن يتصور مثالاً للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلاً يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطيع أي انسان غير مخلص.. أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟.

"إن هذا الإيمان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد -صلى الله عليه وسلم- حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته. إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص.. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته. فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم.**

* الدكتور م. ج. دُرّاني D صلى الله عليه وسلم M. H. Du . صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ani سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كما يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

**من كتاب رجال ونساء أسلموا.

==============

هذا النبي الذي سخروا منه

قالوا فيه ما قالوا، والناس أعداء ما جهلوا.. ألا فليعرفوه، ولينظروا في أخلاقه، وأوصــافه، فشــفاء الجهل العلم [١].

أعظم رجل في التاريخ: محمد عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ومن حسن تقدير الله لهذه الأمة أن جعله رسولها، فلها الفخر بهذا الشرف.. ومن المؤسف:

- أن من الناس من لا يستشعر عظمته.
- ومنهم من لا يكترث بحقوقه الواجبة على الأمة، من: محبة، واتباع، وأدب.
- وقد أهمل تعليم الصغار صفاته الخُلُقية والخَلْقية؛ فأطفالنا ينشئون وهم لا يعرفون عن نبــيهم إلا: اسمه وشيئا من نسبه، وهجرته من مكة إلى المدينة. أما صفاته البدنية، وأخلاقه، ومقامه، وحقوقــه، وجوانب سيرته فلا خبر لهم بها. وهذا تقصير منا..!!

نحن نحتاج إلى أن نتعرف على كل صغيرة وكبيرة في حياته، من لدن مولده إلى وفاته.. ينبغي أن ننظر إليه: مربيا، وقدوة، وقائدا، ورسولا، وسيدا ذا مقام رفيع، وقلب رحيم، ونفس زكية، وأدب جم، وصبر جميل. من حقه علينا أن ندرس كل جوانب حياته، ونعلم أطفالنا وأزواجنا وأهلينا: من هــو رسول الله ؟.

وأداء لبعض هذا الحق، سنخصص هذا الحديث عن صفاته عليه السلام الخَلقية والخُلقية:

* * *

إنه محمد بن عبد الله ؛ ومحمد معناه: المحمود في كل صفاته.

أخرج البخاري في التاريخ الصغير عن أبي طالب:

وشق له من اسمه ليجله *** فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد كان اسمه أحمد كما جاءت تسميته في الكتب السابقة، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام:

- {ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}.

وتسميته محمدا وقعت في القرآن؛ سمي محمدا:

- لأن ربه حمده قبل أن يحمده الناس، وفي الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس.
- ولأنه خص بسورة الحمد، وبلواء الحمد، وبالمقام المحمود.
- وشرع له الحمد بعد الأكل، والشرب، والدعاء، وبعد القدوم من السفر.

وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه...

* * *

وأما عن صفاته الخَلقية:

– فهو أبيض، ليس شديد البياض أمهقا، بل مشربا بحمرة، والعرب تسمي الأسمر سمرة خفيفة أبيضا مشرب بحمرة، قال أبو طالب:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه *** ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

– ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد.

– بعيد ما بين المنكبين.

– شديد سواد الشعر، ليس بالجعد القطط؛ وهو الشعر الذي يلتف على بعضه، ولا بالسبط؛ وهو الشعر المسترسل الناعم شديد النعومة، وإنما بين ذلك، يبلغ شحمة أذنيه، وقيل: "منكبيه".. يفرقها فرقتين من وسط الرأس، وفي شعر رأسه ولحيته شعيرات بيض لا تبلغ العشرون.

– مليح، وجهه مثل القمر في استدارته وجماله، ومثل الشمس في إشراقه، إذا سر يستنير ويتهلل وتنفرج أساريره.

– واسع الفم، والعرب تمدح بذلك وتذم بصغر الفم، جميل العينين قال جابر: "أشكل العينين" رواه مسلم قيل أشكل العينين: "أي طويل شق العينين"، وقيل: "حمرة في بياض العينين".

– يداه رحبتان كبيرتان واسعتان لينة الملمس كالحرير، يقول أنس: "ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم". متفق عليه

– قدماه غليظتان لينة الملمس، فكان يجمع في بدنه وأطرافه بين لين الملمس وقوة العظام.

– يداه باردتان، لهما رائحة المسك، يقول أبو جحيفة: "قام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم، فأخذت بيده فوضعتهما على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك"رواه البخاري.

* وعن جابر بن سمرة: "مسح رسول الله خدي فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار"مسلم كان عرقه أطيب من ريح المسك، قال أنس: " كأن عرقه اللؤلؤ " مسلم.

* ويقول وائل بن حجر: " لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده، فأتعرقه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك". الطبراني والبيقهي

– وجمعت أم سليم من عرق النبي صلى الله عليه وسلم فجعلته في طيبها.

– وعن أنس: " كان رسول الله صلى الله إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك فيقال: مر رسول الله ". أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح

– قال أنس: " ما شممت عنبرا قط، ولا مسكا، ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله" رواه مسلم

– ساقاه بيضاء، تبرقان لمعانا.

– إبطه أبيض، من تعاهده نفسه بالنظافة والتجمل.

– إذا مشى يسرع، كأنما ينحدر من أعلى، لا يستطيع أحد أن يلحق به.

* * *

أما عن صفاته الخُلقية:

- فقد كان أجود الناس، أجود بالخير من الريح المرسلة.
- ما عرض عليه أمران إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما.
- أشد حياء من العذراء في خدرها.
- ما عاب طعاما قط؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه.
- إذا تكلم تكلم ثلاثا، بتمهل، لا يسرع ولا يسترسل، لو عد العاد حديثه لأحصاه.
- لا يحب النميمة ويقول لأصحابه: " لا يبلغني أحد عن أحد شيئا، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".
- أشجع الناس، وأحسنهم خلقا، قال أنس: "خدمت رسول الله عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط. ولا لشيء فعلته: لم فعلت كذا ؟، وهلا فعلت كذا؟". مسلم
- ما عاب شيئا قط.
- ما سئل شيئا فقال: "لا" . يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.
- يحلم على الجاهل، ويصبر على الأذى.
- يتبسم في وجه محدثه، ويأخذ بيده، ولا يترعها قبله.
- يقبل على من يحدثه، حتى يظن أنه أحب الناس إليه.
- يسلم على الأطفال ويداعبهم.
- يجيب دعوة: الحر، والعبد، والأمة، والمسكين، ويعود المرضى.
- ما التقم أحد أذنه، يريد كلامه، فينحّي رأسه قبله.
- يبدأ من لقيه بالسلام.
- خير الناس لأهله يصبر عليهم، ويغض الطرف عن أخطائهم، ويعينهم في أمور البيت، يخصف نعله، ويخيط ثوبه.
- يأتيه الصغير، فيأخذ بيده يريد أن يحدثه في أمر، فيذهب معه حيث شاء.
- يجالس الفقراء.
- يجلس حيث انتهى به المجلس.
- يكره أن يقوم له أحد، كما ينهى عن الغلو في مدحه.
- وقاره عجب، لا يضحك إلا تبسما، ولا يتكلم إلا عند الحاجة، بكلام يعد يحوي جوامع الكلم، حسن السمت.
- إذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه.

- لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا سخابا، بالأسواق، ولا لعانا، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.
- لا يقابل أحدا بشيء يكرهه، وإنما يقول: (ما بال أقوام).
- لا يغضب ولا ينتقم لنفسه، إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى، فينتقم لله.
- ما ضرب بيمينه قط إلا في سبيل الله.
- لا تأخذه النشوة والكبر عن النصر:
* دخل في فتح مكة إلى الحرم خاشعا مستكينا، ذقنه يكاد يمس ظهر راحلته من الذلة لله تعالى والشكر له.. لم يدخل متكبرا، متجبرا، مفتخرا، شامتا.
* وقف أمامه رجل وهو يطوف بالبيت، فأخذته رعدة، وهو يظنه كملك من ملوك الأرض، فقال له رسول الله: "هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ".
- كان زاهدا في الدنيا:
* يضطجع على الحصير، ويرضى باليسير، وسادته من أدم حشوها ليف.
* يمر الشهر وليس له طعام إلا التمر.. يتلوى من الجوع ما يجد ما يملأ بطنه، فما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى فارق الدنيا .
- كان رحيما بأمته، أعطاه الله دعوة مستجابة، فادخرها لأمته يوم القيامة شفاعة، قال:
* (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا) [البخاري]؛ ولذا قال تعالى عنه: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}
* * *

نحن اليوم في غاية الحاجة إلى تدارس سيرته، ولو مرة في الأسبوع :
نجلس في البيت مع الزوجة والأبناء.. نقرأ إحدى كتب السير المعتمدة مثل:
- تهذيب السيرة لابن هشام.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- الشمائل المحمدية للترمذي.
- فقه السيرة للغزالي.
- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري.
وغيرها.. لابد أن نحرص على مثل هذه الحلقات في بيوتنا، إن أردنا أن نتزكى ونربي أبناءنا وأزواجنا، فهذه من أحسن وسائل التربية، وهو السلاح الذي نواجه به الغثاء الذي يتصدر وسائل الإعلام:
- فبه نحفظ أبناءنا من الانسلاخ، والانسياق وراء زخارف: الكفر، والفسق، والشهوات.

- وبه نغرس في قلوبهم محبة رسول الله، والفخر به،

- والتعلق بسنته، وتقليده في العادات والعبادات.

فمن غير المعقول أن تكون سيرة هذا الرجل العظيم، الذي ما حفظ لنا القرآن والسنة والتاريخ سيرة إنسان، مثلما حفظ سيرته، بين أيدينا ثم نهمله وننصرف عنه!.

إن ذلك لغفلة معيبة..!!.

[مراجع: فتح الباري ٦/٥٤٤ــ ٥٧٨، مسلم الفضائل، البداية والنهاية]

----

[١] - المقصود بهم هنا: الصحف الدنمركية. التي نالت من مقام النبي صلى الله عليه وسلم شخصه بالرسومات، تنقصا، وسخرية

د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه

المصدر / طريق الإيمان

=================

صور من محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته

الصورة الأولى :

جاء في صحيح البخاري في حديث الشفاعة العظمى عن أنس رضي الله عنه وفي الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم (فيأتوني، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول : ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، فيحد لي حدا، فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة : وسمعته أيضا يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول : ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال : ثم أشفع فيحد لي حدا، فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة : وسمعته يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود الثالثة، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت له ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول : ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال : فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال : ثم أشفع فيحد لي حدا، فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة : وقد سمعته يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن) . أي وجب عليه الخلود . قال : ثم تلا هذه الآية : {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} . قال : وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم .

الصورة الثانية ..

جاء عند البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة العظمى أيضاً قــول النبي صلى الله عليه وسلم (فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال : والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو : كما بين مكة وبصرى).

الصورة الثالثة ..

(قرأ صلى الله عليه وسلم يوماً قول اللـــه فى إبراهيم: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [ابراهيم: ٣٦]

وقرأ قول اللـــه فى عيسى:(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيـــزُ الْحَكِـــيمُ)[المائدة: ١١٨].

فبكى صلى الله عليه وسلم فأنزل اللـــه إليه جبريل عليه السلام وقال: باجبريل سل محمد ما الـــذى يبكيك؟ – وهو أعلم–، فنزل جبريل وقال: ما يبكيك يا رسول اللـــه؟ قال أمتي.. أمتي يا جبريـــل، فصعد جبريل إلى الملك الجليل. وقال: يبكى على أمته واللـــه أعلم، فقال لجبريل: انزل إلى محمد وقل له إنا سنرضيك فى أمتك) رواه مسلم .

الصورة الرابعة

قول النبي صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شـــفاعة لأمتي في الآخرة) رواه البخاري .

الصورة الخامسة

أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله : {أقـــم الصـــلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات} . فقال الرجل : يا رسول الله، ألي هذا ؟ قال : لجميع أمتي كلهم) رواه البخاري .

الصورة السادسة

قول النبي صلى الله عليه وسلم (لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس لأمرتهم بالسواك مـــع كـــل صلاة) رواه البخاري .

الصورة السابعة

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله (خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : (عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فرجوت أن يكون أمتي، فقيل : هذا موسى وقومه، ثم قيل لي : انظر، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل : هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب) . فتفرق الناس و لم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون) . فقام عكاشة بن محصن فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : (نعم) . فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ فقال : (سبقك بها عكاشة) .

الصورة الثامنة ..

جاء في حديث الإسراء والمعراج الطويل ..قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة، قال : فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت : وضع شطرها، فقال : راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال : هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال : راجع ربك، فقلت : استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك .رواه البخاري .

الصورة التاسعة ..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول "سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه" . قالت فقلت : يا رسول الله ! أراك تكثر من قول "سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ؟ " فقال "خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي . فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه . فقد رأيتها . إذا جاء نصر الله والفتح . فتح مكة . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" . رواه مسلم .

الصورة العاشرة ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله ! من قتل في سبيل الله فهو شهيد . قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل، قالوا : فمن هم ؟ يا رسول الله ! قال : من قتل في

سبيل الله فهو شهيد . ومن مات في سبيل الله فهو شهيد . ومن مات في الطاعون فهو شهيد . ومن مات في البطن فهو شهيد . قال ابن مقسم : أشهد على أبيك، في هذا الحديث ؛ أنه قال : والغريق شهيد . وفي رواية : قال عبيدالله بن مقسم : أشهد على أخيك أنه زاد في هذا الحديث : ومن غرق فهو شهيد . وفي رواية : زاد فيه : والغرق شهيد) رواه مسلم .

الصورة الحادية عشرة ..

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الريح والغيم، عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر . فإذا مطرت، سر به، وذهب عنه ذلك . قالت عائشة : فسألته . فقال : "إني خشيت أن يكـــون عذابا سلطا على أمتي" . ويقول، إذا رأى المطر "رحمه" .) رواه مسلم .

الصورة الثانية عشرة ..

عن عبدالله بن عمر ؛ قال : (مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشـــاء الآخرة . فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده . فلا ندري أشيء شغله في أهله أو غير ذلـــك . فقال حين خرج إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم . ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى) رواه مسلم

الصورة الثالثة عشرة ..

(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية . حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين . وصلينا معه . ودعا ربه طويلا . ثم انصرف إلينا . فقال صلى الله عليه وســـلم "سألت ربي ثلاثا . فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة . سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيهـــا . وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" . وفي رواية : أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه . فمر بمسجد بني معاوية) . رواه مسلم .

الصورة الرابع عشرة ..

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار . قال فأتاه جبريل عليه السلام . فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف . فقال "أسأل الله معافاته ومغفرته . وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم أتاه الثانية . فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . فقال "أسأل الله معافاتـــه ومغفرته . وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن علـــى ثلاثة أحرف . فقال "أسأل الله معافاته ومغفرته . وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف . فأيما حرف قرءوا عليه، فقد أصـــابوا .رواه مسلم . محمد السمان

خطيب جامع الجهيمي بالرياض

المصدر / هدى الإسلام

==============

حب نبيك كهؤلاء

من أجل أن يعلم المسلمون مكانة نبيهم صلى الله عليه وسلم ....
ومن أجل أن يعلم المسلمون كيف يكون الحب الحقيقي لهذا الرسول العظيم ....
كانت هذه المواقف......

أبو بكر رضي الله عنه واليك هذ المشاعر التي يصيغها قلب سيدنا أبو بكر في كلمات تقرأ، يقول سيدنا أبو بكر: كنا في الهجرة وأنا عطش عطش [عطشان جدا، فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وقلت له:اشرب يا رسول الله، يقول أبو بكر: فشرب النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتويت!!

لا تكذّب عينيك!! فالكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق .. هل ذقت جمال هذا الحب؟انه حب من نوع خاص..!!أين نحن من هذا الحب!؟واليك هذه ولا تتعجب، انه الحب.. حب النبي أكثر من النفس..

يوم فتح مكة أسلم أبو قحافة [أبو سيدنا أبر بكر]، وكان اسلامه متأخرا جدا وكان قد عمي، فأخذه سيدنا أبو بكر وذهب به الى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن اسلامه ويبايع النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم' يا أبا بكر هلا تركت الشيخ في بيته، فذهبنا نحن اليه' فقال أبو بكر: لأنت أحق أن يؤتى اليك يا رسول الله.. وأسلم ابو قحافة.. فبكى سيدنا أبو بكر الصديق، فقالوا له: هذا يوم فرحة، فأبوك أسلم ونجا من النار فما الذي يبكيك؟تخيّل.. ماذا قال أبو بكر..؟قال: لأني كنت أحب أن الذي بايع النبي الآن ليس أبي ولكن أبو طالب، لأن ذلك كان سيسعد النبي أكثر سبحان الله ، فرحته لفرح النبي أكبر من فرحته لأبيه أين نحن من هذا؟

عمر رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه'. فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي. فقال رسول الله: 'الآن يا عمر .

لن يشعر بهذه الكلمات من يقرأها فقط.. انها والله أحاسيس تحتاج لقلب يحب النبي صلى الله عليه وسلم ليتلقاها كما هي.. غضة طريّة

ثوبان رضي الله عنه غاب النبي صلى الله عليه وسلم طوال اليوم عن سيدنا ثوبان خادمه وحينما جاء قال له ثوبان: أوحشتني يا رسول الله وبكى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ' اهذا يبكيـــك ؟ ' قال ثوبان: لا يا رسول الله ولكن تذكرت مكانك في الجنة ومكاني فذكرت الوحشة فنزل قول الله تعالى {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّـــهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [٦٩] سورة النساء

سواد رضي الله عنه سواد بن عزيّة يوم غزوة أحد واقف في وسط الجيش فقال النبي صلى الله عليـــه وسلم للجيش:' استوو.. استقيموا'. فينظر النبي فيرى سوادا لم ينضبط فقال النبي صـــلى الله عليـــه وسلم: ' استو يا سواد' فقال سواد: نعم يا رسول الله ووقف ولكنه لم ينضبط، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بسواكه ونغز سوادا في بطنه قال: ' استو يا سواد '، فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق فأقدني!فكشف النبي عن بطنه الشريفة وقال:' اقتص يا سواد'. فانكب ســـواد على بطن النبي يقبلها.يقول: هذا ما أردت وقال: يا رسول الله أظن أن هذا اليوم يوم شهادة فأحببت أن يكون آخر العهد بك أن تمس جلدي جلدك.ما رأيك في هذا الحب؟

وأخيرا لا تكن أقل من الجذع .... كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في مسجده قبل أن يقـــام المنبر بجوار جذع الشجرة حتى يراه الصحابة.. فيقف النبي صلى الله عليه وسلم يمسك الجذع، فلما بنوا له المنبر ترك الجذع وذهب إلى المنبر 'فسمعنا للجذع أنينا لفراق النبي صلى الله عليـــه وســـلم، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر ويعود للجذع ويمسح عليه ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم:' ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معي في الجنة؟'. فسكن الجذع مفكرة الإسلام

كيف نحب النبي بطريقة صحيحة؟

إذا كانت الأمة الإسلامية قد انتفضت في كل أنحاء الأرض لترد على محاولات الإساءة الدنيئة لرسولنا الكريم بالرسوم الساخرة.. فإن هذا الغضب والرفض بكل أشكالهما المقبولة والمرفوضة فتح البـــاب للتساؤل المهم في هذه المرحلة: كيف نحب النبي بطريقة صحيحة؟

الداعية عمرو خالد يواصل في هذه الحلقة من "على خطى الحبيب" شرحه للطريقة الصحيحة الـــتي يجب أن نحب بها النبي ونفتديه.

يقول عمرو خالد: هل تضحي بنفسك للذود عن رسول الله؟ هل تموت في سبيله؟ هل تقلد طلحـــة بن عبيد الله يوم غزوة أحد وهو يقول له: نحرى دون نحرك يا رسول الله.

أي تقطع رقبتي ولا يمسوك بشر، وفعلا تشل يده بفعل سهم اخترقها، بينما كان يصد هذا الســـهم الذي استهدف رسول الله.

حدث هذا لطلحة بينما نحن نجلس لنتفرج في الغرف المكيفة على ما يدبر للنيل من نبينا الكريم هكذا أحبه طلحة، وهكذا أنت تحبه.

أتريد أن تعرف الطريقة التي يجب أن تحب بها النبي؟.. النبي صلى الله عليه وسلم" يرشدك إلى هذه الطريقة من خلال حديثه الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وأهله وولده والناس أجمعين".

شرط الإيمان أن يكون النبي أحب إنسان لك في الدنيا.

تخيل عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" الذي عرف بخشونته وهو يمشي مع النبي الحنون ومعهما مجموعة من الصحابة، فإذا النبي يمد يده الكريمة ليمسك بيد عمر، فيشعر بعاطفة النبي وحنانه، ويتحرك جموده، ويصيح: والله إني أحبك يا رسول الله.

فيسأله النبي: أكثر من ولدك يا عمر؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: أكثر من أهلك يا عمر؟ قال: نعم يا رسول الله، الأهل والمال والولد، فقال النبي: أكثر من نفسك. ليس مقبولا أن تحب النبي ٩٩ %، لابد أن يكون حبك له ١٠٠%.

وعندما سمع عمر بن الخطاب رد النبي عليه، انتحى بنفسه جانبا – يروي ذلك عبد الله بن عمر – وراح يفكر بإمعان، ثم رجع وهو يصيح بأعلى صوته: والله لأنت أحب إلي من نفسي يا رسول الله، فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: الآن يا عمر الآن يا عمر، أي الآن اكتمل إيمانك يا عمر.

الاتباع دون حب.. لا يفيد

لابد أن يكون حبك لرسول الله هو أغلى حب في حياتك، فالآمة في ضياعها الحالي، والناس في ضياعهم، لا حل لها ولهم إلا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم إصلاح حال الأمة يتوقف على اتباع النبي والاتباع لن يأتي قسرا، إنما يأتي بالحب.. وأنت لن تسير على خطى الحبيب، إلا إذا كان الحب يملأ قلبك، فالحب يفجر في النفس أشياء كثيرة ليس بإمكان العقل أو الفكر أو الإرادة تفجيرها، الحب يخرج من النفس الاستعداد للتضحية والفداء والبذل، الحب يخرج معاني تحتاجها الأمة اليوم، ولو قلنا إننا سنتبع رسول الله دون حب. لن نتقدم خطوة.

خطوة البداية هي المفتاح لإنجاز مسيرة الأمة، هذا ما ركز عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحب هو الذي يحول المر إلى حلاوة، والتراب إلى ذهب! الحب يلين الحديد ويحيي الشيء الميت، الحب هو الذي جعل أم عمارة وعلي وعمارة يضحون بأنفسهم من أجل النبي صلى الله عليه وسلم.

قريش أرسلت عروة بن مسعود يوم الحديبية سفيرا لها إلى رسول الله للتفاوض معه، فلم يستطع عروة أن يخفي انبهاره بأصحاب النبي فعاد ليقول لقومه: " والله لقد دخلت على كسرى في ملكه ودخلت على قيصر ملك الروم في ملكه، ودخلت على النجاشي في ملكه، فما رأيت أحدا يحب أحدا، ولا أحدا يعظم أحدا. كحب أصحاب محمد محمدا".

ماذا أصاب الشباب؟

تخيل حبيب بن عدي حين أسره أبو سفيان وعلقته قريش في مكان بجوار مكة في منطقـــة التنعـــيم، وكانوا يستعدون لقتله، وقبل الإعدام يتوجه إليه أبو سفيان ويقول له: ماذا يا حبيب أنت ميت ميت، فأصدقني القول: أتحب أن يكون محمد مكانك الآن وأنت في أهلك منعما؟.. فيرد حبيب:

والله ما أحب أن يكون رسول الله في بيته تمسسه شوكة.. كان ردا صادقا من رجل سينفذ فيه حكم الإعدام، هذا هو الحب.

تخيل امرأة مثل أم عمارة يوم غزوة أحد. يهجم عليها ابن قمأة ويضربها بالسيف على كتفها، لكـــي تفسح أمامه مكانا لكي يقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تملك سلاحا وامرأة ضعيفة، يحاورها يمنة ويسرة وهي مصممة على اعتراضه. فيعصف به الغضب، ويضربها على كتفها بسيفه حتى يتفتت عظمها ويتساقط على الأرض نازفا دمها مثل النافورة، وتسقط على الأرض فيجيء ابنها لينقـــذها، فتقول له: دعني ألحق برسول الله لأنقذه، ويراها النبي ويقلب كفيه وهو يقول لها: من يطيـــق مـــا تطيقينه يا أم عمارة؟ فترد عليه بلسان المحب ودمها يترف: أنا أطيقه وأطيقه وأتحمل، ولكن أســـألك شيئا واحدا يا رسول الله: أسألك مرافقتك في الجنة، فينظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم، ويقـــول لها: لست وحدك، أنت وأهلك رفقائي في الجنة، ويرفع يديه ويقول: اللهم ارض عن أهل هذا البيت واجعلهم رفقائي في الجنة.

أكبر مصيبة أصابت العالم الإسلامي في هذا الزمان، وأصيب بها شبابنا وبناتنا هي الفتـــور في حـــب رسول اله، لأن قلوبهم ضمت أحبابا آخرين غيره، قبلوا أن يعصوا الله ويبعثوا "ماساجات" وبلو توث ...و..و... وكل شاب يقول: أنا عايز أحب واحدة جميلة ومش مهم حب رسول الله، عايز أحب الفلوس أو الشهرة.

ترى هل تنوي أن يتحرك الحب في قلبك؟

نريد أن نشعل الحب في صدورنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعينك على هذا الحب أشياء كثيرة أولها: أن تدرس سيرته، فأهم أهداف دراسة السيرة محبة رسول الله.. ويعينك على محبته اقتناعك أنك في حاجة إليه في الآخرة يوم القيامة. أنت لن تخطو خطوة يوم القيامة إلا ستجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامك.

الوحيد الذي يشفع لنا

تخيل أننا يوم البعث وقد خرجنا من قبورنا، أول شيء سنحتاج إلى النبي فيه هو الشفاعة، يوم القيامة سنقف طويلا والحر شديد، والشمس تقترب من الرؤوس والناس مرهقة ومجهدة تتساءل: متى يـــتم حسابنا؟

وتبدأ البشرية تفكر: من يشفع لنا؟

فيهرولون إلى أدم، فيقول لهم: لست لها لست لها. اذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح فيقول: لست لها لست لها، اذهبوا إلى إبراهيم، يذهبون إلى إبراهيم فيقول: لست لها أذهبوا إلى عيسى فيقول عيسى: لست لها لست لها اذهبوا إلى محمد.

أراد الله تعالى للبشرية أن تلف كل هذه اللفة ليزداد مقام محمد علوا وعظمة في قلوب الناس، فيذهبون إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن وصلوا إلى حالة من اليأس الشديد، يذهبون إليه – وهو رحمة للعالمين – كفار ومسلمون، عرب وأعاجم، من كل زمان ومكان، ويلتفون حول رسول الله، تخيل الموقف المهيب وهم يطلبون منه: اشفع لنا عند ربك يا محمد قبل أن يبدأ الحساب، فيقول لهم: أنا لها أنا لها.

ويراه الخلق وهو يخترق صفوف البشرية، وعيونهم متعلقة به، فيسجد الحبيب تحت عرش الرحمن ويحمد الله قائلا: أحمد الله بمحامد لم يحمده بها إنسان من قبل، وأثنى عليه ثناء لم يثن عليه به إنسان من قبل، فيقول الله تبارك وتعالى: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطي واشفع تشفع، فيقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: يا رب اشفع في أن يبدأ الحساب، فيبدأ الحساب كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقاء النبي يوم البعث

بدأ الحساب لكن العطش شديد والشمس قريبة من الرؤوس، وتفاجأ بشيء عظيم، تفاجأ بأن منبر الرسول الكريم منصوب عند الحوض، والحوض أبيض، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل، من شرب منه شربه لا يعطش بعدها أبدا، الحوض فيه أكواب بعدد نجوم السماء والنبي يقف على منبره ليتعرف على أمته من أثر الوضوء، فينادي عليهم: أمتي أمتي، تعالى لتشربين. فتهرول إليه وأنت ترى ابتسامته، وجهه ينطق بالفرح بك، فترتمي في حضن النبي صلى الله عليه وسلم وتبكي من الفرحة.

هذه أول مرة ترى فيها رسول الله، وتتجه لتشرب، فيقول لك: لا حتى أسقيك من يدي، ويضع يده الكريمة في الماء، فتشرب أنت من يده شربه لا تظمأ بعدها أبدا، ثم يشفع لك عند الله ويقول: يا رب فلان سامحه يا رب، يا رب فلان كان يحبني فاغفر له واستره ولا تفضحه أمام أبيه وأمه وزوجه وأبنائه.

ترى هل بدأ الحب يتحرك في قلبك لرسول الله؟ كم مليون رجل في تاريخ البشرية اسمه محمد؟ لكن كم من بينهم من كلن يشعر بالحب لرسول الله؟ هل تتخيل فرحة النبي بلقاء الذين تسموا باسمه الكريم يوم القيامة؟ أنت لقيت النبي يوم القيامة عند الحوض، وستلتقيه عند الصراط، أينما ذهبت يوم القيامة سوف تلتقي رسول الله، وعند الصراط ستجد رسول الله واقفا يدعو لك وأنت تعبره رافعا يده الكريمة: يا رب سلم، يا رب سلم محمدا، يا رب سلم هدى، يا رب سلم أحمدا، أفلا يمتلئ قلبك بالحب له؟

أول من يدخل الجنة

وإذا عبرت الصراط تتجه إلى الناحية الأخرى حيث باب الجنة، وستجد الرسول في انتظارك عند باب الجنة، باب الجنة لا يزال مغلقا، نذهب للأنبياء مرة أخرى واحدا تلو الأخر، فيقولون لست لها، لست لها، حتى نصل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها.

يفتح لك باب الجنة ويأخذك من يدك لدخولها، يطرق باب الجنة فيكون أول البشر الذين يطرقون باب الجنة، فينادي خازن الجنة: من؟ فيرد عليه: محمد بن عبد الله فإذا بالملك من الداخل يقول: أمرني الله ألا أفتح إلا لك يا رسول الله.

ويفتح باب الجنة، وتدخل البشرية خلف محمد صلى الله عليه وسلم.

لهذا أطلقت اسم "على خطى الحبيب" على السيرة النبوية المعطرة. فأنت إذا مشيت على خطاه، ستدخل الجنة.. أنت بحاجة إلى رسول الله، لأنك ستذهب إليه ليشفع لأحبائك الذين دخلوا النار، فأنت ذنوبك كثيرة وستستحي أن تطلب من الله سبحانه أن يغفر لأهلك، وستذهب إلى محمد صلى الله عليه وسلم لكي يشفع لهم عند الله.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: فأدخل الناس الجنة ثم أذهب تحت عرش الرحمن فأسجد وأدعو الله سبحانه أقول: أمتي أمتي، فيقول الله تبارك وتعالى اذهب يا محمد فاخرج من أمتك من النار ويحد لي حدا، فأذهب فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ويذهب إليه قوم آخرون من المسلمين طلبا للشفاعة فيتجه صلى الله عليه وسلم ليسجد تحت عرش الرحمن فيقول: الله سبحانه: يا محمد اذهب فاخرج من أمتك من النار، ويحد لي حدا، فأذهب وأخرجهم.

كل الأنبياء يوم القيامة يقولون: نفسي نفسي، والوحيد الذي يقول أمتي أمتي هو محمد صلى الله عليه وسلم

فيذهب ليخرجهم من النار.

يعينك على حب النبي أنك تدرس سيرته، وترى حب الآخرين له، فيتعلق قلبك به.

حوار أجراه أ / عصام غازي مع الأستاذ عمرو خالد لمجلة كل الناس بتاريخ ١-٧ مارس ٢٠٠٦

=============

كان خُلقه القرآن

سمية رمضان

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) (البقرة).

وكان في علم الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرسل، يصلحون ولا يفسدون، يحقنون الدماء ولا يسفكونها، من أطاعهم فقد فاز، ومن عصاهم فقد خسر خسراناً مبيناً. أولئك الـذين هدى الله فبهداهم اقتده (الأنعام: ٩٠).

وقرن الله طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته سبحانه: من يطع الرسـول فقـد أطـاع الله (النساء: ٨٠).

فقد توج سبحانه بعثة الأنبياء بخاتمهم النبي الأمي صلى الله عليه وسلم، وعلمه من العلم ما لم يكـن يعلم وتعلمنا منه صلى الله عليه وسلم ما لم نكن نعلم.

وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمـا ١١٣ (النساء).

كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ١٥١ (البقرة).

وقد أدى صلى الله عليه وسلم الأمانة وبلغ الرسالة وفاز برضا الرحمن، وأثنى عليه سـبحانه قـائلاً: وإنك لعلى" خلق عظيم (٤) (القلم).

وأكرمه جل جلاله: إنا أعطيناك الكوثر (١) (الكوثر).

كان النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشي على الأرض، مطبقاً لكتاب الله كنموذج بشري مثـالي، وأمرنا الله باتباع خطواته إن أردنا الفلاح: لقـد كـان لكـم في رسـول الله أسـوة حسـنة (الأحزاب: ٢١).

كان صلى الله عليه وسلم يستمع إلى الآيات فتملأ عليه كيانه وتصبح هوى فؤاده، ومبعث سروره، وقرة عينه، فيبادر إلى تنفيذها.. فعندما أوحى الله إليه: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعـا (الأعراف:١٥٨)، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (سبأ:٢٨).

كانت حركته صلى الله عليه وسلم طاعة لأمر الله، فقد أعلنها جهرة، حيث ثبت في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"، وكان فعلـه في الواقع مطابقاً لقوله.

فكانت دعوته للجميع رجالاً ونساء وأطفالاً ولأهل مكة وللفرس والروم وكل أنحاء الدنيا.

وكان صلى الله عليه وسلم يرسلُ الرسائل للملوك و لم يخش سطوتهم ولا حشودهم، فلم تكن تأخذه في طاعة الله لومة لائم.

فقد أرسل إلى قيصر ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس عظـيم مصر، وملكي عُمان، وملكي اليمامة، وملك البحرين، وملك تخوم الشام.

أوحى الله تعالى إليه: قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على" كل شـــيء شهيد ٤٧ (سبأ).

فكان صلى الله عليه وسلم يجسد قول الله عملياً، فلم يقبل الصدقة، وكان له خُمس الغنائم ولكنـــه مردود على المسلمين، وكان يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وكان يؤلف القلوب ببذل المال بسخاء لم يعهده العرب، وهم من عُرِف بالكرم.

مات صلى الله عليه وسلم و لم يترك شيئاً من حُطام الدنيا، وكان يمكنه أن يملك الدنيا وما فيها.

كان جهاده لله ودعوته لله وصبره لله وماله لله.

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ١٦٢ (الأنعام).

رأفة ورحمة للعالمين

وأوحى إليه قوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ١٠٧ (الأنبياء).

كان صلى الله عليه وسلم يتمنى هداية قومه جميعاً، حتى إن رب العزة أشفق عليه فقال: فلعلك باخع نفسك على" آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ٦ (الكهف).

وعندما ذهب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وقذفه الصبيان بالحجارة وأدموا قدمي سيد المرسلين نزل ملك الجبال بإذن ملك السموات والأرض وقال له: "إن أمرتني أطبقـــت علـــيهم الأخشـــبين" فتدفقت الرحمة التي أسبغها الله عليه، على لسانه الطاهر قائلاً: "لعل الله يأتي منهم بمن يوحد الله".

وفي غزوة أحد عندما أدمى قومه رأسه فبادر يدعو لهم، خوفاً عليهم من غضب الله، فقال: "اللـــهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"..

وأخرجه أهله من مكة وهي أحب أرض الله إلى قلبه، وحاربوه صلى الله عليه وسلم في ثلاث غزوات متتالية "بدر وأحد والخندق"، وقتلوا من أصحابه من قتلوا، غير من قتل وعُذِّب بمكة قبل الهجـــرة، فطبق صلى الله عليه وسلم القرآن خير تطبيق وظل قول الله معه أينما ذهب، وأينما سار، تحرك بـــه وعمل بمقتضاه، فعفا عنهم جميعاً بعد فتح مكة، وقد أصبح هو السيد والآمر، قائلاً: "اذهبوا فـــأنتم الطلقاء": وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ١٠٧ (الأنبياء:١٠٧).

خفض الجناح

فلم يكن هدفه القصاص والانتقام، ولكن العفو ووالرحمة، فأثنى عليه سبحانه يقوله: لقد جـــاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ١٢٨ (النحل)، هذا للعالمين، أما المؤمنون فقد شبهه سبحانه بالطائر الذي يخفض جناحه لهم حناناً ورحمة ورعاية لأغلى ما عنده.

واخفض جناحك للمؤمنين ٨٨ (الحجر).

القانت العابد المستغفر: لقد كان صلى الله عليه وسلم حقاً الشق الحركي العملي التطبيقي النموذجي الناجح لكتاب الله العظيم، وقد أمره الله سبحانه ملك السموات والأرض في كتابه العظـيم الخالـد بقوله: وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ٨١ (الإسراء).
وشرفه سبحانه بهدم أصنام الكعبة.
وأمره سبحانه: ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسـى" أن يبعثـك ربـك مقامـا محمـودا ٧٩ (الإسراء)، فكان تطبيقه العملي لأمر الرحمن قيام بالليل، فكان يقومه حتى تتورم قدماه فتشفق عليـه السيدة عائشة، سائلة إياه: "ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"؟ فيقول لها صلى الله عليه وسلم: "أفلا أكون عبداً شكوراً"؟، أي طائعاً منفذاً لقوله سبحانه: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ٦٦ (الزمر). ولقوله تعالى: قم الليل إلا قليلا (٢) (المزمل).
وعندما أُوحِي إليه قول الله: واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ١٠٦ (النساء).
كان يُعد له صلى الله عليه وسلم في الجلسة الواحدة مائة استغفار، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بأدعية الاستغفار، ومن كثرتها أُطلق على أحدها "سيد الاستغفار"، ونصه:
"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت.. أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ.. وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".
ويحثنا صلى الله عليه وسلم على الاستغفار ويرغبنا فيه ويبين أنه المخرج والرزق، وسبب الرضا مـن صاحب الأمر سبحانه.
قال سبحانه: والله يعصمك من الناس (المائدة:٦٧).
وأغدق عليه بنعمائه وأحاطه برعايته سبحانه وتعالى: أليس الله بكاف عبده (الزمر:٣٦). ووعـده قائلاً: إنا كفيناك المستهزئين ٩٥ (الحجر).
فتحرر بذلك صلى الله عليه وسلم من الخوف على نفسه حتى وهو في الغار، والمشركون من حولـه كان يهون على صاحبه الصديق أبي بكر ويبعث في نفسه الطمأنينة، حيث قال له بـيقين المطمـئن الواثق بالله: لا تحزن إن الله معنا (التوبة:٤٠).
وذات مرة كان صلى الله عليه وسلم نائماً فرفع أحدهم عليه السيف قائلاً: "من يعصمك مـني يـا محمد"؟ فكان رده سريعاً قائلاً بثقة ويقين: "الله" فوقع السيف من يد الأعرابي.
وتحرر صلى الله عليه وسلم من الخوف على أولاده فهاجر وتركهم في معية الله، وقد ترك علي بن أبي طالب في فراشه وهو مطمئن، وطلق ابنا عمه أبي لهب ابنتيه الاثنتين فلم يهتز و لم يضعف.
وتحرر صلى الله عليه وسلم من الخوف من عدم وجود مسكن يأويه إليه حيث هاجر وترك مسـكنه فأبدله الله بمسكن بجوار ثاني الحرمين.

وكان صلى الله عليه وسلم ينفذ الآيات ويستوعبها ويعلمها الكبار والصغار، فقد روى عنه ابن عباس قوله معلماً إياه وهو صبي، كيف يحفظه الله بحفظه هو لربه:
"احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"...
حب الله والدعوة إليه
وقال رب العزة: والذين آمنوا أشد حبا لله (البقرة:١٦٥).
فكان صلى الله عليه وسلم يحبه حباً ملك عليه وجدانه، وكان حريصاً على أن يدعو كافة الناس إليه ويعرفهم به ليحبه الجميع، وقد تجلى مدى حب رسول الله لربه في قوله تعالى: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا (آل عمران:١٧٦).
وكانت الدعوة إلى دين الله لها الاهتمام الأول والأكبر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فعندما دخل المدينة كان بناؤه لبيت الله قبل بنائه لبيته، وقبل الهجرة عندما عرضوا عليه المال والجاه على أن يترك دعوته كانت عباراته وكلماته المضيئة الثابتة بقوله: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".
أحب الله بكل كيانه فأحبه الله ووضع له المحبة في الأرض حتى إنه يُروى أن الحجر والشجر كان يُلقي على رسول الله السلام، وكان السحاب يتسابق ليظله، وكل من آمن به كان يفديه بروحه، وكان صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وانطبق عليهم قول المنعم صاحب الفضل والمنن:
النبي أولى" بالمؤمنين من أنفسهم (الأحزاب:٦).
فهذه صحابية مات عنها الولد والأب والأخ في غزوة أحد، وكلما علمت بموت أحد منهم تسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما علمت أنه بخير كان لسانها يلهج بحمد الله وشكره.
لقاء الله
ويزداد حب الرسول لله تعالى حتى يصبح لقاء الله هو أسعد أوقاته فيروى عنه القول: ".. وجُعلت قرة عيني في الصلاة" وكان لقاء الله هو مصدر راحته وسكينة فؤاده فيروى عنه قوله لبلال: "أرحنا بها يا بلال".
وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله بأدعية يُظهر محتواها مدى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى، فكانت أقواله وأفعاله تشهد له بذلك، ويروى من هذه الأقوال قوله: "اللهم أسلمت نفسي إليك".
هذه مقتطفات بسيطة تظهر تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وهكذا عرفناه وكان قدوة لأتباعه وهم مطمئنون فقد قال عنه ربه:
وإنك لتهدي إلى" صراط مستقيم ٥٢ (الشورى).
وتعلمنا منه صلى الله عليه وسلم: الكثير والكثير.

فممن تعلمنا الوضوء؟

ومن علمنا الصلاة؟

ومن علمنا القرآن؟

ومن علمنا الدعاء؟

ومن علمنا السلام؟

ومن علمنا أن نتحاب في الله؟

ومن عرفنا بالله الحق؟

ومن علمنا الجهاد الحق؟

ومن علمنا الصبر؟

ومن دلنا على السعادة؟

ومن دلنا على أبواب الجنة؟

ومن سيشفع لنا؟

ومن سنلقاه على الحوض؟

من غيره بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم؟

==================

هل الحرية مَعْبَر للعدوان على رسول الله؟

نشرت جريدة عكاظ في ١٤٢٦/١٢/٣٠هـ:

هل الحرية مَعْبَر للعدوان على رسول الله؟

د. عائض الردادي

(الحرية) كلمة أصبحت تساوي كلمة (العدوان) في زماننا، فكم من دم أريق عدواناً تحت شعار الحرية، وكم من وطن احتل تحت شعار الحرية، وكم من مقدّسات دنّست تحت شعار الحرية، فالحرية أصبحت معبر العدوان على الأديان والأوطان والأعراض.

الحرية ضد العبودية، ولكنها صارت هي العبودية فهي الرق الجديد لأحرار الشعوب والأوطان، تداس الكرامات بحوافرها، ويعتدى على المقدسات باسمها، ووصل بها الحال أن تهان قداسة الأنبياء باسمها، وأن تهان الكتب المقدسة باسمها، ووصل الأمر بالمعتدين باسم الحرية أن يبثوا كرههم وحقدهم على الآخرين عبر هذا الجسر من الحرية، وإن رَدّ عليهم مدافع وصموه بعدو الحرية، وإذا ما استمر العالم في هذا الاستهتار بمعتقدات الآخرين فسوف يشتعل ناراً بعد حين، ما لم يمسك العقلاء بأيدي

الحاقدين الكارهين، وبأقلامهم الصدئة، وبوسائل إعلامهم الهادرة بالشر، ولن تكبِّل القوى المهيمنة الشعوب بالأغلال عن الدفاع عن عقائدها.

عندما شاهدتُ الصور المسيئة لسيد البشر صلى الله عليه وسلم وهي تزيد عن (٢٥) صورة تألمت كيف يصل الاستهتار بالقيم إلى هذا الحد على أيدي هؤلاء السفهاء الذين لا يوجد لديهم سلاح سوى الحرية غير المسؤولة، وقرأت ترجمة مقال رئيس تحرير جريدة (اليولاندس دوستن) الدانمركية، فعرفت أننا في زمن انحدار القيم والأخلاق، والحقد الدفين على الإسلام وأهله فقد وصفهم (بالظلاميين القادمين بأفكار العصور الوسطى، الذين يعانون من جنون العظمة) ونسي -تاريخياً- أنه عندما كان هؤلاء يضيئون العالم كانت بلاده أدغالاً وأحراشاً لا تُعرف على خارطة العالم.

الحرية أن تدافع عن المظلوم أيّا كان، وفي أي بلاد كان، وأن تقول للمحتل أنت معتدٍ، وللسارق للحرية أنت سارق، والحرية أن تدافع عن المعتدى عليه فرداً أم شعباً، لا أن تتقوّى بهيمنة المعتدي وتساعده في إهالة التراب على الشعوب وهي أحياء، وعلى الأديان وهي مقدسة، وعلى الأنبياء وهم موضع احترام من كل الشعوب.

حمى الاعتداء على النبي صلى الله عليه وسلم بدأت على يد كاتب شيوعي ألّف كتاباً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهل يتوقع من ملحد أن يقول عن نبيّ غير الهراء المبني على حقد في صدره؟ وأرادت الصحيفة أن توسع الإساءة فدعت (٤٠) رساماً كاريكاتورياً لرسم صور لسيد البشر غير أن (٣٠) منهم عقلاء، ربأوا بأنفسهم عن عبث يغذيه حقد، وشارك (١٠) في هذا العمل القبيح الذي لا يليق ببلاد تدعي أنها تمثل حرية الإنسان في العالم، فالحضارة أفعال لا أقوال. أما الحرية العادلة فهي التي تقابل تلك الإساءة سواءً أكانت لمحمد صلى الله عليه وسلم أم لغيره من الأنبياء، بالمقاطعة لزبدة وجبن وحليب تلك البلاد، فلتذب الزبدة، وليتعفن الحليب، وليفسد الجبن، فمثل هؤلاء لا يجدي معهم سوى المقاطعة الاقتصادية، لأن عقولهم تتوقف عند الماديات، ولا ترتقي إلى المعقولات، فنحن المسلمين أنعم الله علينا بالعقل والتدبّر في الكون، واحترام الأديان حتى لو كانت وثنية، ونحن نؤمن بعالم متعدد الثقافات والأعراق والأديان، وليس عالمنا عالم زبدة وجبن وحليب يغذي الكره والحقد في أجسامنا.

لا أقلَّ من أن نقاطع، أفراداً ومنظمات وشعوباً، تلك المنتجات وغيرها، فنحن أحرار من أجل الخير والمحبة، لا من أجل الكره والحقد، لنذبّ عن رسول الله سيد البشر برغم أنوف من حادّ الله ورسوله، وليعرف صاحب المصنع والتاجر أن مصدر خسارته هو من كتب بحبر أسود حقداً أسود، فليرسل له الحليب الأبيض إن كان يعبّر عن حريته، فحرية الآخرين ليست رخيصة، لنردّد مع حسَّان رضي الله عنه:

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمدٍ منكم وقاء
للتواصل ص.ب ٤٥٢٠٩ الرياض ١١٥١٢
فاكس: ٠١/٢٣١١٠٥٣
ibn-jammal@hotmail.com
=======================

هل حب النبي أمر فطري أم أنه تربية روحية تحتاج إلى جهد من المسلم ؟.

إسلام أون لاين:

هل حب النبي أمر فطري؛ أم أنه تربية روحية تحتاج إلى جهد من المسلم ؟.

الاسم عبد الوهاب - الجزائر

الموضوع العقيدة

العنوان الدليل النافع لنصرة الحبيب الشافع

السؤال الأفاضل في شبكة إسلام أون لاين : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

عندي بعض الأسئلة التي أود أن تجيبوني عليها، وهي:

هل حب النبي أمر فطري؛ أم أنه تربية روحية تحتاج إلى جهد من المسلم ؟.

ما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه المسلم لنصرة نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في ظل الهجمة الشرسة التي يشنها الإعلام الغربي ضد؟.

ما هي الوسائل العملية والخطوات التي يمكن تنفيذها، للذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و جزاكم الله خيراً.

الرد

يقول فضيلة الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه ، ثم أما بعد :

فإن من سنن الله الثابتة، ومن فطرته في خلقه، أن الإنسان يحب الأشياء النبيلة العالية، ويكره الأشياء البغيضة السافلة.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى، البشري، في كماله، وصفاته، وهو ذروة عليا في الأخلاق والشمائل، وقد مدحه الله تعالى فقال:"وإنك لعلى خلق عظيم"، وهذا النوع من البشر تحبه النفوس بفطرها، وتميل إليه بطبيعتها، ولذلك فحبه من هذا الجانب هو فطرة إنسانية تجذب إليه نفوس كل عنصر صالح في البشر.

كما أن حب النبي صلى الله عليه وسلم، خلق تربوي، ينشأ عليه الناس، إذا طالعوا صفاته، وسمعـــوا شمائله، أو عياشوها ورأوها رأي العين، فهو من حيث الفطرة السليمة يُحَبُ ويُكَرَمُ، وهو من حيث التربية والتعود يُحَبُ ويُكَرَمُ.

وهناك جانب آخر أهم من هذا وذاك وهو الأمر الإلهي بحب النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه رحمـــة للعالمين، ولأنه بُعِثَ هادياً ومعلماً للناس، وصبر على الأذى والمتاعب، ليبلغ رسالة الله إلى الناس، فهو من هذا الجانب الديني الإلهي رمز للتضحية والفداء والإخلاص للناس جميعاً.

ويجب على المسلم أن يستحضر في نفسه عظمة الهداية الإسلامية للناس، وكيف وصلت إلينـــا عـــن طريق محمد صلى الله عليه وسلم، عبر صبره الجميل، وبلاغه المبين، وجهاده الموصول، في ســـبيل الله عز وجل وهذا يدفع المسلم إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم حباً جارفاً، وتفديته بالنفس والمال.

فحب النبي صلى الله عليه وسلم ناشئ في نفس المسلم عن النعمة الكبرى التي أوصلها الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، وقد قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسانَ إحسان

ولذلك نجد حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حباً جليلاً يقوم على الشعور بعظمـــة النعمة التي أسداها لنا الله سبحانه وتعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، ومحبة الرسول تكون بالقلب وباللسان وبالأعمال.

أما القلب فهو عملية فطرية، قائمة على الشعور بالنعمة العظيمة التي أهداها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما باللسان: فترجمتها كثرة الصلاة عليه، كما قال تعالى "يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"، أما بالإعمال: فيكون من خلال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله والعمل بسنته، ومتابعته في الفضائل العليا التي كان يتمتع بها صلى الله عليه وسلم من الصدق والأمانة والصبر والمواساة والرحمة والمودة، وغير ذلك من ضروب النبل الأخلاقي النبوي الـــذي يبلـــغ ذروة الكمال.

الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يبعث للناس، و لم يصبر على الأذى والمشقات، إلا ليعلمنـــا الحـــق الإلهي، من الصدق، والأمانة، وإتقان العمل، وتوحيد الله، وتعظيم القرآن، ومحبة المسلمين جميعًـــا، وتبليغ الدعوة للناس جميعًا، وغير ذلك من الفضائل العليا التي كانت من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

أما عن الخطوات العملية التي يمكننا القيام بها لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا سؤال وجيه، ونستعين بالله ونجيب بأن :

التأسي به:

أول خطوة عملية هي إلزام النفس بالأسوة الحسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن يعمل الإنسان كما كان يعمل، ولو اختلفت الدرجة؛ أي يصلى كما كان صلى الله عليه وسلم يصلي، ويصوم كما كان يصوم.

التعريف به:

أيضًا يشرح للناس، على قدر استطاعته العظمة الإلهية التي تمثلت في بعثته صلى الله عليه وسلم.

تربية النشء على حبه:

وأيضًا تربية الأبناء والأسرة جميعاً على هذه المعاني، وصدق الله حين يقول:"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر".

دراسة سيرته:

ومن الوسائل العملية أيضًا قراءة السيرة النبوية قراءة جيدة، ويعلمها لأبنائه وأحفاده وزوجته، وغيرها، فقد كان الصحابة يحرصون على هذا غاية الحرص. يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لأبنائه وأحفاده بعد أن علمهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني احفظوها فهي شرفكم وشرف آبائكم).

الاعتزاز بسيرته:

كما ينبغي أن نعتز بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن نعلم أنه كان على خلق عظيم؛ فلا نخجل من أي شيء يروى عنه بسند صحيح، بل نفاخر الدنيا بسيرته صلى الله عليه وسلم؛ فهو الأسوة الحسنة لنا، والرحمة المهداة للناس جميعاً، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه.

اتباع هديه :

ومن الوسائل العملية أيضا المتابعة والإتباع ، لقوله تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"، فعلى الإنسان أن يتحرى العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

التخلق بخلقه:

ومن الوسائل العملية أيضا أن يتخلق المسلم بخلق النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة في أمور الدعوة والبلاغ فإن الأوروبيين من خلال إساءتهم للإسلام هو تقصيرنا في تبليغ الدين الإسلامي للناس وهم لذلك يجهلون ومن جهل شيء عاده.

الصفح عن الخصوم:

ومن الوسائل العملية أيضاً، الصفح عن الخصوم، إذا كان ذلك مما يساهم في فهمهم للإسلام. وقد كان الناس والأعراب يغلظون القول للنبي صلى الله عليه وسلم، في حياته، فكان يعاملهم بالرحمة

والمودة والعفو ولكن بلا ضعف ولا تخاذل، كان اللين من صفاته العظيمة التي تحبب الناس فيه، وقد ذكاه الله في كتابه الكريم فقال جل شأنه : "فبما رحمة من الله لنت لهم ....".

التعريف برسالته:

ومن الوسائل العملية أيضاً، إرسال الرسائل عبر البريد الإليكتروني، والمقالات الصحفية، والقصص النبوية الصحيحة، إلى الناس حتى يفهموا عظمة الأخلاق النبوية المحمدية، وهذا خير دعاية للإسلام، لأن الأخلاق الحسنة تؤثر في الناس، ولو لم يردوا، وتكون قدوة عملية تقطع الجدل والخصام، وصدق الله تعالى حين يقول "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا".

هل هذا المجمع من علماء الأمة لا يملكون حق الاجتهاد والنظر في الأمور المتعلقة بالمصالح والمفاسد

الكاتب: حازم الغامدي

أود في الأسطر التالية أن أعقب برأيي المتواضع إزاء ما كتبه أستاذي الدكتور الفاضل محمد علي الهرفي -الذي أعتزّ بقلمه- في الرسالةِ الغراء الأسبوع المنصرم، حيث أكد ما ذكره قبلاً من أن مؤتمر النصرة الذي انعقد بالمنامة كان مؤتمرَ مناصرةٍ لحكومة الدنمارك ولا شيء غير ذلك، وأن الشيخين (القرضاوي والعودة) وإن كانا أعلم منه بالفقه فإن قضية رفع المقاطعة قضية ليس لها علاقة بالفقه من قريب أو بعيد بل هي مسألة اجتهادية متعلقة بالمصالح والمفاسد، لكل إنسان حق في إبداء رأيه فيها، موضحاً ما لفتوى الشيخين من شقٍ لعصا الأمة التي لم تجتمع على شيءٍ كما اجتمعت على قضية المقاطعة، فإذا بالمقاطعة تُرفع عن شركة (آرلا) من قِبَل الأمانة العامة للمؤتمر لمجرد اعتذارها الذي ليس له أي قيمة أو منفعة للمسلمين أو لنبيهم صلى الله عليه وسلم، وهكذا ستعتذر بقية الشركات لتنال حظها من الغنيمة وستظل المشكلة كما هي، مضيفاً أن المقاطعة وإن أضرت بمسلمي الدنمارك فليعلنوا هم رفعها دون سواهم، إلى آخر ما قال حفظه الله.

وبداية أظن أن الدكتور الهرفي وقد حضر المؤتمر لم يخفَ عليه أنَّ رأي رفع المقاطعة عن شركة (آرلا) لاعتذارها طرح في الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر وأدلى فيه العلماء المشاركون بدلوهم وأبدوا آراءهم وأصواقم فكان رأي أكثرهم أن ترفع المقاطعة عن الشركة، لما في ذلك من إظهار لعدل الإسلام وسماحته، وتغييرٍ للصورة النمطية عن المسلمين في عقول الغربيين، وتمييزٍ بين المحسن والمسيء من الدنماركيين، فعدم رفع المقاطعة عن هذه الشركة بعد كل ما قدمته إنما هو زرع لليأس في قلوب القوم، حيث إنّ الحكومة الدنماركية قد تقول: إن المسلمين ما داموا غير قابلين لموقف شركة (آرلا) التي ركعت لهم بشكل مخزٍ -على حد تعبيرهم- فلا فائدة من الاعتذار لهم أصلاً. كما أن في ذلك مصلحة راجحة للمسلمين في الدنمارك والذين ينبغي أن يراعى وضعهم في مثل هذه الظروف، إلى آخر ما عبر عنه فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن بيه متع الله به وغيره من العلماء المشاركين، ومع

ذلك لم يتعجل المؤتمر في اتخاذ قراره بل جاء في البيان الختامي للمؤتمر التوصية التالية: ((يثمِّن المـــؤتمر موقف شركة آرلا التي أعلنت استنكار وإدانة الرسوم ورفضت أي مبرر لتسويغها، ويرى المـــؤتمر أن هذه الخطوة هي البداية الصحيحة لفتح حوار بين أمانة المؤتمر والشركة لاتخاذ الخطوات المناسبة تجاه هذه المبادرة)). فلما أن تم الحوار قررت الأمانة العامة للمؤتمر إبداء رأيها برفع المقاطعة عـــن (آرلا)، هذا الرأي الذي مثل صوت كثير من العلماء المشاركين كما تعلم؛ و لم يكن مجـــرد اجتـــهاد مـــن الشيخين وحدهما كما ظنّ من شاهد بيان رفع المقاطعة موقعاً باسميهما بصفتهما الرئيس والأمين العام للمؤتمر. فهل كل هذا الجمع من علماء الأمة لا يملكون حق الاجتهاد والنظر في الأمـــور المتعلقـــة بالمصالح والمفاسد؟!!

وليس بصحيح يا سعادة الدكتور أن اعتذار شركة (آرلا) لم يغن عنا شيئاً، فقد جرى حوار بين أمانة المؤتمر وشركة (آرلا) اُشترِط فيه على الشركة عدة شروط وافقت عليها الشركة وعلى إثرها تم رفع المقاطعة عنها، ومن أبرز هذه الشروط: الضغط الشديد على الحكومة الدنماركية بشـــتى الوســـائل للاعتذار، دفع مبلغ مالي يساهم في مشاريع النصرة، التخطيط للقيام بمشاريع دعوية لنشـــر الـــدين الإسلامي والتعريف بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. فما رأيك إن فعلت الشركات الـــدنماركيات الأخريات فعلها، وسارت على نهجها، ألا تتحقق لنا المصلحة التي نريد بطريق أخرى قد تكون أولى من الطريق التي سلكناها؟

واسمحوا لي هنا أن أنقل طرفاً من كلمة الشيخ رائد حليحل أحد أكبر رموز الجاليـــة الإســـلامية في الدنمارك في كلمته التي ألقاها في مؤتمر النصرة، يقول: (إننا مسلمي الدنمارك لم نطالب بالمقاطعة ولن نحث عليها، و لم نطالب الناس بها، ولكنها وقعت ردة فعل من الشعوب الإسلامية، وإن دلّت علـــى شيء فإنما تدل على أن قلوبهم قد غلت بسبب الإهانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن كان لا بد اليوم من موقف فإن إخوانكم من اللجنة التي أتت من الدنمارك تلتمس منكم أن تقدّروا الظـــرف الحالي الذي تعيشه هذه المرحلة في الدنمارك مسلمون وغيرهم، وإننا لا بد أن نثمِّن عالياً موقف –ليس فقط– شركة (آرلا)، إنما أي جهة من الدنمارك تتبرأ من عمل الصحيفة، فلا بد أن نرسل لها رســـالة إيجابية لنبين لهم عدلنا نحن كمسلمين، وأننا لا يمكن أن نظلم أحداً، وأخيراً أقول لكم أيها الإخـــوة الأحباب: إن كان لكم شرف نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والتمتع بهذه النصرة، فنحن لنا شرف التعرض لهذه الأذية لنصرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.)) فهل لإخوتنا في الدنمارك قولهم المعتبر والمحترم في القضية أم أننا نقاطع ونحن هنا في تمام راحتنا، ما ضرنا شيء إنْ عدلنا إلى زبدة المراعـــي، ليذوقوا هم هناك ردة فعل آرائنا، مع أنهم من أهم من ينبغي تقدير رأيهم في المســـالة، أم أن تقـــدير رأيهم سيكون بأن نقول لهم: ارفعوا المقاطعة أنتم وذوقوا الصبر بمفردكم فنبيّنا صلى الله عليه وســـلم ليس لكم وحدكم بل هو نبينا أيضاً، وسنظل نحن على رأينا حتى لا نشق عصا الأمة، ولا يعنينـــا إن

أصابكم أذى، أو مسكم سوء! وعموماً، فقارئ كلام الدكتور الهرفي حفظه الله يلحظ فيه أمـــرين، أولاهما: الإيهام. وثانيهما: التجريحُ وإسقاطُ الحرمةِ.

أمّا الإيهام فظاهر في عدةِ صورٍ:

منها: إيهامُهُ أن القرار إنّما كان قرار الشيخين وحدهما، تجدُ ذلك في المقال كله من أوله إلى آخره، وقد بينت فيما سبق أنّه كان قرار كثرةٍ كاثرةٍ من المشاركين في مؤتمر النصرة بـــالبحرين. ومنـــها: إيهامُهُ أنّ الشيخين إنّما أرادا بفعلهما رفع المقاطعةِ بالكليّةِ، وهذا عجبٌ من العجبِ!! أنسي الفاضل الهرفيّ أنّ التوصية الثامنة للمؤتمر نصُّها: (يؤكد المؤتمر على المقاطعة الاقتصادية أســـلوباً حضـــارياً في الاحتجاج، لما لها من دور فعال في النصرة)؟!! فهل هذا كلامُ من يريدُ إلغاء المقاطعةِ؟ أنسي الفاضل الهرفي أن المؤتمر أصدر وثيقةً مطولة مفصلة عن المقاطعة، تحدثت عن تعريفها، وأســـبابها، وأبـــرزت الأدلة على شرعيتها، وردت على من ادّعى بدعيّتها، ورسمت لها كذلك ضوابطها. فهل هذا كله فعل من ينوي رفع المقاطعة ولا يراها؟

وصورةٌ أخرى من صور الإيهام، إذ قال الفاضل الهرفيّ: (أمر آخر كنت أتمنى أن يلتفت إليه الشيخان الفاضلان وهو تشجيع الناس على استخدام المنتجات الإسلامية عامة والســـعودية خاصـــة... الخ)، وكأنّ الدكتور الهرفيّ لم يقرأ التوصية التاسعة للمؤتمر: (يوصي المؤتمر دول العالم الإســـلامي بتنويـــع مصادر وارداتها مع التأكيد على دعم الإنتاج المحلي والعمل على الاكتفاء الذاتي في الموارد الأساسية وتشجيع التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية.)!!!

أليس هذا هو عين ما تمنّاه الفاضل الهرفيّ من الشيخين؟

وصورة رابعة من الإيهام في قوله: (علماؤنا الأجلاء قالوا ببطلان توصية تـــرك مقاطعـــة البضـــائع الدنماركية)!! وكأنّ هذا القول إجماعٌ.. ولا ندري ما يريد بعلمائنا.. فإن كان يريد علمـــاء الأمـــة كلهم فهذا ينقضه بيان المؤتمر، وإن كان يريدُ علماء بلادنا المباركة فهذا يعوزُهُ الدليل .. فبيانُ ثلاثةٍ من فضلائنا الأعلام وتأييد عشراتٍ لهم لا يعني إجماعاً -وإن كنت أرجو من ســـعادة الـــدكتور أن يذكر لنا مجرد ثلاثين من هؤلاء العشرات

ثم لا تنس أن عدداً غير قليل ممن شارك في المؤتمر هو من علماء ودعاة هذه البلاد المباركة، ولا تنس أيضاً أن الله ما جعل العلم محصوراً في بلادٍ دون بلاد.

وأمّا التجريحُ فلا أجدُ أبلغَ من إصرار الدكتور الهرفي -غفر الله له- على اتّهام الشيخين في نيّتهمـــا وأنّهما قررا ما قررا رغبةً (في القول أنّهما كلّ شيء في ديار المسلمين وأن غيرهما لا شيء)!! مقرراً أنه لا شيء أخف من اتهامه للشيخين في نواياهما! عجباً لك يا دكتور!! أهكذا يكون التعامل مـــع المسلمين!!! أعوذ بالله.. والله ما رأيت خصومةً أشد من هذه!! نعم وجدنا من يتهم الناس في نياتهم وأنهم مصلحيون نفعيون لا يقيمون لمصلحة الدين وزناً.. لكن ما وجدتُ قبل اليوم من يرى أنّ هذه

التهمة الشنيعة هي (أخفّ) ما يمكن أن يوجّه لهذين العَلَمين ومَن وراءهما من العلماء والدعاة!! وماذا وراء هذه التهمة من سوء حتى تكون أخف ما يرمى به عالمٌ؟ والأعجبُ من شناعةِ هــذا التجــريحِ وَهَنُ الحجةِ التي قام عليها!! أكانت الحجةُ دليلاً قاطعاً من كتاب وسنة؟ أكانت الحجة مسألة إجماعٍ أجمع عليه علماء الأمة؟ أكانتِ الحجةُ اعترافاً صريحاً من الشيخين بأنّهما ما أرادا إلا ذلك؟ لا أبداً!! الحجة التي سوّغ بها الدكتور الهرفي لنفسه توجيه هذه التهمة الشنيعة هي (رؤيتُهُ الخاصة) للمصــالح والمفاسد في هذه المسألة! هذه الرؤية التي من خلالها (ثبت!!! [هكذا !] أنّ مصلحة المسلمين العليا في وادٍ وهذا القرار في واد آخر)!.

صحيفة المدينة السعودية

=====================

هل يصح الاحتجاج بالحديث الضعيف

د. يوسف بن عبد الله الأحمد

أستاذ الفقه المساعد بجامعة الإمام . الرياض هل يصح الاحتجاج بالحديث الضعيف، وهل صحيح أن من أصول الاستدلال عند الإمام أحمد الاستدلال بالحديث الضعيف؟.

الجواب: الحديث الضعيف ليس بحجة في إثبات الأحكام الشرعية حتى في السنن والمستحبات باتفاق أهل العلم، وإنما قال بعض أهل العلم بأنه لا بأس من إيراد الحديث الضعيف في فضائل الأعمال وليس في إثبات الأحكام بثلاثة شروط:

الأول: ألا يكون الضعف شديداً.

الثاني: أن يكون العمل الذي ورد فيه الفضل قد ثبت بدليل صحيح.

الثالث: ألا يجزم بنسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه المسألة يخطئ في فهمها كثير من طلبة العلم، ولعل اللبس في الفهم يزول بالتوضــيح بالمثــال، والمثال: حديث عائشة مرفوعاً: " من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة، بنى الله له بيتاً في الجنة " أخرجه البيهقي بسند ضعيف.

هذا الحديث في فضائل الأعمال، والفضل هنا قوله (بنى الله له بيتاً في الجنة) هذا الفضل لا يجوز إيراده لأن أصل العمل وهو صلاة عشرين ركعة بين المغرب والعشاء لم يثبت بدليل صحيح أو حسن، فلا يجوز حينئذ أن يورد حديث ضعيف في فضله. ولو فرضنا بأن العمل ثابت بدليل صحيح فإنه لا بأس عند بعض أهل العلم من ذكر الحديث الضعيف الوارد في فضله. وإن كان الأولى عدم ذكره بالكلية، وإنما أردت بذلك توضيح كلام أهل العلم في هذه المسألة.

ولشيخ الإسلام توضيح نافع كما في (مجموع الفتاوى ١/ ٢٥٠-٢٥١) قال رحمه الله: " ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة لكن أحمد بن حنبل وغيره من العلماء جوزوا أن يروى في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت إذا لم يعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا علم أنه مشروع بدليل شرعي وروى في فضله حديث لا يعلم أنه كذب جاز أن يكون الثواب حقاً و لم يقل أحد من الأئمة إنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحبًا بحديث ضعيف ومن قال هذا فقد خالف الإجماع، وهذا كما أنه لا يجوز أن يحرم شئ إلا بدليل شرعي، لكن إذا علم تحريمه وروى حديث في وعيد الفاعل له و لم يعلم أنه كذب جاز أن يرويه فيجوز أن يروى في الترغيب والترهيب ما لم يعلم أنه كذب لكن فيما علم أن الله رغب فيه أو رهب منه بدليل آخر غير هذا الحديث المجهول حاله ".

وللألباني رحمه كلام نافع في القاعدة الثانية عشر في مقدمة كتابه تمام المنة. ولفضيلة الشيخ عبد الكريم الخضير كتاب قيم بعنوان: الاحتجاج بالحديث الضعيف.

أما ما ينقل عن الإمام أحمد بأنه يحتج بالحديث الضعيف فغير مسلم، وإنما مراده بالحديث الضعيف والمرسل الذي يحتج به: الذي ارتقى إلى درجة الحسن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٢٥١-٢٥٢): " ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه، ولكن كان في عرف أحمد بن حنبل ومَن قبله من العلماء أن الحديث ينقسم إلى نوعين: صحيح وضعيف، والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به، وإلى ضعيف حسن.. وأول من عرف أنه قسم الحديث ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف هو أبو عيسى الترمذي في جامعه، والحسن عنده ما تعددت طرقه و لم يكن في رواته متهم وليس بشاذ فهذا الحديث وأمثاله يسميه أحمد ضعيفاً ويحتج به ، ولهذا مثَّل أحمد الحديثَ الضعيف الذي يحتج به بحديث عمرو بن شعيب وحديث إبراهيم الهجري ونحوهما وهذا مبسوط في موضعه "اهـ .

وقال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٣١/١): " الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن، و لم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صاحب، ولا إجماعاً على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس "اهـ.

وبهذا ينتهي الجواب. والحمد لله رب العالمين.

١٤٢٧/٤/٢٤هـ

قاله وكتبه د. يوسف بن عبد الله الأحمد .
أستاذ الفقه المساعد بجامعة الإمام
ص. ب:١٥٦٦١٦ - الرمز البريدي : ١١٧٧٨ .

هاتف وناسوخ / ٠١٤٣٠٧٢٧٥
===================

هو الرحمة المهداة

الكاتب: شعر الدكتور جمال بن صالح الجارالله

مقامك من كل المقامات ارفع وسيفك من كل الصوارم أقطع
ووجهك نور والسجايا حميدة وقولك في كل الميادين أوقع
شمائلك المعروف والحلم والتقى وأخلاقك القرآن أصل وأفرع
محجتك البيضاء هدى ورحمة ومازاغ الاهالك...يتلعلع
لواؤك معقود على العزم والمضا وحوضك مورود فطوبى لمن دعوا
ويابؤس من ذيدوا عن الحوض يومها وقيل لهم بعداً فلا ثم موضع

أتيت وهذى الأرض بغي وظلمة فاشرق نور اذا طلعت يشعشع
وماقمر إلاك شع ضياؤه و مازال في ليل الملمات يسطع
تلألأ في كل النواحي فأشرقت به كل أرض بالهدى تتلفع
ونادى مناد في السماء مدوياً محمد من كل الخليقة أروع
هو الرحمة المهداة للناس كلهم ومافاز الا من لأحمد يتبع
" هو البحر من أي النواحي اتيته فلجته المعروف " والفضل أوسع
ترفع عن كل الدنايا و لم يزل وأصحابه عن كل غى ترفعوا
مقامك محمود تفردت سيداً ألست الذي يوم القيامة يشفع ؟
مقامك عال ياحبيبي وسيدي وتباً لمأفون أتانا يجعجع

وكافيك رب البيت من كل مفترٍ تنكب درب الخير للشر يترع
وشانيك بالخسران باء صنيعه وليس له إلا جهنم مرتع

تفديك كل المؤمنين نفوسهم وأرواحهم دون انتقاصك تترع
ففي نصرة الهادى سمُّو وعزة ولو أجلب الباغون والناس أجمع
هنيئاً لكم يامن نصرتم نبيكم فسيروا على درب النبي وقاطعوا
وتباً لكل الخائنين نبيهم قلوبهم من حقدها تتقطع

ألا يا أخي الكفر حاذر فإنه محمدنا الهادي شفيع مشفع

فما نلت منه غير أن قلوبنا إذا أوذي المختار تغلى وتفزع

وأبشر بما يخزيك ياشر معتد على خير معصوم فقد حان مصرع

ومانال أسباب المعالي أرذال وهل يعتلى بين الخلائق ضفدع ؟

أيا خاتم الرسل الكرام تحية نرددها عبر الزمان ونصدع

عليك صلاة الله ياخير مرسل وياليتنا مع صفوة الخلق نجمع

تهون علينا أنفس ونفائس ولسنا لحق المرسلين نضيع

شعر الدكتور جمال بن صالح الجارالله

==========================

وانشق القمر

الكاتب: د. جمال الحسيني أبو فرحة

يقول تعالى: "اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" القمر: ١:٢.

وكثيرًا ما كانت هذه الآية محلا للطعن من غير المسلمين، والتأويل من بعض المسلمين؛ بحجة أن هذه المعجزة لو وقعت لسجلها تاريخ الأمم الأخرى.

وجواب ذلك: أن هذا هو ما حدث بالفعل؛ فقد سجلتها كتب بعض مؤرخي الهند، وأرخت بها لبناء بعض الأبنية؛ ففي المقالة الحادية عشرة من تاريخ فرشته أن أهل مليبار من إقليم الهند رأوه أيضًا.

وقد نقل ابن تيمية عن بعض المسافرين أنه ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناءً قديمًا مكتوبًا عليه: (بني ليلة انشق القمر).

ثم إن انشقاق القمر لم يكن أحد من أمم أهل الأرض يترصده وينتظره، وكان في ليل، وفي زمان البرد، ولفترة وجيزة؛ فقلما يراه أحد.

ثم إنه قد يحول بين الرائي والقمر في بعض الأماكن سحاب كثيف؛ فلا يرى هذه المعجزة، هذا بالإضافة إلى اختلاف مطالع القمر؛ فهو لا يرى لكل أهل الدنيا مرة واحدة.

ومن ثمة فإنه من المتوقع ألا يكون رآه إلا عدد محدود من أهل الأرض متفرقين في بلدان شتى، ربما حمل معظم المؤرخين روايتهم على تخطئة الأبصار، أو على نوع من الخسوف.

أضف إلى ذلك أن وصفه تعالى لانشقاق القمر بأنه (آية) :" وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر "؛ يمنع أي محاولة لتأويل هذه المعجزة.

ثم إن نزول القرآن على العرب وتحديه لهم وفيه هذه القصة مع عدم اعتراض أحد منهم عليه ليؤكـــد حدوثها كما ذكرت الآية الكريمة.

أما في عصرنا الـــراهن فنجـــد في موقـــع وكالـــة ناســـا الفضـــائية الأمريكيـــة علـــى شـــبكة (الإنترنـــــــــــــــت)http://antw صـــــــــــــلى الله عليـــــــــــــه وســـــــــــــلم p.gsfc.nasa.gov/apod/ap٠٢١٠٢٩.html صورة لصدع طولي رهيب على سطح القمر يظهر بوضوح من الصورة في أعلى المقال يمتد لمئات الكيلومترات، عبارة عن حزام من الصخور المتحولة، وكاتب المقال يتساءل:

What could caus صلى الله عليه وســـلم a long ind صـــلى الله عليـــه وســـلم ntation on th صلى الله عليه وسلم Moon ؟ .

أي ما الذي يمكن أن يحدث شقًا بهذا الطول في القمر؟

والكيفية التي طرح بها السؤال تبين بجلاء حيرة العلماء في تفسير تكون هذا الشقٍ، وهو ما ينم عـــن حدث عظيم تعرض له القمر ترك هذا الأثر المحيّر، ولو كان سببه زلزالا عاديًا أو بركانًا لما اســـتغلق على العلماء فهمه كل هذه المدة إذ أنه اكتشف منذ أكثر من ٢٠٠ عام كما يذكر موقـــع وكالـــة ناسا.

والطريف في الأمر أن هؤلاء العلماء ليسوا مسلمين ولا علم لهم بنسبة هذه المعجزة لنبينا – صلى الله عليه وسلم – ؛ فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: " ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد " سبإ :٦ .

د. جمال الحسيني أبو فرحة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

وعضو المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة

gamalabufa صلى الله عليه وسلم ha@yahoo.com

========================

وداع الرسول لأمته دروس، وصايا، وعبرٌ، وعظات

تأليف الفقير إلى الله تعالى

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وســـلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذه الرسالة مختصرة في وداع النبي الكريم والرسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم لأمته، بينت فيـــه باختصار: خلاصة نسب النبي صلّى الله عليه وسلّم، وولادته، ووظيفته، واجتهاده وجهاده، وخـــير أعماله، ووداعه لأمته في عرفات، ومنى، والمدينة، ووداعه للأحياء والأموات، ووصـــاياه في تلـــك المواضع، ثم بداية مرضه، واشتداده، ووصاياه لأمته ووداعه لهم عند احتضاره، واختيـــاره الرفيـــق الأعلى، وأنه مات شهيداً، ومصيبة المسلمين بموته، وميراثه، ثم حقوقه على أمته، وذكرت الـــدروس والفوائد والعبر والعظات المستنبطة في آخر كل مبحث من هذه المباحث.

والله أسأل أن يجعله عملاً مقبولاً نافعًا لي ولإخواني المسلمين؛ فإنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأن يعلمنا جميعًا ما ينفعنا، ويوفق جميع المسلمين إلى الاهتداء بهدي سيد المرسلين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله و أصـــحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المؤلف

حرر في ليلة الخميس ١٤١٦/٣/٢١هـ

المبحث الأول: خلاصة نسبه ووظيفته صلّى الله عليه وسلّم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلَاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر بـــن نزار بن معدَ بن عدنان(١)، فهو عليه الصلاة والسلام من قريش، وقريش من العرب، والعرب مـــن ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام(٢).

ولد صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل بمكة في شهر ربيع الأول(٣) يوم الاثنين(٤) الموافق ٥٧١م(٥)، وتوفي صلّى الله عليه وسلّم وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها: أربعون قبل النبـــوة، وثـــلاث وعشرون نبيّاً رسولاً، نُبِّئَ بإقرأ، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرج بـــه إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة(٦) أُمِر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصيام، والحج، والجهـــاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلّى الله عليه وسلّم، ودينه باقٍ وهذا دينه، لا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وهو خاتم الأنبيـــاء

والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار(٧).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

إن النبي صلّى الله عليه وسلّم خيار من خيار من خيار، فهو أحسن الناس وخيرهم نسباً، وأرجح العالمين عقلاً، وأفضل الخلق مترلة في الدنيا والآخرة، وأرفع الناس ذكراً، وأكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة.

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي صلّى الله عليه وسلّم ١٦٢/٧.

(٢) انظر نسب النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى آدم: البداية والنهاية لابن كثير ١٩٥/٢، وسيرة ابن هشام ١/١.

(٣) هذا هو الصحيح المشهور أنه ولد صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل في شهر ربيع الأول، وقد نقل بعضهم الإجماع على ذلك، انظر: تهذيب السيرة للإمام النووي ص ٢٠.

(٤) التحديد بيوم الاثنين ثابت؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم حينما سئل عن صومه: "فيه ولدت وفيه أُنزِل عليَّ" مسلم ٨٢٠/٢. أما تحديد تاريخ اليوم ففيه عدة أقوال: فقيل في اليوم الثاني، وقيل لثماني، وقيل لعشر، وقيل: لسبعة عشر، وقيل في الثاني عشر، وقيل غير ذلك، وأشهر وأقرب الأقوال قولان: الأول: أنه ولد لثماني مضين من ربيع الأول، ورجحه ابن عبد البر عن أصحاب التأريخ: انظر: البداية والنهاية ٢٦٠/٢ وقال: "هو أثبت". القول الثاني: أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، قال ابن كثير في البداية والنهاية: "وهذا هو المشهور عند الجمهور" ٢٦٠/٢، وجزم به ابن إسحاق: انظر: سيرة ابن هشام ١٧١/١.

(٥) انظر: الرحيق المختوم ص ٥٣.

(٦) وصل إلى المدينة صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول وحدده بعضهم باليوم الثاني عشر من ربيع الأول، انظر: فتح الباري ٢٢٤/٧.

(٧) انظر: الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧٥، ٧٦.

إن إقامة الاحتفالات بمولد النبي صلّى الله عليه وسلّم كل عام في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول بدعة منكرة؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يفعل ذلك في حياته، ولم يفعله الصحابة من بعده رضي الله عنهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، ومع ذلك فإن تحديد ميلاد النبي باليوم الثاني عشر من ربيع الأول لم يُجْزَم به، وإنما فيه خلاف وحتى ولو ثبت فالاحتفال به بدعة لما تقدم؛ ولقوله صلّى الله عليه وسلّم: ''من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد''(١). وفي رواية لمسلم: ''من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد''(٢).

إن وظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم هي الدعوة إلى التوحيد، وإنقاذ الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات المعاصي والسيئات إلى نور الطاعات والأعمال الصالحات، ومن الجهل إلى المعرفة والعلم، فلا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه صلّى الله عليه وسلّم.

المبحث الثاني: جهاده واجتهاده وأخلاقه

كان صلّى الله عليه وسلّم أسوة وقدوة وإماماً يُقتدى به؛ لقوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }(٣)؛ ولهذا كان صلّى الله عليه وسلّم يصلي حتى تفطَّرت قدماه وانتفخت وورمت فقيل له: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ''أفلا أكون عبداً شكوراً''(٤). وكان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة(٥)، وكان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة(٦) وربما صلاها عشر ركعات(٧)، وكان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله(٨)، وكان يطيل صلاة الليل فربما صلى ما يقرب من خمسة أجزاء في الركعة الواحدة(٩)، فكان ورده من الصلاة كل يوم وليلة أكثر من أربعين ركعة منها الفرائض سبع عشر ركعة(١٠).

وكان يصوم غير رمضان ثلاثة أيام من كل شهر(١١) ويتحرَّى صيام الاثنين والخميس(١٢)، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً، بل كان يصومه كله(١٣)، ورغَّب في صيام ست من شوال(١٤)، وكان صلّى الله عليه وسلّم يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم(١٥)، وما استكمل شهر غير رمضان إلا ما كان منه في شعبان، وكان يصوم يوم عاشوراء(١٦)، وروي عنه صوم تسع ذي الحجة(١٧)، وكان يواصل الصيام اليومين والثلاثة وينهى عن الوصال، وبيَّن أنه صلّى الله عليه وسلّم ليس كأمته؛ فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه(١٨)، وهذا على الصحيح: ما يجد من لذة العبادة والأنس والراحة وقرة العين بمناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: ''يا بلال أرحنا بالصلاة''(١٩)، وقال: ''وجُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة''(٢٠).

وكان يكثر الصدقة، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة حينما يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام(٢١)؛ فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة؛ ولهذا أعطى رجلاً غنماً بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة(٢٢)، فكان صلّى الله عليه وسلّم أكرم الناس، وأشجع الناس(٢٣)، وأرحم الناس وأعظمهم تواضعاً، وعدلاً، وصبراً، ورفقاً، وأناة، وعفواً، وحلماً، وحياءً، وثباتاً على الحق.

---

(١) البخاري برقم ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٢) انظر: رسالة التحذير من البدع لسماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) البخاري برقم ١١٣٠، ومسلم برقم ٢٨١٩.

(٥) البخاري برقم ١١٤٧، ومسلم برقم ٧٣٧.

(٦) مسلم برقم ٧٢٨.

(٧) مسلم برقم ٧٢٩، والبخاري برقم ١١٧٢.

(٨) مسلم برقم ٧١٩.

(٩) مسلم برقم ٧٧٢.

(١٠) كتاب الصلاة لابن القيم ص ١٤٠.

(١١) مسلم برقم ١١٦٠.

(١٢) الترمذي برقم ٧٤٥، والنسائي ٢٠٢/٤ وغيرهما.

(١٣) البخاري رقم ١٩٦٩ و١٩٧٠، ومسلم برقم ١١٥٦ و١١٥٧.

(١٤) مسلم برقم ١١٦٤.

(١٥) البخاري برقم ١٩٧١، ومسلم ١١٥٦.

(١٦) البخاري برقم ٢٠٠٠ — ٢٠٠٧، ومسلم برقم ١١٢٥.

(١٧) النسائي ٢٠٥/٤، وأبو داود برقم ٢٤٣٧، وأحمد ٢٨٨/٦، وانظر صحيح النسائي رقم ٢٢٣٦.

(١٨) البخاري برقم ١٩٦١ - ١٩٦٤ ومسلم ١١٠٢ - ١١٠٣.

(١٩) أبو داود برقم ٨٥٤٩، وأحمد ٣٩٣/٥.

(٢٠) النسائي ٦١/٧، وأحمد ١٢٨/٣، وانظر: صحيح النسائي ٨٢٧/٣.

(٢١) البخاري برقم ٦، ومسلم رقم ٢٣٠٨.

(٢٢) مسلم ١٨٠٦/٤.

(٢٣) البخاري مع الفتح ٤٥٥/١٠، ومسلم ١٨٠٤/٤.

وجاهد صلّى الله عليه وسلّم في جميع ميادين الجهاد: جهاد النفس وله أربع مراتب: جهادها على تعلم أمور الدين، والعمل به، والدعوة إليه على بصيرة، والصبر على مشاق الدعوة، وجهاد الشيطان وله مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات، ودفع ما يلقي من الشهوات، وجهاد الكفار وله أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، واليد. وجهاد أصحاب الظلم وله ثلاث مراتب: باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب. فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، وأكمل الناس فيها محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه كمل مراتب الجهاد كله، فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه، ولسانه، ويده، وماله؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً(١). وقد دارت المعارك الحربية بينه وبين

أعداء التوحيد، فكان عدد غزواته التي قادها بنفسه سبع وعشرون غزوة، وقاتل في تسع منها، أمـــا المعارك التي أرسل جيشها و لم يقدها فيقال لها سرايا فقد بلغت ستة وخمسين سرية(٢).

وكان صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس معاملة، فإذا استسلف سلفًا قضى خيراً منه؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم يتقاضاه بعيراً فأغلظ له في القول، فهم به أصحابه فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ''دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً'' فقالوا: يا رسول الله: لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنّه فقال صلّى الله عليه وسلّم: ''أعطوه'' فقال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال صلّى الله عليه وســـلّم: ''إن خير عباد الله أحسنهم قضاءً''(٣). واشترى من جابر بن عبد الله رضي الله عنه بعيراً، فلما جاء جابر بالبعير قال له صلّى الله عليه وسلّم: ''أتراني ماكستك''؟ قال: لا يا رسول الله، فقال: ''خـــذ الجمل والثمن''(٤).

وكان صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس خلقاً؛ لأن خلقه القرآن، لقول عائشة رضي الله عنـــهما: ''كان خلقه القرآن''(٥)؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ''إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق''(٦).

وكان صلّى الله عليه وسلّم أزهد الناس في الدنيا، فقد ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه اضطجع على الحصير فأثّر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمســـح جنبـــه فقال: رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم: ''مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحـــت شـــجرة ســـاعة مـــن نهـــار ثم راح وتركها''(٧). وقال: ''لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذهباً ما يَسُرُّني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أرصُدُهُ لدين''(٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض"(٩). والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام بلياليها متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم(١٠)؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنـــها: "خرج النبي صلّى الله عليه وسلّم من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير"(١١). وقالت: "ما أكـــل آل محمد صلّى الله عليه وسلّم أُكلتين في يوم إلا إحداهما تمر"(١٢). وقالت: "إنا لننظر إلى الهلال ثلاثـــة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نار. فقال عروة: مـــا كـــان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء"(١٣). والمقصود بالهلال الثالث: وهو يُرى عنـــد انقضـــاء الشهرين. وعن عائشة رضي الله عنهما قالت: ''كان فراشُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أدَم وحشوُهُ ليفٌ''(١٤). ومع هذا كان يقول صلّى الله عليه وسلّم: ''اللهم اجعـــل رزق آل محمـــدٍ قوتاً''(١٥).

---

(١) زاد المعاد ٣/٥، ١٠، ١٢.

(٢) انظر: شرح النووي ٩٥/١٢، وفتح الباري ٢٧٩/٧ - ٢٨١، و١٥٣/٨.
(٣) البخاري رقم ٢٣٠٥، ومسلم ١٦٠٠.
(٤) البخاري مع الفتح ٦٧/٣، ومسلم ١٢٢١/٣.
(٥) مسلم ٥١٣/١.
(٦) البيهقي بلفظه ١٩٢/١٠، وأحمد ٣٨١/٢، وانظر: الصحيحة للألباني رقم ٤٥.
(٧) الترمزي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢٨٠/٢.
(٨) البخاري برقم ٢٣٨٩، ومسلم برقم ٩٩١.
(٩) البخاري مع الفتح ٥١٧/٩ و٥٤٩.
(١٠) انظر فتح الباري ٥١٧/٩ و٥٤٩ برقم ٥٣٧٤، ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٥٤١٦.
(١١) البخاري مع الفتح ٥٤٩/٩.
(١٢) البخاري مع الفتح ٢٨٣/١١.
(١٣) البخاري مع الفتح ٢٨٣/١١.
(١٤) البخاري برقم ٦٤٥٦.
(١٥) البخاري برقم ٦٤٦٠، ومسلم برقم ١٠٥٥ والقوت: هو ما يقوت البدن من غير إسراف وهو معنى الرواية الأخرى عند مسلم "كفافاً" ويكف عن الحاجة، وقال أهل اللغة: القوت: هو ما يسد رمق، وفي الكفاف سلامة من آفاق الغنى والفقر جميعاً والله أعلم. الفتح ٢٩٣/١١، وشرح النووي ١٥٢/٧، والأبي ٥٣٧/٣.

وكان صلّى الله عليه وسلّم من أورع الناس؛ ولهذا قال: ''إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقيها''(١). وأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''كِخْ كَخْ ارمِ بها أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة''؟(٢).

ومع هذه الأعمال المباركة العظيمة فقد كان صلّى الله عليه وسلّم يقول: ''خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل'' وكان آلُ محمد صلّى الله عليه وسلّم إذا عَمِلُوا عملاً أثبتوه(٣). ''وكان صلّى الله عليه وسلّم إذا صلى صلاة داوم عليها''(٤). وقد تقالَّ عبادة النبي صلّى الله عليه وسلّم نفر من أصحابه صلّى الله عليه وسلّم وقالوا: وأين نحن من النبي صلّى الله عليه وسلّم؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال بعضهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال بعضهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال بعضهم: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً [وقال بعضهم: لا آكل اللحم] فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فجاء إليهم

فقال: ''أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله أتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني''(٥). والمراد بالسنة الهدي والطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره. ومع هذه الأعمال الجليلة فقد كان يقول عليه الصلاة والسلام: ''سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله'' قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ''ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل''. وفي رواية: ''سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيءٌ من الدُّلجة، والقَصْدَ القَصْدَ تبلغوا''(٦). وكان يقول: ''يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك''(٧). ويقول: ''اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك''(٨).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

إن النبي صلّى الله عليه وسلّم قدوة كل مسلم صادق مع الله تعالى في كل الأمور؛ لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(٩).

---

(١) مسلم ٧٥١/٢.

(٢) مسلم ٧٥١/٢.

(٣) البخاري مع الفتح ٢١٣/٤، ٢٩٤/١١، ومسم ٥٤١/١ برقم ٧٨٢، و٨١١/٢.

(٤) البخاري مع الفتح ٢١٣/٤، وانظر: صحيح البخاري حديث رقم ٦٤٦١ – ٦٤٦٧.

(٥) البخاري مع الفتح ١٠٤/٩، ومسلم ١٠٢٠/٢ وما بين المعكوفين من رواية مسلم.

(٦) البخاري برقم ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ومسلم ٢١٧٠/٤.

(٧) الترمزي ٢٣٨/٥ وغيره، وانظر: صحيح الترمزي ١٧١/٣.

(٨) مسلم ٢٠٤٥/٤.

(٩) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

إن النبي صلّى الله عليه وسلّم أحسن الناس خَلْقاً، وخُلُقاً، وألينهم كفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية(١)، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها، ولكنه إذا انتُهكت حرمات الله، فإنها ينتقم الله تعالى، وإذا غضب الله لم يقم لغضبه أحد، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قطاً إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ويخصف نعليه ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شاته، ويخدِمُ نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا

يهاب مَلكاً لملكه، وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه، ولا يدع أحـــداً يمشي خلفه(٢). وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن وربما يلبسه في الأيســـر، وكـــان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة، وكان يكثر الذكر، دائم الفكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويحب الطيب ولا يرده، ويكره الروائح الكريهة، وكان أكثر الناس تبسماً، وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه(٣) ويمـــزح ولا يقول إلا حقّاً، ولا يجفو أحداً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان يأكل بأصابعه الـــثلاث ويلعقهـــن، ويتنفس في الشرب ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلام، وإذا تكلم تكلَّم بكلام بـــيِّنٍ فَصْـــلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلام ثلاثاً إذا لم تفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة، وقد جمع الله له مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فكانت معاتبته تعريضاً، وكان يأمر بالرفق ويحثّ عليه، وينهي عن العنف، ويحث على العفو والصفح، والحلم، والأناة، وحسن الخلق ومكارم الأخـــلاق، وكان يحب التيمن في طهوره وتنعُّله، وترجُّله، وفي شأنه كله، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا اضطجع اضطجع على جنبه الأيمن، ووضع كفه اليمنى تحته خده الأيمن، وإذا عرَّس(٤) قُبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، وكان مجلسه: مجلس علم، وحلم، وحياء، وأمانة ، وصيانة، وصبر، وسكينة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات، يتفاضـــلون في مجلســـه بالتقوى، ويتواضعون، ويُوقِّرون الكبار، ويرحَمُون الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويخرجون دعـــاة إلى الخير، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يمشي مع الأرملة والمسكين، والعبـــد، حتى يقضي له حاجته. ومر على الصبيان يلعبون فسلَّم عليهم، وكان لا يصافح النساء غير المحـــارم. وكان يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم الكريم كل قوم، ويقبل بوجهه وحديثه على من يحادثه، حتى على أشرِّ القوم يتألفهم بذلك، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً(٥)، ولا يجـــزي بالســـيئة السيئة بل يعفو ويصفح ويحلم، ولم يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه.

وقد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الشيم وآتاه من العلم والفضل وما فيـــه النجـــاة والفـــوز والسعادة في الدنيا والآخرة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم لـــه من البشر، واختاره الله على جميع الأولين والآخرين، وجعل دينه للجن والناس أجمعين إلى يوم الدين، فصلوات الله وسلامه عليه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين؛ فإن خلقه كان من القرآن.

---

(١) ولهذا قال عبد الله بن الشَّخِّير: أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلي ولجوفه أزيـــزٌ كأزيز المِرجل من البكاء، أبو داود برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر الشـــمائل بـــرقم ٢٧٦، ومعنى: أزير المرجل: أي غليان القدر.

(٢) أحمد ٣٩٨/٣، وابن ماجه برقم ٢٤٦، والحاكم ٤٨١/٤، وابن حبان موارد ٢٠٩٩ ، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٥٧.

(٣) النواجذ: الأنياب.

(٤) التعريس: نزول مسافة آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة. انظر: النهايـــة في غريـــب الحـــديث ٢٠٦/٣.

(٥) الصّخَّاب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام، فهو صلّى الله عليه وسلّم لم يكن صخَّاباً في الأسواق ولا في غيرها. النهاية ١٤/٣.

فينبغي الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم والتأسي في جميع أعماله، وأقواله، وجده واجتهاده، وجهاده، وزهده، وورعه، وصدقه وإخلاصه، إلا في ما كان خاصّاً به، أو ما لا يُقدر على فعله؛ لقوله صـــلّى الله عليه وسلّم: ''خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا(١)''(٢)؛ ولقوله: ''مـــا نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم''(٣).

المبحث الثالث: خير أعماله وخواتمها

كان صلّى الله عليه وسلّم إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه؛ ولهذا قال: ''إن أحب الأعمـــال إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه وإن قل''(٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ''كان النبي صـــلّى الله عليه وسلّم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عرض فيه القرآن مرتين''(٥). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر القول قبل أن يمـــوت: ''سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك''. قالت: قلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمـــات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: ''جُعلت لي علامةٌ في أمتي إذا رأيتها قلتها {إِذَا جَـــاءَ نَصْـــرُ اللَّـــهِ وَالْفَتْحُ}(٦). وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمر عن هذه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} إنها: أجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم''(٧). وقيل: نزلت {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} يوم النحر والنبي صلّى الله عليه وسلّم في منى بحجة الوداع(٨)، وقيـــل: نزلت أيام التشريق(٩)، وعند الطبراني أنها لما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشدَّ ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة(١٠)؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنهما: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: ''سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي'' يتأول القرآن(١١). ومعنى ذلك أنه يفعل ما أمر به فيه وهو قوله تعالى: {فَسَـــبِّحْ بِحَمْـــدِ رَبِّـــكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}(١٢).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ــ الحث على المداومة على العمل الصالح، وأن قليلاً دائماً خير من كثير منقطع؛ لأن بدوام العمل الصالح القليل تدوم الطاعة والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال على الخالق، والقليل الدائم يثمر؛ لأنه يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة(١٣).

٢ ــ من أجهد نفسه في شيء من العبادات لا يطيق العمل به خُشِيَ عليه أن يمل فيفضي ذلك إلى تركه(١٤).

٣ ــ الإنسان المسلم كلما تقدم في العمر اجتهد في العمل على حسب القدرة والطاقة، ليلقى الله على خير أحواله؛ ولأن الأعمال بالخواتيم، وخير الأعمال الصالحة خواتيمها(١٥).

المبحث الرابع: وداعه لأمته ووصاياه في حجة الوداع

١ ــ أذانه في الناس بالحج:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تهذيب السيرة النبوية للإمام النووي ص ٥٦، ومختصر السيرة النبوية للحافظ عبد الغني المقدسي ص ٧٧، وحقوق المصطفى للقاضي عياض ١/٧٧ – ٢١٥، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي ص ١١٢-١٨٨.

(٣) البخاري برقم ٧٢٨٨، ومسلم برقم ٢٦١٩.

(٤) البخاري مع الفتح ٩/٤٣، برقم ٤٩٩٨، و ٤/٢١٣، ومسلم ٢/٨١١ وتقدم تخريجه.

(٥) البخاري برقم ٤٤٣٣، ومسلم ٢٤٥٠.

(٦) مسلم ١/٣٥١.

(٧) البخاري مع الفتح ٨/١٣٠.

(٨) انظر: الفتح ٨/٧٣٤، وقيل: عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً. فتح ٨/٧٣٤.

(٩) انظر: المرجع السابق ٨/١٣٠.

(١٠) انظر: فتح الباري ٨/١٣٠.

(١١) البخاري برقم ٧٩٤، ومسلم برقم ٤٨٤.

(١٢) انظر: شرح النووي ٤/٤٤٧.

(١٣) انظر: فتح الباري ١/١٠٣، وشرح النووي ٦/٣١٨.

(١٤) انظر: فتح الباري ٤/٢١٥.

(١٥) انظر: فتح الباري ٤/٢٨٥، و ٩/٤٦.

١ ــ بعد أن بلَّغ صلّى الله عليه وسلّم البلاغ المبين وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، أعلن في الناس وأذَّن فيهم وأعلمهم أنه حاج في السنة العاشرة – بعد أن مكث في المدينة

تسع سنين كلها معمورة بالجهاد والدعوة والتعليم — وبعد هذا النداء العظيم الذي قصد به صلّى الله عليه وسلّم إبلاغ الناس فريضة الحج، ليتعلموا المناسك منه صلّى الله عليه وسلّم؛ وليشهدوا أقواله، وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد(١).

قال جابر رضي الله عنه: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويعمل مثل عمله... وساق الحديث وفيه: حتى إذا استوت به ناقته على البيداء(٢) نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك(٣)، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أظهرنا وعليه يترل القرآن وهو يعلم تأويله وما عمل به من شيء عملنا به... وساق الحديث وقال: حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضُرِبت له بنمرة فترل بها.

٢ ـــ وداعه ووصيته لأمته في عرفات:

قال جابر رضي الله عنه: حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: "إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع(٤) ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله(٥) فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله(٦) ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم(٧) أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح(٨) ولهن عليكم رزقهن وكسوهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله(٩)، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون"؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بإصبعه السبَّابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد، اللهم اشهد" ثلاث مرات(١٠). وقد كان في الموقف جمٌّ غفير لا يُحصي عددها إلا الله تعالى(١١).

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٤٢٢/٨ ، وشرح الأبي ٢٤٤/٤.

(٢) البيداء: اسم للمفازة والصحراء التي لا شيء فيها، وهي هنا موضع بذي الحليفة. فتح الملك المعبود ٩/٢.

(٣) قيل كان عددهم تسعين ألفاً، وقيل مائة وثلاثين ألفاً. انظر: المرجع السابق ٩/٢، و ١٠٥.

(٤) والمعنى أنه أبطل كل شيء من أمور الجاهلية وصار كالشيء الموضوع تحت القدمين فلا يعمل به في الإسلام، فجعله كالشيء الموضوع تحت القدم من حيث إهماله وعدم المبالاة به. انظر: شرح النووي ٤٣٢/٨، وشرح الأبي ٢٥٥/٤، وفتح الملك المعبود ١٨/٢.

(٥) والمعنى الزائد على رأس المال باطل أما رأس المال فلصاحبه بنص القرآن، انظر: شرح النووي ٤٣٣/٨.

(٦) قيل: الكلمة هي: الأمر بالتسريح بالمعروف أو الإمساك بإحسان، وقيل: هي لا إله إلا الله، وقيل: الإيجاب والقبول، وقيل: هي قوله تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ}، سورة النساء، الآية: ٣. قال النووي ٤٣٣/٨، وشرح الأبي ٢٥٦/٤، وفتح الملك المعبود ١٩/٢.

(٧) والمعنى لا يأذن لأحد من الرجال أو النساء تكرهون أن يدخل منازلكم، وليس المراد من ذلك الزنا؛ لأنه حرام سواء كرهه الزوج أو لم يكرهوه؛ ولأن فيه الحد. شرح النووي ٤٣٣/٨، والأبي ٢٥٧/٤، وفتح الملك المعبود ٢٠/٢.

(٨) غير المبرِّح: لا شديد ولا شاق، انظر: فتح الملك المعبود ١٩/٢، وشرح النووي ٤٣٤/٨.

(٩) والمعنى قد تركت فيكم أمراً لن تخطئوا إن تمسكتم به في الاعتقاد والعمل وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وسكت عن السنة؛ لأن القرآن هو الأصل في الدين، أو لأن القرآن أمر باتباع السنة كما قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}. سورة النساء، الآية: ٥٩. وقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}. سورة الحشر، الآية: ٧. انظر: فتح الملك المعبود ٢٠/٢، وقد جاء عند الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الوصية ب "... كتاب الله وسنة نبيه.." وصححه الألباني في صحيحه الترغيب برقم ٣٦.

(١٠) أخرجه مسلم برقم ١٢١٨.

(١١) قيل: مائة وثلاثون ألفاً. انظر: فتح الملك المعبود ١٠٥/٢.

وأُنزل على النبي صلّى الله عليه وسلّم في يوم عرفة يوم الجمعة قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}(١) وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الجن والإنس فلا حلال إلا ما أحلَّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف، {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً}(٢) أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الله لهم الدين تمت عليهم النعمة(٣).

وقد ذُكر أن عمر بكى عندما نزلت هذه الآية في يوم عرفة، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص(٤)، وكأنه رضي الله عنه توقع موت النبي صلّى الله عليه وسلّم قريباً.

٣ ـــ وداعه ووصيته لأمته عند الجمرات:

قال جابر رضي الله عنه: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: ''لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلّي لا أحُجُّ بعد حجتي هذه''(٥).

وعن أم الحصين رضي الله عنها قالت: حججت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة... فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولاً كثيراً ثم سمعته يقول: ''إن أُمِّر عليكم عبد مجدَّع أسود يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا''(٦).

٤ ـــ وصيته ووداعه لأمته يوم النحر:

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه – أو بزمامه – وخطب الناس فقال: ''أتدرون أيُّ يوم هذا''؟ قالوا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: ''أليس بيوم النحر''؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: ''فأي شهر هذا''؟ قلنا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسمه بغير اسمه، فقال: ''أليس بذي الحجة''؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: ''فأي بلد هذا''؟ قلنا الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: ''أليست البلدة الحرام''؟ قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: ''فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا [وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً [أو ضُلّالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد [منكم] الغائب [فَرُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع] ألا هل بلَّغت [ثم انكفأ(٧) إلى كبشين أملحين فذبحهما..''(٨) قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب(٩).

وسكوته صلّى الله عليه وسلّم بعد كل سؤال من هذه الأسئلة الثلاثة كان لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه(١٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وقف النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم النحر بين الجمرات... وقال: ''هذا يوم الحج الأكبر'' وطَفِق(١١) النبي يقول: ''اللهم اشهد'' وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع"(١٢).

وقد فتح الله أسماع جميع الحجاج بمنى حتى سمعوا خطبة النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم النحر، هذا من معجزاته أن بارك في أسماعهم وقوّاها حتى سمعها القاضي الداني حتى كانوا يسمعون وهم في

منازلهم(١٣). فعن عبد الرحمن بن معاذ التيمي رضي الله عنه قال: "خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن بمنى فَفُتِحت أسماعُنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا.."(١٤).

٥ ــ وصيته صلّى الله عليه وسلّم لأمته في أوسط أيام التشريق:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣، والحديث أخرجه البخاري برقم ٤٥، ومسلم برقم ٣٠١٦، ٣٠١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١٢/٢.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٢/٢ وعزاه بإسناده إلى تفسير الطبري. وهذا يشهد له قوله صلّى الله عليه وسلّم: ''بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبًا كما بدأ...''.

(٥) مسلم برقم ١٢٩٧.

(٦) مسلم برقم ١٢٩٨.

(٧) انكفأ: أي انقلب. انظر: شرح النووي ١٨٣/١١.

(٨) البخاري ٢٦/٣ برقم ٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧، ومسلم برقم ١٦٧٩ والألفاظ من هذه المواضع.

(٩) البخاري برقم ١٧٣٩.

(١٠) انظر: فتح الباري ١٥٩/١.

(١١) طفق: جعل وشرع بقول.

(١٢) البخاري برقم ١٧٤٢.

(١٣) انظر: عون المعبود ٤٣٦/٥، وفتح الملك المعبود ١٠٦/٢.

(١٤) أبو داود برقم ١٩٥٧ وفي آخره قصة تدل على أنه يوم النحر، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ١٧٢٤، ٣٦٩/١.

وخطب صلّى الله عليه وسلّم الناس في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة وهو ثاني أيام التشريق ويقال له: يوم الرؤوس؛ لأن أهل مكة يسمونه بذلك؛ لأكلهم رؤوس الأضاحي فيه، وهو أوسط أيام التشريق(١)، فعن أبي نجيح عن رجلين من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهما من بني بكر، قالا: رأينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي خطب(٢) بمنى(٣)، وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبي صلّى الله عليه وسلّم وسْطَ أيام التشريق فقال: ''يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت''؟ قالوا: بلَّغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ثم قال: ''أي

يوم هذا''؟ قالوا: يوم حرام. ثم قال: ''أيُّ شهر هذا''؟ قالوا: شهر حرام. ثم قال: ''أي بلد هذا''؟ قالوا: بلد حرام. قال: ''فإن الله قد حرَّم بينكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، كحرمة يــومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، أبلغت''؟ قالوا بلَّغ رسول الله صلّى الله عليه وســلّم. قــال: ''ليبلغ الشاهد الغائب''(٤).

وهناك جمل من خطبه صلّى الله عليه وسلّم في حجة الوداع في الأماكن المقدسة منها حديث ابــن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطب الناس في حجة الوداع فقال: ''إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبــداً، كتــاب الله وســنة نبيــه...'' الحديث(٥). وحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول وهو يخطب الناس على ناقته الجدعاء في حجة الوداع يقول: ''يا أيها الناس أطيعوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وأدّوا زكاة أموالكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم''(٦).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـــ إن كل من قدم المدينة إجابة لأذان النبي صلّى الله عليه وسلّم بالحج فقد حج مع النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ لقول جابر رضي الله عنه: "فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويعمل مثل عمله"(٧).

٢ ـــ استحباب نزول الحاج إلى عرفات بعد زوال الشمس إن تيسر ذلك.

٣ ـــ استحباب خطبة الإمام بالحجاج بعرفات، يبين فيها للناس ما يحتاجون إليــه، ويعــتني ببيــان التوحيد، وأصول الدين، ويحذر فيها من الشرك والبدع والمعاصي، ويوصي الناس بالعمل بالكتــاب والسنة.

وقد ثبت أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خطب في حجة الوداع ثلاث خطب: خطبة يــوم عرفــة، والخطبة الثانية يوم النحر في منى، والخطبة الثالثة في منى يوم الثاني عشر من ذي الحجــة. ومــذهب الشافعي أن الإمام يخطب يوم السابع من ذي الحجة كذلك(٨)، ويعلم الإمام الناس في كل خطبة ما يحتاجون إليه إلى الخطبة لأخرى.

٤ ـــ تأكيد غلظ تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، والأبشار الجلدية.

٥ ـــ استخدام ضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ''كحرمة يــومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا''.

٦ ـــ إبطال أفعال الجاهلية، وربا الجاهلية، وأنه لا قصاص في قتلى الجاهلية.

٧ ـــ إن الإمام ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يبدأ بنفسه وأهله؛ لأنه أقرب لقبــول قوله، وطيب نفس من قرب عهده بالإسلام.

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٣٢/٥، وفتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ١٠٠/٢، وفتح الباري ٥٧٤/٣.

(٢) ومعنى قوله: "وهي خطبته التي خطب بمنى" أي مثل الخطبة التي خطبها يوم النحر بمنى، فالخطبتان: في يوم النحر، وفي ثاني أيام التشريق اليوم الثاني عشر متحدتان في المعنى. انظر: عون المعبود ٤٣١/٥، وفتح الملك المعبود ١٠٠/٢.

(٣) أبو داود برقم ١٩٥٢ ويشهد له حديث سرَّاء بنت نبهان برقم ١٩٥٣ وصحح حديث أبي نجيح الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٦٨/١ برقم ١٧٢٠.

(٤) أحمد بترتيب عبد الرحمن البناء ٢٢٦/١٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٢٦٦/٣. وانظر: حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه قال: كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس... وذكر فيه جملاً تراجع ويراجع سند الحديث في مسند أحمد ٧٢/٥.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب وعزاه إلى الحاكم، وحسنه الألباني صحيح الترغيب ٢١/١ برقم ٣٦ وله أصل في صحيح مسلم. انظر: حديث رقم ٢٨١٢، وانظر: مسند أحمد ٣٦٨/٢ والأحاديث الصحيحة برقم ٤٧٢.

(٦) الحاكم ٤٧٣/١ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٧) تقدم تخريجه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٨) انظر: فتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود ٢٠./٢

٨ ــ الموضوع من الربا هو الزائد على رأس المال، أما رأس المال فلصاحبه.

٩ ــ مراعاة حق النساء، ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاءت أحاديث كثيرة بذلك جمعها النووي أو معظمها في رياض الصالحين.

١٠ ــ وجوب نفقة الزوجة وكسوتها، وجواز تأديبها إذا أتت بما يقتضي التأديب لكن بالشروط والضوابط التي جاءت بالكتاب والسنة، وأن لا يحصل منكر من أجل ذلك التأديب.

١١ ــ الوصية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم.

١٢ ــ قوله: ''لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه'' ففي ذلك لام الأمر، والمعنى خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال، والأفعال، والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها، واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، فهو كقوله صلّى الله عليه وسلّم: ''صلوا كما رأيتموني أصلي''(١).

ــ وفي قوله صلّى الله عليه وسلّم: ''لعلي لا أحج بعد حجتي هذه'' إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته صلّى الله عليه وسلّم، وحثهم على الأخذ عنه، وانتهاز الفرصة وملازمته، وبهذا سميت حجة الوداع.

١٤ ــ الحث على تبليغ العلم ونشره، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدم ولكن بقلة، وأن الأفضل أن يكون الخطيب على مكان مرتفع؛ ليكون أبلغ في سماع الناس ورؤيتهم له.

١٥ ــ استخدام السؤال ثم السكوت والتفسير يدل على التفخيم، والتقرير والتنبيه.

١٦ ــ الأمر بطاعة ولي الأمر مادام يقود الناس بكتاب الله تعالى، وإذا ظهرت منه بعض المعاصي والمنكرات، وُعِظَ وَذُكِّر بالله وخُوِّف به لكن بالحكمة والأسلوب الحسن.

١٧ ــ الوصية بطاعة الله، والصلاة، والزكاة، والصيام، وأنه لا فرق بين أصناف الناس إلا بالتقوى.

١٨ ــ معجزة النبي صلّى الله عليه وسلّم الظاهرة الدالة على صدقه، وذلك بسماع الناس لخطبته يوم النحر وهم في منازلهم(٢) فقد فتح الله لأسماعهم كلهم لها.

١٩ ــ الضحية سنه مؤكدة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي في حق الحاج وغير الحاج فلا يجزئ عنها الهدي، وإنما هي سنة مستقلة؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم بعد أن خطب الناس بمنى انقلب فذبح كبشين أملحين(٣) وهذا غير الهدايا التي نحرها بيده وأشرك عليّاً في الهدي وأمره بنحر الباقي من البدن.

المبحث الخامس: توديعه للأحياء والأموات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلما كان ليلتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: ''السلام عليكم دار قول مؤمنين، وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد''(٤).

وفي رواية أنه قال صلّى الله عليه وسلّم: ''فإن جبريل أتاني.. فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم'' قالت عائشة: يا رسول الله، كيف أقول لهم؟ قال: ''قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون''(٥).

وقد ذكر الإمام الأبي رحمه الله تعالى أن خروجه هذا كان في آخر عمره صلّى الله عليه وسلّم(٦) وهذا والله أعلم يدل على توديعه للأموات كما فعل مع شهداء أحد؛ ولهذا والله أعلم كان يخرج في الليل ويقف في البقيع يدعو لهم كما قالت عائشة رضي الله عنها: ''ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف...''(٧).

---

(١) البخاري برقم ٧٢٤٦.

(٢) البخاري، ومسلم برقم ١٦٧٩ وتقدم تخريجه.

(٣) انظر: فــتح البــاري ٣/٥٧٤، ٥٧٧، وشــرح النــووي ٨/٤٢٢ – ٤٣٤ و٩ /٥١-٥٢ و١١/١٨٢، وفتح الملك المعبود في تكملة المنهل المــورود شــرح ســنن أبي داود ٢/٢٠ و٢/٥٤، ٢/٩٩-٢٠٦.

(٤) البقيع هو مدفن أهل المدينة، وسمي بقيع الغرقد، لغرقد كان فيه، وهو ما عظم مــن العوســج. انظر: شرح النووي ٧/٤٦، وشرح الأبي على مسلم ٣/٣٩٠.

(٥) أخرجه مسلم برقم ٩٧٤.

(٦) انظر: شرح الأبي على صحيح مسلم ٣/٣٨٨، وفتح الباري ٧/٣٤٩.

(٧) مسلم برقم ٩٧٤.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج يوماً فصلى على قتلــى أُحــد صلاة الميت(١) بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع علي المنبر فقال: ''إني بين أيديكم فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإن موعدكم الحوض، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشــركوا بعدي(٢)، ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها [وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم] قال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [على المنبر]''(٣).

فتوديعه صلّى الله عليه وسلّم للأحياء ظاهر؛ لأن سياق الأحاديث يشعر أن ذلك كان آخر حياتــه صلّى الله عليه وسلّم، وأما توديعه للأموات فباستغفاره لأهل البقيع ودعائه لأهل أحد، وانقطاعــه بجسده عن زيارتهم(٤).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، منها:

١ ـــ حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم على نفع أمته، والنصح لهم في الحياة، وبعد الممات؛ ولهــذا صلى على شهداء أحد بعد ثمان سنوات، وزار أهل البقيع ودعا لهم، وأوصى الأحيــاء ونصــحهم، ووعظهم وأمرهم ونهاهم فما ترك خيراً إلا دلهم عليه، ولا شرًا إلا حذرهم منه.

٢ ـــ التحذير من فتنة زهرة الدنيا لمن فتحت عليه، فينبغي له أن يحذر سوء عاقبتها، ولا يطمــئن إلى زخارفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستخدم ما عنده منها في طاعة الله تعالى(٥).

المبحث السادس: بداية مرضه صلّى الله عليه وسلّم وأمره لأبي بكر أن يصلي بالناس

رجع صلّى الله عليه وسلّم من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقية الشهر، والمحرم، وصفراً، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم بشكواه في ليال بقين من صفر: قيل في الثاني والعشرين منه، وقيل: في التاســع والعشــرين ، وقيل: بل في أول شهر ربيع الأول، وقد صلى على شهداء أحد فدعا لهم كما تقدم، وذهب إلى أهل

البقيع وسلم عليهم ودعا لهم مودعاً لهم، ثم رجع مرة من البقيع فوجد عائشة وهي تشتكي من صداع برأسها وهي تقول: وارأساه. فقال: "بل أنا والله يا عائشة وارأساه". قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال: "وما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك" قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك. قالت: "فتبسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"(٦) وتتام به وجعه حتى استعزبه(٧) وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي(٨).

---

(١) الأحاديث الصحيحة دلت أن شهداء المعركة لا يصلى عليهم، أما هذا الحديث فكأنه صلّى الله عليه وسلّم دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم. انظر: فتح الباري ٣/٢١٠ و٣٤٩/٧ ورجح ذلك العلامة ابن باز في تعليقه على فتح الباري ٦١١/٦.

(٢) أي لا أخاف على مجموعكم؛ لأن الشرك قد وقع من بعض أمته بعده صلّى الله عليه وسلّم. فتح الباري ٢١١/٣.

(٣) البخاري من الألفاظ في جميع المواضع، برقم ١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، ومسلم برقم ٢٢٩٦، وما بين المعكوفين من صحيح مسلم.

(٤) الفتح ٣٤٩/٧.

(٥) انظر: فتح الباري ٢٤٥/١١ .

(٦) ابن هشام بسند ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام ٣٢٠/٤، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٤/٥، وفتح الباري ٨/ ١٢٩ - ١٣٠، وأخرجه أحمد ١٤٤/٦ و٢٢٨ لابن ماجه، والبيهقي، وقال الألباني: إن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث في رواية ابن هشام فثبت الحديث والحمد لله. أحكام الجنائز ص ٥٠.

(٧) استعزبه: اشتد عليه وغلبه على نفسه.

(٨) انظر: سيرة ابن هشام ٣٢٠/٤ والبداية والنهاية لا بن كثير ٢٢٣/٥ - ٢٣١، وقيل: كان ذلك في التاسع والعشرين من شهر صفر يوم الأربعاء، فبقي في مرضه ثلاثة عشر يوماً وهذا قول الأكثر. انظر: الفتح ١٢٩/٨.

وأول ما اشتدَّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه في بيت ميمونة رضي الله عنها فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها(١)، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنَّ له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر(٢) وكانت عائشة رضي

الله عنها تحدث أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما دخل بين واشتد به وجعه قال: ''هَرِيقــوا(٣) عليَّ من سبع قرب(٤) لم تُحْلَلْ أوكيتهن لعلي أعهد(٥) إلى الناس، فأجلسناه في مِخضَب(٦) لحفصة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم طفقنا(٧) نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيــده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم''(٨).

---

(١) صحيح مسلم برقم ٤١٨، وانظر: فتح الباري ١٢٩/٨.

(٢) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما قال ابن عباس في آخر حديث البخاري رقــم ٦٨٧ ومسلم ٤١٨.

(٣) وفي رواية: أهريقوا: أي أريقوا وصبوا. الفتح ٣٠٣/١.

(٤) هذا من باب التداوي؛ لأن لعدد السبع دخولاً في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقــة، وفي رواية لهذا الحديث عند الطبراني: ''... من آبار شتى''. الفتح ٣٠٣/١ و١٤١/٨.

(٥) أعهد: أي أوصي. الفتح ٣٠٣/١.

(٦) المخضب: هو إناء نحو المركن الذي يغسل فيه وتغسل فيه الثياب من أي جنس كان. النــووي ٣٧٩/٤ والفتح ٣٠١/١ و٣٠٣.

(٧) طفقنا: أي شرعنا: يقال: طفق يفعل كذا إذا شرع في فعل واستمر فيه. الفتح ٣٠٣/٣.

(٨) البخاري برقم ١٩٨ وذكر هنا له ستة عشر موضعاً، وقد جمع بين هذه المواضــع الألبــاني في مختصر البخاري ١٧٠/١، ومسلم برقم ٤١٨.

وعنها رضي الله عنها قالت: "ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: ''أصلى الناس''؟ قلنــا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: ''ضعوا لي ماء في المخضب'' قالت: ففعلنا. فاغتســل فــذهب لينوءَ(١) فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال صلّى الله عليه وسلّم: ''أصلى الناس''؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: ''ضعوا لي ماء في المخضب'' قالت: ففعلنا [فقعد] فاغتسل. ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه. ثم أفاق فقال: ''أصلى الناس''؟ فقلنا: لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: ''ضعوا لي ماء في المخضب'' ففعلنا [فقعد] فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: ''أصلى النــاس''؟ فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي صلّى الله عليه وسلّم لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أبي بكــر؛ ليصلــي بالناس، فأتاه الرسول(٢) فقال: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر – وكان رجلاً رقيقاً – يا عمر! صلِّ بالناس. فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك. قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام. ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجد من نفسه خِفَّة فخرج بين رجلين – أحدهما العباس(٣)– لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه

النبي صلّى الله عليه وسلّم بأن لا يتأخر ، وقال لهما: ''أجلساني إلى جنبه'' فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم يأتم بصلاة النبي صلّى الله عليه وسلّم والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي صلّى الله عليه وسلّم قاعد''(٤). وهذا صريح في أن هذه الصلاة هي صلاة الظهر(٥). وقد كان صلّى الله عليه وسلّم حريصاً على أن يكون أبو بكر هو الإمام وردد الأمر بذلك مراراً، فمن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: ''مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس'' فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف(٦) وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر؟ فقال: ''مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس'' قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقالت له فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''إنكنَّ لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس'' فقالت حفصة لعائشة: [ما كنت لأصيب منك خيراً]. قالت عائشة: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''قم مكانك'' فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي صلّى الله عليه وسلّم ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر''(٧).

---

(١) لينوء: أي لينهض بجهد. الفتح ١٧٤/٢.

(٢) أي الذي أرسله إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم ليصلي بالناس.

(٣) والآخر علي رضي الله عنه كما تقدم.

(٤) البخاري برقم ٦٨٧ ومسلم برقم ٤١٨ وقد اخترت بعض الألفاظ من البخاري وبعضها من مسلم.

(٥) وزعم بعضهم أنها الصبح، واستدل برواية أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس: ''وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القراءة من حيث بلغ أبو بكر، وهذا لفظ ابن ماجه وإسناده حسن؛ لكن في الاستدلال به نظر؛ لاحتمال أن يكون صلّى الله عليه وسلّم سمع لما قرب من أبي بكر الآية التي انتهى إليها أبو بكر خاصة، وقد كان هو يسمع الآية أحياناً في الصلاة السرية كما في حديث أبي قيادة، ثم لو سلم لم يكن فيه دليل على أنها الصبح بل يحتمل أن تكون المغرب فقد ثبت في الصحيحين من حديث أم الفضل قالت: "سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله" البخاري برقم ٧٦٣ و٤٤٢٩، ومسلم برقم ٤٦٢ قال ابن حجر: لكن وجدت في النسائي أن هذه الصلاة التي ذكرتها أم الفضل كانت في بيته وقد صرح الشافعي أنه

صلّى الله عليه وسلّم لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة وهي هذه التي صـــلى فيها قاعداً وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً ثم صار مأموماً يسمع الناس التكبير. انظر: الفتح ٢/١٧٥.
(٦) أسيف: شديد الحزن: والمراد أنه رقيق القلب إذا قرأ غلبه البكاء فلا يقدر على القـــراءة. فـــتح ٢/١٥٢، ١٦٥، ٢٠٣.

(٧) البخاري برقم ٧١٣ ، ٢/٢٠٤ ومسلم برقم ٤١٨، قول حفصة رضي الله عنها: مـــا كنـــت لأصيب منك خيراً. البخاري برقم ٦٧٩.

والسبب الذي جعل عائشة رضي الله عنها تراجع النبي صلّى الله عليه وسلّم في إمامة أبي بكر بالصلاة هو ما بيَّنَتْه في رواية أخرى قالت رضي الله عنها: ''لقد راجعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبـــداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن أبي بكر''(١)؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم لها ولحفصة: ''إنكن لأنتن صـــواحب يوسف''(٢).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وتقديمه صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر معلوم بالضرورة مـــن ديـــن الإسلام وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة، وأقرؤهم لما ثبت في الصحيح: ''يؤم القوم أقـــرؤهم لكتاب الله..''(٣) الحديث. نعم قد اجتمعت في أبي بكر هذه الصفات رضي الله عنه...(٤).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ــ استحباب زيارة قبور الشهداء بأحد وقبور أهل البقيع والدعاء لهم بشرط عدم شد الرحـــال، وعدم إحداث البدع.

٢ ــ جواز تغسل الرجل زوجته وتجهيزها والزوجة كذلك.

٣ ــ جواز استئذان الرجل زوجاته أن يُمرَّض في بيت إحداهن كان الانتقال يشق عليه، وإذا لم يأذنَّ فحينئذ يقرع بينهن.

٤ ــ جواز المرض والإغماء على الأنبياء بخلاف الجنون فإنه لا يجوز عليهم؛ لأنه نقص، والحملة من مرض الأنبياء؛ لتكثير أجرهم، ورفع درجاتهم، وتسلية الناس بهم؛ ولئلا يفتتن الناس بهم فيعبدونهم؛ لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات، وهم مع ذلك لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله.

٥ ــ استحباب الغسل من الإغماء؛ لأنه ينشط ويزيل أو يخفف الحرارة.

٦ ــ إذا تأخر الإمام تأخراً يسيراً ينتظر، فإذا شق الانتظار صلى أعلم الحاضرين.

٧ ــ فضل أبي بكر وترجيحه على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وتنبيهه وتنبيه الناس أنه أحق بالخلافة من غيره؛ لأن الصلاة بالناس للخليفة؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: "رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لديننا".

٨ ــ إذا عرض للإمام عارض أو شغل بأمر لا بد منه منعه من حضور الجماعة فإنه يستخلف من يصلي بهم ويكون أفضلهم.

٩ ــ فضل عمر رضي الله منه؛ لأن أبا بكر وثق به، ولهذا أمره أن يصلي و لم يعدل إلى غيره.

١٠ ــ جواز الثناء والمدح في الوجه لمن أُمِنَ عليه الإعجاب والفتنة؛ لقول عمر رضي الله عنه: "أنت أحق بذلك".

١١ ــ دفع الفضلاء الأمور العظيمة عن أنفسهم إذا كان هناك من يقول بها على وجه مقبول.

١٢ ــ يجوز للمستخلف في الصلاة ونحوها أن خلف غيره من الثقات لقول أبي بكر: "صلِّ يا عمر".

١٣ ــ الصلاة من أهم ما يسأل عنه.

١٤ ــ فضل عائشة رضي الله عنها على جميع أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم الموجودات ذلك الوقت وهن تسع إحداهن عائشة رضي الله عنهن.

١٥ ــ جواز مراجعة ولي الأمر على سبيل العرض والمشاورة والاستشارة بما يظهر أنه مصلحة، لكن بعبارة لطيفة تحمل الحكمة وحسن الأسلوب.

١٦ ــ جواز وقوف المأموم بجنب الإمام لحاجة أو مصلحة: كإسماع المأمومين التكبير في الجم الغفير الذين لا يسمعون الصوت، أو ضيق المكان، أو علة أخرى كصلاة المرأة بالنساء، أو المنفرد مع الإمام، أو إمام العراة.

١٧ ــ جواز رفع الصوت بالتكبير فينقل المبلغ للناس صوت الإمام إذا لم يسمع الناس تكبير الإمام.

١٨ ــ التنبيه على الحرص على حضور الصلاة مع الجماعة إلا عند العجز التام عن ذلك.

١٩ ــ الأعلم والأفضل أحق بالإمامة من العالم والفاضل.

٢٠ ــ إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا صلى جالساً صلي الناس جلوساً، وإذا صلى قائماً صلوا قياماً.

٢١ ــ البكاء في الصلاة من خشية الله لا حرج فيه لكن لا يتكلف ذلك ولا يطلبه، فإذا غلبه البكاء في الصلاة بدون اختياره فلا حرج(٥).

المبحث السابع: خطبته العظيمة ووصيته للناس

---

(١) البخاري برقم ١٩٨، و٤٤٤٥، ومسلم برقم ٤١٨ رواية ٩٣.

(٢) البخاري برقم ٧١٣، مسلم برقم ٤١٨ وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم برقم ٦٧٣.
(٤) البداية والنهاية ٢٣٤/٥ وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يقول: "آخر صلاة صلاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع القوم في ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبي بكر" قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ٢٣٤/٥: "وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح" ورجح العلامة ابن باز حفظه الله أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يصلِّ خلف أحد من أمته إلا عبد الرحمن بن عوف. قلت: أما الصلاة التي صلاها مع أبي بكر فإنه هو الإمام كما تقدم والله أعلم.
(٥) انظر: شرح النووي ٣٧٩/٤ – ٣٨٦ ، وشرح الأبي ٣٠١/٢- ٣٠٢، وفتح الباري ٢/ ١٥١، ١٥٢، ١٦٤ و١٦٦، ١٧٣، ٢٠٣، ٢٠٦.

خطب عليه الصلاة والسلام أصحابه في يوم الخميس قبل أن يموت بخمسة أيام خطبة عظيمة بيَّن فيها فضل الصدِّيق من سائر الصحابة، مع ما قد كان نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين، ولعل خطبته هذه كانت عوضاً أراد يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه الصلاة والسلام بين يدي هذه الخطبة العظيمة، فصبوا عليه من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بعدد السبع كما وردت به الأحاديث(١) والمقصود أنه صلّى الله عليه وسلّم اغتسل ثم خرج وصلى بالناس ثم خطبهم. قال جندب رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل(٢)؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك"(٣). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: "إن الله خيَّر عبداً بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله"، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن عبدٍ خيَّرَه الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو [العبد] المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "[يا أبا بكر لا تبكي] إن من أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله(٤) أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوَّةُ الإسلام، ومودته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر"(٥).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ــ أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بسد الأبواب إلا باب أبي بكر من جملة الإشارات التي تدل على أنه هو الخليفة.

٢ ــ فضل أبي بكر رضي الله عنه وأنه أعلم الصحابة رضي الله عنهم، ومن كان أرفــع في الفهــم استحق أن يطلق عليه أعلم، وأنه أحب الصحابة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ــ الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وأن الرغبة في البقاء في الدنيا وقتاً من الزمن إنما هي للرغبة في رفع الدرجات في الآخرة وذلك بالازدياد من الحسنات لرفع الدرجات.

٤ ــ شكر المحسن والتنويه بفضله وإحسانه والثناء عليه؛ لأن من لم يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

٥ ــ التحذير من اتخاذ المساجد على القبور وإدخال القبور في المساجد أو وضع الصور فيها، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله كائناً من كان(٦).

٦ ــ حب الصحابة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين ولهذا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.

المبحث الثامن: اشتداد مرضه صلّى الله عليه وسلّم ووصيته في تلك الشدة

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٨/٥.

(٢) الخُلَّة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله؛ أي في باطنه، وهي أعلى المحبة الخالصة، والخليل: الصديق الخالص؛ وإنما قال ذلك صلّى الله عليه وسلّم؛ لأن خلته كانت مقصوره على حب الله تعالى فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٧٢/٢، والمصباح المنبر ١٨٠/١، وشرح النووي ١٦/٥، شرح الأبي ٤٢٦/٢.

(٣) مسلم برقم ٥٣٢.

(٤) معناه: أكثرهم جوداً لنا بنفسه وماله، انظر: فتح الباري ٥٥٩/١، وشرح النووي ١٦٠/١٥.

(٥) البخاري برقم ٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤، ومسلم برقم ٢٣٨٢.

(٦) انظر: فتح الباري ٥٥٩/١، ١٤/٧، ١٦، والنووي ١٦/١٥.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا اشتكى يقــرأ علــى نفســه بالمعوذات(١) وينفث فلما اشتد [الذي توفي فيه] كنت أقرأ [وفي رواية أنفث] عليه بهن وأمسح بيده نفسه رجاء بركتها. قال ابن شهاب: ''ينفث على يديه ثم يمسح يهما وجهــه''(٢). وفي صــحيح مسلم قالت: ''كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركــة مــن يدي''(٣). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي صلّى الله عليه وسلّم فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال: ''مرحباً بابنتي'' فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارّها فضحكت أيضاً، فقلتُ لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنتُ لأفشي سرَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقلت: ما رأيت

كاليوم فرحاً أقرب من حُزْنٍ، فقلت حين بكت أخصَّك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلما توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلت: عزمتُ عليك بمالي من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقالت: أما الآن فنعم: أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أُراني(٤) إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: ''يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة''؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت"(٥) وفي رواية: ''فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت''(٦).

وسبب ضحكها رضي الله عنها أنها سيدة نساء المؤمنين، وأول من يلحق به من أهله، وسبب الكباء أنه أخبرها بموته صلّى الله عليه وسلّم، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وروى النسائي في سبب الضحك الآمرين"(٧) أي بشارتها بأنها سيد ة نساء هذه الأمة، وكونها أول من يلحق به من أهله. وقد اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها أول من مات من أهل بيت النبي صلّى الله عليه وسلّم بعده حتى من أزواجه(٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحداً أشدَّ عليه الوجع(٩) من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"(١٠).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يوعك(١١) فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''أجل إني أُوعك كما رَجُلان منكم'' قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه [شوكة فما فوقها] إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها''(١٢).

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نُزِلَ(١٣) برسول الله صلّى الله عليه وسلّم طفق(١٤) يطرح خميصة(١٥) له على وجهه فإذا اغتم(١٦) كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: ''لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد'' يُحذرُ ما صنعوا(١٧).

---

(١) المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. انظر: الفتح ١٣١/٨ و٦٢/٩.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٩، ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١، ومسلم برقم ٢١٩٢ وكان يفعل ذلك صلّى الله عليه وسلّم أيضاً إذا أوى إلى فراشه "فيقرأ بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح يهما وجهه وما بلغت من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات" البخاري برقم ٥٧٤٨.

(٣) مسلم برقم ٢١٩٢.

(٤) أي لا أظن.

(٥) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم.

(٦) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم ٢٤٥٠.

(٧) انظر: فتح الباري ١٣٨/٨.

(٨) انظر: فتح الباري ١٣٦/٨.

(٩) المراد بالوجع: المرض، والعرب تسمي كل مرض وجعاً. انظر: الفتح ١١١/١٠، وشرح النووي ٣٦٣/١٦.

(١٠) البخاري برقم ٥٦٤٦، ومسلم ٢٥٧٠.

(١١) يوعك: قيل الحمى، وقيل ألمها ، وقيل إرعادها الموعوك وتحريكها إياه. الفتح ١١١/١٠.

(١٢) البخاري مع الفتح ١١١/١٠ برقم ٥٦٤٧، ٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦١، ٥٦٦٧، ومسلم ١٩٩١/٤ برقم ٢٥٧١ واللفظ له إلا ما بين المعكوفين.

(١٣) نُزِل: أي لما حضرت المنية والوفاة. انظر: شرح السنوسي على صحيح مسلم بهامش الأبي ٤٢٥/٢، وفتح الباري ٥٣٢/١.

(١٤) طفق: أي شرح وجعل، انظر: شرح النووي ١٦/٥، وشرح الأبي ٤٢٥/٢، حاشية السنوسي، وفتح الباري ٥٣٢/١.

(١٥) خميصة: كساء له أعلام.

(١٦) اغتم: تسخن بالخميصة وأخذ بنفسه من شدة الحرارة.

(١٧) البخاري مع الفتح ١٤٠/٨ برقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤، ومسلم برقم ٥٣١.

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم تذاكروا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه فذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصوير، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: "قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قالت: فلولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يُتخذ مسجداً"(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: ''لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم''(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل يتغشاه(٤)، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه(٥) فقال لها: ''ليس على أبيك كرب بعد اليوم'' فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا لأبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه(٦). فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التراب''؟(٧).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

١ ــ استحباب الرقية بالقرآن، وبالأذكار، وإنما جاءت الرقية بالمعوذات؛ لأنها جامعة للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق الله عز وجل، فيدخل في ذلك كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس(٨).

٢ ــ عناية النبي صلّى الله عليه وسلّم ببنته فاطمة ومحبته لها؛ ولهذا قال: ''مرحباً بابنتي'' وقد جاءت الأخبار أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبّلها، وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل عليها فعلت ذلك رضي الله عنها، فلما مرض دخلت عليه وأكتب عليه تقبله(٩).

٣ ــ يؤخذ من قصة فاطمة رضي الله عنها أنه ينبغي العناية بالبنات، والعطف عليهن، والإحسان إليهن، ورحمتهن، وتربيتهن التربية الإسلامية، اقتداء بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، وأن يختار لها الزوج الصالح المناسب.

٤ ــ عناية الولد بالوالد كما فعلت فاطمة رضي الله عنها، فيجب على الولد أن يحسن إلى والديه، ويعتني ببرهما، ولا يعقهما، فيتعرض لعقوبة الله تعالى.

٥ ــ معجزة النبي صلّى الله عليه وسلّم التي تدل على صدقه وأنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن ذلك أنه أخبر أن فاطمة أول من يلحقه من أهله، فكانت أول من مات من أهله بالاتفاق.

٦ ــ سرور أهل الإيمان بالانتقال إلى الآخرة، وإيثارهم حب الآخرة على الدنيا لحبهم للقاء الله تعالى، ولكنهم لا يتمنون الموت لضر نزل بهم؛ لرغبتهم في الإكثار من الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما بين النبي عليه الصلاة والسلام.

٧ ــ المريض إذا قرب أجله ينبغي له أن يوصي أهله بالصبر؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم لفاطمة: ''فاتقي الله واصبري''.

٨ ــ فضل فاطمة رضي الله عنها وأنها سيدة نساء المؤمنين.

---

(١) البخاري برقم ٤٢٧ و٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨، ومسلم برقم ٥٢٨.

(٢) البخاري برقم ٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥، ومسلم برقم ٥٢٩ ولفظ مسلم "غير أنه خُشِيَ"، وعند البخاري برقم ١٣٩٠ "غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ".

(٣) أبو داود ٢١٨/٢، وأحمد ٣٦٧/٢، وانظر صحيح أبي داود ٣٨٣/١.

(٤) يتعشاه: يغطيه ما اشتدّ به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه.

(٥) لم ترفع صوتها رضي الله عنها بذلك، وإلا لنهاها صلّى الله عليه وسلّم. انظر: الفتح ١٤٩/٨.

(٦) ننعاه: نَعَى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.

(٧) البخاري برقم ٤٤٦٢.

(٨) انظر: شرح النووي ٤٣٣/١٤، والأبي ٣٧٥/٧.

(٩) انظر: فتح الباري ١٣٥/٨، ١٣٦.

٩ ــ المرض إذا احتسب المسلم ثوابه، فإنه يكفر الخطايا، ويرفع الدرجات، ويزاد به الحسنات، وذلك عام في الأسقام، والأمراض ومصائب الدنيا، وهمومها وإن قلت مشقتها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثال؛ لأنهم مخصوصون بكمال الصبر والاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم، ويُلحق بالأنبياء الأمثال فالأمثل من أتباعهم؛ لقربهم منهم وإن كانت درجتهم أقل، السر في ذلك والله أعلم أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد؛ ولهذا ضوعف حد الحر على حد العبد، وقال الله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}(١). والقوي يُحمَّل ما حمل، والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة هان البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ويرضى ولا يعترض(٢).

١٠ ــ التحذير من بناء المساجد على القبور ومن إدخال القبور والصور في المساجد، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا من أعظم الوصايا التي أوصى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل موته بخمسة أيام(٣).

المبحث التاسع: وصايا النبي صلّى الله عليه وسلّم عند موته

عن ابن عباس رضي عنهما قال: يوم الخميس وما يوم الخميس(٤) اشتد برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه فقال: "ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً" فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع [فقال بعضهم: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،] [فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقوم غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

"[قوموا] وفي رواية: ‘‘دعوني فالذي أنا فيه خير(٥) مما تدعونني إليه] أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به’’(٦) وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها"(٧) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وأوصاهم بثلاث" أي في تلك الحالة، وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه صلّى الله عليه وسلّم لم يكن أمراً متحتماً؛ لأنه لو كان مما أُمر بتبليغه لم يتركه لوقوع اختلافهم ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلَّغه لهم لفظاً كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياماً وحفظوا عنه أشياء لفظاً فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه والله أعلم(٨).

والوصية الثالثة في هذا الحديث يحتمل أن تكون الوصية بالقرآن، أو الوصية بتنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه. أو الوصية بالصلاة وما ملكت الأيمان، أو الوصية وما ملكت الأيمان، أو الوصية بأن لا يتخذ قبره صلّى الله عليه وسلّم وثناً يُعبد من دون الله، وقد ثبتت هذه الوصايا عنه صلّى الله عليه وسلّم(٩).

وعن عبد الله بن أبي أوْفَى رضي الله عنه أنه سئل هل أوصى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟... قال: ‘‘أوصى بكتاب الله عز وجل’’(١٠). والمراد بالوصية بكتاب الله: حفظه حسّاً ومعنى، فيكرم ويصان، ويتبع ما فيه: فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك(١١).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠، وانظر: شرح النووي ٢٣٨/١٦، ٣٦٥، ٣٦٦، ١٤/٥، والأبي ٣٢٦/٨.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣٦/٨، و١١٢/١٠، و٢٠٨/٣.

(٣) انظر: فتح الباري ١٣٦/٨، و١١٢/١٠، و٢٠٨/٣.

(٤) يوم الخميس وما يوم الخميس؛ معناه: تفخيم أمره في الشدة والمكروه، والتعجب منه ، وفي رواية في أواخر كتاب الجهاد عند البخاري: ‘‘ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى’’. وفي رواية لمسلم: ‘‘ثم جعلت تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه...’’ انظر: فتح الباري ١٣٢/٨، وشرح النووي على صحيح مسلم.

(٥) المعنى: دعوني من النزاع والاختلاف الذي شرعتم فيه فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه، والفكر في ذلك خير مما أنتم فيه، أو فالذي أعانيه من كرامة الله تعالى الذي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه من الحياة.. وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري ١٣٤/٨، وشرح النووي.

(٦) وأجيزوا الوفد: أي أعطوهم، والجائزة العطية، وهذا أمر منه صلّى الله عليه وسلّم بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم. انظر: فتح الباري ١٣٥/٧ وشرح النووي.

(٧) البخاري برقم ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ومسلم برقم ١٦٣٧.

(٨) فتح الباري ١٣٤/٨.

(٩) المرجع السابق ١٣٥/٨.

(١٠) مسلم برقم ١٦٣٤، البخاري برقم ٢٧٤٠، ٤٤٦٠، ٥٠٢٢.

(١١) الفتح ٦٧/٩.

وأمر عليه الصلاة والسلام وأوصى بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى أنه كان تجهيز جيش أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلّى الله عليه وسلّم بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلّى الله عليه وسلّم، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة وقال: "سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش..." فبدأ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، ثم اشتد برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه فقال: "أنفذوا جيش أسامة" فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه ورجع الجيش سالماً وقد غنموا.."(١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة(٢) وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحبّ الناس إليَّ بعده"(٣). وقد كان عُمْرُ أسامة رضي الله عنه حين توفي النبي صلّى الله عليه وسلّم ثمان عشر سنة(٤).

وأوصي صلّى الله عليه وسلّم بالصلاة وما مكلت الأيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين حضره الموت: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم" حتى جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغرغر صدره ولا يكاد يفيض بها لسانه"(٥).

وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم"(٦).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

١ ــ وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى بذلك عند موته، وقد أخرجهم عمر رضي الله عنه في بداية خلافته، أما أبو بكر فقد انشغل بحروب الردة.

٢ ـــ إكرام الوفود وإعطاؤهم ضيافتهم كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى بذلك.

٣ ـــ وجوب العناية بكتاب الله حسّاً ومعنى: فيكرم، ويصان، ويتبع ما فيه في فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى به في عدة مناسبات، فدل ذلك على أهميته أهمية بالغة مع سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

٤ ـــ أهمية الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ ولهذا أوصى بها النبي صلّى الله عليه وسلّم عند موته أثناء الغرغرة.

٥ ـــ القيام بحقوق المماليك والخدم ومن كان تحت الولاية؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أوصى بذلك فقال: ''الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم''.

٦ ـــ فضل أسامة بن زيد حيث أمَّره النبي صلّى الله عليه وسلّم على جيش عظيم فيه الكثير من المهاجرين والأنصار، وأوصى بإنفاذ جيشه(٧).

٧ ـــ فضل أبي بكر حيث أنفذ وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في جيش أسامة فبعثه؛ لقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٨).

المبحث العاشر: اختياره صلّى الله عليه وسلّم الرفيق الأعلى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ(٩) [شديدة] يقول: {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}(١٠) قالت فظننته خير حينئذ(١١).

---

(١) انظر: فتح الباري ١٥٢/٨، وسيرة ابن هشام ٣٢٨/٤.

(٢) خليقاً: حقيقاً بها. النووي ٢٠٥/١٥.

(٣) البخاري ٨٦/٧، برقم ٣٧٣٠، ٤٢٥٠، ٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٦٦٢٧، ٧١٨٧، ومسلم برقم ٢٤٢٦.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٥/١٥.

(٥) أحمد بلفظه ١١٧/٣، وإسناده صحيح، ورواه ابن ماجه ٩٠٠/٢، وانظر صحيح ابن ماجه ١٠٩/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٩٠١/٢، وأحمد برقم ٥٨٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ١٠٩/٢.

(٧) انظر: فتح الباري ١٣٤/٨ – ١٣٥ و٦٧/٩.

(٨) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٩) البُحةُ: غِلظٌ في الصوت. انظر: شرح النووي ٢١٩/١٥.

(١٠) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(١١) البخاري برقم ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩، ومسلم برقم ٢٤٤٤.

وفي رواية عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو صحيح يقـــول: ''إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر'' قالت: فلما نزل برسول الله صلّى الله عليه وسلّم(١) ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصرهُ إلى السقف ثم قال: ''اللهم في الرفيق الأعلى'' فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالـــت: فكان آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''اللهم مع الرفيق الأعلى''(٢). وقالـــت رضي الله عنها: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو مسند إليَّ ظهره يقـــول: ''اللـــهم اغفـــر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى''(٣) وكان صلّى الله عليه وسلّم متصل بربه وراغباً فيما عنـــده، ومحبّاً للقائه، ومحبّاً لما يحبه سبحانه، ومن ذلك السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب، فعن عائشـــة رضي الله عنها قالت: "إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تـــوفي في بـــيتي، وفي يومي، وبين سحري(٤)، ونحري(٥)، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل علـــيَّ عبـــد الرحمن [بن أبي بكر] وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [إلى صـــدري](٦) فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ ''فأشار برأسه أن نعم'' فتناولته فاشتد عليه، وقلتُ أُليّنه لك؟ ''فأشار برأسه أن نعم'' فلينته [وفي رواية: فقصمته، ثم مضغته(٧) [وفي رواية فقضمته ونفضته وطيبته(٨) ثم دفعته إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فاستنَّ به(٩) فما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استن استناناً قَطْ أحسن منه](١٠) وبين يديه ركوة(١١) أو علبة(١٢) فيهـــا ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: ''لا إله إلا الله إن للمـــوت ســـكرات'' ثم نصب يده فجعل يقول: ''في الرفيق الأعلى'' حتى قبض ومالت يده"(١٣) صلّى الله عليه وسلّم.

وقالت عائشة رضي الله عنها: مات النبي صلّى الله عليه وسلّم وإنه لبين حاقنتي(١٤) وذاقنتي(١٥)، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم(١٦).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـــ إن الرفيق الأعلى: هم الجماعة المذكورون في قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِـــكَ رَفِيقًـــا}(١٧) فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد بالرفيق الأعلى هم الأنبياء الساكنون أعلى علـــيين. ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع؛ لقوله تعالى: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}(١٨).

٢ ـــ إن النبي صلّى الله عليه وسلّم اختار الرفيق الأعلى حين خُيِّر حبّاً للقاء الله تعالى، ثم حبّاً للرفيق الأعلى، وهو الذي يقول صلّى الله عليه وسلّم: ''من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه''(١٩).

٣ ــ فضل عائشة رضي الله عنها حيث نقلت العلم الكثير عنه صلّى الله عليه وسلّم، وقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها؛ ولهذا قالت: "إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري".

٤ ــ عناية النبي صلّى الله عليه وسلّم بالسواك حتى وهو في أشد سكرات الموت، وهذا يدل على تأكد استحباب السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب.

---

(١) وفي البخاري "فلما اشتكى وحضره القبض" رقم ٤٤٣٧.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٤٦٣ ومسلم ٢٤٤٤.

(٣) البخاري برقم ٤٤٤٠، ٥٦٦٤.

(٤) سحري: هو الصدر، وهو في الأصل: الرئة وما تعلق بها. الفتح ١٣٩/٨، والنووي ٢١٨/١٥.

(٥) ونحري: النحر هو موضع النحر. الفتح ١٣٩/٨.

(٦) في البخاري رقم ٤٤٣٨.

(٧) في البخاري برقم ٩٨٠.

(٨) طيبته: بالماء، ويتحمل أن يكون تطييبه تأكيداً للينه، الفتح ١٣٩/٨.

(٩) أي استاك به وأمره على أسنانه.

(١٠) في البخاري برقم ٤٤٣٨.

(١١) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٦٠/٢.

(١٢) شك بعض الرواة وهو عمر، انظر: الفتح ١٤٤/٨.

(١٣) البخاري ٣٧٧/٢، برقم ٨٩٠، وأخرجه البخاري في تسعة مواضع، انظر: ٣٧٧/٢، ومسلم برقم ٢٤٤٤.

(١٤) الحاقنة: ما سفل من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ١٣٩/٨.

(١٥) والذاقنة: ما علا من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ١٣٩/٨، والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة: هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها. الفتح ١٣٩/٨.

(١٦) البخاري برقم ٤٤٤٦ ، ومسلم برقم ٢٤٤٣.

(١٧) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(١٨) انظر: فتح الباري ١٣٨/٨، وشرح النووي ٢١٩/١٥.

(١٩) البخاري برقم ٦٥٠٧، ومسلم برقم .٢٦٨٣

٥ ــ قول النبي صلّى الله عليه وسلّم في سكرات الموت: ''لا إله الله إن للموت سكرات'' وهو الذي قد حقق لا إله إلا الله، يدل على تأكُّدِ استحبابها والعناية بها والإكثار من قولها وخاصة في مرض الموت؛ لأن ''من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة''.

٦ ــ حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم على مرافقة الأنبياء ودعاؤه بذلك يدل على أن المسلم ينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يجمعه بهؤلاء بعد الموت في جنات النعيم، اللهم اجعلنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧ ــ شدة الموت وسكراته العظيمة للنبي صلّى الله عليه وسلّم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا بغيره.

المبحث الحادي عشر: موت النبي صلّى الله عليه وسلّم شهيداً

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول في مرضه الذي مات فيه: ''يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام(١) الذي أكلت بخيبر(٢)، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَري(٣) من ذلك السم''(٤).

وقد عاش صلّى الله عليه وسلّم بعد أكله من الشاة المسمومة بخيبر ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قُبض فيه(٥) وقد ذُكِرَ أن المرأة التي أعطته الشاة المسمومة أسلمت حينما قالت: من أخبرك؛ فأخبر صلّى الله عليه وسلّم أن الشاة المسمومة أخبرته، وأسلمت وعفى عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أولاً ثم قتلها بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراءة بعد أن مات رضي الله عنه(٦) وقد ثبت الحديث متصلاً أن سبب موته صلّى الله عليه وسلّم هو السم، فعن أبي سلمة قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقبل ولا يأكل الصدقة فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمَّتها، فأكل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منها وأكل القول فقال: ''ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة'' فمات بشر بن البراء معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: ''ما حملك على الذي صنعت''؟ قالت: إن كنت نبيّاً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك ''فأمر بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقتلت'' ثم قال في وجعه الذي مات فيه: ''ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري''(٧). وقالت أم بشر للنبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه: ما يتهم بك يا رسول الله؟ فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المسمومة التي أكل معك بخيبر. وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ''وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك فهذا أوان انقطاع أبهري''(٨).

وقد جزم ابن كثير رحمه الله تعالى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم مات شهيداً(٩)، ونقل: ''وإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة''(١٠). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لئن أحلف تسعاً أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك؛ لأن الله اتخذه نبيّاً واتخذه شهيداً''(١١).

(١) ما أزال أجد ألم لطعام: أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام. الفتح ١٣١/٨.
(٢) وذلك أنه عندما فتح خيبر أُهديت له صلّى الله عليه وسلّم شاة مشوية فيها سم، وكانت المرأة اليهودية سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساع لقمته، ومات منها، وقال لأصحابه: أمسكوا عنها فإنها مسمومة، وقال لها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: أردت إن كنت نبيّاً فيطلعك الله، وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك... انظر: فتح الباري ١٩٧/٧، والقصة في البخاري برقم ٣١٦٩، و٤٢٤٩، ٥٧٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٨/٤.
(٣) الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. الفتح ١٣١/٨.
(٤) البخاري مع الفتح ١٣١/٨ برقم ٤٤٢٨ وقد وصله الحاكم والإسماعيلي. انظر: الفتح ١٣١/٨.
(٥) انظر: الفتح ١٣١/٨ فقد ساق آثاراً موصولة عند الحاكم وابن سعد. الفتح ١٣١/٨.
(٦) انظر: التفصيل في ففتح الباري ٤٩٧/٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٨/٤- ٢١٢.
(٧) أبو داود برقم ٤٥١٢، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٨٥٥/٣.
(٨) أبو داود برقم ٤٥١٣ وصحح إسناده الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٨٥٥/٣.
(٩) انظر: البداية والنهاية ٢١٠/٤ و٢١١ و٢١٠/٤ – ٢١٢ و٢٢٣/٥ – ٢٤٤.
(١٠) انظر: المرجع السابق ٢١١/٤.
(١١) ذكره ابن كثير وعزاه بإسناده إلى البيهقي. انظر: البداية والنهاية ٢٢٧/٥.

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي بهم في وجع النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي توفي فيه حتى إذا كلن يوم الاثنين وهم صفوف [في صلاة الفجر] ففجأهم النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد كشف سِترَ حجرةِ عائشة رضي الله عنها [وهم في صفوف الصلاة] وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف(١) ثم تبسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يضحك [وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً] [برؤية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم] [فنكص(٢) أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، وظنَّ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خارج إلى الصلاة] [فأشار إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [بيده] أن أتموا صلاتكم [ثم دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم] [الحجرة] وأرخى الستر فتوفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من يومه ذلك.
وفي رواية: [وتوفي من آخر ذلك اليوم](٣). وفي رواية: [لم يخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً](٤). فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله صلّى الله عليه وسلّم بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبي صلّى الله عليه وسلّم ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلّى الله

عليه وسلّم حين وضح لنا، فأومأ النبي صلّى الله عليه وسلّم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي صلّى الله عليه وسلّم الحجاب فلم يُقدر عليه حتى مات(٥).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ــ موت النبي صلّى الله عليه وسلّم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى شهيداً؛ لأن الله اتخذه نبيّاً واتخذه شهيداً صلّى الله عليه وسلّم.

٢ ــ عداوة اليهود للإسلام وأهله ظاهرة من قديم الزمان فهم أعداء الله ورسله.

٣ ــ عدم انتقام النبي صلّى الله عليه وسلّم لنفسه، بل يعفو ويصفح؛ ولهذا لم يعاقب من سمَّت الشاة المصلية، ولكنها قُتِلتْ بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراء بعد أن مات بِصُنعها.

٤ ــ معجزة من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم وهي أن لحم الشاة المصلية نطق وأخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه مسموم.

٥ ــ فضل الله تعالى على عباده أنه لم يقبض نبيهم إلا بعد أن أكمل به الدين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

٦ ــ محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبيهم صلّى الله عليه وسلّم حتى أنهم فرحوا فرحاً عظيماً عندما كشف الستر في صباح يوم الاثنين وهو ينظر إليهم وصلاتهم فأدخل الله بذلك السرور في قلبه صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه ناصح لأمته يحب لهم الخير؛ ولهذا ابتسم وهو في شدة المرض فرحاً وسروراً بعملهم المبارك.

المبحث الثاني عشر: من يعبد الله فإن الله حي لا يموت

قال الله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}(٦). {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}(٧). {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}(٨). {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}(٩).

مات محمد بن عبد الله أفضل الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليه وسلّم وكان آخر كلمة تكلم بها عند الغرغرة كما قالت عائشة رضي الله عنها: أنه كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يده صلّى الله عليه وسلّم في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: "لا إله إلا الله إن للموت سكرات" ثم نصب يده فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده(١٠). فكان آخر كلمة تكلم بها: "اللهم في الرفيق الأعلى"(١١).

(١) كأن وجهه ورقة مصحف: عبارة وكناية عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته. شرح الأبي على صحيح مسلم ٢/٣١٠.

(٢) فنكص على عقبيه: أي رجع القهقرى فتأخر، لظنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج ليصلي بالناس، الفتح ١٦٥/٢.

(٣) وقد ذكر ابن إسحاق أنه صلّى الله عليه وسلّم مات حين اشتد الضحى، ويجمع بينهما بأن إطلاق الأخير بمعنى: ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحي يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس، وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه صلّى الله عليه وسلّم مات حين زاغت الشمس. الفتح ١٤٣/٨ -١٤٤.

(٤) ابتداء من صلاته بهم قاعد الخميس كما تقدم. انظر: فتح الباري ١٦٥/٢، والبداية ٢٣٥/٥.

(٥) البخاري برقم ٦٠٨، ٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨، ومسلم برقم ٤١٩ والألفاظ مقتبسة من جميع المواضع، وانظر: مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني ١٧٤/١ برقم ٣٧٤.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٩) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(١٠) البخاري برقم ٨٩٠ وما بعدها من المواضع، ومسلم ٢٤٤٤.

(١١) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٦٣، ومسلم ٢٤٤٤.

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات وأبو بكر بالسُّنح(١) فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قالت: وقال: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنّه الله فلقطع أيدي رجال وأرجلهم(٢)، فجاء أبو بكر رضي الله عنه [على فرسه من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم(٣) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو مغشّى بثوب حِبرة(٤) فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله(٥) [ثم بكى] فقال: بأبي أنت وأمي [يا نبي الله] [طبت حيّاً وميتًا والذي نفسي بيده] [لا يجمع الله عليك موتتين](٦) [أبداً] [أما الموتة التي كُتبت عليك قد مُتَّها] [ثم] [خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: [أيها الحالف على رسلك] [اجلس] [فأبى فقال: اجلس فأبى] [فتشهد أبو بكر] [فلما تكلم أبو بكر جلس عمر] [ومال إليه الناس وتركوا عمر] [فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه] وقال: [أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً صلّى الله عليه وسلّم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال الله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}(٧) وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(٨) [فوا لله لكأن

الناس لم يكونوا يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها [وأخبر سعيد بن المسيب] [أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت(٩) حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قد مات] [قال: ونشج الناس(١٠) يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منَّا أمير ومنكم أمير(١١)، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيَّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل منَّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً(١٢) فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله(١٣).

---

(١) السُّنح: العالية وهو مسكن زوجة أبي بكر رضي الله عنه وهو منازل بني الحارث من الخزرج بيته وبين المسجد النبوي ميل. الفتح ١٤٥/٨ و١٩/٧، ٢٩.

(٢) أي يبعثه في الدنيا ليقطع أيدي القائلين بموته. انظر: الفتح ٢٩/٧.

(٣) أي قصد. الفتح ١١٥/٣.

(٤) وفي رواية للبخاري: وهو مسجَّى ببرد حبرة. البخاري برقم ١٢٤١، ومعنى مغشى ومسجى أي مغطى، وبرد حبرة: نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن. الفتح ١١٥/٣.

(٥) أي قبله بين عينيه كما ترجم له النسائي. انظر: الفتح ١١٥/٣، وانظر: ما نقله ابن حجر من الروايات في أنه قبل جبهته. الفتح ١٤٧/٨.

(٦) قوله: لا يجمع الله عليك موتتين: فيه أقوال: قيل هو على حقيقته وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال..؛ لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى.. وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل أراد لا يموت موته أخرى في القبر كغيره إذ يحيا ليسئل ثم يموت، وهذا أحسن من الذي قبله؛ لأن حياته صلّى الله عليه وسلّم لا يعقبها موت بل يستمر حيّاً والأنبياء حياتهم برزخية لا تأكل أجسادهم الأرض، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين... أي المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء. انظر: فتح الباري ١١٤/٣ و٢٩/٧.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٩) عقِرت: دهشت وتحيرت، أما بضم العين فالمعنى هلكت. الفتح ١٤٦/٨.

(١٠) نشج الناس: بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يحصل للباكي من الغصة. انظر: الفتح ٣٠/٧.

(١١) إنما قالت الأنصار رضي الله عنهم: منا أمير ومنكم أمير على ما عرفوه من عادة العرب أنه لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها فلما سمعوا حديث الأئمة من قريش رجعوا إلى ذلك وأذعنوا. الفتح ٣٢/٧.

(١٢) أي قريش. انظر: الفتح ٣٠/٧.

(١٣) البخاري برقم ١١٤١، ١٤٢، ١١٣/٣، و٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ١٩/٧ و٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، ١٤٥/٨. وقد جمعت هذه الألفاظ من هذه المواضع لتكتمل القصة وأسأل لله أن يجعل ذلك صواباً.

قالت عائشة رضي الله عنها: في شأن خطبة أبي بكر وعمر في يوم موت النبي صلّى الله عليه وسلّم: فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، فلقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك، ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدى وعرَّفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(١). وخطب عمر ثم أبو بكر يوم الثلاثاء خطبة عظيمة مفيدة نفع الله بها والحمد لله.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة(٢) ما كانت وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدها إليَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا – يقول: يكون آخرنا – وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه البيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: "أما بعد، أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم(٣) فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته(٤) إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"(٥) ثم استمر الأمر لأبي بكر والحمد لله.

وقد بُعِثَ صلّى الله عليه وسلّم فبقي بمكة يدعو إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم هـاجر إلى المدينة وبقي بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وآله وسلم(٦).
ورجح الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أن آخر صلاة صلاها صلّى الله عليه وسلّم مع أصحابه رضي الله عنهم هي صلاة الظهر يوم الخميس، وقد انقطع عنهم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل(٧).

---

(١) البخاري برقم ٣٦٦٩، ٣٦٧١، والآية من سورة آل عمران، ١٤٤.

(٢) هي خطبته التي خطب يوم الاثنين حينما قال: إن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يمت.

(٣) وهذا من باب التواضع منه رضي الله عنه وإلا فهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنه. البداية والنهاية ٢٤٨/٥.

(٤) والمعنى: الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له وأنصره وأعينه.

(٥) البداية والنهاية ٢٤٨/٥ وساق سند بن إسحاق قال: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر... الحديث. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ٢٤٨/٥.

(٦) انظر: البخاري مع الفتح ١٥/٨ برقم ٤٤٦٦، وفتح الباري ١٥١/٨ مختصر الشمائل للترمذي للألباني ص١٩٢.

(٧) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٢٣٥/٥.

وبعد موته صلّى الله عليه وسلّم وخطبة أبي بكر رضي الله عنه دارت مشاورات – كما تقدم – وبايع الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، وانشغل الصحابة ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ثم شرعوا في تجهيز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم(١) وغُسل من أعلى ثيابه، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم صلى عليه النـاس فـرادى لم يؤمهم أحد، وهذا أمر مجمع عليه: صلى عليه الرجال، ثم الصبيان، ثم النساء، والعبيد والإماء، وتوفي يوم الاثنين على المشهور(٢)، ودفن ليلة الأربعاء، أُلحد لحداً صلّى الله عليه وسلّم ونصب عليه اللبن نصباً(٣)، ورُفع قبره من الأرض نحواً من شبر(٤)، وكان قبره صلّى الله عليه وسلّم مسنماً(٥)، وقد تواترت الأخبار أنه دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها شرقي مسجده صلّى الله عليـه وسـلّم في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ووسع المسجد النبوي الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ وقد كـان نائبه بالمدينة عمر بن عبد العزيز فأمره بالتوسعة فوسعه حتى من ناحية الشرق فدخلت الحجرة النبوية فيه(٦).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ــ إن الأنبياء والرسل أحب الخلق إلى الله تعالى وقد ماتوا؛ لأنه لا يبقى على وجه الكون أحد من المخلوقات، وهذا يدل على أن الدنيا متاع زائل، ومتاع الغرور الذي لا يدوم، لا يبقى للإنسان من تعبه وماله إلا ما كان يبتغي به وجه الله تعالى، وما عدا ذلك يكون هباءً منثوراً.

٢ ــ حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يكون مع الرفيق الأعلى؛ ولهذا سأل الله تعالى ذلك مرات متعددة، وهذا يدل على عظم هذه المنازل لأنبيائه وأهل طاعته.

٣ ــ استحباب تغطية الميت بعد تغميض عينيه، وشد لحييه؛ ولهذا سجِّي وغطي النبي صلّى الله عليه وسلّم بثوب حبرة.

٤ ــ الدعاء للميت بعد موته؛ لأن الملائكة يؤمنون على ذلك؛ ولهذا قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلّى الله عليه وسلّم: "طبت حيّاً وميتاً".

٥ ــ إذا أصيب المسلم بمصيبة فليقل: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها".

٦ ــ جواز البكاء بالدمع والحزن بالقلب.

٧ ــ النهي عن النياحة وشق الجيوب وحلق الشعر ونتفه والدعاء بدعوى الجاهلية وكل ذلك معلوم تحريمه بالأدلة الصحيحة.

٨ ــ إن الرجل وإن كان عظيماً قد يفوته بعض الشيء ويكون الصواب مع غيره، وقد يخطئ سهواً ونسياناً.

٩ ــ فضل أبي أبو بكر وعلمه وفقهه؛ ولهذا قال: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".

١٠ ــ أدب عمر رضي الله عنه وأرضاه وحسن خلقه؛ ولهذا سكت عندما قام أبو بكر يخطب ولم يعارضه بل جلس يستمع مع الصحابة رضي الله عن الجميع.

١١ ــ حكمة عمر العظيمة في فض النزاع في سقيفة بني ساعدة، وذلك أنه بادر فأخذ بيد أبي بكر فبايعه فانصب الناس وتتابعوا في مبايعة أبي بكر، وانفض النزاع والحمد لله تعالى.

١٢ ــ بلاغة أبي بكر فقد تكلم في السقيفة فأجاد وأفاد حتى قال عمر عنه: "فتكلم أبلغ الناس".

١٣ ــ قد نفع الله بخطبة عمر يوم موت البني صلّى الله عليه وسلّم قبل دخول أبي بكر فخاف المنافقون، ثم نفع الله بخطبة أبي بكر فعرف الناس الحق.

١٤ ــ ظهرت حكمة أبي بكر وحسن سياسته في خطبته يوم الثلاثاء بعد الوفاة النبوية، وبين أن الصدق أمانة والكذب خيانة، وأن الضعيف قوي عنده حتى يأخذ له الحق، والقوي ضعيف عنده حتى يأخذ منه الحق، وطالب الناس بالطاعة له إذا أطاع الله ورسوله، فإذا عصى الله ورسوله فلا طاعة لهم عليه.

١٥ ــ حكمة عمر رضي الله عنه وشجاعته العقلية والقلبية حيث خطب الناس قبل أبي بكر ورجع عن قوله بالأمس واعتذر، وشد من أزر أبي بكر، وبين أن أبا بكر صاحب رسول الله وأحب الناس إليه، وثاني اثنين إذ هما في الغار.

١٦ ــ استحباب بياض الكفن للميت، وأن يكون ثلاثة أثواب ليس فيها قمص ولا عمامة، وأن يلحد لحداً، وأن ينصب عليه اللبن نصباً، وأن يكون مسنماً بقدر شبر فقط.

المبحث الثالث عشر: مصيبة المسلمين بموته صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥/٢٤٥.

(٢) توفي صلّى الله عليه وسلّم سنة إحدى عشرة للهجرة في ربيع الأول يوم الاثنين، أما تاريخ اليوم فقد اختلف فيه: فقيل لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لليلة خلت منه، وقيل غير ذلك، وقيل مرض في التاسع والعشرين من شهر صفر، وتوفي يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، فكان مرضه ثلاثة عشر يوماً، وهذا قول الأكثر. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/٢٥٥ – ٢٥٦، وتهذيب السير للنووي ص ٢٥، وفتح الباري ٨/١٢٩-١٣٠.

(٣) مسلم برقم ٩٦٦.

(٤) ابن حبان في صحيحه ١٤/٦٠٢، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٥) كما قال سفيان التمار في البخاري مع الفتح ٣٠/٢٥٥.

(٦) انظر: البداية والنهاية ٥/٢٧١-٢٧٣، وفتح الباري ٨/١٢٩-١٣٠.

من المعلوم يقيناً أن محبة النبي صلّى الله عليه وسلّم محبة كاملة من أعظم درجات الإيمان الصادق؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين"(١). فإذا فقد الإنسان أهله، أو والده، أو ولده، لا شك أن هذه مصيبة عظيمة من مصائب الدنيا، فكيف إذا فقدهم كلَّهم جميعاً في وقت واحد؟

ولا شك أن مصيبة موت النبي صلّى الله عليه وسلّم أعظم المصائب على المسلمين؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باباً بينه وبين الناس، أو كشف ستراً فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رآه من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: "يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمصيبة فلْيتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أُمتي لن يُصاب بمصيبة أشدَّ عليه من مُصيبتي"(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: "لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة أضاء منها كل شيء(٣)، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأيدي(٤) وإنا لفي دفنه(٥) حتى أنكرنا(٦) قلوبنا"(٧).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه – بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – لعمر: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن نزورها كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يزورها، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله صلّى الله عليه وسلّم. قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها(٨).

وما أحسن ما قال القائل:

اصبر لكلِّ مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلَّد

فإذا ذكرت مصيبة تسلو بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستفاد هذا المبعث كثيرة، ومنها:

١ ــ موت النبي صلّى الله عليه وسلّم أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون.

٢ ــ إنكار الصحابة قلوبهم بعد موت النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ لفراقهم نزول الوحي وانقطاعه من السماء.

٣ ــ النبي صلّى الله عليه وسلّم أحب إلى المسلمين من النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين، وقد ظهر ذلك عند موته بين القريب والبعيد من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، بل وجميع المسلمين.

٤ ــ محبة الصحابة للإقتداء والتأسي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في كل شيء من أمور الدين حتى في زيارة النساء كبار السن، كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

المبحث الرابع عشر: ميراثه صلّى الله عليه وسلّم

عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: "ما ترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند موته: دِرْهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمَةً، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء [التي كان يركبها] وسلاحه، [وأرضاً بخيبر] جعلها [لابن السبيل] صدقة"(٩). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء(١٠)"(١١).

---

(١) البخاري مع الفتح ٥٨/١ برقم ٥، ومسلم ٦٧/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم ١٥٩٩، وغيره وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٦٧/١، والأحاديث الصحيحة برقم ١١٠٦، وانظر: البداية والنهاية ٢٧٦/٥.

(٣) أضاء منها كل شيء: أشرق من المدينة كل شيء. انظر: تحفة الأحوذي ٨٧/١٠.

(٤) وما نفضنا: من النفض: وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما. انظر تحفة الحوذي ٨٨/١٠.

(٥) وإنا لفي دفنه: أي مشغولون بدفنه بعد. انظر: تحفة الحوذي ٨٨/١٠.

(٦) حتى أنكرنا قلوبنا: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول صلّى الله عليه وسلّم من التأييد والتعليم، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إيماناً وتصديقاً. انظر: تحفة الحوذي ٨٨/١٠.

(٧) الترمذي وصححه ٥٨٩/٥، وأحمد ٦٨/٣، وابن ماجه برقم ١٦٣١، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده صحيح على شرط الصحيحين ٢٧٤/٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢٧٣/١.

(٨) مسلم برقم ٢٤٥٤، وابن ماجه برقم ١٦٣٥، واللفظ من المصدرين. وانظر: شرحه في النووي ٢٤٢/١٦.

(٩) البخاري ٣٥٦/٥، برقم ٢٧٣٩، ٢٨٧٣، ٢٩١٢، ٣٠٩٨، ٤٤٦١، واللفظ من هذه المواضع.

(١٠) مسلم برقم ١٦٣٥.

(١١) أي لم يوص بثلث ماله ولا غيره إذ لم له مال، أما أمور الدين فقد تقدم أنه أوصى بكتاب الله وسنه نبيه، وأهل بيته، وإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجازة الوفد، والصلاة وملك اليمين وغير ذلك. انظر: شرح النووي ٩٧/١١.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا نورث ما تركنا فهو صدقة"(١) وذلك لأنه لم يبعث صلّى الله عليه وسلّم جابياً للأموال وخازناً إنما بعث هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وهذا هو شأن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: "إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر"(٢).

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك، فعن سليمان بن مهران: بينما ابن مسعود رضي الله عنه يوماً معه نفر من أصحابه إذ مرّ أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه: "على ميراث محمد صلّى الله عليه وسلّم يقسّمونه"(٣).

فميراث النبي صلّى الله عليه وسلّم هو الكتاب والسنة والعلم والاهتداء بهديه صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا توفي صلّى الله عليه وسلّم ولم يترك درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا بعيراً، ولا شاة، ولا شيئاً، إلا بغلته وأرضاً جعلها صدقة لابن السبيل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "توفي النبي صلّى الله عليه وسلّم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير"(٤). وهذا يبين أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يتقلل من الدنيا، ويستغني عن الناس؛ ولهذا لم يسأل الصحابة أموالهم أو يقترض منهم؛ لأن الصحابة لا يقبلون رهنه وربما لا

يقبضوا منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودي؛ لئلا يضيِّق على أحد من أصحابه صلّى الله عليه وسلّم(٥). وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يصيبه الجوع وهو حي؛ ولهذا يمر ويمضي الشهر والشهران وما أوقدت في أبيات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نار، قال عروة لعائشة رضي الله عن الجميع: ما كان يقيتكم؟ قالت: "الأسودان: التمر والماء..."(٦). ومع هذا كان يقول صلّى الله عليه وسلّم: ''مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها''(٧).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ــ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لجمع الأموال وإنما بعثوا لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ لهذا لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

٢ ــ زهد النبي صلّى الله عليه وسلّم في الدنيا وحطامها الفاني؛ وإنما هو كالركب الذي استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.

٣ ــ استغناء النبي صلّى الله عليه وسلّم عن سؤال الناس فهو يقترض ويرهن حتى لا يكلف لي أصحابه؛ ولهذا مات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير.

٤ ــ شدة الحال وقلة ما في اليد عند النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا يمضي الشهر والشهران و لم توقد في أبياته نار، وإنما كان يقيتهم الأسودان.

فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من أتباعه المخلصين، وأن يحشرنا في زمرته يوم الدين.

المبحث الخامس عشر: حقوقه صلّى الله عليه وسلّم على أمته

للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم حقوق على أمته وهي كثيرة، منها: الإيمان الصادق به صلّى الله عليه وسلّم قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به صلّى الله عليه وسلّم، وجوب طاعته والحذر من معصيته صلّى الله عليه وسلّم، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله مترلته صلّى الله عليه وسلّم بلا غلو ولا تقصير، واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبته أكثر من النفس، الأهل والمال والولد والناس جميعاً، واحترامه وتوقيره ونصر دينه والذب عن سنته صلّى الله عليه وسلّم، والصلاة عليه؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ''إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ'' فقال رجل: يا رسول الله! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت. قال: ''إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء''(٨).

---

(١) البخاري في عدة مواضع من حديث عائشة ومالك بن أوس، وأبي بكر رضي الله عنهم، بـــرقم ٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٥٣٥٨، ٦٧٢٦، و٦٧٢٧، ٧٣٠٥. ومســـلم بـــرقم ٧٥٧، و١٧٥٨، ١٧٥٩، و١٧٦١، واللفظ لعائشة عند مسلم.

(٢) أبو داود ٣/٣١٧، والترمذي ٥/٤٩، وابن ماجه ١/٨٠، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/٤٣.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده في شرف أصحاب الحديث ص ٤٥.

(٤) البخاري برقم ٢٠٦٨ وكرره بفوائده في عشرة مواضع ، ومسلم برقم ١٦٠٣ ، وانظر: جميعها في مختصر البخاري للألباني ٢/٢١.

(٥) انظر: شرح النووي ١١/٤٣.

(٦) انظر: البخاري مع الفتح ١١/٢٨٣.

(٧) أحمد ٦/١٥٤ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/٢٨٤، وإسناده جيد، وأخرجـــه الترمـــذي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢/٢٨٠.

(٨) أبو داود ١/٢٧٥، وابن ماجه ١/٥٢٤، والنسائي ٣/٩١، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/١٩٧.

وإليك هذه الحقوق بالتفصيل والإيجاز كالتالي:

١ ـــ الإيمان الصادق به صلّى الله عليه وسلّم وتصديقه فيما أتى به قال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(١)، {فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّـــهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(٢)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(٣)، {وَمَن لَّـــمْ يُـــؤْمِن بِاللَّـــهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا}(٤)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''أمرت أن أقاتل الناس حـــتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به''(٥).

والإيمان به صلّى الله عليه وسلّم هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك العمل بما جاء به تمَّ الإيمان به صـــلّى الله عليـــه وسلّم(٦).

٢ ـــ وجوب طاعته صلّى الله عليه وسلّم والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيمـــا جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ}(٧)، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَـــانتَهُوا}(٨)، {قُـــلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّـــلَ وَعَلَـــيْكُم مَّـــا حُمِّلْـــتُمْ وَإِن تُطِيعُـــوهُ

تَهْتَدُوا}(٩)، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(١٠)، {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(١١)، {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا}(١٢)، {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}(١٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله''(١٤)، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى''(١٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلُّ والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقول فهو منهم''(١٦).

٣ ــ اتباعه صلّى الله عليه وسلّم واتخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(١٧)، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(١٨)، وقال تعالى: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(١٩) فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، قال صلّى الله عليه وسلّم: ''فمن رغب عن سنتي فليس مني''(٢٠).

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٣.

(٥) مسلم ٥٢/١.

(٦) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للقاضي عياض ٥٣٩/٢.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٨) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٩) سورة النور، الآية: ٥٤.

(١٠) سورة النور، الآية: ٦٣.

(١١) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

(١٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(١٣) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

(١٤) البخاري مع الفتح ١١١/١٣ برقم ٧١٣٧.

(١٥) البخاري مع الفتح ٢٤٩/١٣ برقم ٧٢٨٠.

(١٦) أحمد في المسند ٩٢/١، والبخاري مع الفتح معلقاً ٩٨/٦، وحسنه العلامة ابن باز، وانظـــر: صحيح الجامع ٨/٣.

(١٧) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(١٨) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(١٩) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢٠) البخاري مع الفتح ١٠٤/٩ برقم ٥٠٦٣.

٤ ــ محبته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـــارَةٌ تَخْشَـــوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّـــهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(١)، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صـــلّى الله عليه وسلّم: ''لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين''(٢). وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال: ''ما أعددت لها''؟ قال يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: ''فأنت مع من أحببت''(٣). قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قـــول النبي صلّى الله عليه وسلّم: ''فإنك مع من أحببت''، فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر. فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(٤).

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفســـي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ''لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك''، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ''الآن يا عمر''(٥)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً و لم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''المرء مع من أحب''(٦).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: ''ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً''(٧).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان اللهُ ورسولهُ أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار''(٨).

ولاشك أن من وفَّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاقة في رضى الله عز وجل ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظْهر حُبَّهُ ... هذا لعمري في القياسِ بديعُ

لو كان حُبَّكَ صادقاً لأطعته ... إن المُحبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ(٩)

وعلامات محبته صلّى الله عليه وسلّم تظهر في الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً(١٠).

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ''الدين النصيحة'' قلنا لمن؟ قال: ''لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم''(١١)، والنصيحة لرسوله صلّى الله عليه وسلّم: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة(١٢).

٥ ــ احترامه وتوقيره ونصرته كما قال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}(١٣)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(١٤)، {لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا}(١٥).

وحرمة النبي صلّى الله عليه وسلّم بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها(١٦).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٢) البخاري مع الفتح ١/٥٨ برقم ١٥، مسلم ١/٦٧.

(٣) البخاري مع الفتح ١٠/٥٥٧ و١٣/١٣١، ومسلم ٤/٢٠٣٢.

(٤) مسلم ٤/٢٠٣٢.

(٥) البخاري مع الفتح ١١/٥٢٣.

(٦) البخاري مع الفتح ١٠/٥٥٧.

(٧) مسلم في صحيحه ٦٢/١.

(٨) البخاري مع الفتح ٧٢/١، ومسلم ٦٦/١ وتقدم تخريجه ص٦٦.

(٩) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ٥٤٩/٢ و٥٦٣/٢.

(١٠) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ٥٧١/٢ –٥٨٢.

(١١) مسلم ٧٤/١.

(١٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفي صلّى الله عليه وسلّم للقاضي حياض ٥٨٢/٢ –٥٨٤.

(١٣) سورة الفتح، الآية: ٩.

(١٤) سورة الحجرات، الآية: ١.

(١٥) سورة النور، الآية: ٦٣.

(١٦) الشفاء ٥٩٥/٢ و٦١٢.

٦ ــ الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}(١)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''.. من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً''(٢)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم''(٣)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ''(٤)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''ما جاس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم''(٥)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ''إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام''(٦)، وقال جبريل عليه السلام للنبي صلّى الله عليه وسلّم: ''رغم أنف عبد – أو بَعُد – ذُكِرتَ عنده فلم يصلّ عليك'' فقال صلّى الله عليه وسلّم: ''آمين''(٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ''ما من أحد يسلّم عليَّ إلا ردّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام''(٨).

* وللصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه لله تعالى واحداً وأربعين موطناً منها على سبيل المثال: الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه(٩).

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى ''من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات(١٠). [كتب الله له بها عشرة حسنات](١١) وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات''(١٢).

٧ ـــ وجوب التحاكم إليه والرضي بحكمه صلّى الله عليه وسلّم، قال الله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(١٣)، {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}(١٤) ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ٢٨٨/١.

(٣) أبو داود ٢١٨/٢، وأحمد ٣٦٧/٢، وانظر: صحيح أبي داود ٣٨٣/١.

(٤) الترمذي ٥٥١/٥، وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ١٧٧/٣.

(٥) الترمذي، وانظر: صحيح الترمذي ١٤٠/٣.

(٦) النسائي ٤٣/٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٧٤/١.

(٧) ابن خزينة ١٩٢/٣، وأحمد ٢٥٤/٢، وصححه الأرنؤوط في الأفهام.

(٨) أخرجه أبو داود ٢١٨/٢ برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٢٨٣/١.

(٩) راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة واللام على خير الأنام صلّى الله عليه وسلّم للإمام ابن القيم رحمه لله تعالى.

(١٠) السياق يقتضي "و".

(١١) هذه الزيادة من حديث طلحة في مسند أحمد ٢٩/٤.

(١٢) أحمد ٢٦١/٣، وابن حبان الرقم ٢٣٩٠ (موارد)، والحاكم ٥٥١/١، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص ٦٥.

(١٣) سورة النساء الآية: ٥٩.

(١٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

٨ ـــ إنزاله مكانته صلّى الله عليه وسلّم بلا غلو ولا تقصير فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}(١)، وقال تعالى: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا

مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(٢)، {قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا، قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}(٣)، وقد مات صلّى الله عليه وسلّم كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيام {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}(٤)، {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}(٥)، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}(٦).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

الفهرس

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥.
(٦) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

==========================

وسائلُ الدِّفاعِ عن رَسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم

أ . د . مسفر بن غرم الله الدميني

من المعلوم أن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمان، وبغضه كفر ونفاق، وقد قال تعالى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[الأعراف: من الآية١٥٨] وعَنْ أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" متفق عليه.

إن الإيمان برسول الله –صلى الله عليه وسلم- يوجب علينا أموراً كثيرة منها: اتّباعه، والدعوة إلى سنته، ومحبته، والدفاع عنه في حياته، وبعد مماته، وقد أغضب المسلمين جميعاً ما أوردته جريدة (جلاندز بوستن) الدانمركية من رسومات لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تصفه بالعنف والإرهاب، ومنها يظهر عداؤهم لهذا الدين وأهله، واحتقارهم للمسلمين أجمعين ، وقد قام كثير من العلماء وطلبة العلم والتجار والغيورين على دينهم ونبيهم وأمتهم كلٌ فيما يقدر عليه، ورأيت أن أدلي بدلوي في الذبّ عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم – بأبي هو وأمي – كيف لا وأهل الحديث هم أولى الناس به، وأقربهم صلة بكلامه وهديه، وأعلمهم بسيرته وشخصيته، لذا رأيت أن أضع يدي على أيديهم، وأضم جهدي إلى جهودهم، وأن أقوم ببيان ما يلزم عموم المسلمين في جميع

أنحاء العالم دون تحديد للدفاع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما ينبغي لهم فعله حيال هـــذا الأمر الجلل، وقد رأيت أن عملية الدفاع عنه ينبغي أن تسير في اتجاهين متوازيين:

أحدهما: متعلق بدولة الدنمرك؛ للحكومة والجريدة، وللشركات والمؤسسات.

والثاني: متعلق بالمسلمين من ولاة، وعلماء، ودعاة، وتجار، ووسائل إعلام، ولعمـــوم النـــاس دون استثناء.

أما العمل المتعلق بدولة الدنمرك فيكون بأمور منها:

- إرسال الوفود إلى السفارات الدانمركية في جميع أنحاء العالم، ومقابلة السفير أو القنصـــل، أو أي مسؤول في السفارة، وإعلامه باستياء المسلمين واستنكارهم لهـــذا العمـــل، وتســـليمه خطابـــات الاستنكار.

- إرسال برقيات وفاكسات وإيميلات الاستنكار إلى ديوان ملكتـــهم، وإلى وزارة الخارجيـــة، والى السفارات الدنمركية، والى الجريدة التي نشرت الصور.

- إبلاغ شركاتهم بأن العالم الإسلامي كله سيقاطعها، كما سيقاطع منتجاتهم وصادراتهم بأنواعها...

- التعاون مع المسلمين في بلاد الدنمرك سواء الأصليين أو الوافدين والمهاجرين إليهم في أمور منها:

- البحث في أنظمتهم وقوانينهم لعل فيها ما يجرّم تلك الأفعال الشنيعة.

- رفع قضايا عليهم في محاكمهم، والاستعانة بالمحامين المتمكنين في بلدهم.

- الكتابة في صحفهم ببيان أثر تلك الصور، ومدى الاستياء والغضب الـــذي أحدثتـــه في نفـــوس المسلمين، وأثره الكبير على شعبهم وشركاتهم واقتصادهم، وعلى مستقبل علاقـــاتهم مـــع العـــالم الإسلامي.

- إشعار مفكريهم وكتابهم وعقلائهم - وحتى رجل الشارع عندهم - أن تلك الصور والتهم الـــتي وصفوا بها نبينا قد أغضبت عليهم أكثر من مليار مسلم، وأن هذا الغضب أمر طبعي؛ فلو كتب عن عيسى عليه السلام مثل ذلك فهل سيسكتون ويرضون؟ بل لو كتب عن ملكتهم أو رئيس وزرائهم مثل ذلك هل سيغضبون؟ أو يقولون إنها حرية شخصية!

- مقابلة رجال الدين عندهم - من رهبان وقسس وغيرهم - وإبلاغهم بخطـــورة هـــذه القضـــية وشناعتها، فلعل فيهم عقلاء، وأهل عدل وحق يدفع الله بهم مثل هذا الأمر.

- إقامة الندوات واللقاءات والمحاضرات للدفاع عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإبراز خصائصه ومزاياه، وتعريف الناس جميعاً بسيرته وبراءته مما نسبه إليه المبطلون.

أما العمل المتعلق بالمسلمين عموماً:

فقد رأيت أن يكون محور كلامي في الدفاع عنه هو "محبته" صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقتضية لبذل المسلم ما في وسعه دفاعاً عن نبيه وحبيبه، سواء برد دعاوى الخصوم، أو شبه الأعداء، أو تحمل ما يستطيعه

المرء منا من خسارة مال، أو ذهاب مصالح، أوترك مرغوبات أو محبوبات في سبيل إظهـــار محبتنـــا لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعوانا محبته واتّباعه تقتضي ذلك، وقد قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" متفق عليه، و بناءً علـــى هذه المحبة أتوجه بكلامي هذا إلى كل مسلم في أرض الله الواسعة، ليس في الســـعودية أو في العـــالم العربي أو الإسلامي فحسب، بل في كل أصقاع المعمورة، وأخص به من كان والياً أو مســـؤولاً أو تاجراً أو عاملاً أو مواطناً عادياً، كل بحسب موقعه، وعلى مبلغ وسعه وطاقته، وأبدأ أولاً بولاة الأمر في أنحاء العالم الإسلامي الذين أكرمهم الله بالولاية على المسلمين فأطلب إليهم أن يرسلوا برقيـــات الشجب والاستنكار – إلى حكومة الدنمرك – لهذه الرسومات الشنيعة، التي نشرتها جريدة (جلاندز بوستن) والتي تضمنت إهانة لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصفاً له بما هو منه براء، وكذلك:

– طلب محاكمة من قام بذلك، وإنزال أشد العقوبات عليه، وأن تعتذر الصحيفة والحكومة للمسلمين عامة عما بدر منهم من إهانة لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و لأمة الإسلام قاطبة.

– أن يبلغ ولاةُ أمر المسلمين سفاراتهم في الخارج بالاتصال بوزارة الخارجية الدانمركيـــة وإبلاغهـــا باستياء المسلمين من هذا الفعل الشنيع.

– حث الدول الإسلامية على قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدنمرك ما لم تعتذر تلـــك الصـــحيفة والدولة عن هذه الإساءة، وإلا على أقل تقدير يمكنهم سحب سفرائهم أو استدعاؤهم للمشاورة كما يقولون عادة.

– على جميع المنظمات والجمعيات والمجالس المختلفة في بلدان العالم الإسلامي أن تستنكر هذا الأمر علناً، وأن ترسل البرقيات والخطابات إلى المسؤولين في دولة الدنمرك.

– على العلماء أن يلقوا المحاضرات والدروس، ويعقدوا اللقاءات والمؤتمرات، ويبينوا للنـــاس خطـــر التهاون بالرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الغضب لله ولرسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مقتضيات الإيمان بالله ورسوله، وهو من النصح لله ولرسوله ولكتابه الذي قال فيه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدين النصيحة".

– على وسائل الإعلام من صحف ومجلات، ومحطات فضائية متنوعة أن تقوم بواجبها في الدفاع عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأين استنكارها لهذا الحدث الأليم؟ وأين اللقـــاءات والمقـــابلات والبرامج التي تستنكر وتبين وتدافع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

إنني أدعو كل المحطات الإذاعية والتلفازية، وكل الصحف والمجلات، والمواقع الإلكترونية أن تقـــوم بواجبها، وأن تظهر سخطها وغضبها على ما حصل من تلك الصحيفة، ماذا يكلفها هذا الأمر؟ إنهم إن فعلوا ذلك كانوا هم الرابحين في الدنيا، إن كانت الدنيا همهم، ففي طرح الموضوع شهرة ورواج لهم، و هم من الرابحين في الآخرة إن كان هدفهم الدفاع عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وعلى عموم الناس أن يستنكروا هذا الأمر، ويخبروا به أولادهم وأهليهم، وأقرباءهم وذويهم، وأن تبدأ الحكومات والشعوب، والشركات والمؤسسات، والأفراد والجماعات كلهم جميعاً في مقاطعة كل المنتجات والشركات الدانمركية، فيمكننا أن نعيش من دونها، وكل ما أنتجوه مما هو في الأسواق له بديل أفضل منه، أو مثله أو أقل منه، وعلينا أن نستشعر أن مقاطعتنا لبضائعهم وشركاتهم وكل ما يفيدهم ما هو إلا حباً لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفاعاً عنه وعن دينه وأمته.

ألا يهون علينا أن نترك بعض ما نشتهي حباً وإكراماً لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

هل لا بد أن نشرب حليب (النيدو) أو (أنكور) وليس غيره من أنواع الحليب؟

وهل لا بد أن نأكل زبدة (لورباك) وليس أي زبدة أخرى وطنية أو مستوردة؟

وهل حب هذه المنتجات أعظم عندنا من حب رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

لك أن توازن — أخي المسلم - بين حب هذه المرغوبات وبين حب رسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وبعدها تقيس إيمانك وتقواك ومحبتك لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فترى أيها أمكن في نفسك؟ وأيها أغلى وأعظم عندك؟

لقد راجعت أسماء كل الأطعمة والمنتجات المستوردة من دولة الدنمرك فوجدت لكل منها بديلاً عنه، بل بدائل كثيرة متنوعة، وربما كان أكثرها خيراً منها، ومع ذلك فلا بد أن نصبر عن شيء مما نشتهيه إكراماً لمن ندّعي أنه عندنا أحب إلينا من أنفسنا ومن أهلينا ومن الناس أجمعين.

أن المقاطعة لمنتجاتهم من الحرية التي قالتها محكمتهم في أن الصحيفة حرة في نشر ما تراه، وكذلك نحن أحرار أيضاً في مقاطعة ما نشاء من البضائع والمنتجات والشركات والأعمال ...فالحرية مكفولة للجميع، ولكن:

هل نحن أحرار في سب أنبيائهم وملوكهم ورؤسائهم؟

الجواب: لا

ليس لنا أن نسب أنبياءهم ورسلهم؛ لأن الله تعالى أوجب علينا الإيمان بأنبيائهم ومحبتهم، بل جعله من تمام الإيمان بالله تعالى، وذلك أن جبريل لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان قال له: "الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ" وموسى وعيسى من رسل الله وأنبيائه.

وليس لنا أيضاً أن نسب ملوكهم وكبارهم لأن الله تعالى يقول: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام:١٠٨].

فنحن نربأ بهم أن يقولوا أو يقروا مثل هذا عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء بالإسلام، والسلام، ولقد كان أرحم الخلق بالخلق، وقد وصفه الله بذلك فقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:١٠٧]. وكان من خلقه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم السب أو الشتم، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: "لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا..." وَكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا" فهل من حسن الخلق أن تسب وتشتم، أو أن تتهم غيرك بما ليس فيه؟

إن من حسن الخلق الذي أوصانا به نبينا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نحسن إلى من أساء إلينا، وأن نعفو عمن ظلمنا، ففي الحديث الصحيح عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله تعالى عنه أنه قال له: "صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ".

وإذا لم يكن لنا أن نسب أو أن نشتم من سبنا وشتمنا فليس لنا أيضاً أن نعتدي عليه، أو أن نظلمه أو نسلبه حقاً من حقوقه، بل أمرنا الله تعالى بالعدل والقسط حتى مع الأعداء، ونهانا عن الظلم والجور، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة:٨].

فعلينا أن نلتزم بالحق والعدل، وأن لا يحملنا ظلم أولئك واعتداؤهم على نبينا أن نظلمهم أو أن نعتدي عليهم لا بالقول ولا بالفعل.

وأخيراً يمكننا أن نستثمر هذه القضية في صالح الإسلام والمسلمين، وذلك بالتعريف به، وإظهار محاسن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفته ورحمته بالخلق، والتأكيد على أن دين الإسلام دين الرحمة والمحبة والسلام، ليس إرهاباً ولا عنفاً ولا تطرفاً، بل دين وسط واعتدال، لا يجبر أحداً على الدخول فيه، ولا يُظلم في ظله أحد أو يُعتدى عليه، بل يحكم فيه بالعدل والقسط حتى مع الأعداء.

وبعد هذا كله علينا أن لا نيأس من جدوى مقاطعتنا لبضائعهم ومنتجاتهم، سواء استجابوا لمطالبنا، وقدموا الصحيفة لمحاكمة عادلة، تنصفنا منهم وتلزمهم بالاعتذار إلى المسلمين كافة، أو لم يفعلوا، فيكفينا أننا انتصرنا لرسولنا، وتبرّأنا منهم ومن عملهم، ورددنا كيدهم في نحورهم، وقمنا بما يمكننا عمله، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

هذا ما تيسر ذكره في هذا المقام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

====================

وقاحة أم حرية تعبير ؟؟

الكاتب: نبيه بن رشيد الصباغ

بسم الله و الحمد لله و لا اله إلا الله. الحمد لله حتى يرضى، و الحمد لله إذا رضي و الحمد لله بعد الرضى، و الصلاة و السلام على أكرم المرسلين، و رحمة الله للعالمين، سيدنا محمد ابن عبد الله ، سيد

ولد آدم و لا فخر، و خير من وطئت قدمه هذه الأرض و على آله و أصحابه و أزواجه و من تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

تداولت الأوساط الإعلامية مؤخرا، خبرا مفاده أن إحدى المجلات الدانمركية المغمورة قد نشرت رسوماً إنتقادية لرسول الله صلى الله عليه و سلم و الغرض منها هو التهكم و السخرية من شخص هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم إذ صورته هذه الرسومات بأنه رجل أشعث أغبر يأتزر بحزام من المتفجرات الناسفة و من خلفه إمرأتان منتقبتان، و هم إذ يتعمدون بذلك التهكم على شخص نبينا الكريم صلوات ربي عليه و التهكم على ديننا الحنيف متهمين هذا الدين الذي ارتضاه الله للبشر أجمعين بأنه دين إرهاب و ظلم للنساء في المعاملة لكونها تأتي خلف الرجل و للسخرية من النقاب الذي هو لباس المسلمات الذي صانهن و حفظهن من الأذى.

لعل من ينظر إلى هذا الحدث بتجرد، قد ينطلي عليه ما أصدرته الحكومة الدانمركية من إعلانات مفادها أن سبب نشر مثل هذه الرسومات، انما هو محاولة من الجريدة لزيادة نسبة مبيعاتها. و هذه التصريحات الصادرة عن الحكومة الدانمركية إنما هي محاولة بتراء لتجريد هذا التهكم من أي بعد عنصري أو ديني في محاولة لحصر اسباب النشر ضمن الدوافع الأقتصادية البحتة وة حرية التعبير الذي يضمنه قانون ذلك البلد. فنسأل هنا، أحرية التعبير في نظركم تسمح لكم بانتهاك حرمات الأخرين؟ أحرية التعبير تعطيكم الحق أن تتعدوا على مشاعر الأديان الأخرى؟؟ ألا تعلمون أن حرية الأصبع تتوقف عند عين الأخرين؟؟

نحن نرى أن لهذا التهجم سبب أخر عدا تلك الأسباب الواهية التي سمعناها من الحكومة الدانمركية. السبب في نظرنا كما هو واضح للعيان إنما هو إستغضاب المسلمين و استفزازهم، و التصغير من شأنهم من خلال التصغير من شأن شخصية يحترمها و يكرمها و يتبعها كل مسلم على هذه الأرض ألا و هي شخصية رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم. أليس للمسلمين في نظركم أي حقوق انسانية يجب عليكم احترامها؟؟

قبل أن نحلل تبعيات هذا الحدث الجلل، و قبل أن نستعرض ردود الأفعال المتباينة عليه، لا بد لنا ان ننظر في مسببات هكذا حدث و هطذا تهجم. ما الذي خطر لهؤلاء الجهلة و ما الذي دفعهم ليتناولوا رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم بهذه الطريقة المهينة؟؟ و من أين جاءوا بهذا التجرؤ الوقح على شخصية رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم بالرغم من معرفتهم المسبقة بأن كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم و طوائفهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه رسول من عند الله فاتبعوه؟ أما نحن المسلمون، الذين يسر الله لنا أن نطلع على معتقدات هولاء المنصرين و كتبهم المقدسة، نرى أن هذا التجرؤ السافر ليس بجدبد عليهم، لما ورد في كتابهم المقدس من إهانات و تجرؤ على الأنبياء السابقين الذين نبجلهم و نحترمهم بدورنا لكوننا مسلمين نؤمن بكل الرسل. لهذا، فإن هؤلاء المرتزقة

المأجورون لا يرون أي مانع أخلاقي من أن يتهكموا و يتطاولوا على أي نبي أرسله الله عز و علا إلى هذه البشرية ، لا بل إن تطاولهم تعدى شخوص الأنبياء و الرسل و وصل الى درجة التعدي على الله و بلغت وقاحتهم أن ينسبوا الى الله صفات مهينة لجلاله. هؤلاء الجهلة الذين تجردوا من أي احترام لله عز و جل ، فقد اتهموه بأنه رب يأمر احد انبيائه بالزنى كما جاء في كتابهم المقدس في سفر هوشع في الأصحاح الأول العدد الثاني : ١: ٢((اول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امراة زنى و اولاد زنى لان الارض قد زنت زنى تاركة الرب)) . فهل يرضى أي عاقل بأن ينسب هذا الكلام الى خالق الأكوان و بارئها؟؟

أيقول عاقل مؤمن أن الله العليم عز و جل جاهل؟؟ هذا ما قالوه عن الله كما جاء على لسان رسولهم بولس، هذا الرسول الذي لا يعرف أحد منهم نسبه حتى يومنا هذا، فقد قال رسولهم هذا في رسالته الأولى الى أهل كورنثيوس في الأصحاح الأول العدد الخامس و العشرين ، كورنثوس ١:٢٥((لأن جهالة الله احكم من الناس . وضعف الله اقوى من الناس)) .

نعم، هذا هو الكلام الذي يقدسه هؤلاء الكفرة الذين تجرؤوا على أكرم خلق الله صلى الله عليه و سلم. إلى أي مدى وصل كفرهم و إلى أي حد وصلت وقاحتهم؟؟ لا بل لم يتوقف هؤلاء المنصرون الكذبة عند هذا الحد، بل إنهم أهانوا الله عز شأنه بقولهم أن الله قد تصارع مع النبي يعقوب عليه السلام فغلبه يعقوب و أبى أن يطلقه حتى يغفر له!!!! هذا العبد الضعيف، يغلب الله كما يؤمنون و يعتقدون و كما جاء في التكوين (الإصحاح ٣٢-٢٣) ((فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه – أي لايقدر على يعقوب – ضرب حُق فخذه – أي فخذ يعقوب – فأنخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال الرب : أطلقني ، لأنه قد طلع الفجر ، فقال يعقوب : لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له –الرب – : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال – الرب – : لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت – أي صارعت – مع الله والناس فقدرت .. وقال يعقوب : أخبرني باسمك ؟ فقال الرب : لماذا تسأل عن أسمي ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فينئيل قائلا : لأني نظرب الله وجها لوجه ونجيت نفسي)) . الرب عندهم أيضا ليس بقوي. أهانوه عندما قالوا عنه في سفر الخروج في الأصحاح الحادي و الثلاثين في العدد السابع عشر أن الله تعب و استراح. الخروج ٣١ :١٧ ((هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلاَمَةٌ إِلَى الأَبَدِ لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّس))، بينما نؤمن نحن المسلمون أن الله قد خلق السموات و ألأرض و ما مسه من لغوب و هو أقل أنواع التعب كما نقرأ في سورة ق في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)) . أهكذا هو الله في نظركم أيها المنصرون؟؟

إذا كان هؤلاء الكفرة قد سبوا الله و نسبوا إليه هذه الصفات المهينة التي لم نذكر لكم إلا القليل منها و ما خفي كان أعظم، فهل تردعهم أية أخلاق أو أي احترام من أن يتطاولوا على أنبياء الله و هـــم بشر؟؟ هل تدرون أيها الأعزاء العقلاء ماذا يقول كتاب النصارى و اليهود عن سيدنا نـــوح عليـــه السلام؟؟ أتعلمون أن نوحاً كان سكيراً و لعاناً في نظرهم؟؟ نعم. هذا ما نقرأه في سفر التكـــوين في الأصحاح التاسع و العدد الرابع و العشرين، تكوين ((٩ : ٢٤ فلما استيقظ نوح من خمره علم مـــا فعل به ابنه الصغير٢٥ فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته)). أهكذا يكون رجال الله الذين اختارهم لهداية البشرية و حمل كلامه الى الناس؟؟ هل تصدقون أن نبي الله لوط عليه السلام قـــد تم اغتصابه حسب زعمهم و كذبهم؟؟ نعم، لقد تم اغتصاب هذا النبي، و ممن؟؟ من ابنتيه التين ســـقتا ابيهما خمرا فسكر و زنتا معه كما جاء في سفر التكون في الأصحاح التاسع عشر، تكـــوين ١٩ : ((٣٠ و صعد لوط من صوغر و سكن في الجبل و ابنتاه معه لانه خاف ان يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو و ابنتاه ٣١ و قالت البكر للصغيرة ابونا قد شاخ و ليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض ٣٢ هلم نسقي ابانا خمرا و نضطجع معه فنحيي من ابينا نسلا ٣٣ فسقتا اباهمـــا خمرا في تلك الليلة و دخلت البكر و اضطجعت مع ابيها و لم يعلم باضطجاعها و لا بقيامها ٣٤ و حدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة اني قد اضطجعت البارحة مع ابي نسقيه خمرا الليلـــة ايضـــا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من ابينا نسلا ٣٥ فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ايضـــا و قامـــت الصغيرة و اضطجعت معه و لم يعلم باضطجاعها و لا بقيامها ٣٦ فحبلت ابنتا لوط من ابيهمـــا)) أبعد هذا الكفر كفر أيها المنصرون؟؟

إن كل هذه التهم التي يطلقها هؤلاء المنصرون على أنبيائهم أنما تنبعث من خلفية جنسية شهوانية تدل على توجه هؤلاء الكفرة السفهاء. فمثلا إذا اراد الرب أن يعطي آية للناس فإنه يأمر نبيه أشـــعياء أن يمشي عاريا كاشفا لعورته لمدة ثلاثة سنوات كما نقرأ في سفر أشعياء الذي هو من الكتب المقدســـة عندهم بل و يتفاخرون ان هذا هو كلام الله. فهل لله أن يأمر نبيا اصطفاه بأن يتعرى أمام النـــاس؟ سفر أشعياء ٢٠ : ((٢ في ذلك الوقت تكلم الرب عن يد اشعياء بن اموص قائلا اذهـــب و حـــل المسح عن حقويك و اخلع حذاءك عن رجليك ففعل هكذا و مشى معرى و حافيا ٣ فقال الـــرب كما مشى عبدي اشعياء معرى و حافيا ثلاث سنين اية و اعجوبة على مصر و على كوش ٤ هكذا يسوق ملك اشور سبي مصر و جلاء كوش الفتيان و الشيوخ عراة و حفاة و مكشوفي الاستاه خزيا لمصر)). أهذا هو الله و هؤلاء هم الأنبياء عندهم؟؟ إذا فإنه ليس بغريب عليهم أن يتطـــاولوا علـــى شخص رسولنا الكريم صلوات ربي عليه و على إخوانه من الأنبياء. أذكر في هذا المقام المثل المصري الشعبي الذي يقول: إذا جاء العيب من أهل العيب فلا يكون ذلك عيبا. هذا بالأضـــافة الى كـــذب هؤلاء المنصرين و اتخاذهم شتى الوسائل و المغريات لجذب الناس الى دينهم و معتقدهم، تارة بادعاء

المحبة و المودة، و تارة ببذل المال بسخاء على ضحاياهم و لم يتورعوا عن اغراء من يعاديهم إما بالمال و إما بالنساء و ما خفي كان أعظم، و ذلك لأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله فيرد الله عليهم بقوله: ((يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) (التوبة ٣٢).

أما المشكلة في هذا الموضوع فليس السؤال لماذا تهجم هؤلاء الكفرة على رسولنا الكريم خاصة بعد أن اطلعنا على بعض ما ينسبونه لأنبيائهم، إنما السؤال الذي يطرح نفسه، يا مــن تــدعون حبــا لله و رسوله، ماذا ستفعلون و قد أهين رسولكم صلى الله عليه و سلم، و أهين الأنبياء جميعــا، بــل إن تطاولهم قد نال من الله جل و علا؟؟ أنقف مكتوفي الأيدي مرددين الشعارات و خطب الأستنكار أم نتحرك لنصرة ديننا و لنصرة رسولنا و كل الرسل الذين سبقوه صلوات ربي عليهم أجمعين؟؟ لا بــد لنا من أخذ موقف و لا بد من أن نتحرك، و كما يقول الشاعر:

لا ينفع إن نحن بقينا *** ننتظر النصر ليأتينا

إن قمنا ننصر بارينا *** فسينصرنا الله

هذا هو الذي دعاني أن أكتب هذا الكلام، لأفضح معتقد هؤلاء الكفرة و لأبين للناس كيف ينظــر هؤلاء الى الرسل و الأنبياء ، حتى نظرتهم لله عز و جل، محاولا كشف نواياهم الخبيثة التي يرمون من خلالها الى استفزاز مشاعر المسلمين الذين يقرون لله القداسة، و يقرون لكل الأنبياء التتريه عــن أي تهمة قد يلصقها هؤلاء المنصرون بأي واحد منهم سواء كان نبينا الكريم أو أي نبي جاء قبله و ذلك لأننا نؤمن بان رسالة كل الأنبياء واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :((الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد)) (صحيح مسلم ٤٣٦٢) .

أخيرا و ليس آخرا، أدعوا الله العلي القدير أن يتقبل منا هذا العمل مخلصين له الــدين و لــو كــره الكافرون، و أسأله عز شأنه أن يجعل كلامي هذا سببا لاستنهاض المسلمين للرد على كل من تسول له نفسه الدنيئة أن يتطاول على الله و رسله و أنبيائه. أقول قولي هذا و أســتغفر الله لي و لكــم و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على أخوانه الأنبياء جميعا.

الولايات المتحدة الأمريكية

====================

وقفات مع الحدث الجلل

محمد بن عبيد الهاجري

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، الحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام خير أمة أخرجت الناس تخرجهم من عبادة العبــاد

إلى عبادة رب العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له امتن علينا بأن بعث إلينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أفضل الرسل ، وأخشى الناس وأتقاهم لربه ، أدى الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد :

لما علم المسلمون بهذا الحدث الجلل (سخرية إحدى صحف الدنمارك بنبينا عليه الصلاة والسلام) التهبت مشاعرهم بحب الرسول عليه الصلاة والسلام والايمان به ، وترسخت هذه العقيدة في قلوبهم ، فدين الله وكتابه ورسوله أعظم من كل شيء ومقدم على كل شيء " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" نعم لقد ترسخت عقيدة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، والتبرء من الكفار ومعاداتهم في قلوب المسلمين ، كيف لا والمسلمون يرددون في كل يوم أكثر من عشرين مرة " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم – وهم اليهود – ولا الضالين – وهم النصارى " ولذا فيجب استغلال هذا الموقف وانتهاز الفرصة مع هذه المشاعر والعاطفة الجياشة عند المسلمين بالتأكيد على عقيدة الولاء والبراء وترسيخها في قلوب المؤمنين .

هذه هي الوقفة الأولى من هذا الحدث العظيم

الوقفة الثانية :

إن في الاستهزاء والسخرية بنبينا أفضل البشرية عليه الصلاة والسلام إهانة للمسلمين ، وما فعلوه أيضا من قبل إذ أهانوا المصحف ومزقوه وعذبوا السجناء والأسرى بغير تهمة ولا دعوى ، كل ذلك إهانة للمسلمين وأي إهانة ؟!

ولنعلم يقينا أنهم ينطلقون من منطلق عقدي ديني ، ليس الأمر مصالح سياسية أو مالية أو شخصية فقط ، بل هي حرب صليبية على الاسلام والمسلمين كما نطقت بذلك ألسنتهم ، بل وشهد عليهم بذلك الواقع.

نعم ؛ إن المسلمين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن من الاستخفاف بدينهم وكتابهم ورسولهم إلا لأجل أنهم ضيعوا دينه وتركوا تحكيم كتابه وسنة نبيه ، واستبدلوها بالقوانين الوضعية ، ولذلك تفرقوا بعدما كانوا أمة واحدة تهابهم الأعداء ، أصبحوا دويلات ضعيفة ، وقد ورد في سنن أبي داود

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذنـــاب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا يترعه حتى ترجعوا إلى دينكم"

فلقد بين الحديث أن الناس إذا انشغلوا بالدنيا وتعاملوا بالربا وتركوا الجهاد في سبيل الله ســـلط الله عليهم ذلا لا يترع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم ، وهذا توصيف دقيق من النبي عليه الصلاة والسلام لحال المسلمين اليوم ، فلقد انشغلوا بالدنيا وتعاملوا بالربا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، بـــل شـــوه إعلامهم صورة الجهاد في سبيل الله حتى أضحى من يتحدث عن الجهاد يتهم بالإرهاب ويوصم به ، مع أنك لو تصفحت كتاب الله لوجدت أن الله ذكر كلمة الجهاد أكثر من مائة مرة بل أكثر مـــن ذلك .

الوقفة الثالثة : الكفر ملة واحدة

حيث تداعت الأمم والدول على إعانة دولة الدنمارك الكافرة لتشد من أزرها وتقـــف في صـــفها ، وتصريحاهم قد امتلأت بها وسائل الأعلام ، وهذا إن دل فإنما يدل على أنهم على عقيدة واحـــدة ، وهي عقيدة اليهود والنصارى " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " عقيـــدهم "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا "

نعم إنهم وجوه عديدة لعملة واحدة هي الحرب على الاسلام والمسلمين، وهم يتخـــذون في ذلـــك وسائل عديدة :

،،، جيوش جرارة تغزو بلاد المسلمين ، تدك بيوهم ، تسرق أموالهم ، تقتل أطفـــالهم ، تغتصـــب نساءهم ، وما فلسطين وأفغانستان والعراق عنا ببعيد .

،،، إعلام حاقد فاسد يقلب الحقائق ويكذب زورا ليظهر أن حضارهم هي حضارة الحرية وأنهم دعاة السلام ، وغيرهم من المسلمين دعاة للباطل والظلام .

،،، جانب آخر يغزون به جيل هذه الأمة من شباب وشابات ، حيث أغروهم بالفســـاد والشـــهوة والجنس من خلال إعلام مسموع ومقري ومرئي ، فما هذه القنوات الفاضحة والمواقـــع الاباحيـــة والمجلات الخليعة إلا وسيلة من وسائل حربهم على الاسلام والمسلمين ، وما انتشار الزنا والربا والغناء والفساد في مجتمعات المسلمين إلا نتاج عملهم الدؤوب على إفساد المسلمين .

الوقفة الرابعة :

انظر لليهود والنصارى كيف تآزروا وتعاونوا على باطلهم ، والمسلمون فيما يصيبهم من المصـــائب كل يغني على ليلاه ، إلا من رحم الله .

الوقفة الخامسة :

انقلاب الموازين عند هذه الحضارة الغربية حضارة اليهود والنصارى ، حيث يعتدون على المسلمين في بلادهم فيغزونها ، وفي أموالهم فيسرقونها ، وفي أعراضهم فينتهكونها ، وفي دينهم فيمزقون مصحفهم

ويسبون نبيهم ، وهم في ذلك يدعون أنهم يحاربون الإرهاب ، وأنهم دعاة السلام وحقوق الانسان ، ومن يقف أمام سلامهم هذا فيدافع عن دينه وعرضه فهو الإرهابي
بحق ؟!! ولا يقل جرما عنه من يفضح كذبهم ويبين باطلهم وزيف إعلامهم !!
إن كلمة الإرهاب هم أول من روج لانتشارها ، حتى يبرروا بها غزوهم للعالم ، عفوا ! حتى يستروا بها جشعهم وطمعهم بل حقدهم وحسدهم " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون " قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون .
لقد أرادوا الحرب على الإسلام فقالوا الحرب على الإرهاب ، نعم لقد أرادوا الحرب على الجهاد فقالوا الحرب على الإرهاب ، والسبب واضح فكلمة الجهاد محبوبة للمسلمين فاستبدلوها بالإرهاب تعمية على المسلمين وهذا ضمن خططهم الإعلامية الخبيثة ، هذا وإن من المؤسف له أن استخدمها بعض من هم من جلدتنا على نفس منوالهم ، ولو أردنا أن نتفحص هذه الكلمة وندقق النظر فيها لوجدنا أن الله يقول في كتابه " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " فذكر الله "ترهبون" مما يدل على أن إرهاب الأعداء مقصود شرعي ، فتبين أن كلمة الإرهاب كلمة ممدوحة إذا كانت موجهة للأعداء على خلاف ما روجت له حضارة اليهود والنصارى .
الوقفة السادسة :
إن من يطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يسبهم أو يطعن في أزواجه كما يحدث في هذه الأيام خاصة من شهر الله المحرم مما تفعله الرافضة ، هو في حقيقة أمره يطعن في نبينا عليه الصلاة والسلام وفي دينه ، أرأيت لو أن أحدا طعن في زوجتك أو سبها أوكأنما طعن فيك وسبك ، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "
الوقفة السابعة :
ليس المطلوب فقط من المسلمين سحب السفراءأو طردهم ، أو مقاطعة منتجات الدنمارك ، أو قطع العلاقات الاقتصادية او السياسية معهم ، نعم إن ذلك أمر مطلوب ومهم ؛ لكن الأمر أكبر من ذلك لو كان للمسلمين من ينتصر لرسولهم عليه الصلاة والسلام بالقوة والجهاد في سبيله ، كما ورد في البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام " من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله " فانتدب له محمد بن مسلمة فقتله .
إن مما يطلب من المسلمين اليوم حكومات وشعوبا الرجوع إلى دين الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وتطبيق أحكامهما في جميع نواحي الحياة ، وعلى عموم المسلمين المطالبة بذلك .

ومما ينبغي ان يهتم به المسلمون أيضا تعلم دينهم وتعليمه ، ومعرفة سنة نبيهم والالتزام بها ، ومن ذلك معرفة نبينا عليه الصلاة والسلام وماله علينا من حقوق وواجبات .

ومما لابد أن يعلمه كل مسلم أن من استهزأ بالله او آياته أو كتابه أو دينه أو نبيه كفر بالله إن كان مسلما ، وإن كان كافرا له مع المسلمين عهد انتقض عهده ووجب قتله .

وأيضا ورد في الصحيحين أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا على رعل وذكوان وعصية لما اشتد أذاهم على المسلمين ، فلا أقل من أن يرفع المسلم يديه داعيا ربه أن يهلك من سخر من ربنا أو ديننا أو كتابنا أو رسولنا .

ومما يطلب من المسلمين أيضا خاصة من أصحاب الأموال والمؤسسات والشركات أن يتكاتفوا ويتعاونوا على الاستغناء عن غير المسلمين في ما نحتاجه من لوازم الحياة ، وقد ظهرت بوادر ذلك لكنها نسبة ضئيلة جدا تحتاج لمثابرة وعزيمة واجتهاد .

وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي للمسلم أن يعتاد على اقتناء ما هو من صنع المسلمين ويفضله على غيره ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

الوقفة الأخيرة :

يجب توجيه هذا الشعور الغاضب عند المسلمين ودفعه ضد كل من يسب ديننا أو يصد عنه من هذه الدول الكافرة ، ألا ترى إلى هذه الحضارة الغربية بزعامة الدول القوية : أمريكا ومن لف لفها أنهم يعملون ليل نهار على الصد عن دين الله والطعن فيه وفي كتابه ورسوله مما هو من مثل سخرية الدنمارك ، بل هو أكثر من ذلك وأعظم ؟!!

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداءك أعداء الدين ،اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين ،سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

كتبه / محمد بن عبيد الهاجري

شهر الله المحرم ١٤٢٧ هـ

====================

وقفات مع المقاطعة

١٤٢٧/١/٦

د.خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فهذه وقفات مع هذا الحدث قصدت بها المذاكرة معكم معاشر الغُيُر على عِرْض رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ، فأسأل الله أن ينفع بها.

الوقفة الأولى: إن ما رأيناه أو طرق أسماعنا من تحرك واسع تداعى الناس فيه إلى الذب عن نبينا الكريم ـعليه الصلاة والسلامـ سواء كان ذلك بإلقاء الخطب أو المحاضرات، أو عقد الندوات، أو الدعوة إلى مقاطعة الدنمارك والنرويج تجارياً حتى ضحّى كثير من خيار التجار المسلمين ببعض ما بأيديهم نصرة لدينهم فنسأل الله أن يعوضهم خيراً، إلى غير ذلك من الجهود الطيبة يُعد من العمل الصالح الذي يدل على إيمان نابض، وغيرة شرعية على عرض صاحب الرسالة ـعليه الصلاة والسلامـ يُحمدون عليها ويُثابون.

الوقفة الثانية: في مثل هذه الأحداث والتداعيات يحتاج الناس إلى مرجعية موثوقة يتلقون منها التوجيه لتحقق الأهداف وتنتفي المفاسد والمحاذير، ولا يصح بحال من الأحوال أن يكون كل أحد في مقام الموجه عبر رسائل ينشئها عبر الجوال أو غير ذلك من الوسائل فتحملهم الغيرة على ارتكاب بعض المحاذير والمخالفات الشرعية كما سنبين.

الوقفة الثالثة: يجب على المسلم التثبت والتريث فلا يُقدم على أمر حتى يتبينه، ويتوثق منه، وذلك أننا بحاجة إلى تمييز كثير مما يرد إلينا من رسائل أو ما يُنشر في الشبكة العنكبوتية أو ما نسمعه في المجالس، أو غير ذلك مما يتعلق بجوانب متعددة، فمن ذلك:

١ – التحقق من نسبة المنتَج إلى أولئك كي لا نقع في شيء من الظلم لأحد من المسلمين أو غيرهم، وهنا قد تدخل المنافسات بين الشركات ويبدأ تصفية الحسابات فنصيب قوماً بجهالة.

٢ – قد يكون لهم شراكة في بعض المنتجات ثم زالت وتحول الأمر إلى غيرهم وهو أمر لا بد من معرفته لئلا نُلحق بأحد ضرراً من هذه الجهة.

٣ – ربما كان التصنيع برمته في بلاد المسلمين إلا أن المصنع حصل على ترخيص من شركة هناك فمثل هذا تكون المقاطعة فيه عقاباً لصاحب المصنع وهذا غير مراد.

٤ – الاندفاع غير المنضبط قد يحمل صاحبه على دعوة الناس إلى أمور لا يُقرون عليها كمن يدعو إلى توحيد الصيام والدعاء في يوم بعينه، أو يدعو إلى نشر رسالة مكذوبة يزعم مختلقها أنه رأى الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ ويذكر أموراً ويطالب بنشرها إلى عشرة أشخاص وأنه سيرى بعد أربعة أيام – إن فعل – أمراً يسره، وإن لم يفعل رأى أموراً تسوؤه.

وقد يدعو بعضهم إلى مظاهرة في البلاد التي لا تسمح بذلك، أو أذية للأشخاص الذين ينتسبون إلى ذلك البلد لمجرد انتسابهم إليها دون أن يكون لهم جرم، وهذا كله لا يسوغ، بل يؤدي إلى مفاسد أعظم كما لا يخفى.

٥ – التحقق من صحة الأخبار التي تصل إلينا، ولا يسوغ أن ننشر شيئاً من ذلك إلا بعد التأكد من صحته.

٦ – التوثق والتحري فيما قد يُنشر في بلاد أخرى من هذه الرسومات أو غيرها فنفرق بين من فعل ذلك على وجه الاستهزاء والمكابرة، وبين من فعله قاصداً بذلك نقل الخبر (مع عـــدم إقـــرار هـــذا الصنيع).

الوقفة الرابعة: ينبغي أن يكون لدينا أهداف واضحة ومطالبات محددة، فهذه المقاطعة إلى أي مـــدى ستنتهي؟ هل نكتفي باعتذار الرسام، أو الصحيفة، أو لا بد من اعتذار الحكومة، أو نطالب مع ذلك كله بمحاكمة الرسامين ورئيس التحرير، أو نطالب بتسليمهم لمحاكمتهم شرعاً وإقامة حكم الله فيهم؟

الوقفة الخامسة: لا ينبغي تخذيل الناس وتوهين عزائمهم تارة بدعوى عدم جدوى المقاطعة، وتارة بأن ذلك لم يقع حينما أهينت أوراق المصحف، إلى غير ذلك مما قد يُقال، لكن ينبغي أن يُعلم أن آثـــار المقاطعة ظهرت جلية على ألسنة القوم وفي اقتصادهم، وأما القول بأن هذا التحرك لم يقـــع عنـــدما اعتُدي على القرآن الكريم فنقول: إن الضعف والتفريط في جانب لا يعني أن نفـــرط في الجوانـــب الأخرى، فإذا حصل تقصير في الانتصار للقرآن فليس معنى ذلك أن نخذل الناس عن الانتصار لرسول الله ـــصلى الله عليه وسلمـــ.

الوقفة السادسة: التحليل والتحريم إنما يكون من قِبَل الشارع، ولا يجوز أن نُلزم الناس بأمر لم يُلزمهم الله به، فلا يسوغ إطلاق عبارات نُحرم فيها بيع بضائع هؤلاء أو نوجب شرعاً مقاطعة منتجـــاتهم، ومعلوم أن البيع والشراء مع الكفار جائز شرعاً حتى الحربي منهم، لكن نقول: المقاطعة الاقتصادية في هذا العصر سلاح مؤثر ومن هنا نحث الناس على ذلك لكن لا نقول بوجوبه أو نؤثم من عاملهم.

الوقفة السابعة: الحذر الحذر من رد باطلهم بباطل مثله، وإنما ذكرت ذلك لما رأيت إحالة في أحـــد المنتديات على رابط يتضمن إساءة لعيسى ـــعليه السلامـــ، وهذا جُرم عظيم قد يفعله بعض مـــن لا خلاق له من اليهود ونحوهم، وقد تصدر بعض هذه الحماقات من جهلة لا يراقبون الله في أقـــوالهم وأفعالهم كما ذكر شيخ الإسلام(١) عن بعضهم أنه ربما أعرض عن فضائل علي ـــرضي الله عنـــهـــ وأهل البيت لما رأى غلو الرافضة فيهم وتنقصهم للشيخين ـــرضي الله عن الجميعـــ، ونقل عن بعض الجهلة أنه قال:

سُبُّوا علياً كما سبُّوا عتيقكم ... ...

كفرٌ بكفر، وإيمان بإيمان

كما ذكر أن بعض المسلمين يُعرض عن فضائل موسى وعيسى ـــعليهما السلامـــ بســـبب اليهـــود والنصارى حتى حُكي عن بعض الجهال أنهم ربما شتموا المسيح عليه السلام حين سمعـــوا النصـــارى يشتمون نبينا محمداً ـــصلى الله عليه وسلمـــ في الحرب.

الوقفة الثامنة: إذا كان المطلوب هو مقاطعتهم لما يحصل من جراء ذلك من تأثير اقتصادي عليهم فإن هذا يتوجه إلى من يستورد منهم البضائع وقد لا يرتدع بعض هـؤلاء إلا إذا رأى بضـاعته الـتي استوردها كاسدة في الأسواق، لكن من عُلم منه الصدق بأنه عزم على عدم الاستيراد منهم مستقبلاً، أو أنه لا يشتري هذه البضائع من مستورديها في المستقبل، فهل نطالب مثل هؤلاء بإتلاف ما بحوزتهم من بضائع قد صُنعت في تلك البلاد؟ فهذا موضع ينبغي التفريق فيه بين هذه الأحوال، والله أعلم.

الوقفة التاسعة: علينا أن نوحد الجهد لتكون المقاطعة حالياً للدنمارك والنرويج، دون أن نشتت ذلـك بالمطالبة بتوسيع نطاقها وإلا فإن ذلك سيؤدي إلى تلاشيها، ولكن يمكن بعد أن تتحقق أهدفا المقاطعة أن يُنظر في توجيهها لغيرهم.

الوقفة العاشرة: لا يجوز للمسلم في مثل هذه الأمور أن يكون جسراً ومعبراً لتلك الرسومات فيساعد على نشرها حينما يتحدث عن هذا الموضوع بعرضها على الناس فيسيء وهو لا يشعر.

الوقفة الحادية عشرة: ينبغي استغلال هذا الحدث في داخل المجتمعات الإسلامية، وخارجهـا، أمـا الداخل فبمطالبة الناس بالتمسك بسنة النبي ــصلى الله عليه وسلمــ واتباعها، وبإحياء سيرته بينهم، وبيان حقوقه وما إلى ذلك، عبر دروس ومحاضرات وخطب وبرامج ومسابقات، إضافة إلى إحيـاء عقيدة الولاء والبراء، وبيان عداوة الكفار وبطلان ما يتشدقون به من التسامح واحترام الأديـان... إلخ، وأما في المجتمعات الكافرة فبتعريفهم بمحاسن دين الإسلام، وشمائل نبي الهدى ــصلى الله عليـه وسلمــ وسيرته العطرة.

الوقفة الثانية عشرة: وافق وقوع هذه المقاطعة لدولة ليست قوية، كما أنها قليلة السكان، وما يستورد منها قليل أيضاً مقارنة ببعض الدول الشرقية أو الغربية، وهي فرصة مناسبة للجميع بـأن يُظهـروا تضامنهم ويُوحِّدوا وجهتهم، وبهذا يمكنهم أن يبعثوا رسالة واضحة للعالم أجمع أنهم لا يقبلون المساس بدينهم ومعتقداتهم ومقدساتهم، وأنهم أمة حية صاحبة رسالة تعيش وتموت من أجلها، وبهذا أيضـاً يمكن أن نستعيد قدراً من الثقة لدى المسلمين بعد أن توالت عليهم الهزائم في مختلف الميادين فيحصل شيء من الشعور بالعزة الإيمانية، ومن هنا يمكن أن نشتت بعض الجهود الرامية إلى إغـراق الأمـة بالمشكلات، والشبهات والشهوات، لتكون أمة لاهية عابثة لا هدف لها في هذه الحياة.

---

(١) الفتاوى ٦/٢٥ – ٢٦.

====================

وقفات مع انتفاضة الأمة

ياسر بن عبدالله السليم

؟ الوقفة الأولى: المسلمون – على مر العصور – لا يزالون يتعرضون لأنواع من البلايا على أيـــدي البغاة من الكفرة وأذنابهم، الذين يصبون جام حقدهم على الإسلام وأهله بقصد محو الإسلام مـــن الوجود، وقد أرشد الله تعالى المسلمين في هذه الحالة إلى الصبر مع التزام التقوى بعدم مداهنة أولئك الحاقدين، وعدم الركون إليهم. فقال تعالى: {لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور}، آل عمران: ١٨٦.

قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية: «فمزج سبحانه بـــين الصـــبر والتقوى حتى لا يجر الصبر إلى ما يمس العقيدة من التساهل على حسابها».

واعلم ان الصبر ليس صفة سلبية، تجلب الاستسلام والاستكانة، والتعلل بالقدر مع ترقب زوال المحن بدون عمل ومعالجة وجهاد كما يراه العجزة والجهال، الذين لا يعرفون حقيقة شرع الله ودينه؛ وإنما الصبر صفة إيجابية أساسها الثبات في مقاومة مثل هذه الهجمات والحملات القذرة، واتخاذ الوســـائل الملائمة للكفاح، حتى تتحطم جميع قوى البغي والظلم والضلال والانحراف.

؟ الوقفة الثانية: يجب على مسلم عرف شماله من يمينه، أن يشمر في طلب معرفة دينه، ومنه معرفـــة حقوق نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام وهي كثيرة، منها: الإيمان الصادق به صلى الله عليه وســـلم قولاً وفعلاً، وتصديقه في كل ما جاء به، ووجوب طاعته والحذر من معصيته، {يا أيها الذين آمنـــوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون}، الأنفال: ٢٠.

كما يجب إنزاله مترلته التي أنزله الله بلا غلو ولا تقصير، واتخاذه قدوة وأسوة ونصر دينه، والذب عن سنته، والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

؟ الوقفة الثالثة: يجب على كل مسلم يحب نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم أن لمحبته علامات، تظهر في الاقتداء به، واتباع سنته وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، فهو صـــلى الله عليـــه وسلم كان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة، وكان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله، وكان يصوم – غير رمضان – ثلاثة أيام من كل شهر، وكان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم، وكان يكثر الصدقة، وكان أحسن الناس خلقاً، وأحســـنهم عشرة، وأشدهم خشية لله، وكان أجود الناس بالخير، وكان أكرم الناس، وأشجع الناس، وأرحـــم الناس، وأعظمهم تواضعاً وعدلاً وصبراً ورفقاً وعفواً وحلماً، وأشدهم حياء، وثباتاً على الحق، ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها، ولكنه إذا انتهكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى. وكان أزهد الناس في الدنيا، يخصف نعليه ويرقع ثوبه ويخدم أهله ويحلب شاته، وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تبسماً، ويمزح ولا يقول إلا حقاً، ولا يتكلم من غير حاجة، وكان يأمر بالرفق ويحث عليه، وينـــهي عن العنف، وكان مجلسه: مجلس علم وحلم وحياء وأمانة وسكينة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك

فيه الحرمات. يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويؤثر المحتاج، وكان يجلس على الأرض ويأكل عليها، ومر صلى الله عليه وسلم بصبيان يلعبون فسلم عليهم، وكان لا يصافح النساء غير المحارم، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً، وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.. ومع هذا كله، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول: «سددوا وقاربوا واعلموا انه لن ينجوا أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». وكان يكثر من أن يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

هذه قطرات قليلة موجزة من بحر حياته صلى الله عليه وسلم، هي لكل مسلم حريص على اقتفاء أثره، واتباع سنته، قال الإمام الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمة الله تعالى عليه –: «اتباع السنة فيه الخير والبركة والسعادة في الدنيا والآخرة» مجموع الفتاوى (١١/١٧٧).

؟ الوقفة الرابعة: إن مما أبهج النفوس، وأسعد القلوب؛ انتفاضة الأمة لما حدث من تلك الصحف الدنماركية من استهزاء بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام، فأعلن المسلمون بكل عزة وقوة رفضهم لفعلة أولئك، وحولوا ذلك الإعلان إلى فعل طبقوه على أرض الواقع، فرأينا الصحف امتلأت بالمقالات التي سطرها الغيورون، وصدح الخطباء من على المنابر يبينون قبح فعل أولئك ويوضحون المطلوب من المسلمين، وازدحم الفضاء برسائل الجوال التي تناقلها المحبون لمحمد صلى الله عليه وسلم، ورأينا رجال الأعمال وأصحاب المحلات يعلنون مقاطعة الدنمارك فخلت رفوف المحلات من منتجاقم، وقام الناس بالامتناع عن شراء أي منتج منها، حتى الأطفال رفضوا شراء «الجبنة» التي يحبون، ليعلم أولئك ان المسلمين عند انتهاك ثوابتهم أو المساس بحرماقم – أو محاولة ذلك فقط – يثبون وثبة ثابتة، يترجر بها أولئك الحاقدون.

؟ الوقفة الخامسة: لا يفوتني أن أشكر حكومتنا المباركة – حرسها الله – حين فعلت المطلوب فعله حيال هذا الأمر، وهذا غير مستغرب من دولة تحكم بشرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك بايعها المواطنون المخلصون.

؟ الوقفة الأخيرة: نداء إلى وسائل الإعلام ورجاله القائمين عليه في بلادنا المباركة، فلقد أصبح لزاماً عليهم حماية الحق، وإقامة المثل العليا، ونشر سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن تكون غايتهم قذيب البشرية، وألا يلبسوا الحق بالباطل، والخير بالشر، وأن يعملوا على نشر الإسلام والعقيدة الصحيحة كما جاءتنا عن طريق الوحي، وبلغنا بها رسولنا صلى الله عليه وسلم، وسلفه الصالح من بعده، وأن يسعوا جاهدين للانتصار للإسلام ولنبينا صلى الله عليه وسلم، بالحكمة والموعظة الحسنة.

====================

ولينصرن الله من ينصره"

الكاتب: د. باسم عبد الله عالِم*

بسم الله الرحمن الرحيم

الزاوية: صناعة الحياة

كنت ولازلت أتمثل حال الرجال والنساء القائمين على الثغور في أرض الرباط، بتلك اللحظات العصيبة التي واجه فيها سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم صناديد الكفر المتكبرين على الحق، الذين جاءوا بقضهم وقضيضهم لاستئصال الدين وأهله في بدر. وهاهي البقعة الطاهرة التي ارتوت بدماء الشهداء تتجلى في مخيلتي، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً يديه حتى انكشف بياض أبطيه الشريفين وهو يناجي ربه (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدا) وهاهو الصدّيق (رضي الله عنه) الذي عادل إيمانه إيمان الأمة منذ نشأتها حتى قيام الساعة، يقف خلف حبيبه محاولاً إعادة العباءة التي سقطت عنه وهو المشفق المحب مؤكدا له تطييبا وتطمينا بأن الله منجز وعده وبأن هذه العصابة لن تخذل بإذن الله تعالى. وإذا كان التمكين لا يكون إلا بعد التمحيص والابتلاء فإن ما حدث لهذه العصابة المباركة من المهاجرين السابقين قبل هجرتهم ليس إلا مقدمة ومتطلباً لنصرتهم وإخوانهم من الأنصار. ولعل سورة الحشر التي منّ فيها الله سبحانه وتعالى من خلالها على المسلمين بالنصر على اليهود وجلائهم عن (طيبة الطيبة) إذ يقول سبحانه وتعالى: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار*صدق الله العظيم*) ما هي إلا تتويجا لعنصريّ النصر الإلهي. فما جاءت هذه المنة الربانية سواء تمثلت في نصرة الله لرسوله والمؤمنين في بدر أو تمثلت في إجلاء اليهود عن المدينة إلا بعد أن تحقق الابتلاء وتم التمحيص (العنصر الأول) الذي ميّز المؤمنين الصادقين، وتلا صدق الإيمان صدق العمل بموجبه من خلال نصرة النبي صلى الله عليه وسلم (العنصر الثاني). فيقول جل من قائل مبيناً مقدمات النصر والمنة الربانية في العنصرين الرئيسيين: (وللفقراء والمهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون *صدق الله العظيم*). ولاشك في أن المثال الذي ذهبت إليه لا يقتضي المساواة في مقام الأسبقية ولكنه يوضح سنة الله سبحانه وتعالى في المعركة الدائمة بين الخير والشر وبين الكفر والإيمان.

واليوم نشهد طلائع النصر وقد منّ الله عليها بأول مراحل التمكين بعد عناء وابتلاء وتمحيص قدّم فيه أبناء فلسطين الحبيبة أعظم التضحيات في سبيل الله وهم القائمون على الحق لا يضرهم من خذلهم.

وإن كان الله سبحانه وتعالى قد اختار لأمته رجال فلسطين ونسائها ليتمثل فيهم حال المهاجرين وإخلاصهم وأسبقيتهم وتضحيتهم فإنني أتلفت حولي محاولاً تمييز الأنصار أهل النصرة من بين باقي جموع الأمة الإسلامية وهم من شرفهم الله ليكونوا العنصر المكمل لصناعة النصر بإذن الله تعالى. وقد ظهر لي بصيص أمل عندما قدم لي أخ كريم، جمعتني وإياه محبة لوجه الله سبحانه وتعالى، مسودة لرسالة تستنهض الأمة لنصرة أخواننا وأخواتنا في ارض الرباط. وقد والله استبشرت بذلك وغبطت أخي على ما سبقني به من مبادرة أرجو الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيها حتى تؤتي أكلها وحتى يكتمل عنصريّ الابتلاء والمناصرة لنحقق متطلبات النصر الموعود بإذن الله سبحانه وتعالى، سواءً منّ الله علينا بمعاصرته ومشاهدته أو جعلنا ممن وطأ للأجيال القادمة اقتطاف الثمرة وجنيّ نتائج هذا العمل المبارك.

إنها النصرة بكل ما يحتاجه أخواننا وأخواتنا بفلسطين. وليس ثمة مجال ها هنا لتنميق العبارات واختيار الألفاظ تحسباً لغضبة الكفر أوصولة باطل، فالحق أحق أن يتبع وأحق أن يصدح به في هذه الحقبة الدقيقة من تاريخ أمتنا. إننا اليوم نشهد صناعة التاريخ والمستقبل ومطالبون بأن نسهم في ذلك ونبذل الغالي والنفيس في سبيل هذا الأمل المنشود. وليعلم القاصي والداني بأن إسهامه في سبيل نصرة إخوانه وأخواته في فلسطين ليس إلا من توفيق الله سبحانه وتعالى له، فهو تكليف كلّف الله به الأمة جمعاء ولكنه أيضاً تشريف للسابقين وأرباب الريادة وطلائع النصرة أولئك الذين أختارهم الله ليكونوا الرواحل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. أولئك الذين قدر الله لهم أن يكونوا المختارين الهداة المجتبين الذين يرشدون الأمة إلى مدارج النصرة ويرتقون بها في معارجها. إنها والله منّة وأي منّة لا يضاهيها بعد منّة الإسلام والإيمان إلا منّة الشهادة في سبيل الله.

والنصرة مطلوبة بكل أشكالها، من كل فرد في الأمة بقدر ما أنعم الله به عليه أو عليها. وبقدر ما فتحت أبواب النصرة لشخص بقدر ما كان ذلك دليلاً على توفيق الله له وحبه لعبده ليرفع بذلك قدره ومكانته في الأرض وفي السماء. لقد حان الوقت لتكسر الأمة ممثلة في طلائعها وروادها حاجز الخوف وتسقط عنها ثوب المداهنة وتزيح من طريقها عقبات المداراة وتعالج معالجة نهائية مرض الوهن المتمثل في حب الدنيا وكراهية الموت. وإلى ذلك فإنني أهيب واستنهض قادة الأمة لينفروا خفافاً وثقالاً داعمين بوادر التمكين في فلسطين فيرسلوا المبعوثين، ويخاطبوا قادة العالم، ويوجهوا سفرائهم للعمل مجتمعين ومنفردين في سبيل تعضيد موقف الحكومة الجديدة في فلسطين سياسياً واقتصادياً، وذلك في جميع الأندية ومن على جميع المنابر الدولية. ولا يقتصر الأمر على القادة، إذ أن واجب كل مسلم ومسلمة وفي مقدمتهم أولئك الذين منّ الله عليهم بسعة الرزق ويسر المعيشة أن يبذلوا ما في وسعهم في سبيل نصرة إخوانهم وأخواتهم ودعمهم تمكينهم بشكل مباشر وغير مباشر. وقد آن الأوان لنا ولهم أن نقول للغرب ومن ورائه الولايات المتحدة الأمريكية بأن التهديد بحجز الأموال وتجميد

الأرصدة لن يثنينا عن دعم من تعلقت بهم بعد الله آمالنا. وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية في ما سبق، قد آذت وهددت فذلك لأن الوهن قد أصابنا وليس من قلة أبداً. فإن هبّ الجميع حكاماً ومحكومين لهذه النصرة وبهذا الدعم عملاً بمقتضى سنة الله في كونه وعباده فسوف لن يكون للولايات المتحدة والغرب علينا سبيل. فوالله ما كان انتصارهم في السابق لقوتهم ولكنه كان لضعفنا وخنوعنا. ولا يقتصر الأمر على الموسرين وإن كانوا هم طليعة النصرة ورواحلها، ولكنه يندرج على الجميع. فعلماء المسلمين وفقهائهم مطالبون من على منابرهم ومن خلال جميع الوسائط الإعلامية الحديثة أن يوطدوا للأمر ويؤصلوا له فقهاً وشرعاً وأن يجيشوا الأمة لنصرة هذه العصابة المباركة في فلسطين ولدعمها دعماً مادياً كلٌ في مجاله وبحسب علمه وإمكانياته وقدرته. وكذلك دعماً معنوياً من خلال الصلاة والدعاء والقنوت لله رب العالمين كما فعل سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على صعيد أرض معركة بدر رافعاً يديه لله رب العالمين.

إنها نقطة فارقة نسأل الله فيها الإخلاص وننشد فيها بإخلاصنا لله سبحانه وتعالى وبصدق عملنا، العزة في الدنيا ورضى الله في الدارين. ويسرى ذلك على كل رجل وإمرأة وشاب وشابة وكبير وصغير ومقعد وقوي وفقير ومقتدر كل في مجاله وبحسب قدرته. فلا يقفنّ أحد موقف المتفرج ليؤتى من قبله على حين غفلة منه، ولا يرينّ أحدنا ثلمة في بناء التمكين تستهدف خذل إخواننا وأخواتنا في فلسطين دون أن يهرع ويهب لسدها وحمايتهم من أن يؤتوا من قبلها. وإنني إذ أكتب مقالتي هذه أوجه نداء حاراً صادقاً مخلصاً من شغاف القلب إلى الأمة جمعاء مستنهضاً إياها للقيام بواجبها.

والله من وراء القصد،

صلى الله عليه وسلم -mail: alim@alimlaw.com

نشرت بالعدد (١٥٦٧٥) من جريدة المدينة، يوم الجمعة بتاريخ ٢٤ صفر ١٤٢٦ه الموافق ٢٤ مارس ٢٠٠٥م، بصفحة الرأي.

* محامٍ ومستشار قانوني

=========================

وماذا بعد أن تطاولوا على مُنقذ الإنسانية؟

عبدالعزيز بن عبدالله الخيّال

السلام على من اتبع دين الإسلام سبيلا للعبادة وأسلوباً للحياة والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كما نحمد الله سبحانه وتعالى الذي هدانا إلى نور الإسلام الذي انتشلنا من عبادة الأوثان والإنسان والحيوان وجعل غيرنا على ملة الكفر والطغيان فساروا على درب الشيطان.

لا نستغرب أن يلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن فيرسما رسماً كاريكاتيرياً فيه إساءة لشخصية أفضل الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام، ممن حافظ على الأمانة وبلغ الرسالة السماوية. فقال لعمه ابوطالب: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

كنا بالأمس القريب نعتز بصداقتنا للدنمارك وشعبها، ولكن الصحيفة الدانمركية التي أساءت إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد كشفت عن الوجه القبيح للدنمارك ورئيس وزرائها وشعبها الذي يعادي الإسلام بسبب رفضه للاعتذار.

نحن كمسلمين لا نطالب باعتذار الإرهابيين، بل نطالب بتقديمهم للعدالة إن كان يوجد جزء من العدالة في الدنمارك.

إن الشعب السعودي لم يتألم فقط بل هناك مليار وثلاثمائة مليون مسلم بما فيهم مسلمو الدنمارك وأوروبا قد تم إساءتهم بهذا الأسلوب اللاأخلاقي في الإعلام الدنماركي.

لقد جسدت هذه الاساءة الحقد الصليبي – اليهودي ضد الإسلام والمسلمين الذي بدأ منذ التحالف بين الجانبين بتاريخ ١٣ ابريل ١٩٨٦م عندما أعطى بابا الفاتيكان الراحل لاعداء المسيح وثيقة براءة من دم المسيح.

لقد تم بذلك القضاء على فكرة الخلاص التي بني عليها المفكر اليهودي شاؤول (بولس) أفكاره من أجل تحطيم عقيدة الوحدانية التي هي جوهر عقيدة الرسالات السماوية، والتي دعا اليها كافة أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام بما فيهم النبي عيسى عليه السلام .

إن الحقد الصليبي – اليهودي ضد الإسلام والمسلمين يوازي الحقد اليهودي تجاه المسيح عليه السلام وضد المسيحية والمسيحيين والذي جرى حقنه ضمن تعاليم التلمود والتي دوّنها قدماء اليهود.

وعندما يؤيد رئيس وزراء الدنمارك ما قامت به تلك الصحيفة الهابطة في أخلاقياتها، فإنما يدل ذلك على الحقد الدفين لملوك اوروبا والذي دعاهم إلى شن الحملات الصليبية تجاه الشرق بصفته مهبط الرسالات السماوية.

نقول لرئيس وزراء الدنمارك والسيئين من أبناء شعبه إذا كان هناك حرية في التعبير فعليكم أن تعبروا في تلك الصحيفة وغيرها عن قضية صلب المسيح التي وردت في أناجيلكم المسيحية ولا تفهمون كم تحمل من معاناة والتي واجهه نبي من أنبياء الله وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، منذ طالب اليهود بصلبه قائلين: (أصلبه. أصلبه. دمه علينا وعلى ابنائنا).

إن كانت هناك حرية تعبير فعليكم أن تعبروا جيداً عن الكاهن اليهودي عزرا الذي قام بتأليف التوراة الحالية التي قال عنها المفكر اليهودي الهولندي باروش اسبينوزا عبارته الشهيرة: «بأن التوراة المتداولة ليست من الكتب المنزلة».

إذا كانت هناك حرية تعبير فعبروا عن مؤسس العقيدة المسيحية وهو بولس (اليهودي شاؤول سابقاً) والذي قال عنه الباحثان الغربيان (بيري، ويلز، بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للدين المسيحي الذي تدين به اوروبا والغرب المسيحي.

إن كانت هناك حرية تعبير فناقشوا – أي الديانات السماوية هي الأقرب إلى السماء – وما قاله المفكر والمؤرخ الانجليزي أرنولد توينبي في كتابه (المسيحية وأديان العالم) «إن المسيحية الغربية تجمع بين اللاهوت اليهودي والفلسفة الاغريقية».

إذا كان هناك حرية تعبير فعبروا عن زعيم ألمانيا الذي قرر توحيد أوروبا عسكرياً عام ١٩٤٠م فضم إلى بلاده الدنمارك وبعض الدول الأوروبية التي تهتم بتربية الأبقار ولا تهتم بتربية الأفكار.

نحن شعب عرف خالقه سبحانه وتعالى فاتجهنا إلى عبادته. وتركنا عبادة الأوثان التي ما زلتم تحملونها على رقابكم.

إن المستفيد الوحيد من إشعال الفتن والحروب بين العالمين المسيحي والإسلامي هم يهود أوروبا والغرب، وإن لم تصدقوا ذلك فأقرأوا برتوكولات حكماء صهيون، لقد حُورب الإسلام في دول الغرب باضطهاد أبناء الإسلام والاساءة في وسائل الإعلام الغربية لشخصية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فهل هذا معناه الديمقراطية التي يتشدق بها الغرب وقياداته السياسية والعسكرية.

إن علماء الغرب ومفكريه وأساتذة الجامعات قد وجدوا الديمقراطية في الإسلام وتعاليمه وفي القرآن الكريم وقوانينه السماوية وفي سيرة الرسول وأخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام. فنشروا ذلك في مؤلفاتهم التي حببت أبناء الغرب في الإسلام، لقد قام هؤلاء العلماء والمفكرون وأساتذة الجامعات في أوروبا بدراسة الإسلام وما تحتويه الديانات السماوية الأخرى من تعاليم لمعرفة أي الديانات السماوية هي الأقرب للسماء؟ ثم درسوا سيرة الأنبياء موسى وعيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام، وبعد ذلك درسوا التوراة والأناجيل والقرآن الكريم فماذا كانت نتيجة تلك الدراسة التي استغرقت عدة سنوات؟

– لقد وجدوا أن دين الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي بقي سماوياً.

– كما وجدوا أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي بقي مقدساً.

– وبدراسة سيرة الأنبياء وجدوا أن سيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام هي السيرة الوحيدة المحفوظة من ناحية تاريخ ولادته وطريقة نشأته وتجارته بين مكة وبلاد الشام وقصة زواجه من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وزواجه من غيرها بعد وفاتها رضي الله عنها، واسماء زوجاته وابناؤه وأحفاده وأصحابه. كما وجدوا تواريخ غزواته وأحاديثه وأقواله وقصة نزول الوحي عليه ثم خطبة الوداع الشهيرة، التي قال فيها: بعد أن وضح لهم أسس العقيدة: «اللهم هل بلّغت اللهم فاشهد».

كما هو معروف أيضاً تسلسل نسبه أباً عن جد حتى النبي إسماعيل ابن النبي إبراهيم عليهما السلام. ومعنى ذلك انه من الجنس السامي الرفيع.

كما هو معروف أيضاً صفاته عليه الصلاة والسلام الجسمية والخلقية وكذلك طعامه فكان يأكـــل طعامه مع بلال القادم من الحبشة، ومع صهيب القادم من بلاد الروم ومع سلمان القادم من بـــلاد الفرس، إنه حقاً نبي عظيم كما وصفه تعالى في كتابه الكريم - سورة الحجر في قوله تعالى: {وإنـــك لعلى خلق عظيم} صدق الله العظيم.

لقد قام المؤلف الامريكي مايكل هارت فدرس العديد من شخصيات العالم منذ فجر التاريخ فوضع النبي محمد عليه الصلاة والسلام في أول القائمة يليه انشتاين ثم النبي عيسى عليه السلام وفي المرتبـــة السادسة عشرة وضع النبي موسى عليه السلام فقال في مقدمة كتابه: «إن اختياري محمـــد ليكـــون الاول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي».

أما الفيلسوف الغربي برناردشو فماذا يقول عن الإسلام ونبي الإسلام محمد عليه الصلاة والســـلام، حيث يقول: «إن الإسلام دين يستحق كل احترام وإجلال لانه أقوى دين على هضم المدنيات وهو خالد خلود الأبد وإني أرى كثيراً من بني قومي العلماء قد دخلوا هذا الدين السماوي على بينة مـــن أمرهم ومستقبلاً سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في كافة أوروبا»، لذلك كان مسلمو أوروبا ومنها الدنمارك هم من يمثل قوى الخير في دول الغرب.

ثم يقول: لقد درست سيرة محمد فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح ويمكن بحق أن نعتبر محمداً «منقذ الإنسانية» وأعتقد أن رجلاً مثله لو حكم العالم بايثارة وخلقه لجلب للعالم السلام والسعادة.

وكذلك يقول المفكر والمؤرخ الانجليزي أرنولد تويني في أحد مؤلفاته: «أن الغرب قبـــل المســـيحية وبعدها اتجه لاستعباد الدول وسلب ثرواتها ولكن الإسلام اتجه لتحرير الدول والإنسان».

فهل تعلّم أبناء الغرب وعلى رأسهم رئيس وزراء الدنمارك والمفسدون في الأرض الذين شنوا حربهم الصليبية في بداية القرن الواحد والعشرين على الإسلام، لذا نقول للعاملين في الصحيفة الدنماركيـــة الهابطة في مستواها الأخلاقي كرئيس وزرائها الذي لم يفرّق بين تعاليم المسيح عليه السلام وتعـــاليم بولس ومعتقداته. ولم يفرقا بين أتباع المسيح عليه السلام الذي يؤمن بالوجدانية وبين أتباع الصليب الذين يؤمنون بعقيدة التثليث.

نقول للمتطرفين من أبناء الغرب ممن يسيئون إلى الإسلام ونبيه الكريم عليه الصلاة والسلام أن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تمنعنا من سب أنبياء الله، بل يلزمنا الدفاع عنهم. وتمنعنا من سب أو التعرض للأديان السماوية التي تؤمن بوجدانية الخالق سبحانه وتعالى. ولذلك نقول أن الإسلام هو دين للبشر فقط.

ولك الشكر يا حكومة بلادي باتخاذك هذا الموقف من أجل رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولـــك الشكر والتقدير أيتها الصحيفة الدنمركية التي وحدت صفوف المسلمين وجعلتينهم صفاً واحداً.
ولك الشكر يا صحيفة «الرياض» التي نشرت مقالتي باسم حرية التعبير والشكر الجزيل لجميع التجار السعوديين وغيرهم من العرب والمسلمين ممن قاطع بضائع الدنمارك والشكر الأخير لصاحب مكتب العقار في المملكة العربية السعودية الذي رفض تجديد العقود لمحلاته التي يملكها ويعرض مســـتأجروها المواد الغذائية الدنماركية.
ونقول لشعب الدنمارك وحكومته أن التعدي على الإسلام ونبيه الكريم عليه الصلاة والسلام سيبقى كعقدة ذنب في صفحة الدنمارك السوداء.

وختاماً نقول: هل جنون البقر انتقل إلى البشر
تعليقان
١
والله انهم ارهابيون
اضم صوتي لصوتك يااخ عبدالعزيز في انهم ارهابيون ارهابيون ارهابيون لأبعـــد درجـــه ونطالـــب بتقديمهم للعداله ومن يتستر عليهم او يأيدهم مثلهم وارجو ان تطالب بمحاكمتـــهم علـــى اعلـــى مستويات فقد فجروا قلوب المسلمين جميعا وبانت خفاياهم وحقيقتهم التي يتسترون عليها فمن فعل ذلك لا يقل عن كل الارهابيين الذين سبقوهم بتفجير السيارات والمباني وازهقوا الارواح وحوربوا بالمثل وحربنا على هاؤلاء لابد أن لا تقف عند المقاطعه المحليه فقط ولكن على جميع المستويات. ولله دركم يا كتابنا ومفكرينا وصح لسانك ياابو عبدالله وصلى الله على نبي الهدى وعلى آله وصـــحبه وسلم محمد بن عبدالله افضل تسليم
سيف الرعد
٠٧:٤٧ صباحاً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦
٢
اللهم اجعله خير على الامه الاسلاميه
شكرآ لكاتب هذا الموضوع الأخ الكريم عبدالعزيز الخيال وأتنمى الاستمرارية فقلمك قوي ومبـــدع واوصلت رسالتك بأحترافيه وخبير اعلامي وبارك الله بكم وبكل من استخدم قلمه الحر في التصدي لهذا الارهاب الفكري من الاعلام الغربي متذرعين بحرية التعبير!
نعم هذا هو المقال الذي نجد فيه حرية التعبير بدون ان يكون هناك تحقير للبشر او دياناتهم او انبيائهم ورسلهم! ان احترام الاديان امر واجب ومقدس وان وجد راي او مقال يتعـــدي علـــي الاديـــان

بالاحتقار او سفيه الكلام فانه يعتبر اعتداء وارهاب فكري يجب معاقبة صاحبه او الجهة التي تقف خلفه!

في زمان سيد البشر محمد بن عبدالله صلي الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه اجمعين رضوان الله عليهم لم تكن البشرية تعرف القنابل والمتفجرات وانما هي من صنع اليهود والصليبيون ويقفون خلف صناعتها في الوقت الحاضر بقوة المافيا الارهابيه التي تسيطر على اقوي الحكومات الغربيه ومجالس شيوخها بامريكا واوروبا!

المافيا الارهابيه لمصانع القنابل والمتفجرات والاسلحه الفتاكه يهمها ان يكون العالم على صفيح ساخن وذلك بشعل المؤثرات الاعلاميه السلبيه باسم حرية التعبير والتي تولد الحقد والكراهيه بين الشعوب والثقافات وتولد الحروب في اسيا وافريقيا وتجد الاساطيل الكبيرة الى تحمل وترسل الاسلحه وقطع غيارها الي افريقيا اكثر من الطائرات التي تحمل الاغاثة الغذائية والطبيه لفقراء ومرضي افريقيا!

وفي النهاية نقول ان العقل السليم يستطيع ان يفرق بين حرية الكلمة الهادفه "حرية التعبير" وبين سفيه الكلام المفسد "الارهاب الفكري"! ونتيجة لذلك سوف تتوجه عقول الناس لقراءة دين الاسلام وتعلمه بعد ان جذبهم مشاهد غضب الملايين من البشر في الشرق والغرب والشمال والجنوب على مقالة دنماركية تتهجم على نبي الاسلام وبإذن الله وقوته سوف تتغير عقولهم كما أنارت من قبل عقل النجم الشعبي العالمي كات استيفين "يوسف إسلام" حفظه الله الي دين الحق والعدل والانسانية وغيرهم من فلاسفة وعلماء العالم!

والحمد الله رب العالمين...

سلطان بن زيد

٠٧:٣٢ مساءً ٠٩/٠٢/٢٠٠٦

=====================

وماذا عن شتم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

نشرت جريدة الوطن ١٤٢٦/١٢/٢٥هـ

وماذا عن شتم الرسول؟

*علاء عبدالحميد ناجي

يجتمع في رأسي كل يوم ألف صوت وألف رأي تناقش ما أرى وما أسمع من تضاد في المواقف والرؤى، أخرج معها حائرا هائما لا أستطيع أن أتبنى موقفا محددا أو رأيا واحدا في بعض القضايا التي تتطلب رأيا موضوعيا، لدرجة قد يبدو فيها كلامي أو كتابتي نوعا من الهلوسة.

فأنا أسمع وأرى تناقضات تجعل الحليم حيران، منها هذا الصخب الإعلامي العالمي بشأن تصـــريحات أحمدي نجاد حول إسرائيل بينما أتحسس ما يقابله بشأن تعدي الصحافة الدنماركية علـــى الرســـول (صلى الله عليه وسلم) فلا أجد إلا فقاعات صابون هنا وهناك تفقأها عبارة "حرية التعبير".

أتذكر القضية التي أقيمت في فرنسا ضد رئيس اتحاد الصحفيين العرب إبراهيم نافع للمحاكمـــة في باريس بسبب مقال للكاتب عادل حمودة نشر في صحيفة الأهرام و لم يعجب المنظمة الدولية لمناهضة العنصرية، فقامت برفع دعوى قضائية ضد نافع في المحاكم الفرنسية معتبرة أن المقال يحـــرض علـــى الكراهية والعنصرية، ولكن هذه المنظمة لم تحرك ساكنا في قضية شتم الرسول صلى الله عليه وســـلم التي هي عين التحريض على الكراهية والعنصرية، إنه الكيل بمكيالين مرة أخرى!.

لم تكن الكاريكاتيرات التي نشرت في صحيفة جيلاند بوستن الدانماركية خطأ قي التقدير من قبـــل رئيس تحرير الصحيفة والقائمين عليها، بل هي عملية مدروسة مقصودة، إذ قال رئيس تحرير الصحيفة "إن نشر هذه الكاريكاتيرات قد تم لاختبار ما إذا كانت عمليات الثأر الإسلامية قد بدأت في الحـــد من حرية التعبير في الدانمارك"، أما رئيس وزراء الدنمارك آندرس راسموسن فقد قال: "إن حرية التعبير هي الأساس الأهم في الديمقراطية الدانماركية، والحكومة الدانماركية ليس لها أي سلطة في التأثير على الصحافة".

حسنا... فلنفترض أن هذا الكلام صحيح فإنني أود أن أطلب من رئيس وزراء الدانمارك ورئيس تحرير الصحيفة أن يتركا المجال والعنان لحرية التعبير بشأن الهولوكوست بأن يطلبا مســـابقة كاريكاتيريـــة مشابهة بشأن المحرقة ولينظروا النتائج، وأن يعرضوا على التلفزيون الدانماركي فيلم "آلام المسيح" لبيل جيبسون (وهو الفيلم الذي يصور عملية صلب المسيح عليه السلام وفقا للاعتقاد المسيحي ويبيّن أن اليهود هم من فعل ذلك)، ولينظروا إذا ما كان الخوف من الثأر الإسرائيلي قد أثر على حرية التعبير في الدنمارك.

إن أقل ما يمكن أن يقال في هذه الكاريكاتيرات إنها مثيرة للكراهية والنعرة العنصرية، وهاتان الاثنتان أسوأ ما ينقض الديمقراطية التي يتشدق بها رئيس وزراء الدنمارك، والديمقراطية تستوجب أن نســـتمع للرأي والرأي الآخر، لا أن نسمح لاتجاه واحد ونرفض الرأي الآخر، كما رفـــض هـــو عنـــدما لم يستقبل سفراء الدول الإسلامية.

أما مفهوم حرية التعبير الذي يستند إليه رئيس تحرير الصحيفة فإنه لا يشمل بأي حال حرية إخـــراج الأضغان والأحقاد على الملأ واستفزازهم ثم يرفض أن يعبروا هم عن رأيهم، إذا كان هذا هو مفهوم الديمقراطية وحرية التعبير فأقول من الآن مبروك يا أباحمزة المصري على البراءة لأن كل التهم الموجهة لك يمكن أن تدفعها بعبارة "الديمقراطية وحرية التعبير"... قلها وتخلص. (لا تعني هذه الفقرة أني أتفق مع منهج أبي حمزة المصري).

سيكون مقالي هذا رقما في قائمة طويلة من الهراء والثرثرة على الورق ما لم يقترح مقترح عملي وموضوعي للتصدي لمثل هذه الحركات النازية التي بدأت تنتشر على مدى أوروبا بأسرها، مادامت الدنمارك دولة ديمقراطية وحق التقاضي فيها مكفول للجميع فلماذا لا يتم رفع قضية ضد الصحيفة وتكون المطالبة بالاعتذار أو التعويض من خلال القضاء لا الاستجداء، خصوصا وأن هناك أحداثا سابقة يمكن الاستناد إليها في هذا الباب مثل القضية المقامة ضد "كاي فيلهيلمسين" المعلق بالإذاعة الدنماركية والمتهم فيها بانتهاك قوانين مكافحة العنصرية بسبب إبدائه ملاحظات معادية للمسلمين، حيث طالب بالقيام "بإبادة جماعية للمسلمين في أوروبا".

والقضية المقامة ضد محطة إذاعة "هولجر" المحلية ذات الميول اليمينية المتطرفة والتي يتوقع أن تكون نتيجتها احتمال سحب ترخيصها بسبب قضية تتعلق ببث مواد عنصرية ضد المسلمين.

وما لم يكن هنالك قانون يمنع مقاضاة الصحيفة فلا أعتقد أنه يمكن للمحكمة أن ترفض الاستماع لمثل هذه القضية مادامت مستوفية الشروط الشكلية والموضوعية لرفعها، وحتى لو كان هنالك قانون بهذا الشكل فلابد من البحث عن البدائل القضائية الناجعة على مستوى أوروبا ولتُستخدم بعض السوابق المزرية مثل محاكمة الكاتب الفرنسي روجيه جارودي الذي حوكم لإنكاره المحرقة والمؤرخ البريطاني ديفيد أيرفينج الذي اعتقل في النمسا منتصف نوفمبر الماضي لذات السبب.

إن التحرك من خلال مفهوم "داوها بالتي كانت هي الداء"، هو أفضل آلية للأخذ بالحقوق في بلد مثل الدانمارك، والتي هي في آخر المطاف دولة قانون سواء عتبنا عليها أم لم نعتب بسبب هذا التجاوز الفظيع، فالتحرك الفردي والاستجداء الشخصي لن يجدي شيئا في مثل هذه الأحداث.

أما عن رفض رئيس وزراء الدانمارك مقابلة السفراء المسلمين والعرب بشأن هذا الموضوع فإنه من الممكن أن تصل له الرسالة من خلال سفرائه في تلك البلدان، حيث يمكن أن تستدعيهم وزارات الخارجية في العالم العربي والإسلامي وتبلغهم امتعاضها الرسمي لتبليغه لحكومتهم وبالتالي سيسمع باليسرى ما رفض أن يسمعه باليمنى.

قد تكون المطالبة بالاعتذار من خلال ممارسة ضغوطات دولية على مستوى الحكومات والدول مثل رفع مستوى الجمارك على البضائع الدانماركية أو وقف بعض الصادرات المهمة إليها، خصوصا وأن الدنمارك ـــ على حد علمي ـــ لا تصدر إلا بعض الأطعمة التي تعد من الكماليات لدينا في عالمنا العربي والإسلامي.

وعندها سيتأكد لرئيس الصحيفة أن الثأر الإسلامي الذي يعني ويحاول تحريكه لدى الأفراد ليسيء من خلاله للإسلام ليس موجودا على الإطلاق، وإنما الموجود هو دول وحكومات ترعى حق دينها ونبيها.

لابد أن نفهم أن الدنمارك والصحيفة إياها لن يعتذروا لأننا نشرنا معروضا بمليون توقيع يطالب بالاعتذار، ولن يتراجعوا لأننا تظاهرنا هنا وهناك، ولن يغيروا موقفهم على الإطلاق ما لم نعاملهم بالطريقة التي يفهمون، أما الصراخ والبكاء والعويل فلن يجدي شيئا بل سيكون تأكيدا للنتيجة التي يريدون وهي أنهم في ميدان لا مواجهة فيه.

قد يعتبر بعض العقلاء أن في مقالي شيئاً من الهلوسة والرؤية الأفلاطونية... لا مشكلة فإنها حرية التعبير.

* مستشار قانوني وكاتب سعودي

===================

ومن نفسي يا رسول الله

يسري صابر فنجر

نعم أفدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنفسي، ووالدي وولدي والناس أجمعين، وهذه ليست صيحتي ولكنها صيحة كل مسلم فيه روح وقلب ينبض ، وأذكر هنا خبرين :

الأول: ما رواه مسلم (١٧٨٩) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش(فأين المليار مسلم اليوم) فلما رهقوه (أي كادوا يدركوه) قال– صلى الله عليه وسلم – " مَنْ يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة ؟ " فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال– صلى الله عليه وسلم – " مَنْ يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة ؟ " فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " ما أنصفنا أصحابنا ".

الثاني : يوم أحد أيضاً قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟" فقال رجل من الأنصار: أنا ، فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعداً جريحاً مُثْبتاً لا يتحرك بآخر رمق، فقال: يا سعد إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم من الأموات؟ قال: فإني في الأموات، فأبلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – السلام وقل: إن سعداً يقول: جزاك الله عني خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك مني السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.

فإلى الألف مليار مسلم سؤال: مَنْ يرد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو رفيقه في الجنة؟!!!

وإلى الألف مليار مسلم وصية سعد – رضي الله عنه –: لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف !!!

فليوجه كل منكم سهامه ليدافع بها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –
وبلغوا صياحكم ودعمكم إلى كل الميادين.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مرجعاً ومصنفاً في الدفاع عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سماه (الصارم المسلول) قال في مقدمته: الحمد لله الهادي النصير فنعم النصير ونعم الهادي الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويبين له سبل الرشاد كما هدى الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق، وجمع لهم الهدى والسداد، والذي ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما وعده في كتابه، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقيم وجه صاحبها للدين حنيفة وتبرئه من الإلحاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المرسلين وأكرم العباد أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره أهل الشرك والعناد ورفع له ذكره فلا يذكره إلا ذكر معه كما في الأذان والتشهد والخطب والمجامع والأعياد، وكبت محاده وأهلك مشاقه وكفاه المستهزئين به ذوي الأحقاد وبتر شانئه ولعن مؤذيه في الدنيا والآخرة وجعل هوانه بالمرصاد، واختصه على إخوانه المرسلين بخصائص تفوق التعداد فله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ولواء الحمد الذي تحته كل حماد وعلى آله أفضل الصلوات وأعلاها وأكملها وأنماها كما يحب سبحانه أن يصلى عليه وكما أمر وكما ينبغي أن يصلى على سيد البشر والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته أفضل تحية وأحسنها وأولاها وأبركها وأطيبها وأزكاها صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم التناد باقيين بعد ذلك أبداً رزقاً من الله ما له من نفاد أما بعد فإن الله تعالى هدانا بنبيه محمد وأخرجنا به من الظلمات إلى النور وأتانا ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والآخرة وكان من ربه بالمنزلة العليا التي تقاصرت العقول والألسنة عن معرفتها ونعتها وصارت غايتها من ذلك بعد التناهي في العلم والبيان الرجوع إلى عيها وصمتها فاقتضاني لحادث حدث أدنى ماله من الحق علينا بل له ما أوجب الله من تعزيزه ونصره بكل طريق وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذي وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق ولكن ليبلوا بعضكم ببعض وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ليحق الجزاء على الأعمال كما سبق في أم الكتاب أن أذكر ما شرع من العقوبة لمن سب النبي – صلى الله عليه وسلم – من مسلم وكافر وتوابع ذلك ذكراً يتضمن الحكم والدليل ونقل ما حضرني في ذلك من الأقاويل وإرداف القول بحظه من التعليل وبيان ما يجب أن يكون عليه التعويل فأما ما يقدره الله عليه من العقوبات فلا يكاد يأتي عليه التفصيل وإنما المقصد هنا بيان الحكم الشرعي الذي يفتي به المفتي ويقضي به القاضي ويجب على كل واحد من الأئمة والأمة القيام بما أمكن منه والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

وفي خاتمة الكتاب أوصى المحقق بجملة مقترحات منها:

أولاً: لقد ظهر في هذا الزمان أمور هي من قواسم الظهور من لعن الدين وسب رسول رب العالمين والمجاهرة بذلك على رؤوس الملأ أجمعين بلا رادع ولا وازع من خلق أو دين وما ذلك إلا لأسباب منها الجهل المزري الذي وقع فيه كثير من الناس في معرفة حكم ساب النبي-صلى الله عليه وسلم- وحده الشرعي ومنها عدم تنفيذ الحدود على الشاتمين والمرتدين حتى ظهر أولئك الزنادقة الذين جاهروا بالاستهزاء والسب على مرأى ومسمع من الناس أجمعين.

ثانياً: نظراً لجهل الكثير من المنتسبين إلى الإسلام بهذا الحكم والحد الشرعي فإننا نقترح أن تقوم الجهات المسؤولة بجعل هذا الكتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول كمرجع في المرحلة الجامعية أو يلخص ويكون ضمن المناهج في إحدى المراحل الدراسية لكي يدرك الطلاب هذا الأمر إدراكاً صحيحاً وينتشر بين الناس معرفة حكم الساب وحده الشرعي.

ثالثاً: حيث إن هذا الموضوع مهم جداً وأهميته لا تخفى على ذي مسكة في عقله في مشارق الأرض ومغاربها فيا حبذا لو يترجم هذا الكتاب وغيره من كتب شيخ الإسلام القيمة إلى اللغات الأخرى ليعم النفع بها بإذن الله تعالى فما أحوج الناس اليوم إلى إدراك حقيقة هذا الأمر الخطير.

رابعاً: أن من الواجب على القادرين من المسلمين أن يعنوا عناية جادة بأمر سب نبينا- صلى الله عليه وسلم - أو الاستهزاء بشيئ من الدين وأن ينشروا بين الناس الوعي الصحيح والإدراك السليم لهذا الأمر الخطير بمختلف الوسائل الدعوية وأن تنشر مثل هذه المؤلفات القيمة لأئمتنا الكرام - رحمهم الله تعالى- بعد تحقيقها وتصحيحها بدقة كاملة حتى لا نسمع ولا نسمح بشيئ فيه أذى الله ورسوله وعباده المؤمنين.

خامساً: أن السب كفر في الظاهر والباطن سواء اعتقد فاعله أنه حرام أم كان مستحلاً له وأن شاتم الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقتل بكل حال عند الحنابلة سواء كان مسلماً أو كافراً ولا يستتاب ولا تقبل له توبة وأن سب الذمي للرسول - صلى الله عليه وسلم - ينقض العهد ويوجب القتل ولا تقبل له توبة والمشهور في مذهب الإمام مالك قتل الساب بدون استتابة وحكمه حكم الزنديق إذا كان مسلماً وإذا كان ذمياً فأسلم ففيه روايتان في الأولى لا يقتل وفي الثانية يقتل ومذهب جمهور الشافعية أن الساب كالمرتد إذا تاب سقط عنه القتل وذهب أبو بكر الفارسي إلى أنه لا يسقط عنه القتل بالتوبة وعند الصيدلاني إذا سب بالقذف ثم تاب سقط عنه القتل وجلد ثمانين للقذف وعند الأحناف إن الساب كالمرتد في سائر أحكام الردة.

سادساً: أن حقيقة السب هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم عنه السب في عقول الناس.

سابعاً: أن الحكم في سب سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالحكم في سب نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم ــ.

نسأل الله الصدق في القول والإخلاص في العمل، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام دائمـــاً وأبداً على أشرف المرسلين.

ysmf@islamway.n صلى الله عليه وسلم t

========================

====================

وهل أدينا حق حب النبي الكريم في قضية الإساءة؟

الكاتب: شفيع الرحمن ارسلا خان

ان حب النبي صلي الله عليه وسلم واجب علي كل مسلم ومسلمة علي الاطلاق –ومسؤولية المسلم في هذا الأمر عظيمة جداً التي لابد أن تؤدي قبل يوم الحساب بقول الله تعالي قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم .

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انه قال للرسول صلي الله عليه وسلم: لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي صلي الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده حتي أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال النبي صـــلي الله عليه وسلم: الآن يا عمر وذلك لأن الرسول صلي الله عليه وسلم هو الذي دلنا علي الخير وبيّن لنا طريق النجاة وسبيل السعادة وحذرنا من الشر والهلاك وبسببه اهتدينا.

وقضية الإساءة في شأن النبي صلي الله عليه وسلم تتطلب من المسلمين اظهار غيرهم ويجب أن تتجلي هذه الغيرة في قلب كل من عنده حرارة الإيمان والمحبة. وقد رأي العالم مظاهر هذه الغيرة في مشارق الأرض ومغاربها من مقاطعة المنتجات الدنماركية والمظاهرات والمسيرات حتي استشهد كـــثير مـــن المسلمين في هذه المظاهرات وأخص بالذكر منها مظاهرات باكستان التي ما زال المسلمون يقومـــون بها.

وقد ملأ الكتّاب من ناحية أخري الجرائد والمجلات بمقالاتهم وكتاباتهم في حب النبي صلي الله عليـــه وسلم وما زالت تهز موجات التظاهرات والمسيرات العالم كله.

يرى كل مسلم الدفاع عن النبي صلي الله عليه وسلم مسؤوليته من حيث الفرد والمجتمع ومن حيث الحكومة والشعب. (لكن السؤال هنا لماذا اجترأ الكفر علي ان يلعب بمشاعر المسلمين في شأن نبيهم وحبيبهم الذي فضلت بسببه هذه الأمة علي سائر الأمم.

والجواب بأن الكفر رأي ضعف المسلمين وتقاعسهم في اتباع سنن النبي صلي الله عليه وسلم في جميع أمور حياتهم حيث انهم لا يهتمون بالسنن في مأكلهم ومشربهم وتجارتهم ومعـــاملاتهم وأخلاقهـــم

وأشكالهم وسيرتهم بحيث نري المسلم حراً في كل شيء. فهذا هو السبب الحقيقي الذي ربما لم تتطرق اليه أقلام كثير من الكتاب.

فالحل هو ان نرجع الي الحب الحقيقي للنبي صلي الله عليه وسلم الذي هو جزء من ايمان كل مسلم. والذي لا يكتمل ايمان المسلم بدونه حيث قال النبي صلي الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين رواه البخاري ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قيل ومن يأبي يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي . فمحبة النبي صلي الله عليه وسلم واجب وهي تقتضي اتباعه كما يقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه

هذا لعمرك في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

فمسؤولية المسلم ان يتبع هدي النبي صلي الله عليه وسلم في شكله وفي لباسه وفي تجارته وزراعته وفي أفراحه وأحزانه حتي في جميع أمور حياته. لكي يعتقد المسلم انه مقيد بحدود الشريعة والسنة. فعلي كل مسلم ان يظهر محبته للنبي بالعمل علي جميع سننه من ظاهرها وباطنها. ومن السنن الظاهرة أن يزين الرجل وجهه بسنة اللحية التي قد افتقدتها أغلبية الأمة من حياتهم مع أنها نور المسلم في وجهه وعلامته للايمان حيث قال النبي صلي الله عليه وسلم خالفوا المشركين وفروا اللحي واحفوا الشوارب .

وأما هؤلاء الحاقدون الظالمون الذين أساءوا الي النبي صلي الله عليه وسلم فإن الله ينتقم منهم ان شاء ويجعل موتهم عبرة للآخرين.

ونحن نعرف ان ابرهة لما جاء لهدم الكعبة حتي وصل الي مني وأخذ جمال أهل مكة فجاء عبدالمطلب جد النبي صلي الله عليه وسلم لاسترداد الجمال فتعجب إبرهة وقال: كنت أتوقع منك بأن تطلب مني عدم هدم كعبتكم! وأنت تطلب مني فقط بأن أرد الجمال؟ فأجاب عبدالمطلب: إن للبيت رباً يحميه فحمي الله الكعبة من هؤلاء الظالمين وجعلهم عبرة لمن بعدهم ونقول لهم اليوم: إن لمحمد عليه السلام رباً يحميه ونسأل الله أن يجعل هؤلاء المعتدين عبرة للآخرين.

صحيفة الراية القطرية

==================

ويأبى الله إلا أن يتم نوره

ناهد بنت أنور التادفي / الرياض

هل نقول: إنها امتداد للحروب الصليبية الظالمة التي قامت على محاربة الإسلام وإلغاء معتقدات الآخر؟ كيف تفسر هذه الغرائب التي تأتينا في كل يوم وفي صور مختلفة ليس من ورائها غير النيل من الإسلام وإلغائه وتشويه صورته؟

لقد أُلقيت تهمة الإرهاب على الإسلام، والإسلام هو المتضرر الأكبر من جنون الإرهاب والإرهابيين، وقد دفع أثماناً باهظة من أرواح المسلمين وممتلكاتهم وثرواتهم في أكثر من دولة إسلامية، وليست المملكة العربية السعودية أو جمهورية مصر العربية أو الأردن وما جرى فيها ببعيد عن ذاكرة العالم.

كما تعلو أصوات بعض الغربيين المشبوهين والحاقدين، ونجدهم في كل وقت وفي كل مناسبة ومن وراء كل منبر إعلامي يمارسون ضغوطهم بكل الوسائل على الحكومات والمؤسسات والشعوب الإسلامية، ليس لذنب اقترفوه، بل لأنهم يعتنقون الإسلام ديناً ومنهج حياة. وهاهم يطالبون الأمة الإسلامية بتغيير مناهجها الدراسية والتعليمية وإلغاء سور من القرآن الكريم، وبخاصة تلك التي تتناول ظلم اليهود وقتلهم للأنبياء وتطرُّفهم، وتعرِّي مواقفهم المشبوهة عبر التاريخ، يدلُّنا الله سبحانه عليها كي نأخذ بأسباب الحذر والحيطة.

وكم من مرة تعرضت الجمعيات الخيرية الإسلامية الاجتماعية التي تنفق على الفقراء والمعوزين في تلك الدول إلى مداهمات واعتقالات ومحاكمات للقائمين عليها، واستيلاء على أموالها ومراكزها بتهم بالية وظالمة وبعيدة عن الفهم الحقيقي لرسالة الإسلام والنظام الاجتماعي العادل الذي أتت به تعاليمه الحنيفة.

إن ما يصلنا اليوم من دولة تدَّعي أنها تمثل النظام العالمي المتحضر والمنفتح على ثقافات الآخر، وتسمح لبعض من مواطنيها بتشويه صورة مثلى لنبي جاء بالحق دون علم ودون معرفة ودون تقدير للدور الأمثل الذي قام به الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته لخير الإنسانية، ثم تدَّعي أن ممارسات كهذه تنتمي إلى الحرية الشخصية وحرية إبداء الرأي، وينبري من مسؤوليها مَن يدافع عن مرتكبيها، ويرفض رئيس وزرائها استقبال شخصيات إسلامية للحوار في هذا الشأن، ويعلنون رفض حتى الاعتذار عما بدر من فرد أو أفراد من مواطنيهم. كل هذا يؤكد أنها ليست ظاهرة فردية عابرة، بل هي سلوك وسياسة للنيل من قيم الإسلام والمسلمين والرمز الخالد سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

نحن نؤمن بالحرية، لكننا نؤمن بأن حرية الفرد تنتهي عند حرية الآخر.. ونؤمن بحق الشعوب في اختيار انتماءاتهم الروحية، ونؤمن أنْ (لا إكراه في الدين)، وأن الناس جميعاً مخلوقات الله سبحانه شركاء على هذه الأرض وشركاء في الإنسانية، ونؤمن بأنه لا يصح إيمان المسلم إلا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}البقرة: ٢٨٥).

فهل يدرك الآخرون هذه القيم؟

هل يعلم هذا الذي تجنَّى بالإساءة على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مَن هو هذا النبي؟

هل قرأ شيئاً من سيرته؟

هل تابع سلوكه مع قومه ومع غيرهم من أبناء الشعوب من غير المسلمين؟

هل يمكن أن يفهم كيف كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الآخر؟

إنه لأمر جلل يستحق من الأمة الإسلامية جمعاء وقفة دفاع مشرفة عن معتقداتنا وعن رسول المحبة والسلام والحق محمد عليه الصلاة والسلام.

ولا شك في أنها رائحة كريهة تفوح من وراء هذا الأمر، ومن وراء الغايات الخبيثة التي تختفي وراء هذا الأمر، فهي نار يشعلها أعداء المسلمين من يهود وممن يدور في فلكهم من المغررين والحاقدين والسفهاء.

{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}البقرة: ١٢٠).

إن الموقف النبيل السبَّاق الذي تقفه المملكة وشعب المملكة هو في دائرة حرص المملكة على سمعة الإسلام والمسلمين، والدفاع عن العقيدة السمحة التي ما تزال تعطي للعالم مشاعل نور وهداية، وهي بذلك كانت الطليعة في إعلان الغضب والمطالبة بتقديم الاعتذار الرسمي من الدولة المسيئة على ما كان منها بحق خير البرية، كما أن مقاطعة البضائع الدنماركية والنرويجية وسيلة من وسائل العقاب كي يسمع المنحرفون صوت المسلمين الناهضين للدفاع عن الإسلام، وننتظر من كل مسلم أن ينهض في هذا الوقت العصيب مدافعاً بكل ما يستطيع عن عقيدته ودينه وأصله.

إن الدولة (الدنمارك) التي يشرع برلمانها بالإعلان الفاضح الموافقة وقبول الممارسات الجنسية بكل ألوان الشذوذ، والذي يشرع زواج رجل من رجل وامرأة من امرأة، والذي أعلن صراحة وتشريعاً وقانوناً موافقته على زواج امرأة من كلب..! هذه الدولة ومهما بدر منها بعد هذه الأمثلة في حق الشرفاء.. قليل.

أما أنت يا سيدي يا رسول الله، سلام الله عليك، أنت المبرَّأ من كل عيب، وحبيب الله، كم تحملت من الأذى في سبيل نشر الدعوة، وكم جاهدت وصبرت حتى ثبتت رسالة الإسلام، بعد أن أدرك العقلاء أنها رسالة الحق ولخير الناس أجمعين، فعمَّت القلوب والأفئدة، وصارت للمؤمنين إماماً ومنهجاً، فكانت خاتمة الديانات، وكنت صلى الله عليك وسلم خاتم النبيين.

وسنكون الفداء لهذا الدين العظيم، والجند الأوفياء لرسالة الإسلام، والسياج الحامي لكل القيم الخيرة والنبيلة.. ونردد قول الله سبحانه: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ

تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاستغْلَظَ فَاستوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} الفتح: ٢٩)
صدق الله العظيم.

==================

يا أنصار النبي صلى الله عليه وسلم .. ((صفاً واحداً))

الكاتب: عبدالله بن مرزوق القرشي

قرأت شيئاً مما كتب عن مؤتمر البحرين لنصرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع أني لا أتفق مع بعض الأطروحات التي تناولت المؤتمر ، غير أني لا أودّ أن ذلك لم يحصل!. إنني أقدّر أن المؤتمر وما تلاه من مناقشات هو عبارة عن درس جديد يكتب هذه الآونة في ثقافتنا العملية . ومثل هذه الدروس لا يكتب لها البقاء والاستمرار والتأثير حتى تأخذ حقها من المداولة والنظر والتفاعل المشترك بين الآراء المختلفة . حتى إذا كتب هذا الدرس كان مكتوباً بمدادٍ من الحياة لا تذروه الرياح ولا تمحوه الليالي والأيام ، ناصعاً يتوهج للأجيال الحاضرة والقادمة . والشرط المهم في مداولاتنا هذه التركيز على الرأيِ ، والبحثِ عن الحقيقة التي ربما تكتمل بأجزاء من هذا الرأي وذاك. وهنا لا مكان للتعصب لأشخاصنا حيث إنا لا نعلق على حدث سابق بقدر ما نريد أن نشارك في صياغة درس للمستقبل . إن هذا التفاعل الكبير مع نصرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو حدث استثنائي وفرصة كبيرة لأن نستخلص ولو درساً واحداً لمسيرتنا الطويلة نحن –أمة الإسلام – .

أما بعد : فهذا تعليقي على ما جرى في المؤتمر وما تلاه أرتبه في النقاط التالية:

أولاً : بعد أن أساءت الصحيفة لنفسها وأساءت لمشاعرنا في التعرض لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هبّت الأمة الإسلامية هبّةً فِطْرِيّةً صادقة ، غيرةً ونصرةً لمن هداها من الظلمات إلى النور. ولا أُنْكِر أن ثمة مخلصين هم منْ بادروا بتعريف الأمة واستنهاضها ، غير أن استجابة الأمة كانت أسرع وأكبر من أن نتذكر من هؤلاء الأشخاص ، جزاهم الله عن نبيهم وأمتهم خير الجزاء . إننا – أمة الإسلام – أردناها نصرة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحسب . ولا أستثني من ذلك أحداً . وهذا مبدأ ينبغي أن نلتزمه في حواراتنا حول هذا الموضوع . فلا يجوز التشكيك في النيات بأي حال من الأحوال ، حتى لو أن بيننا أحداً أرادها لغير الله فلا يجوز أن نعامله على هذا الأساس إلا أن يكون بأيدينا دليل ((وليس قرينة)) على نيته السيئة. علينا بالظاهر والله يتولى السرائر . ذلك منهج نبينا الذي ننصره بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم عامل الناس على ظواهرهم حتى المنافقين أجرى عليهم حكم الإسلام لمّا أظهروا إسلامهم وأبطنوا كفرهم . إن الاتهامات والتخوين والتشكيك نفق مظلم طويل ،من دخله

أجهد نفسه دون أن يهتدي إلى نهاية صحيحة . وما زال هذا النفق هو مهرب المبطلين كلما أشرقت عليهم شمس الحقيقة كما قال كبيرهم فرعون حين ظهر الحق على يدي نبي الله موسى]إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } . ومع وضوح هـذا المبـدأ ((عـدم التشكيك في النيات وأخذ الناس على ظاهرهم)) إلا أن المرء يلمس من نفسه ومن بعـض إخوانـه بعض التفريط فيه إبّانَ الممارسات العملية . ولذلك كان التذكير بهذا المبدأ في فاتحة الحديث .

ثانياً : الخلاف في بعض وجوهه تنوّعٌ وثراء ، ومشاركة ممتعة . ولا مانع هنا أن يوجد الصواب عند أحد الأتباع كما حدث هذا مع الحباب بن المنذر في غزوة بدر، وربما يجري الحق طيباً سائغاً علـى لسان امرأةٍ متوارية خلف خبائها كما حصل لأمنا أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية في حل أزمة تباطؤ الصحابة عن التحلل من عمرتهم . وربما لمع السداد في ذهن شابٍ حادّ الذهن . ولـذلك كان عمر يستشير الشباب يبتغي حدة أذهانهم ،كما قاله الزهري . فلا غرابة إذن أن تتنوع الآراء- دون حجر على أحد – في معالجة أزمة الرسوم المسيئة ، وما هي الطريقة الأحسن في التعامل مع هذا الحدث .

ثالثاً : ولكن في أي شيء يكون الخلاف ؟ وإلى متى يستمر الخلاف ؟ وإذا احتجنا إلى حسم الخلاف فمن له الحق في ذلك ؟ وهذه أسئلة كبيرة لا يمكن الإجابة عليها جميعاً. ولكن نأخذ من ذلـك مـا يهمنا في هذا الموقف (موقف الرسوم والنصرة) . ولا ريب أن هذا الموقف هو مما يحتمل تنوع الآراء واختلافها هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإنه موقف عملي ينبغي أن نتفق فيه على رأي موحّـد حتى نخرج بموقفٍ قوي واحد]إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ } . ونَرجع إلى معينه الصافي سيرته العملية صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـدين المهديين من بعدي " . لنرى كيف كان يتعامل مع مثل هذه المواقف . وحري بنا أن نرجـع دائمـاً لسيرته صلى الله عليه وسلم لاسيما ونحن نناقش نصرته فليكن أول ما ننصره به اتباع طريقته وهديه في مواقفه العملية . وأشير باختصار إلى غزوة أحد حين سمح النبي صلى الله عليه وسلم بتنوع الآراء في كيفية مواجهة جيش المشركين ، وكان رأيه أن يقاتل في المدينة ورأي الشباب أن يخرجوا إلى أحد . فلما جاء وقت العمل حسم الخلاف لأحد الرأيين (وكان في ذلك الموقف هو رأي القتال خارج المدينة) . فلمّا ذهب إلى أحد ترك عبد الله بن أبيّ بن سلول الجيش بحجة أن رأيه كان خيراً من رأي الشباب وانهزم بثلث الجيش .. فهنا طريقتان طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتماع ولـو على رأي مفضول ، وطريقة عبد الله بن أبي بن سلول التفرق بحجة الحرص على الرأي الفاضـل . فلينظر امرئ ما يختار لنفسه ! . إن الاجتماع على رأي مفضول خير من التفرق على رأي فاضل .] وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [. إذن لا مانع من التنوع وتقليب الآراء والخلاف حتى يبـدأ الموقف العملي ، فإذا جاءت المواقف العملية فيجب أن نتنازل عن بقية الآراء ونجتمع على رأي واحد

ونخرج للأمم الأخرى صفاً واحداً . ويبقى السؤال هنا : من يحدّد هذا الرأي دون بقية الآراء الباقية ؟ من يحق له الاختيار ؟

ونعود لمسألتنا في مؤتمر البحرين لنقول إن أكبر تجمع للعلماء – حسب اطلاعي – هو مؤتمر البحرين. حضر فيه جماعة من العلماء الأجلاء ، ووفود من المراكز الإسلامية في الدنمارك ، ونظمته مؤسسات وهيئات إسلامية معروفة بجهودها الإسلامية وجهودها في حملة النصرة لخاتم الأنبياء والمرسلين . فأرى من المناسب أن نتنازل عن آرائنا الأخرى لرأي هؤلاء العلماء الأجلاء ، لاسيما أننا الآن في موقف عملي لا يحتمل المنازعة والتفرق . واستطراداً فإني أذكّر إخواني بأن ثمة نموذجان داخل واقعنا الإسلامي فيما يتعلق بالاختلاف والتفرق . فهناك نموذج ركّز على النظام وأهمل الدليل ، فخرج بمواقف منظمة ومرتبة ، لكنه أهمل النظر للدليل حتى أصبح سلطان النص يتراجع كثيراً أمام سلطان المراجع الدينية . وصورته الغالية تصل إلى ما وصف الله {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ } (٣١) سورة التوبة. وهناك نموذج آخر ركّز على سلطة الدليل واحترام النص ، وأهمل التنظيم والخروج بمواقف مرتبة حتى غدا حال هذا النموذج فوضى عارمة لا يُعرف لذي قدرٍ قدره . وواجبنا حيال هذا الواقع أن نضع نموذجاً ثالثاً يحفظ لنا ((صفنا الواحد)) دون أن يحولنا إلى ((اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله)) .

رابعاً : وماذا عن قرار المؤتمر وبيان الشيخين الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ سلمان العودة ؟

وأقول : ابتداءَ فإني من الناحية العملية أرى موافقة المؤتمر وعدم التفرق والتنازع سواء كان هناك اقتناع بالطريقة التي أقرها المؤتمر أم لا؛ فاجتماعنا على رأي مفضول خير من تفرقنا على رأي فاضل. وإن كان ثمة تسامح فلا تثريب في المخالفة على ألا يكون إنكار لا يتناسب مع طبيعة المواقف العملية.

هذا من حيث المبدأ . أمّا رأيي الخاص – ومن أنا حتى يكون لي رأيٌ خاص في مقابل هؤلاء الأجلاء ؟! ولكن مجرد مشاركة نظرية – فربما كان الصواب مع أحد الأتباع أو أحد الشباب ! . فأرى أن رأي المؤتمر كان رأياً موفقا وسديداً . ذلك أن المقاطعة وسيلة وليست هدفاً . فأهدافنا في هذه الحملة – إن صح التعبير – كفُّ السفهاء عن النيل من مقدساتنا . وتبليغُ الناس رسالات الله وهداياته كما نراها نحن لا كما يراها خصومنا . ومن أجل تحقيق هذه الأهداف سنجد وسائل كثيرة من أهمها المقاطعة . ومن المهم أن نتعامل مع هذه الوسيلة بذكاء ووعي حتى نحصد منها أكبر مكاسب ممكنة. بالمقاطعة تستطيع أن تلفت انتباه الشعوب إليك لتقول لهم ما تشاء . بالمقاطعة تستطيع أن تعاقب الخصم المعاند . بالمقاطعة تستطيع أن تحقق مكاسب للإسلام في بلدان الغرب . إن المقاطعة ليست عاطفة بسيطة فحسب بل هي صناعة ومهارة ، وفنٌ وذكاء . ولذلك فلا بد لهذه المقاطعة من إدارة تصرّف هذه الوسيلة وتقلّبها بما يحقق لنا مكاسب أكبر ، تماماً كالدراهم تجعلها في يد تاجر ماهر

يقلبها في أنواع التجارة في السوق ليردّها إليك أضعافاً مضاعفة . وهؤلاء العلماء والمؤسسات المنظمة هي أفضل الخيارات الممكنة لإدارة الموقف . إن أمانة المؤتمر حين رفعت المقاطعة عن شركة " آرلا " لجهودها التي اعتبَرَتْها كافية لاستثنائها من القائمة = قد جعلت الشركات تتنافس لمحاولة رفع المقاطعة عنها. والأمانة ستشترط على كل شركة ما تراه مناسباً لكسب الجولة بيننا وبين خصومنا . ومعنى هذا أن أمانة المؤتمر فكّت الحصار عن الجالية المسلمة في الدنمارك . وتحولت هذه التكتلات الاقتصادية العملاقة إلى طوق يحاصر الحكومة اليمينية ، ومثل هذا القرار الحكيم الواعي غيّر قواعد اللعبة داخل الدنمارك . فأصبح إخواننا المسلمون مع الجماهير من الشعب والشركات الضخمة ، أصبحوا ضد أقليّة تصر على الإساءة لنا . بعد أن كان إخواننا أقليّة محاصرة. وبهذا يظهر أن المؤتمر ليس ضد المقاطعة ، بل هو مع المقاطعة ومع استثمار المقاطعة بصورة أكبر . وفي الجملة فإني أرى ما حصل تقدماً ظاهراً في تعاطي المسلمين مع قضاياهم .. عواطف " الجماهير " الصادقة ، تلتقي بإدارة " الحكماء " الواعية! .

وعوداً إلى بداية الحديث فإن الدرس المستخلص هو ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرره على أصحابه مع كل صلاة ، حتى إن الإنسان مع كثرة قراءة النص وتأمله لكأنه يسمع صوته صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ((سووا صفوفكم)) .

يارسول الله عذرا

الكاتب: الشاعر محمد محمود أحمد من مصر

يارسول الله عذراً .. قالت الدنمارك كفراً
قد أساؤا حين زادوا .. في رصيد الكفر ُفجراً
حاكها الأوباش ليلاً .. واستحلوا القدح جهراً
حاولوا النيل ولكن .. قد جنوا ذلاً وخسراً
كيف للنملة ترجو .. أن تطال النجم قدراً
هل يعيب الطهر قذفٌ .. ممن استرضع خمراً
دولة نصفها شاذٌ .. ولقيطٌ جاء عهراً
آهٍ لو عرفوك حقاً .. لاستهاموا فيك دهراً
سيرة المختار نورٌ .. كيف لو يدرون سطراً
لو دروا من أنت يوماً .. لاستزادوا منك غمراً
قطرةٌ منك فيوضٌ .. تستحق العمر شكراً
يارسول الله نحري .. دون نحرك .. أنت أحرى
أنت في الأضلاع حيٌ .. لم تمت والناس تترى

حبك الوردي يسري .. في حنايا النفس نهراً
أنت لم تحتج دفاعي .. أنت فوق الناس ذكراً
سيد للمرسلينا .. رحمة جاءت وبشرى
قدوة للعالمينا .. لو خبت لم نجن خيراً
يارسول الله عذراً .. قومنا للصمت أسرى
ندد المغوار منهم .. وسواد الناس سكرى
أي شيءٍ قد دهاهم .. مالهم يحنون ظهراً
لم يعد للصمت معنً .. قد رأيت الصمت وزرا
ملت الأسياف غمداً .. ترتجي الآساد ثأراً
إن حيينا بهوان .. كان جوف الأرض خيراً
يؤلم الأحرار سبٌ .. لرسول الله ظُهراً
ويزيد الجرح أنّا .. نسكب الآلام شعراً
فمتى نقذف ناراً .. تدحر الأوغاد دحراً
ياجموع الكفر مهلاً .. إن بعد العسر يسراً
====================

يوميات الانترنت: دفاع شرس عن الرسوم

الكاتب: رامي رحيّم

بعيدا عن العواصم والمدن الإسلامية، في زوايا شبكة الانترنت اللامتناهية، تستمر معركة أزمة الرسوم بالتفاعل على نار حامية. لكن الصورة هنا مختلفة تماما عما رأيناه في الإعلام التقليدي، سواء في العالم الإسلامي أو في الإعلام الغربي.

فبالنسبة لعدد من كتاب اليوميات (Blogg صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم s) اليمينيين، فإن سلوك الإعلام الغربي والسياسيين في الغرب حول موضوع الرسوم اتسم بالجبن والتكاذب. ولا لبس بالنسبة لهؤلاء حول فحوى الأزمة: إنها معركة مصيرية حول حرية التعبير في ظل "جهاد" إسلامي مفتوح ضد القيم الغربية، وفي ظل استسلام غربي مكشوف.

فهم يهاجمون بكتاباتهم بشكل أساسي تيارين فكريين:

الأول في العالم الإسلامي، يرى أن الإسلام دين مسالم يتعرض لحرب شرسة من العالم الغربي.

والثاني في الغرب، يرى أن الرسوم تشكل تعديا مسيئا وغير مسؤول، ويحث على احترام المقدسات ورسم خط واضح بين الحرية والاساءة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عدد مواقع اليوميات (بلوغز)

هائل ومن شبه المستحيل القيام بمراجعة شاملة لها. ما يلي هو مجرد تغطية بسيطة لعدد صغير من المواقع اليمينية التي تمثل تيارا برز في الغرب بعد الأزمة.

لا بد أولا من نظرة خاطفة إلى ثقافة كتابة اليوميات.

لماذا البلوغز ؟

هذه الظاهرة الحديثة نسبيا تثير جدلا واسعا في الأوساط الإعلامية لسبب بسيط: إنها تتيح لأي كان أن ينشر كل ما يريد بالصورة والنص والصوت، وأن يجعله متوفرا على شبكة الانترنت لملايين الناس. إنها ظاهرة إعلامية بامتياز، لكنها تحرم الإعلام التقليدي من احتكاره لإعلام الجماهير.

هكذا إذا تمكن كاتب يوميات عراقي، على سبيل المثال، من أن يخطف الأضواء العالمية خلال اجتياح البلاد عام ٢٠٠٣ من خلال كتاباته البسيطة من صلب موقع الحدث.

وهكذا أيضا يتمكن آلاف كتاب اليوميات في إيران والصين من تناول قضايا سياسية واجتماعية محظورة في الإعلام المسيطر عليه في بلادهم، ما يؤدي إلى ملاحقة مستمرة من السلطات لهم بسبب قوة رسالتهم وانتشارها.

نحن إذا أمام وسيلة إعلامية مختلفة تماما عن أي شيء سبقها، ومن الطبيعي أن تفرز كتابا يتناولون المواضيع الساخنة بحرية أكبر من الإعلام التقليدي.

إذا، ماذا يقول كتاب اليوميات عن الرسوم وتداعياتها؟

"تحالف كتاب اليوميات الكفار"، "علينا أن نقف إلى جانب الدنمارك وألا نسمح لناشري عقيدة غير متسامحة أن يحرمونا من أحد أكثر المبادئ الغربية حيوية: حرية التعبير."، "أصحاب المواقع (على الانترنت) الذين ينشرون رسوم يلاندز-بوستن يتعرضون للتهديد في حال لم يزيلوها. لقد استسلم الإعلام الأمريكي التقليدي للتخويف، لذا لا تنتظروا مساعدة منهم في هذا المجال."، "تقع مسؤولية دفع الموضوع قدما على البلوغز، وعلينا أن نقوم بما نتقنه: أن نظهر الحقيقة." هذا النص ورد على موقع "إل جي إف" اليميني الأمريكي. وتحت النص وصلة تؤدي إلى الرسوم.

ويتابع الكاتب في مكان آخر ليشدد أن الموضوع يلخص بالآتي: "...حرية التعبير، وما إذا كانت حريتنا بالتفكير والكتابة والرسم يجب أن تخضع للـ"حساسيات الدينية" لكل من يهددنا بالعنف."

على موقع "باور لاين" الأمريكي اليميني أيضا، نرى رسالة مشابهة:

"لا تسمحوا للإرهابيين بإسكاتنا. نحن أمريكيون ويمكننا أن نهزأ بالأنبياء إذا اخترنا ذلك. ادعموا حرية التعبير." وتحت النص وصلة أخرى، هذه المرة إلى موقع يتيح لزائره أن يحصل على قميص عليه أحد الرسوم.

وعلى موقع يطلق على نفسه اسم "دراسة في الثأر"، يقول الكاتب:

"هذا الموقع يهدى إلى أصدقائنا في الدنمارك، تضامنا معهم ومع كل الغربيين الذين يعون أهمية حرية التعبير عن أنفسهم كما يشاءون بغض النظر عن غلاظة هؤلاء الذين يودون تهديد أرواحنا وحرياتنا بسبب...بعض الرسوم." ويلجأ أصحاب هذه المواقع إلى السخرية في معظم الأحيان، وقد اختار بعضهم إطلاق إسم "تحالف كتاب اليوميات الكفار" على موقعهم.

بالصور أيضا

ولا يكتفي كتاب اليوميات بالنصوص المكتوبة، بل يلجأون أيضا إلى الصور. وعلى موقع باور لاين صور لتظاهرة أطفال في باكستان مناهضة للرسوم، وتحت الصورة كلام يشرح المغزى منها: "تذكروا هذا حين يقول أحدهم أن سبب كره المسلمين لنا هو سياسات إدارة بوش."

أما الصورة الثانية، فتبرز أحد الأولاد في التظاهرة حاملا سكينا. ويعلق الكاتب: "يبدو أن الأفضل له أن يذهب إلى المدرسة عوضا عن التهديد بتمزيق الكفار طعنا." وفي صورة ثالثة، تظهر إحدى المتظاهرات في باكستان مرتدية برقع وحاملة لافتة كتب عليها: "بارك الله بهتلر."

تيار فكري

وفي حين يبدو واضحا الشعور المعادي للإسلام بشكل عام لدى هؤلاء الكتاب، تبدو أيضا رغبتهم بالتشديد على أنهم أصحاب رسالة مبنية على فكر ما. فبموازاة لهجتهم الساخرة وهجومهم الكلامي العنيف والمهين أحيانا، يبرزون تحليلا سياسيا اجتماعيا لخلفيات الأزمة لدعم موقفهم. من هنا، يوجهون انتقاداتهم إلى الغرب، وتحديدا إلى ما يعتبرونه الفشل الذريع لتجربة "التعددية الثقافية" (multicultu صلى الله عليه وسلم alism) في أوروبا.

فحسب بعض الكتاب، فإن التعددية الثقافية قائمة نظريا على تشجيع المهاجرين على الحفاظ على تقاليدهم، في مقابل أن يتقبل هؤلاء القيم الأوروبية. لكن بالتطبيق، يتحول الأمر إلى شبه انفصال من جهة المهاجرين وإلى مقاومة فعالة للاندماج.

كما يرى الكتاب أن الأئمة المسلمين في الغرب "أتقنوا لعبة الليبرالية الغربية"، فيختبئون وراء فكرة حرية التعبير حين يلائمهم ذلك، ويحتجون عليها في أحيان أخرى، بانين ذلك على فكرة الحساسيات للثقافات المتعددة في البلاد. وفي مثل آخر على تشديدهم على أنهم أكثر من مجرد مجموعة معادية للإسلام، يقدم بعضهم شرحا للأسباب التي تدفعه إلى نشر الرسوم، مبنيا على رؤية لمكافحة الرقابة:

"من الضروري على كل صحيفة أن تعيد نشر الرسوم. هذا ليس مجرد تعبير رمزي عن الدعم، إنه إجراء عملي ضد الرقابة. فالرقابة، وخاصة العنيفة منها التي يهدد بها الأصوليون المسلمون، لا تفعل فعلها إلا في حال تمكنت من عزل الضحية، وجعله يشعر أنه وحده في دائرة الخطر."

ويتابع الكاتب:

"ليس العربي الأصولي في الشارع الذي يحمل لافتة تقول "اقطعوا رأس من يهين الإسلام" هو الـــذي يخيف الفنان أو الكاتب. ما يخيفه هو شعوره بأن حين يلاحقه من يود قطع رأسه سيكون وحده لأن الآخرين سيتصرفون بجبن وسيضعون رؤوسهم بالأرض."

أربعة تيارات رئيسية

يصعب التنبؤ بالمنحى الذي سيأخذه الجدل الذي خلفته أزمة الرسوم. لكن تدقيقا في أطراف الجدال المختلفة قد يساعد على توضيح الصورة. يمكن التمييز بشكل عام بين أربعة تيارات عامة في الـــتراع الفكري القائم:

بعض اليمين الإسلامي يرفع الصوت عاليا في العالم الإسلامي وفي الغرب في آن معا، قائلا:

الإسلام يتعرض لحرب من الغرب

الحل هو مقاومة المد الغربي في العالم الإسلامي والعمل من أجل إقامة حكم إسلامي عالمي. وقد روج لهذا الفكر عدد من الشخصيات الإسلامية في بريطانيا على سبيل المثال، بينهم أنجم شوداري الـــذي ظهر أكثر من مرة على برامج بي بي سي قائلا إن حكم الشريعة الإسلامية يمثل نظام حكم متفـــوق على الديمقراطية الغربية. يصعب تحديد مدى انتشار هذا التيار، لكن يمكن القول إنه في بريطانيا يمكن حصره بعدد قليل من الشخصيات التي تتحدث علنا بهذا المنطق، مع أن بعض الاستطلاعات تشير إلى ارتفاع نسبة المسلمين المؤيدين لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في بريطانيا.

تيار إسلامي توفيقي

من جهة أخرى، يسعى تيار من المسلمين إلى التوفيق بين الانتماء للإسلام والانتماء إلى المجتمعـــات الغربية التي يعيشون فيها. ويرى هؤلاء: أن الإسلام يتعرض لعنصرية من جانب عـــدد كـــبير مـــن الغربيين، بما في ذلك الإعلام. أن ذلك لا يمثل كل المجتمع الغربي. أنه يتعين إيجاد طريقة للتوفيق بـــين حرية التعبير واحترام المقدسات. أنه من الخطأ اللجوء إلى العنف في كل الحالات.

تيار غربي توفيقي

التيار في الغرب الذي عبر عنه معظم السياسيين الأوروبيين، بالإضافة إلى الإدارة الأمريكية ومعظـــم الإعلام التقليدي، يرى أن:

الإسلام دين مسالم بجوهره. بعض المتطرفين يسعون لاستغلال أوضاع سياسية متأججة في الشـــرق الأوسط لفرض صيغة عنيفة من الإسلام. يتعين إيجاد طريقة للتوفيق بين حريـــة التعـــبير واحتـــرام المقدسات.

أما أقصى اليمين في الغرب، فهو الذي عبر عنه كتاب اليوميات، والذي بينهم من يرى أن الإســـلام بجوهره لا يتقبل الاختلاف ويميل إلى استخدام العنف لفرض مقدساته على من لا يـــؤمن بهـــا، وأن صيغة التعددية الثقافية فشلت فشلا ذريعا.

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ

د. محمد بن سعد الشويعر

مَنْ يقول من أهل الكتاب: إن الإسلام يعاديهم، فهو ناقص الفهم، إنه لا يعادي إلاّ ما عارض شرع الله الذي أنزله سبحانه: على موسى – عليه السلام – في التوراة أو ما يسمونه العهد القديم، وما بدّلوه بحسب ما تصف الألسن، افتراء على الله.

ولا يعادي ما أنزله الله على عيسى – عليه السلام – في الإنجيل، لكن الإنكار على ما أُدْخِل في الإنجيل، ممّا لم يأمر به الله سبحانه، ولذلك أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقاعدة عامة، مضمونها أن ما حدّث به أهل الكتاب فلا نصدّقه ولا نكذّبه: لا نصدقه مخافة أن يكون مما عدّل وبدّل، ولا نكذّبه كذلك، ولكن نعرضها على ما شرع الله ورسوله لنا، فما وافقه أخذنا به، وما ناقضه تركناه.

لأنّ شرع الله الذي شرع لعباده واحد، خاصّة فيما يتعلّق بتوحيد العقيدة مع الله، وأُبْقُوا على دينهم، حتى يطمئن من عرف دينه منهم حقيقة بمكانة دين الإسلام، وقد أخبر – صلى الله عليه وسلم –: أن من عرف الحقيقة منهم، فكان مصدقاً بنبيّه وكتابه، ثم لّما عرف الإسلام: آمن به وبنبيّه – صلى الله عليه وسلم –، فإن له أجرين: أجر دينه الذي كان مؤمناً به، ثم لما عرف الحقّ من دين الإسلام، فاضت عيناه من الدّمع، لَمَا عَرَفَ من الحقّ فآمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم –، وبرسالته واتّبعها، لأنّه يجد وصف ذلك في كتبهم.

يقول سبحانه في هذا: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(١٩٩)سورة آل عمران.

ويوم عاشوراء الذي أطلّ قمره، في العاشر من محرم حسب الشّهر العربي، يوم عظّمه أهل الكتاب فصاموه لأن موسى – عليه السلام – صامه، فكان له مكانة عند أهل الكتاب، وحتى عرب الجاهلية عرفوه أيضاً بتعظيمهم المحرم.

ورسول الله – صلى الله عليه وسلم –، لما قدم المدينة رأى اليهود، يصومون اليوم العاشر من شهر محرم، فسألهم عن السبب؟ فقالوا: هذا يوم نجّى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى – عليه السلام –، فنحن نصومه.. شكراً لله.

فقال – صلى الله عليه وسلم –: (نحن أحقّ بموسى منكم)، فصامه وأمر بصيامه، وقال لما سئل عن صوم يوم عاشوراء؟ احتسب على الله أن يكفِّر السّنة التي قبله) أخرجه مسلم في الصيام – فضل صوم المحرم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

وقد أجمع العلماء، على سنيّة صيام عاشوراء، لكنه ليس بواجب، فهو سنّة مؤكّدة، قال عبد الرحمن ابن قاسم في حاشية الروض المربع: عاشوراء: اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية، وهو العاشر من محرم وأجمعوا على سنّية صيام عاشوراء، وأنه ليس بواجب، وعن أحمد وجب ثم نسخ، اختاره الموفّق والشارح – يعني نفسه – والشيخ وغيرهم، وفاقاً لأبي حنيفة، وبقي استحبابه إجماعاً، والأخبار فيه مستفيضة، أو متواترة (٣: ٤٥٠

وسئل ابن عباس عن صيامه؟ فقال: ما صام رسول – صلى الله عليه وسلم – يوماً يطلب فضله على الأيام، الاّ هذا اليوم، ولا شهراً الاّ هذا الشهر يعني رمضان، مع ان رسول – صلى الله عليه وسلم –، حث على صيام شهر المحرم لفضله.

وروى مسلم عن ابن عباس: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (لئن بقيت، أو لئن عشت إلى قابل، لأصومنّ التاسع يعني مع العاشر). ولذا قال العلماء: يكره إفراد العاشر لقوله – صلى الله عليه وسلم –: (صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده خالفوا اليهود)... وفي رواية: (صوموا يوماً قبله، ويوماً بعده) ويقول بهذا من يشكّ في الشهر، أو من يستحسن صيام ثلاثة أيام متتابعة، ولهذا من ترجيحات شيخنا عبد العزيز بن بكر، واستحسانه صيام هذه الثّلاثة. رحمه الله.

ومن هذا التفضيل بالصيام، أنه تعبير عن شكر نعمة الله: حيث انتصر الحق بنجاة موسى وقومه، واندحر الباطل، بغرق فرعون وقومه: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}(٤٠)سورة القصص، ولكن أهل الكتاب ضيّعوا فضل هذا اليوم، وتمسّك به المسلمون.

ويوم الجمعة كان يوماً يعظمه أهل الكتاب أيضاً، كما في كتبهم، ولكنهم ضيّعوا هذا الفضل فقد رُوي في الموطأ وعند الترمذي وأبي داود والنسائي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: خرجت إلى الطّور، فلقيت كعب الأحبار، فحدّثته عن التّوارة، وحدثنه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، أنه قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس) يوم الجمعة. فيه خلق آدم، وفيه أهبط وفيه تِيْبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابّة إلاّ وهي مصيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقاً من الساعة، إلاّ الجنّ والإنس، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل لله شيئاً إلاّ أعطاه الله.. قال كعب: ذلك في كل سنة يوم؟ فقلت: بل في كل جمعة.

فقرأ كعب التوراة، فقال: صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال أبو هريرة: فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فحدثته، ثم لقيت عبد الله بن سلام، فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار، وما حدثت كعباً به عن يوم الجمعة، فقلت له، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقال عبد الله بن

سلام: كذب كعب. فقلت: ثم قرأ كعب التوراة، فقال: هي في كل جمعة، فقال عبد الله بن سلام: صدق كعب.. إلى آخر الحديث.. وكعب وعبد الله، من أحبار اليهود الذين عرفوا اليهود فأسلموا.
وواقعة ثالثة، تتقارب في المغزى مع غيرها، ممّا تقوم به الحجة على أهل الكتاب، بعدم اتباعهم دعوة محمد – صلى الله عليه وسلم –، لما جاء في صحيح التوراة، وماجا في البشارة به في الإنجيل – عليه الصلاة والسلام –، ما روي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن اليهود قالت له: إنكم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية؟ قالوا: {الْيَوْمَ أكملتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}(٣)سورة المائدة. قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والساعة نزلت يوم الجمعة عشية عرفة.
وهذا يدل على أنهم يعرفون النبي محمداً، ودينه كما يعرفون أبناءهم.. ولذا جاء في حديث عاشوراء عنه – صلى الله عليه وسلم –: (صوموا يوماً قبله أو يوما بعده خالفوا اليهود) ومنه كره العلماء صومه منفرداً.
خبر غرق فرعون
جاء عند النويري في نهاية الأرب: لّما رجع فرعون بجنوده، وقد أجرى لهم النيل بزعمهم، دخل عليه جبريل في صورة آدميّ حسن الهيئة، فقال له: من أنت؟ قال: عبيد من عبيد الملك، جئت مستعدياً على عبد من عبيدي، مكّنته من نعمتي، وأحسنت إليه كثيراً، فاستكبر وبغي وجحد في حقي، وتسمّى باسمي، وادّعى في جميع ما أنعمت عليه به، أنه له وأنه لا منعم عليه به.
قال فرعون: بئس ذلك من العبيد، قال جبريل: فما جزاؤه عندك؟ قال: يغرق في هذا البحر، فقال جبريل أسألك ان تكتب لي خطكّ بذلك. فكتب له فرعون خطاً، وأخذه جبريل، وجاء به إلى موسى، وأمره عن الله سبحانه، أن يرتحل بقومه عن مصر، فنادى موسى في بني إسرائيل، وأمرهم بالرحيل، فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف. وأهل التّوراة يقولون: لا يعد فيهم ابن خمسين سنة، ولا ابن عشرين سنة، ويقولون هو نصّ التوراة.
فلمّا سمع فرعون بارتحالهم، أمر باجتماع جنوده قال تعالى {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}(٥٣)سورة الشعراء، فاجتمعوا وهم لا يحصون كثرة. قيل: إن هامان كان على مقدمة فرعون بألف ألف وستمائة ألف.
قال الكسائي: فساروا حتى قربوا من موسى ومن معه، فقالوا: يا موسى قد لحقَنا فرعونُ بجنوده، والبحر أمامنا والسيف وراءنا، قال: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (٦٢)سورة الشعراء، فأوحى الله أن اضرب بعصاك البحر، فضربه {فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}(٦٣)سورة الشعراء، وصار فيه اثنا عشر طريقاً، للأسباط الاثني عشر، فجعلوا يسيرون وموسى أمامهم، وهارون وراءهم.

وجعل الله بينهم فتحاً، ليرى بعضهم بعضا، وجاء فرعون ومن معه إلى البحر، ورأى تلك الطرق فيه، فقال لهامان: هذه تفرَّقت من هيبتي، وقصد الاقتحام فلم يطاوعه فرسه ونفر من العبور، فأتاه جبريل على رمكة في صورة آدمي، فدنا من فرعون، وقال: ما يمنعك من العبور؟ وتقدّم إلى جنبه فأشم فرس فرعون، رائحة الرّمكة، فتبعها ودخل فرعون وجنوده، وجبريل أمامهم وميكائيل يسوق الناس، حتى لم يبق من جنود فرعون أحد على الساحل.

فجاءه جبريل بخطّه، فلما رآه فرعون عرف انه هالك، وانضمّتْ الطّرق، وأغْرق الناس وفرعون ينظر إليهم، فقال: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيل}(٩٠)سورة يونس، فقال له جبريل: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}(٩١)سورة يونس، ثم غرق فرعون وجميع من معه، وبنو إسرائيل ينظرون (١٣:٢٠٨ – ٢٠٩).

==================

أزمة الرسوم المسيئة للرسول الكريم

لقاء مع فضيلة الشيخ سلمان العودة على قناة الجزيرة — برنامج الشريعة والحياة

مقدم الحلقة: عبد الصمد ناصر

ضيف الحلقة: سلمان العودة/ المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم

تاريخ الحلقة: ١٩/٢/٢٠٠٦

عبد الصمد ناصر: السلام عليكم ورحمة الله وأهلا بكم في برنامج الشريعة والحياة، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران الآية الرابعة والستين {قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} صدق الله العظيم، في الثلاثين من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٥ نشرت صحيفة (jyllands post صلى الله عليه وسلم n) في الدانمارك اثني عشر رسما كاريكاتوريا بذيء يسيء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وشملت تعليقا لرئيس التحرير عبّر فيه عن دهشته واستنكاره إزاء القداسة التي يحيط بها المسلمون نبيهم صلى الله عليه وسلم غير أن هذا التاريخ ليس يتيماً ولا معزولا فالرسوم السلبية لشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليست جديدة فهناك رسوم قديمة ربما يعود بعضها إلى القرن الثامن عشر الميلادي وربما يمكن عزو بدايات ذلك إلى عهد الحروب الصليبية وما رسخته من صور نمطية عن هؤلاء الآخرين الأعداء وقد تكرر عبر الشهور الماضية تحديداً الهجوم على شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام بذريعة أنه دين كراهية ودين قتل من قبل صحفيين وإعلاميين وساسة وزعماء دينيين في الولايات المتحدة وأوروبا ومن هنا ذهب أحد علماء الأنثروبولوجيا إلى أن الإسلام تحت الحصار وهو حصار تفرضه رؤى سياسية واستراتيجية

وإعلامية وأيديولوجيا عامة معادية للإسلام ومقابل ما ذكرناه ثمة كتابات تناقش وتنتقـد مسـاواة الإسلام بالإرهاب مما يعني أن هناك جدل قوي حول علاقة الإسلام بالإرهاب لكن هذا الجدل يكاد يكون محصورا في الأوساط الفكرية أما الأوساط الشعبية والإعلامية بل والسياسية فتسودها صـور نمطية سلبية عن الإسلام والمسلمين وعلاقتهما بالعنف، فما هي الدوافع الكامنة وراء الرسوم المسيئة والهجوم على الإسلام؟ وكيف يمكن التعامل مع ذلك؟ وكيف نقوِّم ما حصل من ردود أفعال؟ وما تأثير ذلك على علاقة المسلمين بأوروبا؟ وما هي العلاقة بين حرية التعبير والمقدسات الدينية؟ وكيف نتجاوز أزمة الرسوم؟ إذاً أزمة الرسوم وكيف نتجاوزها موضوع حلقة اليوم من برنـامج الشـريعة والحياة مع الداعية الإسلامي الشيخ سلمان العودة المشرف على مؤسسة الإسلام اليـوم (Islam today) فضيلة الشيخ مرحبا بك.

سلمان العودة- المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم: مرحبا أهلا وسهلا.

أسباب وتفسيرات الأزمة:

عبد الصمد ناصر: يا هلا وسهلا يعني فضيلة الشيخ كل يوم نرى أن هذا الغضب الإسلامي علـى هذه الرسوم البذيئة المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم مازال مستمرا والملاحظ أن رغم كل هـذه الموجات الغاضبة الساخطة والاحتجاجات المتكررة في العالمين العربي والإسلامي تحديداً إلا أن العديد من الغربيين من مختلف التوجهات يبدون استغراباً ولا يبدو أحد منهم متفهم لماذا كل هذا الغضـب والسخط في العالم الإسلامي كيف يمكن أن نفهم هذا؟

سلمان العودة: نعم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الذي خاطبه ربه عز وجل بقوله {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ} {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ} {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} وقد قرأت هذه السورة مساء هذا اليوم واستحضرت هذا المعنى وهذا الموضوع فأدركت أولا قوله سبحانه {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ} وهذه بشارة من الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بل وللأمة كلها أن الخير الكثير المبارك وليس فقط نهر في الجنة بل كل ألوان الخير له ولدينه ولأمته فهي موجودة باقيـة ومهما كان الحصار والضغط والمواجهات فقد أثبت هذا الدين وهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهذه القيم التي يحملها جدارتها بالحياة وخلودها وأنها تستعلي على كل التحديات ثم قوله سبحانه {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ} وهذا فيه نوع من ضبط العلاقة مع الله بالصلاة والعلاقة مع الخلق من خـلال قولـه {وانْحَرْ} ويقين يعرف المسلم هنا أن النحر ليس نحر البشر كما يريد الأعداء هو نحر البُدُن {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ} هو الصدقة هو البذل هو العطاء هو الإحسان إلى الناس إذاً الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله هذا هو منهجه صلى الله عليه وسلم، ثم قال سبحانه {إِنَّ شَـانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} وهذا فيه إشارة إن الذين يستهزؤون به صلى الله عليه وسلم ويسخرون به هـم الـذين كتب عليهم الزوال وكتب البقاء لدينه وهكذا نجد أنه لما نزلت هذه السورة كان أتباع النبي صلى الله

عليه وسلم قليلا في مكة مستضعفون في الأرض مستضعفين في الأرض وكانوا يخافون على أنفسهم والله تعالى وعدهم بالكوثر والخلود وهكذا حدث والذين حاربوه كانوا أهل مال وجاه وولد {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وحِيداً} {وجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدوداً} {وبَنِينَ شُهُوداً} {ومَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً} وانظر أن الكثيرين لا يعرفون حتى أسمائهم فالكل يتحدثون عن أبي جهل لكن لو سألتهم ما اسم أبي جهل لم يعرفوه وكذلك أبو لهب فهذا مصداق ما أخبر الله تعالى به ولعله من المستحسن في مثل هذه المواقف التي يشعر فيها المسلمون بالمضض والغضب أن يكون هناك نوع من إعادة قراءة مثل هذه المعاني وترطيب القلوب والنفوس بها لأن كثير من المسلمون جرحوا من المسلمين جُرحوا في أعز ما يملكون وهو محبتهم للرسول صلى الله عليه وعلى أهله وسلم، نعود إلى السؤال الذي تفضلت به في قضية الموقف الغربي قد أستطيع أن أقول إن الغرب يواجه نوع من العزلة الحضارية يعني هو يعيش حضارة ولكنه يعيش عزلة عن بقية العالم وهذا أمر مشكل جدا فربما أن الغرب يظن نفسه هو العالم ويعترف نظريا بالتأكيد بالآخرين الذين يختلفون معه ثقافيا ودينيا وحضاريا يعترف بهم نظريا لكن أعتقد أن الغرب في هذه المرحلة بحاجة إلى يعني تأكيد هذا الاعتراف بشكل عملي الغرب يعترف نظريا بوجود الآخر المختلف معه لكن لا أظن أنه يعترف عمليا بثقافة الآخر المختلف أو بحضارته أو بدينه بدليل أن الغرب يعتبر نفسه العالَم..

عبد الصمد ناصر [مقاطعاً]: مركز الكون..

سلمان العودة [متابعاً]: مركز الكون بالضبط يعني مثلما..

عبد الصمد ناصر: المركزية الغربية ما يسمى المركزية الغربية..

سلمان العودة: المركزية يعني الآن الغرب يقول العالم الفنان العالمي أو المبدع العالمي المنتَج العالمي بل حتى الحرب.. الحرب العالمية فكل ما ينتمي إلى الغرب فهو يأخذ صفة العالمية والكونية وحتى القيم والمعايير التي يتم الوزن بها هي يبدو تنطلق من طبيعة معينة شعور الغرب بالتفوق وشعوره بالقوة في هذه المرحلة ولذلك ربما يكون من المناسب أن أشير إلى أن أصل المشكلة يرجع في الواقع إلينا نحن تخلّف العالم الإسلامي تخلفا تقنيا حضاريا سياسيا مسؤول إلى حد كبير عن هذا الأمر وتلك الرسوم قبل قليل الأخ كان يسألنا يقول هل رأيتم الرسوم ما هو مضمونها فالرسوم منها ما يصف النبي صلى الله عليه وسلم بالتخلف منها مَا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بالإرهاب كما أنت أشرت في مقدمة حديثك منها ما يصف النبي صلى الله عليه وسلم بالشهوانية منها ما يصف النبي صلى الله عليه وسلم بألوان من المعاني التي يحاولون أن يلصقوها بالمسلم القدرية والاستسلام إلى غير ذلك من المعاني إذاً الوضع الذي يعيشه المسلمون في تخلفهم هو مسؤول جزئيا من هذه الناحية ومسؤول من ناحية أخرى أيضا وهي أننا نجد أن اليهود مثلاً أفلحوا في استخراج قوانين عالمية تحرِّم التعرض للهولوكوست أو تصويره أو إنكار هذه القضية التاريخية..

عبد الصمد ناصر: حتى العدد حتى التقليل من العدد..

سلمان العودة: أو التقليل من العدد وقد حوكم مفكرون مثل ما حصل لغارودي وغيره تحت طائلة هذه القضية بل يوجد في أميركا الآن ليس فقط قانون وإنما جهات تتابع كل ظاهرة يمكن أن توصف بهذا وتلاحقها عبر العالم كله الذي لا يساعد نفسه لا يمكن أن يساعده الآخرون ولذلك..

عبد الصمد ناصر: على كل حال هذا يدخل في إطار أو في محور كيف نخرج من هذه الأزمة وكيف نديرها تفسير الأهداف يعني المسلمون صُدموا بأن تنشر مثل هذه الرسوم و لم يفهموا المغزى والمعنى لها أو يجدوا لها تفسيرا لذلك اختلف التفسيرات من هذا وذاك وبين جهة وأخرى حتى بين بعض المسلمين أنفسهم هناك مَن يقول بأن الإسلام هو المستهدف كدين وقيم ومفاهيم وهناك من يقول بأن هناك حملة منظمة تستهدف جسّ النبض نبض الشارع الإسلامي وقياس مدى وجود الإسلام في حياة المسلمين هناك من يؤمن بنظرية المؤامرة بأن اللوبي الصهيوني يحاول إحداث شرخ بين العالمين العربي والإسلامي عفوا والمسيحي إلى غير ذلك من التفسيرات لكن إحدى المعلقات وهي تمثل طبعا تيارا فكريا معينا في الغرب في أوروبا تحديدا كتبت في صحيفة إندبيندنت البريطانية رأت أن الهدف الحقيقي للذين نشروا تلك الرسوم وبين قوسين وصفتهم بالفرسان التحرريين بأن هدفهم هو البرهنة على أن المسلمين لا يمكن أن يمثلوا جزء من أوروبا لأنهم حسب قولها كما وصفتهم أيضا رجعيون لحد يجعلهم يستهجنون رسم نبيهم وهو يحمل قنبلة في عمامته، السؤال هنا كيف يمكن تفسير هذه الأزمة في سياق علاقة أوروبا بالمسلمين أو لنقل في سياق الوجود الإسلامي في أوروبا وفي الغرب عموما؟

سلمان العودة: بغض النظر عن يعني تداعيات أو أسباب هذه الرسوم قد تكون هذه الرسوم شرارة معينة وفي كثير من الأحيان ليس المشكلة فقط بداية الفعل لكن تطورات الفعل بمعنى أنه هناك أطراف..

عبد الصمد ناصر: يجب أن نعرف الأسباب قبل أن نعالج الأمر..

سلمان العودة: هناك أطراف قد لا تصنع الفعل ولكنها تستغله أو تستخدمه بالتأكيد يوجد في كل دولة في العالم يوجد متطرفون يوجد يمينيون يوجد عنصريون ونحن نعرف أن هناك نماذج من الذين تجاوبوا مع هذه الرسوم سواء في إيطاليا أو في فرنسا أو في ألمانيا أو في أي مكان هناك عينات معينة عندهم أصلا نزاعات عنصرية بل هناك أحزاب يمينية تحارب من تسميهم بالمهاجرين وتسعى إلى حرمانهم من الحقوق العادية وبالنسبة للمسلمين في أوروبا المسلمون يعيشون يعني في كل بلد أوروبي وأحيانا يشكلون قوة يعني لا بأس بها..

عبد الصمد ناصر: قوة ناشئة الآن في أوروبا..

سلمان العودة: والملاحظ أهم أن هناك يعني كثرة التوالد بين المسلمين خلاف للأجناس الأخرى وهذا قد يقلق أطراف معينة تشعر بأنه يجب عزل المسلمين عن الحياة الأوروبية ليس هذا فقط بل أقول حتى العالم الإسلامي هناك يعني محاولات كثيرة لتجاهل خيارات العالم الإسلامي يمكـــن مـــن حقنـــا أن نتساءل أن أوروبا الآن مثلا تتحدث عن سياسيا وأميركا عن الديمقراطية لكن قبل أسبوع قرأت مقال لأحد كبار المسؤولين في ألمانيا يقول إنه يبدو أن الديمقراطية لا تصلح للعالم الإسلامي لمـــاذا؟ لأهمـــا سوف تأتي بقوى لا تناسبنا ولا نستطيع أن نتقبل بها إذاً هناك معايير..

عبد الصمد ناصر: المقصود قوى إسلامية..

سلمان العودة: قوى إسلامية..

عبد الصمد ناصر: ولكن مقابل هذا التيار هناك تيارا سياسيا آخر في الغرب يحاول التقرب من هذه القوى وفتح قنوات حوار معها الآن؟

سلمان العودة: نعم بدون شك كما قال ربنا سبحانه {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّـــةٌ قَائِمَـــةٌ} الأمم كلها ليست سواء ألوان الطيف المختلفة تكون موجودة ولهذا ربما يكون من الأشياء المهمة في مثل هذه الأزمة أن على المسلمين الذين يرصدون القضية ألا يعمموا الأحكام هكذا تماما لأن معـــنى تعميم الأحكام أننا سوف نتوقف عن توجيه الحوار والخطاب والدعوة وهذا مطلب شرعي فيوجـــد في أوروبا ويوجد في أميركا ويوجد في أنحاء العالم بل في هذه الأزمة بالذات سمعنا أصوات وقفت إلى جانب المسلمين وسمعنا بل فيه مواقف رفضت هذه الممارسات رفضت إعادة الرســـوم اســـتهجنتها اعتبرها إساءة وهذا دليل على أن المسلمين لما تحركوا وهبوا وجدت أصوات هناك تنصرهم لكن لمـــا يكون المسلمون ساكتين حتى الذين يستنكرون هذه الرسوم لا يمكن أن يكونوا أحرص منكم علـــى دينكم وأغير منكم على نبيكم عليه الصلاة والسلام..

عبد الصمد ناصر: ولكن قد يرد قائل بأن الذين أو هذه الأصوات المعتدلة كما تسمى ربما يحركهـــا عاملا اقتصاديا عامل مصالح؟

سلمان العودة: وليكن هو أولا يعني نحن بيننا وبينهم وسائل كثيرة جدا للتحاور وإيصال الرسالة لكن حتى قضية المصالح يعني لما ضغطنا من خلال المقاطعة على المنتجات الدانمركية في جميع بلاد العـــالم الإسلامي حتى وصلت مبيعاها إلى الصفر وأغلقت مصانع في السعودية وفي أكثر من بلد إســـلامي تضررت هنا أصبح للقضية معنى، أود أن أؤكد أنه لو اقتصرت القضية فقط على مجرد المظاهرات أو الاحتجاجات الغاضبة ربما لم تصل إليهم لأنه في كثير من الأحيان نواجه مشكلة أننا قـــد نخاطـــب أنفسنا لكن لا نخاطب العدو لا تصله الرسالة فالمقاطعة هي الأسلوب والسلاح الذي يفهمونه والذي بموجبه وصلت الرسالة وبدؤوا يدرسون الموضوع من جديد.

عبد الصمد ناصر: ربما استغرب الكثيرون يعني من المسلمين بشكل عام أن الكثير من الدول الأوروبية كررت هذه الفعلة الشنيئة وجعل البعض يفسر هذا الإلحاح الغربي على أنه صلف وعناد لفرض الثقافة الغربية القيم الغربية القائمة على تحطيم المقدس الديني كما يشيع له الكثير من المؤمنين بمشروع الحداثة الغربية، ما دقة هذا التفسير فضيلة الشيخ؟

سلمان العودة: قد يكون هذا التفسير دقيق بالنسبة للذين قاموا بهذا العمل في أوروبا جهات بدون شك متعصبة أصولية كما يسمونها المسيحية الأصولية عندها غلو وفي أميركا وهذه نطقت بذاتها..

عبد الصمد ناصر: حتى غير المتدينين منهم ساندوهم..

سلمان العودة: هذا صحيح يعني فيه فئات عديدة في كل بلد أوروبي هي انطلقت من منطلق تعزيز هذا الموقف الدانماركي واتهامها للمسلمين بأنهم لا يفهمون حرية التعبير ومحاولة فرض المفهوم الخاص والضيق بل ليس فقط أنه مفهوم خاص وضيق وإنما هو مفهوم بمعيارين لأن حرية التعبير التي ينادون بها ويقولون أن المسلمين لم يفهموها هذه الحرية ليست مطردة فهم لا يستطيعون أن ينشروا مثلا أي صور سلبية عن الهولوكوست ولا يستطيعون أن ينكروها بل ولا يستطيعون أن يتحدثوا..

عبد الصمد ناصر: حتى خصوصيات بعض الأفراد مثلا..

سلمان العودة: نعم بعض الأفراد الرمزيين أو حتى أنا وجدت إنه الاتحاد الأوروبي انتقد إحراق الأعلام في أكثر من بلد العالم ما هو إنما هو عبارة عن خرقة وقيمته معنوية أو رمزية الجريدة نفسها التي نشرت هذه الرسوم ذكرت صحيفة الغارديان الفرنسية..

عبد الصمد ناصر: البريطانية..

سلمان العودة: أنها رفضت نشر رسوم عن قيامة المسيح عام ٢٠٠٣ فأين كانت حرية التعبير عام ٢٠٠٣؟ وقالت وعلل رئيس التحرير عدم النشر حتى لا يسيء إلى بعض القراء طيب أين عدم الإساءة إلى القراء؟ هنا سؤال أو نقطة مهمة لو أن هذه الجريدة أو أي جريدة أخرى نشرت صور لشخص معين حي بلحمه ودمه بهذه الطريقة المشينة المزدوجة..

عبد الصمد ناصر: ستدعوهم أمام المحاكمة..

سلمان العودة: أليس من حقه أن يتابعهم أمام المحاكم؟

عبد الصمد ناصر: طبعا..

سلمان العودة: طيب ألا يمكن أن يصل إليهم فهم أو وعي من خلال هذا الصوت الذي وصل إليهم تحديدا أن المسلمين ربما يتساهل أو يقبل الواحد منهم أو يعفو أن يتم تناوله شخصيا بهذه الطريقة لكن الرسول صلى الله علي وسلم أحب إليهم من أولادهم وآبائهم وأمهاتهم ومن الناس أجمعين وهذا جزء من الدين {قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة دينية محبة فطرية نحن نطلب رضا ربنا سبحانه

والفوز بالجنة من خلال محبة هذا النبي الكريم ونستشعر تضحيته صلى الله عليه وسلم وصبره في إيصال الرسالة {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} يعني هذا التناول أشد على أي مسلم مما لو كان التناول له شخصيا..

عبد الصمد ناصر: طيب حتى نغوص أكثر ونبحر أكثر في التفسير هل ترى أو تتفق مع مَن يقول بأن هذه الأزمة ليست فقط أزمة صراع أوروبي إسلامي إنما هي صراع بين رؤيتين إحداهما علمانية وضعية والأخرى متدينة تريد الحفاظ على المقدس؟

سلمان العودة: يعني أولا أريد أن أؤكد..

عبد الصمد ناصر: هل يوجد صراع بين العلمانية والتدين؟

سلمان العودة: نعم الصراع بين أوروبا والشرق أو بين العلمانية التي لا تؤمن بمقدس أصلاً يعني نرجع إلى أن أصل المبدأ مبدأ هذه الرسوم هو يقوم على صورة صحيحة يعني هذه عبارة عن جهالة ولذلك تفسيرها من الصعب أن يتم بهذه الطريقة فلا يمكن أن نقول إن هذا صراع بين أوروبا وبين العالم الإسلامي لأن هذا صراع بين السفهاء الذين لا يقدّرون المصالح من جهة وبالتالي هنا يتوجب وهذا الذي ينبغي أن يؤكَّد يتوجب على أوروبا وعلى العقلاء في العالم كله أن يكون هناك موقف صارم وصريح في قضايا المستقبل نحن نجد أن هذه الرسوم أحدثت آثار بشرية وإنسانية ليست بالهينة فمن هنا ما الذي يؤمن أن يتم التكرار؟ لذلك كثير من المسلمين يتكلمون عن قضية الاعتذار المطالبة بالاعتذار، المطالبة بالاعتذار هنا هي قيمة رمزية من أجل ضمان ألا يتكرر الفعل يعني بمعنى إنه هذا الفعل خطأ وإذا كان خطأ معناه إنه لن يتكرر ومن يكرره سوف يكون تحت طائلة العقاب والمؤاخذة أما إذا ظلت القضايا..

عبد الصمد ناصر: الاعتذار كاف تعتقد؟

سلمان العودة: لا أنا أعتقد كما قلت الاعتذار هو عبارة عن شيء رمزي هناك مجموعة قضايا مجموعة إجراءات..

عبد الصمد ناصر: إذاً أن هناك خطوات يجب أن تتبع الاعتذار؟

سلمان العودة: نعم يمكن أن يتم الوصول إليها..

عبد الصمد ناصر: ما قولك في مَن يرى بأن الاعتذار كاف وربما آخر الأصوات التي رأت ذلك في المملكة العربية السعودية الشيخ أعتقد الأبيكان عضو مجلس الشورى قال بأن الاعتذار كاف؟

سلمان العودة: هو أولا ينبغي أن يعرف إنه لم يصدر اعتذار هناك..

عبد الصمد ناصر: صدر عن الصحيفة..

سلمان العودة: حتى عن الصحيفة على حد علمي أن هناك أسف نوع من الأسف الاعتذار الصحيفة لا زالت تتمنع عن كتابة الاعتذار، الاعتذار معناه أن الصحيفة أخطأت الصحيفة لا زالت تصر على

أن هذا من حرية التعبير أنا أسأل حرية التعبير هي إحدى القيم الاجتماعية وهـذه الحرية حرية مشروطة كأي قيمة أخرى الآن في الغرب أخي لو أن أحد الصحف تكلمت عن قضية من قضايا المقاومة الوطنية في العالم الإسلامي لاعتُبِرَ هذا نوع من تمجيد الإرهاب وأوخذت الصحيفة أو القناة تحت طائلة العقاب في ظل قانون يسمى ملاحقة تمجيد الإرهاب وهذا أمر موجود ومعروف فهـذه الحرية المطلقة ليست موجودة إلا في الخيال أما في الواقع فكل الحريات مضبوطة أقول هذه الصحيفة لم تعتذر لا زالت تعتبر أن ما فعلته هو جزء من حرياتها وأن المسلمين عليهم أن يعدلوا مفاهيمهم إنما الصحيفة أبدت الأسف وحتى المسؤولين هناك بل هناك نقطة مهمة جدا وأنا أود أن ينتبه لهـا كـل المعنيين في القضية أن في الدانمارك هناك محاولة لإيجاد انشقاق داخل الجالية الإسلامية هناك أكثر من مائتين ألف أو مائة وثمانين ألف مسلم في الدانمارك هناك نوع من استبعاد أئمة المسـاجد وجمهـور المسلمين واعتبار أنهم مسؤولون عن هذا الحدث وإيجاد نوع من العلاقة الخاصة مع مجموعات أخرى قد يكون لها رؤيتها نحن لا نتحدث عنها لكنني أقول يجب أن يكون هناك وعي عنـد العقـلاء في الغرب بمعالجة القضية من خلال مخاطبة المسلمين جميعا وليس اللعب على تناقضات معينة قد توجـد بين فئة وأخرى هذا معنى مهم جدا.

عبد الصمد ناصر: نعم يعني إحنا خصصنا هذا الجزء الأول لتوضيح التفسيرات التي تبدو وراء هـذه الرسوم على كل حال سنخصص المحور الثاني للاستجابة الإسلامية وتجاوب المسـلمين أو تفاعـل المسلمين مع هذه الأزمة ولكن نستأذنك بعد هذا الفاصل فضيلة الشيخ نعود إليكم بعد هذا الفاصل فابقوا معنا.

الاستجابة الإسلامية للأزمة:

عبد الصمد ناصر: السلام عليكم ورحمة الله وأهلا بكم من جديد في الشريعة والحياة حلقـة اليـوم حول أزمة الرسوم وكيف نتجاوزها وضيفنا الشيخ سلمان العودة الداعية الإسلامي والمشرف علـى مؤسسة الإسلام اليوم (Islam today) فضيلة الشيخ تحدثنا في المحور الأول عن الأسباب نريد أن نخصص الجزء الثاني للاستجابة الإسلامية لهذه الأزمة والتفاعل معها هناك شخصيات منظمـات إسلامية كثيرة بادرت الآن للدعوة إلى السيرة النبوية الشريفة عناية خاصة والعمل علـى التعريـف بشخصية الرسول وحياته وإظهار صفاته وخلقه إلى أي مدى تعكس أزمة الرسوم هذه الرسوم المشينة جهل بالإسلام حتى تكون خطوتنا أو إجابتنا هي التعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم؟

سلمان العودة: والله هذا سؤال أنا اعتبر إنه مركزي الحقيقة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لخّص رسالته بقوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" لاحظ قضية الأخلاق كقيمة إنسانية في العلاقة بـين الناس ونفّذ هذا صلى الله عليه وسلم الغرب يقولون الأخلاق تبين عند القوة هذا مثل إنجليزي طيب ننظر النبي صلى الله عليه وسلم لما قدر وقوي ماذا عمل؟ "اذهبوا فأنتم الطلقاء" العفو المسامحة يعني أنه

يبني جسور للأعداء الهاربين لم يقم مجازر ولا محاكم تفتيش ولا معتقلات ولا محتشدات ولا سجون سرية ولا شيء من ذلك على رغم النصر العظيم الذي تكلل له صلى الله وسلم في آخر حياتــه {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفَتْحُ (١) ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً} فهذا جانب ما يتعلق بالقوة، أيضاً الجانب الثاني الأخلاق تبين عند الاختلاف يعني قدرة الإسلام على استيعاب المختلفين..

عبد الصمد ناصر [مقاطعاً]: القدرة عند الاختلاف..

سلمان العودة [متابعاً]: حتى القرآن نجد قول الله سبحانه وتعالى {ولا تَسُبُّوا الَذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} فالله سبحانه وتعالى نهانا عن سب مَن يعبدون من دون الله عز وجل معنى هذا طبعا غير البيان قضية البيان وإقامة الحجة والدعوة إلى التوحيد بينما تجد هــذه الإســاءات المتعمدة التي تستهدف المسلمين لأنها لا تقدِّر ولا تعرف نوع المشاعر التي يحملونها عن هــذا الــنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، كذلك الأخلاق تبين عند الاحتكاك يعني قد يجاملك الشخص من بعيد ويطلق لك تحية عابرة ولكن حينما تحتك به احتكاكا حياتي أو سياسي أو أي شيء آخر هنا تــبين حقيقة الاختلاف ونحن نجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم المسلمين أيضاً العالَم الإسلامي عبر عصور طويلة ماذا أساء إلى أوروبا وبالمقابل ماذا لقي العالم الإسلامي من أوروبا؟ بدء من الاستعمار وبــدأ من الحروب الصليبية كما أشرت أنت وثم عصور الاستعمار ثم الوقت الحاضر التي تجــد أن العــالم الأوروبي في كثير من الأحيان يصادر خيار المسلمين، يعني فيما ماذا يختارون؟ في كيف يفكرون؟ مَن يختارون؟ مَن يمثلهم؟

عبد الصمد ناصر:غزو اقتصادي وفكري وثقافي..

سلمان العودة: في الجوانب الاقتصادية والسياسية وغيرها فالواقع إن هناك جهل كبير في العالم الغربي وهذا يؤكد على نقطة مهمة جدا لعلي أسبق الحدث فيها وهي أن المسلمين من خلال المقاطعة عملوا شيء جميل جدا هو أسلوب حضاري أسلوب ليس فيه عدوان على أي أحد ممارسة حق في الاختيار ليس عن طريق الحكومات، الحكومات مرتبطة بنظام التجارة العالمي وبالتالي هذا خيار شعبي للبائع أو للمستهلك ومن خلال هذا الأسلوب أدرك الناس أو الكثير منهم في أوروبا أن ثمة خطأً معــين وأن التعامل مع المسلمين يجب أن ينحوا منحى آخر هنا يجب أن ندرك أن المقاومة وسيلة وليست غايــة الغاية هي إيصال الرسالة للآخرين من خلال عرض صورة النبي صلى الله عليه وســلم كمــا هــي وعندي يقين قطعي بأن النبي صلى الله عليه وسلم لو عرضت شخصيته كما هي لا يملك أي إنسان منصف إلا أن يحبه صلى الله عليه وسلم إذا رأى أخلاقه الكريمة.

عبد الصمد ناصر: فضيلة الشيخ لو تسمح نُشرك بعض السادة المشاهدين لديهم مشاركات وفقــط أنوِّه لضرورة الالتزام بدقيقة واحدة من فضلكم لو بدأت من تونس بمفيدة بن يغلن تفضلي مفيــدة.. مفيدة من تونس.. طيب محمد أبو جهاد من مصر.

محمد أبو جهاد- مصر: السلام عليكم يا سيد عبد الصمد..

عبد الصمد ناصر: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

محمد أبو جهاد: ومرحبا بشيخنا الجليل..

سلمان العودة: مرحبا فيك محمد..

محمد أبو جهاد: نقطتين سريعتين الأولى أنا أُحَمِّل الأزهر الشريف مسؤولية هذه الأحداث التي تحدث في شتى بقاع أرض المسلمين لأن الأزهر الشريف لو تكرم مشكور وسعى إلى هذه الدول وأوضح لهم الخطأ الذي أوقعوا أنفسهم فيه تجاه المسلمين لكان خير لكل مسلمين الأرض كما تحرك سابقا إلى طالبان ليثنيهم عن ضرب معابد بوذا النقطة الثانية لو قاطعتني سيادتكم ستفهم بأنني مع هذه الصور والنقطة هي لماذا عندما يُسب الرسول من الداخل نطرب لهذا الكلام؟ وعندما يُسب من الخارج نثور وندمر بلادنا ونحرق السفارات؟ عندما يتغنى صبّاح فخري ويسب جميع الرسل في إحدى قصائده مكلل بالذهب يقول في هذه القصيدة يا سيدي الجليل لو صادف موسى دمع عيني لغرق لو صادف الخليل لوعة القلب احترق وخر موسى صعقاً لماذا نطرب لهذا الكلام وعندما يحدث إساءة للرسول من الخارج..

عبد الصمد ناصر: طيب الفكرة واضحة محمد أبو جهاد الفكرة واضحة المشارك الثاني محمد ظاهر من فرنسا.

محمد ظاهر- فرنسا: ألو.

عبد الصمد ناصر: تفضل أخ محمد.

محمد ظاهر: شكرا جزيلا أخ عبد الصمد وأحيك وأحيي الشيخ الجليل سلمان العودة.

سلمان العودة: بارك الله فيك يا أخ محمد.

محمد ظاهر: بارك الله فيك نعم أنا في الحقيقة مستاء مما يجري الآن وهو ازدواج في المعايير بمعنى أن الولايات المتحدة الأميركية قد قامت بتدنيس القرآن الكريم والنيوزويك مجلة النيوزويك قد سنّدت ذلك من خلال الأشياء الموثقة ثم تراجعت هذه الصحيفة ولكن هناك سجناء في غوانتانامو قالوا بأن السجانين قاموا بتدنيس القرآن الكريم لماذا الدانمارك؟ الدانمارك لأنه بلد ضعيف نقوم بالمقاطعة ولا نعمل مقاطعة لأميركا أنا لا أدافع عن الدانمارك، الدانمارك.. يجب أن نقاطع الولايات المتحدة الأميركية لماذا؟ هل لأن أميركا لها علاقات مع دول في الخليج أنا أريد..

عبد الصمد ناصر: طيب محمد الفكرة واضحة لا أقاطعك ولكن لضيق الوقت الفكرة واضحة ازدواجية تعاملنا أيضا نحن مع الغير هذا ما تقصد فضيلة الشيخ لو لديك أي تعليق على محمد أبو جهاد الذي حمّل مؤسسة الأزهر المسؤولية وأيضا تحدث عن سب الرسول أحيانا بداخل الأراضي الإسلامية ولا يكون رد الفعل كما هو رد الفعل مع الغير؟

سلمان العودة: نعم بالنسبة يعني عندي وجهة نظر أنه الذي يحدث الآن من هبة المسلمين وغضبتهم وتضامنهم هو شيء جميل لنعطي أنفسنا فرصة أن نفرح بهذا الشيء ونشعر بأننا عملنا في هذه المرحلة وفي هذا الظرف إنجازا ما وهو أن رسالتنا وصلت بشكل جيد..

عبد الصمد ناصر: للآخرين..

سلمان العودة: إنجاز المسلم البسيط الذي ربما لا يكاد يجد قوت يومه لكن من خلال الروح الجماعية وصلت بشكل جيد وربما يكون من الخير في هذه المرحلة إلا نكثر من التلاوم فيما بيننا على بعض الأساليب أنا أحمل الأزهر الشريف مسؤولية وأحمل العلماء في كل مكان والدعاء..

عبد الصمد ناصر: يعني هذا ما قاله هو..

سلمان العودة: لا حتى أنا أقول يعني إن كل أحد مسؤول لكن في نفس الوقت قد يكون من الخير أنه في هذه المرحلة نحاول أن نرص الصفوف ونوحد الكلمة بعيداً عن لغة التلاوم التي قد تكون سبب في انشقاق الصف وضياع المجهود أما مسألة كون هناك من يسب الرسول صلى الله عليه وسلم في الواقع أنه سواء من الداخل في عند العرب أو في الغرب هناك كثيرون ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم بل لعله ليس مجهولاً أن هذه الصور أصلا رسمت لكتاب طبع في الدانمارك عن الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام والقرآن وهو كتاب مليء بالتشويه مع ذلك هذا الكتاب لم يظهر في الصورة، الناس عامة الناس يتأثرون بالأشياء السريعة المباشرة الرسوم تستفزك بمجرد ما تراها بدون حاجة إلى قراءة طويلة عريضة إلى آخره هذا أولاً ثانيا الرسوم لغة إعلامية جيدة يعني في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان المشركون يسبون النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ويصبر عليهم ويقول "إلا تعجبون مني ومن قريش كيف يصرف الله عني سبهم يسبون مذمما وأنا محمد" فهم يقولون مذمم يغيرون اسمه بينما لما يأتي شاعر تناول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ينبري حسان بن ثابت أو كعب بن زهير أو غيرهم من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ليرد على هؤلاء لأن الشعر كان هو لغة الإعلام ولذلك نفس القضية في سؤال الأخ محمد ظاهر من فرنسا..

عبد الصمد ناصر: محمد ظاهر حول ازدواجية التعامل مع.. نعم..

سلمان العودة: نفس الإشكال يعني السؤال أنه طيب لماذا نغضب لسب النبي صلى الله عليه وسلم؟

عبد الصمد ناصر: من الدانمارك لا نغضب.. نعم..

سلمان العودة: هناك ولا نغضب لسبه هنا لماذا نغضب لسب النبي صلى الله عليه وسلم ولا نغضب..

عبد الصمد ناصر: لتدنيس القرآن في غوانتانامو..

سلمان العودة: لتدنيس القرآن لماذا نقاطع الدانمارك ولا نقاطع..

عبد الصمد ناصر: أميركا..

سلمان العودة: أميركا لماذا؟ أنا أرجع أيضا وأطرح وأقول لماذا لا نعتبر أن هذه فرصة جميلة لإيضاح أن المسلمين قادرون على الإضرار بطريقة مدنية وسليمة بالذين يسيؤون إلى القرآن وإلى النبي عليه الصلاة والسلام؟

عبد الصمد ناصر: لو سمعنا تعليق مشاركة أخرى من تونس نعود إليها مفيدة بن يغلين تفضلي دقيقة واحدة مفيدة من فضلك..

مفيدة بن يغلين- تونس: نعم ألو السلام عليكم أستاذ عبد الصمد..

عبد الصمد ناصر: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

مفيدة بن يغلين: {وإلا تنصروه فقد نصره الله} صدق الله العظيم أزمة الرسوم وكيف نتجاوزها اسمح لي أستاذ عبد الصمد نحن لا نريد تجاوز الأزمة نحن نريد أن نحلحلها بشكل معرفي ومبدئي إذا كان هنتغنتون يتكلم عن صراع حضارات فإنني أعتقد أن هناك صراع جهالات أني لن أقول إن هذه الأزمة كشفت عن خلل بنيوي في العقل الغربي في علاقته بالمسلمين والإسلام عموما ولا أقول فقط إن هذه الأزمة تمثل اختبارا لم تبقى من مشاعر المسلمين ولا فقط اختبارا لما تبقى من جهاز المناعة عند المسلمين إنما عندي مقترحات مقتضبة لو سمحت في حلحلة هذه الأزمة أعتقد أن متابعة..

عبد الصمد ناصر: باختصار مفيدة..

مفيدة بن يغلين: باختصار أعتقد أن متابعة المقاطعة مع محاولة ربط جسور الحوار مع الآخرين في محاولة للتعريف بذاتنا ومقدساتنا هذا أمر ضروري، المقاطعة يقول العديد من العلماء بالأمس وأول أمس أنها استوفت كل معاييرها أعتقد لا أنا عشت في الغرب ستة عشر سنة وأعرف أنه لا يفهموا إلا لغة المصالح لابد.. لا نريد اعتذارا لفظيا وأخلاقيا نريد اعتذارا معرفيا ومفاهيمي من جهة أخرى أريد أن أؤكد..

عبد الصمد ناصر: اعتذارا مفاهيميا..

مفيدة بن يغلين: مفاهيميا ومعرفيا وأريد أن يتجنب.. أن نقوم بعملية تسيير رحلات تعارف وحوار بين السياسيين والمفكرين ورجالات الاقتصاد ومن الخطأ أن نختزل المشكل في الدانمارك الأجدر أن نفهم الموضوع بشمولية وأن نبحث فقط في الدانمارك في أننا نسير أن نسيِّر رحلات إلى الاتحاد الأوروبي وشكرا..

عبد الصمد ناصر: فكرة واضحة مفيدة شكرا لك مفيدة بن يغلين كانت معنا من تونس تعليقك على هذه المقترحات فضيلة الشيخ؟

سلمان العودة: أؤكد فقط ما ذكرته قبل قليل أنه من المصلحة في هذه المرحلة أن يظل التركيز على المصدر الأول لهذه الإساءة وهي الدانمارك فإن توسيع الدائرة لا يعطي النتيجة المطلوبة فيما يبدو لي كما يقترح الأخ محمد ظاهر بل قد يترتب عليه أن تضيع هذه القضية لأن الناس لا يستطيعون أن

يقاطعوا العالم كله نقاطع الاتحاد الأوروبي ثم نقاطع الغرب كله ثم نقاطع العالم لأننا نعتقد أنه ضدنا ماذا نملك نحن في النهاية؟ لا نملك إلا القليل..

عبد الصمد ناصر: لضيق الوقت..

سلمان العودة: كلام الأخت مفيدة يعني..

عبد الصمد ناصر: كلامها سليم..

سلمان العودة: كلام ممتاز ومسألة أنها تدعو إلى متابعة المقاطعة مع الحوار للتعريف..

عبد الصمد ناصر: مع ربط جسور الحوار كما قالت..

سلمان العودة: تقريبا هذا هو الذي أميل إليه أميل إلى أن يستمر المسلمون في المقاطعة ولكن يكون من خلال ذلك نوع من اللجان التي تنطلق من مؤتمرات وهناك أكثر من مؤتمر يحضّر لإقامتها في أكثر من بلد إسلامي تقوم بالتواصل تقوم بالحوار المقاطعة تهدف إلى نوع من إعطاء المجال والفرصة لكما ذكرت الأخت نوع من الاعتذار المعرفي..

عبد الصمد ناصر: أو المفاهيمي..

سلمان العودة: أو الحوار المعرفي الذي يوصل المفاهيم الصحيحة إلى كثير من الناس..

أبعاد حرية التعبير وكيفية تجاوز الأزمة:

عبد الصمد ناصر: لضيق الوقت فقط لأن لم يبقى إلا حوالي عشر دقائق نريد أن نقفز إلى المحور الثالث حرية التعبير والمقدسات الدينية لأن الذين دافعوا عن هذه الرسوم أو عن هذه الإساءة بصحيح العبارة الكبرى لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تحججوا تذرعوا بحرية التعبير على اعتبار أنها مقدسة سؤالنا الذي يعني يشغل بال الجميع هنا هل حرية التعبير مقدس يعلو فوق كل مقدس كيف ترى فضيلة الشيخ العلاقة بين حرية التعبير والمقدسات والثوابت الدينية؟

سلمان العودة: حرية التدين أيضا هذه من الحريات المقدسة ودائما حريتك تنتهي حيث تبدأ حرية..

عبد الصمد ناصر: حرية الآخرين..

سلمان العودة: الآخرين فالمسلمون جزء من نسيج أوروبا والعالم كله إضافة إلى كونهم أكثر من مليارين إنسان في العالم كله هذا جزء من دينهم وقيمهم ألا يتم استهداف نبيهم صلى الله عليه وسلم ولذلك ربما يكون من المطالب المهمة أيضا في الموضوع والتي يجب أن نصر عليها قضية أن يدرج قانون عالمي يمنع.. لا نقول مخالفة الأديان وإنما يمنع ازدراء الأديان فإن هذا الأسلوب المستهجن في السخرية والازدراء هو بعيد عن الموضوعية بعيد عن المعرفة ولذلك يجب أن يكون هناك نوع من الضبط الذي يوفق بين حرية التعبير التي هي حرية مطلوبة ومضمونة ومكفولة للإنسان وأيضا بين حرية التدين التي تمنع أن لا يعتدي الآخرون عليهم.

عبد الصمد ناصر: طيب هل يلتقي هذا أو هناك ربط بين هذه الوثيقة المطلوبة وحرية نقض الأديان؟

سلمان العودة: النقض يختلف عن الازدراء نحن قد يقول قائل إن القرآن الكريم فيه مثلا نصوص فيه آيات..

عبد الصمد ناصر: يلعن بعض..

سلمان العودة: كذلك بعض الكتب الأخرى التوراة أنظر ماذا تقول التوراة عن العالم وعن الأمميين وقتلهم واستحلال دمائهم وازدرائهم وكذلك يوجد في الإنجيل نصوص معينة في الكتب في الثقافات بل في الكتب المدرسية المقررة نمطية العربي والمسلم في المناهج الغربية أو حتى في كثير من يعني البرامج الإعلامية هذا شيء معروف الممنوع الذي يجب أن يركز عليه هو قضية منع الازدراء السخرية التي تثير استفزاز ومشاعر يعني يستحيل معها أن يكون هناك علاقة سليمة بين شعوب العالم..

عبد الصمد ناصر: تتسبب في الأذى النفسي والمعنوي.. بالتأكيد أنها تتسبب في الأذى النفسي والمعنوي والوجداني لمعتنقي هذه الديانة أو تلك يعني حينما نطالب بإصدار أو استصدار قرار من الأمم المتحدة مثلا يجرم أو يحمي المقدسات الدينية هذا على صعيد التعامل تعاملنا مع الآخر لكن على صعيد تعاملنا في إدارتنا لهذه الأزمة على صعيد الداخل داخل الأمة ما الذي يفرضه هذا التحدي الغربي علينا كمسلمين وهو تحدي غربي قديم جديد إذا شئنا أن نقول على الأمة من الداخل بحوارات داخلية مثلا بتغيير المناهج التعليمية وغير ذلك؟

سلمان العودة: جميل أولا يعني إذا كان المقصود..

عبد الصمد ناصر: تحسيس الناس بأهمية المسلم؟

سلمان العودة: في هذا الحدث بذاته يعني في هذا الموقف فأولا نؤكد على ما سبق من قضية أنه من المهم أن تستمر المقاطعة بحيث لا تكون المقاطعة عبارة عن ماء ذهب في الرمال وانتهى أو يتسلل الناس لوادي من المفترض أن تستمر إلى أن يكون هناك نوع من التوافق الرسمي والشعبي والعلمي على إزالتها أما أن يكون هناك نوع من الضعف أو الخلخلة أو التراجع فهذا قد يضعف من ثمرة هذه القضية نعم ليس هناك مقاطعة إلى ما لا نهاية يجب أن يكون لها حد لكن هذا الحد ينبغي أن يكون واضح يتواطأ عليه المؤمنون جميعا حتى يكون لهذه الحركة معنى لعل من المهم الإشارة إلى قضية يعني أنه خلال هذه الأحداث وقع أمور سلبية لابد من الإشارة إلى أن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام الذي غضبنا من أجله لا يقبلها ولا يوافق عليها مسألة التدمير مسألة القتل مسألة هدم المعابد يعني بعض الأساليب التي ربما هي أساليب عشوائية أساليب ربما توصل رسالة مغلوطة نحن نريد أن يكون تعامل المسلمين مع الحدث تعامل حضاري راقي يثبت فعلا أنهم على مستوى المسؤولية والحدث في هذا الموضوع وأن غضبهم ليس غضبا قوميا وإنما هو غضب رباني منضبط يعني.

عبد الصمد ناصر: لو بقينا في الإطار نفسه هذا على الصعيد يعني على صعيد التعامل الداخلي داخل الأمة على عاتق مَن تقع مسؤولية مجابهة مثل هذه التحديات هل هي مسؤولية الأنظمة مسؤولية

النخب مسؤولية المجتمع مسؤولية الفرد مسؤولية مَن ومن له القدرة فعلا على النهوض بمثل هذا التحدي فضيلة الشيخ؟

سلمان العودة: هو الحقيقة العمل في أصله عمل شعبي وربما هذا من أهم أسباب نجاحه والإعجاب الكبير الذي حصل له أنه كان عبارة عن غضبة إسلامية..

عبد الصمد ناصر: هبة شعبية..

سلمان العودة: شعبية في الغالب رأيت أنه في الغرب كثيرا ما يحاولون أن يقولوا أن هذه الغضبة الشعبية تم تسييسها من قبل أطراف معينة أقول أولا هذا الكلام ليس دقيقا لكن لنفترض أنه صحيح ليأخذ الآخرون من هذا الأمر أن أي إثارة للاستفزاز في أي مكان في العالم..

عبد الصمد ناصر: توحد القيادات مع شعوبها..

سلمان العودة: توحد الصف والرأي بل وربما تكون تصنع مناخ يستثمره أطراف معينة قد لا تكون مرضية عند أي طرف من الأطراف ولهذا من المهم جدا أن ندرك أن هذه الغضبة شعبية مع ذلك هناك حقيقة نوع من التجاوب الرسمي في مثلاً مسألة سحب السفراء إرسال رسائل إلى تلك الدول خطابات منظمة المؤتمر الإسلامي الجامعة العربية رابطة العالم الإسلامي عدد من المؤسسات العلمية والسياسية كان لها دور مؤيد ومؤازر لهذه القضية..

عبد الصمد ناصر: ما رأيك في مَن يقول بأنه يجب علينا مادمنا نحن الآن ربما في مواجهة تيار فكري ما يبتغي تحطيم المقدس الديني نحن الآن أمام مَن يتحدانا كمسلمين ويتحدى مقدساتنا ويهيننا بها أليس حريا بنا كمسلمين يتساءل بعضهم البحث عن إقامة تحالفات ولو تحالفات يعني محدودة تكون محسوبة وحذرة إذا شئت أن تقول فضيلة الشيخ مع كثير من القوى التي لا تزال ترى بضرورة حماية وتعزيز المقدس مقابل هذه العمليات المتواصلة الآن يعني حتى لو كانت من غير الديانات السماوية..

سلمان العودة: أو من غير المسلمين..

عبد الصمد ناصر: نعم من غير المسلمين والديانات الأخرى كذلك..

سلمان العودة: أنا أعتقد أن هذا الكلام صحيح يعني أحد الطلاب كان يدرس في إحدى الجامعات مقرر إنجليزي فوجد أن في هذا المقرر إساءة للعرب وذهب إلى العميد وقال له إن هذا المقرر فيه إساءة لي فاستغرب وقال له أول طالب يأتيني ليقول لي هذا الكلام زملائك عبر عشرين سنة كانوا يدرسون ولم ينتقدوا ولم يحتجوا بينما لو حصل احتجاج أنا مضطر أن أغير هذا المقرر بسبب أولاً قناعتي وبسبب أنني حريص على أن يأتي الطلاب حتى آخذ منهم الرسوم فأنا أدرسهم في مقابل إذاً هذه هي فكرة المقاطعة أو فكرة التواصل ومن يجب أن يكون هناك تواصل كما قلت في الغرب في أميركا في أي مكان مع أولئك الذين..

عبد الصمد ناصر: في آسيا أيضا..

سلمان العودة: يوافقون على هذا المبدأ..

عبد الصمد ناصر: طيب في ثواني معدودات لأنه لم يبقى من الوقت كثير أقل من ثلاثين ثانية كيف نتجاوز هذه الأزمة فضيلة الشيخ هذه الأزمة كيف نتجاوزها؟

سلمان العودة: هذه أولا يجب أن نشيد يعني لا نعتبر أنها أزمة بالمعنى السلبي للأزمة هي فيها جانب إيجابي كبير..

عبد الصمد ناصر: صحوة إسلامية أيضا..

سلمان العودة: هي أعطتنا دليل على أننا نعمل وأننا لنا آثر ولنا صوت يمكن أن نوصله إلى أطراف كثيرة جدا ومن هنا ينبغي أنه نطرح كيف نحافظ على هذه المكاسب لأن لا تضيع أدراج الرياح أعتقد أنه يجب أن يكون هناك نوع من السيطرة على هذا الموضوع من خلال جهات علمية وشرعية معتبرة مؤتمرات تشكل لجان تخاطب المسلمين وتتواصل مع غير المسلمين في هذا السبيل.

عبد الصمد ناصر: بارك الله فيك فضيلة الشيخ الداعية الإسلامي الشيخ سلمان العودة المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم (Islam today) بارك الله فيك وشكرا لكم مشاهدينا الكرام وفي الختام تحيات المخرج منصور الطلافيح والمعد معتز الخطيب ولنا لقاء آخر في الأسبوع القادم بحول الله.

========================

أزمة الرسوم لماذا ؟؟ وكيف نستثمرها ؟؟

الدكتور جهاد عبد العليم الفرا

رئيس المجلس الإسلامي الدانمركي

الرئيس

جهاد عبد العليم الفرا

Fo صلى الله عليه وسلم mand J صلى الله عليه وسلم had Al-Fa صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم a

N? صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم vang صلى الله عليه وسلم n ٥

٢٦١٠ صلى الله عليه وسلم dov? صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم

tlf : +٤٥ ٤٤ ٩٢ ٦٩ ١٦

fax: +٤٥ ٤٤ ٢٤ ٦٩ ١٦

jf@dis صلى الله عليه وسلم .com ...

نائب الرئيس

محمد أسامة زين العابدين

N?st صلى الله عليه وسلم fo صلى الله عليه وسلم mand

Mohamad Osama Zyn Alabidin

Cyp صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم nsv صلى الله عليه وسلم th.١ ,٢ j

٢٣٠٠ K?b صلى الله عليه وسلم nhavn S

+٤٥ ٣٢ ٥٥ ١٢ ١٩

+٤٥ ٦١ ٨٠ ٦٧ ٢٠

mz@dis صلى الله عليه وسلم com. ...

مسؤول الدعوة والتعريف بالإسلام

فارح سهل يوسف Ansva صلى الله عليه وسلم fo lig صلى الله عليه وسلم fo صـــلى الله عليه وسلم p & midling صلى الله عليه وسلم ?s صلى الله عليه وسلم om ntation islam

Fa صلى الله عليه وسلم ax Sahal yusof

V صلى الله عليه وسلم st صلى الله عليه وسلم mf٢ ,golv١

٢٢٠٠ Tingbj صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم g

+٤٥ ٣٨ ٦٠ ٨٠ ٠٢

+٤٥ ٢٦ ٩٠ ٤٣ ٥٦

fsy@dis صلى الله عليه وسلم com.

مسؤول التربية

أسامة محمد عطية ...

Oplysningskontu صلى الله عليه وسلم ch صلى الله عليه وسلم f Usama Attia

No صلى الله عليه وسلم d f صلى الله عليه وسلم ontv صلى الله عليه وسلم ٧٦ j

٢٧٣٠ H صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم I صلى الله عليه وسلم v

+٤٥ ٣٠ ٢٥ ٤١ ١١

uma@ dis صلى الله عليه وسلم com. ...

مسؤول الشباب والطلاب

علي بن رجب Ungdoms & stud صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صـــلى الله عليه وسلم nd صلى الله عليه وسلم s v صلى الله عليه وسلم jl صلى الله عليه وسلم d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم

Ali B صلى الله عليه وسلم n صلى الله عليه وسلم ajab

صلى الله عليه وسلم undh?j All صلى الله عليه وسلم ٣.th, ٤٨

٨٢٧٠ H?bj صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم g

+٤٥ ٨٦ ٢٥ ٠٠٤٣

+٤٥ ٢٨ ٥٥ ٨٩ ٧٥

ab صلى الله عليه وسلم dis@ صلى الله عليه وسلم com. ...

مسؤولة العمل النسائي

فايزة داود معلا Ansva صلى الله عليه وسلم lig fo صلى الله عليه وسلم kvind صلى الله عليه وسلم lig صلى الله عليه وسلم aktivit صلى الله عليه وسلم t صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم Fayz صلى الله عليه وسلم h Malla

Bi صلى الله عليه وسلم k صلى الله عليه وسلم pa صلى الله عليه وسلم k صلى الله عليه وسلم n ٧٠, ٧.th

٥٢٤٠ Od صلى الله عليه وسلم ns صلى الله عليه وسلم N ؟

Tlf/Fax : +٤٥ ٦٦ ١٠ ٣٣ ٤٦

fm@dis صلى الله عليه وسلم com.

مسؤول المال وشؤون الأعضاء

أحمد عبده

؟konomisk og m صلى الله عليه وسلم dl صلى الله عليه وسلم mm صـــلى الله عليـــه وسلم صلى الله عليه وسلم n صلى الله عليه وسلم s ansva صلى الله عليه وسلم lig

Ahmad Abdou

P صلى الله عليه وسلم t صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم Bangsv صلى الله عليـــه وسلم j١٨٤, ١.th

٢٠٠٠ F صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم iksb صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم g

+٤٥ ٣٨ ٧٩ ١٦ ٨٣

+٤٥ ٦١ ٦٨ ١٦ ٨٣

aha@dis صلى الله عليه وسلم com. ...

المؤتمر العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم

البحرين ٢٢ــ٢٣ صفر ١٤٢٧هــ الموافق ٢٢ــ٢٣ مارس ٢٠٠٦م

أزمة الرسوم لماذا ؟؟ وكيف نستثمرها ؟؟

الدكتور جهاد عبد العليم الفرا

رئيس المجلس الإسلامي الدانمركي

• المقدمة :

الحمد لله حمد الشاكرين ، ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، نحمدك ونثني عليك الخير كله ، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيد الخلق وإمام الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سماحة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس المؤتمر:

أصحاب الفضيلة والسماحة السادة العلماء:

أيها الإخوة والأخوات الحضور:

السلام عليكم ورحمة لله وبركاته ، أما بعد :

فإننا نحمد الله سبحانه وتعالى ، أن جعل هذه الأمة المسلمة أمة حية خيرة ، تنبض قلوبها بحب الله جل جلاله،وتعشق أرواحها حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام ،تفديه بالأرواح والمهج ، وتذود عنه بالغالي والرخيص ، وسخر لها علماء مخلصين عاملين ربانيين ، ينيرون دروبها ويوجهون عقولها وضمائرها .

أيها السادة الحضور:

إذا سألنا أنفسنا عن تلك الرسوم القبيحة والتي نشرتها صحيفة اليولاندس بوستن الدانمركية بتاريخ ٣٠ / ٠٩ /٢٠٠٥ فأشعلت بذلك الغضب الإسلامي في أنحاء الأرض ، واستفزت أصحاب الضمائر الحية ، في كل مكان مستهجنة هذا العمل القبيح ، ومنددة بهذا الإعتداء الواضح الفاضح ، على أعظم إنسان عرفته البشرية ، وافضل مخلوق وطئت قدماه هذه الأرض ،يحبه مليار ونصف مسلم ، ويعجب به مثلهم من المنصفين من غيرهم . إذا سألنا أنفسنا لماذا هذه الرسوم ؟؟ ولماذا بهذا القبح ؟؟ ولماذا في الدانمرك ؟؟؟هذا البلد الجميل القابع في برد الشمال والذي لم يسمع عنه المسلمون الكثير قبل هذه الأزمة ؟؟؟ فماذا يكون جوابنا ؟؟؟ وماذا يكون ردنا ؟؟؟ وكيف نعالج هذه القضية في الدانمرك أولا ثم في غيرها من الدول ثانيا ؟؟ أنكتفي بالقول أنهم أناس يكرهوننا ويكرهون ديننا ؟؟ وحاقدون على عقيدتنا وديننا أم أن القضية أعمق من ذلك بكثير وتحتاج إلى تحليل دقيق وكشف حقيقي ؟؟؟

• لمحة عن الدانمرك

إسمحوا لي أيها السادة أن أقدم لكم في البداية لمحة عن الدانمرك هذا البلد الصغير الـــذي لاتتجـــاوز مساحته٤٣.٠٩٣.١٤ كممربع أرضه منبسطة لاتوجد فيها جبال ، ويقع محاطا بالمياه بشكل كامل تقريبا – مابين بحر البلطيق شرقا وبحر الشمال غربا . تتكون الدانمرك من شبه جزيرة يولاند – والتي تقع في الامتداد الشمالي لألمانيا– (وأكبر مدنها : أورغوس ، وأولبورغ ، وإسبيرغ) و ٤٠٦ جـــزر أخرى أكبرها : شيلاند – حيث تقع العاصمةكوبنهاجن،وفيون(وأكبرمدنها :أودينسة) ولولانـــد ، وبورنهولم .

إتحاد فيدرالي :

تضم مملكة الدانمارك جزيرة غرينلاند ومجموعة جزر الفارو إلى أن كلاهما يتمتع بحكم ذاتي .

جزء من دول الشمال :

الدنمارك واحدة من الدول الإسكندنافية والتي تضم إضافة لها : السويد، والنرويج، وفنلندا، وإيسلندا . وتربطها علاقات ثيقة مع دول البلطيق إستونيا، و ليتوانيا، ولاتفيا .

السكان :

يبلغ عدد سكان الدانمارك ٥,٢ مليون نسمة ، عدد المسلمين منهم ٢٠٠٠٠٠ نسمة بنســـبة ٣% ينحدر معظمهم من تركيا والباكستان والمغرب والعراق وإيران والصـــومال والبوســـنة والهرســـك وفلسطين .

نظام الحكم :

ملكي دستوري برلماني ديموقراطي ، الملكة مارغريت الثانية تملك ولاتحكم ، وتتمتع العائلة المالكـــة بشعبية كبيرة في المجتمع الدانمركي . وهناك فصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية .

اللغة السائدة :

اللغة السائدة في الدانمارك هي اللغة الدانمركية ، ويتقن معظم المواطنين اللغة الإنكليزية .

- تاريخ الوجود الإسلامي في الدانمرك:

ترجع بدايات الوجود الإسلامي في الدانمرك إلى الستينيات من القرن الماضي وتمثل في قدوم غير منظم لعمال مسلمين من تركيا والباكستان والمغرب العربي عموما بهدف الإقامة المؤقتة طلبا للرزق فلـــم يستقدموا في البداية عوائلهم لكنهم سرعان مااستقر بهم الحال وبدؤوا يستقدمون أهلهم ، ثم تتـــابع تدفق المهاجرين المسلمين أثناء الحرب العراقية الإيرانية ، ثم الحرب اللبنانية ،فالأفغانية ،فالصـــومالية ، فالبوسنة والهرسك ،فالبلقان عموما ، وفي كل مرة تحدث حربا في بلد ما يكون للـــدانمارك حصـــة لابأس بها من اللاجئين . هؤلاء اللاجئون من المسلمين قل بينهم الأكاديميين والمـــثقفين والمـــتعلمين وغالبيتهم العظمى ماكانت تعرف من الإسلام إلا إسمه ومن القرآن إلا رسمه .

- أسباب تتعلق بالمسلمين:

سوادالمسلمين في الدانمرك ممن يعلمون القليل عن دينهم ، ويجهلون روحه ورسالته ،ولم يتمثلوا أخلاقه وتعاليمه بل ومنهم من يحارب الإسلام ويعتبره ــ على الطريقة الغربية ــ سبب تخلف المسلمين ، ومن المؤسف المؤلم أن تجد معظم رواد السجون من المسلمين ، إجرام وإتجار بالمخدرات ونهب وسلب وتلاعب على الدولة وتحايل على القانون ، ومشاكل اجتماعية وأمراض أسرية نشأت عن نقل الأسرة المسلمة من وسطها الإسلامي إلى وسط غير إسلامي ، إضافة إلى التفرق والخلاف بسبب العرقية أو المذهبية أو المنهجية ،وقسم كبير من المسلمين يعيش على المساعدات الإجتماعية التي تقدمها له الدولة منذ سنوات طويلة ، كل هذا يعطي صورة مضطربة ، مهزوزة ، وغير متزنة ، وفي كثير من الأحيان سيئة عن المسلمين وما يحملونه من دين .

ولايفوتني هنا أن أنوه بالدور الرائد الذي تقوم به المؤسسات والمساجد والمراكز الإسلامية في إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع المسلم في الدانمرك إلا أن ضعف إمكانياتها ومحدودية طاقاتها يعيقها عن بلوغ المأمول منها.

- أسباب تتعلق بالإعلام :

دأب الإعلام الدانمركي ــ شأنه في ذلك شأن الإعلام الغربي عموما ــ منذ حوادث الحادي عشر من سبتمبر على ربط الإسلام بالإرهاب والمسلمين بالإرهابيين بشكل مباشر وغير مباشر ، وغذت هذه الحملة الإعلامية حوادث مدريد ثم تبعتها حوادث لندن ، حتى وصل التوجس بالصحف الدانمركية أن يكتبوا (نييورك ــ مدريد ــ لندن فمتى كوبنهاجن ؟؟) . وهذا ما أدى إلى أن يكون التعامل مع ممثلي المسلمين في كثير من الأحيان منحصرا في البوابة الأمنية .

هذا الإعلام مدعوم من الحكومة وإن لم يكن موجها منها فعلى سبيل المثال لا الحصر تلقت جريدة اليولاندس بوستن دعما من الحكومة مقداره : ١٠,٢ مليون كرون مابين عامي ١٩٩٤ ــ ٢٠٠٤ .

- أسباب تتعلق بأجندات الأحزاب السياسية :

الخريطة السياسية الدانمركية تتمثل في التآلف الحاكم : الحزب الليبرالي ويتزعمه رئيس الوزراء أنس فو راسموسين ، والحزب المحافظ ويتزعمه بينت بيندسن ويدعمه في البرلمان حزب الشعب الدانمركي بزعامة بيا كييرسغو . أما المعارضة فتتمثل في الحزب الإشتراكي الديموقراطي بزعامة هيلي تونينغ شميت ، والحزب الإشتراكي ، والحزب الليبرالي اليساري ، والقائمة الموحدة (يساريون قدامى) وغيرها من الأحزاب الصغيرة .

أما التآلف الحاكم فهو تآلف في عمومه يميني، أقصى اليمين فيه حزب الشعب الدانمركي ،الذي يقتات على التحدث عن المسلمين وسلبياتهم في المجتمع الدانمركي، وقدتقدمت شعبيته مؤخرا يليه الحزب المحافظ ، فالليبرالي .منذ مجيئه إلى الحكم سن هذا التآلف حزمة قوانين كان لها أثر سلبي على المسلمين في الدانمرك .

أما المعارضة فنستطيع أن نقول أنها في مراحل إعادة بناء هياكلها الإدارية ونظمها السياسية بعد تراجع شعبيتها أمام أحزاب الحكومة .

والمؤشر الذي تسير خلفه معظم هذه الأحزاب حكومية كانت أم معارضة هي إستطلاعات الـــرأي ومزاج الناخب الدانمركي .

• الشعب الدانمركي :

شعب مسالم يميل إلى الهدوء ، إنساني يدعم القضايا الإنسانية ، لايميل إلى التـــدين ، معتـــز بحريتـــه وبوطنيته ، متأثر إلى حد كبير بما تنشره وسائل إعلامه ، يميل بشكل عام إلى العزلة .ويطالع كـــثيرا لكن معظم مطالعاته عن أخبار الفن والفنانين والموضة والزينة ،وأخبار العائلة المالكة . قسم منه يحب المسلمين وقسم يبغضهم والغالبية ليس لها موقف محدد منهم إنما تتخذه بناء على الأحداث وأحيانـــا بمزاجية خاصة . ،لايعرف الكثير عن الإسلام. إلا أنه شعب عاطفي يتأثر بما يحصل للآخـــرين مـــن كوارث طبيعية ويدعمهم وآخرها دعم الباكستان إثر الزلازل التي وقعت بها بحـــوالي ١١٥ مليـــون كرون .

ضمن هذا الواقع يطلب من ٣٠ رساما كاريكاتوريا أن يقدموا رسما عن النبي صلى الله عليه وســـلم كيف يتصورونه فأصدروا تلك الرسوم القبيحة ونشرتها جريدة اليولاندس بوستن فأطلقت بـــذلك شرارة الغضب والاحتجاج بين المسلمين في الدانمرك والتي سرعان مالنتقلـــت أوارهـــا إلى العـــالم الإسلامي الكبير ذودا عن الحبيب المصطفى ودفاعا عن خير الأنام .

• كيف نستثمر أزمة الرسوم :

١. التركيز على أن الرسوم لاتندرج بشكل مطلق تحت بند حرية التعبير، وإنما تندرج تحـــت إطـــار العنصرية و إهانة الأديان ، وأن الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام أول من كفل حرية التعبير ضمن أخلاقيات عالية موجودة حتى في الدانمرك وإلا فلماذا سنت قوانين العنصـــرية وإهانـــة الأديـــان في الدانمرك .

§ ٢٦٦b:

D صلى الله عليه وسلم n, d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم off صـــلى الله عليـــه وسلم ntligt صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم m صـــلى الله عليه وسلم d fo صلى الله عليه وسلم s?t til udb صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم d صلى الله عليه وسلم ls صلى الله عليه وسلم i صلى الله عليه وسلم n vid صلى الله عليـــه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم k صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وســـلم ds f صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ms?tt صلى الله عليه وسلم صلى الله عليـــه وسلم udtal صلى الله عليه وسلم ls صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ll صـــلى الله

عليه وسلم صلى الله عليه وسلم and صلى الله عليه وسلم n m صلى الله عليه وسلم dd
صلى الله عليه وسلم l صلى الله عليه وسلم ls صلى الله عليه وسلم v , صلى الله عليه وسلم d
hvilk صلى الله عليه وسلم n صلى الله عليه وسلم n g صلى الله عليه وسلم upp صلى الله
عليه وسلم af p صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم son صلى الله عليه وسلم صلى الله
عليه وسلم t صلى الله عليه وسلم u صلى الله عليه وسلم s, fo صلى الله عليه وسلم h?n
صلى الله عليه وسلم s صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم n صلى
الله عليه وسلم dv? صلى الله عليه وسلم dig صلى الله عليه وسلم s p? g صلى الله عليه
وسلم und af sin صلى الله عليه وسلم ac صلى الله عليه وسلم hudfa , صلى الله عليه
وسلم v صلى الله عليه وسلم national , صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ll صلى
الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم tnisk صلى الله عليه وسلم op
صلى الله عليه وسلم ind صلى الله عليه وسلم ls صلى الله عليه وسلم t , صلى الله عليه وسلم o
صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم s صلى الله عليه وسلم ksu
صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم o صلى الله عليه وسلم i صلى الله عليه وسلم nt
صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ing, st صلى الله عليه وسلم aff صلى الله عليه وسلم
s m صلى الله عليه وسلم d b?d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه
وسلم صلى الله عليه وسلم f?ngs صلى الله عليه وسلم ? ٢ l indtil صلى الله عليه وسلم .

(نص قانون العنصرية الدانمركي رقم ٢٦٦)

كل من ينشر أويصرح أويوزع ما من شأنه تهديد أوسب أوإهانة مجموعة من الناس بسبب انتماءهم العرقي أو الديني أو الوطني أو الديني أو توجههم الجنسي يعاقب بغرامة مالية أو بالسجن لمدة تصل إلى سنتين .

٢. الإسلام كدين غير معترف به في الدانمرك ، إنما هناك اعتراف أوترخيص لمؤسسات إسلامية، وهذا من شأنه أن يجرئ على الإنتقاص منه وإهانة رموزه حيث تنص المادة ١٤٠ من قانون العقوبات :

§ ١٤٠:

D صلى الله عليه وسلم n, d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم off صلى الله عليه
وسلم ntlig d صلى الله عليه وسلم iv صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم spot m
صلى الله عليه وسلم d صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم fo
صلى الله عليه وسلم h?n صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم nog صلى الله عليه وسلم
t h صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم i land صلى الله عليه وسلم t lovligt b

صلى الله عليه وسلم ?st صلى الله عليه وسلم nd صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وســـلم صلى الله عليه وسلم ligionssamfunds t صلى الله عليه وسلم ?osl صلى الله عليه وسلم domm صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم صـــلى الله عليـــه وسلم gudsdy صلى الله عليه وسلم k صلى الله عليه وسلم ls صلى الله عليه وســـلم st , صلى الله عليه وسلم aff صلى الله عليه وسلم s m صلى الله عليه وسلم d b?d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ll صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم f?ngs صلى الله عليه وسلم m?n ٤ l indtil صلى الله عليه وسلم d صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم .

وتعني إهانة أو سب دين معترف به في البلد أو رموزه يعاقب عليه القانون بغرامة مالية ، أو ســـجن يصل إلى أربع أشهر .ولذلك لابد من الإعتراف بالإسلام كدين في الدانمرك.

٣. لابد من إيصال رسالة مفادها أن المؤتمر يدين ويندد بحرق السفارات والأعلام الدانمركية واعتبار ذلك مرفوضا إسلاميا لأن المسلمين لايردون على الإساءة بالإساءة .

٤. الإشادة بكل الأساليب الحضارية التي اتبعت في الاحتجاج على هذه الإساءة والتي تمت ضـــمن الأطر القانونية وحبذا لو خصصت الدانمرك بذلك حيث أشار المتحدث باسم الشؤون الخارجيـــة في حزب الشعب الدانمركي (سورن إسبرسن)(يميني متطرف) إلى ذلك فقال: "منذ أن حصلت الأزمة على إثر نشر الرسومات تعامل الكثير من المسلمين في الدانمرك بطريقة مثالية مع القضية. لقد شاركوا في الحوار وتظاهروا بالطريقة التي تحق لهم ولحسن الحظ رأينا حوادث العنف تحصل خارج حدودنا".

٥. العمل على إنشاء هيئة عليا تمثل المسلمين بكافة أطيافهم ، والسعي لتهيئة المناخ السياسي الـــذي يكفل تعامل الدولة مع هذه الهيئة في كل مايتصل بقضايا المسلمين .ومما لا شك فيه أن هذا الأمـــر يتعلق بالمسلمين في الدانمرك لكنهم لا يستطيعون القيام به ما لم تتوفر الإرادة السياسية لـــذلك مـــن جانب الدولة على غرار ماحصل في بلجيكا وفرنسا .

٦. العمل على إنشاء مسجد جامع كبير بمئذنة وقبة يعكس نوعا من الإنسجام بين فـــن العمـــارة الإسلامية وفن العمارة الدانمركية ، ويكون مزودا بكل الوسائل التي من شـــأنها تعزيـــز التواصـــل الحضاري بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الدانمركي .

٧. دعم ترجمة دقيقة وموثقة للقرآن الكريم إلى اللغة الدانمركية ، ودعم حركة ترجمة وتأليف الكتب التي تعرف بالإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

٨. التركيز على احترام الشعب الدانمركي وخصوصياته وعلى أن الأزمة ليســـت بـــين الشـــعوب الإسلامية والشعب الدانمركي ، إنما بين الشعوب الإسلامية وجريدة اليولاندس بوستن التي أســـاءت استخدام أجواء الحرية التي يتمتع وينعم بها الشعب الدانمركي والحكومة الدانمركية التي أساءت التعامل مع الأزمة بالرغم من الوقت الكافي الذي كان لديها للتعامل مع القضية بعقلانيـــة وحكمـــة . ،ان

المسلمين لايريدون بحال من الأحوال إستغلال الفرصة لفرض ثقافتهم على الدانمركيين كما يصور لهم البعض.

٩. إنتاج برامج تلفزيونية ، وأفلام وثائقية ، تتحدث عن الإسلام وعن نبيه عليه الصلاة والسلام .

هذا وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

======================

أزمة الرسومات والجذع الذي بأعيننا

د . علي جمعة

تعلمنا من دين الإسلام أنه دعوة عالمية ، قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } [سبأ : ٢٨]، وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء :١٠٧]، ومعنى هذا أننا أمة دعوة ، ومقتضى الدعوة تبليغها بصورة لافتة للنظر ، وعرضها على الناس ، بشروط قد حددها الله سبحانه وتعالى؛ أول هذه الشروط هو : حرية العقيدة وعدم الإكراه عليها ، قال تعالى : {فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ } [الكهف : ٢٩]، وقال تعالى : {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الكافرون : ٦]، وقال تعالى : {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [البقرة : ٢٥٦]، وقال تعالى : {لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ } [الغاشية : ٢٢]، وقال تعالى : {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } {القصص : ٥٦] ، وقال تعالى : {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ } [الشورى : ٤٨].

ومن شروط الدعوة أن تكون بالحكمة قال تعالى : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النحل : ١٢٥]، ومن شروطها أن تكون على بصيرة ، قال تعالى : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } [يوسف : ١٠٨] ، ومن شروطها أن تكون شفافة ، قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ } [البقرة : ١٥٩] .

فجعل كتم البينات والهدى من الكبائر التي تؤدي إلى الفساد في الدين ، وإلى الأذية والضرر في الخلق؛ ولذلك استوجبت لعنة الله؛ دلالة على أنها من الذنوب الكبائر ، ولعنة اللاعنين الذين يتأذون بذلك في الحياة الدنيا . ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن فتح باب الرجوع والعودة للإصلاح فقال بعدها : {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة : ١٦٠].

واجبات لا بد منها:

١ – تكشف أزمة الدنمرك عن أننا قد قصرنا في عرض ديننا بصورة لافتة للنظر ، وهذا يستلزم منـــا مجهودًا علميًّا ودعويًّا يتجاوز ما نحن عليه الآن بصورة جذرية ، ولقد نشأت في جامعة الأزهـــر – والحمد لله رب العالمين– كلية اللغات والترجمة ، وخرّجت كثيرا من الأجيال، ولكننـــا نحتـــاج إلى المزيد من هذا التوجه بإرسال البعثات من الأزهر الشريف للدراسة في الغرب، وتقبل بعثات الآخرين إلينا، وهو ما شرعت فيه جامعة الأزهر بالفعل .

٢ – تفعيل دور الخريجين من هذه الكليات للعمل بالمراكز الإسلامية بالخارج ، مع إتاحة الفرصة لهم للمعيشة في هذه البلاد بصورة مستمرة؛ لأن اللغة كالكائن الحي لا تنمو إلا بطول المراس والمعاشرة ، والاطلاع على دقائق العقلية وكيفية الخطاب ، ولا بد من أوضاع مستقرة لهؤلاء الأئمة يمثلون فيها بحالهم قبل أقوالهم الإسلام ، وكثيرا ما نرسل هؤلاء الأئمة ثم نسحبهم بعد أربع سنوات أو خمـــس، وهي أزمان لا تكفي للتفاعل والأداء الحسن الذي نرجوه .

٣– لا بد من إنشاء مرصد تكون مهمته الرصد والتحليل لكل ما يكتب وينشر ويذاع عن الإسلام في الخارج باللغات المختلفة ، ومناقشته وتجهيز البيان الواضح بإزاء تلك القضايا، وعدم ترك الأمور تتراكم حتى تصل إلى حد الانفجار ؛ فقد يكون إنشاء قناة فضائية تتكلم بالإنجليزية خاصة أمـــرًا في غاية الأهمية ، وهو ما لم يتم حتى الآن بصورة تتناسب مع العصر الذي نعيش فيه .

٤– نريد بصورة مستمرة عمل مؤتمرات الحوار التي يدعى فيها رجال الصحافة والإعـــلام في كـــل مكان ، وتتم المناقشات حول المصطلحات والصور الذهنية التي تتعسف مع الإسلام والمسلمين فيما يسمي بـــ"الإسلام فوبيا" الذي يعني الخوف من الإسلام .

٥– عمل مناهج متخصصة ودراسات عليا لدراسة الخلاف الحضاري بين الشرق والغرب ، وطرحها للحوار مع جميع المؤسسات الفكرية والإعلامية والجامعية والثقافية وعدم حصر ذلـــك في النطـــاق الأكاديمي .

٦– تفعيل الاتفاقات القائمة بين جامعة الأزهر وسائر الجامعات والمؤسسات العالمية، وهي كـــثيرة والحمد لله ، ولكن تحتاج إلى مزيد من العمل والجهد .

٧– إنشاء مراكز للترجمة والنشر من العربية وإليها؛ للاطلاع على خلاصـــات التـــراث الإســـلامي ومكونات العقل المسلم، وعلى كيفية الاستفادة من التراث الإنساني والتواصل بيننا وبين العصـــر ، خاصة في مجال البحث العلمي ، وبيان أخلاقيات هذا البحث ونظر الإسلام إليه ، وكيفيـــة نقـــل التكنولوجيا اختراعا وإبداعا ، وليس استهلاكا وتقليدا مع الحفاظ في نفس الوقت على الهوية، وهي أمور تحتاج إلى مزيد من التفكير ، وإلى مزيد من تطوير القوانين ، وإلى مزيد من المشاركة الفعالة .

أمنيات وآمال:

هل نرى في يوم من الأيام مجلة تصدر بالإنجليزية يكون لها توزيع عالمي ، تشرح للناس من هم المسلمون في تاريخهم وفي واقعهم وفي أفكارهم وفي عقائدهم؟

أتعرف كم يتكلف هذا البرنامج من أموال؟ أتعرف كم يحتاج من فرق عمل ذات كفاءة عالية في تخصصات مختلفة؟ أتعرف أن الانشغال بهذا البرنامج بدلا من كثير من اللغو الذي نحياه ، ومن التوجهات الفكرية والصورة الذهنية لكثير من المسلمين عن الإسلام نفسه يحتاج منا إلى تحولات جذرية وتغيرات في طريقة التفكير وفي المسائل المطروحة التي تشغل الذهن المسلم، والتي اختزل الدين فيها؟ أتدرك الآن مع هذه النقاط البسيطة أن جذع النخلة في أعيننا، أم أنه قد صدق فينا قول الإمام الشافعي :

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا *** وما لزماننا عيبٌ سوانا

ونهجو ذا الزمانَ بغير ذنبٍ *** ولو نطقَ الزمانُ لنا هجانا

وليس الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ *** ويأكلُ بعضُنا بعضًا عيانا

أم أننا قد دخلنا في نطاق قول المتنبي :

أغايةُ الدينِ أن تحفُّوا شواربَكم*** يا أمة ضحكت من جهلها الأممُ.

فمثل هذه الأزمات تحتاج إلى إدارة واعية، يمكن أن نلخصها في كلمات ، ثم نفصل القول فيها فيما بعد: إدراك الواقع على ما هو عليه ، والحكمة في معالجة الأمور ، واعتبار المقاصد والمآلات ، والاستفادة من الأزمة لما بعدها ، والعمل على عدم تكرارها ، وكسب أرض جديدة منها حتى تكون المحنة منحة .

أما لهذه الهجمة من رادع ؟!

عبد الله بن راضي المعيدي الشمري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف النبيين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

(منذ ٣٠ سبتمبر الماضي والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يتعرض إلى هجوم حاد وحملة حاقدة في الصحافة الدانمركية، والتي بدأت عندما أراد مؤلف كتب أطفال دانماركي أن يضع على غلاف كتابه صورة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورفض رسام الكاريكاتير المكلف بإعداد الغلاف رسم هذه الصورة، فقرر المؤلف إقامة مسابقة لرسم الرسول، حيث تقدم لها (١٢) رسام كاريكاتير أرسلوا (١٢) صورة مسيئة لرسولنا الكريم.

ولم تفوّت صحيفة (بيو لاندز بوستن) اليمينية المتطرفة والتابعة للحزب الحاكم هذه الفرصة، في التقاط هذه الصور ونشرها استهانة بمشاعر أكثر من مليار و(٣٠٠) مليون مسلم، بالرغم من أن مسلمي الدانمارك والبالغ عددهم (٢٠٠) ألف، (الإسلام هو الديانة الثانية في الدانمارك بعد المسيحية

البروتستانتية) حاولوا الاحتجاج على القرار، وذلك عن طريق رفع مذكرة إلى الحكومة الدانماركية، إلا أن الجواب كان هو الرفض، وإصرار الحكومة على دعم حملة الهجوم تحت مسمى **"حرية التعبير"**. بل كان الموقف الحكومي الدانماركي أكثر شراسة برفض المدعي العام تلبية طلب الجالية الإسلامية برفع دعوى قضائية ضد الصحيفة بتهمة انتهاك مشاعر أكثر من مليار مسلم في العالم، وقال المدعي العام الدنماركي: إن القانون الذي يُستخدم لتوجيه تهم بسبب انتهاك حرمة الأديان لا يمكن استخدامه ضد الصحيفة.

إن حالة العداء للإسلام والمسلمين في الدانمرك تجاوزت كل الخطوط؛ فهناك تعبئة عامة ضد الإسلام، على كافة المستويات بدءاً من التصريح الذي نقل على لسان ملكة الدانمرك (مارجريت الثانية) والذي قالت فيه: "إن الإسلام يمثل تهديداً على المستويين العالمي والمحلي"، وحثت حكومتها إلى "عدم إظهار التسامح تجاه الأقلية المسلمة"، انتهاءً بمواقع الإنترنت التي يطلقها دانمركيون أفراداً ومؤسسات خاصة، تحذر من السائقين المسلمين، لأنهم "إرهابيون وقتلة" مروراً بالحملة العامة في الصحف ومحطة التلفاز العامة التي أعلنت الحرب ضد الإسلام والمسلمين.

ومن هنا رأيت أن اكتب في هذا الجانب المهم مذكرا النفس والإخوان بعظم حقه مستعينا الله تعالى فأقول:

إن من أعظم النعم التي أنعم الله علينا هي أن بعث لنا محمداً صلى الله عليه وسلم نبيناً ورسولاً: {لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم}. وقال تعالى: {لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم}.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى:" هذه المنة التي امتن الله بها على عباده هي اكبر النعم بل اجلها وهي الإمتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة وعصمهم به من التهلكة " ا.هـ

نعم أيه الأحبة لقد بعث الله محمداَ صلى الله عليه وسلم إلى الخليقة بعد أن كانت تعيش في جاهلية جهلاء.. قويهم يأكل ضعيفهم قد وقع بأسهم بينهم.. وهم يعيشون ضلال وعمى جميعهم إلا بقايا من أهل الكتاب..

فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ففتح الله به أعُينا عمياً.. وآذان صماً.. وقلوباً غلفاً.. فهدى به من العمى.. وبصر به من الضلالة..

فلا إله إلا الله ما أعظم هذه النعمة وأجلها لمن تدبرها وعرف قدرها...

ولقد أوجب الله تعالى على المؤمنين محبته وتعظيمه.. ولقد أمر الله تعالى بتعظيمه رسول الله وتوقيره.. وتعظيم سنته وحديثه فقال تعالى: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}.

ومن مظاهر التعظيم لرسول الله في الإسلام...

أنه خصّه في المخاطبة بما يليق به، فقال: {لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً} [النور:٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله (سبحانه وتعالى) أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه في القرآن قط...

ومن ذلك: أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذَن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل...

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره، فلا يُذكر الله (سبحانه) إلا ذكر معه، وأوجب ذكره في الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين...)

و إن تعظيم نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من صلب إيمان المسلم.. فهو خليل الله المصطفى من خلقه.. وخاتم الأنبياء الذي بانتهاء رسالته انقطع وحي السماء.. والموصوف من ربه ــ جلا وعلا ــ بعظم خلقه.. وأحد خمسة من أولي العزم من الرسل. هذا التعظيم تحتمه سيرته الشريفة ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما تمليه حقيقة شهادة أن (محمداً رسول الله)...

و لم يغفل المسلمون ــ منذ جيل الصحابة الكرام ــ عن قدر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعن محبته وتعظيمه.. فنرى في سيرة هؤلاء الصحابة وتابعيهم وعلماء الأمة وعوامها من بعدهم أفضل نماذج لهذا التعظيم..

ومن نافلة القول هنا أن يقال أن معنى التعظيم المشروع لرسول الله هو تعظيمه بما يحبه هو صلى الله عليه وسلم وعدم رفعة فوق مترلته النبوية وانه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب فلا يرفع إلى مقام الربوبية أو الإلوهية..

وقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة بتعظيم وإجلال رسول الله..

ومن ذلك: ما رواه الدارمي في سننه عن عبد الله بن المبارك قال: (كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله فلدغته عقرب ست عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويصفر، ولا يقطع حديث رسول الله، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس، قلت: يا أبا عبد الله، لقد رأيت منك عجباً! فقال: (نعم إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ)

وقال الشافعي (رحمه الله تعالى): (يكره للرجل أن يقول: قال رسول الله، ولكن يقول: رسول الله؛ تعظيماً لرسول الله).

وممن يجب تعظيمهم وإجلالهم ــ وهو من إجلاله عليه الصلاة والسلام ــ إجلال صحابة رسول الله، فيتعين احترامهم وتوقيرهم، وتقديرهم حق قدرهم، والقيام بحقوقهم (رضي الله عنهم).

ويلحظ اليوم وجود هجمة شرسة على جناب نبي الأمة يقوده الإعلام الغربي وإني لأتعجب ولا ينقضي عجبي من الإعلام الإسلامي أين هو من مثل هذا الهجوم على نبينا وكأن شيئًا لم يحدث ؟!

وأين هو الإعلام الذي انشغل بالبرامج التافهة والفاضحة ونجومها المزعومين! فضلاً عن متابعة نجـــوم هليوود والفيديو كليب! فيا أمة الإسلام، ويا إخوة العقيدة، ويا أبناء الرسالة الخالدة، هـــذا نبـــيكم وهذا فضله، ووصفه فهل ترضون بإهنته؟!! فالواجب على الأمة بكل أفراده وطاقاها أن تهب هبـــة الدفاع عن الحبيب صلى الله عليه واله وسلم والواجب أن يعيش معنا دائمـــاً وأبـــداً في مشـــاعرنا، وآمالنا، وطموحاتنا.. يعيش معنا، قدوة وأسوة، وإماماً، ومعلماً، وأباً، وقائداً، ومرشداً.يعيش معنا في ضمائرنا عظيماً، وفي قلوبنا رحيماً، وفي أبصارنا إماماً، وفي آذاننا مبشراً ونذيراً {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}.

نسينا في ودادك كل غال فأنت اليوم أغلى ما لدينا

نلام على محبتك ويكفي لنا شرفٌ نلام وما علينا

ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقينا

تسلّى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعدك ما سلينا

* من مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم:

١) فأول علامات المحبة: الإتباع والاعتصام بالكتاب والسنة..

وحيث كان ادّعاء حب الله من أسهل ما يكون على النفس جعل الله دلالته النبي صلى الله عليه وسلم كما في الآية السابقة {قل إن كنتم تحبون الله...}

تعصي الإله وأنت تظهر حبه *** هذا لعمري في القياس بديع

لو كنت صادقا في حبه لأطعمته *** أن المحب لمن يحب مطيع

قال الحسن: ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآيـــة: {قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم}.

وثمرة الإتباع محبة الله للمتبع... وشان عظيم أن تُحِب وأعظم منه أن تحب..

٢) الحذر من رد شيء من السنة:

قال احمد بن حنبل:" من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة " قـــال الله تعالى: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}.

قال ابن كثير رحمه الله:" أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائلـــه وفاعله كائنا من كان " ا.هـــ [تفسير ابن كثير:٣٠٧/٢]..

ومن مظاهر رد السنة السخرية والاستهزاء بالسنة النبوية ومعارضتها بـــالعقول والآراء والرغبـــات والعادات كالسخرية والاستهزاء باللحية ورفع الرجل ثوبة فوق الكعبين وحجاب المرأة والســـواك والصلاة إلى سترة وغير ذلك. فتسمع من يصف تلك الأعمال بأوصاف رديئة أو يتهكم بمن التزم بها

فلم يجد هؤلاء مايملؤون به فراغهم إلا الضحك والاستهزاء بمن عمل بالسنة وحافظ عليها فيجعلونه محلا لسخريتهم هازلي لاعبين فيصدق في مثلهم قوله صلى الله عليه وسلم: ((وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)).

ويغفل كثير من الناس عن أمر خطير وهو أن الاستهزاء بالدين كفر سواء كان على سبيل اللعب والهزل والمزاح أو على سبيل الجد فهو كفر مخرج من الملة.

قال ابن قدامة: من سب الله تعالى كفر سواء كان مازحا أو جادا وكذلك من استهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه.اهـ

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال: ((كل بيمينك)) قال: لا استطيع. قال: ((لا استطعت ما منعه إلا الكبر)) قال: فما رفعها إلى فيه.

قال التيمي: فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله.

وعن أبي يحيى الساجي قال: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي ومعنا رجل ماجن متهم في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها (كالمستهزئ) فلم يزل من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط.!!

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

======================

أمة المليار.. هل تنتصر لرسولها صلى الله عليه وسلم ؟!

د.مسفر بن علي القحطاني
رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

تعجبت وتألمت أن تكون ردود الفعل تجاه السخرية من النبي صلى الله عليه وسلم جرّاء الفعل الشنيع الذي قامت به صحيفة(جيلا ندز بوسطن) الدنماركية بمثل هذا الضعف والخوف والهوان...

وتوقعت أن مؤسساتنا الرسمية و الأهلية وممثلياتنا الإسلامية في الغرب ستتولى تلقين هذه الصحيفة درسا لا تنساه في احترام مقدسات الأمم والشعوب الأخرى ، ولكن المفاجأة المركّبة أن الحراك كان ساكنا وخائرا في فاعليته وكأن الكل ينتظر من الأخر أن يقوم بالمدافعة عنه والمبادأة بما يرفع حرج التساؤل الشعبي عن دوره ،مع العلم أن الكاريكاتير الساخر قد نشر في تلك الصحيفة في ٢٦شعبان ١٤٢٦هـ الموافق٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م أي قبل أربعة أشهر تقريبا ؟!!. و تراكمت المفاجأة أو اللطمة الأخرى على جبين أمتنا الدامي أن تتجرأ مجلة نرويجية تدعى (ماغازينت) وتعيد الدوس بكل تبجح

على أعظم مقدساتنا بالإهانة والتحطيم لمشاعرنا الباردة وتنشر تهكمها بالنبي صلى الله عليه وسلم في يوم عيد الأضحى الماضي دون أي اعتبار لجموعنا ودولنا و حقوقنا المغتالة؟!!..

أتسال بعد هذه الصدمات ونحن أمة ردود الأفعال: أين الغيورين وأصحاب العواطف الملتهبة والتصريحات الإعلامية بالدفاع عن حرمات المسلمين ؟؟ أين من يدعي حب المصطفى عليه الصلاة والسلام ويزايد على ذلك متهما الكل بالتهوين من قدره ؟؟ أين المبادرات الايجابية و التحرك الفاعل والتضحية المالية بالدفاع عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ؟؟. ألا يحرك في قلوبنا دفاع كل امة عن معتقداتها واعتزازهم بها مهما كانت ضئيلة أو هينة في أعيننا ؛كما فعل البوذيون عند هدم تماثيل باميان ،وما يفعله اليهود فيمن ينكر الهولوكوست (محرقة النازيين لليهود)، أو الهندوس في أي إهانة تمس تاريخهم الملفق أو أبقارهم المقدسة، بل دفاع الشواذ والسقطة عن حقوقهم حتى المعنوية منها !!.

أكتب هذا المقال متأخرا لاعتقادي أن المؤسسات الرسمية والأهلية سوف تتولى الردّ والمدافعة عن النبي صلى الله عليه وسلم و لم أكن أتصور أبدا أن نحتاج إلى كتابة مثل هذا المقال أو غيره لاعتقادي أن المقام هو للمبادرات الرسمية الجماعية الفاعلة وليس للخطب أو المكاتبات أوالتقارير الصحفية الاستهلاكية.. لذلك سأبين في هذا المقام بعض المبادرات الواجبة التي ينبغي أن نساهم بها عمليا ممن يرجى تحركه و تُأمّل نهضته لنصرة نبيه عليه الصلاة والسلام، أذكر بعضها على سبيل المثال:

١ــ قيام منظمة المؤتمر الإسلامي برفع دعوى قضائية على الصحيفة الدنماركية والمجلة النرويجية خلال الأيام القادمة وتكليف جهة متابعة تعطي تقاريرها الدورية عن نتائج المرافعة، مع عدم الاكتفاء بالاعتذار الرسمي بل ومعاقبة القائمين على تلك الصحف والمجلات.

٢ــ تشكيل وفد رسمي من ممثلي مؤسسات المجتمع المدني من علماء ومفكرين وإعلاميين ورجال أعمال للالتقاء بالمسئولين في الدولتين أو في سفاراتهم في دولنا العربية والإسلامية، وتفعيل هذا الحق من خلال مقابلات ومكاتبات احتجاجية للهيئات الرسمية التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي كفلت بحق التعظيم للمقدسات الإنسانية من خلال إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التعصب أو التمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد والذي وقعت عليه الدول الأعضاء في ١٩٨١ م.

٣ــ قيام ممثلين عن رابطة العالم الإسلامي واتحاد علماء المسلمين ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بزيارة لممثلي الديانة المسيحية في الفاتيكان للاحتجاج على هذه التصرفات التي تهدم ما توصلت إليه لجان الحوار بين الأديان خلال العقدين الماضيين.

٤ــ الاحتجاج الرسمي من قبل أصحاب الوكالات التجارية للصادرات الدنماركية والنرويجية في البلدان العربية بالتهديد بقطع العلاقة معهم حتى يتم الاعتذار الرسمي ومعاقبة القائمين على تلك الصحف ، مع التأكيد أن تقاعس شركاتنا التجارية عن أداء هذا الواجب والحراك السريع سيجعل

تلك المنتجات في قائمة المقاطعة التجارية لها ونشر أسماء الشركات الوكيلة في القنـــوات الإعلاميـــة المتنوعة لمنع التعامل معها أو الشراء منها.

٥ــ مطالبة الكتّاب والصحفيين والإعلاميين بل وكل غيور على دينه ومعتقده بالقيام بدور النصـــرة للنبي عليه الصلاة والسلام ومحاولة إثارة الرأي العام الغربي لهذا الانتهاك الحقوقي والتـــدنيس العلـــني للمعتقدات الدينية ، وتفعيل النقابات المهنية لأداء دورهم في القضية بالاحتجاج المباشر على الصحيفة الدنماركية وهذا هو عنوانها المباشر في مملكة الدنمارك:صحيفة (Jyllands ـ Post صـــلى الله عليه وسلم n).

الهاتف والفاكس: (+٤٥ ٨٧ ٣٨ ٣٨ ٣٨ ٣٨) و (+٤٥ ٣٣ ٣٠ ٣٠ ٣٠ ٣٠). البريد الإلكتروني. (jp@jp.dk).

٦ــ تشكيل مكتب لمتابعة تفعيل هذه المبادرات يُنشأ في اللجنة الإسلامية للقانون الدولي الإنســـاني التابع للجنة الإسلامية للهلال الدولي إحدى المؤسسات المختصة لمنظمة المؤتمر الإســـلامي، أو مـــن خلال التنسيق مع الأمين العام لمنظمة الأسيسكو الدكتور عبد العزيز التويجري الذي ساهم بدور كبير في تفعيل الدعوى على الصحيفة الدنماركية والكتابة والمقابلة لعـــدد مـــن المســـئولين في الحكومـــة الدنماركية.

ومع الاعتذار الشديد والاستغفار العميق لعجزنا عن القيام بواجب النصرة لمقام نبي الرحمة والهـــدى عليه الصلاة والسلام فهذه المبادرات هي أقل ما يمكن القيام به تعظيما لحقه عليه الصلاة والسلام من أمته التي تجاوزت المليار مسلم في كل أنحاء الدنيا ؟!!. أما مؤسساتنا الدينية الرسمية والأهلية ومراكزنا وهيئاتنا الإسلامية التي كثرت إلى حد الغثائية فعليها أن تعيد تحديد أهدافها التي تأسست من أجلـــها وتفعيل دورها المنتظر واللائق بها والمشابه لمثلها عند أصحاب الديانات السماوية والنحل الأرضـــية. والتاريخ الذي يسطّر هذه المواقف لن يغفر لنا هذا التخاذل؛ ولو فعل ، فهل سيغفر ربنا هذا التهاون والتنازل ؟؟!

===============

أنصر نبيك يا مسلم

٢٠ / ١٢ / ١٤٢٦هـ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشـــهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد،،

فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم }، { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}، قرن أسمه باسمه في الآذان وجعل شأنه عالياً، وتفضل عليه بالوحي والرسالة، واصطفاه من بين خلقه ليكون خاتم النبيين، وكان فضل الله عليك عظيماً، وجعل له لواء الحمد والمقام المحمود، هذا نبينا عليه الصلاة والسلام أفضل الأنبياء، إمامهم يوم القيامة وقائد الغر المحجلين يوم الدين، ويوم يرجع الأنبياء إليه للشفاعة ليقضى بين الخلائق، فيقوموا هؤلاء الكفرة اليوم بشن الغارات على شخص محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ليبوأ بالإثم في البداية والمسلسل طويل من قبلهم.

صحيفة دنمركية بالرسومات الساخرة التي تستهزئ بأعظم رجل وطئت قدماه الثرى، صورة آثمة وقحة وقاحة الكفر وأهله، ليكون في ذلك الرسم عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأس رجل كأنهم بل صرحوا أنه إرهابي، وهذا من شدة ما أرهبهم، ثم تأتي جريدة أخرى نرويجية لتنكأ الجراح وتشن الغارة من جديد، لتعيد نشر الرسوم الوقحة التي نشرت من قبل، { أتواصوا به بل هم قوم طاغون }، فيا لله ماذا بقي في الحياة من لذة عندما ينال من مقام محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا ينتصر له؟، وماذا نقول تجاه هذا العداء السافر والتهكم المكشوف؟، هل نغمض أعيننا؟، أو نصم أذاننا؟، أو نطبق أفواهنا وفي القلب عرق ينبض؟، والذي كرم محمد وأعلى مكانته صلى الله عليه وسلم لبطن الأرض أحب إلينا من ظاهرها إن عجزنا أن ننطق بالحق وندافع عن نبينا صلى الله عليه وسلم، آلا جفت أقلام وشلت سواعد قد امتنعت عن تسطير الأحرف، والنطق بالكلمات للذود عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء

وهكذا يا عباد الله، يسفر هؤلاء أعداء الدين من أهل الكتاب وغيرهم عن وجوههم القبيحة مرات كثيرة، بصور مختلفة وتعاد الصورة مرة أخرى والتاريخ يعيده الله عزوجل، { إنا أعطيناك الكوثر فصلي لربك وأنحر إن شانئك هو الأبتر }، الشانئ العدو المبغض الساب الشاتم هذا منقطع الذكر، قليل الأثر، هذا هو الذي لا عقب له ولا يبقى له نسل ولا حسن ذكر، أما أنت يا محمد صلى الله عليه وسلم فتبقى ذريتك، وصيتك الحسن بين العباد، وآثار فضلك إلى يوم القيامة، ولك في الآخرة نهر الكوثر والخير الكثير .

عباد الله لما قام قريش يسبونه عليه الصلاة والسلام وقامت تلك المرأة تقول

مذمماً عصينا ودينه أبينا

قال عليه الصلاة والسلام: " ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد ". رواه البخاري ومسلم .

وهكذا،، دافع الله عن نبيه عليه الصلاة والسلام وذكره بالمقام العظيم في كتابه، وأنزل هذه الصورة وغيرها من الآيات للدفاع عن محمد عليه الصلاة والسلام، { ن والقلم وما يسطرون* ما أنت بنعمة ربك بمجنون* وإن لك لأجراً غير ممنون* وإنك لعلى خلق عظيم } ، { ألم نشرح لــك صــدرك* ووضعنا عنك وزرك* الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك }، وهكذا رفع ذكره، وخفض شانئه وشأنهم.

تقوم الرسومات الكاريكاتورية الساخرة اليوم بالاستهزاء بنبينا عليه الصلاة والسلام في رسمها ورمزها ولكن ليس نبينا بالصورة التي رسومها ولا بالخلق الذي وصفوه، فوجهه عليه الصلاة والسلام هــو الضياء والطهر والقداسة والبهاء، أعظم استنارةً وضياءاً من القمر ليلة البدر، يفيض سماحة وبشــراً وسروراً، طلعته آسرة تأخذ بالألباب، وكل من رآه عرف صدقه في وجهه، ومنهم مــن ارتعــدت فرائسه وهو ينظر إليه، ومنهم من بكى إجلالاً له وإعجاباً، وما كان عليه الصلاة والسلام عابساً ولا مكشراً، إنه صلى الله عليه وسلم كان أشد حياءًا من العذراء في خدرها، إذا سر استنار وجه كأنــه قطعة قمر، أهدب الأشفار، أكحل العينين كأنه سبيكة فضة، مليح الوجه، يقول أنــس رضــي الله عنهما: " ما مسست حريراً ألين من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم "، كان عليه الصلاة والسلام يعرف بريح الطيب إذا أقبل، كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقاً، وأكرمهم، وأتقاهم، كان عليه الصلاة والسلام لا يستكبر أن يمشي مع المساكين، تأخذ الجارية الصغيرة بيده فينطلق لقضــاء حاجتها، كان يزور الأمصار ويسلم على صبيانهم، ويأتي ضعفائهم ويزورهم ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، كان عليه الصلاة والسلام يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة فيحلبــها كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويفليه ويحلب شاته، ويخدم نفسه، كان يبيت الليالي طاوياً لا يجــد عشاءاً، وكان لا يجد ما يملئ بطنه من الدقل وهو التمر الرديء، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع مرات، يقبل الهدية ولا يأخذ الصدقة، كان أشجع الناس إذا أحمر البأس اتقوا به في القتال، تمر به الهرة فيسقي لها الإناء لتشرب منه، كان عليه الصلاة والسلام عفواً يغفر ويصفح حتى عفا عــن ذلك المشرك الذي أخترط سيفه ورفعه عليه صلتاً، قال: من يمنعك مني؟، قال: الله، فشلت يد المشرك وسقط السيف من يديه، كان سخياً كريماً أجود الناس، كان عليه الصلاة والسلام عظيماً في أخلاقه وآدابه وخلقته.

ألم ترى أن الله خلد ذكره إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من أسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

أوفر الناس عقلاً، وأسدهم رأياً، وأصحهم فكرة، وأسخاهم يداً، وأنداهم راحة، وأجودهم نفســاً، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يجود ويقول: " أنفق يا بلال ولا تخشى من ذي العرش إقــلالا "، أرحب الناس صدراً، وأوسعهم حلماً، لا يزيده جهل الجاهلين عليه إلا عفواً، أعظم الناس تواضعاً لا

يتميز عن أصحابه بمظهر، ألين الناس عريكة، وأسهلهم طبعاً، ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما، لا يغضب لنفسه فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، ولا يستطيع أن يقف أحد في طريقــه، كأنما يفقأ في وجه حب الرمان تعظيماً لحرمات الله وغضباً لها، أشجع الناس قلباً، وأقــواهم إرادة، يخوض الغمار قائلاً: " أنا النبي لا كذب أنا أبن عبد المطلب "، أعف الناس لساناً، وأوضحهم بياناً، يسوق الألفاظ مفصلة كالدرر مشرقة، كالنور هو طاهر كالفضيلة، إنه صاحب العفة يقيم الحدود، ويقسم بالعدل بين الناس، هو أسمح الخليقة روحاً، وأعلاها نفساً، وأزكاها وأعرفها بالله، أشد الناس في أمر الله، أخشى الناس لله، يؤتي كل ذي حق حقه، قضى زهرة شبابه مع امرأة من قريش تكــبره بخمس عشرة سنة، قد تزوجت من قبل وما تزوج بعدها لاستمتاع مجرد، بل كان في زواجه عليــه الصلاة والسلام مصالح عظيمة، أرفق الناس بالضعفاء، وأعظمهم رحمة بالمساكين، شملت رحمته حتى البهيمة، فهو ينهى أن يحد شفرته أي الجزار بحضرة الشاة وهي تلحظ إليه، وأن تذبح شاة في حضرة أخرى وهكذا،، أخبر أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، إنه أمين الله على وحيه ومصطفاه مــن خلقه، أختاره الله وبعثه رحمة للعالمين، وحمل هداية رب السماء إلى أهل الأرض، نور النبوة مشكاتها وشعاعها ينطلق من لسانه.

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

عباد الله، لقد أنصف بعض الكفار نبينا عليه الصلاة والسلام لما قرءوا سيرته من عظم أخلاقه، ومن عظم هذه الحياة التي تركت وراءه مسطرة، فرضوان الله عن أصحاب ما فوتوا صغيرة ولا كبيرة إلا ونقلوها من شأنه عليه الصلاة والسلام، ولا يوجد رجل في العالم لا في القديم، ولا في الحــديث، لا من المسلمين، ولا من الكفار، سيرته منقولة بهذه الدقة، فهل رأيت في العالم من نقيت صفته وسيرته وأحداث حياته كمحمد عليه الصلاة والسلام؟، ولذلك يقول:

• مايكل هارت في الخالدين المائة وقد جعل على رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وســلم: لقــد أخترت محمداً صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة، لأنه هو الإنسان الوحيد في التاريخ الــذي نجح نجاحاً مطلقاً على مستوى الديني والدنيوي، قد دعا إلى الإسلام وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً وبعد ثلاث عشرة سنة من وفاته، فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً، وقال: ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم قوة جبارة لا يستهان بها، فيمكن أن يقال أيضاً: إنه أعظــم زعــيم سياسي عرفه التاريخ.

• أما برناردشو الإنكليزي وله مؤلف أسمه محمد قد أحرقته سلطات بلاده يقول فيه: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد صلى الله عليه وسلم، وإن رجال الدين في القرون الوسطى ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوا للمسيحية، لكــني أطلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوا للمسيحية بــل

يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يـأمن السعادة والسلام التي يرنوا إليها البشر.

• ويقول آن بيزيت: من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم، ويعـرف كيف عاش، وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، هـل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ستة وعشرين عاماً، ثم عندما بلغ الخمسين من عمره السن الـتي تخبوا فيها شهوات الجسد، تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟، ليس هكذا يكون الحكم علـى حيـاة الأشخاص.

• أما تولستوي (الأديب العالمي): فيقول يكفي محمداً فخراً أنه خلص أمة ذليلة دموية من مخالـب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وإن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

• أما شبرك النمساوي فيقول: إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ أنه رغم أميتـه استطاع قبل بضعت عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن أوروبيين أسعد ما نكون إذا توصـلنا إلى قمته.

• وهكذا يصفه إدوار مونته الفرنسي: عرف محمد صلى الله عليه وسلم بخلوص النيـة، والملاطفـة، وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق.

• وقال الإنجليزي توماس كارليل الحائز على جائزة نوبل في كتابه الأبطال: لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر، أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمـد خداع مزور، وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم، كريماً براً رءوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب، لين العريكة، جم البشر والطلاقـة، حميـد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، كان عادلاً، صادق النية، ذكي اللب، شـهم الفـؤاد كأنما ما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم ممتلئاً نوراً، رجلاً عظيماً بفطرته لم تثقفه مدرسة ولا هذبـه معلم، وهو غني عن ذلك.

• أما جوتة الألماني فيقول: إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهـذا الإنسـان فوجدته في النبي محمد، وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلوا كما نجح محمد الذي أخضع العالم كلـه بكلمة التوحيد.

وهكذا،، وهكذا تتوالى الشهادات من الأعداء ومن مخالفه عليه الصلاة والسلام في الدين، ومهما كان من الملاحظات على بعضها، لأن الذين أطلقوها من غير المسلمين وبضعهم يجهل حقيقة الوحي، ولا

يقر بختم النبوة ولا بأن دين محمد صلى الله عليه وسلم يجب الدخول فيه، فإن هذه الشهادات كافية في أن سيرة النبي عليه الصلاة والسلام قد أخضعت أقلام أولئك الكتاب، وأنهم لما أطلعوا على شيء من حياته ذلوا و لم يملكوا أنفسهم من تسطير هذه الكلمات، فيأتي هؤلاء اليوم من الكفرة الـــذين لا يعترفون حتى بما سطره أدبائهم، وبعض كتابهم، ومنصفيهم، لا يرونه شيئاً ليقوموا بالاعتداء علـــى شخص محمد صلى الله عليه وسلم.

عباد الله، إنا نبينا عليه الصلاة والسلام صادق، ولما رآه أحد أكابر ثقيف قال له: لا أقول لك كلمة واحدة، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك؟، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أرد عليك؟.

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

كل من رآه عرف من وجه أنه صادق، وما من أحد أدعى النبوة من الكذابين إلا وظهر عليه مـــن الجهل، والكذب، والفجور، واستحواذ الشياطين ما فضحه، وما من أحد أدعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم، والصدق، والبر، وأنواع الخيرات ما يميزه، وهكذا قال تعالى: { هـــل أنبئكم على من تترل الشياطين تترل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون }، إن خديجة رضي الله عنها وهي زوجته، قالت له لما رجع خائفاً من الغار: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

لما عرف ورقة ابن نوفل ماذا حصل لنبينا في الغار، وسمع أول ما نزل عليه، قال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، لقد عرفه بحير الراهب بصفته وهو صغير،، وهكذا أعترف له عبد الله بن سالم بما في التوراة، وهكذا عرفته الجن لما سمعوا كلامه، أرسل الله إليه نفر من الجن يستمعون القرآن، فلمـــا حضروه قالوا أنصتوا، فلما قضي ولو إلى قومهم منذرين، قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى،، وهكذا عرفه ملك الروم هرقل لما سأل أبا سفيان أسئلة فأجابه عنها، ثم قال له هرقـــل: " سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قالها هذا القول قبله، لقلت: رجـــل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، فقلت: فلو كان مـــن آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول مـــا قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وســـألتك أشراف الناس أتبعه أم ضعفائهم؟ فذكرت أن ضعفائهم أتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك الأمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطتاً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟

فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبد الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كـــان مـــا تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، (هرقل كان عنده علـــم مـــن الكتاب) ، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقائه، ولو كنت عنـــده لغسلت عن قدمه ". ولكن منع حب الرئاسة بعد ذلك هرقل من الدخول في الدين، وكان يجب عليه أن يترك ملكه وبلده ويأتي مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويعلن الدخول في دينه كما فعـــل النجاشي، وأمره النبي عليه الصلاة والسلام بالبقاء في بلده للمصالح العظيمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبأ الكذاب لا يـــدوم إلا مـــدة يسيرة وهذه من بعض حجج ملوك النصارى الذين يقال إنهم من ولد قيصر هذا أو من غيرهم، حيث رأى رجلاً يسب النبي صلى الله عليه وسلم من رؤوس النصارى ويرميه بالكذب، فجمـــع علمـــاء النصارى وسألهم عن المتنبأ الكذاب، كم تبقى نبوته؟ فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبيـــاء أن الكذاب المفتري لا يبقى إلا كذا وكذا سنة، لا يبقى إلا شيئاً يسيراً ثم يضمحل، ذكره لمدة قريبة من ثلاثين سنة ونحو ذلك، فقال لهم: هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة أو ست مائة ســـنة في ذلـــك الوقت الذي حدثت فيه القصة، وهو ظاهر مقبول متبوع فكيف يكون هذا كذاباً؟ ثم ضرب عنـــق النصراني من أصحابه ورعيته).

عباد الله، كل من نظر في دين هذا النبي الكريم، كل من نظر في الوحي الذي جاء به هذا الرســـول العظيم، يعرف صدقه، { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم }، إي والله يعرفـــون محمد صلى الله عليه وسلم بوصفه كما يعرفون أبناءهم، { يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقـــاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون* الحق من ربك فلا تكنن من الممترين }، وهكذا لما سمع النجاشي صدر سورة مريم سمع بعض ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من جعفر بن أبي طالب وغـــيره من الصحابة، قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

أيها المسلمون، نبينا عندنا في مقام عظيم، وفي نفوسنا له منزلة كبيرة، ونحن نعلم أن من سبه عليـــه الصلاة والسلام إن كان مسلماً فإنه يصحب مرتداً بهذا السب، ولا تمنع توبته من قتله على القـــول الراجح، لأن حق الله يسقط بالتوبة، أما حق محمد بن عبد الله فكيف يتم التنازل عنه؟، وصـــاحب الحق قد مات، ولذلك يبقى الأمر في إقامة الحد عليه بالموت، وإذا صدق في التوبة تنفع عند الله هذا قول عدد من أهل العلم، كما نصر ذلك شيخ الإسلام وبينه في كتابه العظيم الصارم المسلول علـــى شاتم الرسول، وأما من الكفار فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد جرد كتائب لقتل هؤلاء، كما فعل ببعض اليهود الذين وقعوا فيه وسبوه وشتموه في شعرهم، وجعلوا بعض الغينات المغنيـــات عنـــدهم

يغنيين بشتمه عليه الصلاة والسلام، فأرسل إليهم من اغتالهم على فرشهم وفي عقر دارهم، ولما فتح مكة أهدر دم عبد الله بن خطل المشرك الذي كان يسبه ولما قبض عليه متعلقاً بأستار الكعبة، وجعل يتوسل يقول: يا محمد من للصبية؟ فقال: النار، وقتل عنق ذلك المشرك عند الكعبة، تلك حرمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فقد آن لنفوس المؤمنين أن تنطلق بنصرة نبيها، وأن تدفع أولئك الشانئين.

اللهم أنصر سنة محمد بن عبد الله في العالمين، اللهم زد ذكره رفعة وأعلي، وزد في دينه علوا، اللهم إنا نسألك أن تكبت عدوه، وأن تنشر سنته في العالمين، وأن تعلي دينه فوق سائر أهل الأرض يا أرحم الراحمين، اللهم أرنا فيمن سبه مصيراً أسود، اللهم أنتقم لنبيك، اللهم أنتقم لنبيك، اللهم أنتقم لنبيك، إنك عزيز ذو انتقام.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فأستغفره،، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله قيوم السماوات والأرضين، الحمد لله رافع السماء بلا عمد، الحمد لله استغنى عن والدة والولد، الحمد لله لم يكن له كفواً أحد، الحمد لله الذي ليس له صاحبة و لم يتخذ ولداً وخلق كل شيء، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، البشير والنذير، والسراج المنير، وحامل لواء الحمد، والشافع المشفع يوم الدين، أول الناس قياماً من القبور، وأول الناس يسير إلى ساحة البعث والعرض والنشور، وأول الناس وروداً على حوضه، وأول الناس عبوراً للصراط، وأول الناس دخولاً الجنة، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه، اللهم أعلي شأنه اللهم أرفع درجته، اللهم أجعلنا من أهل شفاعته، أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيله صدقاً، بلغ الرسالة، تركنا على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، بلغ الأمانة، وأدى الرسالة، ونصح الأمة، علمنا فأحسن تعليمنا، وأدبنا فأحسن تأديبنا عليه الصلاة والسلام، اللهم أرضي عن أصحابه وعن آله وذريته الطيبين الطاهرين، وعن خلفائه الميامين، وعن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله، لعله جس نبض، ويريد هؤلاء اليهود والنصارى أن يعلموا، ماذا في الأمة من حس؟، وماذا بقي فيها من غيرة؟، وكذلك فإن عداوتهم لأهل الإسلام ولنبيه باقية إلى قيام الساعة حتى يترل عيسى عليه السلام فيقضي عليهم، ولاشك أن من عداوتهم أن يسبوا نبينا ونحن نتوقع هذا منهم، وأن يهاجموه في وسائل إعلامهم، وأن يسيروا سيرة كفار قريش الذين كانوا يشوهون سمعة نبينا في محافل الحجاج ولكن الله لهم بالمرصاد، فنصر الله نبيه عليهم وهكذا ينصر الله نبيه في هذا الزمان وفي كل زمان، وكل من تعرض لذاته الكريمة ووقع فيه كما وقع هؤلاء بعض الدنمركيين والنرويجيين ومن لف لفهم، وتعرضوا لنبينا الكريم بالبذاءة والسخرية والاستهزاء، ويرفضون الاعتذار، ويقولون: (حرية الرأي حرية الكفر) فإذا سبت ملكتهم، وسب نظامهم ودولتهم، فماذا عساهم يقولون؟، يسنون القوانين في عقوبة من سب نظامهم ودولتهم وملكتهم، ولكن عندما تأتي القضية إلى نبينا الذي يجب

على ملكتهم ورؤسائهم الإيمان به، تصبح المسألة تصبح القضية حرية رأي، حرية الكفـــر، حريـــة الهجوم على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

عباد الله، هكذا إذن فعل هؤلاء وقبلهم من النصارى في أمريكا وغيرها،، كما قال جري فالويل: أنا أعتقد أن محمداً كان إرهابياً، وفي اعتقاد المسيح وضع مثال الحب كما فعل موسى، وأنا أعتقـــد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً، ويتهمه وحاش عليه الصلاة والسلام بأنه كان لصاً وقاطع طريق.

أما بات روبت سون الحاقد الآخر في الولايات المتحدة يقول عن نبينا عليه الصلاة والسلام: كـــان مجرد متطرف ذو عيون متوحشة تتحرك عبثاً من الجنون.

وصاحبه جري فايتر يقول: عن النبي عليه الصلاة والسلام إنه يتملكه الشيطان.

وجمس واركد يتهمه بالشذوذ هكذا،، أيها الأخوة المسلسل معروف من هؤلاء اليهود والنصـــارى بأقلام ورسومات في وسائل إعلامهم، لقد أغاظهم محمد عليه الصلاة والسلام، لقد أغاظهم انتشار دينه، لقد أغاظتهم شريعة الجهاد التي جاء بها عليه الصلاة والسلام، لقد أغاظتهم قوة الإسلام، لقـــد أغاظتهم هذه الشريعة التي ليس عندهم مثلها، أغاظهم سرعة انتشار الإسلام، أغاظهم أن الإســـلام أول دين في العالم في سرعة الانتشار، لقد أغاظهم هذا التوقير والاحترام الذي يحظى نبينا عليه الصلاة والسلام بيننا مع تقصير كثير من المسلمين.

عباد الله، من سخر بالنبي عليه الصلاة والسلام ما حكمه؟، { قل أبالله وآياتـــه ورســـوله كنـــتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم }.

روى أبو داوود عن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيـــه فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها.

قال شيخ الإسلام: (وهذا الحديث جيد وله شاهد من حديث ابن عباس وفي قصة الأعمى المعروفة المشهورة الذي كانت له أم ولد ترعاه له منها أبنان كاللؤلؤتين فوضع ذلك الرمح القصير في بطنـــها وأتكأ عليها حتى ماتت لأنها كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه)، ولما أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، قال أبو برز الأسلمي للصديق: أقتله؟ فانتهرني، يقول أبو برزه، وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها المسلمون، يا عباد الله، إن سب النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم المحرمات، وكفر وردة عن الإسلام، بإجماع العلماء سواء فعل ذلك القائل جاداً أم هازلاً، وفاعله يقتل ولو تاب، كما تقـــدم مسلماً كان أو كافراً، وإن عقوبة من سب النبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا أن الله يذيقـــه مـــن العذاب المهين، فالله يدافع عن الذين آمنوا، والنبي عليه الصلاة والسلام رأس المؤمنين، وقال: { والله يعصمك من الناس }، وقال: { إن كفيناك المستهزءين }، وقال: { فسيكفيكهم الله }، وقال: {

أليس الله بكاف عبده }، قال الشيخ السعدي – رحمه الله – : (وقد فعل تعالى فما تظاهر أحد يعني أعلم بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتله).

أيها المسلمون، لقد جاءت الروايات مبينة لهذا،، فأخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي، وأبو النعيم في الدلائل، وابن المردويه بسند حسن، عن ابن عباس في قوله إن كفينـــاك المســـتهزئين، قـــال: (المستهزئون الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بـــن عبطـــة السهمي، والعاصم بن وائل، فآتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أريني إياهم فأراه كل واحد منهم، وجبريل يشير إلى كل واحد منهم في موضع من جسده ويقول: كفيتك هو، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ما صنعت شيئاً، فأما الوليد فمر برجل بن خزاعـــة وهـــو يريش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها، أنقطع عرق فأدى إلى هلاكه، وأما الأسود ابن المطلب فترل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ قد هلكت وطعنت بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عتمت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأســـه قـــروح فمات منها، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منـــه، وأمـــا العاص فركب إلى الطائف فربط على شبرقة فدخل من أخمص قدميه شوكة فقتلته ".

وهكذا،، بعض أعداء النبي عليه الصلاة والسلام كان مع أبيه في سفر، فترلوا مترلاً وهم على الشرك، فقال أبوه: إني أخاف من أصحاب محمد على ولدي، إني أخاف من السباع، أجعلوا حوله الأمتعـــة وناموا حوله، فجاء أسد وهم نيام فشمهم حتى وصل إليه فافترسه.

عباد الله، قد روى أنس رضي الله عنه أن رجلاً نصرانياً أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتـــب للنبي عليه الصلاة والسلام يعني يكتب الوحي، فعاد نصرانياً أرتد، وكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، أدعى أن هذا القرآن منه، فآماته الله فدفنوه، أي: (النصارى الذين عندهم بالشام الـــذين لجأ إليهم)، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقال: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عـــن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض لليوم الثاني، فقالوا: هذا فعل محمـــد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما اســـتطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، يعني: هذا الاستخراج من الأرض، ليس فعل بشر فألقوه). الحديث رواه البخاري ومسلم.

عندما تكون الأمة في عافية والدين في قوة في نفوس المسلمين، ترى النموذج العظيم من ذلك الفتيين الصغيرين بينهما عبد الرحمن بن عوف، كل منهما يسأل عن أبي جهل أين هو؟، أين هو؟، ما هـــذا الحماس؟، ولماذا السؤال؟، إني أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لأن رأيته لا يفارق سوادي سواده، حتى يموت الأعجل منا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه ولكـــذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد مثل هؤلاء الكفرة اليوم في بلادهم في حراسة، فيقول المسلمون: لا نستطيع الوصول إليهم وليسوا تحت سلطاننا لإقامة الحد عليهم، قال شيخ الإسلام: وإن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد)، ونظير هـــذا مـــا حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة، عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون، والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر، يعني: الروم النصارى في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن الشهر، أو أكثر من الشهر، وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حـــتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر، و لم يكد يتأخر إلا يـــوم أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيه ملحمة عظيمة.

قال قادة الفتح المسلمين: القادة العسكريون لأهل الإسلام شهادات من أرض المعركة، ومن الجبهات حتى إنا كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه.

وهكذا يقول شيخ الإسلام: حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهـــل الغـــرب، يعـــني: المغرب، حالهم مع النصارى كذلك.

عباد الله، لقد وضع هرقل الكتاب الذي جاءه في قصبة من ذهب تعظيماً له، و لم يزل أولاده يتوارثون حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سبطه، يقـــول بعـــض مـــؤرخي الإسلام السهلي: حدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد، أحد قواد المسلمين أجتمـــع بـــذلك الملك فأخرج له الكتاب فلما رآه، المسلم أستعبر، دمعت عيناه وبكى، وسأله أن يمكنه من تقبيلـــه، فأمتنع الملك الكافر أن يمكنه من تقبيل الخطاب، وذكر أبن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري، أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مصفح بذهب، فأخرج منه مقلمة من ذهب، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خرقة حرير، قال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غايـــة الحفظ، ونعظمه، ونكتمه عن النصارى، ليدوم الملك فينا.

أيها المسلمون، في التاريخ عبر وآيات في الحاضر والماضي، ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله المصري عن والده محمد شاكر، وكيل الأزهر سابقاً، وكان هنالك خطيباً مفوه متكلم، فصيح، يمدح أحـــد الأمراء، عندما أكرم طاه حسين، فقال ذلك الخطيب في خطبته لما جاء طاه حسين أعمـــى البصـــر والبصيرة، الذي قال: يجب القبول الحضارة الغربية بحلوها، ومرها، وإتباع سنن الكفرة في كل شيء، الذي طعن في القرآن وفي العربية، لما جاء طاه حسين إلى ذلك الكبير من الكبراء قام الخطيب يمـــدح ذلك الكبير فقال:

جاءه الأعمى فما عبس بوجه وما تولى

وماذا يعني هذا الكلام، غمز، إساءة للنبي عليه الصلاة والسلام، لأن الله قال عن قصته عليه الصلاة والسلام مع أبن أم مكتوم: { عبس وتولى أن جاءه الأعمى }، وعاتب نبينا عليه الصلاة والسلام مع أن موقفه ذلك كان بسبب أن أم مكتوم قد أشغله عن دعوة كبراء قريش، وأراد الله أن يعلم نبيه الاهتمام بابن أم مكتوم حتى ولو على حساب كبراء قريش.

عباد الله، هذه اللمزة، في هذه الكلمة، خطيرة جداً، فلما صلى الخطيب هذا بالناس قام الشيخ محمد شاكر رحمه الله، وقال للناس: الصلاة خلفه باطلة، وأمرهم أن يعيدوا الصلاة، لأن الخطيب كفر بتلك الكلمة التي تعتبر تجريحاً وتعريضاً بالنبي عليه الصلاة والسلام، وما عاقبة هذا المجرم؟، قال الشيخ أحمد شاكر: و لم يدع الله لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله: لقد رأيته بعيني رأسي بعد بعض سنين، وبعد أن كان عالياً منتفخاً مستعزاً بمن لاذا بهم، رأيته مهيناً ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين ليحفظها في ذلة وصغار، حتى لقد خجلت أن يراني وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه فما كان موضعاً للشفقة ولا شماتة فيه ولكن لما رأيت من العبرة والعظة.

ذهب أحدهم لنيل شهادة من شهادات العليا خارج البلاد، فلما أتم دراسته وهي تتعلق بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، طلب منه أستاذه من النصارى أن يسجل في رسالته ما فيه انتقاص من النبي عليه الصلاة والسلام وتعريض، فتردد الرجل بين القبول والرفض وأختار الدنيا في النهاية على الآخرة، وأجابهم إلى ما أراده طمعاً في الشهادة الملوثة، فلما عاد إلى بلده فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى.

يا عباد الله، الله عزوجل قال لنا: { فالذين أمنوا به وعزروه }، أي: قاموا في نصرته عليه الصلاة والسلام،

{ ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون }، فوجب القيام بنصرة نبي الإسلام بجميع الوسائل الممكنة في هذا الزمان، ومن ذلك الاحتجاج بكافة الوسائل من الساسة والعامة، والكبار والصغار، بجميع الوسائل والاحتجاج على مستوى الهيئات الشرعية، ودور الفتية والجامعات الإسلامية، وكذلك المنظمات الإسلامية، وإعلان الإستنكار من الشخصيات العلمية، والقدوات الثقافية، والقيادات الشرعية، وإعلان هذا النكير على المنابر وغيرها.

ورابعاً المواجهة على مستوى المراكز الإسلامية الموجودة في الغرب والشرق، في الرد على هذه الحملة واستنكارها.

وخامساً المواجهة على المستوى الفردي بإرسال الرسائل الإلكترونية المتضمنة للاحتجاج، والرد والاستنكار إلى المنظمات والجامعات والأفراد المؤثرين في الغرب، ولو نفر من المسلمين فرقة احتسبت بإرسال هذه الرسائل الكثيرة جداً إلى تلك المنظمات والجهات والأفراد سيكون لها أثر لافت.

وسادسا استأجر ساعات البرامج في المحطات الإذاعية والتلفزيونية للذب عن نبي الإسلام، وأن يتكلم القاصي والداني من المسلمين ممن يستطيع في اتصالاتهم على البرامج الفضائية المباشرة، لبيــان غــيرة المسلمين على نبيهم وقيامهم بذلك.

وسابعاً كتابة المقالات القوية الرصينة التي تنشر في المجلات والصحف، وأن تترجم بلغــات مختلفــة وترسل إلى تلك الوسائل السيارة، وكذلك إنتاج الكتب وغيرها، بل الأفلام التي تبين عظمة ديــن الإسلام وليس فيها محاذير شرعية، كما فعله بعضهم من تمثيل شخصية النبي عليه الصلاة والســلام وأصحابه، كلا بل إنتاج الأفلام المؤثرة التي تبين نور الإسلام وعظمة هذا الدين، الذي جاء به نــبي الإسلام.

وتاسعاً عقد اللقاءات وإلقاء الكلمات في المنتديات والملتقيات العامة.

وعاشراً إصدار البيانات الاستنكارية من الجهات المختلفة، وغشيان المنتديات الإلكترونية، والغــرف الإلكترونية، وبث هذا الاستنكار.

والحادي عشر إقامة المعارض الدولية المتنقلة، والثابتة في الأماكن المختلفة، لبيان شأن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وسيرة هذا النبي الكريم وكذلك تبادل الحوارات، وفتح الحوارات مع كل من يمكن الوصل إليه، وحشد الجهود وإعداد البرامج للتعريف، وإصدار المجلات والمطالبة بصياغة نموذج رسالة استنكار باللغات المختلفة جاهزة للإرسال، ومراسلة السفارات المعنية بها، وكذلك الكتابة للجريــدة التي نشرت هذه الرسوم ومطالبة هذه الجريدة وغيرها ممن نشر بالاعتذار للعالم الإسلامي جميعاً عما نشره من الإساءات.

عباد الله، ينبغي أن تتكون في المسلمين مجموعات، وقواعد بيانات، ومواقع، ينبغي أن تكون هنالــك مجاميع تنشر، وتدافع، وتذب عن محمد صلى الله عليه وسلم.

محمد المبعوث للناس رحمةً ... ... يشيِّد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مجيبةً ... ... لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه ... ... وإن الحصا في كفه لَيُسَبِّح
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا ... ... فمن كفه قد أصبح الماء يَطفح
وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً ... ... سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصبا كانت لنصر نبينا ... ... ورعبُ على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتي الملكَ العظيم وسخِّرت ... ... له الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها ... ... أتته فرَدَّ الزاهد المترجِّح
وخص بالحوض الرَّواء وباللِّوا ... ... ويشفع للعاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّب ناله ... ... عطاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح

وبالرتبة العليا الوسيلة دونها ... ... مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهْوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ ... ... له بابها قبل الخلائق يُفْتَح

عباد الله، تبادل العناوين والتعريف بكيفية الكتابة والاستنكار أقل ما نقوم به وتعريف الكفار الـــذين يعيشون بيننا بنبينا عليه الصلاة والسلام، وسيرته فهو الذي جاء الوحي عن طريقه.

اللهم أعز دينه، وأعلي شأنه، وأعلي ذكره، اللهم أجعلنا من أتباعه حقاً، ومن أهل سنته صدقاً، اللهم أرزقنا شفاعته يوم الدين، اللهم أجعلنا القائمين بحق نبينا يا عظيم، اللهم إنا نسألك وأنت العظـــيم القوي الجبار أن تهلك هؤلاء الذين وقعوا في نبينا، أرينا فيهم آية، اللهم إنا نسألك أن تسلط علـــيهم جنداً من عندك، اللهم أرنا فيهم هلاكاً وبيلة وخذهم أخذاً شديداً، وأجعلهم عبرة للمعتبرين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

==================

أنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم

د. عبد الحي يوسف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل ربه حق الجهاد و لم يترك شيئاً مما أُمر به حتى بلغه فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وهدى الناس من الضلالة ونجاهم من الجهالة وبصرهم من العمى وأخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم بإذن ربه إلى صراط مستقيم اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصـــحبه ومـــن اقتفى أثره واهتدى بهداه أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله ـــ تعالى ـــ وخير الهدي هدي محمدٍ ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

أما بعد أيها المسلمون عباد الله:

١ـــ سنة الله ـــ تعالى ـــ هي الغضب لأنبيائه والانتقام ممن آذاهم وانتقصهم، اقرؤوا القـــرآن أيهـــا المسلمون وانظروا ما صنع ربنا بقوم نوح الذين قالوا لنبيهم ـــ عليه السلام ـــ {ما نراك إلا بشـــراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضـــل بـــل نظـــنكم كاذبين} وما صنع بقوم عاد الذين قالوا لنبيهم ـــ عليه السلام ـــ {ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون} وما صنع بثمود الذين قالوا لنبيهم ـــ عليه السلام ـــ {إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين} وما فعل بقوم لـــوط

الذين هددوا نبيهم فقالوا {أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون} وما صنع بفرعون اللئيم الذي قال لموسى {أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين} هؤلاء أوغاد البشر الذين كذبوا أنبياء الله وعادوا رسله يقول ــ سبحانه وتعالى ــ فيهم {فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}

٢ــ إن محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو أكرم البشر على الله وأعظمهم جاهاً ومقاماً عنده هو سيد الرسل وإمام الأنبياء إذا وفدوا وخطيبهم إذا اجتمعوا، وقد زكى الله عقله فقال: {ما ضل صاحبكم وما غوى} وزكى لسانه فقال {وما ينطق عن الهوى} وزكى كلامه فقال {إن هو إلا وحي يوحى} وزكى جليسه فقال {علمه شديد القوى} وزكى فؤاده فقال {ما كذب الفؤاد ما رأى} وزكى بصره فقال {ما زاغ البصر وما طغى} وزكى خلقه فقال {وإنك لعلى خلق عظيم} وزكى نسبه فقال {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} وزكاه كله فقال {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} وغضب الله على من شتم نبيه محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو انتقصه أو ألحق به عيباً أعظم من غضبه على من انتقص غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

٣ــ والتاريخ خير شاهد. فماذا صنع الله بأبي جهل فرعون هذه الأمة الذي أراد أن يخدش رأس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو ساجد عند الكعبة؟ وماذا صنع الله بعتبة بن أبي لهب الذي بصق في وجه رسول الله؟ وماذا صنع الله بعقبة بن أبي معيط الذي وطئ على رقبة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو ساجد حتى كانت عيناه تندران؟ وما صنع بصناديد الكفر من أمثال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وأبي لهب بن عبد المطلب وعبد الله بن سلول وحيي بن أخطب وبلعام بن عازوراء وكعب بن أسد ولبيد بن الأعصم وزينب بنت سلام بن مشكم وغيرهم كثير ممن ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة؟

٤ــ ما نشر في الجريدة التي سموها الوفاق وهي جريدة النفاق والشقاق من الزندقة وإشاعة قالة السوء عن نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وطعن المسلمين في دينهم بطعن رسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما لم يخطر على بال المشركين من أمثال أبي جهل والأخنس بن شريق وغيرهم وذلك بتاريخ الخميس ١٢/ ربيع أول/ ١٤٢٦ حيث تضمنت تلك المقالة رمياً لأم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالزنا، ففيه بالحرف الواحد: (من كل ما تقدم يجب أن يكون الحمل بمحمد جاء بعد أربع سنوات من الحمل بحمزة أي بعد موت أبي محمد بأعوام وسنوات، أو أن محمداً مكث في بطن أمه أربع سنوات حسب بعض التقديرات) وقال في موضع آخر: (إن المولود بعد سنوات من موت عبد الله لا يمكن أن يكون ابن عبد الله إلا إذا كان محمد قد مكث في بطن أمه أربع سنوات) وقال في

موضع ثالث: (آمنة تعترف أن الحمل بمحمد قد سبقه حمل آخر مرة أو مرات) وفي المقال كـــذلك اعتداء على أبي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونسبة الفاحشة إليه بأرذل عبارة وأقــبح أســلوب حيث ورد فيه بالحرف الواحد: (أي أب ذلك الأب الذي واعد الزانية رغم أنه متزوج بآمنة منذ أيام قلائل) وقال في موضع آخر: (أي شرف ينسب لذلك الرجل المتزوج من أيام قلائل ثم يواعد عاهرة، ويقول: حتى أغتسل؟ هل العفة مفروضة على النساء والتحلل منها وسام على صدور الرجـــال؟ وفي ذات المقال نفي لنسب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي ثبت عند المسلمين بالتواتر ففيه بالحرف الواحد: بقوله (إن محمداً من كندة وليس من بني هاشم واعترف محمد بذلك وقالوا أيضاً: إن محمداً لا أصل له) وفي الصفحة نفسها مقال بعنوان جذور محمد عرض فيه الكاتب ترهات وأباطيل كـــان يتكلم بها المشركون الأولون من جنس قولهم {إنما يعلمه بشر} وقولهم {أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا} ففيه بالحرف الواحد: نرى الكهانة والعرافة كانت تضرب في جذور محمد والهواتف التي تلقي السجع على الكهان تشبه القرآن. وفي موضع آخر يطعن في القـــرآن والـــوحي فيقول لعنه الله: لقد دخل محمد الكعبة عشرات المرات قبل سن الأربعين ورأى صور الأنبياء والملائكة وصور عيسى وأمه، وككل البشر سأل عما يقع عليه بصره وتلقى إجابات من أفواه زوار الكعبـــة، وككل قصص الأفواه يختلط فيها الحقيقة بالخيال. نعم كانت جدران الكعبة واحدة من أهم المدارس التي تعلم فيها محمد والكثيرون من أهل مكة وجزيرة العرب حجاج الكعبة، وسنرى أشعارهم كيف جاءت بالكثير من أخبار الأنبياء والتي تطابقت مع القرآن وسبقته بكثير. وتضمنت المقالة كذلك رمياً للصحابي الجليل عمرو بن العاص ــ رضي الله عنه ــ حيث قال بالحرف الواحد: وهذا ما ســنراه عندما تنازع أربعة وهم: العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب على بنوة عمرو بن العاص رغم معرفتهم بأن أمه عاهرة وتناوبوا عليها الأربعة في وقت واحد.

٥ــ أيها المسلمون: ما هو حكم الإسلام فيمن سب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؟ يقـــول القاضي عياض المالكي ــ رحمه الله تعالى ــ: من سبَّ النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نسبه أو نفسه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبَّهه بشيء على طريق السب والازدراء عليه أو النقص لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب تلويحاً كان أو تصـــريحاً، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريـــق الـــذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام أو بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو عصمته بشيء من العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه ــ قتل. قال: هذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا. وقال ابن قدامة الحنبلي ــ رحمه الله ــ في كتابـــه المغني: قذف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقذف أمه، ردة عن الإسلام، وخروج عـــن الملـــة، وكذلك سبُّه بغير القذف.

٦ـــ أيها المسلمون عباد الله: قد يقول قائل: إن الصحيفة ناقلة لا منشئة حيث نقلت ذلـــك المقـــال وأتبعته في أيام تالية ببعض الردود فَلِمَ يحاسبُ القائمون عليها؟ والجواب: هل مهمة المسلم ـــ إن كان مسلماً ـــ أن يتتبع القاذورات التي قيلت في حق نبينا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فيؤذي بها أتباعـــه وأحبابه في يوم مولده؟ وبعدما كانت نسياً منسياً لا يعلم بها إلا القليل ينشرها على الناس في جريدة تدخل إلى بيوت كثير من المسلمين، ثم يقول: أنا نشرتها لأرد عليها. ثم ما أدراك أيها الناشر يا مـــن طمس الله بصرك وبصيرتك أن قارئ تلك الترهات سيقرأ ردك؟ وما أدراك أن ردك سيكون مـــزيلاً لتلك الشبهات أو ماحياً لتلك الأباطيل؟ وما موقف الواحد منكم أيها المسلمون لو أن الجريدة نفسها نشرت كلاماً يشبه هذا عنه وعن أمه وأبيه وبعض أصحابه و لم تعقبه بتعليق يدل على كذبه في ذات العدد؟ أكان يرضى ذلك لنفسه وأبيه وأمه؟ والله إن صنيع هذا المسكين أخبث من صنيع من يفـــتح باراً يبيع فيه الخمر للناس ثم يقول: أنا سأبيِّن للناس أضرارها وأوزارها وأرد على مـــن يســـتحلونها ويروجونها!! وأخبث من صنيع من يعرض أشرطة للفاحشة ثم يقول: أنا سأحذر الناس منها. والله إنها لزندقة

٧ـــ ثم هل هذه هي المرة الأولى التي يقع فيها صاحب هذه الصحيفة الرخيصة الوضيعة في مثل هذه الزندقة؟ لا والله، لقد ظهر مرضه للناس من قديم ولكن لم يجد من يغضب لله ولدينه فيضرب علـــى يده ويوقف سفاهاته. ألم ينشر قبل سنوات كلاماً قبيحاً عن السيد الجليل عثمان بن عفان ـــ رضي الله عنه ـــ مما أغضب عامة المسلمين في هذه البلاد؟ ألم ينشر في العام الذي مضى كلاماً لبعض سفلة الأطباء يحرِّض فيه على الفحشاء والمنكر ويخدش الحياء العام وترتب على ذلك إيقاف جريدته عـــن الصدور أياماً بتوصية من أهل العلم في مجمع الفقه الإسلامي؟ ألم تتابع مقالاته في ذكر أصحاب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالسوء كوصف معاوية ـــ رضي الله عنه ـــ بابن آكلـــة الأكبـــاد؟ ألم يسخِّر صحيفته للدفاع عن بعض مرضى القلوب ممن اتهموا الشيخين أبا بكر وعمر ـــ رضـــي الله عنهما ـــ بالكفر واتهموا عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ بمعاداة أهل البيت؟

٨ـــ أيها المسلمون: والله إن الأمر جد خطير وله ما بعده، وأقول كما قال مالك ـــ رحمـــه الله ـــ: ماذا يبقى للأمة بعد سب نبيها ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ؟ وإنني أوجه خطاباً لحكومتنا فأقول لهم: يا ولاة الأمر، يا من بوأكم الله ـــ تعالى ـــ هذه المكانة لتحرسوا الدين وتحموا القيم وتدفعوا عـــن جناب محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كل سوء وضير، يا من رفعتم شعار الإسلام، إن الأمة لتنتظر منكم موقفاً يرضي رب العالمين وسيد المرسلين، ويرد للناس بعض ما ثلم من دينهم، إن الأمة لترجو منكم أن تجعلوا من هذا السفيه عبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين؛ حتى تطمئن قلوب تخفق بحب محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، يا أيها المسئول: يا رئيس الجمهورية، ويا نائبه الأول، ويا من دونهما من الوزراء والكبراء من أهل الإسلام: أين غيرتكم على عرض محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ؟ أيـــن

غضبكم لله ورسوله؟ أين حميتكم للدين؟ أين حبكم للنبي الأمين؟ إن هذا الكلام نشر في يوم المولد وما زالت هذه الجريدة إلى يومنا هذا تطبع وتوزع!! والله إن هذا لشيء عجيب!! أكان هذا يحدث لو كان الكلام المنشور يتناول بعضكم أو يسيء إلى سياساتكم وقراراتكم؟ أو كنتم تغضون الطرف لو وجهت هذه الإساءات إلى قادة بعض الدول ممن تحرصون على متانة العلاقة معهم؟ والله ورسوله أحق أن ترضوه إن كنتم مؤمنين. أيها المسئولون: هل هان عرض رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عليكم؟ معاذ الله فما زال الظن بكم حسناً، فأرجو ألا تخيبوا ظن المسلمين فيكم. ولن يرضى المسلمون المؤمنون ممن آذاهم هذا الكلام فأقض مضاجعهم وأدمع عيونهم وأحرق قلوبهم، لن يرضوا إلا بأن يقام حكم الله بما يقرره القضاء ولن يرضوا بأقل من إيقاف هذه الصحيفة عن النشر نهائياً بعدما تواتر شرها وعظم ضررها وساء أثرها، وعلم الناس طراً أنها ما كانت إلا لزرع الفتنة وسوق الشر والتماس العيب للبرآء.

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله النبي الأمين بعثه الله بالهدى واليقين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآل كلٍ وصحب كلٍ أجمعين وأحسن الله ختامي وختامكم وختام المسلمين وحشر الجميع تحت لواء سيد المرسلين أما بعد أيها المسلمون فاتقوا الله حق تقاته وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

٩ـــ أيها المسلمون: إنني أطمئنكم بأن جماعة من أهل العلم بل من كبار أهل العلم سناً وقدراً في هذه البلاد قد عمدوا إلى السبيل الأرشد؛ فوجهوا عريضة اتهام أمام النيابة إلى هذه الصحيفة والقائم عليها وبالأمس القريب ألقي القبض عليه، وسيشرع في محاكمته إن شاء الله وقد تطوع بعض القانونيين الأفاضل الأماجد بتمثيل الاتهام حسبة لله وحباً لرسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وهذه أيها المسلمون قضية كل مسلم كبيراً كان أو صغيراً ذكراً كان أو أنثى، فليذكِّر بعضنا بعضاً بالله. وإننا لنحمد الله على أن قانوننا الجنائي ينص صراحة على منع الردة ومعاقبة من يقع فيها، بل معاقبة من يسيء إلى المعتقدات جميعا، ونحمد الله أننا في بلد ما زال فيه أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض ويغضبون لحرمات الله أن تنتهك ولا يرضون أن ينقص الدين وهم أحياء. فشدوا من أزرهم وكونوا معهم يكن الله معكم. وإياك إياك عبد الله وأعيذك بالله أن تقول: هذا أمر لا يعنيني وذاك شأن لا يخصني، إن بعض الناس لو سلمت له مآكله لا يبالي بما يصيب الدين وأهله فهو والعياذ بالله كمن قيل فيه:

أبني:

إن من الناس بهيمة *** في صورة الشخص السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله *** وإذا أصيب بدينه لم يشعر

{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره إن الله لا يهدي القوم الفاسقين}

١٠ــ اللهم إنا نسألك أن ترينا عجائب قدرتك فيمن آذى نبيك ــ صلى الله عليه وسلم ــ، اللهم خذه أخذ عزيز مقتدر واقبضه قبضة مهيمن متكبر وأنزل به بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

======================

أو تدري لماذا؟!

طالبات قسم القراءات – جامعة أم القرى

هذا ضياء الشمس هذا الضحى ** من يمنع البلبل أن يصدحا؟!

هذه الشمس وقد أشرقت ** فمن يطرد الفجر وقد لوحا؟!

من الذي أمسك الليل بأذياله؟ ** وقد طوى أذياله وانتحى!

ألا يا أخا الإسلام:

ترى الجراح تتعاقب في امتنا تلو الجراح..يتناحر فينا الورى بمبضع الجراح..فلله درك إن كنت من الوضاءين في ظلمات الغافلات ..السباقين إلى آفاق الإخلاص للمبادئ الراسيات..الصادقين في حبهم لمن أحبوا.. الذائدين عن حمى دينهم ونبيهم إن أوذوا وطعنوا .. وأما إن كنت ممن ترجل عن الطريق .. واكتفيت تعد الغادين والرائحين ..

فخطابنا إليك عاجل .. وأنت من نخاطب ..

فيا أخا في الله :

صخب الهول إذ تجرأ الأنذال .. ملحدون للغواة مقلدون .. مخذولون – تبت يداهم – غدوا في ثلب نبيك يفترون . فوا لهفا !! أرضيت بدنياك عن قمع ضلالة.. سعت من حقير من بني الأسفلين ؟!

أتسعد بنوم أو تلهو بما يلهيك عن ردع المعتدين ؟!

لا تقل : ما أنا؟! لا تقل: في القوم أخيار يعملون!

فالسدود العظيمة ما هي إلا لبنات قد رصت.. ولو أن لبنة ظلت تندب ضالة حجمها .. حتى تهاوت عن مكانها .. تحسب أنها في السد لا شيء ..لهلك القوم غرقا .. إذ نقب في السد نقبا ..فتسلل منه الماء حتى حطمه تحطيما! فبادرهم .. وجد العزم، فو الله لو قدرت لنبيك حق قدره : لأعملت طاقتك كلها للذود عن حمى المصطفى العدنان .. لو تلك هي طبيعة الإيمان .. أن تشعر دائما وأبدا أنك فرد من جماعة ، وجزء من كل ، وأن ما يصيب الجماعة يصيبك ، وما يفيدها يفيدك ، وأن

النعيم لا معنى له مع شقاء الأمة وبؤسها . وأن التخلف عن الجماعة نقص في الإيمـــان ، وخلـــل في الدين ، وإثم لا بد من التوبة والإنابة.

وتأمل قصة الثلاثة الذين خلفوا عن الجهاد ..إيثارا للراحة على التعب ، والظل على الحر ، والإقامة على السفر..مع أنهم مؤمنون صادقون – (رضي الله عنهم) – لتدرك أن الصادق في إيمانه لا يتخلف عن أي عمل يقتضيه الواجب .. فان تخلف .. ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ! {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئــاً يُغِيــظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْــرَ الْمُحْســنِينَ وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَــنَ مَــا كَــانُوا يَعْمَلُونَ} التوبة (١٢٠-١٢١) .

أيا أخا في الله :

إن المرء فينا لا يكتمل إيمانه حتى يكون الله ورسوله – عليه الصلاة والسلام – أحب إليه من نفســه ووالده والناس أجمعين .. أو تدري لماذا ؟!

لأن نبيك – عليه الصلاة والسلام – ابر سعيا وأعظم هدى واجل قدرا .. اجتث الشرك الوبيــل .. وصان الحياة من لوثة وعثار .. حتى حاز الرضا بتفرد ماله مثيل ..

نبيك – عليه الصلاة والسلام – من جمع المحاسن خلقة وخلقا .. فهو المرسل من اله الســماكين (شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للامين ، وهو عبد الله ورسوله ، سماه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، وما قبضه الله حتى أقام به الملة العوجاء ، وفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا. من تواضعه – فدته نفوسنا عليه الصلاة والسلام – انه يكون في مهنة أهله ويزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوســهم ، ويــأتي ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم ، ويكثر الذكر ويقل اللغو ، وكان مع ذلــك قائدا محنكا .. توقره الأرض وترقبه الجوزاء .. إماما خطيبا ، يطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، تهفو إليه المنابر ، وتهتز إن خطب عليها ..

أيا أخًا في الله :

نبيك - عليه الصلاة والسلام – (رجل ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، لم تعبه نحلة ، و لم تزر به صقلة .. وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفا ره وطف ، وفي صوته صهل ، وفي عنقه ســطع ، وفي لحيته كثاثة ، أزج أقرن . إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلا البهاء ، أجمل الناس وأبهــاهم من بعيد ، وأجلاهم وأحسنهم من قريب ، حلو المنطق .. فصل لا نزر ولا هذر .. كــان نظمــه خرزات يتحدرن، ربعة لا بأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين .. فهــو

أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرًا. له رفقاء – رضي الله عنهم – يحفون به إن قال : أنصتوا، وان أمر : تبادروا لأمره ، محشود محفود ، لا عابس ولا مفند). عليه صلاة الله وسلامه .. ما طار طير أو ترنم شاديًا.

وبعد أخا الإسلام:

تلك الشمائل الزاكية .. عليك بها ، فإنما هي قناديل على الدرب تضيء لك الدجى .. وما من محب وكان لحبيبه مقتديا ..

ولئن كنت ناصرا نبيك –عليه الصلاة والسلام – فانصره في نفسك أولا .. بان تقف نهجه .. وتبث سنته .. وان هذه لهي آية صدقك .. وبرهان محبتك ..

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب ٢١)

ثم عليك أن تذل الأحقاد الأنكد ، وتعرض بنفسك وملك عن كل امرئ .. حقت خسارته لسوء المقصد . وسر مع قافلة الأخيار .. وأمحقت الضلال.

ومهما ترى الدنيا استحالت وحلاً .. فتذكر أن الحرب يظل بيننا وبينهم سجالا..

وأن الباطل إن انتصر يوما ..فإنه لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أبدا .. ثم يكون الفصل في الجولة الآخرة .. لعباد الله مسجلا.

فليثبت خطؤك على سبيل المصطفى – عليه الصلاة والسلام – لتلقاه في الأخرى أعز محجلا..

======================

إلاَّ رسولُ اللهِ.. فلا نامتْ أعينُ الجُبناءِ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَهُ بالهدى ودينِ الحقِ لِيُظْهرهُ على الدِّين كُلِّهِ ولو كَرِهَ المشركونَ ، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، وأمينُهُ على وحيهِ ، وخيرتهِ منْ خلقهِ ، بلَّغ الرِّسالةَ ، وأدَّى الأمانةَ ، ونَصَحَ الأُمَّةَ ،وجاهدَ في اللهِ حَقَّ الجهادِ حتى أتاهُ اليقينُ ، صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ الأطهارِ ، الأئمةِ الأبرارِ ، وعلى منْ تَبِعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين أمَّا بعدُ :

أيُّها المسلمونَ :كُلُّ أُمَّةٍ تُفاخِرُ بعظمائِها ومُقَدَّميها ، وتُحْيِي ذِكْراهم ، وتَنْشُرُ مَآثِرَهُم ، وتتناقلُ أقوالَهُم وحكمهم ، وتُعْلِي قَدْرَهُم –ولها الحَقُّ في ذلك – إنْ كانتْ تَبْحَثُ عنْ العِزِّ والرِّفعةِ أمامَ الأُمَمِ الأُخْرى .

ونحنُ أُمَّةُ الإسلامِ أكْرَمنا اللهُ ومنَّ علينا بأعظمِ رجلٍ عرفتهُ البشريةُ ، وسَطَّرَ التَّاريخُ سيرتَهُ ، أَزْكَى وأطْهرُ مخلوقٍ على وجْهِ الأرضِ ، خيرُ منْ وَطِئَ الثَّرَى ، الصَّادقُ الأمينُ ، الرَّؤوفُ الرَّحيمُ، صلَّى اللهُ

عليك يا رسولَ اللهِ عددَ أنفاسِ المخلوقاتِ ، وعددَ ورقِ الأشجارِ ، وعددَ قَطْرِ الأَنْهارِ ، وعددَ ما أشرقَ عليهِ النَّهارُ .

أُمَّةُ محمدٍ – صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ : هنيئاً لكم العِزَّ والشَّرفَ والوِسامَ الذي تَحْمِلُونَهُ (إنَّكُم اتباعُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم) اتباعُ هذا النَّبيِّ العظيمِ والرَّسولِ الكريمِ وخاتَمِ النَّبيينَ وإمامِ المرسلينَ وسيدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ ، صاحبِ النُّورِ والهدايةِ لكُلِّ البشريةِ .

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمامُ بوجههِ ثِمالُ الْيَتامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

صاحبُ القلبِ العظيمِ ، يَعْطِفُ على الأرملةِ والمسكينِ ، ويُواسِي الفقيرَ والكَسيرَ ، وأحسنُ منْ وصفَهُ شريكةُ حياتِهِ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ خديجةُ بنتُ خويلد (كلا وَاللّهِ لا يُخْزِيكَ اللّهُ أبَداً،إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحَمِ، وَتَصْدُقُ الْحَديثَ، وَتُؤَدِّي الأمانَةَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الْحَقِّ).

وكانَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يُعطي عطاءَ من لا يخشى الفقرَ ، كانَ أجودَ بالخيرِ من الرِّيحِ المرسلةِ:

تراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً *** كأنَّك تُعطيهِ الَّذي أنتَ سائِلُهُ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لَوَ نَّهُ *** ثَنَاها لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أنامِلُهُ

ولوْ لَمْ يَكُنْ في كَفِّهِ غيرَ روحِهِ *** لجَادَ بهَا فلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُهُ

صاحبُ البلاغةِ والبيانِ ، أُوتِي جوامعَ الكَلِمِ ، وكلامُهُ يأخذُ بالألبابِ ، وبيانُهُ يُلَيِّنُ الصُّمَّ الصِّلابَ، حَكَمَ بينَ النَّاسِ بالعدلِ وجاءَ بالشَّريعةِ والدِّين القائمِ على العدلِ فَنعِمَتْ البشريةُ بعدلِهِ ورحمتِهِ: مسلمِها وكافرِها بَرِّها وفاجرِها ، لجأَ إليهِ أعداؤُهُ ، وشَهِدَ بعدلِهِ خصماؤُهُ ،كانَ شعارُهُ الصِّدقَ والأمانةَ وطَبَّقها بفعلِهِ، وعُرِفَ بِها حتَّى قبلَ تبليغِ الرِّسالةِ ، ولَّما بلغَ الرِّسالةَ لم يكنْ لهُ مطمعٌ منْ مطامعِ الدُّنيا الفانيةِ ، فسَما بنفسِهِ الشريفةِ عن المنافساتِ الأرضيةِ الوضيعة: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [سورة ص: ٨٦].

لا طريقَ إلى الجنة إلا من طريقهِ ومنْ خلالِ العملِ بسنتهِ ، فإليهِ يتحاكمُ المتحاكمونَ ويَصْدُرُ عنْ رأيهِ المتخاصمونَ ، (منْ عملَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ) أي مردودٌ على صاحبهِ غيرُ مقبولٍ .

أُمَّةُ الإسلامِ: محمد صلى الله عليه وسلم : أَحبَّهُ كُلُّ شَيْءٍ في الوجودِ : الإنسِ والجِنِّ والحيوانِ والجمادِ ، أمَّا الإنسُ فقدْ سَطَّرَ لنا التَّاريخُ البطولاتِ العجيبةِ في تسارعِ أصحابهِ رضوانُ اللهِ عليهم في الدِّفاعِ عنهُ ، بكُلِّ ما يستطيعونَ وقد فَدَوْهُ بآبائهم وأمهاتِهم وأبنائِهم وأموالِهم وضَّحُوا بكُلِّ غالٍ نفيسٍ حتى وصلَ بهم الحالُ أنَّهم لا يَتمنَّوْنَ أنْ يُصابَ بأيِّ كَدَرٍ ولا أذى ،ولَمَّا أُسِرَ أحدُ أصحابهِ منْ قِبلِ المشركينَ قالُوا لهُ : (أَتُحِبُّ أنَّ محمداً في مكانكَ وأنَّكَ في أهلكَ ؟ فقالَ : واللهِ ما أُحِبُّ أنَّ محمداً الآنَ في مكانهَ الَّذي هُوَ فيهِ تُصيبهُ شوكةٌ تُؤذيه وأنَّي جالسٌ في أهلي) قالها وهو يُعْرَضُ على الموتِ وماتَ شهيداً رَضِيَ اللهُ عنهُ ، ويومَ أُحُدٍ يقومُ أحدُ أصحابهِ ويجعلُ جسدهُ تُرْسَاً يَقِي بهِ النَّبيَّ صلى الله

عليه وسلم منْ سهامِ المشركينَ فدخلتْ السِّهامُ في ظهرهِ وهُوَ يقولُ نَحْري دونَ نحركَ يارسولَ اللهِ، وَصَدْري دونَ صدركَ ، وقُتِلَ بينَ يديهِ دِفاعاً عنهُ صلى الله عليه وسلم اثنا عشَرَ بطلاً منْ أبطالِ الأنصارِ رضيَ اللهُ عنهُمْ وأرضَاهُمْ ، والسِّيرةُ مليئةٌ بأخبارِ مُحِبِّيهِ منْ أصحابهِ الذينَ طَبَّقُوا أقْوالهُم بفِعَالِهِم ، وأمَّا الجِنُّ فقد ذَكَرَ بعضُ أهلِ السِّيرِ أنَّ الجِنَّ كانتْ تقتلُ منْ يَسُبُّ الرَّسولَ منْ كُفَّارِ الِجنِّ ، وأمَّا الحيوانُ فهذا(جملٌ يلجأُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو مالِكَهُ، وعيناهُ تدمعانِ، فمسحَ عليهِ صلى الله عليه وسلم فَسَكَنَ وانتصرَ لهُ من مالِكِهِ الَّذي آذاه) ، وأمَّا الجمادُ فقد كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يخطبُ إلى جذْعِ نخلةٍ قبلَ أنْ يتخذَ مِنبراً ولما اتخذَ المنبرَ وتركَ الجِذْعَ حَنَّ هذا الجذعُ وبكى وأَصْدرَ صوتاً كصوتِ الصَّبي الصَّغيرِ فوضعَ النَّبيُّ يدهُ عليه فسَكَنَ ، وفي روايةٍ أَنَّهُ ضَمَّهُ إليهِ .

أُمَّةُ الإسلامِ :إنَّ الأقلامَ تعجزُ أنْ تُوفِيَ محمداً صلى الله عليه وسلم حقهُ منَ البيانِ والثَّناءِ والاحترامِ والتَّوقيرِ والإكرامِ ،وإنَّ البيانَ ليعجزُ عنْ إشباعِ السَّامعِ بكُلِّ جوانبِ العظمةِ والرِّفعةِ والعِزَّةِ في حياتهِ صلى الله عليه وسلم .

أُمَّةُ الإسلامِ : سَمِعْنا وَسَمِعَ غيرُنا عنْ كلامٍ تَفَّوهِ بهِ حقيرٌ منَ الحُقراءِ على جنابِ ومقامِ سَيِّدِنَا وحبيبنَا،وقُرَّةِ عُيوننا مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فبكتِ القلوبُ وحزنتْ قبلَ دمعِ العيونِ ، وفارَ الدَّمعُ عضباً وغيْضاً ونصرةً لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وجُرِّدتِ الأقلامُ وكُتبتِ المقالاتُ ، وتحدثتِ الأُمَّةُ وصاحتْ بأعلى صوتِها كُلُّنا لكَ فِداءٌ يا رسولَ اللهِ ولا نامتْ أعينُ الجبناءِ وشُلَّتْ يمينُ منْ يستهزأُ بكَ أو يُؤْذِيكَ ، لنا مع هذا الحدثِ وهو استهزاءُ بعضِ الكُفَّارِ في دولةِ الدنمارك عبرَ رسومٍ كاريكاتيريةٍ برسولِ الإسلامِ وأفضلِ الأنامِ ، ولنا مع هذا الحدثِ الأليمِ والجُرم العظيمِ ، والذنبِ الكبيرِ وقفاتٌ ووقفاتٌ :

الوقفةُ الأولى : وجوبُ نُصرةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم والدِّفاعِ عنهُ على كُلِّ مسلمٍ يشهدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ بقدرِ استطاعتهِ ، وأنَّ التَّخاذلَ والجُبنَ عنْ نصرتهِ طمعاً في دنيا أو خوفاً منْ مخلوقٍ فهو إثْمٌ وذنبٌ عظيمٌ ، وكُلُّ إنسانٍ بحسبِ قدرتهِ وطاقتهِ ، وما يجبُ على العالِمِ غيرُ ما يجبُ على العامِيِّ ، وعلى الحاكمِ والمسؤولِ والأميرِ والوزيرِ ما لا يجبُ على غيرهِم ، وعلى منْ يتكلمُ لغةَ القومِ ويستطيعُ إبلاغَ الاستنكارِ يجبُ عليهم ما لا يجبُ على غيرهم ، عملاً بقول المولى جلَّ شأنهُ : {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفتح٩]، ويقول سبحانه : {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف١٥٧]،يقولُ شيخُ الإسلامِ :"التعزيرُ: هو اسمٌ جامعٌ لنصرهِ وتأييدهِ ومَنْعُهُ منْ كُلِّ ما يؤذِيهِ، والتوقيرُ : اسمٌ جامعٌ لكُلِّ ما فيهِ سكينةٌ وطمأنينةٌ منْ الإجلالِ والإكرامِ ، وأنْ يُعاملَ منَ التَّشريفِ والتَّكريمِ والتَّعظيمِ بما يَصونهُ عنْ كُلِّ ما يُخْرِجُهُ عنْ حَدِّ الوقارِ " أ.هـ، وأمَّا سَابُّهُ ومُؤْذِيهُ والمُستهزئ بهِ فهو في أحطِّ منزلةٍ وأخَسِّ مرتبةٍ ، فإنْ كانَ مسلماً فإنَّهُ يُصبِحُ مُرتداً بإجماعِ أهلِ العلمِ

، ويُقتلُ كذلكَ بالإجماعِ ولا يُعلمُ لهُ مُخالفٌ بينَ علماءِ المسلمينَ ، وإنَّ كانَ معاهَداً أو ذِمِّياً أو مستأمناً فإنَّ عهدهُ مُنتقِضٌ ويستحقُ أنْ تُضربَ عُنُقُهُ بالسَّيفِ انتصاراً لرسولِ الإسلامِ ونَبيِّ الأنامِ ، كيفَ لا وربُّنا جلَّ في عُلاه يقولُ : {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً} [الأحزاب٥٧]،

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة : ٦١]، واللهُ يقولُ: {وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ} [التوبة١٢]: واللهُ سبحانهُ قد تكفَّلَ بصيانةِ عرضِ النَّبيِّ والانتقامِ لهُ فقالَ {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر : ٩٤ و ٩٥].

وفي" الصحيحين" عنْ أبي هريرة قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : " ألا ترونَ كيف يَصْرِفُ اللهُ عنِّي شَتْمَ قريشٍ ولعنَهم، يشتمون مُذَمَّمَاً، ويلعنون مُذَمَّمَاً، وأنا مُحَمَّدٌ!". واللهُ سبحانهُ بيَّنَ أنَّ مُبْغِضَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم هو الأقطعُ الخاسرُ الذَّليلُ، فقالَ جلَّ شأنهُ {إنَّ شانئَكَ هُوَ الأبترُ}، ومنْ أوجهِ الكفايةِ أنَّ يُكْرِمَ اللهُ ويُنْعِمَ على بعضِ عبادهِ بالذَّوْدِ والدِّفاعِ عنْ نبيهِ بكُلِّ ما يستطيعُ وهي مرتبةٌ عظيمةٌ وشرفٌ كبيرٌ لكُلِّ منْ تصدَّى للدِّفاعِ عنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فاللهُمَّ شَرِّفْنَا بالدِّفاعِ عنْ نبيكَ الكريمِ صلى الله عليه وسلم

واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ الأمرَ المُستقِرَّ في عهدهِ وعهدِ صحابتهِ هو قتلُ السَّابِّ للهِ ولرسولهِ وأنَّهُ لا تُقبلُ توبتهُ ، فالنَّبيُّ قتلَ ابنَ خطلٍ وكانَ مُتعلِّقاً بأستارِ الكعبةِ ولم يقبلْ فيهِ الشَّفاعةَ ، وأقرَّ الذي قتلَ جاريتهُ التي كانتْ تَسُبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، وغيرِها منَ الوقائعِ والحوادثِ التي لا يَتَّسِعُ المقامُ لذِكْرِها .يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية [الصارم٢/٣٩٤]:"إنَّ اللهَ فرضَ علينا تعزيرَ رسولهِ وتوقيرهِ ، وتعزيرهُ: نَصْرُهُ ومَنْعُهُ ، وتوقيرهُ : إجلالهُ وتعظيمهُ ، وذلكَ يُوجبُ صَوْنَ عرضهِ بكُلِّ طريقٍ ، بل ذلكَ أولى درجاتِ التعزيرِ والتوقيرِ ، فلا يجوزُ أن نُصالِحَ أهلَ الذِّمةِ على أنْ يُسْمِعونا شَتْمَ نبينا ويُظْهِروا ذلكَ ، فإنَّ تمكينَهُم منْ ذلكَ تركٌ للتعزيرِ والتَّوقيرِ "أهـ ، وقالَ أيضاً : "إنَّ نصرَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فرضٌ علينا ، لأنَّهُ منَ التَّعزيرِ المفروضِ ، ولأنَّهُ منْ أعظمِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، ولذلكَ قالَ سبحانَهُ : {مالكم إذا قيلَ لكم انفروا في سبيلِ الله اثّاقلتم إلى الأرض} إلى قوله {إلا تنصروه فقد نصره الله} ... ومنْ أعظمِ النَّصرِ حمايةُ عرضهِ مِمن يُؤذِيه .."اهـ بتصرف.

الوقفةُ الثَّانيةُ : خُطورةُ السُّكوتِ على المنتقصِ لرسولِ الإسلامِ :

اعلموا رحمكُم اللهُ أنَّ السُّكوتَ عنْ سَبِّ الرَّسولِ وانتقاصِه هو سببٌ لضياعِ الدِّينِ وسببٌ لسقوطهِ منْ أعينِ المسلمينَ وغيرِ المسلمينَ، يقولُ شيخُ الإسلامِ : "أمَّا انتهاكُ عِرْضِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فإنَّهُ منافٍ لدِّينِ اللهِ بالكليةِ ، فإنَّ العرضَ متى انتُهكَ، سقطَ الاحترامُ والتعظيمُ ، فسقطَ ماجاءَ بهِ منَ الرِّسالةِ ، فبطَلَ الدِّينُ ، فقيامُ المِدْحَةِ والثَّناءِ عليهِ والتَّعظيمِ والتوقيرِ لهُ قيامُ الدِّين كُلِّهِ ، وسقوطُ

ذلكَ سقوطٌ الدِّينِ كُلِّهِ ، وإذا كانَ ذلكَ كذلكَ وجبَ علينا أنْ نَنْتَصِرَ لهُ مِمــنْ انتــهكَ عرضــهُ والانتصارُ له بالقتلِ لأنَّ انتهاكَ عرضهِ انتهاكٌ لدِّينِ اللهِ"أ.هـ ، وهنا قد يقولُ قائلٌ : نحنُ لانملكُ قتلهُ ، نقولُ هذا اذا كانَ في ديارِ المسلمينَ وتحتَ حكمِهِ وجبَ على ولي الأمرِ،وعلى الحاكمِ المســلمِ أنْ يُنفِّذَ فيهِ حُكمَ اللهِ وليس لكُلِّ أحدٍ.

الوقفة الثالثة :أسبابُ الجرأةِ على سبِّ نبينا وديننا ومقدساتِنا :

أيُّها المسلمونَ : إنَّ المتأمِّلَ في هذهِ الحادثةِ وما سَبَقَهَا منْ حوادِثَ منْ تَعَدِّي بعضِ الملاحدةِ على مقامِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أو إهانةِ المصحفِ من قبلِ القواتِ الأمريكيةِ كما حصــلَ في أبي غريــب وغونتناموا وغيرها، يجدُ لهذا أسباباً، منْ أهمها:

أولاً: ضَعْفِنا وهزيمتنا أمامَ أعداءِنا في عرضِ حقيقةِ الإسلامِ والشَّهادتين: إن الذين يصــورون ديــن الإسلام ديناً ضعيفاً مهزوماً لا يدافع عن حرماته ولا عن شعائره ومقدساته ، إلى الذين صوروا الجهاد الشرعي لأعداء الله إرهاباً وسفكاً للدماء هاهي النتيجة نجنيها ويتجرأ علينا كل حقير وصغير ، وحتى الدنمارك التي لا تعرف إلا بإنتاج حليب الأطفال وأدوات التجميل يتجرأ على نبي الإسلام أشــجع رجل عرفه التاريخ ، ولعلي أجري مقارنة بسيطة بين دعوة أمريكا العالم للانخراط في النظام العــالمي الجديد ، إن أمريكا لم تعط الشعوب والدول حريتها بل فرضته بقوة الحديد والنار فأنشأت حلــف الأطلسي ليكون ذراعها العسكري لتأديب من يخرج عن نظامهم الجديــد وقــد اعتــدت علــى خصوصيات الدول واحتلت دول وقتلت مئات الآلاف دون رحمة، وأما الإسلام الذي جاء برسالته العادلة والرحيمة لما جاء بالنور والهداية لكل العالمين وجعل الجهاد وسيلة ليس لإجبار الناس علــى الدخول في وإنما لقمع كل معاند يريد ان يحول بين الناس والإسلام، فالإسلام إذا جاء بجيوشه الفاتحة فإنه يدعوهم للإسلام فإن أبوا يدعوهم ليدفعوا الجزية مقابلة حمايتهم وحقن دمائهم والدفاع عنــهم ويعيشوا تحت حكم الإسلام، لقد دخل الناس عبر العصور في دين الله أفواجا اقتناعا بعدل الإســلام ورحمته وكانت أكثر الأقاليم تسلم نفسها للمسلمين لما يرون من حسن أخلاقهم وكــريم شمائلــهم وسمو تعاملهم ، لم يعرف الإسلام في تاريخ المجازر الهمجية والوحشية كما هي معروفــة في تــاريخ أمريكا والغرب .

وثمة أمر آخر وهو الولاء والبراء : لما يتنصل البعض من هذه العقيدة العظيمة التي ترفع معنوية المسلم وتجعله يشعر برفعته واعتزازه ويأتي من أبناء المسلمين من ينكرها أو يمسخها وهي قضية من أصــرح القضايا التي تحدث عنها القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة٥١]، إن عقيدة بغــض الكفار والبراءة منهم فرضت لأن الله يأمرنا بأن نبغض كل من يبغض الله ورسوله ودينه ونعادي كل من يعادي الله ورسوله ودينه فهي حقيقة العبودية والمحبة الصادقة لله ولرسوله ودينه ، وهي حــاجز

نفسي رباني يجعل المسلم اقدر الناس على التعامل مع غير المسلمين من الكفار والملحدين مع الحفاظ على دينه وعقيدته فالإسلام لم يحرم العدل والإحسان في المعاملة لغير المسلم الذي لم يحاربنا او يعتدي علينا وعلى مقدساتنا {لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة٨]

ثانيا : من أسباب تجرأ الأعداء علينا :التَّحَلُّلُ والتَّفَسُّخُ والتَّنَصُّلُ منْ أحكامِ الشَّرعِ وعدمُ الاعتـــزازِ والفخرِ بالانتسابِ لهذهِ الأُمَّة وللنَّبِيِّ الكريمِ صلى الله عليه وسلم سواء من كان في مجال السياسة أو في مجال الإعلام أو من يعيش مع الغرب في بلاد الغرب كمقيمين أو زوار.

ثالثاً : الصَّمْتُ المُطْبِقُ منْ قِبلِ إعلامِ المسلمينَ وواجهتِهم ولسانِهم والمتحدِّثِ النَّاطقِ في العالمِ معَ كُلِّ الهجماتِ المتكررةِ على الإسلامِ وَنَبيِّ الإسلامِ وقرآننا، بل –وللأسفِ– فإن وسائل الإعلام تَشُنُّ حرباً على دينِ الإسلامِ بأموال المسلمينَ... ألم تُمَجَّدْ في إعلامُنَا رواياتُ الرَّذيلةِ التي يُسْتَهْزَأ فيها بدينِ اللهِ وبرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟!

ألم تُمَجَّدْ في إعلامُنَا رواياتُ التَّمردِ على الشَّرعِ وعلى هديِ القرآنِ وسمتِ المسلمينَ .

فكيفَ والحالةُ هذه يُكِنُّ الأعداءُ لنا الاحترامَ .

الوقفة الرَّابعةُ :– أينَ الَّذينَ ملئوا الدُّنيا ضجيجاً بزعمِ محبةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ وهمْ أَصْحابُ التَّوجهاتِ البدعِيَّةِ التي حَرَّفتْ دينَ الإسلامِ وجعلتْهُ دروشةً وضَعْفاً وَخُرافةً؛ فَطَعَنَـــتْ الإســـلامَ في خَاصِرتهِ، حيثُ سَوَّغَتْ الفسادَ في الأرضِ،وَحَرَّفتْ معنى مَحَبةِ النَّبـــيِّ الكريمِ،وجَعَلَتْـــهُ في موالِـــدَ واحتفالاتٍ وخرافاتٍ،وَفَرَّغتْها من معناها الحيِّ الَّذي يجعَلُ حياةَ المسلمِ كُلَّها مثلَ حياةِ النَّبيِّ محمـــدٍ صلى الله عليه وسلم ، ونقول لهم كما قلتم (علموا أبناءكم حب الرسول) ونحن نقول (علموا أبناء كيف يدافعون عن الرسول).

– أينَ الَّذينَ مَلئُوا الدُّنيا ضَجيجاً بمحبةِ آلِ البيتِ عليهم السَّلامَ،فها هو ذا صاحبُ البيتِ،وإمامُ أهلِ البيتِ (محمَّدُ بنُ عبد اللهِ) صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يُسَبُّ،وَيُنْتَهَكُ عِرضُهُ .

أين أنتم دولاً وشعوباً عُلماءَ وعامَّةً، أين نُصرتُكُمْ للحبيب–صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–إلى اللهِ المُشْتكى!!

– أين الَّذينَ كانوا يدعوننا للتسامحِ ونَبْذِ الكراهيةِ والحقدِ منْ أصحابِ الحواراتِ اللَّطيفـــةِ،والأقلامِ النَّاعمةِ،...،ها هم أولاءِ أعداؤكم شَمَّرُوا عنْ سواعدهم ورَمَوْكُمْ عنْ قوسٍ واحدةٍ،يقول أحـــد ساسة أمريكا :" :(من المؤلم أن نظهر أنفسنا عقلانيين بشكل كامل وباردي الرأس)، (ما ينبغي أن يكون جزءً من الشخصية القومية التي نظهرها ،هو أن الولايات المتحدة يمكن أن تصبح غير عقلانية ، وانتقامية ، إذا ما هوجمت مصالحها الحيوية).ويقول نيكسون بعبارة واضحة: "يجـــب أن يعـــرف أعداؤنا أن الجنون مسنا، ولا يمكن التنبؤ بما سنفعله، بقوة تدمير فائقة للعادة تحت إمرتنـــا، وهكـــذا سوف يركعون لإرادتنا خائفين"اهـــ.

الوقفة الخامسةُ : أعظمُ الأسلحةِ ضدَ أعداءِنَا الانتصارُ على شَهواتِنَا وَحُظُوظِنا: ولايقل أحدنا مـــاذا سوف أؤثر ، فأنت تريد أن تبرئ ذمتك وأن تنال شرف الدفاع عن نبيك ، وقد أثبت التاريخ عظم تأثير المقاطعة على العدو أثناء الحروب والعداوة بين أي شعبين.

الوقفة السَّادسةُ : تحية إلى كل الشرفاء الذين غاروا على نبيهم وبذلوا كل ما يستطيعون أبرأوا ذمتهم إلى العلماء والأمراء والساسة والوزراء والتجار والمثقفين والإعلاميين ونقول لهم أبشروا بموعـــود الله لكم بالخير في العاجل والآجل ، وتذكروا أن المرء يحشر مع من أحب اللهم احشرنا مع نبيك الكريم في الفردوس الأعلى واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً ، اللهم عليك بمن اعتدى على نبيك أفراد وشعوباً اللهم اخزهم ومكن المسلمين من رقابهم وتنفيذ حكمك العادل فيهم ، اللهم لا ترفع لهم راية واجعلهم لمن خلفهم آية ، اللهم اجعل دولتهم دولاً اللهم مزقهم شر ممزق اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك

========================

إنهم يسبون مذمماً وهو محمد

بسم الله نبدأ، وعلى هدي نبيه صلى الله عليه وسلم نسير..

ابتلاء تلو ابتلاء..

وتتوالى الابتلاءات تترى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم..

اجتياح للديار، وسفك للدماء، وهتك للأعراض، وعبث بالعقائد..

وعمّت البلوى وطمّت بالإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم..

لّما سبّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « إنهم يشتمون مذمماً وأنا محمّـــد ».
وبنفس المنطق نقول لمن يسيئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم تسبون مذمماً وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تضافرت وتواترت الأخبار من الكتب السماوية والمقالات الإنسانية لعقـــلاء الغرب والشرق قديماً وحديثاً على أنه بلغ الكمال الإنساني في الصفات.

قال القرآن عنه مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُـــجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ [الفتح:٢٩].

وجاء على لسان عيسى عليه السلام في الإنجيل "أنطلق فإن لم أنطلق لم يأتكم المنحمنا، ذلك الي يوبخ العالم على خطيئته"

والمنحمنا توافق في اللاتينية كثير الحمد، والتي توافق من الأسماء العربية محمد أو أحمد، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى على لسان عيسى وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف:٦]. ويقـــول الإنجيل عن يحيى عليه السلام "وانطلق يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود توبوا فقد اقترب ملكوت السماء"، أي قانون السماء، فهذه بشارة باقتراب قانون سماوي جديد و لم يأتِ قانون من السماء بعد يحيى –الذي واكب حياة المسيح عليهما السلام– إلا القرآن الكريم الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أقرّ عقلاء النصارى والمسلمين بكمال صفاته الإنسانية صلى الله عليه وسلم، فهذا قائد من أعظم قادتهم عبر التاريخ وعالم من أعلامهم وحكمائهم يقر بذلك، فيما روى البخاري من حديث قصـــة هرقل القائد الرومي الكبير والعالم النصراني الشهير وأبو سفيان بن حرب:

"حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِي قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِي؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا .

فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ.

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَي كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟

قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَب.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟

قُلْتُ: لَا.

قالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟

قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا.

قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟

قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟

قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ. وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ. فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران:٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ -صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ - سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاطورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ. فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ. وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِي. فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّ ومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِي؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَى. وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ. رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِي.

صحيح البخاري.

وجاء من أقوال حكماء العالم في العصر الحديث ما أفردت قليله فيما يلي وقد نقلته من جمع الكتور خالد الشايع في محاضرة قيمة:

١- يقول (مهاتما غاندي) في حديث لجريدة "ينج إنديا": "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

٢- يقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه (محمد النبيّ) : "لا يمكن معرفة شخصية محمـــد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبيّ، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيـــب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هـــذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلا ".

٣- يقول المستشرق الكندي الدكتور (زويمر) في كتابه (الشرق وعاداته) : إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصـــيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء".

٤- يقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) في كتابه (الشرقيون وعقائدهم) : "كان محمـــد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبيُّ بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصـــيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما: العدالة والرحمة".

٥- ويقول الانجليزي (برناردشو) في كتابه (محمد)، والذي أحرقته السلطة البريطانية: "إن العـــالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال ، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قـــومي قـــد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمـــةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقـــةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمَّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تـــولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها".

٦- ويقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية، في كتابه (تاريخ حياة محمـــد): "إننـــا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ".

٧- ويقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه (ديانة العرب): "ظهر محمـــد بعـــد المســـيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصـــول الأوليـــة للأخـــلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة".

٨- ويقول (مايكل هارت) في كتابه (مائة رجل في التاريخ): "إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

منقول من موقع طريق الإسلام

=======================

إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال من يكره من؟

فهمي هويدي

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: لماذا لا تعلن حكومات الدول الإسلامية استهجانها واستنكارها لموقف حكومة الدنمارك بشكل صريح وحازم، أسوة بموقف منظمة المؤتمر الإسلامي التي دعت إلى مقاطعة المؤتمر الدنماركي عن الشرق الأوسط، ذلك أن مثل ذلك الطعن الجارح إذا وجه إلى أي رئيس دولة في منطقتنا لقامت الدنيا و لم تقعد.

صدمة الرسوم الدنماركية الفاحشة التي أهانت نبي الإسلام وسخرت منه وحطت من شأن كل ما يمثله، ينبغي ألا تمر من دون أن نتوقف عند وقائعها ونستخلص دروسها، لأنها تشكل نموذجاً للكيفية التي تتعامل بها بعض الحكومات والنخب في الغرب مع الإسلام، وللكيفية التي ترد بها الأطراف الإسلامية على الإهانات التي توجه إلى عقيدتهم ونبيهم.

خلاصة الوقائع على النحو التالي: في الثلاثين من شهر سبتمبر (أيلول) الماضي نشرت صحيفة «يولاندز بوسطن»، وهي من أوسع الصحف اليومية انتشاراً في الدنمارك، ١٢ رسماً كاريكاتورياً للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، أقل ما توصف بها أنها بذيئة ومنحطة إلى أبعد الحدود، ومع الرسوم نشرت الصحيفة تعليقاً لرئيس تحريرها عبر فيه عن دهشته واستنكاره إزاء القداسة التي يحيط بها المسلمون نبيهم، الأمر الذي اعتبره ضرباً من «الهراء الكامن وراء جنون العظمة»، ودعا الرجل في تعليقه إلى ممارسة الجرأة في كسر ذلك «التابو»، عن طريق فضح ما اسماه «التاريخ المظلم» لنبي الإسلام، وتقديمه إلى الرأي العام في صورته الحقيقية (التي عبرت عنها الرسوم المنشورة).

كان لنشر الصور الكاريكاتورية وقع الصاعقة على المسلمين الذين يعيشون في الدنمارك (١٨٠ ألف نسمة، يمثلون حوالي ٣% من السكان البالغ عددهم ٥.٤ مليون شخص)، كما كان له نفس الصدى في أوساط ممثلي الدول الإسلامية في كوبنهاجن، فعقد ١١ دبلوماسياً منهم اجتماعاً بحثوا فيه الأمر، وقرروا مطالبة الصحيفة بالاعتذار للمسلمين عن إهانة نبيهم، ولكن رئيس تحريرها رفض الاعتذار، فطلبوا مقابلة رئيس الوزراء الدنماركي لإبلاغه باحتجاجهم على نشر الصور، فرفض

مقابلتهم بدوره، وأبلغهم من مكتبه بأن الأمر يتعلق بحرية التعبير التي لا تتدخل فيها الحكومة، وقيل لهم إن بوسعهم اللجوء إلى القضاء إذا أرادوا.

حين علم بالأمر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور اكمل الدين احسان أوغلو، فإنه وجه خطابات إلى رئيس وزراء الدنمارك والمسئولين في الاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي دعاهم فيها إلى التدخل لوقف حملة الكراهية ضد المسلمين، واتخاذ موقف حازم إزاء الإهانات التي توجه ضد نبيهم، وكان محور الردود التي تلقاها ـ خصوصاً من رئيس الوزراء الدنماركي ـ أن قضية حرية التعبير تمثل ركناً أساسياً في الديمقراطية الدنماركية، الأمر الذي اعتبر رفضاً لاتخاذ موقف إزاء الحملة، في الوقت ذاته تحرك سفراء الدول الإسلامية في جنيف، وقدموا شكوى إلى مفوضية حقوق الإنسان في العاصمة السويسرية، اعتبروا فيها موقف الصحيفة الدنماركية محرضاً على العنصرية والكراهية للمسلمين، فقررت المفوضية تحري الأمر وإعداد تقارير عن الموضوع يفترض أن ينتهي إعدادها يوم ٢٤ من الشهر الحالي.

أدرجت المسألة ضمن جدول أعمال القمة الإسلامية التي عقدت في مكة في السابع من شهر ديسمبر (كانون الأول) الماضي، وبناء على ذلك عبرت إحدى توصيات المؤتمر عن القلق إزاء الحملات الإعلامية المسيئة إلى الإسلام ونبي المسلمين، وأشارت إلى مسؤولية جميع الحكومات عن ضمان احترام الديانات المختلفة، وعدم جواز التذرع بحرية التعبير للإساءة إلى الأديان والمقدسات.

بعد ثلاثة أشهر من التجاهل والصمت، وفي أعقاب التفجيرات التي حدثت في لندن، علق على قضية الرسوم الكاريكاتورية المفوض العدلي بالاتحاد الأوروبي فرانكو فراتيني، قائلاً إن نشرها لم يكن تصرفاً حكيماً، باعتبار أنه من شأن ذلك أن يشيع الكراهية ويشجع على التطرف في أوروبا.

بينما الرسائل يتم تبادلها بين الأطراف المختلفة، انتقد ٢٢ سفيراً دنماركياً، أغلبهم عملوا في البلاد العربية موقف حكومة بلادهم من المسألة، وقام وفد من مسلمي الدنمارك يمثلون ٢١ مركزاً إسلامياً ومنظمة بزيارة إلى القاهرة، التقوا خلالها شيخ الأزهر والأمين العام لجامعة الدول العربية، وانتقد وزراء خارجية الدول العربية سلبية الحكومة الدنماركية إزاء الإهانة التي لحقت بنبي الإسلام، ووجد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أنه لا مفر من اتخاذ موقف عملي يوصل رسالة الاحتجاج والغضب إلى حكومة الدنمارك، التي تعاملت مع الحدث بقدر لافت للنظر من عدم الاكتراث واللامبالاة، ولذلك قرر إعلان مقاطعة المنظمة لمشروع دنماركي، يتمثل في إقامة معرض كبير تحت عنوان «انطباعات عن الشرق الأوسط» تغطي حكومة كوبنهاجن جزءاً من تكاليفه، ويفترض أن تسهم الدول العربية (الخليجية) في تغطية بقية النفقات، وبعث الدكتور اكمل الدين أوغلو رسالة بهذا المعنى إلى الجهة المعنية في كوبنهاجن، أبلغها فيها بأن منظمة المؤتمر الإسلامي طلبت من كل الأعضاء مقاطعة المشروع، احتجاجاً على موقف بلادهم الرسمي من إهانة نبي الإسلام.

أخيراً، في أعقاب كل تلك التطورات، تطرق رئيس وزراء الدنمارك إلى الموضوع في بيان رأس السنة الميلادية، الذي بثه التلفزيون قال فيه إن حكومته تدين أي تعبير أو تصرف يسيء إلى مشاعر أية جماعة من الناس، استناداً إلى خلفياتهم الدينية أو العرقية، وبهذه الإشارة المخففة، تصور الرسميون في كوبنهاجن أنه تمت تسوية الأمر، في الوقت الذي بدا فيه لكل ذي حس سليم أن الجرح أكبر وأعمق بكثير من أن يداوى بكلمات عامة وخجولة من ذلك القبيل.

من ناحية أخرى، كانت بعض المنظمات الإسلامية في الدنمارك قد رفعت قضية ضد الصحيفة التي تبنت الإساءة البذيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن المدعي العام رفض القضية معتبراً أن نشر الرسوم الكاريكاتورية تم في إطار حرية التعبير التي يحميها القانون، وفي حين اختص رئيس تحرير صحيفة «يولاندز بوسطن» بالقرار، فإن صدوره شجع صحيفة مسيحية محافظة أخرى في الترويج «مجازينت» على إعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية الاثني عشر، ومن ثم الترويج لحملة السخرية البذيئة من نبي المسلمين ودينهم.

ولا يزال الملف مفتوحاً، حيث قدم مسلمو الدنمارك طعناً في قرار المدعي العام، وثمة مشاورات حول الموضوع ما زالت جارية بين ممثلي الدول الإسلامية في جنيف ولدى منظمة اليونيسكو، وليس معروفاً بعد كيف سيكون موقف ممثلي تلك الدول من المسألة.

إن ما يثير دهشتنا واستياءنا ليس فقط أن يتطاول شخص أو منبر إعلامي على نبي الإسلام ومقدسات المسلمين، فالمتعصبون والموتورون والحاقدون والمغرضون، موجودون في كل مجتمع، وهم كثر في الغرب، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بالشأن الإسلامي، ومن أسف أن أصوات هؤلاء طغت على أصوات العقلاء والمنصفين من مثقفي الغرب، لكن ما يثير الدهشة والاستياء أيضاً وبدرجة أكبر هو مسلك الحكومة والقضاء في الدنمارك، حيث يفترض أن تتنزه مواقفهما عن الهوى والغرض، وأن يكون تعبيرهما أكثر التزاماً بمعايير الإنصاف وبمقتضيات المصلحة العامة.

فليس صحيحاً أن السخرية والطعن في نبي الإسلام ورموز المسلمين يعد من قبيل ممارسة حرية التعبير، لأن الذي تعلمناه في دراسة القانون أنه لا توجد حرية مطلقة إلا فيما يخص حرية الاعتقاد والتفكير، أما التعبير فهو سلوك اجتماعي يرد عليه التنظيم في أي مجتمع متحضر، وعند فقهاء القانون في النظام الأنجليسكسوني وفي النظم اللاتينية، فضلاً عن الشريعة الإسلامية، فإن حرية التعبير يسبغ عليها القانون حمايته طالما ظلت تخدم أية قضية اجتماعية، ولا تشكل عدواناً على الآخرين، وللمحكمة الدستورية العليا في الولايات المتحدة أحكام متواترة بهذا المعنى، والعبارة المتكررة في تلك الأحكام تنص على أن حماية حرية التعبير تظل مكفولة طالما تضمنت حداً أدنى من المردود الاجتماعي النافع، ونصها بالإنجليزية كما يلي:

A minimum of social صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم d صلى الله عليه وسلم aming valu صلى الله عليه وسلم

إن كل القوانين تجرم سب الأشخاص والقذف في حقهم، حيث لا يمكن أن يعد ذلك نوعاً من حرية التعبير، لأن السب في هذه الحالة يعد عدواناً على شخص آخر، ومن ثم فأولى بالتجريم سب نبي الإسلام الذي يؤمن بنبوته ورسالته ربع سكان الكرة الأرضية، وحين حدثت في الأمر الدكتور أحمد كمال أبو المجد وهو خبير قانوني دولي، أيد ما ذكرت وأضاف أنه حتى إذا سلمنا بأنه لا توجد نصوص في التشريعات الدنماركية تعاقب على سلوك الصحيفة المشين، فإن هناك التزاماً أخلاقياً وسياسياً يفرض على المسئولين في الدولة إدانة ذلك المسلك، انطلاقاً من الحرص على حماية المعتقدات الدينية ودفاعاً عن فكرة التعددية الثقافية.

إضافة الدكتور أبو المجد بأن عدم اتخاذ موقف صريح وحازم من جانب حكومة الدنمارك إزاء الطعن في نبي الإسلام يفتح الباب لشرور كثيرة، من بينها فتح الأبواب واسعة لإشعال حروب ثقافية لا مصلحة لأحد فيها، الأمر الذي يهيئ المناخ لإحلال القطيعة بين الشعوب والثقافات محل التواصل، والصراع محل التعاون، وليس معقولاً أن يكون ذلك ما تسعى إليه حكومة الدنمارك.

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: لماذا لا تعلن حكومات الدول الإسلامية استهجانها واستنكارها لموقف حكومة الدنمارك بشكل صريح وحازم، أسوة بموقف منظمة المؤتمر الإسلامي التي دعت إلى مقاطعة المؤتمر الدنماركي عن الشرق الأوسط، ذلك أن مثل ذلك الطعن الجارح إذا وجه إلى أي رئيس دولة في منطقتنا لقامت الدنيا و لم تقعد، ولسحب السفير وهددت العلاقات الدبلوماسية فضلاً عن المصالح الاقتصادية للقطيعة، فهل نستكثر على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام أن نغضب لشخصه ولكرامته بما هو دون ذلك بكثير؟ وألا يخشى إذا استمر الصمت الرسمي في العالمين العربي والإسلامي، أن يخرج علينا من يطرح العنف بديلاً عن المعالجة الدبلوماسية الرصينة، فيفتي مثلا بإهدار دماء محرر الصحيفة الدنماركية ورساميها، وتكون هذه شرارة فتنة جديدة لا يعلم إلا الله مداها؟

أخيراً فإن الواقعة تجدد سؤالاً آخر طالما طرحناه حينما كان يفتح باب الحديث عن عداء المسلمين المزعوم للغرب، هو: من حقاً يكره من؟

==============================

================

ائذن لي يا رسول الله

الشيخ محمد حسين يعقوب

قال الله عز وجل وعلا سبحانه

(وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(٤٠)الحج

عذرًا ومعذرة يا رسول الله

اللهم إننا نبرأ إليك مما فعل أولئك الكفار...

ونعتذر إليك من تقصيرنا وتقصير أهل ملتنا في نصرة نبيك صلى الله عليه وسلم

اللهم اغفر لنا وارحمنا و لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا أنت ولينا.. وأنت خير الراحمين

لماذا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

إنه السؤال الذي لابد أن نجيب عنه بوضوح وصراحة وتجرد لكي نعرف كيف نرد على هذه الشتائم.. وما هو رد الفعل المطلوب..

إن السبب الحقيقي الواقعي لفعل هؤلاء الكفار إنهم لا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبذلك ترجع المسألة إلى تقصيرنا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم..

إنهم لا يعرفونه..

إننا لم نستطع أن نوصل دعوتنا إليهم..

إننا لم نحدثهم عن ديننا وعن نبينا صلى الله عليه وسلم..

إنهم سمعوا عنا و لم يسمعوا منا..

ولذلك تجرءوا وأساءوا بل وكفروا..

ولو عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمنوا به أو على الأقل عظموه ووقروه وأحبوه كما فعل من عرفه منهم.

ولعل السبب الآخر أنهم أيضا لا يعرفون قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين، و لم يتوقعوا أن يحدث رد فعل كهذا من كل المسلمين بلا استثناء، لأنهم يرون تنكر العلمانيين من المسلمين والمستغربين منهم للدين جملة، فظنوا أن هذا هو الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيضا ولو عرفوا قدر تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين جميعا برهم وفاجرهم لأخافهم مجرد عدد هؤلاء ولانزجروا عن مجرد التفكير في الإساءة إلى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذًا يعود السبب إلي أمرين لا ثالث لهما:

١. ما نحن فيه من التقصير في حق ديننا والدعوة إليه

٢. ما نحن فيه من مهانة وتخاذل وإنكباب على الدنيا

هذان الأمران صورا للكفار أن ديننا لا قيمة له وأن أمتنا لا قيمة لها فتجرءوا و إذا عرف السبب بطل العجب..

ويبقى السؤال الآخر.. ما الحل؟... ما العلاج؟... وما المخرج؟... وما هو التصرف اللائق؟... وما هو رد الفعل المناسب بعد ما رأينا وسمعنا عن مظاهرات واحتجاجات ولغو في المطالبـــة بالاعتـــذار وبرفض هؤلاء المجرمين مجرد الاعتذار

أيها الأخوة أنا أحبكم في الله

ما هو دورنا الآن؟.. وما هي مطالبنا؟ وماذا نفعل؟

ودعوني في البداية أضرب لكم مثالا يوضح حال المسلمين

ما مثلنا ومثل قومنا إلا كمثل:

رجل فتي قوي.. سقط في حادث.. فإذا بالناس بغوغائية وفوضوية يلتفون حوله:

هذا يصرخ: اسقوه ماءً اسقوه ماءًا..

وهذا يحرك رأسه بعنف: ما اسمك؟ ما عنوانك؟..

وهذا يئس من نجاته فجعل يلقنه: قل لا إله الا الله ّ قل لا إله إلا الله!..

وهؤلاء المتفرجون بالعشرات يحشرون رؤسهم يكتمون أنفاسه لئلا يفوتهم مشهد خروج روحه!!

بالله هل تظن أن ينجو هذا المصاب..؟! ماذا لو استدعوا له طبيبًا حاذقًا بحالات الطواريء

هذا مثل أمتنا.. " والطبيب الله "

(ليس باللخبطة ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وإنما هو منهج كيف ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم..فليكن شعارنا بـــ "ائذن لي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أصيبت الأمة بالإهانة؟؟ فإذا بغبار الإعلام يشوش على القضية.. ويصرف غضب الأمة في مصارف التيه:

لاعب كرة كتب على فانلة اللعب(فداك روحي يا رسول الله)صلى الله عليه وسلم

مظاهرات!! اختلاطّ!! ارتفعت أصوات النساء اللائي يغرن على جناب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم !!

ولعلهم ألفوا الأغنيات للغانيات(فداك روحي يا رسول الله)

هل هذا هو الانتصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أعدائه؟!...

لا إخوتي في الله وأنا أحبكم في الله..

وإنما الواجب إذًا أن ننظر إلى هذا الغضب نظرة عقدية كيف أفاقت الأمة عليه في هـــذه الســـاعة، فنستغل ساعات الإفاقة لعلاج جسد الأمة المنهك بالأمراض

هذه الأمة اليوم تفيء إلى ربها، وتعود من بعد طول غياب في ظلمات الجاهلية وشرورها،

١. فلابد ابتداء وبسرعة وأثناء هذا الغليان في قلوب المسلمين من تعريف العالم أجمع برسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع الطرق والوسائل المتاحة من كتب وأشرطة واسطوانات وإذاعـــة وتلفزيـــون وجرائد ومجلات ونت وعلى جميع المستويات، ويشارك فيه كل مسلم بكل ما يستطيع ويكون هذا هو التطبيق العملي لمعنى: فداك روحي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢. إقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة: لابد أن يعيش رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم واقعًا حيًا في ضمائرنا وفي حياتنا وفي واقعنا.. لابد أن يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوتنا وفي أعمالنا وبين أكابرنا وأصاغرنا، ولا يختفي ذكره أبدا من أي مجلـــس مـــن مجالسنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(ما جلس قوم مجلسا لا يذكرون الله فيه ولا يصلون على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة)

٣. المطالبة والإلحاح بالمطالبة والإصرار على المطالبة بإصدار قانون عالمي من الأمم المتحدة بتحـــريم المساس بدين الإسلام سواء المساس بشعائر الإسلام أو نبي الإسلام أو أي شيء من مقدسات الإسلام ولابد من الحصول على هذا القانون

٤. وهذا هو الأهم أن نعيد النظر مليا في حال الأمة وهذه فرصتنا لتعديل المسار و إصلاح الاتجاه.

لابد من استغلال فرصة هذه الصحوة المفاجئة لتوجيه المنهج..

تعالوا نلقي نظرة سريعة على الأمة ونذكر العلاج على المدى الطويل..منهجا يجب أن يتبنـــاه كـــل مسلم يبدأ به في نفسه من حيث كونه مسلما؟؟ ثم يبينه ويعلمه ويعين عليه غيره ليكون هذا المنـــهج حيا في مدارك الأمة واقعا معاشًا كي يعيد لأمة ريادتها وعزها ومجدها طلبا لرضا ربنا سبحانه وتعالى تعود الأمة اليوم مرة أخرى لتستروح نسمات الإيمان، وقد آن لها أن تقف مرة أخرى بعد عشـــرات من السنين على طريق الأصالة والتوحيد.

بدأت الأمة ينبض قلبها بدم جديد، فبدأت تعود إليها حياتها متجددة، بعد أن ظن أعداؤها أنهم قـــد قضوا عليها بالسم الزعاف، وما دروا أنهم قد قتلوا الحياة واغتالوا الوجود يوم أن أوقفـــوا ريادتهـــا وأنهكوا حياتها.

وهاهم أعداء الأمة اليوم يصرخون فقط لمجرد المقاطعة.. فمن ينجيهم من عذاب أليم هنالك إن قامت للإسلام أمة؟!!

بدأت الأمة تعود إلى ذاتها التي ضيعتها، وإلى رسالتها التي هانت عليها،

ها هي أمة تعود إلى روحها.. إلى قرآنها.. إلى سنة نبيها.. إلى شريعتها.. إلى دستور حياتها.

ولكن طريق العودة أيها الأحبة طويل طويل..ولابد أن تفهم الأمة كل الأمة أن الطريق طويل، وأنها ليست صحوة مؤقتة مفاجئة.. ثم تعود إلى نومها الذي هو موتها وإنما هي صحوة الحياة لكي تقـــود هذه الأمة الحياة ولكن السبيل إلى إصلاح ما فسد طريق طويل

طويل أولاً في وقته وزمنه، فهو طريق التأسيس المنهجي وليس الإصلاح والترقيع العفوي {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..}.

وطويل ثانيًا في تضحياته ومشقاته، فلن يترك الباطل الحق في يسر وسهولة، ولن يرفع أعداء الله راياقم البيضاء إلا بعد معارك طوال.(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) لكني أبشرك ليطمئن قلبك

يقول ربنا:{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..}، فهنا أمران من عداد التضحيات والمشقات:

الأول: أنه ينبغي على رجال الأمة أن يحملوا الأمانة كما أبلغهم الله إياها، ويبلغوها العباد كما أراد الله لا كما تهوى الأنفس وتزينه الشياطين، وهذه تضحية ومشقة أولى.

الثاني: يفهم من قوله تعالى {واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٨] أن البلاء واقع بمجرد إبلاغ الحق إلى الخلق، وهذه تضحية ومشقة ثانية، يقول ربنا: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ ولَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ومِنَ الَذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً..}

وعلى هذا الطريق – طريق العودة – لابد أن يقف رجال يحملون عقيدة الأئمة وسلف الأمة:

١. وعلى هذه العقيدة يأتلفون ويجتمعون، ومن دونها يفارقون،

٢. يتربون على عظائم الأمور ومكارم الأخلاق،

٣. صفوفهم منتظمة، حريصون على الوحدة والائتلاف وليس الفرقة والخلاف

٤. هممهم عالية،

٥. صُبَّر على المحن، وبعداء عن الفتن،

٦. عقولهم متزنة،

٧. جنوبهم لينة،

٨. أخطاؤهم معدودة،

٩. إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون،

١٠. دامعة أعينهم، حزينة قلوبهم، يبكون يوماً قصيًرا لغد طويل،

١١. لا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، ولا يفرحون بما أتاهم منها، {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}

١٢. أنفاسهم طويلة مثل طول طريقهم..

١٣. وآراءهم حكيمة على مثل ما يواجهون..

١٤. واعون لواقعهم الذي يحيونه فهم له مستبينون لا يخدعهم معسول قول جاهلية عصرهم عــن حقيقة كيدها وعنادها وتنكرها لطريق الله، واجتيالها للعباد – كل العباد – عــن مصــدر عــزهم وسعادتهم ألا وهو دينهم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!!

فهم ممتثلون قوله تعالى: {وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ} وهؤلاء هــم الرجــال المنتظرون.

هم الصف الأول، هم النخبة الموجهة، هم الصفوة المنتقاة، هم حراس الأمة وقادتها وعقولها.

- رجال هم عين الأمة وضميرها،
- رجال يذودون عن الأمة، ويدافعون عنها، ويدفعون الأعداء،
- رجال يوجهون الأمة، وبهم تسترشد الأمة طريقها،
- رجال تلوذ بهم الأمة – بعد الله – في مدلهمات الأمور وجسام المواجهات،
- رجال تناط بهم أمانة حمل هذا الدين العظيم، وإبلاغه للناس والتمكين به في الأرض {وعَــدَ اللَّــهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَــذِينَ مِــن قَــبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْــرِكُونَ بِــي شَيْئاً}،
- رجال تحتاجهم الأمة في كل ظروف تاريخها الطويل، وحاجتها إليهم اليوم أشــد، إنهــم رجــال المواقف...

غير أن المنهجية الأصولية التي تلتزم بها هذه الأمة ورجالها تقتضي أن نعرض صفحة من علمها المدون يقتضيه السياق:

أولا: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ والرَّسُولِ...} اتفق أهل السنة على أن العلماء من أولى الأمر وطاعتهم معطوفة على طاعة الله ورسوله، وبداهة فإن هؤلاء العلماء في زماننا هم الذين يطيعون الله ورسوله، ويتقون الله مع قيامهم بالحق لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، ولذا لا يُجَوِز أهل السنة لعلمائهم أن يغيروا دين الله فيأمرون بما شاؤا وينهون عما شاؤا.

مما تقدم وجب على الأمة طاعة علمائها.

ثانيًا: إننا نحيا عصر التخصص العلمي الدقيق، ولهذا كان علينا أن نصبغ الحركة الإســلامية بصــبغة التخصصية،

- فهذا يتخصص بتاريخ الأمة الإسلامية على مر القرون يعلم حركته، ويدرك تطوراتــه ومراحلــه، ويفهم مده وجزره، لكي ينقل لنا بفهم واع و فكر ثاقب ما هي عوامل التمكين والنهوض وصناعة

الأمم وإحياء القيم على مدى العصور.. وأيضا ما هي أسباب العثرات والانتكاسات والانعطافات الخطيرة في حياة الأمم أيضا فإن التاريخ يعيد نفسه ولابد من أخذ العظة والعبرة ممن سبقونا

· وآخر يتخصص بعلم الرجال الذين تصدوا القيادة والتوجيه والتأثير في هذه الأمة في القرون الأخيرة – مثلاً – فيعلم نشأتهم وتربيتهم ومنطلقاتهم وأفكارهم ومخططاتهم وأهدافهم التي سعوا لتحقيقها ولتنفيذها في هذه الأمة، فيفيدنا كيف نصنع رجالا أمثال هؤلاء الأكابر تحتاجهم الأمة ويعود بهم مجدها وريادتها

· وثالث يتخصص بعلم التفسير الشرعي يفهم أصوله ويعلم مدلولات النصوص ومراميها وأسباب نزولها والمحكم منها والمتشابه والخاص والعام والمطلق والمقيد إلى آخر ذلك.. فيفيدنا هذا أيضا كيف كانت حياة الأمة الأولى بالقرآن

قال تعالى(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)

يفيدنا هذا كيف نحرك الجبال التي تعوق نهضة الأمة اليوم..(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً)

فيعلمنا من القرآن ألا نيأس من هدى الناس جميعا ويحي الأمة بكتاب الله

· ورابع يتخصص في الفقه وأصوله ومصادر التشريع وكيفية استنباط الأحكام وعلم الفتوى والأمة اليوم في أمس الحاجة إلى الفقيه الأصولي التقي النقي العالم بالآخرة الزاهد في الدنيا ليظهر لنا الأمور على حقيقتها بعد أن كثر تلاعب أصحاب الأهواء بالفتاوى والأحكام التي على هوى الحكام

· وخامس يتخصص بعلم الاقتصاد وهو طاغوت العصر..

· سادس بعلم الدعوة والتأثير والتربية... وما أحوج الناس إلى الداعية صاحب البصيرة النافذة الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يجريء الناس على حدود الله ولا ينفر عن طريق الله ولا يتهاون في حدود الله

إلى آخر تلك التخصصات وهذه العلوم والفنون التي تحتاجها الأمة متمثلة في رجال أكفاء، يوجهون ويصنعون حضارتها.

إن ميزات الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– أنه قد ربى جيلاً كاملاً قادرًا على أن يتبوأ مكانة في الصدارة لهذه الأمة، وحينما رحل الرسول الكريم إلى ربه لم تنهزم الأمة و لم تندثر بل علت وانتشرت وغزت الأرض لتكون كلمة الله هي العليا.

وهانحن نقول مشددين عليها:

أعطني رجالاً أصنع لك أمة..

هذا و إلا يا خسارة الغضب..

الأخسرين أعمالا..(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

لا نريد اعتذارا فقط؛ إن حد مس جناب النبي صلى الله عليه وسلم ضربة بالسيف

القضية لن تنتهي باعتذارهم.. و لا بإغلاق الإعلام ملف القضية.. إنه كفر و إيمان: كما أن قضيتنا مع اليهود ليست فقط المسجد الأقصى

إلا تنصروه فقد نصره الله: و إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم

إخو تاه..

· لا تطفؤا الغضب: لا عذر لكم إن خُلِص إلى رسول الله صلى عليه و سلم و فيكم عين تطرف..

· عودوا إلى المنهج وحولوا الغضب العارم إلى عمل منهجي طويل النفس دائم الأثر يعود على الأمة في النهاية بالتمكين ولو بعد حين

اللهم بلغت اللهم فاشهد

وصلى الله وبارك على النبي محمد صلى الله عليه وسلم

أحبكم في الله

محمد بن حسين يعقوب

======================

استمرار واستثمار الانتصار للنبي المختار صلى الله عليه وسلم

د. علي بن عمر بادحدح

ما من شك أن النصرة الإسلامية لخير البرية صلى الله عليه وسلم التي عمّت جميع بلاد المسلمين بل وبلاد العالم كله لم يسبق لها مثيل، وفيها كثير من الدلالات الإيمانية والمنطلقات الحضارية والإيجابية العملية التي حققت ثمرات كثيرة وفوائد كبيرة، ويستثنى من ذلك التصرفات المندفعة الخاطئة المشتملة على عنف وتخريب.

شواهد الاستمرار:

والسؤال الكبير المطروح هو:

هل سيكون هذا الانتصار الكبير سحابة صيف ثم تنقشع، وشعلة حماس ثم تنطفئ؟

والحقيقة أن المؤشرات بل المبشرات الأولية تدل على غير ذلك وتحمل في طياتها معالم استمرارية جيدة، تظهر في شواهد ومظاهر متعددة، ومنها:

١- الإعلان عن عدم التوقف عن المناصرة الإيمانية والحضارية والمقاطعة الاقتصادية للمنتجات الدانمركية بالاعتذارات مهما كانت واضحة أو رسمية، وأن الاعتذارات لا تكفي ولا تشفي، وهذا الموقف يحظى بأغلبية كبيرة جداً.

٢- الانتقال والتوجه إلى المطالبة القانونية بتجريم الإساءة إلى الإسلام ومقدساته ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، والإصرار على ذلك كأحد أهداف الانتصار، ومن المعلوم أن هذه معركة كبيرة لن تتم بسهولة، ولا يُتوقع أن تنتهي في وقت قصير، والظاهر أنها ستكشف المزيد من المفارقات في الازدواجية الحضارية والسياسية لدى الغرب، الذي لديه محرمات تُجرِّمها القوانين وتخرجها من دائرة حرية التعبير كمعاداة السامية والتعرض للمحرقة اليهودية وغير ذلك، بينما تجعل التطاول على القرآن، والإساءة إلى رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم ضرباً من حرية التعبير، ومن شواهد ذلك ما نشرته الجارديان البريطانية من أن المجلة الدانمركية ذاتها رفضت نشر رسوم مسيئة لعيسى عليه السلام عام ٢٠٠٣م وعللت ذلك بأنه سيزعج مشاعر كثير من الناس، وأظهر من ذلك وأبلغ تصريح الأديب الألماني الحاصل على جائزة نوبل"غونتر غراس"حيث قال: "إن جميع محرري الصحيفة كانوا على معرفة مسبقة بتحريم العالم الإسلامي لرسم الله أو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتجاهلوا تحذير خبير دانمركي في الشؤون الإسلامية، وأصروا على نشر الرسوم المستفزة لأنهم يمينيون متطرفون ومعادون للأجانب"، ثم الإعلان الصريح الواضح من رئيس تحرير المجلة سيئة الذكر بأن مجلته لن تنشر أي رسوم عن المحرقة اليهودية.

٣- إعادة نشر الرسوم المسيئة في صحف ومجلات أوروبية في معظم الدول الأوروبية الكبرى، انتصاراً للدانمرك، أو تخفيفاً عنها من وطأة المقاطعة الاقتصادية، أو تأكيداً ودعماً لحرية التعبير كما يزعمون، وأياً كان السبب فإن ذلك جعل القضية تأخذ أبعاداً عقدية وفكرية وحضارية أوسع وأعمق، مما جعل أخذ الأمر على أنه مجرد حرية تعبير، أو إساءة رئيس تحرير، أو خطأ مجلة أمراً غير وارد مطلقاً، وإنما هو إساءة متعمدة من فئات متطرفة حاقدة، وهي وإن كانت لا تُمثل كل الشعوب لكنها لتيارات لها نفوذها الإعلامي وحضورها السياسي والاجتماعي.

٤- التحول الإيجابي من الاستنكار وطرق التعبير عنه، إلى الأعمال والمبادرات الفكرية والدعوية في شأن التعريف بالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم خاصة، والدين الإسلامي عامة، والتنادي إلى توضيح المنهج الإسلامي في حرية التعبير وحدودها، وحقوق الإنسان وضوابطها، وكل ذلك ضمن الاعتراف بتقصير المسلمين في هذه الجوانب، والدعوة إلى العمل الدائب والمشروعات المستمرة استدراكاً للنقص، وإقامة للحجة، وإشاعة للدعوة، ودحضاً للشبهة،، وتلك أمور بدأت ولن تتوقف بإذن الله.

٥- بوادر ومظاهر الوعي الجيد لدى المسلمين حيث أدركوا حقيقة الأعمال التي تهدف إلى إضعاف أو إيقاف نصرتهم، سواء في ذلك الاعتذارات المبطنة المخادعة من المجلة ورئيس تحريرها، أو الإعلانات الرسمية التي نشرتها السفارات الدانمركية في عدد من الدول الإسلامية، أو تعمد نشر الرسوم في دول

مختلفة لتشتيت المقاطعة، وكل ذلك كان موضع الفهم والاستيعاب الفكري، والذكاء والإتقان العملي.

وقفة مهمة:

قبل أن أمضي في المقال أقف هنا لأبين أننا – معشر المسلمين – لا نسعى إلى إشعال صراع بين الحضارات، ولا نعمل على إثارة العنصريات، ولا نهدف إلى تأجيج العداوات، ومبادئ ديننا وحقائق تاريخنا وشواهد واقعنا تدل على ذلك وتؤكده، ولكننا في الحقيقة نمارس حقنا المشروع في الدفاع عن معتقداتنا ومقدساتنا، ونستدرك تقصيرنا في القيام بخدمة ديننا، والتعريف بنبينا صلى الله عليه وسلم، ونعلن رسالتنا الحضارية في الميادين الإنسانية.

وفي الوقت نفسه فنحن نراجع ذواتنا لنجدد في أمتنا تميزها العقدي، وسموها الخلقي، ورقيها الحضاري ونثبتها عليه؛ لتكون لنا هويتنا الثقافية الحضارية التي لا تضعف و لا تذوب في الحضارات الأخرى الطاغية بقوة إعلامها واقتصادها وهيمنتها العسكرية والسياسية؛ وحتى نكون في عصر العولمة الجارفة رقماً صعباً يحسب له ألف حساب؛ وتصبح أمتنا قادرة على دخول المعترك بأصالة تؤثّر و لا تتأثر، وتتقدم ولا تتقزم، وتتجدد ولا تتبدد.

ومن نافلة القول بيان أن في الغرب تيارات يمينية ذات توجهات عنصرية وممارسات متطرفة، وهي تستبطن أحقاد الحروب الصليبية، وتتبنى الأفكار الصهيونية، وتلك التيارات لها نفوذ سياسي وتأثير إعلامي، وهؤلاء لا بد من مواجهتهم والوقوف في وجههم بما يدفع شرهم ويفضح أمرهم، ويبطل كيدهم الذي يدفع نحو تسميم العلاقات وصراع الحضارات، ولا ينفع هنا التغاضي والسكوت فضلاً عن المداهنة والمجاملة.

متطلبات الاستمرار والاستثمار:

والآن أشرع في هدف المقالة وهو محاولة الوصول إلى وضع إطار عام للوسائل والمعالم التي تكفل الاستمرار في الانتصار للنبي المختار صلى الله عليه وسلم وذلك من الناحية النظرية والعملية:

أولاً: الجوانب الممنوعة:

أبدأ بهذه الجوانب السلبية لأهمية منعها، والتحذير منها، لأنه يترتب عليها أضرار على مسيرة الانتصار، بل ربما أدَّت إلى إيقافها، بل قد تصل إلى إيجاد ما يُضادها ويحاربها، ومن هنا فإن الاستمرار يقتضي ما يلي:

١- الامتناع عن جميع أعمال العنف والحرق والتخريب والإتلاف بأي صورة كانت لأنها تسبب إخلالاً بأمن البلاد، وإحراجاً لحكوماتها، وإضرارا بممتلكاتها، وتشويها لسمعتها وحضارتها، فضلاً عما تُخلّفه من إصابات وخسائر في الأرواح، وكل ذلك في مجمله - على النحو الذي وقع في سوريا ولبنان وأفغانستان – غير مقبول شرعاً ولا مصلحةً، فالتسبب في قتل مسلم جرم خطير وخطيئة

كبرى، وإشاعة الاضطراب الأمني مفسدة جسيمة،وقد أكد على منع ذلك العلماء المعروفون وضمنوه بياناهم.

٢- الامتناع عن الترويج لأي معلومة إلا بعد التثبت من صحتها والتعريف بمصدرها، والله جل وعلا يقول: { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا }، وذلك منعاً للضرر الذي يلحق بغير المعنيين، أو يثير البلبلة والخلاف بين المسلمين، ومن أمثلة ذلك إدراج أسماء منتجات ليست دانمركية على أنها دانمركية، والإصرار على ذلك بعد بيان الحقائق وتقديم الدلائل.

٣- الامتناع عن المبالغات غير المشروعة، والمجازفات الممجوجة، فمرة يُذكر أن راسم الكاريكاتير وُجدَ ميتاً محترقاً، وأخرى يُقال كذا وكذا،وهنا أقول إن عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ليست بحاجة إلى زيادات وإضافات وحسبنا ما ورد في القرآن والسنة من وجوه عظمته ودلائل معجزاته،، فلا قبول للخروج عن الثابت المشروع، ولا نفع في الابتداع غير المشروع.

٤- الامتناع عن استخدام الألفاظ البذيئة والسب والشتم فذلك ليس من أخلاق المسلمين، وينبغي الامتناع عن العدوان على الآخرين بما ليس فيهم، فالظلم ليس من شيم المؤمنين {ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}، بل لا بد من اجتناب كل ما من شأنه أن يُفضي – بغلبة الظن – إلى الإساءة إلى الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم فالله تعالى يقول: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً من غير علم}، وفي تفسير الآية قال ابن كثير:"يقول الله تعالى ناهياً لرسوله صلى الله عليه وسلم عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو" [تفسير ابن كثير ص:٧١١]، "وهذه الآية الكريمة - من آيات الأحكام – أخذ العلماء منها أصل سد الذرائع، لأن سَبَّ الأصنام بالنسبة إلى ذاته جائز مطلوب، ولكن لما كان هذا الأمر المحمود الطيب– وهو سب الأصنام وتقبيحها – قد يؤدي إلى أمر آخر لا يجوز وهو سَبُّ الله، مُنع هذا الشيء الطيب سداً للذريعة " [العذب النمير للشنقيطي ٥٢٩/٢]، وزاد القرطبي الأمر إيضاحاً بقوله:" قال العلماء حُكْمُها - أي الآية - باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في مَنَعَة وخِيفَ أن يُسبَّ الإسلامُ أو النبيُّ صلى الله عليه وسلم أو الله عز وجل، فلا يحلُّ لمسلم أن يَسبَّ صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمترلة البعث على المعصية...وفي هذه الآية ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع " [تفسير القرطبي ١٢٢١/١]، والقوم اليوم - في مجملهم - لا يُعظمون ديناً ولا يُقيمون حرمة لنبي، والمسلم منضبط بأحكام الشرع لا بمشاعر النفس وعواطفها.

ثانياً: الجوانب المطلوبة:

أ – الناحية المنهجية الفكرية:

١- الاجتهاد في الإخلاص لله عز وجل وابتغاء مرضاته، والحذر من المباهاة في النصـــرة، والمزايـــدة المصحوبة بالعجب أو الغرور، بل كل نصرة وعمل قليل في حق وواجب المصطفى صلى الله عليـــه وسلم.

٢- البدء بالنفس، والربط بين العلم والعمل، والتلازم بين القول والفعل، فلا ينبغي أن ندعو النـــاس لنصرة رسولنا صلى الله عليه وسلم ونحن لا نتمسك بهدْيه، ولا نتَّبع سنته، ولا نُعظم قدره.

٣- اعتماد مبدأ الرجوع إلى العلماء وذوي الرأي والحكمة لاستشارتهم والصدور عن رأيهم، سيما في الأعمال المُشكلة التي تحتاج إلى علم وبصيرة، وكذا الأعمال الكبيرة التي تحتاج إلى خبرة بـــالواقع ومعرفة بالعاملين في الميدان.

٤- العمل بمبدأ التعاون والتكامل، والبعد عن التفرد والتعارض؛ حتى لا تتكرر الجهود مع إمكانيـــة جمعها وإخراجها بصورة عظيمة تزيد نفعها وانتشارها؛ ولكي لا تُستنفد الإمكانيات مـــع وجـــود صورة أمثل وأفضل لاستثمارها.

٥- التوعية والتربية على أساس الربط بالأصول والكليات دون حصر الأمر في الفروع والشكليات، فالمقاطعة – مثلاً – مبدؤها تعظيم الدين وحرماته، وأساسها وجوب الدفاع عن كل مـــا يســـيئ للإسلام والمسلمين، وإطارها العام إضعاف المعتدي وعدم التسبب في إعانته على عدوانـــه بطريقـــة مباشرة أو غير مباشرة، معنوية أو مادية، وحين تكون توعيتنا لمجتمعنا وتربيتنا لأبنائنا على هذا النحو فستكون مقاطعة الدانمرك مجرد نموذج ومثال في سياق أشمل وأكمل.

٦- غرس معاني العزة والقدرة في نفوس المسلمين والتنويه بإمكانية تأثيرهم على واقـــع مجتمعـــاتهم وحكوماتهم، وبيان العوامل المؤدية إلى ذلك وإشاعتها والحث على العمل بها والاستفادة منها.

٧- إحياء المعاني والمفاهيم الإيمانية كوجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتقديمها على ما سواها، وأهمية التضحية فداء للدين، والربط بالسيرة وصاحبها عليه الصلاة والسلام ومثال ذلك مـــا وردفي عناوين إحدى الصحف بالخط الكبير: "المسلمون يجددون بيعة الرضوان"، وينبغـــي أن نرســـخ في النفوس والعقول أن الانتصار للرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمسلم دين واعتقـــاد، وعمـــل والتزام، ودعوة وتعريف، ومنهج حياة، وليس مجرد رد فعل.

ب- الناحية العملية:

١- الدعوة إلى اجتماع عاجل لعدد من علماء المسلمين وقياداتهم الدعوية ومؤسساتهم ذات السمعة والمصداقية التي لها كلمة مسموعة ومكانة مرموقة عند الشعوب الإسلامية، لتدارس الحدث وتداعياته، وتوجيه وترشيد المسيرة، وتبني المشروعات والأعمال النافعة والتعاون علـــى إنجاحهـــا، واســـتثمار إمكانيات الجمهور في المسارات الصحيحة، والمجالات المفيدة، وتوضيح الأساليب الحضارية والفكرية المطلوبة، وإعلان المنع والتحذير من التجاوزات والممارسات المشتملة على العنف، وتقديم المطالب التي

تحقق المصالح بصورة مناسبة، ليبقى الانتصار حضارياً ومستمراً وإيجابيا ومتنامياً غير منحرف إلى ما لا ينفع، وما لا تُحمد عقباه، ولعل هذا الأمر يرى النور قريباً بإذن الله.

٢- تطوير منهجية المقاطعة واستثمار أهدافها وتوجيه مسارها وذلك من خلال غرس أهمية الاكتفاء الذاتي ودعم المنتجات المحلية والصناعات الوطنية، والانتقال إلى التكامل الاقتصادي مع الدول العربية والإسلامية لتعظيم القدرة الاقتصادية للمسلمين، ولتبادل الخبرات والتجارب بينهم، وللتحرر من الهيمنة والضغوط الاقتصادية التي تُمارس ضد الدول والشعوب الإسلامية، ويحتاج ذلك إلى تدارس وتباحث بين المختصين الاقتصاديين والتجار والصناع والغرف التجارية، وكذا القيام بالدراسات والبحوث اللازمة، والعمل على تحريك وتقوية دور المؤسسات الإقتصادية كالغرف التجارية والمنظمات والمجالس التجارية التابعة لجامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

٣- العمل على تقوية المقاطعة الاقتصادية وتقديمها كأسلوب سلمي معبر ومؤثر وذلك من خلال ما يلي:

* إيجاد المرجعية الموثوقة المنضبطة للمقاطعة لمعرفة المنتجات والشركات وبلاد مَنْشَئِها عن بينة ووفق معلومات ووثائق صحيحة.

* التركيز في المقاطعة لا التشتت، فالمقاطعة إزاء هذه الجريمة للدانمرك ومنتجاتها فهي البادئة والمعاندة، ولا ينبغي توسيع الدائرة بشكل كبير ولدول عديدة، فهذا تشتيت للجهد والقوة، وعدم ملاءمة للإمكانية والقدرة.

* تقديم الأدلة الشرعية والدراسات الاقتصادية التي توضح جدوى المقاطعة وإمكانية تطبيقها وآثارها الإيجابية على الاقتصاد المحلي والإقليمي والإسلامي؛ لتكون المقاطعة عن قناعة وبصيرة لا مجرد عاطفة قد تخبو أو تنطفئ جذوتها.

٤- العمل على فتح أبواب المشاركة في خدمة الإسلام ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم لكل المسلمين على اختلاف بلادهم وتخصصاتهم وإمكانياتهم وعدم الاقتصار على دور العلماء أو الدعاة أو الشباب وحدهم، وذلك من خلال تبني فكرة " أنصار الرسول" بحيث يتشكل تحتها مجموعات عمل مثل: « رجال حول الرسول » « نساء حول الرسول » « أطفال حول الرسول » « تجار حول الرسول » " محامون حول الرسول » وهكذا، مع إتاحة الفرصة لكل أحدٍ ليُقَدّم أي شيء مهما كان قليلاً، ويكون ذلك من خلال التحديد للعمل المطلوب، التوجيه لطريقة تنفيذه،، وجمع الجهود والأعمال في نسق واحد لإخراج مشروعات كبيرة.

٥- العمل على العناية بتوظيف الإعلام في خدمة الإسلام وإبراز محاسنه والتعريف بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ونشر شمائله، ووضع خطة إعلامية مشفوعة بآليات ومشروعات محددة؛ لتسخير الوسائل الإعلامية في المجال الإيجابي، ومناقشة الصور النمطية الخاطئة عن الإسلام بأسلوب علمي

منهجي ولغة حضارية راقية، بحيث تُعد البرامج المختلفة، والإعلانات المتميزة، ومواقـع الانترنـت، والمقالات الصحفية باللغات المختلفة، لتعكس الحقيقة وتدحض ما يُخالفها، على أن يكـون ذلـك بشكل مستمر؛ أخذاً بمبدأ المبادرة لا المدافعة، والتعريف لا التعنيف.

٦- التوعية القانونية للمجتمعات الإسلامية عموماً والجاليات الإسلامية خصوصاً؛ لمعرفة الحقـوق والواجبات، وتحديد المطالبات، والعلم بما يلزم لها من الإمكانيات، وعدم الوقـوع تحـت وطـأة المخالفات والتجاوزات، والعمل على استثمار وتوحيد جهود القـانونيين والمؤسسـات القانونيـة والحقوقية مع الجهود الرسمية الحكومية للوصول إلى ما يحقق حماية حقوق المسلمين واحترام الأديـان والرسل والمقدسات بإصدار القوانين والتشريعات العالمية في ذلك.

٧- العمل على التركيز على عظمة ومكانة وفضل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وحقوقه على أمته، والتعريف الشامل بسيرته العطرة في مجتمعات المسلمين من خلال جميـع الوسـائل الممكنـة، كمناهج التعليم، ووسائل الإعلام، والتربية الأسرية، والأنشطة الاجتماعية، والبرامج الثقافية وغيرها.

٨- العمل على تحقيق التحلي بأخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم، وتأسيس مراكز متخصصة وعقد مؤتمرات دورية لإحياء وتجديد الانتصار للنبي المختار صلى الله عليه وسلم وإبراز جوانب العظمة في شخصيته، ومجالات القدوة لأمته، ليكون حياً في واقع الأمة كإمام عادل، وسياسي محنـك، وقائـد شجاع، وقاض عادل، وتاجر أمين، ومعلم قدير، ومرب فاضل، وصديق وفي، وزوج كـريم، وأب رحيم.

٩- مقاطعة كل ما يدعو ويؤدي إلى البعد عن هديه وسنته، أو يخالفها ويروّج لما يُعارضها، أو يُنقص من قدره وعظمته، كالقنوات الفضائية التي تُقدّم المواد الهابطة المشتملة على عرض العورات وإثـارة الغرائز والترويج للمحرمات، فالانتصار للرسول صلى الله عليه وسلم يقتضي مقاطعتها لمـا فيهـا الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة والترويج لما يُخالف ما جاء به من دينه العظيم وما اشتمل عليه خلقه القويم.

١٠- العمل على الإفادة والتواصل والتعاون مع المنصفين من غير المسلمين لمعرفة الوسائل الناجعـة ولغة الخطاب المناسبة لعقلية مجتمعاتهم وصولاً إلى تصحيح الصورة النمطية المشوهة عـن الإسـلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وتيسير عرض وفهم حقائق ومحاسن الإسلام.

١١- عقد الندوات والمؤتمرات والمحاورات والمناظرات للتعريف بالإسلام، وذلك من خلال زيـارة علماء ومفكري المسلمين إلى بلاد الغرب، ودعوة بعض الرموز الدينية والثقافية والإعلامية الغربية إلى بعض الدول الإسلامية.

د. علي بن عمر بادحدح

المشرف العام على صفحة الانتصار للنبي المختار

====================

الأصول الفكرية لعلاقة الغرب مع نبي الإسلام

د. باسم خفاجي

يمثل نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم مشكلة تاريخية مزمنة حتى الآن في أدبيات الفكر الغربي. ويظهر من حين لآخر هجوم فكري وإعلامي عنيف على شخص النبي عليه الصلاة والسلام. يعتبر البعض أن هذا الهجوم حالة شاذة من قبل أفراد بأعيانهم، ويحاول طرف آخر أن يلقي باللائمة على نظريات المؤامرة، ويدعو ثالث إلى أن نتغير نحن حتى لا يهاجم رموزنا الآخرون. يرى الكاتب — من خلال الأدلة التاريخية والفكرية – أن الموقف الغربي من النبي عليه الصلاة والسلام لم يتغير بالمجمل، وأنه كان دائماً يغلب عليه صبغة العداء والاستهزاء، وإن اختلفت صور التعبير عن هذا الموقف بين فئات المجتمع الغربي المختلفة. يقدم الباحث مجموعة من العناصر الفكرية التي ساهمت عبر التاريخ الغربي في صناعة صورة ذهنية سلبية وقاتمة عن النبي الكريم. كما يهدف البحث إلى التعريف بأهم القواسم الفكرية المشتركة للموقف الغربي من نبي الإسلام، وأسباب هذا الموقف الفكري، وكيف يمكن مقاومة هذا الموقف عملياً للدفاع عن رموز الأمة الإسلامية. يختتم البحث بمجموعة من الخطوات والأفكار العملية التي تهدف في مجملها إلى أمرين: الأول هو: تصحيح الصورة الذهنية لدى المنصفين من مفكري الغرب عن نبي الأمة، والثاني هو: وقف التشويه المتعمد لهذه الصورة من قبل البعض الآخر من المفكرين والإعلاميين والسياسيين الغربيين المعاصرين.

مقدمة

شهدت الفترة الماضية ارتفاع نبرة المواجهة مرة أخرى بين العالم الإسلامي من ناحية، وبين أوربا من ناحية أخرى في ما يتعلق بالهجوم على شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ورغم أن هذا الهجوم تكرر كثيراً خلال الإعوام الماضية، وبصور متعددة، إلا إن العالم العربي والإسلامي لا يزال مصراً على التعامل مع كل حالة من تلك الحالات التي يهاجم فيها خير البشر، وكأنها حالة منعزلة وفردية، ويجب أن تعامل في هذا السياق. ويغيب عن الكثير من أبناء الأمة أن الموقف الفكري الغربي من النبي صلوات ربي وسلامه عليه كان — في مجمله عبر التاريخ – موقفاً عدائياً، وإن اختلفت صور التعبير عن هذا العداء.

قصور في الفهم

يلقي البعض اللوم على الأمة الإسلامية لتخاذلها وضعفها من ناحية، أو لتكرار حوادث العنف التي تتبناها بعض فصائل الأمة تجاه الغرب. يرى البعض — مؤخراً – أن ما يسمى بالإرهاب الإسلامي هو سبب هجوم الغرب على الإسلام وعلى نبي الإسلام. ونسأل هؤلاء .. وهل كان الغرب يمدح النبي

صلى الله عليه وسلم، أو حتى يسكت عن إيذاء شخصه الكريم وإهانته عندما كانت الأمة الإسلامية في حالة وفاق وسلام تام مع دول الغرب؟ إن الغرب لم يتوقف عن الهجوم على رسول الإسلام — فكرياً وعقدياً – طوال القرون الماضية، وهو موقف عام لم يشذ عنه إلا القليل من المفكرين والمتدينيين.

يرى البعض الآخر أن الهجوم على الإسلام أو على نبيه الكريم ليس إلا حالات فردية لمن يبتغون الشهرة، أو من يحملون أحقاداً على الإسلام. ويقوم هؤلاء بسرد بعض النقولات التاريخية أو المعاصرة لمفكرين غربيين يمدحون شخص النبي، ويعتبرون أو وجود هؤلاء يقدح في فكرة وجود عداء فكري عام في الغرب تجاه الإسلام أو شخص الرسول الكريم. والحقيقة أن الاستشهاد ببعض الأقوال — مع حذف السياق التاريخي لها — يمكن أن يكون مقنعاً بوجود إعجاب من بعض المفكرين الغربيين بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم.

لابد ان نلاحظ هنا أن معظم الاقتباسات الإيجابية من المفكرين الغربيين حول نبي الأمة إنما تصف مواقف النبي وعبقريته الإدارية والعسكرية والقيادية، ونجاحه في إقامة الحضارة الإسلامية، ولكنها لا تقدم هذا النبي الكريم بصفته مرسل من رب العالمين، أو يحمل رسالة سماوية يدين بها اليوم أكثر من مليار نسمة. إن معظم الثناء على الرسول في الفكر الغربي إنما هو ثناء على رمز سياسي أو اجتماعي .. وليس قبولاً أو إقراراً بأحقية الإسلام ونبيه الكريم في التنافس الحضاري الإنساني.

يقع البعض من أبناء الأمة من الدعاة والمصلحين في لبس بشأن ذلك، وهم يدافعون عن الغرب بوصفه معتدلاً أو متعدد الرؤى فيما يتعلق بني الإسلام صلوات الله وسلامه عليه. ما يغيب عن هذه الرؤية، ويعيبها أيضاً .. هو إدراك أن الفكر الغربي يتحرك وفق مجموعة من المسلمات الأساسية التي تخالف بقوة الدعوة المحمدية في المبادئ والمسلمات، وبالتالي فإن الأصل في العلاقة الفكرية بين الغرب وبين الإسلام لم يكن يوماً ما التوافق وإنما كانت العلاقة دائماً من النواحي الفكرية تميل إلى المواجهة وعدم الاتفاق.

من المهم أيضاً في هذا المقام ان نفصل بين أمرين: الأول هو العلاقات بين الشعوب، والتي كانت في كثير من الأحيان تميل إلى السلام والوئام، وكذلك العلاقات السياسية التي تتبدل وتتغير وفق المصالح. أما الأمر الثاني فهو الرؤى الفكرية تجاه النبي، والتي لم تتغير كثيراً في الغرب منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحتى التاريخ المعاصر، وكانت في مجملها رؤى ومواقف معادية وصدامية.

إن الأحكام الفكرية لابد وأن تنطلق من الرؤى المشتركة والمستمرة عبر فترات زمنية طويلة، ولا تقاس على ما شذ من الأقوال أو الأفكار. والغرب عبر تاريخه الطويل من المواجهة الفكرية والدينية مع العالم الإسلامي كان دائماً يميل إلى الطعن في شخص النبي، وهو ما لم يتغير عبر قرون طويلة من العلاقة مع الغرب، ولذلك أسباب سيأتي بيانها في هذا المقال.

هل الغرب كيان فكري واحد؟

نرى قبل الحديث عن الموقف الفكري الغربي من النبي صلى الله عليه وسلم أن نؤكد إدراكنا أن الغرب ليس كياناً واحداً فيما يتعلق بالسياسات وطبائع الشعوب، ومواقف دول الغرب السياسية من العالم العربي والإسلامي. كما أن الغرب ليس كياناً واحداً أيضاً فيما يتعلق باهتماماته الدينية ومدى اقترابه أو ابتعاده عن دعوة ورسالة نبي الله عيسى عليه السلام أو الأديان بوجه عام. فليس كل الغرب متديناً وليس كل الغرب علمانياً أيضاً، وهناك فوارق كبيرة بين المدارس والمذاهب الدينية المختلفة داخل المسيحية في الغرب.

لكن رغم كل هذا التباين والاختلاف في السياسات والطبائع والتوجهات، إلا أن الغرب يكاد يكون كياناً واحداً عندما يتعلق الأمر بالجوانب الفكرية المتعلقة بعلاقاته مع الحضارات الأخرى والديانات التي تختلف عن ديانات الغرب. فرغم تعدد المدارس الفلسفية والفكرية في الغرب، إلا أن هناك قدر مشترك وواضح من المفاهيم الفكرية الأساسية عندما يتعلق الأمر بالرؤى المقابلة حول مستقبل البشرية وهدف الإنسان من الحياة على الأرض. لذلك فإن من الممكن أن يتم الحديث عن الغرب بوصفه كياناً واحداً عندما يتعلق الأمر بالحياة الفكرية الغربية في مقابل الحضارات الأخرى.

وسوف تتعامل هذه الدراسة مع الغرب ككيان فكري واحد من ناحية المنطلقات الأساسية للحضارة الغربية، والمبادئ التي قامت هذه الحضارة عليها، وعلاقة ذلك بموقف الغرب من النبي صلى الله عليه وسلم.

مشكلات الفكر الغربي مع نبي الإسلام

لكي ننجح في فهم علاقة الغرب فكرياً بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فلابد أن نبتعد قليلاً عن المواقف، وندرس المبادئ. إن المواقف ليست إلا تعبيرات واقعية عن الأفكار الكامنة في الشخصية الغربية، والتي تكونت عبر قرون طويلة من التأثير الفكري الذي كون قناعات راسخة لا تتزعزع داخل الشخصية الغربية فيما يتعلق بعلاقتها بالخالق، وعلاقتها بالكون والطبيعة والآخرين من البشر. وهذه القناعات تتصادم بشدة مع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك نشأ العداء وليس من المتوقع أن يقل أو ينتهي في القريب. وهذه مجموعة من الأسباب الفكرية التي ساهمت في تكون علاقة العداء على المستوى الفكري.

مركزية الله أم مركزية الإنسان

إن المشكلة الرئيسة في علاقة الغرب فكرياً بالعالم الإسلامي، وعداء الغرب للنبي صلى الله عليه وسلم، هو مركزية الله تعالى في الكون لدى المسلمين، والتي تتجسد في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي دين الإسلام وفي واقع الأمة الإسلامية بصرف النظر عن درجة تدين والتزام أفراد هذه الأمة.

إن الغرب في المقابل ينطلق فكرياً – وبكل فئات مجتمعاته وكل مفكريه – من فكرة مركزية الإنسان في الكون، وأن الفرد هو مركز الاهتمام الرئيس، وأن تطلعات الفرد وحقوقه وحرياته تقدم على أي أمر آخر، وحتى أمور العبادة وعلاقة الفرد بالإله.

إن الغرب يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قدم مفهوماً يمكن أن يهدم الفكر الغربي من أساسه .. وهو مركزية الله تعالى في حياة البشرية مقابل نظريات الغرب التي تقوم على مركزية الإنسان. لذلك اختار الغرب أن يجعل عداء الإسلام ضمن منظومة قيمه الرئيسة لأنه بذلك يتمكن من إبقاء الفرد مركزاً للكون في مواجهة دعوة محمداً صلى الله عليه وسلم التي حافظت على مكانة الخالق جل وعلا ومركزيتها في حياة البشر.

وحول ذلك تحدثت المؤلفة البريطانية كارين أرمسترونج – صاحبة كتاب "محمد" قائلة: "علينا أن نتذكر أن الاتجاه العدائي ضد الإسلام في الغرب هو جزء من منظومة القيم الغربية، التي بدأت في التشكل مع عصر النهضة والحملات الصليبية وهي بداية استعادة الغرب لذاته الخاصة مرة أخرى. فالقرن الحادي عشر كان بداية لأوروبا الجديدة وكانت الحملات الصليبية بمثابة أول رد فعل جماعي تقوم به أوروبا الجديدة."[i]

========================

بين محمد والمسيح

تمحور الفكر الغربي حول شخصية المسيح عليه السلام. وتحولت شخصية المسيح بعد تحريف الدين المسيحي إلى تجسيد للفكر الغربي حول مركزية الفرد في الكون. فقد تحول الإله في نظر المتدينين إلى شخص .. إله في صورة فرد .. دفع دمه ثمناً مقدماً لجميع خطاياهم القادمة. وعندما سيطر الفكر النفعي على الشخصية الغربية، أصبح التعلق بشخص المسيح يمثل قمة النفعية لمن اختاروا التدين، فهو قد قام بدفع فاتورة خطاياهم حتى قبل أن يقعوا فيها، وأبقى لهم الحياة لكي يمارسوا فيها ما شاءوا من أفعال طالما أن محبة المسيح – كفرد وكإله – تسيطر على مشاعرهم. أما من تركوا الدين المسيحي بأكمله، وأصبحوا لادينيين أو ملحدين، فقد كان المسيح – بعد تحريف الدين – أيضاً مركزياً في مواقفهم الفكرية .. فهو فرد، وبالتالي لا يمكن أن يختلف عن غيره من البشر، وبالتالي فليس هناك إله – بزعمهم. كما أن المسيح بصورته التي قامت الكنيسة الغربية بتصويرها رحيم منعزل عن حياة الناس .. يقبل بكل معايير الحياة الإنسانية، ولا يدعو إلا إلى الحرية والمساواة .. وهي أهم قيم العلمانية ولا تصادم من تركوا الدين، وبالتالي فلا حاجة إلى مصادمة المسيح.

أما العلاقة مع محمد فهي علاقة تصادمية مع كل من التيار الديني والعلماني في الغرب على المستوى الفكري. فمحمد – صلى الله عليه وسلم – حرص على أن يكون فرداً .. إنساناً بكل معاني

الإنسانية، ورفض أن يكون إله في صورة إنسان، وبالتالي فهو يناقض فهم المتدينين من الغرب للإله الذي عرفوه، وبالتالي تكونت الكراهية والضيق من كل ما يمثله محمداً صلى الله عليه وسلم .. فهو ليس على شاكلة المسيح .. في نظرهم. وهو يناقض أيضاً مشاعر ورغبات غير المتدينين، لأنه يطلب من البشر – كما أمره خالقه – بالكثير من العبادات والأعمال والالتزامات، ويقدم حرية المجتمع على حرية الفرد، ويضحي بالمساواة من أجل العدالة ومن أجل صلاح المجتمع. كل ذلك ساهم في تكوين صورة سلبية وقاسية عن نبي الإسلام.

إن المتدينين في الغرب – كما في الشرق أيضاً – يعشقون فكرة المعجزة لأنها خلاص من مواجهة واقع يطحن أحلامهم .. لذلك انتشر في التدين الغربي قصص المعجزات والخوارق وكرامات القديسين، وأصبح ذلك مكوناً رئيسيا من مكونات التدين المسيحي الغربي. أما محمداً صلى الله عليه وسلم فقد جسد إمكانية انتصار الإنسان دون حاجة إلى المعجزات .. لقد كانت حياة الرسول – في نظرهم – خالية من المعجزات، والحياة الغربية قاسية، والتدين فيها يسمح للفرد أن يحلم بالمعجزة للفرار من الواقع، ونبي الإسلام لا يعد بالمعجزات، وإنما بحياة مليئة بالجهد والجد والمعاناة من أجل آخرة يمكن فيها الاستمتاع بالجنة.

لقد نجح من حرفوا دين المسيح أن يقنعوا أنصار المسيح في الفكر الغربي، أن لهم أن يجمعوا بين كل متع الدنيا – فقد دفع ثمن ذلك المسيح – وأن يجمعوا معها أيضاً النجاة في الآخرة لأنهم أحبوا المسيح. وهكذا يتفرغ المتدين للحياة دون الحاجة الحقيقية للعمل فإن محبة المسيح كافية للجنة. أما محمداً فإن دينه ودعوته تطلب من الإنسان الكثير، ولا تعد بالمقابل إلا بأمل في رحمة الله. كيف إذن لمن يعتنق الفكر النفعي أن يحب محمداً؟

ويروي الكاتب العربي هشام جعيط في تحليله للشخصية الأوربية كيف أنها نظرت للعالم الإسلامي ولدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "يسير تاريخ الإسلام لا وفق ديناميكيته الخاصة، بل كانعكاس شاحب ومعكوس لتاريخ الغرب. لنأخذ مثلا على ذلك: شخصية محمد. نلاحظ أنه ضمن كل تحليل لهذه الشخصية تنساب عملية مقارنة مع المسيح. إذا كان محمد غير صادق فذلك لأن المسيح كان صادقا؛ وإذا كان متعدد الزوجات وشهوانيا، فلأن المسيح كان عفيفا؛ وإذا كان محمد محاربا وسياسيا فذلك استنادا إلى يسوع مسالم، مغلوب ومعذب"[ii].

تجذر فكرة النبوة الكاذبة

قامت الكنيسة الغربية تحديداً منذ بداية الإسلام بالطعن في صدق نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا يزال هذا الموقف هو السمت المشترك لمعظم المفكرين المتدينين الغربيين، رغم أن بعضهم قد تنازل ووصف النبي ببعض الصفات الإيجابية كقائد سياسي، أو مصلح إنساني، أو إنسان طموح، ولكن ليس كنبي يوحى إليه. وأخطأ كثير منا في فهم دلالة العبارات، والتي تطير بها وكالات الأنباء

العربية والإسلامية، وكأنها تمثل تحولاً فكرياً في نظرة الغرب للنبي. فكم تغنينا بعبارة أن "العظماء مائة وأعظمهم محمد" وغيرها من العبارات التي يكثر تقديمها في هذا السياق.
كما تسببت هذه الرؤية في كذب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في تكوين فكرة مسيحية استقرت في أذهان الكثير من المفكرين الدينيين في الغرب. هذه الرؤية تتصور أن هذه النبوة الكاذبة في ظنهم قد أوقفت تطور الإنسانية باتجاه المسيحية. يقول أحدهم: "لقد أمكن لمحمد أن يكون إمبراطورية سياسية ودينية على حساب موسى والمسيح".[iii]
ويلحظ أحد المفكرين أن فكرة أن النبي لم يكن نبيا حقيقيا صادقا قد تجذرت دون أن يصدها أي ريب أو شك أو حتى محاولة للتفهم الحقيقي للرسالة الإسلامية عند مفكرين عديدين من القرون الوسطى، أمثال ريمون مارتن، وريطولدو، ومارك دي تولاد، وروجيه بيكون. وتحولت دعوة الإسلام في نظر هؤلاء إلى رسالة ناسوتية أملتها مشاريع المصالح السوداء الدنيوية والشخصية. أما القرآن فليس سوى مجموعة من الخرافات مستعارة من التوراة وبشكل مشوه في نظر هؤلاء.
ولذلك يبقى الإسلام في نظر الغالبية العظمى من مفكري الغرب ديناً زائفاً مهما بلغت نجاحاته، ومهما ادعى أنه أفضل من الدين المسيحي الذي تركه معظم الشعب الأوربي عملياً، ولكنه لا يزال يحرك معتقداته الفكرية في التعامل مع الآخرين بقوة.
هوس فكري
إن كل تساؤل وانشغال كبير بالآخر إنما يعكس في طياته هوساً بهذا الآخر. وقد قدم الإسلام منذ ظهوره ذلك "الآخر" الذي عرفت أوربا نفسها وطموحاتها من خلال مقابلته والمصادمات معه. فرغم أن الإسلام في بداية انتشاره لم يول الغرب أي اهتمام – لتخلف الغرب حينها- إلا أن الإسلام وشخصية النبي محمد بوصفها تجسيداً للكمال الإنساني لدى أنصار الإسلام قد أصبحا محور الهجوم المستمر لمفكري الغرب لتأكيد فكرة أن الغرب أفضل من الشرق. حقاً أن أوربا قد تخلت عن الفكرة المسيحية، ولكنها لا تستطيع أن تتحرر مطلقاً من أثر الفكر المسيحي على شعوبها. وهذا الفكر المسيحي الغربي قد توحد عبر القرون الماضية حول فكرة معاداة الإسلام، وتقديم نموذج شخصية المسيح عليه السلام – بعد تحريفها- في مواجهة شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما يفسر الهوس الغربي بالهجوم على النبي.
أما بالنسبة للاتجاه غير المتدين – كما يذكر أحد المفكرين العرب- الذي يؤثر أكثر فأكثر في الحقيقة الاجتماعية الأوربية بمرور الزمن. فمنذ أن تحررت الفكرة العلمانية من الضغط المسيحي على التأمل العقلاني وعلى الممارسة السياسية، انفتحت نظرة جديدة للكون. هذه النظرة الجديدة مكنت من رؤية الإسلام بعمق، كجزء متمم وهام من الحياة الإنسانية، ولكنه أيضاً خصم سياسي وعسكري عنيد تمثل في ذلك الوقت في الإمبراطورية العثمانية.

لذلك استمر العداء رغم اختلاف القوى المحركة له، واستمر الهوس بالعالم الإسلامي. وظهرت الانتقائية الفكرية الغربية التي ترى أن الإمبريالية ليست إلا مهمة حضارية للارتقاء بشعوب الأرض، وأن مقاومتها من قبل المسلمين الذين يتمثلون شخصية نبيهم ليسوا إلا برابرة يجب القضاء عليهم من أجل استمرار المهمة الحضارية نحو هدفها في تنقية الجنس البشري من كل أنواع البرابرة، وعلى رأسهم أنصار محمداً.

مرآة داكنة لواقع الغرب

يرى البعض في الغرب في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً متكاملاً لنوع من الكمال الإنساني الذي لا يمكن للغرب بأفكاره ونظرياته وممارساته أن يصل لها. وعند هذا الفريق من الغربيين، يصبح القضاء على هذا النموذج هماً حقيقياً بذاته. فكأن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تمثل ذلك الضمير الذي يوخز الغرب في جنباته، وكأنه مرآة داكنة توضح لهم بالدليل الواقعي مدى التردي الذي وصل إليه حال الشخصية الغربية نتيجة لابتعادها عن النموذج المحمدي.

قد يعترض بعض المفكرين العرب بل والمسلمين على تصوير واقع الشخصية الغربية بهذا الشكل المأساوي، ولكن الحقيقة أن هناك فراغ روحي ضخم في الغرب بالعموم، ويظهر ذلك من ارتفاع معدلات الجريمة والإدمان والانتحار وانتشار الرذائل، بل وتصديرها إلى كل أنحاء العالم. وفي المقابل تظهر الشخصية المسلمة التي يمثلها النبي صلى الله عليه وسلم كمقابل حاد في مواجهته لتلك الشخصية الغربية. ومنها هنا نجد الهجوم الشديد والمتكرر على شخص النبي صلى الله عليه وسلم.

مشروع مواز للغرب

إن أحد مشكلات عداء الغرب التاريخي للنبي صلى الله عليه وسلم، هو أنه جاء بنظام سياسي وفكري متكامل ينازع الغرب في المسلمات الأساسية، وكذلك في طرق التنظيم والإدارة وسياسة المجتمعات، وأخيراً في نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وبين المجتمعات المختلفة. إنه ببساطة نظام متكامل مواز للنظام الغربي، ولا يلتقي معه، وإنما يقدم بديلاً قوياً وخطيراً له.

وكما يذكر أحد المفكرين العرب فإن "الخوف من قوة الإسلام المحركة يأخذ في اللحظات التراجييدية شكل الدفاع والصراع والمشاجرة، أحد أكثر الأشكال الانفعالية في التاريخ. لقد أبرز مفهوم الإسلام السياسي كتهديد متواتر، ومفهوم الدين السياسي كبنية تاريخية في أصول الإسلام. يقول غولديهر: إن الإسلام قد جعل الدين دنيوياً لقد أراد أن يبني حكماً لهذا العالم بوسائل هذا العالم."[iv]

لذلك هاجم المفكرون الغربيون بشدة المشروع الحضاري الإسلامي، واعتبروه خطراً كبيراً يهدد سيادة الفكر الغربي وانتصار الحضارة الغربية، ونهاية التاريخ. ولم يبدأ هذا الأمر مع أحداث سبتمبر، أو مع نشوء فكرة صدام الحضارات أو نظرية نهاية التاريخ، وإنما سبق ذلك بقرون عديدة، واستمر يغذي الشخصية الغربية بمبررات العداء للعالم الإسلامي ولشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وأنظر إلى أحدهم عندما يقول منذ أكثر من قرنين من الزمان: "يجب القول إن من بين كل الذين تجرءوا على سن القوانين للشعوب، لم يكن واحد منهم أجهل من محمد. و بين كل الإبداعات الخرقاء للفكر الإنساني، لم يكن هناك أتعس من كتابه. وما يحدث في آسيا منذ ألف ومائتي سنة يمكن أن يكون البرهان، لأننا لو أردنا الانتقال من موضوع خاص إلى ملاحظات عامة، لكان من السهل البرهان أن الاضطرابات في الدول، وجهل الشعوب في هذه المنطقة من العالم إنما هو تأثير مباشر، إلى حد ما، للقرآن ولأخلاقه."[v]

إحياء فكرة المواجهة

يرى الكثير من المفكرين الغربيين أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو من تسبب في إحياء روح المقاومة والمواجهة في حياة العرب والمسلمين، وأن الدين الإسلامي هو المحرك الرئيس لجميع أفكار المقاومة الموجودة في أفكار وتصرفات الشعوب الإسلامية. والمقاومة هنا – ليست فقط فكرة مقاومة العدوان – وإنما كل أشكال الانتصار على النفس وعلى الآخر.

يرى المفكرون الغربيون أن رسالة محمد، وأفكار محمد، ودعوة محمد تقديم الرصيد الفكري والنفسي والعقدي لجهد المسلم في الانتصار على نفسه وعدم التسليم لشهوات الحياة ومتع الدنيا التي يتفنن الغرب في محاولة تقديمها للأمة. كما أن المقاومة تمتد لتمنع الكثير من محاولات الهيمنة الفكرية والثقافية على الحياة الإسلامية والعربية من قبل الغرب.

والعجيب أن هذه القوة في الإسلام قد فسرها بعض مفكري القرون الوسطى أنها تدل على زيف الإسلام. يقول لنا دانيال: "إن استعمال القوة، كان تقريبا معتبرا بالإجماع كخاصية كبيرة وأساسية للدين الإسلامي، وبالتالي فهو دلالة بديهية على ضلال الإسلام."[vi]

ورغم كل ذلك تظهر المقاومة في شكل تضحيات إنسانية ضخمة لا يقدمها شعب آخر أو أمة أخرى في سبيل الحفاظ على أرضها ومقدساتها، والرغبة في الدفاع عن أراضيها، وهو ما يصادم الفكر الغربي الذي يعلي من شأن الحياة الدنيا. إن الأعمال الاستشهادية وكل صور المقاومة الأخرى – حتى وإن لم تكن موفقة أو شرعية - تشكل إشكالاً فكرياً عميقاً يصادم الفكر الغربي بقوة، ويقدح في مسلماته الأساسية، ويلقي مفكرو الغرب باللائمة على محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك.

إن الفكر الغربي المعاصر غير قادر على تقديم أي تفسير مادي أو عقلاني للمقاومة الفلسطينية أو للعمليات الاستشهادية أو المسلحة في العراق، أو إصرار الشعوب العربية التي تظهر أنها ضعيفة ومتخلفة على رفض النموذج الغربي للحياة بإصرار يتزايد مع الوقت دون تفسير مقنع إلا بإلقاء اللوم والحقد على محمد – صلوات الله وسلامه عليه. إن النجاحات المتتالية لمشروع المقاومة تستنفر في الغالب موجات جديدة من الهجوم على شخص النبي، وهو ما يفهم على المستوى الفكري – ولا يقبل بأي حال من الأحوال أو يبرر.

الخلاصة

إن عداء الغرب للنبي محمداً هو عداء مفهوم من المنطلقات الفكرية، وإن كان غـير مقبـول علـى الإطلاق تحت أي مبرر أو تفسير. كان هدف هذه الدراسة هو توضيح أهم المعالم الفكرية لمشـكلة الغرب مع نبي الإسلام. فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد جسد صورة مخالفة تماماً للإنسـان عن الصورة التي ارتبط بها المسيحيون عن المسيح كما يصورونه. أنه جسد إمكانية انتصار الإنسـان دون الحاجة لمعجزات .. بينما الفكر المسيحي المعاصر في الغرب يرى أهمية المعجزة للـهروب مـن مواجهة الكثير من مصاعب الحياة في الغرب.

إن محمداً قد أحيا فكرة القوة وعدم الخوف من المواجهة، وهي فكرة خطـيرة في نظـر أصـحاب مشروعات الهيمنة والسيطرة على واقع الأمة الإسلامية وثرواتها ومستقبلها. أن محمداً قد حارب من أجل أن ينتصر الإنسان على ذاته .. لا أن يخضع لها، وهذا الأمر يحارب ويصادم تحويل كل شيء في الكون إلى سلعة، وتحويل كل فرد إلى مستهلك.

لقد قدم رسول الله نموذجاً متكاملاً لحياة موازية للغرب .. لا تلتقي معه اضطرارا .. ولا تتنازل لـه خوفاً. والأهم من كل ذلك أنه محبوب بشدة من المسلمين .. معروف لكل العالم .. نجح بكل المعايير الغربية .. ولكنه رفض كل مفاهيم الغرب .. هو نموذج يجب القضاء عليه .. ويبدو أن ذلك غـير ممكن لأن إرادة الخالق أقوى من عبث المخلوقين.

[i] كاتبة بريطانية تدين الغرب وتتهمه بالتجني على الإسلام، القاهرة: جمـال شـاهين، الشـرق الأوسط، الأربعاء ١٨ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ ١٨ يناير ٢٠٠٦ العدد ٩٩١٣

[ii] "أوروبا والإسلام"، "صدام الثقافة والحداثة"، هشام جعيط، دار الطليعة، ٢٠٠١، ص٤٠.

[iii]

[iv] "أوروبا والإسلام"، "صدام الثقافة والحداثة"، هشام جعيط، دار الطليعة، ٢٠٠١، ص٨٥.

[v] Voyag صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم n Sy صلى الله عليه وسلم i صـلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم t صلى الله عليه وسلم n صلى الله عليه وسلم gypt صلى الله عليه وسلم P صلى الله عليه وسلم ndant I صلى الله عليه وسلم s ann صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ١٧٨٥ – ١٧٨٣ s، Pa صلى الله عليه وسلم is، ١٧٨٧، PP. ٣١٠ – ٣٠١.

[vi] No صلى الله عليه وسـلم man Dani صلى الله عليه وسلم l, Islam and th صلى الله عليه وسلم st, Th صلى الله عليه وسلم w صلى الله عليه وسـلم making of

an Imag صلى الله عليه وسلم , صلى الله عليه وسلم dinbu صلى الله عليه وسـلم gh, ١٩٦٠, P.١٤٦

=================

الاستهزاء بالنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ودينه من أعظم موارد الإرهاب

أضيفت بتاريخ: ٢٩-١٢-١٤٢٦ هـ القراء: ٢١٤٣ إنَّ الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد، فقد تناقلت بعض وكالات الأنباء و العديد من المواقع عبر شبكة الانترنت ما اقترفته الصحيفة الدنمركية:" جيلاندز بوستن " Jyllands-Post صلى الله عليه وسلم n بنشرها(١٢) رسماً كاريكاتيرياً ساخراً يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ الموافق (٢٩ S صلى الله عليه وسلم pt صلى الله عليه وسلم mb صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ٢٠٠٥) تصوِّر فيه رسول الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم في أشكالٍ مختلفةٍ، وفي أحد الرسوم يظهر مرتدياً عمامة تشبه قنبلةً ملفوفةً حول رأسه !!.

وقد أعادت صحيفة (Magazin صلى الله عليه وسلم t) النرويجية في ١٠ يناير ما قامت به الصحيفة الدانماركية ، ونشرت ١٢ رسماً ساخراً للرسول محمد – صلى الله عليه وسلم بدعوى حرية التعبير !!.

و تواصلت الجريدة في غيِّها عندما طلبت من الرسَّامين التقدم بمثل تلك الرسوم لنشرها على صفحاتها مما زاد الأمر قبحاً وشراً.

وأرى لزاماً عليَّ وعلى كل مسلمٍ أن يقف أمام هذا الهجوم على دين الإسلام ورسول الله نبي الهدى والرحمة - صلوات ربي وسلامه عليه - كلٌّ حسب طاقته ومسؤوليته، ولي مع هذا الحدث الأليم الوقفات التالية :

الوقفة الأولى:

ينبغي أنْ يعلم هؤلاء أنَّ للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم مكانةٌ عظيمةٌ في دين الإسلام، وأنَّ وجوب محبته في آياتٍ كثيرةٍ في القرآن الكريم، ومنها قول الله تعالى :(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١).

ومنها قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة:٢٤).

وإنَّ من أعظمِ مظاهرِ المحبَّةِ للنبي صلى الله عليه وسلم وأبرزِ دلالاتِ صدقِها أنها تستلزمُ الذَّبَّ عن سُنَّته، لأنها وحيٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

كما أنّ التَّصَدِّي للمغرِضينَ والمستهزئين والمنافقينَ والمنهزِمينَ الذين يترصَّدون للسنة النبوية الشريفةِ ويسخرون منه صلى الله عليه وسلم من أعظم الواجبات في دين الإسلام .

وإن من تمام النصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم -كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه الذي يرويه الإمام مسلمٌ في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" الدينُ النصيحةُ" ، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: " لله ولكتابهِ ولرسولِهِ ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم "- الإيمان بنبوَّة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ونصرته حياً وميتاً، فمن كان في حياته كان واجباً عليه أن ينصرَه، ومن لم يدرِكْهُ وجب عليه أن ينصرَه، وذلك بالإيمان به صلى الله عليه وسلم وباتباع سنَّته وإطاعةِ أوامرِه واجتناب نواهيه.

ومن لوازمِ النصحِ له صلى الله عليه وسلم العملُ على نشرِ الشريعة الإسلامية والدعوة إليها وتحكيمها ، والتمسُّكِ بآدابها وبما أمرت به ووجهت إليه من تعاليم هذين الوحيين كتابَ الله تعالى وسنَّةَ نبيه صلى الله عليه وسلم، والتحذير من كل ما يسيء إليه وإلى دينه.

ولذا فإنَّ نصر السنة والذب عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعظيم شعائر الله تعالى، و لقد سطَّر أئمتنا الكثير في بيان خطر الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم في مؤلفاتهم، وانظر من تلك الكتب الكتاب العظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية "الصارم المسلول على شاتم الرسول ".

الوقفة الثانية :

أما هذه السخريات والرسومات التي أساءت فيها الجريدتان السابقتان فهي جمعت بين أنواع من الشرور، إذ جمعت بين الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبين الافتراءِ والكذبِ عليه صلى الله عليه وسلم، إضافةً إلى احتقار مشاعر المسلمين وأحاسيسهم في تلك الديار بل وفي كل أقطار الدنيا، إذ نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم أطهر البشرية جمعاء وأزكاها.

و إن هذه السخرية وهذه الرسوم لا تمثل رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأي حال، لا رسماً ولا دلالةً، إذ إنها لا تعبر عن معالم وجهه المنيرة، والذي يفيض سماحةً وبشراً وسروراً.كما أنها لا تعبر عن سمته وخلقه صلى الله عليه وسلم.

الوقفة الثالثة:

أين أنتم من الدعاوى البراقة التي تنادي بحقوق الإنسان ؟

أليس من حقوق الإنسان عدم السخرية و الاستهزاء بما يعتقده ؟
أم أن المسلمين في أنحاء العالم عندكم ليسوا من بني الإنسان ؟
و بالتالي لا تشملهم الحقوق !
بل انظروا لأنفسكم كيف تعاملون الحيوان ؟!!
ثم قارنوا بتعاملكم أين أنتم من مراعاة مشاعر المسلمين واحترام معتقداتهم ؟
الوقفة الرابعة:
إن موقف هاتين الجريدتين المخزي أكبر دعم للإرهاب الدولي المنظم الذي عقدت لمحاربته مؤتمراتٌ ولقاءاتٌ ، مع الاختلاف في تحديد مفهومه لأنَّ المسلم قد لا يستطيع ضبط نفسه مع هذا التحدي السافر للإسلام وأهله وعندئذٍ نتساءل:
أليس بالجدير بأن يدرج من يسلك هذا السبيل ويسخر بدين الإسلام ونبيه ويشجِّع على ذلك الإرهاب بأن تتخذ ضده القرارات الدولية لأنه مغذٍ للإرهاب ؟
ثم ما دامت الشعارات الدولية تنادي بتجفيف موارد الإرهاب، أليس من مهامها تجفيف كلَّ موارده بأنواعها وأشكالها ؟
ولا شك ولا ريب أن هذا المورد من أشد موارده، وهو أخطر بكثير من الموارد المالية،لأنها من أعظم الدوافع له .
الوقفة الخامسة :
إنَّ ادعاء صحيفة (Jyllands-Post صلى الله عليه وسلم n) حرية التعبير في نشرها لتلك الرسوم الساخرة عن محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ادعاءٌ غير مسلَّمٍ ولا مقنعٍ ؛ لأن منظمات العالم تؤكد على احترام الرسل ، وعلى احترام الشرائع السماوية ، واحترام الآخرين وعدم الطعن فيهم بلا بيِّنة. ولذا فإنَّ الحرية المزعومة فيها انتهاكٌ لدين الإسلام ، وسخريةٌ برسول الله وإخلالٌ بحقوق الآخرين.
ولهذا فقد استُنكِرَ هذا العمل الشنيع الذي يعدُّ استخفافاً بدين الإسلام الذي يدين به ملايين المسلمين في أنحاء العالم ؛ فقام المسلمون من دولٍ ومجالس ووزراء و هيئاتٍ و جمعياتٍ عدةٍ و أفراد باستنكار هذه الحملة الظالمة.
ختاماً :
إننا معشر المسلمين نوجه دعوةً إلى هؤلاء المستهزئين برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، وإلى غيرهم من غير المسلمين لأن يمتِّعوا أعينهم وفكرهم بالاطلاع على الحقائق من خُلُقِهِ وصفاته، من خلال الكتب في شمائل النبي وصفاته مما كتبه أهل الإسلام، مما هو مسطورٌ في كتب السنة والسيرة،

وإن أبيتم فاقرؤوا ما كتبه عددٌ من أهل الإنصاف عن نبيِّ الرحمة والهدى صلى الله عليه وسلم من عقلاء البشر ومثقفيهم، حتى من أهل الملل الأخرى ممن شهدوا له بمكارم الأخلاق والفضائل الجمَّة.

وليعلم المستهزئون وأمثالهم أنَّ الله عز وجل متكفلٌ بحفظ دينه وحامٍ لحمى رسالته، ولن تضير نبيه صلى الله عليه وسلم سخرية الساخرين واستهزاء المستهزئين، فقد كفاه الله ذلك كله، كما قال سبحانه: (إنا كفيناك المستهزئين).

وقد قال الشيخ العلّامة ابن سعدي رحمه الله في تفسيرها:" وهذا وعدٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنْ لا يضرّه المستهزئون، وأنْ يكفيهم الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل الله تعالى، فإنَّه ما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلَّا أهلكه الله وقتله شر قتلةٍ " .

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُعلي دينه ، وأن يرد كيد الكائدين للمسلمين ودينهم في نحورهم ، وأن يقيهم من كل شرٍ.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه

بقلم د. عاصم بن عبدالله القريوتي

====================

الانتصار لسيد الورى النبي صلى الله عليه وسلم

في ٢٠|١٢|١٤٢٦

كانت هذه خطبة مباركة مميزة ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور /محمد بن عبد الله الخضيري إمام جامع الملك خالد بحي المنتزه ببريدة ..

د/ محمد الخضيري

إن الحمد لله نحمده..

أيها المسلمون : حقيقة الإيمان لا تتم إلا بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله فالشهادة لله بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتمام ذلك يكون بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع وواجب الأمة محبة المصطفى واتباعه وتعزيره وتوقيره.

قال تعالى: ((لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)) [الفتح : ٩] ويقول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). رواه مسلم.

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك).

فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الآن يا عمر) رواه البخاري . فحب النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته ونشر سنته وتعطير المجالس وإمتاع الأسماع بسيرته وشمائله ونصرته والذب عن عرضه والدفاع عنه توحيد وإيمان . ولئن كان ذلك واجبا على الدوام وسائر الأحوال فوجوبه أوكد وأعظم حين تتعرض الذات الكريمة للأذى والسخرية والاستهزاء

أيها المسلمون : لقد نشرت صحيفة (جلاندز بوستن) الدنمركية يوم الثلاثاء ١٤٢٦/٨/٢٦هـ (١٢) اثني عشر رسماً كاريكاتيرياً ساخر .. بمن يا ترى ؟! هل كان ذلك بمسؤول كبير .. بجنرال .. برئيس دولة ... بل كان ذلك بأعظم رجل وطأت قدماه الثرى ، بإمام النبيين وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وسلم . صور آثمةٌ وقحةٌ وقاحة الكفر وأهلة ، أظهروا النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى هذه الرسومات عليه عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه !! وكأنهم يريدون أن يقولوا إنه – مجرم حرب – (ألا ساء ما يزرون)

ثم في تلك الأيام الماضية وفي يوم عيد الأضحى بالتحديد – إمعاناً في العداء – تأتي جريدة (ما جزينت) النرويجية لتنكأ الجراح وتشن الغارة من جديد ، فتعيد نشر الرسوم الوقحة التي نُشرت في المجلة الدنمركية قبل! (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [الذاريات: ٥٣].

أيها المسلمون : ومع كل الجنايات التي تتوالى على المسلمين، والبغي والعدوان بألوان وصنوف شتى فما زال المسلمون يواصلون الاحتمال والصبر ولو على مضض، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينال فلا نغضب له، ويساء إليه فلا ننصره، ويتعدى عليه فلا ندافع عنه، فها هي تتوالى بذاءات وإهانات للمسلمين في جناب المصطفى – صلى الله عليه وسلم –

الدنمارك دولة نصرانية صليبية كبقية دول أوربا وأمريكا الشمالية تدين بعقيدة التثليث الباطلة الفاشلة ، الفاسدة الكاسدة !

ومن الطبيعي أن تظل كغيرها عدوة لكل ما يمت للإسلام بصلة وإن تسابق المسلمون إلى اقتناء منتجاتها من الأجبان والأبقار !

هذه (الدنمارك) ظلت منذ عدة أشهر تسخر عبر صحفها ووسائل إعلامها من رسولنا الكريم ، ونبينا العظيم صلى الله عليه وسلم .

لا لشي إلا لأن بعض أبناء شعبها بدأوا يفكرون جدياً بالتخلي عن نصرانيتهم واعتناق الإسلام كغيرهم من شعوب العالم الذين أبهرتهم أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تبعها من تداعيات لا تخفى على أحد !!

فهي تريد بخبث ثني شعبها عن اختيار الدين الحقّ عبر حركة تشويه متعمد لشخص الرسول الكـــريم ورمز الإسلام الخالد عليه الصلاة والسلام !!
إنّ ما تقوم به الدنمارك وتؤيدها عليه النرويج وتسكت عنه بقية دول العالم النصراني يؤكد أنّ الحرب القائمة بين الإسلام والنصرانية في أفغانستان ، والشيشان ، والعراق حرب دينية عقدية وإن تبرقعت بغطاء مكافحة الإرهاب، أو تلفعت بمرط محاربة الدكتاتوريات في العالم !
أمة الإسلام ..هكذا يفعل النصارى الحاقدون مع نبينا صلى الله عليه وسلم ..وبعضنا ينادي بألا نقول للكافر ..يا كافر ..بل نقول له الآخر ..احتراماً لمشاعره ..ومراعاة لنفسيته !! فهل احترم هؤلاء نبينا ؟!! وهل قدروا مشاعر أمة المليار مسلم!! وهل راعوا نفسيات المسلمين !!
أيها المسلمون: هذه ليست أوّل مرة ينال فيها من مقام النبوة، أو يساء فيها إلى الجناب الكريم فقـــد صدر مثل ذلك من مستشرقين وصحفيين وفنانين وغيرهم كثيرين، ولكن جانب الفظاعة أن يصدر من إعلام أكثر من دولة أوربية تدعي احترامها وتمسكها بالقوانين الدولية والتي تنص على وجـــوب احترام الأديان . ثم هي ممارسات ظلت بشكل متكرر ودون أي اعتذار مع حجم المطالبات الفرديـــة والشعبية ومن الأقليات والمراكز الإسلامية هناك ومن عدد من المنظمات والقيادات في بعض الـــدول الإسلامية
وهكذا يفعل النصارى الحاقدون مع رسولنا صلى الله عليه وسلم..
وبعضنا ينادي ألا نبغضهم ..ولا نظهر العداوة لهم !! وربنا يقول لنا : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا لَـــا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَـــرُوا بِمَـــا جَـــاءكُم مِّـــنَ الْحَـــقِّ)) (الممتحنة:١).
وهكذا يفعل عباد الصليب بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ..وبعضنا يطالب بحذف الولاء والبراء من مناهجنا الدراسية..ونترعه من قلوبنا..لأننا في عصر الصفح والتسامح بين الأديان !!
بالله ماذا يبقى في الحياة من لذة يوم ينال من مقام محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا ينتصر له ولا يذاد عن حياضه . ماذا نقول تجاه هذا العداء السافر ، والتهكم المكشوف .. هل نغمض أعيننا ، ونصـــم آذاننا ، ونطبق أفواهنا .. لا وربي .. لا يكون ذلك ما دام في القلب عرق ينبض . والذي كرم محمداً وأعلى مكانته لبطن الأرض أحب إلينا من ظاهرها إن عجزنا أن ننطق بالحق وندافع عن رسول الحق . ألا جفت أقلام وشُلت سواعد جبنت عن تسطير أحرفٍ تذود بها عن حوضه صلى الله عليه وسلم وتدافع عن حرمته .
فإن أبي ووالده وعرضي *** لعرض محمد منكم فداء
إن هؤلاء يتكلمون عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي علّم البشرية تعظيم أنبياء الله وتـــوقير رسله:ففي ما أنزل عليه (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) [البقرة : ٢٨٥] وأن الإيمان برسالة محمـــد –

صلى الله عليه وسلم – لا يصح ولا يقبل إلا مع الإيمان برسالة عيسى – عليه السلام– ومن سبقه من المرسلين.– وعندما كان اليهود يصفون المسيح بأقبح الأوصاف كان محمد – صلى الله عليه وسلم– يعلم البشرية: (إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [آل عمران: ٤٥]، (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) [المائدة : ٧٥].

– وعندما كان اليهود يصفون المحصنة العذراء بأفحش الصفات كان محمد – صلى الله عليه وسلم– يعلّم البشرية: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) [التحريم] وأين كلام ذلك الإعلام الجائر عن القتل وسفك الدماء هناك؟ أم هو الذعر المخرس من معاداة السامية، والمقاييس الانتقائية الجبانة، والتعصب الأعمى المقيت؟

– أين الكلام عن القتل الذي مارسته الكنيسة ضد المسلمين واليهود في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش؟

–أين الكلام عن القتل وسفك دماء المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ في هيروشيما ونجازاكي وفيتنام والشيشان والأفغان والعراق وغيرها؟

–أين الكلام عن سفك الدماء الذي يمارسه اليهود ضد الأطفال والصبايا في فلسطين؟

–إن هؤلاء يصنعون الإرهاب ويقذفون بالنار إلى صهاريج الوقود ، فالنيل من جناب النبوة استفزاز واستنفار لكل مسلم، ودونه أبداً مهج النفوس، وفداه الأمهات والآباء، وإن جمرة الغضب التي يوقدها هؤلاء في قلب كل مسلم لا يمكن التنبؤ بالحريق الذي ستشعله ولا كيف ولا أين . وسيدفع هؤلاء برعونتهم هذه البشرية إلى أتون سعير متواصل من الصراعات والثارات .

عباد الله : ونحن إذ ندافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحمي بذلك ديننا وعقيدتنا ، ونؤكد شيئاً من حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..

إن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيع برفعة الله له ، لن ينال الشانئ منه شيئاً

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح : ٤] قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله . نعم لقد رفع الله ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم رغم أنوف الحاقدين والجاحدين ، فهاهم المسلمون يصوتون باسمه على مآذنهم في كل مكان .

وشق له من اسمه كي يجله فذو العرش محمود وهذا محمد

والله تعالى قد تولى الدفاع عن نبيه صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [الحج : ٣٨]، وأعلن عصمته له من الناس (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ

اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [المائدة : ٦٧] وأخبر أنه سيكفيه المستهزئين (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [الحجر : ٩٥] سواء كانوا من قريش أو من غيرهم .

قال ابن سعدي رحمه الله: " وقد فعل تعالى ، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة .أهـ أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة ، عن ابن عباس في قوله (إنا كفيناك المستهزئين) قال: المستهزئون ، الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل ، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أرني إياهم ، فأراه كل واحد منهم ، وجبريل يشير إلى كل واحد منهم في موضع من جسده ويقول : كَفَيْتُكَهُ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما صنعت شيئا ! . فأما الوليد ، فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها . وأما الأسود بن المطلب ، فنزل تحت سمرة فجعل يقول: يابنيّ ، ألا تدفعون عني؟ قد هلكت وطُعنت بالشوك في عينيّ فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عتمت عيناه . وأما الأسود بن عبد يغوث ، فخرج في رأسه قروح فمات منها . وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه . وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة فدخل من أخمص قدمه شوكة فقتلته .(الدر المنثور ٥/١٠١).

أيها المسلمون : لقد أعظمت قريش الفرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرمته بالسحر تارة وبالكذب تارة وبالجنون أخرى ، والله يتولى صرف ذلك كله عنه لفظاً ومعنىً ، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد " ، وهكذا هذه الرسومات التي نشرت على هذه الصفحات السوداء ، هي قطعاً لا تمثل شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي صور أملاها عليهم خيالهم الفاسد واعتمدها الشيطان ورسمها لهم سامريهم الأفاك! . أما محمد صلى الله عليه وسلم فوجهه يشع بالضياء والنور والبسمة والسرور ، لم يستطع أصحابه رضي الله عنهم أن يملئوا أعينهم منه إجلالاً له – وقد عاصروه – فكيف بمن لم يجمعه به زمان و لم يربطه به خلق ولا إيمان ؟!

لقد جاء خبر الصدق من الملك الحق المبين (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) [الكوثر : ٣] ليبقى كل شانئ للنبي صلى الله عليه وسلم وكل معارض لدينه هو الأبتر المقطوع المنبوذ. أين أبو جهل هل بقي ذكره أم التصق به وصف الجهل في حياته وبعد مماته؟! وأين أبو لهب لقد مات ومات ذكره فليس يعرف إلا باللهب؟! و(سيصلى ناراً ذات لهب) وأين ملوك الأكاسرة والقياصرة .. أين ماركس ولينين وستالين وهتلر وكمال أتاتورك جبابرة الأرض وجلادي الشعوب... لقد طمرهم الأرض ونُسيت رسومهم، ولحقتهم اللعنات، وباءوا بثقل التبعات. لقد مزق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسخر من رسوله، فدعاء عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزق الله ملكه، فمزق وقتل على يد

أقرب الناس إليه – ابنه – وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: "كان رجل نصـــراني، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول : لا يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هـــذا فِعْل محمدٍ وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه " . علَّق شيخ الإسلام ابن تيمية على الحديث فقـــال: فهـــذا الملعون الذي قد افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدري إلا ما كتب لـــه ، قصـــمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مراراً ، وهذا أمر خارج عن العادة ، يدل كل أحد على أن هذا كان عقوبة لما قاله ، وأنه كان كاذباً ..الخ ويقول أيضا رحمه الله : " وإنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول ، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعـــددةٍ في حَصْــرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنـــا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، و لم يكد يتـــأخر إلا يومـــاً أو يومين أو نحو ذلك،ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه . وهكذا حـــدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب – يعني المغرب - حالهم مع النصارى كذلك.أهـــ (الصارم المسلول ص ١١٦-١١٧).

وبالمقابل فقد علم بعض ملوك النصارى أن إكرام كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي فيـــه الملك ما شاء الله . ذكر ابن حجر في فتح الباري ج١ ص٤٤ عن السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضـــع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيماً له، وأهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفـــرنج الـــذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سِبطه ، فحدثني بعضُ أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قـــواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب ، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله فامتنع.

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب ، فأخرج منه مقلمة ذهب ، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه ، وقد التصقت عليه خِرقَـــة حرير ، فقال : هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر ، ما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وأوصانا آباؤُنا أنه مـــا دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا " اهـــ.

عباد الله: إن فضائل النبي صلى الله عليه وسلم لا تكاد تحصى كثرةً فهو منّة الله على هذه الأمة (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) [آل عمران : ١٦٤] امتدحه ربه ورفع مترلته فهو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة ، وله المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ، والحوض المورود واللواء المعقود.. إلى غير ذلك من الفضائل والخصائص التي اختص بها عن غيره ، وهي مدونة في كتب الدلائل والشمائل والخصائص والفضائل ، لقد شهد بفضل نبينا صلى الله عليه وسلم القاصي والداني والصديق والعدو ، وأنَّى لأحد أن يكتم فضائله صلى الله عليه وسلم وهي كالقمر في ضيائها ، وكالشمس في إشراقها وهو صلى الله عليه وسلم كا الشمس للدنيا وكالعافية للبدن.

يقول الشيخ جمال الدين الصرصري والذي قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية ج٦ ص٢٩٩: الصرصري المادح ، الماهر ، ذو المحبة الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشبه في عصره بحسان بن ثابت رضي الله عنه وقد قتله التتار حينما دخلوا بغداد سنة ٦٥٦هـ. يقول:

محمد المبعوث للناس رحمةً *** يشيِّد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مجيبةً *** لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه *** وإن الحصا في كفه لَيُسَبِّح
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا *** فمن كفه قد أصبح الماء يَطفح
وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً *** سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصبا كانت لنصر نبينا *** ورعبُ على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتي الملكَ العظيم وسخِّرت *** له الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها *** أتته فرَدَّ الزاهد المترجِّح
وإن كان إبراهيم أُعطي خُلةً *** وموسى بتكليم على الطور يُمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلَّم *** وخصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض الرَّواء وباللِّوا *** ويشفع للعاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّب ناله *** عطاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها *** مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهْوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ *** له بابها قبل الخلائق يُفْتَح

(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم) [التوبة ٨]

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه..

أيها المسلمون: ويتساءل الجميع ما واجبنا وما هو دورنا المطلوب

إن على كل مؤمن يحب الله ورسول صلى الله عليه وسلم ويغار لدينه أن ينتصر لرسوله وأن يقدم كل ما في وسعه لرد هذه الهجمة الشرسة .وعلى الدول الإسلامية أن تهب لنصرة نبيها وأن تستنكر ذلك أشد الاستنكار وأن تطالب مطالبة جادة برد الاعتبار ومعاقبة تلك الشرذمة الأفاكة رعاية لحق من أهم حقوقها. وعلى المؤسسات أن تقوم بدورها من خلال كتابة بينات تستنكر فيه هذا الفعل المشين وتطالب بمحاكمة هذه المجلات ، رداً لاعتبار أكثر من مليار وأربعمائة مليون مسلم ! ، ثم على المؤسسات والصحف والمجلات والمواقع الإسلامية وأهل الفكر والقلم أن يكتبوا ردودا على هذه الافتراءات،وأن تسطر على صفحاتها– بقلم يسيل عطراً– شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وأن تبين الدور العظيم الذي قام به صلى الله عليه وسلم لإنقاذ البشرية وأنه أُرسل(رحمة للعالمين) وهداية للناس أجمعين . وعلى أهل المال والثراء أن يبذلوا مما أعطاهم الله لدعم تلك المواقف وإنشاء مواقع إلكترونية خاصة بشمائل هذا النبي الكريم وربط الأجيال بهديه وسنته والدفاع عنه وكذا تمويل طباعة الكتب المتحدثة عنه وعن سيرته وتسهيل توزيعها وكذلك السعي لإنشاء قنوات إسلامية متخصصة بالرحمة المهداة وسيرته وسننه وشمائله وعلى المعلمين والتربويين وأهل العلم والفكر أن يستثمروا هذا الحدث بربط الجيل والأمة بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم وإشاعة ثقافة السنة والسيرة في كل مجال ومناسبة.

ويا مسلمون ويا أرباب التجارة والمال أوقفوا كل التعاملات التجارية مع الدنمارك، حتى يتم الاعتذار علنياً ورسمياً من تلك الصحيفة، وتذكروا أن المال زائل ، لكن المآثر باقية مشكورة في الدنيا والآخرة، وأعظمها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والانتصار له، ولكم أسوة في الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، في موقفه الحازم من أبيه، عندما آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا منعه من دخول المدينة ، في الحادثة التي سجلها القرآن الكريم :

((يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) (المنافقون : ٨) .

وثبت أنَّ المنافق عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول تكلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام قبيح ، حيث قال : " والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ..فعلم ولده عبد الله بذلك فقال لوالده: والله لا تفلت حتى تقر أنك أنت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز!!

فهل يستجيب رجال الأعمال ..لهذا الواجب في الغيرة لنبيهم صلى الله عليه وسلم ؟

وهل يكفُّون عن التعامل التجاري والاستيراد مع الدنمارك حتى يتم تقديم الاعتذار الرسمي، واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة.

وأنتم أيها المسلمون.. أتعجزون عن مقاطعة منتجاهم.. غيرة لنبيكم صلى الله عليه وسلم؟! حتى يعلم أولئك الأوغاد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنصاراً؛ لا يرضون أن يدنس جنابه.. أو أن يمس بسوء عرضه.. ودون ذلك حزُّ الرءوس.

أيها المسلمون: رسولنا الكريم وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم الذي ضحى بكل ما يملك من أجل أن يصلنا هذا الدين ؟!!فكم أوذي من أجلنا ؟ كم بُصق على وجهه الشريف من أجلنا ؟!! كم طرد من أرضه من أجلنا ؟!! وهو الشفيق الرؤوف الرحيم بأمته (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة ٨] ألم يؤذيه قومه فكسروا رباعيته وشجوا رأسه وأدموا عقبيه ثم يعفوا ويصبر ويقول (اللهم اغفر لقومي فإهم لا يعلمون) وحين دخل مكة فاتحا ومنتصرًا وتوقع الجميع أن ينتقم من أهل مكة ويقتلهم قال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) أليس هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة الذي يقول

(مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها قال فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيه) رواه البخاري ومسلم

أبعد هذا الجهد والجهاد والبذل والعطاء..الذي قدمه لنا وللبشرية جمعاء أنعجز أن نصنع شيئا لهذا الرسول الكريم .أنعجز.أن نقاطع منتجات الدنمرك بأنواعها وأشكالها؟!! أنعجز أن نكتب إلى سفارهم خطابا نعبر فيه عن غضبنا عما حصل من تلك الصحيفة !! أنعجز ولدينا تقنيات الاتصال الحديث عبر الفضاء وعبر البريد الإليكتروني أن نراسل كافة مسئولي تلك الدولتين..

حقًا أيها المسلمون هلموا إلى سلاح المقاطعة ولا يقولن قائلٌ كم سيكونُ حجمُ مقاطعتي؟ فإن لها تأثيرا وأي تأثير؟ ولو على المدى البعيد وفي نفس الوقت تسجيل موقف عملي يسجله التاريخ لأهل الإسلام.. يقولُ النبي صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح. فأين جهاد الكلمة والبيان؟ وأين المقتدرون بأقلامهم وكتاب الصحف والأعمدة والزوايا لم لا يتشرفون ويبلغون ذرى المجد بتبني مواقف بيانية دفاعية وهجومية معتدلة. وكم نأسف لحال أعداد كبيرة من الكتاب افتقدناهم في مثل هذا الموضوع وهذا المنعطف الخطير وهم الذين أجلبوا على المسلمين بكتاباهم الاستفزازية لمحاربة التطرف ونبذا لإقصاء واهام المناهج الشرعية بكل نقيصة ورمي المراكز الإسلامية والدعوية والأنشطة الصيفية بتهم تفريخ الإرهاب؟ ولما كان الأمر يتعلق بنقد الغرب (الأسياد) جحروا وتكسرت نصالهم وجفت محابرهم مع أن قضية سب النبي صلى الله عليه وسلم قضية دينية وقومية ووطنية؟ ألا تتسع لها قائمة اهتماماهم ألا يتحدثوا عنها ولو مجاملة للمسلمين في بلادهم وخارجها؟ حقًا إن الفتن كواشف ومحصات (مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [آل عمران : ١٧٩].

وبالأمس القريب حين عزا أهل العلم زلزال وطوفان سونامي في بعض دول شرق آسيا إلى أن ذلك عقوبة ربانية خرجوا عن طورهم وهبوا جميعا مدافعين عن أمجاد الغرب وحرياتهم الدينية في أعيادهم! إنها مفارقات في زمن الذل والانبطاح للمستعمر بل وجهود حثيثة لتسويق منهجه وثقافته.

أيها المسلمون وأخيرًا: فإن عظمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نفوسنا أعظم، ولن ينال منها مثل هذا التصرف الأرعن (والذي يبصق على السماء عليه أن يمسح وجهه بعد ذلك)، والذي يعنينا هنا واجبنا نحن تجاه مقام النبوة، والانتصار لجناب الرسول – صلى الله عليه وسلم- والذبّ عن شريف مقامه.

- فهذا نداء إلى كل مؤمن بالله ورسله، إلى كل قلب يخفق حباً لنبيه – صلى الله عليه وسلم-، وإلى كل مهجة تتحرق شوقاً إليه ، إلى كل مسلم يعلم أنه لولا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - لكنا حيارى في دياجير الظلمات، ولولا رسول الله لكنا فحماً في نار جهنم، إلى كل مسلم يقول من أعماق قلبه: فدى لرسول الله نفسي، وفدى لأنفاسه أبي وأمي، إلى كل مسلم تضج جوانحه تعظيماً وتوقيراً، وإجلالاً وتقديساً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا نداء لنصرة النبي أمام هذا التواقح الفاحش والتسفل البذيء، ولن يعدم كل غيور أن يجد له مكاناً ومكانة، وأن يبذل فيه جهداً ولو قل، وكل كثير منّا فهو في حق النبي قليل. وذلك بإعلان الاستنكار لهذا التهجم والهجوم والاحتجاج القوي عليه، والرد بعزة ووثوق على شبههم المستهلكة، وأن يعلم هؤلاء ومن يلحد إليهم عظيم جنايتهم وتجنيهم على مشاعر المسلمين، وأن يُعلموا أن مكانة النبي – صلى الله عليه وسلم – في نفوس المسلمين أعظم مما يتصورون، والمساس بها أخطر مما يقدرون،

ألا فاتقوا الله عباد الله وكل في موقعه ومسئوليته عليه واجب كبير ودين عظيم لا وقت لمجرد التلاوم وإلقاء المسئولية على الغير أيا كان ذلك الغير بل كل يعمل ما في وسعه لهذا الدين العظيم الذي هو منة الله العظمى على عباده والله قادر على نشر دينه وحفظه ونصر رسله وأوليائه ولكن اقتضت حكمته أن يكلف عباده بذلك ويبتليهم كما قال سبحانه الله (وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٤]

فإن قاموا بما عليهم وإلا (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: ٣٨].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين.. وصلى الله عليه وسلم.

=========================

الانتصار للنبيِّ المختار صلى الله عليه وسلم

عبد المنعم مصطفى حليمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد تناهى إلى مسامعنا تطاول بعض الجرائد المحلية الرسمية الدنمركية على سيد الخلق، وخاتم الأنبيـــاء والمرسلين ـــ صلوات ربي وسلامه عليه ـــ من خلال رسمه في صور كاريكاتيرية ساخرة.. ورغم ما يمثل هذا الحدث الدنيئ المتخلف من اعتداء سافر على الإســـلام والمســـلمين.. تـــأبى الجريـــدة " Jyllands Post صلى الله عليه وسلم n " أن تقدم أي اعتذار عن سوء صنيعها هذا.. كمـــا وتأبى الحكومة الدنمركية أن توجه أي خطاب تأنيب واستنكار للجريدة.. أو حتى اعتذار للمسلمين!

نبينا صلوات ربي وسلامه عليه لا يحتاج مني ولا من غيري إلى أن ندافع عنه ـــ وكأن الطعن بحقـــه محتمل! ـــ أو أن نُظهر محامد خصاله وأخلاقه.. فهو أكبر وأعظم من ذلك.. يكفيه فخراً وعظمة أن الله تعالى من فوق سبع سماوات يصفه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:٤]. وقوله تعـــالى: {إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ} [الحج:٦٧]. وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّـــا رَحْمَـــةً لِّلْعَـــالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧]. فأي تزكية تعلو أو توازي هذه التزكية.. وما قيمة ثناء وتزكية المخلوق تجاه ثنـــاء وتزكية الخالق سبحانه وتعالى ؟!

لكن ماذا يعني هذا الحدث الجلل.. وكيف يفهمه ويفسره المسلمون ؟!

هذا الحدث الجلل يعني أموراً عدة:

منها: أن هذا الطعن بشخص النبي صلى الله عليه وسسلم هو طعن بجميع أنبياء الله تعالى ورســـله: إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وغيرهم من الأنبياء والرسل؛ لأنهم كلهم يصدقون بعضهم بعضاً، ويُلزمون أتباعهم بالإيمان والتصديق بجميع الأنبياء والرسل من جاء قبلهم ومن يأتي بعـــدهم؛ وبالتالي فإن تكذيب أي نبي من أنبياء الله تعالى أو الطعن به، هو تكذيب لجميع الأنبيـــاء والرســـل، وطعن بهم، قال تعالى: {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـــمَاعِيلَ وَإِسْـــحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَـــدٍ مِّـــنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة:١٣٦]. وقال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُـــونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥].

والطعن والاستهزاء بالأنبياء والرسل هو استهزاء وطعن بالله عز وجل الذي زكى أنبيـــاءه ورســـله، وأثنى عليهم خيراً، لذلك عُد النفر الذين استهزؤوا بأصحاب النبي صلى الله عليه وســـلم وهـــم في مسيرهم نحو تبوك، هو استهزاء بالله وآياته، ورسوله، كما قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْـــدَ إِيمَـــانِكُمْ} [التوبة:٦٥ـــ٦٦].

ومنها: أن هذا الاعتداء على شخص النبي صلى الله عليه وسلم هو اعتداء على جميـــع المســـلمين في الأرض، وعلى مشاعرهم، وعقيدتهم.. وهو أشد عليهم من الاعتداء المباشر على أنفسهم وأموالهم..

والصليبيون يُدركون هذا المعنى؛ وهو المراد من وراء طعنهم وتشهيرهم ـــ المتكرر بين الفينة والأخرى ـــ بشخص النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أن اللجوء لمثل هذا الطعن، والاستهزاء.. هو علامة من علامات الإفلاس الفكري والحضاري، والثقافي لدى النصارى الصليبيين.. وحضارتهم.. فيُعوضون عن هذا النقص والإفلاس بمثـــل هـــذا الطعن، والسب، والاستهزاء!

ومنها: أن الشعار المرفوع حول حوار الأديان والحضارات هو شعار كاذب؛ له ما له من الغايـــات والمقاصد المريبة الخبيثة.. لا وجود له على الحقيقة والتحقيق!

فالغرب النصراني الصليبي بتواطؤه على مثل هذا الطعن والاستهزاء بشخص النبي صـــلى الله عليـــه وسلم.. يفقد المصداقية، والرغبة الصادقة في الحوار والتفاهم مع المسلمين، ومع حضارة الإسلام.. إذ كيف ينهضون للحوار والجلوس مع المسلمين وهم يطعنون ويستهزئون بنبي الإسلام، وبأقدس ما عند المسلمين ؟!

فالتواطؤ على مثل هذا الطعن والاستهزاء لا شك أنه يوسع من ساحة عدم التفاهم والتعايش السلمي والآمن بين الشعوب والحضارات !

ومنها: أن مثل هذا الطعن والاستهزاء.. والتواطؤ عليه من قبل الجهات الرسمية.. يدل على ازدواجية المعايير والقوانين المعمول بها في بلاد الغرب النصراني؛ فهم إذ يسنون القوانين التي تُحـــارب إثـــارة الكراهية والعنصرية بين الشعوب كما يزعمون، تراهم هم أول من ينقض ويُخالف هذه القـــوانين، وبخاصة عندما تكون إثارة هذه الكراهية موجهة ضد الإسلام والمسلمين.. وتسير في الاتجاه الـــذي يرغبونه ويهوونه!

عندما تكون إثارة الكراهية والعداوة موجهة ضد الإسلام والمسلمين.. فهذه حرية مصونة الجانب لا يجوز المساس بها أو الاقتراب منها.. وعندما تُثار الكراهية في الاتجاه الذي لا يرضـــونه ولا يلامـــس هواهم.. فحينئذٍ تُصبح إجراماً مخالفة للقانون، يؤخذ صاحبها بالنواصي والأقدام !

ومنها: أن مثل هذا الطعن والاستهزاء.. والتواطؤ عليه.. يُعد تعبيراً صادقاً عما يُضمره القـــوم مـــن حقد، وكراهية، وعداوة وبغضاء للإسلام والمسلمين.. وإن تظاهروا بخلاف ذلك.. وأنهم من دعـــاة الإنسانية.. والحرية.. وعدم التعصب للأديان !

صدق الله العظيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِـتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران: ١١٨].

هكذا يفهم المسلمون هذا الحدث الجلَل.. وهكذا يفسرونه.. وفي الختـــام أود أن أذكـــر إخـــواني المسلمين بحقيقة ساطعة ماثلة للعيان طالما ذكرتهم بها، وهي: أنكم رعية بلا راعٍ.. ووالله لو كان لكم

دولة وسلطان يحترم نفسه، ودينه، وأمته.. لما تجرأ القوم على التطاول على نبيكم؛ نبي الإسلام والرحمة ــ صلوات ربي وسلامه عليه ــ وعلى أقدس مقدساتكم.. ولكن لما وجدوكم رعية متفرقين بلا راعٍ يرعاكم، ويذود عنكم وعن دينكم.. طمعوا بكم.. وتكالبوا عليكم.. وعلى دينكم.. وأمتكم.. كما تتكالب الأكلة على قصعتهم !

ما هو موقف حكامنا من هذا الحدث الجلل.. وما موقف إعلامهم المشغول بتوافه زائفة ؟!

لا شيء؛ وكأن الأمر لا يعنيهم في شيء.. وكأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس نبيهم.. والإسلام ليس دينهم!

لو تعرض أحدهم ــ من قِبل أي دولة ــ لنوع استهزاء أو طعن وتجريح.. لاستدعى سفيره، وهمَّ بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية، والتجارية مع تلك الدولة.. ولتحركت جميع وسائل الإعلام للذود عن الطاغوت.. أما أن يتعرض شخص النبي صلى الله عليه وسلم ــ الذي لولاه، ولولا أن منَّ الله به علينا لما كنا نساوي شيئاً ــ للطعن والاستهزاء.. والتحقير.. فهذا لا يستدعي شيئاً من هذا المقاطعة أو المحاربة.. أو القلق.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أما أنتم أيها المسلمون افعلوا كل شيء، وأي شيء متاح ومشروع.. من أجل نبيكم.. والذود عن حرمات وعِرض نبيكم.. تقبل الله منكم، وغفر الله لنا ولكم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

dina ... الاردن ... ٢٠٠٦/٦/٣ ٨:٤٨:٥٥ PM

انا اساعد الرسول بارسال الرسائل ضد الدينمارك على الايميل لكل ادقائي وشكرا الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لا عذر لكم ....

لا عُذرَ لكُم عندَ اللهِ إنْ خَلصُوا إلى رسولِ الله بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد. فإنهم يُصرون على الاستمرار في الطعن، والتجريح، والاستهزاء بسيد الخلق .. ليروِّضوا المسلمين على القبول بمثل هذا الطعن والاستهزاء بدينهم ونبيهم .. ونحن نصر على الاستمرار في الانتصار، والذود عن حرمات وعِرض النبي صلى الله عليه وسلم .. فأنفُسنا، وآباؤنا، وأمهاتنا، وعِرضنا لِعِرض محمدٍ صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكافرين والمنافقين فداء. كنا أمام دولة كافرة فاجرة تجرأت على الطعن والاستهزاء بسيد الخلق؛ تُسمى " الدينمارك " فأصبحنا أمام دول الغرب الصليبي كلها، تتبعهم بعض رؤوس النفاق والزندقة في بعض الدول العربية ــ

بعضهم أولياء بعض ـــ ليكرروا الاستهزاء على الملأ .. ويهونوا مـــن شـــأنه .. ليفكـــوا الحصـــار الاقتصادي والسياسي والإعلامي عمن سنَّ هذه السنة الخبيثة وكان له وزر الابتداء بها .. متحـــدين بذلك مشاعر أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين. يُراهنون على الزمن؛ فتنادوا فيما بينهم ـــ كفار ومنافقون ـــ لنستمر في الطعن والاستهزاء بنبي الإسلام والمسلمين ـــ بزعم حرية التعبير كمـــا تكفلها لهم ديمقراطيتهم القذرة ـــ إلى أن يمل المسلمون الدفاع عن نبيهم .. ويهـــدؤوا .. ونشـــتت جهودهم ومعارضتهم .. ويتقبلوا ظاهرة الطعن بنبيهم كما تقبل بعضهم من قبل الطعن والاستهزاء بشرع نبيهم تحت ذريعة العمل بالديمقراطية التي من مقتضاها أن لا حصانة لأحد أو لشيء من النقد والرد، والتهكم والاستهزاء! ولهؤلاء جميعاً نقول: لا تمنُّوا أنفسكم .. أجمعوا كيدكم ومكركم ثم إئتوا صفًّا .. فلن نمل الانتصار للنبي المختار صلوات ربي وسلامه عليه وفينا عين تطرف، وبقية رمق مـــن حياة! أيها المسلمون .. يا أحباب محمد صلى الله عليه وسلم : حذار أن تملوا الانتصار والذود عـــن حرمات وعِرض نبيكم .. لا عذر لكم عند الله إن خذلتم النبي صلى الله عليـــه وســـلم في موقـــف تستطيعون من خلاله الذود عن حرمات وعِرض نبيكم ثم لم تفعلوا! لا عذر لكم عند الله إن خلصوا إلى الطعن والاستهزاء برسول الله .. وأنتم قادرون على أن تمنعوا شيئاً من هذا الطعن والاستهزاء .. ثم لم تفعلوا! لا يؤمن أحدكم حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفســـه ومالـــه، ووالده، وولده، والناس أجمعين .. وبرهان هذا الحب .. ومن علامات صدقه .. أن تنصروا محمدا .. وأن لا تخذلوه ـــ صلوات ربي وسلامه عليه ـــ في موقف هو يحتاجكم فيه، وإن أدى ذلـــك إلى أن تخرجوا من أموالكم وأهليكم. كيف بك يا عبد الله أن تأتي يوم القيامة رسولَ الله فتسأله الشفاعة .. وأن يسقيك من حوضه الشريف .. فيُعرض عنك .. ويقول لك: قد استُهزئ بي في الحياة الدنيا .. وأنت تسمع .. ولم تنتصر لي .. ولم تذبَّ عن عِرضي وحرماتي .. وكنت قادراً على أن تفعل الكثير من أجلي ولم تفعل؟! انظروا ماذا يقول نبيكم صلوات ربي وسلامه عليه .. قال صلى الله عليه وسلم :" مَن ذبَّ عن عِرض أخيه بالغَيْبَةِ كان حقاً على الله أن يُعتقَه من النار ". قلت: كيف إذا كان هذا الأخ الذي تذب عن عِرضه بالغيبة هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .. هـــو حبيـــب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟! وقال صلى الله عليه وسلم :" من ردَّ عن عِرضِ أخيه، ردَّ اللهُ عـــن وجههِ النارَ يومَ القيامة ". قلت: كيف إذا كان هذا الأخ الذي ترد عن عِرضه وتذود عن حرماته هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .. هو حبيب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟! وقال صلى الله عليه وسلم :" من حمى مؤمناً من منافقٍ بعث الله ملكاً يحمي لحمه من نار جهنَّم ". قلت: كيف إذا كان هذا المؤمن الذي تحمي عِرضه من أذى وطعن واستهزاء المنافقين هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .. هو حبيب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟! وقال صلى الله عليه وسلم :" ما من امرئٍ يخذلُ امرءاً مسلماً في موطنٍ يُنتقَصُ فيه عِرضه، ويُنتهك فيه من حُرمته، إلا خذله الله تعالى في

موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصرُ مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه من عِرضه، ويُنتهكُ فيه من حرمته، إلا نصرهُ اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرتَه ". إنه حقاً باب من أبواب الجنة والخير قد فُتح لمـــن يُحسن اغتنامه واستغلاله .. فهنيئاً ثم هنيئاً لمن وُفِّقَ لنصرة النبي المصطفى والذود عن عِرضه وحرماته .. وخاب وخسر وندم من خذل النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه .. ولات حين مندم. أيها المسلمون: الاعتداء على شخص النبي صلى الله عليه وسلم بالطعن والاستهزاء .. هو اعتداء على حقٍّ عام وخاص. فالاعتداء على الحق العام يتمثل في الاعتداء على مجموع الأمة الإسلامية في مشـــارق الأرض ومغاربها .. وهذا الحق قد يغسله ويجبه اعتذار الجاني وتوبته وتراجعه. أما الحق الخاص؛ فهو متعلق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم .. وهو حق لا يغسله الاعتذار .. ولا التوبة

والتراجع .. ولا مال الأرض كلها .. فلا يغسله إلا القصاص والدم وقتل الشاتم الطاعن المستهزئ .. فحد الأنبياء لا يشبه الحدود .. وحد شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المستهزئ به أن يُقتـــل كفـــراً وحداً؛ فإن تاب من الكفر وصدق في توبته، بقي عليه حد القتل ولا بد حصانة لحرمة وعِرض النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقّاً من حقوقه الخاصة. هذا الحق الخاص للنبي صـــلى الله عليـــه وســـلم ولإخوانه من الأنبياء .. لا يملك أحد من الأمة ــــ كائن من كان ــــ لا شعباً ولا حاكماً، ولا قبيلة ــــ أن يتنازل عنه أو يعفو عنه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخول أحداً من أمته أن يعفوا عـــن حق خاص به، وبالتالي لا بد من القصاص. أعجب لفريق من الناس ــــ من بني جلدتنا ممـــن هـــان عليهم دينهم ــــ يسعى لتهدئة الأمور، والشفاعة للجناة الذين تجرؤوا على الطعن والاستهزاء بشخص النبي صلى الله عليه وسلم .. وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خولهم بأن يتنازلوا عن حق خاص به؟! ولهؤلاء نقول: عِرض النبي صلى الله عليه وسلم تعرض للأذى والاعتداء لا عِرضكم؛ عنـــدما يكون الطعن والشتم والاستهزاء موجه لكم .. لكم حينئذٍ أن تعفوا عن الشاتم المستهزئ بكـــم إن شئتم .. أما عندما يكون موجه للنبي صلى الله عليه وسلم فمن خولكم بأن تعفوا عن حق خـــاص بالنبي صلى الله عليه وسلم .. أو أن تتشفعوا في حدٍّ من حدود الله؟! لذا كان الصحابة رضـــي الله عنهم لا يرون لشاتم النبي صلى الله عليه وسلم المستهزئ به ــــ وإن تاب وصدق في توبته ــــ ســـوى القتل حداً وقصاصاً. كما في الأثر عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي، قال: أغلظَ رجلٌ لأبي بكـــرٍ الصـــديق، فقلت: أقتله؟ فانتهرني؛ وقال:" ليس هذا الحد لأحدٍ بعدَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم "[صـــحيح سنن النسائي:٣٧٩٥]. قال ابن تيمية في كتابه العظيم " الصارم المسلول على شاتم الرســـول ": أن قتلَ ساب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قُتل كافر، فهو حدٌّ من الحدود ليس قتلاً على مجـــرد الكفر والحراب، لما تقدم من الأحاديث الدالة على أنه جناية زائدة على مجرَّد الكفر والمحاربة، ومن أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمروا فيه بالقتل عيناً .. وقد ثبت أن حده القتل بالسنة والإجماع ا- هـــ. وفي الختام أود أن أوجه رسالتين: رسالة إلى حكام المسلمين، ورسالة إلى مـــن تُطـــاوعهم

أنفسهم المريضة على النيل من جناب النبي صلى الله عليه وسلم . أما رسالتي إلى الحكام، فأقول لهم: إنها فرصة لكم لكي تراجعوا أنفسكم لتنظروا أين أنتم من أمتكم وهمومها .. وأين أنتم من دين الله .. وجادة الحق والصواب. المطلوب منكم ـــ كحكام ـــ أكثر من مجرد الاستنكار استرضاء للشعوب المسلمة الغاضبة .. المطلوب منكم: أن توقفوا ضخ البترول ـــ عصب الحياة ـــ إلى كل دولة يثبت عنها ـــ أو عن بعض مؤسساتها الإعلامية ـــ الطعن والاستهزاء بشخص النبي صلى الله عليه وسلم .. وعداءها للإسلام والمسلمين .. وأن توقفوا معها جميع أشكال التعاون الاقتصادي والدبلوماسي! المطلوب منكم: أن تدخلوا صادقين في موالاة النبي صلى الله عليه وسلم .. وموالاة المؤمنين .. وموالاة دينه وشرعه .. فلا تحكموا شعوبكم إلا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم . المطلوب منكم: أن تطهِّروا المجتمع .. وجميع المؤسسات العامة والخاصة .. من ظاهرة الاستهزاء والتهكم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم .. وبدين وشرع محمد صلى الله عليه وسلم . فإن فعلتم ذلك فستجدونا ـــ كشعوب مسلمة ـــ مباشرة معكم .. نذود عنكم .. كما تذودون عنا وعن ديننا وأمتنا! نحن ـــ بفضل الله ـــ نوالي في الله ونعادي في الله .. لا نعرف الأحقاد والثارات للنفس أو للدنيا .. فعلى قدر قربكم من الله نقترب منكم .. ونعفوا ونصفح .. وعلى قدر بعدكم عن الله نعادي ونجافي ونخاصم! طلبتم العزة دهراً من أعداء الأمة فأذلكم الله .. فاطلبوها صادقين ولو مرة واحدة من الله .. وانظروا كيف سيعزكم الله. صدق الفاروق عمر t إذ قال:" كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله ". أما رسالتي لهؤلاء الذين تُطاوعهم أنفسهم المريضة على التطاول والنيل من جناب النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء كانوا دولاً، أو منظمات، أو هيئات، أو أفراداً، ألخصها لهم في النقاط التالية: ١- قد مضت سنة الله تعالى فيمن يتطاول على جناب النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بالطعن أو أي نوع من أنواع التهكم والاستهزاء .. أن يُصيبهم الله تعالى بقارعة ـــ الله أعلم بماهيتها ونوعها وحجمها ـــ قبل يوم القيامة؛ إما على يد عباده الموحدين المجاهدين، وإما بسبب كوني يقدره الله. عرف التاريخ طائفة ممن تجرؤوا على الطعن والاستهزاء بسيد الخلق .. فكانت نهايتهم وخاتمتهم وخيمة جداً وعبرة لمن أراد أن يعتبر .. وأنتم على دربهم وإثرهم سائرون، وسيصيبكم ما أصابهم عاجلاً أم آجلاً .. ستذكرون ما أقول لكم! قال تعالى:) إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ (التوبة:٤٠.

فالنبي صلى الله عليه وسلم منصور منصور؛ إما أنه منصور بالله، وإما أنه منصور بعبد الله. وقال تعالى:) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (الحجر:٩٥. وهذا وعد قد قطعه الله تعالى على نفسه ـــ ومن أصدق من الله عهداً ـــ بأن يكفي نبيه صلى الله عليه وسلم المستهزئين الشانئين، سواء كان ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أم بعد مماته. أي أنت يا من حملتك نفسك الأمارة بالسوء على الطعن والاستهزاء بسيد الخلق .. خذ حذرك؛ فقد دخلت في حرب صريحة ومعلنة مع الله تعالى .. وأنَّى

لمثلك ومعك من في الأرض جميعاً أن يُحاربوا الله! ٢- هذا الذي تفعلونه من تهكم واستهزاء بسيد الخلق .. كما هو من جهة مؤلم جداً للمسلمين .. إلا أنه من جهة أخرى بشرى خير لهم باقتراب هلاك الظالمين المفسدين المجرمين، وأفول سلطانهم وملكهم .. واقتراب انتصار المؤمنين الموحدين ــ ورثة الأنبياء والرسل ــ الذين يؤمنون ويوقرون جميع أنبياء الله تعالى ورسله، لا يفرقون بين أحدٍ من رسله. ولو لم يكن من ثمرات وبركات اعتداءكم السافر على سيد الخلق .. سوى هذا الائتلاف والاجتماع والتوحد الذي تحقق للمسلمين .. لكان ذلك كافياً، وخيراً كثيراً .. فالمصاب الأليم العام والمشترك يوحد القلوب قبل أن يوحد الصفوف! ٣- لعلكم أردتم من وراء تطاولكم على سيد الخلق .. أن تتحسسوا أحوال الأمة .. هل لا تزال أمة الإسلام فيها عرق ينبض بالحياة .. هل لا يزال ــ بعد حكم العلمانية وتسلطها على الشعوب قرناً كاملاً ــ من المسلمين من يغار على الدين، والحرمات، والحقوق .. أم أن الأمة قد ماتت ولم تعد تحس بشيء؟ نقول لكم: لا تفرحوا .. قد خاب فألكم .. فأمة الإسلام لا ولن تموت .. قد تمرض .. قد تضعف في جانب من جوانب حياتها .. قد تكبو .. قد تتعثر في بعض خطواتها .. نعم هذا يحصل، وإن حصل فسرعان ما تنهض وتفيق .. لكن لا ولن تموت .. وهي باقية ما بقيت الحياة على هذه الأرض، إلى أن تقوم الساعة .. ويبعث الله من في القبور. فقد تكفل الله تعالى بحفظ دينه، كما قال تعالى:) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر:٩. ومن حفظ الله تعالى لهذا الذكر أن يحفظ الله تعالى حملة وحفظة هذا الذكر، الداعين إليه، والمجاهدين في سبيله، وإلى أن تقوم الساعة. كما في الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذَلهم حتى يأتي امر الله، وهم كذلك "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم :" لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم :" لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة " مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم : لا يزالُ الله يغرسُ في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته "[صحيح سنن ابن ماجه:٨]. وغيرها كثير من النصوص التي تُفيد وجود هذه الطائفة المنصورة الظاهرة .. وتفيد استمرارية وجودها على مدار العصور والأزمان وإلى أن تقوم الساعة؛ إذ لا وجود للدين من دونها، ولا وجود لها من دون الدين؛ فكل منهما لازم وملزوم للآخر. والحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الطيبات الصالحات ولو كره الكافرون المجرمون المفسدون المنافقون. اللهم يا حي ياقيوم .. أعز الإسلام والمسلمين .. وأعلي بفضلك كلمتي الحق والدين .. وانصر من نصر الدين .. واخذل من خذل الدين وأراد به وبأهله سوءاً. اللهم يا حي يا قيوم .. ياذا الجلال والإكرام .. أغث حبيبك محمدا .. أغث حبيبك محمدا .. أغث حبيبك محمدا .. واكفه شر الحاقدين المستهزئين .. وأرنا فيهم آية من آياتك .. إنك يا ربنا على كل شيء قدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم. عبد المنعم

التشريعات المطلوبة لضمان حقوق الجاليات المسلمة

ورقة حول المحور الثاني:

التشريعات المطلوبة لضمان حقوق الجاليات المسلمة بعنوان:

الجاليات الإسلامية في أوربا الغربية و الشرقية – الواقع و الأمل

من إعداد

الدكتور: خير الدين خوجة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد – كلية المجتمع – جامعة طيبة

المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله، نحمده و نستعينه و نستهديه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن سيدنا و نبيا محمداً عبده و رسوله، أدى الأمانة و بلغ الرسالة و نصح الأمة و جاهد في الله حق جهاده. اللهم صل و سلم و بارك على هذا النبي الأمي و على آله و أصحابه الكرام الطيبين الطاهرين و من نهج نهجهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون. الحمد لله الذي قال في كتابه: }مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ {، (الفتح:٢٩)، و قال عز من قائل: } إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {، (التوبة:٤٠)، وقال تعالى: }وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ {،(الأنبياء:١٠٧).

الحمد لله الذي جمع شمل الأمة المحمدية لنصرة خير البرية، الحمد لله الذي دفع الصحوة الإسلامية و العلماء الربانيين إلى بيان و نشر سنة سيد المرسلين. الحمد لله الذي ألهم مسؤولي الحكومات و الدول الإسلامية للتكاتف و التآزر فيما بينها والوقوف صفاً واحدة للدفاع عن المقدسات الإسلامية. اللهم بارك في تلك الجهود في هذا اليوم العظيم المشهود، و لا تحرمنا و إياهم من خيرك الموعود إنك يا مولانا خير مسؤول وأكرم مأمول.

إطلالة على أوضاع المسلمين في أوربا الغربية و الشرقية

(رؤية في الواقع و الأمل)

تمهيد يعود وجود الإسلام في الغرب إلى قرون سحيقة، إلى سنة ٧١١م عندما فتح المسلمون الأندلس و استقروا فيه. استمر حكم الإسلام في الأندلس قرابة ثمانية قرون، من ٧١١م – ١٤٩٢م. و مع سقوط الدولة الإسلامية في اسبانيا و طرد المسلمين من تلك الجزيرة و مجيء الدولة العثمانية في الحكم، فإنها أخذت توسع و تمدد دائرة حكمها شيئاً فشيئاً إلى جزيرة البلقان في أوربا الشرقية، و استمر حكم الدولة العثمانية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. في جزيرة البلقان يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين في البوسنة و الهرسك، و المسلمين الألبان في ماكدونيا و كوسوفا و ألبانيا، الدولة الوحيدة بالأغلبية المسلمة في أوربا [١].

إن تواجد المسلمين في أوربا الغربية تعد ظاهرة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، البعض جاء مهاجراً، و الآخرون جيء بهم من قبل الدول المستعمرة إلى أوربا لاستغلالهم وتشغيلهم، نظراً لحاجتهم إليهم و لسرعة النمو الاقتصادي في أوربا. فالإنكليز مثلاً جاؤوا بالأيدي العاملة ذات أغلبية مسلمة من شبه القارة الهندية، و الفرنسيون جاؤوا بالأيدي العاملة من إفريقية الشمالية ذات أغلبية مسلمة، و الهولانديون جاؤوا بالعمال و المهاجرين المسلمين و غيرهم من إندونيسيا. بينما الألمان الذين لم يستعمروا أحداً فهؤلاء استعانوا بالعمال من تركيا. و أما بقية الدول غير المستعمرة، فالمسلمون دخلوا إلى بلادهم عن طريق الهجرة. يبلغ عدد المسلمين في الغرب قرابة خمسة عشر مليوناً ؟. و لا شك أن هؤلاء المسلمين الجدد في الغرب لم يكونوا واعين و مدركين الثقافة الغربية تمام الإدراك.

و في الأمريكيتين لوحظ تواجد المسلمين بالكثرة في الستينات و السبعينات. و أما كندا، فإنها تبنت السماح بهجرة المسلمين ذوي الكفاءات و المهارات العالية . بينما سياسية الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكن كسياسة كندا. الولايات المتحدة كانت تركز و تشدد على المهاجرين بتعلم و إجادة اللغة الإنكليزية، و فهم الدستور الأمريكي و الثقافة و التقاليد و الأعراف الأمريكية.

بينما المسلمين في جزيرة البلقان فكانوا يعانون من قسوة النظام الشيوعي، و التمزق العرقي و الطائفي. الشيوعيون المتعصبون كانوا يحيون نزعة الكره و الحقد على الدولة الإسلامية العثمانية بين أوساط الشعوب التي كانوا يحكمونها. النظام الشيوعي منع أتباع هذه الأديان من التفاهم و التحاور فيما بينها للوصول إلى نقطة مشتركة ترضي الجميع. محاولة البوسنيين على إيجاد أرضية مشتركة، تتسم بالتسامح الديني بين المسلمين و الصرب و الكروات كانت فكرة غير مقبولة لدى الصرب و الكروات [٢] .

إن قضية التعددية الدينية في أوربا الغربية ما زالت شجرة و فكرة غير ناضجة. لأوربا الغربية تاريخ ديني طويل مظلم و دام. أقرب مثال على ذلك حرب البوسنة و الهرسك مع الصرب و حرب مسلمي كوسوفا مع الصرب. ففي نظر كثير من المسلمين في الغرب تعد تلك الحرب حرباً بين

الإسلام و الغرب، و صورة هذه الحرب في البوسنة و كوسوفا هي الدبابات و المدافع و الرشاشات، بينما صورة الحرب بين الإسلام و الغرب في الغرب هي القوانين الصارمة و المشددة في حق المسلمين، تهميش الإسلام و المسلمين، الهجوم الإعلامي العنيف ضد القيم و المبادئ الإسلامية، الاتهام بالأصولية و التطرف و الإرهاب. تجد في أوربا الغربية من المتطرفين من ينادي بإرجاع المسلمين إلى أوطانهم، و أن محاولات الأطراف الدينية في إيجاد الحلول و السبل الموصلة للتفاهم و العيش تحت سقف واحد قد فشلت.

إن تدفق المسلمين المهاجرين بالكثرة إلى بريطانيا، أدى ذلك بالسلطات البريطانية إلى اتخاذ الإجراءات و القوانين الصارمة في حق هؤلاء المهاجرين من المسلمين. لقد ألغوا حق دخول المسلمين إلا بالتأشيرة الرسمية، هذا التشدد في الإجراءات أدى ببعض السياسيين المحافظين مثل: صلى الله عليه وسلم Pow noch صلى الله عليه وسلم ll ، إلى توقع حرب أهلية بين أصحاب الثقافات المتعددة و المتنوعة تجري بسببها أنهار البلاد بالدماء، كما أدى هذا التخوف أيضاً برئيسة الوزراء السابق M صلى الله عليه وسلم s.Thatch صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلى إبداء قلقها إزاء تدفق المهاجرين إلى البلاد.

إذا كان بعض الباحثين يقسم أحوال المسلمين في الغرب إلى مرحلة ما قبل أزمة كتاب سلمان رشدي و المرحلة ما بعد صدور الكتاب، فإنه يحق لنا أن نقسم أيضاً أحوال المسلمين في الغرب و في العالم إلى مرحلة ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، و المرحلة التي تلت تلك المرحلة. بل، يمكن تقسيم أحوال المسلمين أيضاً إلى ما قبل أزمة الدنمارك و المرحلة ما بعد الأزمة الدانماركية.

المبحث الأول: نظرة الغربيين إلى الإسلام

يرى بعض المحللين أن النظرة الموضوعية و العالمية لعلاقة الغرب بالإسلام تكشف عن أن هناك في بلاد الغرب ــ إسلامين وليس إسلامًا واحدًا. الأول: الإسلام الذي يبحث عنه المستشرقون في مراكز الأبحاث الأكاديمية أو في الجامعات، و يقضون أعمارهم في البحث لأغراض سياسية و اجتماعية و دينية واستعمارية،

أما النوع الثاني فيرى المحللون هو الإسلام كما يعرفه الرجل العادي في أوروبا وأميركا، وهو خاضع تماما لوسائل الميديا التي تصوره شيطانًا مريدًا وتحمله مسئولية كل الموبقات التي قد تظهر اليوم أو غدا في العالم.. ولا تتورع عن إلصاق التهم به صغيرها وكبيرها. وللأسف أن هذا الفهم المشوه للإسلام هو الذي يظهر في الساحة [٣]، و هو الذي يعاني منه المسلمون في الخارج، ويدفعون ثمنا لأخطاء لم يرتكبوها وتكون النتيجة أن يجد هؤلاء أنفسهم وراء القضبان. دون ذنب أو جريمة!

و يرى المحللون أن حالياً هناك جدل في الغرب حول تقسيم الإسلام إلى قسمين آخرين أيضاً: الأول هو الإسلام في أوروبا، والثاني هو: إسلام أوروبا [٤]..

القسم الأول يقصد به ما أوضحناه آنفاً من أن أبناء الجاليات الإسلامية نزحوا من بلدانهم الأصـــلية مهاجرين ليستوطنوا أوروبا في كانتونات، شبه مغلقة، وخطورة هذه الحال أن المسلمين في أوروبـــا يكونون معزولين طوال الوقت عن المجتمع الذي يعيشون فيه.

والقسم الثاني هو إسلام أوروبا، أي أن أوروبا جغرافياً وزمانياً لها صفات مختلفة عن صفات الحيـــز الجغرافي العربي أو الإسلامي، ومن ثم فمن حقها أن يصطبغ إسلامها بطابعها الخاص يتناســـب مـــع واقعها و بيئتها وظروفها الاجتماعية و العرقية.

ويبدو للباحث أنه لا ضرر ولا ضرار من هذا التقسيم، لأن الواقع العالمي الإسلامي يشـــهد بهـــذه الحقيقة الواقعية، كما هو الحال في إسلام إندونيسيا و ماليزيا و تركيا و البوسنة و الهرسك و كوسوفا [٥]، و إسلام مصر، و إسلام الإمارات، و إسلام السودان و سوريا.

تشير بعض البحوث و الدراسات أن المسلمين في الغرب هم هدف لليمين المتطرف، ومن الثابت أن الحرب قائمة بين يمين أوروبا ومسلميها. كما اشتهر في فرنسا زعيم حزب الجبهة الوطنيـــة اليمـــيني المتطرف على عدائه الدائم للعرب، ورفضه بناء مساجد لهم، ورفعه لشعار: فرنسا للفرنسيين، وليس للعرب أو المسلمين.

ومن هذا الحزب في فرنسا خرجت جماعات أكثر تطرفا مثل جماعة النازيين الجدد.

إن هذه الكراهية لم يسلم منها حتى مسلمو بلجيكا إبان أحداث ١١من سبتمبر. فقد كانت هنـــاك تهديدات بالقتل والحريق طرد أبناء [٦] الجالية الإسلامية في الليل والنهار، قـــد وفـــوجئ الجميـــع بشعارات وكلمات قاسية مكتوبة على جدران مسجد بروكسل تحث على كراهية العرب، وطـــرد المسلمين، مع أن الدستور البلجيكي ينص على السماح بحرية الأديان وحرية التعبير للأفراد.

و يرى بعض المحللين أن تلك التصرفات كانت فردية من عناصر يمينية متطرفة، التي تعادي الأجانب بصفة عامة، و أن أحداث سبتمبر سببت ردود فعل سلبية على الجاليات العربية مدفوعـــة بالدعايـــة الأمريكية الصهيونية، بأن المسلمين وراء كل الأحداث الإرهابية. هذا الموقف جعل الدول الأوروبية تتشدد في التعامل مع المسلمين وتضع أنشطة الجاليات تحت الرقابة وتحجر على أموالها وتصادرها أو تجمدها، وفي هذا خسارة كبيرة للمسلمين في أوروبا و في أمريكا، خاصة المنظمات التي لها توجهات خيرية في مساعدة وإنقاذ فقراء المسلمين في العالم والمنكوبين منهم.

يذكر أن عدد المساجد في بلجيكا هو ٢٩٠ مسجد ودار عبادة، و أن إجمالي عدد المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي كافة يبلغ حوالي عشرين أو خمسة و عشرين مليون مسلم، وهذا ويشكل الإســـلام ثاني أكبر ديانة في بلجيكا متفوقا بذلك على الديانة اليهودية والبروتستانتية. ويـــتم تـــدريس مـــادة الإسلام في المدارس البلجيكية منذ عام ١٩٧٥م، وذلك تأسياً بتدريس الديانات الأخرى، كما يقوم حوالي ٧٠٠ مدرس ومدرسة من المسلمين المنتشرين في أرجاء البلاد بتعاليم الإســـلام في المـــدارس

الابتدائية والثانوية و لمدة ساعتين أسبوعياً، وبدورها تتولى الدولة دفـــع رواتـــب مدرســـي الـــدين الإسلامي الذين يزيد عددهم عن سبعمائة معلّم ومعلمة [٧].

أما حال مسلمي آمريكا، فقد ذكرت مجلة (Us n صلى الله عليه وسلم ws and wo صلى الله عليه وسلم ld صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم po صلى الله عليه وسلم t) أن الحكومة الأميركية وضعت برنامجاً واسعا لمراقبة نحو ١٢٠ مسجدا وموقعـاً يرتـاده مسـلمون في الولايات المتحدة، وذلك بحثاً عما تعتبره الإدارة الأميركية قنابل نووية محتملة. وأوضحت المجلة على موقعها الإلكتروني أن المواقع التي كانت تخضع للمراقبة تشمل مساجد ومنازل ومتاجر ومستودعات ومواقع مماثلة يرتادها مسلمون أميركيون في العاصمة واشنطن وخمس مدن أخرى، بحجة مكافحـة عمليات إرهابية محتملة، مع أن المحللين الإسلاميين يرون أنه لا يوجد دليل أو حتى جزء من دليل يجعل الإدارة تشك في مسلمي الولايات المتحدة ونزاهتهم، وأنهم جزء لا يتجزأ من الشـعب الأميركـي. واعتبر المحللون الإسلاميون أن هذا الأمر ستكون له انعكاسات سيئة جدًا على العلاقة بـين الجاليـة المسلمة والإدارة الأميركية، مشيرا إلى أن ذلك سيشكل أزمة لواشنطن في كسب عقـول وقلـوب المسلمين في العالم، بينما تسلب حرية المسلمين داخل الولايات المتحدة !.

لقد طالب رؤساء الجاليات الإسلامية الكونغرس بأن يمنح ضمانات ويقلص صـلاحيات الحكومـة الأميركية إذا كان هناك تجاوز للدستور في الإجراءات التي تتخذها في إطار تنفيذ قـانون الوطنيـة [باتريوت آكت] الذي قال إنه لا يعطي الصلاحية لمراقبة ورصد الأماكن الخاصة [٨].

أما حال مسلمي فرنسا فهناك عندهم «الفوبيا» من الإسلام التي سيطرت على الجميع، أصبح كـل مسلم هو بالضرورة إرهابياً يجب التخلص منه بطريق أو بآخر.

وأصبح أنظار الناس تتجه إلى مساجد المسلمين بهدف تطهيرها من دعاة العنف و أن علـى الـدول الأوربية ألا تقبل الوعاظ والمشايخ والأئمة القادمين من الدول الإسلامية ، و إنما يجب أن تنشأ لهـم معاهد متخصصة في تخريج الأئمة والوعاظ. و العجيب في الأمر أن عدد مسلمي فرنسا يبلغ حوالي ٤ ملايين ورغم ذلك لا صوت مسموعا لهم.. أما يهود فرنسا لا يزيد عددهم على ٦٠٠ ألف شخص، فهم يملأون الساحة ضجيجا وتأثيراً، بل ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها [٩].

أما في هولاندا فقد أصدرت وزارة الداخلية الهولندية قراراً يجبر دعاة الإسلام ووعاظه على تعلم اللغة الهولندية لكي يتاح لهم إلقاء الخطب بلغة أهل هولندا وليس باللغة العربية.

والسبب من وراء هذا الإجبار هو أن يعرف المسئولون عن الأديان ماذا يقوله أئمـة المسـلمين في المساجد بعد أن حذرهم البعض من أن الخطب التي تلقى باللغة العربية قد تشمل تحريضاً على العنف وكراهية الآخر.

بينما لا تجد هذه الفروق و هذه الكراهية في دولة غربية أخرى مثل سويسرا. المسلمون في سويسرا يستغلون ظروف الحرية المتاحة ليطالبوا بالاعتراف بدينهم رسمياً وتسهيل إعطائهم الجنسية السويسرية. ويعيش نحو نصف مليون مسلم في سويسرا من جاليات ألبانية و تركية و بوسنية و عربية و آسيوية منذ عقدين من الزمن أو أكثر، و أن حالهم أفضل من حال المسلمين في بلدان غربية أخرى. أما الأسباب لهذه الميزة، فلعل أولها أن سويسرا لم تكن يوماً ما دولة استعمارية. يقول المحللون الإسلاميون في سويسرا أنه: لا يستطيع مسلم في سويسرا أن يشكو من شيء، فنحن نتمتع هنا بحقوق وحرية وعدالة، لا نتمتع بها في أيّ بلد من بلداننا الأصلية. وتتعامل السلطات السويسرية مع الجالية المسلمة بتسامح وتساهل وبكثير من المساواة [١٠]، و بخلاف بعض الحكومات الغربية، لا تحمل السلطات السويسرية المسلمين وزر أخطاء البعض منهم وما يرتكبونه من مخالفات أو جرائم.

أما عن ارتياحهم و استقرارهم النفسي و الفكري لمسلمي سويسرا فيرى بعض المسلمين أن من العناصر الايجابية التي حسّنت صورة المسلمين في سويسرا ودفعت عملهم التنظيمي إلى الأمام، تدفق أعداد غير قليلة من اللاجئين السياسيين ذوي الثقافة العالية والوعي المعمق، فبعد أن كانوا يفكرون بعقلية السائح أو ابن السبيل المهجر باتوا الآن يفكرون بعقلية المواطن، و إن كان بشكل عام الشعب السويسري يحمل فكرة تضارب الحضارات أو صراع الحضارات، و ذلك بسبب تشويه صورة الإسلام من قبل الوسائل الإعلامية العالمية [١١].

وفي أسبانيا حدثت سلسلة مواقف عنصرية ضد العرب والمسلمين وحرق فيها الأسبان حقول عدد من العرب وحطموا سياراتهم. والسبب هو كراهيتهم لكل ما هو عربي ومسلم وإصرارهم على طرد هؤلاء الغزاة كما يسمونهم.

و يرى المحللون أن هناك رأياً من جانب دول عديدة في الغرب يصر على تهميش أي دور لمسلمي أوروبا والسعي لتمزيقهم ليظلوا مفككين.

المبحث الثالث: المسلمون في جزيرة البلقان – أوربا الشرقية [١٢].

حول أوضاع المسلمين في البلقان و أوربا الشرقية كتب كثير من الكتاب الغربيين وغيرهم، و لكن سمة و طابع تلك الدراسات هي أنها غير موضوعية و أحادية النظر، و كتبت لأهداف تنصيرية و تبشيرية، مما يجعل الباحث المسلم يتوقف أمام كثير من الحقائق التي ذكروها. فأفضل ما رأيت من تحدث عنهم هو الرئيس البوسني الراحل رحمه الله علي عزت بيغوفيتش Alija Iz صلى الله عليه وسلم t B صلى الله عليه وسلم govic رئيس جمهورية البوسنة والهرسك سابقاً في محاضرة له، و نحن سنقتبس قبسات من تلك المحاضرة، حيث قال رحمه الله:

" أن هناك خمسة وعشرون مليون مسلم [١٣] يعيشون في بلدان قارة أوروبا، وذلك بحسب تقديرات عام ١٩٨٦م.. و أضاف بيغوفيتش أن المسلمين في البوسنة والهرسك وألبانيا [١٤] – أي

بلاد البوشناق والألبان – يختلفون في واقعهم عن مسلمي البلدان الأوروبية الأخرى، فهاتان الدولتان لا يمثل المسلمون فيهما أقليات عرقية أو دينية.

أما بالنسبة للجذور التاريخية لوضعهم، فأضاف رحمه الله: أنه يمكن القول إن هناك ثلاث مجموعات رئيسية من المسلمين في أوروبا، المجموعة الأكبر توجد في الجزء الأوروبي من الاتحاد السوفيتي السابق، وخاصة في الاتحاد الروسي، والثانية – وهي الأحدث– يعيش أفرادها في دول غرب أوروبا وهم من المهاجرين وأنجالهم والأوروبيين المتحولين إلى الإسلام... والثالثة وهي الأقدم وهـي الـتي تعـيش مجموعات في منطقة البلقان [١٥].

وأما بالنسبة للحقوق الدينية والحريات والحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فـذكر رحمه الله: فإن المجموعة الأولى هي في الوضع الأصعب بلا شك، وذلك نتيجة لمرحلة الأيديولوجيـة الإلحادية والشوفينية الروسية وتدهور الاقتصاد، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي توسع مدى حقـوقهم الدينية، ولكن وضعهم الفعلي لم يتغير...

أما مسلمو غرب أوروبا فيمثلون عالم الشتات الإسلامي في أوروبا وتختلف أوضـاعهم بـاختلاف أنظمة وثقافات البلدان التي يعيشون فيها...إن الأسباب الاقتصادية هي من العوامل الحاسمة في هجرة المسلمين إلى أوروبا...

إن وضع مسلمي البلقان كونهم سكاناً أصليين في أوروبا يحظى بأهمية كبرى بالنسبة لوضع الإسـلام في أوروبا، وعلاقة المسلمين مع أوروبا، وخاصة مع حرصهم على الحفاظ على التراث الإسلامي رغم الضغوط التي كادت أن تقضي عليهم في بعض الحالات كما حدث لمسلمي البوسـنة والهرسـك و لمسلمي بلغاريا [١٦] ، و هنغاريا [١٧].

وفي ألبانيا [١٨]، حاول الملحد أنور خوجة ثني الألبان عن الإسلام طوال نصف قرن مـن حكمـه الجائر – وكما حاول الرئيس الصربي المجرم الذي هلك قبل بضعة أيام في زنزانته التي كان يقبع فيها في المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، فقد حاول هو الآخر بكل مـا أوتي مـن قـوة عسـكرية و إيديولوجية أرثودكسية و حقد صليبي ضد الإسلام و المسلمين أن يطهر أرض كوسوفا تطهيراً عرقياً و دينياً، و لكن أبى الله عز وجل إلا أن يفشل هذا المجرم و أعوانه في هذه الخطة بفضل جيش تحريـر كوسوفا ثم بفضل تدخل قوات حلف الشمال الأطلسي ناتوا، لقصف المناطق والمـدن و القـوات الصربية، والحمد لله رب العالمين

لقد أصبح العالم الحديث أكثر ترابطاً بسبب العلوم والتقنية الحديثة والاتصالات والسياسة والاقتصاد والرياضة والسياحة، وأصبح العالم يتقلص جغرافياً، ولكن مع كل أسف لم يؤد ذلـك إلى تقلـيص الفجوة بين الأغنياء والفقراء أو بين مناطق العالم المتطورة وغير المتطورة، بل علـى العكـس فقـد

أصبحت الفجوة أكبر، فبعد الإمبريالية العسكرية جاءت الإمبريالية الاقتصادية، ونحن الآن نشـــاهد الإمبريالية التقنية.

أما قضية و فكرة التعايش بين الثقافات،

إن البعض ينظر إلى هذه الظاهرة بشكل مختلف، ويفسرها على أساس صراع بين الحضارات الغربيـــة والإسلامية، وأشهر هؤلاء صموئيل هنتنجتون، ولكن اعتقد أن التاريخ يثبت عكس ذلك، فكثير من الثقافات عاشت جنباً إلى جنب، وتمازجت وتعاونت، واستمرت في العيش، ومع ذلك فهناك اعتقاد قوي بأن تاريخ العالم يتحرك من الشرق إلى الغرب وفق ملاحظة بعض المحللين..[١٩].

أما عن الأوضاع الحالية الدينية و السياسية و الاجتماعية في البوسنة و الهرسك[٢٠]، و كوســوفا [٢١]، فيرى المحللون المسلمون أن الأوضاع الراهنة ما زالت متدهورة إلى حد بعيد جـــداً. فـــيرى الخبراء المسلمون أن كثرة الوعود التي قطعها المجتمع الدولي تجاه هاتين الدولتين، فإنهم قـــد حققـــوا الشيء اليسير منها. فهل استتب الأمن والاستقرار وهل عاد اللاجئون إلى ديـــارهم؟ وهـــل ردت الحقوق أو بعضها إلى أصحابها؟ أم أن وعود المجتمع الدولي بإعادة البناء والاستقرار وبضخ ملايـــين الدولارات التي صحبتها ضجة إعلامية كبيرة ما هي إلا جعجعة في فنجان ومسرحية للضحك على ذقون الضعفاء تكررت في البوسنة وكوسوفا ومقدونيا وصربيا وأفغانستان؟

لقد تورطت الشرطة الدولية و القوات المتعددة الجنسيات لحفظ الأمن و السلام في البوسنة و كوسوفا في فضائح الفساد والرشوة والرذيلة، فكما أشارت صـــحيفة Washington Post ،فقـــد أدينت تلك الشرطة بتهم كثيرة منها التلاعب والفساد والتورط في قضايا جنسية مما جعلـــها تعيـــد الكثير من هؤلاء المتورطين إلى بلادهم دون تحقيق، وقد حظيت أمريكا بالنصيب الأكبر من هـــؤلاء الفاسدين، وبلغ عدد الذين تم إرسالهم إلى بلادهم ١٨٣٢ منهم ١٦١ أمريكي، وإنهـــم في الحقيقـــة ليسوا هناك إلا للتمتع بأطيب الأوقات. فكيف يمكن لبعثة ينخر فيها الفساد القيام بحفـــظ الأمـــن وتدريب شرطة البوسنة والهرسك، وعلى ماذا ستدربها يا ترى؟

من منا لا يتذكر الفظائع وجرائم الحرب التي ارتكبها الجيش والمدنيون الصرب ضد المسلمين [٢٢] ، فقد اغتصبوا النساء، وعذبوا الرجال، ودفنوا عشرات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك وألبانيا وكوسوفا أحياء، ولا تزال حتى اليوم تتم عمليات كشف لمقابر جماعية [٢٣]، وأن جنود هولنـــدا تواطؤوا بالتستر على قوات الصرب، وأفسحوا لهم المجال لإسقاط مدينة سيربيرنيتشا المُسلمة S صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم b صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم nica ،واعترفت الحكومة الهولندية بجرائم أبنائها الذين شاركوا الصرب في التستر على مذبحة ضد المسلمين.

ماذا كسب مسلمو البوسنة والهرسك و كوسوفا من القبض على الـــرئيس اليوغســـلافي الســـابق سلوبودان ميلوشوتش Slobodan Miosh صلى الله عليه وســـلم vic ؟ و حـــتى الآن لم

يتعاون المجتمع الغربي فيما بينه على قبض المجرمَين الآخرَين المطلوبين لدى المحكمة الجنائيـــة، راتقـــو ملادتش صلى الله عليه وسلم atko Mladic و رادوفان كاراجيتش صلى الله عليـــه وســـلم adovan Ka صلى الله عليه وسلم axhic ، فأي عدل هذا و أي نصرة لهـــذين الشـــعبين المظلومين في القرن العشرين !! [٢٤].

نتيجة لهذه الإهمال الغربي المتعمد في إعطاء الحقوق السياسية و الاجتماعية و الدينية لمسلمي البوسنة و كوسوفا، فيرى المحللون أن الشعوب المسلمة في البوسنة وكوسوفا ومقدونيا راحت ضحية للظلـــم وهضم الحقوق مرتين، الأولى عبر جرائم الصرب، والثانية عبر تآمر الدول الكبرى داخل منظومـــة المجتمع الدولي، التي هضمت حقوقها وعلقت مصيرها وعطلت كفاحها المشروع، وعاقبتها بسلسلة من الإجراءات البيروقراطية والمشاريع الوهمية وأدخلتها في متاهات من الوعود، فزادت معاناة الناس مما أدى بهم إلى اليأس والإحباط و لم يعد أمامه إلا خيارين: الهجرة أو خيار الانزلاق في عالم الجريمـــة التي انفتحت أبوابها وتهيأت ظروفها ..[٢٥].

فهذه نظرة موجزة عن أوضاع الجاليات الإسلامية في الغرب، و الآن لننظر ما الذي يجـــب اتخـــاذه لضمان حقوقهم في الغرب.

المبحث الرابع: التوصيات و التشريعات المطلوبة تنفيذها لضمان حقوق الأقليات الإسلامية

للخروج من هذه الأزمة الفكرية و الدينية و الاجتماعية التي ألمت العالم الإسلامي والغربي معاً ينبغي للجاليات الإسلامية و المجتمع الغربي اتخاذ هذه الخطوات:

١- بذل مزيد من الجهود من قبل قادة الأديان على تعزيز و تقوية العلاقات الإنسانية عـــن طريـــق الحوار ومحاربة التميز العنصري، و توحيد الجهود لمحاربة الفساد و الرذيلة و المخدرات و البطالـــة و الاهتمام بالبيئة و تطبيق القانون في البلد الذي يعيشون فيه..، ففي هذه المجالات يمكن التعاون فيها مع أهل الكتاب [٢٦].

٢- الاهتمام بمشاكل المسلمين الاجتماعية من قبل المؤسسات السياسية الغربية، و معالجة قضاياهم و رفع شكاويهم و مطالبهم و اقتراحاتهم إلى الجهات المعنية و المسؤولة، و الاعتراف بحقيقة تاريخية أن الغرب مدين للإسلام و المسلمين علمياً و حضارياً.

٣- إعطاء حق التعليم المدرسي والجامعي لأبناء و بنات الجاليات المسلمة، و إبطال فكرة الأصـــولية الإسلامية التي يتخوفون منها، و ذلك بتخصيص مدارس و مرافق تعليمية الخاصة بهم، كما فعلـــت هولاندا بتخصيص ست مدارس تحت الإشراف الحكومي المشدد، و كمـــا لليهـــود و المســـيحيين مدارسهم الخاصة.

٤- يجب معاملة المسلمين بالتساوي، و عدم تشريع قوانين تمس الإسلام مقدسات المسلمين،كما هو الحال مع وزير التربية والتعليم في فرنسا الذي أجبر سبعمائة فتاة مسلمة على خلع و نزع حجـــابهن تحت نار التهديد بالفصل من المدارس.

٥- عدم التعرض بالأذى للصحوة الإسلامية المتزايدة بين الرجال و النساء و الشـــباب و الفتيـــات، والتي من مظاهرها التمسك بمبادئ الإسلام و ارتداء الحجاب و الذهاب إلى المساجد و المصليات، و إقامة الاجتماعات الدينية و الندوات العلمية و ممارسة النشاطات الدعوية، بشرط أن يتم ذلك ضمن القانون المسموح به في البلد الذي يعيشون فيه.

٦- السماح للمسلمين بممارسة الحقوق السياسية و الانتخابات الحرة، وحق العضوية في البرلمـــان، حتى تتسنى لهم من خلالها مناقشة قضاياهم الاجتماعية والسياسية، و حتى يخرج المسلمون من هـــذه العزلة السياسية و الاجتماعية.

٧- على الجاليات الإسلامية في الغرب أن يتحدوا فيما بينهم و يوحدوا صفوفهم على مبدأ الشورى، و ذلك باختيار ممثلين من بينهم. بهذه الطريقة و بهذه الوحدة يكون لهم صوت مسموع لدى الجهات الحكومية التي ينتمون إليها.

٨- على العلماء و المشايخ و الدعاة أن يفقهوا واقعهم المعيشي في الغرب، و أنهم ما داموا يشكلون أقلية في أعين هؤلاء الغربيين فإن عليهم أن يفهموا أنهم مطالبون باحترام قانون البلاد الذي يعيشـــون فيه، و أنه لا يجوز في حال من الأحوال التمرد على ذلك، و لا يكون الأمر كما حدث لبعض رجال الدين في هولاندا عندما أفتى بحرمة المشاركة في الانتخابات المحلية لكـــونهم لا يحملـــون جنســـيات هولاندية و لأن أعضاء الأحزاب السياسية غير مسلمين ؟!

٩- توضيح و بيان حقيقة صورة الإسلام و نبي الإسلام و محاسن الإسلام و مزاياه للغربيين، لأنـــه هناك جهل كبير في أوساطهم و بين مثقفيهم.

١٠- بجانب التوضيح و بيان الإسلام للغربيين، فإنه يجب توضيح و توعيـــة الأقليـــات الإســـلامية بالفلسفة الغربية و تنوعها العرقي و الثقافي و الديني، و أن فكرة الصراع الحتمـــي للحضـــارات و الثقافات لصموئيل هنتنغتن Samu صلى الله عليه وسلم l Huntington يجب أن لا تقبل، و يجب أن ترفض جملة و تفصيلا، و أن الأمر كما راء بعض المحللين مثل بريان بدهم B صلى الله عليه وسلم ian B صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم dham، أنه سيكون هناك بين المسلمين و النصارى تعاون و تفاهم و تنسيق أكبر بكثير من ذي قبل [٢٧] .

١١- علاوة على ما ذكر فإنه يجب على المسلمين عموماً و المسلمين الذين يعيشون في الغرب على وجه الخصوص أن يقوموا بدور فعال أكبر على إيجاد توفيق بين الإسلام و العلوم الاجتماعية الحديثة

و تطور الثورة التكنولوجية و الصناعية الحديثة، حتى يتم من خلال هذا التوفيق و الحفاظ على الهوية الدينية و العرقية في بيئة غير مستقرة علمياً و ثقافياً وتكنولوجياً و صناعياً.

١٢- هذا التوفيق بين الإسلام و العلوم الإنسانية الحديثة لا يتم دون فتح باب الاجتهاد الجديد و تجديد الخطاب الديني [٢٨] ، في هذا العصر و بالذات في الغرب، لمواجهة التحديات العصرية الحديثة و التطورات الاجتماعية و الثقافية، و أن لا نكتفي بالاجتهادات القديمة قبل مئات السنين.

١٣- المسلمون أدركوا الآن حقيقة شروح و تفاسير العلماء القدامى، حيث أهم صاغوا تلك الشروح و التفاسير لبيئات ذات أغلبية إسلامية في أزمانهم، وليس كالأقلية بين أظهر غير المسلمين. هناك حاجة ماسة للشروح و التفاسير التي ترشد المسلمين و تلبي حاجاتهم كالأقلية، و بالطبع هذا لا يتم إلا باجتهادات جديدة من قبل العلماء و المفكرين، أهل الحل و العقد في هذا العصر [٢٩].

١٤- نطالب الغرب بالاعتذار الفعلي، ومن مظاهر هذا الاعتدال: تغيير المناهج الدراسية التي تشوه صورة الإسلام في أهان الأطفال المسلمين و غيرهم في الغرب.

١٥- إيقاف سلسلة موجات الكراهية التي تدعو إلى الاستعداء الحضاري و الثقافي.

١٦- سن قوانين دولية و محلية تجرم كل من يتطاول بالإساءة و الازدراء إلى الأديان.

١٧- لوقف موجة الغضب العالمي و الإسلامي في هذه الأزمة، فإنه يتوجب على الغربيين أن يكفوا أيديهم و ألسنتهم عن الظلم و التعسف تجاه المسلمين..

١٨- على الأطراف المعنية بالسلام (المسلمون و الغربيون) أن يصبوا جل جهودهم و طاقتهم الفكرية و الدينية إلى صناعة و توليد الحب بين الناس، بدلاً من صناعة و توليد البغض والكراهية [٣٠].

١٩- إنشاء مواقع على الانترنت متعددة اللغات، بغرض التعريف عن حقيقة الإسلام و شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ..

٢٠- غرس الحقيقة الدينية في قلوب الغربيين و الجاليات الإسلامية، أن الإسلام ينظر إلى العالم على أنه أسرة بشرية واحدة، متعددة الأعراق و اللغات، يجب التعايش السلمي و يجب قبول الآخر و الحوار مع الآخر، فنحن و هؤلاء إخوة في الإنسانية،كما قال تعالى: } يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً {، (النساء:١)

٢٠- كما قال الله عز وجل: } يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ{ (الحجرات:١٣) .

٢١- غرس المبدأ الإسلامي في نفوس الغربيين و الجاليات الإسلامية في الغرب أن ديننا دين تسامح و عفو و صفح عن الآخر، قدوتنا في ذلك القرآن الكريم و سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

٢٢- غرس الفكرة الإسلامية في نفوس الغربيين و الجاليات الإسلامية على حرمة سباب الآخـــر أو إهانته أو إذلاله، قال تعالى: } وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْـــرِ عِلْـــمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{، (الأنعام:١٠٨).

٢٣- لا بد من محاصرة الفتنة و إخماد نارها و تضييق إطارها، و لا سبيل إلى ذلك إلا بتعاون الطرفين عن طريق الحوار المتبادل.

٢٤- اجتماع الجاليات الإسلامية و اتفاقهم مع الغربيين على ضرورة نشر الأخلاق الفاضـــلة مـــن صدق و أمانة و شرف و عزة و إيجابية و كرامة وحرية، و محاربة الأخلاق الذميمة من كذب و غش و سرقة و زنا و مخدرات. فهناك أرضية مشتركة مع هؤلاء القوم في المجالات المذكورة..

٢٥- أيضاً يجمع الجاليات الإسلامية خاصة و المسلمين عامة مع الغربيين، الاتفاق على التبادل المادي و الثقافي و المعرفي و التجاري و الحضاري و العلمي..[٣١].

٢٦- لا نقبل أن يكون انتصارنا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق العنـــف والحـــرق و التدمير لممتلكات الآخرين، و ندين الهجمات الأخيرة على سفارة الدانمرك و النرويج في بـــيروت و دمشق. و إنما السبيل إلى ذلك الإنكار علناً و الإدانة جهراً بكافة السبل و الوســـائل الإعلاميـــة، و الدفاع عن المقدسات الإسلامية بالطرق المشروعة ، مضمونة العواقب و مثمرة النتائج و ضـــمن و الضوابط الشرعية سلمياً.

٢٧- للتخفيف عن آلام و أحزان و مشاعر المسلمين قاطبة و الجاليات الإسلامية خاصة، فإن علـــى دولة الدانمارك و الدول الغربية الأخرى التي نهجت نهجها، أن تكون أكثر إيجابية و أكثر واقعيـــة في التعامل مع الأزمة الراهنة، و أن لا تكتفي فقط بالشجب و الإنكار، بل عليها أن تتخذ الخطـــوات الجادة و اللازمة في حق هؤلاء الذين أفسدوا أمن البلاد و كدروا صفاء الجو الثقافي و الاجتمـــاعي، وذلك بإجبارهم على تقديم الاعتذار الرسمي، و إلا فالعقوبات تكون صارمة و قاسية [٣٢].

٢٨- بيان للغربيين و للأقليات الإسلامية في الغرب أن الشريعة الإسلامية الغراء بكل ما جاءت من أحكام و شرائع و قيم تنسجم و تتفق مع تطلعات الإنسان و تحمي حقوقه في كل مكان، أياً كـــان دينه و مذهبه،و لا يوجد هذا في بقية الشرائع العالمية..[٣٣] .

٢٩- نقول للغربيين: يا أيها الغربيون لا تؤذوا الإسلام و المسلمين و لا تخافوا من الإسلام: " .. إن الإسلام الحقيقي ليس هو الخطر على الغرب أو الحضارة الغربية... إن الإسلام هو العلاج الذي يحمي الحضارة الغربية من الانهيار و يشفيها من الأمراض..

٣٠- أيها الغربيون: إن الخطر الحقيقي الذي يتربص بكم و بحضارتكم هو الفساد ذاته الذي ســـرى إلى جسم الإمبراطورية الرومانية و قضى عليها. لقد انصرفتم كلياً في معاملتكم مع الكون إلى الآلة (المادة)، و نسيتم أن الآلة هي التي ينبغي أن تكون في خدمة الإنسان و لـــيس العكـــس... العلـــم

يستوجب بالدرجة الأولى أن يتناول الإنسان من حيث ذاته: من هو؟ ما مصدره ؟ و إلى أي شـــيء مآله ؟ ما الغذاء الذي يجب أن يقدم لروحه ووجدانه؟ ما هي أهمية الأخلاق في حياتـــه ؟...هـــذه المصيبة هي التي أورثت إنسان الحضارة الغربية فراغاً في فكره و فراغاً في وجدانه، و فراغاً في إدراكه لعلاقة ما بينه وبين الكون...الكبار منهم لديهم فراغ روحي و عاطفي، ولكنـــهم مســـتغرقون في الوظائف و الأعمال العلمية أو السياسية أو الاجتماعية أو المعيشية...إن الذي يشعر بهـــذا الفـــراغ الروحي الموحش و المخيف الجيل الجديد، لأنه لا يوجد ما يشغل وقته بتلك الوظائف المختلفة...ألا ترى كيف يفر أحدهم من نتائج هذا الفراغ الفكري و العاطفي إلى أسباب الذهول و النسيان المتمثلة في أنواع المخدرات و المسكرات و أنواع الشذوذ كلها، بدءاً من شذوذ الفكر، إلى شـــذوذ اللـــهو الجنوني، إلى شذوذ الجنس، فشذوذات الجريمة و القتل..وأن٤٠% من المدارس الابتدائية في أمريكـــا يتم إخضاع تلاميذها لجرعات ممددة من المخدرات تحت إشراف أطباء متخصصين لضرورة توفير ما لا بد من التوازن الفكري لديهم..إذن هذا هو الخطر الذي يهدد الحضارة الغربية و ليس الإســـلام. فما العلاج ؟

٣١- العلاج أن يوجه الغرب اهتمامه إلى الإنسان أكثر في تكوينه الكلي و التعرف على أشـــواقه و حاجته الروحية و التي لا مجال لإنكارها، و العمل بجد على إجابة الأسئلة السابقة، ضمن مقـــاييس العلم المنضبط بعيداً عن الخرافات و الأوهام، التي يتقبلها الشباب الغربيون بسبب الفراغ الروحي..إن الذي ينجدكم و يعرفكم على الحقيقة الكلية للإنسان هو الإسلام..

٣٢- لا نقول لكم أيها الغربيون تعالوا و اعتنقوا الإسلام، و لكننا نقول لكم: تفهموا الإسلام بعيداً عن الخرافات و الأفكار الدخيلة، فلسوف تنسجم حقائقه مع تطلعاتكم العلمية و تستأنســـون بـــه ولسوف تدركون أن الإسلام هو الملاذ للناشئة من الضياع..

٣٣- المطلوب: هو التخلي عن نظرتكم إلى الإسلام على أنه خطر داهم، و النظر إليه على أنه صديق صدوق و ملاذ عند الحاجة، وترك كل من يرغب في دراسته ثم اعتناقه دون أي تضييق..

٣٤- فالإسلام هو العلاج لشيخوخة الحضارة الغربية قبل أن يدركها الموت.." [٣٤].

٣٥- هناك:"... مسؤوليات للأقليات الإسلامية نحو المجتمع الذي يعيشون فيه. إن مبدأ الوفاء يقتضي أن يبادل المسلمون المقيمون في الغرب ما قدمه الغرب إليهم من علم وتقنيـــات وغيرهـــا، فيقـــدم المسلمون لهم بما يتوافر لديهم من مقومات الحضارة الإنسانية التي لا تتوافر لدى الغرب، والغـــرب بأشد الحاجة إليها.

٣٦- إذا كان المسلمون يعانون من فقر في هذا الجانب، فإن الغرب أيضًا يعاني أبناؤه من أمراض في أوضاعهم الاجتماعية وتصوراتهم الفكرية والإعتقادية، وفي مجال الصحة النفسية. لقد آن للإنســـان

المسلم أن يؤدي واجبه في إنقاذ المجتمع الإنساني عامة والغربي خاصة من هذه المعاناة التي يقاسي منها. وأن يسعى للتخفيف من الأرقام المخيفة التي تتفاقم يومًا بعد يوم.." [٣٥] .

٣٧- إن على المسلم أن يقدم نفسه إلى المجتمعات التي يعيش فيها من خلال هويته الإسلامية بصورة صحيحة وصادقة، بحيث يترجم الإسلام الذي أنزله الله تعالى؛ ليتيح للمجتمعات التي يعيش فيها أن تتعرف على الإسلام الحقيقي، من خلال فكره وسلوكه وأخلاقه وعلاقاته. وعندئذ يتم تبادل الثقافات وحوار الحضارات بصورة واقعية، لا من خلال الدعوة الكلامية أو على الورق فقط.

٣٨- إن واجب الجالية المسلمة في الغرب أن تكون مظهرًا للانسجام مع البيئة، ولكن ليس من خلال ذوبان الشخصية، وإنكار الأصل الذي انحدرت منه والهوية التي تنتسب إليها، بل من خلال الأخلاق التي تجعل الفرد من أبناء هذه الجالية موضع تقدير واحترام، وتجسد الصورة الصحيحة لهذا الدين.

٣٩- إن على الجالية المسلمة أن تحترم النظم السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه، بمقدار ما تكوّن هذه القوانين والنظم صورة حضارية تجسد كرامة الإنسان وإنسانيته، وبمقدار ما تكون سببًا للأمن والاستقرار في المجتمع الذي يعيشون فيه؛ لأن ذلك قاسم مشترك بين المبادئ الإسلامية وتلك النظم.

٤٠- إن هذا يوجب على الجالية المسلمة أن تكون سفير صدق لدينها، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كانوا صورة تجسد بصدق مبادئ هذا الدين وأخلاقه. عندئذ سيجدون أثر ذلك في هذا المجتمع الغربي وغيره يتجلى في أعظم مظاهر التقدير والاحترام..

٤١- إن أول مسؤول عن تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الآخرين هم المسلمون أنفسهم، عندما يتناقض كلامهم مع أفعالهم، ويحملون اسم الإسلام ولكنهم في تصرفاتهم وأخلاقهم على نقيض ذلك [٣٦] .

فهل يتم خلاص البشرية على أيدي المسلمين من جديد؟

و هل يكون المسلمون سببًا لسعادة البشرية وخلاصها مرة أخرى ؟

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ١٨.٠٣.٢٠٠٦

المدينة المنورة

===================

الحرب على الإسلام وواجب الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب على الإسلام وواجب الأمة

عبدالله جاب الله

رئيس حركة الإصلاح الوطني – الجزائر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الأولين والآخرين ، الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هـداه واستن بسنته إلى يوم الدين .

أصحاب الفضيلة والمعالي أيها الأخوة والأخوات ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

إن ما حصل في الدانمرك وغيرها من دول الاتحاد الأوروبي من عدوان صارخ على رسول الله ، هـو عدوان على الإسلام عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق وعدوان على المسلمين حضارة وتاريخاً وواقعاً وآفاقاً مستقبلية ، وهو حلقة في مسلسل العدوان الغربي على الإسلام ، فهو لذلك ليس فعلا مفرداً ولا كما حاول البعض تصويره ، ومن قام بذلك ليسوا أفرادا شاذين أو مخمورين كما حاولت بعض الجهات وصفهم ، وإنما هم أفراد تجاوبوا مع الحرب الثقافية على الإسلام والمسلمين ، ومـع الهجمة الصهيوأمريكية على الإسلام التي ظهرت معالمها بشكل سافر منذ هجمـات ١١ سـبتمبر ٢٠٠١ ومن المفيد أن أذكر نماذج من هذه الهجمة والحرب على الإسلام والتي اشترك فيها الرؤساء والوزراء والكتاب والصحافيون .

١. وصف بوش الابن ما تقوم به أمريكا في تصريح له يوم ٢٠٠١/٩/١٦ بأنهـا حملـة صـليبية ، ووصف جميع أنواع المقاومة الإسلامية ومنظمات الجهاد بالإرهاب .

٢. وصف توني بلير في ٢٠٠١/٩/١٧ هذه الحرب بأنها حرب المدنية والحضارة والغرب ضد البربرية في الشرق

٣. أعلن بيرلسكوني في ٢٠٠١/٩/٢٦ أن الحضارة العربية أرقى من الحضارة الإسلامية ولا بد مـن انتصار الحضارة الغربية الذي يجب أن يُهزم لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسـان ، وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه .

٤. في ٢٠٠١/١١/١٨ صرح بوش أن الحضارة الغربية التي أعلن الحرب للدفاع عنها هي حضـارة اليهود والمسيحيين ، ووجه تحذيرا لبعض الحكام يطالب فيه بتوقف الإعلام في بلادهم عـن حملـة الكراهية لأمريكا وإسرائيل .

٥. صرحت تاتشر في مقال لها ملخصه أن المسلمين الذين يرفضون القيم الغربيـة أعـداء أمريكـا وأعداؤنا .

٦. صرح وزير العدل الأمريكي جون استكروفت قائلاً : إن المسيحية دين أرسل الرب فيـه ابنـه ليموت من أجل الناس ، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت مـن أجل هذا الإله .

٧. صرحت وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت قائلة : إننا معشر الأمريكيين أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب وتمتد رؤيتها أبعد من جميع الشعوب .

٨. صرح وزير الداخلية الألماني أوتوشيلي أن عقيدة الإسلام عقيدة هرطقة وضلال .

٩. صرح السيناتور الديموقراطي الأمريكي جوزيف ليبرمان الذي كان مرشحاً لمنصب نائب الرئيس قائلاً : أنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي تراها ضرورية .

١٠. تصريحات أشهر كتاب ومفكري الإستراتيجية في أمريكا صموئيل هنتجنون وفرانسوا فوكوياما تدعو لتكون الحرب داخل الإسلام حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية والمبدأ المسيحي –العلماني – فصل الدين عن الدولة .

والحداثة في المصطلح الغربي تعني القطيعة المعرفية مع الموروث الديني ، وجعل الإنسان سيد الكون ،ومحور الثقافة – بدلاً من الله – وإحلال العقل والعلم والفلسفة محل الله والدين .

١١. أعلن الكاتب اليهودي الأمريكي المقرب من دوائر صناعة القرار الأمريكي أن الحرب الحقيقية هي ضد الفكر الإسلامي والتربية والتعليم الإسلاميين .

و لم يقتصر الأمر على التصريحات والإعلانات بل شرعت أمريكا ومنذ سنوات وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في إصدار الأوامر للأنظمة في العالم العربي والإسلامي بتهيئة نفسها للدخول في حضيرة العولمة بمظاهرها المختلفة وقد كان التركيز بارزاً على منظومات بناء شخصية الإنسان وصناعة الرأي العام ، ومن ذلك :

١. إصدار الأوامر إلى الحكومات في العالم العربي والإسلامي بتغيير المناهج التربوية وبخاصة مناهج التعليم الديني ، وقد استجابت الكثير من الأنظمة لذلك ، منها الجزائر وباكستان ، واليمن .

٢. طلب بوش الابن رسمياً من الحكومات في العالم العربي والإسلامي حذف ثقافة الشهادة والاستشهاد من مواد الفكر والثقافة والإعلام .

٣. الضغط على الأنظمة لتعديل منظوماتها القانونية في ميدان الاقتصاد بما يفتح الباب أمام الشركات المتعددة الجنسيات ويمكنها من وضع يدها على مصادر الثروة وبخاصة النفط والذهب والحديد واليورانيوم ، وقد تجاوب كثير من الأنظمة مع ذلك ، ومنها الجزائر تحت أعذار مختلقة منها الرغبة في جلب الاستثمار الأجنبي وتنويع مصادر الدخل القومي .. فكانت النتيجة رهن أهم مصادر الدخل لإرادة تلك الشركات والمؤسسات المالية .

٤. الضغط على الأنظمة للارتماء في أحضان المؤسسات المالية الأجنبية ، مثل صندوق النقد الدولي والبنك العالمي واستغلال ذلك لغرض وصفات ضارة بالسيادة والاستقلال وضارة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والتربوي ، فقد أصبحت الدول التي ارتمت في أحضات تلك المؤسسات فاقدة لقرارها في الكثير من الميادين ، مثل سياسة الأجور والرسوم وسياسة التعليم وسياسات العمل والتوظيف .

٥. تكريم الكتاب والأدباء الفاشلين الذين احترفوا الهجوم على الإسلام وقيمه وثقافته ومقدساته .

٦. تشجيع النُخب النافذة في البلاد العربية والإسلامية على ر فع شعار الديمقراطية وممارسة الاستبداد في القضاء على المال والتضييق على الشباب الملتزم والجمعيات الخيرية ذات التوجه الإسلامي ، وتشجيع قوى التغريب على نشر التغريب والعلمنة وحسن معاملة النُخب المقربة ومكافأتها بالمال والإعلام والتوظيف .

٧. رصد الميزانيات لتكوين الدعاة والأئمة المستنيرين الذين يحاربون العمل السياسي ويبدعونه ويفتون بوجوب طاعة الحكام وعدم جواز تغييرهم ولو بالانتخابات.

٨. احتفل الغرب سنة ١٩٩٢ بذكرى مرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من أوروبا ــ الأندلس — بسقوط غرناطة عام ٤٩٢ ثم بشن حرب الإبادة في نفس السنة على مسلمي البوسنة والهرسك .

٩. وقوف الغرب مع المسيحيين في تيمور الشرقية ومساعدتهم على الانفصال على أإندونيسيا وإقامة دولة لهم ، ويحاول بشتى الطرق تقسيم السودان وإقامة دولة للوثنيين في الجنوب ، بينما يضع العراقيل أمام الشعوب الإسلامية في فلسطين وكشمير والشيشان والبلقان ،ويمنعها من الاستفادة من مبدأ حق تقرير المصير رغم قرارات الأمم المتحدة التي تعترف لهم بذلك .

١٠. هجومه الوحشي على أفغانستان وإسقاطه لنظام طالبان وإقامة حكومة كرزاي العميلة له .، وكذلك فعله في العراق وسعيه الواضح لتفتيت العراق وتقسمه إلى ثلاث دويلات كما مهد دستور العراق الجديد لذلك بإعطائه صلاحيات لدول الأقاليم أهم مما أعطاه من صلاحيات لدولة الاتحاد ــ، ومنحه لدول الأقاليم حقوقاً في التمثيل الدبلوماسي أهم مما منحه لدولة الاتحاد ، ثم بإعطائه نصيباً في الثروة أكبر مما أعطاه لدولة الاتحاد .

كل هذا وغيره يؤكد أن الحرب على الإسلام حرب معلنة وليست مجرد مؤامرة لأن المؤامرة تدبير سري بينما نحن نعيش حرباً معلنة ومطبقة أخذت أشكالا وصوراً مختلفة ، ووظفت فيها آليات ومؤسسات متعددة .

ولابد في تقديري من معرفة أهم خلفيات هذه الحرب ودون إطالة ، أقول :

إن التحالف الصهيوأمريكي يتبنى ما جاء في التوراة والتلمود مرجعية عقدية وفكرية وفلسفية وسلوكية له ، وتلك المرجعية تنص على أن اليهود هم شعب الله المختار " ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل " ، وقد أصبحت هذه العقيدة عقيدة أمريكا خاصة والغرب عامة فصاروا بسبب ذلك يعتبرون أنفسهم فوق الدول والمنظمات والشعوب فلا يخضعون لقرارات الجمعية العامة ولا لقرارات مجلس الأمن إذا كانت مخالفة لإراداتهم ولا لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩، ولا لمواثيق حقوق الإنسان الفلسطيني والعربي ، وجميع تصرفات أمريكا وحلفائها تدل على ذلك ، ومن ذلك : أنهم يلوثون العالم ويخرقون طبقة الأوزون دون احترام لمواثيق البيئة .

ويستخدمون الفيتو في كل قضية لا توافق هواهم فيجهضون إرادة سائر دول العالم.
يستخدمون الأسلحة النووية كيفما شاءوا وفي أي وقت شاءوا مثل الذي حصل في هيروشيما وناجازاكي ، ومثل الذي حصل في العراق من استخدام اليورانيوم المخصب .
ويعطون لأنفسهم الحق في شن الحروب الاستباقية ضد الحكومات التي لا تعجبهم متجاهلين مبدأ سيادة الدول على أوطانها .
و يُقرون مبدأ اللاعقاب للأمريكان أمام المحكمة الجنائية الدولية .
يمارسون كل أنواع الضغوط على الأنظمة في البلدان النفطية ليكونوا هم المتصرفون الرئيسيون في سياسة النفط تنقيباً وتكريرا وإنتاجا وتسويقا .
ويعملون بالتحالف مع الأنظمة الاستبدادية وقوى التغريب والعلمنة في أوطاننا على فرض منظورهم الحضاري تحت غطاء العولمة ومكافحة الإرهاب ونشر السلم وغيرها من الشعارات .
وأهم ما يريدون الوصول إليه على المدى المتوسط والبعيد هو فرض الاقتصاد الحر والمفهوم الكنسي للدين – أي العلمانية – والانتخابات التي ظاهرها الحرية والنزاهة وحقيقتها التزوير والإكراه وضمان مصالحهم غير المشروعة وحماية إسرائيل ومصالحها وحماية التيارات التغريبية ومساعدتها على خدمة مشاريعهم في المنطقة .
إن نقطة الضعف الكبرى بالنسبة لهذه الأمة هم حكامها وأنظمة حكمها وقد خبر الغرب هؤلاء فما رأي منهم إلا التهافت على أبوابه والتعلق بأسبابه . ولذلك استهان بها واستخف بآرائها وعمل ولا يزال على توظيفها في تنفيذ جوانب من حربه المعلنة على الإسلام وسائر مقومات شخصية الأمة . و لم يبق للأمة إلا علماؤها ودعاتها وقليل من رجال الحكم والمال ، وأخص بالذكر العلماء والدعاة لأنهم مرجع الأمة في بيان الدين ولسانه المعبر عن حقائقه والمبين لشرائعه وأحكامه . وأنهم حراسه المؤتمنون على بقائه. وسلطانهم على الأمة ظاهر وسيزداد قوة وتأثيراً مع ازدياد تمسكهم بدينهم وإصرارهم على الاستمرار في الدعوة إليه بكل استقلالية وتمايز .
فعلي ، هؤلاء تقع المسئولية الكبرى في التصدي لأنواع الحرب الإعلامية والثقافية بالحجة الساطعة والدليل البين القوي . ولعل من أهم ما يجدر التنبيه عليه من الأعمال التي يمكنهم القيام بها ودعوة الأنظمة إليها ما يلي :
١. التواصل مع الحكام وأصحاب النفوذ في العالم العربي والإسلامي ومحاولة إقناعهم بأن في مقدورهم إذا أرادوا أن يحولوا قوة الغرب إلى ضعف وغناه إلى فقر ووحدته إلى شتات وعزه إلى ذل وكبرياءه إلى مسكنة ، وذلك بالاستغناء عن بضائعه وقطع المدد عنه وبخاصة النفط والمواد الأولية الأخرى وترك تأييده في مواطن الرأي والقرار .

٢. دعوتهم إلى تقوية العلائق فيما بينهم وتطوير التبادلات التجارية والصناعية وتبادل الخبرات المدنية والتكنولوجية وتفعيل منظمة الدول الإسلامية الثمانية التي أسسها نجم الدين أربكان يوم كان رئيس وزراء تركيا ، ووضع جميع الاتفاقيات الموجودة موضع التنفيذ .

٣. دعوتهم لإدخال إصلاحات جوهرية على الوضع السياسي والقضائي والمالي من مبادئ حق الأمة في الاختيار والمراقبة والمحاسبة ومن مبادئ العدالة القانونية وقيم المساواة في توزيع الثـروة ورسـم السياسات المالية حتى تقام الثقة بين الأنظمة والشعوب ويقع التعاون بينها على خدمـة مقومـات شخصية الأمة وتحقيق التنمية الاقتصادية الواسعة .

٤. دعوتهم من أجل العمل على تصحيح النظام الدولي بما يجعله عادلا ومتوازنا في تعامله مع قضـايا الشعوب والتنسيق في ذلك مع أنظمة العالم الثالث ، وبخاصة أنظمة أمريكا اللاتينية .

٥. دعوتهم من أجل السعي في إقرار مبدأ التعددية الحضارية والثقافية .

٦. دعوتهم من أجل السعي لتقوية سياسة نبذ استعمال القوة في تسوية الخلافات وتعزيـز مسـاعي الحوار والتسوية السلمية لأي خلاف دولي .

٧. تشجيع وتطوير مجهودات ومساعي الحوار بين الشمال والجنوب من منطلق البحث عن الحقيقـة والرغبة في الاستفادة من حضارات الشعوب و تجاربها المختلفة .

٨. تعزيز الجهود التي تبذل للمحافظة والدفاع عن حقوق الإنسان وشرح مكانة الحقوق في الشريعة والضمانات التي وفرتها لحمايتها من التعسفات والتجاوزات .

٩. ضرورة الاجتهاد في تنسيق المواقف من المتغيرات والقضايا الدولية التي تهدد مقدسـات الأمـة وثرواتها وأمنها واستقلالها .

١٠. دعوتهم للمطالبة بعضوية دائمة لهم في مجلس الأمن وداخل قطاعات الأمة ومؤسساتها.

هذه كبرى مواضيع النضال من الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي التي يتعين على العلمـاء والدعاة وسائر ذوي الرأي في الأمة العمل على إقناع أصحاب القرار في بلداننا على تبنيها والنضال من أجلها .

١. أما ما تعلق بالأحداث التي كانت سببا في اجتماعنا فإن أقل ما يمكن القيام به هو مواصلة تعريـة هذا العدوان وهذه الحرب بالوسائل المختلفة من المحاضرة والندوة والكتابة وإلى التجمع والمسيرة إلى غير ذلك من وسائل التواصل مع الرأي العام الإسلامي وغيره

٢. مواصلة الدعوة إلى مقاطعة بضائع تلك الدول ودعوة الأنظمة لاتخاذ مواقف أكثر قوة من الدول التي نشرت جرائدها تلك الصور الآثمة وأقل المواقف هو استدعاء سفرائها وتبليغهم احتجاجات قوية.

٣. ودعوة الأنظمة إلى تشجيع الحريات الفردية والجماعية وتمكين الأمة من ممارسة حقوقها والتعبير عن عواطفها في رفض هذا العدوان وكل عدوان على الدين ومقدساتهم.

٤. والعمل على التعريف بالإسلام وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن المفيد في هذا الصدد استغلال كل ما تيسر من وسائل التكنولوجيا ، وكذلك من الضروري حث أغنياء الأمة ليوفروا الدعم المادي الضروري لنجاح أهل العلم والفكر في القيام بواجبهم المذكور أعلاه خدمة للدين ونصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسعيا في حشد طاقات الأمة ورفع مستوى وعيها والتزامها وعطائها .

والحمد لله رب العالمين .

===================

الخليلي مقاطعة من يسب الرسول أدنى ما يجب فعله

تصاعد الغضبة العربية والإسلامية وأوروبا مع حرية الصحافة

طالب سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة الأمة المسلمة بأن تقف أمام ما تتعرض له من نيل لمقدساتها وإساءة لرسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وقفة رجل واحد وأن تنظم صفوفها، وأن ترأب صدعها،وأن تسد خللها،وأن تجمع كلمتها..لصد الهجمة الغربية الشرسة التي تتعرض لها المقدسات الإسلامية. وأكد سماحته في برنامج (سؤال أهل الذكر) في حلقتيه هذا الأسبوع والأسبوع الماضي: أن مقام النبوة مقام عظيم، مقام اصطفاء من الله تبارك وتعالى، وعن حكم المقاطعة التجارية لمن سبَّ المصطفي صلى الله عليه وسلّم أوضح سماحته أن هذا أدنى ما يجب أن يُفعل، وأقل ما يجب أن تقوم هذه الأمة صوناً لحرمات دينها

الدليل النافع لنصرة الحبيب الشافع

الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

فإن من سنن الله الثابتة، ومن فطرته في خلقه، أن الإنسان يحب الأشياء النبيلة العالية، ويكره الأشياء البغيضة السافلة.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى، البشري، في كماله، وصفاته، وهو ذروة عليا في الأخلاق والشمائل، وقد مدحه الله تعالى فقال:"وإنك لعلى خلق عظيم"، وهذا النوع من البشر تحبه النفوس بفطرتها، وتميل إليه بطبيعتها، ولذلك فحبه من هذا الجانب هو فطرة إنسانية تجذب إليه نفوس كل عنصر صالح في البشر.

كما أن حب النبي صلى الله عليه وسلم، خلق تربوي، ينشأ عليه الناس، إذا طالعوا صفاته، وسمعوا شمائله، أو عايشوها ورأوها رأي العين، فهو من حيث الفطرة السليمة يُحَبُ ويُكَرَمُ، وهو من حيث التربية والتعود يُحَبُ ويُكَرَمُ.

وهناك جانب آخر أهم من هذا وذاك وهو الأمر الإلهي بحب النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه رحمة للعالمين، ولأنه بُعِثَ هادياً ومعلماً للناس، وصبر على الأذى والمتاعب، ليبلغ رسالة الله إلى الناس، فهو من هذا الجانب الديني الإلهي رمز للتضحية والفداء والإخلاص للناس جميعاً.

ويجب على المسلم أن يستحضر في نفسه عظمة الهداية الإسلامية للناس، وكيف وصلت إلينا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم، عبر صبره الجميل، وبلاغه المبين، وجهاده الموصول، في سبيل الله عز وجل وهذا يدفع المسلم إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم حباً جارفاً، وتفديته بالنفس والمال.

فحب النبي صلى الله عليه وسلم ناشئ في نفس المسلم عن النعمة الكبرى التي أوصلها الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، وقد قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسانَ إحسان

ولذلك نجد حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حباً جليلاً يقوم على الشعور بعظمة النعمة التي أسداها لنا الله سبحانه وتعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، ومحبة الرسول تكون بالقلب وباللسان وبالأعمال.

أما القلب فهو عملية فطرية، قائمة على الشعور بالنعمة العظيمة التي أهداها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما باللسان: فترجمتها كثرة الصلاة عليه، كما قال تعالى "يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"، أما بالأعمال: فيكون من خلال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله والعمل بسنته، ومتابعته في الفضائل العليا التي كان يتمتع بها صلى الله عليه وسلم من الصدق والأمانة والصبر والمواساة والرحمة والمودة، وغير ذلك من ضروب النبل الأخلاقي النبوي الذي يبلغ ذروة الكمال.

الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يبعث للناس، ولم يصبر على الأذى والمشقات، إلا ليعلمنا الحق الإلهي، من الصدق، والأمانة، وإتقان العمل، وتوحيد الله، وتعظيم القرآن، ومحبة المسلمين جميعًا، وتبليغ الدعوة للناس جميعًا، وغير ذلك من الفضائل العليا التي كانت من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

أما عن الخطوات العملية التي يمكننا القيام بها لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا سؤال وجيه، ونستعين بالله ونجيب بأن:

التأسي به:

أول خطوة عملية هي إلزام النفس بالأسوة الحسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن يعمل الإنسان كما كان يعمل، ولو اختلفت الدرجة؛ أي يصلى كما كان صلى الله عليه وسلم يصلي، ويصوم كما كان يصوم.

التعريف به:

أيضًا يشرح للناس، على قدر استطاعته العظمة الإلهية التي تمثلت في بعثته صلى الله عليه وسلم.

تربية النشء على حبه:

وأيضًا تربية الأبناء والأسرة جميعاً على هذه المعاني، وصدق الله حين يقول:"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر".

دراسة سيرته:

ومن الوسائل العملية أيضًا قراءة السيرة النبوية قراءة جيدة، ويعلمها لأبنائه وأحفاده وزوجته، وغيرها، فقد كان الصحابة يحرصون على هذا غاية الحرص. يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لأبنائه وأحفاده بعد أن علمهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني احفظوها فهي شرفكم وشرف آبائكم).

الاعتزاز بسيرته:

كما ينبغي أن نعتز بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن نعلم أنه كان على خلق عظيم؛ فلا نخجل من أي شيء يروى عنه بسند صحيح، بل نفاخر الدنيا بسيرته صلى الله عليه وسلم؛ فهو الأسوة الحسنة لنا، والرحمة المهداة للناس جميعاً، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه".

اتباع هديه:

ومن الوسائل العملية أيضا المتابعة والإتباع، لقوله تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"، فعلى الإنسان أن يتحرى العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

التخلق بخلقه:

ومن الوسائل العملية أيضا أن يتخلق المسلم بخلق النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة في أمور الدعوة والبلاغ فإن الأوروبيين من خلال إساءتهم للإسلام هو تقصيرنا في تبليغ الدين الإسلامي للناس وهم لذلك يجهلون ومن جهل شيء عاده.

الصفح عن الخصوم:

ومن الوسائل العملية أيضاً، الصفح عن الخصوم، إذا كان ذلك مما يساهم في فهمهم للإسلام. وقد كان الناس والأعراب يغلظون القول للنبي صلى الله عليه وسلم، في حياته، فكان يعاملهم بالرحمة

والمودة والعفو ولكن بلا ضعف ولا تخاذل، كان اللين من صفاته العظيمة التي تحبب الناس فيه، وقد ذكاه الله في كتابه الكريم فقال جل شأنه: "فبما رحمة من الله لنت لهم ...." .

التعريف برسالته:

ومن الوسائل العملية أيضاً، إرسال الرسائل عبر البريد الإليكتروني، والمقالات الصحفية، والقصص النبوية الصحيحة، إلى الناس حتى يفهموا عظمة الأخلاق النبوية المحمدية، وهذا خير دعاية للإسلام، لأن الأخلاق الحسنة تؤثر في الناس، ولو لم يردوا، وتكون قدوة عملية تقطع الجدل والخصام، وصدق الله تعالى حين يقول "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا".

===================

السماء الشامخة صلى الله عليه وسلم)

محمد السمان

خطيب جامع الجهيمي بالرياض

٢٧/١٢/١٤٢٦هـ

الحمد لله القائل (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)، والصلاة والسلام على خير رسول وأعظم نبي ، من أرسله ربه فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور وعلى آله الطيبين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد فاتقوا الله أمة الإسلام .. ثم اعلموا أنه من أعظم المنن التي امتن الله بها علينا أن جعلنا مسلمين وجعلنا من أمة الإسلام وجعلنا من أتباع خاتم الأنبياء المرسلين ، وإمام العالمين ، وسيد ولد آدم أجمعين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

أيها المسلمون وإن كان أفول سنة هجرية وابتداء سنة أخرى يذكرنا بشيء من عظمة النبي صلى الله عليه وسلم .. يذكرنا بتلك الحادثة العظيمة أعني حادثة الهجرة التي هجر فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم بلده مكة ليهاجر إلى المدينة ليؤسس هناك دولة الإسلام الخالدة ، ويضع أسسها الراسخة ، ليعلن للأمة كل الأمة أن هذا الدين هو أعظم الأديان ولن يقبل الله سواه {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }آل عمران٨٥ .

الهجرة وما قبلها وما بعدها تصور لنا أيها المسلمون، مدى ما كان يتعرض له صلى الله عليه وسلم في نفسه وأهله من إيذاء واستهزاء.. هم لا يقصدون ذاته فحسب بل الأمر الذي أرادوا هو الطعن في هذا الدين العظيم.. لذا تراهم قد استخدموا وسائل كثيرة رغبة في تحقيق هدفهم ومرادهم ، ويمكرون

ويمكر الله والله خير ماكرين ، قال الله جل الله {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } البقرة١٣٧ .

قال الشيخ السعدي رحمه الله معلقاً على هذه الآية (أي فإن آمن أهل الكتاب بمثل ما آمنتم به – يا معشر المؤمنين – من جميع الرسل وجميع الكتب ، الذين أول من دخل فيهم ، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وأسلموا لله وحده و لم يفرقوا بين أحد من رسل الله (فقد اهتدوا) للصراط المستقيم الموصل لجنات النعيم أي فلا سبيل لهم إلى الهداية إلا بهذا الإيمان لا كما زعموا بقولهم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه والهدى هو العلم بالحق والعمل به وضده الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم وهو الشقاق الذي كانوا عليه لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق ، ويلزم من المشاقة المحادة والعداوة البليغة التي من لوازمها بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول فلهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم لأنه السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات العليم بما بين أيديهم وما خلفهم بالغيب والشهادة بالظواهر والبواطن فإذا كان كذلك كفاك الله شرهم وقد أنجز الله لرسوله وعده وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم وسبى بعضهم وأجلى بعضهم وشردهم كل مشرد ففيه معجزة من معجزات القرآن وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه فوقع طبق ما أخبر) أ.هـ

أمة محمد صلى الله عليه وسلم .. ثلة الاستهزاء الأولى استخدمت طرقاً كثيرة وأساليب متنوعة للسخرية من النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به ، فتارة ينعتونه صلى الله عليه وسلم بألفاظ نابية وعبارات قاسية فوصفوه صلى الله عليه وسلم بالشاعر والساحر بل تعدى الأمر أن يصفوه بالمجنون ، ويبقى صلى الله عليه وسلم شامخاً يكمل ما بدأه من أمر دعوته وتبليغ دينه ، يطردوه يرموه بالحجارة يحبسوه ويقاطعوه في الشعب ، يهموا أن يقتلوه ، يعذبوا أصحابه ثم يحاربوه وتشج رأسه وتكسر رباعيته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ، وتتحزب الأحزاب عليه ويدسوا له لحماً مسموماً ، ويتهموه في عرضه الشريف ويطعنوا في أحب نسائه إليه ، ويصبر ويحتسب ويجاهد ويبذل من نفسه لهذا الدين، نقول هذا الكلام وقد سمعتم ما نقل عن استهزاء وسخرية برسولنا صلى الله عليه وسلم من أناس تجردوا من الإيمان أولاً ثم هم لم يرعوِ لنبينا صلى الله عليه وسلم مكانته وللمسلمين مشاعرهم وهم يتعرضون لرجل يحبه كل مسلم أكثر من نفسه وولده والناس أجمعين .

ولكن هيهات .. هيهات ، أن تبلغ حجارهم تلك السماء الشامخة ، فإن الله كافيه وناصره ورافعه .

قال الله ومن أحسن الله قيلاً ومن أحسن من الله حديثاً {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }الحجر٩٥

إنا كفيناك المستهزئين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا يضره المستهزئون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله .

وقال الله سبحانه وتعالى في أقصر سورة في القرآن في آخر آية فيها (إن شانئك هو الأبتر) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "سورة الكوثر ما أجلها من سورة! وأغزر فوائدها على اختصارها. وحقيقة معناها تعلم من آخرها؛ فإنه سبحانه وتعالى بتر شانئ رسوله من كل خير، فيبترُ ذكره وأهله وماله؛ فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزودُ فيها صالحًا لمعاده، ويبترُ قلبه، فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته، والإيمان برسله، ويبترُ أعماله فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرًا ولا عونًا، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعمًا، ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها، وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول) ا.هـ .

قلت فإذا كان هذا حال من شنأ بعض ماجاء به الرسول فكيف بمن تعرض له صلى الله بالسخرية واللمز .

وقال عز وجل (ورفعنا لك ذكرك)، قال مجاهد رحمه الله: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رحمه الله: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

وقال السعدي رحمه الله (ورفعنا لك ذكرك أي أعلينا قدرك وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الدخول في الإسلام وفي الأذان والإقامة والخطب وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيا عن أمته) .

هذا والله أسأل أن يعجل بالانتصار لنبيه _صلى الله عليه وسلم_، وأن يعز الإسلام وأهله إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.. واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية..

الحمد لله الكريم المنان ، الحمد لله الرحيم الرحمن ، الحمد لله الذي على عرشه استوى ، يعلم السر وأخفى ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:١١٩].

أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد هُدي نبينا صلى الله عليه وسلم لمعالي الأمور في دينه وخلقه، وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، فبلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمانة

، فكان لله جل جلاله أن يفتح له وأن يحقق له النصر والتمكين والهداية ، بسم الله الرحمن الرحيم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا)

إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك .. أي في الدنيا والآخرة ..ويهديك صراطا مستقيما .. أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم .. وينصرك الله نصرا عزيزا .. أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك .فحق لكل مسلم أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أن يحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه وولده والناس أجمعين، وأن يتقرب إلى الله بذلك وأن يطيع أمر الله وأمر رسوله الله عليه وسلم وأن يجتنب نهيهما، ألا وصلوا وسلموا على هذا النبي الكريم والرسول العظيم اللهم صل عليه وعلى آله وعلى أصحابه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

====================

المقاطعة الاقتصادية للدنمارك من الناحية القانونية

الدكتور سعد بن مطر العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقاطعة الاقتصادية للدنمارك من الناحية القانونية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه .. أما بعد

فقد تناقلت وسائل الإعلام أنَّ بيتر ماندلسون المفوض التجاري الأوربي هدد بتقديم شكوى إلى منظمة التجارة العالمية ضد الدول التي تسمح بالمقاطعة ، مدعياً أنها تخالف اتفاقات تلك المنظمة ، التي وقعها عدد من الدول العربية التي تنشط فيها حملات المقاطعة حاليا وعلى رأسها بالطبع السعودية وبقية الدول الخليجية .

ومن عجيب قدر الله عز وجل ، أنَّ أول مثال للمقاطعة الاقتصادية الشعبية – ضد دولة أخرى – في التاريخ الحديث يذكرها بعض القانونيين ، هي المقاطعة التي قرّرتها جماعاتٌ في أصحاب الحرف الدنماركيين للبضائع الألمانية ، احتجاجاً على الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الألمانية للحدّ من استعمال اللغة الدنماركية في مقاطعة شليسفيغ الشمالية .

١) لم أتعرض للتأصيل الشرعي في الفقه الإسلامي لمسألة المقاطعة الاقتصادية بوصفها وسيلة ضغط على من ينال من الإسلام وأهله ؛ لأنَّ المسألة عولجت من الناحية الشرعية بجملة من الفتاوى والمؤلفات التي تبين المشروعية ، وتؤكِّد ذلك بالآثار والنتائج ، كما أنَّ الأمة اتخذت قرارها في المقاطعة الاقتصادية للمنتجات الدنمركية ، فلم تحوجنا إلى إعادة التأصيل الشرعي ولله الحمد والمنّة .

كما لن أتحدث في هذا المقال عن العدالة الإسلامية في الأحكام الشرعية مع غير المسلمين ، مع أنَّه موضوع جدير بالإبراز والتكرار في مثل هذه المرحلة التي تخلط فيها الأوراق من غير المختصين ؛ وإنَّما لم أتحدث عنه هنا ، لأنَّ المقاطعة الاقتصادية تفعيل لخيار مشروع لا يتنافى مع العدالة .

وإنَّما أردت كشف شيء من الجانب القانوني لهذه المسألة ، ولاسيما بعد أن سلك الحزب الحاكم في الدنمارك مسلك المكابرة والبحث عن المسوغات بعد الوقوع في المشكلة ؛ واستنجاده بالاتحاد الأوربي لإخراجه من ورطته ، مع ما يثار حول حق مزعوم في رفع دعوى ضد المملكة العربية السعودية بشأن المقاطعة كما مرّ . وذلك ليُعلم أنَّ الإجراء الذي اتخذته الأمة الإسلامية ليس مشروعا في الإسلام فحسب ، بل حتى في القوانين الوضعية التي يُلوِّح الدنمركيون وغيرهم باللجوء إليها ، في محاولة مكشوفة للتعامي عن الحقيقة ، وحفظ ماء الوجه بأي وسيلة .

ولا شك أنَّ الموضوع أكبر من أن أَكشفه على حقيقته فيما يتعلق بالسلوك الحكومي الدنمركي في مقال ، ولكن هذا لن يمنعني – إن شاء الله تعالى – من الحديث عن هذا الموضوع فيما يتعلق بالجهود الإسلامية ، من خلال نقاط واضحة بعيدة عن التعقيد القانوني ، مساهمة في نشر الوعي العام بمثل هذه القضايا ، وتوضيحاً لبعض حججنا نحن المسلمين في تعاملنا العادل مع إجراء المقاطعة الاقتصادية الشعبية ، وكيف يمكن للمجتمع الدولي أن يمنع مثل حدوث هذا التوتر مستقبلا .

٢) ومسألة المقاطعة الشعبية من المسائل التي اختلف فيها القانونيون الدوليون ؛ وفي عالم شرّاح القوانين ، فإنَّ المسائل القانونية الدولية شائكة ، والاختلاف القانوني — بوجه عام – لا يقارن بالاختلاف في المسائل الفقهية الخلافية لدى فقهاء المسلمين ، لأسباب عديدة أهمها : أنَّ مرجعية المسلمين –كلِّهم – واحدة وهي الكتاب والسنة ، فهما محلّ إجماع بينهم كما نصّ على ذلك علماء الأصول حتى عند المبتدعة كما يقول ابن تيمية رحمه الله ؛ بينما لا توجد مرجعية متفق عليها بين القانونين ، ودراساتهم في صورها العلمية الموضوعية عقلية محضة ، ولذا ربما تتعدّد بتعدّد المدارس القانونية وخلفياتها الفكرية والثقافية والعرفية ، وما يتفرّع عنها ؛ بل ربما تغير حكمها من جذوره لتقلبات المزاج السياسي أو الشعبي (تغير الرأي العام) ، وهذا موضوع — أيضاً — يطول الحديث فيه ، وله مباحث خاصّة في بعض كتب القانون الغربية . ولكي تتضح الرؤية القانونية في هذا الموضوع ، رأيت بيانه من خلال النقاط الآتية :

أولاً : المراد بالمقاطعة الاقتصادية (Boycott) :

ورد التعبير بـ (المقاطعة الاقتصادية) في المادة (١٦) من عهد عصبة الأمم ، كما ورد في المادة (٤١) من ميثاق الأمم المتحدة . ومن أشهر تعريفاتها ، أنَّها : " إجراء تلجأ إليه سلطات الدولة أو هيئاتها وأفرادها المشتغلون بالتجارة لوقف العلاقات التجارية مع دولة أخرى ومنع التعامل مع رعاياها

بقصد الضغط الاقتصادي عليها ، رداً على ارتكابها لأعمال عدوانية " ، وهذا التعريف يتفق مع قاموس القانون الدولي والقاموس الدبلوماسي .

أو هي كما يقول جيرهارد فان غلان : " شكل حديث من الإجراءات الانتقامية ، يشمل تعليق التعامل والعلاقات التجارية من جانب رعايا الدولة المتضرِّرة مع رعايا الدولة المسيئة " .

ويفرِّق القانونيون الدوليون بين وسيلتي الضغط الاقتصادي الأخريين : (الرد بالمثل) و (الأعمال الانتقامية) ، بأنَّ المقاطعة الاقتصادية قد تصدر من قبل الأفراد العاديين ، بينما لا يصدر (الرد بالمثل) و (الأعمال الانتقامية) إلا عن طريق الدول والحكومات . ومثلهما (الحظر الاقتصادي) الذي يعني منع الصادرات المتجهة إلى دولة أو مجموعة دول معينة بصفة كاملة أو جزئية . ومن هنا جاء التفريق بين المقاطعة الاقتصادية الشعبية والرسمية كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثانياً : أقسام المقاطعة الاقتصادية من جهة مصدرها :

يقسِّم القانونيون المقاطعة الاقتصادية من جهة مصدرها ، إلى ثلاثة أقسام :

الأول : المقاطعة الاقتصادية الأهلية (الشعبية) . وهي التي يفرضها ويتولّى تطبيقها الأفراد أو الهيئات غير الرسمية ، بدافع من عواطفهم وحماسهم الوطني – مثلاً – فيقرِّروا إيقاف التعامل بالبضائع والمنتجات المستوردة من الدولة المعتدية وإيقاف التصدير إليها ، وقد يشمل ذلك الامتناع عن التعامل مع رعاياها ، كما يقول بيير رينوفان وغيره .

و أمثلتها كثيرة جداً ، فمنها ما سبق ذكره في أول المقال عن مقاطعة الدنمركيين للألمان بسبب الحد من استعمال اللغة الدنمركية في في مقاطعة شيلسفسغ . ومنها مقاطعة الشعب الصيني للبضائع الأمريكية عام ١٩٠٦م ، بسبب وضع قيود على هجرة الصينيين واستيطانهم فيها . وقد تكررت من الصينيين ضد اليابان ما يقارب تسع مرات . ومنها مقاطعة الأتراك ١٩٠٨م للبضائع النمساوية لضمها إقليما بوسنويا ، واليونانية عام ١٩٠٩–١٩١٠م لتقديمها مساعدات للثوار الكريتين . وكذلك مقاطعة الهنود الوطنيون بقيادة غاندي للمنتجات البريطانية عام ١٩٢٠م . ومنها مقاطعة الحركة الشعبية الواسعة للمنتجات اليابانية ، التي تأسست قبيل الحرب العالمية الثانية ؛ وغيرها كثير .

الثاني : المقاطعة الاقتصادية الرسمية (الحكومية) . وهي التي يتقرّر فرضها من قبل سلطات الدولة المسؤولة ضد جماعات أو دولة معتدية . وهنا يفرِّق القانونيون بين المقاطعة الرسمية في حال السلم ، والمقاطعة الرسمية في حال الحرب . ومن أمثلتها المقاطعة التي فرضتها البلدان العربية على المنتجات الصهيونية في فلسطين المحتلة ، تطبيقاً لقرار مجلس جامعة الدول العربية رقم١٦ ، الدورة الثانية في ١٩٤٥/١٢/٢م بغرض إعاقة تمكين الصهاينة من تحقيق وطن قومي لهم في فلسطين .

الثالث : المقاطعة الجماعية التي تقرِّرها منظمة دولية . وهي التي تفرضها المنظمات الدولية استنادا إلى ميثاق المنظمة ، جزاء على انتهاك الدولة للميثاق . ومن أمثلتها – التي سبقت ازدواجية المعايير والتأثير

الأمريكي على قرارات المنظمات الدولية — المقاطعة الاقتصادية التي قررتها الأمم المتحدة على الصين وكوريا الشمالية عام ١٩٥١م ، وعلى جنوب أفريقيا عام ١٩٦٢م .

وهذان القسمان الأخيران ، لا إشكال في قانونيتهما ، وهما محلّ اتفاق على ما يظهر ، فيرون أنّ من حقّ الدول المتحاربة اللجوء إلى المقاطعة الاقتصادية وقت الحرب ، وإن اختلفوا في تكييفها .

وعلى كل حال فالذي يهمنا هنا هو القسم الأول .

ثالثاً : هل المقاطعة الشعبية تدخل ضمن مسؤولية الدولة التي وقعت فيها ؟

شكّك مارسيل سيبر أحد شرّاح القانون الدولي في استقلال المقاطعة الشعبية عن المقاطعة الرسمية ، ولكنّ آخرين ، من أمثال شوارزنبرجر ، و لوترباخت ، رفضوا هذا التشكيك ، وبيّنوا أنَّ الدولة لا تكون مسؤولة إلا عن تصرفات أعضائها الرسميين . وهذا الرأي يؤيده كثير من القانونيين الدوليين ، وتؤكّده السياسات الدولية ، وما صدر فيها من قرارت كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وإن كانت بعض الدول قد منعت المقاطعة الشعبية قانوناً ، لكونها كانت قد التزمت سياسة الحياد كما في المرسوم السويسري الصادر عام ١٩٣٩م الذي منع المواطنين من تبني المقاطعة الاقتصادية ضد دول أجنبية .

ومما يؤكّد عدم مسؤولية الدولة عن المقاطعة الشعبية التي تصدر من المواطنين ضد المنتجات الأجنبية لدولة ما ، بسبب موقفها أو موقف شعبها من قضايا مسيئة إلى الشعب أو الأمة المقاطِعة — أنّه لا يوجد مستند قانوني دولي يحمِّل الدولة مسؤولية تصرف شعبي سلمي ، لم تشارك فيه السلطة الرسمية و لم تدعمه أو تحرض عليه .

فيرى شوارزنبرجر أنَّ الدولة إنَّما تكون مسؤولة عن تصرفات أعضائها الحكوميين ، ولكنَّها غير مسؤولة عن التصرفات التي تصدر من أشخاصٍ غير رسميين ؛ وأنَّ المقاطعة التي تنظِّمها المؤسسات والتنظيمات الخاصّة في الدولة الديمقراطية ما لم تشجعها الدولة ، أو أن يؤدي ذلك إلى قطع العلاقات ونقض الاتفاقيات التجارية مع الدول التي خضعت صادراتها للمقاطعة .

و يرى لوترباخت ، أنَّه من الصعب تحديد الأسس التي تقوم عليها المسؤولية الدولية عند عدم وجود اتفاقية تجارية أو عند عدم مخالفة قواعد القانون الدولي الخاصّة بحماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم . وأنَّ من الصعوبة أيضاً أنَّ نحدد كيف يمكن أن تكون الدولة مسؤولة مسؤولية دولية بسبب المقاطعة الأهلية المفروضة على بلد آخر .

يقول جيرهارد فان غلان في بيان موقف القانون الدولي من المقاطعة الشعبية : " ما دام هذا العمل يتم بصورة طوعية ولا يشتمل على أي ضغط أو إلحاح من الحكومة أو على أيِّ إجراء رسمي لدعمه ، فإنَّ المقاطعة لا تُشكِّل مسؤولية على الدولة ، وتبقى خارج نطاق القانون الدولي .

لكن إذا تورطت حكومة الدولة المُتَضَرِّرة في المقاطعة بأي شكل من الأشكال ؛ فإنَّ ذلك التـــورّط يخلق مسؤولية ويُمثِّل وسيلة للمساعدة الذاتية . وإذا لم تكن الدولة المقصودة بالمقاطعة قد ارتكبـــت أيّ عمل عدائي نحو الدّولة التي أعلنت المقاطعة ، اعتبر ذلك العمل (المقاطعة) عملاً غـــير ودِّيٍّ ، وأثار احتمال احتجاجات شرعية من جانب الدولة التي يتأثر رعاياها بالمقاطعة " .

بل إنَّ في القوانين والأعراف الدولية ما يسند المقاطعة الشعبية ؛ كمـــا يقـــول قطـــب العـــربي : " فالمتفحص لحقوق المستهلك كما أقرها الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم ٣٩/٢٤٨ الصادر في ٩ إبريل ١٩٨٥، يجد أن أبرزها هو الحق في الاختيار ؛ أي الحق في أن يكون المواطن قادرًا علـــى الاختيار في مجال المنتجات والخدمات المقدمة بأسعار تنافسية مع تأمين درجة الجودة الكافيـــة . و لم تقيد الأمم المتحدة هذا الحق بأي قيود سياسية . ويترتب على ذلك أنه يجوز للمستهلك بداهـــة أن يختار – على سبيل المثال– السلع الوطنية تدعيما لاقتصاد الدولة التي ينتمي إليها . وبالتالي فيكون له الحق في مقاطعة أي سلعة " .

ومن هنا يرى قطب العربي : أنَّ " هذا الموقف الأوربي يعتمد على قانون القوة و (العين الحمراء) ، وليس قوانين منظمة التجارة ؛ فالمقاطعة التي تجري الآن هي مقاطعة شعبية والمجمعات الاســـتهلاكية والمحلات التي تلتزم بها هي هيئات أهلية تعاونية ، وليست وزارات حكومية ، ولا تتبع حـــتى هـــذه الوزارات ، حتى تشرع أوربا سلاح منظمة التجارة في وجهها .

كما أنَّ الحكومات العربية والإسلامية لم تعلن المقاطعة بشكل رسمي ، وإن كان الكثير منـــها أخـــذ مواقف سياسية تفرضها عليه التزاماته الدينية والأخلاقية، وتسمح بها الأعراف والقوانين الدولية .

وفي هذا الإطار، فإنَّ المستهلك العربي والمسلم ، حينما يقاطع السلع الدانماركية فهو يمارس حقـــه في الاختيار . وهو لا يتعارض مع التزام دولته بفتح أسواقها أمام المنتجات الأجنبية دون تمييز ضد هـــذه الأخيرة " .

ومن جهة السوابق في السياسة الدولية ، نجد المقاطعة الصينية الشعبية لليابان عام ١٩٣١م . ومع أنَّ الحكومة اليابانية قد احتجت على ذلك باعتباره يمثل خرقا للقانون الدولي وكانت الصين قد أيّدتـــه رسمياً وحثّت الدول الصديقة لها على تطبيق إجراءات اقتصادية مماثلة ضد اليابان ، وردت الحكومـــة الصينية رسمياً بأنّ الأعمال السابقة التي قامت بها السلطات اليابانية تشكل خرقا أكثر خطورة لذلك القانون . ومع ذلك قرّرت لجنة التسعة عشر التي شكلتها عصبة الأمم لدراسة تقرير لجنة لايتـــون (التي حققت في ملابسات غزو اليابان لمنشوريا) أنَّ المقاطعة الاقتصادية تمثِّل عملاً انتقامياً شرعياً (أي قانونيا) . ومع أنَّ الحكومة الأمريكية قد تعرضت لضغوط شديدة من بعض أعضاء مجلس الشـــيوخ ومن مجموعات خاصّة عديدة ، إلا أنَّها لم تتخذ أيّ إجراء رسمي إلى جانب المقاطعة ، وأخيراً تولّت

منظمات وطنية عديدة أمر المقاطعة ضدّ البضائع اليابانية ثم ضد البضائع الألمانية (ينظر : القانون بين الأمم :٢٥٧/٢) .

إشكالية الصفة الرسمية لعلماء الشريعة لدى الأجانب :

من الأمور التي قد لا يدركها الآخرون ، أنَّ ما يصدر من الفقيه الشرعي أو الواعظ الديني في الإسلام ، لا يمثِّل رأي الدَّولة بالضرورة ما لم يصدر منه بصفته الرسمية فحينئذ قد يأخذ البحث منحى آخر . فالفقيه الشرعي يمثِّل الرأي الديني ، وليس هو الرأي الرسمي بالضّرورة . وكذلك الوعّاظ وخطباء الجمعة ، ما هم إلا مبينين للنصوص الشرعية الإسلامية . وإن دخلوا في تنظيمهم الوظيفي ومرجعيتهم التنظيمية إلى وزارة حكومية ، فهي ليست سوى جهة تنظيمية يجب أن تسير وفق الأحكام الشرعية لتحافظ على نسق صحيح ، يساهم في إيصال الرسالة الدينية دون تدخل حكومي . وإذا أردنا أن نقرِّب الصورة ، فيمكننا القول إنَّ وظيفة وزارات الشؤون الإسلامية تشبه وظيفة وزارات العدل ، إذا نظرنا إليها من جهة مبدأ الفصل بين (الولايات) السلطات ، لأنَّ كلا الوظيفتين تعدّ في الإسلام من الولايات الدينية . وهي في الآراء المخالفة للآراء الحكومية تشبه ما يعرف بمؤسسات المجتمع الأهلي أو ما يعبّر عنه بالمدني ، مع التحفظ على التعبير الأخير .

رابعاً : هل للمقاطعة مدة معينة ؟

لم يحدِّد القانونيون الدوليون المقاطعة الشعبية بمدّة زمنية معينة ، وإنَّما اكتفوا ببيان أنَّ هذا الإجراء غالباً ما يكون لمدة زمنية مفتوحة ، يفترض أن تنتهي بانتهاء الأسباب الباعثة على المقاطعة . كما بيّنوا أنَّ المقاطعة قد تكون صعبة في حال وجود وضع اقتصادي لا يسمح بممارستها .

ومن الناحية التاريخية ، نجد أن المقاطعات الاقتصادية تفاوتت مددها ، فمنها ما كان قصيرا ليس سوى أشهر ، ومنها ما امتدّ لسنوات ، كما المقاطعة الهندية الشعبية للبضائع البريطانية التي نظمتها الحركة الوطنية الهندية بقيادة غاندي ، إذ استمرت مدة اثني عشر عاماً ، من عام ١٩٢٠-١٩٣٢م ، فكان لها أثر كبير ومدى واسع من حيث سعة انتشارها وقوة فاعليتها في التأثير على بريطانيا .

كما أنَّ المقاطعة قد تتوقف لتوقف سببها أو لأمر آخر ، ثم تعود مرة أخرى ، ومن ذلك مقاطعة الصينيين لليابان تسع مرات خلال عامي ١٩٠٨-١٩٣٢م .

٣) وأمَّا ما اتخذته المملكة العربية السعودية من استدعائها لسفيرها (السحب المؤقت) في كوبنهاجن – وكذلك ما تبعتها فيه عدد من الدول الإسلامية من مواقف مشابهة – فإنَّها إجراءات رسمية قانونية دولية تعبِّر بها عن استيائها من تصرفات الحكومة ، إذْ جاءت في مقابل التعنت الرسمي الحكومي الدنماركي بعد استنفاد جميع الوسائل والطرق الودية والقانونية السابقة ، فإن رئيس الحكومة الدانماركي راسموسن سلك مسكاً مؤيداً للجناة ، ولم يتعامل حتى وفق قواعد المجاملات ، إذ رفض استقبال وفدٍ من سفراء الدول الإسلامية لإبلاغه بعِظَم الجريمة وخطورة الوضع وما قد ينجم عنه من

آثار على الصعيد الإسلامي ، كما أنَّ رئيس الوزراء الدنمركي وملكة الدانمارك لهم ماضٍ غير مشرف في نظرهم للدين الإسلامي واستعداء الشعب على الإسلام والمسلمين .

كما لا يُعدّ استدعاء للملكة لسفيرها في الدنمارك إجراءً رسمياً ، لدعم المقاطعة ، لأسباب عديـــدة ، منها :

– تصريحات وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل ، القاطعة بأنَّ المقاطعة شعبية وليســـت رسمية .

– يبدو أنني أرسلت لكم نسخة غير معدلة في الفقرة التالية :

– أنَّ المقاطعة الشعبية سابقة لمسألة استدعاء السفير ، كما أنَّ بيان مجلس الوزراء السعودي الـــذي أعرب فيه عن موقفه من موقف الحكومة الدنمركية من الرسوم في جلسته السابقة لهذا القـــرار ، لم تصدر عنه أي قرارات بالمقاطعة ، كما لم تصدر قرارات بذلك من أي جهة رسمية أخرى .

– أنَّ المقاطعة الاقتصادية للدنمارك شعبية إسلامية ، وليست شعبية سعودية فقط ، مما يؤكِّد صـــلتها بالمجتمعات الإسلامية الأهلية ذاتها ، لا بل بالمؤسسات الرسمية .

– كما تناقلت وكالات الأنباء أنَّ الحكومة الدنمركية نفسها نفت الدعم السعودي الرسمي للمقاطعة ، ونقل ذلك عن وزير الخارجية الدانماركي بير ستيج موللر بعد اجتماع طارئ للجنة السياسة الخارجية في البرلمان .

٤) وأخيراً أود أن أخلص إلى بعض القضايا التي قد يفتح الوعي بها آفاقا من إعادة الأمور إلى درجة من التفاهم بين الأمة الإسلامية والأمة الدنمركية وغيرها ، والوصول إلى رؤية تبقي على مستوى من التفاهم الإسلامي الغربي فيما يحقق المصالح المشروعة . وهي – في ظني – كما يأتي :

أولاً : يجب أن يعلم الدنمركيون أنَّ الأمة الإسلامية استخدمت عدداً من الآليات الخاصة ، التي كانت مجدية لو أنَّ الحزب الحاكم في الدنمارك عمل وفق مسؤوليته الحكومية ومصلحة شعبه من المســـلمين وغير المسلمين ، ويكفي أن أُعيد الإشارة إلى المحاولات الإسلامية الدبلوماسية التي قوبلت بالتجاهل حينا وبالرفض حينا من رئيس الحكومة ذاته ، ويكفي منها رفضه حتى مقابلة الممثلين الرسميين لعـــدد من الدول الإسلامية ! كما أنَّ المدعي العام ضرب بالقانون الدنمركي — نفسه – عرض الحـــائط ، فرفض قبول الدعوى التي قدَّمتها الجالية الإسلامية ضد الصحيفة .

ثانياً : يجب أن يعلم الدنمركيون أنَّ تصريحات الملكة التي وصفت فيها الإسلام بالعدو ، كان له أثـــر كبير في تهييج الأمة الإسلامية وإثارة غضبها . كما كان من الواجب أن تكون الملكة أكثر مسؤولية في تصريحاتها بنظرتها الخاصة .

ثالثاً : القوانين الدولية لا تمنع الشعوب من اتخاذها حقَّها في إعلان المقاطعة الاقتصادية ضد من يسيء إليها ، كما لا تتحمل الجهات الرسمية مسؤولية دولية بهذا الخصوص . كما أنَّ السوابق الدولية تؤكِّد

حق الحكومات وليس الشعوب فقط في الحث على المقاطعة الاقتصادية وتقنينها في حـال الاعتـداء عليها ، وليس اعتداء أشدَّ على المسلمين من الاعتداء على الإسلام ونبي الإسلام . ولا يعلم معـنى الاعتداء الذي ارتُكِب ضد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخطورته في المجتمع الإسلامي إلا مـن عرف الإسلام على حقيقته ، وعرف مكانة الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم لدى المسلمين مهما كان مستوى التزامهم الديني .

رابعاً : سيقع الحزب الحاكم الدنمركي في غلطة أخرى كبيرة ، وسيعالج الخطأ بالخطأ ، إذا اسـتطاع إيقاف الآخرين في الاتحاد الأوربي إلى جواره ، في تقديم دعوى ضد السعودية ، وذلك بتأجيج نفوس المسلمين من الوقوف إلى جانب الخطيئة مما يعمق المشكلة من جهة ، والإضرار بالأوربيين من جهـة أخرى ، إذ لا يُتَوقع أن يبقى سعر برميل النفط يدور في فلك المتوقع قبل التلويح بأي عقوبات تجـاه المملكة أو دول الخليج بوجه عام .. حينها سيخسر اللبراليون الدنمركيون الحرية في قراراتهم السيادية ، وليس في طرح الصحافة التي تمثلهم فحسب .

خامساً : لم ، ولن يقتنع المسلمون بدعوى (الحرية الإعلامية) التي تحاول – عبثـاً – أن تتـوارى وراءها الحكومة الدنمركية ، فأطفال المسلمين صاروا يدركون أن الحكومة الدنمركية ذاتها لا يمكن أن تقبل أي طرح إعلامي يشكك في الهولوكست أو ما يعرف بـ (المحرقة اليهودية) ، أو يمجِّد النازية ، على سبيل المثال .

سادساً : لن يجدي ما يقدِّمه بعض المتفرنجة في العالم الإسلامي من نشرات وصوتيات في محاولة لإدانة الدول الإسلامية ، وذلك لأسباب منها أنَّ لدى العالم الإسلامي الكثير من التصريحات الظالمة الـتي تغترف الافتراءات من معين الحقد ليس إلا ، وهي أبعد ما تكون عن المطالبات المعلنة بالحوار . كما نؤكِّد أنَّ أهل الإسلام حماة للأنبياء جميعاً بما فيهم المسيح عليه الصلاة والسلام ، كمـا أنَّ علمـاء المسلمين عندما يطرحون رأياً شرعياً إنَّما يستندون إلى حقائق علمية وتاريخية يعترف بها الآخرون من المستشرقين المنصفين .

ومن هنا تطالب الأمةُ المجتمعَ الدوليَّ والمنظمات الدولية بتقنين حماية الأنبياء من كلِّ ما يسيء إلـيهم وينال من كرامتهم ، ومكانتهم . وهذا مطلب رئيس ، لا ينبغي أن يَقَرّ للأمة الإسلامية ــ حكومات وشعوبا – قرار ، ما لم يستصدروه في صيغة قاعدة قانونية دولية ، تجرِّم كل شخص ينتهك حرمـة الأنبياء وفي مقدمتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتجعل من ينتهكها عرضة للمحاكمـة الـتي تساهم في استقرار العلاقات والإفادة منها فيما يفيد العالم .

سادساً : ليس لدى عامة المسلمين – في نظري– ما يمنع من نشر الحقائق الإسلامية كما هـي دون تصرف ، شرط أن تكون حقائق تستند إلى نصوص شرعية ، وتمثل رأي غالبية المرجعيات الإسلامية

، مهما تعارضت مع أطروحات الآخرين ، أو نظروا إليها بعين خلفيتهم الفكرية ؛ فلدينا قناعة تامَّة بأنَّ قوة الإسلام قوة ذاتية تنجذب إليها النفوس الحرّة ، المتحرِّرة من قيد الثقافة المنافية للفطرة والعدالة سابعاً : يُقدِّر عامة المسلمين كلَّ صوت حرّ يقيد الحرية بالضمير فيستنكر هذه الرسـومات ويـأبى نشرها ، كما يُقدِّرون أصوات العقلاء من المسؤولين ، ورجال الإعلام وقيادات الأحزاب المسـاندة للمطالب الإسلامية تجاه القضية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله .

وكتبه / سعد بن مطر العتيبي

الرياض ١٤٢٧/٢/١٦

ارسل تعليقك

ابو يوسف احمد ... المانيا ... ٢٠٠٦/٨/٦ ٣:٢٢:٤٠ AM ...

السلام عليكم..بعد التحية..في البداية لقد اخترت ان ارسل رسالتي هذه عن طريق موقعكم راجيا ان يصل ندائي الى الجهة المسئولة كعهدنا بتراهة هذا الموقع.......... لقد طبل العالم بمستريى كـاس العالم ومع جنوهم وانسياقهم وراء هذا الهم نسيى البعض او تناسوا حرمة و قدسية بعـض الامـور وخاصة حرمة العلم وايي علم فلو كان مجرد علم ذي الوان عادية لقلنا لا باس اما ان يحصل ما يحصل لراية الاسلام التي اتخذقا المملكة علما لها دون ان نرى اي اعتراض او تحرك من قبل المسئولين فهـذا عار لانه كان يجب على المسئولين السعوديين ان يضعوا علما خاصا بكاس العـالم و يطلبـوا مـن المنظمين اعتماده بديلا عن الراية حفاظا على قدسيتها لانه وللاسف وللمصيبة وياللعار نجد هنـا في المانيا ان راية المسلمين توضع ربما عند البعض عن قصد والبعض الاخر عن غير قصد وجهل في اماكن متنوعة \ الاسواق ..في المطبوعات الاعلانية التي ترمى لاحقا على الارض او في القمامة..والمصـيبة الصغرى مثلا على الثياب و ادوات الطعم والشرب والسكر والعربدة والمصيبة الاكبر ان الراية تعلق مع باقي الاعلام في اماكن السكر والعربدة والفسق ...فما قولكم الم يغلي الدم في عروقكم ام سوف تضعون دمكم و غيرتكم على الاسلام في ثلاجة خوفا من الصهيونية العالمية كي لا تقـول عـنكم متطرفين او ارهابيين..مثل كل حكام المسلمين فارجو ان لا يصل خوفنا من كلمـة ارهـابي الى ان نتهاون بل ننسى مقدساتنا ..فهل من مدكر..هل من مدكر ....الهم فشهد اني قـد بلغـت قـد بلغت.....والسلام عليكم والامانة بين ايديكم...........ابو يوسف احمد ... ...

==================

المقدسات والرسول.. ورقة في إدارة الأزمة

وسام فؤاد: إسلام أونلاين.نت

وحدة البحوث والتطوير

تابعت إسلام أونلاين.نت بكل اهتمامها أزمة التهجم على الرسول على المسرح الأوروبي، وكان من ردود فعلها المباشرة في هذا الصدد أمران، أولهما تمثل في إعادة تدوير منتجاتها التي تخص الرسول وسيرته ورمزيته ومعالجة الشبهات التي أثيرت حوله، والتي كانت أحد محاور اهتمام مكوناتها ذات المحتوى الشرعي والدعوي، بل وسائر مكوناتها المرتبطة بعلاقة مع أي من القضايا التي أثيرت حول الرسول. وثاني الأمرين أن أقدمت الشبكة على إنشاء موقع خاص متعددة اللغات للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ورسالة الإسلام بشكل يناسب غير المسلمين وثقافتهم وقضايا العصر.

غير أن هذا المستوى من ردود الفعل ترى إسلام أونلاين.نت أنه مستوى تكتيكي للتجاوب مع الأزمة في إطار السعي لتعظيم المكاسب من وراء إثارتها، محاولة أيضا – في نفس الوقت – تجنب أن يصدر الموقع المنتظر بصورة ردة الفعل، بل بصورة العرض الشامل الذي يقوم على استقراء حقيقة احتياجات الأقليات المسلمة في دول الغرب التي تشهد احتكاكا ليس من المنظور له أن ينتهي بين المسلمين من جهة وبين تيارات اليمين التي تتجاهل اعتبارات الإنسانية وحقوقها في تعاملها مع المسلمين بخاصة والمتدينين بعامة، وتركز على اعتبارات قومية نتمنى – لصالح الجماعة الإنسانية ألا تنحط لدرك العنصرية. ولعل الوعي بضرورة هذا الموقع ما دفع إسلام أونلاين.نت للتأكيد على أن يكون فريق العمل لكل لغة من أهلها؛ فالأمر لا يتطلب الإلمام باللغة فقط، بل بالثقافة أيضا "بلسان قومه".

ومن ناحية ثانية، أدركت إسلام أون لاين .نت أهمية النخبة الإعلامية في غدارة الحوار حول قضية الإسلام ومبادئه ومقدساته، وأسفر هذا عن إنتاجها مبادرة لمنتدى الفهم المشترك بين الإعلاميين الغربيين، وهو المنتدى الذي يبدأ أولى مراحله مع الصحفيين الدانمركيين، ثم سيتسع تدريجيا بحسب أجندة الأحداث، ويأخذ المنتدى شكل جلسات أو ورش عمل متبادلة. وتجري الآن ترتيبات تحويل هذا المنتدى لواقع إليكتروني فور أن تتوفر بقية موارده وتأخذ فعالياته حيز التنفيذ.

وإن كان هذا لا يعني أن إسلام أونلاين.نت ترى أن العمل أونلاين هو منتهى التعاطي مع الأزمة، بل هو آلية اتصالية ثورية تتيح مساحة أوسع وآفاق أرحب من التواصل والتعاون والتحاور، ولا تغني عن الحضور المؤسسي على أرض الواقع، وإن وجبت الإشارة إلى أن شبكة الإنترنت يمكن أن توفر لهذا الحضور المؤسسي قدر عال من الفعالية من خلال آليات التدريب والاتصال ونشر وتداول الأفكار وإثارة الحوار حولها.. وغيرها مما تتيحه الشبكة من إمكانيات تستطيع إسلام أونلاين.نت توفيرها باعتبارها بيت خبرة في هذه المساحة.

كلمات في منهج إسلام أونلاين.نت حيال القضية لكي يكون الكلم طيبا في سياقه الطيب الذي تشارك فيه الورقة بجهد المتواضع لله؛ فعليه أن ينضبط برؤية واضحة، تسهل مناقشتها، كما يسهل تقويمها عند تبيان موطن لوهن فيها، ويسهل أيضا تحويلها لأهداف يسهل قياس نضجها ولياقتها في إطار فقه الواقع كما يسهل تنفيذها. ولهذا نكتب هذه الكلمات في المنهج الخاص بإسلام أونلاين.نت.

ولعل أول ما نتحدث عنه في هذا المقام إصرار إسلام أونلاين.نت على أن يكون ثمة تطابق قدر الإمكان بين عالم الأفكار وعالم الأحداث، ذلك التطابق الذي لا يتم إلا من خلال تشغيل المفاهيم والأفكار والأطروحات الاجتهادية التي تنتج عن تشاور علماء الأمة، بما لا يجعل جهود علماء الأمة ومفكريها تحليق في سماوات لا تحتك بالواقع ولا تدرك فرصه وقيوده، وبما لا يجعل حركة المسلمين وقياداتهم خبط عشواء بلا وجهة أو إمكان مراجعة.

ويرتبط بهذا المنهج الإشارة إلى أن آليات المنهج يتجاوز إدلاء علماء الشرع وحدهم بدلوهم؛ بل يتضمن تشارك المفكرين وعلماء الاختصاص معهم في هذه القضية التي تخص قضايا اجتماعية تتعلق بشعوب متفاوتة وثقافات متباينة ومجتمعات سياسية أخرى لها معطياتها الاجتماعية الخاصة التي تحتاج لمتخصصين في التعاطي معها يتكاملون في تعاطيهم هذا مع رؤى أصحاب الفضيلة علماء الشرع ومتخصصيه.

وتستقيم إسلام أونلاين.نت على منهجها في السعي الحثيث للوصول لهذا التطابق من خلال استمرار ودينامية مناقشة الاجتهادات المخلوص إليها وديمومة تقويمها ومراجعة تطبيقها تحريا لإسباغ الرشادة والاستقامة في سلوك الحركة المسلمة.

والملمح المنهجي الثاني في مسلك إسلام أونلاين.نت يتمثل في عدم الاستسلام للحدث كمحدد أساسي لطرح توصيف ثم تفسير للأزمة انتهاء لبناء رؤية التعامل معها وما يرتبط بهذه الرؤية من تفصيلات. فالأساس في بناء النموذج الإدراكي المقترب من المثالية محاولة قراءة كامل تفاصيل مشهد الأزمة؛ مما يوفر رؤية أعمق وأشمل. وعليه، سترصد الورقة رؤيتها للتفسيرات المطروحة للأزمة، لكنها ستحاول تجاوزها من خلال طرح نموذج ليس تكامليا بين الرؤى، بل سيكون الطرح أحيانا نقديا لبعض الرؤى حينا، ومكملا حينا آخر.

الملمح المنهجي الثالث يتمثل في توفير اقتراب تكاملي للتعاطي مع المنتجات الآنية والمتجددة للأزمة. يغلب على هذا الاقتراب أن يلتحم بالبعد الثقافي للظاهرة باعتباره البعد الرئيس، ثم يلتحم ببقية الأبعاد التحاما وظيفيا إستراتيجيا، بما تعنيه كلمة إستراتيجي من محاولة تقديم صورة كلية من جهة، وبما يكفل متابعة التطورات من جهة ثانية.

الملمح الرابع والأخير يتمثل في رغبة الشبكة في توفير معالجة تتسع جغرافيا لتشمل العالمين العربي والإسلامي من جهة، كما تشمل العالم الغربي من جهة ثانية، وفق اعتبار تكرار الظاهرة بأشكال تعكس خصوصيات طرحها في كلا البيئتين، وإن كانت الورقة ستتجه في النهاية للتركيز على البيئة الأوروبية-الأميركية؛ باعتبارها البيئة التي تصر على تجديد الأزمة بتجليات مختلفة انطلاقا من حالة الكراهية التي تعكسها رؤى التيارات اليمينية: بتنويعاتها الجديدة والعلمانية والصهيونية، مع استثناء كثير من حالات اليمين المحافظ، متحللة من واقع التعدد الإثني الذي يميز المجتمعات الأوروبية-الأميركية.

في ملامح المشهد.. نموذجا الإدراك والتفسير

في ٣٠ سبتمبر من العام الميلادي ٢٠٠٥، قامت صحيفة بيلاندز-بوستن الدانمركية بنشر سلسلة من الرسوم الكاريكاتيرية التي يتضمن جلها إساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وكادت القضية تمر كما مرت قبلها بأيام قليلة قضية تبول بعض الجنود الأميركيين على نسخ من القرآن الكريم إذلالا لبعض المسلمين الذين كانوا يتولون التحقيق معهم ضمن الحرب الأميركية على ما تعتبره الإرهاب. غير أنه في ١٧ أكتوبر، قامت صحيفة الفجر المصرية بإعادة نشر بعض هذه الرسوم، ووصفتها بأنها "إهانة مستمرة"، و"قنبلة عنصرية". وبعدها بثلاثة أيام قام سفراء عشر دول إسلامية بتقديم شكوى لرئيس الوزراء الدانمركي بشأن الرسوم. وفي العاشر من يناير من عام ٢٠٠٦، قامت صحيفة نرويجية بإعادة نشر الرسوم. وإثر ذلك قامت المملكة العربية السعودية بسحب سفيرها في الدانمرك، وأعلنت ليبيا أنها ستغلق سفارتها في لدى الدانمرك. وأدى لتفجر الموقف أن قام مسلحون - في غزة بفلسطين المحتلة - باقتحام مكتب الاتحاد الأوروبي، وطالبوا بالاعتذار عن الرسوم. وتفجر الموقف بعد ذلك بتصعيد شعبي عربي وإسلامي، مصحوب بتأييد غير مسبوق من كثير من النظم السياسية العربية والإسلامية، ثم لحقت المؤسسات الدينية الرسمية بالحس الشعبي الثائر، واقترن ذلك بتصعيد أوروبي بالوقوف إلى جانب الدانمارك، واختلط هذا التصعيد ببعض التعقل الذي قاد للاعتذار. وتصاعد العنف في الشارع العربي والإسلامي، مما أدى لحرق السفارة الدانمركية في أكثر من بلد.

وقد ظهرت إلى جوار ذلك مبادرات عربية وإسلامية تدعو لحوار واعتذار، ثم مبادرات متأخرة تدعو للحوار ولو لم يتم الاعتذار المنشود. وتزامن مع هذين النوعين من المبادرات مبادرات أخرى أتت من جانب مسلمي الغرب للحوار ولبناء التوافق حول احترام كل الأديان، وصاحب ذلك كله موقف أوروبي وأميركي اتسم بالاهتزاز والافتقار لرؤية واضحة لإدارة الأزمة، مما جعل الموقف الحكومي يشارك الموقف الشعبي قدرا من الاضطراب الذي لم يلبث أن انتهى في جزء منه إلى التعقل والاعتذار والأسف لإيذاء مشاعر المسلمين.

تعددت الرؤى التي تناولت أزمة التهجم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا شك في صحية هذه التعددية؛ بما تتسم به من خصائص التعدد في زوايا النظر، والتكامل في التوصيف والتفسير، وتعداد الاحتمالات التي تتنازع كل بعد من أبعاد الأزمة: سياسيا وثقافيا.. إلخ. وهو ما نحاول رسم خريطة له لا تعني بالحصر بقدر ما تعنى بالاتجاهات، وهذا ما نتناوله بالتفصيل تاليا:

أولا: المشهد في بيئته الغربية:

فيما يتعلق بالبيئة الغربية، طرحت عدة تصورات إدراكية/تفسيرية، يمكن أن نوجز الإشارة إليها على النحو التالي:

هناك خلاف بين النماذج التفسيرية التي ظهرت لتفسير المشهد في بيئته الغربية، حيث يصر البعض على طرح نموذج صدام يميني – إسلامي منذ البداية، بينما يرى البعض أنها كانت حادثة تم تطويرها فيما بعد ليستفيد منها من يستفيد. وعلى هذا؛ فإننا نرصد هنا تلكم التفسيرات على مستويين، وذلك على النحو التالي:

١ – مستوى نشوء الأزمة:

ابتداء طرح المراقبون عدة تصورات لإدراك وتفسير الواقعة، وهي رؤى تم إدراجها في إطار صراع التكوينات الاجتماعية المكونة للعقل الغربي؛ وبخاصة التكوينات ذات التوجهات اليمينية؛ مع الوجود المسلم بأوروبا. ويمكن الإشارة لهذه التصورات فيما يلي:

أ – طرح البعض رؤية لصحيفة أو بضعة صحف مغمورة تحاول أن تخلق ضجة حول وجودها بالاحتكاك بالأقليات موضع الهجوم العام، وهي الأقليات الإسلامية، وفي هذا الإطار تخيرت أن تركب موجة النقد والهجوم اليميني الموجه لهذه الأقليات.

ب – طرح بعض المراقبون رؤية مفادها سعي بعض المنظمات ذات الاتجاهات اليمينية لتكريس الوعي السلبي الموجه للأقليات المسلمة في الدول الغربية، تمهيدا لتواصل الجدل حول جدوى الوجود المسلم بأوروبا، وفي هذا الإطار تم انتقاء قضية من المقدسات في العقل الغربي "حرية الصحافة" وتدبير اصطدامها بقضية من المقدسات في العقل المسلم، لوضع الأقليات المسلمة في صدام مع المقدسات العلمانية في العقل الغربي.

جـ - كما طرح البعض رؤية مقاربة لهذه الرؤية ولكن بمنطق مخالف، تتمثل في السعي لتكريس نمط الوعي الجيتوي (نسبة للجيتو) بين الأقليات المسلمة، مما يحول دون اندماج المسلمين في بلادهم الأوروبية، وهو مناخ يخلقه ويفيد منه التيار اليميني الأوروبي.

د - وطرح البعض رؤية مفادها أن الكيانات اليهودية أرادت أن تستفيد من حالة الكراهية الموجهة ضد المسلمين لترفع من طاقتهم التعبوية ضد إهانة الرموز الدينية، بما يخلق وعيا أوربيا يرفض الإساءة

للأديان، يتبعه الاتجاه لسن تشريع يجرم الإساءة للأديان، يتم توجيه نصل هذا القانون فيما بعد لنصوص القرآن المعادية لليهود.

وقد نفى مراقبون مسلمون رؤية السعي وراء رفع توزيعات الجريدة معتبرين أن ثمة وعي مرتفع بين المثقفين بحساسية الموقف انطلاقا من مفهوم الحرية المسؤولة.

كما أصر مراقبون مسلمون على رفض تعميم الموقف من قضية المقدسات على عموم المشهد الأوروبي؛ بسبيل التأكيد على أنها مواجهات سياسية متوقعة؛ وأن توقعها يستند إما إلى الصورة الإعلامية السلبية التي تغذيها بعض دوائر الإعلام، أو يستند إلى تنامي الوعي اليميني لدى بعض الشرائح الاجتماعية الغربية، وهو ما يعكسه فوز بعض الأحزاب اليمينية في بعض الدول الأوروبية.

٢ – مستوى تطور الأزمة:

تختلف صورة النموذج الإدراكي الذي يمكن استخدامه لتوصيف الأزمة في مطلعها عن ذلك الذي يمكن استخدامه لتوصيف الأزمة في مسلسل تطورها. لكن مع ذلك نود أن نلفت الانتباه إلى أن الاتجاهات التي أصرت على اعتبار الموقف مواجهة سياسية ثقافية بين نوعين من الفصائل أولهما يميني ذو توجهات تميل نحو العنصرية أو على الأقل ترغب في تفادي وجود حالة إسلامية في أوروبا بسبب ما بين أيدينا من سيل التدفقات الإعلامية التي تربط – تجاوزا – بين الوجود الإسلامي والمسالك الإرهابية، والطرف الثاني هو أطياف الوجود المسلم بأوروبا الذي يتراوح بين متدينين بأطيافهم وبين غير المتدينين.

إلا أن هذا لا يمنعنا من أن نضيف لتفسيرات الصراع اليميني – الإسلامي مجموعة أخرى من التفسيرات ارتبطت بتطور القضية، وذلك على النحو التالي:

أ – يرى البعض أن مناخ التضييق والإحباط وبيئة الاتهام التي يعيش به مسلمو أوروبا قد أفضى بهم إلى حالة من الضيق والسخط السياسي، عززه ما توالى نشره من قبل عن إهانة القرآن في جوانتانامو وأبو غريب وغيرها، فضلا عن تجاهل المنظور الحقوقي في التعامل مع المسلمين، وهو ما حدا بهم إلى التحرك سعيا للوصول لوقفة مراجعة مع بيئتهم الأوروبية.

ب – طرح بعض المراقبين أيضا فكرة أن إدراج القضايا المتعلقة بالوجود المسلم في العقل الغربي وعقده الاجتماعي كانت بحاجة إلى وقفة صراعية جادة؛ كما يسير الأمر دوما في التاريخ الغربي الذي تقر فيه القضايا المصيرية عبر مواجهة صراعية، وهو ما دفع المسلمين للمطالبة بوقفة جادة حيال قضاياهم وقضايا النظر إليهم.

جـ – كما طرح البعض فكرة أن التطور السلبي الذي حدث للقضية على المسرح الأوروبي كان مرده إلى تعالي الصيحات المطالبة بمقاطعة المنتجات الدانمركية التي تعتبر جزء من الهوية الأوروبية، وهو ما زكى تنامي النعرة الأوروبية التي حرصت على استفزاز العالم الإسلامي لاختبار جدوى المقاطعة.

د – كما طرح البعض أيضا فكرة رغبة بعض الدوائر في تكريس اشتعال الأزمة لجعل خيار حوار الحضارات خيارا صعب المنال حينما يصطدم برغبة العالم الإسلامي – النامي - في اعتذار العالم الغربي – المتقدم، مما يخلق حالة وعي يميني عامة يتصاعد فيها التيار اليميني بقوة للحكم في غالبية الدول الأوروبية، مما يؤدي لتنامي الاتجاه الرسمي الرافض لتنامي الوجود المسلم بأوروبا؛ بل وتقليصه.

وبصرف النظر عن الفحوى الهامة لهذه الأطروحات، فإن الرؤى التي تعالج الأمر خارج دائرة الصراع اليميني – الإسلامي تتسم بدرجة من الجزئية والسطحية التي لا تغني عن اعتبار الرؤى اليمينية، ولكن لا يمكن استبعادها بحال، لأن هذا الاستبعاد يضعنا أمام هذا الخيار الأحادي الصراعي الصلب.

ثانيا: المشهد في بيئته العربية الإسلامية:

أما عن ملامح المشهد على الصعيد الجغرافي العربي والإسلامي فقد اتفقت النماذج التفسيرية والإدراكية على حضور عاملين مهمين يكاد يقصر الأمر عليهما، هذان العاملان هما:

١ – وجود حالة عامة من حالات السخط الشعبي في العالمين العربي والإسلامي بسبب توارد وتواتر وتواصل الأنباء عن الحالة الغربية الآنية، والتي تتمثل في صورة مركبة من مشهد المشروع الاستعماري الغربي وفي طليعته الولايات المتحدة، مضافا إليه مشهد الصلف الثقافي الغربي الذي يتجلى في استمرار توافد الأنباء عن حالات إهانة للمقدسات الإسلامية، بدءا بالتبول على القرآن في جوانتانامو وأبو غريب، وانتهاءا بالإساءة للرسول في الدانمرك.. إلخ، وهو ما يفسر استمرار التظاهرات الرافضة لهذه الإساءة للرسول من باكستان وحتى فترويلا والتي اتهمت الولايات المتحدة برغم أن الحدث أوروبي المركز والتداعيات.

٢ – كما أشار المراقبون لسعي عدد كبير من الحكومات العربية لانتهاز الحدث والحصول على قدر من الشرعية الدينية يعوض تآكل شرعيتها، ومنها أنظمة علمانية صارمة، أو أنظمة تشترك في الحلف الأميركي على ظاهرة الإرهاب وتريد أن ترسل رسائل لشعبها مفادها أن "الاشتراك في الحرب على الإرهاب ليس معناه معاداة الإسلام". وهو ما يفسر وقفة غالبية الأنظمة العربية إلى جانب خيار المقاطعة.

وفي هذا الإطار وجد رصيد السخط الشعبي العربي والإسلامي رصيدا من المساندة في قراره بمقاطعة منتجات الدانمرك بدءا من البيان الرئاسي المصري الرافض وسحب الخارجية السعودية لسفيرها بالدانمرك وإقالة وزير الأمن الليبي لتصديه بالقوة للتظاهرات الليبية الغاضبة من الإساءة للرسول.. إلخ.

واستدراكا على هذا الملمح يضيف البعض قيدا هاما يتمثل في أن محصلة الغضبة الشعبية العربية والإسلامية لم يستفحل تأثيرها بسبب اغتنام كثير من الدول العربية والإسلامية وسيلة تحصيل الشرعية هذه، بل لأن الدولة الضحية "الدانمرك" دولة تقع على هامش مجموعة دول الشمال، وأن الأمر لو تعلق بدولة أكبر، كما حدث حين تبول جنود أميركيون على القرآن، لكان الأمر قد اختلف، وهو

ما أكده مراقبون انتبهوا لرغبة البعض في استغلال نشر صحف أوروبية للرسوم المسيئة لتحويل المقاطعة لمشروع قومي تتم فيه مقاطعة كل منتجات دول الشمال التي لها بدائل عربية وإسلامية، حيث ذهبت هذه الدعوة أدراج الرياح بالرغم من حيويتها المنهجية.

ما بعد المشهد.. تقييم الاستجابات المختلفة

أ – استجابات المسلمين في البيئة الغربية:

فيما يتعلق بالبيئة الغربية، كثيرة هي الآراء التي اعتبرت أن مواقف الأقليات المسلمة في الغرب تطورت بصورة إيجابية خلال الأزمة. وبرغم أن هذه الرؤية صحيحة، لكنها ليست الأصح. فالحالة الإسلامية في الغرب تتعدد اتجاهاتها بين أطياف متعددة وكثيرة. ونحن لا نتحدث عن اتجاهين أو ثلاثة، بل نتحدث عن أكثر من ذلك بين من يرون أن مرجعيتهم هي الإسلام.

فلو نظرنا للحالة الإسلامية في أوروبا سنجد المحافظين وسنجد الاندماجيين، وبين المحافظين تعدد في الخطابات ما بين الرؤى السلفية ورؤى حزب التحرير ورؤى الأحزاب الإسلامية ذات الأيديولوجية العنفية التي استقدمتها بريطانيا لأرضها. وأما الاندماجيين فمن بينهم من يدعو لحالة علمانية شاملة تكون الدولة فيها محايدة حيال المعتقدات، ومنهم من يريد استيعاب الدين الإسلامي في مشروع توافق يفضي لعقد اجتماعي جديد، ومنهم من يتصرف باعتباره مواطنا غربيا ولا يرى ضرورة رفع لافتة تشير إلى انتمائه الإثني.

ولابد في هذا الإطار من أن نشير إلى أن الحالتين السنية والشيعية تتشابهان في أوجه الانقسام، وإن كان الغالب عليها اتساع التيارات المحافظة، وإن كان هذا لا يعني تضاؤل نطاق الاندماجيين بينهم بصورة طاغية.

أما لو نظرنا للمهاجرين الذين يريدون الاندماج في المجتمع الأوروبي بغير مرجعية إسلامية فسنجدهم كثرة، ومع ذلك فهذه القضية تمسهم من زاوية أخرى تتمثل في إهانة الثقافة التي ينتمي إليها.

وإن كانت الصورة الخاصة بالتعددية في الرؤى والتيارات السياسية والفكرية المسلمة في الغرب قد اتضحت؛ فيمكننا أن نعرض تاليا لأهم ثلاث رؤى برزت أثناء الأزمة:

١ – تميل القوى اليمينية المرتابة من الوجود الإسلامي في أوروبا إلى اختزال ردود فعل الحالة الإسلامية في أوروبا في اتجاه واحد يغلب عليه الصراخ والاستغاثة، وتشير تحليلاتهم إلى أن هذا التيار هو الأساس، بينما تقع على هوامشه أصوات تحاول عقلنته. وبصرف النظر عن اتهامنا الضمني لهذه الرؤى، إلا أن الخطاب الاستغاثي الصراخي كان موجودا، لكنه لم يكن التيار الأساسي، بل كان الأضعف.

هناك تجليات عديدة لهذا التيار وكان أبرز رموزها الدكتور عزام التميمي مدير معهد الفكر السياسي الإسلامي بالمملكة المتحدة، والذي رأى في لقائه بقناة الجزيرة القطرية أن "الإسلام شامخ منتصر ممتد

وهذا الذي يأكل قلوب من يتطاول على الرسول غيظا". وقد أشار إلى أن "الرسول صلى الله عليه وسلم هو اليوم الشخصية الأولى في العالم في كل القارات.. في كل قارات الأرض، أتباعه في أوروبا في أميركا في كل أصقاع الأرض يقولون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله وهذا يغيظ هؤلاء لأنهم فقدوا البوصلة، وأصبحوا لا دين لهم، حتى الدين عندهم الذي لا يزال موجودا في قلوب كثير من الناس أصبح خائفا راجفا مختبئا"(..)، وأشار إلى أن التهجم على الرسول "لا نقبل به ويجب أن تُعَاقب أوروبا ويجب أن يعاقب كل من ينشر هذه الصور". ولا داعي للخوض في دلالة المعاقبة وصاحب السلطة في العقاب، فهذا مما يضيق دونه المقام.

٢ – أما الاتجاه الثاني فكان اتجاها وسطيا، يمكن القول بأن أهم من يمثله البروفيسور طارق رمضان. حيث نقلت جريدة "لو فيجارو" الفرنسية عنه رأيه بأن ردود الفعل في العالم الإسلامي على الرسوم المسيئة للنبي "مبالغ فيها"، وأنه قد دعا إلى "نقاش هادئ وعقلاني"، وندّد بالدعوات إلى "المقاطعة" والدعوات إلى القتل، ورأى أنها تخدم اليمين الأوروبي المتطرف. وقد ندد البروفيسور طارق رمضان بما أسماه "استقطابا خطرا بدأ يفرض نفسه، ويشجّع المواقف المتطرّفة من الجانبين". كما دعا المسلمين لأن "يعتادوا على اتخاذ مسافة نقدية"، ولأن "يعيشوا في عالم كوني يعتمدون فيه الحوار منهجا، كما ينبغي فيه أن تكون ضمائرهم قوية بما فيه الكفاية للتغلّب على حساسياتهم المجروحة". ولم يفت طارق رمضان طبعا أن يشير إلى أنه "في الإسلام، لا يجوز رسم الأنبياء".

٣ – أما الاتجاه الثالث فيتمثل في منهج الأستاذ أنس التكريتي الذي دعا في مشروعه إلى أن تقدم المملكة المتحدة أنموذجا للدولة الأوربية الليبرالية التي تعتبر مثالا في استيعاب التعددية بكل مستوياتها العرقية والدينية والثقافية، باعتبار أن بناء نموذج مجتمع تعددي بهذه الصورة من شأنه أن يضع ضوابط على ما قد تقترفه الجماعات الإثنية والثقافية والدينية بحق غيرها من الجماعات التي تشاركها نفس المجتمع، في إطار حرية مسؤولة، وهو ما من شأنه أن يضمن الانسجام والتوافق المجتمعي الإيجابي الذي تحميه قوة القانون. لكن أنس التكريتي تجاوز بأطروحته أن تحميها نصوص القوانين لصالح تعميق الحوار الذي يجعل هذه القيم التعددية المتباينة محمية بموجب الضمير المجتمعي العام والتوافق المجتمعي العام. وقد خرج برز أنس التكريتي عبر تظاهرة قادها في لندن، تتضمن توليفة إسلامية كاثوليكية.

وبين هذه الاتجاهات الأساسية وجدت بعض الأطياف التي يمكن القول باستيعابها ضمن هذه الاتجاهات الثلاثة، لكن لم تتضح أطروحتها بصورة كافية.

ومن خلال الطرح السابق يمكننا أن نشير إلى أن الحوار كمسلك في رد فعل مسلمي أوروبا على قضية التهجم على الرسول قد اتخذ الصورتين المشار إليهما، وهما صورتان تفترقان كثيرا في فلسفتهما.

فالطرح الخاص بطارق رمضان دعا لإقامة حوار حول ضرورة احترام حقوق الأقليات من زاوية استيعاب الأزمة ومحاولة منع تكرارها لإضرارها بمشاعر الأقليات. وهذا الطرح يصب في فقه الأقليات المسلمة الذي يحرص على صون حقوق هذه الأقليات وصياغة أسس علاقتها بالمجتمع الذي تعيش فيه باعتبارها أقلية ذات دين يخالف الثقافة المسيحية الأوربية، ومن ثم ينبغي توفير ضغوط على الحكومات لأجل فرض احترامه. أما طرح أنس التكريتي فقد حرص على التعامل مع الأزمة لا باعتبارها أزمة أقلية دينية مسلمة في مجتمع مفتوح، بل باعتبارها قضية مجتمع مفتوح به درجة عالية من التعددية الدينية والإثنية والثقافية بحاجة لتطوير ثقافته العامة ليتسنى له استيعاب حقيقة أوضاعه التعددية الراهنة وتطوير آلية إدارتها.

ب – استجابات المسلمين في البيئة العربية الإسلامية:

كما تعددت استجابات المسلمين في الثقافة الغربية الأوروبية، كذلك تعددت استجابات المسلمين في البيئة العربية الإسلامية، حيث يمكن رصد ٣ اتجاهات في هذا الصدد، على النحو التالي:

١ – ردود الفعل الغاضبة المحبطة: كانت ردود الفعل الغاضبة المحضة من أهم ردود الفعل في العالمين العربي والإسلامي، وإن لم تكن أكثرها رشدا بطبيعة الحال. وتمثلت ردود الأفعال تلك في مسيرات التعبير عن الغضب، والتي انتهى بعضها بحرق بعض سفارات الدول التي أعادت نشر هذه الرسوم.

وأهم ما يميز هذه الغضبة، بصرف النظر عن المؤازرة الحكومية، أن ارتبطت هذه التظاهرات برغبة حميمة في مقاطعة الدولة التي ابتدأت هذا الفعل، والصيام والقنوت والدعاء، وارتبط ذلك كله بحملة نشطاء الإنترنت لتعميم الاقتراحات بالتصرف ونشرها على نطاق واسع.

وبرغم أن الرغبة في المقاطعة كانت جادة وحميمة، إلا أن إعادة نشر دول أخرى للرسوم المسيئة لم يؤد لاتساع نطاق المقاطعة ليشمل هذه الدول الأخرى، وإن كان قد أدى لاتساع نسبي في نطاق العنف.

٢ – مجموعة الغضب العاقل: لم تكن كل ردود الأفعال الغاضبة بنفس الصورة، بل كانت هناك حركة غضبة أخرى أكثر رشدا ورصانة في الطرح، إذ أيدت الغضبة الشعبية في صورتها الاقتصادية والسياسية وأية صورة غير عنيفة، وهددت قيادات هذا الاتجاه بتغذية استمرار الغضبة الشعبية وتصعيدها ما لم يصدر عن الجهات التي اقترفت الإساءة للرسول ردي فعل، أولهما الاعتذار عن الخطأ في حق الرسول والمسلمين، وثانيهما العمل على سن تشريعات تجرم الإساءة للأديان. وقد تزعم هذا الاتجاه مجموعة من العلماء الكبار كان أبرزهم الدكتور يوسف القرضاوي.

٣ – ردود الفعل الحوارية: كان الحوار موضوعا حيويا وطلبا ملحا لقطاع عريض من القوى الشعبية التي كانت تضع نصب أعينها ليس فقط قضية الإساءة لمقدس إسلامي، بل أيضا مصلحة المسلمين في الغرب، حيث كانت القيادات التي أنتجت أبرز دعوات الحوار على صلات بقيادات من الأقليات

المسلمة في الغرب. ومن بين تلك الدعوات دعوة مؤتمر عمان الذي دعا فيه عدد من علماء الـــدين العرب المسلمين إلى الحوار مع الغرب منتقدين دور الإعلام في هذا الشأن. وكان من أبـــرز تلـــك الدعوات ذلك البيان الذي وقعه ٤٢ من كبار الدعاة وكان من بينهم الداعية الشاب عمرو خالـــد الذي دعا المسلمين لعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، وهو ما قاد إلى خلاف بين هذه المجموعة ومجموعة الغضب العاقل التي تزعمها الدكتور يوسف القرضاوي والتي ضمت عددا كبيرا من علماء الأمـــة، والتي رأت ضرورة أن تعبر الأمة عن غضبتها ليعلم المسيئون أنهم آذوا مشاعر أمة تعدادها مليار وثلث المليار.

٤ – الأنظمة العربية والتعامل مع الأزمة: استمر نهج الدول العربية في التعاطي مع الأزمة بمنطق التعبئة الجماهيرية بسبيل تحصيل قدر من الشرعية المستندة لمرجعية دينية ورضائية في آن أو سحب الغطـــاء الإعلامي عن قضايا داخلية متفجرة ببعض من هذه الدول، وتفاوتت تحركاتها الدبلوماسية لاحتـــواء الأزمة. فقد اكتفت بعض الدول بمساندة مشروع الغضبة كسورية، وغيرها على اختلاف في مواقف هذه الدول بين الانفلات والضبط. والمجموعة الثانية من الدول العربية والإسلامية فقد شايعت الغضبة لكنها دعت لإجراء حوار حول القضية كمصر، أما الفريق الثالث فاتجه إلى تدبير لقاءات حواريـــة، وكانت أبرز الدول الناشطة في هذا المجال دولة قطر، والتي رتبت لقاء تحالف الحضارات الذي ضـــم ممثلين من الأمم المتحدة (كوفي عنان) وجامعة الدول العربية (عمرو موسى) ومنظمة المؤتمر الإسلامي (أكمل أوغلو) وبعض وزراء الخارجية الأوروبيين.

جـــ – استجابات الطرف الغربي:

كان لهبة المسلمين في أنحاء العالم ردود فعل قوية ومؤثرة في المجتمع الغربي، وبخاصة مع اتجاه أصوات التيارين المعتدلين للتعالي. حيث قامت بعض الدول بالاعتذار كالدانمارك وإيطاليا وفرنسا، وإحـــدى الدول: النرويج عدلت قانونها لتجريم الإساءة للأديان، وأتت وفود كنسية للجامع الأزهر للاعتـــذار والحوار، كان من بينها وفد الكنائس الدانمركية، وظهر قدر من التوافق الكاثوليكي الإسلامي حول تجريم الإساءة للأديان. وإن كان هذا لم يمنع من أن كثير من الدول لم تتقبل فكرة الاعتذار، بـــل إن رسالة الاتحاد الأوروبي في اجتماعه على مستوى وزراء الخارجية في فبراير ٢٠٠٦ تضمنت عبارة لا تعني الاعتذار، بل تعني الأسف لأن ما نشر أغضب المسلمين، مما يفتح الباب للتساؤل حول ســـبب الأسف: أهو نشر الإساءة أم إحساسنا بالإساءة.

المعالجة.. أطروحات عملية للعالمين الإسلامي والغربي

كانت الإشارات إلى منهج إسلام أونلاين.نت، وكذا عملية الرصد والتفسير مدخلا لتقديم طـــرح عملي لمواجهة الأزمة. ومما سبق يمكننا أن نخلص لحصادين قيمي ومؤسسي نوجز ملامحهما فيما يلي:

أولا: الحصاد القيمي:

بعيدا عن القيم المستقرة التي تكرست عبر الأزمة كالحوار، مكنتنا الأزمة من الانتباه لمجموعة من القيم المهمة التي علينا أن نلتفت إليها، ومنها:

أ – الغضب العاقل: حيث إن حسن إدارة الغضب مكن العالم الإسلامي من تحقيق مكاسب سياسية وثقافية، وتمكن من تحويل مجرى التفاعلات من مسار الرعونة إلى مسار الحوار والتعايش والاعتذار والاتجاه للحوار البناء.

غير أنه تجدر الإشارة إلى أنه لولا هذه الغضبة التي سارعت لاتخاذ مسار العقلانية لما كان من الممكن للعالم الإسلامي أن يحصد هذه المكاسب.

ب – إدراك التعددية داخل الآخر: كان من بين ردود الأفعال المتزنة وقوف المسلمين في كثير من الدول الأوروبية على حقيقة الاختلاف والتعددية داخل المجتمعات الأوروبية، مما مكن من صوغ تحالفات وعقد حوارات كانت بناءة ومثمرة، وستؤثر إلى حد كبير على حركة التنظيمات القائدة للأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية.

جـ – التعريف بالتعددية داخل الذات واحترامها: كان من المهم كذلك أن يتم الإعلان الواضح عن التباين الشديد والتعددية الموجودة داخل الكيانات المسلمة بالغرب، وما بينها من اختلافات حقيقية في الرؤى والمواقف، مما وضع أقدام كثير من القوى الاجتماعية الأوروبية على بداية التمييز بين الصحي والمريض داخل الخطاب الإسلامي في الغرب.

والأهم أن التعددية التي حدثت داخل الذات المسلمة على الصعيد الجغرافي العربي والإسلامي كانت مهمة أيضا، برغم أن بعض ردود الأفعال العاقلة اتخذت موقفا مناوئا من ردود الأفعال العاقلة الأخرى، وهو ما كان من المهم الإشارة إليه في إطار ضرورة احترام التعددية في المواقف، مع كامل التقدير للموقف الوسطي.

د – الحرية المسؤولة: من أهم المفاهيم التي برزت خلال الأزمة مفهوم الحرية المسؤولة، وهو مفهوم نهض في مواجهة ما اعتبر حرية مطلقة للصحافة في التعبير. والجدير بالذكر أن هذا المفهوم: الحرية المسؤولة أعاد للأذهان الصورة الغائبة عن القيود القانونية التي ترد على حرية الصحافة. خاصة وأن اعتبار هذا الحق مقدسا يجعل من التهجم على قضايا أخرى كالهولوكوست وغيرها.

هـ – التوافق والعقد الاجتماعي: من أهم المفاهيم التي استخدمها بعض قادة الأقليات المسلمة في الدول الغربية، حيث سعوا إلى إدراج قضية عدم إهانة المقدسات داخل العقد الاجتماعي الغربي، وبناء التوافق حول ضرورة عدم الاستهزاء بمقدسات الأديان جميعها.

ومع هذا تبقى قيمة الحوار وقيمة التبليغ أو التعريف بالإسلام من أهم القيم التي تعززت أهميتها.

ثانيا: الحصاد المؤسسي:

من الأهمية بمكان أن نخلص لمجموعة من الإجراءات العملية التي يمكن الإفادة منها في الاستفادة إيجابيا من قوة دفع هذه الأزمة. وهنا يمكن الإشارة إلى أن دور الحصاد المؤسسي تحويل الحصاد القيمي إلى أهداف واقعية تحملها حالة مؤسسية. وفي هذا السياق نضع الملامح المؤسسية التالية:

أ – على صعيد مسرح العمل الغربي:

من أهم ما ينبغي إنجازه على صعيد المسرح الغربي عدة مهام، نستلهمها من عرضنا السابق فيما يلي:

١ – متابعة أدبيات اليمين الغربي فيما يتعلق بالحالة الإسلامية في أوروبا، وفتح حوار بين قيادات الأقليات الإسلامية حول هذه الأدبيات، وإنتاج أدبيات تتناول ترشيد وترقية أداء الأقليات المسلمة في الغرب والمنظمات المعبرة عنها، وتوثيق رؤى إدراك الآخر وإدارة الذات لتسهيل تقويم تطور الأداء المسلم في الغرب عبر الزمن، وكذا تقويم نظرة الآخر للوجود المسلم.

٢ – توفير آلية تشاور سريعة الانعقاد بين قيادات الأقليات المسلمة عند حدوث أزمة بحجم أزمة الرسوم المسيئة للرسول والمقدسات الإسلامية، والتوصية بالاتجاهات التي يستوعبها فقه حركة الأقليات المسلمة، وتحديد أنماط ردود الأفعال التي يمكن أن تشكل في تداعياتها تأثيرا سلبيا على وضع الأقليات المسلمة في أوروبا.

٣ – رسم خريطة للقوى الاجتماعية والثقافية والسياسية في دول الغرب، يتوزع رصدها على المحكات والقضايا التي تهم الوجود المسلم في الغرب، وذلك لمعرفة مساحات الالتقاء والافتراق بين المسلمين وهذه القوى.

٤ - تجاوز العقلية الجيتوية بالتحرك المتضامن مع القوى الاجتماعية والسياسية والدينية التي تشاركنا محاور قضايا المسلمين، وبما يحقق أمن واستقرار المجتمعات الأوروبية نفسها.

٥ – باعتبار المسرح الغربي مترابط إقليميا عبر الاتحاد الأوروبي، ومترابط عبر الأطلنطي من خلال حلق الناتو، فإنه من المقترح القيام بدرجة عالية من التنسيق والتشبيك بين الأقليات المسلمة في الغرب من خلال المنظمات التي تتولى التعبير السياسي والثقافي عنها، وإدارة نقل الخبرة وتجويد الأداء.

٦ – رسم ملامح إستراتيجية علاقات عامة تستهدف تكثيف الحوار بين المنظمات الإسلامية في أوروبا وبين الجهات التي تشاركها الاهتمامات الجزئية أو الكلية، والتي أنتجتها عملية رسم خريطة اهتمامات أطراف المجتمع السياسي والثقافي في الغرب، وذلك بسبيل تشجيع مناخ الحوار بين المسلمين ومن يشاركونهم الاهتمام من جهة، وتطبيع حضور القيادات المسلمة في الحياة العامة الأوروبية من جهة ثانية.

٧ – الانتقال بالدعوة الإسلامية من الطور الكلاسيكي القائم على إيفاد الدعاة لصالح إنتاج جيل جديد من الدعاة، أو الدخول في مرحلة جديدة من مراحل صياغة الفكر الدعوي القائم على معطيات علوم الاتصال والعلاقات العامة، لكي يناسب شكل العرض طريقة تفكير المجتمعات

الجديدة، والاحتياجات غير التقليدية المتجددة للدعوة، وطبيعة التحديات الاتصالية والإعلامية القائمة بهذه المجتمعات؛ بما فيها اعتبارات المنافسة الإعلامية.

٨ – تشجيع قيادات الأطياف والتيارات المختلفة بين المسلمين على إنشاء وسائل إعلام متقدمة تتمكن من مواجهة المحتوى المتدفق من وسائل الاتصال الغربية، والتي يملك اليمين فيها حظا غير قليل، على أن تعمل من خلال موارد بشرية منتمية للمجتمعات الأوروبية تعرف لغتها وثقافتها (بلسان قومه)، وفي نفس الوقت تدين بالإسلام في أطروحاته المتجددة المقتربة من حقيقة التحديات الغربية الآنية.

٩ – إنتاج مشروعات تعريفية بالإسلام ومحتواه، وخصائص رسالته، وكذا وسائط تعريفية ترتبط بالنبوة شخصا ورسالة وسلوكا وأخلاقا، تعمل بصورة إستراتيجية من ناحية، ومرتبطة بالأحداث من ناحية أخرى، لكي تكون متكاملة في صيرورتها متصلة بالتحديات الآنية في تناولها، من خلال آليات متعددة اقترح البعض منها: إنشاء موسوعات متكاملة وموسوعات ميسرة، سواء أكانت هذه الموسوعات منتجة في صورة كتابية نصية أو في صورة وسائط متعددة (فيديو-كاسيت-سي دي-دي في دي-محتوى إنترنتي-وغيرها من الوسائط التي تسفر عنها القرائح التقنية) وزيارة المدارس والجامعات والتعاون معها بسبيل تمويل ومباشرة أنشطة تعريف بالإسلام ونبيه، وإقامة مهرجان أوروبي موحد ومهرجانات فرعية قطرية يختص كل منها بقضية معينة ويتغيا أهدافا محددة يمكن قياس مستوى الإنجاز فيها، أو إصدار مجلة دورية أو فصلية للتعريف بالقضايا حديث الساعة، والقيام بحملة علاقات عامة وتمويل للمكتبات الكبرى على مستوى الأقاليم والأحياء في الدول الغربية لإنشاء ركن خاص بالكتابات عن الإسلام.

١٠ – توفير حملات مكثفة ثم دورية للتعريف بالمنظمات الوسطية الإسلامية، وباتصالاتها، لتيسير التواصل معها، والقيام بحملة تواصل مع المؤسسات الإعلامية الكبرى والمتوسطة والمؤسسات الإعلامية ذائعة الصيت في النطاقات المحلية والإثنية الضيقة، بما يتجاوز ما يصم الحالة الإسلامية من فقر اتصالي.

ويمكن من خلال العرض السابق أن نحدد الصورة المؤسسية التي تمكن من إنجاز هذه الأهداف، وهو ما نوجزه فيما يلي:

١ – إنشاء مرصد أكاديمي يتبع أمانة منظمة إسلامية أوروبية كبرى، يتولى مهام رصد أدبيات اليمين، ورسم ملامح خريطة القوى السياسية والثقافية الأوروبية، والأنماط المحتملة لعلاقات الحوار والتحالف من جهة، وعلاقات المواجهة والمتابعة من جهة ثانية، ويراكم أدبيات تطوير الذات وأدبيات تنمية العلاقة مع الآخر، وأدبيات نظرة القوى السياسية والثقافية لواقع المسلمين في أوروبا، ويتولى إصدار مجلة فصلية لتوثيق الخبرة ومراكمة الأدبيات، وعقد مؤتمر سنوي أو كل عامين لمدارسة وضع الأقليات المسلمة في الغرب وما يرتبط بها من قضايا.

٢ – إنشاء مكتب للعلاقات العامة تكون مهمته إعداد إستراتيجية التعريف بالإسلام، وتكييف الآني والمؤجل منها تبعا لإلحاح الوضع في الغرب، ووضع تصور لمشروع التعريف وخطة استكماله، والترتيب لمهرجان عام، وأية مهرجانات فرعية، كما يتولى توجيه اقتراحات للمنظمات الإسلامية القطرية بأوجه النشاط الثقافي الممكنة ومجالاتها، أو يتولى هو تمويل قيام المؤسسات القطرية بهذا الدور، ويشجع إنشاء منظمات مدنية قطرية تتولى إدارة وتنفيذ هذه المشروعات الثقافية.

٣ – إنشاء إدارة تنسيق في واحدة من المنظمات الإسلامية الغربية الواسعة الانتشار، تتولى مهمة التنسيق بين قيادات المنظمات الإسلامية المختلفة بصفة عامة، كما تتولى الدعوة لمؤتمرات سريعة التحضير عند بروز بوادر أزمة كأزمة الرسوم المسيئة لمقدسات إسلامية، كما تتولى هذه الإدارة توجيه الدعوات لمنظمات إسلامية بالتضامن مع القوى السياسية والثقافية غير المسلمة التي تتشارك مع المنظمات الإسلامية في بعض الأهداف السياسية والاجتماعية والثقافية.

٤ – إنشاء إذاعة وقناة تليفزيونية أوربية، أو الاستفادة من قنوات أوروبية موجودة بالفعل لخدمة المجهود الدعوي والاتصالي الإسلامي، مع ضرورة تجاوز حقبة اللغة الإنجليزية أو الفرنسية لصالح مزيد التحام بواقع التعددية الإثنية والثقافية في المجتمع الأوروبي.

٥ – عند الاستقرار على ملامح الوضع المؤسسي العام لأقليات الإسلامية في أوروبا يقترح إنشاء مؤسسة وقفية تتولى الإنفاق على هذه المؤسسات التي لا تتوفر لها القدرة على التمويل الذاتي، أو المؤسسات التي سيتم استحداثها خارج نطاق المؤسسات الموجودة بالفعل في المسرح الأوروبي.

ويمكن لإدارة تنمية المشروعات بموقع إسلام أون لاين أن تتولى إعداد الجانب الشبكي المتعلق بالنشر على الإنترنت لهذا البعد المؤسسي.

أ – على صعيد مسرح العمل العربي والإسلامي:

من أهم ما ينبغي إنجازه على صعيد المسرح العربي والإسلامي عدة مهام، نستلهمها من عرضنا السابق ممثلة في المحاور التالية:

١ – مراجعة عملية الاحتجاج على الرسوم المسيئة، وتقويمها، ووضع معايير لترشيد العمليات الاحتجاجية، مع التأكيد على أنها عملية نشطة قابلة للتكرار مع وقوع ما يبرر تكرارها، وتكثيف التشاور بين مؤسسات المجتمع المدني العربية والإسلامية ذات الوظائف الدعوية لتطوير الأداء فيها.

٢ – التعريف بالمؤسسات التي من صميم خبراتها إدارة هذا النوع من الأزمات، مع توفير خطط نماذجية بهذه المؤسسات لأنماط الحملات المختلفة التي يمكن انتهاجها عند حدوث أزمات مشابهة، مما يوفر الوقت والجهد المهدر في إنتاج ردود فعل ارتجالية أو عفوية قد تكون ضعيفة، أو قد يتم إجهاضها بسبب عدم لياقة سلوكها.

٣ – تشجيع الحوار بين القوى السياسية والثقافية والإثنية والدينية بما يؤدي لسيادة الاحترام المتبادل بين هذه القوى، سواء على صعيد احترام رموزها (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله..) في مقابل صون رموز الأديان عن العبث تحت مسميات مختلفة كالإبداع.. إلخ.

٤ – الدعوة إلى إنشاء حلف فضول معاصر، بالاشتراك مع العقلاء الغربيين، نتفق فيه جميعا على احترام كافة الأديان والشرائع، ورفض التلاعب بها والسخرية منها بأي شكل من الأشكال، ونقف صفا واحدا أمام من تسول له نفسه المساس بالدين والمعتقد.

ويمكن لهذه المهام أن تباشرها مجموعة من المنظمات الدعوية القائمة بالفعل أو بعض المؤسسات التي تنشا خصيصا بالتوافق بين الجهات الدعوية الأهلية والرسمية، على أن يراعى في المؤسسات القائمة أو المستحدثة التي تباشر هذه المهام أن تأخذ بأساليب وتقنيات علوم الاتصال والعلاقات العامة المعاصرة لتواكب الدعوة في ثوبها روح العصر كما تواكب في محتواها تحديات هذا العصر وما يمليه من اجتهادات.

والله نسأل أن يجعل جهود هذا الجمع الكريم خالصة لوجهه

===================

النبي العظيم صلى الله عليه وسلم

مي عبد الله الشايع

هل كانت ردة فعلنا كمسلمين قوية ورادعة على جميع الأصعدة عندما تطاولت إحدى الدول الغربية على رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام؟؟

هل سيطرت اللغة الإعلامية العربية في الحديث عن هذا التجرؤ المقصود في تشويه صورة أفضل الخلق مثلما سيطرت اللغة الإعلامية الغربية على أحداث ١١ سبتمبر وضحاياها وتداعيها على المسلمين في أرجاء العالم؟؟

هل ما زالت الثقة مفقودة في المسلمين وما زال الانهزام النفسي يطغى على شعور المجتمعات الإسلامية؟؟

تأملوا مجريات الأحداث على العالم الإسلامي منذ عام ٢٠٠٠م وحتى الآن، حرب ضروس على المسلمين بدعوى محاربة الإرهاب وترويع للمسلمين الذين وجدوا العيش في المجتمعات الغربية الضالة المنشودة في الأمن واحترام حريات الفرد المزعومة! حتى لاذوا بالفرار من براثن عنصرية الديانة واللغة والدين! بل هدم دول وقتل الأبرياء فيها قبل غيرهم تارة لمحاربة الإرهاب وتارة للقضاء على أسلحة الدمار! وتارة لنشر الديمقراطية المزعومة! وتدخل سافر في سياسات الدول! تكالب الأمم الغربية على المسلمين ثقافة وفكراً وعقيدة.

ألا يحق لنا كمسلمين أن نعترف بعد كل هذا بأن العداء في الأصل هو عداء للعقيدة؟؟

ولأن الزمن الآن هو زمن الحرب الفكرية فإنني استعين باقتراح للأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة في مقالته «لا تحسبوه شراً لكم» في مجلة البيان في عددها رقم ١٦٨ في طباعة الترجمة المجردة عن الأصل القرآني لسببين أولهما أن المدعوين لا يقرؤون العربية. ثم لا ندري ماذا سيفعلون به إذا ما وزعناه على نطاق واسع فقد يرميه بعضهم في أماكن غير مناسبة وقد يقرؤه بعضهم في دورات المياه.

أن تكون الغالبية العظمى منها طبعات شعبية ذات غلاف ورقي لكي تقل تكلفتها ويسهل حملها وتوزيعها. وأن توزع بكميات كبيرة على المساجد والمراكز بالولايات المتحدة وعلى أكبر عدد من الأفراد المعروفين باهتماماتهم الدعوية.

ومن جهتي أضيف ضرورة ترجمة وطباعة سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعدد من اللغات الأجنبية الأساسية.

وعلينا من خلال واقعنا الذي ندركه تماماً أن نحكم العقل في ردود أفعالنا تجاه هذه الاستفزازات الغربية.. وأن نستخدم قوتنا الاقتصادية والفكرية للتصدي لمثل هذه الهجمات.

==================

بشائر النصر تلوح في الصحيفة الدنمركية

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

أحمدك اللهم كما علمتنا أن نحمدك وأصلي وأسلم على نبيك ورسولك رسول الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

قال الله عزَّوجلَّ: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون} (٣٠) سورة يس.

وقال سبحانه: {كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} (٧٠) سورة المائدة.

وقال الله عزَّوجلَّ: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ} (٣٣ / ٣٤) سورة الأنعام.

وقال الله جل شأنه: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وِيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٦١) سورة التوبة.

وقال الله سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} (٥٧) سورة الأحزاب.

وقال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} (٩٤ / ٩٥) سورة الحجر.

وقال تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} (٣) سورة الكوثر، أي: إنَّ مبغضك يا محمد، هو المقطوع المحروم من خير الدنيا والآخرة.

ثم أما بعد:

فإن ما ارتكبته (الصحيفة الدنمركية jyland صلى الله عليه وسلم s post صلى الله عليه وسلم n) (يوم الثلاثاء ٢٦ / ٨ / ١٤٢٦هـ الموافق ٣٠/ ٩ / ٢٠٠٥ م بنشرها رسوماً كاريكتيرياً – تسخر فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر شنيع وفعل فظيع تجاوز حده وإنه لخطر عظيم ولا يعلم مدى خطورته إلا الله عزوجل.

كيف لا وهو يسخر من نبي الرحمة والهدى الذي وصفه الله في محكم التتريل بقوله عز من قائل:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١٠٧) سورة الأنبياء.

{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٢٨) سورة التوبة.

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} (١١٩) سورة البقرة.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا} (٤٥ / ٤٦) سورة الأحزاب.

{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم

إن هذه الصحيفة المنحطة تسخر بهذا الفعل ـ المخالف للقوانين والأعراف الدولية ـ من أمة الإسلام أتباع محمد صلى الله عليه وسلم والذين يقارب عددهم (أكثر من مليار ونصف المليار) والذين قال الله فيهم:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٦٤) سورة الأنفال. {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا} (٢٣) سورة الأحزاب.

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (٦٨) سورة آل عمران.

{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا} (١١٥) سورة النساء.

{وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (٦٢) سورة الأنفال.

{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ} (١٠٣) سورة يونس.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (٤٧) سورة الروم.

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} (٤٧) سورة الأحزاب.

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} (٢) سورة الحشر.

أحبتي في الله: توجهوا بأقلامكم وأفكاركم وما تملكه أيديكم من وسائل ضد هذا المحارب الغاشم واعلموا أن ما نشر في هذه الصحيفة الظالمة لسبب من أسباب النصر إذ جعلت أمة الإسلام تستيقظ وتتلاحم وتتآزر وتعرف حقيقة العدو وكيف يتربص بها وبدينها وقيمها.

هذا الفعل المنكر والشنيع وهذه السخرية برسولنا الهادي البشير ستقوي شوكة المسلمين سيكونون يدا واحدة ضد المستهزئين به صلوات الله وسلامه عليه.

وبالفعل فقد تحركت الجموع المؤمنة المحبة لرسولها أكثر من حبها لنفسها تحركت من كل حدب وصوب لتصد الشيطان وأولياءه وتردعه عن التمادي في الاستخفاف بسيد الأولين والآخرين الرؤوف الرحيم.

تحركت في شتى بقاع الدنيا مستنكرة مجهزة كل وسائل الردع لهذا المنكر العظيم وإنه لخزي للصحيفة ومن تعاون معها وذل للمستهزئ بأنبياء الله ورسله وإن الدائرة ستدور بنكباتها على المستهزئ ومن رضي بذلك.

إن هذه السخرية والاستخفاف ستجعل فاصلا واضحا بين المسلم الحق وبين المتلبس بالإسلام والإسلام منه بريء.

فالمسلم الحق سيجد نفسه مضطرا للدفاع عن نبيه ورسوله سيلتحم مع إخوانه الدعاة إلى الله في تغيير هذا المنكر وردع فاعله بكل وسائل الردع المتاحة له.

المسلم الحق سيجهز نفسه للوقوف ضد من حارب الله ورسوله سيبذل كل غال ونفيس في نصرة الإسلام والذود عن رسول الهدى والرحمة.

والمتلبس بلباس الإسلام سيخنس خنوس الشيطان سيجد سبيلا إلى الصمت والرضا بهذا المنكر.

أحبتي في الله: قلت إن بشائر النصر تلوح في الصحيفة الدنمركية.

فعلا إن النصر يلوح وإن هذه علامة واضحة على اقتراب النصر وخذلان الأعداء بحول الله وقوته.

أتذكرون إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه سببه استخفاف أبي جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو معروف وإليكم قصة إسلامه وكيف قويت شوكة الإسلام بذلك كما ترويها لنا الأخبار الصحيحة:

في الفترة التي كان فيها الجو ملبدا بسحب الظلم والعنهجية والطغيان ملبد بالإعتداءات المتتالية مـــن شرار الناس وشياطينهم على رسول الله وأصحابه بزغ نور أضاء الطريق أمام المضطهدين والمقهورين، ألا وهو إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، أسلم في أواخر السنة السادسة من النبوة. وسبب إسلامه أن أبا جهل مر برسول الله يوما عند الصفا، فآذاه ونال منه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت ولا يكلمه، ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه فشجه، حتى نزف منه الدم، ثم انصرف عنه إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها على الصفا ترى ذلك، وأقبل حمزة من القنص متوشحا قوسه، فأخبرته المولاة بما رأت من أبي جهل، فغضـــب حمزة ــ وكان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة ــ فخرج يسعى، لم يقف لأحد حتى دخل المسجد وفيه أبو جهل فقام على رأسه، وقال له يا مصفر استه، تشتم ابن أخي وأنا على دينـــه؟ ثم ضـــربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم ــ حي أبي جهل ــ وثار بنو هاشم ــ حـــي حمزة ــ فقال: أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

ثم شرح الله صدر حمزة للإسلام، فاستمسك بالعروة الوثقى، واعتز به المسلمون أيما اعتزاز وكـــان إسلامه نصرا عظيما للمسلمين وكانت تلك السبة وذلك الاستخفاف سببا في النكبة والخزي والذل للطغاة المعتدين.

وإني أرى أن هذا الاستخفاف والاستهزاء من هؤلاء الطغاة لبداية نصر للإسلام والمسلمين وإن بشائر النصر تلوح في الأفق {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} (٢٢٧) سورة الشعراء.

بشائر النصر هبت في سنا القمر *** تزهو بسيف عليه وصمة الظفر

بشائر النصرفي الآفاق ساطعة *** لاحت بدايتها من صفحة القَدَرِ

بشراكم أمتي فالنصر يصحبكم *** والخزي والذل للمستهزئ الأشر

بقلم الدكتور:

عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله

صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر

وعلى آله وصحبه ومن اقتفى

أثرهم وترسم خطاهم

إلى يوم الدين

==================

بيان صورة الإسلام لدى الغرب

بحث أعده الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد...

لتقديمه إلى المؤتمر العالمي لنصرة النبي محمد صلى عليه وسلم

الذي سينعقد في البحرين بين ٢٢-٢٣ صفر ١٤٢٧ الموافق ٢٢- ٢٣ مارس ٢٠٠٦.

مع إشراقة نور الإسلام الذي دعا إلى التوحيد الخالص وكشف الحقيقة عن الانحرافات الخطيرة التي دخلت الأديان السماوية فضلاً عن الأرضية ومع مجيء الشريعة السمحاء التي تأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ومع الالتزام بالنظام القيمي الأخلاقي المتوازن لضبط سلوك الفرد والمجتمع، تجمّع طغاة الانحراف من رجال الدين، ومستلبي حقوق الأمم والشعوب من رجال الحكم، وطالبوا اللذات والشهوات من دعاة الإباحية، لإطفاء هذا النور الإلهي وحرمان الإنسان منه أينما كان، ليتخلص من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، وينتقل من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر أمام طاغية عسكر الفرس "رستم" قبيل معركة القادسية - تآمر اليهود في الداخل على هذا الدين وأهله، وخططوا لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإثارة الفتن بين المسلمين، وإضعاف قوة الوحدة الإسلامية، ونشر الشائعات والأكاذيب بين المسلمين وتقوية جبهة النفاق والشرك ونصرة الباطل في سبيل إزهاق الحق. غير أن قوة المسلمين في عقيدتهم ووحدتهم ردت كيدهم وقبرت مؤامراتهم وهزمت جيوشهم، فخرجوا من هذه المعركة الكيدية خاسئين خاسرين.

وعندما أقام الرسول الكريم وخلفاؤه الراشدون دولة الإسلام العادلة وحضارته الزاهرة وأنظمته الأخلاقية المتكاملة المنبثقة متوازنة من أسماء الله الحسنى، ارتعشت دولة الفرس والرومان فأحسوا بالخطر. ولما هزم جيوشهم جيش الإيمان واليقين والحق، لجئوا إلى التآمر الظاهر والخفي، بعد أن سحق المسلمون دولتهم، فظهر عند الفرس في الحركات الهدامة التي زعزعت المجتمع الإسلامي في القرون التي تلت القرن الأول.

وأما دولة الروم التي ألحقت الجيوش الإسلامية في بلاد الشام ومصر الهزائم المنكرة بها، فبقيت تراقب أوضاع المجتمع الإسلامي، وتخطط لتآمر مكشوف لتشويه الإسلام وعقيدته وشريعته وأخلاقه وحياة نبيه وأركان حضارته، أمام شعوبها المقهورة المستلبة الجاهلة، لمنع وصول نور الإسلام إليها، كي لا تنتفض على طغاتها وكنائسها ومؤسساتها الظالمة.

خافوا من التوحيد على التثليث، ومن النبوة على فرية الإله المتجسد في الأرض، ومن العدل على الظلم والطغيان، فبدءوا يشنون حربًا قذرة على الإسلام ونبي الإسلام.

أما أسباب هذا الحقد، فيكمن في النرجسية الأوربية التي توارثت الفلسفة المادية من اليونان والتشريعات المنحرفة من الرومان والتي قدست القوة وفتحت سبل الشهوات، تحت غطاء رقيق ممن روحانية الكنيسة وأخلاقياتها المزعومة.

بدأ هذا الهجوم من داخل البيت الإسلامي الذي فتح ذراعيه لأهل الأديان جميعًا، ومن هؤلاء الأفاقين الذين تسنموا مناصب عالية في البلاط الأموي يوحنا الدمشقي الذي ثبت أنه كان يؤلف كتبًا في ذم الإسلام والطعن فيه وفي رسوله باتهامه باختلاق الوحي لإشباع رغباته الدنيوية، فأصبح هذا الاتهام المحور التقليدي لجميع كتابات القرون الوسطى(١).

والظاهر أن أمثال هؤلاء هم الذين اخترعوا قصة بحيرا الراهب، حتى يقولوا: إنه هو الذي علّم محمدًا لكي يثور على المسيحية(٢).

لقد بدأ عصر تسميم الفكر الأوربي تجاه الإسلام منذ العصور الأولى، فدفعت الكنيسة كثيرًا من رجالاتها لتأليف كتب مفتراة لا تعتمد على أية مصادر إسلامية أو علمية لمجرد تشويه صورة الإسلام أمام أجيال الشعوب الأوربية، فالإسلام في نظرهم هرطقة كافرة، كان هدفها الأساس القضاء على المسيحية بطرق سافلة، وهو مخرب هدام بدائي، يدعو إلى إثارة الغرائز الجنسية، يستعبد المرأة ويقر تعدد الزوجات، وتفوح منه رائحة الوثنية، وهو دين دموي عنيف(٣)، والقرآن مجموعة من آيات خرافية متناقضة من عمل الشيطان، يمزق الجماعات ويدمر الأخلاق ويدعو إلى الرذائل ويحوي كثيرًا من الخرافات، ومحمد كان كذابًا ومحتالاً وساحرًا، يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير ويتمتع بالشهوات، وكان عدوًا للمسيح وكان كاردينالاً منشقًا على البابوية، طمع في كرسيها، فلما خابت آماله(٤) ادعى النبوة، وكان لصًا وقاتلاً وزير نساء وخائنًا وفاجرًا وشيطانًا وإرهابيًا (حاشاه ثم حاشاه).

وأما المسلمون فقد صوروهم بأنهم أولاد الشياطين وأهل لواط ومشركون يعبدون الأوثان(٥).

ووصل الأمر بهم إلى اختراع روايات خرافية عن المسلمين، منها أن رئيس أساقفة سالسبوري، قتل في القاهرة على يد المسلمين عام (١١٠١م) لأنه أقدم على تدمير الصنم الذي كانوا يعبدونه.

كان يحدث هذا التشويه الواسع في أوربا، والذي كان يتولى كبرها الكنيسة في الوقت الذي كان النصارى واليهود في البلاد الإسلامية يتمتعون بحقوقهم كاملة.

يقول المؤرخ المعروف ديورانت: "لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئة يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها في البلاد المسيحية مثيلاً في مثل هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارًا في شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم"(٦).

وكثيرون من مؤرخي الغرب مثل بارتولد في كتابه "تاريخ الحضارة الإسلامية" وآدم متز في كتابه "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري" وفاسيلييف في كتابه "تاريخ الإمبراطورية البيزنطية"

وزعزيدهونكة في كتابها "شمس الله تسطع على العرب" يعترفون بهذه الحقائق في احتضان المسلمين لأهل الأديان والطوائف، كما فصل لهم دين الإسلام كتابًا وسنة.

ولكن الغربيين لم يجابهوا هذه السماحة من المسلمين إلا بالتآمر والنكران، فحاولوا هذه المرة أن يعمقوا العداوة بخطط خبيثة، فأوجدوا مؤسسات التبشير ثم الاستشراق.

و لم يكن التبشير من أجل الدين في الحقيقة، وإنما من أجل التمكين لأوربا على بلاد الإسلام.

وبصدد ذلك ألفوا ألوف الكتب والأبحاث بمختلف اللغات، تشن على المسلمين عداوات لا نهاية لها بأسلوب يفتقر إلى الحد الأدنى من الإنصاف والخلق الإنساني الكريم.

ولترسيخ هذه المفاهيم الباطلة أمر البابا أن تدخل هذه الدراسات إلى المدارس والجامعات، وتلقى في المواعظ على الناس في الكنائس والبيوت.

وبجانب ذلك حرفوا القرآن الكريم في ترجمات هزيلة منحرفة، تحقق أغراضهم الشيطانية. وبذلك استطاعت الكنيسة أن تؤصل في نفوس الشعوب الأوربية كراهية الإسلام والمسلمين والنفور منه ومنهم(٧).

ولقد استمرت هذه الحملة و لم تتوقف حتى العصر الحديث، بل ازدادت ضراوة، عبر استعمالها التقنيات المعاصرة.

ومن أعماق خطط التبشير ظهر الاستشراق، بحجة البحث العلمي، بقرار من مجمع فيينا الكنسي عام (١٣١٢م)، وذلك لتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية والعبرية واليونانية والسوريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامانكا(٨).

إن زرع هذه الأفكار الكاذبة عن الإسلام والمسلمين في نفوس الأوربيين جيلاً بعد جيل، كان تمهيدًا طبيعيًا للاستجابة الشاملة إلى صرخة البابا بطرس الناسك تدعو المسيحيين للتوجه إلى الشرق الإسلامي؛ لإنقاذ قبر المسيح من المسلمين الكفرة حسب تعبيره، فهيئت الجيوش ووهبت صكوك الغفران للجميع، وصاحب القسس والرهبان موجات هذا الغضب العارم، ينفخون الحقد الأسود على المسلمين في نفوس القوم. فلما وصلوا إلى أرض الإسلام، ارتكبوا أفظع المجازر في تلك الحروب التي سموها بالحروب الصليبية، في موجات متلاحقة استمرت حوالي قرنين، وهي مما أجمع عليه مؤرخو الغرب والشرق، وغدت من التاريخ المتواتر الذي لم يستطع أحد أن يشكك فيه.

يقول المؤرخ الأوربي ميشو: "ولما جاءوا معرة النعمان قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع المختبئين في السراديب، وأهلكوا صبرًا ما يزيد على مائة ألف إنسان في أكثر الروايات".

وعندما جاء إلى كارثة القدس الشريف قال: "تعصب الصليبيون في القدس أنواع التعصب الأعمى الذي لم يسبق له نظير، حتى شكا منهم المنصفون من مؤرخيهم، فكانوا يكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالي البروج والبيوت، ويجعلونهم طعامًا للنار، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض

ويجروهم في الساحات ويقتلوهم فوق جثث الآدميين. ودام الذبح في المسلمين أسبوعًا حتى قتلوا منهم على ما اتفق على روايته مؤرخو الغرب والشرق سبعين ألفًا(٩).

وظل الغرب بعد اندحاره في بلاد الشام يتعامل مع الإسلام بحذر شديد، و لم يكن من الممكن النظر إلى المسلمين إلا باعتبارهم وحوشًا أو برابرة وأعداءً المسيح(١٠).

لقد التقت في الحروب الصليبية مصالح الحكام الطغاة من النبلاء بمصالح التجار مع رجال الدين المتعصبين الحاقدين الذين خلت قلوبهم من الإنصاف والرحمة والتسامح والإنسانية، فأحدثوا هذه المآسي المروعة في بلاد الشام ومصر، ودقوا إسفين العداوة بين الشعوب المسيحية والإسلامية، و لم يكتفوا بذلك، بل خططوا لحرب جديدة منظمة على الإسلام والمسلمين تقوم على أساس فتح المراكز في الجامعات والوزارات المختصة، فأوجدوا نظام الاستشراق الذي كانت الكنيسة تسيطر عليه سيطرة كاملة. وكان الهدف الأساس، تزييف الحقائق عن الإسلام تحت مظلة البحث العلمي والموضوعي. قدمت هذه الدراسات الموجهة صورة مشوهة عن الإسلام، واستمدت موادها من كتابات المبشرين الأوائل، بحيث رسخت في العقل الأوربي شكلاً منهجيًا وإطارًا فكريًا عدّه الجميع مسلمات وحقائق على الرغم من الخلط والتحريف والنقائص التي كان يتسم بها. ولقد كانوا دائمًا يأخذون من الأمور شكلها، و لم يكونوا يدرسون أسبابها ونتائجها؛ لأن ذكر الأسباب والنتائج كان يفضحهم ويرد أكاذيبهم(١١).

و لم ينج من ضغط الحقد التاريخي الصليبي الطويل، حتى الفلاسفة والأدباء والمفكرون، فأديب مشهور على سبيل المثال "دانتي الإيطالي" في كتابه الكوميديا الإلهية عندما قسم الجحيم إلى طبقات، وضع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في طبقه الشر المحيطة بإبليس، ومصير هذه الطبقة يكون العقاب السرمدي(١٢).

وإذا علمنا أن ((الكوميديا الإلهية)) لدانتي طبع عشرات المرات وبلغات مختلفة في أنحاء أوربا والغرب عامة، عبر قرون عدة عرفنا مدى تأثيره على الأجيال.

ويأتي بعده بقرنين الشاعر الإنكليزي ((جون بوجيت)) فيؤلف قصيدة بعنوان ((محمد النبي المزيف))، وكيف أن الخنازير أكلته وهو سكران. وفصّل في أبيات كثيرة كل الصفات التي أطلقها العقل الأوربي الديني الكنسي عبر القرون(١٣).

وبهذا تحولت آثار الحقد الأوربي قبل الحروب الصليبية وبعدها إلى ظاهره تاريخية دينية وفكرية، وثقافة اجتماعية، من الصعب جدًا اختراقها والخلاص منها. حتى أن أوربا بعد أن خرجت من التربية الدينية إلى التربية العلمانية، لم يتخلص كبار فلاسفتها ومفكريها من الرواسب العميقة بعداوة الإسلام؛ فلقد اتهم مونتسكيو وفوليتر وفولني وغيرهم من مفكري عصر التنوير الإسلام بأشنع أنواع التهم وهاجموا

الرسول والقرآن، كأنهم رجال الكنيسة في العصور الوسطى، وسرت هذه العداوة إلى المبشرين والمستشرقين والسياسيين في العصور الحديثة.

يقول المستشرق (موير): ((إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية))(١٤). وصدر منهم كلام لا يختلف حول القرآن والرسول والمسلمين من كل ما قالته أوروبا من سوء في العصور السابقة. وبذلك استجاب الاستشراق والفكر الأوربي العام إلى الثقافة الأوروبية التاريخية الحاقدة المكدسة حول السلام أكثر من الاستجابة إلى موضوعه المزعوم(١٥).

بل جوهر الاستشراق هو التمييز الذي يستحيل اجتثاثه بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية، بل إنه عم هذا التمييز بحيث إن السياسيين المتأخرين مثل بلفور وكرومر بعد هذه القرون الطويلة في زرع الحقد في المجتمعات الأوربية انتهوا في تعاملهم مع المسلمين والشرقيين إلى مقولة "فالشرقي لاعقلاني، فاسق طفولي مختلف"، و"الأوربي عقلاني متحلٍّ بالفضائل، ناضج سوي"(١٦).

لقد سار كبار المستشرقين في القرن العشرين يهودًا ونصارى على الإنشاء الاستشراقي القديم، فنولدكه وكولدزيهر وشاخت وبرنارد لويس وجِب وجرونباوهم وآخرون كثيرون كلهم وضعوا السم في الدسم، وشوهوا التراث الإسلامي، وبنوا أبحاثهم على أن القرآن ليس إلا مجموعة من الأفكار المضطربة أخذت بدون تنظيم من التوراة والإنجيل، وأن الشريعة الإسلامية اقتبسها المسلمون من القانون الروماني(١٧). والوحي المحمدي تصوّر ووهم وظن وخيال وحمى صرعية وأن السيرة النبوية فيها شكوك كثيرة(١٨).

إن الجهود العدائية التي قادتها الكنيسة عبر التاريخ الأوربي مازالت تؤجج المشاعر المعادية ضد الإسلام والمسلمين؛ يمثل ذلك موقف "جلادستون" عندما رفع بيده في مجلس العموم البريطاني عام "١٨٨٢" فقال: مادام هذا القرآن يتلى والكعبة تزار فنحن لا مكان لنا في بلاد الإسلام".

وموقف الجنرال غورو الفرنسي عندما دخل دمشق فقال - وهو أمام قبر صلاح الدين-: قم.. الآن انتهت الحروب الصليبية. ومواقف أخرى كثيرة صدرت فيما يسمى بعصر التسامح والحرية والعلمانية، تدل دلالة قاطعة أن زخم الكنيسة المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين ما زالت سارية في عروق القوم. توجه سياستهم الظالمة في التعامل مع العالم الإسلامي، ولاسيما انحيازهم الكامل إلى اليهود في اغتصاب أرض فلسطين وتشريد شعبه وقتل أبنائه.

ولكن هل يعني ذلك أن الغرب برمته استسلم إلى هذا التعصب المقيت؟!

أقول: لا.. إن الفكر الإنساني الحر بدأ يتحرك ضد هذا التيار في القرن الأخير، وظهر مؤرخون ومفكرون وباحثون يدعون إلى الإنصاف في التعامل مع المسلمين، ويشيدون بدور الحضارة الإسلامية، ولكنهم ما زالوا قليلين في خضم الطوفان الكبير المرتبط بقوة الدفع التاريخي إلى رواسب الماضي. وهنا لابد من علاج. وهو بيد المسلمين؛ سواء في داخل العالم الإسلامي أو في خارجه بين

الأقليات الإسلامية التي تستطيع أن تعمل الكثير إذا وقفت بجانبها قدرات العالم الإسلامي الفكرية والتخطيطية والمالية.

وأرجو أن تفي هذا المؤتمر المبارك وغيره من المؤتمرات في قابل الأيام بهذا الواجب التاريخي الكبير.

الهوامش:

١. الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية ..ص ٥٤ ط١/ ١٤٠٣ – ١٩٨٣ الرياض.

٢. المصدر السابق ص ٥٥.

٣. الفكر العربي – الاستشراق – أوربا والإسلام د. هشام جعيط ص ٢٢٢

٤. الاستشراق– د. عرفان عبد الحميد ص٦ . م الإرشاد – بغداد ١٩٦٩م.

٥. المصدر السابق ص. ١

٦. قصة الحضارة م ١٣

٧. الفكر العربي– الاستشراق ص ١٢٢ المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام للدكتور محمد البهى. وراجع أيضًا التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروج.

٨. الاستشراق للدكتور إدور سعيد ص(٢) ط١

٩. على هامش الصراع الأوربي تيسير شيخ الأرض ص ١١٣– ١١٤ من كتاب الفكر العربي ج.١

١٠. المصدر السابق ١/١٥٢

١١. الاستشراق والإسلام ص ٥– ٦

١٢. الحركة الصليبية وأثرها على الاستشراق الغربي – د.علي الشامي ص ١٦٥ وما بعدها ضمن الفكر العربي ج.١

١٣. أوروبا والإسلام ص ٢٢٢

١٤. الاستشراق – إدور سعيد ١٦٨

١٥. المصدر السابق ص ٥٥.

١٦. المصدر السابق ص ٧١

١٧. راجع الشريعة الإسلامية والقانون الروماني للدكتور صوفي عبد الله.

١٨. المستشرقون والإسلام – مصدر سابق ص ١٤ وما بعدها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محسن عبد الحميد

==================

بيان علماء اليمن بشأن التطاول على سيد البشر (٤٢ عالما)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان للناس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ أما بعد فقد اطلع العلماء الموقعون على هذا البيان على تلك الحملة الشنيعة التي شنتها بعض وسائل الإعلام المقروءة في الدنمارك والنرويج، من خلال الرسوم الكاريكاتيرية، والتعليقات المصاحبة لها، التي ظهر فيها التطاول على نبي الرحمة، والتي تجاوزت كل حدود القيم والمبادئ والأعراف، في استهتار واضح بالإسلام والمسلمين، وبهذا الخصوص يؤكد العلماء على ما يأتي:

• أولاً:

يستنكر العلماء هذه الفعلة الشنيعة التي تطاولت على الرحمة المهداة الذي أرسله الله رحمة للعالمين {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] مذكرين بأن ذلك يأتي في سياق الهجمة الشرسة التي تُشَن على الإسلام والمسلمين، ويتولى كبرها أولئك الذين شرقوا بانتشار هذا الدين العظيم الذي جاء به محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ رحمة للبشرية جمعاء لتسود قيم الخير والحب والتكافل، كما يذكرون بأنه ما كان ليجترئ أولئك على ما اجترؤوا عليه لو اتخذ المسلمون الإجراءات الرادعة مع سوابق مشابهة.

إن هؤلاء بفعلتهم ليرومون الحيلولة بين البشرية التي تتوق إلى مخرج من أزماتها المتلاحقة في شتى مجالات الحياة وبين النور الذي جاء به هذا النبي الكريم: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)} [المائدة] ولكن هيهات فالله يقول: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)} [الصف].

• ثانياً:

يُذَكِّر العلماء جميع المسلمين في هذا البلد وغيره بما يجب عليهم تجاه نبي الرحمة، ليس دفاعاً عنه ــ بآبائنا هو وأمهاتنا ــ فقد تولى الله ذلك حيث قال: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)} [الحجر] وقال: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)} [المائدة] وإنما قياماً بالواجب تجاه هذا النبي العظيم الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)} [الأعراف].

وبهذا الشأن يتوجه العلماء إلى كافة أبناء المسلمين بأن عليهم استثمار هذا الحدث استثمارًا إيجابياً يكفل رد المعتدين ويزجر من خلفهم.

ويأتي في المقدمة حكام المسلمين الذين يتحتم عليهم القيام بواجب رد مثل هذا التطاول بشتى الوسائل والأساليب، كما يأتي في المقدمة علماء المسلمين الذين ينبغي عليهم استنفار الجهود في الدعوة إلى هذا الدين، والتعريف به، وإيصال هذه الرسالة الخالدة إلى البشرية بشتى الوسائل، وبيان عقيدة الولاء والبراء، ويدعو العلماء بهذا الصدد كافة المنظمات الإسلامية إلى السعي الحثيث في نشر سيرة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بما فيها من مثل إنسانية عليا في أوساط أولئك، وبلغاتهم بيانًا للحق، وإقامة للحجة، كما أن على المشتغلين بوسائل الإعلام المختلفة أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه هذه القضية.

وبالجملة فإن على المسلمين جميعًا استنفار الطاقات، واستخدام كل وسائل الضغط التي تكفل محاسبة المعتدي وزجر كل من تسول له نفسه المساس بمقام نبينا وديننا بعد أن استنفد إخواننا في تلك البلاد مختلف وسائل الحوار دون أن يجدوا تجاوباً ومن ذلك المقاطعة لمنتجات تلك البلدان وبضائعهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

صادر في: ١٤٢٧/١/٦هـ

العلماء والدعاة الموقعون على البيان:

أحمد بن حسن المعلم

عقيل بن محمد المقطري

طارق عبد الواسع

عمار بن ناشر العريقي

مراد بن أحمد القدسي

عارف أنور نور

صالح بن محمد باكرمان

أبو الفاروق محمد بن راجح

أبو همام صالح بن محمد عبد المغني

جمال بن علي غندل

خالد محمد الوصابي

أمين علي عبده مرشد

يحيى بن عبده سالم

أحمد بن محمد بن منصور

د.عبده عبد الله الحميدي

د.محمد أحمد الزهيري

د. يحيى عامر

د. فؤاد البعداني

د.حسن محمد شبالة

رشيد منصور الصباحي

عبد الناصر الصانع

عبد السلام الخديري

عبد الكريم محمد البعداني

فهد محمد قاسم

عرفات بن عبد السلام شريف

يحيى مطهر الشامي

لطف عبده الزهيري

محمد سيف عبدالله

حميد قاسم عقيل

علي بن يحيى شمسان

محمد بن محمد المهدي

عبد الرحيم الشرعبي

ناجي محسن البعداني

عبد الله بن غالب الحميري

محمد العزي الشيخ

أمين بن علي الخياط

نعمان بن عبد الكريم الوتر

علي محمد عبدالله عبده
عبد الرحمن بن علي إسماعيل
علي محمد عبده أحمد المطري
محمد الحداء
عبدالله عبده مهدي الإبي

===================

بيان مكة في الذب عن سيد البشرية صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، ناصر عباده المؤمنين ولو بعد حين، ونشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، ونصلي ونسلم على رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فقد امتن الله سبحانه وتعالى على الثقلين ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمةً منه عز وجل لخلقه، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٧)، فأخرج الله بهذا النبي الأمي عليه أفضل الصلاة والتسليم الناسَ من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن العذاب إلى الرحمة، بعدما اجتالتهم الشياطين عن صراط الله المستقيم، فأشرقت الأرض بنور الرسالة المحمدية، ورغمت أنوف المبطلين وانخنس الكفر وأهله، مصداقاً لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (التوبة:٣٣)، وقد كان في مقدمة ركب الشيطان ممن شَرِقَ بالبعثة المحمدية — على رسولها أفضل الصلاة والسلام — بعضُ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد امتلأت قلوبهم غيظاً وحقداً وحسداً للإسلام وأهله مصداقاً لقول الله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} (البقرة: من الآية١٠٩)، وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً} (الفرقان:٣١)، وقال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...} الآية (البقرة: من الآية١٢٠)، وهؤلاء الظالمون المعادون لدين الإسلام وللبشير النذير - عليه أفضل الصلاة والسلام-، هم في حقيقة الأمر يقومون بأكبر جريمة في تاريخ البشرية، إذ إنهم يحولون بين الناس وبين أكبر نعمة امتن الله بها على الإنسانية، ألا وهي نعمة الإسلام، كما أنهم في ذات الوقت يعرضون من سار في ركابهم واتبع ضلالهم لسخط الجبار - عز وجل - ومقته في الدنيا والآخرة، وإن المتأمل في الوقائع والحوادث في ماضي الزمان وحاضره ليظهر له بجلاء عداوة وكيد فئامٍ من أهل الكتاب من اليهود والنصارى للأمة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام-.

وتزداد عداوة بعض المغضوب عليهم والضالين للمسلمين ويزداد جنوفم وجنوحهم عن قواعد العدل والعقل والحق كلما ازداد انتشار الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فعند ذلك يزداد حقدهم وحسدهم، وتطيش أحلامهم وأفهامهم، فتتوالى من قِبَلهم الحملات الجنونية الظالمة على كل ما هو مقدَّس ومعظَّم في دين الإسلام، وكان من آخر ما حدث في هذا المجال: الحملة الظالمة الآثمة التي تولّى كِبرَها، وحَمَلَ لواءَها بعضُ وسائل الإعلام المقروءة في دولتي (الدنمارك والنرويج) عندما أظهرت سيد البشرية – فديناه بالآباء والأمهات – صلى الله عليه وسلم – في بعض الرسـومات الكاريكاتيرية الساخرة المسيئة، متجاوزةً حدود المنطق والعقل، ومنفلتة من كل القيم والمبادئ والأعراف في استهتارٍ واضح بدين الإسلام الذي يدين به ما يزيد على المليار نَسَمة من البشر على ظهر المعمورة.

وإن أهل العلم والدعوة في قبلة المسلمين ومهوى أفئدة المؤمنين مكة المكرمة – شرَّفها الله تعـالى – لَيستنكرون هذه الحملة الظالمة الآثمة، ويتوجهون للعالم بأسره بهذا البيان؛ إحقاقاً للحق، وذبـاً عـن عِرض سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم –، وذوداً عن حياض الدين، ودفعاً لصيال المبطلين مـن اليهود والنصارى: المغضوب عليهم والضالين، مناشدين أهل الإسلام من الحكام والعلماء والـدعاة ورجال الأعمال والإعلام وعموم المسلمين بأن يضطلعوا بواجبهم الشرعي في هذا الصـدد، إذ إن مدافعة المبطلين ومراغمة الكافرين مترلةٌ عظيمة من منازل الدين. قال العلامة ابن القيم – رحمه الله – : (مغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة، فموافقته فيها من كمال العبودية، فمن تعبد الله بمراغمة عدوه، فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته يكون نصيبه من هذه المراغمة) ا.هـ.

فيا حكامَ المسلمين: إن الواجب الشرعي يُحَتِّم عليكم الغضبَ لرسولكم – صلى الله عليه وسلم–، وإن أضعف الإيمان مما يجب القيام به حيال هذه الحملة الآثمة، هو سـحب البعثـات الدبلوماسـية احتجاجاً على هذه الممارسات الظالمة، وليتذكر كل واحد منكم أن هذا العدوان الآثم على رسـولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – لو كان موجهاً لواحد منكم لأقام الدنيا و لم يُقعِدها غضباً وانتقاماً، فليكن غضبكم وحَميَّتكم لرسولكم – صلى الله عليه وسلم – أكبر من غضبكم لأنفسكم ودنياكم، وتذكروا قول المصطفى – صلى الله عليه وسلم–: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"، وفي رواية: "من أهله وماله والناس أجمعين"، أخرجه البخاري ومسلم عـن أنس رضي الله عنه.

ويا علماءَ الإسلام ودعاةَ الملة: إن الواجب الشرعي يحتم علينا جميعاً، أن نقوم بتوظيف هذا الحـدث توظيفاً إيجابياً بتكثيف الجهود في دعوة الناس لدين الإسلام والتركيز على ثوابت الدين ومحكماتـه، وفي مقدمة ذلك بيان عقيدة الولاء للمؤمنين والعداء للكافرين، وتجلية سيرة سيد الخلق – عليه أفضل الصلاة والتسليم–، إذ إن هذا هو الرد الناجع والمؤلم لأعداء الإسلام.

ويا أهل الإسلام وعسكر الإيمان من رجال الأعمال والإعلام وعموم المسلمين: انتصروا لدينكم ولرسولكم صلى الله عليه وسلم بمقاطعة بضائع هاتين الدولتين (الدنمارك والنرويج) والدعوة لذلك، وأروا الله من أنفسكم خيراً، حتى يرتدعوا عن ظلمهم، وينزعوا عن غَيِّهم ويأخذوا على أيدي سفهائهم، فإنكم إن فعلتم ذلك جعلتموهم عبرة لغيرهم، وتأملوا – يا رعاكم الله – هل يجرؤ أحد في التشكيك في محارق اليهود – المزعومة – على يد النازيين؟!... فهل المغضوب عليهم أقدر على نصر باطلهم منكم على نُصرة نبيكم صلى الله عليه وسلم؟!

وأخيراً... فإن هذه الممارسات الظالمة من قِبَل سفهاء أهل الكتاب لن تزيد المسلمين إلا تمسكاً بدينهم وحمية له – بإذن الله تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ} (محمد:٧-١١). {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} (يوسف: من الآية٢١).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الموقعون على البيان:

- د. سليمان بن وائل التويجري (عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة – جامعة أم القرى).
- الشيخ/ أحمد بن عبد الرحمن البعادي (قاضي التمييز بمكة).
- د. عبد الله بن عمر الدميجي (عميد كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى).
- د. خالد بن عبد الله الشمراني (رئيس قسم القضاء بجامعة أم القرى).
- د. محمد بن سعيد القحطاني (أستاذ العقيدة المشارك بجامعة أم القرى سابقاً).
- د. محمد بن صامل السلمي (وكيل كلية الشريعة للدراسات العليا – جامعة أم القرى).
- د. ناصر بن محمد الغامدي (وكيل كلية الشريعة – جامعة أم القرى).
- د. عبد الله بن محمد الرميان (وكيل كلية الدعوة وأصول الدين للدراسات العليا – جامعة أم القرى).
- د. عبد الله بن عبد الكريم الحنايا (مدير مركز الدراسات الإسلامية المسائية – جامعة أم القرى).
- د. ستر بن ثواب الجعيد (رئيس قسم القضاء سابقاً – جامعة أم القرى).
- د. عبد الرحمن بن أحمد الخريصي (عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة – جامعة أم القرى).
- الشيخ/ حمود بن عبد العزيز التويجري (من الدعاة).
- الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن العثيم (رئيس المحكمة الجزئية بجدة).
- الشيخ/ محمد أمين بن عبد المعطي مرداد (القاضي بالمحكمة الجزئية بجدة).

- الشيخ/ مانع بن علي المقاطي (القاضي بالمحكمة الجزئية بجدة).
- الشيخ/ علي بن عبد الله المعدي (عضو هيئة التحقيق والادعاء العام بجدة).
- الشيخ/ محمد بن عبيد القرني (عضو هيئة التحقيق والادعاء العام بجدة).
- الشيخ/ رياض بن علي الغامدي (عضو هيئة التحقيق والادعاء العام بجدة).
- الشيخ/ فهد بن عيظة المالكي (مدير إدارة المحكمة الجزئية بجدة).

المصدر : موقع المسلم

========================

بيان هام من علماء المدينة المنورة (٤٥ عالما)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلا تنصروه فقد نصره الله بيان من علماء المدينة المنورة

قال تعالى: {إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة:٤٠].

في هذه الآية الكريمة بيان أن نصرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم واجبة علينا، فربنا عز وجل يحثنا على القيام بها، وفي الآية البشارة بتحقق النصرة الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم سابقاً عند الهجرة، ودائما في كل زمان ومكان والبشارة بنصرة من ينصره صلى الله عليه وسلم، والبشارة بظهور هذا الدين وانتصاره وعلو شأنه، فكلمة الله هي العليا، وكلمته هي دينه، وأما كلمة الذين كفروا فهي أباطيلهم ومكرهم وسعيهم للضلال والإضلال، كل ذلك سيكون في أسفل سافلين، {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر:٤٥] وفي الآية التنويه بالمنقبة الكبرى للصديق أبي بكر بإثبات الصحبة النبوية المباركة له رضي الله عنه وأرضاه ، جزاء نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم دائما وفي أحلك الأوقات، وقد بذل رضي الله عنه نفسه ونفيسه وماله ذبًا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فعلى المسلمين جميعًا أن يستجيبوا لربهم ويقتدوا بالصديق رضي الله عنه فينصروا نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم أبدًا في كل زمان ومكان، وهذا من أوليات حقوقه صلى الله عليه وسلم فإن المنة عظيمة على المؤمنين ببعثته صلى الله عليه وسلم: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [آل عمران:١٦٤].

بل المنة ببعثته عظيمة على البشرية كلها، فهو رحمة وبركة على العالمين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧] فتعظيمه صلى الله عليه وسلم وإتباع ملته ونصرته واجب على الجميع.

ونحن المسلمين لا نعظم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وحده، بل نعظم جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين؛ ونعظم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ونؤمن بهم؛ فذلك من أركان عقيدتنا وضروريات ديننا: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

ولكن أعداء الأنبياء في كل زمان ومكان دأبوا على مناوأة الحق المبين، والاستهزاء بالمرسلين ، ولقد نال خاتمهم وإمامهم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أوفر النصيب من ذلك، من مشركي قريش أولاً ثم من اليهود والنصارى، بل إن اليهود حاولوا قتله، وأثاروا الحروب ضده وألبوا عليه قبائل العرب لاستئصال دعوته.

ونصر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم على أعدائه، وأظهره عليهم ، وكفاه المستهزئين، وجعل شانئه هو الأبتر.

وفي زماننا لم يأل اليهود والنصارى وأذنابهم جهداً في الطعن في ديننا، والاستهزاء بنبينا صلى الله عليه وسلم وفريق منهم بالغ في الاعتداء على إخواننا وفي سفك دمائهم، وهتك حرماتهم في فلسطين وفي البوسنة والهرسك، وفي غيرها من البلاد التي اُبتليت بظلمهم وبطشهم ووحشيتهم، وذلك حرصا منهم على ردِّنا عن ديننا وصدِّنا عن ملتنا: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: من الآية١٠٩].

وهذا كله من أنواع الابتلاء الذي يبتلي به الرب عز وجل أهل الإسلام وأتباع نبينا محمدٍ عليه الصلاة والسلام، لينظر هل ينصرون نبيه ومصطفاه، وينصرون دينه وملته أم يتخاذلون عن ذلك فإن نصروا نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم ونصروا دينه وسنته وذبوا عن شريعته وما أنزل عليه من القرآن نصرهم الله عز وجل وأعزهم وأنزل عليهم بركات من السماء والأرض، وإن كانت الأخرى عاقبهم فأذلهم وسلط عليهم أعداءهم ونزع منهم البركة والرحمة.

وإن من أسوأ ما وقع من استهزاء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وديننا الإسلامي ما نشر في (الدنمرك) و(النرويج) من صور بشعة وتعليقات مهينة يسخرون فيها من سيد الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، وما صحب ذلك من استخفاف المسؤولين الدنمركيين بالعالم الإسلامي ورفضهم الاعتذار للمسلمين عن هذه الجريمة الشنيعة، وتبريرهم لها بأنها من حرية التعبير، وذلك يدل على تواطؤ رسمي ورضاً حكومي.

ولا ننسى أن ملكة (الدنمرك) أصدرت كتاباً قبل فترة قريبة أظهرت فيه تبرمّها من تمسك المسلمين بتعاليم دينهم -خاصة المسلمين في الدنمرك- واقترحت بذل كل الوسائل لصد المسلمين عن دينهم.

هذا هو ما اقترحته ملكتهم وهي مع رئيس الوزراء أعلى مسئول في هذه الدولة المتعدية.

وتدل تصريحاتهم التالية على استصغارهم لشأن المسلمين وظنهم بأنهم لن يغضبوا من أجل نبيهم وإن غضبوا فهي غضبة وقتية، سرعان ما تزول كفقاعة الصابون، فهم آمنون من هبة قوية يمكن أن تقوم في وجوههم فتهدد مصالحهم الكبيرة في العالم الإسلامي، ولكن خاب ظنهم فها هي بوادر الغضبة الإسلامية تهب في وجوههم، وهاهي شعلة الإيمان تكوي مصالحهم وتحرق أخضرهم ويابسهم؛ فبدأت حامية حمى الحرمين حكومة المملكة العربية السعودية فسحبت سفيرها، ويجب أن تتلوها حكومات العالم العربي والإسلامي، فإنه لا يجوز شرعاً أن تسكت على هذه الإهانة البالغة، وضرب بعض التجار المسلمين أروع الأمثلة في الغضب لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

ونود أن نعلن لعموم المسلمين شعوباً وحكومات ما يأتي:

أولاً: إن المقاطعة الشاملة، وعلى رأسها المقاطعة الاقتصادية والسياسية لهاتين الدولتين المعتديتين (الدانمرك والنرويج) ولجميع الدول التي تناصرهما في عدوانهما على جناب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: واجب شرعي وفريضة دينية، وكل من يتعامل معهم أو يشتري منتوجاتهما أو يروجها أو يبيعها فهو آثم.

ثانياً: يجب على المسلمين أن يتخذوا ما حصل فرصة لتجديد العهد بنصرة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون هذه النصرة بالفعل وبالترك، أما الترك فهو ما ذكرنا من وجوب المقاطعة، وأما الفعل فبتجديد العهد بتطبيق سنته والاقتداء بسيرته صلى الله عليه وسلم ونشرهما والدعوة إليهما، بمختلف الوسائل.

ثالثاً: يجب مطالبة هاتين الدولتين الآثمتين (الدنمرك) و(النرويج) بالاعتذار الرسمي العلني للمسلمين من أعلى مسئول (الملكة) ورئيس الوزراء.

وأن تنشر الجريدة المعتدية اعتذاراً بحجم صفحة كاملة لمدة شهر على الأقل، وأن تخصص قسماً مناسباً للتعريف بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الإسلام لمدة عام كامل.

وأن تخصص الحكومة (الدنمركية) ومثلها (النرويجية)، ساعة في التلفزيون على نفقتهما للتعريف بالإسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على الدوام - أسبوعيًا-.

وأن تمول الحكومة (الدنمركية) مشروعاً تقدمه لها الجهات المختصة بالمملكة العربية السعودية لنشر سيرة محمد صلى الله عليه وسلم بالغة الدنمركية، وبجميع اللغات الأوربية.

لقد سبق أن أصدر سماحة المفتي بالمملكة الشيخ عبدا لعزيز بن عبد الله آل الشيخ جزاه الله خيراً بياناً يطالب فيه حكومة (الدنمرك) بالاعتذار للمسلمين وبمعاقبة المسيء، ونحن نظم صوتنا إلى صوته، ونضيف ما ذكرنا من مطالب هي أقل ما يجب أن تفعله هذه الحكومة المعتدية في (الدنمرك) و (النرويج).

هذا ونحذر المسلمين من محاولات التملص من المسؤولية والاكتفاء بالاعتذارات الفارغة الجوفاء.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

حرر بالمدينة المنورة في غرة المحرم من عام ١٤٢٧هـ.

بيان أسماء العلماء والمشايخ الموقعين على بيان علماء المدينة المنورة:

د/ صالح بن عبد الرحمن المحيميد

رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة

أ.د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ

عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية سابقاً

أ.د. علي بن سعيد الغامدي

أستاذ الفقه بالمسجد النبوي سابقاً

الشيخ/ سليمان بن صالح التويجري

مدير عام فرع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

د. عبد الباري بن معيض الثبيتي

إمام المسجد النبوي وخطيبه

أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين

أستاذ التفسير بالجامعة الإسلامية سابقاً

د يحيى بن إبراهيم اليحيى

الأمين العام للهيئة العالمية للتعريف بالإسلام

الشيخ/ علي بن عبد العزيز السديس

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ فهد بن إبراهيم المحيميد

قاض بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ صالح بن عبد الله الحميدي

قاضٍ بالمحكمة الجزئية بالمدينة المنورة

الشيخ/ عبد الله بن سليمان المخلف

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ صالح بن عبد اللطيف السمحان

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ إبراهيم بن ناصر السحيباني

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ راشد بن محمد الرشود

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ صالح بن محسن العريني

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ تركي بن فهد الفهيد

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ خالد بن مطلق المطلق

قاضٍ بالمحكمة العامة بالمدينة المنورة

الشيخ/ خالد بن ناصر الدخيل

قاضٍ بديوان المظالم بالمدينة المنورة

الشيخ/ محمد بن سليمان الأصقع

قاضٍ بديوان المظالم بالمدينة المنورة

الشيخ/ محمد بن إبراهيم اللحيدان

قاضٍ بديوان المظالم بالمدينة المنورة

أ.د حمد بن حماد الحماد

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. حسين بن شريف العبدلي

عميد كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية

د. عبد الكريم بن إبراهيم الغضية

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

أ.د. أنيس بن أحمد طاهر

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن حسين الجيزاني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن صالح الفلاح

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. جمعان بن أحمد الزهراني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. علي بن إبراهيم النهاري

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن عبد الرحمن الدخيل

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

د. فايز حبيب الترجمي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

الشيخ/ سعود بن عبد الرحمن التركي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

الشيخ/ سلطان بن عمر الحصين

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

الشيخ/ إياد بن أحمد شكري

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

الشيخ/ سليمان بن شتيوي العوفي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية سابقاً

أ.د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

عضو هيئة التدريس جامعة طيبة

أ.د. سعيد بن إسماعيل الصيني

كلية الدعوة فرع جامعة الإمام سابقاً

الشيخ/ عبد المحسن بن معيض الحربي

عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين

الشيخ/ معتز بن شحاتة الينبعاوي

المدعي العام هيئة التحقيق والادعاء العام

الشيخ/ رباح بن عبد الرحمن السلامة

مدير إدارة التوعية بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الشيخ/ عطية بن عبد الله الحارثي

إدارة التوعية بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الشيخ/ عبد الله بن غدير التويجري

مدير التوعية الدينية بشرطة المدينة المنورة

الشيخ/ عبد الرحمن بن سليمان السماعيل

مشرف معهد الحرم النبوي

أ. سراج بن حسين فتحي

أستاذ متقاعد

الشيخ/ محمد بن محمود وديعة

مدرس بمعهد الحرم

====================

.. بين محطم الأصنام، والباكين عليها..

عبدالله الناصر

(إسرائيل ابني البكر، هكذا يقول الرب) آية رقم ٢٢ من سفر الخروج..!!

من يستطيع أن يعترض على هذا الكلام ويعتبره تخريفاً أسطورياً وهرطقة..؟ لا أحد يستطيع وبالذات في أوروبا، وأمريكا، التي تتحدث عن حرية الفكر، وحرية الرأي، وزمن العولمة. لا أحد يستطيع أن يقول كيف لرب عظيم يصنع هذا الكون الهائل العظيم.. كيف له أن يتخذ ولداً اسمه إسرائيل، وأن بني إسرائيل من ذريته..؟ وأن أحفاده هم ابن غوريون، وغولدا مائير، وبيغن، وشارون..!!

؟ بعض مثقفينا «المحترمين»..!! يجرؤون على أن يقولوا كل شيء، في كل شيء، وأن يجادلوا، ويحاوروا، ويَكْفُروا، ويُلحدوا، ويطعنوا في دينهم.. ولكنهم يقفون ربما بإجلال، أمام هذا النص العبراني المقدس، وتخونهم هذه الهرطقة..!!

لكن أن يشتم نبي أمة كاملة فأمر أهون في نظرهم من أن يناقش، أو يثار، لأن المسألة مسألة حرية الرأي..

أنا لن أتحدث هنا عن رأي الغرب فينا، ورأيه في الحرية، والديمقراطية، ولا النزاهة، ولا العدالة، فقد عشت في الغرب أكثر من عشرين عاماً، وقرأت، وسمعت، وحضرت ندوات، ومؤتمرات، ولست محتاجاً إلى من يقنعني، أو يحاول تغيير موقفي من نظرة الغرب نحونا، ولاتجاه قضايانا، ولا من مفهومه للعدالة، والديمقراطية، التي تراد بنا، فالموقف بالنسبة إليّ واضح، ومحسوم، وهذا ما كتبت، وأكتب عنه بشكل مستديم، لا عن كراهية، أو بغضاء، ولكن عن تجربة وخبرة، فليس من طبيعة الحر النزيه، أن يغلب عاطفة الكراهية على قول الحق، ولا نزعة الشر على نزعة الخير، فأشهد أن في الغرب من الإيجابيات ما لا يعد، ولا يحصى، ولكن حينما يكون الأمر يخصنا، ويعنينا، فإن الأمور والموازين

تتغير. وها هو اليوم يعلنها صريحة.. يعلن عن تكتل أوروبي ضد المسلمين، وذلك بإعادة نشر الصور في معظم البلدان الغربية، في موقف شبه موحد..

أقول لست أتحدث عن هذا، ولكنني أناقش، وأنادي، وأسأل أصحاب المبادئ، والعقول، والمخلصين من المثقفين، ومن أصحاب الرأي، والفكر، عن تلك الفئة التي تمارس على فكرنا وصاية، وتحكماً، بل وتمارس اضطهاداً قسرياً علينا، وعلى أجيالنا، في محاولة سمجة للدفاع عن مواقف الغرب حول قضايانا، وثقافتنا، ومعتقدنا..

أتحدث عن أولئك الذين ضجوا، وناحوا، وصاحوا في الصحافة، والإذاعات، عندما حُطّم صنم في أفغانستان، وطلبوا من الصغير، والكبير، أن يقف بخضوع، واعتذار، وانحناء، أمام تلك الحادثة..!!

وعندما يهاجَم مُحطمُ الأصنام الحجرية، والبشرية، ومُخّلص الإنسان من الأوثان، وعبادة الأوثان، الذي أخرج البدو من بيوت الشعر، ليعمروا الأرض بالجمال، والسلام.. عندما يشتم نبي أكثر من مليار مسلم، نراهم يلوذون بالصمت، ويغلقون أفواههم، ويصمون آذانهم، ويوارون أقلامهم، وهم أكثر الناس حديثاً عن الحرية، وحقوق الإنسان، بل وحقوق الحيوان..!! ولو افترضنا جدلاً، أن هؤلاء لا يؤمنون بمحمد، ولا بإله محمد، فلا أقل من الدفاع عنه من منظور ثقافي، فهو رمز ثقافة هذه الأمة، وهو معلمها الأول..

أذكر أن معظم هؤلاء رثوا الراهبة ماما «تريزا» وذرفوا عليها الدموع عند وفاتها، واعطوها من التبجيل، والتقدير، والتهويل، والتعظيم، ما لا ينطبق على بشر، ولا غضاضة في بكائهم، غير أني لا أعتقد أن ذلك كان عن قناعة بقدر ما كان إرضاءً لشهوة التمجيد لكل ما هو غربي..

لقد مجدوا سلمان رشدي، ودافعوا عنه باسم حرية التعبير، متجاهلين ما أثاره في قلوب ملايين الناس من حرقة، وألم، وكأن أولئك المسلمين لا مشاعر لهم، ولا أحاسيس لهم، بل وكأنهم كائنات نجسة يجب قمعها، وإذلالها.. ثم هللوا له عندما استقبله البيت الأبيض مكافأة له على قهر هذه الأمة وتكبيتها..

ورجموا المفكر، والفيلسوف روجيه جارودي بحجارة الحقد، ورموه بكل أنواع السباب، والشتائم، والصقوا به أوسخ التهم، ووقفوا إلى جانب أولئك الذين حكموا عليه، وقادوه إلى السجن، وهو في التسعين من عمره، لمجرد أنه تساءل عن صحة رقم محرقة «الهولوكوست»، مستنداً إلى وثائق، وكتب، وجرائد، ومجلات رسمية، وإحصائيات موثقة، إبان الحرب الثانية، تشير إلى أن عدد اليهود في أوروبا كلها كان لا يتجاوز الثلاثة ملايين.. فكيف يكون عدد المحروقين ستة ملايين..؟

بل لقد «زغرد» أحدهم لفرنسا في زاويته «المتصهينة»، لأنها منعت المرحوم المفكر المسلم أحمد ديدات من دخولها.. كل هؤلاء لم يحركوا بنت شفة عندما شتم رئيس وزراء إيطاليا الإسلام، ودعا إلى حرب صليبية تنور المسلمين.. بينما لم يندد أحد من أولئك بمذابح شارون، ولا بقتل محمد الدرة،

والشيخ أحمد ياسين، ولا الرنتيسي، أو ياسر عرفات.. لم يكتب من أولئك واحد منددا بالمعتقلات الأمريكية في غوانتانامو، ولا في أوروبا، أو أبو غريب..

لم يستنكر واحد منهم عملية حرق ومحو الثقافة العربية، وتدميرها، بكراهية، وحقد، على يد الجيش الأمريكي في بغداد. ورأيناهم في بداية غزو العراق، يجادلون بصفاقة حول استحالة سقوط طائرة «أباتشي» أمريكية برصاصة بندقية «بيرنو» قديمة، أطلقها فلاح عراقي!! أو يتندرون في مقالات طويلة، عريضة، على كلمة «علوج»، التي استعملها الصحاف، بينما بغداد تعتلجها الطائرات، والقنابل الجهنمية الملعونة، وكانوا بذلك يمارسون اتفه أنواع السفاهة، واحتقار عقل المثقف العربي وكرامته. بل نجد أنهم أمام تلك المشاهد، والجرائم البشعة، يدعون إلى الحوار مع الآخر، والتسامح، ونبذ العنف – المقاومة –، بينما تاريخ الغرب يشهد أنه ما كان متسامحاً معنا ولو للحظة واحدة. فمنذ ما يقارب المائتي عام – إذا تجاوزنا محاكم التفتيش، والحروب الصليبية – وأرضنا، وشعوبنا، لم تنج يوماً واحداً من احتلال، أو ذبح، ويكفي أن بلداً عربياً واحداً أبيد من شعبه قرابة المليون ونصف المليون، في سبيل تحرير نفسه. ولا تزال طائرات الغرب، ودباباته، تصب حممها، ونيرانها على أطفالنا، وبيوتنا في العراق، وفلسطين، في الوقت الذي لا تزال طائرات الغرب، وسفنه، وسياراته، وقطاراته، ومكائن كهربائه، ومدافئ بيوته، تعمل بالنفط العربي..

أعتقد أنه طفح الكيل، وآن الأوان، لكي نواجه هذه الطغمة البذيئة التي تقف جنباً إلى جنب، مع أعداء هذه الأمة، كخصم لدود لطموحاتنا، وبناء أنفسنا، واستقلالنا، بل نراها تتطاول مع المتطاولين على لغتنا، وقوميتنا، وهويتنا، وديننا..! كل ذلك إرضاءً لنزوة العشق، والمظهر الشكلاني للثقافة الأمريكية، الإمبريالية، الشوفينية، ذات البعد الواحد..

ويح هذه الأمة ألف مرة، ليس من أعدائها ولكن من أبنائها أو ممن ينتمون إلى ثقافتها وينسبون إلى جلدتها..!!

؟ وبعد: فلا بد لكل قارئ شريف، ومثقف شريف، أن يعي خطرهم، وأن يقف متوجساً، ومرتاباً، وحذراً، أمام كل طروحاتهم المغلة، الكارهة.. فوالله إنه ليشفي صدورهم، أن تتحطم هذه الأمة، وتحترق هذه الأوطان، وتنهدّ على رؤوس أهلها، حكاماً، وشعوباً..! فهل نحن متنبهون..؟!

====================

تحرير مفهوم حرية التعبير واحترام الأديان والمقدسات

إعداد الدكتور/ محمد إدريس حسن

عضو المجلس الإداري للمنظمة الإسلامية للدعوة والإغاثة ومحاضر بجامعة الملك فيصل بتشاد

و مدير إدارة شئون الموظفين بالجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير رسل الله وخاتم النبيين والمرسلين المرسول رحمـــة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ،،،

فإن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد اوجب الله علينا محبته وجعلها أصل عظيم من أصول الدين ، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين يقول الله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجـــارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وفال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكـــون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين).

و أوجب الله علينا عدم إيذائه والتأدب معه فقال تعال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) وقال تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وأمرنا بالبعد عن إبدائه بأي شيء وبأي قدر قال تعال (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا أن ذلكم كان عند الله عظيما) ووعد الله الذين يؤذون رسول الله باللعنـــة والعـــذاب المهين قال تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) .

فمن منطلق هذه النصوص يجب علينا أن ندافع عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل الوسائل المشروعة فإننا لا نسمح بإيذاء رسولنا محمد خير الأنبياء والرسل ، وما دفع القائمين بهذا المـــؤتمر إلا حبهم لرسول الله وإيمانهم بالدفاع عنه حيا كان أو ميتا من خلال هذه المحاور وغيرها ، وقد دعيـــت للمساهمة في الدفاع واخترت موضوع المشاركة (تحرير مفهوم حرية التعـــبير واحتـــرام الأديـــان والمقدسات) ومن هنا نقول نعم لحرية التعبير التي تحترم الأديان والمقدسات وحقوق الآخرين ، ولا للفوضى التي يدعى أصحابها حرية التعبير وإنما هي فوضى منبعها الهوى الـــذي يفســـد الســـموات والأرض ومن فيهن مما يحدث عدم التوازن في موازين الحياة وتقلباتها ، ونقول إن حرية التعبير هـــي مبدأ إسلامي وسيتضح مما يلي .

وبالله التوفيق،،،

مفهوم الحرية ..

إن الإسلام قرر الحرية للإنسان وجعلها حقا من حقوقه واتخذ حرية الفرد دعامة لجميع ما سنه للناس من عقيدة وعبادة ونظم وتشريع وتوسع الإسلام في إقرارها و لم يقيد حرية احد إلا فيما فيه الصـــالح

العام واحترام الآخرين بعدم التدخل في شؤونهم وإلحاق الضرر بهم، لا في أعراضهم ولا في أمـــوالهم ولا في أخلاقهم ولا في أديانهم ومقدساتهم وغير ذلك.

ومفهوم الحرية من المنظور الإسلامي يتحقق من خلال الحقوق والواجبات باعتبارهما وجهين لعملـــة واحدة لان الحقوق من دون أن تقيد بالواجبات سيصبح الفرد غير مرتبط بالآخرين وقـــد يعـــرف حقوقه ولا يعرف حقوق الآخرين عليه وبذلك يصبح انفراديا في تعامله قاصرا عن أداء واجباته.

وقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود وبهذه المناهج في مختلف شؤون الحيـــاة. واخذ به في جميع النواحي التي تقتضى كرامة الفرد وان يأخذ به في شؤونها وهي النـــواحي المدنيـــة والدينية ونواحي التفكير والتعبير، ونواحي السياسة والحكم حتى وصل به في كل النواحي إلى شـــأن رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديه.

فالإسلام يرى أن إنسانية الإنسان هي رهن حريته إذ لايمكن أن تتحقق إنسانيته بدون حريتـــه فـــان تحكم الآخرين عليه باستعباده بغير صورة شرعية وتدخلهم في شؤون حياته فيه إلغـــاء لخصائصـــه كالاختيار وغيره فانه من منطلق هذا يمارس حياته آمنا على نفسه وأهله ولا يخشى عدوان حـــاكم ولابطش ظالم.

وإذا كانت الحرية من منطلق الحقوق فقط دون الواجبات تحدث عدم التوازن في الحياة . وقد يظـــن البعض أنه مادامت الحرية مكفولة وحقا مقررا شرعا فيبيح لنفسه إشباع غرائزه، وإن كان ذلك على حساب الآخرين ، وهذه هي الفوضى التي تقضي على أمن المجتمع وعلى استقراره وسلامته.

فالحرية في الإسلام لا تعني الفوضى وارتكاب الموبقات والمنكرات باسم الحرية واستباحة محـــارم الله والانغماس في الشهوات المحرمة فالحرية التي تبيح هذه المحظورات هي فوضى، وتصور خاطئ للحرية، وقد صحح الإسلام هذا التصور الخاطئ وقرر حرية الناس منذ ولادتهم ، وانه لا يجوز استعبادهم كما لا يجوز تقييد حرياتهم، و كل حق لهم، يقابله واجب عليهم ليكون هناك توازن في الحياة والتعـــايش مع الآخرين ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسلفها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مـــن فـــوقهم فآذوهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا و لم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم هلكوا وهلك النـــاس جميعهم وإن منعوهم نجو ونجى الناس جميعاً) .

وهكذا حياة الناس على سطح الأرض كركاب السفينة تحمل هذه الأرض البر والفاجر، والصـــالح والطالح والمحسن والمسيء كالذين يسيئون الآخرين بما فيهم أنبياء الله ورسله بحيث يرسمونهم في صور لاتليق بمقامهم الذي يستحق الاحترام والتقدير والتقديس، فان ترك هؤلاء المسيئين يمرحون ويفعلون ما يحلو لهم وما يشاءون.

دون الأخذ بأيديهم وكفها عن اقتراف الموبقات والآثام لهلك الناس جميعهم نتيجة لاختلال التوازن في مطالب الحياة ، وان اخذ بأيديهم نجو ونجى الناس جميعا وحيوا حياة طيبة، هذا هو توجيه الإسلام للحرية، أرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبي الرحمة.

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان بحيث خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السموات والأرض جميعا منه، وجعله خليفة عنه وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي.

ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ويبلغ مراميه إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو وأخذ حقوقه كاملة ، في الحياة وفي التملك وفي صيانة العرض، وفي الحرية وفي المساواة وفي التعلم، وهذه الحقوق واجبة للإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن لوئه أو دينه أو جنسه أو وطنه أو مركزه الاجتماعي[١] . قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً[٢]) وقال صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ...) [٣].

وهكذا أكرم الله الإنسان بهذه الحرية من خلال هذه الحقوق منحه حرية الاعتقاد حيث قال الله تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [٤]) وقال تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا[٥]).

فالاعتقاد الصحيح ناتج عن الاقتناع الكامل والتصديق الثابت ، وأنه لاقيمة لعقيدة تأتي نتيجة القهر والتسلط وطالما تزول أسباب القهر تنتهي وتزول العقيدة.

ولهذا حينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن المسلمين أيرتد أحد منهم سخطا على دينه؟ قال: لا، فقال هرقل : هكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

فالإسلام يتيح الفرصة المتكافئة للناس كي ينظروا ويختاروا، فلا يجرهم على شيء لا يرغبونه ... ولم يحدث في تاريخ الإسلام أن أكره أحدا أو اجبر قوما على اعتناق الدين ، كما حدث في تاريخ النصرانية [٦].

فكما كفل الإسلام للإنسان حرية الملك وغيرها ومن تلك الحريات حرية التعبير.

حرية التعبير:

إن حرية التعبير من أعظم الحريات التي كفلها الإسلام للإنسان وهي من نعم الله تعالى عليه حيث جعله بهذه النعمة معبرا عن نفسه مبينا عما يدور في فكره وخلده ومنحه القدرة العقلية على تصور ما

يدور حوله ثم الحكم عليه بما يصل له من خبراته وتجاربه يقول الله عزوجل تأكيداً لذلك: (الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [٧] .

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأكرمه وأنعمه بنعمة العقل والإدراك وعلمه البيان لُيْعمل عقلــه ويفصح عن ما يدور في عقله بحرية مبنية على احترام الحق الفطري واستخدام نعمة الإدراك والبيان ، ودعوة إلى تحقيق التعاون على البر والتقوى ، والتطلع إلى تكوين المجتمع المسلم الذي يقــوم علــى المشاركة الايجابية في تحقيق الإخاء والمساواة والأمن والعدل ومن الأدلة التي تدل على وجوب حرية التعبير قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُــونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ[٨]) فان الأمر والنهي لا يكون إلا من خلال التعبير ، فإذا الأمر والنهي تعبير وإبداء رأي وبما أن الأمر والنهي واجب فنقول بوجوب حرية التعبير إذ تقرر لنا حق إبداء الرأي وتجعله واجبا من واجبات الأمة ، إذ بالأمر نالــت الخيرية على الناس وعلى أساسه وعدت بالتمكين في الأرض ، والصدارة على الصعيد العالمي ، قــال الله تعالى : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ[٩]).

ومن أدلة حرية التعبير أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : (من رأي منكم منكرا فليغيره بيده فــإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[١٠] . فقوله صلى الله عليه وســلم : (فبلسانه) أمر بالتعبير المتضمن للأمر والنهي اللذين هما من الخصائص الأولى للأمة الإسلامية والشعار الواضح من شعائر الإسلام . وهذا كله إن دل فإنما يدل على أن حرية التعبير من حقوق الإنســان، وحقوق الإنسان هي جزء من الدين شرعها الله وبينها الرسول صلى الله عليه ويراد بها حماية إنسانية الإنسان وهذه الحماية مصدر من مصادر الشريعة وغايتها ، ومن هنا جاءت لتحقيق مصالح النــاس وحماية الكليات(الضرورات الخمس) التي منها (الدين) وحفظ الدين واجب.

ومن هنا نحن نقول نعم لحرية التعبير التي تراعي حقوق الآخرين وتحترم الأديان والمقدسات .

احترام الأديان والمقدسات ..

إن حرية التعبير الحقة هي التي تحافظ على حقوق الآخرين ومعتقداهم الدينية ومقدســاهم ، وأمــا التصرفات التي تصدر بدون مراعاة حقوق الآخرين فهو الفوضى التي تؤدي إلى اختلال التــوازن في موازين الحياة وهذا التصرف هو الذي تضع له الشريعة الإسلامية حداً .

واحترام الأديان والمقدسات ، واحترام حقوق الآخرين لا يتأتي إلا من حرية التعبير التي تعتمد علــى مبادئ الأخلاق وآداب الإسلام الذي يعني عدم مصادرة آراء الآخرين وإيذائهم ، حتى وإن كانــت مخالفة، لكن غير مسيئة للآخرين ومعتقداهم ، قال احد المسلمين مرة لعمر – رضي الله عنه – اتــق الله، فلام بعض الحاضرين قائلها، فقال عمر: (لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها)

وصدق عمر فإنه لا خير في مجتمع لا يتقدم بآرائه ونصائحه لحاكمه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) فنصيحة أئمة المسلمين وعامة المسلمين هي : حرية التعبير بعينها ، وهكذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ليربيهم على حرية التعبير فيقول لهم في كثير من الأمور : (أشيروا إلى أيها الناس) وكان صلى الله عليه وسلم أمره شورى بينه وبين أصحابه قال الله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [١١])، والله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين بسبب الشورى التي بينهم بقوله: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [١٢]) ، حرية التعبير هي حق أصيل لا يتخلى عنها المسلم ، بل هي تعتبر من أفضل الجهاد.

في سبيل الله بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) وفي ظل هذه الحرية كان الخلفاء الراشدون يعرضون على المسلمين سياستهم في الحكم ليبدي كل من المسلمين رأيه في الأمور التي تمس حياة الناس ومصالحهم .

واحترام الأديان والمقدسات من الدين ويعد عند المسلمين من أساس العقيدة حيث أن المسلمين يؤمنون بجميع الرسل وذلك مما يجعلهم يحترمون جميع الأديان السماوية ومقدساتها وشعائرها واحترامها نابع من تقوى القلوب (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) . [١٣]

ويحترمون الأنبياء والرسل لأنهم لايتم إيمانهم إلا بالإيمان بجميع هؤلاء الرسل، فلا يؤذوهم ولايسخروا ولايستهزؤا بهم لان الاستهزاء بهم والسخرية منهم توجب العذاب والعقاب قال تعالى : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون [١٤]) فالله سبحانه وتعالى أدار عليهم دائرة السوء بسبب إساءة الأنبياء والرسل ، فان دل هذا على شيء فإنما يدل على احترام الأنبياء وتقديسهم ، وجعل الإسلام سبَّ الدين كفر ، إذا لابد من احترام الدين واحترام من اصطفاهم الله برسالاته من الأنبياء والرسل، كما جعل الإسلام سبَّ الأنبياء ردة توجب القتل. ولاتقبل توبة الساب عند بعض العلماء وتقبل عند آخرين، وقد قتل الرسول وأصحابه الساب و لم يستتيبوه [١٥] ، وهذا كله يدل على مدى احترام الأنبياء والرسل وما جاءوا به من دين فاحترام الأديان والمقدسات وحقوق الآخرين من الدين. إذا احترام الأديان والمقدسات أمر واجب دينيا.

وقد دعت إليه الهيئات الدولية فعلى سبيل المثال ما جاء في إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان الصادر عن المؤتمر الإسلامي التاسع عشر لوزراء الخارجية (القاهرة، ١٤ محرم ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠/٠٨/٠٥م) .

جاء في هذا الإعلان في مادته الثانية والعشرون ما يلي :-

(١) لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه بشكل لايتعارض مع المبادئ الشرعية .
(٢) لكل إنسان الحق في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقا لضوابط الشريعة الإسلامية.
(٣) الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع ، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء فيه وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم أو إصابة المجتمع بالتفكك أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد.
(٤) لاتجوز إثارة الكراهية القومية والمذهبية وكل ما يؤدي إلى التحريض على التمييز العنصري بكافة إشكاله[١٦] .
وأيضا جاء في إعلان (روما) حول حقوق الإنسان في الإسلام الصادر عن الندوة العالمية حول حقوق الإنسانية في الإسلام (روما، ٢١/ذو الحجة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧/فبراير /٢٠٠٠م) .
جاء في مبادئ هذا الإعلان ما يلي:-
المبدأ الأول: أهمية ربط حقوق الإنسان بمرجعية تراعي المعتقدات والقيم الدينية التي أوصى بها الله سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه ورسله .
المبدأ الثاني: ضرورة ربط الحقوق بالواجبات من خلال مفهوم يرتكز على قاعدة التوازن بين وظائف الإنسان واحتياجاته في بناء الأسرة والمجتمع وعمارة الأرض ، على نحو لايتعارض مع إرادة الله تعالى.
وفي نهاية هذه المبادئ جاء الإعلان التالي:-
والندوة إذ تضع هذه المبادئ، تعلن لحكومات العالم ومنظماته الرسمية والشعبية ، أن شريعة الإسلام قدمت الضمانات لتحقيق التكامل والشمول والتوازن والمرجعية واليات التطبيق الصحيح لحقوق الإنسان.
والندوة إذ تضع بين يدي المجتمع الدولي عبر إعلان (روما) لتدعو الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير البشرية جمعاء.
وهناك مبادرات تدعو إلى احترام الأديان والمقدسات مثل ما جاء في قول: دريك ديفيز الذي أوردته مجلة الرابطة [١٧] ، حيث تحدث عن تطور الحرية الدينية كحق إنساني من حقوق الإنسان المقدسة ، شهد القرن العشرون نجاحا لامثيل له في تدوين حقوق الإنسان الدينية.
وكان البرلمان العالمي للأديان قد اجتمع في شيكاغو عام ١٨٩٣م وهو حدث منسي لكنه مهم في تاريخ الدين في العالم. وكان احدث المبادئ التأسيسية للاجتماع هو وجوب عدم الضغط على أية مجموعة دينية لكي تضحى بما تؤمن أنه الحقيقة.
ويذكر ديفيز أنه قد تم إعداد ثلاث وثائق دولية في القرن العشرين بهدف تعزيز مبادئ الحرية الدينية وهي الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية (١٩٦٦م) . وإعلان الأمم المتحدة لمحو جميع أشكال

التعصب والتمييز القائم على أساس الدين أو المعتقد (١٩٨١م) . ووثيقة فينا الختامية (١٩٨٩م) وتعزز كل هذه الوثائق الحرية الدينية بتأييدها حقوقا من الأهمية بحيث بتوجب جعلها عالمية.

ويمنع الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية (١٩٦٦م) والذي صدقت عليه حتى الآن (١٤٤) دولة ، التمييز الديني كما ينص إعلان الأمم المتحدة الذي تبنته عام (١٩٨١م) ومن ضمن ما نص عليه هذا الميثاق إنشاء وصيانة أماكن العبادة أو التجمع لممارسة دين أو معتقد وإنشاء وصيانة أماكن لهذه الغاية.

كما تحتوي الوثيقة الختامية لمؤتمر فيينا على نصوص مشابهة لما ورد في وثائق ١٩٤٨ ، ١٩٦٦م ، ١٩٨١م من حيث التأكيد والالتزام باحترام الاختلافات الدينية ، وكذلك على ضمان التطبيق الكامل والفعلي لحرية الفكر والضمير والدين والمعتقد.

ولكن أين هذه الانتهاكات لحرمان المسلمين من هذه الوثائق :-

- تعذيب في السجون بسبب الدين.
- هدم المساجد بسبب الدين.
- تدنيس القرآن بسبب الدين.
- إساءة رسول الله بسبب الدين.
- منع الصلاة في مجال العمل بسبب الدين.

كل ذلك من أجل أنهم قالوا ربنا ثم استقاموا ... أين هذه المواثيق أيها المجتمع الدولي؟ كل هذه الانتهاكات تدل دلالة واضحة على أن الكافر لايؤتمن في عهد ولا ميثاق ولا قانون ، ولاحق ولا مصلحة.

وحرية التعبير التي تحترم الأديان والمقدسات هي التي تنبني على ضوابط ومن تلك الضوابط ما يلي :-

(١) أن يكون التعبير طيبا بعيدا عن الفحش والقبح يقول الله تعالى : (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ [١٨]) ويقول جل شأنه (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا [١٩]) .

وقال النووي رحمه الله : (اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه ، وذلك كثير في العادة والسلامة لابد لها شيء) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) متفق عليه ، وعن أبي موسى رضي الله عنه (قال: قلت يا رسول الله أي المسلم أفضل؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه.

(٢) أن يكون التعبير مطابقا للحقيقة صادقا متثبتا فيه، بعيدا عن الظن والوهم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ. [٢٠]) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ[٢١]) . وقال صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع).

(٣) أن يتحرى التعبير الحق والعدل فلا يحابي يقول الله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[٢٢]).

أن حرية التعبير التي تنطلق من هذه الضوابط لها ثمار كثيرة منها:-

أولا: أنها تعمق الثقة بين أفراد الأمة فإن الوضوح يقتل الخلفاء ، والمصارحة تقضي على الدس والوقيعة ، والصدق يعمر القلوب بالألفة والمحبة .

ثانيا: قوة بناء الأمة وتماسكها فان احتكاك الآراء وتعاون الناس يولد القرب بينهم فيتشاورن ويتناصحون ، وهذا يزيد من تماسكهم وتضامنهم لأن الاحتكاك يوري نوراً والتحكك يواري ولاريب أن اجتماع المواهب وتعاضدها يؤدي إلى خير كثير، وهذا بخلاف الخوف والكبت فإنهما يولدان التفكك والشك والريبة.

ثالثا: إن الشعب متى أعطى الفرصة لإبداء رأيه في تقرير مصيره والمشاركة في صناعة القرار أدى ذلك إلى رقي في الأمة وتقدمها، فإننا نجني من وراء حرية التعبير الأفكار النيرة والآراء الصائبة، فلا تقدم الأمة على أمر إلا وتكون قد عرفت مصالحه وأدركت منافعه [٢٣] .

نصرة النبي صلى الله عليه وسلم :

كيف ننصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأعداء الذين يسيئون إليه؟ وكيف ننصره من هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم ؟.

قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ) [٢٤] .

فنصرتنا لنبينا تقتضي صرف الناس عن الهوى إلى الاستقامة . ونحن لايمكننا صرفهم عن الهوى إلى الاستقامة ما لم نكونوا صادقين في نصرته صلى الله عليه وسلم وصدقتنا ونصرته يقتضي أن نكون صادقين في إتباعه حتى يكون هوانا تبعا لما جاء به، فإن الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال قال الله تعالى : (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ[٢٥]) .

فالصحابة رضوان الله عليهم لما صدقوا في إتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان هواهم تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم سطروا أروع الأمثلة واصدق الإعمال في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

والدفاع عنه وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره وفي العسر واليسر وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم ومن ذلك أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يحمي الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة احد، ويرمي بين يديه ويقول: (بابي أنت وأمي ، لاتشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك [٢٦]).

وعن قيس بن أبي حازم قال: (رأيت يد طلحة شلاء ، وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد [٢٧]) .

وما أجمل ما قاله انس بن النضر يوم أحد عندما انكشف المسلمون: (اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني : أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء : يعني النبي صلى الله عليه وسلم : (الآن يا عمر [٢٨]) قال ابن حجر : (أي) الآن عرفت فنطقت بما يجب) [٢٩] .

هؤلاء الذين نصروا الله ورسوله فنرجو أن نخلص في إتباعنا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لتنكون أهلا لنصرته بكل الوسائل المشروعة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسحبه وسلم تسليما كثيراً.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

المطالب :

– أطالب المؤتمر : أن يحول لجنة المؤتمر العالمي إلى مؤتمر عالمي دائم يحمل اسم : المؤتمر الإسلامي العالمي للدفاع عن حرمة الأديان والمقدسات .

– أطالب المؤتمر بإصدار فتوى شرعية تجاه المسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم.

المراجع ..

– القرآن الكريم .

– صحيح البخاري، للإمام البخاري .

– صحيح مسلم ، للإمام مسلم .

– فقه السنة للسيد سابق .

– حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي – أعمال الندوة العلمية حول حقوق الإنسان.

– حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية – للدكتور/ عبدالعزيز بن عثمان التويجري.

– الرابطة : مجلة شهرية علمية تصدرها رابطة العالم الإسلامي .

– حقوق الإنسان في عصر النبوة – للدكتور/ محمد احمد الصالح ، ورقة بحثية تقدم بها في أعمال الندوة العلمية حول حقوق الإنسان.

[١] فقه السنة ، للسيد سابق، ج٣ /٦.

[٢] سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

[٣] حديث نبوي

[٤] سورة البقرة الآية : ٢٥٦.

[٥] سورة الكهف الآية : ٢٩.

[٦] حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي ،ج١ ،ص: ٣٨ طباعة أكاديمية نايف العربية للعلوم التربوية.

[٧] سورة الرحمن الآية : ١ – ٤.

[٨] سورة أل عمران ، الآية : ١١.

[٩] سورة الحج ، الآية : ٤٠-٤١.

[١٠] أخرجه مسلم .

[١١] سورة آل عمران الآية : ١٥٩.

[١٢] سورة الشورى ، الآية : ٣٨.

[١٣] رواه الترمذي وأبو داود .

[١٤] سورة الأنعام الآية : ١٠.

[١٥] أنظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية رحمه اله ، ص: ٢٩٨ ، دار الفكر .

[١٦] انظر حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية. للدكتور/ عبدالعزيز بن عثمان التـــويجري ، ص : ٣٧.

[١٧] مجلة الرابطة ، العدد ٤٧١ شعبان ١٤٢٦هـــ الموافق سبتمبر ٢٠٠٥م الكلام ورد تحت عنوان: قانون الحرية الدينية الأمريكي في الميزان

[١٨] سورة الحجم الآية : ٢٤.

[١٩] سورة الإسراء الآية : ٣٦.

[٢٠] سورة التوبة الآية : ١١٩.

[٢١] سورة الحجرات الآية : ٦.

[٢٢] الأنعام الآية : ١٥٢.

[٢٣] انظر : حقوق الإنسان في عصر النبوي للأستاذ الدكتور محمد أحمد الصالح ، ورقة مقدمة في الندوة العلمية حول حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.

[٢٤] سورة المؤمنون الآية : ٧١.

[٢٥] سورة الحشر الآية : ٨.

[٢٦] أخرجه البخاري : ٣٣/٥ رقم ٤٠٦٤.

[٢٧] أخرجه البخاري : ٥/٣٣ ، رقم ٤٠٦٣.
[٢٨] أخرجه البخاري ٧/٢١٨ ، رقم ٦٦٣٢.
[٢٩] الفتح : ١١/٥٣٦.
=====================

تبًّا له ثم تَبّ

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

لما بَعَثَ الله نبيّه صلى الله عليه وسلم إلى الناس.. وكانت بعثه إلى الناس كافة..

حَرِص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إنقاذ البشرية من التِّيه والضلال الذي ترسف فيه..

كما حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إنقاذ البشرية من النار..

تمثّل ذلك الحرص في دعوة الناس ليلا ونهاراً.. سِرًّا وجهاراً..

وتمثّل ذلك الحرص في دعوة كل الناس..

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى..

وأرسل الرُّسُل والْكُتُب إلى الرؤساء والزعماء..

تمثّل ذلك الحرص أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طفل يهودي يُصارِع المرض.. يوشك على مفارقة الحياة..

يَهتم به عليه الصلاة والسلام.. يَعتني به.. يَعرض عليه الإسلام: أسْلِم.. فَيَلْتَفِتْ الصبي إلى والده.. كأنه يستأذنه.. ولما كان والده يعرف حقيقة ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: أطِع أبا القاسم.. فيتشهّد الطفل ويشهد شهادة الحق.. ثم يموت!

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فرحا مُستبشراً وهو يقول: ((الحمد لله الذي أنقذه من النار)). كما في صحيح البخاري.

وكما حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على دعوة الأباعِد فقد حرص الأقارب.. فدعا قومه ورهطه.. فصاح بهم يوماً على الصفا وهو بمكة، فجعل يُنادي:

يا بني فهر.. يا بني عَدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرَّجُل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تُريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصَدِّقي؟))

قالوا: نعم، ما جَرّبنا عليك إلا صدقا.

قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)).

فقال أبو لهب: تَبًّا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا ؟ فَنَزَلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}. رواه البخاري ومسلم.

أبو لهب هو عبد العُزّى.. تَبّ وخسِر، فما عَزّ !

فـ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} " الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه " كما قال ابن كثير.

فقوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} أي خَسِر وخاب، وضل عمله وسعيه. {وَتَبَّ} أي وقد تَـبّ: تحقق خسارته وهلاكه. قاله ابن كثير.

" وكان كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والبُغْضَة له، والازدراء به، والتنقّص له ولدينه "..

فما زاد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عِزّة ورِفعة..

وما زاد (عبد العزى) إلا ذلاً ومهانة.. فلا يُذكر إلا ويُذكر ذمّه !

زاد جهل أبي جهل.. وتباب أبي لهب..

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضوّع طِيباً.. كَعُودٍ زاده الإحراق طِيباً

أبو لهب.. ظنّ أنّ ماله ينفعه، أو يُغني عنه شيئا.. فقال الله: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}

و لم يقتصر الشقاء على أبي لهب بل تعدّاه إلى زوجِه..

قال ابن كثير: وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان، وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} يعني تحمل الحطب فتُلْقِي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مُسْتَعِدّة لـه. اهـ.

قالت أسماء بنت أبي بكر: لما نزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} اقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها وَلْوَلَة، وفي يدها فِهْر وهي تقول: (مُذَمَّماً أبَيْنَا، ودِينه قَلينا، وأمْره عصينا)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها لن تراني، وقرأ قرآنا اعْتَصَمَ به، كما قال تعالى {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآَنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، و لم تَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبا بكر إني أُخْبِرتُ أن صاحبك هجاني ! قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاكِ! فَوَلَّتْ وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها ! رواه أبو يعلى، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

وقد صَرَف الله عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم سبّ حمالة الحطب !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا تعجبون كيف يَصرف الله عَنِّي شتم قـــريش ولعنـــهم ؟ يشتمون مُذَمَّما، ويلعنون مُذَمَّما، وأنا محمد)). رواه البخاري.

حمّالة الحطب أنفقت مالها للصَّد عن دين الله، فكان عليها حسرة وندامة !

وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأُنْفِقَنّها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: فأعقبها الله منها حَبْلاً في جيدها من مَسَدِ النار.

صَبَر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك.. فكانت النُّصْرَة له، والرِّفعة له، والعِزّة له..

وكانت الذلّ والصَّغار على من خالَف أمره..

عداوة أبي لهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظَهَر فيها آية من آيات النبوة، وعلامة من علامات صِدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم..

قال ابن كثير: قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نَــزَلَ قوله تعالى: {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَــدٍ} فأخْبَرَ عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يُقيّض لهما أن يُؤمنا، ولا واحد منهما، لا باطنا ولا ظاهرا، لا مُسِرًّا ولا مُعْلِناً ؛ فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة. اهـــ.

عداوة أبي لهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.. وحملته المسعورة ضدّ دِين الإسلام.. لم تَثنِ عـــزم رسول الله صلى الله عليه وسلم..

بل كانت عداوته سبباً لِنشر دِين الله!

كانت عداوة أبي لهب سبباً للسؤال عن حَالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وعن دعوته.. وعن لفتْ الأنظار إليه!

قال طارق بن عبد الله المحاربي: إني بِسُوقِ ذي المجاز إذْ أنا بإنسان يقول: يأيها الناس قولوا: لا إله إلا الله ؛ تفلحوا. وإذا رجل خلفه يرميه قد أدْمَى ساقيه وعرقوبيه، ويقول: يأيها الناس إنه كذاب فـــلا تُصَدِّقوه. فقلت: من هذا ؟ فقالوا: محمد زَعَم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب يَزعم أنه كذاب!

ظنَ أبو لهب.. فَخَابَ ظنّه !

ظنّ أنه يحجب الشمس بالْمُنْخُل (الغربال).. فَخَابَ ظنّه!

ظنّ أن ماله يُغني عنه.. فَخَابَ ظنّه!

ظنّ أنه يَصدّ عن دِين الله.. فَخَابَ ظنّه!

ظنّ أنه سوف يثني عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يُفرِّق الناس عنه.. فَخَابَ ظنّه!

ولئن مات (أبو لهب) وهَلَك.. فإن لكل وارث!

وما تناقلته بعض الصحف والمواقع.. وما أثير على المنابر.. من أخبَارِ وَرَثَة (أبي لهب) الذين حـــاولوا اقتفاء أثَرَه ! والسير بسيرته المذمومة ! والاستهزاءِ بسيِّد ولد آدم صلى الله عليه وسلم..

فَخَابَ ظنّ الوَرَثَة كما خَابَ ظنّ المورِّث!

خابوا وخسروا..

ولئن ساء كل مسلم ما نُشِر في بعض صُحُف الدانمارك.. فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله لم يَخْلُق شَرًّا مَحْضاً !

فـــ {لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

فقد كان تضمّن ذلك السوء خيراً، منه:

ـــ ظهر وانكشف وجه الحقيقة عن وجه الحضارة الغربية.. {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْـــوَاهِهِمْ وَمَـــا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}.

ـــ ظهر لكل ذي بَصَر عداوة النصارى.. وأنّ من يطلب رضاهم مُتطلِّب في الماء جذوة نار!

وقول الله أصدق وابلغ {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}..

ـــ تجلّى نفاق بعض الصُّحُف والكُتّاب.. الذين التَزموا الصمت تجاه هذا الْخَطْب الْجلل!

فماذا عساهم يقولون؟

ماذا عسى أُغَيْلِمة الصحافة وسفهاء قومي يقولون؟

أليسوا الذين كانوا يُلمِّعُون الغَرْب والغُراب ! تحت شِعار (الآخر) سَتْراً للكافر!

إلا أن الحقيقة التي تجلّتْ.. كشَفَتْ عن وجوه من الحقائق!

وصَمَتْ من كانوا يُنادون باحترام (الآخر)!

ومن كانوا يَودّون لو صَمَتَ دُعاة الإسلام..

أليسوا هم من يُنادي بـــ (حُرِيّة الفِكر) فإذا هم يُنادون بـــ (حُرِيّة الكُفْر)!

إذا تكلّم (صادق) نَصَبُوا له العِداء..

وإن تَبجّح (كافر) سَكَتُوا وكأن الأمر لا يَعنيهم.. وهو لا يعنـــيهم.. لأن انتســـابهم إلى الإســـلام (دعوى) من غير بيِّنَة!

هاهو (الآخر) بزعمكم يتطاول على دين الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فبماذا أجبتم؟

ـــ تَهَافُتْ دعاوى (قبول الآخر) الذي لم ولن يَقبلكم ! حتى "يجتمع الماء والنار، والضَّب والحوت"!

شأنكم في ذلك شأن ذلك (الْمُتَفَرْنِس) الذي أمضى عمره في التذلّل للغرب.. ولو كان على حساب دِين ومبدأ.. فإذا الغرب يَرفضه ويَلفظه.. بل وينبذه نَبْذ الحذاء المرقّع !

وها هو يقول عن نفسه: " وأصبح (محمد أركون) أصولياً متطرفاً !! أنا الذي انْخَرَطْتُ منذ ثلاثين سنة في أكبر مشروع لنقد العقل الإسلامي ! أصْبَحْتُ خارج دائرة العلمانية والحداثة "

ويقول أيضا: "والمثقف الموصوف بالْمُسْلِم يُشار إليه دائماً بضمير الغائب: فهو الأجنبي المزعج ! الذي لا يمكن تمثّله، أو هضمه في المجتمعات الأوروبية، لأنه يَسْتَعْصِي على كل تحديث أو حداثة!".

وقد أخبر الله عن ذلك الرفض، وعن تلك العداوة المتأصِّلة بقوله: {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

ـــ وفي هذا الْحَدَث تميّز الطيب من الخبيث.. والصادق من الكاذب.. {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}.

إذا اشتبكت دموع في خُدود *** تَبيَّنَ من بَكى ممن تباكى

تبيَّن الْمُحبّ الصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الدَّعِيّ الْمُدَّعِي !

ـــ وفي الغرب (مُنصِفُون).. فقد تُثيرهم تلك الحملات الشعواء على طلب الحقائق.. فيهدي الله بِتلك الصحيفة رجالاً ونساء كانوا في (عَمَاء)!

ومن سُنّة الله " إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " كما في الصحيحين.

وفي شِعْر أبي تمام:

وإذا أراد الله نَشْرَ فَضَيلة *** طُويت أتَاحَ لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جَاوَرَتْ *** ما كان يُعْرَف طِيب عَرف العُود

ـــ أن الصِّدام المباشِر، والمساس الواضِح أبلغ وأيقَظ للقلوب.. وهذا يُبيِّن مدى خطورة الغزو الفكري، وأنه أخطر من الغزو العسكري ـــ وإن كان مُدمِّراً ـــ.

ذلك أن اليهود والنصارى يقولون في الله قولاً عظيماً.. ومع ذلك وُجِد من يُحبّهم أو يتعاطَف معهم.. إلا أن هذا الذي صَدَر من نصارى (الدانمارك) أيقظ في الأمة قلوباً غافلة، أو مُستَغفَلة!..

فالنصارى قالت قولاً عظيماً في الله من قَبْل ومن بعد.. قالوا في الله قولاً عظيماً {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}.

وما قالته النصارى في حقّ الله أعظم وأكبر..

وقد أخبر الله وخبره الحقّ، وقال وقوله الصِّدْق {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}.

وإن تلك الحملات الشعواء على الإسلام وأهله.. لم تُغيِّر قناعات الشعوب..

يقول مُحدِّثي: سَافَرْتُ إلى بلد أفريقي في رِحلة عمل.. فاقتضى الأمر أن أتعامل مع (أفريقي نصراني).. فلما انتهى تعاملنا معه.. سألناه عن أفضل مدينة سياحية في بلدهم.. فأرشدنا إليها.. فسألناه عن طبيعتها وأمْنِها.. فأخبرنا أن غالبية سُكانِها من المسلِمين..

يقول صاحبي:

فسألته: كيف تكون الأكثر أمْناً وغالبية سُكانها من المسلمين ؟.. مع ما نسمع في وسائل الإعلام عن المسلمين ؟!

فقال النصراني: هذه جعجعة إعلامية!

نحن نعرف المسلمين.. فَدِينُهم يأمرهم بذلك!

يقول: فتعجّبت من شهادة النصراني وهو في بلده..

إن ما يُقال أو يُثار ضد الإسلام أو ضدّ نبيِّه صلى الله عليه وسلم يسوء كل مسلم..

إلا أنّ هذا الشرّ لا يَخلو من خير..

هُم يُريدون أمراً.. والله يُريد أمراً.. {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}

دبّروا.. ومكروا.. وقلّبوا الأمور.. فأبْطَل الله سعيهم.. وردّ كيدهم في نحورهم.. وحاق بهم مكرهم..

وهذه سُنَّة الله في نصر أوليائه، وخُذلان أعدائه..

لقد سَعى المنافقون بكل حيلة.. فَصَرّفوا الأمور، وأرادوها ظهرا لبطن، وبَطْناً لِظَهْر وطلبوا بكل حيلة إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم..

فَنَصَرَ الله نبيّه.. وأظْهَر دينه..

قال تعالى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}

{وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ} أي دَبَّرُوها من كل وجه، فأبْطَل الله سعيهم. كما قال ابن جُزيّ.

قال ابن كثير: يقول تعالى مُحَرِّضاً لِنبيه عليه السلام على المنافقين {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ}، أي لقد أعْمَلُوا فكرهم، وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك، وخُذلان دِينك وإخماده مدة طويلة ؛ وذلك أول مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة رَمَتْه العرب عن قوس واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها، فلما نصره الله يوم بدر، وأعلى كلمته، قال عبد الله بن أبي وأصحابه: هذا أمْرٌ قد تَوَجَّه ! فَدَخَلُوا في الإسلام ظاهرا، ثم كلما أعَزّ الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم، ولهذا قال تعالى: {حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}. اهـ.

وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم على نُصْرَة هذا الدِّين..

فقال عليه الصلاة والسلام: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين، بِعِزّ عزيز، أو بِذُلّ ذليل، عِزًّا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر. رواه الإمام أحمد.

والله ليكونن هذا وإن رَغِمَتْ أنوف !

والله لَيُتمَّنّ الله نوره ولو كَرِه الكافرون..

مِن دعاء عمر رضي الله عنه في القنوت:

اللهم العن كفرة أهل الكتاب الذين يُكذبون رسلك، ويقاتلون أولياءك، اللهم خالف بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل بهم بأسك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين. رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والبيهقي.

====================

حتى لا تكون أبقاركم أعقل منكم

عزيز بن محمد الشهري

لقد مُيِّز الإنسان عن المخلوقات الحيوانية بالعقل الذي به يستطيع أن يضبط نفسه؛ فلا يجعلها تتجاوز حقوق الآخرين، والتعدي عليهم في ممتلكاتهم، وفي أنفسهم، وفيما يعتقدونه من معتقدات دينية على سبيل السخرية، بدون سبب يبيحه عقل ذلك الإنسان.

وبما أن الله خلق الإنسان وأكرمه بالعقل على الحيوان؛ فلقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان العاقل بعدم الإفساد في الأرض، ومنع دواعيه بأي شكل من الأشكال.

وهذا الأمر للإنسان العاقل؛ حيث إن غير العاقل غير مكلف بهذا الأمر، مثله مثل بقية المخلوقات الحيوانية غير المكلفة؛ فقد تتجاوز حدودها إلى حدود غيرها في الحقوق والتعدي عليهم في ممتلكاتهم وإفساد كل جميل، بحجة الحرية الفكرية التي في الأصل بمعنى (لا عقل) إذا خلت من ضوابط العقل السليم.

فالبقرة، على سبيل المثال بما أنكم بلد تشتهر الأبقار فيه، إذا أعطيت حقوقها بضوابط ورعاية صحية جيدة؛ فإنها تنتج الزبد والجبن والقشطة اللذيذة والحليب والألبان المنعشة، أما إذا جعلتموها بحريتها، تفعل ما تشاء بدون ضوابط في أكلها من أعلاف مضرة أو غريبة عليها، فقد تفكر بحريتها؛ فتصاب بجنون البقر.

ومن هذه المقدمة المختصرة فإن على الإنسان العاقل أن يعيش بحرية وسلام مع نفسه ومع الآخرين من حوله. بحرية بحيث يفعل ويقول ما شاء في حدود حريته التي لا تتعدى على حرية غيره فيما تقره

العقول السليمة بعد إقرار الله الواحد الديان بهذه الحرية للإنسان؛ ويعيش بسلام بحيث لا يتعدى عليه أحد في حقوقه المشروعة من أذى جسدي، أو نفسي، أو سخرية، به وبما يعتقده.

وهو بالمثل، لا يتعدى على الآخرين في حقوقهم ولا السخرية بهم وبما يعتقدونه؛ لكي يعيش بحرية وسلام فينتج بذلك التسامح بين الأجناس.

وإن ما قامت به بعض الصحف الدنماركية من نشر صور كريكاتورية ليست صوراً لرجل سياسي مشاغب في العالم، ولا لقائد يحكم شعبه بالنار والحديد، ولا دكتاتوري عنيد. ولكن هذه الصور لدين عظيم، أتى به أفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ألا وهو دين الإسلام الذي أرسله الله للعالمين، وجعله رحمة وهدى ونورًا، وهو خاتم النبيين وإمامهم وأحبهم إلى الله، ومخلص البشرية من الظلم والاستعباد، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهو الذي نشر العدل في الأرض وأقامه. وعفا عن أعدائه وألف قلوبهم بالهدايا، ومنقذ الأمم يوم القيامة بالشفاعة إلى الله؛ ليحكم الله في ذلك اليوم بينهم. فصلى الله وسلم عليه تسليماً كثيراً.

فهو نبي أرسله الله بالإسلام للعالمين كافة، بدون تفرقة عنصرية، أو جنس من الأجناس، فنشر الأخلاق الكريمة من إفشاء السلام بين الناس والمحبة، على من عرفت أو من لم تعرف، والصدق في الحديث، وعدم الكذب، والوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وبذل المال للفقراء والمساكين، وإكرام الضيف والجار، ومساعدة المحتاج، وكفالة الأيتام والأرامل، وحرم عقوق الوالدين، وأمر ببرهما ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف، والعناية بهما عند كبرهما، وحرم الزنا واللواط، وحرم الإفساد في الأرض، وترويع الآمنين، وحرم السرقة والربا، وحرم النميمة والغيبة والسخرية بالناس والتكبر عليهم، وأمر بالعفو عن المسيئين والتسامح، و لم يُكره أحداً على الدخول في دين الإسلام، وأوصى بنشر السلام في الحرب؛ فلا تقطع الشجر، ولا تهدم الصوامع والكنائس، ولا تقتل المرأة أو الطفل، ولا الشيخ الكبير.

وكرم المرأة وأعزها، وأوصى الرجال بها، بالمحافظة عليها وإكرامها. وغير ذلك من الخير والنور الذي نشره في الأرض؛ لأنه نبي أرسله الله إلى العالم كافة، كما أرسل الله الأنبياء والرسل إلى الناس من قبله، ومنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام.

فهل يتصور أن يكون هذا النور بالشكل الذي تخيله هذا الرسام الذي رسم هذه الصور الكاريكاتورية التي تسخر من شخصية نبي ورسول الله، محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكي تجعل في كتاب مزيف مكذوب في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تنبعث منه رائحة الحقد كما تنبعث رائحة العفن من جبنة دانماركية؟

===============

حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني يندد بالصور المسيئة للرسول

مفكرة الإسلام: أدان القائد الأفغاني وزعيم الحزب الإسلامي 'قلب الدين حكمتيار' الصور المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، التي نشرت في صحيفة 'يولاندس بوستن' الدانماركية وغيرها من الصحف الأوروبية.

وفي بيان صحفي أصدره 'حكمتيار' حمل تاريخ ١١ فبراير ٢٠٠٦؛ قال حكمتيار: نشر الصور المسيئة للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، يثبت أن البلدان المسيحية مصرة على عداوتها للمسلمين.

وبحسب وكالة الأنباء الإسلامية الأفغانية، قال حكمتيار في بيانه: لقد أبدى الغرب مرة أخرى عداوته القديمة ضد الإسلام والمسلمين بالعالم.

وأشار البيان إلى أن احتلال القوات الغربية للعراق وأفغانستان يدلل على سعى الغرب لمحاربة الإسلام والمسلمين، بينما نشر هذه الصور المسيئة يؤكد أن الغرب لا يستطيع تحمل وجود الإسلام والمسلمين على وجه الأرض.

وشكر حكمتيار كل من شارك في الاحتجاج ضد هذه الجريمة، وأكّد على المطالبة بقطع الروابط الدبلوماسية مع الدانمارك ومقاطعة المنتجات الأوروبية.

وأثنى حكمتيار بشكل خاص على الأفغان الذين تظاهروا في عديد من المدن دفاعًا عن دينهم ونبيهم، وطالب بطرد القوات الأجنبية من أفغانستان.

واستاء حكمتيار من قيام القوات الأفغانية بإطلاق النار على المتظاهرين، غير أنه لم يستغرب صدور هذا الأمر ممن تدربوا على أيدي أعداء أفغانستان.

===================

(خصائص النبي صلى الله عليه وسلم)

عناصر الموضوع :

١. بعض من ألّف في خصائصه صلى الله عليه وسلم
٢. خصائصه صلى الله عليه وسلم في الدنيا
٣. خصائصه صلى الله عليه وسلم في الآخرة
٤. خصائصه في أمته صلى الله عليه وسلم
٥. خصائصه صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور والأحكام
٦. الأسئلة

خصائص النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد ميز الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وكرَّمه، وخصه بأشياء دون غيره من الأنبياء، فله صلى الله عليه وسلم خصائص لذاته في الدنيا، وله خصائص لذاته في الآخرة، وله

خصائص في أمته في الدنيا والآخرة، ومن أجل ذلك جاءت هذه المادة مبينة وموضحة لبعض هـــذه الخصائص.

بعض من ألّف في خصائصه صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعــين .. أمــا بعــد: فحديثنا في هذه الليلة بمشيئة الله تعالى عن خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن معرفة ما يتعلق به واجب علينا، وأن نعرف له حقه، وأن نعرف مترلته وقدره، ومن معرفة مترلته وقــدره عليه الصلاة والسلام أن نعرف خصائصه صلى الله عليه وسلم، وذلك كله داخل في إيماننا بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فخصائصه عليه الصلاة والسلام: ما اختصه الله بها وفضله على سائر الأنبيــاء والخلق. والخصائص النبوية موضوع قد اعتنى به العلماء من أهميته، فتناولوه بحثاً وتأليفاً، وذكروا ما انفرد به عليه الصلاة والسلام عن إخوانه الأنبياء والمرسلين، كما ذكروا ما انفرد به عن سائر أمتــه، وممن ألف في هذا: الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى في كتابه بداية السول في تفضيل الرسول ، وكذلك الإمام ابن الملقن رحمه الله في كتابه خصائص أفضــل المخلــوقين ، ومنــهم مــن أدرج الخصائص في مؤلف من المؤلفات التي كتبها، مثل الحافظ الإمام أبي نعيم الأصــفهاني رحمــه الله في كتاب دلائل النبوة ، و الحافظ البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة ، والحافظ القاضي عيــاض رحمه الله في كتابه الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى ، وكذلك ابن الجوزي رحمــه الله في الوفــاء لأحوال المصطفى ، وكذلك ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية و الفصول في سيرة الرسول ، وكذلك النووي رحمه الله في تهذيب الأسماء واللغات . كل هؤلاء العلماء وغيرهم قد جعلوا أبواباً في مصنفاتهم عن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، هذه الخصائص التي معرفتها تزيده عليه الصــلاة والسلام في أعيننا قدراً، وتجعلنا نحبه ونعرف مترلته أكثر، وتجعلنا نزداد به إيماناً، ونزداد له تبجــيلاً، ونزداد له شوقاً ويقيناً صلى الله عليه وسلم، لأن من واجباتنا أن نعرف أحوال نبينا عليــه الصــلاة والسلام، ومن كمال الإيمان والتصديق به أن نعرف له من الخصائص والميزات عليه الصلاة والسلام. إن هذه الخصائص-أيها الإخوة!- منها ما اختص به عليه الصلاة والسلام في ذاته في الدنيا، ومنها ما اختص به في ذاته في الآخرة، ومنها ما اختصت به أمته في الدنيا، ومنها ما اختصــت بــه أمتــه في الآخرة.

خصائصه صلى الله عليه وسلم في الدنيا:

فنريد أن نتناول شيئاً مما اختص به عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة:

أخذ الله العهد من الأنبياء والمرسلين باتباع النبي صلى الله عليه وسلم إذا ظهر فيهم فمن خصائصــه عليه الصلاة والسلام، وهي خاصية عجيبة: أن الله عز وجل قد أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، أنه إذا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في

عهده وبعث أنه سيؤمن به ويتبعه، ولا تمنعه نبوته من أن يتابع نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وكل نبي أخذ العهد والميثاق على أمته أنه لو بعث محمد بن عبد الله فيهم أن يتابعوه عليه الصلاة والسلام، لا يتبعون نبيهم بل يتبعون محمداً عليه الصلاة والسلام إذا ظهر فيهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ [آل عمران:٨١] من هو هذا الرسول؟ هو محمد عليه الصلاة والسلام، قال: قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ [آل عمران:٨١] ميثاق مأخوذ على جميع الأنبياء وعلى جميع الأمم، أن محمداً عليه الصلاة والسلام إذا بعث فيهم أن يتبعوه وأن يؤمنوا به وأن ينصروه، وقال علي رضي الله تعالى عنه: [ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه ميثاقاً لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته] أمر كل نبي أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، ولذلك لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب وقال: (أمتهوكون فيها يا بن الخطاب ...) التهوك: الوقوع في الأمر بغير روية، وهو التحير أيضاً: (أمتهوكون فيها يا بن الخطاب ، والذي نفسي بيده! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده! لو أن موسى -صلى الله عليه وسلم- كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني . فإذاً: محمد عليه الصلاة والسلام لو وجد في أي عصر لكانت طاعته مقدمة، والإيمان به مقدماً، ومتابعته مقدمة.

عمومية رسالته صلى الله عليه وسلم:

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن رسالته عامة لجميع البشر، فقد كان الأنبياء والرسل يبعثون إلى أقوامهم خاصة، كل نبي إلى قومه خاصة، كما قال الله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ [نوح:١] .. وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً [الأعراف:٦٥] .. وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً [الأعراف:٧٣] .. وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ [الأعراف:٨٠] .. وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً [الأعراف:٨٥] وأما النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال الله تعالى في شأنه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً [سبأ:٢٨] .. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً [الأعراف:١٥٨] فإذاً: لو قال يهودي أو نصراني في هذا الزمان ليس محمد بنبينا، نبينا موسى، نقول: نبيك محمد رغماً عنك، نبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجب عليك أن تؤمن به: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً [الفرقان:١] .. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء:١٠٧] قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس، ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته، ولنبينا صلى الله عليه وسلم ثواب

التبليغ إلى كل من أرسل إليه، فإذاً النبي عليه الصلاة والسلام له أجر كل الإنس الذين اتبعوه، وله أجر كل الجن الذين اتبعوه إلى قيام الساعة، ولذلك فهو أكثر الأنبياء أجراً، ولا يوجد لواحد من الأنبياء أتباع مثل أتباع نبينا عليه الصلاة والسلام، فهو أكثر الأنبياء أتباعاً على الإطلاق. والدليل على أن اليهود والنصارى في زماننا هذا مخاطبون بالإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام واتباعه، وأن من لم يؤمن بنبينا من اليهود والنصارى وغيرهم من الهندوس والسيخ والمجوس وسائر الكفرة أنه في النار، قوله عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني) والمقصود بالأمة أمة الدعوة، واليهود والنصارى داخلون في أمة الدعوة لا أمة الإجابة الذين استجابوا له عليه الصلاة والسلام، فقوله: (والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة -وهي أمة الدعوة يعني: الذين أرسل إليهم، كل العالم- يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) رواه مسلم رحمه الله في صحيحه ، وقال صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، ومنها وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)، وفي رواية: (كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود) رواهما مسلم رحمه الله، حتى الجن: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ [الأحقاف:٢٩] ينذرونهم عذاب الله، ويخوفونهم ما سمعوا. فإذاً: الرسل من الإنس والجن منهم دعاة إلى قومهم، والرسل من الإنس، والجني يمكن أن يسمع الإنسي، وأن يسمع كلام النبي عليه الصلاة والسلام، بخلاف الإنسي فإنه ربما لا يتمكن من سماع الجني لو كان الرسول من الجن؛ ولذلك كان الرسل من الإنس، والجن منهم دعاة ومنذرون، فهؤلاء الجن الذين سمعوا القرآن يتلى منه عليه الصلاة والسلام، ولوا إلى قومهم منذرين، وهذه آية في كتاب الله تتعلق بالموضوع، فيها بشارة وبيان ميزة للنبي عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً [الفرقان:٥١] فهذه منة من الله على النبي عليه الصلاة والسلام، يقول له: لو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً لكن مننا عليك وبعثناك لكل القرى نذيراً وبشيراً فصار تابعوك من كل القرى، المؤمنون لك مثل أجرهم، وأنت رسول إليهم جميعاً، فلم نبعث بعدك ولا معك رسلاً إلى الأقوام الآخرين وإلى غير العرب، بل بعثناك للجميع: وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً [الفرقان:٥١] فهذا وجه التمنن، أنه لو بعث في كل قرية نذيراً لما حصل لرسوله صلى الله عليه وسلم إلا أجر إنذاره لأهل قريته، مكة ، أو للعرب لكنه بعثه للجميع. وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: [إن الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: يا بن عباس بم فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [الأنبياء:٢٩]، وقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [الفتح:١-٢] قالوا: يا بن عباس

فما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [إبراهيم:٤] وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ [سبأ:٢٨] -فأرسله إلى الجن والإنس-].

النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين:

من خصائصه عليه الصلاة والسلام أن الله ختم به الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده فهو آخر نبي، وأكمل به الدين، وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، فمن ادعى الرسالة بعده فهو كذاب أفاك دجال: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب:٤٠] فإذا جاء غلام أحمد القادياني وقال: أنا نبي، وإذا جاء بهاء الله ، زعيم البهائية وقال: أنا نبي، وإذا جاء أي واحد دجال كذاب في هذا الزمان أو في غيره وقال: أنا نبي، فنقول: أنت كذاب لأن الله قال: ((وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب:٤٠] فليس بعده نبي. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة) القطعة من الطين التي تعجن وتعد للبناء، ويقال لها إن لم تحرق لبنةً، وإذا أحرقت صارت آجرة، الآجر: هو اللبن المحروق، (إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به- بهذا البيت- ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة) ما بقي لإكمال البناء إلا هذه اللبنة، لو جاءت هذه اللبنة كان ما أحسن هذا البيت، فالبيت كامل كله إلا أن اللبنة تنقصه (قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) رواه البخاري رحمه الله. ولذلك يوم القيامة لما يفزع الناس إلى الأنبياء، آخر واحد عيسى عليه السلام فيردهم إلى محمد عليه الصلاة والسلام، فيأتي الناس إلى محمد، يقولون: يا محمد! أنت رسول الله وخاتم النبيين، وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: (فضلت على الأنبياء بست- ومنها- وخُتم بي النبيون)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، فشق ذلك على الناس، قال: ولكن المبشرات) يعني: بقي المبشرات، صحيح أن النبوة انتهت الآن فلا يأتي نبي، لكن بقي المبشرات (قالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وهو في صحيح الجامع. وهذا يدل على أن الرؤيا الصالحة الباقية التي قد يكون فيها إنذار من شيء خطير أو تبشير ببشرى لمؤمن يراها أو ترى له حق، حيث أن النبوة فيها وحي وإخبار عن الغيب، واشتركت الرؤيا مع النبوة في مسألة الإشعار بشيء قد يحدث في المستقبل، ولذلك كانت الرؤيا جزءاً من النبوة، وإلا فهناك فرق كبير بين الرؤيا والنبوة لا شك في هذا، ولكن لماذا كانت الرؤيا جزءاً من النبوة؟ ما هو وجه الاشتراك بين الرؤيا والنبوة؟ في النبوة إخبار عن المغيبات والأشياء المستقبلية، وكذلك البشارات والإنذارات، وقد يكون في بعض الرؤى الصالحة التي يراها المؤمن أو ترى له إنذار من شيء سيحدث، أو بشارة لشخص، فلذلك كانت جزءاً من النبوة، والنبي صلى الله عليه وسلم من أسمائه

التي أخبر عنها، قال: (وأنا العاقب -والعاقب: فسره، قال:- الذي ليس بعده أحد) رواه البخاري ، فليس بعده نبي، وقال صلى الله عليه وسلم: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء) رواه البخاري . والنبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة إلى العالمين: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء:١٠٧] وهو عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رءوف رحيم.

النبي صلى الله عليه وسلم أمنة لأصحابه:

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه أمنة لأصحابه، أمنة: أمان لأصحابه، أكرمه الله تعالى، وأكرم أصحابه بأن جعل وجوده بينهم أماناً لهم من العذاب، بخلاف الأمم السابقة، فقوم نوح ماذا حصل لهم؟ عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، وقوم هود عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، وقوم صالح عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، وقوم شعيب عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، أما النبي عليه الصلاة والسلام من خصائصه أن وجوده عليه الصلاة والسلام في أمته أمان لهم من الفناء والعذاب، فلا يأتي عذاب عام فيهلكهم، قال الله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال:٣٣] مع أنهم يستحقون العذاب، فهم كفرة مشركون، كفار قريش متجبرون طغاة، ومع ذلك قال: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال:٣٣]، وكذلك فإنه عليه الصلاة والسلام رفع رأسه مرة إلى السماء بعدما صلى بالقوم المغرب، جلس وسألهم ما الذي أجلسهم، قال: ما زلتم هاهنا، قالوا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء -ينتظرون الصلاة بعد الصلاة رباط في سبيل الله- قال: أحسنتم أو أصبتم، فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، وهذا في غير الصلاة، فقال: (النجوم أمنة للسماء) فما دامت النجوم باقية فالسماوات باقية، يوم القيامة إذا النجوم انكدرت وتناثرت فاعلم أن السماء ستتشقق وستذهب، وتنفطر وتزول، فإذا كانت النجوم موجودة فالسماء بخير وموجودة، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت، فاعلم أن السماء ستذهب (وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي -من البدع- فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون -من التفرق وانفتاح باب البدعة-) رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه .

لم يقسم الله بنبي غيره صلى الله عليه وسلم:

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن الله أقسم به و لم يقسم بنبي غيره، فقال عز وجل: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ [الحجر:٧٢] فأقسم الله بالنبي عليه الصلاة والسلام في قوله لعمرك، ومعنى لعمر: قسم بحياته عليه الصلاة والسلام، يقسم بعمره وحياته وبقائه، فكأنه يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا، لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ [الحجر:٧٢].

إقسام الله بحياة النبي صلى الله عليه وسلم:

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن الله أقسم بحياته والله يقسم بما يشاء من خلقه، ولكن المخلوقين لا يجوز أن يقسموا إلا بالخالق، ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، فالإقسام بحياته عليه الصلاة والسلام يدل على شرف حياته وعزها، ونفاستها ومترلتها عند المقسم بها وهو الله تعالى.

مخاطبة الله له بالنبوة والرسالة لا باسمه صلى الله عليه وسلم :

ثم لاحظ أيضاً من الخصائص النبوية: أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، و لم يخاطب نبينا عليه الصلاة والسلام باسمه، يناديهم بأسمائهم، فقال: يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ [البقرة:٣٥].. قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا [هود:٤٨] .. قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ [الأعراف:١٤٤] .. ... يا إبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا [الصافات:١٠٤-١٠٥] .. يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ [المائدة:١١٠] في آيات كثيرة، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فلم يناده ربه ولا مرة: (يا محمد!) لكنه ناداه وخاطبه بالنبوة والرسالة، فقال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ [المائدة:٤١]، وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ [الأنفال:٦٤] فزيادة في التشريف والتكريم له خاطبه بالنبوة والرسالة، وبقية الأنبياء خاطبهم بأسمائهم، ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد من الأوصاف العلية والأخلاق السمية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام، فإن الذين دعوا بالوصف أعلى مترلة من الذين دعوا بالاسم، فلو قال مثلاً وهو يخاطب أحد عبيده: يا أيها الأمين، يا أيها الذكي، يا أيها الخبير، غير ما يقول مثلاً: يا مرجان، يا فلان، فإذاً الله سبحانه وتعالى خاطبه بمقام الرسالة، وخاطبه بمقام النبوة، ولما ذكر اسمه في القرآن قرنه بذلك: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ [الفتح:٢٩] .. وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ [محمد:٢] .. وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ [آل عمران:١٤٤] فهو ليس نداءً وخطاباً، وإنما لما ذكر اسمه قرنه بالنبوة والرسالة. ثم من أمر الأمة لتوقيره عليه الصلاة والسلام: أن الله نهى المؤمنين أن يخاطبوه باسمه، قال سبحانه وتعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً [النور:٦٣] بينما بنو إسرائيل: قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف:١٣٨] .. إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ [المائدة:١١٢] لكن الصحابة لا يمكن أن ينادوا النبي عليه الصلاة والسلام باسمه، إنما يقولون: يا رسول الله! يا نبي الله!

النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم:

وكذلك فإنه عليه الصلاة والسلام قد أوتي جوامع الكلم، وتضمن كلامه الحكم البالغة، والمعاني العظيمة في الألفاظ القليلة، والعبارات اليسيرة، ولذلك عندما يقول العلماء مثلاً: (إنما الأعمال بالنيات) .. (ودع ما يريبك إلى مالا يريبك) يقول: هذه ربع العلم، هذه ثلث العلم، هذه عبارات جامعة، (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) عبارات جامعة، فصاحة لا توازى، وبلاغة لا تبارى.

النبي صلى الله عليه وسلم نُصِر بالرعب:

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه نصر بالرعب وهو: الفزع والخوف يلقيه الله في قلوب أعدائه والنبي عليه الصلاة والسلام متجه إليهم، أو ينوي أن يتوجه إليهم، فيخافونه وهو على بعد شهر، وعلى بعد شهر يلقى الرعب في قلوبهم، فلا يملكون لأنفسهم استعداداً أو منعة منه، وإنما تنحل عزائمهم، وينفرط أمرهم، ويخافون غاية الخوف، فقال عليه الصلاة والسلام: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ... الحديث) رواه البخاري رحمه الله.

النبي صلى الله عليه وسلم أعطي مفاتيح خزائن الأرض:

وكذلك فإنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض، فقال عليه الصلاة والسلام في خصائصه: (... أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ...) وليست كل البلدان فتحت في وقته عليه الصلاة والسلام، لكن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام أكمل المشوار وأكمل الطريق وأكمل الاستيلاء على الخزائن أصحابه، ولذلك قال أبو هريرة بعدما ذكر الحديث، قال: (... وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تمتثلونها -يعني: تستخرجونها-) رواه البخاري . وقال عليه الصلاة والسلام: (... وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ...)والكنز الأحمر: الذهب، والأبيض: الفضة، لأن أكثر مال الروم كان فضة، وأكثر مال الفرس كان ذهباً، فقال لهم: إن بلاد الفرس والروم ستسقط.

النبي صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

وهو عليه الصلاة والسلام الوحيد الذي أخبر بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كل الأنبياء يوم القيامة يقولون: نفسي نفسي، كل واحد يذكر ذنباً؛ آدم يذكر خطيئته، ونوح يذكر دعوته على قومه، وموسى يقول: قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، وإبراهيم يقول: كذبت ثلاث كذبات، أما النبي عليه الصلاة والسلام فلا يقول شيئاً لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [الفتح:١-٢] و لم ينقل أن الله أخبر أحداً من أنبيائه بمثل ذلك، بل ظاهر قولهم في الحديث: نفسي نفسي، أنهم ليس عندهم مثلما للنبي صلى الله عليه وسلم: وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ [الشرح:٢-٣] فالناس يوم القيامة يذهبون إليه عليه الصلاة والسلام، يقولون: (يا محمد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ...) لماذا؟ لأن عيسى بن مريم لما حولهم قال لهم: (لست مناكم ولكن اذهبوا إلى محمد فهو عبد قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) والحديث في البخاري .

حفظ الكتاب الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم:

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام وهي خصيصة مهمة جداً جداً، متعلقة بنا نحن اليوم: أن كتابه محفوظ فقد أعطى الله كل نبي من الأنبياء من الآيات والمعجزات حجة له على قومه وبرهاناً على

صحة ما جاء به، وأنه نبي، وكان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الكبرى هي القرآن الكريم، فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام أن معجزته باقية، وأما معجزات الأنبياء كلها قد تصرمت وانقرضت وبقيت معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم، حتى التوراة والإنجيل تحرفت وتغيرت وتبدلت، أما كتاب هذه الأمة، قال الله فيه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:٩] .. وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت:٤١-٤٢]، قال عليه الصلاة والسلام: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أعطي معجزات من أجل أن يؤمن البشر حتى لا يقولوا: وما أدرانا أنك نبي، أثبت لنا أنك نبي، فيقول: هذه ناقة الله لكم آية، ويقول هود: فكيدوني جميعاً، كيدوني ولن تستطيعوا أن تفعلوا لي شيئاً، وهذا موسى ألقى العصا وأخرج يده بيضاء، وهذا عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم، يقول: في بيتك رز، في بيتك عدس، في بيتك سكر، في بيتك كذا، يخبرهم بما يدخرون في بيوتهم، ونبينا عليه الصلاة والسلام له معجزات، أهم معجزة: هي القرآن الكريم، معجزة باقية لا تغيير ولا تبديل فيها. وهذه قصة عجيبة: قال يحيى بن أكثم : دخل يهودي على الخليفة المأمون فتكلم فأحسن الكلام، فدعاه المأمون إلى الإسلام، فأبى اليهودي، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلم في الفقه فأحسن الكلام، فقال له المأمون : ما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك -أنا لما خرجت من عندك- قبل سنة وأحببت أن أمتحن هذه الأديان، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني -راجت واشتروها آل يهود، اشتروها بسرعة- وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني -راجت ونفقت مع أنها محرفة، هو بنفسه حرفها- وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها على الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها ولم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة في الحج، فذكرت له القصة، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله تعالى، قلت: في أي موضع، قال: في قوله تعالى في التوراة والإنجيل: بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ [المائدة:٤٤] فجعل حفظه إليهم -إلى الأحبار والرهبان- فضاع، وقال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:٩] فجعل حفظه إليه: فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع.

الإسراء والمعراج:

من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم: الإسراء والمعراج، وتحضير الأنبياء له في السماوات يستقبلونه، وأنه عليه الصلاة والسلام أَمَّهم جميعاً فكانوا وراءه، هو الإمام وهم المأمومون، والدليل على ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد رأيتني في حجر- بعد ما رجع في حجر- وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها) -

يعني: أنا لما كنت في بيت المقدس ما حفظت التفاصيل سألوني عنها بعدما رجعت- (فكربت كربة ما كربت مثلها، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه) -أنقذ الله نبيه ورفع له بيت المقدس أمامه وهو في مكة ، أمامه ينظر إليه وعن أي شيء يسألونه يعطيهم التفاصيل، فهو يراه وهم لا يرونه، وهم يسألونه وهو يجيب من الواقع حياً على الهواء- (ما يسألوني شيئاً إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فوصفه ثم قال: فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار -فسلم عليه- فالتفت إليه فبدأني بالسلام) رواه مسلم رحمه الله.

خصائصه صلى الله عليه وسلم في الآخرة:

النبي صلى الله عليه وسلم له الوسيلة والفضيلة:

من خصائص نبينا عليه الصلاة والسلام: أن له الوسيلة والفضيلة، فالوسيلة الراجح أنها هي منزل النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة، وهي داره، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، قمة الجنة هي الوسيلة، درجة في الجنة لا ينالها إلا واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها غيره، من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة) رواه البخاري ، وفي حديث آخر قال: (ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) رواه مسلم ، وفي رواية لأحمد وهي في صحيح الجامع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة). الوسيلة حاصلة للنبي عليه الصلاة والسلام فنحن لماذا ندعو؟ نحن ندعو أن يؤتيه الله الوسيلة حتى نستفيد نحن وننال الشفاعة؛ لأن من سأل له الوسيلة حلت له الشفاعة، فإذا أردت يا عبد الله! أن تنال شفاعة رسول الله فسل الله الوسيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك نحن نقول هذا الذكر من الأذكار بعد الأذان: (آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً) وهذه من خصائصه عليه الصلاة والسلام الأخرى: المقام المحمود.

النبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب المقام المحمود:

والمقام المحمود: الشفاعة: وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً [الإسراء:٧٩] قال ابن جرير الطبري رحمه الله: أكثر أهل العلم على أن ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم، لأن الناس يكربون يوم القيامة كربة عظيمة حتى يتمنى الكفار الانفكاك من الموقف ولو إلى النار، ولأن الشمس دنت من رءوس العباد فصهروا في عرقهم، وهم قيام على أرجلهم، وخمسون ألف سنة، فيتمنون الفكاك ولو إلى النار، والناس يفزعون يريدون الفكاك، يطوفون على الأنبياء

واحداً واحداً لينفرج الموقف ولتنفك الأزمة، كل يحولهم، حتى يصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقوم ويستأذن على ربه ويدخل عليه ويسجد تحت العرش السجدة الطويلة التي يفتح الله عليه فيها بمحامد وأدعية لا نعرفها، ثم يقول: (يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع)، فيعطى الشفاعة في أهل الموقف، فيبدأ الحساب وتنفك أزمة الموقف، ثم تبدأ قضية أخرى وهي قضية الحساب، ويقضي الله تعالى بين الخلق، ويأتي الله تعالى بكرسيه لفصل القضاء بين الخلق، والناس جثي، كل أمة جاثية، كل أمة تتبع نبيها، فهذا المقام المحمود يحمده عليه كل الخلق لأنه سبب فك الأزمة وانفضاض الناس من الموقف للحساب، وله عليه الصلاة والسلام في هذا الموطن شفاعات متعددة: شفاعة في استفتاح باب الجنة، وشفاعة في تقديم من لا حساب عليه لدخول الجنة، وشفاعة في ناس من الموحدين عندهم معاصٍ وذنوب، استحقوا دخول النار ألا يدخلوها، وشفاعة في ناس موحدين دخلوا النار أن يخرجوا منها، وشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة، وشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب . فالنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي يستفتح باب الجنة فيشفع لهم عند الله تبارك وتعالى، فيدخل ويدخلون وراءه، والنبي صلى الله عليه وسلم الذي يشفع لمن لا حساب عليه من أمته كما جاء في الحديث بعد ما ينادي: يا رب! يا رب! أمتي يا رب! فيقول: (يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) رواه البخاري . ثم إن له في عمه أبي طالب موقفاً، تكريماً للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم أخو أبي طالب ، فالعباس أسلم وكان قلقاً على مصير أخيه أبي طالب ، فقال: (يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء؟) أبو طالب مات كافراً وسيدخل النار قطعاً، فحق وعيد (هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك-كان يصونك ويحافظ عليك، ويذب عنك وينافح- قال النبي عليه الصلاة والسلام: نعم نفعته، هو في ضحضاح من نار-ضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض فاستعير في النار، فقال: هو في ضحضاح من نار- ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) رواه مسلم ، وفي رواية: أن العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام، قال: (يا رسول الله! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح) ومعنى الغمرات: المعظم من الشيء الكبير، لكن هذا الضحضاح ليس بنعيم إطلاقاً، فإن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، قال أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذُكِر عنده عمه أبو طالب ، فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه) رواه البخاري ، (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه) رواه مسلم . فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من النار، وأن يقينا عذاب النار. وللنبي عليه الصلاة والسلام دعوة مستجابة خبأها لأمته من كمال

شفقته عليهم، ورأفته بهم، واعتنائه بمصالحهم، وقيل: الدعوة هذه هي الشفاعة المعطاة للنبي صلى الله عليه وسلم.

خصائصه في أمته صلى الله عليه وسلم :

لقد كانت للنبي عليه الصلاة والسلام خصائص في أمته، فجعلت أمته خير الأمم، وأحلت الغنائم لهم، وكانت الغنائم من قبل تأتي النار من السماء فتأكلها، وجعلت الأرض لهم مسجداً وطهوراً، ووضع عنهم الآصار والأغلال، وهداهم الله إلى يوم الجمعة، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وحفظهم من الهلاك والاستئصال، فلا يمكن أن يترل بأمة محمد صلى الله عليه وسلم عذاب يفنيهم تماماً، ولا يمكن أن يُسلط عليهم عدو يستبيح بيضتهم كلهم إطلاقاً، ولا تجتمع أمته على ضلالة، وهم شهداء الله في أرضه، وشهداء للأنبياء يوم القيامة، وصفوفهم كصفوف الملائكة في الصلاة، وهم غر محجلون يوم القيامة؛ بياض في جباههم ومواضع الوضوء منهم، وأول من يجتاز على الصراط أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمامهم، وأول أمة تدخل الجنة وهو أولهم، وأن عملهم قليل وأجرهم كثير؛ فأعمارنا بالنسبة لأعمار بقية الأمم أقل، ولكن من يدخل الجنة من هذه الأمة أكثر، ثلثا أهل الجنة من هذه الأمة.

خصائصه صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور والأحكام:

لقد كان للنبي عليه الصلاة والسلام خصائص في بعض الأحكام، فمثلاً:

لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أخذ شيء من الزكاة أو الصدقة

لا يجوز له أن يأخذ من الزكاة ولا من الصدقة؛ لأن هذه أوساخ الناس، ولا تليق بالنبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك لما رأى في يد الحسن تمرة من تمر الصدقة قال له: (كخ .. كخ .. أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) وكان يأكل الهدية عليه الصلاة والسلام.

يحرم عليه صلى الله عليه وسلم إمساك أي امرأة لا تريده:

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه يحرم عليه إمساك أي امرأة لا تريده، إذا أرادت أي امرأة فراقه يجب عليه أن يمكنها من الفراق، بينما بقية الرجال لا يلزم أحدهم إذا كرهته زوجته أن يطلقها، لكن النبي عليه الصلاة والسلام ملزم، ولذلك جاء في صحيح البخاري أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (إن ابنت الجوني -هذه بنت من ملوك العرب كانت جميلة جداً جداً- خطبها النبي عليه الصلاة والسلام وتزوجها ولما أدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها، قالت: أعوذ بالله منك) المرأة نفرت ثم ندمت ندماً لا يوصف، لكن هذا الذي حصل، فأول ما دخل عليها قالت: (أعوذ بالله منك، فقال لها: لقد عذتِ بعظيم .. الحقي بأهلك) رواه البخاري . فحرِّم عليه نكاح كل امرأة كرهت صحبته، ولاشك أن المرأة هذه ليست بمستوى أن تكون من أمهات المؤمنين، ولذلك ما أكملت الطريق وأخرجت من الحسبة.

لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم التراجع عن قرار الحرب:

والنبي عليه الصلاة والسلام إذا لبس لباس الحرب لا يمكن أن يخلعه ولا يمكن أن يتراجع في قرار الحرب، إذا اتخذ قرار الحرب ولبس اللأمة لابد من إكمال المشوار.

ليس للنبي صلى الله عليه وسلم خائنة الأعين:

إن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له خائنة الأعين، بمعنى أنه لا يجوز له ولا يليق بمقامه أن يشير بعينه إشارة خفية ولو إلى شيء مباح، مثل قتل شخص مهدور الدم، ولذلك لما أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، لأنه كان ممن أنشد الشعر في سب النبي عليه الصلاة والسلام، فأي واحد سب النبي عليه الصلاة والسلام يقتل مباشرة، وقد أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دم نفر من المشركين يوم فتح مكة ، ومن الناس الذين أهدر دمهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، عبد الله بن سعد بن أبي سرح توجه إلى عثمان أخيه من الرضاعة واختفى عنده، فلما دعا النبي عليه الصلاة والسلام الناس إلى البيعة جاء عثمان بابن أبي سرح حتى أوقفه عند النبي عليه الصلاة والسلام، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاث مرات، ابن أبي سرح يطلب البيعة والنبي عليه الصلاة والسلام يأبى، ابن أبي السرح يطلب البيعة والنبي عليه الصلاة والسلام يأبى، ثم بعد الثلاث بايعه، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه: (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله) أليس فيكم واحد فهمها وقام وقتله؛ لأن هذا حكمه القتل، أي شخص يسب النبي عليه الصلاة والسلام يقتل مباشرة (فقالوا: ما ندري يا رسول الله! ما في نفسك –ما أدرانا أن هذه رغبتك– ألا أومأت إلينا بعينك –يعني: إشارة ونحن نقضي عليه– قال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين) رواه أبو داود وغيره، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التلخيص : إسناده صالح.

النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا يقول الشعر:

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة إطلاقاً، كما أن الله سبحانه وتعالى وصفه بقوله: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ [العنكبوت:٤٨] لا قراءة ولا كتابة، لماذا؟ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت:٤٨] لو أنك قارئ وكاتب لقالوا: هذا القرآن من الثقافات التي اطلع عليها وقرأها وتعلمها من الكتب، ثم جاء وكتب لنا هذا القرآن، فقال: أنت معروف من أول أمرك، لا قراءة ولا كتابة، فأنت أمي؛ لأن هذا يكون أبلغ، حتى القرآن لا يمكن لأحد أن يقول: تعلمه من غيره، وأنه كان يقرأ كتب ثقافات، فهو لا يعرف القراءة أصلاً، لا يوجد إلا مصدر واحد هو: الوحي، من أين تجيئه هذه الأخبار؟ أخبار السابقين بهذه التفصيلات، لا يعرف يقرأ ولا يكتب، فهذه ليست منقصة بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام، بل بالعكس هي في حقه كمال، فلو كان يعرف القراءة والكتابة، كان فتح باباً كبيراً للافتراء عليه. وكذلك فإنه عليه الصلاة والسلام لا يقول الشعر: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يس:٦٩] فهو لم يكن عالماً لا بصنوفه ولا

بأنواعه، ولذلك لما أراد أن يستشهد ببيت كَسَّره وقدَّم وأخر، ولما قال شيئاً قال رجزاً يسيراً، وشعراً غير مقصود، وشيئاً أتى وجرى على اللسان من غير قصد، مثل قوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

هذا من بحور الشعر وليس من القصائد، وإذا جاء ببيت أو بيتين من أبيات غيره كسرها وكسر الوزن: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يس:٦٩].

للنبي صلى الله عليه وسلم الوصال في الصيام:

النبي عليه الصلاة والسلام أبيح له الوصال في الصيام، يوالي الصيام ونحن لا نوالي، هذه من خصائصه، يختلف عنا فيها.

للنبي صلى الله عليه وسلم التزوج بدون ولي ولا شهود:

يتزوج عليه الصلاة والسلام من غير ولي ولا شهود، كما حصل أن الله سبحانه وتعالى زوجه زينب بنت جحش من غير ولي ولا شهود، نزل العقد من السماء، كانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، تقول: [زوجكن أهليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات] رواه البخاري.

للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجمع أكثر من أربع نسوة:

يجوز للنبي عليه الصلاة والسلام أن يجمع أكثر من أربع نسوة ونحن لا يجوز لنا أن نزيد على أربع، وفي ذلك فوائد كثيرة، منها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة، فعنده نساء متعددات وتتشرف قبائل العرب بمصاهرته ويزيد ذلك في تأليفهم، وتكثر عشيرته من جهة نسائه فيزداد أعوانه ويحاربون معه وينصرون الدين، وكذلك نقل الأحكام الشرعية من جهة عدد أكبر من النساء، لأن بعض الأشياء لا يطلع عليها إلا الزوجات، كبعض الأشياء الداخلية في البيوت، وصار عندنا عدد من أمهات المؤمنين، كذلك ألف الله قلوب أعدائه من بعض هذه الزواجات: أم حبيبة أبوها كان من أعدائه، و صفية ألف الله قلبها على الإسلام، وهكذا حصلت من البركة في زواجه عليه الصلاة والسلام.

أحل للنبي صلى الله عليه وسلم القتال في مكة ساعة من نهار:

أحل له القتال في مكة ساعة من نهار فقط، و لم يحل لأحد آخر غيره، ولا يجوز القتال في مكة إطلاقاً، إلا النبي عليه الصلاة والسلام أحلت له ساعة كسر بها الشرك ودمر بها الأوثان والأصنام. وعصمه الله سبحانه وتعالى، فلا يقول الباطل وكل من استهان به عليه الصلاة والسلام أو سبه فإنه يكفر مباشرة وعقوبته القتل، ومن الأحكام التي قد يستغربها بعض الناس، لكن هذا هو الراجح: أن الذي يسب النبي عليه الصلاة والسلام يقتل ولو تاب، بينما الذي يسب الله تعالى إذا تاب انتهى، يعفى عنه لماذا؟ لأن الله غفور رحيم، والله سبحانه وتعالى بيَّن أن من أخطأ في حقه تعالى ثم تاب فإنه يغفر له، لكن

الذي يسب النبي عليه الصلاة والسلام جاءت النصوص بقتله، فعرفنا الآن أن هناك حداً شرعياً في كل من يسب النبي عليه الصلاة والسلام وهو القتل، من الذي يملك إسقاط الحد هذا؟ هو عليه الصلاة والسلام، إذا تنازل سقط الحد، أما إذا لم يتنازل فيقام الحد، فلو أن واحداً جاء وسب النبي عليه الصلاة والسلام في حياته عليه الصلاة والسلام، مثل ابن أبي سرح فإن النبي عليه الصلاة والسلام سكت عن حقه وبايعه، فابن أبي سرح تُرك، أما غيره كثير قد قتلوا، أرسل لهم من يغتالهم في بيوتهم، وعلى فرشهم، وبين زوجاتهم، وخارج حصونهم، والأعمى في المدينة كانت له أمة تخدمه وتحوطه وترعاه لكنها كانت تسب النبي عليه الصلاة والسلام فقتلها هذا الأعمى، وأهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمها، والآن بعد ممات النبي عليه الصلاة والسلام لو جاء واحد وسب النبي عليه الصلاة والسلام يترتب عليه أمران: أولاً: انتهاك حق الله تعالى؛ لأنه عصى الله، وهذا معروف، وهذا يمكن أن يستدرك بالتوبة. ثانياً: انتهاك حرمة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا حده القتل، إلا إذا تنازل النبي عليه الصلاة والسلام، وبما أنه قد مات عليه الصلاة والسلام فلابد من إقامة الحد، فالذي يسب النبي عليه الصلاة والسلام ويتوب فإن توبته تنفع عند الله، لكن لابد من قتله، هذا هو الراجح في مسألة سابِّ النبي عليه الصلاة والسلام، دمه مهدور مباشرة، ويرفع أمره إلى الحاكم الشرعي ليطبق حد الله فيه، يشهد عليه ويرفع أمره، أي واحد يسب النبي عليه الصلاة والسلام يشهد عليه ويرفع أمره ويبت في قتله.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه وهو يصلي:

ثم إنه عليه الصلاة والسلام من خصائصه: أنه كان يرى من خلفه في الصلاة مع أن وجهه إلى القبلة لكنه يرى الصفوف التي خلفه، ويرى لو أن واحداً متقدم أو متأخر، ولما غشي على أسماء في قصة الكسوف وقامت وأكملت صلاتها بدون وضوء، والعلماء صححوا صلاة من غشي عليه وقام، والغشيان غير الإغماء، فهو درجة أخف، من غشي عليه وقام وأكمل الصلاة صححوا صلاته، بأي شيء؟ لأن أسماء كانت وراء النبي عليه الصلاة والسلام وكان يشاهد من خلفه، وقامت أسماء وأكملت بعد الغشيان من غير وضوء وما أنكر عليها عليه الصلاة والسلام، معناها أن صلاة المغشي عليه إذا غشي عليه وقام صحيحة. وذلك لأنه ليس نوماً وإنما هو دوخة خفيفة يمكن أن نسميها هكذا.

النبي صلى الله عليه وسلم لا يورِّث، وأزواجه لا يجوز الزواج بهن، ولا يتمثل الشيطان به في المنام:

النبي عليه الصلاة والسلام لا يورث، وأي مال يتركه فهو لبيت مال المسلمين، وأزواجه لا يجوز الزواج بهن بعد موته بل هن أمهات المؤمنين، ولا يتمثل الشيطان به في المنام.

دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على شخص تنقلب رحمة وبركة:

وأخيراً: أي واحد من المسلمين سبه النبي عليه الصلاة والسلام أو شتمه أو دعا عليه فإن هذه الدعوة تنقلب في حق هذا الرجل المدعو عليه رحمة وبركة؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال لبعض أصحابه أشياء: تربت يمينك، لا كبر سنك، لا أشبع الله بطنه .. كذا .. كذا إلى آخره، فمرة أودع النبي عليه الصلاة والسلام عائشة أسيراً فهرب منها، مع أنها موكلة بحراسته فهرب، فلما علم عليه الصلاة والسلام، قال: (قطع الله يدك -يعني: لماذا لم تنتبهي لهذا الأسير- فقعدت عائشة تنتظر، قال: ما بالك؟ قالت: دعوت علي أن تنقطع يدي، قال: أما علمتِ المسألة التي سألتها ربي أو كما قال عليه الصلاة والسلام قلت: اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر -يعني: أغضب كما يغضب البشر- فأي المؤمنين آذيته -شتمته، أو دعوت عليه، أوجلدته، شرط أن يكون من المؤمنين- فاجعلها له صلاةً وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة) رواه البخاري و مسلم وهذا لفظ مسلم ، يعني: حتى لو سب أحد المسلمين فهو في صالحه، صلى الله وسلم على نبينا محمد، فماذا بقي من شمائل هذا النبي الكريم وكل شمائله -والحمد لله- وخصائصه بركة وخير ورحمة لهذه الأمة؟!! نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا شفاعته، وأن يجعلنا من أهل ملته وسنته، وأن يحيينا على سنته ويميتنا عليها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

====================

خطورة الرسوم الكرتونية الدنماركية

جريدة الوطن

بقلم: روبرت فيسك

كاتب بريطاني، خدمة الإندبندنت (خاص "الوطن")

إذا لقد نشروا الآن صوراً كرتونية للنبي محمد وعمامته على شكل قنبلة. تم سحب السفراء من الدنمارك، واحتج السوريون والسعوديون، ودول الخليج تفرغ رفوف مخازنها من المنتجات الدنماركية، ومسلحون في غزة يهددون الاتحاد الأوروبي والصحفيين الأجانب في الدنمارك. يقول رئيس القسم الثقافي في المجلة التي نشرت الرسوم فيلمينج روز إننا نشهد الآن "صراع حضارات" بين الغرب العلماني والمجتمعات الإسلامية. هذا يثبت على ما أعتقد أننا نشهد صبيانية الحضارات.

إذا لنبدأ في قسم الحقائق الداخلية، هذه ليست قضية العلمانية مقابل الإسلام، بالنسبة للمسلمين، النبي هو الرجل الذي استلم كلمات مقدسة من الله، نحن نرى قديسينا وأنبياءنا على أنهم شخصيات تاريخية ربما تتناقض مع تقدمنا التكنولوجي وحريات حقوق الإنسان. لكن الحقيقة هي أن المسلمين يعيشون ديانتهم. نحن لا نفعل ذلك. لقد حافظوا على ديانتهم خلال تقلبات تاريخية كثيرة، نحن

فقدنا ديننا منذ أن كتب ماثيو أرنولد عن "زئير البحر الطويل المتراجع"، لذلك نحن نتحدث "الغرب مقابل الإسلام" بدلا من "المسيحية مقابل الإسلام" لأنه لا يوجد في أوروبا الكثير من المسيحيين.

إن بإمكاننا أن نمارس ثقافتنا حول المشاعر الدينية، إنني أتذكر كيف أنه منذ أكثر من عقد من الزمن، ظهر المسيح في أحد الأفلام "آخر إغراءات المسيح" وهو في وضع مشين مع امرأة، في باريس، أضرم أحدهم النار في السينما التي كانت تعرض الفيلم، مما أدى إلى مقتل شاب فرنسي، وأذكر أيضا أن جامعة كبيرة في الولايات المتحدة دعتني لإلقاء كلمة منذ ثلاث سنوات، وفعلت ذلك. كان عنوان المحاضرة "١١ سبتمبر ٢٠٠١: اسألوا من فعل ذلك لكن، بحق السماء لا تسألوا لماذا"، عندما وصلت، وجدت أن مسؤولي الجامعة شطبوا عبارة "بحق السماء" لأنهم لا يريدون أن يسيئوا إلى بعض الحساسيات، حسنا، إذا لدينا بعض "الحساسيات" أيضا.

بعبارة أخرى، فيما ندعي أن المسلمين يجب أن يكونوا علمانيين جيدين عندما يتعلق الأمر بحرية التعبير – أو رسوم كرتونية رخيصة – نستطيع أن نقلق على من ينتسبون إلى ديانتنا، استمتعت أيضا بادعاءات بعض الساسة الأوروبيين بأنهم لا يستطيعون السيطرة على حرية التعبير أو الصحف، هذا أيضا هراء. لو كان ذلك الرسم للنبي محمد قد أظهر أحد حاخامات اليهود الكبار وقبعته على شكل قنبلة لكان لدينا صرخات بـ"معاداة السامية" في آذاننا، تماما كما نسمع احتجاجات الإسرائيليين حول الرسوم الكاريكاتورية المعادية للسامية في الصحف المصرية، بالإضافة إلى ذلك في بعض الدول الأوروبية، مثل ألمانيا والنمسا وفرنسا يمنع قانونا إنكار المحرقة والمذابح الجماعية. في فرنسا مثلا يمنع أن تقول إن المحرقة اليهودية والمحرقة الأرمنية لم تحدث. إذا من غير المسموح في الواقع الإدلاء ببعض التصريحات في بعض الدول الأوروبية، ما زلت غير متأكد أن هذه القوانين تحقق الغاية منها.

النقطة هنا أننا لا نستطيع ممارسة قوانيننا السياسية لمنع الرسوم الكرتونية المعادية للسامية أو لمنع تصريحات الذين ينكرون حدوث المحرقة، وبعد ذلك نبدأ بالصراخ حول العلمانية عندما نكتشف أن المسلمين يعترضون على تصويرنا الاستفزازي والمهين للنبي محمد.

بالنسبة للكثير من المسلمين الرد الإسلامي على هذه القضية القذرة محرج، هناك سبب جيد تماما للاعتقاد بأن المسلمين يرغبون في رؤية بعض عناصر الإصلاح في الدين الإسلامي، لكن هذه الرسوم كانت استفزازية، وهذا ليس الوقت المناسب لإعادة الحياة إلى مقولة صاموئيلي هنتيجدون السخيفة حول "صراع الحضارات"، إيران فيها حكومة دينية مرة أخرى، وكذلك العراق.

في مصر، ربح الإخوان المسلمون ٢٠% من عدد المقاعد في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، وحاليا حماس فازت في الانتخابات الفلسطينية، هناك رسالة في كل هذا، أليس كذلك؟ إن سياسات الولايات المتحدة: تغيير الأنظمة، والديمقراطية، في الشرق الأوسط لا تحقق أهدافهم، هؤلاء الملايين من الناخبين كانوا يفضلون الإسلام.

وفي كل الأحوال، فإن المشكلة هي أن هذه الرسوم صورت النبي محمداً وكأنه رجلا عنيفا ، وكذلك فقد صورت الإسلام وكأنه دين عنف، الإسلام ليس كذلك، أم إننا نريد أن نجعله كذلك؟

==================

د عبد المنعم البري الإساءة للرسول دليل عجز أعداء الإسلام

حوار: د. ليلى بيومي / القاهرة ١٤٢٧/١/١
٢٠٠٦/٠١/٣١

مازالت أصداء إساءة بعض الصحف الدانمركية والنرويجية لرسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- تتوالى، وأخذت الأمة تفوق من سباقها رويداً رويداً لتواجه هذه الحملة الظالمة التي استهدفت الإساءة لسيد ولد آدم وأفضل خلق الله ، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- وذلك من خلال بيانات الشجب والإدانة ، ومسيرات التنديد والاستهجان - المطالبة بقطع العلاقات مع كل من الدانمارك والنرويج – والتي عمت بلاد المسلمين من ماليزيا شرقا إلى موريتانيا غربا.

في هذه السطور نستضيف د. محمد عبد المنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر والأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية ليجيب عن عدة أسئلة حول هذه القضية.

ما تعليق فضيلتكم على الإساءة التي تعرّض لها نبينا الكريم في وسائل الإعلام الدانمركية والنرويجية؟

الإساءة التي تعرّض لها الرسول – صلى الله عليه وسلم – تمس كرامة وشرف كل مؤمن يعتز بصلته بالرسول. ولا شك أنها إساءة بالغة، وهي دليل على العجز والقهر الذي أصاب أعداء الإسلام من ثبات قدمه وقوة حجته وشموخ رايته.

إن ما نسمعه اليوم ثابت في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى مؤكّداً باللام والنون: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [آل عمران:١٨٦]. فما نسمعه اليوم من إساءات وتطاول على رموز الخلود والشرف للإنسانية كلها إنما هو تفسير واقعي لهذه الآية الشريفة وغيرها من الآيات الذي تؤكد هذا المضمون، وهذا المعنى الواقعي المؤسف.

والآية الشريفة تدل على أن مواجهة الإساءة تكون بالصبر والالتزام وتنمية روح الإيمان ومجاهدة النفس لاقتفاء الأثر الخالد لمن تحمّل البلاء قبل أن يودّع الدنيا.

وجدير بالأوفياء أن يستشعروا المسؤولية في مواجهة هذه الجرائم بما يثبت صدق الارتباط بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا يكون الرد بمثل ما قالوا، ونحن نستشعر مثل قوله تعالى: (...قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[آل عمران: من الآية١١٩]. والأمل المرجو

أن يكون ما نسمعه من بذاءات وإساءات أجراس الإيقاظ لخير أمة أُخرجت للناس، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولمواجهة مثل هذه الإساءات فلابد أن يكون هناك إعلام نظيف يعرف من خلاله الناس مـــن هـــو الرسول، وما هي رسالته، وما دوره وكيف أنقذ الأمة.

مقالة شيخ الأزهر:

ما رأيكم فيما قاله شيخ الأزهر لسفير الدانمارك دفاعاً عن الرسول الكريم من أننا لا يجب أن نهـــين الأموات؟

بالنسبة لشيخ الأزهر فإن المشاعر الخامدة لا تُكلّف فوق طاقتها، الدفاع غير موفق بالمرة، ولا يصح أن يكون على هذه الصورة المريضة الباهتة التي تفتقد إلى الروح والغيرة والحماسة. وهل ماتت الأمة الإسلامية حتى نقول: إن الرسول لا يستطيع الدفاع عن نفسه لأنه ميت؟ ثم إن رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– حي في حياتنا بصورة لم تحدث في أي أمة غيرنا. إن هذا النبي الأمي هـــو الرحمـــة المهداة للإنسانية جمعاء ، وهو حاضر بهديه الكريم وسنته الشريفة، وبأنه النموذج الأخلاقي الـــذي يحتذيه المسلمون في كل كبيرة وصغيرة في حياتهم.

حملة صليبية غاشمة:

ما هو تفسيركم لتكرار هذه الحملات الغربية المستمرة ضد الإسلام والمسلمين؟

* الأمر هو محصلة صراع سياسي وديني كبير بدءًا بالفتوحات الإسلامية لكثير من الدول التي كانت خاضعة للبيزنطيين المسيحيين، وبلغ الحقد المسيحي غايته بفتح المسلمين للقسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وكذلك فتح الأندلس.

وحاول الغرب التنفيس عن حقده عبر الحروب الصليبية التي استمرت قروناً، ثم في الكشوف الجغرافية للالتفاف حول العالم الإسلامي وخنقه واحتلاله فيما بعد.

وآخر جولات الصراع هي زرع إسرائيل في قلب العالم العربي، ومساعدتها بكل الوسائل كي تتوسع وتوقف نمو وتقدم الدول العربية.

لكن و على الرغم من هذا فإن هناك شهادات عظيمة صدرت، ولا تزال تصدر عن منصـــفين مـــن عقلاء الغرب على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم بحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول (كلود كاهن): "يبدو للمؤرخ المنصف أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كـــان في عـــداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت بكثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقياً وفكرياً".

ويقول الأمير (تشارلز): "يمكن للإسلام أن يعلمنا اليوم طريقة للفهم والعيش في عالم كانت فيه المسيحية هي الخاسرة عندما فقدته، ذلك أننا نجد في جوهر الإسلام محافظته على نظرة متكاملة إلى الكون، فهو يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلوم، وبين العقل والمادة".

هل تفاجأتم بما أقدمت عليه بعض الصحف في الدانمرك والنرويج من التطاول على شخص الرسول الكريم ؟

* إن ما حدث ليس بمستبعد من قوم حرّفوا كتابهم وسبوا رسلهم وأنبياءهم؛ فهم قد اتهموا رسلهم بالزنا وحب الخراب والعنف. ولكن الأمر الآن صار كله على كاهل المسلمين، فعليهم أن يظهروا لهؤلاء ما يردعهم ويردهم على أدبارهم، حتى يعلموا أن هناك من يغضب لرسول الله. وعلى المسلمين أن يعلموا أن من أجلِّ الأعمال ومن أزكى الدرجات وأعلى القربات إلى الله مزيد المحبة للنبي –صلى الله عليه وسلم– ومضاعفة المحبة له صلى الله عليه وسلم، ومواجهة كل من أراد بمقامه الشريف نقصاً أو انتقاصاً؛ فالانتصار للنبي –صلى الله عليه وسلم– هو دلالة الإيمان وبرهان الإحسان، وهو دليل الإسلام؛ إذ لا إسلام ولا وإيمان لعبد لا يتغير حنقاً وغضباً يوم أن يُسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ناحية أخرى فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– نبي من عند الله، ومن سبّ النبي –صلى الله عليه وسلم– فإنه يستهزئ بمن أرسله.

إن هذا الذي رأيناه وسمعنا به يدخل ضمن الحملة الصليبية العالمية على الإسلام والمسلمين.

مقاطعة المتطاولين على النبي:

هل المقاطعة الاقتصادية للدول التي تنتمي إليها تلك الصحف وسيلة عملية؟

الواجب على كل مسلم في أي مكان أن يقوم بما في وسعه للدفاع والذب عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنسب الوسائل وأكثرها تأثيراً هي المقاطعة، والمقصود بالمقاطعة أن تكون على كل الأصعدة والأوجه، سياسياً أو اقتصادياً، وكلٌّ بما يملك، بالإضافة إلى ذلك واجب الدفاع بالقلم؛ فعلى كل مسلم يستطيع أن يهاجم هذه الدولة ويفضح أفعالها هذه أن يفعل، بالإضافة إلى فضح هؤلاء الذين يراهنون، أو يصوتون على سبّ رسول الله ممن يدّعون الإسلام بألسنتهم، ثم يعدّون أن سب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الممكن أن يدخل تحت حرية الرأي من أي وجه من الوجوه.

ما هو المطلوب من الحكومات الإسلامية للدفاع عن مقدساتنا ومقام النبوة الكريم؟

الصمت وابتلاع الإهانة أمر مرفوض، فالتطاول على مقام خاتم الأنبياء والمرسلين، ليس مسألة يمكن الإغضاء عنها، ولا التساهل فيها.. ذلك أنها قضية عقدية مبدئية كبرى تنتظم منظومة من القضايا التي تُعد كل واحدة منها: أسبقية فكرية وثقافية ودبلوماسية وحضارية.

فعدم وجود ردع فكري ودبلوماسي وإعلامي يشجع على ارتكاب المزيد من السفاهات ضد نبي الإسلام وضد الإسلام نفسه.

والمتطاولون لن يتوقفوا، بل سيزيدون ما لم يحصل هذا الردع الذي نتحدث عنه، وعندما يشعر السفهاء ودولهم أنهم يدفعون ثمناً باهظاً بسبب هذا التطاول فإنهم سوف يتوقفون، وصدق الله العظيم الذي يقول: (...وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...).[البقرة: من الآية٢٥١].

كما أنه من حق الشعوب المسلمة أن يحمي حكامها وقادتها عقائدها ومقدساتها ومقام نبيها الكريم – صلى الله عليه وسلم – بالطرق السلمية المستطاعة، أي بالردع الإعلامي وبالحركة الدبلوماسية الجادة النشطة، بما في ذلك: الاتصالات المكثفة، والاحتجاج بالبيانات الواضحة الحازمة عن طريق السفراء، أو وزراء الخارجية، وبالتحرك الجماعي أو الفردي.

========================

رسالة الدفاع عن خير الأنبياء

خالد آل مساعد
khwwwkh@hotmail.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، وبعد..

ففي ظل الأزمة الشرسة نحو الديانة التي كانت سهامها متجهة صوب رسولها عليه الصلاة والسلام، فقد أشرقت شمس الصباح الموعود لليوم الثلاثين من شهر سبتمبر لعام خمس وألفين من الميلاد مؤذنة بأن ذلك اليوم هو يوم الحرب الأكبر التي شنته دولة الدانمارك والنرويج برسومٍ كاريكاتورية تسخر ممن أخرج العالم من ظلامه إلى نوره، وتسمه بأوصاف تحز في النفس البشرية، بل لا يرضى مسلم أن يكون هو الممثل به، كيف لا وقد مُثل بصاحب الشرع والحيازة والهجرة والريادة محمد صلى الله عليه وسلم.

لست بحديثي مدافعاً، فالأمة بأسرها قامت، قام الإعلام وأفتى العلماء والأعلام وخطب الخطباء ووعظ الوعاظ، ونادت المنائر وتشرفت المنابر بذكره والدفاع عنه، فهذا وذاك، وكل السهام اتجهت بالدفاع والذب عن المقام المحمود والحوض المورود محمد صلى الله عليه وسلم.

خطابي هذا أدونه وأنا بكامل السرور والمحبة لأني في موقف الدفاع والمودة، ليعلم الجميع أن الأمة المحمدية بعدتها وسلاحها قامت تؤازر وتناضل عن نبينا وإمامنا صلى الله عليه وسلم، فهذه الجهود المبذولة وهذه التضحيات المعلومة لم يكن دافعها إلا المحبة والمودة لذالكم الرسول الأمجد والنبي الأحمد وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود.

وإني لأشد من أزر الجميع في القيام عن الذب والمناصرة عن نبينا محمد صلى الله عليه وســـلم، وإني ليغمرني الفرح والسرور بما قامت به بعض الدول باستدعاء سفيرها في الدانمارك، وما قام به رجـــال الأعمال بإيقاف البضائع والمواطنين بأسرهم هنا وهناك، معلنين للعالم أجمع أننا على أُهبة الاســـتعداد لإقامة حرب اقتصادية لمن يقوم بمس حرف من حروف محمد صلى الله عليه وسلم، وإننا قائمون على الذب عنه وعما أمرنا به ما دامت فينا عين تطرف وروح تنبض.

المقاطعة قامت والرسالة نادت والإشارة بانت، والحقد وضح والذب ذاع والتأييد قام والنصر قادم، وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا.

إن أحرف رسالتي مشاركة في الذب عن عرض الرسول محمد، ورسالة شكر لمن أدى الواجـــب، إن رسالتي تبرئة لقلمي من الحقد الذائع والحسد الشائع على صاحب الجبين الأنور والوجـــه الأزهـــر والقول الأظهر وصاحب البيان والتبيين والنور المبين محمد بن عبد الله صلى وسلم عليه الله.

أخيراً أدعوا الله لي ولكم بأن نكون صفًا في الدفاع عن رسولنا وقائدنا محمد صلى الله عليه وســـلم والله.

والله يرعانا ويرعاكم ويسدد على الخير خطانا وخطاكم.

===================

رسول الله.. عذرًا

بقلم ثامر سباعنة

مدرسة معاذ بن جبل مديرية قباطية

رسول الله.. حبيب الله.. أغلى خلق الله.. عذرًا وألف عذر – وإن كان اعتذارنا لا يفيد-.

أعداء الإسلام يسيئون لشخصك الكريم الطاهر بحجة حرية التعبير عن الرأي!! حاربوا الحجاب من قبل وتحججوا بحرية التعبير عن الرأي، دنسوا القرآن الكريم، والسبب دواعي التحقيق مع المتشددين الإسلاميين، استباحوا دم المسلمين في العراق بحجة الدفاع عن الديمقراطية! باعوا أرض الإســـلام في فلسطين ليقيموا دولة للمشردين!!

أمة الإسلام..

رسولنا الكريم..

نحن من بدأ، ونحن من قصّر في حقك وحق إسلامنا الغالي، فمن إسقاط الخلافة الإســـلامية بحجـــة القومية والعروبة لنسقط في مستنقع الاستعمار بحجه البناء والتعمير، لتستمر مآسينا الـــتي صـــغناها بأيدينا، فتسقط أرض الإسراء فلسطين الغالية وتدخل مجموعات الصهاينة إلى المسجد الأقصى وهـــم

ينشدون "محمد مات.. خلف بنات.. محمد مات.. خلف بنات"، اللهم صلي عليك يا حبـــيي يـــا رسول الله، جنود أكثر من خمس دول تهزمهم عصابات صغيرة، والسبب أننا هجرنا القرآن والسيرة.
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهُن و لم ينقص من قدره، حاشا لله، نحن من هنّا وضعفنا، لأننـــا ابتعدنا عن قرآن ربنا العظيم وعن نهج رسولنا، نحن من رخص بيعنا على مائدة الكفار والعملاء، نحن من خسرنا كرامتنا وقيمتنا، نحن من أعطى التصريح للغرب ليقوموا بحملتهم التشويهية علينا، فنحن من نسي آيات القرآن ليحفظ الأغاني الهابطة الساقطة، نحن من ترك سيرة الرسول عليـــه الصـــلاة والسلام لنبحث في سير المغنين والراقصات.
أمة الإسلام.. أمة محمد.. أمة الشفاعة، رسولنا يساء إليه فماذا أنتم فاعلون؟! كيف تنصرون نـــبي الله؟!
{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} و{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.
عودوا إلى الإسلام الصافي النقي الواضح القوي، عودوا للقرآن الكريم.. اقرءوا آياتـــه وافهموهـــا واحفظوها، علموا سيرة النبي لأبنائكم وبناتكم.. "أقيموا دولة الإســـلام في قلـــوبكم تقـــم علـــى أرضكم"، ارفعوا قيمة الإسلام في صدوركم، طبقوا شعار الإسلام كمنهج حياة وأسلوب عـــيش، كونوا خير حامل للإسلام فصونوه واحفظوه، وترهبوا عدوا الله باقتدائكم بنبي الله محمد عليه صلاة الله وسلامه.
حبيبي.. رسول الله..
أرواحنا ترخص لأجلك وللذود عنك وعن دينك الإسلامي الغالي، لن نتردد في بذل الغالي والرخيص ليعلوا ديننا العظيم، ولتصان كرامة المسلمين حيث وجدوا، سنستحق شفاعتك يوم القيامة – إن شاء الله – وسنلقى وجهك الكريم وقد نصرناك ونصرنا دينك.
رسول الله عذرًا.
ارسل تعليقك
عزة نجاح ... مصر ... ٢٠٠٦/٧/٦ ٦:٠٥:٤٧ PM ...
(ما أرسلنك إلا رحمه للعالمين) أمه الإسلام :لقد تخاذلنا عن نصره نبينا محمد صلي الله عليه وســـلم لقد سطر التاريخ صور رائعة ؛ومواقف باهرة ؛لنساء دافعن عن رسول الله صلي الله عليه وسلم يميـــا وشمالا وترد عنه سيوف الأعداء ونبال الألداء حتي أصيبت بعده جروح فأين رجال الامه !!! الذين هم أولي بالدفاع عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فيا النساء تقاتل عـــن رســـول الله ورجـــال يتخاذلون عن نصرته ٠ نساء تقاتل في سبيل نصره رسول الله ورجال يمتنعون عن مقاطعـــه بضـــائع العدو!!١ ويا لله المعتصم يحرك جيشا من اجل مسلمه ضربت علي وجهها ورسول الله صلي الله عليه وسلم يسب جهارا نهارا و لم نتحرك من اجله !!! فاعذرا يا رسول الله ٠٠ان تخاذلنا عن الدفاع عنك

؛فان بعضنا مشغول بالأسهم المالية!!! عذرا يا رسول الله ..فان المال أحب إلي قلوبنـــا منـــك !!! عذريا رسول الله..فان الاجبان الدنماركيه أحب إلي بعضنا من الدفاع عنك!!! عذرا يا رسول الله ..فان مصالحنا الدنيويه مقدمه عند بعضنا البعض!!١ عذرا يا رسول الله ..فاننا نغضـــب اشـــد الغضب إذا اغتصبت أموالنا ؛ولا يغضب بعضنا لك!!! وأنت يساء أليك علنا بلا حياء ولا خـــوف ولا وجل .ايها المسلمون :إن تخاذلنا عن نصره رسول الله صلي الله عليه صلي الله عليه وسلم فان الله ناصر نبيه ؛رافع ذكره ــرافع شانه معذب الذين يؤذنه في الدنيا والاخره وفي الصحيح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: الله تعالي (من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب).فكيف من عـــاد الأنبيـــاء ؟يقول الله تعالي (َوالذين يؤذن رسوَل الله لُهم َعَذابٌ َاِليمٌ)أتعجزون عن مقاطعه منتجـــاقمم غـــيره لنبيكم صلي الله عليه وسلم ؟!حتى يعلم أولئك الأوغاد إن لرسول الله صلي عليه وسلم أنصـــارا ولا يرضون إن يدنس مقامه ؛أو أن يمس عرضه يسؤ ولا يصمتون حين يهان آلا تقدرون أن تدعوا عليهم وذالك اضعف الإيمان آفلا تقدرون أن تعلموا أولادكم أن رسول الله تعب كثيرا وعاني كثيرا لكـــي توصل الدعوة لنا إلا تقدرون إن تفعلوا شيء ايجابيا خدمه للحبيب فداك مالي وأهلي يا حبـــيبي يـــا شفعي يوم لا ينفع مال ولا ولد يا من بعثت رحمه لنا اللهم ما انصر الإسلام والمسلمين.فيـــل أمـــه الإسلام :من ينتصر لرسول الله .؟!فكم أوذي من اجلنا ؟كم بصق علي وجهه الكريم من اجلنا ؟ كم طرد الاضه من اجلنا ؟أنعجز بعد هذا الجهد .وذالك التعب ..ان نقاطع المنتجات الدنماركيـــه؟!. نعم أيها المسلمون إن نقف وقفه واحده جادة .ونفجر غضبنا عليهم بالأفعال التي لا يمكن تجاهلها ؛ تعالوا نطعنهم في شريانهم الرئيسي وفي سر قوتهم ؛ تعالوا نطعنهم في اقتصادهم ؛ دون أن نخسر شيئا ؛ ونكون بذلك قد حطمنا جزئا من كبريائهم ؛ ولا يقل قائل كم سيكون حجم مقـــاطعتي ؛ فـــان المطلوب منك إن تبرا ذمتكم أمام الله تعالي ؛ يقول النبي عليه السلام (وجاهد المشركين بـــأموالكم وأيديكم والسنتكم) اللهم ما انصر رسولك الكريم علي أعداء الدين ..امين ... ...

========================

(صبر الرسول على الأذى)

عناصر الموضوع :

١. أهمية دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

٢. صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى الكفار

٣. صور أخرى من صبر النبي على الأذى يقتدى به فيها

صبر الرسول على الأذى:

لم تقم دعوة الإسلام، ولم تبلغ ما بلغت إلا بعد تضحيات جسيمة، وتحمل صنوف من الأذى، وأول من واجه ذلك وصبر عليه هو إمام هذه الدعوة صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك للمسلم أسوة في مواجهة المشاكل والأذى الذي يعترضه خلال الدعوة إلى دينه.

أهمية دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب:٧٠-٧١]. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله: إن دراسة شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمور المهمة للمسلم الذي يريد أن يطبق قول الله عز وجل: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف:١٠٨] ويريد أن يسير على تأثرٍ من نور هذه الآية: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:٢١]. وشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جوانب كثيرة من العظمة؛ تلك الجوانب التي لا بد للداعية إلى الله، ومن يريد أن يتربى على طريق الإسلام أن يدرسها دراسة متأنية.

عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبره على الاستهزاء:

ونحن نستعرض في هذا المقام جانباً من جوانب عظمة شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على نورٍ من ربه، ويصبر على الأذى في سبيل هذه الدعوة، وصبره صلى الله عليه وسلم على الأذى يتمثل في أحداث كثيرة تمّت في حياته صلى الله عليه وسلم؛ من مواجهته للكفار والمشركين والمنافقين، وفي عامٍ واحد وهو العام العاشر من البعثة يتوفى الله تعالى خديجة رضي الله عنها ويموت أبو طالب ، فيطمع كفار قريش في أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يكونوا يطمعون قبل ذلك، وأذية الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتمثل في جوانب كثيرة: أولاً: الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله عز وجل: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ [الأنبياء:٣٦] أن يهزأ المبطل بالمحق، وأن يسخر السفيه بالعاقل، تلك والله أذية كبيرة تقع كالصخر على صدر الذي يتعرض لهذا النوع من الأذى، رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه على الحق وهم يستهزئون به:

وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً [الفرقان:٤١] يستهزئون بشخصيته صلى الله عليه وسلم، ولكنه يصبر على هذا الأذى وهو يتفكر في قول الله تعالى يسري عن شخصه صلى الله عليه وسلم: وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الأنعام:١٠]. لقد دارت دائرة السوء عليهم، وهذا الاستهزاء الذي استهزءوا به قد أصبح وبالاً عليهم.

للدعاة في النبي صلى الله عليه وسلم أسوة في الصبر على الاستهزاء:

واليوم يقف الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر موقفاً حرجاً أمام السهام التي توجه إليه من المستهزئين وهم يستهزئون بشخصيته، أو يستهزئون بمظهره، أو يستهزئون بالأفكار التي يحملها، إنه يتأسى بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصبر على هذا الاستهزاء. ولقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على شتى الاتهامات؛ فقد اتهموه بأنه يقول الشعر، وأن هذا القرآن إنما هو شعر، وأنهم أيضاً شعراء ولو شاءوا أن يأتوا بمثل شعره لأتوا، يريدون أن يحولوا هذا القرآن عن المجرى العظيم والقالب الذي نزل به؛ لكي يقولوا للناس: نحن نستطيع أن نصنع مثله قال تعالى: بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ [الأنبياء:٥] وقالوا: أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ [الصافات:٣٦] وقال الله عنهم: أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ [الطور:٣٠] إنهم ينتظرون نهايته، وينتظرون موته حتى تدفن دعوته في مهدها، ولا تقوم لها قائمة، ولكن الله سبحانه وتعالى تولى الرد عليهم، وتثبيت نبيه صلى الله عليه وسلم: فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ [الحاقة:٣٨-٤١]، وقال عز وجل: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يس:٦٩]. وكل عارف باللغة العربية؛ بنثرها وشعرها يعرف أن هذا القرآن ليس على وزن الشعر، وليس شعراً كالذي يقوله الشعراء. واليوم يقف الدعاة إلى الله عزوجل أمام المستهزئين وهم يرمونهم بتهم مثل هذه، فليس لهم والله إلا الصبر عليها، والرد على هذه الشبهات التي تطلق على الشريعة وأفكار الدين، منتهجين نهج القرآن في الرد عليها. وأوذي عليه السلام باتهامه بالسحر، قال تعالى: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ [يونس:٢].. وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [ص:٤].. وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً [الفرقان:٨] ولكن الله رد عليهم فقال: كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ [الذاريات:٥٢] لماذا يريد الجاهليون أن يصموا شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسحر؟ لأنهم رأوا أن لهذا القرآن الذي يتلوه صلى الله عليه وسلم أثراً عظيماً على نفوس الناس؛ إنه يجذب الأنظار، ويأخذ بمجاميع القلوب (إن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة) فهم يريدون أن يصرفوا أذهان الناس عن سبب هذا التأثير؛ وسبب هذا التأثير أن القرآن كلام الله، سبب هذا التأثير أنه نزل من عند

الله الذي خلق النفس، ويعلم ما يؤثر بهذه النفس، وما تتأثر به هذه النفس، إنهم يريدون أن يصرفوا سبب التأثير إلى السحر الذي يؤثر -كذلك- في الناس؛ إنها والله دعاية إعلامية يريدون أن يلبسوا بها على الناس الذين يتأثرون بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقف الدعاة إلى الله عزوجل اليوم أمام أولئك الشاتمين الذين يريدون أن يلبسوا الحق بالباطل، ويريدون أن يصرفوا الناس عن تأثير القرآن والسنة، إنهم يستخدمون وسائل شتى من التهويس والتهويل، وصرف أنظار الناس عن هذا القرآن، وعن الوحي، وعن التأثر بالشريعة، فيستخدمون لذلك وسائل شتى. إن على دعاة الإسلام أن يجابهوا هذه المواقف، وأن يُجلُّوا للناس أثر القرآن والسنة، وأن يُروا الناس بأبصار قلوبهم قبل أبصار عيونهم أن هذا القرآن وهذه السنة ذات أثر على الناس، مخاطبة الناس بالقرآن والسنة، وربطهم بها مباشرة من الواجبات اليوم، حتى يحصل ذلك التأثير. وصبر صلى الله عليه وسلم على اتهامه بالجنون: وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر:٦] وقالوا: أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ [الصافات:٣٦].. ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ [الدخان:١٤]. ليس أصعب على صاحب الإيمان، والعقل الراجح، والرأي السديد، والفكر الصائب، من أن يتهم في عقله، وأن يوصف بالجنون. وتولى الله الرد على هذه الفرية مثبتاً رسوله صلى الله عليه وسلم: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ [سبأ:٤٦] وقال عز وجل: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ [التكوير:٢٢]، وقال سبحانه وتعالى: نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ [القلم:١-٢]. واليوم عندما يحاول الداعية إلى الله أن يبين للناس الحق، ويرجعهم إليه، وأن يبين لهم الميزان الصحيح، ويزيل عنهم الغشاوة التي رانت على قلوبهم، والحجاب الذي غطى أبصارهم، ويريد أن يرجعهم إلى الشريعة وإلى الدين، يقولون له: أأنت مجنون؟!! كيف تريدنا أن نرجع إلى ذلك الواقع وأنت ترى الغرب والشرق، وترى القوى العظمى، والواقع المستحكم، ثم تريد أن تنقلنا إلى عصر يطبق فيه الإسلام (١٠٠%)؟ هذا مستحيل! كن واقعياً، دع هذه الخيالات جانباً، إنك تحلم! وعند ذلك يجب أن يجابه الداعية إلى الله هذه السهام بواقعية الإسلام، وأن يثبت للناس أنه يمكن أن يطبق الإسلام، وأن أفكار الإسلام ليست جنوناً ولا هوساً، رغم تلك الاتهامات الباطلة التي يتهم بها أعداء الإسلام المتمسكين بشرع الله، إنهم يرمونهم كما رمى الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم -قدوة هذا الداعية- رموه أول مرة بالجنون والهوس واختلال العقل، إنهم كذلك اليوم يرمون من تمسك بالدين بالسفه، والجنون، والهوس، والوسوسة... إلى آخر تلك التهم، إنهم يتصورون أن تحكيم الله في الشرع والواقع يؤدي إلى جنوح الإنسان عن طريقة التفكير الصحيحة، وعن الواقعية، إن واقعهم فاسد، ولذلك يتصورون أنه واقع صحيح من شدة ضغطه عليهم، ومن تشبعهم بأفكار هذا الواقع، ويتصورون أن تحكيم الإسلام في القوانين والمظاهر، والعبادات والعقائد؛ أنه جنون وهوس؛ لأنهم لا يعقلون، فعقولهم لا تتحمل

عظمة تلك التكاليف، ولا يتصورون كيف يمكن أن تطبق هذه التكاليف في ظل الظلمات الجاهلية التي يرزحون اليوم تحت نيرها؛ ولأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا الواقع كيف يكون إسلامياً؛ يتهمون من ينادي بالعودة إلى الواقع الإسلامي الصحيح بالجنون، ولا يمكن أن تتصور عقولهم كيف يمكن أن يطبق الإسلام (١٠٠%)؟ وهذه نقطة خطيرة أيها الأخوة.

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى الكفار:

صبره على أنواع التهم في عقله وعرضه:

وقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتهام كفار قريش له بالتكذيب: وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [ص:٤].. إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ [الفرقان:٤].. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً [الشورى:٢٤] يقولون هذا من جهة في مناسبات كثيرة، ومواقف متعددة، وهم في مناسبة أخرى وفي موقف آخر يعلمون ويعترفون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب. وفي صحيح البخاري لما سأل هرقل أبا سفيان في بداية مقابلته له، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فهذا هرقل جاءته لحظات من التجرد والإنصاف، ولقد هم أن يدخل هذا الدين لولا جشع الملك وحب الرئاسة، وخوفه من زوال سلطانه، فرجع إلى الكفر، ولكنه قد رأى الحق بأم عينيه. قال أبو سفيان : لا. ثم قال له في آخر مقابلته: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، وأعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله؛ أي: أنت تقول أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما عهدت منه الكذب على الناس قبل البعثة، فعلمتُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله، والكذب على الله أصعب وأشد من الكذب على الناس، فعلم أنه صادق. ولقد تولى القرآن الرد على هذه المزاعم فقال: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ [هود:١٣] أي: إذا زعمتم أنه كذاب فهاتوا عشر سور مثل سور القرآن: وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ [هود:١٣] لكي تألفوا هذه السور؛ من سائر عظماء الشعراء وأهل النثر والبلاغة: وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [هود:١٣]. ثم تنزل القرآن في الرد عليهم إلى ما هو أدنى من ذلك، فقال الله عزوجل: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ [يونس:٣٨] عظم التحدي ونقص المقدار، فظهر التحدي أعظم: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه [يونس:٣٨] فعجزوا، ولما حاول الكذابون أن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن؛ أتوا بأشياء مضحكة ليس هذا مجال سردها: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ [هود:٣٥]، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ [السجدة:٣]. ويسري القرآن عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويثبت الله به قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ [الأنعام:٣٤]. واليوم عندما يقف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أمام الناس،

ويدعوهم إلى الله، ويبين لهم أحكام الدين؛ ويبين لهم الحلال والحرام، يقولون له: أنت كــذاب، لا يمكن أن يكون في القرآن كذا، لا يمكن أن يكون في السنة كذا، لا يمكن أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكذا، هذا الذي تدعون إليه ليس بدين، أنت تكذب على الدين، أنت جئت بدين جديد، ليس هذا الدين الذي نعرفه، لقد رأينا الدين من آبائنا وأجدادنا، ولقد رأينا الدين سنين عديدة مـــا رأينا فيه مثل هذا الذي تدعو إليه، فيتهمونه بالكذب على الشريعة، وهم قد أتوا من قبل جهلـــهم؛ فلجهلهم رموه بالكذب، وأتوا من قبل تقليدهم لآبائهم وأجدادهم، وعدم اتباع الحق، وأتـــوا مـــن اتباع أهوائهم؛ لأنك عندما تخبرهم بالحق الذي يخالف أهوائهم؛ إذا كان الحق واضحاً يقولون: أنت كذاب .. فعليك أن تصبر كما صبر رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على تلقي الأذى في جسده:

ولقد صبر عليه الصلاة والسلام على أذى المشركين في جسده صبراً عظيماً، روى البخاري رحمه الله عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيءٍ صنعه المشـــركون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبـــة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط وهو من الكفار، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً). عقبة بن أبي معيط يلوي الثوب حول رقبة رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يصلي: (ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبه ودفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ [غافر:٢٨]). آذوه في بدنه صلى الله عليه وسلم، ولهذا أمثلـــة سنذكرها إن شاء الله. في معركة أحد ماذا حصل للنبي صلى الله عليه وسلم؟ الذي حصل له أيهـــا الأخوة: أنه أُدمي حتى سال الدم من وجهه، وقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب في أحد فسال الدم على وجهه، رجع إلى المدينة ولا زال النزف في وجهه عليه الصلاة والسلام، فقام علي رضي الله عنه على رأسه، و فاطمة تأخذ من الإناء في يد علي فتغسل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء، ولكن الجرح لم يرق، فأخذت حصيراً فأحرقتـــه ووضعت رماده على جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتماسك الجرح قليلاً حتى وقف الدم).

للدعاة في رسول الله أسوة في الصبر على الأذى:

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذى في جسده، واليوم يعاني المتمسكون بشرع الله عز وجل أصناف العذاب، وألوان الأذى في سبيل الله، فيضربون بالسياط، ويسحلون بالشوارع، ويجرون على جلودهم فوق الحجارة والشوك، كما وقع بالنفر الأول من الصابرين الصادقين، وأدنى من ذلك تقع صور من العذاب في داخل البيوت، هل رأيتم أباً تصل به الدناءة والخسة أن يضرب ولده؛ لأنه امتنع عن المنكرات؟! هل رأيتم أباً تصل به الخسة والدناءة أن يقفل الباب على ابنه حتى لا يذهب لصـــلاة

الفجر؟! يقفل باب البيت بالمفتاح ويأخذ معه المفاتيح حتى لا يخرج الولد إلى صلاة الفجر. هل رأيتم خسة ودناءةً مثل أن يأتي أحد الآباء بمزيل للشعر فيضعه على لحية ولده وهو نائم حتى تسقط لحيته عداءً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! إن ألوان الإيذاء أيها الأخوة تتعاقب، ويتفنن أعداء الله في إذاقة عباد الله العذاب أصنافاً وألواناً، فليس الحل في ذلك إلا الصبر على هذا الأذى في سبيل الله، ولقد سعى أعداء الله لإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلده، فقال الله عزوجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً [الإسراء:٧٦] تآمروا على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلده، وخططوا لذلك حتى اضطر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخروج، فتهددهم الله بهذه الآية: وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً وفعلاً ما لبثوا في مكة بعد إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم منها إلا قليلاً، فأذاقهم الله العذاب في معركة بدر وغيرها من المواقع حتى فتح الله مكة ، ودخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوراً. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم واجعلنا من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

صور أخرى من صبر النبي على الأذى يقتدى به فيها:

الحمد لله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، خاتم الرسل، وأحب خلق الله إلى الله، وخليل الله الذي اصطفاه الله على العالمين، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وصبر على الأذى في سبيل الله حتى كان مثالاً حياً بسيرته بين أظهرنا اليوم؛ كأنا نرى تلك السيرة، وتلك الأحداث التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد، قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت) الرسول صلى الله عليه وسلم ما وجد ولياً ولا نصيراً، يريد من كفار قريش أن يجيبوه وينصروه فلا يجد. (فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي). هذه الألفاظ أيها الأخوة تصور محنة الداعية التي يعيشها حينما يعرض الناس عنه، محنة الداعية التي يعيشها حينما يرفضه كل الناس، حين يطرده جميع الناس، عندما يوصدون الأبواب في وجهه، ولا يرضون بالحق الذي يقول به، ويعرضون عنه. (فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب) وهو موضع قريب من مكة. الرسول صلى الله عليه وسلم هام على وجهه من الغم، وما أفاق إلى نفسه ليعرف إلى أين يسير إلا في قرن الثعالب ، وليس ذلك لأجل إفلاس، ولا لذهاب تجارة، ولا لخسارة في صفقة، ولا لفقد وظيفة، كلا. (فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله

إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد! إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين -أي: الجبلين العظيمين اللذين تقع بينهما مكة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً). وعندما يكون الظلم من الأقرباء يكون وقعه شديداً على النفس.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء:٢١٤] صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي بطون قريش: (يا بني عدي ... حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر في الأمر، فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا -ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا- فقال عليه السلام: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً ببطن الوادي تريد أن تغير عليكم -جيش قريب من مكة يريد أن يغير عليكم- أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم. ما جربنا عليك كذباً، قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم.. ألهذا جمعتنا). و أبو لهب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، داعية إلى الله يقوم يجمع الناس يأتون إليه، يهددهم بعذاب الله عز وجل ويدعوهم إلى الله، فيقوم له واحد من الحاضرين فيقول له: تباً لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟ واليوم تعقد مجتمعات للدعوة إلى الله، وقد يجمع داعية إلى الله الناس في بيته، أو يذهب إليهم في بيوتهم فينصحهم وينذرهم عذاب الله ، فتنطلق ألسنة المستهزئين به، إنه يتذكر والموقف هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد وصل الأمر إلى أن ادعوا أنهم أحق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق وصلة الرحم، فهذا أبو جهل لعنه الله وقف يوم بدر يبتهل إلى الله ويقول: اللهم أقطعنا للرحم -يعني الرسول صلى الله عليه وسلم- وأتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة. يوم بدر يقف أبو جهل لعنه الله يدعو الله أن يهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قطع الرحم، وأتاهم بما لم يعرفوا، فأنزل الله عز وجل: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ [الأنفال:١٩] كما في الصحيح المسند من أسباب النزول . ولقد اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في إنجابه، فعن ابن عباس قال: (لما قدم كعب بن الأشرف مكة -وكان كعب بن الأشرف يهودياً- قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم -وكان هذا قبل الهجرة- قال: نعم. قالوا ألا ترى إلى هذا الصنبور ..). يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستخدام الألفاظ المشينة؛ ألفاظ السب، وانتقائها من قاموس السباب والشتائم لإلصاقها بالدعاة إلى الله قضية قديمة؛ ليست حديثةً ولا وليدة هذا العصر. والصنبور في لغة العرب: هو الرجل الفرد الضعيف الذليل الذي لا أهل له ولا عقب، ولا ناصر ينصره، قالوا: (ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية، قال: أنتم خير منه. فأنزل الله عز وجل: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الكوثر:٣]) أي: إن شانئك وسابك يا محمد هو الأبتر الذي لا عقب له.

وأخيراً هذا الموقف الذي تحكيه لنا آية الأنفال: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ [الأنفال:٣٠] إن عقد المؤتمرات لإجهاض الدعوة، والمؤامرات على دعاة الإسلام، وإلحاق الأذى بهم قضية قديمة. وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا [الأنفال:٣٠] لقد اجتمعوا في حجر إسماعيل بجانب الكعبة في مكة ؛ يدبرون ويخططون لثلاثة أشياء: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ومعنى: يثبتوك: يقيدوك ويحبسوك حتى لا تقوم بالدعوة. أَوْ يَقْتُلُوكَ ويضيع دمك بين القبائل. أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكة ويطردوك حتى لا تكون بينهم. روى ابن حبان في صحيحه و الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال: ما يبكيك يا بنيه؟ قالت: يا أبت! ما لي لا أبكي وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك ليقتلوك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنيه! ائتيني بوضوئي، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: إنما هو ذا، فطأطئوا رءوسهم، وسقطت أذقانهم من بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم -أعماهم الله- فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً). قال ابن كثير رحمه الله: قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ولا أعرف له علة. ولو استطردنا أيها الأخوة في ذكر ألوان الأذى التي صبر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لطالت بنا المجالس والأوقات، ولكن إنما هي تذكرة نذكر بها أنفسنا ونسليها ونحن نواجه اليوم أعداء الله، ونواجه مخططاتهم، واتهاماتهم، وسبابهم، وفسوقهم، وأذاهم، وحملاتهم علينا. إن الإنسان ليزداد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإكباراً له عليه الصلاة والسلام وإجلالاً؛ حين يرى في سيرته صلى الله عليه وسلم من صبره على الأذى، ومن تحمله ذلك في سبيل الله لأجل شيء واحد: أن يبلغ رسالة الله إلى الناس، أن يبلغ الناس دين الإسلام؛ هذا هو الهدف، هذا هو الغرض من الحياة، وإلا فإن الحياة بغير هذا الغرض حياة بهيمية. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك، اللهم واجعلنا من دعاتك وجندك، اللهم وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم وآتنا الحجة على من عادانا، اللهم وانصرنا على من بغى علينا، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم وصلِّ على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم صلاةً تامَّة ما بدا الليل والنهار، اللهم صلَّ عليه صلاة تامة ما غربت شمس وما شرقت. اللهم اجعلنا من أهل شفاعته، اللهم أوردنا حوضه، اللهم وارزقنا مرافقته في الجنة.

صورة النبي صلى الله عليه وسلم في عيون الشعراء غير المسلمين

الكاتب: الندوة العالمية للشباب الإسلامي

ليس عجيباً أن تكون شخصية النبي صلى الله عليه وسلم محل إعجاب وتقدير من المسلمين، لأن هذا أمر طبيعي. ولكن العجيب حقاً أن نجد هذا التعظيم والتبجيل لشخص النبي لدى المنصفين من غـــير المسلمين وعقلائهم وأفذاذهم. ولسنا الآن بصدد أقوال بعض المستشـــرقين والكتـــاب والفلاســـفة والسياسيين، من الذين أخذهم الذهول بهذه الشخصية الفريدة سواء أكان ذلك في فعله أو قولـــه أو حروبه أو حياته بصفة عامة، وإنما نقتصر على بعض الشعراء العرب في العصر الحديث مـــن غـــير المسلمين لأن الشعراء معبرون عن ضمائر الأمم وألسنتها الناطقة وليكن دليلنا من الشـــعر العـــربي لسهولة تناوله ووضوح بيانه بالنسبة إلينا، ولنا في أشعارهم شاهد صدق ومعين صاف.

ولما كان العظيم عظيماً بنفسه لا يحتاج إلى إنصاف منصف أو شهادة شاهد له بالعظمة، فإن هـــذه الأشعار التي سوف نذكرها تعد شهادة لأصحابها قبل أن تكون شهادة بعظمة النبي صلى الله عليـــه وسلم.

جورج صديح

أحد شعراء المهجر الجنوبي، ذو ثقافة عالية وحس مرهف فياض، له قصيدة رائعة في مدح النبي بأسم " حراء يثرب " يقول فيها:

يا من سريت على البراق وجزت أشواط العنان

آن الأوان لأن تجدّد ليلة المعراج.. آن عرّج على القدس الشريف ففيه أقداس تهان

ماذا دهاهم ؟ هل عصوك فأصبح الغازي جبان ؟

أنت الذي علمتهم دفع المهانة بالسنان

ونذرت للشهداء جنات وخيرات حسان

يا صاحبيّ بأي آلاء النبي تكذبان ؟!

مارون عبود

شاعر لبناني، له علم واسع باللغة والأدب، له مطولة كبيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها:

لولا كتابك ما رأينا معجزاً في أمة مرصوصة البنيان

حملت إلى الأقطار من صحرائها قبس الهدى ومطارف العمران

هاد يُصوَّر لي كأن قوامه متجسد من عنصر الإيمان

محبوب الخوري الشرتوني

من شعراء المهجر الشمالي، يتميز شعره بجموح الخيال ورقة العاطفة، له قصيدة " قالوا تحب العرب ؟ " يقول فيها:

قالوا تحب العرب ؟ قلت: أحبهم يقضي الجوار عليّ والأرحام

قالوا لقد بخلوا عليك أجبتهم: أهلي وإن بخلوا عليّ كرام

قالوا الديانة، قلت: جيل زائل وتزول معه حزازة وخصام

ومحمد بطل البرية كلها هو للأعارب أجمعين إمام

إلياس فرحات

أحد شعراء المهجر الجنوبي وله تجارب قاسية مع الحياة جعلته يكثر من شعر الحكمة والأمثال، شأنه شأن أبي الطيب المتنبي، له قصيدة تشي بعاطفة جياشة، ونظرة سامية بعيدة عن التعصب الطائفي، يقول فيها:

غمر الأرض بأنوار النبوة كوكب لم تدرك الشمس علوَّه

لم يكد يلمع حتى أصبحت ترقب الدنيا ومن فيها دنوَّه

ثم يتحدث عن فتح مكة وكيف تبدلت ظلمات العرب نوراً على يد النبي صلى الله عليه وسلم وكيف ساد العرب حضارات العالم.. إلى أن يقول وكأني به ينظر إلى واقعنا المعاصر:

يا رسول الله إنا أمة زجها التضليل في أعمق هوَّةِ

ذلك الجهل الذي حاربته لم يزل يظهر للشرق عتوَّه

قل لأتباعك: صلوا وادرسوا إنما الدين هدى والعلم قوَّة

الشاعر القروي رشيد سليم الخوري

أحد شعراء المهجر الجنوبي كابد أهوال اليأس والفقر، كان شعره مزيجاً، من العروبة والوطنية، له قصيدة " عيد البرية " يستحث فيها المسلمين لاستعادة مجدهم القديم منها:

يا فاتح الأرض ميداناً لدولته صارت بلادك ميداناً لكل قوي

يا قومُ هذا مسيحيٌّ يذكّركم لا يُنهض الشرق إلا حبنا الأخوي

فإن ذكرتم رسول الله تكرمة فبلّغوه سلام الشاعر القروي

مطران خليل مطران

شاعر لبناني عاش في مصر ولقب بشاعر القطرين ؛ له قصيدة رائعة تسمى رأس السنة الهجرية يقول فيها:

عانى محمد ما عانى بهجرته لمأرب في سبيل الله محمود

وكم غزاة وكم حرب تجشمها حتى يعود بتمكين وتأييد

صعبان راضهما: توحيد معشرهم وأخذهم بعد إشراك بتوحيد

وبدؤه الحكم بالشورى يتم به ما شاءه الله من عدل ومن جود

أما هذه الشذور المضيئة والزهور العاطرة التي اجتمعت بين أيدينا فهي خير دلالة على مدى إعجاب ذوي الإحساس المرهف عامة والعباقرة خاصة بهذه الشخصية الخالدة الفريدة، والتي توقف التاريخ

أمامها كثيراً، و لم يزل يبحث في فروعها وخلجاتها ولكنها كانت عميقة كالبحر، سخية كالسحاب، رفيعة كالنجم، مضيئة كالشمس، ومازال التاريخ مبهوراً لم يفارق موضعه.

====================

عذرًا رسولَ الله لم يعرفوا قدرَك...!!

د. جمال نصار ١٤٢٧/١/١٣
٢٠٠٦/٠٢/١٢

الأمة الإسلامية تعيش منذ فترة موجة عداء ضد عقيدتها ومقدساتها وقيمها، بدأت منذ بداية الدعوة الإسلامية، حيث وصَمَ المشركون النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – بعبارات كثيرة منها: أنـــه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون، ودائمًا كان القرآن الكريم يرد عنه – صلى الله عليه وسلم – (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ) (الطور:٢٩). (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَـــا تُؤْمِنُـــونَ) (الحاقة:٤١). وهذا يدل على مكانة النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – عند ربه، وقد أوجب الله على المؤمنين محبته وتعظيمه، وهذا من معالم كمال الإيمان "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين".

وتعظيم نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – من صُلب إيمان المسلم، فهو خليل الله المصـــطفى مـــن خلقه، وخاتم الأنبياء الذي بانتهاء رسالته انقطع وحي السماء، و لم يغفل المسلمون — منـــذ جيـــل الصحابة الكرام — عن قدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعن محبته وتعظيمه.

وعظمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نفوسنا أعلى من قُبة الفلك، ولن ينال منها أي أفّاك أو جاحد ، فلولاه – صلى الله عليه وسلم – لكنا حيارى في دياجير الظلام.

وما قام به البعض من الإساءة لرسولنا الكريم — صلى الله عليه وسلم — من خـــلال رســـومات في صحف دنمركية ونرويجية وغيرها، إنما هي سلسلة وحلقة من الإساءة للإسلام في شخصه الكـــريم، وهذا يدل على حقدهم الدفين على هذا الدين العظيم، وسيُرد هذا العبـــث إلى نحـــورهم وســـتبوء محاولاتهم بالفشل بهذا التفكير العبثي الذي أرادوا به النيل المشين من نبي الإسلام محمد – صـــلى الله عليه وسلم – وبعيدًا عن كل التسويغات التي حاول مسؤولو الصحيفة تقديمها، وفي مقدمتها أنهـــم أرادوا أن يستشعروا مدى تقديس المسلمين لنبيهم، وبدعوى حرية الرأي والتعبير التي يعدونها واجبًا يفوق بقداسته قداسة الأديان وحرمتها، في الوقت الذي أقاموا الدنيا، و لم يقعدوها حينما نشر المفكر الفرنسي "روجيه جارودي" كتابه "الأساطير المُؤسسة للدولة الإسرائيلية"؛ فحاكموه وصادروا كتابه بتهمة معاداة السامية، وكذلك عندما قامت مجموعة من حركة طالبان في أفغانستان بتـــدمير تمثـــال "بوذا" فتحرك العالم الغربي ضدهم، وقالوا: إنهم يحاربون الأديان ممن يخالفونهم في العقيدة.

ونحن من جانبنا نعلم أنه لا شيء أشرف من كرامة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنه آخـــر الحصون التي بقيت ملاذنا، بعد أن سقطت كل حصوننا في معارك الشرف والنزاهة والمعرفة .. وأنه إن مسّ اسمه بسوء، وهو الطاهر المُطهر، فإن العالم بأسره سيشهد ما ستسفر عنه هذه الحرب القذرة؛ وعلينا أن نعي أن الجناب النبوي أعظم وأشرف من أن تناله حفنة من التائهين في ميدان الحياة بسوء.

عذراً رسولَ الله لم يعرفوا قدرَك حين نادَوا باسمِك وشوهوا رسمَكْ

هم لم يفعلوا ما فعلوا إلا بجهلٍ ولو علموا الحقيقةَ لقبّلوا قدمَكْ

لو علموا أنّك المصباحُ المنيرُ لما قبلوا الاستضاءةَ إلا بضوئك

وليقرأ هؤلاء الذين لا يعرفون قدر النبي الكريم — صلى الله عليه وسلم — ما سطّره بعض الغـــربيين المنصفين:

يقول "سيروليام موير" في كتابه "سيرة محمد" صلى الله عليه وسلم:

"امتاز محمد بوضوح كلامه، ويُسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب، فلم يشهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير، كما فعل محمد".

ويقول "توماس كارليل" الفيلسوف الإنجليزي في "كتابه الأبطال":

"قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لا يُؤبه لهم، فلما جاءهم النبي العربي أصبحوا قبلة الأنظـــار في العلوم والعرفان، وكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذلة، و لم يمض قرن حتى استضـــاءت أطـــراف الأرض بعقولهم وعلومهم".

وعلينا كمسلمين شعوبًا وحكومات أن نتحرك لرد هذه الهجمة الشرسة عن الإسلام ورسوله بشتى السبل والوسائل ومن ذلك:

- قيام الحكومات العربية والإسلامية بالضغط على الهيئات الدولية لسن قوانين تحمـــي المقدســـات والأنبياء ومقاطعة حكومات الدول التي تصدر بها تلك الصحف سياسيًا واقتصاديًا؛ إذ كان رد فعل أغلبها سلبيًا تجاه الأزمة.

- ومن واجبات الأمة حيال هذا الأمر أن يقوموا بمقاطعة بضائع كل من تجرّأ على سب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وواجب الحكومات المقاطعة السياسية بسحب السفراء لدى تلك الـــدول وإغلاق سفاراتها لديهم.

- إقامة المؤتمرات والندوات في أوروبا وأمريكا لمعالجة هذه القضية، وعرض نصاعة السيرة المشـــرفة وعظمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

=======================

عظماء دافعوا عن الرسول.. صلى الله عليه وسلم

فوزية الخليوي

لا تزال الأيدي اليهودية الآثمة تحكم سيطرتها على وسائل الأعلام الكبرى، ولا تألوا جهداً في استغلالها في السخرية من الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتشويه صورة الإسلام. فابتداءً من كبريات الصحف العالمية: كالتايمز البريطانية، التي أصبحت صحيفة صهيونية خالصة بعد أن اشتراها المليونير اليهودي "روبرت مردوخ"، وكذلك شقيقتها الصنداي تايمز، بالإضافة إلى المجلة الأسبوعية "ويك أند"، التي تخصصت بالرسومات الكاريكاتيرية التي تتهكم بالعرب في لندن وتظهرهم في أبشع صورة. وتعتبر النيويورك تايمز من أشهر الصحف الأمريكية وقد اشتراها اليهودي أودلف أوش، وتأتي الواشنطن بوست في المرتبة الثانية من الخضوع للصهيونية! ونيوز ويك التي بلغ حجم توزيعها ٤,٥ مليون نسخة عام ١٩٨١م

وقد بلغ من تفاقم السيطرة الصهيونية على دور النشر الفرنسية، أن المفكر الشهير "رجاء جارودي" الذي كانت دور النشر الفرنسية تتسابق لنشر كتبه، لم يجد دار نشر واحدة تتبنى كتابه "بين الأسطورة الصهيونية والسياسة الإسرائيلية" الذي كتبه بعد إسلامه!! (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية لفؤاد الرفاعي)

ونظراً لهذا النفوذ الذي يبعث الأسى والألم في نفس كل مؤمن يبتغي العزة لله ولرسوله، كان التصدي لهذا الكيد من المقامات العظيمة التي انبرى لها عددٌ من العظماء، وبهذا امتدح الله عز وجل المهاجرين بقوله { لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحشر:٨]، ونصر رسول الله، عليه الصلاة والسلام، باللسان والسنان والقول والفعل نصراً له في ذات نفسه، حماية لعرضه، وصوناً لحرمته، وإرغاماً لأعدائه ومبغضيه، وإجلالاً لمقام النبوة من أي قدح. وقد أجمع العلماء على وجوب قتل من سبّ النبي، صلى الله عليه وسلم، أو عابه أو ألحق به نقصاً في نسبه أو دينه... فحكم من أتى بذلك أن يقتل بلا استتابة؛ لأنه آذى رسول الله بما يستوجب إهدار دمه أن كان مسلماً ونقض عهده إن كان ذميًا. (الدليل الشافي لابن تغري بردي ١_٤٥)

ولقد أخذ السلاطين على عواتقهم نصرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. منه أن صلاح الدين الأيوبي نذر أن يقتل أرناط صاحب الكرك، فأسره؛ وكان سببه أنه مرّ به قوم من مصر في حال الهدنة، فغدر بهم فناشدوه الصلح، فقال ما فيه استخفاف بالنبي، صلى الله عليه وسلم، وقتلهم؛ فجمع صلاح الدين الملوك فلما حضر أرناط، قال: أنا أنتصر لمحمد منك!!

ثم عرض عليه الإسلام فأبى، فحلّ كتفيه بخنجر.

أما الملك الكامل ملك مصر، لما وقع الحصار على مدينة دمياط اتفق أن أحد الكفار قد ألهج لسانه بسبّ النبي، صلى الله عليه وسلم، معلناً به على خنادقهم، وكان أمره قد استفحل وقد جعل هذا

الأمر ديدنه، فلما وقعت الوقعة وانتصر المسلمون وكان هذا الكافر من ضمن الأسرى فأخبر الملك بشأنه، فصمم الملك الكامل على إرساله إلى المدينة النبوية، وأن يباشر قتله بذاك المحل الشريف، فلما وصل أقيم ونودي على فعلته بين الناس فتهادته السيوف!!

أما هارون الرشيد فقد حكى عنه العالم أبو معاوية الضرير: كنت أقرأ على أمير المؤمنين الحديث، وكنت كلما قلت قال رسول الله قال: صلى الله على سيدي ومولاي. حتى ذكرت حديث "التقى آدم وموسى"

فقال عمه : أين التقيا؟

قال: فغضب هارون، وقال: من طرح إليك هذا؟ وأمر به فحبس.

قال: فدخلت عليه في الحبس، فحلف لي بمغلظات الأيمان، ما سمعت من أحد ولا جرى بيني وبين أحد في هذا كلام.

فرجعت إلى أمير المؤمنين وأخبرته؛ فأمر به فأطلق من الحبس!!

وقال لي هارون: توهّمت أنه طرح إليه بعض الملحدين هذا الكلام الذي خرج منه؛ فيدلني عليهم فأستبيحهم.

ما ذكره الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – عن أحد خطباء مصر، وكان فصيحاً متكلماً مقتدراً، وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين، فقال في خطبته: "جاءه الأعمى فما عبس بوجهه وما تولى! فما كان من الشيخ محمد شاكر – والد الشيخ أحمد شاكر – إلا أن قام بعد الصلاة يعلن للناس أن صلاتهم باطلة، وعليهم إعادتها لأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله، صلى الله عليه وسلم. يقول أحمد شاكر في كلمة حق: "ولكن الله لم يدعْ لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسمُ بالله لقد رأيته بعيني رأسي – بعد بضع سنين، وبعد أن كان عالياً منتفخاً، مستعزّاً بمَن لاذ بهم من العظماء والكبراء – رأيته مهيناً ذليلاً، خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار، حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه؛ فما كان موضعاً للشفقة، ولا شماتة فيه؛ فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة".

ومن مناقب الملك فيصل رحمه الله في نصرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونصرة الشريعة، ودفع كيد الكائدين بردّ شبههم، ودحض مفترياتهم ما حكاة الدكتور تقي الدين الهلالي، قال: قبل بضع سنين كنت مقيماً في باريس عند أحد الأخوان، وكنت قد سمعت بأن الطبيب المشهور الجراح موريس بوكاي، ألّف كتاباً بيّن فيه أن القرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية أن يعتقد أنه حق مترل من الله ليس فيه حرف زائد ولا ناقص!!

وأردْتُ أن أزور الدكتور موريس لأعرف سبب نصرته لكتاب الله ولرسوله، فدعوناه فحضر فوراً!!!

فقلت له: من فضلك أرجو أن تحدثنا عن سبب تأليفك لكتابك "التوراة والأنجيل والقرآن في نظر العلم العصري"؛ فقال لي أنه كان من أشد أعداء القرآن والرسول محمد، وكان كلما جاء مريض مسلم محتاج إلى علاج جراحي يعالجه، فأتم علاجه وشُفي! يقول له: ماذا تقول في القرآن، هل هو من عند الله أنزله على محمد؟ أم هو من كلام محمد نسبه إلى الله افتراءً عليه؟

فيجيبني: هو من عند الله ومحمد صادق!

قال: فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله، وأن محمداً ليس صادقاً!!.. فيسكت

قال: ومضيت على ذلك زماناً حتى جاءني الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة السعودية، فعالجته جراحياً حتى شُفي، فألقيت عليه السؤال المتقدم الذكر!!

فأجابني: إن القرآن حق وان محمداً رسول الله صادق!!

قال: فقلت: أنا لا أعتقد صدقه!!

فقال الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟

فقلت: نعم مراراً!!

فقال: هل قرأته بلغته أم بغير لغته؟ (أي بالترجمة)

فقلت: أنا ما قرأته بلغته بل بالترجمة فقط !

فقال لي: إذاً أنت تقلّد المترجم، والمقلّد لا علم له إذا لم يطّلع على الحقيقة، لكنه أُخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصوماً من الخطأ والتحريف عمداً !! فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأه وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ !

قال: فتعجبت من جوابه! فقلت له: سألت كثيراً من قبلك من المسلمين فلم أجد الجواب إلا عندك، ووضعت يدي في يده، وعاهدته على أن لا أتكلم في القرآن ولا في محمد، صلى الله عليه وسلم، إلا إذا تعلمت اللغة العربية وقرأت القرآن بلغته، وأمعنت النظر فيه حتى تظهر النتيجة بالتصديق أو التكذيب !!

فذهبت من يومي ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس (قسم اللغة العربية)، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي، ويعلّمني اللغة العربية ساعة واحدة كل يوم إلا يوم الأحد الذي هو يوم راحتي، ومضيت على ذلك سنتين كاملتين لم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبعمائة وثلاثين درساً، وقرأت القرآن بإمعان، ووجدته هو الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله لا يزيد حرف ولا ينقص، أما التوراة والأناجيل الأربعة، ففيها كذب كثير، لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها!

فلله درّهم من سلاطين، كانوا بحق كما قال ابن المبارك:

الله يدفع بالسلطان معضلة *** عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل *** وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

================

عمرو خالد

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه رسالة مني للأمة الإسلامية والشباب المسلم، للحضارة الغربية وللعالم أجمع.

هذه رسالة أنشرها من خلال عمرو خالد دوت نت وبوصلها لشباب صناع الحياة وبوصلها لشباب المنتدى وبطلب منهم إن هما يوصلوها زي ما قلت للأمة الإسلامية، للشباب المسلم والعربي، للغرب ومن يعرفون في الغرب بل وللعالم أجمع.

أما رسالتي الأولى: رسالة للأمة الإسلامية وللشباب المسلم..

يقول الله تبارك وتعالى ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) سورة التوبة

لو ولادك أغلى عليك من رسول الله، لو فلوسك أغلى عليك من رسول الله، لو وطنك أغلى عليك من رسول الله، لو مراتك أغلى عليك من رسول الله...فتربصوا..غضب شديد من الله تبارك وتعالى.

أقول للأمة الإسلامية والشباب الإسلامي ولشباب الأمة أن توقير رسول الله وحب رسول الله فريضة من فرائض ديننا ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))

انظر لمقام حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليه كل هذا الحب ؟؟ علشان في آية ثانية في القرآن بتقول ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) سورة التوبة.. وعلشان هو كده إحنا بنحبه كده فأصبحت العلاقة بيننا وبينه زي ما بتقول الآية ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا)) سورة الفتح.. وعلشان تفضل العلاقة متصلة كده على طول..لازم ربنا يفكرنا بهذه الآية التي تقرع آذننا عندما نسمعها..تقول الآية ((وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ))..

هذه الآية ماضية في كل زمان ومكان...اعلموا يا شباب، اعلموا يا أمهات، يا سيدات، في سنة ٢٠٠٦ في سنة ٢٠١٠ في القرن القادم، في القرن الماضي..اعلموا أن فيكم رسول الله..فيكم بشريعته، فيكم بسنته..فيكم برحمته..فيكم بخطاه، فيكم بطريقه، فيكم بالنور الذي تركه لكم..فيكم

بحبه ليكم ..فيكم بأن كل شخص يصلى ويسلم عليه يرد الله عليه روحه ويرد علينا السلام..فينا أن أعمالنا بتعرض عليه كل يوم خميس فما كان فيها من خير "حمدت لكم الله وما كان فيها من شـــر استغفرت لكم الله "...

الآيات الأربعه التي ذكرها..مأمورين فيهم بحبه..علشان ايه؟ علشان حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فبقت العلاقة بيننا وبينه "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـــاء بينـــهم".. ويذكرنا الله دائما بهذه العلاقة بالآية التي تقول "واعلموا أن فيكم رسول الله"...صلى الله علي محمد صلى الله عليه وسلم.

رسالتي للأمة الإسلامية والشباب المسلم حب رسول الله، توقير رسول الله، الدفاع عن رســـول الله، العيش على خطى رسول الله..واجب وأمانة سنسأل عليها يوم القيامة..في أمانة في رقبتنا يا شباب، في أمانة في رقبتنا يا صناع الحياة، في أمانة في رقبتنا يا سيدات أن توقير رسول الله أمانة سنؤديها لـــه يوم القيامة عندما نلقاه على الحوض، نذهب إليه يوم القيامة ونقول له نحن أمتك يا رسول الله أدينـــا الأمانة، احنا يمكن كنا وحشين ويمكن كان عندنا ذنوب ويمكن لم نعمل جيدا في نهضة وإصـــلاح أمتك، لكن مش ممكن كنا نسيب غير أن نوقرك ونحمل العالم على توقيرك، أمانة يـــا رســـول الله بنؤديها لك ويمكن ديه اللي تشفع لنا بها يوم القيامة وتشربنا من حوضك وتفرح بينا وتقول لنا..كان عندكم أخطاء بس توقيري كان غالي عليكم أوي فتشربنا من حوضك..صلى الله على محمد صـــلى الله عليه وسلم...

رسالتي للأمه أن علينا أمانة...لا يمكن التفريط في هذه الأمانة..أمانة توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل العالم على توقيره فضلا عن حبه والعيش على سنته وطريقه هذه هي رســـالتي للأمـــة الإسلامية، لن نفرط أبداً في توقير رسولنا وحبيبنا وقدوتنا .

أما رسالتي للغرب فهناك إشكالية حضارية في العالم الغربي، هذه الإشكالية ناتجـــة مـــن أن هنـــاك مفهومين، مفهوم عند الغرب عظيم نحترمه ونحتاجه اسمه حرية التعبير، مفهـــوم عظـــيم حضـــاري وإنساني، وهناك مفهوم آخر عند المسلمين عظيم جداً اسمه توقير الرسول صـــلى الله عليـــه وســـلم والمشكلة أن الحضارتين، الحضارة الغربية وحضارة المسلمين تحتاج أن تلتقى على هذا المفهوم، غـــير المسلمين مش قادرين يقدروا قد إيه قيمة توقير الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين فكرة حريـــة التعبير نتيجة تطبيق معين لم يصل إلي درجة معينة من الجودة و لم يصل علي درجة حقيقة من التصديق فبقت فكرة احترام حرية التعبير عند المسلمين مش واضحة الوضوح الكافي والمطلوب أننا لا نريد أن نرفض حرية التعبير ولكن نريد أن تُعدل حرية التعبير حتى لا تتصادم مع قيمة عظيمة عند المســـلمين اسمها توقير النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه هي الإشكالية، يا غرب إنك لا تفهم قيمة عظيمة اسمها توقير رسول الله عند المسلمين، مقدسات المسلمين، قضية عظيمة الغرب لابد أن يُعدل مفهوم حرية التعبير حتى لا يصطدم مع قيمة عظيمة اسمها توقير النبي صلى الله عليه وسلم، هذه هي المشكلة الحضارية عند الغرب، وأنا أقول للغرب: بوضوح أنت يا غرب عندك مشكلة أنك لا تفهم..كم يحب المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ولو فهمتها ما قبلت الذي يحدث الآن، الغرب عموماً حكومة وشعوباً مش فاهمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعز علينا من آبائنا وأمهاتنا..رسول الله أعز علي من أبوي، واعملوا استقصاءات واسألوا المسلمين..اسألوا اي بنت متدينة أو غير متدينة ما ذا يعني لكي رسول الله..اسألوا أي شاب لاهي أو غير لاهي مقبل على الله أو غير مقبل على الله، اسألوا أي مسلم في بنجلاديش في بكستان..في اليمن في مصر في قرية من القرى، متدين أو غير متدين..مقبل على الله أو غافل، يشرب مخدرات أو مقبل على الطاعة، ناجح أو غير ناجح..كبير أو صغير، اسألوهم ماذا يعني لك رسول الله، أنا أستطيع أن أجزم بدون ما نحتاج إلي إحصائيات أن رسول الله يا غرب عند المسلمين أغلى من آبائهم وأمهاتهم..

يا غرب: رسول الله عند المسلمين أغلى من أولادنا..

يا غرب: رسول الله عند المسلمين أغلى من فلوسنا وأحفادنا..أغلي من أنفسنا، أغلى من أوطاننا، مصر ولا رسول الله، السعودية ولا رسول الله..مين أغلى عليك يا مصري، مين أغلى عليك يا سعودي، مين أغلى عليك يا يمني، مين أغلى عليك يا مغربي، يا جزائري...

يا غرب: افهم هذا المعنى..رسول الله غالي على المسلمين أغلى من ولادهم وأنفسهم، لن ننسَ أبداً الحديث الذي كررته كثيراً في برنامج (على خطى الحبيب)، يا غرب: اسمع هذا الحديث لأنه جزء من التكوين الوجداني للمسلمين، النبي يمشي مع عمر بن الخطاب وهو ممسك بيده، فينظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فيجد عمر نفسه من حبه للنبي يقسم ويقول "والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي وولدي ومالي والناس أجمعين " ما الذي دفعك أن تقول ذلك يا سيدنا عمر؟ الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال له النبي "يا عمر تحبني أكثر من أهلك ؟ قال نعم يا رسول الله، أكثر من ولدك ؟ نعم يا رسول الله، أكثر من مالك ؟ نعم يا رسول الله، أكثر من نفسك ؟ لا يا رسول الله فيقول له النبي لا يا عمر لا يكتمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك وأهلك وولدك والناس أجمعين " فيذهب عمر ويعود ويقول والله يا رسول الله لأنت الآن أحب إليّ من نفسي وأهلي وولدي والناس أجمعين، فيقول له "الآن يا عمر..الآن يا عمر اكتمل إيمانك"

أنا أعرف أن الغرب يقاوم العنصرية لأنه فَهِم يعني إيه عنصرية، أعرف أن الغرب أي حد يعادي السامية يرفضه ويحاربه لأنه يفهم معنى خطورة محاربة السامية، فكيف احترم الغرب السامية وقاوم العنصرية و لم يحترم أعظم قيمة عند المسلمين "رسول الله صلى الله عليه وسلم" ..الغرب لم يفهم ذلك هناك صحفي في بريطانيا، هذا الصحفي شتم العرب من حوالي ٦ أشهر وقال: إن العرب أمة لا تساوي شيئاً، وهذا الصحفي مشهور يعمل في الـ BBC ومن مشاهير مقدمي البرامج في التليفزيون البريطاني، وكانت النتيجة أنه رُفض لأنه عنصري من وجهة نظر بريطانيا، وهذا الصحفي له مقالات عن الأسرة جيدة وأنا أعد برنامج عن الأسرة فقلت أستفيد وأشوف كتب إيه في الأسرة ؟ فذهبت لآخذ شرائط الفيديو والمقالات الصحفية التي يتكلم فيها عن الأسرة فلم أجد مقالة ولا شريطاً...ليه ؟ لأن منتجاته سحبت من الأسواق لأنه معادي للعرب وهذا يعتبر عنصرية، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم..

رسالتي للغرب، يجب أن تُعدل قيمة الحرية التي نحترمها ونقدرها ونحتاجها، يجب أن تُعدل حتى لا تتصادم مع قيمة احترام وتوقير المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يا غرب كما تحترم الملوك في أوربا وكما تحترم السامية وكما تقاوم العنصرية وتحترم الأعراق فلابد أن يُحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتُحترم مقدسات المسلمين..

فرسالتِي للأمة الإسلامية لن نفرط أبداً في توقير رسول الله ورسالتِي للغرب يجب أن تُعدل قيمة حرية التعبير حتى لا تصطدم مع مقدسات المسلمين..

أما رسالتِي الأخيرة فللعالم أجمع..أقول للعالم أجمع هذه الإهانة لم تكن موجهة لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، كانت موجهة لمليار و٢٠٠ ألف مسلم في العالم..لا مش للمليار و ٢٠٠ ألف بس هذه إهانة للإنسانية كلها، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم من أعظم البشر.

-أنا في عقيدتي وفي رؤيتي وفي ديني وفي تصوري — الخلق، نموذج نجاح ونموذج نهضة، أعظم نموذج، أعظم شخصية في الإنسانية في تاريخ البشرية مش علشان أنا مسلم بس، من أعظم شخصيات ومن أعظم رموز إصلاحات هذا العالم ومن يقول غير ذلك يكون جاحد، الإهانة ديه إهانة للبشرية، إهانة للإنسان في الأرض، انظر إليه صلى الله عليه وسلم، أن العظماء يتميزوا في نوع واحد من العظمة، فغاندي عظيم في السياسة وشكسبير عظيم في الكتابة وفولتيير عظيم في الفكر ونابليون عظيم في فن الحرب، لكن كل منهم عظيم في لون من ألوان العظمة، أما النبي صلى الله عليه وسلم فعظيم في كل أنواع العظمة..

انظر إليه في حياته...

عظيم في أخلاقه "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً قط، ما شتم رسول الله أحداً قط، ما ضرب امرأة قط، ما غدر رسول الله قط، ما كذب رسول الله قط، ما أخلف رسول الله وعـــداً قط، ما انتقم رسول الله لنفسه قط، "

قبل البعثة الصادق الأمين وبعد البعثة كان خلقه القرآن..

عظيم في رؤيته السياسية يوم ما يقول بعد غزوة الخندق "اليوم نغزوهم ولا يغزوننا"

عظيم في روحانيته عندما تجده راكعاً يقول لله "خشع لك سمعي وبصري وعظمي ومخي وسمعي " أنا كلي خاشع لك يا الله، عندما يقف بين يدي الله فتنفطر قدماه فيقال له "أفلا تستريح " فيقول "أفلا أكون عبداً شكوراً" فأعبده وأعبده وأعبده

عظيم في حرية الرأي عندما يغير المعركة في يوم بدر علشان رأي جندي، لما يحفر الخندق من أجـــل رأي سلمان، لما يغير خطة المعركة في أُحد من أجل تشاور أصحابه،

عظيم في حرية الرأي يا رسول الله، انظر يا غرب إلي حرية رأي النبي من ١٤٠٠ سنة.

عظيم في عفوه عن أعداءه..يدخل الصحابة يوم فتح مكة يقول الصحابة "اليوم يوم الملحمة يوم يذل الله قريش " فيرفع النبي صوته ويقول "اليوم يوم المرحمة..اليوم يعز الله قريش "

ويقف أمام قريش ويقول لهم "اذهبوا فأنتم الطلقاء"

عظيم في زهده عندما يقول "مالي ومال الدنيا ومال الدنيا ومالي " وكان يقدر أن يكون من أغـــنى وأعظم الناس ويعيش في القصور و لم يكن كذلك

عظيم في تعامله مع الشباب، يقسم الشباب فريقين ويقول لهم علشان يطلـــع طاقتـــهم الرياضـــية والنشاطية ويلعب معاهم ...ويقول فرقة ترمي بالسهام وفرقة تصد بالدروع ويذهب في الفرقة الـــتي تصد بالدروع فيرفضوا الذين يرمون بالسهام، كيف نضربهم وأنت معهم، فيقول اضربوا وأنا معهم جميعاً، فيأخذ الشباب في أحضانه صلى الله عليه وسلم

عظيم صلى الله عليه وسلم حتى في عيون أعداءه، عاش قبل البعثة في مكة ٤٠ سنة معاهم وعاش بعد أن أصبح نبيا في مكة ١٣ سنة معاهم لم يقدروا أن يطلعوا فيه عيباً ولا كلمة وحشـــة في قدراتـــه وتميزه..وقالوا "ما جربنا عليك كذباً قط "

عظيم يا إنسانية، ولهذا السبب الإهانة التي حدثت له إهانة لكل أمريكي لكل هندي لكل بكســـتاني مش للمسلمين فقط، إهانة للبشرية أن يكون عظيم البشرية يقال عنه ذلك

عظيم صلى الله عليه وسلم في رحمته، انظروا يوم الطائف وقد ضربوه بالحجارة حتى أُدميت قـــدماه وكل أرجله دماء وسنُّهُ ٥٠ سنة، فيأتي له ملك الجبال ويقول له "لو شئت أطبق عليهم الأخشـــبين" فيرد ويقول "لا... عسى الله أن يُخرج من أصلابهم مَنْ يعبد الله "

انظر إليه يوم أحد يوم أن تكالب عليه الكفار ويسقط في حفرة وتُكسر رباعيته ويمتلئ فمه بالــدماء ويُجرح وجه ويتزل الدم من وجه الكريم فيقولوا له: ادعوا عليهم يا رسول الله..

فيقول لهم: "إني لم أُبعث لعّاناً ولكنّى بُعثت رحمة للعالمين " للعالمين يا بشرية

ويرفع يديه للسماء ويقول "اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون " يعني كمان بيشفع لهــم عنــد الله تبارك وتعالى !! انظر إلى رحمته صلى الله عليه وسلم

عظيم في رحمته حتى مع الحيوانات.....أن رجلاً دخل الجنة في كلب وأن امرأة دخلــت النــار في قطة...هذا هو نبينا..عظيم من عظماء البشرية، انظر إلي عظمته في كل الميادين وانظــر إلي امتــداد عظمته لليوم، نابليون وشكسبير وغيرهم فين آثارهم، أفلاطون فين أثره في البشرية الآن وانظــر إلي محمد صلى الله عليه وسلم أين أثره في البشرية الآن.

عظيم في وفائه، عظيم في أخلاقه، عظيم عظيم في كل ميدان هتذهب إليه..

عظيم في التعايش مع الآخر يوم ما يستأمن اليهود ويقيمهم في المدينة ويقبل لهم كل حقوق المواطنــة ويسكنهم في المدينة ولا يقبل أن يتعرض أحد لهم ولا يأخذ مليم من نقودهم أو أن يغيروا شيئاً مــن ديانتهم أو يفرض عليهم أي شيء يحول دون حرية تعبدهم، عظيم في تعايشه مع الآخر..

عظيم في تعايشه مع الآخر لّما رفض إنه يستخدم مسلمين مكة أنهم يعملوا قلائل داخل مكة رغم أنهم يدينوا له بالولاء..ورغم وجود معركة بين المدينة ومكة رفض يستخدم مسلمي مكة وقال لهم ابقوا في مكة لأنه يحترم حق المواطنة داخل مكة والتعايش.

هذا هو نبينا، نبينا اللي طلع صلح الحديبية وكان يقدر يحارب قريش ولكنه طلع يبحث عن الســلام وأجبر قريش على السلام وكان يقدر يحاربهم ويجعلها حمّام دماء ينتصر هو فيه.لكن أراد السلام صلى الله علي محمد

يا بشرية افتخري أنه بين البشرية كان هناك محمد صلى الله عليه وسلم سواء أسلمتم أم لم تســلموا سواء كنتم هندوس أو غير مسلمين، سواء كنتم يهود أو مسيحيين، تعتقدوا أو لا تعتقدوا..هو عظيم هو عظيم...التاريخ قبله شيء والتاريخ بعده شيء...هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم

رسالتي للعالم..أنت ملم يا عالم بما حدث والحق أن العالم كله يطالب بتشريع دولي لاحترام هذا النبي العظيم..

بقيت كلمة أخيرة..لا نريد كلاماً وأنا تأخرت في بداية هذه الكلمة، تأخرت في أن أقول كلمتي، من أجل أننا لا نريد كلاماً نظرياً، ولا نريد اعتذاراً رمزياً، نحن نريد أفعالاً من الغرب تدل على تــوقير النبي صلى الله عليه وسلم ولن نسكت حتى يعود في هذه القضية التوقير لرسول الله صلى الله عليــه وسلم ولن تنتهي هذه القضية إلا بفعل التوقير صلى الله عليه وسلم رمز من رموز البشرية والنــاس جميعا والعظيم القائد العظيم والنبي العظيم في عيون المسلمين...هذا هو ما نريده ولا يكفي الاعتذار

الرمزي، يجب أفعال من الغرب تدل على التوقير وحتى يتم ذلك..فنريد من الشباب نشر هذه الكلمة لتصل إلي مسامع آبائنا وأمهاتنا، الشباب على الموقع..هذه الكلمة تأخذوها مرئية ومكتوبة وتـــوزع وتترجم ودار الترجمة تترجمها وتصل إلي الغرب جميعاً، نريد رسائل قصيرة من الشباب عـــن هـــذه الكلمة، وهذه الكلمة ستنزل على اقرأ..

نريد التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم فوراً في كل مكان في العالم..خطى الحبيب بيعاد الآن على اقرأ، الدكتور طارق سويدان له شرائط عن السيرة النبوية، الشيخ عائض القرني له كلمات عن السيرة النبوية، الحبيب على الحفري له كلمات عن السيرة النبوية، الدكتور البوطي له كتب عـــن الســـيرة النبوية، خطى الحبيب نزل شرائط، يأخذ هذا الكلام ويعم في العالم والمسلمين والغرب..إلي أن تحل القضية وتجاب مطالب الأمة الإسلامية بأفعال وليس بكلمات،هذا هو الواجب المطلوب من الشباب الآن نشر هذه الكلمة وإيصالها إلي مسامع العالم أجمع وتترجم والواجب الثاني هو مطلوب من كـــل الشباب أن يعرفوا ويبذلوا الجهد بالتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء بشرائط أو حلقـــات أو كتب أو بمشاهدة على خطى الحبيب وهو يذاع كل يوم ثلاثاء أو جمعة في مواعيدنا الثابتة..إحيـــاء التعريف بالنبي جوه المسلمين وخارجهم..والجميل أن على خطـــي الحبيـــب الآن يـــذاع متـــرجم بالإنجليزية..فأرجوكم يا شباب هذا هو الواجب المطلوب الآن إلي أن نصل إلي حل

وللحديث بقية..ولن ينتهي حديثي عند هذه الكلمات فمازال الأمر له بقية...

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عمرو خالد.

ارسل تعليقك

ايمن حسن احمد ... مصر ... ٥/٣٠/٢٠٠٦ ١:٢٠:٠٨ AM ...

يأستاذ عمرو طبعا جزاك الله كل خير على اللى بتعملة بس احنا العرب اللى هما المسلمين محتـــاجين واحد يصرخ بصوت عال يوحد المسلمين من الشرق للغرب ومن الشمال للجنوب زى صلاح الدين ساعتها حيكون للعرب كلمة ومكانة وحنسحق اسرائيل ويكون مفيش حدود بين الـــدول دولـــة اسلامية عربية واحدة دينها الاسلام ربها الله سيدنا محمد نبيها ورسولها امة موحدة فى قلبها الحـــب قوتها الايمان وعزيمتها الصبر ممكن يتحقق الحلم دة ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ ارجو الرد لان فية شباب كتير يأس ومحبط وانا فى مجال عملى بحس بدة من الشباب الصغار وبفضل اقويهم لكن عايز اقـــولهم ان فى ناس حاسة بيهم وبيحاولو ودة حيكون من خلال ردكم عليا عشان ارسلهم الرد واعرفهم ان الامل موجود وشكرا ... ...

ميسون قصاص ... سوريا ... ٥/٢٠/٢٠٠٦ ٧:٢٣:٤٧ PM ...

السّلام عليكم : ليس معنى اختلافنا في الآراء أن يظنّ واحدنا أنّه هو المصيب والآخرون مخطئـــون .. وليس معنى اختلافنا أن نتربّص ببعضنا البعض على الهفوات واللّمم بينما يتربّص بنا الأعداء من كلّ جانب . وليس معنى اختلافنا أن نفقد لغة الاحترام فيما بيننا . أجل الأستاذ عمرو غير ملتح وكذلك شأن الدكتور النابلسي والشّيخ البوطي حفظهم الله جميعاً وغيرهم من علماء ودعاة كان وما زال لهم أثرهم الطّيّب في نفوس الأمّة وأظنّ أنّ كثيرين من دعاة وعلماء الملتحين لن يعفهيم إعفاء لحاهم أمام الله عن تقصيرهم في تبليغ رسالة ربّهم ونبيّهم . وأرى أنّ ترك سنّة ظاهرة خير من ترك سنن خفيّـــة كثيرة لدى بعض ممن ينتقدون من لا يلتحي .. وأوّل هذه السّنن الواجبة المتروكة لديهم هـــي أدب النّصيحة والحوار . فلنتّق الله في أنفسنا ولن أقول في بعضنا لأنّنا ينبغي أن نكون جسداً واحداً كمـــا أراد لنا رسولنا وحبيبنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم . والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ...

ابيهى عبد الجبار ... المغرب ... ٢/٢٧/٢٠٠٦ ١:٠٥:٥٧ PM ...

بسم الله الرحمن الرحيم : والصلاة والسلام على حبيبنا وقدوتنا رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم. يقول الله تعالى :(لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لاكم ...)من هدا الحدث ان شاء الله ستقوم الاؤمة الاسلامية فابحمد الله سيقوم مؤتمر في الدنمارك للدعة منهم الاستاد الحببببيب عمرو خالد حفضه الله فمن وجبنا نصرة النبي صلى الله عليه وسلم تصور هدا الحذث بما وقع لنبي صلى الله عليـــه وســـلم عندما خرج الى الطائف يبحث عن من يحميه ليانشر رسالته ،فلذلك يجب علين حمية النبي صلى الله عليه وسلم وتعريف الدنماركين والغرب اجمع بهداالصدق الامين من طرف ارسال رسالة تعرف بهـــا عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرف موقع الاستاد عمرو خالد :www.am صلى الله عليـــه وسلم khal صلى الله عليه وسلم d.n صلى الله عليه وسلم t والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اخوكم ابيهى عبد الجبار من المغرب ... ...

أخوكم في الله (شادي) ... مصر ... ٢/٢٠/٢٠٠٦ ١٠:٢٠:٣٠ PM ...

نحن السبب في سب الرسول (ص) فلو كنا ملتزمين بسنته ص لمل حدث ما حدث فصدق الرســـول الكريم حين قال تتداعى عليكم الأمم ....

محمد المصرى ... صلى الله عليه وسلم gypt ... ٢/١٧/٢٠٠٦ ٩:٠٥:١٩ PM ...

ان نصرة النبى بنصرة سنته وماجاءبه م عند ربه والتشبه به فى افعاله واقواله وحله وترحالـــه وزيـــه ولباسه لو ارادعمرو نصرته فليتح كما مان النبى ...

أم أروى ... Saudi A صلى الله عليه وسلم abia ... ٢/١٢/٢٠٠٦ ٩:٢٦:٢٠ PM ...

الحمد لله أن أيقظ قلوب الأمة بهذه الأزمة ولكننا ننتظر تحقيق النصرة الحقيقية لحبيبنا صلى الله عليـــه وسلم وذلك بإحياء سنته وسيرته في كل منحىً في حياتناوهذا أعظم دليل على الحب الإيماني ولـــيس الاكتفاء بالشجب والاستنكار بل وأشد ما يسوءنا مايلحقه بعض المسلمين من أضـــرار وتخريـــب

للأشخاص والمباني فليس ذاك من ديننا في شيء . فالواجب أن نستثمر مثل هذه الفرص لنشر الإسلام وبيانه بياناً شافياً كافياً وماأروع أن يخاطب العالم أجمع بذلك بجميع اللغات وفي مختلف القنوات الفضائية (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم). وفي الختام أدعوا الله أن يحفظ علماءنا ودعاتنا وأخص بذلك الشيخ عمرو خالد –حفظه الله ورعاه –متمنية أن ينفعنا بعلمه وفهمه ويرزقنا كهمته للدين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ...
جيلالي العابد ... Alg صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ia ... ٢/١٢/٢٠٠٦ PM ٣:٣٣:٥٤ ...

جميل جدا أن نثور لأن الغرب أساء للرسول صلى الله عليه وسلم ،والأجمل من ذلك أن نأخذ أولا على أيدي سفهائنا الذين يتطاولون عليه من حيث إدعاؤهم أن شريعته غير صالحة لكل زمان ومكان ،وما أمر تغيير مناهج التربية والتعليم عنا ببعيد. –ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الجيلالي ... ... WANOUS ... Unit صلى الله عليه وسلم d Kingdom ... ٢/١٠/٢٠٠٦ PM ٥:٤٣:٠٩ ...

أرى أن شعوب الغرب وبعض شعوب الشرق أيضا مغلوب على أمرها فهي وأن ظهر أنها تتمتع بشيء من حرية التعبير ألا أنها قد حشرت مثلنا (الآن) في زحمة البحث المتلهف للقمة العيش فلم يعد لدى تلك الشعوب (مثلنا) أي وقت للنظر من حولها والتبصر في شئون حياتها وألى أين اتجاهها. وعلى القادرين منا فكرا وعلما ومالا العمل بصورة جاده ومنظمة ومنسقه على نشر مباديء الأسلام الحنيف بلغات تلك الشعوب في هيئة بسيطه وسهله دون مقارنته بأي من الأديان الأخرى حتى ترسخ قيم الأسلام الصافيه في أذهانهم ولا يعتبروه مجرد فكر يريد أن يطغى على معتقداتهم ، بل لرفع الغشاوة عن أعينهم بالكلمة اللينة والقدوة الحسنه على أن تستمر هذه الجهود سنوات وعقود ألى ما لا نهايه وتتوسع لتصل المدينة والقرية والسهل والجبل ولترسل الدعاة المعدين أعدادا جيدا ألى كل بقاع الأرض ليكونوا قدوة حسنه ولا يكونوا مجادلين لا يحسنون الجدل... والله ولي التوفيق ... ...
================

عناصر القوة الإيجابيَّة في مواقف المسلمين لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

خباب بن مروان الحمد

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله إقراراً به وتوحيداً ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله ، وصحبه وسلَّم تسليماً مزيداً أمَّا بعد:

إنَّ حديثي سينصبُّ حول استخلاص عناصر القوة والإيجابية في مواقف المسلمين في النصرة لرســول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ والتي رأيت أنَّها ـــ ولله الحمد ـــ كان لها ظهور ساطع ، وبارق لامع ، نتج إثر ما اقترفته الصحيفة الدنماركيَّة سيئة الذكر ، والتي تمخَّض من جرَّاء فعلها ، منافع كــثيرة ، فربَّ ضارة نافعة ، وعلى نفسها جنت براقش ، وظهر أنَّ في الأمَّة الإسلامية خيراً كثيراً ، مــا زال يتنامى ويتصاعد يوماً بعد يوم.

إنَّ حدث الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم سيُنسى يوماً ما ، ويبقى الأثــر المســتثمر منــه والمتمثل؛ في جامعة عتيدة ، وقناة فضائية، ومقرر مدرسي، ومؤلف علمي، ومؤتمر سنوي، ومؤسسة عريقة ،كنتيجة طيبة للغضبة الإيجابية التي عمت العالم الإسلامي.

ولهذا فإنَّه يجب ألا تغلق الإساءة أعيننا عن اغتنام الفرصة، ويكفي أصحاب الرأي أن يتذكروا ما قاله ــعليه الصلاة والسلامــ حينما هجاه بعض الكفار وقالوا عنه "مذمم" بدلاً عن "محمد" زيــادة في الذم، فكان قوله ــصلى الله عليه وسلمــ لصحابته الذين ساءهم مقالة الكفار: " ألا تعجبون كيف يصرف الله عني أذى قريش وسبهم، هم يشتمون مذمماً وأنا محمد". أخرجه البخاري. فهم رسمــوا رسومات وهمية في أذهانهم ، وهي ليست -بلا شك- رسومات للنبي ــ عليه الصلاة والســلام ـــ ولهذا قال الله تعالى لمحمد صلَّى الله عليه وسلَّم :(إنَّا كفيناك المستهزئين) فلن يضرَّ رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ ما اقترفته أيدي الرسَّامين ، ولكنَّنا نقول : إنَّ ما وراء ذلك الحدث كان للمسلمين فيه دور كبير في نصرة المصطفى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومن ذلك:

١ـــ المقاطعة الاقتصادية من الشعوب الإسلاميَّة للدول التي أساءت لرسول الهدى ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ وقد قيل في المقولة الأمريكية :الذي في يده السلاح هو الذي يسن القوانين ، ومن هنا فقد استشعر المسلمون أنَّ بيدهم سلاحاً لا يستطيع أهل الكفر أن ينزعوه منهم لأنَّه متعلق بإرادتهم ، بل جعلت أوروبا (الرسمية) تقف على قدمها وتحاول معالجة القضية ، وبهذا صار للمســلمين موقــف يحسب له أهل الكفر حساباً ، وأدَّت هذه المقاطعة إلى انتصار كبير نفسي للمسلمين ، وكسر لحاجز الخوف الذي زرعه الغرب فينا.

٢ـــ طباعة الكتب المعرفة بشخصه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومنها قيام مجلة البيان بمشروع سمَّتــه :(مشروع المحبة) حيث سيطبع منه مليون نسخة ، من كتاب (محبة الــنبي وتعظيمــه) للشــيخين الفاضلين: عبدالله بن صالح الخضيري ، وعبداللطيف بن محمد الحسن .

٣ـــ إنشاء المواقع المعرفة بشخصه ، وإطلاق كثير منها ، إثر تلك الهجمة الشرسة على رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ مرافقة لكثير من الصفحات العديدة التي كانت مصاحبة لكثير من المواقــع الإخبارية ، أو العلمية ، بل حتَّى في المنتديات كانت هناك صفحات عديدة تتحدَّث عنه ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ

٤ــ هبَّات الشعوب الإسلامية هبَّة واحدة لنصرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان في ذلك خــير كثير ، ولهذا فإنِّي أقول لنخبنا العلميَّة والفكريةَّ : ينبغي ألاَّ نحتقر الشعوب فهــي القلــب النــابض بالإسلام ، بل هي مستودع الإسلام ، فقد بان أنَّ في الأمَّة الإسلاميَّة خيراً كثيراً ، وأنَّه لا يزال فيها ، من يتنفض لحرمات الله ، ويغار على دينه ، ويذبُّ عن حرمة الإسلام ، وصدق القائل:

إذا كان قلبي لا يغار لدينه***فما هو لي قلب ولا أنا صاحبه

٥ــ كثرة المحاضرات والخطب ، والبدء بدروس علميَّة تشرح شمائل النبي صلى الله عليــه وســلم ، وجميل خلقه ، وسيرته ، متزامنة مع ما كان يُشرح من قبل.

٦ــ شعور كثير من المسلمين بالعزة ، وأنَّهم يستطيعون أن يصنعوا قراراً ، يستجديهم بعده الشــرق والغرب ، بأن يخفِّفوا من غلواء غضبهم ، ويتركوا مقاطعة الدول التي أساءت لرسول الله.

٧ــ هذه الهجمة الشرسة أشعرت المسلمين وخصوصاً أهل العلم بأهميَّة تفعيل قضية إنشــاء رابطــة عالمية للعلماء والمفكرين ، خالية من الثالوث الخطير الذي ينبغي عليهم أن يحذروا منه وهو :(البعــد عن الحزبية ــ ترك التعصب للإقليمية ــ ألا يكون تابعاً لجهة رسمية) وتكون بدورها هذه الرابطــة تدرس مستجدات المسلمين الراهنة ، وتردها لمنهاج الله ، ولعلَّ هذا المؤتمر يكون بداية تفعيل هــذه القضيَّة.

٨ــ محاولة كثير من المسلمين الانتهاج بنهج خير المرسلين ، واتباع سنته وتطبيقها ، وتوصية بعضهم لبعض بالحث على ملازمة ذلك.

٩ــ الضغط الإسلامي على هذه القضية جعلها رأس القضايا في الإذاعات ، والوكالات الإخبارية.

١٠ــ عودة الكثير من المسلمين للهداية بفضل الله ، حين شعروا بقيمة دينهم ، وعلو نبيهم ،

١١ــ إسلام بعض الكفار ، في بعض الدول الكافرة.

١٢ــ عرف كثير من المسلمين حقيقة عداوة الكفَّار لهم ، وحقدهم على دينهم ورســولهم ، وإرادة الشر والكيد بهم ، فازدادت قناعة كثير من المسلمين ببغض الكفار لهم ، ولا ننسى أنَّه تعــالى قــد قال:(إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً)

١٣ــ تصدي الكثير من المسلمين لبعض دعوات العلمانيين ، والرد عليها ، من قبيل قول بعضهم إنَّ هذه الرسوم من قبيل حرية الرأي فلا داعي لمعارضتها ، ومعارضة بعضهم للمقاطعة ، وقول بعضهم أن القضية أكبر من حجمها.

١٤ــ كانت تلك الإساءة لرسولنا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ منحة للتعريــف بــدين الإســلام ، والسؤال عنه من قبل الكفَّار فقد أوردت وكالات الأنباء شراء كثير من الفرنسيين للقرآن الكريم بعد الأزمة الدنماركيَّة ، ولكم أن تعرفوا أنَّه خلال أسبوع واحد كانت نسخ القرآن التي اشتريت من قبل

الفرنسيين ٦٠ ألف نسخة ، ولعلَّ ذلك يكون سبباً في هدايتهم إلى هذا الدين الإسلامي العظـــيم ، وحينها نقول: على نفسها جنت براقش.

١٥ــ قيام بعض المؤسسات الإسلاميَّة بطباعة كثير من الكتب المعرِّفة بفضل الإسلام وبرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وترجمتها لعديد من اللغات كالانجليزية والفرنسية والدنماركية وغيرها.

١٦ــ مواقف بعض حكومات الدول الإسلاميَّة ؛ بسحب سفرائهم من الدنمارك ، واستدعاء سفراء الدنمارك ، وتبنِّي تبيين فضل رسول الله ، وسيرته .

١٧ــ المطالبة بمحاكمة جميع المجرمين بما فيهم رئيس تحرير تلك الصحيفة محاكمة عادلة ، وإيقـــاع العقوبة الرادعة بهم ، وفصل رئيس التحرير من تلك الصحيفة ، تنكيلاً به وإزراء عليه وعقوبة له.

١٨ــ المظاهرات العارمة التي عمَّت البلاد الإسلامية ، وكانت شعلة وهَّاجة ضدَّ من سبّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ

١٩ــ هذا الحدث بيَّن أنَّ المسلمين إذا اختاروا رأياً واتفقوا عليه فإنَّه بمقدورهم بإذن الله أن يكـــون لهم موقف سديد تجاه أعداء الدين ، لا يستطيعون زحزحتهم عنه ، أو ثنيهم عنه.

٢٠ ــ بدء كثير من أصحاب الفكر والعلم بتبيين سيرة المصطفى ــ صـــلى الله عليـــه وســـلم ــ وخصوصاً أن كثيراً من الأوروبيين قد بيَّن لهم إعلامهم بأن رسول الله رجل إرهابي ودموي ، وقـــد أوصدت تلك الأنظمة الحاكمة على شعوبها في بلادهم وأقفلت عليهم بإعلامهم الذي يضلِّل هـــذه الشعوب، ويصف المسلمين بأنَّهم همجيون ، وليسوا ذوي أخلاق ومعرفة وعلم .

٢١ــ رسائل الاحتجاج التي وصلت للدنمارك وسفاراتها.

٢٢ــ بدء بعض المنشدين الإسلاميين ، بإخراج أشرطة في فضائل النبي ، وتمدحه بالمدح المباح الذي لا يوجد فيه غلو ولا إجحاف.

٢٣ــ الحوارات في الفضائيات ، والمقالات في الصحف ، التي انتشرت عقب الهجمة الشرسة علـــى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بتبيين سيرته ، وشمائل أخلاقه .

٢٤ــ استقبال بعض الدعاة والأثرياء للأجانب الذي يرغبون في التعرف على الإسلام.

٢٥ــ ضغط بعض المختصِّين على الدول المسيئة لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ التي اشعلت الأزمة لسن قوانين تجرم إهانة العقائد السماوية ، لأنَّ هذه العقائد تستحق معاملة أفضل من القداسة التي يضيفها الغربيون على "السامية" اليهودية.

٢٦ــ انكباب كثير من الشباب والفتيات على دراسة سيرة رسول الله ، وكتابة بحوث حول مقاطع من هديه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ

٢٧ــ كثير من مستخدمي الانترنت يرسلون رسائل بريدية في الدفاع والذب عـــن رســـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وتبيين سيرته سواء للمسلمين أو لغيرهم .

٢٨ــ هناك الآلاف اليوم في أوروبا بالذات يقبلون على شراء الكتب التي تتحدث عن شخص النبي الكريم، وهذه طريقة قوية لجذبهم للإسلام.

٢٩ــ أنَّ أي إنسان مسلم اليوم يشعر بأن نبيه أهمُّ إليه من حبل الوريد ، وإن مس بسوء ، فما نفع الحياة بعد ذلك ؟

٣٠ــ فتح الباب أيضا لمناقشة جدوى ما يسمى " حوار الحضارات" إذا كانت الحضارة الأوروبيــة تعتبر أن من حقها إهانة سيد البشر لأن في ذلك حرية للتعبير عن رأيها ،وطرح الموضوع من خلال وجهات النظر المعاصرة ، والمصطلحات المتداولة دوليا، مثل: حوار الحضارات، واحتــرام الأديــان والمقدسات وإدراجها ضمن منظومة حقوق الإنسان.

٣١ــ هذا الحدث بيَّن التآزر الخفي بين أهل الكفر ، حيث كان من نتائجه التي أعتبرها إيجابيَّة أنَّــه كشف حقد الكافرين على المسلمين (أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وأنَّهم لم يتجاوزوا ما قاله ــ عزَّ وجلَّ ــ :" بعضهم أولياء بعض" ففي فلسطين مثلاً بعد حادثة الدنمارك تكررت حوادث الإساءة لشخص الرسول الكريم، وقام اليهود بكتابة شعارات مهينة ضد النبي ــ صلَّى الله عليه وســلَّم ــ والإسلام، وقبل عدَّة أيام من تاريخ كتابة هذه الأوراق ، وقف الجنود على حاجز عسكري قــرب القدس وقاموا بتوجيه الشتائم ضد شخص الرسول الكريم عليه الصلاة والســلام أمــام المــواطنين المحتجزين وأمام نواب في المجلس التشريعي.

٣٢ــ هناك من ظن أن سيرة الرسول أصبحت مجرد مقررات تدرس ومعلومات تعيش رهينة الكتب ، وأن حبه أمر نتوارثه ونعايشه بحكم العادة ، وهذا أمر ثبت خطؤه.

٣٣ــ الأطفال الصغار كان لكثير منهم أدوار إيجابية حتى في رفض أكل أي منتج دنماركي لســبهم لرسول الله.

٣٤ــ أشعرت المسلمين بوجوب الرجوع للقرآن ، ودراسة آيات الولاء والبراء، وأن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وتذكر مواقفهم تجاه سبِّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ

٣٥ــ مناداة الكثير من أبناء المسلمين ألاَّ يكون هذا الفعل منهم مجرد رد أفعال بل منازلة وفعال، وأنَّ المسلمين بإمكانهم أن يصنعوا الحدث.

٣٦ــ أنَّ المسلمين لم ينخدعوا بما يسمَّى اعتذارات وهمية صدرت عن الجريدة أو عن المجلة الدنماركية التي أساءت لرسول الله ، بل كان لديهم من الوعي الشيء الكبير.

٣٧ــ ظهر استطلاع بيَّن أنَّ أكثر من ثلاثة أرباع الأردنيين يؤيدون استخدام سلاح النفط في حال تكرار الإساءة ، كما في استطلاع لمركز عالم المعرفة الأردني لاستطلاعات الرأي.

٣٨ــ استغلال الدعاة والمفكرين والعلماء هذه الهجمة بتبيين فضل رسول الله ، وشيء من ســيرته العطرة ، بل بدأ كثير منهم بدروس تخصه عليه السلام.

٣٩ـــ بعض المواقع الإباحية كان لها دور بالحث على المقاطعة ، ونصرة رسول الله ، وتـــاب كـــثير منهم إثر تلك الهجمة وأعلن ذلك في منتديات الإنترنت.

٤٠ـــ كثير من المسلمين أحسُّوا بالترابط ، والشعور بالجسد الواحد ، والوحدة فيما بينهم ، وتناسي الخلافات والحزبيات ومن ذلك هذا المؤتمر الرائع الذي ينم عن وحدة الأمة الإسلامية.

٤١ـــ أن أمة الإسلام مهما يفعل لها أعداء الإسلام من الغزو الفكري إلاَّ أنَّهم لم ولـــن يصـــلوا إلى أساسها وفطرها بالسوء لأن الله ناصرٌ دينه وحافظٌ لهذا القرآن والدين إلى يوم الدين.

٤٢ـــ شعر التجَّار بدورهم في هذه المقاطعة ، ولهذا فينبغي علينا إشعارهم بأنَّه كان لهم دور كـــبير وكبير جداً في بثِّ روح الموالاة لرسول الله ، وأنَّهم سيَّروا الشعوب المسلمة لمقاطعة الدول المســـيئة لرسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ .

٤٣ـــ إعلان بعض المواقع عن مسابقات للتأليف عن سيرة رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وســـلَّم ـــ والكتابة في ذلك ، من قبيل المقالات ، أو البحوث والدراسات.

٤٤ـــ كانت هناك مواقف رائعة للغاية من بعض الصحافيين المسلمين ، حين دافع عـــن شخصـــيَّة رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ ، حين كان يتحادث مع رئـــيس تحريـــر تلـــك الصـــحيفة الدنماركيَّة، وعارضه بادعائه أنَّ تلك كانت من قبيل حريَّة الرأي ، ولهذا فينبغي علينا أن نثمِّر مواقف أولئك الصحافيين ، ونثمِّنها لهم ، ونشكرهم عليها.

٤٥ـــ أنَّ المقاطعة الاقتصادية للدنمارك والدول المسيئة للرسول ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ ، أوجدت فكرة البديل في المنتج العربي المحلي ، بالاعتماد على الذات وتحقيق الاكتفاء الذاتي ، ومناداة الكثير من المسلمين بقولهم:(نأكل ممَّا نزرع ، ونلبس ممَّا نصنع) ، بل هذه المقاطعة أوضحت أهمية الاســـتقلال الاقتصادي لاسيما بعد تصريحات السفير الدنماركي بالجزائر، والتي يهزأ بها على المســـلمين قـــائلاً: "كيف يقاطعون وهم لا ينتجون ! ".

٤٦ـــ توحد الصف باختلاف أطيافه المتنوعة ، وإن كان ـــ في رأيي ـــ توحداً وقتياً يحتاج إلى آليات لاستمراره ، والحقيقة أنَّ هذا التوحد الشعبي بين المسلمين ، ما كان له أن يظهر بهذه القـــوَّة إلاَّ لأنَّ من ورائه أثر العقيدة الإسلاميَّة ، وأنَّها هي التي تجمع المسلمين وتوحد صفوفهم.

٤٧ـــ التحرر من الاستعباد الداخلي والخارجي.

٤٨ـــ تنمية روح الإبداع والابتكار ، لدى الشعوب المسلمة في الوسائل العمليَّة في نصرة رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ.

٤٩ـــ أظهر هذا الحدث مكامن القوة في الأمة التي يجب أن تستغل وتستثمر.

٥٠ـــ أطلَّ الإسلام من خلال هذه القضية على كثير من البقع الكونية التي كانت تجهـــل الإســـلام وحقيقته.

٥١ــ وضع خطوط حمراء للمجتمع الغربي تجاه المسلمين ومعتقداتهم.
٥٢ــ شعر المسلمون بشيء من الطمأنينة على رموزهم الإسلامية من خلال وقفتهم القويَّة والمشرِّفة.

٥٣ــ تفكير الكثير من الإعلاميين ورجال الأعمال ، للبدء بإطلاق قناة فضائية ، تخصُّ الحديث عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وجميع ما يدور حوله.

٥٤ــ مناداة بعض الأشراف الذين هم من ذريَّة نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقاضاة الصحيفة ، ورفع دعواهم للمحامين ليبدؤوا بها.

٥٥ ــ تفكير كثير من النخب العلميَّة وأصحاب المال بإنشاء وتمويل أقسام للدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية ، التي ترحب بكل ممول، وتمنحه الحرية بتصرف أمواله.

٥٦ــ إنشاء مواقع الكترونية باللغات الغربية للتعريف بسيرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتعاليم رسالته.

٥٧ــ إيجاد وسائل إعلامية ناطقة بلغات الغرب تكون قوية حتى توضح صورة الإسلام.

٥٨ــ بدء بعض الإسلاميين بدعم حملات تعريفية بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الغرب، على أن تموِّلها جهات في الدول الإسلامية ، لكن تتولى تنفيذها المراكز والهيئات الإسلامية الغربية.

٥٩ــ التبرع بجوائز علمية للكُتاب الذين يكتبون مؤلفات وبحوثاً عن النبي ــ صلى الله عليه وسلَّم ــ باللغات الغربية ، يتنافس فيها الكتاب المسلمون الغربيون، ويتم نشرها على نطاق واسع.

٦٠ــ تواصي كثير من الشعوب الإسلاميَّة بالدعاء على أولئك الظلمة الذين أساؤوا لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ

٦١ــ الفطرة النقيَّة التي ظهر من خلالها غضبة الناس حتى من غير الملتزمين على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالرغم من الهجمة الفكرية الشرسة على الأمة والغزو الإعلامي الصليبي والذي يبث على قنواتنا العربية.

٦٢ــ القيام بالجانب الايجابي باتجاه الآخر وهو تنظيم مؤتمرات وورش عمل ، لغير المسلمين للتعريف بالرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

٦٣ــ رب ضارة نافعة ، فبعض المواقع المعرِّفة للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ باللغة الانجليزية ، لم تظهر إلاَّ بعد هذه الأزمة.

٦٤ــ ظهور أصوات جديدة من الدعاة صغار السن ، وكتَّاب جدد لم يظهروا إلاَّ من خلال تلك الأزمة.

٦٥ــ وضوح الأثر الإيجابي لوسائل الإعلام عند استخدامها في المجالات المهمة والقضايا الجوهرية في حياة الأمة.

٦٦ـــ كثرة الصلاة والسلام على رسول الله ، فالشعوب كلُّها تتواصى بذلك ، وأظنُّ أنَّ أكثر فترة مرَّت على البشريَّة بالصلاة على رسول الله ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ هي هذه الفترة ، التي سـبَّ فيها رسول الهدى ـــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــ فضجَّ المسلمون بالصلاة والسلام عليه ـــ عليه صـلاة الله وسلامه ، ما تعاقب الليل والنهار ، وجرت الأنهار ، وصدحت الطيور مغنية فوق الأشجار.

=========================

عَبْدِ العَزِيْزِ بْنِ فَيْصَل الرّاجحِيّ

بيانٌ في الواجب على المسلمين تجاه ما نشرته بعض الصحف الدنماركية والأوروبية في حق النبي صلى الله عليه وسلم

الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيْزِ بْنِ فَيْصَل الرّاجحِيّ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وخيرة الخلق أجمعين، نبينا وسيد ولد آدم، محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن أعظمَ نعمة أنعمها الله على العالمين، بعثتُه المرسلين لبيان حَقّ رَبّ العباد أجمعين، (فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّيْنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالَحقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الَحقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ)، (رُسُلاً مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ).

فكان أعظم الناس حَظًّا، وأتمَّهم سعادةً مَنْ آمن بهم ونصرهم وعزَّرهم، وكان أشقى الناس وأتعسهم مَنْ كفر بهم، وقاتلهم، وأستهزأ بهم وبما جاءوا به. قال سبحانه: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ). وقال: (وَمَا نُرْسِلُ الْمرْسَلِيْنَ إِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ. وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ العَذَابُ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ).

وأوجب سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله الكرام حقوقا عظيمة على أُمَمِهم، مِنَ الاتِّبَاع والسمع والطاعة والمحبة فوق محبة النفس والمال والوالد والولد، والنصرة والتعزير والتوقير والتصديق والتعظيم.

ثم جعل أعظمهم حَقًّا، وأتمَّهم قَدْرًا، سيد الثقلين، وخيرة الأولين والآخرين، خليله وكليمه، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله أتم صلاة وأتم سلام.

وأخبر عباده المؤمنين بأن نبيه محمدا له عنده المقام المحمود المُعظَّم، وأنه خليله المُكرَّم، وصفيه المُكلَّم، أُعرج به إليه، وسمع من ربه كلامه وما أُوحيَ عليه، وأنه شفيع العباد يوم المعاد، وأنه شفيعهم يومئذ عند امتناع الأنبياء والرسل عن الشفاعات، واعتذارهم ببعض الأمور والزَّلَّات، فيقوم بين يدي ربه

داعيا متضرعا ذليلا، فَيُكْرِمُ رَبُّهُ مقامَهُ عنده، ويقول له أمام أنبيائه وسائر خلقه « ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ».

وأخبر سبحانه عبادَهُ مُمْتَنًّا عليهم ببعثتِهِ إيَّاه لهم: أنه على خلق عظيم، وأنه رؤوف بهم ورحيم، يُعْنِتُهُ ما يُعْنِتُهُمْ، ويَسُرُّهُ ما يَسُرُّهُمْ، فما دعى لهم إلا بالهداية والرشاد، وإنْ تمادوا عليه بالتكذيب والعناد.

وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أولى من المؤمنين بأنفسهم، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُوقى بالأنفس والأموال، وأَنْ يُقَدَّمَ على كُلِّ حال، كما قال سبحانه: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الَمدِيْنَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوْا عَنْ رَسُوْلِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ).

فَعُلِمَ أَنَّ رغبة الإنسان بنفسه أَنْ يصيبَهُ ما يصيب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المشـــقة معـــه حرام.

ومِنْ حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم: أن يكون أحبَّ إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق، كمـــا دَلَّ على ذلك قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِـــيرَتُكُمْ وَأَمْـــوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِـــي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).

وقال صلى الله عليه وسلم:«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَـــدِهِ وَوَالِـــدِهِ وَالنَّـــاسِ أَجْمَعِيْنَ» أخرجاه في«الصحيحين».

فصلى الله عليه صلاة دائمة ما دامت السموات والأرض، وسَلَّمَ عليه سلامًا ما تعبَّد اللهَ المؤمنون بنفل أو فَرْض.

فَصْلٌ

ثم إني قد اطلعتُ قبل أيام على ما نشرته صحيفة « يولاند بوستن » (Jyllands-Post صلى الله عليه وسلم n) الدنمار كية، يوم الجمعة (١٤٢٦/٨/٢٦هـــ -٢٠٠٥/٩/٣٠م) من طعن في النبي صلى الله عليه وسلم، واستهزاء به وإلحاد، بنشرهم اثني عشر رسما كاريكوتيرا ساخرا بالنبي صلى الله عليه وسلم، واستمرت في نشره أسبوعا بعد ذلك ! ثم أعادت عدة صحف أوروبية نشر هذه الرسوم هذا الشهر والذي قبله مرَّة أخرى.

وفي هذا محادَّةٌ لله ورسولِه صلى الله عليه وسلم، ومحاربةٌ وإيذاءٌ، وقد قال جَلَّ وعلا في المؤذين لـــه ولرسله: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً).

وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ. كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَـــا آيَـــاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

وقال تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ).

وقد أوجب الله جَلَّ وعلا على المسلمين كافَّة حقوقا وواجبات في شأن الُمعادين له ولرسله صلى الله عليهم وسلم، من إيذائهم بالحرب والعداوة والبغضاء.

وجعل حكم سَابِّ رسوله صلى الله عليه وسلم القتل، سواء كان مسلما أو كافرا، تاب من سَبِّهِ أم استمر في غَيِّهِ، بل حتى لو كان السّاب كافرا فأسلم لم يعصم ذلك دمَهُ، وإنْ قُبِلَ منه إسلامُه، لذلك يُقتل دون استتابة.

وقد قَرَّرَ هذا كُلَّهُ شيخُ الإسلام أبو العباس أحمد ابن تيمية رضي الله عنه أتمَّ تقرير في كتابه العظيم الكبير «الصارم المسلول، على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم »، واستدلَّ عليه بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع، وساق فيها ما لا يستطاع دفعه.

قال شيخ الإسلام في أوله (ص٣): (المسألة الأولى: أن مَنْ سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر: فإنه يجب قتله. هذا مذهب عليه عامة أهل العلم، قال ابن المنذر:«أجمع عوام أهل العلم على أن حَدَّ مَنْ سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم القتل»).

وقد حكى الإجماع غير واحد من الأئمة، منهم أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي، وإسحاق بن راهوية، والخطابي، ومحمد بن سحنون.

وقال (ص٢٥٣): (المسألة الثانية: أنه يتعين قتلُه، ولايجوز استرقاقُه، ولا المَنُّ عليه ولا فداؤه).

وقال (ص٣٠٠): (المسألة الثالثة: أنه يُقتل ولا يُستتاب، سواء كان مسلما أو كافرا. قال الإمام أحمد في رواية حنبل:«كل مَنْ شتم النبي صلى الله عليه وسلم وتنقَّصه مسلما كان أو كافرا: فعليه القتل، وأرى أَنْ يُقتل ولا يُستتاب »).

ثم قال: (وقال عبد الله: سألت أبي عَمَّنْ شتم النبي صلى الله عليه وسلم يستتاب ؟ قال:«قد وجب عليه القتل ولا يستتاب، خالد بن الوليد قتل رجلا شتم النبي صلى الله عليه وسلم و لم يستتبه »).

ثم قال (ص٣٠١): (وقال القاضي في«خلافه» وابنُه أبو الحسين: «إذا سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم قُتل، و لم تقبل توبتُه، مسلما كان أو كافرا، ويجعله ناقضا للعهد، نَصَّ عليه أحمد»).

ثم قال (ص٣٠٣): (وقد صرح بذلك جماعة غيرهم، فقال القاضي الشريف أبو علي بن أبي موسى في«الإرشاد» وهو ممن يُعتمد نقلُه:«ومَنْ سَبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل، و لم يُستتب، ومَنْ سَبَّهُ من أهل الذمة قُتل، وإِنْ أَسْلَمَ».

وقال أبو علي بن البَنَّاء في«الخصال والأقسام» له: «ومَنْ سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم وَجَبَ قتلُه، ولا تُقبل توبتُه، وإن كان كافرا فأسلم فالصحيح من المذهب أنه يُقتل أيضا، ولا يستتاب » قال: « ومذهب مالك كمذهبنا »).

فَصْلٌ

ولما كان هذا متعذرا اليوم على المسلمين لضعفهم وتفرقهم أَنْ ينالوا من أعدائه والمستهزئين برسله، ولتسلط أعدائهم عليهم بذنوبهم: كان الواجب على كُلِّ مسلم في هذا بقدره وبحسبه، إعذارا إلى الله وبراءةً منهم إليه. قال سبحانه (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، وقال: (فَاتَّقُوْا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ».

لذا فالواجب اللازم على المسلمين اليوم: إنكارُ هذا المنكر العظيم، كُلٌّ بما خَوَّلَهُ الله وولَّاهُ، فالواجب على ولاة أمور المسلمين قَطْعُ صِلَتِهِم بهذه الدولة الُمحادَّة. والواجب على عموم المسلمين تجارا وغيرهم مقاطعة سلعهم وبضائعهم. ليذوقوا وبال أمرهم، وليحصل بين شركاتهم وتجارهم وعموم شعبهم وبين حكومتهم الراضية بما نُشِرَ شقاقٌ ونزاعٌ بسبب جنايتهم عليهم، قال تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

وقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ).

وليس لهذه المقاطعة غاية تنتهي إليها، إلا بمحاسبة تلك الصحيفة ومسؤوليها، ورسَّامي الرسوم وكُلّ ذي صلة بها، ومعاقبتهم عقوبة حاسمة رادعة.

أَمَّا ما ينادي به بَعْضُ الُجهَّال، من أن تكون غايةُ المقاطعة اعتذارَ الحكومة الدنماركية أو الصحيفة: فليس من الحق ولا العقل في شيء ! وحكمٌ لم يشرعه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذه الجناية حَقٌّ عظيم لله عزَّ وجلَّ، ليس لأحد أَنْ يتنازل عنه، أو يُعلن المسامحة.

قال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (ص٢٢٦): (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أَنْ يعفو عَمَّن شتمه وسَبَّهُ في حياته، وليس للأمة أَنْ يعفوا عن ذلك).

ثم قال (ص٢٩٣): (ومما يوضح ذلك: أنَّ سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم تعلَّق به عدة حقوق: حَقّ الله سبحانه من حيث كَفَرَ برسوله صلى الله عليه وسلم، وعادى أفضل أوليائه، وبارزه بالمحاربة، ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة.

ومن حيث طعن في ألوهيته، فإنَّ الطعن في الرسول طَعْنٌ في الُمرْسِل، وتكذيبَه تكذيبٌ لله تبارك وتعالى، وإنكارٌ لكلامه وأمرِه وخبرِه وكثيرٍ من صفاته.

وتعلَّق به حَقُّ جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأُمم، فإنَّ جميع المؤمنين مؤمنون به، خصوصا أمته، فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته، فالسَّبُّ له أعظم عندهم من سَبِّ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسَبِّ

جميعهم، كما أنه أحبُّ إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين. وتعلّق به حَقُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث خصوص نفسه) اهـ.

فلا حَقَّ لأحدٍ قط أَنْ يتنازل عن حَقٍّ ليس له، ومَنْ تنازل عن شيء من ذلك، فإنما تنازل عن حَقِّ غيره، فلا يَصِحُّ تنازلُه ولا يجوز.

كما أَنَّ الواجب على المسلمين أيضا: مُناصرةُ كُلِّ تاجر كريم، غضب لمحادة أولئك العلوج لله ورسوله صلى الله عليه وسلم – فقطع وارداتهم – بالشِّراءِ منه، تأييدا له ومناصرة، وتشجيعا لغيره أَنْ يسلك مسلكَهُ، وينهجَ نهجه.

فَصْلٌ

وفي هذه المقاطعة أربعة أمور عظيمة مُتحقِّقة، إنْ تخلَّفَ أحدُها لم تتخلَّفْ بقيتُها:

١ – أحدها: الإعذار إلى الله عزَّ وجلَّ، وبَذْلُ ما بالوسع والطاقة في نُصرة شرعه ودينه، فَإِنَّ هذا واجبٌ لازمٌ، وليس في أيدينا إلا هذا.

٢ – والثّاني: احتساب المُقاطِعِ الأجرَ من الله جَلَّ وعلا في ذلك، وتعبُّده بهجر مُحادِّيه وأعدائه، والمجاهرين بذلك والمعلنين.

٣ – والثّالث: التنكيل بأعداء الله، وإذاقتهم بَعْضَ وبالِ أمرهم، بحيث يكون لهم عقوبة مؤلمة، ويكون لغيرهم رادعا، حاميا لحياض المسلمين ودينهم وعرض نبيهم صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام (ص٣٨٥): (وأيضا: فإن السَّابَّ ونحوه، انتهك حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقَّص قدرَه، وآذى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين، وأجرأ النفوس الكافرة والمنافقة على اصطلام أمر الإسلام، وطلب إذلال النفوس المؤمنة، وإزالة عِزِّ الدين، وإسفال كلمة الله، وهذا من أبلغ السعي فسادا).

٤ – والرّابع: إظهاره عِزَّةَ المؤمنين وقوَّتهم، ونَيْلَهُمْ من أعدائهم ومُتنقّصي رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم، وإنْ ضعفتْ حيلتهم عن مقاتلته.

فهذه أربع مصالح عظيمة من مقاطعة أولئك المُحادِّين.

فمَنْ زَعَمَ مِنْ أهل النفاق أَنَّ المقاطعة غير نافعة، أو أَنَّ نفعَها قليل: أُجِيْبَ بهذا.

وقد ظهر – بحمد الله وفضله – في أيام قلائل، عظيمُ أثر ما حصل من مقاطعتِهم، وتألمهم الشَّديد من ذلك، وانشقاق صفوفهم، وخوف حكومتهم من العواقب، وخسارتهم الملايين الكثيرة حتى الآن.

لهذا تكالب أعداء الله – عليهم لعائن الله – بنشر تلك الصور في صحف أوروبية كثيرة، محاولة منهم فَكَّ هذه المقاطعة، وإضعاف عزم المسلمين وتشتيت أمرهم، بإلزامهم أنفسهم بمقاطعة الدول الأوروبية مجتمعة أو تركها كلها ! حِيْلَةٌ خبيثةٌ كان قد سَنَّهَا لأسلافهم إبليسُ في ليلة مُهاجَر النبي

صلى الله عليه وسلم، حين أشار على كبار كفار قريش، اشتراك رجل من كل قبيلة في قتـل الـنبي صلى الله عليه وسلم، ليضيعَ دَمُهُ في القبائل كُلِّهَا فلا يُطْلَبُ !

لذا فإني أرى أَنْ يُعاقبَ هؤلاء بنقيض قصدهم، فتستمرّ مقاطعة الدنماركيين وهذا واجب لا محالـة، فإنهم هم الذي سَنُّوا هذا الأمر. أما بقيَّة الدول الأوروبية: فقد عَلِمَ المسلمون ما تُكِنُّهُ نفوسُهم الخبيثة لنبيِّهم صلى الله عليه وسلم، فيحرص كُلّ مسلم ألا يشتري من بضائعهم إلا ما تدعوه الحاجةُ إليه إنْ لم يجدْ بديلا من صناعة غيرهم.

كما أغاظتْ هذه المقاطعة كثيرا من المنافقين، فحاولوا تارة التبرير، وتارة التـهوين، وتـارة بـزعم الإصلاح وإرادة الخير !

١ – فمن زاعم أَنَّ المقاطعة ستقطع الحوار معهم !

وهذه كذبةٌ بلقاء، وحيلةٌ بلهاء، فإنَّ الله عز وجل لم يَأْذَنْ بالحوار مع الكفار إلا ببنائه على أصـلَيْنِ اثنَيْنِ، هما:

(أ) دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(ب) وبيان بُطْلان دينهم وفساده، وأَنْ اللهَ لا يقبله منهم، ولا يقبل غيرَ الإسلام.

لهذا قال سبحانه: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

وكانتْ حوارات النبي صلى الله عليه وسلم على هذا، لهذا قال سبحانه: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْـتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، ولو أقاموهما لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا، كما قال عيسى عليه السلام لهم: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ).

وقال: (فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).

فهل هذه الحواراتُ المزعومةُ، شرعيةٌ مبنيَّةٌ على هذَيْنِ الأصلَيْنِ، أو أنَّها غطاء لهدم الدين، ومـوالاة الكفار والمشركين ؟!

٢ – ومن منافق زاعم: أَنَّ سبب جناية تلك الصحيفة هو تقصير المسـلمين أنفسـهم في تعـريفهم بالإسلام ! فمرادُه تبرئة هؤلاء المحادّين من جنايتهم، أو تبريرها لهم، وإناطة جُرْمِها بالمسلمين !

و لم يعلم هذا المنافق أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم – مع شهادة الله التامة له بإبلاغ الرسـالة وإتمـام الدين – لم يسلم من المستهزئين والساخرين، قال سبحانه لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمشرِكِيْنَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمستَهْزِئِيْنَ).

بل كُلُّ أنبياء الله كذلك، قال تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)، وقال: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ).

وقال: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ).

وقال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُوْنَ).

٣ – ومِنْ منافق زاعم: أنَّه يعارض المقاطعةَ إنْ كان بها إضرار بمصالح المسلمين !

ولا أدري ما هذا الضرر الفائق لمحادَّتِهم لله واستهزائهم برسوله صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك ممَّا قدَّمنا. أم أن ضرره المترقَّب ما يخشاه من فضل مطعم ومشرب ! فلا أشبع الله إذن بطنَه.

ولو قُدِّرَ حصول ضرر – وهو غير مسلم –: فالواجب احتساب الأجر والصبر، فإنَّ الجنة لم تُحَفَّ بالشهوات، وإنما حُفَّتْ بالمكاره، وإنما جهنم هي المحفوفة برغبات النفوس وأهوائها.

ومع هذا: لم يحصل بحمد الله ضرر، بل حصل مِنْ نصرة الدِّين وخُذْلان الكفار والمنافقين ما تَقَرُّ به أعين المؤمنين. و لم ينفرد علوج الدنمارك بحمد الله ببضائعهم، بل قد عَمَّتِ الخيراتُ بلادَنا وبلاد المسلمين من كل دولة وكل بلد، غير ما في بلاد المسلمين من خيرات تُغْنِيْهم عمَّا في بلاد أولئك المجرمين.

وإنما هذا المتكلم قد أعمى الله بصرَهُ وبصيرتَهُ، ومُلِئَ قلبُه نفاقا وحَنَقًا، فما يَسُرُّ المؤمنين لا يَسُرُّهُ وما يُؤْذِي الكفَّارَ لا يُؤْذيه، وإنما سروره وضرُّه فيما يَسُرُّ أعداء الدين وفيما يَضُرُّهم. فَلْيَمُتْ بغيظه فليس في المؤمنين المُمْتلئة قلوبُهم بحبِّ الله وحُبِّ رسوله صلى الله عليه وسلم، والذَّبّ عن حماهما وشريعته مَنْ يُصْغِي إليه أذنا. غير أنَّهُ أراد إلباس نفاقه لبوس الخشية على المسلمين ومصالحهم ! فاستتر بثوب خَلِقٍ بَالٍ، لم يسترْ عورتَهُ ! فقد نَبَّأَنا اللهُ من أخبارهم ما أظهرَ لنا جَهْرَةً عوارَهم !

فَصْلٌ

وبقي هنا أُمورٌ، مُبَشِّرَاتٌ وتنبيهاتٌ:

إحداها: قال شيخ الإسلام في«الصارم المسلول» (ص١١٧): (وإنَّ الله منتقم لرسوله صلى الله عليه وسلم ممن طعن عليه وسَبَّهُ، ومظهرٌ لدينه ولكذب الكاذب، إذ لم يُمْكِنِ النَّاسُ أَنْ يُقيموا عليه الحدَّ.

ونظير هذا: ما حدَّثناه أعدادٌ من المسلمين العدول، أهل الفقه والخبرة عمّا جرَّبوه مَرَّاتٍ مُتعدِّدةٍ في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: « كنا نحن نحصر الحصن، أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنعٌ علينا، حتى نكادَ نيأسُ منه، إذْ تعرَّضَ أهلُه لسَبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوقيعة في عرضه، فَعُجِّلْنَا فَتْحَهُ، وتَيَسَّرَ و لم يَكَدْ يتأخرْ إلا يوما أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفْتَحُ المكانُ عَنْوَةً، ويكون فيهم ملحمة عظيمة».

قالوا: «حتى إِنْ كُنَّا لنتباشرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه صلى الله عليه وسلم، مع امـــتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوه فيه».

وهكذا حدَّثني بَعْضُ أصحابنا الثقات: أَنَّ المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك.

ومِنْ سُنَّةِ الله: أَنْ يُعَذِّبَ أعداءَه تارةً بعذاب من عنده، وتارةً بأيدي عباده المؤمنين).

قال (ص١٦٤): (ومِنْ سُنَّةِ الله: أَنَّ مَنْ لم يُمْكِنِ المؤمنون أَنْ يُعذِّبوه من الذين يؤذون الله ورســـوله صلى الله عليه وسلم، فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله صلى الله عليه وسلم، ويكفيه إيّاه. كما قدَّمنا بَعْضَ ذلك في قصة الكاتب المفتري، وكما قال سبحانه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الُمشْـــرِكِيْنَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الُمسْتَهْزِئِيْنَ).

والقِصَّةُ في إهلاك الله واحدا واحدا من هؤلاء المستهزئين معروفة، قد ذكرها أهلُ السِّيَرِ والتفســـير) اهـــ.

الثّانية: أَنَّ مع ما في طعن هؤلاء المحادّين من شَرٍّ وإغاظة للمؤمنين، إلا أَنَّ فيه خيرا عظيما، فقد أظهر هذا أمورًا خافيةً على كثير من الناس لعدم تدبّرِهم كتابَ رَبِّهم جلَّ وعلا.

ومِنْ تلك الأمور الحسنة:

١ – أهم عرفوا حقيقة دعاوى كثير من الأدعياء لمحبَّة الله ورسولِه صلى الله عليه وســـلم، الـــواقفين مواقف الرّيبة من هذه الجريمة، إمّا بالسّكوت، أو التّبرير، أو التّهوين.

٢ – وعرفوا عداءَ أولئك الصليبين للإسلام وأهله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بعد أَنْ عَمِيَتْ أعينُ كثيرٍ من الناس عن ذلك، بتزيين أهل الأهواء والنفاق لأولئك. وإلا فإنَّ الله قد أخبر في كتابه مُحذِّرًا عبادَه المؤمنين منهم فقال: (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

وقال: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ).

وقال: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ).

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَـــدْ بَـــدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ).

٣ – وعرفوا قوَّهم، وكيف استطاعوا النيلَ من أعدائهم وإذلالهم، وتشتيتَ كلمتهم وتفريق أمرهم.

الثّالثة: أَنَّ كُلَّ مُتكلِّمٍ بلسان الدّين أو أهله، بمسامحة أولئك الجناة المحادّين، أو مســـامحة دولـــتِهم إن اعتذرتْ أو اعتذرتْ صحيفتُها، ونشرتْ ذلك في كبرى الصحف أو في غيرها من وسائل الإعـــلام: فهو إمَّا منافق، وإمَّا جاهلٌ مُركَّب.

فالأول: معروفٌ سِرُّ سعيِه بالمسامحة !

والثاني: تنازلَ وسامحَ في شيء ليس من حَقِّهِ، وليس الأمر فيه إليه، وقد قدَّمنا ذلك، فالمقاطعة ماضية لا غاية لها ولا نهاية.

الرَّابعة: قد سَمَّى بَعْضُ أهل البدع والأهواء، غَضَبَ المؤمنين لنبيِّهم صلى الله عليه وسلم، واغتياظَهم ممّا نُشِرَ في حَقِّهِ « تقاليد تفرض على أولئك التقدّم باعتذار صريح ينشر في كبريات الصحف العربية » !

وهذا باطلٌ من وجهَيْنِ:

أحدهما: أَنَّ هذا شَرْعٌ من عند الله، دَلَّ عليه الكتاب والسّنّة والإجماع، ومَنْ لم تُحْدِثْ عنده تلك الأفعالُ غضبا ولا غيظا فليس بمؤمن. وليستْ تقاليدَ وأعرافًا إنْ فُعِلَتْ أو تُرِكَتْ فالأمرُ فيها سيان !

الآخر: أَنَّ الاعتذار من الحكومة أو الصحيفة ليس مُسْقِطًا لحقِّ الله جَلَّ وعلا، ولا حَقَّ نبيِّه صلى الله عليه وسلم، ولا حَقَّ المسلمين أجمعين. وليس حُكما من الله تبارك وتعالى في شاتمي رسوله صلى الله عليه وسلم والنائلين من جنابه الشَّريف. وإنما هو شَرْعٌ شَرَعَهُ ذلك الفاسدُ، مُضاهيًا به شَرْعَ الله وشَرْعَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، مُنزلاً حُكْمَهُ هو مكانَ حُكْمِهما !

ومُحاولةٌ منه فاشلةٌ: أَنْ يُظْهِرَ لأعداء الله مَخْرجًا مما وضعوا أنفسَهم فيه، وأَنْ يُظْهِرَ نفسَهُ لهم أَنَّهُ الدَّالُّ إليه والدَّليل عليه !

الخامسة: أَنَّ الأمَّة مجتمعةً فيها قُوّةٌ وخيرٌ، وأنَّها إذا اجتمعتْ على الحقِّ عجز فيها عدوُّها أَنْ ينال منها أو يخيفَها، فإظهار هؤلاء الكفار في صحفهم الأوروبية الطعنَ والاستهزاءَ بالنبي صلى الله عليه وسلم عَلَنًا، جَعَلَ المسلمين مُتّحدين في عدائهم، مُستشعرين خطرَهم وكيدَهم، وجعل أعداءَهم مُتذبذبين خائفين مِنْ عواقب ذلك وتبعاتِه عليهم. فكُلُّ ما كان عداء أعداء الله للمسلمين ظاهرا: كان تعاونهم على مدافعتِه عظيما.

وكُلُّ ما كان عداؤهم للمسلمين مُستترا تحت أغطيةٍ يصنعونها تلبيسا، أو يصنعُها لهم المنافقون من علمانيين وليبراليين وغيرهم: كان ذلك مُشَتِّتًا لكلمة المسلمين مُفرِّقًا لاتّحادِهم وتعاونهم لمدافعة عدوِّهم، حَتَّى يُؤْخَذُوا دَوْلَةً دَوْلَةً !

السَّادسة: أَنَّ إطلاق الغَرْبِ مُسمَّى «الإرهاب» لا يُريدون به المعنى الذي نريده نحن عند إطلاقنا له في المملكة، وإنَّما يُريدون به الإسلامَ ونبيَّه صلى الله عليه وسلم، يَظْهَرُ ذلك من رسومِهم للنبي صلى الله عليه وسلم، حين صوَّروه بِصُوَرٍ تَدُلُّ على مُرادِهم !

لذا فالواجب في هذا أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

١ – إِمَّا الاقتصارُ على الألفاظ الشرعية، الدّالة على المعنى المُراد، كالحرابة، والمحادّة، ونحوهما، وتَرْكُ لفظ «الإرهاب». لمعرفة مدلول تلك الألفاظ، وجهالة مدلول الأخير، وتنازع النّاس فيه دولاً وأفرادًا.

٢ – وإِمَّا حَدُّهُ عالميًا بِحَدٍّ مُنْضَبِطٍ، وتعريفه بتعريف بَيِّنٍ، ثم إطلاقُه عليه، إنْ كان ذلك الحدُّ مُسلَّمًا صحيحا.

السَّابعة: أَنَّ أعداء الله المحادّين له لم يجدوا عُذْرًا يعتذرون به على قبيح فَعْلَتِهم وعظيم جُــرْمِهم، إلا سماح قوانينهم بحرّيّة التعبير وحرّيّة الصحافة ! ومع أَنَّ هذه حُجّةٌ مدحوضةٌ، فليس كُلُّ مَنْ أراد شيئا في الغَرْبِ قاله ! كما أنهم لا يسمحون لغيرهم بقول ما يريد إذا كان مخالفا لهم.

فَمَعَ هَذَا كُلِّهِ: فيجب على المسلمين أَنْ يتنبَّهوا إلى ما يُرَادُ بهم مِنْ سَعْيٍ إلى فتح حُرّيّة التعبير المُطلقة عندهم وفي وسائل إعلامِهم، التي يُراد منها تمرير الكفر والمحادّة لله ولرسوله صلى الله عليه وســـلم، والإذن به، ولا يظنون أنهم بها يستطيعون قول ما يريدون مما يخافون قولَهُ ويخشون عاقبَتَــه. وإنَّمـــا يُسلِّطون أعداءَهم عليهم، وهم لا يستفيدون مِنْ ذلك شيئا !

وَفَّقَ اللهُ المسلمين لما يُحِبُّهُ ويرضاه، ونَصَرَ دينَهُ، وأعلا كلمتَهُ، وأعزَّ جُنْدَهُ، وأهلكَ أعداءَه، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكنَّ المنافقين لا يعلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

كتبه

عبد العزيز بن فيصل الرّاجحي

الرياض

الجمعة ٤ /١/١٤٢٧هـــ

========================

كلمة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان

الحمد لله مجيب من سأله، ومثيب من علّق به رجاه وأمله، الكريم الذي من أقبل عليه قبلـــه، ومـــن أعرض عنه أرداه وخذله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، خلقنا مـــن عـــدم، وأسبغ علينا وافر النعم، كبّرنا من صغر، وكسانا بعد عُري، وعلمنا بعد جهالة، وآتانا من كل مـــا سألناه، اختص برحمته من شاء من عباده، وفضّل بعضهم على بعض بحكمته وعدله، فجعلهم فريقـــاً إلى الجنة وفريقاً إلى السعير، وهو الرؤوف الرحيم.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، صفيه وخليله، وسفيره بينه وبين خلقه، أرسله ربُّه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصّر به من العمى، وأرشد به من الغواية، فتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، حيث بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمّة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربِّه، فجزاه الله عن أمَّتـــه أفضل الجزاء، وصلى عليه صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء، وسلّم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

أمّا بعد..

فقد خلق الله تعالى الخلق لغاية عظيمة؛ هي إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٨].

وبعث الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين، داعين الخلق إلى إفراد الخالق سبحانه وتعالى بالعبادة، فكانت دعواتهم صادقة، ورسالاتهم واحدة.

قال الله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [سورة البقرة، الآية ٢١٣].

وقال تعالى: (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) [سورة النساء، الآية ١٦٥].

وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) [سورة الأنبياء، الآية ٢٥].

وقال تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [سورة النحل، الآية ٣٦].

فهذه دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة السلام: دعوة الخلق إلى إفراد الخالق جلّ وعزّ بالعبادة.

والرسل هم صفوة خلق الله تعالى، وعلى رأسهم أولو العزم منهم؛ وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال الله تعالى:(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) الآية. [سورة الأحقاف، من الآية ٣٥].

وسيّدهم، وقائدهم، وإمامهم: محمَّد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

قال الله تعالى:(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [سورة البقرة، الآية ٢٥٣].

ورسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اختصه ربُّه بخصائص عظيمة، ومنن جسيمة، لم يشاركه فيها غيره من الأنبياء والرسل؛ لذلك كان سيدهم؛

*فمنها: أنَّ الله تعالى أخذ العهد على جميع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام أنه سبحانه إذا بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، فواجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه.

قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) [سورة آل عمران، الآية٨١].

*ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: أنَّه خاتم النبيين عليه من ربّه أزكى صلاة وأعظم تسليم.

قال الله تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) [سورة الأحزاب، الآية٤٠].

*ومنها: أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة، وبُعث محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة.

قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [سورة سبأ، الآية ٢٨].

وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [سورة الأعراف، الآية ١٥٨].

*ومن خصائصه: أن الله تعالى بعثه رحمة للعالمين.

قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

وقال تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [سورة التوبة، الآية ١٢٨].

*ومنها: أنَّ دينه الذي جاءنا به من عند ربِّه، هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من العباد ديناً سواه، ومن لقي الله بغيره فهو خاسر.

قال الله تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة آل عمران، الآية ٨٥] .

*ومنها: أن الله تعالى تكفّل بحفظ دينه.

قال الله تعالى: (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) الآية. [سورة المائدة، من الآية ٣].

وقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [سورة الحجر، الآية ٩].

*ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: أنَّ الله تعالى تكفل بحفظه من كل من أراده بسوء في حياته وبعد مماته.

قال الله تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) [سورة الطور، الآية ٤٨].

وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [سورة الأنفال، الآية ٦٤].

وقال تعالى: (وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) [سورة الأنفال، الآية ٦٢].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [سورة المائدة، الآية ٦٧].

قال الله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [سورة الحجر، الآية ٩٥].

*ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: أنَّ الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال الله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) [سورة الفتح، الآيتان ١و٢].

*ومن خصائصه: أنّ الله تعالى جعله شهيداً على من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) [سورة الأحزاب، الآية ٤٥].

وقال تعالى:(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً) [سورة النساء، الآية ٤١].

*ومن خصائصه بأبي هو وأمي: أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأنه أول شافع، وأول مشفع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع)) رواه مسلم.

*ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى أعطاه الشفاعة العظمى، وهو صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، ونهر الكوثر، والحوض، وهو صاحب الوسيلة والفضيلة.

قال الله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) [سورة الكوثر، الآية ١].

وقال تعالى: (اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) الآية. [سورة البقرة، من الآية ٢٥٥].

وقال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) [سورة الإسراء، الآية ٧٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أعطيت الشفاعة)) متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم:((أنا سيد ولد آدم ولا فخر. ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج)) رواه الحاكم وصححه.

وقال صلى الله عليه وسلم:((حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً)) رواه البخاري.

وقال رسول الهدى عليه الصلاة والسلام:((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)) رواه البخاري.

*ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: أنه أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((عُرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) متفق عليه.

وهذا غيض من فيض خصائصه صلى الله عليه وسلم.

وخصائصه جانب من جوانب شخصه عليه الصلاة والسلام، ولو شئنا الاستطراد في الحديث لذكرنا فضله على أمته خاصة وعلى الناس عامة، وشفقته ورحمته بالناس أجمعين.

ومعلوم أنَّ النفوس مجبولة على حبِّ الكمال، وقد كمّل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنواع الكمال التي لم تجتمع في غيره عليه الصلاة والسلام، فكيف إذا اجتمع مع ذلك ما حباه الله به من حبُّه لهداية الخلق وصلاحهم، ونجاتهم وفلاحهم، وما كان يعانيه من ألم إذا رآهم ضلوا.

لذلك كان حبُّه صلى الله عليه وسلم في قلب كل مؤمن، بل في قلب كل منصف من غير المؤمنين ممن عرفوه على حقيقته، لا يملكون إلا تقديره واحترامه، وحبَّه لما أسداه للناس عامة من خير عظيم.

وقد كان فضله عليه الصلاة والسلام وإحسانه على أهل الملل الأخرى عظيماً، فقد بيَّن لهم الحق بأدلته التي عرفوها ووجدوها في كتبهم، وكان من دينه: أنَّه لا يصح الإيمان إلا بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، ووجه جلّ دعوته إلى أهل الكتاب، وجادلهم بالحسنى.

وكان حظ النصارى من فضله صلى الله عليه وسلم أعظم من غيرهم، فقد أنصفهم بعد ما ظلمهم اليهود والوثنيون، حيث بُعث صلى الله عليه وسلم وأهل الملل يتهمون مريم بالزنا، ويتهمون عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا، ووجد النصارى يتشبهون باليهود والوثنيين فيدعون أن عيسى عليه السلام ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الله، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم فوضع الأمور في نصابها، وبين أن مريم بنت عمران عذراء عفيفة، وأن الذي جاءها أمر من الله تعالى، وأن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [سورة آل عمران، الآية ٥٩].

فاعترف المنصفون منهم بأن ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، وهو بشارة عيسى عليه السلام لأمته، وأن ما جاء به هو الحق الذي لا يزيد عما جاء به عيسى بقشة، ولا ينقص بقشة.
وهذا حال المنصف، صاحب النفس الطيبة؛ يحب الحق، ويبحث عن الحق، وإذا وجد الحق أخذ به، أما منكر الجميل فهو دنيء النفس خبيثها، ونكرانه للجميل دليل سوء طويته وسوئها.
ولقد عبّر أكثر نصارى اليوم عن نكرانهم الجميل، وعن رفضهم الحق الذي جاءهم بــه رســول الله صلى الله عليه وسلم بأسوأ تعبير، حيث رفضوه، وكذبوه، وسعوا جاهدين في تشــويهه، وصــرف الناس عنه، وإغواء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإغراقهم في الشهوات والملــذات والموبقــات، وتشكيكهم في دينهم، و لم يكفهم هذا حتى صرحوا بشتم الإسلام، ونــبي الإســلام، وأمعنــوا في الاستهزاء به.
وما زلنا منذ سنوات، ونحن نسمع ونرى كماً هائلاً من ذلك، حتى ألمت بنا فتنة عجيبة، ومحنة كئيبة، تولى كبرها زمرة سفيهة، وجدت من يدعمها باسم الحرية، ويشجعها باسم الديموقراطية، ويحميهــا باسم حق التعبير وإبداء الرأي.
فقامت صحيفة((بولاند بوستن)) الدنماركية بنشر رسوم ساخرة، في أواخر شهر شعبان مــن عــام ض١٤٢٦هــ. زعم صانعوها أنهم يمثلون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم في يوم عيد الأضحى من عام نفسه تبعتها((ماجزين)) النرويجية فنشرت الرسومات نفسها، فجرحت المسلمين في عقيدقم التي لا يختلفون فيها، ودينهم الذي لا يرضون عنه بديلاً.
وقد كان يمكن أن تمر هذه الجريمة النكراء دون كبير ضجة، وأن تعامل على أنــه تصــرف فــردي يستحق فاعله العقوبة، لولا أنَّ هذه الجريمة سبقت بمذكرات ملكة الدنمارك((مارجريــت الثانيــة)) رئيسة الكنيسة الإيفانجليكانية اللوثرية، التي يتبعها أكثر من ٨٥% من الشعب الــدنمركي، حيــث أظهرت في مذكراتها كرهها للإسلام، ولسيد الأولين والآخرين، واتهمته بما ليس فيه، ثم دافعت عن الرسومات الساخرة، وصرحت بأنها تعبير عن رأي، ودليل حرية، وزاد الطين بلة، أن رئيس الوزراء رفض مقابلة السفراء المسلمين الذي طلبوا مقابلته؛ ليظهروا احتجاجهم، والآثار السيئة لتلك الصور، وتغطرس وتكبر، ضارباً بعرض الحائط الدساتير الدبلوماسية، ورفض وزير الثقافة التراجع عن هــذا السوء، والمحكمة رفضت الدعوى، فأظهروا تعصباً وموافقة للصحيفة على فعلها، متــذرعين بحريــة الرأي.
فكانت ردود الفعل أكبر مما تصوروا، والغضبة الإسلامية أشد مما توقعوا، وما زال الغضب الذي شمل سحب بعض السفراء، ومقاطعة المنتجات، يتنامى يوماً فيوماً.
ولا شك أن هذه محنة، إذا أحسنا استغلالها، فسيعين الله تعالى وتكون منحة، وهذا ظاهر من أمــور كثيرة، تحتاج إلى وقفات كثيرة، وحسبنا في هذه المقدمة أن نذكر بعضها؛

*فمنها:

ظهور الحقد الصليبي في صورة بشعة من قبل من يدّعون التسامح والحرية والديموقراطيــة، قــال الله تعالى: (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) [سورة البقرة، الآية ٢١٧].

وقال تعالى: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [سورة البقرة، الآية ١٢٠].

وقال تعالى:(وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء) [سورة النساء، الآية ٨٩].

*ومنها: ظهور كيل النصارى بمكيالين، مكيال مع المسلمين، فيذموهم، ويتهموهم، ويظهرون كفرهم وسبهم لله ولكتابه ولرسوله، واستهزائهم بعقيدة المؤمنين، في الوقت الذي يكيلون لليهــود بمكيــال آخر، فلا يذموهم، ولا يكذبوهم، بل الويل لمن يجرؤ على تكذيب اليهود فيما يقولون، وها هي ذي: أكذوبتهم الكبرى:((الهولكوست/محرقة اليهود))، أو((العداء للسامية))، من يجرؤ منهم على المساس بهذا؟ لا أحد منهم. ومن تجرأ ومس جناب اليهود فيا ويله! وعند الحدود اليهودية تتوقف الحريات، وتمنع التجاوزات، بل وتمنع في هذا الباب المناقشات.

ومنها: ظهور معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صرف الله عــز وجــل ذم واستهزاء الذامين والمستهزئين عن رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد أرادوا ذم رسول الله صــلى الله عليه وسلم في عقيدته، وفي عباداته، وفي أخلاقه، وفي صورته، فصرف الله تعالى كل ذلك عن نبيــه عليه الصلاة والسلام، فذكروا من عقيدته ما ليست منها، وذكروا من عباداته ما ليس منها، وذكروا من أخلاقه ما ليس منها، وصوروه بخلاف صورته التي خلقه الله تعالى عليها.

وتحقق موعود الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا حيث قال(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [سورة الحجر، الآية ٩٥]. ونحن ننتظر الأخرى(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) [سورة الكوثر، الآية ٣].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد)) رواه البخاري.

*ومنها: ما وقع من تحريك المسلمين، وزيادة إيمانهم، وتناسيهم لخلافاتهم الــتي ضــربت بأطنابهــا، وحرص أكثرهم على معرفة الحكم الشرعي في مثل هذه التصرفات، وظهور حال النصارى لهم، بعد أن انخدع كثير منهم بما تبثه وسائل الإعلام من تزيين لصورتهم.

*ومنها: حرص كثير من النصارى على معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتحقق من حقيقــة رسالته، وخُلقه وخَلقه، وهي فرصة سانحة للمسلمين عليهم استغلالها لدعوتهم إلى الحق.

والله نسأل التوفيق والسداد.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أحمد بن عبد العزيز الحمدان

===================

كيف نواجه تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام؟

د. سليمان صالح أستاذ الصحافة المساعد بكلية الإعلام – جامعة القاهرة

مقدمة

ظهر مفهوم التحيز Bias في الدراسات الإعلامية خلال السبعينيات ليمثل تحدياً للكثير من المسلمات في الفلسفة الغربية لوسائل الإعلام، ولإحدى أهم أطروحات هذه الفلسفة حول الموضوعية، وقدرة السوق الحرة للإعلام على إدارة المناقشات الحرة بين الاتجاهات السياسية المختلفة في المجتمع ونقلها إلى الجماهير.

وقد مثل مفهوم الموضوعية Obj صلى الله عليه وسلم ctivity وسيلة للدفاع عن الاحتكار الغربي لوسائل الإعلام، واحتكار الرأسمالية الغربية في أعلى صورها "الشركات متعددة الجنسية"، داخل المجتمعات الغربية لهذه الوسائل، وقد تم الترويج لمفهوم الموضوعية بشكل واسع، واعتبره الإعلاميون من طقوس العمل الإعلامي، واعتبروا أنهم محايدون أو موضوعيون في تغطيتهم للأحداث، كما استخدمه المدافعون عن الأوضاع الراهنة في الإعلام الدولي للدفاع عن هذه الأوضاع، وللرد على الدراسات التي توضح خطوات ظاهرة التركيز والاحتكار في وسائل الإعلام الغربية، والاحتكار الغربي لوسائل الإعلام.

وجاء مفهوم التحيز ليمثل تحدياً لأسطورة الموضوعية والحياد التي تستخدمها الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام في الدفاع عن نفسها، ولذلك لم يكن غريباً أن تتم مقاومة استخدام هذا المفهوم الجديد في الجامعات الغربية، وأن يقاومه رجال الإعلام في الغرب، باعتباره يمثل تحدياً لأهم وسائل دفاعهم عن أدائهم المهني.

وعلى الرغم من ذلك، فقد استخدم كثير من الباحثين الغربيين هذا المفهوم، وأجروا العديد من الدراسات التي أثبتت تحيز وسائل الإعلام الغربية لطرف أو أطراف معينة في الصراعات الداخلية والدولية، وتشويه صورة اتجاهات سياسية أو فكرية أو دول أو حركات تحرير، أو أقليات دينية أو عرقية، وهو ما يعني انعدام العدالة في تغطية وسائل الإعلام للأحداث الداخلية والخارجية، وانعدام الموضوعية في تغطيتها لهذه الأحداث، وضرورة البحث عن وسائل لحماية العدالة، وضمان حق الأطراف المختلفة في عرض آرائها والدفاع عن نفسها.

كما أن الدراسات التي استخدمت هذا المفهوم قد أوضحت أن حرية الإعلام في العالم المعاصر تمر بأزمة تتمثل أهم مظاهرها في احتكار دول الغرب لوسائل الإعلام ولمصادر الأنباء، وسيطرتها على تدفق الأنباء في العالم من ناحية، وسيطرة الرأسمالية (الشركات متعددة الجنسيات أو عابرة القارات)،

على وسائل الإعلام داخل هذه الدول، وأن هذا الاحتكار يؤدي إلى انعدام العدالة في ظل النظام الإعلامي الدولي، وعدم القدرة على إدارة المناقشة الحرة بين الاتجاهات السياسية والفكرية والدينية والجماعات العرقية داخل المجتمعات الغربية، أو بين الشعوب والحضارات والثقافات على مستوى العالم.

كما توضح هذه الدراسات أن ضيق نطاق التعددية والتنوع في وسائل الإعلام – نتيجة للاحتكار الغربي لهذه الوسائل، والاحتكار الرأسمالي (الشركات متعددة الجنسيات) على مستوى المجتمعات الغربية –يؤدي إلى عدم قدرة الشعوب والحضارات على الحوار الحر على مستوى العالم، وعدم قدرة الاتجاهات السياسية والفكرية على الحوار داخل المجتمعات الغربية، وإجراء المناقشة الحرة، وهو ما يقلل من كفاءة العملية الديموقراطية في المجتمع، ويقلل من قدرة الجماهير على الاختيار الحر بين الأحزاب والاتجاهات السياسية والفكرية.

ولكن ما دلالة هذا المصطلح؟، وما تعريف التحيز؟ حتى الآن فإن هذا المفهوم لا يزال محل جدل، و لم يتم التوصل إلى تعريف يمكن الاتفاق عليه على الرغم من كثرة التعريفات التي قدمها الكثير من الباحثين، ويمكن أن نستعرض هنا عينة من هذه التعريفات هي:

١- تعريف هاكيت: الذي يعرف التحيز بأنه قيام الإعلامي أو المؤسسة الإعلامية بوضع رأي ذاتي داخل ما يعتبر أنه تقرير يقوم على الحقائق.

ويضيف هاكيت: إن التحيز يتضمن أيضاً سمتين آخرين:

أولاهما: نقص التوازن بين وجهات النظر المتعارضة في تغطية وسائل الإعلام.

وثانيهما: تشويه الواقع بشكل مقصود نتيجة لتأييد الإعلامي أو المؤسسة الإعلامية التي يعمل بها لطرف معين.

٢- تعريف ستيفنسون وجرين: الذي يقوم على أن التحيز يعني الفشل في معاملة كل الأصوات في السوق الحرة بشكل متساوٍ.

٣- تعريف ماكويل: الذي يعرف التحيز بأنه الميل إلى تفضيل أحد جانبي الصراع، ثم يستعرض عدداً من أشكال التغطية الإعلامية التي يظهر فيها التحيز على النحو التالي:

أ- تفضيل وجهة نظر معينة مع عرض الأدلة على صحتها.

ب- عرض الحقائق والتعليقات بشكل مقصود، ولكن بدون بيان يوضح تفضيل وجهة نظر على أخرى.

جـ- استخدام اللغة بشكل يؤدي إلى تلوين الحقائق، وإصدار حكم معين على أحد أطراف المناقشة أو الصراع.

وهذه الأشكال من التحيز لابد أن يتوفر فيها عنصر النية أو الوعي من جانب الكاتب أو المحرر، لكن هناك نوع آخر من التحيز هو التحيز غير المقصود، وهو ينتج من خلال القيم التي يتم مـــن خلالهـــا اختيار الأنباء وأساليب صياغتها.

ويرى رالف نجرين أن الأخبار يتم تلوينها، ولذلك فإن هناك تحيزاً لا يمكن تجنبه في اختيـــار الأنبـــاء ونشرها، وتلعب عدد من العوامل دورها في تشكيل ظاهرة تحيز الأنباء، منها: روتـــين المؤسســـات الإعلامية، والقيود المفروضة على عملية إنتاج المواد الإعلامية، بالإضافة إلى القيم الخبرية.

ويضيف نجرين: إن بعض التحيز لا يمكن تجنبه إذ إن الصحفيين مثل أي شخص يحملون قـــدراً مـــن الأفكار الأيديولوجية، ولذلك فإنهم لا يستطيعون أن ينقلوا ويصفوا الأحداث بشكل يعتمـــد علـــى الحقائق فقط (١) .

وعلى الرغم من أن هناك الكثير من التعريفات والمناقشات حول مفهوم التحيز وأشكاله، إلا أن هذا المفهوم لا يزال يحتاج إلى المزيد من المناقشة لزيادة وضوحه، ولكن يمكننا أن نحدد ما يلي:

١- إننا نعرف التحيز بأنه يعني: عدم القدرة على تحقيق الموضوعية والعدالة والحياد، ومعاملة الطرفين في قضية محل جدل أو صراع بشكل يتسم بالمساواة، ويرتبط هذا المفهوم ارتباطـــاً وثيقـــاً بمفـــاهيم أخرى، هي استخدام معايير مزدوجة Dichotmy أو Doubl صلى الله عليه وسلم Stan da صلى الله عليه وسلم ds واستخدام الصورة النمطية St صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم otyp صلى الله عليه وسلم s ، أو إنتاج هذه الصورة بالإضـــافة إلى تحريف المعلومات أو تشويهها Disto صلى الله عليه وسلم tion واستخدام اللغة بشكل يؤدي إلى إصدار أحكام معينة بإدانة أطراف معينة في صراع أو جدل.

٢- هناك نوعان من التحيز:

أ- التحيز المقصود: وينتج عن تأييد المؤسسة الإعلامية لأحد جانبي الصراع أو المناقشة، ولذلك فإنها تعطى بشكل مقصود مساحة أكبر على صفحة الصحيفة التي تصدرها، أو وقتاً أطول من إرسالها في محطات الإذاعة وقنوات التليفزيون لهذا الجانب، أو أن تقوم المؤسسة الإعلامية بالتركيز على الأخبار السيئة عن أحد طرفي الصراع بهدف تشويه صورته.

ب- التحيز غير المقصود: وينتج عن تبني وسائل الإعلام القيم الخبرية التي تطورت في الغرب، وهو ما يجعل هذه المؤسسات تركز على نشر وإذاعة أخبار دول النخبة، وهي الولايات المتحدة الأمريكيـــة، وأوروبا الغربية بالإضافة إلى إسرائيل، كما تركز على نشر أخبار الأفراد النخبة في المجتمـــع، مـــن الرأسماليين. كما أن هذه القيم الخبرية الغربية تجعل المؤسسات الإعلامية تركز على الأخبار الســـيئة، خاصة عن الدول التي لا تنتمي للنخبة الدولية، وهي دول الجنوب.

كما أن هذا النوع من التحيز يمكن أن ينتج عن الاعتماد المكثف على مصادر الأخبار التي تنتمي إلى أحد جانبي الصراع، كما أنه ينتج أيضاً عن روتين المؤسسات الإعلامية.

٣- يمكننا أيضاً أن نميز بين التحيز في مجال الأخبار، والتحيز في مواد الرأي مثل الافتتاحيات والمقالات والأعمدة... إلخ، ففي مجال الأخبار من المحتمل أن يكون التحيز أحياناً غير مقصود، ولكن ذلك لا ينفي إمكانية أن يرتب المحرر الحقائق، أو يستخدم مصطلحات يمكن أن تلون الحقائق لكي تعطي تأثيراً معيناً لصالح أحد أطراف الجدل أو الصراع.

أما في مجال مواد الرأي فإن التحيز يكون مقصوداً، فالكاتب أو المحرر يقدم رأيه، ومن حقه أن ينحاز إلى أي طرف من أطراف الصراع أو الجدل، وإن كانت العدالة قيمة علياً من الضروري الحرص عليها.

٤- ينتج عن التحيز ظاهرتان هما: نقص المعلومات التي تقدم للجماهير Disinfo صلى الله عليه وسلم mation عن الأحداث والقضايا والصراعات الداخلية والدولية، وهو الأمر الذي يزيد من حدة تأثير الصور النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام إلى الجماهير... ويؤدي هذا بالضرورة إلى الظاهرة الثانية وهي إساءة تقديم المعلومات أو التضليل الإعلامي Misinfo صلى الله عليه وسلم mation والذي ينتج عنه اتخاذ المواطنين لقراراتهم بناء على ما تحدده المؤسسات الإعلامية، وما تقدمه للجماهير من معلومات، وأساليبها في تقديم هذه المعلومات، هذا بالإضافة إلى التأثير على صناع القرار لتأتي قراراتهم متوافقة مع مصالح أطراف معينة في الصراع أو الجدل، كما تقوم المؤسسات الإعلامية بتبرير هذه القرارات والترويج لها.

٥- إنه من الصعب قياس التحيز بشكل دقيق، فالتحيز مفهوم نسبي، وما يمكن أن يعتبر تحيزاً من وجهة نظر معينة، يمكن أن يعتبر موضوعياً ومحايداً من وجهة نظر أخرى، لكن هذا الوعي بنسبية المفهوم لا يعني عدم صلاحيته للاستخدام في مجال الدراسات الأكاديمية، بل إن الوعي بهذه النسبية يسهم في ترشيد استخدامه في هذه الدراسات، والنسبية على أية حال من سمات العلوم الإنسانية جميعها.

٦- إن التحيز يمكن أن يوجد على مستوى المجتمع، حيث تتحيز وسائل الإعلام للوضع الراهن ضد التغيير، أو لحزب ضد أحزاب أو اتجاهات سياسية أخرى، أو للسلطة ضد قوى المعارضة، كما أن هذا التحيز يمكن أن يكون ضد جماعات إثنية أو دينية.

ويمكن أن يظهر هذا التحيز ضد دول أو شعوب أخرى على المستوى الدولي خاصة عندما يكون هناك قدر من العداء بين هذه الدولة والدولة التي تنتمي إليها المؤسسة الإعلامية، وفي هذا النوع يتم تشويه صور الدول والشعوب التي تعتبر معادية بشكل مقصود، ويتم تحريف الحقائق واستخدام

الكلمات التي تحمل إيحاءات ودلالات تؤدي إلى إثارة الكراهية لهذه الدول، أو الشعوب أو حتى الديانات كما يحدث بالنسبة للإسلام في وسائل الإعلام الغربية.

أهداف الدراسة

لذلك فإن هذه الدراسة تسعى إلى:

١- دراسة ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، وتطور هذه الظاهرة.

٢- دراسة الارتباط بين ظاهرة التحيز والصورة النمطية التي تروجها وسائل الإعلام الغربية للإسلام.

٣- تفسير ظاهرة تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام والمسلمين.

٤- رسم استراتيجية لمواجهة ظاهرة تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام.

من خلال هذه الأهداف يمكن تحديد التساؤلات التي تسعى الدراسة للإجابة عليها كما يلي:-

١- كيف تطورت ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

٢- ما مدى تأثير ظاهرة التحيز على صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

٣- ما العوامل التي تشكل ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

٤- كيف نواجه ظاهرة تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام؟.

مناهج الدراسة

تم الاستفادة من عدد من المناهج بشكل تكاملي لرصد ظاهرة التحيز بشكل عام ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ومن أهمها: منهج المسح الإعلامي الذي استخدم لتوصيف الظاهرة من خلال الدراسات السابقة، وهذه الدراسات ركزت بشكل أساسي على توصيف صورة العرب، والعلاقة بين هذه الصورة والصراع العربي الإسرائيلي دون استخدام مدخل التحيز.

كما استفادت الدراسة من منهج تحليل النظم لدراسة العوامل التي شكلت ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

وانطلقت الدراسة من ذلك إلى محاولة تفسير ظاهرة التحيز.

وفي بعض جوانب هذه الدراسة تم استخدام المنهج التاريخي بغرض رصد تطور الظاهرة، والصورة النمطية الناتجة عنها.

الدراسات السابقة

هناك الكثير من الدراسات السابقة التي ركزت على دراسة صورة العرب في وسائل الإعلام الغربية، وربطت ذلك بالصراع العربي الإسرائيلي، وهي دراسات ركزت بشكل أساسي على توصيف الصورة العربية النمطية في وسائل الإعلام الغربية، ولكن دون ربط هذه الصورة بصورة الإسلام والمسلمين، وذلك فيما عدا دراسة إدوارد سعيد: تغطية وسائل الإعلام الغربية للإسلام.

Said- صلى الله عليه وسلم Cov , صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ing Islam,
(London: صلى الله عليه وسلم outl صلى الله عليه وسلم dg صلى الله عليه وسلم and
k صلى الله عليه وسلم ١٩٨١ ,gan Paul.

وهذه الدراسات ركزت على الوصف دون التفسير، ولذلك فإن هذه الدراسة تنطلق مـــن التـــراث العلمي المتراكم، لكنها تتجاوزه في استخدام ظاهرة التحيز في دراسة صورة الإسلام والمســـلمين، ثم تقدم محاولة للتفسير، ومع ذلك فإن هذه الدراسة هي جزء من دراسة أكبر يقوم الباحث بإنجازهـــا الآن، ولذلك فإنه لابد من النظر إليها في هذا الإطار، إذ أنها لا تعدو أن تكون مجرد اختصار لعمـــل أكبر وأشمل.

تقسيم الدراسة

تم تقسيم هذه الدراسة كما يلي:

المقدمة:

وتشمل تعريف ظاهرة التحيز في وسائل الإعلام الغربية وأشكال التحيز، والجوانب الإجرائية المنهجية للدراسة.

المبحث الأول:

تطور ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

المبحث الثاني:

محاولة التفسير ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج ... واستراتيجية المواجهة.

المبحث الأول

تطور ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية

أوضحت الكثير من الدراسات أن القساوسة ورجال الدين المسيحي قد قاموا بالدور الرئيسي في تعبئة شعوب أوروبا خلال الحروب الصليبية لشن حرب على الإسلام والمسلمين، وركز خطابهم في هذه المرحلة على إثارة المشاعر الدينية للشعوب الأوروبية، ولذلك تم التركيز في هذا الخطاب الدعائي على أن المسلمين كفار Infid صلى الله عليه وسلم ls وروجوا للكثير من الأكاذيب التي كان محورها أن المسلمين يقتلون الحجاج المسيحيين، ويمنعونهم من الحج إلى الأماكن المقدسة.. إلخ، ونجح القساوسة في حملتهم حتى استطاعوا التأثير في مراكز صنع القرار المتمثلة في تلك الحقبة في الملوك والإقطاعيين، وإشعال الحروب الصليبية.

إن دراسة هذه التجربة التاريخية تثبت حقيقة أن الحرب تبدأ أولاً في عقول البشر عن طريـــق خلـــق صورة سلبية شريرة للعدو، تخلق لدى الناس قناعة بأهمية الحرب وضرورتها ونبل أهـــدافها، وتتـــيح

للمحارب قدراً من راحة الضمير وهو يرى دماء بشر مثله تتدفق أمام عينيه، وفي الوقت نفسه خلق صورة إيجابية عن الذات تقوم على أنه يحارب من أجل الحق، ولتحقيق أهداف نبيلة. وعندما تتحقق هاتان الصورتان في ذهن الإنسان فإنه يكون على استعداد لخوض الحرب، ولقتل من يعتقد أنهم أعداؤه.

ولقد أنتج القساوسة في أوروبا في هذه الفترة، بالإضافة إلى مجموعات من الكتّاب والأدباء والشعراء تراثاً تضمن الكثير من الصور السلبية للمسلمين وللإسلام، ظلت حتى الآن تؤثر على العقلية الأوروبية، وتدفعها في اتجاه العداء للإسلام، ولا يزال هذا التراث يدرّس في المدارس والجامعات الأمريكية.

كما أثارت الفتوحات العثمانية في أوروبا الخوف الشديد من الإسلام، وأدت إلى إنتاج تراث شكّله أيضاً القساوسة، يقوم على رسم صورة مخيفة للمسلمين من أهم سماتها أنهم متعطشون للدم، ويشكّلون تهديداً لأوروبا، وأن الإسلام يفرض عقوبات قاسية على بعض الجرائم مثل السرقة.(٢)

ويلاحظ على الخطاب الديني والأدبي الذي أنتج خلال فترات الحروب الصليبية أو الفتوحات العثمانية، أنه كان خطاباً دعائياً تبريرياً يهدف بشكل أساسي إلى إقناع المواطنين الأوروبيين بالحرب ضد المسلمين، وباستخدام الإثارة الدينية، وإثارة الخوف والكراهية.

ولكن إذا كان رجال الدين هم القائمون بالاتصال خلال فترة الحروب الصليبية، فإن الصحفيين أصبحوا هم القائمون بالاتصال بشكل أساسي خلال الموجة الاستعمارية الأوروبية التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، والتي تزايدت حدتها خلال القرن التاسع عشر، وقام الصحفيون والصحف الأوروبية بحملة إعلامية ضخمة، استهدفت تهيئة العقل الأوروبي وتعبئة الشعوب الأوروبية لشن هذه الهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي.

وكان المبرر الدعائي الذي قدمته الصحافة الأوروبية للعقل الأوروبي كي يقتنع بضرورة استعمار أوروبا لآسيا وأفريقيا، هو رسالة الرجل الأبيض في تمدين البشرية أو الشعوب المتخلفة، وكان هذا نتاجاً طبيعياً لتحول أوروبا إلى العلمانية. ولتكريس هذا المبرر في الذهن الأوروبي، قامت الصحافة بتقديم صورة نمطية لشعوب آسيا وأفريقيا على أنها شعوب متخلفة، يعيشون كالوحوش وعرايا، وتم التركيز في بعض الأحيان على قضية الرق Slav صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم y، بشكل أساسي لإقناع الإنسان الأوروبي بأنه يقوم بمهمة نبيلة لتحرير البشرية.

ولذلك فإن خطاب القرن التاسع عشر، والذي ظل سائداً حتى منتصف القرن العشرين قد ركّز بشكل أساسي على عنصرين أساسيين هما: إثارة الاحتقار بالنسبة لشعوب آسيا وأفريقيا بشكل عام، وللمسلمين بشكل خاص، ورسم صورة الذات بالنسبة للمستعمر الأوروبي بشكل يقوم على الاستعلاء العرقي، حيث يوضّح كتاب لورد كرومر "مصر الحديثة" العناصر الأساسية لخطاب

الاستعمار الغربي، حيث عكس هذا الخطاب صورة نمطية للمسلم تقوم على أنه إنسان عـاجز، أدنى من الإنسان الغربي، مسجون داخل شخصيته الجامدة وتقاليده غير القابلة للتطـور، وأن المعارضـة العربية للسيطرة الغربية تأتي من عقدة الدونية للثقافة العربية.(٣)

كما يوضّح هذا الخطاب الغطرسة الاستعمارية الغربية والشعور بالتفوق والاستعلاء العرقي الذي ساد خطاب المستعمر صاحب القوة في تلك الفترة.

وجاء اختراع السينما ثم تحولها إلى صناعة ضخمة ليقوم بدور أساسـي في تقـديم صـورة نمطيـة للمسلمين، وتثبيت هذه الصور في الذهن الغربي، ومن خلال الكثير من الأفلام تم استدعاء المخزون التاريخي في العقل الغربي خلال الحروب الصليبية، والفتوحات العثمانيـة بالإضـافة إلى الخطـاب الاستعماري، وإعادة تقديمه والإلحاح على التذكير به، ولذلك يمكن أن نرصد الكثير من الأفلام التي تركّز على إثارة الخوف باستخدام الحروب الصليبية بشكل أساسي، وأيضاً الكثير من الأفلام الـتي تهدف إلى إثارة الاحتقار، وفي بعض الأحيان تم الجمع بين عناصر الخطابين في أفلام الحروب الصليبية، على الرغم من أن بعض القصص الأصلية لا تتضمن هذه الصورة المشوّهة، ومع ذلك تم إعادة إنتاجها مع تحريفها، وتحويل صورة الفرسان المسلمين في الحروب الصليبية إلى صورة القراصـنة الـذين لا يحاربون من أجل هدف، ويصحبون الحريم والراقصات في معسكراتهم، وأن صلاح الدين كان الهدف الأساسي لحروبه هو عشقه لفتاة غربية بيضاء... الخ.

إن دراسة تطور السينما الغربية يكشف بوضوح أنها قد قامت بدور أساسي في تشـكيل الصـورة النمطية للمسلمين، والترويج لهذه الصورة، وتغيير بعض سماتها طبقاً لتغيير الظروف، والترويج لسمات جديدة بشكل يرتبط بتطور الأحداث السياسية والاقتصادية، وبالتالي فإن تصوير بعض الدراسـات لهذا النهج الذي اتبعته السينما الغربية بأنه يأتي لتحقيق أهداف تجارية، والبحث عن عناصر التشويق والتسلية – هو تصوير لا يمكن قبوله أو التسليم به، ذلك أن الصورة النمطية التي تشكلها السـينما الغربية وتروجها تؤثر بشكل كبير على عملية صنع القرار في الدوائر السياسـية والاقتصـادية، وأن تأثيراتها السياسية والاقتصادية والثقافية تتجاوز بشكل كبير تلك الأهداف التجارية. فهذه الصـورة النمطية قد أصبحت جزءاً من الثقافة الأمريكية والأوروبية، ولها تأثيرها على السياسات الأمريكيـة. (٤)

وجاء اختراع التليفزيون بإمكانياته الهائلة؛ ليؤدي إلى مزيد من التكريس والتثبيت للصورة النمطية التي سبق أن روّجت لها الصحافة والسينما للإسلام والمسلمين، كما قام التليفزيون بدور كبير في تشويه هذه الصورة وتنميطها بحيث أصبحت تُستدعى تلقائياً عند ذكر الإسلام والمسلمين، وتثير الكثير من مشاعر العداء نحوهما.

يضاف إلى ذلك أن التعليم في المدارس قد قام بدور في عملية تكريس الصورة النمطية للمسلمين، وعلى سبيل المثال، فقد قام عياد القزاز بدراسة للكتب المدرسية في الولايات المتحدة الأمريكية، استخدم فيها أسلوب تحليل المضمون، وأثبتت هذه الدراسة أن هذه الكتب المدرسية تتضمن الكثير من البيانات الخاطئة والمضللة عن الإسلام، وأنها أسهمت في ترويج صورة نمطية مشوّهة عن الإسلام.(٥)

إن دراسة صورة الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، توضّح أيضاً أن سمات هذه الصورة ليست ثابتة، ولكن يتم الإضافة إليها طبقاً للأحداث السياسية، ومن أهم هذه الأحداث:

الصراع العربي الإسرائيلي: ارتبط التحيز الأمريكي والغربي بشكل عام لإسرائيل بتحيز وسائل الإعلام الغربية لإسرائيل ضد العرب، وبالتالي تم إضافة سمات جديدة للصورة النمطية بهدف إقناع المواطنين الغربيين بالتأييد المطلق لإسرائيل، وإثارة الخوف والكراهية والعداء والاحتقار للعرب والمسلمين.

كما حمل الخطاب الغربي في هذه القضية – الذي تم الترويج له عبر وسائل الإعلام – الكثير من المبررات للسياسات الغربية المؤيدة لإسرائيل.

وفي المقابل تم الترويج لصورة إيجابية لإسرائيل، ومن الواضح أنه كان هناك ارتباط وتلازم بعد عام ١٩٤٨، بين صورة سلبية مشوّهة للإسلام، وبين صورة إيجابية للإسرائيليين كان من أهم سمات الصورتين المتناقضتين للعرب والإسرائيليين ما يلي:

١– إسرائيل هي الطرف الضعيف في الشرق الأوسط، ومع ذلك فقد استطاعت أن تنتصر على العرب الشواذ كثيري العدد، وذلك بسبب شجاعة الإسرائيليين وذكائهم وكفاحهم... وتم الترويج لهذه السمة بشكل واسع عقب ٥ يونيو ١٩٦٧.

٢– إن الفلسطينيين لم يتم طردهم من أرضهم عام ١٩٤٨، وأن اليهود قد حثوهم على البقاء، ولكنهم تركوا أرضهم بإرادتهم الحرة، وبناءً على نصيحة العرب الآخرين لهم.

٣– إن الإسرائيليين قد جعلوا الصحراء تزدهر، بينما ترك العرب فلسطين قاحلة.

٤– إن الصهيونية فلسفة تحررية ليبرالية، لذلك فهي تستحق المساعدة من هؤلاء الذين يحبون الحرية في كل أنحاء العالم.

٥– العرب معادون للسامية، ولذلك يكرهون اليهود.(٦)

وقد أنتجت الصورتان المتناقضتان للعرب والإسرائيليين تأثيرهما على الجماهير، ففي استطلاع أجرته جامعة كمبردج على عينة من الأمريكيين، طلبت فيه من أفراد العينة تحديد ما إذا كانت الكلمة تنطبق بشكل أكثر على الإسرائيليين أو العرب، جاءت النتائج تؤكد أن أغلبية أفراد العينة ألصقت الصفات السلبية بالعرب مثل: (جبان – متخلف – جاهل – جشع – فقير – بربري)، وفي الوقت نفسه نسبت جميع الصفات الإيجابية للإسرائيليين مثل: (مسالم – أمين – ذكي – ودود – يشبه

الأمريكيين – معتدل – متطور). بالإضافة إلى ذلك، فقد أثبتت الكثير من الدراسات تحيز وسائل الإعلام الغربية بشكل عام لإسرائيل ضد العرب، وأن المعلومات التي تقدمها هذه الوسائل للمواطن الغربي هي معلومات ناقصة، وأنه يتم حذف الكثير من المعلومات التي يمكن أن تسيء إلى إسرائيل، بالإضافة إلى الاعتماد المكثّف على المصادر الإسرائيلية، وفي إطار هذه العمليات تحدث أكبر عملية تضليل إعلامي تستخدم فيها الصور النمطية، ويتم من خلالها تكريس هذه الصور وتثبيتها.

ومن هنا كان للصراع العربي الإسرائيلي عامل مهم في تشكيل صورة المسلمين بشكل عام، مع إضافة سمات جديدة لهذه الصورة.

كان أيضاً لاستخدام العرب للبترول بشكل ناجح خلال حرب عام ١٩٧٣، دور مهم في إضافة سمات أخرى لصورة استهدفت إثارة الخوف من السيطرة العربية على المصادر البترولية، والتحكم في إمدادات البترول للدول الغربية، وأنهم يستخدمون البترول كوسيلة لابتزاز الغرب، وعلى سبيل المثال فقد أذاعت محطات التلفزيون الأمريكية في صيف عام ١٩٨٠، إعلاناً يصوّر مجموعة من الشخصيات التي ترتدي الزي العربي التقليدي (الجلباب والعباءة)، على رأسهم يماني والقذافي وعرفات وحافظ الأسد، وأضيف إليهم الخوميني، ولم يذكر التلفزيون أسماء هذه الشخصيات، لكن قال إن هؤلاء يتحكمون في المصادر الأمريكية من البترول، وكان يكفي أن يظهر هؤلاء بزيهم ليتعرف عليهم المتلقي وليثير مظهرهم مشاعر الغضب والخوف والكراهية.(٧)

وعندما جاءت الثورة الإيرانية زاد تركيز خطاب وسائل الإعلام على عناصر إثارة الخوف، والكراهية، والتأكيد على أن الإسلام يمثل تهديداً للمصالح الغربية، وقد أثر هذا الخطاب بشكل كبير على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية، وأدى ذلك إلى طرح فكرة إعادة احتلال الدول الإسلامية، وظهرت الكثير من الكتب التي طالبت بذلك، وتبرر هذه الدعوة بالإشارة إلى بربرية الإسلام، وأنه يمثل تهديداً للحضارة الغربية، وكان من هؤلاء جـ. ب. كيلي – أستاذ تاريخ الاستعمار بجامعة وسكونسن الذي يطالب بغزو العالم الإسلامي من جديد، ويعلن الاحتقار للثقافة الإسلامية.(٨)

كما جاء انهيار الشيوعية التي مثّلت خلال فترة الحرب الباردة العدو الرئيس للرأسمالية الغربية؛ ليفرض على الدول الغربية بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص ضرورة البحث عن عدو، لذلك فقد عمدت دوائر صنع القرار في الغرب، وتبعتها في ذلك وسائل الإعلام إلى استخراج العدو الإسلامي من المخزون التاريخي الثقافي الغربي، وتقديمه إلى الشعوب باعتباره يمثل الخطر الذي يهددها، ويهدد الحضارة الغربية.

لكن مع ذلك فإن هناك الكثير من الأدلة على أن فكرة تقديم العدو الإسلامي لم يكن نتيجة لانهيار الشيوعية، بل إنه خلال عام ١٩٧٩، كان مستشار الرئيس الأمريكي للسياسة الداخلية ستيوارت

ايزنستات قد حث الرئيس الأمريكي على العمل بخطوات قوية على تعبئة الأمة الأمريكية حول أزمة حقيقية وضد عدو واضح.

يضاف إلى ذلك أن السينما الأمريكية قد سبقت التفكير الغربي في تقديم الإسلام على أنه العدو، ومن الأمثلة على ذلك أنه في عام ١٩٨٥م، ظهر الجزء الأول من فيلم (النسر الحديدي I صلى الله عليه وسلم on صلى الله عليه وسلم agl صلى الله عليه وسلم)، والذي حظى بدعم الحكومة الإسرائيلية التي أمدت القائمين عليه بطائرات فانتوم إف ١٦، ثم ظهر الجزء الثاني من هذا الفيلم عام ١٩٨٨م، والذي اعتبر ظهوره بداية التغيير في علاقة دعم أمريكا للعراق خلال الحرب مع إيران، واتجاهها لضرب العراق.

كما شهدت الثمانينات الكثير من الأفلام التي تجسد صورة العدو العربي الخارق، الذي يمتلك أسلحة دمار شامل (نووية)، ولذلك يتدخل الأمريكي الطيب لحماية البشرية منه، وهذا يعني أن المواجهة بين الأمريكي الطيب والشيوعي الشرير، قد تحولت إلى مواجهة مع العربي الشرير منذ بداية الثمانينيات.

هذا بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام الغربية قد ظلت تثير المخاوف من الإسلام بشكل عام، مما يؤكد أنها استراتيجية ثابتة لهذه الوسائل، ومن ثم فإن انهيار الشيوعية لم يؤد إلى تقديم الإسلام والمسلمين كعدو، ولكنه أدى إلى تركيز وسائل الإعلام على تقديمه كعدو وحيد.

إن وجود عدو أو خطر خارجي عادة ما يقوم بدور أساسي في زيادة تماسك المجتمعات، واتجاهها إلى تحقيق المزيد من الإنتاج والإبداع في محاولة للدفاع عن ذاتها، وعندما لا يوجد هذا العدو، فإن هذه المجتمعات غالباً ما تتجه إلى المزيد من طلب الرفاهية، والتمتع بالحياة، كما تظهر الكثير من التناقضات الحادة الناتجة عن القضايا المؤجلة في فترات وجود العدو الخارجي.

يضاف إلى ذلك أن الغرب يمر بحالة من عدم اليقين تجاه المستقبل، وهناك شعور قوي بأن الحضارة الغربية تتعرض للكثير من المشكلات التي يمكن أن تؤدي إلى ضعفها أو إلى انهيارها في المستقبل، لذلك فإنه يظل في حاجة لعملية تعبئة مستمرة للرأي العام ضد عدو خارجي.. ومن هنا ظهرت فكرة صراع الحضارات التي تمت صياغتها في الولايات المتحدة الأمريكية، منذرة بأن الحرب العالمية الثالثة يمكن أن تقع بين الحضارة الغربية من جانب، والحضارة الإسلامية من جانب آخر.

ومن هنا فإن فكرة العدو الخارجي تهدف بشكل أساسي لحل مشكلات داخلية في الغرب لكن مع ذلك فإن من يتابع وسائل الإعلام الغربية يلاحظ بوضوح أن هذه الوسائل تمهد وتهيء العقل الغربي، وتعبئ الشعوب الغربية لموجة استعمارية غربية جديدة للعالم الإسلامي.

وإذا كان المبرر الذي قدمته الصحافة في القرن التاسع عشر للموجة الاستعمارية الغربية في ذلك الوقت هو رسالة الرجل الأبيض في تمدين البشرية فإن المبررات الجديدة التي تقدمها وسائل الإعلام

الغربية هي حماية حقوق الإنسان، وحماية الديموقراطية وحماية العالم من الإرهاب، وحماية العالم من الأصولية الإسلامية، وحماية مصادر البترول.

لذلك فإن الاستراتيجية الجديدة تقوم على تقديم صورة نمطية أكثر تقدماً، وهي تجمع كل تلك السمات السلبية التي تطورت عبر التاريخ إلى جانب سمات جديدة تهدف بشكل أساسي إلى إثارة الخوف والرعب، وبالتالي إثارة الكراهية والرغبة في الانتقام.

وتستخدم وسائل الإعلام الغربية التركيز على بعض الأحداث مع المبالغة في تصويرها مثل حادث تفجير مرز التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية، لتكرس مشاعر الخوف والعداء والكراهية.

وفي الوقت نفسه يستمر التأكيد على السمات القديمة للصورة والتي تستهدف بشكل أساسي إثارة الاحتقار للشخصية الإسلامية مع التركيز على الأحداث السيئة التي تتم داخل الدول الإسلامية، خاصة أحداث المجاعات والحروب الأهلية. ومظاهر الإنفاق السفيه وغير ذلك.

بالإضافة إلى ذلك فإننا نلاحظ بوضوح أن الخطاب الغربي العلماني قد اجتمع مع الخطاب الديني الذي يعمل على إثارة المشاعر الدينية للمسيحيين في أوروبا وأمريكا.. وفي ذلك يقول إدوارد مورتيمر: أدى انهيار الشيوعية إلى حدوث نتيجتين:

الأولى: أن الغرب حرم من تعريف نفسه بمجرد تمايزه عن الآخر الشيوعي.

والثانية: أن الغرب اكتشف ما هو مشترك بينه وبين دول أوروبا الشرقية متمثلاً في الميراث الديني والحضاري، حيث أصبحت المسيحية عنصراً أساسياً في تعريف الوضع الأوروبي المستجد، فالعقل الأوروبي اتجه تلقائياً إلى تعريف نفسه من خلال التمايز عن غير المسيحيين، وما دام التعريف يتم أحياناً من خلال النقيض، وإزاء زوال التهديد السوفييتي، فقد وجد الغرب نفسه يتعامل مع نقيض بديل تمثل في الخطر الإسلامي، فهو الأقرب جغرافياً، ثم إن الذاكرة الشعبية والتاريخية للأوروبيين مسكونة بصورة عديدة من المعارك والاشتباك مع المسلمين.

لذلك فإن الصورة الحديثة التي تقدم للإسلام والمسلمين في الوقت الراهن تجمع بين كل السمات التي تم إنتاجها عبر الفترات التاريخية، سواء تلك السمات ذات الطابع الديني التي تم إنتاجها في عصر الحروب الصليبية، أو الفتوحات التركية، أو تلك التي تم إنتاجها خلال الموجة الاستعمارية الغربية خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.. مع إضافة سمات جديدة هي نتاج للأحداث التاريخية المختلفة كان من أهمها الإرهاب والتعصب الديني والأصولية، والعداء للديموقراطية وحقوق الإنسان والعداء للمرأة، وتهديد الحضارة الغربية والسيطرة على منابع البترول.

دعونا نتعرف على بعض سمات هذه الصورة من خلال ما كتبه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق (ريتشارد نيكسون)، في كتابه "انتهزوا الفرصة".

يقول نيكسون: "يميل كثير من الأمريكيين إلى وصف المسلمين بأهم غير متحضرين، لا يغتسلون، بربريون، همجيون، وغير عقلاء، يجذبون اهتمامنا فقط لأن بعض قادهم لديهم ثروة كبيرة، تحكم منطقة تحوي ما يزيد على ثلثي احتياطي النفط، وهم يتذكرون الحروب الثلاثة التي شنتها الدول العربية في محاولة لإبادة إسرائيل، واحتجاز الرهائن الأمريكيين على يد المغتصب آية الله الخوميني، والهجوم الإرهابي أثناء الألعاب الأولمبية في ميونيخ من قبل فدائيين فلسطينيين، والقتل الذي لا ينتهي وغير المعقول من قبل ميلشيات إسلامية متنافسة في لبنان، ونسف وتفجير طائرة ركاب مدنية على يد سوريا وليبيا، ومحاولة ضم الكويت على يد شبيه هتلر صدام حسين، ولا توجد دولة ولا حتى الصين الشيوعية، تحظى بصورة سلبية في الضمير الأمريكي كما هو الحال بالنسبة للعالم الإسلامي.

هذه هي بعض سمات الصورة، يمكن أن نراها بوضوح عبر ما تبثه الآلة الإعلامية الغربية، وهذه الصورة تقدم المبررات في أي وقت لضرب أية دولة إسلامية أو حتى إعادة احتلالها، دون وجود أي نوع من التعاطف معها، وهو ما يمكن أن يشهده المستقبل القريب.

أما الأخطر من ذلك فهو تأثير هذه الصورة النمطية السلبية على الإنسان المسلم نفسه، ذلك أن النظام الإعلامي الدولي الذي تسيطر عليه دول الشمال (أمريكا وأوروبا)، أصبح يتحكم فيما يتلقاه الإنسان في كل مكان، ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الصورة على عقلية الإنسان المسلم نفسه وتفكيره وقراراته، فهي يمكن أن تشكل عقدة الدونية والشعور بالنقص والضعف أمام قوة الغرب، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى إضعاف الانتماء والولاء للإسلام وللوطن وسيادة الشعور بالانبهار بالغرب، وهذه المشاعر يمكن أن تؤثر بشكل كبير على مستقبل الدول الإسلامية.

المبحث الثاني

محاولة لتفسير ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية

هناك الكثير من العوامل التي تشكل ظاهرة التحيز بشكل عام في النظام الإعلامي الدولي، وهناك عوامل تؤدي إلى تزايد ظاهرة التحيز بشكل خاص ضد الإسلام والمسلمين، وهذه العوامل لابد من دراستها بشكل كامل، بحيث يمكن أن تعطي تفسيراً متكاملاً، وسوف نقسم هذه العوامل كما يلي:-

أولاً: العوامل التي تشكل ظاهرة التحيز بشكل عام:

١- سيطرة دول الشمال على النظام الإعلامي الدولي:

أدت سيطرة دول الشمال على النظام العالمي الدولي إلى اختلال تدفق الأنباء على مستوى العالم، وتحكم دول الشمال على عملية التدفق، وهو ما أدى إلى زيادة سيطرة دول الشمال الغنية على دول الجنوب الفقيرة، كما تعرضت دول الجنوب الفقيرة بشكل عام لتشويه صورها في وسائل الإعلام الغربية، كما تعرضت ذاتيتها الثقافية للتشويه أيضاً.

ولا شك أن هذا الوضع الاحتكاري الغربي كان تعبيراً عن الكثير من المظالم التي تعرضت لهـا دول الجنوب، وعن الاستغلال والنهب المنظم لثرواتها خلال الفترة الاستعمارية، وحتى الآن، وهو ما خلق الفجوة القائمة الآن بين دول الشمال والجنوب، وأدى إلى تبعية دول الجنوب لدول الشمال تبعيـة اقتصادية وثقافية وسياسية.

إن اختلال تدفق الأنباء في العالم المعاصر هو اختلال كمي نشأ عن التفاوت بـين حجـم الأنبـاء والمعلومات الصادرة عن العالم المتقدم، وحجم التدفق في الاتجاه المعاكس، حيث يصدر ما يقرب من ٨٠% من تدفق الأنباء عن وكالات الأنباء الأربع الكبرى، غير أن هذه الوكالات لا تعطي لأنبـاء دول الجنوب إلا نسبة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠% من تغطيتها الإعلامية، على الـرغم مـن أن دول الجنوب تشكل ما يقرب من ثلاثة أرباع البشرية.

وفي الوقت نفسه فإن اختلال تدفق الأنباء في العالم المعاصر هو اختلال نوعي، حيث أن دول الشمال تحتل بشكل دائم مركز الاهتمام العالمي، في حين يتلاشى الاهتمام بأية قضايا تتعلق بشعوب العـالم الأخرى.

ويمكن أن نرصد النتائج الكيفية التالية لاختلال تدفق الأنباء.

أ- فرض التصورات الغربية للقضايا العالمية على جميع الشعوب، وهو ما يؤدي إلى تزايد الظلم الواقع على هذه الشعوب، واستمرارية إدارة الدول الغربية للصراعات العالمية بما تحمله هذه الاستمرارية من تكريس لهيمنة الغرب وسيطرته واستغلاله للبشر.

ب- فرض التصورات الغربية للشعوب على العالم كله، وهذه التصورات تنتج من خلال خبرة الغرب التاريخية مع هذه الشعوب وصراعاته معها، وهو ما يجعل هذه الشعوب ضحية لصورة نمطية تم صكها في الغرب، وتحمل الكثير من التشويه لصورة شعوب آسيا وأفريقيا، وبالأخص الشـعوب العربيـة والإسلامية.

جـ- فرض القيم الثقافية والأيديولوجية لدول الشمال الغنية على دول الجنوب الفقيرة، ومن المؤكّد أن هذه القيم الثقافية والأيديولوجية الغربية تتناقض مع طموحات الشعوب، وحقها في الحياة الكريمة وحقها في الاستقلال والحرية.

د- إن المضمون الإخباري القادم من دول الشمال يعكس دائماً استعلاء عرقياً غربياً يعمـل علـى تكريس تصوّر يقوم على سيادة وتفوّق وقوة الولايات المتحدة الأمريكية وشرعية سـيطرتها علـى العالم.(٩)

ومن هنا، فإن النظام الإعلامي الدولي هو بذاته نظام متحيز، ومن الطبيعي أن يتزايد في ظله التحيـز ضد شعوب دول الجنوب بشكل عام، والتحيز لدول الشمال الغنية التي تسيطر على هذا النظام.

٢- النظام الغربي لوسائل الإعلام:

ويأتي داخل هذا النظام اقتصاديات وسائل الإعلام التي أدت إلى تزايد ظاهرة التركيز والاحتكار في ملكية وسائل الإعلام الغربية، وتناقص التعددية والتنوّع في وسائل الإعلام، وقد أوضحت الكثير من الدراسات تزايد ظاهرة التحيز في وسائل الإعلام الغربية خلال السبعينيات والثمانينيات، وهو ما تواكب مع تزايد سيطرة الشركات متعددة الجنسية على وسائل الإعلام، فقد دفعت هذه الشركات ما تسيطر عليه من وسائل إعلامية لتأييد الفلسفة الرأسمالية الغربية، والحفاظ على الوضع القائم، والتحيز ضد جميع الاتجاهات المعارضة لاستمرارية الأوضاع الراهنة.

كما عملت هذه الإمبراطوريات الإعلامية على تصوير جميع المشاكل التي تواجه المجتمع الرأسمالي على أنها تأتي نتيجة لأنشطة غير مشروعة، يقوم بها الخارجون عن النظام مثل السود والمسلمين في المجتمعات الغربية.

وعلى المستوى الدولي تعمل هذه الشركات متعددة الجنسية على ضمان أن تأتي قرارات السياسيين لصالح استغلالها للشعوب الأخرى، وذلك من خلال تثبيت نظرة الاستعلاء العرقي والثقافي لدى شعوب الغرب، وتهيئة العقل الأوروبي والأمريكي لتقبل أي عمل عدواني على شعوب الدول الفقيرة في آسيا وأفريقيا.(١٠)

٣- الفلسفة الإعلامية الغربية:

وفي هذا الإطار تأتي القيم الخبرية، وهي المعايير التي تطورت في الغرب، والتي تعتمد عليها وسائل الإعلام في انتقاء ونشرا لأخبار، وقد اعتمد الكثير من الباحثين على هذه القيم في تفسير ظاهرة التحيز، حيث يقول جولدنج واليوت: "إن المفهوم الذي نشأ وتطور في وسائل الإعلام الغربية للقيم الخبرية قد جعل التركيز ينصب أساساً على النخبة فيما يتعلق بالأخبار الداخلية، كما جعل معظم الأخبار الخارجية تدور حول الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية التي تشكّل النخبة من الناحية الدولية".(١١)

هذا بالإضافة إلى تركيز وسائل الإعلام على الأخبار السلبية، خاصة فيما يتعلق بدول الجنوب. كما أن هذه القيم الخبرية مسؤولة إلى حد كبير عن ظاهرة تشابه الأخبار وتنميطها على مستوى العالم، والتركيز على المصادر الرسمية، والميل إلى إضفاء الشرعية على النظام القائم.

ولاشك أن منظومة القيم الخبرية الغربية مسؤولة إلى حد كبير عن تزايد ظاهرة التحيز، ولكن لا يمكن الاكتفاء بها في تفسير الظاهرة، كما فعل بعض الباحثين، كما أن هذه القيم الخبرية لابد من النظر إليها على أنها إنتاج رأسمالي غربي، ومن ثم فإنها تشكّل جزءاً من نظام متكامل كان لابد أن يؤدي إلى تحيز وسائل الإعلام.

٤- إن السلطات الغربية تلعب دوراً واضحاً في تشكيل ظاهرة التحيز:

فبالرغم من كل ما يتردد حول حرية وسائل الإعلام في الدول الغربية، إلا أن هنـــاك الكـــثير مـــن الدراسات التي أوضحت أن ملكية الشركات متعددة الجنسيات لوسائل الإعلام في الدول الغربية قد أدت إلى التقليل من استقلالية هذه الوسائل عن السلطات، وأن علاقات المصالح المتبادلة بـــين هـــذه الشركات والسلطات قد أدت إلى بناء استراتيجيات لتغطية وسائل الإعلام للكثير من الأحداث بمـــا يحقق الأهداف المشتركة، ولاشك أن تغطية وسائل الإعلام لحرب الخليج توضح ذلك.

٥- الثقافة السائدة:

هناك الكثير من العوامل الثقافية التي لعبت دوراً مهماً في تشكيل ظاهرة التحيز الغربي بشكل عام ضد الشعوب الأخرى، كما أسهمت في تشكيل ظاهرة الاستعلاء العرقي والثقافي الغربي، كما قـــدمت الثقافة الغربية مبررات لعمليات الاستعمار، التي تمارسها الدول الغربية ضد الشعوب الفقيرة، ولاشك أن مجمل الثقافة الغربية لا تأتي في صالح الشعوب الضعيفة أو القوى الضعيفة في المجتمعات الغربية مثل العمال والسود.. وغيرهم.

ثانياً – العوامل التي تشكّل ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين بشكل خاص

إن العوامل السابقة تشكّل ظاهرة التحيز بشكل عام في وسائل الإعلام الغربية، ولكن مع ذلك فـــإن هناك عوامل أخرى تشكّل ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين بشكل خاص هي:

١- الخبرة التاريخية:

إن حالة الاشتباك بين الغرب والإسلام لم تتوقف منذ الحروب الصليبية حتى الآن، وقد شهدت هذه الحالة لحظات انتصار وهزائم مريرة لكلا الجانبين، وقد أنتجت هذه الحالة مخزوناً تاريخيـــاً يصـــعب تجاوزه، ولابد من التسليم بأنه سيظل ينتج تناقضات حادة، وحالة عـــداء مســـتمر بـــين الغـــرب والمسلمين، فلاشك أن هناك الكثير من الدماء قد سالت.. ثم إن الغرب يدرك بشكل – ربما أكثر من المسلمين أنفسهم – مصادر القوة في الإسلام، وأن الإسلام قد صنع وحدة الأمة الأولى ونهضـــتها، وأقام حضارة شامخة، وأنه قادر على أن يصنع وحدة الأمة مرة أخرى، وأن يقود خطاها إلى صـــنع مرحلة تاريخية جديدة من الحضارة والتقدم.

إننا نظلم الإسلام إذا لم نعترف بأن هناك تناقضات كبيرة بينه وبين مجمل الثقافة والحضارة الغربيـــة، وأن هذه التناقضات لا يمكن التوفيق بينها أو التوصل إلى حلول وسط بشأنها، فالإسلام يقدّم بنـــاءً شاملاً للحياة والثقافة والحضارة، وهو يمثل المشروع البديل الوحيد للحضارة الغربية.. والقضية ليست قضية منجزات مادية أو تقنية، أو تقدم مادي، فهذا كله مع أهميته إلا أنه يمكن تحقيقه وفي فتـــرات قصيرة نسبياً، لكن القضية هي قضية عقيدة وثقافة بالأساس، وهي قضايا أكثر أهمية من كل أشكال التقدم المادي.

يضاف إلى ذلك أن الإسلام يمكن أن يكون – وسوف يكون – هو القائد الحقيقي لحركة كفاح الشعوب المستضعفة ضد أشكال الهيمنة والسيطرة والتفوق الغربي، واستغلال الشعوب الضعيفة.

ثم إن المسلمين يمتلكون الكثير من مصادر القوة أهمها: البشر الذين تجاوز عددهم المليار نسمة، ويتزايد عددهم بشكل مستمر، وهم يشكّلون قوة ضخمة إذا تم تعبئتها وتوحيدها، وأن حدوث ذلك أمر ممكن مهما تصوّر المنهزمون استحالته، يضاف إلى ذلك مصادر البترول والكثير من الثروات الطبيعية، والمساحات الشاسعة من الأراضي.

وقبل ذلك وبعده عقيدة يمكن أن تشكّل الأساس لعملية التوحيد، وكتاب سماوي هو كما نزل من السماء لم يستطع أحد – ولن يستطيع – أن ينقص منه حرفاً أو يزيد عليه حرفاً، وهو يشكّل الثوابت التي تقوم عليها الثقافة والحضارة والموقف من الحياة والكون.

إذن لابد أن نسلم بأن الغرب لابد أن يخاف، وأن ينعكس ذلك في وسائل الإعلام الغربية، فتعمل على زيادة مشاعر الخوف، وعلى أية حال فذلك اتجاه إيجابي، فالخوف بالتأكيد أفضل كثيراً من الاحتقار.

٢- الخبرة المعاصرة:

إن وسائل الإعلام الغربية تعتمد في كثيرٍ من الأحيان على أحداث حقيقية لا يمكن إنكارها، وهذه الوسائل تبالغ بالتأكيد في تضخيم هذه الأحداث، ولكننا لابد أن نتحلى بالشجاعة في نقد أنفسنا، ليس بهدف جلد الذات وتعذيب النفس، ولن بهدف التقويم والإصلاح.

علينا أن نعترف أن جزءاً كبيراً من المسؤولية في تشويه صورة المسلمين يقع عليهم هم أنفسهم، فالأمة بشكل عام تعيش حالة هزيمة مروّعة، وتخلف شديد، و لم تستطع حتى الآن أن تستثمر ما بيدها من عناصر القوة.. وأخطر من ذلك، فإن الكثير من النخب تعيش حالة انبهار مرضى بالغرب، كما تحدث الكثير من الانتهاكات لحقوق الإنسان، بالإضافة إلى تزايد الفجوة بين الأغنياء والفقراء.

ومن المؤكّد أن الغرب لا يعجب إلا بالنجاح والقوة، والقوة مهما بدت مخيفة بالنسبة له إلا أنه لا يستطيع احتقارها، ومن هنا فإنه من المؤكّد أن الطريق الصحيح لمقاومة تحيز الغرب ووسائل إعلامه ضد الأمة الإسلامية، وتصحيح الصورة النمطية المشوّهة هو إقامة مشروع حضاري جديد تستعيد في ظله الأمة عافيتها وقوتها ووحدتها وقدرتها على تحقيق النهضة والتقدم، وفي إطار هذا المشروع يتم إقامة صناعة إسلامية قوية للإعلام والمعلومات تواجه الصورة المشوّهة داخل الأمة قبل أن تواجهها في الخارج.

لم يكن الهدف إذا مما عرضت في هذه الدراسة هو زيادة ما نعانيه من أحزان أو الاستسلام للهزيمة، ولكن الهدف هو رصد الواقع، تمهيداً للتفكير في المستقبل والتخطيط الاستراتيجي لتصحيح الصورة السلبية ومواجهتها، وتحقيق الانتصار الإعلامي.

إن الصورة مهما كانت سلبية يمكن تصحيحها، وتحويلها إلى صورة إيجابية، ولقد نجح اليهود في ذلك، والتجربة يمكن أن تتكرر باستغلال كل ما في العصر من منجزات تقنية في مجال الإعلام والمعلومات.

الخاتمة أوضحت هذه الدراسة تطور ظاهرة التحيز في وسائل الإعلام الغربية، وأن المسلمين ضحية لهذه الظاهرة، حيث أدت إلى تشكيل صورة نمطية سلبية للمسلمين، كما أن هذه الوسائل قد شكّلت صورة إيجابية للذات الغربية بشكل يكرّس الشعور بالتفوق والاستعلاء العرقي.

أما التطور الذي شهدته التسعينيات فهو زيادة التركيز على تقديم الإسلام والمسلمين كعدو، وأنه يمثّل خطراً يهدد الحضارة الغربية، وأن خطاب وسائل الإعلام الغربية في التسعينيات قد شهد الجمع بين الخطاب الديني، الذي استخدم خلال الحروب الصليبية، والخطاب العلماني الذي استخدم خلال الموجة الاستعمارية الأوروبية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

كما قدّمت هذه الدراسة محاولة لتفسير ظاهرة التحيز بشكل عام، ثم التحيز ضد المسلمين بشكل خاص.

ولاشك أن هذه الصورة النمطية السلبية التي يقدمها النظام الإعلامي الدولي، الذي تسيطر عليه الدول الغربية تمثل إحدى أخطر التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في العصر الحديث، وأن هذا التحدي يفرض على الدول الإسلامية ضرورة العمل لرسم استراتيجية لمواجهة هذه الصورة وتصحيحها.

لكن قبل العمل على تصحيح الصورة في العالم الغربي، فإنه لابد من مواجهة تأثير الصورة على الإنسان المسلم ذاته، فهذه الآثار قد تكون أخطر بكثير من تأثير الصورة على المستوى العالمي، وهذه المواجهة لابد أن تقوم على رسم صورة للذات تعيد للإنسان المسلم الثقة في ذاته، والاعتزاز بحضارته وثقافته، وزيادة ولائه للأمة وانتمائه لها.

وعلى المستوى العالمي، فإنه على الرغم من الاعتراف بصعوبة تصحيح الصورة، إلا أنه مع ذلك فإن عملية التصحيح ليست مستحيلة، بل إن هناك إمكانية كبيرة لتحقيق ذلك على المدى الطويل، لكن ذلك يعتمد على استراتيجية طويلة المدى، يمكن أن نحدد أهم ملامحها فيما يلي:

١- العمل على إقامة المشروع الحضاري الإسلامي، الذي تستعيد في ظله الأمة الإسلامية وحدها وقوها ونهضتها، وهذا المشروع لابد أن يهدف إلى تحقيق التقدم على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية، وتقديم هذا المشروع إلى العالم كأداة لتحرير كل المستضعفين من السيطرة والاستغلال الغربي، في ظل هذا المشروع يمكن أن تكون الأمة الإسلامية في المستقبل مساهماً في صنع الحضارة الإنسانية، وفاعلاً أصيلاً في السياسات العالمية، وهذا المشروع بالتأكيد هو أهم التحديات التي يجب أن يشارك في مواجهتها كل مفكري الأمة ومثقفيها.

٢- في إطار هذا المشروع لابد من العمل على إقامة صناعة إسلامية للإعلام والمعلومات، ومن المؤكّد أن هناك إمكانيات كبيرة لإقامة هذه الصناعة حتى مع الوعي بسيطرة الغرب على النظام الإعلامي الدولي، وهذه الصناعة الإسلامية القوية هي التي يمكن أن تكسر السيطرة الغربية على تدفق الأنباء في العالم، وهذه الصناعة الإسلامية للإعلام والمعلومات لابد أن تقوم أولاً على إعداد الكوادر الإعلامية المؤهلة علمياً وثقافياً ومهنياً على إنتاج مضمون بديل لما يقدمه الإعلام الغربي، فالمضمون هو أهم أركان هذه الصناعة، ثم تأتي البنى الإعلامية، ومن المؤكّد أن هناك إمكانية لتقوية البنى الإعلامية الموجودة في الدول الإسلامية، وزيادة فاعليتها لتصبح مصدراً مهماً للثقافة والإعلام والمعلومات، ثم تأتي إمكانية إنشاء بنى جديدة تزيد من فعالية الصناعة الإعلامية الإسلامية.. وفي إطار ذلك فإنه يمكن البدء بالمشروعات التالية:

أ- العمل على إنشاء وكالة أنباء إسلامية قوية تكون بعيدة عن سيطرة الحكومات حتى يمكن أن يتحقق لها قدر أكبر من المصداقية والثقة فيما تبثه من أنباء.

ب- العمل على زيادة التعاون بين وكالات الأنباء في الدول الإسلامية، عن طريق تبادل الأنباء والمعلومات، وتسهيل الحصول عليها.

جـ- زيادة التعاون بين الدول الإسلامية في مجال تبادل المنتجات الثقافية والإعلامية، والتقليل من الاعتماد على المنتجات الإعلامية الغربية.

٣- إنشاء رابطة لعلماء الإعلام المسلمين، تعمل على تفعيل دور الباحثين الإعلاميين الإسلاميين في دراسة واقع الإعلام في الدول الإسلامية، وذلك بالمقارنة بواقع الإعلام في الدول الغربية، وذلك لإنتاج نظريات جديدة مستقلة تقوم عليها الصناعة الإسلامية للإعلام والمعلومات، وتحرر هذه الصناعة من التبعية الفكرية للغرب، بالإضافة إلى العمل على تطوير الدراسات الإعلامية في الدول الإسلامية وإنشاء كلية للإعلام الإسلامي.

٤- العمل على إنشاء رابطة للإعلاميين الإسلاميين كتنظيم مهني، يهدف إلى زيادة القدرات الإعلامية للإعلاميين الإسلاميين عن طريق التدريب، كما تعمل هذه الربطة كتنظيم مهني يصدر ميثاق شرف للإعلاميين الإسلاميين، ويتابع تنفيذه، بالإضافة إلى العمل على حماية حقوق الإعلاميين الإسلاميين.

٥- العمل على زيادة القدرات الإعلامية للمسلمين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في مجال الاتصال المواجهي (المباشر)، وهذا النوع من الاتصال له تأثير أكبر من الاتصال الجماهيري، ولذلك لا بد من العمل على تأهيل أكبر عدد ممكن من المسلمين المقيمين في الدول الغربية ليكونوا قادت رأي ينقلون رسائل صحيحة عن الإسلام إلى المواطنين الغربيين عن طريق الاتصال المباشر.

كما يمكن تدريب المسلمين المقيمين في الغرب على كتابة خطابات إلى أية صحيفة أ وسيلة إعلامية تهاجم الإسلام، فقد أشار الكثير من الصحفيين الغربيين إلى أنهم يتلقون الكثير من الخطابات من اليهود في حالة كتابة أية معلومات يمكن أن تمس إسرائيل بشكل أو بآخر، كما يمكن الاستفادة من الإمكانيات المتاحة في الغرب لإصدار صحف وإنشاء محطات تلفزيونية كابلية Cabl صلى الله عليه وسلم T.V ، بالإضافة إلى زيادة قدراتهم على استخدام الشبكة الدولية للمعلومات Int صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم n صلى الله عليه وسلم t لبث رسائل عن الإسلام، وإنشاء مواقع على هذه الشبكة تهدف إلى تقديم المعلومات الصحيحة عن الإسلام، وإصدار صحف إسلامية.

٦- إنشاء قمر صناعي إسلامي يحمل مجموعة من القنوات التلفزيونية الإسلامية المتخصصة، ويحمل قنوات تبث برامج جامعة إسلامية عالمية مفتوحة توفر المعرفة الصحيحة عن الإسلام لكل من يرغب في دراسته.

وبعد فإن إقامة صناعة إسلامية للإعلام والمعلومات هو مشروع كبير ويحتاج إلى الكثير من الإمكانيات المادية والبشرية لكن إقامة هذه الصناعة هي عملية دفاع عن هوية الأمة الإسلامية وذاتيتها الثقافية والحضارية وحقها المشروع في الحياة.

هوامش الدراسة:

١- لمزيد من التفاصيل حول تعريف التحيز وأنواعه، أنظر على سبيل المثال.

- Mcquail. D, Analysis of n wspap صلى الله عليه وسلم Cont nt, (London: H صلى الله عليه وسلم Maj sty's Station صلى الله عليه وسلم y offic, ١٩٧٧), PP ١٥ –١٧.

- N g صلى الله عليه وسلم in . صلى الله عليه وسلم Politics and mass m, dia in B صلى الله عليه وسلم itain, (London: صلى الله عليه وسلم out L dg , ١٩٨٩ PP (٧٨ –٩٣.

- Baistow. T, Daily P صلى الله عليه وسلم ss: Fau صلى الله عليه وسلم th صلى الله عليه وسلم at stat (London: Com dia Fuhlishing g صلى الله عليه وسلم oup, ١٩٨٥ P. ٣ .

٢- انظر في ذلك على سبيل المثال:

- Oxtoby. G. W, W st صلى الله عليه وسلم n P صلى الله عليه وسلم c abs, in: Hudson. M صلى الله عليه وسلم ptions of islam and th A and Wolf. صلى الله عليه وسلم Th Am , صلى الله عليه وسلم ican m dia

g Town univ صلى الله عليه وسلم abs, G o صلى الله عليه وسلم and Th A
صلى الله عليه وسلم Cont A صلى الله عليه وسلم fo صلى الله عليه وسلم sity, C nt
صلى الله عليه وسلم abic Studi s, ١٩٨٠, PP ٣ – ٧٠.

٣- انظر دراسة مقارنة بين الخطاب المستخدم في كتاب لورد كرومر "مصر الحديثة"، والكتابات الغربية الحديثة في:

- P t صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم udolph, Th Myst صلى الله عليه وسلم i ntal mind, in l Sh ikh. l (t. al), صلى الله عليه وسلم i s of Th o صلى الله عليه وسلم Th chall ng of Th Middl ast, Univ sity of صلى الله عليه وسلم Amst dam, صلى الله عليه وسلم ١٩٨٢, PP ٧٣ – ٨٩.

٤- انظر في ذلك:

- Shah n. J, Th T.V A صلى الله عليه وسلم ab, (ohio: Bawling g صلى الله عليه وسلم n stat univ صلى الله عليه وسلم sity, ١٩٨٤) P. ١٢.
- Shah n. J, Am صلى الله عليه وسلم ican T l vision: A صلى الله عليه وسلم abs in d humanizing ol , Jn Hudson. M and صلى الله عليه وسلم Wolf . صلى الله عليه وسلم (ds), Am ican m dia and صلى الله عليه وسلم A صلى الله عليه وسلم abs, OP. Cit, P. ٤٠.

٥- انظر نتائج هذه الدراسة القيمة في:

- Al – Qazzaz. A, Jmag fo صلى الله عليه وسلم mation and t xthooks, Jn Gha صلى الله عليه وسلم b. , Split Vision, (Washington: Am صلى الله عليه وسلم ican – A صلى الله عليه وسلم ab affai صلى الله عليه وسلم s council, ١٩٨٣), PP ٣٦٩ – ٣٨٠.

٦- انظر في ذلك على سبيل المثال:

- Suli man. M, National St صلى الله عليه وسلم atyp s as W apons in Th A صلى الله عليه وسلم ab – Is صلى الله عليه وسلم a li conflict, jou صلى الله عليه وسلم nal of Pal stin studi s, sp صلى الله عليه وسلم ing ١٩٧٤, Vol ٣, PP ١٠٩ – ١٢١.

٧- Said. dwa صلى الله عليه وسلم d, Cov صلى الله عليه وسلم ing Jslam, London: صلى الله عليه وسلم autl dg & K gan paul, ١٩٨١, P. ٣٠.

٨- Jbid, P. XII.

٩- لمزيد من التفاصيل حول صور الاختلال في النظام الإعلامي الدولي وتأثيراته انظر:

- سليمان صالح، مقدمة في علم الصحافة، (القاهرة: دار النشـــر للجامعـــات المصـــرية، ١٩٩٤)، وصناعة الأخبار في العالم المعاصر، القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٩٨).

- سليمان صالح، أزمة حرية الصحافة في النظم الرأسمالية، (القاهرة: دار النشر للجامعات المصـــرية، ١٩٩٥).

١٠- انظر في ذلك:

- سليمان صالح، الإعلام الدولي وسيطرة الشركات متعددة الجنسية، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٦٧، أبريل – يونيه ١٩٩٢.

سليمان صالح، أزمة حرية الصحافة في النظم الرأسمالية، م. س. ذ.

١١- Golding. P and lliot. P, Making Th n ws, London: Longman, ١٩٧٤).

=================

للحرية قيود وللصبر حدود !

أ.د. حسن بن علي الزهراني

أستاذ جراحة الأوعية الدموية

جريدة الوطن

صدق من قال: " الحرية روح الحياة ولكن القيود هيكلها "، و أول تلك القيود هو احتـــرام حريـــة الآخرين التي تتوقف عندها حرية أي فرد أو مجتمع، فلا يوجد عاقل –في أي مجتمع كان- يمـــارس الحرية المطلقة، ولا يدعو ذو بصيرة –بصرف النظر عن معتقده أو موروثه الحضاري- إلى التحلل من كل القيود لممارسة حريته الخاصة أو حرية مجتمعه، ففي الحرية المطلقة –بإجماع ذوي الألباب من بني الإنسان- فساد ذريع، ولو ترك لكل أحد أن يمارس حريته المطلقة كيفما أتفق ودون مراعاة لحقوق ومشاعر الآخرين لقضى أقوام حوائجهم الطبيعية من إخراج وتناسل وتكاثر على أبواب البيوت وعند نواصي الطرق كما تفعل البهائم!.

ليست هناك حرية مطلقة في الماضي والحاضر بل ولا حتى المستقبل، ويكذب ويعلم أنه يكذب مـــن زعم بأن هناك حرية مطلقة لفرد أو مجتمع تبيح له أن يمارس ما يراه دون مراعاة لمصالح و أنظمـــة و أعراف وتقاليد مجتمعه التي ارتضاها لنفسه، فلكل حرية قيود تحدد سقفها، قيود –معلنة أو مضمرة!- تحددها معتقدات وحضارة ذلك المجتمع وفي مقدمتها إرثه الديني وعقده الاجتماعي ومدى احترامـــه لنفسه واحترامه للغير، بل إن للذوق العام دور هام في تحديد ملامحها.

لا شك بأن الحضارات والثقافات تتفاوت في المدى المسموح به من الحرية، إلا أنها تتفق جميعا على عدم التسامح مع الإهانة المقصودة لمشاعر الغير، ولو يعطى الناس بدعواهم لأعطيت الحضارة الغربية المركز الأول في التشدق بإعطاء القدر الأكبر من الحريات لمواطنيها، و لكن الحق بأن هناك بونا شاسعا بين النظرية والتطبيق، خاصة إن كان التطبيق على غير أرضها ولغير شعوبها، وتأمل ما حدث ويحدث منذ الحادي عشر من سبتمبر وحتى تاريخه لترى مكيالي الزور التي يكتال الغرب بها، تأمل الفرق بين مكيال يكيل به لنفسه –ومن أحب– ومكيال حشف وسوء كيلة يكيل به للمسلمين ومن أحبوا، فيحرم معاداة السامية ومناقشة الهولوكوست من جهة، ويتسامح ويتغاضى بالمقابل عن نشر رسومات ساخرة لأعظم رمز (رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأمة يزيد عددها عن المليار والنصف بدعوى تقاليد حرية النشر المسموح بها في دولة كالدنمارك وغيرها من دول الغرب المسيحي، تلك الدولة التي لا يزيد عدد سكانها مجتمعين على نصف عدد سكان عاصمة إسلامية واحدة كالقاهرة أو اسطنبول، ليس هذا فحسب بل يطالب مليار ونصف مسلم بتقبل تلك الإهانة لنبيهم الكريم بصدر رحب، ويحثوا على التحلي بروح رياضية مع هذه الممارسة الفجة، فالواجب عليهم أن يحتفوا بهذه الإهانة باعتبارها درسا مجانيا في ممارسة الحرية التي تأخروا في اعتناق مبادئها، بل و يذهب بعيدا فيحدد البعض للمسلمين – وبكل صفاقة وعنجهية– سقف حرياتهم فينهاهم عن التعبير عن سخطهم ويحذرهم من التصرف في أموالهم –بهمجية وبربرية!–، فيقاطعوا منتجات الدولة أو الدول التي أساءت لنبيهم ورفضت الاعتذار لهم.

لقد تفاجأ الإعلام العالمي عامة والغربي خاصة بحجم الغضب الذي تفجر في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وردة الفعل القوية التي عبرت بها الشعوب المسلمة نصرة لنبيها والمتمثلة في المقاطعة الاقتصادية، وحق لهم أن يندهشوا! فلقد تعودوا من المسلمين الصبر الجميل على الإهانات المتواصلة بحق أنفسهم وبحق دينهم و حضارتهم، عودهم المسلمون على التسامح والصفح والتماس العذر وقبول الاعتذار، عودوهم على إدارة الخد الأيمن بعد صفع الأيسر، قبلت الشعوب المسلمة سلسلة من الإهانات المتلاحقة منذ أن أُخذ مليار ونصف مسلم بجريرة بضع مئات منهم، فوصم دينهم بالإرهاب تصريحا وتلميحا، ووصم كتابهم المقدس بالتحريض على الكراهية، وعومل الكثير منهم على أنهم متهمون بالإرهاب بناء على لون بشرتهم أو ارتداء نسائهم للحجاب، فالتمسوا العذر لمنتهكي حقوقهم! بل وتسابقوا لإعطاء كل ما يستطيعون من تنازلات لإثبات حسن سلوكهم وسلامة طويتهم، ومع ذلك فلم يشفع لهم ذلك عند شانئهم و لم يغني عنهم شيئا، وأستمر مسلسل إذكاء الكراهية والحقد تجاه الإسلام، فتم تمزيق و تدنيس المصحف في المعتقلات الأمريكية وهدمت المساجد وانتهكت حرمات وأعراض، واستمرت الصفعات من كبار القوم، ثم فعلوا بنبينا الأكرم كما فعل به رؤوس الكفر عند دعوته لأهل الطائف فأغروا به سفهاءهم، فتولى كبر الإساءة سفهاء تلك

الصحيفة الدنماركية، ثم تبعهم في ذلك سفهاء آخرين في أوروبا، وهنا طفح الكيل وبلغ السيل الزبى وأعلنها المسلمون صريحة " إلا رسول الله!" وهو شعار معبر لا يفهمه إلا من تأدب بالوحي المـــترل القائل ((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم))، فجاء العذر متأخرا وقبيحا !، فالمشكلة في المســـلمين – المتخلفين- الذين لا يتفهمون تقاليد بلادهم التي تبيح لهم السخرية من كل أحد –زعموا!-، وعلى الرغم من متابعتي لعشرات المقالات والتصريحات –وما سمي بالاعتذارات- من المسئولين الدنمركيين إلا أنني لاحظت المراوغة والتهرب البين من إعطاء إجابة مباشرة حول حرية التعبير عنـــد مناقشـــة موضوع حدوث المحرقة النازية لليهود أو السماح بالحديث عن السامية أو التشهير بأحبار اليهـــود، فكل أولئك يعلو سقف الحرية المزعومة.

للغربيين أن يحددوا لشعوبهم سقف حريتهم كيفما أرادوا طالما تعلقـــت تلـــك الحريـــة بـــأفرادهم ومجتمعاتهم، للأوروبي الحق في ممارسة ما يشاء من سخرية برموزه وزعمائه، بدء برجـــال –ونســـاء البلاط الملكي!- مرورا برجال الكنيسة وانتهاء بمشاهير الفن والرياضة، وله كل الحق في سن ما شاء من قوانين تسعى لتحطيم قيم الأسرة فيبيح زواج المثليين والشواذ، ويغض الطرف عن زنا المحـــارم، ويمنح التراخيص الرسمية لبيوت الدعارة ونوادي التعري(الستربتيز)، ويبيح تعاطي الحشيش، فـــذلك شأنه وتلك مشكلته، كما أن له أن يقرر احترام مشاعر اليهود فلا يجرحها بتصويرهم كنصـــابين أو مرابين أو جواسيس أو حتى بخلاء انتهازيين!، وله أن يحدد لمجتمعه قواعد الـــذوق أو مـــا يســـمونه بالاتيكيت فيرى بأن الأفضل في تحية المرأة هو تقبيلها على خديها بينما يستهجن تقبيل الرجل للرجل عند اللقاء، وله أن لا يرى في تعدد العشاق والعشيقات بأسا ثم ينتقد تعدد الزوجات، بل إن الغربي يشترط التهذيب في التلفظ فيتوقع من مخاطبه أن يسبق أي طلب بكلمة"Pl صلى الله عليه وسلم as صلى الله عليه وسلم " أي من فضلك و أن يختم حديثه بالشكر ولكنه لا يرى بالمقابل أن في السخرية من مقام نبي مرسل أي دليل على عدم التهذيب بحق ذلك النبي و بحق أتباعه، لأن منظري الأتيكيت قد طبقوا قواعد الذوق –فقط- على وضعية الشوكة والملعقة على مائدة الطعام وعلـــى اســـتهجان التجشؤ أو فتح الفم أثناء الأكل وهو مملؤ بالطعام، وما عدا ذلك من إساءات يدخل ضمن الحريات الشخصية وحرية التعبير ولا علاقة له بالتحضر!.

ومن هنا فلا بد من أن نسعى جميعا شعوبا و حكومات إلى التنادي إلى ميثاق أو معاهدة "ذوق" يحدد لقليلي الذوق وعديمي الأخلاق سقفا لحرياتهم الشخصية في عالم أنكمش حجمه وتشابكت مصالحه، ميثاق يجرم الإساءة لكافة أنبياء الله و كل الأديان السماوية الثابتة -لا اليهودية فقط!-، إن ميثاقا من هذا النوع قد يكون أكثر أهمية من معاهدات كثيرة يتحدث عنها العالم اليوم.

لكم آلم أمة محمد تطاول وسائل الإعلام الغربية على أنبياء بني إسرائيل حين صوروا بصور مقيتـــة، ومع ذلك فإن المسلمين قد سكتوا عن تلك الإهانات –اجتهادا من بعضهم- حتى لا يتهموا بـــدس

أنوفهم فيما لا يعنيهم، أما وقد وصل الأمر إلى نبيهم الخاتم فلا يسع مسلم أن يسكت، لقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبى، ووجب على قادة العالم الإسلامي التحرك لإيقاف هذه الحملة الجائرة و المنظمة ضد الإسلام ونبيه وأتباعه، فالإسلام دين لأكثر من ربع سكان الأرض وهو بذلك يستحق نفس المعاملة التي نالتها اليهودية من لدن ما يسمى بالشرعية الدولية التي منعت التحريض على معاداة السامية، وحادثة الصحيفة الدنماركية قد طرحت سؤالا طالما رواد الكثير من المسلمين، و هو السؤال الذي عنون به الأستاذ فهمي هويدي مقالة له مؤخرا " من يكره من؟!"، فيا ليت بعض قومي يجيبون أو ليتهم "يختشون" فيصمتون!

=====================

(لماذا نحب الرسول؟)

عناصر الموضوع:

١. أحوال الناس تجاه رسول الله وسنته وهديه

٢. فضل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

٣. المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

لماذا نحب الرسول؟:

إن الناس تجاه محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وسنته قد انقسموا إلى أقسام عدة؛ فمنهم المستهزئ بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومنهم المتبع لبعض هديه التارك للهدي الآخر... وهلم جرا، وإن من علامة حب الرسول صلى الله عليه وسلم ذكره بالصلاة عليه في المواطن المستحب ذكره فيها.

أحوال الناس تجاه رسول الله وسنته وهديه:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [النساء:١].. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب:٧٠-٧١]. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أيها الإخوة! إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً

عظيماً علينا، رسول الهدى الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فبلغ رسالة الله للنـــاس، وأدى الأمانـــة، ونصح الأمة، وأقام الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فاعتدلت الملة على الصراط المستقيم بعد أن كانت عوجاء، فتح الله به قلوباً غلفا، وآذاناً صما، وأعيناً عميا، ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، وما ترك شراً إلا وحذرنا منه، وكان صلى الله عليه وسلم أعظم الأمة أجراً؛ لأن الدال على الخير كفاعله، ولا يعمل منا أحدٌ اليوم عملاً صالحاً إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أجر المثل، بالإضافة لأجره هو صلى الله عليه وسلم. هذا الرسول -أيها الإخوة- كما ذكرنا في مناسبة سابقة، لابد أن نحبـــه حباً عظيماً، وطريقة أهل السنة والجماعة في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقٌ بين بـــاطلين، طريقة الوسط بين الغلو ورفعه فوق المترلة التي أنزله الله إياها، وبين الجفاء وهو: قسوة القلب وعدم محبته صلى الله عليه وسلم المحبة الكافية، فضلاً عن كرهه أو سبه كما يفعل اليوم كثير من الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله. لقد كافأ الناس -أيها الإخوة- رسول الله صلى الله عليه وسلم مكافأة شنيعة، فمنهم من يستهزئ به أو بشخصه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومنهم من يستهزئ بمظهره أو لباسه صلى الله عليه وسلم، فأنت تذكر للناس صفة مظهره أو لحيته أو ثوبه عليه الصلاة والسلام، فتجـــد ألسنة المستهزئين قد انطلقت بلا عنان، تكيل الشتائم والسباب بشكل مباشر أو غير مباشر لصفة هذا النبي الكريم، وبعض الناس بلغ من تقصيرهم أنهم أخذوا أطرافاً من سننه وتركوا الباقي، فقالوا: هذه سنن أساسية، وهذه لبابٌ يجب أن نأخذ بها، وتركوا أشياء كثيرة مما سوى ذلك، وزعموا أنها قشور لا يجب على المسلم أن يأخذ بها، خالفوا قول الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ [الأحزاب:٢١]. مظهر المسلم اليوم يختلف اختلافاً كبيراً عن مظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخلاق المسلمين اليوم، وعقائد المسلمين اليوم، وسير المسلمين اليوم تختلف اختلافاً كلياً عن ســيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله، وقع التقصير -أيها الإخوة- بشــكل يـــدعو إلى الأسى والأسف، هل هذه هي المكافأة التي يكافئ بها المسلمون نبيهم صلى الله عليه وسلم على تلك الخدمات الجليلة التي أداها عليه السلام لهم ولدينهم؟!

فضل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم:

إننا -أيها الإخوة- نحتاج إلى مراجعة حساباتنا وتصرفاتنا تجاهه صلى الله عليه وسلم، ونحن قد ذكرنا في درس ماض محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطريق إليها، ونخصص هذه الخطبة إن شاء الله لبيان حق واحد من حقوقه عليه السلام وهو: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضلها وأهميتها ومواطنها، وقبل أن نبدأ -أيها الإخوة- أذكركم بأن من آداب خطبة الجمعة، الإنصـــات للإمـــام، وعدم رفع الصوت من قبل المأمومين حتى ولو كان الرفع بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وإنمـــا تكون الصلاة عليه إذا ذكر في النفس، سراً كما قال العلماء. قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً [الأحزاب:٥٦]، فأمر الله سبحانه وتعـــالى

بالصلاة والسلام، ولهذا قال النووي رحمه الله: والمشروع الجمع بين الصلاة والسلام معاً، وعدم إفراد كلٌ منهما لوحده، هذا هو المستحب مصداقاً لما جاء في الآية، إلا ما ورد الدليل بتخصيص أحدهما، وصلاة الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، كما قال أبو العالية فيما جاء عنه بإسناد حسن: هو ثناؤه عليه عز وجل، الصلاة من الله: ثناء الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن الملائكة ومن المؤمنين الدعاء له عليه الصلاة والسلام. وقد عد رسولنا صلى الله عليه وسلم الذي يترك الصلاة عليه بخيلاً، فقال: (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ علي). رواه أحمد ، وهو حديث صحيح، ولــذلك قال العلماء: بأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة لابد منها، وأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا محمد! أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك من أمتــك أحــد صلاة، إلا صليت عليه بها عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشراً، فقلت: بلى أي ربي) رواه أحمد وهو حديث صحيح. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتــاني آت من عند ربي عز وجل، فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها) أربع مكافآت لمن يصــلي علــى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشر حسنات تكتب، وعشر سيئات تمحى، وعشر درجات ترفع، ويرد عليه بمثل ما صلى على رسوله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد وهو حديث صحيح. ولأجــل هذه النعمة التي أنعم الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد سجد عليه السلام شكراً لربه علــى هذه النعمة كما جاء في الحديث الصحيح، وأخبر عليه السلام أيضاً، بقوله: (ما من عبدٍ يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة، مادام يصلي علي، فليقِل العبد من ذلك أو ليكثِر) ولابد من الإكثار، وهذا حديث حسن. بل إن الله قد خص ملائكة معينين وظيفتهم السياحة في الأرض لتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم سلام أمته عليه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمــام أحمد وغيره: (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام) بل إنه أكثر من ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن عمار بن ياسر مرفوعا: (إن لله تعالى ملكاً معيناً أعطاه الله سمع العباد، فليس من أحد يصلي عليّ إلا أبلغنيها، وإني ســألت ربي ألا يصلي عليّ عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشر أمثالها). وقال عليه الصلاة والسلام موضحاً أكثــر: (أكثروا الصلاة عليّ، فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلــك الملك: يا محمد! إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة) ملك أعطاه الله أسماء العباد يبلغ رســول الله صلى الله عليه وسلم سلام كل واحد باسمه، وهذا حديث حسن. وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من واحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام) حديث حسن، رواه أبو داود رحمه الله تعالى. فترد الروح إليه صلى الله عليه وسلم لكي يرد على المصلي منا عليه صلاته وسلامه، فأي أجر وأي فضل أعظم من هذه الأشياء. ولقد بلغ من فضل الله علينا أنه جعل صلاتنا على رســوله

صلى الله عليه وسلم تبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أينما كان المصلي عليه في أي مكان من أقطار الأرض، فقال عليه الصلاة والسلام: (حيث ما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني) سواء كنت عند قبره أو كنت في هذا المكان، أو كنت في أقصى الأرض، فإذا صليت على رسول الله بلّغ الله تعالى صلاتك لرسوله صلى الله عليه وسلم.

المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

إننا -أيها الإخوة- نحتاج إلى مراجعة حساباتنا وتصرفاتنا تجاهه صلى الله عليه وسلم، ونحن قد ذكرنا في درس ماض محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطريق إليها، ونخصص هذه الخطبة إن شاء الله لبيان حق واحد من حقوقه عليه السلام وهو: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضلها وأهميتها ومواطنها، وقبل أن نبدأ -أيها الإخوة- أذكركم بأن من آداب خطبة الجمعة، الإنصات للإمام، وعدم رفع الصوت من قبل المأمومين حتى ولو كان الرفع بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وإنما تكون الصلاة عليه إذا ذكر في النفس، سراً كما قال العلماء. قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً [الأحزاب:٥٦]، فأمر الله سبحانه وتعالى بالصلاة والسلام، ولهذا قال النووي رحمه الله: والمشروع الجمع بين الصلاة والسلام معاً، وعدم إفراد كلٌ منهما لوحده، هذا هو المستحب مصداقاً لما جاء في الآية، إلا ما ورد الدليل بتخصيص أحدهما، وصلاة الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، كما قال أبو العالية فيما جاء عنه بإسناد حسن: هو ثناؤه عليه عز وجل، الصلاة من الله: ثناء الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن الملائكة ومن المؤمنين الدعاء له عليه الصلاة والسلام. وقد عد رسولنا صلى الله عليه وسلم الذي يترك الصلاة عليه بخيلاً، فقال: (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ علي). رواه أحمد ، وهو حديث صحيح، ولذلك قال العلماء: بأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة لابد منها، وأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا محمد! أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك من أمتك أحد صلاة، إلا صليت عليه بها عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشراً، فقلت: بلى أي ربي) رواه أحمد وهو حديث صحيح. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتاني آت من عند ربي عز وجل، فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها) أربع مكافآت لمن يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشر حسنات تكتب، وعشر سيئات تمحى، وعشر درجات ترفع، ويرد عليه بمثل ما صلى على رسوله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد وهو حديث صحيح. ولأجل هذه النعمة التي أنعم الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد سجد عليه السلام شكراً لربه على هذه النعمة كما جاء في الحديث الصحيح، وأخبر عليه السلام أيضاً، بقوله: (ما من عبدٍ يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة، مادام يصلي علي، فليقِل العبد من ذلك أو ليكثِر) ولابد من الإكثار، وهذا

حديث حسن. بل إن الله قد خص ملائكة معينين وظيفتهم السياحة في الأرض لتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم سلام أمته عليه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام أحمد وغيره: (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام) بل إنه أكثر من ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن عمار بن ياسر مرفوعا: (إن لله تعالى ملكاً معيناً أعطاه الله سمع العباد، فليس من أحد يصلي عليّ إلا أبلغنيها، وإني سألت ربي ألا يصلي عليّ عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشر أمثالها). وقال عليه الصلاة والسلام موضحاً أكثر: (أكثروا الصلاة عليّ، فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد! إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة) ملك أعطاه الله أسماء العباد يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام كل واحد باسمه، وهذا حديث حسن. وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من واحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام) حديث حسن، رواه أبو داود رحمه الله تعالى. فترد الروح إليه صلى الله عليه وسلم لكي يرد على المصلي منا عليه صلاته وسلامه، فأي أجر وأي فضل أعظم من هذه الأشياء. ولقد بلغ من فضل الله علينا أنه جعل صلاتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم تبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أينما كان المصلي عليه في أي مكان من أقطار الأرض، فقال عليه الصلاة والسلام: (حيث ما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني) سواء كنت عند قبره أو كنت في هذا المكان، أو كنت في أقصى الأرض، فإذا صليت على رسول الله بلّغ الله تعالى صلاتك لرسوله صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم آخر التشهد في كل صلاة:

ومن المواضع التي يشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، الموضع الأول: وهو أهمها وآكدها في الصلاة عليه في آخر التشهد، وهي الصلاة الإبراهيمية المعروفة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، ولهذه الصلاة صيغ كثيرة، يستحب للإنسان المسلم أن ينوع في ذكرها في صلاته، فمن هذه الصيغ قوله عليه الصلاة والسلام: (صلوا عليّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل ومحمد، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) ومن هذه الصيغ قولوا: (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد) والصيغ كثيرة ذكرها أهل العلم في موضعها.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول من كل صلاة:

والموضع الثاني أيها الإخوة: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول من الصلاة، بعد التشهد الأول من الصلاة يسن الصلاة على رسول الله كذلك، ليس فقط في التشهد الأخير كما يعلمه عامة الناس، وإنما حتى في التشهد الأول للحديث الوارد عند أبي عوانة والنسائي: أنــه عليــه الصلاة والسلام كان يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره، الفرق بينهما أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير واجبة، أما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الأول فهي سنة، إن تركها الإنسان فلا حرج، ولكن يسن له أن يصلي على رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى بعد التشهد الأول قبل أن يقوم إلى الركعة الثالثة.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت:

وكذلك من المواضع: الصلاة عليه في آخر دعاء القنوت في صلاة الوتر أو غيره إذا قنت الإنسان، لما جاء في حديث عبد الرحمن بن عبد القاري ، أنهم كانوا على عهد عمر يلعنون الكفرة في النصف من شعبان، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الإمام، ويدعو للمسلمين بما استطاع من خــير، ثم يستغفر للمؤمنين، وذكر بعض العلماء أن هذه الصلاة مقيدة بقول الراوي أو بقوله أحياناً، أي: قوله في النصف الثاني من هذا الشهر.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة:

وكذلك يستحب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قل: هي جزء من صلاة الجنازة، وهو الموضع الآخر، فإنه قد قال الزهري رحمه الله: سمعت أبا أمامة سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب -وأبو أمامة صحابي صغير- إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يخلص الدعاء للميت. ففي التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسناده صحيح.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد إجابة المؤذن:

والموطن الخامس أيها الإخوة: بعد إجابة المؤذن، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة ... الحديث) بعد الانتهاء من الترديد مع المؤذن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الدعاء:

ومن الأماكن والمواطن كذلك: الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند الدعاء، وقد بلغ من خطــورة هذه المسألة أنه عليه الصلاة والسلام قال في الحديث الحسن المروي عن أنس مرفوعاً: (كــل دعــاء محجوب-لا يقبل- حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم) يحجب الدعاء، يعلق بــين الســماء والأرض، كما ذكر ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام ، حتى يصلي الداعي الذي يدعو ربه علــى

رسوله صلى الله عليه وسلم. ولذلك كان للصلاة عليه في الدعاء مراتب، فمنها: الصلاة عليه قبل الدعاء، وبعد حمد الله، بعدما تحمد الله وتدعوه بأسمائه الحسنى، وقبل أن تسأل حاجتك تصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليدع بعد ما شاء). والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره، والمرتبة الثالثة: أن يصلي عليه في أول الدعاء وآخره، ويجعل حاجته متوسطة بينهما، المهم أنه لابد من قرن الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الهم والشدائد:

ومن المواطن كذلك: الصلاة عليه عند الهم والشدائد وعند طلب المغفرة، فعن أبي بن كعب قال: (قلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟) قال ابن القيم رحمه الله: وقد سئل شيخنا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن هذا الحديث، فقال: كان لأبي دعاء يدعو به، دعاء خاص، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله! أنا أدعو وأثناء دعائي أصلي عليك، فكم النسبة التي أخصص لك الصلاة عليك فيها في دعائي؟ فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، فقلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذاً يكفى همك ويغفر لك ذنبك). فإذاً: هذا الصحابي أبي بن كعب صار دعاؤه كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام له: أنه إذا فعل هذا يكفى الهم، ويغفر له ذنبه، فصار إذا نزل بالإنسان هم يستحب له الإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد والخروج منه:

ومن المواطن المعروفة كذلك: عند دخول المسجد والخروج منه، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: (بسم الله، اللهم صل على محمد-ويضيف إليها- اللهم افتح لي أبواب رحمتك)، وإذا خرج قال: (بسم الله، اللهم صل على محمد-ويضيف إليها- اللهم إني أسألك من فضلك).

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم:

وعند اجتماع القوم وقبل تفرقهم، قال صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر لله، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا قاموا على أنتن جيفة) خذ أكثر جيفة نتناً وأشدها تعفناً، ثم تصور أنك إذا جلست في أي مجلس، وقمت من ذلك المجلس بغير ذكر الله وصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنك تقوم على هذا النتن الصادر من هذه الجيفة، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أيضاً: (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس، ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى أو

يصلوا على نبيه، كانت عليهم ترة من الله -حسرة- إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم) عذاب من الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم. أيها الإخوة! فكروا في مجالسنا اليوم التي نجلس فيها، كم من المجالس التي نجلس فيها ونقوم من غير ذكر لله ولا صلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما تكون مجالسنا غيبة ونميمة، وتفكهاً في أعراض الناس، والجهر بالسوء من القول، والنكت والضحك، والاستهزاء بعباد الله الصالحين، والكلام في أخبار فلان وفلان من الناس، أو الكلام في عروض التجارة وأنواعها، ولكننا قلما نقوم من مجلس فنذكر الله تعالى ونصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم. لو لم نخرج من هذه الخطبة أيها الإخوة إلا بهذه الفائدة لكانت فائدة عظيمة، نتواصى فيما بيننا يا إخواني، أننا إذا جلسنا في أي مجلس كان، جلس الإنسان مع أهله، أو أصدقائه، أو مسئول، أو موظف، أو فصل دراسي، أو في دكانه، ألا يقوم من ذلك المجلس إلا وقد ذكر الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ولو مرة على الأقل، هذه سنة لابد أن تحيا، ولابد أن يذكر بها بعضنا بعضا. وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً خطورة ترك الصلاة عليه: (من ذكرت عنده -في مجلس، أو حتى ولو قراءة- فخطئ الصلاة عليّ، خطئ طريق الجنة) حديث صحيح رواه الطبراني عن الحسين رضي الله عنه. ولذلك جاء في حديث جبريل لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن ذكرت عنده يا محمد! -صلى الله عليه وسلم- فلم يصل عليك، فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين). ولذلك قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: تجب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر اسمه، شفهياً أو تحريرياً، وهذه مسألة وقع فيها تقصير عند كثير من المسلمين، فإنهم إذا جاءوا يكتبون اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم لا يصلون عليه عند الكتابة، ولا يكتبون الصلاة عليه، وبعضهم يكتب بين قوسين صاد، وبعضهم يكتب صلعم، هذه لا تغني شيئاً مطلقاً، كأنها غير موجودة، لابد كما ذكر العلماء أنك عندما تكتب اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصلي عليه عند كتابتك فتكتب: صلى الله عليه وسلم، أو عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك من الألفاظ. بل لقد بلغ من دقة بعض العلماء، وهو عبد الرحمن بن مهدي من المحدثين أنه قال: كنا في عجلة من أمرنا ونحن نكتب الحديث، و لم يكن عندنا وقت لكتابة صلى الله عليه وسلم لأننا نكتب عن الشيخ، والشيخ يسرع في الحديث فتركنا فراغاً بيضنا له، فإذا انتهى مجلس الإملاء ذهبنا فملأنا الفراغات كلها صلى الله عليه وسلم، وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: بحسب أهل الحديث خيراً أنهم كلما كتبوا حديث رسول الله صلوا عليه وسلموا. فكان أهل الحديث -أيها الإخوة- المشتغلين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تقع لهم هذه الفائدة أكثر مما تقع لغيرهم، جعلنا الله وإياكم من أهل الحديث وأتباع السنة، وصلى الله على نبينا محمد.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصباح والمساء:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين. فإكمالاً لما كنا نتكلم عنه، فإن من أذكار الصباح والمساء -أيها الإخوة- الصلاة على رسولكم صلى الله عليه وسلم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قال في الحديث الحسن الذي يرويه الطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً: (من صلى علي حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة).

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل اجتماع:

ومن المواطن كذلك: كل اجتماع فيه ذكر لله، سواء كان تفسيراً أو حديثاً أو فقهاً وما شابه ذلك، لابد أن يقرن بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كغيره من المجالس، بل إنه في هذا المجلس يكون التكرار فيه أكثر.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تكبيرات صلاة العيدك

ومن المواطن التي يصلى فيها عليه صلى الله عليه وسلم: الصلاة عليه في تكبيرات صلاة العيد، لما روي عن عبد الله بن مسعود في صفة صلاة العيد، لما جاء يعلمها للوليد بن عقبة ، وكان عنده صحابيان جليلان، قال ابن مسعود وهو يعلم هذا الرجل -وكان أميراً على بلده-: كيف يؤم الناس في صلاة العيد؟ يقول له: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح في الصلاة وتحمد ربك، وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تدعو وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، إلى آخر الحديث، فقال حذيفة وأبو موسى رضي الله عنهما: صدق أبو عبد الرحمن ، الكلام كما قال أبو عبد الرحمن ابن مسعود ، قال المخرّج لكتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، الجهضمي : إسناده حسن. فإذاً أيها الإخوة! إذا صففنا في صلاة العيد التي فيها تكبيرات، فإذا كبرنا الأولى والثانية والثالثة، بين كل تكبيرة وتكبيرة يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، ويدعون ما شاءوا.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا والمروة:

ومن المواطن كذلك: الصلاة عليه فوق الصفا والمروة؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: [إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعاً، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم أتوا الصفا، فقولوا: من حيث ترون البيت -تقف وأنت تنظر إلى البيت- فكبروا سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد لله وثناء عليه، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومسألة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك]. قال المخرِّج في المصدر السابق: إسناده صحيح.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره:

ومنها كذلك أيها الإخوة: الصلاة والسلام عليه عند قبره، إذا جاء الإنسان ليزور القبر إذا كان في المدينة دون شد الرحال والسفر من أجل القبر، نذهب للصلاة في المسجد، ونية السفر الذهاب للصلاة في المسجد، فإذا وصلنا إلى هناك، وكنا على مقربة من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فإنه يستحب لك يا أخي المسلم أن تأتي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقف أمامه وتفعل كما فعل ابن عمر ، عن عبد الله بن دينار قال: [رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر]، أخرجه في الموطأ ، قال في المصـــدر السابق: إسناده صحيح. وعن عبد الله بن دينار قال: [رأيت ابن عمر إذا قدم من سفر دخل المسجد فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه] هذا الحديث قال عنه في المصدر السابق: إسناده صحيح. هذه من المواطن التي ورد فيها الصلاة على نبي الله صلى الله عليه وسلم، فكثرة الصلاة وتعددها وتنوعها واختلافها يدل على دخولها أي: الصلاة على الرســـول صلى الله عليه وسلم في أمور كثيرة من الدين، نظراً لأهميتها وعظمها وفضلها. فنسأل الله ســـبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من أهل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وأن يرزقنا وإياكم شفاعته، واتباع سنته ظاهراً وباطناً في الصغيرة والكبيرة. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، اللهم واجعلنا من المســـلمين لك المخبتين لك، الأوابين الأواهين التوابين، وارزقنا ذكرك آناء الليل وأطراف النهار، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح ذات بيننا، اللهم واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

===================

لِمَن يا حبيبُ تحِنّ القلوبُ ؟!

د.عبد المعطي الدالاتي

لمن يا حبيبُ تحنّ القلوبُ وتهفو العقولُ، لمن يا حبيبُ؟!
ومَن ذا سباها فصارتْ مُناها تحنّ اشتياقاً.. تلوبُ، تذوبُ!
* *

لمن يا حبيبُ المعاني الجميلةْ تُصاغ؟ وتُهدى القوافي الكحيلةْ
فنشدو وتشدو طيورُ الخميلةْ نجاوى اشتياقٍ، فأنت الحبيبُ
* *

ومليارُ روحٍ بحبكَ تسعَدْ ومليارُ قلبٍ يقول: محمدْ
فهم يشهدون.. وقلبيَ يشهدْ بأنك أنت الرسولُ الحبيبُ
* *

رسولَ الأنام بحبكَ صِرنا
كمثلِ الحمام لحيِّكَ طِرنا
رسولَ السلام بدربكَ سِرنا

ودربُ الحبيبِ حبيبٌ حبيبُ

* * *تحنّ اشتياقاً.. تلوبُ، تذوبُ!

* *

لمن يا حبيبُ المعاني الجميلةْ

تُصاغ؟ وتُهدى القوافي الكحيلةْ

فنشدو وتشدو طيورُ الخميلةْ

نجاوى اشتياقٍ، فأنت الحبيبُ

* *

ومليارُ روحٍ بحبكَ تسعَدْ

ومليارُ قلبٍ يقول: محمدْ

فهم يشهدون.. وقلبيَ يشهدْ

بأنك أنت الرسولُ الحبيبُ

* *

رسولَ الأنام بحبكَ صِرنا

كمثلِ الحمام لحيّكَ طِرنا

رسولَ السلام بدربكَ سِرنا

ودربُ الحبيبِ حبيبٌ حبيبُ

=================

مؤتمر البحرين في مصلحة من؟!!

محمد جلال القصاص

mgalkassas@hotmail.com

تجميع عدد من العلماء في مؤتمر عالمي، والخروج بتوصيات خطوة رائدة تُحسب لمن قام بها.

فمن شأنها أن تنزع قيادة الأمة من المنظمات الحكومية الرسمية، ومن شأنها أن تعطي صفة رسمية لشيوخ الصحوة الإسلامية، الذين لا تعترف بهم الأنظمة العلمانية إلى اليوم مع أن كثيرًا منهم يحمل شهادات رسمية.

ولكن السؤال الذي يتبادر للذهن، لماذا سُمح لمؤتمر مثل هذا أن ينعقد بهذه الوجوه التي لا نشك في إخلاصها لدينها وأمتها؟

و لم لم تعارض الحكومات، وتطلب انعقاد المؤتمر من الجهات الرسمية الممثل (الشرعي) للشعوب؟

إن هناك قراءة أخرى لما يحدث يجب أن ننتبه إليها؟
الشعوب غاضبة من سلسلة الإهانات المستمرة التي تتعرض لها الأمة على يد (الآخر) بدءًا بأحـــداث الانتفاضة ووقوف الأمريكان في صف اليهود وسكوت الحكومات على ما يحدث، ومرورًا بما حدث في (أبو غريب) وجوانتنامو وما حدث للمصحف الشريف وانتهاء بما حدث لشخص نبينا صلى الله عليه وسلم.
و لم تعد الجماهير تثق في كل ما هو (رسمي) في معظم البلاد الإسلامية، وهي اليوم في أشد حـــالات غضبها ونفرتها من حكّامها، ولابد من تصدير قيادات (معتدلة) ولو نسبيًا، كهـــؤلاء المـــؤتمرين في البحرين للخروج بتوصيات (مدنية) في إطار (الشرعية) الحالية، وكبح جماح الأزمة قبل أن تتطور.
الجماهير حاليًا لن تستجيب لعلماء الدولة الرسميين الساقطين في نظر الجماهير، وبقاء الأزمة على ما هي عليه من إصرار من الطرف الدينماركي على عدم الاعتذار وضغط (الآخر) من أجل إنهاء الأزمة من شأنه أن يحرج الأنظمة، ومن شأنه أن يمنح قبولاً لخطاب (القاعدة) وأمثالها بين الشعوب، وتكون دَفعة معنوية جديدة لحَمَلِة السلاح الخارجين على الأنظمة.
لذا، فإن مؤتمر البحرين يأتي في إطار كبح جماح الجماهير والوقوف بالأزمة عند حد معين يحول دون تطورها. ثم بعد ذلك تتعامل الأنظمة مع توصيات المؤتمر بطريقتـــها، أو تفتعـــل خصـــومات مـــع الشخصيات المتنفذة في المؤتمر وتساومها، وهي قضية قديمة تتكرر ولا تخفى على أحد. وبهذا تكـــون مكتسبات الجماهير من الأزمة قد صودرت بيد علماء الأمة ودعاتها.
والمؤتمرون يرونها فرصة لأخذ قيادة الأمة ولو مرحليًا، ويرون في هذا الأمر تحقيق مكاسب ولو قليلة ما كان لهم أن يحققوها لو لم يأتمروا. وأن الصدام مع الأنظمة أو مع الغرب ليس في مصلحة أحـــد اليوم على الأقل.
فمن أقرب لتحقيق هدفه؟
للإجابة على هذا السؤال لا بد من فهم محورين أساسيين مرتبطين بالأزمة؛
أولهما: سبّ النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبعد مما حدث في الدينمارك والنرويج وما تناولته وسائل الإعلام، وإنما هو منهج يتبعه المنصِّرون الآن في صدِّ الناس عن دين الله، وما حدث في الدينمارك، ما هو إلا نوع من الانعكاس لهذا النوع من الثقافة (التبشيرية) المنتشرة الآن بين القوم.
ومن أراد أن يتأكد فعليه أن يزور غرف البالتوك التي (تبشر) بالنصرانية ويستمع لما يقال فيها بكـــل اللغات، لتعلم أن القوم قد استقاموا على هذا الطريق.
وعامة الناس في الغرب لا يسمعون كلامنا ـــ نحن أبناء الشرق ـــ وإنما لهم مصادرهم الخاصة الـــتي تكذب عليهم، وهي تتكلم عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلاً، وصـــورة

المسلم ــ وخاصة العربي ابن الجزيرة ــ والإسلام أقبح ما يكون في ذهن هؤلاء، وهي مــن قبــل أحداث سبتمبر، ولعل استخفاف الدينمارك ــ وهم من أضعف الشعوب الغربية ــ يعكس لك هذا. فنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وتحسين صورته في الغرب لا تأتي من هنا، ولــن تصــلوا لعامــة النصارى من الأوروبيين وغيرهم بسهولة، فمؤسسات التنصير قوية لديها وفرة في العدد ووفــرة في العتاد، وتستطيع أن تشوش تماما على أي عمل دعوي يقوم به المسلمون، فكان الأحــرى أن تظــل المقاطعة، وأن تشتد حتى تلفح نارها عامة الناس من الغربيين، ويتساءلون عما يحدث فنحدثهم عــن نبينا وقرآننا وشريعة ربنا.

أما توقف المقاطعة اليوم، فلن يضار منها أحد ولن يستفيد بها أحد. فاليوم ظهرت الثمار ولكنها بعد لم يحن وقت جنيها، وقد تعجل قومنا إن هم فعلوا ونادوا بوقف المقاطعة.

لِمَ لَمْ نقف للشركات الجزوع التي لم تتجلد وتصبر للمقاطعة، ونطالبها هي بتنفيذ مطالبنا نحن مــن المقاطعة في أرضها أو في أي بلد أوربي ليس شرطًا الدينمارك ــ كلهم سواء ــ، والمقصود هــو أن يعرف الناس النبي صلى الله عليه وسلم؟

بمعنى تقيم هي بما تنفقه على الإعلانات بإنشاء مركز إسلامي للتعريف بالنبي صلى الله عليه وســلم، وتوجه هي بيان لعامة الناس من الدينماركيين والأوربيين تتكلم فيه عن شخص نبينا صلى الله عليــه وسلم، ونحن نتكفل لها بوقف المقاطعة؟!

أما اعتذار هنا وكلام آخر معاكس قد يتسرب هناك، فهذا أمر لا أدري بما أصفه ولكنه يخلف حسرة في القلب.

ثانيهما: وهو أمر مهم جدًا وفي غاية الخطورة لمن يفهمه ويستغله، وهو أن الخطاب الصحوي ــ إن صح التعبير ــ أوجد جيلاً من أنصاف طلبة العلم ــ وأرجو المعذرة في استعمال هذا التعبيرــ وهم الآن منتشرون بين الناس وهم المفعَل الحقيقي للأزمة بين الجماهير، ولا بد من مد يد العون لهــؤلاء، وترشيدهم.

أو قل لا بد من الاهتمام بالخطاب العلمي الرزين الذي يتحدث عن فقه الواقع، ولا بد من تكــثير هؤلاء فهم كالقنوات الفرعية بين الشعوب، ينصتون جيدا لشيوخ الصحوة ثم ينقلون الخطاب على ما هو عليه للجماهير من خلال المنتديات أو العمل، وهؤلاء أذكى من الالتفاف عليهم، فلينتبه كل لمــا يقول.

ويرتبط بهذا، أن تَجَمع هذا الجمع الغفير من علماء الأمة لا بد من تفعيله في إذابة الحواجز الفكريــة والحركية، أو قل إنشاء آليات عمل مشترك في كافة الميادين بين علماء الأمة، أي أنه يمكن الاستفادة من المؤتمر بما يعرف بــ (على هامش المؤتمر) هذه هي أرجى الثمار.

فمن يسبق من لتحقيق هدفه: الأنظمة أم شيوخ الصحوة؟

====================

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

الشيخ/ سفر الحوالي

١ - معنى المحبة وتعريفها:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

معنى المحبة في اللغة معروف، وهي في الشرع: أمر زائد على مجرد الميل الطبيعي للمحبوب؛ فمحبة الله تعالى، ومحبة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة المؤمنين، ومحبة ما شرع الله من الدين، هي أمر زائد على مجرد الميل الطبيعي إلى شيء من ذلك؛ إذ لا بد فيها من جانب اختياري تكليفي.

وباصطلاحاتنا المعاصرة أقول: إن المحبة الشرعية ليست مجرد عاطفة متعلقة بالوجدان وحده، وإنما هي متعلقة بالوجدان والعاطفة، والعقل والإرادة، والعمل: عمل القلب، وعمل الجوارح؛ إذ أنها جزء مهم من الإيمان.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة كما هو معلوم للجميع قول وعمل، أي: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، كما هو مبين في مواضعه.

وعلى هذا فمن ظن أن محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي مجرد الميل الطبيعي والوجداني له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو غالط غلطًا بينًا؛ لأن هذا الظن هو الذي أوقع طوائف من الأمة في التفريط في اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك سنته، ونبذ شريعته، وترك تحكيمه، وترك التأدب معه، وأوقعهم في التقديم بين يدي هديه وحكمه، هذا مع تعلقهم العاطفي بذاته، وتغنيهم بشمائله، وإعجابهم بكماله، وربما بكائهم لتذكره، ولهجهم بالصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك من قال: إن معنى محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي طاعته، وامتثال أمره، والتمسك بسنته، فهو مقصر عن إصابة كبد الحقيقة في هذا، إذ أن هذا هو تفسير لها باللازم والمقتضى.

فالطاعة والامتثال هو لازم المحبة ومقتضاها لا حقيقتها، ومعناها والتحقيق في ذلك: أنها أمر زائد على ذلك يجمع ويشمل ما ذكرنا آنفًا، فالمحبة بهذا الاعتبار أمر عظيم من أمور الإيمان.

وقد بين ذلك شَيْخ الإِسْلامِ ابن تيمية رحمه الله تعالى، يقول: "إذا كان الحب أصل كل عمل من حقٍ أو باطل، وهو أصل الأعمال الدينية وغيرها، وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، فالعملان القلبيان العظيمان إذًا هما المحبة والتصديق، المحبة هي أصل جميع الأعمال والتصديق هو أصل جميع الأقوال الإيمانية".

ويقول رحمه الله في موضع آخر: "أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحب الله هو أصل التوحيد العملي وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع وهذا هو الإسلام".

وقال: "أصل الإشراك العملي في الله الإشراك في المحبة، كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة:١٦٥].

وكما هو معلوم أن تأليه الله تبارك وتعالى أو الشهادة بأنه لا إله إلا الله، قيل: إنها مشتقة من الأله أو من الوله، فالأله هو: العبادة، كما في الآية: {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف:١٢٧] وأما إن كان من الوله فالمقصود بالوله هو: درجة عليا من درجات المحبة، وهي تعلق القلب بهذا المألوه الذي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المعبود وحده لا شريك له.

ومن هنا وقع شرك المشركين حين أحبوا غير الله، وتعلقت قلوبهم به، ونتج عن ذلك أن دعوهم واستغاثوا بهم وعبدوهم من دون الله سبحانه، وصرفوا لهم الحق الخالص لله عز وجل، وهذا المعنى الواسع العميق للمحبة عند أهل السنة والجماعة هو الذي يميز محبتهم عن المحبة العاطفية الهائمة، التي يدَّعيها الصوفية دون أي أساس من الشرع.

وهذه المحبة التي يدعونها هي شحنه عاطفية يمكن أن تفرغ بقصيدة من الشعر أو حفلة أو ذكر أو حضرة، أو بأي نوع من أنواع المتفرغات العاطفية وينتهي مفعولها، بخلافها عند أهل السنة والجماعة؛ حيث تشمل عمل القلب وعمل الجوارح التي ترتبط بعمل القلب، فيكون المحب في هذه الحالة مطيعًا وذاكرًا ومتعلق القلب بالمحبوب.

وأما المحبة الصوفية أو المحبة البدعية الهائمة، فهي تلك المحبة التي عبَّر عنها السلف الصالح بأنها زندقة، حيث قالوا: 'من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن' وهذا هو القول الصحيح، وقد عبَّر عن هذه المحبة الزنديقية تصديقًا لهذا القول القديم المأثور الشاعر الصوفي المشهور ابن عربي حين قال قاتله الله:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعىً لغزلان، وديرًا لرهبان
وبيتًا لأوثان، وكعبةَ طائف وألواحَ توراةٍ، ومصحفَ قرآن
أدينُ بدينِ الحبِّ أنَّى تَوَجَهَت رَكَائِبُه فَالحُبُّ ديني وإيماني

فلما أصبحت المحبة بهذا المعنى، وأصبحت محبة الله ومحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي هذا الهيام العاطفي الذي لا يحده ضابط ولا قيد؛ وقعت الأمة أو الطوائف التي اعتنقت هذه المحبة في الغلو العظيم، على ما سوف نوضحه ـــ إن شاء الله ـــ في الفقرة المناسبة له، وخرج بذلك عن حد المحبة

الشرعية، وحقيقتها، وما ذلك إلا لجهلهم لهذه المحبة التي شرعها الله والتي لا يقبل الله تبارك وتعالى إلا هي.

٢ – مقتضيات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لوازم ومقتضيات محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة جدًا، نرجو الله تعالى أن يوفقنا لـــنظم أشـــتات الحديث فيها:

(١) تحقيق الشهادة له صلى الله عليه وسلم:

وأعظم ذلك هو تحقيق الشهادة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه رسول الله، هذه الشهادة التي هي ركن التوحيد، والشهادة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة التي تعني طاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل مـــا أمر، وتعني كذلك اجتناب كل ما نهى عنه وزجر، وتعني تصديقه في كل ما أخبر به، وتعني ألاَّ يعبد الله إلا بما شرع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا قال الله تبارك وتعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران:٣١] {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:٣٢].

فلا بد من اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بد من طاعته؛ وهذا الاتباع والطاعة يرث العبد بهما محبة الله فتورث محبة الله تبارك وتعالى بذلك، وهذه هي الغاية العظمى التي يسعى إليها كل المؤمنين، كما قال بعض السلف: "ليست العبرة بأن تُحِبْ، ولكن العبرة بأن تُحَبَّ".

فمن أحبه الله تبارك وتعالى، فقد وفقه لكل خير، وتحقق محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعبد لا يكـــون إلا بأن يحقق العبد اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران:٣١] وبالطبع اتباع الله واتباع دين الله وشرعه.

(٢) الاقتداء به صلى الله عليه وسلم:

ومن ذلك الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتأسي به، كما قال عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لَكُـــمْ فِـــي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:٢١] فلابـــد من الاقتداء به والتأسي به في هديه وخلقه ومعاملته وكل أحواله في البيت، والمسجد، وفي الطريق، في السِّلْم، والحرب، وفي كل الأحوال، وهذا الاقتداء هو حقيقة أو هو علامة ولازم تلك المحبة، الـــتي يجب أن تكون كما أشرنا.

وقد ورد حديث عن عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه حسنه الشيخ الألباني بل ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة في الجزء الذي لم يخرج، قال: "أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توضأ يومًـــا فجعل الصحابة يتمسحون بوضوئه وذلك تبركًا منهم بوضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما يحملكم على هذا؟" ـــ أي: لم تفعلون ذلك؟ ـــ قـــالوا: حـــب الله

ورسوله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله، فليصدق حديثه إذا حدَّث، وليؤد أمانته إذا اؤتمن، وليحسن جوار من جاوره"".

ولو تأملنا خلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوجدنا أنه أصدق الناس لهجة، وأنه أعظم الناس أمانةً، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس جوارًا، فهذا نوع وجزء من شمائله العظمى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب الاقتداء به فيها، وهذا هو تحقيق محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولازمها ومقتضاها.

(٣) تحكيمه في كل موضع نزاع:

ومن أعظم لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحكيمه في كل موضع نزاع، فلا يقدم قول أحد ولا رأيه ولا اجتهاده ولا نظره، ولا حكمه على قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكمه، يقول الله تبارك وتعالى في هذا: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥].

وهذه الآية كما ذكر ابن القيم رحمه الله في شرح المنازل، هذه الآية شملت مراتب الدين الثلاثة، ففيها المقامات الثلاثة: مقام الإسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان، فالتحكيم في مقام الإسلام {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ} [النساء:٦٥].

فمن لم يحكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يكون مسلمًا، والإيمان في مقام نفي الحرج {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ} [النساء:٦٥] فمن انتفى عنه الحرج فهو مؤمن ـــ أي: حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ وانتفى عنه الحرج بما حكم به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا هو المؤمن.

وأعلى من ذلك وأجل هو تحقيق مرتبة الإحسان وهي التسليم المطلق {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥] فيسلم المؤمن تسليمًا مطلقًا لما حكم به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما أمر ولما أخبر به من خبر فلا يعرضه لا على عقله ولا على رأيه ولا على مذهبه ولا على قول شيخه، ولا على أي مخلوق أو أي فكر بشري.

وإنَّ مما يجب أن ننبه عليه في هذا المقام، هو ذلك المنكر العظيم الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية أو طوائف كبيرة منها مع دعوى محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع إظهار بعض الشكليات التي يظنون بها أنهم قد أدوا حقه وأظهروا محبته وزعموها، وذلك هو: تحكيم القوانين الوضعية في شئون حياتهم، ومعارضة سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهديه وحكمه وشريعته بتلك الأحكام.

فهذه جرأة على الله، وجرأة على مقام النبوة، بل هي إهدار وحط من مقام الرسالة؛ لأن معنى الشهادة بأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أن يشهد العبد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أرسل هذا الرسول إلينا لنطيعه ونتبع أوامره، ونلتزم بكل ما يأمرنا به فيما هو إلا رسول مبلغ من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالذين يرفضون حكم الله ورسوله ولا يقيمون شرع الله ودينه في أنفسهم ولا في مجتمعـــاتهم ولا في شئون السياسة أو الحكم أو الاقتصاد أو الاجتماع أو مناهج التعليم، أو أي ناحية من نواحي الحيـــاة فلا ينفعهم أنهم يقيمون له الموالد أو ينشدون له الأناشيد، أو يحيون ذكريات بدعية في ليلة الإســـراء والمعراج وما أشبهها، ويزعمون بعد ذلك أنهم مؤمنون وأنهم يعظمون رسول الله صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ.

وربما ذهب بهم الشيطان إلى أبعد من هذا فَعَادوا من يُطبِّق سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ ويتمسك بها ويقتدي بهديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحجة أنه مبغض للرسول، أو أنه خارج عن هديه، وينبزونه بأشنع التهم، والألقاب.

فهذا من أعظم المنكرات الدالة على أن هؤلاء الناس تركوا محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يقيمون له وزنًا، ولا لرسالته ولا لمقام نبوته ولا لمترلته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي فضله الله تعالى بها على العالمين أجمعين.

ولا شك أن هذا مخالف لحال المؤمنين من السلف الكرام والصحابة رضوان الله تعالى عليهم الـــذين حالهم كما قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [النور:٥١] فلا اعتراض، ولا منازعة، ولا مدافعة، ولا تردد، ولهذا قال: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور:٥١].

فلا يكون الفلاح إلا لهؤلاء الذين حكَّموا سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أعمالهم وحركاتهم و لم تكن لهم الخيرة فيما يقضي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب:٣٦].

فلا اختيار مع أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل التنفيذ والامتثال، هذه هي لوازم محبته وهذا هو تحقيقها، وقد أمر الله تبارك وتعالى تبعًا لذلك بالرد إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} [النساء:٥٩] والـــرد إلى الله هو: الرد إلى كتابه عز وجل، إلى هذا الذكر الحكيم، والرد إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هـــو: الرد إلى سنته، بأن يُسأل في حياته ويرجع إليه في الأمور، وبعد مماته يرجع إلى دينه وسنته، وهديـــه، فلا يكون لأحدٍ إيمانًا إلا بذلك، كما قال: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} [النساء:٥٩].

فمن ادَّعى الإيمان والمحبة مع عدم الرد إلى الله ورسوله في مواضع التراع والاشتباه في أي حال مـــن الأحوال فقد نقض تلك المحبة وهو كاذب في دعواها، و لم يأتِ بلوازمها، ومقتضياتها.

وكما هو معلوم عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الثابت: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهـــو رد"، وقد أشار الشراح رحمهم الله إلى أن هذه اللفظة "عليه أمرنا" فيها الجار والمجرور متعلق بمحذوف يقدر بـــ"حاكمًا أو قاضيًا"، من عمل عملاً ليس أمرنا حاكمًا عليه أو قاضيًا عليه أو خاتمًا عليه فهو

رد، فمعنى ذلك: أن أعمال العباد يجب أن تكون تحت أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحت سنته وهديه وشرعه.

وكذلك في الحديث الآخر يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: "فمن رغب عن سنتي فليس مني" فمهما ادَّعى من مدعي محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راغب عن سنته فليس منه.

وأما صحابته الكرام الذين أحبوه ذلك الحب العظيم فإنهم رضي الله عنهم كانوا متمسكين بسنته، حريصين على التأدب معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء به والاهتداء بهديه، والتأدب معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم التقديم بين يديه.

(٤) عدم التقديم بين يديه وغضّ الصوت:

وأيضًا مما يجب لتحقيق هذه المحبة وهو لازم عظيم من لوازمها:

عدم التقديم بين يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغض الصوت عنده يكون في حياته كما هو معلوم بالنسبة لشخصه ولذاته، وبعد مماته يكون بالتأدب مع سنته وغض الصوت، فلا يرتفع صوت رأي، ولا فكرة، ولا مذهب، ولا قياس فوق سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد كان الصحابة الكرام، يدركون هذا المعنى غاية الإدراك كما ورد في صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: "كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذٍ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الحياء خير كله" ــ قال:ــ أو قال: "الحياء كله خير".

الحديث المشهور المعروف "والحياء شعبة من الإيمان" والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "الحياء خير كله" أو "الحياء كله خير" هذا بلفظ عام لم يخصص بشيء، فقال بشير بن كعب: "إنا لنجد في بعض الكتب، أو الحكمة أن منه سكينة ووقارًا لله ومنه ضعف" يقول: نجد في بعض الكتب أو في بعض موروثات كتب الأولين أن من الحياء سكينةً ووقارًا ولكن أيضًا، أن منه ضعف.

قال أبو قتادة: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعارض فيه، ثم يقول أبو قتادة: فأعاد عمران الحديث، فأعاد بشير، فغضب عمران.

ولا شك أن الغضب الثاني أشد من الغضب الأول، فلما رأى أولئك الرهط ثورة عمران، أخذوا يهدئونه قال أبو قتادة: "فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد إنه لا بأس به".

يقولون: يا أبا نجيد، إن بشيرًا هذا منا، إنه ليس من أهل البدع ولا من أهل النفاق ولا من أهل الزيغ والضلال، فما حصل منه هو عمل أهل الزيغ وأهل الضلال وأهل النفاق الذين إذا قيل لهم: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: إن الأمر كذا، ولكن فلانًا قال كذا، ولكن العلماء قالوا كذا، ولكن المذهب فيه كذا، ولكن الشيخ الفلاني أفتى بكذا، إلى آخر ذلك.

ولذلك الإمام الشافعي رحمة الله عليه، عبَّر عن ذلك تعبيرًا عظيمًا حين جاءه رجل يسأله عن أمر من الأمور، فقال: "قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا" ـــ وتلا عليه حديثًا ـــ فقال له الرجل: فما رأيك أنت؟ فغضب الإمام الشافعي رضي الله عنه غضبًا شديدًا، وقال: "أتراني في كنيسة؟! أترى عليَّ زنارًا؟! أقول لك: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول ما رأيك أنت". فكانوا يعلمون ويدركون أنه لا رأي لأحد مع كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع هديه، ومع سنته.

(٥) الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم:

يجب أو ينبغي أن ننبه إلى أمر عظيم من لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الأمر العظيم قد جاء تفصيله في الشرع؛ فهناك مواضع تجب فيها الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصيغة أو بالصيغ الشرعية الواردة في الأحاديث الصحيحة، وهناك مواضع تستحب فيها هذه الصلاة وتتأكد، وهناك أحوال بل نقول: إنها في كل حال، وفي كل وقت الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي قربة وذكر ونافلة وعبادة من أعظم العبادات وأجلِّها.

(٦) عدم أذيته صلى الله عليه وسلم:

مما يجب أن يعلم أن من لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم أذيته، كما تفضل الشيخ عبد الله في مسألة الاستهزاء؛ بل إن الله سبحانه بيَّن أن أذيته هي شأن المنافقين {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} [التوبة:٦١].

فأي قول فيه نوع من التحقير، أو التقليل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الحط من قيمته، أو الأذية له أو لسنته فإنه من عمل المنافقين وهذا النفاق هو نفاق أكبر ـــ نسأل الله العفو والعافية ـــ وما من قلب ينعقد على شيء من بغض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو كراهيته ويكون صاحبه مؤمنًا قط.

نعم، الناس يتفاوتون في محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفاوتًا عظيمًا، ولكن المؤمن المسلم لا يخلو قلبه أبدًا من شيء من محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن قل، أما أن يشتمل قلب أحدٍ من البشر بشيء من كراهيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا هو الكفر عياذًا بالله، ولا يجتمع الإيمان مع بغضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبدًا، ومن ذلك عدم إيذائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زوجاته، وعدم إيذائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحابته الكرام.

فإن من آذاه في زوجاته أو في صحابته فكأنما آذاه في نفسه وفي شخصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الواحد من الناس أو الواحد من البشر من آذاه في زوجته أو في صديقه، أو في حبيبه فلا شك أنه آذاه هو، فكيف بمن آذى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء من ذلك؟! وهذا مما هو معلوم من جميع المسلمين ـــ ولله الحمد ـــ وإنما أحببنا أن ننبه فيه لأهميته.

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

=========================

محمد ولد أباه عن الرسوم المسيئة

نبأٌ عليه تواترتْ أنباءُ ومن البلا ضحكٌ ومنه ||بكاءُ
يا أيها الرسام قل لي وافتني هل بالقريض يُخاطب الجبناءُ
قد جئت تبغي شهرة قد نالها إبليس فاهنأ أنتما ||شركاءُ
كانت لك الصفحات مرآة فلا تسخر فذلك وجهك الهجّاءُ
أصبحت مشهورًا بفضل محمد وبضدها قد تعرف الأشياءُ
سبقتك أهلُ الجاهلية بالهجا ومن الهجاء مدائحٌ وثناءُ
ذهب الهجاء وهُمْ، وأحمد بيننا بالعلم تعرف فضله الفضلاءُ
وهدى جميع الناس إلا زمرة يحدوهمُ نحو الشقاء شقاءُ
ماذا يضير الشمس في عليائها إن قال جاحدُ نورها ظَلْماءُ؟!
والله قد أثنى عليه وخلْقِه ماذا يقول الشعرُ والشعراءُ؟!
وإذا هجاك من البرية حاقدٌ فالمدح منهُ والهجاء ||سواءُ
ما زال يهديك الجحيمَ وطُرْقَها قدرٌ عليك مسلطٌ وقضاءُ
وإذا عن الشمس المنيرة أُعميتْ مُقَلٌ فماذا تنصح ||النصحاءُ؟!
شكراً، فقد أيقظتَ كل موحد والكيُّ منه منافعٌ وشفاءُ
ولربَّ مُعْضلة أتتك حسبتها داءً من الأدواء وهْي دواءُ
هبُّوا فقد بلغ الزُّبى سيلُ العِدى واستفحل الضعفاء والجهلاءُ
وإذا البيارق والجحافل أُسكتت ماذا تقول قصيدةٌ عصماءُ؟!! ... ...

====================

مشروع التعريف بخاتم الرسل وبرسالته صلى الله عليه وسلم

كَتَبَهُ د. وجيه بن حمد بن عبد الرحمن
د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

فكرة المشروع وأعماله الحمد لله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه جملةٌ من المحاور المقترحة لإيصال نور الإسلام إلى العالمين، وتصحيح الصورة المختلقة عليه، ودفْع التطاول عليه، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم :

أولاً: مخاطبة قادة العالم لتبليغ رسالة الإسلام اقتداءً بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى إذا استشهدنا يوم العرض على الله شهدنا بأننا بلغنا النعمة التي منَّ الله بها على الثقلين. ونرى أن يتم ذلك بالأساليب التالية:

١- عبر قادة العالم الإسلامي ومنظماته وهيئاته وسلكه الدبلوماسي.

٢- عبر وفود من الدعاة وأساتذة الجامعات والمفكرين ورجال الإعلام والأعمال المختارين للقيام بهذه المهمة.

٣- عقد مؤتمر دولي في إحدى العواصم العالمية أو في المدينة المنورة أو جدّة أو غيرها من المدن يدعى لحضوره قادة الدول والأمين العام للأمم المتحدة وشخصيات دولية مرموقة، ممن أسلم من الغربيين ومَن لم يسلم بعنوان: (محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الوحي الإلهي).

وهو الأمر الذي يقطع الطريق على المنصِّرين والمستشرقين الذين يشككون في كون الإسلام ديناً سماوياً [وربما دُعي للمؤتمر البابا أو ممثل عن الفاتيكان].

ثانياً: إنشاء أقسام للدراسات العليا تمنح الماجستير والدكتوراه للطلبة من مختلف أنحاء العالم، يشرف عليها علماء مسلمون، بدلاً من ابتعاث أبنائنا ليشرف عليهم أساتذة قد يفتقرون إلى الأهلية من حيث الدين والمنهج والنزاهة العلمية. ونرى أن يفتح القبول فيها للمسلمين وغير المسلمين. وأن يكوَّن مجلس علمي إسلامي عالمي للإشراف عليها، ويمكن أن تقام تلك الأقسام في دول العالم الإسلامي أو خارجه، وترحب كثير من الجامعات بافتتاح مثل تلك الأقسام وتمويلها.

ثالثاً: إجراء أبحاث علمية مشتركة مع بعض علماء العالم، حتى من غير المسلمين حول جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والاستفادة من رصيدنا العلمي والجهود العظيمة التي تبذلها هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة، ويكون لنا بذلك قصب السبق وحقوق البراءة العلمية، ومِن شأن هذا أن يكون بمثابة دعوةٍ غير مباشرة لدين الحق.

رابعاً: تأليف موسوعة عالمية تُترجَم إلى اللغات الرئيسة بعنوان:

(موسوعة خاتم الأنبياء والمرسلين).

أو: (موسوعة الرسول الرحمة المهداة).

أو: (موسوعة محمد الرسول إلى البشرية كلها).

تتناول الموسوعة محاور، منها: مختلف نواحي حياته صلى الله عليه وسلم وتضحياته في سبيل إسعاد البشرية، ودوره في تاريخ الإنسانية. ونرى أن تُستكتب أقلام إسلامية وغير إسلامية منصفة، وتُكتب

الموسوعة بطريقة الموسوعات المناسبة الشائعة عالمياً، ثم يُعْمَل على توزيعها ونشرها بالطرق المدروسة المناسِبة؛ لإيصالها إلى المكتبات والمراكز العالمية.

خامساً: إهداء المكتبات العالمية، الجامعية منها والمركزية، مجموعة من الكتب الإسلامية المنتقاة.

سادساً: تأليف (موسوعة الأوامر والنواهي الإسلامية وأهمّيتها في تحقيق الرفاه العالمي). ونرى أن تتضمن الموسوعة أبحاثاً علمية ميدانية مدعمة بالأرقام والإحصاءات لتُقيم الحجة على مَن يقفون في وجه نشْر الوحي الإلهي. ونرى أن تتضمن الموسوعة المشكلات العالمية بكافة أنواعها ودراستها بأسلوب موجَّه إلى العالم.

سابعاً: عقد دورات مكثفة للراغبين مِن الكتّاب والمفكرين غير المسلمين في التعمق في الدراسات الإسلامية واللغة العربية بهدف تجلية صورة الإسلام في أذهانهم ودعوتهم إلى دين الله، بالأسلوب والمنهج المناسب للتعامل معهم.

ثامناً: التوسع في افتتاح المعاهد والمدارس الإسلامية والعربية في الخارج؛ فاللغة وعاء العقيدة والثقافة.

تاسعاً: افتتاح مركز دولي للتأليف والترجمة يتولى التأليف والترجمة والتواصل مع الشخصيات العالمية في المجالات كافة. ويزوَّد المركز بأحدث الوسائل الدعوية.

عاشراً: إنشاء قناة فضائية تُعنى بتبليغ الدعوة بكافة السبل المتاحة، تبث بأكثر مِن لغة عالمية.

حادي عشر: إنشاء رابطة عالمية لأصدقاء الإسلام، كخطوة أولى لدعوتهم، والاستفادة منهم في الذود عن الإسلام والمسلمين.

ثاني عشر: تبادل الزيارات بين أساتذة الجامعات ومجالس الشورى والبرلمانات الغربية وإقامة المحاضرات والندوات والأبحاث المشتركة.

ثالث عشر: إقامة معرض عالمي متنقل للحضارة الإسلامية والكتاب الإسلامي، يرافقهما برامج متعددة متنوعة تعريفية بالإسلام وحضارته.

رابع عشر: تأسيس محكمة إسلامية عالمية تُعنى بالدفاع عن الإسلام ومقدساته.

خامس عشر: عقد مؤتمر إعلامي عالمي لتجلية صورة الإسلام وحضارته وثقافته.

سادس عشر: تأسيسُ مشروعٍ علمي عملي لجمع الإمكانات البشرية العلمية والعملية القادرة على إيصال الصورة الصحيحة عن رسالة الإسلام وعن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين، واستثمار هذه الإمكانات في إنجاز المشروعات المقترحة هذه.

إضافةً إلى السعي في تأهيل أعدادٍ كبيرةٍ من الناس لامتلاك الكفاءة العلمية والعملية للقيام بهذه المهمة.

سابع عشر: يكون في ضمن هذه المشروعات السعي إلى مُراجَعة كتابات المستشرقين والمنصِّرين عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونَقْد ما فيها من زيف، واتخاذ الخطوات اللازمة لتصحيح تلك الصور، والمطالبة بالحقوق التي أُهدرت بسبب تلك الكتابات وذلك التشويه.

ويُمكن تخصيص إدارة أو مركزٍ متخصصٍ لتحقيق هذا الغرض.

ثامن عشر: إجراء دراسات وحوارات ومحاضرات وندوات متعددة في مختلف أنحاء العالم، لإثبات أن طبيعة العلاقة بين جميع الأديان الإلهية هي علاقة توافق، ووِحدةٍ في الأصول، وفي الأهداف والمقاصد، لا علاقةَ خلافٍ أو عداء، على ما يصوِّرُه كثيرٌ من الكُتَّابِ والمتحدِّثين المغرضين أو الجاهلين بالحقيقة.

ويؤمَّن لهذا المشروع مختلف الإمكانات اللازمة: العلمية والمالية ومختلف الوسائل.

والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله على رسول الله محمد الرحمة المهداة.

آليَّة تنفيذ المشروع يُقترَح لتنفيذ المشروع اتّخاذ الإجراءات والوسائل الآتية:

أوّلاً: يُسنَد كلٌّ فئةٍ مِن تخصصات المشروع إلى جهةٍ تتخصص به، وتكون مسؤولةً عنه، وتكون هذه الجهة إما لجنةً أو إدارةً، وتَطّرِد هذه التسمية في جميع التخصصات، بحيث تُسمى كلٌّ منه "إدارة" أو "لجنة" أو نحو ذلك.

ثانياً: تقسيم العمل بحسب تخصصاته وبحسب مراحله.

ثالثاً: يُراعى في أعمال المشروع المنهجية السديدة المؤثرة والضوابط المُوَجِّهة لأعماله.

ثانياً: تقسيم العمل بحسب تخصصاته وبحسب مراحله:

ويُقترَح أن يكون التنفيذ مِن خلال تقسيماتٍ محصورة لضبْطِ العمل ومجالاته، ومِن ذلك أن يكون العمل، مثلاً، موزّعاً على التخصصات الآتية:

١- المجال العلميّ فيما يتعلق بالكتابة والتأليف وما في معناهما، وإعداد البرامج والتصور، والأفلام، وإعداد المناهج الدراسية، وسائر الأعمال العلمية المندرِجة تحت إنشاء الأعمال العلمية، أو اختيارها وترشيحها، إنْ وُجدتْ جاهزةً والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها.

٢- المجال العلميّ التعليميّ، وما يتعلق بهذا الأمر، وتنفيذ برامجه الجاهزة، ومناهجه الجاهزة، والإشراف المباشر عليها، دون الدخول في إنشاء تلك الأعمال العلمية مِن مراجع وسِواها؛ لكون ذلك مِن مهامّ العاملين في المجال الأول (المجال العلميّ).

٣- المجال الإعلاميّ، وما يتعلق به مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام الإعلامية، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح الأجهزة والمراكز اللازمة، والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها.

ويقوم هذا المجال بالتعامل مع وسائل الإعلام الإسلامية وغير الإسلامية والتعريف بالإسلام عبر الوسائل الإعلامية بكافة السبل المتاحة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- تنفيذ برامج إعلامية وثائقية عن الإسلام ثقافة وحضارة وتاريخاً.
- افتتاح قناة أو قنوات فضائية تبث بعدة لغات.
- استئجار ساعات معينة في بعض محطات التلفاز الأجنبية والفضائيات، بما فيها غير الإسلامية.

- إجراء مقابلات مع بعض الشخصيات السياسية والإعلامية والدينية لتجلية صورة الإسلام بأسلوب الحوار والإقناع؛ لإقامة الحجة على العالم. والتركيز في كل ذلك على عالمية رسالة الإسلام.
- تجلية الجوانب التي يظن البعض أنها تحدّ من حرية الإنسان وتُضيِّق عليه، وإثبات أن الشريعة الإسلامية هي وِجاء للحفاظ على الروح والعرض والمال والنفس والعقل.
٤- المجال الدعويّ، وما يتعلق به مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام الدعوية، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح البرامج، والضوابط، والمشروعات، والمراكز اللازمة، والإشراف المباشر عليها، تنفيذها.
٥- مجال العلاقات والزيارات والحوارات والمؤتمرات، والندوات، وما يتعلق بهذا مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام تجاه هذا المجال، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح البرامج، والضوابط، والمشروعات، والمراكز اللازمة، والأجهزة والوسائل اللازمة، والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها.
٦- مجال إعداد الموسوعات العلمية والثقافية، بمختلف اللغات، وفي مختلف المجالات، وما يتعلق بهذا مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام تجاه هذا المجال، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح البرامج، والضوابط، والمشروعات، والمراكز اللازمة، والأجهزة والوسائل اللازمة، والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها.
٧- مجال تفنيد الشبهات، والرد على التهجم على الإسلام وعلى ما يتعلق به، وإقامة الدعاوى القضائية، ونقْد النقْد في هذا المجال بمختلف اللغات، وما يتعلق بالتصدي للشبهات، وإقامة الدعاوى على الخصوم، مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام تجاه هذا المجال، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح البرامج، والضوابط، والمشروعات، والمراكز اللازمة، والأجهزة والوسائل اللازمة، والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها.
٨- مجال نشْر السيرة والشمائل النبوية، ومفاهيم الإسلام ورسالته، وما يتعلق بهذا مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام تجاه هذا المجال، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح البرامج، والضوابط، والمشروعات، والمراكز اللازمة، والأجهزة والوسائل اللازمة، والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها.
٩- المجال الاقتصادي:
ويقوم بتوفير المال لتمويل المشروع، وإنمائه، والنظر فيمن يستحق تطبيق قانون المقاطعة بحقه، وذلك على مستوى العالم الإسلامي برمته. وكذلك إقامة علاقات اقتصادية مع أنصار الإسلام وتشجع الاستثمار المتبادل معهم. وكذلك إيجاد مشروعات وفرَصٍ استثمارية؛ للأعمال الخيرية، ومساندة المشروع الأساس. ومما تقام فيه هذه المشاريع الخيرية البلدان غير الإسلامية، وهذه المشاريع مثل:

كفالة اليتيم، والأرامل، والمحتاجين حتى من غير المسلمين؛ توطئة لاستمالتهم لدين الحق، كما يمكن إنشاء مستشفيات أو مدارس يلتحق بها غير المسلمين، ويدرسون الإسلام ولغته.

١٠- المجال القانوني:

ومهمته الاضطلاع بالجانب القانوني في الموضوع، على كافة المستويات والأصعدة، وإقامة الدعاوى القضائية، وفقاً للقوانين المعمول بها في كل دولة على حدة، ويمكن الاستفادة من المحامين المنصفين من غير المسلمين أو من المسلمين الحاملين لجنسيات تلك الدول ... إلخ.

ويَدْخل في هذا مراجعة الكتابات والأعمال الفنية والإعلامية السابقة، التي قام بها بعض الناس أو الجهات في تلك الشعوب في فترات سابقة، كما هو الشأن في الكتابات الاستشراقية والتنصيرية المجحفة في حق الإسلام، وحوار الأشخاص والجهات المعنية بها عندهم، وانتزاع اعترافات منهم بإدانة تلك الكتابات والإساءات إلى الإسلام، ومِن ثَمّ نشْر هذه الاعترافات والإدانة إلى جانب نشْر الصورة الصحيحة.

١١- مجال التأليف:

وهي من الجهات الرئيسة التي تزوِّد بقية الجهات الأخرى بالكتابات العلمية التي تخص كل فئة مدعوة على حدة. ويؤخذ في الاعتبار عند التأليف خلفية القاريء الدينية والثقافية، فهناك فئةُ أهل الكتاب، وفئة الملحدين ومنهم العلماء بل كبار العلماء في تخصصاتهم، وهناك المسلم الذي التبس عليه الأمر وأصبح معادياً للإسلام بوصفه ديناً نتيجةَ تأثره بالمنهج الغربي ونظرته إلى الدين وإقصائه عن الحياة والعلم.

ويمكن لهذه الجهة القائمة على هذا المجال أن تقيم جسورَ تعاون مع مختلف الهيئات العالمية، وإجراء البحوث المشتركة لإبراز أهمية الإسلام في وضع الحلول الناجعة لمشكلات العالم المتعددة.

١٢- مجال الترجمة:

ومهمة الجهة القائمة على هذا: الترجمة إلى مختلف اللغات، وكذلك ترجمة ما ينبغي ترجمته مِن مختلف اللغات إلى اللغة العربية.

وما يتعلق بهذا مِن إعداد تصوّرات للمشروعات والمهام تجاه هذا المجال، وإعداد الكفاءات اللازمة، واختيار المتوافر في هذا المجال وَفْق الضوابط المناسبة أو اللازمة، واقتراح البرامج، والضوابط، والمشروعات، والمراكز اللازمة، والأجهزة والوسائل اللازمة، والإشراف المباشر عليها، وتنفيذها. وذلك وفق معايير وضوابط يُتَّفق عليها أوّلاً.

١٣- المجال الدعوي:

الهدف من هذا المجال تبليغ رسالة الإسلام إلى القادة والمفكرين وأساتذة الجامعات والفاتيكان والقساوسة بكافة السبل المتاحة، وكذلك إهداء الكتب إلى المكتبات الجامعية والمركزية. وتنشأ قاعدة

للمعلومات بالشخصيات والمؤسسات التي ستوجه لها الدعوة، وحبذا لو خصص لكل قارة لجنة أو جهة فرعية متخصصة فأهل مكة أدرى بشعابها، وتقوم الجهة القائمة على هذا المجال بتنظيم الندوات والحلقات الدراسية، والمحاضرات.

١٤- إدارة التنسيق والإشراف العامّ:

وتتولى مهمة الإشراف العلمي والمنهجيّ، والتنسيق بين أعمال تلك الجهات الموزّعَة بحسب التخصصات، وتتولى الإجازة النهائية للأعمال والمشروعات، بعد التأكد مِن تطبيق المنهجية والضوابط المعتمدة.

ثالثاً: ضوابط المشروع ومنهجيته يُراعى في تنفيذ المشروع مجموعةٌ مِن الضوابط والمنهجية، التي مِن شأنها أن توصِل إلى نجاح العمل.

ومِن هذه الضوابط الآتي:

٢- مراعاة توافر الأسباب المؤثرة تأثيراً إيجابياً في العمل ونتائجه، والابتعاد عن ما هو بعكس ذلك.

٣- مراعاة الخطاب العالمي في مخاطبة مختلف الشعوب، لا الخطاب الخاص المؤثر تأثيراً سلبياً.

٤- التنسيق بين الأعمال والمشروعات، وتحاشي التكرار، وإحاطة كلِّ جهةٍ في واحدٍ مِن هذه التخصصات المتعددة بأعمال ومشروعات بقيةِ جهات التخصصات الأخرى.

٥- تطبيق الصفات الأخلاقية والأساليب الأخلاقية النبيلة التي يَدعو إليها الإسلام في أيّ مشروعٍ أو عملٍ.

٦- تحديد المدة الزمنية للمشروع، بحيث تكون في ذلك إنجازيةً، لا تراخي ولا تأخير.

٧- إلى غير ذلك مِن الضوابط التي ينبغي تحديدها، وتتولى إدارة التنسيق والإشراف العامّ هذا العمل.

هذا، وصلى الله وسلم على محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

========================

مقام نبي الإسلام بين الدانمارك والجامعة الأميركية

عبد الصبور شاهين

جريدة الشرق الأوسط - العدد ٩٩٠٩

منذ أن أذاعت الأنباء خبر ما جرى في الدانمارك، من جرأة وقحة على مقام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ومحاولة تشويه صورته، والتشنيع على سيرته، وذلك من دون مقدمات، ـــ كان هنالك سؤال يلح على ذهني إلحاحاً شديداً، وهو: ما الذي يدعو الإعلام في دولة شديدة البعد عن العالم الإسلامي ـــ إلى أن يسيء إلى شخصية فريدة، يقدسها ربع البشرية، ويؤمنون بها؟ رغم أنه لا توجد

علاقة جغرافية بين الدانمارك والعالم الإسلامي، ورغم أنه لم يسبق أن اشتعلت مشكلة، من أي نوع، بين الدانمارك وأية دولة عربية أو إسلامية؟

لم يطل بي وضع الذهول أمام هذه المشكلة، فمن المؤكد أن ما حدث هو جزء من مخطط يستهدف الإساءة إلى الإسلام، وتعكير جو العلاقات الصافية بين العرب والمسلمين من ناحية، ودول شمال أوروبا من ناحية أخرى، وهو مخطط لا يبعد كثيراً عما يحدث في أجزاء كثيرة من العالم، وبخاصة في الولايات المتحدة، وفي جنوب ووسط أوروبا، حيث تحاول القوى الصهيونية المعادية للإسلام أن تشوه سمعة المسلمين، وتدمغ الدين الإسلامي بتهمة الإرهاب، استمراراً للأسلوب الأميركي الذي جعل من هذه التهمة الكاذبة ذريعة إلى شن الحرب الظالمة الراهنة ضد العراق، بما يترتب على ذلك من تهديد لحياة الملايين من العرب والمسلمين، في دول أخرى مثل: سوريا، وإيران.. وذلك لأسباب واهية، مختلقة!

والسبب الواضح لشن هذه الحروب هو ـــ من دون شك ـــ خدمة الكيان الصهيوني، بإغراق الدول العربية والإسلامية في حروب مفروضة عليها، تعمل على تخريب الكيان السياسي والاقتصادي لتلك الدول، في حين تزدهر دولة إسرائيل، فكل ما يشغل القوى الغربية الآن هو العمل على تدعيم الوجود الصهيوني في فلسطين، تمهيداً لإحكام قبضة ذلكم الوجود على مصير العرب والمسلمين في المنطقة.

ولا بد أن نعترف هنا بأن جهود أعدائنا تعمل دائماً على اختراق حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأخيراً الدينية، بزرع التناقضات التي ينمو بها جو القلق والاضطرابات، وبحيث لا تكاد دول المنطقة تلتقط أنفاسها، أو تعيد ترتيب أوضاعها، فنحن دائماً غرقى في مشكلات فرعية، انفصالية أو اتصالية، وهي حال لا ينشأ فيها حوار بين الإخوة والجيران.

ولننظر ما جرى أخيراً من وقائع مشكلة المهاجرين السودانيين إلى مصر، وكيف خططت لها هيئات دولية، بحيث تحدث مواجهة أمنية تؤدي إلى ما حدث من وقوع ضحايا، كان من أثرها تعكير العلاقات بين المصريين والسودانيين!

مع أن مصر كانت ولازالت حريصة على المصالح السودانية!

فإذا أضفنا إلى ذلك أن رد الفعل عندنا تجاه الأحداث التي يقصد بها إثارتنا وتعويق مسيرتنا ـــ يتسم دائماً بالبطء والبلادة، وإذا ما قورن بما يبديه العدو من نشاط وتحد ـــ تضاعف إحساسنا بالذنب، وتزايدت حيرتنا من الصمت البليد الذي تمارسه مؤسساتنا التي يفترض أن تهب للدفاع عن مقدساتنا.

وما حكاية الإساءة الدانماركية إلا مثال لحكايات كثيرة، تمر بنا من دون مبالاة أو نهوض للدفاع عن مقدساتنا.

وقد كان المفروض أن تنهض مؤسساتنا الدينية للرد على وقاحة الإعلام الدانماركي، وأن يشتعل جو العلاقات بين الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، وبقية الهيئات العامة الـــتي تحمـــل أمانـــة الـــدعوة الإسلامية!

ولكن إعلامنا لم يتحرك إلا على مستوى استفتاء بعض الشخصيات العامة في ما يتعلق بإبداء رأيها في إساءة بعض الصحف الدانماركية إلى شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتشويه سيرته.

وتساءلت في نفسي: ما قيمة أن يبدي شخص ما رأيه في هذا الحدث الغريب؟ ونحن أمام وقاحـــة لا يخفى تأثيرها، أو الهدف منها، طعناً في الإسلام، وإهانة لنبي من أكرم الأنبياء، بـــل هـــو أكـــرمهم بإطلاق.

إن الهدف الذي ترمى إليه تلك المحاولات الدنيئة هو مواجهة زحف الدعوة الإســـلامية علـــى أرض الواقع في دول الشمال الأوروبي! ولقد أبلغني أحد الناشطين الإسلاميين في تلك المنطقـــة، وبخاصـــة السويد ــ أن الإسلام يتمتع هنالك بسمعة طيبة، واحترام عميق، وذكرني أن كثيرين من أبناء السويد يعتنقون الإسلام، باعتباره الدين الوحيد الذي يحترم عقل الإنسان، ويصون كرامته.

وذكر لي أحد المسلمين الألمان أنه دخل في الإسلام بعد أن قرأ الآية القرآنية التي تقول: «لا إكراه في الدين»، فأيقن أن نفي الإكراه في الدين لم يكن معروفاً قبل أن يعلن القرآن الكريم هذا المبدأ، الـــذي يحترم عقل الإنسان، ويصون كرامته، وأنه ــ لن يمر القرن الحالي حتى ينتشر الإسلام في أوروبا كلها، بفضل تقدم دعاة أوروبيين، يحملون لواءه، ويوقدون شعلته.

لقد كنا نتوقع أن تتحرك كل الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي، الذي يزيد على ســـتين دولـــة، احتجاجاً على تلك الإساءة إلى نبي الإسلام، وأن تستدعي وزارات الخارجية في كل الدول ســـفراء الدانمارك ليتسلموا احتجاجات على ما بدر من إساءة إلى النبي الكريم.. وكنا ننتظر إدانة الفاتيكـــان لهذا السلوك الغوغائي الوقح! ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وكأننا نواجه بعض ما يحدث خـــارج عالمنا ــ في المريخ مثلاً! إلى أن تحرك المسؤولون في جامعة الدول العربية، بقيادة الدبلوماسي المتـــاز السيد عمرو موسى، الأمين العام للجامعة العربية، واتخذ تلك الخطوة التي تعتبر سابقة رائعة في تاريخ الجامعة العربية، وهي أعلى الهيئات في العالم العربي.

عندئذ شعرت حكومة الدانمارك أن الأمر جد، لا يصلح فيه الصمت أو التجاهل، وأنه لا بـــد مـــن التدخل لتصحيح جو العلاقات الدبلوماسية بينها وبين العالمين العربي والإسلامي، وخرج المتحـــدث باسم الحكومة الدانماركية ليقول: إن الذي حدث هو خطأ إعلامي غير محترم، وهو من تصرف بعض الأفراد غير المسؤولين، وإن حكومة الدانمارك تحترم الدين الإسلامي، ولا تسيء إلى نـــبي الإســـلام، وبذلك هدأت الزوبعة، وتلاشت الأزمة بمقتضى ذلك التصرف الحكيم من الجامعة العربية، التي نابت في موقفها الشامخ عن الدول الستين الإسلامية، ومثلت بذلك ضمير الأمة، ودافعت عن عقيدتها.

إن ما حدث في الدانمارك ليس حدثاً فريداً، ولكنا نتوقف أمامه لنرصد وقائعه التي حسمت الأمـــر، وقطعت الطريق على عصابات المتآمرين ضد الإسلام.

ولا شك أن في عالمنا كثيراً من جماعات التآمر، لا يكف أفرادها عن العمل ضد الإسلام، من خلال الفضائيات، وهم يعلنون عن أنفسهم ليل نهار، ومع ذلك لم نجد من يتصدى لهذا النشاط المعـــادي للإسلام، من بعض رجال الدين النصارى، وهم ينشرون في المجتمع كثيراً من أسباب القلـــق، كمـــا يؤسسون لانتشار كثير من الفتن، ويخربون بناء الوحدة الوطنية والإنسانية من دون أن يجـــدوا مـــن يتصدى لهم، دفاعاً عن الحق، وعن الحياة الاجتماعية المشتركة.

وقد سمعت أن أحد المسؤولين أجاب، عندما سئل عن القائمين بهذا العمل القبيح، بأن هؤلاء مبعدون عن الكنيسة الأرثوذكسية. وهل يكفي أن يعلن أنهم مبعدون، لتظل أصواتهم تنعق، من دون توقف، وبدون وازع من دين أو ضمير؟

إن القضية تحتاج إلى تحرك الجامعة العربية لهذه المواجهة، ما دمنا قد عدمنا هيئاتنا الدينية، ومؤسساتنا التي يجب أن تتحرك دفاعاً عن مستقبل هذه الأمة ضد العملاء، وأحلاس الصهيونية، الذين يعملـــون بكل إخلاص لتخريب حياتنا الاجتماعية المشتركة، التي قام بناؤها على المحبة والأخوة والسلام

من دروس الحملة الأوروبية على نبي الإسلام

لا أستطيع أن أخفي عدم ارتياحي للعنف الذي استخدم ضد بعض السفارات الدنماركية والنرويجيـــة في الخارج، لكن غضبي لكرامة نبي الإسلام الذي أهين في البلدين أكبر، فضلا عن أنـــني أزعـــم أن موقف حكومة الدنمارك بوجه أخص يتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية عن الذي جرى لســـفاراتها، ولأنني أحسب أنني لست بحاجة لأن أشرح لماذا كان الغضب كبيراً لكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي وعند غيري، فإنني سأتوقف قليلاً أمام النقطتين الأخريين.

ذاك أنني على ثقة من أن مهاجمة السفارات الدنماركية والنرويجية لم تخدم قضيتنا، وربما أساءت إليها، ولن أستغرب إذا تجاهل الإعلام الغربي خلفيات الموضوع، وركز على ما جرى للسفارات، وأعتبره من دلائل همجية المسلمين وتخلفهم، وربما كانت النتيجة أفضل كثيراً لو أن الجماهير توجهـــت إلى مقار السفارتين في عواصم العالم الإسلامي، حاملة لافتات التنديد والاحتجاج، وقدم مسؤولون عنها رسائل مكتوبة إلى الدبلوماسيين في البلدين، عبروا فيها عن مشاعر الاســـتياء والغضـــب، وطـــالبوا بالاعتذار الصريح للمسلمين عما جرى، ثم انصرفوا بعد ذلك في هدوء.

ذلك لم يحدث للأسف، الأمر الذي ينبهنا إلى ان الثقافة السائدة لم تستوعب لا فقه انكار المنكر كما تعلمناه في الإسلام، ولا أساليب النضال المدني وفنونه التي تقدمت كثيراً في عالمنا المعاصر، فقد تعلمنا أن للانكار درجات، كما أن له أصولاً وقواعد، منها مثلا أن يؤدي الانكار إلى تحقيق المراد، وأنه لا يتسبب في وقوع منكر أشد منه وأكبر، وهو ما لم يحدث في الحالة التي نحن بصددها، حيث تناقلت

وسائل الإعلام العالمية صور السفارات الدنماركية وهي تحترق، في حين تجاهلت الصور التي أهانــت نبي الإسلام وأثارت ثورة المسلمين.

من ناحية أخرى، فإن جوهر النضال المدني يقوم على فكرة استخدام الأساليب السلمية التي تحتــرم القانون في إيصال رسالة الاحتجاج والغضب، وقد أشرت تواً إلى مسألة التظاهر السلمي، التي هـــي أبسط تلك الأساليب، التي سبقتنا إليها الممارسة في الديمقراطيات الحديثة، لكننا تخلفنا في هذا الباب، لأنه ليست لدينا ديمقراطيات تفرزها!

أما لماذا قلت إن حكومة الدنمارك تتحمل جانباً من المسؤولية عن العنف الذي حدث ضـــد بعــض سفاراقا، فردي على ذلك إن انفعال الجماهير وغضبها، ومن ثم هجومها على السفارات، ذلك كله لم يحدث إلا بعد أكثر من أربعة أشهر على نشر الرسوم البذيئة، وخلال تلك الأشــهر لم تحــاول الحكومة الدنماركية احتواء الموضوع، والحيلولة دون ارتفاع وتيرة الغضب وانفلات الأعصاب، ولكن تلك الجهود كلها ذهبت سدى، أكثر من ذلك فإن رئيس وزراء الدنمارك رفض مجرد مقابلة وفــد الدبلوماسيين العرب والمسلمين في كوبنهاجن، وهو موقف افتقد إلى اللياقة والحــس الســليم، لأن الرجل لم يقبل بمجرد الاستماع إلى وجهة نظر أولئك الدبلوماسيين، وكان ذلك الرفض معبراً عــن الاستهانة والازدراء، فضلا عن أنه كان مشجعاً لمسؤولي صحيفة «يولاندر بوسطن» على أن يتعنتوا في موقفهم، ويتعاملوا مع المشاعر الإسلامية بذات القدر من الاستهانة والازدراء.

إزاء الفشل الذي منيت به جهود الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور أكمل الدين احســان أوغلو، في تغيير موقف الحكومة الدنماركية، ورغم أن السعودية استدعت ســفيرها في كوبنــهاجن للتشاور، في إشارة لا تخفى دلالتها، وليبيا أغلقت سفارقا، وكذلك سوريا، رغم هذه الجهود كلها، ظل الموقف الدنماركي جامداً ورافضاً أي تجاوب يحل المشكلة سياسياً ودبلوماسياً، ومــن ثم يمــتص غضب الشارع الإسلامي ويداوي جرحه، وخلال الأشهر الأربعة التي خلت كان الغضب يتــراكم، وازدادت وتيرته بعد إعادة نشر الرسوم المهينة في أكثر من عاصمة أوروبية، في إصرار مستغرب على إيذاء مشاعر المسلمين واستفزازهم.

في هذه الأثناء أطلقت الدعوة إلى مقاطعة البضائع الدنماركية، وهي الدعوة التي حققت نجاحاً نســبياً في العالم العربي على الأقل، الأمر الذي أزعج السلطات في كوبنهاجن، التي تعرضت لضغوط قوية من المؤسسات الاقتصادية صاحبة المصالح الكبرى في المنطقة، فنشرت الصحيفة التي أثارت الفتنة اعتذاراً خجولاً باللغة العربية على إحدى صفحاقا، في حين تمسكت بموقفها الذي زعمت أنه يمارس «حرية التعبير»، فيما نشرته باللغة الدنماركية في نفس العدد، وفي الوقت ذاته صدرت عــن المســؤولين في الحكومة الدنماركية تصريحات تحدثت بشكل عام عن أهمية احترام أديان الآخرين، و لم تتضــمن أي

حديث صريح عن الاعتذار للمسلمين عما أقدمت عليه الصحيفة، التي وفرت لها الحكومة الغطاء الأدبي والسياسي.

هذه الجهود التي تواصلت خلال الأشهر الأربعة الماضية، لم تسفر عن شيء يرعى مشاعر المسلمين ويحفظ بعضاً من كرامة نبيهم، و لم يكن مستغرباً بعد ذلك أن تنفجر مشاعر البعض، بحيث يندفعون إلى بعض السفارات الدنماركية محطمين واجهاتها ومشعلين فيها الحرائق.

بطبيعة الحال، لست هنا في موقف الدفاع عن سلوك الجماهير الغاضبة، الذي أكرر أنني لا أقره من حيث المبدأ، ولكنني فقط أنبه إلى ملابسات ما جرى، متمنياً أن نستخلص من ذلك الذي جرى درساً خلاصته أنه في أحيان كثيرة، فإن العنف لا يظهر على السطح إلا حين تنسد أبواب الحلول وأساليب التغيير السلمية، وهي الفكرة التي عبر عنها بعض أهل الفقه حين قالوا بأن أفضل وأنجع وسيلة لتحريم الحرام وقطع دابره، هو أن يفتح الباب واسعاً لممارسة الحلال، بالتالي فلو أن حكومة الدنمارك تجاوبت بصورة واضحة ومقنعة مع مشاعر ملايين المسلمين الغاضبين، بحيث قدمت اعتذاراً صريحاً لهم عما جرى، لاختلف الأمر كثيراً، ولما حدث ذلك العنف الذي تعرضت له سفاراتها، وهو ما يؤيد ادعائي بأنها تتحمل جانباً من المسؤولية عن تردي الموقف على النحو الذي شهدناه.

لا أحد يستطيع أن يتكهن بمصير هذه المواجهة، التي تتسع دائرتها في أوروبا، ربما تعبيراً عن التضأمن مع الصحيفة الدنماركية، وربما كان ذلك أيضاً إحياء لمشاعر بغض كأمنة، رسختها ثقافة ما بعد الحروب الصليبية، التي ما زالت بصماتها قائمة في مناهج التعليم والمرجعيات الثقافية المختلفة، لكن الذي لا شك فيه أن من شأن ما جرى تعميق هوة الجفاء والحساسية بين المسلمين والأوروبين، الأمر الذي لا يخدم بأي حال دعوات الحوار والتعايش، ناهيك عن احترام الآخر، وهو ما دفع البعض إلى القول بأن ثمة أصابع صهيونية وأميركية ماكرة في المشهد أرادت أن تشعل نار الفتنة والوقيعة بين المسلمين والأوروبيين، لتخفيف حدة العداء للأميركيين، ولإشغال المسلمين بـ»معركتهم« مع أوروبا، وصرف انتباههم عن الممارسات الأميركية في العراق.

بقيت بعد ذلك عدة ملاحظات على المشهد ألخصها فيما يلي:

* إن سلاح المقاطعة الشعبية أثبت جدارته، باعتباره يمس المصالح الغربية في اقتصادها (الذي هو أعز ما تملك)، وهو سلاح ينبغي الاحتفاظ بفعاليته، لأهميته البالغة من ناحية، ولأنه يعد من أقوى أساليب النضال المدني تأثيراً، ويحسب لأزمة الرسوم الكاريكاتورية أنها دفعت البعض إلى التنادي لاستحضار ذلك السلاح المعطل، الذي نحن أشد ما نكون حاجة لاستخدامه على جبهات أخرى، خصوصاً في مواجهتنا للضغوط ومظاهر العدوان الغربي الكثيرة على أمتنا.

* إن الموقف الشعبي من الأزمة أسبق وأقوى كثيراً من الموقف الرسمي في العالم العربي والإسلامي، وإذ نقدر الجهود والمواقف التي عبرت عنها منظمة المؤتمر الإسلامي وعدد من الحكومات العربية لا

يتجاوز أصابع اليد الواحدة، إلا أننا يجب أن نعترف بأن النتائج ستصبح أفضل كثيراً لــو تضــأمنت أغلب أو كل الحكومات الإسلامية في اتخاذ موقف حازم من حكومة الدنمارك، وهو الحد الأدنى، لو أن وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في العالم العربي على الأقل، عقدوا اجتماعاً طارئاً وأصــدروا بياناً مشتركاً أعلنوا فيه موقفهم الرافض لإهانة نبي المسلمين، وهم الــذين لم يقصــروا ــ فــرادى ومجتمعين ــ بل وتنافسوا في الحملة ضد الإرهاب وأهله.

* إن موقف شيخ الأزهر كان بكثير دون المستوى المطلوب، إذ في حين تصورنا أنــه ســيكون في مقدمة الغاضبين لكرامة نبي الإسلام، فإننا وجدنا تعبيره عن الاحتجاج فاتراً للغايــة، حــين كــان اعتراضه على ما جرى مبنياً على أن النبي عليه الصلاة والسلام ميت ولا يستطيع الدفاع عن نفسه، وهي حجة لا تخطر على بال أي مسلم عادي، يعيش النبي في قلبه ووجدانه طول الوقت، ويصــلي عليه ويسلم ثلاثين مرة على الأقل في اليوم الواحد، ثم أنه اعتبر الموضوع منتهياً بعدما استقبل ســفير الدنمارك في القاهرة، الذي نقل إليه مضمون الاعتذار الغامض والخجول الذي أشار إليه بيان رئــيس وزراء الدنمارك في مستهل العام الجديد، وكان حرياً بشيخ الأزهر أن يتحفظ في هذا الصدد، علــى الأقل حتى يتحقق من أن الاعتذار المفترض يحقق مراده في الحفاظ على كرامة نبي الإسلام، وهو الأمر الذي أتصور أنه يحتل أهمية خاصة لدى مشيخة الأزهر التي عهدناها ــ فيما مضى ــ منارة يهتدي بها المسلمون في كل مكان، ورأس الحربة في الدفاع عن كرامة الإسلام والمسلمين.

إن أهم حقيقة أسفرت عنها المواجهة التي نحن بصددها هي أننا نملك الكثير مــن الأوراق الفاعلــة لكسب أي معركة، بالتالي فنحن لسنا مفلسين أو عديمي الحيلة كما يصور البعض، لكننا فقط مغلولو اليد ومهزومون: سياسياً وحضارياً!

===================

من يَحْمِلْ معي؟!

محمد جلال القصاص

mgalkassas@hotmail.com

رسالة إلى طلبة العلم والدعاة بعد سب الحبيب صلى الله عليه وسلم وإهانة المصحف الشريف..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

مما لا يخفى على متابع أن حملات التنصير تنتشر في جميع بقاع العالم الإسلامي مــن إندونيســيا إلى المغرب العربي، مرورًا بالجزيرة العربية. وكلنا نشتكي التنصير.

جُلُّ الجهود المبذولة في التصدي للتنصير ـــ على قلتها ـــ تنصرف للحديث عن الأمور الحركية، مثل الكلام عن عدد الجماعات أو الجمعيات التي تعمل في مجال التنصير، والأماكن التي ينتشرون فيهـــا.. برامجهم.. ميزانيتهم.. من يدعمهم وعدد من تنصروا.. ومن عادوا... إلخ.

وكذا التصدي لما يصدر من النصارى من حين لآخر من بذاءة يُنَفِّثُون بها عما في قلوبهم من حقـــد يكون غالبًا حركيًا أيضًا.. نتنادى للمقاطعة.. والكتابة للمسئولين.. ونحاكم القـــوم إلى أعـــرافهم، فيخاطبهم كثير من "المثقفين" باسم "الحرية" التي تكفلت بها "الديمقراطية" و"التسامح" مع الأديـــان الذي ينادي به دينهم... إلخ. ودينهم ليس فيه تسامح مع الآخر، ودونكم كتابهم [المقدس]، والواقع شاهد ثرثار لا يكف الحديث ولكن من يسمع ويعقل؟! والبعد العلمي في التصدي لهذه الحمـــلات المسعورة ينحصر في بيان كذب القوم في دعواهم حول القرآن، أو حول النبي محمد صلى الله عليـــه وسلم، ولا يتطرق إلى منطلقات القوم وعقائدهم الفاسدة إلا من طرف خفي وبإشارات يفهمهـــا المتخصصون فضلاً عن العلمانيين.

نثور قليلاً ثم نهدأ.. كنار السعفة.

نعم.. هناك جهد أكاديمي لا يمكن إنكاره يتجه نحو نقد دين النصارى.. نقـــد كتـــابهم "المقـــدس" وشرائعهم.. إلا أنه حبيس المدرجات ويخاطب به طلبة درجات التخصـــص العليـــا "الماجســـتير أو الدكتوراه".

وقليل من هؤلاء المتخصصين من يُستفاد بعلمه في التصدي لهذه الحملة المسعورة.

إخواني وشيوخي الكرام!

لا يخفى على حضراتكم أن المنصرين يتيممون الطبقة التي تجهل دينها، وهم الذين يفتعلون الشبهات حول الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم مستغلين جهالة المتلقي، ولا يخفى على حضـــراتكم أن دين النصارى يحمل من الفضائح ما لو علمها الناس لانصرفوا عنه من فورهم، كاتهامهم لعدد غير قليل من أنبياء الله بالزنا، بل والكفر بالله، وتشبيههم ربهم بالـــدودة واللبـــؤة، وأن رب الأربـــاب خروف.. تعالى الله عما يقول الكافرون علوًا عظيمًا، وفيه تشريع الرِّق، وفيه أمر بقتل وحرق ونحو ذلك مما يرمون به الإسلام. وكلام "الكتاب المقدس" بعهديه على المرأة مما يضـــحك منـــه الصـــبية ويصلح للفكاهة في مجالس السمر. إلا أن المنصرين أخذاهم الله يجتزئون من الكتاب ما يحلو لهم ممـــا يحسن صورة باطلهم، ويجتزئون من الدين الإسلام ما يحلو لهم مما يقبح دين الله عز وجل في أعـــين المستهدفين بحملات التنصير.

والحال هكذا: فلم لا تتبنون دراسة نقدية ـــ في شكل مقالات أو رسائل ـــ تتناول دين النصـــارى وتقارن بينه وبين الإسلام؟! مما يصلح أن يخاطب به عوام الناس. والهدف هو نشر ثقافـــة مضـــادة للتنصير بين الناس. هذا طريق قصير وجيد للتصدي للتنصير.

المستهدفون من هذا الطرح هم عوام الناس من المسلمين، وكذا عوام الناس من النصارى. فالصورة الآن أن "المبشرين" ـ وكذا دعاة العلمانية والتغريب ـ وصلوا إلى عدد غير قليل من عوام المسلمين وخاطبوهم بباطلهم، والصورة الآن أننا لا نستطيع الوصول لعوام النصارى بعد أن جلسنا و لم نخاطبهم بالإسلام وانحصر خطابنا.. و لم نخاطبهم بحقيقة دينهم الذي لبّسه عليهم النصارى.

نتكلم عن الحوار مع "الآخر"، فهيا.. هاهو الآخر اليوم ينظر بماذا سندافع عن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وماذا سنقول؟!

وهاهو "الآخر" يجلس معنا على الشبكة العنكبوتية، ونستطيع أن نخاطبه من خلال أشرطة الكاسيت وبعض المحطات الفضائية.

إخواني وشيوخي الكرام!

نزل الكفر بساحتنا الفكرية واستباح حصوننا العقدية، حتى وصل إلى مناهجنا التربوية، ورسمت الأيدي الآثمة مفاهيم الأمة وتصوراتها كما يحلو لها.

فأين التوحيد الصحيح في أذهان عوام الناس؟! وأين مفهوم الحجاب الشرعي الصحيح من عوام الناس؟! وأين الولاء؟! وممن البراء؟! وفيما سعي الناس اليوم جملةً؟!

وهاهم اليوم يتعدون على أقدس ما عندنا.. قرآن ربنا بالأمس وشخص نبينا صلى الله عليه وسلم اليوم. فمن يحمل معي على القوم لنردهم عن حصوننا الفكرية.. عن ديننا وعرض أمهاتنا ـ أمهات المؤمنين ـ ونسائنا وأطفالنا وشبابنا؟!!

==========================

موقع المسلم يحاور اللجنة الأوربية لنصرة خير البرية

١٤٢٦/١٢/٢٣

أجرى الحوار: فارس نادر

لقاء مع أحد الإخوة أعضاء اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية في الدنمارك حول الموضوع المثار حديثاً، وهو السخرية والاستهزاء بالنبي محمد ـصلى الله عليه وسلمـ من قبل الجهات الصحفية والإعلامية هناك.

· في البداية نرحب بكم في موقع المسلم، ونود أن نحصل منكم على بعض المعلومات وتعريف بسيط عن اللجنة التي تحملت عبء الدفاع عن الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ نيابة عن الأمة ـجزاكم الله خيراًـ.

بداية أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأثني عليه بما هو أهله، وأسأله ـسبحانه وتعالىـ أن يلهمنا الصواب في أمورنا ويتجاوز عن سيئات أعمالنا، كما أنني أشكر موقع المسلم على استضافتي

لأقوم وأتشرف بنصرة النبي ــصلى الله عليه وسلمــ من هذا الموقع المبارك المعروف بجديته وانتصاره لقضايا الإسلام.

اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية النبي ــصلى الله عليه وسلمــ في الدنمارك تتكون من إخواننا وزملائنا من جنسيات مختلفة خرجوا إلى الدنمارك؛ بعضهم لبنانيون وبعضهم فلسطينيون وبعضهم من جنسيات غير عربية أقاموا في الدنمارك وعملوا هناك، إما بالتجارة وإما بالدعوة وإما بأمور شتى يطلبون الأمان والسلام ويفرون بدينهم من الظلم الذي لحق بهم في بلدانهم، وعلى أن تلك البلاد لا يُظلم فيها أحد! هكذا كانوا يتوقعون. (رئيس اللجنة) الشيخ رائد حليحل من خريجي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة من كلية الشريعة، وبقية أعضاء اللجنة مكونة من شخصيات تمثل جمعيات إسلامية رسمية في الدنمارك عددها سبع عشرة جمعية، إضافة إلى إخوة آخرين.

· هل هناك جهات رسمية حكومية من أي دولة من دول العالم الإسلامي أو شخصيات ذات صفة رسمية مشاركة معكم في هذه اللجنة؟

لا يوجد، كلها جهات شعبية فقط.

· نرغب منكم الآن أن تعطونا فكرة عن بدايات هذه القصة ونوايا من بدؤوا به؟ هل كانت بتخطيط وبقصد أم بدون قصد؟و متى كانت وكيف صارت؟

في بداية الأمر توحي الأحداث أن الأمر غير مخطط له، ولكن تفاعلات الأمر وحيثياته وتداعياته دلت على أن هناك شيئاً كان يخطط في خفاء ويراد له. بداية الأمر كانت أن كاتباً دنماركياً كتب كتاباً عن الإسلام وعلى طريقة الغربيين أراد الترويج لهذا الكتاب بطريقة لافتة وجذابة، فأسعفته قريحته أنه لو وضع على الغلاف صورة للرسول محمد ــصلى الله عليه وسلمــ ربما راج الكتاب وازدادت مبيعاته، فخاطب أحد الرسامين يطلب منه أن يتخيل له محمداً ويرسم له صورة لتكون غلافاً، والمفاجأة أن أكثر من رسام من أهل الدنمارك امتنعوا خوفاً من غضبة المسلمين، إذ إنه قبل مدة قُتل مخرج سينمائي في هولندا أخرج فيلماً يسيء للإسلام، فربما خشوا على أنفسهم من هذه العاقبة، وانتشر الأمر أن هناك رسامين خافوا أن يعبروا عن آرائهم.

وصل الخبر إلى مدير تحرير صحيفة يولاند بوستن، الذي أزعجه الأمر وعدّه كتماً للحريات، وبالمناسبة صحيفة يولاند بوستن هي صحيفة الحزب الحاكم في الدنمارك، وتنطق باسم رئاسة الوزارة، وهي صحيفة موثوقة عند الدنماركيين وواسعة الانتشار تضاهي المجازين ونيويورك تايمز، ومبيعاتها في اليوم أكثر من مليون نسخة، والدنماركيون بالذات والدول الاسكندنافية يصدقون الإعلام بشكل جدي وقوي،يعني لا يفكرون أبداً مع وجود الإعلام ويصدقونه في كل ما يبلغهم به. فانبرى هذا الرجل ــكما يقولــ غيرة على الديمقراطية وعلى الحرية، انبرى لكيلا تصاب الحرية في مهدها وتضرب الديمقراطية في أرضها، وأنه لا ينبغي أبداً لأحد أن يخشى من أن يعبر عن رأيه في أرض

الحريات وفي أرض الديمقراطية، فقام هو وتولى كبر مسألة الدفاع عن هذه التصورات الخاطئة، وأنه يحق لمن شاء أن يفعل ما يشاء دون حدود! فخاطب ٤٠ رساماً في الدنمارك يطالبهم، وربما عبر مسابقة ووضع حوافز برسم صورة متخيلة لمحمد _صلى الله عليه وسلم_ على الطريقة التي يشتهون وبأي طريقة يشاؤون وضمن لهم أنه سينزلها في الصحيفة من غير تحفظ، فأجابه ١٢ رساماً، وأرسلوا له صوراً – موجودة لدينا – وهي صور شنيعة تدل على رداءة في التفكير وعلى انحطاط حقيقة في المستوى. أحياناً صور لا تدل على شيء أبداً وغير مفهومة ، وبعضها لا تدري ما يراد منها، وأحياناً بابا نويل للمسلمين، وأحياناً رسوم تشكيلية غير مفهومة وأخرى قبيحة (راجع شرح الصور في موقع المسلم)، وهي صور مقذعة مقرفة، ولولا ضرورة تعريف المسلمين بهذا المستوى الساقط من التعابير ما كان ينبغي لها أن تنشر أصلاً أو يتكلم عنها.

نشرت الصور قبل رمضان بخمسة أيام كلها، وبقيت الصور تنشر على مدى سبعة أيام متوالية إلى بداية رمضان، أي يكرر كل يوم نشر نفس الصور، ثم دعمت الصور بمقال لرئيس التحرير مترجم لدى الموقع، وكلما جاء مشاركة جديدة من رسام جديد كان يلحقها في اليوم التالي وهكذا، وبيّن أن السبب الذي دفعه إلى نشر الصور بمقال دبجه ذكر فيه أنه يريد أن يكسر ويحطم كبرياء المسلمين، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك شيء غير قابل للنقد، وأنهم مثلهم مثل غيرهم من الأمم، وعليهم أن يقبلوا النقد سواء بطريقة مرسومة أو بطريقة مكتوبة، وزعم أن المسلمين أو عوام المسلمين أكثر من يقبل النقد لكن المشكلة في قساوسة المسلمين _على حد تعبيره_ ويقصد العلماء والشيوخ الذين يحتكرون موضوع قدسية القرآن الكريم _كما يزعم_.

• ثم ماذا حدث بعد ذلك.. هل نُشرت الصور؟

نشروا الصور وكانت الطريقة تبدو كأنها غير مبرمجة، لكن اكتشفنا أنها كانت مبيتة أو كان هناك مخطط مبيت من خلال بعض الرسوم التي تحكي ردة فعل المسلمين وكيفية الرد عليها، وهذا يدل على أن المسألة كان مخططاً لها وهي تدرس ردات الفعل ويحضر للجواب عنها، وكانت ردة فعلنا الأولى من الدنمارك، الإخوة في المراكز الإسلامية والأوقاف الإسلامية والمنتديات والمساجد والجمعيات تنادوا وبدؤوا يتدارسون كيفية الرد على هذه الحملة المسعورة، وذلك في اليوم التالي للنشر مباشرة، وشكلت لجنة لنصرة النبي _صلى الله عليه وسلم_ وتشكلت هذه اللجنة من غالب المؤسسات الإسلامية العاملة في الدنمارك.

• لماذا الدنمارك؟ معروف أن الدنمارك دولة صغيرة، وأنها مسالمة، فما هو في تصوركم السبب في أنها قامت بهذا الفعل و لم تكن دولة أخرى من الدول الأكثر جفاء للإسلام، ماهو تفسيركم لذلك؟

الدنمارك في سياستها تبع لأمريكا، ولها قوة في العراق وهي تنفذ ما يملى عليها في السياسة الأمريكية الخارجية والداخلية مباشرة، وينعكس على الدنمارك كل ما يطبق في الأمن الأمريكي ويطبق مباشرة على الجالية المسلمة — خاصة أنها أقلية- فالتأثر بالهجمة الأمريكية شديد وقوي ومشترك.

· هل تتوقع أن هناك صلات أو ترتيبات خارج الدنمارك شاركت في هذه الحملة من بعض الدول أو الجهات؟ أم أن الأمر كان داخلياً بحتاً؟

نتوقع أنَّ هناك تدخلا، ولكن هل كان ذلك منذ البداية أم جاء فيما بعد؟ لا نعلم ، فقد زارت النائبة في البرلمان الهولندي في نفس الوقت الدنمارك واجتمعت برئيس مجلس الوزراء في الوقت الذي رفض فيه أن يستقبل رؤساء البعثات الدبلوماسية للدول العربية والإسلامية وعددهم ١٣ سفيراً . رفض مقابلتهم وإعطاءهم موعداً، وادعى الانشغال بينما قابل النائبة الهولندية، وكانت التصريحات التي صدرت عن اللقاء تدل على أنهما كانا يبحثان في نفس الموضوع، حيث قالت النائبة: إنها منذ (١٤٢٢/٦/٢٢) ١١ سبتمبر غيرت رأيها في الإسلام، وأن النبي محمد ـصلى الله عليه وسلمـ هو مجرد ديكتاتوري مثل صدام حسين، وإنها تريد أن تمثل فيلماً في الدنمارك لتستفيد من أجواء الحرية فيها عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ وتعرف به -على طريقتها طبعاً-، هذه المرأة من أصل صومالي وارتدّت عن الإسلام، وعلى إثر ذلك كُرِّمت وصارت سياسية في هولندا، وهي التي كتبت الفيلم الذي مُثِّل في هولندا، وقُتل مخرجه (فان جوخ)، وأصبحت بعد ذلك تمشي بحراسة مشددة وأمن من الخوف النفسي.

لا أدري كيف يستقبلها -و في نفس الوقت يرفض رئيس الوزراء استقبال رؤساء البعثات الدبلوماسية الإسلامية والعربية- ويكرّمها ويقلّدها وساماً ويعبّر عن إعجابه بحريتها وتقدميتها وهي في نفس الوقت عبّرت عن سرورها بالأجواء الديمقراطية والحرية في الدنمارك، وقررت أن تصنع فيلماً ساخراً عن شخصية الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ، هذا يدل على أن هناك جهات أخرى تشارك في الموضوع.

· أخي هل للحزب للحاكم سيطرة على هذه الصحيفة، حيث إن الصحيفة تابعة للحزب، فهل له سيطرة بمعنى أنه يستطيع أن يغيّر أو يقدّم اعتذاراً أو يرشدها أم أنهم فعلاً يتبعون الأساليب القضائية والقانونية في بلدهم، أي أن الحزب كيان سياسي والصحيفة كيان إعلامي، وإذا أردنا أن نتعامل مع الصحيفة فعلينا أن نلجأ للقضاء؟

هذا ما قاله رئيس الوزراء: عندكم المحاكم قدّموا دعوى، نحن لا نستطيع أن نمنع حرية الرأي. هكذا زعموا، لكن أنتم تعلمون جيداً يا إخواني أن الساسة في كل البلدان يستطيعون ولهم طرقهم في التأثير على الصحافة، ولاسيما إذا كانت صحافة مسيسة وتتبع لجهة سياسية وهي البوق للحزب، وتتكلم بلسان حاله وتنشر أفكاره ومبادئه في الدنمارك، وهي الناطقة باسمه، ومقربة جداً جداً للحزب.

· هل للصحيفة وللحزب سوابق في الدنمارك في حالات مماثلة؟

على حد علمي أن ليس لهم سوابق، خاصة أن هذا الحزب وصل للحكم حديثاً وليس قديماً، وقد انتقده رئيس الوزراء السابق الذي كان له موقف قوي ومشرف من رئيس الوزراء الحالي، واتهمه بالحمق والسذاجة، وكيف يتبنى مثل هذه الحماقات، وكيف يرفض مقابلة رؤساء بعثات دبلوماسية للدنمارك مصالح كبرى اقتصادية عندها، وأيضاً انتقده دبلوماسيون دنماركيون عملوا في البلدان العربية الإسلامية فخاطبوه بلهجة قاسية هو والحكومة الحالية، واتهموها بعدم الحنكة وعدم المعرفة.

· هل رئيس التحرير والكاتب والرسامون ممن نسميهم بالنصارى المتدينين أم أنهم لا دينيين؟ بمعنى إن بعض الغربيين لا يعترف بنصرانية ولا بغيرها، والقانون عنده فوق كل شيء، فهل هم من هذه الفئة أم ممن يلتزمون بالنصرانية المحرفة الحالية؟

هم لا دينيون، مما علمنا عنهم أنهم كذلك. عموماً التدين في الدول الاسكندنافية ضعيف جداً جداً، حتى الكنائس عندهم مهجورة، وهم لا يتورعون حتى عن الاستهزاء بعيسى _عليه الصلاة والسلام_ بل إنهم أنتجوا فيلماً فيه إساءة لعيسى _عليه السلام_.

· تردد أن المحكمة والمدعي العام رفضا قبول القضية بحجة أن القوانين في الدنمارك لا تتعامل مع هذه القضية، هل هذا الحدث صحيح؟

نعم تم رفض الدعوى التي رفعها الإخوة المسلمون في الدنمارك على هذه الصحيفة،كما حثنا رئيس الوزراء!!! حيث قال: ارفعوا قضية على الصحيفة وعندكم القضاء، ولكن رفضها المدعي العام وردّها، ولكننا الآن نستأنف القضية، وقد وكّلنا محامين من الدنمارك ومن أمريكا، حيث إن قانون بعض الولايات مماثل لقانون الدنمارك، وكأن أحدهما استنسخ من الآخر، فهناك محامون خبراء من أمريكا قبلوا أن يدخلوا في هذه الدعوى وعلى علم ببعض الثغرات التي تمكنهم من الوصول _إن شاء الله عز وجل_.

· هل ستكون القضية في الدنمارك أم في الدنمارك وأمريكا؟

لا، القضية في الدنمارك.

· لماذا لا ترفع القضية في الدول العربية، إذا رفضت محاكمهم فما الإشكال في أن ترفع في محاكمنا؟ ولا نتوقع أن يوجد دولة مسلمة ترفض مثل هذه القضية، حيث إن الأمر يتعلق بالرسول الكريم محمد _صلى الله عليه وسلم_ الذي لا يختلف عليه أحد من المسلمين مهما كانت ثقافته، ثم بعد ذلك نلاحق من تثبت عليه التهمة والحكم عن طريق الشرطة الدولية؟

الذي علمته الآن أن اللجنة العالمية للنصرة خاتم الأنبياء _عليه الصلاة والسلام_ والجمعيات في الدنمارك يبحثون هذه المسألة بجدية، ونشكركم على هذا الاقتراح والتحرك الآن سيكون بشكل دولي.

· ماذا كانت ردة فعل الصحيفة؟ هل طلبت الجمعيات لقاء رئيس التحرير أو مسؤولين في الصحيفة، وماذا كان ردهم؟

خاطبناهم وطالبناهم بالاعتذار، ولكن لم نطلب مقابلة رئيس التحرير، لكن الصحيفة حاولت مقابلة (رئيس اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية) الشيخ/ رائد حليحل لتناقش معه الموضوع في مقابلة، فرفض إلا أن تنشر اعتذاراً أو أن تنزل له مقالاً كاملاً من غير تشويه، ثم بعدها يقابلهم، وكتب مقالاً في الرد عليهم فنشروه مشوهاً، وفسّروه ودبجوه بطريقتهم بحيث لا يؤدي الغرض المراد منه، ونشروا الاحتجاجات التي أرسلت إليهم مقتضبة ومختصرة لا تؤدي الغرض.

· هل – حسب علمكم – وصلت لهم استنكارات وردود فعل ورسائل من مختلف أنحاء العالم للصحيفة؟

كثيراً جداً، وللسفارات الدنماركية في مصر وفي لبنان بالآلاف، حتى إن السفير الدنماركي في مصر خاطب الخارجية الدنماركية مستغيثاً ومستجيراً، وكان للمفتي الشيخ علي جمعة ومجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر وحتى الخارجية المصرية نشاط كبير في القضية، بل والشعب المسلم في مصر، هذا الشعب المبارك الحي الغيور على دينه انتقد، حيث أرسل رسائل احتجاج على فاكس السفارة الدنمركية وأرسل مراسيل الكترونية ورسائل استنكار ونشط في الدعوة إلى المقاطعة الاقتصادية وفي الانتصار للرسول ـصلى الله عليه وسلمـ، فكانت هناك استغاثة من سفير الدنمارك في مصر أنهم متورطون ولا يستطيعون مواجه الاحتجاج والضغط، وعلى إثرها تحرك الاتحاد الأوروبي وأرسل إلى رئاسة الوزارة الدنماركية مستنكراً هذا العمل، وتحركت الأمم المتحدة، حيث نشطت الجامعة العربية وناقشت القضية مع كوفي عنان، وبُحث الملف أيضاً في قمة المؤتمر الإسلامي الاستثنائية في مكة وأشير إليه وإن كان إشارة باقتضاب. والآن بدأ الأمر يتفاعل أكثر وأكثر، حيث علمنا عن الموقف الجيد جداً للأستاذ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الذي استنكر فيه فعل الدنمارك والنرويج والإساءة لرسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ من خلال نشر هذه الرسوم وإعادة نشرها في صحف دولة بعد أخرى .

· نعود إلى ردة فعل الصحيفة، قلتم: إنهم هم طلبوا لقاء رئيس اللجنة، ولكنه رفض إلا بعد أن ينشروا اعتذاراً أو مقالاً كاملاً دون تشويه ولكنهم شوّهوه، ماذا حدث بعد ذلك بين الجمعيات الإسلامية في الدنمارك وبين الصحيفة؟

في ملفنا الذي معنا وثائق وبيانات من أكثر من هيئة إسلامية في الدنمارك،بعضها خاص وبعضها مشترك مثل الوقف الاسكندنافي في العاصمة كوبنهاجن ومن الوقف الإسلامي في أودنسي ومن غيرهم كلها تخاطب الصحيفة وتخاطب رئاسة الوزراء وسفراء الدول الإسلامية العاملين في الدنمارك بأن المطلوب من الصحيفة أن تسحب الرسوم وتنتهي القضية، ولكن رفضت الصحيفة وقابلت هذا

الموضوع بمزيد من الرسوم ومزيد من المقالات المتهجمة حتى أنها – وهذا مما يثير العجب – نشرت مقالاً باللغة العربية في صفحاتها،علماً أن الدول الاسكندنافية متعصبة للغتها، ولكن تخلت عن تعصبها وأنزلت مقالاً تتحدى فيه المسلمين باللغة العربية نشرتها صحيفتها على صفحتها في الإنترنت بعنوان "الكلمة حرة" أكد فيه رئيس التحرير أنه يرفض الاعتذار وأنه ماض في هذا الأمر؛ لأنه يدعم الحرية.

· من وجهة نظري فإن الاعتذار لا يكفي، كنت أسألكم ماذا تريدون؟ فقلتم: نريد الاعتذار، لكن الاعتذار حتى لو كان في البداية فإنه لا يكفي، فماذا تريدون الآن من الصحيفة بعد تماديهم؟

كان مطلوباً في البداية أن تعتذر الصحيفة وألا يظهر أن هناك عملاً متعمداً، وبالاعتذار وسحب هذه الرسوم تطييب مشاعر المسلمين داخل الدنمارك، وكان مطلوباً أن يبقى الأمر في إطار الدنمارك كقضية داخلية تهم المسلمين في الدنمارك، وحيث إنهم مواطنون ولهم حق ألا يساء إلى مقدساتهم. كان ذلك مطلباً داخلياً من المسلمين في الدنمارك فقط قبل أن يخرج للعالم الإسلام، أما الآن وقد خرج إلى العالم الإسلامي، فلا شك أن الموضوع يحتاج إلى أكثر من اعتذار، وستقرر الجمعيات الإسلامية في العالم ما هو الاعتذار المقابل.

· كان هناك في السابق بعض الإساءات للجالية المسلمة في أمريكا من قبل شركة nik صلى الله عليه وسلم التي تصنع المعدات والتجهيزات الرياضية، وكانت الشركة حقيقة كريمة في ردها واعتذارها مما بنى ألفة بينها وبين المسلمين، فتبنت إنشاء ملاعب وصالات رياضية للجالية المسلمة في أمريكا بقيمة ١٥٠ مليون دولار أمريكي كنوع من الاعتذار المادي، وتعهُّد بعدم تكرار ما حدث حينها من قبل الشركة مرة أخرى،. لماذا لا نطالب الصحيفة بامتيازات وفوائد لمصلحة الجالية المسلمة في الدنمارك كنوع من الاعتذار؟

لجنة المناصرة في الدنمارك تدرس الأمر، وهي في اجتماع مفتوح يناقش كل الاحتمالات وكل الخيارات وتضع كل ما يمكن أن يُطلب طبعاً بالتشاور الآن بعد ما خرج الموضوع عن الدنمارك التشاور مع كل المعنيين في العالم الإسلامي، ومنهم موقع المسلم الذي يطالب بالتعويض المادي والصلاحيات والامتيازات الإضافية للجالية كنوع من الاعتذار ولا نقبل بأقل من ذلك ـإن شاء الله ـ وبإذن الله هذا ما نتمناه، لكننا نريد أن يكون الطلب من خلال بيان رسمي تقوم به اللجنة بعد دراسة كل الاحتمالات التي تعيد الاعتبار إلى كرامة الأمة وإلى كرامة النبي ـصلى الله عليه وسلمـ.

· هل يمكن أن تعطينا فكرة عن قصة الفيلم الذي صوّره المخرج الهولندي فان جوخ، والذي قُتل بعد ذلك؟

باختصار فيلم يراد منه الإساءة إلى الإسلام بشكل سفيه، أحد المشاهد يدلك على ما يحمله هذا الفيلم من سوء وانحطاط، امرأة عارية تكشف أكثر مما تستر مكتوب على جسدها العاري آيات من القرآن الكريم!! وصورة لامرأة تصلي كُتب على جسدها العاري أيضا "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد

منهما مائة جلدة..." إلى آخر الآية، طبعاً هذا مشهد من المشاهد، فتصور ما المستوى الذي يحمله هذا الفيلم، ما القيمة التي يحملها هذا الفيلم؟!!

· بدأت القضية بجريدة مشهورة، ثم بعد ذلك استمرأت الصحف المغمورة الأمر ونشرت رسوماً أخرى غير الـ١٢ رسماً حتى تزيد في مبيعاتها، فاستخدموا الرسوم لزيادة المبيعات، هل هذا صحيح؟

صحيح تماماً وهناك رسوم لم تنشر في الصحف أرسلت إلى بيوت المسلمين تحمل بعضها إما التهديد بالقتل أو صور أكثر قباحة كصورة وجه مختلط بين وجه إنسان ووجه خنزير، يزعمون أنه وجه الرسول الكريم الأمين.

· ممن أرسلت؟

من مجهول.

· هل تدخلت الشرطة الدنماركية في الأمر، وبدأت في التحقيق لاكتشاف من هم المجهولون الذين فعلوا ذلك؟

لم يفعلوا ذلك .

· هل تعرف أحداً من المسلمين طلب تحقيقاً؛ لأن هذا يهدد حياتهم؟

نعم؛ لأن بعض الرسوم تحمل تهديداً بالقتل وتأمر المسلمين بالخروج من الدنمارك، وهو تهديد ينافي الحرية التي ينادون بها وتطرف يشبه النازية، هناك حزب ومجموعات تشبه المجموعات النازية المتعصبة للقومية الدنماركية، وترى أن كل غريب غير دنماركي في الأصل هو أجنبي يجب أن يغادر على غير رجعه.

====================

نبي الإسلام هل هناك من يغار عليك ؟

محمد الهرفي

صحيفة الوفاق الالكترونية

أصبح المسلمون اليوم كالأيتام على مأدبة اللئام، الكل يسخر منهم، الكل يتجرأ عليهم، ديارهم مستباحة، ودماؤهم مباحة، وثرواتهم منهوبة، وإرادتهم مسلوبة.

ولو اقتصر الأمر عند هذا الحد لهان ــ على سوئه الذي لا يحتمل ــ لكنه تعداه إلى السخرية بدينهم ونبيهم ومعتقداتهم.

هذا الاستهزاء ليس وليد اليوم ــ وأنا أتحدث عن عصرنا الحاضر ــ فقد كان له سوابق كثيرة مرت كلها بسلام ــ إلا من احتجاجات ضعيفة من هنا وهناك ــ ولما رأى هؤلاء المستهزئون هوان المسلمين وضعفهم تمادوا في غيهم لأنهم أمنوا العقاب، بل أمنوا حتى العتاب فمضوا إلى أبعد من ذلك

بكثير. صحيفة "مغازينات" النرويجية ومثلها صحيفة "جيلاندر بوستر" الدنماركية ومنذ حوالي ثلاثة أشهر تقريباً وهما تنشران صورا كاريكاتورية تسخر بالرسول عليه الصلاة والسلام كما تتحدثان عنه بصورة مشوهة وسيئة لا تليق حتى بأهون الناس فضلاً عن الأنبياء عامة وأفضلهم عند الله خاصة.

هاتان الصحيفتان اتخذتا الحرية الصحفية مطية لما تقومان به، وهذه الحرية ــ كما يدعون ــ متاحة للغربيين عامة وهي جزء من ثقافتهم وسلوكهم ــ هكذا يقولون ــ وقد نقلت صحيفة "الرياض" نقلا عن أحد كبار الكتاب في الدنمارك بعد أن اعترف بكل الإساءات التي وجهت للرسول قوله عن هذه الإساءات إنها "لون من ألوان الأدب وهو متقبل في المجتمعات الغربية فالرسومات النقدية الكاريكاتورية والكلمات الساخرة التي تتناول شتى المواضيع وكافة الفئات والأفكار هي عبارة عن نقد وسخرية هادفة وذكية أيضاً وإن هذا مقبول ومتعارف عليه في العالم بأسره". إذن وكما قال فإن السخرية بالرسول عمل هادف وذكي، وهو أيضاً أمر متعارف ومألوف في العالم أيضاً.

هذه الأقوال التي يرددها البعض مليئة بالأكاذيب فدعوى الحرية لا تجعل البعض يستهزئ بالمقدسات الدينية لأصحاب الأديان الأخرى فالجمعية العامة للأمم المتحدة رفضت مبدأ تشويه الأديان وطالبت في جلستها العامة المنعقدة في ١١/١١/٢٠٠٤م بمناهضة تشويه الأديان ودعت إلى الحوار بين الأديان بدلاً من الإساءة إليها.

وبعيداً عن الأمم المتحدة وقراراتها التي لا تطبق غالباً إلا على الأمم الضعيفة لماذا لا يعد هذا الكاتب وسواه ــ وهم كثر ــ انتقاد بعض مزاعم اليهود من الحريات الصحفية؟ لماذا يكون الحديث عن المحرقة اليهودية وبيان التهويل الذي يقال عنها أمراً محرماً؟ لماذا يكون الحديث عن السامية المزعومة لليهود ــ بصورة ناقدة أمراً محرماً أيضاً؟ بل إن هذه الدول التي تبيح السخرية برسولنا الكريم بدعوى الحفاظ على الحريات العامة تعاقب وتجرم من ينتقد الصهاينة بدعوى الإساءة للسامية، وهذا النقد مهما كانت درجته فهو لا يصل بأي حال إلى درجة الإساءة للرسول الكريم فلماذا تغيب الحرية هنا وتظهر هناك؟ هذه الحرية التي تتشدق بها حكومتا الدنمارك والنرويج هل تسمحان بها لو أن أحداً مجد الإرهاب وشجع عليه بدعوى الحرية؟ لماذا يحاكم أبو حمزة المصري وهو لم يقم بأي عمل إرهابي بل اكتفى ــ كما يقول قاضيه ــ بالتشجيع على الإرهاب؟ لماذا لا تترك له الحرية ليقول ما يشاء ما دامت هذه الحرية يقبلها العالم كله؟ أعتقد أن المسألة ليست كما يزعمون بل إن حقيقة المسألة أن هؤلاء حاقدون على الإسلام وحكوماتهم تشجعهم على هذه الأعمال الدنيئة، وفوق هذا وذاك فإن ضعف المسلمين وضعف حكوماتهم يشجع هؤلاء وسواهم على الاستمرار في هذه البذاءات لأنهم لم يشاهدوا موقفاً قوياً يردعهم ويوقفهم عند حدودهم.

العالم الإسلامي وهيئاته كلها كانت مواقفها ضعيفة ومخجلة أيضا، فمنظمة المؤتمر الإسلامي وعلى لسان رئيسها الدكتور إحسان أوغلي اكتفت بالاستنكار وطالبت العالمين المسيحي واليهودي بإعلان

موقفهما بصراحة من هذه القضية. أما أمين عام مجمع الفقه الإسلامي في جدة فقد اكتفى بالاستهجان والاستغراب مما فعلته تلك الصحف، ودعا الحكومة الدنماركية إلى وجوب تدارك الأمر حفاظاً على التعاون مع الدول العربية، أما الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي فقد أدانت "هذا العمل المشين" لأنه ـــ كما نقول ـــ يخدش مشاعر المسلمين!! ـــ مجرد خدش ولا شيء أكثر من هذا ـــ ودعت الأمانة الأسرة الدولية إلى وضع حد لهذه الممارسات المشينة.

إذن منظماتنا – بارك الله فيها – استنكرت وأدانت وشجبت، وهي بهذا استنفدت كل طاقاتها المخزونة، خاصة وأن الإنسان المستهدف هو رسولنا الكريم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فالذي فعلته يتناسب مع مكانته في نفوس المسلمين كلهم!. لم أسمع شيئا عن ردة الفعل العربية عدا أن وزارة الخارجية المصرية – وبحسب بعض الصحف المصرية – نقلت سفيرتها في الدنمارك – عقابا لها – لأنها تبنت مسألة الدفاع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إزاء تلك الصحف السيئة.

الواضح أن المنظمات الإسلامية كلها لم تتبن موقفا مشرفا يعتبر الحد الأدنى من واجباتها تجاه كل مسلم وتجاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، هذا التخاذل هو الذي شجع وسوف يشجع من يتمادى في الإساءة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأن هؤلاء يشاهدون الهوان الإسلامي والعربي في أسوأ حالاته، ومن يهن يسهل الهوان عليه.

لا ألوم كثيرا أولئك الذين يسيئون للمسلمين بكل الصور ابتداء من احتلال أراضيهم وانتهاء بالسخرية من مقدساتهم لأن كل هؤلاء حاقدون على المسلمين ومقدساتهم لكنني أضع اللوم كله على البلدان الإسلامية والعربية والمنظمات الإسلامية كلها، كما أضع اللوم بعد ذلك على كل مسلم على وجه الأرض.

كان من واجب الحكومات الإسلامية ومنها العربية ألا تكتفي بالشجب فقد مللنا هذه اللغة التي لا تفيد بشيء، كان الأجدر بها أن تقطع علاقاتها بهاتين الدولتين، أو على أقل تقدير أن توقف كل علاقاتها التجارية معهما لأن هذه هي اللغة الوحيدة التي يحترمها هؤلاء، أما ما عداها فلا قيمة له على الإطلاق.

ومع أنني أكره الصهاينة وأفعالهم إلا أن هؤلاء يجبرون الآخرين على احترامهم لأنهم جادون وعمليون في كل قضاياهم مهما كانت صغيرة، ليت الحكومات الإسلامية تنظر إليهم كيف يعملون عندما يعتقدون أن هناك عملا – مهما كان – يسيء إلى معتقداتهم، السفير الصهيوني في السويد حطم عملا فنيا في متحف لأنه يمجد فلسطين، هل يجرؤ سفير عربي على القيام بمثل هذا العمل؟ الحكومة الصهيونية أقامت الدنيا ضد الرئيس الإيراني لأنه تحدث عن المحرقة اليهودية بما لا يعجبهم فلماذا تسكت الحكومات الإسلامية عن إهانة نبيهم ومعتقداتهم؟ لماذا لا يكونون مثل الصهاينة؟ هل نبيهم

لا يستحق منهم أي عمل جاد؟، من العار أن نطالب حكومات المسلمين بأن تكون مثل الصهاينة وحكومتهم ولكن ماذا نفعل ونحن نشاهد كل هذا الهوان الذي يقودوننا إليه؟

وإذا كانت تلك الحكومات قد اكتفت بالشجب والاستنكار فما هو دور المسلمين؟ أعتقد أن أقل شيء هو أن يقاطع كل مسلم أي منتج لهاتين الدولتين، وهناك بدائل كثيرة لكل منتج دنماركي أو نرويجي وحتى لو لم يكن هناك بدائل فكرامة رسولنا تستحق منا أن نقدم لها أرواحنا فضلا عن بعض المنتوجات التي لا تمثل لنا شيئا يذكر، وعلى الغرف التجارية في العالم الإسلامي كله أن يكون لها موقف مشرف في هذا الشأن أقله التعريف بالمنتجات التي تصدرها هاتان الدولتان وكذلك تشجيع التجار على مقاطعتهما مهما كانت النتائج.

إن التهاون في الشيء القليل سيقود حتما إلى التهاون فيما هو أكبر منه بكثير، والشواهد واضحة، أمامنا ضاعت بعض بلادنا، واستهزئ برسولنا وديننا والقادم أسوأ إن لم يتحرك كل منا وبقوة.

ومع كل هذا الظلام فإنني أعتقد جازما بقوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)، وأعتقد أن الإسلام سينتصر لا محالة بنا أو بغيرنا لأن دين الله سيبقى عاليا لا محالة.

وما زلت متفائلا أن يتحرك المسلمون بجدية لإيقاف هذا المسلسل البذيء هم وحكوماتهم لأن سكوتهم يعني أن مسلسل الهوان لن يقف عند حد ويومها سيضيع الجميع.

==========================

هل عاد العرب لسباتهم؟!

محمد الربيعه

mh صلى الله عليه وسلم ٧٧٣٣@hotmail.com

لم أصدق تلك الثورة العربية الإسلامية والاستنكار الشعبي الضخم بالقول والفعل تجاه الرسوم المسيئة لرسول صلى الله علية وسلم ومن ساندها، ذلك الاستنكار الذي هز أوروبا فضلاً عن إقصاء الدنمرك عن العالم الإسلامي ونبذها وأعمالها الماكرة ضد الإسلام والمسلمين لتكون عبرة لمن لا يعتبر.

قلنا وبصوت واحد: إن الإسلام لا يتجزأ وإن المسلم في أقصى بقاع الأرض كالمسلم الذي بجوار الكعبة المشرفة مهما اختلفت اللغات أو الجنسيات أو الثقافات تبقى ثوابت المسلم لا تتغير ونصرته لدينه ومقدساته همه الأول...

كل هذا مثلج للصدر يشعر كل مسلم بالسعادة التي طال انتظارها حتى كدنا نفقد الأمل في المسلمين، ولكن حب الرسول صلى الله عليه وسلم نصرنا قبل أن ننصره ولله الحمد..

ولكن ما ساءني هو هذا البرود الذي أراه قد غزا كثيرًا من أولي الهمم العالية الذين قادوا هذه المسيرة المباركة، فهذا البرود سيؤدي لنتيجه عكسية لما بدءوا به، فالمتابع للمواقع الإلكترونية لم يعد يجد ذلك

الحماس وتلك الروح العالية.. لم يعد يرى سوى مقالات ومواضيع قديمة.. لم يعد يرى تجديدًا ولا جديدًا ولا أفكارًا تكون امتدادًا لما بدأنا به، فالمتابعة للتطورات والتصدي لها هي ما نرجوه الآن..

الآن نريد نتائج للمقاطعة.. وإلى أين وصلت.. وماذا جنينا منها.. وكيف نطور أساليب أكثر جدوى وفق التطورات من قبل الدنمرك.. على سبيل المثال المواد الأساسية الدنمركية لم تتأثر بالمقاطعة، كذلك تغيير "صنع في الدنمرك" إلى "صنع في الاتحاد الأوربي".

نريد أن نعرف ماذا يحصل لإخوتنا في الدنمرك وما يراد بهم وكيف نساندهم، فالتهديد والوعيد يتلقونه من أبرز المسئولين في الدنمرك للنيل منهم..

ردود الفعل الأوروبية والعالمية وكيف استغلالها لمصلحة قضيتنا، وإفشال ما هو ضدنا من مكرهم، وشحذ همم المسلمين، وإبراز دور رجال الإعمال ودور الدول التي تصدت للرسوم المسيئة والشد على أيديها ودعمها شعبيًا حتى تقوى بشعوبها المسلمة.

أريد المواصلة بروح جديدة وآليات جديدة وأفكار جديدة ومتابعة لكل المستجدات والتعامل معها كما يجب..

فنحن ننتظر الكثير من أولي العزم...

أخيرًا إن أصبت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان..

والله الموفق..

=================

هلع في الدينمارك

جمال سلطان

والحقيقة أن هذه الحالة تعيد الاعتبار إلى الفعل، وليس إلى الكلام، هؤلاء قوم لا يجدي معهم الجدل والخطب والمنطق، وإنما يجدي لغة المصالح، وعندما تعرف الحكومة أن تضامنها مع مواطن بذيء يمارس العنصرية في أبشع صورها سيدفع ضريبته ملايين من مواطنيها من قوت أولادهم ومصالحهم الحيوية، سيكون لقرارها وجهة أخرى.

بقلم: جمال سلطان

حالة من الفزع تجتاح الصحافة الدينماركية منذ عدة أيام بعد تصاعد الموجة الشعبية العربية لمقاطعة كل منتج يحمل إشارة الدينمارك، وذلك ردا على حملة التطاول على النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، المشكلة لم تكن فقط في إقدام صحيفة دينماركية على نشر عشر رسوم كاريكاتير فاجرة تصف الرسول بأخس الصفات وتصوره كإرهابي يقف في صف المشتبه بهم ونحو ذلك، وإنما أيضا في الموقف الرسمي الدينماركي الذي دافع في البداية عن الصحيفة واعتبر أنها تمارس حرية الرأي المكفولة،

وهو كلام سخيف يكفي لمعرفة مدى سخفه لو أن صحيفة دينماركية نشرت رسما مشابها ويكون مكان النبي إنسان يهودي، لا نبي ولا رسول، فقط إنسان يهودي، ولسوف نرى كيف يكون رد فعل الحكومة الدنماركية، وكيف سيختفي كل كلام عن الحرية وحرية الرأي والتعبير، لتظهر الاتهامات بمعاداة السامية والتحريض على الكراهية إلى آخر الاتهامات، فقط الاستباحة تكون مع الإسلام ورموزه.

كذلك لا يمكن أن تكون حرية التعبير تتمثل في أن تشتم إنسانا، بينك وبينه ألف وأربعمائة عام، وتقول إن هذا تعبير، هذه محض بذاءة وسباب وتحريض سافر على الكراهية، وممارسة البصق على وجوه الآخرين وحرماتهم، بدون أي معنى ولا مبرر سوى الكراهية والعنصرية الشديدة، لكن الأكثر فداحة أن رئيس الوزراء الدينماركي عندما قال كلمة مجاملة للجالية المسلمة هناك، وسأله البعض هل نعتبر ذلك اعتذارا للمسلمين، نفى ذلك، وقال نحن لا نعتذر عما نشر، ولذلك كان ضروريا أن يكون هناك موقف حضاري وأخلاقي مما حدث، وأن نمارس حقنا الإنساني في مقاطعة من أهان النبي ومن حرضه ومن دافع عنه ومن أيده، هذا حق تكلفه الأعراف والمواثيق وتمارسه الدول والأفراد كأحد الأساليب الحضارية في ممارسة حق الدفاع عن النفس أو المصالح الحيوية.

الحكومة الدينماركية أصيبت بحالة من الهلع، والسفراء الدينماريكيين خاصة في منطقة الخليج أرسلوا رسائل، نشر بعضها في الصحف، تحذر من أن الأمور تتجه إلى كارثة، الصحف أشارت إلى أن حملة المقاطعة الناشطة في الخليج وحده ستصل بالخسائر الدينماركية خلال عام واحد إلى أكثر من أربعين مليار كراون، وهذا يعني خراب قطاع كبير من الصناعة الدينماركية، وتحويل عشرات الآلاف من المواطنين إلى شمس العاطلين عن العمل، وإغلاق آلاف المصانع. وأما إذا نجحت الحملة في مصر وبقية العالم العربي، وهي تنشط الآن بالفعل، فإن الدينمارك ستكون بسببها إلى كارثة اقتصادية.

مانشيتات الصحف الدينماركية بالكامل أمس واليوم، وبعضها وصلني على البريد الالكتروني وبالترجمة، تشعرك أن البلاد على شفا حرب، وكانت مجموعة كبيرة من المحلات الكبيرة والهايبر ماركتات في الخليج قد سحبوا بالفعل كل المنتجات الدينماركية من الأسواق، تضامنا مع الحملة الشعبية للدفاع عن نبي الإسلام، وقد اتجهت غرفة الصناعة الدينماريكة إلى دعوة كافة موزعي المنتجات الدينماركية ووكلائها إلى توجيه رسائل إلى العالم العربي والإسلامي من أجل توضيح الموقف والإعلان عن استنكارهم لما حدث.

والحقيقة أن هذه الحالة تعيد الاعتبار إلى الفعل، وليس إلى الكلام، هؤلاء قوم لا يجدي معهم الجدل والخطب والمنطق، وإنما يجدي لغة المصالح، وعندما تعرف الحكومة أن تضامنها مع مواطن بذيء يمارس العنصرية في أبشع صورها سيدفع ضريبته ملايين من مواطنيها من قوت أولادهم ومصالحهم الحيوية، سيكون لقرارها وجهة أخرى، وأنا أعلن تضامني مع هذه الحملة، وأدعو كل غيور لكي

يتضامن معها، قطعا للطريق على تجار الكراهية، وحماية لحرمات الإنسان ومقدساته من الاستباحة والعبث.

المصدر: موقع المصريون

===============

وإن اعتذرت صحف الدنمرك فهذا لا يكفي !

د. فايز بن عبد الله الشهري

جريدة الرياض - العد ١٣٧٢٦

لا يمكن تبرير تسهيل الإساءة للآخرين بدواعي حرية التعبير، ولا يكفي الاعتذار بمعسول الكلام حين تكون الإهانة متعمدة، والأشد إيلاما من كل هذا حين تُستهدف شخصية نبي الإنسانية ثم تُساق التبريرات فتأتي أوقح من فعل الإساءة نفسه. هذا بالضبط ما ينطبق على مجريات قصة نشر صحيفة «يولاند بوستن» Jyllands-Post صلى الله عليه وسلم n الدنمركية لبعض الرسومات الكارتونية التي تعمّد رساموها إظهار شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشكل لا يليق.

ومع توالي الاحتجاجات من قبل أعضاء السلك الدبلوماسي الإسلامي في الدنمرك وعشرات المنظمات والاتحادات الإسلامية إلا أن الصحيفة (أمعنت) في غيها واكتفت بنشر بيان توضيحي يؤكد سوء النوايا. ومما جاء في البيان قول الصحيفة: «إننا لا نعتذر عن عمل نعده جزءا طبيعيا من العمل الإعلامي.... ولهذا فلن يكون هناك اعتذار أو سحب للرسومات».

وأصل القصة أن مؤلفا يدعى Kaa صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم Bluitg صلى الله عليه وسلم n أراد أن يزين كتابا وضعه للأطفال عن خاتم الأنبياء بصور لشخصية بطل كتابه، ولكن المؤلف لم يجد بين الرسامين من قبل الفكرة، فكان أن أقيمت مسابقة شارك فيها ١٢ رساما تبنت الصحيفة نشر رسوماتهم التي كانت في مجملها غير محترمة و ترسّخ الصور السلبية عن المسلمين ورموزهم. وكان أن ثارت ضجة كبرى خاصة حين تسربت الصور إلى منتديات الإنترنت وظهر من ضمنها رسما لوجه غير محبب للنبي الكريم وعلى رأسه عمامة مزخرفة بالشهادة وتظهر قنبلة يدوية مغروسة في ثنايا هذه العمامة.

وتبعا لذلك اجتاح الإنترنت ما يشبه الإعصار من الرسائل والأطروحات التي تحاول أن تقترح أو «تفعل شيئا» للذب عن رسول الله. و قد تحمّس بعض كتاب الصحف و منظمي حملات الإنترنت لفكرة تنظيم حملات احتجاج واسعة تغرق وسائل اتصال الصحيفة ورئيس تحريرها وفق القناعة القائلة بأن هذه الصحيفة أساءت للمسلمين وآذت مشاعرهم. وحيث إن هذا قد يعد جانبا من الحقيقة إلا أن كثيرين غفلوا عن أثر ونتيجة التغيرات الكبرى التي أحاطت بالحياة السياسية

والاجتماعية والثقافية في العالم وفي أوروبا بشكل خاص. ومن أهم هذه التغيرات مشكلات الهجرة و التطرف الديني والتمييز العنصري التي باتت سمة الحياة اليومية في كثير من المدن الأوروبية بل وأصبحت وقود نشاطها السياسي مما أثمر عن نشوء وسيطرة المزيد من أحزاب اليمين على مقاليد الحكم والحياة في كثير من الدول الأوروبية، خاصة وان قيادات بعض هذه الأحزاب عرفت كيف تداعب مشاعر القوميين بتكرار الحديث عن الهوية الوطنية ومشكلة المهاجرين والبطالة.

أما موضوع الإساءة للإسلام في الدنمرك فقد بدأت انطلاقته الحقيقية في أبريل من عام ٢٠٠٥م حين تسربت مقاطع من كتاب جديد يروي سيرة ومشوار حياة «مارغريت الثانية» ملكة الدنمرك الحالية. ومما أُخذ على الملكة قولها في ذلك الكتاب: «يجب التصدي للإسلام ويجب من حين لآخر أن نواجه مخاطر أن نوصف بأننا اقل مجاملة، لان هناك بعض الأمور التي لا يمكن التسامح حيالها».

و تركز كثير من المطالبات العربية والإسلامية على ضرورة اعتذار الحكومة الدنمركية والصحيفة عما نشر وهو مطلب لم يجد صدى حتى عند رئيس الوزراء الدنمركي «اندرس فوغ راسموسن» الذي رفض استقبال رؤساء البعثات الدبلوماسية المحتجين مصرّا على أن مسائل النشر يجب أن ينظر إليها وفق الحق في التعبير، وأن القضية كلها تدخل تحت مظلة حرية التعبير.

الأكيد أنه كان ممكنا أن تطوى تلك الرسومات المسيئة مع مغيب شمس يوم النشر، ولكن مقام الشخصية المستهدفة ووقاحة الناشرين والمسؤولين عن تصعيد القضية دفع المسلمين والمنصفين إلى الشكوى وإعلان الضيق والاحتجاج بكل الوسائل. السؤال الآن... كيف يمكن أن نستفيد من هذه التجربة؟.. إذ لم يعد مجديا الاكتفاء بلغة الاحتجاجات والمراسلات.... فهل يمكن مثلا تنظيم حملة دبلوماسية شعبية دولية لاستصدار قانون يجرّم ازدراء الرسل والأديان السماوية على غرار قانون «معاداة السامية» المطبّق في اغلب دول غرب العالم. هل يمكن ذلك؟

ورقة عمل مقدمة من الندوة العالمية للشباب الإسلامي — مكتب جدة

للمؤتمر العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم

أ.د. عبد الوهاب بن عبد الرحمن نور ولي

محور: استراتيجية نصرة النبي صلى الله عليه وسلم:

١. استخلاص عناصر القوة والإيجابية في مواقف المسلمين في النصرة:

* توحد المسلمين في شتى بقاع العالم لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم بالرغم من اختلاف الاتجاهات.

* التواؤم بين الخطاب الشعبي والخطاب الرسمي.

* اتجاه المسلمين إلى التعبير العملي.

* المقاطعة الاقتصادية وتفاعل المسلمين معها.

* تحرك الجاليات الإسلامية في الغرب.
* رفض الكثير من منظمات حقوق الإنسان لحرية التعبير المطلق.
* اجتماع المسلمين بجميع طبقاتهم في القطر الواحد على النصرة مع اختلاف فئاتهم (المتدين وغير المتدين).
* تفاعل عوام المسلمين مع نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.
* تصدي المفكرين وأصحاب الرأي إلى هذا الخطب من خلال الرأي والمناقشة والحوار وطرح الأفكار.

٢. استخراج عناصر الضعف والإساءة في مواقف المسلمين في النصرة واستبعادها:
* ردة الفعل التي تعكس الصورة السلبية للمسلمين (إحراق السفارات والمباني، أعمال الشغب).
* ضعف المسلمين في الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
* ضعف المقاطعة الاقتصادية.
* الخطاب الإسلامي غير المتجانس مع طبيعة وسماحة الإسلام.
* ضعف وسائل الإعلام في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.
* غياب دور مراكز البحوث والدراسات عن أداء دورها المأمول في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.
* تقاعس المؤسسات الرسمية الدينية في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.
* غياب المرجعية الإسلامية.
* عدم وجود وسائل إعلامية داخل الدول الغربية تخاطبهم بلغتهم للتعريف بسماحة الإسلام.
* عدم نشر مزايا القيم الإسلامية في دول الغرب بلسانهم وعقلهم.
* الاستسلام لكل ما يقوله الغرب وتصور صحته وعدم التصدي له من خلال عمل مؤسسي مدروس.

٣. المنظومة القانونية للنصرة:
* عدم وجود مؤسسات قانونية للدفاع عن قضايا المسلمين في المحافل الدولية.
* قصور دور الجامعات (كليات الحقوق) في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.
* ضعف دور اتحاد المحامين العرب واتحاد المحامين المسلمين في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.
* غياب دور أساتذة القانون الدولي في نصرة النبي.
* غياب دور السلطة القضائية في غالبية الدول الإسلامية.

٤. التشريعات المطلوبة لضمان حقوق الجاليات المسلمة:
* إنشاء تشريع من خلال الأمم المتحدة يضمن حقوق الجاليات المسلمة الموجودة في الغرب.

* على الدول العربية والإسلامية عدم التوقيع على المعاهدات الدولية التي يكون فيها بنود تخالف الإسلام صراحة.

* عقد مؤتمرات تناقش مثالب البنود التي تخالف الإسلام صراحة (مؤتمرات: اقتصادية – طبية – اجتماعية – ثقافية – حقوقية)، ونشر بحوثها ونتاج أعمالها العلمية في مواجهة هذه المثالب وأثر ذلك على المجتمعات الغربية.

* المطالبة بوجود تشريعات لحقوق الهجرة والجنسية تحمي الوجود الإسلامي في الغرب.

٥. التنسيق والتكامل بين المؤسسات الإسلامية:

* غياب المؤسسات الإسلامية الفكرية.

* غياب التخصص بين المؤسسات الإسلامية.

* عدم التكامل بين المؤسسات الإسلامية.

* تعرض المؤسسات الإسلامية للتكبيل المالي والإجرائي.

* ضعف الموارد المالية للمؤسسات الإسلامية.

* ضعف الدعم المالي من الحكومات للمؤسسات الإسلامية.

٦. وضع ضوابط النصرة:

* عدم اللجوء إلى العنف وتحطيم السفارات وأعمال الشغب لأجل نصرة النبي .

* ممارسة الاحتجاجات في دول الغرب وفق قوانين هذه الدول.

* عرض سماحة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية وفق أسس وضوابط منظَّمة من خلال مراكز البحوث ومؤسسات المجتمع المدني والجامعات.

* عرض سماحة الإسلام على مستوى العمل الدبلوماسي.

* مطالبة الحكومات باتخاذ مواقف سياسية مؤثرة في مثل هذه القضايا.

* تفعيل المقاطعة الاقتصادية الرسمية والشعبية.

* نشر مطويات ومجلات وبرامج إذاعية وتلفزيونية بلغات مختلفة وعالمية تتحدث عن الإسلام وحقوق الناس في الإسلام.

* استخراج ما في قوانين الغرب من مثالب اقتصادية واجتماعية وحقوق إنسان، ووضع حلول لها من خلال الشريعة الإسلامية.

* عقد مجالات حوار مستمرة ومنتظمة بين مراكز البحوث الإسلامية ومراكز البحوث الغربية.

* تربية الناس والشباب خاصة على تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته والرضا بحكمه والتسليم والانقياد لسنته ومحبته فوق محبة النفس والمال والأهل والولد.

* إخراج سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من دور القصص التاريخي إلى الواقع العملي التطبيقي.

* إبراز دوره صلى الله عليه وسلم حيال الأعداء في العفو والصفح وبين الناس في لِين الجانب وبين الأهل في حسن العِشرة وبين الدوابِّ في حسن الرحمة ومع الله في كمال العبادة.

* إقامة مسابقات عالمية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله والتعريف به.

* استكتاب المنصفين من الغربيين وعقد لقاءات حوارية صحفية وتلفزيونية معهم وطرح موضوعات تبين خصائص وفضائله صلى الله عليه وسلم.

* إنشاء معارض تبين دور الأمة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

* تربية النشء على مثل وقيادات الإسلام وليس تربيتهم على أنه تاريخ.

* التبيين بأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس رجلاً عادياً وإنما بشراً يوحى إليه.

* التعريف بالإسلام وسماحته وليس الاحتجاجات.

* تغيير لغة الخطاب للغرب.

==================

يا أمّة المليار ماذا قدّمتِ لنصرةِ المصطفى الحبيب

الخطبة الأولى

أما بعد: فيا أيها الناس اتّقوا الله عز وجل حقّ التقوى، فمن اتّقاه أفلح في دنياه وسلِم، واستبشر في أخراه وغنم، ومن أعلى مراتب تقواه التي نبلغ بها القِمَم الانتصارُ لسيِّد العرَب والعجَم والذبُّ عن صفوة هذه الأمّة وخيار الأمم، فبذلك تُنال غاياتُ المُنى ونَعِم، ونعِمَّا ذلك نعِمّ.

أيّها المسلِمون، تبصُّرًا في أغوارِ التأريخ واستِكناءً لِحِقَب الحضَارات يُلفي المتأمّلُ أمَمًا لفّها ظلامٌ من الاستبدادِ مطبقٌ مُريع، بيدَ أنه يحمل في طيّاتِه نورًا يُرتقَب وأمّة في سموِّها تُزاحِم الشُّهُبَ. فها هي الرسالةُ المحمّدية العالميَّة -على صاحبها أفضلُ الصلاة وأزكى التّسليمات- تترَى بُكرةً وعشِيًّا، يُصيخ بلهفٍ لها الزمان، وها هو فجرُ الأمّة الإسلامية يشرِق في كلّ مكان، وتتفتّح لها غِلَق الأذهان، ويرفّ ببركتِها وعظمتها كلُّ جَنان، قد حمَلت هذه الرسالةُ الخيرَ كلَّه والبرَّ دِقَّه وجلّه والهدى أجمَعَه والعَدلَ أكتَعَه؛ فبالإسلام أشرَق التأريخ، وبهديِ سيّد الأنام عرفتِ الإنسانيّة معنى وجودِها، وعلى هدي مُثُلنا وقِيَمنا رتقَت الحضاراتُ صدعَها ولَمّت شعَثَها، لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [آل عمران:١٦٤].

ولا يزالُ هذا الغيثُ الصيِّب المنهمِر يفتح المجاهِلَ بلا هَادٍ، ويعبُر القارّات دونَ اتِّئاد، ولقد اقتَضَت حكمتُه سبحانَه أن يكونَ المبلِّغ الأمين عن ربّ العالمين الرحمةُ التامَّة والنّعمَة العامّة محمّدَ بنَ عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، النّبيَّ الرؤوفَ الرحيم الوَصول، زاكيَ الفروع وساميَ الأصول، وكان

الهَمُّ الذي بَخَع نفسَه استرقَّ حِسَّه -يا أمّة الإسلام- انتشالَ البشريّة مِن مَومَات البغـــيِ والعنصـــريّة والأوثان إلى مَغاني العدل والرحمة والإحسان، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء:١٠٧].

ولا تَزال عظمةُ رِسالته وخَصائص نبوّتِه ميدانًا فسيحًا للمتأمِّلين ومَنهلاً رويًّا للبَاحثين المنصفين، كما هي نديَّةٌ نضِرة على الدوام، بل كلّما تمكّن الصّراع بين الحقّ والبَاطل -وها أنتم تعايشونه- ازدادت عَبقًا واخضِرارًا.

معاشر المسلمين، أحبابَ سيِّد المرسلين، وهَذا النبيّ الأمّيّ الزّكيّ الرّضيّ مبشَّـــرٌ بصـــفاتِه البلجـــاء وشريعته الغَرّاء من قِبَل إخوانه الأنبياء والمرسَلين، يقول سبحانه: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّـــيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِـــهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف:١٥٧].

فَيا عَجبًا! كيف يجحَد ذلك الجاحِدون ويَلغ فيه المستَهزِئون؟! وليس ذلك فحَسب، بل إنّ هَديَه عليه الصلاة والسلام هو الجامِع لما تفرّق فيهم من الفَضائل والمحامِد، وشريعتُه ناسِخَة وخاتمةٌ لجميع الملل والشرائع، وقد توعّد سبحانه مِن خدشِ قدسيّة رسالاتِ الله في أشخاص حمَلَتها ومُبلِّغيها منَ الأنبياء والمرسلين بالعذاب الأليم، وهو محادٌّ كلَّ المحادّةِ لجلال الله وعظمَته، كيف وهـــم علـــيهم الصـــلاة والسلام موضعُ حفاوته واصطفائه لبلاغ وحيه جلّ وعلا؟!

إخوةَ الإيمان، ومن تمام منَّة الكريم الوهّاب أن سوَّر هذا النبيَّ الأوّاب بكرام الصحابة ذوي النخـــوة والنجابة والفضلِ والإصابَة، أصفياء أَخيارٌ، كُماةٌ أَبرار، على عظمة كلِّ فردٍ منهم تقوم دولة وتنهض أمّة، وحبُّهم لِنبيِّهم أمرٌ تحرض به اللَّهاةُ، وتتقَصّف دونه الأسَلات، سَأل أبو سفيانَ زيدَ بنَ الدَّثِنَّـــة وهو في الأسرِ قائلا: أنشدكَ اللهَ يا زيد، أتحبُّ أنّ محمّدًا الآنَ عندنا في مكانك تُضربُ عنُقُه وأنت في أهلك ومالك؟ فَرجف زيد قائلاً: والله، ما أحبّ أنّ محمّدًا الآنَ في مكانه الذي هو فيه تصيبُه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ومالي، فصَاح أبو سفيانَ دهِشًا وقال: والله، ما رأيتُ من الناسِ أحدًا يحبّه أصحابُه كما يحبّ أصحاب محمّد محمّدًا. الله أكبر، زيدٌ أَحبَّ، ففَدَّى الحبيبَ وذبَّ.

تزن الْجبالَ رزانةً أحلامُهم *** وأكفُّهم خَلَفٌ من الأمطارِ

والباذلين نفوسَهم لنبيِّهم *** يومَ الْهياج وسَطوةِ الْجبّار

وما ذاك إلاّ كِفاءَ نفسٍ غَنيَت بالرَّحمة والسِّلم والحبّ والحِلم، وخلصت إلى أعلَى مراتب الصـــدقِ والطهر والعلم، فلِلَّه ما أعظمَ هذا الدّين، وما أقوى إيحاءَه، ولله ما أكرمَ هذا النبيَّ الجليل وأبهرَ بهاءَه، وما أجلَى هديَه وسناءَه.

لو أطلق الكونُ الفسيح لِسانَه *** لسرَت إليك بمدحِه الأشعارُ

لو قيل: من خيرُ العباد؟ لردّدت *** أصواتُ من سمِعوا: هو المختارُ

عليه الصلاة والسلام.

معاشرَ المسلمين في كلّ الأصقاع، إخوة العقيدة في كلّ البقاع، يُذَكَّر بذلك -أيها المحبون- في هذه الآونة الأخيرةِ التي غشّى الكونَ فيها لَيلٌ ثقيل، ولفَّه صَمتٌ مكدودٌ عَليل، وتصدّع فجر المسلِمين عن فاجعةٍ تأريخيّة سَفعاء، حيث نعَبَت أصوات بالإفكِ والبهتان، وجرت أقلامٌ في أودية الزّور والضلال والعصيان برسوماتٍ حاقدةٍ ماكرة، تنهدّ لها القَامة، وتتزلزل لها الهامَة، لقد استطالوا ويَا ويحهم، وتعَجرفوا ويا ويلهم، فسخِروا من أعظم جَناب وأكرمِ من وطئَ الترابَ نبيِّنا محمّد، استهزأ عَثكَلٌ عُمروط برسول رَبِّ العالمين ورحمةِ الله للخلائق أَجمعين، إمامِ الأنبياءِ في الأرض وفي السماء، أبرّ الأمم على الإطلاق، وأعظمهم بإطباق، صاحِب المعجزات الظاهرات والآياتِ الباهرات.

سقطت مكانةُ شاتمٍ وجزاؤه إن لم يتُب مما جنَاه النارُ

ربّاه ربّاه، أَيَهزَؤون برسول ربِّ الأرض والسماوات؟! أيَهزؤون بسيّد البريّات؟! أيتطاوَلون على الرحمة المهداةِ؟! أَينتقِصون النعمة المسداةَ؟! إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا [الأحزاب:٥٧].

لَقد جاءَت تلك النفوسُ الباغيَة التي لَو صُوِّر الرِّجس والخبَثُ كِيانًا لما تَعدّاها، لقد جاءَت شيئًا إدًّا، يخرّ له الكون هدًّا، تبَّت لهم يدًا، وخُفِئوا أبدًا، يَستهزئون ويشتَفون، ويشهِّرون ولا يكتفون، ويتبجّحون بما ائتُفِك ولا يختفون، قال سبحانه: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [التوبة:٦١]، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ [الكوثر:٣].

بأبي وأمّي أنتَ دونَك مُهجتي *** في صدرِ من سلقوك أغرسها مُدَى

ما أنقصوك فأنت أنت أجلّ *** خَلقِ الله منزلةً وأكمل سؤددًا

هيهاتَ أن تطيبَ لنا حَياةٌ، وأنّى نؤمِّل نصرًا أو نجاةً ولم نتقحّم لنصرةِ الهادي الحبيب لجَّةً ولا فَلاة؟! يا لَلبهيسَة وعظيم الفِرية! أين الأعراف الدوليّة؟! أين العالَم بهيئاتِه ومنظَّماته حِيال هذه الجريمةِ النكراء والفعلةِ الشنعاء؟! أين عقلاءُ العالم ومنصفو الإنسانيّة حِيال هذا الاستهزاء؟! أين المواثيق العالميّة التي تصدُّ هذا البهتان والافتراء؟!

فيا أمّة المِليار، ماذا قدّمتِ لنصرةِ المصطفى الحبيب المختار؟!

إنّا ليؤلِمُنا تطاوُلُ فاجرٍ *** ملأت مشاربَ نفسه الأقذارُ

ويزيدنا ألمًا تَخاذلُ أمّةٍ *** يشكو اندِحارَ غثائها المْليارُ

إنّ دُوَل الإسلامِ وما فوقَها وما دونَها أطرافَها وحُصونَها والغبراءَ سهولَها وحُزونَها يجرّمون هذا الفعلَ الأثيم، ويستفظعونَ هذا الجرمَ اللئيم. وإنّنا نوجِّه ألهبَ النداء من منبر المسجد الحرام من منشَأ رسول الإسلام ومبعثِه ومَرباه، ونَستَصرخ باسمِ المسلمين جميعًا مُطالبين بإيقاعِ العقوبات المغلَّظةِ دونَ هوادةٍ على المستهزئين بالجناب المحمّديّ والمقام المصطفويّ، بُؤبؤِ العيون، المنزّهِ عن كلّ وصمة ودون، وكلِّ

من واطأ الباغي وأعاد نشر تلك الرسوم؛ كي تُصانَ شرائع السّماء وتعظَّم مقاماتُ الأنبياء في كلّ زمان ومكان، مع المطالبة بتفعيل القراراتِ الدولية التي تَدين وتجازي تلك الجرائمَ والمخازي. لا بدَّ من تطبيق المواثيق العالميّة والقرارات الدولية التي تحاكم كلَّ مَن يتجرَّأ على الله ورسلِه وأنبيَائه ومُقدّساته، وتقاضي كلَّ من يتطاول على الشرائع والرسل والمقدّسات.

إنّ هذا الهزءَ والإدقاعَ عبرَ الشبكات والصّفحات -وأيمُ الله- لو قوبل به غيرُ نبيِّنا لأراق فيهِ أحبابُه أنهارًا من الدّماء، ولكان لهم مُنّةٌ من برهان وحجّة من سُلطان، فما بالُنا بأعظم الأنبياء قدرًا وأفضلِهم فضلاً وأعلَمهم بالله وأكرمهم على الله محمّدٍ خيرِ الأنام عليه من ربّه أفضل صلاة وأزكى سلام، النبيِّ الأكرم والمصطفى الأعظم، صاحِب المقام الأطهر والسَّنى الأغرّ؟!

هَجوتَ مُباركًا بَرًّا حنيفًا *** أَمينَ الله شيمتُه الوفاءُ

فإنَّ أبي وَوالدَه وعِرضي *** لعِرض محمّد مِنكم وِقاءُ

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمه الله: "ولا ريبَ أنَّ من أظهر سبَّ الرسول وشتْمَه فإنّه يغِيظ المؤمنين ويؤلمهم أكثرَ ممّا لو سفَك دماءَ بعضهم وأخَذَ أموالهم، فإن هذا يثير الغضبَ لله والحميّةَ له ولرسولِه "، ويقول رحمه الله: "مِن سنّة الله أن من لم يتمكّن المؤمنون أن يعذِّبوه منَ الذين يؤذون الله ورسوله فإنّ الله سبحانه ينتقِم منه لرسوله ويكفِيه إيّاه، وكلّ من شانَأه وأبغضه وعاداه فإنّ الله يقطَع دابرَه ويمحَق عينَه وأثرَه".

ألا فلتعلمِ الأمة جمعاء والعالم بأسرِه أن الله عزّ وجلّ ناصرٌ حبيبَه ومصطفاه وخليلَه ومجتباه، إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ [التوبة:٤٠]، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر:٩٥].

ما نالَ منك مُنافق أو كافِر *** بل منه نالت ذلّةٌ صَغارُ

حلّقتَ في الأفقِ البعيد فلا يدٌ *** وصلَت إليك ولا فمٌ مهذَار

أعلاك ربُّك همّةً ومكانةً *** فلَك السموُّ وللحسود بَوار

أيّها المؤمنون، وإنَّ هذا الحدث الذي أرجف العالَمَ ليُعَجِّب العُيُر ويحمِلهم على الاصطراخ والنداء: خبِّرونا -يا هؤلاء- عن حريّة التعبير وضوابطها؛ فإنّا في زعمكم نسيناها، ولتُنبِّئونا عن مواثيق قدسيّة الرسل والرسالات؛ فإنّا في ظنّكم أغفلناها، أفلا تكون حريّةُ التعبير إلا حينما تُسَبّ مقدّسات المسلمين ويُنال من عظمائهم ويوقَع في أنبيائهم؟! لكنّها المعايير المزدَوَجة والمكاييل المضطرِبة.

عجبًا لهذا الحِقد يجرِي مثلما *** يجري صديدٌ في القلوب وقارُ

وإذا سُخِر من عظيم الدّنيا برمّتها بين من يزعمون الالتئامَ على المبادِئ والحقوق والرّقِيِّ والشرف فهيهات أن لا تُخفَر بينهم العهود وتخيس الذِّمَم.

ويحكم يا هؤلاء! أحيُوا العدلَ والصدقَ وانشروه، وأميتوا الصَّلَف والزَّيفَ واقبروه؛ تأمنوا البوائقَ التي يُخشَى اندِلاعُها.

وإنّه لا يخفى على النّصفةِ والعقلاء أنّ هذه الآفةَ الخُلُقيّة الدنسةَ التي انتهكت باستهزائها بالنبيِّ حرمةَ مليارٍ ونصف من المسلمين وتهكّمت بمشاعرِهم لتهوي بالأمَل في النهوض بدَعاوى احتـرام الآخـر ودعاوى التسامُح وحوارِ الحضارات ودعاوى نشرِ السلام والوئام وما إليها من شناشِنَ أخزميّة، نعم تهوي بذلك كلِّه إلى يَهماءَ قَرق، لا بَاطلاً تردُّ، ولا زورًا تَقي.

ولقد استبان لكلِّ ذي بَصيرة من الذي يغذّي التطرّفَ والإرهَاب، ويُـذكي العنصـريّة والعنـفَ والكراهِية بين الشعوب، ويؤجِّج الإقصاءَ وصِراع الحضارات. وأمّا الذين استناموا وأصمّوا آذانهم عن نداءات الاستفظاع لهذا الحِقد الدين واستدبَروا صرخاتِ التجريم واستنجازِ التحكيم فقـد خـانوا أماناتهم ودياناتِهم، ولن يضرَّ الإسلام وسيدَّ الأنام شيئا، كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي [المجادلة:٢١].

أمّةَ الإسلام، وإنَّ تِلكم الهبّات الصارمة والغضبات العارِمة لنصرة خيرِ العباد في أقصى البِقاع وشـتى البلاد بتنوّع الوسائل والطّرائق لا سيّما موقف بلاد الحرمين الشريفين الرسميّ الحازِم والشعبيّ الحاسِم وسائر البلاد الإسلاميّة وأحباب رَسول الله في كلّ مَكان لشدَّ ما أبهجتِ الغيور، وشَرحت بالبِشـر الصدور، وكذا ما خطّته الأسَلات، فقد نوّرت من المحبِّ المُقَل، وآسَتِ الكَلمَ وحلَّتِ العُقَل.

الله أكبر، بصوتٍ واحد ملايين المسلمينَ في الأرض ترفع الشعار التأريخيّ: "إلاّ رسولَ الله"، وترفُض الاعتذارَ، وتطالِب بالمحاكمةِ. يا لها من مَواقفَ مؤثِّرةٍ، تُذكي عزّةَ المسلمين ووَحدتهم، وتعزِّز مكانَتَهم دوليًّا وهيبتهم عالميّا، ولقد قال الله عز وجل في إفك أسلافهم: لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ [النّور:١١].

ولَعَمرُ الحق، لقد زَفّت لنا تلكُم الهباتُ والغضبات موقفَ المقاطَعةِ السياسيّة والاقتصـاديّة الصـامِد منظومَ الأكاليل، وهذا القرارُ الحاسم وسواه سيتلُّ هؤلاء إلى قُضبان الذلّة والمحاكَمة تلاًّ، وأمّا الذين اثّاقلوا عن نُصرة المجتبى والتّنديد و لم يُبالوا بالَه فليتّقوا الله عزّ وجلّ، وليفيئوا إلى هذا المسعى الحميد.

ألا فلتشلّ الأيدي وتخرَس الألسن وتتقصّف الأقلام وليجفّ المداد ولينأ الإعلام إن لم يجَنَّد في الدفاع عن سيِّد الأنام رسول الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام.

وليكن منكم بحسبَان -يا رعاكم الله- أنَّ التهاب العواطف دون أناةٍ ورَويّة هو الهُوجُ القواصف التي تُسلِم الحججَ السائغة للعدوّ الكمين المتربّص على أنّنا أمّة -بزعمهم- لا تَني، تصطَخِب وتضـطرب دون ضابط أو رابط. فاللهَ اللهَ في ضبطِ العواطف وترشيد الانفعالات وعدم الاسترسال وراءَ أحـلامٍ ومنامات ورسائل هواتِف محمولات وما إليها وتفعيل نُصرة المصطفى تفعيلاً منهجيًّا وتأصِيلا إيجابيًّا، ينطَلِق من عقيدةٍ راسخة ونصرةٍ دائمة، لا تمليها ردودُ أفعال طارِئة، فلتلجموا -يا أحباب رسـول الله- العواطفَ بلِجام التعقّل والحِكمة والتحرّك الإيجابيّ العمليّ في نصرةِ النبيّ الهاشميّ بأبي هو وأمي.

إنّي أقول وللدُّموع حِكاية *** عَن مثلها تتحدَّث الأمطار

إنّا لنعلم أن قدرَ نبيِّنا أسمى *** وأنَّ الشانئين صِغار

لكنّه أَلَم المحبِّ يزيده شرفًا *** وفيه لِمن يُحبّ فَخار

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. استرجاعٌ عَلى ضُلوعٍ مِن الإساءة لنبيِّنا تحترق، ودموعٍ هامِيَة تستبق. نعم استرجاعُ سنّة وثقةٍ وبَأس، لا قنوطٍ ويَأس، فالألسن الغضاب تفري فَريَ الصوارم العضاب، فـــالله المستعان، وإليه المشتكى، ولا حول ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم.

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيّد المرسلين، وجعلنا من أنصاره الغالبين، الـــذّابّين عـــن سنّته، المفدّين لها بالأنفس والأموال والبنين، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول. أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولكافّة المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنّه كان غفـــورا رحيمًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمًا عِدادًا، وبعث فينا سراجًا وقّادًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له توعَّد الأفّاكين لظى مِهادًا، فقد رضَوا لنا أكبادًا، وأشهد أنَّ نبيَّنا وسيِّدنا محمّدًا عبـــد الله ورسوله أعظم البريّة قدرًا وشرفًا، وأرأفهم فؤادًا، صلى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وصـــحبه الذين عزّروه ووقّروه وأمضوا في محبّته أرواحًا وأجسادًا، وكانوا في نصرته ضَراغمَ وآسادًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فاتقوا الله عبادَ الله، وأطيعوه، وتوبوا إليه واستَغفروه، ونافِحوا عن حياض الحبيب المجـــتبى، وكونوا خيرَ من شفى في ذلك وكفَى، وحقِّقوا النصرةَ والوفا في الذبِّ عن جناب النبي المصطفى.

أيها الإخوة الأحبة في الله، وما تخوضه الأمّةُ من قمع الإساءةِ لنبيِّها فلِما أوجبه الله عز وجـــل مـــن تعزيره وحبِّه وتوقيره وحمايته من كلّ مؤذٍ وشانٍ، ومِن المتقرِّر أنَّ المولى الحقّ سبحانه قد أغناه عـــن نصرةِ الخلق، ولكن وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ [الحديد:٢٥].

ولتدرِكوا -يا أحباب رسول الله رعاكم الله- أن نصرةَ رسول الله ليست في زعومٍ ودعاوى تُنشـــر، ولا عواطفَ وانفعالات تُبّثّ وتُنثر فحسب، كلاّ، فلن يغنِيَنا صَفّ الحروف إذا لم ننكِر بسنّته المنكرَ ونعرف المعروف. إنّ نصرته الحقيقيّة في اتِّباع هديه وسنته عليه الصلاة والسلام واقتفاء سَنَنه ومحجّته وعَدم مخالفته.

ودعوةٌ ملتَهبة حرّاء أن يا قادةَ المسلمين في كلّ مكان ائتلفوا على نصرةِ نبيكم حقًّا، وهبُّوا لتجـــريم هذه الفِرى النّكرا بكلّ ثِقَلكم السياسي والاقتصاديّ، حكّموا شرعَ الله عز وجل وسنّةَ نبيِّه ، وارمُقوا أحبابَه بمقلةِ الوِداد والإخاء، وعلى محبّته وطاعتِه فليكن الولاء والبراء.

لن تهتدي أمّة في غير منهجه *** مهما ارتضَت من بديع الرأي والنُّظُم

خاطِبوا بعزم عقلاء العالم وشرفاءَه للتحرّك الجادّ في صدّ هذهِ التطـــاولات وردِّ هـــذه التجـــاوزات والاستفزازات.

أيّها العلماءُ والدعاة، طلاّب العلمِ الكفاة، ذبّوا عن جناب المصطفى الكريم، وانشروا سنّتَه خفّاقةً في العالمين، اعقدوا الدروس والمحاضرات والندوات لتعريفِ العالم بشمائله وفضائِله، وجِّهوا الأمّـــةَ إلى حقيقة الائتساء به ومحبّته.

أيّها المؤتمنون على وسائل الإعلام، أيّها المفكّرون وحملة الأقلام، اغتنموا هذه النُّهزَةَ السانحة لنشـــر سيرته العطِرَة بمختلف اللغات والترجمات؛ لتعبرَ العالَم والقارّات، خبِّروهم أنه رسولُ الإسلام والسّلام وأمين وحيِ الملك العلاّم، وأنه ـــ بأبي هو وأمّي ـــ جاوز في الشرفِ والقدر الجوزاء، وفي العظمـــةِ والسناء بُلَعًا في السماء، وَشِّعوا في بركاتِ رسالته وهديه المؤلّفات والنشرات والقنوات والشّبكات، انبرُوا خفافًا وثِقالا لبيان محاسن الدين، أشهِدوا الدنيا والتأريخَ أن سيرة الحبيب دونها الشمسُ إشراقًا، ودونها السِّماك سموًّا وائتلاقا. وعسى الله أن يُقرَّ الأعين ويشفِيَ الصدور بقنواتٍ إســـلامية فضـــائيّة عالمية تبثُّ بلغةِ القوم، تقول للعالم: هذا دينُنا الوضّاء، وهذا نبيّنا ذو الشمائل القعساء، ودون هـــذه هممُ ذوي اليسار والثراء.

فيا رجال المال والأعمال، أنفِقوا مما آتاكم الله في نصرة سيِّد المرسلين ودَعم الخطَط التي تنسف مكائد المستهزئين بخيرةِ الخِيَر وسيّد البشر عليه الصلاة والسلام.

أيّتها الأخوات المسلمات الفُضليات، انصرن نبيّكنّ وسنّتَه بالتمسّك بالحجاب والحِشمة والعفـــاف والحَذر من التبرج والسفور والاختلاط المحرّم ومكائد التغريب ودعاوى الإسفاف، نشِّئن الأجيـــال أحلافَ محبّته وطاعتِه، وروّوهم من معينِ منهجه وسيرتِه ، وبذلك تتحقّق نصرة الأمّة بكافة أطيافها وشرائِحِها لنبيِّها وحبيبِها محمّد .

سدّد الله الخطى، وبارك في الجهود، وأعان العاملين المخلصين لنصرة دينهم والذبّ عن سنة نبيّهم ، إنه جواد كريم.

ألا وصلّوا وسلّموا –رحمكم الله– على سيّد الخلق طُرًّا، وأجلِّهم محتِدًا وقدرًا الـــذي أرســـله ربّـــه للمدلجين بدرًا.

واعلموا –رحمكم الله– أن من أزكى أعمالكم عند مليككم وأرجاها عند بارئكم ذبّكم عن جناب حبيبكم بكثرة صلاتكم وسلامكم على نبيكم محمد ، كما أمركم بذلك ربكم جل وعـــلا، فقـــال تعالى قولا كريما: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْـــلِيمًا [الأحزاب:٥٦].

اللهم إنّا نشهدك على حبّك وحبّ نبيّك محمد، ونشهدك أنه أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ووالـــدينا وأموالنا وذرارينا، اللهم إنا نبرأ إليك مما فعل الشانئون بجناب نبيك وصفيّك، اللهم إنهم قد آذونا في نبينا وحبيبنا وقدوتنا وأسوتنا عليه لصلاة والسلام، فاللهم إن كان في سابق علمك أنهم لا يهتـــدون ولا يرعوون فاكفِ المسلمين شرورَهم، وانتقِم لهم منهم يا جبّار يا عزيز.

إِلَهَنا، انقطع الأمل إلا منك وخاب الرجاء إلا فيك وضعف الاعتماد إلا عليك، فاللهم انصر دينـــك وكتابك وسنة نبيك محمد وعبادَك المؤمنين، اللهم إنا أحببناك وأحببنا رسولك حبًّا صـــادقًا، اللـــهم فاغفر به ذنوبَنا، وأسعد به قلوبنا، وتقبّل هذه الكلمات، وجعلها لوجهك خالصات، وثقِّل بها ميزان الحسنات ذبًّا عن سيّد البريّات، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين...

****

الفهرس العام :